يناير (كانون الثاني)
١٠ رمضان ١٣٨٥

١٩٦٦

عدد ممتاز

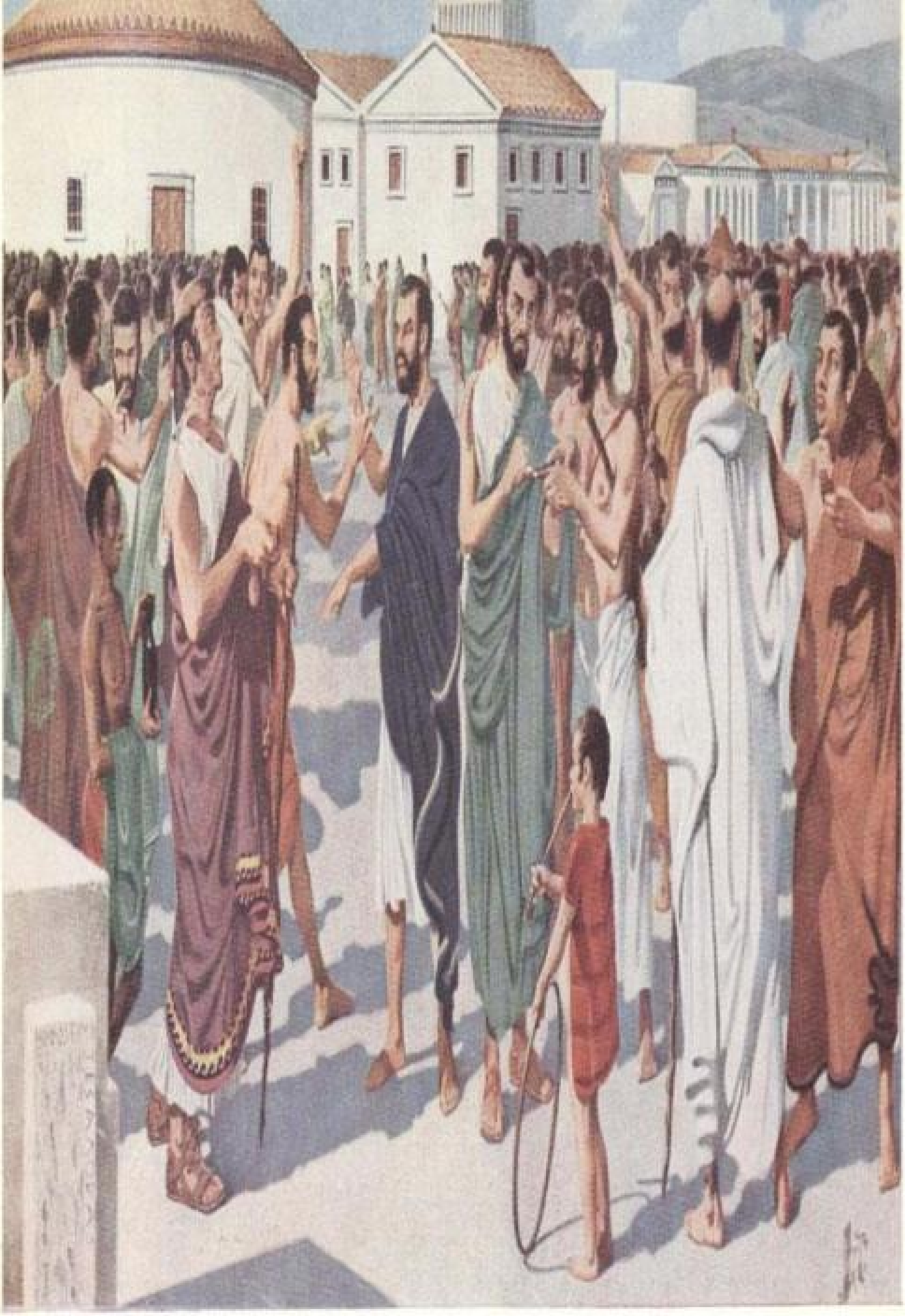
معه هدية منفصلة بالألوان

العربي

١٩٦٥
١٩٦٤
١٩٦٣
١٩٦٢
١٩٦١
١٩٦٠
١٩٥٩



فتيات من إشبيلية، وقد كانت يوماً عربية



حضارات سادت .. ثم بادت

● صورة « الأجورا » Agora أو مجلس الأمة في أثينا ، « المدينة ـ الدولة » الإغريقية التي أنتجت للمجتمع الإنساني نظاماً للحكم الديمقراطي يكاد لا يقل روعة عما أنتجه للإنسانية من تراث فلسفي وفني وأدبي شامخ ، خلد الحضارة الإغريقية ، وقد بادت من بعد أن سادت .

(انظر صفحة ١٥٦)



عزيزي القارئ

وصلك لا شك العدد الفائت من العربي ، عدد أول ديسمبر ، وقد خرج من الكويت قبل وفاة امير البلاد ، الراحل ، المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح ، فلم يحمل اليك نعى الأمير ، وحملته اليك لا شك صحف العالم واسلاك البرق والاذاعات .

والموت سنة الحياة . وسنة الحياة من سنة الله . وهى سنة تابى الفراغ .

ونزف اليك ان الفراغ الذى خلفه الأمير الراحل ، قد ملاه أحسن الملء واوفقه الأمير الحاضر ، سمو الشيخ صباح السالم الصباح ، لقد خلف أخاه ، كابراً عن كابر ..

فالى سمو الأمير اخلص التهنئة ، أزجيها نيابة عن أسرة « العربى » ، وعن مئات الالوف من قرائه . وادعو له بطول العمر ، ويدعون ، وبالتوفيق .

« وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » .

المحرر



١٥ عامًا من حياة الكويت ١٩٥٠ – ١٩٦٥ في

صورة تذكارية للأمير الراحل منذ نحو ٣٨ عاما

عَهْد المغفور لهُ الأَمِير

مساحة العاصمة تتضاعف ١٥ مرة :

قامت الكويت الحديثة في ظل القيادة الحكيمة للأمير الراحل ، عبد الله السالم الصباح . ومن ابرز معالمها كان امتداد العمران وانتشاره ، فقد كانت مساحة مدينة الكويت في بداية عهده تقرب من سبعة كيلو مترات مربعة ، ظل العمران ينتشر منها جنوبا وغربا حتى اصبحت مساحتها





الامير الراحل يوقع احدى اتفاقيات النفط

رحم الله الفقيد

تبوأ امارة الكويت فكانما كان مع بدء النهضة العمرانية الحاضرة على ميعاد . ومع النهضة العمرانية اتساع الخدمات ، ومن اخصها الصحة والتعليم . ومع العمران والخدمات عروبة صادقة ، وخطى فى السياسة الخارجية خطتها البلاد موفقة .

وقد جعلنا من كل هذه صورا تنطق فلا تكاد تحتاج الى لفظ يترجمها .

عبد الله السالم الصباح

الحالية ١٠٠ كيلو متر مربع تقريبا ، تضم نحو ١٠٠ الف وحدة سكنية ، و ٥٠٠ كيلو متر من الطرق المعبدة .. اشهرها شارع فهد السالم الذى ترى صورتين له اسفل هذا الكلام : الاولى ، التقطت منذ ١٠ سنوات عندما كانت المنازل على جانبيه لا تتجاوز الطابقين ارتفاعا .. والثانية صورة حديثة لنفس الشارع تظهر منها العمارات ذات التسع طوابق بدلا من المنازل القديمة





بداية طريق التعاون الدولي :

فى صبيحة يوم ١٥ مايو ١٩٦٣ ارتفع علم الكويت ذو الالوان الاربعة : الاخضر والابيض والاحمر والاسود ، فوق مقر رئاسة هيئة الامم المتحدة ليخفق الى جانب ١١٠. اعلام اخرى . معلنا للعالم ان الكويت اصبحت العضو الحادى عشر بعد المائة فى هذه المنظمة الدولية ..

وبدخول الكويت المنظمة الدولية خطت اولى الخطوات فى طريق التعاون الدولي ايمانا منها برسالة الامم المتحدة ، رسالة السلام ، وبالمبادىء التى نص عليها ميثاقها .

الكويت تتضامن مع شقيقاتها :

ما كاد استقلال الكويت يعلن حتى سارع المجلس الاعلى ـ الذى كان يشرف على سياسة الكويت العليا برئاسة الامير الراحل عبد الله السالم الصباح ـ بتقديم طلب انضمام الكويت الى جامعة الدول العربية ، بعد ان كانت تشترك فى بعض لجانها دون ان تكون عضوا فيها . وفى يوم ٢٠ يوليو ١٩٦١ اصبحت الكويت عضوا عاملا فى اسرة الشعوب العربية .. وقد رسم الامير الراحل معالم الطريق الذى اختارته الكويت بقوله : « دولة عربية تتضامن مع شقيقاتها الدول العربية فى كل ما يعود بالخير على الامة العربية ، وتسعى جهدها الى تدعيم جامعة الدول العربية » .. وترى الامير فى الصورة اليسرى ومعه امين جامعة الدول العربية ، يدا فى يد .





الدستور يحقق أمنية الراحل الكريم :

« نحمد الله العلي القدير الذى اتاح لنا فى هذه المرحلة التاريخية من حياة شعبنا العزيز ، تحقيق أمنيتنا فى وضع دستور للبلاد يقوم على اسس ديمقراطية سليمة ، ويتفق وتقاليدنا ، ويتجاوب وآمال امتنا » .. هذا ما قاله الأمير الراحل عندما قدم اليه رئيس المجلس التاسيسى نسخة من الدستور صبيحة يوم ٩ نوفمبر ١٩٦٢ .. لقد تحققت أمنيته فى سبيل مستقبل افضل ينعم فيه ابناء الكويت بمزيد من الرفاهية والمكانة الدولية ، فى ظل الدستور الذى يعطى المواطنين مزيدا من الحرية السياسية ، والمساواة ، والعدالة الاجتماعية ، والكرامة الفردية .



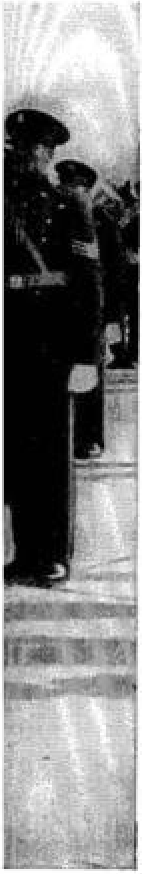
الطب والصحة :

أما الرعاية الصحية فيعود اهتمام الامير الراحل بها الى ما قبل توليه الحكم ، عندما كان رئيسا لمجلس الشورى الذى قرر انشاء اول مستشفى فى الكويت . وتم بناء هذا المستشفى الاميري عام ١٩٤٩ . وبالكويت اليوم ٢٥٨ مستشفى ومصح ومستوصف وعيادة ومركز صحى ، والى اليسار يبدو الراحل الكريم فى حفل افتتاح مستشفى الصباح ، وكان من بين الحضور السيد الدرديرى اسماعيل امين الجامعة العربية المساعد ، فناوله الامير المقص وهو يقول له : « ارجو ان تفتح هذا المستشفى باسم جامعة الدول العربية محط آمال العرب »

الحرب الهجومية محرّمة :

امتدت نهضة الكويت فى عهد الامير عبد الله السالم الصباح الى جميع المرافق ، وكان جيش الكويت فى مقدمتها .. حقيقة انه جيش حديث ، لكنه مزود بأحدث الاسلحة الموجهة والصواريخ والدبابات والمدافع .. وترسل الحكومة المبعوثين العسكريين من افراده الى البلاد الشقيقة والصديقة لتلقى علومهم العسكرية العالية هناك .. وجيش الكويت لم ينشأ بغرض الاعتداء ، بل لدفع او رد اى هجوم يقع على البلاد .. حتى ان المادة ٦٨ من الدستور تنص على أن : « يعلن الامير الحرب الدفاعية بمرسوم ، اما الحرب الهجومية فمحرمة » . وأمير الكويت هو القائد الأعلى للقوات المسلحة .





دور ايجابى لتصفية الجو العربى :

حرص الامير الراحل على الاشتراك بنفسه فى مؤتمرات القمة الثلاثة رغم ما يتطلبه ذلك من مجهود جسماني كبير .. وقد لعب سموه فى هذه المؤتمرات دورا كبيرا فى تصفية الجو العربي وتنقيته ، فكان دائب الحركة بين ملوك وزعماء الدول العربية لاحلال الصفاء وازالة الجفاء فيما بينهم .. وكانت مؤتمرات القمة الثلاثة اول عمل تاريخي منظم اتخذ لانقاذ فلسطين ، وقد قامت الكويت بدورها كاملا فى هذا المضمار . وفى عهد سموه وبتوجيه منه ، قدمت الكويت لفلسطين كل العون المادي لمشاريع تحويل الروافد ، والتسلح ، وانشاء الكيان الفلسطيني ..





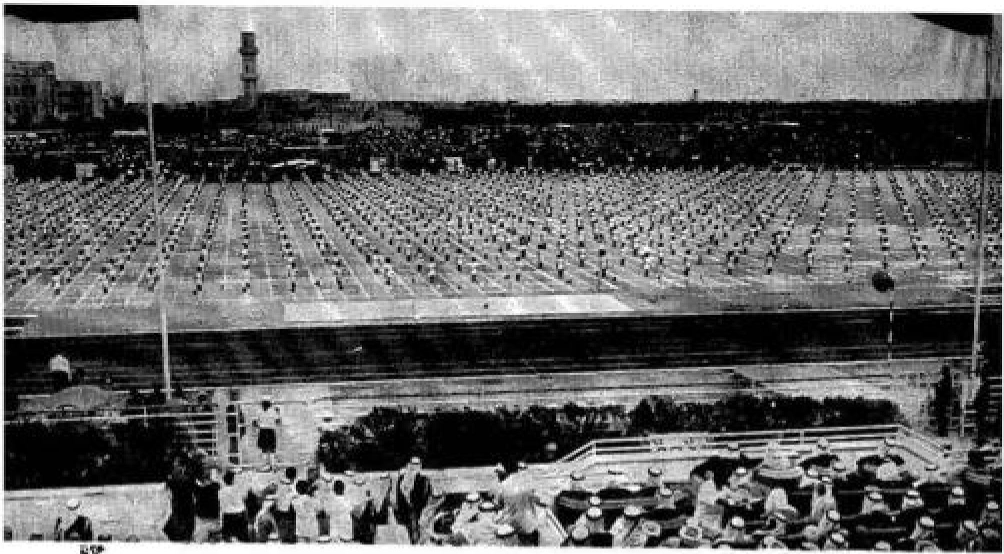
فى مؤتمر عدم الانحياز :

وايمانا من الامير الراحل بضـرورة ((تدعيم أركان السلام والامـن فى العالـم ، وتحقيق الامانى القوميـة والانسانية لجميع الشعوب)) رحب رحمه الله بالدعوة التي وجهت الى الكويت لحضور مؤتمر عدم الانحياز ، فسافر بنفسه الى القاهرة فى ٤ آكتوبر ١٩٦٤ ليشترك مع رؤساء ٥٧ دولة فى السعى لتحرير دول العالم مـن السيطرة الاجنبية .. وكان حضور الكويت لمؤتمر عدم الانحياز خطـوة جديدة فى مجال سياسـتها الخارجية المستقلة ..



٨ مليار برميل من النفط الخام :

اولى الامير الراحل شئون النفط عناية خاصة ، فالنفط كان ، وما يزال ، المصدر الاساسي لايرادات الدولة .. وقد كان لهذه العناية اكبر الاثر في زيادة الانتاج عاما بعد عام .. فبعد ان كانت كمية النفط الخام المستخرج في عام ١٩٥٠ تقرب من ١٢٦ مليون برميل امريكي نجدها تقفز في عام ١٩٦٤ وتصل الى ٨٤٢ مليون برميل . فكان مجموع ما انتجته الكويت من النفط الخام خلال سني حكم الراحل الكريم اكثر من ثمانية الاف مليون برميل امريكي . والطن من الزيت يساوى سبعة براميل تقريبا .



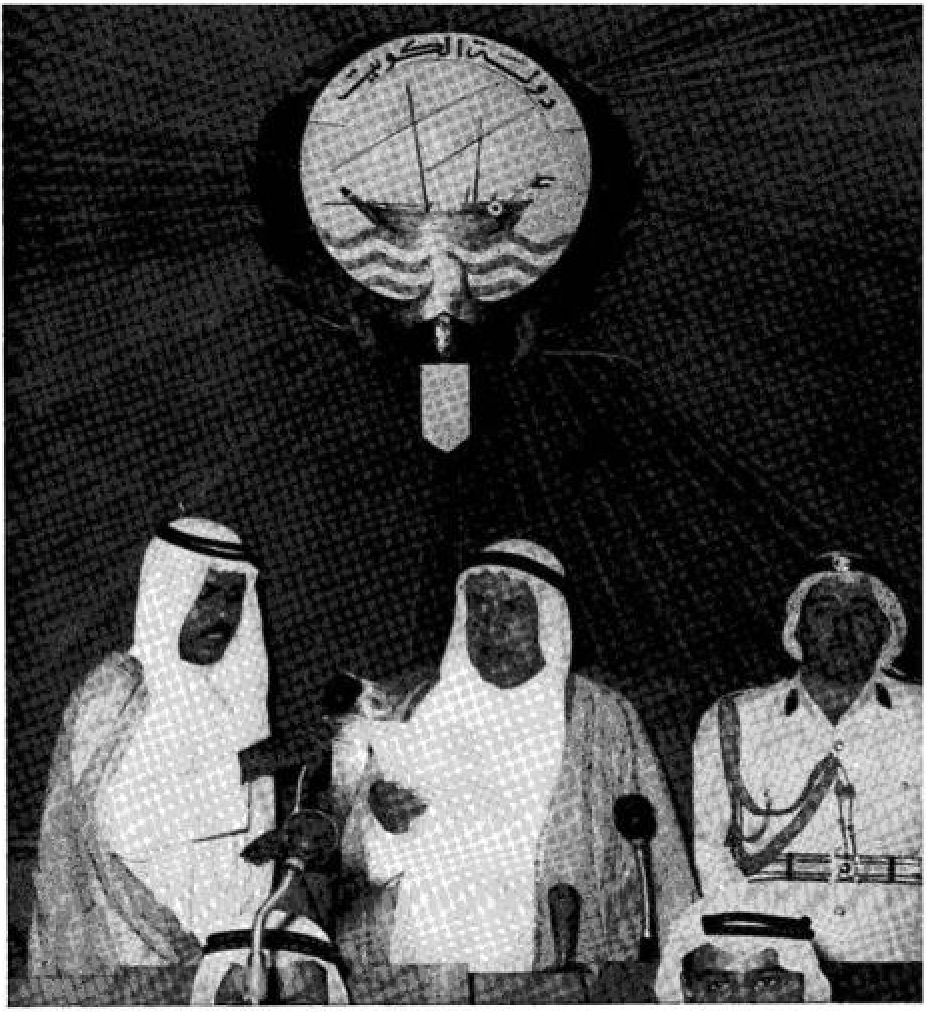
الكويت بلد التعليم :

فى عام ١٩٥٠ كان عدد مدارس الكويت لا يتعدى ٢٣ مدرسة ، ست منها للبنات .. ومرت ١٥ سنة قفز خلالها عدد المدارس الى ١٨٢ مدرسة منها ٨٤ للبنات .. وفى هذه المدارس يتلقى اليوم ٨٠ الف طالب وطالبة مختلف انواع العلوم والفنون ، بينما كان عدد الطلبة منذ ١٥ عاما لا يزيد عن خمسة الاف طالب وطالبة . كان يسهر على خدمتهم ٢٩٤ مدرسا ومدرسة ، تضخم عددهم اليوم حتى وصل الى ٤٢١٥ مدرسا ومدرسة ..

العملة الجديدة :

وتحقيقا لسياسة اقتصادية سليمة مستقلة عمدت الكويت فى اول ابريل ١٩٦١ الى اصدار عملة للبلاد جديدة اساسها الفلس والدينار تحل محل الروبية الهندية تلك التي ظلت مدة ٥٠ عاما تقريبا عملة رسمية للكويت .. وقد وصل مجموع اوراق النقد والمسكوكات المتداولة حاليا فى الكويت الى ٣٢ مليون دينار .

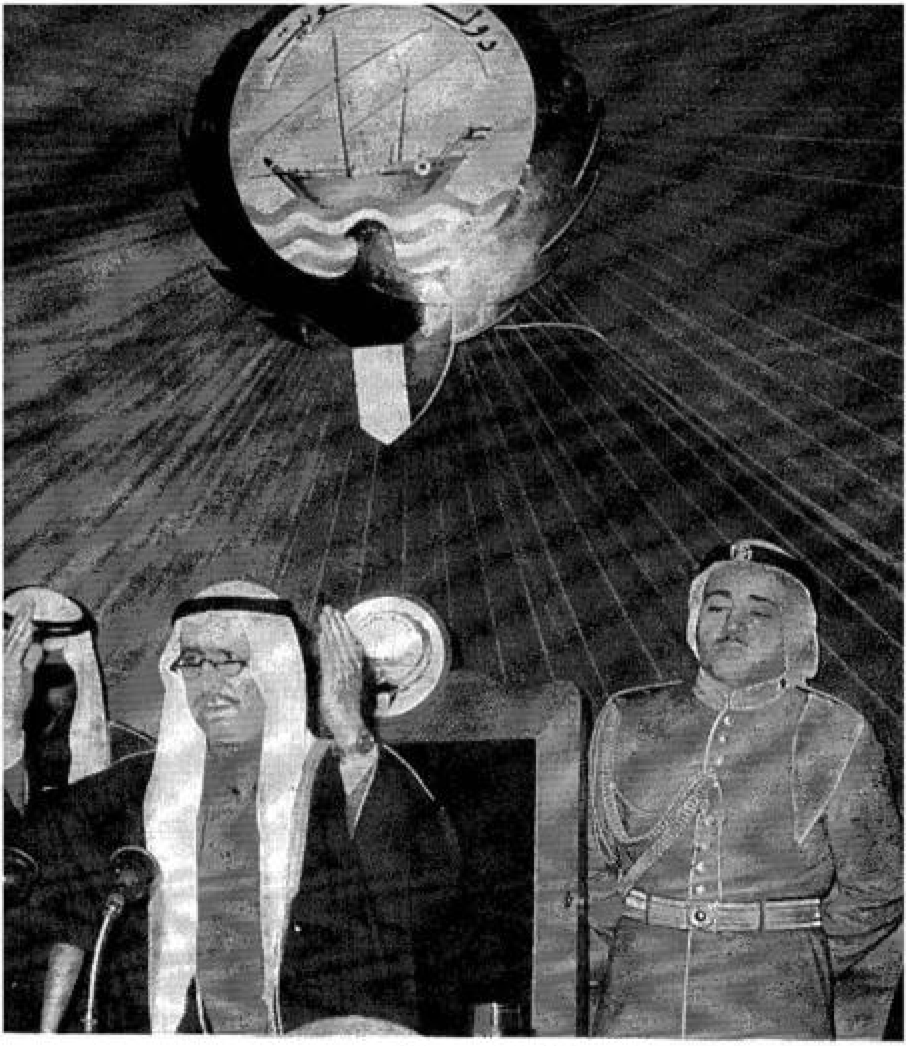




آخر صورة للأمير الراحل :

ما كاد استقلال الكويت يعلن حتى بدأ العمل من اجل قيام مجلس تأسيسي افتتحه الامير الراحل فى ٢٠ يناير ١٩٦٢ ، وكانت مهمته اعداد مشروع الدستور . وبعد انتهائه من مهمته انتخب مجلس الامة الذى عقد اول جلسة له فى ٢٩ يناير ١٩٦٣ . وقد عقد هذا المجلس ثلاث دورات ، وفى يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٦٥ قام الامير بافتتاح الدورة الرابعة ، والقى كلمة دعا فيها الأعضاء الى التكاتف والتعاون .. وفى أثناء انصاته للخطاب الأميرى الذى كان يلقيه سمو ولي العهد ورئيس الوزراء ، شعر الامير الراحل بألم شديد لزم بعده الفراش حتى اختاره الله الى جواره ، وذلك فى الساعة الخامسة من مساء الاربعاء ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥ .

وترى هنا الامير الراحل فى آخر صورة له وهو يلقى كلمته فى مجلس الامة .



خير خلف لخير سلف :

« ان الغرس الصالح الذى غرسه عبد الله السالم الصباح بيديه ، وظل يرعاه بنفسه وقلبه الكبيرين حتى اينع واثمر فى حياته ، لن يذوى او يذبل بعد مماته ، ما دمنا حافظين لعهده ، سائرين على نهجه ، مقتفين لآثاره فى سياسته الداخلية والخارجية التى استهدفت دوما خدمة هذا البلد واهله ، والأمة العربية التي نحن جزء منها والانسانية عامة » . بهذه الكلمات المؤمنة تفوه سمو الامير الجديد صباح السالم الصباح امير دولة الكويت فى اول لقاء له مع اعضاء مجلس الأمة .. والامير الجديد من مواليد ١٣٣٤ هـ / ١٩١٥ م. وتولى رئاسة مجلس الوزراء ثلاث مرات ، ثم رشحه الامير الراحل ليكون وليا للعهد ، وزكى المجلس التاسيسي هذا الترشيح بالاجماع .. وقد نودى بسموه اميرا على الكويت يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥ . ■■

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

تاريخ .. وتاريخ أشخاص :

اسلاميات :

طب وعلوم :

عروبـــة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY = No. 86 January 1966 — P.O.B. 748 = KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

اثناء وجود بعثة « العربى » فى اشبيلية ، تصادف حلول احد الاعياد المحلية التى يسمونها « الفييستا » ، وهو لفظ اسبانى انتقل الى كل اللغات الاوروبية ، يريدون به الحفل الدينى او « المولد » ، وما يصاحبه من رقص وموسيقى .. وترى هنا باقات من « السنيوريتات » فى الموكب الذاهب لزيارة ضريح احد القديسين او « السانتو » .

ثمن العدد

الكويت	١١٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	الاردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	سورية	١٠٠	قرش	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٥ر٢	شلن	ج٠ع٠م٠	١٠	قروش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا				المغرب	٢	درهم

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص٠ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



أين وقعت المعركة ؟

● جاء في المقال المنشور في العدد الرابع والثمانين من مجلة « العربي » القراء ، وفي زاوية (حضارات سادت ثم بادت) يفيد ان معركة ضارية احتدمت بين أهل مدينة — لاجاش — السومرية واهل مدينة — أمه — وهي مدينة دولة بجوارها ، اما موقع هاتين المدينتين القديمتين ففي منتصف المسافة تقريبا بين مدينة العمارة ومدينة النجف القائمتين حاليا في جنوب العراق .

ولكن الصحيح اذا لاحظنا خارطة العراق الأثرية القديمة لوجدنا ان موقع هاتين المدينتين القديمتين هو قرب مدينة — الشطرة — في لواء الناصرية وليس بين مدينتي العمارة والنجف ، حيث تقع مدينة — لاجاش — المسماة حاليا — تلو — الى الشمال الشرقي من مدينة — الشطرة — ومدينة — أمه — المسماة حاليا — جوخي جوخة — الى الشمال الغربي منها .

وجاء أيضا في المقال :

(ان العربة الفاخرة من بين العربتين الظاهرتين في الصورة هي عربة الملك اياناتوم السومري ..

مصير ... ومصران

● وقع نظري في العدد الأخير من مجلتنا (العربي) على عبارة : « المصران الأعور » وهذه العبارة من الأخطاء الشائعة لأن « المصران » جمع (والمفرد « مصير » والأعور مفرد !) .

ولا يوصف الجمع بالمفرد اذ لا بد من التطابق بين الصفة والموصوف في الافراد والتثنية والجمع كما هو معروف .

واذن فلا بد أن يقال : المصير الأعور في حالة الافراد ، والمصران العور في حالة الجمع .

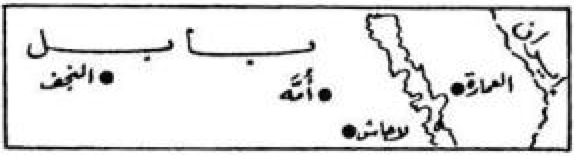
وقد دعاني الى الكتابة اليكم في ذلك ما عهدناه من حرص (العربي) على التزام قواعد العربية والحفاظ الشديد على لغتنا القومية والدقة المتناهية في استعمالها .

محمد أحمد فراج
المدرس الأول للغة العربية بتجارة بنها الثانوية

« العربي » : درج الناس على استعمال كلمة « مصران » على أنها صيغة المفرد ، وأن يجمعوها على « مصارين » مع أن مصارين هي صيغة « جمع الجمع » وكثير من كتب الطب العربية القديمة يتضمن هذا الخطأ ، الذي أصبح شائعا « مشهورا » حتى بين الأطباء أنفسهم .

التصحيح غير صحيح

● جاء في العدد ٨٣ من مجلة « العربي » تاريخ ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥ في باب بريد القراء تحت عنوان ادريس والادارسة للسيد صالح محمد الصالح من البصرة أن ادريس هو ابن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والصحيح هو أنه كما ورد في عدد آب الأخير تحت عنوان ادريس والادارسة هو ادريس بن عبد الله ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي



وتدل على الملك ايناتوم ثيابه الانيقة ان لم تدل عليه خوذته الصفراء اللماعة) .

ولكن الصحيح اذا ما لاحظنا ما كتبه المؤرخون حول هذه الصورة هو :

ان الشخص الظاهر فى هذه العربة هو الاله ـ تنجرسو ـ بهيئة شخص مسلح ، بيده اليمنى الدبوس للقتال ، وبيده اليسرى شبكة اصطاد فيها الأعداء اسرى ، ثم صورة الملك ايناتوم فى عدته الحربية على رأس جيشه وقربه جثث الأعداء .

وقد نحتت هذه الصورة فى نصب يسمى ـ مسلة النور ـ خلد فيها انتصار الملك ايناتوم على اعدائه ، وهي موجودة الآن فى متحف اللوفر فى باريس بفرنسا .

فوزى عبد الوهاب / السماوة / العراق

« العربي » : اما ملاحظتك الاولى عن موقع مدينتى « لاجاش » و « أمه » فردنا عليها هذا القطاع الذى ننشره من خريطة بابل ، كما جاءت فى اوثق المصادر والموسوعات الأجنبية ، واما ملاحظتك الثانية على الاله « تنجرسو » والدبوس والشبكة اللذين تتحدث عنهما فلا اثر له قط فى الصورة ، فضلا عن ان تأليه الملوك لم يكن معروفا فى حضارة ما بين النهرين على نحو ما كانت عليه الحضارة الفرعونية ، بل كانت الآلهة تتمثل فى القوى الطبيعية التي كان الملوك يخضعون لها شأنهم فى ذلك شأن رعاياهم على حد سواء .

اصالتنا العربية مهددة والحفاظ عليها لا يتم بغير كسح ركامات الفساد

● اثار الدكتور فاخر عاقل فى مقاله بالعدد ٨٤ من « العربى » مشكلة من اخطر المشاكل التى يعانيها المجتمع العربي المعاصر ، هى اننا كما يقول الدكتور « نفقد اصالتنا تدريجيا ، ونتنازل عن صفاتنا المميزة لنتبنى صفات ترد علينا من الغرب او الشرق ، ونهجر صفاتنا القديمة وعاداتنا السابقة ، تلك التى اوصلت اجدادنا الى حيث قادوا امم الارض ووضعتهم فى طليعة الشعوب ».

ان الأصالة العربية فى نظرى هى عقيدة العرب وثقافتهم ، ويدخل فى هذا النطاق العادات والتقاليد والزى ولغة الحديث . واذا كان الدكتور يرى أن الاصالة العربية « مهددة » ، فانى اراها «مبددة» للاسباب الآتية :

اولا : يتضاءل المركز الأدبى للثقافة العربية يوما بعد يوم فى نظر الكثيرين من ابناء العرب المتأثرين ـ كما ذكر الدكتور فاخر ـ بالحضارة الأوروبية المعاصرة ـ فعكفوا على نقل افكار الغرب ، والترويج لتقاليده وعاداته ، وفلسفاته الخلقية والاجتماعية ، مع اهمال شبه كامل

(البقية على صفحة ١٧٠)

وما نشرتموه هو الأصح

ابن ابي طالب رضي الله عنهم ، وان شئت فارجع الى كتاب الدرر السنية فى اخبار السلالة الادريسية للسيد محمد بن على السنوسى جد الملك ادريس السنوسي ملك ليبيا الحالى والسلام عليكم ورحمة الله .

احمد المعز لدين الله الادريسي

ارجو سودان / ليبيا



بدأنا السنة الثامنة ،

بقلم رئيس التحرير

■ مضت سنوات" سبع" منذ أن صدر « العربى » لأول مرة .

وقد اتخذنا اول كل عام موعدا نحتفل فيه بذكرى الميلاد ، ميلاد « العربى » ، وهذا هو ميلاد « العربى » السابع .

● سبعة اعوام مديدة

سبعة اعوام طويلة مديدة ، هي قليلة فى عمر الزمان ، ولكنها غير قليلة فى عمر الانسان .

وبدأنا « العربى » فى يوم لم تكد تعرف له غدا . ثم جاء من بعد اليوم غد ، ومن بعد الغد اغداء ، وتكشف امر « العربي » كما تتكشف القصة تتصفح منها الصفحة من بعد الصفحة . وتتجمع الصفحات فيكون منها الفصل ، فذاك عدد الشهر . ثم تتجمع الفصول اثني عشر فصلا ، فذاك مجلد العام . فقصة « العربى » تم منها الى اليوم مجلدات سبعة . والرواية لم تتم بعدُ فصولا .

● الاجسام تتجدد كل سبعة اعوام

والاطباء يقولون ان جسم الانسان تتغير خلاياه طوالَ العام ، وانه يحتاج لتغيير كل خلاياه وتجدُدها جميعا الى سبعة اعوام . فان صح هذا ، فقد صحّ على « العربى » مثل الذى صح على الاجسام .

وتجدد الخلايا فى جسم الانسان لا يكون طفرة . انه تطوُرٌ مستمر ،



مُبَارَكَة في حَيَاة العربي



يحتفظ فيه الوجه بسماته ، ويحتفظ سائر الاعضاء . وكذا « العربى » تطور فى بطء حتى ما أحس احد بتطوره ، واحتفظ بسماته .

انك تجمع بين صورة الصبى ، وصورة الشاب الذى صار اليه هذا الصبي ، فيظهر لك مقدار التطور الذى كان على المدى . وانت تدرك مثل هذا التطور فى « العربي » عندما تجمع بين اعداده الاولى ، فى سنته الاولى ، وبين اعداده الاخيرة فى سنته الاخيرة .

لقد شب الصبي عن الطوق ، وكان لا بد له أن يشب . فالكائن الحي الذى يقف به النمو ، ايا كان نوعه ، لا بد أن يموت .

● الى من يعود الفضل ؟

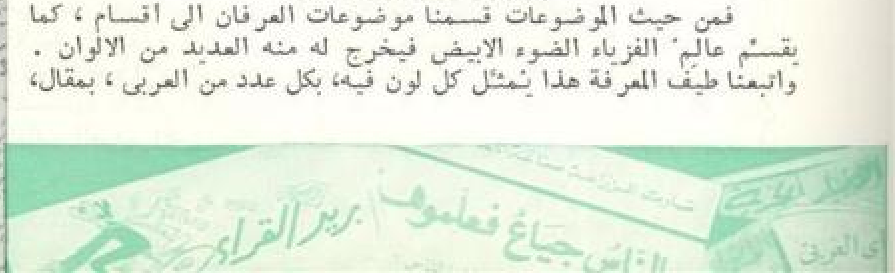
والفضل فى هذا يعود الى كل من أسهم فى اخراج « العربى » : الى كل من كتب فى « العربي » والى كل من قرأ . وكذا الى كل من جمع وطبع . والى سخاء أولى الامر . لا الى ما بذلوا من مال فحسب ، ولكن كذلك الى ما بذلوا من عون وخير .

● خطة اختطها « العربى »

ثم الى خطة اختطها « العربى » ، نذكرها ، معيدين ، لنقول ، وليقول معنا القراء ، اننا اتبعناها واخلصنا لها اتباعا .

● طيف المعرفة ذو الوان

فمن حيث الموضوعات قسمنا موضوعات العرفان الى اقسام ، كما يقسم عالم الفزياء الضوء الابيض فيخرج له منه العديد من الالوان . واتبعنا طيف المعرفة هذا يمثل كل لون فيه ، بكل عدد من العربى ، بمقال ،



ما ظل هذا فى حيز الامكان . وتكتمل مائدة الفكر هذه ، كل شهر ، كما تكتمل مائدة الطعام ،وليس من الضروري ان يمسّ كل جالس اليها كلّ لون فيها . يكفيه انه يجد فيها ما يلذ ، ويشبع . يجد فيها الرجل مأربا ، وتجد المرأة ، حتى الصغير لن تفوته متعة ساعة يقضيها مع « العربي » الصغير .

● مواضيع تغلق دونها الأبواب

شيء واحد نأسف له من حيث اختيار المواضيع ، ذلك اننا نتجنب مواضيع لا يمكن معالجتها ودخول « العربي » بها ، في كل البلاد العربية، مع المزاج الفكري العربي الحاضر ، وعلى اختلافه . وهي مواضيع حيّة . وهي مواضيع تمسّ مستقبل الأمة ، ولكنّ عليها اختلاف كاختلاف ما بين الكفر والايمان . وهي مواضيع لا يؤذَن لها بأن تبحث حتى على الحياد ، كما أن الكفر لا يؤذن ببحثه ولو على الحياد . ونجد الشيء الواحد هنا ايمانا ، ، ونجده هناك كفرا . وآخر تجده هنا كفرا ، وهناك ايمانا !.

ويكتب الينا الكاتب العربي ، ذو الفكر ، القادر ، فنعتذر عن نشر ما كتب ، فيغضب ، وقد يرمينا رميةً تحمل فى طياتها معنى الجمود ، وما صاحبك بجامد ، ولكن جَمّدَ الزمان .

وعندنا ان المعرفة صنفان ، صنف نافع يأذن « للعربي » أن يدخل كل البلاد العربية من ابوابها ، وصنف نافع يمنع « العربي » أن يدخل بابا او عدة من ابواب ،فيحرم من وراء هذه الابواب من الانتفاع بسائر ما فى « العربي » مما لا حرمة ولا شبهة فيه .

لهذا نتجنب الشبهات طلبا للخير الأعم ، خير الناس لا خير «العربي». « فالعربي » لا تزيده زيادة البيع زيادة فى كسب ، فهو ما كسب قط ، وما كان المكسب من غاياته ، وانما تزيده رضا بانه زاد فى نفع الناس .

● ونضرب مثلا ، بالاشتراكية

مثال ذلك الاشتراكية .

يكتب الينا الكاتب عن الاشتراكية رافضا اياها ، فلا نستطيع أن ننشر .

ويكتب الينا الكاتب عن الاشتراكية راضيا عنها ، فلا نستطيع أن ننشر .

والاشتراكية اصبحت اليوم ثوبا فضفاضا يدخل فيه من شاء ، من المعاني ما شاء . فقد سمعت امريكيا يقول ان الولايات المتحدة ، ان يكن اقتصادها راسماليا ، فمجتمعها اشتراكي . وسمعت من الانجليز من يقول ان فى بلدهم من الاشتراكية اكثر كثيرا مما فى بلاد اتخذت الاشتراكية مذهبا رسميا . والصين تقول انها تمارس الاشتراكية مذهبا . وكذلك يقول الروس . وبذلك انبهمت الحدود التي كانت قائمة بين معان تضمنتها الاشتراكية ، ومعان تضمنتها الشيوعية . حتى لاصبح من كتاب العرب الذين يكتبون فى الاشتراكية من يزعمون انهم يكتبون فى





الاشتراكية ، وتقرأ لهم ، فاذا هم ، بوعي او بغير وعي ، انما يكتبون فى الشيوعية فى اقسى معانيها ، وبها يبشرون . . .

وامام هذه البلبلة فى المعانى ، احجم « العربى » عن أن ينشر .

والموضوع موضوع خطير انقسمت بسببه الدنيا ، فهو من الجدارة ، بالبحث المجرد ، بالمكان الاول .

وهو باب من ابواب الثقافة لا يمكن تحريم الكلام فيه . وكيف يحرَّم رجل القرن العشرين من فهم شيء ، دراسةً لا تشيُّعا ، بلغ من الخطر أن قد تقوم بسببه حرب تترك الدنيا فى ساعات خرابا يبابا .

ولكنا احجمنا عن تناوله لسببين ، أولهما انه قل من الباحثين فى هذا الأمر من يبحثون مجرَّدين عن نشأة كانت لهم فى مجتمعهم ، وعن موضع هم اليوم فيه من المجتمع ، حطٌ أو علا . ويخرج البحث ملونا بلون كاتبه ، زُرقة كان اللون او حمرة .

اما السبب الثانى ، فذلك أن الجو السائد فى اكثر الدول العربية ، اصولُ الحرية الكبيرة فيه لا تزال من صنع الله ، فغاز التنفس الاصيل فى هوائه لا يزال موفورا بحمد الله .

⓫ ونضرب مثلا بالوحدة العربية

ومثلٌ آخر للوحدة . الوحدة العربية .

كنا نكتب فيها بقوة ، وكان يكتب غيرنا .

وذلك والشمس مشرقة ، ووجه الأرض ضاحٍ ضاحك . ثم اغبر وجه الأرض ، وملأت السماءَ سحبٌ سوداء . وهطلت الأمطار فأوحلتْ ، وأوى الناس الى بيوتهم ،وانفضَّ زامر الحيِّ ،وخفتت الأصداء .

ان التغنى بالوحدة ، الوحدة الكاملة الشاملة ، لا يمكن أن يكون فى كل الأجواء . لا بد لأغنية الوحدة من الصفاء كل الصفاء . ولقد جاء وقت تكدَّر فيه الجو العربى حتى صار اى غناء فيه نشازا ، كالذى يغنى أغانىَ الأفراح فى المآتم . وسكت الناس عن الحديث فى الوحدة ، وسكتنا . وقد كدت أخطىء فأقول : وسكتتْ ، للذى لقيت من ذلك ، الشعوب . ذلك أن الشعوب لا يجوز أن يقال لها انها فترتْ بالذى لقيت من الوحدة ابدا . الوحدة الكاملة الشاملة ، الدستورية ، التى تجعل من الأمة ، امبراطورية واحدة تمتد من الخليج الى المحيط !

على كل حال ، اذا نحن تحدثنا الآن عن الوحدة ، وتحدثنا صادقين ، وخلعنا أدب السياسة والساسة والعقائديين ، لقلنا إن الوحدة الشاملة الكاملة تراجعت اليوم فى حسبان العرب الى حين ، تراجعت بها التجربة المرة والأحداث . والحديث اليوم أولى ان يكون فى وحدة كل قطر . الوحدة الداخلية التى لا تكون وحدةٌ خارجية الا بها . وحدة الكيان الذى فيه بناء الدولة . هذه الوحدة الداخلية ، فى حاجة الى رعاية كثيرة فى اكثر البلاد العربية . والى بحث كثير ، وحديث كثير . اذ كيف يمكن التوحيد بين وحدات هى فى داخلها متصدعة .

فاذا انتقلنا بالوحدة الى ما بين البلد العربى والبلد العربى ، وجب

ان ننظر فى الوحدة الثقافية ، وفى الوحدة الاقتصادية ، وفى تنسيق ما بين اساليب العيش جميعا وانظمة الحياة ما امكن تنسيق وامكن تقريب.

ويكفينا ، نحن العرب ، من حيث الوحدة الكبرى ، الى حين غير قصير ، وحدة قلوب . وحدة محبة كالتى كانت بيننا عام ١٩٥٦ ، يوم اعتدى المعتدون على القناة ، وهبّ العرب فى كل اقطارهم يدفعون بما ملكوا عن القناة ، ويحمون . لم يصرخ لهم صارخ من مصر يقول : دَرَاكِ ... ولم يكن عند ذاك ارتفع صوت بوحدة شاملة او غير شاملة . وارادت الطائرات المقتبلة المصرية ان تحتمى فهبطت فى ارض الأخوة السعوديين بدون استئذان ..

● وامثلة من نوع آخر

واعنى بها المواضيع التى تتصل بزمانها اتصالا وثيقا . تلك الأمور التى لا تستطيع ان تتحدث عنها الا فى يومها ، ويفتر اهتمام الناس بها بعد بضعة ايام ، فكيف بالأسابيع . ان المقال الافتتاحى نحاول ان نجعله متصلا بالأحداث الجارية ، فلا نستطيع ، لأنه يكتب قبل ظهوره فى السوق بنحو خمسة اسابيع ، وهو آخر ما يكتب من مقالات « العربى » . وسبب هذا التبكير ان ذلك العدد الكبير الذى يطبع من « العربى » ، يحتاج للطبع والتجهيز بمطابعنا الحاضرة ، ثم للسفر ، الى هذه الفترة من الزمان .

ويخرج « العربى » ، وقد سبقته احداث هامة لم يستطع ادراكها . ويخرج العدد الثانى بعد شهر ، ولا يستطيع ان يستدرك شيئا فات حتى نسيه الناس .

واصابت الوعكة سمو الأمير ، الشيخ عبد الله السالم الصباح ، وجزع الناس لها اشد الجزع ، وجزعنا ، وكتبوا ونشروا ، ولم نكتب ولم ننشر .

● وكُتّاب « العربى »

ومن مواضيع الكتابة ننتقل الى الكُتّاب .

ان كاتب « العربى » هو الكاتب الدارس ، ذلك الذى يخطط لموضوعه اولا ، ثم هو يدور على خزانته فيجمع منها من الكتب ما يجمع ليستذكر من تفصيل الموضوع ما قد يكون قد نسى ، ومن حقائقه ما يكون قد انبهم او يكون فى حاجة الى ان يتجدد . وبعد دراسة ساعات ، قد تتوزع على ايام ، يجلس فيجمع اطراف موضوعه فى كلِم يسمّى بعد ذلك مقالا .

انه الكاتب المختص اذن . و « العربى » يحاول دائما ان يكون كتابه من ذوى الاختصاص . وقد دعا طلب الاختصاص الى ان يكون الكثير من كتاب « العربى » من رجال الجامعات ، او من هم فى مستواهم ، وليس فى هذا ما يعاب .

ومع هذا يأتينا المقال من مدرس فى مدرسة ابتدائية ، فنجده طريفا ، ونجده صالحا ، ونجد كاتبه كتبه بعد دراسة ، واشار الى مراجعه فى





كثرة ، فنجيز هذا المقال . وقد أضرب الأمثال ، ولكن ضربها لا يجمل فى مثل هذه الحال .

ونمسح البلاد العربية مسحا ، نطلب من كل بلد كتّابه. ونستكتب. ثم تتوضح لنا أمور لا نستطيع ان نكشف عنها . ولكن يكفى ان نقول ان كتاب البلاد العربية ليسوا سواسية فى القدرة ، ولا فى الاستجابة ، ويتخلف عن الاستجابة لنا القادرون ، ونعلم ، فنعذر ، ولا نفصح ، ويتقدم غير القادرين ، فنرفض مخلصين ، وتمنيناهم لو كانوا قادرين . وغير القادر لا يعترف بعجز ، واذن فعنده أن هناك لا بد من أسباب أخرى ؟!

ان « العربى » صحائف بيضاء مفتوحة ، ليملأها كل عربى ، ذى قلم عربى ، ورأس عربى ، وقلب عربى ، وقدرة عربية ، من اى البلاد العربية جاء ، والى أى دين انتسب ، والى اى مذهب . و « العربى » يرحب بكاتب المذهب ، والمذهب القليل رجاله ، كترحيبه بكاتب المذهب الكثير رجاله ، ولعله يكون أكثر ترحيبا ، شريطة أن يرتفع الجميع الى المستوى الذى يُحترم عنده العقل البشرى، الذى عمَدته الفطرة ، وهذّبه وشذّبه العلم .

● كل خطة لعمل ، تطرح فى السوق ، مِحكها الأسواق

والرجل منا ، والرجال ، قد يخطّطون لعملهم ما يخطّطون، ويدقّقون ما يدققون ، ومع هذا تظل فى قلوبهم مما خططوا ريبة ، لأن فى جمهور الناس الذين لهم خططوا ودققوا عوامل خافية لا تنكشف كلها عند تخطيط وتدقيق ، وقد تكون حاسمة فى عرقلة وتعويق . لهذا لم يجد المخططون الى اليوم مِحكًا للنجاح والخيبة كمحك السوق .

و« العربى » ، وكل عمل أدبى علمى مهنى ، هو على كل حال سلعة تباع فى الأسواق .

ولن يضع من قدر « العربى » ان يكون سلعة فى الأسواق . فكل كتاب يباع فى السوق سلعة فى الأسواق . ونصيحة الطبيب فى محل عيادته سلعة . والدرس يلقيه المدرس على تلاميذه سلعة . والمحامى اذ يدفع عنك انما يبيع دفاعه سلعة . وكلّ شىء تدفع فيه فلسا ، اين كان وفى اى زمان ، انما هو سلعة تباع فى الأسواق .

ولقد ارضانا أكثر الرضا ذلك السيل الذى لم ينقطع يوما ، من رسائل القراء تحمل الينا الحمد .

واكثر ما سرنا من هذه تلك التى حملت مع الحمد النقد . وهو نقد آراء كثيرٌ منه النافع ، وبه انتفعنا .

ولكن هذه الرسائل ما كانت يوما بالحجة الكافية على حسن التخطيط، فأصحاب الرسائل ، مهما كثروا ، ليسوا الا فئة غاية فى القلة اذا ما انتسبوا الى حجم القراء جميعا .

حجم القراء ، ورضاهم ، فى قوته وضعفه ، يظهر فيما يباع من السلعة فى الأسواق . وقد طلبنا من القسم المختص ان يعطينا الاحصاء وقد فعل .

وقبل ان اورده اود ان اقول انه ليس من عادة الصحف ان تنشر مثل



هذا ، فهى تعده بعض أسرارها . ولكن العربى هدية دولة الكويت للأمة العربية ، وهى لا تطلب منه كسبا ، انما تطلب كفاية من عـائد يؤمّن الاستمرار فى النشر . « فالعربى » من حيث وضعها هذا تكاد ان تكون مجلة ملك قرائها ، وانى لأتخيل صادقا أن القراء جميعا اعضاء فى شركة اسمها « العربى » ، لهذا أكاد أحس كأنى اذ أتحدث اليهم الآن ، واذ أنقل اليهم ما اتصل من أخبارها ، انما أعرض عليهم تقريرا سنويا عن أعمال الشركة ، شركة « العربى » ، فى عامها الذى تختمه الآن ، ولكم وددت لو جمعنا بهم اجتماع سنوى عام ، كما تجمع مساهمى الشركات مجالسها السنوية ، ولكن أى مكان يتسع لمائة ألف ، بل أكثر من ذلك .

واختصر ما جاءني به قسم الاحصاء فأورد منه ما يلي ، وقد قصرته على الأشهر الستة الأولى من العام المنصرم ، عام ١٩٦٥ ، لأن نتائج الأشهر الأخيرة لم تتم بعد .

الشهر	صافى المطبوع من العربى	نسبة المرتجع
يناير	١٣٥٦٠٤ العدد الممتاز	٨ر٢٪
فبراير	١٠٧٧٨٧	٤ر٤٪
مارس	١٠٨٠٠٣	٧ر٣٪
ابريل	١٠٨٧٦٥	٨ر٢٪
مايو	١٠٨٦١٧	٤ر٤٪
يونيه	١٠٩١٩٦	٥ر٣٪

وقد زاد المطبوع فى الأشهر الأخيرة فبلغ ١٢٠ الفا .

والمرتجع من الصحف والمجلات جزء من طبيعة النشر . والمرتجع ما بين ١٥ الى ٢٠ فى المائة من المجلات يدخل فى حيز الرضى فى العادة الصحفية .

ونقول « ان المرتجع جزء من طبيعة النشر » ، وسبب ذلك عجز فى تقدير ما تحتاجه المناطق . فمنطقة صغيرة يقدر الموزع أن يرسل لها مائة، فاذا هى تشترى ١٥٠ لو وجدت . ومنطقة غيرها يقدر الموزع أن يرسل لها مائة ، فاذا هى لا تتسع لأكثر من ٨٠ نسخة ، ويفيض عشرون ، لا يستطيع الموزع أن ينقلها الى حيث الحاجة اليها .

ولقد طلب الينا الموزع أن نرتفع بالمطبوع الى مائتى الف نسخة ، ولكن تعجز وسائلنا الحاضرة عن ذلك . ان وسائلنا الحاضرة طاقتها اليوم للأعداد العادية ١٢٠ الفا صافية ، وللعدد الممتاز ، الذى هو هذا العدد ، ١٥٠ الف نسخة لا غير .

● قصة العربى

فهذه هي قصة «العربى» ، لا بد أن تروق كل عربي، بحسبان العربى اداة ثقافية عربية كبرى . وهى تود ان يؤنسها فى وحشة هذا المجال الواسع ، الذى انفردت فيه ، أخوات لها فى نشر الثقافة عربيات ، ناهضات بأحمال فوق أحمالها ، موفقات سابقات ، باذن الله . ■■

أحمد زكي

٢٠/١١/١٩٦٥م

نتيجة مسابقة العدد ٨٤

الاجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ معظم الذين اشتركوا في هذه المسابقة اخطاهم التوفيق في السؤالين الخامس والسادس، فمنهم من ذكر ان المسيسبي هو النهر الذي يحمل اكبر كمية من المياه ، ومنهم من ذكر انه نهر النيل ، في حين ان نهر الامازون هو اكثر الانهار ماء ، لكثرة فروعه ، حتى ليسمى احيانا « الامازونات » ..

وعن السؤال السادس اختلفت اجابات القراء ،فمنهم من زعم ان ام تولستوى كانت فلاحة ، ومنهم من قال انها كانت عاملة ، أو ممرضة ، مع انها كانت اميرة هي ماري فولكونسكي .

وهناك من القراء من خلط بين عبد الرحمن الناصر وعبد الرحمن الداخل ، وهذا الاخير هو المقصود بالسؤال الثاني ..

وخلط آخرون بين « عين جالوت » و « حطين » في حين ان الاولى هي التى هزم فيها المصريون جحافل المغول .

اما الاجابات الصحيحة فهي :

١ ــ السلطان محمد الثاني ، أو محمد الفاتح .

٢ عبد الرحمن الداخل او صقر قريش .

٣ ــ عادت الى امها المغرب .

٤ ــ ياقوت الحموى .

٥ ــ نهر الأمازون .

٦ ــ كانت أميرة .

٧ ــ عين جالوت .

٨ ــ ابو بكر الصديق .

٩ ــ الافغاني .

١٠ ــ الملك خوفو .

وقد لوحظ ان الآنسة نهلة حسن يوسف صلاح، الفائزة بالجائزة الاولى لم تكتف بما اكتفى به غيرها من قصر كل اجابة على كلمتين او ثلاث ، بل اجابت عن كل سؤال بتاريخ موجز لموضوعه لا يقل عن عشرة اسطر ، واحيانا من عشرين سطرا.

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فازت بها : **الآنسة نهلة حسن يوسف صلاح من الجزائر .**

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها : **جواد الشيخ حسين** ــ متصرفية لواء البصرة ــ العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : **محمد حسين الطوخي** : ٣٠ شارع حسن رمضان بالدقى/القاهرة/ج·ع·م .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **عبد الله عياد معاود المطيرى** / كلية المعلمين / الشعبة العامة / الكويت .

٢ ــ **احمد غلاب** : ١٥ شارع بروفانس/الرباط/ المغرب .

٣ ــ **فهران علي الشهرى** : مدرسة الحارث بن كلدة / الطائف / السعودية .

٤ ــ **كلثوم عبد اللطيف مريش الحسيني** : الاردن .

٥ ــ **محجم عبد الحنان** : طالب سورى يدرس في بولونيا .

٦ ــ **هاشم حسن احمد** : أم درمان/السودان .

٧ ــ **محمد عماد الامين** : جويا/لبنان الجنوبي.

٨ ــ **سعود علي آل ثاني** : مدرسة صلاح الدين/ الدوحة / قطر .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها . ■■

مسابقة العربي

اختبار في الجغرافيا: أسماء ١٥ مدينة

وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تعتمد على معلوماتك فى مادة الجغرافيا .. فاذا كان حظك من هذه المادة وفيرا او متوسطا ،فحل المسابقة يكون عليك سهلا ... واذا لم تكن ، فالحل ميسور لك كذلك . كل ما عليك ان تعود الى احد الأطالس او احدى الخرائط التي فى حوزتك ، او فى حوزة احد اقربائك او اصدقائك ، ثم تبحث عن اسماء المدن المجهولة الظاهرة فى رسم الخريطة المقابلة .

والمطلوب فى هذه المسابقة هو معرفة اسماء المدن التي وضعت دوائر سوداء مكانها على الخارطة ، فى المنطقة المحصورة بين خط الاستواء وخط عرض ٤٠ اى المنطقة التي تضم دول الوطن العربي ،وبعض دول افريقيا ..

انه اختبار لك فى الجغرافيا قبل ان يكون ايجاد الحل للمسابقة .

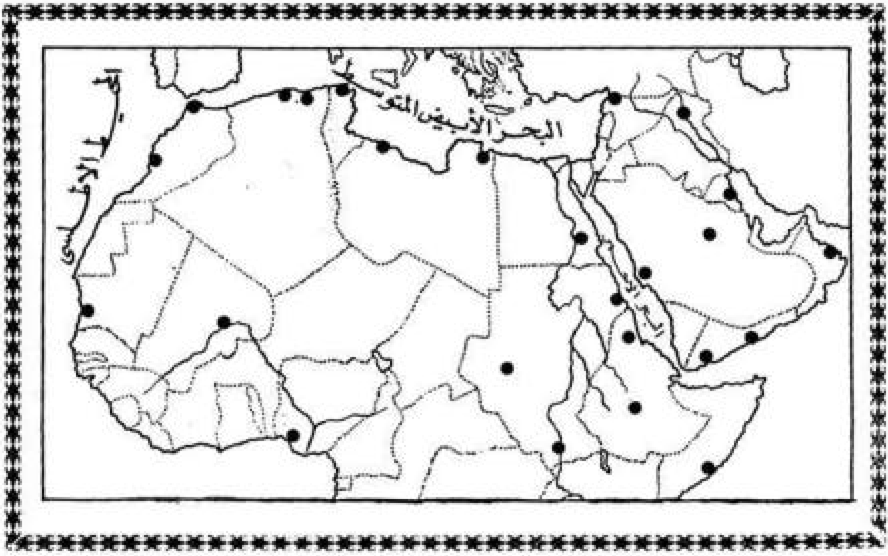
شروط المسابقة

١ ـ انقل رسم الخريطة المنشور على الصفحة المقابلة واكتب بجوار كل دائرة سوداء فيه اسم المدينة التي تمثلها الدائرة .

٢ ـ يبلغ عدد الدوائر السوداء فى الخارطة ٢٥ دائرة .. ولكن تخفيفا عنك جعلنا نجاحك فى السابقة متوقفا على معرفتك لما لا يقل عن اسماء ١٥ مدينة .

٣ ـ اكتب اسمك بالكامل ، ومعه عنوان

كوبون مسابقة العدد (٨٦)



المنزل او العمل ، وارفق معهما كوبون المسابقة المنشور فى الهامش الأسفل للصفحة المقابلة .. ويجب ان يكون خطك واضحا ، والعنوان كاملا ، والكوبون مرفقا مع الاجابة .. لأن عدم توفر احد هذه الشروط يضيع عليك احتمال الفوز باحدى الجوائز .

٤ ـ بعد عثورك على الأسماء الصحيحة للمدن ضعها فى مظروف ، واكتب عليه عنوان « العربي » (صندوق بريد رقم ٧٤٨ ـ الكويت ـ الخليج العربي) ، وفى الركن الأعلى من المظروف عبارة : « مسابقة العدد ٨٦ » .

٥ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الرابع من شهر فبراير (شباط) ١٩٦٦ .

الجوائـــز

يمنح الفائزون جوائز مالية مجموع قيمتها ١٠٠ دينار ، توزع على الفائزين على الوجه الآتي :

الفائز الأول	٣٠ دينارا
الفائز الثاني	٢٠ دينارا
الفائز الثالث	١٠ دنانير

عدا ٨ جوائز اخرى ، قيمة كل منها ٥ دنانـــير ..

وفى حالة تعدد الاجابات الصحيحة توزع الجوائـــز بطريق الاقتـــراع بـــين الفائزين .



أحزان افريقيا

من جريدة « الاهرام » القاهرية

لا يستطيع أن يفهم روح افريقيا الا من يتمثل فى فكره تاريخها .

ان روح افريقيا ، وحتى مزاجها ، يصبح لغزا مغلقا بغير تمثل للتاريخ الذى عاشته القارة خصوصا خلال القرون الثلاثة الأخيرة ...

بغير تمثل ذلك التاريخ لا يمكن فهم الشفاه المطبقة بالمرارة التى يقابلها الزائر فى نيجيريا ، ولا يمكن فهم رقصات « الهايلايف » التى تتلوى فى شوارع أكرا وتهز معها تلقائيا كل الخصور نسيانا للأمس وللغد معا ، ولا يمكن فهم الاغانى المعباة بالابتهال والضراعة والخوف من المجهول تتردد من كل جهاز راديو تلمسه أصبع .. تعيد الى الاحساس على الفور أحزان قوافل العبيد المقيدين بالسلاسل عبر مسالك الغابات تحت تهديد السلاح او الشحنات الآدمية الباكية فى صمت بينما السفن الشراعية ـ مكدسة بها حتى آخرها ـ تتلاعب بها فوق المحيط وفى مواجهة عواصفه ذاهبة بها الى الوحدة والرهبة والظلام الذى لا عودة منه !

ولقد بلغ مجموع هذه الشحنات وتلك القوافل التى نقلت من أفريقيا «فى تقدير «دانييل مانيكس» فى كتابه « الحمولة السوداء » الذى يعتبر من أكفأ المصادر عن تجارة العبيد ، مائة مليون انسان!!

بغير تمثل ذلك التاريخ لا يمكن فهم عناد التمرد الى حد الانتحار الذى أودى بحياة مناضل أفريقى مثل لومومبا الى نهايتها المفجعة ، ولا يمكن فى نفس الوقت فهم دور الخيانة الذى يقوم به عميل افريقى مثل تشومبى يبيع أهله بخسا للرق والاستعباد

وبغير تمثل ذلك التاريخ لا يمكن فهم المشاعر المتناقضة التى تعتمل فى نفس الرجل الأسود تجاه الرجل الابيض : يشك فيه ويشعر امامه بمركب النقص ، يكرهه ويرهبه يريد أن يقترب منه ليأمن ويريد أن يبتعد عنه لينجو ..

كل ذلك فى نفس اللحظة !.

وبغير تمثل ذلك التاريخ لا يمكن فهم زعيم وطنى أفريقى مثل نكروما لا يمل فى كل مناسبة من أن يخبط على أية مائدة امامه ويقول :

ـ الوحدة الافريقية ... هنا والآن !.

ثم يصر فى كل مؤتمر يحضره ، على أن يحدد المؤتمر موعدا مقررا لتصفية الاستعمار وحين تواجهه حجة ان ذلك امر لا يتعلق بقرار يصدره اى مؤتمر وانما هو متعلق بحركة مقاومة تاريخية ضخمة ومعقدة ـ يرى ذلك بوعيه ولكنه باللاوعى يعود الى القول :

ـ مع ذلك لا بد ان نحدد موعدا ... ليكن بعد سنة او سنتين .. ولكن نحدد ولا نترك الجريمة مستمرة ! .

ثورة

من جريدة « الحياة » اللبنانية

الشاب الذى بصق فى وجه دين راسك وزير الخارجية الامريكية فى الاوروغواى ، والطلاب الذين قذفوا روبرت كينيدى السناتور الامريكي ، بالبيض والحجارة والنقود فى جامعة شيلي ، لم يكونوا على علم مسبق ببعضهم البعض .

لقد كان شعورا عفويا عارما ضد ما تمثله الولايات المتحدة فى امريكا اللاتينية ، ولقد بلغ شعور الغضب حد القرف !

الصداقة العربية البريطانية

من أخبار الكويت :

● يتحدث البريطانيون عن صداقتهم للعرب ولكنهم يقفون عند مجرد الحديث وكأن الصداقة بالقول شيء لا ينبغى له أن ينعكس على التصرفات، ومن ثم يستطيع البريطانى أن يكون صديقا لك وفى الوقت ذاته يطعنك بخنجر مسموم فى الصميم من قلبك .

هذا هو منطق البريطانيين من افواه المسؤولين الدبلوماسيين . وهو منطق لا يقبله العقل السليم باى حال من الاحوال . وفى راينا ورأى الضمير العالمي والعدالة ان الصداقة يجب أن تكون بالاعمال قبل الاقوال بل تكون بالاعمال ولا حاجة لها الى الاقوال .

ونود أن نسأل عما فعلته بالتزاماتها فى فلسطين ، وكيف تخلت عن هذه الالتزامات وسلمت الوطن العربى المنكوب بالالتزامات البريطانية ، الى حثالة شعوب العالم، عصابات الاجرام من الصهاينة اليهود ؟

ان بريطانيا تذكر التزاماتها كلما أرادت أن تؤمن مصالحها ، وتنسى هذه الالتزامات عندما تحيك المؤامرات لاعداد المجازر الشعبية ، ولسوف نرى مصير هذه الالتزامات البريطانية فى روديسيا ، واذا كانت تتذكرها أو تتناساها امام تصرف الاقلية البيضاء ، والمستر ايان سميث .

فلسطين الاخرى .. السوداء

من مجلة « آخر ساعة » القاهرية :

ما هى احتمالات المستقبل بالنسبة للموقف المتأزم فى روديسيا ..

ان سياسة المقاطعة الاقتصادية .. أو الحصار الاقتصادى ليست مجدية ولن تؤدى الى حل المشكلة لاكثر من سبب :

● بريطانيا نفسها تقاطع جنوب افريقيا حاليا استجابة لقرارات الامم المتحدة .. ولكنها تبيع لها الاسلحة سرا .. كما ان هناك دولا أخرى تستنكر موقف جنوب افريقيا ثم تعقد معها الصفقات التجارية سرا ..

● الحصار الاقتصادى .. يتم الآن دون استعداد او ترتيب من جانب بريطانيا والدول الأخرى المشتركة وهذا معناه انه ليست هناك رقابة كافية لتطبيقه .. وليست هناك ضمانات تؤكد تنفيذه .

● سيظن الكثيرون من البيض ان الحكومة البريطانية فى اتخاذها لقرار الحصار الاقتصادى تلجأ لنوع من الخداع .. سواء بالنسبة للعالم الخارجى أو بالنسبة للقارة الافريقية الأمر الذى سيزيدهم تمسكا بموقفهم .. واصرارا على قرارهم بالاستقلال من جانب واحد ..

بقى اذا .. الحل الثانى .. والذى وافق العالم كله عليه حينما صوتت ١٠٧ دول على قرار يلزم باتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة بمنع الاقلية البيضاء فى روديسيا من اعلان الاستقلال .. وينص القرار على الموافقة على استخدام القوة اذا لم يكن هناك من حل آخر ..

هذا هو الحل العملى لمشكلة روديسيا فليس من المعقول ان تكون المقاطعة الاقتصادية وحدها هى الرد على مدافع البيض الرشاشة وطائراتهم واسلحتهم التى يحملها الآن ٣ ملايين فى جنوب افريقيا وربع مليون فى روديسيا ..

وقد اثبتت مأساة روديسيا بما لا يدع مجالا للشك ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير روديسيا وطرد المستعمر الأبيض منها .. بل ومن كل مكان آخر فى العالم ..

الغضب

ان اكثر دول امريكا اللاتينية – حتى لا نقول شعوبها – تنظر بحيرة مريبة الى الولايات المتحدة، حيث تعانى سياستها من مازق واضح . وترى هذه الدول ، وهذه الشعوب ، ان واشنطن تقف فى الصف الخطأ دائما . وتزداد وتتضخم الحيرة القلقة . ويزداد شعور السخط والغضب ، من « وصاية » البيت الابيض على قارة بكاملها .

وهكذا تاخذ ثورة الغضب مداها ، ولو عن طريق البصاق ، وقذف البيض والحجارة !



أقوال مأثورة

* **تتمتع** المرأة بخيال خصب سريع التدفق. فهي سرعان ما تقفز في مخيلتها من الاعجاب الى الحب ، ومن الحب الى الزواج !

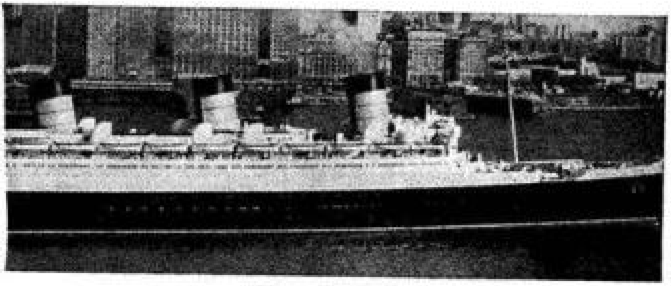
* من الواضح أن نصف الناس يجهلون مشاعر النصف الآخر منهم .

* **كل** ما ادعيه لصالح بنات جنسي هو القدرة على المحبة الى ما لا نهاية ، حتى ولو انعدم الرجاء .

* **تحرص** الفتاة أكثر ما تحرص على الزواج . يلي ذلك حرصها على ما يغيظها او يخيب املهـا بين حين وآخر .



الملكـة فكتوريا



الباخرة كوين ماري



الملكة ماري

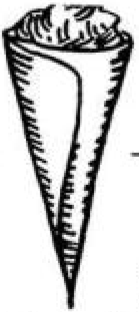
« كوين ماري » بين ملكتين

● يروى عن شركة الملاحة التى تمتلك الباخرة الفخمة الكبيرة المسماة « الملكة ماري » ان نية المسؤولين فيهـا كانت تتجه الى تسمية تلك البـاخرة « الملكة فكتوريا » قبل تدشينها وانزالها الـى البحر قبل نحو ثلاثين عامـا . الا أن مجلس ادارة الشركة المذكورة اضطـر فى اللحظة الاخيرة الى تسمية الباخرة باسم « الملكة ماري » ، زوجة الملـك جورج الخامس فى تلك الايام. أما السبب في ذلك التحول فمرده الى المقابلة التى تمت بين الملك جورج ومدير تلك الشركة. فقد ذهب المدير الى الملك بغية استئذانه فى تسمية الباخرة باسم الملكة فكتوريا الراحلة ، التى هى جدته .

ويدأ مدير الشركة يقول : « يطيب لى أن أعرب لجلالتكم عن رغبة شركتي فى تسمية باخرتها الجديدة باسـم ملكـة بريطانيا العظيمة التم لم ينجب التاريخ مثيلا لها .. »

وهنا ، وقبل ان يكمل مدير الشركة حديثه ، قال الملك فى سرور وحماسة « مدهش. ان صاحبة الجلالة سوف تسر لهذه التسمية سرورا بالغا ! » .

وقد كان ان سميت الباخرة باسـم زوجته ، لا باسم جدته .



« الآيس كريم » أكثر انتشارا فى البلاد الباردة !

● من الغريب حقا أن يكون الآيس كريم أكثر انتشارا فى البلاد الباردة منه فى البلاد الحارة والمعتدلة . فقد بلغ معدل استهلاكه فى الاتحاد السوفياتى ٦٢٤ قطعة للفرد الواحد سنويا ، وارتفع ذلك المعدل فى الولايات المتحدة الامريكية الى ٨٣٢ قطعة ! وتأتى كندا فى المرتبة الثالثة ،وتليها بريطانيا وهى تستهلك منه سنويا ما يعادل ١٠٠ مليون جالون . أما ايطاليا ، موطنه الاول ،فلم يعد يحسب لها حساب فى هذا الصدد .

ومما يذكر بمناسبة الحديث عن الآيس كريم أن استهلاكه قد تضاعف بعد الحرب العالمية الثانية ٣٠٠ مرة عما كان عليه قبلها .

الآيس كريم كلمة حارت المجامع فى تعريبها

❋ الآيس كريم Ise Cream لفظ انجليزي غلب استخدامه ، وحارت فى تعريبه البلاد العربية ، وعجزت فكفت عنه المجامع اللغوية ، أو لعلها ترفعت عنه ولم تر النزول الى مباذل الاطعمة اليومية ، لهذا شاع الاسم ، الاسم الانجليزى وذاع . وفى المشرق العربى من شمال ، يسمونه البوظة ، وهكذا ينطقون . والبوظة لفظ فارسى معناه الجليد .وفى القطر المصرى يسمونه الجيلاته، وهى لفظ ايطالي Gelata له هذا المعنى ولـه كذلك معنى الجليد . وأحيانا يسمونه الدندرمة، ولا نعلم لهذا اللفظ اصلا . وفى المغرب العربي يسمونه جلاس ، وهو لفظ فرنسي Glase يجمع بين هذا المعنى ومعنى الجليد ايضا . فهذا هو اللفظ الذى حارت البرية فيه وحارت المجامع !

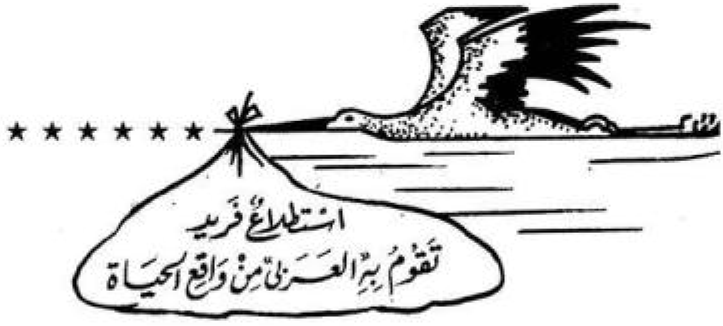
هل تزحف الثلوج مرة ثانية على العالم ؟

● يذهب بعض علماء الجيولوجيا الى أن العالم قد بات مهددا بعصر جليدى ثان ، يأتي على كل أسباب الحياة ويطمس معالم الحضارة الانسانية ويغمر سطح الكرة الارضية بالثلوج وهذا الخطر فى رأيهم وشيك الوقوع . فقد تزحف الثلوج من القطب الجنوبي ، فى زعمهم ، بين يوم وآخر فى مستقبل يعتبره أولئك العلماء ، دون غيرهم لحسن الحظ قريبا جدا ـ أى فى غضون العشرين أو الخمسين ألف سنة القادمة !.

ولدى مباشرتها هذا الزحف « غير المقدس طبعا » ترتفع مياه البحار نحوا من مائة قدم أو تزيد ، فتغرق سائر المدن الكبرى فى العالم .وان هي الا لحظات ـ أى بضع عشرات من الوف السنين ، فى عرف أولئك العلماء ، حتى تغطي الثلوج الجانب الاكبر من العالم فتعكس من أشعة الشمس الى الفضاء الخارجي ما يجعل البرودة على سطح الكرة الارضية شديدة بالغة .



ويؤكد أولئك العلماء قرب وقوع هذه الكارثة نظرا لبلوغ الثلوج المتراكمة فى منطقة القطب الجنوبي من الارتفاع فى الوقت الحاضر ما يقارب ١٢٠٠٠ قدم . فهى فى غير حاجة الا الى بضعة آلاف أخرى من الارتفاع لكي تبدأ الطبقات السفلى منها بالذوبان ، فتنطلق حينئذ موجة جليدية هائلة جارفة بالغة السرعة تنساب فوق سطح البحار وتجمد جانبا من المياه فى أعماقها بحيث تتحول هذه تدريجيا الى قاع جليدى مترامى الاطراف .



الساعة الأولى

من حياة طفلك الوليد ..

■ فى الكائنات ، غير الحية ، الظاهرة عجيبة والف .

وفى الكائنات الحية ، ظواهر هى عند الاحصاء أكثر عددا ، وهى عند التأمل اكثر اعجابا ، واكثر اثارة .

وظاهرة الخَلْق تحتل القمة من هذه الظواهر جميعا .

وليس كخلق الانسان ظاهرة توصف وتروى .

وهو خلق يبدأ بنطفة ، ثم تصبح النطفة علقة ، وهكذا يتدرج الجنين الى ان يكتمل فى جوف امه ، فى ذلك الظلام الدامس ، حيث **لا** ضياء ، **ولا هواء ، ولا** غذاء ، الا ما تجود به أمه . فاذا تهيأ للحياة طرق بابها ، فانفتح له ، بقدرة قادر ، اوسع ما يكون .

وليس هذا من همنا اليوم .

ولكن همنا اليوم يبدأ من تلك الدقيقة التى يرى فيها الوليد النور .

وفى هذا الاستطلاع المصور ، كان « العربى » مع الطفل ساعة او نحوها ، يرى ، ويسمع ، ويصور ، من ساعة انفصل الطفل عن أمه ، وتلقته يد الطبيب ومن معه ، يجرون له ما يحتم العصر الحديث اجراءه ، من أمور لا بد منها ، تجعله يبدأ حياته ، وهو فى حصانة من شرورها الأولى .

وترك « العربى » الطفل بعد هذه الساعة القصيرة ، يبدأ قصة حياة جديدة ، لانسان جديد ، له اسم جديد ، فى مجتمع جديد ، ورجوناها قصة سعيدة لحياة مليئة بالعمل ، طويلة عريضة ، كثيرة الخير والثمر .

وقد قام باستطلاع هذه الولادة ، واعاننا فى عملية التصوير وشرح المراحل المختلفة ، احد أصدقائنا من الأطباء ، وآثر الا نذكر اسمه حفظا لسر المهنة ، ولا يفوت « العربى » أن يشكره على تعاونه واياه أجمل الشكر .



١ ما يكاد الطفل يخرج من بطن امه حتى يبدأ الطبيب بازالة المخاط من فم الطفل ، من حلقه ، حتى يسهل تنفسه ، وذلك بادخال انبوبة من مطاط رفيعة متصلة بمضخة كهربائية تسحب كل المخاط الذى في الحلق فى ثوان . ويمتنع الطبيببالانف ما يمنعه بالفم .

وبعد ان يخرج الجنين من بطن امه ، يظل متصلا بها بواسطة الحبل السرّي ، وطوله نحو نصف متر . وهو الواسطة بين الطفل وامه ، وذلك عن طريق المشيمة (خلاص الجنين) . ويتألف من شرايين واوردة ملفوفة داخل نسيج جلاتيني مغطى بطبقة رقيقة شفافة ، وفي هذه الشرايين والاوردة يسرى دم الطفل الى المشيمة ، وفيها يتصل بدم الام ، في شرايين وأوردة للأم مستقلة ، ويتبادل الجهازان الدمويان ، دون ان يختلطا ، ما حملا ، فدم الام يعطى دم الوليد ، الغذاء والاكسجين . ودم الوليد يعطى دم الام مخلفات احتراق الاغذية ليتخلص الوليد منها .

٢ وما يكاد تنفس الطفل ينتظم حتى يبدأ الطبيب المولد عملية قطع الحبل السرى ، فيضع جفتين (ملقطين) شريانيين متباعدين على الحبل السرى ، ويقطع الحبل بينهما بالمقص .





٣ هذا هو الطفل بعد ان تم قطع الحبل السرى الذى كان يصله بأمه .. لقد اصبح مستقلا ، ولكنه يحتاج الى اكمال امتصاص المخاط من حلقه بواسطة الجهاز الكهربائى ، أو بواسطة ماصة اخرى عادية ... وعندئذ يصبح يعتمد على نفسه فى جميع عملياته الحيوية من تنفس وافراز ... ولكنه لايسمع الأصوات ولا يميز الصور بوضوح ..

٤ ويحدث فى بعض الاحيان ان يخرج الطفل من بطن أمه وهو غير كامل النمو ، او يخرج مصابا باضطراب فى الجهاز التنفسى ، فيستدعى هذا مده بكمية اضافية من الأكسجين ، فتوضع كمامة صغيرة على فمه وانفه لتمده بالأكسجين اللازم له ... وهذه العملية تستغرق دقائق معدودة فى الحالات العادية ، ينتظم بعدها التنفس الطبيعى من ذات نفسه ..





٥ يوضع الطفل بعد ذلك فى كفة ميزان خاص لوزنه ... بعد أن تكون المرضة قد قامت بربط الحبل السرى بواسطة خيط معقم على بعد نحو ١٠ سنتيمترات من سرة الطفل ، وقامت بعدئذ بقطع الجزءالفائض من الحبل السرى بواسطة مقص معقم ... ومما يذكر ان الطفل يجب أن يوزن عاريا لمعرفة وزنه بالضبط بدون ملابس . والوزن الطبيعى للطفل الكامل الحديث الولادة هو نحو سبعة ارطال ونصف ... ويعتبر الطفل غير كامل النمو اذا نقص وزنه عن خمسة ارطال ونصف ... وفى بعض الحالات المرضية للأم ، كمرض السكر ، يزيد وزن الطفل زيادة كبيرة فقد يصل الى ١٢ رطلا تقريبا .

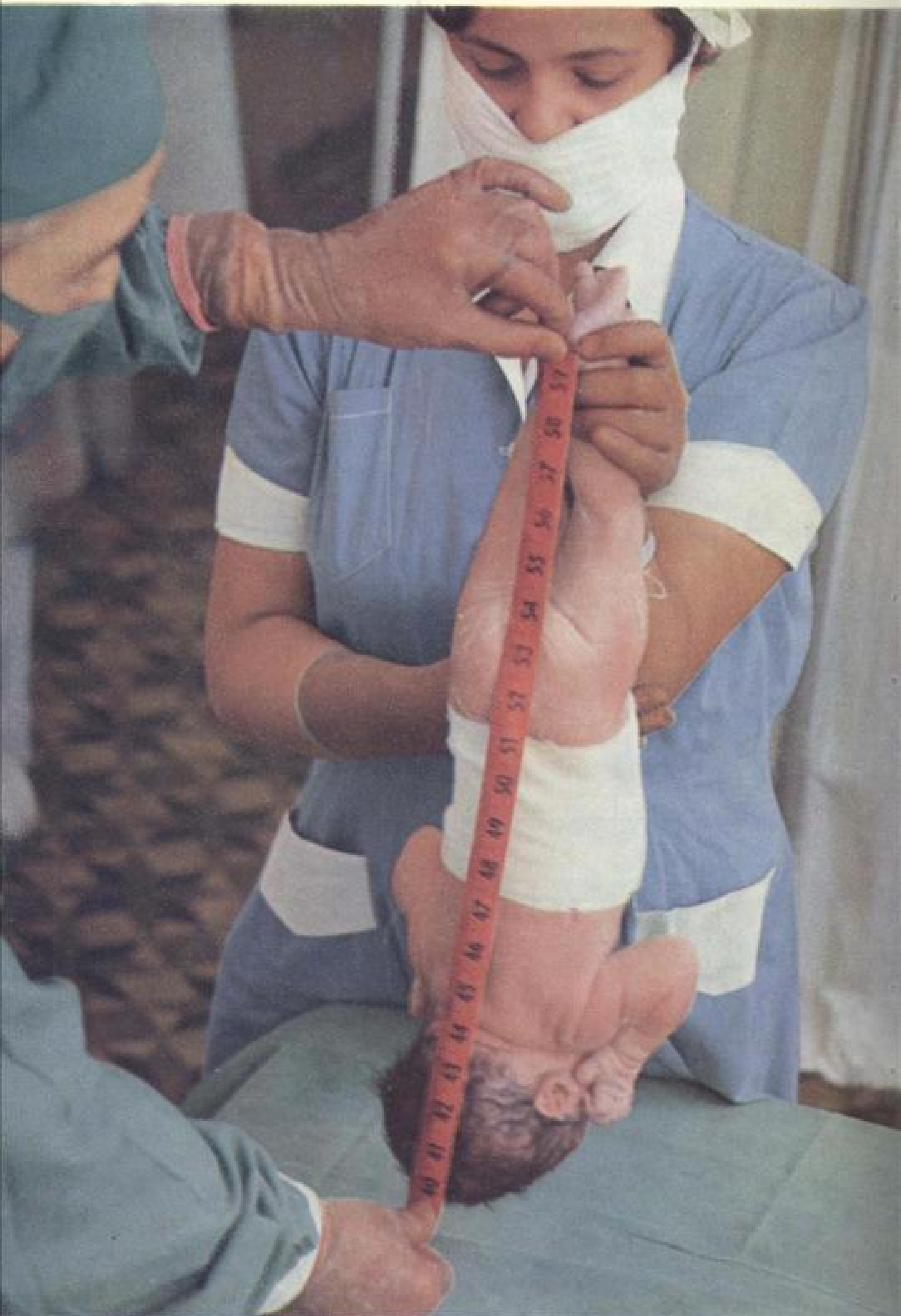


٦ وللمحافظة على نظافة الحبل السرى المتبقي للطفل تلف حول وسطه قطعة من قماش الشاش عدة لفات ، حتى يحين وقت معالجة الحبل السرى نهائيا .



٧ تجرى بعد ذلك عملية قياسات لمختلف اجزاء الطفل .. فيؤخذ طول محيط راسه وصدره ، وارتفاعه من اعلى راسه الى قدميه ، والطول الطبيعي للطفل هو نصف متر تقريبا أو ٢٠ بوصة ..وفى هذه الحالة ، التى الى اليسار ، كان طول الطفلة ١٩ بوصة .. ان الفرض من هذه القياسات هو معرفة ما اذا كان الطفل المولود طبيعيا أو غير طبيعي .. كما انه من هذه القياسات يمكن الاستدلال على وجود بعض الامراض عند الأطفال ان وجدت .







٨ أول حمام فى حياة الطفل : فى الماضى كانوا يقومون بغسل الطفل بمجرد رؤيته للنور أما اليوم فيتم الحمام بعد أن يكون الطفل قد استكمل نشاطه وحيويته حتى لا يتسبب الحمام فى أى اجهاد له .. وتقوم الممرضة بغسل الطفل بالماء الدافىء والصابون لتخليصه من المواد اللاصقة بسطح جلده .

٩ حيوية ونشاط بعد الحمام الاول : ان الطفل يبدأ يشعر بحرارة مختلفة تماما عن درجة الحرارة التى كان يعيش فيها داخل رحم أمه ، ومقدارها حوالى ٣٧٫٥ درجة مئوية .





١٠ المرحلة الأخيرة لمعالجة الحبل السرى: بوضع قطعة قماش خاصة لحماية جسم الطفل من المادة اللزجة التى ترش على الحبل لتجففه وتمنع دخول أى مكروب قد يتسبب فى احداث مرض للطفل .. وبعد وضع هذه المادة اللزجة يرش الحبل السرى بالبدرة حتى لا يلتصق الحبل بجسم الطفل .. وبعد مضى أسبوع تقريبا على هذه العملية يجف الحبل السرى تماما ، وينفصل بمحاذاة سرة الطفل ، ويسقط من ذات نفسه .. واذا حدث التهاب نتيجة اهمال فى القيام بهذه العمليات ، فان الحبل السرى يلتهب ، ويتأخر سقوطه ..







١١ وفى المرحلة النهائية من تجهيز الطفل للحياة تجرى للطفل أول عمليات تنظيف للأذن بواسطة قطعة صغيرة من القطن ملفوفة على عود من الخشب ، كما توضع فى العينين نقاط من قطرة الارجيرول لمنع أى التهاب قد تصاب به عينا الطفل نتيجة مروره فى المِهْبَل اثناء ولادته .. واخيرا تلصق على يد الطفل قطعة من المشمع عليها اسم الام ونوع الطفل اذا كان ذكرا او أنثى .. اما اسم الطفل فى حالتنا هذه ، فلم يكن قد تقرر بعد .. ولكن علمنا بعد ذلك أنهم اختاروا لها اسم سعاد محمد خلدون .
ولقد استغرقت كل هذه العمليات أقل من ساعة



أنا وزوجتي ٢



في زيارة جيران لنا

■ كان موعد الزيارة الساعة ٨ مساء . ودقت ساعتنا الثامنة ، بينا كانت زوجتي في الحمام ، في منتصف استحمامها .

وخرجت من الحمام في الساعة الثامنة والربع ، وهي منزعجة ، تتحدث بما اسمع فأفهم ، وبما لا اسمع فلا افهم . ومن الذي فهمت منها انها تنحى باللائمة في هذا التأخر عن موعد الزيارة على السيدة نفيدة ، زوجة صديقنا المهندس . قالت ان حديث التلفون معها عطلها ، وطال . ورجعت الى نفسي فذكرت انها هي التي طلبت السيدة نفيدة ، وذكرت كذلك ان الحديث التلفوني جرى ٩٠ في المائة منه على لسان زوجتي .

وذهبت زوجتي تلبس على عجل ، ومعنى ذلك انها أخذت ضعف الزمن الذي كانت تأخذه لو انها لبست وتزينت على مهل . وجاءت تسألني عن الأحمر على شفتيها ، هل احسنت وضعه . ولم تبق لتسمع مني رايي فيه . وعدا هذا فهي لا تأبه لرايي في هذه الأمور . وفضلا عن هذا وهذا فهي لا يمكن ان تكون قد تركت المرآة قبل ان تكون قد تأكدت ان زينتها تمت مائة في المائة .

وتهيأنا للخروج .

كان البيت الذى نقصده بالزيارة في نفس الشارع ، على بعد نحو مائتي متر من بيتنا . ومع هذا رات زوجتي ان الأفضل ان نركب سيارتنا ، لأن السيارة بالطبع أوجه . هي لم تقل ذلك ، وانما كان الوقت شتاء ، والسماء تنذر بالمطر، فتعللت بالمطر ، اما انه قد يستقبلنا عند الخروج ، أو اذا لم يفعل فربما عند العودة ، من يدرى ؟

واطعت .

ووصلنا الى منزل الجيران ، وهم جيران ، ولو قام بيننا وبينهم بضعة منازل، ووصلنا في الساعة ٨ و٥٥ دقيقة.

والتقت الزوجتان، ويا له من ترحيب. « وجهك مشرق الليلة » . « الصحة والعافية باديتان عليك» . «يا له من فستان جميل » . وتتكرر التحية مع أنهما التقيا في نفس هذا الصباح في السوق المجاور لنا .

ودخلنا جميعا الى حجرة الجلوس ، ◄

الزوجتان والزوجان .

انا رجل صحفي . ومحمود ، صاحب ضيافتنا ، محام لـه ايراد غير بخس . ونحن صديقان ما تجنبنا المناقشة في السياسة ، وفى الفلسفة ، وكرة القدم . انا اكره كرة القدم ، واعجب انه ، وهو المحامي ، كيف يجد لذته في مثل هذه الفرق ، وهذه تكسب ، وهذه تخسر . ولكنا على كل حال كنا نتفق عندما نتحدث عن اسعار الحاجات وغلائها ، وسوء توزيعها ، وكذلك عن الجمال والموضة .

واخترت في هذه الليلة ، تجنبا لما قد ينشأ بيننا من خصومة فى النقاش ، ان أتحدث فى الموضة . ولا ادرى لماذا اخترت هذا الحديث بالذات ، فى مثل هذه الليلة . وكانت معركة اشترك فيها المحور الأنثوى ، ضد المحور الآخر .

وتخلصا من الموقف المتدهور ، فاقترحت أن نلعب الورق . وارتاح الكل لهذا الاقتراح . وبدانا في اللعب نحن الأربعة . وفي اثناء ذلك كان حديث الزوجتين هو الغالب . ونطق الاستاذ محمود اثناء ذلك بنكتة ، لا داعي لترادادها ، فاذا بزوجتي تضحك لهذه النكتة ، وتقول : ما أبرع . وهي نكتة ، لو كنت أنا الذى قلتها ، لأطلقت فيّ من اجلها رصاصة من مسدسها ، الجميل ، المطعّم بالصدف .

وبلغت بنا الساعة العاشرة والدقيقة العشرة .

وقالت زوجتي : لقد حان الوقت لأن نذهب .

فقالت صاحبة ضيافتنا : كيف ، وانتما لم تمكثا الا ساعة وبضع دقائق .

فقالت زوجتي على عادتها : انا اعلم انه كان يجب أن نحضر اليكم في الموعد فلا نتأخر ، ولكن الغلطة كانت غلطة مدحت (يعني انا) .

فقالت ربة البيت : ولكني صنعت من اجلكم فطيرة عظيمة ، فلا بد من بقائكم لتذوقها ، مع فنجان من القهوة والحليب .

فقالت زوجتي : اذن فلنبق ، ما دمت تلحين علينا بالبقاء .

كل هذا تقضي فيه زوجتي وحدها ولا تسالني رايي ، ولو على سبيل حفظ المظاهر .

وذهبت ربة البيت الى المطبخ . وبعد هنيهة حضرت بالفطيرة والقهوة .

واخذت زوجتي قضمة من قطعة الفطيرة التي كانت نصيبها .

وقالت : ما ألذّها فطيرة .

فقالت صاحبة الضيافة : ان الفطيرة احترقت ، والذنب ذنب هذا الفرن اللعين .

فأجابت زوجتي : لا يا عزيزتي ، انك مخطئة ، ان الفطيرة لذيذة جدا .

وهنا خطر لزوجتي ان تأخذ رايي فتقول :

ــ اليست الفطيرة كذلك يا عزيزى ؟

فاحسست بشيء من التقدير .

وبعد برهة من التفكير في هذا الحرج ، قلت :

ــ نعم انها لذيذة ، اليست هي كذلك يا محمود ؟

ولم يجب محمود . انما علت فمه ابتسامة صامتة .

وبعد القهوة والفطيرة ، بدات ادخن ، واذا بزوجتي تقول لي اني اكثر من التدخين . وتقول ربة البيت انه كذلك يفعل زوجها . وابتسم الزوج . وابتسمت .

وقالت زوجتي بعد ذلك : لقد حان الذهاب .

فقالت زوجة صديقي : أن الأصول تقضي بالبقاء بعد القهوة ثلث ساعة على الاقل .

فقالت زوجتي : اذن اعينك على غسل هذه الفناجين .



فقالت زوجة صاحبي : على ماذا ؟ انها اطباق قليلة ، ويعينني محمود على غسلها . انا اغسل وهو ينشف .

فقالت زوجتي : ان مدحت (يعنى انا) لا يعينني فى غسل الاطباق ابدا .

عندئذ نظرتْ اليّ ربة البيت نظرة عاتبة . ونظرتْ انا الى محمود مستفهما ، حاقدا عليه بعض الشيء .

واخيرا قررتْ زوجتي الذهاب .

قالت : والآن يا عزيزتي ، لا بد من الذهـاب .

فاذا بربة البيت تقول : ولكنك يـا عزيزتي لم ترى الفستـان الجميـل ، و « الكمبينازون » اللذين اشـتريتهما بعد ظهر اليوم .

وذهبا داخل المنزل ليريا .

واخيرا ظهـرا .

ونحاول بكل جد ان نذهب .

وتتبادل السيدتان التحيات مرارا وتكـرارا .

ويختصر محمود المشهد بأن يحمـل الى زوجتي معطفهـا ويساعـدها على لبسـه .

عندئذ قالت زوجتي : ان مدحت لا يساعدني علي لبس معطفي قط .

ثم عادت زوجتي تقول للسيدة : متى تأتون لزيارتنـا ؟

فقالت السيدة : انا احاول ان افعل ، ولكن يؤخرنا عن الزيارة الطفل .

وبدا سلام الوداع ، وتكرر ، ولكن لم تتحـرك الأقـدام .

عندئذ جمعت جراتي كلها وصحت : عموا مساء يا أصدقاء ، وكونوا بخير .

وخرجت من الباب .

وعندئذ لحقت بي زوجتي .

كانت الساعة ١١و٣٣ دقيقة .

وكانت اول كلمة قالتها لي :

هذه الفطيرة كانت لعنةَ المساء. ■■

سيدة من بني أمية

اذا زرتم دمشق ، فسلكتم السوق الصغير ، فيثلي المجد ، المسمى بسوق القباقبية ، فاسألوا عن (المصبغة الخضراء) ، وهي تحت الارض ، في زقاق ضيق، فقفوا عليها ساعة .. فثمة كانت سرة الارض ، وقصبة الدنيا : الدار الخضراء .. دار الخلافة الاموية !

بقلم : علي الطنطاوي

مستشار محكمة النقض في دمشق



■ نحن في دمشق .. في يوم الجمعة التاسع من صفر سنة تسع وتسعين للهجرة .. والبلدة خالية الطرق ، مغلقة الحوانيت ، لا تكاد ترى فيها احدا ، لأن الناس قد اجتمعوا حول قصر الخلافة ، وفي الساحات المطبقة به ، وفي الدروب المؤدية اليه .. وكان صحن القصر مزدحما بالرؤساء والوجوه ، اما الامراء وكبار القواد وجلة الخواص، فقد احتلوا (المجالس) والأبهاء ، وعلى وجوههم جميعا امارات الترقب والانتظار ، في شيء من الخشية والجزع ، ذلك لأن امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، قد فجاه المرض واشتد عليه ، واشيع انه مشرف على الموت ، وكان عنده مستشاره ، رجاء بن حيوة ، منفردا به

وفي داخل القصر ، حيث كانت منازل الحرم ، كانت نساء الامراء من بني امية ، يترقبن الاخبار . وفي صدر المجلس زوجات يزيد وهشام ومسلمة وبقية اخوة الخليفة ، وكل واحدة منهن تأمل ان تكون البشارة لها ، بأن زوجها هو الذي انتخب للخلافة بعد سليمان ، اللذي يتظاهرن بالحزن عليه ، والخشية من وفاته ، وتتمنى كل واحدة منهن موته ، ليخلو مكانه لزوجها !

وكان فى طرف المجلس فتاة بارعــة الجمال ، بالغة الاناقــة ، عليهـا ثياب لا تدانيها فى غلاء ثمنها وجمال مظهرها ثياب واحدة منهن . وكان يبدو عليها من الهدوء والوقار ماليس مثله على واحدة منهن ، كأنها لا تشاركهن فى رغبة ولا خشية ولا أمل ، وكأنها قد قنعت بما نالت فما تطلب فوقه مزيدا .

ولقد نالت فى الواقع كل ما تطمع فيه فتاة حازت الجمال والمجد والأدب والزوج الصالح السرى الغنى ، والعيش الناعم الرخى ، ولدت على فرش الخلافة فى قصر أمير المؤمنين ، ونشأت فى أحضان العز تتقلب فى النعيم ، ما طلبت شيئا ولم تصل الى ما طلبت ، ولا اشتهت شيئا ولم تنل ما اشتهت .

وشبت فكانت فتاة فتانة بخلقها وخلقها ، بارعة فى جمالها وفى كمالها ، ولم تكن تجد الا من يحبها ويدللها ، حبا بها ، وتزلفا الى أبيها . . أما عرفتم بعد من هو أبوها ؟

أتعرفون كم دولة اليوم بين المغرب الاقصى ، والافغان ؟

لقد كان أبوها يملك ، وحده ، هذه البلاد كلها ، ما بعد أمره فيها أمر ، ولا فوق سلطانه فيها سلطان !

انها « فاطمة بنت عبد الملك » ، بنت الخليفة ، واخت الخلفاء . . لقد طمحت



جاءت امرأة مرة من مصر ، تريد أن تلقى الخليفة ، تسأل عن قصره ، فدلوها على داره ، فوصلت ، فوجدت امرأة على بساط مرقع ، بثياب عتيقة ، ورجلا يديه فى الطين ، يصلح جدارا فى الدار ، فسألت ، فدهشت لما علمت أن المرأة القاعدة على البساط هى فاطمة بنت عبد الملك ، وارتاعت منها وتهيبتها ...

اليها لما شبت انظار فتيان امية ، فاختار لها ابوها فتى الفتيان ، مَن التقى فيه مجدُ امية وتقوى عمر، السيدَ الاموىَّ النبيل عمرَ بن عبد العزيز .

وانتقلت من قصر الى قصر ، ومن نعمة سابغة الى نعمة سابغة ، فزاد عيشها ترفا ورغدا ، وزادت النعم عليها تدفقا وازدحاما .

★ ★ ★

كانت فاطمة فى طرف المجلس ، مترفعة عمّن فيه، ليس لها أمل يستخفها وليست فى نفسها حسرة على ضياع هذا الأمل تحزنها . واذا بصوتين يملآن جوانب القصر، صوت فيه الفجيعة والالم، هو نعى امير المؤمنين . وصوت فيه الدهشة للجمع ، وفيه الخيبة لناس والبشارة لناس ، هو اعلان تسمية امير المؤمنين الجديد : عمر بن عبد العزيز !

وانتقلت فاطمة فى لحظة من الطرف الى الصدر ، وكانت معتزلة لا يأبه لها احد ، فصارت هي مطمح الانظار ، وغدا اليها مهوى القلوب ، وتأخر نساء الامراء، لتتقدم امراة الخليفة ، وخرجن كلهن وراءها ، وقد كانت دخلت ، لمّا دخلت ، وراءهن جميعا !

وعادت الى قصرها ، ورقص القصر من الفرحة ، وضحك بالنور ، وكان يترقب عودة سيده ، ليتم بعودته النعيم ، وتكمل الافراح . وقعدت فاطمة تذكر الماضى الحلو الجميل ، وتناجي مستقبلا ترجو ان يكون اجمل واحلى .

ذكرت يوم انتقلت من قصر ابيها امير المؤمنين عبد الملك ، الى قصر زوجها ، وابن عمها ، الامير عمر ، فاذا قصر الامير اعظم من قصر الخليفة ، واذا هو يبذُّه فى فُرُشه وزينته وتحفه وخيراته . .

لقد كان عمر اكثر أمويٍّ ترفها وتملكا، غُذِي بالملك ونما فى ظلاله ، وكانت ثيابه التي يخرج فيها للناس يزيد ثمنها على خمسة آلاف درهم . وكان العطر الذى يتعطر به يؤتى به اليه وحده من الهند ، فكان اذا جاز بمكان عرفه به من لم يره من عبَق عطره . وكان الاشراف يعطون الغالية العطية الكبيرة ، لتجعل ثيابهم مع ثيابه ، ليسرى اليها من ريّاه ، وكانت له مِشْية سماها الناس (العُمَرية)من حسنها وجلالها ، وكانت الغواني يحاولن ان يتعلمنها ، وان يقلدنه فيها ، وكان يرخي ثوبه على عادة الفتيان الاشراف المدللين فى ذلك الزمان ، فربما دخل الثوب فى النعل فيشده حتى يتمزق ، ولا ينحنى ليصلحه ، مع ان الثوب من ثيابه قد يزيد ثمنها عن الف درهم، وقد يسقط عن منكبيه فيتركه ولا يرفعه ، حتى يجيء من يأخذه !

تصورت فاطمة هذا كله ، وما شاركته فيه من النعم ، فى حياة عاشاها لا يبلغ الخيال مداها ، وكان يجمع بينهما اطهر الحب واقواه . وكانت اشارته عندها امرا ، ورغبتها عنده فرضا ، لا تخالفه فى شيء ولا يَرُدُّ لها عنده طلب !

★ ★ ★

وبدأت تتسرب الى القصر أخبار عجيبة عن الخليفة الجديد . . فمن خادم يدخل مسرعا يخبر ان الخليفة رفض مراكب الخلافة ، والغى الموكب المعتاد ، وركب دابته . . وآخر يأتي يقول ان الخليفة اعلن الغاء حفلات البَيْعة بما كان لها من العظمة والجلال . . وثالث يقول انه ابى أن يمد يده الى شيء من اموال الخزانة . . !

وتسمع فاطمة هذه الاخبار فلا تكاد تصدقها ! انها تعرف زوجها الشاب المتفتح قلبه لنعيم الدنيا ، الغارق فى الرفاهية والنعيم والمتع الحلال . . فماله يعرض عن الدنيا التى جاءته مقبلة عليه ، ملقية بكل ما فيها من جميل وجليل عند قدميه ؟

وعاد الخليفة الى قصره ، ولكنه عاد رجلا جديدا . . .

لقد تبدل فيه كل شيء ، لقد بدت النعمة للناس بحكمة منذ بويع ، ولكن اهله رأوا فى بيعته بوادر الشقاء !

وتلقته فاطمة ، فاذا الايام الثلاثة التى غاب فيها عنها ، قد فعلت فيه فعل ثلاثة قرون . . واذا هو شاحب الوجه

من أثر السهر فى مصالح الناس ، مضطرب الاوصال من ثقل الامانة وخوف الله ، فانشعب قلبها رأفة به ، واشفاقا عليه .

وقال لها : « يافاطمة ، قد نزل بي هذا الأمر ، وحمّلت اثقل حمل ، وسأُسأل عن القاصي والداني من أمة محمد ، ولن تدع هذه المهمة فضلة من نفسي ولا من وقتي أقوم بها بحقك علي ، ولم تبق لى أرَباً فى النساء ، وانا لا اريد فراقك ، ولا أوثر فى الدنيا أحدا عليك ، ولكنى لا أريد ظلمك ، وأخشى الا تصبرى على ما اخترته لنفسى من الوان العيش ، فان شئت سيّرتك الى دار ابيك . .

قالت : وماذا انت صانع ؟

قال : ان هذه الأموال التى تحت ايدينا ، وتحت ايدى اخوتك واقربائك قد أخذت كلها من اموال المسلمين ، وقد عزمت على نزعها منهم وردها الى المسلمين ، وانا بادىء بنفسى ، ولن استبقى الا قطعت ارض لى ، اشتريتها من كسبى ، وساعيش منها وحدها ، فان كنت لا تصبرين على الضيق بعد السعة ، فالحقى بدار ابيك !

قالت ، وما الذى حملك على هذا ؟

قال : يا فاطمة ، ان لى نفسا تواقة ، ما نالت شيئا الا اشتهت ما هو خير منه ، اشتهيت الامارة فلما نلتها اشتهيت الخلافة ، فلما نلتها اشتهيت ما هو خير منها ، وهو الجنة !

★★★

ترى ، لو أن تاجرا موسرا ، أو موظفا كبيرا يسكن فى القصر الفخم فى الشارع الكبير ، وفى داره نفائس التحف وروائع الفرش ، ثم اراد ان يتخلى عن ذلك كله لله ، هل يجد زوجة توافقه على ذلك ، وترضى به ، وتعيش معه فى غرفتين فارغتين فى حارة ضيقة ، وتاكل معه الحمص والفول بعد المائدة الحافلة ، وتمشى على رجليها بدل سيارة الكاديلاك الخاصة ؟

لا اظن أن زوجة ترضى بهذا ، اليوم .

اما فاطمة التى انفردت بين نساء التاريخ جميعا بأنها بنت ملك وزوجة ملك واخت اربعة ملوك ، يحكم كل منهم عشرين دولة من دول هذه الايام . . . فاطمة ، هذه قالت لزوجها ، بعدما سألته وعرفت مقصده ودوافعه :

ــ اصنع ما تراه ، فأنا معك ، وما كنت لأصاحبك فى النعيم ، وادعك فى الضيق ، وأنا راضية بما ترضى به .

★★★

وانقطع فجاة عيش النعيم ، الذى قلما ذاق مثله المترفون ، وجاء عيش شدة وضيق قلّ أن عرف مثله الفقراء المدقعون !

ما انقطع لأنهما افتقرا بعد غنى ، ولا لأن الدنيا أنزلت بهما مصائبها وأرزاءها ، ولكن انقطع لأنهما آثرا نعيما أبقى وأخلد ، نعيما لا يزول ، على حين يزول كل نعيم فى الدنيا .

وبدأ عمر فأعتق الاماء والعبيد ، وسرّح الخدم ، وترك القصر ، وردّ ماكان فيه الى بيت المال ، وسكن دارا صغيرة شمالي المسجد . وكان فى دار الحكم أقدر حاكم ، واحزم ملك ، واعدل خليفة ، فاذا جاء داره هذه الصغيرة ، كان فيها كواحد من غمار الناس .

جاءت امراة مرة من مصر ، تريد أن تلقى الخليفة ، فهى تسأل عن قصره ، فدلوها على داره ، فوصلت ، فوجدت امراة على بساط مرقع ، بثياب عتيقة ، ورجلا يديه فى الطين ، يصلح جدارا فى الدار ، فسألت ، فدهشت لما علمت أن المراة القاعدة على البساط هى فاطمة بنت عبد الملك ، وارتاعت منها وتهيبتها ، فآنستها فاطمة حتى اطمانت اليها وانست بها ، فقالت لها :

ــ يا سيدتى الا تستترين عن هذا الطيّان ؟!

فابتسمت فاطمة وقالت :

ــ هذا الطيان هو امير المؤمنين !

وجاءه فى خلافته بياع قماش يعرض عليه ثوبا ثمنه ثمانية دراهم فقال عمر : انه حسن لولا انه انعم مما ينبغى !

فقال الرجل : لقد جئتك وانت امير المدينة بثوب ثمنه خمسة آلاف درهم ،

فقلت لي : انه حسن لولا انه خشن !!

ومرض الخليفة مرة وكان عليه قميص وسخ ، فدخل مسلمة بن عبد الملك على اخته ، فقال لها : يا فاطمة ، اغسلوا قميص امير المؤمنين .

قالت : نعم

فعاد من الغد فاذا هو لم يغسل ، فقال :

ــ يا فاطمة اغسلوا قميص امير المؤمنين ، فان الناس يدخلون عليه .

قالت : والله ما له قميص غيره !

ولم يدع من الخدم الا غلاما صغيرا ، كان هو الخادم الوحيد في قصر الخلافة، فوضعت له فاطمة الطعام يوما ، فضجر الخادم وتبرم وقال :

ــ عدس ! عدس ! كل يوم عدس ؟!

قالت فاطمة : يا بني ، هذا طعام مولاك امير المؤمنين !

واشتهى الخليفة يوما العنب فقال :

ــ يا فاطمة اعندك درهم نشتري به عنبا ؟

قالت : انت امير المؤمنين ، ولا تقدر على درهم تشتري به عنبا ؟

قال : يا فاطمة ، ما بقي لي الا هذه القطعة من الارض ، وريعها لا يكاد يقوم بحاجاتي ، والصبر على هذا اهون من الصبر على نار جهنم !

ولم يكن قد بقي لفاطمة من ايام النعيم الا جواهرها ، فقال لها يوما :

ــ يا فاطمة ، قد علمت ان هذه الجواهر قد اخذها ابوك من اموال المسلمين واهداها اليك ، واني اكره ان تكون معي في بيتي . فاختاري اما ان ترديها الى بيت المال ، او تاذني لي في فراقك !

قالت : بل اختارك والله عليها ، وعلى اضعافها لو كانت لي !

وردت الحلى الى بيت المال .

وعاشت زوجة الخليفة معيشة لا تصبر على مثلها زوجة موظف من الدرجة العاشرة ، ورضيت بذلك اتباعا لزوجها، واملا بثواب ربها .

وشاركته خوفه من الله ، وتفكيره في الآخرة ..

دخل عليه مرة رجل صالح من جلسائه، فقال له عمر :

ــ ارقتُ البارحةَ مفكرا في القبر وساكنه .

فقال الرجل : فكيف لو رايت الميت بعد ثلاثة ايام ، والدود قد غطى جسده، واكل لحمه ، بعد حسن الهيئة ، وطيب الرائحة ، ونقاء الثوب !

فبكى عمر وخر مغشيا عليه ..

قالت فاطمة لمولاه مزاحم : ويلك يا مزاحم ، أخرج هذا الرجل .

فخرج الرجل ، ودخلت على عمر فجعلت تصب الماء على وجهه وتبكي ، حتى افاق من غشيته ، فرآها تبكي ..

قال : يا فاطمة ، ما يبكيك ؟

قالت: يا امير المؤمنين ، رأيت مصرعك بين ايدينا ، فذكرت مصرعك بين يدى الله للموت ، وتخليك عن الدنيا وفراقك لها ، فذلك الذى أبكاني .

★★★

بكت خوفا عليه في حياته ، فلما مات بكت اسفا عليه ، حتى عَشِيَ بصرها ، فدخل عليها اخواها مسلمة وهشام بسليانها ، ويعرضان عليها ما شاءت من الاموال ، قالت :

ــ والله ، ما ابكي على مال ولا نعمة ، ولكني رايت منه منظرا ذكرته الآن فبكيت .

قالا : ما هو .

قالت : رايته ذات ليلة قائما يصلى ، فقرا «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » ،فشهق من البكاء حتى ظننت ان نفسه قد خرجت. فما صحا حتى ناديته للصلاة.

ولما ولي اخوها يزيد الخلافة ، رد عليها حليها ، فقالت :

ــ لا والله ، ابدا ، ما كنت لأطيعه حيا ، واعصيه ميتا . لا حاجة لي بها .

فقسمها على اهله ونسائه وهي تنظر.

رحمة الله على أولئك الناس .أولئك والله هم الناس . ■■

علي الطنطاوي

الأمثال

عِنْدَ العَرَب وَعِنْدَ الافرنْج

بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

كلية التربية ـ بغداد

■ نفسية الشعوب كامنة فى طريقة تركيبها للجمل ، وبصورة خاصة ، تركيب امثالها ، ولا شيء يخبرنا ـ كما يقول المثل الانجليزى ـ عن روح اى شعب اكثر من امثاله ، فامثال الامم كتب ضخمة تقرأ فيها اخلاقها بسهولة ويسر ، وما دامت الامثال قائمة على اختبارات الطبقة العامة فلا بد من وجود تماثل وتقارب بين الامثال عند مختلف الشعوب حتى بين العرب والافرنج على تباعدهما .

وقد يكون بعض هذه الامثال مما اقتبس وادخل فى آداب الامم الاوروبية، وقد تكون ثمة مجموعة ليست متماثلة تمام التماثل انما هي متقاربة .

العدو الشجاع ، والعدو العاقل

فمن ذلك قول الانجليز : « عدو شجاع خير من صديق جبان » A Courageous Foe is better than a Cowardly friend وهو ينظر الى مثلنا العربى القائل : « عدو عاقل خير من صديق جاهل » .

والتحوير فى المثلين يعبر عن بعض اختلاف نفسية الشعبين الانجليزي والعربى ، فالمعروف عن الانجليز انهم يحترمون القوة ويرفعون قبعتهم لها ، ويستهينون بالضعيف وان كان صديقا كما يدل على ذلك مثلهم بصراحة ووضوح، فى حين ان العرب يفضلون العدو العاقل على الصديق الجاهل الذى لا رأى له ولا ادراك . وفى هذا تقدير للعقل والحصافة دون اقحام القوة والشجاعة فى الموضوع لانهم قوم لا يحنون رؤوسهم للقوة .

العصا العوجاء لا تستقيم

ويقول الافرنج : « للعصا العوجاء

ظل اعوج » . ويقول عرب الموصل : « ان ذنب الكلب وضع في قصبة اربعين يوما فلم يستقم » .

في الشدائد تعرف الاخوان

واما قولهم : « ان الشدائد لا تخلق انسانا » فهو نظير قولنا : « يارب أرني يوم ضيقي ، لأرى عدوى من صديقى». وقول بعضهم : « عند الشدائد تعرف الاخوان » وقد كرر الشعراء هذا المعنى كثيرا فقال بعضهم :

جزى الله الشدائد كل خير
عرفت بها عدوى من صديقى

وقال غيره :

وما اكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل

قلب قبيح ، ووجه حسن

ولعل المتنبى من اكثر شعرائنا الذين تتفق امثالهم مع امثال الافرنج ، وقد يكون مرد ذلك تأثره بالحكم اليونانية ، فمن ذلك قوله :

مما اضر بأهل العشق انهمو
هووا وماعرفوا الدنيا ومافطنوا
تفنى عيونهمو دمعا وانفسهم
في اثر كل قبيح وجهه حسن

وتقول الافرنج في نفس المال : « قد يخفى الوجه الجميل قلبا شريرا » .

المعروف في غير أهله

ويجد مثلهم : « المعروف في غير موضعه خسارة عظيمة » صداه في بيت مشهور عندنا :

ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن فعله ذما عليه ويندم

مع العسر يسرا

اما قولهم : After a storm comes a calm « بعد العاصفة الهدوء » فهو ترجمة بتصرف للآية الكريمة : « ان مع العسر يسرا » وللحديث الشريف : « اشتدى أزمة تنفرجي » وقول الفقهاء : « اذا ضاق الامر اتسع » .

الكيس الملآن

ومن الامثال غير المقتبسة الآتية عن تجربة مشتركة قول الافرنج : « الكيس الملآن لا يفتقد الخلان » فهو نظير مثلنا البغدادى العامي : « في اظفاره طحين » كناية « عن ان الرجل ذو مال فهو لا تعوزه مودة الاصدقاء وتقربهم اليه » .

الكتاب الصديق

ولكن قولهم : « الكتاب صديق حميم» معروف لدى اكثر الامم ، وقد قال في هذا شاعر العرب الاكبر ابو الطيب المتنبي:

وخير مكان في الدنا سرج سابح
وخير جليس في الانام كتاب

امثال افرنجية مبتكرة

على انه من الانصاف ان نقول ان في امثال الافرنج امثالا مبتكرة خاصة بهم لا نجد لها نظيرا في العربية ، فمن ذلك قولهم : « ينبغي ان يكون للجراح الماهر عين نسر وقلب اسد ويد امرأة » .

امثلة كل مكان لها وطن

وهناك مجموعة من الامثال التى لا جواز سفر لها ــ كما يقولون ــ فهى في كل مكان ولا يمكننا ان نقول ان امة اقتبستها من أخرى .

فمن ذلك مثلا قول الافرنج : « لا يصدق الكذاب حتى وان نطق بالصدق » ، وهو الشكل المسهب لمثلنا البليغ المقتضب : « لا يصدق الكذوب وان صدق » .

ومن طريف ما عثرت عليه في هذا الصدد اثناء دراستي لعلم الامثال المقارن مثلنا الآخر المماثل له في المعنى وهو « حبل الكذب قصير » فاذا به قد أصبح عند الاسبان : « سيقان الكذب قصيرة »، وعند السويسريين : « لاسيقان للكذب »، والكل يعنى ان الكذب لا يطول به الامد وان ضلالته لا تدوم ، اذ سرعان ما تنكشف الحقيقة فيخزى الكاذب بكذبه !

وقد اكثروا من صياغة مثلنا : « الحر

تكفيه الاشارة » فاظهروه فى قوالب عديدة ، والمآل واحد ، فقالوا : « كلمة للحكيم تكفى » و « الاشارة للحكيم والصفير للبليد ! » الخ ..

وقد الموا كذلك بمثلنا : « على نفسها جنت براقش » وهو مثل قائم على قصة متداولة معروفة فقالوا : باسلوب آخر : « الغيوم التى تولدها الشمس تحجب نورها » .

امثال مسجوعة

ومن عالم الامثال الافرنجية يمكننا ان نأتى بأمثال قائمة على السجع ردا على أولئك الذين يقولون أن لا سجع فى النثر الافرنجي ، فالامثال الجيدة عندهم كالامثال الجيدة عندنا ، اما ان تقوم على الجناس او السجع ، ومن امثالهم المسجعة قولهم : Common fame is seldom to blame « الشهرة الاعتيادية قلما يصحبها لوم » .

واللسان ـ كما يعلم الجميع ـ مصدر كثير من مشكلات الحياة ، فلذلك قلنا فى أمثالنا العربية العامية : « لسانك حصانك ، ان صنته صانك ، وان هنته هانك» وقالت الافرنج : « احبس لسانك لئلا يحبسك » .

علم النفس فى الامثال

وتحسن العامة سواء عند الافرنج او عندنا مبادىءعلم النفسبالفريزةوالاختبار فلذلك قالت عامة الافرنج : « الجبناء قساة » Cowards are cruel وصورت الحقيقة فى امثال اكثر الامم عارية ، فى حين ان الرياء صور عندنا وعندهم كاسيا ، فقال شاعرنا :

ثوب الرياء يشف عما تحته
فاذا اكتسيت به فانك عارى

وقال حكيمهم : « الرياء يحب ان يكون كاسيا ، اما الحقيقة فتحب أن تسير عارية » .

وكلنا يعلم ان اكثر المشكلات يمكن ان تحلّ ساعة يضع الانسان راسه على الوسادة والليل ساكن هادىء فتتفتق له وجوه الحيلة ، ولذلك قالوا Consult your pillow « شاور وسادتك » .ولم اجد لهذا المثل الافرنجي ما يقابله فى « مجمع الامثال » للميدانى ولا « المستقصى فى أمثال العرب » للزمخشرى ، وهما مصدران رئيسيان للامثال العربية .

ومد الرجل على قدر البساط او اللحاف او ما يماثلذلك دارج مألوفعند الاوروبيين وان كان بشكل محور فهم يقولون : « فصل معطفك على قدّ قماشك » .

روح المرح فى الامثال

وكما ان روح المرح والدعابة تتخلل بعض امثالنا فان نظير ذلك عند الافرنج كثير ، فمن امثالهم المرحة قولهم : « السمك والضيوف تظهر رائحتهما بعد ثلاثة أيام » . و « الفاكهة المحرّمة أحلى الفواكه » ، وهو مثلٌ كقول شاعرنا : « أحب شيء الى الانسان ما منعا » .

وكأنهم حين يقولون مجنسين ' Glasses and lasses are brittle ware الزجاج والفتيات بضائع هشّة (وقد حاول بعضهم محاكاة أسلوب الجناس الاصلي فقال : الاوانى والغوانى بضائع هشة) ، أقول كأنهم حين يقولون ذلك انما ينظرون الى قول الرسول (ص) : « رفقا بالقوارير » .

ومن اختبارات الافرنج المتجلية فى امثالهم ان المعجبين بالعظماء اكثر من أصدقائهم ، فقد قالوا :

'Great men have more adorers than friends أى للعظماء عبّادٌ اكثر مما لهم أصدقاء.

الطبل الاجوف

وللكناية عن الضجيج الذى لا طائل تحته تقول : « انه كالطبل الاجوف » ، اما هم فلولعهم بتربية الكلاب توصلوا الى ان « الكلاب الكثيرة النباح قلما تعض » .

الحب أعمى

ووصمت العاطفتان المتطرفتان، الحب

الشديد، والكره الشديد، بالعمى،فقالوا : Hatred is blind as well as love « البغض اعمى وكذلك الحب » .

القضايا الخاسرة

وتسمع أحيانا أناسا يصرخون بأعلى اصواتهم عن قضاياهم ومصالحهم ، وصراخهم هذا دليل التعويض عن قضية لاحق لهم فيها ، في اغلب الاحيان ، فمن امثال الافرنج في هذا الباب قولهم : «من كانت قضيته أخسر القضايا صرخ أشد صراخ » .

امثال العرب اعمق تجربة ، وامثال الافرنج ابسط لغة

ونلاحظ عند مقارنةامثال العرب بأمثال الافرنج ان الأولى اوسع نطاقا واغزر مادة واعمق تجربة ، في حين ان الثانية ابسط لغة ، وعلى العموم ، أكثر اقتضابا واقل ايغالا في المجاز والاستعارة والكناية، وهي في الحالين وليدة حكمة العوام ، فالعامة هي التي تخلق الأمثال وتختمها بختمها وتقيض لها السير والانتشار ، فقد روى أن احد ادباء الافرنج ابتدع خمسمائة مثل وحاول جاهدا ان يجعلها تسير وتنتشر فما افلح ، ولكانها ولدت خديجا ماتت ساعة ولدت .

وكانت الأمثال وما تزال موضع رعاية وعناية .. عندنا وعندهم .. فهي في شعرنا وادبنا وقرآننا .. وهي في شعرهم وادبهم وكتابهم المقدس .

تبرير الأخطاء

ومعظم الأمثال المشتركة بين شعوب العالم ظهر في طفولة البشرية وبدء تحضيرها ، ومن الغريب أن التشابه ليس في مجال الامثال الدالة على الفضيلة فحسب بل وفي الاتجاه المعاكس . كذلك حين تحاول العامة تبرير أخطائها فحين نسمع الانجليز يقولون : « لكل انسان قيمته » ، لتبرير التفرقة في المعاملة ، نسمع عوام العراق يقولون بنفس الغرض والمعنى : « كل لحية ولها مقص » .. ويقول غيرهم ــ والطابع المسيحي واضح في المثل ــ « لكل صليب خطه الموسوم به » . وقالت العرب : الناس مراتب ، والرجال مقامات ! » .

تبرير الرذيلة

ومما نحته عوام الايطاليين من الأمثال في تبرير الرذيلة قولهم : « الخطيئة المخفية نصف مغتفرة » ويتسلى الاسبان عما يرتكبونه من آثام بقولهم : « ان الله لا يجرح بكلتا يديه» .ويقول الايطاليون نظير ذلك : «ان الله يحكم دولته بلا سيف! » .

ومن بديع امثال الايطاليين ــ ما دمنا بصدد الكلام عن امثالهم ــ قولهم وهو من رائع الجناس الناقص Traduttori, Traditori ومعناه الحرفي : « المترجمون خونة » ، وقد ترجمها بعض الأدباء بجناس ناقص عن طريقة الاصل فقال : « المترجمون مترجِّمون » .

وهكذا نجد أن الأمثال المبررة للأخطاء والمشجعة على تنكب الطريق السوي للفضيلة والخلق الرفيع قد استعملت كالعملة الرديئة التي تطرد العملة الجيدة من السوق بين الطبقات المتخلفة ثقافيا واجتماعيا ، فكثيرا ما نسمع من العوام الجهلة عندنا في العراق قولهم : «اللحية التي تفارقها لا تستحي منها» او «ابصق عليها » ، وهذا المثل الاخير ان دل على شيء فانما يدل على قصر النظر ، فكثيرا ما يحدث أن يقابل الانسان ثانية اللحية التي أهانها ولم يستح منها .. وفي موقف من احرج المواقف ، والويل له اذ ذاك !

★ ★ ★

هذه خطوط عريضة لدراسة مقارنة في امثال العرب والافرنج ارجو أن تكون حافزا لدراسات أوسع لأنها تؤلف ناحية ذات اهمية اجتماعية خاصة في مجتمعنا النامي المتطور ، وقد تدل على اشياء خفية كثيرة لايمكن التوصل الى استجلاء كنهها الا بهذه الطريقة ، وعسى أن تكون ذات نفع للمعنيين بدراسة نفسية الشعوب والمهتمين بسكلجة الجماهير .

صفاء خلوصي ■■



طبيب الأسرة

إلى أى سن تستطيع المرأة أن تلد ؟

● قرأنا أن امرأة ولدت فى سن الثالثة والستين ، فهل يجوز هذا ؟ لقد تشككت فى الخبر كثيرا . فالى اى سن تستطيع المرأة أن تلد الاولاد ؟ ثم الى أى سن يستطيع الرجل أن يلد ؟

– اظن انك تقصدين بولادة الرجل أن يكون ابا لمولود ، فالرجال لا تلد . والرجل يبدأ الاخصاب، ولا يكون لذلك شهود . ولكن المرأة تلد فيكون لولادتها شهود ، أقلهم اثنان ، منهم الطبيب المولد او الطبيبة ، وقد يكون أكثر من ذلك . من هذا ترين أن التحقيق فى اثبات امومة المرأة أسهل كثيرا من التحقيق فى اثبات أبوة الرجل .

اما الذى تقرئين فى الصحف من ذلك ، فاكثره أخبار لم يجر عنها تحقيق . والذى اذكره فى هذا الأمر أن مجلة طبية محترمة تناولت التحقيق فى مثل هذا الامر ، فتبين لها ، صدقا لا كذبا ، أن امرأة ولدت بنتا يوم كان سنها ٥٢ سنة و٧ اشهر و١٢ يوما ، كان هذا فى ١٩ ابريل عام ١٩٠٦ ، فى مقاطعة يوركشير بانجلترا . وكان سن زوجها عندئذ ٧٦ عاما . وكل هذا ثبت من السجلات الرسمية .

وقد ماتت الزوجة عند بلوغها الثالثة والتسعين من عمرها . وقد مات الزوج بعد السابعة والثمانين من عمره .

والى عام ١٩٦٤ كان هذا هو الرقم القياسى المحقق عن اكبر عمر ولدت فيه امرأة .

وهذا ، بالطبع أمر شاذ . والواقع العادى التى تأخذ به المحاكم – وكثيرا ما تثار هذه المسألة فى قضاياها – أن المرأة لا تلد بعد الثامنة والأربعين من عمرها . تستبعد هذا أن يكون . ويزيد استبعاد المحاكم لهذا الأمر كلما كبرت السن.

والواقع أن النساء كانت تبدأ فتنقطع العادة الشهرية عنهن فيما بين ٤٠ و سن ٤٥ . أما فى هذه الايام ، بعد تقدم الحالة الصحية للناس وتقدم الطب ، فاكثر النساء يبلغن سن اليأس ما بين ٥٠ الى ٥٥ عاما . او لعل هذا هو الحال فى بلاد الغرب .



المرأة الكبيرة السن فى هذه الصورة ، هى الطفلة التى ولدت عام ١٩ ابريل ١٩٠٦ وكانت امها عندئذ فى سنتها الرابعة والخمسين . اما الشابة التى الى جانبها فابنتها ، هى الحفيدة اذن لتلك الجدة التى ضربت الرقم القياسى ، رقم ٥٤

كم من الادوية يصف الطبيب المداوى

● سمعت عن طبيب ناحيتنا التى نسكن فيها ، انه لا يجدد معلوماته . لهذا خطر لى أن امتحنه . ومن المجلات الطبية اخذت عدة اسماء من ادوية جديدة . وعدت الطبيب بمناسبة ، وسألته ماذا ترى فى الدواء الجديد الفوسيل Alphosyl ، فقال انه لم يسمع به . فقلت فمترونال Mitronal فلم يسمع به . وهكذا حتى جئت على أربعة ادوية . فذهبت الى عمى الطبيب وهو يسكن فى الناحية الاخرى البعيدة من البلد ، وسألته عن هذه الادوية نفسها . فضحك ، وقال لى انه لا يدرى ما هى ، ولا يبالى أن يدرى . وأنه لو عد كل الادوية التى يصفها ما زادت يوما على الاربعين . فهل يجوز هذا فى هذا العصر ؟

ـ ان الطبيب المعالج لا شك يطلع على المجلات الطبية الشهيرة المعروفة ، ففى الانجليزية مثلا توجد المجلة الطبية البريطانية British Medical Journal وتوجد اللانست Lancet ، وتوجد كذلك مجلة براكتشنر Practitioner ومعناها الطبيب العام المعالج غير المختص ، والذى لا يطلع على هذه وامثالها ، وعلى الأخص ما يتصل بعمله مما فيها ، لا يستطيع أن يواكب الزمان . ولكن غير ذلك مسالة الادوية الجديدة ، ولها قسم خاص فى المجلات . والذى يعنى بهذه الادوية الجديدة رجال البحوث المختصون الذين يكلفون تكليفا بتجربتها فى المستشفيات ، على شرط أن ياتى التكليف من جهة مسئولة . فاذا نجح دواء من هذه ، فانه لا يلبث أن يشيع خبره . وعندئذ فقط يتناوله فى العلاج الطبيب المعالج . والتجربة دلت على ان اكثر الادوية الجديدة التى خرجت الى السوق لم تدم فيها طويلا .

ولقد قال عمك الطبيب انه لا يستعمل فى العلاج غير نحو أربعين دواء ، وقد صدق ، وجازف بصراحته هذه ، وما أسرع ماينكرها عليه غيره من الشباب الطموح غير المجرب . ولكن بقى ان تعلمى أن هذه الاربعين من الادوية دائمة التغير والتبدل على السنين ، يدخلها دائما ، ما تحققت فائدته من كل دواء جديد .

فى أى السنوات

● ولدت اول طفل لى ، وقد مضى على ولادته الزمن الكافى للنطق ، ولكنه لا ينطق بسهولة . وأحاول أن أساعده فأزيد الطين بلة كما يقول المثل . ففى أى السنوات تكتمل عند الطفل القدرة على الكلام ، وما سبب التخلف الذى يحدث عند الطفل دون بلوغ هذه الغاية ؟

ـ ان الطفل يتعلم الكلام بحكم الطبع ، وبالممارسة والتقليد . هذه جبلته ، وهى تنشا معه ولا تحتاج الى مجهود .

اما عن الزمن الذى يبدأ فيه هذا ، فنستطيع ان نقول ، قول اجمال : ان الطفل يبدأ يستجيب للاصوات قبل بلوغه تمام الستة الاشهر الأولى من عمره . واذا هو اكتمل هذه الستة الاشهر ،

انا لا ابلع الدخان .. فهل هذا يحمينى من السرطان ؟

● انا ادخن ، ولكنى احتاط حتى لاأصاب بسرطان الصدر ، وذلك بأمرين ، الأول انى لا أشرب الدخان الا وبينى وبينه مرشح ، المسمى فلتر بالانجليزية . والثانى انى لا ابلع الدخان .

ـ يكفى جوابا على ذلك أن ناتى بالذى قاله السير اوستين برادفورد هيل Austin Bradford-Hil والدكتور دل Doll وهما الاخصائيان ذوا السمعة العالمية المعروفة ، قالا : « انه لا فرق بين بالعى الدخان وغير بالعيه فيما يختص بسرطان الصدر ..

« ان الجسيمات التى فى الدخان ، التى يحتمل ان تسبب السرطان ، صغيرة جدا بحيث تنفذ فى اى مرشح وتصل الى الرئة . والذى يريد أن يكون فى مأمن تام من المخاطرة ، عليه أن ينقطع عن التدخين انقطاعا كاملا » .

تكتمل عند الطفل القدرة على الكلام ؟

او حول اكتمالها ، أخذ يحدث هو الأصوات كمن يحاول التقليد ولا يستطيع . ولا تكتمل السنة الأولى من عمر الطفل حتى يستطيع أن ينطق بماما وبابا ، وواوا وما أشبه . وهو فى هذه الفترة يكون قد أخذ يتفهم معنى الكلام البسيط.

وينتقل من هذا الى النطق باللفظتين والثلاث معا عند اكتماله ثمانية عشر شهرا ، أو حول ذلك .

وهكذا يتدرج الطفل . ومع كثرة اختلاف الأطفال فى هذا ، يمكن القول بأن أغلبية الاطفال تبدأ الكلام بين السنة الثانية والرابعةمن أعمارهم.

ومع هذا فمنهم من يتخلف بسبب قصور فى تركيب الجسم ، أعنى تلك الأجزاء المتصلة بالكلام، ومنها الأذن . فالطفل الذى لا يسمع جيدا ، لا يحسن التقليد ، وما الكلام الا تقليد . كذلك قصور فى الفهم ، فتفهم ما يسمع من الناس ، وفهم ما يقول هو ، تقليدا لما يقولون .

ولهذا مختصون ، يقومون بالفحص ، ويصفون العلاج ، ويقومون به ، يصلحون ما اعوج ، ولا احسب أن فى المشرق كثيرا من هؤلاء .

اما انك تحاولين اصلاح كلام طفلك ، فيزداد عصيانا ، فشىء مألوف معروف . ان الطفل أحسّ ما يكون بهذا التخلف فى الكلام . وهو ما أسرع ما يدركه ، فيلوذ بالصمت . ويتجنبه باستخدام الاشارة تعبيرا عما يطلب ويريد . ومعالجة مثل هذه الحالة تحتاج الى حنكة كبيرة ، وبالأخص التقليل من احساسه بالخيبة بادراك الأم سريعا لما يطلب الطفل ، فلا تزيده حرجا بأن تظهر له أنها لا تفهم .

ابني قصير النظر ..



● لى ولد وابنة كلاهما دون العاشرة ،لم اكتشف الا مؤخرا ان بعيونهما قصرا فى النظر، فكيف لم أستطع كشف هذا القصرفى حينه ، فقد كنت اكون فى حال أقدر على مداواته وعلى وقفه فلا يتزايد . ثم انى أخشى ، على الاخص على ولدى ، وهو كثير اللعب ، ان وصف له الطبيب نظارةأن تنكسر نظارته ، فتصيب عينيه . فهل هناك زجاج للنظارات غير قابل للكسر ؟

– ليس من السهل دائما على الآباء ان يكتشفوا قصر النظر عند أبنائهم . والولد القصير النظر يعتاد رؤية الأشياء واضحة بالقدر الذى يراه فلا يخال أن هناك أوضح . ولكن كثيرا ما يكشف ذلك المدرس ، اذا كان محل جلوس الطالب بعيدا عن السبورة .

على أن المدارس المتطورة ، لا سيما فى الأمم النامية،جعلت من امتحان طلبتها الصحى امتحانَ العين . فان وجد الطبيب قصرا فى النظر (أو طولا) أحال الطالب على طبيب العيون المختص ، فامتحنه وقدر له النظارة اللازمة . وفى هذه الأمم المتقدمة التى ذكرنا تصرف هذه النظارات لتلاميذ المدارس بالمجان . ويعاد الامتحان المدرسى لأعين التلاميذ فى تلك المدارس كل سنتين .

أما من حيث خلع النظارة أحيانا ، فالصبى يستطيع أن يخلعها اذا هو لم يكن قصير النظر جدا ، أو طويل النظر جدا . وهو فى الحالة الأولى لا يرى البعيد ، وفى الحالة الثانية لا يرى القريب فالمسألة مسألة راحة صاحب اللعب ، يرى جيدا أو لا يرى .

أما من حيث العين ، من حيث صحتها ، تقدما وتخلفا ، ففى الأكثرية الكبرى من الصبية لا شأن للنظارة بصحة العين . ان النظارة لا أثر لها فى حاضر العين أو فى مستقبلها .

بقى أمر الزجاج الذى يقبل الكسر ، تصنع منه عدسات النظارات . أما من الوجهة النظرية فهذا مطلب معقول . ولكن من الوجهة العملية يرى الأطباء ، أن الحوادث الناجمة عن كسر العدسات نادرة جدا . وان الحوادث الناشئة عن كسر اطارات النظارات ، على ندرتها هى الأخرى ، هى الأكثر . الا عند الصبية الكبار السن الذين يمارسون ألعابا عنيفة ، فهؤلاء لهم شأن آخر

طرائف عربية

الطاعة للآباء والرزق للأبناء

● قال ابو العيناء : انا اول من اظهر العقوق بالبصرة لوالديه قيل : وكيف ذلك ؟ قال : قال ابى ان الله قد قرن طاعته بطاعتي .

فقلت : بماذا ؟

فقال : بقوله تعالى : اشكر لى ولوالديك . .

فقلت له : يا أبت ان الله أمننى عليك ولم يؤمنك علىّ اذ قال : ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم .

ظرف أهل المدينة

● روى ابو العيناء عن الأصمعي قال : مررت بدار الزبير بالبصرة ، فاذا شيخ قديم من اهل المدينة من ولد الزبير يكنى ابا ريحانة جالس بالباب عليه شملة تستره ، فسلمت عليه ، وجلست اليه ، فبينما انا كذلك اذ طلعت علينا سويداء تحمل قربة ، فلما نظر اليها لم يتمالك أن قام اليها ، فقال لها بالله غني صوتا ! فقالت : ان موالىّ اعجلوني ، فقال لا بد من ذلك ، قالت أما والقربة على كتفي فلا . قال : فأنا أحملها ، فأخذ القربة منها فاندفعت تغني . فطرب وصرخ وضرب بالقربة الى الأرض فشقها . فقامت الجارية تبكي . وقالت ما هذا بجزائي منك اسعفتك بحاجتك فعرضتني لما أكره من موالىّ ، قال : لا تغتمي ، فان المصيبة علي حصلت ، ونزع الشملة ووضع يدا من خلف ويدا من قدام ، وباع الشملة ، وابتاع لها قربة جديدة ، وقعد بتلك الحال فاجتاز به رجل من ولد علي بن ابي طالب (رض) فعرف حاله فقال : يا أبا ريحانة ! أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) قال : لا يا ابن رسول الله ، ولكني من الذين قال الله تعالى فيهم (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فضحك وامر له بألف درهم .

الثواب والعذاب

● **قال الأصمعي** : رايت بدوية من احسن الناس وجها ولها زوج قبيح ، فقلت : **يا هذه اترضين ان تكونى زوجة لهذا ؟**

فقالت : **يا هذا ، لعله احسنَ فيما بينه وبين ربه ، فجعلنى ثوابه ، واساتُ فيما بينى وبين ربى ، فجعله عذابى . افلا أرضى بما رضى الله لى !**

من هو العاقل ؟

● الحاجة تفتح ابواب الحيل ، وليس العاقل الذى يحتال للامور اذا وقع فيها ، بل العاقل الذى يحتال للأمور انْ لا يقع فيها .

أعرابى لا يحسن القسمة !

● قال الجاحظ : قال ابو الحسن : حدثني أعرابي كان ينزل بالبصرة قال : قدم اعرابى من البادية فانزلته ، وكان عندى دجاج كثير ، ولي امراة وابنان وابنتان ، فلما حضر الغداء جلسنا جميعا انا وامراتي وابناي وابنتاي والاعرابي. قال: فدفعنا اليه الدجاجة وقلنا له : اقسمها بيننا ـ نريد بذلك ان نضحك منه ـ فقال : لا احسن القسمة ، فان رضيتم بقسمتي قسمتها بينكم .

قلنا : فاننا نرضى . فاخذ راس الدجاجة فقطعه فناولنيه وقال : الراس للراس . وقطع الجناحين وقال : الجناحان للابنين . ثم قطع الساقين وقال: الساقان للابنتين . ثم قطع الزِمِكّى (ذنب الطائر) وقال : العجز للعجوز ، وقال : الزور للزائر . ثم اخذ الدجاجة وسخر منا .

قال : فلما كان الغد قلت لامراتي : اشوى لنا خمس دجاجات . فلما حضر الغداء قلت : اقسم بيننا .

قال : انى أظن انكم وَجَدتم (غضبتم) في انفسكم !

قلنا : لا ، لم تجِد في انفسنا فاقسِم .

قال : اقسم وِترا او شَفْعا ؟

قلنا : اقسم وِترا .

قال : انت وامراتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى الينا بدجاجة . ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى اليهما بدجاجة . ثم قال : وابنتاك ودجاجة ثلاث ، ثم رمى اليهما بدجاجة . ثم قال: انا ودجاجتان ثلاثة ، واخذ دجاجتين وسخر منا !

قال : فرآنا ننظر الى دجاجتيه .

فقال : ما تنظرون لعلكم كرهتم قسمتى ، الوتر لا يكون الا هكذا . فهل لكم فى قسمة الشفْع ؟

قلنا : نعم .

فضمهن اليه ، ثم قال :

ـ انت وابناك ودجاجة اربعة ، ورمي الينا بدجاجة . ثم قال : والعجوز وابنتاها ودجاجة اربع ، ورمى اليهن بدجاجة . ثم قال : انا وثلاث دجاجات اربعة ، وضم اليه الثلاث ورفع يديه الى السماء وقال :

ـ اللهم لك الحمد انت فهمتنيها !

داء الركبتين

● عاد ابو الحسين بن برهان رجلا مريضا ، فقال له :

ـ ما علتك ؟

قال : وجع الركبتين ...

فقال : **والله لقد قال جرير بيتا ذهب منه صدره وبقى عجزه ، وهو :** «وليس لداء الركبتين طبيب .. » .

فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه !



التقارب الجديد بين النظام الشيوعى والنظام الرأسمالى



كوزيجين
الاصلاح يحتاج الى وقت

عن مجلة النيوزويك الامريكية :

● منذ تنحية المستر خروشوف عن الحكم، قبل ما يقارب السنة ، واقتصاديات الاتحاد السوفياتى فى تدهور وتفاقم . وقد زادها تدهورا موسم زراعى ردىء لا يقل رداءة عن الموسم الذى سبقه . وزادها تفاقما تخلف فى حصيلة الانتاج استفحل أمره وتكرر طيلة عشر من السنين . وسبب البلاء فى هذا وذاك انما يعود الى سوء الادارة والعبث والتبذير على حد قول المستر الكسى كوزيجين رئيس الوزارة الحالى فى الاتحاد السوفياتى .

لذلك كله كان لابد للسلطات العليا فى الاتحادالسوفياتى من أن تعطى « المديرين » ، أى المسؤولين عن ادارة الاعمال الزراعية والصناعيةفيه ، قدرا من الحرية فى تصريف أعمالهم يكاد يعادل ما يتمتع به زملاؤهم فى الغرب . والمهم فىالامر على وجه التخصيص أن هؤلاء المديرين السوفيات قد باتوا أوسع سلطة وأكثرتحكما بايرادات المصالح والاعمال الواقعة تحت اداراتهم واشرافهم . « فهذه المصالح والأعمالجديرة (كما قال المستر كوزيجين ايضا) بالاحتفاظ بمزيد من الأرباح التى تجنيها وذلك بقصدتمكينها من زيادة انتاجها ورفع مستواه التكنى فضلا عن توفير الباعث المادى لعمالها وتحسينظروفهم المعيشية والوظيفية على حد سواء » .

والسؤال الذى بقى بلا جواب هو : هل يكتبلهذه الخطوات والتغييرات الجذرية النجاح ؟

سر اهتمام بريطانيا بالشرق الاوسط !

عن صحيفة الفايناشال تايمز اللندنية :

● تعزى أهمية الشرق الأوسط فى الدرجةالاولى الى اعتماد أوروبا الغربية عامة وبريطانيا بوجه التخصيص على موارده النفطية الكبيرة .فقد بلغ ما استوردته بريطانيا من نفط المنطقة فى السنة الماضية $\frac{3}{5}$ وارداتها النفطية اطلاقا .وبلغت نسبة ما استوردته بريطانيا أيضا من سائر بلدان الشرق الأوسط من نفط وخلافه١٢٪ من مجموع الواردات التى استوردتها من كافة أنحاء العالم . ولم يحل ذلك دون اقتصارنسبة ما تصدره بريطانيا الى بلدان تلك المنطقة على ٦٪ من مجمل صادراتها .

تحليل الفقر في الولايات المتحدة

عن مجلة تايم الامريكية :

● هل للفاقة من أثر في الولايات المتحدة ؟هل للشحاذة والتسوّل من وجود في بلاد ارتفعت فيها المباني تناطح السحاب وعم فيها الرخاء كما لم يعم في غيرها من البلاد ؟

والنفي هو الجواب يأتي فورا على هـذه الأسئلة . أما واقع الحال فلا يترك مجالا للشك بأن في الولايات المتحدة أيضا فقراء ، يشعرون بالغضب كما يشعرون بالقنوط . ولا يغير من هذه الحقيقة كون الفقر ، بمفهومه الدقيق ، صفة نسبية لا مطلقة ، وكون الفقراء الأمريكيين أحسن حالا من زملائهم الآخرين . فالفقر هو الحالة التي يعاني فيها الانسان التخلف الاقتصادي ، أو يشعر على الاقل بمثل ذلك التخلف ، الذي لا يعانيه ولا يشعر به الا بالقياس والمقارنة مع ما توفر عليه الغير من تفوق في الدخل وسعة في الانفاق .



أطفال امريكيون فقراء وان كانوا أوفر حظا من غيرهم من فقراء الأطفال !

وبالنظر الى ذلك كانت المرأة الأمريكية التي ترغب في شراء اللحم الممتاز بسعر ٨٩ سنتا دون أن تسمح لها امكانياتها الا بشراء اللحم العادي بسعر ٤٩ سنتا ، امرأة فقيرة . وكانت الأسرة الامريكية التي تقف بها مواردها عند اقتناء الثلاجة دون أن تمكنها من شراء التلفزيون ، أسرة فقيرة أيضا . وفقر كهذا ، وان اختلف عما تعانيه البلاد الاخرى من فقر ، لجدير بأن تُعلن الحرب عليه وتُخاض على كافة المستويات في سبيل التخلص منه .

الحل الوحيد لمنع انتشار الاسلحة النووية

عن مجلة الشؤون الدولية السويسرية :

● بمناسبة الاجتماعات الأخيرة الخاصة بموضوع نزع السلاح والحيلولة دون انتشار الأسلحة النووية (١٩٦٥/٩/١٦) ، لا يسعنا الا الاعراب عما نعانيه من صعوبة في ادراك الأسباب التي تعترض سبيل المجتمعين وتحول بينهم وبين البحث في ضرورة القضاء على التجارب النووية أصلا . فلو أمكن العمل على منع هذه التجارب والقضاء عليها بصورة فعالة ، لما كان من باعث على القلق لاحتمال تسرب الأسلحة النووية وانتشارها . ذلك لأن التجارب على هذه الاسلحة انما هي المرحلة الأساسية التي لا مفر من اجتيازها لأية دولة من الدول اذا هي شاءت أن تصبح في عداد الدول النووية .

فلسفة السياسة عند هيجل

بقلم: الدكتور زكريا ابراهيم

الاستاذ المساعد بكلية الآداب

■ لقد حدثنا القارىء عن منهج هيجل الجدلي(١) ، ثم عرضنا عليه الأسس العامة لفلسفة التاريخ على نحو ما تصورها هيجل(٢) ، ونريد اليوم ان نضع بين يديه صورة سريعة لأهم معالم الفلسفة السياسية لدى عملاق الفكر الالماني الحديث . ولئن كان فيلسوفنا قد اهتم بالمشكلة السياسية منذ بداية اشتغاله بالتفلسف ، الا اننا نجده يواجه هذه المشكلة بصراحة في مؤلفاته الثلاثة الرئيسية ، الا وهي على التعاقب: « موسوعة العلوم الفلسفية » (سنة ١٨١٧) ، « فلسفة القانون » (سنة ١٨٢١) ، واخيرا كتابه « دروس في فلسفة التاريخ » (وهي المحاضرات التي كان قد القاها بجامعة برلين في الفترة من سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٣١) . ولن نحاول ــ في هذا العرض الموجز ــ ان نتتبع التطورات التي طرأت على فكر هيجل السياسي خلال هذه المراحل المتعاقبة ، وانما سنمضي مباشرة الى صميم تفكيره السياسي ــ في صورته الاخيرة الناضجة ــ آملين أن نكشف عن جوهر الروح الهيجلية في كل هذه النظريات السياسية .

نظرية هيجل في الحرية . .

ولن يتسنى لنا أن نفهم روح فلسفة هيجل السياسية ، اللهم الا اذا بدأنا بشرح نظريته في « الحرية » . وهنا نجد ان هيجل يجعل من « الحرية » جوهر الروح ، فيقول انه « كما ان جوهر المادة هو الثقل ، فان من واجبنا أن نقول ان جوهر الروح ، بل ماهيتها ، انما هي الحرية » . والواقع اننا نشعر شعورا مباشرا بان الحرية هي

---

(١) مجلة العربي العدد ٧٨ ، مايو سنة ١٩٦٥

(٢) مجلة العربي العدد ٨٢ ، سبتمبر سنة ١٩٦٥

جَوهر المادة الثقل، وجوهر الروح الحرية ..

الحرية حقيقة مكتسبة، لا مجرد حالة فطرية .

الدولة هي المظهر الواقعي لعملية تحقيق الحرية .

دستور أي شعب لابد أن ينبع من طبيعته التاريخية .

فى مقدمة السمات التى تتميز بها الروح ، ان لم نقل بأنها الصفة الاولى التى تتمتع بها الذات ، ولكن الفلسفة تعلمنا ان كل الصفات الاخرى التى تتملكها الذات انما تقوم اولا وقبل كل شيء على صفة « الحرية » ، ما دامت كل هذه الصفات انما هى بمثابة « وسائط » أو «ادوات» مجعولة من اجل تحقيق « الحرية » . فليس « العقل » و « الروحية » (مثلا) سوى اداتين فى خدمة « الحرية » ، وليس فى الروح كلها « مبدأ » يمكن ان نعده بمثابة « المبدأ الحق » الاوحد ، اللهم الا « الحرية » . وتبعا لذلك فان محور الارتكاز فى الفلسفة النظرية - أو التأملية - كلها ، انما هو مفهوم « الحرية » .

• هيجل •



وعلى حين ان مركز « المادة » خارج عنها ، فهى تعمل بالتالى على الاتجاه نحوه ، نجد ان مركز « الروح » باطن فيها ، فهى تملك وحدتها فى ذاتها . وحين يقول هيجل عن « الروح » انها « الموجود فى ذاته » ، فهو يعنى بهذا الاصطلاح انها « الموجود الحر » . والحق ان كوني حرا انما يعنى انني موجود أعتمد فى وجودى على ذاتى ، ولا احتاج فى وجودى الى شيء آخر خارج تماما عن ذاتى . فأنا « حر » حين أوجد « فى ذاتي » ، وحين اشعر بأنني أستمد مقومات وجودى من اعماق ذاتي . وهيجل يربط « الحرية » بالوعي أو « الشعور » فيقرر أن « الروح » ليست « وجودا فى الذات » فحسب ، بل هي ايضا « شعور » أو بالاحرى « شعور بالذات » . والروح تعرف ذاتها ، وتستطيع الحكم على طبيعتها الخاصة ، فضلا عن انها تضطلع بنشاط حر تتعرف فيه على ذاتها من خلال افعالها . وربما كان تاريخ العالم بأكمله - فيما يقول هيجل - مجرد سعى تضطلع به الروح من أجل التعرف على ذاتها ، أو من اجل تحصيل علم حقيقي بما هي عليه فى قرارة ذاتها .

ليست الحرية استسلاما للنزوات الشخصية

بيد ان الحرية ـ في رأي هيجل ـ ليست خلقا من العدم ، او قدرة مطلقة على كل شيء ، وانما هي تنحصر اولا وبالذات في فهم الضرورة ، وتعقل الجبرية . ومعنى هذا ان الحرية انما تقوم على تحديد الروح لذاتها ، وفقا لما لديها من فكرة من ذاتها . ولهذا فان هيجل يرفض شتى النزعات الارادية المتطرفة التي تجعل من « الحرية » ضربا من « الاختيار المطلق » أو « الارادة المتعسفة » . وكذلك يأبى هيجل ان ياخذ بتصور كنط Kant للحرية ، فيقول ان الحرية لا يمكن ان تكون بمثابة « تلقائية » مجردة ، ترتد في خاتمة المطاف الى « ذاتية العقل » ، وتتعارض تعارضا جوهريا مع الضرورة ، والا لكانت الحرية مجرد مفهوم سلبي محض . وأما الحرية الحقيقية ـ في نظر هيجل ـ فهي مزيج من التلقائية والضرورة ، أو هي توافق الارادة مع المصير . واذا كان قد وقع في ظن البعض ان الحرية الحقيقية ، انما هي الاستسلام للانانية والذاتية والنزوات الشخصية، فان هيجل يقرر ان الحرية الحقيقية انما هي الخروج من الانانية ، والانتصار على الذاتية ، والتحكم في النزوات الشخصية . ومن هنا فانه لابد للفرد من التخلي عن ذاته الطبيعية ، لكي يبتني لنفسه شخصية جديدة ، وبذلك يتمكن من تحوير وجوده التجريبي ، جاعلا منه وجودا عقليا « كليا » . وحين ينفصل الفرد عن كل ما يكون ذاته الفردية ، فهنالك ـ وهنالك فقط ـ يصبح في استطاعته ان يرقى الى مستوى الوجود « الكلي » الذي يكفل له تحقق أعلى درجة من درجات الحرية .

وهكذا نرى ان هيجل يبدأ من التوحيد بين « الحرية » و « الشعور بالذات » ، لكن لا يلبث ان يجعل من « الحرية » سلبا للانانية الفردية ، وانكارا لكل وجود تجريبي صرف .

الحرية صراع من اجل الانتصار على الانانية ، وتحقيق الوجود العقلي الكامل

والحق ان هيجل يربط فكرة « الحرية » بفكرة « السلب » : Negation ، فيقرر ان الوجود الحر انما هو ذلك الذي يقوى على انكار وجوده الفردي المباشر ، متخذا من هذا « السلب » او « الانكار » نفسه اداة لتقرير وجوده العقلي الكلي ، وتأكيد قدرته على الاندماج في الحقيقة اللانهائية المطلقة . فليست فكرة « السلب » عند هيجل ـ سوى تعبير عن ضرورة تحطم « الفردية »، من اجل الانتصار على « الانانية » ، وتحقيق الوجود العقلي الكلي ، بدلا من التوقف عند « الانا » الفردي التجريبي . ولا يتصور هيجل الحرية على انها « مثل أعلى » أو « حد أسمى » لابد لنا من العمل على بلوغه ، بل هو يتصورها على انها عملية تحرر مستمرة تقوم على السلب ، والصراع ، والنزاع المستمر مع الذات . ولن يستطيع « الفرد » ان يصبح « شخصا » بمعنى الكلمة ، اللهم الا اذا كان على استعداد لمواجهة معركة الحرية ، وتحمل شتى التضحيات التي قد تستلزمها مثل هذه المعركة ، حتى ولو ادى به الامر الى مواجهة الموت وجها لوجه ! فالحرية رفض للمباشر The Immediate ، وتنازل عن الانا الفردي ، وصراع من اجل الوصول الى مستوى الوجود العقلي الكلي . وهي ـ بهذا المعنى ـ عملية انسانية تنطوي على انكار للوجود التجريبي الجزئي ، وسلب للكفاية الذاتية بمثابة الجذور العميقة التي يرتكز عليها كل كيان الفردية ، من اجل تقرير الطابع العقلي الكلي للوجود البشري ، وتأكيد الروح اللانهائية المطلقة للحقيقة الجوهرية الكلية .

ليست الحرية حالة فطرية أو « حالة الطبيعة » ..

وهنا يتوقف هيجل عند النظريات التي تقول بان الانسان ـ في حالة الفطرة ـ كان يعيش في حرية تامة ، ثم جاءت الانظمة الاجتماعية ـ بما تنطوي عليه من قسر ـ فعملت على الحد من هذه الحرية الطبيعية . وهيجل يشرح لنا هذه النظريات فيقول انها تفترض أنه قد وجدت في بداية التاريخ فترة كان الانسان يتمتع فيها بتجربة مطلقة ، وكان يمارس فيها شتى حقوقه الطبيعية ، فلم تكن حريته تصطدم بأي عائق ، ولم تكن تجد امامها اي حد يحول دون انطلاقها . ولكن مثل هذا الفرض ـ فيما يقول هيجل ـ انما هو مجرد فرض وهمي ليس هنالك ما يبرره، لاننا لو عدنا الى التاريخ ، لما وجدنا قديما ولا حديثا اي مجتمع من المجتمعات سادت فيه حالة طبيعية من هذا

القبيل . والحق ان « حالة الطبيعة » هي أبعد ما تكون عن حالة الحرية المطلقة ، لانها حالة البربرية ، والانانية الحيوانية ، وغلبة العنف والوحشية . فليس الوجود الطبيعي المباشر للانسان وجودا حرا بطبعه ، بل هو وجود حيواني اناني ، تسوده الاعمال الوحشية ، وتتحكم فيه شتى ضروب العسف والظلم . وربما كان الادنى الى الصواب ان يقال ان الحرية حقيقة مكتسبة محصلة ، لا مجرد حالة طبيعية فطرية . ولم يستطع الانسان الحديث ان يظفر بالحرية ، اللهم الا بعد تربية طويلة لمعرفته وارادته . ومعنى هذا ان ترقى الحرية قد اقترن بظهور النشاط العقلي ، ووقوفه في وجه « الحساسية » . واما حالة الفطرة فقد بقيت عنوانا على الغريزة الطبيعية الغاشمة ، والمظالم الوحشية البربرية ، والمشاعر الانانية اللاانسانية . وعلى العكس من ذلك ، نجد ان مفهوم « الحرية » قد اقترن بمعاني « التنظيم » و « التعقل » ، و « التحكم في الغريزة » ، و « التحرر من سيطرة الانانية » .

« الحياة العائلية » أول شكل من اشكال « الحرية » ...

اذا كانت الحرية هي - كما رأينا - مجرد تعبير عن انتصار الفرد على انانيته ، وتحرره من ذاتيته ، فليس بدعا ان نجد هيجل يَعُدّ الحياة العائلية بمثابة المرحلة الاولى من مراحل تحرر الفرد وتصاعده نحو « المطلق » . والحق ان « الاسرة » - في نظر هيجل - ليست مجرد صلة طبيعية تقوم على اتحاد الجنسين ، بل هي علاقة روحية تعمل على تنظيم التناسل عن طريق اتحاد الشخصين . فليس « الزواج » امرا عاطفيا يقوم على دافع جنسي فحسب ، وانما هو تنظيم اجتماعي يهدف الى صيانة حياة اطفال المستقبل ايضا . وحين تتحد ارادتا الفردين المقترنين بالزواج ، فهناك لا بد من أن يترتب على اتحادهما ظهور ذلك « الثالث » أو « الوجود الجديد » الذي يكون بمثابة جوهر جديد لهذه العلاقة الثنائية .. فالطفل هو الذي يضطر الزوجين الى التنازل عن ارادتهما الخاصة ، أو فرديتهما الذاتية ، من أجل العمل على الاهتمام بتلك الحقيقة الروحية الجديدة التي نجمت عن امتزاج وجود كل منهما بوجود الآخر . واذا كان للزواج - في نظر هيجل - صبغة روحية[1] ، فذلك لانه شكل من اشكال الحياة الدينية التي تفرض على الفرد الخروج من انانيته ، من اجل الاهتمام «بالآخر» . و « الطفل » هو الذي يسمح للرجل أو المرأة بان يشعر شعورا حيا عميقا بحقيقة اتحاده بالآخر ، خصوصا وانه يجسم له هذا الاتحاد على صورة حقيقية واقعية حية ، الا وهي وجود « الطفل » نفسه . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان كل قيمة الزواج انما تنحصر في أنه يسمح للحرية بان تتحقق تحققا عينيا في العالم الخارجي فتتمكن عن هذا الطريق من امتلاك زمام ذاتها بطريقة واقعية ملموسة .

بيد أن للمجتمع العائلي - بطبيعته - حدوده الخاصة التي تجعل منه رابطة عرضية زائلة : فان موت الوالدين (أو أحدهما) قد يعرّض هذه الرابطة للتصدع ، فضلا عن ان العائلات - فيما بينها - انما هي اشبه ما تكون بأفراد منفصلين ، فلكل منها استقلاله الذاتي ومصلحته الخاصة .. الخ . وتبعا لذلك فاننا لا يمكن أن نجعل من « الاسرة » حقيقة « مطلقة » تكفل لافرادها اعلى درجة من درجات الحرية ، وانما يجب أن نعترف بان الاسرة هي مجرد مرحلة من مراحل ترقى الحياة البشرية في تصاعدها المستمر نحو « المطلق » . ولما كانت الحياة العائلية تفرض على افرادها ضربا من « الانفصال » ، فليس بدعا أن يشعر الفرد بالحاجة الى تجاوز هذه الحياة الاجتماعية الضيقة ، من أجل الامتداد نحو ضرب آخر اشد اتساعا وأكثر ضمانا لتحقيق الحرية . واما هذا الضرب الجديد من ضروب «الحياة الاجتماعية» فهو ما يسميه هيجل باسم « المجتمع المدني Civil Society » .

من « الاسرة الى المجتمع المدني » ..

اذا كان هيجل قد نسب الى « الاسرة » دورا هاما في عملية تحقق الحرية ، فذلك لانه قد تصور « المجتمع العائلي » على انه « الروح

(١) ينادي هيجل بالزواج الواحدي Monogamy ويرى فيه واجبا مقدسا يصدر من شعور ديني أخلاقي ، ويُعتقد لمصلحة المجتمع والدولة .

الاخلاقي الموضوعي المباشر أو الطبيعي » (على حد تعبيره) . وأما « المجتمع المدني » فهو في نظره مظهر آخر من مظاهر اتحاد الافراد حين يعملون من اجل تحقيق بعض الغايات المشتركة . حقا ان الدعامة التي يستند اليها « المجتمع المدني » انما هي في اصلها دعامة فردية ، ما دام الغرض من قيام هذا المجتمع انما هو اشباع حاجات كل فرد من أفراده ، ولكن روابط الافتقار المتبادل التي تربط بين افراد هذا المجتمع انما هي التي تجعل المصلحة العامة تبدو لهم بصورة الشرط الضروري لتحقق مصالحهم الخاصة . ومن هنا فان الفرد الذي يريد ان يحقق لنفسه مصلحته الخاصة ، لابد من ان يجد نفسه مضطرا الى الخضوع لتنظيمات الجماعة والعمل على تحقيق المصلحة العامة. هذا الى ان المجتمع المدني لايمكن ان يقوم الا على تنظيم اقتصادي دعامته« تقسيم العمل»فلا بد للافراد ــ فيiنطاق هذا المجتمع ــ من ان يشعروا بما بينهم من تآزر وتعاون ، ما دام عمل كل منهم انما يفترض اعمال الاخرين . ولكن من شان تقسيم العمل في الوقت نفسه ان يعمل على تحقيق ضرب من الانفصال بين « الطبقات » ، فهو يساعد علىظهور « وحدات عضوية » اجتماعية يحرص كل منها على كرامته المهنية ، ويعمل كل منها علىزيادة شعوره بتماسكه الاجتماعي الخاص. ومن هنا فان هيجل لا يرجع ظهور الطبقات الاجتماعية الى عوامل عرضية خالصة،بل هو يرى ان انقسام المجتمع الى طبقات انما يمثل ظاهرة جوهرية تنبع من طبيعة المجتمع المدني نفسه . وليس من شان الفيلسوف ــ فيما يقول هيجل ــ ان يدعو الى الغاء الطبقات أو ان ينادي بضرورة القضاء عليها ، وانما كل مهمته ان يبين لنا كيف ان جميع هذه الطبقات تعمل متضافرة على تثبيت دعائم الحياة الاجتماعية . والواقع أن اعضاء المجتمع المدني انما يحققون بنشاطهم الاقتصادي هدفا حضاريا كليا ، لانهم يعلون بنشاطهم العملي على مستوى « التلقائية الطبيعية » ، محققين غاية اجتماعية عامة تجعل منهم اعضاء في جسم اجتماعي موحد.وليست قيمة «العمل»ــ في نظر هيجل ــ مجرد قيمة اقتصادية بحتة تنحصر في اشباع بعض الحاجات ، وانما هي ايضا قيمة روحية تعبر عن قدرة الفرد على « السلب » Negation ومن ثم فانها تنطوي على تاكيد للحرية . وما كان « العمل » دعامة ضرورية للمجتمع المدني ، الا لانه الواسطة التي ترقى بالافراد الى مستوى « الحرية » ، فتجعل منهم قوى ارادية عاملة في صميم الحياة الاجتماعية .

وفضلا عن ذلك ، فان المجتمع المدني هو الذي يعمل على صيانة الملكية الفردية ، وهو الذي يخلع قيمة كلية على حق « التبادل » . وليس منشك فيان هذا الانتقالمن مستوى« الظاهرةالاقتصادية» البحتة الى مستوى « الظاهرة القانونية » انما يمثل تقدما حقيقيا في صميم الحياة الاجتماعية ، نظرا لانه يضيف الى تنظيم الانانية وحمايةالمصالح الفردية في الحياة الاقتصادية تنظيم غريزة الانتقال وصيانة الحقوق العامة . والقانون الجنائي حين يضع القصاص المدني فانه لا يحقق غرضااصلاحيا او هدفا اخلاقيا بحتا ، بل هو يضمن الجزاء العمل ، ويكفل ردع المخالفين ، ويعمل علىتحقيق احترام القوانين .

من المجتمع المدني الى « الدولة » ...

بيد أن الفرد لا يمكن أن يقف عند المستوى « القانوني » ، وانما لابد له من ان يتجاوزه ، لكي يعلو الى المستوى « السياسي » ، وبالتالي فانه لابد لنا من ان نعلو على « المجتمع المدني » لكي نرقى الى مستوى « الدولة » State . وهيجل يعرف « الدولة » فيقول انها مجموع القوانين ، والتنظيمات ، والعادات التقليدية ، والاخلاق العامة ، التي تكونت عبر الزمان في مجتمع ما من المجتمعات. فليست « الدولة »مجرد « شعب » أو مجموعة من الافراد ، بل هي ناتج ضروري Necessary Product للتطورالتاريخي او للصيرورة التاريخية ، بحيث انه لا بد من أن يدخل في نشأتهما عامل حتمي يتمثل في انتساب الأفراد الى سلالة واحدة ، وانتمائهم الى طبيعة جغرافية مشتركة ، وتأثرهم بمناخ البقعة التي يعيشون فيها (خصبة كانت أم جدباء،مرتفعة كانت أممنخفضة ، حارة كانت أم باردة ، جبلية كانت أم سهلة .. الخ) . ولكن العاملَيْن التاريخي والجغرافي لا يكفيان لقيام « الدولة » بمعناها الحقيقي ، وانما لا بد من أن ينضاف اليهما عامل حضاري يجعل من « الدولة » حقيقة روحية تحقق للافراد أعلى درجة من درجات الحرية . والواقع أن « الدولة » حرة ، لأنها قد استطاعت أن تتحرر من كل انانية ، فليس بدعا أن تكون

هى وحدها القادرة على جعل المواطنين أحرارا بمعنى الكلمة ، خصوصا وان « القانون » ـ فى نظر هيجل ـ انما هو « جوهر الارادة الحـرة » لأنه بمثابة تعبير عن تلك الارادة المعقولة التى تحررت من كل انانية . واذن فان « الدولة » ـ على نحو ما يفهمها هيجل ـ ليست مجـرد « تنظيم سياسى » ، بل هى تجسد فعلى للمثل الأعلى الأخلاقى ، او هى الصورة الواقعيـة للحرية العينية الموضوعية : Concrete, Objective Freedom .

والحق ان هيجل يتصور « الدولة » بصورة مختلفة كل الاختلاف عما درج عليـه فلاسـفة السياسة فى عصره ، فهو لا يرى فيهما تنظيما وضعيا أو عقدا اجتماعيا ، حققه الافراد لضمان حرياتهم ، وكفالة أمنهم ، بل هو يرى فيها حقيقة روحية أو واقعة معقولة تمثل وحدة الارادة العامة والارادة الذاتية ، وتضمن تحقيق ملكوت الله على الارض ! وهيجل يقرر أن مصلحة العقل المطلقة هى التى تقضى بقيام تلك « الحقيقة الروحية » او ذلك « الكل الأخلاقى » : لأن « القوانـين الأخلاقية » لا تستحيل الى « مبادىء عقلية » ثابتة الا فى ظل « الدولة » . وربما كان الفضل الأعظم ولئك الأبطال ـ الذين سجل لنا التاريخ اسماءهم ـ انهم قد نجحوا فى تكوين «دول» مهما كان نقص أو ضعف تلك « الدول » التى عملوا على تكوينها . وليس التاريخ فى الحقيقة سوى تاريخ تلك الشعوب التى عملت على تأسيس « دول ». وماذا عسى أن تكون « الدولة » ـ فيما يقول هيجل ـ ان لم تكن بمثابة المظهر الواقعى لعملية « تحقق الحرية » ؟ بل ماذا عسى أن تكون قيمة الفرد ان لم تكن هى تلك الحقيقة الروحيـة التى يستمدها من « الدولة » ؟

.. ان البعض ليظن أن « الدولة » واقعـة سياسية عملت على ايجادها ارادات الأفراد ، ولكن الحقيقة ـ فيما يرى هيجل ـ ان «الدولة» واقعة روحية تعبر عن وحدة الذاتى والموضوعى ، وتوافق الارادة الخاصة مع الارادة العامة . وحين يقول هيجل ان « الدولة» هى بمثابة المبدأ العقلى الذى يسجل شتى المظاهر الحضارية لشعب ما ، بما فى ذلك عاداته ، وأخلاقه ، وفنه ، ودينه ، وعلمه .. الخ ، فانه يعنى بذلك أن « الدولة » هى تلك الحقيقة الموضوعية التى تعبر عـن « روح الشعب » Volksgeist وبهذا المعنى يمكن القول بأن « الـدولة » انما هى ذلك « الكل العضوى » الذى تندمج فيه حضارة الشـعب ، وأنظمته وقوانينه ، وشتى عاداته الجمعيـة ، وكافة مصالحه العامة ، لكى تتكون من ذلك روح قومية موحدة هى ما اصطلحنا على تسميته باسم « روح الشعب » . ولهذا فان فكرة « الكل » Tatality تلعب دورا هاما فى تصور هيجل السياسى للدولة ، خصوصا وان المهمة الرئيسية للدولة عنده انما هى تحرير الفرد من الشعور بالغربة Alienation ، من أجل زيادة احساسه بالانتماء الى « الكل » أو «المجموع» .

بل ان هيجل ليمضى الى حد أبعد من ذلك فيخلع على « الدولة » طابعا دينيا ، ويقرر انه لا قيام للدولة الا على أساس دينى . وليس معنى هذا أن هيجل يخلط بين « المجتمع السياسى » و « المجتمع الدينى » ، وانما كل ما هنالك انه يرى فى « الدين » تعبيرا عما يعتقد كل شعب من الشعوب أنه « الحقيقة » فلا بد لهذا العنصر الدينى من أن يدخل فى صميم التراث الحضارى لكل دولة من الدول . وحسبنا أن نعود الى التاريخ ـ فيما يقول هيجل ـ لكى نتحقق من ان المجتمع الاثينى قد قام على دعائم الديانة الوثنية، كما أن الكثير من الدول الأوروبية الحديثة لم تقم الا على أسس دينيـة قوامهـا الروح الكاثوليكية او الروح البروتستانتية .. الخ . فليس الدين عاملا دخيلا على الدولة ، بل هو الدولة . وليس من شك فى أن تصور كل شعب للحقيقة الالهية انما هو عنصر جوهرى من عناصر حضارة هذا الشعب ، فلا موضع للفصل بين تنظيم الدولة السياسى ونوع ايمانها الدينى .

دستور الدولة باعتباره تعبيرا عن روحها الخاصة ...

اذا كان لكل دولة لغتها ، ودينها ، وافكارها، وعاداتها ، وحضارتها ، فان لكل دولة أيضا نظامها السياسى الخاص ، او دستورها الخاص .وليس دستور أى شعب او أى بلد مسألة وضعية تتوقف على اختياره الحر ، بل لا بد لهذا الدستور من ان ينبع من طبيعته التاريخية ، دون ان يتخذ صورة نظام خارجى يفرض عليه فرضا . والواقع ان دستور اى شعب من الشعوب انما يمثل ،

بالاضافة الى دينه ، وفنه ، وفلسفته ، وتصوراته وافكاره ، وحضارته بصفة عامة ، ذلك « الجوهر الواحد » أو تلك « الروح الواحدة » التي تشيع في أوصال هذا الشعب . وما دامت « الدولة » كلا موحدا لا سبيل الى اقتطاع أي جزء من اجزائه ، فلن يكون في وسعنا أن ندرس التنظيم السياسي لأية دولة باعتباره جانبا هاما يمكن افراده على حدة . ومعنى هذا أن دستور أي شعب من الشعوب انما هو على وجه التحديد ذلك النظام السياسي المعين الذي يلائم روح ذلك الشعب ، والذي يتوافق مع باقي القوى الروحية العاملة في صميم حياة ذلك الشعب .

وقد حاول نابليون أن يفرض على اسبانيا دستورا معينا ، ولكن هذه المحاولة قد باءت بالفشل ، على الرغم من معقولية ذلك الدستور ، لأن من العبث أن يفرض على أية دولة من الخارج نظام سياسي منقطع الصلة بتاريخها .

وكذلك ليس أمعن في الخطأ من أن تحاول دولة حديثة في أيامنا هذه استعارة نظامها السياسي من دساتير بعض الشعوب الاخرى القديمة ، كاليونان أو الرومان أو الشرقيين . حقا ان فلسفة الاقدمين هي الدعامة الحقيقية التي قامت عليها فلسفة المحدثين ، كما أن الفن اليوناني لا يزال أسمى نموذج فني يمكن أن يحتذى به أي فن من الفنون في العصور الحديثة ،ولكن من المؤكد أن الأنظمة السياسية القديمة لا تصلح بحال ما من الأحوال امثلة حية نحتذيها نحن اليوم في أنظمتنا السياسية . وصفوة القول ان دستور كل دولة نابع من طبيعتها التاريخية ، وأن تنظيمها السياسي لا بد من أن يجيء معبرا عن روحها الخاصة ..

اشكال الدول ...

ولو اننا عدنا الى التاريخ من أجل استقصاء اشكال الدول ، لوجدنا أن ثمة أشكالا أخرى كبرى ثلاثة تعبر كل منها عن درجة معينة من درجات تحقق الحرية في الحياة السياسية للافراد . فهناك أولا الشكل الاستبدادي Despotic ، وهو ذلك التنظيم السياسي الذي كان سائدا لدى الشعوب الشرقية قديما ، وبمقتضاه يتمتع فرد واحد بالحرية ، ويكون باقي الأفراد أطفالا لا ارادة لهم ولا حكم ، بل ليس عليهم سوى أن يخضعوا لأوامر ذلك الوصي الذي يفرض ارادته عليهم . والشكل الاستبدادي من أشكال الحكم يمثل طفولة الجنس البشري ، لانه يضعنا بازاء حاكم مستبد يشعر شعورا واضحا بكل ما يريده ، ويدرك ادراكا صحيحا كل ما يكمن وراء افعاله من بواعث، وكل ما ترمي اليه أفعاله من غايات . وأما باقي افراد الشعب فهم ملزمون بالخضوع لأوامر ذلك الحاكم والانصياع لأحكامه ، دون أن يكون من حقهم التفكير في أوضاعهم ، أو العمل على تفهم احوالهم ، والا فان في وسع ذلك السيد الآمر أن يضطرهم الى تنفيذ اوامره بالعنف وضرب السياط !

وأما الشكل الثاني من أشكال الحكم فهو الشكل الديمقراطي Democratic أو الارستقراطي Aristocratic وسواء أكانت الديمقراطية تامة ، أم كانت مجرد جمهورية ارستقراطية ، فاننا في كلتا الحالتين لا بد أن نلتقي بعدد غير قليل من الأفراد يتمتعون بالحرية ، ولكن دون أن تكون الحرية حقا للجميع على السواء . فالدولة الديموقراطية انما هي تلك التي يتمتع بعض أفرادها بالحرية ، في حين يرزح الباقون منهم تحت نير العبودية ، ولا يكون من حقهم سوى الخضوع للنظام السياسي المفروض عليهم بالقوة . وقد ساد هذا النظام في شباب التاريخ البشري ، فكان العالم اليوناني خير معبر عن النظام الديموقراطي ، وان كان اليونانيون قد أسرفوا في تقدير الفرد (ألا وهو المواطن اليوناني) ، فضحوا بالمثل الأعلى في سبيله أو في سبيل الأسرة أو الطبقة ، مما أدى الى اضمحلال انظمتهم السياسية .

وأما الشكل الثالث من أشكال الدولة فهو الشكل الملكي : Mona chic ، وهو يعبر عن شيخوخة التاريخ البشري ، على نحو ما عبر عنها العالم الجرماني . وهنا قد يبدو أن الأمر والنهي لشخص واحد ، ولكن الحقيقة أن شخص الملك ليس فوق القوانين التي يسنها ، بل ان الملك لهو أول من يخضع لتلك القوانين ويعمل على تنفيذها. والواقع ان الملكية ــ فيما يقول هيجل ــ تشخص الدولة وتجسد الفكرة القومية في زعيم واحد يكون محلا لسلطانها ورمزا لتقاليدها ، وكأنما هو « الارادة الملكية » ذاتها وقد استحالت الى

« ارادة شخصية » . وهيجل يضع الى جوار الملك مجلسا تشريعيا يستنير برأيه ، وينادى بضرورة قيام دستور يخضع له الملك ، ولكنه يقرر ان الحاكم ــ فى ظل هذا النظام ــ يتمتع بسلطة مطلقة ، سائرا فى احكامه على هدى الروح الذى يؤيده ويجنبه الانحراف الى الأنانية والطغيان . ولا يضع الملك أى قانون اللهم الا بعد أن يوافق عليه مؤيدوه موافقة حرة : لأنهم يدركون أنه محق فى العمل على تحقيق كل ما يريد تحقيقه ، وبالتالي فانهم يؤيدونه ويعضدونه عن طواعية واختيار . وفى ظل هذا النظام يكون الجميع احرارا ، ويكون قوام الدولة هو اتفاق الحاكم مع المحكومين اتفاقا حرا (ما دام هؤلاء يقبلون حكمه بمحض اختيارهم) ، ومن ثم فان النظام الملكي ــ فى رأى هيجل ــ انما هو الشكل الوحيد من أشكال الحكم الذى يكفل تحقق التنظيم الالهي على الارض !!

والواقع أن هيجل لا يريد للدولة أن تظل « قوة مجردة » ، ولهذا فانه ينادى بضرورة استحالة الدولة الى شخص واقعى من لحم ودم. ومثل هذا الشخص الذى يتمتع بالحق المطلق ، ويضع القوانين ، ويعمل على تنفيذها ، ويسهر على تحقيق العدالة ، لا بد من أن يبدو بصورة اله ارضى ، فليس بدعا ان نرى هيجل يجعله مسئولا أمام ضميره وأمام الله وحده ! فالملك هو العقل اللاشخصى وقد صار عقلا واعيا ، أو هو الارادة العامة وقد استحالت الى ارادة خاصة . وهكذا نرى أن سيادة الدولة ــ فى الحكم الملكى ــ انما هى مجرد تعبير عن سيادة العقل ، وضرورة اندماج الأجزاء فى « الكل » ، فى رأى هيجل !

نظرة أخيرة ...

اما بعد ، فقد وجد الكثيرون فى فلسفة هيجل السياسية أعلى صور تقديس الواقع ، لأنهم لاحظوا أن اعلاءه من شأن النظام الملكى لم يكن سوى تبرير للنظام السياسى الذى كان قائما فى بروسيا فى ذلك الوقت . ولعل هذا هو السبب فى حملة هيجل على الأنظمة السياسية التى ترتبت على الثورة الفرنسية ، فى حين انه هو نفسه كان ــ فى شبابه ــ أول المعجبين بشعارات الثورة الفرنسية ! وقد بالغ هيجل فى حملته على الديموقراطية فذهب الى أن « المساواة » لا يجب أن تتعدى تساوى الأفراد أمام القانون . واما اعطاء جميع الأفراد حقا واحدا متساويا فى سن القوانين وادارة شئون الدولة ، فهذا فى نظره محض هراء ! وحينما نعطى حق الانتخاب للجميع على السواء ، فاننا عندئذ انما نضع على قدم المساواة المتعلم والجاهل ، والمتخصص والعامى ، والذكى والابله، والسوى والشاذ ! وان شعبا ينظم دولته على هذا النحو لهو ــ فى رأى هيجل ــ شعب مأفون يهذى ويحتضر ، شعب يسوده العسف والظلم واللا اخلاقية والقوة الغاشمة العمياء ! ولهذا فان هيجل يرى انه لا بد من القضاء على شتى النظريات السياسية التى نبعت عن الثورة الفرنسية ..

واما الاتهام الأكبر الذى يوجه الى هيجل فهو انه قد دعا الى « عبادة الدولة » ، حتى أن البعض ليذهب الى اعتباره الأب الحقيقى لشتى النزعات الجماعية الاستبدادية Totalitarianism التى ظهرت فى نهاية القرن التاسع عشر . وليس من شك فى أن هيجل قد حمل على شتى النزعات الفردية المتطرفة ، فضلا عن أنه قد رفض تلك النظريات السياسية التى كانت تعتبر الدولة نتيجة لتعاقد تم بين الأفراد ، ولكن من المؤكد أن فهم هيجل للحرية هو الذى املى عليه اعتبار الفردية مصدرا لكل فوضى وانحطاط ، وهو الذى حدا به الى العمل على التوفيق بين الارادة الذاتية والارادة العامة . ومهما كان من أمر اعجاب هيجل بقوة التاريخ ، فان من المؤكد انه لم يُرد للفلسفة السياسية أن تحلق فى سماء المدن الفاضلة بل هو قد اراد لها أن تعنى بتحليل الواقع . وقد استطاع هيجل أن يفهم الظاهرة السياسية على حقيقتها ، ففصلها عن كل من الظاهرة الاقتصادية والظاهرة القانونية ، وحاول أن يبين لنا كيف أن السياسة هى الأداة الصحيحة لتحقيق حرية الشعوب . ولكن فلسفة هيجل السياسية قد بقيت مشوبة بطابع نظرى صرف ، مما جعل ماركس يحمل عليها بشدة ، مؤكدا « أن الفلاسفة قد صرفوا همهم حتى الآن نحو تأويل العالم على انحاء عدة ، فى حين أن بيت القصيد ان نعمل على تغييره » . ■■

زكريا ابراهيم



ساعة الفزع في البحر

بقلم : حسن الجداوى
المحامي لدى محكمة النقض

■ المفروض في المحامي انه ـ بحكم مهنته ـ انسان حذر لا تنطلي عليه حيل الخصوم ، يبصر موكليه بمواضع الخطر في تصرفاتهم ، ويفتح عيونهم الى ما قد يخفى عليهم من مزالق ، فهو أولى الناس بأن يبصر نفسه ويفتح عينيه .

وينقسم المحامون في انجلترا الى طائفتين منفصلتين تمام الانفصال ـ محامين مترافعين يسمونهم بارسترز Baristers . ومحامي اجراءات ـ يسمونهم ـ سوليسترز Solicitors ـ يتوكلون عن اصحاب القضايا ، ويمثلونهم امام المحاكم الصغرى ، ويوكلون عنهم المحامين المترافعين ويتابعون القضايا ويحررون العقود ويتولون اعمال التوثيق .

وكان صاحبنا ـ وليم هنري باربر ـ الذي سنتولى شرح قضيته فيما يلي ـ محاميا من النوع الثاني ـ بدا حياته كاتبا في احدى القرى الصغيرة واقتصد مبلغا صغيرا من المال حمله ـ وحمل معه طموحا لاحد له ـ وجاء الى لندن ، تلك المدينة المترامية الاطراف العديدة السكان ـ يسعى فيها لتحقيق مطامعه .

والمحامون من امثاله ـ وخاصة في المدن الكبرى ـ يبداون عملهم بالاشتراك في مكتب مؤثث له عملاؤه وبه قضاياه ، او يشترون مكتبا قديما وطيد الاركان .

ولما كان ما لدى باربر من مال لا يكفي لشراء مكتب ـ ولانه لم يوفق الى مكتب يشترك فيه ـ اتفق مع زميل له واشتركا في تاسيس مكتب لهما صرفا عليه كل ما لديهما من مال ، ووضعا لافتة نحاسية على بابه وانتظرا الفرج .

ولكن اصحاب القضايا لا يعهدون بقضاياهم عادة الا الى المكاتب القديمة التي اثبتت جدارتها. وبقي باربر وشريكه ينشان الذباب ـ حسب التعبير الدارج ـ لايكادان يجدان مصاريف المكتب لمدة سنتين لم طرق الحظ بابهما فجاة وبدون مقدمات .

جاءهما الحظ في شخص جراح متقاعد واسع الثراء يملك عددا من العمارات اسمه جشوا فليتشر Fletcher ولديه اعمال قضائية ونزاعات بينه وبين المستاجرين ، وعرض على باربر ان يتولى جميع تلك الاعمال . لم يكن يدفع اتعابا كبيرة ولكنها كانت دفعات مستمرة كان المكتب باشد الحاجة اليها . وكان باربر يرحب به كلما حضر الى المكتب ويسارع الى تلبية طلباته ـ حتى ولو كانت لا تدخل في نطاق الاعمال القضائية المحضة . . . ما دامت في حدود القانون . اذ كيف كان يستطيع ان يغضب ذلك العميل الذي فتح له باب الرزق .

واخذ فلتشر يكثر التردد على باربر وقد بيت امرا. فهو يهودي مغامر لا يتورع عن الاقدام على اي عمل ما دام يجد فيه مالا يكسبه . وفي ذات يوم ـ بعد ان تاكد ان باربر لا يرد له طلبا ، حدثه عن موضوع اعمال قضائية يمكن ان يستفيد كلاهما منها . قال له ان بنك انجلترا قسما خاصا بايرادات الاسهم التي لا يطالب بها اصحابها . ذلك ان البنك كان يتوقف عن دفع ايرادات اية اسهم مودعة



لديه يتوفى صاحبها الى ان يطالب بها من لهم الحق فى استلامها . وكان البنك يضعها فى حساب خاص ويضيف اليهـا فوائـد مركبـة لمدة عشر سنوات . فاذا لم يتقدم احد للمطالبة بها كان البنك يستعمل تلك المبالغ وما اضيف اليها من فوائد فى تخفيض الدين العام . ولم يكن هـذا التصرف من البنك يستند على اساس من القانون، ولكن البنك كان يفعل ذلك لا يقاف الفوائد المركبة فاذا تقدم بعد ذلك من له حق استلام المبالـغ صرفها له .

وقال فلتشر انـه اذا عثر على اصـحاب تلك الاموال ، وسهل لهم سبيل الحصول عليها ، فلا شك انهم يدفعون اتعابا مجزية ، فقد وصلت اليهم مبالغ كانت بالنسبة لهم فى حكم المفقودة . واضاف انه اتفق مع موظف بالبنك اسمه كريستماس على ان يعطيه عمولة خمسة فى المائة من كل مبلـغ يرشده عن اصحابه ويتصرّف لهم . وعرض فلتشر على باربر ان يتولى اعمال البحث عن اصحـاب تلك الاموال واتمام الاجراءات القانونية ليحصلوا عليهـا .

وتردد باربر فى قبـول ذلـك العرض المغرى لسببين . الاول : ان عملية البحث عن اصحاب تلك الاموال ليست من صميم اعمال المحامي ، والثاني : ان دفععمولة لموظف البنك مناف لقواعد مهنة المحامى.ولكن فلتشر اقنعه بان هذه العملية وان كانت لا تدخل فى صميم عمل المحامى الا انها ليست عملية تنافى الاخلاق بل على العكـس فان فيها رد حقوق لاصحابها . اما عن العمولة فـلا شان للمحامي بها . ذلك ان فلتشر ـ باعتباره صاحب الفكرة ـ يستحق عمولة يقبضها مـن اصحاب تلك الحقوق التي كانت ضائعة ، وانـه سيدفع منها لموظف البنك العمولة المتفق عليها . ولم يكن باربر فى حاجة لاكثر من ذلـك ليقتنـع فحالة المكتب المالية لا تسمح بالاستغناء عن ايراد كهذا الايراد .

★★★

ولما ايقن فلتشر ان باربر قد قبل قال له انـه سيعهد اليه بهذه العملية تحت شرط اساسى هو ان لا يذكر اسمه ـ اى اسم فلتشر لاى عميل يقدم له اسمه . ولو ان باربر كان من المحامين الحذرين لادرك انهذا الشرط يخفي شرا ولكن «ساعة القدر يعمى البصر» . فقبل باربر وشمّر فلتشرعنساعد الجد وبدأ يعمل .

كريستماس موظف البنك يقدم اسماء اصحاب المبالغ المتروكة ، وفلتشر يقدمها لباربر ويكلفـه بالبحث عن اصحابها ، وهذا الاخير يتحرى الى ان يعثر على عناوينهم ويذهب اليهم ويتخـذ الاجراءات التي توصلهم الى قبض مبالغهم . وفى خلال ثلاث سنوات امكنه اسعاد تسعة اشخاص ، فكان فلتشر يقبض عمولته منهم ويدفع لموظف البنك عمولته بواقع خمسة فى المائة من رأس المال ، بينما لا يحصل باربر وشريكه الا على الاتعاب القانونيـة الضئيلة التي لا تتناسب مع المجهود الذى يتطلبه البحث . وعم الرضا جميع الاطراف . اصحـاب الودائع نزلت عليهم مبالغ من حيث لا يدرون ، وموظف البنك وفلتشر سعيدان بعمولتيهما ،وحتى بنك انجلترا سر بهذا الجهد لانه وضع حـدا لعملياته التى لم تكن قانونية مائة فى المائة . اما باربر فانه ككل انسان محدود الرزق كان مغتبطا بالاتعاب القليلة التى كان يتقضاها .

ولكن ... ليست فى كل مرة تسلم الجرة ... عهد فلتشر لباربر بحالة عاشرة عن اسهم قيمتها ٢٥٠٠ جنيـه استرليني ، كانت مملوكة اصلا لسيدة اسمها آن سلاك ، تقيم بشارع سميث ببلدية شيلسى . وكانت قد تنازلت عنها لشخص

يدعى هيوم . ولكن هيوم هذا توفى قبل ان يسحب الاسهم . ويبدو ان مس سلاك لم تعلم بوفاته او انها لم تهتم بان تطالب باسهم تنازلت عنها وبقى المبلغ فى البنك . وقال فلتشر انه لو امكن الوصول اليها وافهامها انمنحقها انتطالب باسترداد المبلغ اخذت هذه العملية طريق العمليات السابقة .

وافضى فلتشر الى باربر بانه توصل الى معرفة مكان السيدة آن سلاك وانها تقيم الآن بمدينة ابوت ، وطلب منه ان يتحرى اذا كانت تلك السيدة هي آن سلاك المقصودة وقال انه اذا ظهر ان تلك السيدة ليست هي المقصودة فهناك سيدة اخرى بهذا الاسم كانت تقيم فى وقت ما فى شيلسى .. وأدت تحريات باربر الى العثور على السيدة الاخيرة ، وقالت له انها تملك ستة الاف جنيه ولكنها لا تعلم شيئا عن مبلغ ٢٥٠٠ جنيه . ولكنه من باب الاحتياط اخذ نموذجا من توقيعها لمقارنته بالتوقيع الموجود فى سجلات البنك . وعرض النموذج على فلتشر فقال له انه يخالف التوقيع الموجود بسجلات البنك فهى اذا ليست السيدة المقصودة ...

ووجه باربر تحرياته الى مدينة ابوت فاكتشف ان آن سلاك المذكورة قد توفيت اخيرا واوصت بالمبلغ الى ابنة اخيها واسمها جين سلاك التي اظهرت رغبتها فى الحصول على المال وقدمت جميع المستندات المثبتة لوراثتها . ودهش بعد ذلك لان جين سلاك كتبت اليه تتنازل عن المطالبة بالبلغ . ولما اظهر لفلتشر دهشته من ان سيدة فقيرة فى حاجة الى ذلك المال تعدل بدون ابداء اسباب عن المطالبة بالمبلغ ، اظهر فلتشر عدم الاهتمام ، وقال ان الانسان يجب ان لا يتوقع النجاح فى كل عملية يتولاها . ثم اضاف انه وصل الى علمه نبأ سيدة ثالثة باسم آن سلاك كانت تقطن شيلسى وانه اتصل بابنة اخيها ولم يعد لديه ادنى شك فى انها المقصودة لان مبلغ الـ ٢٥٠٠ جنيه مذكور فى وصية عمتها لها ، وانها كانت على وشك المطالبة بالبلغ ، وان ذلك من سوء حظه لانه لا يحق له ان يطالبها بعمولته ، ولكنه رغبة منه فى مساعدة تلك السيدة ومساعدة المكتب قد اشار عليها بان تلجأ الى باربر لخبرته فى انهاء هذه المواضيع واتفقا على ان يحضر معها فى الغد .

★ ★ ★

ولو آن الاحتياط كان طبيعة فى باربر لوجد ان من الغريب ان يتكرر اسم آن سلاك ثلاث مرات فى حى صغير ، ولكن حسن ظنه بالناس ، وثقته العمياء فى فلتشر ، منعاهمن ان يتنبه لذلك . وجاءت جين سلاك الى المكتب ومعها وصية عمتها وشهادة وفاتها ، وقال فلتشر ان توقيع العمة على الوصية مطابق لتوقيعها فى سجلات البنك ، واخذ باربر هذه الاقوال قضية مسلمة،واتخذ الخطوات اللازمة للتصديق على الوصية . ولما كان التصديق يتطلب رسوما قدرها ٨٠ جنيها ، وعجزت جين سلاك عن دفعها ، تطوع فلتشر بدفعها عنها .

وصحب باربر جين سلاك الى البنك ، وفحص البنك اوراقها بدقة ، وكان المبلغ قد وصل بسبب الارباح المركبة الى ٤٦٠٠ جنيه دفعها لها البنك مقابل ايصال . وطلبت جين ان يدفع لها البنك من المبلغ ٦٠٠ جنيه ذهبا ، فلما تبين ثقلها حمل باربر الكيس الذى يحوى الستمائة جنيه وهو ما يفعله كل رجل راق يصاحب سيدة . وذهبا الى مكتب بابر فدفعت لفلتشر جنيهاته الثمانين وعليها هدية رمزية خمسة جنيهات واحتجز باربر اتعابه وقدرها خمسة عشر جنيها ، ومضت الانسة جين بما تبقى من المبلغ وقدره ٤٥٠٠ جنيه .

ومضى على ذلك ستة اشهر . وبينما باربر فى مكتبه قدم اليه زائر . زميل له لم يسبق له التعرف به ، هو محامى بنك انجلترا ، وروى له حكاية تختلف كل الاختلاف عما يعرفه باربر . قال الزميل : انه منذ اثنى عشر عاما كانت تقيمفىشارع سميث فى شلسى آنسة باسم آن سلاك اعطت توكيلا لشخص اسمه هيوم ليقبض عنها اسهما قيمتها ٢٥٠٠ جنيه . وان هيوم هذا توفى قبل ان يقبض المبلغ ، ومضت السنوات دون ان تطالب مس سلاك بهذا المبلغ فوضع ضمن المبالغ التى لا يطالب بها اصحابها ..

ولما كان لآن سلاك هذه وديعة اخرى تدر عليها ايرادا سنويا قدره خمسماية جنيه كان البنك يرسلها اليها فى عنوانها فى شيلسى ثم فى مدينة ابوت التى انتقلت اليها .

ولما صرف مبلغ الـ ٢٥٠٠ جنيه الى ابنة اخيها تعين ان يكتب امام اسمها فى سجلات البنك كلمة « متوفاة » . ولكن احد كتبة البنك اخطأ وكتب تلك الكلمة امام اسم الانسة سلاك فى الحساب الآخر ايضا .. وتوقف صرف الايراد السنوى اليها بطبيعة الحال . فتقدمت بشكوى واجرى البنك تحقيقا تبين منه ـ بما لايدع مجالا لشك ان

تلك الآنسة هي صاحبة الـ ٦٠٠٠ جنيه والـ ٢٥٠٠ وانها لم تمت ولم تكتب وصية ، ويكون صرف مبلغ الـ ٢٥٠٠ تم بطريق التزوير .

وطلب المحامي من زميله تفسيرا لما حدث .

وقع الخبر على باربر وقوع الصاعقة . وانكر بشدة فهو موقن انه لم يرتكب غشا ولا تزويرا . وقال ان السيدة التي صرف اليها المبلغ قد قدمها الى مكتبه عميل محترم لا يتطرق اليه اى شك .

وقال محامي البنك « لا يا شيخ » أو « على مين ؟ » او ما شابه ذلك من عبارات الاستنكار .

وقال ان تحريات البنك اثبتت ان باربر ــ قبل سحب المبلغ بستة اشهر ــ قد بحث عن مس آن سلاك الحقيقية وزارها في منزلها لهذا الغرض وحصل على صورة من توقيعها ، وكان يستطيع ان يصرف لها المبلغ قبل وفاة عمة موكلته المزعومة بستة اشهر . فهو ــ اذا ــ قد قام بدور ايجابي في عملية النصب والتزوير ، وان من مصلحته الافضاء باسم ذلك العميل كبير المقام الذى احضر اليه موكلته التي قبضت ما لا حق لها في قبضه .

ولو ان باربر تنبه الى خطورة مركزه لوضع جميع اوراقه على الطاولة وافضى باسم فلتشر مضحيا بوعده له ان لا يذكر اسمه . ولكن منطق باربر انحرف هنا وجرى تفكيره على الوضع الآتي : لقد وعد فلتشر ان لا يذكر اسمه . وسر المهنة يحتم عليه ان يحترم ذلك الوعد . ومصلحة باربر تحتم عليه ان يحترم وعده والا فقد اكبر عميل له في مكتبه وهو لا يزال بعد بحاجة اليه . وهم يتهمونه بالتزوير وهو لم يزور ، وبالنصب وهو لم ينصب ، فقد اخذ اتعابا قانونية ضئيلة لعمل قانوني . لذلك قال غاضبا ان على زميله ان يثق بكلمته حين يقول ان العميل الذى عرّفه بالعميلة رجل شريف لا يمكن ان يرتكب نصبا او تزويرا ولا ترقى اليه الشبهة . ولم يدر انه بموقفه هذا قد زاد موقفه حرجا وقوى الشكوك ضده .

★ ★ ★

واسرع باربر الى مقابلة فلتشر وروى له ما حدث وطلب منه ان يعفيه من وعده بعدم ذكر اسمه . ولكن فلتشر تمسك بموقفه وانه لا يريد ان يذكر اسمه . وهو موقف يدعو للشك وكان يحتم على باربر ــ وهو في حالة دفاع عن النفس وعن الشرف ــ ان لا يستجيب . ولو فعل ، وذكر لزميله محامي البنك كل ما لديه من معلومات ، لانقذ نفسه من متاعب والام توالت عليه بعد ذلك . فلم تكد تمضي ثلاثة اسابيع حتى القي القبض عليه ووجهت اليه تهمة استعمال اوراق مزورة مع علمه بتزويرها .

واحيل باربر الى محكمة البوليس وهي محكمة اجراءات أشبه بقاضي الاحالة تقضي اما باحالة المتهم الى محكمة الجنايات او بأن لا وجه لاقامة الدعوى عليه . وكانت التهمة التي وجهت اليه ان جين سلاك التي تقدمت للبنك وقبضت المبلغ امراة لا وجود لها ، وان باربر استعان بامرأة مجهولة ويصر على عدم الافضاء باسم من عرفه بها ، فهو ــ اذا ــ دبّر مؤامرة وادخل الغش على البنك . ولو كان القانون يسمح للمتهم بالادلاء بأقواله ــ في هذه المرحلة ــ لاستطاع ان يفضي بالحقيقة وكل ما كان يبيحه القانون للمتهم هو ان يستدعي شهودا يدلون بمعلوماتهم .

وكان طبيعيا امام الخطر الذى بدا يشعر بتعرضه له ان يطلب من فلتشر ان يدلي بشهادته ولكن فلتشر ابى ان يلبي طلبه . ولم يسع باربر الا ان يلقي بالسرية التي وعد بها جانبا واعلن فلتشر شاهدا في الدعوى وبدأت من هنا متاعبه .

صور فلتشر موقفه بانه رجل خير اراد ان يسدي خدمة الى اصحاب حقوق ضائعة فعهد الى باربر باعتباره من رجال القانون لاتخاذ الاجراءات الموصلة لتحقيق الغرض المقصود . ولكن محامي بنك انجلترا وممثل الاتهام استجوباه ووجها اليه وابلا من الاسئلة فانهار ووضح للمحلفين انه نصاب سعى للحصول على مال حرام بطريق التزوير فاصدروا قرارهم باتهامه والقي القبض عليه ووجهت اليه تهمة الاشتراك مع باربر في جريمتي التزوير والنصب .

ولو كان باربر قد احتفظ بدفاعه امام محكمة البوليس لاستطاع ان يستشهد بفلتشر امام محكمة الجنايات اما الآن ــ وقد اصبح فلتشر متهما فلم يعد لايهما ــ طبقا لقانون ذلك الوقت ــ ان يدلي بشهادته ، وضاعت الفرصة الاخيرة التي كان يمكن ان يحصل فيها باربر على حكم ببراءته .

وفي الفترة ما بين جلسة الاحالة وجلسة المحاكمة كان البوليس يجرى تحرياته فتوصل الى معلومات كثيرة ادت الى اتهام اشخاص آخرين . هم رجل يدعى سباندرز وزوجته واختها فقد اكتشف البوليس ان ثلاثا من المطالبات التي نجحت قبل مطالبة مس جين سلاك تمت بطريق التزوير . وقال البوليس ان فلتشر هو

المحرك لجميع هذه التزويرات ، وساندرز هو اليد العاملة ، وان زوجته واختها قامتا بدور المطالبات للاموال المتروكة ... وان باربر تولى اجراءات اثبات الوصايا وتقديم الطلبات للبنك .

بقيت امام باربر فرصة واحدة لاثبات براءته او على الاقل حسن نيته ، وذلك بان يطالب بمحاكمته عن كل قضية على حدة . ففي هذه الحالة كان يستطيع ان يدعو فلتشر شاهدا . فقد كان القانون لا يمنع من سماع شهادة متهم في قضية غير التي يحاكم فيها . ولكن اجابة هذا الطلب لا تجوز الا اذا وافق الاتهام . فلما تقدم محامي باربر يطلب فصل القضايا اعترض ممثل الاتهام بدعوى ان نظر القضايا في جلسة واحدة في مصلحة العدالة . فقضى بذلك على آخر امل لباربر .. وازداد مركز باربر حرجا حين طلب احد المتهمين ان يكون شاهد ملك وحين قالت اخت مدام ساندرز انها مذنبة .

وعرضت القضية الاولى فحكم على المتهمة المعترفة وعلى فلتشر وبرات المحكمة باربر لعدم ثبوت التهمة عليه .

ثم عرضت قضية مس جين سلاك . فظهر ان التوقيع الاول الذي كان قد حصل عليه باربر ، والذي قال له فلتشر انه يختلف كل الاختلاف عن توقيعها الذي رآه في البنك ، هو توقيعها الصحيح وان جين سلاك التي كانت قد تقدمت بالطلب الاول وعدلت عنه بغير سبب معقول هي زوجة ساندرز وان سبب عدولها خطأ مادي ارتكب اثناء تحرير محضر الوفاة فلما اريد تصحيحه اصر الموظف المختص على حضور المبلغ ـ وهو ساندرز ـ وان هذا الاخير خاف ولم يقبل ان يقدم نفسه للموظف المختص لذلك اشار فلتشر على مسز ساندرز ـ التي انتحلت اسم جين سلاك ـ ان تعدل عن الطلب . ثم ساروا في عملية التزوير من جديد فحررت وصية جديدة كتبتها اخت مسز ساندرز وتقدمت مسز ساندرز الى باربر باعتبار انها جين سلاك وقدمها بدوره الى البنك وقبض لها المبلغ .

ووضح ارتكاب المتهمين للجريمة بما لا يدع مجالا لشك ... فيما عدا باربر . أهو مجرم عتيد ام رجل بريء اوقعه في الفخ ثقة عمياء في فلتشر ؟ لقد قال الدفاع عنه ان كل ما حصل عليه من صفقة مسز ساندرز (جين سلاك) هو مبلغ ١٥ جنيها وهي اتعابه القانونية . فهل يعقل ان يرتكب محام جريمة تزوير ويعرض نفسه ومستقبله للضياع للحصول على مبلغ زهيد كهذا ؟ ولكن جاء على لسان الشهود ان مبلغ ستمائة جنيه ذهبا كان ضمن الـ ٤٦٠٠ جنيه التي دفعت وان الذي حمل هذا المبلغ هو باربر . واستقر في ذهن المحلفين ان هذا المبلغ لا بد أن يكون نصيب باربر . فادانوه رغم صراخه بأنه بريء . وصدر الحكم عليه وعلى فلتشر بالنفي مدى الحياة وعلى الآخرين بعقوبات اقل .

ومضى الى منفاه في جزيرة نورفولك وقد اظلمت الدنيا في وجهه ويئس من عدالة الارض .

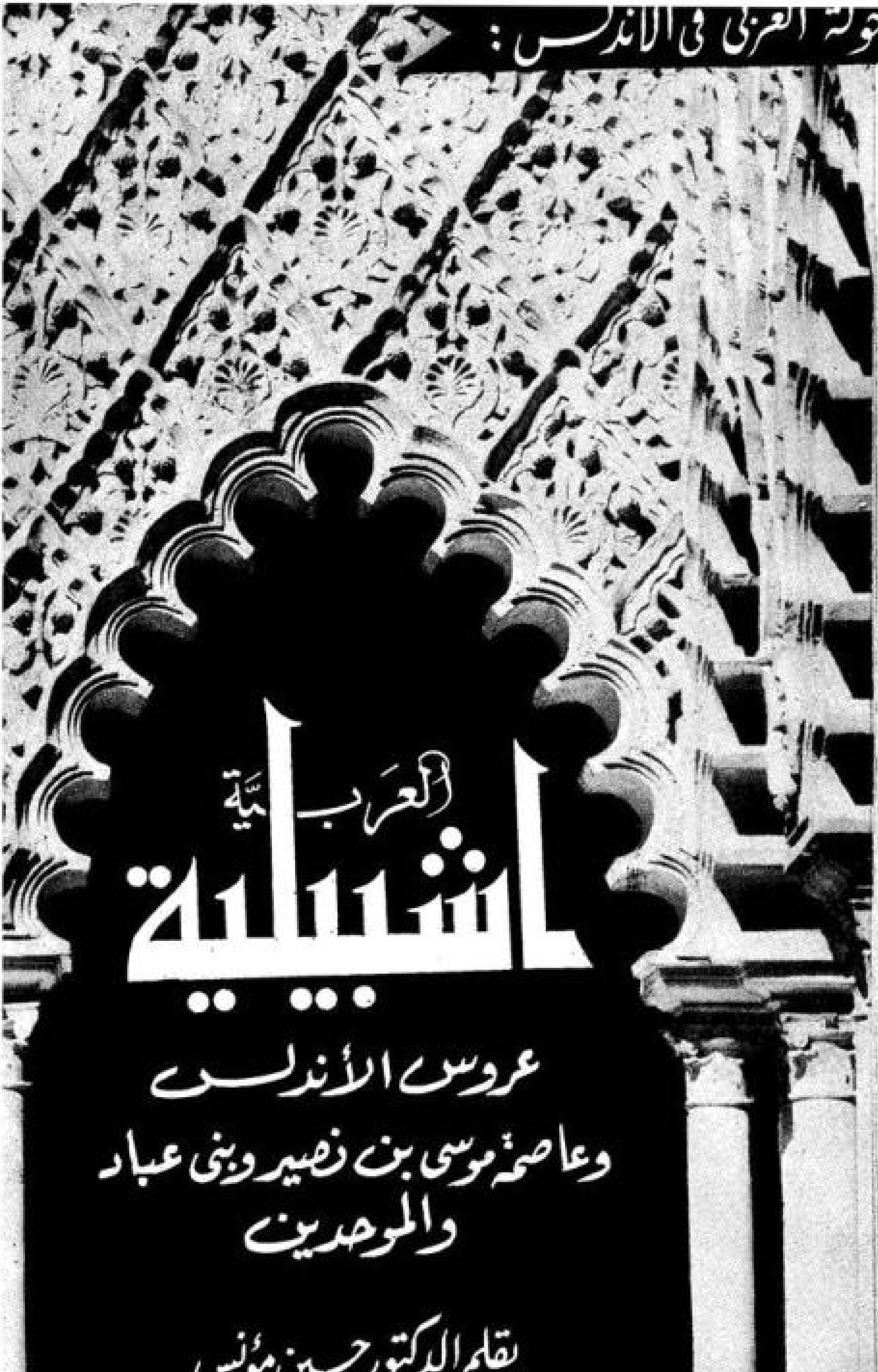
وكان يمكن ان يقضي البقية الباقية من حياته في ذلك المنفى السحيق ، ولكن عدالة السماء ادركته . لقد كان من حسن حظه ـ وحسن حظ العدالة ـ ان قسيس القرية التي حكم على باربر بان يقضي مدة العقوبة فيها كان من نوع الرجال المناضلين الذين اذا اعتقدوا في امر بذلوا جهودهم لتحقيقه مهما كلفهم من صعاب . وقد آمن القسيس من احاديثه مع باربر ومع فلتشر ان باربر بريء ، فآلى على نفسه ان ينقذه من الحكم الذي صدر ضده .

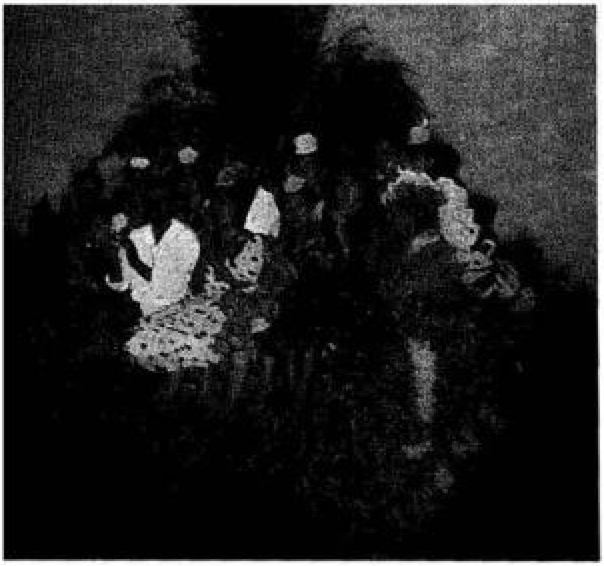
ارسل القسيس خطابا الى وزير الداخلية ولكن وزير الداخلية لم يرد . وارسل خطابا آخر اشد لهجة واكثر ايضاحا ، ولكن وزير الداخلية ظل في موقفه . ولكن القسيس لم ييأس . ارسل زوجته الى انجلترا بخطاب ثالث ومجموعة من المقالات فقدمت الخطاب لوزير الداخلية ، وقدمت المقالات الى الصحف اليومية التي اهتمت بالامر ، فلم يسع وزير الداخلية الا ان يامر باجراء تحقيق جديد اعترف فيه فلتشر بان باربر لم يكن يعرف ولا خامره ادنى شك بان المستندات التي كانت تقدم له مزورة وانه لم يحصل من عمله الا على اجره القانوني .

وتقدم وزير الداخلية للملكة طالبا منح باربر عفوا شاملا . وعرض موضوعه على لجنة برلمانية درسته وقررت منح باربر تعويضا مقداره خمسة الاف جنيه .

واعيد قيد اسمه في جدول المحامين . وعاد للمهنة بعد ان تعلم درسا ليس من السهل عليه نسيانه . ■■

حسن الجداوي

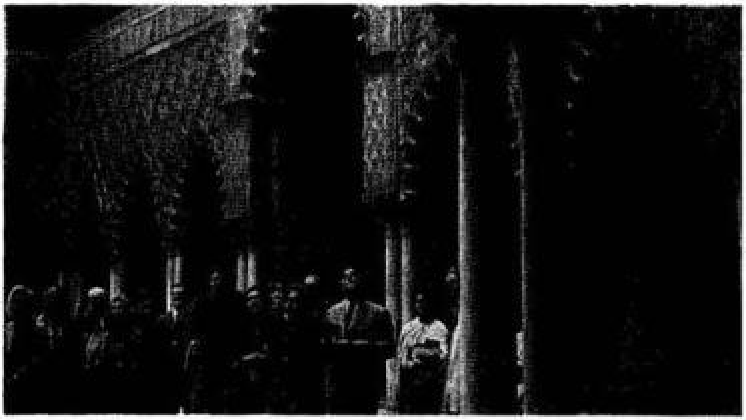

جولة العربي في الأندلس :
إشبيلية العربية
عروس الأندلس
وعاصمة موسى بن نصير وبني عباد
والموحدين
بقلم الدكتور حسين مؤنس
مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد



أرسل « العربي » بعثته الى الاندلس ، وتضمنت المحرر سليم زبال والمصور أوسكار متري ، وفي مدريد التقيا بالدكتور حسين مؤنس / مدير معهد الدراسات الاسلامية بها ، وتعاونوا في استطلاع اشبيلية وغيرها من مدن الاندلس التي سوف ننشر استطلاعاتها تباعاً .

● في أحد أبهاء القصر ، جماعات بعد جماعات من السائحين تحط وتشيل . آثارنا العربية في أسبانيا تلي الفاتيكان في روما في كثرة السائحين الذين يزورونها







النخلة العربية تزين حدائق اشبيلية الحديثة



الحمام الابيض رمز السلام والمحبة .. طابعى اشبيلية

● تتميز اشبيلية بمهرجاناتها واحتفالاتها ذات الطابع المحلى الجميل .. وتحتل أغصان شجرة الزيتون التى نقلها العرب معهم الى اسبانيا ، مكان الصدارة فى عربات المهرجان .

★★★

الى أسفل : منظر عام لاشبيلية مأخوذ من الضفة الغربية للوادى الكبير . يبدو فى المقدمة برج الذهب ومن ورائه الخيرالدا ـ مئذنة المسجد الجامع الذى زال ـ والمبنى الكبير الحديث جزء من مبانى جامعة اشبيلية والقنطرة التى نراها حلت محل القنطرة العربية القديمة التى كانت تسمى قنطرة طريانة ، الآن قنطرة سان تيلمو .



■ من الاخطاء الجارية علـى الالسن قولنا : ان أسبانيا خضعت لحكم العرب ٨٠٠ سنة، لأن الحقيقة أن شبه الجزيرة الايبيرية لم يخضـم لحكم العـرب الا سنوات قلائل بعد الفتح ، ثم بدأ أهلها يدخلون فى الاسلام أفواجا حتى لم يبق منهم على النصرانية او اليهودية الا قليل، ومـع مضي السنين استعرب سـكانها جميعـا ـ بما فى ذلك غير المسلمين ـ واصبحت البلاد عربية مثل مصر والشام والمغرب مثلا ، ومن هنا فالصواب ان نقول ان شبه الجزيرة كان عربيا خلال هذه المدة ، كما نقول مثلا ان مصر كانت فرعونية حتى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ، والمراد انهـا كانت حتى ذلك التاريـخ تحت حكم ابنائها الفراعنة .

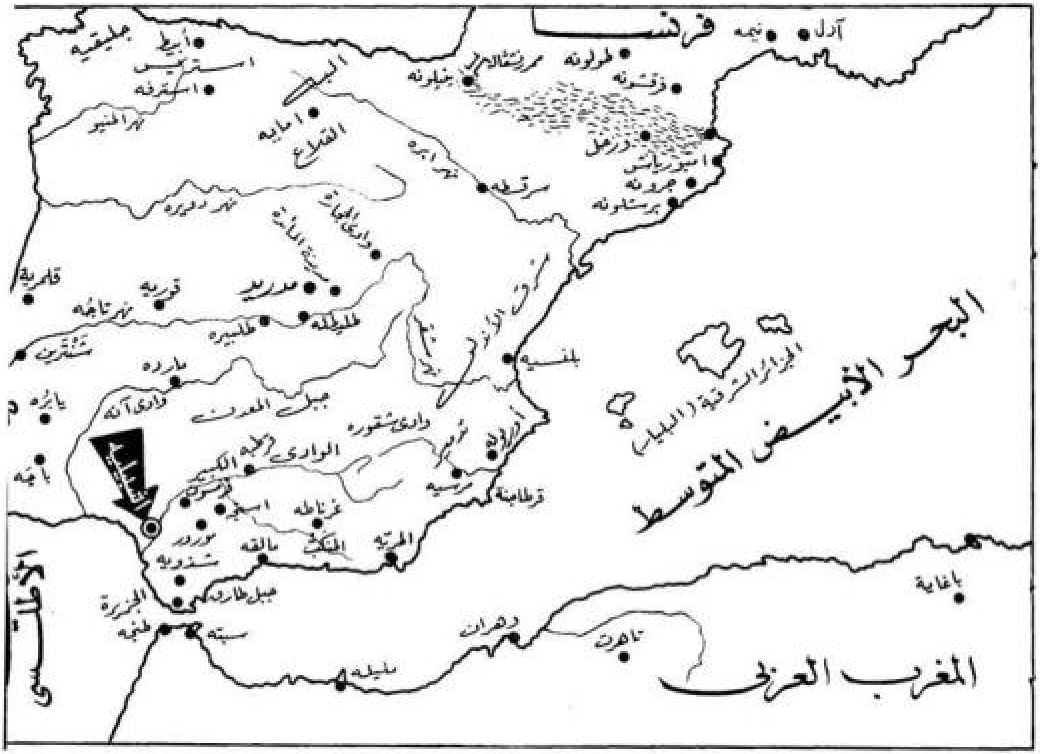
ذلك ان الذين دخلوا الاندلس مـن العـرب لم يزيدوا قط ـ عـلى مـر العصور ـ على عشرين الفا : بضع مئات مع طارق بن زياد ثم سبعة آلاف مـع موسى بن نصير اعقبهم خمســة آلاف تقريبا مع القائد بلنج بن بشر (٧٤٠م.) ثم نحو الالفين مع الوالى ابى الخـطـار الحسام بن ضرار الكلبي (٧٤٢م.) والباقى أفراد وجماعات قليلـة دخلت الاندلس على مر الزمان .

فاذا ذكرنا ان سكان الاندلس بلغـوا ايام عبدالرحمن الاوسط (٨٢١ـ٨٥٢م) عشرة ملايين ، وأيام عبد الرحمن الناصر (٩١٢ ــ ٩٦١م.) نحو ١٨ مليونا تبينا ان هذه الآلاف القليلة من العرب الداخلين انمـا كانت فى الحقيقة خميرة صـالحة ذابت فى غمـار أهل البلاد وحولتهم جميعا الى عرب ، حتى الذين ظلوا على دينهم من اهـل البـلاد من النصارى واليهود استعربوا لسانا وفكرا وأسلوب حيـاة .



الى جانب الخيرالدا لا يزال يقوم باب من أبواب الجامع القديم . انه يسمى باب الرحمة وقـد أضافوا اليه زيادات كثيرة ولكن البوابة عربيـة من الطراز المدجن .

وكما نقول ان اهل الجزيرة صـاروا عربا فكذلك يصـح القول بأن العـرب الذين دخلوها اصبحوا مع الزمن أسبانا، أو عربا اسبانا بتعبير أصح ، لأنهم دخلوا الجزيرة رجالا محاربين أو مهاجرين ، ثم استقروا وتزوجوا من نسـاء البلاد ، وكذلك فعل أبناؤهم واحفادهم ، ومـع الزمن لم يعد هناك فرق فى اللسان أو



خارطة اسبانيا ، وقد ظهر فيها موقع اشبيلية ..

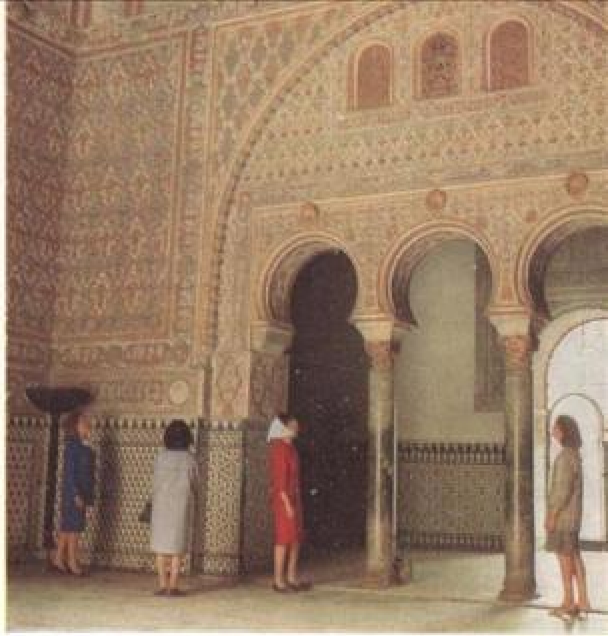
الهيئة او اسلوب التفكير بين أبناء العربي الداخل وأبناء الاسباني المستعرب ، لأنهم اصبحوا جميعا عربا اندلسيين .

والأندلس فى مصطلحنا يطلق على ما دان للعروبة من شبه الجزيرة سواء اكان كثيرا ام قليلا ، فقد شمل الأندلس خمسة اسداس شبه الجزيرة على ايام عبد الرحمن الناصر ، ولم يشمل الا واحدا على ثمانية من مساحتها على ايام بنى نصر المعروفين ببنى الأحمر اصحاب غرناطة (من حوالى ١٢٦٦ الى ١٤٩٢)، ومع هذا الفرق فى المساحتين فنحن نقول ان عبد الرحمن الناصر كان خليفة على الأندلس ومحمد بن نصر بن الاحمر كان سلطانا على الأندلس !

ومن هنا فان نواحي اسبانيا المختلفة لا تتساوى فى عصورها العربية . فقد كانت طليطلة مثلا عربية ٣٧٣ سنة ، وسرقطة ٥٠٦ سنوات ، وقرطبة ٥٢٥ سنة ، وبلنسية ٥٣٦ سنة ، وغرناطة ٧٨١ سنة ، وهذه هى اقصى مدة بلغتها عروبة مكان فى شبه الجزيرة . ونحن نقول ثمانية قرون على وجه التقريب .

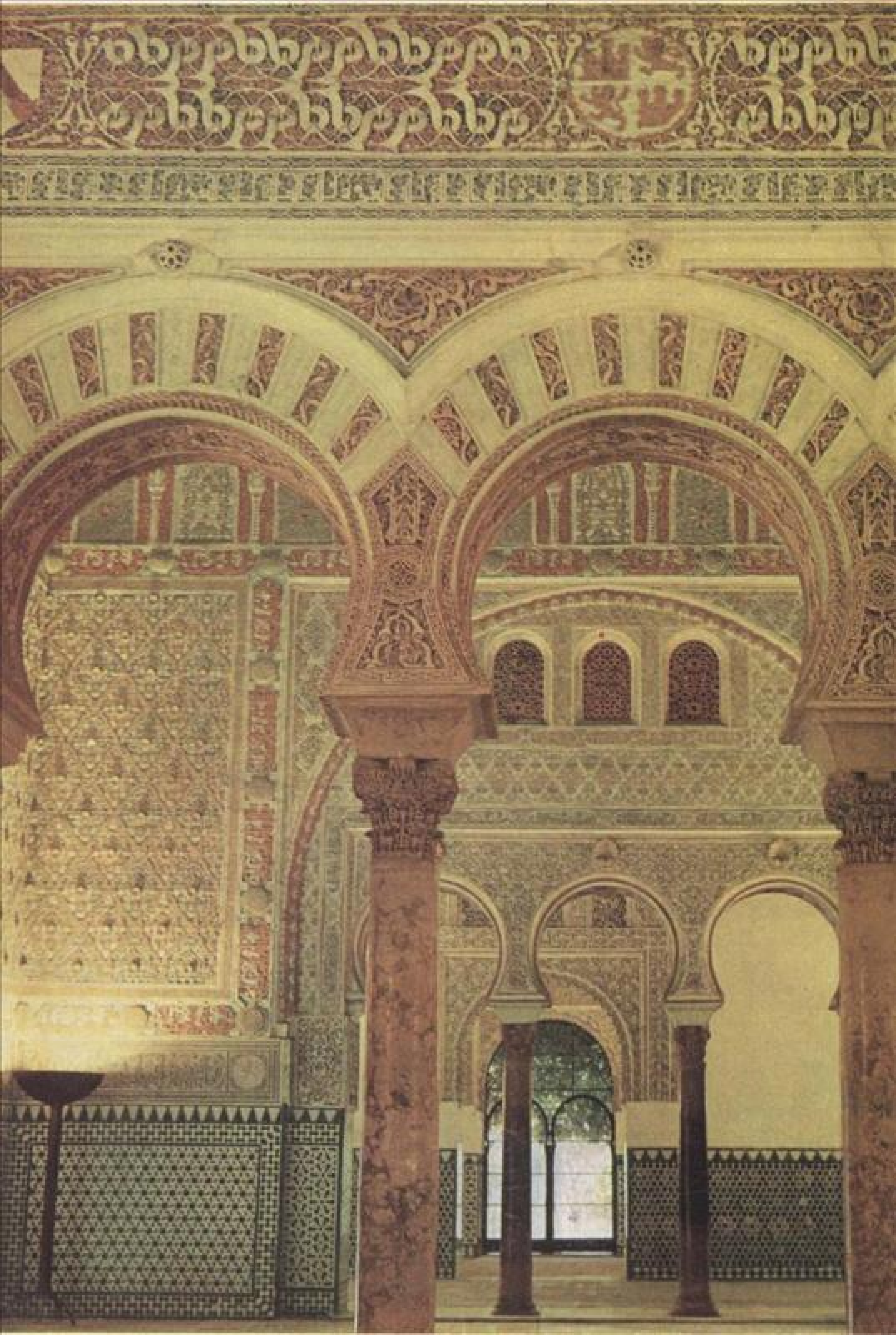
صحيح ان عروبة ایء من هذه البلاد

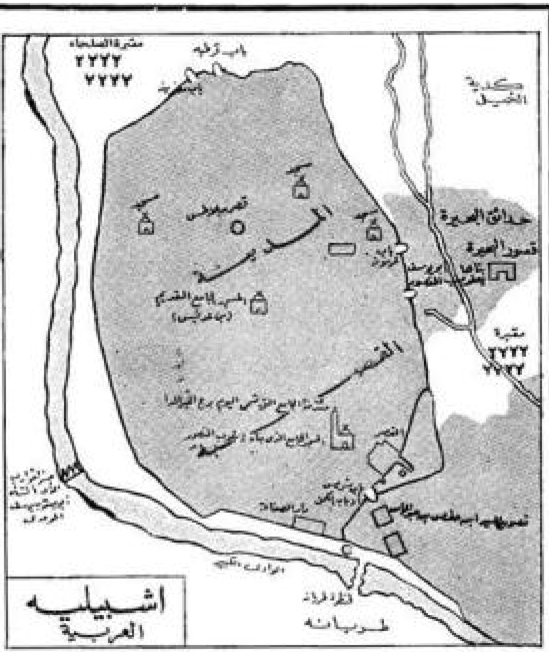




صورتان للبهو الرئيسي في القصر وقد أطلقوا عليه « بهو السفراء » تحيط به الاعمدة والبواكي والزخارف العربية ، **وفي الصورة السفلى** الدور الثاني الذي استحدثوه ، والذي ينزل به رئيس الدولة الاسبانية عندما يزور اشبيلية ، والتناقض بين الفنين ظاهر . **والى اليسار** مجموعة الاعمدة والاقواس يتعاقب أحدها وراء الآخر فتوحي للرائي بأنه في قاعة من المرايا .







رسم لاشبيلية العربية يصور امتدادها وحدودها على اساس ما كشفت عنه الحفائر . ولم نستطع تحديد اتجاهات الشوارع لاننا لم نعثر على آثار لها . المساجد المبينة فى الرسم هى التى تمكنا من تحديد جوامعها ولكننا استطعنا تحديد مواقع الاسوار وأبوابها . قصر بيلاطس الظاهر فى الصورة بني فى القرن السابع عشر بعد خروج العرب ولكنه عربي الطراز ويظن انه يقوم على آثار قصر عربى قديم . اتساع اشبيلية العربية هو نفس اتساع اشبيلية اليوم . قام بعمل هذا الرسم الاستاذ عباس شهدى .

لم تتلاش بمجرد انتقال السلطان فيه الى « قشتالة » أو « أرغون » أو غيرهما من الممالك الاسبانية الشمالية الفازية ، ولكننا نقصد مدة سيادة الأندلس العربى على نفسه فى هذه الناحية او تلك ، اما الحضارة العربية فقد ظلت قائمة فى هذه البلاد بعد خروجها من النطاق السياسى للعروبة احقابا متطاولة .

تاريخ عربى طويل وآثار قليلة

فتح العرب اشبيلية فى شعبان سنة ٩٤ هـ . مايو ٧١٣م . وخرجت من أيدى اهلها العرب يوم الجمعة ١ شعبان ٦٤٦ هـ . ١٩ نوفمبر سنة ١٢٤٨ م .

ومعنى ذلك انها كانت عربية ٥٣٦ سنة و٧ شهور على التقريب .

واذا كان عمر اشبيلية كله فى التاريخ نحو الالفى سنة فمعنى ذلك انها كانت عربية اكثر من ربع عمرها . ومع ذلك فان آثار العرب المادية فيها لا تتناسب قط مع ذلك العمر ، فليس لدينا فى الحقيقة من بقايا العصور العربية الا اطلال قليلة جدا ، بل ان اكبر اثر ذى طابع عربى هناك هو القصر ، بنى على صورته الأخيرة الباقية الى اليوم بعد خروج البلد من نطاق العروبة .

والسبب فى ذلك يرجع الى ان اشبيلية كانت خلال القرن الأخير من تاريخها العربى ميدان حرب طويلة مريرة بين النصرانية والاسلام .

فمنذ سنة ١١٤٧ ــ وهى التى دخلت

اشبيلية فيها فى طاعة الموحدين – الى سقوطها سنة ١٢٤٨ كانت اشبيلية وما حولها الميدان الحقيقى للصراع بين الجانبين على مصير شبه الجزيرة ، فتخربت اريافها ومزارعها وأسوارها أثناء هذا الصراع ، وعندما حاصرها « فرناندو الثالث » ملك قشتالة صمدت للحصار والهجوم من البر سنة وخمسة اشهر ، تكبد المحاصرون خلالها خسائر فادحة ، وتخرب من البلد كل ما كان خارج قصبتها ، وعندما تسلم القائد القشتالى بيلايو بيريث كوريا Pelayo Perez Correa مفاتيح القصبة من ابى عبد الله بن ابى العلاء ادريس آخر حكامها المسلمين ، لم يكن قد بقى من البلد عامرا الا المسجد الجامع وما حوله، اى موضع الكاتدرائية والقصر الحاليين والحى الصغير المحيط بهما .

ولم يكد هؤلاء يستقرون فى البلد حتى أزالوا معظم هذا القليل الباقى .

ومن اوائل القرن الخامس عشر الميلادى بدأ طوفان الهجرة الاسبانية الى العالم الجديد ، وكانت اشبيلية اكبر ميناء تقلع منه المراكب الى هناك . الوف بعد الوف كانوا يقبلون الى اشبيلية كل يوم ليقلعوا او ينتظروا المراكب . هذه الأمواج من المهاجرين كانت اشبه بتيار متدفق اكتسح الكثير مما كان فى البلد وغيّر معالمه ، وفى أواخر القرن الثامن عشر ران على البلد الخمول والخراب بعد توقف تيار الهجرة .

وعندما بدأوا تجديده وتعميره من سنة ١٨٠٠ فصاعدا ازالوا البقية الباقية من آثار الماضى ، وبنوا أحياء جديدة مخططة تخطيطا حديثا ، ولم يبق محتفظا بشىء من طعم الماضى الا ذلك الجزء الصغير



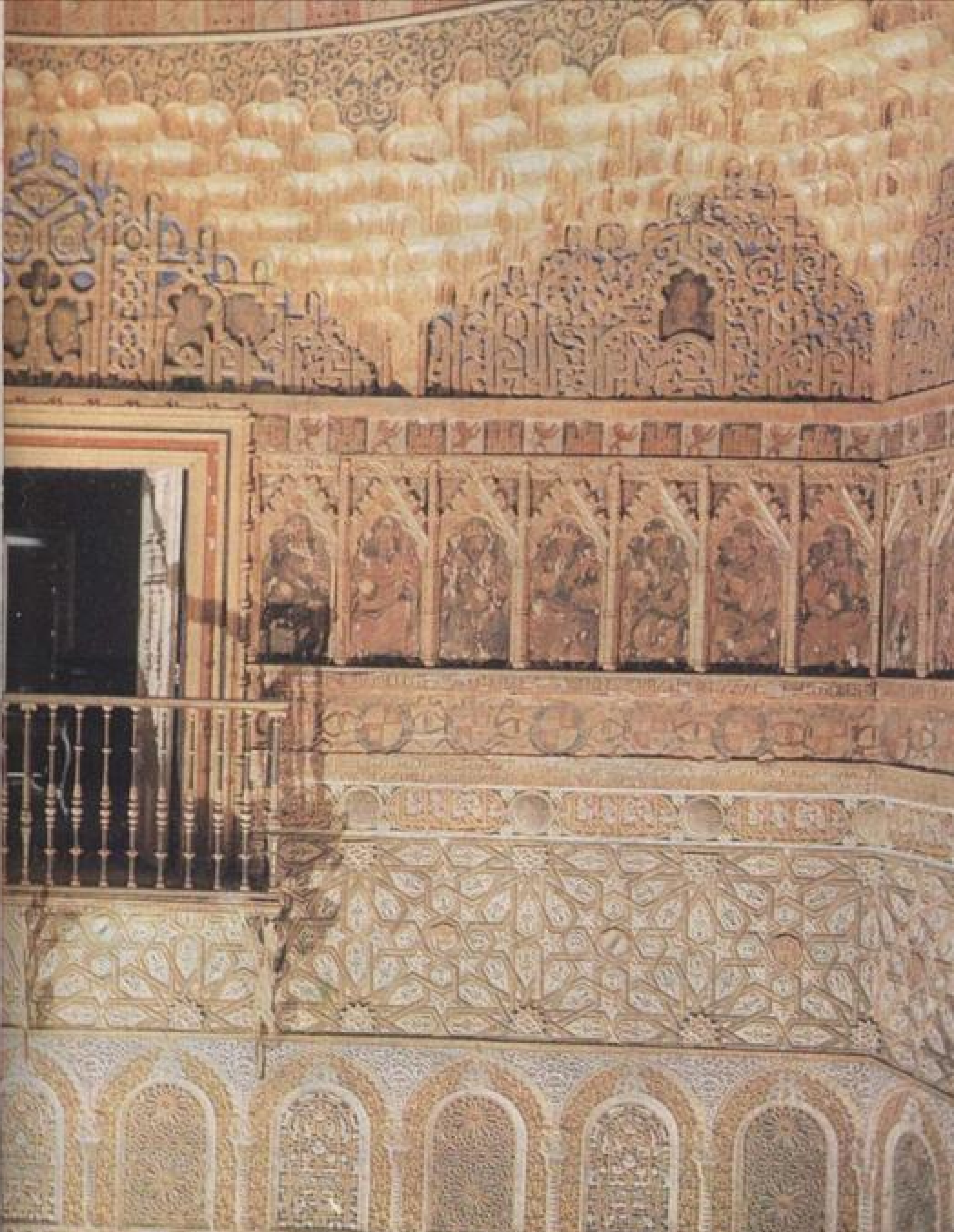
هذا المنظر التقطناه فى شوارع اشبيلية وليس فى شوارع دمشق او بيروت ! . بائعة الماء تبيع الماء داخل قلل فخارية ، فيقف المشترى ويشرب من القلة على الطريقة العربية !

شرقى الكاتدرائية وشمالها ، ثم برج الذهب على شاطىء النهر قرب قنطرة « سان تيلمو » ثم جزء من السور القديم فى اقصى غرب البلد .

ولكن اشبيلية العربية لا تزال باقية بروحها

هذه هى البقايا المادية من اشبيليتنا العربية .

انها لا تتناسب قط مع المكان الضخم الذى تحتله فى تاريخنا السياسى والحضارى : اشبيلية التى كانت عاصمة الاندلس قبل قرطبة ، فقد كانت عاصمة



سقف قاعة السفراء في قصر اشبيلية . يستطيع مؤرخ الفن أن يكتب مجلدا عن الخصائص الفنية لهذا
فنية ، هذه البراعة لم يصل الى مثلها أحد بعد ذلك : لاحظ الافريز الاول بوالك زخرفته والثاني وحدات
مع شرفة صغيرة ، ومن هنا يبدأ المعمارى الانتقال من مربع الجدران الى دائرة القبة في تدرج
زرقاء وحمراء وذهبية . هذا الذهب بالذات كانو يعتمر



الجزء من القصر ، فان براعة الفنان فى ملء فراغ الحائط الفسيح بأقارير من الزخارف كل منها يعتبر آية
هندسية والثالث شريط مزين بالنجوم أو الميداليات ، ثم بواك أخرى تختلف من الاولى تمام الاختلاف
لطيف ، ففوق المربع يقيم مسدسا ثم مثمنا ثم شكلا من ١٦ ضلعا وهنا يقيم القبة . الزخارف كلها
نه من برادة الذهب التى يلتقطونها من مياه الانهار .

موسى بن نصير وابنه عبد العزيز بن موسى ..

واشبيلية بنى عباد ، تربعوا على عرشها أمراء مستقلين ٦٨ سنة (١٠٢٣ - ١٠٩١ م.)وآخرهم المعتمد ابو القاسم محمد الملك الشاعر الذى تجرى قصته مجرى الأساطير ، فقد كان بلاطه مجمع الشعراء ومهبط وحي ذوى الالهام : ابن عمار وابن حمديس وابن زيدون ومن اليهم .

واشبيلية عاصمة الجناح الأندلسي من دولة الموحدين من سنة ١١٤٧ الى



على باب برج الخيرالدا تقوم هذه الحلية العربية الرائعة . المفروض انها دقاق الباب ولكن الفنان جعل منها تحفة فنية .

١٢٢٩ .. ثم اشبيلية التى أطلعت فى عصرها الأخير هذا رجالا يكفى ان نذكر منهم ابن رشد وابن العربى والقاضى عياض بن موسى ومن فى طبقتهم .

اين ذهبت اشبيلية العربية ذات هذا الماضى الحافل كله ؟

ابادر فأؤكد لك انها لا تزال باقية فى روح اهلها وطابعهم المميز لهم من بين أهل اسبانيا ، وباقية فى روح البلد وما تنفرد به بين عواصم الحضارة فى التاريخ من خصائص وميزات .

فانت فى اشبيلية لا تجد الأثر العربي الملموس الا بشق النفس، ومع هذا فانت ذ تتمشى فى ارجائه او تنظر الى من حولك من الناس فى أحد مقانيه أو مقاهيه، تحس ان اشبيليتك العزيزة لا تزال من حولك وان تغيرت العصور وتبدل الناس.

فعلى أيامنا كانت اشبيلية عاصمة الشعر والفن والموسيقى ، ولا تزال الى اليوم عاصمة الغناء والرقص والطرب الاندلسى على أصوله .. فى هذا البلد وحده تجد أساتذة الفلامنكو Flamenco والخوندو El Jando ، الأول منحدر عن فن الغناء المصقول الذى ادخله على بن نافع المعروف بزرياب فى الأندلس، والثانى صدى بعيد للغنـاء الشعبى العربى الأصيل .

اشبيلية وحدها هى البلد الذى يرقص الناس فيه من السابعة الى السبعين ، وفى ايام « المولد » السنوى الذى يسمونه « لافيريا » La Feria فى اواخر مارس ينقلب البلد كله مرقصا، وما أكثر ما ترى الجد العجوز يراقص حفيدته أو ابنة حفيدته ، وهو لا يفعل ذلك عبثـا او استهتارا ، بل كما يقوم بأى شىء جاد فى حياته ..

وأثناء هذا «المولد» ترى «الأمازونات»



ميدان أسبانيا فى اشبيلية بقية جميلة من اشبيلية القرن التاسع عشر . عندما جددوا اشبيلية ابتداء من سنة ١٨٠١ انشأوا مبانى كثيرة من هذا الطراز الايطالى الاسبانى . هذا الميدان تهدم أثناء الحرب الأهلية ثم أعادوا بناءه الآن .

أى الفارسات بثياب الركوب الأنيقة وعلى رؤوسهن قبعات هى الغاية فى البساطة والأناقة ، كل منهن تمضى على فرسها أو يردفها فارس خلفه ، فتذكر صورة اشبيلية العربية كما وصفها أهلها ،قال واحد منهم : « وهذه المدينة من احسن مدن الدنيا ، وبأهلها يضرب المثل فى الخلاعة ، وانتهاز فرص الزمان الساعة الساعة » .

واذا ذكرنا بعض من اطلعت اشبيلية من أهل الشعر والفكر فى تاريخنا ، فكذلك كانت بعدنا مهدا للفن ، فهذا بلد المصورين العظام موريو وتورباران ومارتينيث مونتانييس وبدروميان .
Murillo - Zurbaran - Martiner - Montaner - Pedro Millan

وهنا ولد وعاش زئر النساء دون جوان (السيد يوحنا) الذى كتبت حول مغامراته عشرات الروايات ، وهنا يقال ان « حلاق اشبيلية » المشهور قد عاش ، وهنا ايضا كانت مأساة « كارمن » عاملة مصنع الدخان الباقى الى اليوم خلف



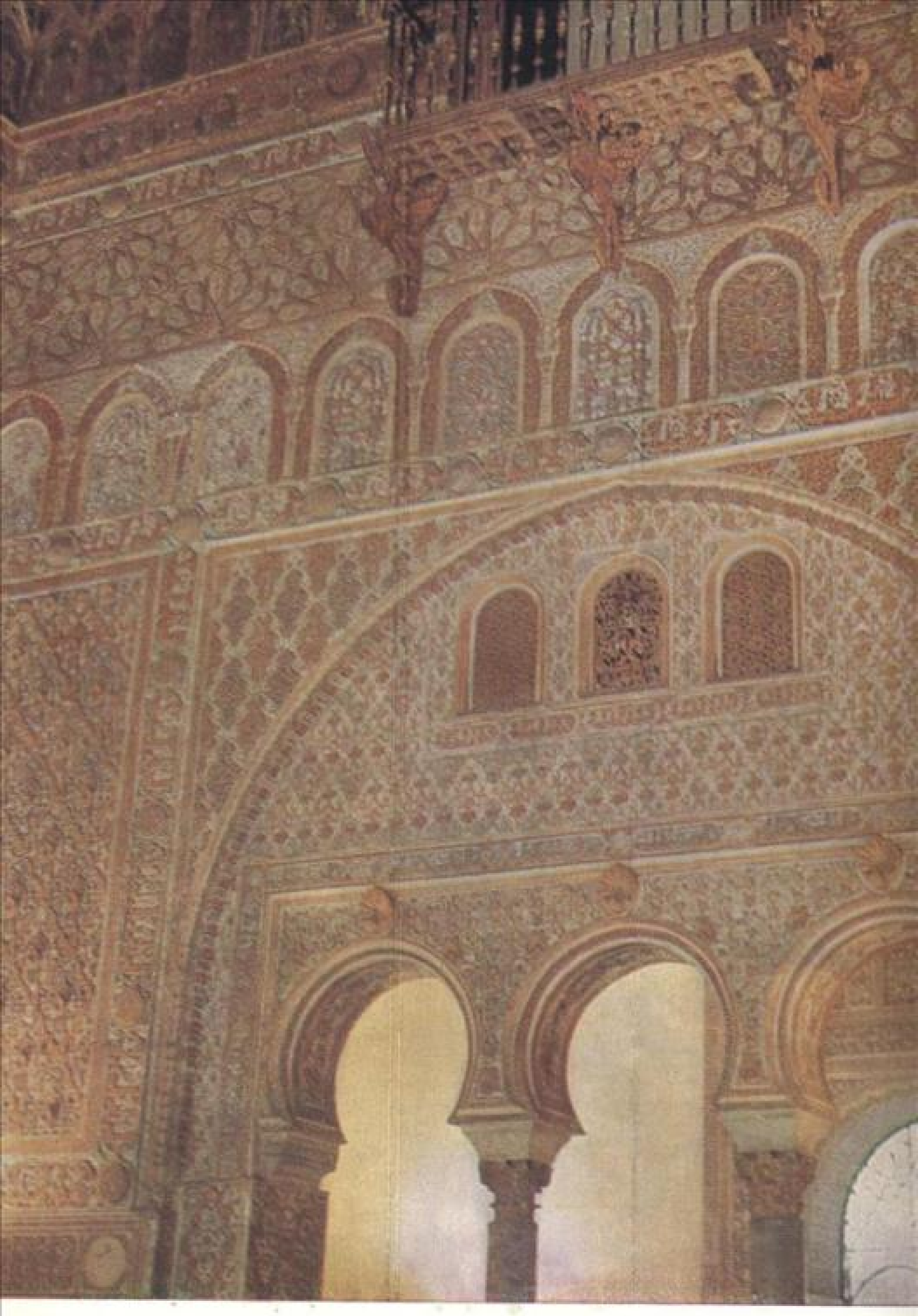


ممر من ممرات الاعمدة التى تحيط بأحد أبهاء القصر . لاحظ السقف الخشبي العربي الجميل، زخارفه كلها مزينة بالالوان التقليدية فى الزخرفة العربية الاحمر والازرق والذهبي .

الى اسفل : بهو فى الدور الثانى لا يزال يستعمل مقرا لرئيس الدولة . أجمل ما فيه هى معلقات السجاجيد . والطنافس على الحوائط. اسبانيا تنافس الجوبلان الفرنسى فى هذا الفن.



منظـــر للنقوش الرائعة التى تزين



جدران قاعة السفراء .. ومن المؤسف أن السائح لا يرى الجمال واضحا تماما ، لانعدام الأضواء في القاعة ..

حدائق القصر . هذا المصنع مقر لجامعة اشبيلية الآن .

وفى حى «سانتا كروث» الذى يحتفظ الى اليوم بطعمه العربي ، تجد مقاهى صغيرة يجتمع فيها أهل الفن كما كان شعراؤنا القدامى يجتمعون على الشراب ليتطارحوا الشعر ، والطف من الشراب الذى يدور عليهم تلك الأطباق الصغيرة الحافلة بالمشهيات : زيتون اسود وأخضر وجبن مختلف أشكاله وأسماك صغار ، اطباق كهذه التى يقدمونها فى المطاعم والمشارب فى بيروت . انهم يسمونها هنا « التابا » أى الغطاء ، غطاء الشراب يقصدون ، والناس فى آخر السهرة يصر كل منهم على ان يدفع للجميع كما نفعل نحن . . هذا شيء قل أن تراه فى مدريد، ومن المستحيل قطعا أن تراه فى بلباو Bilbao أو سان سباستيان San Sebastian

وعندما تقف فى حدائق ــ أو بارك ــ ماريا لويسا El Pargue de Maria Luisa فى اقصى شرقي اشبيلية وتتأمل الخضرة الزاهية واحواض الزهور والنهر ــ الوادى الكبير ــ يترقرق من وراء ذلك كأنه سبيكة من فضة ، تذكر قول ابن مفلح : « ان اشبيلية عروس بلاد الاندلس ، لأن تاجها « الشَرَف » وفى عنقها سمط النهر الأعظم ، وليس فى الارض اتم حسنا من هذا النهر ، يضاهى دجلة والفرات والنيل ، تسير القوارب فيه للنزهة والصيد تحت ظلال الثمار وتغريد الأطيار اربعة وعشرين ميلا . » .

وهذا « الشَرَف » الذى ذكره ابن مفلح هو الارض المرتفعة شمال شرقى اشبيلية ، ولا يزال يسمى الى الآن « أخاراف » Ajarafe وهو مشهور فى الدنيا كلها بتربته الحمراء ، يقال انها اعظم تربة للزيتون . وبالفعل فان زيت زيتون هذا « الشرف » يصدَّر الى نواحى الارض كلها، ولا شك انك تذوقته مرة دون أن تدرى .

معظم العام اعياد وموالد

واشبيلية ليست بلدا فقط بل هى مديرية واسعة ، كانت على أيامنا «كورة» (اى مديرية) تلي قرطبة فى الأهمية ، وحيثما اتجهت خارج اشبيلية اليوم وجدت بلادا ذات ماض عربي عريق .

ففي الطريق الى قرطبة نحو الشرق تمر بمطار اشبيلية الحربي ، وهو مجاور لبلد يسمى طلياطة ، وهناك انتصرت جيوش عبد الرحمن الاوسط على النورمان انتصارا حاسما سنة ٨٤٥م .

وبعد ٣٥ كيلو مترا تلتقى ببلدة قرمونه ، وكانت بلدا زاهرا مشهورا بالحصانة على ايامنا ، وكان فيها مسجد يقولون انه كان تحفة من تحف الفن . وبعد خمسين كيلو مترا تجد استجه (اسيخا) Ecija ومن لطائفها على ايامنا ان جامعها وكنيستها كانا متجاورين فى ميدان واحد متشابهى الطراز . . .

والى جنوبها الشرقى تجد « حصن الفَرَج » ولا يزال محتفظا باسمه العربي، وفى جنوبها نبريشه ثم اركش ثم شريش فقادس وكلها بلاد كتبت فى تاريخنا الفكرى صفحات رائعات .

حتى البلاد الصغيرة التي لا تنبىء اسماؤها الحالية عن اصول عربية مثل « دوس ايرماناس » Dos Hermanas اذا بحثت قليلا وجدت اصلها العربي ، فان

اصل هذا الاسم هو « الاختان » ، والمراد القلعتان الاختان . . .

وهذا السهل الفسيح الذى تقوم فيه اشبيلية انما هو فى الحقيقة روض جميل ، تحتفل كل بلدة من بلاده او قرية من قراه بعيدها السنوى ، وهذه الاعياد تتوالى واحدا بعد واحد خمسة شهور من السنة . فاذا ذهبت الى اشبيلية فى اى يوم من مايو الى سبتمبر ، فلا بد انك واجد عيدا او « مولدا » فيها او فى احد بلادها . وتستطيع ان تخرج مع الناس فى موكب يسير من اشبيلية الى البلدة التى يقام فيها « المولد » .. موكب لطيف فريد فى بابه يسمونه « الروميريا » Romeria يسير فى مقدمته القس ومن خلفه غلمان وبنات يحملون الصلبان ويتغنون بالصلوات ، وفى آخره تجد شبانا وشابات يتغنون ويرقصون.. اول الموكب شيء ، وآخره شيء . . .

اوله للآخرة وآخره للدنيا ، واى دنيا !

حقا ان امر اشبيلية عجيب . . .

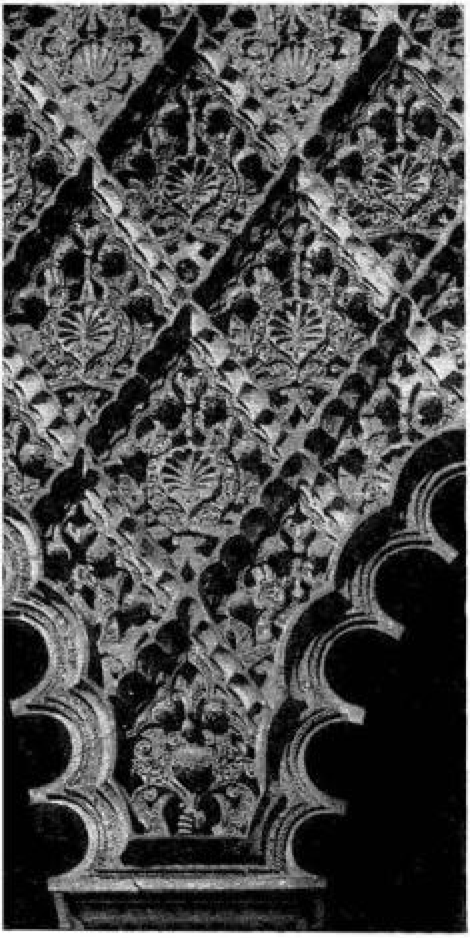
مسجد ومئذنة ومهندس عظيم

والآن تعال نتتبع آثار ما ابقت عليه ايدى الحدثان من اشبيلتنا العربية . .

اول واهم ما بقي هو اسمها ، فهو فى صورته الحالية « سيبليا » او « سيبيا » تحريف بسيط للصورة العربية « اشبيلية » .

وهذه الصورة بدورها تعريب للفظ « هيسباليا » الذى اطلقه الرومان على منطقة اشبيلية ، اما البلد نفسه فسموه « هيسباليس » .

وهيسباليس اصله البعيد فينيقي : « سبالوس » .

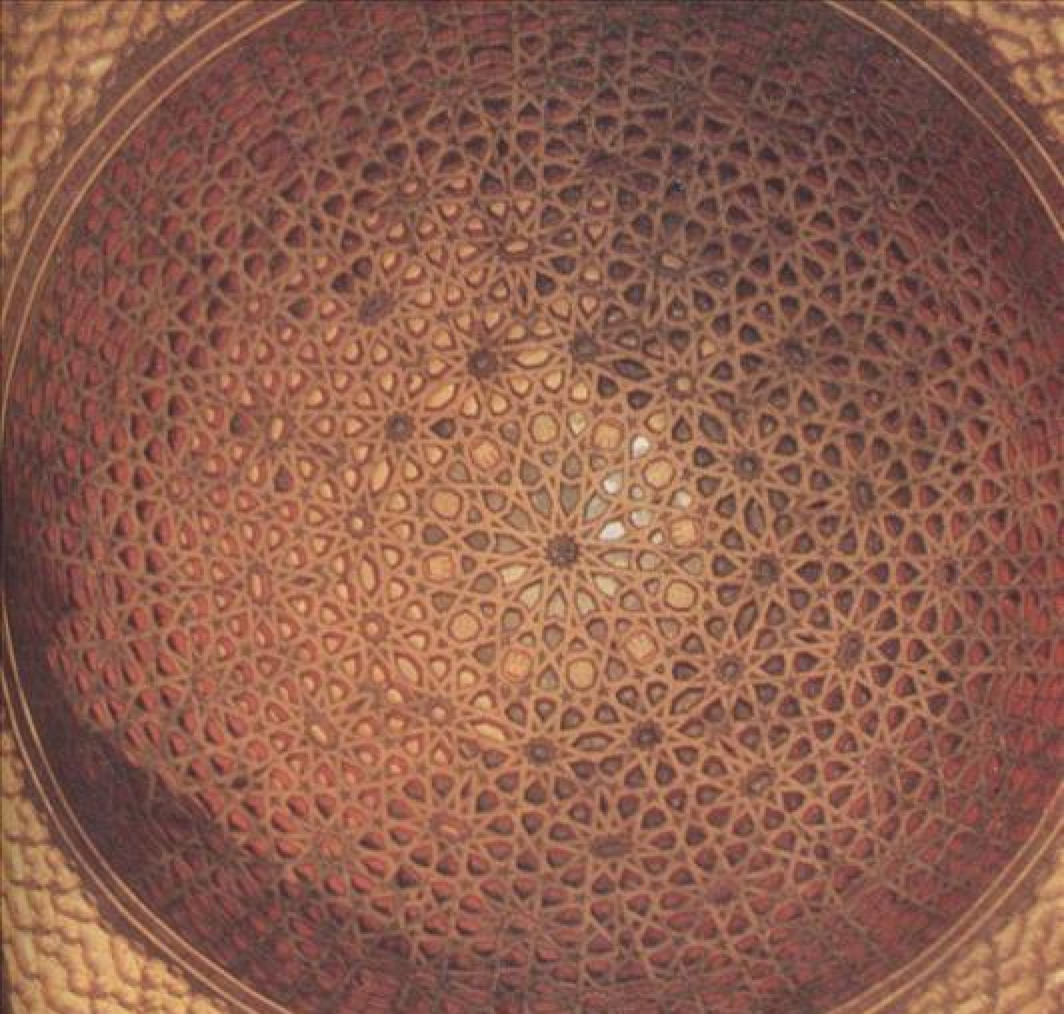


نموذج من الزخرفة الجصية فى القصر . هنالك كتب ضخمة نقلوا منها الكثير من هذه الزخارف ولكن واجبنا نحن اننقوم بتسجيلها كلها بالتصوير والرسم

والفينيقيون عرب قدماء ، اى ان الاصل عربى ، والصورة الاخيرة عربية .

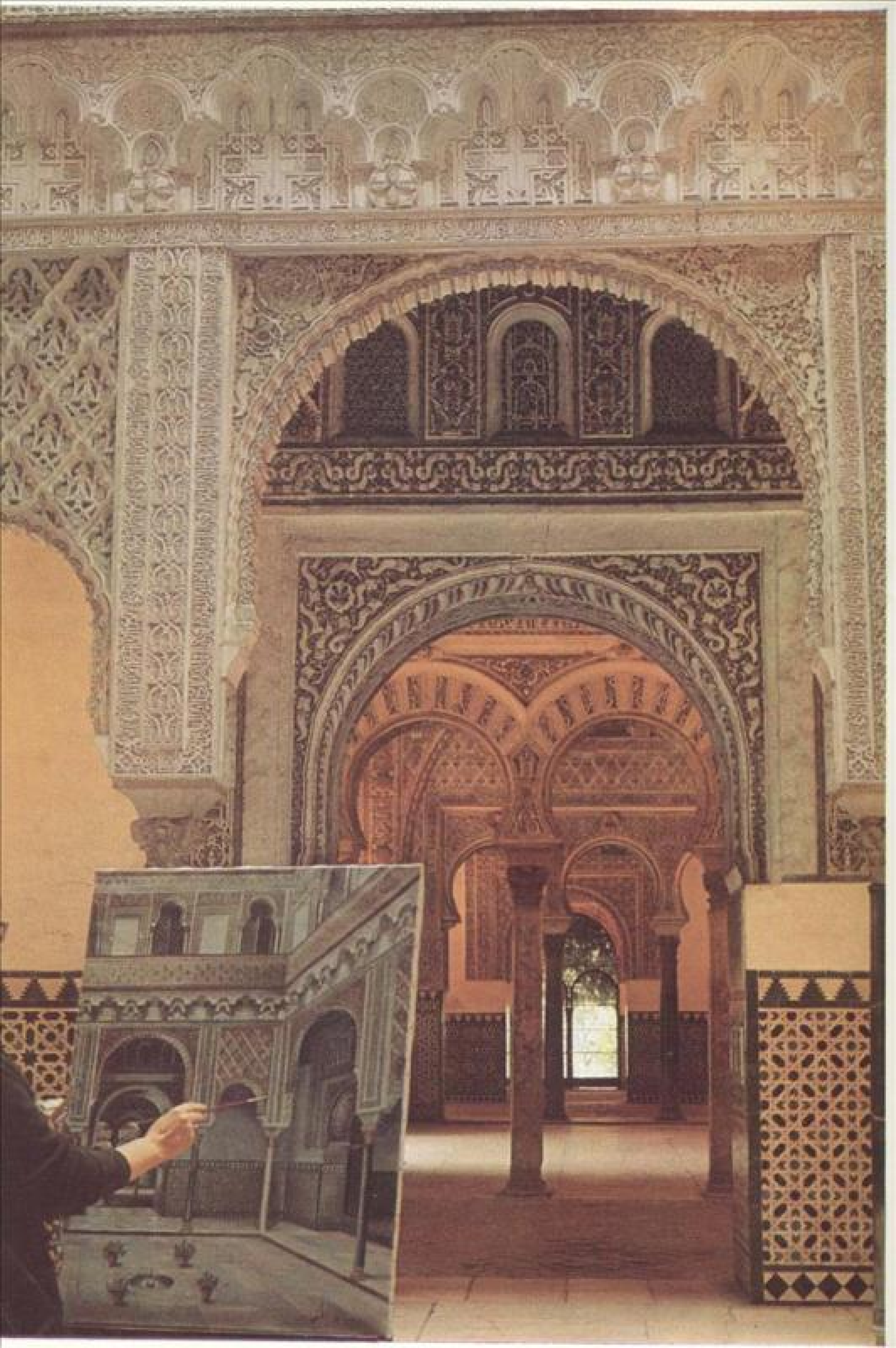
يلى ذلك من معالم البلد العربي منارة الخيرالدا ، اى الدوارة .

انها بقية مسجد اشبيلية الجامع الذى بناه الخليفة الموحدى ابو يعقوب يوسف وابنه ابو يوسف يعقوب المنصور



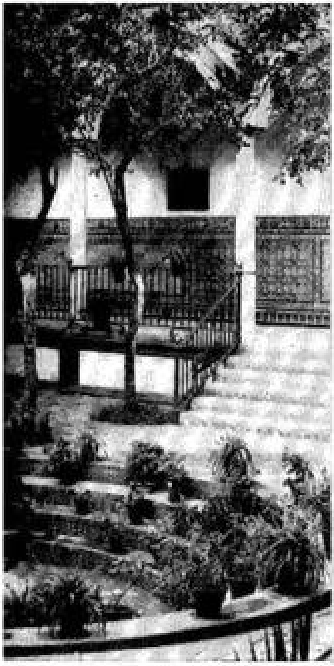
سقف قاعة السفراء آية من آيات الفن العالمى وقمة من قمم الفن العربى الاندلسى . زينتها كلها من الطراز المُدَجَّنى وهو الصورة الاخيرة التى وصل اليها الفن الاندلسى ، انه هو أصل الفن القوطى وهو أساس فن اقامة القباب فى العصور الحديثة ، وفى هذه القبة ـ التى ترى داخلها ـ قام المعمارى العربى بعمل رائع للانتقال من مربع الجدران الى دائرة القبة . الوحدات الزخرفية يتوه فيها البصر ، ولكنها فى غاية الدقة والاحكام ، وألوانها حمراء وزرقاء وذهبية ، وهى الألوان الثلاثة التى ألف العرب صناعتها . كانت تتدلى من هذه القبة ثريا عظيمة من الخشب والبلور والنحاس . زينة هذه القبة نقلت فى نحو ٥٠ كنيسة اسبانية فيما بعد ، منها أربع فى اشبيلية ، أهمها قبة كنيسة سانتا مارينا.

الى اليسار : قصر اشبيلية ليس مجرد أثر جميل ، انه مدرسة فن ، وفى كل ركن من أركانه تجد رساما أو رسامة ، كلهم يحاولون تسجيل لمحات من ذلك الفن المعجز على لوحات تباع بعد ذلك بأغلى الأثمان . هذا المنظر الذى ترسمه الرسامة آية من آيات المعمار ، فان الفنان العربى صمم الدهاليز والأبهاء على نحو يخيل اليك وأنت تتأمل انك تنظر فى مرايا متقابلة ، فان البواكى تتوالى أمامك الى ما لا نهاية . لاحظ كيف قسم الفنان البوابة التالية الى بوابتين يفصل بينهما عمود مَرْمَرى دقيق ثم عاد الى البوابة الواحدة بعد ذلك . هدفه من ذلك أن يكسر الملل الذى قد يُحدثه فى النفس التشابه الكثير . الافريز الأعلى من الزخارف مقرنصات جصيّة تعتبر من مميزات الفن المدجنى .





حي سانتا كروث .. هنا كانت تقوم اشبيلية العربية القديمة ..



ما زالت بيوت اشبيلية يتوسطها

من سنة ١١٧١ الى سنة ١١٩٦ ميلادية، وواضع تصميم هذا الجامع ومئذنته الباقية هذه هو العريف – اى المهندس المعماري – احمد ابن باسه ، وهو دون شك من اكبر المهندسين المعماريين فى تاريخنا القديم .

وتاريخ هذا الرجل واعماله الهندسية مجد من امجادنا . فقد بنى فى سنة ٥٥٥ هـ/١١٦٠م . مدينة كاملة على سفح صخرة جبل طارق ، بناها لعبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين وسماها مدينة الفتح ، لأن جبل طارق سمي فى ذلك الحين جبل الفتح .

ثم قام باعادة بناء قصور الامارة فى قرطبة .

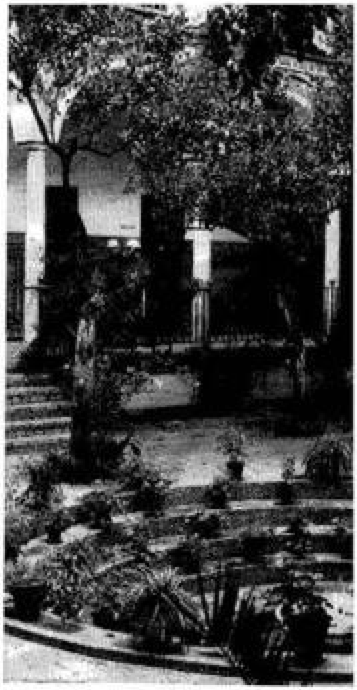
واخيرا قام ببناء جامع اشبيلية الذى لم تبق منه الا مئذنته ، وهي تنبىء بأفصح بيان عما كان عليه .

وقد اتم بناء المسجد تلميذه المهندس على الغماري ، وهذا الاخير هو الذى بنى جامع الكتبية فى مراكش ، وجامع مولاى يوسف فى الرباط بالمغرب ، وهو جامع لم يتم ، وبقي ناقصا من تلك الايام الى اليوم . ثمانية قرون انقضت وهو لايزال نصف مسجد فى قلب عاصمة المملكة المغربية .

هذه المئذنة آية من آيات الفن والعمارة .

ضلع قاعدتها من اسفل ١٣٫٦٠ مترا، اى انها تقوم على ١٨٤٫٩٦ مترا مربعا ، وهذه اضخم ساحة تقوم عليها مئذنة .

حوائطها من الطوب المطلى بالجبس فى



الفنـاء الأندلسي والنافورة ..



ضريح كريستوف كولمبوس .. ولد في اشبيلية ، وفيها دفن

بعض المواضع . سمك الحائط ٥٠ر٢ مترا الـى ارتفاع ٧٠ متـرا . وهـذه المساحة مقسمة الى ادوار تزينها شرفات صغيرة ونوافذ في غاية الدقة والجمال . انت تصعد داخل هذه المئذنة الى هذا الارتفاع دون درج . انه منحدر لطيف يدور حلزونيا داخل البناء .

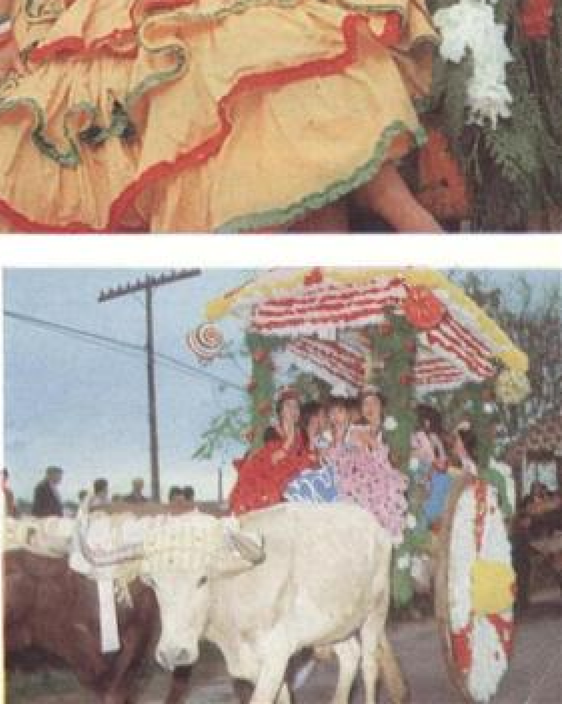
على ارتفاع ٧٠ مترا ، وفي نهاية افريز من البواكي الزخرفية ، ينتهي القسم الباقي من المئذنة العربية . كان يرتفع فوق ذلك الجزء بناء دقيق ارتفاعه ١٢ مترا ، يحمل ثلاث كرات مغطاة بالذهب ، استخدم الخليفـة ابو يعقـوب يوسف ...ر١٠٠ دينار من الذهب ليغطي هذه الكرات . وزن الدينار الموحـدي كان ٢٣ر٤ جراما على وجه التقريب . معنى ذلك ان هذا الخليفة انفق ٥ر٢٢٣ كيلو جراما من الذهب تقريبا لكي يضيفها الى زينة المنارة ، فتصور انت مقدار ما انفق على المنارة نفسها ، وعلى الجامع الذي يقال انه كان يضاهي جامع قرطبـة في الجمال والاتساع .

وهذا القسم الاخير ازالوه وبنوا مكانه ابراجا للنواقيس. انها تضم ٢٤ناقوسا. فوق ذلك وضعوا تمثالا يحمل مؤشـرا للريح يدور مع الهواء . هذا المؤشر هو الذي يسمى الخيرانديـا La Jirandilla ومنه جاء اسم الخيرالدا للمنارة كلها ..

المسجد نفسه لم يبق منه شيء . على مساحتـه بالضبط تقـوم الكاتدرائية ، ولا يزال قسم من صحن الجامع المكشـوف باقيـا خلفها ، يسمونه اليـوم « بهـو البرتقال » نسبة الى اشجار البرتقال القائمة فيه على مثال الصحن المكشـوف في جامع قرطبة .



كانت اشبيلية فى عهد العرب مدينة الفن والموسيقى والرقص والغناء ، وملتقى الشعراء وأهل الفن .. ثم خرجت اشبيلية من أيدينا ولكنها ظلت مدينة المرح والغناء فهنا عاش حلاق اشبيلية ، وهنا جرت مأساة « كارمن » .. وما زال أهل اشبيلية الى اليوم يخرجون لزيارة أضرحة القديسين (السانتو) ، بدلا من الأولياء ، ولكن فى جو كله مرح وطرب وألوان .. انهم يقصدون الأضرحة على ظهر عربات كبيرة تجرها الثيران ..







تعيش اشبيلية فى شهر ابريل اسبوعا كاملا كله رقص وغناء وطرب وشراب وطعام .. انه الأسبوع الذى يلى عيد الفصح ، وفيه تلبس بنات اشبيلية ملابسهن التقليدية الجميلة الملونة ويسرن فى شوارع البلد يغنين ويضربن على الدفوف .. أما الرجال فيعتلون صهوة جيادهم العربية مرتدين ملابسهم الوطنية ، ومن خلفهم تركب زوجاتهم أو شقيقاتهم .. ولا تقتصر الاحتفالات على شهر ابريل وانما فى كل مناسبة قومية أو دينية تجد الجميع يرتدون ثيابهم ويتجهون الى مكان المهرجان Fiesta حتى ولو كان خارج مدينتهم ..



بطاقة تاريخية . لاشبيلية العربية

شعبان ٩٤ هـ / مايو ٧١٣ م : افتتحها موسى بن نصير بعد حصار شهر .. اقام عليها واليا عيسى بن عبد الله الطويل ، وهو اول ولاتها من العرب .

ذو القعدة ٩٤ / يوليو ٧١٣ م : عبد العزيز بن موسى بن نصير فتحها نهائيا .

صفر ٩٥ هـ / اكتوبر ٧١٣ م : عبد العزيز يخلف اباه واليا على الاندلس ، ويستقر في اشبيلية ويتخذها عاصمة .. تزوج بأيلونا ارملة لذريق .

رجب ٩٧ هـ / مارس ٧١٦ م : مقتل عبد العزيز بن موسى في اشبيلية .. ايوب بن حبيب اللخمي والي الاندلس بعده ينقل العاصمة الى قرطبة .. اشبيلية تصبح ثانية بلاد الاندلس .

٢١٤ هـ / ٨٣٠ م : عبد الرحمن الاوسط يبني فيها المسجد الجامع الاول وهو مسجد محمد ابن عمر بن عديس ـ اليوم كنيسة السلفادور .

٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م : النورمان يغيرون على اشبيلية ويحرقون جامعها .. القوات الاندلسية تنزل بهم هزيمة حاسمة عند طلياطة شمال اشبيلية حيث يقوم اليوم المطار الحربي للبلد .

٢٣١ هـ / ٨٤٥ م : بناء سور المدينة الأول ودار الصناعة (ترسانة بناء السفن) التي لا تزال باقية في موضعها الى الآن بنفس الاسم (دار سيناس) .. انشاء اسطول ثان اندلسي خاص بالمحيط الاطلسي .

٣٠٠ هـ / ٩١٢ م : نهاية ثورة بني الحجاج وبني خلدون (اجداد ابن خلدون) في اشبيلية على يد عبد الرحمن الناصر .

٣٠١ هـ / ٩١٣ م : ابن السليم اول عمال عبد الرحمن الناصر على اشبيلية يهدم سورها ويجدد بناء قصر الامارة .

٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م : ابو القاسم محمد بن عباد قاضي اشبيلية يستبد بحكومتها وينشىء فيها دولة بني عباد ، ويبدأ بذلك « عصر الطوائف » .

٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م : القاضي ابو عمرو عباد يخلف اباه ويتلقب بالمعتضد .

٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م : ابو القاسم محمد بن عباد يخلف اباه ويتسمى بالمعتمد .

٤٨٤ هـ / ١٠٩١ م : القائد المرابطي سير بن ابي بكر يستولى على اشبيلية ويخلع المعتمد ويبعث به وبأسرته منفيين الى « اغمات » في الجنوب ، حيث مات المعتمد عام ١٠٩٥ .

٥٤١ هـ / ١١٤٧ م : نهاية حكم المرابطين في اشبيلية على يد القائد الموحدي برّاز بن محمد

خلف الكاتدرائية يقوم قصر اشبيلية المشهور باسم « الكاثار » El-Alcazar (تحريف القصر) .

هذا القصر له تاريخ طويل يرجع الى ايام الفتح العربي . كان في اول امره بيتا صغيرا اقام فيه موسى بن نصير . اما ابنه عبد العزيز بن موسى فقد اقام في بيت آخر كان ملحقا بكنيسة القديسة روفينة Santa Ruffina غير بعيد من موقع القصر الحالي .

بعد انتقال العاصمة الى قرطبة اقام حكام اشبيلية في ذلك القصر وجددوه ووسعوه واضافوا اليه بنايات اخرى .

في هذا القصر ايضا اقام بنو عباد . اهتم به المعتمد وتأنق في زينته وأثاثه وسماه « المبارك » . الكثير جدا مما

المسوق .. عبد المؤمن بن على اول خلفاء الموحدين يقيم ولى عهده ابا يعقوب يوسف حاكما للاندلس فيتخذ اشبيلية عاصمة له .. اشبيلية عاصمة الاندلس للمرة الثانية .

٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م : ابو يعقوب يوسف يخلف اباه على عرش الموحدين .. يعتبر اشبيلية عاصمة ثانية للامبراطورية الى جانب مراكش .. اشبيلية تدخل فى عصرها الذهبي الثانى.. بدء بناء المسجد الجامع الثانى ، كان يقوم موضع الكاتدرائية اليوم ..

٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م : ابو يعقوب يوسف يعد فى اشبيلية حملته الكبرى على غرب الاندلس ويستشهد اثناء حصار « شنترين » فى البرتغال .

٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م : بداية خلافة ابى يوسف يعقوب ثالث خلفاء الموحدين . تظل اشبيلية عاصمة الدولة الثانية . يتخذ لقب المنصور ... فى عصره تمت منشآت الموحدين السابق ذكرها ، وأنشئت قصور البحيرة وحدائقها الى شرق البلد ـ تجديد السور القديم واعتبار الجزء الذى يدور قصبة البلد .. اشبيلية فى أقصى اتساعها .. سكانها يبلغون حوالى المليون .. بناء سور آخر يدور حول البلد كله ـ لا تزال قطعة منه باقية فى شرق البلد

٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م : وفاة ابي يوسف يعقوب المنصور ونهاية العصر الذهبي الثانى لاشبيلية.

١٠ صفر ٦٠٩هـ / ١٦ يونيو ١٢١٢م : هزيمة العقاب وبداية النهاية للاندلس الاسلامية .

٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م : الامير الموحدى أبو العلاء ادريس حاكم اشبيلية يبني برج الذهب

٦٢٦هـ / ١٢٢٨م : أبو العلاء يترك اشبيلية ويجمع جنوده تاركا البلاد عزلاء ويعبر الىالمغرب ليطالب بالعرش ويتلقب بالمأمون..كان هذا ايذانا بتصفية الاندلسالاسلامية فيما عدا غرناطة

١ شعبان ٦٤٦ هـ / ١٩ نوفمبر ١٢٤٨ م : فرناندو الثالث ملك قشتالة يستولي على اشبيلية بعد حصار دام سنة وخمسة أشهر .. قام بتسليمها له الامير الموحدى ابو عبد الله بن أبي العلاء ادريس المأمون ، على شروط الامان على النفس والمال وحرية العقيدة واللغة وحرية الرحيل بأمواله لمن يريد .

٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م : ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين يحاول استعادة اشبيلية وشريش فلا يستطيع .

٦٩٤ هـ / ١٢٩٣ م : انهزام قوات بني مرين فى موقعة طريف .. لم يحاولوا بعد ذلك استعادة شيء من غرب الاندلس .

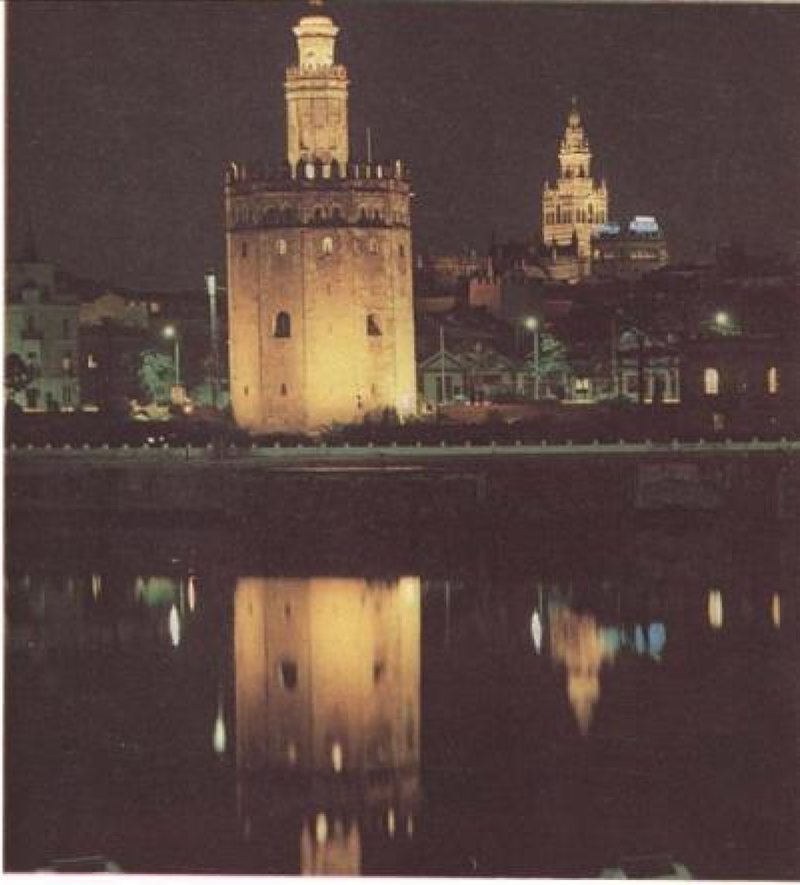
نعجب به من شعر ابن عمار وابن حمديس انشد ارتجالا فى قاعات هذا القصر البديع .

كانت للمعتمد قصور اخرى غير هذا مثل « المكرم » و « الثريا » و « الزاهر » و « الزاهى » ولكن « المبارك » كان درة قصوره .

فى هذا القصر ايضا اقام خلفاء الموحدين عند وفودهم على الاندلس . ابو يعقوب يوسف هو الذى جدد هذا القصر وأعطاه صورته الحالية على وجه التقريب . المهندس الذى صممه هو « الحاج يعيش » .

كان ذلك القصر يتوسط ما كان يعرف ابتداء من القرن الحادى عشر بالقصبة ، اى الجزء المحصن من البلد .





تعمد مصلحة السياحة الاسبانية الى اظهار جمال برج الذهب والجيرالدا فتسلط عليهما الاضواء بالليل .. لجلب السياح ، الذين تراهم فى الصورة السفلى داخل أحد الاندية ..





لا تصدق الترجمان عندما يقول لك ان العرب كانوا يضعون الذهب في برج الذهب! انه برج حراسة اقامه الخلفاء الموحدون على الوادى الكبير لحراسة عاصمتهم من الغزوات البحرية .



الى اليسار : ما زالت صناعة الزليج او القاشانى صناعة رائجة فى اشبيلية ، التى تضم اليوم ١٢ مصنعا ما زالت تعمل بنفس الطريقة العربية القديمة . وهم يستعملون الزليج فى منازلهم بكثرة ، حتى اسماء الشوارع يكتبونها على القاشانى !

كان يضم الجامع والقصر وحدائقه ويمتد الى ضفة الوادى الكبير حيث يقوم الآن برج الذهب . حول هذا كله كان يدور سور ضخم . فى الناحية الاخرى من الوادى الكبير ، وفى مواجهة برج الذهب كان يقوم حصن . كانت تمتد بين ذلك الحصن وبرج الذهب سلسلة ضخمة يضعونها فى وقت الخطر لتمنع المراكب من التقدم فى الوادى الكبير الى ما وراءها .

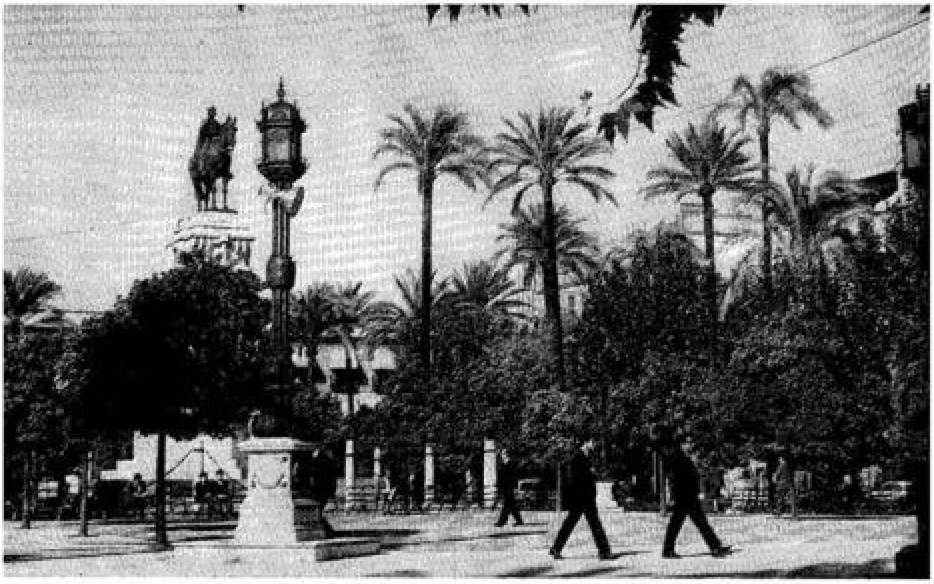
ثم خرجت اشبيلية من ايدى المسلمين سنة ١٢٤٨ وفى نفس هذا القصر الموحدى المجدد سكن فرناندو الثالث الذى استولى على البلد .

وبعد قرن من الزمان ، وفى عصر الملك بدور المعروف بالقاسي (١٣٦٥ – ١٣٦٦) اعيد بناء القصر كله على نفس طراز قصور الحمراء التى كانت تبنى فى ذلك الحين . اراد بدرو هذا ان يضاهى الحمراء فاستقدم بنائين وفنانين من العرب وجعلهم يبنون له هذا القصر الرائع الذى لا يزال باقيا الى اليوم .

طراز هذا القصر يعرف بالمدَجَّن اى المنسوب الى « المدَجَّنين » ، وهم العرب الذين دجنوا ، اى اقاموا خاضعين فى بلادهم بعد التغلب عليها ، وهذا القصر هو نموذجه الارفع الى جانب الحمراء : ابهاء وقاعات موشاة بالزينة الحافلة تقوم على اعمدة رقيقة من الرخام واقواس مدببة كأنها قوطية ، وبوابات يلى بعضها كأنك تنظر فى مرايا متقابلة ... شيء لا يوصف بكلام وانما تمثله لك الصور او المشاهدة المباشرة .

شارع سيبربس" .. وهو اشبه بخان الخليلى فى القاهرة .. المتاجر فيه متلاصقة ، تبيع لك كل ما تشتهيه من تحف وماكولات وملبوسات





ميدان تقليدى فى اشبيلية . فى اشبيلية اكثر من الف ميدان لانهم يسمون كل تقاطع طرق ميدانا ،ولكن ميدان الفونسو الثانى عشر هذا جدير باسمه . لاحظ النخيل الذى يزينه .

وكانت هناك فى اشبيلية قصور اخرى الى شمال هذه ، قصور بناها الموحدون ايضا وسط حدائق غناء تعرف بحدائق البحيرة وجلبوا لها الماء من عيون عند قلعة جابر المعروفة اليوم باسم قلعة جوادايره Alcala de Guadairo او وادى آرَه على بعد ٣٣ كيلو مترا شرقى اشبيلية .

وكانت اشبيلية العربية فى اقصى اتساعها تصل الى الموقع الذى عنده قطعة من السور العربي القديم فى الشرق وفيه باب قرطبة وباب مقرينه Macarena مساحة شاسعة تسمح لنا بان نقرر ان هذا البلد بلغ عدد سكانه فى عصره الذهبى الثالث ايام الموحدين الى ما يقرب من المليون نسمة .

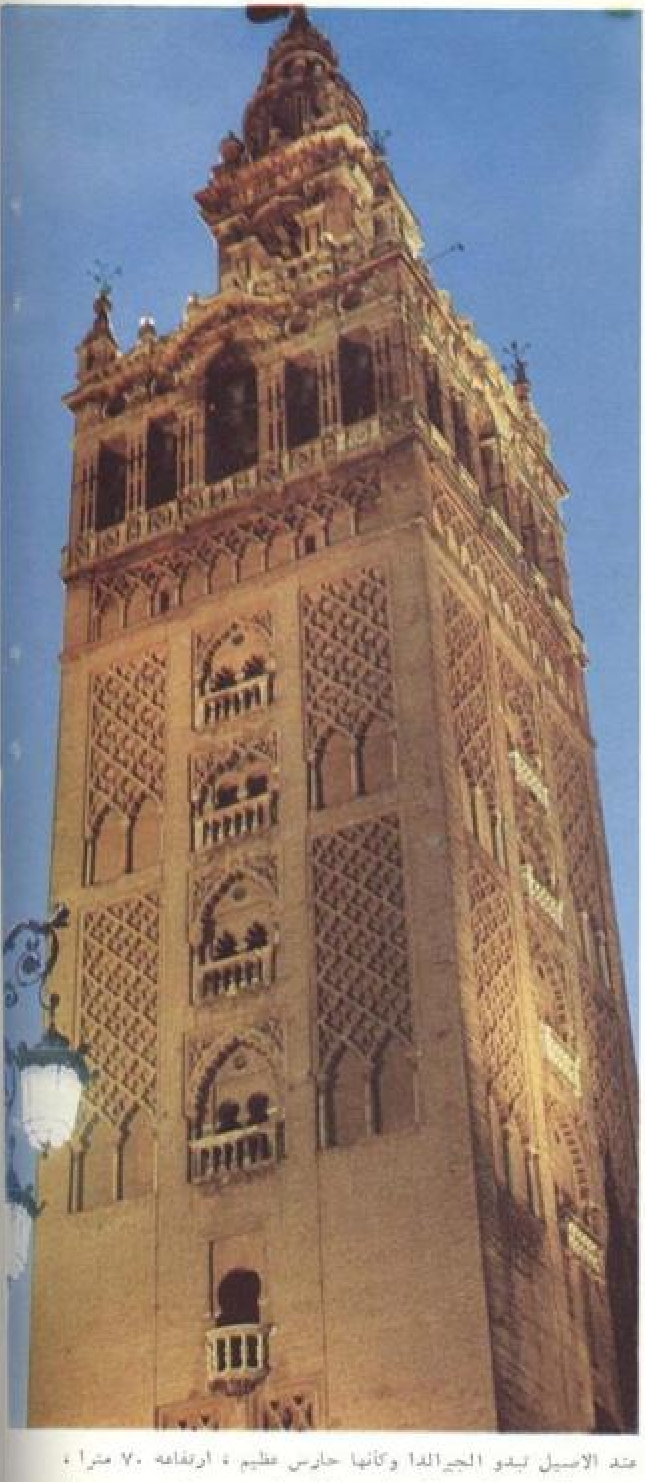
وكل هذه المساحة الواسعة ، من حدائق القصر الى باب مقرينة ، ومن شط النهر الى السكة الحديد فى الشمال، كانت عامرة بالدور والمساجد والحمامات والاسواق . كل هذا ذهب مع رياح الايام على ما قلناه . لم تبق منه الا آثار حائلة فى حي « سانتا كروث » وبرج الذهب القائم الى جانب قنطرة « سان تيلمو » وكانت تسمى فى ايامنا قنطرة « طريانه » ، وهى الحي المقابل لاشبيلية على ضفة النهر الاخرى . فى ذلك البرج اقاموا الآن متحفا بحريا ، ثم « دار بيلاطس » . وهو قصر بديع عربي الطراز بدىء فى بنائه اواخر القرن الخامس عشر على ايدى فنانين من العرب : والى جواره كنيسة القديس اسطفان واصلها مسجد ، وهذا ظاهر من بوابتها العربية البديعة .

والى جنوب قصر بيلاطس بقليل تقوم كنيسة « السالفادور » . هذه كانت مسجد اشبيلية الجامع القديم الذى بناه عبد الرحمن الاوسط على يد قاضيه عمر

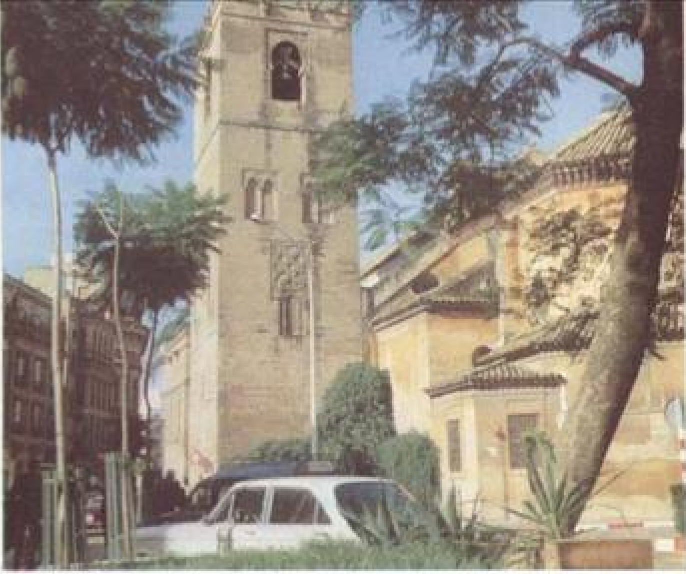


الجيرالدا او Giralda من أروع ما تركه العرب من آثار فى الاندلس . بناها يوسف ابن عبد المؤمن عام ١١٨٠ م. لتكون صومعة لمسجده الذى اندثر ، ولم يبق منه سوى هذه المئذنة التى أضاف لها فيليب الثانى عام ١٥٥٠ أربعة طوابق ، ووضع فيها ٢٥ جرسا من أجراس الكنائس يسمع رنينها على بعد عدة كيلومترات من اشبيلية .. والصورة العليا للجزء العربى .. والصورة السفلى لبهو أشجار البرتقال الذى كان مغروسا فى الصحن الخارجى للجامع ..





عند الاصيل تبدو الجيرالدا وكأنها حارس عظيم ، ارتفاعه ٧٠ مترا ، يحرس البلد ويذكر الاجيال بما كان للعرب هنا من مجد



هنا كان يقوم معبد للرومان ، ثم اقيم مسجد ، ثم أقيمت كنيسة سانتا كاتلينا .. وما زالت الصومعة العربية محتفظة بطابعها الجميل رغم مرور السنين وتحويلها الى برج للاجراس .







هذا الشارع يمكن أن يكون فى القاهرة او بيروت او الكويت : المبانى الحديثة واشجار النخيل والسماء يشوبها سحاب خفيف . شارع سيبرس أو الثعابين، نموذج من شوارع اشبيلية التجارية القديمة . هنا كانت تقوم أسواق المدينة العربية وانت تشعر وانت فى مثل هذا المكان انك فى سوق اى بلد عربى .

ابن عديس سنة ٨٢٥ . هذا المسجد كان ذا صيت بعيد فى الاندلس كله ، اذ كانت له كرامات ومعجزات ، وكان الناس يقصدونه للصلاة فيه والتبرك به . الباقى منه اليوم قاعدة مئذنته ، وهى قاعدة برج الكنيسة والاجراس ..

★★★

آثار حافلة كما قلت لك ، تلوح « كباقى الوشم فى ظاهر اليد » كما قال الشاعر العربى الجاهلى .. اطلال نمر بها ونقف بين ايديها ، ونحس كاننا نرى جحافل الزمان تمضى فى رحباتها ثم تمضى الى حيث يمضى كل زمان ..

ولكننا لانستطيع ان تطيل الوقوف اليوم بالاطلال كما كان شاعرنا الجاهلى يفعل ، اننا فى زمن معجل لاياذن فى الوقوف ولا يطرب للحسرات ، زمان حى متدفق كشباب شعوبنا العربية الراهنة . الماضى بالنسبة لها ذكرى وعبرة ، ودرس للغد الزاهر باذن الله ...

ما طفت بهذه الآثار الا استشعرت نفسى حماسا جديدا وقلت : هذه اطلال ماضينا فكيف كان ماضينا ؟ وهذا امسنا وهو دون شك اقل من غدنا وأصغر .. وامة تبنى هذا كله فى عصور الظلمات فما الذى ستبنيه فى عصور النور ؟ ستبنى كثيرا جدا ، اكثر مما بنى الماضون .. ستنشىء اجمل وأحسن من اشبيلية بنى عباد وبنى عبد المؤمن !

هذا وحى الماضى وموعظته ، وما ذلت امة تنظر الى خسائر الماضى كما ينظر البطل الى جرح اصابه فى معركة: يضمده بيده ثم ينهض للمعركة التالية .. والدنيا معارك فى حساب الرجال ! ■■

حسين مؤنس

قضية في القضاء الإسلامي خالدة

قاض مسلم
يحكم على ..
الجيش الاسلامي
الفاتح
بالخروج من ..
البلد ..
الذى فتحه

بقلم : الدكتور احمد عبد المنعم البهي

استاذ بكلية الشريعة بالجامع الازهر

■ فى تاريخ القضاء الاسلامي صفحات مشرقة ناصعة لانها ترجمان صحيح عن قوة القضاة فى الحق ، وجراتهم فيه وان ادى ذلك الى تعريض حياتهم للهلاك ، وارزاقهم للضياع ، لا يخشون لومة لائم ، ولا بطش خليفة ، ولا غدر سلطان جائر .

ومن يقلب صفحات التاريخ يجد الكثير من ذلك ويجد ان القضاة الاسلاميين فى كثير من عصور الاسلام المختلفة ، كانوا يستدعون الخلفاء واصحاب السلطان الى مجالسهم اذا طالبهم احد بحق ، اوشكا منهم جوْرا ، لا يستثنونهم من طلب الحضور ، ولا يجاملونهم فى الصالح العام .

وعلى سبيل المثال نسوق للقراء قضيتين هامتين ؛ احداهما كانت فى العصر العباسي الاول ، والثانية كانت بمصر فى عهد الايوبيين .

فاما القضية الاولى فخلاصتها ان اباجعفر المنصور حج فى عام ١٣٦ هـ الموافقة ٧٥٣ م ، وبويع بالخلافة فى اثناء حجه عندما حملت الانباء اليه وفاة اخيه عبدالله السفاح . وفى اثناء مقامه بالمدينة للزيارة ، وتلقى البيعة والتهنئة بالخلافة تلقى رقعة من قاضي المدينة محمد بن عمران يستدعيه الى حضور مجلس القضاء لان الذين حملوا امتعته شكوا الى القاضى انه لم يوفهم حقهم ويعطهم اجرهم كاملا ، وكانت ورقة استدعائه لمجلس القضاء خلوا من وصفه بالخلافة ولم تحمل سوى اسمه وطلب حضوره .

ومثل ابو جعفر امام القاضى الذى استمع لشكوى الحمالين ، ودفاع ابى جعفر فى هذا الامر . واخيرا اصدر حكمه عليه بما يرفع شكوى الحمالين !

واما القضية الثانية فتتلخص فى ان محمد بن عبد الله الصفراوى ، قاضى الشافعية فى عهد الملك الكامل الايوبى ، ذكر بعض تصرفات الملك وقال انها

مُسقطة لعدالته ، وبالتالي تُرد بها شهادته .

ونقل هذا عن القاضي الى الملك فقال لجلسائه سأريكم ان هذا الشيخ لن يجرؤ على رد شهادتي . واصطنع قضية يتطلب الشهادة فيها . بل هو فعل اكثر من ذلك : جاء الملك الى مجلس القضاء واعلن انه شاهد فى هذه القضية ويجب أن يدلي بشهادته .

وفى ادب قال له القاضي فى بادىء الأمر قد نحتاج لشهادة الملك ، فأصر على ان يؤدى الشهادة . وعندئذ ابلغه القاضي دون مواربة او تراجع انه ليس اهلا للشهادة لجرح فى عدالته ثم عزل القاضي نفسه عن مجلس الحكم فى نفس الجلسة .

هاتان القضيتان وغيرهما مما جاء على نسقهما صفحات مشرقة قوية يذخر بها القضاء الاسلامي فى عصوره المختلفة، وقد نجد لبعضها شبيها فى حياة الامم الاخرى الا ان الذى اكاد أجزم بانه لاشبيه له فى حياة الامم جميعها، قديمها وحديثها، هذا الحكم الذى نحن بصدد الحديث عنه والذى أصدره قاض مسلم على جيش اسلامي باكمله بترك البلد الذى فتحه واستقر به حينا ، حكم احدث دويا هائلا وصدى بعيدا فى حاضرة الخلافة وفى جوانب الدولة وبين القواد والجيوش واهل البلاد المفتوحة ، وذهل له حتى المدعون فى هذه القضية !!

فتح المسلمون مدينة سمرقند التى اشتهرت فى الاسلام بعد ذلك بأنها من مواطن الثقافة والحضارة الاسلامية ، وهى اليوم احدى الحواضر فى جمهورية ازبكستان فى الاتحاد السوفيتي .

فتحها سعيد بن عثمان فى عهد الأمويين ، ثم فتحها عنوة بعد ذلك قتيبة ابن مسلم فى عهد الوليد بن عبد الملك المتوفى سنة ٩٦ هـ ٧١٥م . وهناك روايتان فى سبب غزو قتيبة لها .

الرواية الأولى تقول ان اهل سمرقند غدروا بالمسلمين واجلوهم عنها فرد قتيبة على صنعهم هذا بالتوجه اليهم بجيش كبير فتح به بلدهم وترك بها حامية كبيرة منه حتى لا يعاودوا الغدر بالمسلمين .

والرواية الثانية تقول ان سعيد بن عثمان فتحها صلحا على مال يؤدونه للخليفة ، فلما مات وتولى بعده قتيبة ابن مسلم قيادة الجيوش الفاتحة لأرض خراسان، استقل هذا المال الذى يدفعونه وفتح بلادهم عنوة دون ان يخطرهم بنقض العهد السابق وايذانهم بالحرب .

هاتان الروايتان رواهما أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ ، ولم يرجح واحدة منهما على الأخرى ، الا ان منطق الحوادث يؤكد رجحان الثانية على الأولى .

ومعنى ذلك ان قتيبة قد فتح سمرقند غدرا ، وهذا امر تأباه تعاليم الاسلام ذلك ان الله تعالى يقول مخاطبا نبيه الكريم فى شئون الحرب والمعاهدات «واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (١) . ومفاد هذه الآية أنه اذا كان بين المسلمين وقوم آخرين عهد ، وخشي المسلمون عدم وفائهم به ، فلهم الحق فى رد عهدهم اليهم ، ولا يبادرونهم بالحرب وهم على توهم بقاء العهد ، لأن هذا يكون خيانة فى نظر الاسلام «٢» .

والذى فعله قتيبة مع اهل سمرقند كان من هذا القبيل ، وقبله اهلها على مضض خشية ان ينكل بهم . فلما مات وآلت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ ، وبلغ اهل سمرقند عنه ما ملأ اطراف الدولة وجوانبها من الحديث عن عدله ونصرته للحق ووفائه وبغضه للظلم ، انابوا عنهم وفدا يلتقى الخليفة يشكو له ما كان من قتيبة معهم .

ولقى الخليفة وفدهم ، فعرضوا الامر عليه ، وقالوا فيما قالوه ان قتيبة غدر بنا ظلما ، واخذ بلادنا ، والأمر اليك لترفع عنا ما نزل بنا على يديه .

---

١ ـ آية ٥٨ سورة الانفال ٢ ـ راجع تفسير الفخر الرازى ج ١٥ ص ١٨٣ طبع عبد الرحمن محمد

وتناول الخليفة قرطاسا وقلما وكتب الى سليمان بن ابى السرح عامله على سمرقند كتابا قال فيه: ان أهل سمرقند شكوا ظلما أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم ، فاذا أتاك كتابي هذا فاجلس لهم قاضيا يقضي بالحق فى هذه الظلامة.

وعاد وفدهم بكتاب الخليفة الى عامله، فأحال قضيتهم الى القاضي جميع بن حاضر الناجي قاضي سمرقند، فاستمع الى ظلامتهم ، واستدعى شهودهم عليها، ثم استدعى شهودا من الجيش الذى حضر الموقعة مع قتيبة فشهدوا بالحق. شهدوا أن قتيبة لم ينبذ اليهم عهدهم بل فاجأهم بفتح بلادهم عنوة .

وعندما وضح هذا أمام القاضي أصدر حكمه فى هذه القضية صريحا لا غموض فيه قويا مجلجلا ناطقا بعدالة الاسلام وسماحته . قال القاضي : على الجيش الاسلامى الذى فتح سمرقند بقيادة قتيبة أن يتأهب للخروج منها فورا ، وكذلك يخرج منها المسلمون الذين دخلوها بعد الفتح وبعد ان يتم هذا ينابذ «١» الجيش اهل سمرقند على سواء ، فاما صلح" ان ارادوا ، واما حرب" اذا لم يختاروا الصلح .

هذا هو الحكم الذى اصدره القاضي وقد كان له رجة فى انحاء سمرقند اذ ما كان يتصور أحد ان تعاليم الاسلام تمضي على هذا النحو ، وتعطى الحق للقاضي أن يأمر الجيش بالخروج من بلد فتحه واستقر فيه .

واسرع الوالى يخطر الخليفة بالحكم ويطلب مشورته فجاء الرد بتنفيذ حكم القاضي بحذافيره ، وعندئذ أصدر أمره الى الجيش بالتأهب للرحيل ، والى المسلمين المدنيين بمغادرة سمرقند .

وبينما هذا يجرى على قدم وساق والجيش يجمع أسلحته وامتعته ويفك مخيماته ، وبينما المسلمون المقيمون بالمدينة يودعون اهل سمرقند ويحزمون أمتعتهم ويعلنون بيع املاكهم فيها ، واذا بمفاجأة تجد لم تكن فى الحسبان . فقد جاء وفد يمثل أهل سمرقند الى الوالى، وأبلغوه انهم تشاوروا فيما بينهم بعد هذا الحكم الذى ما دار بخلدهم لحظة واحدة أن تعاليم الاسلام لا تضيق بمثله، وانهم ما كانوا يتوقعون أن هناك قاضيا يجرؤ على مطالبة الجيش الفاتح بالجلاء عن بلد فتحه ، وانهم ما كانوا يتصورون أن القاضي سيهمل فى هذه القضية عصبيته لقومه ولايعيرها اعتبارا ولا وزنا، وانهم استبعدوا أن يأمر الخليفة بتنفيذ الحكم كما صدر مع انصياع الجميع له، دون أن يكون هناك اعتبار لما يترتب على تنفيذه من عنت لمن صدر فى شأنهم .

امام هذا وأمام حسن المعاملة التى وجدوها من اخوانهم المسلمين المقيمين بالبلد حال اقامتهم بها لا يسعهم الا أن يعلنوا عن تنازلهم عن حقهم والمطالبة ببقاء الحال على ما هو عليه لأنهم لن يخشوا بعد اليوم غدرا أو ضرا ينالهم .

وازاء هذه الرغبة الصادقة من أهل سمرقند أمر الجيش بالبقاء وأمر المسلمون بعدم الخروج ، وكانت فرحة مزدوجة من الجانبين .

وكانت هذه القضية سببا فى اسلام كثير من أهل سمرقند وانضوائهم تحت راية الاسلام،والاخلاص لتعاليمه والعمل على نشرها ، والاستمساك بما امرت به ، والاعتصام بحبل الله المتين ، حتى غدت سمرقند بعد مركزا هاما من المراكز الاسلامية المرموقة يأتيها الدانى والقاصى للتزود بزاد المعرفة من علمائها .

هذه قضية خالدة فى تاريخ الاسلام بلا جدال ، ونوع فريد فى قضايا العالم بلا خلاف ، وانها لصفحة مجيدة يفخر بها القضاء الاسلامى وعامة المسلمين فى كل جيل وعصر ، وانى انشرها اليوم على صفحات « العربى » الأغر بعد أن كانت متروكة فى زوايا الاهمال والنسيان ، ليعتز بها بنو العروبة والاسلام. ■■

أحمد عبد المنعم البهى

---

١ ـ اى يرد اليهم عهدهم السابق مع سعيد بن عثمان .

أبو بكر الرازي

طبيب الدولة العربية الأول

بلغت مؤلفاته المائتين، نصفها في الطب
كتابه في الجدري والحصبة
طبع في أوروبا باللاتينية ٤٠ طبعة من عام ١٤٩٨ إلى ١٨٦٦

كان يهوى الموسيقى في حداثته، ولما كبر توقف وقال:

أصيب بعمى عينيه ورفض قدحهما قائلا:

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ انه ابو بكر الرازى ، طبيب الدولة العربية الأول .

ولا بد لمعرفة الرازى حق معرفته ، وفهمه حق فهمه ، من معرفة البيئة التي نشا فيها وترعرع ، ولا سيما البيئة الطبية . وهو نشا في بغداد ، عاصمة الدولة عند ذاك ، في القرن الثالث وبعض الرابع الهجرى .

وتستخبر التاريخ عن حال بغداد في ذلك العهد ، فتعلم انه كان بها ، في عهد المقتدر بالله ، الخليفة العباسي ، ما قارب السبعمائة طبيب، جازوا الامتحان ليكونوا اطباء . هذا غير ما كان في قصر الخليفة وقصور الأمراء . وغير من اشتهر في هذا العلم شهرة أعفته من الجلوس الى السؤال فالجواب .



هذه الصورة ، صورة الرازى الشهيرة ، وزعت مع هذا العدد من العربى ، بألوان ممتعة وبحجم كبير ، وهى جزء لا يتجزأ من العدد .

«الغناء الذي يخرج من بين شارب ولحية لا يستعذب»

قد أبصرت من الدنيا حتى مللت منها ..

فاذا نحن قلنا انه كان فى بغداد فوق الألف طبيب ، لم نعْدُ الصواب .

والمقتدر ولى الخلافة من سنة ٢٩٥ الى سنة ٣٢٠ هـ . اى فى الوقت الذى كان فيه الرازى قد بلغ اوج شهرته واشدّ التماعه .

تنظيم الطب والأطباء فى ذلك العصر

ولقد كان بلغ من تنظيم الطب عند القوم فى تلك العصور ، وتنظيم رجاله والمحترفين ، ان كان للأطباء رؤساء ، وكان عليهم رقباء ، لاتصال اعمالهم بصالح الناس كافة .

ومن الأطباء من كان خاصا بالجند ، فهو يصحبهم فى اسفارهم ، كما هي حال الجند اليوم تماما . ومن الأطباء من اختص بالخلفاء ، ومنهم من اختص بالأمراء ، ولهؤلاء رواتب ، وكانوا يعرفون بالمرتزقين . ويقابلهم فى الدول الحاضرة الأطباء الموظفون .. ومنهم من كانوا يطببون للعامة ، وهؤلاء غير المرتزقين .

وكان الأطباء صنوفا وانواعا ، او كما تقول اليوم ، كان فيهم متخصصون . فمنهم الطبيب على اجماله ، ومنهم الجراح ، والفاصد ، ومنهم الكحّال ، وهو طبيب العيون ،

ومنهم الأسناني ، وهو طبيب الأسنان كما نسميه اليوم . ومنهم من يقتصر عمله على معالجة النساء . ومنهم من يطبب للمجانين . وكان الكحالون في مصر كثيرين لشيوع امراض العين فيهم . وكان من بين الأطباء نساء .

ويمرض المريض فيأتي الى الطبيب ومعه قارورة يحمل فيها بوله . وينظر الطبيب فيه . ثم يتذوقه ليعلم ما يكون به من حامض او قابض او سكر . ويجس النبض ليكشف به عما خفي من دائه .

فهذه هي الدنيا التي نشأ فيها الرازي ، فتعلم ، وعلّم ، وبرع طبيبا ، وبرع جراحا .

مولد الرازي ونشأته

ولد ابو بكر ، محمد بن زكريا الرازي ، في الرّي على مقربة من طهران ، حول عام ٢٣٦ هـ (٨٥٠ م) ونزح الى بغداد فتعلم الطب . فكان عارفا بطب الاغريق ، وطب فارس ، وطب الهند . يقول عنه القِفطيُّ صاحب اخبار العلماء باخبار الحكماء،انه دبّر بيمارستان الرى ، ثم بيمارستان بغداد ، والبيمارستان هو المستشفى ، وانه كان طبيب الدولة العربية الاسلامية الأول غير منازع .

ومما يحكى تدليلا على صحة ادراكه الطبي ، أنه لما اراد ان يختار موضعا لمستشفى بغداد ، ذهب الى نواح منها يطلب اصحها هواء ، واطهرها جوا ، فعلّق قطعا من اللحم في جهات من بغداد متفرقة ، فالموضع الذي بقيت فيه قطعة اللحم اطول مدة ، دون ان تفسد ، فذلك هو الموضع الذي اختاره لبيمارستانه .

الرازي درس الكيمياء قبل الطب

وابو بكر تعلم الكيمياء على حداثته ، ونشأ فيها ، وعمل وألف ، قبل ان يتفرغ للطب . وعرف بها .

وقد اكتشفوا له حديثا كتابه المسمى بكتاب الصنعة ، وجدوه في بيت امير هندي . وقد وجدوا فيه ان الرازي اعتمد في الكيمياء على ما اعتمد عليه جابر بن حيان ، الا انه كان اكثر واقعية من جابر . فهو لمّا قسم المواد ، قسمها لا كما قسم جابر والتابعوه الى اجسام وارواح واهوية ، ولكن الى نباتية وحيوانية ومعدنية . وجرت هذه التعابير على السنة الناس الى اليوم .

وهو جمع الى الطب العلم بالكيمياء ، وبالفلسفة ، وبصنوف اخرى من العرفان .

مؤلفات الرازي

بلغت مؤلفاته مائتين ، فما فوقها ، نصفها في الطب .

واكبر مؤلفاته الطبية ، « الحاوي » ، سُمِّيَ هكذا لأنه حوى كل شيء . وهو موسوعة زادت مجلداتها على العشرين ، وهي من الاتساع بحيث لم يكتب مثلها في الطب كاتب واحد قط . وهي تجمع طب الاغريق ، الى طب غير الاغريق ، الى طب العرب ، الى طب الرازي نفسه ، والى ما راى في طب غيره . ومما يؤسف له انه ، على مقدار علمنا ، لا يوجد اليوم من هذه الموسوعة الا عشرة مجلدات ، موزّعة بين المكتبات .

وترجم الحاوي في عصر النهضة الأوروبية الى اللاتينية ، ترجمه فرج بن سالم الاسرائيلي ، بأمر من شارل الأول ، ملك نابلي وصقلية . وفرغ من ترجمته عام ١٢٧٩ م . وتنسخ الحاوي بعد ذلك نسخاً كثيرة دارت في اروبا فيما تلا من قرون . وجاءت المطبعة الحديثة فطبع الحاوي ، ما بين عام ١٤٨٦ وعام ١٥٤٢م على كثرة نفقات طبعه ، خمس طبعات ، عدا ما طبع منه مفرّقا . وكان اثر هذا الكتاب في أوروبا بالغا الى فجر عصورنا العلمية الحديثة هذه .

كتابه الشهير في الجدْري والحصبة وكتابه في حصى الكلى والمثانة

وغير الحاوي ، كان للرازي تآليف كثيرة ، في امراض عالجها فرادَى . من

ذلك كتاب له فى الحصى فى الكلى والمثانة. ومن اشهر كتبه كتابه فى الجدرى والحصبة . وهو ترجم الى اللاتينية ، وخرجت منه اربعون طبعة بين عام ١٤٩٨ وعام ١٨٦٦م . اى ان آخر طبعة منه كانت منذ قرن مضى . وان دلّ هذا الكتاب على شيء ، فهو قد دلّ على ما كان للرازى من دقة فى الملاحظة وعلم بالطب واسع .

كان الرازى ابوقراطيّ المذهب ، جالينوسيّه

وكان الرازى فى الطب ابوقراطيّ المذهب ، جالينوسيّه . ولم يمنعه ذلك من نقد صاحبيه عندما رأى موضعا لنقد . والف كتابا اسماه الشكوك على جالينوس . وهو فيه يعتذر عن مناقضته لرجل له من الاسم والشهرة ما لجالينوس ، وهو عدا هذا يقع منه موضع التلميذ من استاذه . ثم هو يعود فيقول ، ولكن الفلسفة تأبى التسليم للاستاذ ، فان ذلك فيه وقوف بالعلم . وذكر ان جالينوس نفسه لام من يطلب من الاساتذة والرؤساء التسليم من تلامذتهم والمريدين بغير حجة تقنع او برهان يدفع .

موقف لأبى بكر الرازى فى الطب ، وقف مثله الامام ابو حنيفة فى الفقه ، اذ راى رايا ، فقيل له : ولكن من قبلك فلان راى وفلان راى . فقال : هؤلاء رجال ونحن رجال . قولة ما تزال ترددها الأجيال . فليت المقلدين منا قراوا، واذا قراوا وعوا ، واذا وعوا انتفعوا .

مؤلفات على هامش الطب

ومن مؤلفات الرازى فى الطب ، مؤلفات على هامش الطب ، كشفت عما عنده من فهم احوال الناس . منها « كتاب فى الطب الروحاني » و « كتاب فى الأسباب المميلة لقلوب الناس عن افاضل الأطباء الى اخسائهم » . و « كتاب التلطف فى ايصال العليل الى بعض شهواته » و « كتاب فى ان الطبيب الحاذق لا يقدر على ابراء جميع العلل » . وكتاب « لِمَ صار جهال الأطباء والنساء فى المدن اكثر من العلماء » .

الرازى مارس الطب ، ودرّسه لتلاميذ عدة

وكان الرازى ، الى جانب ممارسته الطب ، والى جانب التاليف فى الطب ، يدرّس الطب لتلاميذه .

قال ابو الحسن الوراق :

قال لي رجل من اهل الرّي ، شيخ كبير ، سالته عن الرازى فقال : كان شيخا كبير الراس . وكان يجلس فى مجلسه ودونه تلاميذه ، ودونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون . وكان يجيء الرجل ، فيصف ما يجد لأول من يلقاه منهم ، فان كان عنده علم ، والا تعداه الى غيره . فان اصابوا ، والا تكلم الرازى فى ذلك .

وكان كريما متفضلا ، بارًا بالناس ، حسن الرافة بالفقراء والأعلاء ، حتى كان يجرى عليهم الجرايات الواسعة ، ويمرضهم ، ولم يكن يفارق النسَخ ، اما يسوّد او يبيّض .

كان الرازى انسانا كريما ، رقيقا

وكان الى جانب طبه ، انسانا رقيق الحواشي ، رققها لا شك فيما رقّق ، تعلمه الغناء والموسيقى فى حداثته الاولى . وكان يضرب بالعود ويغني ، فلما خرج شاربه والتحى ، كف ، وسئل فى ذلك فقال :

ـ ان الغناء الذى يخرج من بين شارب ولحية لا يستعذب .

عندما عمى الرازى

واصيب بنزول الماء فى عينيه حتى عمى . وقيل له اقتدح ، فلم يسمح بقدحهما ، وهو الطبيب . قال :

ـ قد ابصرت من الدنيا حتى مَلِلتُ منها .

ومات عام ٣١١ هـ (٩٢٣ م) ، اى قبل اليوم بأكثر من الف عام .

عليه رحمة الله ورضوانه . ■■

احمد زكى

أصحاب الحديث

أبو داود السجستاني

قال فيه بعض العلماء إنه كان أفقه أصحاب الصحاح والسنن

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة
استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

■ هو سليمان بن الأشعث بن اسحق ابن بشير ، ابو داود ، وينسب الى سجستان والى الأزد ، وهي احدى القبائل اليمنية ، فيقال له الازدي السجستاني ، ويظهر انه من أصل غير عربي ، واتصل بالأزد بصلة الولاء كالشأن في كثيرين ممن اسلموا من الاعاجم ، فقد كانوا يعقدون عقد ولاء مع اسرة عربية ، فينتمون اليها بهذا الولاء ، وتكون اسرة لهم كأسرة النسب ، وان كانت دونها قوة ، ولعل ذلك اتباع لسنة المؤاخاة التى سنها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عندما آخى بين المهاجرين والأنصار ، وآخى بين الاوس والخزرج ، فكانت المؤاخاة تلحق المؤمن بالمؤمن بالأخوة ، وان لم تكن رحم جامعة ، ولا عصبة دافعة .

ويظهر انه ولد بالبصرة ، فقد كانت حياته كلها بها، وقد انتقل منها بالطواف فى الأقاليم الاسلامية ليجمع الأحاديث من أفواه رواتها ، ويتلقى كتبها ممن كتبها ، ويعود اليها كما يعود الغريب الى موطنه الأصلى بعد طول التطواف وتنائى الديار التى طاف بها . وقد ذهب الى بغداد قصبة الدولة مرارا، خصوصا بعد أن استوى سوق علمه ، لينشر روايته التى صحت عنده .

نشأته

كانت نشأة ابى داود بالبصرة ، وهى احدى مدائن العلم فى القرنين الثاني والثالث من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وبها نشأ علم الكلام ، ونمت فيها آراء المعتزلة وانبثقت من ربوعها ، وكان بها اجتهاد فقهى فى عهد ابى حنيفة ومن جاء بعده ، وناظر الشافعى فقهاءها فى آراء انحرف بعضهم اليها .

ولقد كان يسود الجو الاسلامى العام ثلاثة أنواع من العلوم تميز بعضها عن



قال فيه أحد تلاميذه : أُلِينَ لأبي داود الحديث ، كما أُلِينَ لداود الحديد !

بعض ، اولها علم الكلام ، أو العلم الذى موضوعه فلسفة العقيدة الاسلامية ، والثانى علم الفقه ، او علم استنباط الاحكام التكليفية العلمية ومناهجه ، والثالث علم الحديث ، وقد تميز بهذا علم الرواية عن علم الفقه ، وان كان الثانى يستمد احكامه من الاول ، اذ هو ينبوعه الذى يستقى منه كمصدر ثان بعد القرآن الكريم .

اتجه ابو داود الى علم الرواية ، ومنها يستقى علمه بالفروع، ولا يتجاوز فى ذلك ما يروى . وكذا ابتدأ باستحفاظ القرآن الكريم ، فاتجه اليه ، اذ حفظه وهو قوام العلم الاسلامى لمن يريد ان يتخصص فى ناحية من نواحيه ، ثم علم العربية ، اذ هى وعاء العلم الاسلامى ، وهى المصباح لمن يريد ان يسير فى طرائقه ، ويصل الى غايته ، ومن بعد ذلك اتجه الى الرواية.

طوافه فى الاقاليم

ولم يكن بالبصرة من رواة الاحاديث والأخبار عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من يكتفى بالرواية عندهم ، ولذلك كان لا بد له أن يطوف فى الاقاليم ليسمع الكثيرين من الرواة فى البلدان المختلفة ، فرحل الى الشام والى مصر ، والى ارض الجزيرة ، وخراسان وما وراءها ، وذلك فوق رحلته الى مكة والمدينة ، وسائر بلاد الحجاز ليلتقى بالرواة الذين يروى عنهم ، فقد اتفق رواة صحاح السنة على ان الرواية لا تكون من الصحف المكتوبة فانها قد يعتريها التحريف ، بل لا بد ان تتلقى من الافواه ، وما يكون مكتوبا لا بد ان يقرأ عمن كتبه ، وقد يتساهلون فى ان يروى راو عن غيره ، وكلاهما على قيد الحياة ، ولكن لا يسوغون ان يكون التلقى من الكتب ، وان كان البخارى قد شدد فى انه لا يروى عن راو حى الا منه ، فلا يتوسط غيره .

وكان عماد الرواية عندهم أمرين — أولهما — ملازمة الراوى من يروى عنه ليعرف مقدار الثقة فيه ، وثانيهما

ضبطه واتقانه وحفظه فاذا بلغت الرواية الأمرين على وجه الكمال كانت كاملة ، وان كان نقص فى احدهما قواه الكمال فى الآخر . وقد كان أبو داود يشدد فى ضرورة الملازمة على وجه الكمال ، ويكتفى من الضبط واتقان الحفظ بوجود الأصل، والا يشترط بلوغ حد الكمال (١) .

وبعد ان امتلأت جعبته اخذ ينقل الى غيره ما رواه ، فاتخذ البصرة مستقرا ومقاما له يفد اليه طلاب الرواية من البلاد الاسلامية يتلقون عنه ما تلقى ، وانتقل الى بغداد من بعد ذلك يأخذون عنه ما نقل عن غيره بالتلقى ، ويأخذ عن غيره من اصلها ما لم يأخذه من نقل ، وقد عرض ما فى حقيبته على الامام احمد ابن حنبل ، وتلقى عليه ، وهكذا صار يؤخذ عنه ، وان استمر يأخذ عن غيره كامام دار السلام احمد رضى الله عنه .

سنن ابى داود

كانت الثمرة الواضحة الطيبة لجهود ذلك الراوى الجليل هى كتابه السنن ، وقد عرضه كما أشرنا على الامام احمد فاستحسنه واستجاده ، وقد قال فيه بعض تلاميذ الامام، فيما رواه البغدادى: « أُلين لأبى داود الحديث ، كما أُلين لداود الحديد » .

وقد عنى أبو داود بدراسة الفقه ، ولذلك اتجه فى الرواية الى دراسة الأحاديث التى يستدل بها الفقهاء فى الفروع الفقهية ، وقد قال فيه بعض العلماء انه كان افقه اصحاب الصحاح والسنن ، وكذلك لعنايته بفقه الحديث، جمع الأحاديث الصحيحة او التى يكون فيها ما يستدل به الفقهاء من غير وهن واضح فيها ، حتى لقد قال فيها الامام الغزالى : « يكفي المجتهد معرفتها من الاحاديث النبوية » فهى جامعة لابواب الفقه متقصية لأطرافها ، فعنايته بجمع الاحاديث التي تدور فيها فقهاء الأمصار ، جعلته يتجه الى جمع الاحاديث الصالحة للعمل . برفع النظر عن مرتبتها فى قوة الرواية ، فجمع فيها الاحاديث المتوسطة ، والاحاديث التى تبلغ هذه المرتبة ، ولكنها ليست موضوعة ، ولم يثبت انها مكذوبة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وان هذه الاخبار مشهورة عند اهل الفقه ، وان لم تكن من حيث الرواية فى قوة واحدة ، وقد قال ابو داود فى ذلك : « الاحاديث التى وضعتها فى كتاب السنن اكثرها مشاهير ، وهى عند كل من كتب فى الحديث الا ان تمييزها لا يقدر عليه كل الناس » .

وقد سأله بعض اهل مكة عن الاحاديث التى اشتملت عليها السنن ، فأجابهم برسالة قيمة تبين منهاجه فى الرواية ، وجاء فى صدر هذه الرسالة : « انكم سألتم ان اذكر لكم الاحاديث التى فى كتاب السنن ، أهى اصح ما عرفت فى الباب ، ووقفت على جميع ما ذكرتم ، فاعلموا انه كذلك كله . . . » وقال فيها : « وليس فى كتاب السنن الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شيء ، واذا كان فيه حديث منكر بينت انه منكر وليس على نحوه فى الباب غيره » وقال ايضا فى هذه الرسالة « وما كان فى كتابى من حديث فيه وهن فقد بينته ، وفيه مالا يصح سنده ، وما لم اذكر فيه شيئا فهو صالح ، وبعضه اصح منه » .

ونرى من هذا انه يعتمد على ما فى الحديث من الفقه ، ويتذاكر فيه العلماء، فهو يذكر ما يصح سنده ، وان كان غريبا بين غرابته وان كان فيه ضعف فى الاسناد بين ضعفه ، وما لم يذكر فيه شيئا من ذلك فهو صالح فى سنده ومعناه ، وان كان بعضه اقوى من بعض .

وانه مهما يكن فى الكتاب من احاديث فيها وهن او غرابة فانه من المتفق عليه

(١) راجع فى ذلك الحازمى فى شروط الرواة .

ان له مقاما فى فقه السنة ، ومن حيث الرتبة فى الرواية فقد قرر الاكثرون انه ثالث الصحاح ، لم يسبقه الا البخارى ، ومسلم ، وان كان بعض الناس يقدمه عليهما ، ولكن الاول هو الصحيح المعتبر عند اهل الرواية .

وقد يقول قائل انه يقول ان بعض مروياته فيها وهن فى السند ، ولكنها صالحة للعمل ، والجواب عن ذلك ان مسألة السند فى عهد التابعين وتابعيهم لم تكن العناية بها شديدة ، بل كانت العبرة بقوة الراوى ، فاذا قال التابعى قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولم يذكر الصحابى الذى روى عنه لم يسأل من الذى نقل لك هذا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة ما دام التابعى مشهورا بلقائه بعدد كبير من الصحابة ، ولعله سمعه من عدد كبير منهم ، وهو فى ذاته ثقة امين كسعيد ابن المسيب والحسن البصرى ، ويسمى هذا النوع من الحديث مرسلا ، وقد قبله امام المحدثين مالك ، وشيخ الفقهاء ابو حنيفة ، ولكن لما تقادم العهد ، وجاء القرن الثالث ، اشترطوا لقبول الحديث اتصال السند ، فسقط من الاعتبار اخبار لم يتصل سندها ، ولكن فى عهد التابعين كان يعمل بها ، فعلى هذا الاساس تكون صالحة للعمل ، وان كانت حسب الاصطلاح غير متصلة السند ، فكان ابو داود بعقله الفقهى الناضج ، وبادراكه لمغازى الروايات يقبلها ، لانها كان معمولا بها فى عهد التابعين وتابعيهم فلا يمكن ان يسقطها ، وقد قرر انها صالحة للعمل ، ونقول انها واجبة العمل .

معانى الاسلام

كان ابو داود مدركا لمغازى الاسلام فاهما لمراميه ، فبعد ان روى الاحاديث التى يدور عليها الفقه الاسلامى والاخلاق الاسلامية ، والفضائل التى جاءت بها السنة النبوية قرر ان جماع الاحاديث فى اربعة ، ولنترك له الكلمة ، كما روى عنه الخطيب البغدادى : « كتبت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة الف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته كتابى السنن جمعت فيه اربعة آلاف حديث ، وثمانمائة حديث ، ذكرت الصحيح ، وما يشبهه ، وما يقاربه . ويكفى الانسان لدينه من ذلك اربعة احاديث : قوله عليه السلام : « انما الاعمال بالنيات » ، وقوله عليه السلام « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» ، وقوله عليه السلام : « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لاخيه ما يرضاه لنفسه » وقوله عليه السلام : « الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشبهات » .

وان هذه الاحاديث الاربعة تبين نواحى الاسلام الخلقية والاجتماعية ، فالاول يبين ان اساس الاعمال الاخلاص ، والحديث الثانى يبين ان اساس العلاقات الانسانية احترام حق الغير وحريته واحساسه وشعوره ، والحديث الثالث يبين ان اساس البناء الاجتماعي ان يفرض كل امرىء ان ما يفعله قانون مبيح فلا يرضى لنفسه الا ما يرضاه من غيره بحيث يكون امرا عاما ، ثم يعرف نتائج ذلك التعميم . والحديث الرابع يبين ان اساس الحلال والحرام ما تستطيبه العقول المدركة ، وما تستقبحه ، فما يكون طيبا فى نظر العقل المستقيم فهو الطيب الذى جاءت النصوص ببيانه ، وما يكون خبيثا فى نظر العقول المدركة غير الخاضعة للهوى فهو الحرام الذى جاءت النصوص بتحريمه .

وابو داود مع ذلك الجهد العلمى العظيم ، والادراك المستقيم كان ورعا زاهدا عفيفا ، حتى لقد قالوا انه كان اشبه الناس بالامام احمد بن حنبل فى ورعه وعفته ، وكان لايسير الا معه الكتب ولكنه يسترها حتى لايكون فى ذلك رياء ، رحمه الله ورضى عنه . ■■

محمد ابو زهره

التاريخ..

محكمة عادلة هو،

القاضي يحكم والمتهم حاضر، والمؤرخ

• صدق الوصف التاريخي أجدى على الناس

بقلم : علي أدهم

■ يقول شوقي في رثائه لبطرس باشاغالى ، أحد رؤساء الوزارة المصريين السالفين :

والحكمُ للتاريخ فيك ففى غـد يزنُ الرجـالَ ويُصدر الأحكاما

والتاريخ بضرورة الحال يصدراحكامه على لسان المؤرخين ، ويسجلها فى كتاباتهم ، ولكن هل من حق التاريخوواجبه ـ أو بالاحرى ـ هل من حق المؤرخين وواجبهم ان يصدروا الاحكامعلى الرجال الذين تولى عهدهم وطويت صحائفهم واغلق رهنهم ؟ وهل للمؤرخينان يدينوا او يبرئوا ، وان يقسموا الناس الى اشرار واخيار ، ويدمغوا المسيء ،وينظموا عقود الثناء للمحسن ؟

هذه مسالة طالما اثارت الخلاف بين فريق من كبار المؤرخين ، فمن المؤرخين من كان يرى ان التاريخ بمثابة محكمة لمقاضاة الرجال ومحاسبتهم على اعمالهم ، وان المؤرخين هم القضاة العدول فى محكمة التاريخ ، وان من حقهم ان يقفوا من مختلف الشخصيات التاريخية موقف القاضى الذى يدرس القضية ، ويراجع الوثائق والمستندات ويناقش الشهود ، ويستمع الى مختلف الآراء والتقديرات ، ويصدر فى اعقاب ذلك حكمه بالادانة او بالبراءة .

ولكى يكون التاريخ بمناى عن التحيز والتعصب، وفوق المحاباة والمراوغة لا بد له ان يقوم على الوثائق المحققة ، والمعلومات المؤكدة ، وان يتجرد المؤرخ من اهوائه ، ويغالب ميوله ونزواته ، وان يتحرى الحق ، ويحرص على قول الصدق ، فلا يسلك سبل الدعاة ، ويصطنع الاناة فى اصدار

أمْ جَائِرَة ؟

يحكم والمتهم غائب

من الإثارة والاستفزاز

الاحكام ، ولا يبالغ في وصف الواقعات فيصنع من الحبة قبة ، ويستخلص شيئا من لاشيء .

المؤرخون والحكم على الأخلاق

كان المؤرخ البريطاني الكبير اللورد اكتون Acton يرى ان على المؤرخ الا يحجم عن اصدار الاحكام الاخلاقية خشية ان تهتز المعايير الادبية ، وقد وجه الى رايه الكثير من النقد ، وقيل انه ليس من العدل ان نحكم على احدى الشخصيات التاريخية معتمدين على قوة القانون الاخلاقي الذي يصح ان تلك الشخصية كانت لا تعترف به ، وانه من اللازم ان نحكم على الانسان بما يناجيه به ضميره وحده ، ونستبقي اللوم للعصر الذي عاش فيه .

والواقع ان الاحكام الاخلاقية على الكائنات الانسانية بحكم طبيعتها غير متعلقة بالبحث التاريخي ، بل هي معادية له ، وبعيدة عن مجاله ، وهي تعوق الباحث وتعترض البناء الفكري الذي يكونه ، وليس معنى ذلك انكار القيم الاخلاقية ومكانتها في الحياة ، وانما معنى ذلك ان انغماس المؤرخ في اصدار الاحكام الاخلاقية غير مناسب للغاية التي يعنى بها ، وينصب نفسه لخدمتها ، وقد كانت نتيجة اتجاه المؤرخين الى الحرص على اصدار الاحكام الاخلاقية ان بعض المؤرخين الذين عنوا بدراسة تاريخ الاضطهاد الديني قد ظلموا قوما صالحين كانت تنقصهم قداسة خاصة نادرة ، او طرافة فكرية غير معهودة ، لكي يتخلصوا من سلطان فكرة صواب الاضطهاد الديني وضرورته ، كما تسامح بعض هؤلاء المؤرخين مع الذين لم يعمدوا الى الاضطهاد وآثروا الاعتدال ، لابدافع نبيل وانما ايثارا للعاجلة ، وتحريا لاهداف سياسية ليس لها نصيب من السمو ، وظفروا مع ذلك بتنويه المؤرخين بهم ، وحسن الثناء عليهم ، وهم غير جديرين به .

الاحكام الاخلاقية احكام سياسية

والاحكام الاخلاقية في مثل هذه المواقف اقرب الى ان تكون احكاما سياسية مرتدية الثوب الاخلاقي ، وتصوير الخلافات التاريخية على انها دائما صراع بين محقين ومبطلين ، وصالحين وطالحين ، تصويرا يميل بالمؤرخ الى سلوك طرائق شائكة خطرة . وتصوير التاريخ على انه دراما بين الخير والشر يتوالى تمثيلها على مر العصور يعرض المؤرخ على الدوام للخطأ والاسراف والتحامل ، فليست هناك فرقة قد استأثرت بالحق كله ، وليست هناك فرقة باطلها ليس فيه شيء من الحق ، وكل من الفريقين المتنازعين له نواحيه القوية ونواحيه الضعيفة ، وعدا هذا فاكثر الذين كانوا يطلبون احكاما اخلاقية من التاريخ كانوا من الساسة الذين يحاولون الاستفادة من تلك الاحكام في الدفاع عن قضيتهم وتأييد اتجاهاتهم .

المؤرخ يجهل بواطن الأنفس

والمؤرخ مهما يبذل من الجهد ويراجع من الوثائق ويجمع من المعلومات لايستطيع ان يعرف الناس من الداخل ، ويتغلغل في خفايا نفوسهم ، وكل مايستطيع الاعتماد عليه هو ادراكه العام للطبيعة الانسانية المستمد من تجارب الحياة ، وخبرته بطرز النفوس والوان الطبائع التي لقيها او قرا عنها ودرس سيرها . ويمكنه ان يظفر بجانب من المعرفة النفسية عن طريق الخيال العاطف . ان غاية ما نستطيع ان نصل اليه في التاريخ هو ان نتخيل انفسنا في مكان الآخرين . ولا نزاع في ان

هذا النوع من التخيل يحتاج الى دقة في الشعور وحساسية ممتازة ،وهي في بعض الاحيان خداعة .

والمؤرخ ، وهو مزود بمعرفة عامة عن الطبيعة الانسانية ، يختبر الاعمال الخارجية ، ويستقصي الافكار التي تكتب ، ويطلع على الوثائق والرسائل وانطباعات الاصدقاء والمعارف ، اي انه يستعين باشياء خارجية يضيفها الى سابق معلوماته عن دخيلة الانسان الذي يدرس حياته . وهو لا يدعي انه يعلم كل شيء لان الاجهزة التي يعمل بها ، والبيّنات والشواهد التي يعتمد عليها ، لاتسمح له بالوصول الى هذه المرتفعات .

وقد يشعر المؤرخ انه قد استطاع بخياله العاطف ان يسد الكثير من الثغرات في معلوماته ، واقترب من المعرفة الصحيحة للشخصيات التي يحاول تصويرها ، واهتدى الى ما كان يسميه المرحوم الاستاذ العقاد « مفتاح الشخصية » حتى لبعض الرجال الذين حيرت شخصياتهم المفسرين ، واعيت النقاد العارفين ، ولكن حتى هذا المعرفة قد تجدي في التفسير التاريخي ، ولكنها ليست كافية لاصدار الاحكام القاطعة .

التحذير من الاسراف في التفسير

وكان المؤرخ اللورد اكتون Acton ※ يرى ان على المؤرخ ان يَحْذَر الاسراف في تفسير الحوادث ويَرْوي قول مدام دي ستايل De Staël※ « اننا نغتفر مالا نفهمه حق الفهم » وقد عبر عن ذلك دوق دي بروبي بصورة اخرى فقال « حذار من الاسراف في التفسير ، فقد ينتهي بنا الى الاسراف في التماس الاعذار » ، وكانت قلة المعرفة في رأي اللورد اكتون لا تبرر تعليق الحكم ، وذلك لانه كان يرى ان خطأ المؤرخ أجدى على قضية الاخلاق اذا كان في جانب الاسراف في الشدة .

جدل بين مؤرخين كبيرين

وحينما اصدر المؤرخ كريتون Creighton※ كتابه « تاريخ البابوية » قال في مقدمة الجزء الرابع « يبدو لي انه ليس من اللازم ان نرسل الاحكام الادبية في كل منعطف من منعطفات الكتابة التاريخية ، ولا من اللائق ان نتخذ موقف المشرف من عليائه ازاء اي انسان لعب دورا بارزا في الاحوال الاوروبية ، وليس من البرّ الامعان في توجيه النقد غير المتبصر لاي انسان » .

وقد اثارت هذه الكلمات اللورد اكتون ، وبدا له ان كريتون قد مرّ مرور الكرام بالاضطهاد الذي قامت به الكنيسة في العصر الوسيط ومبالغتها في عدم التسامح ، وكتب اليه من رسالة يقول :

« ان البابوات في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر وضعوا نظاما للاضطهاد المنظم ، وهذا الاضطهاد هو ابرز الوقائع في تاريخ البابوية في العصر الوسيط ... ولكن الذي يدهشني ويعجزني هو انك تتحدث عن البابوية ، لا على انها تمارس الشدة المشروعة ، بل على انها لا تمارس لونا من الوان الشدة ، وانت تتجاهل بل حتى تنكر — على الاقل انكارا ضمنيا — وجود حجرة التعذيب والقائمة التي كان يُشَدّ اليها من يحرقونه .. والاحرار يرون الان ان الاضطهاد جريمة من نوع اسوا الى حد كبير من لهو الاسكندر السادس ※ بالبغايا الرومانيات ، والتبعة موجودة" سواء" كان ما يباح خيرا او شرا ، فاذا كان اجراميا فان السلطة التي سمحت به تتحمل وزره .. وانت تقول ان علينا الا نمتهن من بيدهم زمام السلطة او ان نستهزيء بهم ونحن قابعون في قمة استقامتنا التي نستشعرها ، ولست ادرى في الواقع هل تعفيهم من اللوم لمكانتهم ، او لنجاحهم وما اوتوا

※ هو اللورد جون أكتون (١٨٣٤ — ١٩٠٢م) ،مؤرخ انجليزي قاد الحركة الكاثوليكية المتحررة في انجلترا ، وعارض العصمة المنسوبة الى البابوات .

※ هي البارونة الفرنسية (١٧٦٦ — ١٨١٧) قصاصة شهيرة كانت لها سمعة ضخمة في أيامها وخاصمها نابليون فنفاها .

※ هو مندل كريتون (١٨٤٣ — ١٩٠١) اسقف لندن ورجل من رجال الكنيسة كبير ، ومؤرخ شهير ، وشخصية في القرن التاسع عشر بارزة .

※ هو الاسكندر السادس ، اسكندر بورجيا ،وبورجيا اسرته ، ولد في اسبانيا عام ١٤٣١ ، وتولى البابوية من عام ١٤٩٢ الى عام ١٥٠٣ . شن على كبار رجال ايطاليا حربا لا رحمة فيها .وكانت حياته الخاصة اشبه بحياة أمير من امراء النهضة منها بحياة بابا .

من سلطة ، او للعصر الذى وُجدوا فيه .. ان على التبعة التاريخية ان تعوّض نقص التبعة القانونية ، والسلطة تجنح الى الافساد ، والسلطة المطلقة تفسد افسادا مطلقا ، وعظماء الرجال فى غالب الاوقات دائما أشرار » .

كاثوليكي يحمل على البابوية

وهذا الجدل بين المؤرخين الكبيرين عجيب الشأن الى حد ما ، فقد كان اللورد اكتون كاثوليكي المذهب ، وكان المؤرخ كريتون بروتستنتى النزعة ، وبرغم ذلك نرى هنا المؤرخ الكاثوليكى يحمل على البابوية ، والمؤرخ البروتستنتى يلتمس لها الاعذار ، ويميل الى اللين والترفق ، وقد أبى كريتون ان يصور اسكندر بورجيا Borgia فى صورة هَوْلة ، ونسب له بعض الصفات الطيبة ، وكتب عنه قبل ان يقدم كتابه للطبع :

« ان ما وُصف به اسكندر من الخبث الذى لانظير له سببه الرغبة العامة فى ايجاد ضحية فدائية للفساد الذى عم ايطاليا فى القرن السادس عشر . ولقد كان شريرا بما فيه الكفاية ، ولكن لم يكن شريرا بشكل غير عادى » .

وهو يعلل ما لحق به من سوء السمعة بانه لم يضف الرياء الى عيوبه الاخرى ، ويقول :

« ان الناس الصالحين ليسوا صالحين الى الحد الذى يخالون انهم بلغوه ، والاشرار ليسوا اشرارا الى الحد الذى يظنه الصالحون انهم قد بلغوه » .

التاريخ ليس فرعا من علم الاخلاق

وقد عارض كريتون فى رده على اكتون جَعْلَ التاريخ فرعا من علم الاخلاق ، ورأى ان الناس الذين يعتقدون ان الخروج على اى اصل من اصول الدين جريمة يمكن ان تتهمهم بالخطأ فى التفكير ، ولايستلزم هذا ان يكون الخطأ الفكرى جريمة اخلاقية . ويسند ذلك بقوله « ان التاريخ يقدم لى القليل من الابطال ، ويسجّل القليل من الاعمال الصالحة ، ولكن الذين يمثلون فى التاريخ كانوا رجالا مثلى يستهويهم بشدة امتلاك السلطة ، فمن أنا حتى التزم اداناتهم ؟ من المؤكد انهم كانوا لايدرون ما يصنعون » .

طاقة المؤرخ فى اصدار الاحكام محدودة

ويمكن ان نستخلص من هذا النقاش بين المؤرخين الكبيرين ان كريتون كان لا يعرف ما يكفى للحكم بالبراءة ، واكتون لايعرف ما يكفى للحكم بالادانة . ويكفي المؤرخ ان يعمل فى الحدود التي تسمح بها ادوات بحثه وطرائق دراسته ، وفى داخل هذه الحدود مجال متسع للبحث والافادة . وواجب المؤرخ الحقيقى ان يجمع كل ما يتيسر له جمعه عن الاحوال السابقة للاحداث التى يصفها ، وكل ما يلقى الضوء على محاولة تفسير الاعمال والاتجاهات . وليس فى وسع مؤرخ مهما أوتى من المعرفة ان يَفْصل فى المناقشة التى دارت بين كريتون واكتون وينتهى الى رأى حاسم فى تقدير اخلاق البابا اسكندر السادس وغيره من اعلام التاريخ ، وليس فهم اى نفس انسانية من الامور السهلة الهينة كما يظن بعض الناس .

المؤرخ يفسر حماقات التاريخ

وعلى المؤرخ ان يفسح مجال التفسير التاريخى بطريق استقصاء المعلومات المتصلة بالموضوع الذى يتناوله حتى يستبين لنا معنى الاحداث التي يصفها ولا نراها منافرة لتجاربنا . وقد نرى فى التاريخ حماقات وسخافات تعجب من امرها والمؤرخ الحق يستطيع أن يوضح ما كانت تنطوى عليه هذه الحماقات والسخافات من عناصر الحق ، وهو لايحيلها فضائل ، وانما يجعلها مفهومة لنا من الناحية الانسانية .

الاثارة واشعال الحماسة فى كتب التاريخ

وبعض المؤرخين يستهدفون فى كتبهم الاثارة ، واشعال الحماسة ، وتأريث العداء ، وقد تنفع مثل هذه الكتب فى تنبيه الشعور القومي ، ولكن كتابة التاريخ بطريقة موضوعية ، ومراعاة الامانة فى وصف الاحداث ، والاعراض عن المبالغة والتهويل ، اقرب الى خدمة الاخلاق وأدعى الى احترام البحوث التاريخية ، والذى لايحركه ويثير مشاعره صدق الوصف التاريخى لايجدى معه الاستفزاز . ويمكن ان نقول انه من اسباب عدم الاكتراث الاخلاقي الاخفاق فى تحقيق الحوادث التاريخية بطريقة موضوعية . ومن الخطأ القول ان التاريخ يهدىء الاهواء العاصفة ، ويطفىء نيران العداوة المتاججة ، لان اهواء المعاصرين تتجدد فى الاجيال التالية فيضاف الى أهوائهم اهواء الذين يخلفونهم . وقد يقال فى مثل هذا المقام ان التاريخ سيطلع فى المستقبل على وثائق ومستندات

تكشف الكثير من الحقائق التي يجهلها المعاصرون ، ولكن الوثائق والمستندات لايمكن ان يكون لهـا الكلمة الفاصلة وان كانت قد تلقى الكثير من الضوء ، وفضلا عن ذلك فانه يحسن في التاريخ التفريق جهد الطاقة بين الاخلاق الخاصة والاخلاق العامة ، فالملكة اليزابيث حينما امرت بقتل الملكة ماري ستيوارت كانت في رأى اللورد اكتون قاتلة لا اكثر ولا اقل ، ولكن اذا نظرنا الى هذه المسألة من الوجهة السياسية العامة ادركنا الفرق بين موقف الناس في حياتهم العامة وموقفهم في حياتهم الخاصة ، ولاسيما هؤلاء الذين يضع القدر في ايديهم ازمّة الامور ومصائر الدول .

حين يبالغ المؤرخ في المدح أو القدح

وقد تناول هذا الموضوع من زاوية قريبة الاستاذ المؤرخ دافيد نولز استاذ التاريخ المعاصر في جامعة كمبردج في المحاضرة الافتتاحية التي القاها سنة ١٩٥٤ فقال ضمن هذه المحاضرة :

« على المؤرخ وهو يعمل في ميدان اوسع ان يتحرى القصد ويزن ملابساته ، وان يكون مخلصا قبل كل شيء ، وان يتحاشى السخف ، ولا يصور لنا شخصيات لم توجد قط في البحر ولا في البر ، وأود ان اقدم انموذجين كتبهما اثنان من ابرز مؤرخي القرن الاخير ليكونا مثالا وتحذيرا نضعه نصب عيوننا ، المثال الاول الحكم النهائي الذى اصدره المؤرخ موتلى على فيليب الثاني الاسباني وهو قوله «وقليل من الرجال الذين عرفهم التاريخ قد استطاعوا بجهودهم الخاصة ان يأتوا بمثل هذا المقدار الضخم من الشر الذى جاء به هذا الملك الذى قضى نحبه قريبا ، واذا كان لفيليب فضيلة واحدة فان هذه الفضيلة قد افلتت من البحث المضنى الذى قام به كاتب هذه الصفحات، واذا كان هناك عيوب قد برّىء منها ـ كما يمكن ان يكون ذلك ـ فسبب ذلك انه غير مسموح للطبيعة الانسانية ان تبلغ الكمال حتى في الشر » .

والمثل الثاني هو تقدير المؤرخ مومسن ليوليوس قيصر ، وهو قوله « يكمن سر شخصية قيصر في كمالها ، فقد كان قيصر الرجل الكامل ، الرجل كل الرجل .. وكما ان الفنان يستطيع ان يرسم كل شيء الا الجمال الذى بلغ الذروة ، فكذلك المؤرخ حينما يصادف في خلال الف سنة الكامل التام فانه لايملك امامه الا ان يلوذ بالصمت .. وليس لنا الا ان نعد من السعداء هؤلاء الذين رأوا مثل هذا الكمال » .

ويعلق نولز على هذين المثالين بقوله : « كان موتلى رجلا ممتازا ، وكان مومسن مؤرخا من الطراز الاول » ولكن كيف تورطا في مثل هذه الاحكام التى تنم على المبالغة سواء في المدح او القدح ؟ يعلل ذلك نولز بأن لم يكن منتظرا من رجل عقليته انجليزية ساكسونية ان يهضم في يسر الحركة الكاثوليكية الاسبانية الناهضة للاصلاح الديني وشخصية فيليب الثاني ، كما ان مومسن كان يرى في يوليوس قيصر كل ما يتطلع اليه من العمل الواقعي لامته الطامحة .

ولا نستطيع أن نبرىء المؤرخين الكبيرين،انهما حينما حاولا الانتقال من وصف الحوادث وتصوير المواقف الى اصدار الاحكام الاخلاقية قد اسرفا في استعمال الالفاظ ، ففيليب الثاني لم يكن مجردا من الفضائل ، ويوليوس قيصر لم يكن خاليا من العيوب ، وقد نستطيع التفريق بين الامتياز الاخلاقي والمواهب الطبيعية والقدرة الشخصية ، وفي بعض الاحيان لايكون هناك تناسب بين مواهب انسان وعبقريته وبين صفاته الانسانية الاخرى ، مما يوجب على المؤرخ ان يكون في تقرير الصفات واصدار الاحكام حذرا كثير الاحتياط .

وهناك حقيقة كثيرا ما يغفلها المؤرخون ، وهى ان احداث الزمن وتجارب الحياة تغير من الانسان، وللانسان ارادة حرة ، وهو يستطيع ممارسة العمل بهذه الارادة ، وتظل خصائصه الطبيعية معروفة كسمات وجهه ، ولكن اهدافه ومثله العليا واحساسه بالقيم وقوة ارادته الموجهة قد تتغير ، وقد يحدث هذا التغير من النقيض الى النقيض كما حدث في حياة القديس سانت اوغسطين وغيره من الرجال المعروفين . والانسان لايظل على حالة واحدة ، والذى لايتقدم يتقهقر ، والشخصية الانسانية قد تزداد على مرّ الايام جمالا وسموا ، وقد تزداد سوءا وقبحا .

وموجز القول ان اسناد وظيفة القاضي الى المؤرخ ليس من الصواب لأن عمل القاضي ان يفصل فيما بين المتهم والشاكي ويحكم بالادانة او بالبراءة ، وعمل المؤرخ يختلف عن ذلك . فهو يراقب الاعمال والرجال ويصنف ما يرى دون ان يمدح او يذم . ■ ■

علي ادهم

الأنماط العالية في التعبير

بقلم : انيس المقدسي

استاذ اللغة العربية وآدابها
بالجامعة الامريكية (سابقا) بيروت

• اتفق على أصول البلاغة أدباء العرب والغرب
• قواعد اللغة تحتم.. ولكن ليس للبلاغة قواعد



• البلاغة ترتكز على أسس عقلية نورد منها تسعة

إن الهدف الأساسي من الكلام هو التعبير عما نفكر او نحس به ، ومن المعلوم ان لكل لغة قواعد خاصة لا يعد الكلام بها صحيحا الا اذا طابق تلك القواعد . على أن التعبير الجيد كتابة « او نطقا » لا يقف عند هذا الحد ، بل يتطلب شيئا آخر ـ شيئا يكسبه روعة أو تأثيرا وقوة وهو ما يعرف بالغرض البلاغي او النمط العالي من الكلام .

قواعد اللغة

وتختلف قواعد اللغة عن اغراض البلاغة فى ان القواعد وضعت وضعا ورسمت حدودها ولا راى لنا الا اتباعها وتقليد واضعيها . فنحن فى العربية مثلا نرفع الفاعل ، وننصب المفعول ، ونجر المضاف اليه ، ونصرف الافعال : وتصوغ المشتقات ، ونثنى ونجمع ، ونصغر وننسب ، ونطبق سائر الاحكام النحوية والصرفية ، لا لسبب الا انها وضعت لنا وعلينا الجرى بموجبها . وما نفعله نحن من هذا القبيل يفعله اهل كل لغة طبقا لاحكاها وقواعدها .

اغراض البلاغة

اما البلاغة فليست كذلك ـ ليست قواعد خاصة تختلف فيها لغة عن اخرى ، وانما هي قائمة على مبادىء عامة تشترك فيها معظم اللغات . والى ذلك يشير ضياء الدين ابن الاثير فى كلامه على الفرق بين علم النحو وعلم البيان اذ يقول :

« لانه (اى علم البيان) استنبط بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة . ولم يفتقر فيه الى التوقيف . اخذت الفاظ ومعان على هيئة خاصة ، وحكم لها العقل بمزية الحسن لا يشاركها فيها غيرها . فان كل عارف بأسرار الكلام من اى لغة كانت يعلم أن اخراج المعاني فى الفاظ رائعة حسنة يلذها السمع ، ولا ينبو عنها الطبع ، خير

من اخراجها في الفاظ قبيحة مستكرهة ، ولو اراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قلدناه » .

ويذهب احد نقاد الغرب الى أبعد من هذا اذ يقول ما معناه « ان الانسان قد اضطر الى التكلم بالمجاز (أي باستخدام الصور البلاغية) لا لانه عاجز عن ضبط رغبة التخييل أو التصوير الشعري فيه ، بل بالاحرى لاضطراره الى بذل أقصى الجهد للتعبير عن حاجات نفسه المتزايدة » .

وبعبارة اخرى ان التماس البلاغة أو النمط التعبيري العالي هو حاجة نفسية متاصلة في طبيعة الانسان .

وسائل وصول الغاية من البيان

ولقد حاول علماء البيان تبيان الوسائل اللازمة لبلوغ هذه الغاية . فمنهم من نظر اليها من الوجهة الصناعية معتبرا اياها صناعة يمكن اتقانها باتباع بعض قواعد أو احكام معيّنة . ولكنّ البلاغة – كما اسلفنا – لا تقيّد بقيود أو تحدّد بحدود ، وانما هي مبادىء عقلية يهتدى بها .

ولذا كان أهل النظر في كلّ امة يكتفون بايضاح حقيقتها وتحليل خصائصها ، والاشارة الى بعض معالم تساعد السالك في الوصول اليها . وسترى أنهم جميعا يسلكون في ذلك طرقا متشابهة ذلك لان الحسّ بالجمال اللغوى مهما اختلفت الشعوب هو شيء مشترك بينها . ويدلنا على ذلك أن اراءهم ونظرياتهم في أصول البلاغة ومزاياها تكاد تكون واحدة لا فرق فيها بين شرقيّ وغربي أو قديم وحديث . وها نحن نثبت الآن للتمثيل بعض اقوالهم فيها .

راى لنجينوس اليوناني في البليغ

لنجينوس Longinus وهو فيلسوف ونقاد يوناني من أهل القرن الثالث للميلاد يقول – ان النمط العالي هو الذي يحملك الى ما وراء الظواهر ، ويرفعك الى ما فوق العاديّ حيث تشعر بتسام وبغبطة يولدها سمو الفكر ومتانة التركيب ، وملاءمة الالفاظ للمعاني والاوصاف للموصوفات ، والابداع في تصوير المعاني وحسن الجمع بين المختلفات . ومثل هذا النمط لا يشوبه تصنع أو فخفخة فارغة او تطويل مبرم أو « رتابة » مملّة .

راى اسوفت الانجليزي

وقد عرفه يوناثان اسوفت Gonathan Swift احد كبار الادباء الانكليز (١٦٦٧ – ١٧٤٥) بقوله : « انه الكلام المناسب في المكان المناسب ، لا يحجب معناه أو مرماه حجاب من الغموض ، ولا يعرض بأطمار رثة من الالفاظ ، ولا يتغلب فيه الانفعال العاطفي على جودة التفكير ، ومهما اختلفت شخصيات الكتاب وأساليبهم واختباراتهم ودرجات مواهبهم فمبادىء البلاغة في كلامهم هي هي اسسها واحدة لا تتغير » .

راى بوفون الفرنسي

وعلى هذا الوتر يضرب دي بوفون De Buffon الاديب العلامة الفرنسي (١٧٠٧ – ١٧٨٨) اذ يقول: ليس الاسلوب الكلامي الا صورة للأسلوب الفكري (الاسلوب هو الشخصية) فاذا كانت الافكار متينة محكمة كان الاسلوب كذلك والعكس بالعكس . وهو يشدّد على أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال فلا تصطنع الاسلوب الفخم حيث لا فخامة معنوية وراءه . والاسلوب العالي ملازم للمعاني أو المواضيع العالية التي تعكس لنا حقائق الحياة والطبيعة ، بل هو لا يتاتى الا عنها . ولا شيء يناقضه كاستعمال الالفاظ الطنانة للمعاني الوضيعة والتراكيب الفخمة للمواضيع التي لا قيمة لها .

راى سائر النقاد الغربيين

ولو راجعنا اقوال سائر النقاد الغربيين في وصفهم للنمط العالي وخصائصه الرئيسية لوجدناهم يجرون مجرى من ذكرنا ، وهم يكادون يجمعون على انه لا بد في الأسلوب البلاغي من توخي امور اهمها : الاقتصاد والبساطة ، وحسن الالتئام والانسجام والتسامي ، والتنوع. فالاقتصاد يقتضي استخدام اقل ما يكون من الكلام للتعبير عن المراد .

والبساطة تجنب التنطس والتقارب والزخرفة وما الى ذلك مما يعيق الذهن عن الوصول بسهولة الى المعنى .

ويقصد بحسن الالتئام توافق الالفاظ وانتظام العبارات ، واحكام الربط بين القيود والمقيّدات والتوابع والمتبوعات .

اما التسامي فيعني أن يجرى الكلام صعَدا فلا يبدأ قويا ثم يهبط ، بل يظلّ متساميا حتى يصل الى الأوج .

ومن الطبيعى «الارتياح» الى تنوع الأسلوب فلا يجرى الكاتب على وتيرة واحدة فى وصف أو نسق واحد فى وصف فيبرم ويحمّل انتباه القارىء أو السامع من الملل ما يفقده لذّة المتابعة .

وقال ادباء العرب ما قال ادباء الغرب

وفى كل هذه قد تكلم نقاد أدبنا العربي منذ قديم الزمان حتى الآن . فتراهم يشددون على الايجاز ومطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وتجنّب التطويل المملّ ، والتكرير الفارغ ، والترفع عن الابتذال . والتصنّع ، والتعقيد ، والحوشية ، وتوخي التلاؤم بين الالفاظ والمعاني ، واختيار الألفاظ الرائعة وما الى ذلك مما اهتمت به كتب المعاني والبيان وتجرّد له كبار أهل البلاغة كابن قتيبة والجاحظ وقدامة وابي هلال العسكرى وابن رشيق وابن سنان والجرجاني وابن الأثير وسواهم من سابق ولاحق . وقد قال انهم تأثروا بمن سبقهم من مفكرى اليونان والرومان . ولكن تأثرهم لم يكن الا حافزا لهم على العناية بهذا الموضوع فخاضوا عبابه ، وجروا فى مضماره الى أبعد مدى . ومن مقابلة ما كتبه البلاغيون فى الشرق والغرب نستدلّ علىأن الخصائص البلاغية لا تنحصر فى لغة أو امة بل هي مشتركة بين اللغات والأمم . والدافع اليها حسّ داخلي فى طبيعة الانسان يدفعه الى توخّي الافضل فى التعبير وتجنب الأقبح والأثقل .

البيانيون ضلوا السبيل

ولا ينكر ان البيانيّين فى بحثهم خصائص الأسلوب العالي كثيرا ما يضلّون السبيل ، أو ينسون الغاية الرئيسية فيجعلون البلاغة علما ذا قواعد ، ويدعون الناس الى اتباع هذه القواعد وهكذا تصبح صناعة متكلّفة كما حدث فى الأدب العربي منذ القرن الرابع للهجرة اذ طغى فن البديع على الانشاء وأصبح التفنن فيه غاية منشودة لذاتها . ولم تتحرر منه الكتابة الا فى أبان نهضتنا الحديثة .

من خصائص البلاغة

ولكن ذلك لا يمنعنا من القول ان البلاغة ترجع الى اصول عقلية ولذلك تشترك فيها جميع اللغات . فمن خصائصها البيّنة الوضوح أو جلاء المعنى ، والايقاع أى حسن التناسب الموسيقى بين الجملة ، والاثارة أى المقدرة على اذكاء العواطف وتحريك القوى التخيلية والفكرية ، ثم الايحاء أو الايماء الى معانٍ بعيدة وراء المعانى القريبة .

خصائص البلاغة ترتكز على اسس عقلية

ولو تحرّينا هذه الخصائص لرأيناها ترتكز على الأسس العقلية التالية :

١ ــ ان العقل يرتاح الى ادراك المألوف ، فهو يتجهّد اذا اصطدم بأوضاع مبهمة أو معقدة ، كأن تخالف القواعد ، أو تستند الى جوازات غير مستحبّة او سائغة ، توضع فيها القيود فى غير مواضعها أو يكثر فيها تشجير العبارات وتداخلها بعضها فى بعض ــ كالذى يتمثلون به من قول ذى الرمّة :

كأن أصوات من ايغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريج

والأصل ان يقال كأن أصوات أواخر الميس من ايغالهن بنا .

وقول ابى تمام فى وصف الخمر :

جهميّة الأوصاف الا انهم
قد لقّبوها جوهر الأشياء

انتقده أبو هلال العسكرى فقال : قوله جهمية الأوصاف لا يدل على فحوى يصح أن تشبه به الخمر أو تنسب اليه . وكذلك انتقد قول بعض المتكلمين فى صفة الله تعالى « لا يقاس بالقياس ولا يدرك بالألماس » وذلك لخروجه عن الأصول بجمعه المَصْدر ليصيب السجع فى كلامه .

٢ ــ ان العقل أسرع الى ادراك المحسوس أو الخاص منه الى ادراك المعنوى أو العام . فقولنا: « أرض تفيض لبنا وعسلا » أوضح من قولنا : «أرض تفيض خيرا» أو « أرض كثيرة الخصب » . وقولنا اشترك فى حفر البئر أياد كثيرة يصوّر لنا من هيئة العمل ما لا يصوّره قولنا « عمال كثيرون » .

على أنه اذا أردنا التعبير عن فكرة غير محدودة او صورة غير معينة فاستعمال العام أولى من

استعمال الخاص . فاذا وصفت مثلا نزهة لك بين البساتين العطرة الاريج لا تخصص فتقول ذهبنا الى البستان لاستنشاق الورد او القرنفل بل تعمّم فتقول لاستنشاق الرياحين .

٣ — ان العقل اسرع الى ادراك النسبة بين متغايرَين . ففي قول الشاعر :

فالوجـــه مثل الصبـــح مبيضّ
والشعـــر مثل الليـل مسـودّ

طباق بين البياض والسواد يجعل كلا منهما أوضح للذهن .

وذلك ما تراه ايضا في الاستفهام البياني كقول الخطيب : « هل الحياة افضل من أن تبذل في سبيل الحرية ؟ » .

٤ — ان العقل يرتاح الى لحظ النسبة بين الأشباه والنظائر . وعلى ذلك جمال الكلام المجازى والبديع اللفظي وهو باب واسع .

٥ — ان العقل يزداد تأثره واستمتاعه اذا شوّق الى غرض ما . والمشوّقات مختلفة منها تقديم القيود على المقيّدات وتكريرها كقولك : « لا في هذا ولا في ذاك بل في كذا وكذا تجد ما تروم » — او قولك تصف شخصا شريفا — في الحرب وفي السلم . في البيت وفي الحياة العامة بلغ فلان غاية الشرف .

ومن المشوقات ما تجده في القصة من عقدة خلاّبة يهفو الذهن الى حلّها . وما يستعين به الخطيب احيانا من اسئلة مثيرة تحوّل الذهن الى غرضه الخاص .

٦ — ان العقل ينجذب عادة الى غير المعتاد . وهذا هو أساس البلاغة في الالتفات والتعجب والاستفهام والاختصاص والقصر وتقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم وما الى ذلك .

٧ — ان العقل يرتاح الى التنوع المعتدل في الفكر والأسلوب .

اما في الفكر فيطلب تجنب الاطالة المملة في اى نوع من انواع الكلام ، فكم من كتاب او رسالة تقشعر النفس عند قراءتهما فيضيع تأثيرهما لافراط الكاتب في وصفه واطالته في شرحه ، وحمله الذهن على وتيرة يلازمها حتى درجة الابرام .

واما في الأسلوب فيقتضي أن لا تتعلق تعلقا طويلا بسجع أو توازن أو بديع لما في ذلك من اجهاد للقوى المتأثرة يضعفها وبالتالي يمنعها من التمتع بالكلام . على ان التنوّع لا يعني الاستطراد والخروج عن الموضوع كما يفعل بعض الكتاب ، بل يعني عرض الفكرة على طريقة الايجاز في غير اخلال ، والاطناب في غير تطويل .

٨ — ان العقل ينتظر توالي المعاني تواليا منطقيا فهو لذلك يضطرب اذا خرجت عن ذلك لغير داعٍ موجب . ومن الترتيب المنطقي ما يلي :

أ) الوضع المكاني : بحيث يجيء وصف الأماكن بطريقة منطقية لا تشويش فيها او اضطراب .

ب) الوضع الزمني : ويتناول ترتيب الحوادث وارتباطها حسب مقتضيات التاريخ .

ج) الوضع السببي : اى ارتباط السبب بالمسبب ووجود احدهما عند وجود الآخر .

واذا نظرت في أوجه الكلام وجدت أن الانشاء الوصفي يرتب الكلام طبقا للمنطق المكاني ، والانشاء الاخبارى طبقا للمنطق الزمني . اما في البحث والتحليل والعرض فلا بدّ من اعتبار الروابط السببية والنظر في أوجه المشابهة والمضادّة .

٩ — ان العقل يرتاح الى الانسجام الموسيقي في النثر والشعر .

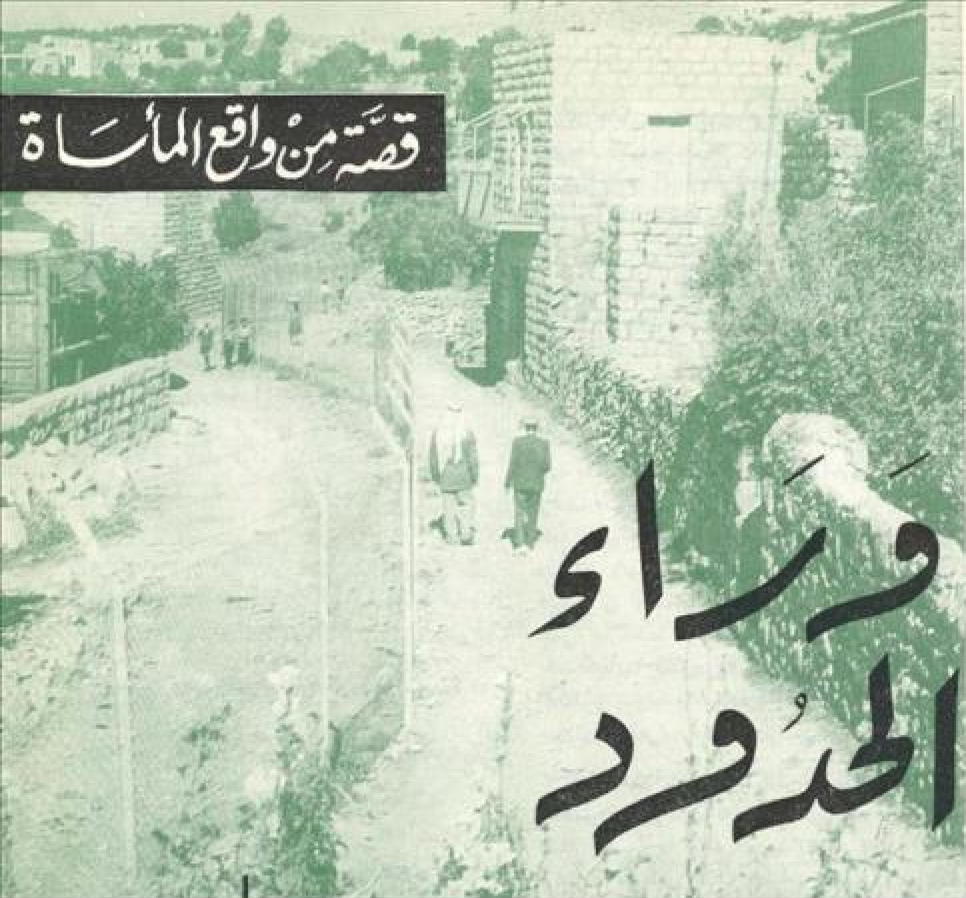
وقد اصاب العسكرى في كتابه الصناعتين اذ قال : فاذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزالة والسهولة والرصانة مع السلاسة والنصاعة واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد من سماجة التركيب ، وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يردّه ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم يمجّه . والنفس تقبل اللطيف وتنبو من الغليظ وتقلق من الجاسي البشع .. ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب والرؤية الفاسدة .

ويستشهد على طرب النفس بالانسجام الموسيقي ولو لم يكن كما يزعم وراءه معنى كبير ، بقول كثيّر عزّة :

فلمـــا قضينا مـن منىً كل حاجة
ومسّح بالاركان مـن هـو ماسـح
وشدّت على حدْب المهارى رحالنا
ولـم ينظـر الغادى الذى هو رائـح
أخـذنا بأطـراف الأحاديث بيننـا
وسـالت بأعنـاق المطيّ الأباطـح

■■

انيس المقدسي



قصة من واقع المأساة

وراء الحدود

بقلم : ألفة الادلبي

الليل لا يمضي !! .. كان دقائقه ساعات ، وساعاته دهور .

قالت ذلك أم مصطفى وهي تتقلب على فراشها، تحاول ان تستجر النوم بالتسبيح كما نصحها ابنها احمد ذات مرة حين شكت اليه ما تعاني من الارق . وتروح تعد على سبحتها الالفية عشرة آلاف مرة (يالطيف ، تجمل للبلا تصريف) . حتى جف ريقها ، وكاد ييبس لسانها دون ان يغمض لها جفن .

كان النوم فيما مضى من الليالي يغتالها قبل ان تتم الالف مرة . اما في هذه الليلة الثقيلة البطيئة فما استطاع التسبيح أن يتغلب على هواجسها السود التي راحت تمعن في تعذيبها ! ...

لا ... لن تستطيع ان تظل حبيسة غرفتها ، ممدّدة فوق فراشها كجثة لتريح قلبها المريض كما نصحها الطبيب . انه ما يدرك ما تعانيه امّ ثكلى في ليل طويل ، ولا يعرف انها ستختنق حتما اذا ظلت كما هي حيث هي الآن . وتقوم تجر هيكلها المتداعي ، تتلمس طريقها في العتمة حتى تهتدي

الى الباب ، تفتحه على مهل ، وتخرج الى فناء الدار ، تسير متعثرة ، مضطربة الخطى ، تتلفت يمنة ويسرة كلص حذر حتى تصل الى السلم الذى يؤدى الى السطح . كان السلم مرتكزا الى حائط فى احدى زوايا الدار ، وتروح تتسلقه بمشقة وجهد ، تقبض على عارضتيه باصابع متشنجة ، ويشتد لهاثها فتحاول ان تكبته ما استطاعت ، لقد اصبحت وهي العجوز القوية الشكيمة تخشى ابنها احمد وترهبه ! ... فلو استيقظ الآن من نومه لاعادها الى فراشها كما فعل البارحة ، واول البارحة ، ولاعاد قوله لها بلهجته الجافة القاسية :

ـ انت لن تستريحي حتى توقعينا فى بلاء او مصيبة ! ... لو رآك الحارس اليهودى على السطح فى هذه الساعة من الليل لشك فى امرك ، ولصوب اليك رصاصة فأرداك وانت فى مكانك !..

وتجيبه وهي تضحك فى سخرية مؤلمة :

ـ ياليته يفعل يابني ! .. أنا خير من الغوالي الذين أرداهم رصاص اليهود ؟! .. أنا أحسن من ابيك او اخيك مصطفى واختك زينب ؟! ....

ويرد عليها فى نزق :

ـ ما فائدة هذا الكلام يا أمي ؟ .. ما فائدته ؟ .. ألم تشبعي من ترداده سبع عشرة سنة دون جدوى ؟! .. ليس أمامنا الا الصبر ، الصبر .

ويروح يكررها بعصبية مخيفة وهو منصرف من امامها .

وترد عليه بحدة :

ـ أعرف ذلك ، ولكنه صبر على جمر ! ..

ويجيبها متأففا دون ان ينظر اليها : ان كان على ثلج أو على جمر ليس أمامنا غيره ، ما أدرى متى ستدركين ذلك ؟

ويتهدج صوتها وهي ترد عليه بنغمة حزينة كأنها نواح :

ـ أما تكفى هذه السنين الطويلة لتميت الصبر فينا ؟! لتنشف الدماء من عروقنا ، لتفرقع قلوبنا كما تفرقع بالونات الهواء ؟ . الى متى نتعلل بالكلام والوعود ؟!

كان هذا يجرى فى بيت (صفافا) فى القرية العربية التى يشطرها جدار من اسلاك حديدية يسمونه خط الهدنة ، فتقع فرقة منها فى الارض السليبة ، وتظل فرقة أخرى فى الارض العربية .

وكما شطرت بيت صفافا شطرين كذلك شطرت اسرة ام مصطفى فكانت هي وابنها أحمد فى الارض المحتلة ، وكانت ابنتها سلمى وزوجها فى الارض العربية .

واخيرا تصل ام مصطفى الى السطح فتكاد تلفظ انفاسها لما بذلت من جهد فى الصعود ، وتشعر انها عاجزة اكثر منها فى اى مرة اخرى ، وتروح تزحف حتى تصل الى حافة السطح تماما . وهناك تقعد تضم ساقيها ، وترفع ركبتيها فتسند عليهما ذقنها . وتهب نسمة باردة تتخلل البستها المهلهلة فتبعث فى أوصالها رعدة . لقد نسيت أن تتدثر بشيء ما عندما خرجت من غرفتها . وتخفي يديها تحت ابطيها لتدفىء اصابعها التى بدا يقلصها الصقيع . ويبدو هيكلها مكوما فوق بعضه ككتلة سوداء لا تعرف ماهيتها .

كان الظلام يلف بيوت قرية بيت صفافا ، والسكون يخيم عليها لا يعكره سوى صوت خطوات ثقيلة رتيبة ما تنفك تضرب الارض بعنف . ما عرفت ام مصطفى اكانت خطوات الخفير اليهودى ؟ ام الخفير العربى ؟.. وترسل العجوز نظرة من عينيها الكليلتين لتجوب القرية فى القسم العربى ، ثم تستقر على بيت لا تخطئه عيناها حتى فى الظلام . انه بيت ابنتها سلمى وكان بصيص من نور يشع من احدى نوافذه ، وتتمتم العجوز :

ـ لا بد ان الطلق قد داهم البنت هذه الليلة . يا ويلي عليها !.. والا ما معنى أن يظل نور غرفتها مضاء حتى الآن ؟!

وترهف سمعها فيخيل اليها انها تسمع صراخ امراة كأنها تعانى آلام المخاض . فيجف قلبها . وتتمنى لو انها صبية لكانت غامرت وقفزت من السطح الى الجانب الآخر ، الى الارض الحبيبة ، فالمسافة ضيقة جدا لا يتأتى عن قفزها اى خطر . ولكن يا حسرة !... لم تعد تستطيع السير فكيف بالقفز ؟! ..

ويعود تفكيرها الى ابنتها ، منذ ثلاثة ايام لم ترها . كانت البنت تأتي كل صباح وتقف خلف

الاسلاك وتتبادل مع أمها النظرات ، لان الكلام ممنوع بين سكان الطرفين . حتى الاشارات كانت ممنوعة أيضا . وبعد لحظات تنصرف كل واحدة الى بيتها . وتطمئن الام عن ابنتها الحامل . وفى آخر مرة رأتها فيها كانت البنت تبدو شاحبة الوجه ، تجر رجليها جرا ، وقد انتفخت بطنها انتفاخا غير عادي . لم يسبق ان رأت الام نظيره على حامل غير ابنتها مما أثار خوفها فقالت يومئذ لابنها :

ــ يا أحمد ، لم يعجبني اليوم شكل أختك !... تبدو البنت مريضة ، وأخشى أن تموت أثناء الولادة ويرد أحمد قائلا :

ــ قال الله ولا قالك ، ما معنى هذا التشاؤم ؟ أهى أول أنثى تضع مولودا ؟؟

ثم ينصرف عنها دون أن يتيح لها فرصة لمتابعة حديثها . ويغيظها جدا أن ترى أحمد غير مبال بما تقول له . كان كثرة المصائب قد بلدت شعور الفتى ، وجعلت منه انسانا غير مبال بكل ما يقع حوله !.. أين احمد اليوم منه بالامس ؟ يوم كانت الحماسة تتدفق من نظرات عينيه ونبرات صوته ؟

وتسكت على مضض وقد عولت على أن لا تفضى اليه بعد اليوم بهواجسها كما كانت تفعل . انها تشعر انه لم يعد يشاركها همومها كما كان فى الماضى . كان حاجزا قد قام بينهما . الا يحق لها أن تخاف على ابنتها ؟ اينكر عليها هذا الخوف بعد المصائب التى توالت عليها من جراء النكبة ، فمات زوجها شهيدا ... ولم يعد لها من خمسة اولاد الا احمد وسلمى !...

ابنها البكر مصطفى زين شباب الضيعة مات يوم الخروج بعد أن أردى عشرة يهود كما يقول رفاقه . انها لا تعرف له قبرا !.. يقولون ان على تخوم بيت صفافا حفرة تضم اشلاء عشرين شهيدا ، بينهم ابنها مصطفى . وزوجها الذى استشهد فى عز شبابه قبل أن يتخطى الاربعين !.. اما ابنتها زينب ذات القامة المديدة والعينين الكحلاوين فمفقودة ، ما من احد يعرف عنها خبرا . وأخشى ما تخشاه هو أن يكون اليهود قد خطفوها كما خطفوا الكثيرات غيرها .

ابنها احمد يقول :

ــ ان أهون الامور هو أن تكون زينب فى عداد الاموات !...

وتتنهد وتزفر زفرة حرى تشعر انها تشوى كبدها . آه لو تستطيع ان تبكي ! لقد جفت دموعها منذ زمن بعيد ، تلك الدموع التى كانت ترطب سعير قلبها كلما ألحت عليها الذكريات .

أما سعيد ، ابنها الصغير الذى كان فى حدود الرابعة عشرة حين تشرد مع آلاف المتشردين لم تسمع عنه خبرا منذ أمد طويل . لقد تلقت منه ذات يوم رسالة بواسطة الاذاعة ، ثم انقطعت اخباره فما تدرى تحت أى سماء هو الآن !...

أما ابنتها سلمى أصغر أولادها فقد أرسلتها مع عمها يوم الخروج ، وكانت طفلة فى الخامسة من عمرها . ولم تستطع أم مصطفى ان تخرج لان أحمد حمل اليها جريحا ، فاقد الوعى ، حمله رفاقه ودماؤه تنزف ، فاغلقت بابها وجلست قربه تمرضه وتعني به وتبذل الجهد لتبدو امامه صامدة جلدة. ثم داهمهما اليهود فذاقا من الاهوال ما ذاقا.

وحين شطرت قريتها بيت صفافا وامتد عليها هذا الخط اللعين الذى يسمونه خط الهدنة ، صار أخو زوجها أبو سليم يأتى بين كل حين وآخر ليقف خلف الاسلاك حاملا على ذراعيه ابنة أخيه سلمى لتراها أمها .

كانت الام تقف فى الطرف المقابل من الارض المحتلة تنظر ملهوفة الى ابنتها اليتيمة وتتلقف دموعها وتبتسم فى آن واحد كى لا تحزن الطفلة التى كانت على الرغم من صغرها تدرك حراجة الموقف فتنظر الى أمها بعينين متسعتين ذاهلتين دون أن تنبس بكلمة . وكان أبو سليم فى أكثر الاحيان يصطحب معه أحد أصدقائه ويقول له بصوت عال كي يسمع امرأة يطمئنها على ابنتها :

ــ اقسم بدم الشهداء الغالي ان لا فرق بين سلمى وأى بنت من بناتي .

ثم يداعب الطفلة ويقبلها ويقول : ان شاء الله حين تكبر سلمى سأزوجها من ابني سليم عندما يعود .

تنصرف أم مصطفى مطمئنة بعض الشىء على طفلتها ، لكن قلبها يتلهف على قبلة منها أو لمسة .

وتمضي الايام ، وتكبر سلمى ، ويعود سليم ويتزوجان . وتزغرد ام مصطفى خلف الاسلاك حين ترى من بعيد ابنتها تخطر بثياب العريس ، ويخرج صوتها غريبا كانه خليط من الزغردة والولولة فيبكي كل من يسمعها .

وما يمضي العام حتى تحمل سلمى . وها هي ذي تعاني آلام المخاض وامها بعيدة عنها ، وتقول ام مصطفى في نفسها وهي مكومة على السطح :

ـ ترى لو رزقت سلمى صبيا أتسميه مصطفى كاسم خاله عساه يكبر ويثأر له .

ثم ترهف سمعها وهي تستعرض هذه الصور المروعة في ذهنها فيخيل اليها انها تسمع صراخا يشتد ويشتد ثم يخفت ، ثم يعود فيشتد . انها صرخات الالم التي ترافق الطلقات الاخيرة حين يخرج الجنين من امه الى النور . ويخفق قلبها ويشتد وجيفه كانه سيقفز من بين جنبيها ، فتضغط عليه بذراعيها ويتقلص جسمها كله فتشعر ان الهواء يشح على السطح ، فتحاول ان تعب منه ما تستطيع فما يشتفي قلبها بل يطلب المزيد، وتزداد ضرباته حتى تسمعها باذنيها ، ويصرفها عن التفكير به بصيص النور الذي يشع من نافذة سلمى فقد رأته يكبر ويكبر حتى يصبح هالة كبيرة تتقدم منها على مهل ، واذا هي تحوط شبح انسان ، وتقترب الهالة منها ويقترب الشبح ، وتحدق اليه لماذا هو ابنها مصطفى .. هو بعينيه، مصطفى بشحمه ولحمه !... وتشتد ضربات قلبها، كذبوا مامات مصطفى ، ها هو ذا يعود اليها حاملا على ذراعيه طفلا صغيرا .. لا شك انه ابن سلمى .. وتشعر ان اعصابها المشدودة بدأت تسترخي ، وان خدرا لذيذا راح يسري في جسمها كله وفرحة ترفرف في قلبها فتزداد ضرباته تتابعا . والهالة ما تزال تقترب حتى يصبح مصطفى امامها تماما يبتسم لها ابتسامته الحلوة. حاولت أن تمد يديها اليه ، ان تتشبث به ولكنها لم تستطع كأن لم يعد لها يدان !..

وتبتعد الهالة عنها فيهلع قلبها كانه يسقط في هاوية لاقرار لها . وتفتح فمها لتصرخ مصطفى من اعماقها ، ولكنها لم تسمع صراخها .

لم يعد لها صوت ايضا !....

وتعود الهالة فتقترب منها ثم تبتعد، ثم تتراقص وتختلط فيها الصور ، لقد عاد الشبح يحمل وجه زوجها هذه المرة ، وتارة وجه ابنتها زينب ! لم تعد تملك سوى أن تحدق اليه ، وتحملق به دون ان يطرف لها جفن. وضربات قلبها تخفت وتتباعد، والصور تتلاشى ويغشاها الظلام شيئا ، فشيئا ، وهي ما تزال تحملق ، وتحدق حتى يعم الظلام كل شيء ! ... ■■

دمشق : الفة الادلبي

آراء للعرب في المال وأصحابه

ملازمة الناس لصاحب المال كملازمة الشعاع للشمس،وهو عندهم اعذب من الماء وارفع من السماء وأحلى من الشهد وازكى من الورد ، خطؤه صواب وسيئاته حسنات ، وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه ، والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب وأثقل من الرصاص ، لا يسلم عليه ان قدم ولا يسئل عنه ان غاب . وان حضر أزدروه ، وان غاب شتموه ، وان غضب صفعوه ، مصافحته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة .

ــ قال أحد الحكماء لولده : يا بني عليك بطلب العلم وجمع المال ، فان الناس طائفتان خاصة وعامة ، فالخاصة تكرمك للعلم والعامة تكرمك للمال .

أنباء الطب والعلم والاختراع

بجسمك ٦٠ ألف ميل من الشعيرات !

● الدم يدور فى الجسم ، فى شرايينه ، من شريان الى شريان أضيق ، الى اضيق ، حتى ينتهي الى شعيرات ، وسميت بذلك تشبيها لها بالشعر . ولكنها ارفع من الشعر كثيرا ، فقطرها يتراوح بين $\frac{٥}{١٠٠٠}$ و $\frac{٢}{١٠٠٠}$ من المليمتر . وبعد أن يعطى الدم لخلايا الجسم عبر جدران هذه الانابيب الدقيقة الرقيقة من الغذاء ومن الاكسجين ، ويأخذ منها غاز ثاني اكسيد الكربون ونفايا الاحتراق ، تعود الاطراف الاخرى لهذه الانابيب فتتصل بأصغر الاوردة قطرا ، ومن الاصغر الى الاكبر . ويعود الدم يجرى بين اعضاء الجسم يتزود بالغذاء . وفى الرئتين يطرح ما حمل من ثانى اكسيد الكربون ، ويتزود باكسجين الهواء . ثم الى القلب ليضخه ، وليدور به فى الجسم مرة بعد مرة .

وقد حسبوا طول هذه الشعريات فى جسم انسان يزن ٥٠ كيلوجرام ، فقدروه بنحو ٦٠ الف ميل . وحسبوا مساحة سطوحها فكانت نحو فدان ونصف .

ولكن الجديد فى الخبر ان هذه الشعريات ، زادوا لها الآن كشفا ، فاذا بها ليست انابيب ، وانما هى انفاق تجرى بين خلايا الجسم ، تزودها وتتزود منها . وكل نفق من هذه ، يتصل من ناحية بشريان صغير ، ومن الناحية الاخرى بوريد صغير . وطول النفق يتراوح بين $\frac{٣}{١٠٠}$ و $\frac{٨}{١٠٠}$ من المليمتر .

كذلك اتضح ، انه ليس بين هذه الانفاق نفق يزود خلايا الجسم بالغذاء والاكسجين ، وفى نفس الوقت يتزود منها بنفايا الاحتراق . لا بد لكل نفق من عمل واحد من هذين العملين يقوم به ، ويتخصص له .

اذا مات الجسم ، حلل نفسه بنفسه

● هذا ما خرج به بحث يتصل ببحوث خلايا الجسم الحيّ .

ان بحوث الخلية ، التى هى وحدة الجسم الحيّ ، فوحدة الحياة ، صارت فى هذه الاعوام من انشط مناطق البحوث العلمية التى تتصل بالانسان كيف يحيا ، وكيف يمرض ، ثم كيف يموت .

ومن النتائج الحديثة انهم وجدوا فى الخلية الحية ثلاثة جسيمات :

احدها يسمى بالريبوسوم Ribosome ، ويتصل عمله بصنع البروتينات . والثانى يسمى الميتوكندريون Mitochondrion ، ويتصل عمله بصنع الطاقة فى الجسم .

والثالث ، ويسمى بالليسوسوم Lysosome ، ويتصل عمله بعدة وجوه من نشاط الخلية . ومنها الهضم . وبه انزيم Enzyme (خميرة) يقوم بتحليل كل ما فى الخلية اذا هى ماتت .

ولقد عرف من قديم ان الجسم يحمل فى نفسه ، ولنفسه ، ومن نفسه ، وسائل تحلله عند الموت . كما يحمل وسائل الحياة وهو قائم يجرى الحياة . وهذا الليسوسوم ، الذى كشف البحث عنه ، يتولى هذه العملية بعد الموت .

أحدث وسيلة لاستخراج مخلفات الزيت من آباره التى فرغت



● آبار الزيت صنفان ، صنف يصعد زيته من الاعماق متفجرا ، دون جهد ، وذلك بسبب وجود الغاز الطبيعي فى جوف الارض ، وهو ذو ضغط ، فيضغط على الزيت فيرفعه الى سطح الارض . اما الصنف الثاني من الآبار فيحتاج الى مضخات تضخه الى السطح .

وقد يفرغ البئر ظاهرا ، ولكن يبقى مقدار منه كبير فى الاعماق تتشربه صخور الارض ورمالها . وهذه لا ينفع الضخ فيها .

وقد حاول المهندسون الصناعيون طرائق شتى للحصول على هذا الزيت .

ومن هذه الطرائق عصر الزيت بضغط الطبقات الارضية التى تشبعت به ، ثم ضخ العصير الى أعلى ، ولكن عاق هذا ان بعض الصخور المتشبعة بالزيت من الصلابة بحيث انها لا تلين لعصر . فان كانت هشة ، أو من رمال ، فهى تلين ، ولكن معنى هذا احداث فراغ فى جوف الارض قد يهبط بسببه سطحها . فان تكن مدينة قائمة عند هذا السطح ، فقد تهبط بمنازلها .

وخير طريقة وجدوها هي طريقة الازاحة ، ينزلون الى هذه الطبقات سائلا أثقل من الزيت ، يضغطونه ، فيزج الزيت من طبقته ليحل هو محلها ، ويخرج الزيت .

وقد وجدوا ان هذه هي أنجح طريقة للحصول على مخلفات الزيت هذه ، وهي شيء عظيم لا يستهان به .

والدليل على ذلك ، ان الولايات المتحدة استخرجت من الارض ، عام ١٩٦٠ ، ٢ر٤ بليون برميل من الزيت ، كان استخراج ثلاثين فى المائة منها بطريقة الازاحة هذه .

ويقدرون انه فى عام ١٩٨٠ سيبلغ المستخرج بهذه الطريقة ٥٠٪ من زيت الولايات المتحدة .

ماذا يحدث للقردة ، عندما

● يوجد بالقرب من موسكو معهد لشلل الاطفال . واحتاج المعهد الى القردة لتحضير اللقاح الواقى من هذا المرض ، وقد استورد فى الخمس السنوات الماضية ٥٠٠٠ قرد من المناطق الاستوائية . وكان من أول واجباته أقلمة هذه القردة بشكل علمى ، وتتبع ما يطرا عليها من تغير بسبب هبوط درجة الحرارة هناك الى ما دون الصفر بكثير .

وقد خرج العلماء بأن هذه القردة احتملت هذا النزول الكبير من الحرارة ، عندما بذلت العناية الكاملة بها من حيث الطعام والوقاية ، والتدريج فى تعريضهم للبرد القارس . وانتهى الامر باحتمال القردة العيش حتى فى اقفاصها الطلقة وعليها الثلوج . وقد زاد طعامها فى هذه الاقفاص على البرد اضعافا ، وأكلت كل شيء أعطي لها بنهم ، ولم تكن تعودته . وقد

٤ ملايين شخص يمشون وهم نائمون فى أمريكا !

● ان قال لك صديق ، انه كان بالأمس متعبا ، وانه نام الى الصباح كالحجر ، فلا تصدقه . هذا ما قاله أحد الأساتذة الاطباء العارفين .

وقال الطبيب ، ان الانسان العادى يتحرك فى نومه بالليل ما بين ٣٥ الى ٤٥ مرة .

وتطرق الحديث الى مشى النيام ، فقال ان المشي والشخص نائم ظاهرة شائعة ، وقدر انه بالولايات المتحدة نحو ٤ ملايين من الناس هم عرضة للمشي وهم نائمون . ولكن ليس معنى هذا ان الشخص منهم يخرج من حجرته ، فمن النوافذ ، الى أسطح المنازل ، حتى يراه رجل البوليس فيصيح ويقيم الدنيا ويقعدها حتى يقبضوا على هذا النائم ويوقظوه ، وبذلك ينجو ... لا ، لا . ان اكثر هؤلاء ، لا يكاد الواحد منهم يخرج من حجرة نومه .

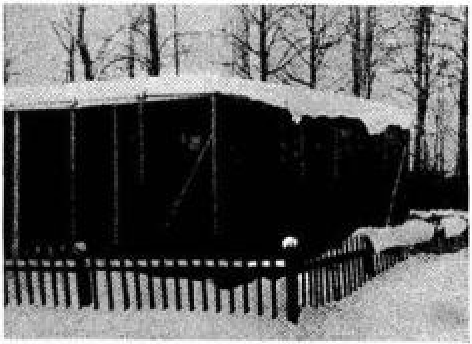


تعيش تحت الثلوج ؟

يتصادف أن يضل عصفور طريقه الى داخل القفص فيصطاده القرد ويأكله بشهية فائقة . وسبب هذا بالطبع ، استجابة جسم القرد الى البرد الشديد ، فالقرود أكلت وأكلت ، حتى تربت فى جسمها طبقة من الدهن هى ذخيرة عند الحاجة . وبذلك زادت أوزانها .

● قردان من نوع ريسوس Rhesus قد تقرفصا فى جانب من القفص ، الذى علته الثلوج ، وقد تماسا طلبا للدفء . لاحظ النظرة الثاقبة الموجهة وجهة واحدة ، تتفهم ، فكأنما هى نظرة انسان .

● الى اليمين : احد الاقفاص المكشوفة التى بها القردة ، وقد علته واحاطت به الثلوج .



القمر له وجهان مختلفان !

● نعلم ان القمر لا يكشف لاهل الارض غير وجه منه واحد دائم. أما الوجه الآخر فقد أخفاه وراءه.
ولقد اطلق الروس فى ١٨ يولية ١٩٦٥ مركبة فضائهم ، زوند رقم ٣ Zond III ، ولم يدر احد عند ذلك الى اين هى ذاهبة . ثم كشف الروس أخيرا عن ذلك . انها ذهبت وراء القمر ، ومن بعد يتراوح بين ٧٢٠٠ ميل و ٦٢٠٠ ميل اخذت من ذلك الوجه الثانى الخافى صورا فى فترة ٦٨ دقيقة..وبعد ذلك مضت المركبة فى الفضاء كوكبا مما يصنع الانسان ، يدور حول الشمس .

والصور التى حصل الروس عليها غاية فى الوضوح ، وهى أوضح من صور وصلت الى أهل الارض من المريخ عن طريق مركبة الفضاء مارينر ٤ ، وكان هذا منتظرا . وهى من القدرة على التفصيل بحيث تكشف عن كل شىء قطره ٣ أميال فاكثر .

ونشر الروس من هذه الصور صورتين ، احداهما تصحب هذه الكلمة .

وبالمقارنة بينها ، وبين صور أخذت من وجه القمر المتوجه دائما الى الارض ، يرى الناظر فرقا واضحا بين الوجهين ، فلا تماثل بينهما .

اما السبب ، فمن السابق محاولة تفسيره . انها الحقيقة تسجل، وعلى الايام بعد ذلك أن تفسر وتعلل .

صورة وجه القمر المختفى



٣٠٠٠٠ مجلة علمية تصدر فى مختلف انحاء العالم !

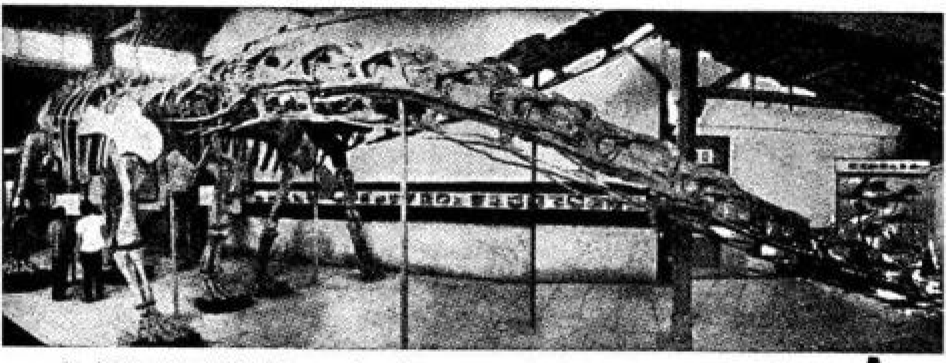
● نعم ، هذا عدد ما تصدره الهيئات العلمية فى العالم ، لهذا يجد الباحث العلمى فى هذه الايام ، انه من اخبار العلم فى متاهات عظيمة . يريد ان يبحث موضوعا ، وهو فى بحثه اياه لابد ان يطلع على ما كان قبله من بحوث فى هذا الموضوع ، يطلع على كل ما كان قبله لا على بعضه فقط . فقد يكون فيما يريد ان يكشفه ، باحث آخر سبقه اليه فكشفه ، وتذهب جهوده هو هباء . وهو يريد كذلك ان يعلم مَن القائمون فيه يوم هو قائم فيه قصدً التواصل والتعاون .

ان للعلم سجلات ، ولكنها غير كافية . وهي ليست كافية بحيث تغطي سائر فروع العلوم .

ولقد اقاموا فى انجلترا هيئة تزود العلماء بما يطلبون من ذلك . انها هيئة للاستعلامات العلمية والتكنية .

ومن اهدافها الاتصال بأمثالها من الهيئات فى الأمم الاخرى ذات البحوث .

ويقدر الخبيرون ان عدد البحوث العلمية التى تنشر فى العالم كل عام يبلغ مليون نشرة .



الهيكل العظمي للديناصور الذى كشف الصينيون عن عظامه ، وله عنق غاية فى الطول ، وذيل غاية فى القصر

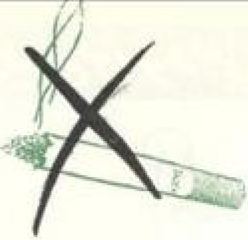
هذا الحيوان عمره ١٤٠ مليون سـنة !!

● الدينَاصُور Dinosaur ، او السحلية المرعبة ، هو اسم يطلق على رتبة من الحيوانات التى عاشت فى العصر الجيولوجي المتوسط Meso oic ، وقد بلغت هذه الحيوانات من الضخامة مبلغا عظيما جعل منها انواعا كانت هي اثقل اجسام حملتها الارض . واختلفت الانواع ، اشكالا واحجاما . ومنها ما صغر فصار فى حجم النعامة ، واصغر حجما ، حتى لم يزد طوله على ٣ اقدام ، ومنها ما كبر حتى بلغ طوله ١٠٠ قدم .

والخبر الذى نسوقه اليوم يتصل بعظام احد هذه الحيوانات ، كشفها الصينيون منذ عام ١٩٥٧ حفرا فى الارض ، وذلك فى مقاطعة سزشوان Szechuan بالصين الشعبية ، وظلوا يجمعونها وينظفونها ، وينظمونها ، حتى جاء أوان التركيب ، فركبوها ، وصارت اليوم قائمة فى معهد الحفريات القديمة بالعاصمة بكين .

ومع هذا صورة للهيكل الذى ركبوه من هذه العظام .

ويلاحظ فيه طول العنق ، فهو يبلغ نحو عشرة امتار ، وقصر الذيل ، وكذلك قصر الجذع .



تشيكوسلوفاكيا تعلن الحرب على التدخين !

نظرا لما تكشف من اثر التدخين فى احداث سرطان الصدر ، اخذت الدول تحاول تقليله بين رعاياها ، أحيانا بالنصيحة والاغراء ، كما فى الولايات المتحدة ، وأحيانا بالقانون ، كما تدل الاخبار الواردة من تشيكوسلوفاكيا . فقد جاء منها ان حكومتها تمهد لتنفيذ الامور الآتية ، آنا بالتشريع ، وآنا بالتخطيط ، وفقا لكل حالة :

١ – اصدار قانون يعاقب بمقتضاه كل من باع الطباق ، او احد منتوجاته ، للأحداث فيما دون الثامنة عشرة .

٢ – منع بيع السجاير فى المحلات التى تباع فيها الاطعمة .

٣ – تخصيص مطاعم أكثر يرتادها من لا يدخنون ، ولا يرتادها غيرهم .

٤ – اصدار تشريعات تقضي بتحريم التدخين فى المدارس ، وفى كل وسائل المواصلات العامة من حافلات وقطارات وغير ذلك .

استفتاء بين ٥٨ ألف مهندس

هذا احصاء نتيجة استفتاء أجرته المؤسسة القومية للعلوم ، وقد استجاب ، واجاب على الاسئلة المطروحة ٥٨.٠٠٠ مهندس من مهندسي الولايات المتحدة .

وقد ظهر ان ٧٠٪ من هؤلاء يعملون فى الصناعة او فى اعمال تخصهم ، وان ١٥٪ يعملون فى الحكومة ، وان ٦٪ يعملون فى التعليم وفى اعمال لا تهدف الى الربح .

وظهر ان ٥٪ منهم يحملون درجة دكتوراه ، و ١٧٪ يحملون درجة ماجستير اى ماستر ، وان ٦٣٪ يحملون درجة بكالوريوس . والباقون لم يذكروا مؤهلاتهم .

وظهر ان متوسط الاعمار فيهم ٤١ سنة ، ومتوسط سنوات التدريب ١٥ سنة ، وان نحو ٣٢٪ منهم قضوا فى التدريب ٢٠ عاما أو تزيد .



نوع آخر من الدبناصور يعرف بذي منقار البط
لاحظ أنه نوع له عنق قصير وذيل طويل

وبرى العلماء ، ان هذا نوع لم يسبق لمثله فى هذه الرتبة الحيوانية اكتشاف . وهم يرون ان وزنه لا بد بلغ ما بين ٣٠ الى ٤٠ طنا .

وهو عاش منذ نحو ١٤٠ مليون عام .

وهو عاش اكثر زمانه فى الماء ليوفر على نفسه مجهودا كان لا بد منه لرفع جسمه وتحريكه فوق الارض . وكذلك ليتقى عادية آكلات اللحوم من نفس مرتبته . ومع هذا ، فقد كان يخرج الى الساحل ليضع بيضه او ليستريح وينام .

في سبيل موسوعة علمية

المسك

■ المِسك كلمة عربية هى اسم لطيب من الأطياب القليلة التى مصادرها حيوانية .

وجاء المسك فى القرآن الكريم فى وصف الأبرار اذ يقول : تعرفُ فى وجوههم نضرةَ النعيم ، يُسقونَ من رحيقٍ مختوم ، ختامه مِسكٌ ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

والمتنبى يصف سيف الدولة فيقول:

وانْ تَفق الأنام وانت منهم
فان المِسك بعضُ دم الغزال

وهذا يشير الى مصدر المسك ، انه الغزال .

وليس كل غزال مما عنى المتنبى ، ولا كل ظبى ، ينتج المسك . وانما الذى ينتجه أيِّلٌ يعرف بأيل المسك Musk deer . واسمه العلمى Moschus Moschiferus وهو حيوان له شكل الغزال عامة . طوله يبلغ نحو المتر الا قليلا ، وارتفاعه عند الأكتاف يبلغ نحو نصف المتر . وشعره بنى رمادى ، وهو طويل وخشن ، وسهل المكسر .

وايِّل المِسك خوّافٌ ، يسعى يطلب طعامه ليلاً . وهو سريع الهرب ، لهذا لا يجد الصيّادون الا نصب المصائد سبيلا اليه .

وهو يسكن غابات الهملايا ، ويفضل أعاليها ، وتمتد مساكنه الى التيبت ، والى سيبيريا . والشمال الغربى من الصين ، وأواسط آسيا عامة .

أما المسك ، فيوجد من هذا الأيل فى كيس يبلغ حجم البرتقالة ، فى بطنه ، عند الفتحة القلفية للذكور دون الاناث طبعا . ففى هذا الكيس يفرز الأيل مسكه .

فالذكور من أيل المسك ، هى وحدها مصدر المسك .

ولا بد من قتل الأيل الذكر أولا ، ثم فصل هذا الكيس ، أو الفدّة ، فصلا كاملا ، ثم تجفيفها فى الشمس ، أو على حجر ، أو تغطس فى زيت ساخن .

والمسك يظهر فى التجارة اما على صورة الفدد الكاملة Musk in Pods أو مستخلصا على شكل محبّب Musk in Grain . وننقل هذه الألفاظ الاعجمية لأنها الفاظ التجارة العالمية .

وأحسن أنواع المسك ، هو الوارد من الصين أو التيبت ، ويليه الوارد من اسام أو نيبال، وأقلهم الوارد من سيبريا .

والمسك الجيد ، مادة جافة ، قاتمة اللون ، ارجوانية ، ملساء . مرة المذاق .

ومن الغريب ان المركز منه له رائحة لا تحمَد ، ولكنه اذا خفف طاب وامتع . وهو يستخدم فى الروائح العطرية ،واكثر أصولها النبات ، وهو يعطيها نفاذا ودواما . ورائحته أبقى من كل الروائح جميعا . ■■



مَوْتُ الشَّاعِر

■ لينطفيء الفجر الذي أنت واقده
ويفنى وجود أنت بالحرف واجده
قناديلك الزرقاء ذابت جميعها
وما زال ليلاً طال بالنوم راقده

هي الأرض مهد الشر من عهد آدم
يعاكس ضدٌ ضدَّه ويطارده

وما الخير إلا الضعف فينا لأننا
سُبقنا لشيء حاز بالشر قاصده

وما ثُبِّتَ الظُّفْر الطويل بأنمل
على سفهٍ لكن لينشب حاقده
وما ارتفعت أصواتنا لهداية
سوى أننا في لاحبٍ ضل رائده

وجدت الذي مَن فيه هدىً مضللاً
بأفكاره والرشدُ في من يعانده

سلام على ماضٍ دَفَنْتُ بقاعه
أوائلَ عمرٍ ما استقرَّت مراقده

تَجشمتُ فيه أوعر السُّبل عندما
خُدِعت بأن السهل نَزْرٌ فوائده

فحاربتُ حيث السِّلْمُ أحسنُ حالة
وسالمتُ من حيكت لقهري مكائده

وخادعتُ كفي بالذي طيَّ فِكرتي
وضحيّت أيامي ليوم أناشده





خِداعٌ لعمري كلُّ شيء وضِلَّةٌ
ودَرْبٌ سرابٌ مُهلِكات شدائده

تغلغلتُ في قاع الحياة وجُبْتها
بدَرْبَيْن من سهلٍ ووعرٍ أكابده

وعاقرتُ منها كلَّ كأس فلم أجد
شقيا كذى فكر تمرَّد شارده
تخبط « سقراط » ومات لفكرة
هى اليوم وهمٌ يبلغ الكفر ناشده

وها نحن في أيامنا ننشد الذى
سيدحضُه جيلٌ لنا وعقائدُهُ

هى الأرض كالانسان تمشى لغاية
ونحن بها سِربٌ تخبّط قائده

سبقتُ حياتى قبل موتى وموتها
وعدتُ وصدرى لاهباتٌ مواقده

وبدّلتُ أطوارى القديمة بالتى
تسرُّ الذى من كنت دوماً أضادده

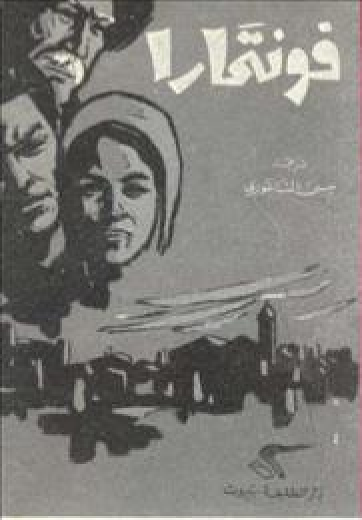
خنقت بصدرى كل ما تغتلِى به
دمائى وفكرٌ ضللته شوارده

وهأنذا صفواً زلالا لشارب
وقد كنت زُقُّوماً تحاشاه وارده

تركت لمن يبغى الخلود خلودَه
وباركت يوماً لم تَفُتْنى فوائده

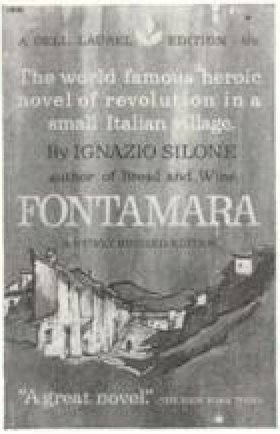
■■

الكويت : محمد الفايز



نقد كتاب الشهر

إيناتسيو سيلونى



قِمّة مِنْ قِمَم الأَدَب المُعاصِر، فى العَالَم، ثُمَّ فى وَطنِه

مؤلف "فونتمارا" و"خبز وخمر"(1)

بقلم : الدكتور محمود السمره
الجامعة الاردنية ـ عمان

■ الطابع العام لأدب هذا القرن الذى نعيش فيه انه ادب قلق، بسبب المصائب والاحن التى مرّ بها الجنس البشرى . واذا كان هذا الأدب يصور انسان هذا العصر بصدق ، فانه فى الوقت نفسه يتلمس أسباب العلة ، ويرسم طريق الخلاص . واذا كان الكتّاب قد اجمعوا على ان المجتمعات الغربية تعانى ازمة عنيفة بسبب السبيل الذى سلكته الحضارة الغربية ، فانهم قد اختلفوا فى طريقة الخلاص :

وخلاص الانسان مما هو فيه عند بعضهم انما يكون بالعودة الى الدين، وعلى راس هؤلاء يقف الكاتب الانجليزى جريهام جرين Graham Greene ، والشاعر الانجليزى اليوت T. S. Eliot ، والكاتب الفرنسى مورياك .

وهناك فئة ترى الخلاص فى المحبة الانسانية ، دون نظر الى دين او لون او وطن . وتمثلها كتابات البير كامو ، واينياتسيو سيلونى . ولم يصل اى من

(1) Ignazio Silone : FONTAMARA; Bread and Wine.

كامو أو سيلوني الى هذه النتيجة الا بعد سلسلة من التجارب العنيفة .

★★★

رأى سيلوني النور عام ١٩٠٠ في قرية بيشينا ، وهي قرية خاملة بعيدة عن ضجيج الحياة المعاصرة، تقع بين الجبال في وسط ايطاليا الى الشرق من روما . وقد عرف سكان هذه القرى الجبلية الوعرة بالعنف والصلابة في مقاومة السلطات الحاكمة في روما منذ عصر الامبراطورية الرومانية . وابناء هذه القرى ما يزالون حتى اليوم يتغنون ببطولة سيلو Silo البطل ابن هذه المنطقة الذي تحدى سنة ٩٠ ق.م. سلطة الامبراطور في روما ، وقاوم الجنود الرومان ، حتى اعترفت روما لهذه المنطقة بحق الحكم المحلي . وقد استوحى سيلوني اسمه من اسم ابن منطقته البطل التاريخي ، لاعجابه البالغ به ، والاسم الحقيقي لسيلوني هو سيكندو ترانكويلي Secondo Tranquilli .

واذا كان سيلو البطل التاريخي قد ثار على ظلم حكام روما ، فان سيلوني قد ثار على ما شاهد بعينيه من ظلم حكام روما الفاشية لابناء منطقته من الفلاحين البؤساء .

لقد التحق سيلوني في طفولته بمدرسة القرية التابعة للكنيسة ، ولكنه استفاد من مشاهدته للحياة البائسة الجارية في تلك المنطقة اكثر مما استفاد من دروس المدرسة . وشب الفتى ليشاهد ويسمع قصص البؤس في كل مكان : ففي عام ١٩٠٠ اغرق الطوفان المنطقة بكاملها ، وعزلها عن باقي أجزاء ايطاليا . وفي عام ١٩١٥ دمرتها الزلازل ، وخسفت الارض باكثر من خمسين الف انسان . وارتحل السكان شهورا ، ولكن الحنين الى الوطن عاد بهم ليبدأوا البناء من جديد . لقد سمع سيلوني باهوال الطوفان ،ورأى بعينيه مآسي الزلازل ، فوعى كل هذا .

ورغم ما حل بسكان المنطقة فقد استمر ممثلو السلطة في روما في مطالبة السكان بدفع الضرائب المستحقة عليهم، وهم الذين لا يملكون قوت يومهم . وبدأ السكان بالتململ والاحتجاج ، فصبت عليهم السلطة غضبها ، واطلقت عليهم الشرطة يسومونهم الوان الاهانة والتعذيب .

هنا بدأت الخواطر تصطرع بقوة وعنف في ذهن سيلوني الشاب : ترى ماذا نحن فاعلون ؟

وأحس سيلوني أن منطقته هذه تضيق بآماله وأحلامه ، فهجرها الى روما ، وهناك انضم الى منظمة الشباب الاشتراكي ، ظنا منه انه عن طريقها وعن طريق النضال السياسي يستطيع أن يعيد للمظلومين حقهم . لقد اصبح سيلوني الشاب ثائرا سياسيا ، ولكنه لم يثر لنقمته على الظالمين، بل ثار شفقة على المظلومين ، وحبا بالانسان . وهنا كانت تثور في مخيلته وتدفعه الى العمل صورتان من صور الماضي البعيد : صورة سيلو البطل ابن منطقته بكفاحهضد طغيان الامبراطورية الرومانية ، وصورة الناسك بيترو الذي اصبح عام ١٢٩٤ م. ولاشهر قليلة ، البابا سلستينو الخامس ، وحاول أثناء توليه منصب البابوية الاصلاح ، ولكنه حورب ، ثم طرد وشرّد .

هكذا كان سيلوني يرى نفسه : قديسا جاء ليحق العدل ، ويدفع الظلم .

★★★

وبدأت الشكوك تساور سيلوني بأن منظمة الشباب الاشتراكي لا ترقى بآمالها الى آماله ، فكان ان اشترك عام ١٩٢١ مع تولياتي (وقد توفي قبل اشهر) في تأليف الحزب الشيوعي الايطالي، ولكنه انسحب من الحزب عام ١٩٣٠ ، وأدار ظهره للسياسة ، وانصرف الى الكتابة ، لانه أصبح يؤمن انه يستطيع ان يحقق بالقلم ما لا يستطيعه بالكفاح السياسي . ولكنه لم يصل الى هذه النتيجة الا بعد كفاح طويل ، وتجارب مريرة .

★★★

وسيلوني الشاب الثائر أمضى أكثر من نصف حياته قبل سنة ١٩٤٥ مختفيا عن انظار السلطات الفاشية ، مطاردا أو مقيما في منفاه الاختياري في سويسرة. وهنا وضع قصته الشهيرة «فونتمارا» Fontamara ومعناها « النبع المرّ » . ولما كان من المستحيل نشر الكتاب في ايطاليا الفاشية، فقد ارسله عام ١٩٣١ الى ناشر في باريس ،ولكن الناشر رده مبررا رفضه بأن لا احد من القراء يهمه ما جرى في قرية جبلية ايطالية . وأخيرا استطاع المؤلف ان ينشر الترجمة الالمانية من الكتاب في زوريخ عام ١٩٣٣ ، على حسابه وبالمعونة التي تلقاها من سبعمائة مشترك .

وتناقل المسافرون الكتاب عبر القارة الاوروبية،

وترك اثرا طيبا بين الادباء والنقاد والقراء ، وتوالت على سيلوني رسائل الاعجاب من مناطق لم يسمع بها في اليابان والهند ، ومن كل مكان ، مما اكد له ان البشر هم هم في كل مكان . ولكن اكثر الرسائل تاثيرا في نفسه كانت تلك التي وصلته من ابناء قريته ومنطقته .

واخذت تصدر من « فونتمارا » ترجمات باللغات الاوروبية . اما الناشرون في الولايات المتحدة الامريكية فردوا الكتاب محتجين بأن موضوع الكتاب لا يهم القراء ، وزاد احدهم فقال ان القصة غير واقعية !

وهكذا اصبح سيلوني مشهورا خارج وطنه بعد ذلك . ويبدو أن هذه الشهرة قد اثارت حسد بعض الادباء في ايطاليا ، فقال لويجي روسو Luigi Russo ساخرا : « لقد اشتهر سيلوني خارج ايطاليا لاسباب لا صلة لها بالأدب والفن ». والجزء الأول من هذا القول صحيح ، اما الثاني فبعيد عن الصواب .

و « فونتمارا » هي قصة موت قرية بكاملها ، يرويها على المؤلف في ليلة واحدة ثلاثة من المهاجرين الطليان : شيخ عجوز وزوجته ، وابنه . ويقول سيلوني في مقدمته للكتاب انه لا يعرف قرية بهذا الاسم ، ولكنه يذكر أن زقاقا في قريته يؤدي الى مضخة مياه القرية ، يدعى بهذا الاسم . ولكن اتضح له فيما بعد أن هناك عدة قرى بهذا الاسم في جنوبي ايطاليا .

وفونتمارا سيلوني قرية بعيدة عن العمران ، قاحلة ، يصعب الوصول اليها . وتسكن هذه القرية مجموعة من العائلات انقطعت صلتها بالحضارة ، فلا يصلها القسيس الا مرة في السنة على ظهر بغل ، واذا وصلت اليها سيارة كان ذلك حدثا يذكر . وغاية سيلوني من هذا ان يبين كيف ان الظلم لايبقي حتى على الناس البسطاء البؤساء المنقطعين عن العمران .

★ ★ ★

ويصور سيلوني بؤس فلاحي القرية مستشهدا بهذه الموعظة الدينية التي تحكي قصة القديس برناردو الذي مات جوعا . تقول هذه الموعظة :

عندما مثل سان برناردو امام الرب على عرشه ، نهض الرب واستقبله بالاحضان ، وقال له :

ـ اطلب ما تشاء يا برناردو ، فكل طلباتك مجابة ، ولا تخجل من ان تطلب اي شيء تريد .

فبدا التاثر على وجه برناردو ، ثم قال بصوت خافت ضعيف :

ـ هل حقا استطيع ان ارجو مولاي في شيء ؟

فاجاب الرب مشجعا :

ـ اطلب ما تريد ، وساحققه لك حالا .

ولكن برناردو ، على الرغم من هذا التشجيع ، لم يجرؤ أن يعلن رغبته ، لانه كان يخشى ان يثير بطلبه المغالي غضب الرب . وبعد الحاح وتاكيد له انه لن يثور مهما كان ما يطلبه بعيد المنال ، كشف برناردو عما كان يحلم به وقال :

ـ مولاي ، ان امنيتي كسرة من خبز ابيض !

ووفى الرب بما وعد ، ولم يثر ، وادنى منه برناردو واحتضنه ..

★ ★ ★

وقصة « فونتمارا » تبدا بعبث رجال الميليشيا بالقرية ، وتنتهي بابادة اهلها . والسبب في هذا هو أن السلطات الفاشية قد قامت بتحويل مياه الوادي الذي تستقي منه القرية الى مزارع احد النبلاء . فيتجمع الفلاحون ، ويذهبون ليقفوا تحت شباك قصر النبيل ، ويعبرون عن شكواهم بتمتمات لا تكاد تبين . واخيرا تم الاتفاق على ان ياخذ النبيل ثلاثة ارباع مياه الوادي ، وياخذ الفلاحون ثلاثة ارباع الماء الباقي، « وبهذا يتساوى ما تاخذونه مع ما ياخذه النبيل ». وصدق الفلاحون هذا القول ، ولكنهم اكتشفوا ، بعد مشاورات ومداولات ، انهم قد خدعوا ، فاخذوا يصرخون ويشتمون .

وجاءت قوات الميليشيا لنصرة النبيل ، واخذوا يفتشون القرية : ينهبون البيوت ، ويسومون الرجال الوان العذاب ، ويغتصبون النساء .

وقبل أن تهجم قوات الميليشيا على القرية ، كان احد ابنائها الشجعان ، براردو ، في طريقه الى روما بحثا عن عمل يمكنه من ان يتزوج من ابنة قريته الجميلة الخياطة الفيرا ، ولكنهم في روما يلقون القبض عليه ، ويزجون به في السجن

مع العدد العديد من الشبان الذين زُجّ بهم فى السجون بحثا عن « اليد المجهولة » التى تترأس حركة مقاومة الحكم الفاشى . وفى السجن يعرف براردو أن رفيقه فى الزنزانة هو « اليد المجهولة » الرجل الذى تبحث السلطات عنه .

ويسمع براردو بما حدث فى القرية اثناء غيابه . وكيف أن حبيبته الفيرا قد ماتت بين يدى جنود المليشيا اثناء اغتصابها . عندها يقرر أن يعترف بانه هو « اليد المجهولة » ، وذلك كى يطلق سراح « اليد المجهولة » ويعود هذا الى جماعته لينتقم له من قاتلى الفيرا. وهكذا كان . وبعد عذاب اليم يموت براردو فى السجن .

وعندما وصل خبر وفاته الى القرية ، اخذ الفلاحون يتساءلون : وماذا نحن فاعلون ؟وقرروا ان خير ما يفعلونه هو ان ينظموا انفسهم فى وجه الخطر الذى يتهددهم . وبدأوا بالتنظيم ، ولكن قوات المليشيا هاجمتهم بعنف ، فلم تترك القرية الا قاعا صفصفا .

ويبقى السؤال قائما : ماذا نحن فاعلون بعد كل هذا العذاب ، والدموع ، والالم ، والدم ، والكراهية ، والياس .. ماذا نحن فاعلون ؟

ولكن اذا كان الأموات لا يستطيعون أن يجيبوا عن هذا التساؤل ، فان الأحياء قادرون .

★ ★ ★

وقصة « فونتمارا » لها أصل من الواقع فى شخصية بطلها براردو : فقد أراد سيلونى ان يصور به أخاه رومولو الذى زجت به السلطات الفاشية فى السجن ، وفيه مات مشوها مريضا .

وفى رأيى انه اذا كان الخلود يكتب لبعض الناس بسبب ما يقومون به من أعمال ، فان بعض الكتب أيضا خالد لنفاذه فى الكشف عن جوانب من مأساة الانسان . ومن هذه الكتب « فونتمارا » .

والكتب التى تشترك مع « فونتمارا » فى الموضوع كثيرة ، ولكن المهم ليس الموضوع ، بل القدرة على التغلغل فى خفايا النفس الانسانية . ومثل « فونتمارا » فى الغاية والابداع « مصير الانسان » للكاتب الفرنسى مالرو ، الذى هو الان وزير الثقافة فى الوزارة الفرنسية ، و « عناقيد الغضب » للكاتب الامريكى الجنسية الالمانى الاصل جون شتاينبك . وقد ترجم كل من « فونتمارا » و « عناقيد الغضب » الى العربية.

★ ★ ★

ــ ماذا نحن فاعلون ؟

هذا هو السؤال الذى كان يلح دوما على سيلونى ، وقد أجاب عنه فى شبابه اجابة تختلف عن اجابته عليه بعد أن تقدمت به السن . لقد كان يرى ، كما فى « فونتمارا » و « خبز وخمر » فيما بعد ، أن سبيل الخلاص هو تكتل الناس للثورة ضد الظالمين ، ولكنه أخذ يرى أن هذا الطريق خاطىء ، وأن على الانسان أن يسعى الى أخيه الانسان فيحطم الجليد الذى يفصل بينهما ويضع يده فى يده ، ليسيرا معا نحو الحق والعدل، دون كراهية او عنف . ويزيد سيلونى فيقول فى انتاجه المتاخر ان البشرية فى حاجة الى كثيرين من أمثال المسيح ، مستعدين أن يقدموا أنفسهم فداء للآخرين .

وهذا المعنى يبرزه بوضوح كتابا سيلونى « خبز وخمر » و « بذور تحت الجليد » .

وكتاب « خبز وخمر » هو قصة رجل واحد يلتقى بصنوف عدة من البشر . انها قصة ثائر ايطالى من أبناء منطقة سيلونى ، هرب واقام زمنا فى بلجيكا،ثم عاد الى قريتهمتنكرا بلباس الرهبنة. ويستطيع بحكم وظيفته الدينية أن يتصل بكل طبقات الشعب : من فلاحين ، ونبلاء ، وحكام متنفذين . ويكون أثناء ذلك يهيىء للثورة . ولكن امره ينكشف ، فيهرب الى الجبال ، ويختفى فيها زمنا . وهنا تنتهى قصة « خبز وخمر » .

ويكمل المؤلف الاحداث بعد سنوات فى قصة « بذور تحت الجليد » ، وفيها نجد الثائر المتنكر فى زى راهب يعود الى القرية ، ويحتمى بجدته التى تسعى لدى أصحاب النفوذ للعفو عنه . وتقع فى القرية جريمة قتل ، فيلقى القبض عليه متهما بها ، مع أنه برىء . وفى المحكمة يرفض الدفاع عن نفسه ، ويقدم حياته فداء للقاتل الحقيقى ، لان التجارب علمته أن التآخى الانسانى لا يتحقق الا اذا وجد أناس مستعدون لان يقدموا أنفسهم شهداء ، يكفرون باستشهادهم عن ظلم

الظالمين : « هذه هي المأساة الحقيقية لعصرنا : انها انهيار التآخي الانساني » .

واذا كانت المحاولات التي يبذلها بطل قصته من اجل تحقيق التآخي الانساني قد فشلت ، فان الأمل في تحقق هذا في المستقبل يوحي به عنوان « بذور تحت الجليد » : فبذور التآخي والتقارب بين البشر موجودة ، وان طمرت حينا تحت هذا الجليد الذي يفصل بين الانسان واخيه الانسان .

وقد أكدّ سيلوني هذا المعنى في قصته « حفنة من توت » التي صدرت عام ١٩٥٢ حيث نجد بطلها ينشأ نشأة دينية ، ثم يتحول الى ثائر ، واخيرا ينتهي الى الايمان بشيء واحد هو المحبة والأخوة الانسانية .

★★★

هذا هو سيلوني : قمة من قمم الادب المعاصر في العالم ، ثم في وطنه. وهو بحياته واعماله نموذج لاتجاه فكري يحاول ان ينتصر على ازمة الحضارة الغربية التي تكاد تسحق ، بماديتها وانانيتها المفرطة ، انسانية الانسان .

واذا كان بعض نقاد الادب في الغرب يرون ان سيلوني معلم اخلاقي لا كاتب مبدع ، فان هذا القول في راينا حكم على ظاهر انتاج سيلوني ، اما حقيقته فهي أن المعنى الاخلاقي عنده انما هو نتيجة تجارب مريرة صادقة ، صاغها في اسلوب قصصي رائع .. وهو في الوقت نفسه قوة دافعة ترسم حياة افضل لانسان هذا العصر المتفجر . وهذا هو ما نشاهده عند كل كاتب مجيد خلاق ، اذ لكل واحد منهم محور تدور حوله كتاباته :

فهو نضال الانسان الفرد ضد العقلية الاقطاعية عند ستندال .

وهو تمزق النفس الانسانية بين الخير والشر عند دوستويفسكي .

وهو الجنس بوصفه الحقيقة الاولى عند البرتو مورافيا .

وهو الرجولة في مجابهة الموت عند همنجواي .

وهو المحبة والتآخي الانساني عند سيلوني .

★★★

ولكن كم من آمال سيلوني قد تحقق في الواقع؟

ان واقع المجتمع البشري يقول اننا ما زلنا بعيدين جدا عن مثل هذا الحلم الذي يراود بعض النفوس الذكية الصافية ، بل لعلنا لم نخط خطوة واحدة في هذا السبيل . وواقع الانسان يؤكد لنا كل يوم أن القوة هي الفيصل ، وان الحياة لذي الناب والظفر . ■■

د. محمود السمره
عمان



من الكتب التي وصلتنا

هكذا تحدث أبو تراب

تأليف : محمد حسن عليوي ــ مطبعة القضاء في النجف الاشرف

● هذا الكتاب يتحدث فيه مؤلفه عن مبدأ ابي تراب وفيه الميزات الواجب توافرها في القائد الذي يصلح للاخذ بزمام الامور والصفات الواجب توفرها فيه ليصلح لهذا المنصب .

الضمان الجماعي العربي

تأليف : سامي حكيم ــ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة

● يبحث هذا الكتاب في فكرة الضمان الجماعي ووجهات النظر حولها كما يتحدث عن مشروعات الضمان ويناقشها . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى دور مصر الثورة بعد حلف بغداد في تحقيق الضمان .

المصطلحات العلمية في اللغة العربية

تأليف الامير مصطفى الشهابي ـ مطبعة الترقي ـ دمشق

● هذا الكتاب هو أحد منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق الذي يرأسه الامير مصطفى الشهابي، وهو عبارة عن المحاضرات التي القاها الامير العالم الجليل على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية واللغوية العاليــة بالقاهرة . ويعد هذا الكتاب مرجعا لا يستغنى عنه في المكتبة العربية لأن مؤلفه خير من يكتب في موضوعه .

ابن النقيب

تحقيق عبد الله الجبوري ـ مطبعة الترقي بدمشق

● وهذا ايضا أحد منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق . اما الشاعر ففي غنى عن تعريفه وهو الذي عاش في عصر تأخر فيه الشــعر حتى وصل الى درك بعيد من التكلف والتراجع والتصنع والافقار من كل المعاني الشعرية والادبية السامية ثم خلص هذا الشاعر ابن النقيب من كل هذه الأمور التي تعوق الشعر وتقف حائلا دون النبوغ فيه .

السلم الرخامي

تأليف : عبد الله الكبير ـ دار المعارف ـ بالقاهرة الثمن ٤٢ قرشا

● هذه قصة حب عصري قطع فيها « رادار » الوعي الجديد الطريق على سهام « كيوبيد » فحال بينها وبين أن تجهز على ضحاياها ... قصة بين ربيع الطالبة الشابة الجميلة وخريف استاذها الذي غذته الايام بشحنة موفورة من التجــارب ، تصور خلجات النفس وتحلل انفعالاتها فجاء الكتاب تحفة ادبية رائعة باسلوب غاية في الامتاع .

حيــاة مطــران

تأليف : طاهر احمد الطناحي ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة ـ الثمن ٢٢ قرشــا

● تعتبر حياة مطران صورة أصيلة من صور النهضة العربية الشاملة التي قام بها جيل ناهض في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين وهي قصة علم عبقري من اعلام العروبة .

أرضنا القلقــة

تأليف : روز وايلر وجيرالد أيمز ـ ترجمة الدكتور رشدي سعيد ـ دار نهضة مصر بالاشتراك مــع مؤســسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٧ قرشــا

● يتناول هذا الكتاب موضوع عدم استقرار القشرة الارضية في بعض اجزاء الارض ، ويناقش موضوع الزلازل والبراكين ويوضح آثرها في بعض الاماكن من قديم الزمن كما يتعرض لعدة ابحاث قيمة عن هذا الموضوع باسلوب سهل واضح .

نبــات التبــغ

تأليف : الدكتور محمد فهمي الفولي ـ دار النصر للطباعة بالقاهرة

● يعد هذا الكتاب مرجعا هاما عن التبــغ وصناعته ، تضمن خبــرة المؤلف ومشاهداتــه وتحصيله فجاء سفرا لا يسد فراغا في المكتبــة العربية فحسب بل يمكن هذه المكتبة من أن تفاخر به غيرها لما تضمنه من بحوث فنية يعرضها في اسلوب العالم الثقة .

قصة البول السكري

تأليف : الدكتور حامد محمد هرساني ـ مؤسسة مكة للطباعة، بمكة المكرمة ـ الثمن ١٠ ريالات سعودية

● في هذا الكتاب الكثير من المعلومات القيمة عن مرض البول السكري وطرق العلاج .

نظرات في التعليم الثانوي

تأليف : جيمس كونانت ترجمة الدكتور محمد علي العريان ـ دار النهضة العربية بالاشتراك مــع مؤســسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٢٦ قرشــا

● يعتبر هــذا الكتاب وثيقة واقعية مقرونة بالتفسير والتحليل دون تحيز لمدرسـة فكريــة معينة او مشايعة لمذهب تربوي خاص ، كما يقدم تحليلا فاحصا دقيقا لمشكلات المدارس الثانويــة بامريكا .

رحلة داخل راس هذا الرجل

تأليف : عصام الجمل ـ المطبعة العصرية بالكويت

● يعد هذا الكتاب من احسن ما كتب عــن استطلاعات مع قادة الكويت ورجالها تعبر عما يدور في اذهانهم من مشروعات لخدمة وقيادة الكويت .

استقلال ليبيا

تأليف : سامي حكيم ـ دار الكتاب الجديد بلبنان الثمن ٥٠٠ قرش لبناني

● أتاحت الظروف لمؤلف هذا الكتاب ان يرافق القضية الليبية بعد هزيمة المحور في الحرب العالمية الاخيرة وان يتابع تطوراتها عن كثب ويقف على كثير من خباياها حتى كتب لها الفوز في النهاية بتحقق استقلال ليبيا ، ولذا جاء هذا الكتاب سردا للوقائع المؤيدة بالحقائق والوثائق .

قصة مكتب المباحث الفيدرالي

تأليف : دون هوايتهد ترجمة اللواء عبد المنصف محمود مراجعة اللواء محمود السباعي ـ الشركة العربية للطباعة والنشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٨٥ قرشا

● هذه مجموعة من قصص الحوادث التي خاض غمارها مكتب المباحث الفيدرالي تحكي نجاحه في كشف غوامض الجريمة وتشرح بطريقة يحبس فيها القارىء انفاسه مع تفاصيل المغامرات التي خاض غمارها رجاله وبصفة خاصة ما تعلق منها بمكافحة الجاسوسية واعمال التخريب.

ناظر المدرسة ومدرسوها

تأليف : أوفيد ف . بارودي ترجمة محمد محمد عاشور ـ دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ١٤ قرشا

● يعني هذا الكتاب بفهم سلوك الاطفال وتحسين قدراتهم والتعاون بين الآباء والمدرسين والاطفال الموهوبين وبطيئي التعليم وغير ذلك من الموضوعات التي تهم الآباء والمعلمين .

التربية والصالح العام

تأليف : فيليب هـ . فينكس ترجمة السيد محمد العزاوي والدكتور يوسف خليل ـ مركز كتب الشرق الأوسط بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ٥٦ قرشا

● هذا الكتاب نداء موجه لكل مواطن وكل ولي امر وكل مدرس وكل ناظر يدعو الى البحث عن مجالات جديدة والكشف عن ابعاد جديدة للمناهج الدراسية في عصرنا هذا .

نشوء المدينة في الكويت

THE KUWAIT URBANIZATION

تأليف الدكتور سابا شبر مطبعة الحكومة بالكويت

● يعد هذا الكتاب من أنفس المصادر التي كتبت باللغة الانجليزية عن تاريخ الكويت والحركة العمرانية بها .

تربية العقل الناضج

تأليف : ولنكتن وولنكتن ترجمة الدكتور طه الحاج الياس ـ المكتبة الاهلية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ببغداد ـ الثمن ٥٠٠ فلس عراقي

● يتضمن هذا الكتاب افضل ما توصل اليه الفكر الانساني حتى الآن من طرق التربية والتدريس التي لو شاع اتباعها في الاوساط التعليمية لتقدمت الحضارة البشرية بخطوات أوسع وأسرع نحو الكمال .

اسعاف الاعيان في أنساب أهل عمان

تأليف: سالم بن حمود السيابي ـ المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ببيروت

● هذا الكتاب هو محاولة لتبيين كيان أهل عمان وتوضيح أنسابهم وتعريف العالم العربي بتاريخهم .

الآلات البسيطة وكيف تعمل

تأليف : اليزابث ن . شارب ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد ـ مكتبة الانجلو بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة الثمن ٢٢ قلسا .

● هذا الكتاب يفتح اذهان الصغار على ما يشاهدونه او يستخدمونه من هذه المخترعات التي تذخر بها حياتنا اليومية ويحفزهم الى النظر الدقيق في مبادىء تركيبها ووسائل تطويعها لاداء الخدمات العظيمة التي ينعم بها العالم .

محافظة حلب

تأليف ـ الدكتور عبد الرحمن حميدة ـ منشورات الفن الحديث العالمي ـ الثمن ٤٠٠ ق. س.

● كتاب اعلامي عن محافظة حلب بالقطر السوري وفيه من المعلومات عن هذه المدينة العظيمة الكثير .

■■

أَنْتَ تَسْأَلُ .. وَنَحْنُ نُجِيب

هَلْ يَشْهَدُ جِبْرِيل

● عزيزى الاستاذ عبد الوارث كبير : اطلعت على رايكم فى الاتصال الروحى وجدت انكم لاتصدقون بعلم ساد العالم اجمعواحتضنته الجامعات وتجرى عليه الابحاث ، وله الاف الكتب والمجلات التى يقراها المهتمون فى كل اللغات . فالعلاج الروحى مقطوع به فى العالم المتمدين ، وقد حضرت على سبيل المثال جلسة علاجية حضرها حوالى ٦٠٠٠ متفرج فى قاعة (البرت) فى لندن حيث قام الوسيط المعالج الشهير « هارى ادواردز » بعلاج حالات مستعصية كالشلل او العمى او السرطان الخ .. وهو الآن يعالج فى ميدان « الطرف الاغر » فى بعض الايام تحت سمع الحكومة وبصرها . ولا انكر اننا حقا فقراء فى « الوسطاء » ، وذلك لعدم التفرغ والاخلاص ، وللفكرة التقليدية التي يبثها البعض من ان الاتصال الروحي حرام ... ولا اعلم من اين جاءوا بهذا الراى ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يعالج بيديه ، وكذلك كانت عائشة وكان المسيح عليه السلام وكان غيرهم وغيرهم ...

واذا كان الشيخ محمود شلتوت لم يؤمن بالاتصال الروحي فهناك غيره مؤمنون كثيرون ، امثال الشيخ طنطاوى جوهرى والاستاذ محمد فريد وجدى (رئيس تحرير مجلة الازهر سابقا) والشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقا . هل كان هؤلاء مخدوعين او اقل ذكاء من الشيخ محمود شلتوت ؟

ولنترك بلدنا ونتظر الى دولة مثل انجلترا نجد من ائمة المؤمنين بالاتصال الروحى السير وليم كروكس رئيس الجمعية العلمية البريطانية سابقا ، والاستاذ اولفر لودج عميد جامعة برمنجهام سابقا ، والكاتب الذائع الصيت السير آرثر كونان دويل (مؤلف روايات شرلوك هولمز) وهانن سوافر شيخ الصحافة البريطانية سابقا . فهل هؤلاء من طبقة المخدوعين ايضا ؟ ..

واليوم يوجد على سبيل المثال فقط وسيط روحي يقوم باجراء العمليات فى لحظة وبدون الم

ـ عجيب ان يشبّه الدكتور راضى من يسميهم « الوسطاء المعالجين » امثال « هارى ادواردز » فى لندن و « ابى سريع » فى القاهرة وصاحبهما الفلبيني ومن اليهم ، بالسيد المسيح أو برسول الله صلوات الله عليهما ، او حتى بالسيدة عائشة ، مع انهم لا يرقون الى مواطىء اقدامهم !

ثم من قال لك ياسيدى ان السيد المسيح او ان الرسول الكريم كانا يوهمان الناس بانهما يجريان عمليات جراحية ، « روحية » ، فى المخ او فى القلب ، كما يزعم هؤلاء الدجالون ؟

وهَبْ ان الاساتذة الاجلاء مخلوف والجوهرى وفريد وجدى ممن يصدقون بالاتصال الروحي ، هل تظن ذلك ينهض دليلا على صحة هذا الاتصال؟!

كلا .. فهم ، مع احترامنا لهم ، بشرٌ مثلنا ، يصيبون ويخطئون ، وقد تجوز عليهم الخديعة كغيرهم من الناس .. وكذلك الحال مع من ذكرت

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير



جلسات تحضير الأرواح ؟

مما قد يسميه البعض معجزات . فاذا كنت لاتصدق ياسيدى فاقعل ما فعله احد المحررين الامريكان . لقد اخذ طائرة وذهب الى الفلبين حيث يوجد هذا الوسيط وأخذ له فيلما مصورا وعاد ليحكى قصته فى امريكا البلد الذى لاتقول عنه انه متأخر أو مخدوع ...

اما الوسيط الامريكى « راينهارت » الذى تكلمت عنه فى مقالك فقد جسد الروح فى الضوء أمام جمهرة المثقفين فى نادى الاطباء بالقاهرة ، وفى كثير من مدن العالم ، وكان تحت لجان فحص استمدت له بالاجهزة العلمية وبآلات تصوير ما وراء الحمراء .

واما عن الشعر الذى يرسله شوقي فهذا شيء معروف فى بلاد كثيرة . فالوسيطة (مسز كوران) الامريكية استقبلت فى سنة ١٩١٩ شعرا وأدبا وقصصا غريبا عليها من امراة انجليزية قالت ان اسمها (بيشنس ورث) عاشت قبل قرنين من الزمان .. وقد ثبت هذا وأجريت الابحاث وألّفت عنها الكتب التي انصفتها ونفت عنها التصنع اوالخداع . وكان اقوى دليل على ذلك هو أن الاسلوب كان فى بعض الكتب المملاة عليها من عالم الروح من القرون الاولى او المتوسطة مما لايمكن لانسان يعيش فى وقتنا هذا ان يعرفه .

وليس شوقي ولا بيشنس ورث وحدهما فقد عاد شاعر ثالث هو ييتس Yeats الشاعر الايرلندى المشهور الذى توفى فى سنة ١٩٣٩ ولم يقل شعرا فقط وانما تجسد بأكمله فى جلسة من جلسات مسز (هيلين دنكن) فى انجلترا .

هدانا الله الى تفهم قوانينه والاعتراف بقوة روحه التي نفخها فينا ، والسلام على المهتدين .

دكتور علي عبد الجليل راضى

القاهرة

استاذ مساعد بكلية العلوم بجامعة عين شمس
ورئيس جمعية الاهرام الروحية

من اقطاب الروحية العالمية ــ على وزن الصهيونية العالمية ! ــ امثال « كروكس » و « دويل » و « لودج » و « سوافر » ..

وصاحبك الفليبينى الذى يجرى أخطر العمليات فى لحظات ، كما تقول ، لماذا لاتدعوه جمعيتك الروحية لزيارة القاهرة ، حيث يستطيع ان يجمع الاف الجنيهات ، فى بضع ساعات ؟ !

ولماذا لاتدعون « هارى ادواردز » لزيارة مماثلة ، للاستفادة بروحانيته فى علاج حالات السرطان المستعصية التى تعد بالمئات ؟!

بل لماذا لم تفكروا أو يفكر غيركم فى سؤاله عن سر مكروب السرطان ، الذى ما يزال الطب الحديث حائرا فى أمره حتى الآن ؟ !

ثم ، هل لك ياسيدى ، وأنت استاذ مساعد بكلية العلوم حيث المعامل والمختبرات ، ان تقول لنا ما هو ذلك « الغاز البخورى » ، وما هي تلك

« المواد الكيماوية الاخرى » التي تقولون في كتبكم ان الارواح تأتي بها من « العالم الآخر » لتستعين بها ، مع ما تسرقه من اجسام النظارة والشاهدين، من « الاكتوبلازم » و « التليبلازم » ، كي تظهر للناس في وضح النهار ؟ !!!

وكيف تفسر لنا ان الارواح تتجسد وتظهر في نفس المظهر الذى عرفت به في الدنيا ، مادة حية ، من جسم ذى لحم ودم وعظم وشعر ، وقلب نابض، ولسان ناطق ، بل وبنفس الثياب التى كانت ترتديها في حياتها الاولى ، كما فعلت الراقصة الروسية «انا بافلوفا» التى تقولون انها ادتبعض رقصاتها المعروفة ، بعد ان كان جسمها قد تحلل وبلى بما عليه من ثياب واكفان ، وتفرقت ذراته في التراب ؟ !

ثم قل لى بربك ، كيف يمكن التوفيق بين ما ذكرتموه في احد مؤلفاتكم من ان سيدنا جبريل عليه السلام قد حضر احدى جلسات الوسيط الامريكى « رينهارت » في القاهرة ، وبارك الاجتماع .. وبين ما ذكرتموه في مؤلف آخر من انه « لو كان لجبريل ان يهبط الى الارض بعد محمد ، لهبط اليها الآن ، ليحذرها عاقبة امرها ، ولكن عهد نزول الملائكة قد ولى بعد محمد » ؟ !

وبماذا ترى تفسرون هذا التضارب العجيب بين اقوال الارواح عن الجنة والنار ؟ فبينما تزعم روح راهبة كاثوليكية انها لم تجد في عالم الروح اساسا لعقيدتها الدينية التى كانت تعتنقها في الدنيا ، وانه لا جنة هناك ولا نار ، تؤكد روح اخرى « ان بعض طبقات جهنم كالمحيط المظلم المتلاطم الامواج ، يزخر بالارواح التى تصرخ من الالم والعذاب ، تهب عليها رياح ساخنة ذات روائح كريهة ، يسمع خلالها رنين السلاسل وفرقعة الاسواط وضحكات الالم المجنون » ، بما لا يكاد يختلف عن وصف جهنم في القرآن ؟

أليس هذا دليلا على ان كلا من اولئك الوسطاء يتحدث عن جهنم وهو متأثر بما قرأه أو سمعه عن وصفها وترسب في عقله الباطن !!

وماذا ترى يقصد السيد الدكتور بما رواه في احد كتبه عن روح اسماها « السيدة العظيمة راشا » التي تأتي من قارة اطلانطا القديمة ، من قولها : « ان نفوس العصر الجديد تمثل رجوع أهل اطلانطا ، لان قومنا يعودون في هيئة متناسخة خلال الاجيال الحاضرة والماضية ، فوق سطح الارض » ؟ ! هل يريد ان يدعونا الى الايمان ببدعة « تناسخ الارواح » ؟ !!!

والاستاذ حسن عبد الوهاب ، سكرتير « جمعية الاهرام الروحية » التي يراسها الدكتور ، لماذا استقال عام ١٩٦٠ ، ونشر استقالته في الصحف ، معلنا « توبته بعد ان ازال الله عن قلبه غشاوة الضلال ، وثبت لديه ثبوتا قاطعا ان الشخصيات التى تحضر جلسات التحضير ليست الا شياطين وقرناء من الجن ، يتلبسون على الناس ما يلتبسون » ؟! لماذا استقال وقد كان من اساطين الروحية التي الف فيها عدة كتب ، وبذل فيها مابذل من وقت ومال ؟!!

هيلين كيلر

● كثيرا ما نسمع أو نقرأ انباء عن السيدة « هيلين كيلر » التى تقول عنها الصحافة والاذاعة انها « معجزة القرن العشرين » .. فهلا تفضلتم بنشر شيء عن حياتها وجنسيتها ، ومتى ولدت ، وهل ما زالت على قيد الحياة ، وما هي الاعمال التي قامت بها ، ولماذا يسمونها معجزة القرن العشرين ؟

المنامة ــ البحرين   احمد محمد عمر

ــ اولا هى « الآنسة » ــ لا السيدة ــ هيلين كيلر ، فهى لم تتزوج وان كانت قد جاوزت الثمانين ..

ولدت في مدينة « توسكومبيا » بولاية « الاباما » الامريكية ، في اواخر يونيو عام ١٨٨٠ . وكان ابوها ضابطا في الجيش الاتحادى ، يرجع أصله الى المستعمرين الاوائل بولايتى ماريلاند وفرجينيا . اما امها فكانت من أسرة « آدمز » الشهيرة بولاية « ماساشوسيتس » ، والتي ينتمى اليها كثير من رجالات امريكا ذوى الشهرة والصيت البعيد .



مُعجزة القرن العشرين

اصيبت بعد عام ونصف من مولدها بحمى في المخ قضت على حاستي السمع والبصر عندها ، كما فقدت القدرة على النطق ، وبذلك ودعت طفولتها السعيدة ، وبدأت حياة هي خليط من الصمت والظلام والكآبة والتعاسة .

لكن الطفلة لم تستسلم لليأس ، بل راحت ترتب اتصالها بالعالم عن طريق حاستي الشم واللمس ، في حين لم يبخل عليها ابواها بشيء من وسائل الترفيه ، واخيرا اسلماها الى معلمة متخصصة كانت هي الاخرى قد اصيبت بفقد البصر ثم شفيت بعض شفاء . وبعد عام من بدء الدراسة عن طريق التحسس ، اخذت تعلمها القراءة والكتابة بطريقة « برايل » .

ولما اكملت العاشرة من عمرها التحقت بمدرسة لتعليم الصم والبكم الكلام عن طريق لمس الشفاه وذبذبات الحنجرة ، وكانت هذه اقسى مرحلة من مراحل تعليمها ، ولكنها استطاعت بقوة ارادتها ان تقهر ما صادفها من صعاب حتى التحقت بالقسم الاعدادي ثم ما لبثت ان اجتازت الاختبار النهائي ودخلت جامعة « رادكليف » ، حتى حصلت على الدبلوم ، ولكن دراستها خارج الجامعة ظلت متصلة بمطالعتها للأدب الانجليزي والالماني والفرنسي وكتابة مقالات او قصص ، فبدأ نجمها يتألق ، وشهرتها تطبق الآفاق ، وتصبح صديقة للعظماء والكبراء ، وخاصة للمؤسسات الخيرية لتعليم الصم والبكم والعميان ، اذ لاتألو جهدا في الدعوة لمساعدة هذه المؤسسات وجمع التبرعات لها .

وتتمتع « مس كيلر » بحاسة شم مرهفة ، وتستطيع ان تدرك متى تشرق الشمس ومتى تغرب ، ومتى تمطر السماء ومتى تصفو من السحب كما انها لاتعتمد على احد في ترتيب ثيابها وفراشها واوراقها .

انها بالفعل معجزة القرن العشرين ، فقصتها قصة الشجاعة الخارقة والدأب المتصل الذي لا يعرف القنوط . وهي مثل حي لما يجب ان يتدرع به الانسان عندما يرزأ او يصيبه العجز ، لانه اذا ما صبر وجاهد وثابر بلا يأس ، حقق المعجزات !

ثم هل يفسر لنا الدكتور راضي تلك الظاهرة العجيبة التي تكاد تكون قاعدة مطردة ، وهي ان معظم المشتغلين بتحضير الارواح ، ان لم يكونوا كلهم ، لم يفكر احد منهم في ولوج هذا الباب الا بعد ان اصيب بفقد عزيز او حبيب ، فراح يلتمس العزاء من هذه الخيالات والاوهام ؟ !

بين يدي الآن عدد من مجلة «صنداي بكتوريال» وفي صفحتها الاولى اعترافات « وليم روي » اشهر وانجح الوسطاء الروحيين في بريطانيا الى عهد قريب .. هل تعرف ياسيدي ماذا يقول « روي » في هذه الاعترافات ؟ يقول انه امضى في ممارسة الوساطة الروحية سنوات وسنوات ، جمع في خلالها عدة آلاف من الجنيهات ، بطرق احتيالية ، لاتختلف عن تلك التي يلجأ اليها الحواة والدجالون والذين يزعمون تسخير الجان ، ليبتزوا اموال السذج والبسطاء والمغفلين !

ان لم تكن ياسيدي قد قرأت هذه الاعترافات ، فأنا على استعداد لان ابعث بها اليك ، هدية متواضعة ، من احد المخدوعين .. السابقين ؟ !

واخيرا ، نحن لاننكر وجود الارواح ، ولكننا ننكر ان في مقدور الانسان استدعاءها وقتما يشاء ، تارة بالموسيقى وطورا بالبخور ، وتسخيرها في الانباء بالغيب او قضاء الحاجات او شفاء المستعصي من الامراض !! ان الارواح في حظيرة الله، لايعلم مكانها الا هو ، ولا تستطيع الخروج من حظائرها الا بأمره هو ، لا بأمر انسان ، كان ما كان، ولو استاذ علوم !!

أفانين .. وتفانين

حبة القمح الأولى كانت تزن ٧ قناطير !!

● قرأت في احدى المجلات الدينية قول « الكسائي » أن حبة القمح أول ما خرجت من الجنة بعد أن طرد منها أبونا آدم « كانت قدر بيض النعام ، ألين من الزبد ، وأحلى من العسل ، ولم تزل زاكية زمن آدم وشيث عليهما السلام ، الى زمن ادريس ، فلما كثر الناس نقصت الحبة عن مقدارها الى ايام « الياس » عليه السلام ، ثم نقصت حتى صارت قدر بيض الدجاج الى أيام عيسى ، وظلت تتناقص حتى صارت الى ما صارت اليه في زماننا هذا .. فهل هذا صحيح ؟

دمشق « أبو أسامة »

ـ الذي ذكره « الكسائي » عن حبة القمح ، وان بدا مبالغا فيه ، الا انه اقل بكثير مما ذكره المفسرون الذين شطح ببعضهم الخيال الى أكثر مما شطح خيال مؤلفي أساطير الجان، وبساط الريح ، وخاتم سليمان !

ذكر الطبري قال : حدثنا عمرو بن علي ، قال حدثنا عمران بن عيينه ، قال أخبرنا عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال ان أول ما أهبط الله تعالى آدم أهبطه بأرض الهند..وقيل انه عند خروجه من الجنة أخرج معه صرة من الحنطة (القمح) ، وقيل انما جاءه جبريل عليه السلام بسبع حبات من حنطة فوضعها في يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبريل « ما هذا ؟ » فقال « هذا الذي أخرجك من الجنة » .

ذئب بشري .. أضرى من الذئاب والكلاب !

● هو أبي ، وهي ابنة عمي .. ابنة أخيه .

أبي فات الاربعين وهو مشرف على الخمسين . تزوج ثلاث مرات ، وأنجب عددا من الاطفال الذكور والاناث ، تعرض في حياته لفترات وحالات مختلفة، وهو اليوم يمارس التجارة ، بشيء من اليسر . ولكنه غريب الاطوار ، ذو مزاج حاد ، وأعصاب قلقة ابدا . معي ومع اخوتي ، قاس ، يفرض على اخوتي الذكور المكوث في المنزل دائما ، ويضربهم لأتفه الاسباب ، ويمنع عنهم الاكل بعض الاحيان !

حتى زوجته ينالها غضبه ، وتمتد اليها يده بالضرب ، والضرب الشديد !

انه مع كل من في البيت عنيد ، قاس ، صلب الا مع ابنة عمي هذه ! انها فتاة غضة ، ذكية ، طرية العود ، في السابعة عشرة من عمرها تقريبا .. ولقد حسبنا في البداية انه يغمرها بعطفه ليعوضها من عطف الامومة الذي افتقدته وهي بعد طفلة ، وعطف الأبوة بعد أن رحل أبوها مع زوجته الجديدة الى بلد بعيد .. لكن تصرفاته معها تثير الشك ، وتدفع أكثر الناس بلادة الى الثورة عليه !

انه يطري جمالها بمناسبة وبلا مناسبة ، وينتهز الفرص ليبدي اعجابه بها . وكثيرا ما يفاجئها وهي وحيدة في غرفتها .. وكنت انا شخصيا احسب ان الامر مجرد اعجاب فقط . غير ان ابنة عمي كاشفتني بحقيقة الامر وهي تذرف الدموع ، بلوعة وأسى ! قالت لي انه كثيرا ما فاجأها في الحمام !! وانه كثيرا ما جاءها في الليل ، وهي نائمة ، فتقفز مسرعة ، خجلى ، الى مكان آخر بعيد . وانه كثيرا ما امسك بها وراح يقبلها بطريقة عجيبة ، غريبة ، تثير التقزز و .. و .. وانه حاول مرارا ان يجعلها تبادله الحب .. كعشيق !! لقد كانت تحبه كأب ، أو كعم ، لكنها الآن لم تعد

الى هنا وليس فى القصة شىء غير عادى .. ولكن « فلنسمع ختام الامر كله » كما يقول سليمان الحكيم !

قالوا « وكان وزن الحبة منها مائة الف درهم وثمانمائة ! فقال آدم ما أصنع بهذا ؟ قال انثره فى الارض ، ففعل ، فأنبته الله من ساعته » ، الى آخر ما تقول الرواية من تفاصيل ... .

الذى يلاحظ على هذه الرواية ان وزن حبة القمح كان مائة الف درهم وثمانمائة ، اى ٣١٤ كيلو جرام ونصف كيلو جرام تقريبا !

يعنى ٧٠٠ رطل !

يعنى ٢٥٢ أقة !

يعنى ٧ قناطير !

ثانيا : ان جبريل عليه السلام وضع فى يد آدم سبع حبات،فيكون وزنها على هذا الاساس ٤٩ قنطارا !!

فمن ذا الذى يعقل ان يد أبينا آدم كانت تسع ٤٩ قنطارا ؟ !

ثم من ذا الذى يعقل ان آدم كان يستطيع أن يحمل هذه القناطير التسعة والاربعين، بيد واحدة ، ودفعة واحدة ؟ ! حتى ولو صحّ ما زعمه « وهب بن منبّه » من ان طوله كان ستين ذراعا !!

أليس هذا اقرب الى « الحواديت » التي كانت تحكيها لنا جداتنا ونحن اطفال حتى ننام ؟ !

ان الاسلام دين طاهر مطهّر ، قام بناؤه على العقل ، الذى دعانا القرآن الف مرة ومرة الى استخدامه . فمن اين يا ترى جاء المفسرون بهذه الخزعبلات ؟ ! ومن ذا الذى دسها عليهم ؟ ! وهل هى من ابتكاراتهم ؟ أم هى من الاسرائيليات التى سمعنا الكثيرين من اجلة مشايخنا ينادون بضرورة تخليص التفاسير القرآنية منها ، ثم تقاعسوا جميعا عن عمل شىء ... اى شىء !!

ادعاه بالمعروف .. فإن لم يرتدع فليلق عقابه !

تضمر له الا الحقد والكراهية ، بعد التصرفات الغريبة المنكرة المستهجنة التي تصدر منه .

وهو لايرد لها طلبا البتة . كل طلباتها مجابة ورغباتها أوامر ، حتى اننا نحن ، أولاده لا نحصل على طلباتنا الا بواسطتها !

بالله عليكم ، أليست هذه مأساة .. أليست هذه فضيحة ؟!

لقد فكرنا ــ ابنة عمي وانا ــ في الوضع بكامله .. وبصراحة فاننا لا ندرى ماذا نفعل ؟! هل نصارحه بخطئه ؟ ! هل نوسط له احدا من أقاربنا مثلا .. او من اصدقائه ؟ ! أم أومز الى ابنة عمي بالهرب من البيت ؟! ولكن الى اين ؟ خاصة وان زوجة والدها تكن لها الكراهية المقيتة ..

دلّونا على حل .. دلونا على مخرج .. أو على الاقل قولوا لهذا الاب الفاجر كلمة تعيد له رشده .. فيعي حقيقة تصرفاته المشينة ...

اني ابكى الآن .. وابنة عمي تبكي كل يوم .. انها ــ مع ذلك ــ تحبه كعم ، كأب . لكن ما أشنع هذا الاب .. وما احقر هذا العم !

ن ٠ م

جدة ــ المملكة العربية السعودية .

ــ صدقيني لقد قرأت رسالتك مثنى وثلاث ورباع ، وانا أكذّب عينىّ فيما تقرآن !

رجل فى الخمسين ، يراود فتاة فى السابعة عشرة .. ربما كان له بعض العذر .. ولكن عندما تكون هذه الفتاة ابنة شقيقه ، ويكون هو عمها ، فلو انني كنت ولى الامر لما اكتفيت بشنقه ، بل لقطّعت جسمه اربا ، وهو حي ، يرى ويتألم ، ثم لقذفت باشلائه بعد ذلك الى الذئاب والكلاب .. ، لأن بطن الارض أطهر من ان يضم امثاله !

ان مصيبة ابنة عمك فى عمها لكبيرة .. ولكن

مصيبتك انت فى ابيك اكبر .. ! فمن يدرى ؟ ربما اتجه الكلب اليك ـ انت ابنته ـ بعد ان ييأس من ابنة اخيه !

اوليس « المزدكية » ـ قاتلهم الله ـ يجعلون الحق فى الاموال والنساء ـ حتى بناتهم ـ مشاعا بينهم ، بدليل قول شاعرهم « ووطء بناتنا حل علينا » ؟ ! وحتى ليقال ان كارل ماركس اقتبس هذه الشيوعية من مبادىء المزدكية !

ان اباك لا يمكن ان يكون بشرا .. بدليل اننا لا نجد من يقدم على ما يقدم عليه الا نادرا .. ربما واحدا فى كل عشرة ملايين .. اذا ما استثنينا بعض القبائل المتوحشة التي ما تزال تعيش على الفطرة مع وحوش الادغال .. هو ذئب فى صورة انسان .. ولعل الذئاب لو سئلت عن رايها فيه لاستنكرت ان يحسب عليها او ينسب اليها !

ان على ابنة عمك ان تتذرع بالشجاعة والصبر ، ما دام هذا الذئب هو الذى يعولها ، وعليكما ان تتصلا فى الوقت نفسه بابيها علّه يقدّر خطورة موقفها فيعمل على انقاذها .. وحتى يأتى الفرج، عليها الا تترك لهذا العم فرصة يخلو فيها اليها ، فاذا ما جاء اوان نومها نامت معك او نمت معها ، او اغلقت هى باب غرفتها عليها واحكمته . فان لم يكف عن مطاردتها وملاحقتها ، فعليها ان تلجأ الى بعض كبار رجال الاسرة ومن تعرف انهم اصدقاؤه المقربون ، ثم تفضى اليهم صراحة بما كان منه ! وان خاب هذا وذاك ، فالبلد الاسلامى الطهور ، فيه العون اكبر العون ، وفى رجاله النخوة اكبر النخوة ، فلتسع اليهم فى سبيل حفظ عرضها وتأمين رزقها ، ورد تبعات البنوة الى الهاربين منها ...

امرؤ القيس: الملك الضليل غير امرئ القيس الشاعر

● قرأت فى احد الكتب الحديثة ان امرأ القيس كان شاعرا صحابيا اشتهر بمتانة عقيدته الاسلامية وبثباته عليها ، فوق انه كان فارسا مقارعا ممن لعبوا دورا فى حروب الردّة ايام الخليفة الاول ابى بكر الصديق ، فى حين ان كتب التاريخ والادب العربى تقول ان امرأ القيس كان اشعر شعراء الجاهلية وانه كان ملكا وابن ملك ، وكان يعرف باسم « الملك الضلّيل » ، وانه صاحب القولة المشهورة « اليوم خمر وغدا امر » عندما انبىء وهو فى مجلس شرابه بمقتل والده ، وانه بطبيعة الحال مات قبل ظهور الاسلام .

فكيف يمكن التوفيق بين الروايتين ؟

زكريا ابراهيم / الكويت

ـ امرؤ القيس الشاعر الفارس الصحابى الفقيه ، هو غير امرىء القيس الجاهلى والملك الضليل . فهذا هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو ، احد ملوك كندة وتاريخه معروف مشهور ، واما سَمِيُّه الصحابى فهو امرؤ القيس بن عانس ـ وفى رواية « ابن عابس » ـ وهو كِنْدى كذلك ، ولد فى « تريم » احدى مدن حضرموت ، كان معاصرا للرسول (صلعم) ومن بعده للخليفة ابى بكر الصديق، وقد ابلى فى حروب الردة بلاء عظيما ، حتى لقد قتل عمه الذى كان يحارب فى صفوف العصاة ، بعد محاورة ومصاولة ، اذ قال له عمه : « اتقتلنى وانا عمك ؟ » قال : « انما أُضَحّى بك وبمن هو اعز منك فى سبيل الله » .

وقد بلغ من صدق ايمانه ـ وشدة حرصه على الجنة انه اختلف مع احد مواطنيه ـ وهو ربيعة ابن عيدان ـ على ارض بحضرموت ، بعد ان دخل اهلها الاسلام ، فلما تعذر التوفيق بينهما اتفقا على ان يذهبا الى المدينة ليحتكما الى رسول الله ، ولما لم يكن عند ربيعة بينة تثبت ملكيته للارض المتنازع عليها عرض الرسول على امرىء القيس ان يحلف اليمين ، فقال ربيعة : « ان حلفها ذهب بارضى يا رسول الله » ، فقال له الرسول : « من حلف يمينا كاذبة يقتطع بها حق اخيه ، لَقِىَ الله وهو عليه غضبان » فقال امرؤ القيس : « يا رسول الله .. فما على مَن تركها وهو يعلم انه محق ؟ » قال الرسول: « له الجنة » ، قال امرؤ القيس : « انى اشهدك انى قد تركتها » ، وضحى بأرضه لتكون له الجنة ..

ولامرىء القيس بن عانس شعر بليغ فى الغزل والحماسة ، وفى حض قومه على الاسلام ، لكنه لا يرقى فى شعره الى مرتبة امرىء القيس « الملك الضليل » .

(بقية المنشور على صفحة ٧)

لفلسفة العرب والاسلام فى التنظيم الاجتماعي ، او على الأقل جاءت الدراسات العربية والاسلامية فى المرتبة التالية عندهم للفلسفات والثقافة الأوروبية ، فى الوقت الذى عمد فيه المثقفون بالثقافة الماركسية الى تحقير كل ما هو عربي واسلامى خاصة ، وراحوا ينشرون تيارات الالحاد الناجمة عن القلق الروحى للغرب .

ثانيا : تزحف انماط الثقافة الاوروبية فى الزى وخاصة زى المرأة والرجل ايضا ، وتسريحات الشعر وكافة مظاهر السلوك ، زحفا هائلا على مسرح المجتمع العربي من مصر حتى العراق وسوريا والمغرب مما افقد شكل المجتمع العربي ، الطابع الخاص الذى يعد نوعا من انواع الأصالة على مستوى الشكل .. لأن الزى جزء من البيئة ، فتصميم الزى الأوروبي بالنسبة للرجل يصلح للبلاد الباردة ، والتي ليس فيها صلاة ذات ركوع وسجود .. وزى المرأة الأوروبية يتناسب مع المعتقد الأوروبي ، فى ان الجنس بالنسبة للانسان كالماء والهواء والطعام لا ينبغي أن تحده قيود أو تقاليد ، ومن هنا فمن واجب المرأة ـ كما تعتقد الفلسفة المادية ـ أن تبرز مفاتنها لاصطياد العيون والقلوب ، وممارسة الانحلال الجنسى ، الذى افقد المجتمع سر استقراره ، ودفء العواطف الانسانية فيه ، واصابه بالتمزق الاجتماعى .

ان الأصالة العربية هى فى كلمة بسيطة « ان يحيا العرب ثقافتهم » ، حتى تجسم على مسرح المجتمع فى صورة الواقع الاجتماعي ، المنعكس على سلوك الفرد ، والمناخ الاجتماعي للجماعة ، واذا كان العرب غيورين على شخصيتهم واصالتهم ، فما عليهم الا ان يتدبروا قدرهم ، ولن يتمكنوا من ذلك ، الا اذا اداروا معاول التنظيف الفكرى والاجتماعي نحو الهيكل الاجتماعي العربي لكسح ركامات الفساد التاريخي التى خلفها الاستعمار .

عبد الرحمن ابو الخير
عضو نقابة الصحفيين بمصر

« دون كيشوت » : بين الحقيقة والخيال

● كثيرا ما نقرأ فى بعض المجلات اسم « دون‌كيشوت » أو « دون كيخوط » أو Don Quixot وخادمه سانكو بانزا .. واذكر انهم كانوا يدرسون لنا قصته فى كتب المطالعة الانجليزية ونحن صغار .. وقد سألنى احد اولادى امس عن دون كيشوت هذا : من يكون ؟ وهل هو شخصية حقيقية ، وفى اى قرن عاش ؟ أم انه شخصية خيالية كشخصية « جحا » والسندباد وغيرهما ؟

العراق　　سعيد عبد الكريم

ـ « دون كيشوت » ـ أو « الفارس الحزين » كما كان تابعه « سانكو بانزا » يدعوه ـ شخصية اسطورية ، جعل منها الكاتب الاسبانى سرفانتس Miguel de Cervantes gaavedra بطلا لرواية اطلق عليها هذا الاسم ، الف الجزء الاول منها عام ١٦٠٥ والجزء الثانى عام ١٦١٥ ، وكانت هذه القصة سببا فى تخليد مؤلفها ، وبطلها الموهوم على السواء ..

وقد بلغ من شهرة هذه القصة ما يروى من ان احد ملوك اسبانيا وقف ذات مرة يطل من شرفة قصره فوقع بصره على احد الحراس يضحك بصورة عجيبة ويقهقه حتى كاد يستلقى على ظهره ، بينما كان المكان خاليا من كل ما يضحك ، بل خاليا من كل احد غير هذا الحارس ، فقال الملك : هذا الرجل واحد من اثنين ، اما انه مجنون ، او انه يقرأ قصة « دون كيشوت » !

وكان الحارس بالفعل عاكفا على قراءة القصة !!

وتدور القصة وحوادثها على الفروسية ، فهى تارة تمجدها وترفعها الى السماء السابعة ، وطورا تهوى بها الى الحضيض ، كل ذلك فى اسلوب رائع ، يمتزج فيه الجد بالهزل ، والضحك بالبكاء ..

وفى الحق ما احوج هذا العصر الى « دون‌كيشوت » جديد ، ليبدى لنا رأيه فى ما يجرى فى دنيانا الحاضرة من مهازل !! ■■



قصة بقلم :

خليل الهنداوى

حَيْثُ تَعِيشُ الفِكْرَة

لن أنسى صورته ابدا .. وقد لوى عنقه ، لبّة خفيفة لم يدرك أحد غيري معناها .

■ لست أنساه ابدا ... لانه كان صديقى قبل ان يكون زميلى فى العمل .

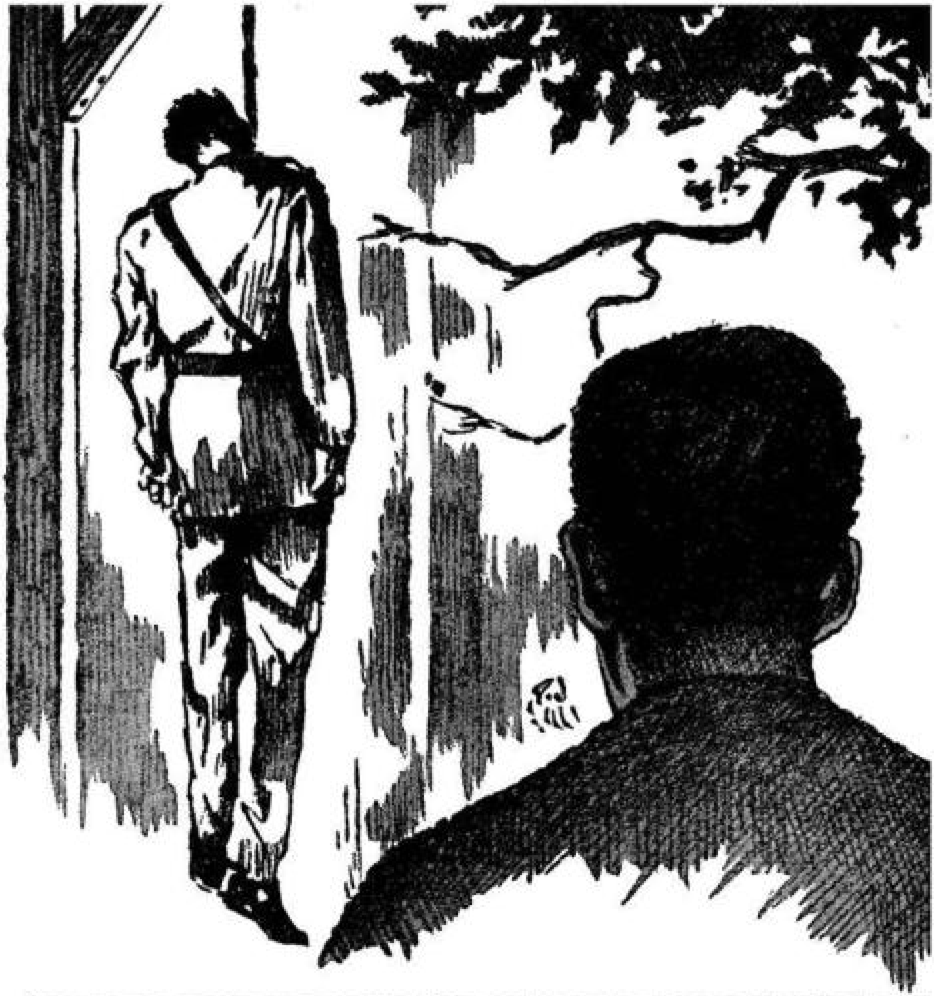
ذو قامة قصيرة تدل عليه من بعيد ، وجسد بدين يزيده قصرا ، يعلوه رأس ضخم ، مفلطح ، كأنه قذيفة من قذائف القرن التاسع عشر ... وله عينان نافذتان بالشعاع على رغم الكهولة ، وأثقال السنين التى يحملها على منكبيه المنزلقين ، واعياء الحوادث التى مرت به .

لقد كان مولعا مثلي بالخروج الى الطبيعة ، نستجلى جمالها ، وروعتها الكامنة . والى النهر الكبير الذى يتهادى كسولا ، رهيبا فى مجراه الأبدى .

كنا نطعم معا ، ونتبادل الأقاصيص معا ، ونقرأ احيانا معا .. لكن اقاصيصه كانت أعمق مما عندى ، لانها مجموعة تجاريب رجل شاهد من فصول الحياة أضعاف ما شاهدته .

لقد كانت الحياة عنده صفحة ملأى تريد أن تفرغ ، وكانت الحياة عندى صفحة فارغة تريد ان تمتلىء !

كان يروى لي من الاقاصيص الكثير مما مر به



من اهوال ايام الحرب الاولى . وليس كمثل الذكريات حياة تتوهج فى صدور الكهول .

انها تنحدر بمهل ، ولكنها تؤج كالنار تحت الرماد .

اقاصيص فيها الحب والحرب ، والحياة مرة ثانية ، وثالثة . والموت الذى ينفض على فريسته ثم يتقهقر !

كان مرة فى مضارب الأسْر ، فى بلاد اليونان ، مع جماعة من الاسرى ، تعطف عليهم امراة يونانية، واجمة ، حزينة ، هي ككل مراة بعثت بفتاها الى الحرب ، دون ان تدرى متى يعود ، وربما لن يعود ابدا . لكن عاطفتها كانت تدفعها الى الاشفاق على هؤلاء الاسرى ، والعطف عليهم بدافع ان زوجها ربما كان اسيرا ، ولعل امراة اخرى تشفق عليه .

رأوها مرة تدخل عليهم ضاحكة ،خفيفة الحركة، بخلاف عادتها . واذ حار الاسرى فى تعليل هذا التقلب فى نفسها صاح صديقي :

ــ اراهنكم بأن زوجها عاد اليها هذه الليلة !

وحين سألوها عن عودته ضحكت ، وتهللت كل اسرة وجهها ، فتغامزوا .

انها عودة المحارب من جحيم المعركة ...

كانوا يعودون ، ويرجعون ، ولا يدري احد متى يعودون العودة الأخيرة !

اقاصيص كثيرة كانت تنحدر على لسانه نسيت اكثرها لبعد العهد .

رافقته مرة الى البريد ... والبريد كان مهوى امالنا ، لانه الصلة الوحيدة التي تصل بيننا وبين اهلنا واحبابنا في تلك البقعة البعيدة من الارض... ولم يكن لهذا البريد موعد معين ، لان السيارة التي تحمله كانت تسير على غير موعد ، فمرة هو ياتي مبكرا اذا صادفته احوال حسنة ، ومرة يتاخر كثيرا . وربما انتصف الليل ، والناس المهتمون به ينتظرون على الرصيف تحت الامطار ، او هم يرقبون — من خلال الزجاج — اشباح عمال البريد في الداخل يصنفون الرسائل .

طلب صاحبي تحويل حوالة مالية باسمة الى اسرة في حمص تحمل اسمه وكنيته . فاهتممت بالامر لغرابته ، لانني اعلم ان اسرته تسكن انطاكية ، وهو منها ، فما شانه في حمص ؟

لم اشا ان اساله ، ولكن بوادر الاهتمام ظلت ترتسم على وجهي ، وانا اسال نفسي : — لمن هذه الرسالة ؟ ولمن هذه الحوالة ؟ .. لعل له امراة اخرى يمدها بالمال ، او له اسرة مجهولة هو عائلها. وكانه شعر بما في نفسي من خواطر تتردد، وقبل ان اساله سالني :

— لعلك عجبت من امر هذه الرسالة !

— حقا ، عجبت كثيرا !

— ان لها لنبا غريبا ! انها تكتب ، كل شهر ، مرة واحدة في مثل هذا الوقت . لا استطيع ان اؤخرها عن موعدها . ويرتاح ضميري عند انجازها كل مرة .

ما اعجب شعور الانسان الذي يستمع الى شيء غامض يريد ان يكشف غموضه باسرع مما يظن . وركض الحل الى نفسي ... وتخيلت ان هذه الرسالة يجب ان تكون الى امراة احبها صديقي ، وعاد عليها حبه بالشقاء ، فتولد عنده الألم الذي يشده اليها ، فهو يكفر عن خيانته بهذا المبلغ من المال الذي يقتطعه من مرتبه كل شهر !

وانتهينا الى حيث كان يطيب لنا ان ننتهي ...

وانطلق صديقي يكشف لي عن سره :

— لقد كنت ضابطا في الحرب العظمى ، شان امثالي في الجيش العثماني ، وكنا فئة من العرب ، قاسينا مرارة الذل والهوان في هذا الجيش الذي لا تربطنا به اية رابطة . وكانت فكرة القومية العربية بدات تتفتح في النفوس ، تدخل البيوت ، وتقتحم المدارس والشوارع ، والأسئلة على الشفاه حائرة قائلة : اين قوميتنا ؟ اين حريتنا ؟ اليس لنا كيان معلوم ؟

وفي ذات الوقت راحت مشانق الأتراك تحمل جماجم العرب الاحرار ، واتسع الخلاف بيننا وبينهم ، وآمنا بان لنا كيانا يجب تحقيقه ، ولم يزد الارهاب قومي الا نقمة ، واقترابا من الثورة.

دخلت الفكرة صفوف رجال العرب في الجيش، وبدأ التفكير بالثورة ، والهرب من الخدمة ، وتألفت جمعيات من المحاربين العرب كنت واحدا منها ، وعزمنا ان نفر بسلاحنا الى الجيش العربي الثائر !

بدات معركة الفناء والبقاء بيننا وبينهم ، وراحت مناجل الاعدام ، تحصد كل من وجدوا فيه ميلا او شبهة ... ولكن ذلك كله لم يزدنا الا اصرارا !

في ليلة قاتمة .. اتصل بي احد اصدقائي ، وانذرني بالهرب والنجاة ، والتواري عن الانظار ، لان امرا بالقبض علي قد صدر !

تركت كل شيء ، واحرقت كل الاوراق ، والاسماء ، وخرجت بمسدسي المربوط على زنادي ، وانا لا ادري اين اهيم على وجهي ، ومن القصد ؟ ومن ذا يستطيع ان يؤوي رجلا مطلوبا ، متهما بالخيانة العظمى ؟

كل شيء حولي سجن رهيب ، فكل شبح يرسم وراءه وجوه اولئك الزبانية ، وكل وشوشة تنطق بالفاظهم القاسية .

تواريت ... وساعدني الليل على الافلات من المدينة ... ورحت اهيم في الدروب المهجورة ، حتى دخلت قرية حقيرة لا يدل على الحياة فيها الا نباح الكلاب تعوي في الليل .. فانسللت الى بيت منعزل ، لم اجد فيه الا امراة عجوزا بدون رجل ، اقنعتها بانني تائه ، واغريتها بالمال . لكنها

لم تلبث ان ادركت الحقيقة على وجهي ...

ـ اتريد اغرائي بالمال أيها الفتى التائه ؟ انك رجل متهم ، مطلوب !

اخافتني لهجتها ، واحسست ان الامر قد انتهى ، وبعد قليل تحيط بي بنادق الاتراك ، ثم تشد عصابة على عيني ، ثم ترتفع سمفونية الرصاص ، ليستقر في صدري !

هممت بخنقها ، بقتلها قبل أن تسلمني الى العدو ، ولكن ما ذنبها ؟ هل تدرك معنى الرسالة التي اقوم بها ؟ هل تعرف انت، الود على البيئة التي يلقاها اولادها في حرب لا شان لنا بها ؟

وفجاة صاحت بي :

بماذا تفكر ؟ بالمال ؟ لتشتري صمتي ؟ ومن اين لك المال ؟

وهنا فتحت جيبي ، وفيه المرتب الاخير ، وقلت لها :

لك ما تريدين !

فنظرت الي مليا ، ثم قالت في تؤدة :

ـ .. ستقيم عندي ما دمت امنا ، بلا مال ... انك من دمي ، انك من شعبي ، انك من اولادي الذين مات بعضهم ، وبعضهم لا يزال حيا ينتظر الموت .. كل واشرب مطمئنا ! لا تخف .

لم يكن الجواب الا دمعتين انهمرتا بصمت من عيني ..

ان هذه العجوز كانت اعظم مني !

مرت الأيام ، بل مرت الساعات كأيام ، وانا خلف هذه الجدران الصماء .. في شبه عزلة عن كل شيء .. الا ان يطمعني هذا الأمن فاخرج قليلا الى ساحة الدار ، لاعطي الدفء لجسدي ، والحركة لاعصابي ..

وذات يوم سمعت انهم قبضوا عليّ .

كيف يقبضون عليّ ، وانا هنا طليق حر ؟ .

لا بد انهم قبضوا على رجل شبيه بي ... ولكنهم غدا يعلمون الحقيقة ، ويخلون سبيله ، ويعودون الى البحث عني في مجاهل الارض حتى يدركوني

تتبعت أنباء المحاكمة لأنها تخصني انا وحدي ، ولكن مضى عليها زمن طويل بدون نتيجة .. لا شك ان المتهم يجادل ويقاوم...

واخيرا اعترف المتهم بالجريمة .. بل اجبروه على الاعتراف بالجريمة .. وصدر الحكم عليه بالاعدام شنقا في الصباح التالي .

هل تقدر الآن شعوري عند علمي بهذا الحكم ؟ بريء يحكم عليه بالموت ، وانا الجاني الطليق ؟

حقا لقد كان من واجبي ان افرح لأن السلامة كتبت لي واللاحقة ستنقطع عني .

ولكن ... من هو هذا المتهم الذي أدين بدلا مني ؟ انه ضابط مثلي ، يحمل نفس اسمي ... هو من حمص ، وانا من انطاكية !

أيصل الشبه بيننا الى هذا الحد ؟

من هو هذا ؟ عربي مثلي .

كيف يقدم على الموت ؟

لو كان بطلا لتعزى بالموت !

لو كان من أصحاب فكرتي لأسى نفسه بأنه شهيد فكرته .

ولكنه يموت ... ولماذا يموت ؟ ولمن يموت ؟

انه يموت لمجرد هذا الشبه بيني وبينه ...

لو عرف هذه النهاية المحتومة لاختار ان يموت بطـلا !

لم انم تلك الليلة ، والهواجس تلح علي ... والم الضمير يخز جوانب نفسي ..

تركت العجوز نائمة . وقد استولت على نفسي فكرة واحدة أضاءت كل وجودي !

يجب ان ينجو البريء ... ولكن كيف ينجو ؟ اأظهر لهم ليقتلوني ؟ ان الحياة عزيزة ، ولو كانت على حساب الابرياء !

واخيرا لمع في نفسي خاطر قوي انجلى عنه كل تردد ، كما كان يلمع في وجهي بين الحين والحين ذلك البرق الذي كان يشق السحب ...

ـ يجب أن يحيا !

يجب أن يحيا من يموت بديلا عني !

انك نذل ، جبان ، ضعيف الايمان اذا سكتَّ عن هذه الضحية البريئة .

يجب ان يحيا .. ويجب ان تموت انت !

كان الليل رهيبا ، والبرد لاذعا .. خرجت بصمت ، وليس عليَّ من الثياب الا بذلة قروية رايتها في بيت العجوز ، رقيقة ، مثقوبة ، مهلهلة الخيوط، وتركت ورائي بزتي العسكرية ، ومعطفي الثخين ، وحذائي الضخم .

اين اقصد ، والى اين أسير ؟

كنت لا اعرف شيئا الا انني أسير ... وان قدمي الوَرِمتين تدفعان بي دفعا على الطريق الموحل نحو المدينة . المدينة التي ستفتح عينيها عند الفجر على أرجوحة تحمل رجلا بريئا ، يموت لمجرد انه يشبه الجاني الحقيقي باسمه وجسمه ورتبته ...

اسرعت السير ، والمدينة لا تزال بعيدة عني . والفجر الشاحب الحزين كان يؤذن بالطلوع . وليس هنالك الا عجلات تسوقها البغال ، والا اشخاص كانوا يمرون كالخيال في غَبَشة الفجر .

انا في سباق مع الفجر ! انا في سباق مع الموت، لانقذ الضحية البريئة .

وأخيرا بلغت الساحة .. ولكن الامر كان قد انتهى !

لن أنسى صورته أبدا .. انه مثلي حقا ... كان في بزة عسكرية ، وقد لوى عنقه ، ليَّة خفيفة لم يدرك أحد غيري معناها .

ماذا قال لمحاكميه عندما اصدروا عليه حكم الموت ؟ انه ليس هو .. ولكن هذا لا يمنعه ان يعتنق فكرته ، ويموت بديلا عنه !

ان عينيه كانتا تنظران الي ، دون أن تغتمضا..

انه لا يزال حيا ، انه حي في نظري .. كانما لسانه المعضوض باسنانه يؤنبني على فراري من رسالتي .. بكيت ، ولكن من غير دموع !

لماذا تشخَصُ الي ؟ لقد وصلت متاخرا .. اليس كذلك ؟ هل تغفر لي ذنبي ؟ انك لاكبر مني حين لقيت هذا المصير !

عدت أدراجي ، وفي نفسي مأساته لا تبرح نفسي .. وشبحه لا يكاد يترك طريقي .. ولكني عاهدت الله أن انتقم له ، وانتقمت !

★ ★ ★

انتهت الحرب ، واظلت الحرية بلادي ، وخلعت سلاحي ، وباشرت العمل المدني ، وها انت تراني معك زميلا !

قلت له : وانا لا أزال أسير هذه المفاجاة . ولكنك لم ترو لي شان الحوالة ؟

ـ حقا ، ان المأساة لم تنته بعد .. لقد تقصيت أحوال الشهيد ، فعلمت أن له زوجة ، واطفالا أربعة يعانون ضيق العيش ، فآثرتهم بهذه الهبة .. كل شهر ارسلها اليهم تكفيرا عن جنايتي عليهم . لتكون لهم عونا حتى يكبروا ، وهم لا يعلمون الا اسمي ، ولا أعلم حتى الآن هل يدركون القصة ؟ وهل يغفرون لي لو علموا ؟

وسكت صديقي على مضض ، وتركته يسرح في جو المأساة ...!

★ ★ ★

كرت السنون ، وكانت فاجعة اللواء .

سالت عن صديقي فعلمت انه قعيد في انطاكية ، قد أصابه شلل لا برء منه !

وكتبت اليه ووصلتني منه رسالة كانت الاخيرة جاء فيها :

« .. وأؤكد لك يا صديقي ان كل الم ذقته في حياتي قد تحملته ، وان اقسى ألم اقاسيه الآن هو انني لا أستطيع أن اموت وادفن في الارض التي عاشت فيها فكرتي لان الشلل اقعدني عن الزحف على قدمي .. انه حكم الاقدار » .

حقا ، يا صديقي ، لقد مت بعيدا عنا في الموضع المستباح ، ولكنك بروحك هنا ، وهناك الى الابد ، لان الانسان يعيش دائما حيث تعيش فكرته . ■■

خليل الهنداوي

حلب

الديمقراطية في الحضارة الإغريقية

■ قد يستغرب الناظر الى الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد ، كيف تكون « الاجورا » مجلسا للامة ، وهي لا تعدو أن تكون ساحة مكشوفة او سوقا أو ميدانا من الميادين العامة ! والواقع هو ان الديمقراطية الاثينية التي ازدهرت في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، قد اعتبرت كافة المواطنين المؤهلين اعضاء في مجلس الامة بحيث لم يكن مناص من عقد جلسات ذلك المجلس في ميدان عام ، يتسع لجموع اعضائه الغفيرة ، وكلهم ذكور ، بلغوا سن الرشد . وهي قد حرصت على ان لا يحول حائل دون نشر مايجرى في هذا المجلس من مناقشات ، وما يتخذ فيه من قرارات ، وذلك بأن حشدت فيه هذا الحشد الهائل من الناس .

مجلس تشريعي

غير ان عدد اعضاء مجلس الامة الأثيني ، وقد بلغ بضعة آلاف ، لم يسمح لذلك المجلس باكثر من المناقشة في الشئون العامة والمداولة بقصد سن القوانين . فهو اذن مجلس تشريعي لا يختلف عن المجالس التشريعية في القرن العشرين من حيث جوهر اختصاصاته وأعماله . وهو اذن لا يغني عن مجلس آخر تناط به السلطة التنفيذية بمثابة مجلس للوزراء يمارس شئون الحكم في اثينا كما تمارسه مجالس الوزراء في الدول الديمقراطية الحديثة .

مجلس تنفيذي

لم يكن لاثينا اذن مناص من تشكيل مجلس تنفيذي يضطلع بأعباء الحكم ، يكون اعضاؤه الخمسمائة منتخبين بالقرعة من بين أعضاء مجلس الامة . ولقد حرص اهل اثينا على حشد هذا العدد الضخم من الاعضاء في مجلسهم التنفيذي ، كما فعلوا في مجلسهم التشريعي ، لنفس تلك الاسباب .

محكمة من خمسمائة

وبالاضافة الى هذين المجلسين، قام فى اثينا ايضا مجلس للقضاء ، أو محكمة ، اتخذ القرارات فيها قضاة معينون ، ومحلفون آخرون منتخبون ، بلغ عددهم بضع مئات . وعمدوا الى افساح المجال لمثل هذا العدد الضخم في مجلسهم القضائي ، ليشركوا اكبر عدد ممكن من المواطنين في تصريف شئون القضاء ، وذلك لتحقيق اكبر قسط من العدل ، وتجنيبهم مزالق الاخطاء .

مناصب مددها محدودة

ويعزى حرص الاثينيين البالغ على الاخذ بمبدأ الكثرة في تصريف شئون الحكم على كافة المستويات الى تخوفهم من الاستبداد والطغيان . فاسناد



السلطة الى قلة من الناس قد يفسح المجال في نظرهم ، لاستئثار تلك القلة ، او احدها ، بالحكم، والانحراف به والانزلاق الى هاوية الظلم والاستبداد . وتفاديا لهذا الاحتمال ، عمد اهل اثينا ايضا الى جعل مدة المناصب الرئيسية المسئولة في مجالسهم محدودة قصيرة ، كما عمدوا الى تطبيق نظام العزل السياسي الذى يقضي بتجريد اى مواطن اثيني من حقوقه المدنية وبابعاده عن اثينا ، نهائيا او الى حين ، اذا ما اصبح موضع شبهة لدى المواطنين او المسئولين ، من حيث اخلاقه وسلوكه ، او من حيث طموحه وجنوحه الى الاستئثار بالحكم والسلطة . والمشهد الذى تظهره الصورة المنشورة على الصفحة الثانية ما هو الا اجتماع احتدم النقاش فيه حول نفي احد المواطنين البارزين .

من رثاء خطيب أثينا الشهير

وتجدر الاشارة الى ان الحكم الديمقراطي في اثينا امتاز باستتباب الامن بين السكان وحفظ ممتلكاتهم ، وبالحرص على توطيد النظام وتعزيزه من حيث هو نظام ، فضلا عن تقدير اهمية الاعمال العامة والمسئوليات الجماعية الى حد بالغ .. وتتجلى الديمقراطية الاثينية اكثر ما تتجلى فيما ذكره بريكلس Pericles (٤٩٠ — ٤٢٩ ق.م) ، قائد اثينا ، وخطيبها المعروف ، في رثائه المشهور الذى القاه في « الاجورا » بالذات ، راثيا به شهداء حرب « البليبونيز » وابطالها ، اذ قال :

« .. ان حكومتنا ديمقراطية بقدر ما تؤثر صالح الكثرة من الناس على صالح القلة. وقوانيننا تضمن العدالة للجميع على السواء ، رغم ما قد يفرق بينهم من اختلاف او تفاوت . فلا المكانة الاجتماعية المرموقة ، ولا الاعتبارات الطبقية الموروثة ، بقادرة على طمس الكفايات او الحيلولة دون صعود اصحابها الى القمة في قيادة دولتنا او خدمة مجتمعنا . وليس منا من تسول له نفسه الانتقاص من حرية جاره التامة في فعل ما يشاء فيما يخصه من اشياء . رائدنا الحرية والمساواة ورادعنا القانون والدستور » .

تلك هي الديمقراطية التى مارستها اثينا في الاجورا. وتلك هي المعاني والخصائص التى خلدت الديمقراطية الاغريقية على مر السنين . فالحضارة الاغريقية ، وان هي بادت ، ذات تراث حي خالد للناس لا يبيد . ■■


لا..لا تنفق أموالك هباء ... !!
إستثمرها بواسطة
إستثمارات الكويت المالية
حيث تضمن ربحاً سنوياً صافياً قدره :
٨ ٪ لمدة ١٢ شهراً
٧ ٪ لمدة ٦ أشهر
٦ ٪ لمدة ٣ أشهر
أكثر من سنة بربح يتفق عليه
لمزيد من المعلومات إتصل بـ :
استثمارات الكويت المالية
بناية أنوار الصباح - شارع فهد السالم
تلفون : ٢٣٧٣٣ - ٢٤٠٢٤ ص.ب ١٥٦ - الكويت

خواطر

■ اخذت جانيت جاردنر تفكر تفكيرا عميقا ، ومن الخواطر التى راودتها ان زوجها وابنها وابنتها قد اقلعوا عن الاهتمام بها فى المدة الأخيرة .

كانت جالسة الى طاولة وقد تراكمت بقايا وجبة الغداء من حولها . وكانت ابنتها روزماري، البالغة الخامسة عشرة من عمرها ، تندفع هنا وهناك تغلق الدواليب بسرعة حتى تتمكن من الذهاب الى ناديها . اما ابنها جفرى الذى يصغر شقيقته بثلاث سنين فكان جالسا الى مكتبه مستغرقا فى دراساته فى اللغة الانكليزية ، بينما كان صوت الآلة حاصدة الحشائش يدوى ، معلنا اياها ان زوجها كان يعمل فى البستان .

وفى نوبة اشفاق على نفسها خيل اليها ان لا احد يهتم بوجودها ، ولكنهم لا شك سيفتقدونها اذا ذهبت ، عند تحضير او طبخ الطعام وغسل الملابس ، وتسيير شؤون البيت .. فهى ليست لهم غير مجرد خادمة .

واذا بروزماري تندفع اليها وتطلب منها ان تضم لها رداءها . فقالت لها امها : انك قد استعملت من أحمر الشفاه اكثر مما يجب .

فاجابتها ابنتها وقد عيل صبرها : يا أمي ! لا تكونى رجعية ، ان جميع بنات اليوم تستعمل هذا المقدار ، ولعلك نسيت انني بلغت السادسة عشرة .

قالت امها : كنت انا فى السابعة عشرة قبل ان بدات استعمل الطلاء .

ـ ولكن ذلك كان منذ سنوات وسنوات ، وقد اختلف الوضع الآن .

قالتها وهي متجهة الى الباب واستطردت تقول: يجب على ان اقابل الرفيقات فى السابعة ، فالى اللقاء .

وتهالكت الأم جانيت على مقعدها قرب الطاولة، واذا كانت فى الأحوال العادية لا تستطيع تنظيف الأشياء بالسرعة اللازمة ، فانها الليلة كانت تشعر بخمول غير عادى ، ودوت فى اذنيها كلمات ابنتها .

ودارت هذه الخواطر فى ذهنها : انني بلغت الخامسة والثلاثين وشعرى لا اثر للشيب فيه ، وبشرتى لا تزال ناعمة ، ولكنى ما زلت عند ابنتي رجعية لا امشى مع الزمن الحديث اكثر من مشى أهل الكهف .

وضحكت بالرغم من ذلك وتنهدت . كانت تتمنى ان تصبح صديقة لابنتها عندما تكبر لا مجرد أم . ولكن لم يكن يبدو ان الأمور تسير فى هذا الاتجاه . وما عتم ان ظهر زوجها ماكس عند النافذة وهو يقول لها : « ان هذا العشب لا يتوقف عن النمو » .

وكان ماكس طويلا ، نحيلا ، أسمر اللون ، وبدت عليه امارات الدهشة عندما رآها جالسة هناك محاطة بالصحون غير المغسولة ، فسأل : « ما الخبر ؟ هل من شر ؟ » .

اجابت : شر : كلا ... الا استطيع ان اجلس بضع دقائق بدون أن يكون هناك شر ؟

قال : ليس هذا من عادتك ، هذا كل ما فى الأمر .

ثم سالها ان كانت قد رات ساعة يده . وأجابته متنهدة انها تتوقع أن تكون على نافذة الحمام حيث يتركها فى العادة .

فقال : هل تستطيعين احضارها لي ، فان حذائي متسخ .

فنهضت باستسلام وهي تقول : « ستترك ساعتك فى يوم من الأيام فى مكان لن تستطيع ان تجدها فيه » .

ولدى صعودها الدرج الى الحمام اخذت تحدث نفسها : « يبدو علي أنني اصبحت ثرثارة، وهذا آخر شيء أريده . ولكن متى سيبدؤون فى تقدير ما اقوم به من أعمال ، فحتى ماكس ...».

وسمعت ابنها يقول : يا امي ، انني ذاهب الى احد اصدقائي لمدة ساعة ، لأنني اصطدمت بعقبة كاداء فى واجب اللغة الانجليزية .

وبدا عليه انه صورة مصغرة من ابيه .

قالت : هل أستطيع المساعدة ؟ فقد كنت متفوقة فى اللغة الانكليزية عندما كنت فى المدرسة.

قال وقد أصيب ببعض الذعر : لا أعتقد ذلك فان والدة صديقى حائزة على درجة بكالوريوس

زوجة



.. كان في هذا القول ما ازاح عن صدرها ثقلا ، وكان بوسعها الضحك من فرط السعادة ، وقالت يا ماكس انني أحبك كل الحب .

في الآداب وهي ممتازة في المساعدة . وأردف بعد فترة : أشكرك على كل حال .

وفيما بعد ، بينما كانت تغسل الأطباق ، اصابتها نوبة من الحنق ، واخذت تفكر وتسائل نفسها : من المخطىء ؟ ان ابنائي يعتبرونني قليلة الفهم ، وزوجي مضى زمن طويل منذ ان اطرى جمالي او لاحظ ما ألبس من جديد . وعبارات الحب كان يرددها ، ثم انقطع كل هذا .

كان زوجها مهندسا في الاسطول التجارى بينما كانت تعمل في احدى وكالات الاعلانات . وكانا قد التقيا عرضا في محطة سكة حديد ريفية صغيرة ، عندما فاتهما آخر قطار ، فقد جاءت جانيت تركض الى رصيف المحطة ولكنها لم تظفر الا برؤية الأضواء الخلفية للقطار تختفي عند المنحنى .

وسمعت صوتا وراءها يقول : « أخشى أننا وقعنا في مازق ، وليس هناك من قطار آخر قبل قطار نقل الحليب عند الصباح » .

وكان صاحب الصوت شابا طويلا أسمر اللون.

وقالت بارتعاب : يا لله ، ماذا يمكنني أن اعمل الآن ؟

قال : أليس عندك أصدقاء يمكنك أن تأوى اليهم الليلة ؟

ـ كلا ، فانني كنت في نزهة بعيدة مشيا على الأقدام .

قال : حسنا ، أحسب أن المكان الوحيد لنا هو غرفة الانتظار في المحطة .

قالت : ولكن أليس عندك أنت مكان تأوى اليه؟

اجاب : حسنا ، أحسب انه باستطاعتي العودة

الى اصدقائي ، ولكني لا اوثر ذلك ، فقد كانت عندهم حفلة زفاف ، وكنت الأشبين ، ودارهم عامرة بالاقارب والضيوف . وعلى كل حال فاني لا احب ان اتخيل كيف ستقضين وقتك هنا وحدك.

وفي النهاية قضيا الليلة في راحة قرب نار غرفة الجلوس في المحطة ، بعد تناول عشاء خفيف أعدته زوجة مدير المحطة . وقد تحدثا معا ، ويا له من حديث . وفيما بعد لم تكن تستطيع تذكر ماذا تحدثا فيه ، فقد بدا عليهما انهما تحدثا في كل موضوع تحت الشمس . والغريب انهما غالبا ما كانا يتفقان . فما انقضت تلك الليلة الا وشعرا انهما اصبحا صديقين منذ امد بعيد . وردد القول بانه لم يسر يوما في حياته بان يفوته القطـــار كسروره بهذا اليوم . وابتسمت خجلا . وما ان مضى بعد ذلك أيام حتى ايقنا انهما متحابان ، وعرض أن يتخلى عن حياة البحار وان يعمل مع احدى الشركات الهندسية .

فتساءلت : هل انت واثق من انك ستكون سعيدا وانت بعيد عن البحر وحياة البحر ؟

فاجاب : يا حبيبتي ، انني احبك الى حد لا استطيع معه فراقك . سنستقر هنا في مكان صغير في البداية ، ولكن ما دمنا معا فلن يضايقنا شيء .

واحتضنها بين ذراعيه بينما لصقت به ، وقد خيم عليهما لواء الحب الهنيء .

فقالت له : آه يا ماكس ، ماذا كان ينتظر ان يحدث لو استطاع احدنا ان يلحق بالقطار في ذلك المســاء ؟

فاجاب : ان ذلك ما كان ليحدث ، فانه القدر.

وعندما طافت هذه الذكريات بخيالها ، بدا من المستغرب عندها أن يكون ماكس اليوم هو نفس ماكس الأمس .

انهما سعدا في بداية زواجهما . فقد استطاع ماكس ان يحصل على وظيفة حسنة مع شركـة للملاحة البحرية . وعندما جمعا ما وفراه تمكنا من ان يتقدما بعربون لشراء بيت صغير . وقـد اثثاه قطعة قطعة بلذة كبيرة ، وبدا ان كل شيء كانا يقومان به كان يغمرهما سعادة لأنهما كـانا يقومان به معا . ثم ولد لهما طفلاهما ، فاكتملت سعادتهما . ولكنها لم تنفك عن التساؤل : لماذا بدات الاشياء تتغير ؟ ان خطأ ما لم يقع . فلا بد ان السنين قد اطفات شعلة السحر . وفكرت في اكتئاب فزعمت انهما اصبحا تافهين . وان زواجهما فقد كل رومانطيقيته ، وانهما اصبحا لا يتحدث احدهما الى الآخر ، حتى اضحت لا تعرف كنه تفكيره . كلما تذكرت حديثهما الحماسي قبلا ، استشعرت رنة اسى دفين .

وكان ماكس قد ارتقى في عمله ، ويسر لهما ذلك أن ينتقلا الى هذا البيت الكبير . ولكـن المسؤوليات الجـديدة جعلته يبـدو اكثر نايـا وغموضا. واخذت جانيت تفكر : « يبدو على انني انتقلت الآن الى زاوية مهملة من البيت ، انـه احيانا يكاد لا يدرك انني هنا » والحق انه لم يعد اليوم يقترح عليها ان يقضيا امسية في خـارج البيت ، وعند الأصيل كان يعمل في الحديقة ، وفي المساء يشاهد التلفاز . وكاد يؤدي ضجرها بها الى الصراخ . ولكنها شعرت بالحنين اليه، وودت لو يطوقها بذراعه ، وان يشعرها انه في حاجـة اليها . ولكنه عاد اليها بعد دقائق ليقول انه قد انهى عمله في البستان لذلك اليوم ، وانه بعـد الاغتسال سيشاهد التلفاز .

قالت هل واجب كل ليلة ان نشاهد التلفاز ؟

اجابها بدهشة : ولم لا ؟

ـ ظننت اننا قد نتحدث .

ـ نتحدث ؟ عن ماذا ؟ هل حدث شيء ؟

ـ لا لم يحدث شيء .

وشعرت فجاة بارهاق لا يوصف . فقد ظنت ان في الحديث نوعا من التغيير ، ولكن ذلك لا يهم الآن . والافضل لها اذن أن تاوي الى فراشها .

واستفاقت في صبيحة اليوم التالي ، الأحد ، وهي تحس بصداع وزكام خفيف ، واستلقت على وسائدها وما زالت كربة الامس تثقل على صدرها. وكـان ماكس مستلقيا بجانبها بسلام ، وقـد تشعث شعره فكانه شعر صبي صغير . ولاح النهار امامها طويلا رتيبا مؤلما في رتابته ، ومقفرا .

واخذت تفكر : « في غضون دقائق معـدودة سانهض واعد شاي الصباح ، ثم ارتدي ملابسي واجهز طعام الافطار ، ثم أرتب البيت ، فاذهب الى السوق ، ثم ساغسل الملابس ، واحضر الغداء

.. وسيكون الاولاد عندئذ منشغلين كل بما يهمه، بينما سيكون ماكس مستغرقا في عمله في الحديقة. فجمحت بها ثورة عارمة جعلتها تهز زوجها لتوقظه ، ولكنها خجلت اذ رأته ينهض ، وشكت بان عندها صداعا وزكاما وان الافضل لها ان تبقى في فراشها ذلك اليوم ، وان عليه وعلى الاطفال ان يعتنوا بانفسهم. وكان العلاج كلاسيكيا، فلتنظر كيف سيتدبرون امرهم بدونها .

ونهض زوجها واستدعى الاطفال ونزلوا الى الطابق الارضي .

ولا بد انها نامت بعض الوقت لانها عندما افاقت رات ابنتها روزماري قادمة بهدوء حاملة صينية ، وهي تقول بلهجة عذبة : اني آسفة لانك متوعكة ، وقد احضرت لك بعض اقراص الاسبيرين ، فاجلسي الآن وتناولي افطارك ومن ثم ستتحسنين .

ونظرت جانيت الى الصينية باهتمام وقد حسبت وجبة الافطار لا تؤكل بخبزها المسود ولحمها المحروق . ولكن الصينية كانت مزينة باحسن اواني المنزل ، وكان الاكل جميعه مشهيا ونظيفا . وقالت ابنتها : ظننت انك سترغبين في اكل شيء خفيف ، فان ذلك افضل عندما يكون الانسان متوعكا . وشكرتها امها ، مستشعرة بعض شعور الاثم ، وقالت انها قد تستطيع مغادرة الفراش بعد الافطار ، ولكن ابنتها رفضت قائلة : انهم جميعا وزعوا الاعمال فيما بينهم . فان جفري سيقوم بعملية الغسل وتقشير البطاطس ، بينما تقوم هي بشراء الحاجيات من السوق ، وتعهد الاب بتدبير شؤون المنزل . وطمانتها على حسن طبخها فانها تتلقى دروس طبخ في المدرسة .

وخيل الى الام ان ابنتها مسرورة بان تتقلد وظيفة امها . ومضى الصبح متباطئا وئيدا ، واخذت تصغي علها تسمع صوت انكسار او شجار، ولكن عبثا ، فقد كان البيت هادئا هدوءا غير طبيعي . وفي تمام الواحدة احضرت روزماري الغداء . وكان غداء خفيفا لذيذا مما ادهش الوالدة .

وجاء ابنها يحضر لها القهوة ويقول بحماس : امضيت صباحا مدهشا ، فقد قمت بعمل مختلف الاشياء ، وساعدت روزماري في الطبخ ولن يزعجني ان اكون طباخا عندما اكبر ، وبعد الظهر سانظف النوافذ ، وهو العمل الذي كنت اتوق اليه منذ سنين ، فاذا لم اصبح طباخا فقد اصبح منظف نوافذ .

وقد احجمت جانيت عن القول بان النوافذ في غير حاجة الى تنظيف ، وسالته ان كان قد انهى درسه في اللغة الانكليزية . فاجاب : بان والدة صديقه قد ساعدته ، فهي مدرسة في المدرسة الثانوية ، ولكنه يشعر براحة اكبر اذا ما ساعدته ام عادية كامه . وما فتىء الاب ان اطل يقول : ان كل شيء على ما يرام ، وانه ذاهب الى الحديقة ، واشار على امراته بالنوم ذلك لان روزماري تقوم بالعمل خير قيام .

وبعد ذهابه اخذت تقنع نفسها بان لا تكون بلهاء ، وان عليها ان تكون فخورة بما عندها ، زوج ذو وظيفة حسنة ، وطفلان بديعان ، وبيت مريح . وما لبثت ان استبد بها النوم . ولكن ابنتها ايقظتها لكي تبلغها بان العمة « ديانا » قد حضرت . وكانت ديانا، شقيقة زوجها ، وصديقتها الحميمة وكانت جانيت تحسدها على زوجها «بل».

وبعد تبادل العبارات التقليدية لاحظت جانيت ان زائرتها ليست على ما يرام ، وعندما سألتها عن ذلك استدارت صديقتها اليها تقول : اجل ، « هذا صحيح ، فان « بل » يفكر في الرجوع الى حياة البحار » : وصعقت جانيت عند سماعها هذا الخبر . فقد كان زوجها وبل صديقين في الاسطول التجاري ، وكان زوجها هو الذي عرف صديقه باخته .

ولدى الاستيضاح تبين لجانيت ان « بل » لم يكن ناجحا في اعماله ، وانه لدى تصميمه على استئناف حياة البحار انذرته امراته ان ذلك سيكون نهاية زواجهما . وامتقعت جانيت لسماعها هذا فقد كانت تعهد في « بل » شغفه بامرأته ، ولكن « ديانا » اجابت بحزن : « اجل ان بل ماهر في اظهار نفسه بمظهر المحب الولهان ، فانه دائما ما يحيطني بذراعه ويناديني باعذب الاسماء ولكن ذلك كل ما في الامر . انه اناني كل الانانية».

ولم تكد جانيت تصدق ما تسمع ، فقد كانت تعتقد انهما زوجان مثاليان . واستطردت ديانا تقول : ان البحر ما هو الا طريق للهروب من مسؤولياته ، فلو كان حب البحر يجرى حقا في اعماقه كما هي الحالة مع ماكس ... » .

ماكس ؟ ... وشعرت جانيت بقشعريرة ..

قالت ديانا : « أجل فمنذ أن كان ماكس طفلا كان يريد احتراف حياة البحار ، ولم يكن يتحدث عن أي موضوع سواه . وكم دهشنا عندما تخلى عنه للزواج بك ، فلو كان « بل » كذلك لكنت قد أشفقت عليه .. » .

واستطردت تقول : « لا تستطيعين أن تدركي كم احسدك ، فان عندك كل ما تتمناه اية امراة وتصبو اليه نفسها ، بيت مريح ، واطفال وزوج يعمل أي شيء لك . وكل ما رايته يعمل في الحديقة اعجب به لأنه كان يمقت البساتين في صغره » .

واخذت جانيت في مواساتها ، وطلبت منهــا ديانا أن لا تخبر احدا بذلك حتى ولا ماكس ، فوعدتها بذلك . ولدى مغادرتهـا البيت دفنت جانيت رأسها بين الوسائد وأمعنت الفكر في مدى حماقتها . وما لبثت روزماري أن عادت بفنجان شاي وقالت : تحدثت مع جفري عنك ، وقررنا انه في المستقبل يتوجب عليك أن تسمحي لنــا بتقلد مسؤوليات اكثر فاننا لسنا اطفالا .

وفوجئت الام من جديد ، ولكنها ابتسمت هذه المرة ، وتبادلت مع ابنتها نظرات التفاهم . وقالت روزماري : على فكرة ، أحب أن اعطيك طـلاء الشفاه ، فانه يناسبك أكثر مني . وعندما بقيت جانيت وحدها شعرت باستحياء وخجل وتواضع . فلقد استطابت البقاء في فراشها ذلك اليوم لتلقن اسرتها درسا ، ولكنها ها هي ذي الآن تتلقى درسا بعد درس . وما لبث ماكس أن ظهر وفي يده باقة زهور ، وهو يقول : « هذه هي الزهرات التى تفتحت فاقتطفتها لك » .

ـ آه يا ماكس ، الا تزال تكره البستنة ؟

وظهرت عليه امارات الدهشــة وقال : « في الحقيقة لا ، ولكن لم يسبق لي أن قلت لك ذلك . أليس كذلك ؟ لست متحمسا كثيرا لهذا العمل ، ولكني رغبت في الاعتناء بالبستان لعلمي بانـك تحبين الزهور .. ان روزماري اليوم هي التى تسن القوانين في البيت ، فهي تقول انني لا آخذك الى خارج البيت كما يجب ، فهل هــذا رايك ايضا ؟ » .

قالت وهي تختار كلماتها بعناية : « انه مــن الجميل أن نخرج ليلا بين الفينــة والاخرى ، بمفردنا ، اعتقد اننا سنسر بذلك اذا حاولنا ، فقد مضى وقت طويل منذ أن فعلنا ذلك » .

ـ انني اوافق . اخشى انني لم افكر في الامر ، فانني بعد أن امضي النهار في العمل خارج المنزل اكون سعيدا في بيتي معك ومع الاطفال . ولكنني ارى الآن في ذلك نوعا من الانانية . وعلى كل حال فسأتدبر الامر .

وكان هناك شيء آخر احبت معرفته فسألت : « ماكس، هل ندمت على تركك الأسطول التجاري؟ » .

ولكنه لم يجب بسرعة ، ووجدت من الصعب عليها أن تتنفس . قال : « ان هذا سؤال غريب تسأليته اليوم بعد كل هذه السنوات . انني لا افكر في الامر بتاتا » .

« ولكنك كنت تحب حياة البحار كثيرا ، أليس كذلك » .

وحملق من النافذة وهو يجيب بهذه الكلمات : « كنت أحب حياة البحار عندما كنت صبيا ، وكان أهم شيء في حياتي حتى لاقيتك . ثم كــان علي أن اقرر ماذا كنت أريد أكثر ، حياة البحر ، او حياة معك . ان بعض الرجال يمزجون بــين الاثنتين ، ولكن ليس ذلك من شيمي . فاني اعتقد انه عندما يتزوج انسان فان عليه واجبا الا وهو الاعتناء بزوجته واطفاله ، ولم اندم على قراري ولا لدقيقة واحدة » .

وكان في هذا القول ما أزاح عن صدرها ثقلا ، وكان بوسعها الضحك من فرط السعادة، وقالت: يا ماكس انني احبك كل الحب .

وبدت عليه دلائل الحرج ، ومد يده يداعب شعرها ، ولكنه لم يحر جوابا . على انها لــم تعد تكترث بضرورة تكراره عبارة (أحبك) فان بعض الناس يقولونها في كل نفس يتنفسونه ، وبعض الناس يقولونها بواقع حياتهم كلها .

قال وهو يتفحصها بعينيه : انه يبدو عليـك التحسن .

ـ أجل ، انني أشعر بتحسن كبير ..

وحاولت النهوض من فراشها وهي تقــول : « ان اليوم قد افادني جدا » .

واضافت : انني أشعر هذه الدقيقة احسن بكثير مني في كل دقيقة مضت من حياتي. ■■

ترجمة : الدكتور عيسى المصو



ثور – يبشر بعصر جديد للسفر بسرعة تفوق سرعة الصوت

الصاروخ النفاث الوحيد الذي تكامل ابتكاره فأصبح في قيد الإنتاج بنطاق واسع في أوروبا يدفع القذيفة الموجهة "بلادهاوند" في [illegible]

بعد ٢٠ سنة من وقتنا هذا ستكون الرحلات عبر السفر بالطريقة الجديدة السريعة .. بطائرة الركاب الصاروخية النفاثة بسرعة ٢٠٠٠ ميل في الساعة. وحينئذ [illegible] والخبراء الفنيين الذين [illegible] تنفيذ ذلك [illegible] شركة بريستول سدلي [illegible] أشكال جديدة من [illegible]

بداية العصر الذري القادم.

وصاروخ بريستول سدلي ثور، إنما هو بشير لهذا العصر الجديد، الذي سيسافر فيه الناس بسرعة تفوق سرعة الصوت، إذ أنه المحرك الصاروخي النفاث الوحيد الذي تكامل تطوره في أوروبا، كما أنه مصدر الطاقة الذي يدفع القذيفة الموجهة بلادهاوند.

[illegible] من الصواريخ النفاثة التي تقوم بريستول سدلي بتصميمها [illegible] بسرعة تفوق ما يعرف بسرعة "ماخ ٣".

شركة محركات بريستول سدلي [illegible] لندن [illegible]

بريستول سدلي تزود الطاقة





اِضْحَكْ تَضْحكْ الدنيا مَعكْ .. اِبْكِ تَبْكِ وَحْدكْ ..

التلطف ، فى الامتحان

● كان الاستاذ عوض الله يراقب فى قاعة الامتحان طائفة من تلاميذه . ثم اذا به يتنحنح ، ويقول بصوت لطيف :

ــ هل يتكرم احدكم ، اذا هو فرغ من نقل الأجوبة من كتابه ، أن يعيرنى كتابه لمدة دقائق فقط ؟!

فتى من أولاد الهوى

● دخل فتى من اولاد الهوى فى محل مزين ، يعنى باظافره ، ثم يحلق بعد ذلك لحيته .

وقامت الفتاة بعلاج انامله، فاستظرفها، وطلب منها موعدا للعشاء .

فقالت : **انى متزوجة .**

قال : فاسألى زوجك .

فالت بل اساله أنت . انه الحلاق الذى سوف يحلق لك ذقنك !!



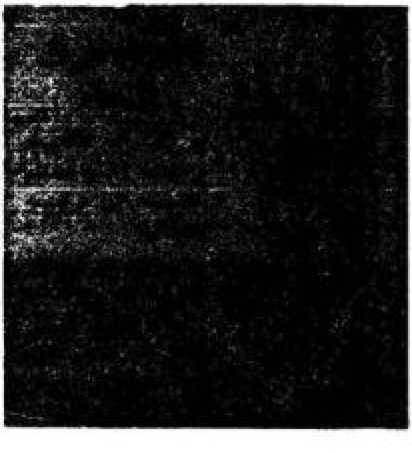
بحكم المهنة ..!

● ذهب احدهم لاستئجار شقة قريبة من البحر حتى يسهل على اولاده الاستحمام والعودة فورا للمنزل ، وكالعادة اضطر للاستعانة بسمسار للحصول بسرعة على مطلبه .

وقال له السمسار : « عندى بيت عظيم يطل على البحر مباشرة ، ليس بينه وبين البحر خطوة » .

فسر الرجل جدا ، وعاد فسأله : « لكن عندما يرتفع البحر فى حالة المد ، ماذا يحدث للبيت ؟ الا يتأثر ؟ » .

فرد السمسار : « هو البيت فين والبحر فين ؟! » .



العربي

شوال ١٣٨٥
فبراير
(شباط) ١٩٦٦

نهاية الكاتب الفنان الذي شغل الناس قرناً من الزمان

لا ترفعوا سن الزواج، بل خفضوه.. للفتيات والفتيان

أمثلة لمشاريع في العواصم العربية بالآثار الإسلامية



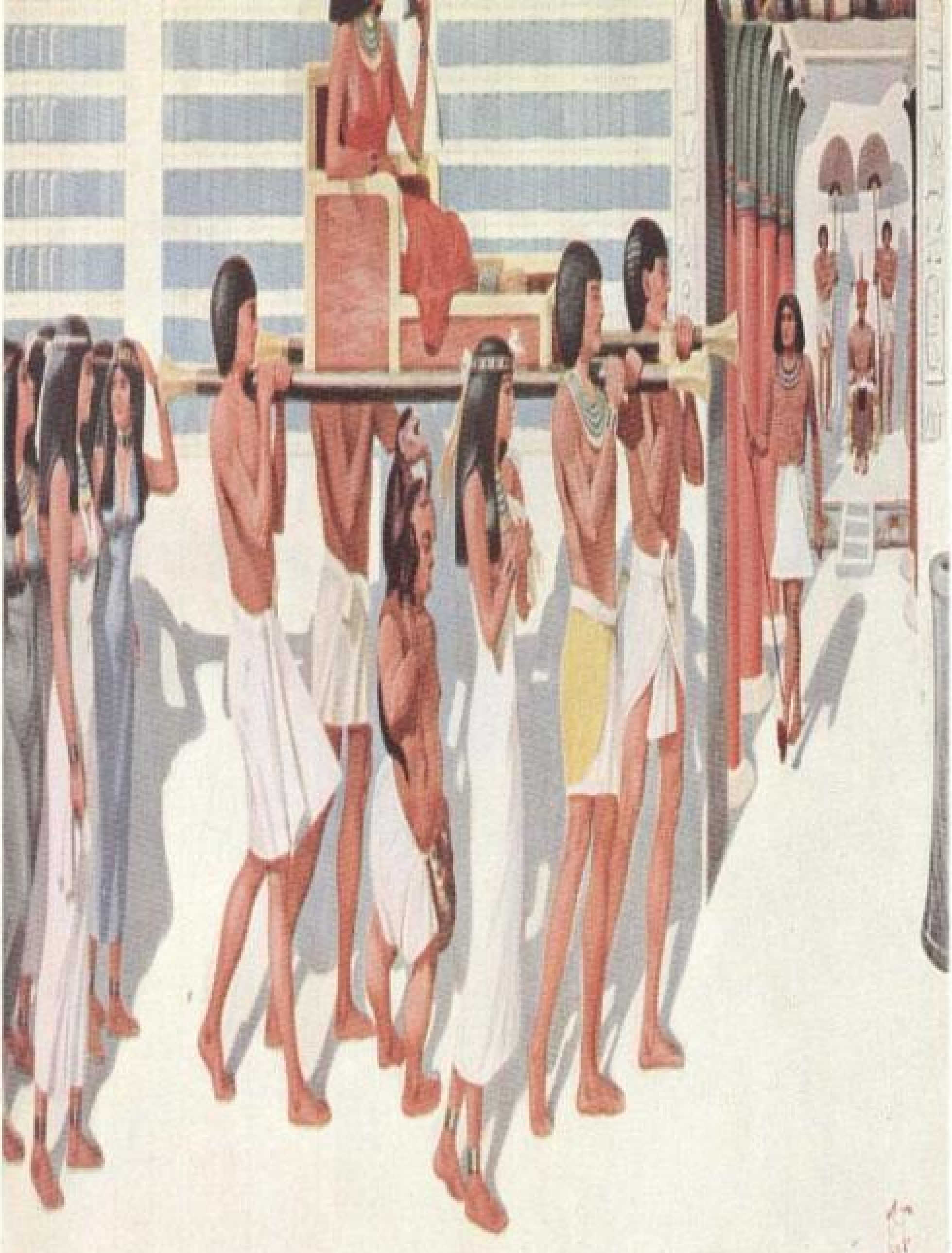
اطلب
العربي الصغير
مع هذا العدد

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

رأس
عرا من كل زينة
كما خلقه الله

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم
الجزائر	٢٠٠	مليم



حضارات سادت ثم بادت

● صورة رائعة تكشف عن بعض معالم الحضارة الفرعونية ، في مصر القديمة ، وتبرز بعض ما أصابته من رقيّ ، خلّد ذكرها ، وقد بادت من بعد أن سادت .

(انظر صفحة ١٥٢)

عزيزى القارىء :

جاءنا ما يلي :

تهانينا بالعام الجديد ... ونزف اليكم بشرى نفاد عدد يناير الممتاز فى الساعات الأولى لتوزيعه فى الجمهورية العربية المتحدة ، بالرغم من ان الكمية التى وردت منه ٢٥ الف نسخة وليست ٣٠ الفا كما طلبنا ..

هذا ، ونرجو أن ترسلوا الينا ما لا يقل عن ٢٥ الف نسخة اعتبارا من عدد فبراير ١٩٦٦ .

مدير توزيع الاخبار
ونائب المدير العام للمؤسسة
أمين عدلي

« العربي » : تأسف اننا ، رغم الـ ١٥٠٠٠ نسخة التى وزعناها ، لم نستطع ان نرسل الى القاهرة منها غير ٢٥٠٠٠ .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

اسلاميات :

ركن الذرة والفضاء :

طب .. وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 87 February 1966 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٣٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربى»
الاعــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ــ قسم الاعلانات
المراســـــلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● انه رأس فتاة عـربية ، كما خلقه الله ، خلا من كل زيف ، وعرا من كل زينة ، فتجلت فيه زينة الخلق الأولى ، تلك التى كثيرا ما غمرتها ، فحجبتها ، الأصباغ والألوان .

عـروبة :

تربية وعلم نفس :

شعر :

ركن الاسرة والمرأة :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



« رفيدة ».. هى « كعيبة » : أول طبيبة فى الاسلام

● ان الكلمتين الرقيقتين اللتين أوردتهما مجلتنا « العربى » الغراء فى باب بريد القراء مرسلتين من الأديب مختار فوزى النعال القنيطرة/ سوريا ، والأديب محمد صلاح الدين قضيب / دمنهور ج.ع.م. ــ ان دلتا على شيء ، فعلى أن «العربى» الأغر ، بسعة انتشاره وعظم الاقبال عليه فى سائر أقطار العالم العربى الكبير ، فانما يدعم الصلة الروحية والثقافية والاطلاعية بين كتاب وأدباء العروبة ، وغيرتهم على تصحيح الوقائع والأحداث والأسماء وردها الى أصولها ..

ولما كان رد الأديبين العربيين على مقالى «مسلمات خالدات» عن كعيبة بنت سعد الأسلمية لم يخرج عما ذكرته ، اللهم الا فى ايراد الاسم فقط ، وهو « رفيدة » بدلا من « كعيبة » فانى اشكر لهما هذه الغيرة ، وأقول انها لا تغير من الحقيقة المعترف بها شيئا على الاطلاق فأول مسلمة عملت فى التمريض وأدارت أول وحدة علاجية متنقلة فى ميادين الحرب هى عربية مسلمة ، كان أبوها انصاريا من بنى أسلم اسمه سعد .

واذا كان ابن اسحاق وهو عمدة أحد الأديبين

حول مقال جذور الفن العربى فى الفن الرافدى

● فى مقال الدكتور عفيف بهنسى بالعدد ٨٣ عن « جذور الفن العربى فى الفن الرافدى » نواح فنية وأخرى تاريخية لا تزال موضع جدل بين كبار علماء الآثار .

وبما أننى أعتقد أن المقال يحوى معلومات لايمكن السكوت عنها لأن لها وجهة نظر أخرى، أعقب عليها لفائدة القراء .

يقول الدكتور بهنسى : « ولقد أطلق على هذه الأمة اسم الأمة السامية نسبة الى اللغة التى كانوا يتكلمونها » .. والواقع أن أول من أطلق اسم الساميين على الأقوام السامية التى كانت تتكلم لغات متشابهة متقاربة هو شلوتسر الألمانى عام ١٧٨١ ــ لا ١٧٨٠ كما يقول الدكتور ــ ولكن نسبة الى سام بن نوح أبى الأقوام السامية وليس نسبة الى اللغة التى كانوا يتكلمونها .

ويقول بعد ذلك ان ثمة موجات متتالية منذ عام ٢٩٠٠ ق.م قد استقرت شمالى سورية وهم الأموريون ، وفى غربها وهم الفينيقيون والكنعانيون، كما استقرت موجة فى الجزيرة شمالى العراق أطلق عليها اسم الاشوريين . أما الاراميون فقد استقروا فى دمشق منذ عام ١٥٠٠ ق.م الخ.. » .

والمتفق عليه حتى الآن هو أن الساميين قد عاشوا مع السومريين فى بلاد ما بين النهرين جنبا الى جنب قبل أن يستولوا على السلطة السياسية فى عهد الدولة الاكادية ٢٣٥٠ ق.م ــ ٢١٥٠ ق.م ومؤسسها سارجون ٢٣٥٠ ــ ٢٢٩٤ ق.م ، واذا اعتمدنا أقوال الملوك الاكاديين أنفسهم التىوصلت الينا عن طريق كتاباتهم نجد أنهم قد لقبوا أنفسهم ملوك اكاد أو ملوك أكاد ــ سومر .. لذلك فاننا

انها لم تكن

● جاء فى العدد ٨٣ تشرين الأول فى باب بريد القراء من مجلة « العربى » المحبوبة تحت عنوان ادريس والادارسة للسيد صالح محمد صالح أن ما جاء فى العدد ٨١ حول اسم ادريس بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب لعلها غلطة مطبعية والصحيح أن اسمه ادريس بن عبدالله بن الحسين بن على بن أبى طالب فان ما جاء به السيد المذكور غير صحيح والصحيح هو

ومرجعه الوحيد في رده ، فاني بدوري أحيلهما على مرجعين لهما خطرهما ومكانتهما في التاريخ الاسلامي هما : « طبقات ابن سعد » و « الاصابة لابن حجر » فقد ذكر كلاهما اسم أول مسلمة عملت في التمريض وهي كعيبة بنت سعد الاسلمية ، وانهـا كانت من فضليات نساء عصرها ، وكانت لها في المسجد خيمة تداوي بها المرضى والجرحى، وانها قد باشرت علاج سعد بن معاذ في خيمتها تلك يوم أصيب بسهم في واقعة الخندق .

وقد زاد المحققان التاريخيان على ذلك من انباء كعيبة انها شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم « خيبر» وانه صلوات الله عليه وسلامه قد أسهم لها سهم رجل ..

وقد أورد هذه الوقائع ، بل الاسم نفسه وهو كعيبة ، أديبنا المحقق العربي « عمر رضا كحالة » في الجزء الثالث من كتابه « أعلام النساء » واعتمد في بحثه وتحقيقه على « طبقـات ابن سعد » و « الاصابة لابن حجر » .

ان الاختلاف ناشيء عن انها اشتهرت باسم « رفيدة » كما اشتهرت كل من الخنساء والسيدة سكينة بنت الحسين وغيرهما باسم غير اسمها الاصلي غلب عليه حتى كاد ينسى . وهو على اي حال اختلاف لا يغير من الحقيقة المشرقة شيئا ، وهي أن امرأة عربية سجلت في صحائف التاريخ انها كانت أول طبيبة أست الجراح ، وكان لها « مستشفى » متنقل في الميدان ، و « عيادة » ثابتة في صحن المسجد لعلاج الجرحى والمرضى ، وانها سبقت في ظهورها « فلورنس نايتنجيل » و « اليزابث بلاكويل » بمئات السنين ، حتى ليمكن أن يقال انها كانت أول ممرضة أو طبيبة في التاريخ كله .

سنية قراعة

نطلق على الموجة السامية الاولى اسم الاكاديين وهذا ما يتفق عليه جميع العلماء . اما الموجة السامية الثانية فهي الموجة الكنعانية (يطلق عليها بعض العلماء اسم الموجة الامورية وانا افضل التسمية الأولى) التي اسست ممالك في انحاء مختلفة من الجزيرة العربية أشهرها : دولة بابل الأولى في اواسط بلاد ما بين النهرين والدولة الأشورية الاولى في شمالها ودولة ماري (عصر الملك زمريليم) على الفرات الأوسط ودولتا حلب وسهل العمق ودولة اوجاريت ، واخيرا دولة قطنا (المشرفة بالقرب من حمص) . اما الفينيقيون فهم جزء من الموجة الكنعانية والأشوريون جزء منها ايضا ، والاراميون موجة مستقلة بدأ نفوذها يتعاظم عند نهاية الالف الثاني ق.م ويقول : « ولقد كانت فكرة الاله السماوي الذي يسمو على الشبه، السبب في أن الفن التشبيهي عند الساميين لم يكن مسوغا ومشجعا ، على عكس الأمر فيما يتعلق بالفن السومري فكثيرا ما نشاهد تماثيل الملك غوديه الذي حكم الى جانب الاكاديين ، منتشرة بين خرائب ونيبور وسوزا وغيرهما دون أن نجد نظيرها عند الاكاديين » .. وهذا غير مطابق للحقيقة فما أكثر التماثيل السامية في بلاد ما بين النهرين في ماري وآشور في منطقة الديالى وجنوب بلاد ما بين النهرين وما أكثر نظائر تماثيل غوديه عند الاكاديين . ان غوديه الذي حكم بعد الاكاديين وجدت تماثيله في الجاش فقط وان من نظائر تماثيل غوديه عند الاكاديين الذين سبقوه تماثيل مانيشتوزو ونارام سن وعند الساميين الذين عاصروه تمثال أدي ايلوم من ماري وبوزور عشتار من بابل الخ ..

علي أبو عساف

ماجستير في الاثار الشرقية القديمة واللغات السامية

غلطة مطبعية !!!

« الغلطة المطبعية المزعومة » كما جاء في العدد المذكور حيث أن عبد الله بن الحسن كان يلقب بعبد الله المحض لأن امه بنت امام وابوه ابن امام. امه فاطمة بنت الحسين بن علي وابوه الحسن المثنى بن الحسن بن علي .

رضا زيني الحسني
كربلاء

خَفِّضُوا سِنَّ

أَرْقَامٌ تُدَغْدِغُ الأَفْهَام

بقلم رئيس التحرير

■ انها ارقام ، جمعها أو قدرها علماء هيئة الامم وخبراؤها .

انهم يقدرون ان الانسان ظهر على الارض ، اول ظهور ، منذ الف الف من الاعوام .

وهم يقدرون ، وما اصعب الحدس والتقدير فى تلك الازمان الخوالي ، ان الانسان ظل مع ذلك شيئا نادرا يصعب الحصول عليه ، مبعثرا هنا وهنا على سطح الارض ، وظل على هذه الحال عشرات الالوف من السنين ومئاتها . ثم اخذت اعداده تزداد شيئا فشيئا ، واخذت تتضخم جماعاته ، حتى اذا جاء عصر السيد المسيح بلغ سكان الارض ما بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ من الملايين .

ثم اخذت اعداد الانسان تتزايد مرة



الزَّوَاج، لاتَرْفعُوها

لامَخْلَصَ مِنْ نَكْبَةِ السُّكَّان إلَّا التَّوْعِيَة وَمَعَ التَّوْعيَة، الحُبُوبِ وَاللَّوالِب

مَاتَ سُومَرْسِتْ مُوم

إحْرَاقُ جُثَثِ المَوْتَى

ثانية حتى بلغ سكان الارض نحو ٥٠٠ من الملايين . اى ضعف ما كانت فى عهد السيد المسيح . واستغرق الانسان لبلوغ هذا الضعف ١٦٠٠ من السنين . بلغه فى نحو سنة ١٦٠٠ ميلادية .

ثم اخذت اعداد الانسان تتضاعف مرة اخرى لتبلغ الالف من الملايين، واستغرق الانسان لبلوغ هذا الضعف هذه المرة نحو قرنين ونصف من السنين ، بلغه فى نحو سنة ١٨٥٠ ميلادية .

ثم بدا الانسان يزيد اعداده من جديد . حتى اذا جاء عام ١٩٦٠ كان سكان الارض ٣٠٠٠ من الملايين . بدلا من الضعف تزايدوا حتى صاروا ثلاثة امثال، وذلك فى ١١٠ من السنين . واذن قد كانوا لا بد بلغوا المثلين فى اقل من قرن من زمان .



ونعلم ان اهـل الارض هم اليوم فى ازدياد سـنوى نسبته ١٫٩ فى المائة . وعلى هذا الحساب لن يأتي ختام هـذا القرن الحاضر الذى نحن فيه حتى يبلغ سكان الارض ٦٠٠٠ من الملايين .

سـرعة فى السـكان ، ليست فقط بزائدة ، ولكنها متزايدة على الزمـان ، تريك اياها اوضح الرؤية هذه الارقام :

ليتضاعَفَ الانسانُ مثلين ، اى مـن نحو ٢٥٠ مليون الى ٥٠٠ مليون ، احتاج الى ١٦٠٠ عام .

وليتضاعف بعد ذلك مثلين ، اى من نحو ٥٠٠ مليون الى ١٠٠٠ مليون احتاج الى ٢٥٠ عام .

وليتضاعف بعد ذلك ٣ امثال ، اى من ١٠٠٠ مليون الى ٣٠٠٠ مليون احتـاج الى ١١٠ عام .

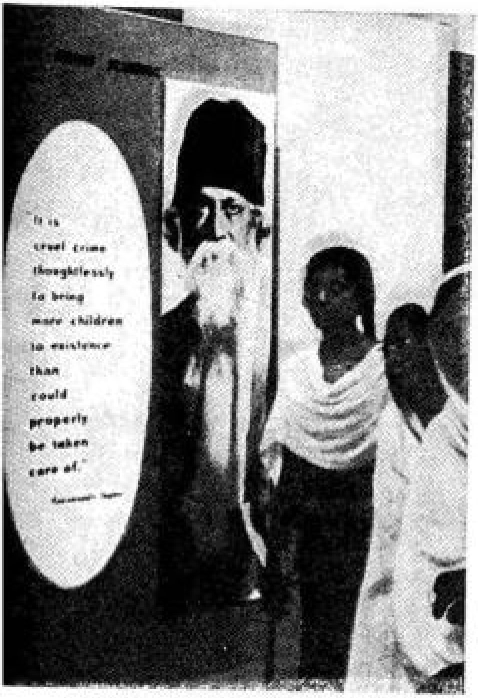
وليتضاعف بعد ذلك مثلين اى مـن ٣٠٠٠ مليون الى ٦٠٠٠ مليون سـوف يحتاج الى ٤٠ عاما .

عند هذه الأرقام يجب ان يقف المتأمل طويلا .

ولهـذه الزيادة المتسارعة اسـباب واضحة منها التقدم فى الحضارة عامة ، وفى شمولها جماهير الناس . وما نظـن ان حضارة سبقت فتقدمت بمثل هذه السرعة ولا هذا الشمول، مثل ما تقدمت وشملت هذه الحضارة الحاضرة بالرغم مما تعدد فيها من نقائص كثيرة .

وليس مـن همى الآن الدخـول فى تفصيل الأسباب . ولكن همى توكيـد التبعة المترتبة على ذلك .

انها تبعة كل امة ان توازن بين انتاجها، مما تصنع وتزرع ، وبين انتاجها مـن انســان ، ففى اختلال هـذا الميزان ، الجوع والعرى . والتجارب دلت على ان الانتاج الزراعى والصناعى ، مهمـا زاد ، لا تستطيع زيادته هذه ان تثقل



تاجور ، شاعر الهند وفيلسوفها يقول : « ان من الجريمة ايجاد اطفال فى هذا الدنيا لا تتوفر لهم العناية الكافية » .

بكفة الميزان ، اذا لم يكن فى الكفة الاخرى نقص حاسـم فيما ينتج النـاس مـن انسان . لقد صار انتاج الانسان اليوم بضاعة ، اذا زادت ، لم تكن للكسب ولكن للخسران . وهذا فى الامم المتقدمة والامم المتخلفة على السـواء .

نعم والمتقدمة ايضا .

انه ، كلما تحدث المتحدثون عن انفجار الامم بالسكان ، وعـن ندرة الطعـام ، اتجهت الانظار الى الامم المتخلفة وحدها. والسبب فى ذلك ان ازمة السكان والطعام فى هذه الامم اشد ، والنكبة بها اقرب .

ان الخبراء يقررون اليوم ان من امم الارض قلـة قليلة تستطيع بمواردهـا





هندية ، بيدها لولب لمنع الحمل ، تشرح لنساء الحي حاجة الهند الملحة للحد من انتاج الاطفال .

اللولب الواحد منها فى الرحم ، فيبقى هناك ، لا تحس به المراة ، وقد يبقى العام .

وهو من السهولة بحيث يستطيع الطبيب الواحد ، ومعه مساعد واحد ، أن يجهزا به ١٠٠ امراة فى اليوم .

وتصنعه اليوم الولايات المتحدة . وثمنه فيها سنتيمان ، اى جزءا من خمسين من الدولار . أو نحو بنسين ، أى سدس شلن .

لا شيء ارخص من هذا .

ونشر العلماء آخر تقرير عن اللوالب واستخدامها فى ديسمبر هذا الماضى .. ومن هذه التقارير تقرير يفيد أن هذه اللوالب جربت فى ٢٠٠٠ من النساء ، ولم تحمل منهن رغم ذلك غير نحو أربعين وفى تجارب اخرى اراد بعض النساء الحمل من بعد امتناع ، فسألن الأطباء ، فاخرجوا اللولب . فما لبثن أن حملن .

ولم يظهر على أى من النساء اى دليل على اصابة بسرطان بسبب هذه الوالب او شيء من مثل ذلك .

وقد دل الاحصاء فى منتصف عام ١٩٦٤ ان ٢٠٠٠ امراة ، كانت تلبس هذا الجهاز ، فى شتى الأمم . ولا شك زادت اعدادهن اليوم ، بعد عام ونصف عام ، فبلغت مئات الألوف .

وسموا هذا الجهاز البسيط لولبا Spiral

وسموه ملفا Coil .

وسموه انشوطة Loop

وذلك تبعا لشكله .. وفى الصورة المرفقة أشكال منه عدة .

بقى كيف يمنع هذا الجهاز الحمل .

والأطباء الى اليوم لم يهتدوا الى ذلك اكمل الاهتداء . يكفى ان نقول ان هذا الجهاز يزيد فى سرعة مرور بويضة المراة من المبيض الى الرحم ، فلا تتم نضجا ، فلا تلتصق بجدار الرحم كما وجب ان تفعل .

وهل يقف مجهود الانسان فى الحد من النسل عند هذا الحد ؟

الجواب لا . وان غدا لناظره قريب .

مَاتَ سُومَرْسِتْ مُوم

واخيرا مات سومرست موم (١) وقد كاد أن يستكمل عامه الثاني والتسعين .

بلغ في يناير من العام الماضي الحادية والتسعين من عمره ، فاتخذت الصحف من بلوغه هذه السن ، واتخذنا(٢) ،حدثا مثيرا . وسعى اليه الناس يكشفون من احداث حياته كل طريف ، ومن آماله وآرائه وأقواله ، ما هو اطرف .

ولما استيقظ في ذلك اليوم ، واخبره سكرتيره ، سكرتير حياته ، أنه في ذلك اليوم يبدأ عامه الثاني بعد التسعين، كان ردّه السريع : يا للداهية !

وسعى الناس اليه قبل ذلك بعام ، عند بلوغه التسعين كاملة ، مثل هذا السعي.

وكأني بالتسعين هي الحاجز الأخير في سباق الحياة الذي عنده يتكوكب الناس ينظرون كم منهم من استطاع أن يبلغه ، على الأمل حينا ، وعلى الخوف أحيانا .

ولكن لم يكن للتسعين وحدها ، فما بعدها ، اهتم الناس بسومرست موم . انهم اهتموا به ، لأنه القصّاص الذي أثار عواطف الناس ، وادفأها، وحرّك خيالهم عشرات السنين .

رسم لهم أثوابا من الحياة هم لبسوها، وصوّر لهم مجَنا للحياة ومآسي قاسوها، أو جاز ان يقاسوها ، فشد قلوبهم الى أسطر كتبها، وشدّها الساعات الطوال، وحبس أسماعهم ، الى صوته الصامت وهو يحكيها، فأحيا الميت من أحاسيسهم، وسار بهم من العيش في دروب لم يألفوها.

وكانت كلّ قصة حياةَ انسان ، فهم عاشوها . فهو اعطى لهم في كل قصة حياة فوق حياتهم ، وخبرة عيش فوق خبرة عيشهم ، واستمرأوا منه كل ذلك.

والناس تحركُ عواطفهم ، فأنتَ على الأكثر كاسب .

والناس تحرّكُ عقولهم ، فأنت على الأكثر خاسر .

ذلك أن العواطف اطوع ، وصاحبها بطاعتها أمتع .

اما العقول ، فالحُمُر النافرة ، لا تستطيع جرّها الا بجزرة . وما الجزرة هنا الا قطعة من عاطفة .

من اجل هذا،مات سومرست فتحدث عنه كل انسان ، وذكره كل لسان ،حتى من لم يكن قرأ له شيئا .

ومات اهل العقول فما كاد أن يذكرهم من الناس ذاكر .

---

(١) Somerset Maugham ، واقرأ عنه بصفحة ٣٢ من هذا العدد .

(٢) انظر العدد ٦٥ من العربي صفحة ١١٠ .

إِحْرَاقُ جُثَثِ المَوْتَى

ومات موم ، وأوصى بأن تحرَق جثته، حيث مات في جنوب فرنسا ، ثم يُدفَن ما يتخلف من رمادها في كندرائية كنتربري بانجلترا .

والمرء يتساءل لم اختار مومُ لجثته الحرق لا الدفن ، ومع ذلك شاء لرمادها الدفن من بعد احراق .

والمرء يتساءل لم شاع اختيار الكثيرين من اهل أوروبا اليوم ، وهم مسيحيون يؤمنون بدفن الموتى ، وعندهم مراسم



هـ . ج . ولز . احرقت جثته في لندن

ذلك ، أن تحرق اجسامهم من بعد موت .

ولقد شاع هذا الأمر بين الكتاب وأهل الفكر خاصة .

اذكر اني في عام ١٩٤٦ ، في يوم من أيام الصيف ، كنت أسير أنا واسرتى في شارع من شوارع جلدرز جرين Golders Green ، وهى ضاحية من ضواحي لندن ، شهيرة ، فاذا بجنازة مهيبة تمر بالشارع رويدا رويدا . ولفتنا اليها ، انها وقفت عند كنيسة بها محرقة لحرق الجثث . فتريثنا ننظر ما يكون . وسألنا من المرحوم . فقيل لنا انه هـ . ج ولز H. G. Wells ، الكاتب الانجليزى الشهير .

وتساءلت عندها ، لم اختار « ولز » الحرق على الدفن ، وهو ليس بالقصاص فحسب ، بل هو رجل العلم الذى بقصصه ، وبنبوءات تنبأها في قصصه ، سبق بخياله بعض ما اكتشف من بعده العلماء .

ورحت ابحث عن احراق الموتى ، متى كان وكيف كان ، فوجدت ان ذلك كان تقليدا في الناس قديما . والانسان القديم ، قبل بدء التاريخ ، بدء كتابته ، كان يخلط بين الاحراق والدفن ، وغلب عنده الاحراق . ووجد علماء الآثار بعض ما خلف هؤلاء الأقوام من ذلك ، من عظام كان لا يزال بها آثار الحريق . وقيل ان من دوافعهم الى ذلك كان الخوف من الجثث ، بعد ان تفارقها الأرواح ، وما قد يحوم فوقها من أشباح ، الكثير منها الشرير .

ويبدأ التاريخ يتسجل ، فنعلم منه انه في الأمم القديمة لم يعرف الدفن ، دفن الموتى ، في اكثر امم الارض . كان الاحراق هو الغالب . تستثنى من ذلك مصر القديمة ، وكانت تحنط الجثث ، والعبرانيون ، وكانوا يدفنون في الاضرحة ، والصينيون ، وكانوا يدفنون في التراب .

ثم جاءت المسيحية ، وكان اليهود يدفنون ، فانتقل تقليدهم الى المسيحية ، وعم الدفن حيثما ذهب دين عيسى عليه السلام . وجاء الاسلام مصدقا لما بين يديه ، فجرى على سنة بالقبر والمقابر سبقت .

ومن اهل الأديان الاخرى ، الهند ، وهندوسيوها يحرقون . وليس عهدنا ببعيد ، بجثة نهرو ، تحرق في حفل عظيم ، ثم ينثر رمادها في مياه نهر الجنجيز نثرا . ومن قبلها جثة غاندى .

واوروبا ، وامريكا ، لم تبدآ تتحولان من المقابر الى المحارق الا في أواخر القرن الماضى ، واوائل هذا القرن .

دعا الى ذلك ضيق الأرض بأهلها ، لا سيما في المدن . وعلل المعللون ذلك ، فيما عللوا ، بأن الاحراق اصح ، لا سيما عند انتشار وباء .

ولا نحسب أن منوم واصحابه من بعض اهل الزعامة والفكر ، اختاروا الاحراق على الدفن بسبب ضيق ارض ، او انتشار عدوى . وليس من النافع



هكذا حرقوا جثة نهرو، بعد ان ركموا عليها الاخشاب ، ثم اشعلوها فصارت طعمة للنيران .

ابدا ان نبحث فيما دفعهم الى ذلك . فالانسان ، اى انسان ، عند لقاء الموت ، ففناء هذه الحياة ، لا يتصرف تصرف العاقل ، ولا يتصرف تصرف المجنون ، ولا هو بالمنطق يهتدى ، وانما هي انفعالات نفسية عميقة اكبر العمق ، معقدة اكبر التعقيد ، مبهمة اكبر الابهام ، تدفع الانسان الراحل الى ان يوصي بالتصرف فى تلك الأرطال المائة التى تتخلف عنه من لحم وعظم ، اتعطى طعمة للنار عاجلة ، ام للفناء البطيء آجلا ، علما بأن النتيجة فى الحالين واحدة . كل شيء يرد فى الحالين الى أصله . وما هي الاغازات ثلاثة ورماد . اما الرماد فيبقى فى الأرض ، فهو لها سماد . واما الغازات فترد الى أصولها ليعود ناسج الحياة فينسج منها صورا من الحياة شتى ، كما فعل أول مرة . بعضها النبت والشجر ، ومن النبت الزهر والثمر . وبعضها الحيوان ، من سابح وزاحف وطائر ، وما مشى على اربع . وبعضها الانسان الناطق .

اشكال من الخلائق الف والف ، تموت لتحيا ، خاماتها عند الصنع واحدة ، كالطفل يجلس الى الصلصال ، فيجبل منه ما يشاء . فحينا فار ، وحينا قط ، وحينا جمل ، وحينا انسان . ثم يعيدها جميعا الى صورتها الاولى ، صلصالا ، ليعيد الخلق من جديد .

فهل بعد حقيقة هذا الخلق ، تطرح هكذا ، عارية ، يحار احد بين دفن واحراق .

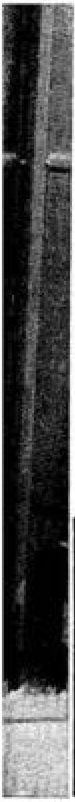
ومع هذا يحار الانسان ، ويختلف الصديقان الحميمان .

سومرست موم، اختار ،بعد التسعين، الحريق . واختار حميمه ، تشرشل بعد التسعين ، الرقاد فى التراب ، الى حين . ■■

أحمد زكي

تشرشل ، فضل الدفن





التعليم في البلاد العربية

التعليم الفني يشكو ضمورًا في أكثر بلادنا .

رواسب من امتهان العمل اليدوي ، عندنا ، قديمة .

الاحتراف في الاسلام فرض كفاية .

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ لا نغلو اذا قلنا ان مسألة التعليم الفني والمهني تكاد تكون المسألة الاولى المطروحة امام التربية فى اكثر بلدان العالم ، وفى الدول السائرة فى طريق النمو ، ومن بينها الدول العربية .

التعليم الفنى يشكو ضمورا فى معظم البلدان

فالتعليم الفني والمهنى يشكو — كما نعلم — ضمورا بيّنا فى معظم البلدان ، ولا سيما اذا قيس بالتعليم الأكديمي النظرى . واذا كان مثل هذا الضمور خطيرا فى اى عصر ، فهو خطير خاصة فى عصرنا هذا ، وفى البلاد المقبلة على تنمية حياتها الاقتصادية والاجتماعية ، كالبلدان العربية .

خطورة التعليم الفنى فى عهد التنمية والتخطيط

واذا كانت العناية بتوسيع التعليم الفني والمهنى ورفع مستواه ، مطلبا لا يمتري فيه اثنان ، وجد منذ سنوات طويلة واتجمه المربون فى شتى العصور ، فهذه العناية تكتسي شأنا جديدا وأبعادا جديدة ، فى عصر التقدم العلمي والفنى ، عصر التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، عصر التخطيط .

مع التعليم الفنيّ العمل
ومع التعليم النظري البطالة

الفني



التربية لا بد أن تتكامل واقتصاد البلاد

ولا نقول جديدا اذا ذكرنا ان على راس الاهداف التى قرّت فى اذهان المشتغلين بالتنمية الاقتصادية جعل التربية متكاملة مع الاقتصاد ، وتحقيق التواصل اللازم بين التنمية التربوية والتنمية الاقتصادية . ومثل هذه الغاية يتم الوصول اليها بوسائل عديدة ، على راسها دراسة الحاجة لليد العاملة فى بلد من البلدان ، ورسم السياسة التعليمية استنادا الى تلك الحاجات . واهم اهداف التخطيط فى عصرنا . عصر التقدم العلمي والتقني ــ سواء كان تخطيطا شاملا اقتصاديا واجتماعيا او تخطيطا تربويا ــ منح التربية دورها فى الاقتصاد، والعناية بتكوين راس المال البشرى الذى لا ينتج بدونه اى راس مال مادى مهما عظم ، والاهتمام بالتالي باعداد الخبراء والاخصائيين والفنيين اللازمين لتسيير عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ومثل هذا المطلب لا يتم الا اذا قامت دراسة كاملة للطاقة العاملة فى البلد ، تبين بنيتها الحالية والمقبلة وتوزعها على قطاعات النشاط الاقتصادى الكبرى من جهة ، وعلى المهن المختلفة من جهة اخرى ، وتجعل نظام التربية متجاوبا مع هذه الحاجات المتصلة بالطاقة العاملة .

ومعنى هذا بوجيز العبارة ان التربية، فى عصرنا هذا لا تؤدى قسطها فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية الا اذا عنيت بالاعداد المهني والفني لافراد الطاقة العاملة الذين تحتاج اليهم سوق العمل فى بلد من البلدان .

وهكذا ينهض التعليم الفني والمهني مطلبا اساسيا من مطالب عصرنا الحديث، به تتم اللحمة المرجوة بين التربية والاقتصاد ، وبه خاصة يغدو التخطيط التربوي جزءا لا يتجزأ من التخطيط الاقتصادي والاجتماعي للبلد .

موقف الناس من التعليم الفني والمهني

وليس هدفنا في هذه العجالة ان نتحدث عن الوسائل العديدة التي تصطنع من اجل تطوير التعليم الفني والمهني وتوسيع مداه وجعله متجاوبا مع حاجات السوق الاقتصادية والاجتماعية في اي بلد من البلدان . ولا هدفنا بيان الصعوبات العديدة التي تقف في وجه هذا الهدف. وجل ما نريد ان نشير اليه صعوبة نراها اساسية ، على تذليلها يتوقف جانب كبير من نجاح التعليم المهني والفني في بلادنا . ونعني بها موقف الناس من التعليم المهني والفني ونظرتهم اليه .

فأول ما يعترض المرء الذي يعالج مسألة هذا التعليم في بلادنا ، وفي كثير من بلدان العالم ، موقف الناس من العمل المهني جملة، وانكارهم له وتفضيلهم العمل الفكري عليه . وكلنا يعلم كيف ان جمهور الناس في بلادنا وفي اكثر البلدان يحقر العمل اليدوي ، ويرى في التربية النظرية وسيلة للتخلص من الاحتراف والمهنة ، وينظر الى هذا النوع من التعليم على انه الطريق نحو الخلاص من آفات المهن والصناعات ، والانطلاق نحو حياة المكاتب والوظائف ، والارتقاء الى طبقة الاحرار ، الاحرار من العمل بأيديهم . وما تزال الكثرة الكاثرة من الناس ــ حتى في أعرق البلدان حضارة ــ تؤثر « الياقات البيضاء » White Collar ــ كما يقولون ــ على « الياقات الزرقاء Blue Collars » وتنتجع التعليم طريقا للخلاص من قذارة العمل المهني واليدوي خاصة .

رواسب من امتهان العمل اليدوي قديمة

وواضح ان تحقيق التوسع اللازم في التعليم المهني والفني لا يمكن أن يتم ما دامت هذه النظرة قائمة . ولا بد من احداث انقلاب اساسي فيها اذا اردنا تمهيد الطريق وتعبيده لهذا الطراز الهام من التعليم. وكلنا يعلم ان وراء مثل هذه النظرة رواسب قديمة ، ومخلفات تاريخية بعيدة ، ترجع في أصولها الى المجتمعات القديمة والى المجتمعات القبلية خاصة. واذا كانت هذه الاصول التاريخية لاحتقار المهنة والعمل اليدوي حظا مشتركا بين اكثر بلدان العالم، فهي واضحة جدا في بلادنا العربية .

فجميعنا يذكر نظرة العرب القدامى الى العمل اليدوي والمهني ، وكيف يرون فيهما شيئا مرذولا ، وكيف يحتقرون الصناعة وامتهان مثل حرف الخز والنجارة والحدادة وغيرها . وكلنا يذكر كيف كان اهل البادية يفاخرون اهل الحضر في هذا المضمار ، فيفخرون عليهم بحياة الرعي ، وينكرون عليهم احتراف الحرف ، ويرون في الحضر احتضارا ، ويجعلون البادية « ديار الكرام » .

لهـا قبلة الشمس عند الشرو
ق وللحتضر القبلة الثانية

كما يقول شوقي .

وما « نقائض » جرير والفرزدق ببعيدة عن ذاكرتنا . الم يأخذ احدهما على الآخر انه « القين وابن القين لاقين مثله » ؟ أو لم يخاطبه قائلا :

اني بنى لي في المكارم أولي
ونفخت كيرك في الزمان الاول

ويطول بنا الحديث ان اردنا أن نتحدث عن نظرة العرب القدامى ــ وجميع المجتمعات القديمة ــ الى المهنة والعمل اليدوي . الم تذهب يونان في قديم عهدها مثل هذا المذهب ، فعمل عبيد

أثينا في الحرف والمهن ، واشتغل سادتها بالفكر والفلسفة ؟

الاحتراف في الاسلام فرض كفاية

وعلى الرغم من انكار الاسلام لهذه النظرة ، وحثه على العمل واكباره له ، وعلى الرغم من موقف الصحابة وممارسة بعضهم للمهن ، ظلت رواسب تلك النظرة القبلية باقية حتى يومنا هذا ، وهي ما تزال تعطل بأثقالها انطلاقة المجتمع العربي نحو التطور التكني والنمو الاقتصادي .

لقد اعتبر فقهاء المسلمين — وعلى راسهم الامام الشاطبي الاندلسي في كتابه «الموافقات» — ان من واجب الكفاية ان يوجد في كل بلد من يسد حاجته من المآكل والمشرب والصنائع المختلفة . ومع ذلك ظل مثل هذا المبدأ مهملا .

وسائل التخلص من احتقار الحرفة

على أن الذي يعنينا من الحديث عن هذه النظرة هو أن نشير الى وسائل التحرر منها . ونقول بوجيز العبارة ، ان ثمة وسائل عديدة ، اهمها وسيلتان :

١ — **أولاهما** تعويد الاطفال على العمل اليدوي منذ نعومة الاظفار ، وذلك عن طريق الاهتمام ببث النشاط اليدوي والمهني بأنواعه المختلفة في المدرسة الابتدائية ، وتحقيق ذلك المبدأ الغالي على المربين ، مبدأ التعليم عن طريق العمل ، Learing by doing . فمعاناة الشيء هي التي تخلق الايمان بشأنه وقيمته ، ولا يجدي في خلق الاهتمام بالعمل اليدوي والمهني ورفع شأنه ان نقدم المواعظ وان نرسل الاحاديث ، بل خير وسيلة لذلك ان نهيىء الشروط اللازمة لممارسة ذلك العمل منذ طور مبكر ، عن طريق تزويد المدرسة الابتدائية — ثم الثانوية — بكل اسباب النشاط المهني ، من مشاغل ومزارع ومداجن وغيرها . وهكذا يأنس الطفل الى العمل المهني منذ طفولته — وهو بطبعه تواق اليه — ويألف حياة العمال ، ويتعلم كيف تتسخ يداه ، ويجد لذة العمل اليدوي ويسعد بنتاجه وابداعه ، ويكتشف ما في اليد من عبقرية — تفوق العبقرية التي في الرأس على حد قول غاندي — ويلذه استخدام أصابعه الخمس والاطلاع على سحرها . ولا حاجة الى القول ان التربية الحقة ممارسة ومعاناة ، وما هي دروس كلامية ومواعظ لفظية . وتكوين المواقف الصحيحة — وهو هدف التربية الاسمى — يكون بالتمرس بهذه المواقف . ان الاخلاق تتكون بمعاناة العمل الخلقي ، ومحبة المهنة تتكون عن طريق ممارسة المهنة . والمواقف السليمة ربيبة الحياة السليمة .

تحقيق الصلة بين التعليم المهني وواقع الحرف في الحياة

٢ — والوسيلة الثانية التي نتوسل بها لتغيير موقف الناس من العمل المهني واليدوي ، ولخلق الاهتمام عندهم بالتعليم الفني والمهني ، ان نحقق الصلة العميقة بين هذا التعليم وبين الحياة .

فمن اهم شرائط قيام تعليم مهني وفني ناجح ان نربط بين ما يتلقاه الطالب فيه والمهارات التي يكونها عن طريقه ، وبين ما سيحتاج اليه في سوق العمل من كفاءات ومهارات ومعارف . وكلنا يعلم ان في بلادنا فرقا كبيرا بين ما يقدمه التعليم الصناعي او الزراعي او التجاري من معارف وما يكون من مهارات ، وبين ما يحتاج اليه العامل فعلا في الصناعة القائمة في البلد او في الزراعة او التجارة . واهم ما يحمل الناس على ارتياد التعليم الفني والمهني ان يجد خريجو هذا التعليم مجالات واسعة للعمل في أسواق بلدهم . ويتم ذلك اذا أعد هؤلاء الخريجون اعدادا

متفقا مع متطلبات هذه الاسواق وحاجاتها ، ومع بنية الصناعة والزراعة والتجارة القائمة في البلد او التي ينتظر ويرجى قيامها .

وواضح ان ربط التعليم الفني والمهني بحاجات السوق يوفر لخريجيه اماكن مناسبة ودخلا محترما ، مما يزيد من اقبال الناس عليه وعنايتهم به . لا سيما اذا ذكرنا ان التعليم النظرى الاكاديمي بلغ مرحلة من التضخم لم يعد من الممكن معها ان يجد خريجوه مجالات للعمل ، وغدوا بالتالي مهددين بالبطالة . وخير حل لمشكلة البطالة الفكرية المتزايدة في بلادنا العربية ـ بعد ان اتسع نطاق التعليم وكثر عدد المتعلمين ـ توجيه الدارسين نحو فروع الدراسة المهنية والفنية التى تحتاج اليها حياة البلد .

واذا كانت مواقف الناس تتغير بفضل الممارسة والمعاناة كما ذكرنا ، فهى تتغير دون شك بفضل عامل آخر له شانه ، هو ادراكهم للنتائج العملية والارباح المادية التى تنجم عن تغيير مواقفهم . وهكذا يؤدى ادراك الناس لضعف مجالات العمل امام اصحاب الدراسات النظرية واتساع مجال العمل امام حملة الدراسات المهنية والفنية ، الى تغيير مواقفهم السابقة والانصراف الى ما هو اجدى .

أى هدف لا ينجح الا اذا خلقنا الايمان في قلوب الناس

ولا نريد ان نشير بعد هذا الى وسائل اخرى عديدة يمكن ان تتبع من اجل تطوير التعليم الفنى والمهنى وزيادة الاقبال عليه ـ من مثل الاهتمام بالتوجيه المدرسي الذى يوجه الطلاب منذ بداية المرحلة الثانوية نحو الدراسات التى تؤهلهم لها قابلياتهم ، ومن مثل تزويد الرأى العام بالمعلومات عن المنصرفات المفتوحة امام خريجى المدارس المهنية والفنية ، وغير تلك من وسائل .

وحسبنا ان اشرنا الى تلك الوسيلة الأولى التى تتقدم على غيرها ، نعنى العمل على تغيير نظرة الناس وموقفهم من هذه الدراسات ونحن فى هذا كله ننطلق من حقيقة غدت بدهية ، وهى ان اى هدف لا ينجح الا اذا خلقنا الايمان به فى نفوس الناس ، وان الايمان بالهدف اهم عنصر من عناصر النجاح ـ سواء فى الحرب والسلم ، فى التنمية الاقتصادية وفى التربية ، فى السياسة والدين ، وفى كل شيء .

التقدم الفنى هو سمة عصرنا

ومجتمعنا العربى الذى يحمل ارث القرون ، والذى يقبل على تطوير حياته الاقتصادية والاجتماعية، لا بد له اذا اراد ان ينطلق منطلقا سليما ، ان يدرك ما فى اليد من ابداع ، وما فى المهنة من خلق ونتائج ، وما فى العمل الفنى من ثراء ، وأن يتبين شيئا بعد شيء أن التقدم الفنى هو سمة عصرنا الحاضر . وهو لا يتبين هذا كله الا اذا بدات التربية من حيث ينبغى ان تبدا ، نعنى من تكوين العادات والمواقف الملائمة منذ نعومة الأظفار وخلق القدرة على الابداع الفنى منذ الطفولة ، والا اذا سار التعليم المهنى والفنى فى طريقه الصحيح ، نعنى الطريق المؤدية الى ربط هذا التعليم بحاجات المهن والفنون فى الحياة الواقعية للبلد ، والى ضمان حسن نتائجه وجزيل عطائه للمشتغلين به . ■■

عبد الله عبد الدائم

نتيجة مسابقة العدد ٨٥

الاجابات الصحيحة - والفائزون بالجوائز

اجاب معظم المشتركين فى هذه المسابقة على اكثر من الأسئلة العشرة التى جعلت حدا ادنى للنجاح . ومنهم من اجاب عن الأسئلة الخمسة عشر كلها . الا أن معظم الاجابات أخطأ أصحابها فى الاربعة الاسئلة التالية :

السؤال الثالث: ذكر معظم المشتركين أن اصغر دولة فى العالم هى الفاتيكان . وقال بعضهم انها « موناكو » بينما اصغر دولة هي «ليشتنستين» اذ لا تتجاوز مساحتها ٦١ ميلا مربعا ، بينما مساحة موناكو ٥٧٨ ميلا مربعا ، ومساحة الفاتيكان ١٧٠. ميلا مربعا .

السؤال السادس : قال معظم المشتركين ان العاصمة الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية التى يقيم فيها السفراء ورجال السلك السياسى هي الرياض وصحتها جدة .

السؤال العاشر : ظن بعضهم ان الفيلسوف المسلم الذى اطلقوا عليه لقب « المعلم الثانى » هو « ابن رشد » ، وظنه آخرون « ابن سينا » ، وحقيقته « الفارابى » .

السؤال الرابع عشر: الفيلسوف الذى اشتهر بشدة عدائه للحرب والاستعمار والتمييز العنصرى وتعرض للسجن ورفض جائزة نوبل هو «برتراند راسل» وليس البير كامو ، ولا جان بول سارتر كما ظن بعض المشتركين فى المسابقة .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت القرعة على الجوائز فكانت نتيجتها:

الجائزة الاولى وقيمتها ـ/٣٠ دينارا فاز بها يونس توفيق الطائي ـ بغداد ـ العراق .

الجائزة الثانية وقيمتها ـ/٢٠ دينارا فاز بها احمد غلاب ـ ١٥ شارع بروفانس ، اجدال ، الرباط ـ المغرب .

الجائزة الثالثة وقيمتها ـ/١٠ دنانير فازت بها السيدة صائمة العارف ـ رام الله ـ الاردن .

٨ جوائز قيمتها ـ/٤٠ دينارا ، كل منها ـ/٥ دنانير فاز بها كل من السادة والسيدات :

١ ـ حسن علي الباذر ـ الدسمة شارع ٣٠ منزل رقم ١٤ ـ الكويت .
٢ ـ شكرى احمد زكي غزالة ـ سفارة الجمهورية العربية المتحدة ـ نيودلهي ـ الهند .
٣ ـ السيدة عطاف خليل جابر ـ ابو ظبي .
٤ ـ شوقى غندور : جويا ـ قضاء صور ـ لبنان الجنوبي .
٥ ـ عبد الله صالح السحيباني ـ المعهد العلمى ـ بالرياض ـ المملكة العربية السعودية .
٦ ـ السيدة ليلى قاسم (ام أنور) حرم السيد منير صالح ـ كاولاك ـ السنغال .
٧ ـ حسام الدين الامام : نوفوتيه نجاتي الامام ـ سوق الحميدية ـ دمشق ـ سورية .
٨ ـ محمد احمد عيسى ساتي : المدرسة الثانوية ـ كوستي السودان .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها .



من المشاكل التى يعانيها المسئولون

من جريدة المنار الاردنية :

● « ان المخطط أو الادارى أو المسئول يجد نفسه دائما حائرا بين أفضليات المشروعات وجدواها الاقتصادية ومردودها وأثرها فى الدخل القومى ، حائرا بين زيادة الضرائب أو تنقيصها ، بين زيادة الانفاق الحكومى أو تخفيضه ، بين الترحيب برأس المال الأجنبى أو سد الابواب فى وجهه ، بين عقد القروض الأجنبية أو رفضها ، بين زيادة الأجور أو الاحتفاظ بمستواها ، بين التركيز على المشروعات الانتاجية أو تنفيذ المشاريع الاجتماعية معها ، الخ .. حتى ليمكن القول بأن كل قضية اقتصادية تحمل فى طياتها كلا الحسنة والسيئة ، وكل اجراء اقتصادى يتضمن النفع والضرر ، بحيث يسهل توجيه النقد واللوم لكل مظهر من مظاهر النشاط . »

● ●

هل انتهى دور شركات البترول العالمية

من مجلة البترول والغاز العربى اللبنانية :

● ان شركات البترول العالمية بدأت تشعر بحرج موقفها ، خصوصا بعد ان بدأت فرنسا تخط لنفسها طريقا مستقلا عن الشركات العالمية وبدأت تعطى شروطا لا تستطيع الشركات العالمية مجاراتها فيها . لهذا رأينا رجالات تلك الشركات وأنصارها وأصدقاءها يهبّون للدفاع عن موقفها وعن ضرورة الابقاء عليها كأداة لخدمة المصالح الصناعية الغربية والاقتصاد القومى فى هولندة وانجلترا وأمريكا .

الانسان والديمقراطية

من جريدة العلم المغربية :

● « من حسن حظ الانسان انه اهتدى الى تنظيم المجتمع سياسيا واقتصاديا ليتغلب على نفاهات الانسان وانحرافاته ونزعاته وانانيته . وقد تغلغلت التنظيمات الاجتماعية وسما وعى الانسان بها حتى اصبحت لها حرمة القانون ، كل الناس يؤمنون بها ويحترمونها ويخضعون لتعاليمها ،وبذلك وفر الانسان على نفسه الخصومات والحروب الداخلية، ووفر على الانسانية الانصراف الى الهدم بدل البناء والى القتل بدل الاحياء . ومن اجل ذلك كان الاهتداء الى الأسلوب الديمقراطى فى الحكم سبيلا لدفع شرور تلك الانحرافات » .

هل نحن جادون .. فى تحديد النسل ؟

من مجلة « المصور » القاهرية :

● فى الخطاب التاريخي الذى القاه الرئيس جمال عبد الناصر أخيرا ، رقم رهيب ، هو ان عدد السكان سيصل الى ٣٤,٠٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٧٠ ومواردنا محدودة ونحن نستورد الغذاءين الرئيسيين ، الخبز واللحم من الخارج ..

ومعنى ذلك اننا فى الطريق الى المجاعة ، اذا لم نكن جادين فى تحديد النسل . وقانون تناقص الغلة ، الذى حذر الاقتصادى المتشائم « مالتس » منه العالم ، وقال ان يوما سوف يجيء ، لا تكفي فيه غلة الأرض لاطعام ساكنيها ، يصدق اكثر مايصدق على حالتنا بالذات .

ان احصائيات الأعوام الاخيرة ، التي نادت فيها الدولة بضرورة تحديد النسل ، وجندت اجهزة الاعلام كلها للتبشير بهذه الدعوة ... تقول ان نسبة الزيادة السنوية فى عدد السكان لا تزال آخذة فى الارتفاع .

اذن .. فنحن لسنا جادين فى تحديد النسل وكل هذه الجهود والصرخات ضائعة فى الهواء .. وكل هذه الأموال التي تنفقها على استيراد حبوب منع الحمل ، وتوزيعها بثمن وبغير ثمن ، مبذولة ادراج الرياح !

ولنتكلم بصراحة : قوانين الضرائب فى الدولة تشجع على كثرة التناسل . فهي تعفي المتزوج من الضريبة على نسبة معينة من دخله اذا كان متزوجا وقوانين الضرائب تمضي فى تشجيع الناس على كثرة التناسل ، باعفائه من الضرائب على نسبة اخرى من دخله اذا زاد اولاده على واحد .. اى انها تشجعه على أن ينسل اثنين وثلاثة واربعة ..

هذه القوانين فى رأينا ، يجب ان تعدل .

حول روديسيا

من جريدة السياسة الكويتية :

● « يمكن القول أن احتمالات اسقاط حكومة ايان سميث تضعف بمرور الوقت ، وأن العالم يعتاد الوجود الروديسى الأبيض بمرور الوقت أيضا . والبيض فى روديسيا اليوم يشعرون انهم قد اتخذوا الخطوة الجريئة ولم يعد ممكنا بالنسبة اليهم التراجع الى الوراء . وبدا واضحا ان الأمور قد سارت — حتى الآن — كما تمنى البيض واشتهوا ، وأن ايان سميث اصبح فى وضع مريح للغاية على الصعيدين السياسى والاقتصادى » .

الاتحاد السوفياتى وحرب فيتنام

من جريدة العرب العراقية :

● « يعتبر الاتحاد السوفياتى المساعد الاول والمعين الاكبر لفيتنام الشمالية فى هذه الحرب . اذ انه هو وحده تقريبا الذى يمدها بالاسلحة على اختلافها ، وقد أدرك الآن أن تضحياته وجهوده كلها ذاهبة جزافا . فلا الحرب الفيتنامية موشكة على النهاية ولا التقدير الذى كان خليقا بمسكو أن تلقاه فى المعسكر الشيوعى قد تحقق » .

مسابقة العربي

أعلام .. ومعالم .. ومعلومات

وجوائز ١٠٠ دينار

تتألف مسابقة العدد من خمسة عشر سؤالا ، وضع لكل سؤال ٤ اجوبة، بينها واحد هو الجواب الصحيح. فاذا جئت بالاجابات الصحيحة لعشرة من هذه الاسئلة كانت لديك فرصة للفوز باحدى الجوائز ، علما بان الكثير منها مواضيع سبقت فى مجلة العربى .

وهذه هى الاسئلة :

١ ـ كانت الاميرة علية بنت المهدى ، اخت الخليفة هرون الرشيد ، تمارس احدى الهوايات الآتية سرا وتبرع فيها : قرض الشعر ، العزف على العود ، الغناء ، المنادمة .

٢ ـ فى بلاد ما بين النهرين ـ دجلة والفرات ـ جماعة من الناس يعبدون النجوم ، وخاصة النجم القطبي . هذه الطائفة هي : السامريون ، اليزيديون ، الصابئة ، الحقانية .

٣ ـ فى شهر ربيع الاول من سنة ٢١٢ هـ اقلعت من مدينة ساسة على البر الافريقى مائة مركب اسلامية متجهة الى صقلية لفتحها . كان هذا الاسطول بقيادة : طارق بن زياد . عبد الرحمن الغافقي ، أسد بن الفرات ، قتيبة بن مسلم .

٤ ـ فى عام ١٤٩٢ استسلم آخر ملوك بني الاحمر فى الاندلس للملك فرديناند الاسباني وسلمه مفاتيح قصر الحمراء وبذلك سقط آخر حصن للعرب فى اسبانيا . وقصر الحمراء ما يزال قائما الى الآن فى : اشبيلية ، قرطبة ، غرناطة ، طليطلة .

٥ ـ يعتبر مسجد دمشق الكبير من أعظم المساجد فى العالم الاسلامي واقدمها وافخمها ، رغم كل ما حل به فى مختلف العهود من نكبات . وقد بنى هذا المسجد : معاوية بن ابى سفيان ، ابو جعفر المنصور ، الوليد بن عبد الملك ، صلاح الدين الايوبي .

٦ ـ جامع الزيتونة من أقدم الجامعات الاسلامية ، بل هو أقدم جامعة اسلامية فى عصرنا الحاضر . تخرج فيها ابن عرفة ، وابن خلدون ، وأبو الحسن الشاذلي وغيرهم من ائمة المسلمين . وهي تقع فى : ليبيا ، الجزائر ، تونس ، المغرب .

٧ ـ كتاب «العقد الاجتماعي» من أجل الكتب التي تبحث فى تنظيم العلاقات بين الشعب والحكام ... ومؤلف هذا الكتاب هو : مكيافللي ، دوركهايم ، جان جاك روسو ، تولستوى .

٨ ـ من فلاسفة المسلمين المعروفين فيلسوف ألف كتابا فى الحب ! هذا الفيلسوف هو : ابن سينا ، ابن ماجة ، ابن حزم ، ابن طفيل .

٩ ـ كتاب « عبقرية محمد » من تأليف : الدكتور محمد حسين هيكل ، الدكتور طه حسين ، الاستاذ عباس محمود العقاد ، الاستاذ توفيق الحكيم .

١٠ ـ كثيرون هم أولئك العلماء والفلاسفة القدماء الذين اضطهدوا ، وحوكموا بتهمة الكفر أو افساد عقول الشباب واثارة الفتنة على الحكام ... من هؤلاء فيلسوف حكم عليه قضاته بالموت بالسم يشربه ، فتناوله فى غير اكتراث . هذا الفيلسوف العظيم هو : ديوجين ، افلاطون ، سقراط ، فيثاغورث .

١١ ـ شجرة يقال ان مهدها الاصلى تركستان ، ومنها انتقلت الى البلاد العربية ولها ثمرة لذيذة من احب المكسرات واغلاها . تعمر احيانا ٣٠٠ سنة ، وتبدأ تطرح ثمارها بعد ١٦ سنة ، ولكنها لا تبلغ كامل نموها الا بعد الأربعين . منها الذكر والأنثى كالنخيل ، والانثى اوفر ثمارا . تزرع بكثرة فى سوريا ، واشهر انواعها ينسب الى مدينة حلب : هذه الشجرة هى : البندق ، اللوز ، الفستق ، الصنوبر .

١٢ ـ رحالة غربى مشهور ، عاش فى القرن التاسع عشر ،وزار مصر والحجاز واليمن والكويت والهند ، واثبت ان الخليج بشاطئيه عربى ، وأن من الخطأ تسميته بالخليج الفارسى لان البلاد الواقعة على شاطئيه عربية لحما ودما وحكاما . هذا الرحالة هو : ماركو بولو ، فاسكو دي جاماه نيبور ، ماجلان .

١٣ ـ ازدهرت الحركة الفكرية والعلمية فى العصر العباسى وبلغت أوجها ، واقبل الناس على المعرفة يلتمسونها فى آثار السريان واليونان وغيرهم بعد ان نشطت حركة ترجمة تلك الآثار الى اللغة العربية ، وكان أول من امر بترجمة الآثار المذكورة من الخلفاء العباسيين هو هرون الرشيد ، المأمون، ابو جعفر المنصور ، المهدى .

١٤ ـ يقرب انتاج النفط بمختلف البلاد العربية من ١٩٠ر٩٠٠ر٠٠٠ طن ، ويقدر المخزون منه فى باطن الارض بنحو ٢٠ر٠٠٠ مليون طن . واكثر البلاد العربية انتاجا للبترول فى الوقت الحاضر هى : المملكة العربية السعودية ،العراق، الكويت ، الجزائر .

١٥ ـ كان احد العلماء الاعلام المشهورين فى قديم الزمان وحديثه ، معتبرا ـ الى جانب علمه ـ من كبار رجال الدين ، اذ كان رئيس دير للرهبان ، هو : دارون ، نيوتن ، مندل ،نيتشه .

★★★

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة . اكتب اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

واكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى . العدد ٨٧ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو ٧ مارس ١٩٦٦ .

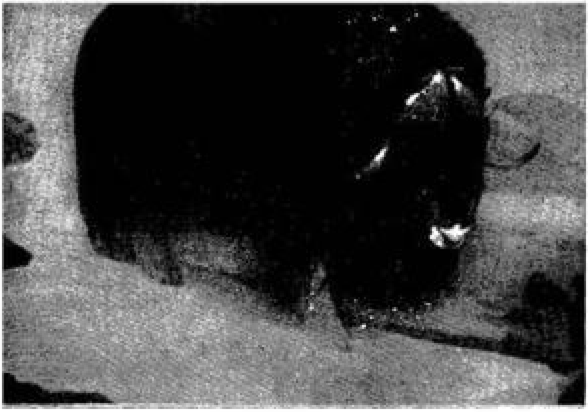
• يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتى :

الجائزة الأولى: ٣٠ دينارا **الجائزة الثانية:** ٢٠ دينارا **الجائزة الثالثة:** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة العدد ٨٧



في سبيل موسوعة علمية

المسك أيضا

وقد جئنا في العدد الماضي بذكر المسك ، وبمصدره ، وهو أيِّلُ المسك .
ويسألنا السائل : فما بال ثور المسك؟
ويسألنا آخر : فما بال فأر المسك ؟

ثور المسك

■ ثور المسك حيوان يسكن الشمال الأقصى من القارة الأمريكية ، وقد يكون له شكل الثور لولا صغر حجمه ، وهو اقرب الى فصيلة الماعز والشياه . وقد غطته الطبيعة بسبب برودة تلك الأصقاع بالشعر الكثيف ، وهو بني اللون ، وهو قصير متموج على الرقبة والظهر ، وطويل على الجانب حتى يكاد ان يمسح الارض . وهو قصير الذيل ، قصير الأذنين ، وكلها تختفي في فروته الكثيفة .

وله قرون ، وللأنثى منه كذلك قرون ، وهي قرون قوية تخرج من أصول ثابتة في جبهة الرأس.

وعمل هذه القرون عظيم ، فبها تدفع هذه عن صغارها ، فهي ما تكاد تحس بالذئاب تأتي اليها متسللة ، جماعة ، حتى تلتف حول صغارها في محيط دائرة ، تجعل الصغار في أوسطها . وتتجه الذكور والاناث كلاهما بالقرون ، مُنذرةً كلَّ مُعتدٍ ، خارجَ ذلك الحصن الدائريّ ، وبذلك تتقي العدوان .

ولكن الطبيعة ، وعملها في تشكيل الخلق عمل آلاف من السنين متطاولة ، لم يَدُر في بالها انه سيأتي زمن يبتدع فيها الانسان الأسلحة النارية ، وان هذا العمل التكتيكي الذي تصنعه هذه الثيران ، من حيث التجمع في دائرة ، هو اوفق نظام تتطلبه هذه الأسلحة النارية للقضاء على القطيع بتمامه . فهكذا يَقضي على هذه الثيران قبائلُ الأسكيمو التي تعيش في تلك البقاع .

والقطيع من هذه الثيران يبلغ العشرين فما فوقها . وهي آكلة عشب ، ترتاده حيثما تجد . وتطلب الطحلب والأشنة وأشباههما .

ويصل وزن الثور منها الى ٦٠٠ رطل .

وفي المجاعة الشائعة في العالم ، هذه الحاضرة ، لا سيما بسبب قلة اللحوم والبروتينات ، اتجهت الأنظار الى تأنيس هذه الثيران ، وقد أجريت تجارب دلت على سهولة تأنيسها . أما ما يرجى من تأنيسها فالحصول منها على :

١ ـ اللحم ، ولحم صغارها طيب . أما لحم كبارها فتشوبه رائحة المسك . والمسك قد يستحب عطرا ويكره طعاما .

٢ ـ ألبانها فهي طيبة غزيرة .

٣ ـ صوفها .

٤ ـ ما تخلف من عجول ، ومدة حملها كمدة حمل الانسان : ٩ أشهر .

بقي السؤال الذي جرنا الى كل هذا : كيف سُمِّي هذا الثور بثور المسك ؟

والجواب : للرائحة التي تجري فيه ، في دمه. وليس يدري أحد الى اليوم من أين تأتيه هذه الرائحة ، وليس فيه غدد معروفة تفرز من دمه مسكا . وليس منه يُجمَع مِسك .

فَأْرُ المِسْك

كذلك فار المسك ، يا سيدى القارىء ، ليس فيه مسك يجتنى . انهما غدتان تحت الذيل تفرزان ما يعطى رائحة المسك .

وافتقد الانسان فيه المسك ، ولكن وجد فيه ما هو أغلى : الفرو الجميل ، ومع الفرو الجميل وجد اللحم المأكول . والحق ان هذا الحيوان بغير الفئران من صنوف الحيوان أشبه . وهو أعطى للانسان معنى رائعا فى كيف يكون التحيّل للحياة ، والعملُ الشاق المتصل فى الظروف الطبيعية القاسية . واليك البيان :

هذا الحيوان يعيش فى المستنقعات ، وفى كل ماء هادىء . وهو منتشر فى أمريكا الشمالية ، يبدأ شمالا من حيث تبدأ الأشجار فى الظهور رغم البرد القارس ، وينتهى عند حدود المكسيك . وهو يأكل كل نبات ينبت فى الماء ، ويستطيب كذلك الليّن من حيوان الماء .

وجسم هذا الحيوان مبنىّ بحيث يتفق والعيشَ فى الماء . ففروه بنىّ اللون يميل الى الحمرة ، وهو دافىء ولا يتبلل بالماء . وطول هذا الجسم قدم ، وطول ذيله عشر بوصات . وهو ذيل عجيب، فهو ليس ذو شعر وانما ذو قشور ، وهو مفرطح ، فكأنما ضغطه ضاغط من جانبيه . وهو بسبب ذلك يعمل فى الماء عمل المجداف تماما ، يتحرك به الحيوان فى الماء ويتوجه .

رجلاه الخلفيتان تعدّلتا بحيث تصلحان للسير فى الماء ، فقد اتصلت أصابعهما بنسيج يغترف الماء ويدفعه الى الوراء ، فيدفع الحيوان الى أمام كما يصنع البط والأوز .

وبيت هذا الحيوان من أغرب المنازل . ان هذا الحيوان يأتى فى المستنقع الضحل الذى لا يزيد عمقه على قدمين أو نحوهما، ويأخذ يبنى فيه كومة من أفرع للشجر يجمعها من الأرض ، ومن الطين . ثم هو يرتفع بهذه الربوة الصغيرة ، وحشوها الاغصان ، ثلاثة أقدام أو أربعة فوق سطح الماء . ثم هو يبدأ من تحت سطح الماء يصنع نفقا يصل به الى داخلها . فاذا بلغ داخل الربوة الى ما فوق مستوى الماء ، بدأ يُفرغ فيها ، وهو الحيوان القارض ، حجرة هي له سكن. وقد يكون له فى هذا البيت حجرتان فأكثر . وقد يكون له ولمن معه أكثر من نفق يصل الداخل بالخارج. وما الخارج هنا الا الماء . والفأر يسبح الى بيته فى الماء من الأرض اليابسة وهو بذلك فى مأمن من كل معتد من الحيوانات الضارية ، فهى لا تستطيع أن تعبر الماء اليه .

وفى هذه الحجرات تولد الأطفال وتربى ، وتعتنى الفأرة الأم بنظافتها أى عناية ، وهى تفرشها بورق الشجر الجاف .

وقد ينظر الناظر الى البركة أو المستنقع فيرى بارزا فى الماء طائفة من هذه القباب . فهذه هى بيوت هذه الحيوانات . وقد ترى فى الماء حركة الفئران وهى تسبح الى بيوتها .

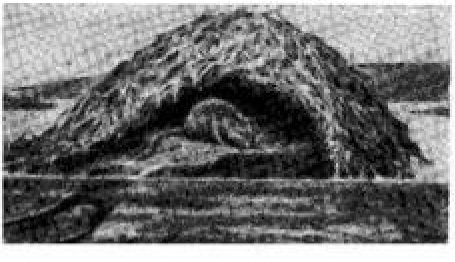
وهذه الفئران لا تنام نومة الشتاء . ويشتد البرد ، وتظل تعمل .

ويتصل الذكر منها بالأنثى فتلد من بعد شهر . وتلد من الأربعة الى الاثنى عشر ولدا . والأنثى تستطيع أن تلد أربع مرات أو خمسا فى العام . والولد قادر على الايلاد بعد ستة أشهر من ولادته. وكذا الأنثى فهذا الحيوان مخصب كثير الاخصاب.

وهذا له خطره من الوجهة الاقتصادية .فالناس تصنع لهذه الفئران الحقول فى البرك والمستنقعات لتهيىء لها الحياة الطيبة ، لتجنى منها الفرو ، وهو من أحب الفراء عند أهل الغرب . وفوق الفراء اللحم ، فهو يؤكل ، وهو كلحم الأرنب .

والولايات المتحدة تصيد فوق الاثنى عشر مليونا من هذه الحيوانات فى العام الواحد . وتجنى منها ثروة طيبة . والفرو يباع على لونه الطبيعى أو يصبغ .







سومرست موم

بقلم : منير نصيف

« اننى اشبه ما أكون بمسافر حزم حقائبه فى انتظار السفينة التى ستبحر به والحرب قائمة . انه لا يعرف بالضبط متى ترحل سفينته ، ولكنه على أية حال على استعداد للرحيل فى أية لحظة ».

هكذا كان وليم سومرست موم Somersèt Maugham ينظر الى الحياة بعد بلوغه عامه الثمانين. ان الحياة فى نظره بعد الثمانين كانت معركة مع الايام . ومن اجل هذا كان يعتبر نفسه فى حرب دائمة ، وكان يقول : « اننى لا احاول أن اعقد صداقات جديدة مع الناس لاننى سأفترق عنهم قريبا ، ولنفس السبب احاول أن انسى اصدقائى القدامى حتى يكون الفراق سهلا » .

ولكن السفينة التى جلس موم ينتظرها لتبحر به لم تصل الا بعد عشر سنوات او تزيد منذ ذلك اليوم الذى بدأ يتحدث فيه عن الموت والرحيل فى صيف عام ١٩٥٤ .

ومع هذا لم ينس موم صديقا واحدا منهم ، فقد بكى عندما مات صديقه الحميم ونستون تشرشل بكاء مرا . وكذلك هو لم ينسه الناس فقد وقف الملايين منهم على شاطىء الحياة يودعون السفينة التى ابحرت به ، منذ بضعة اسابيع مضت ، وفى عيونهم دمعة كبيرة حائرة ... اولئك الذين عرفوا الكاتب والمؤلف الكبير ... اولئك الذين التقوا به على صفحات قصصه الخالدة ... كلهم بكوا وليم سومرست موم ، ولم تخل صحيفة واحدة او مجلة فى الغرب أو الشرق من مقال طويل عن الكاتب الأديب وأعماله ومدرسته وأثره فى الأدب الحديث .

حياة سومرست موم

اما موم نفسه فقد قرأ كل هذا الذى كتب عنه قبل أن يرى النور . كان يقول قبل موته : « اننى اعرف أن عددا كبيرا من الناس ينتظر موتى لكى يكتبوا قصة حياتى ، فقد طالت اقامتى أكثر من اللازم ، وخيبت آمالهم أكثر من مرة ! » .

ولكن أحدا على وجه التحديد لا يعرف حتى الآن من الذى سيكتب حياة موم . فالبعض يقول ان المؤلف الكبير نفسه سيفاجىء العالم بقصة حياته كاملة كما سجلها بقلمه هو . والبعض الاخر يقول ان سومرست موم أوصى صديقه الحميم كارل بفيْفر Karl Pfeiffer ، استاذ اللغة الانجليزية بجامعة نيويورك ، بكتابة تاريخ حياته وأعماله . فقد قال موم لصديقه كارل فى عام ١٩٥٩ :

« ستكون رجلا غبيا اذا لم تحاول أن تستغل صداقتك لى وتعكف على وضع مرجع دقيق لتاريخ حياتى تستطيع أن تجنى من ورائه ثروة طائلة » .

وقد عرف كارل صديقه سومرست موم منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما ، ونشر عنه كتابا عنوانه

مات الكاتب الذى شغل قلمه الناس قرابة قرن من الزمان .

من الناس ومن صميم حياتهم خرجت أروع قصص هذا الكاتب الفنان .

« صورة صادقة لسومرست موم » .

ولقد تركت حياة هذا الكاتب الكبير بصماتهـــا واضحة على مؤلفاته وأعماله الأدبية. فقد استوحى موم بعض موضوعات قصصه من حياته الخاصة . وكانت انفعالاته وأحاسيسه تنعكس على أبطـــال القصة ، ففي « حد الموسى » The Razor's Edge كان بطل القصة حائرا يبحث عن المعرفة ، ومن أجل ذلك طاف الدنيا كلها حتى قادته قدماه الى الهند. وهكذا كان موم ، فلم يترك بقعة من بقاع الارض لم يزرها .. كان يبحث عن شيء ضائع لا يعرفه أحد حتى ولا هو نفسه. وكان حائرا بين دراسة القانون والطب وبين الكتابة والتاليف. فقد عشق «ولي» كمـــا كان يدعوه أصدقاؤه ، القانون ، وكان حبه لهذا النوع من الدراسات موروثا عن ابيه وجده . ولكن تأتأته جعلته يقف عاجزا أمام تحقيق رغبته ، فقد كان الكلام بالنسبة له عبئا ثقيلا !

عقـــدة الكاتب الكبير

وفى قصته « الضائعة(١) Human Bondage » تتكرر الصورة مرة أخرى ، فقد اختار موم صبيا مصابا بعاهة فى قـدمه بطلا لقصته الخالدة التى قراهـا الملايين وشاهدوها على شاشة السينما فى جميع أنحاء العالم . وقد نجح موم فى أن يصف بقلمه عقدة الصبى الصغير الفقير وحياة البؤس



(١) ترجمت الى العربية بهـــذا العنوان ، يشير المترجم بذلك الى بطلة الرواية .. ولكن الترجمة الحرفية هى العبودية الانسانية .

التي عاشهـا في طفولته ، ثم مأساته عندما كبر واحب وفشل في حبه لدى المرأة التي ارادت أن تصبح سيدة فضلت الطريق ، حتى اذا ما دنت ساعتها قالت تهمس في اذن صديقها الذي هجرته : « اريد ان احقق امنيتي في موتي . ارجوك ان تُعِدَّ لي جنازة تليق « بسيدة » ! »

هل كان موم يصور حياته هو في هذه القصة ؟ لقد احب الكاتب الاديب وتزوج وهو يعاني من عاهة التأتأة في عام ١٩١٥ ، ولكن سفينة زواجه ما لبثت أن اصطدمت بالصخور ، وغرقت السفينة وانتهى الزواج بالطلاق في عام ١٩٢٧ ، بعد أن رزق ابنة اسماها « ليزا » وهي الآن ليدي جون هوب . وكان موم كريما وسخيا مع مطلقته التي يدعوها « سيري » تماما كما كان بطل « الضالعة » مع فتاته التي أحبها وفضلت حياة اللهو على بيت الزوج !

ساله الصحفيون يوما : « لماذا لم تتزوج مرة ثانية ؟ » فقال موم: « لقد عرفت المرأة مرة واحدة وارتكبت خطأ كبيرا عندما تزوجتها . ولكنني فعلت لأن « سيري Syric كانت تهدد بالانتحار اذا لم تنته صداقتنا بالزواج . ثم اكتشفت بعد ذلك أن هذه هي وسيلتها مع غيري أيضا من الرجال . فقد حاولت أن تنتحر وهي تحمل اسمي عندما هجرها صديقها الفرنسي ، فألقت بنفسها من نافذة البيت في الدور الثاني ولكنها نجحت فقط في كسر معصمي يديها ! » .

تجربة مريرة

وتغيرت نظرة سومرست موم للمرأة بعد تجربته المريرة مع « سيري » ، فكان يحقد عليها ، ويرسم للمرأة صورة لا تسرها . سألوه يوما : « لماذا تقسو على المرأة ؟ » قال : « لقد كنت أقول الحقيقة ، ولكن أين هو الانسان الذي يحب أن يسمع الحقيقة من نفسه ، وخاصة اذا كان امرأة !؟ » .

ولكن ليس معنى هذا ان المرأة لم تكن تستهويه، فقد كان يحبها وينفر منها .. يتودد اليها ويحقد عليها، وكانت له صديقة في كل بلد يحط فيه رحاله، ولكنه كان ينساها تماما كما ينسى الرجل بدلته القديمة حين يخلعها . وكان يقول انه احب اكثر من امرأة في أكثر من بلد من البلدان التي زارها . ولكنه كان حبا يختلف عن تلك العاطفة النبيلة التي طالما تغنى بها الشعراء . كان حب سومرست موم « لحواء » من ذلك النوع الذي ينتهي بانتهاء الهدف من غزو قلب المرأة الجميلة ! وكان يقول ان حبه لها كان دائما من جانب واحد ، فهو يعرف ان المرأة تنفر منه ، ولكنه كان يدفع لها دائمـا بسخاء ! وهذا في رأيه هو اطول انواع الحب عمرا !

الطفل اليتيم

وُلد سومرست موم في باريس في يوم ممطر من أيام شهر يناير من عام ١٨٧٤ ، من أبوين انجليزيين اختارا له اسم « وليم » . وكان يقول دائما ان مولده في العاصمة الفرنسية جاء صدفة ، ولكنها كانت صدفة سعيدة . فقد كان مقررا أن تسافر أمه الى بلدها لتضع طفلها هناك . ولكن والده الذي كان يعمل مستشارا قانونيا بالسفارة البريطانية في باريس مرض فجأة قبل موعد ولادته ببضعة أسابيع ، فاضطرت الام الى الغاء رحلتها، وهكذا اطلق وليم صرخته الاولى في مدينة النور .

وكبر الطفل « وِلِي » ولكنه لم يكد يبلغ الثامنة حتى فقد أمه التي كانت تعاني من مرض السل ، ثم مات والده قبل ان يتم العاشرة . ولقد كان لهذه الصدمة التي واجهته في سني حياته الاولى اثر كبير في ابعاده عن الله ، فكان يقول لعمه والدموع تملأ عينيه : « لماذا يحرمني الله من أحب مخلوق لدي في الوجود ؟ » . وكان عمه الذي تكفل بتربيته رجلا متدينا ، ولكنه كان قاسيا فظا ، فأسرع العم بادخال ابن اخيه احدى المدارس الداخلية في جنوب فرنسا . وبدأ موم حياته الجديدة في هذا العالم الغريب منطويا على نفسه . وكان طفلا عليلا ضعيف البنية مرهف الحس لا يكاد يقعده المرض ، أي مرض ، حتى يتصور انه قد أصيب بداء السل ، وأنه سيموت كما ماتت امه من قبله !

عالم جديد

واتم الشاب الصغير تعليمه الثانوي ، ثم غادر فرنسا ليلتحق بكلية الطب في مستشفى « سانت توماس » بلندن بعد أن استبعد من ذهنه تماما دراسة القانون . وبدأ وليم يدرس الطب والادب الكلاسيكي في نفس الوقت ، ويكتب المسرحيات القصيرة التي تأثر فيها بالكاتب النرويجي ابسن ، وكانت كلها من فصل واحد . وكتب قصته الاولى ليزا اوف لامبيث Liza of Lambeth التي نشرت له في عام ١٨٩٧ . وقد نجحت المسرحية ، وأثارت اهتمام الادباء بالكاتب القصصي الناشيء .

وتخرج الشاب أخيرا، ومارس الطب في المستشفى الى حين ، وأتاحت له هذه الفرصة مجالا لم يكن في حسابه . فقد اكتشف وهو يعالج مرضاه عالما جديدا غير عالم الاصحاء الذين يلقاهم كل يوم .. خبر الصورة الأليمة للبشرية المعذبة .. كان يجلس في عيادته بالمستشفى ويرقب المرضى الفقراء يترددون عليه وفي عيونهم نظرة توسل واستجداء للدواء الذي سينقذهم من آلامهم. وكان سومرست موم يقول لأصدقائه : « لقد كانت تلك الاعوام أعظم تجربة مرت بي في حياتي كأديب وكاتب . ان السنوات التي أمضيتها في مستشفى سانت توماس قد أمدتني بمعرفة للطبيعة البشرية. ولست أعرف تدريبا للكاتب أفضل من قضاء بضع سنوات في ممارسة الطب » .

لقد روعه فقر مرضاه واسقمه عذابهم الذي لا ينتهي . ومن حياة الطبيب سومرست موم وسط مرضاه خرجت افكار عدد كبير من القصص التي كتبها وسجل فيها انفعالاته واختار ابطالها من بين المرضى والفقراء التعساء .

فلم يكن موم يهتم بالناس ككل ، ولكنه كان يهتم بهم كأفراد ، كان ينظر اليهم كمادة ينسج منها قصصه ، وكان يتعمق في دراسة شخصية الافراد الذين يلتقي بهم ويرقب تصرفاتهم وحركاتهم دون أن يشعرهم بوجوده بينهم ، وعندما يخلو الى نفسه يستعيد ذلك الشريط الطويل من الانطباعات التي علقت بذهنه طوال اليوم ، وفجأة يقف عند شخص معين أو مشهد محدد ترك في نفسه أثرا ، ومن احدهما او من الاثنين معا تولد قصة موم الجديدة .

هدف الفنان

ولقد كان سومرست موم صريحا هادىء الطباع، طيب القلب ، ولكن صراحته كثيرا ما كانت تصل الى حد ايذاء شعور الناس دون ان يقصد ذلك . وكان يقول : « انني لست ممثلا ! فماذا تنتظرون مني ؟ » . قال يوما لأحد الصحفيين الذي جاء لينقد مسرحيته الجديدة : « تستطيع أن تكتب عني ما تشاء لأنني لا اقرأ ابدا ما تكتبه ! » . اتهموه يوما بأنه يكتب قصصه لمجرد تسلية الناس ! فقال : « ان هدف الفنان هو ادخال المتعة على النفوس ، ولست أدري لماذا أكتب اذن ولماذا أحترف الكتابة اذا لم يقرأ قصصي أحد ؟ » .

ولقد طاف سومرست موم حول العالم مرتين . المرة الاولى في شبابه بعد أن هجر الطب وتفرغ للكتابة ودراسة الناس . والمرة الثانية عندما تقدمت به السن وجلس ينتظر الموت بلا مبالاة ، فلما تأخر رحيله حزم حقائبه ليقوم برحلة أخرى الى الحياة . وفي هذه المرة لم يكن يبحث عن الناس ولكنه كان يريد أن يرى بعينين جديدتين ما رآه بعينيه منذ سنوات بعيدة وهو في سن الشباب . وآلمته الصورة الجديدة المهزوزة امام عينيه الذابلتين ، فأسرع عائدا الى بيته في فرنسا . لقد خمد البركان !

بداية النهاية

وظلت قصص سومرست موم ومسرحياته حديث العالم كله ، وقرأها عشرات الملايين ، وقدر دخله بحوالي عشرة جنيهات في الدقيقة ، كما قدرت ثروته بعشرات الملايين من الجنيهات ، تلك التي صنعها بقلمه الساحر .

وفي عيد ميلاد التسعين، بقصره الكبير في الريفييرا الفرنسية ، قرر سومرست موم ان يعتزل الكتابة، وكان ذلك في ٢٤ يناير سنة ١٩٦٤ ، وقال موم يومها «لقد جف قلمي ، وسأكتفي الآن بالقراءة » وذهل أصدقاء موم عندما ذهبوا اليه في بيته بعد عيد ميلاده التسعين بيومين ، فوجدوه جالسا على مقعده الكبير يستمع الى سكرتيره وهو يقرأ عليه قصة بوليسية ! وقال موم : « ان مغامرات أبطال هذه القصص تذكرني بشبابي ! » .

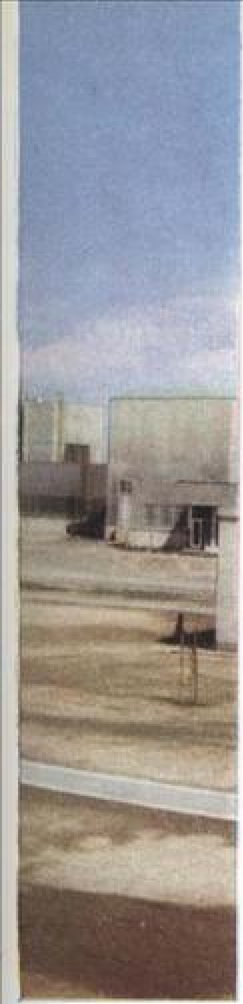
وقد امضى سومرست موم سنوات حياته الاخيرة متنقلا بين الفيلا التي يسكنها في جنوب فرنسا، وبين البيت الذي يملكه في ولاية كارولينا الجنوبية بأمريكا ، وبين الجناح الخاص الذي يستأجره بفندق دورشستر بلندن . فقد كانت بريطانيا ـ وطنه الاول ـ هي البلد الوحيد الذي لا يملك فيه بيتا . كان يزورها كما يفعل اي سائح !

هذه صورة سريعة لحياة الكاتب الاديب الطبيب الذي فقده العالم منذ بضعة اسابيع ، لقد قال تشرشل يوما : « انه شخصية عظيمة لن تتكرر ، لقد كانت معرفتي به وصداقتي له أعظم تجربة مرت بي في حياتي » .

واذا كان سومرست موم الكاتب الانسان قد رحل ، فقد ترك وراءه ثروة من الاعمال الادبية التي ستظل حديث العالم كله لأجيال طويلة قادمة.

لقد خمد البركان ، ولكن أثره سيخلد على مر الازمان . ■■

منير نصيف



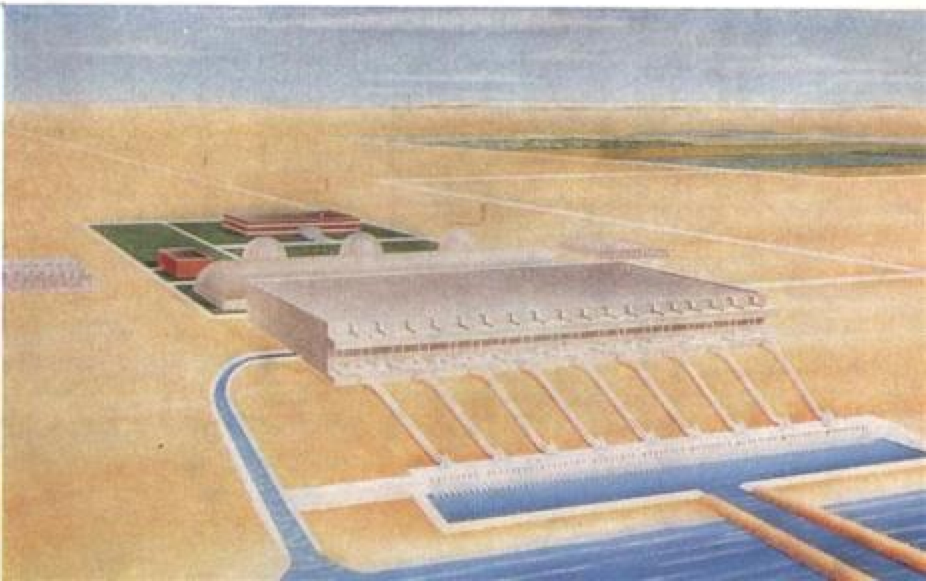
مفاعل ذرى «مُرَبٍّ» تجريبى

(صورة من اهداء Argonne National Laboratory)

أما المفاعل الذرى أو النووى فمعروف، وهو الذى فيه تنشق نواة كنواة ذرة اليورنيوم فتعطى ، مع ما تعطى ، الحرارة التى تستخدم فى تحريك المولدات التى تنتج الكهرباء . اما المفاعل المربّى Breeder Reactor فلفظ مربٍّ فيه ماخوذ من التربية . تقول ربّى الولد أى غذّاه وجعله يربو اى يزيد. اما الزيادة المقصودة فى هذا المفاعل فانه اذ يستهلك من الوقود الذرى مقدارا (اى من يورنيوم ٢٣٥) يحوّل منه (اى من اليورنيوم ٢٣٨)، الى بلوتنيوم (مادة القنابل الذرية) أكثر من الوقود الذى استهلك (راجع مقالنا : « اسرائيل من القنبلة الذرية قاب قوسين » ، بعدد ٨٥ من العربى).

وسمينا هذا المفاعل بالتجريبي لان هذا هدفه ، فهو للبحث ، وحصر النتائج . وهو تجريبى حقا ، ولكنه بحجمه يظهر وكانه غير تجريبى .

وترى فى الصورة القبّة وتحتها المفاعل الذرى ، وتجد بيت انتاج القوة الكهربائية الى اليسار .





مصنع ذرى يعطى الكهرباء ، ويحلى الماء

صورة لمصنع ذرى ، او ان شئت " فنووى " ، رسمه راسمه ليوضح كيف تكون هذه المصانع التى تنتج الكهرباء ، وتحلى ماء البحر المالح معا . وهذا المصنع يعطى فى اليوم من الماء العذب نحو الف مليون جالون أى نحو ٤ر٥ مليون متر مكعب ، وهو يعطى من القدرة الكهربائية خمسة ملايين كيلووط .

ونرى فى القسم الأقرب من الصورة تسع أنابيب تسحب ماء البحر الملح الى أجهـزة التقطير ، ونرى فى الجزء الأبعد من المصنع ثلاث قباب يوجد تحتها ثلاثة مفاعلات (أفران) ذرية ، فيهـا تنشق " نويات " ذرات اليورنيوم فتعطى فيما تعطى الحرارة ، وهى التى تنتج الكهرباء عن طريق المولدات الكهربائية ، وهى التى كذلك تبخر ماء البحر فيحلو .

وبين القباب الثلاث ، وأجهزة تبخير الماء ، تجد بناء طويلا فيه التربينات والمولدات اللازمة لتحويل الحرارة الى حركة فالى كهرباء (راجع مقالنا عن تحلية الماء فى العدد ٧٤) .



صورة ((مسقط)) من الفضاء العالى

هذه صورة لطرف الجزيرة العربية الذى هو ابعدها شرقا ، اخذتها من الفضاء ، وهى تدور به، مركبة الفضاء جيمينى ٤ Gemini 4 بين الثالث والسادس من شهر يونيو ١٩٦٥ . والصورة تشمل جزءا من امارة مسقط ، وفى شمالها خليج عمان .

صورة دلتا النيل

والى جانب هذه الصورة ، صورة دلتا النيل بالوضع الذى تراءى من مركبة الفضاء جيمينى ٤، فى نفس ذلك التاريخ . وترى فيه فرعى النيل ، وقناة السويس وخليج السويس ، وسيناء . والسواد هو لون الأرض المزروعة.

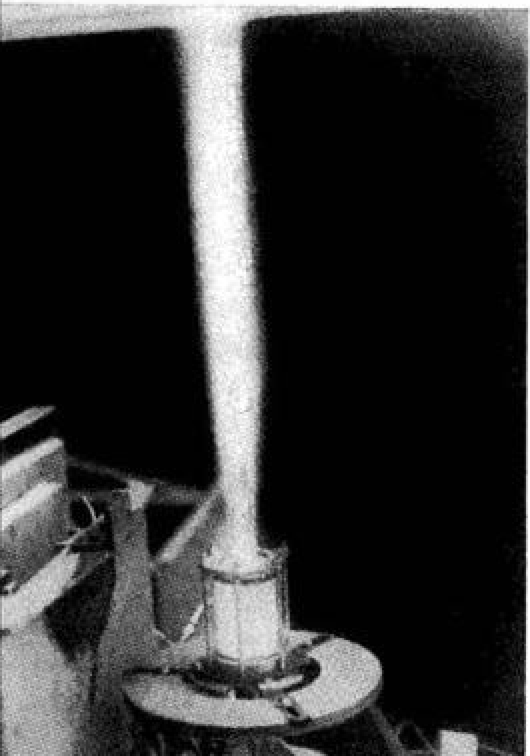
العظمة فى أجواء السماء

صورة تظهر الى أى حد تقدم الانسان فى اختراق الآفاق ، لا برا ولا بحرا،ولكن اختراق هواء . فهذه صورة حديثة لمجموعة من طائرات الهيليكبتر ، يستطيع الأسطول الواحد منها أن يحمل فى المهمة الواحدة ٣٠٨ الف رطل من بضاعة أو نحو ١٠٠٠ من الجند .









((عجلة القيادة))
لمركبة الهواء

فى السيارة، التى تسير على الأرض الجامدة، يوجه السيارة سائقها بادارة عجلة القيادة ، يمينا أو يسارا . وهو يزيد سرعتها أو ينقصها بزيادة الضغط على البنزين أو نقصه.

أما فى مركبة الفضاء ، وهى تدور فى السماء، فليس من شىء يحكمها ، والرجل أو الرجال الذين بها ، سجناء أسراء .

ولكن بتركيب صاروخ صغير فى المركبة الفضائية ، واطلاقه ، فى هذه الناحية أو تلك، تتغير سرعة المركبة ، زيادة أو نقصا ، ويتغير اتجاهها .

وهذه صورة من الصاروخ الذى يستخدم فى المركبات الفضائية . علما بان أقل دفع فى الفضاء له أثر فى زيادة السرعة أو نقصها بالغ .



محطة ذرية عائمة

وهى كالمحطة الذرية التى أوردنا صورتها مع هذه الصور ، تنتج الماء العذب من ماء البحر الملح ألف مليون جالون فى اليوم ، وتنتج الكهرباء بقوة ٥ ملايين كيلووط ، وكلاهما ، الماء والكهرباء يحمل الى الساحل بأنابيب .
والمحطة تبنى أولا على الساحل ثم تنزل الى الماء كما تنزل السفن بعد بنائها . ومن فوائد مثل هذه المحطة الطافية انها تحصل على الماء البارد من أعماق البحر رخيصا ، ثم هى من البحر فى عزلة عن الناس فلا تحتاج الى شراء أرض واسعة تقوم بينها وبين أهل المدينة حرما واقيا من أخطارها .



الذرة فى علاج السرطان

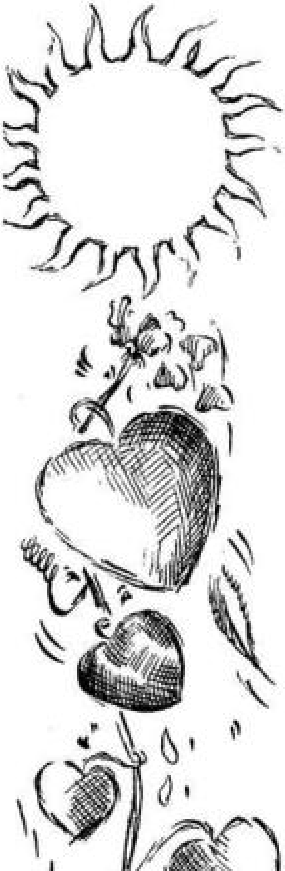
هذا شعاع قوى ، محرَّك الى الناحية التى بها السرطان من هذه المريضة ، ولقد بلغ مستشفى مرسدن بلندن Marsden Hospital خبرة واختصاصا باهرا فى استخدام هذا السلاح الخطير، حتى أنه يحرر الأشعة ويمركزها الى حيث يكون السرطان فى باطن الجسم دون أن يضار بذلك الجلد . وبالمستشفى ٨٥ من المرضى ، ممن بلغ بهم السرطان حدا مزعجا.



الحنطة السوداء بعد اشعاعها

فى معامل ارجون القومية ، قام العلماء باعطاء نبات الحنطة السوداء Buckwheat جرعات من الأشعة السينية ، لمعرفة الاشعاع فيها . والأثر واضح فى الصورة . فالنبات الذى فى الاصص التى الى اليسار ، نال اكبر جرعة من الاشعة ، والذى فى الاصص التى فى الصف الأوسط نال جرعة اقل ، والذى فى الاصص التى فى اقصى اليمين نال جرعة اقل من الآخرين . والمعروف بالطبع ان الأشعة السينية تنشا من اضطرابات تحدث فى الالكترونات التى تحيط بنواة الذرة .

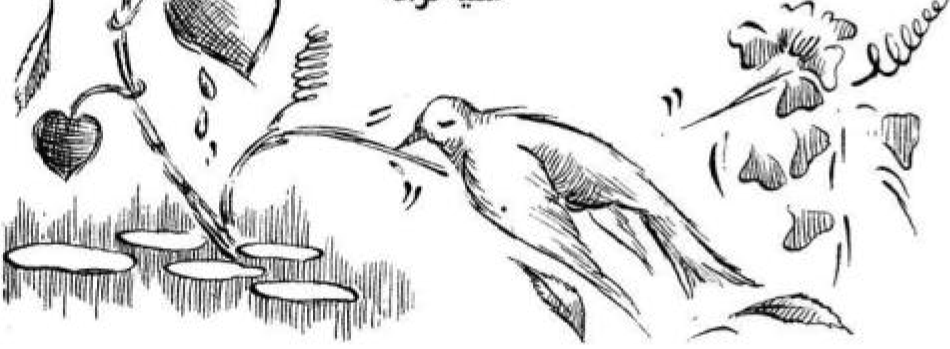
بائع الأحلام

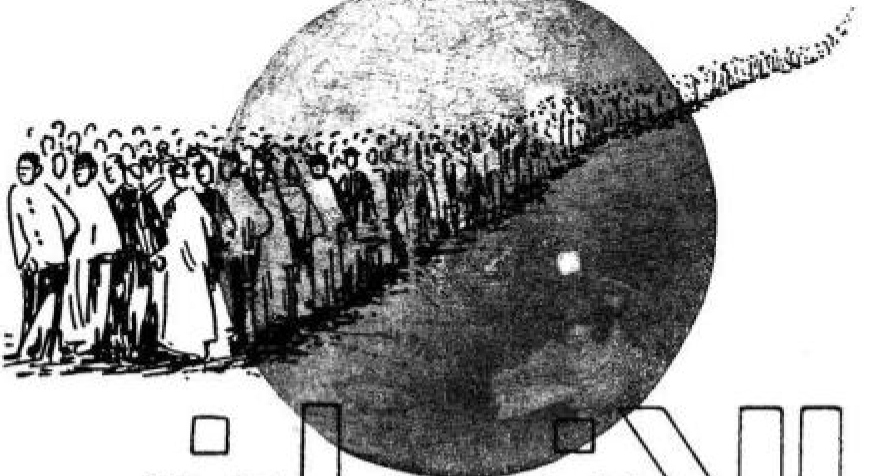


■ ضحكت عرائس المروج الخضر ساعة رصعها الندى ..
ورقصت طيوف الأفق الحالم ساعة استيقظت الشمس ..
وعبثت أصابع الغموض بأرغن الخلد، لترحّب بموكب النور ..
وعرفت السعادة النشوى طريقها الى كل قلب ..
الا قلبى ! فقد ضلت السعادة الطريق اليه !
ايها القلب الحزين ! لم هجرت دنياك مبكرا ؟!
الماضى لايعود ! ولا تستطيع الذهاب اليه !
فماذا تنتظر ؟! واى طيف تراك ترقبه ؟!
اما زلت سادرا فى أوهامك تائها فى دنيا احلامك ؟!
الم يصادفك حتى الآن ذلك البائع الضنين ليهبك امنيتك !!
واذا لقيت بائع الاحلام .. هل يستطيع ان يبيعك حلما فقدته؟! ..

واذا باعك اياه .. فماذا انت مانحه ؟!
لقد كنت تعيش على خيال حلم ضاع واأسفاه !!
فى أودية العدم تستطيع أن تجد حلمك الذى قضى نحبه !
نعم .. ستجده فى خميلة من الورد الذابل ! ..
والى جانبه ستجد كروانا يحتضر !!
بل من يدرى لعله مات !!
ستجد الامانى هناك ثاوية حيث لا بعث ولا نشور !!
وستسمع تراجيع الألم وأصداء ماضيك البعيد !!
وسيشملك الفناء ويشعرك بأنك .. لا شىء !!
وما دمت قد فقدت احلامك ، فما جدوى الحياة ؟!
هل ستظل تنتظر ، آملا ان يمر بك بائع الاحلام ؟!
حنانيك بائع الأحلام ؟! ■■

سنية قراعه





الانسان

والإخلال بالتوازن في الطبيعة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ من المبادىء المقررة ، أن الحرية والسلام لا يمكن ان يزدهرا فى ارض يسودها العوز والجوع . هذه حقيقة لاينبغى ان يصرفنا عن ذكرها ما قد ننعم به من رخاء مؤقت ، نتيجة للتنمية العلمية التى تسود البلاد المتقدمة ، فان نظرة الى البلاد المتخلفة تجعلنا نزداد ايمانا بتلك الحقيقة ، التى تزيدها الايام نصوعا وسطوعا ، كما ان الانسان أغلب الامر،مشدود الىوطنهوبيئته لايكاد يبغى عنها حولا ، فالذين يهاجرون طلبا للعيش والامن والسلام ، هم قلة فى جميع البلاد والاوطان . اما الاغلبية الساحقة من الناس ، فانهم مرتبطون بتراب أوطانهم ، لا يريدون بغيره بديلا ، وانهم ليحنون اليه اذا نأوا عنه ، وسرعان ما يشدون الرحال اليه اذا شط مزاره ، ومنهم من يصر على الا يختلط تراب رفاتهم بغير تراب أوطانهم ...

ولعلنا ان نرى أثر هذا الارتباط الوثيق بين الانسان وبيئته ، على مكانة الانسان نفسه بين الاحياء ، والاهمية البيئية لاستنزاف الموارد الطبيعية فى تغذية الانسان وفى الصناعة . وعلى التوازن الطبيعى وتدهور التربة نتيجة اجهادها بزراعة المحاصيل المختلفة واستخراج ما فى باطنها من كنوز معدنية ، ولننظر بعد ذلك ماذا عسانا

نصنع حيال اخلال الانسان بالتوازن الطبيعي ، وماذا ينبغي ان نفعله لحماية بيئة الانسان والابقاء عليها والتوازن فيها ازاء تحدى الانسان لها واستنفاد مواردها .

سطح الارض

ويستطيع الانسان ان يعيش وينتج الغذاء تحت ظروف طبيعية وجغرافية معينة . والمعروف ان مساحة الارض تبلغ نحو ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، أكثر من ثلثي هذه المساحة بحار ومحيطات ومن ال ١٧٠٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع الباقية توجد مساحات شاسعة تحتلها الثلوج والجبال والصحارى ، مما لايصلح لسكنى الانسان أو استغلاله ، وعلى ذلك فانه لايتبقى من سطح الكرة الارضية لاستغلال الانسان وسكناه سوى ١/٨ مساحتها ، ويضطر الانسان ان يعيش في طبقة معينة فوق سطح الارض حيث يطيق ضغط الهواء وتنفسه ، وقشرة رقيقة من سطحها يستطيع الانسان أن يزرع فيها النبات ويربى الحيوان .

عناصر الطبيعة متوازنة

والعلاقة وثيقة بطبيعة الحال بين عناصر الطبيعة من ضوء ، وهواء ، وماء ، وتربة ، ونبات ، وحيوان وانسان ، وكل اضطراب يحل بأحد هذه العناصر ، قد يسبب كارثة للعناصر الاخرى ، وعلى مر الاحقاب والدهور ، وفي خلال الاف السنين ، كان هنالك توازن بين هذه العناصر وبعضها البعض ، حتى تستقيم أسباب الحياة على كوكب الارض ، وانما يختل هذا التوازن وينقلب راسا على عقب ، اذا اضطرب الحال بالنسبة لواحد او أكثر من هذه العناصر .

مكان الانسان من هذه العناصر

وقد عرف الانسان بفطرته وذكائه مكانه في هذا الكون ، ومركزه على سطح الارض ، وعلاقته بالنسبة لهذه العناصر ، وقدرته على التحكم في واحد او أكثر منها ، وانه ليصرح انه بما وهب من ذكاء ، وما ابتدع من وسائل تكنية ، وكثرة أفراده ، انما يضع نفسه على القمة بالنسبة للارض وقطانها وعناصرها . وقد أنساه غروره ، انه هو نفسه كان نتيجة سلسلة طويلة من التطورات ، وان بلوغه القمة ، انما تم اخيرا جدا بالنسبة لعمر الارض المديد بل الوغل في القدم .

عمر الانسان على سطح الارض

صحيح ان الانسان قد ظهر على سطح الارض منذ نحو مليون من السنين ، ولكن الصحيح كذلك ان الانسان قد بقى نحو ٩٩٪ من هذه المدة ، وهو يعيش في مجتمعات بدائية صغيرة في الكهوف والغابات ، يكافح الوحوش والامراض ، والواقع ان الانسان لم يكد يستطيع ان يكشف وسائل حماية نفسه من هذه الاعداء وزيادة اعداده واكتساب معرفة ، لم يكد يصل الى هذا كله الا في الواحد بالمائة الاخير من زمان وجوده على الارض . وان اقدم مدنيات ظهرت على الارض وهي الصينية والهندية والمصرية يرجع تاريخها لاقل من ثلاثين الف سنة ولم تكن أيها ذات شان يذكر منذ أكثر من سبعة الاف او عشرة الاف سنة . وفي هذه الحقبة الاخيرة استطاع الانسان ان يرقى في مدارج الرقى والحضارة بفضل العلم والتكنية .

تزايد السكان على سطح الارض

ان عدد سكان الارض ليتزايد بدرجة فائقة ، والمعتقد ان سكان الارض كانوا نحو عشرين مليونا من الانفس منذ خمسة الاف سنة ، وقد قفز هذا العدد الى نحو ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ في خلال القرن السابع عشر . وكان بدء عصر الصناعة في القرن الثامن عشر ، وكشف البخار والكهرباء ، وادخال الالات في الزراعة ، وكذلك استعمال المخصبات والاسمدة ، ولقد ادى ذلك كله الى وثبة هائلة في الانتاج ، قابلتها زيادة كبيرة في المواليد فارتفع عدد السكان في سنة ١٩٠٠ الى نحو بليون ونصف (١٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) وفي سنة ١٩٥٠ قفز عدد السكان مرة اخرى الى نحو بليونين ونصف (٢٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) ، واذن فقد تضاعف عدد سكان الكرة الارضية خمس مرات في نحو ثلاثة قرون . وتذهب التكهنات في هذا المجال الى انه في ختام هذا القرن العشرين ، سيكون عدد السكان نحو ستة بلايين نسمة (٦٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) ، بمعنى انه سيكون على المسئولين ان يطعموا ستة بلايين من الافواه .

ان سكان روسيا اليوم نحو مائتى مليون نسمة ، وسيكونون في سنة ١٩٩٠ نحو أربعمائة مليون .

ولقد كان عدد سكان انجلترا في نهاية القرن الثامن عشر نحو عشرة ملايين من الانفس وهم اليوم نحو خمسين مليونا . اما الصين فانها تضيف وحدها الى سكان العالم نحو خمسين مليونا من الانفس كل عام اى ما يساوى سكان انجلترا كلها .

ولقد فعل الانسان الاعاجيب في سبيل استنزاف الموارد الطبيعية على سطح الارض ليسد حاجاته من ماكل ومشرب وملبس ، لم يقف امامه اى حائل، يمنعه من اختراق الجبال وتسلق قممها ، وارتياد فيافي الصحراء وبناء السدود والخزانات ، وتحويل مجارى الانهار والطيران صعدا في الهواء والفضاء ، او الغوص عمقا في قيعان البحار والمحيطات ، يقطع اشجار الغابات ليستغل ارضها في زراعة المحاصيل ، وها هوذا في عصر الذرة ، اكسبته القوة النووية دفعة جديدة في مجال التقدم والرقى والسيطرة .

على النباتات أصلا يعتمد الانسان في غذائه

ومع ذلك ، فان الانسان رغم ما بلغه من قوة وسيطرة ، وما حققه بالعلم من انتصارات بالغة ، فانه لم يستطع ان يتحرر من طبيعته البشرية ، او يتخلص من صفاته الانسانية أو الحيوانية ، التى ما تزال تفرض عليه أن يكون كائنا حيا ، يحتاج الى الغذاء والطعام ، أو يهرب من ظروف بيئته ، حيث النباتات هى المنتج الوحيد للغذاء العضوى الاساسى . وانه ليعتمد عليها اساسا في غذائه ، كما يعتمد عليها الحيوان الذى قد يغتذى به الانسان كذلك . والواقع ان الانسان لم يستطع ان يستغنى حتى الآن عن عالمى النبات والحيوان في حاجات غذائه . ان كل لحم عشب" كما يقولون، فهو المادة العضوية التى يخلقها النبات ، وهو الذى يكون عنصرا أساسيا هاما من عناصر غذائنا. اننا نعتمد اعتمادا كليا على الصنع الصغير العجيب ، الذى يوجد في كل نبات أخضر ، فان النباتات الخضر وحدها هى التى تستطيع ان تصنع من الماء وثانى اكسيد الكربون في ضوء الشمس وفي وجود اليخضور والمادة الحية وفي درجة حرارة مناسبة ، تصنع منها المواد السكرية والكربوايدراتية وغيرها ، وبذلك تحول المواد غير العضوية البسيطة الى مواد عضوية معقدة . فاذا تصورنا توقف هذه المصانع النباتية في البر والبحر عن الانتاج ، فلن يكون هناك سكر أو لحم أو مطاط او ورق أو زيت أو قطن أو كتان .. ستنتهي الحياة على الارض . انها لن تطول الا ريثما ينتهى المخزون من الاطعمة من الجهات التى توجد فيها هذه الكميات المختزنة . وهى على كل حال لا يمكن أن تكفى الا لبضعة اشهر .

وعلى ذلك ، فان الحدود البيولوجية لما يصنعه النبات والتوازن البيئي في الدنيا، هما اللذان يقرران امكانيات الحياة على الارض . فهذان العاملان يحددان حاجات الانسان الغذائية ، واحتياجاته للطاقة للصناعة ، وسواء رضى هو او لم يرض . ومشكلة موارد الطاقة من بترول وفحم وخشب من الرواسب الحفرية مرتبطة تمام الارتباط بمشكلة الاحتياجات الغذائية له ، والتوازن بين هذه العناصر اساسى جدا لاستمرار حياة الانسان على الارض. لقد فتحت الطاقة الذرية آفاقا جديدة في ميدان الصناعة ، ولكنها لم تضف شيئا في مجال الطعام . وعلى الانسان قبل ان يستكشف القمر ويصعد اليه ، لا بد له أن يستكمل احتياجاته الغذائية على الارض اولا .

ثلث سكان الارض ياكلون ٣/٤ محاصيلها

وقد لا يبدو الامر ملحا في بعض الجهات التى توجد فيها وفرة من طعام ، كما في أمريكا وبعض جهات من أوروبا فلا يفكرون في تقييد الغذاء ، الا حيث يكون ذلك وفق رجيم طبى ، أو تنظيم أسواق الشراء أو القدرة الشرائية أو نقل الاطعمة من جهة الى أخرى . اما خارج هذه المناطق الغنية ، فانه لايوجد ما يكفى من طعام للسكان المتزايدين . فان ثلث سكان العالم فقط هم الذين يجدون كفايتهم من طعام . فهذا العدد من سكان العالم ياكلون ثلاثة ارباع المحاصيل التى تنتجها الارض كلها . اما الثلثان الباقيان من سكان العالم فانهم لايجدون كفايتهم من طعام ، ويزداد الموقف سوءا يوما بعد يوم ، وذلك لان ١٢٠,٠٠٠ نسمة يضافون الى سكان العالم كل يوم . وتستطيع الكرة الارضية الآن ان تغذى أربعة بلايين من الانفس (٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) على ان يخص كل فرد ما قيمته ٢٨٠٠ سُعْر في اليوم الواحد ، مع ملاحظة

ان نصيب الفرد من الاسمدة في امريكا اربعة آلاف سعر ، وفي السويد خمسة آلاف سعر . وفي سنة ٢٠٠٠ سيكون على سطح الارض ستة بلايين من الانفس يعيشون على كوكب تتناقص فيه الارض الصالحة للاستعمال ، فان الارض الزراعية لا يمكن ان تمتد وتتسع الى ما لانهاية . ولحل المشكلة ، يجب ان تبذل الجهود في اصلاح اراض جديدة ، ويطبق آخرون نتائج البحوث العملية في الفسيولوجيا والزراعة والنبات الصيدلي والوراثة . ومن المحتمل جدا ان مكاسب جديدة ستضاف باستعمال المخصبات وتنظيم الدورة الزراعية واصلاح التربة ، وتطبيق مستحدثات الوسائل الزراعية ، واستغلال ارض الغابات بعد قطع اشجارها ، ومع ذلك فقد يبدو أن الاعتماد على هذه الوسائل في توفير حاجات الغذاء لسكان الارض الذين يتزايدون سوف يكون غير عملي .

الزراعة حلت محل النمو الطبيعي للنباتات في اصقاع كثيرة

ان الزيادة الهائلة المطردة في عدد السكان ، وهذا التقدم العظيم في الوسائل التكنية ، قد خلق حالة من عدم التوازن ، كما ان السرعة التي تمت بها هذه التغييرات في القرون الحديثة لتبدو عجيبة مذهلة . لقد حلت الزراعة محل النمو البرى الطبيعي للنباتات في اصقاع كثيرة حتى ان المساحات الباقية من سطح الارض بصورتها البرية الطبيعية قليلة . كما ان قطع اشجار الغابات وانقاص مساحتها قد اصبح امرا غير مرغوب فيه لما له من نتائج غير مرضية ، لما له من اثر في فقدان التوازن الطبيعي بين عدد العناصر مما قد يكون سببا في حدوث فيضانات ، او جفاف او زيادة عملية النتحات . او خفض مستوى الماء الارضي واجهاد الارض ، واثارة العواصف الرملية والتأثير على المناخ وغير ذلك .

ففي معظم جهات العالم ، يجرى قطع اشجار الغابات ، بغية الحصول على ارض صالحة للزراعة ، غنية بالدبال ، فيما عدا بعض انحاء اوروبا ، حيث استقرت الزراعة الى حد كبير ، وحيث الزيادة في عدد السكان ليست كبيرة .

وحيث تتدهور الارض

وفي كل الجهات ، تهجر الزراعة وتهمل نتيجة لتدهور التربة ، وعدم قدرتها على الانتاج المثمر المجزى ، فتظهر الحشائش التي تستغل كمراع. ونظرا للحاجة الى المراعي ، فانه يراعى حرق الحشائش بين حين وآخر لتزيد في خصب التربة ، ولتمنع نمو الاشجار ، ومن أسف ان يكون من نتائج ذلك انقراض بعض النباتات النافعة ، على حين تظهر نباتات اخرى قد لا تصلح للرعي اطلاقا .

ومع ذلك فقد تتعرض هذه وتلك نتيجة للرعي الشديد ، وبذلك يتأثر الكساء الخضرى ، ويصبح نبته مبعثرا هزيلا ، وتتدهور التربة وتتغير مظهرا وتركيبا ، وانها تفقد غراوانياتها ، وتتصلد ، او تعرى نتيجة لعوامل النحات والتعرية لضعف الكساء الخضرى ان يحميها . وكذلك نشهد هذا التدهور السريع للنبت والتربة ، ولعل هذه العوامل ان تؤثر بالتدريج على المناطق المجاورة .

الغابات الاستوائية اقل ثباتا من غابات المناطق المعتدلة

ان اهمية هذا التوازن الطبيعي الذى ينبغي ان يسود بين هذه العناصر المختلفة ، حتى تبقى للانسان سيادته وسيطرته ، وحتى يستطيع ان يقابل هذه الزيادة المطردة في اعداده ليبدو واضحا في مناطق الغابات الاستوائية ، فان تراها ليوحي بدوامها وثباتها على هذه الحال ، ولكنها في نظر الخبير الاريب ليست كذلك ، فان غابات المناطق الحارة اقل مقاومة وثباتا من غابات المناطق معتدلة المناخ ، فالتربة الاستوائية ضعيفة بصفة عامة وفقيرة نوعا . وانما تستطيع هذه الغابات ان تعيش وتقاوم في هذه المناطق ، لانها حلقة في سلسلة مقفلة متوازنة ، فما يسقط من الاشجار يكون دبال التربة ، فكل ما تنتجه الغابة يعود اليها فاذا قطعت اشجار الغابة ، وتركت الارض عارية فان الدبال يتحلل بسرعة ، ولا يتجدد في مثل هذا المناخ الحار الرطب لانه يتحول الى املاح معدنية ذائبة تغسلها الامطار بسرعة . وان ما تفقده التربة من املاح الازوتات والنوشادر ، ليتأثر كثيرا بدرجة الحرارة ، فان زيادة درجة حرارة واحدة بين ٢٥ ، ٢٦ م مثلا تزيد في نقص الازوتات ١٥ ـ ٢٠ رطلا في الفدان في السنة .

وطبيعي ان تدمير الغابة من شأنه ان يعرض التربة للعوامل التى ترفع من حرارتها .

وغابات الكنغو

وان منطقة الغابات في الكونغو ، لتنمو اشجارها في ارض رملية تكسوها طبقة رقيقة من الدبال ، فاذا قطعنا اشجار هذه الغابات لاغراض الزراعة عرينا طبقات تحت التربة العميقة ، وتصبح الارض غير منتجة في مدى لايجاوز ثلاث سنوات او اربع سنوات ، وعندئذ ينبغي ان تهجر . ثم ان المحاصيل الاقتصادية التي يمكن استغلالها هناك كالقطن والبترول ، لاتغطى التربة تماما ، وبذلك تتعرض للاستنفاد والتدهور السريع نتيجة تعرضها للشمس الحارقة والجفاف الشديد والغسل بالمطر وعوامل التحات ، ثم انه لا بد قبل البدء في عمليات الزراعة من حرق الاشجار ، ومن نتائج هذا الحريق انه لايدمر الطبقة الدبالية السطحية وحدها ، ولكنه يدمر كذلك كائنات التربة المجهرية ، وان جزءا كبير منها عبارة عن جذور فطريات تعيش متكافلة مع جذور الاشجار ذاتها . وتمثل كائنات التربة المجهرية في ارض جيدة سمكها نحو ثلاثين سنتيمترا ، تمثل كتلة تزن خمسة اطنان لكل فدان ، وبعد الحريق تستبدل بالجذر فطريات كائنات مجهرية عادية قد لا تفيد في اعادة تشجير الغابة بعد ترك الزراعة فيها .

وهنا يمكن ان نقول ان بين الجنس البشرى والجوع هي هذه العشرين او الثلاثين سنتيمترا من التربة ، فهذا الجزء الثمين من التربة انما هو مزيج من نتاج تفتت الطبقات السطحية من الصخور ومن الدبال الناتج من تحلل الكائنات الحية وخاصة النباتات التي عاشت على سطح الارض في ازمان ماضية . ويمكن القول بأن تكوين طبقة من سنتيمترين او ثلاثة من الدبال في مثل هذه المناطق يحتاج الى نحو الف سنة من الزمان .

الطائرة تكشف عن تدهور مملكة النبات

ويستطيع الانسان ان يسجل مشاهدات عجيبة اثناء مروره الخاطف بالطائرة عبر القارات ليرى تدهور سلطان مملكة النبات، وكيف تتعرى مساحات شاسعة مما كان ينبغي ان يكسوها من غطاء خضرى زاهي الاخضرار ، فثمة قمم جبال بيض ، قد غطاها الثلج الناصع البياض ، وثمة جبال سود وحمر قد تعرت جوانبها وسفوحها من اشجار الغابات التي قطعها الانسان ، وثمة صحارى شاسعة لايغطى صفرة رمالها نبت ولا عشب . وكثير من هذه الاثار انما هى نتيجة عمل الانسان في الزراعة وقطع الاشجار وعمل الحرائق وانشاء الطرق . ان الكساء الخضرى الطبيعي ، ينقرض ويتلاشى بالتدريج وتحل محله نباتات منزرعة هنا وهناك ، فقد اصبح انتاج الغذاء وزراعة المحاصيل الشغل الشاغل للانسان حتى لا يقضى الجوع على الاعداد المتزايدة من الاناسى . ولذا فانه ليس غريبا ولا مفاجئا ان يكشف الجيولوجيون وعلماء الحفريات في المناطق التى تعد جرداء اليوم آثار مدنيات مزدهرة وسكان متكافلين سادوا يوما ثم بادوا. ولعل الذى يحدث اليوم هو ما حدث بالامس ، فالتاريخ يعيد نفسه ، وما أظننا بحاجة لكي نسأل انفسنا لماذا بادت هذه المدنيات ، ولماذا بارت هذه الحقول التى اخضوضرت بالمزروعات يوما ...

صحارى مصر ما كانت صحارى ، ولاصحارى الصين

فمصر التى تحتل شريطا ضيقا على ضفاف النيل ، والصين التى يتجمع قطانها حول نهريها الازرق والاصفر ، يعتقد انهما كانا يشغلان مساحات شاسعة من صحاريهما ، وكذلك كانت سيرانيكا تضم أيام الامبراطورية الرومانية حدائق « بسيرينيس » الشهيرة . كما تخفي الصحراء الليبية خرائب مدن عظيمة مثل « ثيسدروس » التى كان استادها يتسع لستين الفا . وقد كشف أحد المستكشفين الفرنسيين تحت طبقات سميكة من الرمال في الصحارى ، بقايا غابات كثيفة كانت مزدهرة منذ أقل من الفين من السنين ، وهى التى تتميز اليوم بالقحولة والجفاف . وما يزال بالقائمة مزيد من الجهات التى تتميز بالجفاف اليوم وكانت في الزمن الخالى مزدهرة بالخضرة السابقة اليافعة

في بابل وبلاد العرب والتبت وغيرها . وقد انقرض في مراكش وحدها منذ عصر الرومان اكثر من اثنى عشر مليونا من الافدنة التي كانت مكسوة بالغابات الباسقة الاشجار .وما ذلك الا نتيجة سوء الاستعمال من حرائق أو رعي شديد .

الكارثة في غابات اواسط افريقيا

وتتجلى آثار الكارثة في المنطقة العظمى للغابات في اواسط افريقيا ، نتيجة للانقراض السريع للغابات نظرا لنشاط الاهالي في القطع والحرق والتخريب والإبادة لدواعي الصيد أو الزراعة ، مما يوحي بقرب حلول الكارثة . ان منطقة الغابات الافريقية التي تحدها شمالا الصحراء وجنوبا شبه صحراء كلاهارى لتتناقص بسرعة كبيرة ، ففي كل الاتجاهات تتقدم الصحراء ، وتغزو المنطقة محاولة ان تطبق عليها ، كانما تخنقها . وقد قدر بانه في افريقيا الفرنسية الاستوائية وحدها بلغ الفاقد في المواد المخصبة خلال جيل واحد ما يساوى نصف بليون طن . وفي منطقة القطن بالكونغو قدر الزراعيون ما خرب من أرض في ست سنوات ما مقداره ٣٠٠٠٠ كيلومتر مربع . وتبلغ المأساة ذروتها فيمدغشقر التيكانت تكسوها غابات كثيفة ، فتحول ٧٠٪ من أرضها في مدى ستين عاما ، الى ارض لا تكسوها الا الاعشاب الخشنة التي تاكلها النيران مرة بعد اخرى ولا تصلح حتى لرعى الحيوانات . والواقع أن البشرية تتجه نحو منحدر سريع الانحدار الى هاوية سحيقة نتيجة تناقص الارض الزراعية او القابلة للزراعة ، حتى قدر انها قد نقصت بمقدار ٢٠٪ في المائة سنة الاخيرة . كما يقدر ان مساحة الارض المنزرعة التي تقدر اليوم بنحو أربعين بليون فدان (٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) تتناقص كل عام بمقدار عشرين مليونا من الافدنة (٢٠٠٠٠٠٠٠) .

درس الماضي واضح والعبرة ملموسة

ان درس الماضي واضح ، والعبرة منه ملموسة ، فاننا لا نستطيع أن نستنفد موارد الطبيعة الى ما لا نهاية ، ولا ان نستمر في قطع الغابات وزيادة المساحة المنزرعة دون ان نخل بتوازن الطبيعة على مستوى الكرة الارضية ، مما ينشأ عنه اختفاء بعض المساحات المنزرعة ، وافتقار الثروة الحيوانية ، وزيادة عوامل التحات والتعرية ، وهبوط مستوى الارض او ضياعه . واستنفاد العناصر الغذائية من التربة وخاصة الازوت الذى تمتصه المحاصيل ولا يعود الى التربة ، وتدهور التربة الى مساحات رملية صحراوية وأراض مهملة ، وبالتالي تدهور المدنية ، وهجرة السكان وانتشار الثورات وحروب الإبادة .

ونستطيع ان نقدر اليوم مدى التهديد المسلط على الاجيال القادمة ، أو مدى الحاح المشكلة وتطلبها للحل السريع ، اذ ينبغي ان نوقف تدهور التربة ، وتحاتها ، واضمحلال نبتها . ولا ينبغي ان يترك هذا الامر لشعب من الشعوب ، أو بلد من البلاد ، بل ينبغي ان يكون هناك تعاون في هذا المجال . وقد قاد الاتحاد الدولى لحماية الطبيعة حملة دعاية طيبة في هذا المجال . وانها لدعوة نتمنى لها كل النجاح ، فلسنا ندرى على التحقيق من اية نواحى الارض تندلع شرارة الجوع ، التي قد يتطاير لهيبها ليشمل العالم باسره ما لم تعمل الدول والشعوب جاهدة في الحفاظ على مقومات الخصب والانتاج في التربة لتعطى أوفر غلة من المحاصيل .

ادرك افلاطون ذلك منذ ٢٤٠٠ عام

وتعتبر الدعوة لحماية الطبيعة حديثة نوعا ، صحيح أن افلاطون قد وصف منذ الفين واربعمائة من السنين ما يحدث من تحات في جبال اتيكا وما يصيب القرى والمزارع من تخريب . وكان يؤمن بان ما يفعله الانسان من قطع للغابات هو السبب في هذا التحات . ولكن كثيرا من الناس لم يتنبهوا الى هذا التدهور الذى يشيع هنا وهناك ، وانه ينبغي أن تتضافر الجهود للافاته ووقفه الا في المائة

سنة الاخيرة وقامت حركة مضادة لوقف هذا الاخلال بالتوازن والابقاء عليه قائما لصالح البشرية جمعاء .

انها مشكلة العصر الذى نعيش فيه

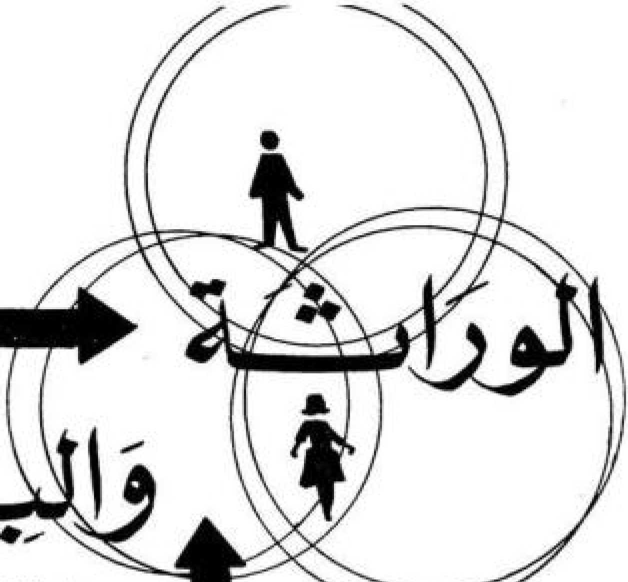
وقد يبدو أن هناك نسبة كبيرة من المواطنين . لا يدركون اهمية المشكلة ، ولا يعرفون ابعادها ، ولا يعرفون انها مشكلة العصر الذى نعيشه ، وأن مستقبل مدنيتنا متوقف على حلها . انهم لا يدركون ان الانسان يعبث بقوانين التوازن ، ويترك للاجيال من بعده مشكلة نقص الطعام بل المجاعة نتيجة افناء النبات وتدهور التربة واجهادها . ولذلك يصر العلماء على انه ينبغي نشر الدعوة للمحافظة على الطبيعة . وان على كل فرد يعيش على سطح الارض أن يعرف واجبه حيال هذه المشكلة وأن يعمل دون ابطاء على تلافيها ، وانه ينبغي أن تدرس المشكلة دراسة وافية قبل التقدم اى خطوة فى علاجها والابقاء على التوازن المطلوب لان اى خطأ فى التطبيق قد يؤدي الى كارثة اشد هولا وافظع اثرا .

بسبب اختلاف الميزان انقرضت أنواع من النبات كثيرة ومن الحيوان

فاذا كان علينا ان تحمى البيئة فيجب علينا أن نفهم اولا ما هذا الذى نحاول أن تحميه ، فهذه المعرفة ما زالت ناقصة ، وخاصة عن بعض المناطق الاستوائية ، التى لم تدرس دراسة علمية كافية ، وان الفرصة لاجراء مثل هذه الدراسة الضرورية لتكاد تفلت منا اذا لم نهتبلها ، فنحن نعرف الان أن نحو ١١٠ من انواع الثدييات قد انقرضت فى خلال الالفى سنة الاخيرة . وفى خلال المائتى سنة الاخيرة انقرض تماما ٦٠٠ نوع من الحيوانات . ان المملكة النباتية لتعانى افظع المعاناة من مثل هذا النشاط ان كان النبات محدود الحركة قليل المقاومة ، لا يكاد يملك من أمره شيئا . ففى المناطق المعتدلة لا تكاد توجد النباتات البرية الا على حواف الطرق والحقول وفى المناطق الحارة تنتشر النباتات المحبة للشمس فى الجهات والمساحات المتدهورة التى تتزايد على حساب النباتات المحبة للظل التى اصبحت متدهورة فى الوقت الحاضر .

وفى خلال الخمسين السنة الاخيرة ، كان الضغط الهائل على الموارد الغذائية والاقتصادية ، ذلك الضغط الذى تدفعه حاجة الملايين المتزايدة من السكان الى الطعام والدواء والكساء ، لا يعترف بالظروف وانه ليدمر التوازن البيئى الطبيعي . وسنعرف اثر ذلك ونتحقق منه عندما نلمس آثاره القريبة. اليس مؤسفا مثلا ان ينقرض نبات كالبنه دون استنفاده دراسة وبحثا . وهل تحققنا انه لا توجد انواع اخرى من النباتات أو الحيوانات البرية يمكن أن تقابل احتياجاتنا الغذائية . ان البحث فى هذا المجال عن مثل تلك النباتات والحيوانات يحتاج الى وقت طويل ، ويحتاج الى جهد أجيال من العلماء ، وامامهم سجل باعمال من تقدموهم فى هذا الميدان . فاذا قارنا ذلك بالتدمير السريع الذى يلحق بالتوازن الطبيعي البيئي ، عرفنا مدى الخسارة الكبيرة التى تلحق بالانسانية نتيجة عمل الانسان فى الاخلال بهذا التوازن . ان هناك انواعا من العشائر النباتية أو الحيوانية يمكن أن تحتمل هذا الاقلاق الفظيع لبيئتها ، كما ان منها ما يؤوده اقل اقلاق ؟ ومن الواجب العناية بهذا اللون من الدراسة البيئية وتطبيق نتائجها فى العالم كله . وربما كانت مجالات هذه الدراسة افسح ما تكون فى كثير من جهات القارة العذراء فى الكونغو وغيرها من بلاد وسط افريقيا . ومن المتعين العناية بدراسة موضوعات بيئية اصلية فى هذه الجهات ، ومن المحقق انه فى مثل هذه الجهات وحدها يستطيع الباحث أن يجد ما يشفى غلته . ■■

عبد الحليم منتصر



الوراثة والبيئة

■ يمتاز الانسان العربي بصفات جسمية ، وميزات عقلية وخلقية ، كالذكاء والصبر وشدة البأس وغيرها من ملكات وخصائص تطبع الشخصية العربية بمميزات تستحق الدراسة والرعاية تحت سيطرة العلم الحديث وأحكامه . وهذا العلم هو علم الوراثة البيولوجية وما يتفرع عنه ـ اي علم تحسين النسل او تحسين نوع الانسان . ويطبق هذا العلم ايضا فيعالم الحيوان وعالم النبات للافادة من انتاجهما كما وكيفا لمصلحة الانسان .

ونبدأ بكلمة عن الوراثة والبيئة ، ونختم بوصف موقف عربي المستقبل منهما



بقلم

محمد علي عبد الجبار

الاستاذ بكلية التربية ـ جامعة بغداد

الوراثة والبيئة

ويستهدف علماء الوراثة الذين يعملون في حقل تحسين نوع الانسان فكرتين اساسيتين :

اولاهما : القضاء على الصفات الوراثية غير الصالحة في الانسان .

وثانيتهما : تحسين البيئة التي يعيش فيها .



وموقف عربي المستقبل منهما

والفكرتان متممة احداهما الاخرى باعتبار ان الانسان وكل كائن حي هو نتاج لتفاعل هذين العاملين المتلازمين .

والمؤسسات الوراثية البيولوجية تبحث وراثة الانسان وتدرس بيئته لكي تحصل على ما فيهما من ثروات مادية وطاقات خلاّقة وعقول مفكرة فيجنى المجتمع الانساني منها اكثر المنافع في شتى ميادين الفكر والروح والمادة .

وكانت الامم القديمة تعنى بما يتحلى به ابناؤها من قوى جسمية ومميزات عقلية وخلقية ، وتهتم بتربية وتحسين حيواناتها ومزروعاتها . وكانت القبائل العربية وما زالت تعنى عناية خاصة بما يتسم به ابناؤها من ملامح وطباع كما تعنى بتربية الجياد الاصيلة وتحسينها على قواعد مستمدة من الخبرة والتقاليد .

اثر الوراثة

هناك كثير من الصفات الوراثية غير المحمودة التي يرى علماء الوراثة الحد من انتشارها بين الافراد . فهم لا يقرون مثلا زواج المصابين بالامراض الوراثية العقلية او الجسمية ، لكي لا تنتقل الى ذريتهم فيزداد عدد المصابين بها في المجتمع . ولذلك نجد كثيرا من الدول تمنع قوانينها زواج امثال هؤلاء المرضى . وقد سن بعض الدول قوانين لتعقيمهم خلال عملية جراحية توقفهم عن انجاب الاولاد حذرا من تزايد عددهم فيكونون عبئا بل خطرا على المجتمع الذي يوجدون فيه . ولا ريب ان المجتمع الذي يتزايد فيه عدد المصابين بالامراض الوراثية — العقلية او الجسمية او النفسية — يتعرض الى متاعب وجهود مادية ومعنوية لا حصر لها ولا نهاية .

ولذلك فان علماء الوراثة يفضلون ان يتم الزواج بين الافراد الاسوياء . وبوجه خاص بين اللامعين بميزاتهم العقلية والفكرية والجسمية ليكثر امثالهم ويزداد عددهم . ومن بين هؤلاء يظهر النابغون من ذوي العقول الذين تنبثق من قرائحهم اسس الحضارة الانسانية وتزدهر .

تفوق الأبناء على الآباء وبالعكس

ان الفلاسفة والعلماء والمخترعين وامثالهم لا يولدون الا من آباء يحملون صفات وراثية متفوقة . واذا كان ابوا احد الموهوبين غير بارزين في ذكائهما مثلا فقد يكون مرد ذلك الى ظروف البيئة ، او الى العوامل الوراثية المتفوقة في الوالدين ، والتي اجتمعت في الابن فيمتاز على ابويه ويظهر نبوغه وتفوقه عليهما . اما اذا ولد لابوين نابغين ابن اقل ذكاء منهما ، فمرد ذلك الى العوامل الوراثية التي يحملها الوالدان من نوعين متباينين ، سائدة ومتنحية ، وبتجمع العوامل المتنحية في الابن يولد اقل ذكاء من ابويه .

تحسين الوراثة

تهتم المؤسسات الوراثية بتحسين وراثة الفرد (اضافة الى اصلاح بيئته) وبتشجيع الموهوبين وانشاء المدارس الخاصة بهم وتوفير الامكانيات المناسبة لتعليمهم وايصال كل منهم الى ذروة ما وهب من قابليات وكفايات . ويرى علماء الوراثة ان وجود الطالب الموهوب في صف واحد مع الطلاب العاديين والضعاف يكون سببا لاعاقة نمو مواهبه . وغالبا ما يغفل المدرس الطالب الموهوب موجها عنايته نحو الطالب الضعيف لايصاله الى المستوى الذى يضمن له نجاحه ، فيؤدي ذلك الى تأخير الطالب الموهوب لحساب الطالب الضعيف العادي ، ووفقا للمنهج الدراسي الموضوع على اساس امكانات الطالب السوى . ولذلك نجد الامم الراقية تنشىء مدارس خاصة للموهوبين واخرى لضعاف العقول .

ومن وسائل تحسين وراثة الفرد : مساعدة ذوى الكفايات وتشجيعهم على الزواج وعلى الاكثار من ذريتهم عن طريقة المكافات والجوائز لمن يلد عددا معينا من البنين ، ومنح المساعدات المالية للطلبة النابغين . ونشر قواعد الصحة الوراثية والصحة العامة بين المواطنين ، وتدريس علم الوراثة وتحسين النسل فى المدارس وتطبيق اسس تحديد النسل . ومنع زواج غير المرغوب فيهم في المجتمع كمرضى العقول وذوى الميول الاجرامية والعيوب الخلقية الوراثية ، كالقتلة ومدمني الخمور والمخدرات وغيرهم من حاملي الصفات وأنواع السلوك الخطيرة التي تعرض المجتمع الى مشاكل ومضار مادية ومعنوية .

والعربي يؤمن بالخلق الكريم وينبذ ذوى الاخلاق الذميمة ، وقد تتنكر له قبيلته حذرا من شروره .

اثر البيئــة

تشمل البيئة ـ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والصحية والعلمية التي تكتنف الفرد ويتأثر بها . ان البيت والمدرسة والمناخ والغذاء وغيرها عوامل من عوامل البيئة التي تعمل فى اظهار قابليات الفرد الوراثية وتألقها ، او اخماد جذوتها والقضاء عليها . والامم المتحضرة تعني عناية خاصة بما يبرز عند الفرد من ميزات ومواهب فى ميادين الفكر والعمل . وتسعى بشتى الطرق فى سبيل اعداد المواطن الصالح والحياة الافضل .

وتبدأ العناية بالفرد من اوائل طفولته . وتتبع طرق خاصة فى تربيته ليلاقي حظه من النمو الكامل ولتبرز مظاهر شخصيته وقابلياته . والطفل النابغ لايظهر نبوغه وينمو اذا ما اهملته بيئته ، وتركته الى ايدى القدر دون تعهد ورعاية .

ويؤكد علماء الوراثة ان مستقبل الامم وعظمتها يستندان الى وراثة الطفل وبيئته . والاهتمام بالطفل معناه الاهتمام بجانب اساسى من جوانب ثروة البلد الطبيعية وكنوزها الثمينة الدفينة فى طبيعة الطفل . فلا يجوز ان تتولى امره ايد جاهلة ، أو عقلية بدائية لاقبل لها بمعرفة عناصره وتقدير جوهره .

تحسين البيئــة

من وسائل تحسين البيئة تيسير اسباب الرفاه ووسائل العيش والطمانينة وتنظيم الحياة الخاصة والعامة عن طريق المؤسسات والخدمات الاجتماعية الخيرية . وتوفير المنتزهات وأماكن الراحة والتسلية ووسائل الثقافة كالمكتبات العامة وقاعات الموسيقى والمتاحف والحدائق وتسهيل اسباب الحياة الصحية والعلاجية والضمان الطبي . ومنع التشرد وانشاء الملاجىء ،

وتطبيق أسس التعليم الالزامي، والتعليم المجاني . وتشجيع الحركة الرياضية ، وافهام الفرد ان الصحة وجمال الجسم وكمال الخلق ونشاط الفكر ، تتأثر الى حد كبير بممارسة الرياضة بالوانها المختلفة . ولا يخفى ما كان لتقاليد الفروسية والرماية وغيرهما من ضروب الرياضة من مكانة في حياة الأمة العربية قديما ، واهمية الرياضة معلومة في الحياة الحالية لدى الامم المتقدمة ومدى تأثيرها في الحياة الصحية والاقتصادية والميادين الدولية .

وهناك عامل آخر من عوامل تحسين البيئة وهو الغذاء الكامل الذى يجب توفيره للمواطنين كافة . وقد نرى بعض الدول تستورد المواد الغذائية على حسابها وتتحمل قسطا من اثمانها لكي تكون في متناول المواطن مهما ضاق مورده وقل دخله .

الانسان ابن وراثته وبيئته

ولما كان الفرد نتاجا لتفاعلات وراثته وبيئته ، فلا بد أن ترجع اسباب التفاوت بين ذكاء الافراد أو بين مستويات الشعوب الى صلاح البيئة أو رداءتها وقسوتها ، او الى عوامل الوراثة ونوعيتها ، او الى هذين معا .

ان ما يقال ان بعض الشعوب لا تصلح للصناعة أو لا تصلح الا للزراعة ليس الا اساطير لا اساس لها من واقع العلم وحقائقه . الم تكن الشعوب الاوروبية متخلفة في زراعتها وصناعتها بل وفي حضاراتها في فترة من فترات تاريخها ؟

ان علم الوراثة لاينسب تخلف الشعوب ، سواء كانوا من البيض او السود او الصفر ، الى عوامل الوراثة وحدها ، وانما يشرك معها عوامل البيئة ومدى العناية بهذه العوامل .

آراء ونظريات لايقرها العلم

نشرت آراء ونظريات عن وراثة الصفات المكتسبة وعن العنصرية وتفوق بعض الشعوب على غيرها كنظرية تفوق الشعوب النوردية او الدم الآرى وغير ذلك . وليس لهذه الآراء والنظريات ظل من واقع العلم وانما وضعت لغايات سياسية واطماع استعمارية وتعصب عنصري .

كما أن فحوص الذكاء التي يحكم على ضوئها بتأخر فئة وتقدم اخرى في نواحي الابداع ، لايمكن اعتبارها فحوصا مبنية على اسس سليمة ما لم تتوافر فيها مقومات البيئة الصالحة اضافة الى العناية بالاستعدادات الوراثية . ولذلك لايمكن تقييم التباين الوراثي في استعداد هذا او ذاك، او هذه الشعوب وتلك ، الا بعد رفع تخلف البيئة من جانب، ورعاية الميزات الوراثية من جانب آخر ، وتكافؤ الفرص والظروف بين وراثة الافراد وبيئتهم .

الذكاء نعمة الهية

ان من بين ابناء البلاد العربية من ينعمون بذكاء فذ الا انه مهمل الى حد كبير . فالذكاء بحاجة الى من يذكيه ويلهب معدنه ويرعاه . وذكاء ابنائنا ككنوزنا المطمورة في باطن الارض دون الكشف عليها والافادة منها على الوجه الصحيح .

وفي الواقع ان ذكاء الفرد هو الذى يتمكن من استغلال هذه الكنوز وهو الذى يحل رموز الطبيعة ويكشف خفاياها ويخضع قواها . أليست عبقرية الانسان هي التي اتت بمعجزات عمت البشر وخدمت سعادتهم وتطورهم ؟

ولا يخفي ان الفرد النابغ هو الذى يرسم لأمته الطريق ، وهو الذى يبني مجدها ويرفع قدرها ويحفظ هيبتها . ومن الخطر لأمة ان يتصرف بذكاء ابنائها

اناس لا يزيد ذكاؤهم على القدر الوسط او ما تحت الوسط . والفرد النابغ نادر الظهور وقد يكون واحدا من عشرات الالوف أو مئات الالوف من الناس . وفي البلاد الراقية تتسابق المعاهد والشركات في استخدام النابغين حتى وان كانوا من الاجانب فيغرونهم بشتى الوسائل لابقائهم في بلدهم والافادة من قدرتهم وانتاجهم .

والفكر البشري قدسته الاديان السماوية واحترمته الحكماء والعلماء ــ انه نفحة الهية مودعة في الانسان .

موقف الانسان العربي من وراثته وبيئته

لقد آن الاوان ان يتفهم عربي المستقبل قيمة صحته الوراثية والبيئية . وآن له ان يدرك ما يمتاز به من طاقة وقابلية يستطيع بهما خدمة وطنه وامته وعامة بني الانسان .

ولا ريب ان المؤسسات العربية تدرك مبلغ ما تبذله الامم المتحضرة من مال وجهود في سبيل صحة الفرد وتعليمه وتثقيفه .

ويدرك المفكر العربي ان ثروة بلاده وكنوزها لا تقتصران على ما تنتجه من مواد معدنية او زراعية او صناعية ، وانما اساس ثروتها نوع الفرد العربي وصحته العقلية والجسمية وانتاجه الفكري . ان مواطنا نابغا في حقل من حقول العلم والمعرفة يرفع قدر امته ومكانتها في ميادين العلم والسياسة اكثر مما تفعله الخطب الرنانة والشعارات البراقة .

ولا يخفى ان الذين دعموا اسرائيل هم علماء اليهود الذين سخروا علمهم في سبيل اقامتها .

واذا اريد تنشئة عربي المستقبل نشأة سليمة ، فلا بد من انطلاقه من وضعه الراهن في تعليمه وتوجيهه واسلوب حياته . وعلى المؤسسات المسؤولة ان تخطط منهاجا تربويا نابعا من اعماق ما تتطلبه خصائص الفرد العربي الوراثية وميزات بيئته وتراثها . بلا تقليد لما اعده الغير من برامج وخطط تتلاءم وحاجاته وظروفه . ولا مانع من اقتباس ما يناسبنا من خبرة الغير وتجاربهم على ان تنفض عنها غبار التقليد والسطحية والارتجال . وأن نخطط منهاجا لتحسين وراثة الفرد العربي متفقا مع منهاج تحسين بيئته ــ على خط واحد وقياس واحد .

وان ينصهر عربي المستقبل في بوتقه عربية واحدة ، وان يتحصن بمسؤولياته نحو نفسه ونحو وطنه ، وان يقدر ما عند اخيه المواطن من موهبة على اساس الاخلاص والخبرة والكفاية ، دون النظر الى العقيدة والاصل والفصل مهما تباعدت أو تقاربت ، وأن تجمع بين المواطنين قرابة اساسها الايمان بالله ، والايمان بالوطن ، والايمان بالعمل .

وعلى الناشئة العربية ان تدرك عظم المسؤولية الملقاة على عاتقها ــ انها مسؤولية مصير امتهم ومستقبل بلدهم . وتلك امانة في اعناقهم لا يمكن تحملها الا عن طريق العلم والعمل به ، والتمسك بالخلق الكريم والرجولة الحقة .

ولا ريب ان عربي المستقبل مطل على غد واضح الخطوط ، مصمم على اللحاق بما فاته من تخلف ، مقدر قيمة العلم والعمل به .

وعلى هذه الاسس يصنع عربي المستقبل امته وبلاده . ولحن وجوده يردد : ان كرامتنا ومكانتنا ومناعتنا تقوم على اخلاقنا ، وعلمنا ، وعملنا . . ووراثتنا وبيئتنا . ■■

محمد علي عبد الجبار



بقلم : الدكتور مصطفى الجويني

مدرس البلاغة بكلية البنات جامعة عين شمس

■ هذه الدراسة محورها كتاب واديب .

اما الكتاب فبدائع البدائه ، وهو الى قيمته الادبية — ذو قيمة تاريخية كاثر مطبوع مضى على طبعه ما يزيد على القرن من الزمان ، اذ ان واحدة من طبعاته اخرجتها دار الطباعة الاميرية سنة ١٢٧٨ هـ .

واما الاديب فهو على بن ظافر الازدى المصرى .

نشأته

كان مولده فى سنة ٥٦٧ هـ ، فى عصر كانت القوى الاسلامية تتجمع فيه لملاقاة الصليبيين وفى بيئة يسودها الحماس للدين وتشتعل بنار الجهاد والحرب . ولقد تلقفه والده ،وكان استاذا بالمدرسة المالكية بمصر ، بالتربية الدينية ، فقرأ على والده الاصول وتفقه على يديه .

خطة حياته

ولما كان ابن ظافر متعلقا منذ شبيبته بالدنيا فقد رسم لحياته خطا تسير فيه ، ان يصل الى عتبة السلطان ، ويصل سببه بأسبابه . واعد لتلك الخطة عدته،

فقرأ الادب وبرع فيه ـ شأن كتاب العصر وشعرائه الذين كانوا يرقون الى الوزارة . ووجد في اديب العصر وراعيه ووزير الدولة آنذاك ، القاضي الفاضل ، الرعاية والتشجيع . فحين عرض ابن ظافر على القاضي الفاضل النسخة الاولى من تأليفه (بدائع البدائه) « شرّبه واغتبط ، وشرّفني على صغر سني ونضارة غصني ... بأن انتسخه لخزانته وحباه بحفظه وصيانته » على حد قول ابن ظافر .

ثم ليستكمل ادوات مخططه في الحياة، عكف على كتب التاريخ يدرسها ، وعلى اخبار الملوك يحفظ منها جملة وافرة . ثم ثَقِفَ من بعد مالا بد ان يَتثقفه أديب متطلع للصدارة ، ثقف اللغة والنحو والصرف والحديث والتفسير ..

ثم ان شأن ابن ظافر شأن غيره ممن يتصلون بالملوك وذوى السلطان ، ينغمسون في الدنيا حينا ثم يفيقون بعد فيجدون انهم لم يظفروا بشيء ، وتتجلى لهم الدنيا كما تعكسها حياة القصور على حقيقتها ، زينة وعبثا . وهكذا حين افاق ابن ظافر راجع نفسه ، وتأمل ماضي حياته ، وآل به الامر الى ان يرد نفسه الى لون من الزهد والتنسك . ولعله في هذه الفترة قام بتدريس الحديث وعلوم الدين في المدرسة المالكية حيث سبقه الى التدريس بها ابوه . وظل الدين وعلومه مشغلته الى آخريات أيامه سنة ٦٢٣ هـ .

تناول ابن ظافر كتاب البدائع مرات ثلاثا

تناول قلم ابن ظافر كتاب البدائع مرات ثلاثا ، في أولاها انتسخ نسخة لخزانة القاضي الفاضل كما مر بنا ، وفي الثانية ظفر بأشياء ضمها الى تأليفه تدفعه في ذلك طبيعة انسانية نازعة ابدا الى الكمال ـ ولن تبلغه ـ وقد اهداه الى الملك الاشرف الايوبي سنة ٦٠٣ هـ . ثم جدد في ابتكاره مرة ثالثة وأهداه لمن كان في خدمته ، وهو السلطان الكامل ناصر الدين الايوبي، آخر من القى ببابه عصا تطوافه ، اذ انه ولى في دولته منصب وكالة بيت المال ، كما نظم فيه المدائح واذاعها .

مصادر كتابه

رجع ابن ظافر في تأليف كتابه الى مصدرين كبيرين ، أولهما امهات كتب الادب العربي موجودها اليوم أو مفقودها. رجع الى الاغاني للاصفهاني ، والدمية للباخرزي ، وابن سلام في طبقات الشعراء ، والصولي في الاوراق ، والصابي في كتاب الوزراء ، وابن رشيق في العمدة ، وابى مروان في كتاب المقتبس في انباء اهل الاندلس، واليتيمة للثعالبي، والذخيرة لابن بسام ، وابى اليسر الرياضي في كتاب الامثال .. وغير ذلك. وثاني المصدرين اعيان عصره من الادباء او العلماء ، ويستطيع قارىء كتابه ان يلم بأسمائهم في صدر كل نص ادبي يورده ابن ظافر .

كتاب لم يسبقه اليه سابق

نزع ابن ظافر في كتابه « بدائع البدائه » منزع الطرافة والابتكار اذ اتجه الى جمع أخبار الشعراء في البدائه والارتجال « مما لم يطمثه قبل انس ولا جان ، وهو فن لم يجمعه قبل مؤلفه احد ولا سطرته قبل يده يد » ـ على حد قوله ـ ولم يصل الى علمنا فيما رجعت اليه من مصادر المكتبة العربية مخطوطها ومطبوعها ، انه قد أفرد في القديم تأليف لبحث موضوع البديهة الشعرية ، وما احسب ايضا انه ثمة تأليف عربي في الحديث تحت هذا

الموضـوع ، اللهم الا جانب من كتاب الدكتور مصطفى سويف « الاسس النفسية للابداع الفني ، فى الشعر خاصة » .

وبقى اذن لكتاب ابن ظافر قيمته الفنية العلمية كمبحث فرد تناوله المؤلف بقدر ما واتته ظروف عصره وثقافته هو الخاصة . فظروف العصر لم تكن تتيح لابن ظافر او لغيره ان يعالج مثل هـذا الموضوع من زاوية نفسية فى وقت لـم تكن مكتشفات علم النفس قد تهدئ اليها الانسان ، وذلك ليعلل بها سر هذا التـدفق الشعرى الذى وهبـه ناس بأعيانهم ، فيحلل مثلا العناصر المكونـة لهذه الموهبة ويتلمس السبيل الى البذور الاولـى التى انبتت هـذه العناصر ، ويجرى فى هذا السبيل تجاربه العلمية على انماط هـذه العبقـرية لتسلم له نتائجـه ، وان كان من الحـق ان علم النفس الحديث ليس له قول فصل فى مثل هذه البحوث . لكن مؤلفنا بامكانيات عصره وفى حدود ثقافته الادبية التاريخية اخذ يجمع من حشد كبير من المصـادر الادبية ، مادية وبشرية ، اخبار البديهة والارتجـال ملتزما فى ايرادها الترتيب الزمـانى ، ومتأثرا فى هـذا بثقـافتـه التاريخيـة .

واقـرب ما نفسـر به اتجاهه الى التاليف فى مثل هذا الموضوع هو انـه نفسه كان ــ كما يقول المترجمون له ــ علما فى حضور البديهة وتوقد الخاطر وطلاقة العبارة . وكان معاصروه ايضا من كبار الشعراء والكتاب ذوى بديهـة مواتية وذهن حاد ، من مثل ابن سناء الملك الشاعر ، وابن شيث والاسعد بن مماتى الكاتبين ، الى كثير غيرهم ممـن حفل بهم كتاب البدائع ، وهى ظاهـرة لافتة تثير عجب الدارس لتاريخ مصر الادبى فى هذه الفترة ، وليس عنده من الاسباب ما يعلل به لهذه الظاهرة غير القنوع بتسجيلها .

ابن ظافر يفرّق بين الارتجال والبديهة

فاذا ما اخذنا نتبين صورا من هـذه الدراسة الفريدة نجد صاحبها الاديب يعالج دراسته بروح العلم ، فيحدد معانى المصطحات الادبية التى يستخـدمها ، ويفرق اولا فى هذا السبيل بين لفظتى « الارتجال » و « البديهة » ، فيعـرض للدلالات اللغوية لهاتين اللفظتين :

● فالارتجال مأخوذ من الانصباب والسهولة ، ومنه قيل شعر رَجْل اذا كان سبطا غير جعد ومسترسلا غـير منقبض . وقيل من ارتجال البئر وهو ان ينزلها الرجل برجليه من غير حبـل فانهم شبهوا اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا اهبة ، باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة .

● والبديهة مشتقـة من بده يبده بمعنى بدأ يبدأ ، ابدلوا الهمزة هاء لقربها منها ، كما قالوا لهنك بمعنى لانك ، وكما ابدلوا الحاء ايضا بالهاء لقـربها منهـا فقالوا مَدْح ومَدْه .

ثم يأخـذ ابن ظافـر فى تبيين المعنى الاصطلاحى الادبى لكلتا اللفظتـين عند اصحاب الصيغة الشعرية والنقاد .

● فالارتجال ، هو ان ينظم الشاعر ما ينظـم فى اوحى مـن خطـف البارق واختطاف السارق ... حتـى يخال ما يعمل محفوظا ، او مرئيا ملحوظا ، من غير حاجة الى كتابة ولا تعلل بتقفية ، وتنفرد عند ذلك قضية الحال باختراع الوزن والقافية وهم الشهود العـدول الذين يجب الرجوع اليهم ...

● والبديهة ، أن ينزل عن هـذه الطبقة قليلا ، ويفكر مقصرا لا مطيـلا ، فان اطـال ذو البديهة الفكرة انعكست

القضية وخرجت من حد البديهة الى حد الروية » .

وهكذا نراه يحدد المعاني اللغوية أولا، فالاصطلاحية ثانيا ، للالفاظ الادبية التي يستخدمها في كتابه . ولا يسوى ابن ظافر — عند النقد والتقويم — بين نص ادبي مرتجل وآخر قد روى فيه صاحبه، اذ المرتجل والباده يقنع منهما بالرديء اليسير ، ولا يقنع من المروى الا بالجيد الكثير، ويستشهد في ذلك بقول ابن المعتز :

والفكر قبل القول يؤمن زيفه
شتان بين روية وبديه

ويقول ابن جريج :

نار الروية نار جد منضجة
وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها
لكنها عاجل يمضي مع الريح

والملحظ هنا روح الانصاف ، لئلا يعمد ناقد الى تجريح نصوص مرتجلة أو تزيينها دون النظر الى ما حول النص من ظروف تحكي ارتجاله أو الروية فيه، وان كان ابن ظافر يعترف محقا بأن سمة المرتجل الرداءة والقلة .

ومن ابدع هذا الرديء القليل تتوزع النصوص أبواب وفصول كتاب «بدائع البدائه» . ولناخذ بمثال مما اورده في كتابه من نصوص ادبية معاصرة — في وقته — :

قال علي بن ظافر : اجتمعنا ليلة في رمضان بالجامع ، فجلسنا بعد انقضاء الصلاة للحديث ، وقد وقد فانوس السحور ، فاقترح بعض الحاضرين على الاديب أبي الحجاج يوسف بن علي أن يصنع فيه ، وانما طلب بذلك تعجيزه ، فصنع وأنشد :

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه
ولكنه دون الكواكب لا يسري

ولم أر نجما قط قبل طلوعه
اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فانتدبت له من بين الجماعة وقلت : « هذا تعجب لا يصح ، لاني والحاضرين قد رأينا نجوما لا تدخل تحت الحصر ، اذا غابت تنهى الصائمين عن الفطر ، وهي نجوم الصباح ، فأسرف الجماعة بعد ذلك في تقريعه » . . فصنع وانشد :

هذا لواء سحور يستضاء به
وعسكر الشهب في الظلماء جرار

والصائمون جميعا يهتدون به
كأنه علم في راسه نار

فلما اصبحنا سمع من كان غائبا من اصحابنا في ليلتنا ما جرى ، فصنع الرشيد ابو عبد الله محمد رحمه الله تعالى وانشدنيه :

احبب بفانوس غدا صاعدا
وضوؤه دان من العين

يقضي بصوم وبفطر معا
فقد حوى وصف الهلالين

وصنع الفقيه ابو محمد القلعي :

وكوكب من ضرام الزند مطلعه
تسري النجوم ولا يسري اذا رقبا

يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه
فان بدا طالعا في افقه غربا

كأنه عاشق وافى على شرف
يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

ثم صنعت بعد حين :

الست ترى شخص المنار وعوده
عليه لفانوس السحور لهيب

كحامل منظوم الانابيب أسمر
عليه سنان بالدماء خضيب

وهكذا يستمر ابن ظافر في هذا الخبر يسوق ما جادت به قريحته وقرائح معاصريه من الشعراء من شعر يقولونه

على البديهة غير منقفين منظومهم المرتجل من نقد يوجهونه الى المعنى حينا أو الصياغة أحيانا .

شعر البديهة منتزع من بسائط المعانى

ولو استعرضنا موضوعات شعر البديهة كما أوردها ابن ظافر فى كتابه نجدها منتزعة من دقيق امور الحياة وبسيطها مما كان بين يدى الشعراء ، مثلا تشبيه الفرس بالقمر ، وصفة السطل ، وصفة شمعة ، والقول فى بركة رَصَّ تحت دساتيرها نارنج ، الى تشبيه مشط عاج بالثريا ، والقول فى دبوس حديدة صينى ، والنظم فى معنى «النار لا تعدو على الياقوت » .. الخ ..

غمز" اجتماعى

ولعل من طريف الموضوعات التى أوردها ابن ظافر ،ذات الدلالة الاجتماعية ما ساقه قائلا : أخبرنى القاضى السعيد أبو القاسم هبة الله بن سناء الملك رحمه الله قال ، أخبرنى الشريف الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال : اجتمعت فى بعض الأيام بأمين الدولة أبى الحسن **هبة الله بن صاعد** (قال على بن ظافر هو المعروف بابن التلميذ وانما أمه من بنات التلميذ فعرف بذلك) . قال فأخذنا فى ذم الدهر واخنائه على أهل الفضل ، واذا بكلاب الصيد التى برسم الخليفة قد ابرزت فى جلال الوشى والديباج ، فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه فى ذم الدهر فقلت :

من كان يكسو الكلب وشـ
يا ثم يقنع لى بجلدى

واستجزته فقال :

الكلب خير عنده
منى وخير منه عندى

وهذا الغمز الاجتماعى يذكرنا بصورة مشابهة له أوردها المرحوم الريحانى فى احدى كوميدياته المسرحية حين جعل الكلب الأعجم فى بيت أحد الاثرياء يحظى بعناية ورفاهية يفتقر الى أدنى منها الآدمى الناطق .

كتاب هو معرض للادب العربى فى البلاد الاسلامية

وبهذه البراعة فى تناول دقيق المعانى بالشعر المرتجل راح ابن ظافر يتعقب شعر البديهة على مر العصور فحفظ لنا بذلك أخبارا ونصوصا أدبية ضاعت مصادرها المستقاة منها ، وهذا الأمر وحده قيمة فنية لها اعتبارها ، تضاف الى ان مبحث البدائع فريد فى الأدب العربى . ثم انه معرض للادب العربى فى البيئات الاسلامية يلفها جميعا فى وحدة شاملة ، اذ يسجل أخبارا أدبية من اليمن ومن الأندلس ، ومن الحجاز ومن الشام ومن العراق ، ومن المغرب وصقلية .. ، قديمة أو معاصرة .

وهو كتاب يعكس صورا من الحياة المصرية

هذا الى ان ابن ظافر ـ كأديب مصرى يستشعر مصريته مثل استشعاره عروبته ـ نراه حريصا أن يختم كل باب من أبواب كتابه بأخبار أدبية مصرية يمكن ان تعكس للباحث صورة للحياة الأدبية بمصر فى القرن السابع الهجرى ، وهو عصر المؤلف خاصة ، وللعصور الأدبية قبله بصفة عامة . ولا يخلو كتابه مع ذلك من رسم شاعرى حى للبيئة الطبيعية المصرية ، نيلها ووديانها وسواقيها ورياضها ومنارتها وشمسها وقمرها .. وليس هذا كله بالقليل فى وزن هذا المبحث الطريف . ■■

مصطفى الصاوى الجوينى



دردشة

تعريف جديد للأنانية

● ثمة تعريف حديث ساخر للرجل الأناني . فهو ، في رأى صاحب هذا التعريف ، رجل يحب المرآة ويكثر من النظر فيها واليها . الا انه لا يستطيع أن يرى فيها ما يراه الآخرون .

٤٧٠ مليون دولار تصرف سنويا على ٢٦ مليون كلب !

● تفيد التقارير ان عدد الكلاب فى الولايات المتحدة قد بلغ فى السنة الماضية ٢٦ مليون كلب فى حين ان عددها سنة ١٩٣٠ لم يجاوز الستة الملايين . اما عدد الأسر الامريكية التى تعيش تلك الكلاب فى كنفها فيبلغ ١٨ مليون اسرة تنفق ما يقارب الـ ٣٥٠ مليون دولار على غذائها وطعامها وما يعادل ١٢٠ مليون دولار على العناية والعلاجات البيطرية اللازمة لها .

دردشة عن يوثانت

● انه من اهل بُرْما Burma ، بجنوب شرقي آسيا . وهو يبلغ من العمر ٥٦ عاما . وهو بوذي الدين ، وقد تأثر بتعاليمه تأثرا كبيرا . ولقد برهن على الكفاءة ومتانة الاعصاب فى المنصب الرفيع المشحون بالمتاعب والمسؤوليات الذى ما زال يشغله منذ اربع سنوات .

وما تعرض له من تعب وارهاق طيلة تلك السنوات هو الذى انتهى به الى الشكوى من قرحة فى معدته . الا ان ذلك لم يمنعه عن التدخين بلا انقطاع . ودخانه المفضل هو الدخان البورموى الأسود . فضلا عن ذلك فانه يكثر من شرب (الدايكيرى) المثلج ، وهو مشروب روحي ، اخذ سبيله اليه ابّان الأزمة الكوبية عام ١٩٦٢ وبتأثير مباشر من فيدل كاسترو .

كلمة ماثورة فى القراءة

● يقول اندره موروا Andre Maurois الكاتب الروائي الفرنسي المعروف : « ان الحضارة الانسانية انما هي مجموع المعارف والذكريات التي تجمعت وتراكمت على مر الأجيال، وان الانتماء اليها والاسهام فيها لا يكون الا بالتفاعل بها ، والتجاوب معها ، والتزود بما تنطوى عليه الحضارة من افكار السلف » .

وهو يقول : « ان السبيل الوحيد ، الى ذلك الانتماء وذاك الاسهام وهذا التفاعل والتجاوب انما هو القراءة والمطالعة » .

ما قل ودل !

● وصف أحدهم اهمال الخادمة بقوله :
ـ ان يديها الاثنتين شمال .. !!

● قالوا للرجل الثرى يخاف ركوب الطائرة : عندما تدق ساعة الموت ، فانها تدق فى اى مكان تكون فيه .. سواء كان ذلك فى الطريق .. او البحر .. أو فى الطائرة .. فاجاب الثرى :
ـ اوافقكم ولا اعتراض على اى شيء من هذا .. وانما خوفى من ان اكون فى الطائرة ، وتدق ساعة الموت ، لا لتدعونى ، ولكن لتدعو قائد الطائرة !

سلاح المرأة

● يقول بعضهم عن المرأة انها تعمد الى التحدث اليك برفق وصوت ناعم منخفض اذا كانت تريد شيئا منك ، وان صوتها فى الحديث يرتفع ، بل يزمجر ، اذا هي لم تحصل منك على ذلك الشيء الذى تريد ! ! .

ولكن ، قل لي بالله ، أليس الرجل والمرأة فى هذا الأمر سواء .

مازق وحسن تخلص

● يروى عن الدكتور البرت شفايتزر Albert Schweitzer الطبيب الفيلسوف الذى قضى جانبا كبيرا من حياته فى أعمال الخير والتبشير فى افريقيا ، والذى كان شديد الشبه بصديقه العالم الشهير البرت اينشتاين Albert Einstein ، من حيث الشكل وملامح الوجه ، انه كان مسافرا فى احد القطارات وأن أحد ركاب ذلك القطار اقترب منه قائلا :

« هلا تكرمت يا مستر **اينشتاين** بتسطير كلمة بخطك فى كتاب ذكرياتي هذا Autograph ؟

ومع ان اينشتاين كان فى عداد الموتى حينئذ ، فان الدكتور شفايتزر لم يعبأ بذلك الالتباس ولم يحفل باصلاح الخطأ ، واحراج المعجب البريء بالتالي ، وبلا طائل ، فأمسك بالقلم بلا تردد وكتب :

« لك تمنيات البرت اينشتاين بواسطة صديقه البرت شفايتزر » !

١٨ ألف شرطي لحراسة البابا!



● يبدو ان حادث اغتيال الرئيس الامريكي السابق ـ جون كندي ـ كان له اكبر الاثر فى اجراءات الامن المشددة التى اتخذتها السلطات المعنية فى مدينة نيويورك ، بقصد الحفاظ على حياة البابا وحمايته من كل أذى اثناء زيارته الاخيرة لمدينة ناطحات السحاب ولهيئة الامم المتحدة فيها .

فقد عهدت الدوائر المختصة الى (١٨٠٠٠) رجل من رجال البوليس بالقيام بتلك المهمة ، ودفعت لهم من المكافآت لقاء القيام بهذا العمل الاضافى ما يعادل المليون من الدولارات . هذا بالاضافة الى الحشد الكبير من رجال الامن التابعين للمنظمة الدولية والجمع الغفير من رجال الكنائس الكاثوليكية . فقد أسهم أولئك وهؤلاء ايضا فى مهمة الحراسة هذه . وركزت السلطات اهتمامها على الطريق الطويل الذى مر به موكب البابا ويبلغ طوله ٥٣ ميلا . فوزعت رجال البوليس على طول هذا الطريق كما بثت سائر الآخرين فى كافة الامكنة والمبانى التى كان من المقرران يزورها البابا .



رُكن الأُسْرَة وَالمرْأة

عِنْدَمَا تَكُونُ مَشَاكِلُ الأَبْنَاء نَتِيجَةً لِسُوءِ تَصَرُّفِ الآبَاء

■ سوء تصرف الآباء هو الذى يعنينا فى هذا البحث اكثر من الانحراف الذى يسببه هذا التصرف فى سلوك الابنـاء . ذلك لأن الانحراف انما يعزى فى كثير من الاحيان الى سـوء التصرف المذكور . فسلوك الطفل لا يعدو أن يكون حصيلة تفاعل ذلك الطفل وما يحيط بيته مـن ظروف وما يسود هذا البيت من آراء ، او نتيجة لما يلقى الطفل فى خارج بيتـه من تجارب تعسة ، او نتيجة لهذه وتلك مجتمعة .

ومن شان هذا السلوك أن يجنح الى التعقيد والاشكال بجنوحه الى التطرف . عندئذ يعود ذلك السلوك ويتكرر ، وينمو ويتفاقم بدلا من ان يكون عرضيا مؤقتا .

وفيما يلي طائفة من الاسباب الاوسع انتشـارا لما نحن بصدده من اشكال وتعقيد .

ثورة الغضب عند الاطفال

وهى فى العادة انفجار يقصد به الطفل من قريب او من بعيد الى تخطى ارادة ابويه . ولطالما غُلِبَ الآباء على امرهم واذعنوا لرغبات صغارهم نتيجة لما يلجا اليه هؤلاء من بكاء وصراخ ورفس وانبطاح على الارض . فمثل هذه الثورات (او التهديد بها) ينبغى الا يكون سببا فى تحول الاباء عن آرائهم اقتناعا منهم بمطالب صغارهم او رغبة فى تفادى اسوا الشرين . والاجدر بهم فى هذه الحالة ان يتمسكوا بمواقفهم ويتشبثوا بقراراتهم، وان يحتجزوا الطفل فى غرفته ، لكى تهدأ اعصابه، فاذا لم ينفع احتجاز ، عمدوا الى ضربه .وعقوبة الضرب وسيلة تربوية يقرها الاطباء النفسـانيون خلافا للراى الشائع عنها . وقد يكون الضرب عنصرا اساسيا فى منهاج تربوى ثابت شريطة الا يساء استعماله او يبالغ فى تطبيقه . فلا يجـوز اللجوء الى الضرب وكانه الوسيلة التربوية الاولى او الوحيدة . كذلك لا يجوز انزال عقوبة الضرب بالطفل علنا وعلى رؤوس الاشهاد . فضلا عن ذلك ينبغى التمييز بين الضرب البسيط والضرب المبرح وتحاشيا لاحتمال تحوله الى هذا أو ذاك ينبغى الا يعمد اليه الآباء وهم منفعلون غاضبون .

وينبغى الا ينحصر اللجوء الى الضرب فى الآباء دون الامهات ، وكانه حق خاص بالأب ، يبادر الى ممارسته لدى وصوله البيت ، واستماعه الى تقرير الأم عما فعله الصغار وما لم يفعلوه خلال ذلك اليوم .

وتتضاءل الحاجة الى ضرب الأطفال كاجراء تربوى فيما اذا عُوِّدوا منذ الصغر على الاستجابة



الى تحذيرات الابوين بادراك ما تعبر عنه تلك التحذيرات من سيادة الابوين ، فضلا عن احترام تلك السيادة وتقديرها . فاذا نجح الآباء فى تنشئة صغارهم على الشعور ايضا بانه آمنون محبوبون تلاشت الحاجة الى ضربهم او كادت .

وتجدر الاشارة هنا الى أن ضرب الأطفال المؤذى او المهين ، بلكمهم او صفعهم على وجوههم او ركلهم بالأقدام او ضربهم بالعصى ، ليس من التربية فى شىء. انه اجراء وحشى يجب على الآباء اجتنابه.

التحـدى

وثمة حالات يتظاهر الاطفال فيها من الطغيان والاستئثار والتحدى ما لا يجوز السكوت عليه . وقد تنشأ هذه الحالات نتيجة اذعان الأم ورضوخها لاطفالها بلا قيد او شرط . فقد تؤدى عواطف الأم الجارفة نحو طفلها ، وحرصها على استرضائه بتلبية كافة طلباته ورغباته بلا تمييز ، الى شعور ذلك الطفل بانه صاحب الكلمة الاولى فيما يخصه او لا يخصه من أمور . وما كانت تلك المشاعر لتنمو فى الطفل لو عمدت الأم الى التمييز بين رغبات للطفل مستساغة، فتلبيها ، واخرى لا مبرر لها فتتجاهلها أو ترفض الاستجابة لها بحزم وصراحة .

ولعل الأهم من ذلك كله هو أن تحرصَ الأم فى هذا الصدد على قيام طفلها بالاعمال التى يستطيع القيام بها ، فلا تسارع الى مساعدته على النهوض اذا وقع على الارض ولم يكن النهوض متعذرا عليه .

ان التغلب على ميل الاطفال الى الطغيان والاستئثار والتحدى امر ميسور ما دام الطفل صغيرا . اما اذا أذِنَ للطفل أن يبقى على طغيانه وتحدى ابويه الى سن المراهقة وما بعدها ، فان مهمة تقويمه بعد ذلك تصبح مهمة شاقة وعسيرة.

بوادر الفتور وقلة المبالاة

ان بوادر الفتور وعدم المبالاة والعزلة واحلام اليقظة ، وشعور الطفل بانه ليس موضع الاهتمام، بوادر مزعجة تبعث على القلق . فالطفل السليم نشيط ، متحفز بطبعه ومندفع ، محب للاستطلاع بفطرته ، فهذه البوادر اذن اعراض مَرَضية تظهر نتيجة لاعتزال الطفل عالم الواقع الخارجي والانطواء على نفسه فى عالم مختلق داخلى . ومن شان هذا الاعتزال وذاك الانطواء ان يؤديا بالطفل الى ضرب من ضروب الجنون ، ما لم يعمد الابوان الى العودة بصغيرهم الى عالم الواقع فى الوقت المناسب . والسبيل الى ذلك هو أن يعيدا للطفل اهتمامه بالامور التى تهم الاطفال عموما ، كاللعب ومرافقة غيره من الاطفال وما الى ذلك .

طاعة الطفل العمياء

ومن الآباء من يطرب لما يتحلى به ابناؤهم من طاعة عمياء وحرص بالغ على النظافة وسلوك يكاد يبلغ مرتبة الكمال ! وسرورهم لمثل هذه الصفات دليل على قصر نظرهم وعجزهم عن استشفاف ما تؤدى اليه من عواقب وخيمة .

ان احتفاظ الطفل بمثل تلك الصفات امر عسير للغاية ، ولا مفر له فى الغالب من فقدانها آجلا او عاجلا ، والشعور بالفشل والاعياء تبعا لفقدانها . ولكنه لا يقوى على تحمل الفشل نظرا لما الفه من اطراء وتعوده من ثناء على اتصافه بتلك الصفات . من ثم يتسرب اليأس الى قلبه وتخيم الكآبة على نفسه . وقد تنتهى به هذه المشاعر الى حد التفكير بالانتحار . وكل مايستطيع الآباء فعله فى مثل تلك الحالات هو الكف عن الدفع بصغيرهم فى هذا الاتجاه والحيلولة بذلك دون المزيد من انزلاقه الى تلك الهاوية .

شعور الطفل بأنه غير آمن ولا مستقر

ويعزى ما يتصف به بعض الأطفال من قسوة ونزعة ملحة للتعدي والعدوان الى احد عاملين . فقد يشعر الطفل بالنفور لاعتقاده بأن اخاه الصغير (او اخته) يحظى من عناية الابوين ومحبتهما بما لا يحظى به هو . وقد يشعر بالنفور ايضا تبعا للمعاملة القاسية ، حتى السلبية ، التي يلقاها من والديه . ومن شان هذا الشعور بالنفور أن ينتهي بالطفل الى القسوة ونزعة العدوان التي ذكرنا والتي لا تعدو كونها — في معظم الاحيان ، ان لم يكن في جميعها — ذريعة يخفي بها الطفل قلقه وشعوره الدفين بأنه غير آمن ولا مستقر . فهي اذن بمثابة التعويض أو التصعيد الذي يكفل للطفل اخفاء واقعه المرير والظهور على نقيض حقيقته الاليمة . ولعل مثل هذا الانحراف في غير حاجة الى اكثر من مزيد من حب وحنان يحيطه به ابواه وينتهي به الى تخطي القسوة وتجاوز العدوان .

هرب الطفل من مدرسته أو بيته

ومن مظاهر الاشكال والتعقيد في الأطفال اقدام عدد كبير منهم على الهرب من مدارسهم أو بيوتهم. ويتجلى في هذه النزعة حرص الطفل على الحفاظ على استقلاله ومحاولته اليائسة لتثبيت ذلك الاستقلال وانكار حاجته القوية الى عون الكبار وحنانهم . هذا اذا لم تكن النزعة المذكورة نتيجة مباشرة لسوء تصرف الأبوين في معاملة ذلك الطفل. والهروب السالف الذكر منتشر فيمن تجاوزوا العاشرة من الأطفال .

شعور الطفل بالاثم

ومن شأن الحوادث التي قد تؤدي الى كسور في العظام او جروح او رضوض في هذا او ذاك من أعضاء جسم الطفل أن تولد في نفسه — اذا تكررت — شعورا مبهما بالاثم، مقرونا بالحاجة المبهمة ايضا الى معاقبة النفس والنيل منها . ولا تخلو حياة الطفل الغامر من مثل هذه الحوادث. الا أن حدوثها مرارا وتأتي الأذى عنها تكرارا هو الذي يجب أن يسترعي انتباه الأبوين ويبعث على توقعهما وتحسبهما لميل في الطفل جديد يتجه به الى ايذاء نفسه . وينبغي للابوين ، في مثل هذه الحالات ، العمل على حصر مصدر الشعور بالاثم بالتدقيق في طبيعة علاقات الطفل بوالديه وباخوته واخواته فضلا عن صلاته باقرانه .

سير الاطفال في نومهم

اما سير الأطفال في نومهم ، سواء اقترن بحوادث مؤذية للطفل أم لم يقترن ، فيعزى في كثير من الأحيان لحالة من الغيبوبة حلت بالطفل نتيجة حمى مرضية المت به. غير أن سير الأطفال الصغار وهم نيام لا يعدو كونه امرا عاديا اذا لم يتكرر حدوثه كثيرا ، وخاصة في الحالات التي يصعب



فيها ايقاظ الطفل الذي يبدو وكأنه مندفع في اداء ما تفرضه عليه احلامه المزعجة من تمثيل . أما اذا استمر الطفل على السير في نومه الى ما بعد سنته العاشرة ، عندئذ تصبح الحاجة ماسة للاستعانة بعلماء النفس ، يتقصون البواعث والاهواء الخفية التي تحمل الفتى على السير في نومه ، ويسعون الى مساعدته على تبين تلك الاسباب وتخطيها . وكثيرا ما يكون التنويم

المغناطيسي ، والتحليل النفساني القائم عليه ، علاجا ناجعا في مثل هذه الحالات .

كذب الاطفال دليل خيالهم الخصب

وقد يكذب الاطفال . ويعزى كذب الاطفال في الغالب الى خيال الطفولة الخصب . ويجهل الآباء هذه الحقيقة فيحاولون كبح هذا الكذب بقسوة ودون هوادة .

وقد يعمد الطفل الى الكذب المتقن المنمق يجنبه المشاكل اكثر مما يجنبه اياها الصدق . اما لجوء الاطفال الى الكذب باستمرار - وخاصة الكذب بلا سبب أو مبرر - وذلك قبيل السنة العاشرة وما بعدها ، فبادرة تنذر باحتمال تحول الاطفال الى « أحداث جانحين » أو تعرضهم لمرض من الامراض العقلية .

السرقة ياتيها الطفل

اما السرقة التي قد يعمد اليها الطفل بتأثير من أقرانه ، فلا بد أن يكون الاستعداد لها موجودا في الطفل أصلا ، ليصبح التأثير السيىء من الخارج ذا أثر . والأولى بالآباء أن يعطوا لأطفالهم شيئا من نفقات الجيب ، وأن يعوّدوهم منذ الصغر على التعامل بالنقود . ولا يخفى ما لآراء الأبوين في الأمانة من أثر ، وما لظروف العائلة الاقتصادية ومؤثرات الجوار من اهمية في هذا الصدد .

مص الاصابع وعلاجها

هنالك عادة مص الأصابع في أولى مراحل الطفولة ، فاذا هي تعدت هذه المراحل كانت دليلا على أن الطفل انما يعتمد عليها في سعيه للتخفيف من حدة قلق يشعر به .

ان علاج مص الاصابع في المراحل الأولى شيء لا بد منه ويكون بزيادة كمية حليب الرضاعة من جهة ، وباحاطة الطفل بمزيد من الحب والحنان من جهة ثانية . وتستطيع الأم سحب أصابع الطفل من فمه أثناء نومه . والخطر من استمرار هذه العادة الى ما بعد الطفولة الاولى انما هو في التشويه الذي قد يطرأ على أسنان الطفل أو سقف حلقه من جرائها . ويحسن بالآباء أن يشجعوا طفلهم على التغلب على تلك العادة بنفسه ، بالثناء عليه والتصفيق له اذا نجح ، وبالاحجام عن معاقبته اذا فشل . بذلك يهون الأمر كثيرا وتتمائل المشكلة الى الحل السريع . أما وضع المواد المرّة على أصابع الطفل أو وضع الاكف في يديه ، أو شد أصابعه على نحو ما بأداة معدنية ، فاجراءات لا يجوز اللجوء اليها الا كمحاولة أخيرة .

قضم الاظافر وعلاجها

كذلك قضم الاظافر ، يعمد اليه الأطفال تخفيفا لقلقهم ، والحاقا لعادتهم السابقة في مص أصابعهم . ومثل هذه العادة كمثل سالفتها من حيث العلاج . وقد يكون علاجها في البنات اقرب منالا بتشجيع البنت على طلاء أظفارها بالطلاء (المانيكيور) بقصد الزينة ومجاراة للكبار .

التبول بعد الثالثة من العمر

ولعل في استمرار الطفل ، بعد السنة الثالثة من عمره ، على التبول وما الى ذلك في سريره دليلا على ما يعانيه الطفل من صراع جنسي سيكولوجي بالغ الحدة . ولا غضاضة في ذلك اذا كان عرضيا وحدث بين حين وآخر ، وخاصة اذا جاء كرد فعل لحادث ما أزعج الطفل ، كمولد طفل آخر في العائلة ، أو وفاة أحد افرادها ، أو افتراق الأبوين بالطلاق ، أو بعد الابوين الطويل عن البيت في سفر أو ما الى ذلك . الا أن حدوثه على نحو من التكرار ودون توفر أي من الاسباب الباعثة عليه فامر يستدعي الرجوع الى خبير كفء في شؤون الأطفال .

ويجدر بالآباء الا يعاقبوا الطفل أو يهينوه لمثل

تلك الاسباب . والاولى بهم ان يخففوا من تعاطيه للسوائل فى وجبة العشاء وقبل النوم وان يعمدوا الى ايقاظه لدى ذهابهم الى فراشهم للنوم ، فضلا عن امتداحه واطرائه فى كل مرة يستيقظ بها نظيفا .

الاطفال واحداث الحرائق

وثمة رغبة فى بعض الاطفال تنزع بهم الى التسبب فى الحرائق . والحاجة الى معالجة فورية لمثل هذه الرغبة فى غنى عن الايضاح او التبرير . والجدير بالذكر ان انواعا اخرى من الانحراف السلوكى



بالاضافة الى المشاكل السيكولوجية الجنسية ترافق الرغبة المذكورة .

التخنث والتخشن

اما التشبه بالجنس الاخر فيتمثل فى نزعة بعض الفتيان الى التخنث ، ونزعة بعض الفتيات الى التخشن ، كارتداء الالبسة الخاصة بالجنس الثانى وما الى ذلك . ولما كان التخشن اكثر استساغة فى نظر المجتمع من التخنث ، كان هذا الاخير اقرب الى الشذوذ والانحراف . ويستمد التخنث من عواطف بدائية تدفع بالطفل الى طلب التشبه بامه وشقيقاته . وينبغى للآباء الا يتوانوا فى وضع حد لهذا كله .

ليس من السهل أن تكون أبا صالحا

ان تربية الاطفال مهمة معقدة واختصاص له مبادئه وقواعده . فهى لا تأتى عفوا الى الزوجين لدى عقد القران بينهما . والاباء المفتقرون الى النضوج والاستقرار الذاتى يجدون المزيد من الصعوبة والمشقة فى تربية اطفالهم ويعانون المزيد من المشاكل معهم .

والاعتقاد الراسخ هو ان المناهج المطبقة فى المدارس والكليات تبقى ناقصة ما لم تشتمل على فروع خاصة باعداد الطلاب لمهمة الابوة . وموضوع « الصحة » العقلية وموضوع علم النفس « الدينامیکی » ، بما فى ذلك أصول تربية الاطفال ، هى فى رأى التربويين من تلك المواضيع التى يجب ادخالها على مناهج التعليم . وما لم نعمد الى ذلك ، ظل المستقبل العقلى للجيل الجديد فى كف عفريت ، يعبث به الجهل حينا والتخبط حينا آخر . ولعل المعلمين اكثر حاجة الى المواضيع التى ذكرنا ، منهم الى المواضيع التقليدية التى يتلقونها فى معاهد تدريب المعلمين.

ولا ريب فى ان نمو الاطفال يكون سليما فيما اذا توفرت الشروط التالية :

١ ـ حنان الابوين الحقيقى المستمر بما يكفل للطفل الشعور الراسخ بانه آمن ومرغوب فيه . ويعنى هذا الحنان الاصيل فيما يعنى ان الابوين حريصان فى الوقت نفسه على تنمية روح الاستقلال فى ابنائهم .

٢ ـ منهاج تربوى ثابت لا تناقض فيه ، يشترك فى تطبيقه كلا الابوين ، انطلاقا من احتياجات الطفل وبصرف النظر عن راحة الابوين وأهوائهما.

٣ ـ تفهم كاف للاطفال وتسامح بالنسبة الى تصرفاتهم بحيث يستطيع الابوان الوقوف على حاجة الطفل الحقيقية وبواعثه الدفينة .

٤ ـ استعداد الابوين للرجوع الى الاخصائيين والاسترشاد بآرائهم ونصائحهم حين الحاجة . ■■

ابن السيد البطليوسي

من أعلام الفكر الأندلسي

فى عصر ملوك الطوائف أزهى العصور الأدبية فى الأندلس

بقلم : الدكتور محمد الامين محمد

مدرس الأدب الأندلسي بكلية التربية : بغداد

■ يعتبر عصر ملوك الطوائف من ازهى العصور الادبية قاطبة فى الاندلس . فمع ان الخلافة كان قد زال رسمها ، وتداعى بنيانها ، فتفرقت الكلمة ، وذهب شمل الجماعة ، الا ان الصراع الذى نجم بين ملوك الطوائف ، والتنافس المستمر فيما بينهم ، والحروب الاهلية التى لا تخمد نارها ، كل أولئك كان مما حدا بهم أن يصانعوا رجالات الفكر والادب ، لتجرى السنة هؤلاء واولئك بالثناء عليهم ، والاشادة بذكرهم ، فتتم لهم اسباب العظمة التى كانوا يسعون أن يحيطوا انفسهم بها ، وليكمل لهم التشبه بالخلفاء فى المشرق أو فى الاندلس ممن كانوا يغدقون الاموال الطائلة على الشعراء والادباء جريا وراء الشهرة ، ورغبة فى تخليد ذكرهم .

ولما كان عصر الطوائف بصفة عامة قد اتسم بمظاهر الاسراف والبذخ والاخلاد الى اللهو ، كان أمرا طبيعيا أن يجد الشعر له سوقا ، وآذانا مصغية ، وأن ترتفع منازل الشعراء وتسمو اقدارهم ، ويجرى الذهب فى أيديهم .

يحدثنا الشقندى فى ذلك فيقول : « ولم تزل الشعراء تتهادى بينهم تهادىَ النواسم بين الرياض ، وتفتك فى أموالهم فتكة البراض ، حتى ان أحد شعرائهم بلغ به ما رآه من منافستهم فى امداحه أن حلف الا يمدح أحدا منهم بقصيدة الا بمائة دينار (١) » .

من ملوك الطوائف العلماء والأدباء

يضاف الى ذلك أيضا ان ملوك الطوائف أنفسهم كان من بينهم العلماء والادباء والشعراء والمشتغلون بالرياضيات والموسيقى . فالمظفر بن الافطس وهو محمد بن عبد الله بن الافطس (١٠٤٥ ــ ١٠٦٣م) كان أحرص الناس على جمع علوم اللغة فى الادب من الشعر ، ونوادر الاخبار ، وعيون التاريخ .

(١) انظر تاريخ الفكر الاندلسي : ترجمة الدكتور حسين مؤنس . القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ٨٧

فألف كتابا سماه « المظفرى » يقع في خمسين مجلدا . وكان ابنه المتوكل أبو محمد عمر بن محمد الأفطس (١٠٦٧ – ١٩٠٥ م) أديبا شاعرا كاتبا ، فبلغت الحركة الادبية في بطليوس على عهدهما أوجها من الازدهار .

وقد غصّ بلاط بني الافطس بجماعة من جلة الادباء والشعراء ، من بينهم أبو محمد بن عبدون المتوفى سنة ١١٣٤م والذى خلد ذكرهم بعد زوال دولتهم في رائيته المشهورة . وأبو محمد عبد الله ابن سارة المتوفى سنة ١١٢٣م . وأبو بكر عبدالعزيز ابن القبطورنة ، وأخوه أبو الحسن ابن سعيد بن القبطورنة ، وأبو عبد الله بن البين ، وابن الحضرمى ، وأبو الوليد النحلى وغيرهم .

والمعتمد بن عبّاد

وقد كان ابن عباد المعتمد (١٠٦٨ – ١٠٩١م) شاعرا مجيدا رقيق الاسلوب صافى الديباجة ، ولم يكن يستوزر الا رجال الادب من الشعراء والكتاب فعاش في كنفه ابن عمار ، وابن عبدون وابن وهبون ، وعبد الجبار بن حمديس . وأبو بكر بن القصيرة وغيرهم ، وبلغت النهضة الادبية لدى بنى عباد مدى لم تبلغه في مملكة أخرى من ممالك الطوائف .

كذلك كان بنو هود في سرقسطة يشجعون العلم والادب ، بل كان من بينهم من اشتهر بالاشتغال بالعلم . فالمؤتمن بن المقتدر بالله بن هود كان من المشتغلين بالعلوم والرياضيات وله فيها مؤلفات ، من بينها كتابه « الاستكمال والمناظر » .

نظرة سريعة على قرطبة

وانا نحن اذ ذهبنا نطوف بممالك الطوائف لنستجلى ما ازدهر فيها من علوم وفنون فسنجدها تند عن الحصر . وبحسبنا ان نلقى نظرة سريعة على قرطبة ، لنرى فيها أبا محمد عليا بن حزم (٩٩٤ – ١٠٦٣ م) يمثل وحده قمة شامخة من قمم الثقافة والمعرفة بما خلف من مؤلفات في الفلسفة والفقه وعلوم الدين والتاريخ والادب . بل ان ابن حزم هذا ، بتآليفه كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » ، قد سبق علماء أوروبا بقرون عدة . ذلك بأن دراسة نقدية تحليلية للاديان على النحو الذى فعله ، لم تظهر في أوروبا الا في القرن التاسع عشر .

والى جانب ابن حزم نبغ في قرطبة كثيرون . نذكر منهم أبا مروان حيان بن خلف بن حسين ابن حيان (٩٨٧ – ١٠٧٠م) وهو من مشاهير مؤرخي الاندلس . ثم أبا الوليد بن زيدون (١٠٠٣ – ١٠٧٠م) الشاعر الكاتب المبدع . والشاعرة الأديبة ولادة بنت المستكفي .

ابن السيد البطليوسى

هذه نظرة خاطفة على عصر ملوك الطوائف تكشف لنا عن البيئة الثقافية والاجتماعية التى أحاطت به . ولسنا نشك في أن مهمة الاديب الذى كان يبتغي أن يتألق في أفق زاخر بالنجوم كهذا الافق ، كانت يومئذ مهمة جد عسيرة اذا لم يكن له من مواهبه وفنه ما يسنده . ولعل المهمة تبدو أشد عسرا اذا كان هذا الأديب لا يزيد عمره عن نيف وعشرين سنة !

هذا الاديب هو أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسى الذى كان من قادة الفكر في الاندلس . بل من العبقريات النادرة التى يزهى بها الفكر العربي بعامته . فقد توافرت لديه مواهب جمة ، وتهيأت له امكانيات علمية وثقافية قلما تهيأت لغيره فيمن عرفنا من علماء الاندلس ومفكريه عدا ابن حزم القرطبي المتوفى سنة ١٠٦٣م .

صفته

كان ابن السيد نحويا ، لغويا ، أديبا ، شاعرا ، كاتبا ، ناقدا ، فيلسوفا ، فقيها ، محدثا ، ملما بكل جوانب الثقافة التى عرفت لعهده . ثم هو بعد واسع الاطلاع ، جم المعرفة ، كثير الحفظ ، صافى القريحة ، متوقد الذكاء ، صائب الرأى ، قوى الحجة ، ذو دراية واسعة بأيام العرب وأشعارها ، يدلنا على ذلك كله تلك الثروة الفكرية الضخمة التى خلفها وراءه من مؤلفات تناولت مختلف ألوان الدراسات الاسلامية والنحوية

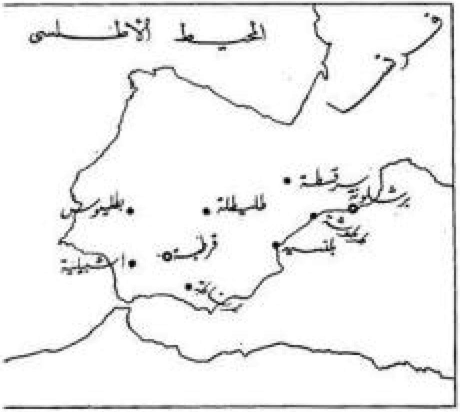
واللغوية ، الامر الذى يثير الاعجاب به عالما وباحثا ومؤلفا .

مؤلفاته

ولعل مما يثير الاسى ان بعض مؤلفاته قد امتدت اليها يد الضياع ، وان جل ما بقى منها لم يقدر له ان يرى الضوء بعد ، فما يزال مخطوطات متناثرة فى مكتبات الشرق والغرب ، تنتظر الجهود المخلصة التى تنفض عنه غبار القرون ، وتجلوها من صدا الزمن ، لينتفع بها طلاب البحث ، وعشاق المعرفة . ومع ان الدراسات الاندلسية قد نشطت على نحو ما فى السنوات الاخيرة ، سواء اكان ذلك من قِبَل المستشرقين الاسبان ، او العاملين فى الحقل الاندلسى من الباحثين العرب ، الا ان احدا من هؤلاء واولئك لم يتوافر على التراث النحوى اللغوى ، وهو تراث ضخم يتطلب تضافر جهود العشرات ، ومن ثم ظلت جهود الافراد مركزة فى ميدان الادب وحده لا تكاد تعدوه الى غيره . وهكذا ظل الكثيرون من رجالات الفكر فى الاندلس مجهولين للجهل باثارهم الفكرية ، وظل ابن السيد لا يعرف عنه الكثيرون سوى انه نحوى ، وان كانت اثاره فى ميادين الدراسات الاخرى ليست باقل منها فى ميدان النحو .

مولده ونشاته

تكاد المصادر العربية وغير العربية تتفق على ان ابن السيد ولد فى بطليوس ، وان مولده كان سنة ١٠٥٢م . وهو بين الاندلسيين واحد من قليلين عنيت المصادر بذكر تاريخ ميلادهم ووفاتهم . اما الوطن الاصلي لاسرته فهو « شِلْب » على ما يذهب اليه اثنان من معاصريه هما ابن بسام المتوفى سنة ١١٤٧م ، وابن خاقان المتوفى سنة ١١٢٤م . يقول هذا الاخير : « عبد الله بن محمد ابن السيد البطليوسى ، وشِلْب بيضته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضته ، وفيها كان قرارهم ، .... ونسب الى بطليوس لمولده بها » ومن عبارات ابن خاقان هذه ندرك ان والد ابن السيد قد نزح من « شلب » موطنه الاصلي ، ثم سكن بطليوس حيث ولد له ابنه عبد الله هذا . بيد ان المصادر لم تمدنا بشيء عن تاريخ هذه



خريطة الاندلس فى عصر ملوك الطوائف

الهجرة واسبابها وظروفها ، وان كنا نرجح ان خروجه من شلب كان سنة ١٠٥٢م عندما حوصرت هذه المدينة من قبل الجيش الذى بعث به المعتضد ابن عباد بقيادة ابنه المعتمد ليفتح « شلب » . وقد كان ذلك فى نفس العام الذى ولد فيه ابن السيد كما هو واضح .

ونحسب ان محمدا بن السيد الوالد كان ممن يتعاطون حرفة الادب ، أو يقرضون الشعر . وذلك لما اشتهر به أهل شلب من تعلقهم بالادب والشعر . يقول ياقوت الحموى فى معرض الحديث عن شلب : « انه ليس بالاندلس بعد اشبيلية مثلها . سمعت ممن لا احصى انه قال : قل ان ترى من أهلها من لا يقول شعرا ، ولا يعاني الادب . ولو مررت بالفلاح خلف محراثه ، وسالته عن الشعر ، قرض من ساعته ما اقترحت عليه ، واى معنى طلبت منه » .

هذا وقد نشا ابن السيد على ما ينشا عليه لِداته . فحفظ القرآن ، والم باطراف من القراءات والنحو واللغة والادب والدراسات الاسلامية . وكان يقوم على تهذيبه بعد وفاة ابيه اخوه أبو الحسن على ابن السيد المتوفى سنة ١٠٩٥م والذى كان من المشتغلين بعلوم اللغة والادب . وقد اتصل ابن السيد فى بطليوس باساتذة غير أخيه من بينهم : عبد الله بن محمد ابن خلف الراني الذى درس عليه القراءات . وعلى بن أحمد بن حمدون المتوفى سنة ١٠٧٣م الذى درس عليه القراءات كذلك . ثم تحول الى عاصم بن أيوب البطليوسى حيث درس عليه علوم اللغة . وعاصم هذا كان يومئذ من ادباء

بطليوس المتقدمين في علوم اللغة والادب ، فافاد منه ابن السيد كثيرا مما جعله بعد كثيرا ما ينوه به ، ويشيد بما اخذ عنه .

ثم ارتحل ابن السيد الى (المريه) وسنه لما تجاوز العشرين ، قاصدا عبد الدايم بن جبر القيرواني شيخ اخيه ابي الحسن ، حيث درس عليه النحو واللغة والادب وافاد منه فوائد جمة ، وقضى الى جواره نحوا من عام تحول بعده الى « جيّان » فجلس الى حسين بن محمد بن احمد الغساني الجياني المتوفى سنة ١١٠٤ م وقرا عليه الحديث ورواياته وضبطه ، اذ كان حسين هذا من اكثر الناس على عهده تحريا للدقة والضبط في رواية الحديث والتعرف على صحة الاسناد . ولم يكن لابن السيد شيخ غيره في علوم الحديث .

عند ابن ذى النون في طليطلة

وقد قصد ابن السيد اول من قصد القادر يحيى بن اسماعيل بن ذى النون في طليطلة (١٠٧٥ — ١٠٨٥ م) ومدحه بقصيدة افرغ فيها الكثير من امكانياته كشاعر شاب ، فكانت سبيله الى قلبه وفيها يقول :

لك المثل الاعلى وفي الجهل عاذر
بتقصيرهم ان لامَهُم فيك لائمُ

وما انت الا آية الله في الورى
وحكمته ان قال بالعلم عالم

لقد بخسوك الحق جهلا واخطلت
بما رجّمت فيك الظنون الرواجم

فقالوا حكى الضرغام في الروع باسه
وذلك ما لا تدعيه الضراغم

وانى لليث الغاب في الروع باسه
اذا صال في الهيجاء والنقع قاتم

ومن اين للسيف الحسام مضاؤه
اذا انتضيت للحرب منه العزائم

ومن اين للمزن المنور جوده
اذا انهملت من راحتيه المكارم

لنا بارق من بشره ليس خلّبا
اذا شامه يوما من الناس شائم

ولقد ظفر لديه بالسؤدد والجاه ، فلازمه وانشا فيه مدائح كثيرة ، وانتقل بعد معه الى بلنسية ، وظل الى جواره حتى سنة ١٠٩٢م .

عند ابن رزين

ثم تحول الى السهلة حيث اتصل بعبد الملك ابن رزين . يقول ابن خاقان : « كان ابن السيد عند وصوله الى ابن رزين قد رفعه ارفع محل ، وانزله منزلة اهل العقد والحل ، واطلعه في سمائه ، واقطعه ما شاء من نعمائه ، واورده اصفى مناهل مائه ، واحضره مع خواص ندمائه . وكانت دولته موقف البيان ، ومقذف الاعيان ، ومحسب جمار الآمال ، واعذب موارد الاجمال . لولا سطواته الباطشة ونكباته البارية ... » . وقد نال ابن السيد بادىء ذى بدء الى جوار ابن رزين ما كان يرجوه واصاب كثيرا من رفده ، والحقه بديوانه كاتبا . بيدا ان ابن رزين هذا كان معروفا بكثرة تقلبه وايقاعه بالمقربين اليه ، وكان في الوقت نفسه جاهلا خاملا ، قليل النباهة، شديد الاعجاب بنفسه ، زاريا على اهل عصره . فسرعان ما فسد ما بينه وبين ابن السيد بفعل الوشايات التى كانت تجد لها في القصور مرتعا خصيبا آنذاك ، فكاد ان يبطش به او يعتقله ، لولا ان تمكن من الهرب مخلفا وراءه متاعه وكل ما يملك ، دون ان يعرف له وجهة يقصدها .

عند المستعين بن هود في سرقسطه

ثم اتجه صوب سرقسطه حيث كان امرها بيد المستعين بن هود (١٠٨٥ — ١١١٠) وكان عند دخوله سرقسطة يرجف رعبا ، ولا يكاد يصدق بالنجاة . فما ان سكن روعه حتى اعد قصيدة يمدح فيها المستعين ويصور حاله هو في الوقت نفسه فيقول فيها :

ولى مقلة عبرى وبين جوانحي
فؤاد الى لقياكم الدهر حنّانُ

تنكرت الدنيا لنا بعد بعدكم
وحفّت بنا من معضل الخطب الوان

اناخت بنا في ارض « شنت مرية »
هواجس ظن خَنّ والظنّ خَوّان

وشـمنا بروقـا للمواعد اتعبت
نواظرنا دهـرا ولـم يهم تهتـان

رحلنـا سـوام الحمد عنهـا لغيرهـا
فلا ماؤهـا صـدا ولا النبت سعدان

الى ملـك حابـاه بالمجـد يوسـف
وشـاد لـه البيت الرفيـع سـليمان

الى مسـتعين بالالـه مؤيـد
لـه النصرُ حـزبٌ والمقادير اعـوان

وهـل طرفت عين لمجـد ولم يكـن
لهـا مقلة من آل هـود وانسـان

★★★

بوجـه ابن هـود كلما اعرض الورى
صحيفة اقبال لهـا البشر عنـوان

من النفـر الشـم الذين اكفهـم
غيـوث ولكـن الخواطـر نـيران

فيا مسـتعينا مسـتعانا لمـن نبـا
بـه وطـن يومـا وعضـته ازمـان

كسـوتك من نظمي قلادة مفخـر
يباهي بهـا جيـدٌ المعالى ويزدان

اذا غرسـت كفاك غـرس مكـارم
بارضي اجتنتـكَ الثنا منـه اغصـان

وقد كان لهذه القصيدة اثرها فى نفس المستعين، فقدر لابن السيد موقفه ، وقربه اليه واغدق عليه الهبات ، فلبث حينا فى كنفه موفور الكرامة، مرعى الجانب ، مقضى الحاجة .

فى قرطبة

بيد انا ما نلبث ان نجد ابن السيد يتـرك سرقسطة فى ظروف غامضة ، ويتجه صوب قرطبة، لا ليتصل بابن عباد حاكمها يومئذ ، بل ليقصد المسجد الجامع بها فيجلس لاقراء النحو واللغة والادب وعلوم الدين .

ولا ريب انه كان قد ضاق ذرعا بحياة القصور وما فيها من دسائس ، وما يكتنفها من مخاطـر ، فآثر الاشتغال بالتدريس والتاليف ، مستجيبا لميله الفطرى ، نائيا بنفسه عن حياة الترف الى حياة تشبه ان تكون حياة تقشف ، على نحو مـا يصوره لنا شعره بعد تركه حياة القصور ، حيث نجد انه قد اتسم بسمات الزهد وكثرت فيـه شكوى الزمن ، والتضرع الى الله ، وذكر الحياة الآخرة .

فى بلنسية

ولم يطل مقام ابن السيد فى قرطبة ، فسرعان ما تركها واتجه الى بلنسيه حيث توافر علـى التدريس والتاليف ، فكتب فيها جل مؤلفاته ، وذاعت شهرته فتوافد عليه طلاب العلم من كافـة ارجاء الاندلس لما اشتهر عنه من غزارة علمـه وحسن ادائه . يقول عنه تلميذه ابن بشـكوال صاحب كتاب الصلة « انه كان عالمـا بالاداب واللغات ، متبحرا فيهمـا ، مقدما فى معرفتهمـا واتقانهما ، يجتمع اليه الناس ويقرؤون عليـه ويقتبسون منه ، وكان حسن التعليم جيد التلقين، ثقة ضابطا ، والف كتبا حسانا » .

كتابه « المسائل والاجوبة »

وكان الى جانب قيامه بالتدريس والتاليف يرد على عشرات الرسائل التى كان يتلقاها من شتى انحاء الاندلس والتى كانت تحمل اليه اسـئلة تتناول مختلف جوانب الثقافة يطلب اليه اصحابها الاجابة عنها . وقد جمع ابن السيد نفسه هذه الاسئلة واجوبتها فى كتابسماه «المسائلوالاجوبة» فلما وافته منيته سارع تلاميذه وعلى رأسـهم ابو الحسن عبد الملك بن محمد بن هشام القيسى المتوفىسنة ١١٥٧م فجمعوا من المسائل والاجـوبة ما لم يتمكن ابن السيد من اضافته الى الكتاب انف الذكر فاضافوه اليه . وكانما هو نفسه كان يحس بذلك عندما قال فى مقدمة هذا الكتاب : « وهو كتاب معرض للزيادة فيه ، اذا كان السؤال يوجب ذلك ويقتضيه ، فلا تمام له ولا انقضاء ، حتى يشارف العمر الانتهاء » .

ومما تجدر الاشارة اليه ان ابن السيد وهـو يرد على هذه الرسائل ويجيب على ما تضمنته من اسئلة ، كان يرسى فى الاندلس نظام الدراسة عن طريق المراسلة ، ذلك النظام الذى اخذت به بعده

بعض الجامعات الغربية وعدته من مبتكراتهـا ، والذى عملت به بعض جامعاتنا اخيرا .

مقومات ثقافته

لعلنا بعد أن ألمعنا فى هذا العرض السريع لشيوخ ابن السيد والقينا شيئا من الضوء على العصر الذى عاش فيه ، نستطيع أن ندرك الى حد ما الروافد التى استمد منها ثقافته ، والتى كان لها أثر فى تشكيل فكره ، وتكوين مداركه . فليس من شك فى انه قد تأثر بشيوخه وفى مقدمتهم أخـوه علي بن السيد الذى تلقى عليه دروسه الاولى ، كما تأثر بكل من درس عليهم أو روى عنهم من مفكرى عصره . ولما كانت دراسته كما أشرنا لم تقتصر على علم بذاته من بين العلوم التى كانت معروفة لعهده ، فقد تنوعت كذلك مؤلفاته وشملت الوان الثقافات المختلفة .

على أن الرحلات التى قام بها الى طليطلة وبلنسية والسهلة وسرقسطة لا بد انها قد أتاحت له كثيرا من الفرص التى التقى فيها بالمفكرين والادباء فى مجالات الدرس والبحث ، أو فى مجالات التنافس لدى من التقى بهم من ملوك الطوائف مما كان له تأثيره فى فكره وفى انتاجه .

بينه وبين ابن العربى

وبحسبنا أن نعلم ان المنافسة التى كانت بينه وبين أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربى المتوفى سنة ١١٤٨م والتى تحولت فى بعض مراحلها الى خصام شديد ، نقول ان هذه المنافسة قد حدت بابن السيد أن يؤلف رسالة فى الرد على ابن العربى . اذ كان هذا قد سجل بعض المآخذ فى احدى نسخ شرح سقط الزند الذى وضعه ابن السيد ، فلما اطلع ابن السيد على تلك المآخذ انبرى للرد عليه . هذا ولعل فى مجموعة الرسائل الادبية المتبادلة بين ابن السيد وبعض ادباء عصره ما يلقى الضوء على الآثار التى أثمرتها صـلاته بهؤلاء . ذلك لأن الرسائل فى جملتها تـدل على انها كانت مباريات أدبية قصد بها الى اظهـار البراعة فى القول ، والاحاطة بشوارد اللغـة وغرائبها ، اكثر مما قصد أن تؤدى غرضا آخر ، يدل عـلى ذلك ما تضمنته من كثرة المترادفات والاستشهاد بالشعر ، والاقتباس من كلام الاقدمين ، والجنوح الى استعمال الكلمات الغريبة .

كتابه : « اصلاح الخلل الواقع فى الجمل »

اما ما كان له أكبر الأثر فى شخصية ابن السيد العلمية والادبية فهو قراءاته الكثيرة ، ودراساته لمجموعات ضخمة من الكتب فى النحو واللغة والادب والفقه والحديث . وقد سجل لنـا ابن خير الاشبيلى طائفة كبيرة من هذه الكتب فى مقدمتها : كتاب « الجمل للزجاجى » الذى درسه دراسة نقدية ثم وضع فى انتقاده كتابه «اصلاح الخلل الواقع فى الجمل » . وهو فى انتقاده يبرهن على علو منزلته فى النحـو وخبـرته الواسـعة بمعالجة مسائله ، واحاطته بالشواهد ، ونسبتها الى قائليها ، ومكان كل شاهد من القصيدة التى ورد فيها . وقد حدا به وقوفه الطويل امام الشواهد الواردة فى كتـاب الجمل ان افرد كتابا لشرحها سماه « شرح شواهد الجمل » وسماه غيره « الحلل فى شرح ابيـات الجمل » . وقد رسم ابن السيد فى مقدمة كتابه هذا المنهاج الذى سلكه ، والاطار الذى سار فى حدوده حيث قال :

« ان غرضى فى هذا الكتاب هو الكلام فى اعراب ابياته ـ اى الجمل ـ ومعانيها وكشف ما يخفى من اسماء قائليها ، وعرض ما يتصل بكل بيت منها ، ليكون ابين لغرض قائله . ولم يمنعنى من التكلم فى اعرابها ومعانيها ، ما تقدم من كلام غيرى فيها . فربما كان لكلامى مزية على سواه ، وزيادة فائدة لمن وقف عليه ورآه ... » .

ومع ان ابن السيد لم يكن اول من تناول كتاب الجمل وشواهده بالنقد والدراسة ، الا انه فى الحقيقة قد سد جوانب النقص فيه ، واستكمل من المسائل الجزئية ما عزب عن المؤلف نفسـه . وربما كان تخيره لهذا الكتاب بالذات من بين كتب النحو ليقيم عليه اول دراساته النحوية ان اثنين مـن الاندلسيين من قبله قد شرحاه ولم ير هـو فى شرحهما ما يشبع رغبته . واحد هذين الشارحين هو : ابو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف المتوفى بطليطلة سنة ٩٩٩م وشرحه اول شرح اندلسى وضع على كتاب الجمل . والثانى هو ابو سعيد فرج بن قاسم الغرناطى المتوفى سنة ١٠٦٢م . ولقد ظفر كتاب الجمل هذا بجانب كبير من عناية

المشتغلين بالنحو فى الاندلس على نحو لم يظفر به كتاب اخر من كتب النحو ، فشرحه كذلك بعد ابن السيد ثلاثة اندلسيون آخرون هم ابو الحسن على ابن محمد المعروف بابن خروف المتوفى سنة ١٢١٣م ، وابو الحسن على بن عصفور الاشبيلى المتوفى سنة ١٢٧٠م ، ثم ابو الحسن على بن محمد ابن على بن يوسف الاشبيلى المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة ١٢٨١م .

شرحه « سقط الزند » للمعرى

وقد درس ابن السيد أيضا ديوان سقط الزند للمعرى دراسة واعية ، ولم يرضه الشرح الذى وضعه المعرى نفسه لجانب من هذا الديوان والمعروف باسم ضوء السقط ، فشرحه هو شرحا فضله الكثيرون على شرح المعرى . وقد برهن ابن السيد فى ثنايا هذا الشرح على ثقافة لغوية واسعة والمام تام بشعر المعرى وبما نقحه من ابيات فى اخريات حياته مما كان قد انشاه فى مقتبل عمره ، وقد بذل فى هذا الشرح كثيرا من الجهد الذى لم يكن يخفى عليه منذ البداية حينما قال :

« سالتنى واصل الله لديك نواحي النعم ، ان اشرح لك سقط الزند من شعر ابى العلاء التنوخى المعروف بالمعرى ، وذكرت انك قرات « ضوء السقط » الموضوع فيه فلم تجده مستوفيا بجميع معانيه ، ورجوت ان تجد عنه ما يوافق مرادك ، ويطابق اعتقادك . ولعمرى انه لشعر قوى المبانى ، خفى المعانى . لأن قائله سلك فى مسلك الشعراء ، وضمنه نكتا فى النحل والآراء ، واراد ان يرى معرفته بالاخبار والانساب وتصرفه فى جميع انواع الآداب ، فاكثر فيه من الغريب والبديع ، ومزج المطبوع منه بالمصنوع ، فتعقدت الفاظه ، وبعدت اغراضه .. » .

وهكذا تتبين الجهد الذى بذله فى شرح هذا الديوان . وأهمية شرح ابن السيد لسقط الزند بالاضافة الى القيمة الادبية ترجع الى انه الشرح الوحيد الذى قام به اندلسى ، على الرغم من ان الاندلسيين قد اولوا عناية كبيرة لشعر ابى العلاء تفوق عنايتهم بما عداه من الآثار الادبية الشرقية ، وتوافروا عليه يتفهمون معانيه ، ويحفظون الكثير منه ، مما كان له اثره بعد فى الشعر الاندلسى بصفة عامة .

شرحه ديوان المتنبى

وبالاضافة الى توافر ابن السيد على ديوان سقط الزند ، فقد اولى كذلك ديوان المتنبى جانبا كبيرا من عنايته ، فدرسه فى اناة وتبصر ، ثم شرحه على نحو ما فعل فى سقط الزند . بيد ان مما يؤسف له ان هذا الشرح قد فقد مع ما فقد من كتبه الاخرى . ونستطيع ان نتصور ان ابن السيد قد بذل فى شرحه لديوان المتنبى جهدا لا يقل عما بذل فى شرحه سقط الزند لمكان المتنبى من الالمام باوابد اللغة ، ولتمثله فى بعض شعره ، وجنوحه الى الاغراب قصدا الى اظهار مقدرته وبراعته فى ميدان الشعر ، وهو القائل :

انام ملء جفونى عن شواردها
ويسهر الخلق جراها ويختصموا

شرحه كتاب
ادب الكاتب لابن قتيبة

ولم تقتصر دراسات ابن السيد على الشعر وحده ، فقد درس « ادب الكاتب » لابن قتيبة ثم شرحه كذلك ، وكان شرحه كثيرا ما يميل الى الجانب النحوى ، فقد اخذ نفسه بذلك فى المقدمة التى وضعها بين يدى شرحه حيث قال : « غرضى فى كتابى هذا تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكاتب ، وذكر أصناف الكتبة ومراتبهم ، وجل ما يحتاجون اليه فى صناعتهم . ثم الكلام بعد ذلك على نكت من هذا الديوان يجب التنبيه عليها، ثم الكلام على شكل اعراب ابياته ومعانيها وذكر ما يحضرنى من اسماء قائليها .. » .

والحقيقة انه بشرحه هذا قد وضع كتاب ادب الكاتب امام القارىء فى اكمل صورة واوضحها واضاف اليه مادة لغوية قيمة ، كما نبه فى الوقت نفسه الى بعض الاخطاء التى وقع فيها ابن قتيبة.

دراسات اخرى

ولم تقف دراسات ابن السيد وقراءاته عندما اوردناه فحسب ، فقد احتفظ لنا ابن خير الاشبيلى (١١٠٨ – ١١٧٩م) بطائفة اخرى من

الكتب التي درسها نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

ليعقوب بن السكيت : كتاب القلب والابدال ، وكتاب الاصوات ، وكتاب خلق الانسان ، وكتاب الاضواء .

ولابى الحسن على بن حازم اللحيانى : كتاب النوادر .

ولابى مقسم : كتاب النوادر ايضا .

ولثابت بن ابى ثابت : كتاب الفرق .

ولابى عبيدة معمر بن المثنى : كتاب الخيل ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب النقائض بين جرير والفرزدق . وللمفضل بن محمد : كتاب الامثال .

وللاصمعى والمفضل الضبى : كتاب اختيارات المفضل الضبى والاصمعى .

ولمحمد بن يونس الحجازى : كتاب المبرز فى اللغة .

ولابى على القالى : كتاب الامالى .

وينبغى ان نشير الى انجل دراسات ابن السيد كانت منصبة على الكتب المشرقية كما رأينا ، فهو وان لم يرتحل الى المشرق كما فعل غيره الا ان ثقافته فى جوهرها قد استمدت روافدها من ثمار القرائح المشرقية ، شانه فى ذلك شان رجالات الفكر الاندلسيين عامة الذين بلغ الامر بهم احيانا حد استظهار الكتب المشرقية ، كما فعل ابو محمد بن عبدون اليابرى المتوفى سنة ١٠٣١م الذى يروى عنه بانه كان يحفظ كتاب الاغانى ، والذى قال فى شانه ابو مروان عبد الملك بن زُهْر « هذا اديب الاندلس وامامها وسيدها فى علم الاداب . هذا ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ، ايسر محفوظاته كتاب الاغانى ، وما حِفظُهُ فى ذكاء خاطره وجودة قريحته ؟ » .

ابن السيد والدراسات اللغوية

من اهم الاثار التى خلفها ابن السيد فى مجال الدراسات اللغوية كتاب « المثلثات فى اللغة » وهو يقع فى مجلدين يضم الواحد منهما اكثر من ثلاثمائة صفحة من الحجم الكبير وهو تصنيف يدل على الجهد الضخم الذى بذله حتى تمكن من الاحاطة بمعظم الكلمات الثلاثية فى اللغة ، ثم ادار عليها دراسته بعد ان قسمها طوائف وفقا للاتفاق فى المعنى او الترادف او تقارب المعنى او التضاد . ونحن نعلم ان ابن السيد ليس اول من وضع كتابا عن المثلثات فى اللغة ، فقد سبقه الى ذلك ابو على محمد بن المستنير النحوى المعروف بقطرب المتوفى سنة ٨٢١م فقام باول عمل فى هذا الباب والف مثلثه ، الا ان ابن‌السيد رأى ان عمل قطرب هذا عمل ناقص فيه كثير من الخلل والاضطراب وعدم مراعاة الدقة مما دفعه الى الكتابة فى المثلثات متوخيا استكمال ما فات قطرب .

يقول ابن خلكان : « ان مثلثة قطرب تقع فى كراسة واحدة ، وقد استعمل فيها الضرورة وما لا يجوز وغلط فى بعضه .. » .

ولسنا نعرف احدا من الاندلسيين غير ابن السيد عالج هذا النوع من التاليف ، سواء منهم من سبقه او جاء بعده ، وذلك لما اشرنا اليه من ان الاندلسيين كانوا يعتمدون الاعتماد كله على ما وصلهم من المعاجم المشرقية ، ومن يقوم منهم بعمل فى هذا المجال فهو لا يعدو ان يكون تلخيصا لكتاب مشرقى ، كما فعل ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدى المتوفى سنة ٩٨٩م حيث وضع مختصرا لكتاب « العين » للخليل بن احمد ، وذلك باستثناء كتاب العالم الذى وضعه محمد بن ابان بن سيد اللخمى الاندلسى المتوفى سنة ٩٩٣م ، والمخصص فى اللغة لابى الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده المرسى المتوفى سنة ١٠٦٥م . ولم تقتصر جهود ابن السيد فى المجال اللغوى على تأليف كتاب المثلثات فحسب ، فقد الف كذلك كتابا فى « الفرق بين الحروف الخمسة » وهى : الظاء والذال والضاد والصاد والسين . وقد اشار ابن خير الاشبيلى الى هذا الكتاب فقال : «حدثنى به الشيخ ابو الحسين عبد الملك بن محمد بن هشام القيسى عن ابن السيد مؤلفه» يضاف الى ذلك ما عالج من المسائل اللغوية المتناثرة فى ثنايا شروحه التى اشرنا اليها آنفا ، ثم عشرات المسائل اللغوية التى اشتمل عليها كتابه « المسائل والاجوبة » .

جهوده فى مجال النحو

اما جهوده فى ميدان النحو فقد تعددت جوانبها . فهى تارة شروح نقدية كما فعل عندما شرح كتاب

« الجمل » للزجاجي ، وتارة اخرى تتخذ شكل مؤلف يصنعه كما نرى ذلك في كتابيه « الاسم والمسمى » و « المسائل المنثورة في النحو » . يضاف الى ذلك طائفة ضخمة من المسائل النحوية التي عرض لها اثناء شروحه التي وضعها لسقط الزند وغيره . ثم جملة من المسائل النحوية نجدها كذلك في كتابه « المسائل والاجوبة » ، بل ان جل ما في كتابه هذا من مسائل يكاد يتصل بمباحث النحو .

وفي معرض الحديث عن آثار ابن السيد في محيط الدراسات النحوية ينبغي الا ننسى العشرات بل المئات من تلامذته الذين اخذوا عنه النحو دراسة او مراسلة على ما بيناه من قبل .

كما لا ينبغي ان ننسى اثرا هاما من آثاره في محيط الاصلاح ، ونعني به ما بذله في سبيل اصلاح الدراسات النحوية وتحريرها مما علق بها من شوائب الفلسفة . ولقد يكون ابن السيد هو الاول من بين الاندلسيين الذي قام يدعو الى تخليص النحو من آثار التفكير الفلسفي الذي تغلغل فيه منذ ترجمت كتب الفلاسفة في المشرق فصارت جل مسائله تخدم العقل اكثر مما تخدم صلب اللغة ، ولعبت المباحث التي تركزت حول العامل وتقدير متعلقه محذوفا او مذكورا دورا هاما في هذا الصدد ، واصبح النحاة كثيرا ما يجنحون الى استعمال الاصطلاحات التي يستعملها اهل البرهان في مناقشاتهم، فتعقد النحو العربي وصعب تعاطي مسائله على المبتدئين والراغبين في دراسة قواعد العربية من الاجانب الذين لا يعرفون في لغاتهم نظائر للخلافات التي كثيرا ما تنجم بين النحاة العرب .

ولقد لقي ابن السيد في سبيل دعوته كثيرا من العنت ، وجر عليه ذلك مغاضبة الكثيرين من نحاة عصره . وبحسبنا ان نشير الى تلك الخصومة العنيفة التي نشبت بينه وبين ابي بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الملقب بابن باجه والمتوفى سنة ١١٣٨م حول اعراب بيت للشاعر كثير عزة . يقول ابن السيد : « جمعني مع رجل من اهل الادب ، يعرف بأبي بكر بن الصائغ . فنازعني في مسألتين من مسائل النحو . ثم جعل يكثر من ذكر المحمول والموضوع . ويورد الالفاظ التي يستعملها اهل البرهان ، فاخذت عليه انه يخلط المنطق بالنحو ، ونبهته الى ضرورة تحرير النحو من شوائب الفلسفة .. الخ » . وقد اتسعت دائرة هذه الخصومة اتساعا كبيرا ووقف الى جانب ابن السيد يؤيده جماعة من اصدقائه منهم الفقيه الاديب ابو محمد بن الاردش السرقسطي ، والاديب ابو محمد بن سفيان ، وتلميذه ابو نصر بن خاقان . ومع ان هؤلاء لم يكونوا من المشتغلين بالنحو الا انهم كانوا يؤمنون بضرورة ابعاد المسائل النحوية عن مجالات التفكير الفلسفي ، باعتبار ان الفلسفة قد تتسع مسائلها لضروب من الجدل لا تتسع لها مسائل النحو التي تخضع قبل كل شيء للنصوص المأثورة التي يستمد منها النحو قواعده .

وقد اصطدم ابن السيد كذلك باحد مشاهير النحاة في عصره ، وهو ابو عبد الله محمد بن خلصة الضرير المتوفى بعد سنة ١١٠٨م . ذلك بأن ابن خلصة لم ترقه دعوة ابن السيد الى وجوب المباعدة ما بين النحو والفلسفة ، وراح يشيع ان ابن السيد يعمل على القضاء على الدراسات النحوية . ولكن ابن السيد ألف رسالة مطولة فند فيها مزاعم خصمه . بيد ان دعوة ابن السيد هذه لم تثمر ثمارها المرجوة وماتت بموته وظل النحو على ما هو عليه الى يومنا هذا .

ومما يجدر ذكره ان الدراسات النحوية في الاندلس بوجه عام كانت امتدادا لمذاهب النحاة في المشرق ، وظل نحاة الاندلس يقتفون آثار البصريين او الكوفيين فلم يأتوا بجديد رغم اهتمامهم البالغ بدراسة النحو . ولقد رأينا من قبل انهم قد توافروا على الكتب المشرقية يلخصونها او يشرحونها منذ اوائل القرن التاسع الميلادي ، ثم صارت الكتب التي وضعها الاندلسيون في النحو بعد لا تخرج في جوهرها عما صنفه المشارقة من قبل . وان باحثا يتناول مناهج النحاة الاندلسيين في دراسة منهجية عميقة لسوف يدرك دون ريب ان المباحث النحوية في الاندلس لم تتوافر فيها المقومات التي يمكن معها القول بان في الاندلس مذهبا نحويا له خصائصه ومميزاته .

وبعد فهاهوذا ابن السيد في بعض جوانب شخصيته ، ولنا معه لقاء آخر كفيلسوف وفقيه . ■■

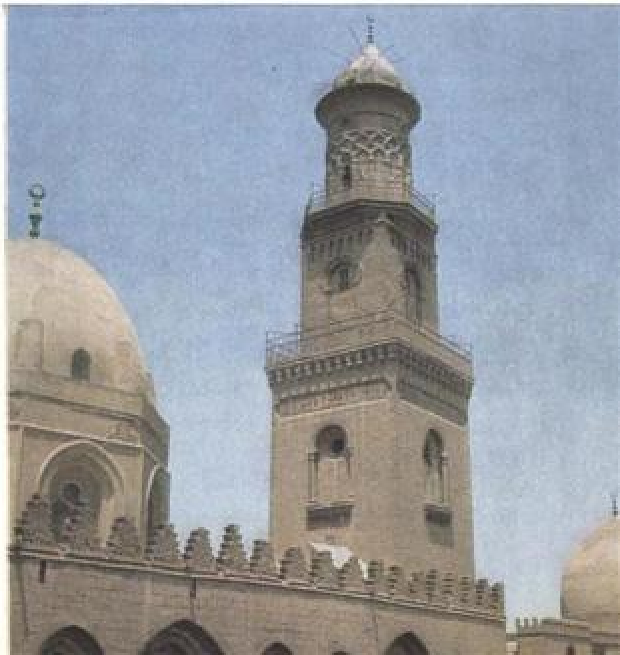
بغداد **محمد الأمين محمد**



شارع المُعِزّ لِدينِ الله

أملأ شوارع العواصم العربية بالآثار الإسلامية

بقلم : حسن عبد الوهاب



مئذنة وقبة ضريح السلطان منصور قلاوون



يعتبر شارع المعز من أكثر شوارع القاهرة ازدحاما
وهذه منطقة الغورية، التي هي جزء من هذا الشارع

تصوير
عبد الناصر شقرة

لا يكاد يوجد فى العواصم الاسلامية شارع أخطر ، ولا أعظم ، ولا أملأ بالتاريخ ، وبالاسواق والمساجد ، والمآذن والآثار ، لحقبة من الحقب الاسلامية الصميمة ، مثل شارع القاهرة المعزّية الفاطمية القديمة ، تلك التى أحاطتها الاسوار ، وكان لهذه الاسوار ابواب ، كان من أفخمها بناءً ، وأجملها رُواءً ، وابقاها على الدهر ، باب الفتوح ، فى شمال المدينة العتيقة ، وباب زويلة ، ويعرف اليوم بباب المتولى ، وهو فى جنوب المدينة ، وبين هذين البابين امتد شارع المعزّ هذا ، الذى اخترنا لوصفه رجلا من اعرف رجال الآثار بآثار المسلمين على ضفاف النيل .

ولقد امتد هذا الشارع ، فيما تلا من عصور ، حتى وصل من باب الفتوح الى الحسينية شمالا ، فالعباسية ، فمصر الجديدة ، ووصل من باب زويلة جنوبا الى سوق القربية ، فالخَيْمية ، فسوق السلاح ، وظل يمتد ويمتد مخترقا شارع محمد علي الى جامع ابن طولون ، فالسيدة زينب ، الى المذبح الذى وراءها ، فكان بذلك أطول شارع عرفناه فى المدن الاسلامية ، يقرأ زائره فى كل ركن فيه كتابا من التاريخ مسطورا .

« العربى »

■ شارع المعز لدين الله ، هو الشارع الاعظم لمدينة القاهرة الفاطمية ، عُرف بشارع القاهرة وقصبتها ، واخيرا اطلق عليه اسم المعز لدين الله فى سنة ١٩٣٧ تكريما لمنشىء القاهرة .

وهذه التسمية ضمت أسماء أخطاط وأسواق ، منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث .

وتمتد تلك التسمية من باب الفتوح الى باب زُوَيْلة ، وقد شملت شوارع : باب الفتوح ، أمير الجيوش ، النحاسين ، بين القصرين ، الصاغة ، الاشرفية ، الشوَّايين ، العقادين ، المناخلية والمنجدين ، السكرية الى باب زويلة .

ولم تكن تلك المسميات كلها ، ولا الاسواق التى أنشئت فيها ، موجودة عند انشاء القاهرة ، لأن القاهرة عند انشائها كانت مخصصة لسكنى الخليفة . وفيها القصران الكبير والصغير ، فعرف الشارع الذى بينهما باسم « بين القصرين » .

وكان بها ملحقات القصور ودواوين الحكم ودار العلم ، وكان يسكن بها خاصة الخليفة وجنود القبائل الوافدين مع جوهر القائد الى مصر .

تجديد أسوار القاهرة وأبوابها

وكان طول هذا الشارع عند تخطيط القاهرة دون هذا . فقد كان محصورا بين حارة الروم من الجنوب ، حيث كان باب زويله ، وبين حارة بهاء الدين (بين السيارج) من الشمال حيث كان باب الفتوح . وكان جامع الحاكم بأمر الله خارج القاهرة . فلما جدد بدر الجمالى ، وزيرُ الخليفة المستنصر بالله ، أسوار القاهرة وأبوابها سنة ٤٨٠ الى ٤٨٤ هـ (١٠٨٧ الى ١٠٩١ م) وسعها من الحدين الشمالي والجنوبي ، فصار جامع الحاكم داخل القاهرة ، ومثله المنطقة من حارة الروم الى باب زويله الحالى وقد كان الباب الاول عند حارة الروم .

ومنذ هذا الوقت ابيحت السكنى فى القاهرة للاهالى . وانشئت بعض الاسواق فى الشارع الاعظم ، واولها سوق الشوَّايين فى الجنوب. وبعد ان قضى صلاح الدين على الدولة الفاطمية ، تلاحقت فى الشارع الاعظم الاسواق المخصصة لمختلف السلع والتجارات والصناعات ، كما انشئت فيه القصور والمساجد .

● شارع المعز لدين الله



ويصف الاسواق المتلاحقة فى الشارع الاعظم ، تقي الدين المقريزى مؤرخ مصر ومحتسبها حسب مشاهدته لها فى القرن الخامس عشر الميلادى بقوله :

« وقد ادركت هذه المسافة باسرهـا ، عامرةً الحوانيت ، غاصّة بانواع المآكل والمشـارب والامتعة ، تبهج العينَ رؤيتها ، ويعجز العادُ عن احصاء ما فيها من الاشخاص . وسمعتُ الكافة ممن ادركت يفاخرون بمصر سائر البلاد ويقولون : يرمَى بمصر فى كل يوم ألفُ دينار ذهباً علـى الكيمان والمزابل . يَعنُون بذلك ما يلقى عليها من الشقاف الحُمْر التـى يستعملهـا اللبّـانون والجبّانون ، والمختلفة من حوانيت الطباخين ، هذا عدا ما يلقى من ورق البضائع وخيوطها .

ومن كثرة عمران هذا الشارع والاقبال عليه ، ان الباعة كانوا يعرضون سلعهم فى الطريق على طول الشارع ، وكان رجال الشرطة يطاردونهم بين اونة واخـرى ، لتضييقهم الطـريق ومزاحمتهم لاصحاب الحوانيت » .

والمقريزى لم يكن وصفه هذا للشارع فى القرن الخامس عشر الميلادى فحسب ، بل هو وصفه لما كان عليه منذ القرن الثالث عشر الميلادى . قال :

سوق باب الفتوح : كان من اعمر الاسواق ، عامرا بحوانيت الجزّارين والخضَريّين وغيرهم .

سوق المرحّلين : برأس حارة بهاء الدين (بين السارج) معمور الجانبين برحّالات الجمال وسائر ما تحتاج اليه خصوصا فى موسم الحج .

سوق خان الروّاسين : على رأس سُوَيقة امير الجيوش ـ كان مملوءا بأنواع المأكولات (وخاصة لحمة الراس) .

سوق حارة برجوان : من الاسـواق القديمة الحافلة بأنواع الاطعمة . عرف قديمـا بسوق امير الجيوش . ثم عادت اليه التسمية .

سـوق الشمّاعين : كان مخصصـا لبيـع الشموع ، ما بين موكبية وفانوسية . وكان يَرُوج فى شهر رمضان ، وموسم الغِطاس ، وتستمر حوانيته منفتحة الى منتصف الليل .

سوق الدجّاجين : يلى سوق الشمّاعين . وكان يباع فيه الدجاج والأوز والعصافير ، عدا الطيور المغرّدة والملونة ، وكان التنافس فى اقتنائها عظيما . وكان فيه أيضا سوق الكتبيّين .

سوق بين القصرين : هذا السوق أعظم اسواق الدنيا . أُحدث بعد زوال الدولة الفاطمية . وكان فيه سوق السلاح ، وكان مخصصا لبيع القِسِى والنُشّاب والزَرَد ، وعلى جانبيه حوانيت الصيارف وكان يجمع بين أنواع التجارات والمطاعم والفواكه ، ومجالس العلم ، واللهو . فكان بعد انفضاض الاسواق نهارا يحول ليلا الى اندية ويخرج اليه سكان القاهرة للاستمتاع باضاءته ومباهجه .

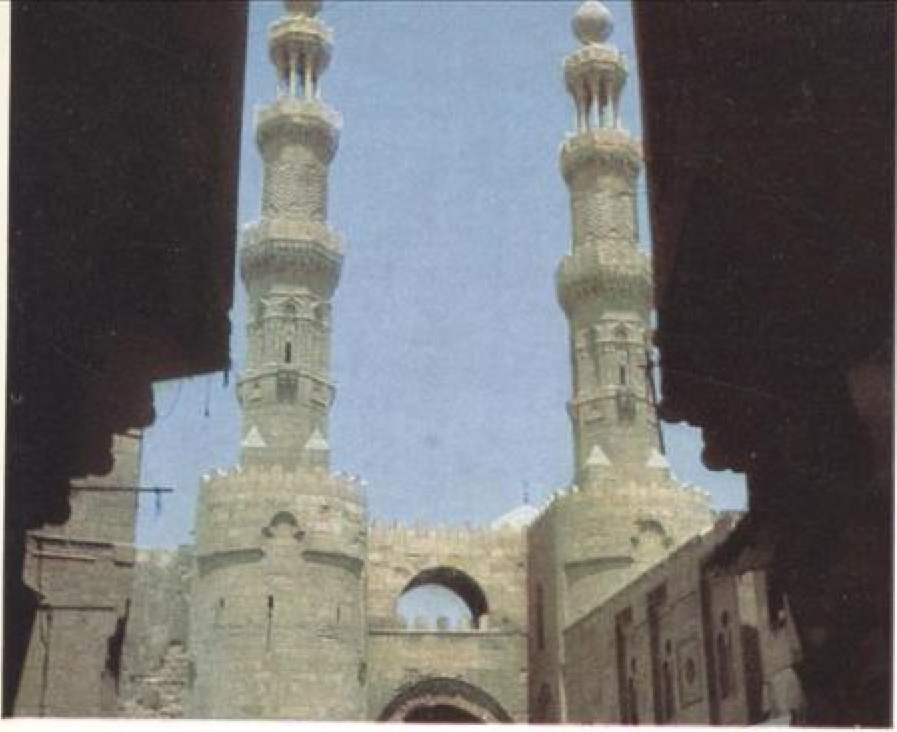
وكان فيه أيضا سوق القفَصيات تحت شبابيك قبة المنصور قلاوون ، حيث كان الصاغة يعرضون فى اقفاص الحديد الزُخرُفى أنواع الحُلى .

سوق الصاغة: كان متصلا بسوق القفَصيّات، وحوله سوق الأمشاطيين، وتجار أنواع المكسّرات.

سوق الهاميز : وكانت الهاميز تتخذ من الذهب

شارع المعز لدين الله مبتدئا من باب الفتوح شمالا الى باب زويلة ـ بوابة المتولى ـ جنوبا وهو املأ الشوارع العربية بالآثار الاسلامية .

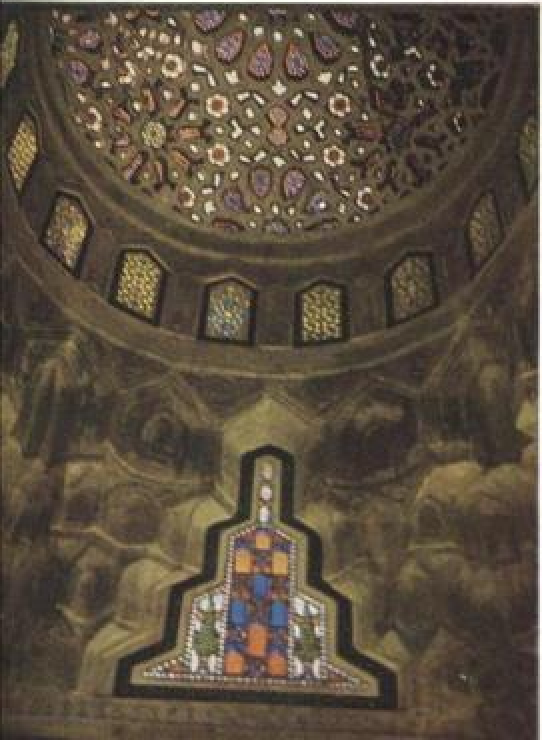




باب زويلة ، احد ابواب القاهرة القديمة،بمئذنتيه الخاصتين بمسجد
المؤيد ... ويعود تاريخ بناء هذا الباب الى عام ٤٨٢ هـ ١٠٩١ م.



منارتا جامع الحاكم بأمر الله ، بباب الفتوح



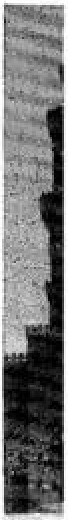
قبة جمال الدين ، بالحوش الداخلى لمنزل السحيمى



يعتبر بيت السحيمى من المنازل القليلة التى مازالت محتفظة بطابعها القديم . وقد شيد هذا المنزل عام ١٠٥٨ هـ ١٦٤٨ م ويقع وسط شارع المعز لدين الله، فى منطقة الدرب الأصفر . ويستعمل اليوم كمتحف عام . وهذه صورة حديقته الداخلية ، التى تطل عليها شرفات ومشربيات البيت



الى اليسار : يبدأ شارع المعز من عند باب الفتوح . وهذا الباب من أجمل بوابات القاهرة القديمة .. وفى الليل تسلط عليه الأضواء الكهربائية لابراز جماله ..



أو الفضة المطعّمة بالذهب ومثلها رشمات الخيل المطعّمة بالمينا والذهب والفضة .

ويتصـــل بهذا السوق ســـوق اللّجميين والسروجية . وكان مخصصا لبيع لجُم الخيل وما يتعلق بها .

سوق الجوخيين : لبيع أنواع الجوخ الاجنبية .

سوق الحلاويين : كان يلى سوق الجوخيين ، وكان حافلا بأنواع الحلويات بأشكالها المختلفة .

سوق الشوائين : وكان قريبا من حارة الروم يليه ســوق الفرابليين والمناخليــة فالخلعيين صانعى الأكسية الى باب زويلة » .

مساجد ومدارس وقصور

وتخلل تلك الاسواق المساجد والمدارس والقصور المنشأة فى العصر الفاطمـــى والايوبى والمملوكى والعثمانى والعصر الحديث ـ غير أن تلك الأسواق منها ما زال محتفظا باسمه وصناعاته وتجاراته ومنها ما تغير ، وهذا ما سنشير اليه ابتداء من :

باب الفتوح ـ باب الاقبال

هذا الباب الضخم الفخم من انشاء الوزير بدر الجمالى سنة ٤٨٠ هـ ١٠٨٧م . ويتصل به سور القاهرة الذى يربط بينه وبين باب النصر ، والذى يمتد شرقا وغربا . ويلحظ فى هذا العظمة وقوة التحصينات ، وجمال النقوش فى عقده والكوابيل فوقه ومنها ما هو على شكل رأس كبش .

وكان لهذا الباب تقاليد منذ الدولة الفاطمية . فكان اذا قدم رسول ملك الروم يدخل من باب الفتوح ويقبل الارض وهو ماش الى أن يصل الى القصر . وكذلك يفعل من غضب عليه الخليفة فانه يخرج من باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث طالبا عفو امير المؤمنين والاذن له بالسير الى القصر .

وفى عصر الأيوبيين ، ثم فى دولتى المماليـــك ، كان السلطان اذا استقر فى سلطنة مصر يلبس خِلْعَة السلطنة بظاهر القاهرة . ويدخل من باب الفتوح راكبا ، والوزير فى ركابه ، وهو حامل عهد السلطان الذى كتبه له الخليفة بسلطنة مصر ، والأمراء والعساكر مشاة حوله ، شاقا شارع القاهرة الى أن يخرج من باب زويله فيركب الأمراء وبقية العسكر .

وكان مُحْتَسِب القاهرة يخص هذا الشارع بعناية فائقة من الاشراف على النظافة وتنظيم المرور فيه واضاءته وحراسة متاجره .

جامع الحاكم بامر الله

باجتياز باب الفتوح يطالعنا جامع الحاكم بأمر الله الذى انشأه الخليفة العزيز بالله سنة ٣٨٠ هـ ، ٩٩٠م . وأتمه ابنه الحاكم بأمر الله ، وافتتحه للصلاة سنة ٤٠٣ هـ ، ١٠١٢ م . وهو وان كان طرأ عليه تخريب كثير الا أن الزمن ابقى على بابه الكبير بزخارفه ، وعلى قسم كبير من ايوانه الشرقى بعقوده وشبابيكه الكوفية وبقايا قبابه . كما ابقى على منارتيه المعتبرتين من اقدم المنارات فى مصر ، وقد حفلتا بالزخارف والكتابات الكوفية .

اما قمتهما فقد امر بعملهمـــا الأمـــير بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠٣ هـ ، ١٣٠٣ م ، عند اصلاحه للجامع عقب زلزال سنة (٧٠٢ هـ ، ١٣٠٢م) . وهى دخيلة على الجامع ومشوِّهة له .

الأسواق حول جامع الحاكم بامر الله

وكان سوق باب الفتوح فى الساحة امام الجامع . وقد تغيرت اوضاعه وتجاراته فى مختلف العصور ، وخاصة فى القرن الثامن عشر الميلادى ، فقد انشئت لِصقَ واجهـــة الجامع ، وفى الســاحة امامه ، وكالات جمعت تجارات مختلفة وصناعات ، ثم تركزت فيه تجارة الليمون وعرف بســـوق الليمون ، ويباع فيه الزيتون ايضا ، كما خصصت فيه وكالات لبيع الثوم والبصل وما زالت باقية .

وكانت احدى الوكالات مخصصة لصناعة الزجاج .

اما سوق المرحلين فمحله الآن بقية سوق باب الفتوح الى اول شارع امير الجيوش . وقد خلا من أدوات الجمال وترحيلها ، كما خلا ايضـا سوق خان الرواسين وحل محلهما بقية سوق الليمون . وكان هناك سوق الامشاطيين ـ لصناعة الأمشاط ، والى وقت ليس ببعيد كانت هناك بقية من حوانيتهم برأس شارع أمير الجيوش .

كل هذا تغير ، وبعد أن كان سوق حـــارة برجوان مخصصا لبيع الأطعمة وفيه خان لصقل الورق حل فيه منـــذ القرن التاسع عشر تجار الأقمشة ، ومنهم بقية ، بجوارهم تجار النحاس ، وباعة الورق والكتب المهلة بالوزن .

« دار العلم » وبيت المقريزى

وفى هذا الحى انشىء مسجد سليمان اغا السلحدار سنة ١٢٥٥ هـ ، ١٨٣٩م ، وملحق به سبيل له شبابيك نحاسية جميلة ، ويطلق عليه الآن شارع امير الجيوش .

وكان يلاصق الجامع مدخل حارة برجوان ، وقصر السلحدار الذى حل محل دار العلم القديمة التى انشاها الحاكم بامر الله . وكان بهذه الحارة منزل مؤرخ مصر العلامة تقى الدين المقريزى وقد هدم قصر السلحدار وانشىء محله المدارس والمنازل على الطراز الحديث .

وامام هذه الحارة حارة الدرب الاصفر ، وكان بها فى العصر الفاطمى المنحر الذى كان الخليفة الفاطمى يفتتح فيه ذبح الأضاحى عقب صلاة عيد الأضحى لتوزيعها على الفقراء .

وكان به رباط البغدادية الذى انشأته السيدة تركان خاتون ابنة الظاهر بيبرس البندقدارى سنة ٦٨٤ هـ ، ١٢٨٥ م . وكان بمثابة دار كفالة للمراة ، تقيم فيه الفقيرات والمطلقات حتى يتزوجن او يَعُدن الى ازواجهن تحت اشراف سيدات يشرفن عليهن وعلى تثقيفهن .

منزل السحَيْمى

وبالحارة الآن منزل السحيمى . وهو من الدور القديمة التى احتفظت بجميع تفاصيلها وهو يرجع الى عصرين . فالقسم القبلى منه وبه المدخل الرئيسى وما يتصل به من مقعد وقاعات من انشاء الشيخ عبد الوهاب الطبلاوى سنة ١٠٥٨ هـ ، ١٦٤٨م ، ـ والقسم البحرى من المنزل وبه التختبوش وبه القاعة الكبيرة من انشاء الحاج اسماعيل شلبى سنة ١٢١١ هـ ، ١٧٩٧م . وبه القاعة الارضية ذات الفسقية الرخامية النادرة ، والحجرة العلوية المكسوة جدرانها بالقاشانى .

وبالحديقة الداخلية من المنزل ساقية وطاحونة.

وعرف المنزل باسم السحيمى نسبة لآخر اسرة كانت تسكنه . واخيرا نقلت الى الحديقة الداخلية قبة عرفت بقبة جمال الدين ، ترجع الى القرن السادس عشر الميلادى ، تعتبر فريدة فى طرزها ، فقد فرشت القبة بتقاسيم هندسية ملئت بجبس مزخرف مملوء بالزجاج الملون .

سوق الشماعين

ومن باب الدرب الأصفر الى ما بعد الجامع الاقمر كان سوق الشماعين . وكان من اجمل الاسواق باضاءته وما كان يعلق فيه من فوانيس الشمع ، ومنها نشأة فكرة فوانيس رمضان .

وقد ضاعت معالم هذا السوق بل ضاعت معالم الشارع ، وطغت عليه المنشآت الحديثة بطرزها المنفرة ، ولم يبق فيه سوى جامع الاقمر الذى انشاه الخليفة الفاطمى الآمر باحكام الله سنة ٥١٩ هـ ، ١١٢٥ م . وهو من مفاخر العمارة الفاطمية وتعتبر واجهته الغربية وحيدة فى طرزها بما حوته من نقوش وكتابات كوفية .

وكما ضاعت معالم سوق الشماعين ضاعت ايضا معالم سوق الدجاجين الذى كان يليه وحلت محله مساكن وعمارات حديثة وحوانيت لتجارة الخيش ، وانتقلت تجارة الطيور المغردة والعصافير الملونة الى شارع ٢٦ يوليو والى شارع عبدالعزيز فى القاهرة الحديثة . ويطلقون على هذا الشارع الآن شارع النحاسين .

فى شارع بين القصرين
قصران كانا من عجائب الدنيا ،

يبتدىء هذا الشارع من سبيل وكتاب عبدالرحمن كتخدا ، المتوسط للشارع ، وهو من اجمل الاسبلة ، انشاه الامير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٥٧هـ ، ١٧٤٤م . وقد كسيت واجهاته بالرخام الملون والنقوش وكسيت جدران السبيل من الداخل بالقاشاني . وبه صورة الكعبة وما حولها.

وقد عرف هذا الشارع بهذه التسمية لتوسطه بين القصرين الفاطميين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير، وكانا من عجائب الدنيا عمارة وفنا ، وفيهما تجلت حضارة الدولة الفاطمية التى بهرت العالم بما حوته خزائن قصورهم من الطرائف والتحف .

ولما قضى صلاح الدين على الفاطميين وتبددت ثرواتهم انشئت محل القصور المساجد والمدارس والاسواق بينهما، ثم جددت التسمية للمرة الثانية حينما انشا الامير بيسرى قصره على رقعة من ارض القصر الصغير سنة ٦٥٩هـ ، ١٢٦٠م ، وانشا امامه الامير بشتاك قصره سنة ٧٣٥ هـ ، ١٣٣٥م . صار اسمه من جديد شارع ما بين القصرين .

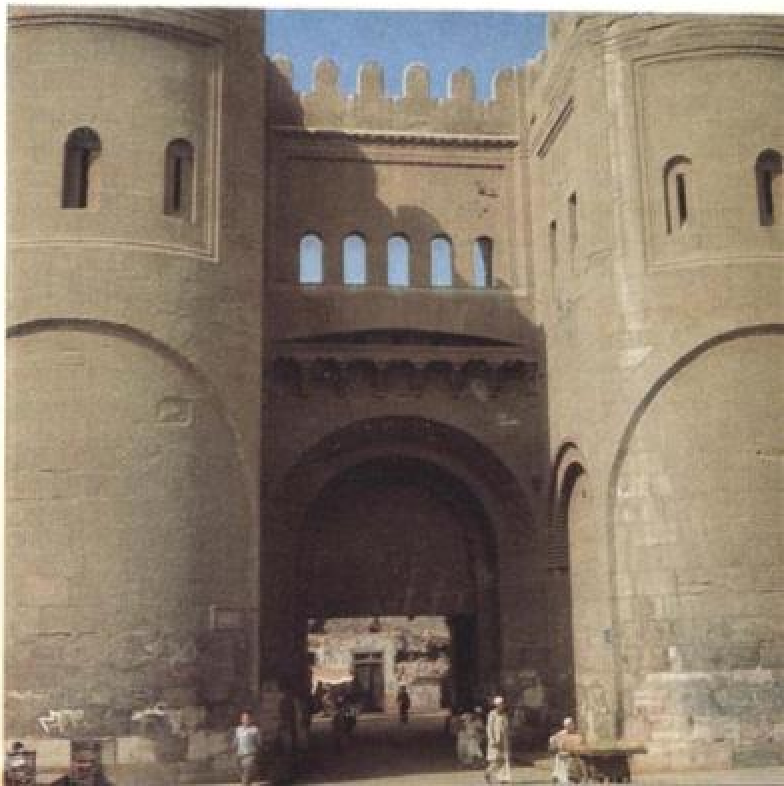
وقد حل محل القصر الكبير الشرقى منشآت هى ، قصر الامير بشتاك ولعله اقدم قصر مملوكي احتفظ ببقاياه بمصر ، وله واجهة شاهقة الارتفاع،





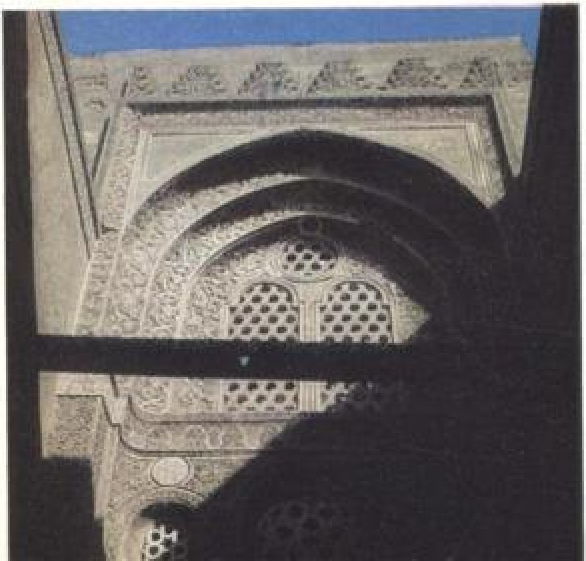


محراب قبة السلطان قلاوون ، من أروع أعمال الفسيفساء فى العمارة الاسلامية .. ولكنه للأسف جمال قابع فى الظلام ، لا يراه الزائر العادى الا جزئيا ، على ضوء الشموع التى يوقدها حارس المكان !!

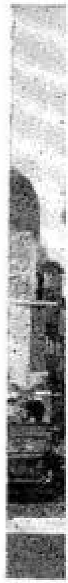


الى اليمين : ما زالت ثلاث من بوابات القاهرة القديمة قائمة حتى اليوم .. انها بوابات زويلة والفتوح والنصر .. وبين البوابتين الأولين يمتد شارع المعز لدين الله الفاطمى .. ونرى هنا باب الفتوح ببرجيه الكبيرين .. ومما يذكر أن موقع هذا الباب قد تغير ونقل من مكانه الأصلى الى هنا فى عهد « بدر الجمالى » ، الذى جدد سور القاهرة عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) .





تمتاز العمارات التاريخية فى شارع المعز لدين الله بتنوع فن الهندسة الاسلامية فيها .. فمرة زخارف جصية تشهد للمصريين بالنبوغ والابداع .. (الصورة اليسرى) ومرة صناعة الرخام لعمل أعمدة المساجد .. ومرة لتغطية الجدران بالفسيفساء الملونة البديعة .. ومرة صناعة الخشب المزخرف لصناعة منابر منه .. ان شارع المعز يخفى ثروة من أندر ثروات فن العمارة الاسلامية ، التى هى فى أشد الحاجة لجلوها حتى يلمع معدنها .



وبقي مدخله الشرقي وعليه رنك المنشيء وقاعة كانت حافلة بالوزرات الرخامية الدقيقة المطعمة بالصدف ، وبها سقف منقوش ملون .

سبيل النحاسين

وكان بجواره سوق السلاح ، وقد حل محله الآن خان كبير لبيع النحاس . وبجواره سبيل النحاسين الذي انشاه محمد علي باشا سنة ١٢٣٨هـ ١٨٢٢ ، وهو سبيل مستدير حفلت واجهته بالرخام المنقوش والشبابيك النحاسية المفرغة .

ثم شارع بيت القاضي الذي شطر المدرسة الظاهرية التي أنشاها الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٦٢هـ ١٢٦٣م وباق منها بقايا عليها رنكه (الاسد) .

وبجوار المدرسة الظاهرية قبة الصالح نجم الدين قاهر الصليبيين في المنصورة ، تلك الموقعة التي اسر فيها لويس التاسع ، والتي شيدتها له زوجته شجر الدر سنة ٦٤٨هـ ١٢٥٠م .

اول مدرسة انشئت للمذاهب الأربعة

وبجوارها بقايا المدارس الصالحية التي انشاها الصالح نجم الدين سنة ٦٤١هـ ١٢٤٣م ، وهي اول مدرسة أنشئت للمذاهب الاربعة ، وما زالت تحتفظ بواجهتها الغربية وبمدخلها الفخم والمنارة فوقه .

اما القصر الصغير الغربي فقد حلت محله المدرسة الكاملية (دار الحديث) التي انشاها الملك الكامل سنة ٦٢٢هـ ، وجدد انشاءها بالشربيات بواجهتها الامير حسن شعراوي سنة ١١٦٦هـ ١٧٧٥م وحمام اينال سنة ٨٦١هـ ١٤٥٦م.

ومدرسة الظاهر برقوق سنة ٧٨٨هـ ١٣٨٦م ، وهي اول مدرسة انشئت في دولة المماليك الجراكسة ، امر بانشائها الملك الظاهر برقوق سنة ١٣٨٦م ، وهي مدرسة حافلة بانواع الزخرف ولها منارة ضخمة طعم بدن دورتها الثانية بالرخام ، وطعم بابها النحاسي بالفضة ، وسقف ايوانها الشرقي الكبير من رقعة واحدة مذهبة ملونة ، وبها درس ابن خلدون .

وايضا مدرسة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م وعلى مدخلها باب الكنيسة الذي احضره الاشرف خليل من عكا بعد مطاردته للصليبيين سنة ٦٩٠هـ ١٢٩٠م . ويقوم فوقه منارة جميلة بالزخارف الاندلسية .

ثم قبة ومدرسة وبيمارستان (مستشفى) المنصور قلاوون . تلك المجموعة العظيمة التي انشاها المنصور قلاوون سنة ٦٨٤هـ ١٢٨٥م ، وقد جمع محاسن العمارة ، والناظر الى هذه المجموعة يرى منظرا من اروع المناظر الاسلامية بالقاهرة ، فقد اشتملت الواجهة على عقود محمولة على عمد رخامية وشبابيك مفرغة باشكال هندسية ، وعلى طرفها البحري المنارة الكبيرة وقد جدد انشائها ابنه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣هـ ١٣٠٣م كما انشا السبيل بواجهة المدرسة .

والقبة من الداخل غنية بمختلف الفنون ، فقد كسيت جدرانها بالرخام الدقيق المطعم بالصدف ، ونقشت وذهبت سقوفها ، وبها محراب رخامي دقيق من أكبر وافخم المحاريب .

ومن أرضية هذه القبة الى قمتها ، لا نرى الا لونا زاهيا وتذهيبا براقا . اما البيمارستان فلم يبق منه سوى ايوانين متقابلين ، ومن وصف المؤرخين له وحجة وقفه عرفنا انه كان مستشفى كاملا ومدرسة للطب خصص لعلاج جميع الامراض.

وفي سوق بين القصرين الآن تجار النحاس وادوات الترجلة .

الصاغة وخان الخليلي

اما الصاغة فانها ما زالت في مكانها ، وتلاشى منها سوق الهاميز وسوق اللجميين . وهي تشغل أيضا الحارات المتفرعة منها ، فهي مشحونة بمصنّاع الحلي والاحجار الكريمة ، والطلائين ، ويتفرع منها ايضا خان الخليلي .

وبنهاية الصاغة جامع المطهر الذي جدد انشاءه الأمير عبد الرحمن كتخدا سنة ١١٥٧هـ ١٧٤٤م وكان قبل ذلك المدرسة الصوفية التي انشاها صلاح الدين للسادة الحنفية وعرفت وقتئذ بالسيوفية حيث كان سوق السيوفيين على بابها.

مسجد الأشرف برسباي

وباول شارع الاشرفية مسجد الاشرف برسباي، انشاه الملك الاشرف برسباي سنة ٨٢٩ هـ ١٤٢٥م وهي السنة التي فتح فيها قبرص ، وانتهز تلك المناسبة وعلق خوذة مليكها على باب المدرسة تذكارا لهذا النصر .

وما زال السوق حولها محتفظا بتجاراته ، فسوق العنبريين الذي انشاه المنصور قلاوون

سنة ١٢٨٠م ما زال موجودا بجوار الجامع ، وسوق الصنادقيين ما زال موجودا امام المسجد ، والمنطقة حوله عامرة بحوانيت العطارين وباعة العطور ، كما ان سوق العنبريين يتصل به تجار الاقمشة الصوفية والجوخ .

جامع الغورى

وعلى راس شارع الغورى جامع الغورى ومنشاته التى انشاها سنة ٩١٠هـ ١٥٠٤م ، ولا شك فى ان هذا الجامع تحفة عصره ، فقد عنى به عناية بالغة كما افرط فى زخرفته افراطا اخرجه من وقار المساجد الى بهرجة القاعات . وانشا تجاهه مدرسة وسبيلا وكتابا اتفقوا مع المسجد طولا وعرضا وزخرفا ، فهنيئا لمن يمر بينهما فرصة المتعة بجو فنى يملأ النفس روعة وجلالا .

سوق الغورية

وهذا الشارع من اعرق أسواق القاهرة ، وقد حرص على تجاراته وصناعاته منذ القرن الخامس عشر الى الآن ، اذ يقطن به تجار الحرير ، والخياطون وصانعو كسوة التشريفة للعلماء ، والعطارون وتجار الاقمشة .

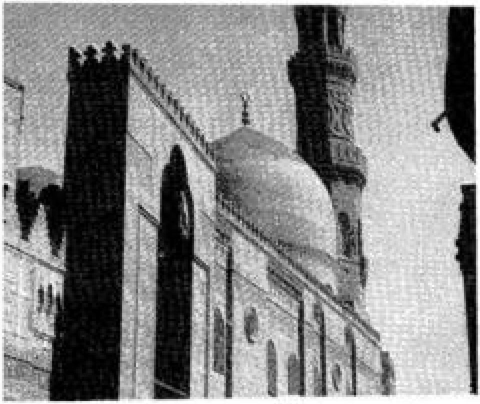
ويلي هذا الشارع سوق الشوايين ، وهو من اقدم الاسواق ، وكان فى القرن الرابع عشر به شواءو اللحم . وهو ما زال محتفظا بمشهورين منهم . وبقية الشارع به تجار الاقمشة .

سوق العقادين

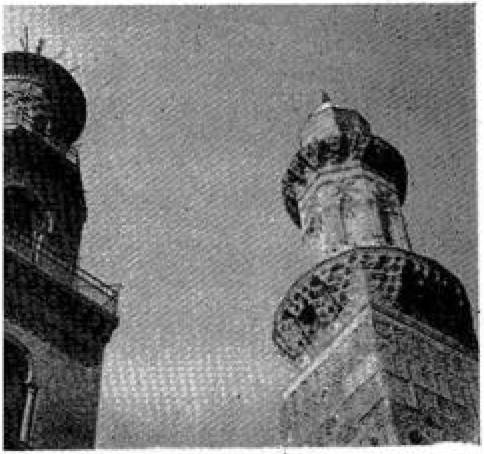
ويلى الشوايين سوق العقادين وهو قديما بقية الشوايين وبه الآن جامع الفكهانى الذى انشاه الخليفة الفاطمي الظاهر بنصر الله سنة ٥٤٣هـ ١١٤٨م وجدد انشاءه أحمد كتخدا الخربوطلي سنة ١١٤٨هـ ١٧٣٦م . وما زال محتفظا بمصاريع أبوابه الفاطمية .

وحول الجامع سوق العقادين وتجار القصب والتلى (خيوط فضية) ، وينتهى الى « سبيل العقادين » الذى انشاه محمد علي باشا سنة ١٢٣٦هـ ١٨٢٠م والحق به مدرسة تخرج منها صفوة من رجال مصر .

وقديما كان يتوصل من هناك الى سوق المعازف وبه حوانيت صناع آلات الطرب ومقر سكنى المطربين والمطربات . ومقرهم الآن ليس ببعيد فقد

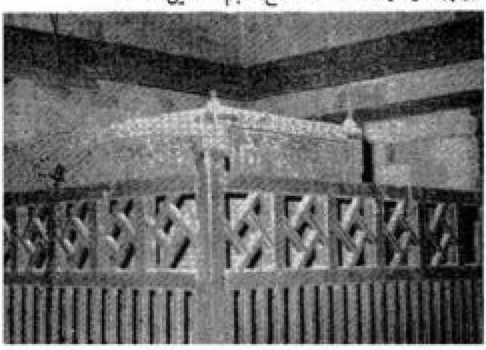


مدرسة ومسجد الظاهر برقوق أول ملوك الجراكسة ، ويرجع تاريخ البناء الى عام ٧٨٦هـ (١٣٨٤ م.)

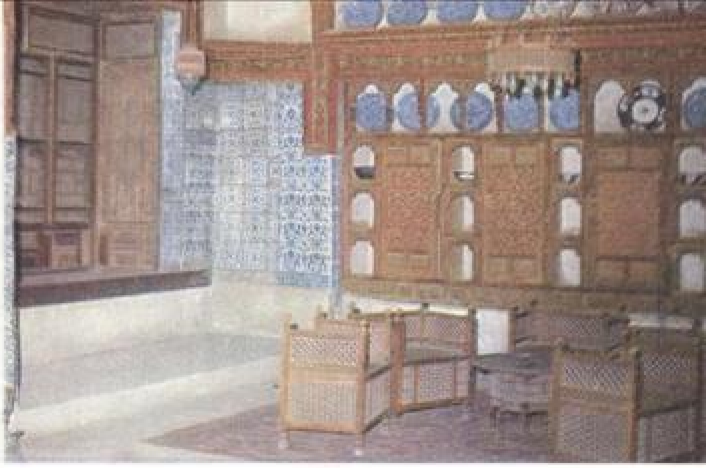


مئذنتا مدرسة المنصور قلاوون ، والناصر محمد .. انهما من أروع الآثار الاسلامية فى شارع المعز

الى أسفل : مقبرة الملك الصالح نجم الدين ايوب أنشأتها الملكة « شجرة الدر » ليدفن بها زوجها وسيدها « الصالح نجم الدين » .

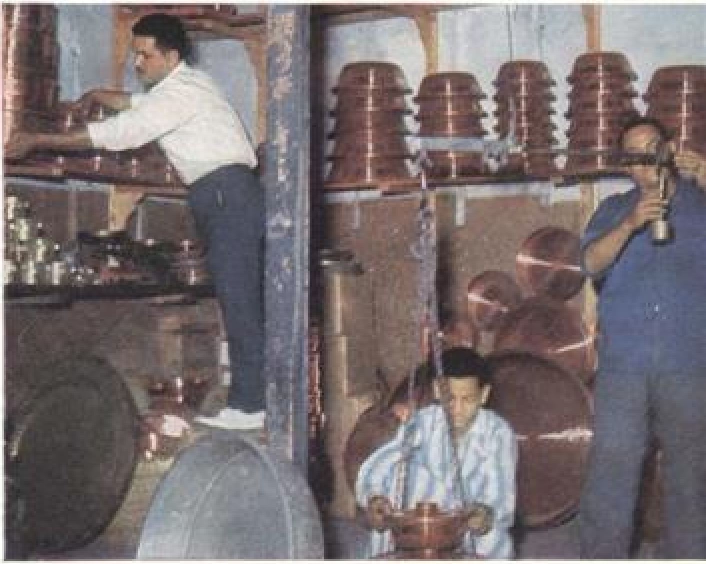


الى اليمين : تضم حجرات متحف بيت السحيمى مجموعة من الأوانى الخزفية والأثاث الخشبى المشغول الذى كان يستعمل منذ ٣٠٠ عام فى القاهرة ..



الى اليسار : وكالة السلطان ابو النصر قايتباى الجركسى .. انها بمثابة فندق كان ينزل فيه المسافرون ، ويضم ١٥ حجرة .. وهوملاصق لسور القاهرة بجوار باب النصر.

الى اليمين : كان سوق النحاسين من أكثر الأسواق حركة فى شارع المعز لدين الله .. أما اليوم فقدخفت الحركة فيه بعد أن حل الألومنيوم مكان النحاس فى صناعة الأوانى والحلل.



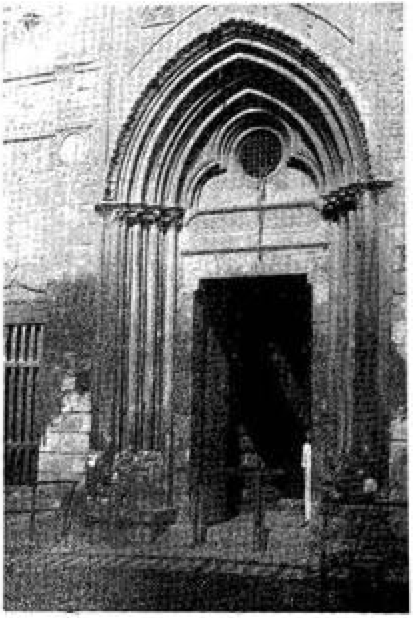
الى اليسار : ما تكاد تعبر باب زويلة حتى تخرج من شارع المعز لدين الله فيقابلك سوق الخيامية حيث تصنع وتباع أقمشة الخيام .. أن الخيامية هى امتداد طبيعى لشارع المعز.

الى اليمين: ٧٠ عاما مضت على الحاج على عبدالغنى أحمد ، وهو جالس أمام متجره فى حى الشماعين ، يصنع الشموع ويلونها ويبيعها .. انه قطعة من تاريخ هذا الشارع الأثرى .









باب مدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين وهو منقول من كنيسة بعكا

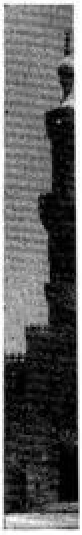


باب الفتوح أحد أبواب القاهرة فى حدها الشمال

استوطنوا شارع محمد علي من العتبة الخضراء الى باب الخلق .

سوق المقربلين

وفيما بين حارة الروم وجامع المؤيد سوق المناخلية والقرابليين وهما من الاسواق القديمة وما زال منهما بقية بجانب النجدين . وفى سوق النجدين سوق الخلعيين (سوق المؤيد) لبيع الاثواب القديمة . وقديما كان هذا السوق قريبا جدا من موقعه حيث كان تجاه جامع المؤيد بين قيسارية الفاضل التى كانت مخصصة لبيع شوار العرايس ، وبين زويله . وقد حل محل قيسارية القاضى الفاضل حمام المؤيد (وكان حمام الفاضل) ووكالة وسبيل نفيسة المرادية سنة ١٢١١ هـ ، ١٧٩٦م . وقد جمعت تلك الوكالة وما بها من حوانيت تجار الشمع والمكسرات والاقمشة والسكر فعرف السوق بالسكرية .



مسجد المؤيد ، فخر مساجد المماليك الجراكسة

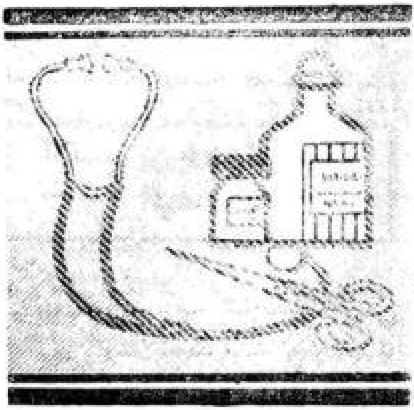
وفى نهاية هذا الشارع مسجد المؤيد ، وهو فخر المساجد المنشأة فى دولة المماليك الجراكسة، أمر بانشائه الملك المؤيد شيخ المحمودى حيث شرع فى بنائه سنة ٨١٨هـ ، ١٤١٥م . والى أن توفى سنة ٨٢٤هـ ، ١٤٥١م ، لم تكن قباب المسجد كملت فدفن تحت القبة البحرية وهى قبة حجرية شاهقة الارتفاع محلى سطحها بنقوش دالية .

وتتجلى عظمة هذا المسجد فى مدخله الفخم ، وفى ايوانه الشرقى المحتفظ بتفاصيله ، فالزخرف يعمه من الارض الى السقف . فقد كُسى الجدار الشرقى بالرخام الملون والزخارف المذهبة ، وتنوعت زخارف السقف ، وهى من ارقى نماذج السقوف الخشبية ، ويتوسط هذا الجدار محراب كُسي بالرخام الملوّن ، بجواره منبر كبير مطعّم بالسنّ .

وتنتهى قصبة القاهرة أو شارعها الاعظم ، الذى سمى شارع المعزّ لدين الله عام ١٩٣٧ م فقط ، ينتهى بباب زُوَيلة الذىجدد انشاءه بدر الجمالى سنة ٤٨٤هـ ، ١٠٩١م ، وهو باب شاهق الارتفاع له بدنتين على جانبيه . وقد انتهز مهندس جامع المؤيد فرصة وجود الباب بجوار المسجد فاتخذ من بدنيته قاعدتين لمنارتي المسجد وهما من أجمل منارات القاهرة . ■■

حسن عبد الوهاب
خبير الآثار الاسلامية

طبيب الأسرة



التلقيح الاصطناعي

● انا زوجة منذ عشر سنين ، وزوجي يفوقني فى العمر بخمس سنين ، وكلانا فى شبابه ونستمتع بصحة طيبة .وقد رزقنا بولد هو الآن فى الرابعة من عمره . ونحن نريد ولدا آخر حتىنعطى المجتمع اثنين اذا نحن ذهبنا . ولا مانع من ان نزيد فمجتمعنا يحتاج الىهذه الزيادة .

وقد حاولنا انتاج الولد فلم نفلح .

وذهبنا الى عواصم البلاد العربية وبعضالغربية ، واجرى اطباؤها لنا فحوصا كثيرة فلم يجدوا فينا عيبا . وكيف وقدابتنا سلامتنا بانتاج هذا الولد الاول .

ونصحونا اخيرا بالتلقيح الصناعى بينىوبين زوجي . فما معنى هذه العملية بالضبط . وهل هى مما يباح شرعا ؟

ـ اما معنى هذه العملية فى الفاظ قليلة فهو ان الطبيب يأخذ من منىّ الرجل فيحقن منه فى القناة التى بعنق الرحم .

ويشترط ان تجرى هذه العملية فى يوم من الدورة الشهرية يحتمل فيه ان تكون بويضة المراة قد تكونت . فالدورة ، ان كان مدتها ٢٨ يوما ، كان أنسب وقت للحقن هو اليوم الثاني عشر محسوبا من بدء الحيض . ثم تعاد العملية احتياطا بعد يومين .

فاذا نجحت العملية وحملت المراة ، فلعل السبب فى ذلك ان الحيوانات المنوية فى ماء الرجل كانت تعجز عن اختراق الافرازات التى تكون فى عنق الرحم ، او عن أن تحيا فيها وقد اختلطت بها .

هذا بالطبع زعما بأن ماء الرجل ماء من الوجهة الطبية صالح ، وأن جهاز المراة كذلك صالح .

اما النجاح فى هذه الاحوال فيقدر بنحو ٥٠ فى المائة .

اما ما تسالين من امر هذه العملية ، اباحة هى ام غير مباحة ، فهى مباحة عند الاطباء على ان يكون من يقوم بها خبيرا بها . اما اباحتها من وجهات اخرى فعليك بأهل الذكر فعندهم الخبر اليقين .

الاسبرين ، دواء لسوء الهضم ؟

● عندي نوبات كثيرة تعتريني من سوء الهضم، وقد ظلت تعاودني عدة سنوات . وانا آخذ لها الاسبرين . ولكني سمعت انه يجب عليّ ان لا آخذ الاسبرين علاجا لسوء الهضم ، فهل هذا صحيح ؟ ثم اني أتعاطى حبتين منه كل ٤ ساعات ، فهل هذا يضر ؟

ـ ليس الاسبرين علاجا لسوء الهضم . ان سوء الهضم له أسباب كثيرة ،الكشف عنها يحتاج الى المختبر . فمن ذلك اخذ صورة للمعدة بالأشعة السينية . ومنها الكشف عن مقدار حموضة المعدة فى المختبر باعطاء المريض طعاما خاصا ، ثم استخراجه من المعدة على دفعات ، واختبار حموضة هذه العينات . بهذه الفحوص وأمثالها ، الى جانب استطلاع الطبيب حالة المريض بالسؤال والفحص فى عيادته ، يستطيع الطبيب الوصول الىاسباب سوء الهضم المزمن الذى تذكره ، ذلك الذى دام سنين .

اما عن جرعة الاسبرين ، فاعلم ان الاسبرين اذا كثر تعاطيه سبب هو نفسه سوء الهضم ، وفوق ذلك قد يؤثر على جدار المعدة فيدْميه . انت تقول انك تتعاطى من الاسبرين حبتين كل ٤ ساعات . وهذا يجوز ليوم او يومين . واحيانا قد تدعو اليه الضرورة اسبوعا . اما فوق ذلك كثيرا ، فسوف يؤذيك تعاطيه ويؤدى بك الى متاعب لا يدرى احد كنهها .



العمل ، هل يطيل العمر ؟

● لى عم يسكن معنا ، أمضى أكثر حياته الطويلة وهو يعمل . انه تقاعد من زمن . ولكنه يصر على ان يعمل فى البيت ، ويقوم بكل شاق من العمل فيه . يقول ان ذلك يطيل العمر . انه بلغ من العمر ٨٥ عاما .

ـ الذى يقوله عمك ، من حيث ان العمل يطيل الحياة ، صحيح فى عمومه. ولكن يبقى نوع العمل ، ومقدار العمل .

كانت لى عمة قاربت الثمانين . وكان غرامها العناية بالحديقة . وكانت تعتنى بكل شجرة فيها ، وكل زهرة . وتحمل معها فى الحديقة الصغيرة مقعدا تجلس عليه وهي تمارس عنايتها بالحديقة زمنا ليس بالقصير ، وتنتقل بالمقعد من ركن فى الحديقة الى ركن . وكانت نحيفة ينظر اليها الناظر فيخشى عليها السقوط، لا سيما وهى تصعد سلم الدار . وننصحها فلا تنتصح. وسبب ذلك انها فى شيخوختها احتاجت الى أن تملأ وقت فراغها ، فلم تجد الا الحديقة مالئا له .

المهم انها كانت بما تعمل سعيدة . وذات يوم قالت لنا انها متعبة ، وانها تود ان تبقى يوما فى حجرتها لا تغادرها. يوما واحدا فقط . وبقيت فى الحجرة يومين آخرين ، واذا بروحها تنتقل فى صمت وهدوء وسلام الى السماء .

لقد عملت ، على الضعف ، حتى الموت . واسعدها العمل .

ان كل عمل يلتذه العامل او العاملة فى اى سن من الحياة عمل نافع . ولكن مع الشيخوخة لا بد ان يقف العامل عمله اذا هو احس بدوار ، او اذا هو احس

المقوى : اى الامراض يشفى هو منها ؟

• ذهبت الى الطبيب لاني اشعر بتعب ، وكانت النتيجة انه لم يقل لي سبب هـذا التعب . واعطانى مقويا . واخذته ، ولم تتحسن حالتي ، فما هو عمل المقوى هذا ، واى الامراض هو يصحح ، ام هو يصحح كل مرض ؟

ـ اذا نحن اتبعنا الدقة العلمية قلنا انه ليس هناك من العقاقير ما يصح ان يسمى مقويا . فالمقوى يقوى من ضعف. والضعف لا يكون الا عن اختلال في الجسم بذاته ، اى مرض ، نقص او زاد . فاذا انت شعرت بتدهور فى صحتك ، فانت محتاج ، لا الى مقو ، ولكن الى تشخيص طبي . ويعجز الطبيب ، فيعطى مقويا ، مقويا من ماذا ؟

انت اذا اصابك مرض ، وشفيت منه، وشعرت بضعف بعده ، فالذى تحتاجه عندئذ ليس مقويا ، ولكن راحة كاملة وطعاما كافيا . وانت من بعد اجهاد فى العمل تحس بتدهـور ، وانت عنـدئذ محتاج لا الى مقـو ، ولكن الى اجازة وفراغ من عمل .

وقد يكون اجهادك ، لا بسبب العمل، ولكن بسبب القلق ، فانت فى حاجـة ، لا الى مقو ، ولكن الى ما يزيل هذا القلق.

وانت قد تاخذ هـذا المقوى ، وتحس بتحسن . وقد لا يتصل هذا التحسن بالذى فى المقوى من فيتامينات وفسفات وجلسرينات ، ولكن الى عامل نفسانى . او لعل فى المقوى قليلا من المادة المعروفة بالاستركنين ، وهي مادة سامة جـدا ، ولكن القليل جدا منها نافع ، بمعنى ان يجعلك تحس بانك تحسنت ، فى حين ان جسمك لم يكد يتغير من حاله شيء .

واعود الى سـؤالك : اى الامراض يصحح المقوى ؟ والجواب : انه يصحح المرض الـذى يعجـز الطبيب عـن تشخيصه !! ■■





عمره ١١٦ عاما ، ومع ذلك هـو يعمل ، فى حديقة معهـد الاشياخ ، بعاصمة رومانيا . لكـل عمر عمـل يناسبه . والعمـل حياة .

باجهاد،او حتى اذا هو احس بحاجة الى القعود ليرتاح .

٣٧٠ طالباً من ١٥ دولة يتلقون علومهم في الكويت

■ في الكويت اليوم عدد كبير من شباب البعثات التعليمية التي جاءت من الدول العربية والصديقة، ليتلقى افرادها علومهم في معاهد ومدارس الكويت.

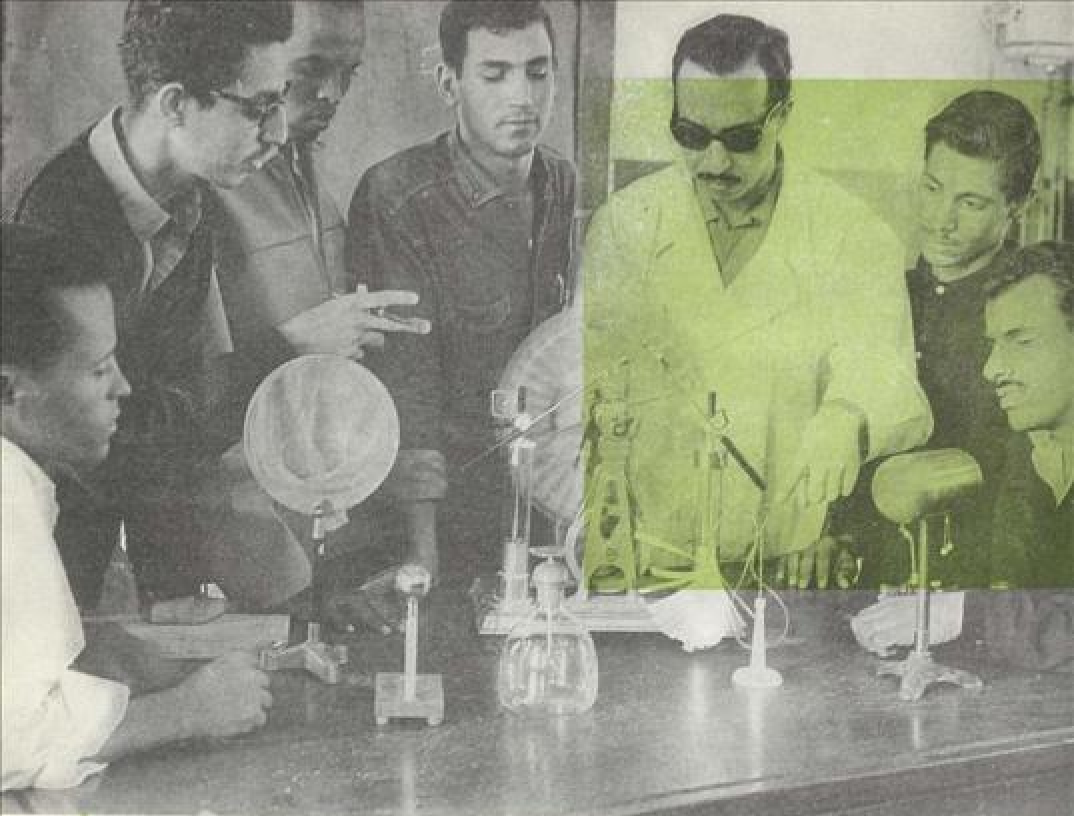
ان وراء اجتماعهم في هذا البلد العربي المضياف تكمن صورة اخرى من صور المساعدات الايجابية التي تقدمها الكويت لشقيقاتها في صمت وهدوء..



بلال خليل السيد (١٨ سنة) وزهير أنور قدورة (١٩ سنة) ومعهما الاستاذ ناصر السيار من أبناء الكويت، الذي يقوم بتعليمهم هندسة الكهرباء في الكلية الصناعية انهما من أبناء فلسطين، وأملهما تكملة تعليمهما العالي بعد تخرجهما من الكويت.

١٥ دولة في الكويت !

لقد جاء طلبة البعثات الى الكويت من ١٥ دولة متناثرة على مختلف بحار ومحيطات العالم.. جاءوا من المغرب وموريتانيا على سواحل المحيط الاطلنطي.. ومن زنجبار على ساحل المحيط الهندى.. ومن حضرموت وبلاد المهرة على ساحل بحر العرب.. وجاءوا من دبى والشارقة ورأس الخيمة على ساحل الخليج العربى.. وجاءوا من الاردن على شواطىء البحر الميت ونهر الاردن.. وجاءوا من الجزائر وتونس على ساحل البحر الابيض المتوسط.. وجاءوا من اليمن على ساحل البحر الاحمر.. وجاءوا من سوريا على شواطىء العاصي.. وجاءوا من اثيوبيا واريتريا والصومال



درس فى الكهربائية الستاتيكية يلقيه مدرس فى ثانوية الشويخ بالكويت على مجموعة من طلبة البعثات من مختلف البلاد .. فمن اليمين جلس طالب من بلاد المهرة ، ووقف آخر من حضرموت ، ثم الاستاذ، ثم طالب من المغرب، ورابع من الصومال وبعدهما طالب من عدن وجلس فى أقصى اليسار طالب من أثيوبيا..

على سواحل المحيط الهندى .. جاءوا كلهم الى الكويت ليدرسوا على نفقة حكومتها مختلف العلوم والفنون .

الجزائر .. والجنوب المحتل

وتحتل بعثات الدول المجاهدة مركز الطليعة من ناحية عدد طلبتها ، اعترافا وتقديرا من الكويت للدور البطولي الذى قامت به ، او مازالت تقوم به هذه الدول ..

وتأتي جمهورية المليون شهيد فى مقدمة هذه الدول بعدد طلبتها ، الذين بلغوا ٧٠ طالبا جزائريا يتلقون علومهم فى ثانوية الشويخ وكلية المعلمين والكلية الصناعية .. والى جانبهم يتعلم طلبة

* * *

محمد فاروق القبة (١٩ سنة) جاء من مدينة القيروان بتونس ليلتحق بالكلية الصناعية بالكويت . انه يفكر فى أن يتخصص فى هندسة التلفزيون ، رغم عدم وجود تلفزيون فى تونس !





رقصة من موريتانيا فى الكويت ، يؤديها طالبان من موريتانيا ، بينما التف حولهما بقية طلبة البعثات يعزفون لهما ويصفقون ويغنون ..

الجنوب العربي المحتل ، الذين يزيدون فى مجموعهم عن طلبة الجزائر ، اذ يصلون الى ١٠٢ طالب : ٦٠ من حضرموت ، و ٢٢ من بلاد المهرة و ٢٠ من مختلف الامارات ..

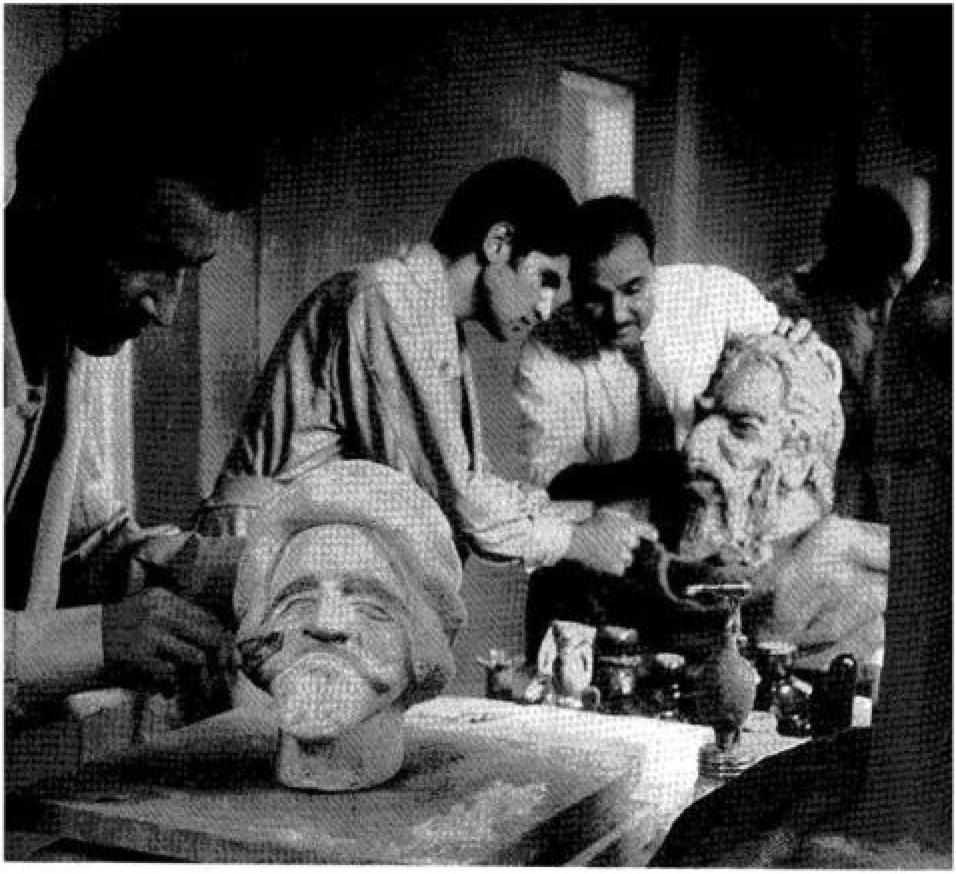
موريتانيا والصناعة

اما الدولة الثالثة من ناحية عدد طلابها ، فهي دولة حديثة بدا طلبتها يصلون الى الكويت مع مطلع هذا العام فقط .. انهم طلبة موريتانيا الذين بلغ عددهم ٥٠ طالبا اكثرهم يدرس فى الكلية الصناعية والبقية فى كلية المعلمين والمعهد الديني .. ان نقص المعاهد الصناعية فى موريتانيا هو الذى جعل طلبتها يقبلون على الكلية الصناعية ليدرسوا فى اقسامها الست مختلف الفنون من

• • •

هؤلاء الشباب الخمسة من طلبة الدبلوم بالكلية الصناعية هذا العام . انهم من اليمن والاردن والشارقة وتونس . وقد تخصصوا فى الميكانيكا .





محمد وابل (١٨ سنة) جاء من تلمسان بالجزائر ، ليلتحق بالشعبة الفنية فى كلية المعلمين بالكويت .. ان طيف بلاده لم يفارقه ، ونراه هنا ينهي اللمسات الاخيرة فى تمثال للفلاح الجزائرى ..

• • •

يحن بعض الطلبة المغتربين الى ارتداء زيهم الوطني خلال فترات راحتهم ، ونرى هنا مجموعة من طلبة موريتانيا بالكلية الصناعية بملابسهم الفضفاضة .



ميكانيكا وعمارة وكهرباء ولاسلكي وسباكة وميكانيكا سيارات ..

التغلب على مشكلة اللغة الفرنسية

وعلى اثر وصول طلبة بعثات الجزائر ، والمغرب وموريتانيا وتونس ، ظهرت فى معاهد الكويت مشكلة لم تكن متوقعة .. فالمعروف ان الانجليزية هي اللغة الاوربية الاولى فى الشرق العربي ، بينما تحتل الفرنسية هذه المرتبة فى المغرب العربي ..

وشعر المسئولون الكويتيون بهذا الفارق ، فسارعوا بجلب بعض اساتذة اللغة الفرنسية من البلاد العربية .. وجعلوا هذه اللغة هي اللغة الاوروبية الاولى لطلبة المغرب العربي فقط ..



مجموعة من طلبة بعثتي الجزائر وموريتانيا يتلقون درسا في اللغة الفرنسية ، التي اعتبرت اللغة الاوربية الاولى لهؤلاء الطلبة ، بدلا من الانجليزية التي تدرس لبقية الطلبة

اما بقية الطلبة فما زالت الانجليزية هي اللغة الاوروبية الاولى ..

في معهد النور والامل

اما باقي البعثات الطلابية في الكويت فهي : امارات جنوب الخليج العربي ٤٣ طالبا ، اليمن ١٦ طالبا ، المغرب ١٥ طالبا ، عمان ٣٠ طالبا ، الاردن ١٥ طالبا ، وطالب من اليوبيا وآخر من تونس .

والى جانب هؤلاء توجد بعثة طلابية سورية تضم ١٠ تلاميذ ، وبعثة اردنية تضم ٤ تلميذات يتلقون علومهم في معهد النور والامل لرعاية المكفوفين والصم والبكم ..



حنان الامومة يتجلى فى هذه الصورة .. انها السيدة عائشة عبد العزيز حمادة ناظرة معهد الامل للصم والبكم ، تساعد احدى فتيات البعثة الاردنية على تعلم شغل التريكو

لاجئون من زنجبار

ومن جزيرة زنجبار جاء عشرة طلبة من ابناء اللاجئين العرب الذين شردهم الانقلاب الاخير فى هذه الجزيرة ....

٥٥٠ طالبا فى العام القادم

وقصة البعثات التعليمية فى الكويت بدأت منذ ١٢ عاما .. بداها الشباب الكويتى المتعلم الذى كان يجتمع فى نادى الخريجين ، فقد قام هذا النادى عام ١٩٥٣ برعاية عشرة من شباب امارات جنوب الخليج العربى ، فادخلهم الى مدارس الكويت على نفقته الخاصة .. ثم قامت وزارة المعارف فى السنين التالية بفتح دار لسكنى طلبة البعثات ، فانضم اليها الطلبة الذين كانوا يدرسون على نفقة نادى الخريجين ـ وظل عدد

الطلبة يتزايد عاما بعد عام حتى وصل الى ٣٧٠ طالبا ، سيزدادون الى ٥٥٠ طالبا في العام القادم ..

اجازة على نفقة الحكومة

وتبع هذه الزيادة ظهور قسم جديد في وزارة التربية اسموه قسم البعثات العربية ، مهمته السهر على هؤلاء المبعوثين وتيسير الحياة لهم في اقامتهم ودراستهم ، واستقبالهم في بدء العام الدراسي وتسفيرهم الى بلادهم ، اذ يحق لكل طالب زيارة بلده في نهاية كل عام دراسي اثناء العطلة الصيفية ، والعودة عند بدء الدراسة على نفقة الحكومة الكويتية .

كيف تلتحق بالبعثات ؟

ويتم التحاق الطلبة بالبعثات في الكويت عن طريق الحكومات او الجمعيات والهيئات الرسمية المعترف بها .. ومن شروط البعثات ان الطالب الذي يرسب مرتين خلال بعثته يفصل نهائيا بعد ظهور نتيجة امتحان الدور الثاني ويعاد الى بلده ..

النتيجة مائة في المائة

ولكن النتائج الباهرة التي يحرزها طلبة البعثات في الامتحانات النهائية جعلت تطبيق هذا الشرط نادر الحدوث .. وبمراجعة نتائج العام الماضي نجد ان جميع طلبة البعثات نجحوا في امتحان الدور الاول ما عدا ٢٠ منهم ، ولكن هؤلاء سرعان ما نجحوا جميعا في امتحان الدور الثاني .. اي ان النتيجة كانت مائة في المائة ..

ان هذه النتائج تدل على مدى تقدير طلبة البعثات للمسئوليات الملقاة على عاتقهم ..

ان بلادهم في اشد الحاجة اليهم لبناء نهضتها وتدعيم مستقبلها ..

بعثات للجامعات

والى جانب البعثات التعليمية ، تقوم الكويت بدور آخر فعال ، فهي بحكم تبنيها للتعليم في امارات جنوب الخليج العربي تجد نفسها مسئولة عن تكملة تعليم ابناء هذه الامارات في المعاهد العليا



محمد صالح المحولى (٢٠ سنة) جاء من لحج في جنوب الجزيرة العربية ليتعلم الهندسة الكهربائية. انها السنة الثانية التي يقضيها في الكويت ..

خارج البلاد بعد انتهائهم من دراستهم الثانوية .. وهي من هذا السبيل تطبق عليهم نفس شروط البعثات السخية المطبقة على طلبة الكويت ..

وقد بلغ عدد ابناء الخليج الذين يتلقون تعليمهم في الجامعات على نفقة حكومة الكويت ٣٠ طالبا اثنان منهم في كلية التربية ببغداد ، والثمانية والعشرون الباقون في مختلف كليات وجامعات الجمهورية العربية المتحدة .. انهم سوف يتخرجون في السنين القليلة القادمة ليصبحوا



ثلاثة طلبة من الشارقة وام القيوين على ساحل الخليج العربى ، يتدربون على طريقة الطبع على القماش فى كلية المعلمين بالكويت

اطباء واقتصادين ومحامين وتجار وفنانين ومزارعين مؤهلين بأحدث النظم والتعاليم ..

اجمل ايام العمر

ان وجود الطلبة العرب فى الكويت بعيدا عن اوطانهم لم ينجم عنه اى مشاكل نفسية كما يحدث فى مثل هذه المناسبات ، حتى قالوا لنا : « اننا نشعر وكاننا فى بلدنا .. فاللغة واحدة .. والدين واحد .. والعادات واحدة .. حتى البيئة نفسها لم تختلف ، فهي بيئة عربية واحدة .. »

ان الكآبة والصمت والانعزال ليس لها مكان هنا .. وفى الليل تنبعث من مبانى النوم الخاصة بالطلبة اصوات شجية تصحبها دقات على الدف والعود .. انهم الطلبة العرب يشتركون فى الغناء .. كل يغنى اغنية من بلاده ، فيطرب لها الجميع ويشتركون معه فى انغام واحدة .

انها حياة التلمذة .. اجمل ايام العمر .. قبل ان تبدأ حياة المتاعب والصراع .. ■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

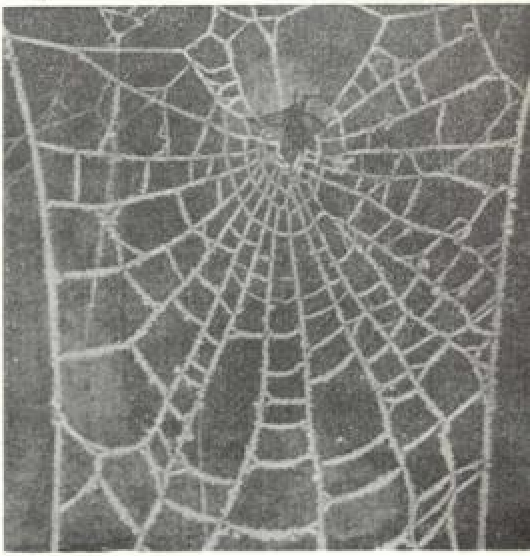
العناكب لها مخ ولها أعصاب ، تتأثر بالعقاقير

● العناكب تبني بيوتها من نسيج تصنعه من لعابها . وهي تجرى فى ذلك على وتيرة واحدة .

ولكن بعض العلماء وجدوا ان هذه العناكب ، تحت تأثير العقاقير ، تظل تصنع بيوتها من نسيجها ، ولكن شكل النسيج الحادث يتأثر بفعل العقار ، وان من العقاقير ما يخرج عليه النسيج بشكل متصل اتصالا وثيقا بحالة فسيولوجية فى العنكبوت من صنع هذا العقار .

حتى ليرجى الآن ان تقسم العقاقير بناء على ما تحدثه فى شكل البيت الناتج من نسيج العنكبوت .

والعجيب ان العناكب تستمر فى نسج بيوتها ، ولو قطعت ارجلها .



هذا العنكبوت ظل يعمل ويعمل رغم الصقيع ، حتى يبنى هذا البيت ، ورسب على خيطانه الثلج . ولم يمنعه من العمل الا انه هو نفسه تجلد .

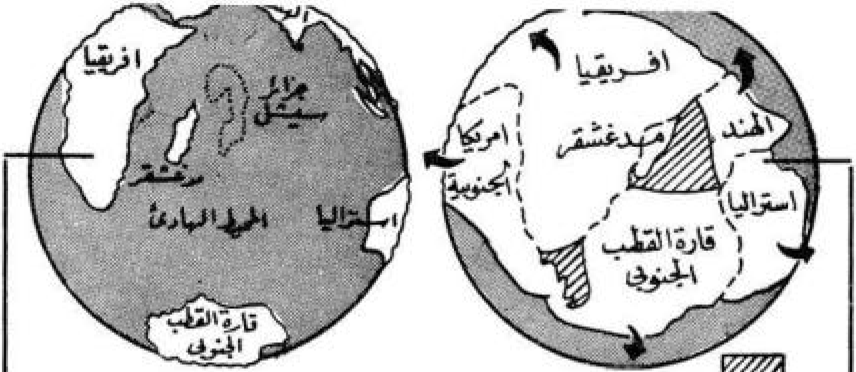
فقدان الوزن فى الفضاء

● فقدان الوزن فى الفضاء ، ما أثره فى جسم الانسان ؟

لا يدرى احد بالضبط ، ولو ان هناك اخباراً مكتومة تفيد ان احتياطات اخرى لا بد ان تجرى قبل ان يرسل المرسلون برجالهم الى القمر .

ان فى تجربة مركبة الفضاء جيمني ـ ٤ (Gemini -4) ، ظل احد الرجلين طافيا لما خرج من مركبته ، بينما ظل الآخر فى داخل المركبة ، مربوطا الى مقعده ، ولكنه كذلك كان بغير جاذبية تربطه فهو فاقد الوزن ايضا ، فهو طاف كأخيه الذى كان خارج المركبة .

ان فقدان الجاذبية الذى جربه اهل الارض انما كان ويكون عندما يصعد الطيار بطائرته مسرعا فى ارتفاعه الى السماء ، ثم هو يعرّج وهو فى الاعالى هابطا بطائرته . ففي ذلك القوس الذى يصنعه عند العودة ، منتقلا من صعود الى هبوط ، يحس الطيار بفقدان الجاذبية . يحس بأنه طافٍ لا يرتبط بشيء فى اى جهة من جهاته . ولكن هذا



قارات الارض كانت شيئا واحدا ، ثم تصدعت

وبعض العلماء يرى انها كانت شيئين لا شيئا واحدا ، قارة كبرى فى الشمال ، واخرى كبرى مثلها في الجنوب .

ومن اصحاب الراى الاخير الدكتور دوبرت ديتس Dietz . وهو يرى ان القارة الكبرى الجنوبية كانت تتالف من امريكا الجنوبية وافريقيا ومدغشقر والهند واستراليا وانتاركتيكا (ارض منطقة القطب الجنوبي) .

فهذه كانت كتلة واحدة ثم تصدعت منذ ١٥٠ مليون عام .

ومن تصدعها كانت تلك القارات الصغرى .

ولكن ، اذا ضممنا هذه القطع (امريكا الجنوبية فافريقيا الخ ..) بعضا الى بعض لم تنطبق تماما . بينها فجوات .

فهذه الفجوات هي عند الدكتور ديتس ارض هبطت فى البحر . ومن تلك الأرض التي هبطت ، ارض رؤوسها لم تنغمر كاملة هي التي تتالف منها الآن جزائر سيشيل Seychelles بالمحيط الهندى .

ويتحدث عن القارة اطلانطس Atlantes ، تلك التي زعموا انها كانت ، ثم اختفت ، ويدور حولها كثير من القصص .

فهذه عنده ليست خرافة .. انها بعض هذه الأرض ، التي كانت فوق الماء ، قارة صغيرة ، ثم صارت تحت الماء .

وعند الدكتور العالم الجيولوجي البحرى ان مسح المحيطات كفيل بتحقيق كل هذه الآراء .

الحال لا يستمر الا ما بين ٢٠ الى ٣٠ ثانية .

ان الذى يحس بفقدان الوزن انما هو رجل الفضاء وهو يدور فى فلكه حول الارض .

وصاحب الرقم القياسي الامريكي فى مدة الاحساس بفقدان الوزن هو رجل الفضاء الامريكي ، كوبر Cooper فهو دار فى سفينة فضائه ٢٢ مرة ، قضى بها ٢٤ ساعة « طافيا » . كان ذلك فى ١٥ مايو ١٩٦٣ .

وبعد ذلك بثلاثين يوما صعد رجل الفضاء الروسي بيكوفسكي Bykovsky بسفينة ودار بها حول الارض خمسة ايام ينقصها ٥٤ دقيقة . فصار صاحب الرقم القياسي العالمي .

ثم دارت مركبة الفضاء ، جيمني ٥ ، فى اغسطس هذا الماضى ، حول الارض ثمانية ايام ، وبها كوبر Cooper وصاحبه كنراد Conrad ، قطعا فيها فوق المليونين من الأميال . واخيرا جاء الامريكان بالمركبة جيميني ٧ ، فظل راكباها ١٤ يوما فاقدي الوزن فى الفضاء .

ان تحمل الانسان لفقدان الوزن امر خطير ، لا بد من كشفه قبل صعود الرجال الى القمر .

حتى الولايات المتحدة ، تخشى كثرة السكان

● على الرغم من ان الكثرة الكبرى في الولايات المتحدة تؤمن بضرورة تحديد النسل ، فلا تزال مسالة السكان وازديادهم في الولايات تقلق بال الباحثين.

فهذا هو راى الاكديمية القومية للعلوم في الولايات ، وراى مجلس البحوث القومي بها ، معا .

قال التقرير الذى نشراه أن ازدياد السكان لو سار على الوتيرة الحاضرة ، فان عدد السكان سوف يصبح غير محتمل بعد سنين ، ثم يصبح مستحيلا من الوجهة المادية والطبيعية .

وقد دل الاحصاء في الولايات على ان وسائل الحد من النسل يزداد انتشارها، ولكن هناك نحو من ١٤ في المائة من السكان لا يباشرون هذه الوسائل ولا يرجى منهم أن يباشروها .

والذين لا يباشرون هذه الوسائل في الطبقات التي ايرادها دون المتوسط يبلغون نحوا من ٤٣٪ من هذه الطبقات.

ويقول التقرير ان هذا ليس ناتجا عن رغبة في انتاج الاطفال فوق رغبة أهل اليسار والغنى ، ولكنه ناتج عن نقص المعلومات عندهم وقلة الموارد للحد من النسل حدا ناجحا .

ويقول التقرير : لا يجوز ان تدفع الاسر دفعا ، بسبب الفقر ، أو بسبب الجهل ، الى انتاج اطفال لا يريدونهم او لا يستطيعون رعايتهم في هذه الحياة.

ويقول التقرير ان كثرة المواليد بين الفقراء لا تهدد الرخاء القومي ، ولكنها تخرج الملايين خارج دائرة هذا الرخاء .

ويرى التقرير أن كثرة النسل هي التي تواصل بقاء الفقر والفقراء في وسط الخير الكثير الذى تتسم به الولايات .

وأخيرا يرسم التقرير برنامجا ذا ثلاث شعب : التعريف بوسائل ضبط النسل ، ثم التدريب عليه ، ثم تحسين الخدمة فيه. وتقوم بذلك وكالات خاصة وعامة .

انتاج الطعام ،

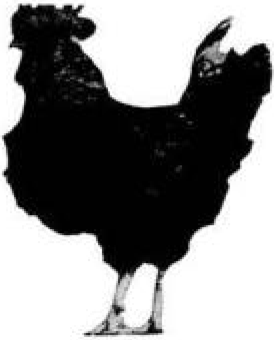
● ان الزيادة الكبيرة في انتاج الطعام، في الأمم المتقدمة ، في العشر السنوات الماضية ، قد غطت على مقدار الزيادة التي وقعت في عدد السكان في تلك العشر السنوات نفسها .



مطاط يحتفظ بمرونته عند درجة ٤٤° تحت الصفر المئوى

● في الصورة رجلان ، في جو درجة حرارته ٤٤° تحت الصفر ، في يد الرجل الذى الى اليسار خرطوم من اللدين ، البلاستيك ، طواه فانشطر في تلك الدرجة من البرودة . اما الرجل الثاني ، الى اليمين ، ففي يده مطاط خلقوه ، جديدا ، طواه ، بل جعل منه عقدة ، ولم ينشطر . لقد حافظ على مرونته حتى في هذه الدرجة الواطئة من البرودة .

ونفع هذا في البلاد الباردة ، وفي مناطق القطبين المتجمدين اللذين يرتادهما الناس والعلماء الآن بكثرة ، نفع عظيم .



الديوك
زعيمها ، أكثر صياحا

● يظهر ان الزعامة شيء لا بد منه ، حتى بين الحيوانات .

والزعامة هذه تظهر جلية فى الطير .

وقد تساءل بعض العلماء عن صياح الديكة ، اى الديكة اكثرها صياحا ، وايها اكثرها زعامة . وهل الزعامة هى التى تخلق الصياح ، ام ان الصياح هو الذى يخلق الزعامة ؟

وقاموا بالتجريب .

جاءوا بعدة من الديكة ، وجعلوها وحدها ، كلا منها فى بيت ، وعدوا كم تصيح ، فلم يجدوا بينها فرقا ذا بال .

وجاءوا بجماعة من الدجاج ، كلها من الاناث . ثم ادخلوا الديكة الى الدجاج الاناث ، فقامت بين الديكة المعارك . كل ينقر صاحبه .

وانفضت المعارك عن ديك اقر له الآخرون بالزعامة . ومنذ ان حمل هذا الديك اعباءها ظل يصيح ويصيح ، عشرين مثلا ، مما يصيح الآخرون .

ثم اخرجوا هذا الديك من مملكته ، وابعدوه عن الدجاج . فقامت المعركة بين الديكة الباقية ، وغلب احدها ، وتزعم ، واخذ يصيح ، وزاد صياحه اضعافا فوق صياح سائر الديكة .

الصياح اذن هو شارة الزعامة .

والزعامة هي التى تخلق الصياح .

يا ترى ماذا تكون نتيجة هذه التجربة لو طبقناها فى بنى الناس ، فى اركان الارض جميعا ؟!

عندنا ، وعندهم

وقد قارنوا معدل انتاج الطعام للفرد الواحد فى هذه الامم ، فى عام ١٩٦٤/ ١٩٦٥ ، بذلك المعدل نفسه فى هذه الأمم نفسها فى عام ١٩٥٢/١٩٥٣ ، فوجدوه قد زاد بمقدار ١٤٪ .

وصنعوا مثل هذه المقارنة فى الأمم المتخلفة التى تحاول النمو ، فوجدوه لم يزد الا بمقدار واحد فى المائة .

ويعود تقرير منظمة الزراعة والاغذية الى انتاج الأمم المتقدمة فيقول : انه على هذه الامم فى الخمس والثلاثين من السنين الباقية على تمام القرن ، ان تضاعف انتاجها من الطعام اربع مرات ، اذا ما ارادت ان تحتفظ لنفسها بغذاء ، على المستوى الحاضر ، يوازن الزيادة فى تعداد السكان المتوقعة فيها .



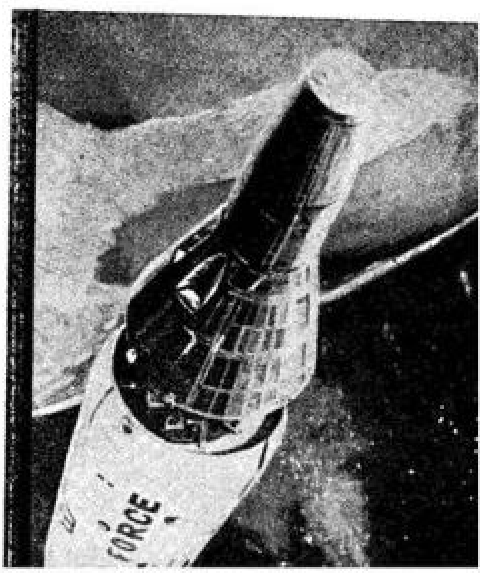
اما هذا المطاط المخلق حديثا فاسمه رويالين Royalene . وهو من صنع شركة مطاط الولايات المتحدة المعروفة U. S. Rubber Company .

برامج أمريكا الفضائية فى تصاعد وهى تفضى الى أغراض حربية ، اذا وقعت حرب

● نظرة الى الوراء .

بدأت امريكا برامجها بالطائرة المسماة X-1 او ان شئت س ١ ، وكانت لامتحان الطيران فى الهواء بسرعة الصوت . وتدرجت الى الطائرة المسماة X-2 وكانت لامتحان مواد تصنع منها الطائرة وهى تطير بسرعة فوق سرعة الصوت . ثم ما بلغ هذا البرنامج الى الطائرة X-15 او س ١٥ ، حتى عبرت هذه الطائرة الحاجز ما بين الهواء وبين الفضاء ، ودخلت فعلا الى الفضاء فى حين كان يقودها انسان ، ولكنها ما لبثت ان عادت الى الهواء .

اما البرنامج الذى تلا هذا فكان فضائيا صرفا . بدأ بمراكب الفضاء التى اطلق عليها اللفظ مركرى Mercury وهو لفظ له اكثر من معنى واحد . ومن معانيه عطارد ، اقرب الكواكب الى الشمس . وانتهى هذا البرنامج بأن حملت المركبة الاخيرة منه رجلا واحدا ، هو رجل الفضاء كوبر Gordon Cooper ، ودارت به حول الارض يوما ونصف يوم .



اما البرنامج الثالث فكان بالطبع فضائيا كذلك . واسموا مركبته جيميني Gemini ، وهو لفظ اغريقى مفرده Geminus ومعناه التوام ، وهو فى الفلك اسم لنجمين (كستور وبولكس) . وقد حملت المركبة رقم ٧ التى بهذا الاسم رجلين الى الفضاء بقيا فيه اسبوعين كاملين .

وماذا بعد ذلك ؟

بعد ذلك سوف تكون خطوة الى الامام كبرى : المختبر الدوار ذو الرجال ، وسيتجهز للاطلاق فى عام ١٩٦٨ ، اى بعد ما بين عامين وثلاثة اعوام . اما شكله فسيكون اسطوانيا طوله نحو ١٢ مترا ، وقطره نحو ٣ امتار . وينقسم ، فقسم منه للمختبر ، وقسم للعيش ، وخزانة للأجهزة . والأهم من هذا ان الرجال الذين يسكنون هذه المركبة الفضائية سوف لايلبسون بذلة فضائية .

وسيبقى الرجال فى هذه المركبة شهرين كاملين فى اول تجربة ، تمتد من بعد ذلك الى سنة كاملة ، على ان يتغير الرجال من حين الى حين ، تحملهم اليها من الارض ، وتحملهم منها الى الارض ، مركبات من نوع جيميني تعمل تكسيات بين الفضاء والارض .

والهدف من ذلك ؟

بالطبع هدف تكنى : اولا لتحسين الدوران فى الفضاء ، وتسهيل الصعود والنزول من السماء . ولكن للهدف التكنى هدف حربي لاشك فى هذا . القنابل الذرية فى الامكان الآن ان تلقى من الارض ، عبر السماء ، الى الارض . فلم لا تلقى من السماء الى الارض ؟ هذا اخصر ، ولعله ادق اصابة . ■■

تراجمه حفظت قدرها على السنين ، وقرأها الكتاب ، وتأسوا بها، عبر القرون

كتابه اقتبس منه شيكسبير لدراماته ، وحمله نابليون في غدواته وروحاته

رائد كتاب التراجم

افلوطارخس

PLUTARCH

عاش في القرنين الأول والثاني الميلاديين

بقلم : على أدهم

■ افلوطارخس ، او بلوتارك كما يسميه الاوروبيون اليوم ، هو الرائد الاول فى كتابة التراجم ، والسابق الهادي فى ميدانها ، وبرغم مضي قرابة تسعة عشر قرنا على كتابه عن أعيان اليونان والرومان ، فانه ما يزال محتفظا بقيمته بوصفه مرجعا من المراجع التاريخية المأثورة يعين فى تمحيص الحقائق وتلتمس منه الفوائد ، ومتحفا لطائفة من كبار الشخصيات الشائقة البارزة فى تاريخ الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية .

مآخذ على بلوتارك لا تزحزحه عن مكانته

وقد عنى بلوتارك بطرز شتى من

الشخصيات ، واراناكيف أثرت صفاتهم الشخصية فى سير حوادث عصرهم ، ولونت اعمالهم العامة ، واظهر لنا فى كل شخصية من الشخصيات التي تحدث عنها سماتها المميزة وملامحها الخاصة . وقد اخذ عليه انه كان سريع التصديق ، قليل الشك ، وانه لا يعرض الاخبار المروية عن ابطاله على محك النقد ، وان نزعته الاخلاقية غالبة على موهبته التاريخية ، فهو مصور للاخلاق اكثر منه راوية للحوادث . ولكن هذه المآخذ لاتزحزحه عن مكانته ، ولا تنقص كثيرا من قدره ، فقد عرف افلوطارخس حضارة اليونان معرفة صميمة، وتراجمه تدل على قدرته على النفاذ الى قلوب الافراد ، واستقراء دوافعهم النفسية ، وفى الموازنات التى يعقدها بين شخصياته يرينا الفروق الدقيقة بين الافراد،واوجه الشبه التى قد تغيب عن ادراكنا .

نظرة القدماء الى الشخصيات ، اختلفت عن نظرة الاحدثين بسبب علم النفس الحديث

والبحوث النفسية الحديثة جعلت الانسان الحديث ينظر الى الشخصيات نظرة مختلفة عن نظرة القدماء اليها ، فقد كشف علم النفس الحديث ان الانسان ليس مكونا من كتلة واحدة ، خيِّرة او شريرة ، وان حالة الوعي التي نعيش بها قائمة على العقل الباطن ومتأثرة به دون ان نشعر ، وهذا العقل الباطن مزيج مختلط من الغرائز والمطالب والرغبات والنوازع والتطلعات والشهوات ، وكل هذه العوامل الخفية تتسرب خفية الى عقلنا الواعي وتحاول ان تسيطر عليه وتستأثر به ، فحينما يتغلب الحيوان الرابض فى النفوس تنزع النفس الى القسوة والعدوان والاساءة . والحضارة بقيمها الاخلاقية واتجاهاتها البنائية تحاول ان تحدّ من طغيان هذه النوازع الخطرة ، وهذه النظرة للنفس الانسانية لم يدركهاالقدماءادراكا واضحا، وان كانوا قد احسوا بها ، فالانسان عندهم ابسط واقل تعقيدا مما نراه فى العصر الحاضر ،ولذلك نرى فى تصويرهم للشخصيات لونا من البساطة والهدوء قد نفتقدهما فى التراجم الحديثة . ولا نزاع فى ان الشعراء القدامى قد استطاعوا بفضل الخيال النفاذ والبصيرة الكاشفة الغوص فى اعماق القلب البشرى وعرفوا الكثير عن المعارك الخفية التى تدور فى مسارح النفوس .

بلوتارك ترك التسلسل الزمنى فى تراجمه

بلوتارك لا يتبع التسلسل الزمنى فى ترجمته لشخصياته ، فلا تستطيع ان تتأكد فى روايته لأعمال ابطاله واحداث حياتهم ايهما كان اسبق من الآخر ، ولكننا نشعر بعد الانتهاء من تأمل الصورة التى رسمها للشخصية التى يتحدث عنها انه قد استوفى ذكر الجوانب المختلفة والحقائق اللازمة . واتباع طريقة التسلسل الزمنى قد جرى عليها كتاب التراجم المحدثون مثل ليتون ستراتشى Lyton Strachey واستيفان زفايج Stefan Zweig واميل لدفيج Emil Ludwig واندريه موروا Andre Manrois وغيرهم (١) من مشاهير كاتبى التراجم والسير فى العهد الحديث ، والارجح ان سبب ذلك هو تشبع أهل العصر الحديث بفكرة التطور التى اكدها دارون فى القرن التاسع عشر وأزال عنها غواشى الغموض.

---

(١) استراتشى صاحب تراجم انجليزى ولد عام ١٨٨٠ ومات عام ١٩٣٢ . وتسفايج كما ينطقه الالمان ،أوزوايج كما ينطقه الانجليز فهو قصاص انجليزى وكاتب تراجم ، مولده النمسا ، ولد عام ١٨٨١ ومات عام ١٩٤٢ . واما لدفيج فكاتب تراجم المانى ولد عام ١٨٨١ ومات عام ١٩٤٨ . أما موروا ، فاسمه الحقيقى هرتسج Herzog ، وهو فرنسى ، ولد فى عام ١٨٨٥ .

ولذلك نحرص فى العصر الحاضر على ان نعرف كيف انبعث الشاب الفرانق من الطفل البرىء ، وكيف انتقل من نضارة الشباب وغضارته الى نضج الشيخوخة وهدوئها وحكمتها ، واثر هذا التبدل فى مواقفه من الناس والحياة .

بلوتارك لم يحاول نظم الشعر

ولم ينظم بلوتارك شعرا ، ولم يحاول ذلك على سعة اطلاعه على الادب اليوناني، فقد ادرك انه لم يؤت موهبة الشعر ، ولكنه كان برغم ذلك قوى الخيال قادرا على ان يعرض الحوادث ويصور الاشخاص بطريقة دراماتيكية ، وقد اقتبس منه شكسبير بعض عباراته الواردة فى ترجمته ليوليوس وانطونيوس وكاربولينس ، وبطبيعة الحال لم يجد النقاد ما يدعو الى اتهام شكسبير بالسرقة لاستعانته بهذه الاقتباسات وتحويلها من النثر الى الشعر المرسل ، ولا وجه للمؤاخذة حينما تحول عبقرية الفنان الرمل المتناثر الى بلور وماس ، وقد زاد شيكسبير الاشياء التى اقتبسها نفاسة ، وقد افاد من المادة التى جمعها بلوتارك على احسن الوجوه ، ولا يسمى ذلك سرقة انما هو تشريف لكلام بلوتارك وترفيع له وتحليق به

بلغت تراجمه ستا واربعين ، وموازنات بين مشاهير اليونان والرومان

والموجود من تراجم بلوتارك ست واربعون ترجمة مع الموازنات التى يلحقها بالتراجم ، فهو يترجم لاحد مشاهير الرومان ويتبع ذلك بترجمة لمن يشابهه من اعيان اليونانيين ، ويتلو ذلك موازنة يعقدها بين الشخصيتين المترجم لهما ، يتحدث فيها عن السمات المتشابهة بينهما والاعمال المتقاربة التى قاما بها ، فهو مثلا يعقد موازنة بين كاربولينس والسبياديز ، وبين ديموستنيس وسيشرون . وقد فقد من تراجمه نحو اربع تراجم منها ترجمته لحياة اكتافيوس اغسطس وتراجان ، وهما من اقدر رجال الدولة الرومانية .

ويمكن ان نتبين وراء حرص بلوتارك على عقد الموازنات بين الشخصيات الرومانية البارزة والشخصيات اليونانية اثر النزعة القومية ، والرغبة فى اظهار امجاد اليونانيين ، فقد ظهر الرجل فى عصر فقدت فيها الامة اليونانية مكانتها العالية من الناحية السياسية ، واصبحت خاضعة لسلطان روما ، فهو يود ان يبين انه لايخشى الموازنة بين رجال بلاده العظماء والعظماء الذين انجبتهم روما . وربما كان هذا الدافع هو الذى املى عليه تأليف الكتاب ورسم له منهجه وطريقة بنائه ، لانه تحرى أن تكون التراجم مزدوجة ، احداهما يونانية والاخرى رومانية . ولكن ليس معنى هذا انه كان يغتنم الفرص ويختلق المناسبات للاشادة بفضائل اليونانيين وترجيح كفة الميزان فى صالحهم على حساب النيل من رجال روما الذين تغلبوا على بلاده ، وأزالوها عن مكانتها فقد كان يكتب تراجمه وهو فى مستوى اخلاقي عال . وفى تقديره لرجالات روما نزاهة وعدم تحيز واضحان ، كما ان فى تناوله لمواطنيه من الرجال الاعلياء امانة فى سرد الحوادث وتتبع الاخبار ،واعتدال فى اصدار الاحكام. وكان هدفه الاخلاقي ينأى به عن التعصب والمحاباة ، وكان يعنيه ان يوضح لقارئى تراجمه وسامعى محاضراته ، ومعظمهم من الشبان الرومانيين الموسرين ، الفضائل التي مكنت أجدادهم من ان يملكوا العالم، ويفرضوا سلطانهم على الامم ، وأن يريهم أن الفساد الاخلاقي يؤدى الى التدهور السياسي والانحلال القومي .

كاتب التراجم ، يكون فاترا ، ام مشبوب العاطفة

ويتساءل اميل لدفج « هل يجب أن

يكون كاتب التراجم فاترا خلوا من العاطفة ليقف موقف القاضي، او يكون شديد الحماسة مشبوب العاطفة مثل النائب العام ؟ » ويرد على هذا التساؤل بقوله « الموقف الافلاطوني الخالص يبدو مجاملا » .

واقول ان الموقف المتحمس قد يتضمن المبالغة فى تقدير المزايا ، والاسراف فى المدح ، والاغضاء عن العيوب البارزة ، والاخطاء الصارخة ، كما ان الاسراف فى الموضوعية والتزام الحيدة قد يبعث على الملل ، وقد حمى بلوتارك من التعرض للموقفين رحابة افقه ، وسعة خياله وعطفه الجم . والعطف المستنير يشيد بالمزايا والحسنات ولا ينكر مظاهر الضعف البشرى والسقطات الاخلاقية ، ولكنه يتقبلها فى شيء من التسامح ، لانه يعرف ان الكمال المطلق ليس من صفات البشر ، وانه لم يخل انسان من ناحية من نواحي الضعف البشرى ، وانه يكفي المرء نبلا ان تعد عيوبه ، وترجح حسناته سيئاته .

ولم يكن بلوتارك عميقا فى تفكيره ، ولا من اصحاب المواهب العقلية المنيفة ، ولم يكن كذلك استاذا متخصصا فى اى فرع من فروع المعرفة ، فهو ليس فيلسوفا من طراز افلاطون وارسطو ، ولا مشرعا مثل ليكارجوس Lycurgus (٢) وصولون Solon (٣) ، ولا صاحب مذهب وزعيم فرقة مثل بروتاجوراس Protagoras(٤) ، وانما كان صاحب موهبة نادرة وهى القدرة على التعاطف مع العبقرية ، وهي ليست بالشيء القليل .

ما قاله بلوتارك عن الاسكندر

ومن اقواله فى الفصل الذى كتبه عن الاسكندر المقدوني « اني لا اكتب تاريخا وانما اسجل المصير البشرى ، ودلائل الفضيلة او الرذيلة ليست مقصورة على الاعمال الشهيرة ، وفى اغلب الاوقات تكون الحادثة التافهة والكلمة العابرة او المزحة العارضة اكثر دلالة على الاخلاق من الغزوات العظيمة والوقعات الذائعة ، والمصور يركن الى ابراز تفاصيل الملامح وتعبيرات الوجوه ليظهر شبها خارجيا لدخيلة الانسان . وطريقتى اتباع هذا المثال ، وساقصر التفاتي على هذه الاشياء المتصلة بالروح ، وأتخير المادة التى تعطى الشكل لصورتى ، واترك لغيرى الكتابة عن الحروب ، والافاضة فى تسجيل باهر الاعمال » .

حياة بلوتارك

ولتقدير اى انسان لا بد لنا من الالمام بجانب من ظروف بيئته واحوالها وملابسات حياته ، وقد شاءت سخرية القدر ان تكون المعلومات عن حياة الرجل ، الذى وقف حياته على كتابة التراجم ، قليلة شحيحة ، واكثرها مستمد مما كتبه هو نفسه خلال فصول كتابه ومحاضراته .

وتاريخ ميلاده الصحيح غير معروف وانما يرجح انه ولد حوالي منتصف القرن الاول الميلادى ومات على الارجح فى سنة ١٢٥ م .

وهو من اهل قيرونية Chéronée فى مقاطعة بواتيا Béotie فى بلاد اليونان ، وتلقى علومه على فلاسفة دلفى Delphi وفى اثينا وزار الاسكندرية وآسيا الصغرى ، وذهب الى روما ، وكانت حينذاك حاضرة العالم ، والقى بها محاضرات عن الاخلاق والسلوك

---

(٢) مشرع فى اسبرطة عاش ربما فى القرن التاسع قبل الميلاد (٣) مشرع اثينى ولد سنة ٦٤٠ ومات سنة ٥٥٨ قبل الميلاد أعطى المدينة دستورا حرا (٤) سوفسطائى اغريقى عاش بين القرن الخامس والعاشر قبل الميلاد . كان يرى ان الاحاسيس هي أصل كل معرفة .

الانساني وعرف بعض البارزين من رجالها .

وقد عاصر سنكا Seneca (٥). وتاسيتوس Tacitus (٦) والاخوين بلنى Pliny الاصغر وبلنى الاكبر (٧) .

ولكنه قضى معظم ايامه فى مسقط راسه ، وكان يقول عن بلده انها بلدة صغيرة ، وانه لا يريد أن يزيد فى صغرها بمبارحتها ، وقد عاش بها عيشة هادئة رضية مخلصا لها وفيا لاصدقائه محبا لاسرته وابنائه .

وكان يرى ان اخلاصه لبلده يقتضيه ان يجمع بين المنصب الرسمي والنهوض بتبعاته ، وحياة الدرس والتحصيل والتامل والتأليف ، واختاره مواطنوه مفتشا للمباني ، ثم كبيرا لحكام البلد وعضوا فى مجلسها الوطنى ، وكان يرى انه ليس من الحكمة نبذ ديانة القدماء والتنكر لمعتقداتهم لأن اهم ما فى العقائد عنده التأييد الذى تستمده منها الاخلاق .

وبرغم تردده على روما فانه لم يتعمق فى دراسة الادب اللاتيني ولم يعرف اللغة اللاتينية ، وقد عنى المتأخرون بجمع المحاضرات الاخلاقية التي القاها فى روما واسموها « الآداب » لأن معظمها من قبيل الحكم الاخلاقية والوعظ الادبي المستساغ الحافل بالنظرات السديدة ، والتوجيهات الحكيمة ، وهى تنم على نفسية رجل رقيق القلب ، كريم النفس ، طيب العنصر ، متزن التفكير ، حسن الفكاهة ، جذاب الحديث ، يدعو الى تقبل الحياة والابتهاج بالعيش . والعالم عنده هو اجل المعابد . وعنده ان من واجبنا ان نغتبط بوجودنا فيه ، وان الرجل الذى تحبه الآلهة لا يمكن الا ان يكون سعيدا ، وان الرجل العادل الحكيم لا بد ان يظفر بحب الآلهة له .

ما قال لدفيج عن بلوتارك

ويقول اميل لدفيج فى تقديره لأدب بلوتارك وشخصيته « فيه لوذعية الفرنسيين ، ودقة الألمان وطهر المتطهرين الانجليز » .

ما قال ملك فرنسا عن بلوتارك

وحينما علم ملك فرنسا هنرى الرابع المعروف بهنرى نافار ، ان زوجته كاترين المديتشيه شغلت بالقراءة فى تراجم بلوتارك ، كتب اليها يقول :

« لم يكن فى استطاعتك ان ترسلى الىّ اخباراً أحبّ الى نفسي من حبك لبلوتارك فحبك لبلوتارك حب لي ، لانه كان استاذي ومرشدى فى سنيّ حياتي الباكرة ، ووالدتي الصالحة التى ادين لها بالكثير ، والتي كانت تشرف على تكوين اخلاقي ، والتي كان من عادتها ان تقول انها لا ترغب فى ان ترى ابنها جاهلا ذائع الصيت ، وضعت هذا الكتاب بين يديّ حينما كنت طفلا ناشئا قد مضى على فطامه وقت قصير . ولقد كان هذا الكتاب لي بمثابة الضمير ، وقد همس فى اذني بالكثير من الايحاءات القيمة والنصائح الثمينة التى انتفعت بها فى تقويم سلوكي وتدبير شؤوني » .

واثنى على كتاب بلوتارك واعجب به من كبار الكتاب والمفكرين والنقاد كثير ، امثال رابلييه Rabelais ومونتين Montaigne ومنتسكييه Montesquieu واعتبره روسو استاذه واعجب به فولتير ، وكان نابليون يصحبه فى غزواته وروحاته وغدواته .

علي ادهم

---

(٥) مؤلف وفيلسوف روماني (٦) هو المؤرخ الروماني (٧) بلينى الاكبر مؤلف وعالم بالتاريخ الطبيعى ، واما الاصغر وهو ابن اخيه فهو مؤلف وخطيب روماني .

الدولة العباسية والدولة البيزنطية

وما كان بينهما من وقائع حربية وعلاقات سياسية إلى منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)

بقلم : الدكتور جمال الدين سرور

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة القاهرة

■ كان التوتر يسود العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين طوال العصر الأموي ، فلما انتقل الحكم الى العباسيين سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ، ظلت الحرب مستمرة بين الفريقين ، لكنها اتخذت وجهة جديدة . اما الحروب فصارت اشبه بالغارات منها بالحروب المنظمة ، واما السياسة فلم تعد تهدف الى الاستيلاء على القسطنطينية .

فى عهد ابى جعفر المنصور

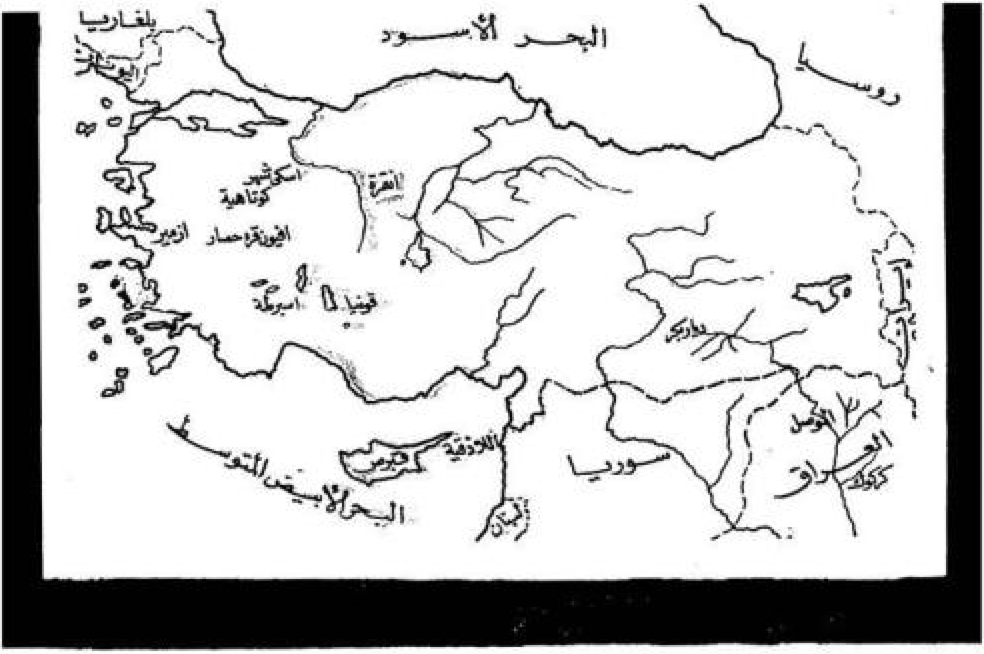
بدات غارات البيزنطيين على اراضى الدولة العباسية فى عهد ابى جعفر المنصور ، فاستولوا على مَلَطْيَة (١) سنة ١٣٨ هـ ، غير ان المسلمين ما لبثوا ان تمكنوا من استردادها فى العام التالى . وظلت الحروب رغم ذلك تشتعل من حين لآخر بين الفريقين حتى سنة ١٥٥ هـ حيث طلب الامبراطور قسطنطين الخامس الصلح على ان يؤدى للخليفة العباسى جزية سنوية .

فى عهد الخليفة المهدى

عاد البيزنطيون الى شن غاراتهم على حدود الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة

---

(١) ملطية مدينة على الفرات فى تركيا اليوم ، فيهــا ولد المؤرخ البطريرك ميخائيل السريانى (١١٢٦ ـ ١١٩٩ م) والمــؤرخ غريغوريوس بن العبرى (١٢٢٦ ـ ١٢٨٦ م)



المهدى ، فاستولوا على مَرْعش (٢) ، فانفذ اليهم الخليفة جيشا بقيادة الحسن بن قحطبة ، ثم اضطر بعد ان بلغه تجدد غارات البيزنطيين الى الخروج بنفسه على راس جيش بلغ عدده مائة وخمسين الفا ، وعسكر بمدينة حلب ، وارسل ابنه هارون مع جيش يضم بعض كبار العباسيين الى بلاد الروم ، فأوقع هذا الجيش الهزيمة بقواتهم سنة ١٦٣ هـ .

ولما وصل الى الخليفة المهدى العباسي ان غارات الروم على اراضى الدولة العباسية عادت سيرتها الاولى ، جهز فى سنة ١٦٥ هـ جيشا كبيرا واسند قيادته الى ابنه هارون، فسار هذا الجيش حتى بلغ البسفور ، فاضطرت الملكة ايرينى ـ وكانت وقتذاك وصية على ابنها قسطنطين السادس ـ الى طلب الصلح ، وتعهدت بأن تدفع للمسلمين جزية سنوية ، وان تقيم لهم الادلاء والاسواق فى الطريق عند عودتهم الى بلادهم . واتفق الطرفان على عقد هدنة بينهما مدتها ثلاث سنوات .

فى عهد هارون الرشيد

ولما ولى الرشيد الخلافة سنة ١٧٠ هـ (٧٨٦ م) عُنِىَ بتأمين حدود دولته المجاورة لبلاد الروم ، فانشا اقليما بهذه المنطقة عرف باقليم العواصم والثغور ، كما وجه اهتمامه الى صد غارات البيزنطيين . وشجعه اضطراب الحالة الداخلية فى الدولة البيزنطية على التوغل فى بلاد آسيا الصغرى ، فانتصر على

(٢) مرعش مدينة هى الآن فى تركيا قرب حدود سوريا فتحها صلحا فى عهد الاسلام الاول ابو عبيدة عام ١٦ هـ أو ٦٣٧ ميلادية .

البيزنطيين في كثير من المعارك . ورأت الامبراطورة ايريني تحت حكم الظروف المحيطة بها ان تهادن الرشيد وتؤدي اليه اتاوة .

ولما نزلت هذه الامبراطورة عن العرش ، وخلفها الامبراطور نقفور Nicephore ساءه عقد هذه الهدنة مع الخليفة العباسي ، وارسل كتابا الى الرشيد يصغر فيه من شأنه ويلح عليه في رد الاتاوة التي دفعتها له ايريني . وكان مما جاء فيه : « من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب ، أما بعد ، فان الملكة التي كانت قبلى اقامتك مقام الرخ (٣) ، وأقامت نفسها مقام البيدق (٤) ، فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثاله اليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فاذا قرات كتابي ، فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافتد نفسك بما تقع به المصادرة لك ، والا فالسيف بيننا وبينك » .

فرد عليه الرشيد بما يأتي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون امير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ، قد قرات كتابك والجواب ما تراه دون أن تسمعه ، والسلام . »

ثم عزم على محاربته ، فسار اليه على راس جيش كبير سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦م) مخترقا آسيا الصغرى ، وظل يتابع اغاراته حتى استولى على هرقلة(٥) . واضطر الامبراطور نقفور الى طلب الصلح بسبب انشغاله بفتنة قامت في بلاده ، وتعهد بدفع جزية قدرها خمسون ألف دينار .

على ان قوات الروم ما لبثت ان تقدمت في العام التالي (٨٠٧ م) نحو أراضي الدولة الاسلامية وهاجمت المسلمين في مرعش وطرسوس والحقت بهم خسائر فادحة . وكان الرشيد اذ ذاك منشغلا باخماد ثورة في بعض انحاء دولته ، ولذلك لم يستطع أن يستعيد البلاد التي استولى عليها الروم .

بعد وفاة الرشيد

لما توفي الرشيد سنة ١٩٣هـ (٨٠٩م)، شغلت الدولة العباسية بالفتنة التي قامت بين الامين والمأمون ، ولم تقع حوادث تستحق الذكر في العلاقات بين الشرق والغرب . وظلت الامور مضطربة في الدولة الاسلامية حتى ولي المأمون الخلافة ، وكذلك كانت الحال بالنسبة للدولة البيزنطية فلم تمكنها الاضطرابات الداخلية من التقدم في اراضي الدولة العباسية .

في عهد المأمون

تطور العداء بين العباسيين والبيزنطيين منذ عهد المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ) ، وليس ادل على ذلك من ان الدولة البيزنطية غدت ملجأ لطائفة الخرمية (٦) الخارجة على الخلافة العباسية، كما اصبحت الدولةالاسلامية

---

(٣) الرخ : طائر وهمي كبير .

(٤) البيدق : طائر من الجوارح كبير الحجم .

(٥) هرقلة عاصمة في آسيا الصغرى حاصرها هارون الرشيد ثم فتحها عام ٨٠٦م ، واسمها في أيامنا هذه اركلي

(٦) اتباع بابك الخرمي الذى ثار سنة ٢٠١هـ على المأمون . وهو زعيم فئة الخرمية ، من الاسماعيلية . حارب المعتصم من بعد المأمون وانهزم ثم صلب وذلك عام ٨٢٨ م .

ملجأ للمضطهدين من الدولة البيزنطية ، فشجع المأمون الثائر توماس الصقلبي الذى خرج فى آسيا الصغرى على الامبراطور ميشيل الثاني (٨٢٠-٨٢٩م) وامده بجيش قوى يستعين به فى مهاجمة القسطنطينية .

كذلك رحب المأمون بمانويل ، احد قواد البيزنطيين ، حين لجأ اليه ، وانتفع بخبرته العسكرية فى غزو بلاد الروم . غير ان الامبراطور البيزنطي ثيوفيلوس شق عليه ان يحرم من خدمة هذا القائد ، فأنفذ بعثة الغرض منها فى الظاهر مفاوضة الخليفة ، لكن غايتها الاولى فى الواقع الاتصال بمانويل واغرائه بالعودة الى بلده . وقد افلحت هذه البعثة فى تحقيق تلك الغاية بعد ان وثق مانويل من صفح الامبراطور عنه .

واصل الخليفة المأمون مجهوداته لصد الخطر البيزنطي عن الدولة الاسلامية ، فهاجم الجزء الشرقي من آسيا الصغرى واستولى على بعض الحصون . ولما عجز الامبراطور البيزنطى عن المضى فى الحرب ، كتب الى المأمون يسأله الصلح وتبادلَ الاسرى ، فقال : « أما بعد ، فان اجتماع المختلفين على حفظهما اولى بهما فى الراى مما عاد بالضرر عليهما ... ، وقد كنت كتبت اليك داعيا الى المسالمة ، راغبا فى فضيلة المهادنة ، لتضع اوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد لكل واحد وليّاً وحزبا ، مع اتصال المرافق والفسح فى المتاجر وفك المستاسر وامن الطرق .. ، فان أبيت .. ، فاني لخائضٌ اليك غمارها .. »

لكن المأمون رفض الصلح لأنه راى الا يترك فرصة الاضطراب السائد بالدولة البيزنطية دون ان يزحف الى القسطنطينية ويهاجمها ، وبعث كتابا الى الامبراطور البيزنطي ، قال فيه : « أما بعد ، فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدنة ودعوت اليه من الموادعة ، وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق وفك الاسارى ورفع القتل والقتال ، فلولا ما رجعت اليه من أعمال التؤدة والأخذ بالخطر فى تقليب الفكرة .. لجعلت جواب كتابك خيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيرة .. ، غير اني رايت ان اتقدم اليك بالموعظة التي يكتب الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدانية والشريعة الحنفية ، فان ابيت ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ... ، والسلام على من اتبع الهدى . »

ولم يلبث المأمون ان توفى سنة ٢١٨هـ (٨٣٣ م) فى طرسوس اثناء خروجه لغزو الروم .

ثيوفيلوس البيزنطي يخرب زِبَطرة فى عهد المعتصم

لما آلت الخلافة الى المعتصم بعد وفاة اخيه المأمون ، حاول الامبراطور البيزنطى ثيوفيلوس الاتصال ببابك الخُرَّمى لمعاونته فى ثورته على الخلافة العباسية ، كما ارسل بابك الى هذا الامبراطور يحرضه على غزو اراضى الدولة الاسلامية ، فزحف ثيوفيلوس الى بلاد ارمينية ، ثم اغار على حصن زِبَطرَة Azopetra(٧) وخرب هذه المدينة تخريبا تاما ، وعاد الى حاضرة دولته بغنائم كثيرة .

المعتصم يثار بتخريب عمورية

وعندما علم بذلك المعتصم عول على

---

(١) بلد هى اليوم فى تركيا بجوار ملطية التى مر ذكرها .

ان يفعل بعَمُّورية ما فعله ثيوفيلوس بزبطرة . وكانت عمورية تعتبر مفتاح القسطنطينية لحصانتها ومناعتها ،فضلا عن انها موطن الأسرة الحاكمة فى الدولة البيزنطية ، فقد نشأ فيها ثيوفيلوس نفسه ، فخرج المعتصم من طرطوس على راس جيش كبير بلغ عدد افراده مائة وثلاثين الفا ،واصطحب نخبة من مشاهير القواد كالافشين واشناس ، وقسم الخليفة جيشه الى قسمين ، تولى الافشين قيادة احدهما ، وقاد المعتصم القسم الآخر ، وسارت القوتان فىطريقين مختلفين ، ووجهة كل منهما انقره . فلما التقى الافشين بالامبراطور البيزنطى ، اوقع بقواته الهزيمة ، وتمهد بذلك السبيل امام قوات العباسيين للمسير الى انقرة والاستيلاء عليها . ثم قصد الخليفة عَمُّورية ، فوصلها بعد سبعة ايام ، واخذت قواته فى محاصرتها ،وبعد حصار دام اثنى عشر يوما ، استطاعت هذه القوات اقتحام المدينة ، واتت عليها نهبا وتخريبا . واكثرت فى اهلها القتل ، واستولت على كثير من السبي والغنائم، ثم احرقت المدينة فى النهاية .

ابو تمام يمدح المعتصم بقصيدته الشهيرة البائية عند عودته من عمورية

لما عاد المعتصم الى سامرّاء بعد انتصاره على البيزنطيين فى عمورية سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨ م) احتفل باستقباله ومدحه الشاعر ابو تمام الطائى الذى صحبه فى غزو عمورية بقصيدته البائية التى قال فيها :

السيفُ اصدق انباء من الكتب
فى حدّه الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
والعلمُ فى شهُب الارماح لامعةً
بين الخميسين لافى السبعة الشهُب

اين الرواية ام اين النجوم وما
صاغوه منْ زُخرف فيها ومن كذب
تخرُّصاً واحاديثا ملفقةً
ليست بنبع اذا عُدّتْ ولا غرب

المعتصم يجهز اسطولا لغزو القسطنطينية

راى المعتصم بعد ان اوقع الهزيمة بالروم فى عمورية أن يلحق بهم هزيمة اخرى فى البحر ، فاعد اسطولا مكونا من اربعمائة سفينة ، وقوة كبيرة ليغزو بها القسطنطينية ؛ لكنه توفى قبل مسير هذه الحملة . فلما خلفه ابنه الواثق امر بانفاذها، غير ان عاصفة ادركت الأسطول العربى جنوبى انطاكية ، فاغرقته ، ولم يعد منه الى سوريا الا سبع سفن وبذلك لم يتيسر للعباسيين فتح عاصمة البيزنطيين .

تبادل الأسرى فى عهد الواثق

لما تكاثر عدد الاسرى عند كل من المسلمين والبيزنطيين ، عرض الامبراطور ميخائيل الثالث ابن ثيوفيلوس على الخليفة العباسى أن يعقد معه اتفاقا يتبادل بمقتضاه الأسرى ، فلقيت هذه الفكرة قبولا حسنا لدى الواثق ، ومن ثم اتفق الطرفان على وضع نظام خاص لذلك .

ورد فى كل من كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، والتنبيه والاشراف للمسعودى، وصفٌ للافدية بين المسلمين والروم فى العصر العباسى ، ويتضح لنا من هذا الوصف الطريقة التى اتبعت فى فداء الأسرى ، فيروى الطبرى انه فى المحرم من سنة ٢٣١هـ . (٨٥٤م) ، جرى الفداء بين المسلمين والروم .وكان عدد الأسرى الذين مع الروم أكثر من الأسرى الذين مع المسلمين ، فرأى

الخلفية الواثق أن يكمل النقص بشراء رقيق الروم من الأسواق ، كما أخرج من قصره كثيراً من النساء الروميات حتى تكافأ عدد الروم مع أسرى المسلمين .

واستمر هذا الفداء اربعة أيام . وبلغ عدة من افتدى اثناءها من المسلمين اربعة آلاف واربعمائة وستين أسيرا من الرجال والنساء . وكان من بين الأسرى أهل ذمة من رعايا الدولة الاسلامية .

وتم تبادل الأسرى والفداء بين المسلمين والروم على نهر صغير غربي مدينة طرطوس بآسيا الصغرى ، يقال له نهر اللامس(٨) فوقف المسلمون من جانب النهر الشرقي ، والروم من الجانب الغربي . وكان الروم اذا أطلقوا أسيرا من المسلمين ، اطلق المسلمون أسيرا من الروم ، فاذا وصل المسلم الى أهل ملته كبّر وكبّر المسلمون ، واذا قدم الرومي الى قومه تكلم وتكلموا هم كلاماً يشبه التكبير .

ويحدثنا الطبري في رواية اخرى أن المسلمين ، اقاموا على نهر اللامس جسرا ونصب الروم جسرا آخر، فكان المسلمون يطلقون أسرى الروم على جسرهم ، وكذلك كان يفعل الروم بأسرى المسلمين .

طال مكوث أسرى الروم فى الدولة الاسلامية ، فكان لهم حى يعرف بحىّ الروم ، وكنيسة نسطورية

ادت الحروب المتصلة بين المسلمين والبيزنطيين الى اسر عدد كبير من العرب والروم . وقد ظل أسرى العرب في بلاد الروم سنين طويلة ، فيروى أنه مضى على بعض اسراهم عند الروم ثلاثون سنة . كذلك اقام أسرى الروم بالبلاد الاسلامية فترة طويلة . كما استرق كثير من الروم نتيجة لتلك الحروب ، وكثر مماليكهم تبعا لذلك من رجال ونساء وغلمان فى بيوت الخلفاء وكبار رجال الدولة . وصار للروم فى بغداد حىّ يسمى دار الروم بالشماسية . واقيم لهم بهذا الحى كنيسة على مذهب النسطورية ، ودير يسمى دير الروم .

وطال مكوث اسرى العرب فى الدولة البيزنطية ، وعادوا بمعلومات من تلك الدولة وفيرة

تأثر كل من اسرى المسلمين والروم بالحياة العامة فى الدولتين العباسية والبيزنطية : فالأسرى المسلمون الذين اقاموا السنين الطوال فى بلاد الروم ، كانوا يعودون الى الدولة الاسلامية بمعلومات كثيرة ليست معروفة لسكان البلاد التى ينتمون اليها . واحسن مثل لذلك مسلم بن ابى مسلم الجرمى ــ الذى كان من أهل الثغور ، ثم أسره الروم فى بعض الحروب ، فقد استطاع هذا الرجل أثناء اقامته بالقسطنطينية وغيرها من بلاد الروم أن يكتب كتابا فى جغرافية الدولة البيزنطية ، تحدث فيه عن بلادها وطرقها ومسالكها وبحارها . ومما يذكر عنه انه لما جىء به مع غيره من الاسرى فى فداء سنة ٢٣١ هـ رفض القول بخلق القرآن ، فأصابه من جراء ذلك كثير من الضرّ . وكان الخليفة الواثق قد بعث اذذاك من يمتحن الأسرى المسلمين فى مسألة القرآن ، فمن قال منهم ان القرآن مخلوق ، وان الله عز وجل لا يرى فى الآخرة ، فودى به ، ومن لم يقرّ بذلك ترك فى أيدى الروم .

■■

محمد جمال الدين سرور

---

(٨) اللامس نهر فى قيليقية يخرج من جبال طوروس بالاناضول .

بقلم : محمود أبو رية

قال الراغب فى مفرداته : الشعر فى الاصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم : ليت شعرى، وصار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام ، والشاعر للمختص بصناعته .

وقال ابن رشيق فى العمدة : والشعر هو ما اطرب وهز النفوس ، وحرك الطباع .

وقال مصطفى صادق الرافعى فى مقدمة الجزء الثانى من ديوانه : الشعر معنى لما تشعر به النفس فهو من خواطر القلب ، اذا القى عليه الحس من نوره انعكس على الخيال ، فانطبعت فيه معانى الاشياء كما تنطبع الصورة فى المرآة .

وقال الاستاذ الامام محمد عبده فى بيان قدر الشعر :

لو سألوا الحقيقة ان تختار لها مكانا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر .

لم سمى الشاعر شاعرا

قال ابن رشيق فى « العمدة » : انما سُمِّى الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر به غيره ، فاذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، واستظراف لفظ وابتداعه ، وزيادة فيما اجحف فيه غيره من المعانى ، او نقص مما اطاله سواه من الالفاظ ، وحرَّف معنى الى وجه عن معنى آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ، ولم يكن له الا فضل الوزن .

مكانة الشعر عند العرب

جعل العلماء الشعر من الفنون الجميلة كالموسيقى والرسم وغيرهما من سائر هذه الفنون ، وذلك لما له من تأثير بالغ ، وسلطان قاهر على النفوس والعواطف والقلوب .

وان من يدرس تاريخ التمدن الانسانى يجد ان هذه الفنون لم تختص بها امة من الامم ، ولا جنس من الاجناس ، وقد تنبغ امة فى فن منها ، وتتخلف فى غيره . ومما لا خلاف عليه ان العرب قد نبغوا فى فن الشعر ، وبلغوا فيه الغاية التى ليس وراءها غاية ، وانهم لسلائقهم التى طُبعت على قوله قد أولوه كل عنايتهم ، واختصوه بجل اهتمامهم ، بحيث لم يكن لهم غيره من الفنون والعلوم اللهم الا شيء من علم النجوم ، وقد خلد لهم الشعر ذكرا على وجه الدهر مضيئا .

قال ابن سلام فى طبقاته :

كان الشعر فى الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون واليه يصيرون . وأسند الى ابن سيرين انه قال ، قال عمر بن الخطاب : كان الشعر علمَ قوم لم يكن لهم علم اصح منه .

وقال الجاحظ فى الحيوان : ان كل امة تعتمد فى استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب ، وشكل من الاشكال ، وكانت العرب فى جاهليتها تحتال فى تخليدها بان تعتمد فى ذلك الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها .

وقال ابن خلدون فى مقدمته :

ان فن الشعر من بين الكلام كان شريفا عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم ،

وشاهدَ صوابهم وخطئهم ، واصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم وحكمهم وكانت ملكتـه مستحكمة فيهم .

ولعظم شان الشعر فى الجاهلية ، كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الاعراس ، وتتباشر الرجال والولدان ، لانـه حماية لاعراضهم وذبٌ عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم ، وكانوا لايهنئون الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ فيهم او فرس تنتج .

قواعد الشعر واغراضه

قواعـد الشعر كما بينـوها اربع : الرغبـة والرهبة ، والطرب ، والغضب ، فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومـع الرهبة يكـون الاعتـذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقـة النسيب . ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع .

وقال الرماني : اكثر ما يجرى على اغراض الشعر خمسة : النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف .

وقال ابن سلام فى طبقاته : بيوت الشعر اربعة ، فخر ومديح ونسيب وهجاء .

موقف النبي (ص) من الشعر

ولفضل الشعر عند العرب وعظم مكانته لديهم كان النبي (ص) يحبه ويمدحه متى كان حقـا ليس فيه عبث ولا خِلال وكان يستنشده ويتمثل به ، ويثيب عليه .

فمن مدحه اياه ما رواه عنه ابي بن كعب : ان من الشعر حكمة اى قولا صادقا مطابقا للحق وفى رواية لابى داود : ان من البيان سحرا ، وان من العلم جهلا ، وان من الشعر حِكْمة .

وممن استنشده النبي مـن الشعر مـا رواه البخارى فى الادب المفرد عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال :

استنشدني النبي شعر امية ابن ابى الصلت حتى انشدته قافية - وفى رواية : استنشدني النبي شعر امية ابن ابي الصلت فانشدته فاخذ النبي يقول : هيه ، هيه ، حتى انشدته مئـة قافية ، فقال : انه كاد ليسلم .

وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ، ان الخنساء قدمت على رسول الله مع قومها واسلمت معهم ، وكان رسول الله يستنشدها فيعجبه شعرها ويقول : هيه هيه ، ياخناس ويومىء بيده .

وقال النبي (ص) فى ابن رواحة : ان اخا لكم لا يقول الرفث فى قوله :

وفينا رسـول اللـه يتلو كتابه
اذا انشـق معـروف من الفجر ساطع
ارانـا الهـدى بعـد العمى فقلوبنـا
بـه موقنـات ان مـا قـال واقـع

والاخبار فى ذلك كثيرة فنكتفى بما قدمناه .

النبي يتأثر بالشعر ويثيب عليه

وكان النبي (ص) يتأثر بالشعر اعمق التأثر

فقد كان صلوات الله عليه قد اوعد كعب بن زهير لما نهى اخاه عن الاسلام ، فقيل له : لا منجاة لك الا ان تذهب الى رسول الله تائبا ، فاتاه متنكرا بعد صلاة الفجر وقال : يارسول الله ، ان كعب بن زهير قد اتى مستاذنا تائبا ، افتؤمنه فاتيك به ؟ قال ، هو آمن . فحسر كعب عن وجهه وقال : بابى انت وامي يا رسول الله ، مكان العائذ بك ، انا كعب بن زهير فامنه رسول الله ، ومن ثم انشد كعب قصيدته التي اولها .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

ومنها :

انبئت ان رسول الله اوعدني
والعفو عند رسول الله مامول

مهلا هداك الذى اعطاك نافلة ال
قرآن فيه مواعيظ وتفصيل

لا تاخذنى باقوال الوشاة فلم
اذنب وقد كثرت فيّ الأقاويل

فلم ينكر عليه النبي قوله — وما كان ليوعده على باطل — بل تجاوز عنه ، ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين الف درهم ، وقال العتبى بعشرين الفا ، وهى التى كان يتوارثها الخلفاء ويلبسونها فى الجُمَع والاعياد تبركا بها.

ويلاحظ ان كعبا قد استهل قصيدته بما كان يستهل به الشعراء قصائدهم بالغزل والنسيب فلم ينكر عليه النبي (ص) .

وجاء الخبر ان قُتَيْلَةَ بنت النضر بن الحارث عرضت للنبي (ص) وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه — وكان قد قتل اخاها — فانشدته قصيدتها المشهورة ، فقال النبي : لو كنت سمعت شعرها ما قتلته .

ولا نستوفي ذكر مثل هذه الاخبار فانها مستفيضة .

كان النبي (ص) يتمثل بالشعر

كانوا قد اختلفوا فى جواز تمثل النبي (ص) بالشعر وانشاده حاكيا عن غيره ، لكن الصحيح ان ذلك يجوز ولا باس به وقد اخرج البخاري فى الادب المفرد والترمذي من رواية المقدام بن شريح عن ابيه ، قلت لعائشة : اكان رسول الله يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل من شعر ابن رواحة وكان يتمثل ويقول :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وكان (ص) يقول : اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ، ورواية مسلم ، اصدق بيت قاله الشاعر :

الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

وتمثل ببيت امية بن ابي الصلت :

ان تغفر اللهم تغفر جما
وايُّ عبدٍ لكَ لا ألما

اى لم يصب طرفا من الذنوب .

وروى البخارى عن جندب قال : بينما النبى (ص) يمشى اذ اصابه حجر فعثر فدميتْ اصبعه فقال :

هل انت الا اصبعٌ دَميت
وفى سبيل الله ما لقيت

وهو من الرَّجَزِ وقال صلوات الله عليه فى غزوة حنين .

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

الصحابة وقول الشعر

كان الصحابة كغيرهم من اخوانهم العرب ينشدون الشعر ويسمعونه . اخرج ابن ابى شيبة عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن اصحاب رسول الله منحرفين ولا متماوتين ، وكانوا يتناشدون الاشعار ويذكرون حديث الجاهلية.

وفى حديث جابر بن سمرة عند ابي شيبة والترمذى قال : كان اصحاب رسول يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله ، فلا ينهاهم ، وربما يبتسم .

وعن مطرف قال صحبتُ عمران بن حصين من

الكوفة الى البصرة فقلّ منزل نزله الا وهو ينشدني شعرا .

ولو انت رجعت الى كتاب الهرة لابن رشيق لوجدت اشعارا كثيرة للصحابة والتابعين .

وكان ابن عباس يقول : اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب . وقيل لسعيد بن المسيّب : ان قوما بالعراق يكرهون الشعر فقال: نسكوا نسكا اعجميا .وكان عمرو بن الخطاب يتعجب من قول زهير .

فان الحق مقطعه ثلاث" اداء" او نفار" او جلاء

هجاء شعراء المشركين للنبي ــ ودفاع شعراء الانصار عنه

لم يكتف المشركون بان ينازلوا النبى (ص) في ميادين الحرب والقتال بأيديهم وأسلحتهم ،بل اتخذوا معه سلاحا آخر من ألسنتهم فكانوا يحرضون عليه شعراءهم ويحرّشون به خطباءهم لينالوه بالهجاء وليمسوه بالشتم والسفاهة .

وكانوا يأتون وفودا من أجل ذلك كوفد بني تميم الذي جاءوه ومعهم شاعرهم الاقرع بن حابس، وخطيبهم عطارد بن حاجب ، ينادونه من وراء الحجرات : يامحمد اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك، فان مدحنا زين ، وذمّنا شين ! ولانه صلوات الله عليه لم يؤمر بالفخر ولم يبعث للهجاء ، وكان قد تخلص من عادات الجاهلية الذميمة ، فقد اتخذ له شعراء يدافعون عنه وينافحون ، وكانوا كلهم من الانصار .

وقد اتبع في ذلك سنة العرب في حماية اعراض المسلمين ، فقد كانت سنتهم انه اذا سكت المشتوم صدق الشاتم ، ومعارك الألسنة لا يسكت فيها الا الذليل ، ولا يغلب فيها الا الغبى .

وقد روى الطبراني عن عمار بن ياسر قال : لما هجانا المشركون قال رسول الله : قولوا لهم كما يقولون .

وروى ابن وهب وعبد الرزاق عن محمد بن سيرين قال : هجا رهط من المشركين النبي واصحابه ، فقال المهاجرون : يا رسول الله الا تامر عليا ليهجو القوم ! فقال النبي : ان القوم الذين نصروا بأيديهم احق ان ينصرونا بالسنتهم! فقالت الأنصار : أرادنا والله .فارسلوا الى حسان ابن ثابت فاقبل فقال : يا رسول الله والذى بعثك بالحق ما احب ان لى بمقولي ما بين صنعاء وبصُرى ، فقال له النبي : أنت لها ، فقال : لا علم لى بنسب قريش ! فقال النبي لابي بكر اخبره عنهم ونقّب في مثالبهم . ثم قال النبي : كيف بنسبي ؟ فقال له حسنا : لاسلنك كما تسلّ الشعرة من العجين . وقال النبي : يا حسان ، اجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس .

ومن الذين تولوا النبى بالهجاء ، عبد الله ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب ومنهم كعب بن الاشرف ، وهو من طيء ، وقد بكى قتلى بدر وشبّب بنساء رسول الله ونساء المسلمين، فأمر رسول الله محمد بن مسلمة ورهطا من الانصار بقتله فقتلوه . وهو يهودى .

ولعظم شان حسان بنى النبى منبرا في المسجد لينشد عليه الشعر (١)

وقال النبى في شعرائه الذين ناصروه وأجابوا عنه المشركين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة : شعر هؤلاء النفر اشد على قريش من نضح النبل.وفي الطبقات لابن سعد عن ابن سيرين ان النبي قال لكعب بن مالك : هيه فانشده ، فقال : لهو اشد عليهم من وقع النبل. وكان عمر يمنع الشعراء من هجاء قريش فقال له النبى : خل عنهم يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل .

وعن الشعبى عن جابر كما رواه الحاكم وابن

---

(١) مر عمر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله فقال له : ارغاء كرغاء البعير ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله انك لتعلم ، لقد كنت انشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير على ذلك ، فقال عمر : صدقت .

مردوية ان النبي قال يوم الاحزاب : من يحمي اعراض المسلمين ؟ فقال له حسان : انا . قال النبي فتم اهجُهم فان روح القدس معك .

وكان شعراء النبي يقبلون ذلك لانه قال صلوات الله عليه « ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه » .

لم خص النبي الانصار بأن ينصروه بالسنتهم ؟

واذا سأل سائل ، ولم خص النبي الانصار بان ينصروه بالسنتهم ولم يطلب ذلك من قريش؟ وانا ندع الجواب عن ذلك لابن سلام حيث قال في طبقاته .

« كان يكثُرُ الشعر بالحروب التى تكون بين الاحياء نحو حرب الاوس والخزرج ، أو قوم يغيرون أو يُغار عليهم . والذى قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة (١) ولم يحاربوا » .

ذم الشعر والشعراء فى القرآن والحديث

اذا كان للشعر العربى هذه المكانة الجليلة عند العرب ، وانه كان ديوانهم واكبر علومهم ، ومنتهى حكمهم ، واعظم فخرهم ، وكان النبي (ص) قد عرف له هذه المكانة فكان – كما مر بك – يمدحه ويستنشده ، ويتمثل به ويستمع اليه ، ويثيب عليه وانه كان ينشد منه الرجز ، اذا كان كل ذلك قد ظفر به الشعر منه ، فلم جاء القرآن بذمه وذم من يقوله ؟ ولم يشارك النبى فى هذا الذم ؟ .

ففى القرآن جاءت الآية صريحة تقول :والشعراء يتبعهم الغاوون ! ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون ؟ (سورة الشعراء) .

وجاء الحديث الذى رواه أبو هريرة : لان يمتلىء جوف احدكم قيحا حتى يريه ، خير له من ان يمتلىء شعرا !

اما الآية : فقد فسرت تفسيرا واضحا بان المراد بالشعراء فى الآية هم شعراء المشركين الذين كان غواة الناس يتبعونهم ، ويرددون شعرهم ، وسمتوا منهم عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهيب وسافع بن عبد مناف وغيرهم ، ثم انها صريحة كذلك بانها تعم الشعراء جميعا وانما استثنت الذين آمنوا منهم وانتصروا من بعد ما ظلموا ، مثل حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وهم الذين نافحوا عن رسول الله كما علمت مما ذكرناه عنه آنفا .

ومن يحتج بهذه الاية على منع الشعر وكرهه كله فهذا لا يفهم وجه الكلام ولا مغزاه .

اما الحديث الذي رواه ابو هريرة فقد قالت فيه عائشة عندما بلغها : ان ابا هريرة لم يحفظ ! وانما قال الرسول من ان يمتلىء شعرا هُجيت به (٢)

ومما لا ريب فيه ان عائشة اعلم بهذا الامر من ابي هريرة ، واصدق .

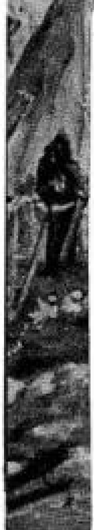
والذى يؤيد ما قالته عائشة من أن الشعر المذموم هو الهجاء الذى جاء فى شعر المشركين ما اخرجه ابن أبي شيبة انه لما نزلت « والشعراء يتبعهم الغاوون » جاء عبد الله بن رواحة وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك الى النبى وهم يبكون ! فقالوا : يا رسول الله انزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء ؟ فقال النبي : اقرأوا ما بعدها « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » أنتم ، « وانتصروا من بعد ما ظلموا » أنتم .

وذكر السهيلى فى غزوة ودان عن جامع ابن وهب ان عائشة انكرت على من حمل هذا الحديث على العموم فى جميع الشعر وقال : ان قول عائشة هذا هو الحق الذى يتفق مع الآية الكريمة. ■■

محمود أبو رية

(١) النائرة الحقد والعداوة تقع بين القوم فتثير شرورهم .
(٢) راجع فى ذلك وفى غيره الى ما بيناه فى كتابنا (شيخ المغيرة) .





بكاء شاعر

أنا إن بكيت فلا ألام ، لأنني أبكي دياري
أبكي على وطني السليب تعيث فيه يد الدمار
أبكي أحبائي وإخواني وخلاني وجاري
باتوا تضمهم الخيام ، على لظى وسعير نار
أنى نظرت رأيت في قسماتهم بؤسي وعاري

★★★

لكن دمع العين لا يجدي كثيرا أو قليلا
ما صد دمع عن حمى يوما عدوا أو دخيلا
يحمي الحمى من يحطم الأغلال والقيد الثقيلا
من لا يقيم على الأذى ويرى الردى عذبا جميلا
من ليس يرضى عن حماه وعن نسائمه بديلا

★★★

آلى الشباب ، وإنه يا موطني أمل الغد
والمرتجى عند الخطوب لكل يوم أسود
ألا تذل لغاصب أو أن تلين لمعتد
أن يبذل الأرواح ، يرخصها لأسمى مقصد
لتظل تنعم بالخلود على المدى والسؤدد



عائدون

سنجيء كالرعد المجلجل كالصواعق كالضياغم
نمشي على بحر من الأهوال يزخر بالجماجم
من رام تحرير الحمى من كل مغتصب وغاشم
شق الطريق إلى الحمام وثغره الوضاء باسم
وطني ! سترجع في غد بشراك يا مهد المكارم ■■

راضي عبد الهادي

اعرف وطنك أيها العربي



تريم

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار مترى

- سور برلين فى حضرموت !
- الاموات يزحفون على الاحيـاء !
- مساجدها ٣٦٥ ، وبها مئذنة من أعاجيب الدنيـا !



مئذنة عمر المحضار أروع مآذن الجوامع العربية ، ترتفع ١٧٥ قدما في سماء تريم ، بداخلها ١٤٠ درجة سلم لـ
الى القبة .. يعود تاريخها الى خمسين عاما مضت ،فقد صممها أبو بكر بن شهابي عام ١٣٣٣ هـ .

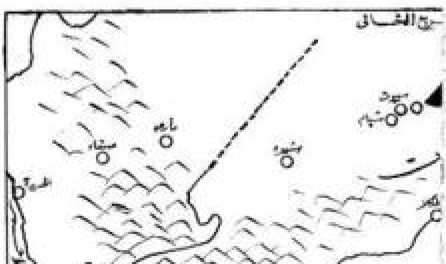
■ عندما يفكر الانسان فى قحطان وسبأ وحِميَر ، يتجه تفكيره على الفور الى جنوب الجزيرة العربية . ولكن أين ؟... وفى أى مكان ازدهرت هذه الحضارات ؟.. واى مدينة من مدنها ما زالت باقية ؟.. ان هذه كلها اسئلة تضيع الاجابة عليها وسط دوامة من الفروض والاستنتاجات .

و« تريم » التى نقدمها فى هذا العدد ، اسم لاحدى مدن مملكة سبأ القديمة .. انها ما زالت حية حتى اليوم ، تعيش مختفية هادئة على بعد ٢٠ ميلا من رمال الربع الخالي ، بعيدا عن فؤوس المنقبين والباحثين .

ان اسمها مشتق من اسم احد أبناء سبأ الذى استمرت مملكته من عام ٨٥٠ الى ١١٥ ق.م تقريبا ..

وتقع تريم على وادى حضرموت ، ويمتد ٣٦٠ ميلا داخل صحراء حضرموت .. وهو ليس واديا بالمعنى الصحيح ، وانما مجرى نهر قديم كبير جف منذ زمن بعيد ...

ويختلف اتساع هذا الوادى تبعا للمنطقة ، فمرة يصل الى ٢٠ ميلا ، ليتقلص الى أربعة او خمسة اميال عندما يقترب من تريم ، ويتبدل اسمه فيصبح وادى المسيلة .. ويظل يمتد نحو البحر حتى ينتهي عند سيحوت على شاطىء المحيط .



خريطة الجنوب العربى .. وقد ظهر عليها موقع تريم ..



قصر جمال الكاف فى تريم ، وسط واجهته كتبت هذه الكلمات .. « يا وطود عزك راسخ » ...

سور برلين فى حضرموت !؟

وتريم هي شقيقة لمدينة شبام فى القعيطية ، والاخت الصغرى لسيئون عاصمة الكثيرية ، ولكنها تختلف عنهما ، فهي ما زالت تعيش داخل سور عجيب له خمسة بوابات و ٢٠ برجا .

ويتحدث اهل تريم عن هذا السور بمرارة زائدة ، اذ يتخيلونه كسور برلين الذى يفصل بين برلين الشرقية والغربية ... بينما ان سورهم يفصل بين حدود السلطنتين القعيطية والكثيرية! فعندما كنا خارج السور قالوا لنا : « انتم الآن على أراضي السلطنة القعيطية » .. وعندما تخطينا السور بعبور بوابته الجنوبية : قالو لنا : « انتم الآن فى أراضي السلطنة الكثيرية » .. لان تريم نفسها تابعة للسلطنة الكثيرية .

ويعانى أهل تريم الامرين من هذا التقسيم ، فمثلا البضائع التى ترد الى مدينتهم تخضع لضريبة مزدوجة ، فمرة تحصّل جمارك القعيطية ٢٢٪ من قيمة البضاعة ، ومرة أخرى ، وعند البوابة ، تحصّل جمارك الكثيرية ١٧٪ من الثمن،



حضرموت ، وعلى
مجدك باذخ ،



سور برلين فى تريم ... انه السور الذى يفصل بين أراضى السلطنتين القعيطية والكثيرية . وتريم تابعة للسلطنة الكثيرية ، ولكنها محاطة بأراض كلها تابعة للسلطنة القعيطية.

وهذا يجعل الاسعار داخل المدينة مرتفعة للغاية بالنسبة لمدن الساحل ..

بخور ولبان .. وسكر وسمك !

وما زال الكثير من البضائع يرد الى تريم على ظهور الجمال والحمير التى تسير علىطريق القوافل الممتد منذ ثلاثة الاف عام !

لقد كان اهل سبا يتاجرون بالبخور ، واللبان ، والطيب ، والمر ، والبلسم ، والعنبر ، والكحل ، والماشية ، وكانت أراضيهم خصبة للغاية .. أما اليوم فالقوافل لم تعد تنقل سوى الشاى والسكر والسمك المجفف ، وبعض السلع الضرورية الاخرى .. أما البخور واللبان ، فلم يعد لأشجارهما وجود فى حضرموت ، فقد قطعت كلها ، وتحولت زراعتها الى منطقة ظفار شرق حضرموت .

وفى الآونة الأخيرة بدأ يظهر الكثير من السيارات من طراز « لاندروفر » Landrover على الطريق الصحراوى ، منافسة بذلك الجمال والحمير .

ولقد تدهش اذا علمت ان اصحاب الجمال أنفسهم هم الذين أدخلوا السيارات الى بلادهم دون أن يدروا ! فقد وصلت أول سيارة الى تريم عام ١٩٢٠ مفككة على ظهور الجمال عبر الطريق الذى يمتد ٣٠٠ كيلومتر حتى المكلا . وفى تريم تم تجميع أجزائها على يد شاب تدرب على هذا العمل ..

الاموات يزحفون على الاحياء

ما كدنا نعبر بوابة تريم الرئيسية حتى وجدنا أنفسنا وسط صمت القبور الذى يخيم على أرض شاسعة تضم الوف المقابر بشواهدها الحجرية على جانبى الطريق المؤدى الى قلب المدينة ..

ان أهل المدن والقرى المجاورة يأتون بجثث موتاهم لدفنها فى تريم. انها مدينة السادة الاشراف أحفاد الفقيه المقدم ـ اى مقدم السادة وأجدادهم ـ أحمد بن عيسى بن محمد ، من أحفاد الحسين بن على بن ابى طالب (رض) ... لقد هاجر هذا السيد من البصرة الى حضرموت فى



داخل حجرة مرتكز سقفها على أعمدة خشبية جلس تلاميذ « رباط » تريم يتلقون درسا فى الفقه الاسلامى .. وخلفهم رفوف المكتبة القديمة التى تحوى كتبا للبخارى ، والرازى ، والزمخشرى وغيرهم .. ان « رباط » تريم فى أمس الحاجة للمساعدة حتى لا يغلق أبوابه !



السيد محمد جمال الكاف يعرض على بعض أنجاله وأحفاده مجموعة المصاحف النادرة التى ورثها عن والده .. انها ثروة دينية فنية موجودة فى خزائن أسرة الكاف بتريم . جمعوها من الهند وسنغافورة واليمن واندونيسيا ، ويعود تاريخ أقدم هذه المصاحف الى عام ٢٤٣ هـ . وكلها مكتوبة باليد ومزخرفة بماء الذهب

الى اسفل : داخل أحد منازل آل الكاف انه نسخة من أسلوب الحياة فى سنغافورة نقله الحضارمة معهم ، عند عودتهم من المهجر ، الى تريم بحضرموت الكثيرية





قصر النعيم ! هنا ينزل السائحون والسائحات الذين يأتون من أمريكا وانجلترا ، عن طريق عدن ، للتمتع بمشاهدة مدن تريم ، وشبام ، وسيون .. انها المدن الثلاث القائمة على أطراف الربع الخالي .. ان فتح أبواب حضرموت أمام السائحين يعود الفضل فيه الى الأخوين يعقوب وصالح الكاف اللذين تراهما في الصورة أمام حوض السباحة الكبير الذى أقاماه في حديقة القصر .



الى اليسار : بجوار تريم ، حيث يضيق وادى حضرموت الى اربعة أميال فقط ، أقاموا هذا السد الفرعى لحجز ماء الأمطار التى تهطل غير منتظمة .. ومما يذكر أن سدا كبيرا يدعى سد النقرة أقيم على وادى حضرموت قرب تريم وتكلف نحو مليون شلن ، ولكنه لم يستطع الصمود أمام أول سيل لسوء تصميمه فتهدم وضاعت أحجاره ، وخربت مزارع النخيل ، وانجرفت التربة الطيبة مع المياه الضائعة فى المحيط .

عام ٣٢٠هـ . ومكث في حضرموت ٢٦ عاما تزعم خلالها مقاومة المذهب الاباضي ، وساعد على انتشار مذهب الشافعي وعقيدة أهل السنة ...

وما زال السادة من أحفاده يتمتعون حتى اليوم بمركز خاص وباحترام زائد .. وهم يلبسون الملابس البيضاء ولا يحملون أي نوع من الاسلحة. وقد ساهم وجودهم بمدينة تريم في تحويلها الى مدينة شبه مقدسة ، ومن هنا كان سعي الناس لدفن موتاهم فيها .

ان اجلال اهل تريم يعبّر تعبيرا صادقا عن شعور أهلها الذين يعيشون حياتهم كلها في انتظار نهاية رحلة الحياة ... فكل شيء هادىء خامل في المدينة ، والمشاريع معدومة ، وكثير من الناس يفترسون شوارعها بلا عمل وكأنهم في انتظار دورهم ليلتحقوا بهؤلاء الذين يقبعون داخل القبور ذات الشواهد الحجرية !!

لقد كادت تريم أن تصبح مدينة للأموات ، الذين يزداد عدد قبورهم كل يوم ، حتى غدوا يهددون بالقضاء على مدينة الاحياء ! ولقد ضمت هذه القبور آلافا من الموتى وذلك في عام ١٩٤٤ ، أثناء المجاعة الهائلة التي وقعت عند ذلك .

٣٠٠ مفتٍ من قبيلة واحدة !

لقد عرفت تريم منذ فجر التاريخ ، بأنها معقل العروبة والاسلام ، وقد حدث أيام الردة ان أهل تريم - بالخصوص - لم يرتدوا مع المرتدين من أهل حضرموت ، بل كان رجالها في صف الخليفة ابي بكر ضد المرتدين ..

وكانت تريم تشتهر بكونها دوما المدينة التي تنجب أشهر رجال العلم والصالحين الأخيار ، حتى قيل انها كانت تضم ٣٠٠ مفت من قبيلة واحدة في القرن السادس الهجري ..

انقذوا رباط تريم

ان من المؤسف ان نجد تريم ، بعد ذلك الماضي المشرف ، تمر بمحنة قاسية ، فلقد تحولت الى مدينة فقيرة مهدمة يهجرها أهلها .. حتى ان رباط تريم ، الذي هو بمثابة الازهر لحضرموت ، حيث يتخرج العلماء الشرعيون الذين يقومون بمهام الدعوة والارشاد والافتاء وشئون القضاء .. هذا « الرباط » أوشك على اغلاق أبوابه ، بعد ان اصبح في حالة يرثى لها من التدهور .. ان كل شيء ينقصه .. ومحتوياته القليلة تعود الى قرن مضى .. حتى مبناه أصبح يعتمد على جذوع الاشجار لتسنده،كما أصبح سقفه مهددا بالسقوط بين لحظة واخرى .. اما الغرف التي ينام فيها الطلبة فغرف تأنف الدواب من النوم فيها .. حتى الكتب والكراسات اصبحت نادرة في أيدي الاساتذة والطلبة ..

لقد وصل عدد طلبة هذا الرباط في يوم ما ٥٥٠ طالبا ، منهم ٢٥٠ طالبا مغتربا ، جاءوا من افريقيا الى تريم لتلقي علومهم الدينية .. أما اليوم فقد هبط العدد الى ١٥٠ طالبا فقط .. وأصبح « الرباط » يعيش على عائدات عقارات قليلة من الملايو وحضرموت ، لا تزيد في مجموعها



اقبال هائل على التعليم .. كل أب في حضرموت أصبح يرغب في تعليم ابنه وابنته .. ولكن هذا الوعي جاء كالسيل دفعة واحدة ، والذي استطاع أن يجد لابنائه مكانا في المدرسة الابتدائية الحقهم بها ، حتى تكدس ٥٢٠ طالبا في هذه المدرسة الوحيدة. . ان عدد طالبي العلم يتضاعف ، بينما الامكانيات تقف عند نقطة الصفر !

عن ٥٠ دينارا شهريا .. وحتى هذا المورد الضئيل مهدد بالانقطاع بين لحظة واخرى بسبب القيود المالية التى تفرض فى بلاد الشرق الاقصى .

وفى حديث مع رئيس الرباط ، الشيخ محمد المهدى بن عبد الله الشاطرى ، قال لنا : « اننا على ثقة من أن أشقاءنا فى البلاد العربية سيهبّون الى نجدتنا لانقاذ هذا المعهد العلمي عندما يعلمون بالمحنة التى نمر بها .. اننا فى حاجة الى كل شيء لاعادة الحياة الى هذا المعهد الاسلامي ذى الماضى المجيد » .

مسجد لكل يوم !

وقد اشتهرت تريم منذ زمن بعيد بعدد مساجدها الذى يبلغ ٣٦٥ مسجدا ، أى ان المرء يستطيع الصلاة يوميا فى مسجد مختلف على طول مدار السنة .!!!

ربما كان هذا القول صحيحا بالنسبة للماضى ، أما اليوم فقد اندثر الكثير من هذه المساجد لعدم توفر المال اللازم لصيانتها .

واشهر مساجدها هو مسجد عمر المحضار ، ذو المئذنة العالية الرائعة .. انها الاعجوبة التي ترتفع على حدود الربع الخالي ، ولم يرها الاولون ليضموها الى عجائبهم السبع الأخرى . !!

ويكفي ان تعلم ان هذه المئذنة الرفيعة التي ترتفع ١٧٥ قدما فى الفضاء ، لم يستخدم فى بنائها لا الحديد ولا الاسمنت ، وانما الطين وجذوع النخيل فقط !!

وارتفاعها الشاهق يجعلها قبلة الأنظار فحيثما اتجهت فى تريم تجدها امامك .. وفى المساء تشع منها الأضواء فيراها القاصي والداني (انظر الصورة ص ١٢٧) .

المدرسة الوحيدة !

وكان التعليم كله يدور داخل كتاتيب المساجد ، اما اليوم فاصبح يسمى بالتعليم الابتدائي . وهو ابتدائي تجاوزا فى التعبير . وتنظر فى كتبه فتجدها صنفين ، كتب اللغة العربية والدين تاتى من الكويت ، واذن فهى تتبع مناهج الكويت ، وكتب الحساب والعلوم تاتى من السودان ، واذن فهى تتبع مناهج السودان .

حقيقة ان المسئولين عن « جمعية الاخوة والمعاونة » يبذلون قصارى جهودهم للنهوض بهذه المدرسة التابعة لجمعيتهم ، ولكن هذه الجهود تكاد ان تتوقف لعدم استنادها الى مورد مالى ثابت يمولها ،اللهم الا بعض المال الذى يأتيها من الجهات الخيرية الأهلية ، وجزء يسير آخر تساعد به الحكومة الكثيرية ..

ويدفع الطلبة ، وعددهم ٥٢٠ طالبا ، مصروفات رمزية للمسئولين عن المدرسة .. فالطالب القادر يدفع شلنا واحدا شهريا ، والذى يعجز والده عن دفع هذاالمبلغ يتغاضى عنه ..

وقد قامت الحكومة فى العام الماضى بفتح مدرسة متوسطة فى تريم مكان المدرسة السابقة الاهلية التى أغلقت وتضم حاليا ١٠٠ طالب .

تعليم المرأة مرتبط بالماضي !

اما تعليم المرأة فلم يطرأ عليه أى تقدم أو تغيير حتى الآن .. انه تعليم بدائي يهدف الى ان

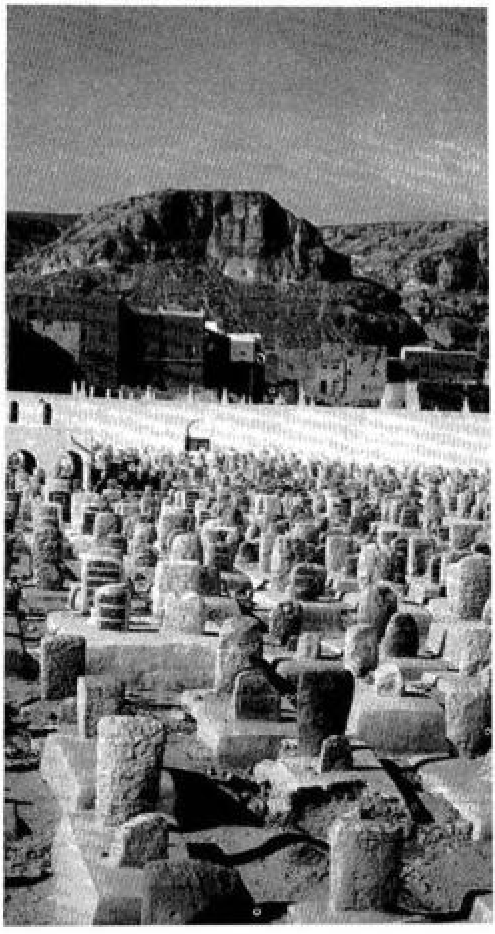


رؤساء رباط تريم : فى الوسط محمد المهدى بن عبد الله الشاطرى رئيس الرباط .. والى يساره الاستاذ محمد بن احمد بن عمر الشاطرى المؤرخ الحضرمي ، وصاحب المؤلفات الشهيرة .

تستوعب الفتاة بعض الجمل والكلمات لتكتبها الى زوجها الذى يتركها بمفردها سنوات وسنوات ، ويقيم فى المهجر بسنغافورة او الملايو .. وفى السنين الاخيرة بدات الهجرة تتجه نحو البلاد العربية المنتجة للنفط ..

اما تعليم المراة طبقا للبرامج الحديثة ، فهذا شىء يجر الى المفاسد .. فى رايهم !!.. وهم يقولون ان الرجل المتعلم يستطيع ان يقوم بجميع الاعمال دون حاجة الى المراة المتعلمة . ويتابعون قولهم : « شاهدنا تعليمها فى بلاد المهجر ، فذقنا من ذلك الامرين .. ونحن لسنا وحدنا فى محاربة

القبور تزحف بشواهدها الحجرية ، حتى كاد الموت يطغى على الحياة فى تريم !



تعليم المراة فقد سبقنا الى المناداة بهذا التحريم ابو العلاء المعرى نفسه !! يشيرون بذلك الى بيت أبى العلاء :

علموهـــن حـــرفة الغـزل والنـــ
ـــج وخلوا قـــراءة وكتابــــة

ولا تكاد فتاة تريم تبلغ الثانية عشرة من عمرها حتى تسحب من المدرسة ، وتلبس الحجاب الأسود داخل بيتها .. لا أحد يراها ، ولا تظهر على احد حتى ولا السيدات من قريباتها .

وكتبت جريدة « الطليعة » الحضرمية عن تعليم الفتاة ، فقالت : « ان جميع الاهالي يطالبون بتعميم التعليم الرسمى للبنات فى كل مدينة وفى كل قرية .. اما الاصوات النكراء التى ما زالت تحذر من اخطار تعليم المراة وتصفه بأنه من اعمال الشيطان فهي اصوات يجب أن تلقم أفواهها الاحجار ، وأن لا يوجه اليها أى اهتمام ، لانها اصوات الماضي تريد ان تشدنا حتى لا نتحرك قدما الى الامام ولا نتطور .. »

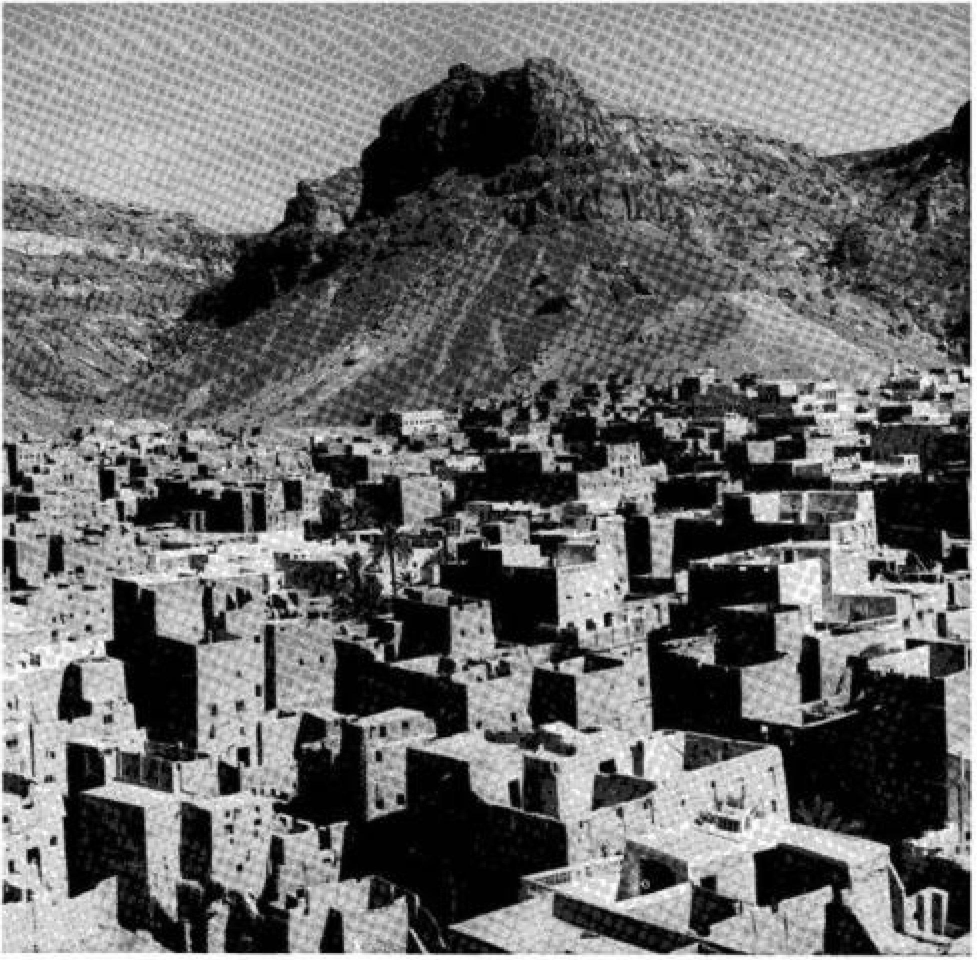
السياحة تبدأ لاول مرة

ان حياة تريم ليست كلها بهذه الصورة الحزينة ... فهناك الصفحة الاخرى الحديثة .. لأن تريم مدينة ذات وجهين .. وجه يطل على الماضي ويتحسر على ايامه .. ووجه يطل على العالم الحديث من اوسع ابوابه ..

ان الوجه الحديث لتريم صنعته اسرة واحدة ... انها الأســرة التى شقت الطـريق الذى يربط بين قلب حضرموت وساحلها ، وهى التى ادخلت السيارة الى تريم ، واقامت فيها مستشفى ومكتبة عامة ، وشيدت عشرات القصور التى تحمل الطابع الهندسى للملايو وسنغافورة ، وهما الوطن الثانى الذى هاجرت اليه هذه الاسرة .. انها اسرة آل الكاف اشهر اسر تريم ، وحضرموت معا ..

ومنذ اربع سنوات قام اثنان من ابنائها هما يعقوب وصالح الكاف بأول عمل من نوعه فى الجنوب فقد قاما بتجهيز احد قصور اسرة الكاف فى منطقة « بعيديد » من ضواحي تريم ، وأسمياه « قصر النعيم » ، وجهزاه بكل ما يحتاج اليه السائح من اثاث عصرى ، كما اقاما حماما كبيرا للسباحة فى حديقة القصر ..

وتأتى افواج السائحين الى تريم مـن أمـريكا وانجلترا فتصل الى عدن ، ومنها تنقل باجر زهيد لا يتجاوز ٢٤ جنيها استرلينيا للشخص الواحد



منازل تريم : انها تختلف عن ناطحات سحاب مدينة شبام ، وتقل زخرفة عن منازل العاصمة سيون .. فقد أفقد اختلاط الفن العربي بالفن الاسيوى القادم مع المهاجرين ، المساكن فى تريم وحدة الجمال الهندسي . ويبلغ عدد سكان المدينة نحو ١٠ الاف نسمة .. ومثلهم يعيش فى المهجر بالخارج .. ومن المؤسف أن أغلب الحضارمة الاثرياء فى الخارج يستغلون أموالهم بعيدا عن بلادهم، أما استغلالها فى اي مشروع جدى داخل البلاد ، فشيء بعيد عن تفكيرهم !

الى تريم ، وتشمل هذه الاجرة السفر ذهابا وايابا من عدن الى تريم مع الاقامة والاكل لمدة ثلاثة ايام فى تريم .

انها المرة الاولى التى تفتح فيها اراضى حضرموت الداخل ابوابها امام السائح الاجنبى الذى سيشهد مناطق لم يكن يحلم بزيارتها ، كانت بالنسبة له فى الماضى مغلقة .

ان السائح فى جولته هذه سيشهد روعة مباني شبام ، وجمال حدائق سيون ، وسيركب الجمال ، ويرى مئذنة جامع عمر المحضار .. والى جانب كل ذلك سيلمس عن كثب مدى الاهمال المشين الذى تعيش فيه المنطقة فى ظل حماية بريطانية بدات منذ ١٢٥ سنة تقريبا .

ان فكرة فتح الجنوب العربي امام السائح الاجنبي يجب أن تلقى كل تشجيع وترحيب من شركات السياحة العربية حتى يتسنى للسائح

زيارة الجنوب والتعرف على هذه المنطقة المجهولة من العالم ..

حقيقة ان السائح لن يجد هناك وسائل الراحة الكاملة كما في بلاده .. ولكنه ليعتبر من السعداء لان تريم اليوم اصبح فيها كهرباء ، دخلت المدينة لاول مرة منذ عام واحد فقط ، ولكن استعمالها مقصور على ست ساعات يوميا ، من السادسة مساء حتى منتصف الليل .. تضاء خلالها بعض شوارع المدينة وهي شوارع غير ممهدة !

قوش !؟

وتواجه بلدية تريم متاعب جمة في سبيل نظافة المدينة ، فهي تطلب عمالا للتنظيف ، وتعرض عليهم اجرا مغريا يصل الى ثمانية شلنات يوميا ، ومع هذا لا يتقدم احد !! انهم يرفضون العمل لأن مهنة تنظيف الشوارع تعتبر في نظرهم « قوش » اى مهنة حقيرة !! . وهم يفضلون على هذا العمل الجوع ، او الاستجداء ، يستجدون الطعام ، وينامون الى حوائط الدور .

يد واحدة لا تصفق !

ويبذل حسين عبد القادر الكاف ، رئيس بلدية تريم جهدا كبيرا مع الهيئات والجمعيات الأهلية فيقصدها طالبا مساعدتها في مهمته من اجل تجميل المدينة والنهوض بمشاريعها ، ولكن محاولاته تذهب ادراج الرياح ، فهذه الهيئات لا تريد ان تساهم او تلتزم مع البلدية في اى مشروع ..

ويقف رئيس البلدية وحده ليخطط المشاريع ، مثل مشروع سياج من الأشجار حول المقابر الثلاث الكبيرة .. وانشاء حمامات شعبية .. وتمهيد بعض الطرق ، ولما كانت ميزانية بلدية تريم لا تتجاوز الفي دينار في العام ، فقد اضطر رئيس البلدية الى طلب قرض من الحكومة .. وكان ما يزال ينتظر هذا القرض عندما غادرنا تريم ..

ممنوعات ومحرمات

ومن بين هذه المشروعات مشروع اقامة حديقة عامة تكون بمثابة رئة كبيرة لأهل البلد يستطيعون ان يجدوا فيها متنفسا ومهربا ، فكل شيء في مدينتهم محرم وممنوع ..

وتبدأ قائمة الممنوعات بحظر ارتداء السروال أو البنطلون ، ولو ان أبناء أسرة الكاف حطموا هذا التقليد ، واصبحوا يرتدون البنطلون والسروال باستمرار ...

والغناء والطرب بمصاحبة الأوتار ممنوع ، لأنه لهو يجر الى « المفاسد » ، كما يقول المتزمتون الذين يؤكدون : « ان الائمة الأربعة أجمعوا على تحريم الطرب بمصاحبة الاوتار » .

وسألناهم : وكيف اذن تسمحون بالغناء المنبعث من المذياع ؟

فقالوا : هذا ليس غناء .. ولكنه صدى لصوت ، وفرق كبير بين الصوت وصداه ! » ..

اما السينما ، فتأتي في مقدمة قائمتي الممنوعات والمحرمات معا ! وهي ليست محرمة في تريم فقط

الطرب بالأوتار يجر الى المفاسد .. ! هكذا يقول المتزمتون الذين يطربون للاغاني التي ينقلها لهم المذياع ، ثم يقولون : انها ليست أغاني .. وانما صدى لأصوات !! ولكن أسرة آل كاف التي عادت من المهجر بسنغافورة ، حطمت هذه الخرافة ، واصبحت المدينة كلها تطرب للاغاني الشعبية الجميلة التي تنطلق من قصور آل كاف بتريم في المناسبات والاعياد .



ولكن فى المنطقة كلها !! .. وبمناسبة الأعياد فقط تقام بعض الحفلات السينمائية فى سيون ،عاصمة حضرموت الكثيرية .. وفى هذا اليوم يهرع أبناء تريم وشبام على ظهور جمالهم وحميرهم وسياراتهم، التى لا يزيد عددها على التسعين سيارة فى تريم ، للتمتع بمشاهدة الروايات السينمائية مرة فى السنة !!

طبيب لكل ٢٥ الف نسمة !

ووسط الحرمان الذى يعيش فيه أهل تريم تظل ازمة الأطباء ، وسوء التغذية ، وانتشار امراض الحميات والطفيليات بين الأهالى ..

لقد اقامت أسرة الكاف مستشفى فى تريم ظل يعمل مدة ٢٥ عاما .. كان به خمسة اسرة ،وطبيب واحد تدفع له اسرة الكاف راتبه ، ولكن القيود التى فرضتعلى اخراجاموال الحضارمة المهاجرين من سنغافورة والملايو قضت على المشروع ... ثم ما لبث ان تقرر تقديم المستشفى بكل ما فيه هدية للحكومة الكثيرية ، ويعمل فيه حاليا طبيب واحد من اسرة الكاف هو الدكتور عبد القادر الكاف الذى يعتبر مسئولا عن ٢٥ الف نسمة فى منطقة تريم .. ان الامكانات فى المستشفى تكاد تكون معدومة .. اما الحالات التى تحتاج الى اجراء عمليات جراحية فينقل اصحابها لمسافة ٥٠٠ ميل الىعدن حيث تجرى هذه العمليات فىمستشفياتها.

النفط واليورنيوم

ان ماضى حضرموت البعيد مدفون تحت الجبال والرمال لم يكشف عن آثاره بعد ، ولكن القليل الذى ظهر منها حتى الآن يبعث على الزهو والفخر.

اما حاضرها ، وحاضر تريم معها ، فيبعثان على الالم والأسى ..لانهما ما زالتا تعيشانمنطويتين على نفسيهما بعقلية القرون الوسطى وتقاليدها .

وننتقل الى المستقبل ، وهو شىء يتوقف اساسا على تحقيق أمل كان يبدو لامعا براقا ولكنه ما لبث ان بدأ يتبدد على مر الايام .. انه النفط فى شمال حضرموت ، الذى ما زالت تجرى اعمال التنقيب عنه حتى الآن دون العثور على أثر له ..

وينتظر الحضارمة فى الوطن والمهجر بفارغ صبر تقرير خبيرين جيولوجيين سعوديين ذهبا الى منطقة الحفر ، وشاهدا عن كثب اعمال الحفر .



قسوة الحياة فى تريم ... امرأتان تسحبان المياه من قلب البئر . انهما تشدان حبلا طويلا رُبط فى نهايته دلو من جلد الماعز ... ولكي يخرج الماء تصعد هاتان المرأتان التل الصغير المؤدى الى فوهة البئر ، عشرات المرات كل يوم .. وقد كاد هذا المنظر أن يزول من تريم بعد ان بدأت المضخات الآلية تحل محل الانسان فى سحب الماء من الأعماق ..

والى جانب النفط توجد المعادن الاخرى ، وفى مقدمتها اليورنيوم الذى يقول لك ابناء تريم عنه :

« ان بريطانيا قد دفعت ما عليها من ديون الحرب العالمية الثانية لأمريكا باليورنيوم الحضرمي الذى استخرجه الانجليز من شمال بلادنا » .

★★★

ان تريم ، أو مدينة الموتى لا تزال تامل ان يتفوق مستقبلها على ماضيها ، لتعود مدينة للعلم فى جنوب الجزيرة العربية فتضىء بشعاعها ظلمات الجهل والفقر والمرض والتخلف الذى يعيش فيه ابناء هذه المنطقة المنسية من وطننا العربى الكبير .

ومن يدرى ، فقد تتحقق امنية هذا الشعب الطيب ، وتنتقل المدينة من الموت الى الحياة ، ومن الظلمات الى النور . ■■

سليم زبال



ريبة ونفاق

عن صحيفة المونتريال ستار الكندية :

● منذ شهور والشعور السائد ، داخل الولايات المتحدة وخارجها ، شعورُ شكٍ وريبة فى تصريحات الحكومة الأمريكية حول فيتنام . ولقد قام الدليل على صدق مشاعر الريبة هذه الآن . فلا الشعب الامريكي ولا العالم الغربى ، وكلاهما طرف فى هذا الصراع من قريب أو بعيد ، قد أتيح له الوقوف على ما يحق له الوقوف عليه من معلومات .

فلِمَ لمْ تقبل عروضُ (الهدنة) التى تقدمت بها فيتنام الشمالية ، ان كان ثمة عروض ؟ ولِمَ لمْ يكشفِ النقاب عن وجودها وعن البواعث على رفضها ، ان كان ثمة رفض مسؤول تمليه السياسة الامريكية العليا ؟ وايّ قدر من الثقة يستطيع العالم الخارجي ، والحالة هذه ، ان يضع فى تصريحات وزارة الخارجية الامريكية ؟ .

يبدو ان السلطة التنفيذية فى الولايات المتحدة خاضعة لاهواء العناصر العسكرية فيها ، بالنسبة الى حرب فيتنام على الاقل . « أعطِنا مزيداً من رجال ومزيداً من وقت ، تكفل الجوُّ الملائم لمباشرة مفاوضات الصلح والسلام ! » . تلك صيْحات القواد العسكريين ونداءاتهم ، تتردد فى الولايات المتحدة الآن ، كما ترددت فى بلاد أخرى غيرها بين آن وآن . وتلك هي أهواؤهم وميولهم ، تمليها عليهم مهنتهم ، فتؤدى بهم وبمن يستجيبون لهم ، الى مزيد من دمار ووبال .

البوليس البريطاني فى خطر

عن صحيفة الصنداى تلغراف اللندنية :

● « يخشى على قوات البوليس فى بريطانيا من خطر الفشل والاخفاق فى مهمتهم الخاصة بمحاربة الاجرام وتعقب المجرمين » ! ذلك ما اعلنه اتحاد البوليس البريطاني قبل حين وما توافرت الدلائل على صدقه وتبريره .

فقد بلغ عدد الجرائم التي نما علمها الى البوليس خلال السنة الماضية ما يزيد على المليون وهو رقم قياسي بلا ريب . اذ ان عددها لم يكد يبلغ ....٫..٫ فى العام قبل نحو عشرة اعوام . والاهم من ذلك هو ان البوليس قد تمكن من القاء القبض على ما يقارب النصف من اولئك المجرمين ، فى حين انه لم يتمكن من القاء القبض الا على خمسين من مجرمي السنة الماضية .

وعلى الخطورة البالغة التي تنطوى عليها هذه الحالة ، فاننا لا نرى من رجال السياسة فى سائر الاحزاب من أولاها من الاهتمام ما تستحق . هذا وما زال حفظُ النظام والقانون فى نظرنا أهمّ ما تمارسه الحكومة من اعمال وما تضطلع به من أعباء . وبالرغم من هذا وذاك فان نصيب خدمات البوليس والسجون لا يجاوز (٦) بنسات من كل جنيه تنفقه الحكومة على مختلف الشؤون .

« دبلة الخطوبة » .. وخاتم الزواج

● متى بدأت عادة تقديم « دبلة الخطوبة » عندما يخطب الرجل شريكة حياته المقبلة ؟! ومن هو أول من وضع هذه العادة ؟ وما هو الفرق بين « دبلة الخطوبة » ، وخاتم « الزواج » ؟ ولماذا توضع الأولى في الأصبع البنصر من اليد اليمنى ، ثم تنقل بعد « الدخلة » الى اليد اليسرى ؟

احمد ابراهيم السعيد/دمشق

ــ أول ما عرفت دبلة الخطوبة أو خاتم الزواج في عهد الرومان . فقد كان من تقاليدهم ان يقدم الشاب الى خطيبته خاتما من حديد ، على سن سيف! ثم تطورت هذه العادة واستبدل بها الخطيبان قطعة ذهبية او فضية ، يحتفظ كل منهما بجزء منها ، بعد أن يشربا مع المدعوين « نخبا » في وليمة تقام لهذا الغرض .

اما الدبلة الذهبية او الخاتم الذهبي فلم يعرفا الا في عهد متأخر عن العهد الروماني بكثير ، ومع ذلك ظل بعض الناس يحرصون على تقديم خاتم من حديد كما كان الرومان يفعلون .

والمصريون القدماء ، هم أول من استعمل الذهب في صنع الخواتم ، التي كانت تقدم عادة في مناسبات الزواج .

اما عادة وضع دبلة الخطوبة في بنصر اليد اليمنى ، فلبيان أن الزواج لم يتم بعد ، وانما هي مجرد خطبة ، فاذا تم الزواج والدخول نقلت الى اليد اليسرى تحت تأثير أسطورة قديمة تقول ان هناك عصبا بين بنصر هذه اليد وبين القلب ، مع ان هذا العصب المزعوم لا وجود له ، حتى ولا في ادمغة الذين تخيلوه أو زعموه .

وهناك بعض تعليلات اخرى وردت في بعض كتب التاريخ القديم ، ولكنها جميعا تستند الى معتقدات من نسج الخيال .

جَدّة ، وجُدّة ، وجِدّة !

كثيرا ما يتردد على مسامعنا اسم مدينة «جدة» من مختلف الاذاعات ، والذي لفت انتباهي ان اسم هذه المدينة نطق بأشكال مختلفة حتى من اذاعة المملكة العربية السعودية نفسها .. فهنالك من ينطقها (جُدّة) بضم الجيم ، بينما ينطقها آخر (جِدّة) بكسرها ، وثالث (جَدّة) بفتحها .. فما اسمها الصحيح . ثم لماذا سميت بهذا الاسم ؟

حسن أبو نصار   المغازي ــ فلسطين

ــ كل من التسميات الثلاث صحيح بالسماع ، لان احدا لم يعرف ايها هو الاصيل ، وايها الجديد الدخيل !

ويرجع تاريخ جدة الى ما قبل الاسلام ، وتكاد المراجع التاريخية تجمع على ان أول من اسسها هم تجار من الفرس . وقد أصبحت جدة ميناء لمكة في عهد ثالث الخلفاء الراشدين ، عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، سنة ٦٤٦ ميلادية . ثم أصبحت لها أهمية كميناء تجاري منذ القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت تشحن اليها البضائع القادمة من الهند والشرق ومنها كانت تشحن الى مصر . وقد ادى تحسين وسائل الشحن البحري الى اضعاف مركز جدة كميناء تجاري ، ولكن مركزها كميناء للحجاج اصبح قويا من القرن السابع عشر الميلادي حتى الآن .

«العربي» لا فرق عندها بين «الشيعة» و«أهل السنة»

● أرجو أن يتسع صدركم لكلمة عتاب هادئة، دفعني الى كتابتها حبي لمجلتنا العزيزة ، التي اعتقد انها لا تضيق بما هو حق وعدل . فلقد لاحظت ، ولاحظ غيري كثيرون ، انكم فيما يتعلق بما تكتبون عن الاسلام وتراجم أئمته واقطاب مذاهبه ، تقتصرون على فئة دون فئة ، بشكل يوهم بانحيازكم الى أهل السنة دون الشيعة ، التي لم تكتبوا عن واحد من أئمتها ، بل ولم تستكتبوا أحدا من كتابها وعلمائها ، على كثرة هؤلاء وأولئك، وعلى ما في سير أئمة الشيعة من صفحات يفخر بها الاسلام والمسلمون .

أرجو الا تضايقكم هذه الملاحظة البريئة ، وأن تعملوا على ازالة أسبابها .

عبد الحسين حيدر/بغداد

ــ هذه ملاحظة قد تبدو وجيهة لو ان ما تضمنته كان صحيحا ، أو اننا كنا فيما ننشر مقصرين أو متعمدين ... اما الحقيقة ، فهي أن « العربي » فتحت صدرها للجميع ، ونشرت كل ما جاءها وكان صالحا للنشر .. أما انها أهملت سير أئمة الشيعة تحيزا منها لأئمة اهل السنة ، فذلك غير صحيح .. اننا لا نعرف « شيعة » ولا « سنة » ، ولكنا نعرف الاسلام كما أنزله الله مبرءا من التمذهب والتعصب . ولعل أقرب الادلة على ذلك ، المقال الافتتاحي للعدد الخامس والسبعين، الذي يقول فيه السيد رئيس التحرير :

« ان الدين كتاب الله وسنة رسوله . والدين في عنفوانه عاش قويا قبل أن يجيء عصر المذاهب.

« ومن هذه المذاهب ما اسموه « سنة » ، ومنها ما أسموه « شيعة » . وتوارث الاخلاف كراهة الاسلاف . وينشأ الناشيء لا يفهم من سنته شيئا . وينشا الناشيء لا يفهم من شيعته شيئا . كل ما عرف من مذهبه هذا أو ذاك انما مناصبة العداء . وينسى وليد دمشق مثلا ما قد كان مذهبه لو انه ولد في النجف . وينسى وليد النجف ما قد كان مذهبه لو انه ولد في القيروان».

انتهى كلام رئيس التحرير .

أما الكتابة عن أئمة الشيعة، فقد أردناها مرارا، ورأينا أن خير من يكتب عن هؤلاء الأئمة رجل أو رجال من اقطاب الشيعة تجنبا لمزالق الأقلام . وتصادف ان كان شيخ الشيعة في مصر ، في المؤتمر الاسلامي ، فارسلنا من يتودد اليه ، ويقترح عليه ان يكتب لنا ، أو يكلف من أقطاب الشيعة بالكتابة، عن المتهم ، ابتداء بالامام جعفر الصادق ، لكنه تهرّب في تلطف !

واما اننا لا ننشر لكتّاب من الشيعة ، فذلك امر مرجعه اليهم ، ووزره عليهم ، لا علينا .. فما تلقينا مقالا يصلح للنشر وأهملناه ، بل على العكس من ذلك ، كان المغفور له الشيخ محمد رضا الشبيبي من أصدق اصدقاء « العربي » ، وله فيها عدة مقالات ، كما ان السيد حسن الأمين، احد أقطاب الشيعة في لبنان ، هو من بين كتاب « العربي » الذين نشرت لهم أكثر من مقال ، في الادب والتاريخ ، وقد وافانا بآخر مقالاته منذ أيام ، ستنشر عما قريب .

وأما ان « أهل البيت » جديرون بالعناية ، فذلك ما لا يختلف فيه من المسلمين اثنان .. لكنهم في رأينا ليسوا في حاجة الى مقال يكتب عنهم ، هنا أو هناك ، وهم الذين كرّمهم الله سبحانه في محكم كتابه ، فقال فيهم : « انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، وهذا شرف ما بعده شرف ، وتكريم ما بعده تكريم ...

على كل حال ، فان « العربي » ترحب بكل ما يكتبه أئمة الشيعة وكتابها ، وتلك دعوة صريحة لهم ، فلعلهم فاعلون .

نقد كتاب الشهر

ثَوْرَةُ الزَّنْج

وقائدُها عليّ بن محمَّد



بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ــ عمان

■ شهدت الدولة العباسية فى القرن الثالث الهجرى ثورات عديدة ، منها ثورة بابك الخرّمى، وثورة الزّط فى الربع الاول من ذلك القرن ،وثورة الزنج وثورة القرامطة فى النصف الثانى منه . وكل هذه الثورات تؤكد الحقيقة التالية وهى : ان التحلل والضعف قد أخذا ينخران فى جسم الدولة العباسية المترامية الأطراف .

وأخبار ثورة الزنج مثبوتة فى المصادر العربية ، ولا سيما فى الطبرى الذى أفاض فى الحديث عنها . واهتم بها فى العصر الحديث المستشرق نلدكه الذى خصها بمقال تحليلى قيمفى كتابهالذى صدرت ترجمته الانجليزية بلندن سنة ١٨٩٢.(١) كماصدر فى بغداد سنة ١٩٥٤ كتاب بعنوان « ثورة الزنج » للدكتور فيصل السامر ، فيه دراسة دقيقةللجانب العسكرى من الثورة . وسنة ١٩٦١ صدر فى بيروت كتاب ثالث بعنوان « ثورة الزنج وقائدها على بن محمد » لأحمد علبى . هذا عدا الفصول العديدة، والمقالات الكثيرة ، التى خصها بها كتابنا المعاصرون والمستشرقون ، ومنها مقالان لطه حسين ومحمد عبد الله عنان نشرا فى مجلة « الكاتب المصرى »، ومقال لووكر Walker فى «مجلة الجمعية الملكية الآسيوية » ، ومقال لماسينيون فى « دائرة المعارف الاسلامية » .

وثالث هذه الكتب التى أشرنا اليها ، والذى نقدمه اليوم ، قد استفاد بشكل واضح مما كتب قبله فى هذا الموضوع ، وحوى ما فيها من فضائل ، كانت نتيجة دراسة وتأمل ومقارنة . وهذه الدراسات كلها ، شان الدراسات الحديثة ، تخضع الأخبار التاريخية لدراسة علمية دقيقة من أجل الوصول الى الحقيقة . وفى كتاب الاستاذ

---

(١) Theodore Noldeke , Sketches from Eastern History .

احمد علبى جهد واضح فى جمع المادة وعرضها ، وموضوعية يفسدها احيانا عنف التعبير وتعميم الاحكام . انه كتاب نافع مفيد ، ولهذا نقدمه .

★ ★ ★

ويحق لنا أن نتساءل :

ولماذا قامت هذه الثورات ، التى منها ثورة الزنج هذه ؟

اننا اذا نظرنا فى أحوال الدولة العباسية فى القرن الثالث الهجرى ، وجدنا ان مبررات الثورة موجودة فى الجو السياسى ، والحياة الاقتصادية ، والاجتماعية .

ففى الجو السياسى نجد ان الخليفة استحال الى لعبة يلهو بها الأتراك الذين سيطروا على الجيش منذ أن قربهم المأمون ، واعتمد عليهم المعتصم . وبلغ من هوان الخليفة أن اعتلى العرش خلال تسع سنوات تقريبا (أى من مقتل المتوكل فى شوال سنة ٢٤٧ هـ الى مقتل المهتدى فى رجب سنة ٢٥٦ هـ)أربعة خلفاء هم: المنتصر ،والمستعين، والمعتز ، والمهتدى . وقد قضى الأتراك على هؤلاء الخلفاء الأربعة اما بالقتل، أو السم، أو التعذيب، أو الخلع .

وحياة المهتدى ، آخر هؤلاء الخلفاء ، عبرة للدارسين تؤكد لهم أن الشىء اذا جاء فى غير أوانه فانه مكتوب عليه بالفشل : فهذا الخليفة كان ورعا، تقيا ، يحب أن يقيم العدل ، ويضع حدا للظلم ، ويتشبه بعمر بن عبد العزيز . ولكن هذه الصفات كلها لم تستطع أن تصلح من الوضع السياسى المتداعى، فقامت ثورة الزنج فى زمنه سنة ٢٥٥هـ، ولم تحل هذه المزايا دونه والقتل على أيدى الأتراك ، وذلك قبل أن ينقضى عام على توليه الخلافة .

★ ★ ★

وكانت الحياة الاقتصادية تربة خصبة للثورات: فمالية الدولة العباسية فى القرن الثالث الهجرى كانت متردية ، لكثرة انفاق الخلفاء وتبذيرهم . وكتبنا القديمة حافلة بالقصص الغريبة العجيبة التى تقص علينا كيف انه كان للمتوكل أربعة آلاف سرية ، مثلا .

وهناك ظواهر ثلاث فى الحياة العباسية نستطيع ان نستنتج منها مدى تأخر الحياة الاقتصادية ، هى نظام الالتزام أو الضمان ، ومصادرة الأموال ، واقطاع الأراضى للتجار الأثرياء .

اما نظام الالتزام أو الضمان أو التقبّل (أى ان يجعل شخص قبيلا ، أى متكفلا بتحصيل الخراج فى ناحية ما) فيبدو انه كان شائعا ،فنحن نقرأ ان آل طاهر مثلا كانوا ملتزمين بخراج خراسان وأعمالها مقابل ان يدفعوا للخلافة أربعة وأربعين مليون درهم . ومن البديهى أن آل طاهر لا يمكن ان يدفعوا هذا المبلغ للخلافة الا اذا كانوا على يقين من انهم سيجمعون أكثر منه . ومثل هذا النظام كان متبعا فى أملاك الدولة العثمانية . هذا مع العلم أن صحابة الرسول قد نهوا عن التقبل واعتبروه حراما وربا : فابن عباس يقول : « القَبالات حرام » ، وجاء اليه رجل وقال له : « اتقبّل منك الأبُلّة بمائة ألف » ، فضربه وصلبه . وابن عمر يقول عن التقبّل « انه الربا العجلان » .

اما مصادرة الأموال فقد أصبحت من الأمور المألوفة . وقد شملت المصادرة كافة رجال الدولة: فكلٌ واحد يصادر مال من هو دونه ، حتى ليذكر الصابى فى كتابه « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » انهم انشأوا ديوانا خاصا للمصادرة ، شأن بقية دواوين الدولة .وورد فى « تاريخ التمدن الاسلامى» لجرجى زيدان : « ومن أغرب طرق الاغتصاب ان يغتصب العامل أو الوزير أو غيرهما من رجال الدولة ضيعة لبعض الناس ، فيأخذها بغير ثمن ، ويستغلها لنفسه ، واذا استحق عليها الخراج أداه صاحبها الأول ، مخافة أن يثبت الملك لمغتصبها ، اذ يدوّن خراجها باسمه فى الديوان فيبطل حقّ مالكها المغتصب فى ملكيتها ، فيضطر المالك الأول الى دفع الخراج أعواما ريثما يتوفق الى من ينصفه ممن يفضى النفوذ اليهم من أهل العدالة ، أو يهتدى الى وساطة أو حيلة » .

واما اقطاع الأراضى للتجار الاثرياء فكان الدافع اليه حاجة الدولة الى المال ، وشجع عليه اثراء التجار اثراء فاحشا من التجارة التي كانت مزدهرة بحيث كان هؤلاء التجار مستعدين لاستغلال ثرواتهم فى الزراعة . وقد اقطعت الدولة التجار أراضيها لقاء دفع قسط من غلتها اليها . وقد تم هذا مع أن عمر بن الخطاب سن قاعدة تقول : السوادُ ملكٌ مشتركٌ بين المسلمين . وهذه الاقطاعيات ذات أهمية بالغة فى موضوعنا ، لانها هى أساس مشكلة الزنج : فالاقطاعيون فى منطقة البصرة ذات الأراضى الشاسعة الواسعة ، أخذوا يبحثون عن

أيد عاملة رخيصة ، فوجدوا ضالتهم فى زنج شرقى افريقية ، فاخذوا يجلبونهم الى منطقة البصرة بعشرات الالوف . وكان العبيد ، وبينهم الزنج ، يباعون ويشترون فى سوق النخاسة فى المدن الكبيرة كبغداد والبصرة والقاهرة ، مع أن الاسلام قد حسن احوالهم . وكان من الزنج فى فجر الاسلام الصحابة والفقهاء والقواد ، واذا فر العبد ودخل دار الاسلام وأعلن اسلامه نال حريته.

★ ★ ★

وكانت حياة الزنج الاجتماعية فى منطقة البصرة تدفعهم دفعا الى الثورة :

ففئة منهم كانت تعمل فى تجفيف المستنقعات وجمع الملح المتراكم فوق التربة بسبب فيضان ماء الخليج العربى . وكان الزنج يجمعون الملح على شكل كثبان عالية ، ثم يقومون بنقله وبيعه .

وفئة ثانية كانت تعمل فى استخراج الدبس من التمر ، ومنطقة البصرة مشهورة بنخيلها وتمورها .

وفئة ثالثة كانت تخدم فى منازل الاقطاعيين .

وفئة رابعة كانت تعمل فى استصلاح الاراضى ، واعدادها للزراعة .

ولكن اذا اختلفت ضروب العمل عند فئات الزنج ، فانهم جميعا كانوا متساوين فى ظروف العمل الشاقة ، والغذاء السيىء ، والتعرض للامراض الفتاكة ، حيث يعيشون فى منطقة ملأى بالمستنقعات .

وهم جميعا كانوا يعيشون فى حالة نفسية سيئة:

فزنج شرقى افريقية كانوا يجهلون العربية فى الغالب ، على خلاف زنج النوبة والسودان ، وبسبب هذا فانهم كانوا يعيشون غرباء فى ارض العراق . وزاد فى ضيقهم أنهم جلبوا من بلادهم الى هذه المنطقة قهرا ، بالاصطياد أو البيع ، فخلفوا وراءهم اهلهم . وهنا فى هذه الاغوار كانوا بعيدين عن نساء بلادهم ، يحيون حياة عزوبة ، ويعانون من الحرمان . وربما كان من الممكن أن يحتملوا هذا لو أن حياتهم هنا كانت رضية ، ومعاملتهم حسنة .

★ ★ ★

مثل هذه الظروف كانت تساعد على الثورة .

ومثل هذا الجو كان ملائما لظهور الرجال المغامرين .

وقد وجد الزنج رجلهم فى على بن محمد .

ووجد على بن محمد فى الزنج ما يحقق له أحلامه فى السلطان .

★ ★ ★

والأخبار عن على بن محمد متضاربة ، وهذا منتظر بالنسبة لمغامر يحاول أن يلبس لكل حالة لبوسها الذى يقربه من آماله . فقد اختلفت الروايات فى نسبه ، وفى مذهبه . وهو نفسه كان مصدرا لهذا الاختلاف والتناقض .

ولد على بن محمد فى قرية وَرْزَنِين ، وهى قرية تقع — فى رأى نولدكه — على مقربة من مدينة طهران الحديثة،ولكنا لا نعرف متى ولد بالضبط. وأول ما يَجْبَه الباحث فى نسب صاحب الزنج قضيتان هما : هل كان عربيا أم غير عربى ؟ وهل كان علويا أم ادعى هذا النسب ادعاء ؟

وردا على السؤال الأول نجد أن مؤلف كتاب « ثورة الزنج » يرجح انه عربى لأن اغلب المصادر تجمع على ردّ نسب صاحب الزنجالى عبدالقيس، وهى قبيلة من ربيعة كانت تحل فى البحرين . ومصادر قليلة أشارت اشارة غامضة الى أنه من أصل فارسى وأن اسمه بهبوذ . اما مؤلف « ثورة الزنج وقائدها على بن محمد »فيرى أن المصادر التى بين أيدينا لا تمكننا من أن نقطع برأى فى نسبه . ولعل مثل هذا التحوط فى ترجيح أحد الرأيين أكثر قبولا فى هذا المقام .

والاجابة عن السؤال الثانى أسهل من الاجابة عن السؤال الاول ، اذ نرى أن المؤرخين يكادون يجمعون على عدم صحة ما ادعاه على بن محمد من نسب علوى ، ويرون انه انما ادعى هذا النسب خدمة لمآربه ، وليضفى على حركته طابع الشرعية.

وقد نشأ على بن محمد فقيرا معدما ، فقاسى ما يقاسى أمثاله من العامة ، وارتحل عن قريته الى سامراء ، العاصمة الجديدة للخلافة ،واتصل بخدم الخلفاء والأمراء ، وكان يتعيش منهم ، وهكذا أتيحت له الفرصة ليرى بعينيه ترف الحياة التى يحيونها ، ويعرف منهم أن الخليفة لم يكن سوى لعبة فى أيدى رجال الجيش من الأتراك .

ويبدو أن الرجل كان منذ بداية حياته مشعوذا،

ولكنه ذكي طموح : فقد بدأ حياته بالاشتغال بالتنجيم ، والسحر ، وغادر سامراء الى البحرين ليجرب حظه فيها ، فاقام بها خمس سنوات (٢٤٩ – ٢٥٤ هـ) نجح خلالها نجاحا ملحوظا بلغ درجة أن أحله اهلها من انفسهم محل النبى ، حسب رواية الطبرى . ولكن اهلها تنكروا له اخيرا ، فتركها ، واخذ يجوب البادية ، واستقر رأيه اخيرا على أن يجعل منطقة البصرة مركز نشاطه . وقد فسر لأتباعه نزوحه الى البصرة تفسيرا غيبيا روحيا فقال لهم ، حسب رواية المسعودى فى « التنبيه والاشراف » : « انى القيت نفسى على فراشى ، فجعلت افكر فى الموضع الذى اقصد له ، فاظلتنى سحابة ، فبرقت ، ورعدت ، واتصل صوت الرعد منها بمسمعى ، فخوطبت منه ، فقيل : اقصد البصرة » .

ويحل على بن محمد بالبصرة ، ثم يرتحل عنها الى غيرها ، طريدا أحيانا ، الى ان يعود ثانية الى البصرة ، ليجمع حوله الزنج فى ثورة عارمة يشتعل نارها سنة ٢٥٥ هـ ، وتمتد الثورة ، وتقوى ، وتقض مضجع الخلافة مدة خمسة عشر عاما .وكان خلال هذه المدة كلها يوهم اتباعه انه الامام المهدى المنتظر ، ويقدم لهم الآيات الدالة على امامته ، ويدعى لهم أنه يعلم ما فى ضمائرهم . وذهب الى ابعد من هذا فادعى أن النبوة عرضت عليه ،ولكنه اباها « لأن لها اعباء خفت ألا اطيق حملها ».!!

والواقع أن على بن محمد كان ذكيا عندما ادعى لنفسه النسب العلوى ، لانه بهذا كان يستغل ما للشيعة من تأييد وعطف بين الجماهير . وكان ذكيا ايضا عندما ادعى أنه المهدى ، لانه بهذا قد اصاب وترا حساسا فى نفوس المعذبين فى الارض الذين كانوا ينتظرون مجيء مهدى ينقذهم مما هم فيه من شقاء .

واذا كان على بن محمد قد اقتبس فكرة المهدى من الشيعة ، فانه قد اقتبس ايضا شيئا من معتقدات الخوارج .

ولا شك أن الرجل كان حاد الذكاء ، طموحا ، صبورا ، هادىء التفكير ، والا لما استطاع أن ينقل نقمة العبيد السود من نطاق الآلام والأحلام الى حيز العمل .

★ ★ ★

فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥ هـ الموافق ٦ سبتمبر (أيلول) ٨٦٩ م ، قام الزنج بقيادة على بن محمد بثورتهم العاتية التى استمرت نحو خمسة عشر عاما . وخلال هذه الأعوام احرقوا البصرة ، وأعملوا السيف فى اهلها ، واستباحوها ثلاثة ايام . ودخلوا الأبلة التى كانت مبنية بالساج فحرقوها وتركوها للريح تعصف بها . واستسلمت عبادان خوفا من مثل هذا المصير . وقد ابدع ابن الرومى فى وصف الدمار الذى حل بالبصرة فى قصيدة انسانية رائعة ، منها :

ذاد عن مقلتى لذيذَ المنام
شغلها عنه بالدموع السِّجام
اى نوم من بعد ما حلَّ بالبصـ
ـرة ما حلَّ من هنات عظام
اى نوم من بعد ما انتهك الزنـ
ـج جهارا محارم الاسلام
ان هذا من الأمور لأمرٌ
كاد أن لا يقوم فى الأوهام
لهف نفسى عليك أيتها البصـ
ـرة ، لهفاكمثل لهب الضرام
لهف نفسى عليك يا قبَّة الاسـ
ـلام ، لهفا يطول منه غرامى
لهف نفسى عليك يا فرضة البلـ
ـدان ، لهفا يبقى على الأعوام
لهف نفسى لجمعك المتفانى
لهف نفسى لعزك المستضام
بينما أهلها بأحسن حال
اذ رماهم عبيدهم باصطلام
دخلوها كأنهم قطع الليـ
ـل اذا راح مدلهمَّ الظلام
اى هول رأوا بهم اى هول !
حقَّ منه يشيب رأس الغلام
اذ رموهم بنارهم من يمين
وشمال من خلفهم وأمام
كم أغصُّوا من شارب بشراب
كم أغصُّوا من طاعم بطعام
صبحوهم فكابد القوم منهم
طول يوم كأنه ألف عام
ما تذكرت ما أتى الزنج الا
اضرم القلبَ أيما اضرام

★ ★ ★

وصعّد الزنج فى فتوحاتهم نحو بغداد ، فدخلوا

مدينة واسط عام ٢٦٤ هـ فاستباحوها ونهبوها ، وخرج أهلها حفاة هائمين على وجوههم . ودخلوا النعمانية عام ٢٦٥ هـ فاحرقوها وتابعوا زحفهم فدخلوا جرجرايا التى تبعد أقل من سبعين ميلا عن بغداد . وهكذا نرى الزنج فى مدة عشر سنوات (٢٥٥ — ٢٦٥) يحتلون منطقة شاسعة تمتد بين الاهواز وواسط ، وتصل الى مشارف بغداد .

وقد كانت لثورة الزنج آثار خطيرة : فقد شلت حركة الزراعة ، وعطلت سنين طويلة ، فى منطقة غنية بمحصولاتها الزراعية . وأهم من هذا الضرر الذى حل بالتجارة ، اذ تعطلت المواصلات النهرية ، وخرّبت البصرة مركز التجارة البحرية . وكان من نتيجة هذا أن خسرت الدولة مبالغ طائلة كانت تأتيها من التجارة والزراعة والضرائب .

★★★

ونحن هنا نتساءل : كيف استطاعت ثورة الزنج أن تنجح هذا النجاح ، وتصمد كل هذه السنين ؟ لقد نجحت هذه الثورة وصمدت لأسباب عدة منها: اهمال الدولة لهذه الثورة فى بدايتها ، وعدم ادراكها خطرها ، مما مكن الثورة من توطيد أقدامها فى منطقة البصرة ، وانشغال الدولة برد هجمات الروم عن حدودها ، وقمع الثورات فى مناطق أخرى من انحاء الامبراطورية ، وخضوع السلطة لاستبداد الأتراك المرتزقة الذين دب فى قيادتهم التنافس والتحاسد ، والنزاع القائم بين الخلافة وابن طولون مما حرم الخلافة من مساعدة مصر لها فى حربها ضد الزنج ، وشخصية على بن محمد القوية الذكية المجربة المحنكة ، وحسن اختياره للزنج لتحقيق اطماعه ، وهم فئة عندها كل الاستعداد النفسى للثورة . وقد استطاع الزنج ان يصمدوا طويلا لانهم كانوا ادرى الناس بالارض التى يحاربون عليها ، وهى أرض ملأى بالمستنقعات، والانهار ، والجداول ، وغابات النخيل . ويضاف الى هذا كله مناعة « المختارة » ، عاصمة صاحب الزنج وجماعته ، فقد كانت مدينة عامرة ، حسنة التنظيم ، قوية التحصين ، مما جعل أبا احمد الموفق، قائد جيش الخلافة ، يستعين بالفعلة لهدم أسوارها ، ويلجأ الى الحيلة ، ويستعين بالصبر ، لاحتلالها . ولم تسقط « المختارة » عام ٢٧٠ هـ ، الا بعد أن دافع عنها الزنج الدفاع المستميت مدة ثلاث سنين وبعد ان قتل على بن محمد فى المعركة ، وطيف براسه على سن رمح ليراه أصحابه . وقد وصف الطبرى دفاع الزنج عنها فقال : « حتى لقد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدهم السهم أو الطعنة أو الضربة ، فيسقط فيجذبه الذى الى جنبه ، ويقف موقفه اشفاقا من أن يخلو موقف رجل منهم ، فيدخل الخلل على سائر أصحابه » .

وهكذا أسدل الستار على صاحب الزنج ، وثورة الزنج ، بعد أن أبيد أكثر الزنج .

★★★

وكان لا بد لهذه الثورة من أن تفشل فى النهاية، مهما طال بها العمر :

فهى ثورة لم يكن لها منهاج واضح للاصلاح ، بل الواقع أنها وقعت فى الخطأ الذى ثارت من أجله : اذ أقبل الزنج بعد نجاحهم المؤقت على اقتناء القصور ، واسترقاق النساء ، واستعباد سادتهم. فهى ثورة لم تكن تطمع فى أكثر من أن تحقق للقائمين بها الاستمتاع بما كان يستمتع به سادتهم.

وقد كان على بن محمد قصير النظر ، لأنه لم يقم بين ثورته والحركات الأخرى تحالفا ، ولو قام مثل هذا التحالف بينه وبين الصفاريين والاكراد والشيعة ، لكان من الممكن أن يتغير تاريخ حركة الزنج .

وهناك أمر ساعد على انتصار جيش الخلافة هو أبو أحمد الموفق ، أخو الخليفة، وقائد الجيش. فقد كان الموفق شخصية فذة فريدة ، فى دهائه ، وشجاعته ، وحسن سياسته للامور ، حتى ان وجوده على راس الجيش كان يوقع الرعب فى نفوس الزنج .

★★★

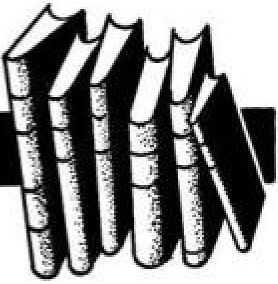
ولكن ان كان قد قضى على ثورة الزنج ، فانها كانت مشجعة على قيام ثورات أخرى فى أجزاء متعددة من أراضى الدولة العباسية ، وعلى رأسها تقف ثورة القرامطة التي قادها حمدان قرمط .

■■

محمود السمره

عمان — الاردن

من الكتب التي وصلتنا



اللسان العربي

● ظهر العدد الثالث من مجلة اللسان العربي التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط .

خريدة القصر وجريدة العصر

تأليف عماد الدين الاصبهاني الكاتب ـ مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد

● هذا الكتاب عبارة عن مجموعة شعرية ادبية رائعة هامة لاحياء التراث العربي القديم .

الخبز في دير الزور

تأليف : عبد القادر عياش ـ دير الزور بسوريا

● يتعرض مؤلف الكتاب الى طريقة صنع الخبز في دير الزور وانواعه وما اليه من عادات ومعتقدات وامثال واغنيات اهل دير الزور .

العالم المصنوع من حولنا

تأليف : لوسي كافلر ترجمة الدكتور عبد الحليم منتصر ـ دار النهضة العربية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين بالقاهرة ـ الثمن ١٧ قرشا

● يحدثك هذا الكتاب عن كل الاختراعات الصناعية المدهشة الموجودة حولنا والتي ستحول حياتنا الراهنة الى حياة جديدة سيما وان هذا العالم المصنوع يكبر يوما بعد يوم ويقدم في كل وقت مالا يستطيع الانسان ان يتصوره وسياتي اليوم الذي يصنع فيه هذا العالم كل شيء من اجل رفاهية البشرية وحماية الانسان من اليوم الذي تعجز فيه المواد الطبيعية عن مسايرة الزيادة المستمرة في بني الانسان .

مجلة المجمع العلمي العراقي

● ظهر المجلد الثاني عشر من المجلة .

قادة فتح بلاد فارس

تأليف : اللواء الركن محمود شيت خطاب

الناشر : دار الفتح ببيروت

الثمن ٧٠٠ قرش لبناني

● كان العرب في الجاهلية يدينون للاكاسرة في عقر ديار العرب بالولاء والطاعة وينظرون الى الفرس نظرة الاكبار والمهابة ، وتبدل حال العرب بالاسلام ، وسل عرش كسرى في عقر داره على يد المسلمين الذين اضحوا قادة العالم وسادة الدنيا قرونا طويلة ، وفي هذا الكتاب سير قادة فتح بلاد فارس الذين نشروا الاسلام في ربوعها وجعلوا منها قاعدة امامية للفتح الاسلامي الذي امتد الى الصين شرقا والى سيبيريا شمالا والى البحر العربي جنوبا ...

اسبوع العلم الخامس

● ظهرت خمسة كتب في اسبوع العلم الخامس الذي يشرف عليه المجلس الاعلى للعلوم في الجمهورية العربية السورية . وهذه الكتب في كل منها بحث في مجال تخصصي . الاول تضمن كلمات حفلتي الافتتاح والاختتام والثاني في دراسات وبحوث العلوم الاساسية والثالث في العلوم الطبية والرابع في العلوم الهندسية ، والخامس في العلوم الزراعية والبيولوجية . وتعد هذه الكتيبات بحوثا ذات قيمة في مجال تخصص كل منها .

تاريخ معرة النعمان

تأليف : محمد سليم الجندي

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية السورية

● لكل مدينة من مدن الشام عادات ومراسم يتواضع اهلها عليها في ايام الفرح والحزن وقد يشابه بعضها بعضا ، ومن هذه العادات ما استبدل بخير منه او اشر منه ومنها ما اهمل . وفي هذا الكتاب يتعرض المؤلف لعادات بلدة معرة النعمان باسلوب شعبي بسيط . ■■

اِضْحَكْ تضحك الدنيا معك
اِبكِ تبكِ وحدك ..

وصف القبلة !

● طلب الى فيلسوف ساخر ان يصف القبلة : قال :

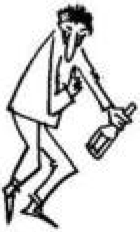
انه اجراء ، اجادوا اختراعه ، بمكر وخبث ، يجمل الكلام بين اثنين محالا ، فى وقت يكون فيه الكلام عبثا .

أيام زمان !

● اخذت الفتاة المراهقة جدها الى حفلة رقص . وكانت الرقصة رقصة التويست . قالت لجدها :

الفتاة : لا احسبك فى شبابك رقصت رقصة كهذه ابدا ؟

الجد : نعم فعلت مرة . ولكن البوليس داهمنا قبل أن نخطو منها خطوات كثيرة .



اقلاع .. والسلام !

● **الصديق الأول :** مضى لى سنوات وانا أخجل من مقدار ما اشرب من الخمر .

الصديق الثانى : لعلك اذن أقلعت عن شربها ؟

الصديق الأول : لا ، وانما أقلعت عن الخجل !

كانا يعتقدان فى تناسخ الارواح

● كان رجل وامراة يعتقدان اعتقادا جازما فى تناسخ الارواح من بعد موت . وتعاهدا اذا مات احدهما ان يحاول أن يتصل بالذى بقى فى هذه الدنيا .

وبعد ستة أشهر مات الرجل .

وانتظرت الزوجة صوت زوجها يأتى من وراء الغيب . وجاء فعلا :

ــ أهلا زوجتى وعزيزتى .

ــ أهلا بزوجى . كيف انت يا عزيزى ؟

ــ على أحسن حال . انى الآن فى حقل . وفى الحقل المجاور بقرة لها عيون زرق هى اجمل ما رأيت .

ــ حقل ، وبقرة . ما هذا الهراء . حدثنى عن نفسك انت . هل انت سعيد ؟

ــ نعم سعيد . ولكنى أود أن أحدثك عن هذه البقرة أولا . ان لونها خليط من سواد وبياض ، وجلدها ناعم جدا ..

ــ ماذا تقول . أنا فى اشتياق الى معرفة سر التناسخ ، وها انت تحدثنى عن حقول وابقار . يا للعجب .

ــ أى نعم . لقد نسيت ان اخبرك انى انا الآن ثور من أقوى الثيران وافخمها !!

طرائف عربية

المشورة وأصناف الرجال

● **قال أحد الحكمـاء** : الناس ثلاثة ، فرجلٌ رجل ، ورجلٌ نصف رجل ، ورجلٌ لا رجل. فأما الرجل الرجل فذو الراى والمشورة ، وأما الرجل الذى هو نصف رجل فالذى له راى ولا يشاور ، وأما الرجل الذى ليس برجل فالذى لا راى له ولا يشاور .

حكم وأقوال مأثورة

● راس المأثم الكذب ، وعمود الكذب البهتان ، والأمران اللذان لاينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار .

● لا تستح من اعطاء القليل،فالحرمان اقل منه .

● من فعل ما شاء لقى ما ساء .

مـن اخبار فصحـاء النساء عند العرب

● كان المأمون فى الكوفة ، فركب للصيد ومعه سَرية من العسكر ، فاذا هو بجارية عربية خماسية القد . وبعد ان حدثها قليلا ،قالت : يا فتى ، من اى الناس انت ؟ فقال : او عندك علم بالانساب ؟ قالت : نعم. قال لها: انا من مضر الحمراء . قالت : من اى مضر ؟ قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها امًا وابا ، ممن تهابه مضر كلها . قالت : اظنك من كنانة !! قال : انا من كنانة . قالت : فمن اى كنانة ؟ قال من اكرمها مولدا واشرفها مَحتِدا ، واطولها فى المكرُمات يدا ، ممن تهابه كنانة وتخافه . فقالت . اذن انت من قريش . قال : انا من قريش . قالت : من اى قريش ؟ قال : من اجملها ذكرا ، واعظمها فخرا ، ممن تهابه قريش كلها وتخشاه . قالت : انت والله من بني هاشم ! قال : انا من بني هاشم . قالت : من اى هاشم ؟ قال : من اعلاها منزلة ، واشرفها قبيلة ، ممن تهابه هاشم وتخافه . فعند ذلك قبلت الارض وقالت : السلام عليك يا امير المؤمنين .

للعدل مكانة مرموقة

■ كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو خراب مدينته ويساله مالاً يرُمّها به . فكتب اليه عمر : قد فهمت كتابك ، فاذا قرات كتابي فحصّن مدينتك بالعدل ، ونَقّ طرُقها من الظلم فانه مرَمّتها ، والسلام .

■ ويقال ان الحاصل من خرج سواد العرق فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة الف الف وسبعة

العقل فالأدب فالمال

● **قال ملك لوزيره :** ما خير ما يرزقه العبد ؟ قال عقل يعيش به . قال فان عَدِمَه ؟ قال ادب يتحلى به . قال فان عدمه ؟ قال مال يستره . قال فان عدمه ؟ قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد .

شركاء فى السراء والضراء

● حكى عن هرون الرشيد انه ارق ذات ليلة ارقا شديدا ، فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي : اني ارقت فى هذه الليلة وضاق صدري ولم اعرف ما أصنع ، وكان خادمه مسرور واقفا امامه ، فضحك . فقال له : ما يضحكك ، استهزاء بي ام استخفافا ؟ فقال : ما فعلت ذلك عمدا ، فقد تفكرت فى شيء من حديث ابن المغازلي المضحك ، فضحكت . والعفو يا امير المؤمنين . فقال له الرشيد : ائتنى الساعة به . فخرج مسرور مسرعا الى ان جاء الى ابن المغازلى . فقال له : اجب امير المؤمنين ، فقال : سمعا وطاعة . فقال له بشرط انه اذا انعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي . فقال له : اجعل لي النصف ولك النصف . فابى . فقال : الثلث لي ولك الثلثان . فاجابه الى ذلك بعد جهد عظيم . ولما دخل ابن المغازلي على الرشيد سلم فابلغ . فقال له امير المؤمنين : ان اضحكتني اعطيتك خمسمائة دينار ، وان لم تضحكني ، اضربك بهذا الجراب . وظن فى نفسه ان الجراب فارغ ، فوقف يتكلم ويتمسخر ويفعل افعالا عجيبة تضحك الجلمود ، فلم يضحك الرشيد ، ولم يتبسم . فتعجب ابن المغازلي ، وضجر . فقال له الرشيد : الآن استحققت الضرب ثم انه أخذ الجراب ، ولفه ، وكان فيه اربع زلطات زنة كل واحدة منها رطلان ، فلما وقعت الضربة الاولى فى رقبته صرخ صرخة كبيرة ، وافتكر الشرط الذى شرطه عليه مسرور . فقال : العفو يا امير المؤمنين ، اسمع مني كلمتين ، قال : قل ما بدا لك ، قال : ان مسرورا شرط علي شرطا ، واتفقت انا واياه على مصلحة ، وهو ان ما حصل لي من الصدقات يكون له فيه الثلثان ولي فيه الثلث ، وما اجابني الى ذلك الا بعد جهد عظيم ، وقد شرط علي امير المؤمنين ثلاث ضربات ، فنصيبي منها واحدة ، ونصيبه اثنتان ! وقد اخذت نصيبي وبقي نصيبه ، فضحك الرشيد ودعا مسرورا فضربه ، فصاح ، وقال يا امير المؤمنين قد وهبت له ما بقي ، فضحك الرشيد وامر لهما بالف دينار ، فاخذ كل واحد منها خمسمائة .

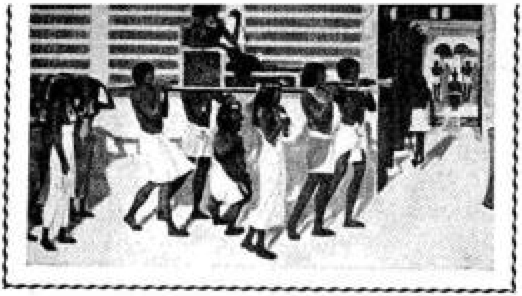
فى نظر العرب

وثلاثين الف الف ، فلم يزل يتناقص حتى صار فى زمن الحجاج ثمانية عشر الف الف ، فلما وَلِي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع فى السنة الاولى الى ثلاثين الف الف وفى الثانية الى ستين الف الف ، وقيل اكثر .

◘ ومما قاله بعض الحكماء : لا مُلك الا بالجند ، ولا جند الا بالمال ، ولا مال الا بالبلاد ، ولا بلاد الا بالرعايا ، ولا رعايا الا بالعدل .

مكارم الاخلاق بين الاقوال والافعال

● **كتب رجل الى صديق له : اما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحِ من الله بقدر قُربه منك ، وخفه بقدر قدرته عليك ، والسلام .**



حضارات سادت ثم بادت

الحضارة الفرعونية في مصر القديمة

■ تعود بنا الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد نحوا من خمسين قرنا الى الوراء ، الى عهد الملك خوفو ، باني الهرم الاكبر ، ومؤسس الأسرة الرابعة من أسر المملكة الوسطى ، وقد امتد حكمه من سنة ٢٦٥٦ الى سنة ٢٦٣٣ قبل الميلاد ، اما المكان الذى تنقلنا اليه هذه الصورة فبلاط الملك خوفو هذا فى الجيزة .

وتكاد الصورة ان تكون متحركة . ويكاد المشهد الذى تسجله لنا ان يكون فى غير حاجة الى شرح وتعقيب . فالملك خوفو جالس على عرشه بعيدا فى آخر الممر ، والملكة الأم ، حيتب – حرس ، محمولة على الاكتاف وهي فى طريقها اليه لزيارته . اما الرجل الذى يسير فى الممر باتجاه الملكة فهو احد المسؤولين عن التشريفات فى البلاط الملكي . ولا يحيط بالملك احد من وزرائه او افراد حاشيته ما خلا حملة المراوح . والفتيات الجميلات الانيقات السائرات فى موكب الملكة لسْنَ من حاشيتها . انهن من حريم الملك ، خففن الى استقبال الملكة ومواكبتها داخل البلاط ترحيبا بمقدمها . ويظهر فى الصورة ايضا قزَمٌ الملكة ، يسير تحت محملها . فقد كان للاقزام شأن فى حياة الفراعنة كشأن المهرجين فى القرون الوسطى من تاريخ الاوروبيين .

ولا ريب فى ان هرم خوفو فى الجيزة هو ابرز آثاره . بل انه اضخم قبر بناه انسان لنفسه على الاطلاق . وهو بلا ريب اكبر اهرامات الفراعنة وابقاها ، وبالتالي ابعثها على الدهشة والعجب ، واجدرُها بان يتبوأ مكانه بين عجائب الدنيا السبع المشهورة . فهو شاهق يبلغ من الارتفاع ٤٧٩ قدماء اى ما يفوق ارتفاع كتدرائية القديس بولس الكبيرة بلندن بنحو ١٥٠ من الاقدام . ولكنه رصينٌ راسخٌ ، رغم ارتفاعه ، اذ لاتقلُّ المساحةُ التي تشغلها قاعدته عن ٧٦٧ قدما مربعا . وفضلا عن ذلك فان فيه من مواد البناء ما يقدَّر حجماً بنحو ٣٢٧٧٠٠٠ ياردة مكعبة ، ومن الكتل الحجرية ما يبلغ عددها ٢٣٠٠٠٠٠ كتلةٌ ، وما يقدَّر المعدل الوسطي لزنة الواحدة من هذه الكتل بنحو ٢٥٠٠ كيلو جرام .

ولعل الجهود الجبّارة التى اقتضاها نقل كتل هائلة كهذه من جبل المقطم الى الجيزة عبر نهر النيل ، لا تقل عن الجهود الدائبة التي بذلت فى بناء الهرم نفسه . يستدل على ذلك مما كتبه المؤرخ الاغريقي الشهير ، هيرودوت ، فى هذا الصدد ، اذ قال : « وعين خوفو فئة من العمال لقطع تلك الكتل من محاجرها فى جبال العرب ونقلها الى النيل ، وكلف فئة اخرى منهم باستقبالها على الضفة الاخرى من النهر لدى وصول السفن المحمّلة بها . وبلغ عدد العاملين فى هذه الاعمال وتلك مائة الف عامل فى كل نوبة ، وعملت كل نوبة ثلاثة شهور ، وكدح الجميع طيلة عشر سنوات فى انشاء الطريق الذى كانت تنقل عليه تلك الكتل . وتلك جهود ارى انها لا تقلُّ مشقةً عن الجهود التي بذلت فى تشييد الهرم نفسه ! » .

وعلى كل ما فى الاهرامات من دليل على ما بلغه الفراعنة فى ميدان البناء والفن المعمارى من مستوى

رفيع ، فان الباعث على اقامتها لم يكن معماريا بل كان دينيا . فقد ساد الاعتقاد بخلود الانسان بعد الموت ، وبخلوده لا بالروح فحسب ، وانما بكامل ذاته الانسانية وبكل ما تنطوى عليه من وعي وأحاسيس وارادة ايضا . وساد الاعتقاد كذلك بان حياة الانسان الآخرة الخالدة تحاكي حياته الاولى الفانية ولا تختلف عنها الا بكونها اسمى منها وارفع . وما دام الامر كذلك كان لا بد للروح من ماوى تسكن اليه وتخلد فيه ، وكان لا بد من ان يكون هذا المأوى ، صرحا ضخما ، او هرما هائلا ، يليق بمكانة الميت اذا كان هذا ملكاً او فرعونا بلغ مرتبة الآلهة في حياته الاولى او كاد ، فيكفل لروحه مزيداً من خلود وبقاء ، ويضمن لجثمانه مزيداً من مقاومة لأسباب الفناء .

على ان الصورة المنشورة على الصفحة الثانية تكاد تكون ناطقة ايضا . فهي تتعدى تصوير المشهد الذى ذكرنا الى ابراز بعض ما اصابه الفراعنة من رقي في زمن من التاريخ سحيق . تدل على ذلك اسباب الترف والزينة والتانق التي اخذت بها الملكة وفتيات القصر على السواء . فالحلي الفضية الرائعة في الاعناق والمعاصم والارسُغ ، والشعور المصففه ، والثياب الفاخرة الزاهية تكاد الا تختلف عن مثيلاتها في قرننا العشرين . ولعل ما تبرزه الصورة على الصعيد المعمارى اصدق انباء بما بلغه الفراعنة من صناعة في ذلك الزمن القصي . فالبلاط المصقول الملون الذى يكسو كامل الجدار المواجه للناظر الى الصورة ، وهو جدار لا يعدو كونه عادياً من جدران القصر الخارجية ، يضاهي في رونقه وبهائه بلاط القاشاني الشهير وقد اقتصر استعماله في عصرنا هذا او كاد على تغطية جدران الحمامات وما الى ذلك من استعمالات .

هذه المعالم التى تبرزها الصورة المنشورة على الصفحة الثانية تدل بلا ريب ، ان هي دلت على شيء ، على مدى ما احرزته الحضارة الفرعونية من مستوى رفيع في عصر من عصورها قديم ، في عهد خوفو ، وابنه خفرع ، ومن جاء بعدهما من ملوك الأسرة الرابعة ، وهو عهد بلا ريب ذهبي . ■■

مصادفات الحياة

بقلم : بافل افلنكو



كانت الأم تجتاز الشارع برفقة صبي صغير في الرابعة من عمره ، عندما مرّ قطاران ، أحدهما بالآخر عند أحد المنعطفات ، وتوقفا عن المسير . وتوقفت الأم بدورها في انتظار مرور القطارين .

وعلى حين بغتة ، تملص الصبي من يدها وهو يطلق هتافا فرحا ، وانطلق يعدو أمام الترام الذي شرع يتحرك في تلك اللحظة بالذات .

واطلقت الأم صيحة رهيبة جعلت السائقين يشدان الفرامل . وانحنى الركاب يطلون على العجلات في هلع مكتوم .

جرت الأم ، مشعثة الشعر ، مخلوعة الفؤاد ، الى المكان الضيق بين القطارين ، وهي تصيح :

ـ كوليا ، كوليا !

واستفسر أحد المارة :

ـ ماذا يلبس ابنك ؟ قميص أزرق ؟ وهو اشقر الشعر ؟

فاشارت الام برأسها ايجابا، وهي تكاد تختنق، وتجفف العرق المتصبب على وجهها ، وقد امسكت حلقها بيدها الواحدة ، وراحت تتطلع بعينيها الطافحتين هلعا الى الناس من حواليها .

ـ هذا هو ، لقد تلقاه أحد العسكريين بين ذراعيه .. من المؤكد انه جرح !

ـ أين ، أين ؟

وانطلقت في الاتجاه الذي دلوها عليه .



وتطلع اليها ، للمرة الاولى ، بصراحة وبساطة فى عينيه .

ـ ولم لا تقبل ماما ؟ تقبلني انا ، ولا تقبل ماما ! لماذا ، قل يا بابا ؟

فامسك براجاييف السيدة الشابة من كتفيها ، ولامست شفتاه جبينها بلطف .

كان طيار" طويل القامة ، يجلله الغبار ، يسير على طول الرصيف ، حاملا الولد ، كوليا ، او نيقولاى ، وهو لا يبرح يقبله بشغف . وكان الصبي يضحك ، ويشد اذني الطيار ، ويلوّح انه لم يصب باى جرح على الاطلاق . كان من الواضح انه مسرور غاية السرور بلقاء هذا الرجل.

وصرخت الأم ، وقد لحقت بالطيار :

ـ أيها السيد العسكرى ... !

لكن الطيار تابع طريقه دون ان يسمع شيئا مما تقول ، بل كان يتمتم فى غبطة :

ـ كوليا ، يا عزيزى كوليا ! ما الذى جاء بك الى هنا ؟ يا صغيري العزيز !

وكان الصبي يجيب عن سؤاله بكلمات غامضة.

وامسكت الأم الطيار من كمه ، وراحت تشده حتى اضطرته الى الوقوف ، وهي على وشك الوقوع فى نوبة هستيرية . صاحت :

ـ اسمع ، ياهذا . ماذا تفعل ؟! الى اين تذهب بولدى الصغير ؟ انك ! اترك ابني ! سوف أدعو الشرطة !

فالتفت الرجل اليها ، وكأنما استيقظ من غفوة ، وسأل :

ـ ما الذى أصابك ؟

والتف الناس حولهم فى حلقة صاخبة .

ـ الى اين تذهب بولدى الصغير ؟

ـ هذا ولدك ؟ هذا ابني انا !

وكأنما أراد الطيار أن يتحقق من قوله ، فراح يتفحص الصغير في دهشة :

ـ لمن أنت ، يا كوليا ؟

فأجاب الصبي ، وهو يلاطف وجهه :

ـ لك !

ومد ذراعيه نحو المرأة ، وأردف :

ـ ولها .. انها ماما !

ـ كيف ، انها أمك ؟ وأين ماما ؟

فأوضح كوليا :

ـ امنا ذهبت الى القبر . ان الالمانيين ، عندما جاءوا ، أطلقوا النار عليها . وقد أغمضت العمة ليبا عيني ، لكني نظرت بعد ذلك ..

فقال الأب ، وهو يتنفس الهواء وقد اختنق :

ـ فهمت ، يا كوليا ، فهمت .

واستدار نحو المرأة ، واستوضح :

ـ ولقد أخذته أنتِ معك بعد ذلك .. أحدث ذلك منذ زمن طويل ؟

كانت المرأة تقف مغمضة العينين، تصر بأسنانها فكأنها تحس ألما شديدا . وكانت يداها ، وهي تشدهما الى حلقها ، ترتعشان .

قال الطيار :

ـ حسنا ! اهدئي . ولكن ، كيف العمل ؟.. يجب أن نتحدث قليلا .. الى اين كنت ذاهبة ؟

ـ الى بيتي .

ـ بيتك ؟

ـ أجل ، بيتنا .

وأشارت برأسها ، مترددة ، نحو الطفل .

ـ فلنذهب اليه اذن . هل تسمحين ؟

وتباعد الناس ، مفسحين لهما طريق المرور .

ـ ولكن كيف ، اذن ! ... من هنا ! كولتكا ، اين منديلك ؟ تمخّط* .. فلنستدر عن يمين !.. ولكنك لا تملك الحق .. انك لا تريد ... انك لا تجرؤ أن تتصرف ضد القانون .

كان الرجل يلوذ بالصمت، وكانت تمشي وراءه بخطوات قصار ، وملامح الذنب تعلو محياها ، فكأنها متهمة بجريمة سيكون عقابها شائنا .

ولم يتذكر قط كيف بلغا الدار .

كانت الغرفة صغيرة ، أثاثها الفقير لا يتجاوز سريرا ضيقا ، ومائدة صغيرة ، ومدفأة بترولية ، وحقيبة ملقاة في احدى الزوايا .

وكانت بعض الدمى العتيقة منتشرة على حفاف النافذة .

ووضع الطيار ابنه على الارض .

ـ والآن ، فلنتعارف : اني المقدم براجاييف .

ـ وأنا راجا لتشوك . تشرفنا . آمل الا يقع أي سوء تفاهم .

فقال ، وفي عينيه نظرة دهشة وصـارمة : يسلطها على هذه المرأة :

ـ وأي سوء تفاهم يمكن ان يقع بيننا ؟

كانت قصـيرة القامة ، ناحلة هشـة ، ذات تقاطيع لطيفة يفسدها غضَنٌ* عميق يمر عند زاويتي فمها ، وسيماء يدل على الحيرة ، هي جميعا خاتم شقاء كان لا بد لهذا الوجه أن يعكسه بصورة دائمة .

وكان شعرها الطويل يكللها بتاج مذهّب ، وكانت يداها رقيقتين شافتين ، فقر دمهما .

ـ اجلسي ، ولنتحدث ... فليس أمامي وقت طويل .

ـ انفضي الغبار عنك ، واذهب واغتسل ، ومن ثم تتناول قدحا من الشاي .

ـ كلا ، فلنتحدث قبلا .

على أنها كانت قد ذهبت قبل بدء الحديث الى غرفة جارتها ، فأدرك براجاييف من الاصوات التي دفعت اليه عبر الدهليز انهما تشعلان الموقد.

وقالت راجا لتشوك :

ـ كنت أقطن لينينجراد . ومات زوجي في كانون الثـاني ، امام انظاري تقريبـا . وبقيت وحيدة . وكنت مرهقة جدا بحيث رحت اشك في قدرتي على الاستمرار في الحياة . كنت في حاجة الى الشعور بانسان قربي . الى الشعور بنفحة الحياة ، بنفس حية .. بسعادة انسان اسـرَ في الحياة الى جانبه .. وقررت أن أتبنى يتيما . وكانوا كثرة ، لكني لم أجد ضالتي منذ الوهلة الاولى . كنت افتش عن طفل يكون شبيها بزوجي. من المؤكد أن الاطفال يتغيرون عندما يكبرون ، ولكن العثور على الملامح العزيزة التي أطلبهـا في وجه صغير ، ولو لمدة شـهر أو شـهرين ، كان أمرا لا غنًى لي عنه . ومن بعد ، فقد كنت أريد ان يحمل الصغير الاسم نفسه . وحين رأيت

كوليا للمرة الاولى ، قلت في نفسي حالا : هذا هو ، صغيري ، صغيري انا ، والى الابد .

فقال المقدم :

ــ ولكنه ليس يتيما ، وفي الامر خطأ .

فتدخل كوليا ، في الحوار :

ــ كلا ، يا أبي ، اني يتيم . لقد قتل الألمان العمة ليبا أيضا .

كان الصبي يجلس هناك ، ناحلا ، شاحبا ، تعبر محياه الرقيق أوردة زرق دقيقة ، وهو يتابع في قلق ذلك النقاش الذي سيقرر مصيره .

وراحت السيدة تقول :

قالوا لي في دار الأيتام ان ام كوليا قتلت ، وان اباه سقط في ساحة الشرف ، وان أقرباءه قد قضوا او هم في المستشفى . ولقد تفاهمت مع الادارة في الحال ، واصطحبته .

فقال براجاييف :

ان مقدما يحمل الاسم نفسه قد قتل ، وليس انــا .

فتطلعت راجا لتشوك حواليها في قلق ، تفتش عن شيء ما ، فسأل الصبي :

ــ ما بالك ، يا أماه ؟

ــ اني أفتش عن حقيبتي الصغيرة .

ــ لقد عاد نظرك يخونك من جديد ، يا أماه . هذه هي ، حقيبتك ، على المقعد .

فحدج المقدم ابنه بنظرة ، وراح ينقر علــى المائدة بأصابعه .

كان يتألم حين يسمع الطفل ينادي هذه الغريبة امه ، ولكنه لا يستطيع أن يمنعه عن ذلك .

وتناولت راجا لتشوك جواز سفرها من الحقيبة ، وقدمته للمقدم .

ــ كنت اعتقد أن لي الحق في تبني ابن مقدم قتيل . اني مثقفة وانا اعمل ، ويمكنني تنشئة الصغير ... وانا نفسي ارملة مقدم .

كان صوتها لطيفا عذبا ، وكان براجاييف ، وهو يصغي الى هذا الصوت يفكر في الاخرى ، في تلك التي لن يراها بعد الآن مطلقا . المرحة جدا . المروضة قليلا هي الاخرى ، وان تكن اقوى بكثير من هذه المرأة . كان يفكر في تلــك التي كانت رفيقته ، وسعادته ، ونصف حيــاته وآماله ..

ودخلت الجارة ، تحمل على صينية قدحين من الشاي وصحنا من المربيات . وتناول براجاييف ، بحركة آلية ، أحد القدحين ، ولم يدرك انه لــم يكن يفعل ما ينبغي ان يفعل الا بعد ما وضع فيه ملعقتين من المربى ..

وكان الصمت يخيم على الغرفة . من المؤكد ان راجا لتشوك كانت قالت كل ما عندها .

وصاح كوليا ، وهو يصفق بيديه :

ــ أوه ! بابا ، بابا ! انتظر ، سوف ترى ، فامي ستوبخك ! المربى هذه توضع على الخبز . أفلا تعرف ذلك ؟

وكان الأب يبتسم ، مضطربا ، حائرا .

ــ يا للشيطان ! لقد فقدت عادة ذلك ! كيف يصنع السندويش عندكم ؟ حسنا ، اني مخطيء ، ولن اعاود ذلك أبدا . خذ واشرب أنت هــذا الشاي المحلى .

فاجاب الصغير بنغمة مؤنبة :

ــ كلا ، فانت مخطيء أيضا . سأتناول نصيبي من السميد قبلا ، ومن بعده الشاي .

وقالت راجا لتشوك ، في عصبية :

ــ لا ريب انك لم تصغ الي . حسنا ، ان كوليا ابني كما هو ابنك . انه لي ، والقانون منحني اياه ، فقد تبنيته .

ــ كيف ، تبنيته ؟ أنت تعرفين انه ...

ــ اجــل ، انه لا يبرح نيقولاي براجاييف . لكنه مسجل في جوازي .

فنهض المقدم ، وطفق يذرع الغرفة بخطواته .

ــ يا للشيطان ! اي مأزق هذا ؟ وما عسانا نفعل ؟ يجب أن نقرر ذلك . ونقرره بصــورة حسنة . وقبل كل شيء ، شكرا لك لعنايتك بالطفل ، ومحبتك اياه . وشكرا لرغبتك العظيمة هذه في الاحتفاظ به . لو اني وجدته مهملا ، فماذا عساني كنت اصنع ؟ كنت احسست بتعاسة عظيمة ! ولكن ، ما عسانا نفعل حين أعود ، عندما تنتهي الحرب ؟

فاجابت راجا لتشوك بثبات :

ــ لا جدوى من التفكير في ذلك الآن . آمل ان نقرر الامر عندئذ بحيث لا يتألم الصبي مطلقا ، بل يفيد من قرارنا عند ذاك ...

لم يكن الطفل عزيزا على ابيه مثل عزته في هذه

اللحلة ، بقميصه المرقع المقصوص من لباس نسائي قديم .

وكان القلق باديا على الطفل ، فكأنه يفهم ان هذين الشخصين الكبيرين يقرران مصيره ويخشى الا يفعلا ذلك بصورة مرضية .

وصعّد المقدم تنهيدة عميقة :

ــ اتكسبين ما يكفي لاثنين ؟

ــ لست اشكو شيئا .

وارتاح محيا راجا لتشوك قليلا واستنار .

ــ لكن ثيابه ؟ انه لمن المؤلم ان اراه هكذا !

ــ لديه كل ما هو ضروري . وليس الوقت رفاهية . وفيما عدا ذلك ، فليس هو بالصبي المدلل ... انه عاقل جدا .

ــ من الآن فصاعدا ستتناولين مرتبي . ويجب ان اسجلك في مخزن الادارة ايضا .. سوف افعل ذلك . أفي متناول يدك قلم ؟ اكتبي عنوان مركز البريد الذي تستطيعين ان تكاتبيني عليه .

فاخذت رجا لتشوك العنوان .

سألت :

ــ لعلك تريد ان تغتسل ؟ اليك هذا الوعاء ، والماء موجود هناك .

ــ شكرا . الا اعوقك عن عملك ؟

ــ كلا ، فاليوم يوم راحتي .

فقال كوليا :

ــ كنت سأذهب اليوم مع ماما الى السينما . الا تأتي معنا ؟

ــ لا استطيع ، ايها الصغير . سأرافقكما حتى السينما ، لكن لا استطيع حضورها . يجب ان اذهب .

وغادرت راجا لتشوك الغرفة كيلا تضايق المقدم الذي خلع رداءه ، وتعرّى حتى زنّاره . ومن بعد ذلك ، تناول جواز سفر راجا لتشوك وشرع يتفحصه بامعان . وعاد الى الغرفة ، وهو ما برح يفحص الجواز .

قال ، في شيء من الاضطراب :

ــ اذن فاسمك زينايدا اتتونوفنا . هذا رائع . اما انا فاسمي فاسيلي فاسيلييفتش . انني في السادسة والثلاثين . لا بد من تبادل هذه المعلومات . ما رأيك ؟

فردت ، وهي تبتسم :

ــ اجل .

وبعدئذ نفض المقدم رداءه ، وجفف قبته المستعارة المنشاة ، ورفع الغبار الذي يغطي اوسمته . قال :

ــ يجب ان اذهب .

وخرج ثلاثتهم ، والصبي يمشي بينهما ، وكل منهما يمسك احدى يديه .

كان المقدم ، الطويل القامة ، الملفوح الوجه ، المزين صدره بوسامين ، يجتذب الانتباه فيتوقف سائر الصبية الذين يمرون به كي يتأملوه ، وقد فغروا افواههم . وكان كوليا فخورا بذلك الفخر كله .

وعند موقف الترام ، عانق المقدم ابنه ، وغمر بالقبلات وجهه ، وعنقه ، ويديه الصغيرتين . قال:

ــ احب زينايدا اتتونوفنا جيدا ، واطعها .

فاستفهم الطفل :

ــ ماذا قلت ؟

ــ امك .. هذه ...

ــ ولكني احبها جيدا ! وانت ؟

فشحب وجه زينايدا اتتونوفنا ، وتراجعت قليلا بصورة غير ارادية ، ثم تمتمت :

ــ كوليا ، يا عزيزي ، اطلب من ابيك ان يكتب اليك .

ــ ابتاه ! ستكتب الينا ، اليس كذلك ؟

ــ اجل . وانت ايضا . يا كوليا . ولكن ، كن مطيعا ، هذا هو الشيء الرئيسي .

ــ ستكتب ماما اليك ، وانا ارسم لك شيئا .

ــ اتفقنا ، وشكرا ... اذن ، الى اللقاء ، يا زينايدا اتتونوفنا .

وتطلع اليها ، للمرة الاولى ، بصراحة وبساطة في عينيه .

ــ ولم لا تقبل ماما ؟ تقبلني انا ، ولا تقبل ماما ! لماذا ، قل يا بابا ؟

فامسك براجاييف السيدة الشابة من كتفيها ، ولامست شفتاه جبينها بلطف .

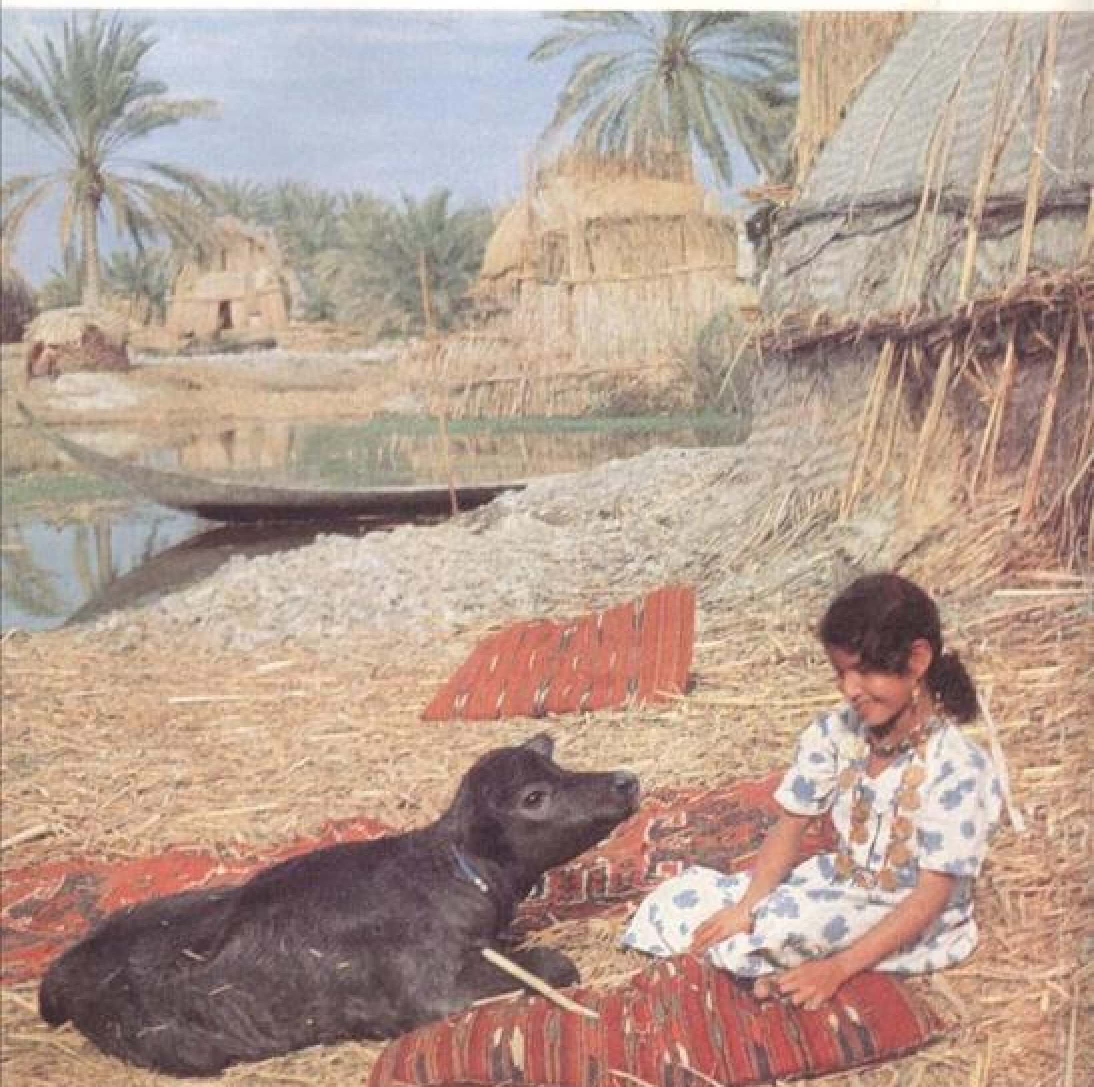
ــ شكرا لك ، ايتها العزيزة ، شكرا !

وقفز على درجة الترام ، ورغم معظم المقاعد ، فقد ظل واقفا على الدرجة طويلا ينظر الى هذه المرأة الهشة المجهولة ، والى ابنه الصغير الذي يقف رقيقا اهيف ، الى جانبها . ■

ترجمة : سهيل أيوب

العربي

العدد ٨٨
١٠ ذو القعدة ١٣٨٥
مارس
(آذار) ١٩٦٦



هذه هى اهوار العراق .. استطلعناها

(ص ٦٨)

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢ر٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم
العراق	١٢٠	فلسا	ج.ع.م.	١٠	قروش	المغرب	٢	درهم

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



حَضارات سادَتْ ثُمّ بادَتْ

● ترجع بنا هذه الصورة الى حوالي القرن العشرين قبل المسيح ، الى حضارة بابل ، في بلاد ما بين النهرين ، وتكشف لنا عن بعض ما خلّد ذكرَ تلك الحضارة ، كحرص الحكام بل الآلهة على الاخذ بمبدأ المناقشة والمشورة ، كما تظهر لنا مشهداً من « ملحمة الخلق » الوثنية البابلية الشهيرة .

(انظر صفحة ١١٢)

عزيزي القارئ

● يصل هذا العدد من العربي الى يدك في اول مارس ، اول آذار ، اى بعد اربعة ايام من **عيد الكويت الوطني** ، ذلك الذى يقع فى الخامس والعشرين من شهر فبراير ، شباط . فهو يلحق بالعيد الوطني ولم يكد .

● والعربي ينتهز هذه الفرصة المتاحة ، اسرةً ، وكتّابا ، وقرّاء ، ليعلن للعروبة جمعاء ، احتفاءَه بذكرى ذلك اليوم الذى هو ذكرى استقلال البلاد ، وعودة الارادة حرةً سليمة مبرّأة الى أهل هذا القطر العربي الذى لم يلبث ، رغم قلة ارضه ، وقلة عدد سكانه ، ان يثبت فى عهدٍ ، من اكتمال حريته ، لم يدم أكثر من ثلاث سنوات ، انه كان جديرا بهذه الحرية ، وانه زاد فيها قدرا ، وكسب فى مضمار العروبة الصادقة شوطا ينظر اليه الآخرون بعين ملؤها الاعجاب والغبطة ، وبشيءٍ من التمنى لو ان هذا كان شوطهم وكانت هذه انجازاتهم .

● وكاد يوم العيد هذا ، عيد الكويت الوطنى ، ان يَفرق بين ، حقبتين ، حقبةٍ طواها الدهر فيما يطوى من اشياء ، محمودة الذكرى ، وطوى معها عاهلها واميرها الراحل ، مشكورَ الأثر ، وحقبةٍ نشرها الدهر فيما ينشر من أشياء ، يبشر بالامل المرتقب فيها أميرٌ حَرِص اول ما حرص ، فى اول عهده بها ، ان يكون بين الناس ، وفى الناس ، وللناس ، عنده ان خلق الله سواسية ، والخيرُ يسديه خير كامل شامل . وعنده ان قوة البلد فى تضامن اهله على الخير ، وضعف البلد فى الفرقة .

● رعى الله الكويت بلدا عربيا ، ورعى اهلها شعباً عربيا ، وجنّبه ما يصيب الامم الناشئة ، من عربية وغير عربية ، من اوجاع النشوء ، ورعا اميرها عربيا مسلما تتسع مظلّته رحبةً لكل من آمن بالله وعمل صالحا

والله الموفق .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 88 March 1966 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربى»
الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

صــورة الغلاف

● هل سمعت من قبل عن « الاهوار » ؟ هل تعرف ما هي ؟ واين هي ؟! انها منطقة من الوطن العربي في قلب العراق ، ما بين دجلة والفرات .. لكنها منطقة مجهولة لم تطأها اقدام الا القليل من الغرباء انها منطقة المستنقعات الدائمة ، حيث يعيش الناس في « الجبايش » ، وهي اكواخ مقامة في الماء من البوص ونبات البردى ، وينتقلون على ظهور « المشاحيف » ، وهي الزوارق الانسيابية التي تلعب نفس الدور الذي يلعبه « الجندول » في مدينة البندقية !

(انظر الاستطلاع على صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الأردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش . ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



لماذا نخدع انفسنا ؟ !

● هذه كلمة عتب اتوجه بها اليكم لما تضمنه الاستطلاع الذى نشرتموه من مدينة « شبام » بحضرموت من نقد لاذع ، حتى لقد قال مندوبكم « ان اهل هـذه المدينـة يعيشـون مع الحمير والبهائم » .. وهذا ولا ريب افتراء محض ما كنا نحب ان يصدر عنه .

صحيح ان شبام متأخرة كثيرا بالنسبة للكويت، وصحيح ان القطـر الحضرمي كلـه متخلف ، ولكن ليس الى هـذا الحد الذى يصفه مندوبكم ، والذى تجاهل فيه الكثير من محاسـن المدينة واخفاها .

محمد بوناصر / من ابناء شبام
المدينة المنـــورة

« العربى » : ان ما تضمنه استطلاعنا عـن « شبام » لم يجانب الحقيقة فى شيء . والقول بان اهل هذه المدينة او تلك القرية ينامون مع الحمير والبهائم ليس بالشيء الجديد فى كثير من البلاد العربية ، وخاصة فى الريف ... وهو فى شبام حقيقة لا زيف فيها ، وقد اثبتتها الصور التي لا تكذب ... وان كان يبدو ان هجرتك الى المدينة المنورة قد انستك ما فى بلدك .

اما اذا كنت تريد ان نطمس الحقائق حتى لا يقال اننا متخلفون ، فذلك ما لا نرضاه ، لاننا نكون قد خدعنا انفسنا ، ولبثنا حيث كنا ، بينما العالم كله يسير الى امام ...

عربي ... وليس مستشرقا

● **تضمن العدد الرابع والثمانون من مجلـة « العربي » مقالا للدكتور « حسين مؤنس » بعنوان « القصص العربي المعاصر » وردت فيه فقرات تقود القارىء الى الخلط بين اديب عربي وآخر اوروبي كقولـه :**

« خلال السنوات الأربع الماضية ظهرت فى شتى لغات اوروبا ترجمات لروايات عربية طويلة ... وظهرت كذلك دراسات كثيرة عن بعض ادبائنـا المعاصرين ، آخرها ذلك الكتاب اللطيف الـذى نشره الاستـاذ « مزيـد » A.M.H. Mazyad بالانجليزية عن استاذنا احمد امين طيب اللـه ثـراه » .

من هذه العبارة وما تلاها ، ومن السياق العام للكلام يهيأ للقارىء ان الاستاذ « مزيد » المذكور هنا هو من الأوروبيين الذين درسوا عن بعض ادبائنا المعاصرين ، وانه من الذين عنى بهم المقال فى ضمن من يترجمون اعمال ادبائنا العرب ، كما انه هو الانجليزى الذى بدأ طريقا للكلام عن اعلام الأدب عندنا ، وان اساتذة الدراسات الشرقية فى جامعة نابولي قد حذوا حذوه، وانهم يؤلفون اليوم كتابا جامعا عن « طه حسين » . والحقيقة ان الاستاذ « مزيد » هذا ، لم يكن انجليزيا فى يوم من الايام ، وانما هو عربي ترك القاهرة اعواما

اين جامعة الدول العربية ؟

● ان الحرب التي تعلنها اسرائيل على العرب لا تقتصر على تلك المعارك او المناوشات التي تنشب على الحدود بين حين وآخر .. ان هناك معركة اخرى واشد خطرا من تلك المناوشات .. معركة الدعاية !

ومهما حاول المدافعون عن الدعاية العربية ضد اسرائيل في الاقطار الاجنبية ، فانهم لن يستطيعوا ان يقنعونا بان لهذه الدعاية اثرا يذكر ، بالقياس الى ما تتركه دعاية الصهيونية التي تسيطر على كبريات دور الصحافة في امريكا وبريطانيا وغيرهما ... وليس هذا ما اريد ان اتعرض له اليوم ، وانما اريد ان الفت النظر الى تلك الافلام الامريكية وغير الامريكية التي تنفق عليها الملايين من الدولارات لتشويه سمعة العرب .

لقد عرض هنا اخيرا فلم اسمه « امريكية في الحريم » ، لقي من النجاح اضعاف ما لقي فلم « لورنس العرب » الذي يصور الشعب العربي وكأنه شعب يخون الصديق ويغدر بالضيف ، او فلم « الخروج » الذي يلقي تبعة ضياع فلسطين على ابنائها العرب لا على الصهاينة ومن ورائهم الاستعمار .

ان فلم « امريكية في الحريم » يمثل العربي ولا هم له الا الجري وراء النساء لاشباع رغباته الجنسية ، وجمعهن حوله في الحريم في هيئة الجواري والمحظيات ، فضلا عما فيه من تشويه للحياة العربية وما فيها من تقاليد الكرم والشهامة !

واعجب من ذلك ان تسمح الحكومات العربية بدخول الافلام التي يخرجها او يمثلها مخرجو تلك الافلام المخزية وممثلوها ، امثال بول برينر ، وشارلي ماكلين وغيرهما ؟

لماذا لا تستغل العملة الصعبة التي تنفق في استيراد افلام يخرجها انصار الصهيونية والاستعمار ، في انتاج افلام عربية تعالج مختلف القضايا والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي ، ومن بينها قضية فلسطين التي تصلح وحدها لاخراج عشرات الافلام ؟

لماذا لا تنتج افلاما باللغات الاجنبية لمكافحة الدعاية الصهيونية والاستعمارية ضدنا ، ولتطلع العالم المتدين على ما يزخر به تاريخنا من امجاد ؟

ثم ما هو رأي الشعب العربي ؟

وما هو رأي الجامعة العربية ؟

سالم عبد المجيد السالم
كلية الطب بجامعة غرناطة / اسبانيا

وجال في اوروبا يدرس في هولاندا وسويسرا وغيرهما ، ولما كتب رسالته ، المذكورة في صدر المقال ، عن احمد امين ونال بها شهادة الدكتوراه عاد الى بلده قبل العام الماضي ، وطبع رسالته هناك ، وهو الآن استاذ للادب العربي الحديث في كلية الآداب بجامعة الرياض .

ومن الغريب ان كاتب المقال اخذ يعدد قائمة من الاوروبيين الذين اهتموا بعرض عيون من الادب العربي امام القارىء الاوروبي ، وعندما وصل في هذه القائمة الى كتاب « مختارات للمطالعة » :

A Reader In Modern Literary Arabic

استدرك حينئذ فقط وقال :

« مؤلف هذا الكتاب ليس مستشرقا وانما هو اخ لبناني هو الدكتور فرحات زيادة » وكان من الطبيعي ان يستدرك ايضا بعد ذكره لكتاب الاستاذ « مزيد » فينبه الى انه ايضا عربي وليس اوروبيا .

ورجائي اخيرا ان يفي الدكتور بوعده وتتهيا لديه فرصة قريبة يتحفنا فيها بما سبق ان بشرنا به خلال مقاله السابق في مجلة « العربي » عن ذلك الاحصاء للدراسات الادبية الثمينة التي يقوم بها ادباء غربيون حول ادبنا العربي ، وعن ذلك العمل الادبي الضخم الذي بداه اساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعة نابولي عن الادب العميد في نتاج الدكتور طه حسين .

سليمان سليمان مسلم
دبي : الخليج العربي

(البقية على صفحة ١٥٤)

حديث الشهر

الوحدة العربية

بقلم رئيس التحرير

■ كتبت فى افتتاحية يناير أقول :

« اذا تحدثنا الآن عن الوحدة ، وتحدثنا صادقين ، وخلعنا ادب السياسة والساسة والعقائديين ، لقلنا ان الوحدة الشاملة الكاملة تراجعت اليوم فى حسبان العرب الى حين ، تراجعت بها التجربة المرة والأحداث . والحديث اليوم أولى ان يكون فى وحدة كل قطر . الوحدة الداخلية التى لا تكون وحدة خارجية الا بها . وحدة الكيان الذى فيه بناء الدولة . هذه الوحدة الداخلية ، فى حاجة الى رعاية كثيرة فى اكثر البلاد العربية . والى بحث كثير ، وحديث كثير . اذ كيف يمكن التوحيد بين وحدات هى فى داخلها متصدعة ».

« فاذا انتقلنا بالوحدة الى ما بين البلد العربى والبلد العربى ، وجب أن ننظر فى الوحدة الثقافية ، وفى الوحدة الاقتصادية وفى تنسيق ما بين أساليب العيش جميعا وانظمة الحياة ما امكن تنسيق ، وامكن تقريب » .

« ويكفينا ، نحن العرب ، من حيث الوحدة الكبرى ، الى حين غير قصير ، وحدة قلوب ».

هكذا كتبتُ .

وقد كتب لى بعض غلاة العقائديين القوميين يقول انه لم يرض عن هذا القول . انه يؤمن بالذى اقول ، ولكنه مع هذا يود أن يحاجَّ حجاجا أزعر لينتهى فيه الى عكس ما أقول . وهو يقول : هب هذا حقا .. فما كان لرئيس تحرير « العربى » أن ينطق بمثله .

عنده ان رئيس تحرير « العربى » يجب أن يكون حامل شعارات فى الأمة العربية ، دائما يصرخ بأخبار النصر ، ولو كاذبة ، حتى تصبح الأمة ذات يوم فتجد العدو عند عتبات دورها ، يدق بكعوب بنادقه الأبواب !

وانى لأعود فاكرر القول بأن الذى قلت كان حقا ولا يزال .

وانه ليس شيئا احق بالقول من هذا الذى قاله رئيس تحرير « العربى » فى ذلك المقال .

وازيد اليوم فاقول : ان الوحدة العربية ، فى ظروف التاريخ العربى الحديث ، ومع رواسبه وهى كوارث ، شىء لا يمكن ان يتقبله الناس على مستوى عواطف الجماهير والشعور العام وحده ، لان وحدةً تبنى على هذا المستوى تكون كالشىء الطافى ليس لها قرار . ليس لها عُمُد متأصلة فى قاع البحر تعتمدها .

ان تذوُّق الجماهير للوحدة ، تخيُّلاً غيرُ مذاقها فعلا .

لَيْسَتْ شِعَاراً سِيَاسِيّاً ، يَصْرخ بِهِ الصَّارِخُونَ لِيَحْجُبَ الحَقَائِقَ المُرَّة ، حَتَّى تَفْضَحَهَا الأَيَّام

الوَحْدَة يُمَهِّد لها تقارُبُ بيْنَ البِلادِ العربيّةِ عِلْماً ، وأدباً ، وفنّاً ، واستثمارَ أرضٍ ، وتصنيعَ موارِد ، وممارسة التعاوُن على كل صعيد.

الحرب الفيتنامية توشك أن تتحول إلى حربٍ ذريّة ، هدفها الصين ، والروس عندئذٍ ، يؤثرون على العقيدة ، المحافظة على الكيان.

وزيرين تنجد ، فى أمرٍ عامٍ ، بربّاتِ البيوتِ ، ولا يذكر أربابها.

شبابنا حائرٌ قلق ، وهم كالخيل في ميدان السباق ، ما أكثر ساقطهم في الطريق.

والوحدة القائمة علىعواطف الجماهير وحدها لا تلبث ان تنهار . تذهب بها اقليمية متأصلة فى طباع الجماهير .

الاقليمية

ونحن ننعت بعض بلاد العـرب بالاقليمية ، وننسى فى جذوة الحماسة الوطنية ، ان الاقليميـة بعض صفات النفس الانسانية حتى فى البلد الواحد.

دمشق أحب للدمشقيين من حلب ، والدمشقيون أحرص على خير دمشق التربوى والصحى والاقتصادى منهم على خير اللاذقيـة ، والدمشـقيون يحرصون على سلامة بغداد حرصهمعلى سلامة دمشق ، ولكن حرصهم على خير دمشق اكثر . وهم أكثر ترحيبا بحاكم دمشقى ، واروح نفسا ، منهم بحاكم بغدادى ، او ليبى ، او جزائرى .

ونحن نعلن الحرب على الاقليمية . والحق أننا انما نعلن الحرب على الغلوّ فيها . والغلو فيها هو حبّنا الخيرَ لأنفسنا وحدنا ، وكرهُ الخير لمن ينزل بيننا ، وايذاؤه حتى يضيق بمنزله فيرحل .

ان الاقليمية مزاج طبيعى محمود فى اعتداله ، مرذول فى غلوائه. وما الوطنية



لا بد من ترويض العرب في شتى بلادهم حتى يخرجوا
من ضيق الاقليمية الى بحبوحة العروبة الواسعة

الا نوع من الاقليمية السليمة ، ومنها حب الأوطان .

وحبّب أوطان الرجـال اليهمو
مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمـو
عهـود الصبا فيها فحنّوا لذالكا

وللاقليمية ، حتى في البلاد المستنيرة ، حساسية تجاه كل غريب عن البلاد ، لا سيما فيما يتصل بالسلطان في البلاد . لقد كره الفرنسيون وجود الجنود الأمريكيين في فرنسا من بعد حرب ، وهم مخلصوهم من نكبتهم ، ولم يرتح الانجليز لمن حلوا منهم في بلادهم وهم ذوو الأصل الواحد واللسان الواحد والدين الواحد. ونحن العرب نحرص على التستر على جندنا وهم يسيرون في بلاد عربية شقيقة .

الاقليمية والوحدة العربية

ان الوحدة ، واعني بها الوحدة الكاملة الشاملة الدستورية التي تشيع في افهام الناس ، سوف يكون لها مَطالب ، ويكون لها مَظاهر ، تمسُ أعصابَ الاقليمية فتوجعها وجعا شديدا . ان الوحدة تتطلب نزول البلد الواحد عن بعض وجوه السيادة فيه ، فكيف يرجى من تلك الاقليميات التي نعرفها اليوم في البلاد العربية أن ترضى بهذا . او ان تغضب غضبا سهلا وتذل لهذا ، هذا اذا كانت حرة في اختيارها . فكيف اذا لم تكن !؟

ان سنين من التوعية طويلة يتطلبها التحضير للوحدة الدستورية الكاملة الشاملة ، ان تكن هذه حقا هي خير مِظلّة تستظل بها البلاد .

انه الى جانب الوحدة ، التي تكاد تمتزج فيها الشعوب مَزْجَ ماء بماء ، توجد صنوف اخرى من الوحدة لعلها احفظ للكيان ، واقل مسا للعزة المحليّة ، وهي احفظ لما يخال المرء احيانا انه بعض كرامة الانسان .

وهي فوق ذلك اقرب منالا .

والى ان تتحقق اسباب الوحدة ، بعد عام او عشرة اعوام او عشراتها ، سوف تمتليء ايدي العرب في اي بلد كانوا بالشيء الكثير الذي يحتاج الى تحضير وتدبير ، ويحتاج تحضيره وتدبيره الى الزمن الكثير .

ان من البدائه ان الوحدة تكون ايسر ، وايسر كثيرا ، بين المتشابهين . فللتحضير للوحدة يجب ان تتشابه البلاد العربية علما وادبا وثقافة ولغة ، وتنشئة اجسام ، وتربية افهام ، ومعالجة مال ، واستثمار ارض ، وتصنيع موارد . كل وجه من وجوه الحياة هنا ، نحاول أن نجعله شبيهَ اخيه هناك ، الا فيما تدعو الى الخلاف فيه مصلحة . ومعنى هذا ،

ممارسة التعاون على طول الخط . ولا شيء كالتعاون ، مع الاخلاص ، يصطنع المنفعة الواحدة اصطناعا ، ومع المنفعة الألفة والحب وهما سند الوحدة .

ومع التعاون شيء آخر – لعلى اضعه اولا وقبل التعاون لأنه كالألف تسبق الباء في حروف الهجاء – هو اشتغال كل امة بأمر نفسها اشتغالا كاملا حثيثا تحاول به أن تسبق الزمان سبقا: تزرّع البلاد اذا لم تكن تزرّعت ، وتصنّعها اذا لم تكن تصنعت ، واكثر البلاد العربية لم تتصنع بعد ، وتستثمرُ ثروتها الطبيعية ، وثروتها البشرية ، بأحدث الأساليب التى تستثمر بها الموارد والرجال .

ان الوحدة اذا تعثرت قليلا ، أو اذا هي تجهّم لها الدهر قليلا أو كثيرا ،فخير ما تنفق البلاد فيه زمانها – دون أن تنسَى الوحدة – هو قيام كل بلد عربى بالعناية بأمر نفسه ، بارساء مقوّمات الحياة فيه ، اساطينَ عريضةً ، تحمل مطالب هذا العصر الحديث وحاجاته الثقيلة ولا تتزلزل .

ولنذكر دائما ، أن الوحدة ، التى تضمُ آخر الأمر نياقا ، غير الوحدة التى تضم فيلةً وفهودا وآسادا .

الحرب العالمية الثالثة ، توشك أن تفرض نفسها على الناس فرضا

سكتت الولايات المتحدة عن قذف فتنام، أياما طوالا ، ثم عادت الى قصف الشمال أشد ما يكون .

وهي عادت لا حبا للقصف ، ولكنها عادت تورّطا في الحرب .

وهي عندما بدأت هذه الحرب كانت لها أقوى قوة على ظهر الارض ، فهذه القوة الفريدة غرّرت بها فدخلت الحرب. فدخولها الحرب كان ورطة القوى لا ورطة الضعيف .

وهي دخلت الحرب تحسب انها تستمر شهرا وشهرين ، يخر بعدهما الأعداء على رُكَبهم ، ثم يسجدون . ولكن الحروب جميعا دلت على أن داخل الحرب يدخلها في الوقت الذى يشاؤه هو ، اما خروجه منها فأمر لا يتعلق بمشيئته هو وحده أبدا .. انما يتعلق بالأحداث التى تتمخض عنها الايام ، وبالعُقَد التى تعقدها ، فالحرب ان حلّتْ عقدة ، ربطت لكل عقدة تحلها عقدتين وثلاثا .

واليوم تريد الولايات أن تخلص من الوحل العميق الذى تغوص فيه قدماها في الجنوب الشرقى من آسيا ، وتزداد فيه كل يوم غوصا ، فلا تستطيع .

نعم انها فرضت على الحرب هدنة ، دامت اكثر من شهر ، سعت فيها الى انهاء حرب ، وتوسط الكثير من أمم الارض في محاولة انهائها . وجاء الرفض، لا من الجانب الاقوى ، والأقوى كثيرا ، ولكن من الجانب الاضعف ، والأضعف كثيرا .

وعادت الولايات تفتح أفواه النيران ، لتهدم الجسور ، وتخرب المصانع ، ولتشيع الدمار في شمال فتنام، واسفت لذلك أمم الارض ، الا انجلترا ، فقد رأت في عودة الحرب انها فرضت على الولايات المتحدة فرضا ، والا السيد أبو رقيبة الصغير ، وزير خارجية الدولة العربية التونسية، فقد رأى أن ما فعلته الولايات من العودة الى الحرب انما كان دفاعا عن النفس . . .

وآخرون ، ونحن معهم ، يرون في هذه الحرب التى عادت ، انها تنذر بأن يكون

امتدادها الحربَ العالمية الثالثة المنتظرة، تتحول اليها هكذا خلسة فى الزمان ، فاذا كل الارض مشتعلة ، واذا كل الناس لها خائضون ..

لتوضيح ذلك فى ايجاز نقول :

اولا : ان من المرجح جدا ان يجد رئيس الولايات المتحدة انه فى مازق لا خلاص له منه الا باستخدام القنبلة الذرية يلقيها على فيتنام الشمالية .

اما احتمال ذلك فقريب . فلقد سبق ان اقترح رئيس لجنة القوى الحربية بالكنجرس الأمريكي استخدام الذرة فى فتنام . والذى يذكر الظروف والاسباب التى دعت الرئيس السابق للولايات ، المستر ترومان،الى تقرير اسقاط القنبلة على هوريشيما ، ثم على نجزاكى ، لينهي بها الحرب العالمية الثانية التى استعصت عليه ، يجد شبها كبيرا بين ظروفه تلك ، وظروف جونسون رئيس الولايات الحاضر ... وانه بالمنطق الواحد يستطيع جونسون ان يحصل على موافقة الكنجرس على استخدام الذرة فى انهاء هذه الحرب الحاضرة التى تلتهم كل شهر من ارواح أبنائهم الالوف فى غير نهاية للحرب ظاهرة .

ثانيا : ان الولايات المتحدة لا تزال تذكر كيف وقعت فرنسا قبل ذلك فى مثل هذا الموقع الذي لا يشرّف دولة عظمى ، وباءت آخر الزمن بالفشل والهزيمة على ايدى نفس هؤلاء الرجال فى نفس تلك البقاع من الارض وطلبت النجاة بالخروج منها. والولايات لا تريد لنفسها ان تنسحب من جنوب شرقى آسيا آخر الأمر مهزومة مخذولة خاسرة.

ثالثا : ان حرب فيتنام اليوم ، هي حرب فتنام فى الأكثر ، وحرب الصين فى الاقل ، ظاهرا . ولكن لولا الصين ما طالت الحرب ، او هكذا يزعم الامريكان. والحرب الذرية ، ان وقعت ، فسوف تكون الصين هدفها اكثر من فتنام . وسوف تكون مواقع صنع القنبلة الذرية فى الصين هي غاية الامريكان اذ يسقطون عليها قنابلهم ويدمرونها تدميرا .

ان اكثر شيء عكر صفو الامريكان دخولُ الصين نادى الذرّة . ولقد قدر الامريكان ان الصين سوف يشتد باعها الذرى فى العشر القادمة من السنين .

وليس خطرا على أمريكا كخطر الصين ذريةً . انه لا يفصلها عنها غير المحيط . وهي دولة تناصب الامم العداء هكذا نهارا جهارا ، حتى الروس . وهم دولة لها موارد من الرجال لا تفنى .

رابعا : ان امريكا تتخيل الصين اخطر عليها من الروس مرات كثيرة . وذلك لأن امريكا والروس تربط بينهما ثقافة الغرب المدنية ، وثقافته الدينية ، ودعك من القول ان البلشفة ذهبت بالدين . فللدين فى الأنفس ، حتى وهي لا تعيها ، آثار لا تمحوها السنون هكذا سريعا ، ولو خمسين كانت او سبعين . والروس بيض، والامريكان بيض، والصين صفر. وفلسفة هؤلاء فى الحياة نقيض فلسفة اولئك ، ودع ما جاءت به الشيوعية من فلسفة لا تتعمق فى النفس الى اكثر مما يتعمق اليه الطعام والشراب .

من اجل هذا ارى ان أمريكا لن تأذن للصين الذرية ، فى العشرات من السنين القادمة ان تكون . وهي لا بد تتربص بها الفرص ، حتى تقع على العلة التى اذا تعللت بها لتضربها بالذرة كانت علة فى العرف السياسي غير مرجوحة تماما.

خامسا : لا اظن ان امريكا تخشى الروس فى هذا الامر كثيرا . لسنا ندرى بالطبع ما يكون عليه موقف الروس اذا أسقط الامريكان الذرة على الصين . ولكنا نشك اكبر الشك فى أن الروس سوف يصنعون أكثر من كلام يملأ الدنيا اصداء ويصم الآذان . ان خطر الصين على امريكا ، مثل خطرها على روسيا ، بل هي أشد خطرا على الروس . ان الجيوش الروسية قائمة فى وجه



ورغبة الصين مفضوحة فى انها تريد ان تزحف الى الشمال ، الى منغوليا وسيبيرية وتزرع فيهما فى سنوات مئات الملايين من الصينيين ، من رجال ونساء .. واطفال .

الجيوش الصينية على الحدود التي تفصل الصين عن سيبيرية .. ورغبة الصين مفضوحة فى انها تريد أن تزحف الى الشمال ، الى منغوليا وسيبيرية وتزرع فيها فى سنوات مئات الملايين من الصينيين، من رجال ونساء.. واطفال. واذن تصبح الصين ، وبها اكثر من الف مليون نسمة ، تغطي الرقعة الهائلة التي تقع بين المحيط الهادى والمحيط المتجمد الشمالي ، والى جانبها روسيا بمائتي مليونها ، أو ثلاثمئاتها .

ان الروس أمة تريد أن تعيش ، وان تعيش آمنة ، وقد أختارت نمطا من العيش اسمته شيوعية ، وهو عندها عقيدة . وعقيدتها هذه شركة بينها وبين الصين، فهي سبب تعاطف بينهما. ولكن اذا أصبح وجود الروس نفسه مهددا ، تهدده الصين ، فسوف لا تغنى عقيدتها عن ضياع وجودها شيئا .

ان حقائق الحياة الانسانية لن تتغير ابدا . امة الف ، الى جانبها امة مائة او مائتان ، لا بد ان تطغى عليها ، وان تزدردها ازدرادا .

وليس اعلم من الروس بحقائق الحياة.

ونحن امم الارض الصغيرة ، انما ننظر ونفكر . وليست طلقة ذرية تطلق فى اقصى الارض الا ناسفة لاكثر من شيء يتصل بحياتنا اتصالا وثيقا ، فى ركننا هذا الهادىء البعيد الذى فيه الهدوء اشبه بغطيط النائم منه بصحوة اليقظان.

وزير يستنجد بربات البيوت ، ولا يذكر أزواجها

وصلت صحف يوم الاحد من انجلترا ، فارجاتها على عادتي الى ما بعد عشاء ، ثم اخذت اتصفحها .

وكان ما لفت نظري اول لافت فيها ، رجاء من وزير بريطاني ، الى الجمهور البريطاني ، لا سيما جمهور الشمال من انجلترا ، ان يراعي الاقتصاد ، اقصى الاقتصاد ، فى استهلاك الغاز ، لمدة شهرين او تزيد ، وهو على الاخص دعا ربات البيوت الى ان تقلع فى هذه المدة عن عادتها فى شيء لحم اللحم ، غداء الأحد المستطاب ، وان تعتاض عن شيء الأفران ، وفيه استهلاك للغاز عظيم ، بتحمير اللحم او بسلقه توفيرا للوقود . فهذا يحتاج الى الشعلة أو الشعلتين ، اما الفرن فيحتاج الى صفين من الغاز المشتعل يفنيان الكثير من الغاز .

ولفهم مغزى كل هذا ، لا بد من ايضاح نقطتين :

١ ـ خطورة شواء الأحد عند ربات البيوت .

٢ ـ السبب الذى دعا الوزير الى طلب هذه النصيحة من ربات البيوت .

خطورة شواء الأحد

اما خطورة شواء الأحد فيعلمها كل من عاش فى تلك البلاد . فلا يكاد يكون يوم أحد عند القادرين ، الا بالشواء ، وأكثر اهل هذه البلاد القادرون . والغاز وقودهم الدائم الراتب ، واكثره يأتي من الفحم . وانجلترا بلاد الفحم . وشواء الأحد تبقى منه دائما بقية باردة تنفع ربة الأسرة يوم الاثنين فتعفيها من الطبخ لتقوم بمطالب البيت الاخرى ، لا سيما من غسيل وتنظيف وترتيب .

والغاز للتدفئة عندما تثلج السماء

اما السبب الذى دعا الوزير الى هذا النداء ، فشيئان . اولهما : ان مصنعا من المصانع التى تصنع الغاز الكثر فى الشمال فتعطل . وضاع بذلك على البلاد ٢٥ * مليون قدم من غاز كانت تنتج يوميا . وثانيهما : انذار المراصد بأن الجو سيكون جوا ذا برودة وثلوج كثيرة ، وهذا يحتاج الى زيادة فى التدفئة والى زيادة فى استهلاك الغاز . ولم ينس الوزير ان يرجوهن الاقتصاد فى غاز التدفئة كما يقتصدن فى غاز الطبخ.

والغاز لصناعات البلاد

وذكرهم الوزير بأن الغاز ليس لطهي الطعام فحسب ، وشيء لحمة الأحد فحسب ، ولا لتدفئة المنازل فحسب ، ولكنه كذلك للصناعات القائمة . فمن الصناعات القائمة ما تعتمد عليه كل الاعتماد . وذكرهم الوزير بأن تعطل احد مصانع الغاز فى الماضي غير البعيد سبب ايقاف الانتاج ببعض مصانع الفخار والصيني ، وببعض مصانع السيارات . تعطلت يومين ، وفقدت

* الواقع انه تعطل بعد ذلك مصنعان لصناعة الغاز آخران ، فبلغ النقص فى انتاج الغاز ١٠٠ مليون قدم فى اليوم .



على ربات البيوت ، الانجليزيات، ان تتغاضى عن شى اللحم فى الافران ، بتحميره او سلقه اقتصادا فى الغاز

البلاد بتعطلها انتاج يومين، وتعطل بذلك خمسون الف عامل .

وقال الوزير لربات البيوت : فانتن اذ تقتصدن فى استهلاك الغاز ، انما تؤمِّن العملَ لرجالكن .

ومضت الايام ولم يعد الوزير يكرر النداء .

نداء واحد كفاه لاصابة هدف اراده . وهو وجهه الى ربات البيوت لا اربابها، وهو يعلم انهن سميعات مستجيبات .

السمك وربات البيوت

وتجار الطعام فى انجلترا لا يخشَون احدا مثل ما يخشون ربات البيوت .

اذكر أن تجار السمك فى انجلترا ، فى سنة من السنوات الماضية ، رفعوا ثمنه بضعة بنسات . فرفعت النساء عقائرهن احتجاجا ، وطلبت احداهن من نساء البلاد الكف عن الشراء .

ولم يمض على هذا الاضراب عن شراء السمك ايام حتى عاد التجار الى خفض اثمان السمك الى ما كانت عليه قبلا .

روح الجماعة التى نفتقدها فى الشرق

انها روح الجماعة ، فى هذه البلاد ، وفى امثالها من البلاد الواعية ، هي التى تخدم هذه البلاد فى عسرها وفى يسرها .

وهي هي الروح التى نفتقدها فى الشرق افتقادا ، فى عسر الحياة وفى يسرها على السواء .

ان الفرد فى الشرق ، ولعله فى الشرق العربى خاصة ، اذا منذرٌ انذر بشيء يسيء اليه ، ذكر نفسه أولا ، وقلما ذكر من بعد ذلك الناس . وحتى الفرد الخيِّرُ فى الشرق ، الذى فى طبيعته ان يذكر الغير قبل النفس ، وذلك غالبا بسبب تقوى الله ، هذا الفرد لا يلبث أن يقلع عن ذكر الغير اذ يجد الآخرين

ساعين ، فى الازمات ، لأنفسهم ولأنفسهم وحدها ، تاركين اياه وحده للتهلكة والدمار .

روح الجماعة لا تكون الا حيث تكون الثقة

ان روح الجماعة لا تكون فى مجتمع الا حيث تكون الثقة .

والثقة هنا ثقتان :

ثقة الناس فى الحاكمين أولا .

ثم ثقة الناس بعضهم فى بعض .

ثقة الناس فى الحاكمين

اما ثقة الناس فى الحاكمين فثقة فى العدالة انها تكون . وثقة فى ان الحق لا يغتصب . وأنه اذا اغتصب فما اسرع ما يسترد .

وثقة الجماهير بحكامها فى الشرق ، لا سيما فى العصور الحديثة ، لا أدرى كم كان منها ، وكم بقى .

والحكام غير العدول انما يحكمون بالحظوة اذا هم فقدوا الحكم بثقة الشعب . والحظوة لها ثمن يدفعه الحاكم من جيوب المحكومين . والحاكم اذا كان له اصدقاء كانوا بحكم الضرورة قلة . فاذا ميزهم ، او هم ميزوا انفسهم اعتمادا على حظوتهم عنده كان لهم بسبب هذه الميزة كسب ، هو لكثرة الناس خسران .

والحديث عن روح الجماعة فى جو كهذا حديث بلاهة . والحديث عن التعفف وعن التضحية فى مثل هذا الجو لخير المجموع حديث سخرية .

ثقة الناس بعض فى بعض

اما ثقة الناس ، بعض فى بعض ، فشىء لا يدعو اليه الداعي فيستجاب اليه فورا من فوق منبر .

انه شيء يربّى فى الطفل صغيرا ، وينشأ عليه . ويتعوده ، وقد لا يفطن اليه ولا الى اسمه تماما . كما يطلب الطفل الطعام ولا يعلم انه لقيام جسمه .

انه شيء يتعلمه الطفل فى البيت طفلا ، ثم صبيا ، فى مجتمعه الصغير ، مجتمع الأسرة . على ان يكون قد سبق أن تعلمه الآباء وتعلمته الامهات ، علما ومرانا وتجربة ، ففاقد الشيء لا يعطيه .

وهو شيء يتعلمه الصبي فى المدرسة ، على أن يكون قد سبق ان تعلمه المدرسون وتعلمته المدرسات ، علما ومرانا وتجربة ، ففاقد الشيء لا يعطيه . والمدرس الذى يسعي فى الزحام ليسبق غيره فى اغتنام شيء لا يصلح لمثل هذا النوع من التعليم ، ولا لبثّ روح الجماعة فى ابناء الجيل .

وفى المدارس والجامعات ، وفرقها ، والعابها الجماعية ، فيها كلها فرص تنبت روح الجماعة فى لاعبين ومتفرجين على السواء . ففيها مظاهر نجاح التعاون ظاهرة بينة ، وفيها مظاهر خذلان الانانية ظاهرة بينة . والنقلة بروح الجماعة من ميدان لكرة القدم ، الى سوق يزدحم عنده الناس للشراء ، نقلة يسيرة ، انها عادة الفكر ، وعادة القلب ، لا يسهل على القلب اطّراحها اذا هي تأصلت .

ولكنها ، لتكون عادة تتأصل فى الامم ، لا سيما المتخلفة ، ولا سيما تلك التى لم تتعود ثقة الحكام القرون المتطاولة ، واذن ففقدت الثقة فيما بين جماعاتها وافرادها ، أقول لتكون روح الجماعة عادة تتقمّصها انفس الجيل فلا تخلعها خلعا سهلا ، لا بد من مرور جيل كامل او بعض جيل للتدرب عليها .

بشرط ظاهر يسبق كل هذا : ذلك صلاح الحكم والحكام ، فالحكم الفاسد ،

او الحكم الجانح ، لا يصلح معه شيء . وهو يقضي على روح الجماعة ، لانه باسداء الحظوة والحظوات انما هو ينقضها . وحينئذ يتحين كلُ فرد كلَ سانحة لغنم له ، وله وحده ولذويه . ومن علامات ذلك ظهور الاسواق السوداء .

السوق السوداء

ان ظهور السوق السوداء في اي بلد ، كالعَرَض ، يدل على المرض .

والمرض هنا يتنوع . فقد يكون فقدان ثقة الجمهور بالحكم ورجاله ، او فقدان ثقة الجمهور بعضه بعض . وليس كالسوق السوداء واتساعها دليل صادق على ضياع روح الجماعة ، بل انزهاقها.

قِصَّة صَغِيرَة ، لَيْسَت خَطِيرَة

قصة واقعية سمعتها ، ورواها رجلها . قال :

كنت في طريقي الى البيت ، واذ اقتربت من دور السكن لمحت شابا مراهقا يحتمي من رذاذ المطر بسقيفة قصيرة تظلل باب دار . وكان واضحا ان الدار لم تكن داره . والباب كان مغلقا وقد أعطاه الفتى ظهره . وظهر عليه القلق . ظهر من حركاته .

ولما اقتربت منه ، خطا نحوي خطوات مترددة ، وهو يستأذن في خجل كثير ، يريد ان يفضي اليّ بأمر . قال :

ـ انا شاب لا غبار عليه كما ترى . ولي اهل ولي بيت محترم . وانا في ازمة. فهل تأذن لي ايها الغريب في أن أفضي اليك بها ، لعل عندك حلاً لها . قلت :

ـ هاتها . قال :

ـ اني تركت بيتي ، وفيه امي وابي ، غاضبا ، ضيقا بالحياة . وعزمت على أن لا اعود . ولكن كلما دخل الليل خار عزمي ، فانا لا أدري اين اذهب . وليس معي مال ولا لي اقارب . وبدات احس بالوحشة واخافها . ورايتك فتوسمت فيك الخير وخبرة الحياة . وانت كما تراني ليس لي من خبرة الحياة مايهديني السبيل . قلت :

ـ ما المشكلة ؟ قال :

ـ خصومة بيني وبين ابي وامي . يريدان مني ما لا استطيع . ويحملاني على سلوك طريق في كسب العيش تكرهه نفسي . قلت :

ـ المطر يشتد ، فلو انك صحبتني الى هذا المقصف فقد نستطيع ان نحل المشكل مع فنجان من الشاى حار ، فالجو يبترد .

وذهبنا الى المقصف القريب ، وعلى فنجان شاى ، وكعكة ، ابى الشاب أن يمسها ، افضى الشاب المراهق بمشكلته اليّ :

انه شاب في المدرسة الثانوية ، وهو يحاول نيل شهادتها النهائية فلا يستطيع ، ووالداه مصممان على اعادته السنة من بعد السنة ، وهو قد سئم الاعادة ، وسئم علومها . وهما يريدان له أن يسلك سلك التعليم من بعد ذلك ، فيكون معلما ، وهو يبغض التعليم . وظهرت الكراهة في حديثه ظهورا شديدا دلّ على أنها متاصلة . وسألته ، واذن فاى شيء يريد ان يصنع لكسب العيش في حياته . قال: ان فيه منذ الصغر ميلا للطباعة ، وانه قرا عنها ، وانه كثيرا ما صحب صديقا له فيها ، وعالج أمورها فاستهوته . وانه نشا على حب المكنات وحركات التروس. وقد شاقه منها معنى ملأ نفسه اشباعا. يبدأ الطابع بصفحة واحدة ويقراها

الواحد ، واذا بالمكن يصنع منهـا فى ساعات آلافا مؤلفة يقرؤها الملايين من الناس .

وفرغنا من القهوة ، وذهبنا الى بيت هذا الشاب .

طرقناه ، ففتحت الوالدة البـاب . وارتمت على صدر ابنها . وعندئذ فقط علمت أن الابن انما تغيب عن بيته يوما كاملا وليلة .

وجلسنا جميعا ، الشاب المراهق ، والأم ، والأب ، وانا . انا ، ذلك الناصح الغريب . وبدأت بالطبع بتعريفهـم بنفسى ، فاطمأنوا الى .

وبعد حديث طويل اقتنع الوالدان بما رأيت من ترك ابنهما يطلب الـرزق فيما هو احب الى نفسه ، لا سيما وقد حاول ان يطيعهما فيما رأياه فأخفق ، والاخفاق لا يكسب غير الاخفـاق . وتعهدتُ من جهتى ، ولى بالمطابع صلات، ان أساعد الشاب فيما يبتغيه .

والحق أن الوالدين فى تصميمهمـا الأول ، انما طلبا لولدهما الخير ، وجريا فى اختيارهما على ما رأى الناس عامة انه الخير ، ذلك الصعود الى آخر السلم المعروف . ولم يكن لهما من ثقافتهما ، ولا من خبرتهما بنواحي الحياة ووجوهها المختلفة ، وتشعب طرقاتها ، علمٌ كثيرا .

ونجح الطالب فيما ابتغى . وانتقـل من المدينة .. وظل يكاتبنى ، وهو يزداد فى حرفته هذه نجاحا ، ويزداد كل يوم فيها خبرة وفنا . وحمدت انا بدورى تلك الأمسية التى وجدت فيها شـابا واقفا فى سبيل الحياة حائرا ، لايدرى حتى اين يبيت ليلته ، فاستطعت أن أردّه الى حيث اعتاد ان يبيت، واستطعت ان أرده الى طريق العيش الذى ابتغاه، وأعانته الأقدار الطيبة ، على أن ينجح فيه ، وتطيب له به الحياة .

شبابنا الحائر ، كالخيل فى ميدان السباق ذى العوائق

الى هنا انتهت القصة ، أرويها على قدر ما أذكر منها .

وقد وقعت هذه القصة ، كما لا بد قد ادرك القارىء، فى بلد من بلاد الغرب.

وذكرت بهذه القصة آلافا من شبابنا الحائر ، ذلك الذى يدخل الى المدارس ، كما تدخل الخيل الى ميدان السـباق ذى العوائق ، فمن عائق الى عائق ، حتى يتم اجتياز العوائق جميعا . والمتفرجون أكثرهم لا ينظرون الا الى الخيل التى وصلت الى النهاية . وهم لا يذكرون الخيول التى كبت فى الطريق . وذكرتُ أن شبابنا العربى يدخل الى المدرسـة الابتدائية وفيها عوائق اربعة قد تزيد الى ستة ، فالى المدارس الثانوية ، فالى الجامعة يجتاز فيها عائقا من بعد عائق ، كما تجتاز الخيل تماما .

والناس تذكر الخريجين ، وتنسى من كبَوا فى الطريق .. فى الابتدائى .. وفى الثانوى .. وفى الجامعة .

احصُوا من دخلوا المدارس الابتدائية، واحصُوا من تخرجوا من الجامعـات واحصوا من ذلك كم حصان كبا .

او احصُوا كم دخل المدارس الثانوية وكم تخرج منها . وكم سقط فى الطريق فلم يتم ؟اين ذهب هؤلاء ، وهم الكثرة؟ وكذا فى الجامعة،اين ذهب ساقطوها؟ وهل امتصتهم الحياة بعد سـقوط ؟ وكيف ؟

وهؤلاء ، اذ دخلوا الثانوية ، أو اذ دخلوا الجامعة ، هل دخلوها بناء على نصيحة الناصحين العارفين الخبيرين ؟ ام هو طريق العيش ، طـريق الناس ، طريق الحشر ، يدخله الداخلون بدون تفريق ، فلا مواهب تُدرَس ، ولا كفايات تُقدَّر ، ولا نصائح تُسدَى ، ثم ينتهى الطريق ، فبعضٌ يخرج الى الشِّبَـع ، وبعض يخرج الى الجوع .

لا بد من سبيل ، فى التدريب للعيش ، لكل كفاية من كفايات الشباب مهما قلت

انه الى جانب دور العلم لا بد من وجود خبراء يزنون الكفايات ،فيصرفونها الى شتى السبل التى تؤدى بالشباب ، مهما اختلفت كفاياته الى الرزق المشبع، فليس هناك كفاية الا وهى مؤدية ، مع الرعاية ، الى مقدار من الشبع مقدور .

ولا بد من فتح السبل التى تتفق وهذه الكفايات . الفكر الانسانى انطلق حتى اصبح لا يستعصى عليه أن يفتح سبيلا لكل كفاية . وما دام ان الطعام حق كل انسان ، وما دام ان العمل ثمن كل طعام، وما دام ان العمل تعليم وتدريب ، وما دام ان الكفايات اختلفت عند الناس ، وانه هكذا شاء ربك ، فقد وجب ان يكون لكل كفاية تعليم وتدريب ومدارس ،ولو فى غير جدران المدارس التقليدية ،يؤهلها للعمل ، فللرزق فى المجتمع الانسانى الحديث .

ومن حق كل شاب ان يجد المرشد الناصح اذا استرشد

وان من حق كل شاب حائر ، كذلك الشاب الذى احتمى من الرذاذ بسقيفة ذلك الباب فى تلك القصة التى قصصت، من حقه أن يسترشد برأى خبير ، ولو عابر طريق فى ليل ، ليهتدى به اذا ما تعمت عليه مسالك الحياة وانبهمت ، فلم يدر أيها يسلك مما يتفق وحاله .

ولقد يجد شباب البلد الغربى الكثير الذى يهدون ،وعليهم يشيرون (١). ولكن شباب البلد الشرقى ، والبلد العربى خاصة ، فى هذا الشأن قليلو النصح ، وذلك لقلة النصحاء . ولأن النصيحة لا يتأهل لها كل انسان . ولأن الناصح المتأهل ، لو انه تفرغ لها ، لملأت زمانه كله وفاضت،وصارت له مشغلة عيش .

ولست أدرى لم لا تقوم وزارات التربية فى البلاد العربية بهذا الأمر ، تجند له كل من يحال فيها الى التقاعد من اهل الرأى خاصة ، يضم اليهم أهل الرأى من كل ناصح فى شئون الدولة وشئون الحياة فى سائر الوزارات ، وغير الوزارات .

ان بالدولة مجالس تجلس للحكم تعرف بالمحاكم ، يساق اليها المذنبون .

وما أجدر بالدولة أن يكون بها مجالس تجلس للحكم فى ظروف كل فتى وفتاة تنبهم امامهم طريق الحياة، كل مايطلبونه انما هو النصيحة . النصيحة غير النيئة . النصيحة الناضجة التى تخرج عن معرفة وثيقة بشئون العلم ،وشئون الفن ، وشئون المجتمع ، وشئون التربية والتهيىء لممارسة الحياة .

ولعلها مجالس تحتاج من ورائها الى خبراء ، لا سيما فى علم النفس والكشف عن الأمزجة وتقدير مراتب الذكاء وصنوف المهارة فى فكر وعين ويد ، حتى الأصبع قد تكون للانسان مهارة لا تتجلى الا فيها .

ان مجالس كهذه تحل آخر الأمر محل الكثير من تلك المجالس الأخرى الموسومة بأنها محاكم .

ان مجالس تفتح للناس سبل الحياة الطيبة المنتجة الخيرة ، تمهد لفض الكثير من المجالس التى انما تجتمع لتقرر العقاب لمن ضاقت بهم سبل الحياة ، فساءت بهم سبيلا .

« والله المستعان على ما تصفون » .

■■

احمد زكى

---

(١) انظر ما كتبناه عن « معاهد لتوجيه النشء ليس عندنا مثلها » وذلك بصفحة ٤٦ عدد سبتمبر من « العربى » عام ١٩٦٣ .



الخَطَّة الخمْسِيَّة الأُولى لِدَوْلَـة الكُوَيْت

بقلم : أحمد الدعيج

مدير عام مجلس التخطيط

■ هذه العناوين ماذا تعني ؟ وهل حقيقة ان الكويت فى حاجة الى تنمية وازدهار ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال نسالك : ماذا تعرف عن الكويت؟

.. انها فى ذهن الكثيرين اشبه ما تكون بقصة من القصص الاسطورية التي صنعها مصباح علاء الدين السحرى فوق رمال الصحراء .

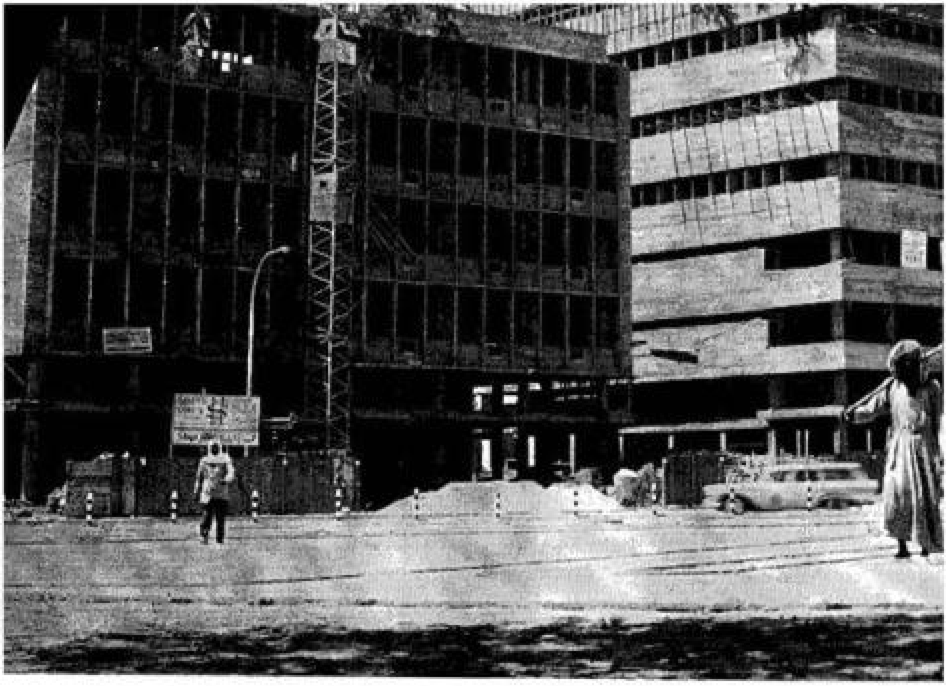
انها قصة سباق مع الزمن انتهت بانشاء هذه الدولةالفتيةالغنية بمواردها الطبيعية خلال فترة لا تتجاوز بضع سنوات .. اصبح خلالها ابن الكويت يتمتع باعلى مستويات الدخل الفردى فى العالم ..

ولكن هل توقفت عجلة الزمن فى الكويت عند هذا الحد ؟ والجواب : لا ..

ان المسئولين فى الكويت لم يقتنعوا بما حققته بلادهم من مكاسب اجتماعية واقتصادية ضخمة فراحوا يعملون من اجل توطيد نهضتهم على اسس علمية سليمة من اجل مستقبل افضل .. فكان ظهور مجلس التخطيط الذى وضع اول مشروع خمس سنوات للكويت يقوم على اسس صريحة وتخطيط مدروس لحال البلاد ...

ثلاث مراحل

لقد مرت الكويت قبل ظهور هذا المجلس بما يمكن ان يسمى : ثلاث مراحل تاريخية هامة .
كانت اولاها :
مرحلة ما قبل النفط ، وهي المرحلة



من أغراض الخطة تقليل المجهود الكبير الحالي الذي ينفق في قطاع الاسكان وتحويل بعضه الى مناشط اقتصادية أخرى . وهذه صورة لبعض عمارات الاسكان في الكويت التي لم تتم بعد ..

- **رفع مستوى الانتاج بمقدار ٥٠٪**
- **تنمية الطاقات البشرية بالتعليم والتدريب والصحة**
- **رفع الانفاق الاستهلاكي الخاص بنحو ٣٥٪**
- **تنويع الاقتصاد بتنويع مناشط الانتاج في البلاد**
- **تضييق شقة التباين بين المدينة والقرية**
- **عدالة توزيع الدخل دون المساس بالماضي**

التي كان فيها المجتمع الكويتي مجتمعا تقليديا محدود الموارد ...

والمرحلة الثانية هي عهد النفط ، وبتمد حتى وقتنا الحاضر ، ومن الممكن تقسيمها الى قسمين الاول : هو مرحلة التهيؤ للانطلاق خلال السنوات ١٩٤٦ ـ ١٩٥١ ، وثانيهما يتمثل في مرحلة الفورة العمرانية التي استمرت من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٥ .

اما المرحلة الثالثة : فهي مرحلة توطيد الانجازات بما يكفل استمرار النمو والتقدم ، عن طريق دعم نقاط القوة في الاقتصاد والتغلب على نقاط الضعف فيه ، من خلال عملية التحكم بالموارد ، وتنظيم استعمالها ، اى من خلال التخطيط الاقتصادي الاجتماعي المستهدف اغراضا عامة محددة .

نقاط ضعف .. ونقاط قوة

لقد قامت الكويت الحديثة على اكتاف جهود جماعية مضنية ضخمة ، رافق بعضها تطورات غير



مستجبة او غير متوقعة اعتبرت كنقاط ضـعف فى تركيب المجتمع والاقتصاد ، رغم ان سببها يعود الى الاحداث الهامة التي داهمت البلـد على حين غرة ، فلم يكن بالامكان التحسب لما يمكن ان يقع نتيجة النشاط الاقتصادى السريع والمناشط الأخرى ..

والى جانب نقاط الضعف هذه ظهرت نقاط قوة تمثلت فى طبيعة الشعب الكويتي ، وما تجمع فى شخصيته من مهارة وحركة وسرعة خاطـر ، وقدرة على التكيف والتطور السريعين .. وليس ادل على هذا من تحول النشاط الاقتصـادى صـوب آفاق جديدة ، بعد ان اظلمت الآفاق القديمة ، ونضبت مواردها .. ومن تكيف المواطن الكويتي مع عصر النفط تكيفا تضمن تبدلا ثوريا فى المسكن والمأكل والعمل وفي شكل الحكم ومؤسساته وفي البيئة بشكل عام ..

نقاط القوة

ومن نقاط القوة ، الثروة النفطية الهائلـة التي بلغ من امرها ان جعلت مشكلة الكـويت المالية هي فى استيعاب راس المال الوطني ، او معظمه ، فى مجالات انتاجية محلية ، لا شـحة راس المال كما هو الحال فى البلدان النامية الاخرى.

ومن نقاط القوة ، قدرة الكويت على استقدام قوة عمل ضخمة ذات كفاءات متعددة وملائمة لحاجات البلاد شاركت في تحمل اعباء النهوض العمراني والاجتماعي ووفرت على البلاد ضرورة الانتظار ، حتى تنمو قوة عمل محلية تواجـه متطلبات التنمية .

واخيرا ، من نقاط القوة ان الكويت تمكنت خلال فترة قصيرة وبسرعة كبيرة من مباشرة واتمـام القسم الاكبر من تجهيزاتها الهيكلية محولة نفسها بذلك من اقتصاد تقليدى يسير ببطء الى اقتصاد حديث مجهز تجهيزا جيدا ينمو بسرعة مرموقة ويتمتع افراده بمستوى مرتفع جدا فى المعيشـة وفي الخدمات العامة .

نقاط الضعف

اما نقاط الضعف فى تركيب المجتمع والاقتصاد الكويتي فهناك اولا خطر الاعتماد المفرق على مورد واحد هو النفط والغاز الطبيعي ، خاصة وان هذا المورد يستخرج ويصدر على يد قطاع اجنبي ذى تركيز تكنلوجي ورأسمالي عال ، وذي استقلال فعلي في اتخاذ مقرراته ..

ونقطة الضعف الثانية ، تتمثل فى ضآلة عـدد السكان مما يجعلهم سوقا شرائية محدودة ويضعف امكانية التصنيع بالرغم من ان هذه السوق ذات قدرة شرائية فردية مرتفعة جدا .

ومن حيث السكان ايضا ، فان سهولة استقدام قوة عمل غير كويتية خلقت حالة من الاتكاليـة المفرطة لدى الكويتيين ، مما خلق احجاما لديهم عن الحلول محل غير الكويتيين ، وفضل معظمهم الدخول فى خدمة الحكومة ، حيث تضخم الجهاز الادارى تضخما خطيرا وهبط مستوى الكفـاءة فيـه ..

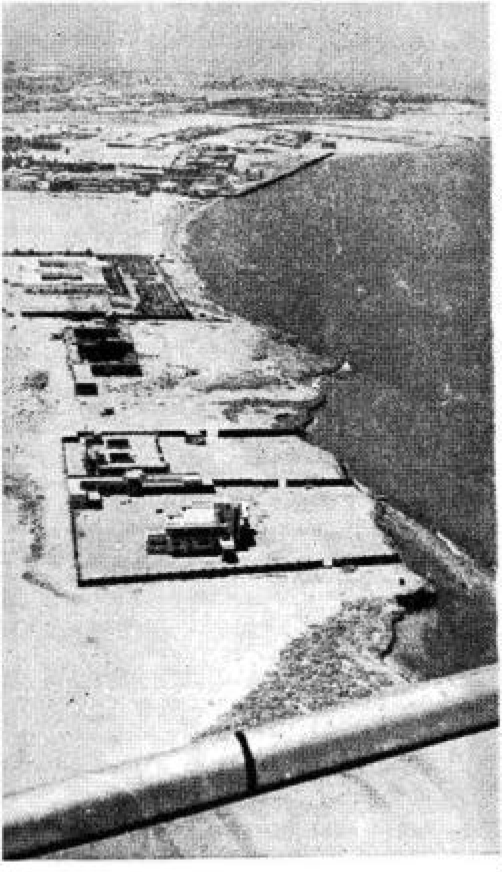
ومن نقاط الضعف انطلاق فورة العمران دون ضوابط ودون تخطيط اقتصادى اجتماعي مسبق فى الحقبة بين ١٩٥٢ – ١٩٦٠ وهو انطلاق عمل على ايجاد فجوة واسعة بين الثروات الكبرى والثروات الصغرى ، وبين الدخول العليا والدخول الدنيا ، الى جانب ترك المناشط الاقتصـادية تتجـه دون التوقف والنظر مليـا الـى تـركيب الاقتصـاد الناتج عن هذه المناشـط ومقدار توازنه ، والبحث في ما يتوخى له وفيه من توازن وتنوع وكيفية تحقيقهما .

واخيرا ، فان التجارة الخارجية التي تمر بفترة خطيرة تعتبر من نقاط الضـعف ، حيث تسربت موارد مالية ضخمة الى الخارج لقـاء المستوردات ، في حين تظل الصادرات على مستوى منخفض جدا ... ان « تسرب » الدخل والموارد هذا ، يجعل من الاقتصاد الكويتي اقتصادا متميزا بالانكماش لولا ان فوائد النفط تأتي عاما بعد عام فتسد الفراغ الذى يحدثه التسرب وتبقي معدل النمو على حالة من الارتفاع ..

هذه النقاط ، على اقتضابها تعطي صـورة حقيقية متكاملة للوضع في الكويت .

موجبات التخطيط

ويمكن تلخيص ما سبق بالقول بأن الكويت قد



من اغراض الخطة تشجير جزيرة فيلكا ، وتزويدها بالمنازل والمطاعم والمقاهي والملاهي لتجتذب الألوف من السكان للنزهة والاستجمام وهذه هي صورة لجزيرة فيلكا ، لاتزال قليلة العمار ، قليلة السكان ، بها امكانات واسعة للتنمية والازدهار

مرت بفترة نهضة عمرانية هائلة،كان تخطيها مبهما وعفويا وغير منضبط ...

ولاجل تلافي كل هذا مستقبلا وضعت اول خطة خماسية للتنمية ..

ومن الضروري التأكيد بأن خطة التنمية الاولى لا تعد بالشيء الكثير، لانها المرحلة الاولى من عملية تنظيم الاقتصاد الكويتي وتخطيطه، ولانها تعني الى حد بعيد باستكمال او تعديل اسس الاقتصاد ومناشطه وقواه مما يستوجب بذل الكثير من الجهد والوقت والموارد المادية .. الا ان ثمار فترة التعديل ستظهر بوضوح اكثر في الخطط المقبلة..

اغراض خطة التنمية

ان تحديد الاغراض العامة للخطة الخماسية بشكل سليم ينبغي ان ياخذ بالاعتبار طبيعة المشكلات التي يعاني منها المجتمع ، ونقاط القوة التي ينعم بها . فقد روعي عند تحديد الاغراض العامة سهولة تمويل المشروعات الانشائية بسبب وفرة المدخرات القومية.ومن الجهة الاخرى صعوبة التغلب على الاختناقات السكانية والادارية والفنية .. كما روعيت المشكلة الاجتماعية الخطيرة التي هي خطر تفشي الاتكالية بعد ان كان الكويتي يتميز في السابق بالاعتماد على النفس والنشاط والمبادرة .

وقد حددت اغراض الخطة في ثماني نقاط نعرضها هنا باختصار :

١ ـ النمو الاقتصادي :

تهدف الخطة الى رفع مستوى الناتج المحلي والاجمالي للدخل القومي بمقدار ٥٠٪ عما هو عليه حاليا في خلال سنواتها الخمس المقبلة .. اي بزيادة ٨٫٥٪ سنويا ..

واستهداف المزيد من النمو الاقتصادي السريع مع المزيد من العدالة الاجتماعية يعبر عن الرغبة في تامين المزيد من تدفق السلع والخدمات في البلد على مستوى يسمح بتحقيق ما يصبو اليه المجتمع من اهداف ...

ان المجتمع يستطيع اذا تحقق المزيد من النمو والمزيد من العدالة الاجتماعية ، ان يطمئن الى قدرته على التوفيق بين متطلبات النمو السريع ومتطلبات العدالة التي كثيرا ما تتضارب فيما بينهما في بلدان نامية تعوزها الموارد الضخمة التي تسمح ببلوغ هذين الهدفين معا .

٢ ـ تنمية الطاقات البشرية :

لا ريب أن تقدم الانسان هو غاية التنمية الاجتماعية الاقتصادية .. لأن الانسان هو محرك عملية التنمية وعنصرها الأول وشرطها الضروري..

ولئن كانت سبل تنمية القوى البشرية متعددة،





من اهم اغراض خطة التنمية توسيع نطاق التعليم

يتطلب معظمها الكثير من الوقت ومن الجهد ، ومن التبدل في مؤسسات المجتمع ومفاهيمه ومواقفه ، وفي مناخه الفكري الحضاري لكي تتطور القوى تطورا بطيئا ، فان بعض السبل كرفع مستويات التعليم والتدريب والصحة اقرب منالا ، وان تكن هي الأخرى تتطلب من الوقت اكثر مما تتيحه سنوات الخطة الواحدة . ولذا فان خطة التنمية الأولى تستهدف توسيع نطاق التعليم ، وتحقيق الزامية التعليم الابتدائي ، والمتوسط وتحسين نوعيته ، والوصول بالتعليم الى المرحلة الجامعية بعد ان مر بالمراحل الابتدائية والثانوية . كما تستهدف الخطة توسيع مجال التدريب المهني ورفع مستواه ، وتوسيع نطاق الخدمات الصحية والطبية من علاجية ووقائية من حيث رفع مستواها وتحسين انواعها واتساعها الجغرافي لتصبح سهلة المنال بالنسبة لكل مواطن .

وتحذر الخطة من ان السياسة السكانية ستظل ناقصة ومحدودة الافق ان هي لم تاخذ بالاعتبار الضرر الطويل المدى الذى يلحق بالاقتصاد ، وبالمجتمع ، اذا ظل عدم الاستقرار بين غير الكويتيين على ما هو عليه . فان عدم الاستقرار هذا الناتج عن قصر فترة التعاقد مع الموظفين منهم وعن الصفة الوقتية لاقامة غير الكويتيين عموما مهما كان اسهامهم فى قوة العمل كبيرا يخلق من التوتر الاجتماعي والتردى الاقتصادى ما يؤذى المجتمع والاقتصاد مما لا يحتاج الى تبيان .

٣ ـ رفع مستوى المعيشة :

تهدف الخطة الى رفع مستوى المعيشة ، خاصة لفئات الدخل المنخفض ، ولا بد من الاشارة الى ان هذه الفئات تتمتع بمستوى من المعيشة ارفع مما هو مالوف في البلدان النامية الاخرى بسبب الازدهار الذى يتمتع به الاقتصاد الكويتي ، وبسبب الخدمات العامة المجانية في مختلف الحقول من تعليم وصحة ...

ويتوقع بموجب الخطة ان يرتفع الانفاق الاستهلاكي الخاص (وهو احد الادلة على ارتفاع مستوى المعيشة) بما يزيد عن ٣٥ في المائة خلال الخطة ، فاذا انزل ازدياد السكان المتوقع وهو ١١٪ خلال سنوات ، لكانت النتيجة ان استهلاك الفرد سيرتفع بمقدار ٢٤ في المائة ، وهذا يشكل ارتفاعا مرموقا فى الانفاق الاستهلاكي الفردى .

٤ ـ تنويع الاقتصاد :

ان غرض ايجاد اكبر مقدار ممكن من التنويع في المناشط المنتجة للدخل فى الكويت يرمي فى السياق القصير ، اى خلال الخطة ، الى انقاص الاعتماد النسبي الحالي المرتفع على قطاع الانشاء والاسكان (اى بناء المساكن) وقطاع التجارة ، بصرف النظر عن ارتفاع نشاطهما بالصورة المطلقة . كما يرمي هذا الغرض في السياق الطويل الى انقاص الاعتماد النسبي والمتوقع خلال السنوات القليلة المقبلة على قطاع النفط الخام ، لما يتضمنه الاعتماد المفرق على نتاج سلعة واحدة وتصديرها من ارتباط مبالغ به بسوق تلك السلعة ، ومن اتكال مسرف على مورد طبيعي يتولد ويصدر بدون جهد يذكر من قبل المواطنين او الهيئات العامة ..



وهذا فصل دراسي في احدى المدارس الثانوية بالكويت

ويؤدى هذا الاستنتاج الى ان تخطيطا واسع الأفق ينبغى أن يرمى الى تسهيل عملية تجنس العناصر الفضلى علما وتدريبا ومهارة وخلقـا من غير الكويتيين ممن يرغبون فى ذلك بأكثر مما تسمح به القوانين والأنظمة المرعية حاليا ، والى تقديم عقود طويلة الأجل لمن لا تشملهم عملية التجنس أو من ينبغى التريث قليلا قبل اعطائهم حق اكتساب الجنسية ، على أن تأتى المقترحات والتوصيات بالتجنس أو بالعقود الطويلة الأجل من لجان مختصة فى الوزارات وفى القطاع الخاص، يكون لأعضائها من الاطلاع ما يسمح بابداء الرأى الصائب .

ان جل ما يمكن توخيه واقعيا وعمليا خلال الخطة الأولى ، هو التهيئة لعملية التنويع ثم المباشرة بها . والسعى لتحقيق المزيد من التنويع فى السنين التالية لهذه الخطة .

وفى السياق القصير يتضمن هدف التنويع فى الخطة :

توسيع قطاعات النقل البحرى والبرى والمواصلات ، كما يتضمن وضع مشروعات الصناعات الكيماوية البترولية فى حيز التنفيذ ، والشروع باقامة الصناعات الأخرى التى تثبت الدراسات الجارية حاليا سلامتها الفنية وجدواها الاقتصادى وتطوير الزراعة بعد تحقيق مشروع اسالة المياه من العراق بما يسمح باستصلاح الأراضى واعدادها للزراعة المجدية ومباشرة زراعة الخضار والفواكه الملائمة لمناخ البلد وتربته ، وتوسيع الانتاج السمكى والحيوانى .

كما أنه من الضرورى السعى لجعل الكويت مركزا ماليا هاما فى العالم العربى والآسيوى والافريقى ، وذلك بتطوير خدمات السوق المالية تطويرا كبيرا ، وبتوسيع قدرة هذه السوق على تمويل التنمية والعمليات الاقتصادية الخارجية عامة ، على أن يتم ذلك ضمن صيغة جديدة تجمع بين استخدام الموارد المالية واستخدام الموارد الفنية البشرية . فحيث يذهب الدينار الكويتى للخارج ينبغى أن ترافقه خبرات فنية كويتية رفيعة فى شركة بشرية مالية مثمرة .

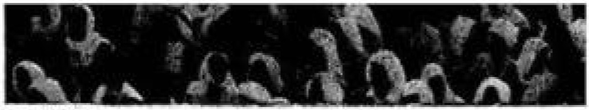
٥ ـ التوازن الجغرافي :

اى الاهتمام بالقرى وتجهيزاتها لتضييق شقة التباين بين مستوى هذه التجهيزات فى مدينة الكويت ومستواها فى بقية البلاد .

وتشمل الخطة الخماسية تركيزا على تنمية جزيرة فيلكا كمركز سياحى وأثرى . فمناخ هذه الجزيرة المعتدل وقربها من الساحل الكويتى ، وشطآنها الجميلة ،وآثارها التاريخية ، كلها تشير الى امكانات التنمية فى هذه الجزيرة .. ومن السهل تخيل فيلكا وهى تزهو بالأشجار ووسائل الترويح والمنازل للاستعمال خلال الاجازات وبالمطاعم والمقاهى ، وتجتذب الألوف من السكان بقصد الاستجمام والنزهة ، مما ينشط اقتصاد الجزيرة تنشيطا كبيرا .

٦ ـ استكمال التجهيزات الهيكلية العامة:

تهدف الخطة الى توجيه استثمارات كبيرة صوب الهيكل الاقتصادى الاجتماعى لتدعيمه وتوسيعه فى مختلف المجالات مثل التعليم والصحة والطاقة



الكهربائية والمياه والرى واستصلاح الأراضى والمواصلات على اختلافها ، والاسكان والمبانى الحكومية وغيرها على ان يراعى فى هذه التجهيزات عدم الاسراف وعدم استهداف المباهاة وأن يرمى التوسيع والتحسين الى تكامل جوانب التنمية . وذلك لكى يستفيد السكان من التجهيزات والخدمات أولا ، ولكى تستفيد قطاعات الانتاج المباشر من الخدمات ثانيا ، ولكى تختصر فترة الانتظار بين اقامة المشاريع المنتجة ومباشرتها بتقديم الثمار ثالثا .

٧ ـ توزيع الثروة والدخل واستعمالاتها :

ان مفهوم « عدالة توزيع الدخل » يجب أن تفسر تفسيرا مختلفا فى الكويت عما عليه فى البلدان الأخرى لأن دخل الطبقة الدنيا فى الكويت مرتفع بصورة مطلقة عن دخل الطبقة الدنيا فى البلاد النامية الاخرى . لهذا عند البحث فى مسالة عدالة التوزيع لا يدور الحديث حول علاج انخفاض الدخول الدنيا كشىء مستقل ، بل يدور اولا حول مسالة تضييق الثغرة الواسعة القائمة بين الدخول الدنيا ـ على ارتفاعها ـ والدخول العليا بحيث يكون ممكنا للتيارات الاجتماعية والسياسية المعاصرة أن تعبر عن نفسها سلميا دون احداث هزات فى المجتمع ، وثانيا حول توسيع قاعدة الملكية قدر الامكان .

ان الخطة الخماسية تهدف الى تغيير تركيب الاقتصاد من حيث نمط توزيع الثروة فى المستقبل دون المساس بما تركه التركيب الماضى حتى الآن من أثر فى توزيع الثروة والدخل ..

ويقوم هذا التغيير على أربع سياسات جزئية:

أ ـ سياسة رفع قاعدة الدخول برفع الرواتب والأجور .

ب ـ سياسة ضمان اجتماعى واسع النطاق بحيث تعم فائدته ذوى الدخول المنخفضة .

جـ ـ سياسة توسيع قاعدة التملك بتمكين كل كويتى من امتلاك مسكن لائق فى المدن أو القرى على السواء مع اعطاء الأولوية فى الشراء لذوى الدخل المنخفض .

د ـ السياسة الضرائبية التى يمكن أن تضم عدة أنواع من الضرائب ، واهم عناصرها تنظيم شمول ضريبة الدخل لمناشط جميع السكان والمؤسسات الهادفة الى الربح .

٧٠٠ مليون دينار للخطة

ان المبلغ المخصص للاستثمار خلال هذه الخطة الخماسية هو ٧٠٠ مليون دينار .. تتوزع بمقدار ٣٧٤ مليون دينار فى القطاع العام و١٠٧ ملايين فى القطاع المشترك و٢١٩ مليونا فى القطاع الخاص ..

والمقارنة بين السنوات الخمس السابقة للخطة وسنوات الخطة الخمس تبين بوضوح ارتفاع الاستثمار الاجمالى بنحو ٤٦ فى المائة .

وتعكس هذه المقارنة البسيطة التوقع بأن تؤدى الاستثمارات المتزايدة خلال الخطة الى تسارع خطى التنمية فوق قاعدة الانطلاق .

ان هذه الخطة سوف تعمل على زيادة الدخل القومى فى الكويت بمقدار ٥ر٨ فى المائة سنويا ..

كما تفترض الخطة أن تنفيذ حجم من الاستثمارات يبلغ ٧٠٠ مليون دينار فى الاقتصاد المحلى من شأنه أن يسهم برفع مستوى قيمة الناتج القومى الاجمالى من ٦١٢ مليون دينار فى العام المالى ٦٥/٦٦ الى ٩١٨ مليون دينار فى نهاية السنة الخامسة من الخطة .

اغراض خطة التنمية

واخيرا يجب القول بشدة ان على المواطنين الا يعتقدوا أن الخطة ستأتى بالمعجزات خلال سنواتها الخمس، فالتغيرات المؤسسية والتنظيمية والاجتماعية والاقتصادية التى تتضمنها الأهداف والسياسات لا يمكن ان تتم خلال خطة خمسية واحدة..والعقبات فى سبيل هذه الأهداف لايعقل ان يتغلب عليها المجتمع خلال خمس سنوات ..

ان نيل الهدف النهائى وسموه يوجب علينا جميعا الصبر والجلد والتعاون فى طريق طويل وشاق .. واذا اجتاز مجتمعنا هذا الامتحان القاسى ، كان جديرا بثمار صبره وجهده .■■

احمد الدعيج

صفحة في اللغة

● بالاضافة الى ما نشرته « العربي » في عدد سابق حول « اكفاء » و « اكفياء » اقول :

١ ـ معنى كافا : ساوى وماثل . وقد جاء في القرآن الكريم : « ولم يكن له كفوًا احد » .

والكفاءة هي المساواة والمماثلة ، وفيها الكفاءة في الزواج ، وهي ان يكون الزوج مساويا للمراة في عدة امور .

والكفء هو المماثل والنظير والجمع : (اكفاء) و (كفاء) .

٢ ـ (كفى ، يكفي ، كفاية) وكفى الرجل اذا قام بالامر وحصل به الاستغناء عن غيره فهو كاف . وقد جاء في القرآن الكريم : (وكفى بالله شهيدا) اى ان شهادة الله تغني عن سواها ففيها الكفاية .

والكَفِيُّ (وجمعه اكفياء) والكافي (وجمعه كُفاة) بمعنى واحد وهو الذى تكون به الكفاية اى الذى يكفيك ويغنيك عن غيره بسبب قدرته على القيام بالامر (اى القدير) .

٣ ـ واذا قلنا : اصحاب الكفاءة (اى الاكفاء) تكون قد قصدنا بهم اصحاب المماثلة (اى المتماثلين والمتساوين) .

واذا قلنا اصحاب الكفاية (اى الاكفياء والكفاة) تكون قد قصدنا بهم الذين يكتفى بهم ويستغنى عن غيرهم لقدرتهم على القيام بالامر .

فاذا قلنا : علماء اكْفِيَاء او كُفَاة تكون قد وصفناهم بالقدرة العامة فلا يحتاج السامع بعدها الى ان يسأل ايضاحا حول هذا الوصف . ولكننا اذا قلنا : رجال اكْفَاء (متماثلون) لاحتاج السامع الى ان يسأل مستوضحا عن نوع ما هم فيهم من تماثل فنقول مثلا : رجال اكفاء في المال ، او اكفاء في العلم ، او اكفاء في الاخلاق . اما مجرد (اكفاء) فلا تكفي الا اذا اردنا انهم متماثلون في كل شيء على الاطلاق .

وبذا يكون : الكفء : هو المماثل ، وجمعه اكفاء .

والكفِيُّ والكافي : هو القدير الذى يكتفى به ، والجمع : اكفياء وكفاة .

٤ ـ اما اكْفِياء التي هي جمع كفيف فقد شرحها الاخ السيد عاهد اللبدى .

٥ ـ وهناك فعلان آخران هما : (يجب ، يتوجّب) قد استعملهما كثير من كتاب زماننا هذا كأنهما مترادفان مع ان (يتوجّب) معناها يأكل وجبة (والوجبة هي الاكلة الواحدة في اليوم والليلة) . ونقول : قد اكتفى بأن يتوجب (او بأن يوجّب نفسه) لقلة ذات يده . اى اكتفى بأن يتناول وجبة لقلة ما ملكت يداه .

٦ ـ وهناك ايضا فعل ورد بخطأ في حركة عين مضارعه ، في قاموس كثير التداول ، فانقاد كثير من الناس وراء هذا الخطأ .

اما الفعل فهو (رأس ، يرأس) كما ذكر في جميع امهات قواميس اللغة العربية دون استثناء ، الا انه قد جاء في قاموس المنجد على شكل (رأس، يرئس) . مع العلم بأن اكثر الافعال التي تكون عينها او لامها من احرف الحلق الستة (أ ، هـ ، ح ، خ ، ع ، غ) تكون عين مضارعها مفتوحة (اى من باب فتح يفتح) . ■■

ابراهيم محمود صنوبر

نابلس / الأردن

في سبيل موسوعة علمية

الزَّبَاد

من وحى القراء

■ أتينا على ذكر المِسك ، وهو احد العطور الاربعة التى مصدرها الحيوانات ، وهى تضاف الى تراكيب العطور التجارية ، لتكسب مكوناتها العطرية النباتية ، ثبوتا ودواما وانتشارا . فهى بهذه الاصول الحيوانية ابقى اثرا واطول انفاسا .

ومن بعد المسك يذكر الزَّباد .

وهو مادة دهنية كالزُبد مستًا وليناً .

والزَّباد ذو رائحة قوية غير مستحبة ، ولكنها تطيب عند التخفيف بالمزج، وعند امتزاجها باصول الأطياب الاخرى فى صناعة الروائح العطرية .

وللمهتم بالكيمياء نقول : ان العلماء حللوه ، فوجدوا مكونه الاساسى كيتونا Ketone سمّوه سيفيتون Civetone ، اشتقاقا من الاسم الافرنجى للزبادى وهو سيفيت Civet .

أما مصدر الزَّباد فهو كما ذكرنا حيوانى .

انه يأتى من ذلك الحيوان المعروف بقط الزَّباد .

وهو يشبه القط ، وما هو بقط . وهو صنفان افريقى وآسيوى .

وهو يتميز عن القط بأن له جسما اطول ، وكذا وجها اطول ، وارجلا اقصر . وبكل رجل خمسة اصابع ، بها خمسة مخالب ، يمكن طيّها .

والفرو طويل خشن ، رمادى اللون ، به نقاط او خطوط سوداء .

وقط الزَّباد الافريقى طوله نحو ٥٠ بوصة ، منها الذيل ، وطوله نحو ١٨ بوصة . وقط الزَّباد الهندى مثله حجما ، وفروه اكثر سمرة .

ويتميز قط الزَّباد بنمو غدد عطرية فى البطن ، هى بيت القصيد . وهى تنمو فى الذكر والأنثى على السواء .

ويحصلون على الزَّباد من هذه الغدد بكشطه بملعقة من الغدد ، من الحيوان الحي ، من حين لحين . وهى عملية غاية فى القسوة .

والقط يُحجَز فى اقفاص بعد صيده ، ويغذّى باللحم النّيىء ، ولكنه لا يَستأنس ابدا . ويقال انهم يهيجون القط ليزيد انتاجه من الزَّباد .

واكثر مصادر الزَّباد بلاد الحبشة .



قط الزباد

العَنْبَر

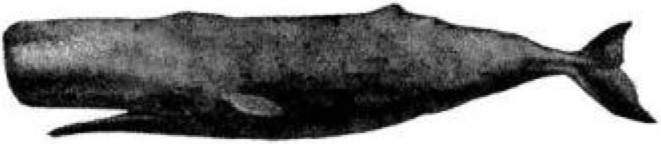
● ولا يذكر العربى المسك والزَّباد حتى يذكر العنبر .

ومصدر العنبر مصدر غريب حقا .

ان الشجر يصح ، فيثمر على الصحة ، ويعطى الثمَر النافع وينفع الناس .

ولكن الشجر كذلك يمرض ، فيعطى مع المرض الصمغ مثلا ، وينتفع به الناس .

والحوت الكبير ، ساكن المحيطات الواسعة،يبلع فى طعامه من الاسماك وأحياء البحار ما يبلع ، فيكون فيه ما يهيج امعاءه فلا ينهضم فيحيط هذا



حوت العنبر

الشيء الذى هيّج امعاءه مادة تحميه من شره ، يقيئها آخر الأمر فى البحر ، فيلقفها الانسان وينتفع بها الناس .

انها العنبر Ambergris ، ذلك الاصل العطرى من الاصول القليلة الحيوانية التى تزيد الروائح ثباتا وتعطيها امتدادا .

وهو مادة لها قوام الشمع ، رمادية ، وبيضاء وصفراء وسوداء ، وهى كثيرا ما تجمع بين اكثر من لون كما يتجمع الرخام فيتجزع .

وحظ البحّار الذى يعثر فى البحر على قطعة من العنبر حظ كبير ، فهو غالى الثمن . ومن اكبر القطع التى انتشلت من البحر قطعة وزنها ٢٤٨ رطلا كان ثمنها ١٢٠٠٠ جنيه استرليني . وكثيرا ما وجد البحار قطعا وزنها المائتان من الارطال طافية فى مياه البحار الاستوائية .

وهم ولا شك واجدوها فى امعاء الحيتان التى صادوها فقطعوها قطعا .

والحوت الذى يوجد العنبر فى امعائه هو حوت العنبر Sperm-whale ، وله راس ضخم مليء بالزيت والدهن Sperm-aceti . وهو يطول حتى يبلغ ٦٠ قدما .

والعجيب ان هذا هو طول الذكر اما الانثى فحجمها النصف تقريبا من حجم الذكر .

القَسْـــــطُورَة

● ولتمام البحث لا مفر من ان نأتى على ذكر رابع المواد التى هى من الأصول الحيوانية التى تتضمنها الروائح العطرية عند صناعتها .

وهذه المادة هى « القسطورة » او القسطوريوم Castoreum ، وهى على غرابة اسمها على الاذن العربية ، اكثر الاصول الحيوانية استعمالا .

ومصدرها الحيوان القارض المسمى بالقندس Beaver ، وهى تؤخذ من غدده بعد قتله .

وهو حيوان يقتل على كل حال بالملايين، ليتخذ من جلده الفراء الجيد .

ونود لو ان الصفحات اتسعت لوصف حياته ، ففيها المعجب الجميل . ويكفى الان ان نقول انه حيوان قارض يعيش فى الارض والماء اشبه بحياة فار المسك الذى وصفناه بـ « العربى » فى الصفحة ١٣٦ من العدد ٨٦ .

ان الرجل العربي يألف الخيل والبغال والحمير، والنمل والنحل ، وكثيرا من حيوانات الارض والماء التى نشأت معه فى حياته ، فى اقطاره الحارة . ولكنه مع الاسف يجهل ما هو شائع معروف عند خلق الله الآخرين الذين يعيشون فى المناطق المعتدلة العليا والباردة ، ولها عندهم فى الاقتصاد شان كبير . ويحول بين العربى وبينها ، حتى علمها ، غرابةُ اسمائها . ان الاسم الغريب كالباب الثقيل يُغلق بيننا وبين العلم الكثير النافع . ■■



القندس



وحدة النضال العربي

عن صحيفة « البلاد » السعودية :

● لقد كان – ولم يزل – مؤتمر القمة العربى ترجمة عملية لرغبات الشعوب العربية فى وحدة الصف ووحدة الهدف ... وهذه الرغبة قديمة ، كما لا يخفى ، الا انها لم تكن قوية كما هى اليوم. فالذين نادوا بها فى الماضى كانوا قلة من المثقفين الأمنـــاء . أما اليوم ، فهى صادرة عن القاعدة الشعبية العربية ، تبعا ونتيجة لتجارب عديدة علمت الشعوب العربية ان الحرية كل لا يتجزأ وان النضال من اجلها يجب أن يكون بكفاح جماعي شامل .

معاني الاستقلال

عن صحيفة « الميثاق » السودانية :

● الاســتقلال معنى قائم فى النفوس قبل أن يكون ظاهرة سياسية فى حياة الشعوب . وأول شروط الاســتقلال التى ينبغى تحقيقها هو أن نستقل بافكارنا ومفاهيمنا وقيمنا . ولا بد لنا من تطهير المناهج التعليمية وتحويلهـــا الى اغراض التربية الوطنيــة . والشرط الثانى من شروط الاستقلال استكمال اسباب الاستقلال بمعنـاه السياسى ولا ســبيل الى ذلك الا باجراء بعض التعديلات الأساسية فى الدستور . أما الشرط الشرط الثالث من تلك الشروط فهو أن نستقل على الصعيد الاقتصادى ، فالحرية الاقتصادية سلطة ينبغي الا نأتمن عليها الاحتكارات الاجنبية بل علينا ان نخص بها أهل البلاد .

الجنرال ديجول والصهيونية

عن صحيفة « المنار » اللبنانية :

● « لم تعد فرنسا فى عهد الجنرال تنحـاز الى جانب اسرائيل انحيازا مطلقا يجعلها تجازف باعلان الحرب على بعض الدول العربية ، كمـا حدث أثناء العدوان الثلاثي .. فقد شرع الجنرال ديجول يسير بفرنســا فى طريق محايد بالنسبة للعرب والصهيونية . بدأ ، فى فترة حكمه الأولى، يتخلص من العناصر الفاشية التى كانت مسيطرة على فرنسا والتى كانت على الدوام من اصـدقاء الصهيونية الأوفياء . فان حاولت الصهيونيـة وسعت الى اسقاط الجنرال ديجول فى الانتخابات الاخيرة فما ذلك الا لخشيتها من أن تؤدى سياسة ديجول فى نهاية المطاف الى المراهنة على الحصان العربى ضـد الحصان الصهيونى ، سيما وان الحصان الصهيونى هو الحصان المحبب والمفضل لدى خصوم الجنرال .

الرواية البوليسية .. وآثارها فى عقول الشباب

عن مجلة « المصور » القاهرية :

● منذ اسابيع ، وقعت فى يدى احدى الروايات التى تصدر فى سلسلة « مغامرات ارسين لوبين » بالعربية ، ويقبل عليها كثير من صبياننا وشبابنا فوجدتها تحكى قصة ارسين لوبين ضد شخص تصفه الرواية بانه من اب آسيوى ، وام افريقية ومسلم يتكلم العربية . ووجدتها تصور هذا الشخص بانه زعيم عصابة هى المسئولة عن مصادمات الزنوج فى امريكا ، واضراب العمال فى بريطانيا وفرنسا ، وحركات « العصيان » فى آسيا وافريقيا ، والثورات « الشيوعية » فى روسيا والصين . فيلاحقه ارسين لوبين حتى يقضى عليه، بعد ان تفيض الأحداث المثيرة ، التى ترعش القلوب الصغيرة المتعطشة للمخاطرة والمغامرة والبات الشجاعة ، بادانات للآسيويين والافريقيين والمسلمين والعرب .

فاذا عرفنا ان الرجال والنساء يقبلون على قراءتها بنهم شديد وتتسرب الى عقولهم افكار وقيم ضارة عن الآسيويين والافريقيين والعرب والمسلمين ، بدت اهمية مناقشة ما يقرؤه الأطفال والشباب ، خارج المدارس والجامعات ، واهمية دراسة امكانيات خلق ادب عربى للأطفال والشباب يشبع فى انفسهم احساساتهم الموضوعية ، وحبهم للمخاطرة والاستكشاف والسعى الى البطولة ، كما تبدو اهمية متابعة ما يصدر من هذا الأدب فى الخارج،ويأتى الينا باللغات الاجنبية او مترجما، وما يصدر منه فى بلادنا مترجما وزهيد السعر .

الضمير المشلول

عن جريدة « فلسطين » الاردنية :

● عندما اغتالت يد الغدر والجريمة بطل الكونجو الراحل باتريس لومومبا تمزق الضمير العالمى الما .. وقبل ذلك عندما اغتال الاستعمار حق شعب فلسطين فى أرضه ثار الضمير رغم كل الظروف التى كانت تحيط بالعالم آنذاك .. وضمير العالم .. الا يحس بمئات الذين يسقطون كل يوم صرعى بطش امريكا على أرض فتنام ... واليوم ، ما من صحيفة ولا اذاعة ولا دولة الا وثارت على ما حل فى روديسيا من اغتصاب ...

لقد بات الضمير العالمى كتلة من العواطف المشلولة فى عصر ما زالت تسوده شريعة الغاب رغم كل ادعاءات الحضارة وانجازات التطور .

النهضة الاقتصادية المنشودة فى البحرين

عن صحيفة « الأضواء » البحرينية :

● الشركات والمؤسسات الأجنبية الموجودة فى البحرين ، آن الأوان لها ان ترد لهذا البلد بعض ماله عليها من اياد بيضاء .. فلقد مضى ردح طويل من الزمن خلا لها الميدان فيه ، فجنت من الارباح ما جنت ، واستأثرت بمعظم اوجه النشاط الاقتصادى .

نحن طبعا لا نحسد تلك الشركات ــ وان كنا نغبطها ــ على هذا الربح الحلال . ولكننا نعتقد انه قد آن الأوان بان يكون لهذا البلد نصيب من هذا الربح وهذا الاستثمار التى اختصت به تلك الشركات . فاعباء التقدم كبيرة . والتطوير الذى تحتاج اليه البلاد للحاق باخواتها فى مضمار التقدم يستدعى الكثير من المال الذى لا سبيل اليه الا عن طريق سن تشريع للضرائب يوجب على مثل تلك الشركات والمؤسسات والبنوك ان تسهم بواجبها فى دعم الدخل القومى بعد أن رتعت فى المغانم زمنا ليس باليسير .

مسابقة العربي

لكي لا ننسى

١٠ إجابات صحيحة .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ واجه العالم العربي في ربع القرن الاخير طائفة من الاحداث التاريخية والقضايا المصيرية ، ما يزال كفاح العرب في سبيلها مستمرا ، وكانت قضية فلسطين ، وما تزال ، حجر الزاوية في معظم هذه الأحداث ، كما انها كانت وما تزال أهم القضايا التي اتفقت كلمة العرب كافة على أن يقفوا فيها صفا واحدا ، سواء ضد الصهيونية ، أو ضد الاستعمار ، أو ضدهما معا ...

وهذه المسابقة عبارة عن عدد من الأسئلة تدور كلها حول بعض الأحداث والقضايا التي واجهها العرب في تلك الفترة من الزمان ، ومنها القضية الفلسطينية .

١ ـ في اى عام صدر وعد بلفور المشئوم الذى تبرع بمنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين ؟

★★★

٢ ـ عندما جلت القوات البريطانية عن فلسطين التي كانت اذ ذاك تحت الانتداب البريطاني، اعلنت اسرائيل قيام الدولة الاسرائيلية وعندئذ زحفت سبع دول عربية على فلسطين لتحريرها من تلك العصابات .. ففي اى تاريخ كان زحف الجيوش العربية على فلسطين ؟

★★★

٣ ـ ما هي اسماء الدول العربية السبع التي تنتمي اليها الجيوش السبعة التي زحفت على فلسطين ؟

٤ ـ في اى تاريخ بدأت الهدنة الأولى في الحرب الفلسطينية ؟ وفي اى تاريخ بدأت الهدنة الثانية ؟!

★★★

٥ ـ ما اسم اول دولة اعترفت بدولة العصابات؟ وما هو تاريخ اعترافها بها ؟ ومن كان رئيسها اذ ذاك ؟

★★★

٦ ـ في اى تاريخ وقعت معركة دير ياسين ؟

★★★

٧ ـ في اى عام تم جلاء القوات البريطانية نهائيا عن الأراضي العراقية ، بما فيها قاعدة الحبانية ؟

٨ ـ فى اى سنة قامت ثورة ١٤ تموز بالعـراق التى اطاحت بنورى السعيد وزملائه ؟

★★★

٩ ـ فى اى سنة تكونت جبهة التحرير الوطنى الجزائرية وفى اى بلد من البلاد العربية ؟

★★★

١٠ـ فى اى عام اختطف الفرنسيون الزعمـاء الجزائريين وهم فى السماء طائرون ؟

★★★

١١ـ فى اى سنة جلت القوات الفرنسية عـن القاعدة التونسية : بنزرت ؟

١٢ـ فى اى سنة تم جلاء القوات البريطانية عن الاراضى المصرية ؟

★★★

١٣ـ متى اعلنت مصر تأميم قناة السويس ؟

★★★

١٤ـ فى اى شهر ومن اى سنة وقع العدوان الثلاثى على بورسعيد ؟

★★★

١٥ـ فى اى شهر ومن اى سنة قامت الثـورة السودانية ؟

١٠ اجابات صحيحة تكفى

ولكل متسابق ان يجيب على هـذه الأسئلة جميعا ، ولكن ليس لأحد ان تقل اجاباته الصحيحة عن عشر اجابات .

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٨٨ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٦ .
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هـذه الشروط عرضـة لأن يهمـل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..وعند تعدد الاجابات الصحيحـة تمنـح الجـوائز بطـريق الاقتـراع . ■■

كوبون مسابقة العدد ٨٨

من وحي الربيع

إذا هبت على النفس رياح الشوق والوجد
وهاجت ذكريات الأمس من قرب ومن بعد
فلا تعجب اذا سالت مآقينا على الخد
فإن النفس تلتاع بذكرى سالف العهد

★★★

أأخوان الصبى هلا ذكرتم ذلك العهدا
وهل ذقتم كما ذقنا من الوجد إذا اشتدا
فما ضر زمان الوصل لو كان قد امتدا
لقد اخلفنا وعدا وقد أورثنا سهدا

★★★

شباب مثلما طافت على الوسنان أحلام
وقد مرّ كما مرت على الأزهار أنسام
وحالت بعده الدنيا فلا عود ولا جام
ولا لهو ولا لغو ولا لحن وأنغام

★★★

بأيام الصبى همنا فيا أيامنا عودى
ويا أطياف ماضينا لقد أكثرت تسهيدى
أرى الغيث يعيد النبت غضا بعد تجريد
فما للدهر لا يأتى على المرء بتجديد

★★★

صحونا وقد انجابت عن العين الغشاوات



وقد خلفنا الركب ... وفي الدرب متاهات
وفي النفس من الماضي ... مآس ولذاذات
فلا ينفعنا عذل ... ولا تنفع آهات

★★★

إلى عالمنا الثاني ... يغذ السير حادينا
ونقفوه على كره ... ملايينا ملايينا
ذهبنا مثلما جئنا ... كأنا لم نعش حينا
فلا قادمنا يبقى ... ولا الراحل يأتينا

موسى كاظم نورس

بغداد .

الدِّراسَاتُ الأَدَبيَّة وَالدِّرَاسَاتُ الفَلْسَفيَّة

فِى حَاجَةٍ إلى :



اذا كان من غير الممكن ان نبني دراساتنا فى الادب والفلسفة على أسس المنطق وقواعد العلم بناء تاما ، فان من غير المعقول ان نجانب هذه الاسس والقواعد فى دراسة الادب والفلسفة مجانبة تامة .

ان العرب لم يألفوا بعد فى تاريخهم الحديث معاناة العلوم الرياضية والطبيعية . اننا لا نزال فى واقعنا الحاضر أميل الى الاتجاه الشخصي فى معالجة الامور ، ومن هذه الامور امورنا العلمية والادبية والفكرية . واذا كان اليوم فى الوطن العربي نفر من العلماء ومن الذاهبين فى الامور مذهب العلم الرياضى والطبيعى ، فان مثل هذا المذهب لم يصبح بعد ثقافة عامة لجيلنا المعاصر ولا هو الطابع الغالب على الباحثين فى الموضوعات الادبية والفلسفية .

انفصال بين العلم والأدب

ان هذا الانفصال الذى نراه بين جانب العلم وجانب الادب خاصة ، فى معظم الكتب التي تملأ الاسواق والمكاتب ثم تسيطر على توجيه الناشئين ، راجع الى افتراض خاطيء مبثوث هنا وهنالك ، هو أن الانسان يولد متجها نحو العلم أو نحو الادب . من أجل ذلك نجد بين المشتغلين بالأدب

هل قال امرؤ القيس حقاً : اليوم خمر ، وغداً أمر

هل صدق الراوون فيما جرى بين عمرو بن هند ، وطرفة بن العبد

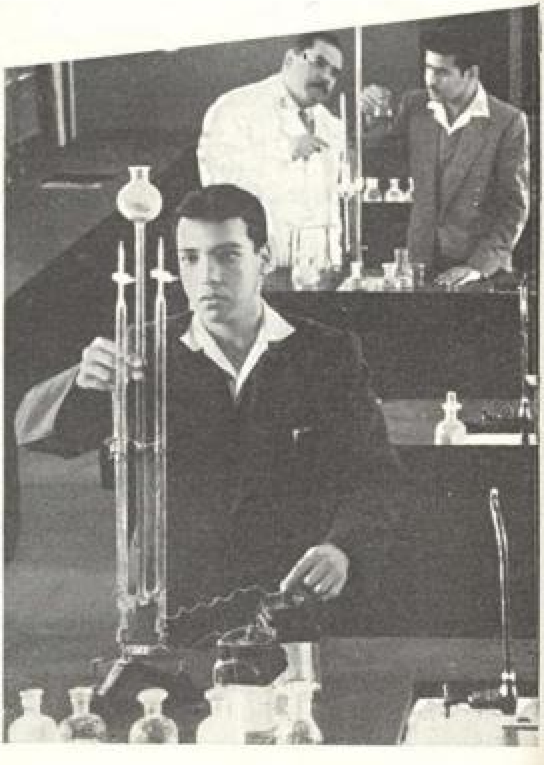
هل الشعر حقا لغة العاطفة ، والنثر لغة العقل

هل الفلسفة الإسلامية ، فلسفة توفيقية بين الفلسفة والدين

دراسة الأساليب العلمية

بقلم : الدكتور عمر فروخ

نفرا كثيرين يعتقدون أن لا استعداد لهم للانتاج العلمي ولا للاتجاه العلمي ، وان عقليتهم ادبية مقطوعة الصلة بالمناهج المنطقية ، مرتبطة بالوجدان الخالص والذوق الشخصي . ويقتنع هؤلاء بما تجسم في خيالهم فينطلقون يُجيلون وجدانهم واذواقهم في تراثنا الفكرى ، يختارون الروايات التي تلائم اذواقهم تلك ، ثم يصدرون الاحكام التي تستهوى وجدانهم ذلك . ويتفق أن يرزق نفر من هؤلاء اسلوبا براقا شائقا فيضفي اسلوبهم هذا على تلك الاحكام لباسا من الصواب الظاهر .



هروب من العلم ، عند اعتاب الجامعات

ويعظم هذا السوء حينما يصل الناشئون الى مرحلة التعليم العالى والجامعى . ان معظم هؤلاء الناشئين يختارون أن ينتسبوا الى الكليات التي تعلم الموضوعات الانسانية من الادب والفلسفة والاجتماع والسياسة ، لا لانهم ذوو مواهب تلائم الموضوعات الانسانية ، بل هربا من قيود العلم ومناهج التنظيم الفكرى مما تفرضه الكليات العلمية في الهندسة والطب والكيمياء والطبيعيات والرياضيات الخالصة .

ويتسع هذا السوء احيانا على ايدى الاساتذة انفسهم . حينما يتقدم الطالب الى دخول الجامعة ، ثم يجد الاساتذة أن هذا الطالب ضعيف الاستعداد ،

فانهم ينصحونه بان يتحول الى دراسة الاداب . ان في مثل هذه النصيحة اساءة الى الطالب نفسه والى العلم معا . اذا كان الطالب ضعيف الاستعداد فانه سيكون طالبا ضعيفا اينما حل : في كلية الهندسة أو في كلية الآداب .

ان العلوم الرياضية والطبيعية تكسب الذهن تنظيما واقتدارا على معالجة الامور . ونحن بحاجة الى هذا التنظيم والاقتدار سواء علينا اكنا ندرس الهندسة أم الطب أم الادب أم فن الرسم : ان العقل واحد ولكن أوجه نشاطه مختلفات .

المنطق الرياضي والأسلوب العلمي لازمان للأدب والفلسفة على السواء

ان دراسة الادب ، ودراسة الفلسفة لايقلان حاجة الى الاسلوب العلمي والمنطق الرياضي من دراسة العلوم الطبيعية ذاتها . واني شارح ذلك في اربعة امثلة من دراسة الادب والفلسفة تفيد افتقاد هذا الاسلوب عند جمهرة الدارسين .

ولقد جمعت بين دراسة الادب ودراسة الفلسفة ، ما دام نفر كثيرون من الدارسين يعاملون الفلسفة معاملة الادب .

ومع أن الفلسفة ليست في ميزان العلم اعلى مقاما من الادب ولا هي في ميزان الاجتماع ادنى رتبة ، فان نطاقيهما مختلفان .

لنبدأ بالادب من حيث يبدأ تاريخ الادب :

مقال امرىء القيس : اليوم خمر ، وغدا أمر

في تاريخ الادب أن امرأ القيس تلقى نعي أبيه وهو يشرب الخمر بمكان اسمه دمّون فقال : « اليوم خمر وغدا أمر » . وهذه رواية وردت في عدد من كتب الادب فاخذها معظم الدارسين المحدثين وقبلوها في كتبهم ومحاضراتهم . ومع ان هذه الرواية غير معقولة فلم يكن بامكان احد ان يردها ، ذلك لان تاريخ الادب من العلوم النقلية التي تعتمد الرواية وحدها والتعليل اذا امكن ولكن بالاستناد الى الرواية .

وفي عام الف وتسعمائة وثلاثة عشر صدر ديوان عبيد بن الابرص الاسدي ، وهو شاعر معاصر لامرىء القيس وأسن منه . وكان من زعماء بني اسد الذين ثاروا على حجر والد امرىء القيس وقاتلوه وقتلوه . ويبدو أن امرأ القيس واخوة امرىء القيس كانوا في المعركة مع أبيهم يقاتلون بني أسد ويدافعون عن ملكهم في نجد . ولقد خاطب عبيد بن الابرص امرأ القيس فقال له :

ولقــد أبحنــا مــا حَمَيْـــتَ ، ولا مُبيــحَ لمــا حَمَيْنــا

هــذا ، ولــو قــدرت عليـــك رمــاحُ قومـــي ما انتهينـا !

ثم ان عبيدا عيّر امرأ القيس بهربه من المعركة فقال لـه :

وركضك ، لولاه ، لقيت الذي لقـوا ، فذاك الـذي انجاك مما هنالكــا !

فسقطت بذلك تلك الرواية التي تتعلق بدمّون ووجب ان تحل محلها هذه الرواية التي يرويها معاصر لامرىء القيس . ومع ذلك فلا يزال الدارسون ، بعد خمسين عاما من صدور ديوان عبيد بن الابرص ، يتعلقون برواية دمون ، كانهم لم يقرأوا ديوان عبيد قط . ولعل معظمهم لم يقرأ هذا الديوان .

بين عمر بن هند ، وطَرَفَة بن العبد

وفي دراسة حياة طرفة بن العبد البكري نرى ايضا ان معظم الدارسين يجانبون سبيل العلم ، فيذكرون ان عمرا بن هند ملك الحيرة ، غضب على طَرَفَةَ وعلى خاله المتلمس ، وكتب لهما كتابين الى المكعبر عامله على البحرين واوهمهما انه أمر لهما في ذينك الكتابين بجائزة يقبضانها من المكعبر ، وتزعم الرواية ان المتلمس شكّ في الكتاب الذي يحمله ، ففضه ، ثم دفعه الى صبي من صبيان الحيرة ، فاذا فيه امر للمكعبر بقتل المتلمس . فقال المتلمس عند ذلك لابن أخته طرفة : « ما في كتابك الا مثل الذي في كتابي » . فلم يشأ طرفة ان يصدق خاله . فمزق المتلمس كتابه ونجا بنفسه ، ومضى طرفة لطيته حتى وصل الى المكعبر ، فاذا في كتابه ايضا امر للمكعبر بقتل طرفه . وأمر المكعبر طرفة بالهرب فلم يشأ طرفة أن يهرب وآثر الموت على شريطة ان يسقيه المكعبر خمرا ثم يفصد أكحله حتى يموت .

والى جانب هذه الرواية التي تجانب العقل كل المجانبة رواية ثانية راجحة معقولة تذكر ان طرفة كان صديقا لعمرو بن مامة اخي عمرو بن هند لابيه ، وان طرفة وعمرا بن مامة ذهبا الى اليمن في تجارة للابل فخرجت عليهما غارة قتلا فيها كلاهما. ولكن معظم الدارسين يرون أن ما يجانب العقل احق بالاهتمام مما يناسب العقل ، لان الادب ليس

من العلوم التي تستند الى العقل في رأيهم .

واغرب من ذلك في شان طرفة عندهم ان طرفة عاش ستا وعشرين سنة .

ان طرفة قد مات باكرا بلا ريب ، ويبدو لي انه كان قد جاوز الثلاثين من عمره لما ادركته الوفاة في غارة اليمن . على ان كثيرين من الدارسين يصرون على ان طرفة توفي في السادسة والعشرين من عمره ويستشهدون على صحة قولهم ببيتين للخرنق اخت طرفة فيما قيل ، هما :

عددنا له ستا وعشرين حجة ،
فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا ايابه
على خير حال لا وليدا ولا قحما !

لنفرض الآن ان البيتين للخرنق ، وان الخرنق هذه هي اخت طرفة ، وان هذين البيتين قد قيلا في طرفة بن العبد البكري . ففي البيت الاول تقول الشاعرة ان من تعنيه قد ساد في قومه لما بلغ السادسة والعشرين من العمر . وليس في البيت ذكر للموت ، الا اذا كان هؤلاء يظنون ان « توفاها » معناها « مات » ! ان كل ما في هذا البيت ان المعنيّ به قد ساد قومه لما اتم السادسة والعشرين من العمر ، وهذا معنى « توفاها » .

اما في البيت الثاني ففيه ان الشخص المذكور قد مات في سفرة كان يرجى ان يعود منها غانما . ثم ان في البيت الثاني دليلا على ان المرثي لم يكن وليدا ، ولا كان ايضا قحما ، والقحم هو الكبير السن جدا ، كما في القاموس .

لغة العاطفة ، ولغة العقل !

لنغادر الآن ارض الادب الى ارض الفلسفة ولنسترح قليلا على تخوم الارضين .

لاحد شيوخ الادب في العصر الحاضر قول هو ان الشعر لغة العاطفة وان النثر لغة العقل ، ودليله على ذلك ان الفلسفة اليونانية كتبت بالنثر .

ان هذا القول خليق ان يحلل في كتاب .

انا لا انكر ، ولا يجوز لغيري ان ينكر ، اننا اذا اردنا ان نعبر عن عواطفنا فاننا نستعين على ذلك عادة بالشعر ، واما اذا اردنا ان نعالج موضوعا فكريا فاننا نلجا في ذلك الى النثر . على ان ذلك ليس قاعدة فاصلة .

لما فرع اليونانيون القدماء انواع الشعر وجدوها اربعة : الشعر الغنائي والشعر الملحمي والشعر التمثيلي والشعر التعليمي . والشعر التعليمي الذى عرفته الامم المتحضرة كلها لاصلة له بالعاطفة . ومع ذلك فاسمه شعر . واى عاطفة في قول ابن مالك في الفيته المشهورة في تعداد الاماكن التي تكسر فيها همزة « ان » :

واكسر في الابتدا ، وفي بدء صله ،
وحيث « ان » ليمين مكمله .
وكسروا من بعد فعل علقا
باللام كاعلم انه لذو تقى !

ثم ان ابن خلدون ، وهو من نعلم في تاريخ الفكر وفي اصابة الراى ، كان ينزع عن ديوان المتنبي صفة الشعر فيقول : وكان من لقيته من شيوخنا لايعدون المتنبي في الشعراء ! ان شعر المتنبي عند ابن خلدون وعند شيوخ ابن خلدون كان ضربا من ضروب الحكمة وبابا من ابواب العقل . وكذلك القول المشهور : « ابو تمام والمتنبي حكيمان ، والشاعر البحترى » دليل آخر على ان الشعر لم يكن دائما لغة العاطفة ، بل كان في كثير من الاحيان ، عند نفر من النقاد ، لغة العقل . واذا كنا نحن جميعا نفضل الشعر الذى هو من باب العاطفة على الشعر الذى هو من باب العقل ، فانه لايجوز في باب العلم ان نخص الشعر بالعاطفة وحدها ، او ان نخص العاطفة بالشعر وحده .

وبعد ، فمن الذى روى لنا ان الفلسفة اليونانية لم تكن الا في النثر . ان اليونانيين الاولين لم يفرقوا عند تدوين الفلسفة بين النثر والشعر . ان اكثوفانس مؤسس المذهب الايلي ثم برمينيدس زعيم ذلك المذهب ثم انبذكليس فيلسوف الطب والعلوم الطبيعية ، وهم من المشاهير في تاريخ الفلسفة القديمة قد اختاروا ان يدونوا فلسفتهم شعرا . وكذلك كريتياس السفسطائي ويامبليخوس الذى كان من عنجر ، في سهل البقاع ، على نحو خمسين كيلو مترا من مدينة بيروت ، قد دونا فلسفتهما في الشعر أيضا .

ان الشعر الصق بالعاطفة لا ريب في ذلك ، وان طبيعة النثر اقرب الى العقل ، ما في ذلك شك ولكننا لا نستطيع ان نوافق الذين يريدون ان يقيموا بينهما ستارا حديديا .

ونأتي الآن الى النثر .

لما صدع محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة ونزل عليه القرآن الكريم وجم العرب الجاهليون ،

ثم قالوا عن محمد انه شاعر وعن القرآن انه شعر . وما كان العرب غافلين عن مواقع البلاغة ولا جاهلين ان هذا الذى يقراونه فى الصحف او يسمعونه من الرسول نفسه أو من القراء كان نثرا لا صلة بينه وبين أوزانهم المألوفة . ومع ذلك فقد كان هذا الذى يسمعونه من القرآن عندهم شعرا لا شك فيه البتة ورددوا قولهم هذا حتى دفع الله تعالى عن رسوله الكريم فقال فيه : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ! »

ثم ما نقول نحن عن هذا الفيض الذى يزيد على الفيض من النثر الخيالي ومن القصص الغرامية التى تضيق بها مكاتبنا وتضج ، اهي من منطق العقل أم من عرائس الخيال ؟ أهى من الكلام المنثور أم من الكلام المنظوم ؟

الفلسفة الاسلامية والعقل والدين !

وبعد ان استرحنا قليلا على تخوم الفلسفة نرى ان نوغل فى ارضها قليلا .

يتكلم نفر من الدارسين على الفلسفة الاسلامية ويجعلونها فلسفة توفيقية بين العقل والدين .

ان التوفيق بين العقل والدين فكرة عظيمة جميلة ، ولكن هل كانت الفلسفة الاسلامية التي نعرفها فلسفة توفيقية بالمعنى الذي يقصده هؤلاء الدارسون ؟ لنستعرض آراء نفر من فلاسفةالاسلام في هذا الموضوع .

ان الفارابي يجعل السكنى في مدينته الفاضلة مقصورة على الذين يذهبون مذهبه فى التفكير وكان الفارابي من الذين يؤمنون بالفيض ، اي بأن هذا العالم فائض من الله ضرورة وبغير تراخ فى الزمن ، وليس في وجود العالم ارادة قديمة أو خيرة ولا فارق في الزمن بين وجود الله وبين فيض العالم منه ، وكذلك يرى الفارابي ان الخلود روحي وان الاجسام لا تبعث ، ثم هو يرى ان النبوة انما هي للقوة الخيالية . واخوان الصفا يرون ان جميع الاديان ناقصة، وانه لابد من سد نقصها بالفلسفة. أما ابن سيناء فيعتقد انه كلما حدث فى الارض جسد صالح للحياة حدثت له نفس خاصة به . وهو لايدرى من أين جاءت النفس ولا ما يحدث لها بعد مفارقتها للبدن . ثم انه يرى ايضا ان الحكماء الالهيين يرغبون فى خلود غير الخلود الذى جاءت به الاديان .

وأما الغزالي فجعل همه تهديم الفلسفة ثم كفر الفلاسفة والذين اتبعوهم . ونسيت علماء الكلام . ان الاشعرية من علماء الكلام كانوا يقولون: اذا اختلف العقل والنقل فاتبع النقل ، والنقل هو الذى جاء به الدين . وأما خصومهم المعتزلة فكانوا يقولون : اذا اختلف العقل والنقل فاتبع العقل .

وتنتقل بنا الفلسفة من المشرق الى المغرب من غير ان تمر بنا على فيلسوف حاول التوفيق بين الدين والفلسفة على النحو الذى اشار اليه انصار هذه الدعوى. ان ابن باجّه يرى ان الوجود غير متناه ، وان البشر انفسهم خالدون ازلا وابدا . أما ابن طفيل فبنى كتابه الوحيد : « قصة حي ابن يقظان » على النشوء المرتجل للبشر من باطن الارض بقوانين طبيعية ، ثم انه جعل الفرد الفائق الفطرة يعلم نفسه ويستغني بعقله عن النبوة . واما ابن رشد فيكفينا من آرائه فى هذا الباب راى واحد ، هو انه اذا ظهر خلاف بين ظاهر الفلسفة وظاهر الشرع فعلينا ان نفهم الفلسفة على ظاهرها وان نتطلب لظاهر الشرع تأويلا معقولا .

فاين نجد لهؤلاء الفلاسفة قولا فى التوفيق بين الفلسفة والدين يراد به أن تكون غاية الدين وغاية الفلسفة واحدة أو أن يكون طريقاهما متوازيين ؟ بل كيف يمكن أن يكون هؤلاء الفلاسفة قد جعلوا الفلسفة موافقة للدين واعتقدوا ذلك ونحن نجد ان الفقهاء قد كفروا الفلاسفة اجمعين . حتى الغزالي حجة الاسلام فان كتبه قد حرقت فى المغرب لان الفقهاء وجدوا فيها تفلسفا ووجدوا ان هذا التفلسف لايوافق الدين بحال .

على أن الذين تكلموا فى التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفلاسفة الاسلاميين قد خدعوا بتعبير كان يوصف به نفر من اولئك الفلاسفة ، هو : « وكان ابن طفيل » ، مثلا ، « يجمع بين الحكمة والشريعة » .

ولكلمة « الجمع » فى الفلسفة الاسلامية معان مختلفة : فالجمع عند المتصوفين هو ذوبان شخصية الانسان الفرد فى العزة الالهية حتى لايبقى فى الوجود الا الله . والجمع عند الفارابي قريب من معنى التوفيق الذى قصده اولئك الدارسون. للفارابي رسالة اسمها « الجمع بين رايي الحكيمين افلاطون الالهي وارسطوطاليس » يذهب فيها الى ان كثيرا من آراء هذين الفيلسوفين يختلف التعبير عنها عند افلاطون وأرسطو ، ولكن المقصود منها

عندهما واحد . ولقد استطرد أولئك الدارسون بشيء من التنجيم الى ان الفارابي تكلم على التوفيق بين افلاطون وارسطو حتى يوفق بين الدين والفلسفة ، زعما لعمر أبيك ليس بمزعم ، كما يقول عنترة عن اولئك الذين ظنوا ان حب عنترة لعبلة كان عرضا سطحيا لانه كان يكره أهلها ويقاتلهم :

علقتها عرضا واقتل أهلها ،

زعما ، لعمر أبيك ليس بمزعم .

ونعود الى الجمع بين الحكمة والشريعة .

اما عند فلاسفة المغرب ابن باجه وابن طفيل وابن رشد ، وعند فيلسوف المشرق ابن سينا ايضا ، فان الجمع بين الحكمة والشريعة هو السلوك في الحياة مسلكين مختلفين : مسلكا مع الناس ومسلكا اذا كان الفيلسوف وحده أو مع انداده . وعمدة الجمع بين الحكمة والشريعة ، او بين الدين والفلسفة او بين المعقول والمنقول ، او بين العقل والنقل ، هو أن يعتقد الفيلسوف ان الدين ضروري في الحياة وان الفلسفة ايضا ضرورية في الحياة . غير ان للدين نطاقه الواسع في المجتمع اذ هو الوازع الاجتماعي الوحيد والصحيح ، ولا سبيل الى أن يحمل البشر على عمل الخير في الدنيا ، عند هؤلاء الفلاسفة ، الا بالدين . فعلى الفلاسفة ايضا أن يتمسكوا بظاهر الدين ، كما يفعل سائر الناس، حتى لا يفسد الوازع الاجتماعي بين البشر . واما في نطاق الفكر وفي الحياة المغلقة بين المفكرين من ذوي الفطر الفائقة فالآراء الفلسفية هي المعتمدة وحدها . وهكذا يجمع الفيلسوف بين الشريعة في حياته مع الناس وبين الحكمة اذا كان مع انداده . فاذا كان هذا هكذا، فمن ابن جاء التوفيق بين الدين والفلسفة بالمعنى الذي قصده النفر الذين عنيناهم ؟ وأي فلاسفة الاسلام ، كل فلاسفة الاسلام ، ذكر ان الدين والفلسفة شيء واحد ؟ بل اي فقهاء الاسلام رضي أن تصبح الفلسفة ، كما يفهمها الفلاسفة ، على مستوى واحد مع الدين ؟

ولقد يعترض احد على هذا القول فيقول : « ولكن الشرع لا يخالف العقل ». ان هذا صحيح، والشرع لا يمكن أن يخالف العقل ابدا ، الا ان موافقة الشرع للعقل باب آخر من ابواب البحث. غير أن هذا لا يحملنا على القفز الى أن الدين هو الفلسفة وأن الفلسفة هي الدين ، والى انه يمكن أن تحل محله أو يحل محلها في التفكير والحياة .

لست الآن في مقام من يريد أن يفصل القول بين الفقهاء والفلاسفة في صلة الدين بالفلسفة ، ولكنني في مقام من ياخذ على نفر من الدارسين المعاصرين معالجتهم للقضايا الفلسفية احيانا معالجة هونا غير ناظرين الى مقاييس العلم ولا الى المناهج المنطقية عند البحث . ان النزاع المرير بين الدين والفلسفة ، أو بين العقل والنقل ، قد بدأ مع علماء الكلام قبل أن ينتهي القرن الاول للهجرة ثم استمر قرونا كثيرة بعد ذلك ، ومع ذلك فان نفرا من الدارسين المعاصرين لا يزالون يذكرون التوفيق بين الدين والفلسفة على معنى لم يرد عند فلاسفتنا ثم يزعمون انه لا يخالفها وانها لا تخالفه . هذا مع العلم اليقين بأن جميع فلاسفتنا بلا استثناء اعتقدوا الدين واحلوه مكانا ساميا ، غير انهم جعلوه شيئا غير الفلسفة ، حتى أن ابن رشد جعل الحكمة صاحبة للشريعة وجعلهما اختين رضيعتين ، انه لم يقبل أن تحل احداهما محل الاخرى ، ولا يجوز لنا نحن ذلك .

ان الذي أرمي اليه من كل ما تقدم أن أقول :

اذا نحن جئنا الى تاريخ الفلسفة فيجب علينا أن نروي عن الفلاسفة آراءهم على وجهها ، لا ان ننسب اليهم آراءنا نحن . أن نفرا كثيرين من الدارسين يسلكون مع الاسف مذهبا مجانبا للصواب . يكتب قوم عن الفارابي أو عن المتنبي فلا ترى في ما يكتبون الا آراءهم ، اما رأي الفارابي او رأي المتنبي فيكون في غيابة من منازعهم هم وفي خيال من هواهم هم .

أسباب تأخر الشرق عن الغرب

ان الدراسات الادبية والفلسفية لا تزال في الشرق العربي متاخرة جدا عما وصلت اليه مثيلاتها في الغرب الاوروبي والاميركي بعاملين اساسيين لا حيلة لنا نحن اليوم فيهما :

اولا : ان الدراسة الادبية والفلسفية في الغرب بدأت بعد أن خطا الغرب خطى واسعة في العلوم الرياضية والطبيعية والنفسية ، فاستفاد الدارسون الغربيون عند معالجة الموضوعات الادبية والفلسفية من الجهود التي كان علماؤهم قد بذلوها في ميادين العلم الخالص . أما نحن فلم يتح لنا بعد مثل ذلك ، من اجل ذلك ترانا نتكىء في دراساتنا الادبية والفلسفية على العنصر

الشخصي والاسلوب الانساني الا قليلا . وكثيرا ما يشعر الباحثون عندنا بهذا النقص من أنفسهم فيعتذرون عنه بصور مختلفة لا تكون عذرا لهم بل حججا عليهم .

منذ خمسة وعشرين عاما أو تزيد زار ابراهيم عبد القادر المازني مدينة بيروت فدعته كلية المقاصد واحتفت به . واذكر أن الاستاذ المازني لما نهض ليعبر عن عاطفته نحو كلية المقاصد بدأ بالقول عن نفسه انه حمار في الرياضيات . لقد أراد المازني أن يجيء بنكتة لان احد الطلاب المتكلمين كان قد عرج على الرياضيات في كلمته . غير ان تلك النكتة المزعومة كانت مؤلمة جدا لانها دلت على اتجاه عنيد نحو التطليق البات بين الادب والعلم . وكان أشد ايلاما من النكتة اثرها في الناشئين على جانبي طريق الادب ، فلقد سمعت تلك الجملة تردد من على المنابر وفي الصحف ردحا غير قصير من الزمن بعد ذلك .

ثانيا : هنالك فضل لمؤرخي الادب والفلسفة في الغرب على مؤرخي الادب والفلسفة عندنا لا نملك فيه حيلة أيضا : لقد أقيم بناء الدراسات الادبية والفلسفية في الغرب بعد ان قام علماء الغرب بنشر المخطوطات نشرا علميا وباعداد دراسات وافية ومفهرسة لجميع مصادر الادب والفلسفة وبتاليف قواميس فنية لكل فن من فنون المعرفة الانسانية . من أجل ذلك نرى ان أحكام الدارسين في الغرب تأتي عادة أقرب الى الشمول والصحة والدقة ، حينما يريد الدارسون منهم ذلك لانها تكون مبنية في الاصل على مصادر مدروسة مفهرسة . أما عندنا فالأمر مختلف عن ذلك جدا . قد يضطر أحدنا الى دراسة شاعر فلا يجد لديوان ذلك الشاعر الا طبعة رديئة أو لا يجد له ديوانا البتة . ولولا ان أوروبة قد أصدرت عددا من أمهات المصادر العربية ثم جاءت القاهرة تحاول اتمام تلك المهمة الشاقة ، في طبعات علمية كثيرا أو قليلا ، لما كان بامكان أحدنا اليوم أن يثق من حكم يصدره على أديب أو فيلسوف . ومع هذا كله فان عددا من الدراسات التي يقوم بها أدباؤنا لا يزال يوحي بأن هؤلاء الادباء لم يكلفوا أنفسهم عناء التقليب لهذه المصادر التي جهدت أوروبة والقاهرة في اخراجها مخرجا كريما قدر الامكان ، ذهابا بانفسهم عن معاناة شيء من العلم ظنوا أن لا مدخل له في الادب. ان امرأ القيس لا يزال عند هؤلاء مقيما في دَمُّون يشرب الخمر بينما كان أبوه واخوته يخوضون المعركة الفاصلة بين الحياة والموت في ثورة بني أسد على حكم كِنْدة في نجد . ثم تمتلىء أعين أولئك الدارسين وقلوبهم بأن ذلك الفتى قد شد الرحال الى قبائل العرب ثم الى القسطنطينية محاولا أن يسترد ملك أسرته . ويضطر هؤلاء الى أن يلفقوا بين صورة الخليع الذى يشرب الخمر في دمّون في مساء الثلاثاء ، وبين عزيمة ذلك الفتى نفسه على الثأر لمقتل أبيه ورد الملك الى أسرته في صبيحة الاربعاء ، فيلجأون الى عصا الاسلوب السحرية ويقلبون بها طبيعة امرىء القيس بين عشية وضحاها ، ويجدون متسعا للقول في الجملة التي جاءت بها الرواية الجميلة عن امرىء القيس: اليوم خمر وغدا أمر !

٤ أمور لدراسة الفلسفة الاسلامية

ومع الاقرار بأن الدراسات الفلسفية قد خطت في البلاد العربية خطوات واسعة في عدد من النواحي ، في الجمعوالتبسيطوالنقد أيضا ، فوق ما اتفق للدراسات الأدبية ، فان الدراسات في الفلسفة الاسلامية نفسها لا يمكن أن تدنو من الكمال الا بعد أن تتحقق لها الامور التالية :

أولا : التوسع في نشر الاصول الفلسفية عند العرب مع الفهرسة للألفاظ الفلسفية والآراء الفلسفية . ان قسما من ذلك قد تحقق فعلا ، ولكن الاحكام التى تبنى على أصول ناقصة تظل ناقصة .

ثانيا : استيفاء عرض الفلسفة الاسلامية عرضا موضوعيا شاملا ، وخصوصا لان فلاسفتنا قد جاءوا بآرائهم المتآلفة في كتب متفرقة أحيانا وفي أماكن متفرقة من الكتاب الواحد أيضا .

ثالثا : تمرس الدارسين بجوانب مختلفة من العلم . ان الفلسفة تاريخ الفكر الانساني . والفكر يتناول العلوم الرياضية والطبيعية والانسانية والفنية . فاذا لم يكن دارس الفلسفة ملما بعدد من هذه العلوم الماما يسيرا على الاقل ، فان معالجته للفلسفة ستظل مقصورة على جانب واحد ، هو الجانب الوجداني أو الشخصي ، وستكون جميع دراساته من أجل ذلك ناقصة ، وخصوصا في ما يتعلق بفلسفة الاندلسيين . ان مقدارا معينا من الرياضيات لا بد منه في تفهم فلسفة ابن باجه . والوصول الى فلسفة ابن طفيل

لا يتيسر الا مع قدر واف من العلوم الطبيعية المختلفة وشيء من الهندسة خاصة . اما فلسفة ابن خلدون الاجتماعية فتحتاج فى فهمها وفى قدرها حق قدرها الى معارف متعددة من رياضية وطبيعية ونفسية واجتماعية وانسانية .

رابعا : اعتماد منهج عربى فى دراسة الفلسفة العربية ، ذلك لان الفلسفة العربية مع صلتها الوثيقة بالفلسفة اليونانية قد جاءت لتحل عددا من المشاكل التى تبدت للعقل العربى فى اطار يتالف من عوامل لم يكن بعضها فى اطار البيئة اليونانية . ثم ان الفلسفة العربية قد حرصت على أن تعلل عددا من القضايا التى نبتت فى الاسلام ، وفى زمن اختلفت فيه المثل العليا عما كانت عليه فى ايام الاغريق . والدارسون العرب الذين يعتمدون اليوم مناهجللدراسة انما يعتمدون مناهج اوروبية ، والمناهج الاوروبية قد بنيت فى الاصل على الاتجاه فى نقد العهد القديم او على احوال فى الغرب مخالفة للاحوال التى عاش فيها فلاسفتنا . فاعتمادنا مناهج الغربيين وحدها فى دراسة فلسفتنا لا يمكن أن يفى بالغرض المطلوب منا فى دراسة فلسفتنا . ومع الايقان بأن الاستفادة من المناهج المنطقية التى اقامها الدارسون الغربيون واجب لا شك فيه ، فان على العرب أن يستكملوا العدة فى هذه المناهج حتى تصبح وافية بدراسة فلسفتنا أيضا .

الدراسات الأدبية أسوأ حظا

هذا شأن الدراسة الفلسفية . اما الدراسة الادبية عند العرب فلا تزال أسوأ حظا : ان للفلسفة شيئا من الهيبة فى نفوس العقلاء فلا يهجم عليها الا من آنس من نفسه شيئا من الاستعداد . وأما دراسة الادب فمال سائب .

الشعر العربى وخوالج النفس البشرية

ينهض بين الحين والحين طالب يسالني سؤالا يدور حول الوهم التالي :

لماذا لا نجد فى الشعر العربي الا المدح والرثاء والهجاء وهذا الغزل التافه ، ثم لا نجد فيه شعرا انسانيا يصور خوالج النفس البشرية تصويرا واقعيا صحيحا ؟ فاقول للطالب السائل : ومن أين عرفت ان الامر كما تقول ؟ فيقول لي : عرفته من الشعر الجاهلي والشعر الاموى والشعر العباسي ! أليس هذا الذى ندرسه ؟

وأجيب الطالب السائل بما يرد الامر الى قريب من نصابه ، ثم التفت الى نفسى فارى ان هذه المشكلة بعينها ليست مشكلة طلاب فحسب ، انها ايضا مشكلة أساتذة ومؤلفين ، والا فمن أين جاء الطالب بهذا الحكم الفطير ؟

ان كثيرين من الدارسين يتجنون على الادب العربى مثل هذا التجني . هم يقولون : ليس فى الشعر العربي طابع انساني عام ، ليس فيه قصص وجداني ، ليس فيه ملحمة ، ليس فيه تمثيل . انه ادب فطرى قاصر . ان الشعر رياء ، انه تعابير متحجرة والفاظ جوف !

لا احب ان أعلل هذه الحملة الكاسحة على الادب العربي كيلا أنصرف الى جدال جانبي يخرج بنا عما نحن بسبيله من غير ان يزيد الموضوع وضوحا . غير أننى أريد ان أشير الى ان التقصير واقع فى تاريخ الادب العربي ، حتى فى كتب كثيرة مما ألفه معجبون بالعربومحبونللادب العربى.

ان التاريخ يتناول فى الاكثر معالم الحضارة ويسير على الطريق السلطاني ، وقلما يحفل ببنيات الطريق . والمشاهير فقط هم الذين يجدون مكانا فى موكب التاريخ . وكلما كان الرجل أبعد شهرة كان مكانه فى موكب التاريخ اقرب الى الصدارة . وما كان تاريخ الادب بدعا فى ذلك .

لما بدأ الاهتمام بالادب العربي وتاريخه ونقده ، منذ العصر العباسي ، بدأ ذلك الاهتمام بالشعر وباصحاب المعلقات من الشعراء لشهرتهم ولمكانة شعرهم فى تاريخ اللغة وفى معرفة الانساب ومفاخر القتال . وكان الشعراء قد أولعوا أيضا باصحاب المعلقات فقلدوهم . من اجل ذلك اصبح معظم الشعر الاموى يجرى فى عنان الشعر الجاهلي الذى يمثل المعلقات ، فكان عندنا شعر النقائض . ثم جاء العصر العباسي واستمر الاعجاب بالقدماء فاستمر التقليد لشكل القصيدة الجاهلية .

ولقد مثل هذا الشعر الذى جرى ذلك المجرى جانبا مهما من الحياة العربية القديمة . وأولع الناس بهذا النوع من الشعر القديم قراءة ونظما لانه كان يمثل الجانب القومى من حياتنا العربية. لقد كان ذلك الشعر خزانة العبقرية وكتاب التاريخ وصورة البيئة وديوان اللغة وملاك العزة . غير انه كان الى جانب هذا النوع العام من الشعر العام نوع آخر خاص يدور على العاطفة الانسانية

والواقع البشري . ولكن شعراء هذا النوع الثاني لم يستطيعوا ان يجاروا شعراء النوع الاول في الشهرة ففي تاريخ الادب يفسح المجال للأولين ويضيقه على الآخرين .

وبما أن التاريخ لا يحفل الا بالمشاهير ، كما راينا قبل قليل ، فقد ضاع شعراء النوع الثاني في غمار المشاهير من شعراء النوع الاول . ثم جاء الدارسون المعاصرون فساروا على الطريق المعبد ووسعوا اهتمامهم بالمشاهير وحدهم ففاب الشعراء الشخصيون في خضم النازع القومية ، وكان ذلك فخرا لنا ايضا . ولكن لم يكن من الصواب ان نهمل الشعراء الشخصيين .

لكل خصائصه وفنونه

وكان الدارسون المعاصرون منا قد اطلعوا على شيء قليل او كثير من الادب الغربي ونقده فوجدوا فيهما اشياء لم تكن موجودة عندنا فقفزوا الى استنتاج يخطر للانسان عادة في مطلع حياته العملية ، وهو ان كل ما زاد في شيء كان نقصا في شيء آخر . وبما ان في الشعر الغربي ملاحم فقد عابوا على الشعر العربي خلوه من ملاحم بالمعنى المألوف عند الافرنج . وبما ان في الشعر الغربي مسرحيات فقد نعوا على الشعر العربي فقره في هذا الباب . ثم انهم انطلقوا يبرزون ما نقص في الشعر العربي من خصائص الشعر الغربي وفنونه حتى تجسم في خيالهم تقصير الشعر العربي عن الشعر الغربي جملة .

والواقع ان في الشعر الغربي خصائص وفنونا ليست في الشعر العربي ، كما ان في شعرنا العربي خصائص وفنونا اكثر عددا لم يعرفها الشعر الغربي قط ، ذلك لان كل شعر كان يصور بيئة اهله وثقافتهم ، فلم يكن من المنتظر أن تكون خصائص الادب العربي شبيهة بخصائص الادب الاوروبي ، كما ان خصائص الادب الجرماني تختلف اختلافا كبيرا عن خصائص الأدب اللاتيني . هذا مع العلم اليقيني بأن الخصائص والفنون والشعر العباسي العربي تختلف عنها كلها في الشعر الاموى العربي . وكذلك الخصائص في الادب الانكليزي مثلا تختلف في العصر الفيكتوري عنها في عصر هنرى الثامن واليزابت الاولى . ومثل ذلك الادب الفرنسي ، فان خصائص الرومانسيين وفنونهم فيه تختلف عن خصائص البرناسيين وفنونهم .

ان الاختلاف بين أمرين لا يجعل احدهما افضل من الاخر ضرورة ،ولكن مثل هذا الاختلاف ضروري جدا وطبيعي أيضا حتى يكون لدينا مبرر حينما نشير الى أدبين في لغتين مختلفتين أو الى عصرين ادبيين في لغة واحدة . وقد يجمع العصر الواحد في اللغة الواحدة خصائص وفنونا مختلفة او متناقضة في بعض الاحيان كالذى نراه مثلا في شعر عمر بن ابي ربيعة وشعر معاصره الفرزدق ، او في نثر عبد الحميد ونثر تلميذه عبد الله بن المقفع .

غير ان التوسع في هذا الموضوع يقتضي التيه في فيافي المقارنات وخضم الاستشهادات ، فلنرجع الى انتقادات شبابنا المتادبين الذين ينعون على الشعر العربي ، قبل ايامهم خاصة ، خلوه من العنصر الشخصي المعبر عن خلجات النفس وخواطر الخيال وعن الرؤى الحمراء المجنحة وحبات الرمل الظمأى الى غمزات النجوم وما الى ذلك من اوهام العشرين واوهام ما دون العشرين .

على انني اريد ان اطمئن هؤلاء بان في الشعر العربي فنونا أكثر عددا مما يتوهمون ، وليس للادب العربي من ذنب اذا كان منهاج دراستنا لا ياتي بها مفروضة على الطلاب الذين يهمهم ان يهرعوا الى تسويد الاوراق في شهر حزيران أو في دورة ثانية في تشرين او في دورات لواحق .

مثل من الشعر المعبر عن خلجات النفس

كان مالك بن الريب التميمي قد خرج في جيوش الفتح الى خراسان مع واليها سعيد بن عثمان ابن عفان ، في أيام معاوية بن ابى سفيان .ومرض مالك بن الريب في مرو عاصمة خراسان مرضا ايقن معه بالموت فوصف حاله تلك في قصيدة طويلة جاء فيها :

تذكرت من يبكي علي ، فلم أجد
سوى السيف والرمح الرديني باكيا

واشقر خنذيذ بجر عنانه
الى الماء لم يترك له الموت ساقيا

صريع على أيدى الرجال بقفرة
يسوون قبرى حيث حم قضائيا

فيا صاحبي رحلي ، دنا الموت فانزلا
برابية اني مقيم لياليا

اقيما علي اليوم او بعض ليلة ،
ولا تعجلاني قد تبين ما بيا !
وقوما اذا ما استل روحي فهيئا
لي السدر والاكفان ثم ابكيا ليا
وخطا بأطراف الاسنة مضجعي
وردا على عيني فضل رداليا .
ولا تحسداني ، بارك الله فيكما ،
من الارض ذات العرض ان توسعا ليا
خذاني فجراني ببردي اليكما ،
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا !
يقولون : «لاتبعد» ، وهم يدفنونني ،
واين مكان البعد الا مكانيا

ويقول نفر من الدارسين : وما فعل مالك بن الريب ؟ لقد قال سقراط في ساعة موته احسن من هذا الكلام ، وقبل مالك بن الريب ايضا .

هذا ايضا تحامل ظاهر : ان مالك بن الريب مات في نحو الثلاثين من عمره ، وقد كان في أول امره شابا بعيد الهوى تبيعا للنفس ، وكان قبل ذلك وبعده شاعرا . اما سقراط الحكيم فكان كبير السن ناضجا ، ثم كان فيلسوفا . ولقد نسي المعترضون ما هو أهم من ذلك : ان الذى وصل الينا مما روى ان سقراط قاله في ساعة الموت قد قاله في الحقيقة تلميذه افلاطون . ونحن لانعلم على القطع ما قاله سقراط فعلا في ساعة موته . ولعل افلاطون قد حسن آراء استاذه وزينها وزاد فيها جريا على عادته في ما ينسبه الى سقراط ، مما هو معروف في تاريخ الفلسفة اليونانية . اما الشعر الذى قرأته فشعر مالك بن الريب نفسه.

ان كثيرين من الدارسين يجانبون العلم في دراساتهم الأدبية والفلسفية لأنهم يعتقدون أن الادب شيء والعلم شيء آخر . لا ريب في أن الانتاج الادبي والانتاج العلمي شيئان مختلفان ، ولكن دراسة الادب لايجوز أن تكون مقطوعة الصلة بالأسس التى تجرى عليها دراسة العلم . ان الدراسة منهج ، والمنهج ابن المنطق وصنو العلم . وليس يرفع من شان الاديب ان يكون جاهلا بالعلم، كما لا نرضى للعالم ان يكون غافلا عن قيمة الآداب والفنون . ان الحياة نفسها ليست لوحا مستعرضا ، ولكنها بناء متعدد الجوانب . والنظر الى الحقيقة كالنظر الى الواقع، كلاهما صحيح في نطاقه ، وكلاهما ضروري في الحياة وللحياة .

الجمل ، بين فرنسي والماني وانجليزي

زعموا ان جمعية دولية أعلنت عن مباراة موضوعها : الجمل . فاشترك في تلك المباراة فرنسي والماني وانكليزي . اما الفرنسي فذهب الى السوق واشترى مؤونة عام من الطعام والخمر ثم سجن نفسه في غرفته وجلس يكتب . وبعد عام كان قد كتب في الجمل كتابا جميلا رائعا شائقا . واما الالماني فانه ذهب الى المكتبة العامة واستعار منها كل كتاب يتعلق بالابل ، وبعد عام انتهى من وضع كتاب جمع فيه كل شاردة وواردة ذكرها المؤلفون القدامى والمحدثون والمعاصرون عن الجمل . واما الانكليزي فشد الرحال الى نجد واشترى جملا ثم قضى عاما يراقب الجمل في بيئته ويدون الملاحظات حتى استطاع ان يكتب كتابا ارضى به نفسه وعقله وارضى الحقيقة والواقع .

لقد مر من حياتنا ردح طويل من الزمن كان فيه نفر كثير منا يكتبون في الادب والفلسفة كما كتب ذلك الفرنسي عن الجمل . ثم مر وقت آخر غير قصير كان الدارسون منا في اثنائه يفعلون فعل الرجل الالماني . اما الآن فقد حان الوقت لأن يشترى الدارس منا قبل أن يبدأ بدراسة موضوعه جملا .

اذا كان من طبيعة الفلسفة ومن طبيعة الادب خاصة ألا يستطيع الباحث فيهما أن يحصر جميع جهوده في نطاق العلم ، فلا اقل من ان يستفيد من نتائج البحث العلمي حتى نستطيع أن نكبح من جماح الخيال الذى استبد عندنا بدراسة الادب ودراسة الفلسفة زمنا طويلا .

ان هذا وحده يستطيع ان يضمن لنا رقابة فعالة على مقاييس الدراسة وعلى مستوى الاستعداد في الدارسين على معالجة الموضوعات . اننا نريد باحثين في الادب والفلسفة لهم آلة البحث العلمي وتنظيم العقل العلمي ومنهاج العمل العلمي . غير ان هذا لايتم الا اذا اعددنا طلابنا على مثل ذلك . وانني ارجو من اساتذة الجامعات اذا تقدم اليهم طالب ثم وجدوا انه لايصلح لكلية الهندسة او كلية الطب او كلية الطبيعة والكيمياء الا يقولوا له :

لا تيأس ، يابني ، ادخل الى كلية الآداب .

■■

لبنان ـــ **عمر فروخ**



دردشة

لمع وطرف

- لا يحتاج المرء فى الغالب لأكثر من ثلاثين دقيقة للافضاء بما يعلم . الا ان حديثه لايصبح ممتعا الا بعد ذلك، اى حينما يعمد الى التحدث والافضاء بما لا يعلم .
- اذا دخلت البحبوحة على الانسان من باب ، خرج التقدم والتحسن من باب .
- كلما ضعفت حجة المرء ، تضاعف رنين كلماته ودوى مفرداته .

الانتحار جريمة كبرى نكراء

● ان ما يزيد على ٢٠،٠٠٠ من الوفيات التى تحدث فى الولايات المتحدة الامريكية كل عام ، انما يسببها الانتحار ، وان عدد المنتحرين من الرجال يساوى ثلاثة أضعاف عددهم من النساء .

وهذه الجريمة البشعة التى يرتكبها الانسان ، ولا يجاريه فيها حيوان ، هى أكثر شيوعا بين البيض فى الولايات المتحدة منها بين الملونين .

ومما يذكر فى هذا الصدد ان الانتحار يبلغ الذروة انتشارا فى المناطق الساحلية الغربية ، حيث هوليوود عاصمة السنما ، وانه يحتل المرتبة الثالثة بين الأسباب المؤدية الى الوفاة بين الفتيان البالغين من العمر ١٥ — ١٩ سنة ، ويقفز الى المرتبة الثانية بين تلك الأسباب بالنسبة الى طلبة الجامعات .

لا غرابة ، والحالة هذه ، أن تهتم الجامعات بتشخيص هذا المرض الاجتماعى الخطير ومناقشة أسبابه ونتائجه والبحث فى الوسائل الكفيلة بالحد منه أو القضاء عليه .

حيوانات السرك ، تجمع للسرك بالايجار

● المفروض عند الناس دائما ان حيوانات السرك ملك لصاحب السرك . ولكن ظهرا أخيرا أن من الاسراك ما يستأجر حيواناته من حدائق الحيوانات، لا سيما الخاصة ، وذلك فى أوروبا .

وبالبحث اتضح ان اجرة القرد النادر تبلغ نحو ١١ جنيها انجليزيا فى الاسبوع، وأجرة الأسد ٥٠ جنيها فى اليوم ، وأجرة الفيل من ١٥٠ الى ٧٥٠ جنيها فى الاسبوع تبعا لما يراد منها عمله .

حرب فييتنام

● قيل انه يكلف الولايات المتحدة ما يساوى ٥٥٠٠٠٠ جنيه استرليني فى اليوم الواحد .

يختار أهون الشرين

● ايهما افضل فى تربيـة الأطفال :معاملتهم بالشدة والصرامة ام باللين ومع اللين الحرية ؟

كان هذا السؤال محـور الدراسـةالعملية التي اجراهـا الدكتور د.ب. هـارس D. B. Harris ، مدير معهد« سلامة الأطفال » فى جامعة مينوسيتا الأمريكية .

اما النهج الذى انتهجته تلك الدراسةفكان بالمقارنة بـين فئتين من الرجـال البالغين (أولئك الذين وقعت اعمارهمبين ٤٠ و ٤٥ عاما) .

امـا الفئـة الاولى فكانت الشـدةوالصرامة اساسا فىتربيتهم وهم صغار .

واما الفئة الثانية فكان اللين ، ومعاللين الحرية ، اساسـا فى تربيتهم وهـم صغار .

واما النتائج التي انتهى اليها الدكتورهارس من تلك الدراسة فقد دلت على ان افراد الفئـة الأولى كانوا أسعد حالافى مستقبل حياتهم ، واهنأ بالا مع اهلهم وذويهم ، وكانوا يتمتعون بقسط أوفرمـن الثقة بالنفس ، وينعمون بذكريات عن طفولتهـم أحلى وابهـج مما تسنىلأفراد الفئة الأخرى ان ينعموا به ، رغم ما أتسـمت بـه تربية هؤلاء من لـين وحرية .

أرخص البـلاد

● أرخصالبلاد معيشة بيونسآيرس بأمريكا الجنوبية .

وأغلاها ١ ــ استوكهلم

٢ ــ توكيـو

٣ ــ اوسـلو

وتعتبر لنـدن من العواصـم الست الارخص ، ومـن الثماني ذات الملاهي الأغلى ، واجور السكن الأعلى ، ومـن العشر الاول فى رخص الملابس .

نفقة الفاتيكان على مؤتمره الاخير

● بلغت هـذه النفقة ما يساوى ٢٨٧٥٠٠٠ جنيـه استرليني ، وذلك لنقل وايواء القسس من سائر انحاء العالم. وتكلفت بارات القهوة وحدهـا ٧٠٠٠٠ جنيه استرليني .



رئيس الوزراء يعتذر

● انه رئيس وزراء انجلترا المستر ولسن .

والقضية قضية رفعتها شركة سيارات على رئيس الوزراء اذ قال انه فى الانتخابات العامة الماضية دبرت ادارة هذه الشركة اعتصابا فيها كان له اهداف سياسة ذات انحراف .

وسمعت القضية المحكمة العليا ، وناب عن المتهمين اربعة محامين من كبار محامي انجلترا ، وشركتان قانونيتان من شركات الدفاع .

ومع هذا لم تستغرق القضية غير ٤ دقائق .

وذلك لان رئيس الوزراء اعتذر بان ما نسبه الى الشركة كان زعما خاطئا لا اساس له .

ومع هذا ، فسوف يدفع رئيس الوزراء بعض نفقات القضية فقط ، وسوف تبلغ بضع مئات من الجنيهات .

المؤرِّخ ابن حَيَّان وكتابه «المقتبَس في تاريخ الأندلس»

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ يعتبر ابو مروان بن حيان ، بين مؤرخي الأندلس، أصدقهم رواية وأبلغهم اسلوبا ، وأبرعهم نقدا . وقد كنا حتى ربع القرن الاخير ، ندرس شخصية ابن حيان ، وخواص منهجه التاريخي ، في معظم الأحيان ، مما ينقله الينا المؤرخون المعاصرون أو المتأخرون من تاريخه ، من شذور وفصول مختلفة، ولكن ماأسفرت عنه البحوث الأخيرة من العثور على عدة قطع مخطوطة من تاريخه الكبير ، يضع امامنا مادة غزيرة من تراث هذا المؤرخ البارع ، نستطيع على ضوئها أن نقدر اهمية هذا التراث بالنسبة لتاريخ الأندلس بصفة عامة ، وبالنسبة لتاريخ العصر الذى عاش فيه ابن حيان ، وهو عصر انهيار الخلافة وعصر الطوائف ، بصفة خاصة ، ونستطيع من جهة أخرى أن ندرس بصورة افضل خواص منهجه التاريخي ، واسلوبه النقدى .

أسرته

وينتمي ابن حيان الى اسرة نابهة من الموالى . وهو ابو مروان حيان بن خلف ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان ابن وهب بن حيان ، وكان جده الكبير حيان ، مولى للامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، أو عبدالرحمن الداخل امير الاندلس ، ومؤسس دولة بني امية بها .

ولادته ودراسته

وولد ابن حيان بقرطبة في سنة ٣٧٧هـ (٩٨٧م) ودرس بها ، وكان ابوه خلف ابن حيان من وزراء المنصور بن أبي عامر. وكانت قرطبة قد غدت يومئذ اعظم مركز للدراسات الممتازة بالاندلس ، واضحت جامعتها الشهيرة ، منذ أواخر عهد الحكم المستنصر ، واوائل عهد المنصور ، أعظم الجامعات الاندلسية .

ودرس ابن حيان الحديث والادب واللغة، وكان من أساتذته ابو حفص عمر بن نايل المحدث ، وابو عمر بن أبي الحباب النحوى صاحب ابي على القالى ، وابو العلاء صاعد بن الحسن البغدادى نزيل قرطبة ، واخذ عنه كتابه « الفصوص » .

أتاحت له نشأته حسن الاطلاع على شئون الدولة

وبرع ابن حيان في الادب والرواية ، حتى غدا من أعلامها ، وخاصة محققيها، وكانت نشأته الارستقراطية ، وعلائق أسرته بالاوساط العليا ، تتيح له حسن



الاطلاع ، والوقوف على شئون الدولة ، ودراسة مختلف التيارات السياسية ، وشهد ابن حيان فى شبابه سقوط الدولة العامرية ، وما تلاه من ترنح الخلافة الاموية، ثم انهيارها، وقيام دول الطوائف فى بداية القرن الخامس الهجرى . ولا ريب أن هذه الاحداث المثيرة ، التى مزقت وحدة الوطن الاندلسي ، قد اذكت مخيلة ابن حيان وصقلت قلمه ، وامدته بكثير من التعليمات بكثير من التعليقات الصائبة ، والملاحظات النقدية القوية ، التى نراها ماثلة فى معظم ما كتبه عن حوادث عصره .

وقد سنحت لابن حيان ، وهو معاصر لدول الطوائف، ومدوّن لأحداثها، فرصة لكى يدرس احوال هذه الدويلات عن كثب ، فقد ولى الوزارة لبني جهور سادة قرطبة ، وحكامها عن طريق نظام « الجماعة » الشورى . وكان بالأخص من معاوني ابى الوليد محمد بن جهور ، ولد ابى الحزم بن جهور مؤسس حكومة الشورى ، ثم وزر من بعده لولده عبد الملك بن جهور .

ولسنا نعرف ان كان ابن حيان قد استمر فى منصبه فى الوزارة حتى سقطت دولة بني جهور على اثر افتتاح المعتمد ابن عباد لقرطبة فى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠م) . واستأثر بنو عباد بهذا الفتح دون بنى ذى النون أصحاب طليطلة ، وقد كانوا يبغون الاستيلاء على قرطبة ، فسبقهم بنو عباد الى انتزاعها، ولكنا نعرف ان ابن حيان ، قد وجه على اثر هذا الفتح الى المعتمد بن عباد رسالة تهنئة حارة ، نقلها الينا ابن بسام فى الذخيرة ، وفيها يحمل ابن حيان على المأمون ابن ذى النون ، فى عبارات ملتهبة لاذعة .

موقف تناقض مؤلم

وهنا نقف قليلا لنسجل على ابن حيان موقف تناقض مؤلم ، ذلك انه ، حسبما يخبرنا ابن بسام، يهدى مؤلفه التاريخي العظيم (الذى سوف نتحدث عنه بعد ، والذى لم تصل الينا اجزاؤه الاولى) فى مقدمته ، الى المأمون بن ذى النون ، ويصفه « بالامير المؤثل الامارة ، ذى المجدين ، الكريم الطرفين » . وبالرغم من ان ابن بسام يشيد بمجهود ابن حيان التاريخي ، وينقل عنه فى « الذخيرة » شذورا ضافية ، ويستشهد به فى كثير

من المواطن ، فانه ينتهز هذه الفرصة ، للحملة على ابن حيان ، لمواقفه المتناقضة من امراء الطوائف ، وتردده فى ذكرهم بين المديح والذم . وفى رايه ان هذا التاريخ ، بالرغم مما لقيه لدى بعض اولئك الامراء من ترحاب وتقدير ، وما اجزلوه عنه من صلات ، فان ابن حيان « قد اخطأ التوفيق وما اصاب » . اذ جاءت معظم اقواله كالسهام المرسلة ، فى قدح فى الاحساب والاعراض ، وطمس للمعالم والانوار . وسوف نرى الى اى حد يمكننا الاعتداد بأقوال ابن بسام فى الحكم على مجهود ابن حيان .

كتابه « المقتبس فى تاريخ اهل الاندلس »

ذلك ان مجهود ابن حيان التاريخى يحظى بالعكس بأعظم تقدير ، واشهر كتب ابن حيان هو كتابه « المقتبس فى أخبار اهل الأندلس » وهو تاريخ للاندلس حتى عصره ، اى الى عصر الطوائف ، وقد كنا الى ما قبل ثلاثين عاما لا نعرف من هذا المؤلف الضخم سوى اجزاء يسيرة ، اهمها قطعة تتعلق بأخبار الفتنة الكبرى ، قام بنشرها الحبر الاوغسطينى ملشيور أنتونيا ، ولكن البحوث المتوالية فى المكتبات المغربية بالأخص ، كشف عن وجود اجزاء اخرى من « المقتبس » . ولدينا الآن منه عدة قطع مخطوطة ، الأولى تتعلق بتاريخ سنىْ ١٨٠ الى ٢٣٢ هـ ، والثانية تليها وتتعلق بتاريخ سنى ٢٣٢ الى ٢٦٧ هـ ، والثالثة تتعلق بعصر عبدالرحمن الناصر، وهى اكبر القطع المخطوطة التى وجدت ، والرابعة تتعلق بحوادث سنىْ ٣٦٢ ـ ٣٦٥ هـ . وهذا كله الى ما انتهى الينا من شذور وفصول عديدة ، عن طريق ابن بسام وغيره من الكتاب والمؤرخين اللاحقين .

وهكذا نستطيع اليوم ان نكوّن من هذه الأجزاء العديدة فكرة واضحة عن كتاب « المقتبس » ، وهو بلا ريب اقيم ما فى تراث ابن حيان التاريخى ، وقد اشتهر ابن حيان فى عصره بصدق الرواية وبلاغة الأسلوب، ونحن نشعر على اضواء معاييرنا المعاصرة ، ان ابن حيان يقدم الينا اقيم الروايات وانفسها ، وأحفلها بالتعليقات النقدية،وان اسلوبه التاريخى يتسم بروح علمى ونقدى بارز ، وفى راينا ان ابن حيان يضارع من مؤرخى المشارقة المسلمين ، المسعودى وابن الأثير ، وانه يجمع فى اسلوبه القوى بين بلاغة العرض التى يمتاز بها المسعودى ، وبين روح التحقيق والنقد ، التى يمتاز بها ابن الأثير .

رجوع ابن حيان الى أسلافه من المؤرخين ومعاصريه

ويرجع ابن حيان بالأخص الى اسلافه من مؤرخى الأندلس ، ولا سيما احمد ابن محمد بن موسى الرازى المتوفى سنة ٣٤٤ هـ صاحب كتابى « أخبار ملوك الأندلس » و « الاستيعاب فى انساب اهل الأندلس » وهما من المؤلفات التى لم تصل الينا . والى ولده عيسى بن احمد الرازى ، والى ابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧ هـ ، ومعاوية بن هشام الشبنسى ، كما ينقل الينا عن بعض اكابر معاصريه مثل ابن الفرضى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ ، وابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، وابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .

وهو يجمع فى طريقته بين طريقة الحوليات ، فيقدم الينا الحوادث مرتبة وفق السنين،واحيانا يحدثنا عن الحوادث والأشخاص فى فصول خاصة .

ابن حيان يعنى بالوثائق الرسمية

ويعنى ابن حيان عناية خاصة بايراد الوثائق الرسمية الهامة ، وهو يورد لنا

منها عدة ، لا نجدها فى اى مصدر آخر من مصادر التاريخ الأندلسى ، مثل كتاب الحكم بن هشام عن ثورة الربض ، وكتاب الناصر فى الحملة على ابن مسرة وتعاليمه الالحادية ، وكتابه عن موقعة الخندق ، وغيرها . وهى وثائق لم نقف عليها الا فى تراث ابن حيان المخطوط .

ما كتب ابن حيان عن معاصريه من رجال الطوائف

اما ما ينسبه ابن بسام الى ما ورد فى روايات ابن حيان المعاصرة عن رجالات عهد الطوائف من المديح والذم ، من ميل مع الهوى ومجانبة للحق ، فمسألة ترجع الى روح العصر ذاته .

ولقد عاش ابن بسام فى اعقاب عهد الطوائف وفى عهد المرابطين ، بعد أن غاضت قصور الطوائف وغاضت معها تلك الحلقات الأدبية الزاهرة ، التى امتازت بها تلك القصور . ولم يمارس ابن بسام تلك الصلات الشخصية التى كان يمارسها كتاب عصر الطوائف ، مع امراء عصرهم ، ولم ينضو تحت حماية احد من الأكابر . اما فى عصر الطوائف فقد كان كل بلاط ، يضم جمهرة من الكتاب والشعراء تسطع حوله، وكان كل كاتب أو شاعر ينضوى تحت لواء أمير من الأمراء ، وكان تنقل الكتاب والشعراء بين مختلف القصور من الأمور الذائعة فى ذلك العصر ، ولم يشذ ابن حيان عن هذه القاعدة ، فهو قد خدم الدولة الجهورية، وهو قد اتصل بأكثر من أمير من أمراء عصره ، وفى مقدمتهم بنو عباد ، وبنو ذى النون ، وهو قد عاصر كثيرا من الأحداث التى كانت تقع بين مختلف القصور والأمراء ، واذن فقد كان من الطبيعى ، ان يتأثر ابن حيان بمختلف المؤثرات الشخصية والعاطفية ، المترتبة على تلك الصلات وتلك الظروف . ولم يكن ذلك شأن ابن حيان وحده ، وانما كان شأن معظم الكتاب والرواة الذين عاصروا الطوائف وخدموا قصورها واتصلوا بأمرائها . وفى رأينا أن هذه النزعة العاطفية ، التى تسربت الى بعض ماكتبه ابن حيان عن أمراء الطوائف ، لا ينقص كثيرا من قيمة ذلك التراث التاريخى النفيس الذى خلفه لنا .

لابن حيان مؤلفان آخران

ونحن نعرف ان ابن حيان قد كتب غير « المقتبس » مؤلفين آخرين هما « المتين » وهو ايضا تاريخ للأندلس تبالغ بعض الروايات فى ضخامته ، وتصفه بأنه يقع فى « ستين جزءا » ، وكتاب « المآثر العامرية » او « اخبار الدولة العامرية » ، وهو ايضا مؤلف ضخم يقص فيه ابن حيان سيرة المنصور بن أبى عامر وتفاصيل غزواته ، وله فوق ذلك كتاب « البطشة الكبرى » وهو رسالة تتضمن تفاصيل سقوط دولة بنى جهور أمراء قرطبة ، الذين خدمهم ابن حيان ، ولم يصلنا شىء من هذه المؤلفات الاخيرة غير بعض الشذر التى نقلها الكتاب المتاخرون .

عاش اكثر من ٩٠ عاما

وعاش ابن حيان اكثر من تسعين عاما وتوفى فى اليوم السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٤٦٩ هـ (٣١ اكتوبر ١٠٧٦ م) ودفن بمقبرة الربض فى جنوب شرقى قرطبة ، على مقربة من نهر الوادى الكبير ، وكانت مثوى العظماء والكبراء . ■■

محمد عبد الله عنان

المرونة والتصلب

محور من محاور الشخصية الإنسانية وسمة من سماتها

بقلم : الدكتور مصطفى سويف

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ للاكتشاف فى العلم أكثر من معنى يشيع استعمالها بيننا ، فعندما يقال ان العالم الايطالي جاليليو Galileo اكتشف وجه القمر حوالي سنة ١٦٣٧ ، او ان السَّاندرو فولتا Alessandro Volta اكتشف التيار الكهربائي حوالي سنة ١٨٠٠ ، يكون لذلك معنى محدد هو أن هذا العالم أو ذاك استطاع أن يطلعنا على « شيء » معين أو ظاهرة معينة لها كيانها ووجودها المستقل عن عيوننا وعقولنا ، كانت موجودة قبل ان نعرفها وستظل قائمة حتى لو قررنا أن نعود فنجهلها . هذا معنى .

وعندما يقال ان العالم الفرنسى موريل اكتشف مرض العته المبكر سنة ١٨٥٧ ، وأن كريلين الالماني اكتشف جنون « الهوس والاكتئاب » سنة ١٨٩٦ ، يكون ذلك معنى آخر يختلف بعض الشيء عن المعنى السابق ، خلاصته أن هذا العالم او ذاك استطاع أن يتبين وحدة خفية تجمع بين مجموعة من الاضطرابات ، فهى تظهر معا او تختفى معا ، ومن ثم فقد اعتبر هذه الاضطرابات اعراضا « لمرض واحد » . وواضح طبعا ان هذا المعنى للاكتشاف يختلف عن المعنى الاول ، فنحن اذا ركزنا النظر على الاعراض وحدها ، كلا على حدة ، امكننا القول بانها كانت موجودة قبل كريلين وقبل موريل ، تماما كما هى الحال فى التيار الكهربائي وفى وجه القمر . أما اذا ركزنا انتباهنا على صورة المرض كقالب تنظيمي او كاطار نرى من خلاله الاعراض وقد انتظمت بطريقة معينة (نرتضيها اليوم وندخل عليها بعض التعديل غدا) ، فقد اصبح للاكتشاف معنى آخر اقرب الى الاستخلاص بعد استقراء طويل منه الى المعاينة لما هو خارج تماما عن ذات الانسان او عن جهده العقلي المنظم .

ولمفهوم الاكتشاف استعمال ثالث فى غير الموضعين السابقين ، كان يقال ان هيرمان ابنجهاوس اكتشف حوالي عام ١٨٨٠ الصيغة الاساسية للقانون الذى يربط بين طول المدة التى تنقضى بعد تسجيل انطباعاتنا الحسية وبين مستوى الكفاءة فى تذكرنا لهذه الانطباعات . وواضح ان معنى الاكتشاف هنا يختلف عن المعنيين السابقين . فاذا كان المعنى الاول اقرب الى المعاينة لما هو خارج عن عقل الانسان وفاعليته ، فان المعنى الاخير بعيد عن ذلك بمسافة ملحوظة ، وهو اقرب الى أن يوحى

لابدّ من مرونة يتشكل بها الإنسان مع البيئة المتغيرة

الجهل يزيد الناس تصلباً والطمأنينة تزيدهم مرونة

يجب أن لا نتيح الفرصة للتصلب ليستبد بأبنائنا

بضرورة فاعلية العقل فى صياغة موضوع الاكتشاف واكسابه الهيئة التى يظهر بها امامنا .

واكبر الظن اننا اذا واصلنا السير فى هذا الاتجاه الذى يمضى بنا من المعنى الاول مارا بالمعنى الثانى ثم بالمعنى الثالث فسينتهي بنا الطريق الى مفهوم الابتكار الرياضى الذى هو غالبا من خلق العقل تماما .

ولكن لا علينا من ذلك كله . انما المقصود بهذه الجولة أن نمهد الطريق لاثارة سؤال يتعلق بعلم النفس دون سائر العلوم الحديثة ، ويبدو انه يلح على كثير من الاذهان ولكن باشكال غامضة . هذا السؤال هو : هل من الممكن أن تحدث اكتشافات فى علم النفس ؟ واذا كان ذلك ممكنا فهل حدثت اكتشافات بالفعل ؟

الاكتشاف فى علم النفس

ان القاء السؤال على هذا النحو يخفى وراءه نقاطا غامضة لا تزال بحاجة الى التوضيح ، اهمها ان السائل لم يفرق بدقة بين المعانى المختلفة التى تستخدم بها كلمة الاكتشاف ، ومن ثم فان المعانى المختلفة للكلمة تتقارب وتتباعد فى ذهنه بطريقة خارجة عن ارادته ، فهو احيانا اقرب الى الاخذ بالمعنى الاول ، واحيانا أخرى يبتعد عنه حتى ليتجاوز المعنى الثالث قليلا او كثيرا . فاذا نظرنا عن كثب فى طبيعة العوامل التى تحدد موضعه بين هذه المعانى ، فهى غالبا لا تستند الى التشريح العقلي الدقيق ، ولكن تستمد طاقتها اولا وقبل كل شيء من هالة العلم الذى يتحدث عنه أو يفكر فيه ، واعنى هنا بالهالة سمعة هذا العلم بصورته الاجمالية دون الاعتماد على قدر كاف من المعلومات التفصيلية ، ومن ثم فهو اذا فكر فى علوم الطبيعة والكيمياء قبل أشياء كثيرة على انها اكتشافات ، فاذا ابتعد عن هذه العلوم متجها الى الدراسات البيولوجية والنفسية ازدادت حاسته النقدية يقظة ، فاذا هو يضيق حدود مفهوم الاكتشاف حتى ليقصره على المعنى الاول دون سواه .

ومع ذلك فالاكتشافات ممكنة فى علم النفس ، وقد حدثت فعلا ولا تزال تحدث ، واقصد هنا الاكتشافات بمعانيها الثلاثة جميعا . وأما عن المعنى الاول فهناك امثلة عديدة ارجو ان يتقبل القارىء ذكر اسمائها فحسب دون شروح توضح ماهيتها لان المقام لا يسمح بذلك . هناك ظاهرة « الحركة الذاتية » Auto-Kinetic Phenomenon مثلا ، وظاهرة « الادراك دون تنبه » Subception

و « ظاهرة فاى » Phi - Phenomenon ، وظاهرة «الصور الارتسامية» Eidetic-Images ، وامثلة أخرى غير ما ذكرنا . وأما عن المعنى الثاني فهناك اكتشاف أبعاد الشخصية أو عواملها الرئيسية . وأما عن المعنى الثالث فهناك قدر كبير من القوانين التى تنتظم مظاهر التفكير والادراك والانفعال والسلوك الحركي جميعا .

كل ما فى الامر اننا اذا قارنا بين مقادير المكتشفات التى تنتمى الى كل من المعانى الثلاثة للاكتشاف تبين لنا أن ما يقع تحت المعنى الثالث اكبر بكثير مما يقع تحت المعنى الثانى ، وما يقع تحت الثانى اكبر بكثير مما يقع تحت الاول . غير ان هذه الحقيقة (أعنى هذه المقارنة بين احجام الفئات الثلاث) ليست وقفا على ميدان الدراسات النفسية ، بل انها حقيقة عامة تصدق على جميع فروع المعرفة العلمية دون استثناء ، وانما يكون الفرق بين اى فرع وغيره فرقا فى العدد المطلق للمكتشفات التى تندرج تحت اى معنى من المعانى الثلاثة وما يناظره فى العلم الآخر .

ما هي أبعاد الشخصية ، أو عواملها أو محاورها أو سماتها

بهذه النظرة اذا ينبغى لنا أن ننظر الى النتائج التى تقدمها لنا دراسات علم النفس الحديث حول تحديد الأبعاد التى تشكل الشخصية أو العوامل المختلفة التى تولد الشخصية . وقد نسميها المحاور التى تدور عليها الشخصية أو السمات التى تتسم بها الشخصية ، وهى أسماء متعددة لمسمى واحد .

فنحن هنا بصدد اكتشافات علمية هامة ، ولكن بالمعنى الثانى للاكتشاف .

ذلك أن هذه الابعاد ان هى الا "أطر" تنتظم داخلها مظاهر السلوك فى مجموعات متماسكة الى حد كبير ، يجمع بين افراد كل منها جامع الاتفاق فى سرعة النضج واتجاهه ، فهى تزداد معا وتنقص معا وتثبت على قدر معين معا .

نضرب « عامل الذكاء » مثلا لمحاور الشخصية

خذ مثلا البعد الذى نسميه « العامل العام للذكاء » ، فهذا محور تنتظم عليه جميع مظاهر النشاط العقلى الخاصة بتحصيل المعرفة . وقد بدأت عمليات استكشافه مع بداية هذا القرن على يد العالم الانجليزى تشارلز سبيرمان ، ثم تتابعت الجهود فى هذا السبيل على أيدى علماء آخرين من أشهرهم توستون الامريكى . والنتيجة اننا نعرف الآن قدرا لا بأس به من المعلومات المحققة عن مجموعة لا بأس بها من الوظائف العقلية الاساسية وعن درجة التماسك فيما بينها .

خذ مثلا فهم الشخص للالفاظ ، مجرد الفهم المحكم ، هذه وظيفة اساسية .

والطلاقة فى التعبير السليم بالالفاظ هذه وظيفة أخرى .

والاجراء العقلى لبعض العمليات الحسابية وما يقتضيه ذلك من معالجة الارقام وما بينها من علاقات ، هذه وظيفة أساسية ثالثة .

والتفكير فيما بين الاشياء (من حيث خصائصها الهندسية) من علاقات ، هذه وظيفة رابعة .

والسير بالتفكير من العام الى الخاص أو العكس (وهو ما نسميه بالاستدلال أو الاستقراء) هذه وظيفة خامسة .

تلك أهم الوظائف العقلية الاساسية (التى نعرفها الآن) والتى تجتمع معا حول محور واحد هو ما نسميه الذكاء . وما دمنا نقول انها تجتمع على هذا المحور فذلك يعنى أن بينها درجة ملحوظة من التماسك ، اى انها تزداد معا ، وتنقص معا ، وتستقر على مستوى واحد معا . بعبارة أخرى اذا لاحظنا ارتفاع مستوى كفاءة احداها لدى شخص ما حق لنا أن نتنبأ (بدرجة عالية من الدقة) بارتفاع كفاءة الاخريات لديه ، واذا لاحظنا انخفاض مستوى الكفاءة فى واحدة جاز لنا أن نتنبأ بانخفاض كفاءة الباقى . ويمكن حساب درجة التماسك بين هذه الوظائف ودرجة الدقة فى تنبؤاتنا المذكورة بلغة رياضية دقيقة .

هذا الحديث عن العامل العام للذكاء ، محور الوظائف العقلية العليا ، ينطبق فى خطوطه العامة على الأبعاد الأخرى للشخصية ، كالاتزان الوجدانى ، والانطواء وما اليها .

التصلب والمرونة

بعد هذه المقدمة التى كانت لازمة لتوضيح معانى أبعاد الشخصية ، وأين يقع اكتشاف هذه الأبعاد

من صنوف الاكتشاف ، تدخل فى موضوع المرونة والتصلب الذى هو عنوان هذا المقال .

و « التصلب » Rigidity عامل من عوامل الشخصية التى استأثرت باهتمام الكثيرين من العلماء منذ بداية هذا القرن . وقد بلغ الاهتمام به اقصى درجاته فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة ، فتناولتها فى هذه الفترة مئات البحوث التى قام بها باحثون من دول مختلفة ، من الولايات المتحدة وانجلترا ، وهولندة ، والهند ، واليابان . واسهم عدد من الباحثين المصريين فى هذا التراث بما لا يقل عن خمسة عشر بحثا .

والمقصود بالتصلب تلك السمة التى تكشف عن نفسها فى مدى السهولة أو الصعوبة التى يلقاها الشخص فى احداث تغييرات فى مجرى سلوكه فى الاتجاه المناسب . وفى الوقت المناسب . هذا هو معنى التصلب فى تعريف علماء النفس المحدثين. وعلى ذلك فنحن هنا بصدد بعد يمتد بين قطبين ، احدهما هو التصلب فى اعلى درجاته حيث يكاد يتعذر على الشخص احداث التغيير المطلوب ، والآخر هو المرونة Flexibility الشديدة (أو التصلب فى أدنى درجاته) حيث يستطيع الشخص احداث التغيير المطلوب بلا أدنى مشقة . ويبدو من هذا الوصف للعامل الذى نحن بصدده أنه كان بامكان العلماء أن يسموه المرونة بدلا من تسميته بالتصلب ، الا أنهم جروا على تسميته بالتصلب لان هذا الجانب منه هو الذى استرعى اهتمامهم قبل الجانب الآخر ، شان كثير من سمات الشخصية الأخرى ، فقد بدأ الاهتمام بها من الناحية التى تعوق حسن التوافق وتتعارض ومقتضيات الصحة النفسية ، وذلك ان هذا الاهتمام كان مصدره الاول الرغبة فى تحصيل العلم لخدمة الانسان .

قياس تصلب الشخصية

ولكى ترتسم فى ذهن القارىء صورة واضحة لاحد المواقف التى يكشف فيها التصلب عن نفسه نقدم مثالا لتجربة واحدة بين عديد من التجارب التى يجريها علماء النفس فى معاملهم .

يقدم الباحث الى الشخص الذى تجرى عليه الدراسة رسما معقدا بعض الشىء يشبه المتاهات التى اعتاد الاطفال ان يشاهدوها فى مجلاتهم ، ويطلب اليه أن يتابع السير بقلم فى يده فى مسالك هذه المتاهات ، ابتداء من نقطة معينة ، لينتهى الى نقطة أخرى معينة . ويسجل الزمن الذى استغرقه الشخص فى انجاز هذا العمل ، وليكن ١٥ ثانية .

بعد ذلك يطلب الباحث الى الشخص أن يضع فوق عينيه نظارة ذات عدستين منشوريتين ، وهى نظارة معدة اعدادا خاصا بحيث تبدو المرئيات للناظر من خلالها مقلوبة رأسا على عقب ، ومن ثم فان الشخص فى تجربتنا اذا نظر الى المتاهة من خلال هذه النظارة لا يلبث أن يرى عاليها سافلها ، كما انه يرى يده الممسكة بالقلم تتحرك فى عكس الاتجاه الذى تتحرك فيه بالفعل . فاذا كانت حركتها الفعلية تتجه الى الابتعاد التدريجي عن جسمه فان هذه الحركة تبدو له من خلال النظارة متجهة الى الاقتراب من جسمه .

هنا يشعر الشخص بان استمراره فى الحركة (ليكمل السير فى المتاهة متجها الى النقطة المحددة له) مسألة صعبة ، ويكتشف ان صعوبتها تتزايد بسرعة ملحوظة وكأن ذراعه تزداد ثقلا فى كل لحظة عن اللحظة التى تليها ، كما يكتشف ان الصعوبة تبلغ قمتها عندما تقتضيه مسالك المتاهة ان يغير اتجاه حركة اليد تغييرا شديدا (عند زاوية قائمة او حادة) . هنا تبلغ الصعوبة قمتها ، بمعنى ان الشخص يتبين انه فقد قدرا كبيرا من سيطرته على حركة يده ، فهو يريد ان يحركها ناحية اليمين فاذا هي تتحرك ناحية اليسار ، او يحاول ان يحركها الى الامام فاذا بها تتحرك الى الوراء .

هذا مظهر من مظاهر فقدان السيطرة . ومظهر آخر يعانيه كذلك ، هو انه يحاول احيانا ان يحركها فلا تتحرك ، وتظل كذلك بضع لحظات كأنما اصيبت يده بشلل مفاجىء .

واخيرا فان هذا الشخص اذا استمر فى محاولاته حتى يعبر المتاهة فعلا يكتشف ان هذا العبور كلفه خمس دقائق او سبعا ، وربما أكثر من ذلك ، وهى ذات المتاهة التى عبرها فى ربع دقيقة حينما لم يكن يضع النظارة على عينيه .

فما سبب ذلك ؟ ما سبب هذه الصعوبات التى لا يعرف وزنها الحقيقى الا من يكابدها فعلا فى تجربة من هذا القبيل ؟

السبب هو أن الشخص عندما ينظر من خلال النظارة ويحاول ان يحرك يده يواجه موقفا جديدا يتعارض فى مطالبه مع مقتضيات مجموعة هامة من العادات التى رسخت لديه على مر الايام والاعوام ، اعنى هنا تلك العادات التى تنظم التعاون والتآزر بين الابصار وبين تحرك اليد . ان الموقف الجديد

يعني ان مجموعة العادات القديمة المنظمة لحركة اليد بالتعاون مع الاشارات البصرية لاتنفع الآن ، وبالتالي فلا بد من التخلي عنها (أو عن معظمها اذا تحرينا الدقة في التعبير) وتكوين نمط جديد لتنظيم الحركة بما يناسب هذا الموقف الجديد . ويحاول الشخص ابتداع هذا النمط الجديد ، لكن العادات القديمة لاتتخلى عن سلطانها بسهولة، فتستمر تتدخل من حين لآخر ، وهذا يدخل الاضطراب الشديد على حركة الشخص ويشيع العراقيل امام اتصالها .

سمة التصلب تكشف عن نفسها بدرجات تتفاوت من شخص لشخص

هنا بالضبط ، في هذا المظهر ، تكشف سمة التصلب عن نفسها بدرجات تتفاوت من شخص الى آخر . بعبارة اخرى،ان الاضطراب الذي يدخله هذا الموقف على السلوك يختلف من شخص الى آخر ، ويعتبر مقدار الاضطراب عند شخص ما تعبيرا غير مباشر عن درجة تصلبه . ويقاس هذا الاضطراب بطرق متعددة ، منها تحديد الفرق بين الزمن الذي يستغرقه الشخص في عبور المتاهة بدون النظارة وبين زمن عبورها من خلال النظارة . ومنها كذلك تحديد الفرق بين عدد الاخطاء التي يرتكبها الشخص اثناء عبور المتاهة تحت كل من الشرطين .

وثمة طرق اخرى غير هاتين الطريقتين واعقد منهما قليلا .

الدرجات التي ينالها الشخص في التجربة عند تكرارها تتجمع حول متوسط ثابت

لكن ليس المهم هنا هو حصر هذه الطرق ، انما المهم هو النظر فيما تنتهي بنا اليه ، وهذا يمكن تلخيصه في حقيقتين : الاولى ان النتائج تختلف من شخص الى آخر على المتاهة الواحدة . فاذا تصورنا اننا اجرينا هذه التجربة على عشرة اشخاص تحت شروط معملية موحدة فسنخرج غالبا بعشر نتائج متفاوتة . هذه حقيقة . والحقيقة الثانية اننا اذا كررنا التجربة عددا كبيرا من المرات على كل شخص من اولئك العشرة تبين لنا ان الدرجات التي ينالها كل شخص في هذه المرات الكثيرة تجتمع (او تتراوح بين الزيادة والنقصان) في نطاق ضيق حول متوسط ثابت ، وهذا المتوسط يختلف من شخص الى آخر . هذا المتوسط هو ما نسميه بدرجة التصلب لدى الشخص .

ذكر هذه التجربة وتفصيلها يخطو بالقارىء نحو المشاركة فالاقتناع

هذا وصف لاحدى التجارب التي يستخدمها علماء النفس في معاملهم لقياس درجات التصلب . وقد حرصت على ان اقدمه بشيء من التفصيل حتى يتاح للقارىء ان يعاين باوضح قدر من الرؤية فصلا من فصول الدراسة العلمية الحديثة لسلوك الانسان ، ذلك ان المعاينة الواضحة (او ما يقرب منها) شيء ، ومجرد تلقي القارىء لقدر من المعلومات عن النتائج شيء آخر . المعاينة من شانها ان تبث في القارىء قبسا من أسلوب التفكير العلمي الحديث ، من شانها أن تخطو بالانسان نحو الاقتناع والمشاركة . اما معرفة النتائج وحدها فاقصى ما تستطيعه ان تثير في القارىء نوعا من الدهشة ، وربما جاءت الدهشة ممزوجة بقدر من الاعجاب ، ومع ذلك يظل القارىء غريبا عن العلم ، ويظل العلم غريبا عن القارىء . وليس في هذا غناء لنا نحن الكتاب والقراء من ابناء الوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين ، انما الغناء في الاقتراب من طريق العلم حتى المشاركة علنا ان نضيف الى تراث الانسانية شيئا يقرب في وزنه مما اضافه رجال من اسلافنا ، كالرازي وابن سينا ، وابن خلدون ومن تبع خطاهم .

انواع متعددة من التصلب : التصلب الحركي ، التصلب الحسي ، التصلب الوجداني ، التصلب العقلي

على اية حال نعود الى موضوعنا .

ان تصلب الشخصية بالصورة التي اوضحناها في تجربة النظارة ذات العدسات المنشورية ليس سوى جانب واحد من جوانب متعددة للسمة نفسها ، وهو الجانب الذي نسميه بالتصلب الحركي ، اى التصلب كما يكشف عن نفسه من خلال النشاط الحركي للشخص .

وقد تبين العلماء ان التصلب يمكن ان يكشف عن نفسه من خلال ثلاثة جوانب اخرى للسلوك البشري ، هي جوانب النشاط الحسي ، والوجداني ، والعقلي .

ومعنى ذلك اننا نستطيع ان نتكلم عن تصلب

فى نشاط الحواس ، وأبسط مثال له ما يعترينا من اضطراب عندما ننتقل من غرفة مضيئة الى غرفة مظلمة اذ تنقضى فترة قبل ان يزول عنا اثر التكيف السابق مع الاضاءة ، ويتفاوت طول هذه الفترة من فرد الى آخر رغم توحيد الظروف المحيطة بالشخصين ، ونحن نلخص هذا التفاوت فى قولنا انه تعبير عن درجة تصلب النشاط الحسى لدى كل منهما ، ولهذه الدرجة من الثبات مثل ما لدرجة التصلب الحركى .

وكذلك نستطيع ان نتكلم عن تصلب وجدانى ، عندما نواجه تفاوتا بين الافراد فى سرعة الانتهاء من حالة انفعالية معينة كالغضب او الحزن أو السرور ، والعودة الى المستوى الذى اعتاد كل منهم الاستقرار عليه فى حياته اليومية .

واخيرا نتكلم عن تصلب عقلى او فكرى عندما نبدأ التفكير فى حل مشكلة معينة ، (ايا كان ميدانها : العلم ، او الفن او الحياة الاجتماعية) ، ثم نكتشف بعد قليل اننا اسرى زاوية معينة للنظر لايستطيع عقلنا الفكاك منها ، ونكتشف ذلك بوضوح عندما نستمع الى شخص آخر يعرض علينا محاولته لحل هذه المشكلة فاذا هناك وجهة نظر اخرى ممكنة . وعندئذ يتغير المشهد تغيرا كبيرا .

العلاقة بين انواع التصلب

هنا يطفو على السطح سؤالان على جانب كبير من الاهمية ، اولهما يتناول ما عساه ان يوجد من علاقة بين هذه المظاهر الاربعة لتصلب الشخصية . هل تتكاتف هذه المظاهر او تترابط فيما بينها ؟ بعبارة اخرى ، اذا نال شخص درجة مرتفعة على مقياس للتصلب الحركى فهل يحق لى ان استنتج من ذلك انه سوف ينال درجات مرتفعة على مقاييس المظاهر الاخرى للتصلب ؟ هذا سؤال .

والسؤال الثانى يتناول الفائدة العملية او التطبيقية لهذه الدراسات وما انتهت اليه من نتائج . ماذا نفيد منها وكيف ؟

اشكال التصلب الاربعة مستقل بعضها عن بعض

اما السؤال الاول ، فالاجابة عليه بالنفي . ان هذه الاشكال الاربعة للتصلب مستقلة بعضها عن بعضها ، وبالتالى يكون من الخطا ان احكم بان فلانا سيكشف عن درجة مرتفعة من التصلب فى نشاطه الحسى او الوجدانى او العقلى لمجرد اننى اعرف ان مستوى التصلبلديه مرتفع فيما يتعلق بنشاطه الحركى ، أو ان ابدأ من اى جانب من هذه الجوانب لاستنتج شيئا عن التصلب فى أى جانب آخر . ان كل ما استطيع ان افعله دون التورط فى الخطأ هو ان امتد باستنتاجى من شكل من اشكال السلوك الحركى الى شكل آخر للسلوك الحركى كذلك ، من كان مرتفع التصلب على أحد هذه الاشكال فهو مرتفع التصلب على الاشكال الاخرى . لكن هذا يظل صحيحا داخل دائرة النشاط الحركى فقط ، أو داخل دائرة النشاط الحسى ، او داخل النشاط الوجدانى ، او النشاط العقلى ، كل على حدة . اما التنقل من دائرة الى اخرى فلا يجوز .

الفائدة العملية لدراسات التصلب

ننتقل الى السؤال الثاني ، ماذا نفيد من هذه البحوث وكيف ؟ اما عن الفائدة نفسها فهى لاتختلف فى جوهرها عن الفائدة التى نجنيها (او هكذا نرجو) من تطبيقات العلوم عامة : مزيد من سيطرة الانسان على مصيره . فاذا اردنا ان نحدد بالضبط ما نعنى بهذه العبارة بالنسبة لموضوعنا هذا الذى نحن بصدده فثمة مجالان لا بد من الحديث عن كل منهما بما يوفيه بعض حقه ، اولهما مجال الصناعة والانتاج وما يتعلق بهما ، والثانى مجال التوافق مع النمط الاساسى للحياة الاجتماعية الراهنة .

التصلب وقيادة السيارات

سأذكر مثالا بسيطا يواجهنا باشكال مختلفة فى حياتنا اليومية : قيادة السيارات فى شوارع المدن التى يشتد ازدحام السكان فيها ، (وقد بدأت هذه المسألة تتخذ هيئة المشكلة الحادة فى عدد من مدن الشرق الاوسط العربي) ، وذلك بدون الدخول فى تفاصيل فنية لايسمح المقام بها هناك .

نقطة يجب التفكير فيها والتدبير لها ، واعني بها : الاسلوب الذى يواجه به قائد السيارة المواقف التى تفاجئه على غير توقع منه . ماذا يفعل القائد عادة ؟ هذه ليست بالمشكلة الهينة ، ذلك ان نسبة كبيرة من الحوادث تقع لارتفاع درجة

التصلب الحركي او التصلب الادراكي لدى القائد. ان السرعة التي يبرز بها الموقف المفاجيء تقتضي سرعة "مكافئة" لها في تغيير السائق لوضع قدميه، وفي توجيه عجلة القيادة ،وربما في عدد من الحركات الاخرى المناسبة . وهذا ما يعجز بعض قائدي السيارات عن انجازه بطريقة محكمة .

وكالسيارات سائر الآلات

فاذا وسعنا زاوية النظر قليلا تبين لنا ان هذه المشكلة لاتقتصر على قيادة السيارات ، بل تمتد لتشمل اعمالا اخرى كثيرة يتطلبها التقدم الآلي الحديث ، بعضها بالغ الخطر مثل قيادة الطائرات، والعمل في أبراج المراقبة ، وفي محطات الرادار ، والبعض الاخر لا يمكن التقليل من شانه ، وان لم يكن يثير في نفوسنا من المشاعر ماتثيره تلك الاعمال السابقة . وأنا اعنى هنا انواعا من الاعمال لاحصر لها ، في ميادين الصناعة الحديثة .

الافادة من ذوي المرونة العقلية العالية

في هذه الميادين جميعا تستطيع بحوث التصلب ان تكون ذخيرة في ايدينا نقلل بها من احتمالات الضرر ، ولن يكلفنا ذلك سوى تطبيق بضعة مقاييس للتصلب على الاشخاص المتقدمين لهذه الاعمال ، ثم توجيه هؤلاء الاشخاص بما يتفق ودرجاتهم على تلك المقاييس .

على اننا اذا أمعنا النظر في الموضوع اكثر من ذلك تبين لنا ان بحوث التصلب بنتائجها التي عرضنا لها لن يقتصر الامر بها على ان تفيدنا في دفع الضرر فحسب ، اذ يكفي ان نفكر فيما يمكن ان يعود على المجتمع من المحاولة الجادة للافادة من ذوي المرونة الفكرية العالية (اي ذوي التصلب الفكري المنخفض) ! اي كسب يجنيه المجتمع عندما يعرف كيف يعثر على هؤلاء الاشخاص ليعهد اليهم بتطوير بعض عمليات الانتاج ! نعم ستكون هناك نسبة من الخطأ في نتائج مقاييسنا ، وبالتالي فيما ترتبه عليها من خطوات . هذا صحيح . ولكن الخطأ بهذه الصورة شيء ، والتخبط او السير على غير هدى شيء آخر . ان في هذا الكفاية فيما يتعلق بالمجال الاول . مجال الصناعة والانتاج فماذا عن المجال الثاني ، مجال التوافق مع الحياة الاجتماعية المتجددة ؟

الانسان وتشكله مع البيئة المتغيرة

احدى المشكلات الكبرى التي يواجهها انسان العصر الحديث هي مشكلة التغير السريع الشامل فيما يحيط به . وعندما نتكلم عن الانسان في هذا السياق نقصد الانسان كفرد وكمجتمع . حقا ان التغير نفسه ، اعني تغير مقومات البيئة الطبيعية او الاجتماعية او الاثنين معا ليس جديدا على الانسان . انه هو الشيء الذي اعتاده الانسان على مر التاريخ . وقد تعلم ان خير طريقة يواجه بها التغير فيما يحيط به هي ان يحدث في نفسه (في عاداته ، وفي قيمه ، وفي وجهات نظره) من التغيير ما يناسب الاشكال الجديدة للبيئة . وساعدته على ذلك مرونة فطرية في قدراته واستعداداته يبدو انها تفوق اي قدر من المرونة تجود به الحياة في اي مستوى آخر من مستوياتها. الا ان التغير الذي يواجهه انسان العصر الحديث ، وخاصة في بيئته الاجتماعية ، يفوق كل تغير سابق من حيث السرعة والشمول . وامام هذه الحقيقة اصبح حتما على الانسان ان يواجه الحياة برصيد من المرونة اكبر بكثير مما اعتاد آباؤنا ان يواجهوها به .

وقد يقال اننا نجتاز الآن مرحلة حرجة في تاريخ الانسانية ، وان العالم صائر الى قدر لا بأس به من الاستقرار ، ولعل هذا القول ان يكون صحيحا، ولكن ماذا عن الاجيال الحاضرة والقادمة في المستقبل القريب قبل ان يتحقق هذا الاستقرار ؟ ماذا عن النشء الذين يبدأون حياتهم الآن والذين سيبدأونها بعد قليل ؟

هنا نستطيع ان نأمل في العلم ان يلهمنا بعض الحكمة والرشاد . هنا نستطيع ان نرجع الى بعض بحوث الشخصية ، وخاصة ما كان منها يدور حول عامل المرونة والتصلب . تنشئة الصغار ، تلك هي البداية المنطقية . يجب ان تقوم هذه التنشئة على خطة رشيدة تهتم اول ما تهتم بتزويدهم بالقدر اللازم من المرونة . كل ما من شأنه ان يرفع من درجة التصلب في شخصية النشء ينبغي الاقلال منه ، وخاصة ما كان يمس التصلب الوجداني ، لان آثاره تتسرب الى كثير من وظائف الشخصية ، والى جبهات التقائها مع المجتمع بوجه خاص . (يكفي أن نفكر فيما تتطلبه اشكال الحياة الجديدة من تغيير في بعض القيم التي ألفناها) .وليس ثمة ما يدعو الى الخوف هنا

من ان نخلط بين التصلب والمثابرة ، فالمثابرة سمة تختلف كثيرا عن التصلب ، وقد اجريت عليهــا كذلك عدة بحوث تجريبية من شأنها ان تزيل اللبس وتضع الامور في نصابها . المهم اننا نتكلم هنا عن التصلب كسمة ذات معالم محددة . هذه السمـة يجب الا تتاح لها فرصة الاستبداد بابنائنا .

يجب ان لا نتيح الفرصة للتصلب ليستبد بابنائنا

وكيف يكون ذلك ؟

بمقاومة العوامل المهيئة لها .

وما هي هذه العوامل ؟

نحن نعرف الآن عاملين : احدهما انغلاق بعض مسالـك المعرفـة . والثـاني انعـدام الشعـور بالطمانينة .

انغلاق مسالك المعرفة يزيد التصلب

اما الاول فقد عرفناه من خلال عدد من التجارب القيمة الذكية ، اجريت على مجموعات مــن الاشخاص المصابين باصابات مختلفة من شأنهـا ان تعطل في كل مجموعة منهم احدى الحواس ، وبالمقارنة بين مستوى التصلب الوجداني الشائع بينهم وبين نظيره لدى اشخاص لم يصابوا بشيء من هذا القبيل تبين ان المصابين اكثر تصلبا مـن الاسوياء ، ثم تبين ان المصابين بالصمم بوجـــه خاص هم أكثر الفئات تصلبا .

والتفسير المباشر لهذه النتيجة ان انغلاق احدى الحواس يعني تضييق عالم الشخص بمقدار يعادل مقدار الخبرات التي كان من الممكن أن تسمح بها تلك الحاسة ، ومعنى ذلك تضييق فرص الشخص للتوافق مع عالم غني بعناصر متنوعة الى اكبر حد انساني ممكن ، وبالتالي فان فرص الشخص للمران على احداث التغيير في عاداته تكون محدودة نسبيا ، والنتيجة ارتفاع التصلب في كثير مــن مظاهره .

اما مسألة الارتفاع الملحوظ للتصلب عند الصم اكثر من غيرهم فهي تتفق في منطقها مع ما تعرفه من ان للغة وزنا كبيرا في تشكيل الحياة الفكرية والوجدانية للانسان ، هذا الى انها احدى المنافذ الهامة التي تجتازها المعرفة الينا . ذلك هو طراز البحـوث التي عرفنا منهـا اثر انغـلاق مسالـك المعرفـة .

نقص الطمانينة يزيد التصلب

اما مسألة انعدام الشعور بالطمانينة او انخفاض هذا الشعور فقد توصلنا اليها من خلال بحوث تجريبية اخرى ، بعضها اجريناه في مصر والبعض اجري معظمه في الولايات المتحدة الامريكية . وتدور هذه البحوث حول قياس التصلب الوجداني لدى فئات اجتماعية تعيش في ظل ظروف موضوعيـة من شأنهـا ان تقلل من الشعـور بالطمانينـة . وبالمقارنة بين مستويات التصلب لدى هذه الفئات تبين ان التصلب ينخفض حيث يرتفع الشعـور بالطمانينة ، ويرتفع حيث ينخفض هذا الشعور .

مسئولية الجيل الحاضر : زيادة المرونة في النشء الصغار

هذان اذا عاملان يسهمان بنصيب في تحـديد مستوى التصلب لدى الشخـص ، ويحتمل ان تكشف البحوث في المستقبل القريب عن عوامـل اخرى لها مثل هذا التاثير . لكن ليس هذا هـو المهم في هذا السياق ، انما يلزمنا ان نوجه اهتمامنا الى العاملين اللذين تم الكشف عنهما ، وبوحي من طبيعتهما ووزن كل منهما في زيادة حصة الشخصية من التصلب يجب علينا ان نعيد النظر في عمليـة تنشئة الصغار ، وان نقوم النهج الذي تتجهه هذه العملية في الوقت الحاضر ، على مستوى الاسرة وعلى مستوى الدولة . وعلى ضوء ما تسفر عنـه اعادة النظر والتقويم نعود فنوجهها وجهة افضل ، واضعين نصب اعيننا مزيدا من مرونة الشخصية في واجهاتها المختلفة هدفا ينبغي لنا السعي الى تحقيقه . تلك هي مسئولية الجيل الحاضر امام الاجيال القادمة في المستقبل القريب .

وربما زاد في خطر هذه المسئولية أن جيلنـا يشهد الان نمو الدراسات العلمية لسلوك الانسان. وقد وصل الامر بهذه الدراسات الى انها بدأت تلقى الينا باعداد متزايدة من الاكتشافات التـي لا يمكن التقليل من شأنها ، (اعني هنا الاكتشافات بمعانيها المستخدمة في العلم جميعا) ، ولا يجوز تجاهلها .واحد هذه الاكتشافاتابعاد الشخصية .

وربما كان امتع ما في الموضوع ما تضعه هــــذه الدراسات في متناولنا من طرق وحقائق تتيح لنا ان نسهم بقدر لا بأس به في صنع طراز الشخصيـة الذي نريـد . ■■

مصطفى سويف

من اعلام الغناء العربي

ابراهيم بن المهدي

وأخ الرشيد، وعم الأمين والمأمون والمعتصم

بقلم : الدكتور حسين نصار

الاستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ كانت المدينة بغداد . وكانت الخلافة فى يد المهدى .

وكان المجتمع ـ أو رجالات المجتمع ـ يعيش فى فيض من الثراء والترف والأمن .

وكان المنصور قبل ذلك قد سيطر على أزمة الأمور ، وجمع كل القوى فى قبضته : أخمد كل الثورات والقلاقل ، ووطد دعائم السيطرة العباسية ، ووسع مجالها ، فخضعت له الخلافة الاسلامية جميعها .

وجاء المهدى ، فوجد الأمن مستتبا ، والرخاء عاما ، والخزانة عامرة ، وشئون الدولة تجرى ذللا . فترك سياسة أبيه الصارمة . وسار على طبيعته السمحة ، الكريمة ، المولعة باللهو والغناء، حتى قال فيه بشار بن برد قولته المشهورة :

بنى أمية هبُّوا ، طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود (١)

ضاعت خلافتكم ـ يا قوم ـ فالتمسوا
خليفة الله بين الناى والعود

وكان هذا الخليفة الأب ، أبا ابراهيم .

وكانت الأم ، أم ابراهيم بن المهدى ، من بنات الملوك والحكام ، سباها الجيش الاسلامي الفاتح ، واهداها ـ لمكانتها ـ الى الخليفة المنصور . فعهد بها الى جاريته « محياة » لتخرجها . وكان تخريج الجوارى بتعليمهن العربية ، وتدريبهن على العزف والغناء ، وتثقيفهن بما يليق بقصر الخلافة من آداب ومعارف . فبعثت بها محياة الى الطائف ، حيث تفصحت وقالت الشعر . وعادت الى بغداد ، فرآها المهدى ، فتلقفها . تلك هى شكلة .

مولد ابراهيم ونشأته

وفى سنة ١٦٢ هـ كان الابن طفلا سمينا ، غليظ الشفة ، أسمر اللون ، حسن العين ، جميل الأنف ، قطعة من أبيه ، حتى كان يناديه أخوه الرشيد

(١) وزير المهدى

■ احتفل به التاريخ مغنيًا، ونسيه خليفة.

■ كان من أعلم الناس بالألحان، ومن أطلاهم في الغناء صوتًا.

■ سمعته جارية لا تعرف العربية، في بيته يغني، فظلت تبكي حتى سكت، وهو لا يدري.



بعد ذلك : « يا بقية ابي » . اما اسمه الحق فابراهيم .

وعاش الطفل في القصور العباسية ، التي لا تغني فيها الاوصاف ، والتي جعلت لها الف ليلة وليلة في خلد كل عربي ، بل كثير من غير العرب ، صورة لا تداني روعة ورواء ووضوحا .

وكان الطفل بعيدا عن الخلافة ، يقوم بينه وبينها اخوان له : الهادي والرشيد ، فلم يؤخذ في تربيته بالصرامة أو المراقبة التي يؤخذ بها المرشح لها . فكان له ولأمثاله من اخوته ما شاء من لهو ورغبات . وقد اجتمعت رغبته ، ورغبة أخيه منصور، وأخته علية في الغناء .

ولكن ذلك لم يحرمه من تلقي ما يتلقاه امثاله من ابناء الخلفاء والكبراء من تعليم . فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة . يقال انه عندما وصل الى سورة البلد ، وكان عمره خمس سنين ، تصدق ابوه عنه بمائة الف درهم ، وأعتق خمسمائة عبد .

وقد جعلته المعارف التي حصل عليها ـ في وصف المؤرخين له ـ شاعرا ، راوية للشعر وأيام العرب، خطيبا ، ذا معرفة بالجدل وتصرف في الفقه واللغة.

ابراهيم واليا على دمشق

ووقعت جفوة بينه وبين اخيه الخليفة هارون الرشيد ، وابراهيم في الثامنة عشرة من عمره . ولكنها لم تطل ، وندم الرشيد من أجلها ، واراد ان يكفر عنها ، فعين أخاه ابراهيم واليا على دمشق وبعد عامين ، خلعه عنها ، اذ جاءه خبر انه قعد للشراب في مجلس عام . وبعد عامين آخرين ، اعاده الى ولايته ، التي تمتع بها في هذه المرة اربع سنوات ، اي الى عام ١٨٧ هـ .

وقد ابدى ابراهيم في ولايته كفاءة طيبة ، حيث قضى على القلاقل ، واستمال الخارجين على الدولة، وعدل بين عرب الشمال والجنوب ، الذين كانت خصوماتهم لا تخمد ، وكانت سببا في زوال مجدهم ونفوذهم .

ولعل ذلك هو الذي رشحه ليكون واليا على البصرة في أوائل عهد المأمون .

المأمون يعلن عليّ بن موسى الرضا ولي عهده

ولكن سرعان ما تقلبت الاحوال ، اذ أعلن المأمون عليّ بن موسى الرِّضا من العلويين ولي عهد له . فمادت الارض تحت أرجل العباسيين ، وأبوا أن تخرج الخلافة من ايديهم طواعية ، وثارت ثائرتهم في بغداد .

واحس ابراهيم بان الفرصة سانحة ليتخطى ابناءَ الرشيد الى الخلافة . فترك مقر عمله في البصرة ، ووفد على العاصمة الثائرة . فوجد الامر فوضى بين رجال القصور العباسية والشعب. فالعباسيون انقسموا على انفسهم : كل يطمع في الخلافة، وكل يخاف أخاه، وكل يخاف المأمونَ . وخاصة ان العهد بينهم وبين مقتل الامين لم يكن قد بعد .

ابراهيم يقبل الخلافة في عهد المأمون ، ويتحداه

وعرضوا الخلافة على الفور على كثير من كبراء العباسيين فرفضوها . اما ابراهيم ، فانه عندما عرضت عليه اسرع الى تلقفها غير آبه الى مخاطر او مفازع .

وكان ذلك ـ عند اغلب المؤرخين ـ في الشهر الاول من سنة ٢٠٢هـ ، وعند قلة منهم في الشهر الاخير من العام الفائت .

وطبيعي أن يقع الخلاف في هذا التاريخ، وأمثاله في حياة ابراهيم بن المهدى ، لأن الامر كان ثورة ، وكانت الشئون تدرس سرا أولا ثم تعلن بعد فترة .

واتخذ ابراهيم من المبارك لقبا ، وبعض المؤرخين يذكرون ان لقبه كان المرْضِيّ .

ابراهيم يعيد الهدوء الى بغداد ، ويتاهب للقاء المأمون القادم من الشرق

وكانت ازمة الحكم افلتت من رجال الحكم في بغداد . فثار الغوغاء ، وظهر اللصوص ، وتألفت العصابات الكبيرة التي اغتصبت السلطة . واضطر ابراهيم الى ان يخوض المعارك ، ويستخدم الحيلة ، ويقدم الدينار ، ليعود الهدوء الى العاصمة ، ويستتب الامن ، فيتفرغ للعدو القادم من الشرق : المأمون ، تتقدمه رجاله وجيوشه .

وافلح ابراهيم في اخضاع العراق عدا مدنا قليلة ، بل خطب له رجال في بعض الامصار العربية كسورية ومصر ، واخمد قلاقل الغوغاء في بغداد ، حتى ان الحاجات رخصت اسعارها في عهده . اعترف بذلك عدوه محمد بن عبد الملك الزيات ،

فى قصيدته التى يحرّض فيها المأمون على ابراهيم ليقتله ـ بعد قبضه عليه ـ قال :

فكيف بمن قد بايع الناس والتقت
ببيعته رُكبانُ غَوْرٍ الى نجد
ومن صكّ تسليمُ الخلافة سمعَه
يُنادَى بها بين السّماطين من بُعد
وأىُّ امرىءٍ سامى بها قطُّ نفسَه
ففارقَها حتى يُغيَّب فى اللحد
وتَرجُمُ هذى النابتيّةُ أنه
امامٌ لها فيما يُجِنُّ وما يُبْدِى (١)
وقد جعلوا رُخصَ الطعام بعهده
زعيما له باليُمْنِ والكوكب السعْد
اذا ما رأوا يوما غلاءً رأيتهم
يحنّون تحنانا الى ذلك العهد
واقبل يومَ العيد يُوجِفُ حوله
وجيفُ الجياد،واصطكاكُ القنا الجُرْدِ(٢)
ورجّالةٌ يمشون فى البَيْض دونه
وقد تبعوه بالقضيب وبالبُرد (٣)
وقد رابنى من أهل بيتك اننى
رأيت لهم وجْداً به أيما وجْد
يقولون : لاتَبْعَدْ من ابنٍ مَلمَّة
صبورٍ عليها النفسِ،ذى مِرّةٍ جَلْد(٤)
فقدْنَاه ، فهانت نفسه ـ دون ملكنا ـ
عليه ، على الحال التى قل من يَفْدى
فما كان منا مَنْ أبى الضيمَ غيرُه
ولكن كَفَانَا فى القبول وفى الردّ
وجرّدَ ابراهيمُ للموت نفسه
وأبدى سلاحا فوق ذى مَيْعةٍ نَهْد (٥)
فأبلَى ، ومن يبلغ من الامر جَهْدَه
فليس بملموم ، وان كان لم يُجْدِ

ابراهيم ينجو بنفسه ويخلع الخلافة بعد أن قضى فيها عامين

ولكن المأمون لم يدعه يهنأ بخلافته ، بل أخذ يتصل بأنصاره من العباسيين وغيرهم : يعدهم ويوعدهم ، فاستطاع ـ بعد أن مات ولي عهده ميتة لا يزال الشك يحوطها الى اليوم ـ أن يستميل كثيرا منهم اليه ، وأن يحوّلهم الى متآمرين على ابراهيم فى مقر خلافته . فلما آنس ابراهيم منهم الشر ، ووجد انه لاقبل له بانصاره السابقين ، وبالمأمون ، وبجيوشه المحدقين ببغداد، نوى ـ دون أن يعلم احدا ـ على الفرار ، وانفذ نيته تلك ، بعد ان قضي فى الخلافة قرابة سنتين .

ودخلت جيوش المأمون بغداد ، ثم قدم عليها المأمون . ولكنهم لم يعثروا على اثر لابراهيم ، ولم يعرفوا له مقرا . وكانوا بين فينة وفينة تبلغ مسامعهم أخبار انه فى ذلك الحي أو فى ذاك من احياء بغداد ، بل بلغهم انه بالرقة ، ولكن هذه الاخبار جميعا لم تؤد الى اية نتيجة . وانقضى عام بعد عام حتى كان عام ٢١٠ عند أكثر المؤرخين، وعام ٢٠٧ أو ٢٠٨ أو ٢٠٩ عند أفراد منهم ، فالقى القبض عليه . والغموض الذى يلف العام الذى قبض عليه فيه يلف طريقة اعتقاله ايضا . فيقال انه برم بالاختفاء فظهر طواعية ، ويقال ان بعضهم عرفه فقبض عليه .

المأمون يلقى القبض على عمه ابراهيم

والقى المأمون عمه ابراهيم فى المعتقل ستة اشهر، دأب فيها الاخير على بعث الرسائل والاشعار مبديا الندم ، وراجيا العفو . واستعطف كثيرون المأمون على عمه ، فاخرجه من المعتقل وادخله عليه . فكلمه ابراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلم به معاوية بن أبى سفيان يستعطفه حين سخط عليه . وكان المأمون يحفظ ذلك الكلام فقال له : « هيهات يا ابراهيم ! هذا كلام سبقك به فحْلُ بنى العاص بن أمية وقارحُهم سعيدُ بن العاص ، وخاطب به معاوية » .

فقال له ابراهيم : « مه يا امير المؤمنين ! وانت ايضا ، ان عفوت فقد سبقك فحْلُ بني حرب وقارحُهم الى العفو . فلا تكن حالى عندك فى ذلك أبعد من حال سعيد عند معاوية . فانك اشرف منه ، وانا أشرف من سعيد ، وانا اقرب اليك من

---

(١) النابتية : الخارجون على الدولة .ويجن : يخفى .
(٢) أوجف : أسرع .
(٣) الرجالة : المشاة . البيض : الخوذات .والقضيب والبردة من رموز الخلافة .
(٤) المرة : القوة . والجلد : القوى الصبور
(٥) الميعة : النشاط . والنهد : الضخم ،يصف فرسا .

سعيد الى معاوية . وان أعظم الهُجْنة أن تسبق امية ً هاشماً الى مكْرمة » .

فقال المأمون : « صدقت ياعم . وقد عفوت عنك » .

ولكن ابراهيم بقي على خوفه من المأمون، وخاصة انه كان يعرف ان له أعداء يكيدون له بالقصر، فبالغ في طلب اللهو والسعي وراء الغناء ليطمئن المأمون ، وبقى هذا على تخوفه من ابراهيم ، واظهار الفتور والمجافاة له .

الدنيا تقبل على ابراهيم بعد تولى المعتصم

ولم تقبل الدنيا على ابراهيم ثانية الا بعد ان تولى المعتصم الخلافة ، فاظهر من اكرامه والبرّ به والاحتفاء بمقدمه الغاية . وكان المعتصم قائدا لأحد جيوش ابراهيم في اثناء خلافته وبقى ابراهيم على هذه الحال الى أن مات عند طلوع فجر يوم الاربعاء لخمس من رمضان سنة ٢٢٤هـ فشيعه المعتصم الى قبره وصلى عليه وكبّر خمسا . ثم انصرف بعد أن امر ابنه هارون الواثق أن يتولى امر دفنه نيابة عنه .

احتفال التاريخ بابراهيم مغنيا

واذا كان المؤرخون اهملوا ابراهيم بن المهدي خليفة ، ولم يعدوه مع العباسيين الذين تبوءوا ذلك المركز ، فان التاريخ احتفل به مغنيا احتفالا لم يمنحه لكثير من الخلفاء . فلا يرد على الخاطر اعلام الغناء العربي في العصر العباسي ، دون ان يكون بينهم ، ان لم يكن الثاني منهم .

ويقوم ذلك الاحتفال على أمور كلها تشيد بابراهيم ونشاطه الفني . فقد كان على ثقافة واسعة المدى بالغناء العربي ، قديمه وحديثه .

معرفة واسعة لابراهيم بالغناء العربي القديم

اما القديم فقد اخذه عن أستاذه اسماعيل بن جامع ، الذى اخذه عن يحيى المكي ،الذى كان من اقدم من ألف في الغناء العربي . وبلغ الى درجة جعلته قادرا على أن يعرف الالحان القديمة ، ومأخذَ الواحد منها من الآخر . روى أبو الفرج الاصبهاني الحوار التالي ، الذى جرى بين ابراهيم واسحاق المَوْصلي ، في بعض مجالسهما :

قال اسحاق : « غنى ابن سُرَيج ثمانية وستين صوتا » .

فقال ابراهيم : « ما تجاوز قط ثلاثة وستين » .

فقال اسحاق : « بلى !! »

ثم جعلا ينشدان الاصوات حتى بلغا ثلاثة وستين اتفقا عليها . ثم انشد اسحاق خمسة اصوات أيضا . فقال ابراهيم : « صدقت ، هذا من غنائه ، ولكن لحن هذا الصوت نقله من لحنه في الشعر الفلاني،ولحن الثاني من لحنه الفلاني »، حتى عد له الأصوات الخمسة .

واستطاع ايضا ان يقدّر كلَّ واحد من المغنين القدماء حق قدره ، ويضعه في منزلته اللائقة به ، ويميز بين نهج كل منهم . قيل ان ابراهيمواسحاق اجتمعا يوما ، فكان فيما استمعا اليه لحنٌ لابن سُرَيج . فقال اسحاق : « هذا صوت تَمَعْبَدَ فيه ابن سريج » . فرد عليه ابراهيم : « ما ظننت انك ـ يا أبا محمد ـ مع علمك وتقدمك ، تقول مثل هذا في ابن سريج ! فكيف يجوز ان تقول : تمعبد ابن سريج ، وانما مَعْبَدٌ اذا احسن قال : اصبحت سُرَيْجيا ؟ وقد اغنى الله ابن سريج عن هذا ، ورفع قدره عن مثله . واعيذك بالله ان تستشعر مثله في ابن سريج . »

فسكت اسحاق خجلا ، ثم قال معتذرا : « هي كلمة يقولها الناس لم أقلها اعتقادا لها فيه ، وانما تكلمت بها على العادة . »

ابراهيم يتتبع الغناء العربي الحديث تتبعا وثيقا

واما الغناء الحديث فكان يتتبعه تتبعا شديدا . فاذا ما رأى المغني بادره بسؤاله عن آخر ما أحدث . واذا ما اعجبه لحن لم يقنع الا ان يسمعه من صاحبه دون واسطة . واذا اخذ بقلبه واحد منها ، بذل النفيس في سبيل الحصول عليه وحفظه ، ولم يمتنع عن اتخاذ الحيلة مطيةً الى ذلك .

كل ذلك جعل منافسيه يعترفون له . قيل ان اسحاق الموصلي قال : « ليس فيمن يدعي العلم بالغناء مثل ابراهيم بن المهدي وابو دلف القاسم ابن عيسى العجلي » . فقيل له : « فأين محمد بن الحسن مصعب منهما ؟ » فأجاب : « لو قيل لك: ان محمد بن الحسن يبصر الغناء ، لكان ينبغي لك أن تقول : وكيف يبصر الغناء من نشأ بخراسان، لا يسمع من الغناء العربي الا ما يفهمه ؟ » .

ويؤيد ذلك القول فعل اتاه اسحاق ، وآخر

أتاه ابراهيم ، فان اسحاق عندما فرغ من تاليف كتابه فى النغم واللحون ، عرضه على ابراهيم ، فاستحسنه وهنأه ، ودون ابراهيم بن المهدى معلوماته هذه فى كتاب له خاص بالغناء .

ابراهيم لا يتعصب لقديم فى الالحان أو حديث

وكان ابراهيم حر الرأى ، لا يتعصب لقديم أو حديث فى تذوقه الموسيقى ، بل كان ينظر الى اللحن فى ذاته . روى انه جمع جماعة من المغنين فى بيته ، وطلب اليهم الغناء . فكان ممن غنى منصور الخرشى . فطرب القوم وسألوه عن الحانه ، وممن اخذها . فنسب بعضها لمعبد ، وبعضها لابن سريج ، وغيرهما من المتقدمين . ولكن أحدا من الجالسين لم يعرف هذه الالحان لمن نسبها لهم . وأخيرا تدخل ابراهيم فى الحديث ، وسأل الرجل مباشرة : « يا فتى ، أصدقنا عن الاغانى ، لمن هى ؟ »

فأجاب : « هى لى ، أيها الأمير ، وأنا أصنعها »

فالتفت اليه مخارق" وعَلُّوية وقالا له : « كنت احسن الناس غناء حتى نسبتها الى نفسك » .

فقال ابراهيم لهما : «ليس كما تقولون. والله ، لئن كان هذا قديما حفظه ونسيناه ، انه لأعلم منا . وان كان صنعة له ، فقد استغنى ان يضعها على غيره » .

وقد جعلته تلك الحرية يتبع المدرسة الابداعية التى كان على رأسها فى وقته اسماعيل بن جامع ، وكانت تناوىء المدرسة التقليدية التى يرأسها ابراهيم واسحاق الموصليان . وكان بين افراد المدرستين مناظرات ومجادلات ، ومراسلة ومكاتبة ، ومشافهة ، حضرها الناس ، فلم يكن فيهم من يفى بفصل ما بينهما ، والحكم لأحدهما على صاحبه .

الخصومة بين المدرستين ، التقليدية والابداعية

وتجلت الخصومة بين المدرستين فى عدة جوانب. فقد اختلفا فى نسب الاغانى . فكان اعضاء المدرسة الابداعية « يسمون الثقيل الاول وخفيفه : الثقيل الثانى وخفيفه ، ويسمون الثقيل الثانى وخفيفه : الثقيل الاول وخفيفه » .

وتمسك التقليديون بتسمياتهم ، لان الثقيل الاول ـ قالوا ـ يجىء منه قدران : التام والاوسط، والثقيل الثانى لا يجىء هذا فيه ولا يقاربه ، والثقيل الأول يمكن الادراج فى ضربه لثقله ، أما الثقيل الثانى فلا يندرج لنقصه عن ذلك .

وقد استقصى أبو الفرج الاصبهانى ما كان بين المدرستين من خلاف ، ومناظرات ، وعلل ، وردود، فى كتاب خاص بالنغم ، ضاع ولم نعثر عليه بعد . ولكنه فى كتابه « الاغانى » سار على نهج المدرسة التقليدية .

واختلفوا فى طرائق الغناء ايضا . فقد كانت المدرسة الابداعية تحترم المغنين القدماء ، ولكنها لا تؤلههم ، وترى ان لها حق الخروج عن نطاقهم . واستغل التقليديون ذلك فاكثروا من احراجهم فى المجالس العامة . رُوى أن اسحاق سأل ابراهيم فى احد مجالس المعتصم فيمن يزعم ان ابن سُرَيْج وابن محرز وغيرهما من القدماء لم يكونوا يحسنون تمام الصنعة ولا استيفاء الغناء ، وانه أقدر على الصنعة منهم . فقال ابراهيم : « ان مدعيا كهذا لا بد ان يكون جاهلا أحمق » . فبادر اسحاق الى القول : « انك تزعم انه بقيت عليهم أشياء لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبهت عليها أنت وتممتها وحسنتها بصوتك » . فاضحك الجالسين منه .

ووُصف الابداعيون بانهم كانوا يحركون الغناء بالاكثار من نغمه والتخفف من بعض اثقاله . قال عَلُّوية لاسحاق : « ان ابراهيم يعيبك بتركك تحريك الغناء » .

فقال اسحاق : « ان ابراهيم يزعم ان حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكه عنده أن يكون كثير النغم . وليس يفعل ذلك . انما يسقط عمله لعجزه عنه ... فاذا فعل ذلك ... فهو حينئذ يسمى المحذوف واشبه منه بأن يسمى المحرك » .

وكان غناء الابداعيين ـ فيما يبدو ـ يتسم بالرقة واللطف . قال عَلُّوية لاسحاق : ان ابراهيم يسمى غناءك : المستك المدادى . فغضب اسحاق وقال : « هذا من لغات الحاكة (١)، لأنهم يسمون الثوب الجافى الكثير العرض والطول المدادى . وعلى هذا القياس ، فينبغى لنا ان

---

(١) جمع حائك وهو ناسج الثياب .

نسمى غناءه المحرّك الضرابي ـ وهو الخفيف السخيف من الثياب في لغة الحاكة ـ حتى تدخل الغناء في جملة الحياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ».

وتبع المدرسة الابداعية بنو حمدون بن اسماعيل، ومخارق «وشارية» وريق» جاريتا ابراهيم ، وعمرو ابن بانة ، ومحمد بن الحارث بن بسْخنّر ، وعبد الله بن دحمان الاشقر . وتبع المدرسة التقليدية عريب ، والقاسم بن زرزور ، وبذل الكبرى ، وجوارى البرامكة ويحيى بن معاذ ، وغيرهم .

شهرة ابراهيم قامت على اداء الالحان

ولم تقم شهرة ابراهيم على ثقافته الموسيقية والمدرسة التى انتمى اليها ، وأوحت اليه بما كتب من الحان ، بل قامت على ادائه هذه الالحان ايضا . فقد كان ذا صوت رائع ، يتميز بعدة صفات جعلته صوتا فريدا ، واكتسبت له ما اكتسبت من شهرة .

فقد تميز صوته بجمال بارز ، لا تخطئه اى اذن ولو كانت اذنا غير عربية . قيل انه كان يعلم شارية احد الالحان ، فردده أمامها . وكان له جارية رومية لا تفصح ، منشغلة بشئون البيت فما ان سمعته يغنى حتى اخذت فى البكاء . ولم تكف حتى سكت ابراهيم . بل بلغ الامر الى ان قال احدهم : كنت أسمع ابراهيم بن المهدى يتنحنح فاطرب .

وتميز صوته بقوة نادرة ، جعلت الناس يبالغون فى شأنه مبالغات غير معقولة . قيل : انه كان يخاطب ابنه ، وهو على أحد شاطئى دجلة، وابنه على الشاطىء الآخر ، دون ان يجهد نفسه برفع صوته جدا . وقيل انه عندما غنى لحنه :

هل تطمسون من السماء نجومها
بأكفكم أو تسترون هلالها

تزلزلت الارض من ترجيع صوته .

وتميز ايضا بقدرة فذة ، يسرت عليه اداء الطبقات المختلفة . روى عنه انه كان يغنى على اربع طبقات : الطبقة التى عليها العود ، وعلى ضعفها ، وعلى اسجاحها وعلى اسجاح الاسجاح . وعلق احدهم على هذه الرواية قائلا : « هذا شيء ما حكى لنا عن أحد غير ابراهيم . وقد تعاطاه بعض الحذاق بهذا الشان فوجده صعبا متعذرا ، لا يبلغ الا بالصوت القوى .. »

وكان ابراهيم ـ اضافة الى هذا ـ يحسن العزف على العود . ويبدو انه لم يعزف على غيره ، فقد اعلن انه لم يستعمل المزمار ولن يستعمله أبدا . ولكنه ـ بالرغم من ذلك ـ كان على معرفة واسعة بالزمار والطبل ، وخصائص استعمالهما .

كان ابراهيم ينظم الشعر

وكان ابراهيم فصيحا ، قادرا على نظم الشعر ، الذى لحن بعضه وغناه .

مثال ذلك قوله :

يا غزالا لى اليه
شافع من مقلتيه
والذى أجللت خده
به فقبلت يديه
بأبى وجهك ما
اكثر حسادى عليه
أنا ضيف ، وجزاء الـ
ضيف احسان اليه

واحتذى ، فى بعضه ، المشهورين من الشعراء ، مثل قوله الذى نظر فيه الى ابيات جرير المشهورة :

لولا الحياء وانني مشهور
والعيب يعلق بالكبير كبير
لحللت منزلها الذى تحتله
ولكان منزلنا هو المهجور

كل هذا جعل لغناء ابراهيم طابعا خاصا ، يستولى على القلوب والعقول ، فيتلاعب بها كيف شاء . قيل ان احد كتاب طاهر بن الحسين كان فى مجلس للمامون فغنى ابراهيم . فطرب الرجل ، وفقد صوابه ، فاخذ طرف ثوب ابراهيم فقبله . فنظر اليه المامون منكرا عمله . فتنبه الرجل وقال : « ما تنظر ؟ أقبله ـ والله ـ ولو قتلت». فتبسم المامون وقال : « أبيتَ الا ظرفا » .

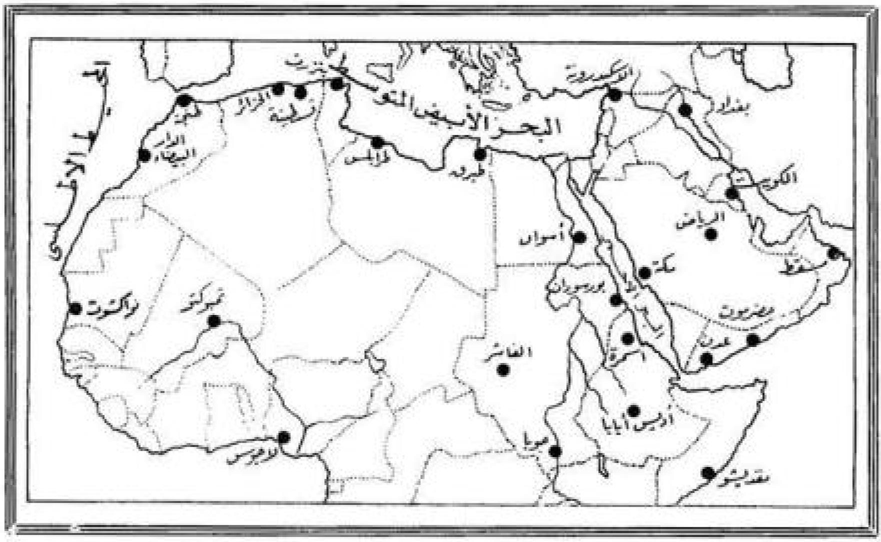
وكل هذا جعل المغنين يقدرون رايه ، ويحكمونه فى الحانهم ، ويفرحون اذا نالوا استحسانه بل قيل ان مُخارقا سجد عندما قال له ابراهيم ذات مرة : « احسنت وحياتى ما شئت » .

وآخر ما يقال فيه ما قاله ابراهيم المَوْصلى : « لو طلب هذا ـ بهذا الغناء ـ ما نطلب ، لما أكلنا خبزا أبدا » . ■■

حسين نصار

نتيجة مسابقة العدد ٨٦

أسماء المدن المطلوبة .. والفائزون بالجوائز



■ الحل الصحيح لمسابقة العدد السادس والثمانين هو الذى يراه القارىء في الخريطة المنشورة فوق هذا الكلام وهى الخريطة موضوع المسابقة مبينة عليها اسماء المدن المطلوب معرفة اسمائها .

وقد لاحظنا ان ما يزيد على ٥٠٪ من مجموع المتسابقين عرفوا اسماء اكثر من ٢٠ مدينة ، بينما اكتفى الباقون بكتابة اسماء خمس عشرة مدينة فقط ، وهو الحد الادنى الذى عينته المسابقة .

وباجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة كانت النتيجة كالآتي :

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : **السيد / احمد محمد مصطفى السمنودى** بالمحكمة الابتدائية ، سوهاج ، ج ٠ ع ٠ م

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : **السيد / محمد أخرس** ـ مكتب هندسة الجامعة ـ حلب ـ ج ٠ ع ٠ س ٠

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **السيد / محمد عيسى الوزان** ـ الطالب السعودى بكلية الطب ـ مونبلييه ـ فرنسا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من السادة :

١ ـ يونس سيد مصطفى الفخرى : ثانوية الصناعة ـ الموصل الجمهورية العراقية .

٢ ـ زيد صقر الحميدى المطوى : ثانوية الشويخ ـ الكويت .

٣ ـ يوسف حسن صلاح ـ طالب اردنى : لندن .

٤ ـ محمد علي بشارة : المعهد الفنى التربوى ـ الدكوانة ـ الجمهورية اللبنانية .

٥ ـ موسى الشريف محمد أحمد : معهد شمبات الزراعى ـ الخرطوم ـ جمهورية السودان

٦ ـ آسيا محمد عبد الغنى : المحرق ـ البحرين .

٧ ـ محمد احمد الكيلانى الصاوى : مصراته ـ المملكة الليبية

٨ ـ سالم علي ناجى العمرى : تعز ـ الجمهورية العربية اليمنية

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■■



صورة للحياة فى الأهوار .. أكواخ من القصب يسمونها صرائف .. و« مشاحيف » أو زوارق السباية

اعرف وطنك أيها العربي

الأهوار

قام بالاستطلاع
سليم زبال

وصوره
أوسكار متري



.. كل هذا فوق أرض تغطيها المياه.. ان هذه الصورة تمثل قرية الصحين التي تحيط بها المياه من كل جانب.

« في هذه البقعة المباركة ، حيث يلتقي دجلة بالفرات ، نبتت شجرة آدم المقدسة ، كأثر لجنة عدن على الارض . وقد شرفها ابراهيم الخليل بالصلاة سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ... » .

هذا ما تقوله لافتة رسمية معلقة بجوار شجرة قديمة ، لم يبق منها سوى جذع جاف ، يقولون انه بقايا شجرة الخير والشر ..

وقد عمد اهل القرنة ـ وهي المدينة الصغيرة المشتق اسمها من اقتران دجلة والفرات عندها قديما ـ الى غرس شجرة أخرى مكان الشجرة القديمة ، ارضاء للسائحين الذين يأتون عن طريق البصرة ويلحون في طلب رؤية شجرة سيدنا آدم الباقية من جنة عدن ! !

ومن الغريب حقا ان الاهالي الذين زرعوا هذه الشجرة استجابة لمطلب السائح ، اصبحوا هم انفسهم يشدون الخرق لتحقيق النذور على سياجها ، ويلطخون بالحناء حوائطها تبركا !

اول بعثة صحفية

وحول مدينة القرنة ، التي تقوم فيها شجرة آدم المزعومة ، تمتد منطقة من اغرب مناطق

وطننا العربي .. منطقة مجهولة تماما لم تطأها سوى اقدام قليلة غريبة ...

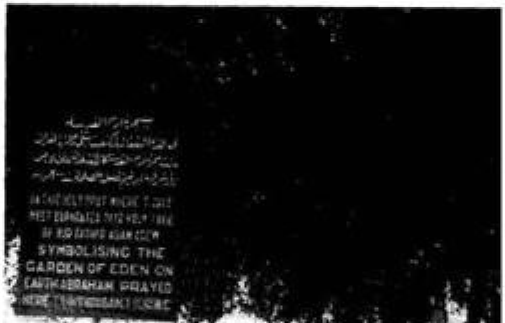
انها منطقة « الاهوار » ، او منطقة المستنقعات القائمة الدائمة في جنوب العراق ..

والى هذه الاهوار طارت بعثة « العربي » ، فكانت اول بعثة صحفية تدخل المنطقة ، لتنقل لك قصة أعجب مكان في وطننا العربي ..

انك اذا بحثت عن موقع هذه المستنقعات على الخرائط ، فسوف تراها في اماكن مختلفة تختلف باختلاف الخريطة !.. وهذا الاختلاف يدل دلالة واضحة على مدى العناصر الطبيعية المتغيرة في تلك البقعة ، تلك التي تزيد مساحتها عن ضعف مساحة لبنان .

جلجامش .. والتوراة

ان منطقة الاهوار هذه كادت تنسى معنى الجفاف، لانها تعيش في فيضانات دائمة ، منذ ما عرف التاريخ المكتوب .



« شجرة آدم المقدسة » : تقع في مدينة القرنة ويقصد السائحون لزيارتها .. ومن مشاريع لواء البصرة مد كورنيش في هذه المنطقة ، مع ابراز اهمية هذه الشجرة ..

وعلى الواح اثرية من الطين ، محفوظة الى اليوم في المتحف البريطاني بلندن ، تعود الى العهد السومري ، اي قبل الميلاد بالفي عام ، وُجِدت كتابات ، يطلق عليها اسم قصة جلجامش ، تروي تفاصيل فيضان هائل حدث في المنطقة الجنوبية من العراق .. وهي قصة تطابق تماما قصة نوح والطوفان التي وصفت في التوراة ...

والمعروف ان « التوراة » كتبت منذ ١٢٠٠ عام قبل الميلاد فقط ، وهذا ما حدا ببعض المؤرخين الى الاعتقاد بان قصة التوراة ماخوذة بحذافيرها من قصة جلجامش السومرية .

وسعيا وراء الحقيقة ، ارتاد هذه المنطقة عشرات من الجيولوجيين والمشتغلين بالآثار ، ينقبون في طبقات الارض للكشف عن آثار قصة الطوفان .

نهران مختلفان

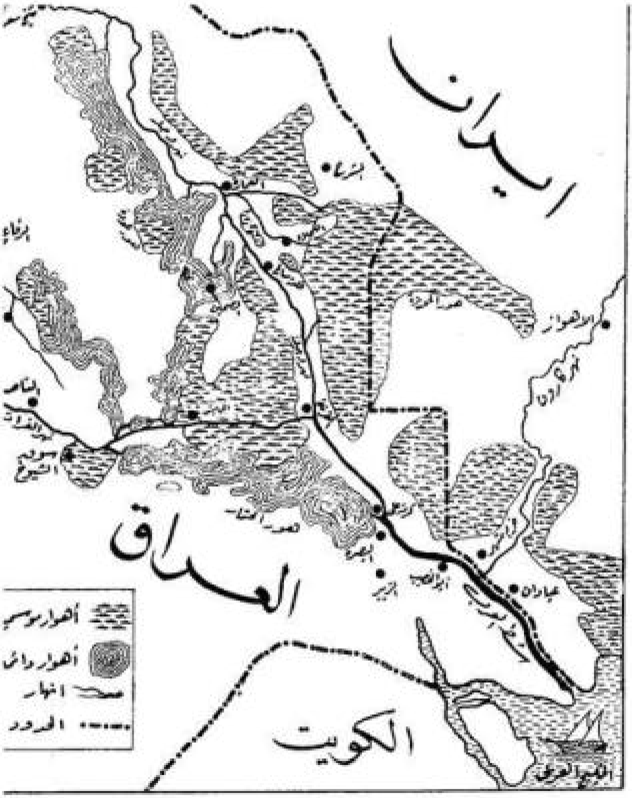
ولن نطيل في سرد التاريخ ، لاننا على موعد لركوب طائرة « جمعية الطيران العراقية » التي ستقلنا في جولة فوق رافِدَي العراق العظيمين ، دِجْلة والفرات .

انهما نهران مختلفان كل الاختلاف ، وما يحدث لاحدهما لا يتحتم حدوثه للآخر ، فمرة يأتي فيضان دجلة عاليا ، بينما يكون فيضان الفرات شحيحا واطئا ..! ويختلفان حتى في الطول فدجلة لا يتعدى طوله ١٧١٨ كيلومترا ، منها ١٤١٨ كيلومترا تسير في اراضي العراق والباقي في تركيا ... بينما يصل طول الفرات الى ٢٢٣٠ كيلومترا ، منها ١٢٠٠ تسير في ارض العراق و ٦٧٥ في سوريا و ٤٥٥ كيلومترا في تركيا ...

النهر الجريح

ولنترك الآن المعلومات الجغرافية جانبا لننظر من الطائرة التي وصلت بنا الى منطقة مدينة العمارة حيث ينساب نهر دجلة هادئا من تحتنا .

انها اخطر المناطق التي يمر بها هذا النهر الكبير ، لانحراف مجراه بغتة ناحية الشرق .. لقد كنا نتخيل دجلة دائما كنهر ذي مجرى واحد، هكذا كانت ترسمه لنا الخرائط .. الا اننا في هذه المنطقة وجدناه يفقد وحدته ، اذ يخرج من جنبه الايمن خط عريض من الماء يعرف « بالمستنشق » ... ولكن النهر الكبير لا يأبه لما اصابه ، بل يتابع رحلته صوب الجنوب وكأن شيئا لم يكن



خريطة تقريبية تمثل الاهوار ومناطقها .. لان الخرائط الرسمية لا وجود لها وان وجدت فان صاحبها يعتبرها من الاسرار التى يجب المحافظة عليها .. ان اهل العراق انفسهم يجهلون كل شيء عن الاهوار ويعتبرونها منطقة ممتازة لصيد الطيور والاسماك فقط .. ولكنهم فى نفس الوقت شديدو الحساسية لكل ما يكتب عنها . وفى مطار البصرة صادروا منا كتابا كنا نحمله عن المنطقة لانها فى نظرهم منطقة مغلقة لم يحن الوقت للكتابة عنها ! وتنقسم الاهوار الى ثلاث مجموعات : الاهوار الشرقية ، والاهوار الوسطى ، والاهوار الجنوبية .. ان مساحتها متغيرة لكنهم يقدرونها بعشرين الف كيلو متر مربع .. يعيش عليها نحو نصف مليون نسمة ..

... وما يكاد يجرى بضعة كيلومترات حتى يصاب بكسر آخر جسيم فى جنبه الأيمن ايضا ، يفقد فيه اكثر من نصف مياهه ، ويسمى مجرى هذا النهر الجديد نهر البتيرة ..

وتتوالى المتاعب على النهر الكبير فى رحلته ، فلا يكاد يصل الى مدينة العمارة حتى يخرج من جنبه الأيسر فرعان كبيران هما نهرا المِشَرَّح والكحلاء .. ويخال النهر الجريح انها نهاية الامه ، ولكنه ما يكاد يسير ٢٥ كيلومترا اخرى حتى يعود فينزف مياهاً غزيرة من جنبه الأيمن ، من جراء جرحين جديدين اصاباه هما نهر المِجَرّ الكبير ونهر المِجَرّ الصغير .

بعد ذلك تندفع البقية الباقية من مياه دجلة شحيحة قليلة ، لولا معونة غير منتظرة تجيئه من جنبه الأيسر .. انها مياهه التي كان فقدها فى المِشَرَّح والكحلاء تعود اليه مرة ثانية عند « الكِسَارة » بعد ان قطع ١٠٠ كيلومتر تقريبا بدونها ...

ويلتقط دجلة انفاسه ثانية ويسير متهاديا حتى يصل الى القرنة ، وعندها تعود اليه كمية كبيرة من مياهه التى كان فقدها من جنبه الأيمن خلال رحلته الطويلة ...

وقبل مدينة البصرة بـ ٢٥ كيلومترا ، تنضم الى هذا المجرى مياه الفرات ، التي انتقل لقاؤها التقليدى مع مياه دجلة من منطقة القرنة الى منطقة كَرْمة على ...

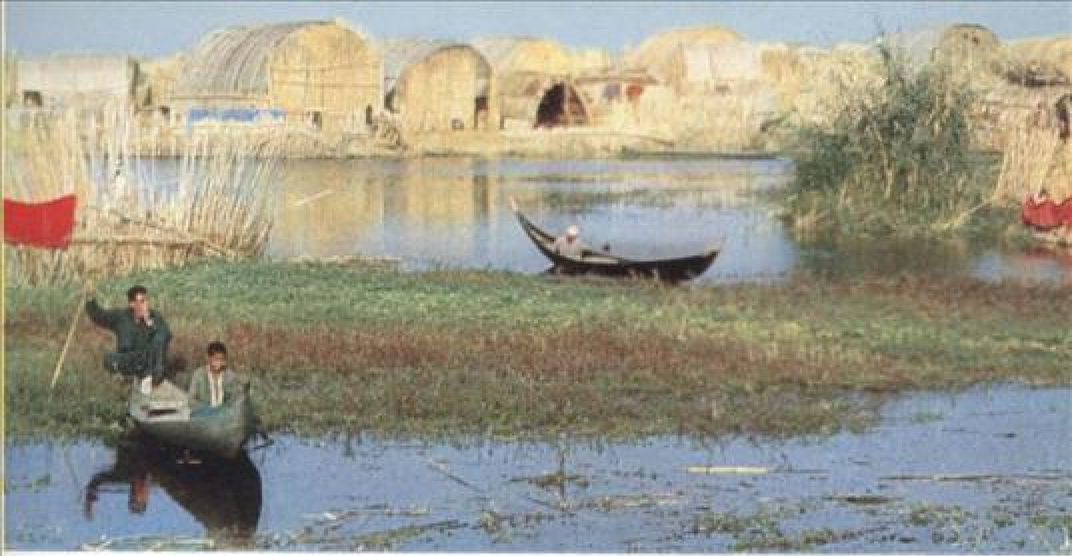
ويسمى المجرى الذى يجمع بين مكان النهرين بشط العرب .

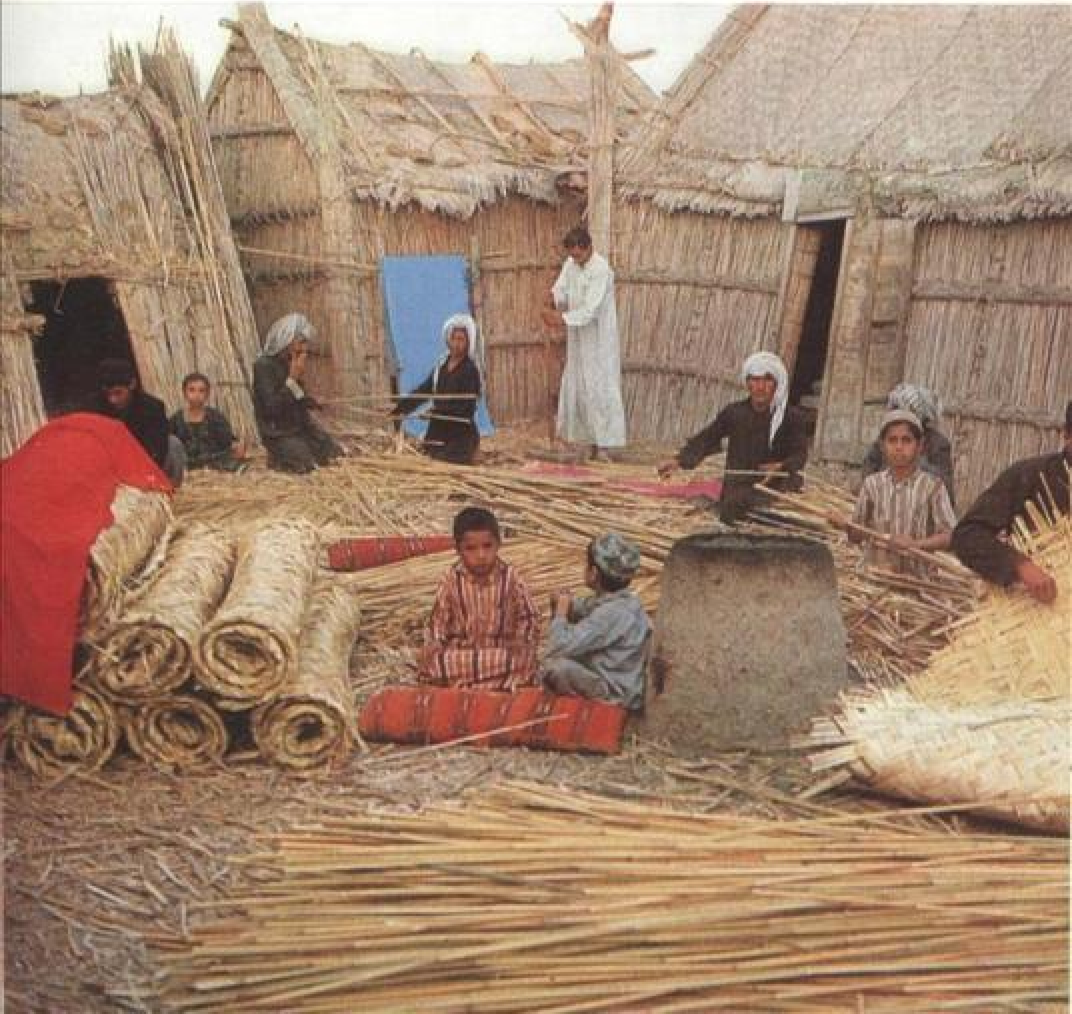
ويشتد الحماس بالمياه المتجمعة ، وفى فورة حماسها هذا تندفع بحركة هستيرية محمومة صوب الجنوب ، لتصطدم بمياه الخليج العربي المالحة التي تقضي عليها قضاء مبرما !!

منشأ الأهوار

وهنا ترتفع علامة استفهام لتقول : وما دخل جروح دجلة بموضوعنا عن الأهوار ؟

والواقع ان هذه الجروح هى سبب الاهوار ... لان المياه المتدفقة منها ، ومقدارها عشرة مليارات من الأمتار المكعبة سنويا ، يضاف اليها









في وسط الأهوار تقبع قرية الصحين .. انها قرية لايعرف أهلها معنى الطرق لأنهم يعيشون وسط المياه .. أما وسيلة النقل الوحيدة فهي قارب المشحوف ..

الى اليمين : تشتهر قرية الجبايش بصناعة البواري (الحصر) ويشترك أفراد العائلة جميعا في عمليات صناعة الحصر التي تبدأ بتقشير القصب ، وقص كل بوصة الى قسمين ، ثم يدق البوص قبل حياكته ..



الى اليسار : توضع « البواري » بعد الانتهاء من صنعها فوق « البلم » ، الذي ينقلها في رحلة نهرية الى البصرة او الى داخل الأهوار .

الى اليسار : يعمد أهل الأهوار الى اشعال النار في القصب القديم الجاف لاحراقه والتخلص منه حتى ينمو مكانه قصب أخضر جديد يصلح كعلف للجاموس .

مياه فيضان نهر الفرات ـ تضيق بها مجاريها فتفيض عنها وتغطي ما يقارب ٢٠ الف كيلومتر مربع من الاراضي الواطئة التي يعلوها الماء بارتفاع متر في المتوسط ، مع وجود اعماق اكثر غورا . فهذه هي الاهوار .

عزلة ...

ولقد عرف العرب الأوائل هذه المنطقة باسم « البطائح » لأن المياه تبطحت فيها ، اي سالت واتسعت في الأرض .

وفي داخل هذه البطائح ظهرت حياة غريبة عجيبة تختلف كل الاختلاف عن حياة اهل اليابسة .. حياة تحصن اهلها على مر العصور بالماء ونبات البردي والقصب العالي ، وخرجوا عن طاعة السلاطين والملوك والرؤساء ، وعاشوا في عزلة عيشة بدائية مغلقة مجهولة ...

خلع الضروس بالشاكوش !

واليوم ظهرت في العراق محاولة جدية للخروج بهذه الأهوار من عزلتها وصمتها .. فبدات عمليات الاصلاح تدخل بهدوء من الأطراف الى الأهوار التي تنساح عبر ثلاثة من الوية العراق : البصرة ، والناصرية ، والعمارة .

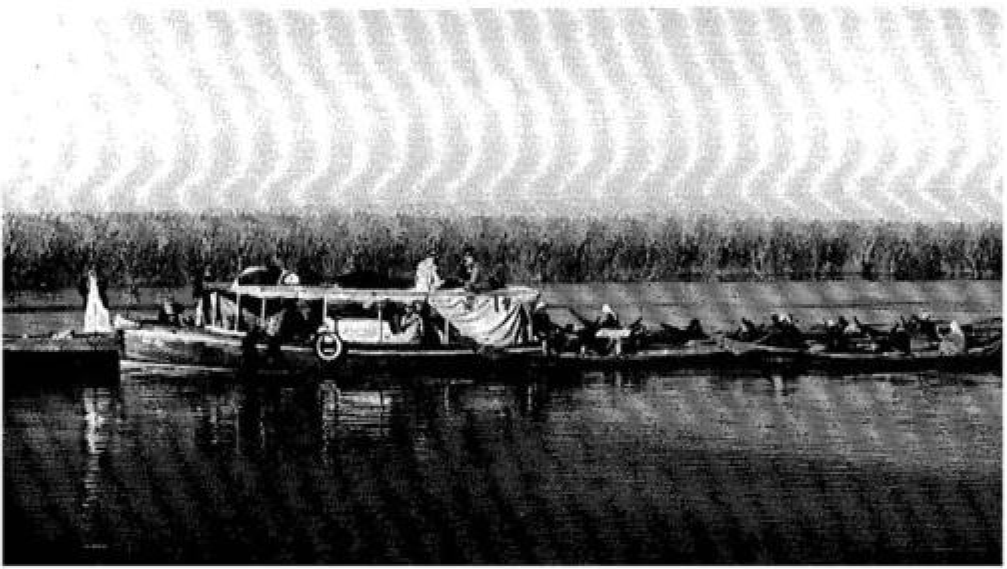
فمن مدينة الناصرية ، بدات اولى هذه الأعمال، بمد طريق طوله ٧٠ كيلومترا فوق المياه يربط بين الناصرية وقرية الجبايش في قلب الأهوار ...

ومن مدينة العمارة مدوا عدة طرق شرقا وغربا فوق المياه ، اوصلت المدينة بعشرات القرى ..

ومن القرنة شقوا اول طريق مستهدفين الجبايش، ليربطوا الناصرية بالبصرة عبر الأهوار .

ان شق الطرق في هذه المناطق كان معجزة في نظر اهل العراق فما من أحد ظن ان في الامكان مدّ شرايين جديدة تدخل الى الأهوار فتكشف عن قرى ومناطق لم يسبق لأحد ان سمع باسمها ، او عرف مكانها .

في موسم الفيضان ترتفع المياه وتصبح الطرق النهرية جميعها صالحة للانتقال النهري .. ويعمد اصحاب اللنشات البخارية السريعة الى ربط مجموعة من المشاحيف بقاربهم ليسحبوها في الرحلات الطويلة .. ومما يذكر ان جثث الموتى من اهل الاهوار تنقل الى النجف الاشرف بهذه الطريقة لدفنها هناك ، لأن ارض الاهوار كلها ماء !





صورة رائعة من الجو لمنطقة القرنة .. وعند هذه النقطة كانت مياه نهر دجلة تقترن بمياه نهر الفرات .. ولكن الشقوق والجروح التى حدثت فى الجانب الايمن من دجله جعلت المياه المتسربة تأخذ مكان مجرى الفرات القديم لتلتقى ثانية عند منطقة القرنة .. اما مياه الفرات فقد اتجهت جنوبا واصبحت تلتقى بمياه دجلة عند قرية « كرمة على » (راجع الخريطة)

قرى تعيش فى ظل ارث ثقيل من العادات والتقاليد ...

قرى كانوا يخلعون فيها الاسنان والضروس بالكماشة والشاكوش .. !

قرى ما زال اهلها يصيدون السمكة بعد السمكة بالفالة البابلية القديمة ، لأن الصيد بالشباك عند اهلها حرام !

قرى يأنف اهلها من الزراعة لأنها مهنة حقيرة ، ومن يزرع غير الأرز ، فهو ليس منهم ، لا يستضيفونه ولا يقدمون له القهوة ولا يزوجونه بناتهم ..

قرى يقدم القاتل ثلاثا من قريباته يتزوج بهن اقارب المقتول على سبيل الفداء .

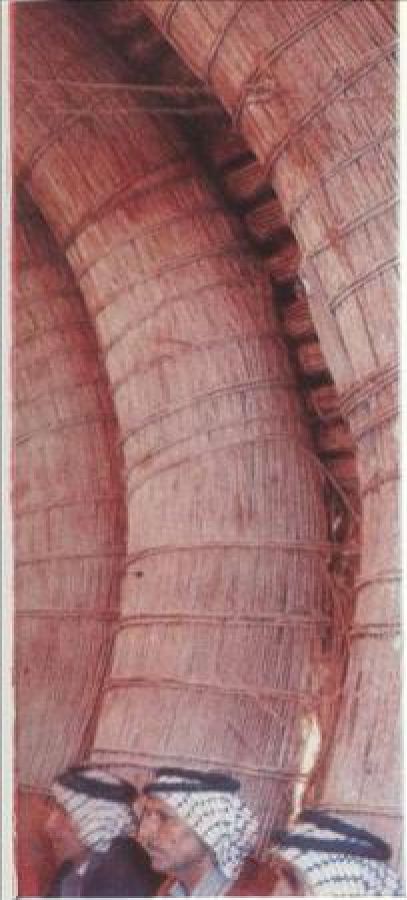
قرى طرد اهلها يهوديا ، لأنه جاء معه بكمية من الشاي ، فاعتبروه مسكرا ..

قرى تظل نساؤها تلطم وجوهها ٧ ايام متوالية عند وفاة احد رجالها ..

قرى يتزوج رجالها اكثر من اربعة نساء مرة واحدة ..

قرى سكانها مصابون بفقر الدم والبلهارسيا..

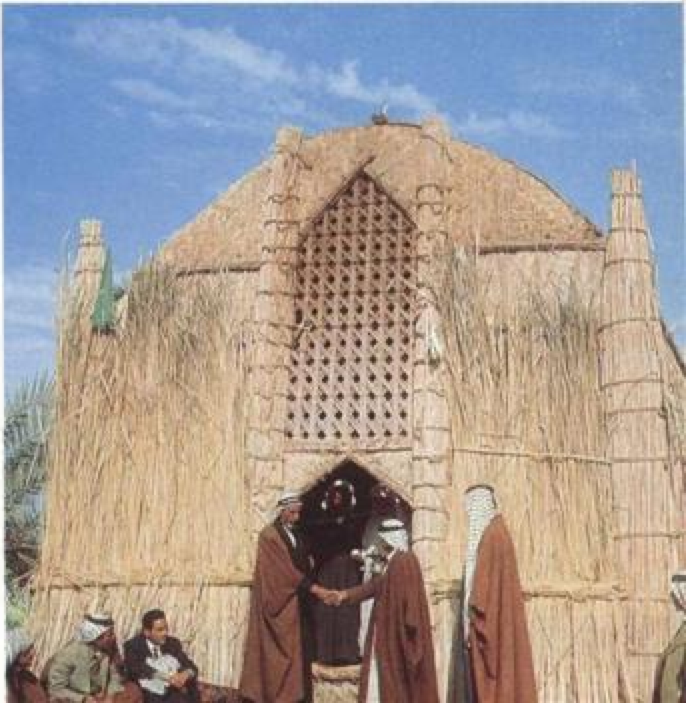
قرى لم يسمع اهلها بأن الصواريخ طارت الى القمر ...

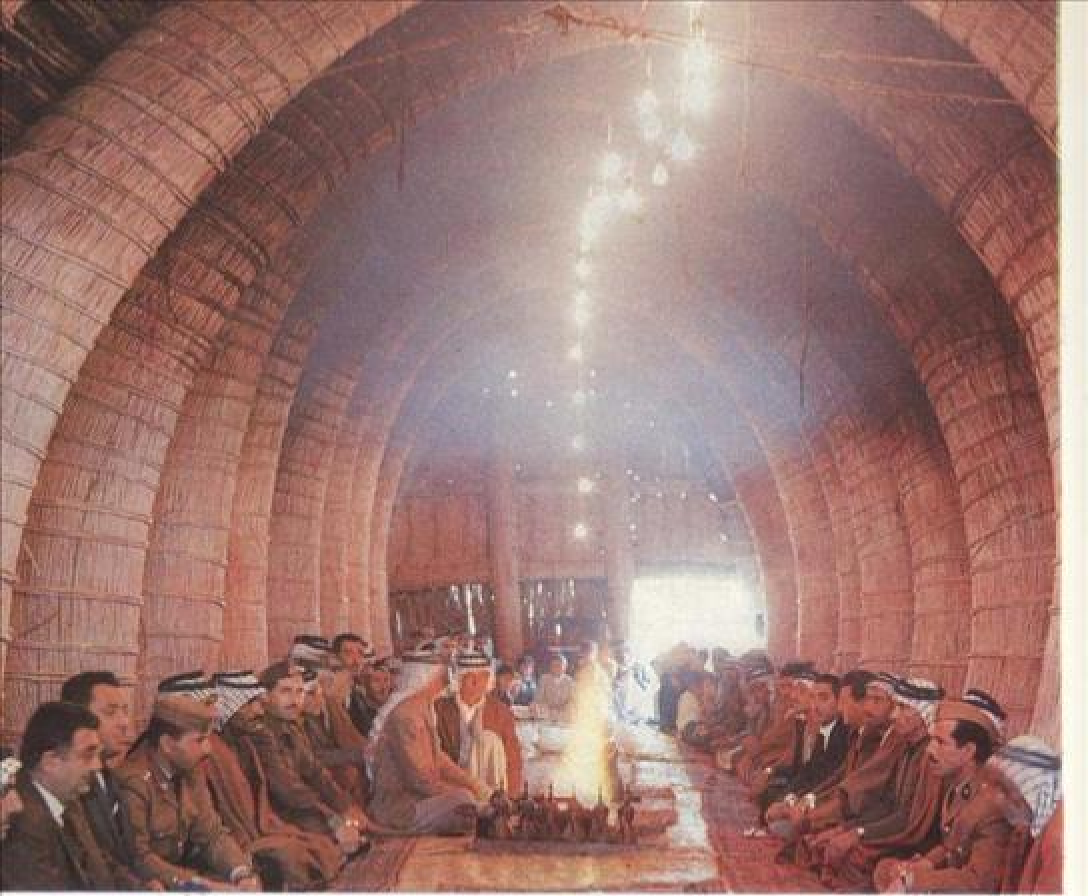




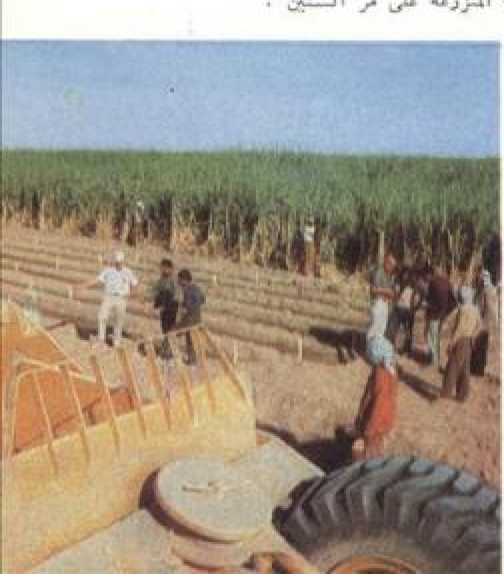
ما زالت النار هى وسيلة الاضاءة فى عدد كبير من قرى الاهوار ، وحول اللهب المشتعل فى روث البهائم توضع « دلات » القهوة ويجلس الناس يتحدثون ويتطلعون الى بعضهم كما ترى فى الصورة العليا التى التقطناها داخل « مضيف » الحاج سويلم المشمل بقرية ام الشويج **والى اسفل** منظر خارجى لمضيف الحاج عطية رئيس عشيرة المشمل .. وفى مثل هذا المضيف يمكنك أن تقيم لمدة ثلاثة أيام دون أن يسالك أحد حتى عن اسمك .. لان اكرام الضيف واجب حتى ولو كان كافرا !

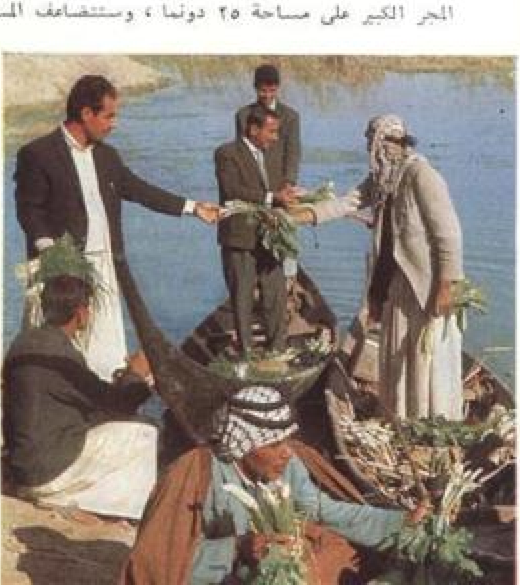
مضيف الشيخ طارق آل خيون شيخ مشايخ بنى أسد .. والمضيف هو كوخ ضخم كبير مقام على أقواس من حزم القصب قطر الواحدة منها نصف متر تقريبا . ان الذى يملك مضيفا شخص يتمتع بمركز اجتماعى كبير ، فهنا يجلس الشيخ مع رجال عشيرته يشربون القهوة .. وكان المضيف فى السابق يضاء باشعال النفط والقصب ، اما اليوم ، فاصبح يضاء بخمسين مصباحا كهربائيا ..ويستعمل المضيف لنوم « الخطار » اى الضيوف ، وكذلك فى الافراح والاحزان ومآدب الغداء .





الى أسفل : بالرغم من توفر الأرض الزراعية بعد هبوط مياه الفيضان الا أنها لا تزرع ، لأن زراعة الخضراوات فى عرفهم زراعة حقيرة لا يزاولها الا الحساوية ، الذين يأتون كل صباح على مشاحيفهم المحملة بالخضراوات لبيعها الى أهل المدن . أما الزراعة على نطاق واسع فبدأت بزرع قصب السكر فى منطقة المجر الكبير على مساحة ٢٥ دونما ، وستتضاعف المساحة المزروعة على مر السنين .





قرى لا يعرف اهلهـــا من هـو رئيس وزراء بلادهـم ..

قرى معزولة كل العزل فكأنما تعيش في دنيـا غير هذه الدنيا ..

نباتات عملاقة

وكانت جولة طويلة تلك التي قمنا بها وسط العديد من هذه القرى ، ركبنا خلالها السيارات على الطرق الجديدة ، وتربعنا داخل « الطرادة » تنساب بنا على صفحة الماء عبر طرق مائية تحف بها نباتات هائلة ، فالبردي يصل طوله الى ٨ اقدام ، والبوص يرتفع الى ٢٠ قدما ، وذلـك لنسجل صورة حية لهذه المنطقة المجهولة التي تنعم بشتاء دافيء وصيف قائظ ...

تأتي من روسيا لتموت في الاهوار

وعند الفجر تبدأ الوف الطيور الهاربة مـن برد سيبيريا وآسيا الى دفء الاهوار ، تنشـر اجنحتها وتطير على مستوى الماء بحثا عن سمك او طعام ، ولكنها كثيرا ما تقع في شباك الصائـد الماكر الذي يطهو الأرز ويقدمه لها دون شباك لمدة اسبوع ، وعندما تأمن له ، يضع شباكـه المصنوعة من البوص والبردي ليختلط امرها على الطيور .. وما يكاد الطير يأتي ليأكل كالمعتاد ، حتى يسقط في الشباك فيمسكه الصياد ، ويقف مواجها للقبلة ، ثم يُسمّي عليه بقوله : « باسم الله .. الله اكبر .. صبّرك الله على ما بَلاك » ثم يذبحه ... واذا حدث واكتشف الصياد ، ان وقوفه لم يكن مواجها للقبلة ، فانه يلقي بالذبيحة ولا يقربها ! ...

وعندما تتجمع لديه كمية من الطيور المذبوحة ، تحملها زوجته وتركب « المشحوف » (نوع مـن القوارب) وتتجه الى سوق القرنه او اية مدينة اخرى مجاورة ، وتجلس مع البائعين والبائعات تبيع زوج البط من نوع الخُضَيْرى بـ ٤٠٠ فلس ، ودجاج المـاى بـ ١٣٠ فلسا ، والحرّ (نوع من الطيور) بـ ٢٠٠ فلس ..

الجاموس والخنازير

وما أن ترتفع الشمس قليلا الى كبد السماء حتى تهز رؤوس سوداء قرونها الرفيعة ، وتفتح عيونها الكبيرة بكسل ظاهر ، ثم تتطلع الى الافق ، وهي جالسـة في مكانهـا .. وفجأة يبـدأ كـل شي يتحرك .. انها كتل سـوداء ضخمة تـزن الواحدة منها قرابـة الطـن تسير متثاقلة يمينا وشمالا في طريقها الى الماء ..

انه الجاموس الأسود الذي يعيش في الاهوار ويعتبر اسعد المخلوقات لأنه يقضي يومه ساكنا او نائما في الماء يأكل ما يحلو له من مختلف اصناف الاعشاب والنباتات الخضراء التي يزيد عددها عن الثلاثين .. ولكنه يجـد لذة كبيرة في التهـام « الكاظ » الاخضر .. وهو غير القات المعروف في جنوب الجزيرة العربية ؟

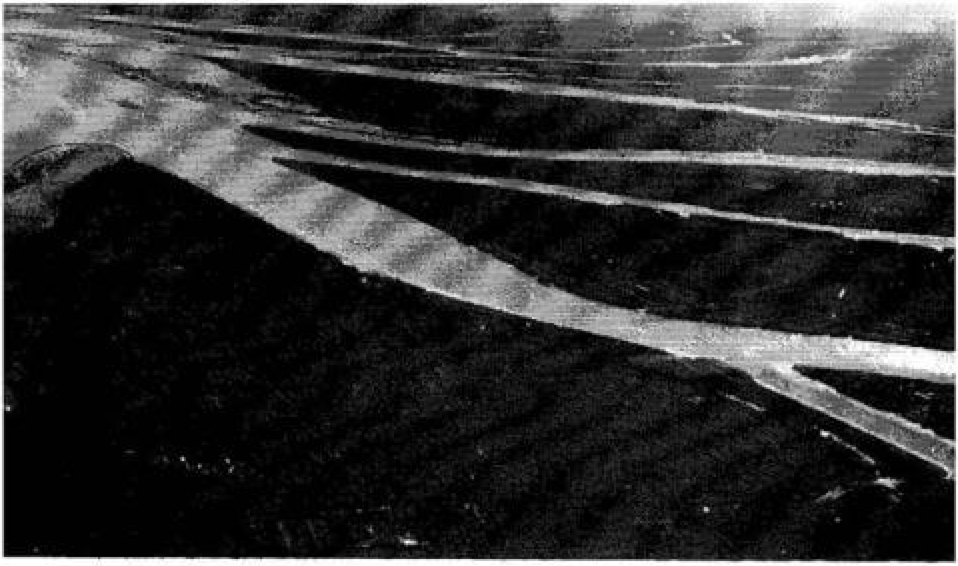
وكثيرا ما يتقابل الجاموس ، عندما يتجه الى احراش القصب الأخضر ، مع قطعـان الخنازير الوحشية التي تنام وسط هذا القصب ، فيسير الاثنان جنبا الى جنب ، دون ان يتقاتـلا ، لان الخنازير لا تؤذي الجاموس ، وانما تؤذي الانسان فقـط ..

وهذه الخنازير الوحشية منتشرة بكثرة وسط الاهوار ، لا احد يصطادها لأن لحمها مُحرم ، ولكن كثيرا ما تجذبها اضواء السيارات على الطـرق الجديدة ، فتهجم عليها بكل قـوتها وتصطـدم رأسها بهيكل السيارة المعدني ، فتموت ، وتبقى جثتها على قارعة الطريق ، تنهش لحومها الكلاب الشرسة والطيور الجارحة ...

ثمـن العَبَث

وفي موســم زراعـة الأرز تتسلل الخنازير والجاموس الى المزارع فيعبثان بها ، ويهرع الفلاح ليطرد الخنازير او يقتلها اذا توفر السلاح القاتل بيده ، لأنها خطرة للغاية .. اما الجاموس فلا يملك صاحب الأرض الا ان يحتج ويُنذر صاحب القطيع ... وما هي الا بضعة ايام حتى ينسى الجاموس احتجاج صاحب حقل الأرز ويتوغـل ثانية في الحقل فيأكل شجيراته ويتمرغ على ارضه فيدمر ويخرب .. ولكنه في هذه المرة يدفع ثمنَ عبثِه غاليا ، فصاحب الأرض قعد له بالمرصاد ، يسرع اليه والشرر يتطاير من عينيه وبيده آلة حادة يقطع بها ذيل اول جاموسة تصادفـه .. وتندفع المسكينة تئن وتخور من فرط الألم !!

ولا لوم او عتاب على صاحب الأرض ، لأنـه سبق وانذر صاحب الجاموس !



الام دجلة : صورة رائعة من الجو تبين الجروح التى تصيب نهر دجلة ، والتى أدت الى تكوين منطقة الاهوار .. ان الماء هنا اصبح مصدر تخريب بدلا من ان يكون مصدر خير عميم .. وتقوم الحكومة حاليا بحفر انهر عميقة لتحول اليها المياه الزائدة حتى ينتظم مجرى النهر .. انها محاولة للسيطرة على المياه !

ومع هذا فالجاموس فى حياة اهل الأهوار عنصر من عناصر الحياة هام : انهم يشربون البانه ويستخرجون منها الزبد والجبن ، ويجففون روثه ليصنعوا منه وقودا للنار ...

الزواج اجبارى !

ويطلق اهل الأهوار على الطائفة التي تربى الجاموس اسم المعْدان .. ولكن اهل المدن يطلقون على جميع سكان الأهوار اسم المعدان !!

ومجتمع الأهوار مجتمع قبَلي بدائي فى مجموعه، ما زال يعتمد على نظام العشيرة ، والحمولة ، والطبقية فى وجوده .. بالرغم من قوانين تقضى بالغائها والغاء نظام مشيخة القبائل .

والجمع بين اربع زوجات امر عادى ، بل هو المألوف فى معظم الأحيان .. اما الزواج من ابنة العم فامر حتمي لا مناص منه .. وليس فى الأهوار ازمة زواج وخاصة فى المناطق النائية ، فمثلا فى قرية ام الشويج لا تجد شابا واحدا جاوز الخامسة عشرة دون ان يتزوج !

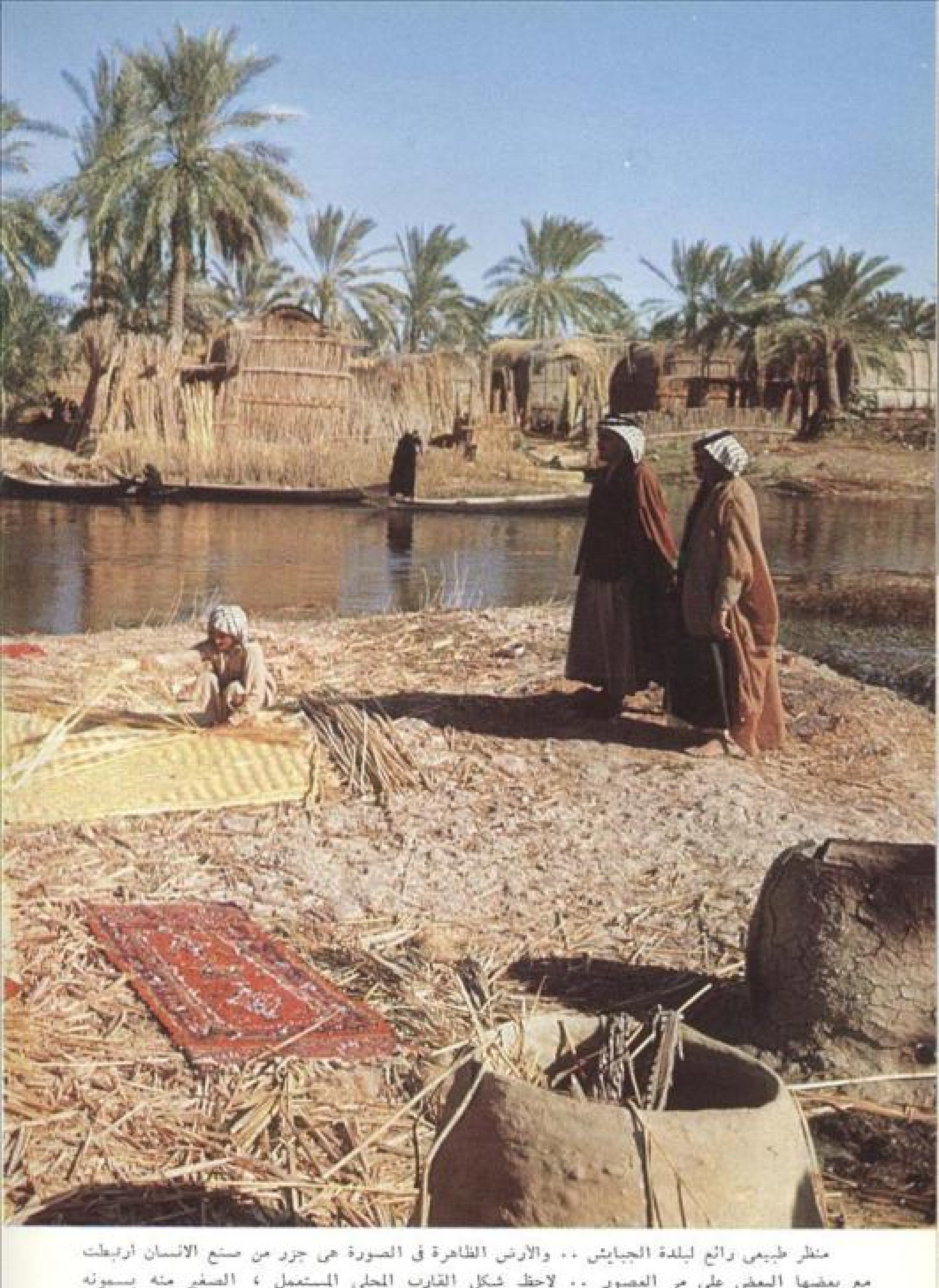
انهم لا يتصورون ان يعيش رجل ، اى رجل ، بلا زواج ، طالما انه قادر على كسب عيشه .. وهدفهم الأساسي من الزواج هو مضاعفة عدد افراد الأسرة لمساعدة الوالدين فى مراقبة الجاموس، وزراعة الأرز وصيد الأسماك ...

واجبات دون حقوق

وللرجل الحق المطلق على المراة ، يطلقها او يتزوج عليها ، ويضربها كما يشاء .. وكثيرا ما يتركها بمفردها ويرحل سعيا وراء الصيد لأيام طويلة ...

انه يعتبرها كالمتاع تُعطى لمن يزيد فى قيمة المهر عند طلب الزواج ، او تُعطى كتعويض لأسرة القتيل تكفيرا عن جريمة اقترفها شقيقها ، او والدها ، او حتى عمها ؟ ! وامعانا فى التصغير من شانها لا يدعوها زوجها باسمها ، بل بكلمة « ولِج » .. اى انت .. ولكن الويل كل الويل للغريب الذى يناديها بهذه الكلمة ...

ان المراة مسكينة داخل الأهوار ، فهى تعمل اكثر من الرجل .. ترعى شئون البيت والأطفال .. وتحلب البقر والجاموس .. وتخض اللبن لاخراج الزبد .. وتجمع الحاصلات .. وتحصد الزرع ... وتجرش قشور الأرز .. وتبيع الطيور والأسماك فى اسواق المدن .. وتسير بالمشحوف لجلب طعام الجاموس .. وتعمل على



منظر طبيعي رائع لبلدة الجبايش .. والأرض الظاهرة في الصورة هي جزء من صنع الانسان ارتبطت مع بعضها البعض على مر العصور .. لاحظ شكل القارب المحلي المستعمل ، الصغير منه يسمونه « مشحوف » والكبير طرادة .. ويميل السكان الى اللون البرتقالي فيشترون السجاد والوسادات بهذا اللون .. ويظهر في الصورة اثنان من صانعي البواري « الحصر » يحيكان حصيرتين ، وامامهما مجموعة انتهى صنعها .. ان صانع الحصر يعيش طوال حياته مدينا لتاجر الجملة الذي يشتري الحصيرة الواحدة بخمسين فلسا ويبيعها بربح كبير .



.. ويقدم جامع الحصر الى الصانع مبالغ من المال مقدما ليرتبط معه نظير انتاج عدد محدد من الحصر ، ولكن دائما يعجز الصانع من تسديد الدين الذى يتراكم عليه حتى وفاته ، فيرث أولاده الدين منه .. ان ازدياد متطلبات الحياة فى الجبايش وظهور الكماليات بشكل واسع خلق وضعا صعبا لأن ثمن صنع الحصيرة الواحدة أصبح يوازى ثمن زجاجة مشروبات غازية .. ان تعاسة صانع البوارى ، لا تقل عن تعاسة جامع أصداف اللؤلؤ الذى يعيش بدوره مدينا لتاجر اللؤلؤ طوال حياته ، وحتى بعد مماته !

تقشير وتفشيق (شق) ودق ونسج القصب لصنع البواري (الحصر) ... ان واجباتها عديدة ، اما حقوقها فمعدومة !

قتل حسب الاصول !

وقتل الفتاة دفاعا عن الشرف عمل يبعث على الفخر .. والرجل الذي يتردد في قتل ابنته او ابنة اخيه الزانية ، هو شخص منبوذ من « المضايف » (المنتديات) لا يستقبله او يحادثه احد ، حتى يقتل قريبته الزانية ، وعندما يقتلها يعمد اهل القرية الى اخفائه عن عيون رجال السلطة ..

وقد وجدت الحكومة ان هذه التقاليد تستلزم ظروفا مخففة ، فجعلت الحكم على القاتل دفاعا عن شرفه ، لا يتعدى السجن لمدة ستة اشهر !!

وسألناهم : ما هو الزنا في نظركم .. ؟

قالوا : ارتكاب الفعل الفاضح .. او الابتسامة، والتبسط في الحديث مع شخص غريب !!

وهنا تنفسنا الصعداء وحمدنا الله على سلامتنا لاننا خرجنا من زيارة مدرسة البنات على خير .. بعد ان التقطنا للفتيات بعض الصور ، وتحدثنا اليهن ... !!

المرأة تنتقم لأختها !

ولكن ليس هذا حال المرأة في المناطق التي اتصلت بالمدنية في اطراف الاهوار .. ففي قرية الجبايش سألنا احد الرجال : هل تضربون النساء في قريتكم ؟ .. وهل تتزوجون باكثر من واحدة ؟

فأجابني ضاحكا في تساؤل : نضرب النساء ؟!





الارز هو الزراعة الوحيدة المحترمة فى الاهوار ..نظرا لطبيعة ارضها وكثرة مياهها .. وهذا هو محصول يوم جمعته الاسرة وأعدته لخزنه فى « البوارى » التى تقف المراة امامها ..

لقد مضى هذا العهد .. ان المراة فى الجبايش اصبحت هي التي تضرب الرجل ؟ !! اما الزواج من اكثر من واحدة فامر لم يعد يقدر عليه الا الرجل الثرى ، لان مطالب الحياة قد تضاعفت ..

العباية تتنحى

و « الجبايش » مدينة صغيرة تمتد على « كورنيش » طوله ثلاثة كيلومترات .

انها تقع وسط الاهوار .. ولكنها لم تعد جزءا منها .. لقد اتصلت بالعالم الخارجي وأصبحت نموذجا لما يمكن ان تكون عليه مدن الأهوار التي دخلتها المدنية .. انه التقاء بين الحكم العشائري القبلي ، والحكم المركزي ، فماذا كانت النتيجة ؟!

لا شك ان انقلابا هائلا قد دخل الجبايش التي هي موطن عشائر بني اسد .. لقد نزع طارق آل خُيّون ، رئيس هذه العشائر ، العباية واليشماغ والعقال منذ خمس سنوات ، وارتدى مكانها البدلة الاوروبية .. وسرعان ما حذا شباب العشيرة حذوه ، فأزاحوا العباية عن اكتافهم ، وشمروا عن سواعدهم للنهوض بمدينتهم التي وصل عدد سكانها الى ١١ الف نسمة .

لقد كان « طارق » همزة الوصل بين السلطات الرسمية ورجال عشيرته فحقق التعاون بينهما مكاسب ضخمة للجبايش التي اصبحت مرتبطة بالعراق بطريق برى بعد ان كانت معزولة عنه تماما .

أين الارض ؟

والجبايش جمع كلمة جبيشة ، وهى تحريف كلمة كبيسة (هكذا قال لنا قائمقام الجبائش). وذلك انهم يكبسون نبات البردى لعصبه فوق بعضه لتكوين جزيرة صغيرة يقام عليها كوخ من البوص ، يسمونه صَريفة ، ينام فيها الناس الى جوار حيواناتهم .

وكانت قرية الجبايش مؤلفة من الاف من مثل هذه الجزر المتناثرة ، لا يمكن الوصول اليها الا بركوب المشحوف ، او البَلَم ، او الطرادة .. وهي ثلاثة اسماء لثلاثة انواع من المراكب الانسيابية الطويلة المطلية بالقار ، والتي اشتهرت بصنعها قرية الهوير بالاهوار .

وجاءت الحكومة فى عام ١٩٢٤ الى الجبايش لتطويرها .. وكم كانت دهشة موظفيها كبيرة عندما لم يعثروا على ارض يبنون عليها مقرها .. ومرت الشهور والاعوام ، وتعاقب الحكام ، « القائمقام » وراء « القائمقام » .. والجبايش على حالها .. ومنذ نحو خمس سنوات صدر امر اداری يحتم على اصحاب « المشاحيف » و « الطرادات » التي تتجه الى البصرة ان يحملوا معهم فى كل مرة يعودون فيها الى الجبايش رمالا واتربة وحجارة من البصرة !!

وبهذه الطريقة الفريدة تمت السيطرة على المياه محليا ، فقد استعملت هذه الرمال لتغطية الجداول المائية ، فارتبطت « الجبايش » بعضها ببعض ، وظهرت لاول مرة فى المنطقة طرق يستطاع السير عليها ..

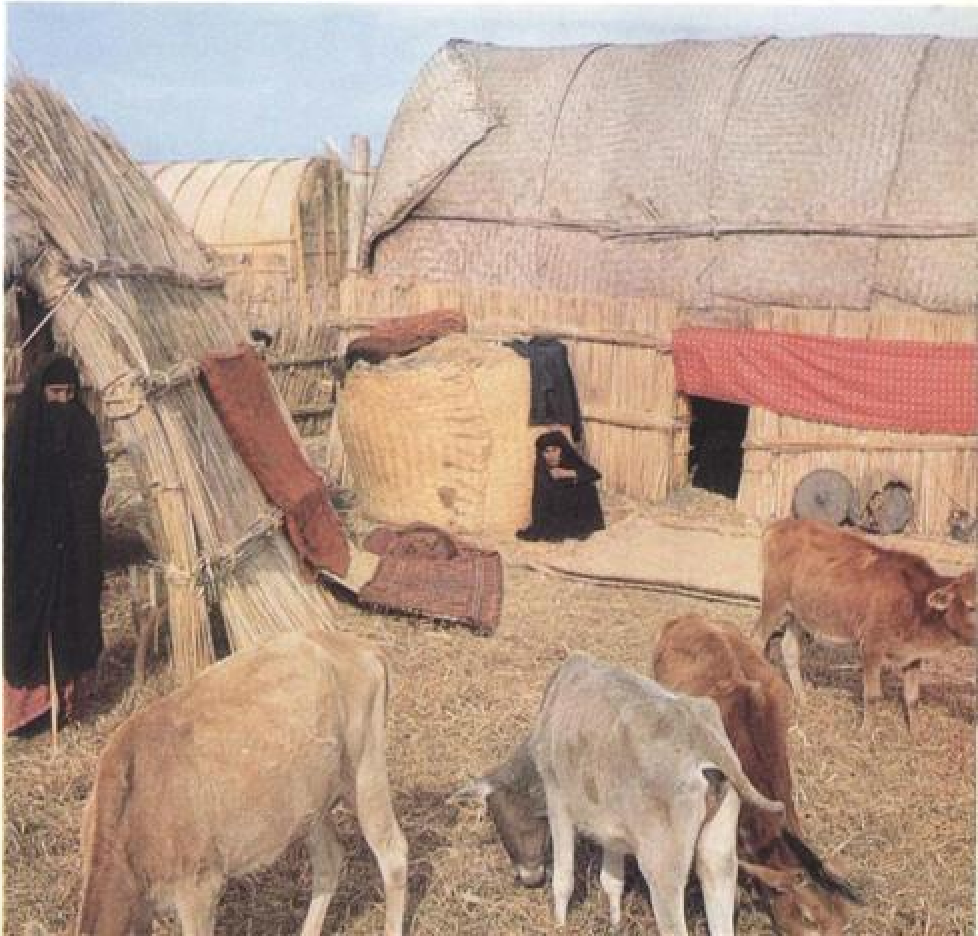
• • •

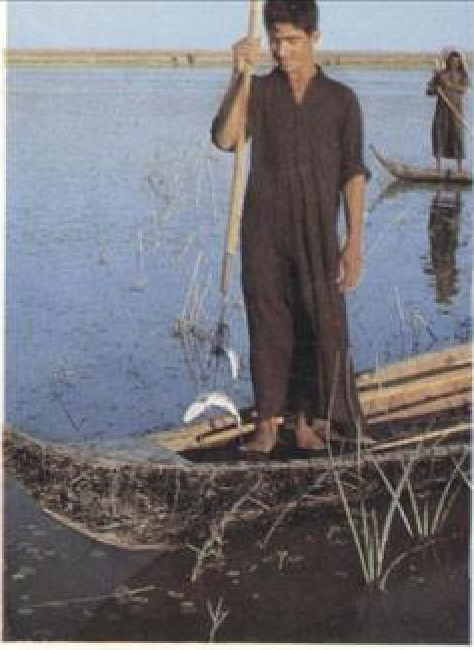
الى اليمين تشتهر قرية الهوير بصنع « المشاحيف » ولها « حوض » كبير يصنعونها فيه .. انها مصنوعة من الخشب الجزء الخارجي منه مستورد والباقى من جذوع الاشجار التى تنمو فى العراق .. ان ثمن المشحوف يتراوح بين خمسة دنانير وخمسين دينارا .. ويعمل فى هذه الصناعة ٣٠٠ عامل ، ينتجون يوميا ٥٠ مركبا ..



الى اليسار : حصلت المرأة العراقية على حقوقها السياسية ، ولكنها فى الاهوار لا تملك اى حق من الحقوق . وتقوم بالعديد من الواجبات بما فيها صنع الخبز على التنور .. ويعتبر بيع الخبز فى المناطق الداخلية عيبا كبيرا وهو يقدم مجانا لاى شخص يطلبه .

الى اسفل : يربى البقر فى المنازل .. وهو بقر هزيل يعيش على الاعشاب وعلى سيقان الارز الجاف .. ان هذه الحيوانات تظل محبوسة داخل الجزيرة الصغيرة المحاطة بالماء،ويجلب لها اصحابها الطعام حتى فمها .. ويمتنى الأهالى بالابقار لحاجتهم الى لبنها الذى يصنع منه الجبن والزبد ، والقشدة ويسمونها «الكيمر» .. ومن العار بيع اللبن بالنقود انما يقدم كهدية!





كاد الصيد بالفالة الخشنة ذات الأطـراف الحديدية يندثر ، بعد ان زالت نظرة الاحتقار الى الصائد بالشباك !!



أعضاء بلدية «الجبايش» وهم مجتمعون بالقائم مقام .. ان مدن الاهوار تشترك في الشكوى المرة من المركزية التي تسلب المسئولية كلها وتضعها في يد المسئولين ببغداد !

الى اسفل : الطريق الرئيسي في قرية الصحين : المشاحيف تقف بجوار الصرائف ، مثل السيارات التي تقف بجوار المنازل في المدن !





ام وابنتها من طائفة المعدان .. الام تخض اللبن .. والابنة ترقبها في صمت واعجاب ..

وعمدت بلدية الجبايش الى تجميل هذا الجزء المردوم فجلبت الناقلات وسحبت الطمي من اعماق الفرات ورفعته فوق الارض المردومة وجعلت منه طريقا رئيسيا مزينا بالاشجار والحدائق .. انه « كورنيش » الجبايش الذى تكلف ٤٠ الف دينار ، وتعب اكثر من خمس سنوات ...

حقيقة انه غير معبد لكنه عمل ضخم ، لان الجهد الذى يبذل في تعبيد كيلو متر واحد بالاهوار ، يفوق اضعاف الجهد الذى يبذل في تعبيد خمسة كيلو مترات في اى مكان آخر .

وبعد مد هذا الطريق دخلت الكهرباء فانارت المنازل والصرائف والمضائف بالمصابيح بدلا من اشعال فتائل زجاجات النفط .

ومع الكهرباء دخل الماء العذب الى ١٤٠٠ منزل، ولمع اسم الجبايش ، والفوا عنها الكتب ..

فينيسيا العراق

ثم جاء مهندسو الشئون البلدية والقروية من بغداد يرسمون ويخططون لبناء مدينة حديثة في الجبايش .. وبعد انتهائهم من التصاميم ارسلوها لبلدية الجبايش للموافقة عليها ، حسب القواعد الحكومية المتبعة هناك ..

واجتمع اعضاء المجلس البلدى مع رئيسهم ، الذى هو رئيس عشائر بني اسد ، حول هذه التصميمات يتدارسونها .. وبعد جلسة عاصفة اتجهوا الى مكتب قائمقام الجبايش السيد علي صاحب الشعرباف ليقولوا له : نحن نرفض هذا المشروع .. انه يقضي على جمال مدينتنا .. انا نعتبر الجبايش بمثابة فينيسيا العراق بقنواتها ومياهها ومشاحيفها .. ونريد الابقاء على طابعنا الفريد هذا ، مع العمل على تحسينه وتجميله لنجعل من مدينتنا مشتى عالميا ، وكعبة للسياح ولهواة صيد الطيور والاسماك .. اما هذا المشروع فهو يقضي على كل حال شيء جميل في مدينتنا » .

وابتسم القائمقام وهو يتطلع اليهم .. لقد التقت افكارهم مع افكاره . ومع افكارنا ، فالجبايش منطقة سياحية رائعة .. ان مليون دينار كفيلة بتحويل الجبايش الى ملتقى عالمي للسياحة ..

وداعة ... ورشاشات

واردنا الاطمئنان على حالة الامن في المنطقة فقال لنا معاون الشرطة غازى جاسم :

« ان اهل الجبايش هم اكثر سكان العراق

● ● ●

الى اليسار : بدأ الاهالي يشعرون بوجود الحكومة بينهم ، بعد ان كانت دائما غائبة عنهم .. وهذا هو مهندس مسح الاراضى يؤدى واجبه في منطقة ام الشويج ..

وداعة .. فجرائم القتل والسرقة بينهم معدومة .. والحوادث الوحيدة هي نزاعات بسيطة حول صيد الطيور والاسماك وزراعة الارز » .

وهذه الطباع السمحة لا تجدها في منـــاطق الاهوار الاخرى .. فمثلا كل منزل بمنطقة اهوار العمارة عنده « طـخم » يحمي به نفسه وأسرته وجاموسه .. انه لم يأنس بعد الى الحكومـة .. التي ما زالت بالنسبة له كعلامة استفهام كبيرة لم تتكشف صورتها بعد. فتجده ما زال متمسكا بعاداته القبلية وفي مقدمتها اعتزازه بسـلاحه ، فاذا كان جاره يملك مسدسا اشترى هو تفكـة (بندقية) .. واذا كان عند جاره « تفكـة » اشترى رشاشا !!

وهكذا تضيع « تحويشة العمـر » في شراء « طـخم » أي طاقم كامل من الاسلحة ، يبدأ من الخنجر وينتهي بالمدفع الرشاش ، ويكلف ..؛ دينار تقريبا ..

ان حيازة السلاح ممنوعة بحكم القانون ، لهذا يعمد الاهالي عندما يحصلون على قطعة سـلاح ، وهو يأتيهم مهربا من حدود البلدان المجاورة ، الى دفنها في مكان خفي تحت الرمال بعيدا عن اعين رجال الامن .

بدو .. وأحصنة

ان عشائر العمارة تختلف كلية عن عشـــائر الجبايش ، لانهم من البدو الرحل الذين استقروا بمحاذاة الاهوار منذ ٥٠ عاما فقط .. فتجدهم ما زالوا محتفظين حتى الان بعاداتهم وتقاليدهم القبلية البدوية ، يركبون الخيل ، ويرعون الاغنام،



الى اسفل : يحلو لبعض المؤرخين ان يرجعوا بنسب سكان الاهوار الى السومريين والزنج .. وعندما سألناهم عن حقيقة اصلهم اجابوا جميعا بأنهم ينتسبون الى قبائل عربية قديمة نزحت من الجزيرة الى العراق مع الفتح الاسلامى .. ويتجمع ابناء هذه القبائل فى المواسم والاعياد ليرقصوا رقصة «الهوسة» الوطنية تحت ظلال أعلام العشائر المختلفة .. وتشبه هذه الرقصة بخطواتها رقصة العارضة المنتشرة فى الخليج العربى ، مع اختلاف فى الالقاء ، فهنا يتقدم احدهم فيلقى ابياتا من الشعر العربى الصحيح ، بينما اغانى « العارضة » كلها باللهجة المحلية .





تربية الجاموس الأسود مهمة شاقة لايقو
بها سوى طائفة « المعدان » داخل الأهوا
.. أما بقية الاهالى فينظرون اليها نظر
احتقار رغم علمهم بمدى الفائدة المادية الكبي
التى تعود على أصحابه .. وسوف يلع
الجاموس دورا كبيرا عندما تبدأ وزارة التخطي
فى تنفيذ مشاريع بناء المعامل لتصنيع الألبا

الى اليمين : تطورت أساليب الحياة
الجبايش تطورا هائلا ، فقد انتقلت م
واحدة من حياة بدائية الى حياة مترفة
وفى متجر وليد الأسدى يجد أهل الجبايش
كل ما يحتاجونه من أجهزة تلفزيون وغسالا
كهربائية وساعات وأحذية وراديو ترانزستو
.. ولكن رغم كل ذلك التقدم فان استهلا
الشاى يصل الى ١٠ كيلوجرامات يومي
يبيعها هذا المتجر الذى تقوم « مصلح
المبايعات الحكومية » بتزويده بجميع الأصنا



بعكس قبائل الجنوب التي لم تعرف الحصان ، لعدم وجود ارض عندهم !

البلهارسيا تفتك بالاهالي

وهذه الاختلافات الكبيرة في العادات والطباع بين سكان الاهوار تختفي تماما عندما نتحدث عن صحتهم ، لان مرضا واحدا اعظم يجمع بينهم .. انه البهارسيا اللعينة التي لم تترك اكثر من خمسة في المائة من الاهالي بعيدا عن شرها ..

ان القواقع التي تحوى جراثيم هذا المرض الخبيث تتراكم في قاع المستنقعات التي يخوض فيها الاهالي ويغتسلون ويشربون مياهها الملوثة ، ومن هنا كان سر انتشار المرض بهذا الشكل الوبائي الذى لا تخف حدته ، لان الشخص الذى يشفي منه يعاوده المرض ثانية ، لمعاودته النزول في الماء!!

وتكافح وزارة الصحة العراقية هذا المرض مكافحة جزئية ، اى بين طلبة المدارس فقط ..

.. والملاريا قضى عليها

اما بقية الامراض المتوطنة كالملاريا ، فقد كانت منتشرة بشكل وبائي منذ ٢٠ عاما ، الا انه بعد انشاء فرق مكافحتها بالمواد المبيدة للحشرات داخل المنازل و « الصرائف » ، وفحص عينات الدم للبحث عن المرضى ، هبطت الاصابات هبوطا ملحوظا ..

ففي لواء العمارة على سبيل المثال لا الحصر ، كان عدد الاصابات ١٧٠ اصابة خلال عام ١٩٦٤ انخفضت الى ٤٠ اصابة فقط في خلال عام



ابتسامة بريئة جميلة على وجه بنات الاهوار .. انها اول مرة يقفن فيها امام عدسة المصور .. وقد ارتدين ملابسهن الجميلة المزركشة ، وتحلين بحليهن الذهبية المطعمة بالاحجار الكريمة الملونة



الجيل الجديد من بنات الاهوار .. انه الجيل الذى سيقضى على العادات والتقاليد المتوارثة التى تجعل من المراة كمية مهملة .. انهن بنات مدرسة قرية الترابة يتلقين درسا فى التطريز على يد الاستاذ شملان سويلم السعدى من ابناء قرية ام الشويج الملاصقة لقرية الترابة .. انه ناظر ومدرس ووالد فى آن واحد ، لهذا يطمئن اليه الاهالى .. ولكن وجود مدرسات مكان المدرسين سوف يضاعف من عدد التلميـــذات ..

١٩٥٦ ، وهي نسبة رائعة، خاصة اذا علمنا انعدد سكان المنطقة ..٤ الف نسمة !

حسنات .. وسيئات

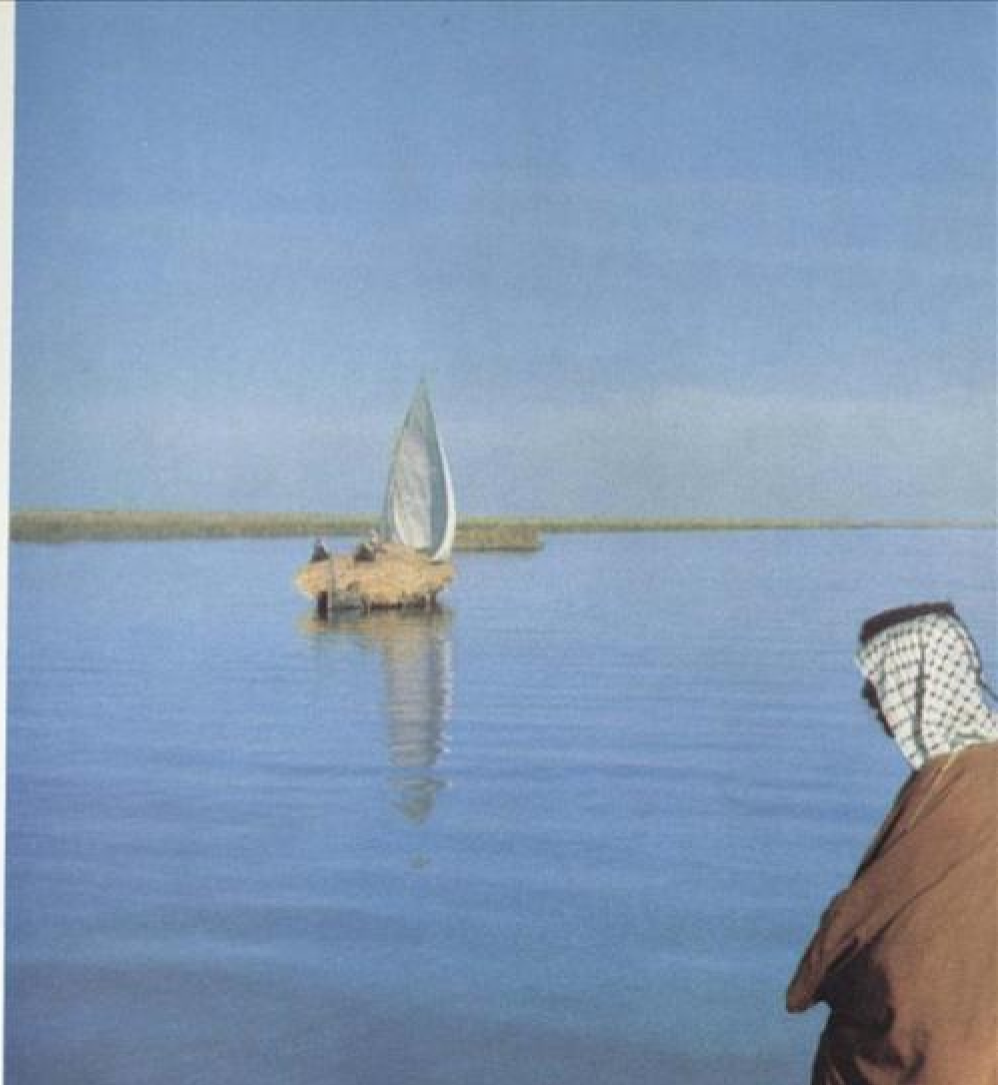
ويعتبر « سَمَك الجمهورية » من اهم العوامل التي ساعدت على القضاء على الملاريا !

انه نوع من الاسماك اطلقوه فى مياه الاهــوار فى عهد الثورة واعلان الجمهورية ، فنما وتكاثر .. وميزة هذا السمك هى التهامه لبيض بعـــوض الملاريا الذى يضعه في الماء الراكد ..

ولكن الى جانب حسنات هذا السمك ظهرت سيئاته ، فقد اتضح انه يلتهم في نفس الوقت بيض الاسماك الاخرى ! مما قد يؤثر مستقبلا على مصادر الاسماك في الاهوار .. التي تصدر نحو عشرة اطنان يومية من الاسماك الى بغداد وسائر انحاء العراق ..

ورق ... وسكر

ان الاهوار تحتوى على ثروات هــائلة بدات



ماء .. ولا شيء الا الماء .. انه نهر الفرات الذى تضيع معالم مجراه عندما يصل الى قرية « سوق الشيوخ » اذ تختلط مياهه مع مياه « هور الحمار » ، فيصبح النهر الكبير جزءا من بحيرة واسعة مساحتها ٢٥٠٠ كيلو متر مربع .. وتظل مياه الفرات ضائعة وسط بحيرة الحمّار حتى تصل الى قرية « كرمة على » ـ وتبعد ١٠٠ كيلومتر عن سوق الشيوخ ـ وهناك تتخذ شكل نهر كبير يسير فى مجرى عميق قبل أن تختلط بمياه نهر دجلة لتكون معها نهر « شط العرب » الذى يصب مياهه فى الخليج العربى .. ومما يذكر أن مياه الفرات تتأثر تأثرا كبيرا بمياه الخليج المالحة خلال عمليتى المد والجزر اللتين تحدثان فى الخليج ، .. لهذا اقترح البعض اقامة سدود على هيئة بوابات متحركة عند « كرمة على » وعند القرنة تمنع مياه الخليج من الوصول الى الاهوار ..



ما تكاد الشمس تميل الى الغروب حتى تصطبغ الاهوار بمختلف الألوان تنساب من خلالها القوارب المحلية التي يسمونها بَلَم.. ومشحوف.. وطرادة .. وبَرْكَش ..تحمل الاهالي الى صرائفهم (أكواخهم)

الى أسفل : الاهوار من الجو ، ماء وقصب يرتفع ٢٠ قدما ، أن ٩٠ في المائة من طمى دجلة والفرات يترسب في هذه المستنقعات،التي يمكن أن تتحول الى أرض صالحة للزراعة اذا توفرت لها المشاريع اللازمة.



تسلط عليها اضواء وزارة التخطيط فى بغداد لتنظيم استغلالها لصالح البلاد ..

وفى بغداد جلسنا الى السيد محمود حسن جمعة وكيل وزارة التخطيط نستمع له وهو يحدثنا عن الاهوار ومشاريع وزارة التخطيط فيها ، فقال :

« الاهوار على نوعين : موسمية ومستديمة .. والموسمية تطلق على المناطق الضحلة ، وهذه تستثمر لزراعة الارز ..

اما الاهوار المستديمة ، فهي المناطق العميقة التي لا يمكن زراعتها بالارز ، ولكنها مصدر مهم لنمو القصب ، وتكاثر الاسماك ، ومرعى ممتاز للجاموس الذى يعيش في المنطقة ...

ان هدفنا هو استغلال هذه الثروات ، وفي مقدمتها القصب .. وقد انتهينا من دراسة مشروع انشاء مصنع للورق يعتمد فى مواده الاولية على القصب الموجود فى الاهوار على شكل غابات كثيفة .. ان هذا المشروع سوف يتكلف من ١٧ الى ١٨ مليون دينار ، وسيصل انتاج الورق فيه الى ٤١ الف طن سنويا .. وسيعمل فيه اربعة آلاف من عمال الاهوار .. ومن المنتظر الانتهاء من التعاقد على بناء هذا المصنع قبل وصول هذا العدد من « العربي » الى ايدى القراء .. »

وتابع وكيل وزارة التخطيط العراقي حديثه بقوله :

كانوا يحتقرون التجارة فى الماضى .. اما اليوم فقد اصبح البيع والشراء مهنة يقبل عليها الجميع بعد أن تحولت النظرة اليها واصبحت مصدر رزق وفير .. والصورة لسوق الجبايش ..





انتشرت المستوصفات فى كافة قرى الاهوار فى محاولة للنهوض بالمستوى الصحى لاهل المنطقة ، الذين يعانون الامرين من البلهارسيا وفقر الدم .. وهذه الصورة لمستوصف الصحين وفيه يعالج « الموظف الصحى » الحالات المرضية البسيطة ، اما الحالات المستعصية فيرسل صاحبها على نفقة اهله الى مستشفى اللواء على ظهر « مشحوف » يقطع المسافة فى خمس ساعات .. اما الطبيب فيأتى للصحين مرة كل اسبوعين .

« والى جانب مصنع الورق بدأنا بزراعة قصب السكر فى مناطق جافة من الاهوار بمنطقة المجرّ الكبير بالعمارة ، لمعرفة مدى لياقة الارض ، ونوعية قصب السكر الذى سنزرعه ، وخواص التربة ، مع تدريب الفلاح على زراعة هذا النوع الجديد من المزروعات ...

« ان هذا المشروع الذى تعاقدنا عليه مع شركة امريكية يتكلف ١٢ مليون دينار لانشاء مزرعة قصب السكر ومصنع السكر.. وسوف يعمل فيه ٣٢٠٠ عامل .. وقد انتهينا من جميع مراحل دراسته .. وبدأ المقاولون في تنفيذ التزاماتهم ، وسوف يكتمل انتاج هذا المصنع في عام ١٩٦٩ ».

هل يمكن التجفيف ؟

ان الحديث عن الاهوار حديث طويل ، طول نهرى دجلة والفرات .. متشعب لتشعب النهرين وفروعهما .. لا يكفيه استطلاع خاطف ، بل يحتاج الى مجلد كامل.. وقد تتساءل ايها القارىء وانت تختتم هذه الجولة السريعة : لماذا لا تجفف هذه الاهوار .. ولماذا لا تقفل الفتحات والكسور



منذ ٢٠ عاما كان الشخص الذى يجيد القراءة فى الاهوار يشار اليه بالبنان .. وكان عدد المدارس لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة .. اما اليوم فقد تبدل حال الاهوار واصبحت كل قرية – مهما بعدت – تضم مدرسة واحدة على الأقل .. حتى الفتيات اصبحت لهن مدارسهن الخاصة يتعلمن فيها القراءة والكتابة والغناء الذى كان يعتبر من اكبر الشرور .. وفى قرية الجبايش اختلطت بنات المسئولين ببنات الشعب فى الاهوار فى مدرسة البنات التى تقوم بالتعليم فيها مدرسات من بغداد ومن الجبايش نفسها .. (الصورة اليسرى) .. وينتقل الطلبة والطالبات على « المشاحيف » – وهى زوارق انسيابية صغيرة – عند ذهابهم من منازلهم الى مدارسهم .. (الصورة الوسطى) ويبلغ عدد المشاحيف فى قرية الجبايش وحدها أكثر من ١٤٠٠ مشحوف ..



الى اليمين : فصل فى مدرسة الرواد الابتدائية بقرية أم الشويج .. وتضم ١٥٠ تلميذا و ١٦ تلميذة من مجموع سكان القرية البالغ عددهم ٣٢٠٠ نسمة .. ويتلقى التلاميذ دروسهم فى غرف مبنية من القصب والبوارى . وفى مثل هذه الأيام ترتفع مياه الفيضان فتغمر المدرسة فيعمد الأساتذة الى تجنيد الطلبة لسد الثغرات .. ولكن الغلبة دائما للمياه ، فيهجر الطلبة مدرستهم ويتوجهون الى « مضيف » الحاج سويلم المشمل ، مختار القرية ، ويجعلون منه مقرا لهم .. وهكذا يتجمع ١٦٦ طالبا وطالبة داخل حديقة واحدة تقسم الى ٣ صفوف .. أما الطلبة الذين لا يتسع لهم المضيف فينقلون الى اقرب بستان حيث يلقى عليهم الأستاذ الدرس فى الهواء الطلق ! وقد فتحت مدرسة الرواد أبوابها عام ١٩٥٩ وكانت للبنين فقط ، ثم أصبحت للبنين والبنات ..

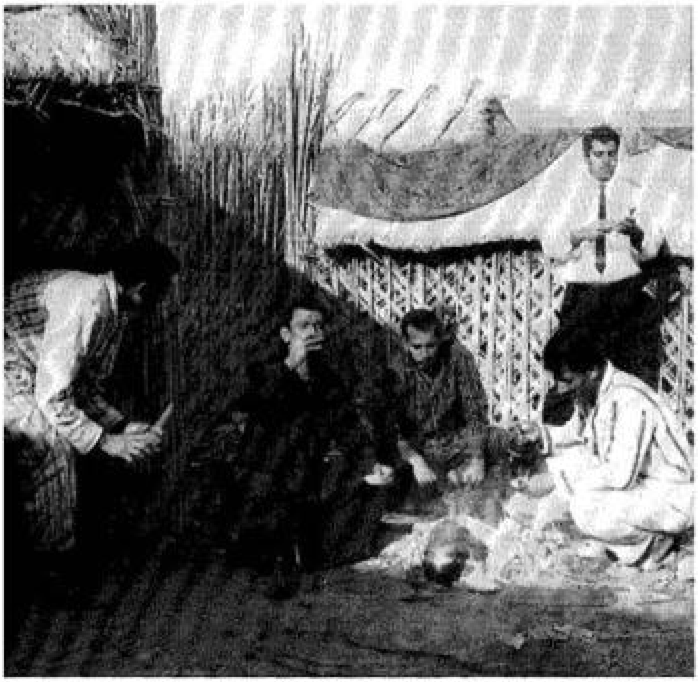


الى اليمين : المشكلة في الاهوار تكمن في محاولة نقل السكان من حياة العزلة البدائية الى حياة التفتح ومجاراة عصر الصعود الى القمر !! والصورة اليمنى التقطت في مدرسة الجزائر المتوسطة بالجبايش وفيها تبدو الطالبات مع الطلبة في حصة الكيمياء .. والاستاذ من ابناء الجبايش الذين اكملوا دراستهم في بغداد ..



الى اسفل : عندما تيأس الشمس من تجفيف ماء الاهوار تتوارى في الغسق مخلفة طيفا اصفر رقيقا يولي نحوه الانسان والحيوان وجهيهما .. ويرنو الصمت على الجميع استعدادا لنوم عميق





هكذا يعيش عشرة اساتذة في قرية الصحين .. لقد قدموا اليها من بغداد والبصرة لتعليم ابناء الاهوار .. ورغم الحياة القاسية التي يعيشونها فانهم يشعرون بأهمية الدور الذين يؤدونه لخدمة بلادهم بالرغم من ان موسم « السيهود » اى انخفاض الماء ، يعزل القرية لفترة ثلاثة شهور كل عام يقضيها الاساتذة بعيدا عن العالم دون ماء او كهرباء ..

في النهرين . ، لتتحول مياه الرافدين من مصدر تخريب الى مصادر خير عميم ؟

ان مثل هذا العمل يحتاج الى الوف الملايين من الدنانير ، فضلا عن ضرورة توفير اسلوب جديد للحياة لاناس عاشوا دائما وسط الماء بين الجاموس ..

اما فكرة اغلاق الفتحات والكسور في نهر دجلة ، فسوف يتسبب اغلاقها في كوارث اخرى ، لان مجرى النهر لا يتسع الا لمرور الف متر مكعب من الماء في الثانية ، بينما دجلة حمل معه ٨ الاف متر مكعب في الثانية اثناء فيضانه في عام ١٩٦٣ .

ان السيطرة على المنطقة ومياهها لن تتم الا تدريجيا ، بعد ان ينتهي العمل في مشاريع السدود والخزانات الضخمة المزمع اقامتها عند اعلى النهرين ، والتي سوف تحجز مليارات الامتار المكعبة من مياه الفيضان، مما سيقلل المياه في مناطق الاهوار ويجعل اقساما كثيرة منها معرضة للجفاف بصورة تدريجية ..

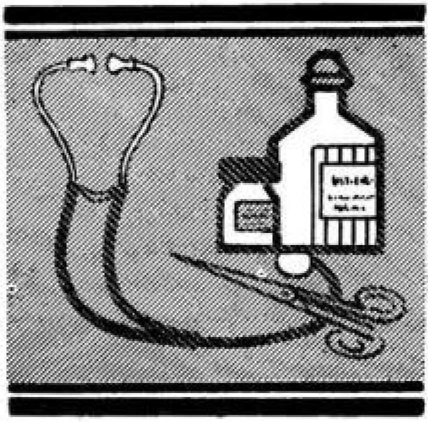
صورة المستقبل

ان صورة المستقبل للاهوار .. صورة مشرقة زاهية : مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية تتخللها بحيرات تغص بالاسماك تعيش في المياه المالحة المتجمعة من مياه البزّل (الصرف) للاراضي الزراعية المحيطة بها .. اما القرى الصغيرة الحالية ، فسوف تتحول الى استراحات يقصدها السائحون لصيد الطيور والاسماك ..

ولكن كل هذا حلم جميل بعيد المدى، تحقيقه يحتاج الى شبه معجزة..ولو ان الخطوات الاولى بدات لتجعل منه حقيقة ملموسة ..

ويشترك اهل الاهوار مع المسئولين في ابداء رأيهم بالنسبة لمستقبل المنطقة .. فما يكاد الليل يرخي سدوله .. ويعم الظلام المنطقة .. حتى تراهم يشعلون الحطب امام ابواب صرائفهم ويتجمعون للحديث في امر العريضة التي سوف يقدمونها لطلب مد الكهرباء والماء العذب الى قريتهم .. ويستمر الاجتماع حتى تخبو النار ، ويتفرق المجتمعون .. ويخيم الهدوء .. ولا يعود احد يسمع سوى نقيق الضفادع ، وخوار الجاموسة التي قطعوا لها ذيلها !! ■■

سليم زبال



طبيب الأسرة

قاربت السبعين وأمشي الاميال كل يوم

● انا رجل قاربت السبعين ، وامشي كل يوم خمسة اميال ، واعمل فى الحديقة الصغيرة ، ما امكن العمل ، بين ساعة وساعتين . فهل هذا المجهود يتفق مع سني ؟

ـ جواب ذلك عندك انت . اذا كنت تقوم بكل هذا ، وترتاح بعده ، فهذه الراحة دليل على القدرة ، وعلى حسن الصحة ، وليس لدوام الصحة شيء مثل المثابرة على الحركة وتحريك الجسم .

المهم انه يجب عليك ان لاتعمل حتى تحس الاجهاد ، واذا مشيت وانت صاعد فامش ابطأ مما تفعل والأرض مستوية . ولا تحاول دفع شيء ثقيل أو جذبه ناحيتك . ونوم ساعة بعد طعام الظهر لاشك نافع .

ان العمل الذى تقوم به هو نفسه

كحول يسبب الموت

● وصف لى الطبيب شيثامن البرندى عندما احسست بهبوط واردت منبها منعشا .وقد احتجت مرة الى عقار مسكن . فوصف لي طبيب آخر حبات من الباربيتون . وقد حذرني صديق من الجمع بين البرندى وهذه المسكنات . قال ان الجمع بينهما قد يؤدى الى القبر . فهل هذا صحيح .

ـ نعم هذا صحيح ، فقد جرت عدة مرات حوادث مؤسفة انتهت بالموت ، جمع فيها اصحابها بين شراب المسكرات ذات الكحول وهذه المسكنات خاصة . ذلك ان الكحول يزيد من فعل هذه المسكنات فى الجسم .

راجع طبيبك . اسأله هل انت فى حاجة حقا الى الكحول منعشا بينما تكون فى حاجة الى مثل هذه العقاقير مسكنات ؟!

سينبهك اذا زاد على الحد . ستشعر من بعده بتعب لاينصرف سريعا . وستلهث ويطول لهثك . وقد تشعر بألم او ما قد يشبه الألم فى الصدر . فان انت احسست بهذا ، فقف ما انت فيه ، وخذ طريقك الى الطبيب .

واعود فاقول ان الحركة صحة ، بمقدار ، وهى تطيل العمر والقعود يقصره .

تريد تقليل شهيتها للطعام

● **قرات فى الصحف عن مركب كيماوى جديد تتعاطاه الفتاة فلا يثير اعصابها ولكنه يخفف من وزنها بتقليل شهيتها للطعام ، فهل فى الاستطاعة الاستدلال على اسم هذا المركب ؟**

ـ اسم المركب الذى تذكرين كلورفنترمين Chlorphentermine وهو يباع باسم لوكوفين Lucofen . وهو للفتاة والفتى على السواء ولكن المفروض فى البلاد التى صنع فيها ان الصيدلي لا يبيعه الا باذن طبيب ، ومعنى هذا ان صانعيه لا يرون استخدامه الا تحت رعاية طبيب . ان هذا العقار يخفض الشهية للطعام ، ولكن لكل عقار آثار اخرى ، قد تختلف باختلاف الحالة الصحية لمتعاطيه . لهذا وجب استشارة الطبيب ، واخذ هذا العقار ، ان كان لا بد ، تحت رعايته .

ونقول « ان كان لا بد » لأن استخدام عقار ليفقد متعاطيه الشهية امر يتراءى غير طبيعي ولا معقول الا لضرورة قصوى ، كان تكون البدانة اصبحت حملا لا يحتمل ومرضا . ان خير وسيلة للنحافة ، الى اليوم ، لا تزال هي قوة الارادة التى تحتم على صاحبها الاقلال من الطعام رغم الشهية الجامحة . ثم تتطامن الشهية من بعد ذلك .

خطوط الأطباء

● **ذهبت الى طبيب فاعطاني تذكرة فيها اسم لعدة ادوية اردت ان اقراها فلم افلح . وهذه تجربة معروفة . فهل هذا ناتج من ان الاطباء فى عمومهم خطوطهم رديئة ، ام انهم يتعمدون سوء الخط تعمية على المرضى حتى لا يستطيعوا ان يعلموا ما الدواء الذى يصفون . ويزيدنى فى هذا الراى الاخير توكيدا ، ان الطبيب قلما يتحدث الى مريضه عن مرضه بوضوح ..**

ـ اما عن سوء الخط الذى يكتب به الأطباء تذاكر الدواء ، فهذا صحيح .

واما انهم ، او اغلبهم يتعمدون هذا ، فاظن ان هذا صحيح ايضا ، وذلك بسبب ما قد ينفعل به المريض اذا هو عرف ما هو الدواء الموصوف . فقد تكون عنده فكرة انه لا ينفع ، او سمع بانه يفعل بالناس كذا وكذا ، وغير ذلك من امور .

يحكي بعض الأطباء ، انهم فى احدى الوقائع الحربية دخل الى مستشفاهم

عادتى الشهرية لم تبدأ بعد

● **انا فتاة فى الثانية والعشرين من عمرى ، والى هذه الساعة لم تجئني العادة الشهرية فهل تلك الادوية التى ينشرون عنها ويزعمون انها تنشط مبايض الانثى تنفعني لو اني استعملتها ؟**

ليست المسألة بهذه السهولة .

فتخلف العادة الشهرية ، وقد بلغت الثانية والعشرين ، قد يرجع الى اسباب عدة . فقد يكون سببه توقف المبيضين عن النمو ، او الرحم نفسه ، وفى بعض الاحيان قد يرد السبب الى غدد فى الجسم مثل الغدد الدرقية والكظرية والنخامية .

لهذا لا بد من الرجوع الى الطبيب

هل هي سيئة طبعا أم عمداً؟

البعيد المعزول ضابط ، وهو يصيح بأنه مصاب بالملاريا . وكان فعلا مصابا بالملاريا . وكان يصيح فيقول انه لا يقبل ابدا أن يعالجه الأطباء بالكينة ، لأنها تورثه القيء والصداع ، ولا تأتلف ومزاجه أبدا . ولم يكن بالمستشفى المنعزل غير الكينة دواء . فما كان من الطبيب الا ان جاء بالعقار ، بالكينين ، وسحقه مع السكر . وفي حذر اعطاه للضابط . اعطاه منه جرعة كاملة . وظل يعطيه اياها ٨ أيام حتى هدأت الملاريا . وفي هذه الأيام لم يَشْكُ المريض شيئا ابدا .

ثم اذا باحدى الممرضات تخطىء فتذكر اسم الدواء ، وما كاد يسمعه الضابط حتى جُن جنونه ، واخذ في الصياح .

ولكن ما الفائدة ؟ كان شفي من مرضه رغما منه وانتهى الأمر .

على ان الطبيب الذي يُبهم عندما يكتب تذكرة الدواء ، يحاول دائما ان يجعلها مما يستطيع الصيدلي ان يقراه .

ومع هذا فقد حدث ما يلي :

مجلة للصيادلة ، وهم يكرهون بالطبع الكتابة المبهمة ، نشرت صورة لتذكرة دواء جاءت الى احد الصيادلة ، وجعلت المجلة جائزة لمن يستطيع ان يقراها صحيحة .

واطلع على هذه المسابقة احد الصيادلة ، وكان عرف خط الطبيب الذي كتب هذه التذكرة . فأخذ التذكرة المنشورة ، وذهب الى هذا الطبيب نفسه يرجوه ان يقراها له . وفعل الطبيب ، وكتب الصيدلي ما قرا الطبيب ، وكتبه واضحا من جديد . وأرسله الى المجلة .

ومع هذا لم يحصل هذا الصيدلي على الجائزة ، لأنه كان في قراءتها غلطتان !!

حتى الطبيب الكاتب لم يستطع قراءة خط نفسه ! !

المختص ، ومناقشة المسألة معه ، وقد تستدعي الكشوف المطلوبة اخذ عينة من خلايا جسمك قصد امتحان كروموسوماتها وكيف تألفت .

لماذا لا نأكل اللحم نيئا ؟

● الحيوانات المفترسة تأكل لحم فريستها نيئا ، فلماذا لا يفعل ذلك الانسان فيأكل اللحوم نيئة ، وبذلك يستغني عن تعب الطبخ واجهاده لا سيما للنساء ؟

– سؤالك هذا يوحي بأن البقر والضأن ليست الا فرائس للانسان ، يقتلها ، ويأكل من لحمها ، تماما كما تفعل الحيوانات . وهذا صحيح .

أما عن أكل هذا اللحم نيئا ، فهذا يتوقف على خلوه من الامراض . ولا شك أنك تعلم ان الحيوانات المتوحشة عندها حصانة في بريتها ، فوق حصانة الانسان . ومع ذلك فأكل لحم البقر نيئا اقل خطرا من اكل لحم الضأن ولحم الماعز .

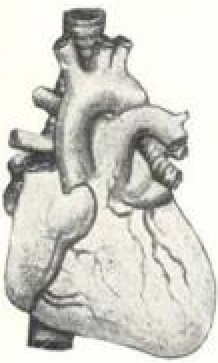
ولكن هناك استمراء الطعام . لقد تعودنا اكل اللحم ناضجا . وحاول ان تأكل لحما نيئا ، وانظر كم تستطيع ان تأكل منه . انك لاتستطيع ان تأكل الا كمية صغيرة .

ثم لا تنس ان استمراء الطعام شيء نابه له كثيرا . ان كثيرا من الناس انما تأكل لتستمرى الطعام وتستلذه .

■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

رجل يموت ، وقلبه يحيا من بعده



● الموت شيء امره غريب .

يموت الميت ، فيموت جسمه .

ويموت الجسم فيموت القلب طبعا .

وبالعكس ، يموت القلب ، فيموت بموته الجسم والرجل .

هذا شيء واضح ..

ولكن حدث ، فى مستشفى جامعة امستردام ، بهولندة ، ان رجلا فى السبعين من عمره مات . وكان سبب موته نوبة قلبية . وانتزع العلماء قلبه بعد ذلك بتسعين دقيقة ، ووصلوا القلب بقلب ورئة صناعيين ، اى بجهاز كذلك الجهاز الذى يستخدمه الجراحون اليوم عندما يعزلون قلب مريض يحتاج لاجراء جراحة فى قلبه .

وظل العلماء يغذون قلب الرجل العجوز هذا ، بعد وفاته ، بدم ثور ، موفور الاكسجين . وظل القلب يعمل ،كما كان يعمل فى الحياة ، ست ساعات كاملة .

وفى هذه الأثناء لم يحتج الامر الى تدخل العلماء لمعونة او درء خلل فيه ، حتى ولا الى تدخلهم فى الجهاز الاصطناعي يصلحونه . حتى صمامات القلب عملت كما وجب .

اذن لقد كان فى القلب بقية من حياة .

مات الجسم ، وبقي القلب لا يرفض المزيد من الحياة .

مد الأنابيب عبر البحار

هكذا يمدون الأنابيب فى قاع البحر ، اميالا طوالا . بكرة هائلة ، لفوا عليها خطا انبوبيا سمكه ٥ بوصات ونصف بوصة ، وطوله ثلاثة اميال .

ولفوه فى سهولة لف الخيط ،تخاط به الملابس ، على بكرة الخشب المألوفة .

والبكرة بالطبع ، تدور على قاعدة ، تديرها قوى ميكانيكية قوية ، تلف الخيط الأنبوبي او هي تطلقه ليغوص فى البحر .





من ضحايا التشويه الخَلْقى

● لا يزال الناس يذكرون ما صنع العقار الشهير ، المعروف باسم تاليدوميد Thalidomide ، ذلك الذى تعاطته النساء الحبلاوات ، فأصاب بالتشويه البالغ ما ولدن من أطفال .

وهذه الطفلة التى فى الصورة هي احدى الضحايا . ولدتها أمها مفقودة الساقين ، وبذراع يمنى قصيرة معوجة . وقد قام جراحان من السويد باصلاح ما أفسد العقار ، فركبا لها ساقين صناعيتين . وخلعا ضلعا من أضلاعها ، وهي ابنة عام واحد، وصنعا منه لها ذراعا يمنى . ونما مكان الضلع المخلوع ضلع آخر .

من مكتشف التلفاز ؟

● منحت رئاسة السوفييت العليا لقب « المخترع الكبير » لكل من ايفان بليانسكي Ivan Belianiski وبوريس جرابفسكي Boris Grabovski وذلك لاختراعهما التلفاز .

وتسأل أهل الغرب مَن اخترع التلفاز ، فتعلم انه الاسكتلندى جون بيرد John Baird .

واذا توخيت الدقة . وطلبت القسمة بالعدل ، فى اى اختراع كان ، كان من الصعب جدا أن تذكر فردا واحدا ، لا سيما فى أمور العلم المعقدة الاخيرة وابتداعاته الفنية الغامضة .

ان اختراع الألف يأتي بها رجل اول ، ثم الخاء يأتى بها رجل ثان ، ثم التاء يأتى بها رجل ثالث ، أو امرأة . ثم الراء يأتي بها رجل رابع ، ثم الألف يأتى بها رجل خامس .. وتبقى العين ليتم الاختراع . ويأتى بالعين رجل سادس ، فيقال انه صاحب الاختراع ظلما .. وبهتانا .

ينسى الناس كل من سبق وشارك ، ومهّد ، وكاد أن يتم ، ولم يفعل . ينسى الناس من حصلوا من العلم ، علم القرون . وما الاختراع ، اى اختراع ، الا تتويجا لعلم القرون ..

فاصح ما يقال فى اختراع منها ، ان مخترعه هو « الانسان » ، بعلمه المتراكم على السنين ، وبشيء خفى يحفزه من وراء الغيب الى غاية .

نساء من عادتها الاسقاط ، تعود فتتم حملها من جديد

امراة تحمل من زوجها ، ثم تجرى بها بعض اشهر الحمل ، ثم لا تتم حملا . انها تسقط ولدها قبل تمام . ويتكرر هذا ، المرة بعد المرة . فهذه امراة لا يكون لها ولد ابدا . انها امراة مسقاط .

وجاء الطبيبان ، بردويل Bardawil والدكتور متشل Mitchell ، وكلاهما من المركز الطبى بمدينة بسطن Boston جاءا بامراتين حبليين ينتظر اسقاطهما ولديهما ، ووضعاهما فى حجرة من المستشفى . ووضعا فى الحجرة المجاورة زوجيهما . ومن الزوجين اقتطع الجراحان قطعتين من الجلد ، من ذراعيهما مثلا ، صغيرتين . فلما اكتملت اربع قطع ، زرعا فى ذراع كل من المراتين قطعتين من هذه القطع الاربع ، واحدة جاءت من زوجها ، والاخرى من الزوج الغريب .

وبعد سبعة ايام رفض جسم المراتين ان تلتحم به قطعة الجلد التى جاءت من زوج كل ، فانفصلت . وبعد ١١ يوما انفصلت القطعة الأخرى .

ومضت الأشهر بعد ذلك،وتم الحمل وتمت الولادة على أحسن ما يكون .

ومن ٦٠ حالة من نساء حبليات مسقاطات ، حمل ٤٦ من بعد يأس . بقى تفسير ذلك .

يقول الطبيبان ان بدم الزوج والزوجة المسقاط تعارض وتنابذ يؤديان بالولد ان لا يتم تشكله . فى جسم المراة اجسام معارضة Antibodies تناقض ما فى جسم زوجها . والمعروف انه ينتج عن هذا ان الجسم يرفض ما ينزرع فيه او عليه بسبب هذا . انه زرع غريب . وسبق الأطباء بزرع جلد الرجل لبأباه جسم المراة وبدا يستفرغ جهدها فى المقاومة . حتى اذا جاءها الزرع الأكبر ، اى الطفل ، لم تقو على رفضه ، وبذلك يتم الحمل .

وسواء صح هذا تفسيرا ، او لم يصح . فالتجربة التى وقعت حق لا لاشك فيه .

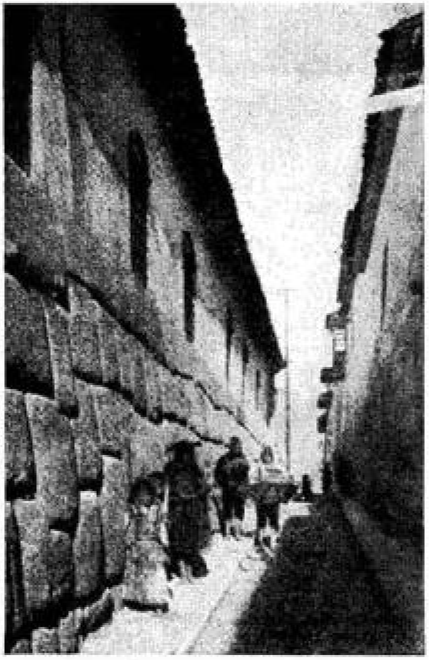
زنوج أمريكا

كتب رئيس الرابطة الطبية القومية فى الولايات المتحدة افتتاحية يؤكد فيها ان زنوج امريكا ، من حيث السلالات ، هم اكثر ارومات سكان الولايات حظا من انتخاب تنشئ . فهؤلاء الزنوج هم الصفوة التى امكنها اجتياز مشقة التجنيد والأسر والرق فى افريقيا قبل ترحيلهم الى الولايات ، ثم اجتياز مشقة الرحلة ذاتها ، وكانت من الصعوبة بمكان ، فى تلك السفن التى كانوا يتكدسون فيها تكديسا كماتكدس الحيوانات .

ثم هم ، قبل اعتاقهم فى أمريكا ،اختلطت دماؤهم بدماء البيض ، بل بالصفوة الممتازة من اهل البياض ذوى القوة والثراء . وخرج من هذا الاختلاط نسل ممتاز .



ولقد دلت البحوث الفسيولوجية على ان السود الأمريكيين يؤلفون نسلا من اقوى انسال اهل الأرض .



شارع من شوارع كزكو Cuzco ، عاصمة دولة الانكا القديمة ، ببلاد بيرو ، بأمريكا الجنوبية . وأنت واجد فى هذه الشوارع الكثير من الابنية الضخمة ، الاجزاء السفلى من حوائطها مبنية من الحجر الضخم ، هى بقايا ابنية المدينة القديمة ، مدينة الانكا .

• • •



حضارة بيرو ، حضارة قديمة

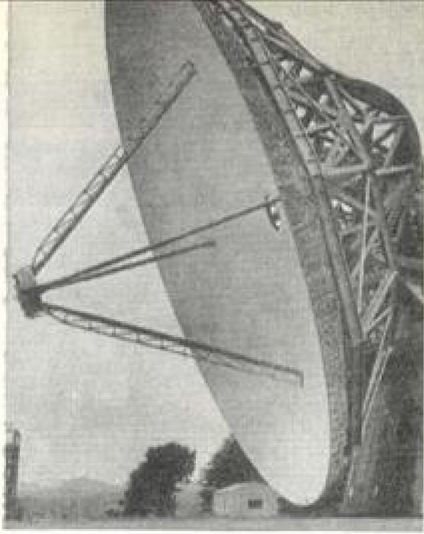
● فى الصورة المرفقة أول رأس لانسان من حجر ، وجده النابشون فى الارض من علماء الآثار ، فى بلاد بيرو القديمة ، بأمريكا الجنوبية على شاطىء المحيط الهادى . ويقدر العلماء انهجزء من تمثال قديم ، وانه من عهد سبق عهد الانكا Incas هناك ، اى قبل كشف كولمبس لأمريكا . والغريب اننا نصف أمريكا دائما بالدنيا الجديدة ، وما هي بجديدة . فيوم كشفها كولمبس كانت فى بيرو دولة عظيمة ، هي دولة الانكا ، امتدت من المحيط الهادى عبر جبال الاند Andes شرقا ، وامتدت من بلاد اكوادور الىالجنوب ٣٠٠٠ ميل . وهي دولة نشرت فى هذه البلادالصناعات والحرف وفن البناء ، وتركت آثارا منتشرة فى جبال الاند ، هنا وهناك ، من حوائطواسوار ، بنيت من احجار عظام ، بلغ ارتفاع بعضها عشرين قدما ، ووزن الكثير من الاطنان ، وعلموا الزراعة كيف تكون ، ودرجوا سفوح الجبال حتى تحتفظ للزرع بالامطار .

وعرفوا صب المعادن ، وتشكيل الفخار .

والآلات الموسيقية صنعوها من العظم والبوص .

وعبدوا الطرق ، واقاموا الكبارى ، معلقةوغير معلقة .

ان للانسان القديم أسرارا لا تزال خبيئة فىبطن الزمان ، لم يكشف الانسان الحاضر الا عن بعضها ، واكثرها ذهب ، فلن يكشف عنه أبدا .



طبق التلسكوب الهائل ، المراد توجيهه الى السماء



احدى الكامحات ، وبها الدائرة الكبيرة ذات الاسنان واضحة

أكبر فرملة (كَمَّاحة) فى العالم

● فى الصورة تلسكوب لالتقاط أمواج الراديوالتى تصل الى الارض من السماء ، من أجرامها ، وهي كالتلسكوبات الضوئية ، توجه الى نقاط فى السماء معينة . والدقة فى هذا التوجيه ضرورية جدا .

وتلسكوب بهذا الحجم (ويستفاد حجمه بالمقارنة الى البيت والشجر الذى الى جواره ، وهو قد اقيم بمرصد جرين بانك Green Bank فى الغرب من فرجينيا بامريكا) صعب التوجيه للغاية .

ومع هذا ، فقد صنعوا ست كوامح (فرامل) : للمستوى الافقى ثلاث ، وللمستوى الراسي ثلاث . وهي لكمح الدوران للاجزاء المتحركة من التلسكوب ، وهي أجزاء يبلغ وزنها ٢٧٠٠ طن !

وتتألف الكامحة من فك يكمح دوران دائرة كبيرة ذات أسنان ، يلتقمها الفك التقاما ، ويقف بها عند السن التى أراد العالم القائم على هذا الجهاز ان تقف عندها (الصورة الصغرى) .

والنتيجة هي امكان توجيه هذا التلسكوب الى حيث يراد توجيهه من السماء ، بحيث لا يزيد خطأ الزاوية فى التوجيه عن ثلاثة أجزاء من الف جزء من الدرجة الواحدة !!

دقة لم يبلغ الانسان مثلها من قبل ، فى مثل هذه الضخامة ، ومثل هذا الثقل . لا سيما اذا علمنا ان قوة الكامحات مجتمعة تبلغ ٦٥٠٠٠٠ كيلوجرام !!

السرطان
مقارنة بين اليابان والولايات المتحدة

● أحصوا عدد اصابات السرطان فى الثدى ، فكانت فى الولايات المتحدة ثمانية امثالها فى اليابان .

واحصوا اصابات السرطان فى المعدة ، فوجدوها فى اليابان ثلاثة امثالها فى الولايات المتحدة .

فعلى اى شيء يدل ذلك ؟

يدل على ان صنفى الحياة ، هنا وهناك ، كان لهما فى الموضوع اثر .



التِّرْمِذى

كتابه الجامع أحد الكتب الستة التى يرجع إليها العلماء فى كل الآفاق

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة القاهرة

■ كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى عنه يقول : « العلم يماني » ويشير الى ما وراء بلاد اليمن من أرض فارس وخراسان وسمرقند ، وغيرها من البلاد التي عمر الاسلام قلوب اهلها ، وملأها بالتقوى والمعرفة ، وقد تحققت نبوءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فظهر العلماء الافذاذ الذين حملوا

مصابيح العلوم الاسلامية فى شتى فروعها من تفسير وفقه ولغة . وافتح اى كتاب زاخر بعلم الاسلام ، فانك واجد آثار علماء هذه الارض الطيبة الفاضلة .

ولعل اوضح ما كان من علم لهم هو رواية الحديث ، وحسبك ان تعلم ان البخارى ، ومسلم بن الحجاج ، وابن ماجة ، وابا داود والنسائي ، واكثر الحفاظ بعد ذلك كانوا منهم ، كما كانت لهم القدم الثابتة فى التفسير وفقه اللغة ونحوها، وكما كانت لهم البصيرة النافذة فىالفلسفة الاسلامية والتصوف وعلومه.

ولعل السر فى ذلك الاتجاه العلمي القوى ، وخوض بحاره الزخارة ، هو ان هؤلاء ـ عندما دخلوا فى الاسلام، وذاقوا بشاشته ، وذاقوا حلاوة الايمان وطيب العلم ، ولم يكن لهم فى الجهاد والسلطان ما يشغلهم ـ اتجهوا بكل قواهم الى تعرف النور الذى اصبحوا يبصرون به الطريق الى الحق ، فاتجهوا الى معرفة اصله ، وموضع اشعاعه ، وما انبثق منه نوره . اتجهوا الى الكتابة والسنة . اتجهوا الى الكتاب يتعرفون مراميه وغاياته ، واتجهوا الى الحديث يتعرفون اسناده ورواياته ، وبذلك كان منهم المفسرون كالزمخشرى وابن‌جرير، وفخر الدين الرازى ، وكان منهم البخارى ومسلم وغيرهما .

عالم ضرير عند نهر جيحون

وفى ترمذ ، احدى بلاد ما وراء نهر جيحون التى كانت على سيف ذلك‌النهر، كان عالم محدث ضرير ، يروى‌احاديث رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم ، وبين يديه تلاميذه ، ومعهم كتبه ، يراجعون فيها ما يقراه عليهم من غير مراجعة كتاب ، ولا تذكرة مذكرة ، وهم يتابعون ما كتب ، وما ينطق به ، لينقلوا عنه ما رواه ، وليجيزهم فى نقله ، كما كان الشأن فى رواية الحديث ، فان ما كانوا ياخذونه من الكتب المكتوبة منفصلة عن راويها ، وينقلونها الى من وراءهم باجازة منه .

ذلكم العالم المحدث الضرير هو محمد ابن عيسى بن سورة الترمذى ، نسبة الى ترمذ التى ولد بها ، والتى عاش حياته فيها ، وكان مثواه الأخير بها .

الترمذى راى النور قبل العمى

لقد مات ذلك العالم الراوية ضريرا ، ويظهر انه عاش‌شطرا من‌حياته فى‌سنيها، الأخيرة ضريرا ، حتى ادعِىَ انه وُلد اكمه لا يبصر ، ولم ير النور قط ، ولكن الحقيقة انه راى النور ، وكتب والف ، بعد ان طاف فى البلاد ليجمع الروايات الصحيحة من افواه رواتها اهل التثبت والصدق والأمانة .

رُوى انه قال ، كما جاء فى كتاب التهذيب ، : « كنت فى طريق مكة ، وكنت قد كتبت جزءين من احاديث شيخ ، فمر بنا ذلك الشيخ ، فسألت عنه ، فقالوا فلان ، فرحت اليه ، وانا اظن ان الجزءين معى ، وانما حملت معى جزءين آخرين غيرهما شبههما ، فلما ظفرت به سألته السماعَ ، واخذ يقرا من حفظه (اى من حفظ الشيخ) ، ثم لمح فراى البياض (اى ورقا ابيض فى يدى غير صالح للمراجعة) ، فقال اما تستحى منى . فقصصت عليه القصة ، وقلت له انى احفظه كله ، فقال اقرا ، فقراته عليه على

الولاء ، فقال هل استظهرت قبل ان تجيء الى ، قلت : لا . ثم قلت له حدثني بغيره ، فقرأ عليّ أربعين حديثا من غرائب الأحاديث . ثم قال : هات ، فقرات عليه ما قرأ من أوله الى آخره » .

فهذه القصة تدل على انه لم يولد اكمه ، بل ولد مبصرا ، ثم كُفّ بصره ، ونسوق الخبر لاثبات ذلك ، ثم هو ايضا يثبت قوة حفظه ، ويظهر انه كان قد اخذ أحاديث عن ذلك الشيخ بطريق بعض تلاميذه الذين أجازهم فى النقل عنه حينما رواه ، فلما التقى به آثر أن يأخذه منه بدل أن يقتصر على الرواية عن تلاميذه ، ولو كان قد أجازهم .

ظل الترمذى يجمع الحديث ، مطوفا فى البلاد ، حتى اذا شب عن الطوق ، اخذ يعطى مما جمع

ولد محمد بن عيسى بترمذ ، وتلقى علومه الأولى. استحفظ القرآن ، ودرس فقه الامام الشافعى وان كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد ، بعد أن صار حافظا من حفظة الأحاديث ، ونقلها مصونة فى حرز مكين بعيد عن التغيير والتبديل الى الأخلاف من بعده .

ولقد كان كشأن طلاب الحديث لا يأخذون الحديث الا ممن رووه من افواه الشيوخ الذين رووا، حتى لا تدخل عليهم الزيوف من الروايات بالتحريف او التصحيف . فكان يطوف فى الآفاق الاسلامية لينقل الرواية عن الشيوخ او عن تلاميذ الشيوخ الذين اجيز لهم ان ينقلوا . ومن المحدثين من كان لا يأخذ عن التلاميذ اذا كان الشيوخ احياء ، ولو كان التلاميذ قد أجيزوا من شيوخهم ، وكان ذلك للاستيثاق . والبخارى رضى

«الجامع» للبخاري أقوى ثقة وأصح جمعا، والجامع للترمذي أوضح بيانا وأحسن ترتيبا

الله عنه قد اختص بفعل ذلك ، وهو اشد تثبيتا .

كان ابو عيسى الترمذى يطوف فى البلاد راويا ناقلا عمن هو أكبر منه من الشيوخ، حتى اذا بلغ من العلم مبلغا ، وشبّ عن الطوق فى الرواية ، اخذ يلقى على غيره ، كما تلقى عمن هو أوسع منه رواية واكثر نقلا ، وعلماء الحديث كانوا حريصين على الا يقطعوا الرواية وتلقى الأحاديث انى وجدوها ، فأحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحيط بها علم واحد ، ولكن يحيط بها علم الأمة فى مجموعها ، والحديث جوهرة تؤخذ انى وُجدت ، وهو الحكمة يتلقاها الكبير والصغير على سواء . فتلقاها ابو عيسى صغيرا واستمر يتلقاها كبيرا . وكان يلقى من الحكمة النبوية على غيره، فقد كان يروى الأحاديث عمن يلقاه من الكبار ، ويلقيها على من هو اصغر منه ، بل على من هو اكبر منه ، وله موضع التجلة عنده، فقد كان يروى عن البخارى، وروى عنه البخارى حديثين ، وبهذا يشرف ، وبه كان يفخر ويعتز .

وقد ثبت ان الناس كانوا يأخذون عنه فى ارض الحجاز ، وفى سمرقند ، وفى بخارى .

وقد كان يأخذ بقول البخارى : « لا يكون المحدث محدثا كاملا ، حتى يكتب عمن فوقه ، وعمن دونه ، وعمن مثله » .

عمل الترمذى فى الحديث

لقد قال علماء الحديث : « لما مات البخارى لم يخلفه فى خراسان مثل ابى عيسى الترمذى فى علم الرواية والورع والتقوى ، فاعتبروه خليفة البخارى فى خراسان ،وعزاء الناس فيه بعد موته» .

وقد قام الترمذى بعملين جليلين فى التأليف فى علم الحديث .

اولهما ــ كتابة الحديث ، وجمعه وترتيبه وتدوينه وكتابته واضحا نيرا ، لا يعسر على النفس فهمه ، فى وضع طبقته فى قوة الرواية ، أو غرابتها . وقد وضع فى ذلك كتابه الجامع ، وقد سمى سننا .

ثانيهما ــ دراسته لرجال الحديث ، ومراتبهم من حيث قوة الثقة فيهم ،فكتب كتاب التواريخ وكتاب العلل وكتاب الأسماء والكُنى .

وقد هدته الدراسة للروايات الى الكلام فى انواع الأحاديث ، ما يقبل منها باطلاق ، وما يقبل على تحفظ . فتكلّمَ فى قبول المرسل ، وهو الذى لم يَذكر فيه التابعىُ من روى عنه من الصحابة،وتكلّمَ فى المنقطع الذى انقطعت فيه السلسلة فى اى طبقة من طبقاته ، وتكلم فى مراتب الاحاديث من قوة الرواة فى الثقة،فتبيّنَ الحديثَ الصحيح والحديث الحسن ، والحديث الغريب ، والشاذ ، وغير ذلك مما هو مدون فى كتب علم الحديث دراسة أو علم مصطلح الحديث كما يسمى العلماء .

وقد كانت الحاجة ماسة الى ذلك ، لانه على راس المائتين من الهجرة كانت قد تعقدت شئون الرواية فكان لا بد من وضع ضوابط لها ، لمعرفة الصحيح من السقيم منها ، فكان ذلك علم مصطلح الحديث .

ولعله كان يذاكر شيخه الامام البخارى فى ذلك ، حتى لقد رُوى أن البخارى قال للترمذى مخاطبا له « انتفعت بك اكثر مما انتفعت بى » ، ولا شك أن فى هذا تواضعا من الشيخ ، ولكن لا بد أن يكون بين التلميذ الذكى ، والشيخ التقى ، مذاكرة فى أمر غير النقل اثار اعجاب الشيخ بتلميذه .

كتابه الجامع أو السنن

لقد سمّى مدوّنه فى الحديث « الجامع » كما سماه هو ، وكما هو فى حقيقته ، وسمّى بين المحدّثين ايضا بالسنن . وقد أجمع المحدثون على انه أحد الكتب الستة التى يرجع اليها أهل العلم بالحديث،وقد قال فى ذلك الحافظ ابن كثير : « كتاب الجامع (للترمذى) أحد الكتب الستة التى يرجع اليها العلماء فى كل الآفاق » .

وهو جدير بأن يسمى جامعا ، لأنه جمع كل موضوعات الأحاديث النبوية ، والسنن تقتصر على احاديث الاحكام . فالجامع يجمع أحاديث العقائد،وأحاديث الأحكام ، وأحاديث الزهد ، وأحاديث الآداب فى الأكل والشرب والمعاملة فى السفر والحضر ، وأحاديث التفسير ، وأحاديث الفتن .

وقد جمع هذا كله كتاب الترمذى ، وزاد فتاوى الصحابة وأقضيتهم ،والتقى مع السنن فى ذلك .

وقد عرض ابو عيسى الترمذى كتابه

على علماء الأقطار الاسلامية،لتكون عنده فرصة للتثبت مما جاء فيه . وقد جاء في كتاب التاريخ للحافظ ابن كثير أن الترمذي قال : « صنفت ذلك المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان، فرضوا به،ومن كان في بيته هذا الكتاب، فكأنما في بيته نبي يتكلم » .

ولقد زكى ذلك الكتاب من تلقاه ،ومن جاء من بعده من أهل العلم والرواية والاسناد ، والأكثرون من العلماء على أنه من حيث قوة الثقة فيه خامس الكتب الستة ، وأولها جامع البخاري ، وثانيها صحيح مسلم ، وثالثها سنن أبي داود ، ثم السنن الصغرى للنسائي ، ثم جامع الترمذي .

ويعقد العلماء موازنة بينه وبين جامع البخاري فيجمعون بلا ريب على أن جامع البخاري أقوى ثقة وأصح جمعا ، لدقته في الرواية ، وشروطه الشديدة فيمن يأخذ عنهم .

ولكن من حيث الوضوح والبيان وحسن الترتيب يفضل بعض العلماء جامع الترمذي،لأنه لا يكرر الحديث اذا تعددت طرق روايته ، بل يختار واحدة ، وهي التي يراها أوثق من غيرها ، وقد يشير الى غيرها من غير تكرار لنص الحديث ، ولأنه فوق ذلك أوضح ترتيبا يستفيد منه أهل البصر بالحديث ، كما يستفيد منه من دونهم . وقد روى بعض الحفاظ أنه قال : « كتاب الترمذي عندي أنور من كتاب البخاري ، لأنه لا يصل الى الفائدة منه الا من هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب الترمذي قد شرح أحاديثه وبينها ، فيصل اليها الناس من الفقهاء والمحدثين وغيرهم » .

ويلاحظ انه قال انه انور اي أوضح، ولم يقل انه أصح وأوثق ، وبذلك تحرى الدقة في الثناء .

وبعد

وبعد فانه يتضح من الكلام في الترمذي وغيره مقدار عناية العلماء بأحاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد نقلوه خلفا عن سلف ، فنقله الصحابة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم نقله التابعون ثم نقله تلاميذهم ، ومن جاء بعدهم، وكلما تقادم الزمن ازداد التشدد في قبول الرواية وتحري صدقها ، حتى دونت السنة في المجامع وتناولتها العصور منقحة موضحة ، وبقيت خالدة حجة قائمة، ومن كانت عنده مجموعتها ،فعنده بلاغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم القائم بجوار القرآن يوضحه ، ويبينه ، والله تعالى بكل شيء محيط . ■■

محمد أبو زهرة

من نوادر النحاة عند العرب

● كان لبعضهم ولدٌ نحويٌ يتقعّر في كلامه . فاعتل أبوه علةً شديدة أشرف منها على الموت. فاجتمع عليه أولاده وقالوا له : ندعو لك فلانا أخانا ، قال : لا ، ان جاءني قتلني ، فقالوا : نحن نوصيه . فدعوه ، فلما دخل عليه قال : يا ابت ، قل لا اله الا الله تَدخلْ بها الجنّة وتَفُزْ من النار ! يا ابت ، والله ما اشغلني عنك الا فلان ، فانه دعاني بالامس فأهرَسَ واعدَسَ واستَبْدَجَ وسَلْبَجَ وطَهبج وافرَجَ ودجّج وابصلَ ولوزج وافلوذج . . فصاح ابوه : غمّضوني ! فقد سبق اللعين ملكَ الموت الى قبض روحي .



حضارات سادت ثم بادت

« ملحمة الخلق »
عند البابليين

● انها صورة رمزية ولا ريب ، تلك التي تظهر على الصفحة الثانية من هذا العدد . فالمجلس الذى تراه فيها ليس مجلس حكام او كهنة . انه مجلس ارباب وآلهة ، آمن بوجودها وتعددها اهل بابل ، واشور ، كما آمن بها ، من قبلهم ، اهل آكاد وسومر . على ان هذا المجلس يختلف اختلافا كبيرا عما شهده جبل أوليمبوس من مجالس عقدتها آلهة اعتقد بوجودها الاغريق . ولعل أبرز ما يتصف به هذا المجلس الذى امامنا هو ان الآلهة المشتركين فيه بشر او كالبشر، لا يختلفون عن عبادهم فى الطول او القصر ، او فيما كسا اجسامهم من ملبس وغطى رؤوسهم وذقونهم من شعر . بل انهم لا يختلفون عنهم من حيث النعال التى انتعلوها ، او الاواني الكبيرة التى احتسوا الخمر منها . تراهم يخطبون ويصغون ، وكانهم بصدد مشكلة خطيرة يناقشونها، او يتحادثون ويتنادمون وكانهم فى جو لهو وسمر .

● على ان ما انفرد به آلهة بابل ايضا هو اخذهم بمبدأ المداولة والمناقشة ، قوام كل انظمة الحكم الديمقراطية والنيابية . وان دلّ ذلك على شيء فانما يدلّ على مدى تعلق اهل بابل بهذا المبدا فى حياتهم السياسية المدنية . فمع ان حكامهم وملوكهم كانوا ذوى سلطة واسعة ، فان سلطتهم هذه لم تكن مطلقة على نحو ما كانت عليه سلطة الفراعنة . وبالرغم من انّ نظام الحكم عندهم لم يوفر للاهلين من الحماية السياسية ما وفرته أثينا الديمقراطية لمواطنيها فيما بعد ، الا ان حكام بابل حرصوا على التماس النصح والمشورة من مجالس للاعيان قامت فى سائر ارجاء البلاد . فضلا عن ذلك فقد تمتع المواطن البابلي بحق التقاضي وحق الاستئناف والتمييز ، حتى اذا لم يُرْضِهِ قرار محكمة الاستئناف لسبب من الاسباب ، عمد الى رفع قضيته الى الملك نفسه . ويضاف الى ذلك ايضا ان الحكومة البابلية قد كفلت لمواطنيها من الحماية الاقتصادية ما لم تكفله لرعاياها حكومة اخرى من حكومات العالم القديم . فقد ضمنت لهم حقوق الملكية الفردية وآمنتهم على ممتلكاتهم المنقولة وغير المنقولة الى حد كبير . « فاذا ارتكب رجل جريمة السطو وقُبِضَ عليه ، حكم على ذلك الرجل بالاعدام » . وفى حالة عدم القبض عليه كان على اهل المدينة وحاكمها ان يعوضوا المسروق منه عن كل ما فقده . « واذا ادى السطو الى خسارة فى الارواح دفعت المدينة وحاكمها مبلغ المينا (اى ما يعادل ٣٠٠ ريال) الى ورثة القتيل. ولقد بلغ حكام بابل من الحرص على حماية الافراد المواطنين ، بالمفهوم الاقتصادى ، حدا عمدوا معه الى تحديد اسعار السلع واجور العاملين والفنيين. فاجر الطبيب الجرّاح ، وكذلك اجور البنائين والخياطين والنجارين والبحارة والرعاة والفعلة ، كانت كلها محددة بالقوانين .

● ولعل الاهم من هذه الحماية فى حياة بابل المدنية تمسك حكامها بالشرائع وتقيدهم باحكام القوانين . فقد ساد حكم القانون فيها ودان له الحاكم والمحكوم من بينهما ، وساد بالتالي الامن وانتشر النظام . ويعود الفضل فى ذلك كله الى حمورابي ، وقد اشرف على جميع الشرائع ووضع القوانين فضلا

عن صياغة موادها وتحديد أحكامها ، فيما عرف بكتاب القانون العظيم . ولعل في بقاء هذا القانون على حاله ، محتفظا بجوهره ، طيلة ١٥٠٠ سنة ، على الرغم من كل ما طرأ على أحوال البلاد من تبديل وتغيير ، لدليلا على عظمة ذلك القانون واصالته . ولعل في اعتراف سائر أولي الامر في بابل بسلطان هذا القانون وتقيد حكامها وملوكها بكافة نصوصه وأحكامه ، طوال خمسة عشر قرنا ، لشاهدا على مدى ما أحرزه أهل بابل من تقدم ورقي على الصعيد السياسي المدني ، مما ترنو اليه وتسعى أنظمة الحكم الصالحة، من ديمقراطية وغير ديمقراطية .

● ولم يَحُل ذلك كله بين أهل بابل وبين الاخذ بالمعتقدات الوثنية . شأنهم في ذلك شأن الفراعنة والاغريق وشأن سائر شعوب الاقدمين . آمنوا بتعدد الآلهة حتى بلغ عددها في نظرهم نحوا من (٦٥٠٠٠) في القرن التاسع قبل المسيح . فقد كان لكل مقاطعة بل لكل مدينة رب يحميها كما كان لكل ملك بل لكل فرد من أفراد الشعب أيضا رب يحميه . وشاعت تبعا لذلك الخرافات والاساطير . الا انهم اعتقدوا دوما بوجود شبه بينهم وبين آلهتهم عظيم ، وآمنوا بالتالي بتمسك تلك الآلهة بمبدأ الشورى فيما بينهم . كذلك اعتقدوا بتفوق نفر قليل من الآلهة على من سواها ، وآمنوا اكثر ما آمنوا بأسطورة واحدة فاقت في نظرهم بقية الاساطير .

● تلك الاسطورة ، أو قل الشرعة الدينية التي طغت على سائر حضارات ما بين النهرين ، هي « ملحمة الخلق » المعروفة . وما الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد الا محاولة فنية امينة رائعة لعرض مشهد من مشاهد تلك الملحمة .

اما الملحمة فقصة الحرب التي شنها الخيرون من الآلهة على عناصر التخريب . فهي تروي كيف تحوّل العدم والفوضى اللذان كانا قائمين في ذلك الزمان . اذ لم يكن في البدء شيء سوى التخبط على غير هدى ولم يتحكم العالم حينئذ سوى (تيامات) ، آلهة العماء . وبقيت تعيث في الارض فسادا الى ان اجتمعت كلمة كبار الآلهة على محاربتها والقضاء عليها .

● حدث ذلك في الاجتماع الذي دعا اليه (ايا) اكبر الآلهة سناً ، واكثرهم حنكةً ، وابلغهم حرصه على وضع حد لفوضى (تيامات) وفسادها . والاجتماع المذكور هو المشهد الذي تنقله الينا ، او تنقلنا اليه ، صورة الصفحة الثانية على نحو من الدقة والبراعة الفنية . يبدو (ايا) واقفا في وسط الحفل ، ويبدو واقفا معه (مَرْدُك) ، الاله الفتي الذي يتمتع بقوة خارقة وعزيمة لا تلين . ولما كان مردك هذا الرشح الكفء الوحيد لشن الحرب على (تيامات) ، وقيادة الحملة الشعواء على عمائها وطغيانها ، ولما كانت شروطه التي اشترطها للاضطلاع بتلك المهمة شروطا قاسية تضمن له الزعامة والسلطة المطلقة وخشي ان لا تقبلها سائر الآلهة ، عمد الى الحيلة فدعاهم الى وليمة . وبعد ان أكلوا وشربوا وامتلأوا أفضى لهم بخطته وشروطه . وكانت الخمر بلغت بهم ، فقبلوها ولم يناقشوها . وكان (لايا) هذا ما شاء ومنح (مردك) ما طالب به من سلطان .

● وتمضي الملحمة لتروي لنا كيف تمكن (مردك) من ابادة (تيامات) ، بدفع عاصفة في فمها ، حتى اذا امتلأ جوفها وانفتح ، طعنها في بطنها طعنةً نجلاء فانفجر . ومن ثم قسم (مردك) جثمان (تيامات) الى قسمين ، فكانت الارض وكانت السماء . وشرع بعد ذلك يَعْجِن الارضَ بعمائه ، فكان بنو الانسان الذي انطلقوا لخدمة غيره من الآلهة وخدمته . فالانسان المصنوع من طين ، لم يكن ، في نظر البابليين والآشوريين ومن سبقهم من السومريين ، منحدرا من جنة النعيم . فهو عندهم ظل يعيش كالبهائم حتى جاءه (أونس) الوحش الفيلسوف ، فعلمه ورفعه فوق مستوى الوحوش . ولم تلبث الآلهة أن غضبت على بني الانسان لغرورهم ، ففجرت عليهم المياه واغرقتهم بالطوفان ، ولم ينج منه الا واحد ، ظفر برضى الآلهة آخر الامر بعد أن قرّب لها القرابين .

● تلك هي « ملحمة الخلق » وتلك هي المعتقدات الوثنية التي زخرت بها الحضارة البابلية . وتلك هي النزعة الديمقراطية التي شملت حياة أهل بابل وملوكها وحياة آلهتها البشر او اشباه البشر . وتلك هي بعض المقوّمات التي خلدت لتلك الحضارة ذكرها على مر الايام ومكّنت لها من ان تسود ثانية وكانت قد بادت من بعد أن سادت اول مرّة . ■■



المرأة بين ... السعادة

■ دلت الاستفتاءات التي أجريت فى عدد من البلدان على ان ثلاثا من كل أربع نساء قانعات بما قسم الله لهن ، ولا يتمنين لو خلقن ذكورا لا اناثا !

ويجد البعض من الرجال فى هذه النتيجة ما قد يؤيد الاعتقاد الشائع بأن المرأة المعاصرة سعيدة هانئة البال : فهي تنعم بمثل ما ينعم به الرجل من مأكل ومسكن ، وتحظى بما لايحظى به رجل من حلي وزينة وملبس ، ويحيطها المجتمع ، على الاقل هذا الذى اجرى فيه الاستفتاء ، بمزيد من احترامه ورعايته .

بل ان المرأة فى رأى هذا البعض ، هي يقينا أسعد حالا من الرجل ، تجني ثمرة ما يبذل هو من جهود واتعاب دون أن تتكلف هي فى سبيل ذلك عناء ، وتفوز بقسط أوفر من الغنم دون ان تسهم فيه بنصيب فى الغرم .

ولسنا نناقش ما يرى هذا البعض من الرجال . ولكنا ننبه الى انهم لم يفرقوا بين قناعة المرأة بما هي فيه ، وبين سعادتها وهناءتها به .

فهل المرأة اليوم سعيدة حقا بالذى هي فيه ؟ وهل تتحقق سعادة الانسان وراحة باله تبعا لما يتوفر له من أسباب الكفاية والرخاء والتأنق ، ولا شيء غير هذا .

المرأة والعمل فى المجتمع الانساني القديم

يحدثنا المؤرخون عن المجتمع الانساني القديم انه افسح المجال للمرأة للاسهام فى بنائه والمشاركة فى حياته . فكان عليها حينئذ مؤازرة الرجل فى تأمين لقمة العيش ، وهي اتقنت فى سبيل ذلك عددا من الحرف والفنون وحذقتها . واتسع وقتها آنذاك لتعاطي تلك الاعمال .



العمل سعادة ، وتحقيق ذاتية ، وتصريف طاقات انسانية

والصلة بين عمل الانسان وسعادته صلة وثيقة للغاية ، تتجلى للمرء فى اللحظة التي يكف فيها عن العمل لسبب من الاسباب . فالعمل ، من حيث هو ممارسة وشغل وانجاز ، بصرف النظر عن انه وسيلة لطلب الرزق ، مصدر هام من مصادر سعادة الانسان . يعزى ذلك الى ما يوطده العمل بل يولده فى صاحبه من صفات وفضائل ، اهمها ضبط النفس والثقة بها ، واحترامها الناشىء عن ذلك والاعتماد عليها . ويعزى الى ما يكفله العمل للانسان من تحقيق ذاته وطاقاته الانسانية ككيان فرد قائم لذاته،

والشقاء ..!

اتسعت لها ايام عزوبتها وكذلك الايام التى جاءت بها سن اليأس بعد الاربعين من عمرها . ولم يحد من ممارستها لتلك الحرف والاعمال بعض الشيء سوى انشغالها بالحمل والولادة ورعاية اطفالها .

ثم جاءت المدنية

ودارت عجلة الزمن وجاءت المدنية فتقلص الدور الذى كان النساء يقمن به فى بناء المجتمع وتضاءلت الوظائف التي كن يمارسنها مشاركة للرجل فى طلب الرزق ، ويحققن فى ممارستها المواهب والمقومات التي تنطوى عليها فطرتهن وانسانيتهن . واقتصرت مهمة المراة آخر الامر على انجاب الاطفال وما يلتحق بذلك من اعمال ، كلها اعمال بيتية ، ليس فيها مكان للابداع جديد .

وايضا كجزء لايتجزأ من المجتمع الانساني الذى لايستطيع العيش الا فيه . هذا بالاضافة الى ما يترتب على العمل من صقل للمواهب الانسانية المديدة الاخرى التي لا تتولد ، ثم لا تنمو اذا هى تولدت ، الا بممارسة العمل بين شتات الناس .

حظ المراة فى الامم الحديثة المتقدمة

ولا يغفل انسان ما حظيت به المراة من حرية فى العمل ردت اليها الكثير من مقومات الحياة الانسانية ، وذلك فى المجتمعات الغربية الحديثة المتقدمة . فلقد بلغ التقدم والرقي فى تلك البلاد حدا خولت المراة معه حق تعاطي الاعمال جميعا ، ما استطاعت اليه سبيلا ، وحق الترشيح والانتخاب وجاز للمرء ان يقول ان حظ المراة من السعادة اذن هو مثل حظ الرجل ، فى تلك المجتمعات .

حظان لا يتساويان ابدا

والحق انهما حظان لا يتساويان ابدا ، حظ الذكر وحظ الانثى ، مهما حاول الانسان ان يتحرر وأن يتقدم . ذلك ان الرجل ، الى اليوم ، وفي اى مجتمع ، هو السابق ، والمراة ، هي اللاحق . وكل ما تصنعه المراة مربوط بحاجة الرجل ، تلك التي طلبها بالامس او جاز ان يطلبها اليوم او غدا .

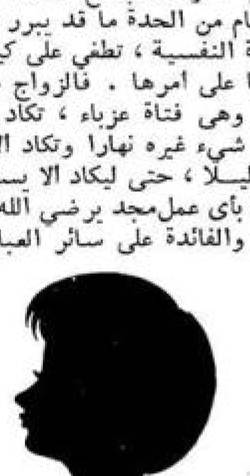
ولسنا ندخل في تفصيل ذلك فهذا امر شرحه يطول .

ولكن يكفينا أن نأتي هنا بعقد نفسية تنتاب المراة ، كل امراة ، في تدرجها من الصبى الى الشباب ، الى الكهولة ، تتصل بتلك الرابطة التي تربط الانثى دائما بالرجل ، فتجعل منهما صورة ابدية ، فيها الرجل عند راس الحبل يمسك بزمامه ، وفيها المراة تمسك بالطرف الاخر من الحبل ، وتتبع .

يعرف ذلك كل من كانت مثلى ، امراة .

عقدة التربص بالزواج يكون اولا يكون

انه من الاسباب التي تحول دون سعادة المراة ، في اى بلد ، وعلى اى حال ، ما يتحكم في قلبها من مخاوف وما يشوب تفكيرها من اوهام حيال الزواج . ولقد تبلغ هذه المخاوف والاوهام من الحدة ما قد يبرر تسميتها بالعقدة النفسية ، تطغي على كيان المراة وتغلبها على امرها . فالزواج هو مثلها الاعلى وهي فتاة عزباء ، تكاد الا تفكر في اى شيء غيره نهارا وتكاد الا تحلم الا به ليلا ، حتى ليكاد الا يسمح لها بالقيام بأي عمل مجد يرضي الله أو يعود بالنفع والفائدة على سائر العباد .



ان الزواج حدث عظيم في حياة الانسان ، ذكرا كان أو انثى . وهو من الخطورة بما قد يجعله اهم حدث في حياة الفرد .

ولكنه ليس هو الحدث الوحيد في حياة المرء ولا يجوز بحال من الاحوال ان يستحوذ على شخصية الانسان فيصبح مرضا على نحو ما يبدو عند بعض الفتيات العزباوات ، تراهن يحصرن هممهن واهتمامهن في طلبه أو بالحرى في انتظار تلك الصدفة التي قد تنتهي بهن اليه . ففضلا عن مشاعر القلق والخوف والحسرة التي تملأ حياتهن بسببه تراهن لايحفلن البتة بمواهب انسانية دفينة في نفسهن او بما يجرى في العالم من حوادث وأحداث قد يكون لها ابعد الاثر في حياتهن .

ونذكر عنهن ذلك ونعذر ، ذلك لأن المجتمع الذي تعيش فيه ، ويسيطر عليه الرجال ، قد قصر وظيفتها الاجتماعية على الزواج وانجاب الاطفال ، واصبحت مع الايام لا ترى قيمة من القيم الاخرى التي تعج بها حياة الانسان ، حبست فكرها على الزواج فطمس معالم انسانيتها ومواهبها أو كاد ، وفرض عليها العيش في معزل عن المجتمع الانساني وعما يجرى فيه من احداث ، وزرع في نفسها من مشاعر القلق والتوتر ما يكفي بحد ذاته لحرمانها راحة البال .

عقدة المراة المطلقة ، والمراة العانس

على أن هذه « العقدة النفسية » ليست اسوا العقد التي تلم بحياة النساء . ان في هذه العقدة بصيصا من الامل المقرون بالبهجة يجعلها اخف وطأة من « عقدة المراة المطلقة » او « عقدة العانس » من النساء . ان ما تشيعه العقدة الاولى من قلق وتوتر في حياة الفتاة العزباء ليتضاءل ويتلاشى بالمقارنة مع ما ترسخه الثانية والثالثة من خيبة امل مريرة ووحشة وكآبة في حياة العانس والمطلقة من الاناث . وان كانت



العقدة الاولي قد سلبت الفتاة العزباء فرصة تنمية كفاياتها فى سائر مدارج الحياة ، فان فى الثانية والثالثة ما يكفل للمراةالحظ الأوفى من البؤس والتعاسة .

عقد تنشا فى المراة عن : احساسها بان لا وجود لها الا بالرجل وللرجل

ومن عقدة المراة احساسها بسيطرة الرجل عليها فى كافة مراحل حياتها .

انها تعتمد اعتمادا كليا على مشيئة الرجل ولا يسمح لها المجتمع الذى يسيطر عليه الرجل بممارسة ارادتها وحق اختيارها مما تباشر من اعمال .

انها لا تملك حق اختيار قرينها وعليها الاذعان لما يتخذه لها ابوها او اخوها فى هذا الشأن من قرارات .

وهى تنجب الاطفال وتتحمل اعباء حملهم وولادتهم والعناية بهم ، لا تجاوبا مع ميولها وارادتها ، وانما نزولا على رغبات الزوج ومشيئته فى غالب الاحيان .

وهي تعال فى بيت ابيها او زوجها ولا تسهم فى اعالة هذا البيت او ذاك الا بقدر ما يسمح لها بمثل هذا الاسهام .

ان اذن لها ابوها او زوجها بالعمل فى وظيفة فما ذلك الا لجنى المال ولا يخولها فى معظم الاحيان حق المبادرة او المشاركة فى انفاق ما تجني ولا فى اتخاذ ما قد يمس حياتها وحياة ذويها من قرارات .

قد تكتشف فى نفسها موهبة او تحس ميلا الى استكمال دراستها فى الجامعات ولكنها لا تملك الحق فى المضي فى هذا السبيل ولا تلبث ان تذعن لمشيئة ابيها او اخيها او زوجها ، فترضى بالمصير الذى قرر لها .

يلومها ابوها اذا فشل زواجها وقد تم بمشيئته لا بارادتها .

يلومها زوجها ان لم يقدم على طلاقها والتزوج من غيرها اذا هي لم تنجب الاطفال ، حتى ولو كان هو مصدر العقم بلا نزاع .

يلومها ايضا ويقدم على الزواج من غيرها اذا هي لم تنجب له البنين بدلا من البنات .

ينظر الرجل الى المراة وكانها مجرد وسيلة لاستكمال راحته ، وواسطة لارضاء اهوائه وغرائزه وهي الغاية لا الذريعة بقدر ما هي انسان . تراه ينسى او يتناسى الجوانب الاخرى الانسانية فى شخصيتها ولا يذكر الا حسنها وجمالها ومدى ما تتيحه له من لذة وسرور . فهو يقدم على الزواج منها فى الغالب نظرا لفتنتها ولا يلبث ان يفقد جل اهتمامه بها او كله ، لدى فقدانها نضارتها فى خريف حياتها . من كيانها قد توارت الجوانب الانسانية واخلت المجال للجانب البهيمي منها !!

والحقيقة التى لا جدال فيها هي ان المراة مخلوق بائس تعس ، غلبه على امره الرجل او المجتمع الذى يسيطر عليه الرجل ، فحال بينه وبين الاعمال والنشاطات والمقومات التى تمكن الانسان من العيش كانسان وحرمه بالتالي اسباب السعادة وراحة البال .

عقد نفسية شتى

عقد نفسية لا تخلو منها المراة ابدا ، لا سيما فى مجتمع ، الرجل فيه هو وحده الكاسب ، وكل كاسب مسيطر ، والمراة فيه مخلوق ذليل وخادم غير مأجور ، يشترى حنان الرجل بالعين الفاتنة ، والبسمة الساحرة ، ان وجدت .

اقول هذا واومن به لاني امراة .

ولا ابالي الا يرضى بالذى اقول الف من الرجال . ■■

عائشة ...

طرائف عربية

اللذات سبع

قال المأمون للحسن بن سهل : نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبع . قال : وما هي يا امير المؤمنين ؟ قال خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الوطيء ، والنظر الى الحسن من كل شيء . قال فاين انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال ؟ قال صدقت وهي أولاهن !

من نوادر البخلاء عند العرب

كان اهل مرو من الموصوفين بالبخل . ويقال ان من عاداتهم ، اذا ترافقوا فى سفر ، ان يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ، ويشكها فى خيط ، ويجمعون اللحم كله فى قدر ، ويمسك كل واحد منهم طرف خيطه ، فاذا استوى اللحم جرَّ كلٌ منهم خيطه واكل قطعته !

وقيل لبخيل : من أشجع الناس ؟! قال : من سمع وقع اضراس الناس على طعامه ولم تنشقّ مرارته !!

وقيل لبعضهم : أما يكسوك محمد ابن يحيى ؟! فقال : والله لو كان له بيت مملوء ابراً ، وجاء يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء ، والملائكة ضمناء ، يستعير منه ابرة ليَخيط بها قميص يوسف الذى قدّ من دبُرٍ ، ما اعاره الابرة ، فكيف يكسوني ؟!

من امثال العرب وحكمهم

- انك لا تجني من الشوك العنب .
- اياك ان تضرب بلسانك عنقك .
- الخيل اعرف بفرسانها .
- سبتك من بلتفك" السب" .
- ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
- كل كلب ببابه نبّاح .
- كلب" جوّال خير من اسد رابض .
- لكل صارم نبوة،ولكل جواد كبوة .
- رب عين انمُّ من لسان .
- اذا اتاك احد الخصمين وقد فقئت عينه ، فلا تقض له حتى يأتيك خصمه فلعله فقئت عيناه .

من أقوال

- **اذا سالت كريما حاجة فدعه يفكر،فانه لا يفكر الا فى خير،واذا سالت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ان لا يفعل .**
- من كثرت نعم الله عليه ، كثرت حوائج الناس اليه ، فان قام بما يجب لله فيها عرّضها للدوام والبقاء ،وان لم يقم فيها بما يجب لله عرّضها للزوال .
- **خير ما اكتسب المرءُ الاخوان ، فانهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان ، وعونٌ فى السراء .**

العقــل والجهــل

قال بعض الحكماء : العاقل من عقله فى ارشاد ورايه فى امداد ، فقوله سديد وفعله حميد ، والجاهل من جهلـه فى اغراء ، فقوله سقيم وفعله ذميم .

كرم حاتم الطائي

كانت امراة حاتم بن عبد الله الطائى ماوية بنت عفير . وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها . وكان لها ابن عم يقال له مالك . فقال لها يوما: ماتصنعين بحاتم ؟! فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه . وان لم يجد ليتكلفن ، ولئن مات ليتركنّ اولاده عالةً على قومك . فقالت ماوية : صدقت انه كذلك . وكانت النساء يطلّقن الرجال فى الجاهلية ، وكان طلاقهن انْ يكنّ فى بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حوّلته الى المغرب . وهكذا . فاذا راى الرجل ذلك علم انها طلقته فلم ياتها . ثم قال لها مالك ابن عمها : طلقى حاتما وانا اتزوجك ، وانا خير لك منه ، واكثر مالا ، واميل عليك وعلى ولدك . فلم يزل بها حتى طلقتـه . فأتاها حاتم ، وقد حولت باب الخبـاء ، فقال حاتم لولده : يا عدِى ! اما ترى ما فعلت امك ؟ فقال قد رايت ذلـك . فاخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه . فجاءه قوم فنزلوا على باب الخباء ، كماكانوا ينزلون . وكانت عِدّتهم خمسين فارسا . فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبى الى ابن عمى مالك ، وقولى له ان أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا ، وهم خمسـون رجلا ، فأرسل الينا بشيء نقريهم ، ولَبَن نسقيهم . فأيقظتـه الجارية وابلغته الرسالة وقالت له : انما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حـاتم ! فلطم راسه بيده وضرب بلحيته وقال : اقرئيها السلام وقولى لها : هذا الذى أمرتك أن تطلّقى حاتما من اجله ، وما عندى لبن يكفى اضياف حاتم . فرجعت الجارية فأخبرتها بما رات وبما قال لها . فقالت اذهبى الى حاتم وقولى له ان اضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلمـوا مكانك . فأتت الجارية حاتما فصاحت به فقال : لبيك ! قريبا دعوت ! فأخبرته بما جاءت بسببه فقال : حبّاً وكرامةً ! ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى اتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما . فطفقت ماوية تصيح : هذا الذى طلقتك بسببه، تترك أولادنا وليس لهم شيء ! فقال : ويحك يا ماوية ! الذى خلقهم وخلق الخلق متكفّلٌ بارزاقهم .

الحكماء

والضراء .

● احق الاخوان ببقاء المودة مـن لا يَمُلّك على القُرْب ، ولا ينسـاك على البعد ، انْ دنوتَ منه داناك وان بعدت عنه راعاك ، وان استعنت بـه عَضَدك ، وان احتجبت اليه رَفَدك . وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله .

● **فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها .**

● البراطيل تنصر الاباطيـل . (البرطيل = الرشوة) .

من أخطاء القضاء

جارة السوء

بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة



■ من شر ما يبتلى به الانسان جار سوء . واسوأ من جار السوء جارة السوء لان كيدها عظيم وفراغ وقتها يمكن لها من تدبير المكايد . لذلك قال المثل « اختر الجار قبل الدار » . ولذلك اوجدت بعض القوانين حق الشفعة ليأمن المالك من ان يجاوره جار سوء ينغص عليه حياته. فان الجيرة قرابة او صداقة اجبارية تكون مصدر سعادة اذا كان بين الجيران تواد ومحبة ومصدر شقاء اذا انعدم الانسجام بينهم .

وقد دفعت أسرة جونسون ثمنا غاليا من مالها ومن حريتها لان جارتها حقدت عليها فدبرت لها مكيدة لم يكتشفها البوليس والقضاء الا بعد فوات الاوان .

كان جونسون وزوجته يستاجران منزلا مكونا من دورين وحديقة صغيرة . وقد اعدا بالدور الارضى منه حانوتا صغيرا لبيع الخضراوات بينما اعدا الدور الثانى لسكنهما هما وابنتيهما الصغيرتين . وكانت تجارة متواضعة فان قرية ايرلسون بانجلترا التى كانا يقطنانها قرية صغيرة قليلة السكان ، وكانت جهود جونسون وزوجته لا تتعدى ـ لقلة ذات يدهما ـ شراء اصناف الخضار يوميا من سوق القرية وبيعها للعملاء ..

وقد تقاسم الزوجان العمل فيما بينهما .تتولى الزوجة بنفسها خدمة العميلات القليلات اللاتى يترددن على المحل ، بينما يستيقظ الزوج فى الصباح الباكر فيقود عربة صغيرة يجرها حصان هزيل يقصد بها سوق الجملة فيشترى حاجة

الحانوت من الخضراوات ، فيترك بعضها في الحانوت ، ثم يدور بالعربة طوال ساعات النهار بالجزء الباقي لتوزيعه على عملاء المحل الدائمين وعرضه على مشترين جدد يطوف على أبوابهم ويعرض عليهم ما معه من أنواع البطاطس والكرنب ونحو ذلك .

★ ★ ★

وكان العمل شاقا ومضنيا بالنسبة للزوجة . فقد كانت تمضى الجزء الاكبر من وقتها بالدور الاعلى للعناية بابنتيها وتنظيف المنزل وما تحتاجه الحياة من غسيل وطهي . ومن حين لآخر يرن جرس الحانوت فتنزل مسرعة لتلبى حاجة العميل الذى جاء يشترى ثم تعود مسرعة الى الدور الاعلى لتطمئن على الطعام الذى تركته فوق النار .

وكانت مع ذلك راضية بما قسم الله لها . دائمة الابتسام بالرغم مما هى فيه من ارهاق تستقبل عميلات المحل بالترحاب وتستمع اليهن باهتمام وتصغى الى شكاياتهن واحاديثهن .

وعلى عكس ذلك كان زوجها . عبوس الوجه متجهمه سريع الغضب لا يستسيغ نكات الآخرين . واذا رد على احدهم كان رده من النوع الجارح الذى يترك في النفس مرارة وألما .

ذلك مع ان العمل الذى يقوم به وهو المرور على البيوت يتطلب اخلاقا غير هذه الاخلاق . فهو يتطلب شخصية مرحة طلية الحديث ، يسامر عميلاته ويتبادل النكات ويستطيع بذلك أن يبيع لهن بضاعته .

★ ★ ★

وادت طبيعة أخلاق الزوج الى أن تشاجر مرة مع السيد روبنسون صاحب حانوت في ذات الشارع حتى كادا يتماسكان بالايدى لولا تدخل بعض الجيران ، وذلك لمجرد ان السيد روبنسون ابدى ملاحظة خفيفة ـ على سبيل المزاح ـ وجد فيها السيد جونسون جرحا لاحساس حصانه المرهف الحس .

وتشاجر مرة اخرى مع السيد جوس صاحب المنزل الذى يسكنه ، فاقام الدنيا واقعدها ، وتوقف عن دفع ايجار منزله ، فقامت بينهما قضايا انتهت بطبيعة الحال لصالح المالك .



واختلف مع جاره اللاصق السيد البرت وودمان وامتنع عن التحدث اليه ووجدت السيدة جونسون نفسها مضطرة للتضامن مع زوجها على كره منها ، فقطعت علاقتها بالسيدة وودمان مع ان هذه الاخيرة لم تنجب اولادا وكانت تقوم في رضاء تام بالعناية ببنتي جونسون اثناء اشتغال امهما بالغسيل او الطهي او خدمة العملاء او مرضها .. ولم تكن السيدة جونسون تقر زوجها في تصرفاته وكانت تعتقد انه المخطىء في كل خلاف قام بينه وبين احد الجيران . وخاصة في خلافه مع السيد وودمان . ذلك انها لم تكن تجد مبررا لذلك الخلاف . فليس بين زوجها وبين وودمان ما يدعو لاى احتكاك او تنافس . فوودمان عامل بالسكك الحديدية . ولكن يبدو ان جونسون كان يحقد عليه انه في وظيفة ثابتة وله مرتب ثابت يقبضه في نهاية كل أسبوع بينما هو يكد النهار كله ولا يكاد يجد لقمة العيش . او لعله كرهه لمجرد ان شكله لم يعجبه تمشيا مع طبيعته في عدم حب الناس .

واضطرت السيدة جونسون تضامنا مع زوجها ان تقطع علاقتها بالسيدةوودمان فلم تعودا تتبادلان التحية بله الحديث ، وقامت بينهما حرب باردة لا مبرر ولا حيلة للسيدة جونسون في وضع حد لها .

★ ★ ★

وبينما السيدة جونسون مشغولة ذات يوم من ايام اكتوبر سنة ١٩١٢ في طهي الطعام دق جرس الحانوت . فاعتقدت ان الطارق احد العملاء ونزلت مسرعة لتلبي الطلب فهالها ان وجدت احد رجال البوليس وبيده امر بالقبض عليها بتهمة ارسال خطاب تهديد بالقتل لجارتها السيدة وودمان وزوجها .

لم تصدق اذنيها ولم تعر الامر اى التفات فهي تعلم من نفسها انها لم تكتب في حياتها اى خطاب من أى نوع كان لاسرة وودمان فكيف تتهم بارسال خطاب تهديد لهم بالقتل ؟. ان ذلك لما يدعو للدهشة ويستوجب السخرية ... ولكن رجل البوليس افهمها ان الامر جد ولا محل للخطأ فيه واطلعها على أمر القبض الصادر ضدها وحاولت قراءته فوجدت اسمها مكتوبا بوضوح ولو انها لم تستطع ان تتبين نوع التهمة او تدرك مغزاها .

★ ★ ★

وحين طلب منها البوليس ان تتبعه الى القسم احتارت واحتار دليلها .. فزوجها في جولته اليومية ولا احد يعنى بطفلتيها وبالطعام الموضوع على النار لم يتم طهيه . فاطفات الموقد واغلقت الباب على ابنتيها وتركت كلمة لزوجها كتبتها بيد ترتعش ودموع تنهمر ، وتبعت رجل البوليس الى حيث لا تدرى مصيرها . وفي مركز البوليس وجهت اليها التهمة وفتشت وادخلت الى غرفة السجن واغلق عليها بابها .

وفي المساء جاء زوجها الى مركز البوليس وصب جام غضبه على ضابط البوليس ولكن ما جدوى الغضب في مثل هذا الموقف الحرج .

★ ★ ★

ومثلت في صباح الغد امام قاضي التحقيق . وكانت المحكمة غاصة برجال البوليس وبالمتهمين امثالها وبجمهور من المتطفلين . وادخلوها في القفص كما لو كانت مجرمة . ولم يبد على احد من الموجودين ، من القاضي الى الحاجب ، انهم يعيرون اى اهتمام لدهشتها وحيرتها .

سألها القاضي ان كانت مذنبة او غير مذنبة . فقالت انها غير مذنبة . وارادت ان تزيد موقفها شرحا ولكن القاضي لم يسمح لها بالكلام . فذلك حكم القانون .

واستدعيت السيدة وودمان واقسمت اليمين القانونية واخذت تدلي بشهادتها . قالت انها تتلقى منذ شهر مارس بانتظام خطابات تهديد بالقتل . خطابا او خطابين يوميا . منها ما كانت تجده في صندوق الخطابات الخاص بها ومنها ما كانت تعثر عليه في حوش منزلها الخلفي اللاصق لحوش منزل المتهمة . وقالت ان هذه الخطابات كانت تسبب لها قلقا شديدا لانها لم تكن تعرف مصدرها . وفي ذات يوم بينما كانت تقف بجوار بابها الخلفي القى عليها حجر فلما التقطته وجدت حوله ورقة كتب عليها « ارجو ان يصيبك هذا الحجر بين عينيك . وسافعل ذلك في أول فرصة

تسنح لي » . ثم اخرجت تلك الورقة من بين مجموعة اوراق معها وقدمتها للقاضي .

وقالت انه بدا لها ان ذلك الحجر الذي عليها من ناحية منزل المتهمة ولكنها انكرت ـ فيما بينها وبين نفسها ـ ان تكون السيدة جونسون هي التي القته لانها وان كانت لا تحب السيدة جونسون الا انها استبعدت ان تكون هى ملقية الحجر اذ لا شيء يدعوها لمثل ذلك . ولم تجد من تعليل لهذا التصرف الا ان تكون السيدة جونسون قد اصيبت بجنون مفاجيء ولم تعد تدرى ما تفعل .

وروت لزوجها ما حدث فرغب فى ان يتحدث الى السيد جونسون فى الامر ولكنها اقنعته بأن لا يفعل خشية ان يقتله السيد جونسون .

وفى اليوم التالى ـ والقلق لا يزال مستوليا عليها ـ فكرت فى ان تمضى الى صديقتها السيدة هويتمر بما حدث . وكان طريقها اليها لا يمر من امام منزل المتهمة ... فلما عادت وجدت بصندوق خطاباتها ورقة مكتوبا بها «أراك تخافين من الذهاب الى المدينة ولكنك سوف تقتربين حتما يوما من منزلي » .

ثم اخرجت مجموعة الاوراق التي تحدثت عنها والخطابات الاخرى التى وصلتها وكانت كلهـا بنفس الخط وتحوى نفس الاخطاء اللغويـة والاملائية مما يقطع بأن مرسلها هو شخص واحد . وقالت انها الآن موقنة ـ وقد اقسمت اليمين ـ ان مرسل خطابات التهديد هى السيدة جونسون لما تحويه من تعبيرات وتلميحات لا يمكن أن تصدر الا منها ، ولانها رأتها بعيني راسها تلقى احدها وانها لم تكن تتصور ان السيدة جونسون تكرهها الى هذا الحد لانها متأكدة من انه لا يوجد سبب يدعو لتلك الكراهية . ولكن هذا هو ما حدث وهى من وقتها لا تغمض لها عين مخافة ان تقتلها المتهمة او تقتل زوجها أو تقتلهما معا .

★ ★ ★

وانكرت السيدة جونسون الوقائع والبواعث.. واصابها الذهول لان المحكمة لم تصدق اقوالهـا وانكارها وصدقت افتراءات السيدة وودمان . وحكمت على السيدة جونسون بستة اشهر حبسا .

ووجد جونسون نفسه مطالبا بان يتولى بمفرده العناية بابنتيه وبالحانوت ولم يعد قادرا على القيام بجولته اليومية على العملاء .. فتضـاءل ايراده واصبح فى ضيق شديد .

★ ★ ★

ومضت الشهور الستة ـ بالعرض او بالطول كما يقولون ـ وخرجت السيدة جونسون من السجن تنعى سوء حظها ولا تجد تفسيرا للمصيبة التي حلت بها ورجت ان تكون سحابة صيف قد انقشعت فوجهت همها للعناية ببيتها وحانوتها بعد ان ادى غيابها الطويل الى بوار التجارة واهمال المنزل .

ولم تكد تمضى ستة اسابيع حتى جاء اليها رجل البوليس وبيده امر بالقبض وكانت التهمة الموجهة اليها فى تلك المرة خطابات تهديد بالجملة لآل وودمان بالقتـل . وللسيد جوس بحـرق منزله . وللسيد روبنسون بالقتـل . وبطلب مبالغ من الميجر كنجسلي فوستر الذى اصـدر الحكم السابق عليها والكونستابل آتوود الذى حقق معها .

ومثلت هذه المرة امام قضاة التحقيق الـذين احالوها ـ مقبوضا عليها ـ الى محكمة الجنايات وهناك وجدت أن التهم الموجهة اليها قد جزئت الى عدة تهم وأنها ستحاكم عن كل تهمة عـلى حدة .

وبدأت محكمة الجنايات بنظر قضية خطـابات التهديد الموجهة لآل وودمان . وكانت الادلة فيهـا هى الادلة السابقة . لقد خرجت المتهمة مـن السجن فى يوم ١٥ مارس وبعد خروجها بيومـين بدأ سيل خطابات التهديد . فهل يحتاج الامر الى دليل جديد ؟؟ لذلك بدا للمحلفين ان الامر واضح ـ غاية الوضوح ـ فلم يطل تداولهم وأصـدروا قرارهم بالادانة . مع ان الامر كـان يتطلب ان يتساءلوا كيف تصل الغفلة بالسيدة جونسون ـ ان كانت هى التى ارسلت خطابات التهديد السابقة والجديدة ـ ان لا يتجه اليها نظر الاتهام .

★ ★ ★

ويبدو ان بعضا من الشك قد خامر المحلفين ففعلوا ما يفعله بعض القضاة الذين يحكمـون بحكم بسيط اذا لم يكونوا واثقين من ثبوت التهمة ويظنون بذلك انهم يريحون ضمائرهم متجاهلـين

ان الشك يجب ان يفسر لمصلحة المتهم . لقد ادانوها ولكنهم قالوا في قرارهم ان الخطابات لا تحتوي على اي تهديد ، وكان ذلك يلزم القاضي بأن ينطق بالبراءة . ولكن القاضي متأثرا بسابقة الحكم عليها أصدر حكما بالحبس سنة كاملة .

★ ★ ★

وفي هذه المرة وجدت السيدة جونسون من يشير عليها باستئناف الحكم فاستأنفته ووجدت محكمة الاستئناف أن القاضي قد أخطأ في حكمه فالغت الحكم . ولكن مسز جونسون ظلت رهينة السجن حتى يفصل في القضايا الاربعة الاخرى .

وعرضت القضايا الاربع بعد أسبوعين على محكمة الجنايات وقدم ممثل الاتهام سبعين خطابا كلها بنفس الخط وبها نفس الاخطاء اللغوية والنحوية وبها الفاظ بذيئة ووقحة لدرجة ان القاضي كان يأمر باخلاء القاعة من النساء والاطفال عند قراءة محتوياتها .

ودلل ممثل الاتهام على ادانة السيدة جونسون بان بعض الخطابات موجهة الى روبنسون الذي سبق ان تشاجر مع زوجها والى الميجر فوستر الذي سبق أن أصدر حكما عليها والى الكونستابل أتوود الذي حقق معها وان الارسال بدأ بعد خروجها من السجن بيومين. وان بالخطابات اشارة الى حوادث وقعت لها او لزوجها وفيها حديث عن شهوة الانتقام . فمن يكون قد كتبها الا المتهمة التي سبق ان دمغها القضاة بمثل هذه الجريمة ؟؟؟

وأدانها المحلفون . وحكم القاضي عليها بالسجن سنة كاملة .

★ ★ ★

وكان المحلفون قد طلبوا في قرارهم فحص قواها العقلية فقام الاطباء بفحصها ووجدوها كاملة القوى العقلية لا تشعر بأي نوع من الاضطهاد ولا تبدي اي علامة من علامات الجنون اللهم الا احساسها بالظلم الذي وقع عليها والذي لا تعرف له مبررا .

★ ★ ★

ووجد جونسون نفسه للمرة الثانية في مازق حرج . جاهد ليحتفظ بحانوته - مصدر رزقه - ولكن الناس لا ترحم . انه زوج لمجرمة تهدد الناس في حياتهم ومالهم . فامتنعوا عن الذهاب الى الحانوت . وكان كلما مر على احدهم في بيته تجهم له واغلق الباب في وجهه . واصبح في الحال التي وصفها الشاعر العربي حين قال :

يمسي الفقير وكل شيء ضده
والناس تغلق دونه أبوابها
ويبيت مظلوما وليس بظالم
ويرى الاهانة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا غنية
جاءت اليه وحركة اذنابها
واذا رأت يوما فقيرا ماشيا
نبحت عليه وكشرت أنيابها

واضطر ليجد طعام ابنتيه أن يبيع العربة والحصان واثاث المنزل .

★ ★ ★

وانتهى سجن الزوجة في يونيو سنة ١٩١٤ . وخرجت لتجابه ما حل بها من خراب ونضوب كل مورد لها للارتزاق . فاتفقت مع زوجها على أن يرحلا من تلك القرية التي تراكمت عليهما فيها المصائب . ولكن اليد العاملة في الخفاء التي تربصت لهما في الماضي لم تشأ ان تتركهما وشأنهما. واذا بالبوليس يأتي للمرة الثالثة للقبض عليها وزوجها بتهمة ارسال مئات من خطابات التهديد للسيد وودمان .

وعرضت قضيتهما على المحكمة ولكن المحلفين بدأوا يشعرون أن اللعبة قد طالت فاصدروا قرارا بالبراءة ..

★ ★ ★

وكان يمكن أن تقف القضية عند هذا الحد ولا يكتشف الفاعل الاصلي للجريمة لولا أن الشك بدأ يخامر احد رجال التحقيق فبدأ يدرس بدقة الادلة في القضايا الاربع فتبين ان أقوال السيدة وودمان في القضايا الاربع ثابتة لا تغيير فيها كأنما تتلو كلاما محفوظا . وليس ذلك شأن الشاهد الصادق . كما تبين ان أقوال السيدة وودمان هي الدليل الوحيد في القضية بحيث اذا استبعدنا

تلك الاقوال اصبحت القضايا خالية من كل دليل .

★ ★ ★

وجه رجل التحقيق اهتمامه اذا للسيدة وودمان واخذ يتحرى احوالها ، فاكتشف انه ما من سبب يدعو السيدة جونسون لكره السيدة وودمان ، بينما توجد أسباب عديدة تدعو هذه الاخيرة للحقد على السيدة جونسون . منها الطريقة التى عامل بها جونسون زوجها . ومنها تضامن السيدة جونسون مع زوجها وقطعها كل علاقة بالسيدة وودمان فى حين انها فى حاجة الى من يشغل فراغها لانهابدون اولاد وليس لها عمل يشغل وقتها . كما وجد انها تلوك بلسانها فى كل حديث ان للانتقام لذة لا تفوقها لذة وان التسامح من شان الضعفاء .

★ ★ ★

وافضى صاحبنا بشكوكه لرئيس البوليس واتفقا على طريقة يقطعان بها الشك باليقين . قال رئيس البوليس انه اذا صح ان السيدة وودمان هى التى ارسلت خطابات التهديد فانها — وقد فشلت آخر محاولة لها للانتقام — لا بد ان تعيد الكرة وترسل خطابات تهديد جديدة . فاعد مجموعة خطابات من النوع السابق استعماله فى خطابات التهديد ووضع عليها علامات مميزة خفية وعمل على بيعها للسيدة وودمان . كذلك اتفقوا مع مكتب البريد على أن يبيعوا لها طوابع مميزة .

وتحققت ظنونهم. وبدا سيل جارف من خطابات التهديد على الورق المميز والطوابع المميزة ...

وبرح الخفاء وقدمت السيدة وودمان بتهمة الحنث فى اليمين وارسال خطابات التهديد .

★ ★ ★

واعترفت السيدة وودمان بارسال خطابات التهديد وما كان لها الا ان تعترف بعد ان ووجهت بالدليل المادى . ولكنها زعمت ان شخصا اسمه وليم شاروود ، عرفته قبل ثماني سنوات ، هو الذى جاء اليها ومعه مجموعة من الخطابات طلب منها وضعها فى صندوق البريد ، فلما امتنعت هددها بسكين . وانه اخذ يتردد عليها من وقت لآخر بنفس الطلب فكانت تفعل من خوفها منه وانها لم تلجا للبوليس خوفا من شره .

وبالرغم من وضوح كذب هذا الدفاع استدعت المحكمة السيد شاروود فانكر ما نسبته اليه المتهمة . وطلب محاميها فحص قواها العقلية ولكن الاطباء أكدوا انها مسئولة وان رغبة الانتقام لا تنهض دليلا على فقدان القوى العقلية .

وحكمت عليها المحكمة بالسجن ثمانية عشر شهرا . وهى المدة التى قضتها جونسون التعسة فى السجن .

★ ★ ★

وكان جونسون وزوجته قد باعا كل ما يملكانه من حطام الدنيا وهجرا القرية وعمل الزوج اجيرا.

ثم صدر عفو عام عن العقوبتين اللتين حكم بهما ظلما على السيدة جونسون ودفعت لها الحكومة خمسمائة جنيه تعويضا عن الآلام التي تحملتها .

■■

حسن الجداوى

خطب الحجاج فأطال ..

قيل عن الحجاج انه خطب فأطال .

فقال رجل : **« الصلاة ... ! فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك » ..**

فأمر الحجاج بحبسه ، فأتاه قوم ، وزعموا أنه مجنون ، وسألوه ان يخلي سبيله .

فقال الحجاج : **انْ أقرَّ بالجنون خليته**

فقيل له ...

فقال : **« معاذ الله ! لا أزعم أن الله ابتلانى ، وقد عافانى ! »**.

فبلغ ذلك الحجاج فعفا عنه لصدقه .



الأمم اليوم تتنافس وتتصارع في رعاية المتفوقين من أبنائها الموهوبين

بعد استغلال الثروة الطبيعية

بقلم : الدكتور علي أحمد علي

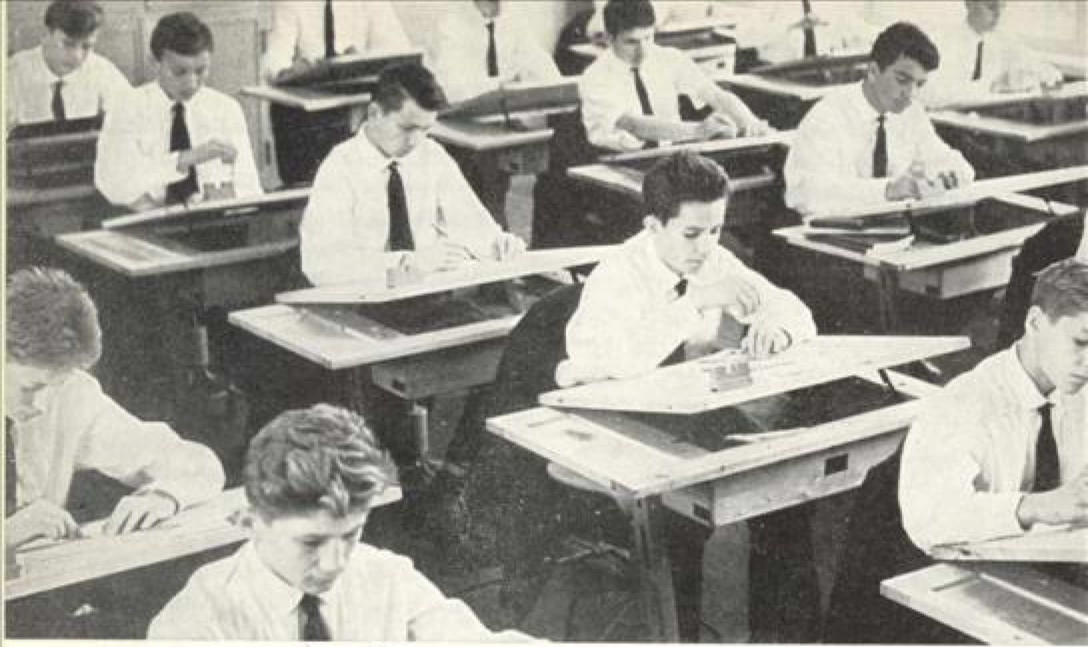
بتخطيط التعليم العالي ـ القاهرة

■ تهتم الدول اهتماما كبيرا باستغلال مواردها المختلفة ، طبيعية كانت أو بشرية . وقد كان استغلال الانسان للموارد الطبيعية قديما قدم الانسان نفسه، فمنذ بدء الخليقة والانسان يحاول استغلال مصادر الثروة الطبيعية وتسخيرها لخدمته . وقد بذل في سبيل ذلك من الجهد ما مكنه من تحسين وسائل الثروة الطبيعية هذه ، وبالرغم من الاهتمام الكبير الذي وجه الى الموارد الطبيعية فان الموارد البشرية لم تحظ بنفس الاهتمام على الرغم من أنها لا تقل في قيمتها عن الموارد الطبيعية .

وقد ظهر اهتمام الدول بالمتفوقين والموهوبين من ابنائها في العشرين سنة الاخيرة وهذا لا يمنع ظهور بعض محاولات متفرقة لرعاية المتفوقين هنا وهناك منذ ازمنة أقدم من ذلك بكثير .

لم صرفت الانظار عن رعاية الموهوبين

ويرجع البعض السبب الحقيقي لعدم رعاية المتفوقين والموهوبين الى الاعتقاد الذي كان سائدا بأن هناك فاصلا دقيقا بين العبقرية والجنون ، فقد أدى هذا الاعتقاد الى بعض الاتجاهات السلبية نحو هذه الفئات المتفوقة من بني الانسان . وبالاضافة الى ذلك فقد كان هناك رأي شائع وهو أن الشخص المتفوق والعبقري لا يحتاج الى أي قدر من الرعاية لأن عنده من القدرات ما يمكنه من أن « يأخذ باله من نفسه » وهذا يفسر لنا لماذا اهتمت بعض الدول برعاية ضعاف العقول من الطلاب قبل اهتمامها برعاية المتفوقين منهم .



اتجهت الدول إلى استغلال الثروة البشرية

الافادة من الموارد البشرية فى سويسرا واليابان

واخيرا ... وبعد طول اهمال اتجهت بعض الدول الى زيادة الاهتمام بالمتفوقين والموهوبين من بنيها باعتبارهم ثروة بشرية كبيرة ، وعلى أساس ان من بين هؤلاء يمكن ان يخرج للمجتمع القادة والعلماء والمتخصصون فى كافة فروع المعرفة . وقد بذلت فى سبيل ذلك الجهود ما يضمن حسن استغلال الموارد البشرية وتوجيهها .

وقد اثبتت بعض الدول كسويسرا واليابان انه ، بالرغم من قلة المواد الخام ومصادر الثروة الطبيعية بها ، فانه من الممكن ، بفضل كفاية وحسن توجيه الموارد والامكانيات البشرية فى هاتين الدولتين، تطوير الانتاج وزيادته وتنويعه . ولقد أصبح الدخل فى سويسرا الآن من أعلى الدخول فى العالم ، بينما حققت اليابان ارتفاعا كبيرا فى الدخل القومى ، واحرزت الكثير من الانتصارات فى مختلف ميادين الانتاج الصناعى والزراعى .

الموهوبون عددهم قليل ، ولكن أثرهم فى دفع أممهم كبير

واذا نظرنا الى المجتمعات الانسانية على مر العصور نجد انها قد احرزت أقوى دفعاتها التقدمية عن طريق الموهوبين والمتفوقين والعلماء والمخترعين والفلاسفة . وهؤلاء الاشخاص ، بالرغم من انهم قلة اذا قورنوا بعدد من ظهر وعاش على ظهر الارض، الا أن أثرهم كان كبيرا ومخترعاتهم وافكارهم وفلسفاتهم كان لها اكبر الاثر فى دفع الانسان الى حياة افضل وفى تحسين طرق معيشته وزيادة رفاهيته .

رأى يقول بتجميع المتفوقين فى فصول أو مدارس خاصة

وقد كان الاتجاه الحديث هو توجيه معظم الرعاية الى التفوق الاكاديمى فانشئت مدارس خاصة لرعاية هؤلاء المتفوقين واكتفى فى بعض الاحيان بتخصيص فصول معينة داخل المدرسة الواحدة لهم . وقد اثير الكثير من المناقشات حول فكرة تجميع المتفوقين فى فصول أو مدارس

مستقلة ، وانقسمت الآراء بين مؤيد لهذا الاتجاه وبين معارض له .

حجة الموافقين على تجميع الموهوبين

ويمكن تلخيص حجج المؤيدين في النقاط الآتية :

١ ـ أن وجود المتفوقين في فصل واحد يبعد عنهم شعور السأم والملل ، ويدفعهم الى بذل الجهد والاجتهاد ، اذ أنه يمكن أن تسير الدراسة على مستوى عال يتناسب مع قدرة الدارسين واستعدادهم ، وهذا عادة عكس ما يحدث عند وضع المتفوقين والعاديين في فصل واحد ، حيث يجد الطالب المتفوق نفسه منصرفا عما يدور في الفصل من مناقشات لا ترتفع الى مستواه ولا تستثير كامن قدرته .

٢ ـ وجود المتفوقين في فصل واحد أو تجميعهم في مدرسة خاصة يمكن المسئولين من زيادة الرعاية الموجهة لهذه الفئة ، كما يمكن هؤلاء المسئولين من اعداد برامج دراسية خاصة تتفق وتتناسب مع مستوى مواهبهم ، واعطاء هؤلاء المتفوقين ما يستحقون من رعاية فردية .

حجة المخالفين تجميع الموهوبين

وبالرغم من الميزات السالفة التي يمكن أن تجنيها من وراء تجميع المتفوقين في فصول أو مدارس خاصة بهم فان هناك من يعارضون هذا التجميع للاسباب الآتية :

١ ـ تأبى الديمقراطية فكرة تجميع المتفوقين وفصلهم عن غيرهم من الطلاب العاديين اذ أن هذا قد يؤدي الى نوع من الارستقراطية العلمية المنعزلة عن واقع المجتمع وحاضره ومشكلاته .

٢ ـ كثيرا ما يؤدي وضع المتفوقين في فصل واحد أو في مدرسة واحدة الى اثارة روح المنافسة القائلة بينهم واختفاء روح التعاون بين صفوفهم .

٣ ـ قد يؤدي تخصيص فصول للمتفوقين داخل المدرسة التي غالبية طلابها من العاديين الى اثارة روح العداء تجاه هؤلاء المتفوقين من جانب الطلبة العاديين الذين قد يثير أحقادهم عدم تمكنهم من الالتحاق بمثل هذه الفصول المتميزة .

٤ ـ كثيرا ما تكون وسائل اختيار المتفوقين غير دقيقة ذلك لان هذا الاختيار غالبا ما يعتمد أساسا على التحصيل الدراسي دون مراعاة للنضج الاجتماعي والنفسي ولا للقدرة الابتكارية والمواهب المختلفة .

٥ ـ يخسر الطلاب العاديون الكثير من اختفاء العناصر المتفوقة من بينهم لانهم بذلك يحرمون القدوة الصالحة والافكار الصائبة والمناقشات الديناميكية المثمرة التي تحدث نتيجة لوجود المتفوقين بين صفوفهم .

مناهج للطلبة المتفوقين

وقد اعدت في كثير من الدول التي اتبعت سياسة تجميع المتفوقين مناهج خاصة لهذا الغرض تختلف في محتواها وطبيعتها عن المناهج الموضوعة للطلبة العاديين ، وهذه المناهج تأخذ عادة أحد الاتجاهين الآتيين :

١ ـ الاتجاه الى الاتساع في المناهج دون العمق وذلك بتقديم مواد جديدة يدرسها المتفوقون وذلك بالاضافة الى المواد الاخرى المخصصة للعاديين بنفس المرحلة والصف الدراسي .

٢ ـ الاتجاه الى العمق دون الاتساع في المنهج الذي يدرسه العاديون ، أعني دراسة هذه المواد على مستوى أعلى من المستوى المقرر للطلاب العاديين واستخدام أساليب البحث المختلفة التي تساعد الطلاب المتفوقين على تنمية كفاياتهم واظهار مواهبهم وتعويدهم على الاطلاع الخارجي والبحث عن الحقيقة من مختلف مصادرها .

اختصار سنوات الدراسة للطلبة المتفوقين

هذا وقد اتجهت بعض الدول الى اختزال عدد السنوات الدراسية بالنسبة للطلاب المتفوقين أكاديميا ، وهذا الاسلوب شائع في الولايات المتحدة حيث يسمح للطالب المتفوق أكاديميا أن يتم المرحلة التعليمية في مدة تقل عن المدة المقررة للطالب العادي ، فمثلا يستطيع الطالب أن يتم كل مرحلة من المرحلتين الاعدادية والثانوية في سنتين بدلا من ثلاث . وقد عمدت بعض الجامعات

هناك الى تمكين بعض الطلاب من اتمام مقرراتهم الدراسية فى مدة تقل عاما عن متوسط عدد السنوات المقررة للطالب المتوسط العادى . وقد دافع المربون عن هذا الاسلوب من الرعاية للمتفوقين معتمدين على ما اثبتته الابحاث من أن الكثير من الافراد فى معظم المجتمعات المتقدمة يصل الى أعلى درجة من القوة الجسمية وقوة الاحتمال والتوقد الذهني والانتاجية والحماس فى العقد الثالث والرابع من عمره ، لذلك فان تخفيض عدد سنوات الدراسة بالنسبة للمتفوقين ذوى المواهب المرتفعة يؤدى الى تخريجهم الى الحياة العملية فى سن مبكرة نسبيا ، وبذلك يزيد الاستفادة من عدد اكبر من السنوات التى تتسم باعلى قدر من الانتاجية والابتكار . هذا وبالاضافة الى ما تقدم فان مساعدة المتفوقين على اتمام سنوات التعليم المقررة فى عدد أقل من السنوات يسمح للطالب المتفوق أن يحصل فى المستوى الذى يتفق مع قدراته واستعداداته وامكاناته العقلية .

ويعترض البعض على هذا الاسلوب من رعاية المتفوقين بحجة أن الطالب المتفوق قد يكون ناضجا من الناحية العقلية ولكن نضجه الاجتماعى والانفعالى قد يكون فى مستوى أقل بكثير من مستوى نضجه العقلي، وقد يؤدى أسلوب اختصار سنوات الدراسة للمتفوقين الى وضعهم بين طلبة يفوقونهم فى النضج الجسمي والاجتماعي والانفعالى مما يضيع على الطالب المتفوق علميا فرصة ممارسة القيادة الاجتماعية والتدرب عليها . وقد لوحظ أيضا أن تشجيع المتفوق على زيادة الجهد المبذول فى الدروس والتحصيل الى درجة استغلاله لجميع أوقات فراغه فى التحصيل الدراسى قد يؤدى الى عواقب وخيمة . فالقدرة الابتكارية قد تشل نتيجة لنقص وقت الفراغ ، ذلك لان وقت الفراغ اذا أحسن استغلاله يعطى للشخص فرصة البحث والكشف والاطلاع الخارجي ويزيد من حساسيته لمشكلات البيئة والمجتمع الذى يعيش فيه .

الاهتمام بالتفوق العلمي أكثر من الاهتمام بالمواهب الاخرى

من الملاحظ أنه فى معظم الدول التى عملت على رعاية المتفوقين والموهوبين من أبنائها اتجه معظم اهتمامها الى التفوق العلمى أكثر من اهتمامها بالمواهب الاخرى . فى حين أننا اذا نظرنا نظرة موضوعية لوجدنا أن الكثير من العلماء والمخترعين الذين قدموا للانسانية خدمات عظيمة وجليلة غيرت مجرى حياة الجنس البشرى لم يكونوا من المتفوقين علميا أو المتقدمين فى دراستهم ، وكانوا يتمتعون بقدرات ابتكارية وحساسية اجتماعية وقدرة على الادراك السليم والتركيز . لذلك وجب علينا اذا أردنا استغلال الطاقات البشرية المتميزة الا نقصر رعايتنا على المتفوقين اكاديميا بل يجب أن نوزع اهتمامنا بالتساوى على المواهب الاخرى بكافة صورها ، وأن نبتكر من الوسائل ما يمكننا من الكشف عنها ورعايتها . وعلى المربين الا يوجهوا كل جهودهم وكل اهتمامهم للكشف عن الطلاب المتفوقين اكاديميا ، بل عليهم الكشف عن المواهب والعبقريات فى الميادين الفنية والموسيقية والميكانيكية والقيادة الاجتماعية وغيرها .

الرعاية المادية للموهوبين والمتفوقين ليست كل شيء

عند الكثيرين تعتبر رعاية الموهوبين والمتفوقين معادلة تماما للرعاية المادية لهم . فمن رأى هؤلاء أنه يجب أن نكون اسخياء فى المثوبة المادية للموهوبين والمتفوقين . ولكن هل الرعاية المادية كافية ليتمكن الموهوب والمتفوق من ان ينمي قدرته وموهبته ، وهل هذه الرعاية كافية لتهيئة الجو الذى يستطيع فيه الموهوب والمتفوق أن يستغل مواهبه ونواحى تفوقه فى تقديم المجتمع الذى يعيش فيه ؟

الواقع أن المثوبة المادية والتشجيع المادى للموهوب والمتفوق لهما قيمة كبيرة كقوة دافعة على التحصيل والاجادة والتفوق ، ولهما فوق ذلك قيمة أكبر بالنسبة للطلاب الفقراء الذين لولا تشجيع الدولة المادى والمنح المالية التى تعطيها لهم لما تمكن الكثيرون منهم من متابعة دراستهم ، ولما تمكن المجتمع من الاستفادة منهم . وقد يقول البعض ان مجانية التعليم اصبحت الآن كفيلة بحل مشكلة الطلاب المتفوقين والموهوبين . فما دام التعليم اصبح بالمجان فما الذى يمنع الطالب المتفوق والموهوب من أن يتم دراسته ويواصل تعليمه ؟

والواقع أن هذا القول فيه مجانبة للواقع فالمصروفات المدرسية والجامعية ليست هي كل شيء ، اذ ان هذه المصروفات لا تشكل في العادة سوى جزء بسيط من النفقات السنوية للطالب . فالطالب الذى تضطره الظروف للالتحاق بمعهد عام يبعد كثيرا عن عائلته ، او عن بلده ، يحتاج لقدر كبير من المال - بالمقارنة بالمصروفات المدرسية او الجامعية - لينفق منها على المأكل والمشرب والملبس هذا عدا الكتب والمراجع التى تتطلبها الدراسة ، وكم من طالب متفوق لا يستطيع أن يتم تعليمه لأنه لا يجد من المال القدر الذى يكفيه لكى ينفق منه على نفسه وذلك بالرغم من مجانية التعليم .

والمتفوقون والموهوبون في معاهد التعليم المختلفة ، وان كانت رعايتهم المادية واجبة ، فان رعايتهم العلمية اوجب ، فالرعاية المادية وحدها لا تكفى . الواجب أن نهيىء لهؤلاء الطلاب جوا علميا يتناسب مع مستوى تأهلهم ويتفق مع ميولهم ، ويثير فيهم روح الابتكار والتجديد والكشف ، على أن يكون هذا الجو العلمى بعيدا كل البعد عن القيود المصطنعة للمواد الدراسية التقليدية . ومن الواجب أن يوضع لهؤلاء الطلاب المتفوقين والموهوبين من البرامج والنظم ما يمكنهم من النمو المتكامل فى جو مشبع بالحرية والانطلاق الفكرى .

الواقع ان اى برنامج دراسى موجه لهؤلاء الطلاب المتفوقين والموهوبين لا يمكن له النجاح ما لم يتم تحت اشراف وتوجيه من أساتذة ومربين متخصصين يتميزون بمستوى عال من الخبرة والقدرة والعلم ، بالاضافة الى معرفة دقيقة بالأساليب المختلفة المتبعة فى تعليم المتفوقين والموهوبين ووسائل رعايتهم .

الصراع الدولى على رعاية المتفوقين والموهوبين

بعد الحرب العالمية الثانية دخلت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى فى صراع على الزعامة الدولية ، وكان هذا الصراع اشد ما يكون وضوحا فى ميدان العلم والتكنية ، وبذل الاتحاد السوفيتى جهدا كبيرا فى مصارعة الولايات المتحدة فى الزعامة والقيادة العلمية ، وكان من نتيجة ذلك زيادة الاهتمام - فى الاتحاد السوفيتى - بالعناصر المتفوقة والموهوبة التى يمكن أن يخرج من بين صفوفها فئات العلماء والمخترعين . وقد كانت التعبئة العلمية والتكنية من جانب الاتحاد السوفيتى بمثابة الانذار للاقتصاديين والمربين ورجال الدولة الأمريكيين ، فنبه ذلك الاذهان الى ضرورة زيادة الاهتمام بالطلاب المتفوقين فى مختلف المجالات العلمية ، وأدى ذلك أيضا الى مزيد من الدراسات والابحاث عن ظاهرة التفوق وطرق ووسائل اكتشاف المتفوقين والموهوبين ورعايتهم . ولا شك أن نتائج هذه الدراسات والأبحاث يمكن الاستفادة بها فى مختلف بلدان العالم التى تسعى جاهدة الى زيادة الاهتمام بذوى الكفايات المتميزة من أبنائها .

ولا شك أن المجتمع الانسانى سيحرز الكثير من التقدم اذا استطاع أن يوجه اهتمامه الى استغلال العبقريات الكامنة فى الجنس البشرى . على انه يجب الا تشغلنا الرغبة فى اعداد أكبر عدد من العلماء والمختصين فى مختلف نواحى الانشطة التكنية عن الاهتمام باعداد القادة والموجهين الاجتماعيين والعلماء والمختصين فى العلوم الانسانية والسلوكية ، ذلك اذا أردنا للمجتمع الانسانى تقدما قائما على اساس من القوة المادية والقيم الروحية والخلقية .

ونختم بأن نقول ان رعاية هذه الفئات يجب أن تكون مستمرة بعد تخريجهم الى الحياة العملية . فمن الواجب أن يهيأ لهؤلاء الموهوبين والمتفوقين بعد اتمام دراستهم جو العمل المناسب الذى يستطيعون فيه استغلال مواهبهم لخدمة المجتمع الذى كرّمهم ومنحهم من رعايته وعنايته ، ويجب الا نشغلهم ونرهقهم فى أعمالهم الجديدة بالاعمال الروتينية التى تستنزف من طاقاتهم ، وأن نمنحهم من امكانيات الدراسة والبحث ما يمكنهم من النمو المهنى المستمر ، وأن نهيىء لهم من سبل العيش الرغيد ما يساعدهم على التركيز فى العمل والبحث ويبعث فى نفوسهم جو الاطمئنان والاستقرار . ■■

القاهرة : علي أحمد علي



نقد كتاب الشهر

بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ يوم الخميس السادس عشر من ديسمبر (كانون الاول) الماضي ، توفى الاديب الانجليزي الشهير وليم سومرست موم عن احدى وتسعين سنة ، وهو الذى قال منذ سنوات بعيدة : « اني لاوصي أن تحرق جثتي ، والا يصلى علي ... وعندما تحين الساعة ساكون سعيدا لانني ارى أن حياتي اشبه بقصة ذات نهاية سعيدة . أما الحياة نفسها فقد حاولت عبثا أن أجد لها معنى ، ولهذا فقد علمت نفسي أن المعنى الوحيد لها هو أن نحياها » .

ولقد كتب عن سومرست موم الكثير ، ولكن جل هذا الذى كتب يجافي الحقيقة والواقع ، وخاصة ما شاع وتناقلته الاقلام من ان شخصية موم معقدة غاية التعقيد ، وانه انسان ساخر من كل الجنس البشرى .

وقد كان موم فى حياته شخصية مرموقة ، وذا شعبية عند القراء . فحاولت الصحف والمجلات ان ترضي هذه النزعة فى قرائها بأن تنشر لهم ما تستطيع من أخباره ، وبهذا كانت عاملا من العوامل التى ساهمت فى تشويه حقيقة موم .

وحيثما حلّ كان الصحفيون والمصورون يعترضون طريقه ، ويمطرونه بأسئلتهم الكثيرة ، فيقابل كل هذه المضايقات والمزعجات بالابتسام ، ويرد على اسئلتهم مازجا بين الجد والهزل ، ووسط هذا المزج ضل الصحفيون طريقهم الى الحقيقة .

وعندما زار موم اليابان فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٥٩ ، كان فى استقباله جمع غفير من الصحفيين ، وأكثر من مائة مصور . وعندما كان يمر بسيارته فى شوارع نيس ، كانت سيارات الصحفيين تطارده دون توقف . واذا حدث أن

(I) William Somerset Maugham, Collected short stories.

تناول طعامه فى مكان عام ، وقلما كان يحدث ذلك ، كان يجدهم بانتظاره عند الدخول والخروج . اما عدد من كانوا يقرعون جرس داره الانيقة المترفة فى الريفييرا يوميا طالبين مقابلة الاديب الكبير ، فكثير كثرة تجعل من المستحيل تحقيق رغباتهم .

وعلى الرغم من كل هذه المضايقات كان موم ودودا يحسن استقبال الصحفيين ، ويقول : « لا لوم عليهم فى هذا لانه عملهم الذى يتعيشون منه ، اما اولئك المتطفلون الطويلو الانوف فهم الذين لا احبهم » .

★★★

وموم انسان ودود يحسن معاملة سائق سيارته وخادمته ، كما يحسن معاملة كبير عظيم ، سواء بسواء . وهنا تتجلى حقيقة الانسان ، فخلق الانسان يبدو دون زيف فى معاملته لمن هم دونه .

وعاش موم حياته ، حتى بعد أن شاخ وتقدمت به السن ، وغلالة رقيقة من الخجل تطبع تصرفاته.

وهكذا تضاربت الاقوال فى موم :

فكتب صحفي فرنسى عن « عينيه القاسيتين ، وخلوهما من الحنان » .

ونشر مؤلف امريكي كتابا عنه قال فيه : « انه يتوق الى العودة الى الايمان بالله ، ويعتزم التحول الى الكثلكة » .

وقال فيه ناقد امريكى مشهور : « انه لا يحب احدا ، ولا يميل الى شيء » .

ووصفت صحيفة معروفة وجهه بانه ليس فيه اثر من ايمان ، وعليه يرتسم الحذر .

وصرح كاتب قصصي انجليزى بان موم يكره العاطفة الرقيقة لانها عنده تعني الضعف والتخاذل.

ويستطيع المرء ان يجمع مئات من مثل هذه الاقوال لو اراد ، وهي اقوال بعيدة عن الحقيقة والواقع .

★★★

ومع هذا فان المرء يتساءل : وما الذى دعا كل هذا النفر الى اصدار مثل هذه الاحكام القاسية على الرجل ؟

يبدو لى أن عزوف موم عن تزويد كل من حاولوا الكتابة عنه بمعلومات عن حياته ، ورفضه الرد على ما قيل فى حقه ، هما اللذان شجعا على استمرار صدور مثل هذه الاحكام المتناقضة . وحجة موم فى صمته على هذا انه كان يرى أن المهم ليس حياة الكاتب الخاصة ، بل انتاجه . وهذا هو الذى يجب أن يحكم عليه . وقد اكد هذا القول بان طلب من اصدقائه ان يحرقوا كل ما يمكن أن يكون فى حوزتهم من رسائل كان قد ارسلها اليهم ، حتى لا يستغلها من يحاولون أن يكتبوا عنه .

ونحن نعجب أن يرى موم هذا الرأى ، وهو الذى أباح لنفسه فى كتابه «عشر قصص ومؤلفوها» ان يفيض فى الحديث عن حيوات كتاب آخرين ، ويتلذذ فى الكشف عما يحسن ستره . وموم فى كتابه هذا ناقد بارع ، وما كتبه عن « مدام بوفارى Madame Bovary » لفلوبير Flaubert ، او « آمال عريضة » لديكنز Dickens ، أو « موبى ديك Moby Dick » لهرمان ملفيل Melville ، يعمق فهمنا لهذه الروائع ، ويكشف لبصائرنا عما يمكن أن يكون قد خفى علينا من اشارات بعيدة ، ومعان خفية ، وجمال مستور . وفى رأيى أن موم لو عكف على كتابة تراجم الادباء والفنانين لنجح فيها نجاحا يضعه الى جانب اندريه موروا .

★★★

ويبدو أن اولئك الذين يصرون على أن موم معقد ينسون أن الانسان بطبيعته البشرية معقد ، بمعنى أن الانسان يجمع فى نفسه كثيرا من المتناقضات ، حتى انه احيانا لا يكاد يعرف نفسه فالشرير العريق فى الشر لا يخلو من نبضات الخير ، والبخيل العاض باسنانه على الدرهم قد يستثيره موقف من المواقف فيكون كريما سخيا فى كرمه .

وقد ادرك موم هذه الحقيقة الانسانية ، فهو يقول انه اراد أن يضع امراة يعرفها فى قصة ، فلم يستطع لتعقد شخصيتها : فهى حقود محبة ، وقاسية رحيمة ، وانانية مؤثرة على نفسها ـ كل هذه الصفات المتناقضة تجتمع فى انسانة واحدة. ويتساءل موم : كيف يستطيع الكاتب القصصى ان يجعل القارىء يصدق أن مثل هذه الشخصية لها وجود فى الواقع ؟ وموم على حق فى هذا التساؤل ، لان القراء دائما يطلبون من الكاتب

تعليلا لكل تصرف من تصرفات شخصياته ،بينما الواقع ينكر هذا ، فبعض التصرفات يصـعب تعليلها . ولكن موم اخضع شخصيات قصصه لطالب القراء ، فجعلها شخصيات مسطحة ، غير معقدة ، ذات تصرفات بينة الدوافع والغايات . وليس مثل هذا تشيكوف ، خير كاتب قصة قصيرة ، فهو قد صور الانسان على حقيقته بما فيه من تعقد ، وغموض ، وخفاء .

والذى اريد ان اقوله ان موم معقد بقدر ما فى الشخصية الانسانية من تعقيد هو من طبيعتها : فكل انسان عالم قائم بذاته ، وغابة مظلمة يضل السارى طريقه وسط متاهاتها .

★ ★ ★

وموم الانسان له ظاهر ككل انسان . وظاهر موم يؤكد لنا انه من اقل الكتاب تعقيدا : فاسلوبه سهل ، واضح ، لا التواء فيه . وآراؤه فى الدين والادب ، والانسانية والأخلاق ، والحياة ، لا لبس فيها ولا غموض . وهى عنده اوضح منها عند جل الكتاب الواضحين ، من امثال ديكنز ، وكبلنج Kipling ، وهوثورن Hawthorne الخ ..

وقد صرح موم بآرائه ، فمنذ سن الحادية والعشرين ، عندما كان طالبا بكلية الطب فى لندن، كفر بالايمان الدينى ، ولم يندم على ذلك الى يوم وفاته .

والمثالية عنده نوع من النفاق الاجتماعى ، لان اى تصرف من تصرفات الانسان ، انما الباعث عليه المصلحة الذاتية . وهو فى هذا متفق فى تشاؤمه مع مارك توين Mark Twain الذى يرى ان مثالية الانسان هى فى حقيقتها رغبة كامنة فى نفع ما ، وان كل التصرفات المثالية لها دوافع انانية .

ونحن نعجب لموم ان يؤمن بمثل هذا الراى ، وهو الذى رصد الأموال لمساعدة الأدباء المبتدئين من الشباب . ترى اى نفع كان ينتظر من عمله هذا ؟

ويرى موم ان المثل ايضا ضارة بالانسان ، لانها فى حقيقتها اكاذيب ، اى انها لا وجود لها فى واقع الانسان . ومثل هذا الراى قال به هنريك ابسن Ibsen ، وبرنارد شو . وفى رأى هؤلاء الكتاب الثلاثة اننا نربى ابناءنا على المثاليات ، ولكنهم يكبرون ليروا باعينهم ان واقع الحياة غير ما رُبوا عليه فيُصدمون فى عواطفهم وافكارهم ، ولا يستطيعون ان يحسوا بالسعادة الا بعد ان يتخلصوا من مُثلهم ، ويعودوا الى الواقع .

ترى هل كان هؤلاء الكتاب الثلاثة جادين عندما قالوا مثل هذا القول ، ام ان فساد المجتمع هو الذى دفعهم الى مثل هذا القول الساخر ؟ يغلب على الظن انها سخرية من سخريات العباقرة ، لان المثل هى المشاعل التى تنير الطريق للانسان فى تطلعه نحو مستقبل افضل .

وموم من المجدين للنفس الانسانية ، ومايمكن ان تبديه من شجاعة ، وقدرة على التحمل ، وثورة على الظلم . وهو يحث الانسان على ان يبقى شعلة الحرية مضيئة فى نفسه ، يتحدى بها الألم والفقر .

والكون عنده ، كما هو عند برتراند رسل Russell ، احجية لا يستطيع العقل الانسانى حلها . والانسان فى هذا الكون مكتوب عليه ان يجابه ما فيه من فوضى ، وهو يتغلب على هذه الفوضى بما وهب من فكر ، وما ركب فى طبيعته من ميل الى التسامى . وهو بهذا التسامى يتغلب على حالة اليأس التى يدفعه اليها هذا الكون .

★ ★ ★

وجوهر فلسفة موم اننا فى حياتنا نبحث عن الحياة الصالحة . وهذه الحياة الصالحة تختلف من فرد الى آخر ، ومهمة كل فرد ان يجد بنفسه الحياة الصالحة له . وهذا القول متفق مع ما جاء على السنة كثير من الشعراء والفلاسفة من ان « جمال الحياة ليس سوى انسجام المرء مع طبيعته » . وهذا الراى يقود موم الى القول ان المجتمع يحدد للناس العاديين سلوكهم ، أما الموهوبون فيضعـون لانفسـهم بانفسهم قانونهم السلوكى والأخلاقى .

وموم يؤكد على ان المرء لا يَدَ له فى ما صار اليه ، فهو ابن الظروف التى نمته منذ ان كان جنينا الى يوم وفـاته . وينعى على الكتاب القصصيين ان كثرتهم لا تدرك هذه الحقيقة عند رسمها لشخصيات قصصها .

وللمناخ والطعام اثرهما ايضا فى تكوين شخصية الانسان ، وهذا يقوده الى القول ان الانسان

الذى يولد فى بيئة مترفة يكون عادة اقوم شخصية ممن يولد فى بيئة فقيرة « وانه لمن المدهش المحير ان نرى أن ذوى القلوب الطيبة ، هم عادة الأبناء الذين ولدوا وفى افواههم ملاعق من ذهب». وبسبب هذا الرأى تعرض موم لنقد شديد .

★★★

وقد ذهب بعض من كتبوا عن موم الى انه من المؤمنين بمذهب اللذة . ولم يحاول هو أن يدافع عن نفسه ، بل اعترف بذلك ، ولكنه أوضح رأيه حتى لا يساء فهمه . وعنده أن كل انسان ينشد اللذة فى حياته . وهو وان كان من المؤمنين بمذهب ابيكورس Epicurus ، الا أنه يحكم عقله ، ويختار من اللذة ما ليس ضارا به أو بأحد : كالعيش الرغيد ، والانفاق دون حساب ، والنزول فى الفنادق الفاخرة ، وامتلاك قصر فى الريفيرا ، واقتناء السيارات الفارهة ، واستخدام عدد كبير من الخدم فى قصره . وفى رأيه أن الانسان الذى يدعى أنه يرفض هذه الأشياء ، عندما يستطيع الحصول عليها ، منافق وكاذب . ويرد على رجال الدين قائلا انهم هم أيضا على رأس أصحاب مذهب اللذة ، لأنهم انما يفعلون أملا فى نعيم الجنة . اما هو فيقتنص من اللذات أقصى ما يستطيع ، وهو يقتنصها من عالم لا يهمه من أمره شىء ، سواء شقى أم سعد .

★★★

ولموم فى الزواج رأى ثورى غريب ، أثار عليه ثائرة الكثرة الساحقة من قرائه : فهو يرى أن نظام الزواج سيزول فى المستقبل البعيد . وهو نفسه قد جرب الزواج مرة ، وكان سعيدا عندما اخلت زوجته سبيله ، فلم يفكر فى الزواج ثانية. ويبدو أن تجربة موم الفاشلة فى الزواج قد صبغت نظرته الى المرأة : فهو يعرض النساء فى قصصه فى صور ساخرة ، وهن فيها يفشلن كزوجات ، وامهات ، وخليلات . والمرأة الوحيدة التي أحبها بعنف وعمق هى والدته ، حتى انه انخرط فى البكاء عند تذكره لها وهو يسجل على اسطوانة فقرات من قصته « أغلال الانسانية » تتحدث عن وفاة أم البطل . لقد بكى فى هذ الموقف ، وهو ابن الثمانين !

والمرأة فى رأيه تؤثر الرجل القوى الشخصية الصامت ، سواء فى هذا المرأة العادية والكاتبة الموهوبة مثل شارلوت برونته Brontë مؤلفة « جين اير » Jane Eyre . وهو يعلل سبب اختيار شارلوت برونته لقصتها بطلا قويا صامتا تعليلا طريفا ، يكشف عنده عن نفسية المرأة : فالرجل الصامت القوى يجعل المرأة تحس بالحماية فى كنفه ، ويرضى غريزتها المتطلعة الى التدليل بخضوعه لها وهو القوى ، ويتيح لها بصمته ان ترضى فى نفسها غريزة أخرى هى الميل الى الثرثرة.

هذه خلاصة لآراء موم ، وهى آراء نجد أثرها واضحا فى كل ما كتب من اقاصيص ، وقصص ، ومسرحيات ، ومقالات .

★★★

وشهرة موم الأولى قائمة على أنه كاتب أقاصيص ممتعة مسلية ، اجتذبت اليها ملايين القراء .وقد صدرت هذه الأقاصيص فى مجموعات عدة .وكثير من النقاد لا يرون فى أقاصيص موم ما يجعله كاتبا متميزا ، ويؤثرون عليه تشيكوف Chekhov الروسى (١٨٦٠ ـ ١٩٠٤) وهم يرون ان أقاصيصه فيها كثير من الصنعة ، حتى ان الناقد الشهير ادموند ويلسون Edmund Wilson يرى أن موم ليس اديبا ابدا . ولكن ناقدا آخر له شهرة ادموند ويلسون،هو سيريل كونول Cyril Connoll يرى عكس هذا تماما ، فيعتبر موم خير كاتب أقصوصة فى القرن العشرين . وهذان رأيان متناقضان يصدران عن ناقدين مرموقين .

وفى رأيى ان موم يقف وسطا بين غلو المادحين، وقدح المنكرين لأدبه .

ان موم فى أقاصيصه يقدم لنا شخصيات واضحة ليس فيها تعقيد ، وهمه الأول فى الأقصوصة ما فيها من حادثة ، وما تحمل من معنى ، وما يغلف هذا المعنى من لمسات خفيفة من السخرية . ويندر أن نجد بين كبار كتاب الأقصوصة كاتبا يستطيع أن يشد اليه انتباه القارىء مثل موم .

وموم فى طريقته هذه ، فى كتابة أقاصيصه ، متأثر بموباسان Maupassant . وحب موم لموباسان بدأ مبكرا منذ أن كان صغيرا ، عندما كان موباسان يتردد على صالون والدته الأدبى فى باريس . وشب موم ومجموعات قصص موباسان هى سلوته فى وحدته . وأكثر ما يبدو أثر موباسان فيه فى نهايات لا يكون القارىء ينتظرها .

وموم من المؤمنين بالعقدة والخاتمة في الاقصوصة. ولعله مصيب في هذا ، لأن القراء يحبون أن يعرفوا كيف انتهت هذه القصة التي تروى لهم. واقاصيص موم يستطيع المرء أن يقرأها ، ثم يعيد سردها على جمع من الناس ، فتبقى ممتعة، لأنها تعتمد على الحادثة ، والخاتمة ، والامتاع ، لا على التحليل .

وفي عام ١٩٥١ جمعت هذه الأقاصيص في ثلاثة مجلدات ، وأعيد نشرها عام ١٩٦٣ في أربعة مجلدات . وقد بيع من هذه المجموعات ملايين النسخ ، بحيث نستطيع أن نقول ان موم أكثر كاتب قصصي معاصر يقبل عليه القراء .

★★★

ولعل مما يكمل الصورة في أذهاننا عن موم ، الكاتب القصصي ، أن نعرض للاطار العام لبعض اقاصيصه ، ففي هذا الاطار نجد موم بآرائه التي تحدثنا عنها .

واول مجموعة اقاصيص له صدرت بعنوان « توجيهات » Orientations ، وهي أضعف مجموعاته ، وأبرز ما فيها قصتان : « رجل شريف » و « ديزى » .

ففي « رجل شريف » يكتشف نبيل اسباني أن زوجته الوفية المتوفاة التي عاش مخلصا لذكراها ، كانت عشيقة أخيه رئيس الأساقفة . فيقدم على قتل أخيه ، ويقبل على الحياة يعب منها دون أن يحس بتأنيب الضمير .

و« ديزى » هي قصة فتاة هوى ، جمعت ثروة، وتنتهي الأقصوصة وديزى سعيدة لا يقلقها انها سارت في هذا الطريق الذى ينكره المجتمع .

ونشرت المجموعة القصصية الثانية تحت عنوان « اهتزاز ورقة شجر » . وابطال هذه الأقاصيص اوروبيون يجوبون أنحاء الشرق الأقصى ، أو يعيشون فيه . وهم ، رجالا ونساء ، لا يستطيعون ان يكيفوا انفسهم حسب الجو الجديد ، فيفقدوا توازنهم وهدوءهم النفسي . وعنوان المجموعة نفسه يشير الى هذا المعنى : فهم اناس ذوو نفوس قلقة . وقد تركت هذه المجموعة اثرا بالغا في نفوس القراء ، ووطدت شهرته . وقد بلغ من تأثيرها في نفوس قرائها أنها رسمت صورة حالمة لجزر المحيط الهادى ، اغرت كثيرين بالسفر اليها .

واول قصة في هذه المجموعة بعنوان «مكنتوش» Mockintosh ، وهو اسم البطل . وهي قصة نفسية ، متقنة البناء الفني ، تروى حكاية الحاكم الانجليزى لاحدى الجزر ، ومساعده . وهما انسانان على طرفي نقيض ، مختلفا المزاج ،والذوق، والثقافة ، والعادات ، والسلوك : فالحاكم ضخم الجثة، شهواني، فظ ، ولكنه ادارى ناجح، ومساعده مكنتوش انسان حساس ، مثقف ،عالي التهذيب . ويستحكم بينهما العداء . ويلاحظ مكنتوش ان أحد الأهلين يدبر خطة لقتل الحاكم، ولكنه لا يحاول أن يمنعه . وهكذا يسقط الحاكم. ولكن مكنتوش يحس بعد هذا بتأنيب الضمير ، ويتوهم انه قد ساهم في قتله ، فيقدم على الانتحار . وفي هذه الخاتمة تكمن سخرية موم : فمكنتوش الذى جاء الى الجزيرة بمثله ، لم تفده هذه المثل غير أن دفعته الى الانتحار ، دون داع لذلك .

واكثر قصة في هذه المجموعة زينت للاوروبيين والأمريكيين الحياة في جزر المحيط الهادى ، وجعلتهم يقبلون بشغف ورومانسية عليها ، هي قصة « سقوط ادورد برنارد » . وخلاصتها ان ادورد برنارد يذهب الى جزر المحيط الهادى في مهمة تجارية ، ممثلا لاحدى الشركات ، فيستهويه سحر المكان ، ويتخلى عن المستقبل الزاهر الذى ينتظره ، ويترك خطيبته الامريكية ، ويولي ظهره لكل منتجات الحضارة التي ينعم بها في شيكاغو ، ويستقر في احدى هذه الجزر دون طموح ، ولكنه يحس بسعادة غامرة ، ويؤمن أنه ان كان قد فقد العالم المتحضر ، فانه قد وجد هنا نفسه . ويأتي صديقه من امريكا الى الجزيرة ، ليعود به ، فيشده للحياة الخاملة فيها ، ويعجب كيف استطاعت مثل هذه الحياة ان تملك عليه لبه . ويجرى بين الصديقين حوار نحس فيه أن عواطف الكاتب مع ادورد برنارد. اما الصديق فهو في نظره رمز للحضارة الغربية الشوهاء . واظن أن القلة من القراء هي التي لا تتمنى أن تذهب الى تلك الجزيرة ، وتسقط سقوط برنارد .

وقصة « رد » Red مكتملة البناء الفني ، وهي

من أروع اقاصيص موم . وكل كلمة فيها لهـا دلالتها ، ومغزاها ، وقيمتها ، في الخاتمة التـي انتهت بها القصة . وتبدأ القصة بداية جميلة مغرية لتنتهي نهاية بشعة مؤلمة . انها قصـة (رد) البحار الاوروبي الجميل الشكل الـذي يقع في حب (سالي) وهي فتاة فاتنة من بنـات احدى جزر المحيط الهادى . ويقيمان معا زمنا ، ثم يختفي (رد) فجاة فتقضي سالي أيامها تفكر فيه ، وتذيب نفسها شوقا اليه . واخيرا ترضى بالزواج من رجل ابيض يحبها ، ولكنها تشقيه وتشقي نفسها ، لانها ما زالت تعيش في ذكـرى حبيبها الاول . وتتقـدم بها الـسـن ، ويترهل جسمها ، ويتفق أن تلتقي سالي وزوجها يوما برجل ابيض لايعرفانه ، ثم يعرف الزوج صدفة ان هذا هو (رد) الذى افسد عليه حياته بحب زوجته له . ويتامله الزوج ، فيجده اصلع الرأس، مترهل البطن ، سوقي الـسلوك . ويتساءل : اهذا هو الذى احبته سالي كل هذا الحب ؟ ومع هذا فانهما لم يعرف احدهما الاخر عندما التقيا !! ترى ماذا سيكون موقفها لو عرفت ان هذا هو (رد) الحبيب الذى اشقته من اجله ؟ ولكنـه يؤثر الصمت . وعند هذا تنتهي القصة .

وفي رايي ان في هذه القصة قسوة لاتجد لهـا مثيلا في اية قصة حب اخرى ، فقصص الحب العارم ، كقصة روميو وجولييت مثلا ، تنتهي دوما وجو القصة عبق بالحب والشباب . اما هذه القصة فتنتهي وقد تبخر الحب ، وشاخ الحبان ، وصار منظرهما كريها . انه واقع الحياة . وموم يجبهنا بهذا الواقـع دون ان يحـاول تخـدير احاسيسنا .

واخر قصـة في هذه المجموعـة هي القصـة الشهـيرة « مطـر » Rain، التي اخـرجت في السينما ، والتلفاز ، والمسرح ، ودرت على مؤلفها المال الوفير ، حتى لقد بلغ دخله منها وحدهـا اكثر من نصف مليون دولار . وقد سبق ان نشرت ترجمة هذه القصة في « العربي » ، وهي من روائع سومرست موم .

انها قصة جماعة من الاوروبيين مبحرين في جزر المحيط الهادى . وفي السفينة مبشر ، وبائعة هوى اسمها سادى ، ويتفنن موم في وصف تدين المبشر، وتحلل سادى ، وتهجم المبشر عليها لسبب هـذا التحلل . ولكن الفتاة تغريه ، فيأثم معها ،ويدفعه الاحساس العميق بالاثم الى الانتحار تكفيرا عـن سقوطه وتنتهي القصة بالفتاة سادى ، وهي تقول بقرف واشمئزاز : « كلكم رجال ! قذرون ! خنازير قذرة ! كلكم سواء ... كلكم دون استثناء خنازير .. خنازير !! »

ومغزى القصة نجده في هذا القول الذى يجريه موم بسخرية على لسان المبشر : « عندما ذهبنا الى تلك الجزر وجدناهم لا يعرفون شيئا اسمـه الخطيئة . وكانوا يخالفون الوصايا العشر دون ان يحسوا انهم يقترفون اثما ، ولهذا فان مشكلتنا الاولى كانت هي كيف نجعلهم يحسون بالاثم » .

والمجموعـة الثالثة مـن اقاصيص مـوم هـي « شجرة الكزورينا » . وقد لقيت هذه المجموعة عند صدورها ما لقيته المجموعة السابقة مـن نجاح . وشجرة الكزورينا رمز للاوروبيين في جزر المحيط الهادى .

★ ★ ★

والآن : اين يقف وليم سومرست مـوم بين كتاب القصـة ؟

انه هو نفسه يقول : « انا اعرف اين اقف : في مقدمة كتاب الدرجة الثانية . »

ولكن اذا كان كتاب الدرجة الاولى هم امثال : تولستوى ، ودوستويفسكي ، وديكنز ، وبلزاك .

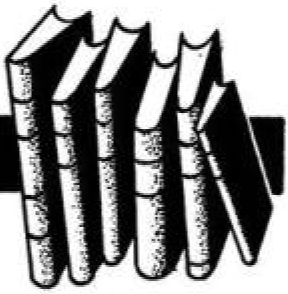
واذا كان من كتاب الدرجة الثانية ادباء اعلام امثال : اندريه جيد ، وجولسورثي ، وكونراد ، وهاردى ، وفوكنر .

فان موم بقوله هذا يضع نفسه في مكان لـم تحظ بمثله الا القلة القليلة من الكتاب الاعلام البارزين .

ومهما اختلفت آراء النقاد في قيمته الادبية ، فان قراءه الكثثر كفوه مؤونة الرد عليهم .

واليوم يقوم تمثال سومرستموم بين الخالدين في « متحف مدام توسو » ، متحف الشمع بلندن فكان بهذا اول اديب يُعرَض تمثاله فيه منذ ان عرض تمثال برنارد شو سنة ١٩٢٨ . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

التقويم فى التربية الحديثة

تأليف : ج . واين رايتستون جوزيف جاستمان ايرفينج روبينز ترجمة محمد محمد عاشور والدكتور عطية محمود هنا والدكتور وهيب سمعان والدكتور محمد رافت مكتبة الأنجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة بالقاهرة — الثمن ١٢٧ قرشا

● يعالج هذا الكتاب أساليب التقويم فى التربية ويفتح أمام المربين والمعلمين افاقا واسعة فيما يتعلق بالتأمل النظرى وبالتطبيق العلمى فى ميدان التقويم كما يقدم مجموعة من الاراء والافكار والمفاهيم التى ينبغى مناقشتها فى ضوء ظروفنا وتطورنا كما يضع فى متناول أيديهم مجموعة ضخمة من الاختبارات ووسائل التقويم الأخرى التي يمكن ان تكون عاملا يسترعي اهتمامهم .

هدير القافلة

نظم على محمد لقمان — الناشر الشركة الوطنية للطباعة والاعلان ببيروت

● مجموعة شعرية فى مواضيع شتى

الفن والادب

تأليف : لويس هورتيك

ترجمة : الدكتور بدر الدين قاسم الرفاعى

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد السورية

الثمن : ٢٥٠ قرشا سوريا

● ترجع العلاقة التى تربط الادب بالفن كما يرجع الاثر المتبادل بين هذين النوعين من الفعالية المبدعة الى عوامل الجذب او التنافر بين الالفاظ والصور وفى هذا الكتاب شرح واف لهذه العلاقة باسلوب أدبي جذاب .

مباحث فى الادب الشعبي

تأليف : عامر رشيد السامرائي

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العراقية

● الادب الشعبي قديم فى العراق وقد عايش الادب الفصيح وحاذاه ، غير ان احدا من المدونين لم ينصرف الى تدوين اصول هذا الادب فضاعت معالمه كل ضياع ، اللهم الا النذر اليسير من نحو ما جمعه القاضى الطالقانى من امثال العامة فى بغداد . وفى العصر الحديث تنبه الى ذلك كثير من الباحثين وانصرفوا الي جمع النصوص الادبية الشعبية المعاصرة وبذلك امكن تثبيت صور كثيرة للادب الشعبى تصلح ان تكون حجة له أو عليه . ومؤلف هذا الكتاب احد الذين انبروا الى دراسة هذه النصوص دراسة علمية منهجية كانت حصيلتها هذا الكتاب القيم .

الخزفيات للفنان الخزاف

تأليف : ف هـ . نورتن

ترجمة : سعيد حامد الصدر

مراجعة : عبد الحميد بحيرى

الموزع : دار النهضة العربية

الناشر : فرانكلين القاهرة

الثمن : ١٤٠ قرشا

● كان الخزف قديما صناعة تتولاها المراسم الخاصة ، والمصانع ، على مستويات متباينة ، وفى القرن العشرين نشطت هذه الصناعة ودخلت الخزفيات فى عصر جديد يتطلب من الخزاف ان يكون ذا موهبة فنية ودراية كاملة . ولما كانت المكتبة العربية تفتقر الى كتاب جامع فى هذا الفن الجميل رغم صدور مؤلفات كثيرة فى هذا المجال لذا قدمت مؤسسة فرانكلين هذا الكتاب لقراء العربية واكمالا للفائدة المرجوة اضيفت اليه أجزاء مولفة تناولت فن الخزف الاسلامي والعربي فجاء الكتاب مرجعا هاما لا غنى عنه .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

● هل تعلمون أننا هنا في « سيون » ـ حضرموت ـ محرومون من أن نتعلم الغناء والموسيقى أو نستمع اليهما ، أو أن نشهد السينما أو التلفزيون كبقية خلق الله ، لأن علماءنا الأجلاء يؤكدون أن ذلك كله حرام شرعا ، بإجماع الأئمة الأربعة ؟ !! فإذا قلنا لهم وكيف يبيحه العالم الاسلامي كله ـ وفيه من هو أعلم منكم وأكثر منكم تفقها في الدين ؟ قالوا : « بل هم خارجون على الدين » !

لكن ما نعجب له هو أنهم يبيحون الاستماع الى الراديو ولا يجدون في ذلك حرجا ، فإذا سألناهم كيف يحللون ذلك ؟ قالوا ان ما ينقله الراديو انما هو مجرد « صدى » وليس الاستماع الى الصدى منافيا للدين !!

فهل في كتاب الله أو سنة رسوله ما يؤيد ما يزعمون ؟ !

انقذونا بربكم من عنت هؤلاء المتزمتين ..

جعفر . س — سيون : حضرموت

ـ ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ما يحرم مشاهدة السينما والتلفزيون ، لأنه لم يكن في عهد الرسول سينما ولا تلفزيون !

وإذا كان علماؤكم الاعلام يحللون الاستماع الى الراديو لأنه مجرد « صدى » كما يقولون ، فذلك أيضا ينطبق على السينما والتلفزيون ، لأنهما لا تعرضان أجساما حقيقية ، وانما تعرضان مجرد صور ، تزول كما يزول الصدى ، وتختفي كما يختفي الخيال !!

هذا اذا ما أردنا أن نخاطبهم بلغتهم ، وفي حدود ما يعقلون ، أما اذا لجأنا الى الفقه والمنطق والواقع ، فان في تحليل الغناء والموسيقى أو تحريمهما أقوالا كثيرة .. وان يكن معظم ما يحتج به القائلون بالتحريم واهيا وضعيفا ، تنقضه أحاديث نبوية ، وحوادث تاريخية ، ليس الى انكارها سبيل !.. وقد اتفق أكثر الفقهاء على أن الأحاديث التي يستند اليها القائلون بالتحريم ـ حتى اذا صحت ـ مقيدة بذكر الملاهي والخمر والقيان والفسوق والفجور ولا يخالف هذا الا رجل مأفون .. ولا يجرؤ أحد على أن يقول ان حفلات كحفلات السيدة أم كلثوم أو الموسيقار محمد عبد الوهاب وأمثالهما من المطربين والمطربات المحتشمات ، تمت الى شيء من هذه المحرمات !

روي عن النبي صلى الله عليه وآله ، ثم عن كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والفقهاء الأجلاء ـ وهم أجلّ وأكثر ورعا من فقهاء هذا الزمان ـ انهم كانوا يستمعون الى الغناء والموسيقى ، ويحضرون مجالسهما البريئة من المحرم والمجون .

وروي أنه صلى الله عليه وسلم سمع بعض الجواري يغنين ويضربن بالدفوف في عرس « الربيع بنت معوذ » فلما سمع احداهن تقول « وفينا نبي يعلم ما في غد » لم يرضه هذا المديح المسرف

يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

« من لم يتأثر برقيق الاشعار ، تتلى بلسان الاوتار ، على شطوط الانهار ، فى ظلال الاشجار ، فذلك جلف الطبع .. حمار ! »

للشيخ حسن العطار

شيخ الجامع الازهر سابقا

الذى لا يليق الا بالذات الالهية ، فما زاد على أن قال للمغنية فى هدوء : « دعي هذا الاسراف فى المديح ، وقولي بالذى تقولين » (انظر القسطلاني ج ٥ ص ٩٥ والاصابة ج ٨ ص ٨) .

وعنه أيضا انه أبصر نسوة وصبيانا مقبلين من عرس فيه غناء فقال لهم فى سرور وغبطة « اللهم انتم من أحب الناس الىّ » (القسطلاني ج ٨ ص ٨) .

وروى البخارى أن أبا بكر دخل على عائشة وبين يديها مغنيتان تغنيان وتلعبان بالدف فى يوم العيد ، وعلى مقربة منهما رسول الله يستمع ، فانتهر أبو بكر عائشة غاضبا فقال له الرسول : دعها يا أبا بكر ، فان لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا (تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٨٠) .

وكانت لفتاة جميلة منه (ص) يوم زوّجت عائشة فتاةً يتيمة كانت تربيها فرافقتها الى بيت عريسها يوم زفافها ، فلما عادت سألها الرسول : « أهديتم الفتاة الى بعلها ؟ » قالت « نعم » ، قال « أبعثتم معها من يغني ؟ » قالت « لا » ، قال : « أو ما علمتِ أن الانصار قوم يعجبهم الغزل ؟ الا بعثتم معها من يقول :

أتيناكم أتيناكم
فحيونا نحييكم

الى آخر الابيات الواردة فى كل كتب السيرة ...

وعلى الرغم من أن النبي أبطل كثيرا من عادات الجاهلية وتقاليدها ، فانه أبقى على حفلات الزفاف ، بل دعا اليها وحض عليها فقال : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف » رواه ابن حنبل . كما قال « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت » يريد بالدف الموسيقى ، وبالصوت الغناء ..

ويوم هاجر (ص) الى المدينة خرج نساؤها وجواريها — فضلا عن رجالها — لاستقباله فى الطرقات وفوق السطوح وهن يغنين الانشودة الخالدة التى مطلعها .

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا
جئت بالامر المطاع

جئت شرفت المدينة
مرحبا يا خير داع

وقد استمع صلوات الله عليه الى كعب بن زهير

هذه هي الفاتيكان: أصغر دولة... وأغنى دولة!

● في نتيجة مسابقة العدد الماضي (٨٧) ذكرتم أن معظم الاجابات تضمنت أن الفاتيكان هي أصغر دولة في العالم .. وقد تردد ذكر الفاتيكان في الصحف والاذاعات في الشهور الاخيرة في أكثر من مناسبة، فهل تتفضلون بنشر بعض البيانات عن هذه الدولة ؟ وهل «البابا» رئيس ديني فقط، أم هو رئيس ديني وحاكم سياسي مثل الأسقف مكاريوس في قبرص ؟ وما هي مساحة الفاتيكان وعدد سكانها وموارد ثروتها ... وشكرا .

نعمات عبد الجليل / الاسكندرية

ـ الفاتيكان هي اصغر دولة في العالم في عصرنا الحاضر، باستثناء «ليشتنستين» Liechtenstein التي لا تتجاوز مساحتها ٦١ ميلا مربعا، بينما مساحة الفاتيكان ١٧. ميلا مربعا، ولا يزيد عدد سكانها عن الف مواطن، يعيشون فوق هذه المساحة التي يحيط بها سور عال ذو بوابات ثلاث، ويتوسطها ميدان كبير هو ميدان «سان بيترو» اي القديس بطرس، احد تلامذة السيد المسيح، والذي عرف في صدر المسيحية باسم «بطرس الرسول» .

ودولة الفاتيكان دولة حديثة العهد، اذ اعلن قيامها كدولة مستقلة في ١١ فبراير سنة ١٩٢٩ بمقتضى معاهدة «لاتران» التي عقدت بين البابا بيوس الحادي عشر، وبين الحكومة الايطالية ... اما قصر الفاتيكان، مقر البابا في هذا العصر، فيرجع تاريخه الى عام ١٣٧٧، وكان مقر البابا قبل ذلك في «افينيون» Avignon من اعمال فرنسا، ثم في «لاتران» Lateran على مقربة من كنيسة القديس بطرس .

ويعتبر ميدان القديس بطرس من اجمل ميادين العالم واكبرها، تتوسطه مسلة مصرية كانت قد نقلت الى احد ملاعب روما من هليوبوليس في عهد احد الاباطرة الرومان الاقدمين، حيث شهدت مصرع بطرس الرسول مصلوبا ورأسه الى أسفل ! حتى اذا ما كانت سنة ١٥٨٦ نقلت الى مكانها الحالي من الميدان ....

وعلى الرغم من صغر هذه الدولة، وقلة عدد سكانها، فانها تعتبر قلعة الكاثوليكية في العالم كله، اذ ان سلطة البابا الروحية تشمل ما يقرب من ٥٥٠ مليونا من المسيحيين، في مختلف انحاء العالم .

والبابا هو رئيس الدولة، وهو ينتخب من جمعية الكرادلة، ولمدى الحياة .. الا اذا قررت الجمعية خلعه، كما حدث للبابا يوحنا الثالث والعشرين ـ وهو غير البابا الراحل الذي حمل هذا الاسم ـ اذ خلعه مجمع كونستانزا وشطب اسمه من سجل البابوات عام ١٤١٥، فلما انتخب البابا الراحل، اتخذ لنفسه اسم يوحنا الثالث والعشرين ...

والبابا الحالي هو البابا الثاني والستون بعد المائتين، وقد تسمى باسم «بول السادس» وبول او بولس هو ايضا احد تلامذة السيد المسيح ـ وكان قبل ذلك اسقفا لميلان، واسمه الكاردينال «باتيستا مونتيني» .

وينتخب البابا عادة من الكرادلة الايطاليين، فقد كان آخر بابا انتخب من غير الايطاليين هو

وهو ينشده قصيدته :

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا اغنُّ غضيضُ الطرف مكحولُ
تجلو عوارض ذي ظَلْم اذا ابتسمت
كأنه مُنهلٌ بالراح معلول

كما استمع الى حسان بن ثابت وهو ينشده قصيدته التي مطلعها :

تبلتْ فؤادك في المنام خريدةٌ
تسقي الضجيع ببارد بسّام

ولم تقل كتب السيرة انه اعترض على هذا الشعر وما فيه من غزل وتشبيب .

والامام مالك بن انس طالما تغنى بالابيات الآتية :

سليمى أزمعت بينا
فأين تظنها أينا ؟
وقد قالت لأتراب
لها لما تلاقينا
تعالينَ فقد طابَ
لنا العيش تعالينا

تعدادها الف نسمة .. وتتحكم فى عقيدة ٥٥٠ مليونا

« ادريان السادس » عام ١٥٢٢ ، وكان هولنديا .

والبابا الحالي من اسرة متوسطة ، بينما كان سلفه سليل اسرة ريفية من الفلاحين البسطاء .. اما البابا الأسبق ــ بيوس الحادى عشر ــ فكان من اسرة ارستقراطية معروفة .

وفى الفاتيكان عدة وزارات كلها دينية ، على راس كل منها كاردينال من بين اعضاء جمعية الكرادلة ، التى تتالف من ٢٨ ايطاليا ، و ٨ فرنسيين و ٤ امريكيين ، ومثلهم اسبان « وثلاثة من الالمان ، واثنين من كل من كندا والارجنتين والبرتغال ، وواحد من كل من استراليا وشيلي واوروجواى واكوادور وكولومبيا والمكسيك وايرلندا وبريطانيا وهولندا وبلجيكا وبولندا ، والنمسا والمجر ويوغوسلافيا والهند والصين واليابان والفلبين وفنزويلا ولبنان والعراق ، وموزمبيق وتنجانيقا ...

اما المجمع المسكوني فيضم عدة آلاف من المطارنة والأساقفة ، وهم دون الكرادلة مرتبة فى السلك الكهنوتي الذى يضم نحو مليون ونصف مليون ، ثلثهم من رجال الدين ، والثلثان الباقيان من الراهبات . والبابا هو رئيسهم المطلق ، باعتباره ممثل السيد المسيح على الأرض ، ولذا لا يستطيع الاتصال به او دخول جناحه الخاص فى القصر البابوى ، الا قلة من الأساقفة الكبار ، وفى اوقات يحددها البابا ...

واروع ما فى مدينة الفاتيكان كنيسة القديس بطرس بنقوشها الخالدة التي تعاقب على رسمها كل من الفنانين العالميين : « روفائيل » ، و « مايكل انجلو » و « بوتشيللي » ، وغيرهم من كبار الفنانين الذين امضوا سنوات طويلة فى تزيين جدرانها ، فاصبحت آية فنية خالدة ...

ومن اهم ما يحويه قصر الفاتيكان ، المتحف ، والمكتبة .. والمتحف يتالف من عدة متاحف متناثرة فى قاعات واجنحةمختلفة اهمها قاعة « سيكستين » التى قضى « مايكل انجلو » ٤ سنوات فى رسم سقفها وهو مستلق على ظهره فوق سقالة معلقة ، فجعل منه تحفة فنية رائعة ليس لها مثيل ، فضلا عن الرسوم الدينية المختلفة التي تزين الجدران وتصور خلق الأرض ، وطرد آدم من الجنة ، والتوبة ، والطوفان ، وغير ذلك من القصص الدينية المعروفة .

وبين متاحف الفاتيكان متحف مصرى ، يشغل عشرات القاعات التي تضم مجموعة من اروع الآثار الفرعونية من مختلف العصور ..

اما المكتبة فتضم اكثر من ٦٠ الف مخطوطة ، واكثر من ثمانمائة الف كتاب وخارطة ، ومطبوعة فى عصور مختلفة ، وفى فنون مختلفة ، حتى لتعتبر من اغنى مكتبات العالم ، وافخمها بناء ، واكثرها بذخا ..

والفاتيكان بعد هذا كله تعتبر اغنى دولة بالنسبة لعدد سكانها .

ومع انه ليس فى الفاتيكان مصانع ولا مزارع ــ فيما عدا الحدائق الخاصة ــ ولا شركات ولا بنوك ، وبالرغم من انها لا تصدر الى الخارج اي سلعة من السلع ، فانها تتحكم فى مجموعة من الاعمال التجارية فى الخارج لا تقل قيمتها عن خمسة آلاف مليون جنيه استرليني .

واخواننا ارباب الطرق الصوفية ! الا تراهم يقيمون حلقات الذكر على صوت المغنين ونغمات المزمار ، وهم الذين يزعمون انهم اقرب الناس الى الله ، واحرصهم على حرمات الله ؟!!

★★★

وخلاصة القول ان الادلة كثيرة على ان الموسيقى والغناء ، حلال فى حلال فى حلال ، ما لم يصحبهما شيء من المحرمات ، كما تفعل بعض المغنيات المتبذلات ، بحركاتهن التى تثير الغرائز ، وتدعو الى الفسق والفجور ، اكثر مما تبعث اصواتهن على الطرب والسرور والمتعة الروحية البريئة ..

ولست اجد ما اختم به هذه الاجابة خيرا من ان انقل الى السيد جعفر ، وعلماء بلدته الاعلام ، قول المغفور له الشيخ حسن العطار ، الذى كان شيخا للازهر الشريف فى القرن الماضى ، فى احد مؤلفاته المعروفة : « من لم يتأثر برقيق الاشعار ، تتلى بلسان الاوتار ، على شطوط الانهار ، فى ظلال الاشجار ، فهو جلف الطبع .. حمار .. !! » .

● قرات فى احدى المجلات الامريكية مقالا عن سيدة تتنبأ بالمستقبل عن طريق كرة بلورية ترى فيها الاحداث واضحة جلية ، حتى أنها تنبأت بمصرع الرئيس الامريكي جون كنيدى ، كما تنبأت قبل ذلك بمصرع المهاتما غاندى ، وحددت موعد وفاة الرئيس روزفلت ، وبأن الصين ستصبح شيوعية ، وتحارب امريكا ، وان افريقيا هي الاخرى ستكون مصدر أكبر قلق للولايات المتحدة .. واخيرا أن حربا عالمية ستنشب فى العقد الثامن من هذا القرن ، فتهدم البشرية وتدمر كل القوى المتصارعة ، ثم تعقبها ثورة يظهر فى اثرها رجل يوحّد كل العقائد فى عقيدة واحدة وذلك حوالي سنة ١٩٨٠ .

فكيف يمكن التنبؤ بالمستقبل عن طريق كرة بلورية ؟ وهل تباع هذه الكرات فى الاسواق ؟ وهل يستطيع كل انسان أن يرى فيها المستقبل ؟ وهل الشخص الذى سيظهر فى نهاية الحرب المقبلة ويوحد كل العقائد هو السيد المسيح او المهدى المنتظر ؟ ! .

ترشين عمر بن عمر / الجزائر

- ان كنت قرات مقالا عن تلك السيدة ، فانا قرات عنها كتابا اسمه « The Crystal Ball » فخرجت منه بنتيجة واحدة ، هي انه ليس الا نوعا من الدعاية الامريكية الزائفة ، تفيد منها كل من السيدة موضوع الكتاب واسمها « جين ديكسون » ، ومؤلفة الكتاب ايضا واسمها « روث مونتجمرى » !

وقد استوقف نظرى بصفة خاصة فى هذا الكتاب أن معظم التنبؤات التي يتحدث عنها تتصل اوثق الاتصال بحياة رؤساء الولايات المتحدة الامريكية ، ومستقبل علاقة امريكا بالدول الاخرى ، والحروب التي ستتعرض لها .. ومع ذلك ، ورغم خطورة تلك التنبؤات بالنسبة لرجل مثل الرئيس كنيدى أو سلفه روزفلت ، أو ترومان أو ايزنهاور ، فان أحدا لم يسمع بها فى حينها ، ولم تعرف طريقها الى الرأى العام الا بعد فوات الوقت ، وعن طريق بضع سيدات مجهولات ! .

بل انها لتمضي فى مزاعمها فتقول ان « جين ديكسون » تنبأت باسم القاتل .. وبانها فى صباح اليوم الذى اغتيل فيه كنيدى صاحت بهن : « فى هذا اليوم سيغتال الرئيس » !! .

ومع ذلك كله لم تفكر هي أو احدى صديقاتها ، أو مؤلفة الكتاب - وهي صحفية - فى أن تتصل ولو تليفونيا بالبيت الابيض !! .

وما اذكر أن احدا من أبناء الشعب الامريكي كله سمع أو قرأ أن الرئيس كنيدى معرض للاغتيال أو حتى سمع بهذه المتنبئة وكرتها البلورية ، قبل ان يصدر عنها كتاب صديقتها الصحفية « روث مونتجمرى » ! .

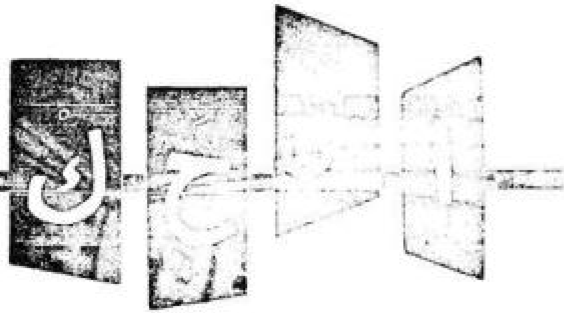
ونعود الى الكرة البلورية التي تقول « روث » ان صاحبتها تتنبأ بالمستقبل عن طريقها ، فنجد ان دورها فى هذه التنبؤات دور ثانوى بحت ، وان « جين » كانت تعتمد على « الاحلام » تارة ، ثم على لمس أنامل الشخص الذى تتنبأ له تارة اخرى ، لتلتقط ذبذباتها وعيناها مغمضتان !

فاما معرفة المستقبل عن طريق الكرة البلورية او لمس الانامل ، فشيء لا يقره العلم ، لانه اقرب الى الدجل الذى لا ينطلي الا على السذج والبسطاء والجهلة .. أما عن « الاحلام » ففيها قولان : احدهما يقول ان هناك رؤى صادقة اكثر ما تقع للانبياء والصالحين وذوى النفوس الصافية ، والاخرى رؤى غير صادقة ، بل هي اضغاث احلام ينفس بها « العقل الباطن » عن بعض ما يعتمل فيه من آمال وآلام .. واما الرأى الاخر فلا يقصر الرؤيا الصادقة على الانبياء والصالحين ، ويستشهد بذلك على رؤيا « صاحبي السجن » فى قصة سيدنا يوسف ، وهذا ما يشهد به الواقع الذى نعلمه من رؤى بعض الناس ، حتى المعروفين بالفسق والفجور وعدم صفاء النفس ، ومع ذلك فان ما يرونه فى المنام يقع فى اليقظة ، بنفس الصورة التي رأوه عليها فى نومهم أو قريبا منها ..

وهذا ما يقول به بعض علماء النفس ، وان كان هناك آراء أخرى مضادة خلاصتها ان العلم لا يقر صلة الاحلام بالمستقبل . ■■

تضحك الدنيا معك

ابك تبك وحدك .



دليل ، وأى دليل !

● قال القاضي للمجنى عليه فــي المحكمة : « انت تقول ان هذا الرجل الذى يقف فى قفص الاتهام سطا على بيتك وسرق محتوياته . هل تستطيـع ان تتعرف عـلى المسروقات وسط هـذه الاشياء التي عثر عليها البـوليس فـي حوزتـه ؟ »

فأجاب المجنى عليه : « نعم ! هـذا المنديل مثلا انه منديلى لأنه يحمل حرف « ب» ! فقال القاضي : « ليس هـذا اثباتا كافيا فأنا مثلا أحمل منديلا عليه حـرف « ب » ! فـرد المجنى عليـه بسرعة « لا بد انه منديلى ايضا لانـني فقدت منديلين لا منديلا واحدا ! »

قصور ، لها اجور

● الرجـل المصـاب باختـلال فى الاعصاب يبنى القصور فى الهواء !

والمصاب بمرض نفسانى يعيش فـي هذه القصـور !

اما الطبيب النفسانى فهو الرجـل الـذى يقوم بتحصيـل ايجار هـذه القصور !

ماذا دهاك ، يا حبيبى ؟

● الزوجة لزوجها : « الشيء الذى يضايقنى فيك حقا يا عزيزى هو انـك تتغير بسرعة غريبة ! فقد قدمت لـك طبق الفاصوليا يوم الاثنـين واكلتـه . وقدمته لك يوم الثلاثاء فأكلته ، وقدمته لك يوم الاربعاء فأكلته ايضا . وفجـأة قررت الا تأكل الفاصوليا بعد اليوم لأنك لا تحبها ! ماذا دهاك يا حبيبى ؟ »



فقدان الذاكرة

● المريض : « ارجوك يا دكتور أن تهتم بأمرى ، فقد فقـدت ذاكرتى فقدانا تاما .. ! » .

ـ الطبيب النفسانى : « منذ متى شعرت بذلك ؟ » .

المريض : «منذ متى شعرت بماذا ؟»



على هامش الحرب فى فتنام

من صحيفة النيوستستمان ـ لندن

● كلا الفريقين فى فتنام مسؤول عن هدر آخر قطرة من الاخلاق التي تميز الانسان عن سلفه رجل الغاب . فالاعدام علنا وعلى رؤوس الاشهاد ، وتقتيل المساجين دون حكم او محاكمة ، فضلا عن تشويه جثث الموتى والتمثيل بها ـ هذه الافعال وغيرها قد بلغت من الشيوع والتواتر حدا بحيث لم تعد تعيرها الصحف العالمية من الاهتمام ما تستحقه . لقد نسف افراد الفيت كونغ الارهابيون المطعم العائم فى سايجون وهم على يقين من ان الذين سيقتلون او يشوهون من بني جلدتهم نتيجة تلك الاعمال ، لاضعاف الحفنة القليلة من الجنود الامريكيين الذين تسنى لهم تصيدهم فى المطعم المذكور . ولم تكن القنابل التي استعملوها من نوع عادي ، بل كانت محشوة بالاسنة الفولاذية وتشبه الى حد كبير القنابل الامريكية المعروفة باسم « الكلب الكسول » . على أن نصيب الامريكيين ليس بأقل من نصيب الفيت كونغ من حيث العودة الى همجية رجل الغاب . فقد تخلوا مؤخرا عن الزعم على سبيل التبرير ، بان غاراتهم انما تستهدف الاهداف العسكرية دون سواها . بل انهم كشّروا عن انيابهم على نحو ما يتجلى فى حديث احد قواد قاذفات القنابل الامريكيين اذ قال : « لا يستطيع المرء ان يقلق او يشعر بتوبيخ الضمير ، لان امرأة قتلت هنا ، او اطفالا قتلوا هناك،والا انتهى به الامر الى الجنون . فهذه الطائرة معدة لقذف القنابل ، وعلى الذين يشعرون بشيء من ذلك القلق الا يقتربوا منها » . اضف الى ذلك ان الجنود الامريكيين ما انفكوا يستبيحون الاعراض فى فتنام ويشترونها

الجريمة والعقاب

من مجلة « الايكونومست » :

● **قد يتبادر الى الذهن أن السجين العادى مجرم محترف خطر ، يتقن التخطيط ويحكم التآمر ولا يتورع عن ضرب النساء وايذاء الأطفال. وهو فى واقع الحال صغير السن نسبيا (متوسط اعمار نزلاء السجون فى بريطانيا لا يبلغ الثلاثين)، ٱدين وحكم عليه فى وقت غالبا ما يكون فيه عاطلا عن العمل . والا فغالبا ما يكون عمله من نوع آلي لا يتطلب خبرة او مهارة ، ان لم يكن من نوع الأعمال الحرة لبيع السيارات القديمة وشرائها ، وكادارة حانات المراهنة والمقامرة . وقد يكون اعزب وقد يكون زوجا وابا لطفل واحد على الاقل . اما رأيه عن نفسه كزوج وكاب فلا جدال فى انه رأى فضفاض الى حد كبير . وخلاصة القول ان السجين رجل عادى كغيره من الرجال ، ولا سبيل الى اعتباره عضوا شاذا فى صالح بالنسبة الى المجتمع الذى ينتمي اليه الا فيما يتصل بجريمته وعقابه .**

بدولاراتهم على نحو ما كان يفعل الفرنسيون ايام استعمارهم لتلك المنطقة .

فالحرب الفتنامية كانت وما زالت مصدر فساد وانحراف للغرب وابنائه . والضباط الفرنسيون الذين اذاقوا الجزائر مر العذاب وصنوفه ، ولم يترددوا فى ضرب الديمقراطية الفرنسية نفسها فى الصميم ، مدينون لادغال فيتنام وغاباتها التي لقنتهم الدرس الاول فى التخبط على غير هدى بين الخطأ والصواب .

وليس الامريكيون بمأمن من هذا السرطان الذى بدأ يتهددهم بنفس المصير الذى انزله بالفرنسيين من قبلهم . وقد لا يكون قلب الرئيس جونسون عامرا بفائض من العطف يستطيع ان يهبه الى شعب فتنام المسكين . ولكن هل من المعقول الا يشعر هو أيضا بالقلق لرؤية ابناء وطنه وهم آخذون بالتحول الى طغمة من الهمج البرابرة ! ! ؟

المانيا الغربية والاسلحة النووية

من صحيفة النيويورك ديلي نيوز الامريكية :

يطالب ارهارد ، مستشار المانيا الغربية ، على ما نعتقد ، بنصيب أوفر لبلاده فى الشئون النووية لميثاق حلف شمال الأطلسي . وليس فى وسعنا الا ان نرحب بمطلبه هذا بأعلى صوتنا .

فقد اصبحت المانيا الغربية اقوى دول اوروبا الغربية ، واقدرها على الوقوف فى وجه العدوان الشيوعي ، واصبحت بالتالي بمثابة العدو الذى يبغضه الكرملين بقدر ما يخشاه . فضلا عن ذلك فقد اثبتت الأيام ان حكومة بون خير لنا كحليف من حكومة لندن وباريس وسائر حلفائنا الآخرين .

فلمَ لا نعطي المستشار ارهارد اذن كلَّ ما يطالب به فى المجال النووي ؟ لم لا نضرب عرض الحائط بموقف روسيا السوفييتية ونتجاهل قلقها ومخاوفها فى هذا الصدد تجاهلا تاما !! ؟

رأى فى الحروب

من صحيفة شيكاغو صن ـ تايمز الامريكية :

● تبلغ ميزانية الولايات المتحدة لعام ١٩٦٦ نحوا من ١١٠٠٠٠ مليون دولار . وما كانت لتجاوز ٤٥٠٠٠ مليون دولار لولا المخصصات الحربية والعسكرية التي تضمنتها .

فالمبالغ التي ندفعها ثمنا لشر الحروب ودمارها لا تقل عن ٦٥٠٠٠ مليون دولار ، وذلك فى غضون سنة واحدة . والمبالغ التي تنفقها على اعمال التقتيل فى فتنام لن تقل عن ١٠ ـ ١٢ الف مليون دولار خلال السنة الحالية ، اى بزيادة ٥٠٠ مليون دولار عما كانت عليه عام ١٩٦٣ .

ولو تأملنا هذه الأرقام قليلا لذهلنا لضخامتها . فأي كثرة من المدارس كان فى مقدورنا ان نقيم . وأى وفرة في المستشفيات كان فى وسعنا ان ننشيء ، بل واى حرب كاسحة كان فى استطاعتنا ان نعلن على الفقر والجهل والمرض ، فيما لو قدر لتلك الأكداس من الملايين ان ترصد فى سبيل السلم عوضا عن الحرب وان تنفق على التعمير بدلا من التدمير !

ليس القصد من كلامنا هذا ، الدعوة الى ايقاف الحرب فى فتنام . وكل ما نهدف اليه انما هو مجرد التعليق على الحروب وعلى المبالغ الباهظة التي تدفعها الانسانية ثمنا لشرورها وويلاتها . فقد يأتي اليوم الذى يرتفع فيه ثمن الحروب ارتفاعا يتعذر معه على اية دولة ، او اية مجموعة من الدول ، ان تدفعه دون أن تحكم على نفسها بالفناء .



مِنَ القصص الكولومبى

الذراع المبتورة

بقلم : أدِل لوبيث جوميث

ظلّ نيودراردو طيلة اربعة ايام او خمسة يعانى آلاما مبرحة ، قبل أن تنهار عزيمته بفعل الحمى والألم والخوف ، ثم يستسلم فى النهاية .

لم يعد فى الامكان انقاذه الآن الا ببتر ذراعه . وان يكن هذا القرار الطبى الأخير قد ملأه فزعا . فالأطبـــاء يرون انه ، اذ لم يكن فى الامكان تلافى تعفن الذراع ، فلا اقل من أن يحولوا دون تعفن اجزاء البدن الاخرى !

وهكذا تركوه وحده فى احدى حجرات المستشفى ، وذهبوا ليعدوا حجرة العمليات . وأحس هو اذذاك بأنه راض تقريبا عن القرار الذى اتخذوه . ولم يُضع الأطباء وقتا ، بل سرعان ما هيأوا كل شىء . وعندما أرقدوه على المشرحة كان يهذى من كثرة ما تعاطى من ادوية ، ثم ما لبث أن عمـــل المخدر فيه عمله وراح فى غيبوبة تامة ... وهكذا أجريت له العملية بنجاح . ثم مر بمرحلة هبوط شديد بعد أن زالت عنه آثار المخدر ، وعاد الى رشده ، وأصبح امام الحقيقة وجها لوجه ... انه فقد ذراعه . !!

كان يرقد وحده فوق سرير ابيض نظيف ، وفى حجرة تشيع النظافة فى كل جوانبهـــا . وكان التفكير الذى يملأ رأسه يدور حول حالته الجديدة ويتركز فى أول تجربة سوف يستعمل فيها يـــدا واحدة .!..... ولا تستطيع أن تصور الصدمة التى أصيب بها حينما حاول ان يعتدل من رقدته فقد ظل ســــاكنا ، شاخصا ببصره الى السماء وعيناه مخضلتان بالدموع .

فى مساء ذلك اليوم جاءه المحقق ليجرى معه أول تحقيق حول الحادث . ولكنه لم يدل بشىء يفيد التحقيق ، مما جعل المحقق يشعر بالدهشة . كيف يمكن ذلك ؟ ألا يعرف من طعنه بخنجر هاتين الطعنتين الفظيعتين ؟ وحتى لو افترضنا أن الليلة كانت مظلمة ، ألم يكن من الواجب أن يلاحظ بعض الأشياء المادية التى تخدم التحقيق ... نبرات الصوت مثلا .!! ثم قال المحقق :

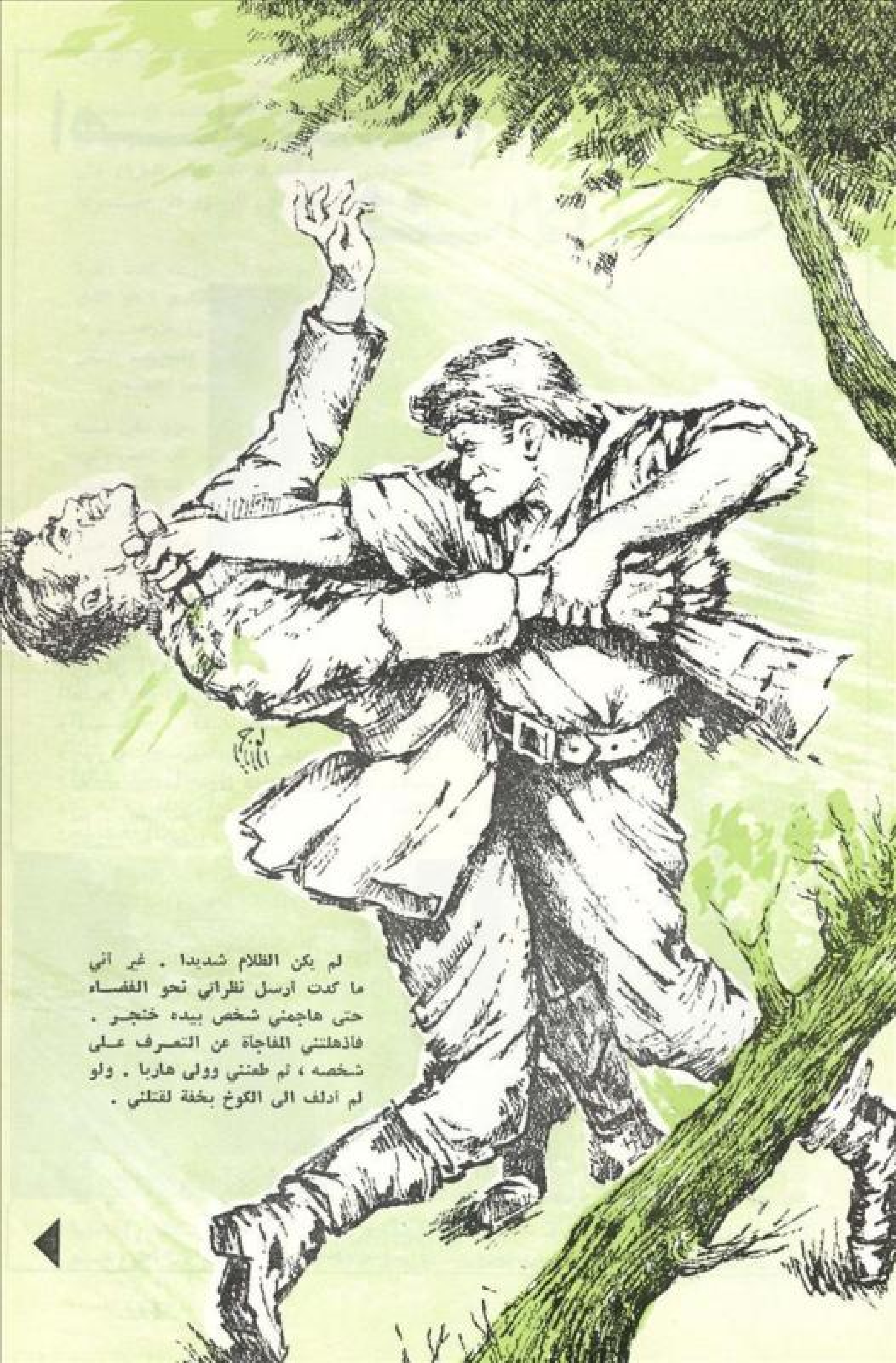
ـ انها مسألة خطيرة جدا ، فلا ينبغي أن تظل صامتا هكذا ... ثم هل أصيب الجانى بجراح ؟

ـ لا يا سيدى ، فأنا لم أكن مسلحا .

ـ حينئذ لم تكن هناك معركة متكافئة ؟ ... وأين وقعت الحادثة ؟

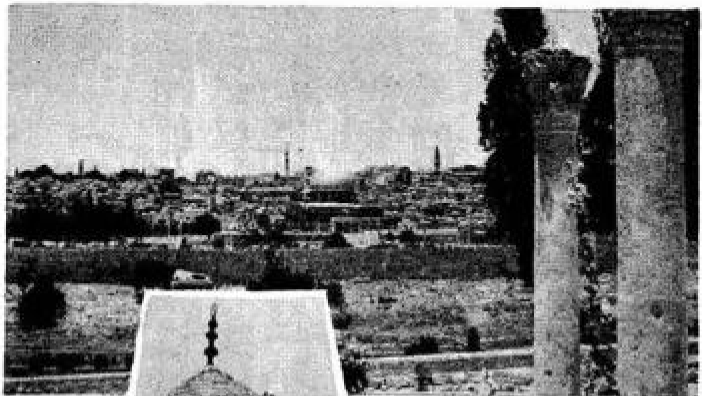
فأجاب الجريح فى ضيق :

ـ اذا كنتم تعرفون ذلك فلم تسألوننى ؟



لم يكن الظلام شديدا . غير أني ما كدت ارسل نظراتي نحو الفضاء حتى هاجمني شخص بيده خنجر . فاذهلتني المفاجأة عن التعرف على شخصه ، ثم طعنني وولى هاربا . ولو لم ادلف الى الكوخ بخفة لقتلني .

اهلاً بكم في الأردن

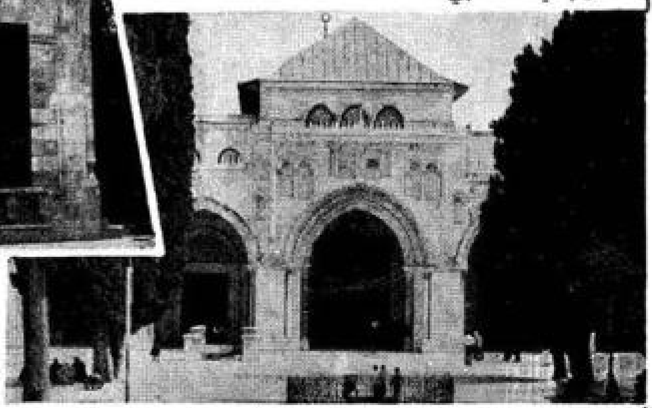


منظر عام للقدس



سبيل قايتباي

الاردن يحوي بين جنباته مدرجات الرومان وابنية البيزنطيين وقصور العرب الصحراوية ، الى جانب المقدسات الاسلامية والمسيحية . ففيه جرش الرومانية ، والبتراء العربية والقدس بجوامعها وكنائسها ، والخليل ونابلس واريحا وعمان وغيرها من المدن التي تفخر بقديمها العظيم وجديدها الأبي .



المسجد الأقصى

للاستعلامات راجعوا الملحق السياحي الأردني - سفارة المملكة الأردنية الهاشمية
أو سلطة السياحة الأردنية . عمان . القدس . الأردن

ثم قال للمحقق :

– أنت تعلم جيدا يا سيد بانتشو انني أضع يدي على مزرعة في « بوربلا » تقع في واد تكتنفه سلسلة من الجبال ، وأعمل مع أخي جاهدين على ازالة تل مجاور وتوسيع رقعة المزرعة . ولدينا هناك كوخ صغير في وسط المزرعة نقيم فيه منذ شهرين تقريبا انا واخي وحيدين . ولا نكاد نعرف احدا من الناس هناك ، فأقرب جار لنا يبعد عنا نحو ميل .

في مساء يوم الجمعة ذهب اخي الى القرية ليشترى لنا فأسين جديدتين ، واشياء أخرى نحتاجها . وظللت انا اقوم على شئون المزرعة ، فاصلح الفؤوس القليلة التي لدينا ، وانظف مصارف الماء ، حتى جنّ الليل ، فاويت الى الكوخ . وحوالى العاشرة مساء ايقظتني من النوم ضجة عنيفة في الخارج . فحسبت ان الضجة قد احدثتها بعض الحيوانات . ولما كانت البندقية فارغة من الطلقات، وليس في يدى أى نوع منأنواع الاسلحة ، فقد نهضت حذرا وأنا امسك بعصا غليظة ..وفتحت الباب ! ولم يكن الظلام شديدا. غير انى ما كدت ارسل نظراتي نحو الفضاء حتى هاجمني شخص بيده خنجر ، فاذهلتني المفاجأة عن التعرف على شخصه ، ثم طعنني وولى هاربا . ولو لم ادلف الى الكوخ بسرعة لقتلني .

لم استمع الى صوته ، وليست لدى اية معلومات تكشف عن شخصيته . واستطيع فقط أن اقول ان هذه الحادثة تعتبر شيئا نادرا جدا هناك .

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– لا شيء ، ذهب الشخص ، وربما اعتقد انني قتلت . وعندما قدرت انه قد ابتعد ، اشعلت الضوء ، وتاملت الجرح فوجدته كبيرا ينزف منه الدم بغزارة . فظللت بقية الليلة احاول ان اوقف النزف فلا استطيع . وما كاد النهار يطلع حتى قررت ان اهبط الى القرية . ولكنني كنت في منتهى الضعف . ولما لم يكن لدينا سوى حصان واحد ، وكان هذا الحصان مع أخي « نازاريو » ، فقد بقيت ثلاثة ايام قبل أن يجيء بي هذا الى هنا .

لم تكن هذه المعلومات في الحقيقة تفيد التحقيق في شيء، لانها لم تلق اى ضوء يكشف عن شخصية الجاني . كانت هناك جوانب هامة لا بد ان تستوفي . ومع هذا لم يكد يمضي شهران حتى تقرر حفظ التحقيق دون الوصول الى معرفة الجاني .

وعندما رجع تيوداردو الى مزرعته كانت الذرة قد نضجت . وكان شقيقه « نازاريو » هو الذى يقوم على رعاية المزرعة خلال فترة علاجه . ثم ما لبثت المحصولات أن جمعت وأصبحت الأرض خالية الا من حشائش قليلة ترعاها الماشية .

ومع ان تيوداردو كان يشعر بحزن دفين لما اصابه ، الا أنه في نفس الوقت كان يحس بشيء من الرضا لأن شقيقه نازاريو قد اشتد عوده واستطاع أن يقوم على شئون المزرعة وحده . غير انه لم يمض وقت قصير حتى أدرك انه ليس من العدالة في شيء ان يقتسما بينهما ما تنتجه الارض بالتساوى في الوقت الذى يقوم فيه نازاريو بكل شيء ولا يستطيع هو ان يعمل شيئا . وكثيرا ما حاول ان يفاتح اخاه في هذا الشأن الا انه كان يحس بالكلمات تموت بين شفتيه كلما هم ان يفعل .

وجاء اليوم الذى اشتريا فيه بضع بقرات يستعينان بها على فلاحة الارض ، فكان هذا اليوم لهما يوم عيد لأن حلمهما قد تحقق . كما تحقق لهما حلم آخر عندما استطاعا ان يشيدا لهما دارا صغيرة في وسط المزرعة يأويان اليها بدلا من الكوخ ، تدفع عنهما شدة الحر وزمهرير البرد. على ان « تيوداردو » قرر ان يقوم بعملية حلب البقر ، يساعده في ذلك ابن الخادمة العجوز . ومع انالعمل بيد واحدة قد ضايقه كثيرا اول الأمر الا انه سرعان ما الفه ، واصبح من العوامل التي تجلب الى نفسه الرضا فيحس انه لم يعد كمًا مهملا .

وذات يوم خرج تيوداردو في الظهيرة – دون ان يراه احد – يحمل بين طيات ثيابه بندقية ، وسلك في الجبل طرقا لا يكاد يطرقها احد حتى صار بعيدا عن المزرعة . وهناك جلس . ثم اخذ يقوم بتجربةعنيفة وهي محاولة استخدام البندقية بيد واحدة . ولعل محاولة من هذا النوع تبدو

بادىء ذى بدء أمرا مستحيلا . ولكن صاحبنا قد جلس على الارض ووضع مقدمة البندقية بين ركبتيه ، واسند مؤخرتها الى صدره ، واخذ يحاول استعمالها فافلح بعد جهد . واذ ذاك رأى انه قد اجتاز المرحلة الاولى بنجاح ، فرفع هذا النجاح من معنوياته واخذ يحاول ان ينجح فى المرحلة التالية : وهى اصابة هدف معين . ولا بد أن نتوخى الصراحة فنقول انه قد انفق وقتا طويلا قبل ان يتقن اصابة الهدف فى النهاية .

ولم يكن هناك أحد يعرف الدافع الذى جعله يبذل هذا الجهد العنيف ليصل الى القدرة على استعمال بندقية . ولذا فقد اصيب بارتباك شديد عندما رآه نازاريو ذات يوم متجها نحو الجبل وبيده البندقية وساله عن وجهته فلم يحر جوابا ، ثم عاد ادراجه نحو الكوخ . ولعل الارق قد تملكه فى تلك الليلة فلم يعرف الغمض سبيله الى جفنيه حينما اخذ يفكر فيما عسى ان يقوله عنه اخوه تفسيرا لحمله سلاحا ليس مما يستعمله أمثاله .

ولكن رد اليه اطمئنانه فى النهاية ثقته الكاملة فى أن احدا لن يستطيع أن يكشف حقيقة سره .

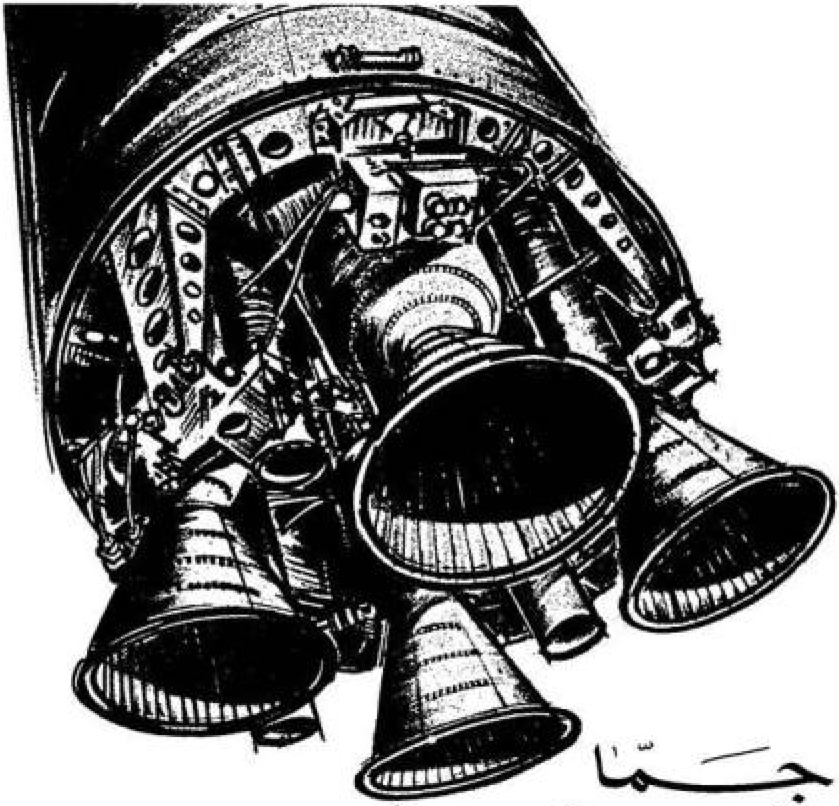
على ان نازاريو ، منذ ذلك الحين ، أخذ يدور فى خلده أن اخاه يخفى عنه سرا دفينا . وابتدأ يسترجع فى ذاكرته أحوال أخيه فى الأيام الأخيرة وكيف انه كثيرا ما كان يرى آثار الهم بادية على وجهه فلا يرى لذلك سببا ظاهرا سوى حالته الجديدة التى صار فيها بذراع واحدة . ولكن يبدو ان هذا التعليل ، الذى كان يراه نازاريو من قبل مبررا كافيا لحزن أخيه واكتئابه ، لم يعد يقنعه الآن بعد أن شاهد اخاه يحمل البندقية .. وبعد أن شاهد الاضطراب الذى انتابه عندما ساله : الى أين هو ذاهب .. وماذا هو صانع بالبندقية .!

وقد أخذ نازاريو منذ ذلك الحين يراقب أخاه خفية من وقت لآخر ليرى الى أين يذهب بالبندقية. وقد سنحت له الفرصة ذات يوم حيث كان مقبلا من بعيد فبصر بأخيه يغادر الكوخ مسرعا وهو يحمل فى يده شيئا ما لبث أن تبين انه البندقية .. فقرر أن يقفو أثره من حيث لا يدرى . وهكذا سار خلفه فرآه يسلك طرقا غير معبدة فى الجبل، ثم يجلس فى المكان الذى تعود الذهاب اليه ، ويشرع فى القيام بتمريناته . وقد كانت دهشة نازاريو لا توصف وهو يراه من بعيد يرسل من البندقية فعلا طلقات . وازدادت دهشته عندما رآه عن كثب وقد نصب له هدفا يسدد نحوه الطلقات فلا تكاد تخطئه . ولم يشأ أن يجعله يحس بوجوده ، بل آثر أن يعود من حيث أتى ويدع شقيقه يستمتع بالوحدة التى يؤثرها وهو يزاول رياضته المحببة الجديدة .

وكثيرا ما كان تيوداردو يبتسم لنفسه أحيانا ابتسامات تشيع الرضا فى قلبه عندما يتذكر ان غريمه ، الذى هاجمه ليلا ، هو الآن قرير العين مطمئن ، يعتقد انه فعل فعلته دون أن يحس به احد . وليس فى ذلك من شك . لأن هذا الغريم قد زاره فى المستشفى الذى كان يعالج فيه متعللا بالجوار القديم الذى كان يربط بينهما . ولكن هذه الزيارة التى جاءت بعد قطيعة اربعة اعوام كاملة لم تكن بطبيعة الحال فى نظر تيوداردو شيئا عاديا . فهو ما زال يذكر الصراع القديم الذى كان قد نشب بينهما من أجل حب « مانيلدى » وظفر هو بقلبها من دون هذا الغريم . ويذكر ان نظرات هذا اليه كانت دائما تخفى وراءها غيظا وحقدا دفينا ، حتى بعد أن هاجر هو من القرية واتخذ من المزرعة مجال عمل ومسكنا يعيش فيه هو وزوجته وشقيقه .

لقد كان تيوداردو يرى غريمه هذا كلما ذهب الى القرية لقضاء مصالحه . وكانت رؤيته اياه دائما تهيج كوامن الغيظ فى نفسه ، ويتذكر انه قد كان على حق اذ قال للمحقق انه لا يعرف شخصية من اعتدى عليه ، لأن هذه المسالة فى نظره تهمه هو وحده أكثر مما تهم المحقق ، ولا ينبغى لأحد غيره أن يدس فيها أنفه حتى ولو كانت العدالة نفسها . ثم ماذا عسى أن تصنع له العدالة ؟ أتقوم بتحقيقات وتجمع معلومات وهو طول هذا كله يستدعى ليدخل اكثر من ادارة ويمثل أمام جملة من ممثلى العدالة ويوقع عدة توقيعات هنا وهناك ؟ وذراعه ؟ من الذى سيعيدها اليه ؟ وهل يكفى ثمنا لذراعه أن يقذف بالجانى الى السجن ليقضى فيه بضعة أشهر ؟

لقد تقادم العهد على هذه الحادثة حتى نسيها



الناس أو كادوا ، ولم يعد أحد يذكرها سوى شقيقه وزوجته . وحتى هذه لم يكن ذكرها للحادثة الا من الجانب الذى يهمها كامرأة .. تعنى كونها قد صارت زوجة لرجل مشوه .. لرجل ذى ذراع واحدة !! ومع أن هذه كانت من قبل تحبه حبا جما ، الا أن جذوة هذا الحب أخذت تخمد شيئا فشيئا حتى صار شفقة أو عطفا أو شيئا يشبه ذلك . وكان تيودراردو يحس بهذا ، فيضاعف هذا من همه ، ويشعر بأنه على وشك أن ينهزم فى النهاية .. على وشك أن يفقد زوجته الحبيبة !!

وفى الأيام الأخيرة كان يهرب من كل شىء حتى من افكاره ، وكان لا يكاد يقر له قرار فى يقظة أو نوم . وقد فشل شقيقه وزوجته فى أن يعرفا سر همه ... ولم يجرؤ واحد منهما ان يسأله فى شىء ... حتى كان ذات مساء ..!

اجل ... كان الليل قد أرخى سدوله ولف المزرعة بستائر سوداء كثيفة، عندما حمل تيودراردو بندقيته وخرج تحت جنح الظلام بعد ان اغلق الباب وراءه . وقد اتجه نحو القرية وجعل يسير زهاء أكثر من ساعة يتحسس مواقع قدميه .. وأخيرا وصل الى حيث يقيم غريمه . ولم يكلفه اقتحام كوخ هذا جهدا يذكر ، لأنه كان مشغولا بشىء أهم من ذلك .. مشغولا بأن يتبين فى وضوح جسم غريمه ، ليسدد طلقاته الى حيث يقصد من هذا الجسم . ومع ان الفزع الذى سيطر على ساكن الكوخ كان كفيلا ان يفقد تيودراردو شيئا من اصراره ، الا انه لم يعبأ بما راى وانتحى من الكوخ جانبا ، فاتخذ الوضع الذى استطاع فيه أن يسدد الى ذراع خصمه اليمنى عدة طلقات .. ثم ولى هاربا دون أن يراه أحد .

بعد ساعات كانت الحيرة ترتسم على وجه المحقق الذى وجد نفسه مرة اخرى امام شخص مصاب فى ذراعه اليمنى ... ومن يدرى فربما قرر الأطباء ان من الواجب بتر الذراع لانقاذ المصاب .! ■■

ترجمة د . محمد الأمين محمد

البريد ، بالهواء المضغوط

● فى عام ١٨٩٠ اقامت مصلحة البريد بانجلترا انابيب تجرى فى شوراعها ، تجرى فيها احقاق اسطوانية ، بداخلها رسائل ، يدفعها من ورائها الهواء المضغوط فتصل الى غاياتها ، اسرع ما تكون . كانت سرعتها ٢٠ ميلا فى الساعة .

وكان لباريس مثل هذه الأنابيب .

وظلت باريس تستخدم انابيبها فى حمل الرسائل الى اليوم . وتوقفت لندن .

والآن ازدحمت شوارع لندن ، وقل فيها الصبية الذين يحملون الرسائل العاجلة . ومن اجل هذا عادت مصلحة البريد الى انابيبها تستخدمها ، وقد بدات بالتى تربط أحدث مكاتب تلغرافات ما وراء البحار ، فى الدرزجيت ، بفروعها . ولا تستغرق رحلة الرسالة الواحدة فى هذه الأنابيب اكثر من ثلاث دقائق .

من شعر القراء

الصليب المترف

(الى التي تعوّذت بصليب من ذهب ، فاحاطها القلب ، بتعويذة حب ، اهدى هذه القصيدة)

ابصرت فاتنــة تضم حبيبا
وتحله الصدر الأنيق رحيبا
ما كان مثلي او كمثلك طينة
لكنه ذهب غلا تركيبا
فاحت ترائبها من الطيب الذي
بث الحياة به فندى الطيبا
والمعدن الوهاج ان تعرض له
كالناس اقبل ينشد التطبيبا
فارتاح بين الناهدين وحسبه
أن حل بينهما ولو مصلوبا
وهي الجميلة أعجزت خطّابها
والنجم يصعب نيله مطلوبا
هذا اللجين البض قالت لا أرى
يوما له الا النضار نسيبا
فتقلدت بدل الحبيب ورسمه
رمز المسيح تعشقته خطيبا
قال الهوى يا من بعثت بي الهوى
حطمت الشدة ودست قلوبا
فارمي فؤادى في هواك وجانبي
في حكمك التعميم والتغليبا
حلي به الجيد التليع فلن ترى
كالشامرية عنصرا مرغوبا
هذي يدي نحو اللقا ممدودة
والقلب يرع في هواك وجيبا
ولكم تمنى وهو يعلن حبه
لو كان من دون الصليب صليبا

دمشق محمد سعيد الدغلي

العربي

العدد ٨٩
٢١ ذو الحجة ١٣٨٥
ابريل
(نيسان ١٩٦٦)

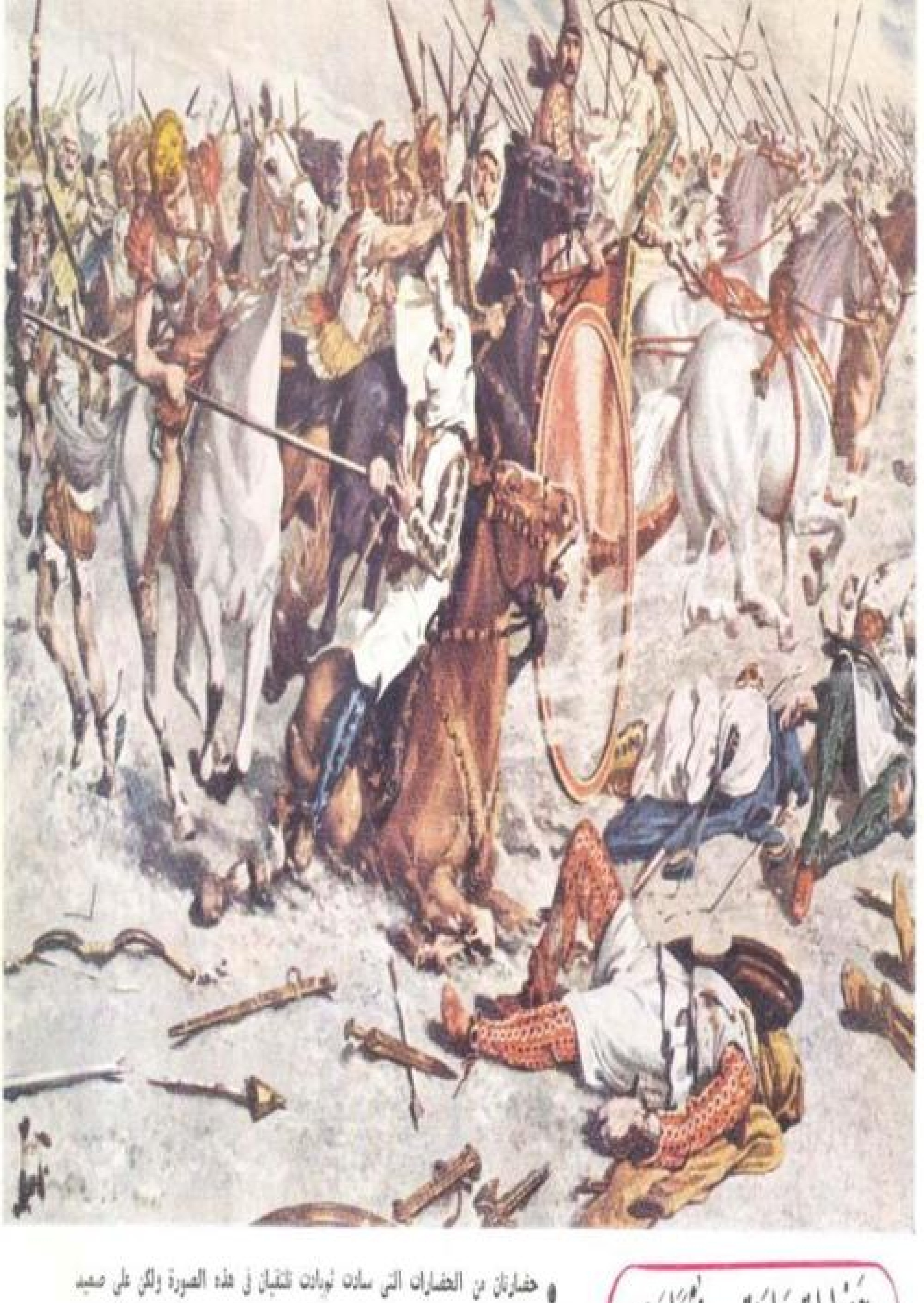


فى بهو السباع بقصر الحمراء تغترف بكفها الماء

جوائز ١٢٠٠ نار سنويا

الثمن

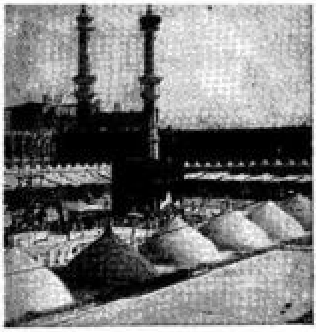
الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم

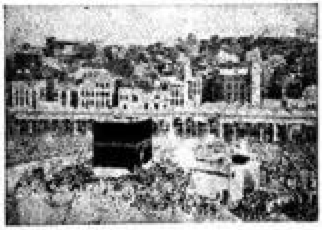


حضارات سادت .. ثم بادت

● حضارتان من الحضارات التي سادت تتواجهان للقتال في هذه الصورة ولكن على صعيد القتال المرير والحرب من أجل تقرير المصير. وما المشهد الرهيب هذا إلا معركة أسوس (Issus) الحامية الوطيس، وقد انتهت بالهزيمة المنكرة للفرس وبالنصر المبين للاسكندر

(انظر صفحة ١٤٦)





عزيزى القارىء

● فى مثل هذه الايام منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ، فى السنة العاشرة للهجرة ، وعلى جبل عرفات ، حيث يجتمع الآن مئات الالاف من حجاج بيت الله الحرام ، وقف النبي المصطفى ، محمد بن عبد الله ، الذى ارسله الله رحمة للعالمين وشاهدا ومبشرا ونذيرا ، وقف يلقى خطبته الخالدة فى « حجة الوداع » وفيها يقول فيما قال صلوات الله عليه :

« أيها الناس : ان دماءكم وأموالكم عليكم حرام الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا » .

« .. واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوانٍ ، لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانكم انما أخذتموهن بأمانة الله » .

« أيها الناس اسمعوا قولى واعقلوه . تعلمُنّ أن كل مسلم أخٌ للمسلم ، وأن المسلمين اخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمُنّ انفسكم .. اللهم قد بلغت » .

ولم تكن هذه العبارات الا امتدادا لذلك الدستور الالهي الذى أنزل على محمد ، «قرآنا عربيا غيرَ ذى عوجٍ لعلهم يتقون » .. ولو ان المسلمين ظلوا متمسكين بهذا الدستور ، عاملين بأحكامه وتوجيهاته ، لظلوا سادة الدنيا كما كانوا ، ولما استضعفوا فى الارض أو هانوا ..

وانه لمن يمن الطالع أن يصدر هذا العدد من« العربي » مع اشراقة عيد الأضحى ، ومِنىً تعجُّ بمئات الالاف من حجاج بيت الله الحرام ، لتذكر المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ، بكتاب ربهم ، وتوجيهات نبيهم ، لعل الله يُصلحُ حالهم ، وبالهم ، وانا لنرفع اليهم جميعا ، والى الأمة العربية فى جميع اقطارها ، أجمل التهاني بهذا العيد ، راجين أن يكون خيرا مما سبقه ، ودون ما سوف يليه .

وكل عام وانتم بخير . ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 89 April 1966 — P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ـ تلفون ٢٩٤١١ * ـتلغرافيا «العربى»
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● « الجميلة والاسد » عنوان يصلح لرواية من طراز مسرحية « الجميلة والوحش » للكاتب الامريكى يوجين اونيل . الاسد هنا عربى صنع ايام الخلفاء لتزين به حديقة أحد القصور فى مدينة البيرة التى كانت عاصمة الولاية قبل غرناطة ، ثم نقل الى قصور الحمراء ليحمل مع احد عشر اسدا مثله نافورة البهو الذى سينسب اليه والى اخوانه بعد ذلك . والجميلة غرناطية من بنات اليوم تنم عيناها وملامحها الصافية عن اصلها العربى البعيد .. اسمها ماريا وهى الصورة الاوروبية للاسم العربى مريم ...

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس. مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



ادريس والادارسة .. مـرة أخـرى

● عندما صدر العدد (٨١) من مجلة العربي استرعى انتباهي موضوع « ادريس والادارسة » فاعتقدت بان هناك بعض الهنات الصغيرة قد وردت فيه وراجعت بعض المصادر والمراجـــع العربية المتيسرة لدى فتأكد لى بان محمدا النفس الزكية قد ثار فى الحجاز سنة (١٤٥) هـ وليس فى سنة (١٥٤) هـ كما ورد فى البحث . وكذلك تأكد لى ان ادريس بن عبد الله قد هرب الى شمال افريقية بعد معركة (فخ) التى جرت فى عهد الهادى وليس فى عهد المنصور . وكان تاريخ المعركة سنة ١٦٩هـ والتى انهزم فيهـا العلويون بقيادة الحسين بن على بن الحسين .

الى هذا الحد كنت متأكدا مما كتبت ولكن شاءت الصدف ان التقى بصديق لى كان يتصفح مجلة العربي ، فاخبرته بالرسالة التى اعددتهـا لكم آنذاك والتى تحمل التعليق فقرأها واخبرنى بان هناك خطأ آخر وهو ان ادريس بن عبد الله يرتفع فى نسبه الى الحسن بن على بن ابى طالب (رض) وليس الى الحسن بن الحسن بن على بن ابى طالب وقال انه متأكد من قوله ونظرا لثقتى بصديقى وعدم تأكدى انا ايضا من النسب فاننى أعددت رسالة اخرى لمجلتكم حملتها تعليقى وتعليق صديقى وقد نشرت فى العدد (٨٣) فى بريد القراء ، وبذلك جنيت على نفسى وعلى مجلة العربي التى عودت القراء بانها لا تكتب الا الكلام الموضوعى المسنود بادلة وشهود ..

وقد ورد فى العدد (٨٦) رد من السيد أحمد المعز لدين الله الادريسى مصححا قولى فى نسب ادريس العلوى ، ولما ثبت لى بعدئذ الخطأ الذى وقعت فيه آثرت السكوت فهو من علامات القبول .

ولكن عندما صدر العدد (٨٧) ورد فى بريد القراء من السيد رضا زينى الحسينى تصحيـــح آخر لقولى . كذلك آثرت الكتابة لكم معترفا بالخطأ الذى وقعت فيه دون قصد منى وبأن ما جاء فى نسب ادريس العلوى فى العدد (٨١) صحيح ، لذلك فاننى ارجو ان تغفروا لى هذا الخطأ الذى لا اغفره لنفسى .

وبهذه المناسبة فاننى أحيى قراء مجلة العربي وأحنى رأسى اجلالا عـلى قـوة ملاحظتـهم وغيرتهم على مجلتهم الحبيبة « العربي » .

صالح محمد صالح
البصرة

استطلاعات العربي

● أرجو التفضل باخبارى عن عدد الاستطلاعات التى قامت بها مجلتكم الزاهرة خلال سنواتها السبع الماضية ، ونصيب كل قطر عربى من هذه الاستطلاعات ، وما هى الاستطلاعات التى نشرتموها من سوريا . وشـكرا

عبد الله النجار
كلية الآداب جامعة دمشق

ـ اليك بيان ما نشرناه من الاستطلاعات عن كل قطر من اقطار الوطن العربي :

٣٢	استطلاعا لدول المغرب العربي
١٨	استطلاعا للجمهورية العربية المتحدة
١٧	استطلاعا للاردن وفلسطين
١٦	استطلاعا من امارات الخليج والجنوب العربي
١١	استطلاعا من العراق
٨	استطلاعات من العربية السعودية

هل الاغانى والمقالات هى التى ستعيد فلسطين ؟

● هل تسمحون لى أن احدثاليكم بصراحة.. انى حزين فعلا للطريقة التى يعالج بها الصحفيون والمطربون والمطربات قضية فلسطين.. انى لا افتح جريدة أو مجلة الا ورأيت فيها المقالات الطوال عن فلسطين .. وكذلك من المحال أن افتح الراديو دون ان اسمع اغنية عن فلسطين والعودة اليها .. انى فى عجب لانى اومن بأن فلسطين لن تتحرر بكتابة المقالات والاناشيد .. فهل هذا هو طريق العودة الذى يتحدثون عنه ؟ .

احمد ـ اللاذقية

ـ اذا سمحت لنا يا اخ احمد ان نرد عليك بصراحة ـ ايضا ـ لقلنا لك انك مخطىء فى رايك .. لان تحرير فلسطين يحتاج الى مجهود كل فرد من ابناء وطننا العربى الكبير .. ان ابناء هذا الوطن مدعوون جميعا لانقاذ فلسطين كل منهم فى حدود عمله .. الزارع يزيد زراعته .. والصانع يزيد انتاج مصنعه .. والمرأة تنشط وتعمل .. والعالم يخترع ويبدع .. والكاتب يكتب ويكثر .. والمغنى يطرب ويبدع .. كل هذا فى الوقت الذى تتقوى فيه الجيوش وتتسلح ..

من هذا يتضح لك يا اخ احمد أن مقالات الصحفيين واغانى المطربين التى تقراها وتسمعها بكثرة ما هى الا دليل على أن هذين القطاعين يؤديان واجبهما على الوجه الاكمل ..

اما السؤال الذى يجب أن نطرحه فهو : ما الذى ادته بقية القطاعات فى وطننا العربى ؟

ونصيب كل قطر منها

٨. استطلاعات من سوريا
٨. استطلاعات من لبنان
٥. استطلاعات من السودان

اما الاستطلاعات التى نشرناها عن سوريا فهى :

١ ـ دمشق : بالعدد	٥
٢ ـ مسجد دمشق بالعدد	٨
٣ ـ حماه بالعدد	١٢
٤ ـ حلب الشهباء بالعدد	١٧
١ ـ الفستق الحلبى بالعدد	٢٣
٦ ـ قصر العظم بالعدد	٤٢
٧ ـ حمص بالعدد	٥٢
٨ ـ قلعة حلب بالعدد	٥٧

وسننشر فى العدد القادم استطلاعا عن اللاذقية يتبعه غيره من الاستطلاعات .

الشعر ومصطلحات العروض

● فى مقال الأستاذ محمود أبو ريه ، فى العدد ٨٧ من « العربى » الغراء ، عن موضوع « الشعر والشعراء عند رسول الله » .

كتب الأستاذ الفاضل قائلا : « قال ابن رشيق فى (العمدة) : سمى الشاعر شاعرا لانه يشعر بما لا يشعر به غيره .. الخ » .

وبلا شك أن الشاعر يشعر بما لا يشعر به غيره ولكن اكثر كتب العروض القديمة والحديثة أكدت على أن اكثر الفاظ العروض والمصطلحات استعيرت من الصحراء .

فبيت الشعر : هو بيت الشعر الذى يسكنه البدوى .

والسبب : هو الحبل الذى تشد به الخيمة فى الوتد .

والوتد : هو الخشبة التى تغرس فى الارض لتشد اليها الأسباب .

والفاصلة : هى الحبل الطويل المشدود الى وتد بعيد يمكن الخيمة من الارض .

والعروض : حاجز فى الخيمة يعترض منزل الرجال ومنزل النساء وله معان كثيرة .

والمصراع : نصف البيت ... الخ .

وبما ان اصل هذه الكلمات جميعها منتسبة الى الصحراء التى يعيش فيها البدوى ، فهذه خلاصة اكيدة على أن تسمية الشاعر ومصطلحات العروض كلها من الصحراء ومن شاء فليرجع الى كتب العروض القديمة والحديثة . ■■

محمد حسن عبود
بغداد

التشاؤم

● المتشائم رجل لا يتفق مع بيئته ، وقد كان قد اتفق وانسجم لو كان به من الشر مثل ما بالناس .

بقلم رئيس التحرير

■ لقيته يوم جمعة ، فى راحة . وسألته كيف حالك ؟ **قال** : هذا يوم ، اذا انتسب الى الأيام ، كان يوم عيد .

قلت : وكيف كان يوم عيد ؟

قال : لأنه يوم لا القى فيه الناس . ثم أردف فقال : ان الناس شرٌ ، سعيدٌ من يَجتنِبُهُ .

قلت : ولم قلت انه يوم ، اذا انتسب الى الأيام .

قال : لأن الأيام كلها سوء ، فالعيد فيها عندى هو ما قلَّ شره ، لا ما زاد خيره ، فالخير ليس له فى هذه الدنيا وجود .

فهذا رجل من الناس ، من سوادهم ، لم ير فى وقدة هذه الشمس الساطعة التى جلس فيها الا ظلاما .

وتسأل عن سر أمره ، فتعلم انه رجل وديع طيب ، لم يتمرس فى معركة الحياة . نشأ فى بيت وادع ، ذى نعمة ، ومع النعمة سخاء ، سخاء فى مال وسخاء فى خلق . وتقلَّمت أظفاره فلم يدر كيف يجرح اذا تعرَّض له فى الحياة جارح . وحَسِبَ الدنيا سلاما ، وحسبها كرما ، فلما خرج اليها رجلا كاملا ، بيده أمر نفسه ، صفعته الحياة يمينا ، وصفعته شمالا ، وركلته ركلا . فيوم الجمعة عنده استراحة من صفع ، واستراحة من ركل . لهذا كان عنده يوم



● المتشائم يتساءل : كيف يسعد من يموت منه كل ساعة شئ ، وكل يوم يمضي ينقص من وجوده يوماً ، وهو آخر الأمر إلى فناء .

عيد ، اذا ما انتسب الى الأيام .

فهذا رجل لا يتفق مع بيئته . لايتفق مع الناس . وقد كان قد اتفق وانسجم لو كان به من الشر ، أو ما احسب انه الشر ، مثلُ ما بالناس .

★ ★ ★

وآخر عرفته شابا،ذا فرح وذا مرح . ولقيته من بعد سنين كهلا محطما ، ينظر الى الحياة ولا يفتح فيها عينه وسعها . لقد كره الدنيا فما شاء أن يرى منها اكثر مما وجب . وكان ذا ثراء . وكان عن الناس ذا غناء . ولكنهم اولاده ، فقدهم واحدا بعد واحد ، وبقى فريدا وحيدا، يعيش فى ماضيه اكثر من يومه، ولا يودُ لغده طلوعا .

وتسأله كيف الدنيا،فينظر اليك نظرة كالحة بائسة فيها الجواب كل الجواب .

فهذا رجل كره الدنيا ، لا الناس ، ولكن لسنن تجرى بها الأيام والليالى .

ومثله من كره الدنيا لمرض . ومثله من كرهها لفاجعة ، وما اكثر فواجع الدنيا .

★ ★ ★

وثالث جلست اليه ، ليس فى ضيق من الناس فهو على غير اختلاف مع بيئته ، وليس فى نكبة مما تصيب الأيام به الانسان جريا على سننها ، ولكنه فى أزمة من فكره ، وكم يشقى المرء بالفكر وكم يسعد .

قلت : كيف ترى هذا الوجود ؟

قال : شر وجود . .

وأخذت بجوابه هذا القاطع الحاسم . ولكنى تماسكت .

قلت : وكيف كان شرّ وجود ؟

قال : ان الحياة فارغة خاوية . وسمّيناها وجودا وما هى بالوجود . انك لا تحس من وجودك هذا الا بالبرهة التى انت فيها . ولا تلبث البرهة ان

تفوت وتموت . وتحل مكانها على التو برهة ، تفوت وتموت . فالعيش برهات متلاحقة ، متلاحقة الوجود ، متلاحقة الفوات . ولولا التذكر ما عرف المرء أن هناك برهات فاتت . ولولا التعقل ما عرف المرء بالقياس ان هناك برهات تجيء . والانسان منا ما يكاد أن يكون حتى يصير . فالانسان في صيرورة دائما.

والزمن الذى فات فمات ، فات به ومات كل ما وقع فيه من أحداث . فات به ومات كل ما وقع من خير ومن وشر . وفاتت اللذة وفات الألم . وفات الاحسان وفاتت الاساءة . وفات العيش الطيب والعيش النكد . فاتت جميعا كأن لم تكن ابدا . والخير والشر الذى يجيء سوف يفوت ويموت . واللذة والالم والاحسان والاساءة ، والعيش الطيب والعيش النكد . فما عناية الحي باشياء لا تكاد تكون حتى لا تكون . وهى اذا كانت فمضت ، فكأنها ما كانت .

قلت : انك اذا ، تشكو جرى الزمان الجارى ، وتود لو يتوقف .

قال : وهو لو توقف لتوقفت به الحياة . ان الحياة حركة ، والحركة لا تكون الا مع الزمان الجارى . انه ليس شيء في الوجود ، سواء كان على ظهر هذه الارض ، أو في جرم من أجرام هذه السماء لا يمكن أن يكون في هذه البرهة التى نحن فيها، على مثل ما كان في البرهة التى سلفت . ولا على مثل ما يكون في البرهة التى ستكون . ان كل شيء يتغير موضعه بالزمن، ويتغير كنهه . والشمس ليست هى ، في هذه الدقيقة ، كما كانت في دقيقة سلفت ، لا في موضع أو كيان. ان الكواكب التى تدور حول الشمس لو توقفت ثانية واحدة لجرت نحو الشمس فاصطدمت فيها. ان الذى يقيها اصطداما انها تدور في كل ثانية وكل جزء من ثانية، ولا تفتأ أن تدور .

والحياة على هذه الأرض ، وكل حي، في تغير دائم وفى تبدل . يتبدل في كل ثانية وكل ثالثة . ونحن الناس في تغير لا ينى . هضما ودما ولحما . حتى الوجوه في هذه اللحظة غيرها في لحظة سلفت ، لو كان لنا عيون أحد ترى ، واحاسيس ارهف تحس . ان الساعة التى يتوقف فيها هذا التغير في الانسان هى ساعة تفرق بين الحياة والموت . والانسان حتى اذا مات لا يقف عند ذلك فلا يتغير . انه ما جرى زمن الا جرى معه التغير والتحول .

قلت : وما ضر الانسان أن يكون وجوده متغيرا متحولا ؟

قال : انه وجود لا استقلال له . فانت توجد في هذا الوجود كقطرة الماء في البحر الأعظم، وتذهب القطرة مع المحيط حيثما ذهب . ومع هذا عليك أن تحيى وتجرى الحياة وحدك . ان هذا الجسم يأكل وعليك اطعامه . وهو يلبس ليتقى ، وعليك تقاته . وتدخل من اجل هذا في عراك مع الطبيعة ومع الناس ، فتشقى. فالطبيعة ليست مسالمة ولا ملاينة ، ولا الناس مسالمين ملاينين . وانت ان لم تشق فستظل في خوف من أن تشقى . والناس من خوف الفقر في فقر. والناس من خوف الفقر تبالغ في احراز الغنى . ومن خوف الظلم تبالغ في احراز القوة . ومن خوف المهانة تبالغ في حيازة العزة والسيطرة . فتمتد بذلك الآمال الى غير حد ، وليس اشقى من رجل لا تقف آماله عند حد . وطلب الغنى ، وطلب القوة ، وطلب السيطرة والعزة ، وكل هذه المطالب التى كان دافعها الخوف من نقائضها ، يذهب عنها الخوف دافعا، فتصبح تطلب لذاتها فيشقى بها طالبها ويشقى الناس . ان شقاء الناس يأتى من طبائع هذه الارض التى عليها سكنوا، ومن غرائز في الناس عليها ولدوا . ان الشقاء كامن في أصول الأشياء ، وهو يهيمن على هذا الوجود .

عندئذ سكت صاحبي ، وسكت .

ولكن بقيت في نفسى حاجة فانبريت أقول:

– ولكنى أعلم أن فى الناس سعداء .

قال : كيف يسعد من يموت منه كلَّ ساعة شيء ، وكل يوم يمضى ينقص من وجوده يوما . وهو آخر الأمر الى فناء. ان شيئا واحدا يستطيع ان يكسبك نوعا من السعادة .

وتطلعت نفسى الى علم هذا الشيء .

قال : ان يتعطل فيك الفكر فلا تفكر، وان يتعطل فيك الحس بالزمان . أترى هذه القطة ؟

قلت : نعم .

قال : هى اسعد منى ومنك ، لأنها لا تعرف الا يومها ، بل ساعتها هذه ، ولا تكاد تعرف لها امسا ولا غدا. واشقى الناس اهل الفكر والعلماء .

★ ★ ★

وبلغ الحديث الى هذا الحد فكان لا بد أن يتوقف . ان الانسان منا يمل ظلام الليل فيشتاق الى اشراقة الشمس فى الصباح .

★ ★ ★

ومضى صاحبى ومضيت . وأخذت افكر فيه . انه كان مصريا مسلما ،ولكنه هندى بوذى النظرات وليس كالبوذية دينا متشائما . ان البوذية فلسفة تقول بأن الألم والشر أصيلان فى هذا الوجود ، وان الحياة شقاء مركز دائم ما بقى الوعى فى الانسان .

وكحزن التشائم معان حزينة أخرى توجد فى سائر الأديان .

فالله سبحانه فى القرآن يقول : « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » . **ويقول:** « كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

والمسيحية دخلتها الرهبانية ، والرهبانية عزوف عن الحياة . والرهبانية رهبة وجنوح .

والشعراء نظموا الشعر فيما سر وفيما ساء . وافعل الشعر فيما ساء . والحزن عندهم افعل من السرور ،وأجود شعرهم الرثاء .

والمعرى يقول :

هذا جناه ابى علىَّ
وما جنيتُ على احد

والمتنبى يقول :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
ويسومها طلب المحال فتطمع

والكتّاب يكتبون فيسفلون. ويكتبون فيحسنون . وهم أحسّ ما يكونون فى المآسى . وخلّدت من بعد « جوته » آلام فرتر ، وخلدت من بعد « هوجو » البؤساء .

والفناء أحبه الى الناس ، حتى فى الحب ، الشاكى ، وأحبه الباكى . والنائحات تنوح ، وتبكى الباكيات ، وكل على نفسه يبكى .

والطير يصدح بالفناء ، وليس كهديل الحمام عند الانفس الحزينة ، وكل نفس بها للحزن جانب :

الا يا حمامات الحمى عدن عودة
فانى الى أصواتكن حنون

فعدن ، فلما عدن ، عدن لشقوتى
وكدت بأسرارى لهن أبين

فلم تر عينى مثلهن حمائما
بكين فلم تدمع لهن عيون

وبعد ، فهذا حديث التشائم والمتشائمين ، قد يعقبه حديث التفاؤل والمتفائلين ، والليل يعقبه النهار ، باذن الله الواحد القهار . ■■

احمد زكى

مَوقِفُ العُلَماءِ مِنْ :

بقلم : الدكتور احمد عبد المنعم البهى [١]

استاذ بالدراسات العليا بكلية الشريعة ـ جامعة الازهر

■ قرات فى عدد العربى الأغر ،الصادر فى أول فبراير سنة ١٩٦٦،مقالا للأستاذ عبد الوارث كبير . وها انا اناقشه مناقشة واضحة صريحة .

تناول هذا المقال جانبين او قضيتين هامتين .

قضـــيتان

القضية الأولى ان ما جاء فى البخارى من احاديث ليس كله صحيحا .ومفهوم هذه القضية أن بعض احاديث البخارى ليست صحيحة .

والقضية الثانية تعتبر دون شك متفرعة عن القضية الاولى ، وهى انكار صحة احاديث بعينها مما رواه البخارى، أو غيره من ائمة الحديث ، لانها لا تتفق فيما ظنه مع ما جاء فى الكتاب الكريم .

حديث السيدة عائشة

فمن ذلك مثلا انه ظن أن حديث السيدة عائشة رضى الله عنها التى قالت فيه (كان النبى صلى الله عليه وسلم ـ يامرنى فاتزر فيباشرنى وانا حائض) يتعارض مع قول الله تعالى (ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) ، مع انه لا تعارض بين الآية والحديث .

فالآية منعت الاتصال الجنسي فى حال الحيض لا غير ، وهذا شأن القرآن دائما يكنى عن الاتصال الجنسى ولا يذكره صراحة كلما عرض له . فهنا يقول فاعتزلوا النساء فى المحيض ويقول فى هذه الآية ايضا ولا تقربوهن حتى يطهرن . وفى آية اخرى يكنى عنه بقوله « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم » .

وحديث عائشة واضح فى ان للرجل حق التمتع بزوجه حال المحيض بالمباشرة او التقبيل والضم وما الى ذلك من انواع التمتع المباح عدا الاتصال الجنسى.

ولولا حديث عائشة لظن البعض ان الاعتزال الذى جاء فى الآية يراد به اجتناب المراة عامة فى زمن الحيض وقد كان هذا شأن اليهود مع نسائهم فى زمن الحيض بل أكثر من ذلك انهم كانوا لا يؤاكلون نساءهم ولا يعاشرونهن فى اثناء الحيض ، فجاءت الآية مبينة ان الاسلام لا يقر هذا ، وانما يمنع فقط من الاتصال الجنسى فى اثناء الحيض لا غير . واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد باشر نساءه فى اثناء حيضهن فليس لأحد بعد ذلك ان يرتاب ادنى ريب فى حل ذلك له .

حديث خضراء الدمن

ومن ذلك ايضا تشككه فى حديث

(١) هذا المقال جاء بناء على طلب رئيس تحرير مجلة العربى، أن يدلى فضيلة الكاتب برايه فى حرية كاملة

صَحِيحِ البُخَارِى

مُنَاقَشَة وَاضِحَة صَرِيحَة

« خضراء الدمن » وهى المرأة الحسناء فى المنبت السوء ، فانه من الاحاديث الهادفة ذات الاثر البعيد فى التوجيه الى حسن التخير والاختيار لمن ستكون شريكة حياة المرء . فالحسناء فى المنبت السوء، وهو البيئة المنحلة التى لا تعرف للقيم الانسانية والخلقية وزنا ، خطر على نفسها وعلى من يبنى بها ، ولذا حذر الرسول من الاقتران بها . فماذا فى هذا الحديث من مخالفة لأصول الاسلام وتعاليمه بل اصول الاخلاق الفاضلة والتربية السليمة حتى يشك الكاتب فى صحته ويقول انه حديث مفترى ؟

يخيل الى ان الكاتب اختلط عليه الامر فظن ان الحديث يمنع زواج الحسناء الفقيرة ولكن هذا ليس مما هدف اليه الحديث فقد عين موطنا بالذات وحذر منه وهى ان توجد هذه الحسناء فى وسط سوء منحل غنية كانت او فقيرة .

ضرورة تنقية التفاسير ومراجعة الاحاديث

واذ كنت اخالف الكاتب الراى فيما ساقه من احاديث على انها احاديث ضعيفة فان ذلك لا يمنع ان اقول بضرورة تنقية التفاسير من الاسرائيليات التى نقلها المفسرون بحسن نية ، ومراجعة كتب الحديث للتنصيص على ما لا يكون منه متمشيا مع الاصول المسلم بها فى تعاليم الاسلام . ولا ضير ولا عيب فى ذلك، بل لقد رد علماء الحديث حديث ابى هريرة « ان الله خلق الارض والسماوات فى سبعة ايام » ، مع صحة سنده ، لمخالفته النص القرآنى وهو قول الله تعالى « ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام » .

ليس فى هذا عيب ولا ضرر ولا انتقاص من قدر كتب الحديث ، ذلك ان رجال الحديث كان كل همهم منصرفا الى تصحيح السند والرواية دون الاهتمام بتمحيص متن الحديث نفسه الذى هو النص .

شيخ الازهر السابق يطلب تمحيص الاحاديث

واذكر ان فضيلة المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر كتب مذكرة مستفيضة فى هذا الشأن فى سنة ١٩٤١ طلب فيها ان تتفرغ جماعة كبار العلماء فى الازهر للقيام بهذا العمل الجليل خدمة للاسلام والمسلمين ، وما زال ينافح عن فكرته هذه حتى تمكن وهو شيخ للازهر من انشاء مجمع البحوث الاسلامية الحالى ليكون ذلك الامر فى مقدمة مهامه الكبرى.

موقف العلماء من احاديث البخارى

اما القضية الاخرى التى اثارها الاستاذ الكاتب، وهى القضية الاساسية

التى تفرع عنها ما سبق ، فهى ان كل ما جاء فى البخارى ليس صحيحا . ففى هذا نقول ان العلماء يختلفون فى أمرها .

فريق قال انها صحيحة وفوق مستوى الرد

فبعضهم يقول ان ما جاء فى البخارى ومسلم من أحاديث قد تلقته الامة بالقبول واجتمعت عليه ولذا فانه لا يجوز لاى انسان ان يقول انأحاديثهما يتطرق اليها أدنى شك فى صحتها .

وممن نافح عن هذا الرأى ابن الصلاح فيقول « ان ماروياه أو أحدهما فهو مقطوع بصحته ، والعلم القطعى حاصل فيه . وخالفه المحققون والاكثرون فقالوا يفيد الظن ما لم يتواتر » (١) .

وممن دافع عن هذا الرأى ايضا ابن خلدون فيقول فى مقدمته « ... ولا تقولن مثل ذلك انما يتطرق الى رجال الصحيحين ـ فان الاجماع قد اتصل فى الامة على تلقيهما بالقبول ، والعمل بما فيهما ، وفى الاجماع أعظم حماية وأحسن دفع » (٢) .

والى جوار ذلك فان بعض العلماء حاولوا من جانب آخر تأكيد صحة ما جاء فى الصحيحين من أحاديث فقالوا : ان اختيار البخارى ومسلم قام على اخراج الحديث عن عدلين الى النبي صلى الله عليه وسلم . ومن هؤلاء الحاكم رضي الله عنه .

وأمام هذا الدفاع عن الصحيحين نرى عامة المسلمين يأخذون بهذا ويتمسكون بأن ما جاء فى الصحيحين على الخصوص لا مجال لرده أو تضعيفه وانه فوق مستوى الرد والنقد .

فريق آخر رد بعض ما فى الصحيحين

اما الفريق الثانى من العلماء فانهم لا يرون ما رآه الفريق الاول ، وقالوا ان الامامين بذلا جهدهما فى تتبع الاحاديث وتصحيح ما ظنا انه كذلك ، الا ان هذا لا يعنى التسليم بأن كل ما جاء فيهما صحيح ، ومن هنا اقدموا على نقد موضوعات فى الكتابين ، ومن الذين نقدوهما ابو الحسن علي الدارقطني المتوفى سنة ١٣٨٥هـ فقد ضعّف فى كتابه « الاستدراكات والتتبع » مائتي حديث فيهما .

وقال الحافظ بن حجر العسقلاني فى مقدمته فى شرح أحاديث البخارى « ان الحفاظ انتقدوا البخارى فى عشرة ومائة حديث منها ثنتان وثلاثون حديثا وافقه مسلم علىتخريجه وثماني وسبعون حديثا انفرد هو بتخريجه » (٣) .

---

(١) التقريب للنووى ص ٤١ (٢) المقدمة ص ٢٦

(٣) وهذا الرأى يطابق ما قال به بعض العلماء المحدثين نذكر من بينهم :

(أ) فضيلة الشيخ يوسف بن عيسى القناعي مفتى الكويت :

قال فى كتابه « الملتقطات » ، ما أكده بعد ذلك فى خطاب رسمى لرئيس تحرير « العربى » ردا على سؤله : « الاحاديث المتكلم فيها فى صحيح البخارى ٧٨ حديثا ، والمتكلم فيها فى صحيح مسلم ١٠٠ ، ورجال البخارى المطعون فيهم ٨٠ ، ورجال مسلم المطعون فيهم ١٦٠ . ومن هذا نعرف ان فى صحيح البخارى ومسلم أحاديث ورجالا مطعونا بهم » .

(ب) فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة :

قال فى مقاله بالعدد ٧٨ من «العربى » عن البخارى : « ترك البخارى علما كثيرا يتصل بالرواية والأثر ، وترك الأثر الخالد الباقى فى كتابه « الجامع الصحيح » ، وهو مرتب حسب ترتيب أبواب الفقه ، لم يؤخذ عليه منها الا نحو ثلاثين حديثا ونحو ستين رجلا » .

(ج) المغفور له الدكتور أحمد أمين قال فى كتابه « ضحى الاسلام » : « وقد عد كتاب البخارى بحق أصح كتب الحديث . وليس معنى ذلك خلوه من مواضع نقد ، فالحفاظ والنقدة من كبار المحدثين تناولوه بالنقد فى صراحة وحرية ، من وجوه متعددة . وقد بلغت الأحاديث التى انتقدوه فيها ١١٠ حديثا ، منها ٣٢ حديثا اتفق فيها مع مسلم ، و٧٨ حديثا انفرد بها البخارى » .

اما ما قاله بعض العلماء من أن اختيار البخاري ومسلم قام على اخراج الحديث عن عدلين الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فان الحازمي قد تولى الرد على ذلك فى شروط الائمة الخمسة ، ونقل راى ابن حبان البستى فى هذا الشأن وهو من رجال الحديث المعدودين . قال الحازمي : واما قول الحاكم : ان اختيار البخارى ومسلم اخراج الحديث عن عدلين الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا غير صحيح طردا وعكسا ، بل لو عكس القضية وحكم كان اسلم له، وقد صرح بنحو ما قلت من هو امكن منه فى الحديث ــ وهو ابو حاتم بن حبان البستي فقد قال : واما الاخبار فكلها اخبار لآحاد ، لأنه ليس يوجد عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر من رواية عدلين روى أحدهما عن عدلين وكل واحد منهما عن عدلين حتى ينتهى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما استحال هذا وبطل ثبت ان الاخبار كلها اخبار لآحاد ، ومن اشترط ذلك فقد عمد الى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن الا من رواية الآحاد .

رد بعض ما فى صحيح البخارى لا يعنى التهوين من قدره

هــذا هو موقف العلمــاء السابقين رضوان الله عليهم من كتاب الصحيحين على الخصوص الا ان راى الفريق الثانى قائم على الدراسة والبحث والتمحيص.

وليس معنى استحسان هــذا الرأى التهوين من قدر هذين الكتابين الجليلين، فان الامامين البخارى ومسلم قد قاما بمجهود جبار فى تقصي الاحاديث، والبحث عن صحة سندها بقدر ما وسعهما من الجهد والاخلاص فى هذا العمل المضنى، وبذا قدما للامة الاسلامية ثروة لا تقدر بمال ، واستحقا كل تقدير على ذلك ، ولا يعتبر قدحا فيهما ان يتابع عليهما بعض الخلف باستدراكات تبيِّن ضعف بعض الاحاديث التىأخرجاها أو اخرجها كل منهما على انفراد .

يقول النووي فى شرح مسلم : « قد استدرك جماعة على البخارى ومسلم أحاديث أخلا بشرطهما فيها، وقد سبقت الاشارة الى هــذا . وقد الف الامام الحافظ ابو الحسن علي بن الدارقطنى فى بيان مسعود الدمشقى أيضا عليهما استدراك . ولأبي علي الغساني الجياني فى كتابه « تقييد المنهل » فى جزء العلل منه استدراك أكثره على الرواة عنهما وفيه ما يلزمهما . وقد اجيب عن كل ذلك او أكثره ، وستراه فى موضعه ان شاء الله تعالى والله أعلم (١) .

ازاء ذلك فلا ضير على رجل مسلم ان يقول ان بعض ما جاء فى الصحيحين ليس مسلَّما بصحته كله ، ولا يعد هذا انتقاصا لقدر هذين الامامين ، بل يطالب باثبات ما بني عليه كلامه من ناحية السند او من ناحية المتن ، اما مجرد الافتراض فهذا لا يعول عليه فى مجال البحث .

والدعاوى اذا لم يقيموا عليهــا
بيِّنــات ، أبناؤهــا أدعيــاء

نقد النص فى الحديث

وقد ذكر العلماء وجوها فى رد المتن ، بناء على معناه ، مع صحة السند .

فمنها انه يخالف المروى نصا صريحا فى الكتاب ، كما قدمنا فى صدر هــذا المقال رد حديث ابي هريرة ان الله خلق السماوات والارض فى سبعة ايام ، لمعارضته ما جــاء فى الكتاب الكريم ان

---

(١) النووى على مسلم جـ ١ ص ٢٧ طبعة المطبعة المصرية .

الله خلق السماوات والارض فى ستة ايام .

ومن ذلك ايضا ان عمر رضى الله عنه رد حديث فاطمة بنت قيس لما ذكرت ان زوجها طلقها ثلاثا فلم يجعل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة ولا سكنى ، وقال لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امراة لا ندرى صدقت أم كذبت حفظت أم نسيت .

وكذلك رد على رضى الله عنه حديث معقل بن سنان الاشجعى حين قضى ابن مسعود فى المفوضة التى مات عنها زوجها بأن لها صداق مثلها ، لا وَكْس ولا شَطَط . فعلق معقل على هذا بقوله قضيت فيها ـ والذى يحلف به ـ بقضاء رسول الله فى بروع بنت واشق الاشجعية . رد عليّ هذا الحديث وقال لا ندع كتاب ربنا لقول أعرابي بوّال على عقبيه .

العمل برواية الآحاد

ومن منهج الصحابة فى التشدد فى قبول رواية الحديث أجاز الفقهاء عدم العمل برواية الآحاد وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يقدم العمل بالقياس على بعض روايات الآحاد لانها وردت على خلاف القياس .

وقد جرت مناقشة بين الامامين أبي حنيفة والاوزاعى رضى الله عنهما فى رفع الايدى عند الركوع والرفع منه ذلك ان مذهب الاوزاعى يقول بذلك ومذهب أبي حنيفة خلافه فلما اجتمعا قال الاوزاعي لصاحبه .

ما لكم لا ترفعون الايدى عند الركوع والرفع منه :

فقال ابو حنيفة : لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء .

ورد الاوزاعي : كيف وقد حدثنى الزهرى عن سالم عن ابيه بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا افتتح الصلاة وعند الركوع وعند الرفع منه ؟

قال أبو حنيفة : حدثنا حماد بن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه الا عند افتتاح الصلاة ثم لا يعود .

قال الاوزاعي : احدثك عن الزهرى عن سالم عن ابيه وتقول حدثنى حماد عن ابراهيم .

قال أبو حنيفة : كان حماد افقه من سالم ، وعلقمة ليس بدون ابن عمر فى الفقه وان كان لابن عمر فضل صحبه فالأسود له فضل كثير .

فسكت الاوزاعي ولم يقل شيئا (١).

★ ★ ★

فانت ترى من هذا أن الائمة كانوا يختلفون فى أحاديث الآحاد فهذا يعمل بحديث صح عنده والثانى لا يعمل به ، اما لانه لم يصح عنده واما لانه يثق برواية راو آخر يأخذ بها ولا يأخذ بما عداها .

★ ★ ★

وللعلماء تفصيلات فى هذا الشأن قد لا يتسع لها الحيز وربما فصلنا القول فى ذلك فى مقال آخر واكتفى بما فصلت فى هذا المقال وعسى أن يجد فيه محبو العلم وطلاب الحقيقة ايضاحا لبعض جوانب هذه القضية وهذا حسبى وعلى الله قصد السبيل . ■■

احمد عبد المنعم البهي

---

(١) الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى للحجوى .





(من وحي القراء)

الفلفل

■ الفلفل هو البَهار الاول الذى يُعطى الطعام طعمه المحبَّب فتشتهيه الأنفس من أجل ذلك . وان يكن الملح يأتى فى هذا الغرض فى المحل الأول ، فللفلفل المحل الثانى .

واكثر الناس يأتى بالفلفل حَبّاً اسود، يشتريه من عند العطار ، أو هو حبٌّ مطحون ، والمشترى يدفع فيه ما يدفع ، ثم لا يسأل من اين جاء الفلفل ، أجاء من الصين ام جاء من اليابان ؟

واكثر الناس يعلم انه حبٌّ لنبات ، ولكنه لا يدرى ، اى نبات . ما شكله،ما كِبَره وما صغره ؟ اشجرة هو كشجرة التين، ام حشيشة كحشيشة القمح والشعير ؟

الا فاعلم ان الفلفل ثمرةُ شجيرةٍ متسلقة ، تتسلق على ما تجد ، او على ما يقام لها من عُمُد تعتمد عليها (انظر الشكل) . وهى شجيرة لها اوراق عريضة نوعا ما . أما الثمر ، الذى هو الفلفل فينمو على افرعها عناقيد مستطيلة ، حبها احمر زاه . فاذا نضج الثمر جُفّف فى الشمس حتى يسود ويتجعّد .



وهذا هو الفلفل الحبّ الاسود المعروف فى التجارة .

ثم هو يطحن ليعطى الطحين الاسمر للمائدة .

واذا اريد الحصول على الفلفل أبيض اللون ، وجبت اولا ازالة القشرة الخارجية عن الحب بنقعه فى الماء . وهذا الحب اذا طحن جافا بقى قشرته هذه كان ابيض ، وكان اللذع فى اللسان .

وموطن الفلفل ومصدره اليوم ، الهند والمالاى واندونيسيا .

وهو ينمو وحشيا ، ولكن الانسان انّسه ، فهو ينمو اليوم فى مزارع له خاصة . وشجيراته ينمو اكثرها من الحب ، فهو البذرة ، وقد ينمو من عقلة زرع . وهو يحتاج الى عناية غير قليلة ، فالى تقليم ، وتسميد ، وقص فروعه السفلى التى تجعله يرتطم بالارض .

وهو يبدأ يعطى ثمره بعد ٣ سنوات ، ولكن يبلغ انتاجه اقصاه فى السنة السابعة .

وللفلفل ، كما لسائر البهار ، قصة شهيرة معروفة فى التاريخ الأوروبى. فقد كان من أغلى ما يقتنيه المقتنى ، كان يُحمل من الشرق البعيد الى غرب اوروبا ، على الجمال عبر الصحراء ، وعلى البغال ، وفى البحار . ويغلو ثمنه فلا يستطيعه الا ذو الثراء الكبير ، حتى لقالوا ان الرطل منه كان يعتبر هدية ذات بال تُهدى الى الملوك .

وطلب البرتغاليون طريقا الى الهند اقصر ، وكان لهم من وراء ذلك اهداف ، منها الحصول على البهار . واكتشفوا طريق رأس الرجاءالصالح فهبط ثمن الفلفل فى اوروبا هبوطا كبيرا .

والفلفل يحتوى على مادة فعالة ، منشطة للهضم ، اسمها فلفلين ، او ان شئت الاسم الافرنجي فهو Piperin ، وهو اسم مأخوذ من الاسم الافرنجى للفلفل وهو Pepper ■■

مسابقة العربي

١٠ أسئلة.. وجوائز ١٠٠ دينار

● تتألف هذه المسابقة من عشـــرة اسئلة . هى امتحان لمعلوماتك العامة ، اذا استطعت الاجابة عن سبعة منها ، فقد تربح احدى الجوائز .

ـ ١ ـ

● فى الوطن العربى كنيستان شهيرتان احداهما تتوارث حفظ مفاتيحها اسرة مسلمة ، والثانية يتولى الحراسة فى داخلها جنود مسلمون .

ما اسم كل من هاتين الكنيستين ؟ واين تقع ؟

ـ ٢ ـ

● أين يوجد كل من الأشياء الآتية :

الجبل الابيض ـ النهر الاصفر ـ الميـدان الأحمر ـ البيت الابيض ؟

ـ ٣ ـ

● تولى رياسة الولايات المتحدة حتى الآن ٣٦ رئيسا ، منهم ١٥ رئيسا تولوا الرئاسة مرتين، ورئيس واحد تولى الرئاسة أربع مرات فمن هو؟!

ـ ٤ ـ

● ولد الخليفة العادل عمر بن عبـد العـزيز فى افريقية ؟ ففى أى بلدة ولد ، وبأى شىء تشتهر الآن البلدة التى ولد فيها ؟

ـ ٥ ـ

● يقول ياقوت الحموى فى « معجم البلدان »: « وكثيرا ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور لانها باب الشرق ، ودمشق لانها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قل ان لا يمر بها » .. فأى هذه المدن الثلاث اتخذها الفاروق عمر قاعدة حربية، وخرجت منها الجيوش التى افتتحت أرمينيا واذربيجان ، ودفن فيهـا الشاعر المبدع « أبو تمام » ؟

ـ ٦ ـ

● لشاعر من شعراء العصر العباسى الخالدين قصيدة مطلعها :

« حامل الهــوى تعب » .

١ ـ ما اسم هذا الشاعر ؟

٢ ـ اكمل هذا البيت واذكر الأبيات الثلاثةالتى تليه .

ـ ٧ ـ

● **يكثر « الحشيش » فى بعض بلاد الوطـنالعربى ، كما يكثر « القات » فى غيرها .. وكلاهما يبعث على الكسل والخمول..وفى جنوب السودانيكثر تعاطى « المريسة » ..**

فهل « المريسة » شجر كالقات والحشيش ؟وان لم تكن كذلك فما هى ؟!

ـ ٨ ـ

● أين تقع البلدان الآتية من الوطن العربى :

الفاشر . المنامة . الزبير . الحديدة . القصير؟

ـ ٩ ـ

● **هو كاتب ساخر ، وفيلسوف ساخر ، من أعلام الأدب الانجليزى فى العصر الحديث ... وبالرغم من انه كان مسيحيا ، فقد ذكر النبيمحمدا فى ثلاث من مسرحياته هى « عودة الى متو شـالح » و «جـان دارك » و « زنجيـــــةتبحث عن الله » .. وكان مما قاله عنه : « اما انا فارى واجبا ان يدعى محمد منقذ الانسانية .واعتقد ان رجلا مثله لو تولى زعامة العالـــم الحديث لنجح فى حل مشكلاته واحل فيه السعادةوالسلام » .**

فما اسم هذا الكاتب الفيلسوف ؟

ـ ١٠ ـ

● « مصر هبة النيل » عبارة ترد كثيرا فى كتبالجغرافيا عندما تتحدث عن مصر .. فمن هـو قائل هذه العبارة من بين هؤلاء :

عمرو بن العاص ـ خالد بن الوليد ـ ابنخلدون ـ هيرودوت ؟

شروط المسابقة وجوائزها

يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيلهذه الصفحة . اكتب اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

واكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربى .العدد ٨٩ » . آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو ٧ مايو ١٩٦٦ .

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار تـوزعكالآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا . **الجائزة الثانية** : ٢٠ دينارا . **الجائزة الثالثة** : ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منهاه دنانير ..

وعندتعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجـوائزبطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة العدد ٨٩

أقمار اصطناعية تدور حول القمر الطبيعي تمهيدا لنزول الانسان على سطحه

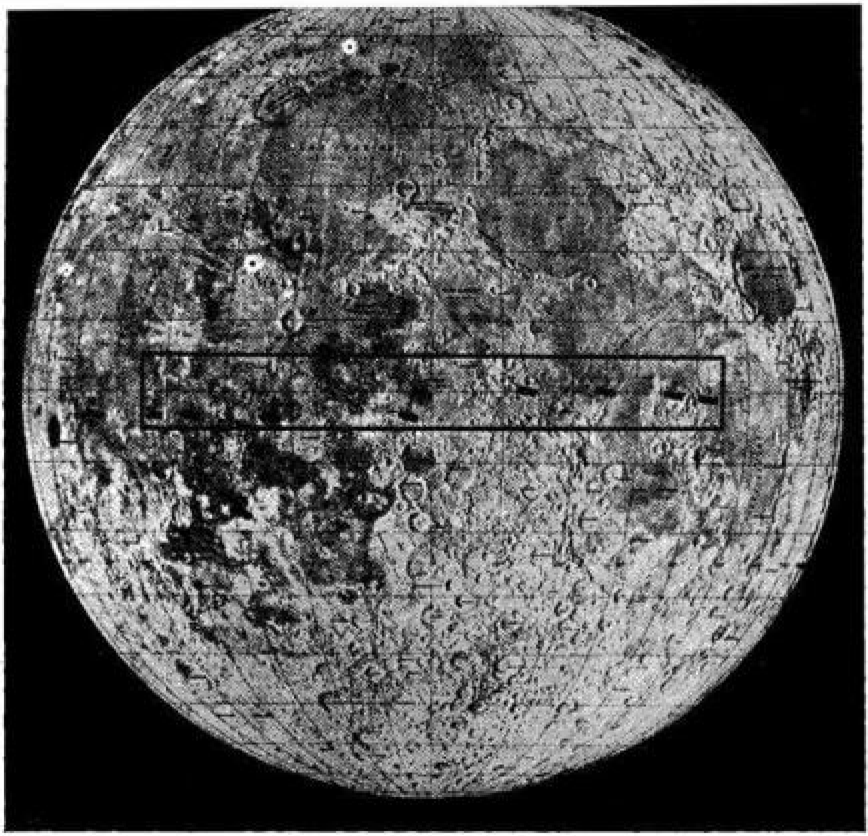
■ ان البرنامج الامريكي لوصول الرجال الى القمر يعرف ببرنامج ابولو Apollo ، وهو سوف يتم بعد سنتين ، او هكذا يرجى ، والذى تجربه الولايات المتحدة الآن من تجارب انما هي تجارب تمهيدية تنتهي بتلك الغاية الكبرى ، الوصول الى القمر .

وقد اختار العلماء المختصون من سطح القمر منطقة كالشريط الطويل الضيق تقع على سطح القمر ، فيها سوف يهبط الرجال عندما يتم التحضير كله . وهي ظاهرة في الخريطة المرفقة ، يحدها مستطيل ، وبهذا المستطيل نقاط سوداء تسعة هي البقاع المختارة التي يرجى ان يهبط عندها الرجال ، وبقعة عاشرة خارج المستطيل . واذن ، لزم استطلاع هذه المناطق ما امكن استطلاع ، وتلك البقاع خاصة ، في التحضير لليوم الكبير الموعود الذى يهبط فيه الانسان على سطح القمر .

وقد انشات الولايات المتحدة ، في البرامج التحضيرية التي انشأت ، برنامجا اسمته برنامج الفوالك القمرية Lunar orbiters . والفالك هو الجسم الذى يدور في فلك .

والفالك القمرى هو بالطبع مركبة فضائية سوف تدور حول القمر في فلك خاص بها .

واول هذه الفوالك القمرية سينطلق الى القمر من الارض ليدور حوله على بعد من سطحه يتراوح بين ١٢٥ ميلا و ١١٥٠ ميلا . وهذا الفالك القمرى سيأخذ للقمر ١٩ صورة ، أى من هذه الابعاد المذكورة ، وذلك لاختبار الكمرات التي يحملها ، ومن بين هذه الكمرات



كمرة عظيمة التفصيل لما تعطيه من صور of high resolution ، واخرى مجسّمة لهذه الصور Stereoscopic . وستكشف هذه الكمرة عن شيء من ذلك الجانب الآخر الخافي دائما من القمر .

واذا اتضح من دوران هذا الفالك القمرى حول القمر ، ان قوة جاذبية القمر منتظمة ليس فيها شذوذ لا ندركه ، عندئذ يمكن تعديل مجرى هذا الفالك ، مركبة الفضاء هذه ، بحيث تقترب من سطح القمر ، وقد تقترب حتى تكون من هذا السطح على بعد ٢٩ ميلا فقط . وعندئذ يبدأ البرنامج الأصيل لأخذ الصور بالكمرات ، ويستمر ٨ أيام .

والمساحة التي سوف تكشفها الكمرة المجسّمة المتوسطة التفصيل Resolution من سطح القمر منطقة طولها ٥٦ ميلا بعرض ٢٣ ميلا .

وستاخذ الكمرات ١٦٠ صورة للبقاع العشر على سطح القمر التي سبق ذكرها . وسيستغرق ارسال هذه الصور الى الأرض ١٤ يوما بعد ذلك .

وقد اعلن العلماء الأمريكيون عن هذه البقاع التي سوف يرودونها بفوالكهم القمرية هذه حتى يستطيع علماء الأرض ان يعاونوا فى تلك الدراسات ، بالأرصاد الرادارية ، والأشعة الدون الحمراء وغير ذلك .

وتعهد العلماء الأمريكان بأن يرسلوا الى هؤلاء العلماء صوراً مما يأخذون من سطح القمر عند وصول هذه الصور الى الأرض ، حتى يستطيع هؤلاء العلماء مقارنتها بالذى وجدوه فى أرصادهم هم .

والقائم على هذه البرنامج ، برنامج الفوالك القمرية ، هو الدكتور هومر نيوول Homer Newell .

فرنسا تصبح الدولة الثالثة في إطلاق الصواريخ بمركبات الفضاء ثم بإطلاقها في الحرب الذرية بالرؤوس النووية

انها فرنسا .

اطلقت اول جرم فضائي لها ، بأول صاروخ لها ، فى ٢٦ نوفمبر ١٩٦٥ ، اى بعد ثماني سنوات من اطلاق الصاروخ الروسي الاول، بأول مركبة فضاء عرفتها السماء ، تلك الشهيرة باسم اسبتنك Sputnik . وقد وقع ذلك فى اكتوبر من عام ١٩٥٧ .

وتبعت الروس فى ذلك الولايات المتحدة ، فكانت الثانية فى سباق الفضاء .

ثم اطلقت فرنسا جرمها الفضائي الاول فى السادس والعشرين من نوفمبر .

وللتاريخ هنا ، ولتكراره ، معنى غير قليل . فهو تاريخ بلغ ماهل فرنسا ، الجنرال ديجول ، سنته الخامسة والسبعين ، قبله بأربعة ايام . وهو تاريخ كانت الانتخابات الفرنسية للرئاسة سوف تقع بعد ٩ أيام منه .

فقد كان لاطلاقه ، فى هذا التاريخ ، معنى سياسي قومي يتصل بعظمة فرنسا التى يروج لها الجنرال . وقد كان فى مقدوره ان يرسل الى السماء ما يريد من اجرام فرنسية ، تحملها صواريخ امريكية . وكانت امريكا اول من يرحب بهذا ، كما رحبت بمثله لكل من انجلترا وكندا وايطاليا . ولهذا الترحيب اكثر من سبب ، ومن اسبابه سبب رئيسي ، ذلك ان امريكا لا ترحب بأن تكثر الامم التي تستطيع ارسال القذائف الى السماء . فهذه القذائف العلمية ، ما اوشك ان تتبدل فتصبح قذائف ذرية .

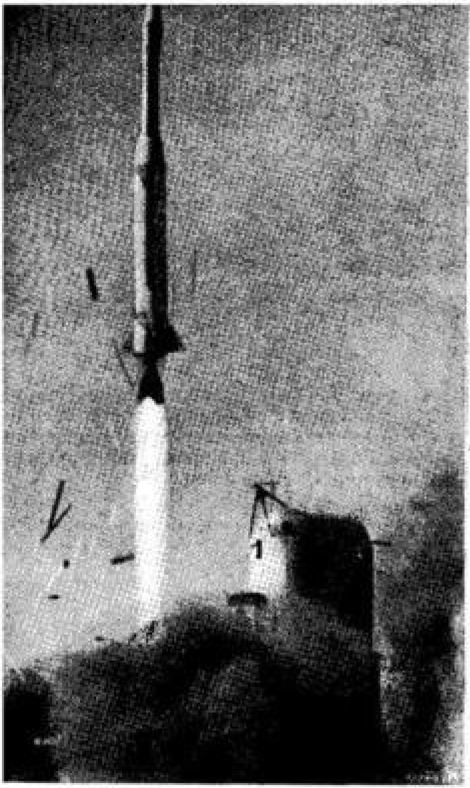
والحق أن نجاح فرنسا فى اطلاق صاروخها الذى سمته ديامنت Diamant فى اواخر نوفمبر الماضى، أزعج كثيرا ممن يعنون بالموازنات الحربية التى تقوم بين الدول .

ففي عالم الفضاء اليوم امتان جبارتان ، روسيا وامريكا . وميزانهما يكاد أن تعتدل كفتاه . فدخول فرنسا فى ميدان الفضاء بصواريخ من عندها يخل من اتزان هذا الميزان .

وآخرون فرحوا لنجاح فرنسا ولم ينزعجوا ، ذلك انها اثبتت انها فى الصناعة قديرة ، وبالتكنيئة خبيرة ، وهذان الامران من الخير الذى يجب ان لا يحتكره فى الامم محتكر .

والسؤال الذى يجرى على الخواطر اليوم هو من تكون الدولة التي تجلس على الكرسي الرابع فى نادى الفضاء .

ويتوجه السائل الى انجلترا ، فنعلم انها تمهلت كثيرا فى اتخاذ قرار يقضي ان يكون لها صاروخ قومي تصنعه وتعتز



الصاروخ الفرنسي ، ديامنت ، وهو ينطلق الى الفضاء في ٢٦ نوفمبر ١٩٦٥ .

به . ولعل سبب ذلك الاقتصاد ، ثم ركونها فى امثال هذه الأمور الى الولايات . ومع هذا ، فالعمل جار فى الصاروخ المسمى السهم الأسود Black arrow وهو أشبه ما يكون بالصاروخ الفرنسي ديامنت ، اى انه مؤلف من ٣ طوابق ، ووقوده الدافع وقود سائل . على أنه لا يرجى حتى اذا اتخذت بريطانيا قرارها اليوم بأن يكون لها صاروخ قومي عاجلا ، فلن يتحقق رجاؤها فى أقل من سنتين .

وفى هذه الأثناء تسبق امة لم تكن فى البال . تلك اليابان .

تلك اليابان

وهي تقدمت فى برنامجها الفضائي بحيث يقدَّر لها أن تطلق صاروخها الأول فى عام ١٩٦٧ .

وهذا البرنامج الفضائي الياباني يصفه العارفون بأنه نموذج فى حسن التصرف وفى التدبير الهندسي . ونفذوه بنفقة قليلة ، يقف عند سماعها العارفون حائرين ، جروا فيه كما يجرون فى اجراء تمرين علمي ، وهو تمرين اجروه تحت رعاية الجامعات اليابانية خالصا .

ومركبة الفضاء التي سوف يحملها الصاروخ الياباني تزيد على ١٠٠٠ كيلو جرام وزنا .

بقي ان نستدرك ما فاتنا من وصف الصاروخ الفرنسي فنقول : ان قوة دفعه تقدر بنحو ٦٢٠٠٠ رطل ، وهو منطلق من مصطبة اطلاقه فى «هماجوير» Hammaguir بالصحراء الكبرى . وهو اتجه بحمولته عند اطلاقه ناحية الشمال الشرقي . وبعد دقائق كان قد وضعَ مركبةَ الفضاء فى فلكها ، وهو فلك يقترب من الأرض حتى يبلغ ٣٢٧ ميلا ، ويبتعد عنها حتى يبلغ ١٠٩٨ ميلا . وكان وزن المركبة ٩٢،٥ من الأرطال .

وظلت المركبة « ديامنت » ترسل باشاراتها الرادارية طول يوم كامل ثم سكتت .

البناء الضوئي

سر البناء الضوئي قد تكشف للعلماء على مر السنين

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

أستاذ النبات بجامعة عين شمس

■ انه مصنع صامت" يصنع للانسانية كلها ما تحتاجه من طاقة ، وما تغتذى به من طعام .

انه النبات الاخضر ، الذى رفدة على سطح الارض منذ أراد الله له أن ينمو ويزدهر ، وان يكسو سطح الارض ، ويوجد هنا وهناك على هيئة غابات باسقة الشجر ، ملتفة الاغصان ، أو على صورة نبات مبعثر ضئيل الحجم فى بعض الجهات الصحراوية ، ومنذ عرف الانسان الزراعة وانه لينتج غذاء يفيض عن حاجاته،ويستنبت السلالات الصالحة التى تعطى أوفر غلة، ومنذ عرف الانسان العلم ، وعرف اجراء التجارب ، وكيف ينتقى السلالات الصالحة ، ويهجن بين بعضها وبعض ، ويكثر الانواع ذات المناعة ضد الامراض ، أو التى تحتمل تقلبات الجو ، أو تقاوم الجفاف ، وان الانواع والسلالات والاصناف من المحاصيل والغلات والفاكهة والخضروات ليضيف العلم كل يوم منها جديدا ، وان الانسانية لتعتمد اعتمادا يكاد يكون تاما على ما تنتجه هذه المصانع من طاقات هى ما اختزنته منذ احقاب موغلة فى القدم على صورة فحم او بترول، او ما تنتجه موسما بعد آخر على صورة ثمار أو غلات تختزن المواد النشوية والدهنية والبروتينية ، يغتذى بها الانسان وسائر انواع الحيوان بطريق مباشر او غير مباشر .

سرّ البناء الضوئي يتكشف رويدا رويدا

لقد قال ارسطو ان النبات يأخذ غذاءه من التربة، وشايع العلماء العرب المعلم الاول فيما قال ، وظل سر هذه العملية البنائة التى تسمى عملية البناء الضوئى ، ظلّ سرها مغلقا ، الى أن خطر لاحد العلماء البلجيك ، هو « فان هلمنت » (١٥٧٧ ـ ١٦٤٤ م) Van Helmont أن يفتح مغاليق هذا السر ، فاجرى تجربة آية فى البساطة ، ذلك بان زرع فرعا من الصفصاف عرف وزنه ، فى اصيص به تربة قدّر وزنها ، ثم تعهد نباته بالرى والعناية مدى خمس سنوات تباعا ، ثم خلّص النبات من التربة ، واعاد وزنه ، كما أعاد وزن التربة ،فوجد ان النبات قد تضاعف وزنه عدة مرات ، بل بلغ مئات الارطال ، على حين لم تنقص التربة الا بضع اوقيات . وعندئذ قال « فان هلمنت » انه مهما يكن مصدر هذه الزيادة فى وزن النبات ، فانه لا يمكن ان يكون التربة . الا انه عاد ليقول ان مصدر هذه الزيادة هو الماء . وعلى انه لم يحالفه التوفيق فى استنباطه الاخير ، الا انه مهد الطريق للبحث عن المصدر الحقيقى لهذه الزيادة ، وكان ذلك فى اواخر القرن السابع عشر .

وفى سنة ١٧٢٧ تساءل « هالز » عن حقيقة

المصدر الرئيسي للطاقة والغذاء

بحوث في البناء الضوئي، أوضحت الطريق الى زيادة المحاصيل

الامر ، وقال ان من الجائز جدا أن النبات ياخد بعض غذائه عن طريق اوراقه من الهواء الجوى . ولم يكن من المستطاع التقدم اية خطوة اخرى ، الى أن تقدّم علم الكيمياء .

وفى سنة ١٧٥٤ كشف الكيماوى الانجليزى « بلاك » Black ما أسماه بالهواء الثابت او ثاني أكسيد الكربون .

وفى سنة ١٧٧٢ ، كشف «بريستلي» Priestley غاز الاكسجين ، وأوضح الصلة بين الحيوان والنبات ، بتجربته الرائعة التى بين فيها أن فأرا تحت ناقوس زجاجي ، يعيش مدة أطول اذا وضع معه نبات النعناع الاخضر .

ثم وجد الكيماوى الفزيائي الهولندى « انجن هاوز » Ingenhousy (١٧٣٠ — ١٧٩٩) التفسير الصحيح ، وهو أن النباتات تسلك مسلك الحيوانات فى الظلام ، وانها فى الضوء فقط تكون وظيفتها متكاملة ، فتاخذ ثاني اكسيد الكربون وتلفظ الاكسجين فى العملية التى سميت فيما بعد بعملية البناء الضوئي ، وأن النبات ليتنفس فى نفس الوقت فياخذ الاكسجين ويلفظ ثاني أكسيد الكربون ، ولكن نسبة ثاني اكسيد الكربون المأخوذ الى ثاني أكسيد الكربون الملفوظ نهارا هي كنسبة ٤٠ : ١ ، كما عرف بعد ذلك أن هذه العملية تجرى نهارا فقط ، وأن التنفس وحده هو الذى يجرى ليلا ، فياخذ النبات الاكسجين ويلفظ ثاني اكسيد الكربون .

وعملية التحول الغذائي فى النبات تزداد وضوحا

وفى سنة ١٨٠٠ كانت عملية التحول الغذائي فى النبات الاخضر قد زادت وضوحا وعرفت العلاقة بين عملية البناء الضوئى التى تنتج الغذاء ، وعملية التنفس التى تتضمن اكسدة المواد الغذائية واحتراقها ، وأن هذه العمليات لتتضمن كذلك التوازن الغذائي فىالعالم . وعرفت الشروط التى ينبغي توافرها لتتم هذه العملية وتؤتي أحسن ثمارها، الا وهيالماء والمادة الخضراء، والمادة الحية وثاني أكسيد الكربون ، وضوء الشمس . ومن هنا سميت عملية البناء الضوئي اشارة الى أهمية الضوء ، وأن بناء المواد يكون عن طريق الضوء . كما تسمى بالتمثيل الكربوني اشارة الى اهمية الكربون ، الذى يؤخذ من ثاني اكسيد الكربون الموجود فى الهواء الجوى . كما تسمى ايضا التمثيل اليخضورى اشارة الى أهمية اليخضور وهو الصبغ الاخضر الذى يوجد فى النباتات الخضر .

البناء الضوئي محول للطاقة عظيم

على أن هناك ناحية أكثر اهمية لعملية البناء الضوئي ، تلك هي التى تتعلق بتوازن الطاقة فى العالم ، فان معظم مواردنا من الطاقة ، انما تاتي من الوقود كالفحم والبترول والزيت . وهذه تتلاشى عند احتراقها ، وهى على كل حال موارد محدودة ، وقد كونها النبات والكائنات الحية

منذ أحقاب سحيقة . اما عملية البناء الضوئي ، فان النباتات تحول الطاقة الشمسية الى صورة كيميائية يمكن ان تختزن . فالنبات الاخضر محول عظيم للطاقة ، انه يحول فى عملية البناء الضوئي الطاقة الشمسية الى طاقة كيميائية يمكن ان تختزن ، كما يحول الطاقة الكيميائية من صورة الى اخرى فى عملية التنفس .

حاجة الانسان الى الغذاء ، والوقود ، تختلف من قطر لقطر

وفى جهات العالم ، التى تعتبر اوفر حظا من المدنية والحضارة ، فان الاحتياجات اليومية من الغذاء والطاقة تكون اكثر ما تكون . وقد قدر ان احتياجات الفرد من السعرات الحرارية الغذائية فى هذه الجهات انما هي تساوى ضعفا ونصف ضعف احتياجات الفرد فى الجهات التى لم تؤت مثل هذا الحظ من الحضارة والمدنية . على ان البون يبدو اكبر كثيرا بالنسبة لاحتياجات الاول من الوقود ، اذ انها تتراوح بين خمسين ومائة ضعف ، انه نصيبه من وقود الفحم والبترول والكهرباء فى المصانع والسيارات والكهرباء والقطارات والمنازل بما فيها من ادوات واجهزة للتدفئة او الطهو وما اشبه .

وعلى ذلك فان الحاجة أسرع واشد ، انما هي للوقود اكثر منها للغذاء ، وان الطاقة الشمسية التى تسقط على سطح الارض فى اربعة اشهر لتساوى مجموع طاقات الفحم والزيت والغاز الموجودة فى الارض . وقد تكرر التنبيه الى اهمية التحكم فى هذه الطاقة ، واستنباط موارد جديدة لها ، وكان استنباط العلماء للطاقة النووية مخرجا من هذا المأزق الذى اوقع الانسانية فيه تكاثر انسالها ، وزيادة افرادها زيادة مطردة . وذلك بشرط ان توجه لخير البشرية ورفاهيتها ، لا لصنع الات الدمار والهلاك .

التفاعلات التى يتضمنها البناء الضوئي

وقليلون هم الذين اتجهوا الى دراسة عملية البناء الضوئي ، وهى العملية الاساسية ، التى تمد بوساطتها النباتات الخضر، كل مصادر الطاقة فى العالم تقريبا . اذ يمكن القول بصفة عامة ، ان كل المواد العضوية فى النباتات الخضر ، انما هي من انتاج عملية البناء الضوئي ، وفيها يتحول الكربون المأخوذ فى هيئة ثاني اكسيد الكربون من الهواء الى مركبات عضوية كربونية ، وهي نقطة الابتداء فى كل التخليقات الحيوية . وتتضمن العملية تفاعلات مختلفة ، فيها ينزع الايدروجين من الماء ، وينطلق منه الاكسجين . وتمتص الطاقة اللازمة لهذه التفاعلات الضوء .

وقد استرعت هذه العملية اهتمام علماء الحياة، والكيميائيين، والكيميائيين الحيويين، والفيزيقيين الحيويين ، لقد تعاونوا جميعا فى تفسير هذه العملية ، ومعرفة دقائقها وخباياها . وقبل الحرب العالمية الاولى ، كانت معلوماتنا عن الكيمياء الحيوية لعملية البناء الضوئي قليلة محدودة . وكان المعتقد ان البناء الضوئي عملية كيميائية ، تختص بها النباتات الخضر ، وقد ظهر فيما بعد ان عددا قليلا من كائنات نباتية دقيقة ليست خضراء ، يمكن ان تقوم بمثل هذه العملية .

وقد حدث تقدم عظيم فى دراسة التفاعلات المتضمنة فى عملية البناء الضوئى ، وذلك نتيجة استعمال النظير المشع للكربون ، الذى اصبح الحصول عليه متيسرا بعد الحرب العالمية الثانية ، وجاء فهمنا الصحيح للعملية نتيجة لثلاثة انواع من التجارب ، تجرى على طحلب وحيد الخلية ، ينمو فى محلول غذائي نقي . وكذلك صححت معلوماتنا عن خطوات العملية ، وعرفت المركبات الوسيطة التى تتحول اخيرا الى المواد الكربوايدراتية والبروتينية والدهنية التى يغتذى بها الانسان وسائر أنواع الحيوان بطريق مباشر او غير مباشر .

وكذلك استطاع العلم ، ان يكشف تفاصيل هذه العملية الرائعة الدقيقة ، وان يعرف خطواتها على التحقيق ، ولكنه لم يستطيع حتى الآن ان يقلدها ، لان سرها الاعظم عند الخالق سبحانه ، اودعه ما خلق من مادة حية ، تقوم بهذه العملية الكيميائية الضخمة فى سهولة وفى يسر ، واستطاع

العلم ان يقيس وان يقدر ما يستغله النبات من طاقة الشمس ، وما يختزنه في انسجته من طاقة ، وان يعرف احسن الظروف ، التي يستطيع بها النبات ان يعطي اوفر غلة واعظم انتاج .

فاذا زرعنا مساحة معينة من الارض ببذور نبات ما ، ثم جمعنا المحصول في نهاية الموسم ، وقدرنا الوزن الجاف للمواد النباتية الناتجة ، من سوق واوراق وجذور وزهور وثمار ، على ان نقدر في الوقت نفسه ، وطوال فصل النمو ، مقدار ما سقط من اشعة ضوئية ، على هذه المساحة من الارض ، وذلك بواسطة جهاز معين ، يقيس فيض الضوء المرئي ، وهو ما يمتصه النبات في عملية البناء الضوئي ، ونستطيع بذلك ان نقدر نسبة عدد السعرات الحرارية التي امتصها النبات من ضوء الشمس الى تلك التي احتفظ بها النبات في انسجته ، وذلك بحرق الاخيرة . وقد اجريت تجارب كثيرة من هذا النوع وفي بلاد مختلفة مما نستطيع معه ان نطمئن الى النتائج التي حصل عليها العلماء ، ممن يشتغلون بهذه البحث ، ويهمنا ان نعرض لبعض الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع ، والتي تواتر الخبر اليقين بشأنها ، حتى غدت من المسلمات التي لاغنى للمثقف الرفيع عن معرفتها .

كم من طاقة الشمس يختزن النبات ، وعلاقة ذلك بالمحاصيل

فقد ثبت ان الطاقة التي اختزنها النبات بالنسبة للطاقة التي بذلتها الشمس لا تتعدى ٢ — ٥ر٢ ٪ ، وقد عرفت هذه النسبة العالية في محصول الارز في اليابان ، ومحصول القمح في الدنيمرك . كما ثبت ان معظم نباتات المحاصيل لم تبلغ الحد الاعلى وهو ٥ر٢ ٪ ، وذلك لاسباب مختلفة ، كنقص الغذاء المعدني ، أو خلل في القنوات المائية ، او بسبب الامراض التي تصيب الاوراق الخضر ، فلا تجعلها تستغل اقصى امكانياتها في عملية البناء الضوئي ، او لارتفاع او انخفاض في درجة الحرارة الى حد يعوق سير العملية ، ولا يصل بها الى حدها الاعلى .

فاذا استطاع العلم ان يرفع النسبة الى الحد الاعلى المثالي وهو عشرون بالمائة ، فانه بذلك يزيد الانتاج الى عشر مرات ، مما يحقق فائضا كبيرا في انتاج الحبوب والخضراوات والفواكه مما يسد حاجة السكان المتزايدة الى الطعام .

كم يحتاج النبات من شدة اضاءة ، وعلاقة ذلك بالمحاصيل

وكذلك درس العلماء ، موضوع شدة الاضاءة نفسها ، اثناء عملية البناء الضوئي ، اذ ان شدة الاضاءة تتغير في ساعات النهار المختلفة ، وبالتالي تتأثر سرعة امتصاص الضوء ومعدل عملية البناء الضوئي ، ونستطيع التجريب للحصول على اقصى اضاءة تصل بنا الى الحد الاعلى من انتاج عملية البناء الضوئي ، وانها عند حد معين من شدة الاضاءة لتصل الى درجة التشبع بالضوء .

وقد استطاع العلماء ان يصلوا في بعض المناطق الى اعلى مستوى من انتاج عملية البناء الضوئي في بعض جهات اليابان ، وغرب اوروبا ، وبعض مناطق الولايات المتحدة الامريكية .

السبيل الى زيادة انتاج النبات واضحة

ولعل هذا اللون من البحث يهدينا الى الوسيلة التي تساعد على الوصول بالانتاج الى حده الاعلى في مناطق كثيرة ، ولعلنا ان نرفع من قيمة هذا الحد بالتحكم في شدة الاضاءة ، ودرجة تركيز ثاني اكسيد الكربون ، ولعلنا ان ننتج سلالات من النباتات تكون لاوراقها قابلية امتصاص نسبة اكبر من الضوء ، وكمية اكبر من ثاني اكسيد الكربون او تكون بلاستيداتها الخضر ذات خصائص اقدر على عملية البناء الضوئي .

والذي لا شك فيه ان النجاح في هذا المجال ، سيكون بالاضافة الى ما يبذل من جهود في ناحية انتخاب السلالات وعمليات التهجين وعلاج الآفات واختيار الاسمدة ، ومقاومة الامراض ، كل ذلك من شأنه ان يصل بنا الى اعظم استغلال لعملية البناء الضوئي ، مما يزيد في امل الانسان في ان يعيش هانئا على سطح الارض ، التي تنتج من الغلات والطاقات ما يكفي قطانها ، والله ولي التوفيق . ■■

عبد الحليم منتصر

نتيجة مسابقة العدد ٨٧

الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ كثيرون ممن اشتركوا فى هـذه المسابقة اجابوا اجابة صحيحة على اسئلتها الخمسة عشر ، بينما اقتصرت الاغلبية على الاجابة عن عشرة اسئلة فقط .

ومعظم الذين اخطأهم التوفيق اختلط عليهم الأمر فى الأسئلة رقم ١ ، ٣ ، ٥ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

وفيما يلى الاجابات الصحيحة :

(١) الفناء (٢) الصابئة (٣) أسد بن الفرات (٤) غرناطة (٥) الوليد بن عبد الملك (٦) تونس (٧) جان جاك روسو (٨) ابن حزم (٩) عباس محمود العقاد (١٠) سقراط (١١) الفستق (١٢) تيمور (١٣) ابو جعفر المنصور (١٤) الكويت (١٥) مندل .

الفائزون بالجوائز

وقد اجريت القرعة بين اصحاب الاجابات الصحيحة كالمعتاد فأسفرت عن :

١ ـ **الجائزة الاولى** وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها : **ناصر على عبد الله** ـ دكان رقم ٥٦٠ ـ ١ ـ ٢ سوق الشجرة ـ أم درمان ـ جمهورية السودان.

٢ ـ **الجائزة الثانية** وقيمتها عشرون دينارا فازت بها : **عهود سليمان عبد الرزاق** : الكويت

٣ ـ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها: **منصور قائد حسين صالح** منزل رقم ٥٣٥ / ٥١٨ شارع طرفة ـ معلا ـ عدن .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **باسمة محمد حسين المظفر** : النجف الاشرف ـ العراق .

٢ ـ **نبيل مسيكه** ـ بواسطة الياس قنصلية ـ سوق البازار ـ اللاذقية ـ سوريا .

٣ ـ **مروان سعيد زيتون** : شركة جتى للزيت ـ الوفرة ـ المنطقة المحايدة ـ السعودية .

٤ ـ **عادل غلاب** : ١٥ شارع بروفانس ـ حى اكدال ـ الرباط ـ المغرب .

٥ ـ **سعيد سالم العاصرى** : بيت المهلب ص. ب ٤٩٠ دبى ـ ساحل عمان .

٦ ـ **محمد ضناوى** : طالب لبنانى بألمانيا الديمقراطية .

٧ ـ **محمد مصطفى جابر** : نابلس (برقة) الاردن .

٨ ـ **احمد ابراهيم الدسوقى ابراهيم** ـ ٤١ شارع بوالينو ـ محرم بك ـ الاسكندرية : ج.ع.م

وسترسل الجوائز الى اصحابها . ■■



« الوداع يا صغيرتى ... وآمل ان اراك تكبرين لتصبحى جنديا شجاعا فى خدمة بلدك »
.. نهرو .

انْدِيرَا غَانْدِى

رئيسة وزراء الهِنْد

بقلم : منير نصيف

■ « ان تفكيرى يتجه فى تلك اللحظة ، التى اقف فيها امامكم ، الى زعماء الهند العظام .. الى المهاتما غاندى الذى نشأت وتربيت عند قدميه، والى والدى جواهر لال نهرو ، والى لال بهادور شاسترى رئيس الوزراء الراحل .. لقد حدد هؤلاء الزعماء معالم الطريق .. وانا اريد ان اسير على خطاهم » .

بهذه الكلمات استهلت انديرا غاندى الابنة الوحيدة للزعيم الراحل نهرو حياتها السياسية فى مرحلتها الجديدة امام ممثلى الشعب الهندى فى البرلمان عندما اصبحت اول امراة تتولى رئاسة الوزارة فى تاريخ الهند .

ولم يكن تولى انديرا هذا المنصب مفاجأة لاحد سواء داخل الهند او خارجها ، فقد كان الجميع يتوقعون فوز انديرا برئاسة الوزارة على اثر وفاة شاسترى بالسكتة القلبية بعد لحظات من توقيع اتفاق السلام فى طشقند بين الهند وباكستان .

شعبية انديرا

كان كل رجل وامراة وطفل فى الهند يعلم ان انديرا هى الوريثة الطبيعية لنهرو حتى قبل تولى شاسترى الحكومة بعد وفاة نهرو ، لا لانها ابنته ، ولكن نظرا لعدة عوامل اهمها تلك المقدرة العجيبة التى اظهرتها انديرا فى كل منصب رسمى اسند اليها ، ثم الشعبية التى تتمتع بها فى الهند ، واخيرا الدور الكبير الذى قامت به خلال كفاح بلادها من اجل الاستقلال . واكبر دليل على ذلك عدد الاصوات التى فازت بها على « مورارجي

ديساى » وزير المالية ومنافسها الوحيد على المنصب ، فقد كانت نتيجة الاقتراع ٣٥٥ صوتا لانديرا مقابل ١٦٩ صوتا لديساى .

بعيدا عن الاضواء

فعندما مات نهرو فى شهر مايو من عام ١٩٦٤ ، اتجهت الانظار الى ابنته ، ولكنها اعتذرت عن قبول المنصب ، بل حتى عن دخول الوزارة نفسها، فلما عرض عليها شاسترى وزارة الخارجية، قالت : « لا ! فانني اريد ان ابقى بعيدة عن الاضواء » . ولكن رئيس الحكومة الجديدة اصر على موقفه وتمسك بها ، وامضت انديرا عشرة ايام فى تفكير عميق قبل ان توافق على دخول وزارته بشرط ان تسند اليها وزارة اخرى اقل اهمية من الخارجية ، فاسندت اليها وزارة الاعلام والاذاعة .

وثمة حقيقة اخرى كانت ترجح دائما زعامة انديرا ، الا وهى تلك الرابطة القوية التى كانت تربط بينها وبين والدها العظيم . فقد كانت صديقته الروحية التى نفث فيها من تجاربه وحياته وكفاحه الشىء الكثير .. كانت بالنسبة له جزءا من ماضى الهند وكفاحها ، وكانت له أما واختا وابنة بارة ، لازمته كظله فى معظم رحلاته واجتماعاته التاريخية .

وقد شغلت انديرا منصب رئيس حزب المؤتمر الهندى فى عام ١٩٥٩ ولمدة عام واحد ، واستطاعت خلال تلك الفترة القصيرة من رئاستها لاكبر حزب سياسى فى الهند ، أن توحد صفوفه وتنظمها وتقضى على الخلافات الداخلية بين زعمائه . ولكنها ما لبثت بعد ذلك ان تخلت عن المنصب لتكرس كل وقتها وجهدها للعمل الذى كانت تعتبره اهم وظيفة قامت بها فى حياتها ، الا وهو رعاية والدها فى شيخوخته والعناية به ، فلم يكن نهرو ثروة قومية بالنسبة لها فحسب ، بل وبالنسبة للهند كلها ، فقد كان غاندى هو محرر الهند ، ونهرو هاديها على طريق الاستقلال من بعد التحرير .

مع الأحزان والدموع

وقد ادرك العالم اهمية هذا العمل الذى اختارته انديرا لنفسها لاول مرة فى تلك الليلة من شهر يناير عام ١٩٦٤ ، اى قبل خمسة اشهر من وفاة نهرو ، فقد سقط الرجل على الارض بعد ان انهى خطابه فى اجتماع عام لحزب المؤتمر الهندى بمدينة بوبانسوار Bhubanaswar ، وامتدت يد انديرا التى كانت تقف الى جواره لتسنده وتساعده على النهوض .

ونقل رئيس الوزراء الى فراش المرض ، وبقيت انديرا بجوار فراش والدها تقدم له الدواء وتسهر على راحته ، وتدير دفة الحكم فى البلاد . فقد اضطلعت انديرا فى واقع الامر باعباء رئاسة الحكومة بصورة غير رسمية طوال فترة مرض والدها التى استغرقت خمسة اشهر . فكانت ترد على رسائله وتعاونه فى اتخاذ القرارات ، وفى احيان كثيرة كانت تصل وحدها الى القرار او تبت فى الامور الهامة العاجلة .

وعندما مات نهرو ، وقفت انديرا تشرف بنفسها على تنفيذ وصية والدها الراحل بحذافيرها ولم تبك لانها كانت تعلم ان هنالك عملا ضخما ينتظرها اهم بكثير من البكاء . فاستقلت الطائرة التى حملت الرماد المتخلف عن حرق جثمان والدها واشرفت بنفسها على ذرّه فوق الارض التى احبها نهرو وفوق مياه نهر الجانج Ganges ذلك النهر المقدس عند الهند . حتى اذا فرغت من تادية واجبها المقدس اغلقت باب البيت وقضت اسبوعين مع احزانها ودموعها .

انا انسان اولا

قال لها الصحفيون بعد أن جلست الابنة فوق المقعد الكبير الذى شغله والدها منذ حصلت الهند على استقلالها فى عام ١٩٤٧ : « ما هو شعورك بعد ان اصبحت اول امراة تراس الوزارة الهندية؟» فاجابت : « انا انسان اولا وامراة ثانيا . لم لا تنسوا ان الدستور الهندى يكفل المساواة بين الرجل والمراة » .

ولكن الذين يعرفون رئيسة وزراء الهند الجديدة يؤكدون انها تتقد حماسا لبنات جنسها، فقد قالت انديرا يوما تخاطب الصحفيين : « لو درستم التاريخ لوجدتم انه اينما حققت المراة تقدما ساهمت فى رفعة شان بلادها ، بينما تبقى الدول متخلفة حيث تنام نساؤها » .

ولم تنم انديرا منذ نعومة اظفارها فقد فتحت عينيها على الظلام الذى كانت تعيش فيه الهند فى ظل الاستعمار البريطانى ، فشاركت فى الكفاح وهى بعد لم تزل طفلة فى سنى حياتها الاولى . وكانت تقول دائما : « ان حياتى العامة بدات وانا فى الثالثة من عمرى » .

طفولة أنديرا

كانت امها ، وهى من مواليد كشمير ، من زعماء حزب المؤتمر الهندى بمدينة « الله اباد » التى اطلقت فيها أنديرا صرختها الاولى ، وكان والدها نهرو هو الوريث الوحيد للمهاتما غاندى زعيم حركة الاستقلال . اما جدها لوالدها فكان محاميا ثريا ، واحد اعضاء الحركة التى تحولت فيما بعد الى اقوى الاحزاب السياسية فى الهند وهو حزب المؤتمر . وكان قصر نهرو « الجد » مقرا للاجتماعات السرية الهامة لاعضاء الحركة او الحزب .

وهى تذكر ما كان يفعله الانجليز بوالديها .. تذكر الاجراءات التصفية الصارمة التى كانوا يقدمون عليها انتقاما منهما على تحويل البيت الى مقر سرى لاجتماعات زعماء الحركة الوطنية . وكانت انديرا الصغيرة تقف امام باب البيت الخارجي وترقب اباها وامها وهما يساقان امام الجنود المدججين بالسلاح الى ظلام السجون، وعندما يجيء طارق تخرج الطفلة فتقول له فى براءة : « آسفة جدا ، فليس فى البيت احد غيرى، لقد حملوا ابي وامي وجدى الى السجن!».

وقد عرفت انديرا حياة الوحدة فى طفولتها واعتادت عليها . لم يكن لها اصدقاء تلعب معهم كما يفعل كل الاطفال ، ولم يكن لديها العاب تشغل بها وقتها .. كانت هوايتها الوحيدة فى هذه السن المبكرة من طفولتها هى الوقوف فوق مائدة مرتفعة والقاء خطاب سياسي عاصف امام خدم البيت الكبير الذين كانوا يستقبلون كلماتها بالحماس والتصفيق !

مظاهرات العرائس

وكانت أنديرا تحمل عرائسها الصغيرة لا لتلعب بها ، ولكن لتعلمها كيف تسير فى المظاهرات التى ينظمها المهاتما غاندى ضد الاحتلال البريطانى ،وفى بعض الاحيان كانت تجد صعوبة فى تلقين عرائسها الدروس فى الوطنية فيتطوع بعض الزائرين الى مساعدتها . وفى مقدمة الذين ساعدوا انديرا فى تنظيم « مظاهرات العرائس » رجل ضئيل الجسم طيب القلب ، اصبح فيما بعد رئيسا لوزراء الهند هو لال بهادور شاسترى .

وانقضت بضع سنوات قبل أن ترسل انديرا الى احدى المدارس الداخلية فى سويسرا ، ولكنها ما لبثت ان عادت الى بلادها قبل ان تكمل سنتها الثانية عشرة لتؤلف جمعية من جيرانها الاطفال اسمتها « فرقة السنانيس » ، وكانت مهمة « جنود » الفرقة الصغار هى حمل الرسائل السرية عبر مراكز الحراسة البريطانية والقيام بمظاهرات سلمية امام المتاجر التى تعرض البضائع الاجنبية .

مدرسة نهرو

حدث مرة أن شاهدت انديرا الصغيرة فريقا من الجنود البريطانيين ينهالون ضربا على المتظاهرين الهنود ، فاتجهت اليهم ووقفت فى تحد تهيب بهم أن يطلقوا سراح مواطنيها ويضربوها او يعتقلوها !

وفى تلك الاعوام تعلمت أنديرا فى مدرسة ابيها .. تعلمت من الخطابات التى كان يرسلها اليها والدها من سجنه ويحدثها فيها عن تاريخ العالم ويحثها على التضحية من أجل خدمة قضية الحرية. وقد جُمعت هذه الخطابات التى اصبحت تُدرّس الآن فى جميع مدارس الهند ، والتى جعلت من انديرا بطلة من ابطال الثورة بالنسبة لجميع ابناء الهند وبناتها .

ولقد تركت انديرا بلادها بعد ذلك وسافرت الى انجلترا لتدرس التاريخ فى جامعة اكسفورد ، ثم اصبحت عضوا فى حزب العمال البريطانى ، ولكن صحتها ما لبثت أن اعتلت . ثم قامت الحرب العالمية الثانية فاضطرت انديرا الى قطع دراستها والعودة الى بلادها فى عام ١٩٤١ .

عروسان فى السجن

ولم يكد يستقر بها الحال فى الهند حتى

انغمست فى المعركة الدامية التى كانت تخوضها بلادها من أجل الاستقلال ، ثم شاءت الفتاة أن تظهر شيئا من استقلال شخصيتها فقررت الزواج من محام مغمور يدعى فيروز غاندى ، وهو لا يمت للزعيم غاندى بصلة . وتم الزواج رغم معارضة ابيها الشديدة لهذا الاختيار .

وبعد مضى بضعة اشهر على زواجهما دخل العروسان السجن بعد أن اتهمهما الانجليز بالقيام بنشاط هدام ، فقد اعتقلوا أنديرا وهى تقود مظاهرة نسائية تماما كما كانت تفعل مع عرائسها الصغيرة فى شوارع مدينة « الله أباد » الرئيسية . وقضت العروس ١٣ شهرا فى السجن كانت تقوم خلالها بتعليم النساء الأميات القراءة والكتابة .

ثم أطلقت السلطات البريطانية سراحها،فذهبت لتعيش مع زوجها بمدينة الله آباد ، ورزقت منه بولدين ، راجيت وعمره الآن ٢١ عاما ، وسانجاى وهو فى التاسعة عشرة . ويدرس الاثنان الهندسة فى بريطانيا اليوم .

سيدة الهند الاولى

وبنهاية الحرب العالمية الثانية ازداد السخط فى الهند على الانجليز وارتفعت الصيحات تنادى بالاستقلال ، وعين نهرو قائما باعمال اول رئيس للوزارة الهندية ، واسرع الاب يدعو ابنته انديرا أو « اندو » كما كان يدعوها ومعناها « القمر » ، الى الاقامة معه فى نيودلهي ، لتصبح المضيفة فى قصره الرسمى الجديد ، فقد كان نهرو يعيش وحده بعد وفاة زوجته وام ابنته فى عام ١٩٣٦ .

وحملت أنديرا ولديها وذهبت لتقيم مع والدها بالرغم من اعتراض زوجها . وكانت رحلتها الى نيودلهي هى بداية الطريق الطويل الذى اوصلها فى النهاية الى أكبر منصب فى الحكومة .

وفى عام ١٩٤٧ ، انفصلت أنديرا عن زوجها الذى وافته منيته فى عام ١٩٦٠ على أثر اصابته بنوبة قلبية .

واصبحت أنديرا سيدة الهند الاول ، فاظهرت كفاءة تدعو الى الاعجاب فى ادارة قصر والدها وترتيب مواعيده الرسمية ومقابلاته . حتى قائمة الطعام كانت تمر عليها وتضيف اليها أو تحذف منها الاطباق التى يجب ألا تدخل معدة والدها طبقا لنصائح الاطباء. وكانت انديرا بعد هذا تحرص على أن توفر لوالدها الوقت الذى يستطيع أن يداعب فيه حفيديه الصغيرين راجيت وسانجاى ويلعب معهما بالقردة والنمور والثعابين الصغيرة. ويروى سانجاى الذى يتدرب الآن فى مصانع « رولز رويس » فى مانشستر قصة التمساح الذى كان يحتفظ به فى حديقة البيت ، وكيف كان يعض كل شخص يقترب منه ما عدا صاحبه ، وفى احد الايام أخطأ التمساح وعض امه ، أنديرا ، وهنا قرر الطفل أن يطرده من البيت فورا !

مشاكل الشعب

ومرت الاعوام ونهرو وابنته لا يفترقان . كان يشرح لها مغزى ما يدور حولها من احداث سياسية ويصطحبها معه فى رحلاته الى الخارج ، ويقدمها لزعماء العالم الذين يجتمع بهم فىالمؤتمرات الدولية . حتى اذا ما جاء عام ١٩٥٥ ، كانت أنديرا قد اصبحت احدى الشخصيات البارزة على المسرح السياسى الهندى ، فبدأ أصدقاؤها يشجعونها على قبول عضوية اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الهندى التى تضم ٢١ عضوا .

وبدأت أنديرا عملها الجديد بأن قامت بجولة طويلة طافت خلالها بجميع أنحاء الهند ، فركبت الطائرة والسيارة وكل وسيلة من وسائل النقل لتصل الى القرى النائية التى لم تطأها قدم شخص من الخارج من قبل ، فما بالك بابنة رئيس الوزراء . وكانت أنديرا تجتمع باهل القرى وتتعرف على مشاكلهم وتقترح الحلول لهذه المشاكل .

ونشطت بعد ذلك نشاطا ضخما فى تنظيم الحفلات الخيرية فكانت تدعو الى تقديم التبرعات ومساعدة الفقراء والمعدمين ، وعرفها الشعب الهندى حتى اصبحت أشهر شخصية فى البلاد بعد والدها .



كانت انديرا ترافق والدها كظله ، وكانت تكرس حياتها لرعايتــه والعناية بـه فى شيخوخته .

رئيسة حزب المؤتمر

وكان طبيعيا بعد ذلك ان يطلب اليها المسئولون فى حزب المؤتمر قبول منصب رئيس الحزب وهو اهم منصب سياسى فى الهند بعد رئاسة الوزارة .

هذه هى انديرا غاندى التى تعتبر أول امرأة فى التاريخ الحديث تتولى مثل هـذا المنصب الخطير . حقيقة كانت هناك امرأة قبلها هى السيدة سريما باندرانيكه التى انتخبت رئيسـة لوزراء سيلان ، تلك الجزيرة الشهيرة الواقعة فى جنوب الهند ، وذلك عقب مصرع زوجها رئيس الحكومة ، ولكن مـع الفارق الكبير فالسيدة التى تجلس اليوم فى مقعد رئيس وزراء الهند تحمل فـوق كتفيها مسئولية ثانى اكبر دولة فى العالم مـن حيث تعداد سكانها ، فالهند تضم ٥٠٠ مليـون نسمة ويعيشون فى ارض شاسعة يمكن أن تصنع وحدها قارة قائمة بذاتها .

سر قوة انديرا

قابلتها فى عام ١٩٦٠ فى مبنى البرلمان الهندى فعرفت سر قوة هذه المرأة .

انها تؤمن ببلادها وتؤمن بدور الشعب فى بناء هذه البلاد . وعندما مددت يدى لاصافحها فى مبنى البرلمان الهندى ، وجدت نفسى اقف امام سيدة جذابة فارعة القوام فى وجهها مسحة من جمال ، وفى عينيها العسليتين الواسعتين ذكـاء خارق . وفى مشيتها الهادئة « بالسارى » الهندى وهو الزى الوطنى فى البلاد ، اناقة ووقار ، وفى حديثها بعد ذلك عمق وهدوء وفلسفة .

ووقفت تتحدث فترة من الوقت لم تتخلَّ فيها عن ابتسامتها العذبة . كانت تتكلم وترد عـلى اسئلتى بعد تفكير عميق ولكن بلا مجهود واضح . وكانت اجاباتها كلها صريحة هادئة ، ولكنها لا تلبث ان تتسم بالحماس عندما تنتقل الى الحديث عن والدها أو عن الشعب الهندى الذى أحبه نهرو وآمن به .

قالت : « اننى اومن بالشعب فهو عندى مصدر السلطات ، كما أومن بدور الشعب فى بناء كـل بلد عظيم » ثم قالت تسألنى : « هل هذه هى أول مرة تزور فيها الهند ؟ وكيف وجدتها ؟ » .

قلت : نعم ، وهى بلاد عظيمة رائعة ذات تاريخ عريق ، ولكن أروع منها الهند الجديدة التى خلقها نهرو فى اقل من سبعة عشر عاما .

جان دارك

كتب اليها والدها من سجنه فى بريطانيا فى احد الايام ، وكانت هى بعد لم تزل طفلة فى الثالثة عشرة من عمرها .. كتب يقول : « هل تذكرين كيف سحرتك قصة جان دارك عندما كنت تقرئينها لأول مرة ، وكيف كان طموحك يشبه الى حـد كبير طموح هذه البطلة الفرنسية، اننا اليوم نصنع التاريخ فى الهند ، ولا شك اننا سعداء الحـظ ان نكون بين الذين يشهدون ما يجرى الآن مـن احداث فى بلادنا . اننى لا اعرف ما هو الدور الذى سنقوم به ، ولكن مهما كان دورنا فيجب ان نذكر دائما انه يجب الا نقدم على عمل مـن شانه ان يقلل من اهمية قضية بلادنا او يجلب العار لمواطنينا . الوداع يا صغيرتى وآمل أن اراك تكبرين لتصبحي جنديا شجاعا فى خدمة بلدك » .

ومضت السنون وتحققت امنية الاب بعد ٣٥ عاما . ■■

منير نصيف



مقررات هيئة الامم المتحدة الخاصة بالاستعمار الاسبانى

عن صحيفة العلم المغربية

● اتخذت اللجنة السياسية للامم المتحدة قبل حين قرارا صوت عليه مائة عضو ويقضى بمطالبة اسبانيا بان تتخذ فورا الاجراءات الكفيلة برفع الاحتلال الاسبانى الاستعمارى عن كل من افنى والصحراء .

على ان هذا القرار لا يشير الى ان هذه المناطق مغربية ولا يشير الى ضرورة استعادة المغرب لهذه الاراضى ، وانما يطالب بمجرد رفع الاحتلال الاسبانى عنها فقط .

ونحن ننبه الراى العام الوطنى والدولى الى ان المغرب لن يقبل بتحرير الاراضى المغتصبة فحسب بل يطالب بعودتها ايضا الى الوطن المغربى الذى لا تتحقق وحدته وتكامل حدوده الا باسترداد جميع اراضيه المغتصبة ومن ضمنها الصحراء والمدن التى تحتلها اسبانيا .

الاستعمار وآسيا

عن صحيفة الجمهورية القاهرية

● لقد فقد الاستعمار افريقيا ، باستثناء جيوب صغيرة تذيقه العذاب ، وانطلقت الوحدة الافريقية تتخطى عقبات اعدائها ، وسارت أمريكا اللاتينية فى طريق التحرر والخلاص من التبعية الأجنبية ، فلم يبق للمستعمرين الا أن يحاولوا اطالة عمرهم فى آسيا ، خاصة وأن لهم فيها قواعد عسكرية عديدة ، وأن لهم بها امتيازات استغلالية قديمة. من هنا تصبح مسؤولية بلدان آسيا المتحررة ضرورية وعاجلة فى استعادة علاقاتها الطيبة والارتفاع فوق الخلافات التى تحركها الأيدى الغربية ، الخفية عنها .

الحق والواجب

عن صحيفة « الاشتراكى » السورية

● فى المجتمع الثائر لا يجد الفرد تفريقا بين الحق والواجب . انهما يشكلان وحدة متكاملة ويمتزجان حتى تضيع ملامح كل منهما فى الآخر ويصبح من الصعوبة بمكان ان نميز بينهما .

فحين يغتصب حق الفرد ، يصبح من (واجب) ذلك الفرد ان يطالب به . والواجب يصبح واجبا بمقدار ما يفترض ان الفرد (اهل) لان يشارك فى المهمة الاجتماعية الكبرى . فطالما ان الواجب متناسب دائما مع امكانيات الفرد ومؤهلاته ، فان الغاء الواجب او منع الفرد من تادية واجبه ليسا فى الحقيقة الا اعتبار هذا الفرد مفرغا من الامكانيات والمؤهلات . لهذا يصبح الواجب الملقى على الفرد (حقا) له ، ويصبح من حقه ان يطالب بتادية واجبة ، حين يمنع عنه ذلك .

أمريكا تؤازر بريطانيا

عن مجلة الحرية اللبنانية

● تسعى بريطانيا جاهدة لجر الولايات المتحدة للاشتراك معها فى معركة الجنوب العربى ، عسكريا وماليا . فقد ركز ولسون فى زيارته الأخيرة لواشنطن على هذه النقطة ، وقيل يومها انه حصل على موافقة جنسون على دعم مالى سريع لبريطانيا يكفل لها مواجهة نفقات القواعد العسكرية والحرب .

وما دامت المعركة قد وصلت الى هذا المستوى من التنسيق بين بريطانيا والولايات المتحدة ، وما دامت آفاقها تتسع لتشمل الثروة البترولية، فان التساؤل عن دور الدول العربية فى دعمها لانتفاضة الجنوب يصبح ، كما قال احد قادة الجبهة القومية للحرية : ضرورة ملحة تقتضيها مصلحة هذه الدول نفسها .

ويكاد يكون فى حكم المؤكد أن احراز أى نصر جذرى على بريطانيا ، يقطع عليها طريق الامر الواقع الذى تذئر فيه ويحول دون نهبها لثروات الجنوب والخليج ، ضمن اطار الحلف البريطانى الأمريكى الجديد . مثل ذلك النصر سيتأخر سنوات عديدة ما لم تبادر الدول العربية الى مد ثورة الجنوب العربى بصورة فعالة .

★★★

أمريكا فى الداخل والخارج

عن صحيفة الدفاع الاردنية

● لا يعرف التاريخ،فى عصرنا الراهن، من حرِّمت عليهم حرياتهم وحقوقهم ، فى وطنهم ، كزنوج أمريكا فى أمريكا ، حيث يحظر على الفرد منهم الجلوس فى سيارة عامة ركابها من البيض ، أو تحصيل قسط من التعليم يعادل قسط الأبيض منه ، أو الطمع بنصيب من وسائل التحايل على الرزق كنصيب الأبيض .

وحذار أن يزعم انسان أن الحكومة الأمريكية تسعى جاهدة لاصدار قوانين تضمن للزنجى حرياته وحقوقه ،فالقوانين لا تحفظ على الزنجى حريته وحقوقه فى بلد ليس فى نفسية شعبه متسع للتسامح مع الزنوج أو لاحترام القوانين التى توضع لحمايتهم .

★★★

فتنام : الحرب والعقدة

عن صحيفة المدينة المنورة السعودية

● أغلب الظن أن الحرب الفتنامية ستتحول الى حرب أمريكية صينية ، بصرف النظر عن كل الحديث عن السلام، الا اذا استسلم الجانب الشيوعى للشروط الأمريكية ، وما هو بمستسلم . والذى يدفعنى الى هذا الظن هو أن الولايات المتحدة قد وجدت منذ زمن ان الوقوف فى وجه المد الشيوعى امر لا بد منه مهما اسرفت واشنطن فى تحاشى اللحظة الفاصلة . فالموقعة الرهيبة مع الشيوعيين الصينيين آتية لا ريب فيها . وفى رأيى ان الولايات المتحدة تعتبر الوقت الحالى أنسب الأوقات لخوض تلك المعركة ويعزى ذلك الى اسباب اهمها ضعف الصين فى ميدان الذرة والاسلحة النووية والانشقاق الحاصل فى صفوف المعسكر الشيوعى.

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ الفلسفة المساعد ـ جامعة القاهرة



فلسفة الفن

عند الفيلسوف الفرنسي المعاصر « ألان »

■ اذا كان القارىء العربي قد عرف من بين فلاسفة الفن المعاصرين كروتشة ، وسانتايانا ، وديوى ، وغيرهم ، فان من المؤكد ان الاسم الان Alain (١٨٦٨ ـ ١٩٥١) قد بقي مجهولا لديه . وعلى حين ان مؤلفات الكثير من فلاسفة القرن العشرين قد ظفرت بترجمات عربية ، فان كتب الان لم تستثر ـ حتى الآن ـ اى اهتمام من جانب اى باحث من الباحثين المشتغلين بالدراسات الفلسفية عندنا . واغلب الظن ان الطابع الادبي الذى غلب على كتابات الان قد اوقع في روع الكثيرين ان صاحبها هو مجرد كاتب او اديب ... ولكننا لو عمدنا الى دراسة تلك المجموعة الفلسفية الضخمة التي خلفها لنا الان ، لاستطعنا ان نفطن الى السبب الذى من اجله اجمع مؤرخو الفلسفة الفرنسية المعاصرة على وضع اسم الان على رأس الحركة المثالية المعاصرة فى فرنسا ، جنبا الى جنب مع فلاسفة آخرين مثل لوكييه Lequier وبرنشتيك Brusnchwicg ، ولانيو Lagneau ، وغيرهم ... وليس يعنينا ـ في هذا الصدد ـ ان نستعرض آراء الان في الانسان ، والطبيعة البشرية ، وحرية الفكر ، وصلة الروح بالمادة ، وغير ذلك من المشكلات الفلسفية ، وانما حسبنا ان نمضي مباشرة الى الحديث عن فلسفة الان فى الفن ، على نحو ما عبر عنها في مؤلفات ثلاثة هي ـ على التعاقب ـ « نسق الفنون الجميلة » (١٩٢٦) و « عشرون درسا فى الفنون الجميلة » (١٩٣١) ، و « تمهيدات لعلم الجمال » (١٩٣٩) . ولئن كان اهتمام الان ـ في هذه الكتب ـ قد انصرف الى دراسة الفنون الجميلة ، الا ان في وسعنا استخلاص نظرية جمالية عامة من تضاعيف احاديثه عن الفنون ، وبالتالي فان في استطاعتنا ادراج اسم « الان » ضمن فلاسفة الفن المعاصرين .

الفن صناعة وأداء ، لا مجرد حلم وتامل

وربما كان محور نظرية آلان في الفن هو تمرده على النظريات التقليدية في الالهام واهتمامه بربط الفن بالصناعة . والواقع ان المرء ـ في نظر الان ـ لا يبتكر الا حين يعمل ، فالفنان انما هو صانع Artisan قبل ان يكون فنانا Artiste ومعنى هذا أن الفن ليس حلما وتأملا وتصورات فارغة ، بل هو صناعة وتحقيق وتنفيذ . وقد نتوهم أن الفنان الحقيقى انما هو ذلك الذى يكتب ما يمليه عليه شيطان الهامه ، ولكن الحقيقة أن الفنان انما هو ذلك الصانع الذى يصطرع مع « المادة » ـ لغة كانت أم حجارة أم أصباغا ، أم غير ذلك ، حتى يجبرها على أن تنثني وتنعطف تحت ايقاع ذبذباته الفكرية ، بل ان الان ليمضي



- الفنان صانع أولا
- الفنان دائم الصراع مع المادة
- الطبيعة استاذ الأساتذة عند الفنان
- العبقرية الفنية وأصالة الفنان
- الفن والأخلاق
- تصنيف الفنون الجميلة

« العمل الفنى » ، مرسوما كان أم منحوتا أم منظوما أم منغوما . وحين يقول الان « ان قاعدة الجمال لا تستبين الا فى صميم العمل الفنى » فانه يعنى بذلك انه ليس ثمة فارق فى النشاط الفنى بين عملية التخيل او التصوّر من جهة ، وعملية الانتاج او الصناعة من جهة أخرى .

الفنان فى صراع دائم مع المادة

والواقع أن الان يقرب الفن من الصناعة لأنه يرى فيه جهدا ابداعيا يستشعر فيه الفنان مقاومة المادة ، فضلا عن أنه على وعى تام بما يتطلبه الفن من جهد شاق ومران طويل وصنعة ممتازة . صحيح انه ليس من النادر أن نجد فنانين يلعنون الرخام ، ويسخطون على النحو ، ويستمطرون اللعنات على المادة ، وكأن هذه كلها انما هى وسائل عاجزة قاصرة ، هيهات أن تنهض بالتعبير عن تلك الأفكار الهائلة التى يريدون أن ينهضوا بتسجيلها ، ولكن هؤلاء ينسون أن الشعر لا يصنع الا من ألفاظ ، وأن التمثال لا ينحت الا من حجر او صلصال ! ولهذا فان الفنان الحقيقى انما هو ذلك الصانع الذى لا يزدرى المادة ولا يحتقر الصنعة ، بل يعشق الحرفة ، ويعترف لها بالفضل ، موقنا دائما أنه ليس أروع فى الحياة من أن تنجح اليد البشرية فى تزيين حجارة جامدة صلدة ! . والفن الذى يحس فيه الفنان بمقاومة المادة اكثر مما يحس بها فى أى فن آخر انما هو فن « العمارة » وليست « العمارة » فنا مستحدثا أو متأخرا ، بل هى أم الفنون جميعا وعمدتها قاطبة . وأما الفن الذى لا يكاد

الى حد أبعد من ذلك، فيقرر أنه ليس لدى الفنان أفكار سابقة محددة ، وانما تجيئه «الأفكار» كلما أوغل فى الانتاج والعمل ، ان لم نقل بأن هذه « الأفكار » نفسها لا تصبح واضحة محددة ، اللهم الا بعد أن يكون « العمل الفنى » قد اكتمل ! وهكذا يصح أن نقول ان الفنان هو « المتفرج » الأول الذى يشهد مولد عمله الفنى ، بعد أن يكون قد عاصر مراحل تولده وظهوره ، الى أن جاءت اللحظة التى لم يملك فيها سوى أن يفغر فاه مندهشا متعجبا ! وقد يقع فى ظننا أحيانا أن القصيدة الرائعة كانت بادىء ذى بدء « مشروع قصيدة » ثم لم تلبث أن استحالت الى حقيقة واقعة ، ولكن الحقيقة ـ فيما يقول الان ـ ان القصيدة لا تبدو للشاعر جميلة رائعة الا الى حين يمضى فى نظمها ، كما أن اللوحة الجميلة لا تصبح كذلك الا وهى تتولد على ريشة المصوّر ، او كما أن التمثال الجميل انما يصير جميلا حينما يتكشفّ رويدا رويدا تحت معول المثال ! واذن فان العبقرية انما تصبح عبقرية حين تتجلى فى



ان الفنان انما هو ذلك الصانع الذى يصطرع مع

الفنان يلتقى فيه بمثل هذه المقاومة ، فهو ذلك الفن الانطلاقى الحر الذى نسميه باسم فن « النثر » La prose وآلان يرى فى « النثر » أصغر الفنون واحدثها ، فضلا عن أنه يقول عنه انه اكثر الفنون تعثرا وتعرضا للخطأ ، خصوصا حينما يحاول « الناثر » أن يعبر عن العواطف التى هى بطبيعتها مادة هشة ، طيّعة ، مرنة!

ولكن ، مهما يكن من شيء ، فان اهتمام الفنان ليس منصرفا فى العادة الى انفعالاته وعواطفه ، بل هو منصرف أولا وقبل كل شيء الى«الموضوع» نفسه . وحتى اذا نسبنا الى الفنان صفة « التأمل » ، فلا بد لنا من أن نتذكر أن تأمله هو « ملاحظة » Observation أكثر مما هو « حلم يقظة Reverie والحق أن الفنان يتأمل ما صنعته يداه ، حتى يجد فيه مصدرا لما سوف يعمل على تحقيقه وقاعدة لما سوف يقدم على عمله . ولهذا فان الحرية الفنية لا بد من أن تقوم على دعامة من النظام المادى الصارم ، والا فانها لن تكون الا فوضى خاوية لا معنى لها على الاطلاق ! وقد يستسلم الفنان للالهام ، أو قد يقتصر على الخضوع لطبيعته الخاصة ، ولكن مقاومة المادة سرعان ما تجيء فتعصمه من الارتجال الاجوف، وتنقذه من التقلبات النفسية العارضة . واذا كانت آثار أعمالنا التى تتسجل على المادة انما هى التى تعلمنا الفطنة أو الحذر ، فان هذه الآثار نفسها لهى بمثابة الشاهد الامين الذى يولد فى نفوسنا ضربا من الثقة او الاطمئنان . وعلى حين أن المخيلة المتسكعة لا تعرف سوى الامل او التمنى أو الرجاء ، نجد ان اليد الصانعة هى التى تقوم على « التنفيذ » فتصطدم بعوائق المادة وتحاول فى الوقت نفسه الانصات الى نداء « الموضوع » ..

« الطبيعة » هل هى مدرسة الفنان ؟

لقد دأب البعض على القول بأن الفن خروج على الواقع وتمرد على الطبيعة ، ولكن الحقيقة ـ فيما يرى آلان ـ أنه لا بد للفنان من ان يرتد الى « الشيء » أو « الموضوع » ، لكى يحاوره ويسائله ، وكأنما هو يطلب الى « الطبيعة » ان تساعده على مواجهة أفكاره ، وتنظيم خواطره ومقاومة أهوائه . وكثيرا ما يستسلم الفنان للرغبة فى الظفر باعجاب الناس ، أو للنزوع نحو الحصول على استحسان الجمهور ، فسرعان ما ينحرف عن طريقه ، لكى يحيل عمله الفنى الى مجرد « بضاعة » يرجو لها الرواج ! ولكنه لو انصت الى صوت « الطبيعة » ، أو لو عكف على فهم طبيعة «المادة » ، لما صدر فى عمله الفنى الا عن دراسة حقيقية للموضوع الذى يريد التعبير عنه. ولعل هذا ما حدا بالبعض الى القول بأن«الطبيعة هى أستاذ الأساتذة » . والحق أن « الحدث الواقعى » انما هو بالنسبة الى الروائى كتلك الكتل الرخامية التى كان ميكائيل انجيلو يمضى فى كثير من الأحيان لمشاهدتها ودراستها ، واثقا من انها مادته ، ودعامته ، ونموذجه الأول ! . واذا كان الفنان فى حاجة دائما الى دراسة مادته ، والوقوف على قوانينها ، والالمام بطبيعتها ، فذلك لأن كل فن من الفنون مشروط بطبيعة المادة التى ينصب عليها ، محكوم بقوانين « الحرفة » الخاصة التى هو مرتبط بها . وربما كان من بعض أفضال « المادة » على الفنان أنها تعلمه ـ من خلال مقاومتها وتمردها ـ ضرورة عصيان شيطان الابداع ، ومقاومة اغراءالسهولةوالوقوف فى وجه كل تسرعواذا كانت « السهولة » Facilite مواتية للصانع Artisan فانها ضارة بالفنان Artiste والفارق بين « الفن » و « الصناعة » أن « الفكرة » ـ فى الصناعة ـ تسبق «التنفيذ» وتتحكم فى « [illegible] الاداء » ، فى حين ان«الفكرة» ـ فى النشاط الفنى ـ قلما ترد الى الفنان الا

● فلسفة الفن

تكون مهمة الفنان مقصورة على محاكاة الطبيعة او النقل عن الواقع ؟ هذا ما يجيب عليه الان بالسلب ، فان النشاط الفنى يمثل فاعلية حرة هى أبعد ما تكون عن مجرد الخضوع للطبيعة ، او التعبد للواقع . ولكن الحرية التى يتمتع بهـــا الفنان انما هى حرية الصانع الذى يحترم قواعد حرفته ، ويلتزم بضرورات عمله ، فلا بد للفنان اذن من أن يأخذ بنصيحة الفيلسوف الفرنسى المعروف اوجست كونت Auguste Comte الذى كان يقول لنا انه لابد لنا من أن «ننظم الداخل» Le dedans بالاستناد الى « الخارج » ومعنى هذا انه لا بد للفنان من أن ينظم أفكاره، وخواطره وعواطفه، بالرجوع الى العالم الخارجي بما فيه من قواعد ، وضرورات ، وأنظمة . و « الحرفة » انما هى الوسيلة الوحيدة التى يستطيع الفنان عن طريقها الاهتداء الى فهم نظام الاشياء الصارم ، والوقوف على قواعد الموضوع الدقيقة . وايًا ما كان نوع النشاط الفنى الذى يمارسه الفنان ، فانه لا بد لهذا النشاط من أن يتسجل فى العالم الخارجي على صـــورة « موضـــوع » محدد ، مكتمل ، واضح المعالم . واذا كانت الطبيعة تضع بين يدى الفنان الكثير من الاشياء الفنية او الموضوعات الجمالية ، فما ذلك الا لأنها تمده بالأشكال المتحددة والصور المتسقة . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان ثمة « صبغة جمالية » فى كل موضوع متحدد ، بل فى كل شيء واضح المعالم ثابت الخصائص ، قابل للاستمرار . وحين يحاول الفنان تحقيق عمله الفنى ، فانه انما يهدف الى خلق « صورة » ثابتة ، او « شكل » متحدد ، او شيء قابل للدوام .

ولا ينكر الان أن الفنان فى حاجة الى تأمل الطبيعة، ودراسة نظامها ، ومعرفة أشكالها ، ولكنه يضيف الى هذا كله أن الفنان فى حاجة ايضا الى تنظيم الطبيعة ، والكشف عن ايقاعات جديدة، والاهتداء الى علاقات جمالية لم تكن فى الحسبان. وهذا هو السبب فى ان الطبيعة لا تبدو جميلة حقا ، اللهم الا فى بعض الظروف المواتية ، أعنى حين تجيء « الروح القوية » التى تقهر المادة على البوح بأسرارها ! والفنان الحق انما هـــو ذلك الذى لا يستاء لعدم استجابة الاشياء لرغباته ، بل يسعى – على العكس من ذلك – فى سبيل تحديد أفكاره فى ضوء احتكاكه المستمر بالواقع . وان ارادة الفنان لتقوى من خـــلال



« المادة » – لغة كانت أم حجارة أم أصباغا

أثناء قيامه بالعمل . ومع ذلك فان « العمل » – حتى فى صميم النشاط الصناعى – قد يجيء فيعدل من «الفكرة» ، وعندئذ قد يهتدى «الصانع» الى شيء افضل مما كان قد اتجه اليه تفكيره . وهذا هو السبب فى أن « الصناعة » قد ترقى الى مستوى « الفن » . ولكن المهم فى النشاط الابداعى – صناعيا كان أم فنيا – انما هـــو « الموضوع » الذى يتحقق ، لا « الفكرة » التى « تتصور » .وذلك لأنه لا بد للعمل الفنى من أن «يتحقق» و « يتحدد » و « يكتمل » ، حتى يكتسب « حق المواطن » فى دنيا الاعمال الفنية . وليس من واجب الفنان أن يستسلم لتخيلاته وأحلامه وتصوراته ، محاولا البحث فى عالـــم « الممكنات » عن ذلك « الممكن » الذى سيكون اجملها جميعا ، بل لا بد للفنان من أن يتذكر أن « الواقعـــى » Le reel (لا « الممكـــن » Le possible) انما هو وحده « الجميل » . ولهذا ينصح الان الفنان فيقول له : (فكر مليا فى عملك ، ولكن تذكر دائما ان المرء لا يفكر الا فيما هو موجود ، واذن فان عليك أن تحقق عملك » .

هل يكون « الفن » تنظيما للطبيعة ؟

وهنا قد يحق لنا أن نتساءل : اذا كانت المدرسة الأولى للفنان انما هى الطبيعة ، فهل

العوائق المادية التى تصطدم بها ، ولكن هذه الارادة تريد أن تحقق فعلها فى الواقع ، فهى تهدف أولا وبالذات الى خلق « موضوع » (بكل ما لهذه الكلمة من معنى) . وقد تبدو هذه المهمة سهلة فى فن « العمارة » ، ولكن من المؤكد أن كل فن من الفنون لا بد من أن يشيد موضوعه فى العالم الخارجى على صورة « شيء » متحقق يأخذ مكانه تحت الشمس ! وسواء أكان الفنان بازاء لوحة تشكيلية ، أم بازاء مقطوعة موسيقية ، أم بازاء قصيدة غنائية ، فانه فى كل هذه الحالات انما يقدم لنا «موضوعا جماليا» عيانيا ،مكتملا، متينا ، متحددا . ولهذا يعود آلان فيقول ان « التخيل » ليس هو « العمل » ، كما أن « حلم اليقظة » ليس هو جوهر النشاط الفنى ، بل « الموضوع الجمالى » وحده هو الفن ، والفنان والعمل الفنى !

العبقرية الفنية و « اصالة » الفنان

اذا كان آلان قد أظهرنا على الصلة الوثيقة التى تجمع بين « الفن » و « الحرفة » ، فاننا سنراه — على العكس من ذلك — يقرر أن«الفنان» ليس مجرد «مواطن» Citoyen . وآية ذلك أن الفنان — فى نظره — ليس مجرد شخص عادى يصح لنا أن نطالبه بالخضوع للبشر ، أو الامتثال للعادات الجمعية ، بل هو انسان عبقرى لا بد لنا من أن نعده « قانونا لنفسه » !

والآن يروى لنا أن ميكائيل انجيلو صور يوما فى لوحته المسماة باسم « الجحيم » أحد الكرادلة الذين كان يكرههم ، فاحتج الناس لدى البابا على هذا العمل ، ولم يملك البابا سوى أن يجيب على هذا الاحتجاج بقوله : « اننى أستطيع كل شيء فى مملكة السماء ، وأما فى مملكة الجحيم فليس لى — مع الأسف — أى سلطان » ! ولم تكن هذه الاجابة سوى اعتراف — من جانب البابا — بعجزه عن السيطرة على العبقرية الفنية .

والواقع أن الفنان لا ينشد أفكاره فى الخارج ، فضلا عن أنه لا يستمد عبقريته من أى مذهب من المذاهب ، بل هو يصدر فى كل تأملاته ، عن ذاته ، حتى ليصح لنا أن نقول « ان أفكاره هى صميم أعماله » .

ولئن كان الفنان يحيا بالضرورة فى مجتمع ، الا أننا لن نستطيع أن نفهمه لو أننا اقتصرنا على تصويره بصورة الانسان العادى الذى يخضع للناس،والعادات والقوانين ، والعرف ،والسلطات العامة ، والمصالح المشتركة ، وشتى مواضعات الجماعة . حقا ان فى الفن حرفة ، والحرفة شيء يتعلمه الفنان من الآخرين ، ولكن تفكير الفنان هو مع ذلك أشبه ما يكون بحوار مع عبقريته الخاصة من خلال لغة الحرفة . واذن فان أخشى ما يخشاه الفنان انما هو الرأى الذائع ، والفكرة السائدة ، والمذهب المعترف به !

والفنان يخشى المديح أكثر مما يخشى الانتقاد أو الذم ، ومن ثم فاننا نراه يتردد قبل التراجع عما تمليه عليه طبيعته . وحين يتحدث « آلان » عن « أصالة » الفنان » ، فانه يعنى بهذه الكلمة أن أفكار الفنان — التى هى فى الوقت نفسه أعماله — انما تصدر عن ذاته ، لا عن ذوات الآخرين . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان الفنان — فى رأى « آلان » — رجل انعزالى ، ولكنه فى الوقت نفسه « مخلوق انسانى » ، كلىّ ، صديق للجميع أكثر من أى انسان آخر » . وليس معنى قولنا بأصالة الفنان ، أننا ننسب اليه بعض الأفكار الشاذة أو النادرة ، وانما تتجلى أصالة الفنان فى أسلوبه النادر أو طريقته الفريدة فى التعبير عن الأفكار الشاذة أو النادرة ، وانما تتجلى أصالة الفنان فى أسلوبه النادر أو طريقته الفريدة فى التعبير عن الأفكار المشتركة . والحق أن الفنان حين يعبر عن أية فكرة من الأفكار العامة، فانه يخلع عليها طابعا عاما (بكل معنى الكلمة) ومن ثم فانه يجعلها تتحدث الى كل انسان ، مثلها فى ذلك كمثل أى عمل ناطق من الأعمال الفنية الكبرى . ويضرب لنا آلان مثلا فيقول : « ان كل فرد منا قد أحس فى تجربته الخاصة بجمال الربيع ، ولكن شاعرا كهوراس Horace أو كفاليرى Valery حين يحدثنا عن الربيع ، فانه لا ينقل الينا مجرد احساس أو مجرد فكرة، بل هو يقدم لنا اعجازا فنيا يجعل الفكرة تتجسد الطبيعة ، لكى تستحيل الى فكرة باطنية تنبع من أعمق أعماق وجودنا ، فاذا بنا نستشعر نضارة الربيع ، ونشوة الحياة ، وكأن جسدنا نفسه قد أخذ يتراقص على سحر تلك الفكرة التى استطاع عقلنا أن يدركها لأول مرة : فكرة الربيع ! « أجل لقد أصبحنا نمتلك فكرة ، ولكنها ليست شبحا كتلك الأفكار الوهمية التى تباع فى السوق ، بل هى فكرة حقيقية قد امتدت الى أعماق نفوسنا ،

فاصبحت هى نفسها عين وجودنا » !

الراى ، عند الناس ، وعند الفنان

والواقع انك لو سالت اى شخص من الاشخاص من رايه الخاص فى اى امر من الامور ، لراعك انه ينظر الى الاخرين ، وكانما هو يستوحيهم الراى الذى لا بد له من ان يقوله ! ولا عجب ، فان من طبيعة الاراء ان تجىء وليدة احتـــرام المجتمع ، والخوف من الاخرين ، والبحث عن استحسان الناس ، وكانما هى العملة المتداولة او البضاعة المتبادلة ! ولهذا فان الراى Opinion هو فى العادة ملك للجميع ، دون ان يكون ملكا لاحد ، لانه « فكرة » لا جذور لها فى حيـــاة الشخص ، او « مواضعة » لا تعبر عن اية طبيعة فردية . ونحن فى العادة منقادون الى محاكاة الاخرين ، فنحن نحييهم ، ونرائيهم ونجاملهم ، ونتوافق معهم ، دون ان يكون فى هذا التوافق اى اخلاص حقيقى من جانبنا ، لان وجودنا الحقيقى كائن على مَبعدة منهم ! ولكننا ــ لحسن الحظ ــ فنانون ، او انصاف فنانين : فاننا قد نجيب على الشخص الذى يلحّ علينا فى طلب راينا الخاص بقولنا : «هذا هو احساسى الخاص»! وكلمة « الاحساس » هنا انما تشير الى تلـــك « الفكرة » التى تصدر عن طبيعتنا الخاصة ، والتى تتفق بالتالى مع اعمق اعماق ميولنا . ولا شك ان احساسنا فى هذه الحالة انما هو بمثابة قبس فنى عابر ، او نفحة من نفحات العبقرية الفنية التى قد تمس الواحد منا فى احيان نادرة ! واما الفنان فانه لا يملك سوى ان يصدر عن ذاته، وبالتالى فانه ليس فى حاجة الى سؤال الاخرين! عما ينبغى له الايمان به ! وليس ايسر على الانسان ــ بطبيعة الحال ــ من ان يحاكى غيره ، ويردد اراءهم ، فحسب الفنان ان يفقد ثقته فى نفسه لكى لا يلبث ان يجد نفســـه بوقا مبتذلا ينطق باسم الاخرين ! ولكن الفنان الحقيقى لا يريد لنفسه ان يردد ، او ان يقلد ، او ان ينطق بلسان غيره ، فهو يرفض ان يسير وراء القطيع ، وهو يابى ان يكون مجرد ناقل او ترجمان ! وهذا هو السبب فى ان الفنان يصدر دائما فى تفكيره عن طبيعته الخاصة ، او عن احساسه الخاص ، او عن اعمق اعماق ذاته الباطنة العميقـــة . و « الان » يضع الفنان جنبا الى جنب مـــع « رجل الاصلاح » و « الحكيم » فيقول ان



هكـــذا تخيـــل الرسام أحـد مناظر الجحيـم « الكوميديا الالهية » لدانتى .. أهل الـــذنوب

هؤلاء الثلاثة لا يصدرون فى تفكيرهم الا عن ذواتهم كما انهم لا يعرفون التملق ، ولا يعشقون المديح ، ولا يخضعون لحكم المجتمع ، ولكنهم فى الوقت نفسه مصلحو المجتمعات ، لانهم صانعو الانسانية. واذا كان رجال الاصلاح والحكماء نادرين ، فان من حسن حظ البشرية ان الفنانين ليسوا بهذه الندرة! ولكن الفنان لا يملك سوى مواجهة مجتمعه بقوله : « اننى لا استطيع ان اكون سوى كما انا : فليس فى وسعى الا ان اعبر عن ذاتى ، والا فاننى لن اعبر عن شىء على الاطلاق ! وليس من شيمتى ان احسد غيرى او ان اتوق الى غير ما انا كائنه»! ولكن هذا الانسان العنيد الذى لا يقهر انما هو فى الوقت نفسه صانع القيم ، فليس فى وسع الانسانية سوى ان تنتظره، آملة ان تجد عنده بعض ما هى فى حاجة اليه ! وليس من شان قيم الفنان ان تشعر غيره بحقارته او وضاعته ، وانما تجىء

هذه القيم ، فتوقظ « الانسان » فى كل فرد منا ، وتعلو بنا الى المستوى الذى استطاع الفنان أن يرقى اليه . وقد قيل « ان فى الاعجاب ضربا من المساواة » فليس بدعا أن يكون اعجاب الناس بالفنانين حافزا لهم على الرقي بأنفسهم الى مستوى تلك القيم الانسانية التى كرس الفنانون كل جهودهم من أجل العمل على اكتشافها ..

هل من علاقة بين « الفن » و« الاخلاق »؟

وهنا قد يحق لنا أن نتساءل : هل من علاقة ــ فى نظر « آلان » ــ بين القيمة الجمالية والقيمة الاخلاقية ؟ أو بعبارة أخرى : هل يمكن اعتبار « الخير » صورة من صور « الجمال » ؟ هذا ما يرد عليه فيلسوفنا بالايجاب ، فانه يرى أن الفلسفة التقليدية كانت على حق حينما جعلت من القيمة الاخلاقية شكلا من أشكال القيمة الجمالية . واللغة الفرنسية نفسها تصف الفعل الاخلاقى النبيل بأنه « فعل جميل » Une belle action مؤكدة بذلك وجود علاقة وثيقة بين « الخير » و « الجمال » . حقا ان « الجميل » مكتف بذاته ، لانه يملك فى ذاته تعبيرا قويا لا حاجة به الى ترجمة أخرى (سواء اكان ذلك بلغة الاخلاق ام بلغة الدين) ، ولكن من المؤكد مع ذلك ان للجميل طابعا دينيا هو الذى جعل الأسرار الدينية المقدسة تلتمس فى شتى الفنون أسمى تعبير عنها . ولم يتناس الانسان هذا الطابع الدينى للجمال الا حينما ربط الفن بأهوائه وانفعالاته وعواطفه ، وكأن الفن مجرد أداة للمتعة أو اللذة ، فى حين أن الفن قد ارتبط من قديم الزمان بأقدس عقائد الانسان ، وأسمى أفكاره ، وأرفع قيمه ..

ونحن نجد الآن يساير هيجل Hegel فى أخذه بنظرية ارسطو المشهورة فى « التطهير » أو « الكاثرسيس Catharsis » فتراه يقرر أن للفن مضمونا أخلاقيا يتمثل فى التسامى بأرواحنا، ومساعدتنا على مقاومة أهوائنا . ومعنى هذا أن للفن صبغة تطهيرية تجعل منه أداة فعالة لتنظيم البدن ، وتصفية الأهواء ، وتنقية الانفعالات . ويضرب لنا آلان مثلا بالموسيقى فيقول ان النغم صورة مهذبة للصياح ، بحيث أن الموسيقى لتبدو بمثابة تنظيم لتلك الأصوات التى يصدرها الانسان حين يئن أو يصيح ، أو يتأوه ، أو ينتحب ..

الخ .. وهكذا الحال ايضا بالنسبة الى الغناء ، والرقص ، وغيرهما من الفنون : فان الانسان لا يتخذ من التعبير الفني ــ فى كل هذه الحالات ــ سوى مجرد اداة لتنظيم انفعالاته ويمضى آلان الى حد ابعد من ذلك فيقول ان من شأن الفنون ان تساعدنا على الشعور بذواتنا ، والتعرف على حقيقة مشاعرنا ، فهى اشبه ما تكون بمرآة حقيقية للنفس ، تنعكس على صفحتها كل اهوائنا وعواطفنا وانفعالاتنا وافكارنا .. الخ .

والواقع انه اذا كانت هنالك علاقة وثيقة بين الفن والاخلاق ، فما ذلك الا لأن الفنون الجميلة تطهر اهواءنا ، وتنقى انفعالاتنا ، وتحقق ضربا من التوافق بين احاسيسنا وافكارنا ، أو بين رغباتنا وواجباتنا . والآن هنا يساير كنتْ Kant فيقرر اننا نشعر بضرب من السعادة العميقة حينما نرى الشيء الجميل : لاننا نستشعر عندئذ توافقا عجيبا هو الذى ينتزع من نفوسنا كل احساس بالصراع أو التمزق ، وكأن الاحساس بالجمال يقترن فى نفوسنا باحساس اخلاقى هو الشعور بالسلم او الطمأنينة أو التوافق النفسى . والآن يسهب فى الحديث عن الدور الجمالى الذى يقوم به العمل الفنى فى صقل أذواقنا وتقويم أحكامنا ، فيقول انه ليس من شأن الأعمال الادبية والموسيقية (مثلا) ان تنظم اهواءنا ، وتشيع فى نفوسنا التناسق والانتظام فحسب ، بل ان من شأنها ايضا ان تقمع ما فى ذاتيتنا من « جزئية » (سواء أكانت تجريبية أم تاريخية أم اعتباطية) ، لكي تحيل « الخاص » Le particulier فينا الى «كلي» Universel . فالأعمال الفنية انما تهيب بذاتيتنا ان تخرج من افقها الضيق المحدود ، لكي تقف من العمل الفني موقفا سمحا ملؤه الفهم والوعي والتقدير . و « الذوق » انما هو الوسيلة التى تسمو بالتأمل الى المستوى الجمالى الذى يستطيع عنده ان يدرك العنصر الكلي فيما هو « بشرى » . ومعنى هذا ان من شأن « العمل الفنى » ان يفتح أمامنا ذلك العالم الانسانى الكلى الذى لا يحده زمان ولا مكان ، الا وهو عالم « الانسجام » الذى طالما حدثنا عنه افلاطون .

تصنيف آلان للفنون الجميلة ..

وثمة مشكلة جمالية اخرى توقف عندها «آلان» طويلا، وتلك هى مشكلة تصنيف الفنون الجميلة. وأول تقسيم يتبادر الى ذهن فيلسوفنا هو تقسيم

هذه الفنون الى نوعين : فنون جماعية ، وفنون فردية وان كنا نراه يعترف ـ منذ البداية ـ بأنه ليس ثمة فن فردى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . وهو يعنى بالفنون الفردية تلك الفنون التى تقوم اصلا على علاقة الصانع (او الفنان) بالشيء ، دون ان تكون فى حاجة الى عون مباشر من قبل النظام الاجتماعى القائم . والان يدخل فى عداد هذه الفنون الرسم والنحت ، والتصوير ، وفن صناعة الاثاث ، وفن صناعة الأوانى الخزفية .. وغير ذلك .. واما فنون الموسيقى والغناء ، والرقص والحياكة ، والتزيين ، فهى فى نظر آلان فنون جماعية تحتاج الى ادوات ، وتتطلب جمهورا (او جوقة) ، ولا تزدهر الا فى الأوساط العامة . وليس من شك فى ان «الجمال» لم ير نفسه لأول مرة فى المرآة ، بل هو قد رأى نفسه فى عيون الآخرين ! واما فيما يتعلقبفنون كالشعر والبلاغة، فان من الواضح انها تمضى من الفرد الى الجماعة، وان كان فى استطاعة الشعر ـ من بعد ـ ان يترقى ويزدهر فى وسط فردى . وآلان يعد « العمارة » بمثابة حلقة الاتصال بين الفن الجماعى والفن الفردى ، فى حين اننا نجده يفصل الكتابة والنثر عنالفنون الجماعية بحجة انها فنون ثقافية لا تنمو الا فى الوحدة ، ولا تترقى الا فى جو انعزالي ملؤه الصمت ، ولهذا قرر آلان ان فن النثر هو احدث الفنون او آخرها ظهورا .

تصنيف آخر للفنون

ثم يعود آلان فيقدم لنا تصنيفا آخر للفنون يستند الى حواس الانسان نفسها ، مع مراعاة درجة بدائية كل حاسة ، فيقسم الفنون الى : فنون حركية تقوم على الايماء مثل فن الرقص وفن التمثيل الصامت (وهذه بطبيعتها فنون جماعية) وفنون صوتية تقوم على الالقاء او التنغيم ، مثل فن الموسيقى وفن الشعر وفن الخطابة ، ثم فنون تشكيلية تقوم على النشاطين اليدوى والبصرى معا ، مثل فن العمارة وفن النحت وفن التصوير وفن الرسم ، وهذه الفنون الأخيرة تنتقل بنا من المستوى الاجتماعى الى المستوى الفردى ، حتى اذا بلغنا فن الكتابة (وهى اكثر ضروب الرسم تجريدا) وجدنا انفسنا بازاء فن حديث (او فن متاخر) هو اكثر الفنون اتصافا بالطابع الفردى Solitaire .

وثمة تصنيف آخر للفنون يقسمها الى نوعين : فنون حركية ، وفنون سكونية ، والاولى منها فنون لا توجد الا فى الزمان ، ولا تتحقق الا بفعل الجسم الحي ، فى حين ان الثانية منها فنون تخلف آثارا ثابتة قابلة للاستمرار ، فهى فنون مكانية تتحقق على صورة اعمال ملموسة تشغل حيزا فى العالم الخارجى . والفارق بين هذين النوعين من الفنون هو كالفارق بين الرقص والعمار ، أو كالفارق بين الغناء والتصوير . ولو اخذنا بهذا التقسيم لكان علينا ان نضع فنونا كالموسيقى والشعر والبلاغة فى مركز وسط بين هذين النوعين من الفنون ، وان كان من شان هذه الفنون ايضا أن تتحدد على شكل آثار Monuments فنية تقبل البقاء . وعلى حال فان « آلان » يرى ان كل هذه التصنيفات المختلفة للفنون تكاد تتفق فى النهاية على ترتيب الفنون بحسب درجة قدرتها على تنظيم الجسم البشرى .

وليس فى استطاعتنا ـ بطبيعة الحال ـ ان نتعقب بالتفصيل أحاديث آلان الطويلة عن شتى الفنون الجميلة ، بما فيها الرقص وفنون الزينة ، والشعر وفنون البلاغة ، والموسيقى ، والمسرح ، والعمارة والنحت ، والتصوير ، والرسم ، والنثر .. الخ ، وانما حسبنا ان نشير الى ان هدف آلان منوراءتحليلهالدقيقلكلتلكالفنونانما هو الكشف عن « الطابع الانسانى » للفن ، بوصفه لغة نوعية Specif que تعبر عن علاقة الروح البشرية بالعالم . فليس الفن مجرد زينة او حلية ، او مرد لهو ولعب ، بل هو نشاط ابداعى يعبر عن قدرة الروح البشرية على تسجيل نفسها فى صميم العالم الخارجى ، ويكشف فى الوقت نفسه عن حاجة سيكولوجية عميقة الى تحقيق ضرب من التوافق بين مطالب الجسد وآمال الروح . وآلان هنا متأثر بنظرية كنط المشهورة فى الفن ، لأنه يقيم تفرقة حاسمة بين « الجميل » Lebeau و « اللطيف السار » L'agreable ، فيبين لنا كيف ان الفنون الجميلة لا تقتصر على استثارة اللذة ، أو توليد المتعة ، بل هى تعمل اولا وبالذات على تحقيق التوافق ، أو توليد « الانسجام » . ولكن الفنون أيضا ـ فيما يقول آلان ـ ينبوع للحقائق أو منبع للأفكار ، فهى ـ كما قال كنط بحق ـ أول تفكير عرفته البشرية . وآلان يمضى الى حد أبعد من ذلك فيقول ان الآداب تحوى فى ثناياها سر العلوم ، كما ان الأساطير افكار ضمنية، او حقائق فى دور التكوين .

« الان يميز كل فن على حدة »

بيد ان الان لا يقتصر على ابراز الطابع الفكرى للفنون بصفة عامة ، بل هو يتوقف ايضا عند كل فن من الفنون على حدة ، من اجل تمييزه عما عداه من الفنون ، مع العناية فى الوقت نفسه بالكشف عن طابعه النوعى الخاص . ولعل من هذا القبيل ما أورده آلان عند حديثه عن كل من فن التصوير وفن النحت : فقد لاحظ ان التمثال كثيرا ما يبدو لنا أعمى ، بينما ينحصر كل تعبير الصورة المرسومة فى عينيها . ولكن اذا كانت النفس المحتبسة تشع فى الصورة من خلال العينين مرسلة الينا نداءها الخاص ، فان « الفكر » فى التمثال حاضر فى كل مكان لان العينين ماثلتان فى كل جزء من أجزاء التمثال . ولعل هذا ما عبر عنه هيجل على أحسن وجه حينما كتب يقول : « ان التمثال الخالى من العينين انما ينظر الينا بكل جسمه » !

ومع ذلك فان ثمة فارقا جوهريا بين التمثال والصورة المرسومة : لاننا اذا كنا نجد « عنصرا ميتافيزيقيا » فى الانسان المنحوت ، فاننا نجد « عنصرا سيكولوجيا » فى الانسان المرسوم . وحسبنا ان نقارن تمثال « المفكر » لرودان Rodin بصورة « الشاب المتأمل » لرافائيل Raphael ، لكى نتحقق من الفارق الكبير بين التفكير الأبدى الساكن الذى يمثله النحت ، والتفكير الزمانى الحركى الذى يمثله التصوير .

وعلى كل حال ، فان الفنان ــ مصورا كان أم مثالا أم غير ذلك ــ هو فى حاجة دائما الى اقامة ابتكاره الفنى على دعائم ثلاث : هى : الفكر ، والعمل ، والشيء ، . فليس فى الفن حرية مطلقة أو خلق من العدم ، بل هناك ابتكار يساير طبيعة الموضوع ، وينتفع الفكرة فى ضوء الاحتكاك بالمادة ويخضع المشروع للتنفيذ . ومهما كان من اختلاف الفنون ، فانها لا بد من أن تكون جميعا بمثابة حوار مستمر مع الواقع ، حوار يجعل من الفن نفسه مرآة يتكشف من خلالها للانسان شيء كان يجهله عن نفسه !

كلمة أخيرة ...

.. تلك هى الخطوط العريضة لفلسفة الان فى الفن . وربما كان من بعض افضال هذه الفلسفة على الفن انها قد ذكرت الفنانين بدور « المادة » فى عملية الابداع ، وانها قد حرصت على القول بأن قاعدة النشاط الفنى هى ان الفنان « صانع » قبل ان يكون « رجل الهام » ! ومهما كان من دور « الفكر » فى صميم النشاط الفنى ، فقد اكد لنا الان ــ فى اكثر من موضع ــ انه حين تكون « الفكرة » هى التى تتحكم فى « الشكل » ، فاننا لا نكون بازاء « فن » بل بازاء « صناعة » فقط . كذلك استطاع آلان أن يظهرنا على الصلة الوثيقة التى تجمع بين القيمة الجمالية والقيمة الاخلاقية ، فضلا عن انه نجح الى حد كبير فى الكشف عن الطابع الانسانى للنشاط الفنى بوصفه لغة نوعية تترجم عن صميم حياة الانسان فى العالم . وبينما بقي الكثير من علماء الجمال والنقاد الفنيين يؤكدون ان الفنان هو رجل الالهام الذى يدرك من الاشياء ما لا يدركه غيره من سواد الناس ، جاء آلان فاظهرنا على ان الفنان رجل ادراك ، وعمل معا ، وبيّن لنا ان القانون الأسمى للابداع الفنى هو ان الانسان لا يبتكر الا بقدر ما يعمل ، بل فى صميم هذا العمل نفسه ..

بيد ان فلسفة الان فى الفن قد وجهت الجانب الأكبر من اهتمامها الى دراسة تقسيم الفنون وأنواعها ، فضحت بوحدة « العمل الفنى » فى سبيل بعض المقارنات السطحية ، ونسيت او تناست ان مهمة عالم الجمال الحقيقية انما هى دراسة طبيعة « الموضوع الجمالى » ، لا التوقف عند انواع الفنون والفروق القائمة بينها . ولئن كان الان قد حرص على ابراز اهمية عنصر «العمل» أو « الصناعة » فى النشاط الفنى ، الا انه لم يحاول تعميق الصلة بين الفن من جهة والصناعة L'industrie من جهة اخرى ، بل هو قد اقتصر على القول بأن الفنان صانع أولا وقبل كل شيء !

وأما تقسيم آلان للفنون الى فنون اجتماعية وأخرى فردية ، فهو تقسيم تعسفى أقل ما يمكن أن يقال فيه انه يغفل الوظيفة الاجتماعية للفن ، ويضرب صفحا عن دور التاريخ الفنى وتاريخ الحضارة بصفة عامة ، فى نشأة الفنون وتطورها .

وقصارى القول ان نظرية آلان فى الفن قد بقيت مشوبة بطابع مثالي استمده فيلسوفنا من دراسته لكل من كنط وهيجل ، كما اعترف هو نفسه بصراحة فى مقدمة كتاب من كتبه .. ■■

زكريا ابراهيم

جعيفران الموسوس

الشاعر الذي ظنه الناس مجنونا، ويصفو فيأتي بأبدع مما يأتي به العقلاء



بقلم
حسن الأمين

■ لم يعن مؤرخونا الاولون بتدوين الحياة الشعبية تدوينا يصور لنا ملامحها الصحيحة ويرينا كيف كانت تنقضي امور الملايين من الناس الذين هم من غير طبقة الحكام واضرابهم .

وأبو الفرج وحده تعدى في السرد امور الخلفاء والملوك والوزراء ، وتغلغل في الحياة الشعبية فجاء (مقاتل الطالبيين) و (الاغاني) في الكثير مما فيهما صورا مجلوة لكثير من الافراد من طبقات لم تظفر من غير قلمه بالتقصي ، فعرفنا منه سير كثير من الاحرار والفاضلين والعلماء ، ومن الشعراء غير عشراء الملوك ، ممن آثروا الحياة البسيطة الوادعة . وعرفنا منه الكثير عن الوشائج الاجتماعية والروابط بين الناس ومحيطهم ، وعرفنا الكثير من العادات والتقاليد والامزجة .

وممن عرفناهم اكثر ما عرفناهم من مطالعاتنا في الاغاني شاعر مسكين اضطهده عصره وخذله محيطه فعاش فقيرا بائسا ، ومضى محروما ملاحقا ، الى ان ادى الامر لأن يرمى بالجنون ويوصف بالموسوس حتى اصبحت هذه الصفة

ملازمة لاسمه لصيقة بحياته . ذلك هو جعفر بن علي ، الذى اشتهر باسم (جعيفران الموسوس) .

بلده ومولده

هو بغدادى ولد فى بغداد ونشأ بها ، وليس من يعني لا بتاريخ ولادته ولا بتاريخ موته ، فقد كان أهون على أهل زمانه من ان يفكر منهم واحد بالسؤال عن اليوم الذى ولد فيه هذا الموسوس او ان يسجل أحد اليوم الذى مات فيه .

ولكننا نعلم انه ادرك عصر الامامين موسى الكاظم وعلي الرضا . والاول ولد سنة ١٢٨ وتوفي سنة ١٨٣ . والثاني ولد سنة ١٥٣ وتوفي سنة ٢٠٣ . ولنا بعد ذلك ان نقدر متى ولد ومتى مات .

هو كما قلنا بغدادى المولد والنشاة . ولكن يبدو ان بغداد نبت بـه ففارقهـا الى سامراء وسكنها ، وهذا ما نص عليه ابو الفرج فى الاغاني ، ولكن لم يقل لنا ان كان قد ظل فى سامراء حتى توفي ام لا .

هل هو مجنون حقا ؟

ابو الفرج يؤيد اختلاط عقله ووسوسته ، ولكنه لا يقول بجنونه المُطبِق ، بل بجنون يعاوده بين الحين والحين . ومما وصف به : « كان اديبا شاعرا مطبوعا ، وغلبت عليه المرة السوداء فاختلط وبطل فى أكثر اوقاته ومعظم احواله . ثم كان اذا افاق ثاب اليه عقله وطبعه فقال الشعر الجيد » . اما هو نفسه فيرى ان ما يوصف به من الجنون انما هو محنة من المحن نزلت به فهو ينكر على الناس هذا الوصف فيقول :

قـالوا عـليّ كـذبا وبطـلا
انـي مجنـون فقـدت المقـلا

وذلك ان صديقا له روى عنه فقال : جاءني جعيفران فقال : « استوجب العالمُ مني القتلا »! فقلت ولم يا ابا الفضل ؟ فنظر الي نظرة منكرة خفت منها وقال : (لما شعرت فراوني فحلا) ! ثم سكت هنيهة وقال :

قالـوا علي كـذبا وجهـلا
انـي مجنـون فقـدت المقـلا
قالـوا المحال كـذبا وجهـلا
اقبـحْ بهـذا الفعل منهـم فعـلا

ثم ذهب لينصرف ، فخفت ان يؤذيه الصبيان ، فقلت اصبرْ فديتك حتى اقوم معك فانـك متغضبٌ ، واكره ان تخرج على هـذه الحال . فقال : سبحان الله ، اتراني انسبهم الى الكذب والجهل واستقبح فعلهم ، وتتخوف مني مكافاتهم . ثم ولى وهو يقول :

لسـت بـراض مـن جهـول جهلا
ولا مجازيـه بفعـل فعـلا

لكـن ارى الصفـح لنفـسي فضـلا
مـن يـُرد الخيرَ يجدْه سـهلا

قصة جنونه

عزوا ذلك الى قصة نسبوا فيها اليه عملا غير اخلاقي ادى الى ان يوصي ابوه بحرمانه من ارثه ، فلما مات الاب سعى الوصي فاستصدر حكمـا من القاضي بهذا الحرمان . قالوا : « فوسوس جعيفران واختلط منذ يومئذ » .

حديثه عن مأساته

وان صحت هذه القصة فهو نفسه يكرر الحديث عن مأساته ، ويفصلها تفصيلا لا مزيد عليـه ، تفصيلا مروعا يرينا الحقيقة عارية صريحـة . فحرمانه من الميراث سبب له الفقر ، والفقر سبب له الهوان ، والهوان اغرى به الناس ، حتى لقد شاع جنونه فبلغ الصبيان ! . وأية فرصـة للصبيان أثمن من متهم بالجنون يعبثون به ويصيحون وراءه ويتضاحكون عليه ! .

واى رجل يستطيع ان يصمد لجموع الصبيان المنطلقة فى الازقة عاطلة لاهية ، تفتش عما تقتل به وقتها وترفه به فراغها !

اى رجل يستطيع ان يحتفظ بالعقل اذا مر فى الطريق فتناولتـه سخريات الولدان وهزؤهـم وتداولته ايديهم بالصفق ، واناملهم بالرشق ، وشفاههم ببذيء النطق !

ولا ننسى ان للصبيان من يغريهم ولهم مـن يدلهم اذا تاهوا ، ويعلمهم اذا جهلوا ، لان لـه مصلحة فى ان يضيع عقل الشاعر ويضطرب فكره .

تحدث جعيفران عن مأساته بلسان فصيـح وعقل صحيح :

رأيتُ الناسَ يدعونني
بمجنونٍ على حالي

وما بي اليوم من جِنٍّ
ولا وَسْواسِ بَلْبالِ

ولكن قولهم هذا
لإفلاسي وإقلالي

ولو كنتُ أخا وَفْرٍ
رخيَّ ناعم البالِ

رأوني حسنَ العقلِ
أحلُّ المنزل العالي

وما ذاك على خُبرٍ
ولكن هَيْبةُ المالِ

وهل ابلغ في البيان من هذا البيان ! على انه في ابيات اخرى ، كان اكثر انطلاقا بل كان على شيء كثير من الفلسفة التي شاء ان يأخذ بها نفسه فلا يبالي بما يقولون ، وان كانت مظاهر عدم مبالاته هي في بواطنها مبالاة اى مبالاة ! .

وهل اكثر في انشغال بالك من ان تشغل بالك بان لا ينشغل ؟!

رأيت الناس يرمو
نيَ أحيانا بوسْواسِ

ومن يضبطْ يا صاحِ
مقالَ الناس في الناسِ

فدعْ ما قاله الناسُ
ونازعْ صفوةَ الكاسِ

فتىً حرا صحيحَ الودِّ
ذا بشرٍ وإيناسِ

فإن الخلق مغرورٌ
بأمثالي وأجناسي

يُحَيُّوني ويُحَيُّوني
على العينين والراسِ

ويدعوني عزيزا غيـ
ـرَ أن الذلَّ إفلاسي

ومن هذه الابيات نستدل على ان الناس لم يكونوا كلهم قساة عليه ، فقد كان فيهم من يدرك حقيقة امره ويؤمن بعقله فان كلمة (احيانا) التي اوردها في البيت الاول ترشد الى ذلك ، كما ان مخاطبته لنفسه بان يدع (ما قاله الناس) وان (ينازع صفوة الكاس) :

فتى حرا صحيح الود
ذا بشر وايناس

يدل على انه لم يكن يعدم بين الفينة والفينة مثل هذا الفتى الحر ! .

ثم هذا البيت الحكيم :

ومن يضبط يا صاح
كلام الناس في الناس

ولكن بعض من كانوا يجالسونه ، انما كانوا ينشدون متعة المجلس وفكاهة الحديث ، ويستطيبون بان يعبثوا به ويتضاحكوا منه ، انهم لم يكونوا يجالسونه على انه شاعر قرين لهم في المجلس ، بل على انه مسلاة .

حضر يوما مجلسا ثم قام لحاجة له فقال بعض من حضر : اى شيء معنى عشرتنا هذا المجنون ، والله ما نامنه وهو صاح . وفطن جعيفران للمعنى فاقبل عليهم منشدا .

ونـدامى أكلوني
اذ تغيَّبتُ قليلا

زعموا أني مجنو
ن أرى الغَرْيَ جميلا

كيف لا أعرى وما أبْـ
ـصر في الناس مثيلا

ان يكن قد ساءكم قر
بي فخلُّوا لي السبيلا

وأتموا يومكم
سرَّكم الله طويلا

وهكذا بلغت القسوة ببعض جلاسه ان يستنفذوا اطاريفه حتى اذا غاب بهتوه واستغابوه ، وقد كان الذكى من ان يفوته معنى نظراتهم ومرامي همساتهم . ثم اننا نرى من هذه الابيات انه كان يعيش بالي الاثواب في شبه عرى ! وقد اراد ان يسخر من الناس كما سخروا منه ، فلم ينسب عريه الى الفقر ولا الى الجنون ، بل الى انه فوق هؤلاء البشر ، فلا يجد مثيلا له يستحق ان يستتر منه ويتكلف له اللباس ! .

مع أبي دلف

واقبل يوما على ابى دلف العجلي ، ومدحه

بشعر جميل ، فأمر له بكسوة وبالف درهم . فلما جيء بالدراهم أخذ منها عشرة وقال : تأمر القهرمان أن يُعطيني الباقي مفرّقا كلما جئت لئلا يضيع مني. فقال للقهرمان اعطه المال ، وكلما جاءك فاعطه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا فبكى جعيفران وقال :

يمـوت هـذا الـذى أراه
وكـل شـيء لـه مقـاد
لو غيرُ ذى العرش دام شيٌ
ءٌ لدام ذا المُفضِلُ الجوادُ

وظل أبو دلف على احسانه اليه وصيانته له حتى افترقا بالموت . فكان مما أنشده لابي دلف :

يا مُعْتَدِيَ الجودِ على الاموال
ويا كـريم النفس في الفعالِ
قـد صُنتني من ذلة السؤال
بجـودك الموفي على الامال
صانك ذو العـزة والجـلال
مـن غِيَرِ الايام والليالـي

وهكذا نرى ان ذلك الجاف المتوحش الذى يرى ان الناس لايستحقون ان يوارى سوأته عنهم ، يعود هنا انسانا رقيق الحاشية سهل الجانب ! . ان الحاجـة قد اوقفتـه على الابواب بعقلـه وكرامته فثار لهما ، حتى اذا وجد من صانهما له شكر ذلك شكرا عديم النظير ! .

ولا ندرى من سبق صاحبه الى الموت ، أمات جعيفران قبل أبي دلف ، ام مات أبو دلف قبله فابتذله السؤالُ من جديد ؟ !

صاحب نكتة بارعة

وهذا الشاعر البائس الحزين الشريد كان اذا اراد النكتة بلغ بها الغاية ، فقد تقدم من أبـي يوسف القاضي بدعوى في شيء كان في يـده من وقف ، وكان القاضى أعور ، فقضى القاضيُ عليه ودفعه عن الوقف . فقال له : أراني الله ايهـا القاضي عينيك سواء ! فأخذه القاضى الى داره واطعمه وأعطاه دراهم . ثم سأله : ماذا اردت بدعائك ؟ اردت ان يرد الله علي ما ذهب مـن بصـري ؟ .

فقال : والله لئن كنتَ وهبتَ لي هذه الدراهم لاسخر منك لانت المجنون لا أنا !. أخبرْني ، كم من أعور رأيته عَميَ ؟ قال : كثير . قال فهل رأيت أعور صحّ قط ؟ قال : لا ، قال : فكيف توهمتَ علي الغلط . فضحك وصرفه .

خاتمة المأساة

وصورة موته تختم مأساة حياته خاتمة مـن جنسها ، فهي ترينا هذا الشاعر عليلا وحيدا في علته ، لا عائد ولا طبيب ، ولا زائر ولا قريب ، تطحنه الاوجاع طحنا فلا يقر له قرار ، ويأخـذ يدور في الدار ، ويظل يدور فيها حيران موجعا حتى يهوى ميتا !

وهو في كل ذلك لايرى غير الشعر متنفسا لكربه ، فينشده وصفا لحياته وتعبيرا عن آلامه وغربتـه وسهاده ووحشته ! .

حدث عثمان بن محمد عن ابيه قال : كنت اشرف مرة من سطح لي علي جعيفران وهو في داره وحده ، وقد اعتل وتحركت عليه السوداء فهـو يدور في الدار طول ليلته ويقول :

طاف بـه طيف مـن الوسـواس
تنفـر عنـه لـذّة النعـاس
فما يـرى يأنسُ بالاناسـي
ولا يَلَـذُّ عشـرة الجُلاس
فهو غريب بين هذى الناس

حتى اصبحَ الصباح وهو يرددها ، ثم سقط كأنه بَقْلَةٌ ذابلة ! .

ومن العجيب ان هذا المتحدث لم تتحرك شفقته ولم يثر حنانه ، فينزل الى هذا المريض فيسالـه عما يشكو او يواسيه بكلمة طيبة او لمسة حانية ، بل ظل طول الليل ينظر اليه ويستمع له حـتى هوى امام عينيه !

« فهو غريب بين هذى الناس ! »

هكذا صرخ جعيفران في آخر ساعة من حياته ، وما كان اصدقه صارخا !

ولكن ترى ، أكانت غربته هذه غربة العاقل بين المجانين ، ام غربة المجنون بين العقلاء ؟ ! ■■

حسن الامين

ألفرد آدلر

١٨٧٠ - ١٩٣٧



● سيكولوجية ادلر ابسط من سيكولوجية فرويد، ومفاهيمها ايسر، وهى اسهل عند التطبق

● عند ادلر ان الشعور بالنقص اهم فى الامراض العصبية من الامور الجنسية التى بالغ فرويد فى خطورتها.

بقلم : الدكتور فاخر عاقل
أستاذ فى الجامعة الاردنية

تحدثت فى عدد سابق من (العربى) الأغر عن (سجمند فرويد) ومدرسته فى التحليل النفسى وها أنا احدثك اليوم — أيها القارىء العزيز — عن علم آخر من اعلام التحليل النفسى .

ففى حوالى سنة ١٩١٢ وبعد عشر سنوات من بدء الضجة التى بدأ التحليل النفسى يثيرها فى العالم مجتذبا الانصار ومثيرا الخصوم ، ظهرت انحرافات فى داخل الحلقة التى تكونت حول فرويد ، Freud فلقد كان من العسير على هذا العدد الضخم من الشباب المتحمس الذكى المجتمع حول فرويد ان يبقى حيث وضعه فرويد . لقد انفصل آدلر Adler و يونغ Jung ، او قل انهما فصلا ،

لانهما قالا بسيكولوجية تختلف عن سيكولوجية فرويد .

مولد آدلر

ولد الفرد آدلر فى فيينا سنة ١٨٧٠ وانضم الى جماعة فرويد باكرا وكان له اشد الأثر ، فيما نظن ، فى مفاهيم فرويد الاولى عن (الأنا) ، ولكن لم يكد يطل عام ١٩١٢ حتى أصبح من الواضح ان تشدده فى القول بأن (الأنا) هى ضد (الليبدو) لم يكن يتفق مع ملازمته لفرويد ، ولذلك أسس مدرسة جديدة سماها بعلم النفس الفردى . هذا ويبدو أن آدلر كان قد اعتقد منذ البدء بأن فرويد يبالغ فى اهمية الجنس والأمور الجنسية ، فهو بالرغم من اعترافه بكثرة وجود المصاعب الجنسية فى الامراض العصبية ، يعتقد انه وقع على شىء أكثر أساسية وأهمية .

الشعور بالحطة والنقص اساسى فى الأمراض العصبية

لقد بدا له أن الحقيقة الأساسية فى الامراض العصبية هى الشعور بالحطة (الشعور بالنقص كما يسمى أحيانا . Feeling oF inferiority) قد يكون هناك حطة جسدية أحيانا ، ولكن ثمة دوما شعورا بالحطة . ولا يستطيع انسان أن يتسامح ازاء مثل هذا الشعور وذلك لسبب بسيط وهو أن كل انسان يتمتع بارادة أساسية فى القوة وبدافع ملح نحو السيطرة والتفوق . فاذا وجد انسان انه ينقصه شىء او انه احط من غيره بالنسبة لامر ما ، فهو ينساق اما نحو الموت أو نحو جعل نفسه متفوقا بطريقة ما ، أو على الاقل نحو الزعم لنفسه وللآخرين بأنه متفوق . ومثل هذا الانسان قد يعوض حطته بجهد صادق منظم مثل جهد (ديموستين) الذى تغلب على تأتأته بمثابرته على الخطابة بقرب ساحل البحر واضعا الحصى فى فمه مما جعله أشهر خطباء اليونان . ولكن كثيرا ما يبتعد التعويض عن نقطة الضعف ، كالطفل ضعيف العضلات الذى يلمع فى دروسه ويبحث عن التفوق فى المدرسة . وكم من انسان ناجح فى الحياة نحسب انه مدل بنفسه واثق بها فلا نتعرف اليه عن كثب حتى نكتشف انه يشكو من شعور بالحطة لم يتغلب عليه كل التغلب .

والخلاصة فان آدلر يعتقد ان حافز توكيد الذات Self - assertive impulse وليس الدافع الجنسى ، هو القوة السائدة الايجابية فى الحياة ، وانه تبعا لذلك هو يتعرض للتثبيط من قبل المحيط ومن قبل حساسية الفرد الخاصة . وهكذا يكون هذا الحافز منبع كل انتاج من جهة ، كما يكون مصدر السلوك الخاطىء وعدم التلاؤم من جهة اخرى .

وعند آدلر أن « الأنا » ميالة الى تزوير الواقع

وفى حين ان فرويد اعتبر الأنا متناسقة مع مبدأ الواقع ، قال آدلر بأنها ميالة الى تزوير الواقع . ولا ينحصر عمل تخيلات الفرد وأوهامه ، فى نظر آدلر ، فى ارضاء (الليبدو) ارضاء خياليا ، بل فى التهرب السهل (سهل لانه خيالى) من الشعور بالحطة . ان الفرد الضعيف ميال الى اختراع مبررات وتبنى طريقة حياة Style oF Life أو وضع سلوكى يمكنه من التخلص من مطالب المحيط من جهة وتسجيل نجاح (حسب تقديره هو) من جهة اخرى . أن مثل هذا الشخص العصبى يتخذ لنفسه هدفا خرافيا لا يعنى الانتاج الصحيح .

يقول آدلر :

« ان مشكلة كل عصاب هى ،بالنسبة للمريض ، صعوبة الاحتفاظ بنمط من التصرف والتفكير والفهم ينكر مطالب

الواقع ويتحول بها عن موقعها الاصلى .. لطالما اثبتت أعمال علمـاء النفس الفرديين ان غاية الفرد فى التفوق هى العمل الأساسى فى كل عصاب ، امـا مصـدر الغاية نفسهـا فموجـود فى خبرات الحطة الفعلية (لو لم أكن متشوقا، لو لم اكن مريضا ، لكنت قادرا علـى فعل ما فعله الآخرون . لو لم تكـن حياتى مليئة بالمصاعب القاسية لكنت الأول حتما) . ان مثل هذه الاوضـاع هى التى تمكن الفـرد من الاحتفاظ بشعوره فى التفوق .. ان شغله الشاغل فى الحياة هو البحث عن المصاعب.. وهو يفعل ذلك ليقنع نفسه ، أكثر مما يفعله لاقناع الآخرين، ولكن الآخرين يأخذون ، طبعا ، مصاعبه بعين الاعتبار .. وبذلك يشق طريقه فى الحياة متمتعا بامتيازات لا يتمتع بها غيره . ولكنه فى الوقت نفسه يدفع ثمن ذلك عن طريق عصابه ..(١)

كيف يتخذ الفرد طريقة حياته

ويتبنى الطفل طريقة حياته خـلال سنيه الأولى وتبقى هذه الطريقة ثابتة بخطوطها الأساسية ، وعلى هذا فلكل فرد هدف نموذجى يتجه اليه فى كل وضع جديد ولا سيما حين يقـارب مشاكل الحياة الثلاث الكبرى : الحياة الاجتماعية ، والمهنة ، والحب . وليست طريقة الحياة امرا تفرضه الوراثة على الفرد ، ولكنها أمر يحدد الى مدى بعيد عن طريق الوضع العائلى الذى يجـد الطفل نفسه فيه ، وهكذا فأبناء الرجال الناجحين يقصر بهم الأمل عن تحقيـق ما حققه آباؤهم من عظمة ، ولذلك فهم ميالون الى تبنى طريقة حياة ليس فيها محل للجهد الجـدى ، وابن الابوين بالغى الفقر ،والذى يتمتع بمظهر جذاب، قد يتخذ وضعا متسولا يدوم طـوال حياته . أما الطفل المدلل فانه يتخـذ لنفسه هدفا أن يكون موضع الاهتمام ، واما الطفل المكروه فان هدفه ان يهرب الى ملجأ امين . كما ان الطفل الاكبـر يتخذ وضع المحافظة على ما له مـن امتيازات أى وضعا محافظا . اما الولد الثانى الذى يكون منذ البدء متأخرا فى السباق فانه يستهدف التفوق والغلبة. وقد يكون هذا وضع الطفل الاخير ، مع انه قد يتخذ وضع الطفل المدلل أحيانا. والطفل الوحيد الذى لم يكن عليـه قط ان يزاحم يفترض ان على الآخـرين ان يخدموه وان عمله ان يحكمهم . ولا يعنى آدلر ان مجرد الترتيب فى الولادة كاف لتحديد طريقة حياة الطفل ، ولكنه يريد ان يقول بأن الطفل يولد ليتخـذ وضعا فى محيطه العائلى وان هذا الوضع يحدد وضعه فى الحياة وما ينتظره منها وموقفه المزاحم فيها . وهكذا فان آدلر ، شأنه فى ذلك شأن فرويد ، ولكن بصورة مختلفة،يتشدد فى اهمية الوضع العائلى فى تكوين الفرد .

عند آدلر الدافع الجنسى ليس له الخطورة الشاملة التى ادعاها فرويد

ان آدلر لا ينكر اهمية الدافع الجنسى ولكنه يعتقد أن ليس لهذا الدافع تلك الأهمية الشاملة فى حياة الطفل التـى نسبها فرويد اليه . ان لـه مكانه فى الطريقة العامة للحياة التى تنحصر ، فى الأساس ، فى اندفاع دائم الوجود نحـو التفوق او على الأقل ضد الحطة . ان تحليل حياة الفرد ومشاكله تحليلا يركز كل شىء حول الدافع الجنسى انما هو تحليل يعطى صورة مشوهة ، يقول آدلر : « انه من غير المستطاع قـدر العوامل الجنسية قدرا صحيحا الا فى صلتهـا بطريقة حياة الفرد .. اننا لا نستطيـع النفوذ ببصرنا الى حياة الفرد الجنسية بكل طرقها المتشعبة وترددانها ومداوراتها

---

(١) فى كتابه (مشاكل العصاب Problems of neurosis) سنة ١٩٣٠ ، ص : ٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ .

الا بمقدار ما نستطيع تبين طريقة حياته » . (١)

والمشكلة الاجتماعية هي اولى المشاكل الثلاث (الاجتماعية ، المهنية ، الحبية) فى مقاربته لها ، كما ان تكيفه الاجتماعى حين كان طفلا ، هو الشكل الاول لاستجاباته فى مواجهته للمشاكل الاخرى كلما قامت . فاذا كان وضع الطفل الاجتماعى وضع شجاعة واهتمام بالآخرين ، واذا كان متفائلا فى اخذه وعطائه أثناء تعامله معهم ، فانه يستطيع فيما بعد تمثل الدافع الجنسى ضمن طريقة حياته كما يستطيع أن ينجح فى حبه وزواجه . اما اذا كان الوضع الاجتماعى للطفل وضع رغبة فى التفوق على اقرانه فان اموره الجنسية ستستعمل فيما بعد كواسطة لهذه الغاية نفسها .

ما نحاول ان نكشفه من امر المريض عند تحليل مرضه

ان اهم ما يجب عمله أثناء دراسة المريض وتحليله هو اكتشاف طريقة حياته وهدف التفوق الخاص الذى رسمه لنفسه حين كان طفلا والذى ما زال يستهدفه حتى الآن بشكل او بآخر ان وضع الفرد فى عائلته اشارة يستفاد منها ، وكذلك ما يحب وما لا يحب ، والأبطال الذين يعجب بهم فى التاريخ والأسطورة ، ومثل ذلك صحيح عن المهنة التى اختارها أثناء طفولته فيما بعد . كما ان طريقة وقوفه ومشيته وجلوسه قد تفصح عن أوضاعه الاساسية ، وقل الأمر نفسه عن طريقته فى المصافحة وحتى عن الوضع الذى يتخذه اثناء النوم ، ، فالذى ينام مستلقيا على قفاه متمددا كالجندى المنتبه يريد أن يظهر باكثر ما يمكن من مظاهر العظمة ، اما الذى ينام منطويا على نفسه كالقنفذ ساحبا الأغطية فوق راسه فلا نخاله ميالا الى الشجاعة ، وأما الذى ينام منكبا على وجهه فانسان اقرب الى ان يكون شكسا سلبيا . ان نمط الحياة يتجلى حيثما كان ونحن نعلم أن فى هذا القول من السهولة والتعميم ما قد يجعل السامع يتخيل بأن من السهل أن يخطىء المحلل ، ولكن عالم النفس الفردى فى الواقع يبنى استنتاجاته على نظر شامل فى مظاهر سلوكية عديدة . ولذلك فلا يكفى أن يكون الانسان الولد الأول فى عائلته لنحكم عليه بهذه او تلك من الصفات ، فكل عائلة هى حالة قائمة بذاتها ، ولا يوجد وضع فى العائلة يكون مناسبا فى كل الظروف كما لا يوجد وضع عائلى غير مناسب فى كل الشروط .

الاحلام وتحليلها عند آدلر وعند فرويد

وقد استعمل آدلر تحليل الأحلام بالطريقة نفسها التى استعملها فرويد . ولم يخالفه الا فى القول بأن الحلم يجب ان يعتبر فى الأساس تحقيقا للرغبات القديمة . ان آدلر يعتقد أن الحلم يتصل بالمستقبل اكثر من اتصاله بالماضى ، انه نوع من التجربة لعمل هام سيتحقق عما قريب فى الواقع ، واهميته بالنسبة لعالم النفس هى فى انه يفصح عن طريقة حياة الفرد من حيث تطبيقه على الأزمة المقتربة ، فالرجل المتردد المقبل على الزواج يحلم بأنه اوقف على الحدود بين قطرين وانه هدد بالسجن . هذا ويعالج الحلم مشاكل الحياة اليقظة التى لم تسوّ بعد ويميل دوما الى اتخاذ وضع الفرد الأساسى نحو مثل هذه المشاكل ، ذلك الوضع الذى تكون اثناء الطفولة والذى بقى صفة شخصية ثابتة .

(١) المصدر السابق نفسه ص ٩٣ .

الشخص الذي لم يتكيف تكيفا مناسبا في محيطه

هذا وتجب معالجة الشخص الذي لم يتكيف تكيفا مناسبا مع محيطه بان ناخذ بيده برفق الى رؤية (مركب الحطة) عنده بشكل يستطيع معه ان يرى ما يحاول فعله وما يخشى وما يتجنب ،ومع أنه ليس في الامكان تغيير طريقة حياة الفرد بعد الطفولة الباكرة فان من الممكن توجيه الفرد نحو مقدار اكبر من الأشكال العملية والاجتماعية .

نظرية آدلر كلٌ متكامل

لا شك فان سيكولوجية آدلر ،كنظرية او كنظام ، هي كل متناسق وهي تبدو ابسط من ان تعتبر من سيكولوجية الأعماق ، لا سيما وان اللاشعور يلعب فيها دورا بسيطا نسبيا ولايعتبر مفصولا عن الحياة الشعورية . ان طريقة الحياة تصبح أمرا مالوفا طبيعيا بالنسبة للفرد، وغير مفهوم من قبله ، لدرجة نستطيع معها ان نصفها بأنها لا شعورية ولكنها تصبح شعورية بمقدار ما تفهم . هذا ويقبل آدلر ومدرسته فكرتي فرويد الابتدائيتين عن المقاومة والنقل ويستعملانهما فى معالجة المرضى العصبيين ولكنهما يفسرانهما بطريقة خاصة . فالمقاومة ليست معاكسة لا شعورية لبزوغ الرغبات القديمة المكبوتة ولكنها دفاع ضد المعالجة نفسها – ان المريض يخشى الشفاء لأنه يستوجب عليه اذا شفى ان يقوم باعمال قد يفشل فيها ! ومثل هذا صحيح عن النقل – ان حب المريض لطبيبه ليس حبا حقيقيا ولكنه طريقة للحصول على أكثر ما يمكن منه. وبصورة عامة ليس الشعور واللاشعور قطبين متضادين للنفس ولكنهما مترابطان لأن لهما الرغبات والميول نفسها . ان مركب الحطة اللاشعوري والرغبة الملحة الشعورية في التفوق يشكلان وحدة ديناميكية . اننا بغنى عن (الموجودات الثابتة المتحاربة) على حد تعبير آدلر .

آدلر لا يقول بالموجودات الثابتة ويرفض القطبية

هذا ولو ذكرنا الجملة التى قلنا انها تضم افتراضات فرويد الأساسية الثلاثة – موجودات متمنية مستقطبة – للاحظنا ان آدلر رفض اثنتين من أصل الثلاثة ، فهو لا يقول بالموجودات الثابتة Entities كما يرفض القطبية ولكنه يقبل الدوافع شأنه في ذلك شأن فرويد كما يقبل (السببية السيكولوجية) قبولاً تاما . ان الأسباب السيكولوجية التى يراها تختلف عن اسباب فرويد ، ولكنه فى كل حال يقول بأسباب سيكولوجية،ذلك بأن الشعور بالحطة واستهداف التفوق امران سيكولوجيان اكثر منهما فيزيولوجيين . ان آدلر وفرويد يتفقان فى اعتبارهما الطفولة الدور التكويني رغما عن اختلافهما فى الذى يتكون أثناء هذا الدور مما يكون له أعظم الاهمية فى الحياة فيما بعد .

مفاهيم آدلر أيسر من مفاهيم فرويد

وسواء اكانت سيكولوجية آدلر صحيحة أم غير صحيحة بالمعنى الغائى البعيد فان فيها بلا ريب كثيرا من الحقائق التقريبية ممكنة التطبيق فى الحياة . ولعلنا لا نبالغ حين نقول بأن مفاهيمه أسهل من مفاهيم فرويد ، أسهل فى الفهم واسهل فى التطبيق . ومهما يكن من امر فان أعمال آدلر دلت على قيمة عظيمة فى مساعدة الأطفال على التغلب على مشاكلهم بصورة خاصة مما أحله مكانا مرموقا وترك له اثرا بالغا فى الحقل التربوى . ■■

فاخر عاقل

(عن ودورث Wood Worth في كتابه Contemporary Schools of Psychology)

دردشة

مع الكتب

● فى الشهر الأول من عام ١٧٧٦ ، وفى الولايات المتحدة الامريكية التى لم تكن حينذاك سوى مستعمرة من المستعمرات البريطانية ، ظهر كتيب صغير ، لا يجاوز عدد صفحاته الخمسين ، لكاتب انجليزى يدعى توماس بين Thomas Paine (١٧٣٧ ١٨٠٩ م) لم تجاوز سنه حينذاك الثامنة والثلاثين ، كان قد هاجر قبل ذلك الى العالم الجديد ، ليعيش بقية حياته فيه .

هذا الكتيب الضئيل حجما المتواضع عنوانا ، اذ لم يتخير له كاتبه من العناوين سوى « المنطق الفطرى » : « Common Sense » هذا الكتيب الصغير كان له فضل كبير على الولايات المتحدة الامريكية ، أقوى دولة عرفها التاريخ . ففى الوقت الذى لم يجسر فيه زعماء الولايات المتحدة اى جورج واشنطون وتوماس جفرسون وبنيامين فرانكلين ، على تصور امكانية استقلال بلادهم المستعمرة عن بريطانيا الأم المستعمرة ، رسم لهم توماس بين فى كتيبه هذا الطريق وانار امامهم وامام سائر الأمريكيين السبيل لخوض تلك الحرب ، حرب الحرية والاستقلال ، وقد تغلبوا فيها على بريطانيا وخرجوا منها عام ١٧٨٣ مظفرين .

لا غرابة فى ان يكون هذا الكتيب ، وقد بيع منه نصف مليون نسخة لدى ظهوره فى الأسواق ، بمثابة رمز الحرية ومنحة الاستقلال ، فى نظر الأمريكيين ونظر جورج واشنطون نفسه ، اول رئيس للولايات المتحدة ، وقد قال فيه بانه يضاهى المعارك والتضحيات والسلاح فضلا وشانا فى تحقيق هذا الاستقلال .

نصيحة كارلايل للمعلمين

● يروى عن توماس كارلايل Thomas Carlyle ، الكاتب البريطانى الشهير (١٧٩٥ – ١٨٨١ م) ، انه استلم خطابا ، ذات مرة ، من احد الشبان المعجبين . وكان نص ذلك الخطاب ما يلى :

« سيدى : ارغب فى ان اصبح معلما . فهل لك ان تخبرنى عن السر فى نجاح المعلم الناجح ؟ »

ولم يلبث كارلايل ان رد على ذلك الخطاب قائلا :

« كن على نحو ما تشاء انت لطلابك ان يكونوا . فكل تعليم خلاف ذلك لايعدو ان يكون ضربا من ضروب النفاق والتدجيل » .



لف السجاير

● قدروا كم فى انجلترا من يلفون سجايرهم بأيديهم فبلغ عددهم نحو ٢٥٠٠٠٠ رجل ، ومليون امرأة . وقدروا ان متوسط ما يستهلكون بهذه الطريقة هو ٢ أوقية فى الاسبوع أو أقل قليلا ، ومعنى هذا ان الملفوف من الدخان يبلغ فى العام ١٧ مليون رطل .

والأوقية الانجليزية الواحدة ، وهى نحو ٨٢ جراما ، تصنع من ٣٠ الى ٣٥ سيجارة .



معابد أبي سنبل

● هل تعلم ان المعبد الرئيسي الكبير ، من معابد أبى سنبل فى النوبة ، عبارة عن صرح ضخم ، اقامه الملك مانزس الثانى Manses II من ملوك الفراعنة ، نحتا وحفرا ونقشا فى صخر الجبل،وذلك اكراما للشمس ، احدى آلهة الفراعنةآنذاك ، وتمجيدا لنفسه وتخليدا لذكراه فى نظر رعاياه !

● وهل تعلم ان جيشا عرمرما من العمال لا يقل تعداده عن ... ٢٥ ، قد عمل فى نحت ذلك البنيان وتشييده ،طوال عشرين سنة ، وأن العاملين حاليا على انقاذه وانقاذ المعابد الاخرى التى تحاذيه ، يقارب عددهم ١٥٠٠ رجل ، يمثلون ١٦ دولة ، هبّت الى الاسهام فى مهمة جبارة لم يسبق لها مثيل ، مهمة نقل تلك المعابد كما هى وبرمتها ، من موقعها الأصلى الى مرتفع من الجبل ، لا تستطيع أن تغمرَه أو ترتفعَ اليه مياه النيل ، لدى تدفقها المرتقب ، اثر الانتهاء من بناء سد أسوان العالى الكبير !

● وهل تعلم ان ثمة مادة صمغية ،من لدين ، يرشها المهندسون على أعمدة تلك المعابد وجدرانها وتماثيلها ، حرصا على عدم تفتت اى جزء منها ، لدى حزمها بحبال الفولاذ ورفعها بشتى الآلات والرافعات . هذا فضلا عن قضبان حديدية لا تعد ولا تحصى ،يدقونها داخل جوانب تلك المبانى ومسطحاتها وزواياها، عموديا من اعلاها الى اسفلها ، فتشد حجارتها وكتلها الصخرية بعضها الى بعض وتزيدها تماسكا ومناعة عند الحزم والرفع والنقل .

● وهل تعلم ان الموعد الأخير المقرر لانجاز تلك المهمة هو عام ١٩٦٩ ، وأن المضطلعين بأعبائها ، من عمال ومهندسين على السواء يزدادون قلقا كلما ازدادت مياه النيل ارتفاعا ، تبعا لتقدم سير العمل فى بناء السد العظيم ، وأن الهدف وراء كل هذه الجهود الدائبة والنفقات الباهظة انما هو المبدأ القائل بالحفاظ على آثار الانسان التاريخية ومخلفاته الثقافية .

حكم وكلمات مأثورة

● تستطيع الآلة ان تقوم مقام خمسين او اكثر من الرجال العاديين ،فتؤدى اعمالهم على خير وجه . ولكن ما من آلة تستطيع ان تقوم بعمل رجل واحد غير عادي .

(البرت هبارد)

● الأمواج والرياح تخدم دوما صالح الاقدر من الملاحين .

(ادوارد جيبون)

● قل لنفسك أولا ما ترغب لنفسك ان تكون ، ثم افعل ما لا مفر لك من فعله .

(ابيكتيتوس)

● لا شيء يأتينا من لا شيء .

(شاكسبير)

● يُعرَف العقل بثمراته وآثاره .

(هـ. ج. ولز)

● الفكر من العمل ، كالبذور من الشجر

(امرسون)

الزكاة الإسلامية

بقلم : الدكتور محمد عبد الله العربى

عميد معهد الدراسات الاسلامية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

■ هل الضرائب الحديثة تغنى عن الزكاة ؟

الضرائب الحديثة يؤديها الآن مواطنو كل دولة اسلامية الى حكوماتهم ، وكل الحكومات الاسلامية بغير استثناء تخصص بابا فى ميزانياتها للشئون الاجتماعية التى يدخل فيهـــا اسعاف الفقراء ورعاية اليتامى وغيرها من شئون البر .

فهل بذلك سقطت فريضة الزكاة عن المسلمين. ذلك ما يحز فى صدور كثير من الحريصين على اداء فرائض الاسلام ويتطلعون الى القول الفصل فيه .

وقد توافرت على دراســـة تراثنا الاسلامى الزاخر منذ صباى ، كما توافرت على دراســـة النظم المالية الحديثة وعلى تدريسها بجامعة الازهر اكثر من ربع قرن ، فرأيت لزاما على أن لا أتردد فى اجتهاد الرأى فى هذا الأمر الخطير .

ولنبدأ بلمحة سريعة عن النظـــام الضريبي الحديث . ثم نمضى الى النظر فى أصول النظام المالى الاسلامى لنتبين هل فيه الى جانب فريضة الزكاة مجال لجباية الضرائب الحديثة ؟ وذلك ما سوف أجيب عليه بالايجاب .

النظام الضريبى الحديث
كيف نشأ وكيف تطور

ونبدأ بتعريف الضريبة كمـا يعرفهـا النظام المالى الحديث :

الضريبة فريضة من المال تستأديها الدولة او السلطات المحلية من رعيتها والقاطنين فى ديارها ، على قدر يسار كل مكلف ، لتمكينهـــا من اداء المرافق العامة التى تضطلع بها .

وتتبين من هذا التعريف الاركان الآتية :

(أولا) أن الضريبة فريضة ، أى أنها الزامية على المكلف ، فهو ليس حرا فى ادائهـــا ولا فى اختيار مقدار ما يدفع منها ولا فى كيفية الدفع وموعده ، بل القانون يحدد ذلك كله لزاما على الكافة ، ولا شأن فيه لمشيئة المكلف فهى ليست

والنظام الضريبي المعاصر

[illegible] به دافعه الا اذا ابتغى الخدمة [illegible] على هذا الركن أن ما يسمى [illegible] » ليس ضريبة بالمعنى المالى ، [illegible] الضرائب الاختيارية » لا توجد – [illegible] المستابل – الا فى الجماعات التى [illegible] البداوة السياسية او حيث يكون النظام نفسه نظام تبرع مختار لا الزام فيه .

(ثانيا) ان الضريبةلا تفرض الا علىالاشخاص، سواء كانوا من رعية الدولة أو من الاجانب القاطنين فى ديارها ، لأن الشخص هو محل التكليف . وقد يظهر ان هذا القول يتعارض مع التقسيم المعروف فى الضرائب الى « ضرائب شخصية » ، تقع على الاشخاص منظورا الى مركزهم المالى برمته والى حالتهم الشخصية ، و (ضرائب عينية) تقع على عين المال سواء كان عقارا أو منقولا او سلعا متداولة .. الخ بغير التفات الى الحالة الشخصية للمكلفين ، والحقيقة انه لا يتعارض ، فالمقصود بشخصية الضريبة او عينيتها هو الدلالة على اتجاهها ، لا على محل التكليف الذى لا يمكن أن يكون الا شخصا . حتى الضرائب على السلع المتداولة – ضرائب الاستهلاك – مفروضة فى الحقيقة على المستهلكين لتلك السلع او القائمين على انتاجها .

(ثالثا) ان الضريبة لا تكون ضريبة الا اذا فرضتها سلطة عامة : الدولة بالنسبة للضرائب القومية المركزية ، والسلطة الاقليمية بالنسبة للضرائب الاقليمية ، والسلطة البلدية بالنسبة للضرائب البلدية .

(رابعا) ان الضريبة تجبى لاداء المرافق العامة التى تضطلع بها السلطات العامة . فلا يدخل فى حسبان مقدار ما يفرض منها على المكلف مقدار النفع الذى سيؤول اليه بالذات من أداء هذه المرافق العامة بل يوزن هنا التكليف بمقدار اليسار ، قل نفع المكلف أو كثر أو انعدم ، اساءت السلطة العامة اداء المرافق العامة الموكولة اليها أو احسنت ، وذلك لان الضرائب انما تفرض للانفاق على المرافق التى لا تحتمل تجزئة النفع منها وتوزيع مقارمه على المنتفعين ، كما يحصل فى المرافق التى تفرض من أجلها رسوم . فلا صلة بين النفع والضريبة ، ولا ضمان للمكلف من اساءة استعمال المال الذى جبى منه الا ما يقرره نظام الدولة المالى من ضمانات دستورية .

وهذا ما حدا بفلاسفة القرن الثامن عشر ،حيث كانت مساوىء الحكم الاستبدادى فاشية فى ذلك العصر ، الى تصوير الضريبة فى صورة عقد بين الدولة والفرد ، والى الحكم بضرورة توجيه حصيلة الضريبة فى نفع المكلفين والا كانت الجباية باطلة لانعدام سبب العقد . وهو تصوير خاطىء من الوجهة العلمية وان كان محمود الأثر لا سيما فى عصر انعدمت فيه الضمانات الدستورية الحديثة .

اغراض الضريبة

ولما كان الغرض من الضريبة هو تدبير المال اللازم لحياة المصالح العمومية فقد تساءل العلماء: هل يجوز أن تستخدمها لادراك اغراض اخرى غير هذا الغرض المالى البحت ؟ .

كان جمهور العلماء الى عهد غير بعيد يرون أن الغرض الفذ الجائز للضريبة هو تغذية الخزانة وأما الآن فالرأى السائد هو أن وظيفة الضريبة يجوز أن تتعدى هذا الغرض المالى البحت الى ادراك غايات اقتصادية واجتماعية .كاحداث تعديل

فى توزيع الثروة بين الرعية ، او توجيه للاقتصاد القومى فى اتجاه معين ، او تثبيط العامة عن بعض صنوف الاستهلاك الضارة بالصحة او الاخلاق العامة .

واذا تخطينا الجد النظرى بين الفريقين الى الواقع رأينا أن كل ضريبة لا بد محدثة فى نظام الجماعة عن غير قصد أثرا معينا لا سيما فى الظواهر الاقتصادية من انتاج للثروة او توزيع فيها او استعمالات لها او معاملات بصددها : أثرا صالحا او غير صالح . واذا كنا نسلم للدولة بحق التدخل بمختلف الاساليب لاحداث ما تبتغيه من اصلاح اقتصادى واجتماعى فانه لا يوجد سبب معقول لتحريم هذا الاسلوب بالذات : اسلوب الاصلاح عن طريق الضريبة .

وهناك حالة يكاد ينعقد الاجماع على وجوب تدخل الدولة فى تعديلها بأسلوب الضريبة ، وهى حالة الضرائب الجمركية الحامية ، فالحكومات والعلماء على السواء يرون فى الضرائب الجمركية الحامية ضرورة من ضرورات الزمن الحاضر ، واستقر العرف على التمييز بين نوعين من الضرائب الجمركية : ضرائب مالية بحتة وهى المقصود بها مجرد تغذية الخزانة ، وضرائب حامية وهى التى تاخذ بناصر المنتجات القومية .

فاذا سلمنا بهذا الغرض الاقتصادى فلماذا لا نسلم باستخدام الضريبة لادراك اغراض اجتماعية مماثلة ، كرفع سعر الضريبة على الخمور لمكافحة استهلاكها ولعرقلة انتشار مشاربها او كتخفيض سعر ضريبة المبانى الى حد الاعفاء لتشجيع انشاء مساكن صحية للفقراء او تعمير الارض المهجورة وغيرها من الاصلاحات الاجتماعية التى قررتها الشرائع المالية فى دول كثيرة .

ومن الاغراض الاجتماعية التى انعقد الاجماع على السعى اليها بطريق الضريبة ما هو متبع فى اختيار الاصناف التى ترد عليها الضرائب غير المباشرة من اعفاء ضروريات الحياة التى غلاء اثمانها يؤود الطبقة الفقيرة العاملة ، وما هو متبع فى ربط سعر الضرائب المباشرة من تدريجه حسب ميسرة المكلف واعفاء المكلف ذى الدخل الضئيل ، الى غيرها من الاهداف التى تسعى التشريعات الضريبية اليها .

تطور الضريبة

تبدو الضرائب لنا الآن كانها من الامور الطبيعية التى لا نجادل فيها ولا نجد بها حرجا مهما كانت ثقيلة الوطأة . غير ان الباحث فى تاريخ الضريبة يتبين له انها نبات حديث النشأة ، وانها عنوان على طور متاخر من اطوار مدنية البشر ويتضح له ايضا ان لكل عصر نظامه المالى وضرائبه ومعاييره فى العدالة . وتصويره النظرى للضريبة ، يختلف فيهن جميعا عن العصور الاخرى ، بحسب اختلاف الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى كل عصر .

وقد لخص علماء المالية هذا التطور فى الادوار الآتية :

(الدور الاول) انعدام الضريبة :

ففى بداية التاريخ لم يكن هناك شىء اسمه « دولة » وانما كانت هناك جماعات وعشائر هائمة منبثة فى بقاع الارض ، شعوبا وقبائل متعادية لا تفتأ يدفع بعضها بعضا . ولا تلبث كل قبيلة ان تعطى مقادتها طوعا او كرها الى فرد من بينها يكون اشدهم بأسا او اورعهم دينا او اغزرهم علما او اوفاهم نصيبا من فضيلة أخرى تراها القبيلة بحسب عقليتها اشرف الخصال . فى هذا الدور لا توجد للقبيلة احتياجات مالية تستلزم فرض ضرائب لانه لا توجد لها مرافق مشتركة الا مرفق الدفاع . وهذا يقوم به جميع أفراد القبيلة باشخاصهم .

(الدور الثانى) الضريبة الاختيارية :

ثم تصير القبيلة الى أمة بالتناسل والامتزاج بقبائل اخرى . هنا تبدأ الحاجات المشتركة فى الظهور والكثرة ، فالدفاع صار يستلزم مؤونة اثقل من تشييد الحصون وانشاء الطرق لنقل الجند وتموينهم ، كما أن حياة الجماعة صارت تستلزم السهر على الأمن والفصل فى الخصومات بين الافراد ، وصار الملك يستعين فى ذلك كله بالهبات يرفعها اليه سراة رعيته ، وبالعمل الذاتى يتطوع به غير ذوى اليسار ، وبالجزية تجبى من الأمم المغلوبة .

ولما اصبحت هذه الهبات من المال والوزائع من العمل المختار غير كافية لنفقات الحكم صار

الملك أو الأمير يستغل سلطاته استغلالا ماليا ، فيجعل من الجرائم يعتدى بها بعض الافراد على بعض سببا لجباية غرامات تدخل فى خزائنه . ومصادرة أملاك العابثين من رعيته ، وجعل يستولى على مال من لا وارث له ، ويحتكر ضرب النقود وسك الموازين والمكاييل واعطاء الرخص وغيرها من الامتيازات المالية التى ابتدعها الملوك .

ثم تزداد الحضارة ويتبعها انتشار الحرص على حيازة المال وضعف الروح العامة فتتناقص حصيلة الضرائب الاختيارية،عندئذ تتطور الضرائب الاختيارية الى فرائض الزامية كما تتطور اكثر التقاليد والعادات الى قوانين الزامية – غير انها فى هذا الدور تقتصر على خدمات شخصية اجبارية ، كتلك الفرائض التى كانت تسمى فى القرون الوسطى Trionda necessitas اى الضروريات الثلاثة : الخدمة العسكرية وحراسة الامن واصلاح القناطر والحصون . أما الضرائب الالزامية على المال فلا وجود لها بعد ، لأن الرأى العام يعتبرها وصمة على من تجبى منه Nota captivites لا تفرض الا على الأعداء المغلوبين . ولذلك يحتال الملوك فى هذا الدور للحصول على المال بأساليب مستترة . فهم اما أن يتوسعوا فى امتيازاتهم المالية السابقة الذكر أو يصبغوا ضرائبهم بصبغة البدل والمقايضة ، فعلى كل خدمة من جانب الدولة رسم من مال الفرد ، وهذا عهد « الرسوم » Fees and tolls فالرسوم تؤخذ على اجتياز الطريق وعبور القناطر ودخول الأسواق ومزاولة المهنة والحرف. .. الخ .

(الدور الرابع) ظهور الضرائب غير المباشرة :

وبعد حين يبلغ الملوك من ابأس والشوكة ما يمكنهم من نبذ كل مواربة فتتحول الرسوم التى كانت لا تؤخذ الا نظير خدمة تؤديها الدولة للفرد الى ضرائب غير مباشرة لا يشترط فيها وجود هذا المقابل . فتفرض على المعاملات والمتاجر والأسواق والانتقال من مكان الى مكان كما تفرض على الأقوات والسلع ، ولا يحدها حد الا مقدار جشع الملك وبطانته ومبلغ استسلام رعيته لسلطانه القاهر .

(الدور الخامس) ظهور الضرائب المباشرة :

ثم تزداد الحضارة وتزداد الحاجات المشتركة ، وتعجز حصيلة الضرائب غير المباشرة عن كفاية مؤونة الدولة، وفى نفس الوقت يرتقى الوجدان الاجتماعى فيصبح اكثر استعدادا لقبول الاعباء التى يوحى بها التضامن القومى ، فتظهر الضرائب المباشرة التى تفترض دائما فى الجماعة مستوى خلقيا اعلى من المستوى السائد فى الأطوار التقدمية ، فبعد أن كانت الضريبة المباشرة جزية مهينة لا يدفعها الا فرد مقهور صارت واجبا على المواطن الحر يؤهله للاشتراك فى أعباء الحكم .

هذه هى «الضريبة» وهذا مكانها فى النظام المالى المعاصر . أهم مورد مالى للدولة الحديثة تواجه بها انفاقها العام ، والذى يحدد وجوه هذا الانفاق ويرسم مصارف الحصيلة الضريبية هو السلطة المختصة فى الدولة طبقا لنظامها الدستورى سواء كانت هذه السلطة هى السلطة التشريعية فى الدولة أو هى والسلطة التنفيذية معا ، فهذا ما لا يعنينا فى هذا البحث .

انما الذى يعنينا هو أن هذه السلطة تملك الحرية الكاملة فى تعيين وجوه الانفاق العام وتوجيه حصيلة الضريبة فيما تشاء من المرافق العامة ، سواء كانت مرافق دفاعية أو مرافق اقتصادية وتعميرية أو مرافق اجتماعية ، فهى حرة فى هذا التوزيع لا اجبار عليها فيه ، ولا ضابط يقيدها ولا معيار تهتدى به ، الا ما توحيه الظروف والملابسات التى تجتازها الدولة ، أو الاتجاه السائد فى السلطة المهيمنة على ميزانية الدولة .

وهذا تفسير ما نراه فى ميزانيات الدول المعاصرة على الأخص من طغيان المخصص للمرافق الدفاعية والحربية – وما يتصل بها من تنظيم اقتصادى مسخر لخدمة الاغراض الحربية – على المخصص للمرافق الاجتماعية .

انظر الى ميزانية أية دولة من الدول الكبرى فى عصرنا هذا تجد أن الانفاق العام على الشئون الحربية وما يتصل بها من تصنيع حربى قد استنفد اكثر من أربعة أخماس أو تسعة أعشار ميزانياتها السنوية ، فماذا يبقى بعد هذا التوزيع الجائر للمرافق الاجتماعية التى توجه على الأخص لخدمة الطبقات المحدودة الدخل ،

وهي في هذه الدول بالذات سواد الشعب والكثرة الكبرى فيه .

هذه هي الحكمة الالهية في فريضة الزكاة الاسلامية .

ويزيد هذه الحكمة وضوحا ـ لا سيما في هذا العصر ـ اعتباران :

الاعتبار الاول : أن المشاهد في هذه الدول هو أن المسيطرين على سياستها العامة ومجالسها التشريعية هم حفنة من اقطاب المال تداب على توجيه سياسة الدولة الى تنمية مصالحها المالية ، وقد وجدت أن هذه المصالح انما تزدهر على الوجه الأكمل اذا دابت الدولة على موالاة التصنيع الحربى ، ولا يهمها بعد ذلك اذا كان هذا التاهب الحربى يستخدم في الاعتداء على الشعوب المستضعفة وانتهاب ما اودع الله في اراضيها من خيرات تحتاج اليها هذه الحفنة من اقطاب المال .

الاعتبار الثانى : ان هذه الحفنة من اقطاب المال واكثرهم من بنى اسرائيل في جميع هذه الدول على السواء قد تحللوا من كل حافز انسانى او وازع دينى فهم لا يعبدون الا المال ومصادر تنمية المال ، وهم في مامن من سخط شعوبهم . ذلك لان قوتهم المالية قد مكنتهم من السيطرة على وسائل الاعلام فاصبحت شعوبهم لا تعلم من واقع عالمنا المعاصر الا ما توحى الاذاعات والصحف ودور النشر التى تسيطر عليها هذه الفئة . فلا غرو أن تهتم بتصوير هذا الواقع في صورة عدوان رهيب يهدد كيان البلاد ، واذن فلا عجب أن تقتنع الشعب بهذا التصوير واذن فلا مناص من تعبئة حصيلة الضرائب التى اداها الشعب بجميع طبقاته الى خزانة الدولة ، وتوجيه اكثر هذه الحصيلة الى خزائن اقطاب المال القائمين على هذا التصنيع الحربى .

اما الخدمات الاجتماعية التى يجب أن تؤديها الدولة الى الطبقات المحرومة فنصيبها هو الفتات ان بقيت على المائدة بقية .

الا جلت حكمة الله في فرض الزكاة الاسلامية ، فلو أن شعوب هذه الدول الكبرى التزمت باداء هذه الفريضة لحال اداؤها دون تكديس ثرواتها القومية في ايدى حفنة من اقطاب المال تعبث بمصير الانسانية في هذا العصر ، ولافضى الالتزام بها الى تهذيب ما زين للناس من حب المال وعبادة المال ، ولاختفى الصراع الطبقى الذى أصبح من مميزات هذا العصر .

والآن ننتقل الى بيان احكام المالية العامة الاسلامية ، ومكان الزكاة فيه ، ومكان الضرائب الحديثة .

النظام الضريبى الاسلامى

فهل عنى الاسلام منذ البداية بوضع نظام لمواجهة كل ما يتطلبه الانفاق العام .

رأينا ان الضريبة في طورها الأخير اصبحت الدعامة الأساسية في تغذية خزانة الدولة الحديثة لمواجهة كل ما يتطلبه الانفاق العام .

فهل عنى الاسلام منذ البداية بوضع نظام ضريبى خاص به ؟ .

كلنا نعلم أن الاسلام جاء باكمل هداية للبشر ، لا في سلوكهم الفردى فحسب ، بل في سلوكهم الجماعى في آفاقه جميعا من اجتماعية واقتصادية وسياسية فاستكمل بذلك هداية الانسانية في جميع شئونها ، وفي الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات البشرية . فوضع الأصول التى يجب على كل مجتمع انسانى أن يسير في نطاقها في الجانبين الخاص والعام على السواء ، ثم اطلق لكل مجتمع حرية البناء على هذه الأصول والتفصيل والتفريع فيما يبنيه ، ما دام ذلك في نطاق هذه الأصول العامة .

جاء الاسلام بمنهج شامل للحياة . حتى عباداته جعلها تتصل بتنظيم هذا المنهج وتؤثر في اتجاهاته تاثيرا مباشرا . فهى تاخذ بيد المسلم وتحثه على السير قدما في هذا المنهج المسنون ، وتهديه كلما ضل عنه او انحرفت به الشعاب . وهكذا قضت مشيئة الرحمن أن يكون خاتم الاديان دستورا شاملا للسلوك الانسانى ، يمتد الى جميع آفاق حياة الفرد والمجتمع .

ولما كان منهج الاسلام التنظيمى في هداية البشر يبدأ بتربية النفوس واعدادها لتلقى هدى الله ، والانقياد لأوامر الله ونواهيه عن طواعية

واختيار وحمل أمانة خلافة الله فى الارض ،ولما كان الاسلام دين الفطرة ، يعلم من طبيعة النفس البشرية ترددها بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، فان شريعة الاسلام تأتي وراء تعاليمه الخلقية والتربوية لتفرض نفاذها على من يهم بالتمرد عليها أو توسوس اليه نفسه بهذا التمرد.

وهذه ميزة التنظيم الاسلامى لشئون البشر ـ ميزته الخالدة مدى الدهر على كل التنظيمات الوضعية : انه يهيىء النفوس لامتثال تعاليمه الخلقية والتربوية ـ بتوجيهاتها الاجتماعية والاقتصادية ـ فى ظل تعاليمه الحكومية .

واول ما يبدأ به الاسلام تعاليمه الحكومية . هو أن يفرض على المجتمع اقامة دولة تسهر على تنفيذ تعاليم الشرع الاسلامى .

ولا قوام للدولة الا بتدبير المال الذى تواجه به كل صنوف الانفاق العام فى خدمة المجتمع والاضطلاع بمرافقه المشتركة .

وتحقيقا لتدبير هذا المال فرض الاسلام فريضتين ماليتين خالدتين : الاولى الزكاة والثانية الانفاق فى سبيل الله .

اما الزكاة فهى فريضة الزامية فى ادائها ، ومحددة فى نطاقها اى فى حصتها من مال الفرد ، اما الانفاق فى سبيل الله فهو فريضة الزامية فى ادائها ، ولكنها اختيارية فى نطاقها اى فى حصتها من مال الفرد ، غير ان هذا الاختيار ليس مطلقا بل هو خاضع لظروف المجتمع واحتياجاته ، فاذا ادى الناس هذه الفريضة بحصة لا تفى بمطالب المجتمع ، كان لولى الامر أن يحدد حصة الانفاق من مال كل فرد على قدر يساره وعلى ضوء ما تمليه ضرورات المجتمع . وهذا سند الضرائب التى لولى الامر أن يفرضها ويجبيها الى جانب ما يجبيه من زكاة .

وهذا ما نمضى الآن فى تفصيله وايضاحه .

وقبل أن نمضى فى هذا البيان لا يفوتنا أن نشير الى موارد مالية أخرى كانت تغذى بيت المال ـ خزانة الدولة ـ فى الصدر الاول من نشأة الدولة الاسلامية ، كالجزية وخمس الغنائم والفىء وغيرها ، ولكننا لا نعرض لها فى هذا البحث لان منها ما يتعذر تطبيقه على النحو الذى طبقت به من قبل،ومنها ما قد لا تتوفر أسباب استحقاقه فى هذا العصر ، فمثلا مورد الغنائم الحربية كان بيت المال يستولى على خمسه ويترك أربعة اخماسه للمحاربين ، لانهم كانوا يتولون الانفاق على انفسهم وعتادهم الحربى الذى كان يتزودون به من مالهم الخاص ، فاصبحت الدولة تتولى الآن كل هذا الانفاق وترتب الاجور المجزية والمعاشات السخية للمحاربين ، والجزية المفروضة على المواطنين النصارى قد أجاز عمر رضى الله عنه الاستعاضة عنها بالزكاة(1) .

(الزكاة)

الزكاة هى التزام المسلم باداء نصيب من ماله لمصلحة الطبقات الفقيرة والمحرومة فى المجتمع. وهى فريضة الزامية على كل من اجتمع لديه نصاب الزكاة ، واذا امتنع المسلم عن ادائها كان هادما لركن من اركان الاسلام ، وكان لولى الامر جبايتها منه قهرا .

---

(1) من بحث لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة :

الدولة الاسلامية يجب عليها سد حاجة المعوزين من غير المسلمين ، فالتكافل الاجتماعى الاسلامى يعم ، ولا يخص طائفة دون طائفة ، لانه رحمة ،والرحمة تعم وقد قال عليه السلام«ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء»وكان ينفق على غيرالمسلمين من أموال الجزية والآن لا تفرض جزية ، فلم يبق الا أن تفرض عليهم الزكاة لقانون المساواة ولا غضاضة عليهم فى ذلك فان هذا تطبيق لحكم العدالة والمساواة وهو من قبيل الغنم بالغرم وأن ما يؤخذ منهم يعود عليهم ، وفوق هذا الزكاة شريعة عامة فى كل الاديان السماوية وجيراننا من غير المسلمين أهل دين سماوى .

وفى عهد عمر رضى الله عنه وجد التغلبيون من النصارى فى انفسهم غضاضة من فرض الجزية عليهم ففرض الامام عليهم صدقة ولكنها ضعف ما يؤخذمن المسلم لان على المسلم واجبات مالية اخرى تتعلق بالتكافل الاجتماعى غير الزكاة كالصدقات والكفارات وانواع الفدية وصدقة الفطر ، فكان النصف فى مقابل هذا » .

والزكاة لها في العربية مدلول مزدوج : الاول انها تزكية وتطهير للروح والثاني انها تزكية وتنمية للمال . فلها هدف روحي تعبدي ، ولها هدف اقتصادي نفعي . هي (أولا) تزكي نفس مؤديها بما تتيح له من تدريب مستمر على حرمان النفس للبر بالغير ، وشفاء لها من سيطرة الشح عليها « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (النور ١٠٣) وهي (ثانيا) بما تبثه من تراحم بين طبقات المجتمع ، وما تنزع من غل عند الطبقات المحرومة للطبقات الموسرة ـ تساعد على توزيع الثروة في ثنايا المجتمع ، وتحول دون تكدسها في ايد قليلة ، وما يلازم هذا التكدس من مساوىء خطيرة اقتصادية واجتماعية .

والزكاة ركن من اركان الاسلام التعبدية الخمسة ، فاذا امتنع المسلم عن ادائها فقد هدم ركنا أساسيا من اركان الاسلام . وقد ذكر الفقهاء ان من منع الزكاة معتقدا وجوبها اخذت منه قهرا . اما من انكر وجوبها فهو مرتد تجري عليه أحكام المرتدين . وقد اتفق الصحابة على قتال مانع الزكاة ، ومحاربة ابي بكر لمانعي الزكاة ثابتة اخبارها في التاريخ الاسلامي . وقوله « والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة » .

وحق ولي الامر جباية الزكاة ، وتخصيص حصيلتها لمصارفها الشرعية ، وتجنيب هذه الحصيلة عن سواها من موارد بيت المال ، ثابت لا جدال فيه .

وبالاطلاع على مصارف الزكاة يتضح انها مخصصة لما يسمى بلغة العصر « الشئون الاجتماعية » وقد حدد الله سبحانه وتعالى هذه المصارف على النحو الآتي : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

والمتأمل في ترتيب هذه الاصناف من المستحقين للزكاة يجد انهم يمثلون في المجتمع طبقة تستحق عطف المجتمع اذا حرص المجتمع على أن يكون كالبنيان يشد بعضه بعضا .

فالصنف الاول هو الفقير . وقد اتفق الفقهاء على أن الفقير هو كل من لا يملك نصاب الزكاة . وهذا هو الفارق بين من تجب عليهم الزكاة ومن يستحقها . فمن تجب عليه الزكاة يجب أن يكون مالكا للنصاب ، وكان هذا النصاب فائضا عن حاجاته الاصلية . اما مستحق الزكاة فهو الذي لا يملك ما يكمل النصاب ولو كان من حاجاته الاصلية . ويستدل من الحديث « لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي » انه يشترط لاستحقاق الزكاة الا يكون غنيا والا يكون قادرا على العمل وله كسب مستمر .

والصنف الثاني هو المسكين . وقد ميز الامام مالك بين الفقير والمسكين على النحو الآتي : فالفقير هو المحتاج المتعفف ، والمسكين هو السائل . فالمسكين كما قال أبو حنيفة أشد حاجة من الفقير . ولذلك رتبوا على موزع الزكاة ان يعطي من يطلبها اذا ثبتت حاجته ، ويجب عليه أيضا ان يبحث عن المتعففين من الفقراء الذين لا يسألون الناس . وهناك رأي آخر في التمييز بين الفقير والمسكين وهو أن الفقير فقراء المسلمين والمسكين فقراء اهل الكتاب ، ويزكي هذا الرأي أن عمر رضي الله عنه رأى ذميا مكفوفا مطروحا على باب المدينة فاجرى عليه رزقا مستمرا وقال لخازن بيت المال : « ابحث عن هذا من الذين قال الله سبحانه وتعالى فيهم : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » . وهم زمنى أهل الكتاب اي ذوو الامراض المزمنة والعاهات المانعة من الكسب .

والصنف الثالث هو العاملون عليها ، اي الذين يجمعون الزكاة ويحصونها ويبحثون عن ذوي الحاجات ويوزعونها على مستحقيها . وهكذا لا يكتفي الاسلام بتحديد الفريضة بل يمضي الى تعيين طريقة التنفيذ وضمان استمرارها .

والصنف الرابع هو المؤلفة قلوبهم ، وهم قوم يعطون الزكاة تاليفا لقلوبهم وتثبيتا لهم أو تاليفا لقلوب ذويهم ، وهذا من قبيل الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه . وقد كان بعض العرب يأخذون من هذا السهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، واستمر أبو بكر يعطيهم من بعده ، فلما جاء عهد عمر وجد أن عطاءهم ليس حقا مكتسبا لهم وانما كان عطاء لقصد قد زال سببه ، واذا زال السبب وجب أن يزول معه المسبب فامتنع عن اعطائهم ، ولم يعترض أحد من أصحاب رسول الله على ما فعل فكان اجتهادا ولذلك قرر العلماء ان الحكم باق ينفذ ان وجدت الحاجة اليه . وفي هذا العصر

يجب تنفيذه فى الدعاية للاسلام وبيان حقائقه لمن يجهلونها .

والمصرف الخامس هو فك الرقاب ، اى تحرير الارقاء . وهكذا كانت الدولة الاسلامية اول دولة حاربت الرق وحسبها انها جعلت جزءا من ميزانية الزكاة لفك الرقاب .

والصنف السادس هو الغارمون وهم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم . وقد قسمهم الفقهاء الى ثلاثة اقسام : (الاول) من يستدين فى سفاهة واسراف وهذا لا يوق عنه دينه الا اذا تاب وصار من أهل الصلاح والتدبير ، (والثانى) من استدان فى مصالح نفسه كتاجر ركبته ديون فى تجارته وهو يحسن تدبيرها ولكن اضطرب الميزان الاقتصادى فحال بينه وبين أدائه ديونه ، وهذا يؤدى فاضل دينه اذا استغرق الدين كل ماله ، (الثالث) من ركبه دين فى مصلحة عامة لا لمصلحة نفسه ، وهذا يسدد عنه دينه ولو كان يبقى له بعد سداد دينه من مال نصاب .

والمصرف السابع : « فى سبيل الله تعالى» وقد فسروا كلمة « سبيل الله » بما يعم كل مصالح المسلمين .

والمصرف الثامن هو ابن السبيل ، وهو من انقطعت به الاسباب وكان فى سفر بحيث لا يستطيع الانتفاع بماله فيعطى من الزكاة ولو كان غنيا فى بلده لانه فى مكان ناء عن ماله لا يستطيع الانفاق منه ولا يستطيع الاقتراض لينفق مما يقترض .

هذه هى مصارف الزكاة الثمانية ومنها يتضح أن المصرف الاول والثانى يتجهان الى علاج الفقر وتمكين طبقة الفقراء من ازالة اسبابه ، وان المصرف الثالث ـ عمال الزكاة ـ يتجه الى تمكين جباة الزكاة من مباشرة جبايتها وتوزيعها على مستحقيها اما المصرف الرابع فهو لتمكين المسلمين من تبليغ الدعوة لمن يجهلها ، والمصرف الخامس مصرف انسانى يتجه الى انقاذ كرامة الانسان من العبودية ، والرق ان زال الآن رسميا فهو قائما فى استرقاق الشعوب ، والمصرف السادس والثامن يتجهان الى اسعاف ضحايا الظروف الطارئة التى لا يد لهم فى احداثها . اما المصرف السابع فهو موجه الى خدمة المصالح العامة بغير تحديد .

واذن ففى كل مجتمع اسلامى يوجد رصيد مخصص لهذه الشئون الاجتماعية « يجبيه ولى الامر من كل مالك للنصاب ، والنصاب قدر متواضع من المال حال عليه الحول وفاض عن حاجة مالكه ، والزكاة لا تقتطع من هذا النصاب الا ربع العشر ٥ر٢٪ ، ثم ينفقه ولى الامر لزاما فى هذه المصارف الثمانية واذن فهذا باب من ابواب الانفاق العام ، لان له ميزانية منفصلة ومستقلة عن الميزانية العامة . وهذا ما يميز المجتمع الاسلامى عن المجتمعات المعاصرة .

ولكن هل الزكاة هى المورد الوحيد الذى تستعين به الدولة على خدمة المجتمع ؟ هل هى التكليف الوحيد الذى فرضه الاسلام على المال ؟ بين ايدينا حديث الرسول وهو صريح فى أن فى المال حقا سوى الزكاة ، كذلك الآيات القرآنية صريحة فى ان الزكاة ليست التكليف الوحيد على المال .

وهذا ينقلنا الى التكليف الثانى : الانفاق فى سبيل الله ، وما ينبغى عليه فى عصرنا الحاضر .

الانفاق فى سبيل الله

اذا كانت الزكاة فرضت فى السنة الثانية للهجرة ، عندما نشأت الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة ، فان الانفاق فى سبيل الله فرضه الاسلام منذ بداية بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، والقرآن المكى حافل بالآيات التى تحض المسلم على التطوع بالانفاق من ماله فى سبيل الله ، اى فى سبيل خدمة المجتمع فى كل مرافقه المشتركة التى لا حصر لها .

والزكاة ليست فى الواقع الا انفاقا فى سبيل الله ، ولكن مصارفها خصصت بنوع معين من هذا الانفاق فى سبيل الله ، وهو اسعاف الفقراء والمساكين ومن اليهم ، فاذا بقيت من حصيلتها بقية صار توجيهها الى سائر ما ينفع المجتمع الاسلامى فى مرافقه المشتركة .

وقد كان هذا التخصيص لحكمة الهية : وهى أن لا يطغى الانفاق فى مرافق المجتمع المشتركة ـ من دفاع او تعمير .. الخ ـ على النصيب الواجب للطبقة المحرومة او البائسة فى المجتمع كالذى نشهده اليوم فى ميزانيات الدول المعاصرة من طغيان الانفاق العام فى كل شيء ـ وفى شر الوجوه ـ على نصيب الطبقة المحرومة فى المجتمع .

اما « الانفاق فى سبيل الله » فهو اوسع نطاقا من الزكاة التى لا تقع الا على نسبة محددة من مال الفرد، فهو يمتد الى كل عطاء يخرج من ذمة مالك المال فى سبيل الله ، فى سبيل الخير العام .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ان فى المال حقا سوى الزكاة » ثم تلا قوله تعالى « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة(١) » وهذا الفصل فى الآية الكريمة بين الانفاق والزكاة بالصلاة، دليل على الاختلاف بين الانفاق والزكاة. والنص على كل من الانفاق والزكاة على حدة فى آية واحدة قاطع بان كليهما يختلف عن الآخر وانهما فريضتان مختلفتان .

فالانفاق اذن ، فريضة الزامية فى أصلها ، واختيارية فى نطاقها ، بمعنى أن تحديد الحصة التى ينفقها المسلم من ماله فى سبيل الله موكول الى محض اختياره واملاء ضميره ، وأما الانفاق فى ذاته فمفروض عليه فرضا لا فكاك منه ، فالقرآن فى عديد الآيات يرفع فريضة الانفاق فى سبيل الله الى مرتبة أعلى الفرائض والزمها فى تامين سلامة المجتمع الاسلامى . يقول تعالى مخاطبا جماعة المسلمين : «وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » ، فهنا يساوى بين الانفاق فى سبيل الله ونجاة الجماعة من الهلاك، ويجعل الاحجام عن الاضطلاع بهذه الفريضة بمثابة انتحار اختيارى يندفع فيه المسلمون نحو حتفهم . وفى آيات أخرى نجد القرآن يساوى بين الانفاق فى سبيل الله وواجب بذل النفس فى سبيل الله ، بل انه ليذكر انفاق المال قبل بذل النفس : « وجاهدوا فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » .

فالخيار اذن فى فريضة الانفاق فى سبيل الله مقصور على تحديد حصة هذا الانفاق من مال المسلم ، فهذا التحديد متروك لمحض ارادة المسلم، بعكس التى حدد الاسلام حصتها ونصابها ومصارفها .

على ان ارادة المسلم هنا ليست مطلقة فى كل الظروف على السواء. فقد فرض الانفاق فى سبيل الله لمصلحة المجتمع الاسلامى . وولى الامر الذى يمثل المجتمع ينوب عنه فى تنفيذ هذه التعاليم الخلقية(١) بمقتضى سلطة الحكم التى فوضها اليه المجتمع . فاذا اغفل الناس اداء فريضة الانفاق فى سبيل الله ، او ادوها بحصة لا تفى بمطالب المجتمع ، كان لولى الامر أن يحدد حصة الانفاق من مال كل مسلم قدر يساره وعلى ضوء ما تمليه ضرورات المجتمع . وهذا سند الضرائب التى لولى الامر أن يفرضها ويجبيها الى جانب ما يجبيه من زكاة .

فأداء الضرائب التى تفرضها الدولة لمصلحة المجتمع ، هى انفاق فى سبيل الله لان المجتمع الاسلامى بنيان متكامل يشد بعضه بعضا ، ومن مقتضى هذا التكافل أن المرافق المشتركة التى تهم الأمة فى مجموعها ، وتنهض الدولة باسم الأمة بالانفاق عليها ، يجب أن يساهم كل قادر فى الامة فى عبء الانفاق عليها وفى تدبير موارد هذا الانفاق لمواجهة هذه المرافق المشتركة .

على ان انبعاث هذا الواجب من ضمير المسلم ، بحكم اشتقاقه من واجب الانفاق فى سبيل الله ، يجعل اضطلاع المسلم به اضطلاعا صادقا وعن

---

(١) سورة البقرة (١٧٧)

(١) المنهج الذى رسمه الاسلام فى فرض تعاليمه المنظمة لشئون المجتمع ـ سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ـ بالاضافة الى وضعها فى صيغة كلية مجملة لتكون قابلة لاختلاف التفصيل فى التطبيق مسايرة لتطور احوال المجتمع ـ بالاضافة الى ذلك كان دائما يبدأ بجعل تعاليمه هذه تعاليم خلقية تستند فى تطبيقها الى ايمان المسلم وشعوره برقابة الله عليه ، ولكنه لا يقف عند هذا الحد ولا يترك تعاليمه المنظمة لشئون المجتمع الاسلامى معلقة فى الفضاء ، يتوقف نفاذها على محض مشيئة الفرد ، بل هو يقيم دولة تمثل المجتمع ، ثم يعهد اليها السهر على نفاذ هذه التعاليم اذا احجم عن تنفيذها الافراد باختيارهم .

طواعية ، فى غير حاجة حتمية الى سلطان الدولة لانفاذه ، بعكس ما هو سائد فى الدول الراسمالية من التسابق فى التهرب من اداء الضرائب كلما غفلت عين الدولة .

وقد اجمع التفسير الفقهى على ان التعبير « فى سبيل الله » ينصرف الى تحقيق كل ما تتطلبه مصلحة المجتمع على وجه الدوام والاستمرار . والمجتمع الاسلامى مجتمع خير، والدولة التى تقوم فيه دولة خيرة .

واعباء الدولة الخيرة تتسع الى ما لا نهاية ، ومسئولية ولى الامر فى النهوض بهذه الاعباء مسئولية شاملة تمتد الى تحقيق مقاصد الشرع جميعها . وظاهر ان نطاق هذه الاعباء - ومسئولية ولى الامر عنها - يختلف من عصر الى عصر حسب الظروف التى تجتازها الدولة المسلمة ، والاوضاع التى آلت اليها فى وقت معين .

واذا كان الانفاق فى سبيل الله فى صدر الاسلام يجرى سماحة وتطوعا ، حتى كان الغنى « كعبد الرحمن بن عوف او عثمان بن عفان » يخرج عن اكثر من نصف ماله واكرم ماله فى سبيل الله ، وكانت حصيلة الزكاة فى عصور اخرى تفيض عن حاجة المستحقين لها، وقد لا تجد فى موطن جبايتها من تنطبق عليه شروط استحقاقها ، فان ظروف العصر الحاضر تختلف عن ظروف تلك العصور .

واذا كان ولى الامر يومئذ لم يجد حاجة للتدخل فى ملكية الافراد لاقتطاع حصة المجتمع من اموالهم «فى سبيل الله» فانه فى هذا العصر يصير مفروضا عليه أن يتبع نهجا آخر ، تطبيقا لقاعدة « تغير الاحكام بتغير الازمان » .

فهذا تكليف مشروع على مال الفرد فى المجتمع الاسلامى وتكليف غير محدود الا بما توجبه مصلحة المجتمع .

وارشد نهج يتبعه ولى الامر وهو وضع نظام ضريبى عادل يلتزم خطة التصاعد ، بحيث يرتفع سعر الضريبة كلما عظم دخل المكلف، ولا تسرى الضريبة على وعائها من مال الفرد الا بعد ان تطرح منه حصة الزكاة .

الموارد المالية للدولة الاسلامية ووجوه الانفاق

الكلام فى موارد الدولة يقتضى الكلام فى صنوف الانفاق التى تتجه هذه الموارد المالية لسدادها .

وقد قدمنا(١) ان النظام الضريبى المعاصر يترك للسلطة العليا فى الدولة(٢) حرية مطلقة فى توجيه حصيلة ما تجبيه من ضرائب .

أما الاسلام فلا يترك للسلطة العليا فى الدولة هذه الحرية المطلقة .

ففى مورد الزكاة يفرض الاسلام تجنيب حصيلته ، ثم تخصيصها لمصارفها المحددة وهى - كما رأينا - تتجه فى جملتها الى رفع مستوى الطبقة الضعيفة الى مستوى سائر المواطنين فى المجتمع .

أما مورد الانفاق فى سبيل الله - والذي أصبح فى العصر الحاضر تترجمه الدولة الاسلامية الى الضرائب الحديثة - فهو يمتد الى جميع وجوه الانفاق الاخرى التى تتطلبها المرافق المشتركة ، من تأمين لسلامة الدولة فى الداخل والخارج ، ومن تنمية اقتصادية ، ومنشآت تعميرية ، ورفع مستوى المعيشة للمواطنين كافة بصفة عامة فى المجالات الحضارية والثقافية والصحية وغيرها ، والعمل على تحقيق سائر الاهداف التى يتطلع اليها الشعب .

وعلى هذا النحو حدد الاسلام وجوه الانفاق فى حصيلة كل من الموردين الماليين اللذين فرضهما الاسلام على وجه الدوام .

تكرار مصرف « فى سبيل الله » فى كل من هذين الموردين الماليين

رأينا ان الضرائب التى تجبيها الدولة

---

(١) انظر ما قدمناه فى صفحة ٦ من هذا البحث .

(٢) السلطة العليا فى الدولة التى تحدد وجوه الانفاق تختلف بحسب الدساتير : فقد تكون مجلسا تشريعيا ، او مجلسا تشريعيا بالاشتراك مع ملك او رئيس جمهورية .

الاسلامية في هذا العصر ، انما هي تطبيق عملي واشتقاق قضت به ضرورة العصر لفريضة الانفاق في سبيل الله .

والحصيلة التي تتجمع في خزانة الدولة من جباية هذه الضرائب ـ او من جباية هذا الانفاق في سبيل الله ـ توجه للوفاء بجميع الخدمات والمرافق المشتركة التي لا تندرج تحت مصارف الزكاة المعينة تعيينا صريحا .

غير اننا رأينا ان مصرف « في سبيل الله » قد ورد ضمن مصارف مورد الزكاة ـ قبل المصرف الاخير فيها وهو « ابن السبيل » ـ كما انه هو المصرف الرئيسي في المورد الثاني مورد « الانفاق في سبيل الله » او مورد الضرائب الحديثة التي حلت الآن محل « الانفاق في سبيل الله » . فما هي الحكمة في تكرير هذا المصرف بالذات في كل من الموردين الماليين الاسلاميين ؟ .

الحكمة واضحة :

اراد الحكيم العليم ان يكون هذا المصرف الذي سماه « في سبيل الله » وهو الشامل لكل مرافق المجتمع من دفاعية او تعميرية او اقتصادية او تربوية ، وهي التي يختلف حجم الانفاق عليها من عصر الى عصر ومن بيئة الى بيئة ، اراد الحكيم العليم ان يجعل هذا المصرف بالذات قابلا لتغذيته من موردين لا من مورد واحد ، قابلا للوفاء به من حصيلتين لا من حصيلة واحدة .

ففي مجتمع معين وعصر معين قد تكفي حصيلة الزكاة للوفاء بسبعة من مصارفها الثمانية ـ الفقراء والمساكين .. الخ ـ وتبقى بعد ذلك بقية تفي بالمصرف الباقي ـ في سبيل الله ـ اذا كانت مطالب المجتمع ومرافقه المشتركة محدودة النطاق كما كانت في صدر الاسلام ، فمثلا الانفاق على اهم مرفق من هذه المرافق المشتركة ، مرفق الدفاع لتأمين سلامة الدولة كان في العصور الماضية يتطلب من الجهد البشري اكثر مما يتطلب من البذل المالي . اما في عصرنا الحاضر فالانفاق على هذا المرفق بالذات ـ بعد ان اصبح التصنيع الحربي له المقام الاول في الحرب الحديثة ـ صار يتطلب من البذل المالي اضعاف ما كان يتطلبه في العصور الماضية . واذن ليس في مقدور حصيلة الزكاة ان تفي به بعد الوفاء بمصارفها الاخرى ـ الفقراء والمساكين .. الخ ـ وان بقي شيء فلن يكون فيه الكفاية لمطالب الفن الحربي الحديث . وهنا يأتي المورد الثاني ـ مورد الانفاق في سبيل الله أو كما نسميه الآن الضريبة الحديثة ـ لتكملة هذا النقص (١) .

وقد نتصور العكس : في مجتمع معين آخر وعصر معين آخر ، يكون في الفقر وضنك العيش قد بلغ اقصى مداه ، فاصبحت حصيلة الزكاة لا تفي حتى بمصارفها السبعة (الفقراء والمساكين .. الخ) وهنا يأتي المورد الثاني ، حصيلة « الانفاق في سبيل الله » الذي ترجمناه الآن الى الضريبة الحديثة ، فيوجه جزء من حصيلته لتكملة ما عجزت عنه حصيلة الزكاة ، لان مكافحة الفقر في المجتمع هي عمل « في سبيل الله » ، في سبيل خير المجتمع .

واذن فمصرف « في سبيل الله » مصرف مشترك في الموردين الماليين ، ولكن جيء به في اواخر مصارف الزكاة لتكون الاولوية في توجيه حصيلة الزكاة للمصارف التي قبله .

(الخاتمة)

وبعد فاننا الان نستطيع الاجابة على السؤال الذي بدانا به هذا الحديث ، وهو هل تغني الضرائب في دولة اسلامية عن اداء الزكاة ، او تغني الزكاة عن اداء هذه الضرائب ؟

اعتقد أن الجواب ـ بالرغم من ايجاز هذا العرض ـ قد اصبح واضحا : وهو ان اداء الزكاة لا يغني عن اداء الضرائب في دولة اسلامية ، كما ان اداء هذه الضرائب لا يغني عن اداء الزكاة . ■■

القاهرة ـ **محمد عبد الله العربي**

(١) وقد قرر ذلك كثير من أئمة الفقه الاسلامي نذكر منهم (القرطبي) في جامع احكام القرآن ص ٢٢٣ و (الغزالي) في المستصفى جزء اول ص ٣٠٢ و (الشاطبي) في الاعتصام جزء ٢ ص ١٠٤

صفحة في اللغة

أسماء أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق (المجمع العلمي العربي سابقا) في سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م

الاعضاء العاملون

١ ـ الرئيس : الاستاذ الامير مصطفى الشهابي
٢ ـ الدكتور أسعد الحكيم
٣ ـ الدكتور أمجد الطرابلسي
٤ ـ الامير جعفر الحسني (أمين المجمع)
٥ ـ الدكتور جميل صليبا
٦ ـ الدكتور حسني سبح
٧ ـ الدكتور حكمة هاشم
٨ ـ الدكتور سامي الدهان
٩ ـ الاستاذ شفيق جبرى
١٠ ـ الدكتور شكرى فيصل
١١ ـ الاستاذ عارف النكدى
١٢ ـ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ ـ الاستاذ عز الدين التوخي (نائب الرئيس)
١٤ ـ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٥ ـ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٦ ـ الدكتور محمد كامل عياد
١٧ ـ الاستاذ محمد المبارك

الاعضاء المراسلون في الوطن العربي

الجمهورية العربية السورية

١ ـ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ ـ الاستاذ عمر ابو ريشة
٣ ـ الاستاذ محمد سليمان الاحمد (بدوى الجبل)
٤ ـ الدكتور قسطنطين زريق
٥ ـ الاستاذ نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٦ ـ الاستاذ أحمد حسن الزيات
٧ ـ الدكتور احمد زكي
٨ ـ الدكتور طه حسين
٩ ـ الامير يوسف كمال

لبنان

١٠ ـ الاستاذ أنيس المقدسي
١١ ـ الاستاذ بشارة الخورى (الاخطل الصغير)
١٢ ـ الدكتور صبحي المحمصاني
١٣ ـ الدكتور عمر فروخ

فلسطين

١٤ ـ الاستاذ قدرى حافظ طوقان

الاردن

١٥ ـ الاستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

١٦ ـ الاستاذ أحمد حامد الصراف
١٧ ـ الاستاذ ساطع الحصرى
١٨ ـ الاستاذ عباس العزاوى
١٩ ـ الشيخ كاظم الدجيلي
٢٠ ـ الاستاذ كوركيس عواد
٢١ ـ الشيخ محمد بهجة الأثرى
٢٢ ـ الدكتور مصطفى جواد
٢٣ ـ الاستاذ منير القاضي

الجمهورية السودانية

٢٤ ـ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٥ ـ الاستاذ حمد الجاسر
٢٦ ـ الاستاذ خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٧ ـ الاستاذ علي الفقيه حسن

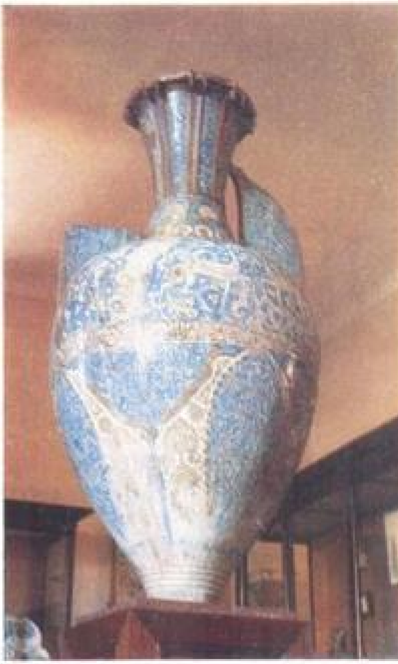
الجمهورية التونسية

٢٨ ـ الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب
٢٩ ـ الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور

المملكة المغربية

٣٠ ـ الاستاذ عبد الله كنون
٣١ ـ الاستاذ علال الفاسي





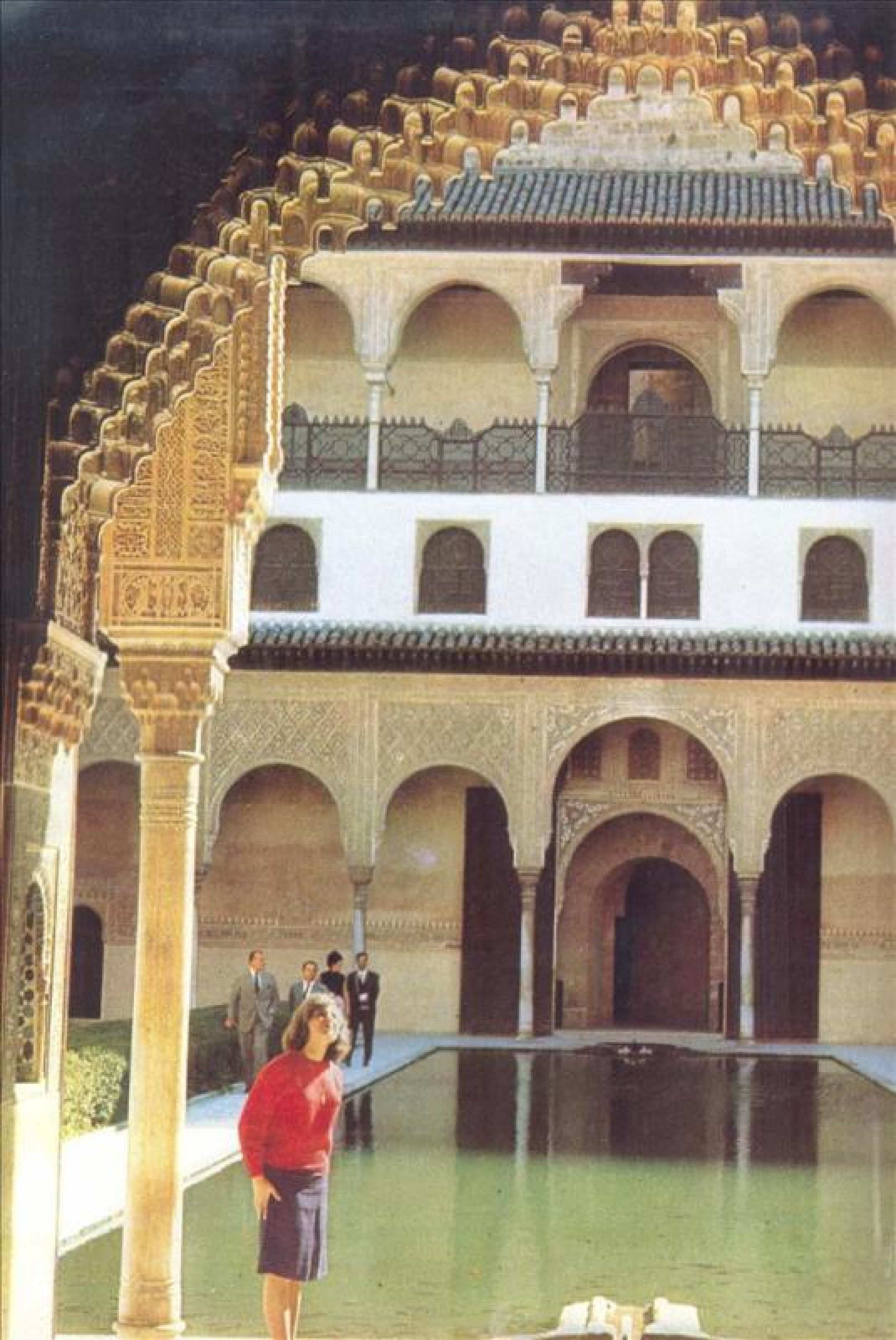
ولة العربى فى الأندلس "٢"

غرناطة

تحفة من تحف الفن
وعجيبة من عجائب التاريخ

بقلم الدكتور حسين مؤنس
مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

تصوير أسكار مترى



غرناطة دولة صغيرة ولدت وسط المحن

■ قال لسان الدين بن الخطيب(1) يصف اهل بلده غرناطة : « .. وصورهم حسنة ، وأنوفهم معتدلة غير حادة ، وشعورهم سود مرسلة ، وقدودهم متوسطة معتدلة ، الى القصر ، والوانهم زُهر مُشربة بحمرة ، والسنتهم فصيحة عربية يتخللها غريب كثير ، وتغلب عليهم الامالة ، وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات ، وانسابهم عربية ، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملِّف المصبوغ شِـتاء ، وتتفاضل البزُّ بتفاضل الجِدة والمقدار ، والكتان والحرير والقطن والمرعز والاردية الافريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا ، فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كانهم الازهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الاهوية المعتدلة » .

والملف المذكور هنا هو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى ويطرح طرف منها على الكتف ، فهى أشبه شىء بالكابا التى كان الاسبان يلبسونها الى عهد قريب . وأما المئزر فكان شيئا كالسروال ، وهو أقرب الى البنطلون الحالى الا انه ضيق الاسفل يصل الى منتصف الساق .

وكانت الملفات التى يستعملها الغرناطيون مصبوغة أى ملونة ، وكانت تختلف بحسب الثروة والمكانة ، وكانوا يلبسون أيضا الرداء الافريقى أى المغربي وهو المعروف اليوم بالجلابة، والمقطع التونسي ويراد به قماش من الكتان ذو حافة مزدوجة كانت تصنع منه القمصان خاصة .

وهذه الفقرة من كلام ابن الخطيب انما هي لوحة كلامية لا تنقصها التفاصيل أو الالوان أو الروح ، وأنت تشعر وانت تقرأها وكأنك تتأمل واحدة من تلك اللوحات الرائعة التى صوَّر فيها فرانتيسكو جويا Joya (١٧٤٦ - ١٨٢٨) - رسام اسبانيا الاكبر - أهل عصره وحياتهم فى القرن الماضى ، وفى لوحات جويا بالذات ترى الاسبان فى القرن التاسع عشر يلبسون الملف والازار ، لا يفترقون عمن وصف ابن الخطيب الا بالقبعات .

والحقيقة أن غرناطة كانت أغرب مملكة فى تاريخنا الماضى كله .

مملكة قامت فى زحمة القيامة وفوضى الانهيار الشامل .

ذلك انه حتى أوائل القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كان نصف شبه جزيرة ايبيريا (اسبانيا والبرتغال اليوم) لا يزال عربيا. كانت حدودنا قد هبطت الى خط الوادى مع استمراره شرقا الى بلنسية ، ولكن الباقى جنوب ذلك كان عظيما ، ولو اننا استطعنا الحفاظ عليه لما كانت الخسارة آخر الامر فادحة .

ولكن هذا الجزء الكبير من الوطن العربي كان جزءا من امبراطورية الموحدين ، وكانت تمتد من حدود ليبيا الى المحيط الاطلسى وتصل شمالا الى منتصف شبه الجزيرة الايبيرية ، وهو ملك شاسع يحتاج الى حكام عباقرة ، وموارد من المال والسلاح والرجال لا تنفد ، ومن سوء الحظ ان نصيب الدولة الموحدية كان قليلا من هذه

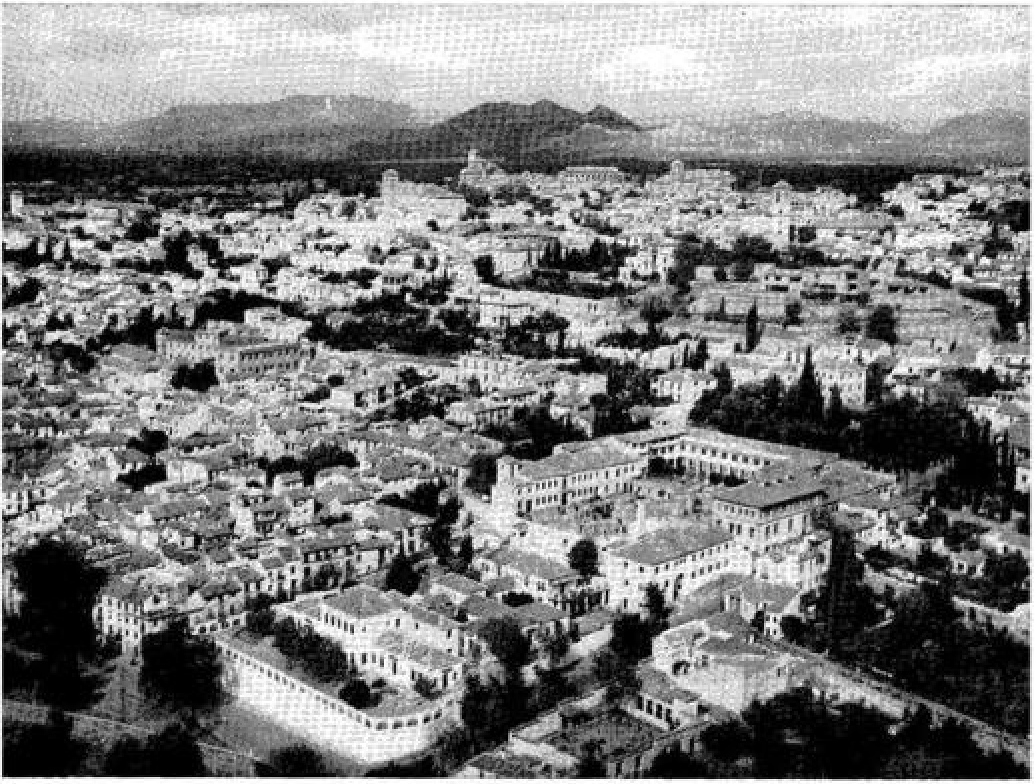
---

(1) وهو صاحب الاحاطة فى تاريخ غرناطة

كلام صورتي الصفحتين السابقتين

يعتبر هذا « الفاز » أجمل ما صاغت يد الفنان العربى من آنية القاشانى. انه مشهور فى الدنيا كلها باسم الخارو El Jarro ، (وهو اللفظ العربى : الجرة) . والصورة الثانية لبهو الريحان وتعتبر آية من آيات الفن المعمارى فى التاريخ العالمي كله .

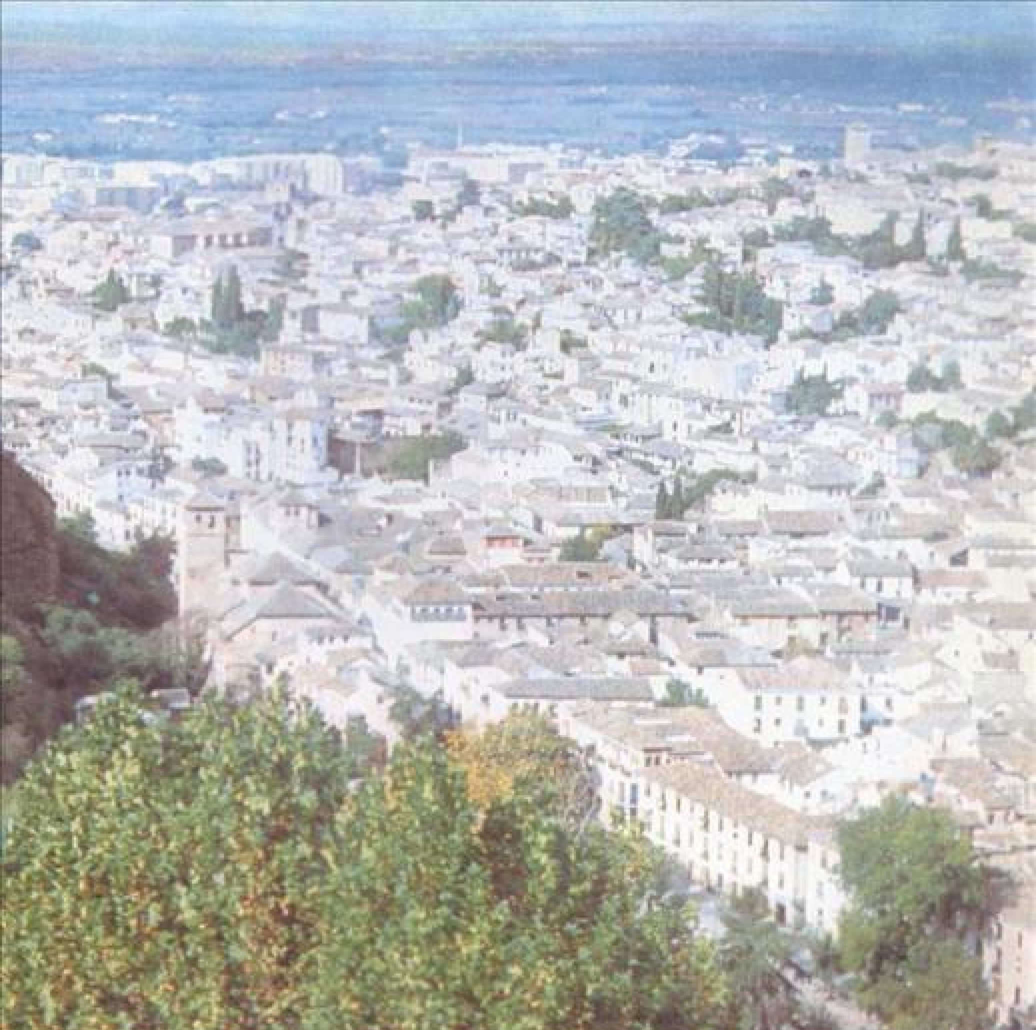
ثُمَّ كُتِبَتْ قِصَّة بُطولة دامَتْ ٢٥٠ سَنة .



منظر عام للجانب الشرقى من غرناطة الحالية مأخوذ من أعلى تل السبيكة الذى يعرف أيضا بتل الحمراء ، التلال التى تراها فى قاع المنظر هي امتداد لجبال آرانه التى كانت تحدد امتداد فحص غرناطة أى سهلها الخصيب . كان سور غرناطة يمر تقريبا فى منتصف هذه الصورة عرضا ، وما يلي ذلك كان منيات وبيادر وجنات خارج السور .

الثلاثة بعد ثالث خلفائهم ابى يوسف يعقوب المنصور ، فما زالت قواهم تضعف امام الضغط النصرانى فى الاندلس حتى اذا كانت أوائل ذلك القرن السادس الهجرى تصدعت الجبهة الاندلسية واحتاج الامر الى رجل عبقرى ..

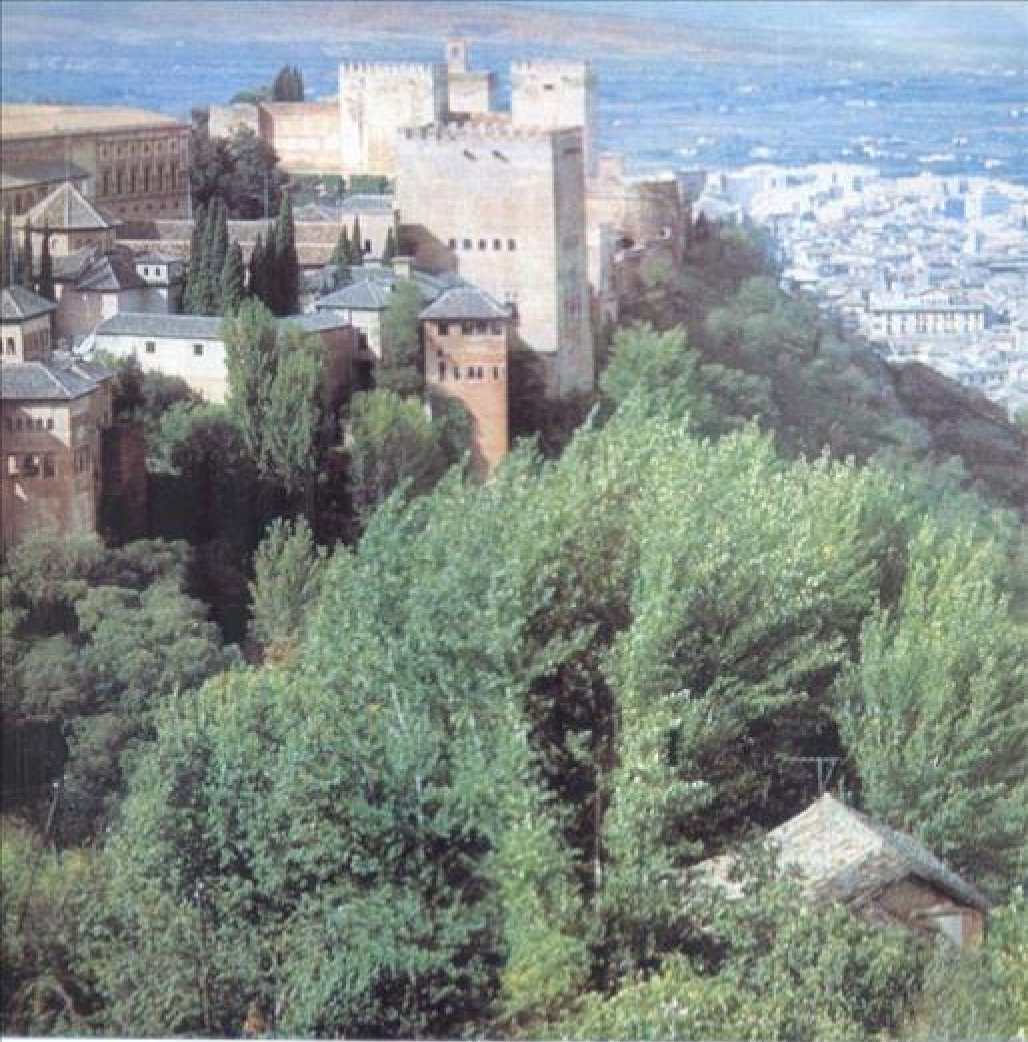
ولكن الذين ظهروا فى ذلك الحين من رجال البيت الموحدى كانوا ابعد ما يكونون عن العبقرية أو حتى التفكير السليم ، ففى ذلك الوقت العصيب ـ وجيوش قشتالة وارجون تتجه فى عنف نحو الجنوب ـ قام أبو العلا ادريس الموحدى الذى كان يتولى أمر اشبيلية ، على عمه الخليفة عبد الواحد الملقب بالمخلوع ، وقرر ترك الأندلس لمصيرها ، وأخذ معه من الجند وعبر



منظر عام للجانب الغربي لغرناطة مأخوذ من أعلى تل السبيكة . في يمين الصورة ووسط الحقل نرى بعض ابراج الحمراء . البرج الصغير الذي يبدو أولا هو برج محمد يليه برج قمارش فأبراج القصبة

الى اليمين واليسار : لوحتان من اللوحات الثلاث قائمة في سقف رواق الملوك المفضي الى بهو السباع وهي تعتبر ثلاثة فصول في تاريخ التصوير ، فقد رسمت بالالوان الكاملة في القرن الرابع عشر الميلادي . انها تصور مناظر من الحياة العامة في غرناطة بغاية الدقة . هناك نماذج اخرى كثيرة من هذه التصاوير وقد جمعت منها ما يقرب من المائة لبحث عن « العرب واصول فن التصوير







البحر ومضى ليطالب بالخلافة . كان ذلك سنة ٦٢٤ - ٦٣٠ .

هكذا اصبح الاندلس دون حماية ، فقام نفر من اهله وتولوا القيادة في نواحيهم وحاولوا رد التيار، ولكن هيهات ! اخذت القواعد الاندلسية تتساقط واحدة بعد اخرى . فيما بين ٦٢٥ و ٦٤١ سقطت ماردة وبطليوس وقرطبة واشبيلية وبلنسية

جانب من أسوار الحمراء وأبراجها. كانت الاسوار مزدوجة ، والجدار الخارجي منها هو الستارة التي تحمي ما وراءها .



وجزائر البليار وشاطبه ودانية ومرسية !

في اثناء هذا الانهيار المروع هلك من زعماء الاندلس رجال كانت تعلق عليهم الآمال ، مثل سيف الدولة بن هود . ولكن واحدا منهم ، هو محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر نهض من بلدته ارجونة ، قرب جيان ، وجمع جنده ومضى يدافع العدو المتقدم في بسالة وحزم ، وركز جهده بعد محاولات عديدة على الثبات في غرناطة معتزا بجبالها ، واستطاع بعد جهد طويل ان يستنقذ من الأخطار شريطا صغيرا يمتد من شمال المدينة شرقا الى قادش غربا ، واحتشدت معه خلف هذا الخط بقايا القوة العربية الاندلسية ، وتشبثت ببلادها تشبث المستميت ، فارتدت الاطماع رويدا رويدا وثبتت جبهة العروبة في ذلك الجزء الصغير من الاندلس قرنين ونصف قرن من الزمان . والفضل الاكبر يرجع الى محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر هذا ، فقد حكم ٤١ سنة (١٢٣٢ - ١٢٧٣ م) ثبتت خلالها دعائم المملكة بما أوتي من شجاعة وجراة وايمان ونشاط وروح عملي . ومن حسن الحظ أن خلفه ابنه محمد الملقب بالفقيه (١٢٧٣ - ١٣٠٢ م) وكان رجل سياسة وتدبير وتنظيم ، فوضع للدولة نظامها واكمل انشاء حصونها وخطوط دفاعها ..

وقد عاشت الدولة النصرية هذا العمر الطويل بين فكي الاسد . عاشت عمرا يعدل عمر الدولة الاموية ثلاث مرات ، ويعدل نصف عمر الدولة العباسية ، وقرابة عمر الدولة الفاطمية ، تناضل دولا قوية ناهضة تعدل مساحتها وعدد سكانها غرناطة ١٥ مرة ! لقد فقدت في الطريق الطويل قطعة بعد قطعة من ارضها ، وهلك من اهلها الوف بعد الوف ، فتاريخها على ذلك أعظم حقبة دفاع في تاريخ البشر كله . واذا كنا قد فقدنا غرناطة في ٢ يناير ١٤٩٢ فهذا لا يقلل من بطولة اهلها ، لان العبرة في معارك التاريخ بالتضحية والعزيمة والثبات ، وفي التاريخ هزائم هي أمجد من عشرات الانتصارات ..

سحر غرناطة جعلها اعظم مزار غير ديني في الدنيا

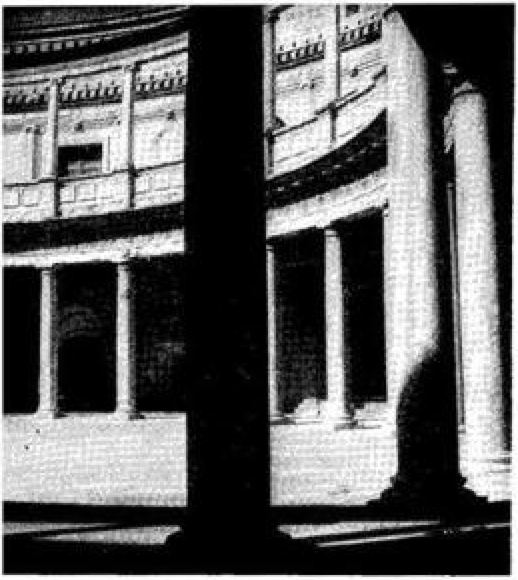
ولم يكن معنى سقوط غرناطة في يناير ١٤٩٢ أن شعبها العربي قد زال في طرفة عين ، ولكنه ذاب

وتلاشى فى شعب اسبانيا الموحدة ، كما تذوب اى اقلية مضطهدة فى غمار شعب كبير غالب ، ولهذا فان الكثيرين جدا من اهل الاندلس ـ جنوب اسبانيا ـ اليوم انما هم اولاد عرب ، ووجوههم وملامحهم وخصالهم لا تخرج عما وصف ابن الخطيب ، والى اواخر القرن الماضى كانت ملابسهم ايضا لاتزال قريبة جدا من ملابس اهل غرناطة كما وصفها هذا الكاتب العظيم .

والآن وبعد ان انقضت قرون على زوال غرناطة واضطهاد بقايا العرب فى اسبانيا اصبحت الاصول العربية موضع فخر لاهل جنوب اسبانيا اليوم ، لانه على الرغم من الحروب الطويلة بيننا وبينهم فقد عرفنا كيف نحتفظ باحترام الخصوم رغم الهزيمة ، وما اكثر الاغاني الشعبية الاسبانية التي تتغنى بأبطال عرب مسلمين ! اغان واناشيد وضعها نصارى اسبان يشيدون فيها بخصومهم الابطال ..

وفى غرناطة بالذات تشعر بهذا الاثر العربى الكريم ، لقد زالت كل آثارنا هناك فيما عدا قصور الحمراء ، وجنة العريف ، وبعض بقايا اثرية متفرقة هنا وهناك ، ولكنك تشعر رغم ذلك انك فى بلد يحوم فوقه الروح العربى ، وعشرات الالوف من السائحين الذين يفدون على غرناطة كل سنة انما يلتمسون هذا الجو العربى الذى يجدون فيه طرافة وجدة ومتعة . ومن نحو ١٠٠ سنة عاش فى غرناطة رجل امريكى فريد فى بابه : واشنطون ايرفنج Washington Irving ذلك الانسان العظيم ! زار اسبانيا وغرناطة بدعوة من صديقه سفير الولايات المتحدة فى مدريد ، فسحرته غرناطة وظل اسير فتنتها عمره كله ، وما اكثر ما كتب عنها وهو مقيم الى جوارها او بعد عودته الى وطنه واخلاده للتاليف فى قريته المسماة صانى ـ صايد Sunny Side على ضفاف نهر الهدسن حتى توفى سنة ١٨٥٩ . وقريبا منه فى هذا كان صديقه وليام بريسكوت William Prescott من اعاظم المؤرخين الامريكيين وصاحب كتاب « غرناطة أيام ايرفنج » ، وكذلك كان تشارلس لى Charles Lea اكبر من انصف عرب اسبانيا بعد ان حلت بهم المحنة . وغيرهم كثيرون .

سحر غرناطة هذا هو الذى يفسر لك السبب فى انها اكبر بلاد الدنيا اجتذابا للسائحين بعد الفاتيكان . قصور الحمراء تستقبل حوالى المليون



لا يكسر الوحدة الفنية لقصور الحمراء الا المنشآت التى أضيفت بعد أيام العرب مثل جناح شارل الخامس ثم هذا المبنى البشع الذى زعم بعض رجال هذا الامبراطور انه يغطى به على جمال القصور العربية . لقد زاره مرة واحدة ولم يعد اليه بعد ذلك ، لان الذى انشىء كان حلبة مصارعة ثيران سيئة التخطيط . انه يستعمل الآن ادارة للحمراء ، دوره الثانى متحف لها ، وهو من أغنى المتاحف بالآثار العربية الاسلامية .

زائر فى السنة .. الذين يزورون حدائق فرساى لا يزيدون على نصف مليون من ١٠ ملايين سائح يزورون فرنسا . معظم من يقولون انهم راوها غير صادقين . يقولون ذلك لمجرد الفخر . متحف اللوفر يستقبل اقل من ذلك بكثير . ان غرناطة اكبر مزار غير دينى فى الدنيا ، والذين يزورونها لا يذهبون لتناول القهوة فى شوارعها الحديثة وانما يذهبون الى هناك لرؤية «الحمراء» وآثار العرب. الحمراء اعظم مركز دعاية للعرب والعروبة فى الدنيا .. لو انفقنا الملايين ما حصلنا على ما تعطينا اياه هذه القصور التى بناها اجدادنا اثناء معارك طاحنة لا تسكن . هذه العجائب الخالدة بنوها أثناء فترات الأمن الخاطفة بين ويلات الحروب .

غرناطة العتيقة وآثارها

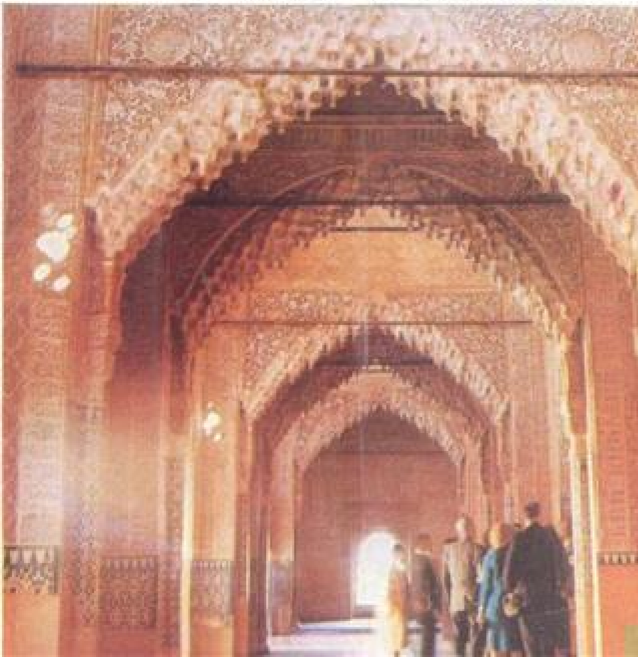
هذا الجانب العاطفى الانسانى من تاريخ





هنا يجتمع على ابدع صورة « الماء والخضرة والوجه الحسن » . ماء النافورات والبركة وخضرة اشجار الريحان ووجوه الحسناوات الغرناطيات . في اقصى الصورة يرى القصر الكبير في جنة العريف .

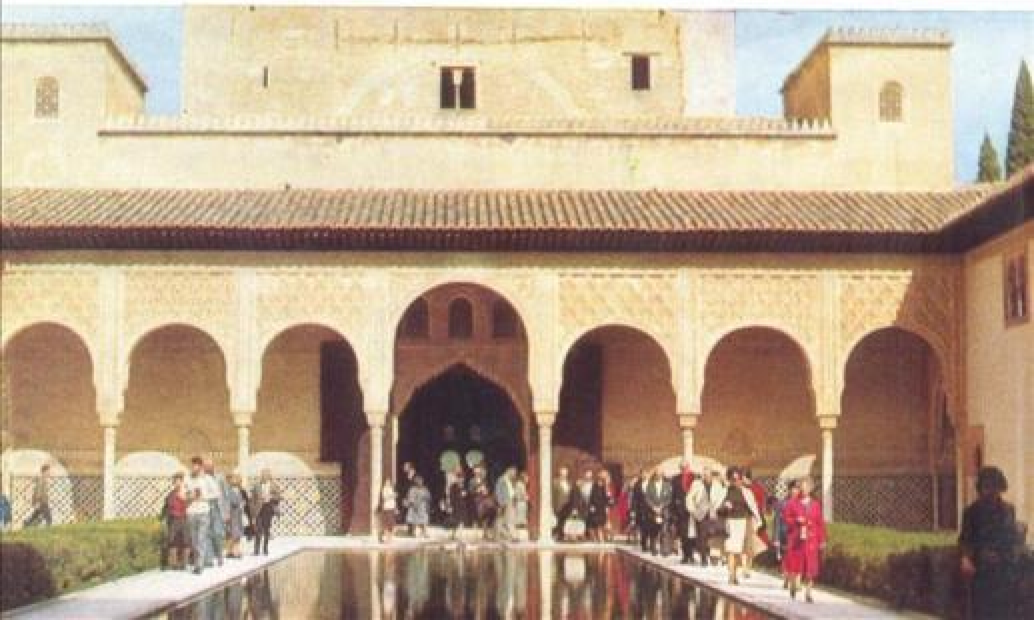
الى أسفل : رواق ملوك العرب في بهو السباع يعتبر آية من آيات العمارة والفن العربي الاصيل ، فقد قسمه المعماري الفنان الى اقسام وانت تنظر اليها كأنك تنظر في مرايا متقابلة .



الى اعلى : الحمام الوحيد الباقي من حمامات غرناطة . عمارته تدل على أنه بني أيام الخلافة . كان الحمام يتكون من أربعة أجزاء : الردهة للراحة ثم بيت الماء الساخن وبيت الماء البارد ثم الابزن أي المستوقد . هذه الصورة تمثل بيت (غرفة) الماء الساخن .

الى اليسار : بهو الريحان ، آية من آيات الفن في التاريخ العالمي كله . ترى في الصدر أقواس رواق البركة وأعلاه يبدو برج قمارش . **لاحظ** التناسق التام بين أقواس الرواق وبركة الماء وأشجار الريحان على الجانبين ثم زرقة السماء .





غرناطة كان كفيلا وحده بأن يجعل لها مكانا عميقا فى نفس كل انسان : عربيا كان او غير عربي . حفنة من البشر يقاومون سيلا من الأعداء يعدلونهم خمس عشرة مرة لمدة قرنين ونصف من الزمان ، ويجدون مع ذلك وقتا وهدوء نفس لينشئوا روائع فنية تعد من ابدع ما انتجت اوروبا من ايام فدياس Phidias الى ايام بيكاسو Picasso

وهى روائع حقا مهما كان المقياس الذى تقيسها به . روائع معجزتها الكبرى صغر حجمها فان الآثار المعمارية الكبرى فى الدنيا تمتاز أولا بالضخامة : كنيسة القديس بطرس فى روما ، نوتردام فى باريس ، القديس بولس فى لندن ، كاتدرائيات ميلان وكولونيا والبندقية ، وقصور فرساى ، وبرج ايفل ، واهرام مصر ، كلها اعمال ضخمة تروع النفس بضخامتها أول ما تروع .. اما قصور الحمراء فتروقك بصغرها ، بدقتها ، برقتها .. تستطيع أن تقطعها من اولها الى آخرها فى ست دقائق ! ولكنك تحتاج الى ستة شهور لتملأ عينك وقلبك منها . بعد أن تزور رائعة من روائع المعمار فى تاريخ البشر : الدومو Il Duomo di Firenze فى فلورنسا ، او كنيسة شارتر La cathedrale de Chartres جنوب باريس El Salvador تشعر انك اكتفيت ولا تريد ان تعود . وعندما تصل الى آخر ما بقى من قصور الحمراء تشعر انك لا بد أن تعود . انها تسلبك بضعة من قلبك ، ولا بد أن تعود لتستردها ، وهيهات !

والشائع عندنا ان كل منشآت غرناطة ـ ما زال منها وما بقى ـ يرجع الى عصر بنى نصر بن الأحمر ، اى الى ما بعد سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م ، وهى السنة التى اتخذ فيها محمد بن نصر مدينة غرناطة عاصمة له وانشا حولها مملكته بعد ذلك ... ولكن الحقيقة ان آثار غرناطة ترجع الى ما قبل ذلك بكثير . نعم ان غرناطة لم تكن عاصمة كورة ـ او مديرية او محافظة كما نقول اليوم ـ ولكنها كانت دائما بلدا عظيما ينافس العاصمة البيرة التى لا زالت بقاياها تعرف اليوم باسم Elvira ففى اقصى الجنوب الغربى لغرناطة اليوم ـ وغير بعيد من المستشفى الملكى ـ تجد كنيسة السلفادور وهى تقوم على اطلال مسجد غرناطة الجامع الذى جدده ووسعه عبد الرحمن الناصر. كذلك باب البيرة والباب المسمى ارنان رومان Hernan Roman وهما بقية من سور البلد القديم وبواباته ، هذان البابان بقية من غرناطة فى عصر الخلفاء ، وكذلك القنطرة الجميلة المنشأة على نهر حداره والمعروفة باسم قنطرة القاضى ، هذه ايضا من انشاء خلفاء بنى امية ، وان كانت قد جددت بعد ذلك عشرات المرات ..

ولكن ميلاد غرناطة الحقيقى يرجع الى القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى .. فى ذلك العصر الذى تصدعت فيه وحدة الاندلس ، واصبح مجموعة من الامارات تعرف بممالك الطوائف ، كان هم كل امير أن يتحصن فى بلد كبير يجعله عاصمة لملكته لينجو من عدوان

ادارة الحمراء من أكفأ الادارات الأثرية فى الدنيا ، فرجالها فى عمل دائم فى ترميم القصور واعادة ترتيب ما سقط من قطع المبانى وزخارفها ، ورجالها الفنيون فى غاية المهارة ، وترى هنا بعضهم أثناء العمل . انهم يشعرون أنهم الامناء على أعظم مزار فنى فى العالم بعد قصور الفاتيكان .



خصومه وليستطيع الثبات امام الضغط النصراني المتزايد .

من بين هؤلاء كان قائد من رجال المغرب يسمى زيرى بن مناد . كان قد اتى مع نفر كبير من قومه الصنهاجيين ليشترك فى غزوات عبد الملك المظفر ابن المنصور ابن ابى عامر، ثم وقعت الفتنة الكبرى اوائل القرن الحادى عشر وقامت الحرب الاهلية بين قادة جيوش الخلافة ، وبعد اهوال وويلات محـــزنة لجأ زيرى وابن اخيه حبوس الى غرناطة واتخذها عاصمة له ، فاعاد بناء اسوارها وابراجها ، واتخذ لنفسه ورجاله فيها قصورا ومساجد .

غرناطة بنى زيرى هؤلاء كانت تقوم كلها فى السهل الفسيح المتدبين تلتى غرناطة: تل الحمراء الى الشرق ، وتل البياسين الى الغرب .

لا يزال جزء من اسوار هذه المدينة العتيقة باقيا . باب البيرة الى اليوم كان يقوم فى هـذا السور . اذا سرت الى الشمال من هذا الباب ستجد بوابة اخرى تسمى اليوم بوابة مناية Puerta Monaita ، وهو تحريف للفظ العربى المُثنية ، مصغر مُثنية ، اى فيلا ذات حديقة واسعة بتعبيرنا الحديث .. اذا استمرت فى السير الى الشمال وجدت قطعة عظيمة من ذلك السور القديم يسمون بعض اجزائها بالباب الجديد Puerta Nueva او بوابة الموازين Arco de Los pesos . مسجد غرناطة ، الجامع الأول الذى تحتل مكانه اليوم كنيسة السلفادور كما قلنا ، يقع خارج اسوار غرناطة بنى زيرى تلك .. هذه الأسوار كانت تصل الى سفح الساكرو مونتى (الجبل المقدس وكان يعرف فى ايامنا بالشاقرومنت) وهو جزء من تل البياسين .من هناك كان السور ينحرف شرقا مارا بالبيت العربى الذى يعرف ببيت الجباس Casa del Chapiz الذى تقوم فيه اليوم مدرسة الأبحاث العربية فى غرناطة .. فى استمرار السور شرقا وعلى ضفة نهر حدارة بالضبط على راس قنطرة القاضى ، كان يقوم برج عظيم يحمى مدخل البلد من الشمال. ثم يتسلق السور سفح تل الحمراء حتى يصل الى الهضبة التى تقوم عليها قصور الحمراء اليوم .. على هذه الهضبة وضع بنو زيرى اساس تحصينات الحمراء التى ستصل ذروتها على يد بنى نصر .

خلف هذه الاسوار كانت تقوم غرناطة العتيقة، يرجع الفضل فى انشائها الى اثنين من امـراء بنى زيرى الصنهاجيين ، همـا حبوس بن ماكسن (٤٠٩ – ٤٢٩ هـ ١٠١٩ – ١٠٣٨م) وباديس ابن حبوس (٤٢٩ – ٤٦٥ هـ ١٠٣٨ – ١٠٧٣م)، وكانت تعرف بالقصبة او قصبة غرناطة . اعمر احيائها كان الحي الشمالي بين التلين ، كـان يعرف بحي مورور نسبة الى بلدة مورور التى تسمى اليوم مورون Moron .

لا تزال اطلال قصور بن زيرى قائمة الى اليوم على مقربة من دار الجباس . هناك ايضا تجـد بقايا بيوت عربية ، واحد منها يستعمل حاليـا مخفر بوليس ، والثاني اشتراه وعُنِي به صاحب مصنع سجاد . الى حين قريب كانت هذه المنطقة عامرة بعشرات البيوت العربية ، وقد وصفها لنـا السائحون فى القرن الماضى . لقد قضت عليهـا يد التجديد من اوائل هذا القرن. هدمها اصحابها لينشئوا بيوتا حديثة .. فى القرن الماضى ايضا كانت هنـاك بوابتان عظيمتـان : باب الرملة Bibarambla وباب مورور .

من آثار هذه المدينة العتيقة او « القصبـة القديمة » الباقية الى اليوم الحمامات العربية ، او الحمام الصغير كما يسمي El Banuelo ، وهو فعلا حمام صغير ولكنه كامل : الصحن للاستراحة وخلع الملابس ، وفى وسطه مغطس ، ثم بهـو الماء البارد ، وبهو الماء الساخن ، تحت عقـود صغيرة . ثم الابزن الذى نسميه نحن بالمستوقد حيث يسخن الماء ثم يجرى فى أ نابيب الى الغرفة الســاخنة .

غرناطة بني نصر ٦٣٥ – ٨٩٧هـ ١٢٣٨ – ١٤٩٢م

فيما بين نهاية بنى زيرى سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م وقيام دولة بنى نصر سـنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م خضعت غرناطة لولاة المرابطين اولا ثم لولاة الموحدين.

كان المرابطون جماعة مجاهدة عاشت عمرهـا كله تنشر الاسلام فى غرب افريقية وتناضل عـن مصيره فى الاندلس ، وقد خلفوا فى غرناطة ما ينم على حقيقتهم وطبيعة دورهم فى تاريخ الاسلام :











أحد جوانب الحوض الرخامي المحفوظ في متحف الحمراء ، كان موضوعا في احدى غرف القصبة . الرسوم البارزة التي تراها تمثل سباعا تفترس غزلانا . هناك كلاب تشترك في الصيد في اسفل الصورة . هذا الافريز من اجمل ما خلف العرب في فن النحت .

خلفوا الابراج الحمراء Torres Bermejas وهي مجموعة الابراج الحمراء العالية في اقصى الجنوب الغربي من مباني الحمراء .

اما الموحدون فقد تحولوا بعد سنة ٦٠٩هـ / ١٢١٢م الى دولة وادعة تجتهد في الحفاظ على كيانها والاستمتاع ما امكن بأطايب الحياة ، وكان الهجوم النصراني على ما بقي من بلاد الاندلس قد اشتد دون أن يستطيع ولاة الموحدين أن يقوموا بشيء ذي بال . والاثر الوحيد الباقي في غرناطة من عصرهم هو قصر صغير في اقصى غرب البلد يسمونه اليوم قصر نهر شنيل Alcazar Genil واسمه في نصوصنا قصر السيد نسبة الى بانيه السيد (اي الامير) اسحاق بن يوسف ابن عبد المؤمن الذي ولاه الخليفة الموحدي المستنصر حكومة غرناطة سنة ٦١٥هـ/١٢١٨-١٢١٩م فشرع في بناء هذا القصر اللطيف ، ثم بنى امامه رابطة اي مركزا للعبادة والرباط والجهاد ، وقد حولت هذه الرابطة الى دير نصراني باسم دير ومصلى القديس سباستيان La ermita de San Sebastian.

وقد استعمل القصر بعد ذلك دار ضيافة وكان يسمى أيام بني نصر باسم دار الضيافة ثم اهمل وكاد يتلاشى امره بعد أيام بني نصر حتى تهدمت بعض أجزائه ، ولكنهم عادوا الى العناية بامره وترميمه اخيرا .

ولكن عظمة غرناطة من الناحية الفنية ترجع الى بني الاحمر او بني نصر . فقد اصبحت من سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م معقل الاسلام والعروبة في شبه الجزيرة فخف الناس اليها بعشرات الالوف من المدن التي استولى عليها النصارى أو التي كانت مهددة بالسقوط . في سنوات قليلة عمر الناس كل تل البياسين ، المقابل للتل الاحمر ،

كلام صورتي الصفحتين السابقتين

منظر رائع لمدينة الحمراء ، اي الأبراج والقصور معا ، مأخوذ من شرفة قصر جنة العريف . الكنيسة التي الى يسار الصورة تسمى كنيسة عذراء الحمراء وهي تقوم في الموضع الذي كان فيه مسجد الحمراء الجامع .

والمنظر الثاني لأبراج الحمراء في الليل . المجموعة التي تراها الى اليمين هي أبراج القصبة والأوسط هو برج قمارش والذي تراه الى أقصى اليسار هو برج السنان .

وانتشروا على السفح الشرقى لهذا التل الذى كان يعرف بمدرج السبيكة ، ثم فى السهل الفسيح تحت السبيكة ، وكان يعرف بالفحص الافيح أو البقاع . ومن هذا اللفظ الاخير أتى لفظ Vega . تستطيع أن ترى ذلك الفحص البديع من شرفات الفنادق القائمة امام الحمراء أعلى التل .

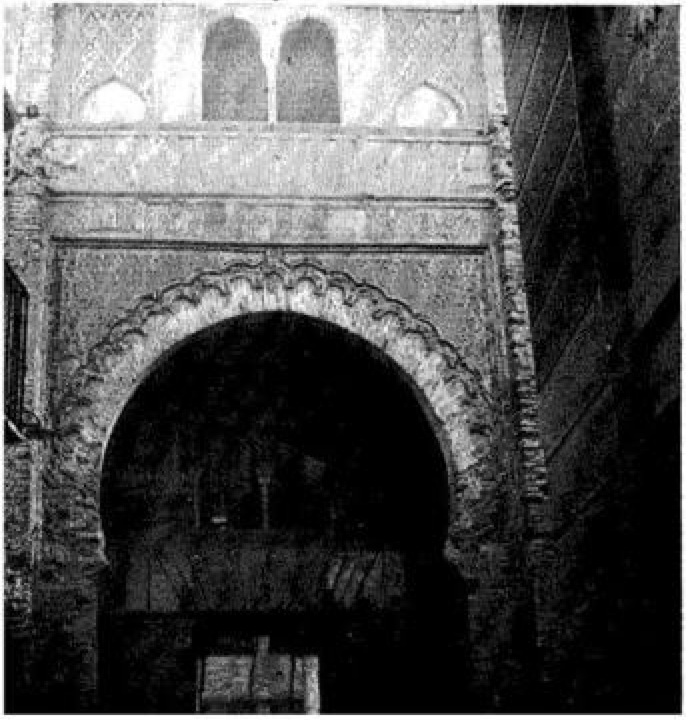
فى بحر خمسين سنة تضاعفت غرناطة أربع مرات واستمرت الزيادة بعد ذلك بنسبة أقل .

الآثار الباقية الى اليوم فى سهل غرناطة أسفل تل الحمراء

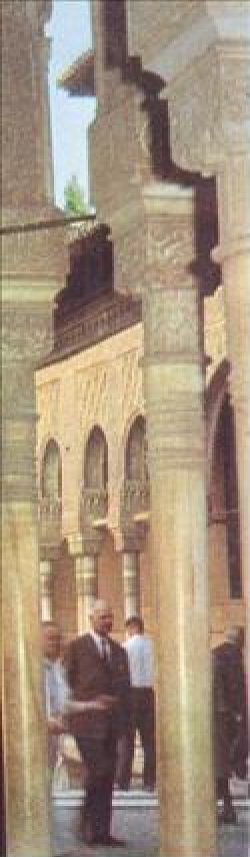
حرص سلاطين أسرة ابن الاحمر على اعادة بناء الاسوار لتشمل امتداد المدينة الجديدة . كان السور الذى بنوه يحيط بتلى البياسين والحمراء ويسير مع السور الخارجي القديم نحو الجنوب ، ثم ينحرف شرقا ويسير محاذيا المجرى القديم لنهر حداره مارا بميدان الباب الملكى Puerta Real وينتهي عند مجرى نهر شنيل فى الشرق . كان هذا السور الضخم مدعما بأبراج صغيرة تعرف بالبرانيات ، ولا تزال بقايا بعضها قائمة الى اليوم تعرف باسم Albarranas .

فى هذه المساحة الواسعة : بين التلين وحول تل الحمراء عاش أهل مدينة غرناطة . كان الشارع الرئيسى للبلد هو نفس الشارع الرئيسى الحالى المسمى باسم الملكين الكاثوليكيين (فرناندو وايزابيلا) . وكانت الاسواق تقع الى غرب الشارع ، فيما يعرف اليوم بالقيسارية Alcaiceria ، وحول المسجد الجامع الذى كان يقوم مكان الكاتدرائية اليوم ، وكانت الاسواق تمتد الى مبانى الجامعة الحالية . هنا أيضا كانت الأحياء الشعبية ، وكانت تمتد حتى تل البياسين وتشمله .

أما الجانب الشرقى من البلد فكان أحياء ، الامراء والاغنياء والاعيان ، وكانوا يسكنون دورا واسعة تحيط بها الحدائق والمزارع ، فاذا كانت كبيرة سميت بالمُنيات ، جمع مُنيَة ، يحيط بهذه كلها سياج ـ خارج السور ـ من الجنان ، جمع جَنّة ، والبيادر ، جمع بيدر ، والكرّمات



مدخل الفندق العربى فى غرناطة . واحد من فنادقها الكثيرة التى زالت . قوس المدخل غاية فى الفخامة والجمال . حبذا لو استوحى هذا التصميم معمارى عربى فى رسم مشروع فندق حديث .





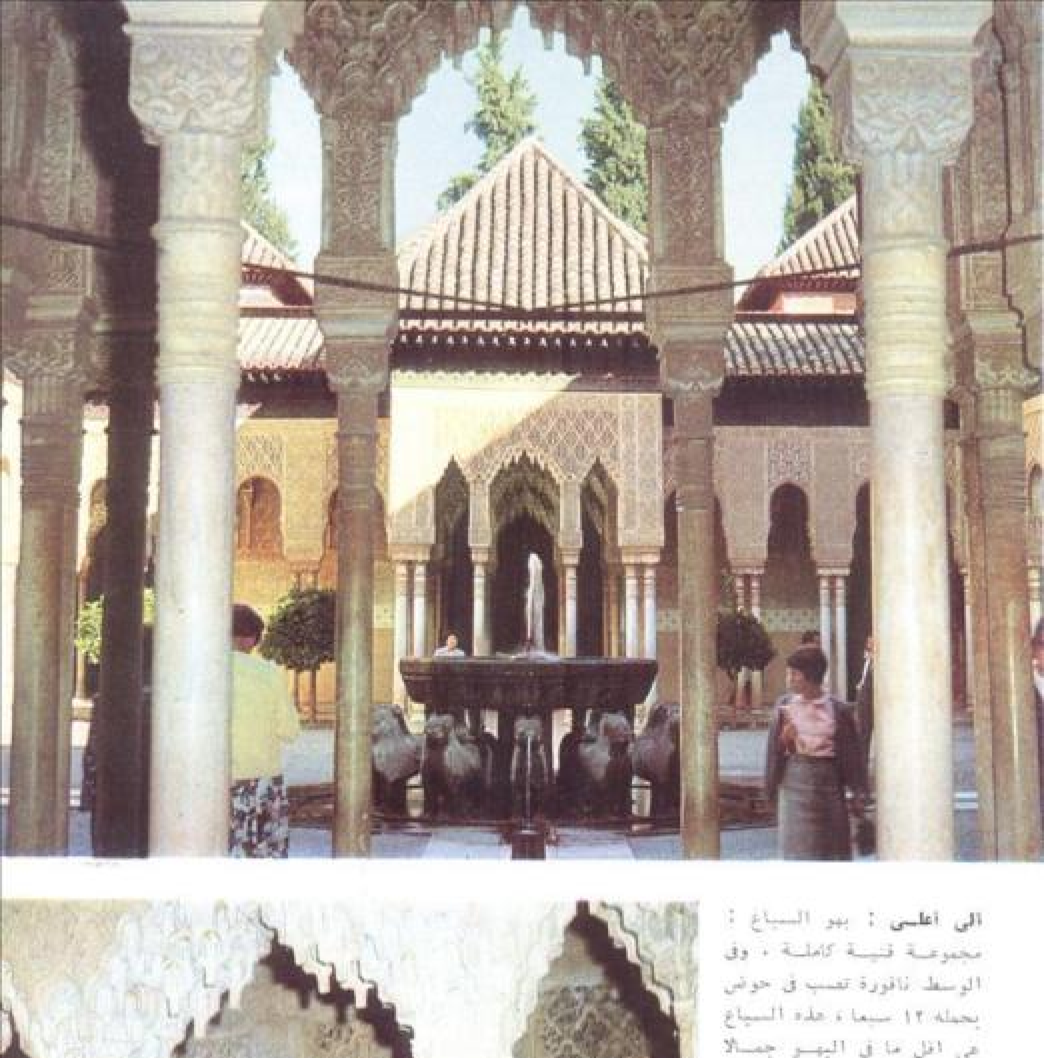


الصورة الاولى الى اليمين :
منظر لسفح تل الحمراء أخذ من قاع الوادي بينه وبين تل البياسين، ابراج الحمراء تروع النفس وسط خضرة السفح

والصورة الثانية الى اليمين :
سهرة رقص في أحد كهوف الغجر في تل منت شاقر Monte Sacro وهو جزء من تل البياسين . حول الغجر الكهوف التي يعيشون فيها الى مسارح مهيأة على نحو يروق السائحين . لاحظ زينة سقف المغارةبالاواني النحاسية

الى اليمين : القيسارية ، سوق غرناطي صغير يشبه خان الخليلي أو سوق الحميدية . هذا المبنى حديث بني في القرن الماضي على أثر حريق اجتاح القيسارية العربية .







الى أعلى : بهو السباع : مجموعة فنية كاملة ، وفي الوسط نافورة تصب في حوض يحمله ١٢ سبعا ، هذه السباع هي اقل ما في البهو جمالا والغالب انها صنعت قبل عصر بني نصر ثم نقلت الى الحمراء بعد ذلك . لاحظ كيف تبدو الاعمدة وكأنها أشجار في غابة وارفة الظلال .

الى اليسار : جانب من بهو السباع كما يبدو من احدى زوايا الرواق . لاحظ الاقواس المصفرة المدببة والاعمدة الرفيعة التي تعتبر من خصائص الفن العربي أيام بني نصر ، انها أيضا من خصائص الفن المدجن عموما .



داخل الفندق الذى يسمى الآن مخزن الفحم El Corral del Carbon ، لانه استخدم فى وقت ما مخزنا للفحم . انه الآن أثر فني. فى وسط البهو ترى حوض الماء الذى كان مخصصا لحيوانات الركوب . اروقة الفندق تدور حول البهو فى ثلاث طبقات . هذه الاروقة هى شرفات الغرف .

جمع كَرْمة ، ولا تزال هذه كلها باقية بعد ان ترجمت اسماؤها ، فالجنة تسمى Huerta والبيدر يسمى Cortijo ، والكرمة لا تزال محتفظة باسمها العربي : Carmen .

معظم الكنائس القديمة فى غرناطة الحالية اصلها مساجد . لم يبق من هذه الا آثار لا تكاد ترى . فكنيسة السلفادور التى ذكرناها كانت فى الاصل جامع البياسين ، وبهوها الحالى هو صحن الجامع وذلك واضح من نظرة واحدة . كان ذلك جامعا لطيفا يقوم على ٨٩ عمودا من الرخام .

الى شرقى كنيسة السلفادور تجد كنيسة القديس يوحنا الملكية San Juan de les Reyes ولا يزال برج أجراسها شاهدا على أصلها ، فقد كان مئذنة الجامع ، ولها أخت تشبهها تماما فى فاس ترجع الى عصر بني مرين .

اما المسجد الجامع الذى قامت على اطلاله الكاتدرائية فقد زالت آثاره تماما . لم يبق ما يتم عليه الا بقايا المدرسة الى شرقه . انها خلف أسوار مبنى جديد ، والى جانبها جامع صغير كان مختفيا عن الانظار الى حين قريب ، ولكن الله أعان واقتنع المسئولون بضرورة هدم سور المبنى الحديث ليظهر الجامع للناس.عما قريب تستطيع ان تزوره لتصلى فيه اذا شئت .

لم يبق من دور غرناطة العربية فى السهل الا اطلال لا تذكر . كان هناك حمام فى الشارع الملكي Calle Reol ، وكان مستشفى غرناطة او المارستان يقوم حيث تقوم اليوم كنيسة القديس لازار San Lazaro ، وكان موضع باب المارستان معروفا الى حين قريب باسم Biva Mazdad . وغير بعيد من ذلك المكان يقوم باب الطوابين Bib Taubin ، والمراد بذلك باب شارع (أو حارة) صانعى الطوب . وكان لكل شارع باب يغلق فى الليل كما هو الحال فى المدن القديمة، وكانت هذه الابواب كلها قائمة الى القرن الماضى، ومن أمثلتها باب اللجا Bib Lacha كان يقوم على باب شارع مخصص للاجئين من البلاد البعيدة. وشبيه بذلك باب أبى الناس Bib Abulnest ويسمى حاليا بباب المجدلية Puerta de La Magdalena ، وباب النجاة Bib Alneget وباب وجر (نسبة الى قرية بهذا الاسم) Bib Aluxar ، وباب الدم Bib Adam ، وباب البنود Bib al - Bonut عند مدخل المصعد الى



الى اليسار: قاعة بيت الماء فى حمام غرناطة ، كانت هذه الاقواس كلها مغطاة بالقاشاني بعض قطعهـا محفوظ فى متحف غرناطة .

تل الشاقرومنت ، وباب الاسد Bib Elecet وغير ذلك كثير جدا .

وأكمل مبنى عربى باق الى اليوم فى السهل هو « الفندق الجديد » ، وهو واحد من عشرات الفنادق التى كانت قائمة فى غرناطة ، وهو مبنى غاية فى الدقة والجمال يعرف اليوم باسم مخزن الفحم El Corral del carbon ، لانه استخدم فى وقت ما مخزنا للفحم ، وقبل ذلك استخدموه مسرحا وديرا ، وهو اليوم أثر معمارى تدخله من بوابة ضخمة : على يمينك غرفة البواب وعلى اليسار الاستقبال كما هو الحال فى فنادق اليوم . فى الداخل رحبة واسعة فى وسطها حوض لشرب الخيل . كان الرجل اذا وصل دخل فربط دابته لتشرب قبل أن يأخذها الخدم الى الاصطبل .. حول الفنادق يقوم البناء المربع من ثلاثة ادوار ذات شرفات تدور حول المبنى . هذه هى شرفات الغرف . هناك فنادق كثيرة فى فاس القديمة تذكرك بفندق غرناطة هذا .

وعلى المصعد الى تل البياسين تجد الدار المعروفة باسم دار الحرة Daralhorra ، وكانت الى حين قريب ديرا يسمى بدير القديسة ايسابيلا الملكي ثم اخلوه ليكون أثرا ، وهم يعملون اليوم على ترميمه . الحرة هذه هى السيدة عائشة زوجة السلطان النصرى أبي الحسن الغالب بالله بن سعد الذى تولى العرش سنة ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م قبل سقوط غرناطة بتسعة وعشرين عاما . كانت أميرة باسلة شديدة الاعتزاز بأبيها السلطان الأيسر عم السلطان أبى الحسن وكانت قد أنجبت ابنين هما ابو عبد الله محمد ، الذى سيصبح آخر ملوك غرناطة ، وابو الحجاج يوسف . وكانت تنتظر أن يصير العرش لأبى عبد الله محمد ولكن زوجها السلطان ابا الحسن تزوج شابة اسبانية بارعة الجمال تسمى ايسابيلا ابنة القائد الاسبانى سانشو خيمينيس سوليس Sancho Jimenez de Soles وسماها ثريا ، وتسميها المراجع النصرانية ثرَيـدة Zuraida ، كانت قد اخذت اسيرة فى بعض المعارك وأسلمت وأنجبت هى الاخرى ولدين : سعدا ونصرا ، واجتهدت فى أن تجعل ولاية العرش فى سعد منهمـا ، واستطاعت التأثير على زوجها الشيخ ، فرضخ لما شاءت وحرم ابنه الاكبر ، فاغضب بذلك عائشة وكل رجالات غرناطة ..

وما زالت الامور تتطور حتى امر ابو الحسن



برج محمد بالنهار وتحته خميلة البرطل التي تشتهر بالتصاوير البديعة
اليمين نرى جزءا من مصلى البرطل . لاحظ تدرج الحدائق وبركها (فساقيها)



على جدرانها ، أمام الخميلة ترى بركتها تحف بها شجيرات الريحان ، الى
وسقوف الريحان التي تحف بها ، لهذا يسمى هذا الجزء بالطباق السبع ،

بسجن عائشة وولديها فى برج قمارش فى الحمراء بعد أن كانوا مبعدين فى قصر فى البلد هو هذا الذى نتحدث عنه . وقد استطاعت عائشة وولداها الفرار من الاسر فى أخبار وحوادث طويلة محزنة كان لها أبعد الاثر فى نهاية غرناطة نفسها .

حصون الحمراء وقصورها ..

ولكن اطلال غرناطة اذا كانت بهذه القلة وذلك الخفاء حتى لتبدو كأنها حطام سفين غارق طاف على وجه الماء ، فان الايام قد أبقت على أجمل ما انشأ العرب فيها ، وهي حصون الحمراء وقصورها ..

انها تسمى الحمراء لسبب لا نعرفه ، حتى ليست منسوبة لبنى الاحمر ، بل كانت تسمى بذلك الاسم قبلهم . وربما رجع ذلك الى لون الاحجار التى بنيت بها ، فهى فى الحقيقة أقرب الى الاحمرار ، وخاصة اذا نظرت اليها من بعيد .

هذه المنشآت تقوم على تل يسمى تل السبيكة هو امتداد جنوبى من سلسلة جبال الثلج ، سييرا نيفادا Sierra Nevada ، مياه ذوب الثلوج تنحدر من هذه الجبال وتتجمع أسفل تل السبيكة فى نهر صغير يسمى حداره ، Hadarro ، يطوف بأسفل التل ثم يتجه شرقا ويصب فى نهر شنيل Cenil ، وهو أحد فروع الوادى الكبير .

اعلى ذلك التل هضبة يصل اليها الماء عن طريق قناطر ، ثم يجرى فى مسايل قبل أن ينحدر الى النهر . لهذا كانت هذه الهضبة وافرة المياه وغنية بالآبار . تنبه المسلمون لذلك من القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، فانشأوا حصنا عرف باسم القلعة الحمراء . وعندما جاء بنو زيرى الصنهاجيون فى القرن الخامس جعلوا مركزهم فوق الهضبة وبنوا حصونا . تلك هى أساس الحمراء . اهتم بها المرابطون أيضا وبنوا على حافتها الجنوبية الغربية الابراج الحمراء . هذه أقدم مبانيها .

ولكن الفضل الأكبر فى انشائها يرجع الى محمد ابن نصر بن الاحمر واولاده . بفضلهم أصبحت



بيت الجياس او La casa del chajiz كما يسمى اليوم ، دار عربية جميلة تعطينا نموذجا لبيوت المياسير من اهل غرناطة . والجياس الذى ينسب اليه البيت كان ولا شك من كبار اهل البلد . هذا البيت يتخذ حاليا مقرا لمدرسة الابحاث العربية فى غرناطة .

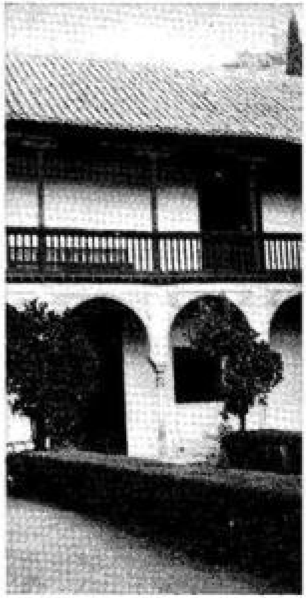
والى اقصى اليسار : مدخل دار الحرة ، واحد من القصور الغرناطية القليلة الباقية هناك .

الحمراء مدينة ملوكية تضم الحصون والقصور ودواوين الدولة . استمر الانشاء الحقيقي لمباني الحمراء خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) وخلال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ، وهو الاخير من تاريخ غرناطة لم ينشأ شيء ذوبال.

كان تل السبيكة عندما بدأ محمد بن الاحمر يحيله الى حصن ضخم لمملكته منفصلا تقريبا عن جبال سييرا نيفادا ، لا يصله بها الا شريط ضيق من الارض ، فقام ببناء سقاية او قناطر الماء التى تمتد من الجبل الى التل وسير الماء فيها. أصبحت الهضبة العليا بذلك من أوفر نواحي الاندلس بالماء .

وكان جل اهتمام محمد بن الاحمر موجها نحو الحصون . اليه يرجع الفضل فى تجديد الابراج المرابطية الحمراء . وهو صاحب الفضل فى بناء الاسوار الهائلة التى تحيط بحافة الهضبة كلها . ان منظرها من الخارج يروع النفس بلونها الاحمر البرتقالى وسط الخضرة الزاهية والاشجار الباسقة





التى تحيط بها من كل ناحية . أتم بناء هذه الاسوار وبعض القصور السلطان محمد الثاني ابن محمد بن نصر (٦٧١ – ٧٠١هـ / ١٢٧٣ – ١٢٩٢ م) .

مبانى الحمراء فى مجموعها حصن هائل يغطى سطح الهضبة كله . داخل الحصن تستطيع تمييز ثلاثة أجزاء مستقل بعضها عن بعض : القصبة والقصور والحدائق .

قصبة الحمراء

تقوم على الطرف الغربى على هيئة مثلث محصن تحيط به أسوار مدعمة بالابراج . هذه القصبة هى القسم العسكرى من الحمراء : هنا كان يقيم القواد وجنود الحراسة . بقية الجيش كانت تقيم أسفل التل وحوله .

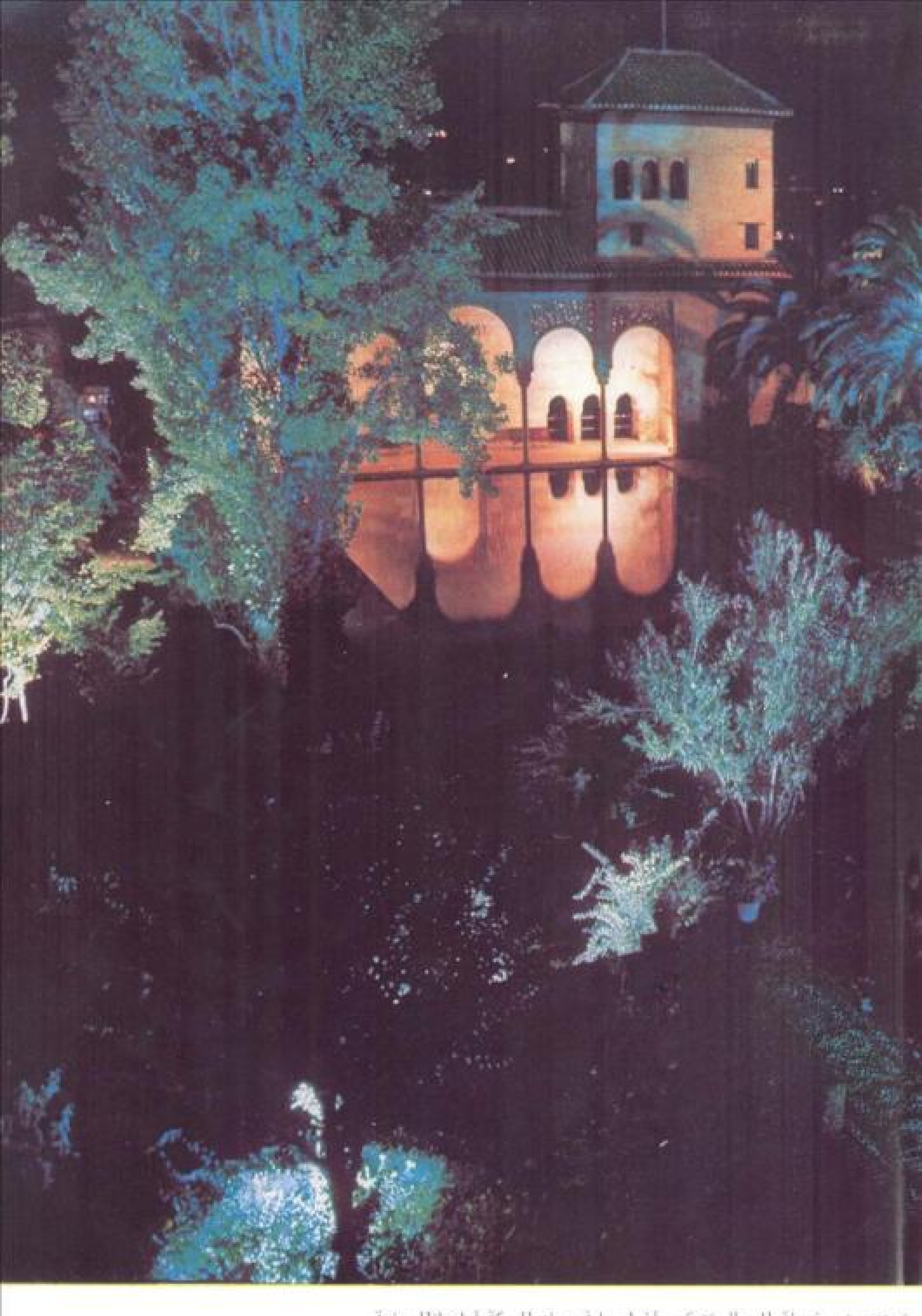
الهيئة العامة للقصبة كذلك . أبوابها كلها تفتح على الهضبة أو داخل الاسوار بحيث لا يمكن دخول القصبة أو الخروج منها الا من الابواب الرئيسية لمدينة الحمراء . الاسوار الخارجية للقصبة هى التى تمتد حتى تحيط بالمدينة كلها .

داخل أسوار القصبة تقوم مساكن ومخازن ، ولكن قوة القصبة الحقيقية فى ابراجها العالية المربعة الحمراء . انها مبنية بالحجر والملاط ومتوسط عرض الحائط متر فى الاسفل . داخل الابراج مساكن ومخازن أيضا . أعلى الابراج غرف للحراسة والمسكن . عدد هذه الابراج ٢٣ ، منها عشرون بنيت فى عهد محمد الاول والثاني. والثلاثة الباقية بناها أبو الحجاج يوسف الاول (٧٢٣ – ٧٥٥ هـ / ١٣٢٣ – ١٣٥٤م) ، هذه الثلاثة الاخيرة هى برج ماتشوكا وبرج قمارش وبرج القنديل . هذا السلطان هو الذى بنى البوابات الزخرفية الرائعة المسماة باب الشريعة (المدخل الرئيسى للحمراء) وباب الطباق السبع، وبوابة السلاح .

لم يضف السلاطين بعد ذلك الى المبانى العسكرية الا ثلاث شرفات ضخمة أمام باب الشريعة وباب السجن وباب الطباق السبع. هذه الشرفات



داخل الحمراء في الليل . في قاع الصورة يرى البرج المسمى برج النساء
الغناء التي تراها قائمة الى مدرج الطباق – أو الطبقات – السبع .



وتحته مبنى خميلة البرطل تنعكس أقواسها في مياه البركة أمامها، الروضة
قصور الحمراء تقع الى يسار الصورة والى اليمين حدائق جنة العريف

كانت تستعمل لوضع مدافع القرن الخامس عشر التى كانت تقذف كرات ضخمة من الحديد أو كرات من القطن الملتهب بعد أن يبلل بالنفط .

وقد بلغ من حصانة هذه الاسوار والبرج ان الاعداء لم يستطيعوا الاقتراب منها أبدا ، بل لم يستطيعوا حصار التل بصورة فعالة الا خلال الشهور الاخيرة من الهجوم على غرناطة . لو أراد سلاطين غرناطة لاستمر الحصار سنوات وربما ارتد الاعداء ، ولكن البلاد تسقط بضعف القلوب لا بضعف الاسوار. عندما تسلم فرناندو وايسابيلا قصور الحمراء فى أول ربيع الاول ٨٩٧هـ/٢ يناير ١٤٩٢م كانت الاسوار والابراج والقصور سليمة لم يمسها أدنى خدش .

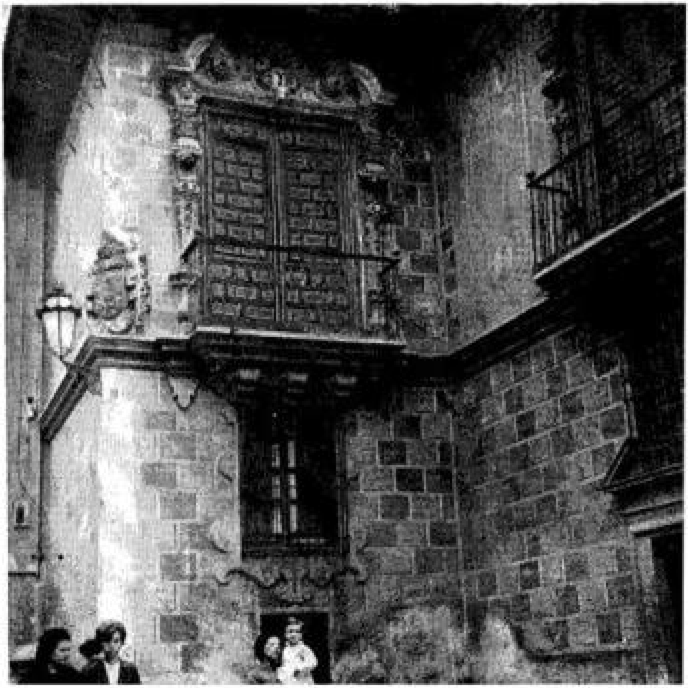
القصــور

الباقى اليوم من قصور الحمراء لا يصل الى نصف ما كانت عليه . سلسلة القصور الباقية اليوم كانت تمتد الى القصبة ، وكانت تمتد ايضا الى الشمال حتى حدائق جنة العريف . المساحة الهائلة التى يشغلها قصر شارل الخامس كانت تقوم عليها قصور عربية . كان هناك على الأقل أربعة مساجد رئيسية واحد منها الى يمين مدخل المشور ، والثانى مكان كنيسة سانتا ماريا دى لا الهامبرا Santa Maria De La Alhambra ، والثالث عند جنة العريف ، والرابع عند الروضة ، وهى مدافن ملوك بنى نصر . كانت هناك ايضا قصور افراد كثيرة تمتد حتى قناطر المياه .

هذه القصور فى مجموعها تتكون ـ من الناحية المعمارية ـ من مجموعات من الابنية تحيط كل مجموعة منها ببهو مكشوف فيه نافورة او بركة . هذه المجموعات يتصل بعضها ببعض بدهاليز أو غرف . محاور المجموعات ليست فى اتجاه واحد ، وهذا يخلع على الحمراء جمالا خاصا .

المجموعة الاولى زالت الآن . لم يبق الا بركة البهو الاوسط ، وهو الذى يعرف ببهو ماتشوكا . هذا ليس اسما عربيا طبعا . انه اسم النجار الذى تولى أعمال الخشب فى قصر شارل الخامس فاستخدم احد أبهاء الحمراء لأخشابه وادواته .

المجموعة الثانية باقية والحمد لله وهي التى



هذا المبنى يقع الى يمين الكاتدرائية فى غرناطة فى نفس المكان الذى اقام فيه سلاطين غرناطة مدرسة كبيرة . جزء فقط من هذه الواجهة كان جزءا من المدرسة . ووراء هذه الواجهة تقوم بقايا مسجد صغير يرممونه الآن قبل ان يزيحوا عنه الستار .



منظر لجزء من الشارع الصاعد الى تل البياسين بحذاء نهر حداره ، الشارع يسمى ممر الحزانى Posee de les Tristes القناطر التي تراها مبنية فوق النهر يعبر عليها الناس الى تل الحمراء الذي ترى سفحه أعلى البيوت ، معظم هذه القناطر بناها العرب ثم جددت بعدهم مرارا .

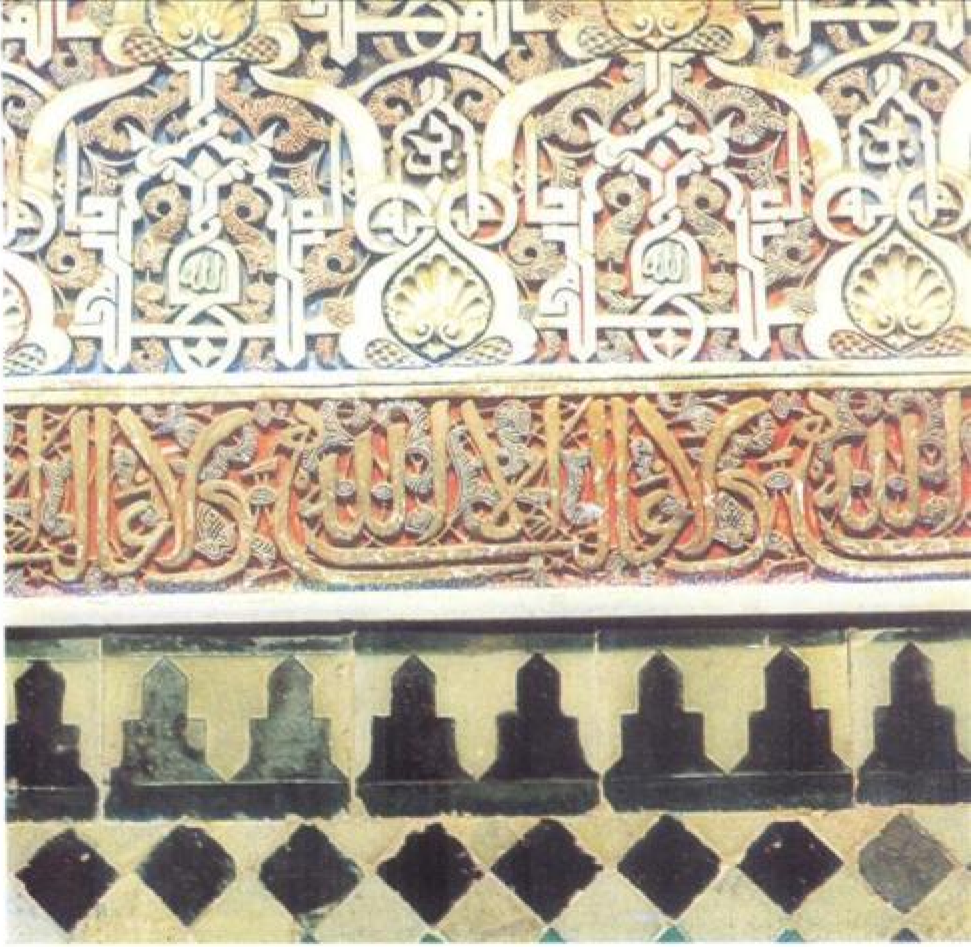
تدخل من بابهـا الى القاعة الاولى من قاعـات الحمراء اليوم وهي قاعة المشور . تلى ذلك قاعة صغيرة تسمى القاعة المذهبة ، ثم البهو المسمى بالبهو المذهب وسطه نافورة .

هذه المجموعة كانت مبنى من مباني الادارة لا جزءا من القصور . فى قاعة المشور كان السلطان يجتمع برجاله ووزرائه . القاعة المذهبة كانت استراحة أو قاعة انتظار . كان هنالك أيضا مسجد صغير . البهو المكشوف كان فاصلا بين هذا الجزء الرسمي وقصور الحمراء الخاصة نفسها .

المجموعة الثانية يتوسطها بهو الريحان ، وفى ناحية منها قاعة قمارش أو قاعة السفراء يؤدى اليها دهليز مستعرض جميل يسمى قاعة البركة.

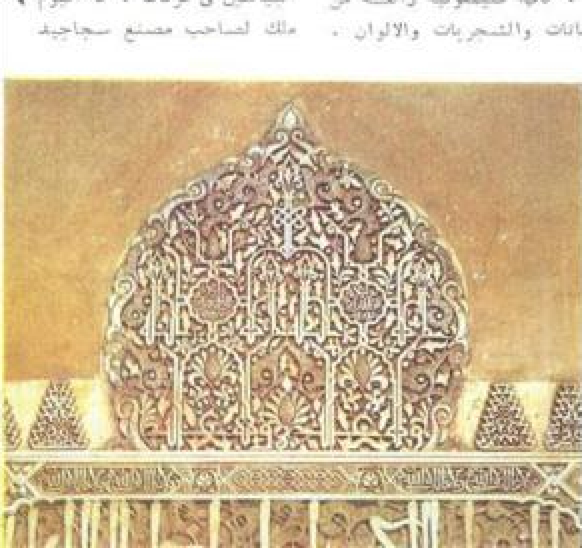
بهو الريحان آية من آيات الفن المعمارى والذوق الجميل : بهو من الرخام تتوسطه بركة مستطيلة يحف بها صفان من شجر الريحان . على هذا كله تشرف مباني الحمراء البالغة الدقة . فى صفحة الماء ينعكس ظل برج قمارش الذى يقوم فوق قاعة السفراء . منظر لا يوصف بكلام .

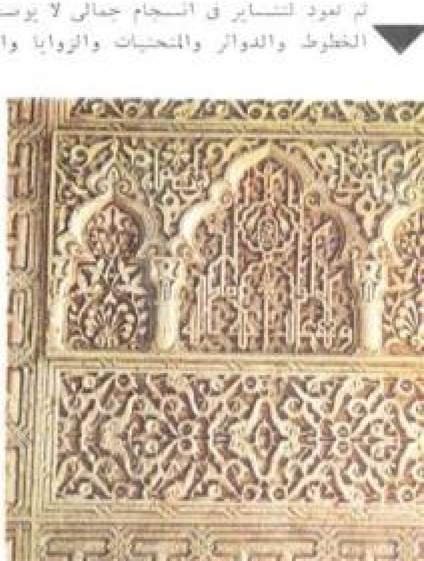
قاعة السفراء سحر رائع . قاعة فسيحة تشرف على حافة الهضبة بشرفات ذات اقواس غاية فى الدقة تقوم على عمد من الرخام رقيقة كأنها أقلام



زخارف الحمراء تعتبر من أروع ما جادت به يد الفنان العربي على مر العصور . ألوف وألوف من الوحدات الزخرفية تتشابك وتتداخل وتفترق ثم تعود لتتسابر في انسجام جمالي لا يوصف ، كأنها سيمفونية رائعة من الخطوط والدوائر والمنحنيات والزوايا والنباتات والتشجيرات والالوان .

الى اليسار: لايزال هذا البيت العربي الطراز قائما في حي البياسين في غرناطة ، انه اليوم ملك لصاحب مصنع سجاجيد







رصاص . الحوائط العالية مزينة بافاريز بعد افاريز من الزخارف التى يحار فيها الذهن . فى اعلى الحوائط صف من المناور الرائعة التى تسمى القِمرّيات . من هنا جاء اسما قمارش او قمارس ، فهو جمع اسبانى محرف للفظ قَمرة وهو عاميّ من قِمرية .

هاتان المجموعتان من مبانى الحمراء بناهما السلطان أبو الحجاج يوسف (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ ١٣٣٣ - ١٣٥٤م) سابع سلاطين غرناطة بعد ان هدم ما كان جده محمد بن نصر وابنه قد انشاه ، لان هذه المبانى الاولى كانت فى نظره جافية بسيطة لا تتفق مع ما وصلت اليه الدولة من ازدهار .

المجموعة الثالثة تدور حول بهو السباع . ارق اثر معمارى خلفه العرب : بهو صغير لا يزيد طوله عن ١٤ مترا وعرضه عن ٨ تتوسطه نافورة يحملها سباع . تحيط بالبهو أربع غرف كانها خمائل تختلف كل منها عن الاخرى فى الهيئة والمساحة ولكنها متناسقة رائعة : قاعة المقرنصات وهى أصغرها يقابلها فى الجهة الاخرى رواق الملوك العرب . على اليمين قاعة بنى سراج وعلى اليسار قاعة الاختين . كل واحدة من هذه آية فنية من كل ناحية . هذا البهو وما حوله بناه السلطان محمد الخامس الملقب بالغنى بالله (٧٥٥-٧٥٩هـ ١٣٩٨ - ١٣٩٢م) ثامن سلاطين بنى الاحمر .

تلى ذلك مجموعة البرطل وقد زال معظمها . الباقى هو البهو تتوسطه البركة الرائعة ينعكس فيها مبنى البرطل البديع والى يمينه مصلى صغير .

المجموعة الباقية زالت ، وتجد هياتها وما بقى منها على الرسم .

الحدائق

قامت الحمراء كلها وسط حديقة غناء . كانت الحدائق والاشجار فى كل ركن . من نوافذ قاعة الاختين ومنظرة دار عين عائشة ترى حديقة صغيرة رائعة الخضرة كانها حديقة استوائية تسمى حديقة دار عائشة .

ولكن آية فن الحدائق عند المسلمين هى حدائق جنة العريف التى تقوم شرق القصور . شيء هائل من اشجار الحور الباسقة والازهار والورد من كل صنف ولون وشجر الريحان الذى يهيا ويقص على هيئة حوائط وممرات .

ووسط ذلك كله تقوم برك الماء والنوافير . اجملها بهو السواقى الذى يمتد بين خميلتين : كبرى وصغرى . كل خميلة قصر ريفى بديع . بهو الساقية شيء لا تراه الا هناك : بركة طويلة تصب فيها نافورات على الجانبين ، الماء يعلو ويصب فى البركة كانه اقواس نصر رائعة تتالق تحت اشعة الشمس .

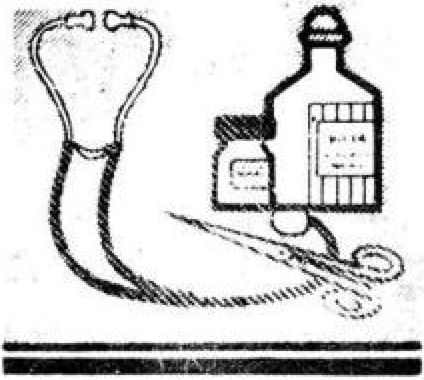
لم يحدث ان وصل فن البشر الى مثل هذه السيمفونيات المتوالية من الخضرة والزهو والمبانى والاشجار وعطر الريحان ونور الشمس وزرقة السماء .

جنات عدن تجرى فيها ومن تحتها الانهار . اتكون هذه هى التى مالت ببنى نصر الى الدعة والنعيم ؟ ربما .. فان الترف البالغ يقعد بالانسان عن الحرب والنضال .

كانت معركة غرناطة حربا بين ناس بلغوا الغاية من الترف والحضارة ، يريدون أن يستمتعوا بما وصلوا اليه ، وناس آخرين زاحفين من هضاب قشتالة القاحلة تجتذبهم اضواء المدن الاندلسية الكبرى وما فيها من خير وترف ونعيم ..

فى هذه المعركة الطويلة بين البداوة والحضارة ، كان لا بد ان تغلب الاولى . هكذا قال ابن خلدون، وهو اندلسى الاصل ، وقد زار غرناطة وعمل فيها وصاحب وزيرها وكاتبها الاكبر لسان الدين ابن الخطيب ، ولكنه انصرف عنها ، ولا شك فى أن ما رآه من التناقض بين قوة البدو والاسبان الزاحفين من الهضاب القاحلة وضعف اخوانه المقيمين فى القصور التى وصفنا بعضها ، لاشك ان هذا التفاوت كان بعض ما اوحى اليه نظريته الخالدة فى دور العمران من البداوة الى الحضارة الى البداوة مرة اخرى ، وهكذا حتى يطوى الله الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . ■■

مدريد — حسين مؤنس



طبيب الأسرة

الولادة ، فى المستشفى ، أم فى البيت ؟

● أنا على وشك أن ألد ، ولي ولدان قبل هذا ، وأود هذه المرة أن يكون الوضع فى المنزل لا فى مستشفى الولادة ، فهل من ذلك بأس ؟

ــ لا بأس أبدا ، ولكن على شريطة أن لا تحدث فى البيت مضاعفات غير منظورة ، لك ، أو لولدك .

ان الولادة فى المنازل ، مع مساعدة قابلة ، أمر جرت به العادة فى الشرق العربى ، ولا تزال تجرى ، ويجرى كذلك مع هذه العادة ما يصحبها من مآس ، تكثر او تقل ، وفقا للبيئة . وليس فى البلاد العربية مستشفيات لتقبل الامهات الحوامل . والمرأة السعيدة هي التي تكون فى موضع من هذه البلاد ، وفى وضع يمكنها من الولادة فى المستشفى .



لذلك كان غريبا منك ، وقد وضعت مرتين على ما فهمت فى المستشفى ، ان تختارى البيت هذه المرة .

ولا بأس بهذا ، ما كانت هناك القابلة الصحية الماهرة ، المثقفة ، التى دربت على هذا العمل ، السنين الكافية .

ولكن هناك خطة وسط : الولادة فى المستشفى ، تبقين فيه يومين او ثلاثة ، ثم الذهاب الى البيت بعد التأكد من سلامتك وسلامة الطفل . جو المنزل لا شك دافىء ، وحنانه ، والتفاف اهله حول والدة وولد ، لا شك فيه الراحة والطمانينة . ولكن لا بد من زيارة الطبيب او الطبيبة اياك اذا ما نشأت ريبة كائنة ما كانت .

فى هذا راحة لك ، وضمان ، وفيه اخلاء سراير بالمستشفى لغيرك من الوالدات .

بقي هناك القابلة التى يجب ان تتقبل ان يقوم بالولادة غيرها ، وتقوم هي بأعقابها ، وما تتضمنه هذه من اعمال رتيبة مجهدة .



لى طفل رضيع ، أضره لبن البقر

● لي طفل رضيع ، صحته على غير ما يرام . وقد عرضته على الطبيب فقال ان عنده داء سماه لي ، لا أذكر اسمه ، علمت منه ان سببه نقص في مادة تعرف بفيتامين سي . ونصح باضافة عصير البرتقال والفواكه الى ما ارضعه اياه من حليب البقر بعد ان اخففه بحيث لا يثقل على معدته . وتقول لي أمي وجدتي انهما لم يسمعا قط في حياتهما بهذا الفيتامين او بحاجة الاطفال الرضع اليه . وحجتهما ما خلفتا من ابناء وبنات كلهم أصحاء اقوياء . فهل تغير الزمن ؟

ـ نعم تغير الزمن . فأمك لم ترضع اخوتك وأخواتك ، ولا جدتك أمك . لبن الأبقار . انهن رضعن منهن لبن الاثداء ، وفيه الكفاية من فيتامين سي وغيره من المكونات اللازمة للنمو .

ان هذا المرض الذى أصاب ابنك بدأ يصيب أبناء الناس من امثاله منذ قرن من الزمان ، منذ ذلك العصر الذى بدأت النساء تتحول فيه عن ارضاع الثدى الى ارضاع اللبن من زجاجة .

ولكن ألبان الزجاجات اليوم ، وهي مساحيق ، انما تخرج من مصنع للتغذية خاص بها . ويقوم عليها اطباء عرفوا ما في اللبن الطبيعي ، لبن الام ، لبن الثدى ، من مكونات هي لحياة الطفل لازمة لاشك فيها . فأضافوا الى اللبن السحيق الذى يصنعونه ، من لبن الابقار ، بعد تجفيفه ، كل ما ينقصه من هذه المقومات ، ومنها فيتامين سي .

وعلى فكرة ، فيتامين سي فيه «سي» ترجمة للحرف الافرنجي C ، وهو الحرف الثالث في ابجدية الافرنج ، وهو ج في ابجديتنا . ونحن درجنا على أن نسمي هذا الفيتامين فيتامين ج .

واذا انت يا سيدتى ، كنت في الريف او من غير الريف بحيث لا تستطيعين الحصول على لبن الاطفال هذا ، المصنوع وفقا لمطالب التغذية ، جاز لك ان تسقي الطفل عصيرا من عصير الفواكه التى تحتوى هذا الفيتامين ، لا سيما عصير الموالح ، ومنها البرتقال .

فيتامين ج ، ليس من خرافات التاريخ

وسؤال آخر يتصل بنفس الموضوع .

● نسمع عن تاريخ اكتشاف فيتامين ج قصصا قديمة اشبه بالخيال ، فهل هي حقيقة وقعت ، أم هم اخترعوها للاثارة وللتجارة ، وهل نقص هذا الفيتامين في الاغذية يسبب هذا المرض الذى يصفون . واذن لم لا نرى هذا المرض اكثر شيوعا بين الناس ؟

اظن الاوفق ان ابدأ بجواب النصف الثاني من السؤال أولا ، ذلك المرض الذى ينتج عن نقص الفيتامين ، ثم السبب في عدم شيوعه في الناس .

اما المرض فحقيقة واقعة . انه الحفر بالعربية . وهو Scurvey بالانجليزية . وهو لا يبدأ بأعراض اكثر من ضعف في القوة ، واستنفادها في بذل أقل جهد ، ثم صفرة الوجه وسوء رائحة الفم ، ثم ينتهي بأن تزرق اللثة ثم تدمى ، وتتخلخل الاسنان ، ويرتشح الدم من أوعيته . الى آخر ما هناك من اعراض .

وهذا الفيتامين ضروري للطفل النامي

وللرجل الذى نما على السواء . فالعظام النامية تحتاجه لأنه يصنع « المساك » الذى يمسك العظم بعضه الى بعض ويقيمه. وهو كذلك « مساك » تتماسك به الاوعية الدموية فلا ترشح بالدم . وفى غيبة هذا الفيتامين لا يكتمل تكوّن العظم، والجلد يصبح أكثر تأثرا بالكدمات والجروح .

اما اننا لا نرى هـذا المرض أكثر شيوعا، فلأن معظم الناس تأكل الاخلاط من الطعام ، فهى تأكل الفاكهة ، غالية او رخيصة ، وتأكل الخُضَر ، ومـن فضل الله ان اعطى للكثير من هذه المآكل الشائعة حصة من هذا الفيتامين . وهو يوجد بنسبة اقل فى اللحم ، واللبن ، وطازج الاطعمة .

اما من حيث التاريخ ، فالذى كشف عن هذا الداء الخفي احداث تاريخية ، بَعُدَ فيها رجال عن مواطنهم ، وانقطع عنهم ما تعودوا من موارد ، لا سـيما الطعام ، فظهرت بينهم اعراض هـذا الداء .

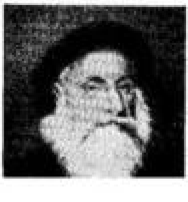
مثال ذلك : ما وقع لرائد البحار الشهير فاسكو داجاما Vasco da Gama انه قام يطوف حول راس الرجاء الصالح بجنوب افريقيا عام ١٤٩٧ . وفى رحلته هذه فقد نصف رجاله ، وذلـك بسبب مرض كان اول مظهـر له لثة كالاسفنج دامية . وعجز الرجال بعـد ذلك عن المشي مـن الم فى ارجل لهـم كانت قد اصابها الورم . ومات أكثـر هؤلاء الرجال . واصاب هـذا الـداء الصليبيين فى الحرب الصليبية الخامسة، فى عام ١٢١٩ م ، وهم فى حصار دمياط، وفتك بهم فتكا ذريعا .

وحدثت احـداث اخرى تاريخيـة شبيهة بهذه ، يتصل أكثرها بالجند ، فى ارض او بحر ، زاد عليها أن الرجال تم شفاؤهم عندما اكلوا الفاكهة والخضر الطازجة .

واخيرا ربط العلماء بين هذا الـداء وبين الفاكهة والخضر ربطا علميا ، وكان صـاحب الفضـل فى ذلـك الطبيب الاسـكتلندى الدكتـور جيمس لنـد James Lind (١٧١٦ — ١٧٩٤م) .

ثم تقدم الزمن ففصل العلماء هـذا الفيتامين ، فاذا به حامض عضـوى ، كشفوا عـن تركيبه واسموه حامض اسكوربيك أو Ascorbic acid ■■

فاسكو دى جاما





هل حق ، أن الهم يورث الشيب ؟

● **انا شاب فى الثلاثين ، وانا من الصنف الذى يحمل الهموم ، ويظل يمضغ الهم ويمضغه . واحمله نهارا واحمله ليلا . وقد ظهر فى راسي الشيب سريعا ، وهو يزيد ، فهل صحيح ما يقولون من أن الهم يورث صاحبه الشيب ؟**

ـ لا شك ان التوتر النفسى قد يحدث الشيب فى راس بعض الناس . ولكـن اغلب الشيب يحـدث بسبب ما يرثه الولد عن آبائه . فكثير من الاسر يشيب فيهـا الابنـاء حتى فى سـن العشرين والثلاثين ، من جيل الى جيل . فاسأل اباك وجدك واعمامك ، كم كان فيهم من الشيب ومتى ؟

اللهم اخزِك يا شيطان !

قصة ، بقلم : محمود تيمور

■ اتجه الأستاذ « اسماعيل » المدرس صوبَ الباب ، محتدا ، يقول لها :

ـ لن تطأ قدمي عتبة بيتك ... اقطعي رجلي لو فعلتُ !

فتصايحت هي خلفه ، تقول : في ستين داهية...

وانصرف الرجل ، وهو يرقع الباب وراءه ، مزلزلا البيت .

وانفرج باب في آخر القاعة ، واطل رأس معروق، بطاقية بيضاء ونظارة غليظة ، وقال في صوت هامس :

ـ ماذا جرى يا « جمالات » ؟

ـ لقد طردته ، ولن أسمح له أن يعود .

فسنحت على وجه الزوج بسمة هزيلة ، وسرعان ما استخفى داخل حجرته ، وهو يرد الباب في سكون .

لم يكن هذا هو المشهد الوحيد في نوعه ، فلقد طالما تكرر مثله في قاعة البيت بين الست « جمالات » ربة الأسرة ، والأستاذ « اسماعيل » معلم ابنها « محروس » .

وعلى مألوف العادة لم يمض يومان ، حتى رن جرس الباب ، والوقت ضحا ، واليوم يوم عطلة مدرسية ، فتهادت الست « جمالات » متخطرة بجسمها العَبْل ، وقوامها المديد ، تستجيب لرنين الجرس ، فلما فتحت الباب بدا الأستاذ « اسماعيل » بوجهه الباش ، وعينيه اللامعتين ، يردد قوله :

ـ نهارك سعيد ياست هانم ..

فأجابته في لهجة مأنوسة ، وهي تفرقع باللادن بين شدقيها :

ـ نهارك مبارك يا أستاذ ..

ودخل القاعة مرفوع الهامة ، يدق الأرض بخطو رزين ، وقال :

ـ الظاهر أن ازمة الخدم لا تزال مستمرة ... لقد اتيت بنفسك لتفتحي الباب .

كما ترى يا أستاذ ..

وتنهدت ، وهي تواصل حديثها :

ـ شغل البيت كله على دماغي، وسعادة « البك » ربنا يحفظه لا يهمه الا نفسه .. لايخطر بباله مرة واحدة أن يساعدني في شيء .

ـ اتركي « عفيفي بك » لشغله ... ربنا يعينه .. أنا موجود تحت امرك !

وكان الباب الذي في آخر القاعة قد انفرج قليلا ، وظهر في محاذرة رأس « عفيفي بك » المعروق بطاقيته البيضاء ونظارته الغليظة ، وما هي الا أن انسل متراجعا في سكون ، وعلى وجهه ترتسم ابتسامته الهزيلة .

... وانتهى وقت الدرس ، فضاه الأستاذ « اسماعيل » مع الصبي « محروس » يشرح له



مواد التعليم ، ويحفظه اياها فى جهد جهيد ، وترك الحجرة وهو يروّح وجهه المحتقن متوخيًا من فوره المطهى ، حيث تعد الست « جمالات » طعام الغداء ، وشمر كميه ، واتخذ مقعده بجانب الحلة الكبيرة ، وانهمك يقشر البطاطس ويفصص الثوم ، ويخرط البصل ، ولسانه منطلق مع ربة البيت فى حديث ذى شجون .

وضمت مائدة الغداء أعضاء الأسرة جميعا « عفيفى بك » الزوج ، و « جمالات هانم » الزوجة ، و « محروس » الابن ، والأستاذ « اسماعيل » المدرس .. وليس من عجب أن يعد الأستاذ نفسه عضوا عاملا فى كيان الأسرة ، فأعضاؤها يرحبون بذلك منه ، ويفسحون له بينهم مجلس الصدارة ، لما آنسوه فيه من طيبة واخلاص ووفاء .

وفى أثناء الطعام ، مضى الأستاذ « اسماعيل » يبادل الزوج أحاديث مستفيضة فى الفن الفرعونى واللغة الهيروغليفية ، فقد كان الزوج ممن ضربوا فى هذه الدراسة بسهم وافر ، حتى اعترف له فى ميدانها بأستاذية أصيلة ، وهو اليوم يعمل جاهدا فى اعداد مُعجَم جامع لحضارة المصريين القدامى .

وتشعب الحديث بين الزوج والأستاذ ، حتى

ضجر الغلام ، فشرع يرفع عقيرته بالغناء وصاحت الست « جمالات » قائلة :

ـ قلبتم دماغنا بفرعون وشمعون ... مالنا وهذا الكلام الفارغ ...

وقال « عفيفي بك » للاستاذ :

ـ ذلك شأنها دائما ... تضيق بالمناقشات العلمية ، ولاتقدرها قدرها الحق .

فصرخت الست « جمالات » تقول :

ـ حسبها منك اهتمامك وتقديرك .. انك تمنحها أعز شيء عندك .. صحتك ووقتك ومالك .. أما أنا فماذا تمنحني يا حسرة ؟!

فقال الأستاذ « اسماعيل » متشدقا :

ـ يمنحك الحب يا ست هانم !

فتلاعبت الست « جمالات » بحاجبيها ،وقالت وهي تنغم الكلمات تنغيما تمثيليا :

ـ الحب ؟ .. أين هذا الحب يا ضنّاي ؟ انه يحبس نفسه في الحجرة وينساني وينسى الدنيا وما فيها .. فتشها سيرة !

فغمغم الزوج : يا له من نكران للجميل ! .. ونهض حاملا فوطته على كتفه ، متجها نحو حجرته ، وما أسرع أن ردّ خلفه الباب .

وقال الأستاذ « اسماعيل » وهو يلتقم آخر فص في برتقالته :

ـ انه رجل عظيم .. جدير بكل تقدير .

وضربت الست « جمالات » المائدة بقبضتها ، وهي تقول بصوت راعب :

ـ حضرتك تلمّ لسانك .. أحسن !

ـ اني أتكلم في سبيل نفعكم ، ولا أقول قولا الا من أجل مصلحتكم ..

ـ لو كان غرضك منفعتنا ومصلحتنا لكنت أحضرت لي خادمة أخرى بدل التي تركت منزلي منذ أسبوع ، وأنت الذي انتقيتها بنفسك ، وأحضرتها معك ، وامتدحت سلوكها ومهارتها .

ـ كانت خادمة ماهرة حسنة السير والسلوك .. لا شك .

ـ بل كانت كسلانة ، واخلاقها لا تطاق .

ـ يا ست هانم .. أنت لا يعجبك العجب . لقد أحضرت لك بدل الخادمة عشر خادمات ، لم تحتمل واحدةمنهن الاقامةعندك غير أيام معدودات، ولم تسلم احداهن في نظرك من عيب واتهام .. كلهن رديئات الخدمة ، سيئات الخلق !

ـ تقصد حضرتك أني أنا السيئة الخلق ؟!

ـ يا ستي عفوا .. لم اقل ذلك ... يجب ان تعاملي الخدم معاملة حسنة لتضمني استمرار الخدمة .

ـ أتتهمني بالغلظة والفظاظة ؟ .. حقا انك رجل لا تستحي ..

ـ وانت سيدة حامية .. لا يحتملها انسان .

ـ اخرس ..

ـ وان لم افعل ؟

ـ قذفتك بفردة حذائي ..

ـ اذا فعلت ذلك رددتُ اليك الحذاء اقوى واعنف !

ـ اخرج برا ..

ـ ساخرج .. ولكن اعلمي ان قدمي لن تطأ عتبة بيتك بعد اليوم .. اقطعي رجلي لو فعلتُ .

ونهض كالزوبعة خارجا ، ورفع الباب وراءه ، مزلزلا البيت ، على حين تصايحت الست « جمالات » تشيعه بقولها :

في ستين داهية !

وهاج الغلام وماج ، متواثبا في عبث .

وانصرمت أيام ...

وصلصل جرس الباب ...

وفتحت الست « جمالات » ...

ودخل الأستاذ « اسماعيل » باش الوجه ، يقظ العينين ، يردد قوله :

ـ نهارك سعيد يا ست هانم ...

ـ نهارك مبارك يا أستاذ ..

واقبلت عليه تواصل قولها :

ـ والله فيك الخير يا أستاذ... انك لاتنساني مهما بدر مني في حقك ...

ـ يا سلام ... وهل عندي غيرك في منزلتك ؟

فراحت الست « جمالات » تمسح عينيها النديتين ، وهي تقول :

ـ أنا كنت قليلة الأدب معك .. لازم أني أستسمحك .. لازم أني أبوس رأسك .

ـ العفو .. العفو يا ست هانم .

واستطاعت أن تقبل رأسه ، وهو يحاول منعها وتابعت قولها :

ـ لا تؤاخذني .. الهم كله على دماغي .. شغل البيت ثقيل .. وأنا وحدي أقوم به .

ـ أنا مقدر ظروفك .. حسبى منك طيبة قلبك وحسن نيتك .

ـ أشكرك يا أستاذ ...

ـ عندي هدية لك ...

ـ ما هى ؟

ـ خادمة مثل الجوهرة .. لن تفرطى فيها ابدا ..

فاشرق وجه الست « جمالات » ، وقالت :

ـ أين هى ؟

ـ بالباب منتظرة امرك .

فما سمعت قوله ، حتى صاحت :

ـ أدخلى يا بنت ادخلى ..

ودخلت البنت .

وبعد لحظات كانت تؤدى عملها المنزلى فى نشاط ...

★ ★ ★

تم التعارف بين أسرة « عفيفى بك » والأستاذ « اسماعيل » كما يتم التعارف بينها وبين من تحتاج اليه من المدرسين للصبى « محروس » . جاء به صديق للأسرة ، وقدمه بقوله .

ـ حضرته الأستاذ « اسماعيل » ، المربى الكبير ، وصاحب التاريخ الحافل فى التعليم ..

ـ تشرفنا يا استاذ .

والحق ان الأستاذ « اسماعيل » كان قبل احالته الى المعاش من عمُد التعليم فى المدارس الحكومية ، رجلٌ واجبٍ مثالى ، له قلب من ذهب ، ولكنه لم يحظ بما هو خليق به من مكانة ، ابطات عنه الترقيات ، فخرج من الخدمة بمعاش ضئيل .

واذا أردت أن تعلم السبب ، فدونك ملف خدمته ، فيه ثغرات قد تعدها أنت من أعمال المروءة ، ولكن القانون يصمها بالتدليس والتزوير : ضبط مرة فى امتحان يملى الاجابة على طالب ، ولما سئل فى ذلك كان عذره أن هذا الطالب لا بد أن ينجح وينال الشهادة ليستطيع الانفاق على امه واخوانه ، بعد أن مات ابوه ، وفقدت اسرته بموته عائلها الاوحد ... ويوما ، عند مراجعة كشوف الدرجات فى المدرسة ، لوحظ أن الرجل يغدق الأرقام جزافا على طالب عرف بالبلادة والكسل وكان دفاعه عن نفسه انه قال :

ـ ما ذنب هذا المسكين ، وقد خلقه الله بعقل يابس متحجر ؟ انه معذور ، ويجب أن يعان ...

زاول الأستاذ « اسماعيل » مهمته مع الصبى « محروس » فى حجرته ، يلقنه الدروس فى مجاهدة وصبر ، اذ بدا له من اول لقاء أن الولد لا طاقة له بدرس ، ولا رغبة منه فى استذكار ، ومن ثم تخلف عن اقرانه عاما بعد عام ، فعاهد الأستاذ نفسه أن يستدرك أمر هذا الصبى ، ويصلح من حاله ، وينشئه تنشئة جديدة ، وقد اتخذ له وسائل تربوية اكتسبها بفضل تجاربه ، ولم تمض اسابيع حتى غطت جدران الحجرة جداول مزوقة ، وملخصات دروس زاهية الالوان . كذلك ازدانت الأركان بشهادات التقدير المذهبة والمفضضة فى اطارات براقة ، تحوى حكما ومواعظ فى الحث على العمل ، وتنشيط الهمة ، وتبشير المجتهد بما ينتظره من نجاح وفلاح ..

وذات مساء ، سمعت الست « جمالات » ضجة تنبعث من حجرة ولدها « محروس » وهو وقتئذ بين يدى معلمه الأستاذ « اسماعيل » ، فسارت فى محاذرة وتلصص ، وتطلعت من فرجة الباب الى ما يحدث ، فرأت المعلم والولد يغطى كل منهما وجهه بقناع يمثل وجوه الهنود الحمر ، ويتلفع بوشاح من الورق المفوف ، وهما يدوران فى الحجرة ، متواثبين متصايحين ، وفى أيديهما خناجر من الورق المقوى ، فاقتحمت المرأة الحجرة غضبى .

ـ ما هذه الزيطة يا أستاذ ؟ أهذا هو الدرس الذى تلقنه لتلميذك ؟

فتقدم المعلم منها ، محتفظا بمظهره الهندى ، وقال وهو يمسح عرقه :

هذه طريقة بيداجوجية تربوية أنا بها خبير .. علينا يا ست هانم أن نعطى حبة الدواء للمريض مغلفة بالشكولات ..

فرفعت الست « جمالات » حاجبها الأيمن وخفضته ، وانصرفت تمصمص شفتيها .

كان الا ستاذ « اسماعيل » يحضر للدرس ويمضى ، فلا تعدو علاقته بربة البيت وزوجها العالم الأثرى تحية متبادلة وسؤالا عن الصحة وحديثا عابرا فى الجو وتقلباته وان جاوز الحديث نطاقه المألوف ففى شأن « محروس » وما أحرزه من تقدم وتوفيق .

وبينما كان الأستاذ « اسماعيل » مرة يلقن غلامه الدرس ، شبت مشاحنة بين الست

« جمالات » وخادمتها ، لم تلبث أن انتهت بطرد الخادمة من البيت . وخرج الأستاذ الى القاعة ، فاذا الست « جمالات » ترغى وتزبد ، فاقحم نفسه يطيّب خاطرها ، وانحى باللائمة على خدم اليوم ، وما تلقاه من عنتهم ووقاحتهم ربات البيوت .. وامتد بينهما الحديث الودى ، وكان ختامه قول الأستاذ :

لا تلقى بالا لهذا الأمر .. سابحث لك بنفسى عن خادمة ماهرة مهذبة .. ولن يهدا لى خاطر حتى أحضرها لك هنا ، واسلمها اليك !

فتطلقت أساريرها ، وقالت :

ــ الله يسترك يا أستاذ ..

وخرج الأستاذ فى خطوه المتزن الثقيل ، على حين قصدت الست « جمالات » حجرة زوجها ، واقبلت عليه تقول له :

ــ الأستاذ « اسماعيل » وعدنى باحضار خادمة ماهرة مهذبة .. حقا انه رجل كريم .

وكان « عفيفى بك » متكبا على مكتبه ، فرفع راسه الأشيب المعروق بطاقيته البيضاء ونظارته الغليظة ، ونظر الى الزوجة يقول :

ــ الأستاذ « اسماعيل » .. من تقصدين ؟

فتصايحت :

ــ معلم ابنك « محروس » ..

ــ آه ... آه .. حسنا .. حسنا .

وانجز الأستاذ « اسماعيل » وعده ، فاتى بخادمة لقيت قبولا ورضا بادىء الأمر ولكن ما هى الا أيام حتى توضحت سيئاتها لربة البيت ، فطردتها شر طرد !

وعنى الأستاذ « اسماعيل » باحضار خادمة أخرى ... وكان حظها من الطرد حظ سابقتها ..

وهكذا دواليك .. الأستاذ « اسماعيل » يحضر الخادمة تلو الخادمة ، والست « جمالات » توالى الطرد والاقصاء ، وعلى مر الأيام أصبح للأستاذ عمل راتب غير تعليم الصبى « محروس » ، ذلك هو توريد الخادمات للبيت فى حمية وحماس !

واخذت جلساته مع ربة البيت تطول ، ومدارها دائما الشكوى من سوء أخلاق الخادمات ،وحرص الأستاذ على ضرب الأمثلة التى تؤيد هذه الحقيقة الصارخة !

ولم يكن الأستاذ « اسماعيل » على فرط اجتهاده فى ارضاء ربة البيت ، يسلم من مؤاخذة وشجار ، ولكنه كان يحتمل ذلك عن طيب خاطر ، اذ كان يحس فى قرارة نفسه أنسا وراحة ،وهو فى مجلس الست « جمالات » يطارحها أشتات الحديث ، تروقه ضحكتها النسوية ذات الذيول المزركشة ، ويطيب له أن يشبع ناظريه من قوامها المكتنز ، وهى تتخطر غادية رائحة .

وكان أن دعته الى الطعام ، احتفاء بورود الكشف الشهرى من المدرسة ، وفيه أن الغلام قد أحرز درجات عالية لم يسبق له احرازها ، وتطرق الحديث على المائدة الى شئون الطهو فانشأ « عفيفى بك » يتكلم فى الأطعمة الفرعونية التى كانت توضع عن كثب من نواويس الموتى ، ولكنه لم يستطع أن يسترسل فى القول ، اذ ظهر على وجه الست « جمالات » سيماء الامتعاض ، وامسكت بزمام الحديث ، مسهبة فيما تجيد من الأطعمة على اختلاف الأصناف .

واستبان للزوجين أن الأستاذ «اسماعيل» ذواقة للطعوم ، خبير بطرائق الطهو فقد افاض القول فى ذلك افاضة بعثت الست « جمالات » على أن تتفهمها منه ، ووعدته أن تتولى تجربتها بتوجيه منه واشراف .

وفى غد حضر الأستاذ « اسماعيل » متابطا كتابا ضخما ، فلما رأى ربة البيت دفع اليها الكتاب قائلا :

ــ هذه هدية متواضعة ، أرجو قبولها .

وقرات هى العنوان : « اطباق شهية » تاليف شيخ الطهاة فى العصر الحديث .

فتصايحت فرحة تشكر للمهدى جميله ،وتثنى على فطنته ..

ومنذ ذلك الوقت شهد مطبخ العالِم الأثرى زائرا جديدا ، بل ضيفا مزمنا ، هو الأستاذ « اسماعيل » ... يهيىء مع الست « جمالات » مختلف الأكلات الطريفة ، وكثيرا ما خانهما التوفيق فى عملهما ، فلا تملك ربة البيت الا أن تضيق بخيبة الأستاذ ، وتستشيط غضبا ، وهى تقول له :

ــ والله نفسى أدلق الحلة على دماغك !

ــ اشكرك ولكن لا تنسى أن محتويات الحلة اغلى مما يحويه دماغى !

ويطلق ضحكة صاخبة ، تقابلها الست«جمالات» بابتسامة اشمئزاز ، وهى تردد :

ــ أنت لا تصلح الا لتقشير البصل !

وعلى توالى الأيام ، ألفى الأستاذ « اسماعيل » نفسه قد أضاف عملا ثالثا جديدا الى عمليه السابقين فى تعليم « محروس » وتوريد الخادمات ... ذلك هو قيامه بمهمة صبى مطبخ ، أو كما يقولون : « مرمطون » !

وقدم مرة ، فراعه مرأى ربة البيت : وجه شاحب ، ودمع يترقرق ، وصوت حبيس .

ـ مالك ؟ الشر بعيد ..

ـ سيموت الولد .

ـ الحقنى يا أستاذ

ـ كيف ؟

ـ منذ ليلة أمس ، والحمى مشتدة عليه ، وقد أصابه هذيان ..

واندفع الأستاذ « اسماعيل » الى حجرة الصبى فى الحال ، ولما أيقن ان الأمر خطير ، هرول يستدعى الطبيب .

ومنذ تلك الساعة ، لزم الأستاذ حجرة الصبى، لا يبرحها الا لضرورة ، وهو يتعهد الصبى كما يتعهده ممرض متمرن نشيط : يضع له الكمادات بدقة ، ويواليه بالدواء فى أوقاته ، بل كان يشاركه فى تعاطيه ، متحيلا له بالأضاحيك والفكاهات فى خفة مهرج اصيل ... ولم يكن يبالى أن يتعاطى فيما يتعاطى ما أعد للمريض من أدوية مسهلة ، غير مستنكف أن يعين الصبى على الجلوس على وعاء الراحة ، لقضاء الحاجة ، ولا يلبث أن يهرع هو بعد ذلك يلتمس « الراحة » فى « بيتها » المعهود !

وشفى الصبى ...

وازدادت صلة الأستاذ رسوخا وتوثقا بالأسرة أو بالحرى بالست « جمالات » خاصة ، فارتفعت بينهما الكلفة ، كما احتدت بينهما المشاحنات واتسع مداها ، وكانت تلك المشاحنات كالملاط للبناء ، يدعمه ويجعله مترابطا متلاحما .

وبينما الأستاذ جالس يوما مع تلميذه يشرح له الدرس ، سمع صوت الست «جمالات» مولولة



ـ اخرج برا ..

ـ ساخرج .. ولكن اعلمى ان قدمى لن تطأ عتبة بيتك بعد اليوم ... اقطعى رجلى لو فعلت

شاكية ، ففزع اليها ، مهتديا بصوتها ، فالفى خطاه تحمله الى حجرة الغسيل ، وربة البيت جالسة الى طست كبير تعلوه كومة من الملاءات ، وهى تقول فى مرارة :

يا سواد بختى .. يا سوء حالى .. ياللمصيبة التى دهمتنى !

فقال لها متسائلا :

ماذا جرى ؟

ـ جرى كل شر ..

ـ ولم الشر يا ست ؟

ـ ألا ترى ما أنا فيه من ورطة .. ورطة أنت سببها الأول !

ـ أنا ؟

ـ نعم ، أنت .. أنت الذى لا تحسن انتقاء الخادمات ، فأصبحت لا أجد حولى من يعيننى على أعمال المنزل .

وكانت الست « جمالات » ترتدى مباذلها ، ليس عليها الا جلباب رقيق النسج يكشف عن ذراعين عبلتين ، وصدر ممتلىء رجراج ، وساقين مكتنزتين ، وقدمين عليهما نقش الحناء .. فمثل الأستاذ « اسماعيل » لحظات ، امام هذا المشهد المثير يعب منه عبا ، واذا هو يصحو من سكرته ، مناجيا نفسه : « اللهم اخزك يا شيطان » !

وانبرى يقول لها فى جد :

ـ صحيح .. أنا المحقوق .. ولكنى مستعد أن أصحح غلطتى .. ما الذى يضايقك الآن ؟

ـ عصر الملاءات المغسولة يا أستاذ ..

ـ شغلة هينة يا ستى ..

وطفق يخلع سترته وصداره ، وسرعان ما شمر بنطاله حتى الركبة ، وجلس القرفصاء ثم مد يده يتناول ملاءة مشبعة بالماء ، وجعل يعتصرها فى قوة وعزم ، ولما انتهى منها تناول غيرها ، حتى اتم عصر ما فى الغسيل من ملاءات ونحوها . وترك مكانه وهو يحس أن عشرا من الأيدي قد عصرته عصرا ، واشبعته طيا ونشرا . بيد انه رأى أن يكمل واجبه ، فعاد الى سفط الغسيل يحمله الى السطح ، وينشر ما فيه على الحبال ، فى رقابة دقيقة فرضتها عليه ربة الدار فرضا ..

ونزل الأستاذ « اسماعيل » الى ردهة الشقة ، وتهالك على المتكأ ، وهو يمسح عرقه فى تضاحك . وبعد حين رأى الست « جمالات » ، مقبلة عليه، وبين يديها صينية يتوسطها ابريق القهـــوة ، وقد تضوع منه شذا المصطكا والحبهان ..وجلسا معا يرتشفان القهوة الساخنة ، وعلى وجهيهما يتجلى بشر وارتياح .

★★★

بعد ان انتهت الحصة يوما مع الفتى«محروس» زايل الأستاذ « اسماعيل » الحجرة ، متوخيا باب الخروج ، والفتى بجانبه ، فلما اقتربا منه ، تناهى الى سمع الاستاذ خفق قدمين تتخطـران .. وهب عليه صوت يقول :

ـ مساء الخير يا أستاذ .. مالك تتعجـــل الخروج ؟

ووقعت عين صاحبة الصوت على كرة فى يد الفتى ، فواصلت حديثها تقول :

ـ أتريد أن تشترك مع « محروس »فى اللعب بالكرة يا أستاذ ؟

فأجابها باسم المحيا : « ولم لا ؟ »

وفتح «محروس» الباب ، ومرق منه ، على حين تراجع الأستاذ « اسماعيل » خطوات محييــا الست «جمالات» تحيته المألوفة ، وختم التحية بقوله :

ـ والصحة ؟ .. أحسبها على ما يرام .

فأجابت وهى تفرقع باللبان بين شدقيها :

ـ زفت وقطران !

ـ كفى الله الشر ...

وجلس كلاهما على المتكأ .

ـ « الروماتزم » ماسك رقبتى !

ـ سلامتك ...

ـ وجع فظيع ...

وتابعت فرقعة اللبان فى تفنن ، ولحظ الأستاذ « اسماعيل » انها لفت رقبتها بمنديل وردى من الحرير ، هو الى الزينة والتجمل اقرب منه الى ان يكون لوقاية وعلاج .

ـ وكيف تعالجين « الروماتزم » ؟

ـ بدلك الجزء المصاب بالدهان ... ولكن يا حسرة .. لا أجد حولى من يقوم لى بهذه المهمة ، فاضطر الى ان أتولى الدلك بنفسى ... وما أصعبه من عمل !

ـ صحيح .. عمل مجهد ..

ـ وسعادة « البك » ربنا يحفظه لا يسأل من

صحتى .. لو كانت هناك مومياء محنطة ، شكت له « الرومانزم » ، لسارع اليها يدلكها !

فتعالت ضحكة الأستاذ « اسماعيل » ثم اعتدل فى مجلسه يقول :

ــ انا والله كانت لى خبرة بالتدليك .. تعلمته على يد ممرض ماهر .. هذا كان فى زمن الفتوة والشباب !

ــ هل افهم من كلامك انك تستطيع تدليك رقبتى ؟

ــ طبعا أستطيع ...

فكسرت من جفنها ، وقالت فى تخابث :

ــ وهل تسمح لنفسك بتدليك رقبة سيدة يا أستاذ ؟

ــ وما المانع ؟

فتوقفت عن مضغ اللبان هنيهة ، وهى تحدق اليه ، ثم استأنفت تقول :

ــ الا تستحى من قولك هذا يا شيخ ؟

ــ وفيم الحياء ؟ .. انار رجل جد .

ــ تعنى أن عينك لا تزوغ أمام مفاتن السيدات؟

ــ مطلقا ...

فرمته بنظرة نسوية صائدة ، وقالت له فى نبرات متنغمة :

ــ حتى معى .. معى أنا ؟!

وتلاقت أعينهما ...

وهب الأستاذ « اسماعيل » واقفا يردد فى وليجة نفسه :

« اللهم اخزك يا شيطان » !

ثم قال لها جهرة ، وهو يحاول أن يجعل الموقف موقف مهازلة ومزاح :

ــ والله يا ست « جمالات » ، لو انفردت بك ولم يكن بيننا ثالث على ظهر الارض ، لما رفعت اليك بصرى بنظرة غير بريئة !

ــ ... يا سلام !

ــ انا حين اكون معك ، لا أعد نفسى الاستاذ « اسماعيل » ، بل خالتك « أم اسماعيل » !

وأطلق ضحكة شوهاء ، لاقتها السيدة بصمت مغلق .

وقامت وهى تسوى ثوبها عليها ، وقالت :

ــ تعنى اننى لا استطيع أن أحز عاطفتك ؟

ــ عفوا ... ولكن ...

ــ لست أنا قد المقام طبعا !

ــ يا ستى ... العفو ...

ــ لا أستاهل نظرة منك ..

ــ لم اقصد ذلك ...

ــ تقصد انك لا شعور عندك ولا احساس ..

ــ انا لا شعور عندى ولا احساس ؟ كيف ذلك يا ستى ؟

ــ طبعا ... أنت الذى اعترفت بذلك بصراحة ... أنت الذى حكمت على نفسك بأنك لست رجلا كالرجال !

ــ انا رجل بحق .. ولا ارضى أن اكون من صنف النساء ..

فالقت عليه الست « جمالات » نظرة نكراء ، وقالت :

ــ أنت قليل الأدب ... وقح !

ــ الله ! ...

ــ .. ودون أيضا !

ــ مهما قلت ، فانا عند موقفى لا اتزحزح ..

ــ اخرس ، قطع لسانك .

ــ وان لم أخرس ؟

ــ قذفتك بفردة حذائى ..

ــ سأرد اليك الحذاء أقوى وأعنف ...

ــ اخرج برا ...

ــ لن تطأ قدمى عتبة بيتك بعد اليوم ..

ــ فى ستين داهية .

ورقع الباب خلفه مزلزلا البيت ..

وانفرج باب آخر فى نهاية القاعة ، واطل منه الراس الأشيب المعروق بطاقيته البيضاء ونظارته الثقيلة ، وهمهم :

ــ ماذا جرى يا « جمالات » ؟

ــ جرى أن حضرة المدرس الذى اخترته سعادتك للولد ، رجل وضيع ، يحتقر السيدات ، ولايعرف لهن أقل اعتبار ... لا أحب أن أرى له وجهـا فى البيت !

وظهرت نتائج الامتحانات ، ونجح « محروس » وعُد من حملة الشهادات ، فضج البيت ضجيج الطرب والابتهاج ، وفتح الباب على مصراعيه لقدوم الأستاذ « اسماعيل » .. وما كاد يخطو فى الردهة خطواته الوئيدة الهينة حتى استقبلته الست « جمالات » بأغرودة رنانة لها أصداء

مثيرة ، وصاحت في تحمس ، وقد طوقت كتفيه بذراعيها العبلتين :

ــ مكافأتي لك هذه القبلة !

وقبل أن يحير جوابا ، ألفاها تطبع على خده قبلة عارمة ، وهي تقول :

ــ والله غيرك يدفع فيها ألوف الجنيهات ، ولا ينالها .. !

وقضت الأسرة وقتا هانئا في صحبة الأستاذ « اسماعيل » ، تتبادل الملح والمطايبات ، ولما رجع الى شقته المتواضعة ، واحتوته حجرته ، ترامى على الفراش منسرحا في أخيلة شتى ...

ما أعذبه وقتا ذلك الذي قضاه مع أسرة العالم الأثري ، وهو الذي أمضى حياته لم يسكن الى زوج ، ولم يؤنسه ولد ، ولم يألفه قريب ... هنالك زوجه وولده وذوو قرباه .. هنالك نشطة الحياة وأنسها وبهجتها من حوله .. أما هنا في مخدعه فليس الا العزلة والوحشة والاكتئاب !..

ورفع يده الى خده يتحسس موضع القبلة العارمة ، قبلة الست « جمالات » ، وقد شاعت على محياه بسمة رفيقة حالمة .

وعلمت الأسرة أن الأستاذ « اسماعيل » أصبح نزيل أحد المستشفيات ، لمرض أصابه ، فانتقلت اليه بكامل هيئتها ، محملة بالهدايا والألطاف ، ولبثت معه اليوم تتعهده بالرعاية والحنان ، ووضح لها أن مرضه ليس بالهين ، وأن حياته على خطر .

وتوالت زيارات الست « جمالات » له في مستشفاه ، تقيم من نفسها ممرضة له ، وتفرض عليه سلطانها التام ، وهو مذعن لذلك ، سعيد به ، يستشعر ضعف الطفل وتطلعه الى من يحنو عليه ويرعاه .

ومرة ، وهي تجرعه الدواء ، نظر اليها نظرة عميقة ، وقال :

ــ وان مت يا ست « جمالات » ... فماذا تفعلين ؟

فأجابت وهي تعيد زجاجة الدواء الى المنضدة ، تائهة النظر :

ــ لا تخش من شيء .. سأحيي لك ليلة مأتم عامرة بالمشهورين من القراء .. ولن ينقطع لي صوت حتى الصباح !

وما هي الا أن ثابت الى وعيها ، فضربت صدرها بيدها ، وتدانت منه تقول :

ــ اياك أن تعملها يا مخبّل !

ــ وان عملتها ؟

ــ خبر أسود .. ربما طلع في مخي أن أرمي بنفسي من الشباك !

فأمسك بيدها ، وقد تألق وجهه ، وقال يخافت بصوته :

ــ يا سلام .. ترمين بنفسك من الشباك ؟!

ومسحت الست «جمالات» ظلال دمعة ترقرقت في مآقيها ، وقالت متلطفة :

ــ اذا مت فسأخاصمك .. أفهمت ؟

وابتسما ، ثم تضاحكا طويلا .

لقد أيقن الأستاذ «اسماعيل» أن هناك شخصا معينا يريد له الحياة ، شخصا اتصلت أسبابه به ، شخصا تتعرض حياته للخطر اذا تعرض هو له ..لزام أن يحيا .. لزام أن يهزم الموت ... لزام أن يستخلص نفسه من براثن العدم

لن يموت .. لن يموت .. ما دام هناك من يريد له البقاء .

وزايل الأستاذ « اسماعيل » مستشفاه ، وهو مكتمل العافية ، ورجع الى قواعده سالما في بيت الست « جمالات » : يورد الخادمات ، ويجلس عن كثب من الحلة الكبيرة في المطبخ يقشر البصل ويفصص الثوم ، ويتراءى كل أسبوع مرة في حجرة الغسيل يعصر اللاءات وينشرها في السطح على الحبال ، ثم هو بعد ذلك الجليس الأنيس ، يناقل رب البيت الحديث في معالم الحياة على عهد الفراعنة ، وفوق هذا كله يشرف على تعليم الفتى « محروس » ، يلقنه الدروس ، ويوجه سلوكه التوجيه القويم .

كل ذلك كان الأستاذ « اسماعيل » يمارسه في نجاح منقطع النظير ، الا أن أمرا واحدا لم يقو على الاضطلاع به ، مع سهولته وضآلته .. ذلك هو القيام بتدليك رقبة الست « جمالات » عندما يصيبها « الروماتزم » اللعين ، فقد كان يمثل أمامها ، وهو يحدق الى المنديل الحريري المورد حول رقبتها ، ويتيه لحظات ، مصغيا الى صوت نفسه يردد :

اللهم اخزك يا شيطان ! ■■

محمود تيمور

أنباء الطب والعلم والاختراع

بعد كنوز الارض، كنوز البحار

● ارتاد الانسان الأرض اليابسة يبحث عن خيراتها .

وارتاد السماء يبحث عن مناطق للحياة ، لعلها تجوز ، بها كنوز خير من كنوز الارض . وان لم تكن ، ففي المتعة بكشف المجهول ، واللذة باستعراض العضل العلمي ، في كل هذا غناء عن كنوز .

والبحار ، ارتادها الانسان ولم يكد . وقد اتضح اتضاحا لا شبهة فيه ان مياه المحيطات وما فيها من ثروة حية لا تكاد تنفد ، وما في قيعانها من جبال ووديان وصخور بها من الخامات ما تتصاغر الى جانبه خامات الأرض اليابسة ، خامات القارات ، هي الأخرى جديرة بفحوص لا تقل عن فحوص الأرض وفحوص السماء .

وقد جرت الفحوص الى اليوم من سفن يسكنها العلماء ، تظل من البحار على سطح الماء ، ثم يُدلون من هذا السطح بما يدلون ، ويرفعون من الماء بأداة صيدهم وبشتى دلائهم ما يرفعون .

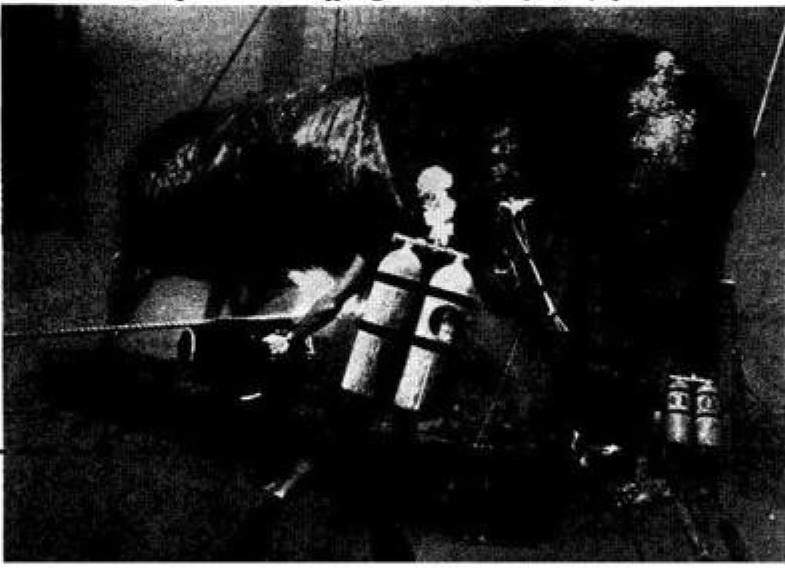
ثم يتبين لهم أن لا يتم بحث شاف الا بالنزول الى تلك القيعان والعيش ، في الماء ، عندها .

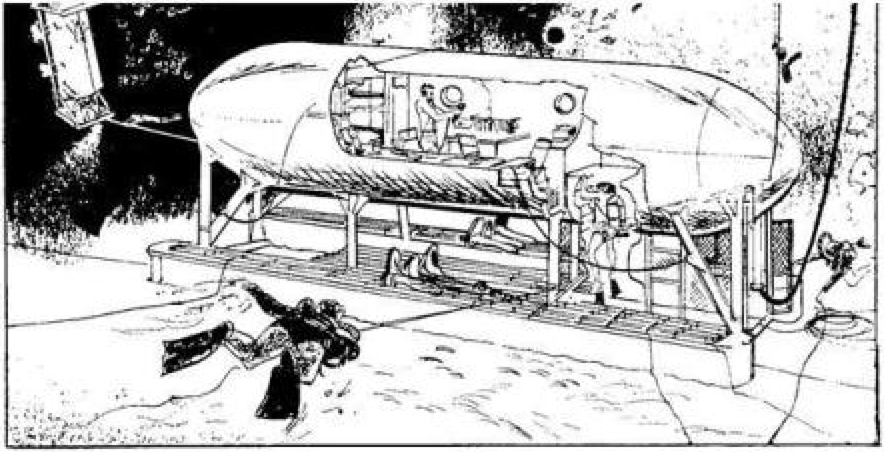
وصمموا لذلك الغرف يسكنونها في هذه القيعان .

وفي الصورة مسكن من تلك المساكن . وهو كبسولة من الفولاذ ، لعلها تتسع لبضعة من العلماء « رجال الاعماق » . وهم علماء وسباحون في آن .

والكبسولة طولها ١٢ مترا ، وقطرها ٣ امتار ، وبها أماكن للعيش وأماكن للعمل . وأسموها « سيلاب » Sealab وهو اختصار للفظ

— صورة للمختبر القاعي ، ووصفه في نص المقال ، وترى فيه اثنين من العلماء يسبحان حوله ، وقد حملا على ظهريهما غازات التنفس اللازمة





صورة تخطيطية للصورة الفوتغرافية ، توضح ما يشتمل عليه المختبر القاعي من اماكن للعمل ،وللعيش ، معـا .

Sea Laboratory ، اى المختبر البحرى .

وانزلوا هذا المختبر فى الماء ، فحط على قاع من الرجان يبعد عن سطح البحر بمقدار ٥٨٫٥ مترا . وكان هذا فى موضع من البحر يبعد عن شاطىء جـزيرة برمودا بجـزر الهنـد الغربيـة البريطانية بنحو ٥٣ كيلو مترا .

و « سيلاب » بيت مكتمل المعدات ، للعيش وللعمل ، الا الماء والكهرباء . فهذان تمده بهمـا سفينة باقية عند سطح الماء ، واقفة هناك كالخفير الحارس . وبين السفينة والمختبر تلفون ، ودورة تلفازية مغلقة تنقل للاطباء فى السـفينة الحالـة الطبية لاجسام العاملين فى المختبر .

ذلك ان العمل فى المختبر يجرى فى جو مصطنع . فالضغط فى السيلاب يبلغ ٦ مرات من ضغط الجو الهوائي العادى . وهو ليس مؤلفا من $\frac{٤}{٥}$ مـن الآزوت وخُمس من الاكسجين كالجو العـادى ، ولكن من ١٦ فى المائة فقط من غاز الآزوت ، و ٤ فى المائة من الاكسجين ، اما الباقي ومقداره ٨٠ فى المائة فمن غاز الهليوم .

اما سبب ان الضغط ستة اضعاف ، فذلـك ليوازن ضغط الماء فى ذلك العمق . واما تغييـر نسب الهواء فلان الآزوت ، يذوب فى الدم كثيرا ، وعند خروج رجل الاعماق من الماء الى سطح البحر يستلزم هذا الخروج تدرجا وزمنا طويلا حتى يخرج الآزوت من دمه ، والا مات . والهليوم فى هذا الشان اخف وطأة .

الامريكي، اطول رجل فى الدنيا

وبالامريكي نعنـي الامريكيين فيعمومهم .

وهذا الحكم نتيجـة بحث قامت بهالجامعة الشهيرة ، جامعة هارفرد ، فقد كشف هذا البحث عن ان متوسط طولالامريكي الذكر اعلى من طول ذكور امم الارض جميعا ، وان كل الدلائل تـدلعلى ان هذا الطول مستمر فى الزيادة .

وكشف البحث عن ان طول الرجـلهناك يبلغ فى المتوسط ، بين ١٨ عامـا و ٧٢ عاما ، أكثر من ١٫٨٧ مترا .

وان متوسط طولالرجال بينسن١٨عاما و ٢٤عاما ،يبلغأكثر من ١٫٩٠ مترا .

وان الامريكـي فى عـام ١٩٦٥ زادمتوسط طوله ٥٫٨٧ سنتيمترات عـن الامريكي عام ١٩٣٥ .

وقد فسر العلماءذلك بأنسببهالبيئة : فطعام افضل ، وحياة أصح وأرقى .

طريقة بارعة، لترفيع السمين

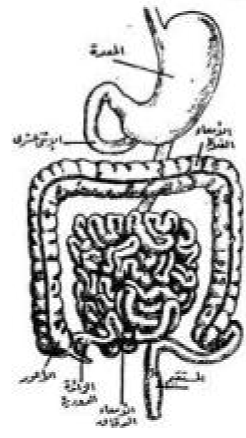
● وذلك بالجراحة .

وذلك بتقصير طول الامعاء الدقاق .

ان الامعاء الدقاق فيها يحدث الهضم ، وفيها يجرى امتصاص الاغذية المهضومة . وهي واقعة بين الاثنى عشرى والامعاء الغلاظ . وطول هذه الامعاء الدقاق يتراوح في الانسان ما بين ٦ امتار ، ٨ امتار .

والجراح يختصر من هذا الطول بعضه . يقطع الامعاء الدقاق ، ثم هو يصل الجزء الاعلى منها ، اى المتصل بالاثنى عشرى فالمعدة ، بالامعاء الغلاظ مباشرة . اما الجزء الباقي من الامعاء الدقاق فيبقيه الجراح حيث هو ، فقد تدعو اليه حاجة .

وبهذه الطريقة ، وقد اجروها في السنوات القليلة الماضية مئات المرات ، امكن ترفيع السمين والسمينة .



ومن امثلة ذلك ، رجل كان يزن ١٨٨ كيلو جراما ، هبط وزنه بعد جراحة الى ٨٢ كيلو جراما .

والسبب في ذلك ظاهر مما ذكرنا من وظائف الامعاء الدقاق . فهي للهضم ، وتقصيرها معناه ان الطعام لا ينهضم كله ، واذن لا يمتص كله ، وفي الامعاء الدقاق يجرى امتصاص الطعام المهضوم ، فبتقصير رحلة الطعام بتقصير الامعاء يقل ما يمتص في الامعاء من الطعام المهضوم .

وقد حدث ان جاء تقصير الأمعاء زيادة على اللازم ، وانتج نحافة بالغة ، واصلح الحال بان اجرى الجراح جراحة اطالت الأمعاء الدقاق . ولا ننسى ان الامعاء ، عند الجراحة الاولى ، بقيت كلها في الجسم فلم يفصل عن الجسم منها شيء . ابقاها الجراح ، لحاجة قد تطرأ .

وبالطبع ، لا يلجأ الجراح الى هذه الجراحات الا اذا صار السمن مرضا .



لدين ، موصل للكهرباء !

● كل من يذكر اللدائن (البلاستيكات) يذكر دائما معها انها لا توصل الكهرباء . انها عازلة لها ومن اجل انها عازلة كان لها استخدامات في ذلك كثيرة .

وقد ابتدعوا في مختبرات شركة جنرال الكتريك General Electric بنيويورك نوعا جديدا من اللدائن ، من خواصه انه موصل للكهرباء ، لا عازل لها !

وهذا يفتح للدائن بابا جديدا ، بل ابوابا في الصناعة عدة .

وفي الصورة مصباح كهربائي فتيلُه فتيل من هذا اللدين الجديد .

مرض كشفوه فى الانسان جديد

● كل منا ينشأ من تلقيح بيضة أم، يلقحها حيوان منوى من والد. وتتألف البيضة فى اول امرها من عدد من الكروموسومات، كقرون الفول، ويحتوى الكروموسوم Chromosome الواحد على عدد عديد من الجينات Genes، وهي اشبه بحبات الفول. هذه الكلمات يجب ان يألفها كل عربى يعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين.

ويبدأ الجنين يتكون، وهذه الجينات هي التى ترسم له الشكل، والخطى. ويصح الشكل، وتصح الوظائف، وتصح الاجسام، ما صحت الجينات هذه فى توجيهها للخلق.

ولكن يحدث احيانا ان يصيب جينة من هذه الجينات التغيير، وتكون النتيجة المنتظرة من ذلك غير حميدة. يكون خلل فى المنظر، او خلل فى الوظيفة، او يكون المرض.

وهذه الامراض التى تسببت، والجنين يتخلق، عن خلل Mutation يحدث لاحدى الجينات، تسمى بالامراض الجينية Genetic Maldies.

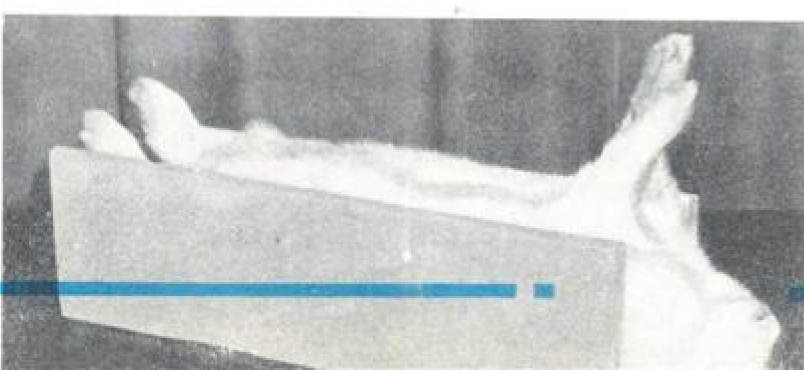
ومن هذه الامراض البله يصيب

الحيوان، جاز تنويمه

● ان الحيوانات يمكن تنويمها، كما ينوم الانسان، وليس معنى هذا ان تنويم الحيوان ظاهرة هى فى اصولها مثل ظاهرة تنويم الانسان تماما، ولكنها ظاهرة تفتح للانسان بابا واسعا لتجارب لا بد ان يفيد منها الانسان خيرا، لا فى صحته فحسب، ولكن كذلك فى مرضه، مرضه النفسانى، واذن يصبح التنويم بعض اداة الطب الحديث.

انه منذ الكشف عن هذا التنويم، المسمى المغناطيسي (ولا علاقة له بالمغناطيسية) فى عام ١٦٤٦، حاول العلماء تنويم الكثير من صنوف الحيوان. وكان أحسنها نوما الدجاج، والتماسيح، وخنازير غينيا، والارانب. وحتى أجراء الكلاب، وحتى القطط أمكن تنويمها.

وقد امكن اليوم اطالة مدة التنويم حتى تتسع لعمل كثير من التجارب، وهي تبشر، حتى فى موقفها الحاضر الذى بلغته، من زيادة فهمنا للنوم، على درجاته المختلفة، ولليقظة على درجاتها، والاحلام، والكشف عن جوانب من الخلل النفسى الذى يصيب الانسان.



الطفل وليدا .

ونسوق هنا كشفا جديدا ، لمرض جديد ، سببه اختلال احد هذه الجينات .

اما اسم هذا المرض الجديد فهو Homocystin - Urea .

واهم اعراضه زحزحة فى عدسة العين ، ينشأ عنها قصر فى النظر ، ينشأ عنه انفصال شبكية العين . يضاف الى هذا العدد تخلف الذكاء الانسانى !

ويمكن كشف هذا الداء بسهولة بتحليل البول ، وفيه يجد المحلل مادة هي موسستين Homocystine ، وهي مادة تدخل فى تأليف الغذاء البروتيني الذى يأكله الانسان.

والآن انظرْ فى اسم المرض ، تجدْهم الفوه من اسم هذه المادة مضافا اليه اسم Urea وهى مادة البول .

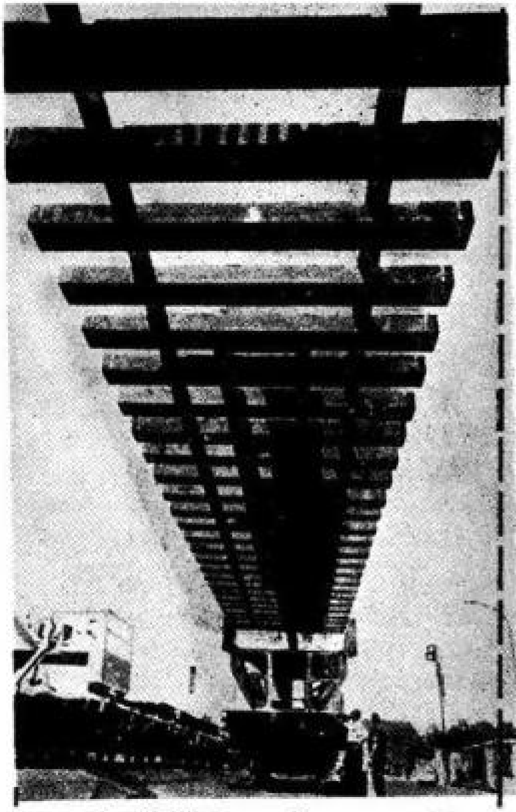
وهم الآن فى سبيل علاج هذا الداء . وطريقتهم الحاضرة هي أعطاء غذاء قليل البروتين .

ولكن الطريف فى هذا ، علاقة الجين ، بالخلل الذى وقع فىالعين ، بالخلل الذى وقع فى الراس .

ان الجسم مركب معقد عجيب ، دنيا واسعة ، ولكن صلاتها قريبة غاية القرب، يتصل شرقها بغربها ، وشمالها بجنوبها ، وشرق بشمال !

المرأة والطب فى فرنسا

● اذا بحثت عن طبيب فى فرنسا ، فاحتمال وقوفك عند باب طبيبة بدل باب طبيب هو ٧ فى المائة ، واحتمال وقوفك عند باب طبيبة اسنان بدل طبيب اسنان هو ٢٥ فى المائة (وهو فى روسيا اكثر من ٥٠ فى المائة) ، وعندما تطلب شراء دواء ، فاحتمال وقوفك امام صيدلانية انثى بدلا من صيدلاني هو ٤٠ فى المائة .

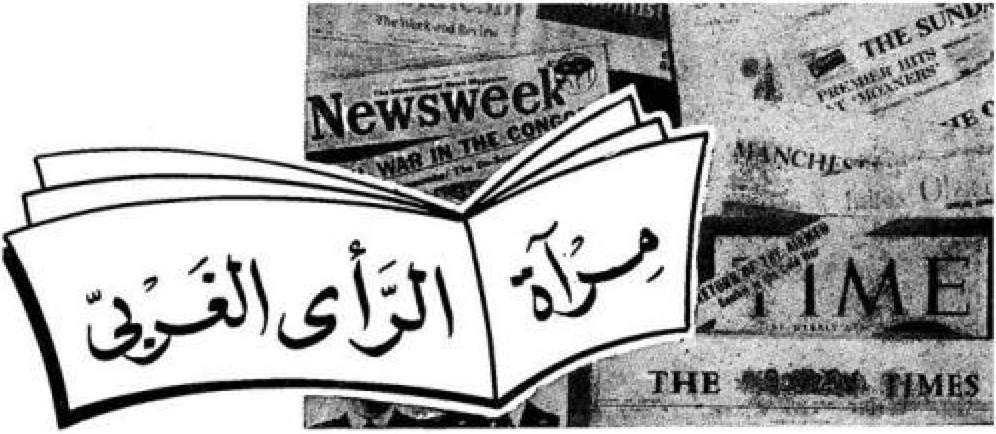


سكك حديدية ، سابقة التركيب

● السكة الحديد تتألف من قضبان توضع على الارض ، تحملها عوارض من خشب تثبّت فى الارض . والطريقة العتيقة فى عمل السكة الحديد هي وضع هذه العوارض فى الارض ، الواحدة بعد الواحدة ، ثم تركيب القضبان الحديدية عليها ، قضيبا قصيرا من بعد قصير .

أما اليوم فآخر طريقة لعمل السكة الحديد هى أن تصنع السكة فى مصانع خاصة بها ، أى تركب القضبان بطول ١٥ مترا على عوارضها من الخشب ، ثم يحملها القطار اذ يجرى بها ، على ما تم من السكة نفسها ، الى حيث انتهت السكة، لتزويدها طولا . ويَهبط بها الى الارض رافعات عظيمة . وبذلك اختُصر المجهود الكبير والوقت الطويل ، وأصبح بهذه الطريقة من الممكن مدّ ٢٠ مترا فى اليوم الواحد من السكة الحديدية .

وقد جربت هذه الطريقة حديثا فى مدينة مونيخ بألمانيا الغربية .



روسيا واحلال السلم فى فتنام

عن مجلة الايكونومست البريطانية :

● لا ريب فى ان الحرب القائمة بين شمال فيتنام وجنوبها ما زالت تزيد كلاً من الصين والولايات المتحدة تغلغلا وتورطا فى شؤون جنوب شرق آسيا ، شأنها فى ذلك شأن الحرب التى نشبت بين الهند وباكستان حول كشمير . فان كانت روسيا جادة وراغبة حقا فى ان يكون لها وزن فى آسيا ، فان عليها ان تسلك حيال حرب فتنام نفس السبيل الذى سلكته ازاء حرب كشمير . ولعل فيما اظهره المستر كوسيجين رئيس وزراء روسيا من جد ورصانة فى اجتماعات طشقند الأخيرة ما يشجعنا على التفكير فى هذا الاتجاه . وليس فى مشكلة فتنام من عناصر التحدى والمجازفة السياسية اكثر مما فى مشكلة كشمير . وما حققه الروس من نجاح نسبي فى معالجة الثانية يستطيعون ان يصيبوا المزيد منه فى معالجة الاولى . ففضلا عن العمل على وضع حد لحرب قذرة اساءت للضمير الانساني حيثما كان ، فان فى ذلك المسعى مكاسب هامة عديدة لروسيا على الصعيد السياسى . ومن تلك المكاسب رجحان كفتها على كفة الصين داخل المعسكر الشيوعي وخارجه . ومنها احتمال اقترابها من التدخل بعد ذلك فى قضايا ماليزيا واندونيسيا .

بوادر الخطر

عن صحيفة فرانكفورتر ابندبوست الالمانية :

● لقد كانت حملة السلام الواسعة النطاق التي قام بها الرئيس الامريكي فى الآونة الأخيرة ، محاولة اخرى من محاولاته الرامية الى ذر الرماد فى العيون . ففيما كان يوفد رسله ومبعوثيه ويدعو الى السلام فى عواصم حلفائه والحياديين كان الرئيس جونسون يعلن عن مزيد من الاجراءات القاسية التي ينوى اتخاذها فى فتنام فى حالة اخفاق حملته وفشل محاولاته .

لم يعد خافيا ان الولايات المتحدة تسعى الى حرب كبيرة مستطيرة في جنوب شرق آسيا وانها عمدت الى القيام بحملتها السلمية الاخيرة كوسيلة لتبرير تلك الحرب البشعة التي تبيتها . وليس فى الصورة الآن الا ما يبعث على مزيد من الهلع والفزع . اذ ليس فيها الا المزيد من الجيوش المتدفقة على فتنام فضلا عن الطائرات والدبابات وليس فيها الا المزيد من آلاف الملايين من الدولارات .

عمالقة علم الاقتصاد

عن مجلة تايم الامريكية

● الاقتصاد علم فتى ، لم تمض على ظهوره سوى مائتين من السنين . وعالم الاقتصاد البريطاني المعروف كينز John Maynard Keynes هو أحد عمالقة هذا العلم الناشىء الذى انصرف الى معالجة مشاكله وأزماته ، فى غضون الخمسين سنة الماضية ، على نحو من الشمول لم يسبقه اليه اسلافه . فقد افتقر هؤلاء الى الات القرن العشرين وأدواته الحسابية والاحصائية ، فاخفقت محاولاتهم الرامية الى معالجة مواضيع الاقتصاد معالجة جامعة وافية ، وانتهى الامر بهم الى التركيز على ناحية من ميدان الاقتصاد الفسيح دون ناحية . فكانت الاسواق ومشاكلها من اختصاص آدم سميث Adam Smith ، والسكان ومعضلاتهم من اختصاص مالثوس Richardo Malthus أما ريكاردو Richardo فقد ركز اهتمامه على الأملاك وريعها . وأما كارل ماركس فقد حصر همه فى الأعمال وأجورها . وتلك أساليب اصطلح على تسميتها فى عصرنا الحاضر بالمحاولات المجزأة وهى تختلف اختلافا بارزا عن الطريق التي شقها كينز نحو علم للاقتصاد موحد شامل Macroeconomics . لقد وجد كينز ان لا سبيل الى معالجة اقتصاديات العالم معالجة حيوية فعالة الا بالاحاطة بكافة ما تخضع له هذه الاقتصاديات من وطأة القوى العديدة التي تؤثر فيها مدا وجزرا ، بما فى ذلك الانتاج والاسعار والارباح والدخل ، والفائدة بنسبها المتفاوتة ، وسائر السياسات التي تنتهجها الحكومات المختلفة .

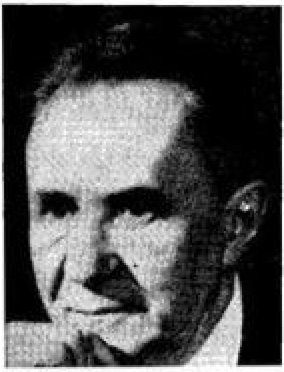
المستر كوزيجين والتعايش السلمي

عن مجلة الإيكونومست البريطانية :

● ثمة ما يبعث على الخوف والجزع فى وجهة نظر المستر كوزيجين . فهى عتيقة بالية الى حد كبير . بل لعلها لاتمت بصلة لعصر الذرة والتعايش السلمى الذى نعيش فيه .

فالعالم مقسوم الى معسكرين ، أحدهما شيوعى والآخر غير شيوعى ، لا لسبب الا لاختلاف هذين المعسكرين فى تحديد المقصود من كلمتين اثنتين ، احداهما « الحرية » والاخرى « العدالة » . فان أصر المستر كوزيجين وأكد أن الشيوعيين على حق فى استعمال القوة بغية فرض مفاهيم الحرية بالنسبة اليهم ففى وسع المعسكر الآخر ان يصر ويؤكد ، ان عاجلا او آجلا ، حقه فى اللجوء الى العنف كسبيل الى توطيد مفاهيمه الخاصة بالعدل . واذا هو قد سمح لنفسه بالتورط فى حرب فتنام بهذه الروح ، فان فى مقدور المعسكر الآخر ان يسلك نفس السبيل ، بقصد توطيد الحرية والعدالة على النحو الذى يفهمه ، فى كل من كوبا وألبانيا والمانيا الشرقية . لعله يؤمن بأن الغاية تبرر الواسطة ويتجاهل أن مثل هذا المسلك انما يفسح المجال للفوضى على حساب الحرية ويمهد السبيل الى دمار البشرية بأسلحتها النووية الفتاكة .

وما التعايش السلمى الا الوسيلة التى اعتمدها هذا العصر الذى نعيش فيه لتفادى التخبط المترتب على القول بأن الغاية تبرر الواسطة ولتحاشى الفناء الذى يهدد البشرية تبعا لهذا وذلك . ■■



كاتب انجليزي يتحدث عن :

المرأة الإنجليزية في دنيا الرجال

بقلم وليم دافز

■ لا يخفى أن عدد النساء اللواتي يمارسن العمل خارج البيوت في تزايد ، وأن تعاطي المرأة الانجليزية لهذا العمل أو ذاك قد بات في حكم المألوف . الا ان المرأة ما زالت في نظرنا دون الرجل كفاءة وقدرة ، بحيث تبرز أخبارها في الصحف ، بل تحتل منها مكان الصدارة ، اذا حدث أنها ارتقت سلم الاعمال ، واقتربت من مستوى القيادة . فهي تستطيع ، في رأينا ، أن تكون سكرتيرة ممتازة أو رئيسة لجمعية أو مؤسسة تعنى بجمع المال أو توظيفه ، شريطة أن تكون تلك المؤسسة مقصورة على النساء خاصة . أما أن تتولى المرأة ادارة الاعمال التجارية .. فلا .. فمثل تلك الاعمال وقف ، في مفهومنا ، على الذكر ، ولا سبيل الى خوض معتركها والاضطلاع بأعبائها الا للرجال .

منصب قيادة لامرأة

لذلك كله جاز للسيدة اليسون مونرو أن تفخر ، وقد عينت مؤخرا عضوا في مجلس ادارة الخطوط الجوية البريطانية الاوروبية ، وحق لها أن تعتبر نفسها رائدة بين بنات جنسها بالنظر الى منصبها الجديد . هذا بالرغم مما يذهب اليه البعض من أن هذه البادرة لا تعدو كونها مناورة لا هدف لها الا لفت النظر والدعاية . فالسيدة مونرو لم يسبقها الى مجلس أعلى للادارة ، في شركة من الشركات كبيرة ، الا حفنة من النساء قليلة . ولا ينال من هذه الحقيقة وفرة ما نصادف من مديرات شركات ورئيسات محلات في هذه الايام . فقد تعزى هذه الوفرة الى مجرد رغبة أصحاب المحلات التجارية وحرصهم على توفير المال وتفادي دفع الضرائب الحكومية ومبادرتهم بالتالي الى اعادة تسجيل محلاتهم وكأنها شركات محدودة المسؤولية واذن فاعتماد زوجاتهم للاشراف على سير العمل فيها وكأنهن مديرات لشؤون تلك المحلات الادارية . فمجال العمل التجاري يكاد يكون في بريطانيا على كل حال وقفا على الرجال . يصدق ذلك على سائر المدن والاحياء ، ويصدق على حي (السيتي) في



السيدة بربارا كاستل الوزيرة بالوزارة الجديدة لتنمية بلاد ما وراء البحار

لندن وهو أهم مركز فيها للتجارة والاعمال .

ثمة ملامة على النساء

على أن اللوم في ذلك يقع الى حد ما على كاهل النساء . فاكثرهن ، ان لم نقل كلهن ، حريصات على الفوز بغنم كلا العالمين ، عالم الرجال وعالمهن . يؤكدن من جهة استعدادهن لركوب مركب التجارة الخشن ، على قدم المساواة مع الرجال ، ويطالبن في نفس الوقت بكافة الامتيازات الاجتماعية الخاصة التي درج الناس على منحها للمرأة . فاذا ما تأخرت احداهن عن حضور جلسة هامة ، عمدت الى رشق الحضور ببسمة من ثغرها وبررت تأخرها بالقاء اللوم على حلاقها او خياطها . واذا ما تغيبت عن عملها اياما طويلة اكتفت بالتلميح الى ظروف او ارتباطات عائلية وافترضت قبولها كمعاذير او مبررات على علاتها .

وفضلا عن ذلك فان لعاطفة الشفقة كما لعاطفة الكراهية أثرا كبيرا في آرائهن واحكامهن .

اضف الى ذلك أن الجميلات منهن يتوقعن المديح والاطراء ، بل الدعابة والثناء ، في كل مناسبة ممكنة ، وخاصة لدى ظهورهن في ثياب جديدة أنيقة . اما مراعاة زملائهن الرجال لمقتضيات الآداب في حديثهم أو مزاحهم الذي قد يجرى اثناء حضورهن فامر يعتبرنه واجبا حتميا لا يرقى الشك اليه . وقد يكن على حق في هذا كله . الا ان عليهن الا يستغربن في تلك الحال المصاعب والعراقيل التي يضعها الرجال في طريقهن . فالرجال لا يخشون على العموم مزاحمة النساء لهم ، وموقفهم من المرأة واهليتها بصدد التجارة والاعمال لا يرد الى تخوفهم من منافستها بقدر ما يعزى الى تصرفات المرأة الأنفة الذكر والى تشبثها بتلك التصرفات . فالنسوة اللواتي زاحمن الرجال من قريب أو من بعيد كن وما زلن وسيبقين قلة .

ومما لا ريب فيه أن سمعة النساء ككل ، ستظل دائما موضع تشويه من قبل فئة قليلة منهن . فذلك الاهتمام البالغ الذي توليه تلك الفئة لمواضيع في الحديث تافهة ، تتصل بالتغزل باطفالهن أو بتصيد الازواج أو بشراء الثياب الفاخرة ، من شأنه أن يرسب في الاذهان انطباعات عن جميع النساء غير لائقة . ولعل تلك الاهتمامات خير مما يستحوذ على قلوب

الرجال عموما من نزعات محورها الغلو في الاستغلال وجمع الاموال . ومهما يكن من امر فان ذلك لا يساعد الطموحات من النساء على محو اثر تلك الانطباعات .

اما ما يجدر بالمرأة أن تفعله ، أو بالحرى ما تستطيع أن تفعله ، عوضا عن محاولة ازالة تلك الانطباعات ، وهي محاولة تكاد تكون عقيمة ، فهو السعي الى التنبيه ولفت النظر الى الحقيقة التى لا تنكر بأن النجاح فى التجارة كالنجاح فى اية حرفة أخرى أو مهنة ، انما يعتمد على الفرد، رجلا كان أو امرأة . أى أن التحامل على المرأة والنيل من قدرتها بسبب انوثتها لا يعدو كونه شططا لا مبرر له . الا أن التحامل موجود والشطط قائم بلا شبهة . وتغيير ما خلفته القرون الطويلة من عادات فى التفكير راسخة لا يتيسر لأى من الناس بسهولة .

المرأة فى روسيا

والمساواة بين الرجل والمرأة فى العمل قد تصيب من النجاح اكثر مما ننتظر . أثبت ذلك الروس كما أثبته غيرهم . فنصف الذين يتخرجون من الجامعات الروسية عاما بعد عام من الرجال ونصفهم الآخر من النساء . واللواتي يتبوان المناصب الرفيعة فى ميدان الصناعة كثرة لا قلة . والجامعيات العاملات فى الهندسة يبلغن فى روسيا ثلث المهندسين فيها كافة ، ولا تجاوز نسبتهن فى بريطانيا الواحد فى الألف ! . ولقد تسنى لي اجراء دراسة خاصة حول الصلات التى تربط الرجل بالمرأة فى ميدان الصناعة والتجارة وما اليها من أعمال ، حينما كنت فى روسيا قبل عامين ، وتسنى لي أيضا بصدد تلك الدراسة التحدث الى السيدة زينايدا فيدورافاه سكرتيرة الادارة العامة للجنة النساء السوفيتيات . وما زلت أذكر ما قالته السيدة المذكورة من أن النساء العاملات فى رأيها خير ، كزوجات ، من النساء غير العاملات . فحديثهن أمتع وأجدى ، وانوثتهن ليست بأقل من انوثة زميلاتهن .

فضلا عن ذلك فان الرجال الروس لا يجدون غضاضة فى وجود المرأة مديرة أو رئيسة عليهم أو مشرفة على أعمالهم . ولم يترتب على ذلك نشوب أى خلافات عائلية أو منازعات بين الزوج والزوجة . وكما قالت لي احداهن : « كلا الابوين ، من اب وام ، يعمل خارج البيت وليس منهما من يفترض السيادة لنفسه داخله . لقد نشأت على ذلك ولا املك الاحساس بالتقدير لغير ذلك » .

وتجدر الاشارة الى أن المرأة الروسية لا تحفل ولا تطالب باية امتيازات خاصة ، نظرا لكونها انثى لا تضاهي الذكر قوة . تراها تمارس كافة الاعمال بلا استثناء ما تعم منها وما خشن ، وما يسر وما عسر . وهي لا تتوقع الحصول على مقعد فى المترو أو فى السيارة العامة الغاصة، بالركاب يخليه لها الرجل . ولا تفترض وقوف الرجل عند باب من الابواب أو فتحه لذلك الباب كيما تدخل . بل تراها تشق طريقها بين الجماهير المزدحمة فى الشوارع على نحو ما يفعل الرجل .

كفايات للمرأة الانجليزية في شتى المجالات

على ان المرء لا يستطيع اثبات قدرته على القيام بعمل ما أو مهمة ، ما لم تتح له بصدد ذلك فرصة للمحاولة. ولقد اتيحت الفرصة للمرأة البريطانية فأثبتت كفايتها فى مجالات عديدة . حدث ذلك فى مجال التلفزيون والاذاعة والصحافة البريطانية والسياسة ، رغم كل ما اعترض سبيلها من عراقيل وضغائن ، حتى فى هذه المجالات غير التجارية . وعلى ضآلة ما اتيح لها من فرص فى ميدان العمل الحر والتجارة ، فانها قد احرزت النجاح وابرزت ما تتمتع به من قدرة وكفاءة فى معظم الحالات التى سمح لها فيها ببلوغ القمة ومستوى القيادة ، وهي حالات قليلة نسبيا بل نادرة . غير أن الطريق امام المرأة البريطانية عموما ما زالت طويلة شاقة . اذ لا تزيد نسبة اللواتي يتولين مناصب ادارية من بين سائر العاملات على خمسة بالمائة . ومناصبهن تلك ليست فى الغالب قيادته . ثمة عراقيل وعقبات تعترض سبيل المرأة الى مراتب القمة على سلم الاعمال والادارة فى الشركات والمؤسسات العاملة فى ميادين المال والتجارة .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى ما بلغته المرأة فى مجال الاعمال المالية من مناصب ونتائج مرموقة . فكثير من المراكز الهامة فى المصارف التجارية ، وفى شعب توظيف رؤوس المال فيها خاصة ، تضطلع باعبائها نساء . بل ان الادارة العامة فى مصرف

أو مصرفين منها قد أسندت الى نساء . وعلى كل ما تبديه البورصة من صدود وتشبث في اقفال باب عضويتها في وجه المرأة فان عددا من «الفتيان» الذين اتقنوا العمل في غرف البورصة الخلفيـة انما هم نساء أيضا .

وليس حظ المرأة من النجاح في التجارة باقل من نصيبها منه في المصارف والبورصة . فالثروة الكبيرة التي جمعتها مارجري هورست نتيجة لقيامها ببناء مركز الاعمال في شارع بروك دليل على ذلك . والكفاية الفائقة التي اظهرتها ماري دانهيل في ادارة اعمال أبيها الواسعة في تجارة التبغ وصنع السجاير طيلة السنوات الاخيرة التي اعقبت وفاته ، لدليل آخر على ما بوسع المرأة ان تحرزه فيما لو أتيحت لها الفرصة . وهنالك ادلة اخرى عديدة . منها نجاح آمي روز الخارق في تعاطي تجارة الاملاك وجني الارباح الطائلة فيما أجرته بصددها من بيع وشراء . ومنها أيضا التفوق الباهر الذي اظهرته اندهوبر في ادارة أعمال شعبة جاماج في المخازن الشهيرة بهذا الاسم في هوبن . اما الكفاية الممتازة التي تجلت في أعمال سوسان ويلدنج التجارية ففيها مزيد من دليل على عدم تعذر الجمع بين الجمال والمهارة في الاعمال .

وليس ثمة ما يحول ، نظريًا ، دون اسهام المرأة في مجالس ادارة الشركات واعمال ما في حيّ (السيتي) التجاري من مؤسسات. وان كان في وسع المرأة المقتدرة ان تضفي على جو شركة « الخطوط الجوية البريطانية الاوروبية » شيئا من رونق وجاذبية وقبسا من اصالة في الحكم وخبرة، فان في مقدورها ولا ريب أن تفعل مثل ذلك بالنسبة الى المصارف وشركات التامين ومصانع السيارات والمخازن ، فتسهم في اعمالها بنجاح وفعالية ، على نحو ما اسهمت كلما اتيحت لها الفرصة .

طريق شاق طويل

اما عمليًا فما من شك في أن المرأة مضطرة الى الكفاح الطويل والنضال المرير في سبيل فرض نفسها وحمل الآخرين على قبولها والترحيب بها في عالم يسوده الرجال . في حاجة الى مزيد من كفاية ، ومزيد من عناد وعزيمة ، ومزيد من عنفوان وهمة ، بالمقارنة بما يتمتع به منافسها



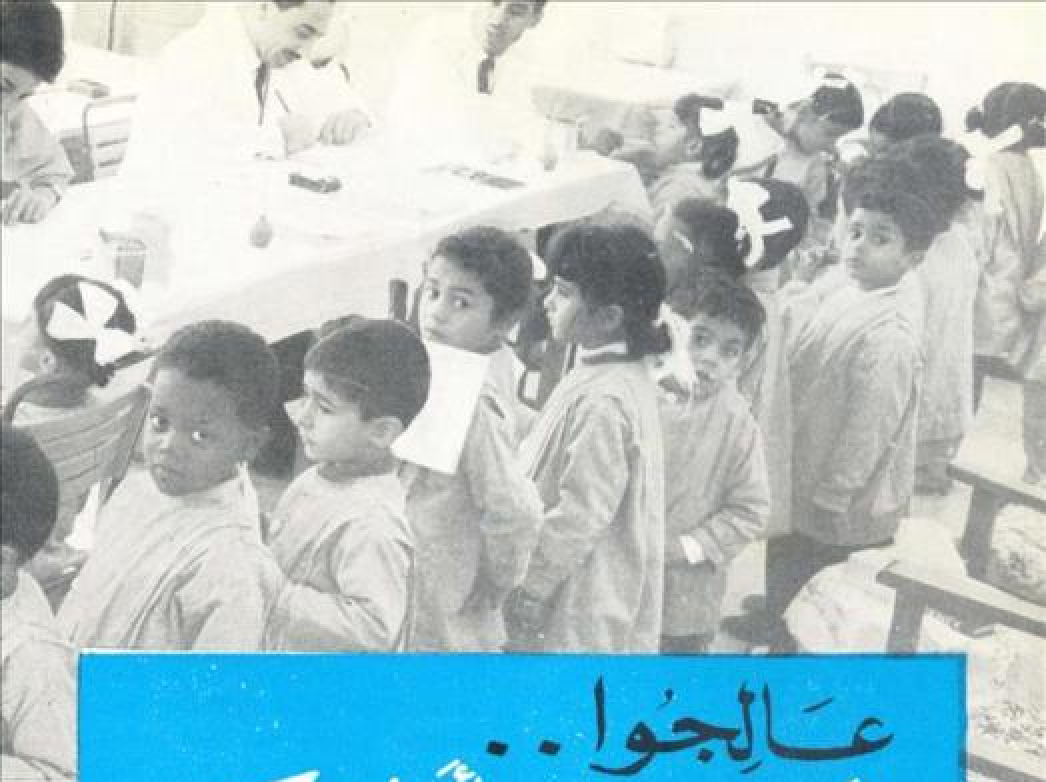
عاملة انجليزية في مصنع لغزل القطن

الرجل ، اذا هي شاءت حقا أن تشق طريقها قدمًا الى الأمام في ميدان التجارة وما اليها من اعمال .

وتستطيع الحكومة بلا جدال مساعدة المرأة في هذا النضال بمنحها المزيد من المساواة على صعيد القوانين. وقد يكون لتعديل وضعها فيما يتصل بالضرائب اثر كبير . كذلك تستطيع النقابات والمنظمات المهنية حمل لواء المساواة بين المرأة والرجل على نحو اكثر اثرا وعنفوانا . ولعل مزيدا من سعي حازم في هذا الاتجاه لا يذهب هباء .

غير ان ما تحتاجه المرأة فوق ذلك كله انما هو التغيير الجذري في وجهات النظر والمشاعر . فبريطانيا بحاجة ماسة الى كافة الطاقات في زمننا الراهن . وأي معين من هذه الطاقات يفوق ما في نسائنا من طاقات كامنة ... لقد كانت كامنة منذ البدء لا لسبب الا لما تحمّل من آراء ومعتقدات بالية . نحن لا ندعو الى اعتبار بقاء المرأة في البيت جريمة ، ولكننا ندعو الى افساح المجال للمرأة اذا هي شاءت واستطاعت العمل لبلوغ الذروة . فليس من قوانين الطبيعة ما ينفي احتمال ادارة المرأة لشركة أو اسهامها في توظيف الرساميل والأموال . فللمرأة موهبتها وان كان ينقصها الحرص على تحقيق تلك الموهبة. فاي ضياع ، بل أي هدر تتعرض له تلك الطاقات والمواهب ما دمنا ننظر الى النساء من طراز السيدة مونرو وكانهن نماذج غريبة هبطت علينا من بلاد العجائب . ■■

ترجمة : يوسف ابراهيم زعبلاوي



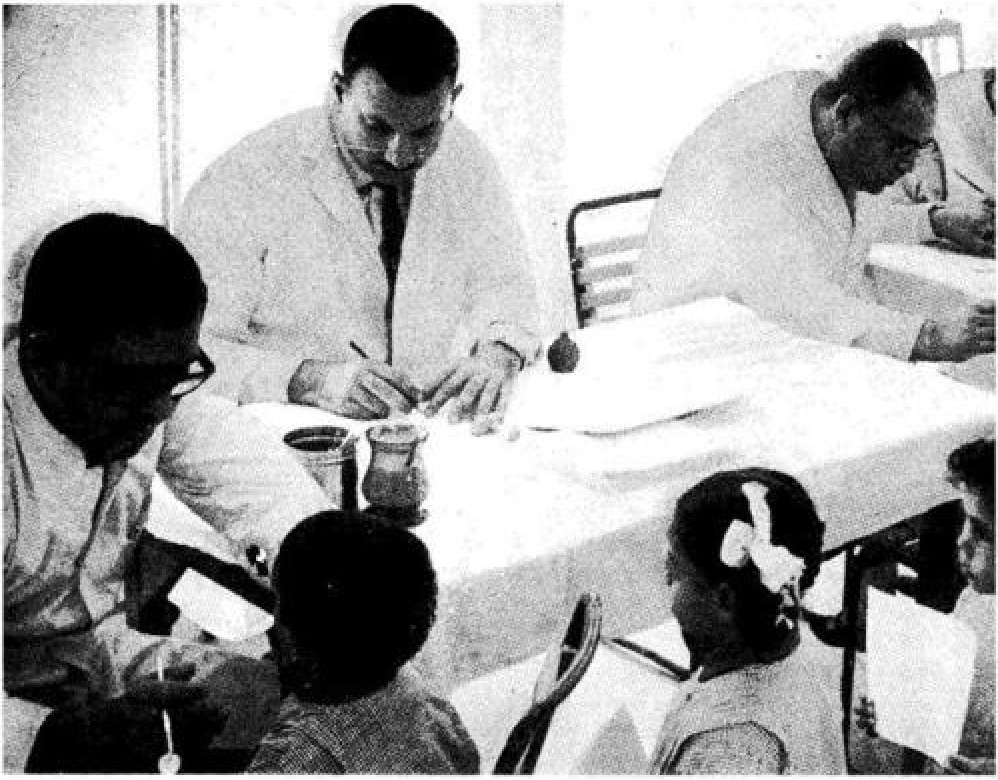
عالجوا..
أسنان أولادكم

١٢٠٠ سن يجب قلعها فورا

٢٢٠٠ لثة ملتهبة فى حاجة إلى علاج

٤٤٠٠ محتاجون لتقويم أسنانهم

هذا ما كشف عنه الفحص الطبى الذى رات السلطات الكويتية القيام به لتقدير حالة الأسنان فى مدارسها ، من بنين وبنات ، من أجل التمهيد والتخطيط للعلاج السريع



هيئة الأطباء المختصة بالفحص الاكلينيكي وهي تؤدي عملها في احدى مدارس رياض الأطفال بالكويت

بقلم : الدكتور محمد سعيد الجريدلي

خبير طب الأسنان بالكويت

بالرغم من التقدم السريع الجدير بالاعجاب في شتى المرافق الصحية بالكويت الا ان الملاحظ ان الاسنان تزداد فسادا يوما بعد يوم .

فبالرغم من آلاف انابيب معاجين الاسنان التي تباع سنويا بالكويت ، وبالرغم من آلاف فرش الاسنان التي تستهلك كل عام في عمليات التنظيف المستمرة ، فان حالة الاسنان تزداد سوءا .

وبالرغم من العناية الصحية العجيبة بأطفال المدارس ، وبالرغم من الاكثار من انشاء وحدات الاسنان العلاجية للتلاميذ ، وبالرغم من الكشف الدوري على افواههم وازدياد عدد اطباء الاسنان المكلفين بعلاجهم ، فان المشاهد ان نسبة التسوس وأمراض الفم في زيادة مستمرة .

وبالرغم من الدعاية الطبية عن الاسنان بالصحافة والاذاعة والتلفزيون لدرجة جعلت رجل الشارع العادي على علم يسمح له بمناقشة نظرية تدرع الاسنان ، او ضرر البؤر المختفية بالفك وما الى ذلك ، بالرغم من هذا كله ، فان حالة الأسنان لاتسر .

لقد صارت هذه المشكلة وكأنها رواية بوليسية اكتشفت فيها الضحية لكن المجرم الاثيم لم يكتشف بعد .

ولقد اهتم المسئولون بوزارة الصحة بهذه القضية ، ودعموا قسم الاسنان دواما بأحدث الآلات ، وافتتحوا اقساما لعلاج الاسنان بمعظم

المجمعات الصحية وبالمدارس ، وبالسجن المركزي، وزادوا فاستقدموا الخبراء لمعالجة هذه المشكلة .

فحص احصائي شامل

كان لا بد ، اول كل شيء ، من التحقق من الملاحظات التي تبدى عن حالة الاسنان بالكويت.

فهل التسوس منتشر فعلا بدرجة تفوق انتشاره بالبلاد الاخرى ؟ وهل التهابات اللثة بنفس الدرجة ؟ وما هو دور استعمال فرشة الاسنان او عدم استعمالها في الوقاية من التسوس ؟ وهل اصطفاف الاسنان ، بعضها بالنسبة لبعض ، حالة طبيعية في معظم الاحوال ، ام ان هناك شذوذا في نسبة معينة من اسنان التلاميذ تستلزم الاستعانة باخصائيين في تقويم الاسنان لاعادتها الى مواقعها الطبيعية بوساطة اجهزة خاصة ، وما نسبة تلك الحالات ؟

كل ذلك لا يمكن الوصول اليه الا بعد عمل فحص احصائي شامل دقيق لحالة الفم والاسنان في عدد كبير من القيمين بالكويت ومن اعمار مختلفة .

وعند الفحص الاحصائي الشامل يجب ان لا ننسى ان مجتمع الكويت مجتمع فريد في نوعه ، فهو يزداد بطريق الهجرة اليه اكثر من زيادته بالطريق الطبيعي ، طريق التوالد . ولذا فان هذا المجتمع يتكون بالضرورة من جنسيات مختلفة . فهل انتشار امراض الاسنان بين تلك الجنسيات متماثل تماما ، وعندئذ نستخلص ان البيئة المشتركة حاليا هي المتسببة في ذلك ؟ ام ان لكل جنسية مميزات خاصة فيما يتعلق بامراض الفم وتسوس الاسنان ؟ كل هذه الاسئلة في حاجة الى دراسة والى بذل جهد للوصول الى اجاباتها الصحيحة .

الخطوة الاولى

وكانت الخطوة الاولى ان تقدم كاتب هذا المقال بمشروع الفحص الاحصائي لحالة الفم والاسنان وتطلب المشروع الكشف الدقيق على عشرة آلاف شخص على الاقل من سكان الكويت ، ينتخبون من مختلف الاعمار والجنسيات ، ومن مناطق السكن المختلفة وما الى ذلك . ولقد رحب المسئولون بوزارة الصحة بالمشروع — وعن طريقهم تم الاتصال بادارة الاحصاء المركزية بمجلس التخطيط للتعاون على اجراء هذا الاحصاء ، واستخلاص النتائج والجداول باستعمال الآلات الدقيقة الحاسبة الموجودة بتلك الادارة ، والاسترشاد باهل الخبرة العاملين بها .

هيئة الصحة العالمية

ثم كانت الخطوة الثانية ارسال نسخة من بطاقة الفحص المقترحة للهيئة الصحية العالمية للاسترشاد برأيها ، وجاءت الاجابة باعتماد شكل البطاقة وتفاصيلها ، لا سيما وأن المشروع كان يتضمن استعمال الرموز المتفق عليها دوليا في تدوين بيانات طب الاسنان الاحصائية .

وتلت ذلك الخطوة الثالثة وهي انتخاب فريق من اطباء الاسنان ، بلغوا الستة عددا ، في تنفيذ اعمال الميدان وعقدت الاجتماعات المبدئية لشرح

الدكتورة هالة الزواوي الاخصائية تقوم بعملية تقويم لاسنان طالبة



وتفهم دقائقه ثم بدأ التدريب على استعمال الرموز الدولية الخاصة .

ثم بدأ العمل فى اوائل اكتوبر ١٩٦٥ فصار الاطباء الستة يتوجهون الى مختلف المدارس من شتى المستويات للكشف على الطلبة والطالبات وتقييد البيانات المطلوبة فى البطاقات الاحصائية وكان بكل بطاقة ، خلاف الاسم والعمل والجنس والجنسية ونوع المدرسة ، عدة اسئلة تتطلب الاجابة .

اسئلة واجابات

ومن بين هذه الاسئلة مدى استعمال الفرشة والجواب اما يوميا او احيانا او ابدا وحالة اللثة وهى اما طبيعية او ملتهبةقليلا او شديدة الالتهاب وحالة الرواسب الجيرية وقد قسمت الى اربع درجات ثم حالة الإطباق وهى العلاقة بين اسنان الفك العلوى والسفلى وتبيين ان كان هناك شذوذ في ترتيب واصطفاف الاسنان . والإطباق على درجات اربع ، والدرجة الرابعة هي الطبيعية فقط ، اما الدرجات الثلاث الاخرى فتدل على شذوذ يحتاج الى عناية اخصائي تقويم الاسنان .

وفى الصفحة المقابلة من البطاقة يشاهد اثنان وثلاثون مستطيلا مزدوجا ، كل مستطيل يمثل سنا من اسنان الفم الاثنتين والثلاثين ، وهى على حدة ــ هل هي لبنية ام دائمة ؟ هل هي سليمة ام مسوسة ام محشوة ام مقلوعة ؟ هل دمرها التسوس ولم يترك منها الا الجذور وهل وصل التسوس الى العصب. وتدون كل من هذه المعلومات برمز معين ، او رقم محدد . فالسن اللبنية هي (D) والدائمة هي (S) والدائمة السليمة هي (S3) والمسوسة (S4) وهكذا ، ثم يدون بالنصف الايمن من كل مستطيل اسطح السن التي انتابها التسوس او اجرى بها حشو ، فان كان السطح المضغي مسوسا كتب حرف (X) ، وان كان هو السطح الخارجى كتب رقم (١) وهكذا بالتفصيل الدقيق .

تلخيص ما فى البطاقات

وبعد تدوين تلك الرموز ترسل البطاقات الى ادارة الاحصاء حيث يتولى المختصون جمع



حالة معقدة احتاجت لتصوير بالأشعة
الخبير المصرى والأخصائى الكويتى يتشاوران

المعلومات التى بها ، وتدوينها فيما يدعى بمربعات التلخيص ، وهي مربعات موجودة بالصفحة اليسرى من البطاقة ، فيدون بالمربع الاول عدد الاسنان اللبنية الموجودة ، وبالثاني عدد المسوس منها ، وبالثالث عدد الاسطح المسوسة . وهكذا حتى نصل الى المربع العشرين فيدون به مجموع الاسنان المسوسة والمحشوة والمقلوعة للفرد وهو العدد الدال على مدى الاصابة المرضية بالفم ويطلق عليه الدليل (DMF) . وهو دليل هام . وقد توصلت الى حسابه معظم البلاد المتمدينة كي تعرف منه مدى انتشار امراض الاسنان وقيمة العلاج المستعمل عندما يقارن مقدار هذا الدليل كل عدة سنوات .

دور استخلاص النتائج

وبعد حساب صناديق التلخيص انتقل العمل

الى ترجمة هذه المعلومات الى ثقوب فى بطاقات خاصة بوساطة آلات ادارة الاحصاء . وبعد تثقيب البطاقات الاحصائية هذه امكن القول بأن الطور التحضيرى للمشروع قد تم .

ومن هنا بدأ الطور الايجابى وهو طور استخلاص النتائج على شكل جداول ، والجداول المطلوبة كثيرة ومتنوعة ، فهي تخبرنا مثلا عن نسبة التسوس فى كل عمر وفى كل جنسية ، وهل هي بالاناث اكثر ام بالذكور ، وهل حالة التهابات اللثة متماثلة فى الجنسين . كما انها تحدد العلاقة بين الرواسب الجيرية وحالة اللثة والاسنان ، وتبين لنا مدى انتشار حالات اعوجاج الاسنان وفى اية فئات ، وهلم جرا .

تخطيط سليم للوقاية فى المستقبل

وبناء على هذه المعلومات سيجرى تخطيط سليم لمستقبل الوقاية والعلاج بالنسبة لامراض الاسنان، وستنير هذه المعلومات الطريق نحو الوصول الى الخطة اللازمة لمواجهة مشكلات امراض الاسنان فتدلنا مثلا ان كنا فى حاجة الى استقدام عديد من الاخصائيين فى تقويم الاسنان ، وعدد الحالات المتطلب علاجها ، وما الى ذلك فى كل فرع من فروع طب الاسنان .

ان هذا الجهد الكبير لدلالة عظيمة على اعتماد الكويت على الاسس العلمية للتخطيط للمستقبل الزاهر ، كما انه يبين مدى التعاون الوثيق بين مختلف الادارات للوصول الى كل ما فيه خير البلاد .

بعض ما ظهر من حقائق

ولقد اظهر المشروع حتى الآن حقائق مذهلة ، فقد وُجدت حالات لاطفال فى سن الرابعة والخامسة وقد دمر التسوس اسنانهم تدميرا تاما ، ومعنى هذا ان اولئك الاطفال سيظلون محرومين من الجهاز السليم للمضغ لعدة سنوات مقبلة ، وفى اهم فترة من فترات نموهم الجسمي والعقلي – هذا بالطبع اذا تركناهم على حالهم ، وهو امر لن يحدث ، اذ ستقوم الادارة الطبية بتزويد امثال هؤلاء الاطفال باطقم صناعية يستعينون بها على المضغ ، على ان تستبدل كل بضعة اشهر نظرا لاستمرار نمو فكي الطفل .

كما كشف المشروع ايضا عن حالات عديدة من اختلاف فى إطباق الاسنان فى الاناث ، وهو اختلاف يضفي على الوجه مظهرا غير ملائم ، ويسبب عقدا نفسية للبنات ، بينما علاجه سهل



استشرى الفساد فى الأسنان الامامية مما يسبب للطفل عقدا نفسية ويمنعه من الابتسام



أسنان مسوسة واصطفاف غير سليم يضفى على الطفل منظرا منفرا ويجعلـــه غير راغب فى الابتســام كى لا يكشـــف الشكل المعيب

فى مبدئه وخصوصا قبل ان يكتمل نمو الوجه وقبل ظهور ضروس العقـل .

الجـداول

وتوضح الجداول المستخرجة بوساطة اجهـزة العقل الالكترونى نوعين من النتائج .

النوع الاول ويوضح القاعدة العامة المبنى عليها الاحصاء فتبين لنا فى جدول ١ ، ٢ عدد الطلبـة الكويتيين الذين شملهم المشروع وعدد الطلبة م الجنسيات الاخرى ، كما انها تصنف لنا كل : على حدة وكذلك سكان كل منطقة ، وبذا ت من ان نربط بين نسبة ازدياد التسوس و امراض الاسنان بين الجنسيات المختلفة وبـ المناطق التى يسكنونها .

اما النوع الثانى من الجداول فيوضح لنـا صلب الموضوع ، اى مدى انتشار أمراض الفم المختلفة. فجدول ٣ مثلا يبين علاقة صحة الفم بالجنسيـة والجنس وبعلاقة الفكين ببعضهمـا وباستعمال الفرشاة ، وذلك بعد تصنيف تلـك النتائج بين مختلف مراحل الدراسة من رياض الاطفال الى المرحلة الابتدائية فالمتوسطة فالثانوية، ويتضح من هذا الجدول عدة نتائج طريفة هامة .

فمن استعمال الفرشاة نجد الحقائق التالية :

١ ـ يستعمل تلاميذ رياض الاطفال فرشـاة الاسنان يوميا .

٢ ـ يترك معظم تلاميذ المرحلة الابتدائية عادة استعمال الفرشاة .

٣ ـ يعود طلبة المدارس المتوسطة لاستعمـال الفرشاة تدريجيا .

٤ ـ يزداد استعمال الفرشاة بين طلبـة المدارس الثانويـة .

ونستفيد من ذلك انه يجب علينا ان نركز الارشاد الصحي من حيث استعمال الفرشـاة بالمرحلة الابتدائية اساسا ثم بالمرحلة المتوسطة .

حقائق حيوية

اما جدولا ٤ ، ٥ فيبينان حالة كل سطح من كل سن بالفم وذلك بعد تصنيف الطلبة الى اعمار مختلفة فى كل منطقة من مناطق الكويت ، وقـد استخلصنا من هذين الجدولين الحقيقة الهامـة الحيوية التالية وهى انه :



طفل عمره أربع سنوات وقد دمر التسوس جميع أسنانه بلا استثناء



نفس الطفل بعد تركيب الأسنان الجديدة

« تتميز بعض المناطق بمناعة اسنان اطفالها عن التسوس وقد شوهد ذلك جليا فى منطقتى الجهرة وجزيرة فيلكا الا انه فى نفس الوقت قد ظهر بين اطفال هاتين المنطقتين عدة حالات لتبقع الاسنان ، وهى ظاهرة وجود بقع صفراء على سطح الاسنان الخارجي مما قد يشوه مظهرها . وتعزى المناعة العجيبة ضد التسوس فى هاتين المنطقتين الى ان السكان كانوا يستعملون حتى وقت قريب مياه آبار تحوى نسبة من الفلورين تفوق بكثير النسبة اللازمة لمنع التسوس كما ذكرنا من قبل . كما ان التبقع يعود الى ان نسبة الفلورين فى تلك المياه كانت عالية لدرجة تفوق المقرر والمقترح من الهيئة الصحية العالمية للوقاية من أمراض الاسنان ، فالهيئة العالمية قد اعلنت بعد دراسات مستفيضه ان نسبة جزء واحد من الفلورين فى مليون جزء من الماء هي النسبة الصحيحة للوقاية من التسوس بينما نجدها فى مياه الابار المذكورة ترتفع الى اكثر من خمسة اجزاء فى المليون .

وتدلنا تلك الملاحظة على أن لوجود الفلورين فى الماء أثرا فعالا فى مقاومة التسوس المدمر للاسنان كما انها تدلنا على اننا يجب الا نهمل فى ضبط النسبة المطلوب اضافتها الى مياه الشرب. وتدرس دولة الكويت حاليا بشكل جدى اضافة الفلورين للماء . ويا حبذا لو تم ذلك سريعا حتى يستفيد اكبر عدد من السكان فتنخفض نسبة التسوس العالية الموجودة حاليا .

اما جدول ٦ فيوضح نسبة اصابات الاسنان فى الاعمار المختلفة بين الكويتيين وغير الكويتيين ، ونستخلص من ذلك الجدول حقيقتين :

١ ــ ان الاصابات فى الاطفال الكويتيين اعلى من غيرهم .

٢ ــ ان اصابات الاسنان تزداد فى الاعمار الصغيرة وذلك لكثرة تناول الحلوى .

ويدفعنا ذلك الى تركيز الدعوة الصحية بين الاطفال لتعويدهم على تنظيف الفم بعد اكل الحلوى مباشرة مع نصحهم بانهاء طعامهم باى نوع من الفاكهة بدلا من الحلوى، والتنبيه عليهم من قبل



أسنان الطفل المذكور بعد قلعها تحت التخدير العام وقد ظهر في الصورة طقم الأسنان الكامل قبل تركيبه بفم الطفل .

والديهم بعدم ذهابهم الى النوم وفى فمهم اى نوع من الحلوى .

نظافة الاسنان

ويوضح جدولا ٧ ، ٨ متوسط عدد الاسنان المسوسة والمحشوة والمقلوعة فى كل فم ويدلنا ذلك على الحاجة الماسة الى الاكثار من عيادات الاسنان فى بعض المناطق حتى يمكننا مجابهة مطالب العلاج. وتدرس وزارة الصحة هذه النتائج بدقة ثم تبنى برامجها فى المستقبل تبعا لذلك .

اما الجدول التاسع فيوضح علاقة استعمال فرشاة الاسنان بمعامل التسوس وقد قسمنا الطلبة من حيث استعمال الفرشاة الى ثلاث مجموعات الاولى لاتستعمل الفرشاة ابدا ، والثانية تستعملها احيانا ، والثالثة تستعملها يوميا . وقد اتضح بما لا يقبل الشك انه كلما ازداد مدى استعمال الفرشاة قلت نسبة التسوس .

ويدفعنا ذلك الى زيادة دعايتنا الصحية بين الاطفال لتعويدهم دوام استعمال الفرشاة ،وياحبذا لو عممنا فى باقي المدارس ما هو قائم فعلا فى رياض الاطفال من حيث جعل الطفل يستعمل فرشاة الاسنان فى المدرسة يوميا تحت اشراف المسئولين .

اما الجدول ١٠ فيوضح ازدياد حالات التهابات اللثة دائما كلما وجدت رواسب جيرية على الاسنان ، ويدفعنا ذلك الى الحث على التوجه الى طبيب الاسنان لازالة تلك الرواسب ، ليس من باب تحسين المظهر فحسب بل للوقاية من امراض اللثة التى تنتهي الى البيوريا ثم فقد الاسنان . والملاحظ هنا ان المريض قد يلجأ الى طبيبه لمعالجة التسوس لكنه قلما يفكر فى الالتجاء اليه لازالة الرواسب الجيرية ، مع ان التسوس قد يؤثر على سن أو اثنتين فقط بينما يؤدى ترك الرواسب الى فقدان الاسنان كلها ـ فهذه النقطة ايضا تحتاج منا الى مزيد من الدعاية الصحية .

اما جدول ١١ فيؤكد لنا الحقيقة المعروفة وهى



فحص حالة اللثة والرواسب الجيرية فى تلميذة

ان استعمال فرشاة الاسنان دواما يقلل من ترسب الاملاح الجيرية على الاسنان .

طريق المستقبل

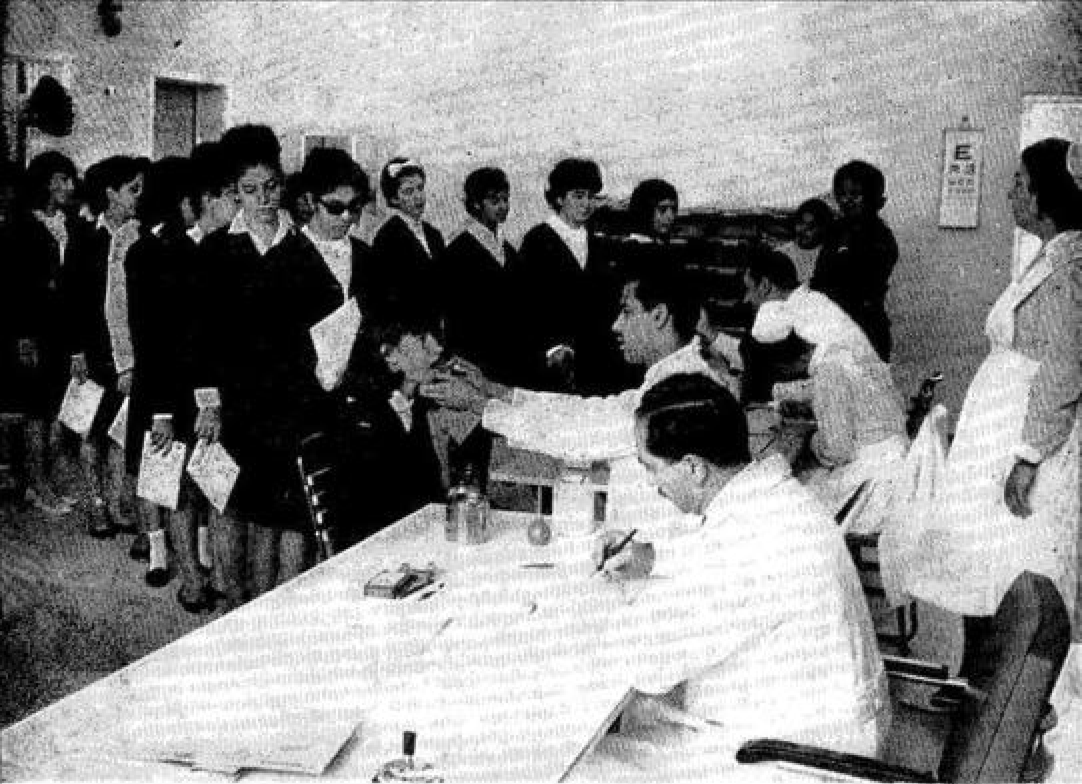
ويعود جدول ١٢ ليوضح لنا ان اعوجاج الاسنان يصحبه عادة عدة ظواهر مرضية اخرى فى الفم ، فلقد اظهر لنا ان ذوى الاسنان السليمة الترتيب اقل اصابة من حيث التهابات اللثة والرواسب والتسوس من أولئك الذين باسنانهم اعوجاج فى الترتيب .

ويدفعنا ذلك الى الاهتمام باستقدام العدد الكافي من اخصائي التقويم والمبادرة الى انتقاء الحالات المحتاجة للعلاج فورا للبدء فى اعادة الاسنان الى مواقعها الطبيعية . وذلك باستعمال اجهزة خاصة ـ كل ذلك ليس لاستعادة المظهر الطبيعي فحسب بل ولتفادى التهابات اللثة وتراكم الرواسب والتسوس الذى يصحب تلك الحالات .

اما الجدول ١٣ فهو بيت القصيد ، انه جدول ضخم مفصل عن كل ما نحتاج الى انجازه من اعمال ، فهو يبين لنا بكل دقة عدد الاسنان اللبنية والدائمة الواجب قلعها فورا بسبب تدميرها بالتسوس ، ويبين عدد الحالات التى تتطلب نزع العصب ، وعدد الأسنان المطلوب حشوها سواء كانت لبنية أو دائمة ، بل يبين لنا عدد الاسطح المسوسة المطلوب حشوها ويوضح لنا حالات التهابات اللثة التى تتطلب علاجا عاجلا والحالات التى تحتاج الى ازالة الرواسب ثم الحالات التى تتطلب تقويم اعوجاج الأسنان بها .

ونستخلص من آكداس الأرقام التى تقدمها لنا أجهزة العقل الالكترونى الحقائق التالية :

فمن بين المائة الف طالب الموجودين بالمدارس



الطالبات وكل معها بطاقة الفحص لتدوين المعلومات الطبية الخاصة بها

حاليا يتضح أنه يجب انجاز العلاج التالى على وجه السرعة :

أولا: قلع ۱۲٫۰۰۰ (اثنى عشر ألف) سن وضرس تالف تلفا لا ينجح فيه أى علاج آخر .

ثانيا : اجراء عملية نزع العصب من ۱۳۰۰ (الف وثلاثمائة) ضرس وذلك قبل أن يستفحل الداء ونضطر الى قلعها هى الأخرى .

ثالثا : اجراء ۳۰٫۰۰۰ (ثلاثين ألف) حشو .

رابعا : علاج اللثة الملتهبة فى ۲۲٫۰۰۰ (اثنين وعشرين ألف) حالة .

خامسا : ازالة الرواسب الجيرية المكدسة على الأسنان فى ۲۳٫۰۰۰ (ثلاثة وعشرين الف) طالب وطالبة .

سادسا : عرض ٤٤٫۰۰۰ (أربعة وأربعين الف) حالة على أخصائى التقويم للنظر فى ما يمكن عمله نحو اعادة الاسنان المعوجة الى مواقعها الطبيعية.

كل ذلك يحتاج الى تخطيط سريع والى الاستعانة بمزيد من أطباء الأسنان فى مختلف التخصصات وكلنا أمل فى سرعة انجاز ذلك حتى يتسنى علاج آلاف الحالات المنتظرة وحتى نؤمن اخراج جيل سليم ان شاء الله .

هذا هو حال أسنان صغار الأعمار فى الكويت .. ولقد وددنا أن يكون قد جرى مثل هذا الفحص الطبى الاحصائى فى سائر البلاد العربية فلعل فيها ما هو اشد خطورة من تلك النتائج ، فكل شيء جميل ما خفى ، وكثير فى الناس يفضل جمال الخفاء على ما يكشف عنه السفور من أسواء . ■■

محمد سعيد الجريدلي
استاذ طب الاسنان ـ جامعة القاهرة

دُمْيَة تتحدَّث

بقلم: الدكتور بديع حقي

■ لم اكن أعرف ترديد شيء سوى هذه الكلمة: (ماما)، وكانت تنساب من صدري، فقد كان صدري - ومايزال - مغلقا.

كانت تخرج واضحة، ظاهرة النبرة، على نحو تحسب فيه الطفلة، اي طفلة، ان لي أما اناديها، وأن في عِطفي حياة، او بقية من حياة تُملي عليَّ هذه الكلمة، حين اطاطيء راسي، قليلا، الى امام. واستدركُ، قبل اترسل في حديثي، فاقول انني دمية صغيرة صنعت على هيئة عروس تَرفل في ثوب مفوّف مطرز يماثل ثوب فتاة صبية مترفة في يوم زفافها.

وقد عُني بي من صنعني فخصني بهذا الثوب الأنيق، بعد ان ركب في داخل صدري آلة دقيقة متقنة، تهتف حين انحني الى امام بهذه الكلمة: (ماما).

وقد جعل جفنيَّ يتحركان ويغمضان، حين أُحمَل على الاستلقاء، فأبدو مستغرقة في نوم قرير هنيء. وكانت حمرة خفيفة تشي بالعافية تغزو وجهي دوما. وكان شعري سَبْطا منتزعا من خصلة شعر اشقر حملت اليَّ دفء الرأس الانساني الكريم الذي تخلّى عنها اليَّ، أنا الدمية الصغيرة المسكينة التي خلتْ في الظاهر، من الحياة، الا من هذه الكلمة الطيبة: (ماما).

ولعل الرأس الذي جاد بها، قد بثَّ فيها بعض أحلامه الرفافة الهنيئة، اذ جعلت، منذ أن الصقت هذه الخصلة الناعمة في جلدة راسي، أستطيب الاحلام وامني نفسي باللحظة الشائقة التي يتاح لي فيها ان اضجع الى جانب طفلة حلوة لأغريها بالغفوة الحلوة.

وترادفت عليَّ ايام جافة رتيبة، وانا انتصب في واجهة مخزن دُمىً قائم في شارع (الصالحية)، ساكنةً هادئة، لا يكاد يحفل بي انسان، فقد تدلت من عنقي بطاقة صغيرة تحمل ثمني الغالي، حتى أزِف الوقت الذي اتصل فيه قَدَري بقَدَر الفتاة الصغيرة سعاد.

ما ازال اذكر كيف جاءت مع والدها الى المخزن ليشتري لها دمية، وخفق قلبي الصغير حين لمحتها، وجهدت أن اناديها بكلمتي المحببة (ماما)، لألفت نظرها الي، فلم اقدر. كان ينبغي لي ان انحني، قليلا، ولم يكن في ميسوري ان قوم بذلك وحدي.

ووقعت عينها علي، ورشقتني بنظرة



مستطلعة معجبة ، وهفا قلبها الىّ ، واشارت باصبعها الصغيرة مصرة على شرائى . اجل ، انها تريدنى ، فقد سرى بيننا تفاهم خفى،منذ أن تعانقت نظراتنا. وبدا على ابيها ارتباك وحيرة وقال لها :

ــ انها غالية يا بنيتى .

ولكن سعاد عنيدة . وخفّ البائع الىّ، فامسك بى ، فى رفق ، معتزا وقال:

ــ انها عروس لطيفة تنادى أمها .

وأمالنى ، فانحنيت ، وتناهت من صدرى لفظتى المحببة (ماما) . وزاد الحاح الطفلة ، بعد ان داعبت هذه هذه الكلمة المغرية سمعها ، وامسكت بى متشبثة،فى حرص وضمتنى الى صدرها، وفى عينيها المتوسلتين المتطلعتين الى وجه ابيها يترقرق استعطافٌ . وابتسم ابوها ، مستظرفا تعلقها بى ، ودفع ثمنها صاغرا راضيا . ومضينا الى البيت ، الى جنتى السحرية القديمة .

★★★

اجل ، كانت تؤمن باننى دمية حية ، اسمع واعى واتكلم والهج بلفظتى الوحيدة الاثيرة ، واننى ، الى ذلك ، احسن الاصغاء الى حديثها وثرثرتها المتصلة . وكانت تخاطبنى وتغمزنى بعينها اليسرى دوما ، حين نكون منفردين ، فتفضى الىّ بعض همومها الصغيرة وامانيها ، ولم تكن تسلس للنوم الا ان استقليتُ الى جانبها ، واطمأنتْ الى وجودى وأمرّتْ راحتها الرَّخصة على شعرى الأشقر ، وداعبتنى بحنان دافق برىء . لقد كنت صورة مصغرة لبُنيّتها المقبلة ، حين تكبر وتتزوج وترزق اطفالا .

وكانت امها حنونا طيبة القلب ، ولكم فجأتنى يدها العطوف،فى كثير من الليالى، وهى تتلمس ابنتها ، فى الظلمة ، فتجذب اللحاف ، ان انحسر عن طفلتها الغافية

وتفطى ساق ابنتها المكشوفة ثم تتقرّاني وتسوى جَمة شعرى النافرة فوق جبينى وتسدل على لحاق الصغير .

★★★

وافضت الىّ سعاد ، ذات يوم ، بحديث غريب ، قالت :

ــ اتعلمين يا عروسى الصغيرة ، ان (ماما) حامل ، وعما قريب ستلد طفلة او طفلا ، سنفرح كلنا به ، ولكن ستبقين انت الى جانبى ، اليس كذلك ؟

واجبت ، فيما انا انحنى للمسة يدها الرفيقة : (ماما) وكنت اعنى بها : بلى .

★★★

وتجاوب،ذات مساء ، فى سماء الفرفة صوت طفل بكاء نوّاح ، وظل هذا الصوت،اياما لا ينى او يفتر عن الصياح . واقول الحق ، لقد شعرت بالفيرة تأكل صدرى، فقد انصرفت سعاد عنى ،بعض الشيء ، لتلهو بالنظر الى اخيها الصغير خالد،الى هذه الدمية الجديدة الصخابة المتحركة ، بيد اننى ظللت انعم بالغفوة الى جانب سعاد ، قبل ان تفيء الىالنوم، وظللت اقبّل راحتها الطرية الفضة ، خلسة ، وهى تداعب شعرى .

وبدا لى من خلال حديثها الى ، انها تشعر هى ايضا بالفيرة من هذا الضيف الجديد ، بعد ان استأثر باهتمام امها وحنانها المدرار .

★★★

ومضت الأسابيع والشهور واذا بمنافسى الصغير يحبو ثم يمشى متعثرا متزايل الخطى .

وكنت اخاف منه واخشاه ، فقد كان كثير الأذى ، وكان يستطيب كسر كل شيء تظفر به يده العابثة ، ويصفى الى صوت الكسر ، منتشيا ، جذلان . ولن انسى ، عمرى كله ، كيف هجم على ،ذات يوم فى غفلة من أمه ، وكانت سعاد فى المدرسة ، وامسك بى وهزنى وامالنى ، فغمغمت ، مستنجدة : ماما . فلم يخفّ احد الى نجدتى ، وامتدت انامله العاتية الى شعرى فشدته فى عنف ، وضاق بى ذرعا فضرب راسى ورمانى ارضا، واغمى على وانزاحت الآلة الصغيرة المركبة فى صدرى عن مكانها قليلا ، فلم اقو على ترديد كلمة (ماما) ، على نحو واضح .

كان كل ما ناله هذا الخبيث الصغير من عقاب ، ضربةٌ خفيفة من راحة أمه على قفاه .

ولما اتت سعاد من المدرسة ،وحملتنى بيديها الحانيتين ، حاولت ان أهتف لها كلمتى المألوفة : (ماما) ، ولكنها خرجت مكظومة خافتة ، وادركت سعاد ما حاق بى من اذى فبكت بكاء مريرا ، ولم يكن فى وسعى حين اضجعتنى الى جانبها ، ان ارقا دموعها السخية المتعرجة على مسارب وجهها الحبيب .

انا اعلم انه سيقبل يوم قاس ، تملنى فيه امى الصغيرة سعاد ثم تجفونى وتنسانى . كنت اقيس ــ اما اضجعتْ الى جانبها ــ طولى الثابت بقامتها النامية التى تجهد ان تطفر الى طور الصبا .

وكان اكثر ما يخيفنى ، ويملأنى قلقا وفزعا ، هو أن يرمى بى فى (تنكة القاذورات ، مفككة ، مهشمة ، مخلعة الأوصال ، بيد ان تعلق فتاتى بى حمانى من هذا المصير المشؤوم ، وجاء يوم وضعتنى فى صندوق قديم وغمغمت

تحدث نفسها ــ لم تكن تخاطبنى فقد اضحت فتاة ــ فقالت :

ــ ساخبئها هنا ، لئلا يكسرها خالد ، ومن يدرى ، لعل . .

ولم اسمع بقية الجملة ، فقد اغلقت على الصندوق ، واستسلمت انا الى نوم عميق ، راضية مذعنة . وسربلتنى ظلمة الصندوق الداجية ، وكذلك غاب عنى عالم النور والضحك والغناء ، وانطفأت كلمة (ماما) فى صدرى ، ولكن املا حلوا ظل يَتنسم فى قلبى : من يدرى لعلى اغادر يوما ما ، سجنى هذا المعتم، لاستانف حياة جديدة فى عالمى القديم المضيء .

★★★

ترى كم امضيت من سنين فى هذا الصندوق بعد اغلاقه على ؟؟ لا اعلم . على ان سعاد كانت تسعدنى بطلتها مرة او مرتين فى العام ، فالحظ انها نمت وكبرت ، وامتلأ وجهها ، يتدفق فيه رونق الشباب وسحر الصبا .

ومرت أعوام مديدة ، اضحيت فيها منسية مهملة ، لا اكاد اظفر بشعاع واحد من نور يصافح وجهى ، حتى ازف اليوم المبارك الذى انطلقت فيه من سجنى الضيق المعتم .

★★★

اجل كانت هى نفسها التى فتحت الصندوق . لقد امرت راحتها الندية الطرية على شعرى . اننى اعرف لمستها الحنون . لقد ظلت هى هى لم تتغير ، وانهضتنى ففتحت جفنى المغمضتين ، ورايت فجاة وجهها المبتسم المالوف نفسه ، وخيل الى انها تغمزنى بعينها اليسرى غمزتها المعهودة . رباه ، لقد اضحت صبية ناضجة مكتملة الانوثة

ولمحت فى اصبعها خاتما يتوامض ، تراها تزوجت ؟؟

كان يقف الى جانبها شاب لم أعرفه ، ورايت طفلة صغيرة تجذب طرف ثوبها وتهتف :

ــ ماما ، ماما ، اريدها ، اريدها .

اذن لقد تزوجت ، ورزقت طفلة . وغير بعيد وقف أبوها ، وبدا شيخا وخط الشيب شعره ، رباه كلهم كبروا، الا انا ، فقد ظللت دمية صغيرة .

وكان ابوها يبتسم فى حنان وقال لها:

ــ لم يفتح هذا الصندوق ، منذ تزوجت يا بنيتى ، ولم تفتحه امك قط، وظل مغلقا حتى بعد وفاتها منذ سنتين، رحمها الله .

وادركت ان امها الحنون قد ماتت ، يرحمها الله . وقالت سعاد :

ــ ليتها كانت حية،لترى ابنتى ياأبى.

ثم استدارت نحو الشاب (لا شك انه زوجها) واشارت الىّ وقالت :

ــ كانت هذه الدمية،سلواى وسميرتى ورفيقة طفولتى ، سآخذها لابنتى .

وامسكتنى فى رفق،وهزتنى وأمالتنى، وغمرتنى سعادةٌ لا حدود لها. سأعيش معها . سأكون من جديد سميرة ابنتها. وجهدتُ فى ان اغمغم بكلمتى الاثيرة الطيبة المالوفة ، وتطاولت الالة فى صدرى فانجدتنى ــ وافرحتاه ــ وهتفت بوضوح (ماما) .

فضمتنى الى صدرها ضمة حانية ، وعرفت انها تذكرت امها رحمها الله ، فقد تساقط على جبينى قطرات صافية نقية من دموعها . .

واشتهيت ان ابكى انا ايضا . ■■

بديع حقى
دمشق

علماء في وجه الطغيان

بقلم : الدكتور محمود السمره

الاستاذ بجامعة الاردن

■ يفخر الأوروبيون أن تاريخهم حافل بالعلماء، والمفكرين الأفذاذ ، الذين قالوا كلمة الحق فى المواقف التى كان يجب أن تقال فيها ، وتعرضوا فى سبيل ذلك لكثير من العنت والاضطهاد . وهؤلاء ، فى رأيهم ، هم بناة الحضارة الأوروبية ، وكل مظهر من مظاهر التقدم انما كان نتيجة لهذه المواقف التى حررت الانسان الأوروبى .

ومثل هذا القول يحمل فى طياته اتهاما لغيرهم. وقد صرح رينان Renan ولى شاتلييه Châtelet ولامانس وغيرهم ، فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن ، أن سبب تأخر العرب والمسلمين يعود الى انعدام مثل هؤلاء العلماء والمفكرين المستعدين للتضحية فى تاريخنا الحديث . ولم يسلم من نقدهم حتى جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده .

ويبدو أن هذه الفكرة استهوت بعض كتابنا حتى قال أحدهم : « تعلثم السيد جمال الدين الأفغانى منتحيا الاساليب العلمية العتيقة التى عكف عليها العرب منذ القرون الوسطى، فهو بذلك صورة مصغرة أو مكبرة لعصر من العصور البائدة فى تاريخ الفكر الانسانى . وهو بنزعته السياسية اشبه الاشياءفىعصره بالهياكل الحفرية التى تعيش بجثمانها ، وان رجعت بتاريخها الى أبعد العصور ايغالا فى احشاء الزمن.. »(اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ١٠٨ ــ ١٠٩) وقد ناقش الكاتب" فى رأيه هذا على صفحات مجلة « المقتطف » سنة ١٩٢٦ و ١٩٢٧ الأستاذ أمين الخولى والأمير مصطفى الشهابى . ورأينا أن مثل هذا الحكم القاسى ، يصدره كاتب منا أو من غيرنا على تراثنا ، يكشف عن حاجة أمثال هؤلاء الكتاب الى مزيد من الاطلاع الواعى المتمكن على الحضارة العربية الاسلامية .

ونحن لا ننكر أن فى تاريخنا فترات سادتها ظلمة ، شأن تاريخ كل أمة . والأمة عندما تكون صحيحة معافاة يظهر فيها الرجال الأفذاذ ، أبناء الصحة والعافية ، أما الأمة الضعيفة المريضة فلا تنجب الا الضعفاء والمرضى .

وتاريخنا فى فجره ، وضحاه ، وظهره ، حافل باسماء علماء أفذاذ ضحوا فى سبيل الحق الذى آمنوا به ، وقالوا كلمة الحق فى المواقف التى كان يجب أن تقال فيها . وهم فى مواقفهم انما يقتدون بنبيهم الكريم الذى كانت حياته كلها وقفا على قول كلمة الحق والدفاع عن الحق .

وهذا الكتاب الذى نقدمه ، « علماء فى وجه الطغيان » للأستاذ محمد رجب البيومى ، يجمع بين دفتيه فصولا قصيرة تتناول مواقف بطولة وقفها بعض علمائنا . وتاريخنا حافل بمثل هذه المواقف ، بحيث يمكن أن تؤلف فيها المجلدات .



ونحن ناخذ على هذا الكتاب أنه يرسم صورا سريعة دون أن يقف عند العصر والعوامل التاريخية محللا مفسرا . ثم ان بعض المواقف التى اعتبرها مواقف ظلم ، انما هى مواقف اقتضتها سلامة الدولة والمصلحة العامة . والكتاب يبقى ، بعد هذا ، كتابا مفيدا موجِّها .

وقد اخترت هنا خمسة مواقف: ثلاثة منها وقفها ثلاثة علماء فى وجه عبد الملك بن مروان وطغيان الحجاج ، وموقفين يدلان فى رأيى على حسن استماع الحاكم لكلمة الحق ، وبهذا يُعليان من قدر الحاكم كما يرفعان من شان العالم . وهذان الموقفان هما : موقف أبى جعفر المنصور من عمرو ابن عبيد ، وموقف عبد الرحمن الناصر من المنذر ابن سعيد .

سعيد بن المسيِّب يتحدى الخلافة

رجل يعرف قدر نفسه ، ويحترم العلم الذى يحمله فى صدره ، ولهذا عاش حياته كريما لا يرهب احدا ، ولا يخشى شيئا . كان عنيدا مع الجبارين، وحملا وديعا مع المساكين ، يسعى فى قضاء حاجاتهم باذلا من نفسه وماله ، هذا هو سعيد ابن المسيب .

كان فقيها من الفقهاء ، ومحدثا من ثقات المحدثين . وكانت المدينة زمنه" زاخرة باعلام الشريعة من صحابة رسول الله ، فسمع من على ، وابن عمر ، وسعد ، وابن عباس ، وابى الدرداء ، وعائشة ، وام سلمة .. اما ابو هريرة ، شيخ المحدثين ، فقد لزم سعيد مجلسه ، وبلغ من اجلاله له أن سعى الى مصاهرته بالزواج من ابنته .

وقد اعترف ذوو الفضل بمكانة سعيد بن المسيب ، والفضل يعرفه ذووه :

فكان عبد الله بن عمر اذا سئل عن الأمر يشكل عليه يقول : سلوا سعيدا فقد جالس الصالحين .

وقال على بن الحسين : سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدم من الآثار ، وافقههم فى زمانه .

وقال قتادة : ما رأيت اعلم بالحلال والحرام منه .

وقال مكحول : طفت الأرض ، فما وجدت أعلم منه !

وذكر مالك والشافعى وابن حنبل وأصحاب أبى حنيفة آراءه ، واستشهدوا بما تنوقل من فتاواه .

وتتلمذ عليه عمر بن عبد العزيز ، وعمرو بن دينار ، وعطاء بن أبى رباح ، ومحمد الباقر .. هذا هو سعيد بن المسيب العالم .

اما سعيد بن المسيب الانسان فقد كانت حياته تطبيقا لما وعَى من علم .

فهو يحث على النضال فى الحياة ، وينهى عن الانقطاع للعبادة .

وقال له مولاه بُرد" يوما : ما رأيت أحسن مما يصنع هؤلاء !.

فقال سعيد : ما يصنعون ؟

قال : يصلى احدهم الظهر ، ثم لا يزال صافًّا رجليه يصلى حتى العصر .

فقال سعيد : ويحك ، يا برد ، ما العبادة هذه، انما العبادة الكف عن محارم الله ، والتفكر فى امره !! وهكذا فالعابد التقى هو الذى يسعى الى رزقه مجتنبا محارم ربه ، ولن تنفعه عبادته وامعاؤه تتلوى ، واطفاله يتضورون جوعا .

وايمان سعيد بن المسيب بالعمل جعله يرفض عطاءه من بيت المال ، وكان يتاجر بالزيت ليكسب ما يكفيه ، وليتحرر من المِنّة .

وموقفه من الامويين والزبيريين مشهور : فقد وقف ضد الفريقين لأن الخلافة فى نظره قد انحرفت

عن نهجها الذى عرفه ايام أبى بكر وعمر وعلى واصبحت ملكا عضوضا . وحاول كل منهما ان يستميله الى جانبه ، ولكنه أبى ورضى بما هو فيه . وكان دوما مستعدا لان يقول كلمة الحق .

★ ★ ★

وبنو أمية ، وهم بناة دولة ، لم تنجح وسائلهم مع سعيد بن المسيب . ودفعت السياسة عبد الملك ابن مروان الى أن يرسل الى سعيد بن المسيب يخطب منه ابنته لولى عهده الوليد ، ليكسب بذلك محبة العامة الذين كانوا يلتفون حول سعيد ويعظمونه . ولكن سعيد بن المسيب يستبشع هذا الطلب ، ويرفض أن تصبح ابنته زوجة لخليفة المستقبل ، ويزيد فيزف ابنته الى طالب علم فقير من تلاميذه لا يملك أكثر من قوت يومه .

★ ★ ★

ولما رأى عبد الملك بن مروان أن سياسة اللين هذه لم تنفع معه ، لجأ الى سياسة القوة : فقد ارسل الى واليه على المدينة يأمره بأخذ البيعة للوليد ابنه ، ولكن سعيد بن المسيب يرفض ، ويهدده الوالى بضرب عنقه ، فلا يحيد عن موقفه ، واخيرا يعرض عليه الوالى موقفا من ثلاثة مواقف : أن يقرأ الوالى كتاب البيعة على الجمهور فيسكت سعيد دون أن يقول لا أو نعم ، او ان يجلس فى البيت فلا ينهض الى المسجد اياما حتى تنتهى البيعة ، أو ان ينتقل من مكانه بالمسجد فلا يجده الرسول اذ يأتيه .

ويرفض سعيد بن المسيب كل هذه العروض ، وحجته فى ذلك : انه أولا يخشى أن يصمت فيظن الناس أنه مبايع لأنه لم يعارض ، وهو ثانيا لا يستطيع أن يسمع المؤذن يدعو الى الصلاة فلا يلبى ، وهو ثالثا يربأ بنفسه أن ينتقل من مكانه فى المسجد خوفا من مخلوق !

ولكنه دفع ثمن هذا الموقف : اذ جرد من ثيابه، وضرب خمسين سوطا ، وطيف به فى أسواق المدينة ، ورجال الوالى يقولون : هذا موقف الخزى ! فيرد عليهم بحزم وقوة : بل فررنا من الخزى يوم القيامة ، بما فعلتموه وفعلناه !

ولما رأى عبد الملك أن الشدة لم تنفع أيضا ، ندم على ما فعل ، واخذ يبذل الجهود لاسترضاء ابن المسيب : فقدم يوما الى المدينة ، ووقف على باب المسجد ، وأرسل الى سعيد رجلا يدعوه ، فاتاه الرسول وقال : أمير المؤمنين بالباب يريد أن يكلمك .

فقال : مالى اليه من حاجة ، وما به حاجة الى .

فرجع الرسول فأخبره فقال له : قل له : اجب أمير المؤمنين .

فكرر سعيد ما قال ، فاستعظم الرسول ما صنع ، فقال له سعيد : اذهب ، يا بنى ، فان كان يريد بى خيرا فهو لك ، أو شرا فليقض ما هو قاض !

ورجع الرسول بالاجابة الى الخليفة ، فسكت على غيظ ، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئا .

★ ★ ★

والى جانب مواقف الدفاع هذه ، كان لابن المسيب مواقف هو البادىء فيها بالهجوم :

صلى الحجاج ذات يوم صلاة عاجلة ، لم يتم فيها الركوع والسجود كما يجب ، فملأ سعيد كفه حصى ورماه به . وسكت الحجاج الطاغية المعروف، واستخذى ، ولم يستطع أن يفعل شيئا ، لانه كان يعرف قيمة الرجل عند الناس ، ويخشى انفجارهم ضده .

★ ★ ★

واخيرا يرسل اليه القوم أن له فى بيت المال عطاء متجمعا يزيد عن ثلاثين ألف دينار ، ولكنه يرفض أن يأخذ منه درهما ، ويرد عليهم قائلا : لا حاجة بى فيما عند الظلمة من حقوق !

فقيل له : ألا تخاف على نفسك ؟

فقال لمحدثه : مهلا ، يا أحمق ، فلن يضيعنى الله !

سعيد بن جبير يثور على الحجاج

اذا كان الحجاج قد استخذى امام سعيد بن المسيب لانه لم يجد سببا كافيا للفتك به ، فانه قد اودى بسيد التابعين سعيد بن جُبَيْر ، العالم، الفقيه ، الثقة ، لانه ثار فى وجه ظلمه .

وعندما كان سعيد بن جبير فى طريقه الى المحاكمة ، عرض عليه حارسه الهرب ، ولكنه أبى، حتى لا يؤخذ انسان برىء به ، وحتى لا تقول الاجيال : ان سعيد بن جبير قد جبن عن مواجهة جبروت الحجاج .

وقف سعيد بن جبير امام الحجاج، وقد انتفخ تعاظما ، فدار بينهما الحوار التالى :

ــ ما اسمك ؟ (فيجيب سعيد فى صلابة وعزة)
ــ اسمى سعيد بن جُبَيْر .
ــ بل شقيّ بن كُسَيْر !
ــ ابى كان أعلم باسمى منك !
ــ لقد شقيت وشقى ابوك !
ــ الغيب انما يعلمه غيرك .
ــ لأبْدلنَّك نارا تلظى !
ــ لو علمت ان ذلك لك ، ما اتخذت الاها غيرك !
ــ ما قولك فى محمد ؟
ــ نبى الرحمة وامام الهدى ، بعثه الله رحمة للعالمين .
ــ وما رأيك فى علي ؟ أهو فى الجنة ام فى النار ؟
ــ لو دخلتها وعرفت من فيها لعرفت أهلها .
ــ ما قولك فى الخلفاء ؟
ــ لست عليهم بوكيل !

ولما اعيى الحجاج ان يُفحمه ، حاول ان يجره ليظهر الاستكانة والخنوع ، فيعفو عنه :

ــ اتريد ان اعفو عنك ؟ (فرد سعيد فى ثقة وايمان)

ــ ان كان العفو فمن الله ، واما انت فلا تملك عفوا عن انسان !

ــ اختر اى قتلة تريد أن اقتلك بها ؟

ــ بل اختر ، يا عدو الله ، لنفسك ، فوالله ما تقتلنى اليوم قتلة الا قتلتك فى الاخرة بمثلها !

ويساق سيد التابعين الى الذبح ، وكان آخر ما قاله : اللهم لا تسلط الحجاج على احد بعدى ! وقد استجاب الله دعاءه ، فمات الحجاج بعد هذا الحادث بخمس عشرة ليلة دون أن يريق دما لانسان ، وكان قبل موته قد جفاه النوم ، والتاث عقله ، فكان يستيقظ فى الليل فزعا وهو يصيح : يا قوم ، مالى ولسعيد بن جبير ، كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى !

★ ★ ★

وقد عرف فضل سعيد بن جبير ذوو الفضل :

فقال الامام احمد بن حنبل : لقد قتل الحجاج سعيدا ، وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه .

وقال الحسن البصرى : اللهم أنت على فاسق ثقيف ، فوالله لو أن مَنْ بين المشرق والمغرب اشتركوا فى دم سعيد بن جبير لكبّهم الله على وجوههم فى النار .

يحيى بن يعمر بطل صريح

وهذا موقف ثالث من هذه المواقف الخالدة فى وجه الحجاج ، يقفه هذه المرة يحيى بن يَعمر .

ويحيى بن يعمر من افاضل التابعين ، ومن المتضلعين فى علوم الشريعة واللغة ، وقد شارك ابا الاسود الدؤلى فى وضع بذور النحو العربى ، وكان المخترع الاول لنقط الحروف .

وقد سعى الحجاج الى الاصطدام بيحيي بن يعمر سعيا ، وخرج منه مخذولا ، والسبب فى هذا فكرة دعا اليها الحجاج ، ووقف فى وجهها ابن يعمر :

لقد رأى الحجاج ، زيادة فى توطيد ملك بنى مروان ، ان يعلن ان الحسين هو ابن على بن ابى طالب ابن عبد المطلب ، وليس من ذرية محمد بن عبد الله ، لان انتسابه لفاطمة لا يغير من الامر شيئا ، فالاب هو المعتبر فى النسب دون الام . وقد خطب الحجاج فى ذلك واطال ، وأمر بان ينقل اليه خبر من يقول بغير هذا . وجاءه النبأ أن يحيى بن يعمر سئل فى المسجد الجامع عن هذه القضية ، فاجاب : ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله ، وان الحجاج يحكم ولا يفتى ، فاذا افتى ففى غير علم واعتقاد !

وظن الحجاج انالفرصة موانية للتنكيل بيحيى ابن يعمر ، معتمدا على انه ليس فى القرآن ما يثبت قول ابن يعمر . وحشد الحجاج اعوانه ، ووجهاء الكوفة ، وشيعة ابن يعمر، فى مجلسه . ثماستدعى اليه ابن يعمر ليريهم جميعا انه عاجز عن ان يثبت لهم ما قاله من القرآن ، وبهذا ينفذ اليه ، وينال منه .

وحضر يحيى بن يعمر فرأى مجلسا غاصا بمن فيه ، فالقى السلام فى وقار ، وهمّ بالجلوس ، ولكن الحجاج صاح به : لا تقعد ، يا يحيى ! وأوضح لنا رأيك فى صلة الحسين برسول الله ! ورد يحيى فى وقار وانفة : الحسن والحسين من ذرية رسول الله ، وان غضب الحجاج !

فيستبد الغيظ بالحجاج، ويجرى بينهما الحوار التالى :

ــ ألديك دليل من كتاب الله ؟
ــ معى الدليل من القرآن !
ــ ما شاء الله ! أفىالقرآن ان الحسنوالحسين من ذرية رسول الله ؟! لقد قرأته مئات المرات ، فما وجدت ما تقول ، يا رجل !

فقال يحيى :

ـ قال الله تعالى : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، والياس ، كل من الصالحين » . **ثم تلفت يحيى الى الناس وقال :**

أيكون عيسى بن مريم من ذرية ابراهيم بنص القرآن ، ولا يكون الحسين من ذرية رسول الله ، وبينهما من القرابة الذاتية اكثر مما بين عيسى وابراهيم ، ايها الناس ؟!

فبهت الحجاج ، ورأى ان من الحكمة ان يتراجع ، فابتسم في تصنع وقال :

ـ اجلس، يا يحيى، فقد فاتني هذا الاستنباط .

واراد أحد الجالسين ان يصرف الحديث الى موضوع آخر ، بعد ان راى تأزم الموقف ، فسأل الحجاج عن واسط ، المدينة التي بناها ، فارتاح لهذا الانتقال ، واخذ يطنب في وصف سخائه في الانفاق على تشييدها، واراد ان يتودد الى يحيى، فمال اليه ، وساله برفق :

ـ لم تذكر لنا رايك فمدينة واسط، يا يحيى ؟

فسكت الرجل ولم يرد ، وتوجهت العيون اليه، فزادت من حرج الحجاج ، فأعاد السؤال في غيظ، فقال يحيى :

ـ ايها الامير ، ماذا اقول في واسط ، وقد شيدتها من غير مالك ، وسيسكنها غير اهلك ؟!

فصاح الحجاج في انفعال :

ـ ما حملك على قول هذا ؟

فقال يحيى في اعتداد :

ـ ما أخذ الله تعالى على العلماء في علمهم الا يكتموا الناس حديثا !

ورأى الحجاج انه قد تورط ، ولكنه انقاذا لهيبته في نفوس الناس ، صاح بيحيى :

ـ لا تساكني ببلد أنا فيه ، فاذهب منفيا الى خراسان .

وذهب يحيى الى خراسان ، فوجد الناس يتحدثون عن موقفه مكبرين ، ودنا منه خراساني ، وساله متعجبا :

ـ ألم تخش سيف الحجاج حين قلت ما قلت ؟

فرد في ايمان الواثق بايمانه :

ـ لقد ملأتني خشية الله ، فلم تدع مكانا لخشية انسان !!

عمرو بن عبيد يعظ المنصور

دانت الدنيا للخليفة ابي جعفر المنصور ، بعد طول تشرد وشقاء ، ولكنه في سبيل الخلافة العباسية سفك دماء كثيرة . لقد كان المنصور هو الباني الحقيقي للدولة العباسية، كما كان معاوية هو الباني للدولة الاموية. ووسط كل هذا المجد الدنيوي عبرت بخيال المنصور صورة صديقه ايام الشقاء والتشرد، صورة عمرو بن عبيد، عالم البصرة ، ورأس متكلميها ، فحن الى مجلسه وصراحته ، ورجولته المترفعة ، فأرسل اليه يرجوه الحضور الى بغداد .

ومن هو عمرو بن عبيد ؟

يكفي تعريفا به ما قاله فيه شيخه الحسن البصري يوم سئل عنه ، فقال :

ـ عمرو ما عمرو ؟ رجل كأن الملائكة أدبته ، وكأن الأنبياء ربته ... ان أمر بشيء كان الزم الناس به ، وان نهى عن شيء كان اترك الناس له ، ما رأيت ظاهرا أشبه بباطن منه ، ولا باطنا أشبه بظاهر منه .

وقد سمع احد تلاميذ عمرو بن عبيد اعداءه يسبونه سبا جارحا ، فقال لشيخه :

ـ يا أبا عثمان ، انى لارحمك مما يقول الناس فيك .

فقال له :

ـ يا ابن اخي ، اسمعتني اقول فيهم شيئا ؟

قال : لا

قال : فاياهم فارحم !

هذا هو عمرو بن عبيد .

★ ★ ★

وتردد عمرو بن عبيد في تلبية دعوة المنصور ، ولكنه رأى ان الواجب يقضي عليه ان يلبي الدعوة، ليسمع الخليفة ما يجب ان يسمعه . وما علم المنصور بقدوم عمرو بن عبيد حتى الغى كل المقابلات . وانتقل من الحجرة المذهبة الى حجرة

متواضعة ، وجلس على حصير ليستقبل صديقه القديم الحميم ، وهو اعرف الناس به .

وعندما دخل عمرو بن عبيد ، قام المنصور اليه، وعانقه،وقبله، ثم رفع اليه عينيه في انكسار وقال :

ـ عظني ، يا أبا عثمان !

فنظر عمرو بن عبيد الى الخليفة نظرة تدل على عدم الرضى ، واندفع يقرأ بعد البسملة قول الله تعالى : « الم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد » . وكرر الآية الاخيرة ، ففهم الخليفة ما يعني ابو عثمان ، وملكته رعشة ، وتساقطت من عينيه الدموع .

ثم قال أبو عثمان : « ان الله اعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم ان هذا الامر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ، ثم افضى اليك ، وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك واني لاحذرك ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة ، يا أمير المؤمنين ! » .

وكان سليمان بن مجاهد ، كبير حاشية المنصور يسمع ويرى ، فاستفظعه ، فصاح بابي عثمان : رفقا بأمير المؤمنين ، فقد اتعبته منذ اليوم !

فرفع أبو عثمان رأسه وقال له : من أنت ؟

فقال ابو جعفر : أولا تعرفه يا أبا عثمان ؟

قال : لا ، وما أبالي الا اعرفه !

فاجاب المنصور : هذا أخوك سليمان بن مجاهد .

فضحك أبو عثمان متهكما وقال : هذا أخو الشيطان ! ويلك يا ابن مجاهد ! خزنت نصيحتك من أمير المؤمنين ، ثم اردت ان تحول بينه وبين من أراد نصيحته ؟! يا أمير المؤمنين ، ان هؤلاء اتخذوك سلما لشهواتهم ، فانت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب ، فاتق الله فانك ميت وحدك ، ومحاسب وحدك ، ومبعوث وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئا !

وختم المنصور مجلسه بان سأله : هل من حاجة ؟

قال : نعم ، هي الا تبعث الي حتى آتيك .

فقال المنصور : اذن لا نلتقي .

قال عمرو بن عبيد : من حاجتي سألتني .

ونهض قائما ، فودعه الخليفة ، وهو لا يدري ما يصنع . وتلفت حوله ليجد نفسه محاطا بالمنتفعين من كل لون، فاذا بلسانه ينطلق منشدا :

كلكم يمشي رُوَيْد
كلكم يطلب صَيْد
غير عمرو بن عُبَيْد

فذهبت ابياته هذه مثلا .

ونحن ان كنا نفخر بالعلماء الذين يجاهرون بالحق دون رهبة او خشية ، فاننا نفخر ايضا بالخلفاء والحكام الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون احسنه .

المنذر بن سعيد يتحدى الناصر

وموقف عبد الرحمن الناصر من المنذر بن سعيد شبيه بموقف المنصور من عمرو بن عبيد . والامة لا تنجب مثل هؤلاء الافذاذ الا ان كانت صحيحة معافاة ، واثقة بنفسها .

وعبد الرحمن الناصر ، هو من عرفت ، ويكفي ان نقول ان عصره كان ازهى عصر للعرب في الاندلس .

اما المنذر بن سعيد فهو القاضي الخطيب ، تتلمذ على فقهاء وأدباء الاندلس ، وقصد المشرق فاخذ عن كبار علمائه وادبائه ، ثم عاد الى الاندلس. وقد تألق نجمه عند الناصر في مناسبة مشهورة مذكورة : فقد دخل على الناصر رسول ملك الروم، حاملا انفس الهدايا والتحف واقيم لاستقباله احتفال فخم ، وتقدم أبو علي القالي صاحب « الامالي » ليلقي كلمة الافتتاح، فتلجلج واضطرب وهو الاديب الكبير . عندها تقدم المنذر بن سعيد، وانقذ الموقف بأن تكلم فاجاد.منذ ذاك اليوم اصبح قريبا من الناصر ، فاسند اليه الخطابة في المسجد الجامع ، وعينه قاضي الجماعة في قرطبة ، فكان مثال النزاهة في القضاء . وله مع الناصر مواقف نبيلة ، ترفع قدر الحاكم والمحكوم معا :

كان للناصر حظية من نسائه هام بها ، فبنى لها قصرا جميلا ، ثم اراد أن يتوسع في شرفاته ومقاصيره بشراء دار مجاورة هي ملك لبعض

الايتام ليهدمها ويبني مكانها . وعرض بعض المال لذلك ، فقال الوصي : عن الايتام : انه لا ينفذ البيع الا باذن القاضي منذر بن سعيد ، اذ أن الايتام في رعايته ، فهو قاضي الجماعة في المسلمين ، وأولى بالتصرف والانفاذ .

فبعث الخليفة الى القاضي يساله انفاذ البيع ، فقال القاضي لرسول الخليفة : ان البيع على الايتام لا يصح الا لوجوه منها : الحاجة الملحة ، او الضعف الشديد ، او الرغبة في مال من غبطة مرتجاة . وليس بالايتام حاجة لنقد ، ولا بالدار ضعف فتزال ، واما الغبطة فهذا مكانها ، فان اعطاهم أمير المؤمنين كثيرا ، انفذت البيع والا فلا .

ورجع الرسول الى الخليفة بما قال القاضي ، فاظهر زهدا في شرائها .

وخاف القاضي ان يصمم الخليفة على الشراء ، فامر بنقض الدار ، وبيع انقاضها ، فبيعت وحدها باكثر مما عرضه الخليفة في الشراء ، وعز هذا على الناصر ، فعاتب المنذر بن سعيد في ذلك ، فقال له في جراة :

« أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر، فأردت ان أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا » . ومقومك لم يقدرها بمال معقول، وقد قبضت في الانقاض وحدها اكثر منه ، وبقيت الارض للأيتام .

فاطرق الناصر ، ثم قال له : نحن أولى بالانقياد الى العدالة ، وجزاك الله خيرا ، يا قاضي الجماعة عن العدل والاسلام .

★ ★ ★

كان الناصر كلفا بالعمارة والزخرفة ، فبنى الزهراء وابدع في تزيينها ، حتى شغله ذلك عن حضور صلاة الجمعة في المسجد الجامع ثلاث مرات متعاقبات ، فاراد القاضي ان يلقي الموعظة الزاجرة ، وانتهز حضور الخليفة للصلاة يوم جمعة ، فبدأ خطبته بقول الله تعالى : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، واذا بطشتم بطشتم جبارين،فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي امدكم بما تعلمون ، امدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون ، اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم . » ثم اتبع ذلك بكلام قاس ينهى عن التبذير والاسراف ، حتى بكى الخليفة وندم . فقال له ولي عهده : وما الذي يمنعك من عزله وايقافه ؟ ! فرد عليه الناصر محتدا : ويلك ، أمثل ابن سعيد في ورعه ، وعلمه ، وفضله ، يعزل في ارضاء نفس ناكبة عن الرشاد ، سالكة غير القصد ؟! هذا ما لا يكون ، واني لا ستحي من الله عز وجل الا اجعل بيني وبينه شفيعا يوم القيامة مثل المنذر بن سعيد !

★ ★ ★

بنى الناصر قصرا فخما ، وصفحه بالذهب والفضة ، وزخرف سقوفه بالالوان الذهبية البراقة ، ثم دعا اليه كبار رجاله ، وسألهم عنه ، فبالغوا في الثناء على ابداعه وكماله ، وغالوا في الملق ، فسر الناصر بكلامهم .

ثم دخل المنذر بن سعيد واجما تنحدر دموعه على لحيته ، فساله الخليفة عن سبب حزنه ، فاشار الى السقف الذهبي المتوهج ، وقال : يا امير المؤمنين ، ما ظننت ان الشيطان يبلغ بك هذا المبلغ ، مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين ، حتى نزلت منازل الكافرين : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا ، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين . »

فوجم الخليفة ، ونكس رأسه معتبرا ، ثم قال : جزاك الله خيرا من ناصح امين .

وامر فازيل الزخرف الذهبي ، ثم طلى السقف طلاء عاديا .

هذا طرف من تاريخنا الذى ينكرونه علينا ، ولكنا لا ننكر أن هذا الحال قد تغير في عصور الضعف كما هو حال كل أمة . وقد فسّر رجل منا ، قبل نحو الف سنة ، هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، هذه الظاهرة في قوله :

ولو أن اهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظّما
ولكن أهانوه ، فهانوا ، ودنّسوا
محيّاه بالاطماع حتى تجهّما ■■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

التمثيل والتمثيلية، وفن التمثيل العربي

تأليف : زكي طليمات

الناشر : وزارة الشئون الاجتماعية بدولة الكويت ــ طبع مطبعة حكومة الكويت

● **مؤلف هذا الكتاب هو ، كما يقول سعادة وزير الشؤون الاجتماعية ، استاذ الجيل الفني الحديث ، ورائد الحركة المسرحية الحاضرة في العالم العربي . وكتابه هذا هو اول حلقة في سلسلة الثقافة الفنية التي تعتزم الوزارة اصدارها من اجل نشر تلك الثقافة كجزء من رسالتها نحو المجتمع .**

والاستاذ زكي طليمات هو الآن المشرف العام لمؤسسة المسرح والفنون بدولة الكويت ، وكتابه هذا قد تضمن حصيلة ماضيه الطويل في عالم الفن وخلاصة لتجاربه وخبراته طوال السنوات التي كان فيها احد اعمدة النهضة المسرحية وأعلامها البارزين ، وهي ولا شك خبرات عظيمة القيمة ، وخاصة للجيل الفني الحديث .

تفسير سورة يوسف

تأليف الشيخ عبد الله العلمي الغزى الدمشقي

طبع مطبعة دار الفكر بدمشق

● **في هذا الكتاب الذي يقع في أكثر من ١٥٠٠ صفحة في مجلدين ، أوفى تفسير صدر حتى الآن لسورة يوسف عليه السلام . وقد عكف عليه المؤلف بصفة خاصة ، مستقلة عن تفسيره لبقية كتاب الله ، وشرح فيها طبائع الصهيونيين التي توارثها الأبناء عن الآباء وكشف حال اليهود وعبرة اهالي فلسطين .**

وهذا الكتاب جدير بأن يَتعيَّ ما فيه كل مسلم وعربي ، ليعرف مطامع الصهيونية في وطنه ، ويتخذ العدة لهم كما امر الله .

عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس

للاستاذ محمد عبد الله عنان ــ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ــ الثمن ٣ جنيهات

● **يتألف هذا الكتاب من مجلدين كبيرين ، يتناول المجلد الاول تاريخ الدولة المرابطية في المغرب والأندلس حتى سقوطها ثم قيام الدولة الموحدية على انقاضها . اما المجلد الثاني فيتناول تاريخ الدولة الموحدية في المغرب والاندلس حتى انتهاء الدولة الموحدية في المغرب على يد بني مرين . ويعني المؤلف في هذا الكتاب عناية خاصة باستعراض اسباب انهيار الاندلس ومأساة قرطبة وبلنسية ومرسية وشاطبة واشبيلية وغيرها في أيدى الاسبان . كما يضم الكتاب طائفة من الوثائق التاريخية تنشر لأول مرة . وهو لذلك من أوسع المراجع عن تاريخ الاندلس في تلك الحقبة من الزمان .**

دورة الربيع

تأليف : رابندرانات طاغور ــ تعريب الدكتور بديع حقي ــ مراجعة الدكتورة نجاح العطار

الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي السوري بالجمهورية العربية السورية

● **تقوم وزارة الثقافة والارشاد بالقطر السوري بنشر سلسلة عن روائع الادب الشرقي ظهر منها « روضة الورد » و « روائع من الشعر الفارسي » و« دورة الربيع » وهذا الكتاب لشاعر الهند العظيم طاغور ، الذي كان بحق اعظم شاعر عرفته الهند في عصرها كلها حتى لقد سماه « غاندى » « منارة الهند » ، وكان الاديب الشرقي الوحيد الذي نال جائزة نوبل للآداب . ولم يكن طاغور شاعرا ملهما وحسب بل كان فيلسوفا مفكرا وكاتبا مسرحيا موفقا وقصصيا بارعا ولذا اتسم انتاجه كله بالنزعة الانسانية والدعوة الى المحبة والسلام .**

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

غانا : ماهي ؟
ونكروما : لماذا أطاحوا به ؟

● كان الدكتور نكروما رئيس جمهورية غانا ،وزعيما من زعماء افريقيا التحرريين ، فأرجو أن تذكروا بذكر الأسباب التى دعت الى الاطاحةبه ثم ما هى غانا هذه التى لم نسمع عنها الا منذ سنوات ؟

قارىء

★ ★ ★

ـ أما عن الاطاحة بالزعيم الغانى نكروما ، فامر نود ان نتجنب الخوض فيه لأسباب بينة .

اما انك لم تسمع عن غانا الا منذ سنوات ، فهذا غير صحيح . فانت فى تلمذتك ، عند دراستك ساحل افريقيا الغربى،درست لا شك مستعمراته، يوم لم تكن فيه غير مستعمرات . ومن هذه مستعمرة الساحل الذهبى . فهذه هى غانا اليوم. وهى اول المستعمرات البريطانية التى نالت استقلالها كاملا فى ٦ مارس ١٩٥٧ .

اما سبب تسميتها غانا ، فيرجع الى الرغبة فى احياء اسم امبراطورية قامت قديما فى تلك الأنحاء على المشارف الشمالية الغربية لنهر النيجر .

★ ★ ★

وغانا صغيرة الحجم ، فمساحتها تبلغ نحو ٩٢٠٠٠ ميل مربع ، ومع هذا فهى أغنى دولة فى افريقيا . وهى أكبر دولة منتجة للكاكاو . وهى ، ونيجيريا الغربية ، والبرازيل ، تنتج نحو ٣/٤ كاكاو العالم ، ومناجمها التى يستخرج منها الماس والذهب ومعادن أخرى ثمينة ، لم تفرغ بعد .

وبها صناعات مناشطها متزايدة . وصناعة الاخشاب والمطاط مطردة . ومياهها التى تتدفق من جبالها تمدها بالقوة الكهربائية التى لا بد منها لكل أمة تريد أن تتصنع .

واهل البلاد من قبائل شتى ، تعودوا العمل متعاونين عند الساحل، وظلوا متحاجزين ومتقاطعين متنافسين فى داخل البلاد ، فى قرى الادغال بعيدا عن العمران .

وعدد السكان يبلغ نحو ٦ ملايين ونصف المليون . بينهم أقليات من الاوروبيين يبلغون اقل من ١٠٠٠٠ نفس ، ومن اللبنانيين والهنود والسوريين ، واغلبهم يعيشون على التجارة .

ولا تزال العقائد الدينية البدائية الشائعة ، تلك التى تعتقد أن الأشياء تتقمص الارواح والاشباح والآلهة . والى جانب هؤلاء ، تعيش قلة محترمة الاعداد من المسلمين والمسيحيين .

والغانيون قوم مرحون . والمرأة فيهم متحررة ، وكثيرا ما تكون هى الكاسبة ، و « مامات » السوق لهم فى أسواق البلاد حرمة ولهم امرة .

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

يسأل عن صاحب ضحى الاسلام

● اطلعت اخيرا على كتاب « ضحى الاسلام » تأليف الدكتور احمد امين ، عرض فيه لبعض القضايا الفقهية والدينية عرض الخبير المتخصص مع أني اعلم انه كان عميدا لكلية الآداب .. فهل درس العلوم الدينية ، واين درسها ؟ وهل يتحتم على عميد كلية الآداب أن يلم بهذه العلوم »

الكويت زهير عثمان

— جمع المرحوم الدكتور احمد امين بين الثقافتين الدينية والمدنية ، حتى لقد امضى فترة من حياته قاضيا شرعيا يرتدى العمامة والجبة والقفطان ، كما كان يفعل كل من الدكتور طه حسين والاستاذين على عبد الرازق واحمد حسن الزيات والدكتور زكى مبارك وغيرهم قبل ان يرتدوا الزى الافرنجي . ولم يكن رحمه الله يجيد اللغة الانجليزية فى ذلك الوقت ، حتى اطلع على كتاب لاحد المستشرقين الانجليز عن الفقه والشريعة الاسلامية ، فصمم أن يقرأه بلغته تلك ، أى الانجليزية ، فالتحق بمدرسة لتعليم اللغات اسمها « برليتس » ، لعلها ما تزال موجودة بالقاهرة حتى الآن ، وعكف رغم مشاغله العديدة وكبر سنه على « المذاكرة » ، الى أن تعرف بسيدة انجليزية مثقفة ، ساعدته على تعلم الانجليزية والالمام بآدابها ، وكان « تلميذا » مجدا ، بل كان مضرب المثل فى الدأب والجلد والصبر والاجتهاد ..

وقد زوّد « أحمد امين » المكتبة العربية بثروة من انتاجه القيم ، الذى توّجه بكتب « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » ، و « وظهر الاسلام » وكان رحمه الله يعتزم اتمام هذه السلسلة ولكن وقته لم يتسع .. وفى ذلك يقول فى كتابه « حياتي » : « ثم قل فراغى لاشتغالى بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو فى المجمع اللغوى ، وفى مجلس دار الكتب ، ومجلس كلية الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنة التاليف والترجمة والنشر ، والجامعة الشعبية ، ومذيع فى الراديو .. وكل هذه أكلت من وقتى وبعثرت زمني ، ووزعت جهدى مع قلة فائدتها فيما اعتقد ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لرفضت كل هذه الامور ، ولفرغت من اتمام سلسلة فجر الاسلام وضحاه وظهره وعصره ، فقد كان ذلك أجدى وانفع وأخلد ، ولكنّ للظروف أحكام » .

وقد حظيت مجموعة فجر الاسلام وضحاه وظهره بثناء النقاد والمستشرقين وقوبلت بكثير من التقدير .. قال عنه صديقه وزميله الدكتور طه حسين : « ولست اخفى انى لم اكن اعرف حدا لهذا الدهش الذى كنت أجده حين ارى احمد امين يتصرف فى المسائل الادبية والفلسفية واللغوية بقدم ثابتة ويد صناع ، وعقل يعرف كيف يفكر ، وكيف ينتقل من قضية الى قضية ، ومن مقدمة الى نتيجة ، وكيف يضع الاشياء بعد ذلك كله فى نصابها ، معتدلا احسن اعتدال ، لايعرف التقصير ولا يعرف الاسراف » .

(بقية المنشور على صفحة ٢)

ظفر الإسكندر الكبير على داريوس ملك فارس في معركة اسوس الفاصلة في التاريخ

■ لعل الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد فريدة نادرة بقدر ما هي رائعة . فهي ليست من انتاج أهل الفن المحدثين وانما من ابداع أحد قدامى الفنانين الرومانيين . وجدوا الأصل بين آثار مدينة بومباى (Pompeii) التى هدمتها وطمرتها البراكين . عثروا عليه لوحة زيتية كما عثروا عليه مرصعا على احد الجدران بالفسيفساء ، فتسنى لهم الاقتباس وتسنى لنا الاستمتاع والتقدير .

أما روعة الصورة ففى الحركة التى تشعرنا بها ، وهى ساكنة ، وفى الاتقان والامانة التى تبرز لنا بهما انهزام داريوس الثالث ، ملك فارس (٣٣٦ - ٣٣٠ ق.م) ، وظفر الاسكندر المقدوني الحاسم ، فى معركة اسوس Issus الضارية ، وقد وقعت سنة ٣٣٣ قبل الميلاد ، جنوب تركيا بالقرب من حدودها مع سوريا .

فالعربة الملكية الفاخرة تنطلق بها خيولها البيضاء مولية الادبار بأقصى سرعة . والفزع والجزع يعلوان وجه الملك داريوس الذى يعتليها كما يعلوان وجه وزيره أو قائده المنطلق فى أعقابه. أما الاسكندر الكبير فلسنا بحاجة الى من يدلنا عليه،فهو موغل فى المعركة على صهوة جواده جريا على عادته . تتجلى فى ملامح وجهه معاني البأس والقوة والعزيمة وهو يُجْهز على أحد رجال الفرس بحربته .

ولكن ثمة أثر للحسرة يبدو على وجهه . فهذا الفارسى الذى يطعنه ليس الملك داريوس الذى افلت منه وانطلق فارا يسابق الريح فى عربته .

أحرز الاسكندر الكبير ذلك الظفر الرائع وهو فتى صغير ، لم يكد يبلغ من العمر الثالثة والعشرين، ولم يكد يمضى على توليه ملك مقدونية بعد أبيه فيليب سوى بضع سنين . فضلا عن ذلك فانه قد حققذلك النصر على أكبر امبراطورية عرفها العالم حينئذ ، وجيشه الذى بلغ تعداده ...ر٠٤ مقاتل لم يبلغ بالمقارنة مع جحافل داريوس الا جزءا من عشرين . ذلك ودويلات اليونان الأخرى التى أذعنت لسلطانه من بعد أن تمردت لدى موت أبيه ، تنذر بالثورة وبخيانته وذلك بمد الفرس بالسلاح والرجال وبسائر ما كانوا بحاجة اليه .

فاى تفسير لنصر كاسح كهذا فى ظروف معاكسة كتلك سوى ما تمتع به الاسكندر من عبقرية عسكرية فذة ، وقدرة على التنظيم والاستراتيجية فائقة . لقد ادرك منذ البدء أن لا سبيل الى غلبة الفرس ما لم يبسط نفوذه على البحار ويطوق باساطيله الشواطىء فيحول بذلك دون وصول امدادات مدن اليونان الى جيوش فارس . فعل ذلك واكتسح،فى الوقت نفسه دويلات الاغريق التى قامت حينئذ على الساحل الغربى من آسيا

الصغرى. أما تنظيمه لفرق جيشه والتكتيك الذى اتبعه فى خوض معركته فقد بلغ حد الكمال وفقا لرأى القائد الالمانى العسكرى الشهير جلوزفتس Glausewitz وغيره من مشاهير الكتاب .

على أن عبقرية الاسكندر لم تقف عند حد الكفاءة فى الفنون العسكرية . فقد تجلت خصاله الجيدة فى المعاملة الانسانية المثالية التى لقيتها زوجة عدوه داريوس كما لقيتها ابنته منه . لقد عاملها بالحسنى ولما تَنْدَمِلْ بعد الجراح التى أحدثتها بفخذه سهام داريوس ورجاله .

وتالقت عبقريته كذلك فى الحملة الكبرى التى طاف بها مشارق العالم القديم ، فهو ما قام بها ليحطم ملك فارس ولبنان وبابل والهند وحوض النيل فحسب، ولكن ليكتشف ايضا ما لم يكن له به علم، فيأخذ من حضارات تلك الامم ويعطيها حضارة الاغريق . فهو كما لا يخفى تلميذ المعلم الاول ارسطو طاليس ، وقد زرع فيه الشغف بالمعرفة ، وأذكى فيه شرارة الحب للقيم الانسانية . فلم تفتر همته عن طلب الحقيقة ، طيلة أيام حملته ، وقد بلغت مائة وستة وأربعين . ولم يَحُلْ دون ما كان يطمح اليه من دمج للممالك والحضارات التى سادت حينئذ ثم بادت بعد حين الا يد المنون التى عاجلته وهو فى سن الثالثة والثلاثين .

ترى ما الذى كان يَحِلُّ بتاريخ البشرية وبحضاراتها الانسانية لو لم يمت الاسكندر الكبير فتى صغيرا فى ذلك الحين ؟! ان المؤرخ الانجليزى الشهير طوينبى Toynbee اعتبر موت الاسكندر العاجل فى تلك الحقبة كارثة من كوارث التاريخ . ■■

طرائف عربية

هشام يكتب لأخيه

● كتب هشام لأخيه وكان اظهر رغبته فى الخلافة :

أما بعد :

فقد بلغنى استثقالك حياتى ، واستبطاؤك مماتى ، ولعمرى انك بعدى لواهى الجناح ، اجذمُ الكفّ ، وما استوجبتَ منك ما بلغنى عنك ..

معاوية يكتب لاحد عماله

● كتب معاوية الى احد عماله فقال :

لا ينبغى ان نسوس الناس سياسة واحدة ، لا نلين جميعا فيمرح الناس فى المعصية ، ولا نشتدّ جميعا فنحملَ الناس على المهالك ، ولكن تكون انت للشدة والغلظة ، واكون انا للرافة والرحمة .

قالوا

× **قال بعض الخلفاء :** من اقمدته نكاية اللئام ، اقامته اعانة الكرام .
× **قال بعض البلغاء :** كدرُ الجماعة خيرٌ من صفو الفرقة .
× **قال أبو الطيب :** غضبُ الجاهل فى قوله ، وغضبُ العاقل فى فعله .
× **قيل لشيخ هرم :** كم سنك ؟ **قال :** انى أتنعمُ بالعافية ..
× **قيل لرجل :** ما الجود ؟
فقال : الجود ان تجودَ بالموجود .
× **قيل لتاجر :** كم راسمالك ؟
فقال : انى امين ، وثقة الناس بى عظيمة .
× **سئل اعرابى عن سبب اشتعال شيبه فقال :** هذا رغوة الشباب ...
× **وسئل آخر ، فقال :** هذا غبار وقائع الدهر ..

❋ **قال أبو العتاهية :**

ايا من عاش فى الدنيا طويلا
وافنى العمر فى قيل وقال
واتعب نفسه فيما سيفنى
وجمّع من حرام او حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا
اليس مصير ذلك للزوال ؟

سبق

● كان لرجل من الأعراب اسمه ضَبّة ابنٌ يقال له سعيد ، فلقيه الحارث بن كعب . وكان على الغلام بردان ، فسأله الحارث اياهما ، فأبى عليه ، فقتله واخذ برديه . فكان ان حج ضبة ، فوافى عكاظ فلقى بها الحارث بن كعب ، وراى عليه بردى ابنه سعيد . فعرفهما ، فقال له : هل انت مخبرى ما

من أقوال الحكمـاء

● **قال حكيم لابنه :**

« يا بني استعذ بالله من شرار الناس ، وكنْ من خيارهم على حـذر » .

الفصاحة عند العرب

● دخلت امراة على هرون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين ! أقرّ الله عينك، وفرّحك بما آتاك ، واتم سعدك .. لقد حكمتَ فقسطت ! فقال لها : من تكونين ايتهـا المراة ؟ فقالت : من آل برْمك ، ممن قتلتَ رجالهم ، واخذت اموالهـم ، وسلبتَ نوالهم . فقال : اما الرجال فقد مضى فيهم امرُ الله ، ونفذ فيهـم قدره ، واما المال فمردود اليك . ثم التفت الى الحاضرين من اصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المراة ؟ فقالوا : ما نراها قالت الا خيرا ! قال ما أظنّكـم فهمتم ذلك . اما قولها «أقر الله عينك»، أي أسكنها ، واذا سكنت العين عـن الحركة عميت ! واما قولها « فرّحـك بما آتاك » . فأخذته من قوله تعالى :« حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهـم بغتة . » واما قولها « واتمّ الله سعدك» فأخذته من قول الشاعر :

« اذا تـم أمرٌ بدا نقصـه ترقّبْ زوالا اذا قيـل تم »

واما قولها : « لقد حكمت فقسـطت » فأخذته من قوله تعالى:« واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا» !

أنتم أحق بالسؤال

● وقف سائل أعمى على باب ، فقالوا: يفتح الله عليك ! فقال كسرة ، فقالوا : ما نقدر عليها ! قال ، فقليل من فول او شعير ، قالوا : لا نقدر عليه ! قـال : فقطعة من دهن او قليل من زيت او لبن، قالوا لا نجده ! قال : فشربة ماء ، قالوا: وليس عندنا ماء ! قال فما جلوسكم ههنا ، قوموا فاسالوا ، فانتم أحقُ منى بالسؤال !

حمانا الله من ((سجود)) السقوف !

● قال رجل لصاحب المنزل الذى يسكن فيه ، أصلحْ هذا السقف فانه يفرقع ! قال : لا تخف فانه يسبّح ..! قال : انى اخاف ان تدركه رقة فيسجد!

السيف العذل

هذان البردان اللذان عليك ؟ قال : لقيت غلاما وهما عليه ، فسألته اياهمـا فأبى عليّ فقتلته واخذتهمـا . فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم . قال : ارنيـه فانى اظنـه صارما ، فأعطاه الحارث سيفه ، فلما اخذه هزّه وقال : الحديث ذو شجون . ثم ضربه به فقتله . فقيل له يا ضبة : أفي الشهر الحرام ؟ قال : سبق السيف العذل ..

اِضْحَكْ

تضحك الدنيا معك   ابك تبك وحدك

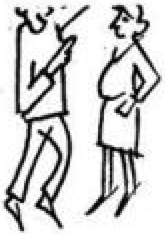
ضمان !

● استحوذ الزهو على المنتج السينمائي الذى كان يعتقد بأن الفلم الذى انتجه هو قمة العمل السينمائي ، وفكر ان يجعل العرض الاول لهذا الفلم داخل طائرة تطير فى الجو ..

وتعجب رجل الاستديو فسالوه :

ـ ولكن لماذا تعرضه فى الطائرة ؟

اجاب : لاني بهذه الوسيلة استطيع ضمان عدم خروج احد من المشاهدين قبل نهاية العرض ؟!



بين العقل والجنون ، حدود

● خرج رجل من مستشفى المجاذيب مسرعا، والتقى فى الطريق الريفى بمزارع، فسأله :

ـ هل رايت مجنونا هاربا مرّ بك ؟

ـ ما صفته ؟

ـ قصير جدا ، ورفيع جدا ، ويزن نحوا من ٣٥٠ رطلا .

واحتار المزارع فيما سمع . وسأل :

ـ كيف يستطيع انسان ان يكون قصيرا جدا ، ورفيعا جدا ، ومع هذا يزن ٣٥٠ رطلا ؟

ـ ولم لا ؟ .. الم اقل لك انه مجنون.

الم ... !!

● كانت السيارة العامة تسير ذات يوم وهى مزدحمة ازدحاما شديدا ، واذا برجل جالس فيهـــا يميل بوجهه الى الأمام ، ويغطيه بكفيه .

فساله جاره : ماذا بك ؟ هـــل انت مريض فأعينك بشىء ؟

قال الرجل : لا ، ابدا . انما يؤلمنى اشد الالم ان ارى امراة عجوزا واقفة هكذا على رجليها فى الحافلـــة ، وهى تهزها هزا !!

حالة مستعجلة !

● ما كاد الطبيب يدخل الى المنزل حتى دق جرس التلفون ، فرفعت الزوجة السماعة ثم قالت لزوجها الطبيب : انه احد زملائك الاطباء .. وامسك الطبيب السماعة ليستمـــع الى زميلـــه الطبيب وهو يقول :

ـ نحن فى انتظارك لنلعب الورق معا .. هل ستأتي ؟

فأجابه : سأكون عندكم حالا ..!

فاعترضت الزوجة وهى تراه يتأهب للخروج فقال لها بلهفة :

ـ انهـا حالة مـــستعجلة .. وقـــد سبقني ثلاثة اطباء الى هناك !؟

ادماج !

● الاول : **هل قرات اليوم عن الرجل ذى الثمانية الاولاد ؟ انه تزوج ارملة لها سبعة أولاد .**

الثانى : **نعم قرات . ولكن هذا لم يكن زواجا، انما كان ادماجا ، كما تدمج الشركتان فى شركة واحدة .**

الرعب يشحذ الخيال !

● سافر احدهم بالطائرة لأول مرة، وشعر بالخوف الشديد الذى كاد أن يبلغ به حد الاغماء لدى المباشرة فى تسيير محركات الطائرة ، فأغمض عينيه وانطلق يعد ١ ، ٢ الى ان اكمل المائة . عندئذ فتح عينيه وجعل ينظر من نافذة الطائرة، بشىء من الرضى المفتعل . ثم استدار الى يمينه وخاطب جاره قائلا : **«انظر كيف يبدو الناس صغارا للناظر اليهم من الجو . انهم كالنمل »** .

فأجابه الجـــار : « ولكن الذى ترى ليس اناسا . انه نمل . فالطائرة لم تقلع بعد ! » .

البلاغة فى الايجاز

● دخل احدهم محلا من المحـــلات الكثيرة الفخمة التى يجد المرء فيها كل ما يريد شراءه . وما كاد يتسلم علبة السجاير التى اشتراها حتى فتحهـــا وشرع يدخن . واذا بصاحب المحل يتقدم منه قائلا :

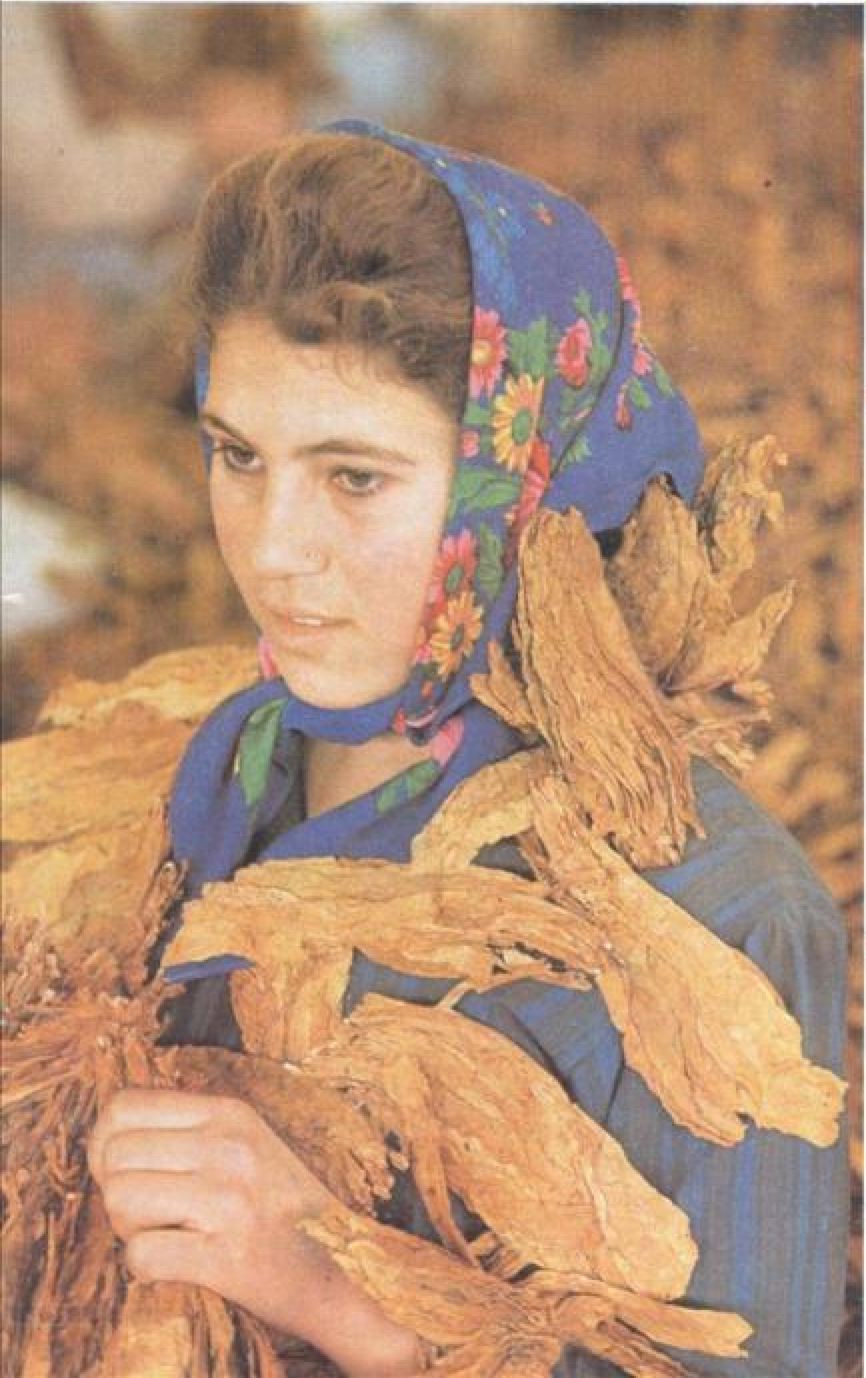
« آسف، فالتدخين ممنوع فى محلنا» .

فرد المشـــترى : « ماذا ! تبيعوننا السجاير ولا تسمحون لنا فى المحـــل بتدخينها ؟؟ » .

فاجاب البائع : « تماما . الا ترى اننا نبيع مناشف الحمام ايضا .. ! » .

العربي

العدد ٩٠
١١ محرم ١٣٨٦
مايو
(أيار) ١٩٦٦



اطلب

العربي الصغير

مع هذا العدد

جوائز

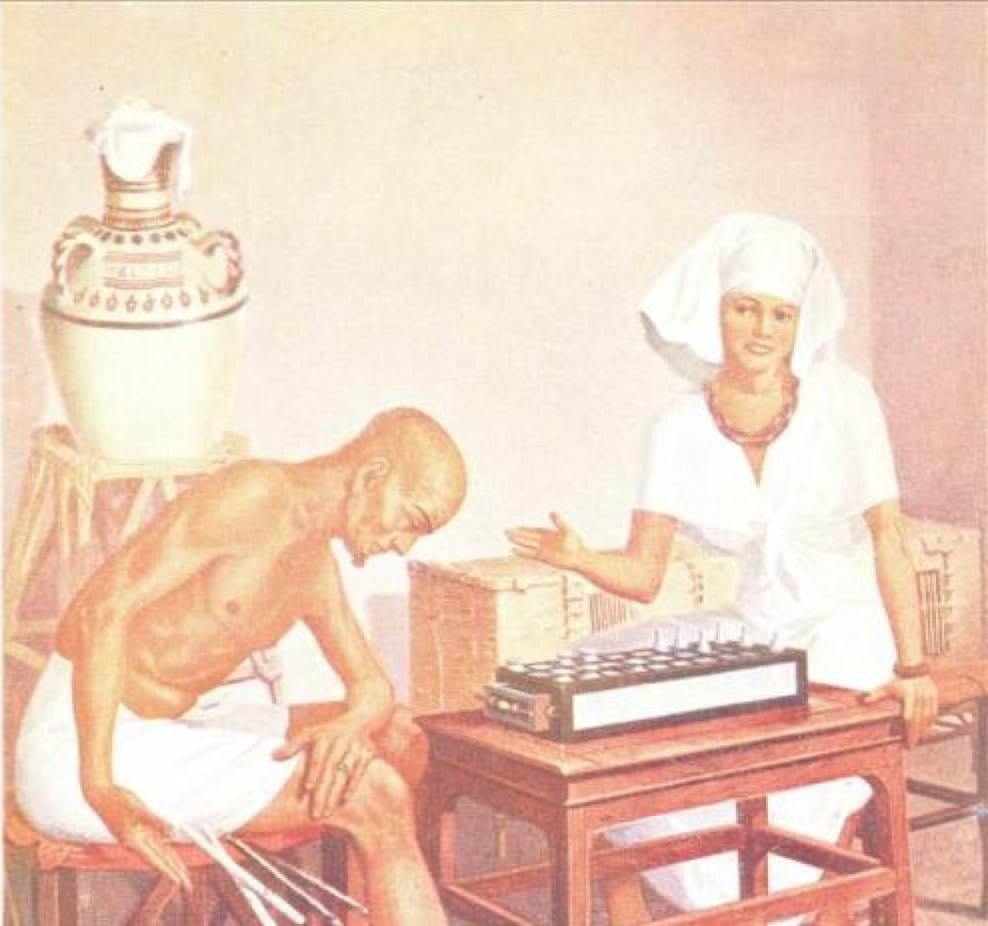
١٢٠٠

دينار سنويا

تبغ وفتاة
من اللاذقية

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس
الخليج العربي	٢	روبية
السعودية	٢	ريال
اليمن	٣٫٥	شلن
العراق	١٢٠	فلسا
لبنان	١٠٠	قرش
الأردن	١٠٠	فلس
سورية	١٠٠	قرش
ج.ع.م.	١٠	قروش
السودان	١٠	قروش
ليبيا	١٥	قرشا
تونس	٢٠٠	مليم



مصر القديمة

بيت من بيوت الطبقة المتوسطة فيها

(انظر صفحة ١١٧)

الجوّ العربيّ صار أجواء

عزيزى القارىء

● الجو العربى يصحو ، ثم هو من بعد صحوٍ يَغيم .

وان الجو العربى يَغيم ، ثم هو من بعد غيم يصحو .

وهذه حال من التغير والتبدل والتقلب نرضاها من السحب ، سكانِ السماء ، فلِمَ لا نرضاها من الناس ، سكان الارض ؟

ان هذه الحياة الدنيا لا تستقر على حال ، وهي فى سبيلها الى التقدم ، لا تسير فى خط مستقيم ابدا . وهى حتى فى سبيلها الى التدهور، لا تجرى على استواء . انه الخط المتكسِّر دائما ، المتعرِّج دائما . مدٌّ وجزر . خفضٌ ورفع .

والجو العربى ، ليَصحَ ما شاء ، او فليَغِم ما شاء .

شىء واحدٌ يطمئننى الى المستقبل .

ان ارى الامة العربية تزيد مساحة ارضها المزروعة ، عاما بعد عام ، وتزيد التنقيب والخروج بثروة ارضها المدفونة عاما بعد عام ، وتزيد مصانعها كل عام عددا ، وتزيد مكناتها كل عام صَخَبا ، وتزيد مداخنها لتزيد سماواتها بالذى يخرج من انفاسها الحارّة دَخَنا .

ويطمئننى ان ارى المدارس يُبنَى منها فى الوطن العربى الكثير ، ويفتتح منها كل عام الكثير ، ومع ذلك يقف عند ابوابها الناس يتصارخون، لأن المدارس على كثرتها ضاقت بهم ، فعزّ عليهم الدخول .

ان تعاسة العرب فى الفقر .

وان تعاسة العرب فى الجهل .

فارفعوا الفقر عن الناس ، وارفعوا الجهل .

ثم ليَصنعِ الساسةُ بعد ذلك ما يشاءون ، يسيئون ، فى غير ذلك ، او يحسنون .

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من اراء

ALARABY — No. 90 May 1966 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

طارت بعثة « العربي » الى اللاذقية لتنقل لك صورة للحياة في هذه المدينة .. والصورة لفتاة من العاملات في مصنع التبغ باللاذقية . ويعتبر التبغ من اهم الحاصلات الزراعية في سورية حيث تصدر منه كميات ضخمة للخارج ، وهو من المعالم الرئيسية للمدينة التي يسمونها مدينة التبغ والآثار والزيتون .

فلسـفة :

علم النفس :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

ركن الأسرة والمرأة :

قصص :

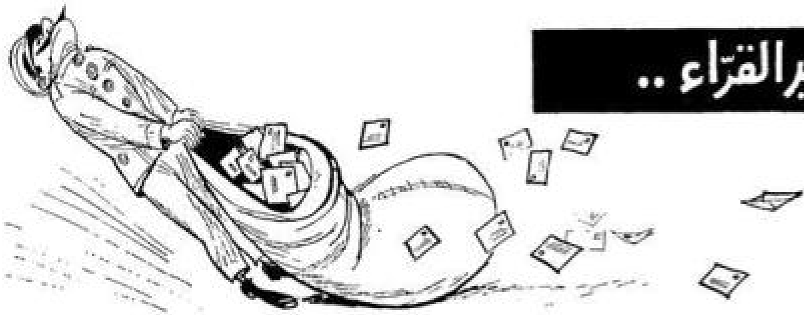
كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ر٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣ر٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت — ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القراء ..



تحية مشكورة

● السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد ظفرت بعدد فبراير عام ١٩٦٦ من مجلتكم الغراء ، « العربى » فاستمتعت بما فيه من راى ناضج وعلم ثاقب ، واسلوب شيق ممتع ، واسفت اشد الاسف لما فاتنى من اعداد «العربى» الماضية ، كل ذلك الزمن الطويل ، منذ صدورها الى الآن ...

وقد كنت اظن ان الله منّ على الكويت بآبار البترول وحدها ، فاذا به جلت قدرته قد منّ عليها بمجلة «العربى» كذلك .. فاذا كان البترول منبعا للغنى والثروة ، فمجلة « العربى » منبع ثرّار للعلم والثقافة والتهذيب ..

وساحاول بهذه المناسبة ان اساهم بجزء قليل فى بعض ما تنهضون به لنشر الثقافة فى الوطن العربى ، وسابادر بما يعن لى من الآراء الاصلاحية فى الدين والفلسفة والاجتماع وغيرها ، اجلاً يوشك ان يَحِل ، وعمراً يوشك ان يَرتحل ...

راجيا لكم وللعربى مزيدا من التوفيق والنجاح.

القاهرة — محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

دعوة لاصدار دائرة عربية على نسق شقيقتيها الانجليزية والفرنسية

● لقد وصلت مجلة « العربى » الى مكان مرموق فى عالم الثقافة العربية بفضل تحررها من كل ما يفسد الضمير الصحفى ، فبدت صورة للعربى الأصيل فى شممه وابائه وترفعه ، ونصاعة فكره وروحه . ونحمد الله انها ترفعت عن كل ما يشوب الصحافة من ادواء كثيرة أصابت غيرها . مما جعل لها مكانة خاصة فى قلب كل قارىء تفيض نفسه بالأسف حينما يرى صحفا فى دول عربية تشترى وتباع ، وتعتنق اليوم ما حرمته بالأمس . وهذا يجعلنا نحس أن مجلة « العربى » هى متنفس كل شخص يفتقد فى صحافته الحرية واصالة الرأى .

ولذلك اقترح على مجلتكم أن تخصص بابا ينشر فيه ما يحس العرب بأنه ينقصهم فى أمورهم كشعب أو كدولة .

وكمثال لما احس أنه ينقصنا كعرب ، مشروع دائرة المعارف العربية .

فهناك طوفان وسيل من الكتب والمجلات التى تخرج للناس فى البلاد العربية ، منها الغث والسمين ، ولكن رغم هذا السيل المنهمر ، لم تصدر بعد هذه الدائرة .. وربما يظن الناس انها مجرد كشكول للمعلومات أو مجرد كتب مجمعة فى عدة مجلدات. وليس هذا ما أريد .. انها تنزيه العلم عن الاغراض وتصفية معارف المواطنين من الخزعبلات ومن التمويه ، ومن غلبة آراء بعض المتطرفين سواء كانوا متطرفين سياسيين او متطرفى أدب وعلم أو دين .

ان اصدار دائرة معارف هي حركة تنوير أهم من انشاء الجامعات والكليات ، ولناخذ مثلا دائرة المعارف الفرنسية ، تلك التي صدرت سنة ١٧٥١ اي منذ اكثر من ٢٠٠ سنة والتي اعتبرت اكبر لغم نسف الباستيل ، وكان صدورها هو المحرك الحقيقي للثورة الفرنسية . اما دائرة المعارف الانجليزية الاولى فقد صدرت سنة ١٧٢٨ .وعندما حاول ناشر فرنسي ترجمتها للفرنسية ثار ادباء فرنسا وفلاسفتها وصمموا على أن يضعوا لبلدهم دائرة معارف اصيلة فرنسية فعلا . وقام بهذا العمل الفيلسوف المشهور ديدرو ومعه فولتير وروسو وغيرهم ممن كانوا ينظرون الى هذا العمل على انه تحرير أهم من تحرير العبيد ، واهم من تحرير الدولة من الاستعمار ، واهم من اى ثورة سياسية او اجتماعية ، لانه تحرير للمعلومات وللتفكير وللعقائد من أى اثر أجنبي ، ومن اى اثر للخزعبلات التى غرسها رجال الدين عند ذاك او للانحلال الذى غرسه المتحرفون والمتحللون.

فهي معركة تحرير الدين والفلسفة والعقل والشرف والتاريخ من كل ما يشوبه من اوضار .

وهي تجميع للمعلومات الاساسية في متناول كل شاب ويافع ودارس بحيث تنقل افكارهم مئات السنوات للامام . فهي كالماكينة الحاسبة بالنسبة لكاتب الحسابات ، او كالعقل الالكتروني الذي يستعينون به في عمليات الحساب الخاصة باطلاق القمر الصناعي .. هي كهذا العقل الالكتروني بالنسبة الى كاتب الدوبيا عندنا !

انه لمن العار ان تصدر دوائر معارف لانجلترا وفرنسا منذ اكثر من ٢٠٠ سنة ولا تصدر للعرب الى اليوم دائرة تعلن انتهاء الاستعمار الفكري .

انه مجال الكويت ان تؤدي هذه المهمة التحريرية الكبرى ، وانه مجال « العربي » ان يحتضن هذه الدعوة ويتبناها .

الزقازيق — دكتور
السيد فهمي الشناوي

تصحيح أبيات

● اني اكتب هذه الرسالة مصححا بها ما ورد في قصة « جارة السوء » للسيد حسن الجداوي . من ابيات شعرية استشهد بها المؤلف بحالة الفقر . فالابيات الاربعة التى على صفحة ١٢٤ من العدد ٨٨ ليست هي الاصلية قط ، ولعل الكاتب المؤلف كانت لديه الفكرة فقط ، ولم يستطع ان يسجل الابيات الاصلية التى هي للشاعر الجاهلي « المقداد بن الاسود الكندى » . وهي :

يمشي الفقير وكل شيء ضده
والناس تغلق دونه أبوابها
هذا يؤنبه وذاك يهينه
ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رأته عابرا
نبحت عليه وكشرت انيابها
واذا رأت يوما غنيا مقبلا
خضعت لديه وحركت أذنابها

وقد وردت هذه الابيات في « قصة المياسة والمقداد بن الاسود الكندى » واني على استعداد الى ارسال الكتاب لكم كي تتاكدوا من اقوالي .

صيدا ــ لبنان — رفيق شماع

« العربى » بين « السنة » و « الشيعة »

● قرات بالعدد ٨٧ من العربي الغراء كلمة العتاب التي ساقها السيد عبد الحسين حيدر من بغداد بالصفحة ١٤٢ ، ورغم اني لست من هواة الرد والنقاش فيما يرد بالصحف والمجلات ولكن اكبارى لمجلة العربي الغراء وما قدمته من خدمات جليلة بالاضافة الى رفعها رأس الصحافة العربية عاليا لما تنشره من مختلف المقالات وباقلام كتاب محترمين ، اقول ان السيد المحترم ، على ما يظهر ليس من المواظبين على قراءة العربى ، فبالوقت الذى يترفع فيه « العربي » ورئيس تحريرها ان ينزلا الى مستوى التحيز المذهبي، فقد نشرت العربي في وقتها اخطر مقال على ما اعتقد اختلف فيه الشيعة واهل السنة، وهو بقلم العلامة الجليل المرحوم الشبيبي ، وهو « تنزيه الوزير ابن العلقمي » ولا اتذكر رقم العدد الذى نشر فيه المقال ، فهل بعد هذا مجال لعتاب ؟

هادي جبك
النجف — المحامي

أَرْصَادٌ وَ أَجْوَاء

بقلم رئيس التحرير

كنا نتحدث عن الاجواء ، وما يطرا عليها من تغيير ، ينتهي دائما الى حال لا تلبث أن تتغير . ونتحدث عما تقوم به محطات الارصاد من رصد اجوائها . ولكن بناء على نتائج ارصاد محطات غيرها موزعة في شتى البلاد، بعيدها والقريب.

حتى الاقمار الصناعية استخدموها اخيرا في تصوير تلك الاجواء وهي تلف حول الارض ، أو مع الارض ، ثم تذيع صورها ، فتتلقاها محطات في العالم اجمع .

قال احد السامعين: وما حاجة راصد اجواء الجزيرة العربية مثلا الى ارصاد افريقيا واوروبا وآسيا والامريكتين ؟ قلنا هي مثل حاجة راصدى أجواء تلك القارات جميعا الى ما يرصد راصد الجزيرة العربية ما فيها من سحب ورياح ، وحرارة ترتفع او تنخفض ، ورمال تهدا او تثور . ذلك ان جو الارض واحد . لا تزحم كتلة عظيمة من هواء ، فوق المحيط الاطلسي، اختاً لها بجوارها ، حتى تحس اثر هذا الزحام كتلة من بعد كتلة حتى قد يلف أثر ذلك الارض جميعا . او يقابل هذا الزحام ما يصده فيردّه على اعقابه .

انه ليس في الاجواء ما يسمى بالجو الاوروبي ، ولا الجو الامريكي، والافريقي، بمعنى أنها أجواء متفاصلة متحاجزة ، لا يدخل بعضها في بعض الا باستئذان . ليس بين اجواء السماء حدود ، وليس بينها خطوط ، ولا سواحل تفرّق بينها.

وكاجواء السماء ، سكان السماء

وكاجواء السماء سكان السماء: الطير .

- لايكاد يُوجد في الأحداث العربيَّة حدثٌ الأجاء مُتأثرًا بأحداث الدُّنيا.

- ما عدم الانحياز إلاّ مُناوبة بين اليدين، فحينًا أخذٌ باليُمنى وإعطاء، وحينًا باليُسرى.

- انشقَّ أهلُ الأرض شِقّين، وانشققنا معهم، وكان لابُدّ أن نَنشق.

- كانت الأحلاف أطواقًا ثلاثة، طوَّق بها أهل الغرب أهل الشرق، ثم أخذت الأطواق تتهاوى.

- الدول حطّمت قواقعها، وأصبح التَّقوقعُ اليوم لاينسجم مع الحياة.

رحلة الشتاء والصيف لا تزال قائمة، وسوف تظل قائمة ما بقي طير يحس البرد ويحس الدفء، ويطلبهما حيث يكونان من السماء، فى انطلاق كانطلاق شعاع الشمس لا يحجبه فى السماء حاجب.

وغير ذلك سكان الارض

وغير ذلك سكان الارض.

ان الارض قارات.

وان القارات بلاد ودول.

وان البلاد والدول أجناس مختلفة، والسنة متباينة، والوان.

وقد ظل الناس فى عزلة، متفاصلين متحاجزين نسبيًا، بعضا عن بعض، زمانا طويلا. والتلاقى بينهم كان سبيله طويلا.

والتجارة كانت طرقها، حتى الطرق السلطانية منها، طويلة بعيدة المدى، ركائبها الجمال والبغال. والحروب بينهم كانت تطول لطول الشقة، وللمشقة.

المواصلات عموما، فى معناها القديم، عن طريق الارض والبحر، كانت بطيئة بطء السلاحف. والمواصلات، بمعناها الحديث، نقل العلوم والمعارف والثقافات عموما، كانت تنافس مواصلات الارض والبحر بطأ، لانها كانت وسيلتها الوحيدة. والاخبار كان ينقلها الرجال. وسموا الرجل الذى حمل الخبر من فوق دابة بريدا.

كل هذا تغير الآن.

وسكان الارض حديثا

كل هذا تغير الآن .

وكادت الارض أن تكون كالسماء ، سهولة مواصلات . سهل مواصلاتها العلم الحديث والتكنية الحديثة .

ومن اجل هذا صارت اجواء اهل الارض المعاشية اشبه شيء بأجوائهم الهوائية .

فساكن اى عاصمة من عواصم الشرق يستطيع ان يعيش فيها عيشته فى عاصمة من عواصم اهل الغرب ، سكنا ، وطعاما ، وشرابا ، وثقافة ، ومتعة . حتى الخبر يأتي ساكن الكويت مثلا ، فى صحيفة كويتية ، فى نفس الصباح الذى يأتى فيه ساكن باريس فى صحيفة باريسية . وقد يسبقه الى مائدة الافطار بنحو ٣ ساعات . ونزول الجرم الفضائي الروسى على سطح القمر وصل خبره دمشق فى نفس الدقيقة التى وصل فيها برلين او روما ، لان الموج اللاسلكي كان حامله .

أجواء لا يمكن ان تتحاجز

ومن اجواء الارض التى تمازجت الاجواء السياسية ، والاخرى الاقتصادية ، والثالثة الثقافية .

ونحن فى الشرق نسمع من يطالب بقصر مجهوداتنا فى الشئون العامة على شئوننا العربية . وقد اردت مخلصا ان احقق هذا المعنى ، تجاوبا مع رغبة مخلصة فى التحرر والاستقلال دعانا اليها داعوها ، فلم أجد دعوة أفرغ معنى من هذه الدعوة .

ووجدتها تماما كالذي ينادى رجال الارصاد العرب ، أن يقصروا الرصد على الاجواء العربية وحدها . وهو نداء تأباه السماء ، لانها ما عرفت التحاجز ، وما تستطيعه .

ونظرت فى شئون الاقتصاد العربي فوجدتها أقرب الاشياء الى تأثر بسياسات أهل الارض .

ونظرت فى شئون الاقتصاد العربى والتجارة ، فوجدتها كذلك أقرب الاشياء الى التأثر باقتصاد أهل الارض وتجارتهم .

ونظرت فى العلم العربى ، كالعلم الطبيعي الحديث ، أساس المدنية الحاضرة والرخاء الحاضر ، فوجدت مصادره الواحدة قد توزعت على ارجاء الارض جميعا ، من شرق وغرب .

الاديان وحدها هي التى تستطيع ان تبقى عربية شرقية ، وذات فضل عظيم .

كلمة فى السياسة العربية عامة

واني قاصر قولي فى هذه الكلمة على الشئون السياسية العربية ، فى عمومها ، دون ان يتمثل فى ذهنى ، وانا اكتب ، اى بلد عربى بذاته ، او اى رجل عربى .

واحسب انى ذو حظ من الصواب كبير عندما اقول انه قل ، فى الاحداث السياسية التى تقع فى البلاد العربية ، ذلك الحدث الذى لا يقع متأثرا بأحداث الدنيا .

والحدث العربى قد يقع مناغمة لأحداث الدنيا .

والحدث العربى قد يحدث مناقضة لأحداث الدنيا .

والرجل العربى قد ينتصح برأى رجل من رجال هذه الدنيا .

والرجل العربى قد ينشق على رأى رجل من رجال هذه الدنيا .

والرأى السياسى ، فى كبريات الشئون العربية ، قلما يستطيع الوقوف وحده والاتزان ، على قدم واحدة . انها اصبع تخرج من اليد اليمنى تعتمد هذا الاتزان ، أو هى أصبع تخرج من اليد اليسرى تعمد هذا الاتزان . اصبع على كل حال ، يمينية أو يسارية ، تعمد ، لأن القدم الواحدة من الصعب ان يقف المرء عليها ، وان يتزن طويلا .

واعلم أن الناس تتحدث عن الانحياز وعدم الانحياز .

والانحياز فى السياسة هو أنك تعمد اتزانك دائما بأصبع من يدك اليمنى وحدها ، أو من يدك اليسرى وحدها . وما عدم الانحياز الا أن تناوب بين اليدين، فحينا يمنى ، وحينا يسرى .

وهذه الهند، اضخم أمم عدم الانحياز، اعتمدت بالأمس القريب فى وقف حربها مع باكستان على الروس ، غير ما ظفرت به من الروس من اعانات .

ثم هى ما لبثت أن استنجدت بالولايات المتحدة ، فى شأن المجاعة التى أصابتها ، فمنحتها الولايات ثلاثة ملايين ونصف مليون من الأطنان قمحا ترسل على عجل اليها .

وليس فى شيء من هذا ما يزرى ، ما بقى عرض موفورا .

انشق اهل الأرض شقين وانشققنا معهم

وانشق اهل الأرض شقين ، شرق وغرب ، وانشققنا معهم .

وكان لا بد ان ننشق .

ولقد كان انشقاق أهل الأرض فى اواخر الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧، بداته روسيا السوفياتية فى خواتيم تلك الحرب . ومن لطيف ما يذكر أن المانيا كانت الطبيب المولد لهذا الانشقاق : مهدت للينين واعوانه الدخول الى روسيا للاطاحة بالحكم فيها ، وكانت روسيا تحارب فى صف الحلفاء. ودخلوا واطاحوا. ولكنهم أطاحوا باكثر مما خال الألمان . واخذت الشيوعية منذ ذلك العام عام ١٩١٧ ، تنمو ثم تنمو . حتى كانت الحرب العالمية الثانية عام١٩٣٩،وانتهت الحرب عام ١٩٤٥ ، ولم تزد السلم التى جاءت بعدها أهل الأرض الا انشقاقا : شرق وغرب : نظام شيوعى ونظام راسمالى .

وسبق الروس فأخضعوا أمم اوروبا الشرقية ، هنغاريا وبلغاريا ، ورومانيا



ستالين : رجل الروس القوى
ما فرغت الحرب العالمية الثانية حتى اخذ يحمى نفسه من حلفائه باحتلال دول أوروبا الشرقية . ورد الحلفاء عليه بانشاء الحلف الأطلسى .

وبولندة ، والمانيا الشرقية ، وكان ختام ذلك احتلالهم تشيكوسلوفاكيا وعاصمتها براج عام ١٩٤٩ .

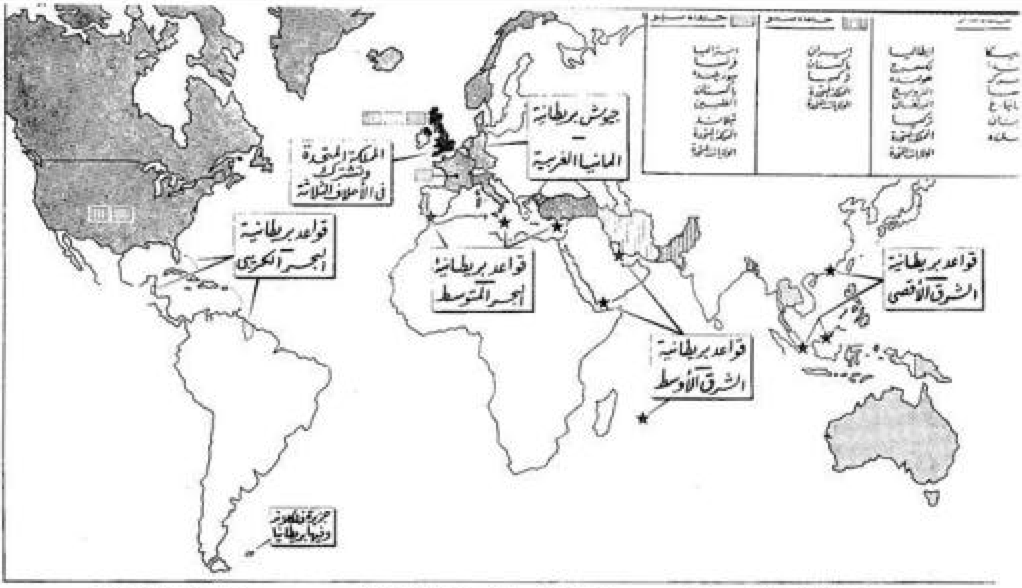
حلف الأطلسى

كانت روسيا انشأت فى عام ١٩١٩ هيئة أسمتها الكومنترون Comintern هدفها ايجاد رابطة بين شيوعيى العالم ، وتنشيط الثورات فى الأمم غير الشيوعية لتكون شيوعية . وحلت روسيا هذه الهيئة فى عام ١٩٤٣ ، والحرب العالمية الثانية قائمة ، تحية لحلفائها فى هذه الحرب . ولقد بقيت ريبة الحلفاء من بعد حرب قائمة. وزادها شدة استيلاء الروس على أوروبا الشرقية ، وانها بجيوشها الجرارة لا يبعد أن تفيض على غرب اوروبا كما يفيض السيل العرم فتغمره غمرا .

ومن اجل هذا انشأ الحلفاء الغربيون حلف شمال الأطلسى ، وعندما اكتمل اعضاؤه كان به ١٥ دولة (انظر الخريطة المرفقة) . وانشأوه فى نفس العام الذى اتم فيه الروس احتلال تشيكوسلوفاكيا.

وكان حلفا يعتمد على صد جيوش روسيا الجرارة ، اذا ما زحفت على غرب اوروبا ، بجيوش للحلفاء مثلها جرارة ، من غرب أوروبا ، تساعدها الجيوش الأمريكية ، أو لعلها القنابل الذرية .

وتنظر الى الخريطة تتعرف مواقع هذه الدول الخمس عشرة من موقع الروس والدول الشرقية التى معهم ، فتجدها كالطوق طوّق الحلفاء به روسيا ومن معها ، وهو بدأ بالترويج فى الشمال



هذه الخريطة تبين مَن من دول الدنيا يشمله الحلف الاطلسى ، ومن يشمله الحلف المركزى (سنتو) ومن يشمله حلف شرقى آسيا (سيتو) . ومن الدول من شارك فى أكثر من حلف فاجتمع عليها فى الخريطة أكثر من شارة . وفى الخريطة القواعد البريطانية المنتشرة فى العالم .

الفربي من أوروبا وانتهى بتركيا فى الجنوب الشرقى .

طوق ولا كالأطواق .

طوقان آخران حول روسيا ، ومعها الصين

كانت سياسة الولايات المتحدة بعد ذلك، وعلى الأخص سياسة وزير خارجيتها جون فستر دالاس Dulles ، أن يزيد الروس طوقا فطوقا .

وزاد فى هذا الاعتزام ولادة دولة شيوعية جديدة كبرى ، هى الصين الشعبية ، فقد تم السلطان للشيوعيين فى بلاد الصين فى نفس العام الذى عقدت فيه معاهدة الأطلسى ، أى عام ١٩٤٩ .

واختار دالاس لتطويق الروس ، ومعهم الصين ، طوقين ، طوقا يشمل الجنوب الآسيوى كله ، وطوقا فى الشرق الأوسط يربط بين طرف هذا الطوق ، وطرف طوق معاهدة الأطلسى عند تركيا .

ومعنى هذا ، الانتهاء بثلاثة أطواق تبدأ عند مشارف المحيط الأطلسى فى الغرب شمالا ، وتنتهى عند مشارف المحيط الهادى فى الشرق جنوبا .

فماذا يبقى بعد هذا من تخوم تستوجب حصارا ؟

بقى طوق صنعته الطبيعة من ماء ، هو المحيط الهادى كله ، تقبع من ورائه امريكا .

حلف جنوب شرقى آسيا

هذا الحلف تم فى نفس العام الذى تمت فيه هزيمة فرنسا فى الموقعة الشهيرة فى ديين بيين فو Dien Bien Phu ، فى فيتنام ، فى عام ١٩٥٤ ، وخروجها منها. كان لا بد من ملء الفراغ الذى أحدثته

المستر دالاس
وزير خارجية الولايات المتحدة الراحل
صاحب سياسة تطويق الشيوعية ، فى كل من روسيا والصين الشعبية ، باطواق خال أنها لا تستطيع أن تمتد وراءها .



فرنسا برحيلها عن الشرق الأقصى .

دولة غربية خرجت من جنوب شرقي آسيا ، فلا بد من احلال غرب مكان غرب .

فكانت معاهدة الدفاع الجماعية لجنوب شرقي آسيا ، اشترك فيها كل من استراليا ونيوزيلندة ، والفلبين وتيلاند وباكستان وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة .

ومن هذه المعاهدة خرجت منظمة معاهدة جنوب شرقي آسيا ، او باللغة الانجليزية South - East Asia Treaty - Organisation ويضم الأحرف الاولى لهذه الكلمات صنعوا منها اسما مختصرا هو Seato ، وتنطقه بالعربية فتقول « سيتو » . واذن فهي منظمة سيتو .

ويلاحظ فى هذا الطوق ، أنه طوق غير كامل ، فلم تدخل فيه الهند ولا بورما . ولا حتى دول الهند الصينية . ولكن المعاهدة تعهدت بالدفاع عن هذه الدول حماية لها من الشيوعية وذلك باعلان من طرف واحد .

الحلف المركزى (حلف بغداد)

وهو هكذا بدأ : « حلف بغداد » ، نظمته دول الغرب ، وهو أنتظم تركيا والعراق وايران وباكستان ، وبريطانيا ، واكتفت الولايات المتحدة بأن قبلت عضوية اللجنة الدفاعية واللجنة الاقتصادية اللتين به .

وبدأ هذا الحلف عام ١٩٥٥ ، اى بعد عام واحد من منظمة سيتو .

ثم كانت ثورة العراق وخروجه من الحلف عام ١٩٥٨ .

وعندئذ سميت المعاهدة بمنظمة الحلف المركزى Central Treaty Organisation واختصر لها الاسم فصار Cento وبالعربية سنتو ، أو الحلف المركزى ، لأنه طوق يتوسط الطوقين الآخرين .

وطوق صغير رابع

ذلك اتحاد ماليزيا ، ويضم شبه جزيرة مالايو وبعض بورنيو والفلبين ، والغاية منه ظاهرة :

فصل ما بين الصين واندونيسيا ، بعد أن استشرى أمر الشيوعية فى اندونيسيا وعدد سكانها ١١٠ مليون .

فشل الأحلاف

كانت هذه الأحلاف تستهدف غايات لم تتحقق ، ففشلت .

فحلف جنوب شرقى آسيا خرجت منه الهند ، وخرجت بورما . وخرجت منه الدول الثلاث التى تؤلف الهند الصينية ومنها فيتنام ، وكانت غاية الحلف الأولى حماية هذه الثلاثة من الصين ، وسد ابوابها الثلاثة فى وجه الشيوعية .

وزعمت أمريكا أن الشيوعية خطر على هذه البلاد الثلاث سواء راى اهلها ذلك أم لم يروا ، فهى تدافع عنهم على الرغم منهم .

وقد يكون الأمريكان على حق فى محاولة حصر الشيوعية، ولكن بغير هذا السبيل . ان امريكا لا تلجأ الى الشعوب ابدا . ابدا ودائما تلجأ الى زعماء هى تختارهم، وهى تغدق عليهم ، ثم تضع بعد ذلك ثقتها كل الثقة فى سلاح البر والبحر والهواء . ولو انها لجأت الى الشعوب بقلوب مفتوحة وبالخير عامرة ، وبعقول متفهمة، لاسترضت الشعوب ، ما وجدت الشعوب فيها الاخلاص للحق ، والعطف على الفقر ، والقناعة بقسمة الرغيف بينها وبين الشعوب مناصفة .

انه ليس فى الشعوب حب الشيوعية او كراهة الحرية ، وانما الشعوب تضيق بالذى هى فيه من تعاسة ، فتطلب الخير عند الشيطان اذا لم تجد عند «الملائكة» منه ذخيرة .

والحلف المركزى كذلك فشل .

فشل بسقوط بغداد أولا منه ، ومعنى ذلك خروج العرب .

وفشل لما استبان اعضاؤه الشرقيون انهم فيه كمخلب القط « يمسك به الحلفاء الغربيون ليخرجوا به الكستناءة من النار ، فيكتوى المخلب » . لهذا نجد زعماء هذا الحلف يتصلون بالروس ويزورن عاصمتهم ويقبلون حتى معونة من الروس وقد ظن الناس انهم انما قاموا خفراء يمنعون الروس أن يمتد لهم نفوذ .

ومن العجيب أن هذا الحلف ليس فيه انه ، اذا اعتدت دولة من غير الحلف على دولة من دول الحلف،أصبح لزاما على دول الحلف أن تنجد حليفتها . وقامت الحرب حديثا بين باكستان والهند ، فلم تجد باكستان من حلفائها عونا، بل زادوا ومنعوا عنها العون الذى كان جاريا والسلم قائمة . وانطوت الحرب الهندية الباكستانية فرأينا رئيس دولة الصين الشعبية يزور رسميا باكستان ، وما قامت باكستان عضوا فى الحلف المركزي، الا خفيرا على الصين ، واذن فقد تصادق الخفير والمخفور .

فهل بعد هذا ، لهذا الحلف ، من فشل !

والحلف الاكبر ، حلف الاطلسى ، بدأ ينهار

وسبب انهياره القنبلة الذرية ، والصواريخ القارية وغير القارية .

فى هذه الفترة الماضية من السنين ، منذ بدأ هذا الحلف عام ١٩٤٩ ، الى عام ١٩٦٦ ، تغير وجه الأرض ، وبه تغيرت السياسة وآراء الساسة .

نمت ذرة الولايات المتحدة نموا ذريعا ونما صاروخها .

ولاحقها وسارعها نمو ذرة الروس ونمو صاروخها .

وبعد صرخات للحرب تصم الآذان قامت بينهما ، ادرك الجانبان آخر الأمر ان الذرة والصاروخ اللذين حفزاهما الى صرخات حرب ، أصبحا ، بعد بلوغهما الذروة من الاتقان، يحفزانهما الى صمت وسلام ، ذلك عندما صارت الحرب مَهلكة لبادىء ومبدوء بها ، وعندما تبين لهم ان حربا ذرية تقوم لن يكون فيها هازم ومهزوم ، وانما هى الخراب يعم الأرض .

امتنعت الحرب بسبب بلوغ اسلحتها حد الكمال ، فلم يبق الا طلب السلم ومحاولة الاتفاق ، ما امكن الاتفاق والوئام .

وبدخول عهد السلم المفروض هكذا على الأمم ، فقد حلف الأطلسى اكثر خطورته ، ولا اقول اصبح غير ذى موضوع . فهذا سبب أول .

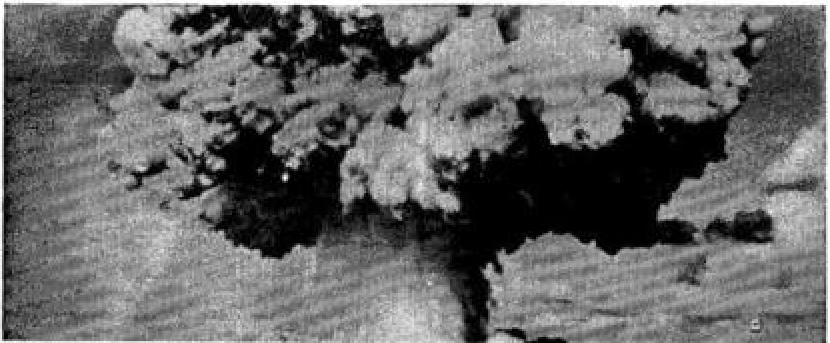
اما السبب الثانى فالصين .

ان الصين، بعددها وعديدها ،وقنابلها المنتظرة وصواريخها ، وضيقها بأرضها، وتطلعها الى شمال آسيا حيث يقبع الروس ، وجمعها بين الدوافع المذهبية والدوافع الوطنية التى قد تفوح منها روائح عرفناها فى الامبراطورية ، كل هذا ارهب الروس ودول الغرب معا .

والرهبة تقارب بين الدول .

وهذه الرهبة هى لا شك من اسباب ذلك التقارب ، غير الفصيح ، ذلك الذى

القنبلة الذرية : هزت الحلف الأطلسى فكاد يتقوض





الجنرال شارل ديجول
له منطق فى السياسة العالمية صارم

يتحدثون عنـــه ، قائما بـين الروس والأمريكان .

وسبب ثالث أضعف هذا الحلف ، كشف الرئيس الفرنسى ديجول عنـــه بمنطقه الحاسم .

ديجول والحلف الأطلسى

لقد انشق الرئيس شارل ديجول عن الحلف الأطلسى .

وحق له ان ينشق .

والأمريكان يصورون للعالم ان انشقاقه سببه كبرياء « شارل العظيم » ، وانه ذكر مكانة فرنسا القديمة ، ومجدها القديم ، فاصابته من ذلك نزوة ، ربات به ان يسير فى ركاب الولايات .

لهذا هو راح يرسم لفرنسا سياستها الخاصة .

وراح يصنع لفرنسا قنبلتها الذرية ، فالقنبلة الادروجينية .

فالمشكلة ، عند الصحافة الأمريكية التى اتسع وقتى لقراءتها ، عقـــدة نفسية .

والحقيقة ان الرئيس الفرنسى يرفض السير فى ركاب الولايات ، ولكن لا عن كبرياء وحدها ، وانما عن منطق سليم .

ومنطقه ، ان الولايات تسيطر على الحلف . فالحلف عماده اليوم الذرة . والذرة بيد الأمريكان ، لا تنطلق الا بأمرهم ، ولا يعرف مفاتيح اطلاقها الا رجالهم .

فالحلف اذن هو امريكا ، وما الـدول الاربع عشرة الأخرى ، الا اعضاء فى نادى الحلف سامرون .

ثم ان الرؤوس الذرية ، المفروض انها سوف تدافع عن فرنسا مثلا ، موجودة فى الدولة الفرنسية ، ولكن باريس لا تستطيع ان تدافع بها عن فرنسا ، اذا وقعت الواقعة ، الا اذا اذنت واشنطن ، وفى هذا ذلة وطنية بالغة . فالدول الاربع عشرة فى حكم الأمم المحتلة .

وعند ديجول ، انه اما حلف يكـون الشركاء فيه سواسية فى الراى ، سواسية فى التبعات ، واما فضه .

واخطر من ذلك عند ديجـول ، ان الولايات المتحدة ، التى بيدها مفاتيـح الذرة فى الحلف الاطلسى ، لها سياسات فى جنبات العالم الأخرى تجرى فيهـا وحدها ، لا تستشير فيها احدا . وضرب لذلك مثلا حرب فيتنام .

وقال ديجول انَ قنبلة ذرية يسقطها الأمريكان على هانوى (عاصمة فيتنام الشمالية) ، سوف تعقبها قنبلة لا بد يسقطها الأمريكان على بكين عاصمة الصين ، يكون لها نفس الوقع الذى يكون لقنبلة يسقطونها على موسكو .

واذن تبدأ حرب عالمية ذرية ثالثـة تكون فرنسا وقودها من دون أن يكون لها راى فيها . حرب يصدق فيها قول الرجل العربى :

لم اكنْ من جناتها علِمَ اللهُ
وانى بحرِّها اليوم صـــالى

من اجل هذا ، وغير هذا ، انشـق ديجول على الحلف .

ويهوِّن الأمريكان من خروج ديجول ، وهيهات .

انه بدء انحلال الحلف .

وهو منطق لايخفى على عقول الآخرين من اعضائه .

ماو تسى تنج ، زعيم الصين الشعبية ، وخروشوف ، رئيس الدولة الشيوعية بدءا صديقين ، ثم فرق بينهما المذهب الواحد ودوافع وطنيـة هـدفت الى اطماع توسـعية



حلف عالمى ، لا حلف أطلسى

من اجل هذا بدأ الناس ، من أهل الراى ، فى انجلترا وغيرها ، ينادون بصياغة الحلف من جديد صياغة تجعل منه حزبا عالميا ، فيه الأعضاء شركاء سواسية ، وفيه القنابل الذرية مقسمة تبعاتها بين هؤلاء الأعضاء .

فهل يرضى الامريكان ؟

ان القوة عزة ، والعزة تأبى ان يشارك فيها بالسوية من هم فى القوة غير سواسية .

فما بال افريقيا ، وأمريكا الجنوبية

فهذه صورة عاجلة لأكبر خط قائم فى خطوط السياسة العالمية البحتة ، اليوم،ان كان فى السياسة ما هو البحت .

وفى الخطوط خطوط تمتد الى افريقيا، واخرى تمتد الى أمريكا الجنوبية . ولكن كلها فروع لهذا الخط الأعظم .

ان الذى يحدث فى غير اوروبا والولايات انما هو أصداء لما يحدث فى هاتين القارتين . وكل حدث يحدث فى الأمم الأخرى ، من قريبة وبعيدة ، يستطيع المختصون أن يربطوه بخيط ، أو اكثر من خيط ، بالذى يحدث فى واشنجطن ولندن وباريس وبون ، وبموسكو كذلك .

ونضرب مثلا ثورة غانا على رئيسها نكروما ، وكان رمزا للوحدة الافريقية . كان الناس يظنونه اثبت رسوخا من الهرم الأكبر فى أرض مصر ، فاذا به انما كان يسكن بيتا من بوص ، ذهبت به عصفة قليلة من ريح . ثم ما لبثت ان اعترفت بخلعه : أمريكا ، انجلترا ، روسيا ..

وهذا الحادث منسجم جدا مع الخط الرئيسى الذى وصفناه، للسياسة العالمية . اخشى ان سوف يعقبه فى القارة السوداء اشباه،حَمِدنا ذلك أو كرهناه.

ومثلا آخر : اندونيسيا . كادت ان تصبح شيوعية . ثم كانت ثورة . واليوم يرضى سوكارنو تحت ضغط الحوادث ان يميل عن الشيوعية، راضيا او كارها، حتى قيل انه قد يعود ببلاده الى هيئة الأمم المتحدة بعد ان خرج منها مخرجا ما كان أحد يظن أن من ورائه عودة .

الست ترى ان هذا الحادث ينسجم مع الخط الرئيسى لسياسة الدنيا ؟ ورضى به الروس اول راضين:اندونيسيا، تحت زعامة سوكارنو ، كادت أن تفسد « طوق ماليزيا » . وهذه هى الأحداث تؤمن هذا الطوق وراء أسواره .

والوطن العربى

ومثلا آخر : الوطن العربى .

ولكنى لا ارى حاجة بعربى مثلى ان يحدث العرب حديث وطنهم ، فلعلهم أعرف به،واكثر علما.. كل الذى استطيع ان اقوله انه من واجب العربى ، الذى يعنى بمستقبل بلاده ، ان يضيف الى دراسات لها فى الداخل ، دراسات لشئون تجرى فى الخارج ، لها آثار فى مجرى حياته ، وحياة أمته ، وفى مسلك تسلكه عروبته ويسلكه اسلامه ، افعل مما يقوم هو به فى داخل بلاده من اعمال.

ان التقوقع لا يستساغ اليوم ابدا .

ان الناس اليوم قد حطمت قواقعها وخرجت الى البحار الواسعة سبحا ، وفى البحار أسباب الموت وأسباب الحياة، ولا بد لطالب الحياة فيها والنجاة ، من دراسة « الاشيانوغرافيا » اى علم البحار ، وما علم البحار هنا الا علم السياسة والساسة ، وما تنصبه الأمم شراكا للأمم ، فلا تزال الأمم فى سلوكها ، ابعد ما تكون عن مسالك الخلق القويم .

١٩٦٦/٤/١٠ — **احمد زكى**

احمد سوكارنو رئيس اندونيسيا
اصابت كيان دولته هزات
عاصرت امثالها فى سائر الارض



مسابقة العربي

اختبر معلوماتك العامة

وجوائز ١٠٠ دينار

■ تتألف مسابقة هذا العدد من سبعة اسئلة اتبعنا كلا منها بأربع اجابات ، احداها هي الاجابة الصحيحة . اذا عرفتها قد يسعدك الحظ وتفوز بجائزة :

- ١ -

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ متبولُ
متيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ
وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا
إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ
إنّ الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به
مهنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

● بهذه الابيات الثلاثة استهل أحد شعراء الجاهلية قصيدته المعروفة التى يعتذر فيها الى رسول الله ويمتدحه ، بعد أن كان قد هجاه حتى اهدر الرسول دمه، فاقبل اليه معتذرا وانشد تلك القصيدة واعلن اسلامه .

هذا الشاعر هو : حسان بن ثابت ـ زهير بن ابى سلمى ـ كعب بن زهير ـ دريد بن الصمة .

- ٢ -

● بُنِيَ الجامع الازهر بالقاهرة ، فى جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هجرية ، الموافق ٤ ابريل سنة ٩٧٠ ميلادية ، فى بداية عهد الفاطميين ، فهو الآن قد دخل عامه الالف ...

وقد قام ببناء الأزهر : المظفر قُطز ـ المنصور قلاوون ـ جَوْهر الصقلى ـ الظاهر بيبرس .

- ٣ -

● كان أحد القواد الانجليز الاستعماريين الذين كانت بيدهم مقاليد الامور فى مصر والسودان فى مطلع هذا القرن ، معروفا بالقسوة الى حد جعل بعض الكتاب الانجليز انفسهم يصفونه بالتجرد من الانسانية . حتى أنه أمر بقبر المهدى أن ينبش وتستخرج منه عظامه ويلقى بها فى النيل ! هذا القائد هو : غوردون ـ كرومر ـ كتشنر ـ اللنبي .

- ٤ -

● « الجيوكندا » او « الموناليزة » من اشهر الآثار الفنية الخالدة التى يضمها متحف اللوفر فى باريس . وقد قام برسم هذه اللوحة الرائعة فنان عبقرى هو : مايكل انجلو ـ فان جوخ ـ ليوناردو دافنشي ـ ديجاس .

- ٥ -

● كانت هزيمة هتلر فى الحرب العالمية الثانية شرا من هزيمة نابليون فى القرن التاسع عشر .. والمعروف ان نابليون كان جنديا قبل ان يتالق نجمه . اما هتلر فقد كان قبل ان يظهر على مسرح السياسة : بَنّاء ـ مُمَثّلا ـ نقاشا ـ صحفياً .

- ٦ -

● من رواد الادب العربى فى هذا القرن ،كاتب خلف للمكتبة العربية سلسلة من مؤلفاته التى تجمع بين جزالة اللفظ وسهولة التعبير ، كما قام بتعريب عدد من الروايات العالمية مثل « ماجدولين » و « بول وفرجيني » و « فى سبيل التاج » ، مع انه لم يكن يعرف اللغة الاجنبية التى كتبت بها هذه الروايات ..

هذا الكاتب الاديب هو : ابراهيم عبد القادر المازنى ـ نجيب الحداد ـ مصطفى لطفى المنفلوطي ـ عباس محمود العقاد .

- ٧ -

● « أعطنا حبا » اسم ديوان لشاعرة عربية معاصرة ممن شردتهم نكبة فلسطين .. اصدرت قبله ديوانين احدهما بعنوان « وجدتها » والثانى بعنوان « وحدى مع الايام » .

هذه الشاعرة هى : سلمى الخضراء الجيوسى ـ عزيزة هرون ـ فدوى طوقان ـ اسمى طوبى .

شروط المسابقة وجوائزها

١ – ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ، وضع الاجابة فى مغلف واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربي – ص.ب ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٠ » .

٣ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٦

٤ – يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

نتيجة مسابقة العدد ٨٨

■ هذه هى الاجابات الصحيحة لمسابقة العدد الثامن والثمانين :

(١) ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ . (٢) ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ . (٣) مصر ، سورية ، العراق ، الاردن ، لبنان ، السعودية ، اليمن . (٤) ٧ يونية سنة ١٩٤٨ . ١٩ يوليو سنة ١٩٤٨ . (٥) الولايات المتحدة الامريكية – هارى ترومان . (٦) ٩ ابريل سنة ١٩٤٨ . (٧) ١٩٥٨ . (٨) ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ . (٩) اول نوفمبر سنة ١٩٥٤ فى الجمهورية العربية المتحدة . (١٠) ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٥٦ . (١١) ١٩٦٢ . (١٢) ١٣ ابريل سنة ١٩٥٦ . (١٣) ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ . (١٤) اكتوبر سنة ١٩٥٦ . (١٥) ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٨ .

وعلى كثرة الاجابات الصحيحة ، كانت هناك اجابتان من اثنين من قراء « العربى » بالجمهورية العربية المتحدة ، تستحقان الاشارة اليهما ، احداهما من السيد/عبد الحافظ عبد الرحمن علي ، فيلارخا ، سموحة ، بالاسكندرية ، والاخرى من السيد/حسين مهدى محمد حماد ، بمعهد الغرفة التجارية للقاهرة . فقد ضمن اولهما اجاباته عشر صفحات من حجم الفولسكاب ، مكتوبة على الآلة الكاتبة ، وزاد الثاني عليه بضع صفحات ، ضمنها بعض التعليقات السياسية . وناسف لان الحظ خانهما كليهما عند الاقتراع على الجوائز .

وفيما يلي نتيجة الاقتراع .

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا ، فاز بها : الطالب الفلسطيني محمد خير ابو عابد ، كلية الطب ، نوفيساد ، يوغسلافيا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا ، فاز بها : محمد كامل الخطيب : برجا ، قضاء الشوف – لبنان .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير ، فاز بها : فتح الله احمد حجازى ، مؤسسة الخطوط الجوية الليبية ، بنغازى ، ليبيا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ – **فيصل الثاقب** : مسرح الخليج العربى ص.ب ٤٢٤٨ الكويت .

٢ – **عبد الله محمد بصعر** : مدرسة الثغر الاعدادية ، الحديدة ، الجمهورية العربية اليمنية .

٣ – **احمد خليل احمد الشهاوى** : خبير البصمات بمديرية أمن المنوفية – شبين الكوم – ج٠ع٠م٠

٤ – **محمد رحال** : مدرسة مرعيان – أريحا – الجمهورية العربية السورية .

٥ – **شوقى حمود الركابى** : مديرية ضريبة العقار – الكوت ، الجمهورية العراقية .

٦ – **عبد الله سعيد عبد الله** : آرامكو – ص.ب ٣٧٢ الظهران – المملكة العربية السعودية .

٧ – **الشيخ علي محمد احمد النويرى** : مصلحة البريد والبرق – الخرطوم – جمهورية السودان .

٨ – **خميلي بلقاسم** : شارع غرة نوفمبر – غرداية ، الواحات – الجمهورية الجزائرية . ■■

صَفحَة فى اللُّغَة

حمّص

■ قال الازهرى : وقرأت فى كتب الأطباء « حبٌ محمّص » ، يريد به المقلوُّ قليا شديدا . والاصل فيه المحمّس ، وفيها السين تحرفت الى الصاد .

ومثل ذلك قول العامة صاع فلان اذا اهمله اهله وساءت تربيته فهو صائع . والاصل ساع الشيء ، اى ضاع ، فهو سائعٌ اى ضائع .

نُزَيعة

فى مختبرات ابحاث النبات يضع الباحث البذرة فتنبت فيخرج منها زرعٌ اخضر . فهذا هو نُزَيعة لا زُرَيعة . وهى فَعيلة فى معنى مفعولة من زَرَعَ . وجمعها زرائع . وجاز ان تقول الزَّريع ، وهو فى القاموس ما ينبت فى الارض مما سقط فيها من الحب .

التّقنية

ما أثقلها لفظا على اللسان ، ارسلها البعض بديلة لكلمة التكنولوجيا . واختار تقنية لسببين ، اولهما مشابهتها للكلمة الافرنجية ، فهي تعريب لهذا اللفظ او تكاد ان تكون ، وثانيهما علاقتها بلفظ التّقن ، والتّقن فى اللغة الطبع ، ويقال « رجل تِقْن » ، اى متقن للاشياء ، حاذق فى العمل ، وبذلك اراد واضع تقنية ان يكون اللفظ ترجمة للمعنى .

اما الترجمة فخاطئة ، لان التكنولوجيا لا علاقة لها بحذق العمل او عدم حذقه . ان التكنولوجيا Technologie كما يعرفها القاموس الفرنسي لاَرُوس هي : مجموعة العمليات والطرق المستخدمة فى مختلف فروع الصناعة . وهي كما يعرفها القاموس الانجليزى وبستر Webster الكبير : العلم الصناعي اى المعرفة المنظمة الخاصة بالفنون الصناعية .

واذن لا علاقة لهذا المعنى باتقان العمل . فلفظ التقنية لفظ خاطىء من حيث الترجمة ، وان كان لا بد من ترجمة ، ولا شيء غير الترجمة ، فهو الفن الصناعي .

بقي انه تعريب ليشبه اللفظ الافرنجي . واذن يكون « تكنية » وهو لفظ اقرب الى اللفظ الافرنجي ، واخف فى الفم نطقا . ولا لزوم للف والدوران لنجعل للفظ اصلا عربيا « بالمعنى » ، لا وجود له .

التّلفاز

وجرت الصحف على تسميته بالتلفزيون Television نقلا عن الفرنسية لا عن الانجليزية . فالنطق الانجليزى (تلفجن) . واللفظ الافرنجي يتألف من ثلاثة مقاطع : (تل) ومعناها البعيد ، و (فز) ومعناها الرؤية ، واذن فهو الرؤية من بعيد ، اى رؤية الصور . اما (يون) فدلالة اسم الفعل او كما نقول فى العربية المصدر . وهي توجد فى كثير من الاسماء مثل Declaration, Finition ولا علاقة لها بالمعنى .

من اجل هذا جرى « العربي » على ترجمة اللفظ الافرنجي بالتلفاز ، فضمَّ المقطعين الأصليين معا ، واطّرح علامةَ اسم الفعل .

وهو بذلك اختار اللفظ الذى هو اقرب الى سمع العربي واكثر انسجاما مع الجرْس اللغوى .

وثانيا هو اختار لفظا يستطيع ان يصنع منه فعلا ، فنقول تلفز تلفزة ، ولا يمكن هذا الاشتقاق من لفظ تلفزيون ، فهو لفظ ، على عجمته ، ونبوُّه بين الالفاظ العربية ، مقصر عن ذلك . ■■



ديكارت

إمام الفلسفة الحديثة

بقلم : الدكتور عثمان أمين

استاذ الفلسفة بالجامعة الليبية

■ « رينيه ديكارت » René Descartes هو اكبر فلاسفة فرنسا ، وامام الفلسفة الغربية الحديثة ، ورائد « الاتجاه العقلي » في اوروبا . اشتهرت فلسفته في تلك القارة كلها بانها « فلسفة الافكار الواضحة المتميزة » ، وحملت الى كل من يجيئون الى هذه الدنيا رسالة التوعية والتنوير والتحرير ، فلم تقبل على الحق دليلا الا بداهة العقل وحده ، اذ ان العقل عنده « اعدل الاشياء قسمة بين الناس » وحظوظهم منه متساوية ، بغض النظر عن اختلافهم في الاجناس واللغات والعقائد والاوطان .

والكثيرون من مؤرخي الفكر الغربي يعتبرون هذا الفيلسوف أبا روحيا للثورة الفرنسية : أحدثت آراؤه في الفلسفة وفي العلم هزة عنيفة ، فقوضت مذهب ارسطو ، وقضت على علم العصر الوسيط Moyen age ، وايدت سلطان العقل الناضج ، وناصرت قضية الحرية المستنيرة ، وهيأت النفوس للثورة الانسانية الكبرى .

للفكر في حياته المقام الاول

وحياة ديكارت حياة جوانية كلها ، اعني ان للروح فيها المقام الاول : فقد قضى الفيلسوف شبابه باحثا عن الحقيقة ، منقبا عن المشكلات العلمية ، دائبا على حلها . وانفق اخصب سنوات عمره في مختلف انحاء هولندا ، طالبا ملاذا مأمونا يستطيع في خلوته ان يفكر وان يتأمل في امعان واطمئنان . وافضى به الأمر الى أن جازف بتلك الخلوة نفسها ، استجابة لدعوة الملكة « كريستين » ملكة السويد ، ومات في استكهولم سنة ١٦٥٠ .

حياته انتظمت فترات ثلاثا

وتنتظم حياة ديكارت ثلاث فترات : الاولى فترة دراساته في مدرسة « لافليش » ، حيث تتلمذ على اليسوعيين ، ودرس اللغات القديمة والمنطق والاخلاق والرياضيات والميتافيزيقا . والثانية فترة قضاها في الاسفار متنقلا بين فرنسا وسويسرا والمانيا وايطاليا والتيرول . والثالثة فترة اقام فيها بهولندا ، وفيها كتب اهم مؤلفاته.

أهم مؤلفاته

« قواعد لهداية الذهن » (١٦٢٩) : وهي رسالة في المنطق الجديد المعارض للمنطق الارسطي التقليدي .

ورسالة « في العالم » (١٦٣١) : وقد قال فيها بدوران الأرض ، ولكنه حبسها عن النشر مخافة ان يحل به غضب الكنيسة كما حل بالعالم الطلياني جاليليو .

وكتاب « مقال في المنهج » (١٦٣٧) : وفيه بين تاريخ افكاره وخصائص منهجه .

ثم كتاب « مبادىء الفلسفة » (١٦٤٤) وفيه عرض مبسط لفلسفته ، وبيان لمدى اختلافها عن فلسفة القدماء .

وكتاب « التأملات في الفلسفة الاولى » (١٦٤١) وهو ابدع ما كتب الفيلسوف في الميتافيزيقا بوجه

• فلسفة تبدأ بالشك، ومن الشك يسير الى اليقين

• "أنا أفكر، فأنا إذن موجود، وأنا حر مسئول"

• سار الفيلسوف من النفس الباطنة، إلى الله مباشرة، ولم يشأ أن تكون معرفتنا بالله عن طريق العالم

عام ، وفي النفس الانسانية ، وفي الأدلة على وجود الله بوجه خاص .

واخيرا « رسالة في انفعالات النفس » (١٦٤٩) : وتهدف الى بيان السبيل العلمي للسيطرة على الاهواء والشهوات والوصول الى الحياة الفاضلة.

ولا نزاع في أن كتاب « مقال في المنهج » هو الذي خلد اسم ديكارت في تاريخ الفكر الانساني وسيظل به مذكورا على مر العصور : لقد وقف الفيلسوف فيه على ما كان شائعا في زمانه من اختلاف في الآراء بين العلماء والفلاسفة واصحاب اللاهوت . واتضح له ان ذلك الاختلاف ناشيء من انهم جميعا يتخبطون في بحوثهم وانظارهم ، ويسيرون فيما يشرعون فيه على غير هدى ، دون ان يكون لديهم خطة مرسومة او منهج محدد واضح . وتراءى له أن أول ما يلزم من أدوات التفلسف للانسان الواعي هو الشعور بضرورة المنهج ، ثم ايجاده وتطبيقه في مجالي النظر والعمل جميعا .

جعل من التفكير المنهجي فريضة

والذي يعنيه ديكارت بالمنهج هو كما قال : « جملة قواعد مؤكدة ، تعصم مراعاتها ذهن الباحث من الوقوع في الخطأ ، وتمكنه من بلوغ اليقين في جميع ما يستطيع معرفته ، دون أن يستنفد قواه في جهود ضائعة » . ويجيب على التساؤل بأن الجهل التام خير من المعرفة المزعزعة الناقصة، ولن يكون العلم علما الا اذا كان يقينيا . ونموذج ذلك اليقين هو المعرفة الرياضية .

وحسبنا ان نراعي في بحوثنا امورا ثلاثة ، لنضفي على اى علم يقينا يعدل يقين العلوم الرياضية : (١) أن لا نستعمل الا معاني «واضحة» و « متميزة » اى معانيَ مضمونها بديهي كل البداهة (٢) ان نذهب دوما من «المعاني» الى «الأشياء» اى انلا ننسب الى الأشياء الا ما ندركه ادراكا «بديهيا» في معاني تلك الاشياء . (٣) وان « نرتب جميع افكارنا في نسق خاص بحيث يكون كل معنى منها مسبوقا بجميع المعاني التى يستند اليها ، وسابقا لجميع المعاني التى تستند اليه».

الشك من اجل اليقين

ولما كان مطلوب الفيلسوف بلوغ « اليقين » الذى يمكن أن يقيم عليه بناء العلم كله ، فقد صمم على ان يشك في كل ما تعلمه من قبل ، وان يمضي في هذا الشك الى ابعد حدوده ، بادئا النظر كله من جديد ، وكان عينيه تتفتحان لأول مرة على العالم من حوله .

واذن فالخطوة الاولى التى يقضي بها المنهج الفلسفي هي « تعليق » آرائنا عن الاشياء ووقف احكامنا عليها ريثما نتبين حقائقها .

ولكن سرعان ما يستبين الانسان ان شيئا واحدا ـ وهو الفكر ـ يظل ثابتا قائما ، مهما شك ومهما أخطأ : فانا في شكي مدرك ولا ريب اني افكر ، وواثق اني افكر . وحتى لو شككت في اني افكر ، فلا استطيع ان انكر اني افكر حين اشك ، واني اثبات تفكيرى ، بل ابان خطئي في تفكيري ، لا بد أن أكون موجودا من حيث اني افكر : « ، واذن فانا كائن » (وهو يعني بذلك « ثبوت » الانية او الذات المفكرة ، لا وجود الشخص المتحقق في الخارج) .

أنا أفكر ، فانا اذن موجود

هذا هو مبدأ « الكوجيتو » المشهور الذى جعله ديكارت نقطة انطلاق للميتافيزيقا الحقة ، والذى ستخرج منه سلسلة بديعة من النتائج : واولها

ان الانسان يفكر ، وانه موجود من حيث انه مفكر . وهذه الحقيقة ندركها بلمحة نفاذة من لمحات الفكر الواعي المنتبه ، نظرة ذهنية مباشرة بلغت من الوضوح مبلغا يزول معه كل شك . فهي « حدس » عقلي ، اى رؤية ذهنية مباشرة ، وليست قياسا ولا استدلالا منطقيا يتدرج « من المبادىء الى المطالب » ، كما يقول فلاسفة العرب، ولكنها حدس أول واحد على كل حال . وتلك هي الواقعة اليقينية التى ترد ولا تدفع ، والتى تظل بمنجاة من الشك مهما يمتد .

انا اعرف نفسي الآن موجودا ، ولا اعرف نفسي الا كذلك . ووجود الفكر عندى اشد « ثبوتا » من « وجود » ، الجسم ، وطبيعة نفسي وماهيتها هي الفكر ، والنفس مستقلة عن الجسم، ومعرفتي لها ايسر من معرفتي له .

من هذا اليقين بوجود الذات المفكرة ـ أو بثبوتها بعبارة ادق ـ استخلص ديكارت جميع الحقائق الأخرى : استخلص اولا التمييز الحاسم بين النفس والجسم ، فانى استطيع ان اتصور انى لست فى مكان، وان اعضاء جسمى غير موجودة ، ولكنى لا استطيع من أجل ذلك ان أتصور انى غير موجود : فما دمت أروى الفكر شاكا فى الاشياء فيلزم ان أكون موجودا . اما اذا انقطعت عن التفكير وكان سائر ما اتصوره حقا فلا استطيع ان اكون موجودا . واستخلص ديكارت ايضا ان جوهر النفس هو الفكر ، وان جوهر الله هو الكمال ، وان جوهر الجسم هو الامتداد .

وبهذا صح ان يقال ان الفلسفة الديكارتية قد سلكت مسلكا فريدا فى التاريخ الفكرى : سار الفيلسوف من النفس الى الله مباشرة وبغير واسطة . ولم يرد ان تكون معرفتنا لوجود الله من طريق العالم ـ كما صنع غيره من الفلاسفة واللاهوتيين ـ بل رأى على العكس من ذلك ان المعرفة بوجود العالم هى التى تحتاج الى وجود الله سندا لها .

والتدليل على وجود الله من وجود النفس بسيط ميسور : فانا موجود ، وفى نفسى فكرة « الكائن الكامل » . وعلى هذا الاساس اقام الفيلسوف ادلة ثلاثة ، ادقها الدليل المشهور باسم « الدليل الانطولوجى » ، وقد سمى كذلك لانه يستخلص « وجود » الله من نفس تعريف الله او معناه : فانا اذا علمنا أن الله هو الكائن المتصف بجميع الكمالات ، رأينا توا ان الله متصف بالوجود ، باعتباره كمالا من الكمالات .

من الله الى العالم

فالله اذن موجود ومتصف بالكمالات كلها . واستطيع الآن ان اتقدم فى سيرى الى الحقائق ، واستطيع بادئا من «ذات الفكرة» التى هى «انيتى» و« ماهيتى » ، ومن كمال الله الذى يضمن لى صدق الافكار الواضحة ، ان أثبت يقين العالم الخارجى ، عالم « الاعيان » ، وان اطمئن الى معظم الأشياء التى شككت فيها من قبل ، مادمت ادركها فى وضوح وتميز . واذن فما اجده فى نفسى من ميل قوى الى الاعتقاد بوجود العالم مصدره الله تعالى الذى هو الموجود أو «الكائن» الكامل والذى لا يمكن ان يخدعنى او يوقعنى فى الضلال . وقد اتعجل فى الحكم على الامور قبل أن تستضىء ارادتى بنورالعقل : اذ انالارادة الانسانية « لامتناهية » ، تميل بطبيعتها الى مجاوزة حدود المعرفة الواضحة المتميزة ، فى حين أن الذهن متناه ، ولكنه يعيننى على التمييز بين الحق والباطل .

الخطأ ضريبة الحرية

وانا فى افعالى حر مختار ، فانا المسئول اذن عن خطئى. والوقاية من الخطأ مرجعها الىّ وحدى : وذلك بان استعمل ما منحنى الله من حرية الارادة استعمالا حسنا ، اى ان لا اتعجل فى حكمى على الأمور التى لا اتصورها الا فى غموض وابهام، « وان امسك عن ابداء رايى فى الأشياء التى لم تتبين لى حقيقتها » .

على هذا النحو تمّ لديكارت ان يثبت الحقائق الثلاث الكبرى التى يقام عليها صرح الفلسفة فى كل العصور : النفس ، والله ، والعالم .

والفلسفة الديكارتية ـ وهى ثورية ـ ما كانت لتقنع بالوقوف عند التامل والنظر المجرد ، كما كانشان الفلسفات السابقة عليها ، وانما ارادت ان تمضى الى العمل والتطبيق ، رامية الى التغيير الجذرى والتاثير الحاسم . فليس الغرض من المعرفة ، عند « أبى الفلسفة الحديثة » اكتساب الحكمة والتبصر فى الأمور فحسب ، بل تحقيق السيادة للانسان على نفسه وعلى الطبيعة .

وقد كانت اعز امانى الفيلسوف ان تكون

الفلسفة معوانا لنا فى حياتنا ، لا على أن ندبر افكارنا وآراءنا تدبيرا حسنا فحسب ، بل على ان تدبر سلوكنا ، وان نسيطر على ابداننا ، وان نقهر الموت ، وان نقضى على جميع الامراض ، نفسية كانت او بدنية .

حلـم الفيلســوف

وظل هذا الحلم يراوده فى مراحل نشـاطه العقلى كلها : ان تقدم الفلسفة للانسان طـريقا للحياة جديدا ، يهيىء له أن يمتلك زمام نفسه ، عن طريق فن عقلى لضبطها والتحكم فيها ، وان يهيمن على الطبيعة ، عن طريق « تعقيلها » أى بث الضوء الساطع فى ارجائها الحالكة .

ولما تبين ان تحقيق هذين المطلبين معا قد يحتاج الى أجيال عديدة ، والناس محتاجون الى هداية سريعة ، رأى ان تكتفى مؤقتا بتقبل الاشياء التى لا نستطيع تغييرها ، وان نلجأ الى الحيـلة و « الاستراتيجية » فى السيطرة على الانفعالات النفسية . وهنا تتحلى « الجوانية » الديكارتية: عن طريق هذه السيادة الداخلية على النفس ، يستطيع كل امرىء ان يسيطر على الخارج .وكان فيلسوف القرن السابع عشر جاء الى العالـم الحديث مؤكدا شعارنا الاسلامى فى الآية الكريمة «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم».

ولقد نادى الفيلسوف علماء عصره ومفكريه بان ينصرفوا عن تلك الفلسفات النظرية التجريدية التى كانت تجد فى تامل النظام الكونى غايـة الرضا ، واهاب بهم ان يلتمسوا فلسفة عاملـة رائدة يتحقق لنا بها قبل السيطرة على الطبيعة ان نظفر بالسيادة على انفسنا . ومن اجل ذلـك كانت الاخلاق الديكارتية شبيهة بفن للتحـرر الروحى ، يهتدى بنور العقل ، ويهـدف الى اطلاق الذات من اسار العالم .

الفهم « فرض عين » لا « فرض كفاية »

وعندنا ان من مواضع الطرافة فى الفلسـفة الديكارتية نظرتها الى الحرية الانسانية . ذلك ان الانسان عند ديكارت يمارس حريته الأصيلة بانشائه للحقيقة ، وهو ينشىء الحقيقة حـين يتجه الى نظم « الموجودات » فى سلك «الماهيات» وينشئها بواسطة « الموقف » الذى يتخذه من الاشخاص والاشياء ، وهو منشىء لها باختيـاره ان يقول : « نعم » او ان يقول : « لا » . واذن فديكارت يزودنا بوعى لمسئوليتنا التامة عن العالم الذى نحيا فيه : فالانسان ليس « متفرجا » على الدنيا ، وانما هو الكائن الذى بفضله تظهـر الحقيقة فى الدنيا ، كما قال «سارتر» معلقا على ديكارت . ان احدا لا يستطيع ان « يفهم » لك ، كما ان احدا لا يستطيع ان « يموت » لك !ويجب آخر الامر ان تقول : « نعم » او ان تقول : «لا». ويلزمك ان « تقرر » بنفسك ووحدك ، وان تقرر الحقيقة للكون كله . وهذا التقرير « الجوانى » هو الفعل الميتافيزيقى المطلق الذى ينبثق من الفهم ، حين تصل اليه الذات العارفة فى سعيها الى تعقل العالم وتحويلها نظام الوجود الى نظام افكار : فالفهم اذن « فرض عين » لا « فرض كفاية » ، اذا جاز لنا ان نستعير اصـطلاح علماء المسلمين .

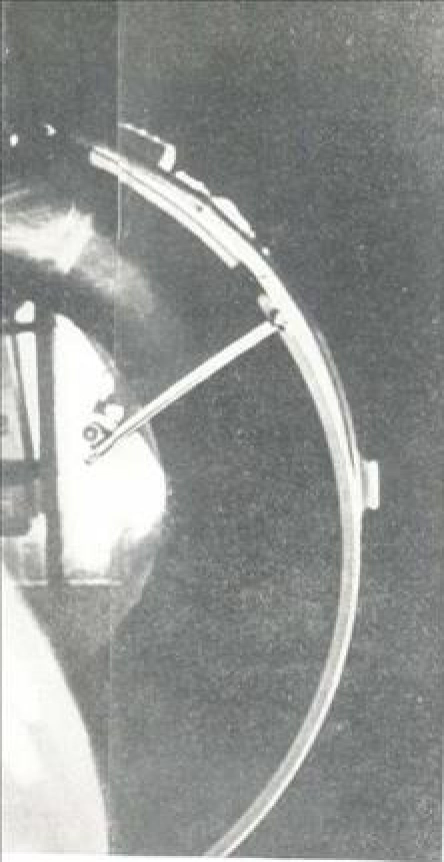
رسـالة ديكـارت

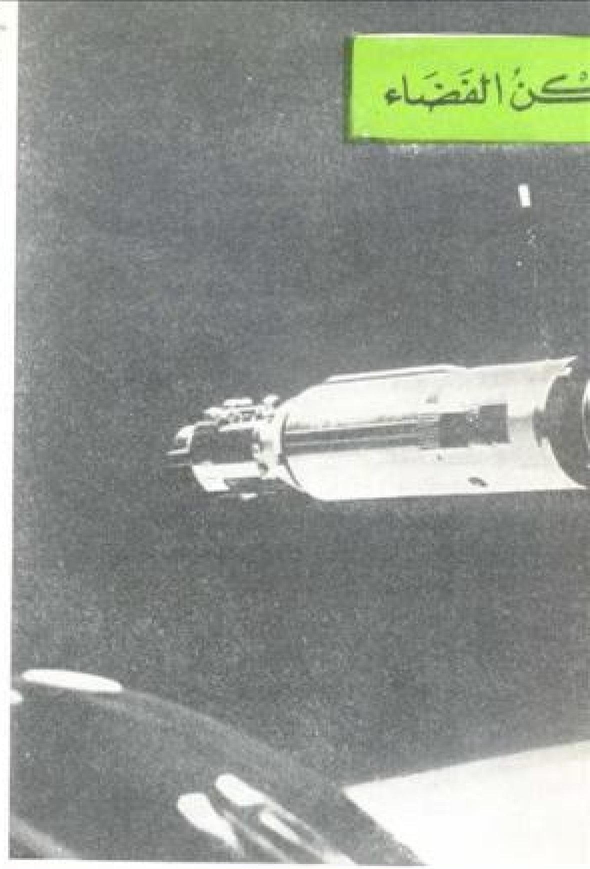
وجملة القول ان رائد المذهب العقلى فى العصر الحديث قد جعل من التفكير الواعى فريضـة على كل واحد ، وآمن بان الانسان انما خلق لوجود اسمى من وجوده فى اطار الزمان والمكان ، وانه لا حياة لحضارة انسانية من غير ميتافيزيقا .

والناظر فى فلسفة ديكارت يتجلى له منها امران نعتقد ان عصرنا هذا محتاج الى ان يتدبرهما وان يطيل الوقوف عندهما : وهما الثقة بالله العليم الحكيم ، والثقة بالعقل البصير المستنير .ففلسفة ديكارت هى فلسفة العقل الذى يفتح للانسـان آفاق المعرفة والعلم ، ويغزو بنوره عالم السماء والارض . فاذا احسن المرء استعماله ، مع دوام ثقته بالله مبدع الكون ، استطاع ان يسخره لخدمة الانسانية واسعادها ، وحفظ صحتهـا ، وتوفير رخائها ، وتوطيد دعائم السلام بين افرادها وجماعاتها . ولعل اكبر رسالة يتلقاها عصرنا هذا من ديكارت هى ضرورة تبرير العلم بالميتافيزيقا ، لا انكارها والتهجم عليها .

ولو بعث «أبو الفلسفة الحديثة» بيننا اليوم لراى انه ما يزال رائدا لذوى الاصالة من العلماء، اعنى اولئك الذين لا ينكرون ما جـاوز مقاييس الحس،ويحرصون على ان يفكروا وفقا للعقل. ■■

عثمـان امـين
الجامعة الليبية / بنغـازى





النجاح الذى كاد أن

▪ الى اليوم لم نعلم بأن احد رجال الفضاء مُني بكارثة فى الفضاء . ولقد علمنا برجلين منهم سقطت بهما طائرة فى الهواء فكانت القاضية .

وبالامس القريب كاد يسجل التاريخ اول كارثة تقع فى الفضاء ، ثم تدخل القدر فأمسك بقلم التاريخ وبيده فمنعه من التسجيل وقد كاد سن القلم ان يمس الكتاب المسطور .

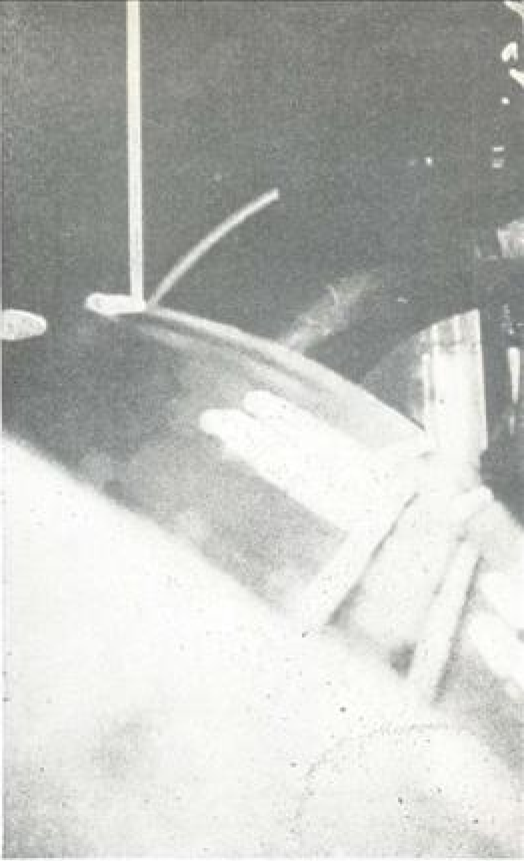
وتتلخص القصة باختصار فى جرمين امريكيين فضائيين، احدهما الجرم اجينا Agena ، واُطلق الى مداره فى الفضاء بغير رجال . ومن بعد ذلك بمائة دقيقة ودقيقة اُطلق الجرم جيميني الثامن

الصورة البعيدة : **الجرم الفضائي اجينا ، وهو فى فلكه يدور حول الارض ، ونرى فى طرفه الابعد الياقة المعدة لدخول المركبة الفضائية جيميني ٨ عندما يلتحمان . ونرى عند الطرف الايمن من اجينا « الهوائي » وهو لارسال الاشارات الراديوية .**

* * *

الصورة الاقرب : **وهي لرقبة المركبة الفضائية جيميني،وبها رجلاها الفضائيان، عند تمكنهما من ادخال رقبة مركبتهما فى الياقة التى بخلف الجرم الفضائي اجينا.**

* * *



يَنْتَهِي بِكَارِثَة

جِرْمَانِ يَلْتَحِمَانِ فِى الفَضَاءِ لِأَوَّلِ مَرَّة

كان هذا فى يوم الاربعاء ٢٣ مارس ١٩٦٦ .

كان الهدف ان يدخل الرجلان رقبة مركبتهما الفضائية المستديرة ، وهى الجزء المتقدم من المركبة ، فى ياقة تسعها تماما موجودة فى مؤخرة الجرم اجينا ، فيرتبط الجرمان ويصبحا جرما واحدا .

Gemini 8. وبه رجلان ، احدهما نيل ارمسترنج Neil Armstrong والثاني دافد اسكوت David Scott .

وبلغا مدارهما، وكان عليهما ان يربطا جرمهما هذا بالجرم Agena الذى سبق الى فلكه .

وهذا اجراء هام كان لا بد من نجاحه ، لأنه عملية تلزم فى الغد عند التخطيط لبلوغ القمر .

وتظر الرجلان فى الفضاء يستطلعان الجرم أجينا حتى وجداه . واذن وجب ان يزيدا فى سرعة مركبتهما اليه ليلحقا به . ولا سبيل الى ذلك فى الفضاء الا بالطلقات النفاثة تطلق من المركبة التى هما بها . فالطلقة النافثة تطلق الى الوراء تزيد سرعة المركبة الى امام ، والتى تطلق الى امام تنقص من سرعتها . والتى تطلق يمينا تدفع بالمركبة يسارا . وهلم جرا . كل نفثة يخرجها راكبا السفينة من جهازها بالمركبة الفضائية تدفع بالمركبة بالسرعة المحسوبة فى الجهة المحسوبة . وكان بالمركبة من هذه الاجهزة النافثة الصغيرة ١٦ جهازا .

وجرى كل شيء فى الساعات السبع الاولى على اوفق حال . واخذت جيمينى تقترب من أجينا حتى ادخل الرجلان عنق الاولى ، وهو مقدمتها ، فى باقة الثانى ، وهى فى مؤخرته . وصار الجرمان جرما واحدا . ياله من نجاح ! وصفق علماء الارض .

وبغتة يصل علماء الارض صوت احد الرجلين منذرا . قال : نحن فى مازق خطير .

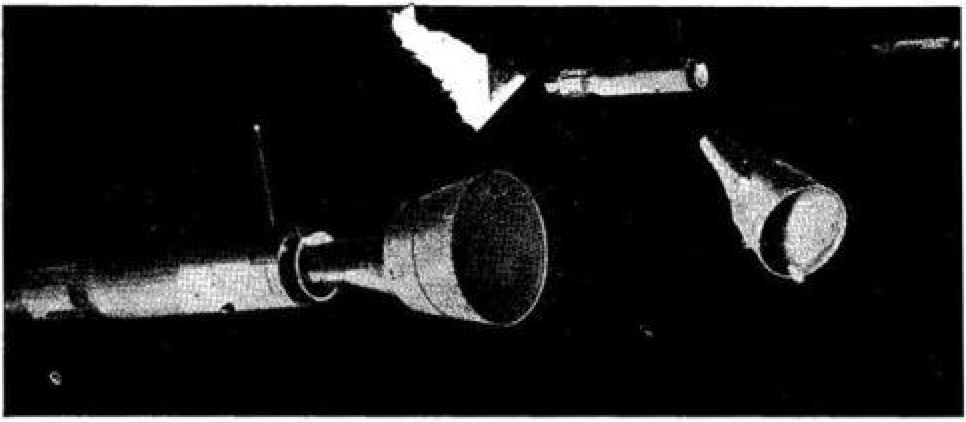
حدث ان احد الأجهزة النافثة الستة عشرة أخذ يعمل بدون ان يؤمر ، وذلك لمدة ٣ ثوان ، ثم سكت ، ثم عاد يعمل ولم يتوقف . ومن جراء ذلك أخذ الجرمان يدوران معا حول نفسيهما ، حول محورهما ، وفيهما الرجلان . فما كان من الرجلين الا ان فكا الرباط الذى يربط مركبتهما جيميني بالجرم أجينا . وانفصل الجرمان . ولكن هذا زاد الحال سوءا . فقد زادت المركبة دورانا حول نفسها حتى كادت تبلغ ٦٠ دورة فى الدقيقة ، اى انها اقتربت فى دورانها من تلك الدرجة التى لا يحتملها الانسان الحي . فما كان من الرجلين الا ان أوقفا عمل الاجهزة النافثة جميعا، ومن بينها بالطبع ذلك الجهاز الثائر .

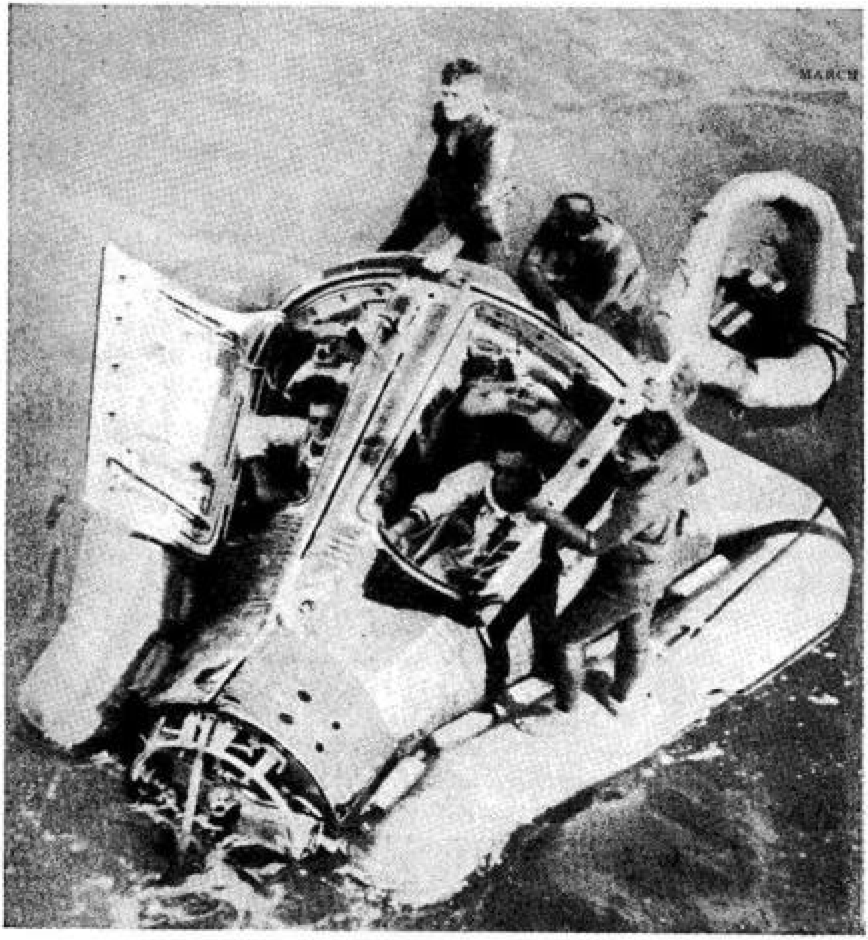
ولم يبق لديهما بعد ذلك ما يستعينان به الا الصواريخ التى تساعد على الهبوط على الارض . وفى هذا الموقف تحتم عليهما القواعد الفضائية النزول الى الارض .

وفعلا . ونزلا فى المحيط الهادى عند جزيرة اوكيناوا ، Okinawa ، جنوبى كبريات جزر اليابان، وذلك بعد ان قضيا فى الفضاء ١١ ساعة وكان المفروض ان يقضيا ٧١ ساعة .

وبحث المختصون فى سبب ذلك الحادث الذى كاد يسبب نكبة ، فاذا به تماس وقع بين سلكين كهربائيين !

وهكذا قد يسبب اتفه الأسباب اكبر المصائب . ■■





المركبة الفضائية جيميني ٨ عندما هبطت في المحيط الهادى ، وتلقتاها رجال الانقاذ . وتجد رجلي الفضاء لا يزالان بهـا .

رسم رسمه الرسام يوضح به ملاحقة مركبة الفضاء جيميني ٨ لجرم الفضاء اجينا . وتراهما في ايمن الصورة وقد لحقت مركبة الفضاء بالجرم ، وفي الاوسط تراهما اقتربا . وفي الايسر من الصورة تراهما قد التحما ، بأن أدخلت جيميني ٨ رقبتها في الياقة بمؤخرة الجرم أجينا . وصنع رجال الفضاء في جيميني ٨ كل هذا ، من زيادة سرعة المركبة ، وتحويل اتجاهها ، بفرقعات نفاثة اطلقاها (وبالمركبة ١٦ جهازا كهذا) بالقـدر المطلوب .



شعرُ الدَّيَّارات

بقلم أحمد السقاف

■ لا اظن ان احدا ينكر ما للديارات النصرانية من فضل على الادب واللغة عامة ، وعلى الشعر خاصـــة فى كافة العصور لا سيما العصر العباسى . فلقد كانت ملاذا ومنتجعا لكثير من اعلام اللغة والادب ومطّرحا لكثير من الشعراء ، اولئك الذين كانوا يهربون اليها طلبا لراحة البال وهدوء النفس وصفاء الفكر ، او يقصدونها للشرب والقصف واللهـــو بعيدا عن التزمت والفضول. مع المنادمة الرفيعة التى لا تخلو من علم وادب وطرَف وحكايات .

ولقد كان أولئك الشعراء يستوحون من ايامهم التى يقضونها فى الديارات أرق الشعر واحسنه واعذبه ، حتى لقد حق لدارس الأدب العربى ان يسمى هـــذا الشعر بشعر الديارات ، لما تميز به من جميل وصف ورشاقة لفظ ورقة معنى وطرافة نكتة.

شعر العرب لم يكن وقفا على الجمل والناقة

وانه لجدير بالشباب المعنى بشعر العربية ان يطلع على هذا الضرب مـــن الشعر ليعرف ، أن الشعر العربى لم يكن وقفا على وصف الجمل والناقة والطلل الدارس والمفازة والذئب ، وانما كان ومازال شعر الحياة بكافة مناحيها وبجميع حاجاتها ومتطلباتها ، وانه اذا خشن وضاقت دائرة أوصافه ، فالذنب ليس ذنبه ، والتبعة لا تلقى عليه ، وانما هى دائرة الحياة التى ارتضاها الشـــاعر لنفســه ، فليس من المنطق فى شيء أن نلوم آلة التصوير لالتقاطها صورة دمنة مـــن الدمن او جبل منيف اجرد ، فى وقت نحن ننشد فيه صورة رائعة لحديقة عامـرة

● شِعرُ العَرَبِ لم يكُنْ وَقفاً على الأَطلال، وَلا عَلى النُّوق وَالجِمَال.

● مِنْ أَجْوَاء الدَّيَارَات اسْتَوْحَى ابنُ المعتز الرَّقيق مِنَ الشِّعْر المُضَمَّخ بِأَطْيَاب الحُبّ.

بالقرنفل والاس والاقحوان والوردوالمنثور .

حين وجه على بن الجهم خياله لمحيطهالذى ألِفَ ، قال للخليفة :

انت كالكلب في حِفاظك للودّ ... وكالتيس في قراع الخطوب

ولم يكن الا مادحاً بكل ما وصل اليهخياله من اوصاف المديح ، وبعد اقامته ببغداد ، حاضرة الخلافة ، وقف أمام الخليفة ليقول قصيدته الرائعة المشهورة:

عيونُ المها بين الرّصافة والجسر ... جلبْنَ الهوى من حيث ادرى ولاأدرى

فخيال الشاعر مرتبط بالبيئة ، والشعر يجيء كما تريد له بيئة الشاعر . وحياة الناس فى العصور العباسية تختلف عما كانت عليه حياتهم فى العصر الاموى . وحياتهم فى هذا العصر الحاضر غيرها فى العصور التى سلفت دون جدال.

كشاجم يدعو الى زيارة دير بالانبار

وشعر الديارات بالاضافة الى كونه فى جملته شعرا عباسيا ، فهو شعر حياة خاصة ، فالشاعر الذى يقصد الدير لقضاء يوم او بضعة ايام ، يعيش حياة متحررة من كثير من القيود ، فهو يناظر ويجادل كما يحلو له ان يناظر ويجادل ، وهو يقصف ويطارح كما يحلوله ان يقصف ويطارح ، وهو بعد ذلك يقول من الشعر ما يشاء ، وكما يطيب له ان يقول . فهذا كشاجم يدعو صاحبه الى زيارة دير بالانبار فيقول له :ــ

اغدُ يا صاحبي إلى الأنبارِ ... تشْربِ الراحَ في شبابِ النهارِ

واعْمرِ العُمْرَ(١) باللذاذاتِ والقصفِ وحيثُ الكؤوسِ والأوتارِ

(١) العمر : بضم الاول وسكون الثانى الدير .



ماترى الدهرَ قد أتاك بوجـــه ... طَلِقٍ بعـد نَبْـوةٍ وازورار
لابساً حلةً من الزهرِ كانــتْ ... قبلُ محجوبةً عن الأنظـــار
نرجساً كالعيونِ ترغب من يهواه ... من غير رِقْبَـةٍ او حـــذار
وإذا ما بدا الشقائقُ فيهـــا ... خالـه الناظرون شُعْلَـةَ نـارِ
وكأن البنفسجَ الغضَّ فيهـــا ... أثَرُ القرصِ في خدودِ الجوارى
اقحوانٌ وسوسنٌ حَسَنُ النَّـوْ ... رِ وشيحٌ منمنمٌ مَـعْ بَهـــار
فاغتنمْ غفلةَ الزمانِ وبـــادرْ ... وافترصْ لذّةَ الليالـى القصـار

انها لوحة رسام ماهر ، رسم فأجاد، ورغب صاحبه فى زيارة الدير للاستمتاع باللذاذات واللهو فعرف كيف يرغبه فى هذه الزيارة ، ووصف حدائق الدير فأحسن وأبْدَع ، حتى ليخيل للمرء وهو يقرأ القطعة الجميلة انه يشم حقا اريج هذه الورود والأزهار .

ابن المعتز فى دير عبدون

ثم من منا لم يطرب لأبيات ابن المعتز فى دير عبدون ، وهى مما يتغنى به ، وفى ظنى ان الكثيرين يرددون هذه الأبيـــات كلما طربت نفوسهم الى هذا الضرب من الشعر الرقيق :

سقى المطيرةَ ذاتَ الظلِ والشجـرِ ... ودير عبدونَ هطالٌ من المطـــر
ياطالما نبهتنى للصَبوحِ بـــه ... في ظلمة الليل والعصفورُ لم يَطِرِ
أصواتُ رُهْبانِ ديرٍ في صلاتِهِمُ ... سودِ المدارع نعَّارين في السحـر
مزنَّرين على الأوساطِ قد جعلـوا ... على الرؤوس أكاليـلاً من الشعَر

الى آخر الابيات الرقيقة الناعمة .

ابن المعتز استوحى الرقيق من اجواء الديارات

وقد عرف ابن المعتز بكثرة تردده على الأديرة واختلاطه برهبانها ، ومن اجواء الديارات ومن خلواته فيهـا استوحى الرقيق الأرق من شعره المضمخ بأطياب الحب والصبابة واللهفة ، وما موشحه الذائع فى دنيا الغناء والطرب الا بعض ما جادت به تلك الخلوات . ولا داعى لاثبات الموشح كله ، فحسب القارىء هـــذه المقاطع :

أيها الساقي اليك المشتكـــى ... قد دعوناك وان لم تَسْمَعِ

وندِيمٍ هِمْـتُ في غُرّتِـهِ
وبشربِ الراحِ من راحتِهِ
كلّما استيقظ من سكرتِـهِ



جَذَبَ الزقَّ اليه واتَّكَى   وسقاني أربعاً في أربعِ

ما لعيني عَشِيَتْ بالنظرِ
انكرتْ بعدكَ ضوءَ القمرِ
وإذا ما شئتَ فاسمع خبري

عَشِيَتْ عيناي من طول البكا   وبكى بعضي على بعضي معي

غُصُنٌ بانٍ مال من حيثُ التوى
مات من يهواه من فرْط الجوى
خفِقُ الاحشاء موهونُ القوى

كلما فكّر في البينِ بكى   ويحه يبكي لما لم يقعِ

ابو العيناء ، الضرير ، في دير باشهرا

وهذا ابو العيناء يتحسس اللذاذات في دير باشهرا ويصف ببراعة وخفة روح ـ رغم فقدانه البصر ـ كرم قسيس الدين وحسن ضيافته وجميل فعله ، ويقول انه طاب له المقام في الدير فرابط فيه عشر ليال قضاها في الشرب واللهو والقصف :

نزلنا ديرَ باشُهْرا (١)   على قسيسه ظُهْرا
فأولى من جميلِ الفعلِ   ما يستعبدُ الحُرّا
وسقّانا وروّانا   من الصافيةِ العَذْرا
فطاب الوقتُ في الديرِ   ورابطنا به عشرا

وابن الربيع احب راهبة ، ومن اجلها قصد الديارات

اما ابن الربيع وهو علم من اعلام الغناء والطرب وشاعر رقيق مطبوع ، فقد كان يستلهم شعره ممن يحب ، وقد كانت محبوبته احدى راهبات دير المزرفة (٢) ومن اجلها قصد الديارات وتطرح فيها ونادم الرهبان والقسس ، ولقد اجاد الى ابعد حدود الاجادة حين قال :

يا ديرَ قوطا(٣) لقد هيجتَ لي طرَبا   أزاح عن قلبي الأحزانَ والكُربا
وشادن ما رأتْ عيني له شبهاً   في الناس لاعجَماً منهم ولا عربا
إذا بدا مقبلاً ناديتُ واطربا   وان مضى مُعْرِضاً ناديتُ واحربا

---

(١) كان يقع دير باشهرا بين سامراء وبغداد على نهر دجلة .

(٢) دير المزرفة : من ديارات بغداد

(٣) دير قوطا : كان موقعه بين بغداد والبردان على الشاطىء الشرقي لدجلة والبردان اطيب نواحي دجيل .



أقمت في الدير حتى صار لى وطناً ... من أجله ولبستُ المِسْحَ والصُلُبا
وصار شماسُه لى صاحباً وأخـاً ... وصار قِسيسُهُ لى والداً وأبـا

وفى محبوبته هذه يقول ابن الربيع هذا القول الرائع :

يا شادناً رام ، اذ مرَّ بالشعانينِ ، (١) قتلى
يقولُ لى كيف اصبحتَ كيف يُصبحُ مثلى ؟!

وابن الشبل البغدادى

ودير دُرْتا ــ بضم الأول وسكون الثانى ــ الهم ابن الشبل البغدادى الأبيات الآتية :

بنا إلى الديرِ من دُرْتا(٢) صباباتُ ... فلا تلمنى فما تُغنى الملامـاتُ
ياحبذا السَّحَرَ الأعلى وقد نَشَرَتْ ... نسيمَةُ الغضِّ روضاتٌ وجناتُ
فكم قضيتُ لباناتِ الشبابِ بهـا ... غُنْماً وكم بقيت عندى لباناتُ

الى ان يقول :

فما التعللُ لولا الكأسُ في زمنٍ ... احياؤه باعتيادِ الهمِ أمـواتُ
دارتْ تحيي فقابلنا تحيتهـا ... وفي حشاها لقرعِ المزجِ روعـاتُ
عذراءُ أخفي كرورُ الدهرِ صورتها ... لم يبق من روحهـا الا حشاشـاتُ

الى ان يقول :

خُذْ ما تعجلَ واتركْ ماوُعِدْتَ به ... فِعْلَ الأديبِ ففى التأخير افاتُ
وللسعادةِ أوقاتٌ ميسـرةٌ ... تعطى السرور وللأحزان أوقاتُ

ولا شك انها ابيات جميلة ضمنها الشاعر فلسفته المادية ، وهو فى هذا يختلف مع اولئك الذين زهدوا فى الدنيا ونعيمها وترفعوا عن لذاذات الحياة ومباهجها ، لأنها لذات لا تدوم ومباهج سرعان ما تزول .

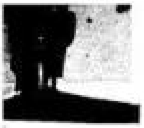
واسير دير مران

وهذه قطعة ملتهبة تتأجج صبابةً وهوىً وحرقةً وتفجعاً ، والبين مخيف

---

(١) الشعانين او السعانين : عيد من اعياد النصارى.

(٢) دير درتا : كان موقعه قرب قطربل فى موضع يدعى درتا محاذيا لباب الشماسية ، على دجلة من الغرب .



لا يقوى على احتماله الا من امدّه الله بالصبر الجميل والتجلد الأجمل ، وقد انشدها احدهم وهو اسير دير مران(١) :ـ

لمّا أناخوا قُبيلَ الصبح عيرَهُمُ ... ورَحّلوا فتنادت بالهوى الإبـلُ
وأبرزتْ من خلالِ السجْفِ ناظرَها ... يرنو اليّ ودمعُ العينِ مُنْهَمِـلُ
فودّعتْ ببنانٍ حَمْلُهُ عَـنَمٌ ... فقلتُ لا حَمَلَتْ رجلاك ياجَمَلُ
ويلي من البينِ ماذا حلّ بي وبها ... من بارحِ الوجدِ حلَّ البينُ فارتحلوا
اني على العهدِ لم انقُضْ مودّتَهُمْ ... فليت شعرى لطولِ العهدِ مافعلوا

وابن الحداد المغربى ، تفتنه ديرانية

واذا كان لا بد من خاتمة لهذه النماذج الحلوة ، فلتكن الخاتمة ابياتا حلوة ايضا لشاعر مغربى يعرف بابن الحداد قيل انه القى عصا السفر بصعيد مصر وهو فى طريقه الى مكة للحج بعد ان فتن بديرانية جميلة اسمها «نويرة» ، فرابط قرب الدير اياما واياما ، حتى لفت نظرها ، وباح لها بما يعانى من تباريح الحب ولواعج الغرام ، فأعرضت عنه ، وتأبّت عليه فزاد تعلقه بها وهيامه فيها ، وفى احد الأعياد اعترض سبيلها وهى فى سرب من اترابها وقال :ـ

عسـاكِ بحقِ عيساكِ ... مُريحةَ قلـبي الشـاكي
فان الحسـنَ قـد ولاّ ... كِ إحيائـي وإهلاكـي
وأولعنى بصلبـانٍ ... ورهبـانٍ ونُسّـاكِ
ولم اتِ الكنائسَ عن ... هوىً فيهـن لـولاكِ
فهل تدريـن ما تقضـى ... على عـينيَّ عينـاكِ
وما يذكيه مـن نـارٍ ... بقلبي نـورُكِ الذاكـي
حجبتِ سناكِ عن بصـرى ... وفوق الشـمسِ سيماكِ
وفي الغصـنِ الرطيبِ وفي النّقـا المـرتجِ عِطْفـاكِ
وعند الـروضِ خـدّاكِ ... وفي ريـاهُ ريّـاكِ

وبعد ، فهذه عجالة عجلى لم استطع ان احملها اكثر مما حملت من عيون شعر الديارات وعلى طالبى المزيد من هذا الشعر ان يرجعوا الى ما الف فى الديارات فهي مؤلفات نادرة تضم الكثير من الأشعار والأخبار والحكايات . ■■

احمد السقاف

---

(١) ديرُ مران : كان من اجمل ديارات الشام .



مرآة الرأى الغربى

الوحدة الافريقية

عن صحيفة التايمز اللندنية :

● من شان الانقلاب الغاني ان يدفع الى الامام تحولا داخليا طالما تحسس وجوده المراقبون في سائر الاقطار الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال .

على ان الخطوط العريضة للسياسة الافريقية العامة باقية على حالها . بل ان مزيدا من الدول الافريقية قد تعمد الى قطع علاقاتها مع بريطانيا حنقا على ما بدا من عقم العقوبات والاجراءات التي انزلتها حكومة لندن واتخذتها بقصد الاطاحة بحكومة سميث في روديسيا . كذلك قد ترتفع الأصوات وتتعالى مطالبة باستعمال القوة العسكرية للقضاء على تلك الحكومة العنصرية . وستبقى مشاعر الغضب والنقمة بالنسبة الى حكم الأقليات البيضاء باعثا قويا مشتركا – ان لم يكن الباعث الوحيد – على لمّ الشمل والعمل في سبيل الوحدة الافريقية .

الجاهل أجدر من المتعلم بممارسة الحقوق السياسية

عن صحيفة المانشستر جارديان البريطانية :

● قد يجد المرء تفسيرا لما قام به المستر ايان سميث في روديسيا من تمرد وعصيان . الا أن ما يتعذر تفسيره أو تبريره على كل انسان انما هو في حرمان اهل روديسيا الوطنيين حق تلقى العلوم وحرمانهم بعد ذلك حق التصويت نظرا لكونهم غير متعلمين .

الحقيقة على النقيض من ذلك . فان كان التصويت والانتخاب حقا يليق بالمتعلم ان يمارسه ، فانه حق ينبغى للجاهل الأمى الا يحرم منه . بل لعل الجاهل أحق من المتعلم واجدر بمثل هذه الحقوق . اذ لا سبيل لهذا الجاهل الى شق الطريق لتعليم ابنائه واحفاده الا بممارسة حقه في انتخاب نوابه والتصويت الرامى الى خدمة مصالحه .

امريكا الجنوبية ومجاهلها

عن مجلة « النيوزويك » الامريكية :

● ما من حكومة في امريكا الجنوبية يمكن اعتبارها مستقرة ثابتة البنيان . فالمشاكل التي تعترض سبيل الحكومات هناك تكاد تكون في حكم المعضلات المستعصية الكأداء ، في الوقت الحاضر على الأقل . فالحكومات المذكورة اما يسارية ، لا تكاد تبدا في تحقيق ما تنشده من اصلاح حتى تهب لمناوئتها العناصر العسكرية . واما ان تكون تلك الحكومات دكتاتورية عسكرية لا تلبث ان تصبح هدفا لمناوأة العناصر اليسارية ومعارضتها منذ اللحظة التي تتولى فيها الحكم .

ومهما يكن من امر فان جمهوريات امريكا الجنوبية ستظل هائمة غير مستقرة في المدى البعيد ما لم تعمد الى تطبيق برنامج جماعي يهدف الى التغلغل في مجاهل القارة الكبيرة ، على نحو يكفل مع الزمن تعمير تلك المجاهل واستيطانها واستغلال مواردها . ذلك هو ما تحتاجه امريكا الجنوبية اولا وقبل كل شيء .

تزايد السكان فى انجلترا

عن النيوستيتمان :

● عدد السكان فى كل من بريطانيا وويلز تضاعف أكثر من سبع مرات فى القرنين الماضيين. والآن يتزايد عدد السكان سنويا بمقدار ٠٫٩ فى المائة ، فهو اذن سوف يتضاعف فى ثمانين عاما . وانجلترا اليوم ، مع ويلز ، هما أزحم مناطق أوروبا سكانا ، باستثناء منطقة واحدة فى أوروبا.

واليابان شديدة الزحام ، ومع هذا فانجلترا وويلز أشد من اليابان ازدحام سكان ، بمقدار ٢٣ فى المائة .

ان مسألة السكان فى بريطانيا مسألة ملحة ،وهي بيئة ، وهى لا مفر من مواجهتها .

ان بريطانيا بها فى عام ١٩٦٥ من السكان ٥٣ مليونا .

وان بريطانيا سيكون بها فى عام ٢٠٤٥ من السكان ١٠٦ ملايين .

وسيكون بها فى عام ٢٢٠٥ من السكان ٢٤٤ مليونا ؟

فماذا نحن صانعون من اليوم ؟!

« العربى » : هذه زيادة السكان فى انجلترا تبلغ ٠٫٩ فى المائة ، ونسبتها فى البلاد العربية ، وفى مصر بالذات ، قاربت ٣٪ .

أمة من المتذمرين

عن صحيفة « التايمز » اللندنية :

● لعل التذمر وتوجيه النقد الى الحكام حق من حقوق أبناء الشعب البريطانى المتوارثة ، يمارسونه بالفطرة ولا يقفون عند حد فى ممارسته . ولعل من واجب المواطن البريطانى بالمقابل أن يقف قليلا ويفكر فيما عساها أن تكون النتائج القريبة والبعيدة التى ترتبت على انتقاده لبلاده وتذمره غير المشروط من كل ما يراه فى وطنه .

فقد كانت بريطانيا هدفا للانتقادات عبر الأجيال ، أتتها من خارج البلاد من أوروبيين وغير أوروبيين على السواء ، بقدر ما جاءتها من أبنائها ومواطنيها بالذات . ولدى دراسة تلك الانتقادات الأجنبية بشيء من الروية ، يتضح لنا أن مصادرها الأصلية الحقيقية انما هي بريطانية لا أجنبية ، أى انها من صنع الانجليز أنفسهم . ابتكروها أولا ونقلها الأجانب عنهم فيما بعد . يصدق ذلك خاصة على ما انطوى على شيء من القدح والاساءة من تلك الانتقادات ، التى يندر أن نعثر من بينها على ما لم يكن من انتاج بريطاني اصلا .

فمثلا ، نسب الى نابوليون قوله باننا أمة قوامها الباعة وأصحاب الدكاكين الا أن نابوليون انكر علنا ، عام ١٨١٧ ، أن يكون قد تفوه بمثل هذا الكلام عنا . وليس من العسير أن نثبت بان قائل هذا القول انما هو المستر يسوع تكار عميد جلوستر البريطاني المعروف . فقد قال هذا الكلام عنا وبقينا نعتقده قبل انكار نابليون له بخمسين عاما .

ومما يذكر فى هذه المناسبة ما قاله اندريه سيجفريد من أن النقد الذاتي عبارة عن افتعال وتمثيل بريطاني حميم ، وما قاله مستر هارولد مكميلان من ان الانجليز هم أسياد القدح الذاتى. لقد انتشرت هذه الهواية ، هواية طعن المرء لنفسه، وباتت محببة الى النفوس بحيث عمد كثير من الكتاب الانجليز الى ممارستها منتحلين فى ذلك أسماء أجنبية مستعارة ، كما عمد الكثيرون من الكتاب الاجانب الى ممارستها أيضا تحت أسماء بريطانية مستعارة . أما آن الأوان لكي نكف عن تزويد الغير بقنابل ومتفجرات صنعت فى بريطانيا لتضرب بها بريطانيا وأهل بريطانيا .

مسلمات خالدات

السيدة نفيسة

حفيدة الحسن بن علي بن أبي طالب

بقلم : سنية قراعة

■ كان ميزان دولة بنى امية قد بدأ يميل نحو الزوال ، أو كان قد مال فعلا، اذ اسرعت شمسهم الآفلة تجمع بقايا خيوط اشعتها الباهتة لتغرب من الوجود ، لا لتفسح الطريق لمقدم ليل وظلام .. بل لتتوارى أمام ومضات اشراق دولة بني العباس ..

لقد تولى عهد ، نال أبناء هاشم فيه ما نالهم من عنت الامويين، واضطهادهم، واقبل عهد،قامت دعائم بقائه واستقراره على الدعوة الى نصرة آل بيت محمد عليه صلوات الله وسلامه ، واعادة مكانتهم العظيمة اليهم ، لتهدأ قلوب المسلمين فى شتى بقاع الارض ، وتطيب نفوسهم ويثقون فى حكامهم الجدد ويعرفون أنهم انصار حق وعدل ومساواة ...

مولد نفيسة بنت الامام الحسن الانور

وخلال تلك الفترة الدقيقة من فترات الانتقال بالسلطة الزمنية من يد الارستقراطية الوثنية التي اعلنت اسلامها ، الى يد ابناء العباس ابن عبد المطلب بن هاشم ، وفى بيت من ارفع بيوت الفضل والعلم والدين ، والحسب والنسب الشريف ، مع عهد الحرية الجديد ، ولدت نفيسة بنت الامام الحسن الانور ، ابن الامام زيد الابلج ، ابن الامام الحسن المجتبى ، ابن علي بن أبى طالب من زوجته الزهراء البتول فاطمة بنت سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ...

وقد تم هذا المولد السعيد فى مكة ، بعد مائة وخمسة واربعين عاما من هجرة الرسول عليه أطيب صلاه واتم سلام ...

ودرجت نفيسة فى مدارج العز والتقى وصادق الايمان ... ونشقت نسائم البلد الطيب المقدس .. وتشبعت بجو مكة بلد الله الحرام ، وعاشت مع الصيد البهاليل من حفدة الرسول الاكرم ، فكان من الطبيعي أن تسير على منهجهم ، وأن ترتوى من عذب موردهم ، وتتبع طريقهم في التقى والبر والصلاح ، فحفظت القرآن الكريم كتاب الله ودستور المسلمين ، وأقبلت على

نفيسة أول امرأة متصوفة فى الإسلام

زارها الشافعى والتقى بها ابن حنبل فى مصر

استوقفت موكب ابن طولون، فترجل وهو يرتجف

دفنت بمصر فى بيتها، وحفرت قبرها بنفسها

تفهم تفسيره كما أورده أئمة ذلك العصر من أعلام المجتهدين الصادقين ...

اقبلت نفيسة على أحاديث جدها رسول الله تستوعبها

ولما قطعت نفيسة هذا الشـوط الدقيق من أشواط المعرفة الدينية والخبرة الاسـلامية ، اقبلت على أحاديث جدها رسول الله ، فراحت تستوعبها بعقلية نفاذة وقلب مشرق بحب العلم والمعرفة ، والايمان العميق ..

ان كان بلال أول متصوف فى الاسلام ، فنفيسة أول متصوفة

وعلى غرار أبيها الصالح العابد الامام الحسن الأنور ، نسجت نفيسة ، واتبعت طريقه وطريق آبائه فى التعبد والخلوص والركود الى الذات ، والضراعة اليها لنيل الرضا وعظيم الرضوان ...

وان كان بلال بن رباح رضي الله عنه ، أول من شق بجهاده وصبره وكفاحه وعظيم ايمانه وحبه لله قد شق أول طريق فى التصوف الاسلامي وحب الذات القادرة فاننا نستطيع أن نقول ان السيدة الطاهرة المبرأة نفيسة بنت الحسن الأنـور ، بفضلها ، وعلمها ، وحفظها التام لكتاب اللـه ، ومعرفتها بتفسيره ، وخبرتها الدقيقة باحاديث سيدنا رسول الله ، كانت أول من شق طريـق التصـوف والخلوص وحب الذات بين النساء المسلمات ...

لقد احبت نفيسة الذات القادرة على علم وخبرة ومعرفة .. وأخلصت فى حبها لها عن خشوع وتبتل وثقة وايمان وخضوع بما أمر به الله ، وبعدت عما نهى عنه ، فزهدت الدنيا فى اعتدال وتعقل ، وجعلت من حياتها مرحلة تزود للآخرة بالعمـل الطيب المثمر ، فلم تقعد ، ولم تهن ، ولم تتواكل، بل أخذت من دينها لدنياها ، وحصنت حياتها بسياج الدين لتحمي روحها المبرأة من بهرج الوجود ، وقد أغنتها القناعة والزهد ، وسيطر عليها حب الآخرة فعملت للدنيا كأنما تعيش أبدا وللآخرة وكأنها سوف تموت لوقتها ، فكانت نعم العابدة العاملة ، والزاهدة التي لم تنس الاخذ بحظها المقسوم فى حياة احل الله طيباتها للناس أجمعين ...

خطبتها لابن عمها اسحق بن الامام جعفر الصادق

ولما بلغت نفيسة مبلغ الشابات ... واكتملت الاكتمال الكامل .. وكانت سيرتها العطرة مثار الأحاديث وموضع الاعزاز والفخر ، تقدم لخطبتها ابن عمها اسحق المؤتمن،ابن الامام جعفر الصادق ، ابن الامام محمد الباقر ، ابن الامام السجاد علي

زين العابدين ابن الامام الشهيد الحسين ، ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه . فرضيته زوجا ، وقبله ابوها صهرا ، وزُفّت اليه ...

وعاشت نفيسه في مكة ، ثم في مدينة رسول الله ، وكانت دارها موئل العلماء واهل الفضل ممن راعهم اسم « نفيسة العِلْم والمعرفة » لأنها اطلق عليها اسم « نفيسة العِلْم والمعرفة » لأنها كانت راوية صدق ، ومحدثة علم غزير ...

السيدة نفيسة في مصر

وحضرت السيدة نفيسة الى مصر .. واستقرت في القاهـرة ...

وهنا نقف لحظة .. نتابع خلالها احاديث الرواة لسيرة تلك العابدة التقية ذات الصلاح .

فمن قائل قال انها حضرت الى مصر مع أبيها الأمام الحسن الأنور الذي عينه امير المؤمنين ابو جعفر المنصور واليا عليها ، فاقام بالولاية خمس سنوات غضب عليه المنصور بعدها فعزله ، وصادر امواله وممتلكاته لوشايات قيلت عنه ، واستقدمه الى بغداد ، حيث امر بسجنه هنـاك ، فبقى في محبسه حتى مات ابو جعفر المنصور ، وجاء من بعده ولده المهدى ، فأطلق سراح الحسن الأنور ، ورد عليه أمواله وكل ما أخذه المنصور منه ...

عزل الحسن الأنور عن ولاية مصر ، وذهابه عنها يعني ولا شك رحيل ابنته نفيسة معه ، ولكن .. وهنا نقف امام اقـوال الرواة ، اذ يقولون ان السيدة نفيسة عادت الى مصر ثانية ...

ولما كان الواقع يؤكد ، أن العابدة التقية نفيسة بنت الحسن ، قدمت الى مصر واستقرت فيهـا وعاشت حتى اختارها الله الى جواره ، فانّ هذا يجعلنا نبتعد في تشكك من الأقوال التي ذهبت الى انها حضرت الى مصر مع أبيها ، ونسارع الى ما قيل من أنها جاءت الى مصر مع زوجها اسحاق ابن جعفر الصادق ، وانه طاب لها المقام في القاهرة فبقيت فيها ما شاء لها الله أن تبقى ...

وحيث أن استقرار السيدة نفيسة في القاهرة امر مسلم به تاريخيا ، فاننا نترك الرواة واقوالهم، ونكتفى بحقيقة هذه الاقامة ، دون أن نهتـم بالشخـوص الذين صـحبتهم العابـدة البارة ، ونسارع لنقص من حديثها ما انقطع ...

دارها المتواضعة في مصر ، في الحيّ الذي فيه مشهدها

لقد عاشت تلـك العابدة الزاهـدة في دار متواضعة ، في الحي الذي يوجد به مشهدها حتى اليوم ... بل في مكان هذا المشـهد بالذات ، وكانت حياتها حياة النسـك والتعبد والخلوص الروحي ..

كانت نفيسة العلم متصـوفة زاهدة ، جعلها علمها وتعرفها لدقائق كتاب الله ، وحفظها لآياته تذكر النعيم الدائم والعذاب المقيم دائما ابدا ، ... ولما كانت تعرف أن حياة الانسان في دنياه انما هي ابتلاء لايمانه ومدى تمسـكه باهداب دينه ، وأن الحياة الدنيا دار عمل صالح يجنيه العاملون في الآخرة ، فقد شغلتها الآخرة عـن الاولى ، وامتلأ قلبها الخاشع بذكر الله وحبه ومخافته ...

لقد احبت نفيسة .. احبت الآخرة وسعت اليها ، لتكون في ظلال الرحمن سعيدة وتقر عينها برضاء اللـه ...

وكانت كثيرة التذكر للآخرة ، ومن أجل هـذا كانت كثيرة الندم والاستغفار كثيرة البكاء تقوم الليل عابدة متهجدة ، وتصوم النهار لتعصـم روحها مـن المحارم ، ومن الاقبـال على لذاذات الحياة الدنيا ولو كانت من شراب وطعام ...

ولقد عرف عن السيدة نفيسـة أنها كانت تواصل الصوم ، وكانت لا تاكل الا وجبة واحدة كل ثلاثة ايام من يد زوجها فقط .

وأدت السيدة نفيسة شعائر الحج ثلاثين مرة ، وكانت كلما جاءت الى باحة المسجد الحـرام ، وراحت تطوف بالبيت العتيق ملبية طائعة ، تزايد بكاؤها ، وعلا نشيجها وهي في الرحاب المقدسة ، واقبلت على أستار الكعبة تتعلق بها وهي تردد في ضراعة وتبتل واخلاص :

« الهى وسيدى ومولاى متعنى وضاعف فرحتي برضاك عنيّ ... »

كانت السيدة نفيسة اذا نسـيج وحدها في

الزهد ... وواحدة زمانها في التصوف ، واول مسلمة شقت طريق الزهد الحق وحب الذات الالهية، طمعا في الرضا والرضوان عاملة بقول الحق سبحانه .. وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ، والمؤمنون ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ..

لقد عملت للآخرة .. وللآخرة فقط .. لا لتكون لها جنات الخلد والرضوان ، بل طمعا في رضاء الله وعظيم مغفرته ، وحسن مثوبته للمتقين الذين وعدهم الجنات والعيون وبشرهم بجنات تجرى من تحتها الانهار ، وجعل لهم فيها مقاعد صدق في حضرته اللدنية ..

وهكذا عرفت السيدة نفيسة الطريق ... عرفته باخلاصها وزهدها ، وصادق ايمانها ،وعميق تعبدها ... وسارت فيه طوال سنى حياتها دون تعثر او ارهاق أو تفكير في الراحة مجرد الراحة حتى أن زينب بنت يحيى بن زيد قالت في ذلك :

« قمت بخدمة عمتى نفيسة اربعين سنة فما رأيتها نامت الليل ولا افطرت النهار ولقد قلت لها ذات مرة ، أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف ارفق بنفسى وأمامى عقبات لا يقطعها حتى الفائزون .. » !.

نسجت نفيسة على نسج جدها على ابى طالب

ونفيسة العلم في خوفها هذا من الآخرة ، انما تسير على نهج جدها الاكبر امير المؤمنين الامام علي ابن ابى طالب حيث كان من عادته أن يتهجد عابدا طوال الليل وكان شديد البكاء ، طويل الاستغراق في التامل يناجي نفسه ودنياه قائلا :

« يا دنيا غرى غيرى ... الىّ تعرضت أم الىّ تشوفت .. لقد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير : وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ودهشة الطريق .. » .

واذا كان الامام الأعظم وأول من أسلم من الفتيان ، ونطق شهادة الا اله الا الله ، يرجف من الآخرة على هذا النحو ، ويعتبر ان زاده الذى تزود به في دنياه من كفاح وجهاد ونضال وحروب في سبيل الله ونصرة رسوله ، زاد قد لا يكفيه في سفر بعيد ...

اذا كان علي بن ابي طالب الفائز المبشر بجنات الخلد والرضوان يشفق من هول الرحلة الى الآخرة ، فكيف بحفيدته العابدة المؤمنة نفيسة !!

الشافعي يتردد على نفيسة في مصر زائرا

كانت نفيسة آية في الاخلاص وشدة التعلق بالآخرة ... وكانت آية في العلم والمعرفة .. وآية في الجود والندى .. فلا عجب ان قدرها اهل مصر جميعا ، وعرف لها الولاة عظيم مقدارها، وقصد العلماء بابها يتلمسون نداها من العلم والمعرفة وفيوضات الحق سبحانه على عباده الذين اجتباهم وخصهم بالرضوان واضاء بصائرهم بنوره ، ففاضوا على الناس من سنى ذلك النور الشيء الكثير ...

ولما كانت دار السيدة نفيسة دار تعبد وخلوص وقيام بالليل وصوم بالنهار ، كذلك كانت كعبة للقصاد ، وكان من أهم الشخصيات الاسلامية التى اكثرت التردد عليها في تلك الدار الامام الاكبر محمد بن ادريس الشافعى المطلبى ، الذى كان يتخلف الى نفيسة كثيرا وكانت تستقبله وتفيض عليه من برها وكرمها ، وتناقشه كثيرا في الفقه واصول العبادة واحاديث سيدنا رسول الله.

وطالما امتدت الاحاديث بين الامام والعابدة التقية ، فكان اذا حان وقت الصلاة ، قاما سويا لادائها..وصلى بها الشافعى اماما مرات ومرات.

وظل الشافعى على عهده من كثرة التردد على دار السيدة نفيسة ،وهو في طريقه الى جامع عمرو ابن العاص حيث اعتاد أن يلتقى بمريديه وطلاب علمه، ثم وهو في طريق عودته من الجامع الى داره ،

ولم ينقطع عن تلك الزيارات الا يوم اختاره الله الى جواره .. ورغم هذا ابى الا ان يزور نفيسة في دارها ، وان تلقى نفيسة على نعشه نظرة وداع وأن تصلى عليه وتحزن من اجله ، وتقول فيه « رحم الله الشافعى فقد كان رجلا يحسن الوضوء » ...

نفيسة تلقى احمد بن حنبل في مصر

وكانت صلة السيدة نفيسة بقاصدى فضلها

وعلمها صلة ود لا ينقطع واخاء معدوم النظير وانسانية سامية، حتى انه روى عنها عليها رضوان الله ، ان بشر بن الحارث كان ممن يداومون زيارتها ويجلسون فى مجلس علمها ، فتغيب أكثر من مرة فلما سألت عنه عرفت أن المرض قد أقعده فذهبت بنفسها اليه لتعوده فى داره ، وهناك لقيت الامام احمد بن حنبل فسأل صاحب الدار عمن تكون تلك السيدة التى تعوده ، فقالوا لابن حنبل انها السيدة نفيسة بنت الحسن الانور « فقال ابن حنبل لبشر : سلها لنا صالح الدعوات ... » .

وكانت نفيسة العلم عند حسن ظن ابن حنبل بها ، فلم تخيب رجاءه ودعت له قائلة :

« اللهم ان بشر بن الحارث واحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فاجرهما يا أرحم الراحمين » ..

تلك كانت نفيسة .. وهذه كانت لمحة من أبرز صفاتها .. وفاء نادر ... وعطف .. واشفاق .. واحساس صادق بما يحسه الناس واستجابة سريعة لكل ما يسألون ...

نفيسة توقف موكب أحمد بن طولون فى الطريق

ولقد روى فيما روى من اخبار تلك العابدة المؤمنة ، أنها شهدت حكم احمد بن طولون فى مصر .. وبلغها عسفه وجوره بالرعية ، وانزاله الظلم بهم فى بعض الاحيان ، فعز عليها ذلك وأضمرت فى نفسها أمرا واذا بأهل مصر يأتونها متوسلين للتشفع لهم عند ابن طولون كي يرفع عنهم مظالمه ، فسألتهم عن مواعيد خروج الرجل فذكروها لها ...

وذات يوم واحمد بن طولون فى موكبه العظيم استوقفته السيدة نفيسة وقدمت اليه ظلامة كتبتها بيدها ونادته باسمه فاستجاب لها فى سرعة وترجل عن جواده وأسرع اليها موقرا معظما فأخذ الظلامة وهو يرتجف وأسرع يقرؤها فاذا هي تقول:

« ملكتم فأسرتم فكان منكم الجور والعسف وقطع الارزاق ، وقد علمتم سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لا سيما الصادر منها من قلوب أوجعتموها ، وأكباد اذقتموها قسوة الجوع ، وأجساد حكمتم عليها بالعرى بعد الكساء ، ومحال ان يموت المظلوم ، وأن يبقى الظالم ، فاعملوا ما شئتم فنحن صابرون ،وجوروا ما حلا لكم الجور فانا بالله مستجيرون ، واظلموا ما طاب لكم الظلم فنحن الى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .. » !!

وارتجف ابن طولون ، وتولاه الخوف وملات الرهبة قلبه ، واقبل على نفيسة العلم يترضاها ويعدها الخير للرعية ، وكان أن بر بوعده لها ولم يظلم بعد ذلك أحدا من رعاياه وسار فى الناس سيرة العدل والاحسان وبذل العطاء والجود ونجدة المحتاج ...

وعلى هذه الصورة من صور السعي وراء الخير ومنفعة الناس عاشت السيدة نفيسة حياتها فى مصر .. عبادة مستمرة .. زهد متواصل .. اتصال دائم بأوساط الناس وتعرف حاجاتهم والتوسط لهم فيها لدى ولاة الأمر والتشفع لمن يطلبون الشفاعة .. ثم عمل دائم فى وجوه الخير والفلاح ، وبر مستديم بمن هم فى حاجة الى الرعاية والبر ...

نفيسة يأتيها المرض

وطال بقاء السيدة نفيسة فى مصر .. ومرت بها السنون التى يحددها بعض الرواة بسبع سنوات فقط .. ثم اخذ الوهن يدب فى جسدها، واصابها المرض ، وكان زوجها اسحق المؤتمن بعيدا عن الديار فارسلت اليه كتابا تخبره بما وصل اليه حالها وتصف علتها دون أن تشكو اليه أو أن تتبرم بالمرض .

لقد اعتبرت نفيسة مرضها ، معبرها الى الآخرة التى كانت تسعى اليها وترجوها ، حيث اللقاء الاحب ، والحياة الاكثر خلودا فى ظلال النعيم والى جوار الله ..

نفيسة تحفر قبرها بنفسها

وتخيرت نفيسة بنفسها قبرها ... فى صحن

دارها الصغيرة ، وفي حجرتها حيث عاشت حياتها التقية الطاهرة .. ولقد حفرت بنفسها هـــذا القبر ونزلت اليه وصلت فيه كثيرا ، حتى لقد روى انها قرأت فيه المصحف الشريف باكمله مرات عديدة ، وظلت تهبط الى ذلك القبر وكأنما أحبت أرضه وطاب لها المقام فيه والصلاة على ثراه رغم وهنها وما أصابها من وطأة الهزال والضعف ...

واقبل الموت في موكبه النوراني .. وأحست السيدة العابدة نفيسة بنهاية الاجل ، وكانت صائمة كعادتها ، وراح من حولها يرجونها متوسلين أن تفطر ، فلم تستمع اليهم وأصرت على الاستمرار في الصوم لله جل وعلا ، وارتفع صوتها الواهن تقول انها انما سألت الله أن تلقاه وهي صائمة ، وانها لن تفطر أبدا برغم أنها كانت تموت ...

لم يكن بالطاهرة نفيسة حاجة الى طعام أو زاد ، اذ تزودت للآخرة بالعمل الصالح والفعل الحسن والصلاة وعمل المعروف والصوم المستمر عن كل المحارم ...

ولما أحست نفيسة بنهايتها ودنو أجلها واشتمت روائح الجنة وعَبَق الخُلْد ، وانتابتها جلوة رأت فيها الحور والولدان أسرعت ترطب فمها بذكر الله وقراءة قرآنه العظيم ، وحلا لها أن تقرأ سورة الانعام ، وراحت في ضراعة وتبتل تقرأ آياتها ، والوقت يمر وهي تقرأ ، حتى وصلت الى قوله جل وتعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وَلِيّهم بما كانوا يعملون .. » فقبضها الله الى جواره وكف اللسان عن الترديد والقراءة واستمرت الروح في معراجها نحو الله تتم بقية الآيات البينات لتفسح أمامها الطريق ، وتنير مسالكه وهي في طريقها الى الخلد والجنات ...

ووصل زوجها اسحق المؤتمن من سفره ولكن الموت كان قد سبقه الى أحب الناس اليه فبكاها بما لم تبكه عين وطلب اليه سبحانه لها الرحمة والرضوان .

كانت وفاتها عن ٦٣ عاما

وتوفيت نفيسة سنة ٢٠٨ هجرية عن ثلاث وستين عاما قضتها في طلب العلم والتعمق في معرفة أسرار العبادة ، فوصلت الى المعرفة وهداها الحق سبحانه وتعالى الى تعرف الكثير من أسرار هذا الوجود ، وهداها الى ذاته فاتجهت سبحانه وتعالى وأسلمت أمرها اليه واخلصت في عبادتها له خلوصا كان النبراسَ الذى سار عليه العابدون والزاهدون والعابدات والزاهدات بعدها بعصور وعصور ..

كانت السيدة نفيسة نبراس هدى، ومشعل نور أضاء الطريق للسالكين الحيارى ، وكانت مثلا احتذاه أهل الايمان في الحب الالهى وتعشق الذات ، وكانت الرائدة الاولى في ميداني العلم والزهد ، فلم تصل الى مرتبتها عالمة مسلمة ولا زاهدة أو عابدة في هذا الوجود ...

ودفنت نفيسة في القبر الذى حفرته

ودفنت السيد نفيسة بنت الحسن في لحدها الذى حفرته وتخيرته ونزلته أكثر من مرة .. وبكتها العيون ، وحزن لموتها الناس أجمعون ، وكان يوم وفاتها من الايام المشهودة في ذلك العصر البعيد ...

والقول بعد هذا بأن زوجها اسحق أراد أن يحمل جثتها من مصر لتدفن في مكة قول مشكوك فيه ، لان نفيسة حفرت قبرها بيدها وتخيرته بنفسها ، كما أنه لم يكن من السهل الهين أن تنقل جثة من القاهرة الى المدينة ، دون أن يلحق بها العطب ...

وكرم حاكم مصر مثواها كما كرم الشافعي من قبلها

وكما كرم حاكم مصر السرىّ بن الحكم الشافعيّ في موته من قبل ، كذلك اسرع يكرم السيدة نفيسة ، فانشأ لها المشهد النفيسى المعروف بالقاهرة ...

ومرت السنون ولحقت يد البلى المشهد النفيسى ، وتقادم بناؤه ، وتداعت جدرانه ، حتى رأى الوزير المحارب البطل بدر الجمالى ، أن يجدد المشهد ، ويقيم مكانه مسجدا فخما يليق بمكانة السيدة نفيسة العلم ، أولى الزاهدات وأخلص عابدات الله حبا لله ... ■■

سنية قراعة

العباقرة

■ من امتع الدراسات فى علم النفس الحديث دراسات النبوغ والعبقرية ، ومن امتع الطرق التى تتبع فى هذه الدراسات طريقة الاتصال بالنابغين أو العباقرة اتصالا مباشرا ، واستقصاء العوامل المختلفة من حياتهم وأساليب تفكيرهم وسمات شخصياتهم . اما عن النتائج فقيمتها كبيرة سواء أكان تقويمنا اياها بميزان المعرفة البحتة ، أم كان بميزان التطبيق والفائدة العلمية .

فرتهايمر ، العالم النفسانى الالمانى ، يتخذ لدراسته عقل اينشتاين

أسوق هذه المقدمة لامهد بها لذكر دراسة من هذا القبيل ، قام بها رجل من ائمة علم النفس الحديث ، هو العالم الالمانى ماكس فرتهايمر ، على امام من ائمة الدراسات الطبيعية والرياضية الحديثة ، هو البرت اينشتاين . كان كل منهما يكن احتراما عميقا للآخر ، ومن ثم فقد ادرك فرتهايمر انه اذا تمكن من البحث فى بعض جوانب هذا العقل الممتاز ، ففى ذلك مغنم كبير لبحوث التفكير المبدع ، وبالتالى فالمحاولة جديرة بأن تتحمل فى سبيلها ما تنطوى عليه من مشقة . وادرك اينشتاين انه بتطوعه كموضوع للدراسة يتناوله عالم جاد من علماء السلوك انما يواصل السير فى طريقه الذى اختطه لنفسه . كان هو الفاعل لفعل المعرفة فاصبح اداة من ادوات هذا الفعل . وكان يمارس فعل الاكتشاف فاصبح مادة له . المهم أن الطريق فى جوهره واحد ، وهو طريق التقدم برسالة العلم بمعناها الشامل العميق .

بحوث بدأت عام ١٩١٦ ، وتمت عام ١٩٤٣

وهكذا بدأت الدراسة سنة ١٩١٦ ، واستمرت بعد ذلك لسنوات عديدة . وفى سنة ١٩٤٣ اتم فرتهايمر اعداد التقرير عن هذه الدراسة للنشر. وجاء التقرير زاخرا بحقائق تثير الاعجاب بالفاحص والمفحوص على السواء : كيف تبدأ الكشوف العلمية ثم تنمو . كيف يبدأ النبوغ ثم يرتقى . كيف تختلط الامور ويضطرب المشهد كله امام العقل اثناء بحثه عن حل جديد ، وكيف يقف العقل امام هذا الاختلاط والاضطراب ، هل ينفر منه بسرعة ويصطنع اى حل يخدع به نفسه ليتحقق

- فرتهايمر، العالم النفساني، يتخذ من عقل أينشتاين، موضوعاً للدراسة.
- المثابرة قد تعوض شيئاً كثيراً مما نسميه بالذكاء اللماح.
- المثابرة شئ يدرسه العلماء في المختبرات.
- المثابرة في العمل البدني ليست دليلاً قاطعاً على المثابرة في العمل العقلي.

بقلم : الدكتور مصطفى سويف

كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

له بذلك قدر من الاستقرار قوامه الود والبلادة، أم يتحمل ما يثيره هذا الاضطراب من قلق يشبه الدوار يقض مستقره لكنه في الوقت نفسه يعبىء طاقته في سبيل الوصول الى حل اصيل يعيد بناء المشهد بصورة افضل . ثم هل يأتى مفتاح الحل نتيجة لمغامرة فكرية لا فرق بينها وبين مغامرة المقامر قد تصيب وقد تخيب ؟ ثم ماذا يحدث عندما ينتظم جزء من المشهد نتيجة لهذا الحل ولا ينتظم الجزء الباقى..وهكذا يمضى التقرير،سلسلة من الاسئلة تترتب عليها سلسلة من الاجابات تتقدم ببصيرتنا فى مزيد من الكشف عن جنبات من العقل لم نكن نحلم بوجودها .

هذا المقال يعرض فقط لسمة المثابرة من عقل اينشتاين

على أننا لن نعرض فى هذا المقال لهذه الكشوف ومسالكها . فلسنا هنا فى مقام الحديث عن عملية الابداع العلمى بكل مقوماتها ، انما نحن بصدد الحديث عن سمة معينة من سمات الشخصية ، هى سمة المثابرة ، وعلى هذه السمة سوف نركز هذا المقال باكمله . والذى يسترعى الانتباه حقا انها تقوم كعنصر اساسى فى بناء القصة التى ترتسم فى اذهاننا عن عبقرية العالم العظيم .

المشكلة العلمية ظلت تشغل ذهن اينشتاين شغلاً عنيفاً سبع سنوات

يقول فرتهايمر فى احد مواضع هـذا التقرير :

« بدات (يعنى المشكلة العلمية) فى ذهن أينشتاين عندما كان عمره ستة عشر عاما وكان عندئذ تلميذا فى المدرسة الثانوية .. وظل مشغولا بها بصورة عنيفة لمدة سبع سنوات » .

وفى موضع آخر من التقرير يقول أينشتاين نفسه : « طوال هذه السنوات جميعا كنت أشعر بما يمكن أن تسميه شعورا بالاتجاه ، شعورا بالمضى قدُماً صوبَ شىء معين . بطبيعة الحال من العسير علىَّ أن اعبر عن هذا الشعور تعبيرا لفظيا ، ولكن هذه كانت حالتى فعلا ، ولا بد من التمييز بوضوح بين هذه الحالة وبين الاعتبارات التى تلت ذلك ، خاصة بالصورة العقلية للحل».

هذا هو عنصر المثابرة كما تعرفه قواميس اللغة، المثابرة على الأمر والمواظبة عليه ، اى المداومة . وهو ما فعله أينشتاين ، واظب وثابر على التفكير فى اتجاه محدد ، وهو كذلك ما فعله غيره من ائمة الفكر والعمل فى تاريخ الانسانية . واذا نحن فتشنا فى بطون بعض الكتب ، كتب الرسائل والسير الخاصة ، سير النابهين فى العلوم أو الفنون أو الاصلاح الاجتماعى ، سواء ما كتب عنهم او ما كتبوه بانفسهم ، اقول اذا نحن بحثنا ونقبنا فى هذا النوع من المؤلفات فسنجد ما لا اول ولا آخر له من الشواهد على اهمية الدور الذى تقوم به سمة المثابرة فى حياة هؤلاء النابهين .

المثابرة كما ندرسها فى المختبرات

ولكن نقترب قليلا من جو الدراسة العلميــة

للمثابرة يحسن بنا أن نعرض لنماذج من المواقف التجريبية التى يستعين بها الباحثون ، يستثيرون بها هذه السمة فى ظل ظروف تمكنهم من دراستها دراسة موضوعية مدققة . فاذا فرغنا من ذلك تقدمنا نحو النظر فى جملة المعارف التى جنيناها نتيجة لهذه الدراسة ، وما يمكن أن تعود به علينا من منفعة علمية فى حياتنا اليومية .

الصورة العامة لموقف الدراسة كما يصطنعه العلماء المجربون تكون على النحو الآتى : يلجأ هؤلاء العلماء الى تكليف عدد من الاشخاص (الذين يتطوعون لاجراء التجارب عليهم) باعمال معينة تكتنفها بعض المشقة بصورة او باخرى . وبقدر استمرار الاشخاص فى اداء هذه الاعمال ، والسير بها نحو الهدف المرسوم لهم فى صعاب الطريق ، تكون درجة كل منهم من سمة المثابرة . هذا هو التخطيط الاساسى للصورة ، وما زاد على ذلك فهو على سبيل الصقل والتهذيب ، ما زاد على ذلك فهو صناعة العلم . احتياطات منهجية يتعلمها كل طالب علم حتى لا يتورط فى مزيد من الثقة فيما يخرج به من آراء وأحكام ، أو فى اندفاع نحو قدر من التعميم يتجاوز ما تبيحه حدود التجربة.

وربما كان من أهم الاحتياطات التى يتخذها الباحثون فى موضوع المثابرة محاولتهم ان يجرّوا بحوثهم على أنواع منوعة من الأعمال يختلف نصيب كل منها من عناصر الفكر والحركة ، فهذه مسائل رياضية والغاز اقرب الى أن تتطلب نشاطا فكريا خالصا ، وتلك مشكلات يستوى فيها ما تقتضيه من اقدار من الفكر والحركة ، ولا بد للشخص من أن يتردد بينهما جيئة وذهابا فى كل خطوة يخطوها نحو الحل المناسب .

ونوع ثالث من الاعمال يتضاءل فيه الجانب الفكرى بصورة واضحة حتى ليكاد يتلاشى الى جانب الجهد البدنى المطلوب (من هذا القبيل الضغط باليد بقوة معينة على ديناموتر اطول مدة ممكنة). كذلك تنوع الاعمال من زاوية القدرات العقلية التى يتطلبها كل عمل منها . وتنوع من حيث ما تقتضيه من حركات تستلزم نشاط بعض أعضاء الجسم دون البعض الآخر. وتنوع من حيث ما يكتنف أداءها من تشويق أو ملال .. الى آخر هذه الاعتبارات جميعا .

نقاط تتعلق بهذه الضروب من النشاط

هنا يحسن بالقارىء أن يتوقف قليلا ليدقق النظر فى بعض نقاط تتعلق بهذه الضروب من النشاط ووزنها كأساس نقيم عليه معرفتنا :

النقطة الاولى : التنويع

النقطة الاولى : تتناول هذا التنويع ، لماذا يحرص الباحثون عليه ؟ ليست المسألة مجرد احتياط ضد التسرع فى التعميم . ليست المسألة مجرد استقراء لعدد كبير من المشاهدات المنوعة كما هو الحال فى فروع العلم المختلفة . هناك شىء آخر يختص به البحث فى بناء الشخصية . علمتنا خبرة البحث فى ميداننا هذا ان بعض خصال الشخصية رهن بنوع العمل الذى يؤديه الشخص ، أو بالأحرى بنوع الموقف الذى يواجهه ، فى حين أن البعض الآخر عام يفصح عن نفسه فى معظم مواقف الحياة . علمتنا خبرة البحث فى هذا الميدان ان بعض ما نسميه سمات الشخصية ليس كذلك فى واقع الأمر ، انما هو فى الواقع سمات المركب المؤلف من « هذه الشخصية فى هذا الموقف » . لعل بعض القراء يذكرون حديثنا السابق عن سمة التصلب ، فهى من هذا النوع الى حد ما . الشخصية التى تبدى درجة عالية من التصلب عندما تواجه عددا من الاعمال الحركية ، قد لا تبدى مثل هذه الدرجة ولا ما يقرب منها عندما تواجه الاعمال العقلية . لذلك لا نستطيع أن نتحدث عن « تصلب الشخصية » هكذا على وجه الاطلاق ، بل لا بد من أن نقرن ذكر التصلب بتحديد طبيعة الموقف الذى يواجه الشخص .

من هذا الدرس ومن دروس اخرى مشابهة له تعلم الباحث الحديث أن يسأل نفسه السؤال الآتى كلما قصد الى سمة يريد دراستها : اهذه سمة عامة ام سمة خاصة ضيقة الحدود ؟ اهى سمة ترجع الى بناء الشخصية ومكتسباتها القديمة ؟ جزء من عدتها التى تواجه بها مواقف الحياة المختلفة ، أم هى أقرب الى رد الفعل الذى يتشكل معظمه بناء على طبيعة العمل أو الموقف الذى يثيره ؟

لذا قصد دارسو المثابرة الى تنويع الاعمال على

نحو ما أوضحنا . اظن ان الحديث بهذا القدر عن النقطة الاولى واضح بما فيه الكفاية ، ولا حاجة به الى مزيد من الالحاح .

النقطة الثانية : الانتقال من المختبر الى الحياة

ننتقل الى النقطة الثانية ، ومؤداها باى حق أو على اساس منطقى ننتقل من المختبر الى الحياة ؟ هل يمكن القول بان هذه الاعمال التي يصطنعها الدارس في معمله شبيهة بالاعمال التي تواجه الناس في حياتهم الواقعية ؟ وهل الناس يواجهون هذه الاعمال في المعمل كما يواجهونها في الحياة بكل تعقيداتها ؟ اذا كان الامر كذلك فقد اقتنع العقل واستراح الضمير، اما اذا لم يكن فكيف يسوغ الباحث لنفسه ان يخرج من معمله بما يسميه معرفة موضوعية بقوانين السلوك والخبرة البشرية مدعيا انها تصدق خارج المعمل كما صدقت بداخله ؟

هذه هي النقطة الثانية في صيغة اسئلة تراود بعض الاذهان احيانا ، وهى اسئلة لاتخص دراسات المثابرة وحدها ، لكنها تمتد لتنفذ الى صميم منطق الدراسات العلمية التجريبية للسلوك من جميع جوانبه . ولا جدال في انها نقطة جديرة بان يفرد لها مقال باكمله حتى نستطيع ان ننقل الى القارىء مجموعة الاعتبارات الاساسية التي يستند اليها علماء النفس في علمهم هذا . ولكن الى ان يقدر لهذا المقال أن يكتب يمكن توضيح الامور على النحو الموجز الاتى : ان الدارسين لموضوع كموضوع المثابرة (أو لاى موضوع آخر في علم النفس) انما يستندون في أسلوب عملهم الى عدد من الدعائم الاساسية ، يهمنا منها في هذا السياق دعامتان : الاولى فكرة العينة النقية ، والثانية فكرة التنبؤ .

كيف يكون ذلك ؟ نبدأ بفكرة العينة النقية . ان الاعمال التي ينتخبها الباحثون ليواجهوا بها الاشخاص في المعامل انما يراعون فيها أن تكون عينات نقية (أو على درجة لا بأس بها من النقاء) لجوانب الاعمال التي يقوم بها الناس في مواقف الحياة خارج المعمل . والهدف المباشر من ذلك هو تيسير الدراسة وتيسير الاستنتاج . وثمة طرق معروفة لتحليل معظم اعمالنا ومعرفة مقوماتها الرئيسية ثم انتخاب ما نريده من بين هذه المقومات وتقديم هذا الجزء الذى انتخبناه (وحده دون غيره) داخل المعمل ، غير ان المقام لا يسمح هنا بشرح هذه الطرق .

المهم ان كوننا هنا بصدد عينات نقية او شبه نقية يستتبع بالضرورة أن تكون اقل تعقدا من أعمالنا في صورتها الطبيعية ، ويستتبع غالبا ان تكون أصغر حجما من الاعمال كما نمارسها في حياتنا العادية . ومعنى ذلك ان السلوك البشرى الذى نتخذه موضوعا للدراسة العلمية داخل المعمل ليس صورة طبق الاصل مما هو عليه خارج المعمل . هذا صحيح ولا مراء فيه . لكن هذا الفرق لايبرر القفز الى استنتاج ان المعرفة التي نحصلها نتيجة لهذا النوع من الدراسة لا تقربنا اطلاقا من المعرفة بقوانين النشاط الانساني كما يحدث في واقع الحياة . والا وجب علينا تمشيا مع هذا المنطق نفسه ان نرفض جميع نتائج العلوم الطبيعية على اساس انها اولا وقبل كل شيء نتائج مستخلصة من التجريب على عينات (نقية نسبيا ، وصغيرة الحجم) من المادة ومظاهر الطاقة المختلفة .

ولكن لم لا نرفض هذا ولا ذاك ؟ لسبب رئيسي نعتمد عليه ونعمل به جميعنا ولكن مع اختلاف في درجات الوضوح التى تكتنفه في اذهاننا . خلاصة هذا السبب أننا نعتبر المحك الحقيقى لقيمة الجهود التى يبذلها العلماء في سبيل الوصول الى المعرفة الدقيقة الصادقة هو أن تصح تنبؤاتهم .

ليس المحك اذا هو أن يكون ما يدور داخل المعمل صورة فوتوغرافية لما يحدث خارج المعمل بل على الضد من ذلك ان سر عظمة المنهج العلمي وجوهر عبقريته هو في اكتشاف هذا الطريق : نركز جهودنا على جزء أو عينة محددة من اى جانب من جوانب الواقع المحيط بنا فنكتشف خصائصها، ثم عينة لجانب آخر فنكتشف خصائصها كذلك ، ومن حين لآخر نخرج ببعض التنبؤات التى تتخذ صورة تطبيقات عملية نتوقع لها ان تؤدى الى نتائج ملموسة ، فاذا صدق تنبؤنا واتت التطبيقات بهذه النتائج كان في ذلك ما يطمئننا على جدوى جهودنا السابقة ، وعندئذ نعود الى معاملنا نواصل

الجهود حيث توقفت ، ثم نعود بعد مرحلة معينة من الجهود الجديدة فنتنبأ ونطبق وهكذا . وكثيرا ما يكشف هذا التنبؤ والتطبيق عن عيوب في افكارنا وفي تجاربنا كما مارسناها داخل المعمل ، فندخل عليها من التصحيح ما يجعلها اقدر على حمل عقولنا نحو مزيد من المعرفة الصادقة بالواقع . هذا هو الطريق الذي يتبعه العلماء في اي فرع من فروع البحث ، وهو الطريق الذي نتبعه في دراسة مظهر من مظاهر الحياة النفسية ، وهو الذي يخول لنا ان نعتبر دراسة الاعمال المبسطة المصغرة داخل المعمل مؤدية بنا في نهاية المطاف الى مزيد من المعرفة بالاعمال المعقدة كما يمارسها الناس في حياتهم الواقعية وبالقوانين التي تنظمها .

النقطة الثالثة : شروط تطلب في مواضيع بحث المثابرة

واخيرا تأتي النقطة الثالثة ، وخلاصتها ان عينات الاعمال التي يصطنعها الباحثون لدراسة موضوع المثابرة لا بد من توافر شرط معين فيها وهو الا تكون لها نهاية طبيعية تفرض نفسها بسرعة على الشخص الذي يؤديها . فاذا كانت هذه الاعمال مثلا مسائل رياضية او مشكلات ميكانيكية او الغازا تطلب الى الشخص ايجاد حل لها ، فنحن نراعي في اختيارها ان تكون اصعب بكثير من ان يستطيع الشخص بمستواه العقلي الراهن حلها ، بل وكثيرا ما يراعى في المسألة ان تكون غير قابلة للحل (على الا يعرف الشخص ذلك مقدما) ، وبذلك تتاح الفرصة لظهور قدرة الشخص على الاستمرار في المحاولة وننتظر لنرى الى اي مدى سوف يستمر . وقد نختار افعالا لانهاية لها بطبيعتها ، كان نطلب الى الشخص القيام بحركة معينة او اتخاذ وضع جسمي معين اطول مدة ممكنة .

مثل هذه الاعمال من شأنها ان تكشف عن قدرة الشخص على الاستمرار في عمل معين ، رغم كثير من المشاق العقلية والبدنية . ورغم ما قد يثيره العمل بطبيعته من ضيق وملل .

النتائج التي توصل اليها العلماء

هذه هي المثابرة ، وهذا هو اسلوب دراستها كما يمارسه علماء النفس في معاملهم . فماذا عن النتائج التي توصلوا اليها ؟

معلوماتنا الراهنة :

لكل علم حاضر يختلف قليلا او كثيرا عن ماضيه وعن مستقبله . وخير صورة ترتسم للمعرفة في الذهن باي قدر وباي نوع مما نسميه بحقائق العلم او بجزئياته صورة يبدو العلم فيها على انه بناء متصل النمو ، ما نعرفه اليوم سوف ينمو غدا ، وفي هذا النمو سوف يعاد تشكيله في ظل اطار اكثر شمولا . تلك عملية شبيهة بالنمو في اي كائن حي . في الانسان مثلا ، الطفل لايبقى طفلا يضاف اليه زيادة في طول ساقيه وذراعيه ، وفي عرض رأسه ومنكبيه ، لكن الطفل يتحول الى راشد ، تظل فيه بضع خصائص كانت تصحبه في طفولته وقد ميزتها عن طفولة اي كائن آخر ، ومع ذلك فان شكلها ووزنها في البناء يتغير قليلا او كثيرا . وهكذا الحال في علمنا ، وما نقوله اليوم ليس هو الحق كل الحق ، ومع ذلك فهو جزء من الحق نعرفه اليوم وسوف يتعدل شكله ووزنه في البناء الكلي اثناء النمو غدا .

لست ادعو بهذا القول الى ان يتزود القارىء مسبقا بنظرة الشك المطلق في قيمة ما سانقله اليه من معلومات ، ولكن ارى ان امانة القلم تحتم علي ان ازود القارىء بالاطار الذهني الصالح لحسن تلقي هذه المعلومات . انها القدر من الحقيقة الذي استطاع علمنا اليوم أن يظهرنا عليه . وغدا سوف يدخل هذا القدر كجزء من بناء اكبر . وسيقتضي البناء عندئذ ادخال بعض التعديلات على هذا الجزء لكي يتحول من معرفة الامس الى معرفة ملائمة لليوم الجديد .

فماذا نعرف اذا عن سمة المثابرة الآن ؟

المثابرة سمة عامة تتوقف على الشخص لا نوع العمل

اولا ، نعرف انها سمة عامة ، لا تتوقف على نوع العمل الذي يؤديه الشخص بقدر ما تتوقف على الشخص نفسه . فاذا اردنا ان نترجم هذه الحقيقة الى لغة الحياة العملية فمعناها اننا اذا

شاهدنا شخصا يبدى قدرا كبيرا من المثابرة اثناء ادائه عملا ما فنحن على صواب عندما نتنبأ بانه سيكون مثابرا كذلك اذا ما تقدم لانجاز اعمال اخرى . ومع ذلك ينبغي لنا ان نعرف حدودنا فلا نحمل الامور اكثر مما تحتمل . ينبغي لنا الا نشعر بان هذا التنبؤ سوف يصدق مائة فى المائة . والواقع انه يندر ان يصدق تنبؤ علمى واحد بهذه الدرجة . هذه هى السمعة الكاذبة للعلم ، والهالة الخادعة التي تحيط به نفوس مُحبيّه من غير المارسين له ، بينما يعرف المارسون ان صدق التنبؤ فى مثل حالتنا هذه مسالة احتمال فحسب ، وهو احتمال بدرجة عالية فعلا لكنها لاتصل الى الكمال . ويعرف هؤلاء المارسون ايضا ان هذا القدر من المعرفة فى الوقت الحاضر يعنى درجة ملحوظة من التقدم فى سبيل التبصر بقوانين السلوك البشرى وحسن التدبير له . انى استطيع المفاضلة بين شخصين على اساس تنبؤ علمى بان زيدا سوف تغلب عليه المثابرة اكثر من عمرو ، يعنى انني استطيع التقدم نحو مزيد من ترشيد الحياة بدلا من تركها نهبا لعبث الصدفة .

مستوى الشخص على مقياس المثابرة اذا سمة عامة ، هو جزء من عدّة الشخص يواجه بها مواقف الحياة المختلفة . ثم انها سمة ثابتة فى الشخص الراشد الى حد كبير ، بمعنى اننا اذا اتينا بعشرة اشخاص وكلفنا كلا منهم بعدد من الاعمال ، واستطعنا من خلال أدائهم هذه الاعمال ان نرتبهم نزولا أو صعودا بحسب متوسط ما يبديه كل منهم من مثابرة فى اداء هذه الاعمال ، ثم كلفناهم باعمال مماثلة بعد شهر أو اكثر قليلا ، واعدنا ترتيبهم حسب مثابرة كل منهم ، فلن نجد فرقا يذكر بين الترتيب الاول والترتيب الثاني ، سيظل فى المقدمة من كان فى المقدمة من قبل ، وسيظل فى المؤخرة من كان الاخير من قبل . ولن تتغير كثيرا مراتب الاشخاص فى المواضع المتوسطة بين الطرفين .

ومرة اخرى ليس ثمة ما يبرر تحميل الامور اكثر مما تحتمل ، فهذا الاستقرار لسمة المثابرة لدينا نحن الراشدين لايعنى اننا نولد بها هكذا ، بعبارة اخرى لا يعنى اننا مزودون بها (او بالاحرى بهذا القدر منها) فطريا . انما المثابرة عادة اكتسبناها ورسخت فى نفوسنا شانها فى ذلك شان كثير من عاداتنا الراسخة . وجميع العادات الراسخة او السطحية العابرة لا بد لها من اساس فطرى فى صميم تكويننا العضوى والا لما امكن لها أن تقوم اصلا . (فعادة الكلام مثلا لا بد لها من وجود أساس فطرى لدينا والا لما قامت اصلا) .

هنا ينبغى لنا ان نوضح أمرا قد يعوق فهمنا للامور اذا بقى على ما هو عليه . فقد درج الناس على تصور العادة مرتبطة بالنشاط الحركى ، (كعادة استخدام اليد اليمنى فى الكتابة بدلا من اليد اليسرى ، وعادة المشي بسرعة أو المشي ببطء ، وعادة اصدار اشارات تعبيرية باليدين مصاحبة للكلام .. الخ) ، الا ان هذا التضييق فى استخدام مفهوم العادة ينطوى على لزوم ما لا يلزم، والواقع اننا نتكلم فى علم النفس عن عادات حركية كما نتكلم عن عادات ذهنية وعادات وجدانية . والشيء الجوهرى هنا هو اننا بصدد قالب من القوالب التى ينتظم فيها السلوك ، اعنى سلوك الفرد ، ويكون هذا القالب مرنا الى حد ما فى بعض مراحل العمر (المبكرة بوجه خاص) ، اى قابلا لادخال تغييرات وتعديلات عليه بفعل خبرات الحياة المختلفة . وعلى هذا النحو نستطيع ان نضع سمة المثابرة فى الاطار المناسب لها : فالمثابرة عادة وجدانية تنمو وتتعدل بتأثير خبرات الحياة المتوالية ، وهي كأية عادة راسخة تجمد على شكل معين كلما تقدم بنا العمر .

ثم ماذا لدينا من معلومات أكثر تفصيلا ؟

المثابرة فى العمل البدنى ، ليست دليلا قاطعا ، على المثابرة فى عمل عقلى

قلنا ان المثابرة سمة عامة ، يكشف القدر المتوافر منها عن نفسه ايا كانت طبيعة العمل الذى يواجهه المرء ، فالمثابر فى عمل مثابر فى غيره من الاعمال . الا ان هذا الكلام على اطلاقه غير صحيح تماما ، فهناك فرق بين مثابرتنا فى مواجهة عمل يقتضي معظمه جهدا بدنيا ، وبين مثابرتنا فى مواجهة عمل يقتضي جهدا عقليا . الفرق ضئيل لكنه قائم . ويخيل الينا ان افضل طريقة لتقديم هذه النقطة للقارىء هى أن اقدمها على النحو الآتى : اذا ابدى شخص درجة عالية من المثابرة على اداء عمل يغلب عليه الطابع البدنى فاننا نستطيع (بدرجة عالية من اليقين) ان نتنبأ بانه

سيكون مثابرا في اداء اي عمل بدني آخر ، لكننا لن نستطيع أن نتنبأ بيقين مماثل بان هذا الشخص سيكون مثابرا كذلك عندما يؤدي عملا يغلب عليه الطابع العقلي . والعكس صحيح أيضا اذا بدانا من العمل العقلي لنتنبأ بما يكتنف العمل البدني. ليس معنى ذلك اننا سنعجز تماما عن التنبؤ ، او أن تنبؤنا في هذه الحالة لن يفترق عن التخبط في عماء الصدفة ، هذا غير صحيح . الصحيح اننا سنظل قادرين على التنبؤ ، لكن احتمال صحة تنبؤنا في هذه الحالة سيكون اقل من احتمال صحته في حالة التنبؤ من عمل الى آخر داخل فئة واحدة من الاعمال .

العلاقة بين الذكاء والمثابرة

وثمة سؤال يكثر الحاحه على الاذهان ، وهو سؤال يتناول العلاقة بين المثابرة والذكاء ، ما هي حقيقة العلاقة بين هاتين السمتين ؟ والجواب على ذلك يتألف من شقين: أولهما خاص بالمستويات المنخفضة للذكاء ، فحيث ينخفض الذكاء تبدو العلاقة واضحة بينه وبين المثابرة ، علاقة ايجابية على درجة لا بأس بها من القوة . فترتفع المثابرة مع ارتفاع الذكاء وتنخفض مع انخفاضه . ويستمر الامر كذلك حتى نقترب من ذوى الذكاء المتوسط فاذا نظرنا في أمر هؤلاء وفي أمر ذوى الذكاء المتفوق فلن نجد ارتباطا بين الذكاء والمثابرة ، فقد يكون الشخص متوقد الذكاء لكنه في الوقت نفسه ضئيل المثابرة ، وقد يكون متوسطا في ذكائه لكن حظه من المثابرة كبير .

وجدير بالذكر هنا ان المثابرة تعوض جزءا كبيرا مما نسميه الذكاء اللماح . ان نسبة كبيرة من الفروق التي نشاهدها بين الافراد ونعزوها الى تفاوتهم في الذكاء انما ترجع الى كونهم متفاوتين في السرعة التي ينجز بها كل منهم عددا من الاعمال العقلية لا في نوع الخطوات التي تقوم بها عقولهم لانجاز هذه الاعمال . ومن هنا تتضاءل هذه الفروق الى حد كبير اذا كانت مواقف الحياة التي تواجه هؤلاء الاشخاص لا تلزمهم بالاسراع فيما عهد اليهم حله من مشكلات . هنا تتدخل المثابرة فتقرب ما بين البطيء والسريع ، كلاهما يستطيع الوصول الى الحل الجيد المقبول . وفي بعض المواقف حيث يؤدي حل مسألة ما الى ظهور مسألة جديدة تحتاج بدورها الى حل جديد بحيث لا يتم الحل الحقيقي الشامل الا بمواجهة جميع حلقات ترجح كفة المثابر رغم بطء ذكائه على كفة من كان حظه من المثابرة ضئيلا وقد اقترن بسرعة الذكاء . أما اذا تيسر للمرء قسط وافر من المثابرة وقسط وافر كذلك من الذكاء اللماح فهاهنا تربة خصبة للنبوغ .

تربية المثابرة

اذا كان للمثابرة هذا الدور الهام في تعويض بطء الذكاء عن بطئه ، واذا كان لها ذلك الوزن الكبير في تمكين البعض من أن يسلكوا في مسالك النبوغ والعبقرية ، واذا كانت بالاضافة الى هذا وذاك لا تزيد على ان تكون عادة وجدانية راسخة قابلة للتغير والنمو من خلال خبرات الحياة المتوالية ، فقد أصبح السؤال الذي يفرض نفسه على الذهن هو : كيف ننمي هذه العادة ؟ كيف نغرسها ونتعهدها في نفوس النشء ؟

بقليل من التفكير في طبيعة المثابرة كما أوضحناها (وهي مداومة السير نحو غاية ما) ، وفي طبيعة التجارب التي يجريها العلماء لقياس هذه السمة والتعمق في فهمها ، نستطيع أن نضع الخطوط العريضة لبرنامج تربوي هدفه المثابرة .

ركنان : مواصلة العمل ، والاتجاه نحو هدف بعينه

ثمّ ركنان أساسيان بدونهما معا لا تقوم هذه السمة : مواصلة العمل . هذا ركن . والاتجاه نحو هدفه بعينه . هذا هو الركن الثاني .

ان مواصلة العمل وحدها لا تدخل في سمة المثابرة ، بل تدخل في سمة التصلب ، انها أقرب الى الاستمرار في الحركة بفعل القصور الذاتي في ميدان الظواهر الطبيعية . والحلم ببلوغ هدف معين دون السعي الفعلي اليه هذا أيضا لا علاقة له بالمثابرة . أما السعي المتصل نحو هدف ما فهذا هو جوهر النشاط الذي تنتظمه هذه السمة . ولا يشترط أن يكون مضمون الهدف بجوانبه وتفصيلاته المختلفة واضحا تماما في ذهن الشخص . انما يكفي الشعور بالاتجاه نحو هدف ما . وقد رأينا مثالا لذلك في الدراسة التي

اجراها فرتهايمر على اينشتاين . وتبدو هـذه الحقيقة بأجلى صورها في حالة المصورين والشعراء، يواظب الواحد منهم فترات طويلة على السعي نحو هدف يشعر به لكنه لا يرى ملامح وجهه .

هذه هي النقاط الرئيسية التي ينبغي لنا ان ندخلها في اعتبارنا .

منذ بواكير الطفولة ومظاهر السعي نحو الهدف في نسبة كبيرة من أفعال الانسان . قد يكون الهدف كرة صغيرة ملونة بلون ارجواني جذاب عمره ، أو صندوقا صغيرا على الارض أمام طفل وقد تدلت فوق سرير طفل في الشهر الرابع من تعلم الجلوس حديثا وهو لا يزال في شهره السادس ، او لعبة تتحرك أمام صغير تعلم الحبو حديثا وهو لما يزل في شهره الثامن ، أو .. أو .. الخ . في هذه المواقف وامثالها جميعا (بغض النظر عما يبدو لنا نحن الراشدين من تفاهة هذه الاهداف) تبدو خبرات الطفولة التي تلتئم رواسبها في تكوين سمة المثابرة . وعلى حسن ادارتنا نحن الراشدين القائمين على تنشئة الصغار ، أقول على حسن ادارتنا لهذه المواقف او لمعظمها (على امتداد عمر الطفل) تتوقف النتيجة .

تدريب الطفل على المثابرة لبلوغ الهدف

كيف يكون حسن الادارة ؟ في هذا المقام لا نستطيع أن نخطط للتفاصيل . الخطوط العامة للطريق هي وحدها التي نستطيع أن نرسمها . وهي على النحو الآتي :

أولا : التحكم في المسافة القائمة بين الطفل والهدف ، بحيث يتسنى للطفل في كثير من الاحيان أن يصل الى الهدف الذي يقصده ، ولكن بعد أن يبذل قدرا معينا من الجهد يتناسب وعمره كما يتلاءم ومجموعة الظروف المحيطة به . هذا مبدأ ينبغي للراشدين أن يستخدموه بذكاء ، سواء بالنسبة للاهداف المحسوسة (بالنسبة لصغار الاطفال) وبالنسبة للاهداف المعنوية (التي تزداد نسبتها في محيط الطفل كلما تقدم العمر به) . الهدف القريب جدا لا يعطي الطفل فرصة المران على تعبئة طاقته في خدمة دافع رئيسي واحد لمدة معقولة . والهدف البعيد جدا يؤدي بالصغير الى النتيجة نفسها ولكن من طريق آخر . أما المسافة الوسط فهي خير ما يمنح الطفل فرصة المران ، على شريطة أن تنتهي بالحصول على الهدف في معظم الاحيان ، أو على بديل له في نفس الطفل وزن مقارب .

ثانيا : تجزئة الهدف الواحد (الكبير نسبيا) الى عدد من الاهداف الصغرى تقع على مسافات متفاوتة من الطفل ، فبعضها قريب والبعض أبعد وهكذا ، بحيث يعني تراكم خبرات الحصول على هذه الاجزاء مزيدا من الحصول على الهدف الاصلي الكبير . وتكمن القيمة الحقيقية لهذا الجانب من حسن الادارة في انه يقلل من خبرات التراجع عن بعض الآمال والغايات التي تبدو صعبة المنال ، ويزود الطفل في الطريق بأقدار متوالية من مشاعر النجاح تقوم هي نفسها برفع كفاءته في المزيد من تعبئة طاقته نحو نهاية الطريق. ويحدث احيانا ان يحتل احد الاهداف الصغرى مكانة ممتازة في نفس الطفل بدرجة تجعله أقرب الى ارضاء الدافع الاصلي نحو الهدف الكبير ، عندئذ تصبح مهمة الراشد أن يبرز في مجال ادراك هذا الطفل الهدف التالي حتى يستقر في شعور هذا الطفل انه لم ينجز سوى جزء من مهمة لا يزال لها بقية .

ثالثا : حماية الطفل من آثار الاهداف العارضة التي لا صلة لها بالهدف الاصلي والتي قد تفرض نفسها على اهتمامه لسبب أو لآخر فتشتت جهده ، وتمنعه من تركيز طاقة الحركة (المادية او المعنوية) في مجرى واحد .

وبعد ـ فهذه مجرد خطوط أو مبادىء عامة لبرنامج تربوي هدفه تنمية المثابرة ، يحتاج في تطبيقه الى قدر من البصيرة بقدرات النشء في مراحل العمر المختلفة وفي ظروف الحياة المتباينة. ويحتاج كذلك الى قدر من المرونة يكفل تغيير الوسيلة دون التنازل عن الغاية . ويحتاج أيضا الى قدر من الموضوعية يضمن الاحتفاظ بمسافة معقولة بين الراشد والطفل تمكن الراشد من أن يحسن ادراك شخصية الطفل ، فيراها على أنها بناء له جوانب متعددة ، وان المثابرة ليست سوى سمة واحدة في هذا البناء ، وأن قيمة هذه السمة لا تكمن في ذاتها ولكن في كونها الدعامة الوجدانية لقوى العمل الخلاق في الانسان . ■■

مصطفى سويف

عمل إسلامي خالد تتولاه

موسوعة الفقه الإسلامي

بقلم : أحمد مهدى الخضر

وزير الاوقاف السورى سابقا

■ لعل الدراسة المقارنة ، لأى بحث ، أو نظرية، أو مذهب ، هى التى تمكن الانسان الناضج ، من النظر السليم للقضايا والحكم الدقيق فيها ، وهى التى تحول دون الارتجال فى الراى ، ودون التعصب المقوت المعروف لدى ضيقى الافق المذهبى ، الذين يرون فى نظريتهم الخاصة الحق كله ، وقد يكون فى كلتا النظريتين جزء من الحقيقة لا الحقيقة كلها .

ومن أصدق ما قاله بعض الحكماء :

« رب متخاصمين لدودين .. لو انصف كلاهما الآخر ، لتعانقا بدلا من أن يتخاصما » .

الحكم فى ظل الاندفاع العاطفى

واكبر ينابيع الخطر ، الذى لا يكاد يخلو منه كبير أو صغير ، أن تؤرخ الحادثة ، أو تسجل الفكرة ، أو يصدر الحكم فى ظل الاندفاع العاطفى الأهوج ، سواء كان تيار حب أو غضب ، فالحادثة نفسها ، بدافع الهوى ، غيرها بعيدة عنه .. بين نظر انسان وآخر .

وهذا الرسول صلوات الله عليه يكبح جماح الهوى فيقول :

« لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ، ثم يتبعه بالتنفيذ على صعيد السلوك العملى . فينهى عمر أن يرفع سيفه فى وجه بعض الذين حرمتهم بيئتهم الاجتماعية من التربية المثلى فاغلظ الكلام على الرسول (ص) يقول له : يا بنى عبد المطلب انكم قوم مطل ـ فقال (ص) لعمر : دعه فان لصاحب الحق لسانا .. !

واذا رجعنا الى أصحاب الراى المذهبى المحدود، واخذنا بزعم كل منهم انه هو وحده صاحب المذهب الصحيح ، وان مذهب غيره هو الباطل ، لخرجنا بنتيجة خطيرة هى أن مذاهبهم باطلة جميعا فى نظر بعضهم بعضا .

وايضا ، ما دام صاحب المذهب ليس معصوما، بخلاف صاحب الشريعة ، فان كل مذهب لا بد أن تشوبه الاخطاء ، فاذا كان لا يجوز الخروج عن المذهب ، وانه وحده المثل للشريعة ، فمعنى ذلك أن الشريعة زاخرة بالاخطاء ، بينما هى بريئة ـ بمجموعة مذاهبها المختلفة ـ من الخطأ ، ومن هنا لا نقر المبدأ المذهبى الذى يقول :

« مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ، ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب » .

وكذلك لا نقر الحكم المذهبى الذى يجعل صلاة المقتدى بغير صاحب مذهبه مكروهة مثلا .. وكذلك كل نظر مذهبى مماثل .

وكثير من حوادث حدة النزاع المذهبى ، يعود للعوامل النفسية والعاطفية المشار اليها ، وللمبادىء المذهبية القلقة التى نادى بها بعض المتمذهبين المتأخرين ، مبتعدين عن سماحة الشريعة الاسلامية متمثلة بينابيعها الصافية الاولى .

المقارنة بين المذاهب تذهب بالعصبية الطائشة

ولعل افضل الوسائل لازالة هذه العصبية الطائشة ، فسح المجال للدراسة المقارنة بين مختلف المذاهب الاسلامية بروح سمحة رائدها الحرص على أحكام الشريعة العامة ضمن حدود النصوص وقواعدها المرنة الشاملة . وحبذا لو تقررت مادة الدراسة المقارنة للمذاهب الاسلامية فى كافة المعاهد والمدارس الثانوية والجامعية فى مختلف بلدان العالم الاسلامى والعربى ، واذا كان هذا واجبا فى توعية الرأى العام على المستوى الاجتماعى، فانه اكثر وجوبا وخطورة على المستوى الحقوقى فى ميدان التشريع .

دولة الكويت الفتية

المقارن

- ضرورة تحتمها حاجة المسلمين فى العصور الحديثة
- الفقه المقارن يذهب بالعصبية الطائشة
- الفقه الإسلامى كان له أثره الكبير فى الفقه الأوروبى

مشاريع موسوعات فى الفقه المقارن

ولهذا نرى ان مختلف الاتجاهات الفكرية فى العالم الاسلامى والعربى ، تتلاقى على ضرورة المقارنة المذهبية ، واصبحت البلاد تتسابق نحو القيام بهذه الخطوة الثورية الهامة .

ولقد قامت سوريا بانشاء لجنة موسوعة الفقه الاسلامى المقارن فى كلية الشريعة بدمشق عام ١٩٥٦ ، وقامت مصر اثناء الوحدة بتغذية هذا المشروع واهتمت به فى القاهرة ايضا .

وهذه دولة الكويت الشقيقة تبادر لاحتضان هذا المشروع ورعايته والعمل على اخراجه باسرع الخطوات الممكنة الى حيز النور .

ولقد سبق العمل فى عدد من الموسوعات العربية والاسلامية وسبق العمل قبل هذا فى معاجم اللغة العربية ايضا ، الا أن العمل فى اعداد دائرة معارف للفقه الاسلامى على النمط المقارن المشار اليه ، لم يبدأ البداية الناجحة حتى الآن لدقته وطبيعته الفنية الخاصة ، واتساع ميادين العمل فيه ، وقلة الاختصاصيين المخضرمين بالدراستين الاسلامية والقانونية القادرين على المساهمة فيه .

موسوعات جديرة بالتنويه فى المكتبات العربية

ومن أهم الموسوعات التى يجدر ان نشير الى أهميتها فى المكتبة العربية والاسلامية ، ما يلى :

١ ـ موسوعة الاعلام : وهى مؤلفة من /١٠/ مجلدات ، وتتناول أعلام العالم العربى ، ومن لهم

السابقين ، غير المعاصرين .. ويكتفى بذكر خمسة كتب لمن كان له أكثر منها .. خلافا لمعجم الاعلام الذى يسرد كل مؤلفات العالم بدون تحديد ، عندما تكون له مؤلفاته .

وفى المجلد /١٤/ رتب المجلدات الثلاثة عشر ، على أساس « الكنى » وسمى الجزء الرابع عشر بالاحالات .. ويحيل الى الصفحة ، والمجلد .

٣ ـ معجم قبائل العرب ـ وهو يتكون من /٣/مجلدات ، ومؤلفه : عمر رضا كحالة ويتناول كافة القبائل العربية والاسلامية فى العالم العربى وأفريقيا الشمالية .

٤ ـ معجم أعلام النساء ـ وهو كذلك من /٣/ مجلدات ولنفس المؤلف الاسبق ، وهو يتناول الشهيرات من النساء ويتحدث عنهن بلمحة كافية .

٥ ـ معجم المطبوعات العربية والمعربة ـ وهو شامل لأسماء جميع الكتب المطبوعة فى الاقطار الشرقية والغربية مع ذكر أسماء مؤلفيها ، وترجمتهم ، وذلك منذ ظهور الطباعة حتى نهاية ١٩١٩ ميلادية . وهو مؤلف من /٧/ أجزاء فى مجلدين ، ومؤلفه يوسف اليان .

وهذا المعجم لا يكاد يستغنى عنه مثقف أو بحاثة .

٦ ـ معجم الأدباء المسمى (ارشاد الأريب الى معرفة الاديب) أو (طبقات الادباء) ذكر فيه أخبار النحاة واللغويين والقراء وعلماء الاخبار والأنساب والكتاب ، وكل من صنف فى الأدب ، وهو

القفطي وزير حلب يومئذ وطبع في (٦) اجزاء كبيرة.

والجزء السادس يشمل فهرس الاسماء والقبائل واسماء الرجال والنساء المحتوية على أكثر من /١٢/ الف اسم . وله ملحق /ذيل/ من امين الخانجي سماه :

معجم العمران في المستدرك على معجم البلدان، ذكر فيه ما فات المؤلف من ممالك أوروبية وامريكية ..

٨ ـ دائرة المعارف ـ قاموس عام لكل فن او مطلب ، بادارة رئيس الجامعة اللبنانية : فؤاد البستاني ، وهي دائرة مصورة .. وقد اعدها عدد كبير من العلماء وآخر المجلدات / الرابع / أعده /٤٠/ كاتبا ـ وكتبوا فيه /١٣٥٤/ مبحثا واحتوى على (١٥٦) رسما وصورة وخارطة .

والمجلدات الأربعة : كلها تدور على حرف واحد هو حرف الالف ولم تستكمل .

٩ ـ دائرة المعارف ـ للبستاني بطروس (١٨١٩ ـ ١٨٨٧ م) وهو مؤسس مشروع دائرة المعارف وقد أعد /١١/ مجلدا تنتهي بحرف (ع) وفرغ من طبعها ..١٩٠ م وقد طبع في حياته المجلدات ١ ـ ٨ ثم بعده باشراف نجيب وامين البستاني بمساعدة سليمان البستاني المجلدات ٩ ـ ١١ ولم يكتمل ايضا .

وتناولت : « المواضيع العلمية والتاريخية (غالبا) والصناعية والزراعية والاخلاق والدين والقضاء والبلدان والملوك والعلماء والأدباء ونوابغ النساء ..» .

١٠ ـ دائرة معارف فريد وجدي : وهي من /١٠/ اجزاء ولمعرفة مواضيعها ننقل النص في مطلعها :

« قاموس عام مطول يشمل العلوم النقلية والعقلية والكونية بجميع أصولها وفروعها والنحو والصرف .. والبلاغة والمسائل الدينية وتاريخ الفرق والمذاهب والتفسير والحديث والأصول والتاريخ العام والخاص .. وتراجم مشهوري الشرق والغرب والجغرافيا .. والكيمياء والفلك والفلسفة والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والروحية والطب والعلاج وقانون الصحة والفوائد المنزلية وخواص العقاقير والاحصاءات وسائر ما يهم الانسان في جميع المطالب » .

١١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ تبحث في الحضارة الاسلامية وما يتصل بها من فنون وآداب وعلوم وترجمة لعظماء الاسلام والشرق .

الفها بالانجليزية والفرنسية والالمانية كبار المستشرقين وصدرت الترجمة العربية في أعداد دورية منذ ١٩٣٣م في كل شهرين عدد واحد ، وتمتاز الترجمة العربية بما يكتبه أعلام الفكر في مصر والشرق العربي من تعليقات وشروح وردود .

والذي يصدرها بالعربية : أحمد الشنتناوي ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس . وصدر /١٤/ مجلدا ويحوي كل مجلد/١٢/ عددا.

١٢ ـ الموسوعة الاسلامية ـ وهي أحدث موسوعة اسلامية حتى الآن ، وهي كذلك موسوعة عامة وليست اختصاصية في فرع محدد من فروع العلوم الاسلامية ، وهي تطبع الآن باللغتين الانكليزية والافرنسية،والاتحاد الدولي للمؤسسات العلمية يواصل الآن أعماله في اعداد الموسوعة الاسلامية وقد قطع حتى الآن شوطا بعيدا في ذلك.

وعلم أن المسئولين عن الموسوعة قد تمكنوا خلال العام الماضي من انجاز الجانب الأكبر من المجلد الثاني من الموسوعة . وقد صدر من هذا المجلد حتى الآن الملازم ٣٥ ـ ٣٨ ويجري العمل الان في طباعة الملزمتين ٣٩ ، ٤٠ اللتين ينتهي بانتهائهما المجلد الثاني ، وبالاضافة الى ذلك وصل الى المطابع كل من الملزمتين ٤١ ، ٤٢ ، ومما ذكر أن اعداد هذه الموسوعة التي تصدر باللغتين الانكليزية والافرنسية في وقت واحد يجري باشراف لجنة دولية ويتولى الاشراف على العمل باسم اللجنة في الوقت الحاضر ومنذ عام ١٩٥٦ كل من البروفيسور برنارد لويس ، أستاذ تاريخ الشرق الأدنى والاوسط في مدرسة الدراسات الشرقية في لندن والبروفيسور شارلز بيلات أستاذ اللغة والحضارة العربية في جامعة باريس،والبروفيسور جوزيف شاخت أستاذ اللغة العربية في جامعة كولومبيا بنيويورك . وقد ادلى البروفيسور لويس بتصريح قال فيه : انه يأمل أن يتم انجاز الموسوعة بكاملها خلال الأعوام الخمسة عشر القادمة .

فأين موسوعة الفقه الاسلامي ؟!

من هذه اللمحة العابرة يلاحظ أنه لا توجد أية موسوعة للفقه الاسلامي لا بين هذه الموسوعات العامة والخاصة المشار اليها ، ولا بين غيرها .

وذلك لوعورة الطريق الى معاقل الفقه

الاسلامى ، ولذلك احجم عنه المستشرقون رغم انهم هم الذين بدءوا بفهرسة القرآن الكريم وفهرسة الحديث الشريف أيضا .

وموسوعة الفقه الاسلامى – بلا ريب – أهم من كل أنواع الموسوعات الاخرى لأن مهمتها الحقوقية ستجعلها مرجعا أصيلا لكافة الهيئات التشريعية والحقوقية والقضائية وغيرها ، لا فى العالم الاسلامى والعربى، بل فى كافة انحاء العالم أيضا.

والشريعة الاسلامية لن تقل عن الشريعة الرومانية ، تلك التى تقررت لها الصفة الدولية بأنها مرجع أساسى للتشريع العالمى . فالشريعة الاسلامية قررت لها كذلك صفتها العالمية المؤتمرات الدولية ، وبخاصة مؤتمرى لاهاى وباريس .

الفقه الاسلامى راكد على أسلوب قديم لا بد من تجديده

ولكن انقطاع الفكر الفقهى الحديث عن متابعة الأحداث ، واللجوء الى التقنين الاوروبى فى اعداد القوانين العربية هو الذى جعل الفقه الاسلامى راكدا على أسلوبه القديم . وهذا الركود هو نفسه يزيد من صعوبة المهمة التى يهتم بها رجال الحقوق اليوم لعرض فقه الشريعة على أسلوب الموسوعات الحقوقية المعاصرة .

وماذا تفيدنا ثروات الارض الدفينة اذا بقيت تحت الأنقاض والركام بعيدة عن الاستثمار ؟ اننا بحاجة اليوم لعملية تنقيب عن الكنوز المخبوءة فى مراجع الفقه الاسلامى المصاغة على الطراز الوعر القديم لعرضها بالشكل الذى تتألق به وتشوق اليه ، وتحبب فيه .

الفقه المالكى له أثره العظيم فى الفقه الاوروبى

وليس غريبا أن نعلم أن الفقه المالكى كان له أثره على الفقه الأوروبى حتى على المجموعة الحقوقية التى أصدرها نابليون اذ كان مما نعتز به أن بعض كبار المستشارين الحقوقيين لهذه المجموعة التاريخية هم من كبار فقهاء المذهب المالكى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، كما انه من الحقائق الثابتة أن هذه المجموعة تأثرت تأثرا كبيرا بنسبة ٩٠٪ فى التحقيق الذى أجراه بعض الحقوقيين فى الحقوق المقارنة بين الشريعة والقانون .

ولن يتم عرض هذا التراث الفقهى العظيم العرض المشوق المشار اليه الا عن طريق انجاز موسوعة الفقه الاسلامى المقارن المنشودة .

ويؤسفنا أن نصرّح بهذه الحقيقة القاسية فى أن العالم الاسلامى والعربى كله بكافة مكتباته الحقوقية والفقهية يخلو من أية موسوعة للفقه المقارن على الطراز الحديث المشار اليه .

أملنا فى الكويت عظيم

وأملنا ان تنفذ رغبة مجلس الأمة فى هذه الدولية الفتية ، دولة الكويت ، فى انجاح هذا المشروع الحقوقى العظيم .

واذا كانت الكويت قد احتلت مركزها الاقتصادى والاجتماعى والمادى، فانه ليسرنا أن ننظر باعجاب وغبطة لهذا الميدان العلمى الجديد الذى تمضى هذه الدولة الفتية للمبادرة القوية والسريعة اليه.

ومن المعلوم أن أوربا أخذت بهذا الأسلوب العلمى الجديد منذ نحو مائتى عام ولا نزال نغط فى سبات عميق من تخلفنا المرير .

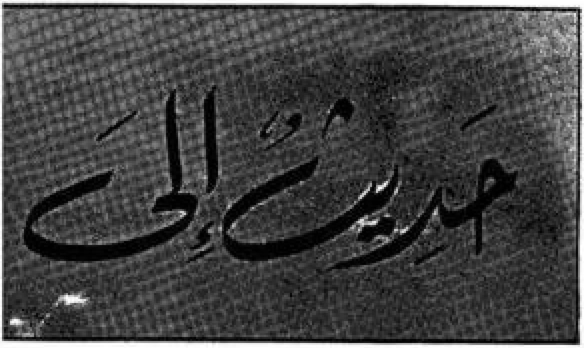
وأملنا أن نودّع مرحلة التخلف الماضية باستقبال المرحلة الجديدة بكل ما نملك من قوة وتصميم .

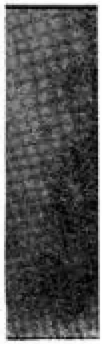
هذا وقد رصدت الكويت فى ميزانيتها الجديدة لهذا العام القادم ما تقتضيه المرحلة التحضيرية للسنة الاولى من نفقات وتكاليف ضمن خطة للعمل تستغرق عشر سنوات ، قدرت مبدئيا لاستكمال مراحل هذه الموسوعة، وهى أكبر مشروع حقوقى مقارن على هذا المستوى الرفيع .

واذا كان نابليون قد خلد قانونه الفرنسى عام ١٨٠٤ م ، واعتز به أكثر من اعتزازه بانتصاراته الحربية ، فاننا أجدر بهذا الاعتزاز ، فى ظل شريعة جعلت من العلم نبراسها لكل تنظيم وتشريع.

والكويت – وكذلك كل دولة يقدر لها المساهمة فى هذا الميدان – سيخلدها أن تساهم أو تتبنى هذا المشروع الموسوعى العظيم الذى سيكون مصدرا للتشريع العالمى لا للتشريع المحلى أو العربى أو الاسلامى وحده ، والله نسأل ان يكتب التوفيق ويسدد خطى الجميع لانجاح هذا المشروع التاريخى العظيم . ■■

أحمد مهدى الخضر
حلب



للدكتور فاخر عاقل

الاستاذ بجامعة دمشق

■ في العام الاخير من دراستي الثانوية علمني الادب الافرنسي استاذ افرنسي شاب كان قد تخرج من الجامعة حديثا وقدم الى سورية لتوه ، وكان متحرر الفكر حر الضمير نير العقل صريح القلب واللسان . ولقد كان يتحدث الينا ــ نحن الطلاب ــ حديثا صريحا مخلصا فيحمل على الاستعمار ويغضب لتعسف قومه ، ولا يتردد في التنديد بهم وبطريقة عملهم في سورية ، وكنا نحبه حبا جما ، ونانس به ، ونتباسط واياه ، ونصارحه القول . وكان يبادلنا حبا بحب وودا بود ، وهو اليوم استاذ للأدب الفرنسي في احدى الجامعات الفرنسية وعلم من اعلام اختصاصه .

وما زلت اذكر قولا كان هذا الرجل الحر يردده على مسامعنا نحن الشباب، كان استاذنا الفرنسي يقول لنا : انكم محظوظون انتم ابناء الامم الناشئة الآخذة بأسباب النهوض حديثا لأن لديكم الكثير مما يمكن ان تقوموا به لتخدموا أمتكم وبلادكم ومثلكم العليا . اما نحن ابناء الامم التى تقدمتكم في النهضة فان المجال امامنا ضيق والمنافسة شديدة وامكانية العمل والبروز والشهرة صعبة ومحدودة .

ومنذ ذلك الحين ، منذ عام ١٩٣٧ ، وانا افكر في قوله واتدبر معانيه وازداد ايمانا بصحته . ولقد احببت ان يكون هذا القول موضوع كلمتي الى فتياتنا العربيات المتطلعات الى نهوض امتهن ومجدها .

واذا كان صحيحا انه قد انقضى وقت طويل على هذا القول ، وان امتنا العربية في مختلف اقطارها قد قطعت شوطا بعيدا في مضمار الرقي والتقدم مما جعل مجال العمل اضيق قليلا مما كان عليه الحال في عام ١٩٣٧ ، فانه اصح ان الشوط ما زال بعيدا والاهداف ما زالت مترامية والميدان ما زال فسيحا .

حقائق اساسية

ثم ان هذا القول ان صح مرة بالنسبة للرجل فانه صحيح مرات بالنسبة للمراة . ولاحاول ان اضع بين يدى فتياتنا بعض الحقائق التى اعتبرها اساسا لما زعمت ومنطلقا لما سأقول .

اولا : ما من شك في أن المراة العربية

فتياتنا العربيات

بمجموعها متخلفة عن الرجل العربي بمجموعه . وليس معنى الذى اقول انه لا يوجد اليوم بين النساء العربيات عدد ممن اثبتن جدارتهن فى مختلف الميادين والاختصاصات والاعمال وممن تفوقن على الرجل فى العلم والادب والفن بل وحتى فى الاعمال . كلا .. وانما معناه ان نسبة الأمية ما زالت بين النساء أعلى منها بين الرجال وان عدد الاختصاصيات بين النساء أقل منه بين الرجال .

ثانيا : ما زالت المراة العربية محرومة من كثير من حقوقها ، عاجزة عن النهوض بالكثير من واجباتها . واذا كان المقام لا يتسع لبسط الاسباب وقدر النتائج وتحديد المسؤولية ، فانه من غير شك يتسع للقول بأن الدور الذى تلعبه المراة العربية فى وطنها ما زال دورا محدودا جدا فى بعض الحالات ، معدوما فى بعض الحالات الاخرى . ولقد كان من حظي – الحسن او السيىء – ان زرت بعض البلاد العربية وتساءلت جادا عما اذا كان للمراة وجود فيها .

ثالثا: قضية المراة – وللمراة قضية – ما زالت قضية عالمية . والفرق كل الفرق بين بلد وآخر فرق درجة لا فرق نوع . والحق ان المراة فى اى قطر من اقطار العالم – بما فى ذلك اشدها تقدما – ما زالت مدفوعة عن كثير من الاعمال والميادين والمواقف . وأسباب هذا الإبعاد بعضها صحيح واغلبها بقايا من جاهلية ما زال الرجل والمراة يعمهان فى ضلالاتها ويتخبطان فى ظلماتها . ومرة اخرى اذا كنت لا استطيع ان افصل هاهنا فانى استطيع ان اؤكد غير هيّاب ولا وَجل انه ما لم تتبوأ المراة مكانها اللائق فى المجتمع – كل مجتمع – فان هذا المجتمع سيبقى موصوفا بالتوازن المختل والتقصير الفاضح .

رابعا : ان واحدا من اهم اسباب الظلم اللاحق بالمراة هو المراة نفسها ، فهى اما جاهلة او غير واعية او متحذلقة او مشتطة ، وهذا الذى أقول لا ينسحب فى الطبع على كل النساء، ففى نساء اليوم – ومنهن المراة العربية – الذكية الواعية المتعقلة المتزنة التى تعرف حقيقتها وتدرك قضيتها وتؤمن بدورها الصحيح غير متهاونة ولا مشتطة .

من هذه المنطلقات وسواها – اندفع الى القول الى صبايانا المقبلات على



على الحياة العامة أو الحياة العائلية او الحياة العملية بأن واجباتهن ثقيلة ودورهن كبير ومهمتهن طليعية ولكنها مهمة جليلة عديدة الامكانات رحبة الآفاق . واذن فانا اطالب هؤلاء الصبايا بما يلي :

مطلوب الى فتياتنا :

اولا : ان يؤمن بذواتهن وبجنسهن وبدورهن في حياة أوطانهن ، وقديما قيل « فاقد الشيء لا يعطيه » .

وبديهي ان اطالبهن بأن يكون ايمانهن بالذي عددته عميقا ، ذكيا ، واعيا ، مخلصا ، بريئا من الحذلقة والشطط ، بعيدا عن التهاون والاهمال .

ثانيا : وهذا الايمان الذي ادعو اليه ما هو الا حافز الى أهداف يحددنها بعد درس وتمحيص ، ويحققنها بالعمل الدؤوب العاقل وبالطرائق الناجعة السليمة التي لا تتناف مع خلق أو دين او تقليد صحيح .

ثالثا : واذا ما اندفعن الى تحقيق هذه الاهداف واستخدام تلك الطرائق فليكن رائدهن الوطن وما له من حقوق، والامة العربية وما تتطلع اليه من عزة ومنعة ونهضة ، والانسانية وما تصبو اليه من سلام قائم على العدل والحق .

رابعا : وهن في عملهن هذا لا بد ذاكرات ان ما من حق الا ويقابله واجب، وما من عمل الا ويتطلب تضحية ، وما من جهد الا ويقتضي القائم به عرقا ومثابرة وصبرا .

واخيرا : لا غنى لفتاتنا العربية أن تذكر ابدا مقتضيات انوثتها ومطالب امومتها ومعنى زوجيتها وسحر جنسها .

وبعد : فاني متهم بين طلابي وفي بيتي بأني احابي المرأة وابالغ في اهمية دورها وقيمة مساهمتها . واني وان كنت لا اجد لزوما لدحض هذه التهمة ورد هذه الفرية فاني على وجه التأكيد معنيٌّ اشدّ



العناية ـ واغلب الظن اني سابقى كذلك ما حييت ـ بابراز دور المرأة في نهضتنا وحث ابني وطلابي وقرائي وسامعيّ على تمكين المرأة من النهوض بمهمتها في بناء مجتمعنا العربي العتيد والمساهمة في نهضتنا العربية العارمة .

على اني متهم في بيتي وبين طالباتي بالرجعية او المحافظة على الاقل . ومرة أخرى فاني وان كنت لا أجد مبررا لدفع هذه التهمة عني فاني مؤكد لابنتي وطالباتي وقارئاتي وسامعاتي ان المحافظة على قيمنا الاخلاقية ومثلنا الروحية ومميزاتنا القومية ضرورة لازمة لنهضتنا وحلية جميلة لمجتمعنا العربي .

أيتها الصبايا :

لعلكن اليوم على مفترق الطرق ، وستذهب بكن الحياة مذاهبها فاخرجن اليها غير خائفات ولا مستهترات ، غير متزمتات ولا متهورات ، غير مستهينات ولا خجلات. اخرجن اليها قويات بالعلم، مؤمنات بحقكن في الحياة الحرة الكريمة بما لا يتناف مع الخلق القويم والمثل العربية الاصيلة والقيم الانسانية الصحيحة .

ولاذكركن ها هنا بما افتتحت به كلمتي من انكن سعيدات لأن أمامكن الكثير مما يمكن أن تقدمنه لأنفسكن واهلكن واوطانكن وامتكن فالى العمل والى المجد . ■■

فاخر عاقل

هـ . ج . ويلــز

في الذكرى السنوية المائة لمولده

عن المؤرخ الانجليزى ا.ج.تيلر

■ ولد هـ.ج. ويلز قبل مئة عام بالضبط ،والمناسبة ستحفل، بلا ريب، بالمقالات ، وبالبرامج الاذاعية عنه ، كما ان كتبه ستلاقى هي الاخرى ايضا رواجا عابرا لفترة من الزمن ...

ولكن ، هل سيتسنى لويلز أن يستعيد لنفسه ثانية ، ذات المركز المرموق الذى كان يشغله فى وقت ما ؟.. من المحتمل .. لا !.. والسبب خطأ ويلز نفسه ... خطأ" أقام له فيما مضى كيان



مجده الادبى ، وقعّد قواعد شهرته فى انحاء العالم .

كان ويلز يملك مواهب عظيمة كقصاص ... مواهب جعلته ، فى افضل حالاته ، يلى ديكنز مباشرة ..

غير ان ويلز استخف بهذه المواهب الممتازة ، وامتهن شأنها .. بل بلغ به الامر حتى الى حد الشعور بالخجل منها ..

فهو اراد أن يصور فكرة ، وليس أن يخلق أعمالا فنية .. « .. اننى أرفض أن أقوم بدور فنان .. أنا صحفى طول الوقت .. وما أكتبه انما هو لساعته فحسب، وسيموت من فوره .. ».

وعد وايعاد

كان ويلز يفخر بكتابه « موجز التاريخ » اكثر من فخره بقصته (Kipps) ، وكان يهتم بانشاء « الدولة العالمية » أكثر من اهتمامه بخلق شخوص رواياته ..

وحتى ادعاؤه ! انه مجرد صحفى فقط ، كان مضللا ، فهو لم يكن ليرضى بتسجيل الاحداث الجارية ، وانما كان يتطلع الى كشف حجب الغيب عما هو آت ... واكثر من هذا ... كان يريد أن يضمن أيضا كون ما سيأتى ، هو نفس ما أراده هو بالذات أن يكون ...

وعد بنى البشر بالاعاجيب والمعجزات اذا هم أصغوا الى نصائحه ، واتجهوا صوب الناحية التى لوّح لهم بها ... وانذرهم بالكوارث وسوء العاقبة ان هم أبوا أن يفعلوا ذلك ..

وعندما كانت الحكمة تومض له عرَضًا ، كان الشك يساوره فيما اذا كان ما تنبأ بحدوثه سيحدث حقا ...

وعلى رغم تفاؤله البادى ، كان ويلز فى النهاية، نبيئا منذرا بالويل والثبور وعظائم الامور .

تناقض

لقد أحسن المستر واجار ، وهو عالم امريكى شاب ، صنعاً عندما اقدم على نشر مجموعة منتقاة من كتابات ويلز ذات الكهانة العابرة ... فمنذ نصف قرن يحصل ويلز لاول مرة على عرض جيد، مستوعب لكتاباته ، يجمع بين ما تحقق من احلامه وتصوراته ، وما اخفق منها ولم يتحقق ..

ولهذا ، فلا عجب اذا وجد القارىء نفسه فى لحظة مأخوذ اللب ، وفى لحظة تالية ، مغيظا ، محنقا لما يلمسه من خطل له فى الرأى وخطأ فى الحكم يصدر عنه اعتباطا .

وعلى المستوى الشخصى ، يعتبر ويلز موفقا جدا حين يعالج دراسة بعض الشخصيات المتباينة النزعات ، المختلفة الاهواء فى المبادىء والآراء ، كلويد جورج ولينين مثلا .. ولكن ضع مقابل ذلك ملاحظاته عن ستالين عام ١٩٣٤ :

« ... كنت أتصور قبل أن تقع عينى عليه ، انه لا بد من أن يكون فى حيثما كان .. وأن الناس يخافونه اشد الخوف ... ولكن تبين لدىّ انه مدين بمركزه لحقيقة، ان ليس ثمة من يخشى جانبه ... الكل يثق فيه ... » .

وفى الحق ، كان ويلز يؤمن بما يريد هو أن يؤمن به .. وانه كان يستعجل الامور ويتوقع لها أن تحدث بأسرع وقت .. حتى اذا تباطأ وقوعها أعلن على رؤوس الاشهاد قائلا : انها سوف لن تحدث اطلاقا .

ففى سنة ١٩٠١ كتب يقول :

« ... ان انكلترا سوف تغطيها شبكة من طرق السيارات فى عام ١٩١٠ » (فى حين انه لم يتوقع ذيوع استعمال الطائرات قبل حلول عام ١٩٥٠) .

والسعادة المنزلية التى بشر بها ويلز كانت طريفة ، على غرابتها :

« ... عندما يعم استعمال الكهرباء . فلسوف يصبح الطهو ملهاة سارة للسيدات الذكيات العليلات لسهولته ... » .

وهو توقع كذلك : « اننا سوف نعيش على حبوب تعد لنا اعدادا علميا فى المعامل .. » .

الحـرب

كانت الحرب تقلق بال ويلز كثيرا ، وتثير هواجسه .. وقد تنبأ بالكثير من أهوال الحرب الحديثة مقدما .

وفى سنة ١٩١٤ اخترع « الحرب » التى ستضع نهاية للحرب .. واستخف بالالمان دون أن يعرف عنهم شيئا ..

«...ان الالمانى بطبيعته ليس جنديا جيدا..» .. « .. النسل الالمانى لا يستطيع أن ينجب طيارين اندادا للطيارين الفرنسيين والانكليز ولو للحظة واحدة .. » .

وقد صرح ايضا : « ... يجب علينا ان نختار اما جمعية تتالف من امم حرة ، واما جيلا من الرجال الجياع ، دابهم السلب والنهب بين انقاض خرائب حضارة محترقة داخنة بحثا عن طعام لا وجود له .. » .

دولة عالمية

وحين لم ترضه جمعية الامم بالشكل الذي تم تكوينها عام ١٩١٩ .. نعتها ويلز بانها مجرد عصبة للدول ذوات السطوة والسلطان .. ثم شرع يدعو بحرارة الى انشاء (دولة عالمية) قائلا :

« ... ان (موجز التاريخ) هدف دائما الى اقامة البرهان على هذا التطور التاريخي..».

وفي الثلاثينات بدا ويلز يؤمن بان التبشير وحده لن يستطيع اقامة « الدولة العالمية » بالسرعة الكافية ، فارادها مؤامرة مكشوفة (يتقلد هو زعامتها كما هو المفروض) تكون شبيهة بالحزب الشيوعي الذي قاده لينين ، باستثناء ان حزبه هذا سيتالف من جميع الرجال الاذكياء بدلا من البروليتاريين ذوي الوعي الطبقي ...

اليأس

وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية تنبا ويلز بمزيد من المحن والكوارث ... اكثر مما كان قد تكهن بوقوعه بعد الحرب العالمية الاولى .

« ... ان المسيرة الانسانية سوف ترتد الى الوراء .. سائرة نحو الية وحشية بلهاء .. » .

ولكن ما ان انطلقت شرارة الحرب ، حتى بدا ويلز جزلا ، مبتهجا بشكل اكثر من المعتاد .

ففي خلال شتاء سنة ١٩٤٠ القاتم الكئيب كتب ويلز عن : « .. الحرب الاكثر تناقضا مع العقل ... حرب الخداع » .

« .. في خلال فترة قصيرة سيقضي البريطانيون بانفسهم على هتلر والنازيين .. » .

« ... ستدعو الحاجة الى رمي بضعة الوف من المجرمين بالرصاص ، حتى تنعم الملايين بالسلم من بعد .. ان حرف V رمز للثار(١) ... والجنس البشري سوف يرفل في ثياب الحكمة والتمدن بوساطة « موسوعة عالمية » .

ولكن ويلز يتراجع في النهاية مرة اخرى ، ويتملكه اليأس فيقول :

« ... ان عالمنا قد اعلن افلاسه التام .. وسوف يزول من الوجود باكمله دون أن يترك وراءه اي حطام .. » .

التخطيط

كان يطيب لويلز أن يعتبر نفسه ذكاء خالصا « دماغا » كما جاء ذلك في وصفه هو لنفسه في سيرته ... وفي الواقع كان ويلز متسرعا ، عاطفيا ، مخلوقا للحظته ... زعم ان التخطيط سوف يحل كل شيء على الرغم من انه عاش حياته في دوامة من الارتباك والفوضى .... افترض أن ذلك سوف يحل حتى مسالة (المراة) ، وهو يعني بذلك انه حالما يوجد اقتصاد مخطط ، فستكون ثمة مواءمة النساء لرغبات الرجال .

الامل الضائع

ان كثيرا من تنبؤات ويلز كان بعيدا عن محجة الصواب ، ولكن بعضها قد ثبتت صحته ... ومخططو التنظيمات العالمية وزعماؤهم يصفرون بالحان ويلز ، وان كانوا قد نسوا مؤلفها ..

فنحن لا نزال في حرب من أجل وضع نهاية للحرب .. فهناك واحدة منها في فتنام ... ونحن جميعا ننعم بخيرات الاقتصاد المخطط حتى نعلم ان التيار الكهربائي قد انقطع ...

بوسعنا أن نؤاسي انفسنا بقراءة قصة « المستر بولي » اذ سوف نستطيع بذلك ان نحصل حتى على بعض التسلية من نبوءات ويلز .

■■

ترجمة : احمد مصطفى الخطيب

مفتش بوزارة التربية ــ بغداد

---

(١) يشير الكاتب الى كلمة Vengeance الانكليزية

الحياة في بعض أطوارها

بقلم : أنيس الخوري المقدسي
استاذ اللغة العربية وادابها بالجامعة الامريكية (سابقا) بيروت

■ تتجه أنظار العالم اليوم الى الشرق العربي ، الى كنوزه المتدفقة من منابع النفط ، فضلا عن « استراتيجية » موقعه بين آسيا وافريقيا ودول الغرب . فلا بدع ان نحوّل نحن ايضا نظرنا اليه ، ولو هنيهة من الزمن ، ولكن لا الى منابع نفطه او اهمية موقعه ، بل الى هذه الشعوب التى تنتمي اليه ، والتى قد ربطها الزمان على اختلاف عناصرها واصولها برباط وثيق من اللغة والأدب ، وطبعها بطابع عام من التقاليد والعادات ، حتى اصبحت ذات شخصية تميزها من سواها ، هى التى يطلق عليها اسم القومية العربية .

هذه الشخصية القومية لم تبرز على المسرح العالمى الا عقب الفتوح العربية فى القرن السابع للميلاد . وسنحاول الآن أن نتتبع سيرها مع الزمن لنرى كيف كانت ، وكيف تدرجت من عهد الى عهد حتى بلغت ما بلغته فى عصرنا الحاضر .

الفكرة القومية عند بدء الاسلام

لا ننكر ان الاسلام ظهر بين قوم لم تكن فكرة القومية معروفة او ناضجة عندهم ، ولم يكن لهم من روابط يعتدّ بها غير العصبيات القبلية . فدعا الاسلام الى وحدة لا محل فيها لهذه العصبيات . دعا الى وحدة تشمل العرب وغير العرب ، على اساس المساواة الروحية . فقد ورد فى حديث نبوى شريف : **«ان الرب واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب أو أم وانما هى اللسان . فمن تكلم بالعربية فهو عربى »** . واذا صح ذلك كان فيه بدء تطور فى معنى القومية ظهر اثره فى العهود التالية :

فى الدولة الاموية والدولة العباسية

على ان ازالة الحدود الجنسية لم يكن يومئذ ميسورا ، فظلت العصبية عند العرب عموما اساس واقعهم . ولما توطدت الخلافة الاموية فى الشام اقرت التمييز فى الدولة بين العرب وغير العرب وبهذا التمييز مهدت السبيل لنشوء

العربية التاريخية

فى العصر الجاهلى فالأول الإسلامى فالعصر الأموى فالعصر العباسى فالعصور الحديثة

فكرة القومية العامة التى لم يكن يعرفها العرب فى جزيرتهم . على انها كانت عندهم ، اى عند الامويين ، تقوم على الانتساب العرقى ، اى الى عناصر عربيه الاصول . وهنا أصل الاختلاف بين العرب والموالي ومبعث تلك الروح الناقمة التى كان لها اثر فعال فى سقوط الدولة الاموية .

فلما تولى العباسيون الخلافة بعد الامويين،نقلوا مقر حكمهم الى العراق ، وأسسوا عاصمتهم الجديدة . ومذ ذلك العهد بدأ فصل جديد فى تطور الفكرة القومية ، فقد تخلى العباسيون عن سياسة التمييز العنصرى التى كان يتبعها بنو أمية . ومع الزمن حلت محل الرابطة العنصرية رابطة أخرى جعلت للقومية العربية معنى جديدا أوسع وأثبت كما سنرى .

ففى العهد العباسى كانت اللغة العربية قد تمكنت من السيطرة التامة على سائر اللغات فى البلدان التابعة للخلافة . ومع ان هذه البلدان ، كايران والاندلس ، قد استطاعت بعدئذ أن تسترجع كيانها اللغوى وتتحرر من سيطرة العربية، فان البلدان الاخرى التى تعرف اليوم بالشرق العربى قد ثبتت فيها اللغة العربية ثبوتا ابديا بعد أن قضت على لغاتها الأصلية فأصبح سكانها مع مرور الزمن لا يعرفون أما لهم غير هذه اللغة ، بها ينطقون ، وبها يفكرون ، وبآدبها وتاريخها يرتبطون ويعتزون .

وهكذا نشأت قومية جديدة فى العالم العربى هى قومية اللغة ، واندمجت فيها شتى العناصر والمذاهب اندماجا تاما حتى صار يطلق عليها جميعا اسم العرب أو ابناء العرب او الناطقين بالعربية .

التعرب اللغوى كان مقره بغداد

هذا التعرب اللغوى كان مقره الرئيسى بغداد . فمن هذه العاصمة انبعثت القوة الحية التى تمكنت مع الأيام من ضم شتى العناصر والمذاهب تحت لواء القومية الجديدة على اساس معنوى ثابت لم تستطع حوادث الزمن أن تزعزعه حتى الآن . واذا كان الزمن قد تمكن من القضاء على السيادة السياسيةالتى كانت للعرب أيام الامويين، وأن يقيم على أنقاضها سيادات شتى من فارسية وتركية وسواها . فان سيادتهم المعنوية - أعنى تلك الصبغة اللغوية التى اصطبغ بها سكان الشرق العربى على اختلاف أصولهم منذ العهد العباسى - ظلت صامدة تجاه أحداث التاريخ وكوارثه ، لم يقو الزمن على محوها أو استبدالها بشيء آخر .

الصبغة اللغوية الواحدة هى التى أبقت على معانى القومية

هذه الصبغة اللغوية التى بقيت لأبناء العربية

طوال عصور الضعف والانحطاط السياسي والاجتماعي هي التي في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحالي ، وقد اشرقت عليهم انوار من الحضارة الغربية ، جعلتهم يتنبهون الى انفسهم ويشعرون بوجودهم بل هي التي هيأت لهم جوا صالحا ليقظة قومية كان مبعثها شعورهم بانهم مهضومو الحقوق في السلطنة العثمانية . فقام منهم دعاة يطالبون بتلك الحقوق . وسرت دعوتهم سرا وعلنا بين الطبقات المستنيرة ، وخصوصا بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ . ولم تكد تنتهي الحرب العالمية الأولى حتى كان شعور ابناء العربية بكيانهم القومي قد اصبح حقيقة ثابتة في نفوس الجميع . فلما انفصلت البلدان العربية عن تركيا وتحولت الى دول مستقلة بعضها عن بعض تضاربت مصالحها واصبحت كل دولة تهتم بتوطيد استقلالها الاقليمي ،ومع ذلك ظلت الصبغة اللغوية قوية بينهم ، ولم يمنعهم اختلاف المصالح الاقليمية من تاليف هيئة قومية عامة هي المعروفة بجامعة الدول العربية وهي خطوة الى الامام في سبيل التطور القومي .

ونحن لو دققنا النظر في هذه الظاهرة التاريخية ، اعني يقظة الحياة العربية بعد سباتها الطويل ، لوجدنا ان هذه اليقظة لم تتم على أساس عنصري أو ديني بل على أساس معنوي شامل ينتظم جميع العناصر والمذاهب ، وبكلمة أخرى على أساس اللغة التي تم لها ، منذ توطدت على ضفاف الرافدين ، ان تتأصل في معظم اقطار الشرق الأدنى وان تتبنى شتى الشعوب التي كانت تنطق بلغات اخرى وتصبغها بصبغة خاصةمن تاريخها وحضارتها .

القومية العربية والقومية الامريكية

وما اشبه هذه القومية العربية في تطورها بالقومية الامريكية في الولايات المتحدة . فهذه بدأت بنواة هي العنصرية الانكليزية . ولكنها لم تستمر كذلك ، اذ دخل عليها وامتزج بها عن طريق المهاجرة عناصر ولغات مختلفة . بيد ان هذه العناصر واللغات كانت تتسرب اليها تدريجيا فلا تلبث ان تصطبغ بالصبغة الانكليزية فتتحول معها الى قومية جديدة ذات حضارة خاصة هي القومية الامريكية .

والفرق بين الحالتين ان القومية الاميركية قد نشأت بهجرة العناصر الأجنبية من الخارج الى اميركا . أما القومية العربية الجديدة فقد حصلت بخروج العرب من جزيرتهم وحملهم الى شتى الاقطار والأمم لفتحهم التي لم تلبث أن تغلبت على لغاتهم وألفت منهم على مرور الزمن مجموعة من الشعوب مرتبطين بحضارة لغوية ضاعت فيها أصولهم الأولى . ولا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان فكرة الأمة بدأت في دمشق أيام بني أمية ولكنها كانت هناك محدودة المعنى وانما اتخذت معناها الجماعي بعد انتقال الخلافة الى بغداد .

التطور الاجتماعي صاحب التطور القومي

وكما كانت بغداد المركز الذي ترعرعت فيه القومية العربية في أطواء التاريخ ، كذلك كانت مبعثا رئيسيا للعوامل التي عملت على تطور اجتماعي واسع في الحياة العربية . فالمجتمع العربي الجاهلي كان متأخرا جدا عن الامم ذات الحضارة العريقة كالفرس والرومان . واذا استثنينا بعض الحواضر جاز لنا أن نقول انه كان على العموم بدويا ليس له من العمران الا بعض اسبابه البدائية . وظلت روح البساطة البدوية سائدة فيه طوال العهد الاسلامي الاول . . ذكر ابن خلدون في مقدمته انه لما قدم الخليفة عمر بن الخطاب الى الشام وشاهد ما كان قد استحدثه معاوية من ظواهر الابهة قال له « اكِسْرَوِيَّة يا معاوية ؟ » فقال معاوية : « يا امير المؤمنين انا في ثغر تجاه العدو ، وبنا الى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة ».فعمر كان يمثل البساطة البدوية السائدة في الحياة العربية ، ومعاوية كان يمثل الميل الى الاقتداء بالامم المتقدمة في الحضارة . ولا شك ان العهد الاموي قد خطا خطوة في هذا السبيل لكنه كان لا يزال ببداوة الجاهلية .

التطور الاجتماعي في عهد العباسيين

فلما انتقل الملك العربي الى العراق ازداد اتصال العرب بالامم التي حولهم ، واصبحت عاصمة العباسيين مركزا اجتماعيا عظيما لمملكة

عظيمة الاتساع . فكانت الأموال تتدفق فيها مما يجبيه العمال فى مختلف الاقطار . فقد أحصى ابن خلدون الخراج لعهد المأمون،وفصله اقليما اقليما، فاذا مجموعه يزيد على اربعمئة الف الف درهم . فاذا اعتبرنا فارق الزمن والقيمة الشرائية للنقد فى ذلك وجدناه شيئا كثيرا جدا . واهم من ذلك ما كانت تكتسبه بغداد من متاجرها الواسعة . فموقعها الجغرافى أعطاها ميزة تجارية عظمى اذ كانت الطريق التجارى الرئيسى بين الشرق والغرب مما جعلها محط الانظار وقبلة اهل الأعمال . وكان لتجارها اتصال بأقصى البلدان ، وكثيرون منهم كانوا يقومون برحلات تجارية ويجلبون البضائع من الصين وكشمير والهند وسيلان والحبشة وبلاد العجم وسواها . وقد بلغت ثروات بعضهم مئات الملايين ، أضف الى ذلك ما كانت تدره عليهم الزراعة . ويجمع المؤرخون والجغرافيون على وصف عناية العباسيين بها فقد احتفروا الأنهار وأنشأوا الجسور حتى جعلوا ما بين دجلة والفرات سوادا مشتبكا غير مميز ، تخترقه الترع ومجارى الرى . وكان الخلفاء فى ابان مجدهم مطلقى التصرف بما يتجمع لديهم من اموال الدولة ينفقونها فى رجالهم وملاهيهم ، ويختزنون منها ما يرونه لحين الحاجة . فالمنصور مثلا خلف لابنه المهدى أكثر من ستمائة الف الف درهم واربعة عشر الف الف دينار — هكذا يخبرنا المسعودى . وعن الطبرى ان الرشيد مع كل ما اشتهر به من سخاء واسراف ترك وراءه تسعمائة الف الف درهم . وقس على ذلك ما كان يستأثر به أو ينفقه سائر الخلفاء وأفراد اسرهم . ومثلهم الوزراء والعمال فقد كانوا يحصلون الأموال الطائلة ويتبارون فى انفاقها على الانصار والأدباء وفى سبيل الترف والملاهى .

هذا الغنى العظيم الذى كان يتدفق فى بغداد عن سبل الجباية والخراج والتجارة والزراعة جذب اليها ارباب الفنون والصناعات والملاهى . فاقيمت فيها القصور والحدائق ، وانشئت معامل لنسج الثياب والمفروشات الانيقة ، وكثرت فيها اسباب اللهو والرخاء ، وقصدها رجال الادب والعلم من كل فج . فلا عجب ان تثب فى مدة وجيزة من بلدة صغيرة الى حاضرة عظيمة تبلغ مساحتها نحو ٢٥ ميلا مربعا وعدد سكانها نحو مليونين .

وطبيعي فى مثل هذه الحال ان يتطور المجتمع العربي ويخرج عما كان عليه ايام الجاهلية وفجر الاسلام ، فتتغير الازياء والعادات وطرق المعيشة ، ويقبل الناس على ألوان جديدة من الحضارة لم يألفها اسلافهم . (وهو شبيه بما حدث فى عصرنا الحاضر من تطور فى حياتنا الاجتماعية بعد ان طغت علينا المدنية الغربية) .

احتفظت بغداد بمقامها الاجتماعى ، بعد أفول نجمها السياسى

وفى هذه الاثناء دخل العربية كثير من الفاظ الحضارة الجديدة ومعظمها مأخوذ من اللغة الفارسية .

والذى يذكر ان بغداد مع كل ما توالى على الخلافة وعليها من نكبات وتقلبات ظلت محافظة على مقامها الاجتماعي . يشهد بذلك الذين رأوها وقد افل نجم مجدها السياسي ، ومنهم السائح بنيامين الطيطلي (سنة ٥٥٥ هـ) الذى قال عنها انها افخر مدن العالم لا يقابلها الا القسطنطينية ، والرحالة ابن جبير الذى زارها (سنة ٥٨١ هـ) اى قبيل غارة التتر المدمرة فوصف باعجاب مساجدها ومدارسها وكثرة حماماتها (وكانت نحو الفين) ولكنه رأى ذلك قليلا جدا بالنسبة الى ما كنت عليه فى عصرها الذهبي فقال « شان هذه المدينة اعظم من ان يوصف ، وأين هي مما كانت عليه » ، ولعله يقصد يوم زارها الخطيب البغدادى . وذكر انه قد كان فيها نحو ٦٥ الف حمام . وفى ذلك ما فيه من المبالغة فاكثر الذين وصفوا عمرانها جعلوا عدد حماماتها بضعة آلاف . ومهما يكن فانه يدل على عظمة المدينة واتساع عمرانها ، والمتامل فى الرها الاجتماعي يرى بوضوح انها هي التي دفعت الحياة العربية الى الامام فارتفع فيها مستوى المعيشة وازدهرت فيها الفنون والصناعات وتطورت الازياء والعادات .

التطور الاجتماعى البغدادى لم يكن تطورا مترفا فحسب

على ان التطور الاجتماعي لا يعد تطورا حقيقيا اذا اقتصر على ما يمكن الحصول عليه بواسطة الثروة من اسباب الترف ، او ما يقود الى تغيير بعض الازياء والعادات فللتطور مقاييس اعلى وأسس أثبت . اهمها ارتفاع المستوى الثقافي وتنظيم المرافق الادارية . وتشييد المؤسسات

العامة كالمدارس والمستشفيات والجمعيات والمحافظة على الامن العام ، وتنظيم طرق المواصلات وغير ذلك من اسس الحياة المدنية الراقية . ويمكن القول ان التطور الاجتماعي الذى احدثته عاصمة الخلافة العباسية فى المجتمع العربي قد تناول اكثر هذه الامور .

واذا كان ينقصها انها لم تبلغ فى تطورها مبلغ الامم الراقية اليوم من حيث بناء احكامها على الاسس الدستورية المعروفة . فان ارقى الدول الغربية لم تبلغ هذا المدى الا حديثا . واذا قابلنا بين نظم الدول العباسية بما كانت عليه حكومات اوروبا المعاصرة لها وجدناها تتقدمهن جميعا فى ميدان الحضارة والنظام وفى هذا الدور اصبح المجتمع العربي يتقدم سائر المجتمعات فى القرون الوسطى فكان من الطبيعي ان يترك اثره فيها . وهكذا نجد فى اللغات الاوروبية مئات الشواهد على ما اخذته من اللغة العربية فى ابان حضارتها ، وكانت الاندلس هي الطريق الرئيسية التى سلكتها اللغة فى حملها الى لغات الغرب ما حملته من علم وحضارة .

والتطور الفكرى صاحب التطور القومى والتطور الاجتماعي

كانت الحياة الفكرية عند عرب الجاهلية بسيطة ، فاكثرهم اميون ، ومعارفهم بالنسبة الى الامم المتحضرة حولهم بدائية ، فلما تمكن الدين الجديد فيهم اخذوا يستيقظون ويطلبون المعرفة وخصوصا بعد ما خرجوا من جزيرتهم يفتحون البلاد ويمصرون الامصار . على ان الحركة العلمية لم تنشط عندهم الا بعد ان انتقلت الخلافة الى بغداد . ففي هذه المدينة وضعت الاسس لقيام عمران علمي واسع جعلهم فى مصاف الامم التى خدمت العلم والحضارة خدمة تذكر لها مدى الحياة . ومن هنا اندفعت تلك الموجة الحضارية التي طغت على اوروبا فى القرون الوسطى وحملت معها انوار المعرفة فى ظلمات تلك القرون .

التطور العلمى

فى بغداد ضاءت اولا للعرب انوار العلم فوصلت العربية الى عصرها الذهبي وكان من اهم العوامل التي اوصلتها اليه انشاء بيت الحكمة ، ذلك المعهد الشهير الذى خصص لنقل العلوم والفلسفة عن اليونان وسواهم . ولا يتسع المقام للتفصيل فى ما قام به هذا المعهد فقد كثر كلام القدماء والمحدَّثين فيه . والواقع انه كان معهدا علميا ممتازا وكان ارباب الفكر لا يكتفون بالنقل بل يتوفرون على الدرس والشرح والبحث . فقام منهم فى كل فروع العلوم نوابغ اضافوا الى الثروة الفكرية التى اكتسبوها من القدماء ثروة مما حصلوه بالبحث والتنقيب والتجربة . ففي بيت الحكمة ثم فى ما نشأ على مثاله فى الشرق العربي وفى الاندلس اكتسبت اللغة العربية ما جعلها لغة علمية عالمية حتى ظل العالم قرونا يرد مناهلها ويستنير بأنوارها .

ويكفي للتمثيل ان نذكر ان بغداد كانت مهدا لاول مرصد فلكي فى العالم الاسلامي ، انشيء بعناية المامون ، وكان له اثر كبير فى ترقية العلوم الفلكية. وفيها انشيء اول مستشفى طبي ، وكان يرأسه ابو بكر الرازى المشهور . وفيها نبغ اول فلاسفة العرب اعني الكندى .

وفى معاهد بغداد تم تنظيم الارقام الهندية ثم نشرت فى انحاء المعمور فاصبحت اسس العلوم الرياضية فى الشرق والغرب . ومنها خرجت علوم جديدة فى الرياضيات كالجبر ، وارصاد فلكية جديدة اعتمدها الفلكيون فى كل الاجيال ، وحقائق طبية ظلت معتمد الاطباء مئات من السنين . ويضيق الوقت لو تكلمنا بالتفصيل عما قدمته بغداد فى هذه الحقول وسواها ، فقد ذكره المؤرخون فى كتبهم ومن السهل الرجوع اليه .

علماء طغت العربية على أعراقهم غير العربية

واذا قيل ان هؤلاء العلماء الذين اخرجتهم بغداد او اجتذبتهم فعملوا فيها لم يكونوا ، او لم يكن اكثرهم ، من العرب ، فكيف اثروا فى تطور الحياة العربية ؟ اجبنا ان ما قدموه للعالم كان بواسطة لغة العرب . فهم مهما تكن اعراقهم الاصلية ابناء العربية . بها كانوا يفكرون ويبحثون ويؤلفون واليها روحيا وعقليا ينتمون . واذا ذكرهم التاريخ فانما يذكرهم بها لا بانسابهم العرقية التي طغت عليها ثقافتهم اللغوية .

التطور المدرسي

ومما يذكر لبغداد ، وتعد السابقة او الرائدة فيه ما احدثته من تطور فى نظام التدريس.

فقد كان التدريس قبل عهدها يجري في حلقات تعقد في المساجد والزوايا ، او في حوانيت بسوق الوراقين ، او في بعض بيوت خاصة او لم تكن قد نشأت بعد المدارس المنظمة المخصصة للتعليم . واول مدرسة علمية هي المدرسة النظامية التي انشأها في بغداد الوزير نظام الملك وذلك سنة ٤٥٩ للهجرة ، ثم نشأ على منوالها مدارس اخرى حتى بلغ عددها في بغداد نحو ٣٥ . ومنها المستنصرية التي انشئت سنة ٦٣٢ ففي بغداد وضعت اسس التعليم النظامي وهي صاحبة الفضل في ترقية التعليم في تاريخ العرب .

سوق الوراقين وحركة التاليف

ومما نشأ في بغداد وكان له اثر كبير في تطور الحياة العربية صناعة الورق . ولم يكن الورق معروفا قبلا الا في الصين فادخله التجار الى عاصمة الخلافة أيام المنصور . ولم يلبث ان نشأت فيها مصانع ظلت مئات السنين تزود العالم العربي وسواه بهذه المادة الضرورية لتقدم العلم . ومن الطبيعي ان يؤول ذلك الى نشاط ظاهر في التاليف وبيع الكتب . وقد كان في بغداد سوق لباعة الكتب يسمى سوق الوراقين يضم عددا كبيرا من الحوانيت المخصصة لبيع الكتب حتى عدوا منها مئة عند باب البصرة فقط . وكانت هذه المكتبات مقصد اهل الادب والعلم . وبظهور الورق توطد عهد التدوين المنظم واصبح للعلماء وسائل افضل للنظر والبحث والتمحيص والتوسع ، فلا بدع ان يكثر عدد المؤلفات العلمية والادبية وان تصبح بغداد موردا كبيرا لطلاب الآداب والعلوم والمركز الاهم لنشر المباحث الفلسفية والرياضية والفلكية والطبية وسواها حتى كانت تعج بقصادها والعاملين فيها من اهل العلم والادب . ففي عهد الرشيد والمأمون مثلا كان فيها مالا يقل عن ٨٠٠ طبيب ناهيك بسائر ارباب الصناعات والعلوم العقلية والنقلية .

وكان الى جانب عاصمة الرشيد عواصم أخرى جارتها وسبقتها

على انه وان تكن بغداد المركز الاول لنشر حضارة العرب العلمية فانها لم تكن الوحيدة في ذلك . فقد نشأ في ابان العصر العباسي مراكز اخرى في شتى الاقطار جارت بغداد بل سبقتها في بعض نواحي الحياة العلمية ، يكفي ان نذكر للتمثيل القاهرة في الشرق وقرطبة في المغرب وفيهما يطول الحديث لو اننا بداناه . فهاتان الحاضرتان العظيمتان تمثلان عددا غير قليل من مراكز الحياة العربية في القرون الوسطى . ومن هذه المراكز انبعثت انوار ساطعة يوم كان الغرب لا يزال يتلمس طريقه في دياجير عصوره المظلمة . وفي هذه المراكز نشأ اساطين الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وسواها من العلوم التي عرف بها العرب كما يدل على ذلك مئات المصطلحات العلمية التي اخذها الافرنج عنهم .

ثم كان جمود وتراجع وانحطاط ، ثم امل جديد

ولكن الدهر دولاب فمنذ القرن السادس عشر للميلاد نلحظ تغيرا واضحا في الحياة العربية . فهذه الحياة التي كانت في عصرها الذهبي تمد الغرب بحضارتها وعلومها اعتراها جمود فتراجع فانحطاط . وما هي الا مدة قصيرة حتى اصبح الغرب هو الذي يحمل مشعل النور . وهو الذي يمد الشرق بأسباب المعرفة والتقدم . ومهما قيل في العوامل التي ادت الى تأخر الحياة العربية وشمولها بظلام دامس من الجهل في القرون السابقة للنهضة الحديثة فان الحقيقة التي لا مهرب منها ، ان الحياة العربية اليوم تستمد تقدمها وحضارتها وأسباب العلم فيها من تقدم الغرب وحضارته . على ان الذي يبعث الامل في النفوس ان الامة العربية ، لا سيما حيث القلب منها ، قد أحرزت في هذا القرن تقدما عظيما . وهي لا تزال سائرة الى الامام فاذا وحدت جهودها وقواها المادية والمعنوية لانشاء حضارة جديدة قائمة على العلم ومبادىء الحياة المثلى استطاعت ان تضاهي الغرب وان تعيد مجدها التليد في عصرها الجديد . ■■

انيس المقدسي



دردشة

عدد سكان العالم

● تدل آخر الاحصائيات التى اجرتها هيئة الأمم المتحدة على أن عدد سكان العالم يبلغ ٣٢٢٠ مليون نسمة ، وانهم موزعون فى مشارق الارض ومغاربها على النحو التالى :

١ – استراليا ونيوزيلندا وما اليها من جزد	١٧ر١	مليون
٢ – امريكا الجنوبية	١٦١	مليون
٣ – امريكا الشمالية	٢٨٦	مليون
٤ – الاتحاد السوفييتى	٢٢٨	مليون
٥ – افريقيـــا	٣٠٤	مليون
٦ – اوروبا	٤٤٠	مليون
٧ – آسـيا	١ر٧٨٣	مليون
المجموع	٣ر٢٢٠ر١	مليون

الزواج فى ألمانيا

● الزواج فى المانيا ليس بمشكلة . فما على الراغب أو الراغبة فيه الا الاتصال باحد مكاتب الزواج المنتشرة فى ارجاء البلاد ، والتى يجاوزعددها المائة . اما اعمال هذه المكاتب فسهلة بقدر ما هى مربحة . فمجموع عائدات هذه المكاتب لايقل عن ٦ ملايين جنيه استرلينى فى السنة الواحدة. وارباحها السنوية الصافية تقدر بأربعة ملايين جنيه استرلينى على اقل تقدير . وهى تجنى كل هذه الأرباح لقاء اعلان مناسب تنشره فى احدى الصحف ، ولقاء ملائم تجريه بين صاحب الاعلان وبين المستجيب لذلك الاعلان . ويقال ان عقود الزواج التى تتم بواسطة هذه المكاتب تبلغ الثلث من عقود الزواج التى تتم فى المانيا عموما .

وفيما يلى طائفة من الاعلانات الطريفة التى نشرتها المكاتب التى ذكرنا فى مختلف الصحف الالمانية :

« طبيبة دافئة المشاعر ، ومرحة المزاج ، تبلغ من العمر ٣٢ عاما،وتتطلع الى السعادة بالزواج».

« مدرس فى الثالثة والستين من عمره يرغب فى الزواج من فتاة تبلغ من العمر عشرين سنة ».

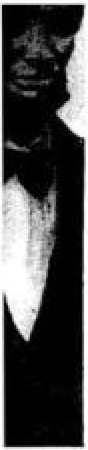
« فتاة جميلة تبحث عن زوج وتبلغ ثروتهـــا ٢٤٠٠٠ مارك (٢٠٠٠ جنيه استرليني) ! » .

« نبحث لابننا ودون علمه عن عروس لا يزيد سنها على ٢٣ سنة على أن تكون ذا خبرة بالاعمال التجارية » .

« معادلة » للنجاح فى الحياة

● سئل البرت اينشتاين عن رأيه فى شروط النجاح فى الحياة فأجاب : « لو رمزنا الى النجاح فى الحيـــاة بحرف (أ) لكانت المعادلة التي أنت بحاجة اليها كالتالي : أ=س+ص+ى . امـــا حرف (س) فيرمز الى العمل والجهد ، وحرف (ص) الى اللعب والترويح عن النفس .

وهنـــا ســـأل السائل – وكان صحفيا – عما يرمز اليه حرف (ى) فى المعادلة المذكورة،فأجاب اينشتين: « ان تلتـــزم الصمت وتكف عـــن الكلام ...! »



مثل فى النبل رائع

● يروى عن ابراهام لنكولن (١٨٠٩–١٨٦٥) أحد رؤساء الولايات المتحدة الأسبقين انه كان قد تحسس فرصة نادرة لانهاء الحرب الاهلية التى كان يخوضها الشمال من بلاده تحت قيادته ، ضد الجنوب ، الذى عارض تحرير الارقاء من الزنوج بشن هجوم خاطف جرىء على الجيوش التى كانت قد أخذت بالانسحاب فى اعقاب معركة جيتزبورغ Gettysburg الشهيرة . ولما كان ذلك الهجوم لا يخلو من مغامرة ، عمد لنكولن الى اصداره الى القائد مياد مشفوعا بحاشية خطها بيده ، وجاء فيها :

« احتفظ لنفسك بهذا الامر حتى تفرغ من الهجوم الذى انت بصدده ، فان كان النصر حليفك ، اهمله واتلفه ، فتفوز بالفضل كل الفضل ، فى هذا الهجوم ومكاسبه ، واما اذا منينا بالهزيمة من جراء ذلك الهجوم ، فادخل الامر المذكور فى الملفات الرسمية ، فاصبح انا المسؤول عن الهجوم المذكور ومخاسره » .

مشروع مارشال الاقتصادى ومشروعه العائلي

● كان الجنرال جورج كاتلت مارشال George Catlett Marshal رئيس أركان حرب جيش الولايات المتحدة ابان الحرب العالمية الثانية ، وصاحب الفضل فى مشروع المساعدات الأمريكية لأوروبا ، وانتشالها من وهدتها ذلك المشروع الذى عرف باسمه وساعد على شهرته وذيوع صيته .

يروى عن رجل الحرب والسياسة الأمريكي هذا ، انه التقى بزوجته لأول مرة فى حفلة راقصة ، فأعجب بها ، واقترح مرافقتها ، لدى انتهاء الحفلة ، والعودة بها فى سيارته التي يقودها بنفسه الى بيتها القريب من مكان الحفلة .

ولما لم تصل الى بيتها الا بعد مضي ساعة أو تزيد ، قالت للجنرال فى براءة :

« يبدو أنك حديث العهد بهذه المنطقة وان جهلك بشوارعها هو الذى جعلك تضل أخصر الطرق الى بيتي ! ! » .

فرد الجنرال مبتسما : « اخالفك فى هذا الراى قليلا يا سيدتي : فلو لم اعرف هذه المنطقة جيدا لما تمكنت من تفادي اخصر الطرق الى بيتك ومن تمشد اللف والدوران حوله طيلة ساعة ! .



تصدير « الخنافس » الى بولونيا

● تعاني بولونيا من قلة المغنين فيها الذين يتقنون الغناء على انغام الموسيقى الراقصة ، الجاز . هذا على الاقل هو ما ذكرته مجلة رادار البولونية .

ولم يكن هذا النبا ليثير اهتمام القراء بحد ذاته . الا ان بعض الصحف البريطانية تلقفته وانطلقت تطالب « بتصدير » الخنافس وأمثالهم من المغنين الى بولونيا . أوليس التصدير والتعاون التجارى ركنا من اركان السلم العالمى ، فى نظر علماء الاقتصاد على اقل تقدير .. !! ومَن مِن فئات المغنين اجدر من الخنافس فى ان يكونوا رسل السلام !!

● مدينة من أقدم المدن ، اشرقت فى الماضى القديم وزهت ، ويرجى لها فى القريب مستقبل أكثر اشراقا .

● فى بلاد العرب مصايف جميلة بديعة ، غفل عنها العرب دهرا طويلا ، واللاذقية من أجملها .

اللاذقية

محافظة ومدينة



رصيف ميناء اللاذقية حيث ترسو عشرات السفن المحملة

تحت : البواخر فى طريقها خارج الميناء وقد ظهر الكورنيش الذى يمتد لمسافة ثلاثة كيلو مترات ، انه ينبض بالحياة فى الصيف طلبا للبحر ، ويهرب منه الناس فى الشتاء .



قام بهذا الاستطلاع **منير نصيف**
وصوره **أوسكار مترى**



بالبضائع والسلع من جميع دول العالم. ان العمل لا يهدأ ليل نهار فى الميناء الذى زود بأحدث الآت الشحن والتفريغ

■ زارها الشاعر العربى المتنبي فى عام ٩٢٣م وخلدها فى عدد من قصائده
وجاء اليها أبو العلاء المعرى ليتعلم الفلسفة اليونانية فى عام ٩٩٠م .
وحط فيها ابن بطوطة رحاله فى بداية القرن الرابع عشر ، وجلس يتناول طعامه
وسط قلاعها التاريخية .



عروس الشاطىء السورى : اللاذقية من أقدم مدن العالم ، وقد تعرضت لغزوات وفتوحات عديدة وترك الغزاة آثارهم فى كل مكان من أراضيها

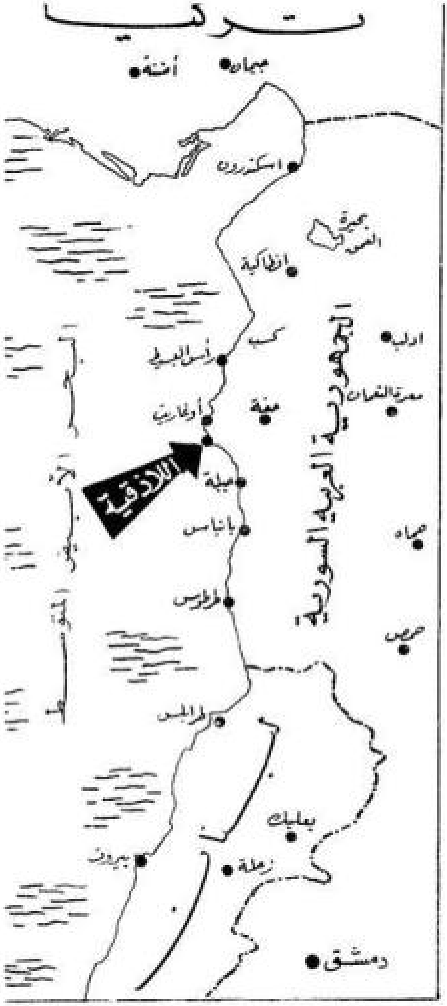
ولو تكلمت أرض اللاذقية لسمعنا منها تاريخ مائة قرن من الزمان او تزيد ، ترويه لنا جبالها تلك التي وقفت شامخة بانفها تتحدى السنين وهى تحتضن الوادى الفسيح . فقد عاش الانسان فى هذه المنطقة منذ العصر الحجرى القديم ، وعاشت آثارها مدفونة تحت الرمال والأتربة والصخور حتى كشف الانسان منها آخر الزمان ما كشف .

ولقد ثبت من هذه الكشوف ومن دراسة الآثار التي تضمنتها ، لا سيما فى منطقة راس الشمرة أو « أوغاريت » ، قيام حضارات قديمة ترجع الى سبعة آلاف سنة قبل الميلاد .

ومعالم أى بلد من بلاد العالم لا بد وأن ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخها ..ولكننا سنرجىء الحديث عن التاريخ الآن لنقدم صورة للحياة فى اللاذقية الحديثة .. مدينة ومحافظة .

لقد سافرت بعثة « العربى » الى هذه المنطقة التى اشتهرت بآثارها التاريخية ، فزارت مصانعها ومدارسها ، وصعدت الجبال ، ودخلت الحصون وسارت فى وديانها وشوارعها ، وحاولت ان تقدم لك بالكلمة والصورة تقريرا سريعا عن الحياة فى مدينة اللاذقية وضواحيها .

ان اللاذقية اليوم هى مدينة التبغ والزيتون والآثار . فهى تصدر أجود أنواع الدخان فى العالم، وتنمو أشجار الزيتون فى مناطق شاسعة من أراضيها وتنتشر آثارها التاريخية فى كل مكان. وهى بعد هذا المنفذ الوحيد لتجارة سورية على البحر المتوسط .



خريطة تبين مواقع المدن والمصايف المختلفة فى محافظة اللاذقية

ميناء اللاذقيــة

وعمر ميناء اللاذقية ٢٥ قرنا من الزمان ، وقد انشاه الفينيقيون واستخدمه الصليبيون قاعدة للحرب والدمار . اما اسم المدينة نفسها ، فقد اطلقه عليها القائد اليونانى سيليكوس نيكاتور Seleukos Nikator فى مطلع القرن الثالث قبل الميلاد تيمنا باسم امه لاوديسا Laodicee ومنها اشتقت كلمة اللاذقية ، وسميت بلاذقيــة العرب للتفرقة بينها وبين مدينة اللاذقية فى آسيا الصغرى .

وعندما كان الفينيقيون يستوطنون تلك المنطقة كانوا ينقلون تجارة الشعوب القديمة التى كانت تعيش فى القرن الرابع قبل الميلاد بشبه الجزيرة العربية واليمن وافريقيا ومصر الفرعونية الى اسواق فينيسيا وصقلية وأوروبا وبلاد الغرب . وهكذا كانوا هم أول من استغل مدينة اللاذقية كميناء تجارى .

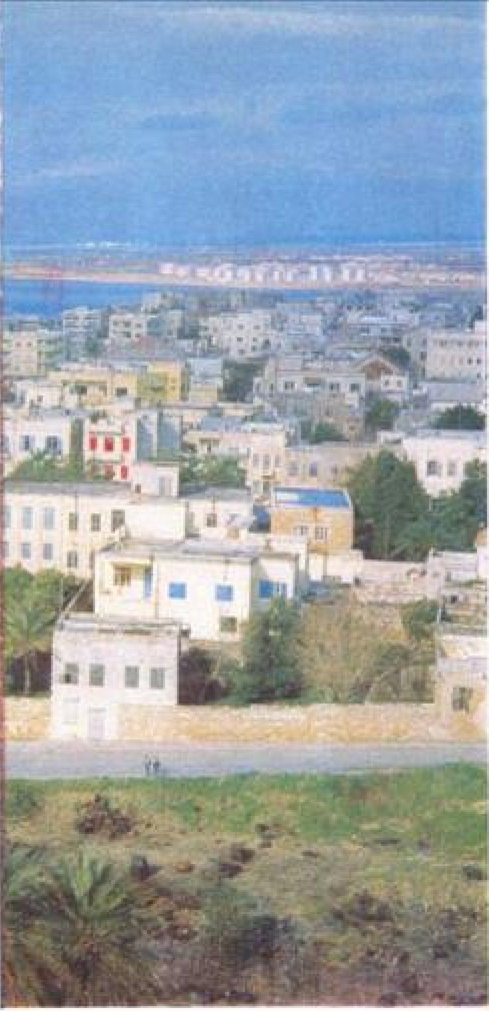
ثم مضى الفينيقيون ، وجاء اليونان ،فحكموها وسيطروا على منفذها البحرى الهام ، واعقبهم الصليبيون الذين حولوا الميناء الى قاعدة استراتيجية هامة فاستخدموه فى غزواتهم الحربية.

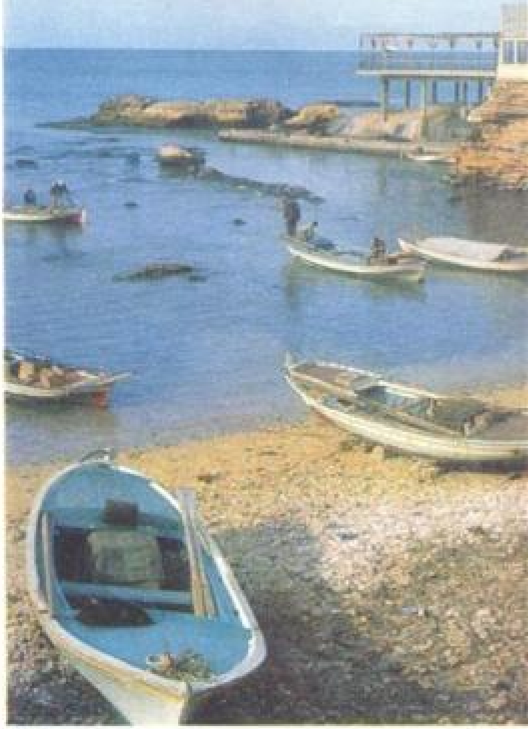
تدهور المرفا

ولكن الحياة فى الميناء ما لبثت ان تدهورت فى عهد المماليك والعثمانيين،حيث اهملوا صيانته ، وساهمت العوامل الطبيعية بدورها فى طمس معالمه. فقد تعرضت اللاذقية لثلاثة زلازل ضخمة ،وقع الأول فى عام ٥٢٩ م فهدم كل شىء فيها وبقيت اللاذقية كومة من الأنقاض الى ان قرر البيزنطيون اعادة بنائها من جديد ، ثم جعل منها الامبراطور جوستنيان Gostenian عاصمة لمقاطعة اطلق عليها اسم تيودوريادس Theodoriades التى كانت تضم جبلة وبانياس .

ولكن العاصمة الجديدة ما لبثت ان تهـدمت مرة أخرى على اثر وقوع زلزال ثان ثم زلـزال ثالث فى عام ١٧٩٦ ، ولم يبق منها سوى حـوض جاف غير صالح للاستعمال .

وكان طبيعيا ان يهتم الفرنسيون بمصـالحهم فى هذا الميناء اثناء فترة الانتداب ، فادخلوا عليه بعض الاصلاحات ، ولكنها كانت اصلاحات طفيفة مؤقتة لا تقاس بما قامت به سورية المستقلة بعد خروج الفرنسيين من اراضيها فى عام ١٩٤٥ ، فقد قامت الحكومة السورية بادخال تحسينات ضخمة على الميناء وطورته واعادت بناءه على أحدث النظم العالمية . ففى فبراير ١٩٥٠أصدرت قانونا يقضى بانشاء ميناء كبير باللاذقية وتأسيس شركة يعهد اليها بادارة اعمال الميناء واستثماره وفعلا انشئت الشركة برأس مال قدره ٢٤ مليون



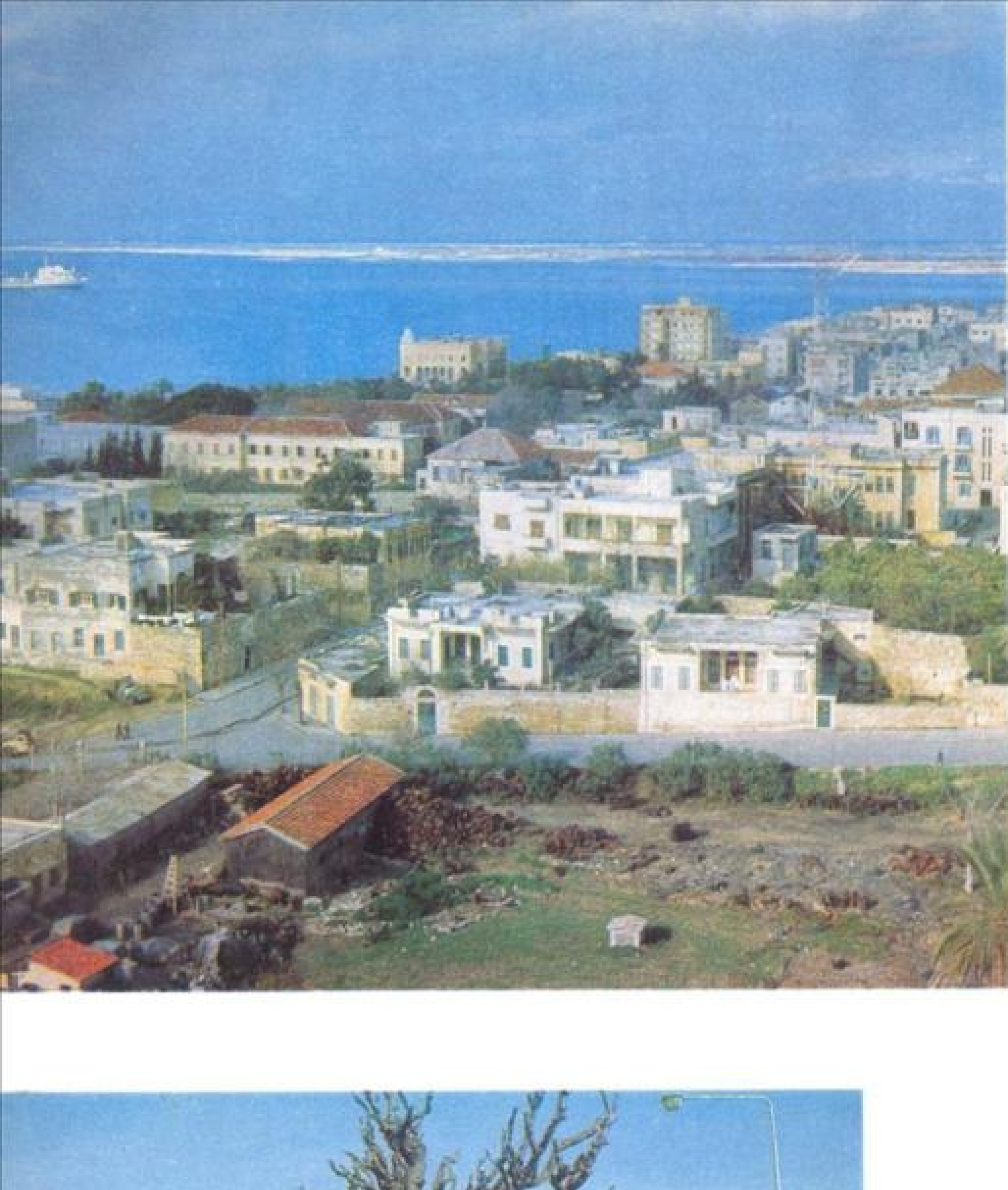


يهوى أهل اللاذقية صيد السمك ، فيخرجون بأجهزة الصيد في القوارب الصغيرة وذلك في عطلة الأسبوع أو يجلسون فوق الصخور على الشاطىء ويجربون حظهم مع السمك .

الى أعلى : منظر عام لمدينة اللاذقية المنفذ الوحيد لسورية على البحر المتوسط . ان المدينة الحديثة بمبانيها **الجديدة لم تظهر الى حيز** الوجود الا منذ أربعين عاما ، ونشطت حركة البناء بعد أن حصلت سورية على استقلالها في عام ١٩٤٦ .

الى اليسار : شارع الاندلس أو طريق الكورنيش على البحر وقد ظهر فيه الى اليسار الفندق السياحي الذي يشرف على البحر مباشرة .







ليرة سورية ، ثم ما لبث أن تضاعف حتى وصل الى ٥٤ مليون ليرة في عام ١٩٦٥ .

وتملك الحكومة ٩٢٪ من أسهم هذه الشركة ، ويملك الأفراد الباقي وتبلغ القيمة الاسمية للسهم الواحد مائة ليرة سورية .

حوض مائي جديد

ولم تقتصر الأعمال التي تقرر تنفيذها في الميناء على ادخال التحسينات على الحوض الصغير القديم الذي استخدمه الفينيقيون بل امتدت الى انشاء حوض مائي جديد ، وقامت احدى الشركات الأجنبية بانشاء مكسر للامواج يبلغ طوله ١٤٣٢ مترا ، ويحيط بحوض مساحته ٢٤ هكتارا ، وذلك الى جانب انشاء رصيف طوله ٦٠٠ متر يمكن أن يستقبل خمس بواخر في آن واحد .

ثم قامت الشركة بعد ذلك بتعميق ودك أرضية الميناء وازالة الرمال من قاعه ، كما انشأت الجدار البحري للميناء ويبلغ طوله ٦٠٠ متر أيضا ، أي بطول الرصيف .

والى جانب هذا قامت ادارة الميناء بتنفيذ عدة مشروعات أخرى بينها امداده بالمعدات الفنية اللازمة للتحميل والتفريغ وشراء ثماني رافعات ضخمة وانشاء مستودعات للحبوب يبلغ ارتفاع جدرانها ٥٤ مترا ، وتتسع لحوالى ٢٥ الف طن، كما انشأت الادارة في نفس الوقت عدة مبان للمستودعات الجمركية والحظائر وبعض الأعمال الاخرى.وفي عام ١٩٥٧ زود الميناء بالرافعة العائمة التي تبلغ قدرة رفعها ١٠٠ طن ، وكذلك شيدت الادارة الجسر المتنقل الذي يبلغ طوله مائة متر أيضا .

وتصل الى هذا الميناء أسبوعيا السفن التي

ساحة الشهداء : وسط هذا الميدان انطلقت أول رصاصة معلنة الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي وانتهت المعركة الفاصلة في ساحة الشهداء بخروج الفرنسيين





أم كلثوم اللاذقية : فى النادى الموسيقى وقفت أم كلثوم اللاذقية لتغنى « أنت عمرى » على انغام موسيقى محمد عبد الوهاب . ان اسمها لينا سوق وعمرها ٧ سنوات .

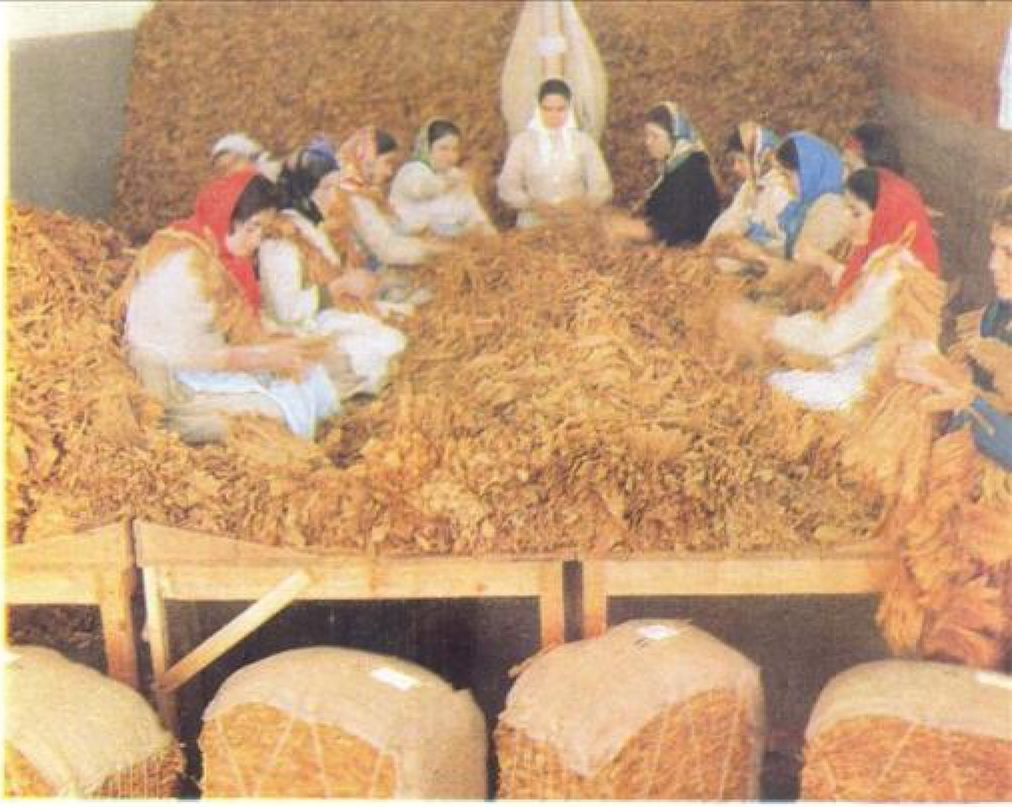
تحمل مختلف انواع السلع والمنتجات الى حوض البحر المتوسط . واهم ما تستورده اللاذقيـة الأخشاب ، أما صادراتها فهى القطن والحبوب والدخان ، الذى اقامت له المحافظة مصنعا ضخما يسمى «ادارة الحصر» ، لتعبئة التبغ واعداده للتصدير ، وصناعة السجائر . ويعمل فى هذا المصنع مئات من العمال والعاملات ، وقد زود باحدث الآلات .

الصناعة والزراعة

ومن بين الصناعات الهامة التى اشتهرت بها اللاذقيـة ، صناعة الصابون من زيت الزيتون ، والقوارب الصغيرة ، وشباك الصيد ، والحرير الطبيعى حيث يقوم الأهالى بتربية دودة القز، وكذلك صناعة السجاد والأوانى الفخارية والفحم الخشبى من اشجار الغابات .

اما اهم محصولاتها الزراعية الى جانب التبغ والزيتون ، فهى الحمضيات والتفاح والخضراوات بانواعها والفستق من المناطق الساحلية .

ومعظم سكان اللاذقية من التجار والمزارعين ، واهلها شأنهم فى ذلك شأن كل سكان الموانىء قوم



التبغ من أهم الحاصلات الزراعية في اللاذقية ، ويعمل في مصنع التبغ مئات العمال والعاملات ، وتصدر منه سورية مقادير ضخمة للخارج.

الى اليسار : « حصة فن » .. طالبات مدرسة ثانوية البنات باللاذقية يتدربن على صناعة العرائس الصغيرة ثم حياكة الملابس « للعرائس » .







الى اليمين واليسار : في مدرسة « بوقة » الزراعية ومدرسة الحراج التابعة لمنظمة الاغذية والزراعة يأخذ الطلبة دروسا عملية وسط الحقول ويتخرج فيهما عمال ومهندسون زراعيون .

طيبون هادئو الطباع ، يحبون الغرباء الذين يفدون الى بلادهم بطريق البحر والبر حيث ينقلون اليهم تجارتهم وتجاربهم .. ويشعر الزائر وهو يتحدث الى اهل اللاذقية انه فى بيته وبين أهله ، وجوههم سمحة ، لفحتها شمس الصيف الدافئة .وحياتهم تتميز ببساطة اهل الريف وجمال أهل المدن .. فالحقول والمتاجر تقوم جنبا الى جنب ، فتلتقى كلها فى الوادى الذى يزرعون أرضه ويقيمون فوقها مصانعهم .

وشوارع اللاذقية المدينة تبدأ عند سفح الجبل، وتلتقى كلها بالكورنيش الذى يمتد لمسافة ثلاثة كيلو مترات على الشاطىء . وهى شوارع ضيقة تنتشر المحلات التجارية على جانبيها ، واهمها شارع شكرى القوتلى الذى يعتبر أكبر الاحياء التجارية فى المدينة .

ساحة الشهداء

وفى قلب اللاذقية المدينة زرنا ساحة الشهداء حيث دارت المعركة الفاصلة فى عام ١٩٤٦ بين الوطنيين العرب والفرنسيين ، وكانت معركة غير متكافئة ، وبالرغم من هذا انتصر العرب بعد أن استشهد عدد كبير منهم. ويشرف على هذه الساحة البيت الذى اطلق منه الفرنسيون الرصاص والقنابل على افراد الشعب الثائر ، وقد تحول الآن الى مدرسة .

وفى مدن محافظة اللاذقية كلها ٧٥١ مدرسة

فتيات الفتوة : طالبات مدرسة ثانوية البنات باللاذقية فى الطابور قبل بدء حصة التدريب على اطلاق النار .



يتلقى فيها الطلبة والطالبات علومهم فى مختلف المراحل ، وهى تضم ١١٧٦٥ طالبا وطالبة ، ويشرف ٤٥٠ مدرس على تدريسهم . وبعض هذه المدارس حكومى والبعض الآخر خاص .

وقد قمنا بزيارة لمدرسة ثانوية البنات التى تأسست عام ١٩٣٠ ، وهى تضم الآن ١٢٦٠ طالبة ، وبها فصول خاصة لاعداد الطالبات اللواتى يحصلن على الثانوية العامة للتدريس لتلاميذ المرحلة الابتدائية ، وتمارس الطالبات مختلف الوان النشاط الرياضى والفنى والتدبير المنزلى ، والدراسة مجانا .

المدارس فى الصباح والمساء

ومن اهم المدارس الثانوية للاولاد مدرسة « جول جمال » وقد واجهت السلطات المسئولة فى اللاذقية مشكلة فى توفير الفصول الكافية لاستيعاب العدد المتزايد من الطلبة ، ولكن امكن التغلب على هذه المشكلة باعداد الفصول لاستقبال الطلبة فى الصباح والمساء بحيث ينتهى اليوم الدراسى لطلبة فترة الصباح فى الساعة الثانية ظهرا ، ثم تبدأ الدراسة المسائية بعد الظهر .

وعلى بعد بضعة كيلومترات من اللاذقية توجد مدرسة بوقة الزراعية التى يتخرج فيها المهندسون الزراعيون ، ومدرسة الحراج التى تشرف عليها منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة . وتقوم المنظمة باختيار الطلبة المتفوقين من جميع الدول العربية وترسلهم الى مدرستها لتلقى العلم على نفقتها .

وفى مدن محافظة اللاذقية سبعة مستشفيات من بينها ثلاثة حكومية واربعة اهلية ، وتضم هذه المستشفيات خمسمائة سرير ويعمل فيها حوالى ٣٠ طبيبا من مجموع عدد الاطباء البالغ ١١٣ طبيبا . كما يوجد كذلك ٢٦ مستوصفا تقدم العلاج بالمجان للاهالى ، وسبعة مراكز لرعاية الطفولة والأمومة و٤٥ صيدلية .

الجمعيات الخيرية

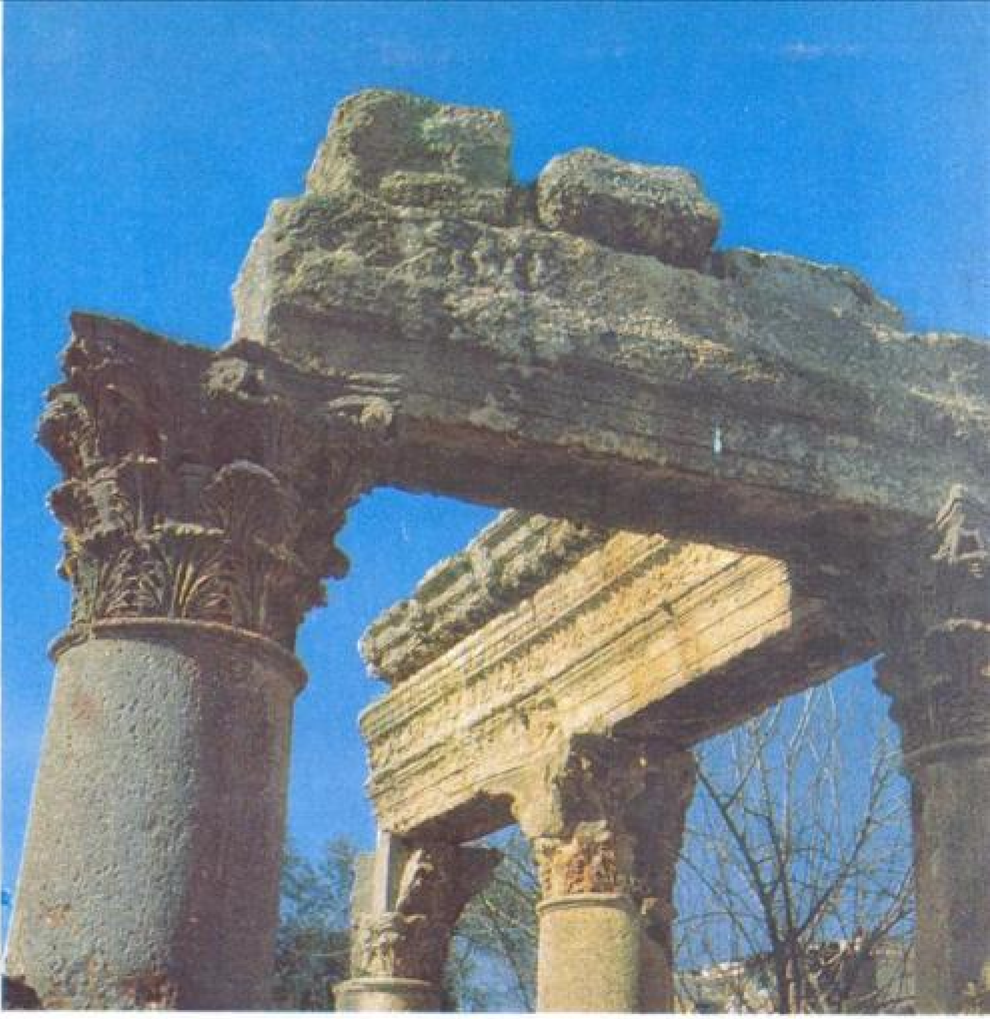
وتنتشر الجمعيات الخيرية والجمعيات النسائية فى جميع مدن المحافظة وقراها ، ويبلغ عددها ٢٩ جمعية ، واهمها جمعية الهلال الاحمر ، وجمعية المرأة العربية التى تهتم برفع المستوى الثقافى والاجتماعى للمرأة ، وجمعية اصدقاء الفقير ، والجمعية الخيرية الاسلامية ، ويشرف عليها اتحاد الجمعيات النسائية باللاذقية الذى يقوم بمهمة الارشاد والتوجيه ووضع السياسة العامة لهذه الجمعيات .

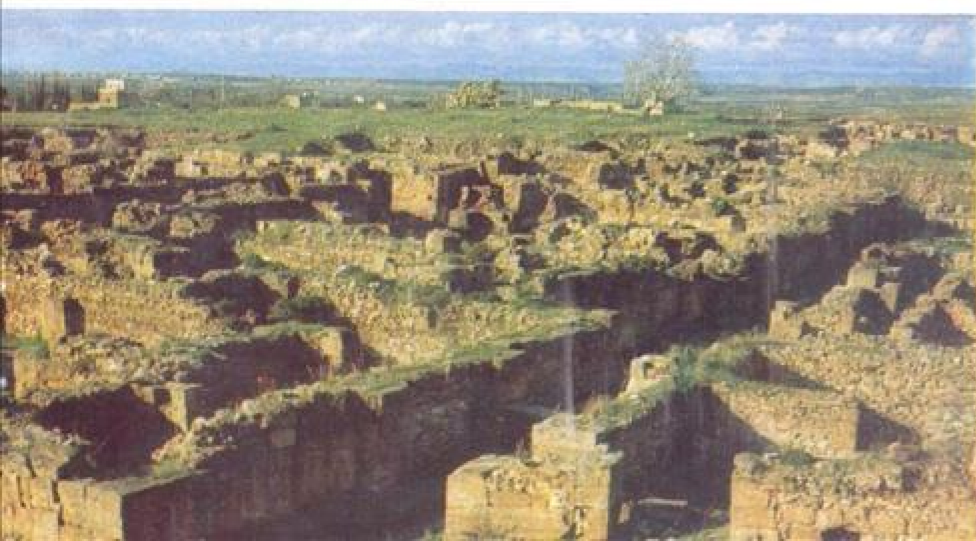
واللاذقية تنام فى ساعة مبكرة ووسائل اللهو فى المدينة مقصورة على دور السينما . والنوادى الاجتماعية والرياضية هى المكان المفضل لشباب اللاذقية ، ولم تر فى شوارع المدينة مقهى واحدا ، ولو ان « الكازينوهات » تنتشر على الشاطىء امام الفنادق السياحية لاستقبال المصيفين العرب والأجانب الذين يفدون اليها فى موسم الصيف . اما فى الشتاء فيكاد يكون الشاطىء مهجورا الا من بعض الافراد الذين يهوون الصيد .

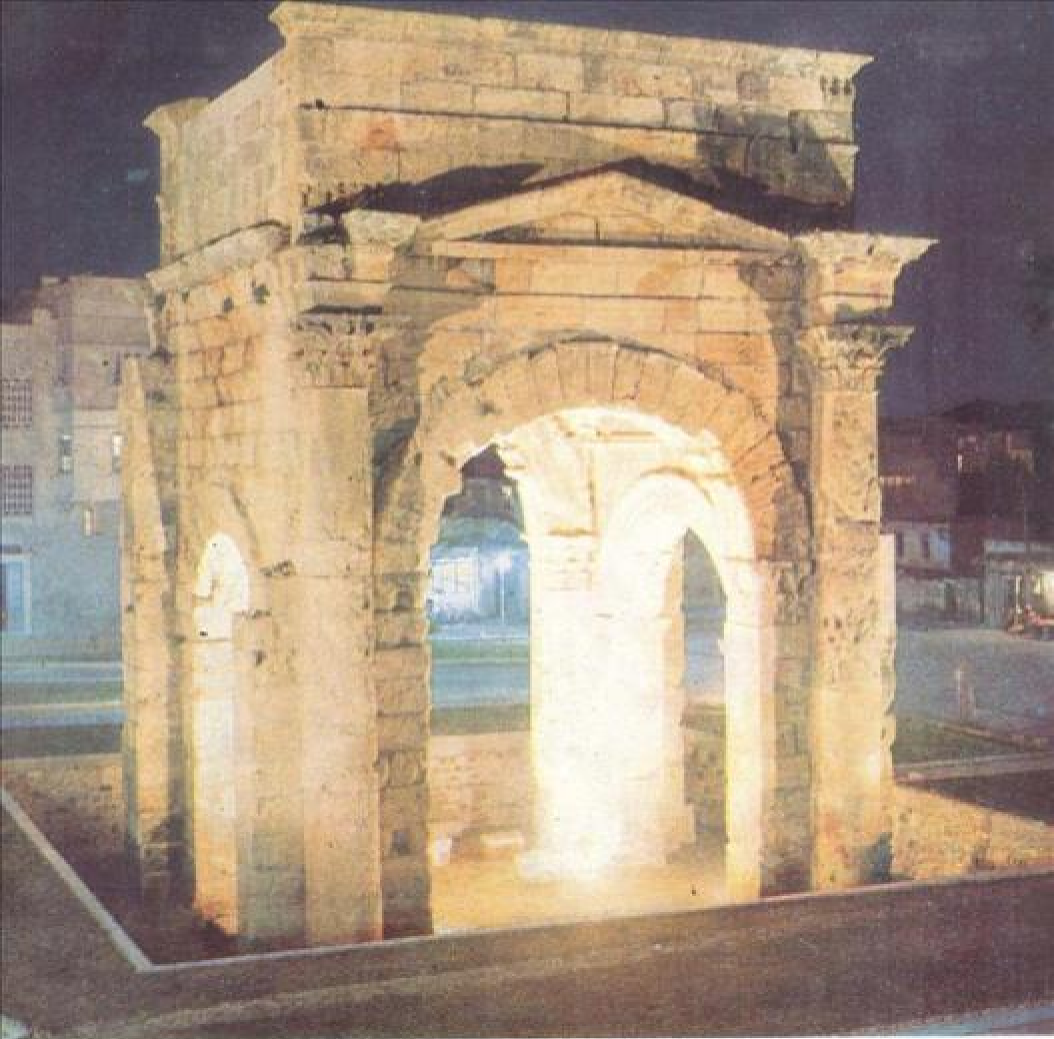
اسرة من الفنانين

وقد وجهت الينا الدعوة لحضور حفل موسيقى ساهر فى النادى الموسيقى بالمدينة . والتقينا بأسرة كل افرادها من الفنانين الذين ورثوا هذه الهواية ابا عن جد منذ حوالى تسعين عاما . وقد جاءت هذه الأسرة الى سورية منذ ٣٧٥ عاما ، فهى تنحدر من اصل لبنانى . وحدثنا السيد محمود عجان عازف الكمان وعميد الاسرة ، وهو استاذ الموسيقى فى مدرسة ثانوية البنات ، قال انه عزف اول مقطوعة على العود وهو فى الثالثة عشرة ، والف اول قطعة موسيقية صامتة قبل ان يبلغ العام السابع عشر من عمره ، وقد اشترك فى الحفل الذى اقيم لاحياء ذكرى ابى العلاء المعرى منذ بضع سنوات فى موسكو عندما عزف مقطوعة اسماها من وحى ابى العلاء .

قال محمود ، ان الاسرة كلها ، رجالها ونساءها تهوى الموسيقى وان مثله الاعلى هو سيد درويش ، وانه يضعه فى مصاف كبار الموسيقيين العالميين امثال بتهوفن وباخ مع الفارق ، ذلك لان بتهوفن عاش فى العصر الذهبى للموسيقى ، وتأثر بمن حوله من كبار الفنانين ، فلا غرابة ان ينبغ متأثرا بموسيقاهم . اما سيد درويش فقد خلق وابتكر وعبر عن مشاعر واحاسيس وعواطف كثيرة جديدة انبثقت من اعماق نفسه وحده ، مما يدل على









ترك الرومان آثارهم في كثير من انحاء اللاذقية، وفي الصورة اليمنى القوس الروماني الذي شيدوه لاستقبال قوادهم المنتصرين ، أما الصورة اليسرى فتمثل أحد مداخل المدينة الرومانية القديمة التي لم يبق منها الا تلك الاعمدة المهدمة .

الى اليمين : مدينة اوغاريت او راس الشمرة التي تعد أعظم اكتشاف اثري في العصر الحديث ، ويرجع تاريخها الى ١٧٠٠ عام قبل الميلاد .

الى اليسار : البئر التي تتوسط ساحة القصر بالمدينة الاثرية ، ولا تزال المياه فيها لم تجف حتى اليوم .



متحف طرطوس : كان من قبل كنيسة ، وقد بناها الصليبيون ثم تحولت الى متحف يضم اليوم آثار محافظة اللاذقية .

عظمة هذا الفنان ، وما كان يحمله فى صدره من حس مرهف وقدرة كبيرة على تفهم أعماق النفس البشرية .

أم كلثوم اللاذقية

وقبل ان يكمل محمود حديثه وقفت طفلة صغيرة فى السابعة من عمرها وراحت تشق طريقها الى خشبة المسرح ثم غنت « انت عمرى » على انغام موسيقى عبد الوهاب التي عزفتها فرقة « آل عجان » . وانتزعت الطفلة الصغيرة اعجاب الحاضرين فصفقوا لها بحرارة ، وقال محمود وهو يقدمها لنا : « هذه ام كلثوم اللاذقية ، الآنسة لينا ، وهي ايضا من اسرة عجان ! » .

ويضم النادى الموسيقى ٨٠ عضوا من الرجال والنساء على السواء ، وهو ناد للهواة فقط ، تاسس منذ عشرين عاما واعضاؤه من هواة التصوير الفوتوغرافى والرسم والنحت والتمثيل والآثار .

ومدينة اللاذقية ، بوضعها الحالى ، لا يزيد عمرها على اربعين عاما اى ان معظم المساكن والعمارات والشوارع الجديدة لم يكن لها وجود قبل عام ١٩٢٥ ، ولا تزال الأحياء القديمة بمنازلها وشوارعها وآثارها التاريخية تعيش جنبا الى جنب مع المدينة الجديدة .

والآثار من ابرز معالم مدينة اللاذقية ، فقد تركت الفتوحات والغزوات بصماتها فى كل مكان تذهب اليه .. فى الميدان الصغير الذى شيد فيه الرومان القوس الحجرى لاستقبال قوادهم بعد عودتهم من الحرب ... وفى الشوارع الضيقة التي تتفرع من الميدان حيث شيد الأهالي بيوتهم بجانب البوابات القديمة ووسط النقوش والأحجار التي

لمحة عن تاريخ اللاذقية

* شهدت سلسلة من الغزوات والفتوحات منذ أقدم العصور .

* استوطنها الفينيقيون ، وهم قد بقوا فيها الى أن جاءها الاسكندر المقدونى فى عام ٣٣٣ قبل الميلاد وأنزل الهزيمة بقوات الفرس ثم دخل سورية على رأس جيش كبير .

* بدأ العصر الروماني بعد ذلك وأصبحت اللاذقية جزءا من الولايات الرومانية وذلك فى عام ٦٤ قبل الميلاد . وما لبث الرومان ان غادروها ولكنهم تركوا آثارهم فى أجزاء عديدة من هذه المدينة .

* فى عام ٢٩٥ بعد الميلاد أصبحت المنطقة جزءا من الامبراطورية البيزنطية .

* بدأ عهد الصليبيين فى عام ١٠٩٧ بعد

بقيت في مكانها منذ مئات السنين تروى قصـة الحياة التي عاشتها المدينة منذ اقدم العصور .

الاهتمام بالسياحة

ولعل هذه الآثار التاريخية هي التي دفعت المسئولين الى الاهتمام بالسياحة . وقد تألفت اخيرا لجنة سياحية منذ ستة اشهر تقريبا تضم بعض السيدات والآنسات في المحافظة . ومهمة اللجنة نشر الوعي السياحي واقامة المشاريع السياحية . وقد بدأت اللجنة تمارس نشاطها بالفعل فأعدت اول دليل سياحي واهتمت بنظافة المدينة وابراز معالمها الأثرية والسياحية . كما اهتمت بزراعة الاشجار واقامة الحدائق .

والاشجار في اللاذقية ثروة قومية ، وقد اصدرت الحكومة قانونا يحرم قطع اية شجرة لأى سبب من الأسباب ، ويحتفل الاهالي في آخر يوم خميس من كل عام « بعيد الشجرة » فيخرجون الى الحقول والمزارع والى سفوح الجبال ويزرع كل واحد منهم شجرة باسمه ، ويظل يتعهدها حتى تنمو وتكبر . كما يحتفل اهل اللاذقية ايضا بعيد اول نيسان (ابريل) فيخرجون الى الحدائق والمتنزهات لاستقبال الربيع .

ممـر دولي

هذه جولة سريعة في مدينة اللاذقية التي تعتبر ممرا بريا دوليا الى اوربا ، فيصل اليها السائحون بسياراتهم ، من الشرق العربي خاصـة ، ثم يواصلون سيرهم الى تركيا ، ومنها الى وسط اوروبا حتى مدينة فيينا عاصمة النمسا .

محافظة اللاذقية

وتمتد محافظة اللاذقية على شاطىء البحر المتوسط لمسافة ١٧٣ كيلومترا ، ويحدها من الشمال لواء الاسكندرونة الذي يقع نصفه في سوريا ونصفه الآخر في تركيا ، ومن الجنوب لبنان ومن الشرق محافظتا حمص وحماة ، ومن الغرب البحر المتوسط . وتسير حدودها مع مجرى نهر

الميلاد ومرت المحافظة بفترة من الزمن طويلة تنازعها فيها المسلمون والبيزنطيون والصليبيون .

* جاءها القائد الكبير صلاح الدين الايوبي فبدأ هجومه لاستعادة الشاطىء السوري في عام ١١٨٨ ، فاقتحم الحصون والقلاع التي شيدها الصليبيون وأمضوا أعواما طويلة في بنائها فوق قمم الجبال ومن بينهـا قلعـة « صهيون » التي بناها الصليبيون في عشرين عاما واحتلها صلاح الدين في أربعة أيام .

* تلاحقت العهود بعد ذلك حتى جاء عهد المماليك وتلاه العهد العثماني عندمـا اعتلى السلطان سليم الاول عرشه وبدأ يفكر فى احتلال سورية . وفي عام ١٥١٦م ، وصلت قواته ووضعت نهاية لحكم المماليك .

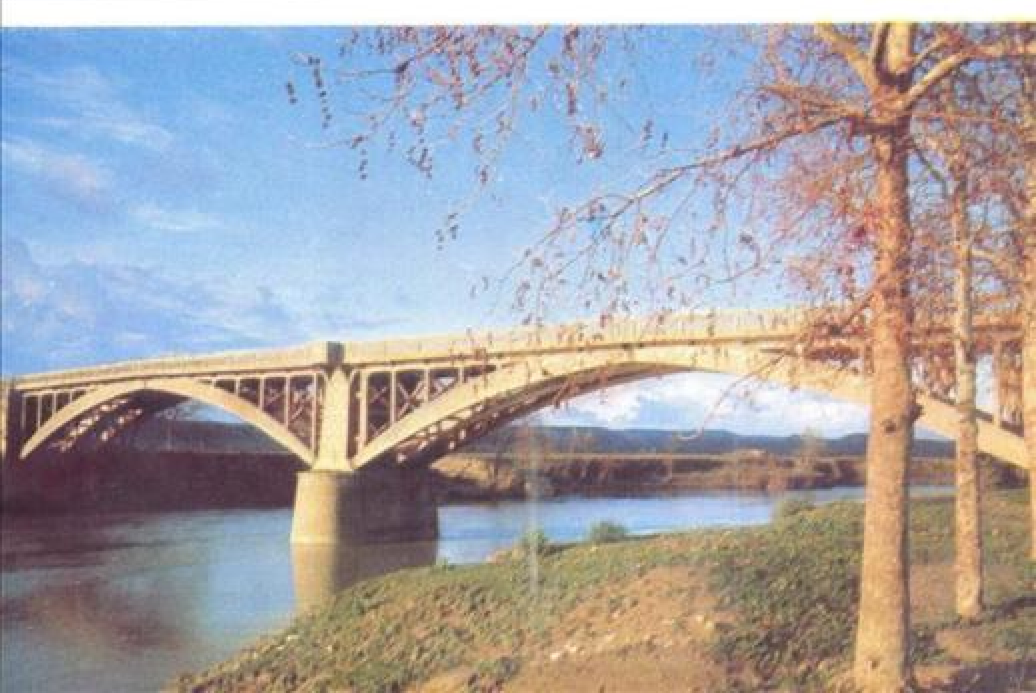
* احتلها ابراهيم باشا والي مصر في عام ١٨٣٢ وأسرع السلطان العثماني الى الاتفاق مع بعض الدول الغربية الحليفة على اخراج قوات ابراهيم من سورية . ولم يكن ذلك عطفا من الدول الغربية على تركيا ، وانما استبقاء على سورية لعلها تقع غنيمة في يد الحلفاء يوما. وقد حدث هذا في الحرب العالمية الاولى عندما أخرج هؤلاء الحلفاء الاتراك من سورية وبدأت المفاوضات السرية التي أسفرت عن الاتفاق المعروف باسم معاهدة سايكس ـ بيكو، تلك التي وقعت في عام ١٩١٦ بين البريطانيين والفرنسيين وأصبحت محافظة اللاذقية بموجبها تحت سيطرة الفرنسيين .

* بقي الاحتلال الفرنسي لسورية حتى عام ١٩٤٥ ، وبعدها بدأ عهد الاستقلال عندما تخلصت البلاد من الاستعمار الفرنسي الى الابـد .





مصيف كسَب الذى يقع عند سفح جبل الاقرع فى الشمال وتحتضنه الجبال من كل جانب ، ويهرع اليه المصيفون بحثا عن الراحة والهدوء وسط مناظر الطبيعة الساحرة .







الى اعلى : مدرج جبلة الرومانى ، وقد شيده الرومان فى القرن الثانى بعد الميلاد ، اما المسرح فلا يزال مدفونا تحت التراب ولم يكشف عنه حتى الآن .

الى اليمين: جسر النهر الكبير بمدينة اللاذقية، ويجرى العمل الآن لبناء آخر على بعد بضع خطوات من الجسر القديم الذى بناه الفرنسيون .

الى اليسار : غابة الفرنلق وتقع فى منتصف الطريق الى مصيف كسب وتنتشر فيها اشجار الصنوبر ، ولا تسلم من الحرائق التى تلتهم سنويا عددا كبيرا من اشجارها .



الحي القديم : لقد ترك العرب آثارهم في اللاذقية وبقيت الاسوار والبوابات الضخمة في الحي القديم جنبا الى جنب مع المنازل الحديثة .

العاصي شمالا ثم تتحول غربا مع سلسلة جبال اللاذقية ، اما من الجنوب فتسير بمحاذاة مجرى النهر المسمى بالنهر الكبير .

وتضم المحافظة عدة مدن وقرى صغيرة تنتشر فيها الآثار القديمة ، وأكبر مدن المحافظة ميناء اللاذقية ، وفي الشمال وبالقرب من حدود تركيا يقع مصيف كسَب وهو يبعد عن الميناء بحوالي ٤٥ كيلومترا . واذا سرت في الطريق الجبلي المؤدي الى هذا المصيف مررت بغابة الفرنلق العذراء .

وفي الشمال ايضا راس الشمرة او « أوغاريت » المدينة الأثرية التي اكتشفت في عام ١٩٢٨ . اما الى الجنوب من الميناء فتقع مدينة جبلة بآثارها التاريخية ومدينة بانياس وهي مركز هام لنقل البترول ، ومدينة طرطوس ، ومصيف صافيتا ثم جزيرة ارواد .. وتبلغ مساحة محافظة اللاذقية ٤٥٠٠ كيلومتر .

اكبر كشف أثري

وننتقل الآن من مدينة اللاذقية الى الشمال ...

الطريق طويل متعرج وسط الجبال ، وعلى جانبيه تنتشر مزارع الزيتون والتفاح والبرتقال . فتنطلق السيارة بنا مسرعة .. ان وجهتنا اليوم هي راس الشمرة او « اوغاريت » المدينة الأثرية التى تقع على بعد عشرة كيلومترات من ميناء اللاذقية والتي ظلت مدفونة تحت الأتربة والصخـور عشـرات القرون ، وهي تتألف من خمس طبقات كاملة يقع بعضها فوق بعض . وقد تم اكتشاف اول طبقـة منها فى عام ١٩٢٨ ، وبدأت الحفريات فى العـــام التالي لهذا الكشف التاريخي الهام الذى كان حديث العالم كله .

ويرجع تاريخ الطبقة الأولى من المدينة التي تقع تحت سطح الجبل مباشرة الى ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد . اما باقى الطبقات الأربع التى تقع تحتها والتى لا تزال اعمال الحفريات جارية للكشف عنها حتى اليوم فيرجع تاريخها الى ٧ الاف عام قبل الميلاد .

حضارة أوغاريت

وقد اجمع علماء الآثار على ان هذا الكشف يعتبر من أهم وأعظم الاكتشافات الاثرية فى العصر الحديث . فقد ثبت من دراسة الآثار التي عثروا عليها انه كان فى مدينة اوغاريت فى الألف الرابع والألف الثالث قبل الميلاد حضارة راقية كمـا كانت محط انظار كثير من الملوك والأمراء الذين يتنافسـون على كسب ودها والسيـطرة عليهـا احيانا . وكـان سكانها على اتصال بالبابليين والآشوريين والحيثيين والمصريين القدماء .

وقد امتلأ متحف دمشق بقطع الآثار التي عثر عليها العلماء فى اوغاريت وفى مقـدمتها الرأس العاجي الذى يعتقد انه لاحدى اميرات مملكـة اوغاريت ، وكذلك اول ابجدية عرفها التاريخ ، وعدد كبير من التماثيل والأواني الفخارية التي تشبه الى حد كبير آثار قدماء المصريين فى زخرفها والوانها واشكالها .

ولا يتسع المجال هنا لسرد تاريخ هذه المملكة الأثرية ، ولذلك فسوف نرجيء الحديث عنهـا بالتفصيل الى فرصة أخرى . كل الذى يمكن ان يقال فى هذا المجال انه بلغ من اهتمام العلمـاء والمشتغلين بالآثار بهذا الكشف التاريخي الهام ، ان سجل عدد الكتب التى صدرت عن اوغاريت رقما قياسيا فقد بلغ مئات الكتب ، على ما قيل لنا ، وزعت فى جميع انحاء العالم .

الغابة العذراء

ونترك مملكة اوغاريت ونتجه شمالا الى مصيف كسَب ، وفى الطريق الى المصيف الجميل الواقع فى بطن الجبل بالقرب من حدود تركيا ، مررنا بناحية قسْطَل المعاف ، وهي قرية جبليـة صغيرة يعيش فيها ١٥ الف شخص يعملون فى زراعة الدخان والحبوب وتربية النحل . وترتفع قسطل المعاف عن سطح البحر بحوالي ٦٥٠ مترا ، وهي تضم ٢٥ مدرسة يتلقى فيها الاطفـال علومهـم الابتدائية ثم ينتقلون بعد ذلك الى مدينة اللاذقية لاتمام المرحلة الثانوية .

ونترك هذه البلدة ونمضي فى طريقنا فنمـر



ميناء اللاذقية : فى عـام ١٨٠٤ بريشة احدالتجار الانجليز

رقصة الدبكة يؤديها شبان اللاذقية وفتياتها . انهم يرقصون بملابسهم الوطنية الملونة في الاعياد والمناسبات على انغام الموسيقى التي تعزفها لهم فرقة كل افرادها من الهواة الذين ينتمون الى النادي الموسيقي باللاذقية . أما الراقصون والراقصات فهم من طلبة وطالبات المدارس الثانوية الذين يهوون ايضا الرقص والموسيقى، ويعرضون فنهم الشعبي في الحفلات والمناسبات ، فتراهم في النادي على المسرح او في الحدائق العامة ووسط الحقول الخضراء يرقصون وينشدون اغانيهم الوطنية الشعبية . ان لكل مدينة في سورية رقصة تشتهر بها ويتعلمها ابناؤها .

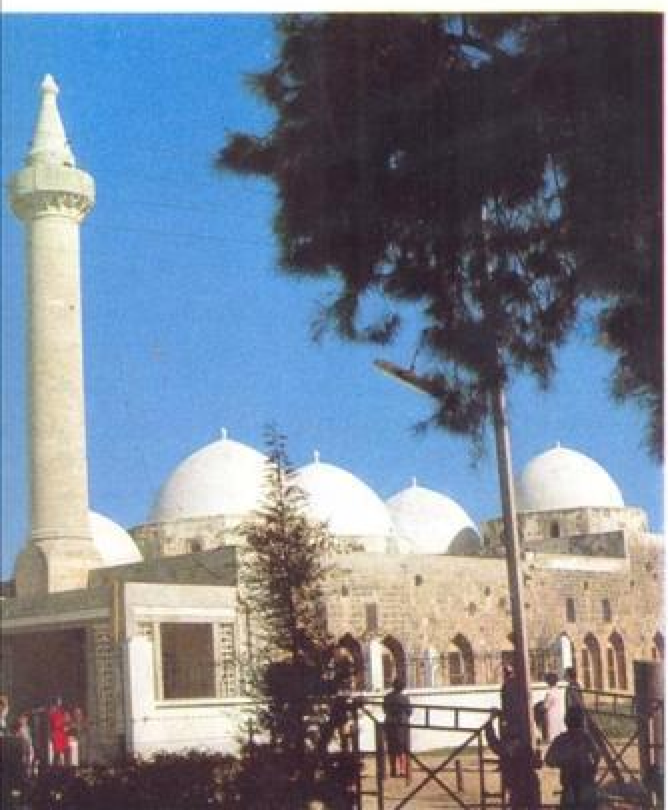




جدار القصر الكبير بمدينة رأس الشمرة أو أوغاريت ، ولا يزال أساس الجدار باقيا رغم تهدم الجزء العلوي منه .



مسجد السلطان ابراهيم بمدينة جبلة احدى مدن محافظة اللاذقية . لقد أقيم المسجد في نفس المكان الذي دفن فيه السلطان فأصبح مزارا للمسلمين يزورونه تبركا من وقت لآخر . وقد أدخلت على المسجد عدة اصلاحات وترميمات ، وهو مركز سياحي هام .





شاب من اللاذقية يؤدى احدى الرقصات الشعبية وسط خمس من بنات المدينة بملابسهن الوطنية .

بغابة الفرنلق العذراء فى وسط الجبل ، وهي تبعد عنها بحوالي ثمانية كيلومترات ، واشجارها الضخمة العالية لا تخلو من جمال ، وتتوسطها عين من المياه المعدنية ، ويزورها الطلبة والطالبات فى عطلة الأسبوع خلال اشهر الصيف فيمضون نهارهم بين اشجارها ويطهون طعامهم على النار التي يشعلونها فى جذع شجرة كبيرة حولوها الى فرن !

نبع الحرامية !

وشربنا من نبع ماء يسمونه «نبع الحرامية» وهو يقع عند نقطة الـ ٤٥ كيلومترا من اللاذقية فى الطريق الى كسب ، وقد اختاروا له هذا الاسم لان قطاع الطرق فى زمن الاحتلال العثماني كانوا يرابطون عنده ويهاجمون القوافل وينهبونها !

عند الحدود

وقبل ان نصل الى كسب وقفنا برهة فوق قمة جبل صغير اقيمت فوقه نقطة لشرطة الحدود السورية . ومن هذا المبنى شاهدنا الحدود التركية على الجانب الآخر ، وهي لا تبعد بأكثر

من مائتى متر . ثم واصلنا السير بالسيارة وسط الجبل فوصلنا الى البوابة التى ينتقل اليهـا المسـافر من الاراضي السـورية الى الاراضي التركية . وقد ارتفع العلم السورى فوق نقطـة التفتيش ، بينما ظهر العلم التركي على نقطـة التفتيش في الجانب الاخر من البوابة . من هنا ينطلق المسافرون بسياراتهم من سوريا الى اروبا ، او من تركيا الى دول الشرق الاوسط ولبنـان ومن هنا الى الامريكتين بالباخرة .

الجبل الأقــرع

واخيرا وصلنا الى كسَب ، وهى مدينة جميلة صغيرة تقع عند سفح جبل الاقرع ، وقد اختاروا له هذا الاسم لأنـه يخلو من الأشجـار تماما ، فالجبال فى اللاذقية ترتدى غطاء اخضر فى الربيع ثم لا تلبث الاشجار ان تذبل وتجف فى الشتاء . وتغطيها الثلوج .

وترتفع كسب عن سطح البحر بحوالي ٩٠٠ متر ، وقد شيدت منازلها الصغيرة وفنادقهـا السياحية المزودة بالماء والكهرباء فى بطن الجبل الذى يحتضنها فى رفق ويضفي عليها منظرا خلابا . ويبلغ عدد سكانها وحدها ثلاثة الاف نسمة ، وهم جميعا من اصل ارمني ، استوطنوا هذا الجـزء من الأراضي السـورية منذ مئات السنين ، ويعمل معظمهم بالزراعة ، فهم يزرعون التفاح والتبـغ والغار الذى يستخرجون منه اجود انواع الزيوت التي تستخدم فى صناعة الصابون .

ويوجد فى كسب وفى القرى المحيطة بها ، ويبلغ عدد سكانها مجتمعـة ٥ الاف نسـمة ، خمس مدارس ، اربع منها ابتدائية وواحدة اعدادية . وتعتبر كسب مركزا سياحيا ممتازا . واهلهـا قوم بسطاء ولكنهم منطوون على انفسهم . وفـي يوم ١٨ آب (اغسطس) من كل عام يقيم الاهالي عيدا قوميا تزول فيه الكلفة ويرقص الجميع .. الرجال والنساء والشبان والفتيات ويشترك معهم مئات من الزائرين الذينجاءوا يشاركونهم افراحهم من الخارج وتعزف الموسيقى اجمل الحانها .

المرآة هى المرآة

والمرآة فى كسب هي المرآة فى كل مكان ، تستهويها الأزياء الحديثة ، وآخر صيحات « ملوك الموضة » الذين يتحكمون فى ملابسها . ولكن كيف السبيل الى اقتناء أزياء باريس ونيويورك وبرلين ؟ لقد شاهدنا فى كسب احدى المجلات التى تحتوى على الأزياء الحديثة ، فالفتيات هنا يحرصن على شراء هذه المجلات وينتقين منها ما يعجبهن من «موضات» ثم يقمن برحلة جماعية الى اللاذقية او الى بيروت التي لا تبعد بالسيارة عن مدينتهن بأكثر من ٢٥٠ كيلومترا ، ويعدن وقد حملن مجموعة كبيرة من الأقمشة ، ثم يبدأن فى تحويلها الى فساتين على احدث طراز طبقا لما تنقله اليهن مجلات الأزياء .

قلعة صلاح الدين

ونترك كسب وفتياتها الأنيقات ، ونتجه الى قلعة صهيون ، او قلعة صلاح الدين الأيوبي . ولكي تصل الى هذه القلعة الأثرية التى يرجع تاريخها الى القرن العاشر الميلادى تقريبا ، لا بد لك ان تتسلق جبلا شاهقا ثم تهبط منه الـى السفح وتعود فتتسلق جبلا ثانيا حتى تصل الى قمته وفوق هذه القمة شيد الصليبيون قلعتهم وتحصنوا داخلها وامضوا اكثر من عشرين عاما فى بنائها ، ثم جاء صلاح الدين وغزا القلعة ودك حصونها واستسلمت له فى اقل من اربعة ايام .

وتبعد قلعة صلاح الدين عن مدينة اللاذقيـة بحوالي ٣٥ كيلومترا ، وهي مركز سياحي ممتاز ، ويجرى العمل الآن لشق طريق وسط الجبل حتى يمكن الوصول اليها بالسيارة ، وسوف نعـود الى الحديث عن هذه القلعة الأثرية فى فرصـة اخرى .

القديم والجديد

وننتقل بك الآن الى الجنوب ... الى جبلة وبانياس وطرطوس ثم جزيرة ارواد ، وابرز معالم مدينة جَبْلة مشروع سـد نهر السّن وجامـع السلطان ابراهيم والمدّرج الذى بناه الرومان ، وسنمر بسرعة على المدينة الصغيرة قبل ان ننتقل الى الحديث عن معالمها . لقد اهمل الفرنسيون جبلة فى زمن الانتداب مما ادى الى تأخر تطورها ، ولكن يبدو انها كانت آهلة بالسكان ايام الرومان بدليل وجود مسرحها الذى يتسع لحوالي اربعة







الى اليمين: الطريق الى كسب جبلي تحف به الاشجار على الجانبين وتنتشر حوله مزارع الزيتون ، ومن كسب تنطلق السيارات الى تركيا عبر الحدود ومنها الى اوربا بعد ان تقطع رحلة طويلة في طريق متعرج وسط الجبال .

اسرة في مصيف كسب تقضي نهارها تحت الشمس الدافئة . ان فتيات كسب يشتهرن بالاناقة فهن يحرصن على شراء مجلات الازياء الحديثة ويقمن بأنفسهن بتفصيل الفساتين من الاقمشة التي يشترينها من بيروت واللاذقية ويقطعن في سبيل الحصول عليها مئات الاميال !

الى اليمين : منطقة الحدود بين سورية وتركيا . والاشجار الظاهرة في الصورة هي نهاية حدود سورية في شمال اللاذقية ، وبعدها مباشرة تبدأ الحدود التركية ، وفوق قمة الجبل البعيد بنى الاتراك نقطة حرس الحدود !



الاف متفرج ، والذى لا يزال يحتفظ بهيكله حتى اليوم .

ومنذ عهد الاستقلال بدأت المدينة تزدهر وتتقدم ، وزودت بالكهرباء والماء ، وشقت فيها الشوارع الجديدة كما شيدت بها المدارس والنوادى والجمعيات والفنادق السياحية . ويبلغ تعداد سكانها اليوم ١٧ الف نسمة .

اما جامع السلطان ابراهيم « أمير مدينة بلخ » الذى شيد فى العصور الوسطى فيعتبر من أروع المساجد الأثرية اطلاقا بمحافظة اللاذقية . ولهذا السلطان الذى حمل المسجد اسمه ، قصة تبدأ عندما سافر الى ايران ليحتفل بزواجه ، ولكن ما كاد موعد الزفاف يحل حتى اختفى السلطان ابراهيم ولم يعثر له احد على اثر ، تاركا عروسه تندب حظها . فقد قرر السلطان العدول عن الزواج ، وكرس حياته للعبادة ، فاصبح يعيش فى تقشف ، ثم اخذ يطوف العالم ليبشر بالخير وينشر رسالة التقوى . وخلال جولته فى مدينة جبلة وافته منيته ، فقام أهالي البلدة ببناء مسجد فوق قبره الذى أجريت عليه عدة ترميمات على مر الاجيال ، وأصبح هذا المسجد كعبة للمسلمين يحجون اليه من وقت لآخر ولا يزال موضع احترام من الجميع .

أقصر نهر فى العالم

ويجرى الآن العمل على قدم وساق للانتهاء من مشروع سد نهر السن ، وهو بالغ القصر لا يزيد طوله على ستة كيلومترات ، وينبع النهر من جبل قرفيص فى بانياس ويصب فى البحر المتوسط . وتبلغ تكاليف السد بعد اتمامه ، فى نهاية عام ١٩٦٦ ، ١٢ مليون ليرة . وقد بدأ العمل فيه منذ خمس سنوات ، ولو ان دراسة المشروع بدات قبل ذلك بخمس سنوات أخرى . وتبلغ مساحة الاراضى التى ستروبها المياه المخزونة وراء السد تسعة آلاف هكتار ، أما المياه فسوف ترفع من البحيرة الصناعية بواسطة محركات ديزل وذلك لانخفاضها عن مستوى الاراضى المحيطة بها ووعورتها فهى جبلية غالبا .

ونترك جبلة الآن وننتقل الى مدينة بانياس ، وهى ميناء صغير هام ، هو منتهى خط انابيب البترول العراقى ، ومنه يحمل هذا البترول الى اوروبا . وينقل منه جزء الى البلاد السورية عبر أنابيب فرعية لقضاء حاجتها منه .

وقد اطلق اليونانيون اسم « بال نياس » على هذه المدينة التى يبلغ تعداد سكانها اليوم ١٢ الف نسمة ثم حذفت اللام وأصبح اسمها «بانياس» . وبال نياس معناها الحمام العمومي وهى هكذا كانت فى العهد اليوناني ، ولا تزال آثار هذه الحمامات موجودة فى الجبال التى تحيط بالمدينة وينبع منها نهر بانياس .

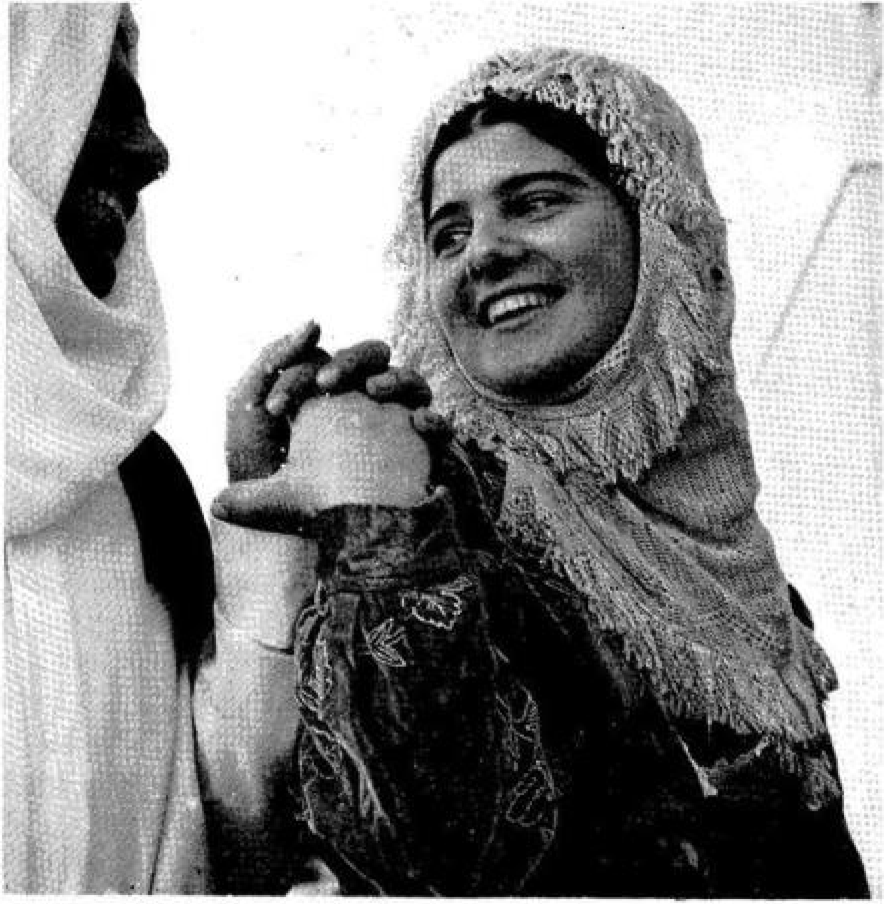
جنة بلا ناس !

يقول اهالى المدينة « ان بانياس جنة بلا ناس » وذلك نظرا لقلة عدد سكانها الذين كانوا قد هجروها منذ مائة عام تقريبا ثم ما لبثوا أن عادوا اليها وعمروها ، ويعمل معظم الاهالى فى زراعة الليمون وقصب السكر والبطاطا .

ونترك الآن بانياس وتتجه جنوبا الى مدينة طرطوس التى تبعد عن اللاذقية بحوالي ستين كيلومترا . والطريق اليها يسير بمحاذاة البحر ، ويؤدى بك فى النهاية الى لبنان . وأهل طرطوس اليوم فى فرح كبير ، ففي نهاية هذا العام سيتم انشاء الميناء الجديد ، الذى ينتظر أن ينافس ميناء اللاذقية ، فقد ظلت طرطوس تشغل المركز الثاني بعد مدينة اللاذقية ، ولكنها تستعد اليوم لان تصبح المنافسة الاولى لميناء اللاذقية بعد اتمام الميناء الجديد الذى سيحتفل بافتتاحه فى نهاية هذا العام والذى يبلغ طول رصيفه ٨٠٠ متر بينما لا يزيد طول رصيف اللاذقية على ٦٠٠ متر .

سور طرطوس

وطرطوس مدينة حديثة نسبيا اذ لم يثبت حتى الآن انها كانت موجودة قبل الميلاد ، ولم يكن لها شان يذكر فى عهد الرومان ، ولكن الصليبيين حولوها الى مدينة هامة من الناحيتين العسكرية



مرح الشباب : شاب وفتاة من أبناء اللاذقية يؤديان رقصة الدبكة فى حقل خاص

والدينية . وكانت فى ذلك الوقت تابعة لامارة طرابلس ، فبنى فيها الصليبيون كنيسة كبيرة وكنيسة أخرى صغيرة وقلعتين ، ويحيط بهذه الآثار والاماكن التاريخية سور كبير ما زال قسم منه باقيا حتى اليوم .

أما الكنيسة فهى تعد من أجمل الكنائس التى تركتها القرون الوسطى فى الشرق الاوسط ، ويروى المؤرخون العرب ان هذه الكنيسة الاثرية قد شيدت فى مكان اقدم كنيسة تحمل اسم مريم العذراء ، وكان يحج الى الكنيسة القديمة المسلمون والمسيحيون معا قبل بناء الكنيسة الحالية . وقد تحولت هذه الاخيرة الى متحف يضم مجموعة كبيرة من الآثار والتحف وقبرا اثريا من الرخام وضع فى هيكلها .

ويبلغ عدد سكان طرطوس ١٧ ألف نسمة ، وكان الرومان اول من اطلق عليها اسم «انترادوس» Antaradus . ثم ترجمها العرب الى انطرطوس ومنها اشتقت كلمة طرطوس .

هذه صورة سريعة للحياة فى مدينة اللاذقية ومحافظتها . أو فى المنطقة التى اشتهرت بزراعة التبغ والزيتون والتى تحدث عنها علماء الآثار فى كتبهم ... ومن اجل هذه الآثار تشهد اللاذقية اليوم نهضة سياحية شاملة ، لقد ترك التاريخ آثاره فى اللاذقية ، وبدأت المدينة تنشط لتبرز هذه الآثار امام السائحين الذين يجيئون اليوم ليسجلوا بصمات التاريخ . ■■

منير نصيف



بنك الدم اثناء العمل : تسجيل الاسماء .. وقياس ضغط دم احدى المتبرعات .. وفحص قطرة من دم أحد المتبرعين لمعرفة الفصيلة التى ينتمى اليها دمه .

بنوك الدم في الكويت

أنقذت حياة الألوف من المرضى

بقلم : الدكتور على أنسى

رئيس المختبرات والمشرف على بنك الدم

الدم ، والحياة ، شيئان كانا متلازمين فى الفكر الانسانى منذ كان الانسان . حتى الانسان فى كهوفه الاولى ، كشف الكاشفون عن هذه الكهوف فوجدوا على جدرانها صورا لحيوانات كان انسان ذلك الزمان يصيدها ، وقد وضع على هذه الصور دوائر حيث قد وجب أن يضرب ليقتل . وتتأمل هذه الدائرة مليئا فتجد انها اقرب طريق الى قلب ذلك الحيوان . (البقية على الصفحة التالية)

توضح الصور المنشورة على الصفحة اليسرى بعض العمليات التى تجرى لاختبار مدى صلاحية دم المتبرع .. ولا يقبل الدم الا اذا قلت نسبة الهيموجلوبين فيه ٩٠ فى المائة ثم تجرى عملية أخذ عينات من دم المتبرع لتبويب فصيلته ، وبعد التأكد من سلامته تبدأ عملية سحب ٤٠٠ سنتيمتر مكعب من دمائه فى أكياس بلاستيكية .. ان سحب هذه الكمية من الدماء لا تؤثر مطلقا على صحة المتبرع ، لانها تمثل واحدا على ١٢ من كمية دم الانسان .







■ الانسان الاول اذن عرف أن القلب هو الموضع الذى تؤتى منه الحياة ، ومنه يسيل الدم سيلا ، ومعه الحياة .

والروح عنده والدم شيء واحد ، والقلب خزانتها .

ونحن الى اليوم نقول « سيتح دمه » نكنى بذلك عن انه قتله .

الدم ، فى حضارات الامم

وتتوالى القرون من بعد هذا الانسان الاول ، فتاتى بعده طبقات من الناس ، وحضارات من الامم ، وفى كل حضارة راى فى الحياة ، وفى الدم. فى الحضارة المصرية . وفى الحضارة السومرية والبابلية والاشورية . فى الحضارة الاغريقية ، فى الحضارة العربية،واخيرا فى الحضارة الأوروبية الغربية التى لم تنته بعد .

وياخذ الانسان يتلمس عبر القرون طريقه لفهم الدم ، كيف يسلك مسالكه فى الجسم . فهذا هو بعض علم التشريح . ثم لفهم الدم ، ماذا يقوم به فى الجسم من عمل وما يؤدى من خدمات ، فهذا هو بعض علم وظائف الاعضاء .

الدورة الدموية

ومسالك الدم فى الجسم ظنت الامم كلها ظنونها فيها ، وبعض" اصاب ولم يكد ، وبعض أخطأ ،وكل لم يتحدث الا فى أجزاء فقط من هذه المسالك .وظل لارسطو فى هذا الصدد آراء بقيت طويلا على الدهر قائمة . وظل لجالينوس . وابن سينا جمع من طب اليونان ما جمع ، ووصف وابدع .



فى غرفة الانتظار لبنك الدم جلسوا جميعا على اختلاف جنسياتهم فى انتظار دورهم للتبرع بدمائهم . وتشير الارقام الى ان عدد المتبرعين بدمائهم يصل شهريا الى ٤٥٠ شخصا يقدمون نحو ٢٠٠ الف سنتيمتر مكعب من الدماء . ويصرف للمتبرع مبلغ عشرة دنانير كمكافاة رمزية . ومما يذكر ان هذه المكافاة تقدر فى الاردن بثلاثة دنانير ، وفى لبنان بثلاثين ليرة ؛ وفى مصر بجنيهين ، بينما ترتفع فى العراق الى ١٤ دينارا !





٩٠٠ من السائحين والسائحات تبرعوا بدمائهم لبنك الدم فى الكويت . وقد لوحظ ان نسبة عامل ريسوس السلبى فى دماء الاوربيين تصل الى ١٢٫٥ فى المائة ، بينما نجدها لا تتعدى ٥ فى المائة فى الدماء العربية .. وأغلب النساء اللواتي يتبرعن بدمائهن من الاجنبيات ، وترى هنا طالبة امريكية مرت بالكويت فى طريقها الى الهند لتتبرع بدمها . وفى الصورة الثانية مدرس انجليزى ترك التدريس ليقوم برحلة حول العالم ، وفى الكويت عمد الى التبرع بدمه ..

ابن النفيس

ثم يجيء العربى الاول الذى يضع أسس الدورة الدموية وضعا لم تكد تغير منه القرون المتتالية حرفا . فذلك ابن النفيس ، وقد عاش بالقاهرة فى القرن الثالث عشر الميلادى . وهو كشف عن الدورة الدموية الصغرى تلك التى تقول بأن الدم لا يخرج من نصف القلب الايمن الى نصفه الأيسر الا بعد مروره بالرئتين ، والا بعد اتصاله بالهواء فيهما .

هذا الكشف ظل خبيئا فى بطن الكتب مستورا سبعة قرون حتى كشفه الكاشفون حديثا جدا .

وكشفه العالمان الاوروبيان سلفيوس Sylvius (١٥٠٩ – ١٥٥٢ م) وكولمبو (١٥١٦–١٥٥٩م)، كشفا الدورة الصغرى فى القرن السادس عشر ، وظنا انهما كشفا جديدا ، وما فعلا ، فالجديد كان فى بطون الكتب مدفونا قبلهما من نحو ٣ قرون. ذلك كشف ابن النفيس .

هارفي

ثم جاء من بعد هؤلاء هارفى Harvey الانجليزى فأتم كشف الدورة على ما هو معروف مشهور وذلك فى القرن السابع عشر. فالشرايين تخرج من النصف الأيسر من القلب فتدور بالدم على الاعضاء ، ثم يتجمع الدم آخر الامر فيدخل الى الاوردة ، وهذه تعيده الى النصف الايمن من القلب . ثم تتدخل الدورة الصغرى التى وصفها ابن النفيس لتنقل الدم من نصف القلب الايمن الى نصفه الأيسر ، بعد تهويته فى الرئتين .

وظائف الدم

ووظائف الدم عديدة . فمجارى الدم كالطرق والأسواق فى المدينة ، يدور فيها الدم بحاجات كل الأعضاء ، يحملها الى أبوابها ، وهو لا يغادر هذه الأبواب حتى يحمل عنها ما لا حاجة به من فضلات . فهو يحمل الغذاء الى كل خلية من خلايا الجسم ، ويحمل الماء ، ويحمل اكسجين الهواء ، ويحمل عنها نتيجة الاحتراق من بعد احتراق . وتختلف وظائف الاعضاء فى الجسم ، والدم يوزع عليها حاجتها بقدر ما تحتاج ،ويأخذ منها انتاجها ، بقدر ما تنتج .

والدم يوزع الحرارة على الجسم . والدم دفاع الجسم عن الأمراض . والأدوية التى تدخل الجسم انما يحملها الدم الى حيث يراد بها ان تفعل . وحديث الدم وفوائده ووظائفه يطول .

مقدار الدم فى جسم الانسان

انه يبلغ فى المتوسط نحو ٧ر٧ لترا لكل ١٠٠ كيلوجرام من وزن الجسم فى الرجال ، ونحو ٦ر٦ لترا لمثل ذلك فى النساء .

والجسم قائم يصنع الدم دائما ، ليعوض عن ما يستهلكه منه ، ويستعيض كذلك عما يَدْمَى منه ، بشتى الأسباب ، وبسبب الجروح والحوادث .

نقل الدم

ويتضح مما تقدم أن فقدان الجسم للكثير من دمه شيء خطير اما فقدانه للقليل منه فغير ذى قيمة ويعوضه الجسم بالسرعة الممكنة . والجسم يفقد دمه فى حادث سيارة ، او فى معركة ، او فى حرب . ويستخدم نقل الدم اليه من جسم آخر سليم لتعويض ذلك الدم المفقود .

وكذلك ينتقل الدم من الجسم السليم الى المريض فى عملية جراحية ، من قبل العملية ومن بعدها . ولتصحيح دم المريض من اكثر من وجه، ومنها مرض بعض انواع فقر الدم .

ونقل الدم عادة فى الناس قديمة ، ينقلون دم الصحيح الى المريض عن طريق الوريد ، وشاعت هذه العادة فى القرن السابع عشر .

ونجم عنها مصاعب كثيرة ، منها تخثر الدم وتجبنه حتى قبل ان يدخل جسم المريض . ومنها



فى هذه الثلاجة الكهربائية الخاصة ، يحفظ الدم الذى تم جمعه من المتبرعين داخل أكياس من اللدين (البلاستيك) يتسع الواحد منها لـ ٥٠٠ جرام من الدم ، ويوضع على الدم سوائل خاصة مانعة للتجلط ويظل الدم صالحا للاستعمال مدة ثلاثة اسابيع ، ما دام محفوظا فى هذه الثلاجة التى تتراوح درجة الحرارة بداخلها بين ٤ و ٨ درجات مئوية .. وفى حالة تغير درجة الحرارة عن هذا المعدل تطلق الثلاجة اجراسا للتنبيه حتى يتم الاصلاح. وتقوم حاليا مختبرات العالم باجراء التجارب والبحوث لمحاولة زيادة عمر الدم، المحفوظ لاكثر من هذه المدة .

مضاعفات حدثت فى اجسام المرضى ادت بهم الى الموت بعد دخول الدم السليم الى دمائهم ، لعدم ائتلافه معها .

أول ناقل للدم يسجله التاريخ

وكان من اوائل الاطباء الذين اجروا نقل الدم ، الدكتور الانجليزى رتشارد لوور Richard Lower اجرى نقله من حيوان الى حيوان ، وذلك فى فبراير عام ١٦٦٥ ، اى من نحو ٣٠٠ عام .

ومن بعد ذلك بعامين اجرى تجربة نقل فيها دما من شاة الى جسم «رجل فقير مسكين مريض». ولم يترك الدكتور رتشارد صورة لهذه العملية ، ولكن قام بنفس هذه العملية من بعد ذلك بثمانية عشر عاما طبيب آخر ، اسمه برمان Purmann وصورها ونشر صورة لها فى عام ١٦٨٥،هى التى تصحب هذا الحديث .

ولكن ظل نقل الدم يسلك طريقة غير مأمونة حتى تقدم العلم ، وتقدم الطب ، وتقدمت التكنيكة ، فاكتشفت فصائل الدم ، واكتشفت الانابيب والاوعية التى تضمن عدم تجبن الدم فيها .

وجاءت الحرب العالمية الثانية فدفعت بنقل الدم وتكنيكته الى الامام دفعا قويا حتى صار الآن فنا ، من حيث اختيار الأشخاص الذين يتطوعون بدمهم ، ومن حيث جمع الدم منهم ، وطرق ذلك ، ومن حيث تصنيف الدم ، وخزنه الى حين استخدامه ، وطرق استخدامه وغاياته.

وكانت سنة ١٩١٤ هى السنة الحاسمة فى الابحاث الخاصة بسرعة تجلط الدم،وذلك باكتشاف موانع التجلط الكيميائية التى ما زالت تستخدم حتى اليوم . وهى املاح السترات Citrate والاكسالات Oxalate وبذلك أمكن جمع الدم لاول مرة فى زجاجات ثم اعطاؤه للمحتاج بعيدا عن وجود المتبرع . ثم توالت اكتشافات خواص الدم ووجد ان اضافة السكر بنسبة معروفة يطيل فى عمره خارج جسم صاحبه مدة اقصاها ثلاثة اسابيع .

فصائل الدم

وقد أزال اكتشاف فصائل الدم أكبر العقبات التى كانت تحول دون نقل الدم من انسان لانسان.

وكان مكتشفها العالم النمساوى لاندشتينر Landsteiner وذلك فى عام ١٩٠٠م .

وكان ميلاده عام ١٨٦٨ م فى فيينا ، وفيها درس ونال الدكتوراه عام ١٨٩١ ، وعمل مع الكيماوى الالمانى الشهير اميل فشر Fischer سنتين ، ثم عاد الى فيينا،واشتغل مساعدا بمعهد الأمراض بها . وفى عام ١٩٠٠ اكتشف العوامل التى بالدم التى تدفع بكرات الدم الحمراء فيه الى التجمع والتكتل ، ومنها اكتشف فصائل الدم .

ومن بعد الحرب العالمية الاولى غادر فيينا الى لاهاى فى هولندا وعمل بها الى عام ١٩٢٢ ، ثم ذهب الى نيويورك واشتغل بمعهد روكفلر . وفى عام ١٩٤٠ اكتشف مع الدكتور فينر Wiener عامل ريسوس Rhesus فى الدم (وسنأتى على ذكره) .

وفى عام ١٩٣٠ نال جائزة نوبل .

وفصائل الدم تنبنى على الفكرة الأساسية : انه لتجمع كرات الدم الحمراء وتكتلها وتجبنها وتلزجها (كما يصنع اللبن تقطر فيه قطرات من ليمون او نحو ذلك) شرطان ، اولهما وجود مادة فى بناء الكرة الحمراء نفسها التى فى الدم ، وثانى الشرطين وجود مادة فى مصل الدم تشارك الاولى فى استكمال عملية التزلج الحادث. (المصل هو سائل الدم ، وهو بدون كرات ، وهو أصفر اللون قليلا) .

وكشف لانداشتينر عن وجود مادة أسماها أ فى الكرات الحمراء فى بعض الدماء،واخرى فى الكرات الحمراء فى بعض دماء اخرى أسماها ب. ووجد أن دماء الناس اربع فصائل ، فصيلة فى كراتها الحمراء المادة أ سماها فصيلة أ . وفصيلة فى كراتها الحمراء المادة ب ، اسماها فصيلة ب . وفصيلة فى كراتها الحمراء كلتا المادتين ، وسماها أب . ثم فصيلة رابعة ليس فى كراتها الحمراء شىء من هاتين المادتين ، وسماها فصيلة صفر . والصفر بالافرنجية هو o .

وهو عرف ان هذه الفصائل بعضها يختلط فلا تتكتل وتتلزج كراته الحمراء ، وبعضها تتلزج عند الاختلاط وتتكتل .

وهو ابت ان هذا التكتل سببه وجود مادة اخرى فى مصل دم هذه الفصائل تسبب التلزج بالدم الذى بكراته المادة أ أو وجود مادة فى مصل هذه الفصائل تسبب التزلج بالدم الذى بكراته المادة ب. وبالطبع خلا مصل

دم الفصيلة ا من المادة التى تحدث التلزج مع مادة الكرات الحمراء ا . وكذلك خلا مصل دم الفصيلة ب من المادة التى تحدث التلزج مع مادة الكرات الحمراء ب. وكذلك خلا مصل دم الفصيلة اب من المادتين اللتين تحدثان التزلج معمادة الكرات الحمراء ا ، ب . والا لتلزجت كرات الدم الطبيعى الوجود فى شرايين رجال هذه الفصائل .

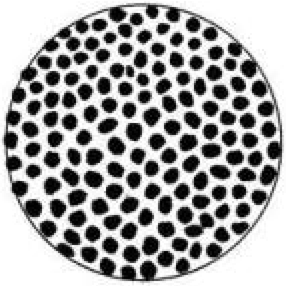
واستطاع لانداشتينر بالبحث أن يهتدى الى اى الدماء من اى هذه الفصائل يمكن نقله من رجل لرجل دون حدوث تكتل الكرات الحمراء ، وتجمعها وتلزجها ، ذلك الذى جرى الناس على تسميته بالتجلط .

وفى الجدول الآتى ملخص مما وجد :

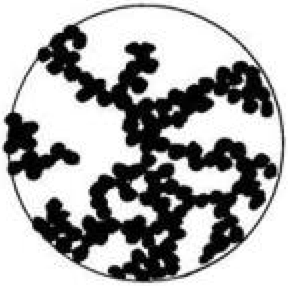
الفصيلة	مصل الفصيلة التى تتكتل كراتها الحمراء معها
صفر	لا تتكتل مع مصل أى فصيلة
الف	تتكتل مع مصل فصيلة ب أو فصيلة صفر
باء	تتكتل مع مصل فصيلة ا أو فصيلة صفر
الف، باء	تتكتل مع مصل أى من الفصائل الثلاث الاخرى



فى معامل المختبر المركزى بالمستشفى الاميرى بالكويت يقوم الاخصائيون باجراء اختبارات مستمرة على الدماء المتجمعة للتأكد من صلاحيتها قبل حفظها فى الثلاجات ، وتشمل هذه الاختبارات التأكد من فصائل ومعامل الدماء الموجودة فى الاكياس . كما تجرى اختبارات مزرعية دورية على بعض الاكياس لاختبار مدى صلاحيتها قبل استعمالها ..



هكذا تظهر كرات الدم الحمراء متفرقة تحت المجهر فى الدم العادى



هكذا تظهر كرات الدم الحمراء متكتلة متلزجة تحت المجهر عندما يتخثر الدم

وقد تسأل ، ولم تتكتل الفصائل مع مصل فصيلة صفر . والجواب للذى بمصل الفصيلة صفر من مواد ملزجة . فالصفر يدل فقط على خلو كراتها الحمراء من العوامل الملزجة التى بالكرات وحدها، لا خلو المصل .

انه باكتشاف فصائل الدم استطاع الطبيب أن يجد الفصيلة المناسبة للشخص الذى هو فى حاجة الى نقل دم اليه ، واذن لا يتخثر الدم الغريب عند دخول دورته الدموية فيسد مسالكها .

عامل ريسوس

والى جانب تلك العوامل الماضية اكتشف لانداشتينر وصاحبه فينر، كما قدمنا، عاملا جديدا، فى الدم ، وجدوه فى الكثير من الناس . ومراعاته عند نقل الدم واجبة ، لانه يسبب أخطارا كبارا ، منها ما يتصل بالطفل المولود اذ يصيبه بانسياح الهيموجلوبين من كراته الحمراء ، وفى ذلك الموت .

ولا نطيل فوق ذلك اختصارا فى القول .

وقد سموا العامل ريسوس لانهم وجدوه أول ما وجدوه فى قرد من النوع المسمى ريسوس .

بنوك الدم

على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ،وعودة الحياة الى طبيعتها ، بدأ التفكير فى انشاء بنوك عرفت باسم « بنوك الدم » . انه لفظ أطلقوه على بنك من نوع جديد ..

ان « بنك الدم » أصبح لفظا شائعا مألوفا فى معظم البلاد العربية ... كما أن عمليات اعطاء الدم أصبحت ، هى الأخرى ، من العلاجات العادية المألوفة فى هذه البلاد ..

ومهمة بنك الدم تنحصر فى جمع الدم من المتبرعين به ، والاحتفاظ به سليما قبل تقديمه للمستشفيات والاطباء .

ان انتشار بنوك الدم ضرورة حتمتها ظروف التقدم والتوسع الكبيرين فى البلاد العربية فى المجالات الطبية والعمرانية مما أدى الى اجراء كثير من العمليات الجراحية التى لم تكن تعمل فى السابق كعمليات القلب مثلا .

كان الدم يستورد الى الكويت

كان الدم المحفوظ يأتى مستوردا بالطائرة من لبنان الى الكويت .. كل أسبوع ٤ مرات . وكانت الحكومة تدفع حوالى خمسة آلاف دينار شهريا ثمنا لهذا الدم ، وكانت تشتريه بسعر ١٢٫٥ دينارا لنصف اللتر الواحد .. والى جانب هذا كانت عمليات نقل الدم تتم فى نطاق محدود بين الاقارب والأصدقاء ، فكان الطبيب يتأكد أولا من وجود فصيلة دم المريض بين أقاربه قبل أن يجرى العملية الجراحية ، وكثيرا ما كان الاطباء يضطرون الى

الاستعاضة عن الجراحة بالعلاج المؤقت لعجزهم عن العثور على فصيلة دم المريض .

وكانت هناك عوامل اخرى تتحكم فى امداد مستشفيات الكويت بالدم الذى تحتاج اليه فى الوقت المناسب ، وهى أن استيراد الدم كان يخضع للاحوال الجوية التى كثيرا ما تعرقل وصول الدم بالطائرات فى الموعد الذى يحتاج اليه الطبيب والمريض ، الأمر الذى يعرض حياة المرضى للخطر او يتسبب فى اطالة مدة علاجهم بالمستشفيات على اقل تقدير .

مولد بنك الدم فى الكويت

فى يوم ٥ مايو ١٩٦٥ احتفلت الكويت بمولد اول بنك للدم فيها وفقا لأحدث الطرق والأساليب.

وبدا سكان الكويت يتقدمون للتبرع بدمائهم حتى أصبحت المستشفيات تعتمد فى الجمع على حصيلة الدم المحلى .. ولكن الاستيراد لم يتوقف لان طلبات الدم كانت تفوق الكمية التى يقدمها المتبرعون .

لقد كانت الكويت تستورد أكثر من ٤٠٠ كيس دم (٥٠٠ جرام) شهريا وذلك حتى ابريل من عام ١٩٦٥ ، أما اليوم فقد نقصت كمية الدم المستورد الى ٨٠ كيسا فقط ، واصبح ناتج الدم المحلى أكثر من ٤٠٠ كيس شهريا .

شروط اخذ الدم من المتبرع به

ووضع بنك الدم قواعد وشروطا يجب توافرها فى المتبرع أمانا له ، وتأكيدا لخلوه وخلو دمه من الامراض التى قد تنتقل الى المريض فتؤثر عليه.

وتنحصر هذه الشروط فى الآتى :

١ ـ الوزن يجب أن يكون متكافئا مع طول الشخص المتبرع .

٢ ـ خلو المتبرع من بعض الامراض التى تنتقل مع الدم مثل التهاب الكبد الفيروسى ، والزهرى ، والملاريا .. وكذلك الامراض التى قد يستفحل امرها عند المتبرع اذا أخذ منه الدم مثل السل الرئوى ، وارتفاع ضغط الدم وغيرها .

٣ ـ أن لا يقل خضاب الدم (الهيموجلوبين) عن ٩٠٪ فى كل مرة من مرات التبرع .

٤ ـ يستحسن ان يكون المتبرع بدون الفطار ، لان الطعام يجعل بلازما الدم غير صافية مما قد يؤدى الى اصابة المتبرع له بمرض الحساسية المؤقت .

٥٠٠٠ كيس دم

ولقد مضى على انشاء بنك الدم فى الكويت عام واحد ، ومع ذلك استطاع ان يحقق نجاحا رائعا خلال هذه الفترة القصيرة ، اذ قام بتوزيع أكثر من خمسة آلاف كيس من الدم المحلى على مختلف المستشفيات والمصحات فى الكويت ... وهذه الكمية ساهمت فى انقاذ أكثر من الف مريض .. كما ساعدت على انقاص مدة اقامتهم فى المستشفيات .

وتتم عملية جمع الدم من المتبرعين فى المستشفى الاميرى تحت اشراف فريق من الاطباء ، وقد وضع المشرفون على البنك نظاما دقيقا للتأكد من اتمام العملية بصورة تكفل حماية صحة المتبرع والمريض الذى سينتقل اليه الدم على السواء .

فحص طبي شامل للمتبرع بدمه

وخصصت ادارة المختبر المركزى بالمستشفى الاميرى جناحا لبنك الدم ، يفد المتبرعون يوميا اليه للتبرع بدمائهم ، فيجلسون فى حجرة خاصة زودت بالمقاعد المريحة ، فى انتظار دورهم ، ثم يدخلون بعد ذلك الى حجرة الفحص الطبى ، واحدا بعد الآخر ، لقياس ضغط الدم والكشف على صحتهم بصفة عامة ، وتحديد فصائل دمائهم ، واختبار صلاح دمهم ، وخلوه من الامراض التى سبق ذكرها .

ثم تبدا بعد ذلك عملية اعداد المتبرع لاخذ الدم منه ، فينتقل الى غرفة صغيرة من الغرف التى اعدت بجوار حجرة التسجيل والفحص الطبى ، وينام على فراش نظيف ، ثم يمد ذراعه للممرضة التى تكون قد استعدت بدورها لاخذ كمية الدم المقررة وهى اربعمائة سنتيمتر مكعب تنقل عن طريق انبوبة صغيرة الى وعاء من البلاستيك.

هدية رمزية

وعلى أثر الانتهاء من هذه العملية التى تتم تحت اشراف الطبيب فى كل مراحلها ، ينهض المتبرع من فراشه ، ويجلس على مقعد مريح لفترة

قصيرة من الوقت ليستريح ، ثم يقف على قدميه، ثم يقدم له البنك قدحا من عصير الفواكه مع كلمة شكر رقيقة وهدية رمزية هي عبارة عن شيك بمبلغ عشرة دنانير مكافأة له على هذا العمل الانساني النبيل .

وقد استن البنك سنة تهدف الى حماية صحة المتبرع ، فهو يقضي بعدم جواز التبرع مرة ثانية قبل مضي شهرين على آخر موعد لتبرعه . ومن اجل التأكد من ذلك اعدت دفاتر لتسجيل اسماء المتبرعين وتواريخ تبرعهم وفصيلة دمائهم . ولا بد من الرجوع الى هذا السجل قبل البدءبعملية اخذ الدم . كما يقوم البنك باجراء جميع الفحوص الطبية على المتبرعين الذين سبق لهم ان تبرعوا بدمائهم كما لو كانوا يتبرعون لأول مرة .

مئات المتبرعين بدمائهم

وتمتلىء غرفة الانتظار في بنك الدم بالرجال والنساء من كل جنس ولون . فكل رجل او امرأة، يجد في نفسه القدرة على تقديم كمية من دمه لمريض في مسيس الحاجة اليها ، يفد الى البنك ليتبرع بدمه عن طيب خاطر . وبين المتبرعين عدد غير قليل من السائحين الاجانب الذين يمرون بالكويت في طريقهم الى الشرق او الغرب ، ومعظم هؤلاء من الطلبة والطالبات الذين يقومون برحلات على نفقتهم الخاصة بارخص الوسائل واكثرها اقتصادا ، سعيا وراء العلم والمعرفة .

فرع جديد للبنك

وبين المتبرعين ايضا عدد كبير من بحارة السفن التجارية وناقلات البترول التي ترسو على شاطىء الكويت ، وهم يجيئون الى البنك من الاحمدي فيقطعون حوالي خمسين كيلو مترا بالسيارة ليتبرعوا بدمائهم ويعودوا مرة اخرى الى سفنهم الراسية على الشاطىء .

ولذلك فقد بدأ المشرفون على البنك يفكرون في انشاء فرع لبنك الدم في الاحمدي حتى يوفروا على هؤلاء مشقة المجيء الى الكويت العاصمة ، وينتظر تنفيذ هذه الفكرة في المستقبل القريب .

حفظ الدم

وننتقل الآن الى الخطوة الثانية وهي حفظ الدم بعد جمعه في الاواني المصنوعة من البلاستيك.

ويتم تخزين الدم بعد تسجيل فصيلته ، وتاريخ اخذه من المتبرع ،في ثلاجات خاصة تتراوح درجة الحرارة بداخلها بين ٤و٨ درجات مئوية ، ولا يجوز بأي حال من الاحوال ان ترتفع درجة الحرارة او تنخفض عن هذا ، اذ اثبتت الابحاث العلمية في جميع بلاد العالم ان هذه هي درجات الحرارة المناسبة لحفظ الدم لاطول مدة ممكنة وهي ثلاثة اسابيع . ويحفظ الدم في الاكياس البلاستيك بعد أن يضاف اليه ٧٥سم٣ مكعب من المواد السكرية التي تساعد على اعاشة الكرات الدموية اثناء مدة حفظها في الثلاجات ، وكذلك تضاف اليه مواد اخرى تمنع التجلط وتحفظ للدم سيولته .

انقاذ حياة الالوف

ويقوم البنك بتوزيع الدم على جميع مستشفيات الكويت ومستشفيات الخليج عند حاجتها اليه ، وقد وزع البنك منذ انشائه اكثر من خمسة الاف كيس دموي انقذت حياةربع هذا العدد على الاقل من موت محقق ، وساهمت في تحقيق الشفاء السريع لمئات المرضى والجرحى وامنت كثيرا من العمليات الجراحية التي لم تكن تجرى من قبل في مستشفيات الكويت .

وعملية نقل الدم لا تنتهي بمجرد نقل دم الشخص الصحيح الى الجسم المريض ، اذ يظل البنك يتتبع تاريخ المريض وحالته واية تطورات قد تطرأ عليه حتى يشفى تماما ويعود الى حالته الطبيعية.

اما الدم الذي انقضى عليه اكثر من ثلاثة اسابيع، وهي اقصى فترة لحفظه صالحا للاستعمال في الثلاجات ، فيستخدم في اغراض اخرى من بينها استخلاص بلازما الدم وكذلك الاستفادة من الجزء الخلوي ، اي الذي به الكرات الحمراء والبيضاء بعد فصل بلازما الدم في عمل المزارع الخاصة لتربية الميكروبات .

هذه هي قصة الدم وبنوك الحياة . هل فكرت يوما في أن تكون احد عملاء بنوك الدم ؟ .. اذا كان رصيدك من الدم يسمح فتقدم الى اقرب بنك . ■■

علي أنسي

أنباء الطب والعلم والاختراع

الزمان حين يقصر على الناس ، وحين يطول

● يشكو الانسان من طول الزمن ، اذا هو قضاه بدون عمل ، أو اذا هو قضاه فى عمل راتب . ويشعر الانسان بفوات الزمن سريعا اذا هو شغله ، لا سيما اذا شغله بعمل يثير الهمة ويفتح الشهية .

هذا على الأقل هو الرأى الشائع بين الناس .

الرجل يخرج من المغارة بعد شهرين



ولكن تجربة اجراها عالم فى مصنع دلت على عكس ذلك . انه اخبر رجال وحدات المصنع المختلفة ان الساعة التى بالمصنع اصابها الخلل ، وطلب منهم بعد فوات وقت محدود أن يرقموا على ورقة مقدار ما يظنون ان ساعة المصنع تقدمت به من الدقائق أو تأخرت . ورقم كلٌ ما احس به .

وخرجت النتيجة ، فاذا بالعمال ذوى الاعمال الراتبة يقدرون أن الساعة تقدمت اى انها جرت فوق ما وجب ، ومعنى هذا ، انهم كانوا اقل احساسا بطول الزمن . اى ان الزمن مرَّ عليهم سريعا سهلا .

واما العمال ذوو الأعمال التى تحتاج الى فكر واستيعاب فكر ، فقد قدَّروا ان الساعة تأخرت ، اى انها جرت اقل مما وجب، ومعنى هذا ، انهم كانوا احس بمرور الزمن ، وبطوله .

نتيجة هى عكس ما يفترضه الناس .

وتجربة أخرى : رجل قضى فى مغارة شهرين كاملين ، معزولا عن الناس وعن الحياة . وفى هذه الحالة يقضى العرف السائر بانه لا بد ضاق بزمانه فى هذه العزلة ، وان اليوم احسه هو يومين . ومع ذلك لما خرج ، وسئل عن الأيام الذى يقدر ان يكون قضاها فى المغارة ، فقدرها بنحو ٣٦ يوما .

وهذه التجارب وامثالها اجراها ويجريها العلماء لكى يصلوا الى جواب



● هي صورة لنيزك وزنه نحو ٤٨٠٠ رطل ، سقط في جهة الحديدة في الربع الخالي ، وهو اكبر نيزك سقط من السماء في شبه جزيرة العرب . وهو من حديد ونيكل .

هذا السؤال : هل في تركيب النفس الانسانية شيء كالساعة يقدر به الزمان . او بعبارة اخرى : هل في الانسان ساعة بيولوجية ؟

وتجربة اخرى طريفة تتصل بهذه الساعة البيولوجية اتصالا مباشرا .

انها تجربة قام بها الدكتور هوجلاند Hoagland منذ أكثر من ثلاثين عاما . ذلك أن زوجته مرضت بالحمى . وانتهز هو هذه الفرصة ليرى كيف تتأثر هذه « الساعة البيولوجية » التي بجسم الانسان بارتفاع الحرارة . فطلب الى زوجته ، دون أن تعلم ، ان تعد من واحد الى ستين ، بالسرعة التي تظن انها تجاري بها الساعة المضبوطة في جريانها . ففعلت . وكان بيد الدكتور ساعة دوارة بالثواني وقافة ، يديرها ويوقفها عندما يريد ، فيقيس بها أي فترة من الزمن Stop Watch .

وقد اتضح له من هذه التجارب ان الحرارة كلما زادت ، احست زوجته بان الزمن يسير اسرع . فعندما كانت درجة حرارتها ٣ر٣٦ مئوية ، عدت ستين ، ودلت الساعة الوقافة على انه لم يكن مضى من الزمن فعلا غير ٥٢ ثانية . وعندما كانت درجة حرارتها ٤ر٣٩ مئوية عدت ستين ، ودلت الساعة الوقافة على انه لم يكن مضى من الزمن فعلا غير ٥ر٣٧ ثانية .

ان « ساعتها البيولوجية » ، وهي لا بد من لحم ودم ، كانت اذن تسير اسرع من الساعة الوقافة ، وهي من فولاذ .

القراءة السريعة فن واجب التعلم

● يدرك هذا كل الادراك من عمله في الحياة كثرة القراءة . انه اذا اختصر زمن قراءته الى النصف فقد زاد محصوله اليومي من قراءة الى الضعف ، وزاد ما تتضمنه هذه القراءة من ثروة فكرية ليست بالهيّنة .

ان الاسراع في القراءة محاولة حاولها الناس فرادى في الكثير من الامم ، ولكنها اتخذت في الحرب العالمية الفائتة شأنا ذا بال .

كان قد وجب على الطيار ان يقرأ الكتابة التي على الطائرة التي تمر به بسرعة ، فلا يخطئها في ذلك الزمن القصير . ومن هذا البدء دخل تعليم السرعة في القراءة بعض مطالب الحياة الأمريكية . وانتقل التدريب ، من تدريب الطيارين الى تدريب المدنيين ، وظلت طريقة ذلك قائمة في الولايات مدة عشرين عاما ، والى اليوم .

قامت في الجيش ، وقامت في الادارات الحكومية ◄

والاهلية ، وصار لكل ادارة هيئة تقوم بتعليمها والتدريب عليها .

وكان من نتائج ذلك ، الشهيرة المذكورة ، ان رئيس الولايات الراحل ، المستر كنيدى ، استطاع ان يقرأ ما بين ١٢٠٠ الى ٢٠٠٠ كلمة فى الدقيقة، بينا كان متوسط الرجل الذى لم يتدرب يقع بين ٢٠٠ و ٢٥٠ كلمة فى الدقيقة .

وقد ظهر اثر هذه الطريقة واضحا عند اهل المهن التي يضطر اصحابها الى قراءة الكثير من الكتب والأوراق . ومن امثلة هؤلاء بحثات الطب والعلوم وكذا المهندسون والصناعيون ، وكذا السياسيون .

وتتضمن هذه الطريقة السرعة فى حركة العين ، والسرعة فى الفهم ، والسرعة فى التذكر .

ولكل لغة خصائصها فى ذلك . فالطريقة ، فى لغة ما ، قد يقتبس منها ما يقتبس ، لا سيما ما يتصل فيها بالعمل الفسيولوجي ، والنفساني ، ويبقى لكل لغة ، رصيد خاص بها لا يستطيع التعرف فيه غير اهليها .

علم جـديد :
الكشف عن أجرام السماء بالاشعة السينية

● الانسان يكشف عن اجرام السماء ، منذ كان الانسان وكانت الأجرام ، ببصر العين . ومعنى هذا ، فى لغة العلم ، أن هناك امرين لا بد ان كانا قد تحققا : اشعة ترسلها هذه الاجرام ، هذه النجوم ، ومنها الشمس ، ثم جهاز يتلقى تلك الأشعة ، ويدركها صورا لاشياء قائمة وحقائق واقعة . وهذا الجهاز هو جهاز البصر فى العين ، ومن ورائها المخ وهو اداة الادراك .

ويتقدم العلم فتحلل هذه الاشعة الضوئية الى عدة من الوان متسلسلة ، يشملها طيف" ، يبدأ بالاحمر وهو اكبر هذه الالوان موجات ، وينتهى بالبنفسجي وهو اصغرها موجة . ويكشف العلم امتدادا لهذا الطيف فيصل بنا دون الاحمر الى الموجات اللاسلكية ، الموجات الراديوية موجات الاذاعة ، ويصل بنا من الناحية الاخرى

الناس لهم وجوه يعرفون بها
ولهم كذلك روائح ، قد يعرفون بها

● اما أن لهم روائح يعرفون بها ، فامر لا شك فيه . انت لا تستطيع أن تميزها ، ولا انا . لا لانها لا تتميز ، ولكن لأن حس الشم عند الانسان ليس من الدقة بمكان .

ولكن حس الشم عند الكلاب دقيق ، وهي لذلك تستخدم للتعرف على المجرمين ، يشم الكلب ما خلفوا من اشياء مسوها فى الموضع الذى وقع فيه الجرم ، ثم يشمّ هذا الكلب ما يشتبه فيهم من المجرمين . وتعتمد المحاكم ذلك دليلا من ادلة .

واذن قد اتجه بعض العلماء الى فحص روائح الناس . وذلك بوضع الرجل او المرأة فى انبوبة من الزجاج طولها متران ، وقطرها ٠,٧ سنتيمترا ، ثم بالانبوبة تيار نقي غاية النقاء من الهواء ، ثم يجمع هذا الهواء عند الخروج ، ويحلل تحليلا دقيقا . وتصبح نتيجة التحليل اشبه « ببصمة »

ذلك الرجل او المرأة ، تدل عليه .

وقد امكن لرجال التحليل ان يكشفوا عن نحو ٢٤ مادة كيماوية فى الهواء المجموع .

ويهدف العلماء الى ربط هذه « البصمة » الكيماوية بالرجال والنساء من اهل الاجرام ،





التى يصغر عندها الموج الى الاشعة السينية التى نستخدمها فى الطب لكشف باطن الجسم .

ويكشف العلم ان هذه الأنواع من الاشعة لها طبيعة واحدة ، وانما اختلفت طول موجة ، ويسميها الموجات المغناطيسية الكهربائية .

ثم يوالى بُحّاث الرادار والامواج الرَدْيوية بحوثهم فى الحرب العالمية الثانية فيكشفون عن موجات رَدْيوية تأتى من السماء لا يعرفون لها مصدرا . واذا بهذا الفتح يفتح باب علم جديد : علم الفلك الرَدْيوى Radio Astronomy ، وان شئت فاللاسلكى ، وذلك الى جانب علم الفلك القديم الاقدم ، الذى وجب أن يسموه علم الفلك الضوئى . وكان لعلم الفلك الضوئى تلسكوباته ، وهى تلسكوبات ضوئية ، وصار لعلم الفلك الرديوى تلسكوباته ، وهى تلسكوبات رَدْيوية . وكشف هذا العلم عن اجرام فى السماء لا تخرج ضوءا ، فهى معتمة ، ولولا هذا العلم الجديد لظلت فى اطواء السماء خافية .

ثم يحدث حدث جديد .

فى عام ١٩٤٩ يكشف المكتشفون أن الشمس ، الى جانب ما تشع من اشعة ضوئية ، واخرى ردیوية ، تشع أشعة سينية !!

وتمضى بعد ذلك ١٣ سنة قبل أن يكشف العلماء عن مجىء هذه الاشعة من السماء ، من خارج المجموعة الشمسية .

ويوالون البحث ، فاذا اشعة سينية تأتى من اجرام فى السماء معروفة ، وأخرى تأتى من جهات لم يعرف العلماء أن بها أجراما . اهى اذن اجرام معتمة صماء لا تخرج الا الاشعة السينية !

المهم انه علم جديد .

وتسأل لم مضت ١٣ عاما قبل اكتشاف هذه الاشعة السينية فيما وراء المجموعة الشمسية ؟ السبب هو أن هذه الاشعة السينية لا تدرس من فوق سطح هذه الارض البسيطة . ان الطبقات العالية من هواء الأرض تمتصها ، فلا تقترب من سطح الارض فتكون منها على بعد ٩٠ كيلو مترا حتى تكون قد فنيت كلها . لهذا ظل العلم باقيا ينتظر عهد الصواريخ لترفع اجهزته فوق هذه الكيلومترات من الهواء .

ان هذا العلم لا يزال فى أوله . وفيه صعوبات كثيرة . ولكنه مع ذلك كشف عن مصادر لهذه الاشعة السينية فى السماء فلم يخطىء ، بعضها هو ايضا مصدر للاشعة الضوئية فهو اذن جرم فى علوم الفلك معروف ، وذلك مثل برج السرطان Crab Nebula وبعضها لا يعرف له مصدر رأته التلسكوبات قبل ذلك .

ووجب أن يكون لهذا العلم الجديد اسم . وهم سموه X - Ray Astronomy ، ونترجمه فنقول علم الفلك السينى ، كما نترجم علم الفلك اللاسلكى Radio Astronomy فنقول علم الفلك الرَدْيَوى .

فهى تكشف عما قد يكشف عنه الكلاب من المجرمين .

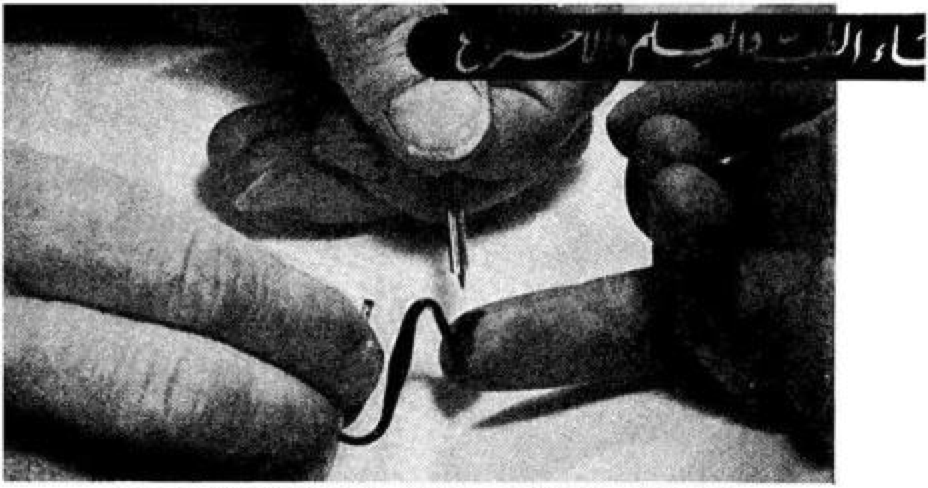
وعدا هذا ، فقد يجد المحللون اشياء تربط هذه « البصمات » بالذى يصيب اجسام اصحابها من علل وامراض .

وبهذه المناسبة نذكر انه ليس الكلب وحده هو الذى أُعطي حساسية فى الحس فوق حساسية الانسان .

ففي هذا الصدد نذكر الذبابة الذهبية Mouche Dorée ، تلك التي تتألق فى الشمس بالالوان الزاهية . هذه الذبابة لها حس مرهف شديد الارهاف تدرك به وجود بعض الاجسام الكيماوية التي توجد فى اللحم بمقدار غاية فى الصغر .

ان لهذه الذبابة « أنفا » رائع الحساسية .

وقد تعاقد جيش الولايات المتحدة مع علماء ليبحثوا امر هذه الذبابة وما قد ينتفع بها فيه من كشف مواد يبثها العدو فى حرب كيماوية او بكتريولوجية تعجز انوف الانسان عن ادراكها .



شكة فى الاصبع ، ثم قطرات من الدم تجمع فى انبوبة رقيقة ، ثم الى المختبر

أخطار الطريق

● اخطار الطريق لها اسباب كثيرة . وضحايا الطريق ضحايا كثيرة ، وهى لا تزال فى ازدياد .

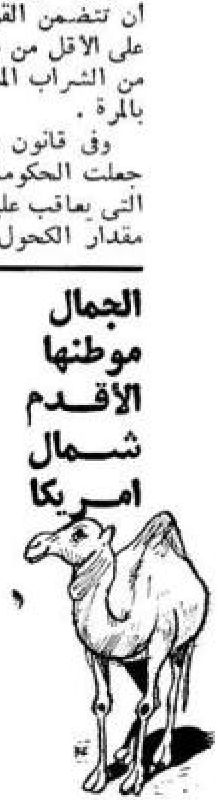
وقد وجد الباحثون ان من اكبر اسبابها شراب المسكرات . واذن وجب ان تتضمن القوانين ما يحمى الجمهور على الأقل من هذا السبب الواحد بالحد من الشراب المسكر ، اذا لم تستطع منعه بالمرة .

وفى قانون سمته قانون امن الطريق جعلت الحكومة الانجليزية من الذنوب التى يعاقب عليها سائق السيارة ان يبلغ مقدار الكحول الذى بدمه اكثر من ٨٠ مليجراما فى المائة من السنتيمترات المكعبة من دمه .

والذين اتخذوا هذا المقدار علامة على الخطر يدركون ان الاشخاص تختلف مقادير احساسها بالكحول المشروب ، ولكنهم يجمعون انه ، عند هذا المقدار فى الدم ، يتأثر جميع الشرايين تأثرا يعقبه الخطر .

وقد حدث ان الأطباء الذين اختبروا جثث السائقين الذين ماتوا فى العام الماضى فى حوادث سيارات ، وجدوا ان اكثر من خمسهم بلغ تركز الكحول فى دمهم فوق هذه النسبة التى قدروها .

الجمال موطنها الأقدم شمال امريكا



● هكذا وجد الدكتور داود وب S. David Webb بجامعة فلوريدا . انه يقول ان هذه الجمال ، التى تعبر الصحارى اليوم فى افريقيا وآسيا ، موطنها القديم الأقدم امريكا الشمالية . دلت على ذلك بقايا آثارها التى حفر العلماء عنها فى العالم الجديد ، وقدروا أعمارها ، فاذا بها تنتسب لعهد مضى عليه اربعون مليون عام ، بينما البقايا التى كشف الحافرون عنها فى الدنيا القديمة انتسبت لعهد مضى عليه ثلاثون مليونا من السنين فقط . والانسان بالطبع انما ظهر على هذه الارض بعد ذلك بأزمان متطاولة ، فى ظن أهل العلم .

ويقول الدكتور وب ان الجمال لا بد عبرت ممر برنج Bearing Bridge لتنتقل من امريكا الى آسيا ، وذلك قبل ان يغطى العصر الجليدى تلك الارض الشمالية بالجليد فى تلك العصور الجيولوجية المترامية فى القدم .

والظاهر ان الجمال كانت فى الأصل تعيش فى أراض ذات زرع خضراء ، فلما تغيرت طقوس الارض بالعصر الجليدى استطاعت ان تتكيف سريعا للعيش فى الصحارى وسهول آسيا الجرداء .

في سبيل موسوعة علمية

من وحي القراء

أدق غزال، وأرق نساج، بين الحيوان.. إنه العنكبوت

■ وهو انواع . وهو ليس بالحشرة. فالحشرة في العلم Insect لها جسم يتجزأ ثلاثة اقسام ، ثم أرجل ست . اما العناكب. فلها ثماني أرجل ، وجسمها جزءان : الصدر مع الراس وقد التحما Cephalothorax ، والبطن Abdomen .

والعنكبوت ، بين الحيوان ، من آكلات اللحم ، لا العشب واضرابه مما تنبت الارض. وهو يعيش على الحشرات الحية واشباهها . وهو يصيدها بعضها ويحقن سما فيها يخرج مع العض فيقضي عليها .

والمتحدث في العناكب يستطيع ان يتحدث عنها من اكثر من وجه . واريد ان اتحدث هنا ، في هذه الرقعة القليلة ، عن نسجها ، ويقال له بيت العناكب ، فهو حقا بيتها ، وهو كذلك الشبكة التي تصيد بها العناكب صيدها .

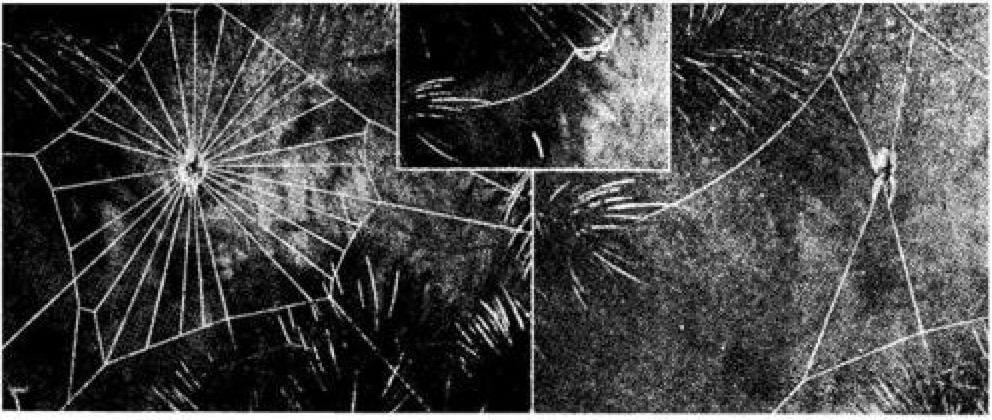
والغزل ، والنسج ، وبناء البيت كله ، انما تقوم به الاناث من العناكب وحدها ، وهي مزودة من اجل ذلك بجهاز للغزل في الطرف من بطنها ، يخرج منه خيط رفيع جدا لا تكاد ترى له سمكا ، يكون سائلا وهو يغادر الجسم ، ولكنه يتجمد عند مسه الهواء .

وينتج جهاز الغزل هذا نوعين من هذه الخيوط « الحريرية » ، نوعا جافا لا مرونة فيه ، وهو لاقامة الهيكل الذى يعمد البيت ، ونوعا مرنا لزجا يلصق به كل ما يمسه ، وهذا لنسج الشبكة اللفافة الشكل التى عليها تقع الضحية من الحشرات غذاء للعناكب حلالا طيبا .

والعناكب عندما تتحرك في بيتها تتخذ لها من هياكل البيت وعمده طريقا تمشي عليه ، وحيث يخلو البيت من هذه اللفافات اللزجة . انها لا تمسها ابدا . وهي تدرى ذلك وتحفظه .

والانثى تجلس في اوسط بيتها ، بعد الفراغ منه ، تنتظر الزائر الطارق . ولها في راسها بضعة من عيون ترى بها كل الجهات .

وقد تطيح ببيت العنكبوت الطائحات، ريح شديدة عاتية ، او مطر هامر . وتلتجيء أنثى العنكبوت الى حيث تحتمي . ثم لا تلبث ان تخرج لتعيد



هذه صور فوتغرافية خمس، أخذت فى ومضات ضوئية خمس، بينا انثى العنكبوت تصنع بيتها. والصور العنكبوت باول خيط ، وفى الصورة رقم ٢ رمت بما يشبه الاطار ، وفى الصورة رقم ٣ رمت بالخيوط عليها بخيط لفاف يمسكها ، وفى الصورة رقم ٥ أتمت تجهيز البيت لتتعثر به ضحايا الحشرات

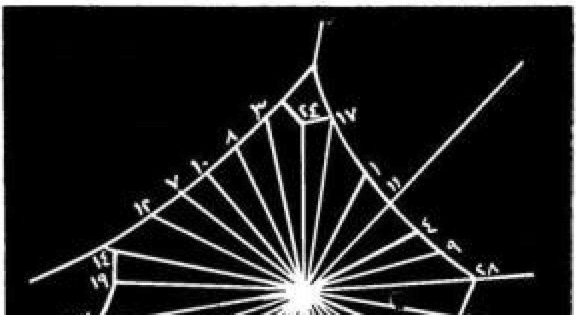
للبيت بناءه . انها اذا لم تبنه تمضي يومها جائعة بغير طعام .

وانت واجد فى الصور الخمس التى تصحب هذه الكلمة ، كيف تصنع انثى العنكبوت بيتها ، خطوة من بعد خطوة . انه الفن الهندسي الكامل لا شك فى هذا . وهي لا ترمي بخيوط البيت هكذا اعتباطا . انها ترمي اولا بما هو اضمن لثباته وأعون لاتزانه (انظر الصورة ذات الارقام) . وهي قبل ان تنتهي من اقامة الهيكل تشد خيوطه لتقيس قوته . فان كان ضعيفا زادته من جسمها قوة .

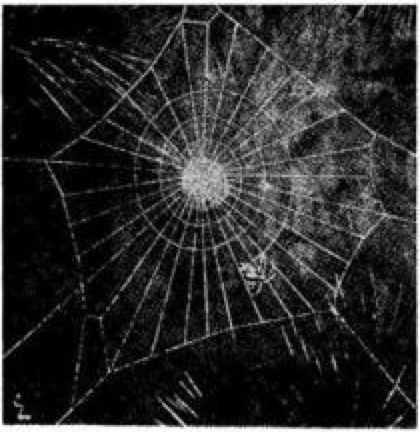
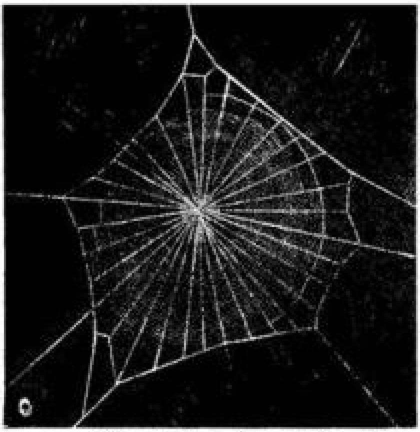
وفى التدرج الملحوظ فى تلك الصور الخمس يقف الانسان العاقل المتأمل حائرا .

أهذا عقل يعمل ، فى هذا المستوى غير الرفيع من الخلائق ؟

ان من العلماء من يسميه الفريزة ،



هذه هى الصورة رقم ٣ التى مرت ونحن نصف كيف تصنع انثى العنكبوت بيتها . وقد وضعنا هنا فيها ارقاما تدل على الترتيب الذى رمت به الانثى هذه الخيوط ، فهي لم ترم بها الواحد تلو جاره ، وانما تخيرت ترتيبا يكون اعون على توازن البيت ، فلا يثقل فيه اثناء البناء جانب ويخف جانب ، فيكون عرضة للهدم باضطراب يقع فى الهواء اثناء البناء .

عليها ارقام تدل على انها اخذت فى فترات متتالية والانثى تصنع بيتها . وفى الصورة رقم ١ رمت انثى كالبرامق التى تربط دنجل العجلة باطارها ، وفى الصورة رقم ٤ زادت هذه البرامق وناقة بأن دارت التى تصيدها .

ويقول انها غريزة محفوظة . والسؤال يأتي : على اى لوح فى رأس هذا العنكبوت حفظت هذه الغريزة ؟

والعقل ، والحيلة ، والتبصر ، والتحوط ، الذى تحويه هذه الغريزة ، لو حدث ان سلمنا بأنها غريزة ، من رسمه ؟ من دبره ؟

ثم كم فى الخلائق من صنوف ؟ وكم فى هذه الصنوف من غرائز ؟

وكم فيها على كثرتها من تشابه فى التدبير ، يوحي بأن التدبير واحد ، ومن تشابه فى الهدف ، يوحي بأن الهدف واحد .

ان الايمان بالله الواحد يعطى لأكثر اهل الارض تلقينا .

وايمان العلماء بالله الواحد، المستمد من التبصر فى دقائق خلق الله ، لا يدانيه فى الوثاقة والطمأنينة ايمان . ■■



عنكبوت حديقة البرتقال وهو اسود ، وعليه احزمة ونقاط تلمع كالذهب . وله فى صنع بيته هندسة اخرى غير التى سلفت . والشيء الابيض الذى فى الصورة حشرة صادها العنكبوت وحولها خيوط من نسيجه. لاحظ فى الصورة الارجل الثمانية ، والرأس الذى امتزج بالصدر فصار شيئا واحدا ، ثم البطن .

طبيب الأسرة



الجيلاتين : بروتين فى الطعام هزيل

● زوجتى مغرمة بان تعطيني مرقاتصنعه بغلي العظم ، وهو يبرد فيكاد يتجمد على هيئة فالوذج ، او الجلى ،وهى تقول ان بهذه المادة الخير كل الخير ، وانها خير من اللحم ، لا سيماعند مريض . وهى تذكر ان بها بروتينا كثيرا وان البروتين يبني الجسم . ان زوجتى اصلها ممرضة .

ـ فى الذى تقوله زوجتك الصحيح ، وفيه الخطأ .

اما المادة التى تخرج من العظم وتثخن عندما تبرد ، فاسمها الجيلاتين ، وهى نوع من البروتينات ، لا شك فى هذا .

أما أن البروتينات تبني لحم الجسم فهذا صحيح ايضا .

ولكن ان الجيلاتين خير من اللحم فهيهات . واليك التجربة الشهيرة :

جاءوا بصغار من الحيوانات ، وغذوها على الجيلاتين وحده دون سائر البروتينات ، فكانت النتيجة ان نموها توقف ، وماتت . واعطوها بروتين الجبن ، المسمى جبنين او بالافرنجية Casein فنمت وانتعشت .

وبذلك قسموا البروتينات الى مراتب ، بروتينات من الدرجة الاولى ، وهى التى بها ـ عندما تنحل ـ كل الاصول التى يستخدمها الحيوان ليبني منها جسمه . والبروتينات ذات الدرجة الثانية ، وهى التى تقصر عن ذلك .

وهاتان المرتبتان تتفقان تقريبا مع تقسيم البروتينات الى بروتينات حيوانية ، وهى الافضل والارفع ، ويكفى كل منها وحده لبناء الجسم ، والبروتينات النباتية وهى الادنى والاخس .

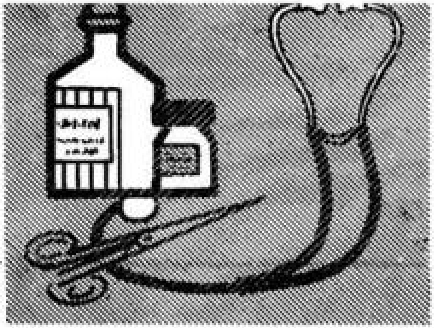
والنوعان يتفاوتان فى الدرجة التى بها يمتصهما الجسم من بعد هضم . فالجسم يمتص من بروتين اللحم واللبن والبيض مائة فى المائة تقريبا . اما من بروتينات النباتات ، كالتى توجد فى الخبز والبطاطس والفول ، فيمتص ما بين ١٠ الى ٤٠ فى المائة ، والباقي لا يمتص فيخرج مع البراز .



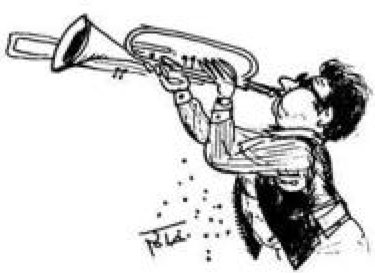
حساسية من جورب النيلون ؟

● فى جلدى ، بين الركبة والكعب ،خشونة تشبه الاكزيما ، خيل الى انها قد تكون بسبب حساسية جوارب النيلون التى البسها ؟ فما راى الطب فى ذلك .

ـ راى الطب لا يكون الا من بعد رؤية الطبيب . ومع هذا نقول ان الحساسية التى تثيرها جوارب النيلون ليست بالشيء الجديد ولا هى بالشيء النادر . وقد تكون بسبب النيلون نفسه ، وقد تكون بسبب الصبغة التى صبغ بها .



ولكن لديك طريقة لمعرفة الخبر الصحيح عن النيلون الذى تلبسينه وعن حساسيته : لا تلبسى جوارب النيلون هذه مدة من الزمان ، وانظرى فى جلد رجليك هل زال ما أصابهما . فان زال فالنيلون هو المسئول .



أنا موسيقار

● انا موسيقار، اعمل فى جوقة موسيقى، انفخ فى البوق ، فهل نفخي هذا قد يتسبب عنه ضرر لجيوب انفي ؟

ـ الضرر الذى تزعمه لا شك هو ان النفخ قد يصل الى الجيوب فيحمل اليها اسباب العدوى التى تأتى عن طريق الفم من برد وزكام ونحوه. وهذا بالطبع لايحدث . فانت عندما تنفخ من فمك ، تسد المسالك التى بين فمك وانفك ، اردت انت ذلك او لم ترد . ويسدها فى خلف الفم سقف الحلق .

فى رجلى وريد متمدد

● فى رجلى وريد متمدد من تلك الأوردة التى تعرف بالدوالى ، فتبرز من الجلد واضحة بشمة . وقد عالجه الطبيب بحقنه بمادة جعلت الدم الذى به يتجبن، أو كما يقول الأطباء يتجلط، اى يصنع جلطة دموية . ومن ساعة ان علمت بذلك اخاف من الحركة . وانا احب الرياضة ، وقد تجنبتها خشية من هذه الجلطة الدموية ان تنفصل فتسير فى الدورة الدموية فتصل الى القلب ، ويكون منها الموت .

فكيف اصنع ؟

ـ لا خوف عليك أبدا

صحيح أن المادة التى حقنها الطبيب تخثر الدم وتجعل منه جلطة ، ولكنها تصنع ذلك بأحداث تهيج موضعي للوريد نفسه يجعل الدم يتخثر عليه ويصنع كتلة مرتبطة به تستطيع انت أن تحسها بيدك من الخارج . وهذه الكتلة المتخثرة من الدم لا تنفصل أبدا . فلا تخشاها ،واخرج الى الرياضة ما شئت، فلا شيء يحد من نشاطك بسبب هذا .

بقى ان تعلم ان علاج الدوالى ، أو الاوردة المتمددة ، بالحقن لا ينجح الا فى حالة فى الدوالى خاصة .

أنفاس كريهة الرائحة



● لى انفاس ليست طيبة الريحة ، واتفاداها باقراص يبيعها الصيادلة على انها تذهب برائحة الفم الكريهة . وجربتها ولم تنفع . فما سبب هذه الرائحة وكيف الخلاص منها ؟

ــ الخلاص منها بكشف اسبابها .
وبعد كشف السبب يكون علاج العلة.
والرائحة الكريهة التي تخرج من الفم قد يكون سببها اصابة اللثة بالتقيح المعروف بالبيوريا ، او دخول عدوى الى جيوب الأنف ، او عدوى فى الرئة او غير ذلك .

والمفروض بالطبع انك تنظفين اسنانك بعد كل طعام فلا تتركين بين الاسنان بقايا تتحلل فتخرج غير الطيب المستحب من الروائح .

عليك اذن بالطبيب لكشف السبب ، « واذا انكشف السبب بطل العجب » .

اذا نزل الخلاص قبل نزول الوليد ..

● الذى اعرفه انه فى الولادة ينزل الوليد من بطن امه اولا ، ثم ينزل من بعد ذلك الخلاص . ولكنى سمعت من جارة لى انه احيانا ينزل الخلاص قبل الوليد . فهل فى الامكان هذا ؟



ــ فى الحالات السوية ينزل الوليد قبل الخلاص طبعا . ولكن أحيانا ينزل الخلاص كله قبل الطفل وفى هذه الحالة تكون حياة الطفل فى خطر ، وهو قلّ ان يعيش ، ويكون الخطر على الأم كبيرا .
غير ان الطبيب المولد يدرك الوضع اذا كان الخلاص يسبق الطفل الى باب الخروج ، وفى هذه الحالة هو يولد الأم قبل أن يبلغ الوضع مبلغ الخطر على حياتها او حياة الطفل ، وقد يولدها بالطريقة القيصرية التى هى اخراج الطفل بشق البطن .

وهذا الوضع الشاذ يحدث مرة فى كل مائتى ولادة أو ثلاثمائة .

وفى هذه الحالة يكون المستشفى هو المكان الوحيد للولادة، وذلك لان استبانة هذه الحالة ليست من السهولة بمكان والاحتياط الواجب اتخاذه يحتاج الى عناية كبيرة .



شعري كثير الشحم

● انا فتاة ، وشعر راسى به شحم كثير، فكم مرة تنصحنى بغسل راسى بمساحيق الصابون الموجودة فى السوق ، دون احداث ضرر بشعرى .

ــ الغسيل بصنوف الصابون الجيد، من مساحيق وغير مساحيق ، يزيل دهن الشعر المتراكم . ومن الفتيات من تغسل شعرها مرة فى الاسبوع . ومنهن من تغسله مرتين . وهذا يتوقف على مقدار الدهن الذى تفرزه جلدة الراس .

وبالطبع الاكثار من غسيل الشعر بالصابون فوق ما يجب يترك الشعر جافا لادهن فيه .
ولكن جفاف الشعر لايسقط الشعر . ان الذى يسقط الشعر سببه يجيء من باطن الجلد لا من ظاهره .

حضارات سادت ثم بادت

(بقية المنشور على صفحة ٢)

مصر القديمة

بيت من بيوت الطبقة المتوسطة فيها

● ان كل حكاية نحكيها اليوم عن مصر القديمة تتضمن حتما وصف المظاهر الفخمة التى كان يظهر بها حكام تلك البلاد ، وذكر الثراء الذى كان يتنعم به كبراء الدولة . ويوجد بالطبع فى الناحية الاخرى من المجتمع الفلاحون وما كانوا فيه من فقر .

وبين هاتين الناحيتين كثيرا ما يغفل الناس عن وجود طبقة اخرى متوسطة، فى مصر وفى غير مصر ، فى كل الازمان ، تتألف من افراد هم فى حد ذواتهم ليسوا بذوى خطر كبير ، ولكنهم من حيث انهم جملة ، كانوا دائما عصب الدولة كما عرفت الدول قديما .

وفى الصورة فى صفحة ٢ من «العربى» يوجد زوج وزوجته ، وهما من هذه الطبقة المتوسطة فى مصر القديمة . والرجل قد يكون كاتبا فى الخزانة الملكية، والمرأة لعلها مغنية فى فرقة الغناء بمعبد آمون .. وتنظر فى ملابسهما ، وتنظر فى حليهما ، وتنظر فى اثاث منزلهما ، فلا تجد منها ما هو فخم ، ولكن تجد ماله قيمة باقية لا بأس بها .

والى جانب بيتهما هذا وحديقته الصغيرة ، قد تجد لهما مزرعة يمتلكانها غير كبيرة ، يدفعان عنها ما وجب من ضرائب . وقد يكونان قد تمكنا من توفير مقدار من المال يأذن لهما بارسال ابنهما الى مدرسة الكتاب بمدينة طيبة، وبذلك يضمنان له العمل المربح المحترم عندما يصبح رجلا .

والآن ترى الاثنين ، الزوج والزوجة، يتسليان بلعبة هي أعز ما لديهما من نفائس : انه صندوق من خشب السيدر ، مطعم بألواح من الخزف الصيني الفرفوري الفاخر . وقد تقسم سطح الصندوق ، وكذا قاعه حيث يمس الطاولة ، الى مربعات تجعله صالحا للعبتين ، مثل لعبة الداما ، أو السيجا ، وأشباههما .

واللعبة التى لها السطح الاعلى اسمها « سينيت » . والتى لها السطح الاسفل اسمها « اتشو » أو لعبة الحرامية .

اما احجار اللعبة ، وهي من الصيني، فكانت تحفظ فى درج الصندوق ، عندما لا يكون لعب . وكان من ادوات اللعبة عصى منقوشة ، اربعة ، تلقى على الارض ، كما يلقى الزهر ، والشكل الذى يقعان عليه، اما التقاء واما انفراجا، يحدد للاعبين حركة الاحجار .

واللعبة التى يلعبانها فى الصورة هي لعبة « سينيت » . والسطح لها مقسم الى ثلاثة صفوف ، وبكل صف عشرة مربعات . وهذه المربعات منها ما هو كسب للاعب اذا وقعت احجاره عليه ، ومنها ما هو خسران له .

ولكل لاعب ستة احجار،بعضها دائرى كالبكر ، وبعضها مخروطي الشكل .

وليس الهدف من اللعب كسب الاحجار واخراجها من الرقعة ، وانما هو الوصول بالاحجار الى غاياتها على الرغم من محاولة اللاعب الآخر سد الطريق عليها .

ان هذه اللعبة لا بد كانت شائعة بين مصريي تلك العصور شيوعا عظيما ، يدل على ذلك ان صورة هذه اللعبة دخلت لغتهم المصورة .. وكانت رمزا قديما فيها .. وظهر هذا الرمز كثيرا فى مأثوراتهم الدينية والجنائزية . ■■

الشحاذ

قصة للروائي الروسي : أنطون شيكوف

■ « سيدى المحسن الكريم » نظرة الى رجل فقير برّح به الجوع ، اني لم أذق الطعام منذ ثلاثة ايام ، وليس معي ما يكفي لاجد مأوى في الليل ، واقسم بالله انى لمدة خمس سنوات كنت مدرسا في احدى القرى ، وقد فقدت وظيفتي من جراء دسائس اعضاء مجلس القرية ، وكنت ضـحية شهود الزور ، وقد مضى علي عام وانا لا اجد عملا »

فالتفت سكيفرستوف ـ وهو أحد المحامين في بطرسبرغ ـ الى المتكلم وهـو في معطفـه المهلهل الداكن وقد بدا في عينيه العكرتين أثر الشراب واحمرت وجنتاه ، وبدا لسكيفرستوف انه قد رأى هذا الرجل من قبل .

واسترسل الشحاذ يقول « وقد عُرضت علي اليوم وظيفة في مقاطعة كالوجـا ، ولكـن ليس عندى ما يمكنني من الذهاب الى هناك ، فمدّ يا سيدى الي يد المساعدة ، واني لخجل مـن السؤال ، ولكن للضرورة احكامها »

فنظر سكيفرستوف الى قالوشيه، وكان احدهما يشبه الحذاء القصير ، والآخر يمتـد الى أعلى الساق مثل الحذاء الطويل ، وتذكر فجأة وقال : « استمع الي ، اني لقيتك أول أمس ، في شارع سادوفوى ، ولم تقل حينذاك انك كنت مدرسا ، بل قلت انك طالب مطرود ، أتذكر ذلك ؟ »

فتمتم الشحاذ في اضطراب وقال : « كلا لا يمكن أن يكون كذلك،لقد كنت مدرسا ، واذا لم تصدقني فاني على استعداد لاريك واثبت ذلك » .

فاجابه سكيفرستوف « يكفي هذه الاكاذيب ! لقد ادعيت انك طالب ، بل قد ذكرت لي سبب فصلك أتذكر ذلك ؟ »

وتغير وجه سكيفرستوف ، وظهر عليه الضيق والاشمئزاز ، وتحول عن الشحاذ الرث الثياب ، وهو يصيح « هذا شيء موجب للاحتقار يا سيدى ! انه غش ونصب ! انك فقير معدم وجوعان ولكن هذا لا يبيح لك حق الكذب بغير استحياء ولا خجل »

فامسك الشحاذ القذر الثياب بمقبض الباب ، وادار النظر في الدهشة كالطائر الـذى وقـع في الشبكة ، وتمتم قائلا « أنا ... أنا لست كاذبا ، أستطيع أن اريك المستندات » .

فاسترسل سكيفرستوف وهو لا يزال غاضبا : « انك تريد استغلال عطف الجمهور على مدرسي القرى وطلبتها ، وهذا شيء وضيع وسافل وقذر، انه يثير الاشمئزاز وتنفر منه النفس وتجتويه ! »

واشتعل غضب سكيفرستوف ، واخـذ يوبـخ الشحاذ توبيخا شديدا ، فقد أثار كذب الرجل المهلهل الثياب اشمئزازه لانه عـده عدوانا على ما يكبره سكيفرستوف ويعتز به في نفسه وهـو الشفقة والقلب الحساس والعطف على الفقراء ، وهذا الشحاذ يكذبه ، كأنه حاول أن يغدر بعطفه ويفسد عليه حبه للاحسان الى الفقراء الـذى



كان يقوم به فى ارتياح وغبطة . وقد حاول الشحاذ فى أول الامر الدفاع عن نفسه . واقسم بالايمان المغلظة ، ثم التزم الصمت ونكس رأسه وقد استولى عليه الخجل وقال وقد وضع يديه على قلبه : « فى الحق اننى كنت اكذب ! فلست طالبا ولا مدرسا فى قرية ، وهذا كله محض ادعاء ! لقد كنت أعمل فى احدى جوقات المرتلين الروسيين، وقد طردت منها لامعانى فى الشراب . ولكن ماذا اصنع ؟ وصدقنى بحق الله اننى لا أستطيع أن اعيش بدون كذب ، وحينما اقول الحق لا يعطينى احد شيئا ، وبالحق يموت الانسان جوعا أو يتجمد دون أن يجد ملاذا يأوى اليه ، فماذا اصنع ؟

فصاح به سكيفرستوف قائلا : « ماذا تصنع ؟ اتسأل ماذا تصنع ؟ واقترب منه . « اعمل » ، هذا ما يجب أن تفعله ! عليك ان تعمل ! »

فقال الشحاذ « أعمل ... اني أعرف ذلك ، ولكن أين أجد العمل ؟ »

فقال سكيفرستوف : « هذا سخف ، انك شاب وقوى البنية ، وصحتك جيدة ، وتستطيع أن تجد عملا دائما اذا شئت، ولكنك كسول ومرفه وسكير ! ورائحة الفودكا تفوح منك كالحانة ، ولقد بلغ منك الفساد مبلغا ، وصرت لا تصلح لغير الكذب والتسول ! فاذا تفضلت وتنازلت الى قبول عمل فيلزم أن يكون هذا العمل فى احدى الوظائف أو فى جوقة روسية أو مسجلا فى لعب البليارد حيث تتقاضى مرتبا ولا تعمل شيئا ! ولكن ما رأيك فى ممارسة عمل يدوى ؟ من المؤكد انك لا تقبل أن تكون بواب منزل أو عاملا فى مصنع ، انك أرفع من هذا المستوى ! »

فقال الشحاذ وقد علت وجهه ابتسامة مرة : « ان ما قلته يطابق الواقع ، ولكن كيف أحصل على عمل يدوى ؟ لقد فات الوقت الذى أستطيع فيه أن أكون بدّالا ، لأن على الانسان فى التجارة أن يبدأ وهو صغير ، ولا يقبل أحد أن يتخذنى بوابا لاننى لست من هذه الطبقة ، ولا أستطيع الحصول على عمل فى مصنع ، وعلى الانسان أن يتعلم حرفة ، وأنا لا أعرف شيئا »

فقال سكيفرستوف : « هذا كلام فارغ ، انك تبحث دائما عن مبرر ! أتوافق على القيام بتقطيع الاخشاب ؟ »

فقال الشحاذ : « لن ارفض القيام بهذا العمل ، ولكن الذين يقومون بتقطيع الاخشاب ليس لهم عمل فى الوقت الحاضر » .

فقال سكيفرستوف : « جميع الكسالى يتعللون بمثل هذه الحجج ! فحينما يقدم لك عمل ترفضه ؟ اتوافق على قطع الاخشاب عندى ؟ »

فقال الشحاذ : « من المؤكد انى اقبل ذلك .. »

فقال سكيفرستوف « حسن ... سأنظر فى الامر .. عظيم .. سأدبر الامر ! »

وفى سرعة عصبية وشىء من السرور المشوب بالخبث حك سكيفرستوف يديه واستدعى طاهيته من المطبخ ، وخاطبها قائلا : « خذى يا اولجا هذا السيد معك ، ودعيه يقطع بعض الاخشاب فى السقيفة »

فهز الشحاذ كتفيه كانه فى حيرة من أمره ، وتبع الطاهية فى تراخ وكان واضحا من سلوكه انه قبل القيام بقطع الخشب ، لا لانه جوعان ويريد الحصول على نقود ، وانما قبله بباعث الخجل والمحافظة على الكرامة بعد ان ابدى موافقته . وكان من الواضح كذلك انه كان متأثرا من تعاطيه الفودكا ، وانه لم يكن فى حالة حسنة ولم يشعر باى ميل الى العمل »

واسرع سكيفرستوف الى غرفة الطعام ، ومن احدى نوافذها المطلة على الساحة كان يستطيع ان يرى السقيفة وكل ما يحدث فى الساحة ، ورأى سكيفرستوف وهو واقف امام النافذة الطاهية والشحاذ وهما قادمان من الساحة ليدخلا السقيفة بين الثلوج المتراكمة الملطخة بالوحل ، اولجا تنظر شزرا الى الشحاذ، ثم هزت مرفقها وفتحت القفل ودفعت الباب فى عنف وغضب .

فقال سكيفرستوف لنفسه : « يظهر اننا دعونا هذه المرأة وهى تحتسى القهوة ، فما اخشن طباعها ! » ثم رأى المدرس المزيف والطالب المدعى يجلس على كتلة الخشب ، ويسند خديه المتوردين على قبضة يده ، ويستغرق فى التفكير ، والقت الطاهية بالفاس عند قدميه ، وبصقت بغضب على الارض ، واستنتج من حركة شفتيها انها بدات تتنقصه وتعيبه ، فسحب الشحاذ قطعة من الخشب فى تراخ ووضعها بين قدميه ، وفى شىء منه الاحجام سحب الفاس عبرها ، فسقطت القرمة وارتمت على الارض ، فسحبها الشحاذ وادناها منه ونفخ فى يديه المتجمدتين ، واعاد سحب الفاس فيها فى حذر واحتياط ، كأنه كان خائفا ان يصيب حذاءه الطويل او ان يقطع أصابعه،فسقطت القرمة ثانية .

وكان سكيفرستوف قد زال غضبه ، وشعر بالالم والاستخذاء لانه ارغم رجلا سكيرا مترفا وربما كان مريضا على ان يقوم بعمل صعب فى البرد .

ولكنه قال لنفسه : « لا بأس ، دعه يستمر فى العمل .. انى اعمل ذلك من اجل مصلحته ! » وخرج من غرفة الطعام الى غرفة المطالعة .

وبعد مرور ساعة ظهرت اولجا واعلنت ان الخشب قد قطع .

فقال سكيفرستوف : « اعطيه نصف روبية ، واذا قبل فيحضر فى اول كل شهر ليقطع الخشب ، وسيكون عندنا دائما عمل له »

وفى أول الشهر عاد الشحاذ ، وحصل على نصف روبية ولو انه كان لا يكاد يستطيع الوقوف ومن هذا الوقت فصاعدا كان يجىء الشحاذ ويجد دائما عملا ينتظره ، ففى بعض الاحيان كان يكنس الثلج ويكومه او يقوم بتنظيف السقيفة ، واحيانا اخرى كان يقوم بتنفيض السجاجيد والمراتب ، وكان يتقاضى قرابة نصف روبية لقاء عمله ، وفى احدى المرات اعطى له سروال قديم .

وحينما انتقل سكيفرستوف من مسكنه الى مسكن آخر عهد اليه بالمساعدة فى حزم الاثاث ونقله ، وفى هذه المناسبة كان الشحاذ مضيقا وحزينا صامتا ، وكان لا يكاد يلمس الاثاث ، وكان يمشى مطرق الرأس وراء عربة الاثاث ، ولم يحاول ان يظهر بمظهر المقبل على العمل ، وكان ينتفض من البرد ، وظهر عليه الارتباك والحيرة حينما اخذ رجال عربة نقل الاثاث يتضاحكون على كسله وعجزه وسترته المهلهلة التى كانت من قبل سترة

احد السادة ، وبعد انتهاء التنقل استدعاه سكيفرستوف .

وقال له : « ارى ان كلماتي كان لها تاثير في نفسك » . واعطاه روبية وقال له : « هذه لقاء عملك ، واراك مطيعا وراغبا في العمل . فما اسمك ؟ »

ـ « اسمي لشكوف »

فقال سكيفرستوف: « استطيع ان اقدم لك عملا خيرا من هذا ، وخاليا من الخشونة ، اتعرف الكتابة ؟ »

ـ « نعم يا سيدى » .

ـ « اذن خذ هذه الرسالة ، واذهب غدا الى زميلى ، وهو سيعطيك اشياء تكتبها له ، فاعمل، وامتنع عن شرب الخمر ، ولا تنس ما قلته لك . طاب يومك »

وشعر سكيفرستوف بالارتياح لانه وجّه رجلا الى الطريق المستقيم ، وربت على كتفى لشكوف في لطف وايناس ، وصافحه عند انصرافه .

فحمل لشكوف الرسالة ، وغادر المكان . ومنذ ذلك الحين لم يعد الى الساحة الخلفية للعمل .

ومر عامان ، وفى ذات يوم كان سكيفرستوف واقفا امام مكتب بيع التذاكر في احد المسارح يدفع ثمن التذكرة فراى بجانبه رجلا صغير السن يلف حول رقبته غطاء من فروة الخروف وقلنسوة قذرة من جلد القط ، وكان يطلب في استحياء من الكاتب تذكرة في اعلى المسرح ويدفع ما يقرب من نصف روبية . فعرف سكيفرستوف ان الشاب هو قاطع الخشب السابق فقال له : « الست لشكوف ؟ كيف حالك ؟ وماذا تصنع الآن ؟ ارجو ان تكون احوالك حسنة »

« احوالي طيبة .. واعمل الآن في مكتب احد موثقى العقود ، واتقاضى خمسا وثلاثين روبية »

فقال سكيفرستوف : « هذا شيء عظيم والحمد لله ، اني مسرور لك يا لشكوف ، اتعلم يا لشكوف انك من بعض الوجوه ابني في العماد ، فانا الذى وجهتك الى الطريق المستقيم ، اتذكر التوبيخ الذى وجهته اليك ؟ لقد كدت تسوخ في الارض حينذاك ، واني اشكرك يا زميلى لانك تذكرت كلماتي »

فقال لشكوف : « اني كذلك شاكر لك :ولو لم آت اليك في ذلك اليوم لظللت حتى اليوم أدعى اني مدرس او اني طالب ، ولقد أنقذت في منزلك ، وتسلقت صاعدا من الحفرة »

فقال سكيفرستوف : « اني جد مسرور »

فقال لشكوف : « اني أشكر لك كلماتك الرقيقة وما خصصتني به من العطف ، وما قلته لى في ذلك اليوم كان عظيما ، واني مقدر لجميلك وجميل طاهيتك ، بارك الله لهذه المراة الطيبة القلب ، وما قلته لى في ذلك اليوم كان بارعا وانا بطبيعة الحال مدين لك ما عشت ، ولكن طاهيتك هي في الواقع التى انقذت حياتى » .

وكيف كان ذلك ؟

« كان هذا ما يحدث ، احضر لقطع الاخشاب ، فتبدأ هي تقول « ايها السكير ! ايها الرجل الذى لفظته رحمة الله ! ومع ذلك لا يذهب بك الموت ! ثم تجلس امامى تولول وتنظر في وجهي وتندبني قائلة : ايها الرجل السيىء الحظ ! ليس في هذه الدنيا ما يدخل السرور على نفسك ، وفى الاخرة ستصلى عذاب النار . ايها السكير البائس ! وكانت دائما تتبع هذا الاسلوب ، وكم كانت تعنتى نفسها من اجلى ، وكم اراقت على من الدموع ، ولست استطيع ان اقى ذلك حقه من الوصف ، ولكن الذى ترك في نفسى ابلغ الاثر هو انها كانت تقطع الاخشاب لى. اتعرف يا سيدى انني لم اقطع لك قرمة واحدة من الخشب ـ لقد كانت تقوم بذلك كله ! ولا استطيع ان افسر كيف انقذتني، وكيف تغيرتُ وانا انظر اليها ، واعرضتُ عن الشراب ، ولا اعرف سوى ما قالته لى ، والسلوكُ النبيل الذى سلكته معي احدث تغييرا في نفسى ، ولن انسى لها ذلك . قد حان ميعاد الصعود ، وهم يهمُّون بقرع الجرس »

وانحنى لشكوف وذهب الى اعلى المسرح. ■■

علي ادهم

ابو دلامه

الشاعر الذي عاش باضحاكه الناس من الناس، ومن نفسه، واهله وولده

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هداره

المدرس بكلية الآداب جامعة الاسكندرية

■ زند بن الجون (١) المعروف بابي دُلامة ، وهى كنية عجيبة تطلق اصلا على جبل بمكة كانت قريش تئد فيه البنات فى الجاهلية (٢) ، كان عبدا لرجل من أهل الكوفة من بنى اسد يقال له قصّاص بن لاحق ، فاعتقه (٣) ، ولعل اباه هو المقصود بهذا الخبر ، والى ذلك اشار صاحب الاغاني ، وقد ابان ان اسم مولاه فصافص (٤) . اما هو فقد نشا يمت الى بني أسد بالولاء فى الكوفة ، ولهذا يقال له الكوفى ، واصله من عبيد الحبشة ـ كما اتفق اكثر من مرجع ـ (٥) فهو أسود اللون ، ونراه يعترف بهذه الحقيقة متحدثا عن نفسه وأولاده .

ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا
سودٌ قِباحٌ وفى أسمائنا شَنَعٌ

اما قبحه الذى يعترف به فى هذا البيت فهو يؤكده فى اكثر من موضع . يقول فى هجائه لنفسه :

الا ابلغ اليك ابا دلامة
فليس من الكرام ولا كرامه

اذا لبس العمامة كان قِرْدا
وخنزيرا اذا نزع العمامه

جمعت رمامة وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامه (٦)

---

(١) يضيف الآمدى فى المؤتلف والمختلف لفظ « الاشجعى » . (٢) الاغاني ١٠ : ٢٣٧ (٣) تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٩ . (٤) الاغانى ١٠ : ٢٣٥ . (٥) يقول الاصمعى « كان ابو دلامة عبدا وقد رأيته مولدا حبشيا صالح الفصاحة » (تاريخ بغداد : ٤٩٨) وينقل ابن خلكان من ابن الجوزى فى كتابه « تنوير الغبش » انه كان أسود عبدا حبشيا (وفيات الاعيان ٢ : ١٨) (٦) الاغانى ١٠ : ٢٥٨ .



قال المستشرق الشهير بروكلمن ، ان المؤلف الألماني الموسيقى فون فيبر ، انما استوحى فكرة اوبرته « ابو حسن »،من شخصية ابى دلامه

حضر عهد الأمويين ، وعاش فى كنف العباسيين

ولا ندري تاريخ ميلاد أبي دلامة ولكننا نعلم انه توفي عام ١٦١هـ فى خلافة المهدى ، اى انه عاش فى كنف ثلاثة من خلفاء العباسيين: السفاح والمنصور والمهدى ، أما حياته فى عصر بني امية ، فلا نكاد نعلم عنها شيئا ، والسبب فى ذلك واضح كل الوضوح : ان أبا دلامة عبد حبشى ، أو مولى عتاقة .

العبيد والموالي فى أيام بني امية

والعبيد والموالى لم يكن لهم كيان ولا صوت فى ايام بني امية . واحتقار العرب للموالي أيام الامويين كان يتجلى فى مناسبات كثيرة لعل ابرزها ما حكاه صاحب الاغاني من ان رجلا من الموالى خطب بنتا من اعراب بنى سليم وتزوجها ، فركب محمد بن بشير الخارجي الى المدينة فشكا الى الوالى فارسل الى المولى وفرق بينه وبين زوجته ، وضربه مائتى سوط ، وحلق راسه ولحيته وحاجبيه . ويقول ابن عبد ربه ان المتعصبين للعرب كانوا يقولون : لايقطع الصلاة الا ثلاثة : حمار او كلب او مولى ، وكانوا يكنئون الموالى بالكنى ، ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ، ولا يمشون فى الصف ، ولا يقدمونهم فى الموكب . وان حضروا طعاما قاموا على رؤوسهم ، فان اطعموا المولى لسنه وفضله وعلمه أجلسوه فى طرف الخوان لئلا يخفى على الناظر انه ليس من العرب . ولا يدعونهم يصلون على الجنائز اذا حضر احد من العرب . (٧)

والراغب الاصفهاني يؤكد هذه النظرة الى الموالى من جانب العرب ايام الدولة الاموية ،

(٧) العقد الفريد ٣ : ٤١٣

ملاحظا تغير الموقف بعد قيام الدولة العباسية ، فهو يقول : كانت العرب ـ الى ان جاءت الدولة العباسية ـ اذا اقبل العربي من السوق ومعه شيء فرأى مولى ، دفعه اليه ليحمله عنه ، فلا يمتنع ولا السلطان يغير عليه ، وكان اذا لقيه راكبا واراد ان ينزل فعل ، واذا رغب احد في تزوج مولاة خطبها الى مولاها دون ابيها واهلها . (٨)

ولهذا نجد الموالي يندفعون الى الاحزاب السياسية التي يتوسمون فيها القدرة على القضاء على الحكم الاموى البغيض الى نفوسهم . ومنهم تكون معظم جيش العباسيين ، فليس عجيبا اذن الا ينتسب ابو دلامة في ايام بني امية ، او يتقرب من خلفائهم ، وليس عجيبا ايضا ان نراه يقاتل في جيش العباسيين ويسهم في اسقاط الدولة الاموية .

ابو دلامة يحكى خبر قتاله فى جيش مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية

وكل ما نجد له من اخبار في ايام الامويين انه كان يقاتل في جيش مروان بن محمد آخر خلفائهم ضد سنان الخارجي (٩) . وقد حكى ابو دلامة نفسه خبر هذا القتال فقال : لما التقى الزحفان خرج منهم رجل فنادى : من يبارز ! فلم يخرج اليه احد الا اعجله ، فغاظ ذلك مروان ، وجعل يندب الناس على خمسمائة فقتل اصحاب الخمسمائة ، فزاد مروان وندبهم على الف ، ولم يزل يزيدهم حتى بلغ خمسة الاف درهم ، وكان تحتى فرس لا اخاف خونه ، فلما سمعت بالخمسة الاف ترقبته واقتحمت الصف ، فلما نظرنى الخارجي ، علم انى خرجت للطمع ، فاقبل الى متهيئا ، واذا عليه فرو قد اصابه المطر فابتل ، ثم اصابته الشمس فاقفعل ، واذا عيناه تتقدان كأنهما من غورهما في وقبين (١٠) ، فلما دنا منى انشا يقول :

وخارج أخرجه حب الطمع
فر من الموت وفى الموت وقع

من كان ينوى أهله فلا رجع

فلما وقرت في اذنى انصرفت عنه هاربا ، وجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ ايتونى به ، فدخلت في غمار الناس فنجوت (١١) .

ابو دلامة لا يبالى الهرب عند القتال

وواضح ان ابا دلامة كان ضعيف البنية ، غير قادر على القتال ، وقد اشار الى ذلك في قوله « فلما نظرنى الخارجي علم انى خرجت للطمع » وكأنه لم يجد فيه نظيرا لقتاله .

وكل اخبار ابى دلامة في ايام العباسيين تدل على كراهيته للقتال وعدم قدرته عليه ، ولا باس عنده من الاعتراف بالجبن ، فهذا خير من تحطيم الراس او « الفخارة » كما يسميه في قوله :

الا لا تلمنى أن فررت فاننى
أخاف على فخارتى أن تحطما

فلو أننى فى السوق أبتاع مثلها
وجدك ما باليت أن أتقدما (١٢)

وذكروا ان الخليفة امره بالخروج لقتال عبد الله ابن على ، فقال ابو دلامة : انشدك الله يا امير المؤمنين ان لا تحضرنى شيئا من عساكرك ، فانى شهدت تسعة عساكر انهزمت كلها ، واخاف ان يكون عسكرك العاشر ! فضحك الخليفة واعفاه .

ابو دلامة يخرج غصبا فى مبارزة للخوارج

واحضر ابو دلامة امام المنصور وهو سكران ، فحلف المنصور ليخرجنه في بعث حرب عقابا له ، فاخرجه مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الخوارج ، ويحكى لنا ابو دلامة خبر هذه الحرب باسلوبه الساخر فيقول : لما التقى الجمعان قلت لروح : اما والله لو ان تحتى فرسك ومعى سلاحك لاثرت في عدوك اليوم اثرا ترتضيه ، فضحك وقال : والله

---

(٨) محاضرات الادباء ١ : ٢٢٠

(١٠) اقفعل أى تقبض ، والوقب نقرة في الصخر يجتمع فيها الماء .

(٩) في عيون الاخبار ١ : ١٨٣ شبيب الخارجي

(١١) بالاغاني ١٠ : ٢٤٥

(١٢) المصدر نفسه ١٠ : ٢٦٨

العظيم لادفعن ذلك اليك ، ولآخذنك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الي . ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصل ذلك في يدي وزالت عني حلاوة الطمع ، قلت له : ايها الامير هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما ، قال : هات ، فانشدته :

انى استجرتك أن أقدم فى الوغى
لتطاعن وتنازل وضراب

فهب السيوف رأيتها مشهورة
فتركتها ومضيت فى الهراب

ماذا تقول لما يجيء وما يرى
من واردات الموت فى النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج اليه يا ابا دلامة ، فقلت انشدك الله ايها الامير في دمي . قال : والله لتخرجن . فقلت ايها الامير فانه اول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، وانا والله جائع ، ما شبعت مني جارحة من الجوع ، فمر لي بشيء آكله ثم اخرج فامر لي برغيفين ودجاجة ، فاخذت ذلك معي وبرزت عن الصف ، فلما رآني الشاري (١٣) اقبل نحوي فاسرع الي .

وهنا يدور الحوار التالي بين ابي دلامة وفارس الخوارج :

ابو دلامة : على رسلك يا هذا ، كما انت ! (فوقف) اتقتل من لا يقاتلك ؟

الفارس : لا .

ابو دلامة : اتقتل رجلا على دينك ؟

الفارس : لا .

ابو دلامة : افتستحل ذلك قبل ان تدعو من تقاتله الى دينك ؟

الفارس : لا ، فاذهب عني الى لعنة الله !

ابو دلامة : لا افعل او تسمع مني .

الفارس : قل .

ابو دلامة : هل كانت بيننا عداوة او ترة ، او تعرفني بحال تحفظك علي ، او تعلم بين اهلي واهلك وترا (١٤) .

الفارس : لا والله !

ابو دلامة : ولا انا والله ، ولا اكن لك الا جميل الراى ، واني لاهواك وانتحل مذهبك وادين دينك واريد السوء لمن اراده لك .

الفارس : يا هذا ، جزاك الله خيرا ، فانصرف .

ابو دلامة : ان معي زادا احب ان آكله معك ، واحب مواكلتك لتتوكد المودة بيننا ، ويرى اهل العسكر هوانهم علينا .

الفارس : فافعل .

قال ابو دلامة : فتقدمت اليه حتى اختلفت اعناق دوابنا ، وجمعنا ارجلنا على معارفهما ، والناس قد غلبوا ضحكا ، فلما استوفينا ودعني ، ثم قلت له : ان هذا الجاهل ، ان اقمت على طلب المبارزة ، تدبني اليك ، فتتعبني وتتعب ، فان رأيت الا تبرز اليوم فافعل . قال : قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت .

قلت لروح : اما انا فقد كفيتك قرني (١٥) فقل لغيرى ان يكفيك قرنه كما كفيتك ، فامسك ، وخرج آخر يدعو الى البراز ، فقال لي : اخرج اليه ! فقلت :

انى أعوذ بروح أن يقدمنى
الى البراز فتخزى بى بنو أسد

ان البراز الى الأقران أعلمه
مما يفرق بين الروح والجسد

قد حالفتك المنايا اذا صمدت لها
وأصبحت لجميع الخلق بالرصد

ان المهلب حب الموت أورثكم
وما ورثت اختيار الموت عن أحد (١٦)

لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها
لكنها خلقت فردا فلم أجد !

فضحك واعفاني (١٧)

---

(١٣) أى أحد الخوارج .

(١٤) الترة والوتر : الثأر .

(١٥) القرن أى القرين .

(١٦) يقصد المهلب بن أبى صفرة القائد المعروف

(١٧) الاغانى ١٠ : ٢٤٣ .

أبو دلامة سمير ، لا رجل حرب

وهكذا ــ كما نرى ــ لم يكن أبو دلامة برجل حرب ولا طعن ، كان رجل سلام وموادعة ، يحب التنعم بالحياة ، ويميل الى لهوها وعبثها . وكان يبدو دائما حسن الزى نظيف اللباس متأنقا (١٨) ، يحب المرح والدعابة ، ويبتعد عن الهموم ومشكلات الحياة . لهذا كله كان نديما محبوبا وسامرا مضحكا

يقول الاصفهانى : انقطع الى أبى العباس وأبى جعفر المنصور والمهدى ، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبون مجالسته ونوادره (١٩) .

أبو دلامة يرثى السفاح

ونحن لا نكاد نجد اخبارا لأبى دلامه مع أبى العباس السفاح ، ولكن يبدو من رثاء أبى دلامة له انه كان على صلة وثيقة به ، وكان ينال كثيرا من عطاياه ، وانه جزع حقا لوفاته ، فهو يقول :

هلك الندى اذ بنتَ يا ابن محمدِ
فجعلته لك فى التراب عديلا
ولقد سألت الناس بعدك كلهم
فوجدت أكرم من سألت بخيلا
فلأحلفنْ يمين حق برَّةً
بالله ما أعطيت بعدك سولا (٢٠)

وحين غضب الخليفة المنصور على أبى دلامة لاسترساله فى مثل هذا الرثاء الذى يغلو فيه بمدح السفاح حتى يكاد يهجو من بعده ، قال له : ان أبا العباس امير المؤمنين كان لى مكرما ، وهو الذى جاء بى من البدو .

وان صح هذا القول فمعناه ان أبا دلامة كان من بادية الكوفة ، وليس من الكوفة نفسها . ولكن آثار البداوة فيه لا تكاد تظهر الا فى بعض ألفاظ صعبة يقصد اليها قصدا ، ويأتى بها للسخرية فى الغالب . اما طبيعته وخلقه وسلوكه الاجتماعى فبعيدة كل البعد عن البداوة والجفاء .

بين أبى دلامة وأبى العباس السفاح

ويبدو أن أبا العباس السفاح كان معجبا بشعر أبى دلامة كل الاعجاب ، اذ كان يستروح منه نسمات النديم الضاحك الذى يبرع فى الدعابة طبيعة وسليقة فيه ، كان ينشده شعرا فى يوم من الايام والحاضرون يستحسنون ما يقول تبعا لاستحسان الخليفة ، وأراد أبو دلامة أن يكشف اتباعهم للخليفة دون فهم منهم فقال له : يا أمير المؤمنين،انهم لايفهمون بالقول شيئا،ولا يستحسنون الا باستحسانك ، ثم انشده على سبيل البرهان قوله :

أنعتُ مُهراً كاملا فى قدره
مُركَّبا عجَانه فى ظهره ! (٢١)

فعجبوا من ذلك واستحسنوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما قلت لك ؟ والتفت اليهم قائلا : كيف يكون عجانه فى ظهره (٢٢) .

واهتز السفاح يوما للجود فقال لأبى دلامة : سل حاجتك .

أبو دلامة : كلب صيد .

السفاح : لك كلب .

أبو دلامة : ودابة أتصيد عليها .

السفاح : ودابة .

أبو دلامة : وغلام يركب الدابة ويصيد .

السفاح : وغلام .

أبو دلامة : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه .

السفاح : وجارية .

أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء عيال ولا بد من دار .

السفاح : ودار .

---

(١٨) طبقات الشعراء المحدثين : ٦٠ .

(١٩) الاغانى ١٠ : ٢٣٥ .

(٢٠) المصدر نفسه ١٠ : ٢٤١ والسول هو السؤال .

(٢١) العجان : الدبر ، وصدر البيت فيه سخرية واضحة اذ جعل المهر « كاملا فى قدره » وبعد ذلك وصفه وصفا غير معقول .

(٢٢) الشعر والشعراء : ٧٥٢ .

ابو دلامة : ولا بد من ضيعة تقوت لهؤلاء .

السفاح : قد اقطعناك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة (٢٣) .

ابو دلامة : وأى شىء الغامرة ؟

السفاح : ليس فيها نبات .

ابو دلامة : فانا اقطعك الفا وخمسمائة جريب من فيافى بنى أسد !

السفاح : قد جعلناها عامرة .

ابو دلامة : فأذن لى أقبل يدك .

السفاح : أما هذه فدعها .

ابو دلامة : ما منعت عيالى شيئا اهون عليهم فقدا من هذه ! (٢٤) .

قصص من مرح أبى دلامة

وهكذا كان أبو دلامة حتى فى طلب العطاء يثير الدعابة الحلوة ويشيع المرح.وواضح انه كان ينال كثيرا من عطاء الخلفاء العباسيين الذين عاصرهم ، حتى المنصور الذى عرف ببخله وخاصة بالنسبة للشعراء . وتنسب الرواية السابقة الى المنصور، ولكننا نشك فى ذلك ، والأقرب الى التصور انها حدثت مع السفاح ، لأن المنصور لا يفترط ـ ان اكرم أبا دلامة ـ الى هذا الحد . وكانت قدرة أبى دلامة على اضحاك الناس قوية التأثير حتى فى أحرج المواقف واكثرها اثارة للحزن . دخل على زوجة أبى العباس السفاح يعزيها بعد وفاته ، فبكى وبكت معه ، فقالت : لم أر احدا أصيب به غيرى وغيرك يا أبا دلامة ، فقال ، ولا سواء يرحمك الله، لك منه ولد ، وما ولدت انا منه ! فضحكت ، ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحكت الا ذلك الوقت . وقالت له : لو حدثت الشيطان لأضحكته ! (٢٥).

وحين توفيت ابنة عم للمنصور حضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها ، كئيب عليها . فاقبل أبو دلامة وجلس قريبا منه ، فقال له المنصور : ويحك ما أعددت لهذا المكان ؟ واشار الى القبر ، فقال : ابنة عم أمير المؤمنين ! فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال له : ويحك فضحتنا بين الناس (٢٦) .

فى سياسة الدولة لا يتحرج من الدعابة

بل نرى أبا دلامة فى المواقف التى تتصل بسياسة الدولة لا يتحرج من الضحك والدعابة ، فحين امر ابو جعفر المنصور اصحابه بلبس السواد ـ شعار العباسيين ـ وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف فى المناطق ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) ، دخل عليه ابو دلامة فى هذا الزى ،فقال له ابو جعفر المنصور : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهى فى نصفى ، وسيفى فى أستى ، وكتاب الله وراء ظهرى ، وقد صبغت بالسواد ثيابى . فضحك منه وقال له : اياك أن يسمع هذا منك احد (٢٧) . ولكن هيهات فقد كتب ابو دلامة فى ذلك بيتين ساخرين يقول فيهما :

وكنا نرجى من امام زيادة ... فزاد الامام المصطفى فى القلانس

تراها على هام الرجال كأنها ... دنان يهود جللت بالبرانس (٢٨)

ابو دلامة يحتال فى التوصل الى العطاء

وكثيرا ما كان أبو دلامة يفتن فى الوسائل التى يأخذ بها العطاء من الخلفاء ، فهو تارة يدخل على المنصور فيقول له :

رأيتك فى المنام كسوت جلدى ... ثيابا جمة وقضيت دينى

فكان بنفسجى الخز فيها ... وساج ناعم فأتم زينى

فصدق يا فدتك النفس رؤيا ... رأتها فى المنام كذاك عينى

(٢٣) الجريب أصله مكيال فأطلقوه على مقدار الارض التى تنبت سعة المكيال .

(٢٤) الشعر والشعراء : ٧٥١ .

(٢٥) الأغانى ١٠ : ٢٥٥ .

(٢٦) وفيات الاعيان ٢ : ٧١

(٢٧) الاغانى ١٠ : ٢٣٦

(٢٨) تاريخ الطبرى ٩ : ٢٨٤

فامر له بما طلب وقال له : لا تعد على ثانية فاجعل حلمك اضغاثا .

وهو تارة اخرى يدخل على المهدى باكيا فيقول له : مالك ؟ فيقول : ماتت ام دلامة ويرثيها بقوله:

وكنا كزوج من قطا في مفـــارة
لدى خفض عيش ناعم مؤنق رغد

فافردني ريب الزمـــان بصـرفه
ولــم ار شيئا قط اوحش من فرد

فيامر له المهدى بثياب وطيب ودنانير . وفي الوقت ذاته دخلت ام دلامة - بايعاز من زوجها - على الخيزران زوج المهدى فاخبرتها ان ابا دلامة قد مات ، فاعطتها ما يخفف عنها حزنها ، فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه (٢٩) .

ولا يفعل ذلك ابو دلامة مع الخلفاء فحسب ، ولكن لا باس عنده من الاتجاه الى امير مثل سعيد ابن دعلج - وكان يتولى الاحداث بالبصرة - ليحكى له قصة دين موهوم عليه ، يريد ان يتحمله الامير نيابة عنه ، فيقول :

اذا جئت الامير فقل ســـلام
عليــك ورحمــة اللـــه الرحيم

وامــا بعــد ذاك فلـــى غريـــم
من الاعــراب قبـح مــن غريـــم

غــريم لازم بفنـــــاء بيــــتى
لزوم الكلب اصحاب الرقـيم

لــه مائــة علـي ونصــف اخرى
ونصــف النصف من صك قـديم

دراهــم ما انتفعــت بهــا ولكــن
وصلــت بها شيوخ بنى تميم

اتونـــي بالعشيرة يسالونـــي
ولــم اك فى العشيرة باللئــيم

وفهم الامير ما اراده ابو دلامة فضحك واعطاه قيمة الدين الموهوم وزاده مائة درهم ، فكانه اعطاه مائتين وخمسة وسبعين درهما (٣٠) .

بل نرى ابا دلامة لا يتورع عن استجداء تمر من احد التمارين فى الكوفة ، اذ ذهب اليه وقال :

رايتـك اطعمتنـي فــي المنـــام
قواصــر مــن تمــرك البارحــة

فـــام العيـــال وصبيانهـــا
الــى البـــاب اعينهــم طامحــة

فلم يجد الرجل بدا من اعطائه ما طلب (٣١) .

ابو دلامة مضحك الخليفة !

ولعلنا نلاحظ فى اخبار ابى دلامة انه كثيرا ما كان يدخل على حريم الخلفاء يؤنسهن بدعاباته ، ويبدو لى انه كان بمثابة « مضحك الملك » ، وهو المنصب الذى عرف فيما بعد فى قصور الخلفاء ، ولعل ملوك الفرس قد عرفوه من قبل ، بل نجد فى قصر الرشيد - بعد ذلك بقليل - ابن ابى مريم المدنى الذى كان مضحاكا لمحدثا فكيها كما يقول الطبرى. فابو دلامة اذن هو (مضحك الخليفة) فى قصر السفاح والمنصور والمهدى . ثم ان المهدى بالذات منح ابا دلامة حق الدخول اليه فى اى وقت شاء دون ان يحجبه احد (٣٢) .

صائد الظبى ، وصائد الكلب

وواضح ان ابا دلامة كان يصحب المهدى فى رحلات الصيد ليؤنسه بفكاهاته ، ففى الاغانى خبر عن خروج المهدى وعلى بن سليمان للصيد ومعهما ابو دلامة ، فسنح لهم قطيع من الظباء فرمى المهدى ظبيا بسهم فصرعه ، ورمى على بن سليمان فاصاب واحدا من كلاب الصيد التى اطلقوها وراء الظباء. ولم تفت هذه النادرة طبيعة ابى دلامة الساخرة فقال :

قـــد رمـــى المهـدى ظبيـــا
شــك بالسهــم فــؤاده

وعـــلى بـــن سليمـــا
ن رمـــى كلبـــا فصـــاده

---

(٢٩) الاغانى ١٠ : ٢٥٥ .
(٣٠) الاغانى ١٠ : ٢٦١ ، وفيات الاعيان ٢ : ٧٢ .
(٣١) الاغانى ١٠ : ٢٥٢ .
(٣٢) العقد الفريد ٢٠٢/١

فهنيئـــا لهمـــا كـــل
امـــرىء يأكـــل زاده !

ومنذ ذلك اليوم علق بعلي بن سليمان لقب « صائد الكلب » ! (٢٣) .

ابو دلامة يضحك الناس ليرتزق ، ويتندر على من لم يعطه

ولا شك ان ابا دلامة كان يشكو الفقـــر والخصاصة ، ولكنه استغل روح المرح والدعابة الكامنة فيه ، والتى تجعل الناس لا يتمالكون انفسهم من الضحك حينما يتحدث شعرا او نثرا ، ليكسب عيشه ، فاختار هذه الوسيلة اسلوبا لحياته ، فهو يتندر على من لا يعطيه .

ولعل الطف نوادره فى ذلك انه دخل على المهدى وبين يديه سلمة الوصيف ـ وكان لا يعطى ابا دلامة ـ فقال : انى اهديت اليك يا امير المؤمنين مهرا ليس لاحد مثله،فان رايت ان تشرفنى بقبوله، فامر بادخاله اليه ، فاذا به برذون محطم اعجف هرم ، فقال له المهدى : اى شىء هـذا ويلك ، الم تزعم انه مهر ؟ فقال له : اوليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ؟! (٢٤) .

بساطة الفاظ ابى دلامة

ويتميز فن ابى دلامة ببساطة الفاظه الى درجة تصل الى لغة الحياة اليومية فى كثير من قصائده، مع انه يتبع نهج القصيدة العربية القديمة فى البدء ببكاء الاطلال والتغزل حتى فى اكثر القصائد دعابة وسخرية ، فتراه يبدؤها ببداية جادة تتناسب مع التوجه بها اصلا الى المديح ، كما فى قصيدته التى طلب فيها مزرعة من المنصور ، فهو يبدؤها متغزلا بقوله :

ان الخليـط اجـد البين فانتجعوا
وزودوك خبـالا بئس ما صنعـوا

واللـه يعلـم أن ســادت لبينهـــم
يــوم الفراق حصاة القلب تنصدع

ثم لا يلبث ان يدلف الى موضوعه الســـاخر فيقول : عجبت من صبيتى يوما وامهم.. الابيات.

أبو دلامة والسياسة

وموضوعات شعر ابى دلامة متنوعة ، فابن المعتز يقول انه يداخل الشعراء ويزاحمهم فى جميع فنونهم وخاصة المديح ، ولكنه ينفرد فى وصف الشراب والرياض بما لا يجرون معه (٢٥) ويؤكد هذا المعنى الخطيب البغدادى (٢٦) . وينبغى ان نقرر ان اتصال ابى دلامة بالخلفاء العباسيين قد بنى اصلا على اساس مدحه لهم وايمانه بسياستهم الى حد الاشتراك فى الحرب ضد اعدائهم . وكان لابى دلامة بعض التأثير فى مواقف سياسيةمختلفة. فحينما قتل المنصور ابا مسلم الخراسانى كان فى حاجة الى تعضيد الشعراء له فى هذا الموقف العسير لان ابا مسلم كان زعيم الاعاجم ، فنرى ابا دلامة يمدح المنصور ويهجو ابا مسلم فيقول :

أبا مســلم ما غيَّر اللــه نعمـــةً
عليك بما خوَّفتنــي الاسدُ الوردُ

أبا مســلم ما غيَّر اللــه نعمـة
على عبده حتى يغيرها العبد (٣٧)

ويروى الاصفهانى انه كان عند المهدى رجل من بنى مروان ، فأتى المهدى برجل مذنب من كفار العجم ، فامر المروانىَّ بضرب عنقه ، فاخذ السيف وقام فضربه ، فنبا السيف عنه ، فرمى به المروانى وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا ، فتغير وجـه المهدى . واستأذن ابو دلامة المهدىفى انشاده بيتين، فاذن له فقال :

---

(٢٣) الاغانى ١٠ : ٢٥٨ .

(٢٤) المصدر نفسه ١٠ : ٢٧١ . والوصيف فى اللغة الغلام دون المراهق .

(٢٥) طبقات الشعراء : ٥٤ .

(٣٦) تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ .

(٣٧) ديوان ابى دلامة : ١٣٢ ويروى ابن قتيبة النداء فى البيتين : ابا مجرم (الشعر والشعراء : ٧٥٢) .

أيهذا الامامُ سيفك ماض
وبكف الوليّ غيرُ كهام
فاذا ما نبا بكف علمنا
انها كف مبغض للامام

فسُرّى عن المهدى ، وأمر حجابه بقتل المروانى (٣٨) .

أبو دلامة فاسد الدين

هذا هو الجانب السياسى فى حياة ابى دلامة ، اما حياته الشخصية فمعروف أنه كان « فاسد الدين ردىء المذهب ، مرتكبا للمحارم ، مُضيّعا للفروض ، مجاهرا بذلك ، وكان يُعلم هذا منه ، ويُعرف به فيُتجافى عنه للطف محله » (٢٩) ولكن أبا دلامة لم يصل الى حد المروق عن الدين ، أو ما يعبر عنه بالزندقة التى اتهم بها جماعة من الشعراء فى ذلك العصر وغير الشعراء ، وكان المهدى شديدا فى تعقبهم والقضاء عليهم . بل لعل اصدق ما يوصف به أبو دلامة قول المستشرق بُروكِلْمَنْ عنه « كان ممن ساء اسلامهم ، ولكنه لم يكن يصدر فى ذلك عن عقيدة الزندقة ، بل عن الكسل والتهاون بشعائر الدين ، والجرأة فى ادمان الشراب » (٤٠) .

ذكر الاصفهاني ان أحد الكارهين لمكانة ابي دلامة عند ابي جعفر المنصور قال له ان ابا دلامة معتكف على الخمر فما يحضر صلاة ولا مسجدا ، وقد افسد فتيان عسكر الخليفة . فلما دخل عليه ابو دلامة قال له : ما هذا المجون الذى يبلغني عنك. قال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، ما انا والمجون وقد شارفت باب قبرى ! فقال المنصور : دعني من استكانتك وتضرعك ، واياك ان تفوتك صلاة الظهر والعصر فى مسجدى ، فلئن فاتتاك لاحسنن أدبك ولأطيلنّ حبسك . وصدع أبو دلامة بالامر ، ولكنه استثقله بعد فترة ، ولم يكن قد اعتاد اداء الفروض ، بل نشأ متجافيا عنها ، فكتب مجاهرا بخبث طويته وعدم قدرته على اداء الفرائض ، فقال :

ألم تريا ان الخليفة لزّني
بمسجده والقصر ، مالي وللقصر
فقد صدني عن مسجد أستلذه
أعلّل فيه بالسّماع وبالخمر
وكلفني الاولى جميعا وعصرَها
فويلي من الاولى وعَولى من العصر
اصليهما بالكره في غير مسجدى
فمالى من الاولى ولا العصر من اجر
يكلفني من بعد ما شبتُ توبةً
يحطُّ بها عني المثاقيل من وزرى
لقد كان فى قومى مساجدُ جَمَّةٌ
ولم ينشرح يوما لغشيانها صدرى
ووالله مالى نيّةٌ فى صلاته
ولا البر والاحسان والخير من أمرى
وما ضرّه والله يَغفر ذنبَه
لو أن ذنوب العالمين على ظهرى (٤١)

ولم يكن موقف أبى دلامة من فريضة الصوم خيرا من ذلك ، وان كان يدعى فى بعض ابياته انه يصوم ، الا انه يقرن هذا الادعاء بثورته على الصوم وبيان ما يلقى فيه من عذاب فهو يقول :

ان صمت أوجعنى بطنى وأقلقنى
بين الجوانح مس الجوع والعطش
وان خرجت بليل نحو مسجدهم
أضرنى بصرٌ قد خانه العمش (٤٢)

هربه من الحج

وحتى الحج لم يكن أبو دلامة منشرح الصدر لادائه ، بل لقد عرضت له فرصة تادية هذه الفريضة فى صحبة الامير العباس موسى بن داود فأبى .

حكى ابن المعتز ان موسى دعا أبا دلامة وقال له : تأهب للخروج معى الى هذا الوجه المبارك فانما هو الحج ، واعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال :

(٣٨) الاغاني ٢٧٢/١٠ والولى النصير ، والكهام غير الحاد .
(٣٩) المصدر نفسه ٢٣٥/١٠
(٤٠) تاريخ الادب العربي ٢ : ١٨
(٤١) الاغاني ١٠ : ٢٤٨
(٤٢) الاغاني ١٠ : ٢٥٤

ان كان عليك دين فاقضه ، وخلف لعيالك ما يكفيهم . وكان طمع فى ان يصاحبه فيتمتع بملحه ونوادره ، فاخذ أبو دلامة المال واجابه الى ذلك . فلما حان وقت الخروج الى الحج طلبه موسى فلم يقدر عليه ، ففتش عنه ، فقيل له انه بسواد الكوفة يتقلب فى حانات الخمارين . وخاف موسى ان يفوته الحج ، فقال : اتركوه الى لعنة الله وخرج ، فلما شارف القادسية اذا هو بأبي دلامة قد خرج من قرية يريد الحيرة ، فقال : ائتوني بعدو الله الفاسق ، هرب من الحق الى الباطل ، ومن الحج الى حانات الخمارين . فجيء به اليه فقيّده والقاه فى بعض المحامل،ولم يجد ابو دلامة عندئذ حرجا فى اعلان عصيانه عن الحج ، واظهار تباعده عن فرائض الدين فقال لموسى بن داود :

اني أعـــوذ بداود واعظمـــه
من أن أحـج بكُرْهٍ يا ابنَ داود
خـبِّرت ان طريق الحج مَعْطشة
مـن الطـلاء وما شربي بتصريد
واللــه ما فيَّ من خيرٍ فتطلبني
فى المسلمين وما ديني بمحمود (٤٣)

فلم يجد موسى بدا من اطلاق سراحه :

وهكذا كان موقف أبي دلامة الديني ضعيفا للغاية ، ولكن الخلفاء العباسيين ـ على الرغم من تشدد أكثرهم وعدم تهاونهم فى مسائل الدين ـ لم يتعرضوا لابي دلامة الا باهون أنواع العقاب فكان يحبس مع الدجاج مرة ، أو يفرض عليه نوع من الرقابة ، أو يبعث به الى قتال . وفى كل مرة يستطيع ان يتخلص من العقوبة بدعابة حلوة او نادرة لطيفة .

أبو دلامة فى سوق النخاسين

وكان أبو دلامة يتعشق الجمال فى وجوه الحسان ، وكانت الطف أوقاته تلك التي يقضيها عند النخاسين « تجار الرقيق » يشهد صورا فاتنة من الجمال بالوانه المختلفة ، وهو يقول فى ذلك :

ان كنت تبغي العيش حلوا صافيا
فالشعـــر اعزبـــه وكـــن نخاســا
تنـل الطرائف من ظـراف نهـد
يحدثـن كل عشـية أعراسا (٤٤)

وفى زيارة له لاحد النخاسين ـ واسمه الجنيد ـ تعشق جارية عنده ، فكثرت زيارته له وطلبه اخراجها ، وكان النخاس سخيفا فضيق على ابي دلامة حتى بغضه ، وجاءه فى يوم فقال له : اخرج لي فلانة ، فقال : الى متى تخرج اليك ولست بمشتر ! قال : فان لم اكن مشتريا فاني اخ يمدح ويطرى . قال : ما انا بمخرجها اليك او تقول فيها شعرا . قال : فاحلف بعتقها ان ترويها اياه ، وتامرها بانشاده من اتاك يعترضها ، ولا تحجبها . فحلف فقال ابو دلامة :

انــي لأحسب أن سأمسي ميتــا
او ســـوف أصبح ثــم لا أمســي
من حب جارية الجنيــد وبغضــه
وكلاهمـــا قــاض علـى نفســي
فكلامهـا يشفـى بـه سقمـي
فاذا تكلـم عــاد لى نكسى ! (٤٥)

وهكذا عاش أبو دلامة يسخر من نفسه ومن الناس ، لاتفوته النادرة الحلوة ، والدعابة اللطيفة، واستطاع بأسلوب النديم الساحر ان يحجب نقائصه التي لم يكن يتورع عن المجاهرة بها ، سواء اكانت فى خلقه ام فى خلقته ، ولهذا يقول بروكلمن فى كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية » ان فون وبر Von Weber استوحى من شخصية ابي دلامة الفكرة الرئيسية فى الاوبرا التى وضعها باسم « أبو حسن » (٢) والحقيقة ان ابا دلامة شخصية فكاهية ساخرة تستحق ان تسترعي انتباه الفنانين فى كل زمان وباى لغة من اللغات . ■■

دكتور محمد مصطفى هدارة
المدرس بكلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية

---

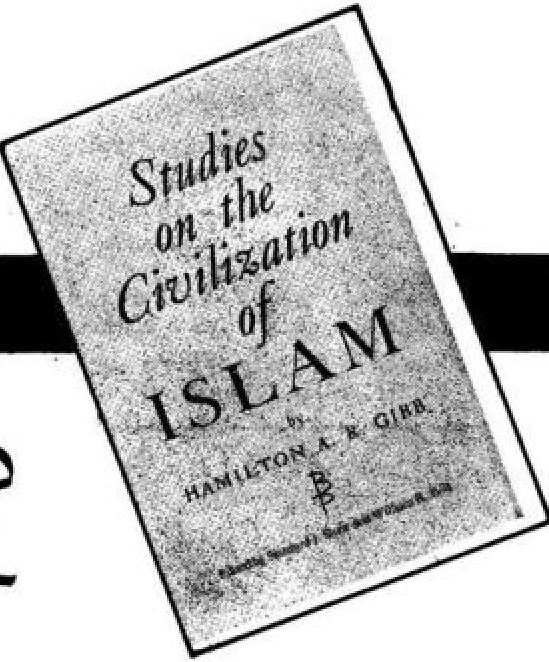
(٤٣) طبقات الشعراء : ٥٦ ومعطشة ارض لا ماء فيها ، الطلاء : الخمر ، التصريد السقى دون الري .

(٤٤) الاغاني ١٠ : ٢٥٠

(٤٥) الاغاني ١٠ / ٢٧٠

(٢) قد يكون أبو نواس هو المقصود بهذه التسمية وخاصة أن اسمه الحسن كما نعلم ، ولكننا لا نملك الا ما يقرره بروكلمن اذ ليس من السهل وتوهه فى هذا الخطأ .

نقد كتاب الشهر



دراسات فى حضارة الإسلام

للسير هملتون جب (١)

بقلم: الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

مؤلف هذا الكتاب ، سير هملتون جب ، اشهر المستشرقين الاحياء اليوم .

وقد كان الاستاذ جب استاذا فى جامعة لندن، ثم فى اكسفورد... وبعد احالته على المعاش اغرته جامعة هارفرد ، فى امريكا ، فذهب اليها ليكون مديرا لمعهد الشرق الاوسط فيها . وكان المحرر المسؤول عن « دائرة المعارف الاسلامية » منذ سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٥٥ . وفى سنة ١٩٥٤ كرمته الملكة اليصابات ، ملكة بريطانيا ، بان منحته لقب « سير » ، تقديرا لجهوده فى ميدان الدراسات العربية والاسلامية .

والاستاذ جب عضو فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو مراسل فىمجمعي دمشق وبغداد.

ونحن نذكر من مؤلفاته وبحوثه الكثيرة : كتاب « الاتجاهات الحديثة فى الاسلام » وقد ترجم الى العربية ، وكتاب « الاسلام » ، وكتاب « الادب العربي » ... وهذا الكتاب الذى نقدمه ، وهو كتاب صدرت له ترجمة عربية فى بيروت قبل شهور قليلة .

وقبل ايام وصلني بالبريد اعلان من دار نشر فى هولنده ، فيه ان كتابا مهدى للاستاذ جب فى طريق الصدور . وانا اقدر ان الكتاب سيكون كبير الحجم ، ضخما ، من كثرة عدد المقالات التي فيه ، ومن ثمنه المرتفع الذى يبلغ نحو خمسة عشر دينارا . وهذه اصبحت سنة متبعة : ان يعمل التلاميذ ، والمريدون والاصدقاء ، علىاصدار كتاب باقلامهم يقدمونه هدية للاستاذ الذى هو موضع التكريم . وقد انتقلت هذه العادة الحميدة الينا فى الشرق العربي ، فصدر كتاب مهدى لطه حسين ، وآخر مهدى للعقاد .

(1) Hamilton A./R. Gibb, Studies on the Civilization of Islam. Boston, 1962 .

وكتابات الاستاذ جب تتسم بالعمق ، والشمول، وسعة الاطلاع ، وهي صفات نلمسها بوضوح في كتابه هذا . ولكن رغم هذا كله فانه يبدو لنــا احيانا وكانة يفرض الاحكام فرضا ، ويخلص الى نتائج يصعب الوصول اليها مما اورده من مقدمات.

وفوق هذا فهو يبدو لي احيانا وكانه ينظر الى هذا التراث الذى يدرسه ، نظرة فيها استعلاء واستخفاف . ومن الواجب ان نقرر ان هذه صفة تكاد تكون مشتركة بين كبار المستشرقين الــذين نحن مدينون لهم بالكثير ، بسبب ما بذلوا من جهد فى دراسة تراثنا دراسة علمية ، فعلمونا بهذا طريقة البحث .

★ ★ ★

وهذا الكتاب هو مجموعة بحوث ، كان المؤلف قد نشرها فى مجلات علمية متعددة ، ومتفرقة ، واقدم بحث فيها نشر سنة ١٩٢٨ ، واحدثهـا نشر سنة ١٩٥٨ . ولقد كانت فكرة طيبة ان تجمع هذه البحوث بين دفتى كتاب : لقيمتها اولا ، ولان جلها من الصعب الحصول عليه فى مصادره من المجلات ، ثانيا .

والكتاب فى ثلاثة اقسام : فبحوث القسم الاول دراسة لما حدث من تطورات سياسية وثقافية فى الحياة الاسلامية فى العصر الوسيط .

ومقالات القسم الثــــاني تتناول الشريعة ، والفلسفة ، والدين .

وفي القسم الثالث دراسة ممتعة للادب العربي الحديث ، ولما حدث من تطور في البلاد العربية ، نتيجة للاتصال بالثقافة الغربية .

وموضوعات الكتاب طريفة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال :

الصلات العربية البيزنطية زمن الامويين .

تنظيم جيش صلاح الدين الايوبي

نظرية اهل السنة فى الخلافة

خواطر في الادب العربي

اتجاهات الفكر العربي المعاصر

بدء التاليف النثرى

المنفلوطي والاسلوب الحديث

الرواية المصرية الحديثة .. الخ

وسنقف هنا عند حديث الاستاذ جب عن حركة التجديد في مصر .

★ ★ ★

يرى الاستاذ جب ان الفترة الواقعة بين عامي ١٩١٤ و ١٩١٨ شهدت تحولا في الادب ، بحيث يمكن ان نجعل هذا التاريخ بداية للادب المعاصر في مصر . ولم ينشا هذا الادب بتاثير غــربي ، ولا يد للحرب العالمية الاولى ، التي حدثت فـي هذه الفترة ، فيه . وانما جاء توافق التاريخين صـدفة .

وكانت بذرة الاتجاه الجديد موجودة قبيـل هذا التاريخ ، حيث كان الصراع قائما بين هـذه المدرسة الحديثة الناشئة ، والمدرسة التقليدية المحافظة . وكان هناك ادباء يقفون موقفا وسطا بـين هـذين الاتجاهـين ومن اشهرهـم جرجي زيدان والسيد مصطفى لطفى المنفلوطى . ولكن كلا من زيدان والمنفلوطي فشل فى ترك اثر بـين السمات فى مجتمعه : لان كتابات زيدان تعليمية جافـة ، وكتابات المنفلوطى سطحية التفكير ، تقليدية الاسلوب .

ونستطيع ان نقول ان هذه المدرسة الحديثة في الكتابة بدات بتاسيس جريدة « الجريدة » سنة ١٩٠٧ . وبحسن ادارة احمد لطفي السـيد للجريدة ، استطاعت ان تقود حركة اصلاحية في الميدانين الاجتماعي والادبي ، وهي في هذا كانت متميزة على جريدة « اللواء » السياسية ، جريدة مصطفى كامل ، وجريدة « المؤيد » المحافظـة ، جريدة الشيخ على يوسف .

★ ★ ★

وقد التف حول احمد لطفى السيد و«الجريدة» الشباب الذين درسوا في الغرب ، وخاصة في فرنسا . وكانت آمال هؤلاء الشباب لا تقف عنـد حد تحرير بلادهم سياسيا ، بل انهم كانوا يريدون ان يكون لها دور في تقدم الحضارة الانسـانية . وسبيلهم الى تحقيق هذا ، التعليم والاصـلاح التدريجي ، والاخذ بأسباب الحضارة الغربيـة ، دون التنكر للتراث العربي الاسلامي . ومن هـذه الجريدة تخرج رجال المدرسة الحديثة في مصر ، ومنهم محمد حسين هيكل الذى كان يكتب فيها ، وهو ما زال بعد طالبا يدرس الحقوق فى باريس .

وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، كـانت هذه المدرسة الحديثة في بدايتها . وقد تاثـرت

بالحرب ، اذ توقف نشاطها مؤقتا ، كما توقفت « الجريدة » عن الصدور ، وان حلت مكانها « السفور » الاسبوعية التي كان يحررها عبد الحميد حمدى ، احد محررى « الجريدة » ، وشريك هيكل في تحرير « السياسة » ، فيما بعد .

★ ★ ★

وبعد الحرب العالمية الاولى انتعشت هذه الحركة ونشطت ، ويعود هذا الى سببين :

١ ـ تعيين احمد لطفي السيد مديرا للجامعة المصرية .

٢ ـ وصدور جريدة « السياسة » سنة ١٩٢٢، وعلى راس محرريها محمد حسين هيكل الذى كان قد عاد من باريس .

وقد كان للمقالاتالتي تنشر فى «السياسة» أثرها لا في مصر وحدها ، بل ايضا في المشرق العربي الذى كان متفتحا لمثل هذه المقالات الاصلاحية ، لانه كان يمور بالافكار القومية والاصلاحية .

وكان للاسلوب الذى كتبت به تلك المقالات اثره فى تطوير الاسلوب العربي في الكتابة ، وهو اسلوب يتوخى الفكرة العميقة ، وينفر من الصنعة والتكلف .

★ ★ ★

وداخل هذه المدرسة الحديثة نستطيع ان نميز بين فئتين : فئة متأثرة الى حد كبير بالثقافة الفرنسية ، وفئة اخرى متأثرة ، الى حد ما ، بالثقافة الانجليزية .

وخير مثل على الفئة الاولى هو محمد حسين هيكل ، ثم طه حسين ، من حيث الترتيب الزمنى وقد بدأ هيكل حياته الادبية بالميل الى الكتابة الابداعية ، فاصدر سنة ١٩١٤ قصة «زينب» ، دون ان يكتب عليها اسمه ، وانما صدرها بالعبارة التالية : « زينب : مناظر واخلاق ريفية ، بقلم مصرى فلاح » . ثم صدر له كتاب « جان جاك روسو : حياته وكتبه » ، و«عشرة ايام فىالسودان» و « في اوقات الفراغ » وهو مجموعة مقالات كانت قد نشرت فى الصحف .

ويبدو ان المشكلة الاولى التى عانى منها محمد حسين هيكل هي التمكن من اسلوب عربي مرن ، يستطيع به انيعبر عما فى نفسه ، فقد كتب في « السياسة » ، تاريخ ٢٣ يوليه (تموز) ١٩٢٧، يقول : « .. فقد اتسعت المدارك ، ودقت درجات الشعور ، واصبحت ترى بين الميل لشخص ومحبته ، وبين العطف على شخص والاشفاق عليه، وبين النفور والكراهية ، وبين الخجل والخوف ، وبين التردد والجبن ، درجات متميزةمنالاحساس، تدركها النفس ادراكا دقيقا ، وتعبر بعض اللغات عن كل منها تعبيرا يحددها لك تمام التحديد ، ثم ترى نفسك مطالبا باداء ذلك في اللغة التي تكتب بها ـ وهي اللغة العربية ـ فتشعر بالعجز ، وترى بعد طول الجهد ، وكثرة الكلام ، انك قلت شيئا عاديا ، وان احسن ما في نفسك بقي فيها مختفيا » .

ونحن نحس فى كتابات هيكل حبا عميقا لمصر ، يبلغحد التقديس ، واعجابا وافتتانا بمصر القديمة وتاريخ الشرق القديم . ويرى الاستاذ جب ان انبهار هيكل بحضارة مصر القديمة صرفه عن تبين محاسن الحضارة العربية الاسلامية .

وفي رأيي ان مثل هذا الحكم يمكن قبوله اذا تذكرنا ان الاستاذ جب كتب مقالاته هذه عن الادب العربي الحديث بين عامي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ، ونشرها فى « مجلة معهد اللغات الشرقية » بجامعة لندن ، اى انه نشرها قبل ان يصدر الدكتور هيكل كتبه القيمة عن : حياة محمد ، والصديق ابو بكر ، والفاروق عمر .

★ ★ ★

وطه حسين مثل آخر من رجالات هذه المدرسة الحديثة المتأثرة بالثقافة الفرنسية . وقد حاول طه حسين ان يطبق فى دراساته نظريات النقد كما عرفها عند النقاد الفرنسيين ، ودعا الىتقديم الشك للوصول الى الحقيقة ، كما اشاد بالتراث الاغريقي ، ادبا وفلسفة ، واكد على ان دراسته لا بد منها لتكوين المثقف الحق ، ولفهم تراثنا نفسه لانه متأثر بالتراث الاغريقي .

وقد لقي طه حسين عنتا كثيرا في حياته بسبب آرائه ، من ذلك ما نشرته « المنار » سنة ١٣٤٥هـ في المجلد السابع والعشرين ، تعليقا علىتمجيد طه حسين للثقافة الاغريقية : « أما شعر الاغريق الذى يفضله المجدد على الشعر العربي ، وينعى على العرب نبذهم له ، وترك الاقتباس من معانيه ... فقد كنا نجهله قبل ان يترجم لنا سليمان افندى

البستاني الالياذة نظما .. فلما اطلعنا على الالياذة، وهي اعلى شعر الاغريق ومفخرتهم التاريخية ، حكمنا بان اجدادنا لم ينبذوا شعرهم وراء ظهورهم الا لانهم وجدوه دون الشعر العربي في حكمه ، وسائر معانيه ، وانه على ذلك مشوه بالخرافات الوثنية التي طهر الله عقولهم ومخيلاتهم منها بالاسلام . »

★ ★ ★

ومن رجالات هذه المدرسة ايضا منصور فهمي، واحمد امين ، وأحمد ضيف ، والشيخ مصطفى عبد الرازق . وفي رأيي ان الاثر الفرنسي في احمد امين غير واضح ، كما ان الاستاذ جب نسى الاستاذ احمد حسن الزيات ، واستاذنا الدكتور احمد زكي الذى كان اول من نقل «غادة الكاميليا» الى العربية .

ويلاحظ الاستاذ جب ان هؤلاء الكتاب لم تستهوهم الثقافة الفرنسية بمجموعها ، وانما الذى استهواهم منها الكتاب الرومانسيون امثال: جان جاك روسو ، والفرد دى فيني ، والفرد دى موسيه ، وفيكتور هوجو ، واناتول فرانس . ولذلك كان في انتاجهم ، في رأى المؤلف ، ما في انتاج هؤلاء الكتاب الفرنسيين من رومانسية ، وبعد عن الواقع .

اما الفئة الثانية ، المتأثرة بالثقافة الانجليزية، فهي في رأى المؤلف ذات انتاج أسلم واقوم من انتاج الفئة الاولى ، لا لأن الادب الانجليزى خير من الادب الفرنسي ، بل لأن الكتاب الانجليز الذين تأثرت بهم هذه الفئة اقوم ادبا من الادباء الفرنسيين الذين تأثرت بهم الفئة الاولى . فكتاب هذه الفئة الثانية متأثرون بشكسبير ، وكارليل ، وديكنز ، وتنيسون ، وبرناردشو .

ومثل هذا الرأى من الاستاذ جب يثير قضية تحتاج الى دراسة عميقة وطويلة ، للتحقق من سلامة هذا القول ، وهو قول في رأيي مشكوك في سلامته .

★ ★ ★

وخير ممثلين لهذه الفئة الثانية هما : عباس محمود العقاد ، وابراهيم عبد القادر المازني . والعقاد أكثر الاثنين اصالة . وفي سنة ١٩٢١ نشر الاثنان كتاب « الديوان » ، وهو هجوم على ادباء المدرسة التقليدية ، وخاصة على المنفلوطي واحمد شوقي .

ويبدو ان الاستاذ جب يشارك العقاد والمازني رأيهما في شوقي . ولكن اذا كان العقاد والمازني الشابان يصْدران في نقدهما لاحمد شوقي عن دافع شخصي ، فما الدافع للاستاذ جب الى ان يسلم بما قالاه ؟

لقد بدأ كل من العقاد والمازني حياته الادبية شاعرا ، في وقت كان فيه اسم شوقي يملأ المحافل والمجالس والصحف ، فكان هجومهما على شوقي سبيلهما الى توجيه الانظار اليهما . اما الاستاذ جب فالارجح انه لم يستطع ، بذوقه الاجنبي ، ان يستشف مواطن الجمال في شعر شوقي ، وهو فشل مُني بمثله الاستاذ بلاشير ، الاستاذ في السوربون ، عندما كتب عن المتنبي : فهو قد كتب دراسة جيدة عن المتنبي الانسان ، وعجز عن ادراك مواطن الجمال في شعره .

وفي رأى المؤلف أن أثر الناقد الانجليزى هزلت Hazlitt واضح في كتاب العقاد عن ابن الرومي ، ولكنه لا يوضح لنا ذلك ، ولا بد لنا من ان نعود الى هزلت والى « ابن الرومي » ، وننظر فيهما اولا ، قبل ان نسلم بهذا الرأى .

والعقاد والمازني يشاركان كتاب المدرسة الحديثة رأيهم في ان النهضة الادبية يجب ان تكون ثورة فكرية تؤدى الى تغيير الطريقة التي تفكر بها الامة . وهذه النهضة الادبية امر حتمي لا بد منه قبل تحقق النهضة الشاملة ، ولهذا فان واجب الاديب ، وواجب كل كاتب ، ان يقوم بدوره في قيادة الشعب ، وتوجيهه . ولكن العقاد والمازني يخالفان ايضا بعض رجالات المدرسة الحديثة مثل طه حسين ، في انهما يريدان تلقيح الحضارة العربية الاسلامية بثمار الثقافة الغربية ، على ان يبقى التراث العربي الاسلامي هو الاصل، وهنا يبدو لنا العقاد والمازني اكثر محافظة من طه حسين .

★ ★ ★

واذا كانت هناك فروق بين فئتين من كتاب المدرسة الحديثة ، فان الفروق موجودة ايضا بين كتاب الفئة الواحدة : فالعقاد والمازني متفقان في اشياء كثيرة ، ولكنهما ايضا مختلفان في امور عدة : فالعقاد يرى ان غاية الادب ليست التسلية او الامتاع ، بل تعميق فهم القارئ للحياة . والاديب المطبوع هو الذى يعبر عن نفسه بصدق،

ولا يحاول ان يقلد الاخرين . والاسلوب هو احد المقاييس الهامة التي يقاس بها الاديب ، ولكن ليس شرطا ان يكون الاسلوب سهلا ، واضحا لكل قارىء . وهذا الرأى قاد العقاد الى ان يختط لنفسه اسلوبا فريدا في الادب الحديث : فهو اسلوب فيه من دقة التعبير وكلاسيكيته ما يتطلب من القارىء الحديث تركيزا وجهدا لفهمه .

اما المازني فذو اسلوب رشيق ، سهل ، ممتع، تزينه فكاهة طبيعية ، لا تكلف فيها ولا ابتذال . ويرى المؤلف ان المازني ، بأسلوبه هذا ، هو اكثر كاتب مؤهل ليكون كاتبا قصصيا ناجحا في ادبنا الحديث . وقد تحقق رأى الاستاذ جب فيه، اذ صدر له فيما بعد « ابراهيم الكاتب » ثم « ابراهيم الثاني » ، وهما قصتان كان لهما دورهما الهام في تاريخ القصة في ادبنا الحديث .

وهنا ينعى الاستاذ جب على ادبنا فقره في ميدان القصة ، ويتشكك في مستقبلها عندنا ، واظن انه الآن قد غير رأيه بعد ان بدات القصة في ادبنا تتجاوز مرحلة الطفولة الى النضج ، وخاصة في قصص نجيب محفوظ .

ويعود المؤلف فيقسم كتاب المدرسة الحديثة، ضمن اطارهم ، الى فئات :

فئة تميل الى المحافظة ، ومنها الشيخ مصطفى عبد الرازق ، ومنصور فهمي .

وفئة تقف وسطا بين الحضارة العربية والحضارة الغربية ، ومنها محمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد .

وفئة تميل الى جانب الحضارة الغربية ، ومنها طه حسين .

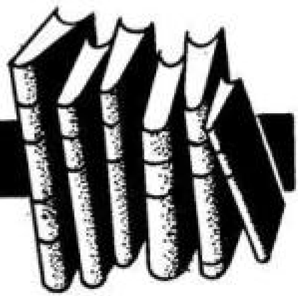
وفئة ترى الخير كل الخير في الحضارة الغربية، ومنها سلامة موسى .

وقد يكون هذا التقسيم سليما الى حد ما ، ولكنه مثلا قد لا ينطبق على طه حسين الذى تطورت آراؤه كثيرا في الاتجاه الذى صدر بعد نشر هذه البحوث ، بحيث نستطيع ان نضعه في فئة هيكل والعقاد .

اما سلامة موسى فيمكن ان نقول في تفسير اتجاهه الكثير ، ولكن ليس هذا مكانه .

هذه وقفة عند جزء صغير من كتاب الاستاذ جب. وهو كتاب مليء بالاصداف ، ولكنك لن تبذل جهدا كبيرا للعثور على لآلئه . ■■

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا

البيان القومي الثوري ، اساس مقترح لميثاق الحركة العربية الواحدة

للاستاذ عبد الله محمد الريماوي .

الناشر : مكتبة النهضة المصرية .

● هذا المؤلف هو الكتاب الاول من البيان القومي الثوري الذى يقع في كتابين والذى جاء متوقعا بعد ان سبقه كتاب الحركة العربية الواحدة للمؤلف ذاته . وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب تحليلا تاريخيا لمراحل نضال الامة العربية وتجربتها الثورية الحديثة بعبرها ودروسها . كما عالج فيه منطق التاريخ الاجتماعي الحضارى للانسان مستقرئا من ذلك الفلسفات المختلفة ومنتهيا الى صياغة النظرية الحركية الحياتية الانسانية .

ولا تقتصر قيمة هذا الكتاب على اهميته العقائدية وانما تمتد الى المنهاج العلمي والتحليل الواعي العميق اللذين عالج بهما المؤلف موضوعاته بحيث خرج بنظرية جذرية تقيم الانسان في مجتمعه عبر تاريخه .

الطب المصرى القديم

تأليف : الدكتور حسن كمال .

الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة بالقاهرة .

● كان ابقراط معتبرا ابا للطب لان علاجه كان منطقيا ثم ظهر انه اخذ الكثير من مصر القديمة، والحق كان قدماء المصريين هم اول من مارس الطب على اسس علمية سليمة ولا تزال كتبهم الطبية تشهد بذلك . وقد انفردوا ايضا بالتحنيط دون سائر الشعوب كما قال هيرودوت . وفى هذا الكتاب تسجيل لبراعة المصريين القدامى فى معالجة الامراض المختلفة وهى تماثل الى حد كبير المتبع حديثا فى علاج الامراض .

القومية العربية فى القرن التاسع عشر

للدكتور توفيق برو ـ الناشر : وزارة الثقافة والارشاد بالجمهورية العربية السورية .

● القومية العربية شيء موجود فى التاريخ باستمرار ، وقد يشتد الشعور بها فتكتسب قوة تجعلها فعالة فى التاريخ .. وقد تضعف فتظهر عليها قوى اخرى تكون اكثر فعالية وشدة ، فيتوارى الشعور لتحل محله روابط اخرى ،ولكنه يستكن فى النفوس ويكمن فى ضمائر الامة ،والوعى القومى العربى له عوامل كثيرة داخلية وخارجية وكذلك له ظروف اجتماعية وثقافية ومؤثرات مادية ومعنوية تؤدى الى تفاعل عظيم الشان فى نفسية الامة وتؤثر فى شخصيتها الحديثة . والمؤلف فى هذا الكتاب يستعرض تلك التاثيرات على شخصية الامة العربية فى القرن التاسع عشر .

طبيعة الارض وخواصها

تأليف : هارى بكمان ونيبل برادى

ترجمة : دكتور امين عبد البر ـ دكتور احمد جمال عبد السميع ـ دكتور عبد الحليم الدماطى

مراجعة : دكتور عبد الله زين العابدين .

الموزع : مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة. الناشر : فرانكلين القاهرة . الثمن : ١٣٤ قرشا .

● يعرض هذا الكتاب فى تسلسل منطقى ما هو مهم واساسى فى شرح ماهية الارض ومكوناتها وخواصها الطبيعية ، ثم يقدم الجزء الفعال فيها وهو الغرويات المعقدة من حيث تركيبها وطريقة بنائها ، وكذلك يفعل بالمادة العضوية ، ثم ينتقل الى شرح علاقات الارض بالماء والهواء ، وذلك باسلوب مبسّط يعالج ويشرح علوما معقدة فى صورة يستطيع القارىء غير المتخصص ان يفيد منها فائدة محققة . وفى جزء خاص من الكتاب يتناول المؤلف ـ وهو استاذ تكنولوجيا الاراضى بجامعة كورنيل الامريكية ـ تقسيم الاراضى الى مجموعتها العالمية المعروفة مع شرح طرق تكوينها ، ثم ينتقل الى دراسة العناصر المغذية للنبات،الاساسية منها والدقيقة ، وبعد ذلك يتناول المؤلف بالبحث سياسة المخصبات وانواعها وفوائدها وطرق استعمالها . وينتهى الكتاب بفصل عن صيانة الخصب فى الارض .

فى مهبط الوحى

للدكتور محمد بديع شريف .

الناشر : مطبعة العانى ـ بغداد .

● ثلاث وعشرون سنة مر بها عهد النبوة فى تشريع وتهذيب وتكوين حتى اذا اكتمل هذا المجتمع الممتاز ، خرج ابناء الوادى غير ذى الزرع الى العالم وسيماء الهداية فى وجوههم والرحمة مطوية عليها قلوبهم ليعلموا الناس كيف يسود العدل وكيف تكون الاخوة والمحبة والمساواة وهم على مثال الانسانية المكتملة لينشئوا للناس حضارة زاهرة فى ظلال الطمانينة وليرسوا قواعد العدل التى اوحت بها السماء ومشت احوال المجتمع رخاء يعرف كل امرىء حقه دون درجات المحاكم ودوائر الامن ومراكز الشرطة ومعاقل السجون وكانت السماء هى الرقيبة على هذه الامة وشعار القوم .. المؤمن اخو المؤمن وناهيك بهذه الاخوة من تضحية وايثار . ويتحدث المؤلف تفصيلا بما انزل على محمد (ص) من قواعد كانت اسسا لقوانين الحكم اليوم .

ملائكة الجبل الاخضر

تأليف : عبد الله محمد الطائى .

الناشر : مطابع الوفاء ببيروت .

● ينقل الزميل مؤلف هذه القصة مراحل الثورة العمانية واقفا عند واقعها اليوم تاركا للمستقبل تتبع الثورة التى لن تخمد حتى تظهر فى دنيا العروبة ، عمان واحدة لا مجزأة ، تلك السائرة مع الركب العربى المتقدم .



الاستعمار و (اسرائيل)

عن صحيفة ((البعث)) السورية :

● تطمع الولايات المتحدة فى احتلال جميع المواقع التى انسحب ، وينسحب، منها الاستعمار القديم ، وذلك عن طريق المساعدات والقروض ، ومن ثم الهيمنة الاقتصادية المشروطة . وهي تجد فى (اسرائيل) اداة طيعة لتنفيذ تسللها الى القارات الثلاث : افريقيا ، وآسيا ، وامريكا اللاتينية .

وتريد بريطانيا الحفاظ على مناطق نفوذها ، وضمان الاتصال المباشر بهذه المناطق . و ((اسرائيل)) تستطيع ان تؤدى مهام ((الالتفاف)) و ((التهديد)) كي تبقى السيطرة البريطانية ولو الى حين ، مفروضة على المنطقة بأسرها .

ان المساعدات والأسلحة المتدفقة على (اسرائيل) من سائر دول الغرب الاستعمارية لا تشكل تهديدا للحركة الثورية العربية من اجل التحرير فحسب ، بل هي تهديد لكافة حركات التحرير فى قارتى آسيا وافريقيا .

لذلك كان واجب الحركات التحررية ، العربية والآسيوية والافريقية ، ان تتضامن من اجل دحر الاستعمار بنوعيه القديم والحديث ، لأن هزيمة الاستعمار تشكل بحد ذاتها هزيمة للصهيونية فى ارضنا .

امريكا والصين الشعبية

عن صحيفة ((الثورة العربية)) العراقية :

● أن الاستعمار وصل الى مرحلة يحاول ان يستغل فيها حتى اماني البشرية فى احلال السلم والقضاء على الحرب . وقد دارت فى الفترة الأخيرة نقاشات على مستوى عال فى القصر الأبيض ، عكستها الصحافة فيما بعد ، وتناولت ضرورة قصف المراكز العسكرية فى الصين بالقنابل الذرية . ويسود الاعتقاد بأن المستر جونسون لن يتردد لحظة واحدة بصدد القيام بذلك القصف فيما لو تأكد بأن الاتحاد السوفياتي سيقبل هذه الصفعة .

وهكذا يزداد التوتر فى الأفق السياسي وتعم الفوضى ارجاء المعمورة يوما بعد آخر . وتبدو هذه المشاكل معقدة بحيث يتعذر حلها حتى فى اعتقاد اكثر الناس تفاؤلا . فمتى نستطيع ان نتطلع الى مخاض جديد ، الى غد جديد ، يكفل للبشرية تحقيق أحلامها فى عالم سعيد ، خال من الرعب والدمار وآثام الاستعمار .

حول مؤتمر التنمية الصناعية العربي المنعقد في الكويت

عن صحيفة ((الديار)) اللبنانية :

● لقد اقر المؤتمر سبعين توصية في مجالات التخطيط والاحصاء والتمويل واليد العاملة والتعاون العربي والدولي وفي غير ذلك من مجالات . والذي يدعو الى الارتياح حقا ان المؤتمر سادته روح ايجابية وبناءة مما افسح المجال لتبادل الآراء والخبرات بصراحة وبأسلوب علمي وعلى اساس من القواعد (الفنية) والعوامل الاقتصادية ، وكان فرصة لتوحيد الكلمة بالنسبة للمواضيع التي سوف يعالجها المؤتمر الدولي للتنمية الصناعية عام ١٩٦٧ .

ولا بد من الاشارة الى الجهود الجبارة التي بذلتها دولة الكويت في احتضان هذا المؤتمر وتنظيمه بما وفرته له من التسهيلات الكثيرة في سبيل انجاحه . وقد طلب المؤتمر من دولة الكويت ، التي أمنت اعمال السكرتارية ، متابعة ما توصل اليه المؤتمر من نتائج وتوصيات ، بغية استكمال الفائدة وتنسيق الجهود الى ان ينعقد المؤتمر الدولي ..

وثائق وآثار يكشف النقاب عنها حديثا في الاردن

عن صحيفة ((العلم)) المغربية :

● اثارت المخطوطات الأثرية الثمينة التي اكتشفت حديثا في احدالكهوف القريبة من البحر الميت في الاردن ، اهتماما بالغا لدى علماء التاريخ ، ولا سيما اصحاب الاختصاص منهم بتاريخ الكتاب المقدس في مختلف انحاء العالم . وقد ارسلت مجموعة من هذه المخطوطات لتعرض دورياً وموقتاً في مختلف المتاحف ودور الآثار في بريطانيا وغيرها .

ومما يجدر ذكره ان معظم هذه المخطوطات قد كتبت بالحبر على قطع من الجلود ، باستثناء مخطوطتين منها كتبتا على الواح من البرنز ، واثارتا الاهتمام بنوع خاص . فالذي يبدو هو ان المخطوطتين المذكورتين قد كتبتا قبل نحو ١٩٠٠ سنة بطريقة الحفر على الالواح ، ثم طويتا لتصبحا على شكل لفائف ، الأمر الذي تطلب جهدا كبيرا لاعادة فردهما وفتحهما دون ان تصابا بأي تلف .

ديجول والحرية الانسانية

عن صحيفة بيروت المساء اللبنانية :

● قال همفري نائب رئيس امريكا ان الأزمة التي اثارها ديجول ليست بين الولايات المتحدة وفرنسا ، ولكنها بين ديجول والدول الخمس عشرة الأعضاء في حلف الأطلسي . وقال الناطق الرسمي الالماني ، ان حلفاً اطلسياً بدون فرنسا خير من لا حلف اطلسي بالمرة ...

والحقيقة هي ان الرئيس ديجول قد خدم بلاده كما خدم الانسانية ... فان الفرنسيين غير مستعدين لأن يكونوا وقوداً في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ... وقد عانوا في كلتا الحربين العالميتين ما لم تعانه دولة اخرى ، وخرجوا منها منتصرين ظاهرا مهزومين باطنا ، على الأقل بالنسبة الى ملايين الضحايا التي قدموها بين يدي الاطماع الاستعمارية الامبريالية . ان السلام في العالم متوقف على قوة الدول غير المنحازة . وان انضمام فرنسا اليها يضمن السلام وينقذ العالم من الدمار .

أنت تسأل .. ونحن نجيب

هذه هي إندونيسيا
الدولة الخامسة في العالم كثرة سكان !

● لمناسبة الاحداث الاخيرة فى اندونيسيا ،ارجو ان تتفضلوا بنشر بعض البيانات عن موقعها ومساحتها وعدد سكانها ونسبة المسلمين منهم ..وحبذا لو اضفتم الى ذلك شيئا عن طبيعة ارضها، وأهم حاصلاتها وشكرا .

وادى الزينة — نور الهدى عبد الله

– اندونيسيا هى الدولة الخامسة فى العالم من حيث عدد السكان – بعد الصين ، والهند ، والاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة الامريكية.

ففى عام ١٩٦١ كان عدد سكانها ٩٧٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة تقريبا ، ويقدرون الزيادة السنوية فى عدد السكان هناك بأربعة ملايين ونصف مليون نسمة ، اى ان تعدادها الآن يزيد على ١١٥ مليونا ، ٩٠٪ منهم مسلمون ، والبقية الباقية من الهندوس والمسيحيين والبوذيين .

وهى عبارة عن مجموعة جزائر يبلغ عددها ثلاثة الاف جزيرة تقريبا تمتد بين قارتى آسيا واستراليا مسافة تقرب من المسافة بين لندن والقاهرة ، اى حوالى ٢٢٠٠ ميل .. وهى تربط بين المحيط الهادى والمحيط الهندى بحوالى ١٣٠٠ ميل .

وليس بين هذا العدد الكبير من الجزر سوى ما يقرب من عشرين جزيرة كبيرة او متوسطة ..

واكبر هذه الجزر مساحة سومطرة ، تليها بورنيو ثم جاوة .

وتبلغ مساحة اندونيسيا ٧٣٥٫٨٦٥ ميلا (دائرة المعارف البريطانية) .

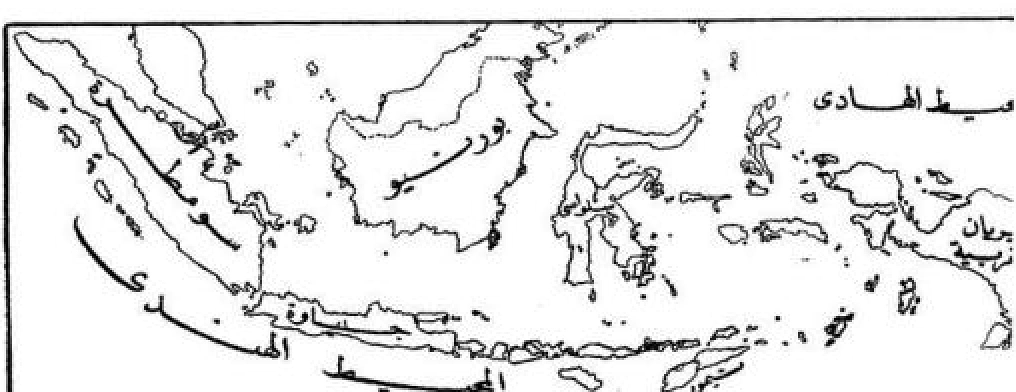
واشهر مدنها جاكارتا وهى العاصمة ، وفى باندونج عقد المؤتمر الاول للدول غير المنحازة ..

وفى اندونيسيا جالية عربية كبيرة ، قدم معظمها من حضرموت وغيرها من مناطق الجنوب العربي .

كما ان بها جالية صينية تقرب من مليوني نسمة ، تسيطر على الاقتصاد الاندونيسي بشكل ملحوظ .

واشهر حاصلاتها : المطاط ، وزيت الزيتون ، والكينا ، والسكر ، والشاى ، والبن ، وجوز الهند المقشور ، والخشب ، والذرة ، والخيزران .

وفيها عدا البترول ، الذهب والفضة والقصدير والحديد والمنجنيز وغيرها من المعادن .





يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

كواكب المجموعة الشمسية وبعد كل منها عن الشمس

● ارجو ان تتفضلوا ببيان مقدار بعد كل من الارض وبقية كواكب المجموعة الشمسية عن الشمس ، وكذلك بعد كل منها عن الارض ، واخيرا اى هذه الكواكب اكبر ؟ ولكم الشكر .

العراق النجف الاشرف ـ عزيز شريف .

ـ معلوم ان الارض تدور فى الفضاء حول الشمس فى مدار دائرى تقريبا ، متوسط نصف قطره نحو ٩٣ مليون ميل ، هو متوسط بعد الارض عن الشمس .

والارض اقرب الكواكب الى الشمس ما عدا الزهرة التى تدور حول الشمس فى فلك يوازى متوسطه ٧٢ر٣٪ من الفلك الذى تدور فيه الارض، ثم عطارد ، اقرب الكواكب كلها الى الشمس ، لانه يدور حولها فى فلك لايزيد عن ٣٩٪ من الفلك الذى تدور فيه الارض . لان متوسط بعده عن الشمس ٣٦ مليون ميل .

ويبلغ متوسط بعد فلك المريخ ١٥٢ر١٪ عن متوسط بعد الارض ، اى ان المسافة بينه وبين الشمس تساوى ١٤١ مليون ميل .

ثم يأتى بعد ذلك المشترى الذى يبعد عن الشمس ٤٨٤ مليون ميل ، اى اكثر من خمسة امثال بعد الارض ، فزحل (٨٨٧ مليون ميل) ، فأورانوس (١٧٨٥ مليون ميل) فنبتون . ٢٧٩٧ مليون ميل واخيرا بلوتو الذى يوازى بعده عن الشمس ٤٠ ضعفا من بعد الارض عنها ، اى ٣ر٦٧٠ مليون ميل ، وهو بذلك ابعد الكواكب المعروفة حتى الآن عن الشمس ..

اما اكبر كواكب المجموعة الشمسية فهو المشترى الذى يسميه الفلكيون عملاق الكواكب ، اذ تتركز فيه نحو سبعة اعشار المادة الموجودة فى كواكب المجموعة . واصغر هذه المجموعة عطارد الذى يبلغ قطره نحو خمس قطر الارض ، اى نحو ٣١٠٠ ميل فقط ، لان قطر الارض يبلغ ٧١٢٠ ميلا ، ويقرب من هذا الرقم قطر الزهرة ، التى تعتبر اخت الارض ، اما المريخ فيبلغ قطره نصف قطر الارض .

وعند جهينة الخبر اليقين

● كثيرا ما نسمع امثالا عربية قديمة ولا نعرف من هم قائلوها ، ولا فى اى المناسبات قيلت . فأكون شاكرا لو تفضلتم ببعض المعلومات عن الامثلة الآتية :

١ ـ « وعند جُهَيْنة الخبر اليقين »

٢ ـ « سبق السيف العذل »

٣ ـ « ويأتيك بالاخبار من لم تزود »

٤ ـ « على قومها جنت براقش »

٥ ـ « ومن يصنع المعروف فى غير اهله
يلاق الذى لاقى مُجير ُ ام ّ عامر »

فمن قائل هذه الامثال ، وفى اى المناسبات .

البقاع ـ لبنان ـ ناجى محمد الشمرى

ـ خرج « الحصين الغطفانى » ومعه رجل من بنى جهينة يقال له « الاخنس بن كعب » ، وكان كل منهما فتاكا غادرا ، فوجدا رجلا من بنى لخم ، فدعاهما لتناول الطعام فأكلا وشربا ، ثم ذهب

« الاخنس » لبعض شأنه ، فلما عاد وجد اللخمي يتشحط فى دمه ، فقال للحصين : « ويحك ! كيف قتلته بعد ان أكلنا طعامه ؟ » قال الحصين : « اقعد ، فلعل هذا خرجنا » ، ثم شربا وراحا يتحدثان ، وكان الحصين يغافل الاخنس ليفتك به ، ففطن هذا لمراده ، وبعد قليل قال الحصين : « يا أخا جهينة ، هل انت بزاجر للطير » ؟ قال « نعم » ، قال « ما تقول هذه العقاب » ؟ فسأله الاخنس : « وأين تراها ؟ » فرفع رأسه الى السماء وقال : « هذه هى » ، فوضع الاخنس سيفه فى نحره فقتله ، وقال : « انا الزاجر والناحر ! » ، وضم اسلاب الحصين الى اسلاب اللخمى ، ومضى ، فمر بامرأة تنشد الحصين ، فقال لها « من أنتِ » : قالت : « انا صخرة امرأة الحصين الغطفانى ، فمضى فى سبيله وهو يقول » .

تسائل عن حُصَين كل ركبٍ
وعند جُهَينة الخبر اليقين

فذهبت هذه الشطرة الاخيرة مثلا ، يضرب عمن يعرف حقيقة الامر .

● أما المثل الثانى « سبق السيف العذل » ، فقد قاله « ضبة بن اد » ، لما لامه الناس على قتله لقاتل ابنه فى الحرم ، ويضرب فى التسرع .

● والمثل الثالث من قول طرفة بن العبد فى هذا البيت :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود

اى لاحاجة بك للاستخبار والتقصى ، فان الخبر سيأتيك عفوا بلا تعب ...

● و « براقش » فى المثل الرابع كلبة كانت لقوم من العرب اغار عليهم بعض اعدائهم ، فهربوا واخذوا الكلبة معهم ، فاتبع العدو آثارهم مستعينا بنباح « براقش » حتى لحقوا بهم وافنوهم هم وكلبتهم ..

ولذا يقال « على قومها جنت براقش »
ومثله : عدو عاقل خير من صديق جاهل ..

● واما « ام عامر » فهى الضبع : خرج قوم للصيد فعرضت لهم فطردوها حتى لجأت الى خباء اعرابى فدخلته ، فخرج اليهم الاعرابى وقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا ، فقال : كلا والذى نفسى بيده ، لاتصلون اليها وقائم سيفى فى يدى ! « فرجعوا وتركوه . فقدم لها حليبا ثم سقاها ماء وعاشت معه ، فبينا هو نائم ذات يوم وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه ، فجاء ابن عم له يطلبه فاذا هو يتخبط فى دمه والضبع قد هربت ، فاتبعها حتى ادركها وقتلها وانشأ يقول :

ومن يصنع المعروف فى غير اهله
يلاق الذى لاقى مُجيرُ ام عامر

ابن حَيَّان الكيمائى أسبقُ مِن ابنِ حَيَّان المؤرِّخ .

● قرأت العدد ٨٨ من مجلتكم فوجدت فيه بحثا بعنوان ـ المؤرخ ابن حيان ـ للسيد محمد عبد الله عنان . هذا ولما كنا نعلم بان ابن حيان عالم كيماوى مشهور . كتب عنه السيد محمد محمد فياض فى سلسلة اقرأ العدد (٩ لشهر يونيو سنة ١٩٥٠ م) والذى سميت مدرستنا باسمه . دعانا هذا المقال الى الاستفسار عن هذه الشخصية التى قل كتابها وجهل الكثيرون اعمالها . فهل من توضيح لنا وتبيين عن هاتين الشخصيتين ؟ افيدونا وفقكم الله .

سالم سعيد الصميدعى مدير مدرسة ابن حيان بالموصل

ـ ابن حيان المؤرخ يدعى «أبو مروان ابن حيان» وهو اندلسى ، عاش فى أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادى عشر الميلادى ، وكان أبوه خلف بن حيان من وزراء المنصور بن أبى عامر .

اما ابن حيان الكيمائى فقد عاش فى الكوفة ، فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، فهو أسبق من سميه المؤرخ ، واسمه جابر بن حيان ، وكان من علماء العرب فى الكيمياء ، وله كتاب معروف اسمه « الرحمة » ، وفيه بحث مطول عن طريقة تحويل المعادن الى ذهب ، وهى مذهب للقدماء قديم . ■■

طرائف عربية

فقه وافتاء بالفطرة

● « نظر رجل الى امراته وهي صاعدة فى السلم ، فقال لها انت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت ، فرمت نفسها الى الارض ! فقال لها فداك ابي وامي ، ان مات الامام مالك احتاجَ اليك أهلُ المدينة فى احكامهم !

من نوادر النحاة

● وقف على باب نحوى احد الفقراء فقرعه . فقال النحوى : مَنْ بالباب ؟ فقال سائل . فقال النحوى لينصرف ... فقال الفقير (مستدركا) اسمي احمد .. فقال النحوى لغلامه : أعطِ سيبويه كسرة !

حسن التخلص

● يحكى أن الحجاج خـرج يومامتنزها فلما فرغ من نزهته ، صرف عنه اصحابَه ، وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بنى عجل . فقال له : من اين ايها الشيخ ؟ قال : من هذه القرية . قال : وكيف ترون عمّالكم ؟ قال شرُ عمّال ! يظلمون الناس ، ويستحلون أموالهم .. قال : فكيف قولك فى الحجاج ؟ قال : ما ولى العراق شرٌ منه ، قبّحه الله .. وقبّح من استعمله .. قال : أتعرف من انا ؟ قال : لا ! قال : انا الحجّاج ... قال : جُعِلْت فداكَ .. او تعرف من انا ؟؟ قال : لا . . قال : انا فلان بن فلان، مجنون بنى عِجل ، أُصْرَع فى كل يوم مرتين .. فضحك الحجاج منه ، وامر له بصلة ..

الرشيد والفضل بن الربيع

● مر رجـل فى صحن دار الرشيد ومعه حزمةُ خَيْزران ، فقال الرشيد للفضل بن الربيع :

ما ذاك ؟

فقال الفضل : عرُوق الرماح يا أمير المؤمنين .

كره ان يقول خيزران لموافقة ذلك لاسم أم الرشيد .

وأما السائل

● « حكى أن رجلا جلس يوما يأكل هو وزوجتـه ، وبين ايديهما دجاجـة مشوية ، فوقف سائل ببابه فخرج اليه وانتهره فذهب . فاتفق بعـد ذلك ان الرجـل افتقـر وزالت نعمته وطلـق زوجته ، وتزوجت بعده برجل آخـر ، فجلس يأكل معها فى بعض الايام ، وبين ايديهما دجاجة مشـوية واذا بسـائل

قال أحد الحكمـاء

● اياك وفضول الكلام ، فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن .

● من زاد في خلقه نقص في حظه ومن ائتمن الزمان خانه.

احمقان اصبحا ثلاثة من الحمقى

● « يحكى ان احمقين اصطحبا في طريق . فقال أحدهما للآخر تعال نتمن على الله فان الطريق تقطع بالحديث . فقال احدهما : انا اتمنى قطعان غنم انتفع بلبنها ولحمها وصوفها ! وقال الآخر : انا اتمنى قطعان ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا ! قال ويحك ، أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة ؟! فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ، ثم تراضيا على ان اول من يطلع عليهما يكون حكماً بينهما ، فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل . فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال : صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين » .

هكذا العدل والا فلا !

● تحاكم الرشيد وزبيدة الى ابي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج ، ايهما اطيب ، فقال ابو يوسف : انا لا احكم على غائب !! فامر الرشيد باحضارهما وقدما بين يدي ابي يوسف ، فجعل ياكل من هذا مرة ، ومن هذا مرة ، ثم قال : يا امير المؤمنين ، ما رايت اعدل منهما ، كلما اردت ان احكم لاحدهما اتاني الآخر بحجته !!

الادب لا الحسب

● « وحكي ان رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال له : ابن من أنت ؟ قال : ابن الأدب يا امير المؤمنين ! قال نعم النسب انتسبت اليه . ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد » .

قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب ادبا
يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول هانذا
ليس الفتى من يقول كان ابي

فلا تنهـر ..

يطرق الباب . فقال الرجل لزوجته ، ادفعي اليه هذه الدجاجة . فخرجت بها اليه ، فاذا هو زوجها الاول فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية . فسألها زوجها عن بكائها فأخبرته ان السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذى انتهره زوجها الاول . فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل » .

عرس وشجرة ميلاد

قصة للكاتب الروسى : دستفسكى

■ لقد شاهدت منذ عدة أيام عرسا .. ولكن لا ! ساحدثكم بالأحرى عن حفلة عيد الميلاد . لقد كانت حفلة العرس فخمة رائعة ، ووقعت من قلبى موقعا حسنا ، غير ان الحادثة الأخرى أجمل منها بمالا يقاس .. ولست أدرى بالضبط لماذا تؤاتينى الذاكرة بشجرة عيد الميلاد كلما وقفت أنظارى على مشهد من عرس .. ولكن ، اليكم ما حدث :

منذ أعوام خمسة بالضبط ، فى ليلة عيد رأس السنة الجديدة ، دُعيت الى حفلة راقصة أقيمت للاطفال ، وجّه الدعوة الىّ لحضورها رجل رفيع المرتبة عالى المقام فى عالم التجارة ، له قرابات عديدة ، وله حلقة كبيرة من الأصدقاء والمعارف ، وله كذلك دسائسه ومكائده .. وقد تبين لى بجلاء أن حفلة الأطفال الراقصة تلك لم تك فى حقيقة الأمر الا ذريعة للآباء والأمهات ليجتمعوا ويأخذوا بالثرثرة عما يشغل أفكارهم من أمور وأحداث جسام ، وذلك تحت ستار الذبل الطاهر والمصادفة المحضة .

وكنت وحدى دخيلا على تلك الجماعة الراقية ، فلم يك لى بأحد فيها شان ، بحيث كان فى مقدورى ان انفق الوقت وحيدا بصرف النظر عن الآخرين . وكان بين الحاضرين سيد حاله كحالى ، تعثر مثلى وسقط فى قلب هذا الاحتفال العائلى السعيد . وكان هذا السيد أول من استرعى انتباهى ، وان لم يكن منظره يدل على أنه سليل اسرة نبيلة ، او يشير من قريب او بعيد الى كرم محتد .. كان فارع القامة ، ضامر العود ، حسن الهندام ، كثير الجد والرزانة .. ومن الواضح انه لم يكن يميل الى مثل هذه الاحتفالات العائلية فان الابتسامة المرتسمة على محياه سرعان ما تلاشت حالما انزوى منفردا فى احدى الزوايا ، بينا انعقد حاجباه الأسودان الكثيفان فى تقطيبة عبوس كالحة .. ما كان يعرف احدا من المدعوين ، اللهم غير صاحب الدعوة المضيف . وبدت عليه كل علامة تشير الى السأم والملل ، وان كان قد بذل ما فى وسعه وقاسى الكثير من العناء والجهد ليظل محتفظا ببشاشته حتى نهاية الحفلة . وقد علمت ، فيما بعد ، انه من أهالى الارياف ، وأنه جاء الى العاصمة لقضاء بعض الأمور الهامة التى تتصل بقضية مزعجة أى ازعاج ، وأنه يحمل كتاب توصية الى مضيفنا صاحب الحفلة ، وأن هذا المضيف بسط عليه رداء حمايته ، لكن ليس لوجه الله مطلقا ، وانه دعاه الى حفلة الاطفال هذه من باب المجاملة ليس غير .

ولم يدعه أحد من الحاضرين للعب الورق ، او يقدم له سيجارة واحدة ، أو يسامره بحديث ولو مقتضب .. لربما عرفوا الطائر من أرياشه عن بعد ! ولذلك اضطر صاحبى هذا ، حين لم تجد يداه عملا يمكن أن تقوما به ، أن يقضى الأمسية بكاملها وهو يمرُّ بأصابعه على شاربيه .. ولقد كان شارباه جميلين حقا ، الا أنه جعل يسويهما بكد واجتهاد حتى ليخال المرء أنهما أطلا على هذا العالم اولا ، ثم لحق ذلك الرجل بهما كى يفتلهما دائما .

ولقد كان هنالك ، بين المدعوين ، ضيف آخر لفت نظرى .. ولكنه يختلف الاختلاف كله عن الضيف الاول .. كان شخصية بارزة .. وكانوا ينادونه بجوليان ماستاكوفيتش . وان المرء ليستطيع ، من النظرة الأولى ، أن يستنتج انه ضيف نبيل شريف ، وان مركزه من صاحب البيت المضيف أشبه ما يكون بمركز هذا الأخير من السيد ذى الشاربين . وكان المضيف

وزوجـه يغمرانه بسيل من الملاطفـات يكاد لا ينقطع ، ويُعنيان به أعظم عناية ، ويستميلانه، ويرفرفان حواليه ، ويستقدمان الضيوف للتعرف اليه ، ولكنهما لا يقودانه مطلقا ليقدماه الى أى من الحاضرين . ولقد لاحظت بعض العبرات تتلألأ في عيني مضيفنا عندما أعلن جوليان ماستاكوفيتش انه قلما قضى من قبل مثل هذه الأمسية البهجة .. وطفق شعور بالسأم يسيطر عليَّ في حضـور هذه الشخصية البارزة المرموقة بكل اجـلال واحترام ..

فرحت أتسلى مع الاطفال ، ومن بينهم خمسة تضرجت خدودهم، واكتملت صحتهم نضجا ،هم أبناء مضيفنا.ومن ثمَّ انطلقت الى غرفة جلوس صغيرة مقفرة تماما ، وجلست في أقصاها ، حيث كان صالون من البلور يشغل نصف مساحـة المكان تقريبا .

كان الاطفال على شيء كثير من الفتنة في الحقيقة .. انهم يرفضون قطعيا الاقتداء بمن هم أكبر سنا منهم ، رغم الجهود التي تبذلها أمهاتهم ومربياتهم في سبيل ذلك. وتنجحوا في لحظات في تعرية شجرة الميلاد من آخر شيء منها ، وتحطيم أكثر من نصف لعبهم ودماهم قبل أن يقتسموها فيما بينهم ويعرفوا ما يخص منها كلا منهم .

كان أحد هؤلاء الاطفال صبيا فتان الطلعة ، فاحم العينين ، متموج الشعر ، أصرَّ في عناد غريب على تصويب بندقيته الخشبية نحوى .. بيد أن من ملك اهتمامي اكثر من الجميع هي أخت هذا الفتى ، وهي صبية تناهز الحادية عشـرة من العمر ، جميلة جمال كيوبيد .. كانت هادئة متفكرة ، ذات عينين كبيرتين حالمتين .. وقـد أغضبها الأطفال نوعا ما ، فتركتهم وخطت مبتعدة الى ذات الغرفة التي أجلس بين جدرانها ... وهنالك ، في الغرفة ، جلست في ركن من أركانها تحمل دميتها بين يديها .

وكان كل من الضيوف يسار جاره في خشـية :

ـ ان والدها من كبار أغنياء رجال الاعمال ! وقد أعد لها مهرا تبلغ قيمته ثلاثمائة ألف مـن الروبلات ، يحظى به الزوج السعيد .

ولما التفتُّ لأرى تلك الجماعة التي تسرَّبتْ الأنباء منها،سقط نظري على جوليان ماستاكوفيتش كان واقفا ينصت الى الحديث الغث في انتبـاه مركّز ، وقد شبك يديه خلف ظهره وأمال رأسه على كتفه الواحدة .

كنتُ غارقا ، طوال الوقت ، في بحران مـن الدهشة ، أعجب من هذا الذكاء الثاقب الذى أبداه المضيف في توزيع الهبات والهدايا ... فالطفلة الصغيرة ، ذات المهر الثمين ، تسلمت أجمل دُمية وأبهاها ، وتسلم الآخرون هبات كل حسب المنصب الذى يشغله أبواه في الحياة .. ولما تقدم الطفل الأخير ، وهو صبي في العاشرة من العمر ، هزيل القد ، ناحل البنية ، أحمر الشعر ، النمش منتشر في وجهه ، فقد تلقى كتابا صغيرا يضم بين دفتيه بعض القصص الخالية من الرسوم ، وكان غلاف الكتاب ذاته مجردا من الزينة .. كان ذلك الصبي ابن المربية ..وهي أرملة فقيرة معدمة بدل مظهر طفلها الصغير المتلفع بسترة رثة مهلهلة على الخضوع والخوف .وتناول كتاب القصص الصغير ، واتـسل على مهل يشارك في ألعاب الأطفال الآخرين . كان يعطى كل شيء يستطيع أن يعطيه في سبيل أن يشاركهم لعبهـم ولهوهم .. ولكنه لا يجسر على ذلك ــ كنت تقول انه يعرف مركزه الاجتماعى ، منذ الآن ، حـق المعرفة .

وأنا أحب مراقبة الأطفال .. ان من الفتنـة أن تراقب كيف تصارع فرديتهم وتناضل في سبيل اثبات وجودها .. كنت أستطيع أن أرى كيف تموج أمور الأطفال الآخرين سحرا وفتنة في نظر الطفل الأحمر الشعر ، وخاصة لعبة مسرحية كان متلهفا أعظم اللهفة الى أن يشارك فيها ، حتى لقد حزم أمره على التملق الى الأطفال الآخرين بغية ذلك ، فافتر ثغره عن ابتسامة شاحبة ضئيلة ، ومن ثم شرع يلعب واياهم . لقد وهب تفاحته الوحيدة للطفل الصغير السمين ، هذا الطفـل ذى الجبين المحشوتين بالحلوى . وحمل طفلا آخر صغيرا على ظهره ــ وما ذلك كله الا ليتمكن من البقاء على المسرح .

ولم تمض بضع لحظات حتى قفز اليه شخص صغير وقح سليط ، ثم لطمه لطمة قوية لم يجرؤ اثرها على ذرف الدموع .. واتجهت أمه المربية الأرمل صوبه ، وطلبت اليه الامتناع عن المشاركة في لعب الآخرين . فتسلل الى ذات الغرفة حيث كنت أجلس وتلك الفتاة الصغيرة الجميلة . وقد



سمحت له الفتاة أن يقعد الى جانبها ، وسرعان ما شغلا باهتمام كبير فى الباس الدمية الثمينة ثوبها .

ومضت نصف ساعة ، وكنت اغفو مرارا ، وانا قابع هنالك فى صالون الورد البلورى ، مصغيا نصف اصغاء الى الحديث المتبادل بين الاحمر الشعر والصغيرة الجميلة ، حين دلف جوليان ماستاكوفيتش بصورة غير منتظرة .

لقد تسلل من غرفة الجلوس ، متسترا بشجار صاخب ثار بين الاطفال .. ولم يغب عن ملاحظتى، وانا قابع فى ركنى المنعزل ، انه كان استغرق فى الحديث استغراقا ، فى الفترة الاخيرة ، مع والد الفتاة الثرية ، هذا الذى لم يكد يتعرف اليه بعد .

وانتصب برهة يغمغم فى وليجة نفسه ويهمهم، وكأنه يعد على أصابعه شيئا ما : ـ ثلاثمائة .. ثلاثمائة .. أحد عشر .. اثنا عشر .. ثلاثة عشرة، و .. ستة عشرة ـ فى خمس سنوات ! فلنفترض اربعة فى المائة ـ خمسة اضعاف مضروبة فى اثنى عشر ـ تعطى ستين ، وفى هذه الستين .. حسنا، ولنفترض أن المبلغ ارتفع فى مدة خمس سنوات الى ـ حسنا ، اربعمائة . وى ! وى ! ولكن .. ليبدو الثعلب الخبيث لا يقنع بسعر اربعة بالمائة! قد يتناول ثمانية ، او ربما عشرة ايضا. فلنفترض خمسمائة ، خمسمائة الفا على الاقل ، هذا ما لا ريبة فيه . وكل شيء الصاق فوق هذا يكون مصروف جيب ـ وى ! ..

★ ★ ★

تمخط ، ومن ثمة تنحنح للخروج من الغرفة ، فاذا هو يلمح الفتاة ، وعندئذ تسمر جامدا فى

مكانه كتمثال قد من حجر أصم . وكنت انا مختفيا وراء النباتات فافلت من ملاحظته ، فلم يرنى . وصور لى انه يرتجف انفعالا ويرتعش .. ليس ثمة ريب فى أن حساباته رمت به فى هذه البلبلة والاضطراب . وفرك يديه بشدة ، وترقص من مكان الى آخر ، وهو لا يبرح يزداد اضطرابا وهيجانا . لكنه تمكن أخيرا من ضبط عواطفه ، وانتهى الى التوقف فى مكانه وقد استرد شيئا من هدوء ، ومن هناك القى نظرة طافحة عزما على العروس المقبلة ، وهم أن يخطوفى اتجاهها ، ولكنه اطال التطلع حواليه أولا .. ومن ثم دلف ، كمن يثقل عليه وجدانه المذنب ، الى الصبية على رؤوس أصابعه ، مفترا ثغره عن ابتسامة عريضة ، ومال عليها وقبل رأسها ..

كان قدومه اليها على غير انتظار ، حتى انها بعثت من فمها صرخة فزع .

همس فى اذنها ، وهو يشخص حواليه ويربت على وجنتها الحلوة :

ــ وماذا تفعلين هنا ، أيتها العزيزة الصغيرة ؟

ــ اننا نلعب .

وقال جوليان ماستاكوفيتش ، وهو ينظر شزرا الى ابن المربية :

ــ ماذا ؟ مع هذا ؟

واتجه الى الأحمر الشعر قائلا :

ــ يجب أن تسرع الى غرفة الجلوس ، أيها الصغير .

واعتصم الصبى ، بصمت ، محملقا فى الرجل بعينين متسعتين كبيرتين . وعاد جوليان ماستاكوفيتش فرمى بعض نظرات حذرة حواليه ، ثم انحنى فوق البنية مرة ثانية :

ــ وما هذا الذى تحملين ، يا عزيزتى ؟ دمية ؟ فخارت عزيمة الصبيئة نوعا ما ، وتقطب جبينها :

ــ نعم ، دمية ...

ــ دمية .. أتعرفين مما صنعت دميتك ، يا صغيرتى ؟

فردت الصغيرة فى وهن ، وقد خفضت رأسها :

ــ كلا ...

فقال جوليان ماستاكوفيتش ، وهو يحرق الصبى بنظرات من نار :

ــ انها تصنع من الجص ، يا حلوتى . وانت ، يا ولد ، امض انت الى غرفة الجلوس مع الأطفال ...

فعبس الطفلان .. وتشبث كل منهما بالآخر يابيان افتراقا .

واستفسر جوليان ماستاكوفيتش ، خافضا من صوته :

ــ وهل تعرفين لماذا أعطوك هذه الدمية ؟

ــ كلا ..

ــ لأنك كنت صبية صغيرة طيبة ، طيبة جدا ، طوال الاسبوع المنصرم .

قال جوليان ماستاكوفيتش هذا وتملكته نوبة شديدة من الاضطراب والهياج . وتطلع فيما يحتف به بنظرات مسترقة ، ثم همس فى صوت ضعيف يصاحبه شىء من البلبلة وفقدان الصبر :

ــ واذا قدمت لزيارة أبيك وأمك ، فهل تحبيننى ، يا صغيرتى ؟

وحاول جوليان ماستاكوفيتش أن يقبل المخلوق الناعم الحلو مرة أخرى ، ولكن الأحمر الشعر استشعر أن رفيقته على وشك ان تنفجر بكاء ، فامسك يدها بيده ، واعول فى صوت مرتفع تضامنا معها ، الأمر الذى أحنق الرجل وأثار سخطه .

صاح به :

ــ اخرج من هنا ، هيا من هنا ! ارجع الى الغرفة الاخرى ، الى حيث اقرانك يلعبون .

فصاحت الفتاة :

ــ لست اريده أن يذهب ! لست اريده أن يذهب ! اذهب انت ، انت ، من هنا ! دعه وشأنه ، دعه لوحده !

وطفقت تذرف غالى الدموع .

وتناهى الى السمع صدى وقع خطوات قريبا من الباب .. فجفل جوليان ماستاكوفيتش وقوم جسده المحترم . بيد أن الصبى الأحمر الشعر كان أشد منه قلقا ، فافلت يد الصبية من يده ، وتسلل على محاذاة الجدار ، ثم فر خلال غرفة الجلوس الى غرفة الطعام .

وشخص جوليان ماستاكوفيتش بدوره ، تجنبا

للانتباه ، الى غرفة الطعام . كان قد احمرَّ حتى اشبه رأس الشونذر . وما أن وقع بصره على المرآة حتى بدا أنه قلق ، فتضايق كثيرا . لربما اضجره حميته ونفاد صبره . ان حساباته قد اغوته واثارت عواطفه كثيرا حتى غرق ، دون أن يمنح مركزه وكرامته ما يجب لهما من احترام ، في لهفة جشعة اشبه بلهفة صبى صغير يذهب قدما الى غرضه ـ على أن غرضه ما كان ليكون الا بعد خمسة أعوام على أقل تقدير ..

وتبعتُ ذلك الرجل الفاضل الى غرفة الطعام ، حيث شاهدت مسرحية غريبة .

★ ★ ★

شرع جوليان ماستاكوفيتش ، وهو يتوهج غيظا ، ونظرته تنفث السم نفثا ، يهدد الصبى الاحمر الشعر ويتوعده . اما هذا الاخير فاخذ يتراجع امامه حتى لم يعد ثمة مكان يتقهقر فيه ، وحتى لم يعد يعرف الى أين يمضى من شدة الخوف الذى ملاقلبه وملك عليه زمام نفسه .

ـ اخرج من هنا ! ماذا تفعل فى هذا المكان ! امض ، قلت امض ، أنت أيها النكرة ! اتسرق الفاكهة ؟ اخرج من هنا ، أيها النذل ، امض ، يا ذا الوجه الطافح نمشا ، امض الى حيث امثالك يقيمون !

وادرك اليأس هذا الصغير المسكين المرتجف رعبا ، فتجمع بسرعة ، وانزلق تحت المائدة . وعندئذ ، اخرج مضطهده منديله الكبير الكتانى ، وفتله واستعمله مقرعة يطرد الصبى بها من المكان الذى التجأ اليه تحت المائدة .

ولا بد لى هنا من الاشارة الى أن جوليان ماستاكوفيتش كان قوى البنية نوعا ما ، ضخم الجثة ، حسن التغذية ، منفوخ الخدين ، ذا بطن ومرفقين كالجوز استدارة .. وراح العرق يتحلب من جسده ، وهو يلهث ويشخر .. لقد كانت كراهيته للصغير (أو ربما غيرته ؟) عظيمة حتى صار يتصرف كالمجنون تماما .

وانفجرتُ فى عاصفة من الضحك . فاستدار جوليان ماستاكوفيتش . وتبلبلت حركاته بشكل واضح جلى ، ولاح أنه نسى تماما عظمته اللامتناهية . وفى تلك اللحظة بالذات ظهر مضيفنا على باب الممر المواجه لنا .. فدلف الصبى من مكمنه تحت المائدة ، وجعل يمسح ركبتيه ومرفقيه ، كما أسرع جوليان ماستاكوفيتش يرفع منديله ـ وكان ممسكا به من احد اطرافه ـ الى انفه يمسحه به ... ونظر المضيف الى ثلاثتنا نظرة المرتاب .. ولكنه هرع ينتهز الفرصة ، وكان من أولئك الذين خبروا العالم فاصبحوا يستطيعون تكييف انفسهم مع المواقف بصورة مباشرة سريعة ، لينال من ضيفه الكبير الخطر ما كان يريد أن ينال منه .

قال ، وقد اشار الى الصبى الاحمر الشعر :

ـ وهذا هو الطفل الذى حدثتك عنه . واننى اعتمد على فضلك وطيبة قلبك فيما يتعلق بمستقبله .

فرد جوليان ماستاكوفيتش ، ولم يكن قد استعاد بعد قدرته والسيطرة على نفسه :

ـ ماذا ؟

وتابع مضيفنا الحديث فى نغمة توسل واستعطاف :

ـ انه ابن مربية اطفالى .. وهى مخلوق معدم لا يملك دانقا ، ارملة موظف شريف . ولذلك .. يا جوليان ماستاكوفيتش ، اذا كان فى وسعك ..

فصاح جوليان ماستاكوفيتش فى عجلة :

ـ كلا ، مستحيل ، مستحيل ! يجب أن تعذرنى ، يا فيليب الكسيفيتش ، فانا غير قادر على فعل شىء فى الحقيقة . لقد قمت ببعض التحريات ، فوجدت أن ليس ثمة من اماكن شاغرة ، وهنالك قائمة من عشرة مرشحين ينتظرون ، وجميعهم احق منه .. انى آسف ، آسف حقا .

فقال المضيف :

ـ يا للحظ السيىء ! انه طفل هادىء ، لا يتعب مطلقا .

فجمجم جوليان ماستاكوفيتش ، وقد لوى فمه بصورة هستيرية :

ـ بل وغد صغير خبيث ! هيا من هنا ، ياصغير !

لم انت واقف هنا ؟ هيا الحق بباقى الأطفال !

ورمانى بنظرة جانبية ، عاجزا عن ضبط نفسه. واذ لم استطع ان اتمالك زمام نفسى ، فقد ضحكت فى وجهه ساخرا . فاستدار وتوجه الى مضيفنا يسأله فى صوت يمكن أن يصل الى اذنى عمن يكون هذا الشاب الغريب الشاذ ... وهمس كل منهما شيئا فى اذن الآخر ، ومن ثم غادرا الغرفة دون ان يابها بى . ولقد رأيت جوليان ماستاكوفيتش يهز رأسه متشككا وقد أرهف سمعه الى ما كان مضيفنا يحدثه به .

★ ★ ★

واهتز جسمى من فرط الضحك . وحذوت حذوهما بدورى ، فخرجت الى غرفة الجلوس . لقد أخذ الرجل العظيم هنا ، محوطا بآباء الأطفال الصغار وامهاتهم والمضيف وزوجه ، يسامر سيدة تعرّف اليها لتوه .. وكانت تلك السيدة ممسكة بيد الصبية الصغيرة الثرية .. وطفق جوليان ماستاكوفيتش يمتدحها ويطرى جمالها الريان .. وراح ينثر عبارات المديح لجمال الطفلة العزيزة ، وفطنتها ، ورشاقتها ، وتربيتها الفاضلة،منصرفا شيئا فشيئا الى تملق الأم التى كانت تصغى اليه وهى تكاد تعجز عن حبس عبراتها من شدة الفرح ، بينا الأب يعبر عن سروره بابتسامة انفرجت عنها شفتاه .

وانتقلت عدوى الفرح من انسان الى آخر ، فاشترك الجميع فيه .. وتوقف الأطفال أيضا عن اللعب حتى لا يشوشوا على المتحدثين بضجيجهم .. وتشبع الجو رهبة . لم سمعت ام الطفلة الصغيرة ، وقد تأثرت غاية التأثر ،تسأل ان كان يشرفهم بزيارة دارهم .. وسمعت جوليان ماستاكوفيتش يقبل الدعوة فى تحمس لم يحاول اخفاءه .. ومن ثم تبعثر عقد الضيوف فى أرجاء مختلفة من الغرفة وسمعتهم يطرون ، كل بنغمته الخاصة ، رجل الاعمال ، وزوجه وابنته ، وجوليان ماستاكوفيتش بصورة خاصة .

وسألت احد معارفى بصوت عال جهير ، وكان هذا الصديق يقف الىجوار جوليان ماستاكوفيتش:

ــ أمتزوج هذا المتأنق ؟

فحدجنى جوليان ماستاكوفيتش بنظرة تنفث السم القاتل .

ــ كلا !

هكذا أجاب صديقى ، وقد صُدم من جراء طيشى المقصود .

★ ★ ★

مررت ، منذ فترة غير بعيدة ، بكنيسة ... وعجبت لهذا الجمهور المتجمع عند بابها متلهفا لحضور حفلة عرس .

كان النهار كئيبا مكفهر الطلعة ، ومطر خفيف يتساقط علينا من السماء ، فاتخذت طريقى خلال الصفوف الى قلب الكنيسة . كان العريس رجلا قصيرا مدورا بدينا منتفخ البطن ، غارقا فى ثياب ثمينة .. يركض غدوة ورواحا ، يصدر الأوامر ، ويرتب الأمور .. وأخيرا ، أعلن عن قدوم العروس ، فاخترقت الجمع لأرى فتاة ذات جمال فتان لم يعش بعد سوى ربيعه الأول .. لكن هذا الجمال اكتسى ثوبا من الشحوب والاكتئاب . كانت تبدو موزعة الفكر ، بل خيل الىّ أن عينيها حمراوان من أثر البكاء .

كانت تلك الصرامة القاسية التى ترتسم على كل خط من خطوط وجهها تضفى معنى غريبا ومهابة خاصة على جمالها . ومن خلال تينك الصرامة والمهابة ، ومن خلال ذينك الحزن والغم، كانت براءة الطفولة تشع وتبرق . كان فى محياها شىء ساذج بسيط لا يمكن التعبير عنه ، شىء صغير لم ينم بعد .. وكان هذا الشىء يستجدى ، يستجدى بدون أن يتفوه ، يستجدى الرحمة والعطف ..

كانوا يقولون انها ناهزت السادسة عشرة من عمرها .. ونظرت الى العريس بدقة ، فعرفت فيه فجاة جوليان ماستاكوفيتش ، هذا الذى لم الح له وجها طوال السنوات الخمس الأخيرة .. ومن ثم عدت انظر فى وجه العروس .. يا أيها الاله الطيب ! لقد جعلتُ أقتحم الصفوف ، بكل ما وهب اللهلى من قوى،لأترك الكنيسة .. وتناهت الى مسمعى ثرثرة من القيل والقال تتحدث عن ثروة العروس ، وعن مهرها الذى يساوى خمسمائة ألف من الروبلات، هذا فضلا عن مصروف الجيب..

وقلت فى نفسى :

ــ اذن ، لم تذهب حساباته أدراج الرياح .

وانزلقت فى زحمة الشارع . ■■

ترجمة : سهيل أيوب



إضحك ..

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

احذروا أجوبة أطفالكم اللاذعة

● **الأب الصحفي لابنه المتخلف فى مدرسته :** « الا تخجل من نفسك لهذه النتائج المزرية التى ان دلت على شيء فانما تدل على كسلك وخمولك ! لم لا تكون كالمستر تشرتشل مثلا ، وقد كان مبرزا متفوقا فى مدرستهفىمثل سنك ؟!»

الابن ولم يكن بلغ العاشرة من عمره : « وانت،لم لا تكون كالمستر تشرتشل، لقد كان رئيسا للوزارة فى مثل سنك !».

أريد أن أتزوج !

● طلبت مدرسة فى رياض الاطفال فى انجلترا من تلاميذها الاطفال أن يرسم كل منهم صورة يعبر فيها عما يريد أن يكون حين يكبر . ولما جمعت ما رسمه الاطفال من صور ، وجدت أن هناك فتاة صغيرة اعادت ورقتها دون أن ترسم عليها شيئا، فسألتها المدرسة :

ـ الا تعرفين ماذا تودين أن تصبحي فى المستقبل ؟

فأجابت الفتاة : بلى ، انني أعرف ما اريد .. اريد ان اتزوج ولكنني لا اعرف كيف ارسم ذلك !



ماذا اصابه ..

● **علي :** « رايت اليوم رجلا يضرب امراة .. » .

خليل : « وماذا فعلت ؟ هل تركته يمضى فى ضربها ؟ » .

علي : « لا ذهبت اليه قائلا ، لا يقدم على ضرب المراة من الرجال الا من كان جبانا ..! لم لا تجرؤ على ضرب رجل مثلك ! » .

خليل : وماذا حدث بعد ذلك ؟

علي : لا اذكر شيئا مما حدث بعد ذلك ؟

من هو المخلوق التعس ؟

● **الزوج** لزوجته وهي تقلب المعطف المصنوع من فراء الثعلب ، وقد قدمه الزوج هدية لها نزولا على رغبتها والحاحها : ما بك يا عزيزتى ؟ الم يعجبك المعطف ؟

الزوجة : اعجبني جدا . ولكنني كنت افكر وارثى لحال المخلوق التعس الذى سلخ جلده لكى أنعم بارتداء هذا المعطف ..

الزوج : شكرا ..

البنك التجاري

المركـــز الر

تاسس عا

بموجب مرسوم من صاحب السمو الشيخ عبد

راس المال المصرح به والمدفـوع

سجل تجارى رقم ٧٧٠٦ - العنوان

الميزانية العمومية

(دينار كويتي واحد =

دينار كويتي	**الموجودات**	١٩٦٤ دينار كويتي
٣ر٧٥٥ر٦١٤	النقد والارصدة لدى البيوت المصرفية	٣ر٤١٥ر٤٨٨
١٠ر٣٢٠ر٨٥٨	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الامـد	٥ر٩٦١ر٩٠٢
	سندات خزينة الحكومة البريطانية وسندات مصرفية ممتازة	٩٥٣ر٧٦٠
٢١ر٦٥١ر٧١٠	ودائع لدى البنوك والمصارف الصناعية	٢٢ر٨٣٥ر٣١٠
١٠ر٤٤١ر٣٤٧	سلفيات للعملاء وسندات مخصومة وحسابات اخرى .	٧ر١٣٠ر٣٦٦
٣٢٥ر٣٦٤	العقارات والاملاك بسعر التكلفة ناقصا المبالغ المستهلكة .	٢٧٨ر١٧٠
٦ر١٤٤ر٠٩١	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل) .	٥ر٦٤٠ر٣٢٤
٥٢ر٦٣٨ر٩٨٤		٤٦ر٢١٥ر٣٢٠

دبليو . اف . ادامز
المدير العـام

حساب الأرباح والخسائر للسنة

دينار كويتي		١٩٦٤ دينار كويتي
٤١٦ر٦٣٥	ارباح العام المنتهي فى ١٩٦٥/١٢/٣١ ، بعد استنزال جميع المصاريف واقتطاع احتياطات الطـوارىء واسـتهلاكات الاصول الثابتة .	٣٢٥ر٤٩٢
٣٩ر٨١٩	الرصيد المرحل من العام السـابق	٣٦ر٨٧٦
٤٥٦ر٤٥٤		٣٦٢ر٣٦٨

الكويتي شر

نيسى الكويت

م ١٩٦٠

الله السالم الصباح امير دولة الكويت الراحل

٠٠٠ر٥٠٠ر١ دينـار كـويتي

البرقي : بنكتجاري ــ كويت

فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٥

جنيه استرليني واحـد)

دينار كويتي	المطلوبات		١٩٦٤ دينار كويتي
٠٠٠ر٥٠٠ر١	راس المال المصرح به والمدفوع ٠٠٠ر٢٠٠ سهم بسعر ٧/٥٠٠ دينـار كويتي للسهم الواحد مدفوعة بالكامل .		٠٠٠ر٥٠٠ر١
	الاحتياطى القانونى	١٥٦ر٦٤٣	١١٤ر٩٨٠
٨٥٠ر٠٠٠	الاحتياطى العـام	٦٩٣ر٣٥٧	٥٠٠ر٠٠٠
٤١ر٤٣٤	حساب الارباح والخسائر		٣٩ر٨١٩
٢ر٣٩١ر٤٣٤			٢ر١٥٤ر٧٩٩
	ارصدة مستحقة للبنوك الاخرى		٣ر٤٠٧
٤٣ر٩٢٣ر٤٥٩	حسابات جارية وودائـع وحسـابات اخرى متضمنة التبعات		٣٨ر٢٦٦ر٧٩٠
١٨٠ر٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه		١٥٠ر٠٠٠
٦ر١٤٤ر٠٩١	تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى (له مقابل) .		٥ر٦٤٠ر٣٢٤
٥٢ر٦٣٨ر٩٨٤			٤٦ر٢١٥ر٣٢٠

عبد العزيز احمد البحر
رئيس مجلس الادارة

ملاحظة ــ ان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لم ينظما بموجب الملحق ج ــ من اللائحة التنفيذية لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ بل طبقا للاصول العرفية المتبعة .

المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٥

دينار كويتي			١٩٦٤ دينار كويتي
	٤١ر٦٦٣	حول الى الاحتياطى القانونى	٣٢ر٥٤٩
	١٩٣ر٣٥٧	حول الى الاحتياطى العام	١٤٠ر٠٠٠
٤١٥ر٠٢٠		مخصص مقسـوم الارباح المقتـرح دفعـه	١٥٠ر٠٠٠
	١٨٠ر٠٠٠	بواقع ١٢٪ (٩٠٠ فلس لكل سهم)	
٤١ر٤٣٤		د.ك. الرصيد المنقول الى ما بعده	٣٩ر٨١٩ د.ك

العربي

العدد ٩١
١٢ صفر ١٣٨٦
يونيو
(حزيران) ١٩٦٦



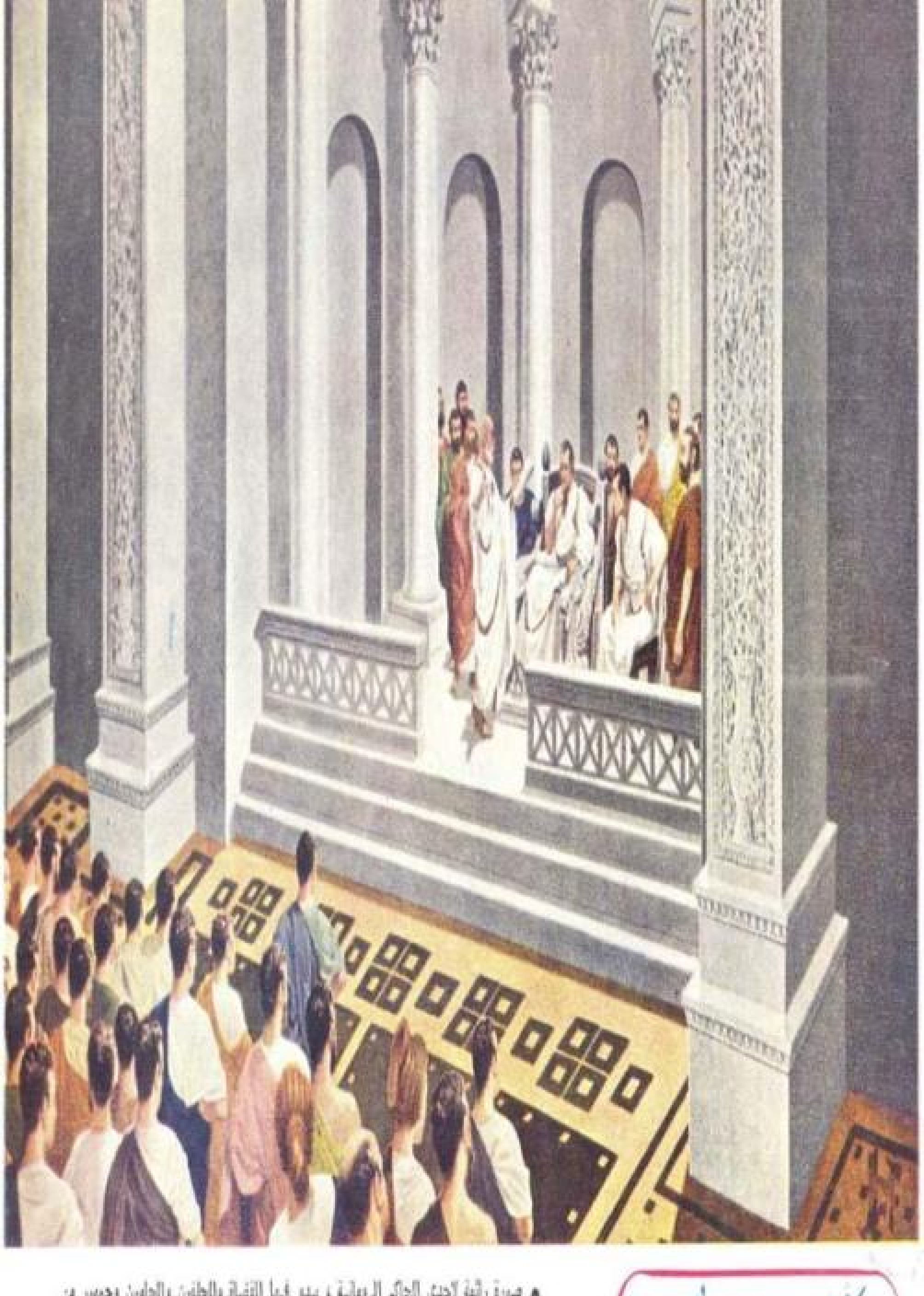
الخضرة والنخيل ، والماء السلسبيل ، فى صحراء الهفوف

(انظر الاستطلاع ص ٦٨

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس				السودان	١٠	قرو
الخليج العربي	٢	روبية	لبنان	١٠٠	قرش	ليبيا	١٥	قرش
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليـ
اليمن	٢٫٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليـ



حَضاراتٌ سادَت .. ثُمَّ بادَت

● صورة رائعة لاحدى المحاكم الرومانية ، يبدو فيها القضاة والمحلفون والمحامون وجمهور من الناس يشاهدون ويسمعون . ولا ريب في أن القانون والقضاء والامن والنظام هي أبرز مقومات الحضارة الرومانية ، تلك الحضارة العريقة التي بادت من بعد أن سادت ، وخلفت للبشرية تراثا خالدا بزت به كثيرا غيرها من الحضارات القديمة وازدهرت .

(انظر صفحة ١١٨)

هــــدنة الصيف

عزيزى القارىء

● هذا هو الشهر السادس

وفيه تختتم الدراسة فى المدارس والجامعات ، وفيه تخفُّ عن أكتافها أثقال الامتحانات .

والحق ان هذا الشهر السادس أحق بأن يكون ختاما لعام أسميناه العام المدرسى . وهو عام يماشى الحياة ، ومناشط الناس فيها ، أكثـر مما يماشيه العام الميلادى .

فى هذا الشهر السادس يحس أكثر الناس أنهم فرغوا من عمل ، وانه بدأت لديهم فترة توحى بالراحة . انها فترة فراغ .

والفراغ ، كالعمل ، يحتاج الى تخطيط وتدبير .

والفراغ كلمة فى هذا الصدد خاطئة ، لأن الحياة لا تفرغ أبدا ، ما اتصلت .

الحياة جهاد ، وما فراغها الا هدنة من جهاد . وهى هدنة مـن حرب . وما عرفنا هدنة تفرغ من عمل أبدا .

فهيا خطّط يا قارئي لهذه الهدنة ، هدنة الصيف، حتى اذا استأنفت الجهاد ، فى الخريف القادم ، كنتَ أبصرَ بالمسالك .

ولك دائما من الله التوفيق ...

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

أدب ولغة :

شعر وشعراء :

اسلاميات :

ركن الذرة والفضاء :

طب ... وعلوم :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 91 June 1966 = P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات .



صورة الغلاف

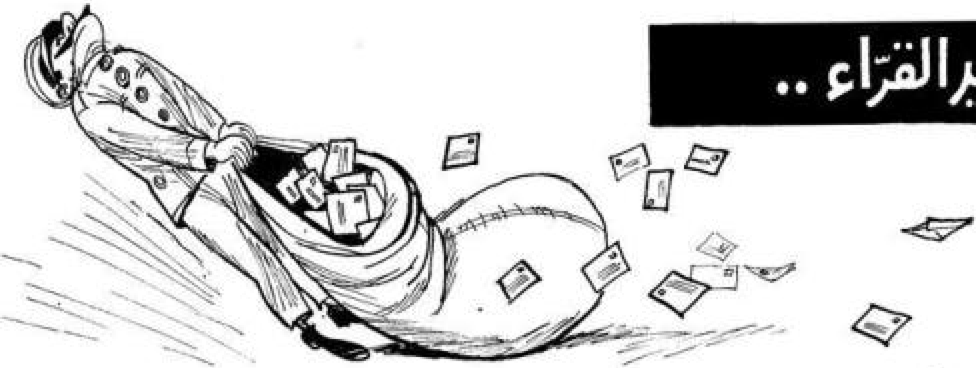
● استطلاع هذا العدد عن الاحساء . الواحة الكبيرة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .. انها أغنى أماكن المملكة بالمياه وبأشجار النخيل التي يزيد عددها عن مليوني نخلة ..

(راجع الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٣ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .

بريد القراء ..



طريق الوحدة

● سيدى رئيس التحرير

تحية عربية .. واحترام واكبار لشخصكم الكريم . وبعد ، قرات افتتاحيتكم فى مجلة « العربى » العدد ٨٨ آذار سنة ١٩٦٦ عن الوحدة ودهشت ، كما دهش غيرى ، وكنا زمرة ، ورأينا من الواجب أن نرسل اليكم هذا الكتاب .

نحن لسنا من غلاة العقائديين . بل من عامة الشعب . ونحن من المعجبين بكم وبآرائكم وكتاباتكم وتوجيهاتكم . وكلنا نعتقد مخلصين ان العرب فى محنة قاسية .

فى اكثر من مكان فى ارجاء الوطن العربى الكبير ، العربى يقتل العربى . نحن يا استاذى : أذلة على الكافرين ، أعزة على المؤمنين .

ثم ان الزمن يمر سريعا . ولا يمكن للعرب ان ينتظروا حدوث « تقارب بين البلاد العربية ، علما ، وأدبا ، وفنا ، واستثمار أرض ،وتصنيع

نقد لنقد

● نشرت « العربى » فى الصفحة ٢٧ من عددها الثامن والثمانين ، مقالا للسيد ابراهيم محمود صنوبر عالج فيه مادة « راس ، يراس » ، دون أن يحدد أيا من مصدرى (الرئاسة) أو (الراس) قصد ، ثم قال : « هكذا ذكرته جميع أمهات قواميس اللغة العربية دون استثناء ، وانه لم يشذ عن هذا الاجماع الا قاموس « المنجد » ، حيث جاء فيه بشكل (رأس ، يرئس) . وراح من ثمّ يعلل حكمه « بأن أكثر الافعال التى تكون عينها أو لامها من أحرف الحلق الستة (وذكر احرفها) تكون عين مضارعها مفتوحة على غرار (فتح يفتح) ..

وأحب أن انبه الأخ الفاضل الى ان لهذا الفعل الثلاثى فى المنجد مصدرين : أحدهما (للرئاسة) وثانيهما (للراس) ، وان المضارع المفتوح العين ، انما يعود الى معنى (اصابة الراس) ــ وهو معنى مهجور ــ لا الى معنى (الرئاسة) ، وهو الذى نرجح أنه المقصود .

ثم ان هناك صورة ثالثة لمعنى (الرئاسة) ، مضمومة العين فى الماضى والمضارع على السواء ولدى ، على صحة هذه الصور الثلاثة المتقدم ذكرها ، شهود ثلاثة متمثلة فى القواميس الأخرى التى لدى . وهذه القواميس هى :

١) قطر المحيط (المختصر عن «محيط المحيط») للعلامة البستانى .

٢) الفرائد الدرية « فى اللغتين العربية والفرنسية » .

٣) الفرائد الدريةفىاللغتينالعربية والانجليزية .

واليك أولا ما جاء فى « قطر المحيط » :

(رأس القوم يرئسهم رئاسة أيضا) كان رئيسا .

(رؤس الرجل يرؤس رئاسة) كان رئيسا لهم وفضلهم .

(رأس فلانا يرأسه راسا) أصاب رأسه .

ومثله ما جاء فى قاموس « الفرائد الدرية » فى نسختيه الفرنسية والانجليزية .

وديع قسطون
حلب

موارد ... الخ .. » .

ان الانتظار سيثبت الحدود، ويعمق الفروق. وسيخرج الى الوجود فى كل اقليم اصحاب مصالح فى التفرقة ، يزيدون فى التجزئة ، ويمعنون فى الانفصال .

هل انتظر « بسمارك » أو « غاريبالدى » حتى يتم التقارب الذى تدعون اليه؟ كيف توحدت المانيا، وايطاليا ، وفرنسا ، وامريكا ؟!! بالقوة ، بالعنف بالقتال ، بالحرب ، بالضحايا ..

من جوهر وحقائق . فارجوك ان تتقبل هذه الكلمة بقلب كبير .

واقبل يا سيدى احترامى من القلب الذى يملك لك كل اجلال واحترام .

الدكتور حمدى التاجى الفاروقى
رام الله

العربى : مقال رئيس التحرير لم يدع الى تأجيل الوحدة ، ولكنه رأى أنه فى ظروف تمزق الارادة ... اليوم ، وعدم امكان التقارب



حديث الشهر

حجر الأم أول كرسي في مدرسة الحياة

بقلم رئيس التحرير

■ ان الانسان ، اكمل مخلوقات الله، مما عرفنا ، جسما ، واكملها عقلا ، واقواها فى الارض واعتاها ، هذا الانسان يولد ومعه عجز عن الحياة كامل . انه يولد للموت لولا امه ، فان فقد الام فأبوه وذووه . انه لا يدرى ما يأكل ولا كيف يأكل ، فتعلمه الام ما يأكل وكيف يأكل وهو لا يدرى كيف يشرب فتعلمه الام كيف يشرب ، ولا كيف يمشي فتعلمه الام كيف يحبو ثم كيف يمشى . وهو لا يستطيع التعبير عما يخالجه فتعلمه الام كيف يعبر . وقد اودع الله فيه كل ما يجب ابداعه فى التلميذ ليتعلم سريعا ، وليتعلم كثيرا ووفيرا .

ويكبر الطفل وفى أثناء ذلك تعلمه الأم الكثير من ثقافة العيش الاولى . كيف يقضي حاجته ، كيف ينظف جسمه ويحافظ على نظافته. كيف يلعب ويتعلم من لعبه . واللغة ، اللغة . انها تعلمه اللغة ، ومع اللغة ثقافة القوم . ان اللغات ليست فقط كلمات ، ولكنها مخازن الثقافات .

الام إذن ، والاب احيانا ، والبيت دائما ، منها جميعا تتألف المدرسة التى

مَدْرَسَةُ البَيْتِ تُخْطِئُ، وَتُصِيبُ، وَأَخْطَاؤُهَا تُصَحِّحُهَا رِيَاضُ الأَطْفَالِ

رِيَاضُ الأَطْفَالِ ابْتُدِعَتْ لِلْفُقَرَاءِ التُّعَسَاءِ، لَا الوُجَهَاءِ الأَثْرِيَاءِ

تَثْقِيفُ الفَتَاةِ تَثْقِيفُ أُمَّةٍ، فَلْنَفْتَحْ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا أَلْفَ بَابٍ

تَثَقُّفُ الفَتَاةِ لَيْسَ كَشْفَ نُحُورٍ، وَلَكِنَّهُ كَذَلِكَ لَيْسَ اخْتِبَاءً فِي جُحُورٍ

البَيْتُ وَالأُسْرَةُ بَاقِيَانِ بَاقِيَانِ، مَا بَقِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ إِنْسَانٌ

يتجهز فيها الانسان للحياة اول تجهيز . وكل بيت فى الدولة ، اى دولة ، انما هو مدرسة الحياة الاولى . انها مدارس ما دون الرياض ، رياض الاطفال . ولقد ظهر فى هذه العصور القريبة خطر الرياض فى تجهيز الاطفال ، ولكن لم يظهر بعد خطر مدارس ما قبل الرياض ــ بيوت الامهات والآباء ــ فى تجهيز البنين والبنات للحياة . واخضعنا كل شيء للتدبير والتنظيم ، الا اعشاش العيش الاولى ، تلك المفارخ التى تفرخ فيها الافراخ ، فقد تركناها من غير تدبير وتنظيم .

والنتيجة ان هذه المدارس ، مدارس ما قبل الرياض ، ترتفع او تنحط ، تبعا لدرجة الثقافة العامة التى توجد فى البلاد ، اى بلاد . واخصها فى هذا المجال ثقافة المراة ، الام ، لا من حيث انها تحسن اطعام الطفل فحسب ، والباسه فحسب ، وانطاقه والعابه فحسب ، ولكن من حيث أنها تعطيه اولى عادات العيش السليم ، وتفتح له طاقات ، ولو صغيرة ، على معان من السلوك ، واساليب بسيطة من الفكر ، هى اول زاد الانسان عندما يخطو عتبة داره ، دار امه وابيه ، ليبدا السير فى زحام الحياة صغيرا ، ثم كبيرا ، ثم انسانا ناميا يفخر بانسانيته ، وتفخر به انسانيته .

جعلوا من الأمهات ، وهن فى بيوتهن قابعات ، مدرسات

وقد درجت الامم فى تجهيز ابنائها وبناتها للحياة ، على تجميعهم فى مدارس ، يقوم عليهم فيها رجال ونساء لهم بشئون التربية اختصاص . ولم تستطع الامم بالطبع تجميع الاطفال ، وهم ولائد ، فى مدارس . تركتهم للامهات . ومن اجل هذا وجب ان تكون الامهات ببعض شئون التربية ، تربية الولائد الاطفال ، ذوات معرفة واختصاص .

والامم المتحضرة سهلت على الامهات فيها التزود من التربية ، واساليب التنشئة ، بزاد ، عن طريق الدروس

تلقى على طالبات الزواج من قبل زواج ومن بعد زواج . ثم هى غمرت الأسواق بفيض من الكتب ، وأشتات من المجلات ، وهى مطبوعات لم تكد تترك مشكلة تعرض عند تنمية الطفل الا تناولتها . وتناولها بها المختصون ، فيما يتصل بشئون جثمانية صحية طبية ، وما يتصل بشئون نفسية انفعالية عاطفية ، وذلك بعد أن تقدم الطب على النحو الذى نعرف ، وتقدم علم النفس ،لاسيما التربوى منه ، ولا سيما المتصل بعالم الأطفال ، على النحو الذى نعرف .

جعلوا من الأمهات بهذا الأسلوب ، وهن فى بيوتهن قابعات ، مدرسات . ولكن سبق ذلك أن مهدوا للنساء ، وهن فتيات وآنسات ، أن يكن دارسات ، قبل ان يكن زوجات وامهات مدرسات . مهدوا لهن ان يكنّ ثاقفات قبل ان يكن متثقفات . ومن هنا كانت الدعوة الى تعليم المرأة وتثقيفها . وما كانت الا دعوة لتعليم الأمة قاطبة ، فى مدارج الحياة الأولى . فى مدارس ما قبل المدارس ، حيث المقاعد حجور الأمهات ، وحيث البرامج كلّ ما تقع عليه يد طفل فتمسه ، أو تقع عليه عينه فتراه .

تلميذ ، من مدرسة الأم ، عرفناه

ولقد عرفت تلميذا من تلاميذ مدرسة الأم هذه .

طفل فى نحو الرابعة من عمره ، هو ابن لأحد الجيران . رأى ربة البيت بيتنا ، وهى تخرج عن البيت الى حاجة لها فى المدينة . فتقدم اليها . وبعد أن سلم ، قال لها بلغة قومه : ان رجلكم،هذا الذى فى الحديقة لا يدرى ماذا يصنع . قالت : وماذا يصنع ؟ قال : انه يكنس الطين من الحديقة ، ويرميه ، ويكشف عن الرمل ، والرمل لا يخرج منه الزرع .

وعادت ربة البيت تنظر فى الحديقة فهالها ما رأت . الرجل الفحل كوم الطين ليقذف به خارج الحديقة . وهالها أكثر أن هذا العقل الصغير ، تلميذ تلك المدرسة ، مدرسة الأم، ينتقد ما يصنع



رياض الأطفال تصحح ما أفسده
والرياض مجتمع صغير يجهز الطفل

ذلك المخ الكبير . وأعجبت ربة البيت بالطفل يخطو اليها غير عابىء خطو الرجل فى ثبات واعتزاز .

أكذوبة انفضح زيفها

وعلى ذكر هذا الطفل والأطفال عامة أقول ، عابرا ، غير متريث ، ان الفكرة القديمة بأن الطفل ، طفلٌ به قصور السن ، من قصور فهم ، وقصور ذكاء ، وقصور استيعاب ، فكرة مزقها البحث العلمى كل ممزّق . ولقد أخذت الفكرة الجديدة سبيلها الى التطبيق فى مناهج تعليم الرياضة ، لا للكبار الناشئين ،ولكن للصغار البادئين . بدأوا يضمّنون برامجهم أشياء ما كان يخطر فى البال أن تحتويها أدمغة الصغار .



البيت ، أو تكمل ما كان فيه من نقص.
لدخول مجتمع دنياه الكبير

أصبح الصبي عند هؤلاء الباحثين « رجلا صغيرا » .

عندما لا يصلح البيت مدرسة لأطفاله

انه ليس كل بيت يصلح مدرسة لأطفاله ، ولكن لن يذهب عن البيت الصلاح كله .

وازيد فاقول : ان البيت ضرورة ، وان الأم ضرورة ، ولو لم تقرأ .

واستمعْ الى ما جرى من حديث فى هذا الصدد عند زيارة شاب لى .

زيارة وشكوى

زارنى احد الشبان العرب ممن نيف على الثلاثين . وجرى الحديث مجارى شتى . وجاء على التربية والأطفال .

وشكا من اسرته . قال : أم من عهد ، وأب (يعنى نفسه) من عهد . زوجة لم تتثقف، وزوج على درجة من التثقف، ويجرى الخلاف بيننا كل مجرى . والى جانب انها زوجة لم تتثقف ، فهي أم لم تتثقف، واذن نختلف على تربية الأولاد اختلافا كبيرا . وتنشئهم على عادات عتيقة لا ارى تنشئتهم عليها . وتريد منهم التخاذل والاستحياء والوقوف الى الوراء ،فى كل شيء ، وارى ان يتقدموا وان لا يتخاذلوا وان لا يستحوا لأن الطفل برىء لم يعرف بعد ما يستحى منه . وتعويده الاستحياء ، عادة شاملة ، هدم لشخصيته .

ومضى يحكي . ومضيت أسمع .

ولما فرغ خشيت انه انما يزمع استبدالا . خيِّل اليّ ان هذا سبيله الى الاصلاح . فاذا بى اقول له :

قد يكون كل ما قلت صدقا . وانت تريد الخير ، وزوجتك تريد الخير ، ولكن يريده كل منكما على طريقته .

وهى لم تتعلم وانت تعلمت . وانتما من حيث الميلاد من مواليد زمان واحد، ولكنكما من حيث النشأة من جيلين مختلفين . ولقد فرقت بينكم التقاليد التى كانت تقضى بتعليم الرجل وترك



المرأة بلا تعليم . والمشكلة ليست مشكلتك وحدك . انها مشكلة جيل بجملته . وانتم دولة ناشئة ، سريعة النشوء والتطور ، وسرعة التطور لها ثمن يدفع . ولكنك ذكرت من ام أولادك ما لم تحمد ، وسكتّ عن اشياء كثيرة

تحمد . أشياء تعطيها كل أم لكل طفل، تثقفت أو لم تتثقف . وهي أشياء لا يعطيها الا الأم . منها حنان الأمومة ودفء عاطفتها ، تلك التي تصدو عنها كل الافعال المتصلة بالطفل . فهي لم تفقد كل تأهلها الطبيعي لأن تكون مدرسة في مدرسة البيت . ولن تجد الأم في بعض ما أهلتها له الطبيعة من ذلك عوضا . عندها أخطاء ؟ نعم . ولكنها تصحح .

عندئذ سألني صاحبي : ومن يصححها ؟

قلت رياض الأطفال !

رياض الأطفال

ان المعروف الشائع ان رياض الاطفال، للأغنياء الأثرياء الرفيعي القدر وحدهم في المجتمع ، ولكن ما هكذا بدات الرياض، ولا من أجل هذا ابتدعت .

ان الذي ابتدعها مدرس ألماني ناجح، وشاقه التعليم صناعة فظل يدرسه ، يدرسه علما ، ويدرسه فنا . ولكن بقيت ذكرى طفولته البائسة وصباه التعس عالقة به ، فلما بلغ الخمسين رأى ان ينشيء اول مدرسة تفي بحاجة الفقراء المساكين ، ذوي البيوت التي تعشش فيها الفقر ، ويخيم على أجوائها الجهل، وتفي بحاجة الطفل ، طفل الانسان ، وقد بدا له ، وهو المربي الناجح ، الذي



قيل فيه ان « وجوده كان بعض فضل الله » ، بدا له ان الطفل خلق ومعه حب اللعب ، وأن حب اللعب هذا هو سبيل الطبع الى التعلم والتثقف والتعرف على هذا الوجود ، ذلك الذي من أجله يدخل الناس الكبار تلك البيوت التي يسمونها المدارس .

ذلك فروبل Friederich Wilhelm Froebel (١٧٨٢ — ١٨٥٢) .

وفتح اول مدرسة على هذه الطريقة التي خال عام ١٨٣٥ ، واسماها كندرجارتن Kindergarten أي روضة الأطفال . وقضت الحكومة البروسية الالمانية باغلاق كل هذه المدارس في عام ١٨٥٢ بحسبان انها ما خلقت الا لتنشئة أولاد الاشتراكيين . مدارس للاشتراكية اذن ، مدارس للفقراء !

ليت شعري كيف تحولت بعد ذلك فصارت للفئة المختارة من الأثرياء !

ومات فروبل بعد ذلك بعام واحد مغموما مقهورا . لم يعش حتى يرى رياض الأطفال تنتشر في العالم ، وتصبح جزءا من نظم التعليم في كثير من البلاد .

رياض الأطفال
لم تكن يوما للرفه ، وما هي اليوم

ان العلاقة بين رياض الاطفال، وبيوت الاسر المختلفة ، علاقة لا تزال خافية .

فالي رياض الاطفال ، واشباه رياض الاطفال ، تلك التي يسمونها مدارس الحضانة ، اتجهت انجلترا بعد الحرب العالمية الأولى لترفع من المستوى الخفيض الذي بلغه الفقر والجهل في الاحياء القذرة من لندن ، عاصمة تلك البلاد .

ولماذا نذهب في السنين الى الوراء بعيدا ، وهذا رئيس الولايات جونسن يعلن القانون الذي أسموه « قانون ١٩٦٥ للتعليم الابتدائي والثانوي » ويخصص فيه ١٣٠٠ مليون دولار (فوق ميزانية التعليم في الولايات وتبلغ في العام ٣٤٠٠٠ مليون دولار) تفرق على الولايات المتحدة جميعا ، لترقيع ما ظهر في نظام التعليم على السنين من خروق . وتقرأ التقرير المرفق بالقانون فتعلم انه خصص مبلغا من هذا الاعتماد كبيرا لاقامة رياض للاطفال ، في الولايات التي لم تقم بها بعد



قال فروبل، مبتدع رياض الأطفال: ان الطفل خلق ومعه حب اللعب، وان حب اللعب هذا هو سبيل الطبع الى التعلم والتثقف والتعرف على هذا الوجود.

رياض للاطفال أو لم تقم الكفاية منها . وقدر التقرير انه يوجد فى الولايات اليوم نصف ما تحتاجه من هذه الرياض، تلك التى ظهرت فائدتها جلية فى «تسهيل الانتقال من سوء الحال فى بيوت اهل الفقر والجهل فى الولايات ، الى حال تتفق وما يرجى من صفات للمواطن الامريكي »

استمع زائرى لكل هذا . ولم يقل شيئا .

واستطردت اقول :

ففي هذه ، فى رياض الاطفال هذه ، حل مشكلتك . ان الذى تشكوه فى بيتك ليس قلة المال، ولكن قلة التعلم والتنوّر، وتخلّف الام عن التعرف على امور حياتنا هذه الجارية خارج البيت فى شتى مسالكها . فى رياض الاطفال ينطلق ابنك، او تنطلق ابنتك ، تتعلم ما تلعب به ، وما اكثر ما تلعب به ، كما وكيفا . وهو لعب ظاهره لا خطّة فيه، وباطنه الخطة كل الخطة . لكل لعبة هدف . واختلفت الالعاب لتتفق مع كل الامزجة . ويتعلم ابنك مما تصنع يده ، ومما تصنع يد زميله . ومما ينجح فيه وينجح زميله ، ومما يخيبان فيه . ومما يقول لزميله ومما يقول زميله له . والحب والبغض يعمل على تنمية الحياة فى هذا المجتمع الانساني الصغير الاول .

ان رياض الاطفال كسب للمعرفة ،

بشتى صنوفها ، وفى شتى مسالكها ، وتنمية للعقل بالمحادثة وتعلم الكلام ، وتنمية القلب بالاتفاق الذى يقع بين الاطفال والخصام، وهي مران على العيش بين الناس .

وكل هذا على انماط رفيعة ، لعلها ارفع مما يكون فى بيوت الفقراء والاغنياء على السواء .

كنت أريد ان أؤكد لزائرى انى لم اخطىء فهم مشكلته ، وانها عندى ليست مشكلة فقر ، ولكنها مشكلة جهل . واستوى الامران .



رياض الاطفال ليست من الترف فى شيء

لقد ذكرت فى حديثي هذا ، غير مرة ، ان الذى دعا الى خلق الرياض ، أول ما دعا ، الفقر والتعاسة . وكررت قولي هذا عمدا لأمحو فكرة شائعة عند السواد من الناس اليوم ، ان هذه المدارس انما هى مدارس للصفوة المختارة ، البرجوازية وحدها ، وانها ترف ونعيم .

انها نفقة ، لا شك فى هذا .

وانها نفقة لا تستطيعها الا الأمم الثرية، لا شك فى هذا .

ولكن لا يوجد احد، له بأصول التربية المام ، يعتبر الرياض ترفا وسرفا . وكل نفقة جازت ان تكون سرفا وترفا ، الا نفقة تجعل من اطفال الأمة رجالا احد ذكاء ، واطيب مزاجا ، وانفع انتاجا ، واصلح لبناء مجتمع صالح . وان جاز تفضيل يقع بين اطفال الامة الواحدة فى دخولها ، فليدخلها اولا الفقراء ، لأنها تصحح ما فى البيت الفقير الجاهل من اسواء .

وفى الرياض يسيطر جو الامومة والبيت

وسميناها الرياض. والروضة ، روضة الاطفال ، كادت أن تكون بيتا عظيما ، كالبيوتات القديمة ، به عشرة وعشرة من الاطفال .

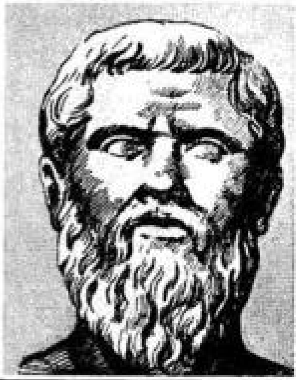
ان الاسر اليوم اختزلت اختزالا كبيرا. صارت الاسرة اما وابا ، وولدا أو ولدين او ثلاثة . والطفل منهم يطلب طفل الجار ليلعب معه ، ويلح فى طلبه . وان هو حُبس عنه ، ظل ينظر اليه من النافذة بحنين هو حنين النوع الى النوع . فالرياض استجابت لهذا الحنين فجمعت الاطفال ، فى السن الواحدة ، معا . وجرت فى التعلم على ما كان يجرى بين طفل البيت وطفل الجيران ، لو اذن لهما بالتقاء واصطحاب .

وتوّجت كل هذا بأن جعلت القائمين عليها قائمات . مدرسات هنّ بحكم التكوين العاطفي امهات . فهن حملن الى الرياض جو البيت : عطفه وحنانه .

ومع الرياض ، وما تلاها من مدارس ، ظل البيت هو البيت

نعم ظل البيت هو البيت : المأوى الذى يأوى اليه الطفل ، من بعد نهار او بعض نهار يقضيه فى الروضة، ويرتمي فى حضن امه فيجد الدفء ، ومع الدفء الامن من الخوف . وهل يخاف الطفل ؟ نعم ، ومن اكثر من شيء ، وهي اشياء ليست للكبير بمصدر خوف ، ولكنها للصغير تسبب الريبة والقلق . دنيا جديدة هو يجرّبها ليفهمها ، ثم ليألفها. وفى طريق فهمه والفته اياها يفزع قليلا او يفزع كثيرا . تطوّقه امه بذراعيها فكأنما طوّقته بحصن ذى جدار سميك.

والطفل بعد رياض يدخل المصنع التعليمي ، وأول درجاته المدرسة الابتدائية . وأسمّى المدارس بالمصانع لأن التعليم بها اصطناع . انه تجنيد .





افلاطـون

رأى البيوت والأسر لا تصلح لتنشئة المواطن الصالح ، اذن فلتسق الدولة اولادها كالأغنام الى حظائر ، لتتولى تنشئتهم على الولاء لها.

لينين ، مؤسس روسيا الشيوعية

« ومن المحدثين الذين ارادوا النيل من البيت البلاشفة ، ثم عادوا الى الأسرة يحمونها، والى البيت يَعْمدونه » .

صفوف تصف ، ومقاعد تملأ ، يجلس عليها الجالسون الساعات كاملة، لا حركة ولا تهويش .

وفى البيت انفكاك من جندية .

البيت باق ما بقى انسان على ظهر الارض

لقد نال من البيت ، يريد هدمه ، قدماء فى الزمان ومحدثون .

ومن القدماء افلاطون .

ذلك الفيلسوف القديم غمرته الدولة



بسلطانها غمرا ، وملأته بخطورتها ، حتى ضحى فى سبيلها بكل شيء . ومما ضحى به البيت . كان يرى ان اجواء المنازل اجواء لا تتفق والجو الذى يريده للدولة ، ولا هي عنده مرابي صالحة لتنمية النشء الذى تكون عنده الكفاية من الولاء لخير الدولة . اذن فلنخرج الاطفال عن بيوتهم ، ولنسقهم سوق الاغنام الى حظائر . وفى الحظائر الانسانية ، التى تشرف عليها الدولة ، ينشأ المواطن الصالح .

شيوعية فاقت كل الصفوف التى عرفناها فيما تلا من قرون .

ومن المحدثين الذين ارادوا النيل من البيت البلاشفة .

هكذا ارادوا فى اول امرهم ، ثم تبينوا خطأ زعمهم، فعادوا الى الاسرة، يحمونها، الى البيت يعمدونه .

فالبيت باق ، على اختلاف المذاهب جميعا ، وتوالى القرون .

ولكن البيت ليس من حجر وطين .

انه الفة بين ساكنيه ، أو نفرة . سعادة او شقاء .

والمرأة روح البيت ، لا الرجل . انها ساكنته ، وانها حارسته ، وانها الحانية على فراخه . لهذا وجب أن تتثقف كتثقف الرجل او فوق تثقف الرجل ، وان تفتح لها بالتعلم على الدنيا الف نافذة .

والتعلم والتثقف ليس تعرية نحور ولا كشفا عن ظهور ، ولكنه كذلك ليس اختباء فى جحور . والتثقف وقاء من شرور الدنيا ، والا فثقافة الطبع أولى واحكم .

احمد زكي

أفريقيا السوداء

أول قارة هاجر إليها المسلمون

بقلم : حسن الأمين

■ حين اشتد الضغط على المسلمين الاولين وتعرضوا للاذى والتعذيب فكر محمد (ص) فى طريقة تحميهم وتحمى عقيدتهم ، فلم ير افضل من ان يتركوا وطنهم ويهاجروا الى بلد يمكنهم ان يجدوا فيه الراحة والأمان . وجمعهم النبى (ص) وقال لهم: تفرقوا فى الأرض.

ولكن اية ارض يريدهم محمد (ص) ان يتفرقوا فيها ؟ وهل يقصد ان يذهبوا فرادى كل واحد او اثنين او ثلاثة الى مكان معين ، او مكان غير معين بحسب ما يختارون هم ؟

ام يقصد ان يهاجروا كتلة واحدة الى بلد يحدده لهم ؟ هذا ما تساءلوا عنه، فقالوا : يا رسول الله اين نذهب ؟

الى الحبشة

ولم يتردد النبى (ص) فى الجواب ، فقال : الى الحبشة ، فكانت هجرة المسلمين الاولى الى افريقيا السوداء حيث نزلوا ارض الحبشة ، وكان ذلك بعد خمس سنين من جهر النبى بدعوته . وكان عدد المهاجرين احد عشر رجلا واربع نسوة ، تركوا البلاد التى ولدوا فيها ونشأوا ، ونزلوا غرباء فى ارض اجنبية بعيدة اختارها لهم نبيهم .

ولم تطل اقامتهم فى الحبشة لان اخبارا وصلتهم عن اسلام قريش واستجابتها لدعوة النبى ، وبذلك يكون الضغط قد ارتفع عن المسلمين ولم يبق من مبرر لهجرتهم فاسرعوا الى العودة بعد ان مكثوا فى الحبشة شهرين فقط .

ولكنهم لم يكادوا يصلون الى ضواحى مكة حتى علموا ان الأخبار التى وصلتهم لم تكن صحيحة ، وان قريشا لم تسلم





وان التعذيب لا يزال ينتظرهم ،فتسللوا الى مكة، ولم يلبث أحدهم وهو ابن مسعود أن عاد وحده الى الحبشة ، اما الآخرون فقد لبثوا ينتظرون المصير المعد لهم .

ولم يطل انتظارهم لأن قريشا قد ازدادت عنادا ، واصرت على التمسك بوثنيتها واستمرت تعذب المسلمين اشد انواع العذاب. فكان لا بد من هجرة ثانية تنقذ المسلمين،وكانت هذه المرة ايضا الى الحبشة نفسها . ولكن قافلة المهاجرين كانت هذه المرة اكبر ، وكان على راسها رجل من اقرب الناس الى النبى هو ابن عمه جعفر بن ابى طالب الذى مضى الى الحبشة يقود ثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة بينهن زوجته اسماء بنت عميس.

وظل هؤلاء المسلمون فى الحبشة الى ان استقر النبى (ص) فى المدينة وتتابعت انتصاراته وبدت طلائع نجاح دعوته واصبح هو واتباعه فى مأمن من الأذى والتعذيب . وعند ذلك عاد المهاجرون الى وطنهم .

لماذا اختار الاسلام افريقيا دون غيرها ؟

هنا يعرض لنا السؤال الذى لا بد منه . لماذا اختار الاسلام افريقيا دون غيرها ؟ ولماذا خصها محمد (ص) بأن تكون ملجأ لانصاره ؟ هل كان ذلك اعتباطا ام صدفة ؟

والواقع أن كل شىء كان يبعد عن ذهن النبى (ص) التفكير فى افريقيا لو أن دعوة الاسلام لم تكن ذات اهداف اصلاحية عالمية ، وذات مناهج تحررية عميقة .

فان اى بلد غير افريقيا هو اقرب لأن

يهاجر اليه المسلمون المضطهدون، وان اى وطن غير الحبشة هو أسهل ليلقوا فيه الحماية المطلوبة . ولكن الاسلام اختار افريقيا دون غيرها بالرغم عما يفصلها عنه من بحار وعما فى طريقها من مشقات!

لقد كان من المعقول ان تكون الهجرة الى اى بلد قريب لا يخضع لسلطة قريش وغيرها من العرب الوثنيين . لقد كان من المعقول ان تكون الهجرة الى البلاد التى تخضع لحكم الروم كبلاد الشام ، او البلاد التى يحكمها الأكاسرة كالعراق، فان اى واحد من هذين البلدين جدير بأن يكون مقصد المهاجرين المسلمين ، ولكن محمدا (ص) لم يشر الا الى افريقيا، ولم يطلب الى اتباعه ان يهاجروا الى غير بلاد اللون الاسود ! .

ذلك لأن دعوته انما جاءت لتحرير الانسانية ، وضمان المساواة بين جميع الناس . جاءت هذه الدعوة فى الوقت الذى كان فيه الانسان الاسود هو احقر مخلوق بنظر الآخرين ، لا يفرقون بينه وبين اى حيوان معد للخدمة والعمل .

دولة الأكاسرة ودولة القياصرة

وكان لا بد من خوض اعنف المعارك لرفع ظلم الانسان عن الانسان وضمان سيادة الحرية والمساواة . وكانت دولة القياصرة ودولة الأكاسرة الدولتين المسيطرتين فى ذلك العصر والمتمثل فيهما شر أنواع الحكم فسادا ، والدولتين اللتين تحميان طغيان البيض على السود، وتنفذان هذا الطغيان على أسوأ الأشكال.

فلذلك كان الاصطدام بين هاتين الدولتين وبين الاسلام امرا محتوما ، فلم يكن من المعقول ان يلجأ اليهما المسلمون فى حال الضعف ثم يحاربوهما فى حال القوة .

لقد كان محمد ودعوته الاسلامية وأتباعه المسلمون اشرف واكرم من ان يقابلوا الاحسان بالاساءة ، فكيف يحتمون اليوم بمن هم مصممون على محاربتهم وتخليص الانسانية من فساد حكمهم ، وكيف يلجأون الى جماعة سيهاجمونهم فى المستقبل .

لذلك كان لا بد من اختيار مكان فى غير بلاد الروم وغير بلاد الأكاسرة ، لا بد من اختياره فى بلاد العرق الاسود الذى سيكون اول ما يفكر الاسلام فى حمايته وانقاذه من الظلم ، ثم فى اعلاء شأنه وتكريمه .

كان لا بد من اختيار مكان الهجرة فى بلاد لن يقع صدام بينها وبين المسلمين فى المستقبل لأن الاسلام انما جاء لتحريرها مما كانت تخضع له من مهانة واذلال .

ولذلك اختار محمد (ص) افريقيا السوداء مكانا لهجرة أنصاره . ثم اختار من افريقيا السوداء نفسها رجلا رفعه الى أعلى مكانة يطمح اليها انسان ، اختار بلالا الافريقى الأسود اللون ليكون مؤذنه الخاص . وبذلك دخلت قضية السود فى عهد من التكريم والاعظام لم يحلم به من قبل حالم .

الوزير الافريقى

فكرت فى هذا كله وانا أقرأ الأخبار اليومية وما ذكرته هذه الأخبار فى مطلع هذا العام من أن الرئيس الأمريكى (جونسون) قد اختار لأول مرة فى التاريخ وزيرا زنجيا ، فعدت هذه له مكرمة كبرى ، واعتبرت فتحا فى عالم المتمدينين الذى استطاع ان يجعل من الزنجى الأسود وزيرا ! . . ■■

حسن الأمين

نتيجة مسابقة العدد ٨٩

الإجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

■ معظم الذين اشتركوا فى هـــذه المسابقة اخطأوا فى اسم احدى الكنيستين موضوع السؤال الاول ، وموقع الجبل الابيض فى السؤال الثانى ، والمدينة التى ولد بها الخليفة عمر بن عبدالعزيز والبلدالتى اتخذ منها عمر بن الخطاب قاعدة حربية لغزو ارمينيا وأذربيجان ، ودفن فيها الشاعر ابو تمام .

وفيما يلي الاجابات الصحيحة .

١ ــ كنيسة القيامة فى القدس ، وكنيسة المهد فى بيت لحم .

٢ ــ فرنسا ــ الصين ــ موسكو ، واشنطون .

٣ ــ فرانكلين روزفلت .

٤ ــ حلوان، وتشتهر بعيونها الكبريتية والمعدنية، والمرصد .

٥ ــ الموصل .

٦ ــ ابو نواس : وبقية الابيات

حامل الهوى تعب	**يستخفه الطرب**
ان بكى يحق له	**ليس ما به لعب**
كلما انقضى سبب	**منك عاد لى سبب**
تضحكين لاهية	**والمحب ينتحب**
تعجبين من سقمى ؟	**صحتى هى العجب !**

٧ ــ المريسة من تخمير حبوب الذرة الصغيرة .

٨ ــ السودان ــ البحرين ــ العراق ــ الجمهورية العربية المتحدة .

٩ ــ برنارد شو

١٠ــ هيرودوت

★★★

الفائزون بالجوائز

وقد أسفرت عملية الاقتراع على الجوائز عن النتيجة الآتية :

١ ــ **الجائزة الاولى** وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمد مصطفى يوسف ، سكة الحديد ، ص.ب ٥٨٢ ــ عمان ــ الاردن .

٢ ــ **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها : رضية عبيد السعد ــ البصرة ــ العراق .

٣ ــ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : الحاج ادريس بو عياد ــ ص.ب ٦٣ ــ المدينة الجديدة ــ فاس ــ المغرب .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

١ ــ **السيدة نورة محمد الربيش** : الكويت .

٢ ــ **القس جاب الله شحاته** : راعى الكنيسة الانجيلية بواد مدنى ــ السودان .

٣ ــ **سامية توفيق** : مصر الجديدة ــ ج٠ع٠م

٤ ــ **حسن محمود عبد الله** ــ منزل رقم ٣٨ــ٨/٤٨ شارع طرقة ــ معلى ــ عدن ــ الجنوب العربى .

٥ ــ **محمود سالم شاهين** : وزارة التجارة والصناعة ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية.

٦ ــ **على محمد الاسعد** ــ طيران الشرق الاوسط ــ ص.ب ٢٠٦ ــ بيروت ــ لبنان .

٧ ــ **سالم على ناجى العمرى** : بواسطة محمد سالم باسندوه ــ جبهة تحرير الجنوب المحتل ــ تعز ــ الجمهورية العربية اليمنية .

٨ ــ **دينا فهد المنصور** ــ البحرين ■■

الصَّوارِيخُ أَضْدادُ الصَّوارِيخِ

■ نعم . هذا هو وصفها اختصارا .

وقد جرت بحوث فى هذه الصواريخ وتنميتها ، فى كل من الولايات المتحدة وروسيا منذ سنوات عديدة . ولم يسمع احد بان ايا من الدولتين الماردتين بدات فى اخراج هذه الصواريخ الى ميادين الصناعة ، ولا بدات باقامة الشبكات اللازمة التى تنتشر فوق ارجاء الدولة سقفا لها يحميها من الصواريخ الذرية المهاجمة ، تاتى من شرق او تاتى من غرب .



صعوبات فنية ، ونفقات مالية

اما السبب فى هذا التلكؤ فى السير بهذه الصواريخ ، فيشمل أمورا عدة .

ومن تلك الأمور الصعوبة الفنية ، يضاف اليها النفقات الفعلية .

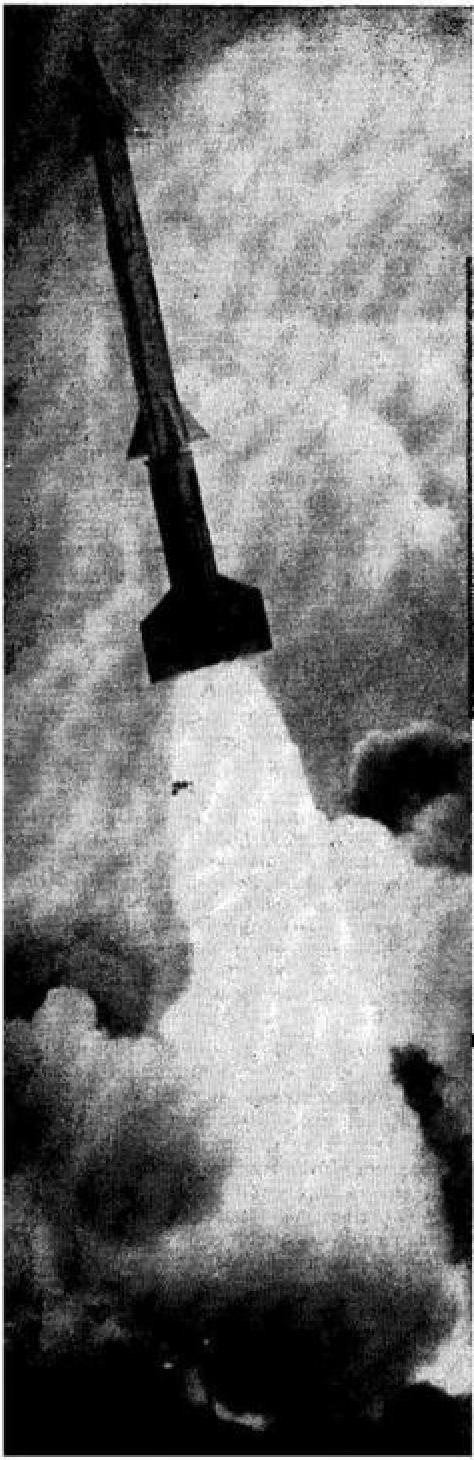
اما الصعوبة الفنية فتتضح اذا قلنا ان اصابة صاروخ بصاروخ هى اشبه شىء باصابة قذيفة من بندقية بقذيفة من بندقية اخرى ، وكلاهما يسير بسرعة خاطفة فى السماء العالية الواسعة .

واما النفقات المالية فتتضح من الاعتمادات الكبيرة التى اقرتها الولايات المتحدة ، ومهرتها باسماء هذه البحوث .

راى الأستاذ ديسون

ولدينا فى هذا الصدد تصريح الأستاذ فريمان ديسون Dyson ، الأستاذ بجامعة برنستون Princeton الأمريكية المعروفة . قال فى منتصف عام ١٩٦٤ :

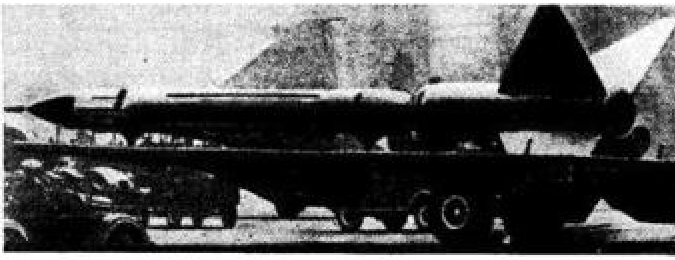
« ان مسائل فنية ، تراءت منذ عشر



صواريخ للدفاع، تطلق فتلتقي بالصواريخ الذرية المهاجمة فتنسفها في الفضاء البعيد

سنوات من الصعوبة بحيث لم يجرؤ أحد حتى على اقتراب منها ، أصبحت اليوم سهلة ميسورة الحل ، او على الأقل قريبة جدا من ذلك . ومن امثلة هذه المسائل الفنية المعقدة صنع الصواريخ أضداد الصواريخ . أن بناة هذه الصواريخ لا يدعون انهم سيكسبون

الصاروخ المضاد ، نيك ـ زيوس Nike-Zeus وهو احد الصواريخ الامريكية المدافعة او الصواريخ المضادة Antimissile missile التي تطلق الى الفضاء في أعقاب ما يظهر فيها من صواريخ للعدو ذرية ، فتلاحق الصاروخ المهاجم ، مستعينة بالرادار على تتبعه الى حين اصابته وتفجيره . وهذا الصاروخ المضاد له طابقان ، وطابقه الأول من وقود صلب له قوة في الدفع الى أعلى تزيد على مائتى طن . ويرتفع في الفضاء بعيدا حتى قيل ان في استطاعته اصابة الاقمار الصناعية وهي تدور في أفلاكها .



الصاروخ ضد الصاروخ . وهو من أوائل ما أنتج الروس من ذلك .

بها لنا دفاعا فى حروب الذرة كاملا ، ولكن سيكسبون بها لنا كسبا جزئيا ، اذا أدخلناه فى ميزان الحرب رجح الميزان فى صالحنا » .

وفى صدد النفقات قال الأستاذ ديسون، وهو الخبير فى هذه الأمور :

« ان نفقة بحوث هذه الصواريخ بلغت فى العام الواحد ..٥٠ مليون دولار ، وانه لتمام هذه البحوث وللتنمية يتطلب الأمر على الأقل انفاق ....٥٠ مليون دولار . هذا غير نفقات اقامة الشبكات التى تظلل الدولة لحمايتها من الصواريخ المغيرة ، وهذا غير ملاجىء لا بد تصنع يلجأ اليها الناس هربا من السقاط الذرى الذى ينتج من تفجير القنابل الذرية المهاجمة اذا هى تفجرت غير بعيد » .

والأستاذ ديسون يتحدث ، أو لعله تحدث فى عام ١٩٦٤ ، عن ميزان الحرب وعن رجحانه فى صالح الولايات ، غير ملق بالا الى الروس ، وما يصنع الروس . لقد كان يتكلم وكأن الروس فى هذا الأمر غافلون .

رفض مجلس الشيوخ اقامة الشبكات

ولقد ترددت الولايات المتحدة أمام هذا الأمر ترددا طويلا ، وراحت تتأرجح بين شد وجذب ، حتى لقد ذكرت جريدة « نيويورك تايمس » أن مجلس الشيوخ الأمريكى اجتمع سرا فى عام ١٩٦٣ ، لينظر فى طلب الحكومة الاذن لها فى اقامة هذه الشبكات الصاروخية المضادة فى سماوات البلاد فرفض المجلس الطلب بـ ٥٨ صوتا مقابل ١٦ صوتا .

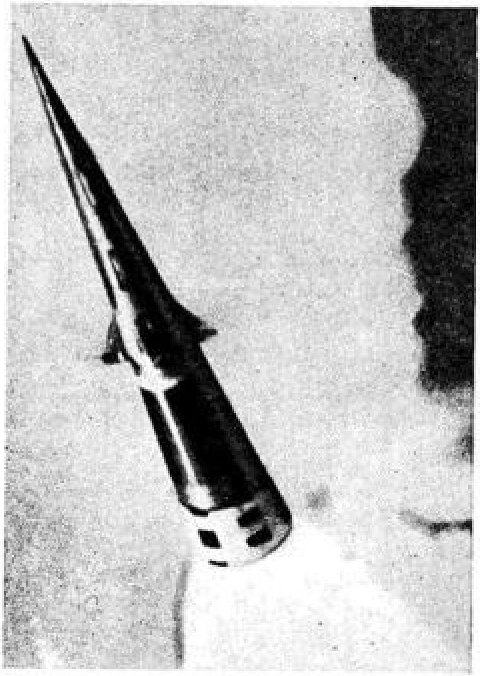
الاضداد الصاروخية تزيد سباق التسلح الذرى شدة

والتردد الذى يوجد اليوم فى الولايات، فى أمر هذه الأضداد الصاروخية ،ليس سببه صعوبة الوصول الى الحماية مائة فى المائة فحسب ، ولا الى النفقات الباهظة فحسب ، ولكن كذلك الى انهم صاروا بالذى يجرى ، فى هذا الصدد ، بالاتحاد السوفياتى أكثر علما *

* بعد كتابة ما تقدم أعلن الجنرال مالينوفسكى، وزير الدفاع السوفييتى ، أن روسيا قد ابتدعت نظاما دفاعيا جديدا ضد الصواريخ والطائرات يأذن للمدافعين بانزال أو أسر أى صاروخ أو طائرة للعدو . صرح بهذا فى هنجاريا فى ٢٢ ابريل الماضى .

وليس ادل على هذا مما حدث فى مؤتمر التعاون الدولي الذى انعقد فى البيت الأبيض فى نوفمبر هذا الماضى . فقد تقدمت لجنة ، يراسها جيرو ويزنر Wiesner ، المستشار العلمى للرئيس السابق كندى ، باقتراح ان تدخل الولايات مع روسيا فى مفاوضات يتفقان فيها على تأجيل اقامة شبكات هذه الصواريخ . كل فى بلاده ، لثلاثة اعوام على الاقل ، يدرسان فيها معا آثار قيام هذه الشبكات فى سباق الحرب نفسه ، ذلك السباق الذى يريد الجميع وقفه.

ذلك ان كلا الجانبين يدرك أن هذه الاضداد الصاروخية، مهما كانت النسبة التى تبلغها فى وقاية الناس من الصواريخ الذرية ، سوف تكون حافزا للأمم الذرية الصاروخية ، امريكا وروسيا ، الى البلوغ بصواريخها الذرية المهاجمة الحاضرة مستوى من الكفاية ارقى واعتى ليَخلف ظن هذه الصواريخ الاضداد فيما تأمل ان تصيده منها . واذن يدخل السباق الحربى دورا جديدا ينتهى الى مضاعفات لا يعلمها الا الله .



الصاروخ الأمريكى المسمى اسبرنت Sprint وهو يطلق لضرب صاروخ العدو الغازى اذا استطاع هذا ان ينفذ من خط الدفاع الاول . ولهذا الصاروخ رأس مدبب ، ويتميز بانه يبلغ عند اطلاقه سرعة هائلة فى وقت قصير جدا .

الولايات المتحدة تمضى فى بحوث الصواريخ

والظاهر ان امر هذا الاتفاق ، بوقف صنع هذه الصواريخ الاضداد قد فشل، بدليل ما قرأناه منذ ايام ، ان حكومة الولايات المتحدة زادت اعتمادها هذا العام لهذه الصواريخ مئات الملايين من الدولارات .

وهذا يتفق مع قرار اتخذه رؤساء الهيئات الدفاعية فى الولايات ، فى هذا الصيف الماضى ، واتخذوه بالاجماع ، يؤكد ما وصلت اليه حكومة الولايات من تقرير زيادة هذا الاعتماد . لقد قرروا اقامة شبكة صاروخية واقية ، محدودة الأثر ، هدفها الوقاية مما قد ترسله الصين الشعبية ، الى الولايات المتحدة ، على مر السنين من صواريخ ذرية .

وهم قدروا كلفة هذه الشبكة المحدودة الأثر بنحو ٨٠٠٠ مليون دولار.

فى حين قدروا ان الشبكة الكاملة تتكلف ٢٠٠٠٠ مليون دولار ! ■■

في سبيل موسوعة علمية

الشكلاتة والكاكاو

■ الشكلاتة طعام محبب الى النفوس، فيه متعة ، ومع المتعة غذاء . يتعاطاه الألوف المؤلفة من الناس ، اقراصا ، او الواحا ملفوفة بالورق الفضي ، واكثرهم لا يعرفون ما أصله وما فصله .

والذين عرفوا الشكلاتة من الناس طعاما ، لا شك عرفوا الكاكاو شرابا ساخنا محلى، فيه أيضا متعة ومنه غذاء.

والحق أنهما شيء واحد ، او هما يكادان ان يكونا .

أصلهما جميعا واحد .

ان البن طحين بذرة لشجرة ، وهي تحمّص قبل طحن .

وكذا الشكلاتة ، وكذا الكاكاو ، كلاهما من طحين بذرة لشجرة ، وهي كذلك تحمّص من قبل طحن .

الشجرة

والشجرة تعرف بشجرة الكاكاو ، وقد تسمى أيضا بشجرة الشكلاتة .



شجرة الكاكاو ، وهي تطول حتى تبلغ نحو ٤٠ قدما ، ولكنها تقلّم ليقف طولها ما بين ١٥ الى ٢٠ قدما ، ليكثر ثمرها ، ولتطوله يد الحاصد . وأوراقها كبيرة رقيقة صقيلة، تميل الى الحمرة والشجرة صغيرة ، وتخضر وهي كبيرة. وهي تخرج زهرا أبيض في حمرة، يخرج مجاميع من الجذع مباشرة، أو من فروع الشجرة . ومن الزهر يخرج الثمر . وفي الصورة ترى الرجل يقطع الثمر بعصا طويلة في آخرها سكين عريضة





ثمرة الكاكاو ، ولها شكل الخيار ، طولها بين ٨و١٥ بوصة ، وقطرها بين ٣و٤ بوصات ، وهي تنضج فى نحو ٤ أشهر ، ويتغير اثناء ذلك لونها أكثر من مرة ، وفى الثمرة الواحدة ما بين ٢٠ الى ٥٠ بذرة، والبذرة لونها أبيض ذو اصفرار ، وشكلها شكل اللوز . والبذور يحتويها فى قلب الثمرة سائل لا يلبث عند تعرضه للهواء أن يتجمد فيصبح لبابا أبيض . وفى الصورة اليمنى الثمر يشق الرجل واحدة منه بالطول بالسكين . وفى الصورة اليسرى الرجل يشق ثمرة بالعرض فيظهر ما فى داخلها من بذور قد تلففت باللباب .

والكاكاو Cacao لفظ اسبانى ، ماخوذ من اسم هذه الشجرة فى موطنها الأول ، من الهنود الحمر ساكنى المكسيك ، اولئك الذين عرفوا بقبيل الأزتيك Aztec ، وهم سكنوا فى أمريكا قبل كشف كولمبس لها واتخذوا من الكاكاو شرابا.واللفظ الأزتيكى هو كاكاو كاتل Cacaucatl وحرّف الانجليز هذا الاسم فصار عندهم كوكو Cocoa وهكذا هم ينطقون اسم هذا الشراب المألوف عندهم .

ولقد كشفنا بذلك عن موطن هذه الشجرة ، واذن فالمصدر الذى جاء منه الكاكاو وجاءت الشكلاتة اول مرة ، ذلك أمريكا الاستوائية .

ونقل الناقلون بذور هذه الشجرة الى افريقيا الغربية الاستوائية، فنجحت زراعتها نجاحا عظيما. واصبحت هذه المناطق الافريقية تنتج ثلث حاجة العالم من بذور هذه الشجرة ، وتنقل البذور الى الدول الصناعية الغربية والى الولايات المتحدة خاصة ، لتصنع منها الشكلاتة والكاكاو . وغانه وهى بعض هذه المناطق الافريقية ، نصف ايرادها من هذه البذور . وانخفضت اثمانها فى السنوات القريبة فكان انخفاضها على اقتصاد غانا نكبة .

وبالطبع لم يعرف الكاكاو فى العالم القديم مشروبا ، ولا الشكلاتة حلوى ، الا بعد كشف اهل الغرب للعالم الجديد ، أمريكا . وقد صار الكاكاو شرابا مألوفا فى اسبانيا فى نحو عام ١٥٨٠ م . ودخل الى انجلترا وفرنسا فى نحو منتصف القرن السابع عشر . وأقيم اول مصنع له فى الولايات المتحدة عام ١٧٦٥ . وازداد وارد الولايات منه قرنا بعد قرن ، حتى بلغ وارده السنوى عام ١٩٥٠ من الارطال ٧٠٠ مليون رطل . والأمريكان من أكبر الامم صناعة للشكلاته والكاكاو ، أو لعلها أكبرها ، وهى لا شك أكثرها استهلاكا .

الثمرة

وثمرة شجرة الكاكاو كالخيار شكلا ، وتخرج

من جذع الشجرة مباشرة ، أو من فروعها مباشرة. والحاصدون لها ذوو خبرة ، فهم لا يحصدون الا الذى تم نضجه من الثمر . وهم يقطعونه من شجرته بأسلحة حادة . ويقوم النساء والاطفال بجمع الثمر فى أكوام كبيرة . ويقوم الرجال بشق الثمر بالطول ، ويقوم النساء والاطفال عادة من ورائهم باغتراف البذور من قلب الثمر المشقوق، ورمى قشره وما انطوت فيه البذور من لباب سائل ، لا يلبث أن يتجبن عند مسه الهواء .

البذر ، وتخميره ، وتجفيفه

وينشرون البذر ، وهو بيت القصيد ، على مساحات واسعة من الارض ، ويجعلون تحته من ورق الشجر فراشا ، وفوقه غطاء ، وعندئذ تبدأ فى البذر عملية تخمر تطول ما بين يومين الى تسعة أيام ، وفى هذه العملية تحدث فى باطن البذرة تغيرات كيماوية تعطيها الطعم المطلوب والنكهة المحبوبة ، وينفصل بها كذلك لب البذرة عن قشرتها . ولون البذر يتغير من الابيضاض الى اللون الاسمر ، لون البن . بعد ذلك تنشر البذور من جديد لتجف فى الشمس ، وتعبأ فى الزكائب ، وتحمل الى المخازن لحين ارسالها الى حيث يصنع منها الكاكاو (المسحوق) والشكلاتة .

وهنا تنتهى الزراعة لتبدأ الصناعة . وكثيرا ما تكون بين مزارع الكاكاو ومصانعه البحار الواسعة.

تحميص البذور

وتبدأ الصناعة بتحميص البذور .

وهى تجرى فى محامص لها شكل الطبل ، دوارة. والتحميص عملية دقيقة كتحميص البن أو أشد دقة ، وعمادها الخبرة .

وفى التحميص يخف قشر البذرة ويهش ويصبح التخلص منه سهلا بتيار من الهواء . وينفصل لب البذرة ، وهو أثقل، ومنه يصنع الكاكاو والشكلاتة على السواء .

صناعة الكاكاو

ونقصد المسحوق الذى يباع فى العلب ويصنع منه المشروب المعتاد بغليه فى الماء ثم تحليته .

يسحق لذلك لب البذور سحقا ، بين اسطوانات ثقيلة من الفولاذ . وهذا السحق ، اذ يطحن اللب ، يذيب ما فى اللب من دهن ، هو دهن الكاكاو المعروف ، وذلك بسبب الحرارة التى تصحب السحق ويبرد الناتج فيكون ذا مزاج بين الصلب والسائل .

فهذا يضغط فى عصارات تخرج منه الكثير من دهنه ، ويتبقى منه بعد ذلك مادة تصب فى قوالب لتكون أقراصا ، ومن هذه الاقراص يصنع الكاكاو ، أو الشكلاته .

ولصناعة الكاكاو تطحن هذه الاقراص ، ثم تنخل ، ويعاد طحنها ونخلها حتى تنعم ،ويضاف الى هذا الطحين اللبن الجاف والسكر ، ثم يعبأ



بذور الكاكاو ترش بالماء ،ويدور عليها العمال هرسا بأرجلهم ليذهبوا عن البذور ما جف عليها من لباب ، وهى طريقة تصقل بها البذور كذلك .



العمال يحملون بذور الكاكاو فى زكائب على رءوسهم ، الى قوارب فى الساحل الضحل ، وهذه تحملها الى سفن الشحن فى جوف البحر

فى اكياس من الورق توضع فى علب من الصفيح.

فهذا هو الكاكاو الذى نشتريه من الأسواق ونصنع منه الشراب المعروف .

وهذا الطحين به ١٨ فى المائة فقط من وزنه من دهن ، لأننا لا ننسى أننا فى العصارات اخرجنا اكثر دهن البذور ، وحصلنا على المادة المعروفة تجاريا بزبد الكاكاو Cacao Butter .

صناعة الشكلاتة

وهى صنوف عديدة

نذكر منها الشكلاتة الشائعة المعروفة بشكلاتة اللبن Milk Chocolate .

فهذه تصنع من طحين الكاكاو الذى سبق ذكره، يضاف اليه السكر ، وينخل حتى يصير فى نعومة دقيق الخبز الابيض . ثم يضاف اليه شىء من زبد الكاكاو ، واشياء اخرى تعطيه طعما مستطابا ونكهة ، ثم يعاد هرس كل ذلك حتى يبلغ النعومة الفائقة المطلوبة ، ثم يصب دافئا فى قوالبه ، وتمرر القوالب بعد ذلك فى خزانات للتبريد .

بعدئذ تغلف قطع الشكلاتة فى صفائح رقيقة من الالمنيوم ، وتغلف من بعد ذلك فى الورق .

كيمياء الشكلاتة والكاكاو

ان المادة الناتجة من طحن بذور الكاكاو بعد تحميصها ، تلك التى منها بدأنا صناعة الكاكاو والشكلاتة ، هذه المادة بها نحو ٥٦٪ من الدهن أى زبد الكاكاو ، وبها نحو ١٠٪ من البروتين،ونحو ٢٠ ٪ من السكريات .

وبها عنصر فعال هو الثيوبرومين Theobromine بمقدار نحو ١٫٥ ٪ ، وهو عقار منبه ، وبها من الكافئين شىء بسيط جدا ، ٨ من عشرة آلاف ، وهو المنبه المعروف فى القهوة .

ونلاحظ أن الكاكاو به من الدهن اقل مما بالشكلاتة فهو أسهل هضما . ■■

طرائف عربية

والشعراء يتبعهم الغاوون

● نظر طفيلي الى قوم ذاهبين ، فلم يشك انهم فى دعوة ، ذاهبون الى وَليمة ، فتَبِعَهم ، فاذا هم شعراء قصدوا السلطان بمدائح لهم . فلما انشد كلُّ واحد شعره ، ولم يبْقَ الا الطفيلي وهو جالس ساكت،فقال له السلطان أنشِدْ شعرَك ، فقال : لستُ بشاعر ! قال فمن انت ؟ قال : من الغاوين الذين قال الله تعالى فى حقهم : « والشعراء يتبعهم الغاوون » .. فضَحِك السلطان وأمر لهبجائزة الشعراء ...

البلاغة تؤدى الى السلامة

● حكى عن جعفر الصادق رضى الله عنه ان غلاما له وقف يصب الماء على يديه . فوقع الابريق من يد الغلام فى الطست فطار الرشاش فى وجهه . فنظر جعفر اليه نظر مغضب ، فقال : يا مولاى ، والكاظمين الغيظ .. قال : قد كظمت غيظى ، قال : والعافين عن الناس .. قال عفوت عنك ! قال : والله يحب المحسنين .. قال : اذهب فانت حر لوجه الله الكريم .

حروف المعجم

● حكى ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه واهل مسامرته . فقال : ايكم يأتينى بحروف المعجم فى بَدَنِه ، وله علىَّ ما يتمناه ! فقام اليه سويد بن غفلة ، فقال : انا لها يا امير المؤمنين ! فقال هات ، قال : انف بطن ترقوة ثغر جمجمة حاق فخذ دماغ ذقن رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غبَب (وهو اللحم المتدلى تحت الحنك من الديك والبقر وجمعها اغباب) ، فم قفا كف لسان منخر نغنغة (اى الحوصلة) ، هامة وجه يد ، وهذه آخر حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين . فضحك عبد الملك وانعم عليه وبالغ فى الاحسان اليه .

المهدى

● دخل ابو دلامة على المهدى فانشده قصيدة فقال : سل حاجتك .. فقال يا امير المؤمنين هب لي كلبا ! فغضب الخليفة وقال : « أقول لك سل حاجتك فتقول هب لي كلبا !! » فقال : يا امير المؤمنين : الحاجة لي أو لك ؟ فقال : بل لك . فقال اني اسألك أن تهب لي كلب صيد . فأمر له بكلب . فقال : يا امير المؤمنين ، هبني خرجت للصيد أأعدو على رجلي ! فأمر له بدابة . فقال له يا امير المؤمنين، فمن يقوم عليها ؟ فأمر

من حكم العرب وأقوالهم

- **اذا اصطنعت المعروف فاستره،واذا اصطنع اليك فانشره .**
- **من انكر الصنيعة استوجب القطيعة .**
- **من هان عليه المال توجهت اليه الآمال ، ومن جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل .**

على هامش الطب عند العرب

● يروى عن يحيى بن اسحق ، وكان طبيبا حاذقا ، صانعا بيده ، انه كان جالسا فى دكان وقد مرت عليه جنازة ، فلما نظر اليها صاح : يا اهلَ الميت : ان صاحبكم لم يَمُت ولا يَحِلُ أن تدفنوه » ... ... فقال بعضهم لبعض،هذا الذى يقوله لا يضرنا،ويتعين علينا ان نمتحنه ، فان كان حيًا فهو المراد ، وان لم يكن حيًا فما يتغيرعلينا شيء ! فاستدعوه وقالوا بَيِّن لنا ما قلت . فأمَرهم بالعود الى البيت ،فنزع اكفانه وأدخله الحمّام ، وسكب عليه الماء الحار ، واحمى بدنه ،وتطّله (اى صب على راسه النُطول ، اى الماء الذى تغلى فيه الادويةوالحشائش وينصبُ فاترا) ، فظهر به ادنى حس ، وتحرك حركة خفيفة . فقال ابشروا بعافيته! ثم تَمَّمَ علاجَه الى ان افاق وصحا ، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم . ولما سُئِل بعد ذلك فى الامر فقال : نظرتُ الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدامالموتىمنبسطة، فحدَسْتُ أنه حي، وكان حدسى صائبا !

ان أباكما .. قتيل

● حكي ان شاعرا كان له عدو . فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذا هو بعدوه . فعلم الشاعر أن عدوُه قاتِله لا محالة . فقال له : يا هذا انا أعلم ان المنية قد حضرت . ولكن سألتك الله اذا انت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وقل : « الا ايها البنتان ان أباكما ... » .

فقال سمعا وطاعة . ثم انه قتله ، فلما فرغ من قتله اتى الى داره ، ووقف بالباب وردد ما طلب اليه أن يردده . وكان للشاعر ابنتان تحفظان الشعر ، فلما سمعتا قول الرجل « الا ايها البنتان ان أباكما .. » اجابتاه بفم واحد : « قتيل خذا بالثار ممن أتاكما .. » (وهو عجز البيت الذى ردد صدره) . فأقر بفعلته واعترف بجريمته .

وأبو دلامة

له بغلام . فقال : يا امير المؤمنين هبني صدت صيدا واتيت به لمنزلي فمن يطبخه ؟ فأمر له بجارية فقال : يا امير المؤمنين فهؤلاء اين يبيتون ؟! فأمر له بدار . فقال يا امير المؤمنين قد صيرت فى عنقي عيالا فمن أين لي ما يقوت هؤلاء؟ قال المهدى : اعطوه جريب نخل ، ومالا . ثم قال المهدى : هل بقيت لك حاجة ؟ قال نعم : ان تأذن لي ان اقبل يدك ؟! قال اما هذه فلا !



امريكا والعالم العربى

من صحيفة « النضال » اللبنانية :

● لست ادرى لماذا تستمر السياسة الأمريكية فى الضلال ، مع ان من حسن السياسة العودة عن الخطأ ، والرجوع عن الخطأ فضيلة ، بل هو واجب فى مجال مسؤولية الدولة .

لقد اشترت الولايات المتحدة عداوة العرب بابخس ثمن . اشترتها من أجل ان تقيم دولة صهيونية لم تحصد من جرائها سوى الاضطراب والقلاقل والمشاكل والعداوات . اشترتها دون حق ولا مبرر وبالرغم من ان مصالح الولايات المتحدة ترتبط بدنيا العرب الى حد بعيد .

لقد جربت بريطانيا من قبل سياسة التواطؤ مع الاشخاص على حساب الشعوب ، فكانت النتيجة أن تنكرت الشعوب لهؤلاء الأشخاص وقضت عليهم . ولم تحقق بريطانيا الآمال التى علقتها على أولئك الأشخاص تبعا لذلك ، وهاهى الولايات المتحدة تمضى فى الطريق ذاتها ، وتحاول اليوم الاتفاق مع هيئات تعلم هى قبل سواها ، انها الهيئات التى لا تؤثر على الشعوب وليس لها قيمة فى نظرها .

الفاتيكان واليهود

من جريدة البعث السورية

● اقر المجمع المسكونى المنعقد فى الفاتيكان ،باغلبية ساحقة ، وثيقة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح . وقد نصت الوثيقة كما اوردتها وكالات الانباء العالمية ، على « أن الكنيسة التى ترفض اضطهاد الانسان والتى تدرك التراث المشترك مع اليهود ، والتى لا تحركها أسباب سياسية ، وانما المحبة الروحية للاناجيل ، تندد بالكراهية واظهار اللاسامية ضد اليهود ، وتستنكر اضطهادهم فى جميع الأوقات ومن أى كان . »

ان هـــذه الفقرة تتعلق بمســتقبل اليهود وبمحاولتهم السيطرة على رقاب البشر ، بمقدار ما تتعلق بماضى علاقاتهم مع العالم . واخشى مانخشـــاه أن تضطر الكنيسة الكاثوليكية التى أصبحت مقيدة بهذا النص ، أن تقف الى جانب الصهيونية المجرمة التى احتلت أرضنا فى فلسطين والتى شردت مليون لاجىء عربى ، اذا ما حـــاول العرب رفع الظلم عنهم وتحرير أرضهم الفلسطينية من الاستعمار الصهيونى ، واسترداد حقوقهـــم المشروعة فى املاكهم وبيوتهـــم المغتصبة . وغالب الظن أن هذا ما رمت اليه الصهيونية العالمية من دفع المجمع المسكونى الى اقرار هذه الوثيقة .

المعارض والفنون فى البيئة العـــربية

من صحيفة « الجمهورية » القاهرية :

● ما زالت معارض التصوير الفنية فى بلادناالعربية بلا جمهور .. بلا زوار ، اللهم الا نفر قليل فى يوم الافتتاح ـ قد يأتي بعضهم مجاملا ـ يتطلعون الى اللوحات على عجل ، ولا يبقى من الزوار فى الأيام التالية ـ فى الغالب ـ الا من دفعهم حب الاستطلاع الى ذلك ، أو دخلوا بطريق الخطأ أو للاستمتاع بمجانية الدخول ..

لماذا تبقى المعارض فى حياتنا صرخة فى وادودخانا فى الهواء ؟! هل الفن بالذات نوع من الترف مقصور على فئة او طبقة معينة ؟ ! أبدا .. فالفن متاح للجميع ويخاطب الأذواق كلها ، ولا يتعالى على احد . بل ان وجوده مقصود به ارهاف احاسيس المجتمع ، كل المجتمع ! وفى اوروبا مثلا يحتفى الناس بالمعارض الفنية وكأنها الأعياد ،ويفهمونها وينتقدونها ويتابعونها ويتحدثون عن لوحات فيها حديثهم عن المسرحيات أو الافلام السينمائية الممتازة ..

أدب جبران خليل جبران ورسائله

من صحيفة « فلسطين » الأردنية :

● الأدب فى مفهومنا فن ورسالة . انه فن من حيث هو تعبير عن الجمال . وهو رسالة من حيث هو دعوة الى الحق والخير ، وسائر القيم الاخرى.

والادب ككل فن ورسالة له أدواته ووسائله وله مقوماته ومعطياته ، وله قواعده وطرقه . من أدواته اللغة وسلامة التعبير ، ومن وسائله الذوق والقدرة على التأثير ، ومن مقوماته المعرفة الشاملة ، ومن معطياته ان ينبع من حاجات الأمة وصميم تراث الوطن . ومن قواعده ان يكون سليما بناء ، ومن طرقه السعى الى الكمال .

على ضوء هذه المبادىء ـ التى نؤمن بها ـ نجد جبران خليل جبران فنانا دون شك . ويقتضينا الانصاف أن نقول ان الحنين الى ارض الوطن كان بارزا فى انتاج جبران الخصب ، المتميز بالطبيعة والعفوية ، لا البيئة الاجتماعية ، أو الحضارة المادية التى نشأ ذلك الانتاج فى احضانها .

قضية نزع السلاح

من صحيفة « صوت العرب » العراقية :

● الواقع أن قضية نزع السلاح من القضايا الدولية الخطيرة التى لا تماثل القضايا الدولية الاخرى ، مهما بلغت اهميتها . وهى فى جوهرها قضية ثقة بين الدول . وما دامت هذه الثقة مفقودة تماما فمن المتعذر الوصول الى اتفاق على نزع السلاح ولا سيما بين الدول الكبرى التى تفصل بينها وتفرق عوامل اساسية خطيرة تتناول مصالحها الداخلية والخارجية وتباين الانظمة السياسية فيها .

ان الثقة المتبادلة ما دامت غير متوفرة بين الدول الكبرى وما دامت الشكوك والريبة والتوجس هى السائدة فيما بينها ، فقضية نزع السلاح ستظل حلما عذبا تقصر عن بلوغه هيئة الأمم المتحدة وكل المنظمات والمؤسسات الاخرى المنبثقة عنها .

اسبانيا والصحراء المغربية

من صحيفة « العلم » المغربية :

● ما زالت اسبانيا ، الدولة الجارة الصديقة، تراوغ فى حل مشكلتها القائمة معنا بالطرق الودية السلمية التى تمليها صداقتنا بها . ولقد تجلى موقفها هذا خاصة بعد ان ظهر فى (الساقية الحمراء) من الصحراء الجنوبية مناجم الفوسفات العظيمة والاورانيوم . وهكذا اصبحت اسبانيا الصديقة لا تتحدث الا عن (ايفنى) وحدها وعن (الساقية) وحدها وعن (الدخلة) وحدها .

ولكن اسبانيا مخطئة فى تقديرها . فالصحراء المغربية الجنوبية مغربية بلا جدال . وهاهم ابناؤها وقادتها ينادون بطلب جلاء الاجنبى عنهم ورجوعه عن أراضيهم .

مسابقة العربي

٧ شعراء وجوائز ١٠٠٠ دينار

■ بلغ الشعر العربي فى العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، مرتبة من الروعة والطلاوة ورقة المعاني وعذوبة الالفاظ ما لا يرقى اليه شعر هذه الايام. وقد اخترنا لمسابقة هذا العدد عشر باقات ، تضم كل واحدة منها بضعة أبيات ، لشاعر من أولئك الذين خلدوا على الدهر ذكرهم ، وسيحفظ الزمن على تعاقب الاجيال شعرهم ..

والمطلوب من كل مشترك أن يذكر اسم الشاعر الذى خلف لنا كل باقة من هذه الباقات العشر ، فان لم يستطع فحسبه أن يعرف أسماء سبعة من أولئك الشعراء على الاقل ...

وهذه هي الباقات العشر موضوع المسابقة :

— ١ —

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل فى الارض يألفه الفتى
وحنينه ابدا لاول منزل

— ٢ —

ودَعِ الصبرَ محبٌ ودّعك
ذائعٌ من سرّه ما استودعك
يقرع السّن على أن لم يكن
زاد فى تلك الخطا اذ شيّعك
يا اخا البدر سناءً وسناً
حفظ الله زمانا اطلعك
ان يَطُلْ بعدك ليلى فلكم
بتّ اشكو قصر الليل معك

— ٣ —

فان تسألوني بالنساء فانني
عليمٌ بأدواء النساء طبيبُ
اذا شاب رأس المرء او قلّ ماله
فليس له فى وُدّهن نصيب

— ٤ —

احقا عباد الله ان لست صادرا
ولا واردا الا علىّ رقيب
ولا زائرا وحدى ، ولا فى جماعة
من الناس الا قيل انت مريب
وهل ريبة فى ان تحِنّ نجيبة
الى الفها او ان يحِن نجيب
ولو ان ما بى بالحصى فَلَق الحصى
وبالرّيح لم يُسْمَع لهنّ هبوب
ولو انني أستغفر الله كلما
ذكرتكِ لم تكتَبْ عليّ ذنوب

— ٥ —

ذكرتك والحجيج له ضجيج
بمكة ، والقلوب لها وجيب
فقلت : أتوب يا رحمن مما
جنيتُ ، وقد تكاثرت الذنوب
فأما من هوى ليلى وتركى
زيارتها ، فانى لا أتوب
وكيف ، وعندها رهنا فؤادى
اتوب اليك منها او أنيب ؟

– ٦ –

حيِّ المنازلَ اذ لا نبتغي بدلا
بالدار دارا ولا الجيران جيرانا
لو تعلمين الذي نلقى اوينتِ لنا
او تسمعين الى ذي العرش شكوانا
يا ليت ذا القلب لاقى من يعلله
او ساقيا فسقاه اليوم سلوانا
ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لم يُحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلقِ اللهِ انسانا

– ٧ –

ازَينَ نساء العالمين اجيبي
دعاءَ مشوقٍ بالعراق غريب
كتبت كتابي ، ما اُقيم حروفه
لشدة اعوالي وطول نحيبي
اخطُ وامحو ما خططتُ بعبرة
تسحُ على القرطاس سحَ غروب
ايا فوزُ لو ابصرتِني ما عرفتني
لطول نحولي بعدكم وشحوبي
وانتِ من الدنيا نصيبي فان اَمتْ
فليتكِ من حور الجنان نصيبي !

– ٨ –

زوِّدينا من حُسْنِ وجهك ما دا
م فحُسْنُ الوجوه حالٌ يحول
وَصلينا نصلك في هذه الدنـ
يا فان المقام فيها قليل

– ٩ –

ولقد ذكرتكِ والرماح نواهل
مني ، وبيضُ الهند تقطرُ من دمي
فودَدْتُ تقبيلَ السيوف لانها
لمعت كبارقِ ثغرك المتبسم

– ١٠ –

اما والذي ابكى واضحك والذي
امات واحيا ، والذي امره الامر
لقد كنت آتيها وفي النفس هجرها
بتاتا لأخرى الدهر ما طلع الفجر
فما هو الا ان اراها فجاءةً
فابهت ، لا عرْفٌ لديَّ ولا نكر
وانسى الذي قد كنت فيه هجرتها
كما قد تنسي لبَّ شاربها الخمر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

شروط المسابقة وجوائزها

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ، وضع الاجابة في مغلف واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي – ص.ب ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩١ » .

٣ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز) ١٩٦٦ .

٤ – يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

■■

كوبون مسابقة العدد ٩١



دردشة

لمع وطرف

● يعتبر عملك سرقة اذا استقيت معلوماتك من كاتب واحد ، ويعتبر اقتباسا بل دراسة علمية وافية اذا استقيتها من عدة كتّاب !

● هنالك رجل واحد فقط يستطيع ان يخلق منك انسانا بالمعنى الدقيق ، وذلك الرجل هو انت .

● اذا أردت أن تكشف عن حقيقة رجل ما ، فما عليك الا ان تسند اليه السلطة فى مركز مرموق أو وظيفة عامة مسؤولة .

● الاعترافات الأمينة مفيدة للروح وضارة بالسمعة .

● بالموهبة يعرف الانسان ماذا يعمل وبالثقافة يدرك كيف يعمل . وبالموهبة أيضا يصبح المرء جديرا بالاحترام، أما باللباقة فيصبح محترما.

ولقد شبهوا الموهبة بثروة الانسان وماله ، وشبهوا اللباقة بالمبالغ النقدية التى فى حوزته.

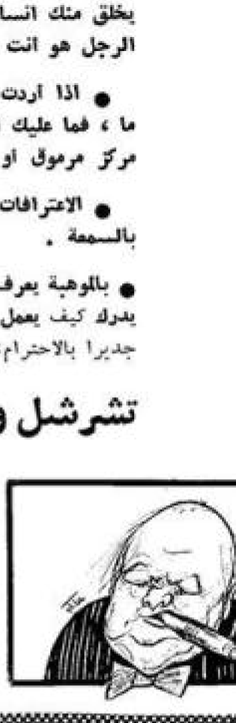
● يسخر الرجل من المراة لاخذها باسباب الزينة ، ولا يذكر انه يقضى وقتا طويلا نسبيا فى تصفيف شعرتين او ثلاثا تعلو صلعته .

● لا تقلق لما قد يفكر فيه الناس عنك ، فهم لا يكادون يفكرون فيك اطلاقا .

● تكاد تقتصر مهمة السياسيين على أخذ مال الاغنياء وأخذ أصوات الناخبين الفقراء . اما حجتهم فى ذلك فحماية مصالح الفئة الواحدة من مطامع الفئة الاخرى .

● القلق هو الفائدة التى يدفعها الانسان ثمنا لمكروه لم يحدث .

تشرشل والجنس اللطيف



● يروى عن ونستون تشرشل ، السياسى البريطانى الراحل ، انه دعا فتاة لتناول طعام العشاء ، وذلك طبعا فى صباه، وفى أعقاب انسحابه من حزب المحافظين وانضمامه الى حزب الاحرار .

ولم تلبث الفتاة أن فاجأته بقولها: « شيئان فيك لا يعجبانى يا مستر تشرشل. شاربك الجديد ومذهبك السياسى الجديد».

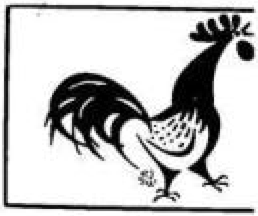
وكان رد تشرشل على ذلك سريعا اذ قال : آنستي العزيزة ! ارجو الا تقلقى ابدا لهذا الشيء أو ذاك . اذ من غير المحتمل ، كما ترين ، أن تتاح لك الفرصة للاقتراب من اى منهما ! .

الاجهاض تجارة مربحة فى كندا

● الاجهاض جريمة يعاقب عليها ، فى كندا وفى بلاد كثيرة غيرها . الا انه جريمة مربحة بالنسبة الى الاطباء الكنديين الذين يقدمون عليها ويجرأون على اجراء عملياتها . بل لعله اربح الجرائم الناشطة فى الخفاء فيها،باستثناء جريمتين اثنتين تفوقانه ربحا هما الميسر وتجارة المخدرات .

الديكة الرومي ، ٦٠٠٠٠٠٠ منها

● هذا ما قدروا ان بريطانيا استهلكته بين عيد الميلاد السالف واول العام .



والديكة فيها الصغير الذى يزن ما بين ٥ الى ٦ ارطال ، والكبير الذى يزن بين ٣٥ و ٤٠ رطلا ، وهذا الاخير للفنادق والحفلات .

والسعر ؟

بين ٤ شلنات و ٣ بنسات وبين ٥ شلنات و ٣ بنسات للرطل . وكان السعر منذ سنوات ٧ شلنات ، ولكن كثرة الانتاج خفضت السعر .

والديكة من احسن صنوف الطيور موردا للكسب ، لسهولة انتاجها النسبي .

تزايد السكان فى انجلترا

● عدد السكان فى كل من بريطانيا وويلز تضاعف اكثر من سبع مرات فى القرنين الماضيين . والآن يتزايد عدد السكان سنويا بمقدار ٩ر. فى المائة فهو اذن سوف يتضاعف فى ثمانين عاما . وانجلترا اليوم ، مع ويلز ، هما ازحم مناطق اوروبا سكانه باستثناء منطقة واحدة فى اوروبا هى بلجيكا .

واليابان شديدة الزحام ، ومع هذا ، فانجلترا وويلز اشد من اليابان ازدحام سكان ، بمقدار ٢٣ فى المائة .

ان مسالة السكان فى بريطانيا مسالة ملحة ، وهى بينة ، وهى لا مفر من مواجهتها .

كان فى بريطانيا فى عام ١٩٦٥ من السكان ٥٣ مليونا .

وان بريطانيا سيكون بها فى عام ٢٠٤٥ من السكان ١٠٦ ملايين .

وشيكون بها فى عام ٢٢٠٥ من السكان ٢٤٤ مليونا ؟

كيف تتضاعف الاموال بلا عناء

● حساب الفائدة المركبة حساب عسير كما لا يخفى . يكفيك ان تعلم بأن المال يتضاعف ضعفين فى غضون سنوات تقل أو تزيد تبعا للفائدة المركبة، كالتالي :

٤٪	١٨ سنة
٥٪	١٤ سنة
٦٪	١٢ سنة
٨٪	٠٩ سنوات

عَزيز عَلي المِصْري "باشا"

أبو الفِكرة العربيَّة وحامِل لوائها

في ذِكراه الأولى

بقلم : البدوى الملثم

■ كانت حياة الفريق عزيز على المصرى (باشا) سلسلة من الثورات والمغامرات العسكرية والانتفاضات الوطنية وقد امتاز بقوة شخصيته وشجاعته وايمانه بوطنه العربى الكبير .

وُلِد عزيز على بالقاهرة حوالى (١٨٨٠ هـ) فنشأ مع طلائع الثورة العرابية (١) وبعدما أتم دراسته الثانوية فى المدرسة التوفيقية غادر مصر الى الأستانة ، وليتخرج فيها ضابطا ظل يذكر المصائب التى صبَّ جامها الاحتلال البريطانى على شعبه انتقاما من ثورة عرابى وتصفية رجالها.

اول الغيث

وبعد أن عاش عزيز على سنوات فى الكلية الحربية بالأستانة أحس بكُره السلطان ، ومقت طغيانه ولمس الفساد مستشريا فى بطانة الخليفة العثمانى، وتعرف بالعناصر الثورية من زملاء دراسته أمثال مصطفى كمال وعصمت اينونو وياسين الهاشمى وسليم الجزائرى وغيرهم ، فصمم فى قرارة نفسه على أن يقف فى وجه الظالم ويحدّ من عبادة ذلك الصنم الجاثم على البوسفور .

الى البلقان

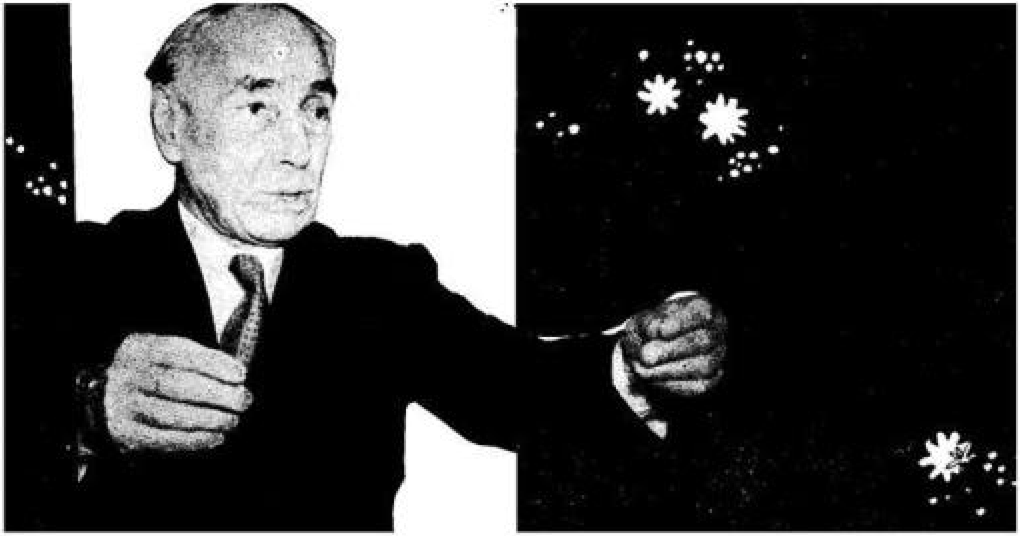
وبعد أن أكمل عزيز على المصرى دراسته فى الكلية العسكرية عُهِد اليه بقيادة الجيش العثمانى لقمع ثورة البلقان والاجهاز على العصابات البلغارية ، فأبلى بلاء حسنا واستطاع ان يجعل من هذه العصابات انصارا لفكرة الحرية بحُسن معاملته الأسرى ومنع جنوده من الاعتداء على النسوة والاطفال فى القرى البلغارية خلافا لِما كان يفعل غيره من الضباط ، ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت العصابات البلغارية على علاقة حسنة باحرار العثمانيين واصبح ـ ساندانسكى ـ زعيم العصابات البلغارية من أخلص اصدقاء عزيز على ومثله الدكتور ـ منيلاوس ـ الزعيم اليونانى المعروف .

فى جمعية تركيا الفتاة

وعند اياب عزيز على من حرب البلقان شارك مصطفى كمال وعصمت اينونو فى تكوين جمعية ـ تركيا الفتاة ـ التى ضمت بين صفوفها من

---

(١) نسبة الى احمد عرابي (باشا) (١٨٤١ ـ ١٩١١) الذي تزعم ثورة الجيش المصرى (١٨٨٢) للقضاء على النفوذ الاجنبى ثم قاده ضد القوات البريطانية الا ان الخيانة تسربت الى صفوفه فهزم وحكم عليه بالاعدام ثم ابدل بالنفي الى سيلان .



العسكريين والمدنيين كلٌ مَن يمقت عبد الحميد وفسادَ بطانته ، وبعد أن كثر فيها الاعضاء العرب تغير اسمها الى جمعية ـ الاتحاد والترقي ـ وشمل برنامجها كافة الاقطار الاسلامية الخاضعة للحكم التركي ، وأول أهدافها : « صدور دستور يمنح بموجبه السلطان الحكم الذاتي للشعوب الاسلامية » .

وكانت أول مظاهر ثورية عزيز علي عندما قاد قواته في استانبول يوم ٢٣ تموز ١٩٠٨ وحاصر عبد الحميد في قصره وأرغمه على اصدار الدستور والغاء الرقابة والافراج عن المعتقلين السياسيين وبذلك ربحت جمعية ـ الاتحاد والترقي ـ تأييدا شعبيا دفع باعضائها الى مقاعد البرلمان والحكم .

وكان هذا من عبد الحميد مجرد انحناء للعاصفة التي اجتاحته ريثما يتمكن من ضرب المتمردين .

وفي ١٣ ابريل (نيسان) ١٩٠٩ قام السلطان بانقلاب ضد الحكم الدستوري استهله باعتقال عزيز علي المصري وبعض رفاقه في زحف حامية استانبول الموالية له على البرلمان وذبحت بسيوفها النواب الاتحاديين .

نخوة عربي حر

وتناهى نبأ الانقلاب الى الضابط العراقي الحر محمود شوكت قائد حامية سالونيك ومن اخوان عزيز علي فأسرع بالزحف على استانبول واطلق سَراح عزيز علي من سجنه وأخذ يطارد حامية الاستانة بينما قصد عزيز علي بجنوده قصر يلدز فقبض على السلطان وصحبه وبعث بهم في قطار خاص الى معتقله في سالونيك واعلن خلعه .

الجمعية القحطانية

وتسلم الاتحاديون مقاليد الحكم ونهجوا به نهجا تعسفيا متجاهلين مطالب العرب المدونة في بيان جمعيتهم، فهب عزيز المصري باشا في وجوههم وأسس جمعية عربية خالصة باسم ـ الجمعية القحطانية ـ (١) وهدفها « استقلال البلاد العربية وتوحيدها » الا أن عسس الحكومة احدقوا به ، فشتت أعضاؤها وأقام عزيز علي يوم ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٣ على انقاضها جمعية عربية سياسية أسماها ـ جمعية العهد ـ بعد ما ضم اليها نخبة من الضباط العرب في الجيش العثماني . ولقد احدث انشاؤها ضجة كبرى في دوائر الاستانة لِمَا تميز به منشئها من الصلابة والقوة ، وامتدت فروعها الى بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة .

وبتحريض من كبار الضباط الاتراك نقل عزيز

---

(١) كانت الاشارة الرمزية بين اعضاء الجمعية هي ان يضغط المُسَلِّم على احد اصابع يد المُسَلَّم عليه ثم يضع السبابة والوسطى على الذراع الايسر ويخفي بقية الاصابع ويهجي كلمة (هلال) عند المحادثة فاذا قال الاول (هاء) قال الثاني (لام) ثم يقول الاول (ألف) فيقول الثاني (لام) .

علي الى جهات اسكوب فعرف كيف يعزز سيطرة الاتحاديين ويبسط نفوذهم عليها ، حتى استطاع ان يعلن الدستور العثماني هناك قبل ان يعلنه أنور ونيازي في منطقتها ببضع عشرة ساعة ، وكانت المنطقة التي تولاها هي الملجأ الامين للاحرار، فبعد ان طير أنور ونيازي برقية التهديد الى السلطان عبد الحميد ، وعلما بتجريد قوات كبيرة لمحاربتهما لاذا بالمنطقة التي يسيطر عليها عزيز علي واجتمعا به سرا وتداولا معه امر مايجب عمله، فقررايهم على ان وصول القائد الذي ارسله عبدالحميد حيا الى سالونيك يكفي وحده لقمع حركتهم الدستورية والاجهاز عليها ، لذلك قتل رسول السلطان ، عند نزوله من القطار في محطة سالونيك .

في اليمن

ولما شق اليمنيون عصا الطاعة على الخليفة العثماني وغلبوا جنده في معركة جيزان وانقطعت عنهم المؤن والذخيرة بسبب الحرب الطرابلسية رأى عزيز على ان الحكمة تفرض عقد صلح مع الامام يحيى حميد الدين ، فوفق الى صلح ظل العرب والدولة العثمانية يجنون ثماره حتى اواخر الحرب العالمية الاولى .

في ليبيا

ودفعته حميته الصادقة الى ليبيا في الغرب وتمكن بالرغم من قلة جنده ونفاد المال من يده من وقف الايطاليين على الساحل زمنا طويلا ، ولما ضاق هؤلاء ذرعا بجهاد عزيز علي فيهم وتغلبه عليهم جنحوا الى رشوة السلطان فامر هذا الجيش العثماني والمتطوعين بالانسحاب من ليبيا والعودة الى تركيا، لكن القائد العربي رفض العودة واستمر يقاتل الاعداء حتى دحرهم وتغلب عليهم ، وقد شهد له اعداؤه بالتفوق في ميادين القتال وكتبت المجلات العسكرية الالمانية تقول : « ان معركة ١٦ يونيو ١٩١٢ التي انتصر فيها عزيز علي المصري على الايطاليين هي من وجهة الفن العسكري «كمعركة» كالتي انتصر فيها هنيبال على الرومانيين ! ولا يزال العسكريون يتخذونها نموذجا لحسن القيادة » .

حكم بالاعدام

وعاد عزيز علي الى الاستانة وبينما كان يهم صباح ٩ فبراير (شباط) ١٩١٣ بمبارحة منزله باغته ضباط الشرطة السرية ونقلوه عنوة الى قيادة الشرطة واودع السجن دون أي تحقيق ،وما ان ذاع نبأ سجنه حتى توالت الاجتماعات وسارت المظاهرات احتجاجا على اعتقاله في عاصمة الخلافة العثمانية والمدن العربية الكبرى ، وازاء هذه المشاعر اعلنت السلطات المسؤولة انه معتقل رهن التحقيق .

وفي الخامس والعشرين من آذار ١٩١٣ جرت محاكمة عزيز علي سرا بتهمة الخيانة العظمى ، وفي أول ابريل (نيسان) حكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص ، وهنا اثار هذا الحكم الجائر ثائرة العرب فقامت مظاهرات الاحتجاج في كبريات المدن العربية وتألفت في القاهرة لجنة للدفاع عن الثائر العربي الحر برياسة شيخ الازهر الشريف ، وقامت الصحافة العربية وعلى الخصوص في مصر بحملة عنيفة على المسؤولين الاتراك ونددت بالحكم وطالبت باطلاق سراحه ، وازاء ضغط الرأى العام العالمي اذعنت الحكومة العثمانية وانزلت عقوبة الاعدام الى السجن خمسة عشر عاما ، لكن الرأى العام ورفاق عزيز علي رفضوا هذا الحل واقتحم السجن ثمانون من الضباط واخرجوه عنوة ، فاستقط في يد السلطان عبد الحميد فلم ير بدا من معالجة الامر بالحكمة وفي ٢١ ابريل (نيسان) اصدر ارادته بالعفو عنه شريطة ان يغادر تركيا الى مصر فغادرها الى القاهرة لتستقبله مدينة الاحرار بالحفاوة والحماس والاكرام .

لم يقف عزيز علي عند هذا الحد من جهاده بل عمد الى تاليف جمعية سرية سياسية اخرى باسم «القحطانية» للعمل ضد الخونة والعملاء واعد منشورا بعث به الى سائر الاقطار العربية جاء فيه :

جمعية فدائية

« أيها العرب ! اعلموا أنه قد تأسست جمعية فدائية لقتل كل من يقاتل العرب ويقاوم مبدأ الاستقلال التام وتأليف دولة عربية تعيد سالف مجدنا الغابر ، وستبدأ عملها بازالة وجود بعض الثعالب المتزلفين من العرب الذين كانوا ولا يزالون

سببا لدوس حقوق العرب تحت اقدام اولئك السفاكين الاتراك ! » .

ودب نشاط هذه الجمعية في الاستانة وبعض العواصم العربية ووقعت بعض الاغتيالات في دمشق وبيروت واستانبول ، وقابل العثمانيون هذه الحركة بالقمع والشدة ، فنصب جمال السفاح اعواد المشانق في بيروت ودمشق واعدم زهرات من رجالات العرب العاملين في الحقل الوطني ، وفي عدادهم بعض زملاء عزيز علي في جمعيتي (العهد) و (القحطانية) امثال عبد الحميد الزهراوي وسليم الجزائري ، وصدر حكم على عزيز علي وعلى عشرات من رفاق الجهاد اللاجئين بالقاهرة بالاعدام غيابا .

اول من لبى النداء

وفي التاسع من شعبان ١٣٣٤ اى ١٠ يونيه (حزيران) ١٩١٦ اعلن الحسين بن علي شريف مكة المكرمة الثورة على الاتراك وقيام الدولة العربية فخف عزيز علي الى جدة واجتمع بالشريف الثائر وعاهده على قيادة الجيش العربي واعداده للقتال ، لكنه سرعان ما لمح الاصابع الانكليزية تلعب من وراء ستار فعاد الى القاهرة ليقبض الانكليز عليه وينفوه الى اسبانيا ، ومن هناك فر أبو الحركة العربية الى برلين سيرا على قدميه وعمل استاذا في كلية اركان الحرب هناك . وبقي فيها الى ان سمح له بالعودة الى مصر عام ١٩٢٤ .

المعلم المثالي

وفي عام ١٩٢٨ عين عزيز علي مديرا لمدرسة البوليس والادارة المصرية وظل فيها حتى اوائل ١٩٣٦ ، وخلال عمله ادخل على المدرسة نظما مثالية ، من ذلك نجاحه في جعل الطلاب يقدسون الامانة والشرف والصدق اذ حظر عليهم اغلاق دواليب ثيابهم ... فليس هناك من يسرق ممن سيحاربون السرقة بعد تخرجهم ، وحظر كذلك وجود المراقبين في الامتحانات متخذا من ضمير الطالب رقيبا يمنعه من الغش . وحض تلاميذه على مطالعة كتب السياسة والتاريخ والاقتصاد وتلخيصها والقاء المحاضرات فيما قراوه ، تعقبها المناقشات ، ودرج على دعوة رجال الفكر والتاريخ والقانون ليحاضروا الطلاب بما يفيدهم ، واختار « الصقر » شعارا لطلبته ولا يزال شعارا لطلاب مدرسة البوليس المصري .

عزيز المصري عندما كان ضابطا بالجيش التركي وقد أشير اليه بعلامة × بين زملائه ومن بينهم أنور باشا القائد التركي المشهور





وفى عام ١٩٢٧ عين مفتشا للجيش المصرى خلفا لسفنكس (باشا) وكان بذلك أول مصرى يتولى هذا المنصب ، غير انه اصطدم بالانكليز فجمدوا صلاحياته فبادر الى عقد مؤتمر صحفي فى فبراير (شباط) ١٩٣٩ قال فيه :

« انى لا أعلم أن القانون يجيز تعطيل عمل الموظف ، فهذا الموظف هو ملك للدولة وأنا لا افهم ان يحددوا اختصاصاتي ويمنحوني الحرية في حدودها » .

فى الحرب العالمية الثانية

وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية حاول عزيز علي مع اثنين من سلاح الطيران المصرى الافلات من مصر بطائرة حربية الى المانيا ليعمل ضد الاستعمار البريطانى.لكن الطائرة سقطت بهم فوق حديقة للبرتقال بقليوب فأسرع عزيز على بالاختفاء ، وهنا هز الحادث السلطات المصرية والبريطانية،فرصدوا مكافأةضخمة لمن يدل عليه . وصدفة عثر البوليس السياسى عليه بمنزل في امبابة فاعتقل وأودعَ السجن وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى .

اين الامة المصرية

وفى اول جلسة لمحاكمته التفت الى القاعة وكان اكثر مقاعدها خاليا وصاح قائلا :

« اين هي الامة المصرية ؟ هل هؤلاء كل البلد ؟ هل انا متهم بسرقة بسكليت او طائرة ؟ انا اريد ان يمنح الدفاع نصف تذاكر الدعوة للجلسة الآتية على الاقل حتى يحضر الشعب الى هنا ويعرف حقيقة هذا الرجل اطيب أم لا ! » .

وفى الجلسة الثانية اشتد عليه المرض وقرر الطبيب راحته فرفض بعناد واباء قائلا :

« انا صالح للمحاكمة وقادر عليها ، المهم سلامة الراس والفكر ، وقديما كان بعض المفكرين يلقي بافكاره ويدلي بنظريته وآرائه وهو مصلوب على الجدران او معلق فوق الاشجار ! » .

وتعثرت جلسات المحاكمة وبفضل ثورة الرأى العام العربي توقفت المحاكمة ، وفى مارس (آذار) ١٩٤٢ افرج عنه لكن الانكليز خفوا لاعتقاله حيث ظل فى سجن القاهرة الى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . ومنذ اطلاق سراحه حتى قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اعتقل عزيز علي عدة مرات .

فى حرب السويس

واثناء أزمة السويس قاد الفريق المصرى كتائب التحرير ووضع كتابا من ٦٤ صفحة صور فيه كيفية قتل البرابرة البريطانيين .

وفاتـه

ومن مفارقات القدر أن يموت (عزيز) مصر والعالم العربي فى ١٥ يونيه (حزيران) ١٩٦٥ بعد ان انتهى من تسجيل ذكريات حياته الحافلة بصوته ليبثها مذياع القاهرة فى اول تموز ١٩٦٥ .

ومشت مصر وممثلون عن العالم العربي فى تشييع جنازة الفقيد واشترك فى وداع الفقيد الكبير الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ونوابه وكبار رجال الدولة ، واحيط جثمان فقيد العروبة بعلم الجمهورية العربية المتحدة ووضع فوق عربة مدفع بلفت به جامع شركس حيث اقيمت الصلاة على مجاهد ادى للعرب ولقضيتهم الكبرى اجل الخدمات واسمى التضحيات .

كان عزيز علي قدوة لجميع عارفيه فى كل شيء، ولم يذكر احد انه رآه يشرب الخمر او يلعب الميسر أو يندفع وراء الملاذ او يكذب على احد او يخل بوعد او يتملق كبيرا . وكان يوزع ريع املاكه فى مصر على المحتاجين من الضباط والطلبة فى الاستانة ، ويبذل كل جهوده لترقية اخلاقهم ومكافحة مباذلهم بكل رفق وكياسة ، ويشرح لهم الاخلاق الفاضلة ويعلم اصدقاءه آداب السلوك وحسن الذوق ، بمثله الصالح اولا ثم بالقول والفعل .

وكانت علاقته بشبان (المنتدى الادبي) علاقة المعلم بتلامذته او الاب ببنيه ، ليبث فيهم الفكرة العربية والروح الوطنية والاخلاق الكريمة الفاضلة ، ويعلمهم تاريخ العرب فى مختلف عصوره ، موضحا ما فيه من مفاخر وامجاد ، سواء فى العلوم والفنون والآداب او فى السياسة والادارة والحرب وسائر مظاهر الحضارة من اكتشافات واختراعات ! ■■

(البدوى الملثم)
عمـان . الاردن .

الألوان والناس

هَلْ تَدْرِى أَىّ الأَلوان أَرْوَح لِنَفْسك ؟

وَهَلْ تَدْرِى أَىّ الألوان أَوْضَح لِبَصَرك ؟

وَهَلْ تَدْرِى أَىّ الأَلوَان تجتمع فتنسَجِم مَعًا ؟

■ كل شخص يتأثر نفسانيا بالألوان دون أن يشعر .

وقد اكتشف العلماء حقائق كثيرة عن رد الفعل الذى تحدثه الألوان فى نفوسنا . والناس يختلف تأثرهم بالالوان ، وهم لا يشعرون .

وهذه الابحاث على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لمصممى الوان المنسوجات والاقمشة لكى يتمكنوا من الحكم على أذواق الناس ، وعلى الحالة فى الأسواق التى يعرضون فيها منتجاتهم .

الرغبة فى تغيير الالوان

ان معظم الناس مثلا لا يشترون قماشا من نفس اللون مرتين . فالرغبة فى تغيير الالوان رغبة طبيعية تشبه تماما الرغبة فى السفر الى الاماكن التى لم يرها المرء من قبل !

الالوان .. والحرارة

من امثلة ذلك استخدام الالوان من ناحية السيطرة على درجة الحرارة ، فعلم الفزياء يعلمنا أن الالوان الفاتحة تعكس الضوء المشع البراق ، بينما تمتع الالوان القاتمة هذا الضوء . وعلى هذا الاساس يمكن التحكم بصورة فعالة فى درجات الحرارة . فالسفينة المطلية باللون الابيض فى مياه المناطق الاستوائية تنخفض درجة الحرارة بداخلها عشر درجات على الاقل، بينما ترتفع درجة الحرارة بهذه النسبة داخل السفينة المطلية باللون الاسود . ولذلك نجد أن اللون الفاتح يناسب تماما عربات الأطفال وخاصة فى فصل

الصيف ، فهو يوفر للطفل راحة لا يجدها فى اى عربة أخرى مطلية بلون غامق .

اما اذا انتقلنا الى علم النفس،وجدناه يعلمنا، فيما يعلم ، أن اللون الاصفر لون تستطيع العين ان تتركز عليه تركزا تاما ، بينما تجد العين صعوبة فى التركيز على اللون الازرق ، فالأشياء تبدو وهى زرقاء ملطخة ومحاطة بهالات .

كذلك يعلمنا علم النفس ان انسب الألوان للنظارات هى الزجاج الشفاف ، والأصفر ، والأخضر فالمائل الى الصفار، وان النظارة الصفراء تساعد على الرؤية وتمكن العين من تقدير المسافات. ولكننا نجد الكثير من الناس لا يميلون الى اللون الأصفر والأخضر بالرغم من المزايا التى لهذين اللونين .

وهناك علاقة نفسية بين الألوان ودرجة الحرارة، غير تلك الحرارة الفزيائية التى يدل عليها الترمومتر . فاللون الأصفر لون دافىء ، يشعر الناس بالدفء ولو كذبا ، ولعل ذلك ، راجع لانه يقترن بلون الشمس ، بينما نجد اللون الداكن لونا باردا ، فى حس الناس ، ولعل ذلك لانه يقترن بالضباب والمطر .

حدث مرة ان قامت احدى الشركات المعروفة بطلاء جدران غرفة الاستراحة لموظفيها باللون الرصاصي والرمادى . وكانت الغرفة مكيفة الهواء ودرجة الحرارة فيها ثابتة غير متغيرة ، وبالرغم من هذا فقد شكا الموظفون من البرد الذى يشعرون به فى الغرفة !

وكان ان امرت الشركة باعادة طلاء الغرفة من جديد باللون البنى والبرتقالى ، وعندئذ عاد الدفء الى الموظفين ، بالرغم من ان درجة الحرارة بقيت ثابتة لم تتغير فى الحالتين .

الألوان ، بين وضوح الرؤية ، وراحة العين

ونضرب مثلا باللون الأحمر ، فهو يستخدم دائما فى ابراز الأشياء بسبب وضوحه للعيان ، ولكنه اول لون يذبل ويختفي فى الضوء الخافت .

وقد تنبه العلماء ايضا الى حقيقة اخرى بالنسبة للون السبورة الأسود والطباشير الأبيض فقد وجد ان هذين اللونين يسببان تعبا للعينين ، وبناء عليه فقد رؤى استبدال السبورة السوداء باخرى خضراء بعد ان لوحظ ان هذا اللون الاخضر الجديد يساعد على القراءة بسهولة ، ولا يسبب نفس القدر من الجهد للعينين الذى تسببه القراءة على السبورة السوداء .

وتمشيا مع هذه الفكرة ، فقد تغير الوان احواض الغسيل فى البيوت ، وهي بيضاء ، وماكينات الحياكة ، وهي سوداء ، الى الوان اشهى للعينين . ولقد طبقوا هذا فى بعض المصانع، فلم لا يطبقونه فى البيوت ..

الجمع بين الألوان ، أيها أنسب

انك عندما تجمع الالوان تحت ضوء واحد ، تجد ان اكثرها وضوحا هو الأصفر . ويفسر لنا هذا ، لماذا يعطينا امتزاج اللونين الأسود والاصفر اجمل تناسب . يليهما فى المرتبة الثانية الاخضر والابيض .

ثم الاحمر والأبيض .

ثم الازرق والأبيض .

الالوان واحجام الأشياء

والالوان لها تاثير على حجم الأشياء ، فالشيء المطلي باللون الأحمر يبدو اكبر من حجمه الحقيقي . بينما نجد ان النتيجة عكس هذا بالنسبة للون الأزرق . اما الاشياء الصفراء فهي تبدو اكبر الأشياء اطلاقا .

يليها البيضاء فالحمراء فالخضراء ثم الزرقاء .

واخيرا السوداء التى تبدو أصغر منها فى اى لون آخر .

عمى الألوان

وهناك عدة انواع من عمى الالوان ، فبعض الناس لا يستطيعون تمييز اللون الأخضر ، بينما نجد فريقا آخر يعاني بعض المتاعب بالنسبة للون الأحمر وهكذا؟ . وتبلغ نسبة عدد الرجال المصابين بقصور فى التمييز بين الالوان حوالي ١٠٪ .

والغريب ان عمى الالوان وراثي ، وقد تورثه الام الطبيعية لطفلها دون ان تكون هي مصابة به !

الألوان واثرها فى اشتهاء الطعام

ويكاد يكون كل فرد منا حساسا بالنسبة لالوان الاطعمة التي تقدم اليه ، واللون الاحمر يجذب المرء اكثر من اى لون اخر ، ونجد ذلك فى قطعة اللحم البقرى ، والبرتقالة يشتاقها الانسان اكثر وهي حمراء ، واقل وهي صفراء .

اما اللون الازرق فى الاطعمة فلا يفتح شهية احد اليها .

الألوان وامزجة الناس

ولو اننا انعمنا النظر قليلا لوجدنا ان هناك اوجه شبه كثيرة بين الالوان والعبارات . فاللون الاحمر يقترن بالعاطفة ويرمز الى الاثارة . بينما يرمز اللون الازرق الى الحزن والكآبة . والالوان تؤثر على الناس وتكشف عن طبيعتهم سواء ارادوا ذلك ام لم يريدوا ، فانتعاش العين يؤثر بالتالى على الجهاز العصبي والالوان الدافئة والاضواء الصارخة تؤدى الى ارتفاع فى ضغط الدم .

كذلك نجد ان الشخص الانطوائي يفضل اللون الازرق والالوان الرزينة بصفة عامة . اما الشخص الودود المسالم فيحب اللون البرتقالي .

والشخص المتزن الحكيم يختار اللون الاخضر ، اما الشخص المحافظ فيحب ايضا اللون الازرق ، بينما نجد اللون الارجواني هو اللون المحبب للشخص المغسط الذى يتعالى على الناس لانه يتصور انه احسن منهم !

اما الذين يفضلون اللون الاصفر فهم احد شخصين على طرفي نقيض ، فاما ان يكون شخصا يتمتع بمقدرة ذهنية كبيرة ، واما ان يكون متخلفا ذهنيا !

واللون الاحمر هو اللون المفضل دائما بالنسبة لذلك الفريق من الناس الذين يهتمون بدنياهم اهتماما شديدا ، وهؤلاء يتميزون بالسرعة فى الحكم على الاشياء والسرعة فى العمل ، وهم معرضون احيانا للمتاعب ، ولكنهم لا يبالون بها كثيرا .

هذه آراء خذها فى اجمالها .

ولكن لا تنس دائما ابدا ، ان الانسان تعلم مقاييسه من الجمال ، والفته للالوان ، ووزنه لها ، انما من الطبيعة نفسها ، فيما ياكل اذا اكل ، وفيما يخطو بين مروجها واشجارها ، وفيما يرى من تقلب عناصرها بين سماء تغيم قاتمة ، ثم تصحو زرقاء ، وشمس تطلع حمراء ، فتتوسط السماء صفراء ، ثم تغرب شهباء ، وبين ليل ينطوى ، يليه نهار ، يعود بدوره الى انطواء.

■■

اقوال مأثورة وحكم

- اربعة تؤدى الى اربعة : الصمت الى السلامة ، والبر الى الكرامة ، والجود الى السيادة ، والشكر الى الزيادة .
- من ساء تدبيره اهلكه جده ، ومن قعد عن حيلته اقامته الشدائد ، ومن نام عن عدوه ايقظته المكايد !
- من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ، ومن طلب الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما !
- كل امرىء يُعرَفُ بقوله ، ويوصف بفعله ، فقل سديدا ، وافعل حميدا !
- مَنْ عرف شأنه وحفظ لسانه ، واعرض عما لا يعنيه وكفَّ عن عرض أخيه دامت سلامتُه وقلت ندامتُه .
- مِنْ تمام المروءة أن تنسى الحق لك ، وتذكر الحق عليك ، وتستكبر الاساءة منك . وتستصغرها من غيرك .

أنباء الطب والعلم والاختراع

يد اصطناعية لفاقد اليد

● وما اكثر ما يفقد الرجال ايديهم فى حرب ، او حادث ، او فى مرض .

واليد الجديدة يلبسها الرجل على طرف ذراعه المقطوعة فتظهر كأنها يد طبيعية . ولكن المهم أنها تعمل عمل اليد من حيث أنها تقبض على الأشياء ، ثم هى ترخي، وذلك بارادة الرجل لابسها. ووسيلة ذلك الكهرباء .



ففى داخل هذه اليد الاصطناعية محرك يَجرى بالكهرباء ، يفعل فى أصابع اليد فتقبض على الشىء المطلوب . وهو هنا فى الصورة سماعة تلفون .

ولكن من أين يستمد المحرك كهرباءه؟ من بطارية صغيرة توضع فى جيب الرجل.

وكيف يبدأ المحرك العمل ؟ انه متصل بأسلاك الى أعصاب تلك اليد المقطوعة ، تلك الأعصاب التى كانت تأتى الأوامر عن طريقها ، تيارا كهربائيا ، الى عضلات اليد الذاهبة ، فتنقبض . هذه الأعصاب نفسها تعمل كما لو كانت اليد لم تقطع. تأتيها ارادة الرجل كهرباء، فتحرك المحرك الكهربائى فتقبض الأصابع . وقوة القبض هنا أقصاها ٨ أرطال .

كل هذا واضح فى الصورة . وتجد المهندس المخترع فى الصورة ، وقد لبس على يده اليسرى ما يشبه الجهاز كاملا عندما يلبسه الرجل الأقطع . والمهندس فى الصورة ليس بأقطع .

مقبرة المانية تذكر بمقبرة توت عنخ آمون الفرعونية



لقد كانت تلبسه الاميرة فى حياتها وهو مؤلف من لآلىء ، وانواط ، ونقود

● نعم تذكر بها ، وهيهات .

وقع هذا الكشف بمدينة كولونيا ، فى كاتدرائيتها الشهيرة . كان العمال يحفرون فى ارض الكاتدرائية ليصنعوا قبوا جديدا . ولما بلغوا من الارض عمق خمسة امتار ، دقت معاولهم حجرا ، ظهر انه بلاط عظيم . ورفعوا ، ووجدوا من تحته فجوة ، دلّوا فيها المصابيح ، فاذا بهم يكشفون كشفا عظيما . انه مرقد للموتى ، طوله ٣ امتار ، احيطت جوانبه ببلاط التحمت اطرافه التحاما جيدا آذن بان ظل ما احتواه هذا المرقد ، او ان شئت فالقبر ، على نفس الترتيب الذى ترك عليه يوم اغلاقه .

اما الذى احتواه القبر ، فرميم من جثة امرأة ، غاية فى الصغر ، قد لا يكون زاد طولها على متر وأربعين سنتيمترا ، ماتت فى نحو الثلاثين من عمرها . ونظر علماء الآثار فيما احتوته الحجرة غير ذلك من اشياء ثمينة وضعت الى جانب الجثة ، ومن جواهر عديدة ، ومن فن بذل فى صناعتها ، واستنتجوا صادقين ان هذه المقبرة انما هى مقبرة اميرة ، وان الذى اودع فيها من اشياء انما أودع وصلا لعادة فى التاريخ قديمة ظلت باقية فى اوربا الى نحو القرن الثامن الميلادى .

وفحصوا فعرفوا أن الأميرة ، اميرة من الأسر الملكية الميروفنجية Merovingien وهى الأسرة « الافرنجية » الأولى Frances التى زحفت من شمال اوروبا على فرنسا وحكمتها قرونا ، وكان اول ملوكها « كلوفيس Clovis » .

ووجدوا فى المقبرة نقودا من ذلك العهد ، عرفوا منها انه عهد الملك ثيودبيرت الاول Theudebert I ، وهو حفيد الملك كلوفيس ، وقد ملك كولونيا وهذا الجانب الشرقى من الامبراطورية الميروفنجية ، وكانت تسمى استرازى Austrasie .

والى جانب هذه المقبرة كشفوا عن مقبرة أخرى ، لم تمسها يد قبل الآن ، تربة بالذى فيها ، بها رفات طفل فى نحو السادسة من عمره . وقد وجدت هذه الرفات فى سرير أمكن اعادة تركيبه فاكتمل كل الاكتمال ، وكان الى جانبه مقعد صغير ، وخوذة بقدر رأسه ، واسلحة ولكن باطوال الرجال . وكذا جواهر . والى يسار الرفات كان ساق من خشب مزوق قال علماء الآثار الالمان انه صولجان . والظاهر ان هذا الطفل كان من بعض سلالات الملوك كذلك .

ولقد افاد هذا الكشف العلماء معرفة عن عصر « الفرنج » Frances ، عن مقدار علمهم وصناعتهم ، وتقدمهم ، وعن شىء من عاداتهم .



سرير الأميرة الصغيرة ، وقد وجدوه كاملا لم تمسه يد عابث



مشابك لزينة النساء وحلى .

ومن الفرنج اخذت فرنسا اسمها ، وجاء اسم نقدها وهو الفرنك . ونحن العرب سمينا اهل الغرب الافرنج ، وما كلهم بذلك اذا تحرينا الدقة.

واستطرادا في التاريخ النافع نقول ان الأسرة الميروفنجية انتهى حكمها في منتصف القرن الثامن الميلادي ، وخلفتها اسرة الكارولنجية ، وكان اكبر ملوكها - وهنا ندخل في التاريخ المحقق المكتوب - الملك شارلمان Charlamagne ، صاحب هرون الرشيد . وشارلمان معناها شارل الكبير ، وهو حكم دولة الافرنج ما بين عام ٧٦٨ الى عام ٨١٤م، وقد نصبه البابا امبراطورا للامبراطورية الرومانية المقدسة .

وبموته في عام ٨١٤م انشطرت دولته الى أجزاء ثلاثة . كان الجزء الغربي منها مملكة فرنسا . ففي هذا التاريخ كان مولد فرنسا .

ولكنها كانت مملكة ، وكان ملكها ملكا بالاسم فقط . فالحكم كان اقطاعيا . والحكم كان منقسما على حكام سادة محليين ، سمتهم لوردات ان شئت ، وهم لم يتركوا للملك الا سلطة عليا قليلة الوزن . وفي ذلك راجع مقالنا ص ١٠ في العدد ٨٤ من « العربي » .

لماذا وكيف تزايدت الاسفار بالطيران من عام الى عام

● انها صناعة كبرى ، تقل الملايين من الناس ، من بقاع في الأرض ، الى بقاع . وهي متزايدة من عام الى عام .

جاء في التقرير السنوي للرابطة الدولية للمواصلات الهوائية عن عام ١٩٦٤ (وهي تقارير دائما تأتي متأخرة لما يتضمن تحضيرها من جمع ولم واحصاء ، من شركات عديدة في أنحاء من الأرض كثيرة) . جاء فيه ان المواصلات الهوائية العالمية لهذا العام زادت بنسبة لم تبلغها في الاعوام الاثني عشر الماضية . فقد بلغ عدد المسافرين في الخطوط الراتبة ١٥٤ مليون مسافر في عام ١٩٦٤ ، أي بزيادة ١٥ر٦٪ عن عام ١٩٦٣ . وبلغ المحمول من البضائع ٣٩٣٠ مليون طن بحساب انها حملتها كيلومتر واحد ، اي بزيادة ١٩ر٥٪ عن عام ١٩٦٣ .

التلفاز يغزو المدارس في خدمة العلوم

● ليس في هذا الخبر شيء جديد كل الجدة. فقد دخل التلفاز الى المدارس ، يحكى عن هذا ، ويصف ذلك ، ولكن الذي نريده أن يدخل فيكون له موضع في الدراسة ثابت ، وأن يعم فتنظر الى فتيان الامة والى صبيانها ، وصباياها ، في مدارسهم ، فاذا بهم قد انتظموا جميعا ، في ساعة من الزمان واحدة ، ينظرون الى الشيء المتلفز الواحد الافا مؤلفة .

ولنضرب مثلا لذلك انجلترا .

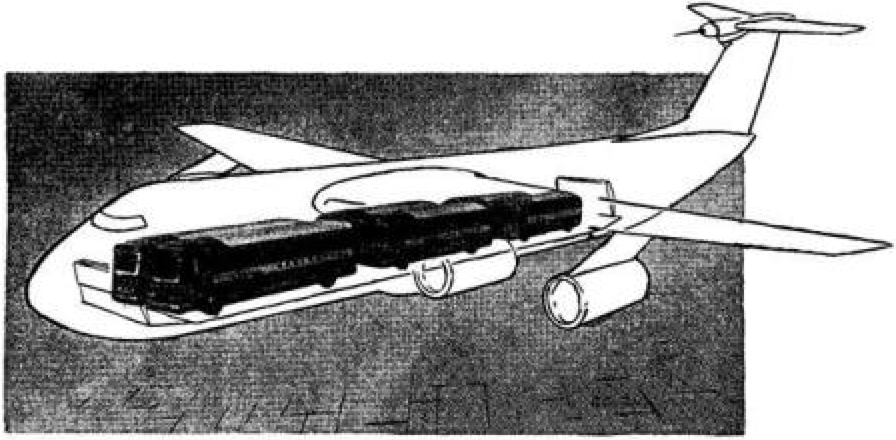
فقد اعتزمت السلطات التربوية في لندن ان تبدأ برنامجا تلفازيا جعلت له من العمر عشرة اعوام ، ليكون هو اكبر دائرة تلفازية مغلقة في العالم ، تخدم المدارس والكليات التي تتبع هذه السلطات ، وهي ١٣٥٠ مدرسة وكلية .

وهي في سبيل ذلك تخلي مدرسة ثانوية في حي اسلنجتون بلندن ، وتقلبها الى مراسم تلفازية تغذي قنوات ستا .

واحدى هذه القنوات للمدارس الابتدائية ، واثنتان للمدارس الثانوية وواحدة لبرامج وراء ذلك ، ثم اثنتان تظلان حاضرتين الى حين تمكن التلفزة ذات الالوان فتقومان فيها بدورهما.

وسيقوم على هذا البث الاذاعي ، وعلى برامجه، مختصون مهنيون في الاذاعة ، ومدرسون دربوا خصيصا لذلك ، يعارون من مدارسهم لمدة سنتين . والبرامج كلها في خدمة العلم .

وسيبدأ الاخراج بتجهيز وحدة متحركة للتسجيل التلفازي تتنقل بين المدارس والكليات وتنقل منها دروسا مجهزة خاصة لذلك كاملة العدة ، كاملة البيان ، كاملة الاجهزة ، في حجرات الدرس او في المختبرات . وبالطبع ليست كل



الطائرة C-5 A ، من ابداع شركة لكهيد Lockheed ، سوف تكون اكبر طائرة ناقلة للبضائع . فهى تستطيع ان تحمل شحنة مقدارها ١٢٥٠٠٠ كيلو جرام ، تحملها الى مسافة مقدارها ٦٠٠٠ كيلو متر بسرعة تقترب من سرعة الصوت .

وفى تقرير المنظمة الدولية للطيران المدنى ، وهى منظمة فرعية من منظمات هيئة الامم المتحدة ، زاد الدخل من الطيران المدنى فى ذلك العام عام ١٩٦٤ فبلغ ٨٫٢٥ الف مليون من الدولارات ، بينا بلغت النفقات ٧٫٦٥ الف مليون من الدولارات .

والنتائج الأولى لعام ١٩٦٥ تبشر برواج اكبر من رواج عام ١٩٦٤ ، واكبر كثيرا .

والعامل الأكبر فى هذا الرواج خفض اثمان التذاكر .

ففى عام ١٩٥٢ كان ثمن التذكرة من لندن الى نيويورك ، ذهابا وايابا ، ٧١١ دولارا . ثم ابتدعوا التذكرة السياحية، فهبط ثمنها الى ٤٨٦ دولارا . وفى عام ١٩٥٨ ابتدعوا التذكرة الاقتصادية ، فهبط الثمن الى ٣٠٠ دولار . ويقترحون لعام ١٩٦٦ تذكرة للفرد فى مجموعة من المسافرين تهبط بالثمن الى ٢٧٥ دولارا. هذا علما بأن قيمة الدولار الشرائية هبطت من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٦٥ بمقدار ٣٩ ٪

والعامل الآخر فى الرواج عامل العلم والتكنيئة الذى دخل الى الطائرات ،فزاد فى سرعتها حتى صار ذكر سرعة الصوت فى الطائرات شيئا مالوفا،وزاد فى راحتها، فهى تعلو فى الهواء ، علوا كبيرا ولا يحس الراكبون باختناق فيها فى هذا العلو ، وزاد فى احجامها ، فهى قد تسع المائة وفى هذا خفض كبير فى النفقات .

مدرسة بها كل هذا الاستعداد . ثم تذاع هذه الدروس على تلاميذ مثل هذا الفصل الذى اعد هذا الدرس فيه . درس تكلف غاليا ، وانفق فيه المدرس بل المدرسون من المجهود ما لا يستطيع المدرس فى حاله العادية، وبامكاناته العادية ، انفاقه . هذا الدرس سينتفع به آلاف المرات ، مع الكلفة الواحدة ، فى آلاف من المدارس . تماما كالسينما ، ينفق فيه فى المنظر الواحد نفقات كبيرة ، ولكن ينتفع به بعد ذلك من النظارة اقوام كثيرون .

والمفروض ان ينتهى الامر بأن تحصل صبية المدارس وتلاميذها على نصف ساعة من هذه التلفزة فى اليوم . وقدروا ميزانية هذا المشروع فكان فقط ١٨٢٠٠٠ جنيه استرلينى ، منه ٩٠٠٠٠ جنيه يدفعها المشروع لهيئة الاذاعة البريطانية نظير القيام باذاعة هذه البرامج . الا ما ارخص !

الجعة عند قدماء المصريين

● كان قدماء المصريين يشربون الجعة المصنوعة من الحب ، أكثر مما يشربون النبيذ المصنوع من العنب . وقد جاء فى كتاب مصرى قديم فى آداب اللياقة ، كتب حوالى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ، يعيب على الناس الشراب حتى فقدان الوعى (من كتاب سكان النيل لصاحبه السير واليس بدج Wallis Budge) وهذا هو نص الفقرة وترجمتها:



لا تجعل نفسك عاجزاً قليل الحيلة بشرب



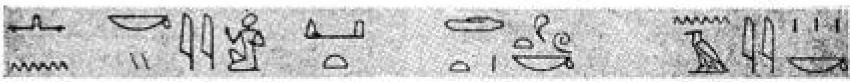
الجعة فى الخمارة . وإن كلاماً يردده الناس



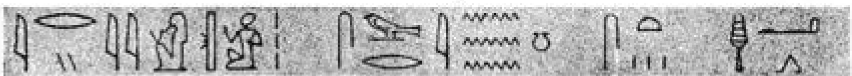
سيكون قد خرج من فمك وأنت لا تدرى أنك نطقت به .



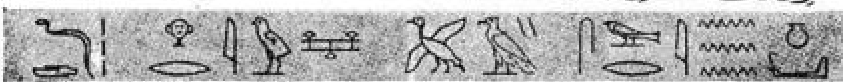
وتسقط على الأرض ، فتتكسر أضلاعك



ولا يمد أحد يده إليك ليرفعك عن الأرض ، أما



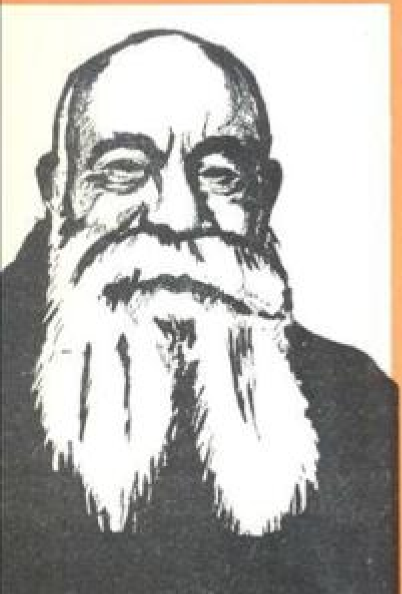
رفاقك المشاركون لك فى عب الجعة فسوف ينهضون



ويصيحون : إلى الخارج اقذفوا بهذا السكير

الراهب الذى وقف حياته لخدمة لغة القرآن

من أعلام اللغويين



الأب أنستاس ماري الكرملي

بقلم : عبد الرزاق الهلالي

المصرف الزراعي – بغداد

■ ظلت الامة العربية فى مختلف اقطارها ، زهاء الاربعة قرون ، ترزح تحت ظل الحكم العثمانى البغيض ، متحملة شتى ضروب الظلم والتعسف والاضطهاد التى تصدر عن تلك السلطة الغاشمة .

وكانت كلما تقدم بها الزمن تزيد من تنكرها لهذه الامة ، حتى اذا ولى شؤونها (الاتحاديون) سعى هؤلاء جاهدين للاجهاز عليها ، عاملين على (تتريكها) متجاهلين مطالب ابنائها العادلة فى الحرية والعدالة والمساواة .

وقد رفضوا حتى ابسط هذه الحقوق الا وهو جعل التعليم فى دنيا العروبة باللغة العربية .

وهكذا أو بمرور تلك القرون العجاف التى فشا فيها الفقر والجهل والمرض اصبحت « لغة الضاد » غريبة فى ديارها لا يعرفها أو يعرف مقامها بين لغات الدنيا الا عدد ضئيل من ابنائها البررة وباتت (العامية) لغة الاكثرية فى كل اقليم من اقاليم العروبة ، أما اللغة العربية الفصحى ، فلم تكن الا من اختصاص القلة النادرة من أبناء هذه الامة الأوفياء .

وكان في مقدمة هذا الرعيل (الاب انستاس ماري الكرملي) ، فمن هو هذا الرجل الغيور وما هي خدماته التي قدمها لخدمة لغة القرآن ؟

هـذا ما سنحاول تبيانه للقارىء الكـريم في الصفحات التاليات ...

نسب عربي النجار

يرجع نسب اسرة المغفور له الاب انستاس ماري الكرملي ، الى قبيلة (بني مراد) العربية ، وكان شيخ من شيوخها قد قصد هو وافراد عشيرته (لبنان) ليتخذ من ربوعه الزاهرة سكنا ومستقرا . وعلى مر الايام اشتهر بين بيوت هذه العشيرة التي استقرت في قرية (بحر صاف) بيت معروف ذاك هو (بيت عواد) .

وفي هذا البيت ولد (ميخائيل عواد) فلما شب عن الطوق ونال قسطا من التعليم واتقن بعض اللغات اصبح ترجمانا لامير من امراء آل بونابارت ، وطاف معه مدة سنتين في مصر وسورية والاناضول وايران والعراق .

البقاء في العراق

ولكن (ميخائيل) آثر العيش في العراق فاستوطن بغداد وعرف فيها باسم (ميكائيل الماريني) وهناك تزوج بفتاة عراقية فاثمر هذا الزواج بعد عمر مديد ، خمسة ذكور واربع اناث ، كان احدهـم المترجَم له .

بطرس ميكائيل

وفي اليوم الخامس من شهر آب عام ١٨٦٦ بشر ميكائيل بولادة غلام فسُرَّ به واسماه (بطرس) ولكن هذا الوليد ما لبث ان لحقته ثلاثة اسماء اخرى هي ، بولص عبد الاحد ، ماري .

ولما بلغ الثامنة من عمره دخل مدرسة (الآباء الكرمليين) وفي هذه المدرسة ومدرسة (الاتفاق الكاثوليكي) اكمل تحصيله الابتدائي وراح يتطلع الى ارتشاف مزيد من العلم والثقافة .

علامات النبوغ

وفي خلال الاعوام التي قضاها (بطرس ميكائيل ماريني) في مدرسة الآباء الكرمليين كانت قد بدت عليه علامات النبوغ والتفوق جلية واضحة بنظر مدير المدرسة نفسه، ونظرا لما لمسه فيه من وَلَع باللغة العربية وشَغَف بها ، اختاره « وهو ابن ستّ عشرة سنة » لتدريسها في نفس المدرسة فراح يؤدي واجبه فيها بكل جد واخلاص .

الى بيروت

وفي عام ١٨٨٦ ترك بغداد قاصدا بيروت لتدريس اللغة العربية في المدرسة اليسوعية الاكليركية هناك والتفـرغ لتعلـم اللغتين اللاتينية واليونانية في الوقت نفسه .

في طريق الرهبنة

ولكنـه لـم يلبث الا قليلا حتى رحل الـى (شيفرمون)(١) في بلجيكا وبعد أن قضى سنتين في دَيْر الآباء الكرمليين هناك انتقل الى (لاغنو)(٢) قرب نيس في كورة جبال الالب البحرية . وتعلم الفلسفة وانجز الدراسة اللاهوتية والفقهية بعد ذلك في (مونبلية)(٣) .

وفي عام ١٨٩٣ رُسم كاهنا باسم (الاب انستاس ماري الالياوي) فغادر فرنسا عائدا الى بغداد راهبا ، بعد أن زار ديار الاندلس .

مدير المدرسة الكرملية

وعندما وصل بغداد عام ١٨٩٤ أسندت اليـه مهمة ادارة المدرسة الكرملية مع قيامه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية بالاضافة الى واجب الوعظ والارشاد في الكنيسة .

غير انه لم ينته السنة الرابعة من قيامه بهذا الواجب حتى رَغِب في ترك هذه المهام والانصراف للوعظ والكتابة والتاليف .

الكاتب البحاثة

ولقد انفسح امامه المجال لهذه الغاية ، فشرع يكتب المقالات اللغوية والعلميـة والتاريخيـة ، وينشرها في المجلات العربية والفرنسية ، لكنه لم يكن يوقع تلك المقالات باسمه الصريح لاعتبارات

(1) Chevermont (2) Licno (3) Montpillier

شتى ، بل كان يوقعها بتواقيعَ مستعارة احصاها (الاستاذ كوركيس عواد) فاذا هي تبلغ (٢٧) توقيعا نذكر منها (الشيخ بعيث الحضَرى ، ساتسناء امكح ، كِلدة ، فِهرْ الجابريّ ، مستهل، مُتطفل ،مُتتهِل ، مُحِب الفجر ، ابن الخضراء) .

ومن يرجع الى كبريات المجلات العربية التى كانت تصدر فى شتى اقطار العروبة آنذاك ، كالمشرق ، والمقتطف ، والهلال ، والزهور ، والمقتبس ، والباحث ، والمتَنهِّل وغيرها يعثر على مقالات ممتعة نشرت بهذه التواقيع ، وقد احصى الاستاذ البحاثة كوركيس عواد ، هذه المقالات فوجدها تبلغ (الف مقالة) عَدَدُ صفحاتها زهاء خمسة الآلاف صفحة .

اللغوى المحقق

وبالنظر لتخصصه وتضلعه فى الفلسفة اللغوية كان عليه ان يدرس اللغات الاجنبية المختلفة كاللاتينية واليونانية والفرَنسية والايطالية والانكليزية والحبشية والتركية والفارسية والارامية والصابئية فالمَّ بطرفٍ منها وتثبت فى اصولها وبعض الفاظها وتوغل فى دراسة علاقتها باللغة العربية فجاءت ابحاثه الكثيرة فى هذه الموضوعات نادرة فريدة .

الراهب العاشق

وبلغ حب الاب انستاس وشغفه بلغة القرآن درجة العشق والهيام ، اذ الزم نفسه ووقف حياته منذ رَيعان الصبا بخدمتها والذود عنها ، وكان حرصه عليها يفوق حدود الوصف ، اذ ظل طوال حياته سيفا مُصلتاً على راس من يناوىء هذه اللغة او يحط من قدرها او يستصغر من شانها وله فى هذا مواقف جليلة تجعله فى طليعة ابناء هذه اللغة غيرة وحماسة واندفاعا .

وكان فى ردوده على من وَهِم او اخطا من الباحثين فى ميادين اللغة لا يعرف الهوادة ولا اللين .

وليس عجيباً اذا نحن قرانا رايه فى هذه اللغة الكريمة اذ يقول : (ان اللغة العربية اسمى اللغات وانها مفتاح اللغات جميعا لانها قادرة على تصوير كل ما يدور فى الفكر البشرى وفى الطبيعة الانسانية وانها قادرة على مسايرة كل عصر وكل جيل لما فيها من قابلية الاشتقاق الذى لا يوجد فى لغة سواها . وان القصور فى ابنائها الذين آثرفئوا ولا يريدون ان يتجشموا فى سبيل لغتهم ایَّ جهد) .

دفاع عن الحرف العربى

وكان موقفه من الداعين الى تبديل الحروف العربية بالحروف اللاتينية موقفا كريما اذ كان اشد المعارضين لهذه الدعوة ، وقد وضع من اجل الحفاظ على لغة الضاد وابعادها عن دسائس خصومها ، رسالة أسماها (الكتابة العربية المنقحة) دعا فيها الى اتخاذ بعض الخطوات الكفيلة لمسايرتها التطور حيث قال :

(لا بد لنا من ادخال بعض المصطلحات على الكتابة العربية والا دفعتنا الضرورات الى اتخاذ الحرف الغربى ، وهذا أعظم بلاء على هذه اللغة وآدابها .. لاحقق الله تلك الأمانى التى يدفعنا اليها بعض اعداء اللغة ونجانا من نتائجها وعواقبها الوخيمة ..)

من اجل لغة العرب

ودفعه هذا الحرص الشديد على لغة الضاد ، لا سيما بعد ما راى المصير المؤسف الذى آلت اليه فى ديارها ، الى اصدار مجلة تاخذ على عاتقها خدمتها ورد كيد أعدائها والاشادة بفضلها ومقامها بين لغات الدنيا ، فكانت (لغة العرب) تلك المجلة الزاهرة العامرة التى اصدر عددها الاول عام ١٩١١ ، وثابر على اصدارها بانتظام بهمة لا تعرف الكلل والملل ، فاذا هو فى المجلة التى طَبَّقَت شهرتها الآفاق ، رائدا من رواد اليقظة القومية ، وسادِنا(١) من سَدَنَةِ التراث العربى الخالد . وان عملا يهدف الى رفع راية القومية العربية والتغنى بامجاد لغة الضاد ويوقظ فى النفوس حب اللغة العربية والاشادة بتراث العرب الثقافى والعقلى ، ان عملا كهذا لن يرضى الاتراك الاتحاديين فلا عجب ان رايناهم يعتقلونه عام ١٩١٤ ويبعدونه منفيا الى مدينة (قيصرية) فى الاناضول ،

---

(١) خادما

فتوقفت مجلته عن الصدور ، حتى اذا عاد الى وطنه ثانية وقامت الدولة العراقية الجديدة، حمل الراية من جديد اذ عاود اصدار مجلته في عام ١٩٢٦ وثابر على اصدارها بانتظام (ست سنوات) اخرى أصدر في ختامها بيانا باغلاقها قائلا : (لقد عزمنا عزما أكيدا لا يحتمل الرد ولا الاستئناف على اغلاق المجلة من الآن لاننا مع متقاسانا اتعابا جمة ومشاقَّ هائلة ، ناهكة ، كنا نكابد خسائر باهظة طول سني صدور المجلة حتى لم يبق في قوسنا مَنْزَع ولا في همتنا مكْنة ، نضيف الى ذلك تضاؤل المعينين في الديار العربية وقلة المعاضدين من أبناء الضاد الذين اخرجنا هذه المجلة الموءودة للتنويه بهم وبلغتهم وآثار سلفهم وتاريخهم ،وقد صبرنا هذا الصبر الايوبي حتى اعْذَرْنا(٢) الى كل معاتب ولائم وليس على الانسان ان يركب المستحيل ويجازف في ما تسوء به عقباه ..) .

وهكذا اختفت هذه المجلة التي كانت ارقى المجلات العربية واغزرها مادة واكثرها نفعا ، وستظل مجلداتها التسعة على مر الايام خير مرجع للباحثين ومَعِيناً لا ينضبُ للراغبين في دراسة اسرار اللغة العربية وتاريخ العرب وحضارتهم الخالدة .

وجه العراق في المجامع العلمية

وان رجلا عظيما له مثل هذه المكانة العلمية البارزة والسمعة الطيبة لا يمكن للمجامع العلمية والمنتديات اللغوية الا السعي لضمه اليها عضوا عاملا فعالا ، فقد انتخبه مجمع المشرقيات الالماني عضوا عام ١٩١١ ، واختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضوا فيه منذ تاليفه ورشحته وزارة المعارف العراقية عضوا مؤسسا للمجمع اللغوى العراقى عام ١٩٢٧ الذى لم يعش طويلا .

وانتخبه مجمع فؤاد الاول للغة العربية عضوا عاملا فيه عام ١٩٣٤ واختير عضوا في لجنة التاليف والترجمة والنشر العراقية عام ١٩٤٥ ، وظل يصول ويجول في هذه المجامع والمحافل بكل جد ونشاط حتى أقعده المرض واسكت صوته الاجل المحتوم .

يوبيل ذهبي

ولما بلغ هذا اللغوى الكبير الستين من العمر راى رهط كبير من ادباء العراق وشعرائه وعلى راسهم الشاعر الكبير الاستاذ جميل صدقي الزهاوى تكريمه والاحتفال بجهاده بهذه المناسبة ، وقد باركت الحكومة العراقية ، برياسة السيد عبد المحسن السعدون، هذه البادرة وامر رئيسها ان يقام الاحتفال بهذا (اليوبيل الذهبي) في داره وهذا ما كان فعلا .

وقد جاء في كتاب الدعوة التي وجهها الأستاذ الزهاوى الى الشخصيات الادبية والعلمية في العراق وخارجه (بوصفه رئيسا للجنة يوبيل الكرملي) قوله (ولما كان العلامة الأب انستاس ماري الكرملي، من الذين انجبهم العراق، نابغة في العلوم العربية وقد خدم اللغة بصدق خمسين عاما خدمة لا يجحدها كل من طبعت نفسه على الانصاف ، وكان من تباشير كل نهضة صادقة ان تقدر الامة علمائها الفطاحل ، راى فضلاء العراق ان الواجب يدعوهم الى تكريمه اعترافا بفضله ، فتألفت لجنة في بغداد لهذا الغرض الشريف وشرفتني برياستها فجئت ادعو باسم اللغة العربية المحبوبة رجال العلم والادب في العراق وبقية الاقطار العربية من شعراء وعلماء وكتاب الى الاشتراك في تكريم الأب الذى تكرم فيه العلم واللغة) .

وفي هذا الاحتفال الذى اقيم مساء يوم ١٩٢٨/١٠/٧ وشارك فيه عدد كبير من ادباء العراق وشعرائه ، القى الأستاذ الزهاوى قصيدة قال فيها ..

حَفَلْنا بأستاذٍ تبحر في اللُغى ... ولا سيما الفصحى سليلة يَعْرُب

وان انستاسا هو السند الذى ... هَمَى علمه للظامئين كَصَيِّب

ترَهّبَ يرعى العلم خمسين حِجّةً ... فأكبِرْ به من عالمٍ مُتَرهّب

أما كنوم لجنة اليوبيل وهو (الأستاذ احمد حامد الصراف) فقد اشاد في كلمته ، بالروح التي توحد بين ابناء الوطن الواحد من مسلمين ومسيحيين

٢ ــ رفع عنا اللوم والذنب .

جاعلا من تكريم الكرملي البرهان الساطع على ما بينهما من وفاق ووئام وتمثل بهذين البيتين قائلا :

وعشنا وعاشت في الدهـور بلادنا
جَوامِعُنـا في جَنْبهـن الكنائسُ

وسوف يعيش الشعب في وحدة له
عمائمنـا في جنبهـن القلانسُ

اما رفيق الاب وزميله في تحرير مجلة لغة العرب الأستاذ البحاثة مصطفى جواد (الدكتور اليوم) فقد انشد قصيدة بهذه المناسبة قال فيها:

يا سائـراً ووجيبُ القلـب صاحبُه
لنا ببغداد من بين القسوس « أبُ »

اقرأ عليـه سـلامي خالصا عَطِـراً
فانه من معـين الحب منْسكِبُ

أب عـزيز وذو علم ومعـرفة
قضى السنين بسوق العلم يكتسِبُ

حنا على لغـة القـرآن حنوُّ اب
على الوليد وعنه تنطـق الحِقَبُ

مكتبة عامرة

وقد كان العلامة الكرملي منذ صباه شغوفا بجمع الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة وبذل في هذا السبيل جميع ما يملك فتكونت مكتبته العامرة بدَيْر الاباء الكرمليين التي كان يعتز بمحتوياتها اشد الاعتزاز ، غير ان هذه المكتبة العزيزة على نفسه تعرضت ابان الحرب العالمية الاولى ، الى النهب والسرقة والاتلاف بامر السلطة التركية وتوجيهها ، فتحمل صاحبها هذه النكبة بصبر وجلد وطوى الم المرير في قرارة نفسه. حتى اذا انكشفت الغمّة عاد من جديد يقتني الكتب ويشترى المخطوطات فاذا خزائن هذه المكتبة تعج بما فيها من مجلدات بلغت زهاء العشرين الف مجلد مطبوع والالف والخمسماية مجلد مخطوط .

ولما توفاه الله ارتفعت أصوات المخلصين مطالبة بالعناية بهذه المكتبة العامرة احياء لذكرى صاحبها وتخليدا له فانتهت هذه الدعوة بتقديم (الاباء الكرمليين) القسم الاكبر من هذه المكتبة هدية الى (مكتبة المتحف العراقي) ، اما القسم الباقي ومعظمه باللغات الاجنبية فقد ظل في مكتبة الدير نفسه الى يومنا هذا .

نتاج ثر ومؤلفات قيمة !

ولقد انقطع الكرملي للغته واكب على درسها حتى حذقها اى حذق ، وما عرف ان رجلا انقطع للتنقيب عن الالفاظ والغوص في المعاجم ودواوين اللغة الى هذه الاعماق مثله .

وضع هذا الجهبذ الفذ كتبا قيمة ورسائل ثمينة ونشر مئات من المقالات الممتعة والابحاث الطريفة ووقف على طبع عدد من الأسفار المفيدة في اللغة والتاريخ والادب .

وقد احصى الاستاذ كوركيس عواد في كتابه المخطوط الموسوم ب (الاب انستاس ماري الكرملي ـ حياته ومؤلفاته) احصى مؤلفات الاب ، المطبوع منها والمخطوط فوجدها لا تزيد عن ثلاثين مؤلفا .

ومن اشهر آثاره ومؤلفاته المطبوعة عدا مجلة (لغة العرب)كتبه (نشوء اللغة ونموها واكتمالها) و (النقود العربية وعلم النميات) و (اغلاط اللغويين الاقدمين) فضلا عن تحريره النصوص المطوية مثل الجزء الثامن من (الاكليل) للهمداني ، و (نخب الذخائر في احوال الجواهر) لابن الاكفاني ، و (كتاب العين) للخليل بن احمد الذي طبع منه ١٤٨ صفحة .

اما اعظم دراساته واكثرها اهمية واكبرها شانا فكتابه الذي اسماه (المساعد) ذلك الكتاب الذي صرف السنين الطوال من عمره في جمع مواده وتاليفه ولكنه مات قبل ان يخرجه للناس مطبوعا ، فظل هذا الاثر العظيم مطمورا لا يعرف مصيره اليوم .

وقد اشاد به الدكتور مصطفى جواد الذي كان قد اطلع عليه في حياة صاحبه قائلا : (ان احسن كتبه التي الفها هو معجمه المستدرك الذي وَسَمَه ب (المساعد) فانه كنز من كنوز اللغة العربية ، فيه مصطلحات كل فن على حسب حروف المعجم والتعابير المولدة في كل عصر وفوائد ادبية من كل ضرب يتصل بتحقيق مفردات اللغة وتاريخ علوم الادب فهو اشبه بدائرة المعارف منه بمعجمات اللغة) .

وانه لمؤسف حقا آن يظل معظم هذه المؤلفات طي الاهمال والنسيان فيا حبذا لو بادر المجمع العلمي العراقي والمجامع العربية الاخرى والدائرة

الثقافية في جامعة الدول العربية لاخراج هذه الدراسات ليفيد منها الباحثون ويعم نفعها الجميع .

مجلس الجمعة

ومجلس الجمعة ، هو المجلس الذى اعتاد على عقده صباح كل يوم جمعة المغفور له الاب انستاس في دير الآباء الكرمليين(١) منذ عام ١٩٢٢ حتى انفرط عقده بسبب وقوع صاحبه فريسة بيد المرض الذى داهمه في سن الشيخوخة فابعده عن الاجتماع باخوانه ومحبيه حتى فارق الدنيا الفانية .

ولقد كان هذا المجلس العتيد ، منتدى الطبقة المهذبة ومجمع الفضلاء من شعراء وكتاب وادباء ، وعلى الرغم من كون صاحبه (ابا) من القساوسة فان مجلسه هذا كان يضم الشيخ والمعمم والملا والوزير والنائب والطبيب والمحامي والمدرس والطالب اذ كانوا يتحلقون حوله يناقشهم ويناقشونه فاذا اشتد الجدل وطالت المناقشة كانت له الكلمة النهائية والرأى الاخير.

وقد سجل احد رواد هذا المجلس وصفا رائعا له ولصاحبه ، ذلك هو الدكتور مصطفى جواد حيث قال ..

« لقد كان الاب انستاس ــ رحمه الله ــ مالفا لمحبة القلوب المتباينة ، وقدوة الاخلاق الفاضلة ، فهو الى نشاته الراهبية التى شعارها السلام ودثارها الحسنى في السر والكلام ، كان رجلا موطأ الاكناف ، سليم القلب صافي السريرة نقي الطوية ، منزها عن الانطواء على حقد او حفيظة او سخيمة ،وكان العلم الذى هو نور الله في العقول، زاده سموا في النفس ورقة في الطبع وجلالا في السيرة وجمالا في السريرة ، ولا يستبعد ذلكم من العلم ، فانه حكيم الاخلاق ومهذب الاعراق.. وكل مجالس الدنيا متجانسة متشابهة الهيئات ، الا مجالس العلم فانها لا تجمع الا بين التجانسة عقولهم وثقافتهم ، فترى الفقير الصغير الى جانب الوزير الكبير .. وهكذا كان مجلس المحمود الذكرى ، الاب انستاس فقيد العربية والعلم والخلق النزيه ! » .

« كان مجلسه مدرسة للاخلاق الكريمة قبل كونه مجمعا للعلم والادب ، ومن اكرم الصفات لصاحب ذلكم المجلس انه ــ كان مع كونه رجلا محررا نفسه لدينه وطريقته ــ لا يأذن لمن يحضر مجلسه الادبي ، ان يخوض في بحث الاديان ولا المذاهب ولا الطوائف خوض مرجح بعضها على بعض او مدافع عن دين ومهاجم غيره ، لأنه كان موقنا ان العلم هو اشرف الدواعي لتوحيد البشر تحت راية المسالمة والمؤاخاة والمساواة » .

وقد الم رواد هذا المجلس اشد الالم انغلاقه، اذ كان ندوة للعلم والتاريخ والادب يجتمعون فيه على صعيد الحب والمودة والوفاء ، وقد عبر عن هذه الاحاسيس احد رواده الاستاذ الشاعر كمال عثمان حين قال :

وَيْحَ النَّدِيِّ فأين بعدك جمعه
بل أين جُمْعَتُهُ ورفعة شأنه
قُوِّضْتَ ركنَ الضاد من بنيانه
وحرَمْتَ أهلَ الفكر من ربّانه
والحفلُ أشجاه النوى فلطالما
كنتَ الصَّفِيَّ له وعِقْدَ جُمانه

الاب ومجتمع الدير

واذا كنا قد عرضنا للقارىء صورا متعددة عن حياة هذه الشخصية الفذة فان علينا الاشارة الى حياته في مجتمع (دير الآباء الكرمليين) في بغداد . فقد كان واضحا لمن كان على صلة وثقى به ، ان حياته في ذلك المجتمع حياة يشوبها شيء من النفور وشعور واضح منعدم الرضا والانسجام بسبب سلوكه الواضح واندفاعه الكبير لتمجيد لغة القرآن والتغني بتراث العرب الخالد وانصرافه لتحرير مجلة لغة العرب وعقده (مجلس الجمعة) ومشاركته في المجامع اللغوية العربية وتحبيره المقالات العديدة في شتى الصحف والمجلات .

الى ذلك اشار العلامة الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي اذ قال ..

« بيد اني اكبرت في الراحل الفقيد وعيه القومي وتفانيه في الدفاع عن الجنس الذى انتسب اليه وتحدر منه . وليس مرد ذلك الى العاطفة فحسب بل كان له في هذا الباب عقيدة

(١) دير أسسه الكرمليون في بغداد سنة ١٧٢٢م وما زال قائما .

قومية راسخة لا تزعزعها الأحداث . واني لاعرف انه لقي في سبيل الدفاع عن آرائه ومعتقداته القومية ما لقي ، وقاسى الامرين وضحى ، وكانت مقاداته من الناحيتين المادية والمعنوية غير مجهولة في هذا الشأن » .

آخر الصفحات

وقد بدت آثار هذا النفور في اواخر أيام حياته عندما بات ، وهو الشيخ الكبير ، يعاني من اوجاع المرض واعراض الشيخوخة ، وليس له مساعد او معين ، اذ كانت ايامه الاخيرة مليئة بالمآسي والمزعجات .

وقد حمل نفسه عام ١٩٤٦ الى فلسطين عساه يلتقي هناك ما هو بحاجة اليه من معالجة يستعيد بها صحته فكتب من هناك الى صديقه الاستاذ طه الراوي يقول (لقد تحسنت صحتي نوعا ما ولكن ضعف الشيخوخة لا يداوي ولا امل في شفائه) . وشكا الى صديق آخر عجزه عن شراء الدواء الذى اصبح بحاجة ماسة له وهو في هذه السن .

ولما لم يجد نفعا في فلسطين ، واحس بان أيامه في هذه الدنيا ان هي الا أيام معدودات عاد الى بغداد مدفوعا بحنين دافق لتربة الوطن اعرب عنه في حديث نشرته له جريدة العالم العربي البغدادية قبيل وفاته بايام حيث قال : (لقد كنت اردد دائما وانا في فلسطين ان امنيتي الوحيدة ان ارى العراق قبل أن اموت) . ولما كانت حالته الصحية قد ساءت جدا ولم يكن يلقى في الدير عناية تذكر ، بادر اخوانه من مسؤولين وغير مسؤولين بمفاتحة الحكومة لنقله الى المستشفى ومعالجته على نفقتها ، فنقل الى (دار التمريض) في المستشفى التعليمي محاطا برعاية الحكومة وعناية الاطباء من عراقيين واجانب ، ولكن بقاءه لم يطل هناك اذ فاضت روحه الى بارئها في صبيحة اليوم السابع من شهر كانون الثاني عام ١٩٤٧ فاسدل الستار على حياة هذا العبقري بعد ان امتد بها الزمن احدى وثمانين سنة حفلت بجليل الاعمال وعظيم الخدمات .

وخسر العراق بل العروبة في شتى اقطارها علما من اعلامها ، قلما يجود الزمان بمثله ، فبكته المجامع والمحافل العلمية والادبية في جميع ارجاء الدنيا مكبرة فيه ما قدم للغة القرآن من خدمات مشكورة . وها هو ذا الشاعر العراقي الاستاذ مهدي مقلد يقول ..

بالأمس أشياخُ البيان وفي غـد ... يا حَبَّذا بك زَيَّنوا صدر النَّدِي

الله يشهد كنت للفصحى ابا ... عنها تدافع باللسان وباليد

القت اليك زمامَها فرفعتَها ... في الخافقَيْن لِمُتهِمٍ ولِمُنجِدِ(١)

مترهبا لابن البتول وباحثا ... عنها بثوب الناسك المتعبد

فجمعت بين الناصري وبينها ... مثل اجتماع الفرقدين بمشـ[ـهد]

من (بيت لحم) سرت تحمل راية ... خفقت على عليا تميم فتهمد

فالقلب من دين ابنِ مريمَ وحيه ... والفكر من لغةِ النبيِّ محمدِ

ان ابن مريم والنبي محمدا ... نوران نورُ هدىً ونورر توَحُّد

وهدايتان يؤم نهجهما الورى ... من مقتدٍ بهما وآخرَ مهتدِ

وبعد!

فهذا هو المغفور له العلامة الاب انستاس ماري الكرملي وتلك هي حياته الزاخرة بالحامد وجلائل الاعمال ، وذلك هو جهاده وتفانيه في سبيل خدمة لغة القرآن ، عرضناها على القارىء الكريم عرضا خاطفا احياء لذكراه واعترافا بما قدم لهذه الامة من خدمات واياد بيضاء تذكر فتشكر .. رحمه الله وطيب ثراه وجزاه على ما فعل احسن الجزاء . ■■

عبد الرزاق الهلالي

---

(١) المتهم : من دخل تهامة والمنجد من دخل نجدا والغرض شرقت وغربت .

ركن الأسرة والمرأة

الغيرة.. السبب الأول في عراك الأطفال في الأسرة

■ كثيرا ما يحتدم النزاع والعراك بين اطفال الاسرة الواحدة ، وكثيرا ما يثير عراكهم هذا غضب الاباء وحنقهم فيعمدون في الغالب الى حسم ذلك النزاع بضرب الصغار المتنازعين ، دون تردد او تمييز .

ضرب الاطفال لايحسم نزاعا قام بينهم

ويتفاوت هذا الضرب عنفا وشدة بتفاوت غضب الاباء جموحا وحدة . غير ان الدافع اليه واحد في معظم الحالات . انه الرغبة في العقاب ، تسيطر على الاباء وتحملهم على انزال الاذى بصغارهم ، والاساءة اليهم ، بقدر ما الحقوه بهم من ازعاج بسبب نزاعهم . والاجدر بالاباء ، حيال مثل هذه المنازعات، أن يتحسسوا السبيل الى حسمها على نحو فعال بتلمس اسبابها ، لا الى حسمها ظاهرا بالضرب وكبتها لتعود بعدحين من جديد .

الغيرة اشد البواعث على قيام النزاع بين الاطفال

ولعل الغيرة هي اشد تلك البواعث اثرا ، فحيث تكون الغيرة يكون الحب ، وحيث يكون الحب تكون الانانية ، فالحرص على الاستحواذ على الحب كاملا غير منقوص . ويصدق ذلك اكثر ما يصدق على الاطفال . فالصلة التي تربط الاطفال بآبائهم هي أقوى الصلات التي تحياها الطفولة وتعيش في ظلها . فالطفل ، بطبيعته ، حريص على ان يغنم حب ابويه ويحتفظ به لنفسه دون



شريك . وهو يخشى ، بحكم الطبع ايضا ، أن ينتقص حب ابويه لاخوته من حبهما له . ويؤدى به حرصه وخوفه هذا الى الشعور بالريبة من اشقائه ، ثم الشعور بالنقمة عليهم .

وتختلف هذه المشاعر كثيرا عند الاطفال تبعا لاختلاف الوضع العائلي الذى يكون فيه هذا الطفل او ذاك . فالطفل البكر الذى كان وحيد ابويه طيلة سنتين تقل أو تزيد ، والذى لم يشك لحظة فى ان ابويه ملك خاص به ، عرضة لتلك المشاعر أكثر من غيره عندما يجيء الاسرة طفل جديد .

الغيرة تشوب صلات الحب جميعا

وقد يظن المرء ان الغيرة ونزعتها الانانية هذه نقيصة من نقائص الطبيعة البشرية فى طفولتها . والخطأ فى هذا الظن واضح . فالغيرة ونزعتها الانانية تشوب صلات الحب جميعا ، تلك التي يشعر بها الصغار وتلك التى تربط بين الكبار ، سواء بسواء . بل لعلها من مقومات المحبة والطبيعة الانسانية فينا بلا استثناء . فهي جزء لا يتجزأ من الاواصر التي تؤلف بين زوج وزوجة فتكوّن الأسر والعائلات ، ومن تلك الاواصر الاخرى التى تجمع بين انسان وآخر فتقوم بين الناس صنوف اخرى من روابط وجماعات .

وشأن الطفل البكر واخيه المنافس له على مكانته المرموقة ، كشأن اى طفل آخر واخيه الذى لايكبره أو يصغره الا قليلا . يكثر النزاع بين هؤلاء كما يكثر بين اولئك بسبب الغيرة . فمكانة الطفل الكبير فى العائلة مرموقة ، وقدوم اخ له

اصغر منه يهدد مكانته تلك ، بل ينال منها بالفعل . وهو غير مستعد للتنازل عن اى جزء من مكانته تلك بسهولة ، فيعمد الى اضطهاد اخيه وتعذيبه دون ان يدرى ان معاملة اخيه هذه بالذات هي التي تحمل هذا الاخ الاصغر على اعتباره خصمه العنيد وعدوه اللدود على وجه التخصيص .

مقومات الشخصية تختلف عند الاطفال

ولا يخفى ما لشخصية الطفل من أثر وما لصفاته البدنية المتوارثة من شأن فى ذلك كله . فمقومات الشخصية الانسانية ليست كلها مكتسبة ، فمنها ما يفطر الطفل عليه اصلا ويولد به منذ البدء . ومن تلك المقومات نزعة الاذعان التي تتجلى فى عدد من الاطفال ، ومنها نزعة التشبث التي ينفطر عليها اطفال آخرون . ومن الطبيعي ان يكون الطفل المتشبث اكثر استعدادا للشعور بالغيرة والمضي فى اثارة الشغب والنزاع في حالة تعرض وضعه فى العائلة لأى تحد او تهديد . ويصدق ذلك ايضا على الاطفال الذين يغلب عليهم الغباء فى عائلة يتصف سائر افرادها بالذكاء ، وعلى البنات المحرومات مما تتمتع به امهن أو اخواتهن من جمال . ويصدق كذلك على الذكور من الاطفال اذا ولدوا قصار القامة وكان لهم اخوة طوال فارعون .

تصرف الاباء تجاه اطفالهم قد يزيد الغيرة لهيبا

والغيرة فى الاطفال تتأثر ايضا بما يبديه الاباء من ردود فعل حيالها وما يعمدون اليه من تصرف ازاءها . واول ما يتبادر الى الذهن فى هذا الصدد هو ان اخفاق الآباء فى توزيع حبهم بالتساوى بين ابنائهم ، او بالحرى بين اثنين منهم بالتخصيص ، هو الذى يولد الغيرة والمشاحنة بينهما او على الأقل يزيد لهيبها اشتعالا . ولقد بلغ هذا القول حد التواتر وأوشك ان يصبح حكمة يُسلِّم بصحتها سائر الاباء والمربين على السواء . يتجلى ذلك فى عدد كبير ممن كتب فى التربية وفى القِصَص الموضوعة للاطفال وغير الاطفال .

هل يجوز مع الحب "انصاف" فى المعاملة

وهذا يحمل على التساؤل ، هل الحب اصلا قابل لأن يكون عادلا منصفا ، واذن يكون معه انصاف فى المعاملة ؟ انه لا سبيل الى انكار ما يصادفه المرء من تفاوت فى معاملة الاباء لابنائهم . الا أن ذلك لايعزى فى الغالب الى تفاوت فى حبهم لهم . فأكثر الآباء يحبون كل ابن من ابنائهم بقدر واحد . وما التفاوت فى المعاملة الا نتيجة التفاوت والاختلاف بين الاطفال انفسهم . انه لا يُعقل أن يشعر الاباء بالارتياح او الانزعاج لما يصدر عن ابن من ابنائهم أو بنت من بناتهم من اقوال وافعال ، على نحو ما يشعرون به ، وبالقدر الذي يشعرون ، لما يصدر عن كل ابن آخر او بنت . لذلك كان من غير الطبيعي ان يتعمد الاباء معاملة ابنائهم معاملة واحدة لا اختلاف فيها ولا تفاوت . فمعاملة كهذه لا بد أن تتسم بقدر من الافتعال ، لايلتبس على الكبار ولا يخفى على الصغار . وهي تفترض ايضا النظر الى الأطفال وكأنهم سلع متساوية متطابقة تماما ، لا افرادا يختلفون فى شخصياتهم ويتفاوتون . ونفور الصغار من هذه النظرة اليهم ، لايقل كثيرا عن نفور

الكبار منها . ونزعة الانسان الفطرية ورغبته الدفينة في أن ينظر اليه كشخص له فرديته الخاصة لاتقل كثيرا في طبيعة الصغار عما هي عليه في طبيعة الكبار . فكل واحد منا حريص على ان يُحَب لذاته ، ويقدَّر لذاته .

ان كل ما يتوق اليه الطفل هو ان يحتل المكان اللائق به من قلب أمه وابيه. اما المكان الاخر الذى يحتله اخ له أو اخت ، فلا يعنيه قليلا او كثيرا — اللهم الا اذا درج الابوان على مقارنة تلك الامكنة بعضها ببعض ، او عمد احدهما الى تهديد الطفل بتنحيته عن ذلك المكان الذى كان يحتله . ان هذه المقارنة بين الأطفال تستهدف مداواة الداء بالداء ، ومن شأنها ان تزيد الغيرة تفاقما حيث وجدت ، أو تولدها وتدفع اليها حيث انعدمت ، لا ان تمحوها أو تحول دون ظهورها .

اسلوب آخر لايقل عقما

وتجدر الاشارة هنا الى اسلوب آخر لايقل عقما عن الاسلوب الذى ذكرنا من حيث مداواة الداء بالداء ومحو الغيرة باذكاء لهيبها . فقد يحرص بعض الاباء ، وخاصة ذوى الضمائر الحساسة منهم، على منح سائر ابنائهم نفس المنح واعطائهم نفس الهدايا ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا . فهم يشترون لاحدهم دمية زرقاء اذا كانت الدمية التي اشتروها لآخر زرقاء أيضا . ويشترون لاحداهن معطفا ليست بحاجة اليه ، لا لسبب الا لانهم اشتروا مثل ذلك المعطف لاخرى قد تكون في أمس الحاجة اليه .

ويتجلى هذا الاسلوب اكثر ما يتجلى في مسلك تلك الام المسكينة التي حاولت ان تعامل أولادها الاربعة بمنتهى العدل والانصاف الى حد انها احتفظت بسجل يبين من الذى حظي من أولادها بالجلوس الى يمينها والى يسارها على مائدة الطعام في كل وجبة ، لكي تحدد مكان جلوسهم على اساس دورى في الوجبات التالية ، وهي كما لايخفى ٢١ وجبة في كل اسبوع !

هذه الضمانات والاحتياطات الرامية الى دفع التحيز وتحقيق الانصاف هي التي تذكر الطفل دوما بأن ثمة خطرا في المعاملة غير المنصفة التي قد يلقاها من والديه ، وان لاسبيل الى تفادى ذلك الخطر بغير التحفز والتنبه حياله . وهي التي توحي الى الابناء بعدم ثقة الاباء بانفسهم ، بتخوفهم من أن لا يصيبوا من النزاهة والانصاف ما ينبغي في معاملة اولئك الابناء . ولو كان الاباء على ثقة كافية بنزاهتهم لما حرصوا الى هذا الحد على توفير الضمانات التي تكفل لهم تلك النزاهة . ولعلهم يحملون رواسب الشعور بالاثم وقد تركتها في نفوسهم مشاعر الغيرة التى سادت صلاتهم باخوتهم ايام طفولتهم . ولعلهم تواقون الى احراز النجاح حيث فشل آباؤهم. الا انهم مخطئون بحق ابنائهم على كل حال . وأساليبهم لا تخفف من حدة الغيرة في صغارهم بل تزيدها حدة وتفاقما والتهابا .

ان محاولة الاباء الوصول بالنصفة الى هذا الحد المصطنع من التمام ، انما توقظ في الاطفال معاني من الخطورة بمكان . انها تجعل الطفل يحس دائما انه في كفة ميزان ، وأن له حقوقا لا بد ان تستوفى بالدرهم والدانق ، وهذا عصف بمعنى من معاني الاسرة الاولى ، ومعنى الاخوة ، ذلك التراضي والتسامح والايثار بأخذ الطفل المرتين ويعطى الثلاث من المرات . ■■

العتابي
كلثوم بن عمرو

بقلم : الدكتور محمد زغلول سلام
جامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم

■ شاعر من كبار شعراء الدولة العباسية ، عالم كاتب خطيب ، من ادبائها المرموقين . عاش حياة طويلة حافلة بالاحداث ، وله آثار باقية فى كثير من كتب الادب والتاريخ ، بين اخبار ، وآراء حكيمة عليمة ، ونوادر تدل على خبرة بالحياة والناس ، وفكر متفتح غنى ، وذكاء وقاد ، ونشاط متعدد متنوع ، بين العراق والشام ، متنقلا فى الامصار الاسلامية ، بين قِنّسرين ، والرى والبصرة ، وحران وبغداد .. وغيرها .

مولده ونشأته

والعتابى شاعر عربى أصيل ، من ربيعة ، من بنى عتاب ، وينتهى نسبه الى عمرو بن كلثوم ، التغلبى ، وهو من ابناء الجزيرة الفراتية ، وكان لتغلب بها كثير من البطون . ويقال انه وُلد بقِنّسرين ، بالقرب من حلب ، او براس عين فى الجزيرة . فى مطلع الثلث الثانى من القرن الثانى اغلب الظن ، فلم نتحقق من تاريخ ولادته ، لان المراجع لم تجزم به . وقد عاش حياته الاولى بدويا يحيا حياة عرب الجزيرة ، يلبس خشن الثياب ويجرى على طباعهم وتقاليدهم . وقد تركت حياته الاولى فى نفسه آثارا ظلت تلازمه طوال حياته فى بغداد ، مما كان مدعاة لسخرية أهلها وسَراتها وخاصة من لباسه وتصرفاته . واتخذ منها بعض اصدقائه وجلسائه مادة للتفكه والمزاح . وكان العتابى قصير القامة ، ويشير الى ذلك فى شعره فيقول :

نهى ظراف الغوانى عن مواصلتى
ما يفجأ العين من شيبي ومن قصرى

ثقافته

وتلقى ثقافته الاولى فى موطنه الاول ، ولكننا لانقف على أصولها الا ظنا ، فقد الم بكثير من معارف عصره وكانت المنطقة التي نشأ فيها وترعرع زاخرة بمختلف الثقافات ، وخاصة الثقافة الاغريقية، وربما اتصل بكثير من العلماء ، أو وقعت فى يده بعض كتب الحكمة والفلسفة ، فكثير من آرائه يدل على اطلاع واسع فى هذه الموضوعات .

وتلقى اصول الثقافة العربية ، وطمحت به نفسه الى أن يتزود منها ، فشد الرحال الى حيث يرتوى من مناهلها بالبصرة ، وكانت مورد كل



من كبار شعراء الدولة العباسية

كره مدح الرجال، وكان لا يهتم بهندام

قربه الرشيد، ثم وشى به تلميذه

تواق للمعرفة ، لما حفلت به من ضروبها ، وما جمعته من العلماء الاجلاء وشعرائها النابهين .

ويروى انه التقى ببشار وهو حدث فانشده أبياتا يقول فيها :

أيصدر عن أمامة أم يقيم
وعهدك بالصبا عهد قديم

فاعجب به بشار ، وقال له : أنت بصير ؟ قال نعم ، قال : عجيب لبصير أن يقول هذا الشعر .

وظل بعد ذلك يروض الشعر ، والخطابة والكتابة ، حتى نبغ فيها جميعا .

كان زاهدا لا يهتم بهندام

وقضى حياته فيما تروى اخباره زاهدا لايهتم بهندام ، ولا يركن الى ناعم العيش ، مع انه اتصل بكبار رجال الدولة العباسية وخلفائها وخاصة الرشيد والمأمون ، فاغدقا عليه .

روى الحصرى أن يحيى بن خالد البرمكي عاتبه على لباسه – وكان لايبالي أى ثوبيه ابتذل – فقال : أبعد الله رجلا همه أن يكون جماله فى لباسه وعطره ، انما ذلك حظ النساء واهل الاهواء حتى يرفعه أكبراه ، همته ولبه ، ويعلو به منطقاه ، لسانه وقلبه .

وروى أبو الفرج أن بعضهم رآه يأكل خبزا على الطريق بباب الشام . وكان فقيرا لم يوسر كغيره من الشعراء ، بالرغم مما كان بين يديه من الفرص لو انتهزها .

ومما يروى أن بعض جيرانه مر عليه ذات يوم وهو ينظر فى كتاب فقال : ايش ينفع العلم من لا مال له ؟ . فانشد العتابى :

ياقاتل الله أقواما اذا ثقفوا
ذا اللب ينظر فى الآداب والحكم
قالوا ، وليس بهم الا نفاسته
أنافع ذا من الاقتار والعدم
وليس يدرون أن الحظ ما حرموا ،
لحاهم الله ، من علم ومن فهم

ولم يتزوج ، فقيل له : لو تزوجت ؟ فقال : اني وجدت مكابدة العفة خيرا من الاحتيال لمصلحة العيال . ولم يتخذ الشعر وسيلة للتكسب ، وخاصة فى أخريات حياته بعد أن شغله العلم والتحصيل عن المديح ، وليس يعنى هذا انه لم يمدح ولم يتكسب ، بل انه قصد الى المديح ولم يتبذل ، وانما كانت فى نفسه عفة واعتداد بعلمه وفهمه .

حبّه الفكاهة والمزاح

وفى اخلاقه حب للفكاهة والمزاح ، وتروى لـه بعض النوادر منها الخبر الذى يرويه ابو الفرج وذكرنا مصدره وهو ان عثمان الوراق قال : رايت العتابى ياكل خبزا على الطريق بباب الشام فقلت له : اما تستحي ؟ ويحك . فقال : ارايت لو كنا فى دار فيها بقر كنت تستحي وتحتشم ان تاكل وهى تراك ؟ فقال : لا . قال : فاصبرْ حتى اعلمك انهم بقر . فقام فوعظ ، وقصَّ ، ودعا حتى كثر الزحام عليه ، ثم قال لهم رُوِّىَ لنا غيرُ واحد انه من بلغَ لسانه ارنبةَ انفه لم يدخل النار . فما بقى واحد الا واخرج لسانه يومىء به نحو ارنبة انفه ، ويقدره حتى يبلغها ام لا . فلما تفرقوا قال العتابي : الم اخبرك انهم بقر ؟

مزاحه كاد يورده موارد التهلكة

وقد اورده حبه للمزاح موارد التهلكة ، فقد روى انه مر يوما بصديقه وتلميذه منصور النمرى الشاعر ، وكان مغموما ، فقال له العتابي : مالك اعزك الله ؟ ، فقال امراتي تطلق منذ ثلاث ، ونحن على ياس منها ، وقد عسر ولادها ، وهى يـدى ورجلى ، والقيّمة بامرى وامر منزلى ، فقال له العتابي : وان دواءها منك اقرب من وجهها . قل: « هارون الرشيد » ، فان الولد يخرج !! ، فقال : شكوت اليك ما بى فاجبتني بهذا ؟ ، فقال : ما اخذت هذا الا من قولك :

ان اخلـف الغيثُ لم تخلف انامله
او ضـاق امـرٌ ذكرنـاه فيتسعُ !!

كره مدح الرجـال

واتصل العتابي بكبار رجال الدولة ، وامرائها ، وخلفائها ، وقد رُوى عنه انه كره مدح الرجال فقد ذكر الحصرى عنه انه سئل : امدحت احدا ؟، فقال : لا وليس لى على ذلك قدرة ، فقيل له : فقد مدحت الربيع ، فقال : ذلك ليوم يُستحقّ فيه المـدح .

كان وطيد الصلة بالبرامكة

وكانت صلته بالبرامكة وطيدة مشهورة ، فقد استقدمه يحيى بن خالد لتاديب ولده وقال لهم : ان قدرتم ان تكتبوا انفاس كلثوم بن عمرو العتابي فضلا عن رسائله وشعره ، فلن تروا ابدا مثله . ثم اختص بعد ذلك بجعفر بن يحيى ، وتقدم عنده ، وكان يقربه ويباشره كما يقول ابن المعتز . وكانت لجعفر عليه اياد بيضاء ، لعل اجلها عليه انه قدمه للرشيد وقرظه عنده حتى بلغ عنده مرتبة رفيعة ، وانه اخفاه عندما غضب الرشيد عليه ، وطلبه واهدر دمه ، وما زال به خالد يعطفه عليه ، ويرقق قلبه له حتى عفا عنه ، فعرف العتابى له ذلك ولهج بهذا الجميل فقال :

ما زلـتُ فـى غمرات الموت مطرَّحـا
يضيق عنى فسيح الراى مِنْ حِيَلى
فلم تـزل دائبا تسعى بلطفـك لـى
حتى اختلستَ حياتي من يدىْ اجلى

ولم يكن يفصح فى سؤال «جعفر» عن حاجاته ، فيبادر جعفر بالاجابة تلميحا ، وقد جاءه مرة ، او جاء والده يحيى فكلمه فى حاجة كلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر اليوم كلامك وقل ، فقال له : وكيف لا يقل وقد تكتنفنى ذلُّ المسالة وحيرةُ الطلب ، وخوفُ الرد . فقال له يحيى : لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده .

وصلته تاكدت بالرشيد

واتصل بهارون الرشيد ، وتمكن منه بعلمـه ، وحكمته، وادبه. ولم تكن صلته به قائمة على مجرد صلة الشاعر بممدوحه ، فان مدائحه فيه كانت اقل اسباب الصلة بينهما ، واوهى الاواصر ، انما احتفظ به الرشيد واعجب به لعقله .

جفوة بينه وبين الرشيد

واعترى هذه العلاقة جفوة كادت تودى بحياة الشاعر الحكيم فقد سعى منصور النمرى بما مزح به العتابي معه متعرّضا بالرشيد . روى ابو الفرج انه قال له « ياكشحان ، والله لئن تخلص امراتي ، لاذكرن قولك هذا للرشيد . فلما ولدت امراته

خبّر الرشيد فامر بطلبه فاستتر عنه ، وقيل انه هرب منه الى بلد الروم . وما زال العتابي يحتال لرضى الرشيد بمختلف الوسائل ، فساعة يشفع فيه كبار رجال الرشيد ووزرائه المقربين اليه ،وتارة يبعث اليه بقصائد يعتذر فيها ، او رسائل يبدى فيها ندمه ، حتى شبهت اعتذاراته باعتذارات النابغة الذبياني ، حين طلبه النعمان بن المنذر . ومن جيد هذه الاعتذارات قوله :

جعلتُ رجاءَ العفو عذْراً ، وشيْمَتَهُ
بهيبةِ اما غافرٍ أو معاقبِ

وكنت اذا ما خفت حادثَ نبوةٍ
جعلتُك حصناً من حِذار النوائب

فانزلَ بي هِجرانُك اليأسَ بعد ما
حللت بواد منك رحبِ المشارب

اظلُّ ومرعاى الجديبَ مكانَهُ
وآوى الى حافات اكدر ناضب

ولم يَنْشرِ من نفسى الردى غير انها
تنوءُ ببِاقٍ من رجائي لائبِ

هى النفس محبوسٌ عليك رجاؤها
مقيدة الآمال دون المطالب

وتحت ثياب الصبر منى ابنُ لوعة
يظلُّ ويُمسى مُستلينَ الجوانب

فتى ظَفِرتْ منه الليالى برئة
فاقلعن عنه داميات المخالب

حنانيكَ انى لم اكن بعتُ مرَّةً
بذل ، واحرزت المُنى بالمواهب

فقد سَمْتَنِى الهجرانَ حتى اذقتنى
عقوبة زلاتى وسوء مناقبى

فها انا مُقتصٍّ من رضاك وقابضٌ
على حد مصقول الذبابين قاضب

ومنتزع عما كرهت وجاعلٌ
هواك مثالا بين عينى وحاجبى

وفيه مافيه من شعور بالندم على ما قدّم ، واحساس بالضياع فى بُعده عن الخليفة ، وخوفه كل طريق دب فيه ، يتفزع لدى كل خافق ، خوفا من طالب يتربص به ، او شرطى من رجال الخليفة يمسكه ، ولذلك فهو فى واد قحل اجرد ومرعىً جديب ، ومنهل ضَحْلٍ كَدِرٍ . ثم يبدى بعد ذلك الندم والرجاء فى العفو ، وياخذ على نفسه العهد أن يثوب ويجعل هوى الرشيد بين عينه وحاجبه .

وتختلف الروايات فى رضا الرشيد عليه ، أكان، بسبب هذه الاعتذارات ، ام كان بسبب خالد ابن يحيى أو جعفر بن يحيى أو غيرهما ، ام كان لانه اقدم على أن يَبْدى الندم بنفسه بين يدى الخليفة حتى يرضى عنه ؟ . يروى انه تحايل للدخول على الرشيد سرا مع المتظلمين بغير اذن ، حتى مثل بين يديه ، وقال له : يا امير المؤمنين ، قد آذتني الناس لك ، ولنفسى فيك ، وردنى ابتلاؤهم الى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسى كنت ، لو اعانني عليك الصبر ، وفى ذلك اقول :

اخضْنى المقامَ الغمْرَ ان كان غرّنى
سنا خُلّبٍ او زلتِ القدمان

اتتركنى جدب المعيشة مقترا
وكفّاك من ماء الندى تكِفان

وتجعلنى سهم المطامع بعدما
بللتَ يمينى بالندَى ولسانى

فاعجب الرشيد قوله ، وخرج وعليه الخلع ، وقد امر له بجائزة . وهكذا رضى عنه الرشيد ، وكانت فيه هذه الخلّة ، اذا غضب ثار ، وعصف بما حوله ، واذا رضى خفض الجناح وانس لكل مانح .

مدائحه فى الرشيد

واتصل بينهما حبل ما انقطع ، وعاد يتردد على مجالس الخلافة ، ينشد شعره ، وينثر درر قوله . وله فى الرشيد مدائح يغلب عليها طابعه فى عمق المعانى ، وتقدير مواضع كلماته فى بناء جزل ليست فيه ليونة المحدّثين ، ولا بساطة المطبوعين ، ولا يخلو من الصنعة الرصينة . ومنها قصيدته الرائية المشهورة :

ماذا شجاك بحوارين منْ طَلَلٍ
ودِمنة كشفتْ عنها الاعاصير

شجاك حتى ضميرُ القلب مشترك
والعين انسانها بالماء مغمور

فى ناظرىَّ انقباضٌ عن جفونهما
وفى الجفون عن الآماق تقصير

ويقـول فيهـا :

فَـتـتْ المدائـــحَ الا ان انفسـتـا
مستنطقـاتٌ بمـا تحوي الضمائـر
مـاذا عسى مادح يثـني عليك وقـد
ناداك فـي الوحـي تقديس وتطهير

ومما قال فيه من المعاني التي اشاد بها نقدة الادب قوله :

رعى امة الاسـلام فهـو معينهـا
وادى اليهـا الحـق فهو اميتهـا
مقيم بمستن الفـلا حيث تلتقـى
طـوارق ابكـار الخطـوب وعينهـا

اتصاله بالمامون بعد الرشيد

وتوفي الرشيد ، ولا شك ان العتابي وجد عليه ، وشعر بفقده ، ولكنه التقى بابنه المامون ولم تكن حياته مع المامون ، اقل اهمية منها مع الرشيد ، وان كان مع المامون قد اكتهل ، واسن .

ودليل اتصاله بالمامون قبل توليه الخلافة نجده في ابيات عاتبه بها لانه تباطأ عليه ، ولم يأذن له وكان قد ساله زيارتـه ، ان صار له من الامر شيء ، ويعرّض بقتل اخيه الامين . يقـول :

مـا على ذلك افترقنـا بسنــدا
ن ولا هكـذا عهدنــا الاخــاءْ
لـم اكـن احسب الخلافـة يـزدا
د بهـا ذو الصفــاء الا صفــاءْ
تضـرب النـاس بالمثقفـة السُّـ
ـر على غـدرهم وتنسى الوفـاءْ

بين العتابي ويحيى بن اكثم

فلما قرا المامون هذه الابيات امر ان يُدخل عليه، فلما سلم قال : ياعتابي ، بلغني وفادتك فسرتني ، وقد كانت بلغتني وفاتك فساءتني ، واني لحرىّ بالغم لبعدك ، والسعد بقربك . فقال العتابي : يا امير المؤمنين لوقسّم هذا الكلام على اهل الارض لوسعتهم عدلا ، واعجزهم شكرا ، وان لترضاك غاية المنى ، لانه لا ديّن الا بك ، ولا دنيا الا معك .

وحكى العتابي عن نفسه قال : « وقفت مرة بباب المامون انتظر من يستاذن لي عليه ، فاذا انا بيحيى بن اكثم ، فقلت استاذن لى على امير المؤمنين ، قال : لست بحاجب ، قلت : صدقت ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان . قال : سلكت بى غير سبيلي ، قلت : ان الله قد اتحفك بجاه وهو عليك مقبلٌ بالزيادة ان شكرت ، وبالتقصير ان كفرت ، وانا لنفسك خير منك لها ، ادعوك الى زيادة النعمة وبقائها عليك فتاباها .

فدخل على المامون وحكى له ما جرى بيني وبينه، فاستحسنه ، واذن لى » .

وكانت كثيرا ما تدور مساجلات كلامية في مجالس المامون بينهما ، او بين العتابي وكبار الادبـاء والعلماء . وقد يعمد الجلوس الى ممازحـة العتابي، لمعرفتهم فيه روح الدعابة ، على ما اشرنا .

بين العتابي ، واسحق بن ابراهيم الموصلي

فقد ذكر ابو الفرج ان العتابي لما قدم مدينة السلام على المامون اذن له فدخل عليه وعنـده اسحاق بن ابراهيم المَوْصِلي ، وكان العتابي شيخا جليلا نبيلا ، فسلم فرد عليه وادناه وقرّبه حتى قَرُبَ منه فقبل يده ، ثم امره بالجلوس فجلس ، واقبل عليه يسائله عن حاله ، وهـو يجيبه بلسان ذلق طلق ، فاستظرف المامون ذلك ، واقبل عليه بالداعبة والمزاح ، فظن الشيخ انه استخف به ، فقال : يا امير المؤمنين الايناس قبل الابساس . فاشتبه على المامون قوله ، فنظر الى اسحاق مستفهما ، فاوما اليه وغمزه على معناه حتى فهم فقال : يا غلام ، الف دينار . فأتى بذلك فوضعه بين يدي العتابي ، واخذوا في الحديث ، وغمز المامون اسحاق بن ابراهيم عليـه فجعل العتابي لاياخذ في شيء الا عارضه فيه اسحـاق، فبقى العتابي متعجبا ، ثم قال : يا امير المؤمنين اتاذن لي في سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ ، قال نعم سل . فقال لاسحاق : ياشيخ من انت ، وما اسمك ؟ ، قال : انا من الناس ، واسمى « كل بصل » ، فتبسم العتابي وقال : اما انت فمعروف واما الاسم فمنكر . فقال اسحاق : ما اقـل انصافك ، اتنكر ان يكون اسمى كل بصل ، واسمك كل ثوم ، وكلثوم من الاسماء ، اليس البصل

كالثوم ، واطيب من الثوم ؟ فقال له العتابي : لله درك فما أحجك ، اتاذن لي يا أمير المؤمنين في ان اصله بما وصلتني به ؟ ، فقال له المامون : بل ذلك موفر" عليك ، ونامر له بمثله « لم تعرف العتابي على اسحاق ، وخرجا متصاحبين ، ونزل العتابي في منزل اسحاق ، واقام عنده » .

المامون ياخذ بيد العتابي لما اسن

وما زال العتابي في حياته أيام المامون على صلة به ، حتى اضعفه الهرم .

روى ابو الفرج ان بعض من نقل عنهم راى العتابي جالسا بين يدى المامون قد اسن ، فلما اراد القيام ، قام المامون فاخذ بيده ، واعتمد الشيخ على المامون فما زال ينهضه رويدا رويدا حتى اقله فنهض .

وهكذا قضى العتابي حياته بين الشعر والكتابة والخطابة ، ومسامرة الخلفاء ، وتاديب ابنائهم ، وكانت له شخصية فذة فيها التعفف ، وفيها الطموح العلمى ، وفيها الاعتداد . ولاقى من بعض من خالطهم من الناس والشعراء العنت ، والنكران، ولعل تجربته مع تلميذه منصور النمرى خير دليل على هذا التنكر للصداقة، وقد حز في نفسه ان يوقع النمرى به لدى الرشيد ، وقد كان العتابي ينكر في النمرى تلونه ونفاقه ، فهو يبطن في نفسه التشيع ، ويظهر للرشيد المدح وللعباسية الفضل.

كان للعتابي مع ابن نواس اخبار ومناظرات

واتصل حبل العتابي بأبي نواس ، ولعلهما من سن متقاربة ، وربما زاد عليه العتابي قليلا،وكانت له مع ابي نواس اخبار ، ومناظرات ، وكان له في شعره آراء ، رواها المرزباني في الموشح،ورواها غيره ممن تتبع أخبار الشعراء ، ومآخذ العلماء عليهم .

راى الجاحظ في العتابي

وقد وقف العتابي في صف شعراء عصره الكبار، واعتبره الجاحظ من الشعراء الذين اتخذوا من البديع مذهبا فنيا ، قال في البيان والتبيين « والبديع مقصور على العرب ، ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة ، واربت على كل لسان ، والراعي كثير البديع في شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابي يذهب شعره في البديع » .

وقال الجاحظ في موضع آخر « العتابي يحتذى حذو بشار في البديع ، ولم يكن في المولدين اصوب بديعا من بشار ، وابن هرمة ، والعتابي » .

بل انه جعله في موضع آخر استاذا لمدرسة البديع فقال « وعلى الفافه وحذ°وه ومثاله في البديع يقول من يتكلف مثل ذلك منشعراء المولدين كمنصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى واشباههما » .

ومنه يتضح ان العتابي يسلك ضمن شعراء الصنعة ، والتجديد في العباسيين ، ولذلك قد يبدو على شعره مسحة من التكلف ، او تعمد التعمق في المعاني مع الصياغة العربية القوية والتي قد تختلف عن صياغة شعراء الطبع كأبي العتاهية ، او السيد الحميرى وأمثالهما .

وقد وصف بعض النقاد القدماء شعره بانه كز" ثقيل ، وشبهوه بشعر العلماء ، لغلبة طابع العقل ، وخلوه من الرونق والطلاوة .

شعره لم يصلنا منه كثير

ولم يصلنا ديوانه ، كذلك لم يصلنا كثير من شعره حتى نحكم عليه ، وكل ما وصلنا يعطينا احساسا قريبا مما أحس به القدماء حيال شعره باستثناء ابن المعتز الذى قرظه وقال في شعره كله عيون .

كتبه لم تصلنا كذلك

وعن نشاطه العلمي ، وكتبه لم يصلنا شيء كذلك مع ذكر المصادر لكثير من الكتب التى الفها، وقد أورد له ابن النديم ، وياقوت مجموعة من الكتب منها : كتاب المنطق ، وكتاب الآداب ، وكتاب فنون الحكم ، وكتاب الخيل ، وكتاب الالفاظ .

■■

محمد زغلول سلام



تعلّم كيف تنصت إلى حديث الناس

■ كان الجو فى غرفة الاجتماعات يسوده التوتر، وقد جلس خمسة من المهندسين الشبان يتباحثون مع رئيس احدى شركات بناء المصانع لمحاولة الاتفاق على تفاصيل اختيار موقع مناسب لبناء مصنع جديد لأحد عملاء الشركة .

وفجأة تقدم احد المهندسين المجتمعين باقتراح لحل المشكلة ، ولكنه ما كاد ينتهى من عرض اقتراحه حتى ساد المكان وجوم غريب ، ثم تحدث رئيس الشركة فاشار فى سخرية الى أن هـذا الاقتراح قدم فعلا الى المجتمعين ، فى نفس هذا الاجتماع القائم ، وقوبل بالرفض .

ولم يترك الحادث أثرا يستحق الذكر عقب وقوعه مباشرة . ولكن ما كادت تنقضى بضعة شهور حتى بدات آثاره السيئة تظهر . فقد حصل اكثر المهندسين على ترقية بعد اتمام المشروع بنجاح، باستثناء المهندس الذى اثار سخرية رئيس الشركة فقد بقى كما هو بلا ترقية !

ما الذى حدث بالضبط ؟ لقد اقسم المهندس صاحب الاقتراح المرفوض على انه لم يسمع احدا يتقدم باقتراحه خلال الاجتماع ، واذن لم يسمع قرار المجتمعين برفضه ! وقد كان المهندس على حق ، لانه وقع ضحية عادة عدم الانصات الى حديث الناس ، دون ان يشعر .

★★★

ان هذه القصة التى استهل بهـا الدكتور سترومر ، الاستاذ باحدى العيادات النفسية التى تشرف على علاج الناس من هذه العادة السيئة خاصة بامريكا ، تؤكد لنا الآثار السيئة التى قد تترتب على عدم الانصات لحديث الناس .

نقص خطير

يقول « الدكتور سترومر » ان هذه العـادة يمكن ان تصبح عقبة فى سبيل تقدم الانسـان ونجاحه فى الحياة . ان جانبا كبيرا من هـذا النجاح سواء فى العمل أو فى المجتمع الذى نعيش فيه يتوقف على مدى الاهتمام بالانصات الى الحديث . وقد كان هذا هو السبب الرئيسي الذى حذا بعدد كبير من الشركات الصناعية والكليات النظرية فى امريكا الى الاشتراك فى انشاء «عيادات» لعلاج موظفيها وطلبتها من هذه العادة السيئة .

وقد تعلمت من تجاربى ، كأستاذ فى احـدى هذه العيادات ، أن عددا كبيرا من الناس الذين يبدو عليهم كأنهم ينصتون باهتمام الى الحديث، تفوتهم نقط هامة مما يقال ، فيصلون الى نتائج خاطئة لما دار أمامهم من احاديث ومناقشات .

وهذا نقص خطير اذا ما وضعنا فى اعتبـارنا ان موقفنا تجاه اشياء كثيرة ، والخطوات التى يجب ان نتبعها لكى نحقق النجاح فى أعمالنا .. كلها تقوم على اساس الكلمة المسموعة المقنعـة اكثر مما تقوم على اساس آخر من وسائل الاتصال .

ما هي الاسباب

وقد يتسـاءل المرء بعـد ذلك : « ما هـى أسباب عـادة الانصـات السيىء التى تسىء الى حياتنا فى كثير من الوجوه ؟» . ولقد أدركت من خلال دراساتى لحالات عدد كبير من المترددين على العيادة ان هناك عدة أسباب لعدم اهتمامنـا بالانصات للحديث الذى نسمع ، أهمها :

(اولا) عقولنا لا تريد الانتظار :

ان افكارنا تستطيع أن تنطلق بسرعة تفـوق السرعة التى يتحدث بها الناس بنسبة تتراوح بين أربع وعشر مرات . ولذلك ففى الوقت الذى تنتظر فيه اسماعنا الكلمات لتخرج من أفواه المتكلم ، تجد افكارنا بعدت عنه وعن حديثه ، وراحت تحلق بعيدا ، وتبقى هناك فترة طويلة فى بعض الاحيان .

وقد تجلس الى رئيسك ليحدثك فى موضوع معين ، فتشعر انك تريد أن تسمع كل الحديث قبل أن يقوله . وهذا مستحيل . فماذا تكون النتيجة ؟ تكون بأن تفكيرك يسرح ، ثم يعود ليتركز على الحديث ، ثم يسرح . وهكذا دواليك.

وفجاة تصل الى اذنيك بضع كلمات من حديث رئيسك ، وتفاجا به وهو يقول لك : « طالما انك موافق على اقتراحى فتستطيع أن تمضى فىعملك». وهنا يبدأ عقلك فى التفكير ، فتسأل نفسك فورا : « ولكن ما هو هذا الاقتراح الذى وافقت عليه؟»،

مثل هذه الاخطاء التى نقع فيها كثيرا ما تحدث وكثيرا ما تكلفنا ثمنا باهظا !

(ثانيا) تصورنا اننا نعرف ما سيقال لنا بالفعل:

وفى بعض الأحيان يشعر المرء انه يعرف ما سيقوله محدثه ! ولذلك فانه ينصت الى الحديث « بنصف اذن » ! وقد روى أحد أصحاب الصحف مرة كيف اضاعت هذه العادة على صحيفة مبلغا كبيرا . فقد حدث أن اتصل أحد المعلنين تلفونيا بالجريدة وطلب نشر سلسلة من الاعلانات، وأمسك مندوب الجريدة بقلمه وملا استمارة عاديةللاعلان. وانقضت فترة طويلة قبل أن يعلم صاحبالصحيفة من المعلن انه كان يريد نشر اعلاناته فى مساحة تبلغ اضعاف المساحة التى نشر بها !

(ثالثا) اننا نتطلع الى المتحدث ولا نستمع الى حديثه :

ويحدث احيانا أن تفشل عقولنا فى استيعاب اسم شخص يقدم لنا لأن اهتمامنا يكون مركزا على مظهره وتصرفاته فلا نسمع اسمه . ولنفس هذا السبب ، وفى حالات اخرى متعددة تفشل عقولنا فى تسجيل ما يجب تسجيله .

(رابعا) عدم الاهتمام بالتركيز على الشيء الواحد :

وفى بعض الأحيان نحاول الانصات الىالحديث بينما نولى جزءا مناهتمامنا لقراءة مقال فىصحيفة أو الاستماع الى نشرةالاخبار فىالاذاعة أو التلفاز. وفى أحيان أخرى يستهوينا صوت قادم من الخارج فيستغرق جزءا من هذا الاهتمام ، وتكون النتيجة أننا لا نسمع تفاصيل الحديث الذى حاولنا أن ننصت اليه .

(خامسا) فشلنا فى معرفة الفكرة الرئيسية من الحديث :

حدث مرة أن قدمت للمترددين على عيادتى قائمة ببعض الكلمات التى ستذاع فى نشرة الاخبار . وكان المفروض أن يستمعوا اليها ، ثم يدرسوا بعد ذلك كيفية استخدامها فى سياق الحديث . ولكننى عندما سألتهم عن موضوع الحديث بصفة عامة اجابوا : « لقد استمعنا فقط الى الكلمات التى قرأتها لنا ولكننا لم « نستمع » الى موضوع الحديث ! » .

وانت أيضا . هل شعرت يوما أن المتحدث تكلم بالتفصيل فى موضوع معين ، ولكنك لم تسمع كل ما قاله ؟

قد يحدث هذا نتيجة لخطأ وقع فيه المتحدث نفسه ، وقد يكون نتيجة لانك لم تتعلم كيف تستخلص الفكرة الاساسية من موضوع الحديث ، أو التفاصيل الهامة المؤيدة لهذه الفكرة .

(سادسا) انفعالاتنا تجعلنا نصاب بالصمم :

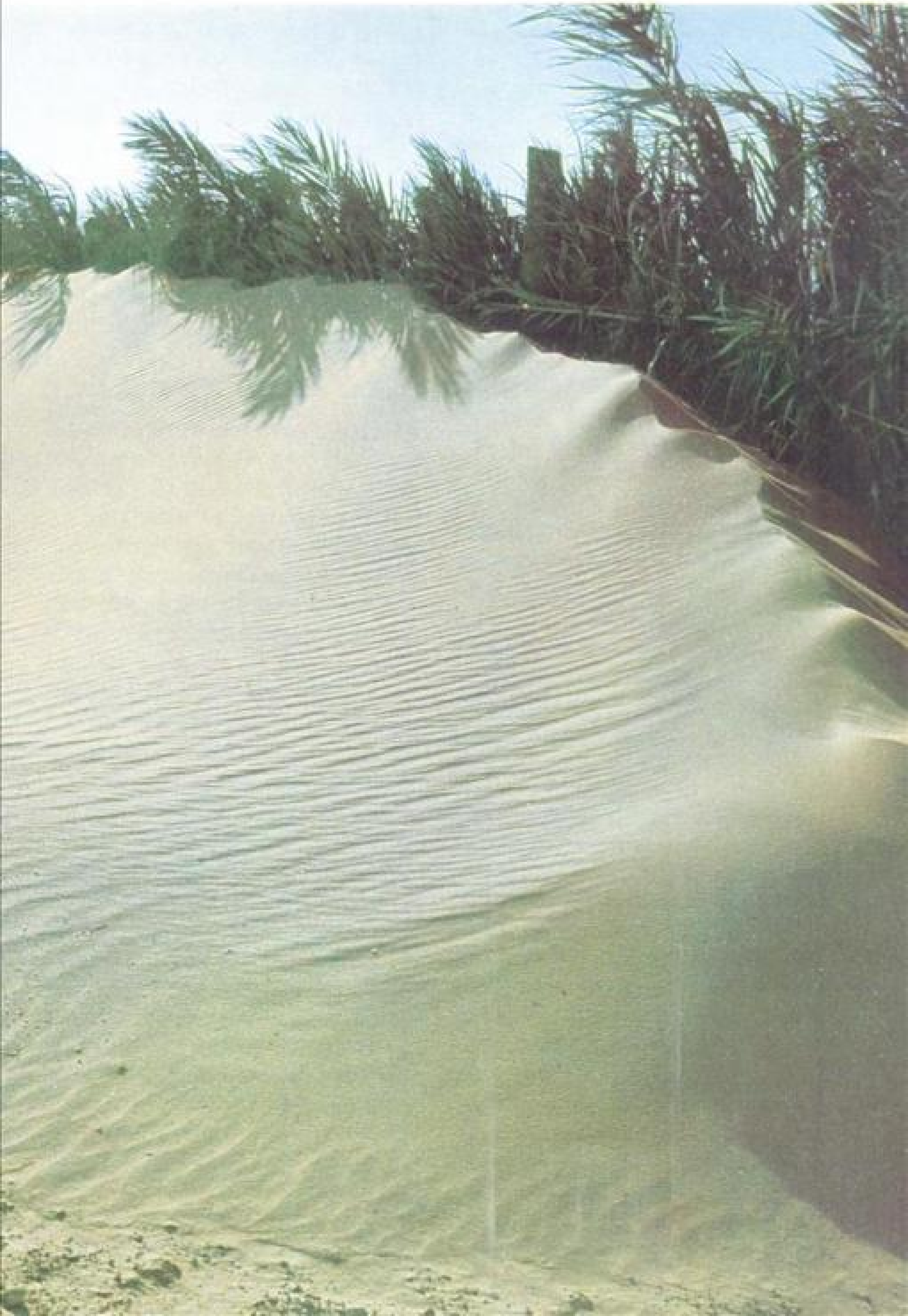
وهل تذكر حديثا او مناقشة اشتركت فيها واثارت مشاعرك ؟ وهل تذكر ما كان مدى انصاتك لتلكالمناقشة عندما احسست بالدم يغلىفىعروقك؟ فقد يحدث احيانا أن نستمع الى آراء معارضة لآرائنا فى موضوع معين يتعلق بالدين أو العقيدة او السياسة ، فنشعر فى الحال بخطورة الانصات الى مثل هذا الحديث خوفا من أن نسمع شيئا قد يؤثر على ايماننا بمبدأ أو عقيدة معينة . وتكون النتيجة أن تتوقف أذهاننا عن استيعاب ما يقوله المتحدث بينما تستعد فى الوقت نفسه لاعداد هجوم مضاد على هذه الآراء .

اعرف أخطاءك

هذه بعض الأسباب التى تؤدى الى عدم الانصات الى حديث الناس ، ولكن من الممكن التخلص منها بشيء بسيط من الجهد . والواقع ان الانصات باهتمام ليس سهلا ، فالاستماع والفهم والادراك وتذكر الأحداث .. كل هذا يتطلب طاقة كبيرة من المرء . ومن الصعب جدا على الانسان أن ينصت باهتمام الى حديث معين بينما يكونمشغولا بشيء آخر فى نفس الوقت .

فاذا عرفت الأخطاء التى تقع فيها عندما تجلس لتنصت الى حديث الناس وحاولت تصحيحها ، فسوف تكتشف أن فى مقدورك أن تحقق عن طريق حسن انصاتك الى الناس صداقة أوثق ، وعلاقات افضل مع افراد اسرتك ، ورصيدا اكبر فىالبنوك، ونجاحا تاما فى حياتك العامة . ■■

الى اسفل : يطلق أهل الاحساء كلمة « طعوس » على كثبان الرمال التي تهددهم .. وهذا واحد منها





الى اليسار : فلاح من الاحساء



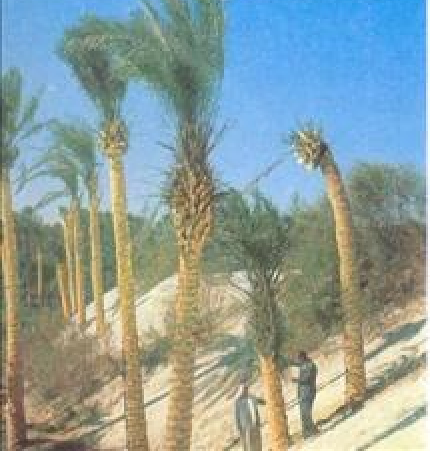
اعرف وطنك أيها العربي

الأحساء

● المدينة التي تزحف
عليها الرمال لابتلاعها

قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال

وصوره
عبد الناصر شقرة



الى اليسار : توضح هذه الصورة مدى الضرر الهائل الذي تحدثه الرمال المتحركة .. انها تخنق النخيل، وتسد الطريق في وجه جداول المياه ...

■ تنقلك « العربي » في هذا الاستطلاع الى الاحساء ، وبهذا تكون قد أكملت معك جولاتها عبر المدن والواحات المحيطة برمال صحراء الربع الخالي المخيف ..

لقد بدأنا هذه الاستطلاعات بتقديم البريمي الواحة اليانعة في الطرف الشرقي للرمال الحارقة ، ثم أتبعناها بسيون وشبام وتريم ، التي تعتبر البوابات الجنوبية الثلاث لتلك الصحراء .. واليوم نقدم لك « الاحساء » الواحة الكبيرة المطلة على صحراء الربع الخالي من طرفه الشمالي ..

كان لقاؤنا الاول مع الاحساء عبر نافذة الطائرة الصغيرة ذات المحرك الواحد التى أقلتنا في جولة فوق المنطقة .. الارض من تحتنا تموج بكثبان رملية متلاحقة ، كأنها كتائب جيوش تستعد للزحف .. هدوء مريب وسكينة ماكرة يسيطران على الرمال التى سرعان ما ينفضح أمرها ، اذ ما تكاد أقل ريح تهب حتى تتطاير حبيبات الرمال المستديرة البيضاء في كل اتجاه لتشترك في المعركة الفاصلة المحتدمة منذ ٢٥ قرنا بين عناصر الطبيعة المتغيرة في ذلك الجزء الشرقي من الجزيرة العربية ..

ومن خلال تحرك الكثبان الرملية (ويطلقون عليها كلمة « طعوس » ، جمع طعْس) يتضح مدى الاذلال الذى تعيش فيه هذه المنطقة التى احتلتها الرمال خلال مسيرتها الظافرة عبر القرون ، دون أن تلقى اية مقاومة ، بل بالعكس كانت العوامل الطبيعية كلها مشجعة ومواتية لهذا الزحف الخطر .. فالرياح نشيطة .. والجفاف مستحكم والامطار شبه معدومة .. والجبال لا وجود لها .

ونتج عن ائتلاف هذه العوامل كارثة للمنطقة ، فالرمال الناعمة المتحركة غطت المزارع والجداول ، وطمرت المجارى وعيون المياه ، ولم تكتف بهذا بل عمدت الى المدن والقرى فغطتها بطبقة كثيفة ، حتى أصبح المرء يتنقل ويسير على أسطح منازلها وكأنه يمشى فوق أرض منبسطة ، لا يعرف فوق أى سطح يسير ، الا اذا قال له أحدهم : « هنا في هذا المكان كانت مدينة أو قرية دفنتها الرمال » !

أول مسجد في المنطقة

وكان الناس يتراجعون مذعورين امام طوفان الرمال ، بينما الشعراء يتحسرون على مدنهم المدفونة فيذكرونها في لوعة وأسى لما لها عندهم من ذكريات ..

وأشهر هذه المدن المندثرة « جواثاء » أو جواثا كما تسمى اليوم ، وكانت العاصمة الدينية للمنطقة الشرقية وفيها أقيم اول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله (ص) في المدينة .

ومن المدن الاخرى المندثرة ، « واسط » و « الناضرة » و « الكلابية » ، وهذه الاخيرة اندثرت منذ عشر سنوات فقط تحت الرمال التى تتقدم سنويا بسرعة تتراوح بين ١٠ أمتار و ٦٠ مترا ، على جبهة طولها ١٦ كيلو مترا !

هدف الرمال

وقد قدروا كمية حبيبات الرمال الموجودة حاليا في المنطقة بنحو ٢٠٠ الف طن .. انها رمال متحركة تهدف في تحركها الى الالتحام برمال الربع الخالي في الجنوب ، ورمال صحراء الدهناء في الغرب .. وقد تحقق لها الشق الاول فالتحمت مع رمال الربع الخالي على طول ساحل الخليج العربي .. وقدرت المساحة التى استولت عليها هذه الرمال حتى الآن بنحو ١٢ مليون دونم ، أى ثلاثة ملايين فدان تقريبا ، تمثل تسعة أعشار المنطقة المتزرعة في شرق الجزيرة العربية !

ولكن هل اكتفت الرمال بما حققته من نصر حتى الآن ؟

والجواب : لا .. لم تكتف الرمال بهذا النصر ، بل ما زالت ترنو الى منطقة الاحساء تريد ابتلاعها



خريطة المنطقة الشرقية ، ويطلقون عليها اسم الاحساء .. وكانت تسمى قديما « البحرين » .. وتعتبر الهفوف العاصمة التقليدية للمنطقة بالرغم من ظهور المدن الحديثة التي تفوقت عليها من الناحية المعمارية والموقع الاستراتيجي.. ويمر الى جانب الهفوف خط للسكة الحديد يوصلها بالدمام شمالا ، وبالرياض جنوبا .



كلها بقراها التسع والاربعين ، وعيونها المائة ، ونخيلها الذى يربو على المليونى نخلة .. لتحقق الشطر الثاني من مخططها ، وهو الالتحام برمال صحراء الدهناء ..

لقد دبرت الرمال خطتها لابتلاع قرية«العمران» القريبة من الهفوف ، فبدأت تحتل ضواحيهـا استعدادا لابتلاع القرية كلها فى مدى ثلاث سنوات، وليس هذا بالأمر الجديد عليها ، فقد سبق للرمال ان ابتلعت ١٤ قرية اكبر من « العمران » .

ولكنها فى هذه المرة ، وفى غمرة حماسها لم تكترث للطائرات المريبة الحائمة فوقها ، والتى كانت تختلس مئات الصور للكثبان المتحركة .

الهفوف أو الاحساء

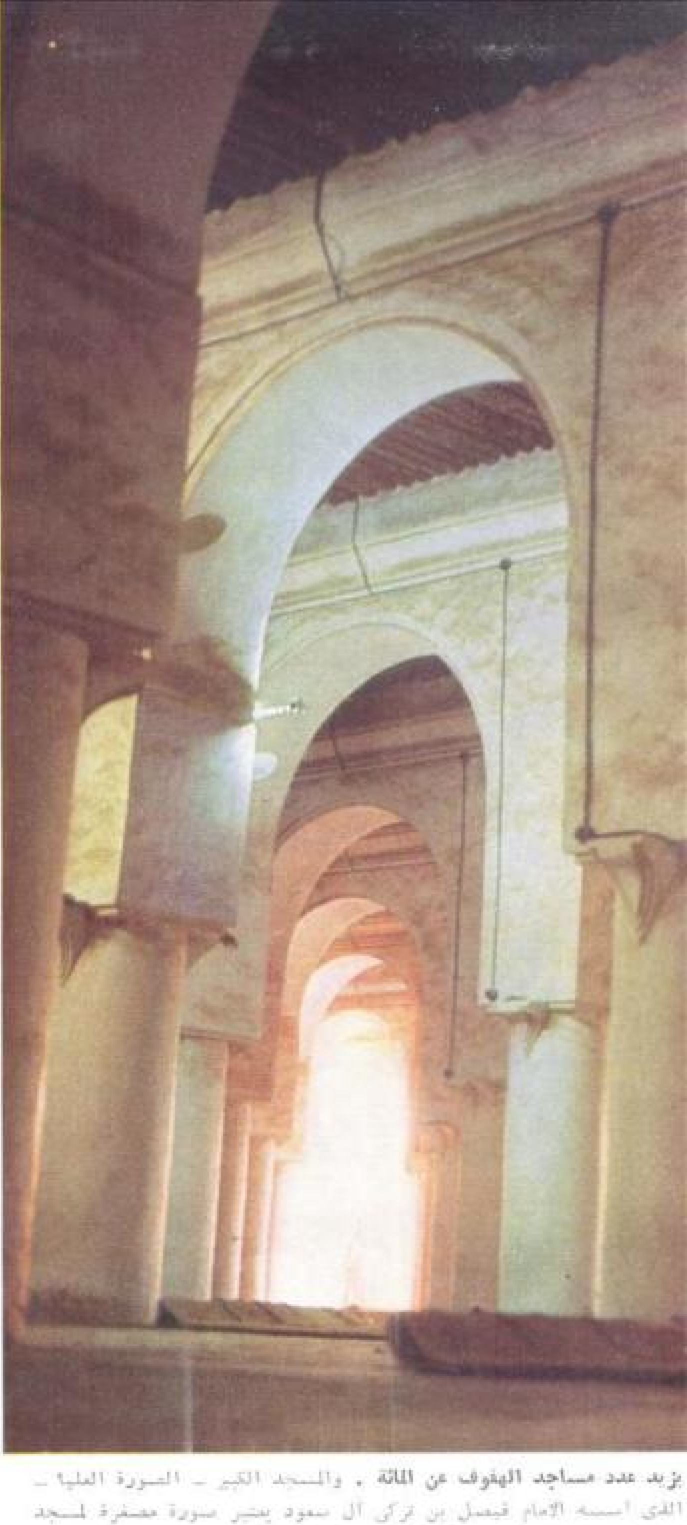
لقد راع المسئولين سرعة اقتراب الرمال من « الهفوف » : قلب الاحساء النابض ، وعاصمته، ومقر امارته ، ومركز تجارته ، التى يتهافت الناس عليها لسكناها ، حتى اشتقوا اسمها « الهفوف » من التهافت .. ولبيان اهميتها اصبحوا يطلقون عليها اسم المنطقة، فاصبحت المدينة تحمل اسمين: الهفوف أو الاحساء

القرامطة شيدوا الهفوف

ومن أهم المفارقات فى الهفوف أن ساكنيهـا ما زالوا الى اليوم يلعنون اسم بانيها لانـه « قرمطى » أى من القرامطة !

وفى هذا يقول المؤرخ الاحسائى المعاصر محمد ابن عبد الله الانصارى فى مؤلفه عن تاريخ الاحساء: « بنيت الهفوف عام ٣١٧ هـ ، فى عهد سليمان ابن الحسن بن بهرام الجنابى أبى طاهر القرمطى عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

ولكن هذا الحكم ليس عاما فقد اختلف المؤرخون

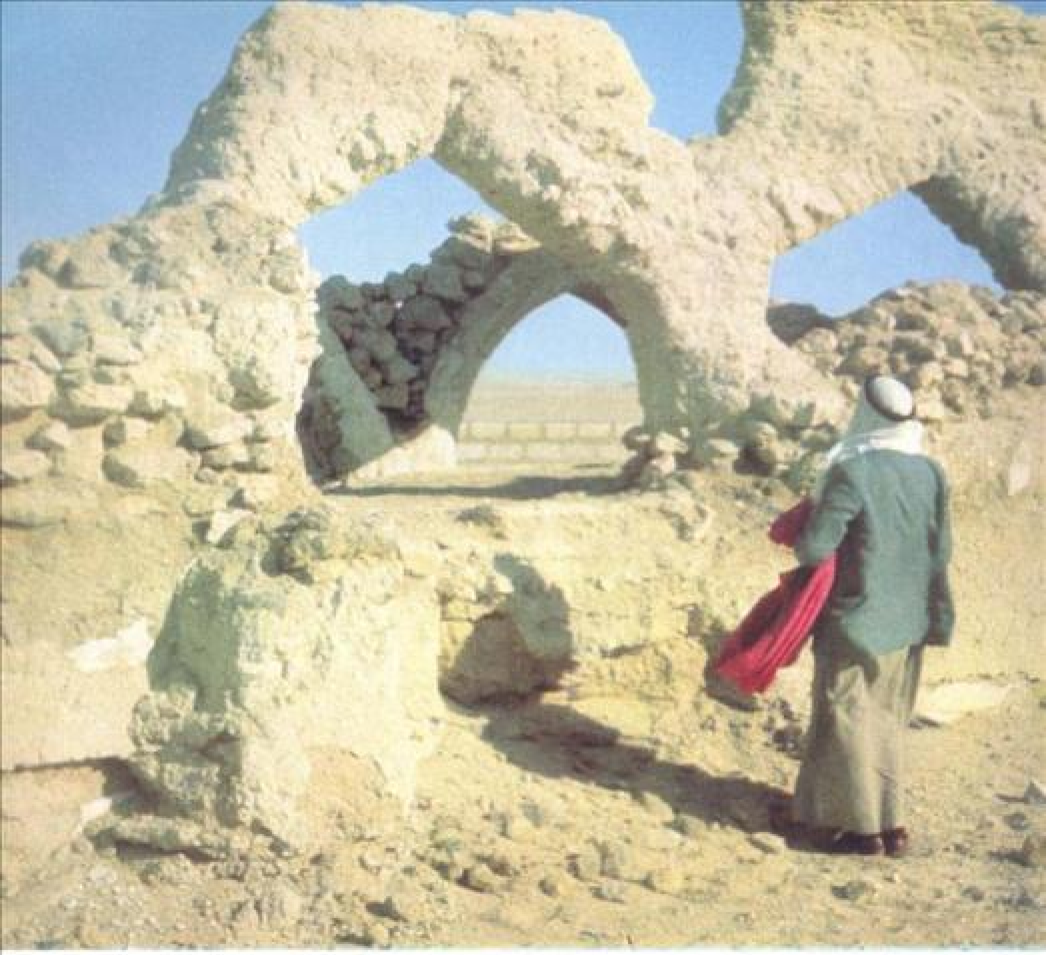




أول مسجد صليت فيه
الجمعة بعد مسجد
رسول الله ـ ص ـ :



يزيد عدد مساجد الهفوف عن المائة . والمسجد الكبير ـ الصورة العليا ـ الذي أسسه الإمام فيصل بن تركي آل سعود يعتبر صورة مصغرة لمسجد قرطبة .. والصورة اليسرى لمجموعة من الاهالي يصلون في العراء بجوار دير أم سبعة ...



طغت الرمال المتحركة على قرية جواثي ـ بالألف المقصورة ـ التي كانت تضم مسجد عبد القيس ، وهو أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد رسول الله ـ ص ـ وقد أزيلت أخيرا خمسة أمتار من الرمال التي كانت تغطيه وتغطي البئر القريبة منه فظهر الماء العذب فيها ثانية بعد أن كان قد توقف طويلا كما ظهر الجدار القبلي للمسجد .



فى حكمهم على القرامطة ، حتى كاد أن يلتبس امرهم ، ففريق عدد محاسن اعمالهم ، وفريق نعتهم بالانحلال والمباذل ..

وقد اجمع المؤرخون على أن أحط اعمال القرامطة كانت فى عام ٩٣٠ م ، عندما دخل ابوطاهر القرمطى مكة المكرمة واعمل السيف فى رقاب الحجاج ثم نقل الحجر الاسود الى منطقة الاحساء ظنا منه أن المسلمين سيحجون الى الاحساء وراء هذا الحجر . واستنادا الى هذا الظن يرفض «أبوطاهر» مبلغ خمسين الف دينار مقابل رد الحجر الاسود الى مكانه ..

ومرت الشهور والسنون دون أن يقبل المسلمون على الحج الى الاحساء .. فاضطر خلفاء ابى طاهر الى رد الحجر الاسود لمكانه ثانية فى الكعبة.

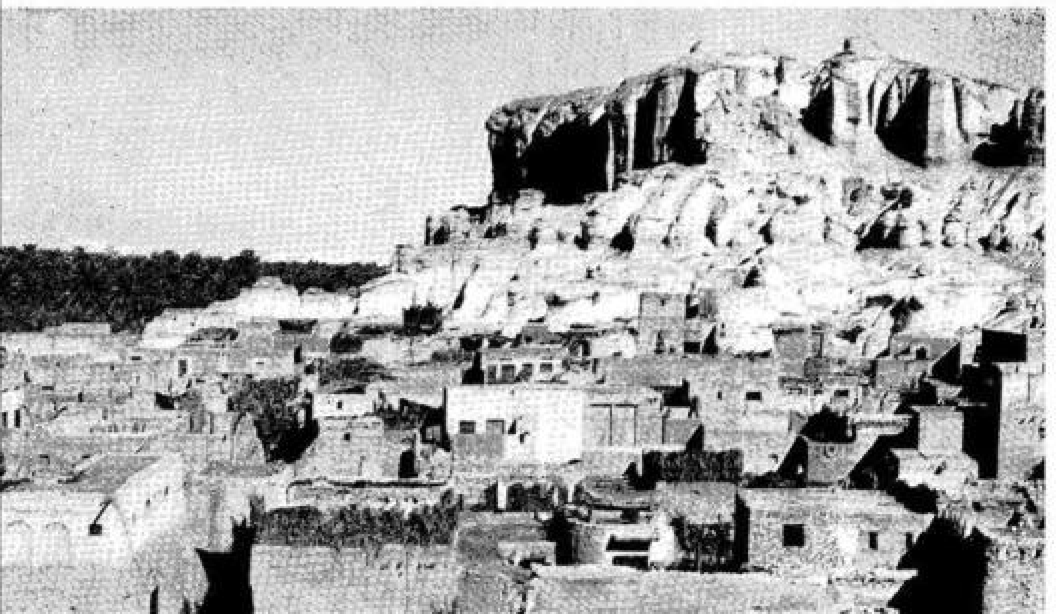
وكانت الاحساء فى عهد القرامطة محاطة مع قراها باربعة اسوار تتخللها ينابيع مياه غزيرة ، ولم يكن فيها الا مسجد واحد ، وكانت تجارتها رائجة ، وعملتها الخزف تحمل فى اكياس .

اول طريق فى المدينة القديمة

لقد مضى على بناء الهفوف اكثر من ألف عام ، ولكن المتجول فيها ما زال يخال نفسه وكأنه يعيش فى ماضيها ، لأنها مدينة تطورت واتسعت على نفس الاسلوب القديم : ازقة ضيقة ملتوية ، وبيوت من الطين والحجارة متلاصقة حولها اسوار عالية ، يعيش بداخلها الاهالي بجانب البشر الارتوازى الذى كان موجودا فى كل منزل .

وتكونت بلدية للهفوف سرعان ما شمرت عن ساعد الجد وبدأت محاولة جريئة تهدف الى نقل المدينة من طور البداوة لطور الحضارة ، فعمدت الى دفع ملايين الريالات لانتزاع ملكية مئات المنازل القديمة،

الى أسفل : توصف ارض الاحساء بأنها خالية من الجبال ، ولكن من وسط بساتين النخيل يرتفع جبل الشبعان أو « القارة » القريب الذى تكثر فيه الكهوف المتميزة بالبرودة فى الصيف والدفء فى الشتاء ، لهذا يلجأ اليها الاهالي يقضون فيها فترات من الصيف والشتاء . وتنوي بلدية الهفوف تحويل هذا الجبل الى مكان سياحي لغرابته .. وعند سفح الجبل تقبع ثلاث قرى هي : الدلوة والقارة والتوائير يعمل أهلها فى زراعة الارز وجمع التمور ..





هذه هي منازل منطقة الكوت في الهفوف .. وتنقسم المدينة الى أربع «محلات» أقدمها الكوت ، والنعاثل، والرفعة، والصالحية ..كل محلة مقسمة بدورها الى أحياء عديدة تحمل مسميات مثل المزرعة، والمنصورة.

وبعدها بدأت أوسع عملية هدم لمنازل الهفوف .. ومن وسط الأتربة والانقاض المتراكمة وُلِد أول شارع كبير في الهفوف ، عرضه ثلاثون مترا ، وبجواره ثلاثة شوارع أخرى اتساع كل منها ١٦ مترا ..

وكيل البلدية يتحدث بصراحة

ونترك مدير البلدية ، التي ليس لها رئيس ، يكمل الحديث فيقول : « لقد فكرنا في انشاء شبكة للمجاري بالمدينة فوجدنا أنها ستكلف ٥٢ مليون ريال ..

« وفكرنا في القضاء على الذباب الذي تشتهر به الهفوف ، فوجدنا أنه من رابع المستحيلات لأن القضاء على الذباب لا يمكن أن يتم بصورة أكيدة الا اذا قضينا على أماكن توالده ، وهذه الأماكن موجودة داخل كل منزل ، في صورة حظائر الحيوانات التي ما زالت تحتل مكانها داخل المنازل . فضلا عن مزارع النخيل حيث تترك التمور على الأرض لتجف تحت أشعة الشمس ، وهذه المناطق تعتبر مرتعا خصبا لتوالد الذباب .. » .

ويتابع مدير البلدية حديثه بقوله :

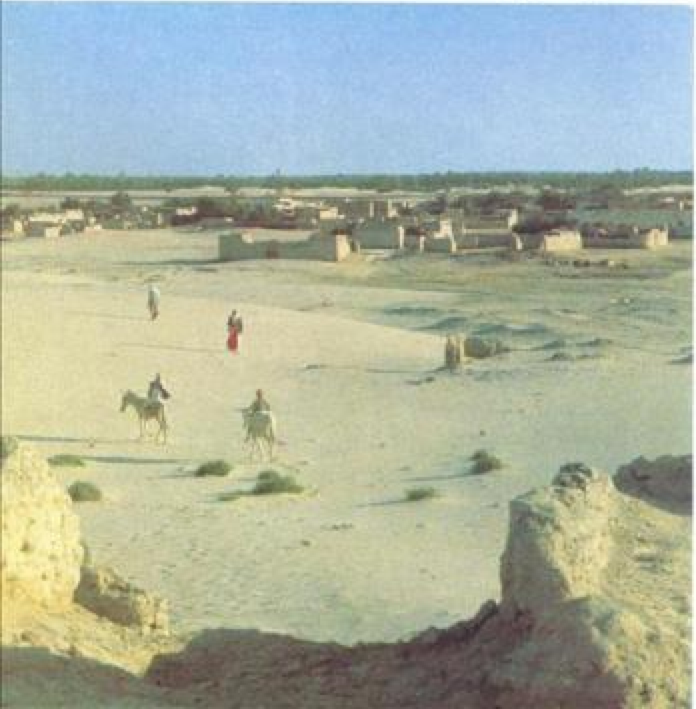
« وفكرنا في أننا اذا شققنا الطرق ودفعنا



منظر من الجو لمنازل الهفوف .. لقد ظلت المدينة تتدرج على النمط القديم دون اي تغيير .. واليوم عندما بدا التفكير في الاصلاح، وجدوا انه من المستحيل عمل اى شيء الا اذا هدمت هذه المنازل.. لهذا اتجه تفكيرهم الى بناء مدينة تتجاوب مع متطلبات العصر الذى نعيش فيه .. ان تاريخ بناء الهفوف يعود الى الف سنة مضت .



الميدان الرئيسى فى الهفوف .. وفى طرفه يبدو الشارع الرئيسى الذى شقته البلدية بعد هدمها لآلاف المنازل القديمة .. ومما يذكر أن سعر المتر من الارض داخل السوق يصل الى ٢٠٠٠ ريال .. وليس فى الهفوف فندق فقد تعود الناس أن يستضيفوا الغريب ، ولكن بعد تطور المدينة بدأ العمل لانشاء فندقين حديثين .





الى اليسار : على بعد كيلومتر من قرية العمران التى غطتها الرمال ، شيد الاهالى « العمران الجديدة » ليقيموا فيها .

التعويضات للاهالي، فانهم سوف يشيدون المنازل الحديثة على جانبي الطرق الجديدة ، ولكن حتى هذا لم يتم ، وظلت الاطلال على جانبي الطريق ، والذين أخذوا التعويضات عن هدم منازلهم القديمة اتجه ٧٥ في المائة منهم الى مدينتي الخبر والدمام لبناء مساكن جديدة هناك ، بعيدا عن الهفوف ! » .

من العبث ترميم القديم

وينهي السيد راشد اليمين مدير بلدية الهفوف كلامه بهذا التصريح الخطير : « لقد اتضح لنا أن محاولة اصلاح مدينة الهفوف لا يمكن أن تتم الا بهدمها كلها وبناء مدينة حديثة مكانها تحوى جميع المنافع العامة الحديثة .. ولكنا وجدنا أنها عملية انتحارية تحتاج الى مجهودات جبارة والوف الملايين من الريالات لتحقيقها .. لهذا عدلنا عن هذه الخطة وقررنا أنه من الاسهل والاوفر بناء مدينة جديدة اخترنا لها موقع منطقة المحاسن الغنية بالمياه الجوفية ، والتى لا تبعد اكثر من بضعة كيلومترات عن الهفوف الحالية ».

وينهي مدير البلدية حديثه بقوله :

« ان التجربة اثبتت لنا أنه من العبث أن نحاول ترميم القديم ، فالشوارع التى شققناها أصبحت كلها مليئة بالحفر والمطبات ، لأن دخول الكهرباء ، ومد أنابيب المياه الى بعض الاحياء احتاج الى احداث هذه « العاهات » في الشوارع التى باتت في حاجة ماسة الى اعادة رصفها وتعبيدها .. » .

هجرة عكسية

ان الهفوف كانت في الماضى موطنا يهاجر الناس اليه« فقد جاءها العجمان من الجنوب ، وبنو مرة من الربع الخالى ، والمناصير من قطر وبنو هاجر من الشمال ، والدواسر من الداخل».

ولكن الحال لم يستمر على هذا المنوال ، فقد تحولت الأمور الى هجرة جماعية من الهفوف الى المناطق الشمالية الواسعة الممتدة حتى البصرة ، واصبح « الاحسائيون » منتشرين في هذه المنطقة



عين أم سبعة : اشهر عيون الماء في الاحساء ، في سبعة فروع ، لكنها اليوم اصبحت ستة لان يستحم فيه الناس ، وخاصة

الواسعة .. انه رخاء البترول الذى جذبهم اليه، فهجروا مدينتهم ومزارعهم ليعملوا في شركات ومؤسسات ومدن البترول ..

وقد نتج عن الهجرة ارتفاع كبير في أجور الأيدى العاملة ، التى أصبحت من القلة بحيث تعذر على المسئولين ان يجدوا عمالا لصيانة المشاريع ، سواء القديم منها أو الحديث !

ولا يوجد احصاء رسمى لعدد السكان لكنهم يقدرون بنحو ٧٠ الف نسمة يسكنون الهفوف و ١٧٠ الف في المنطقة الشرقية بكاملها ..

١٠٠ عين ماء

ان اجمل ما في الهفوف هو مياهها ... انها أغنى مناطق المملكة بالمياه الجوفية التى تتفجر من مائة بئر منتشرة في كافة ارجاء الاحساء ، كل منها يحمل اسما خاصا بها .. فهذه بئر أم سبعة المشهورة بفروعها السبعة التى دفنت الرمال احداها .. وتلك عين الخدود المعدنية .. انها اكبر عيون الاحساء وتتدفق منها المياه بمقدار ١.٥ أمتار



وسميت « أم سبعة » لأن مياهها كانت تنساب الرمال غطت أحدها .. وماؤها عذب ساق العرسان في ايام الخميس .

مكعبة في الدقيقة .. وبعدها تأتي عيون نجم ، والحارة ، والجوهرية ، وغيرها ..

والعجيب في هذه العيون أنها حارة المياه شتاء وباردة صيفا ، وتتراوح نسبة الاملاح فيها ما بين ١٢٠٠ و ١٤٧٠ جزءا من المليون .. وتعتبر هذه النسبة مرتفعة نسبيا غير أنها تصلح للشرب والرى على السواء ، لخلوها من الاملاح الضارة .

وعند منبع العيون الكبيرة ، وخاصة المعدنية منها، تكونت بحيرات واسعة يستحم فيها الرجال والشباب والأطفال .. أما النساء فقد خصصت لهن غرف مقفلة تمر المياه من تحتها عبر قنوات خاصة .. ان هذه الغرف أشبه « بالموتيلات » Motels تستاجرها العائلة فتقضى فيها يوما سعيدا بعيدا عن أعين الفضوليين .

حمام العريس !

ومن التقاليد الطريفة أن العريس الذى يقدم على الزواج للمرة الاولى ، يسير يوم الخميس الى عين « أم سبعة » ومعه جمهرة من أصدقائه يغطسون معه في الماء ويساعدونه في الاستحمام .. وفي المساء يخرج العريس من الماء ويرتدى الثوب (الدشداشة) و «الكوت » (الجاكتة) والعباءة (البشت) ويضع على راسه الغترة والعقال ، ويجلس على السجاد ومن حوله الرجال من الاهل والاصدقاء ، فتدار عليهم القهوة العربية ، وبعدها ينتقل وسط الجميع الى بيت العروس .. وكان في السابق يزف بالطبول والاهازيج ، ولكن هذه العادة منعت فلم تعد الطبول تدق ، أو الاهازيج تنشد !

مستنقعات في الصحراء

وتقرب كمية المياه المتدفقة من عيون الاحساء من الف متر مكعب في الدقيقة ، وهى كمية كبيرة توازى ما يحمله نهر متوسط من المياه ..

وتنطلق هذه المياه من العيون فتتشعب وتسير في نفس الجداول والترع القديمة التى شقت منذ عهد العمالقة .. ان المياه تمر على غابات النخيل فتسقيها ، ثم تعرج على مزارع الخضر والارز فترويها هى الأخرى .. ونتيجة لهذا الرى المزدوج تتزايد نسبة الاملاح في الاراضى الزراعية ، مما كان سببا في تدهور نوع وكمية المحصول المزروع.

وبعد انتهاء المياه من رى الاراضى الزراعية تحاول أن تسير في المصارف القديمة المتجهة الى شواطىء الخليج العربى ، ولكنها سرعان ما تصطدم بجبال الرمال التى تسد عليها الطريق التقليدى وتكون النتيجة تكوين بحيرات ومستنقعات تقرب مساحتها من ربع مليون دونم ، يخال المرء نفسه فيها وكأنه في أهوار العراق .

كيف قضى على الملاريا ؟

وتعتبر بحيرة الأصفر ، التى تكونت من تجمع مياه العيون في منطقة الاحساء ، أكبر البحيرات في المنطقة ، اذ تبلغ مساحتها أربعة كيلومترات مربعة ، وكانت مياهها راكدة مستديمة طوال العام فظهر فيها البعوض الناقل للملاريا..





نجحت التجارب الزراعية التى تقوم بها مديرية الشئون الزراعية بالهفوف نجاحا باهرا وهذا أحـد حقـول التجارب مزروع بالخضراوات يشهد بمدى هذا النجاح .. وتجرى التجـارب على مختلف أنواع الخضراوات والحبوب والأرز وأشجار الزينة والأشجار المثمرة .. وفى العام الماضى قامت المديرية بتوزيع ١٣٥ الف شتلة مختلفة على الأهالى والمؤسسات .



محطة تربية الحيوان بمديرية الشئون الزراعية ، مضى عليها سنتان ، عملت خلالهما على تكوين جيلين من الأبقار والثيران المهجنة بفصائل أجنبية ، والجيل الثالث فى الطريق .. لقـد زاد عدد الأبقار حتى أصبح ١١٧ بقرة .. والى جانب الأبقار بدأت تربية الأغنام لتكوين سلالة نقية منها قبل تهجينها بأنواع أجنبية ..

« **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ..** » ان هـذا القـول الكريم ينطبق تماما على الهفوف والمناطق المحيطة بها .. وكثيرا ما تغنى الشعراء بهذا الجمال الطبيعى الذى لم تقلقه بعد أصوات السيارات أو الحافلات .. ان الأهالى يستعملون الحمير الحساوية أثناء تنقلهم بين بساتين النخيل .. لأن السيارات لا تستطيع السير فى مثل هذه الأماكن ..



وكانت مياه البحيرة في بعض السنين المطرة تعلو حتى تطفو وتنطلق منها المياه الملوثة في اتجاه عكسي ، فتعود الى المزارع لتغرق الدور والزرع ، وتنشر الأمراض !

ولتلافي حدوث هذا قاموا أخيرا بشق فتحة جانبية في تلال الرمال المحيطة بالبحيرة فانساب الماء من خلالها الى المنخفضات الشرقية مكونا مصرفا جديدا طبيعيا يسير حتى يلتقي بمياه الخليج العربي .. وهكذا اصبحت مياه البحيرة تجف في الصيف ، ويضيع كل اثر لبعوض الملاريا ..

عقبات في طريق الزراعة

ان الزراعة في الاحساء هي حياة المنطقة .

لقد بدأت الزراعة في الهفوف قبل أن يبدأ بناء المدينة بوقت طويل وما زال المزارعون يزرعون على نفس النمط القديم مستخدمين نفس الادوات والأساليب .

ان التطوير الزراعي للمنطقة يصطدم بعقبات كأداء سواء كانت طبيعية أم بشرية ، ولكن جميع هذه الصعوبات لم تحبط من همة المسئولين بمديرية الشئون الزراعية بالهفوف .. انهم يعملون في صمت وهدوء لتطوير منطقة الاحساء وانقاذها من الاندثار والضياع ، لتقف على قدميها وتؤدي دورها كاملا من أجل تحقيق اكتفاء زراعي ذاتي للمملكة العربية السعودية ..

ان تحقيق هذا الهدف من الصعوبة بمكان ، والاحصائيات الزراعية ترينا أن مساحة المملكة العربية السعودية ٢٢٠ مليون هكتار يزرع منها ٣٠٠ الف هكتار فقط ، تساهم فيها الاحساء بعشرة آلاف هكتار !

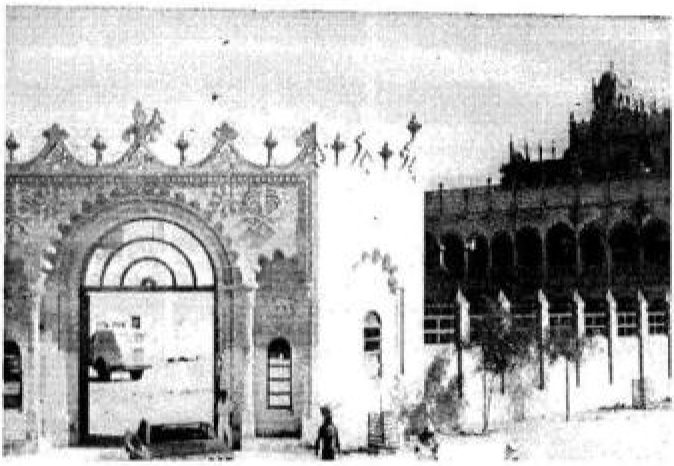
ان تحقيق الاكتفاء الذاتي يحتاج الى مضاعفة رقعة الارض المزروعة وهنا قررت مديرية الزراعة في الهفوف السعي لمضاعفة رقعة الارض المزروعة في الاحساء ، فعمدت الى تقديم مشروع للصرف والري يشمل تحسين حال المنطقة الزراعية الحالية ، مع تجفيف المستنقعات ، وتوزيع المياه توزيعا سليما عادلا .. ووافقت الحكومة على مشروع الري والصرف الكبير الذي سوف يتكلف نحو ٢٠٠ مليون ريال ، وأوكلت عملية دراسته وتخطيطه واعداده فنيا الى شركة المانية ، تقاضت خمسة ملايين ريال مقابل دراستها التي أوشكت على الانتهاء ..

مزارعون من الصين في الاحساء

وبينما كان الخبراء الالمان يدرسون ويخططون ، كانت مديرية الزراعة تعمل من أجل تحسين وتطوير وسائل الانتاج فقامت بزراعة القمح والشعير والحبوب والخضروات والفواكه والاشجار لتجرى عليها أبحاث وتجارب حتى تعرف افضل انواع الزرع مع انسب الاوقات للزرع ..

فرموزا في الهفوف !

وفي ركن من محطة التجارب شاهدنا مجموعة من المزارعين الصينيين القادمين من فرموزا ،



الى اليمين : قصر الكوت : أقدم مكان في الاحساء ، ان المبنى آيل للانهيار ومع ذلك ما زال يستعمل كمقر للامارة ، ومركز لاستقبال المدعوين الى الهفوف ..



الامير عبد المحسن بن جلوى ، امير الاحساء ومن حوله بعض كبار المؤرخين ورجال الدين الذين تحدثوا الى « العربي » حديثا خاصا ..

يخوضون المياه ويغرسون شتل ١٩ نوعا مختلفا من الأرز .. ان توفر المياه فى الاحساء جعل الاهالى يزرعون الأرز من قديم الزمان ، ولكن عدم العناية بتحسين وتطوير طرق زراعته جعل الأرز الاحسائى يتدهور من حيث الكمية والنوعية،ولم تكن هناك وسيلة لتحسينه الا باحضار بعثة من الصينيين الذين اشتهروا بكونهم خبراء زراعة الأرز فى العالم .. وفعلا استطاع هؤلاء الخبراء أن يحققوا شبه معجزة .. لقد نجحوا فى زرع الأرز زرعتين فى السنة بدلا من زرعة .. وادخلوا انواعا جديدة من الأرز الابيض الكبير الذى يعطى ضعف الكمية التى يعطيها الارز الاحسائى الصغير .

نشاط فى كل الميادين

لقد جندت مديرية الزراعة كل قواها لرفع مستوى المنطقة حتى أصبح من الصعوبة بمكان ملاحقة أعمالها لتشعبها فى كافة الميادين . فمثلا فى العام الماضى قامت بتوزيع ١٢٠ ألف شتلة أشجار وخضروات ، وعالجت ٢١٣ الف دجاجة وعشرين الف حيوان ، وحفرت ١٢ بئرا ارتوازية، وقامت بتأجير آلات للمزارعين لفترات بلغت فى مجموعها ٩٤٦١ ساعة .. وأكملت شق الطرق وسط غابات النخيل حتى بلغت اطوالها ١٥٠ كيلو مترا .

انقلاب فى العادات

حتى الثروة الحيوانية اهتمت بها المديرية فأصبح لديها ثلاثة أجيال من الثيران والابقار التى تم تهجينها بفصائل أجنبية .

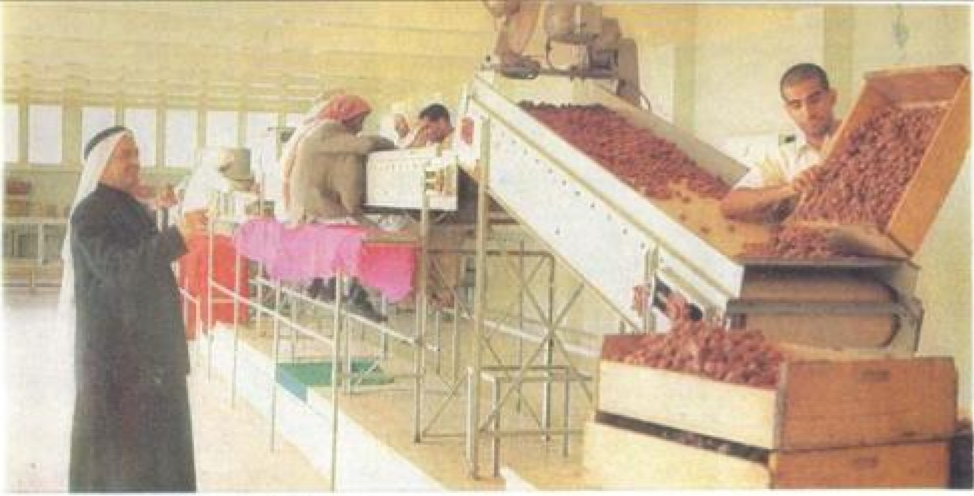
وفى العام الماضى درت هذه الأبقار - وعددها ١١٧ بقرة - أكثر من مليون كيلوجرام حليب ، بيع الجزء الأكبر منه للاهالى نظير ريال واحد للكيلو .. ان هذه العملية تعتبر فى حد ذاتها انقلابا خطيرا فى عادات أهل الهفوف الذين كانوا يقدمون الحليب مجانا لكل من يطلبه ، ولكنه على أثر طرح حليب مديرية الزراعة فى الاسواق ، بدأ بعض الناس يبيعون الابقار التى يربونها فى منازلهم ، لأن حليبها يكلفهم أكثر من سعر حليب الاسواق .

والسر فى وجود هذه الابقار داخل المنازل يعود لحاجة الاهالى الى الحليب الرائب (اللبن) حتى يطفئوا « حماوة » التمر الذى كانوا يأكلونه كطعام أساسى فى وجباتهم ..

١١ نخلة للشخص الواحد !

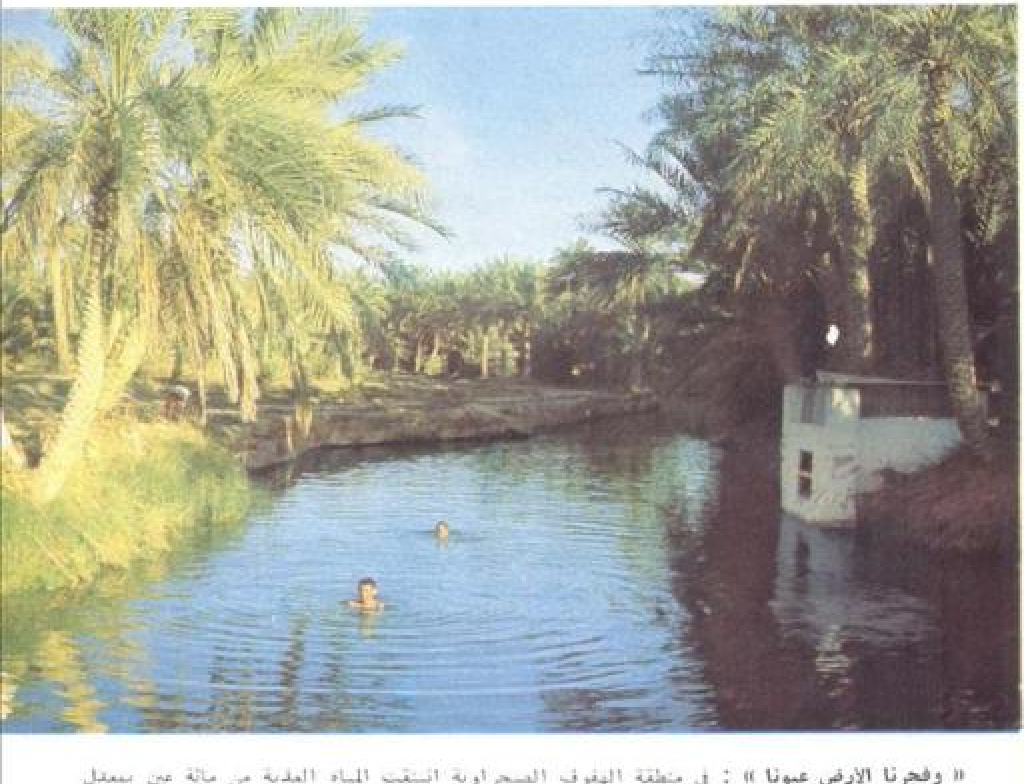
ان التمور هى المحصول الرئيسى فى الاحساء ، التى يقدر عدد نخيلها بأكثر من مليوني نخلة ، - بمعنى ان نصيب الفرد ١١ نخلة ! - ويعطى





مصنع تعبئة التمور في الهفوف : وفيه مكنة حديثة تستطيع أن تعبيء الف طن سنويا ، ولكنها لا تعبيء الآن سوى ٢٥٠ طنا فقط .. أما السبب فتجده عند قراءة المقال !

الى اليمين : تحيط بالهفوف وقراها مليونا نخلة ، ويبلغ مجموع عدد النخيل في المملكة العربية السعودية ٩ ملايين نخلة ، بينما عدد السكان ٨ ملايين نسمة فقط .



« وفجرنا الارض عيونا » : في منطقة الهفوف الصحراوية انبثقت المياه العذبة من مائة عين بمعدل الف متر مكعب من الماء في الدقيقة الواحدة ، لتصنع المعجزة في قلب الصحراء ، وتحول الأرض الصحراوية الجدباء الى جنات من نخيل ، تخترقها جداول وقنوات ، يشرب منها الاهالي ويستحمون.

النخيل محصولا وافرا يصل وزنه الى ٤٥ الف طن سنويا.وتنقسم التمور الى ثمانين نوعا مختلفا، اشهرها الخلاص ذو الالياف القليلة ، والنواة الصغيرة،والمذاق الحلو لارتفاع نسبة المادةالسكرية فيه ، مما جعل الطن منه يباع بضعف سعر الانواع الاخرى ، التى تحمل اسماء الرزيز والشيشى والشبيبي وغيرها ..

ومنذ ثلاث سنوات ظهر فى الهفوف اول مصنع لحفظ التمور ، تكلف مليون ريال . انه مصنع حديث يستطيع تعليب الف طن من التمور سنويا، أى نحو خمسة فى المائة من مجموع انتاج تمور الاحساء ، ولكن حتى هذه الكمية الضئيلة ـ نسبيا ـ لا يقوم المصنع بتعليبها ، وانما يكتفى بتعليب ٢٥٠ طنا فقط !.. والسبب هو افتقار تمور الاحساء الى الدعاية والتشجيع .

حقيقة ان الحكومة فرضت حظرا على استيراد التمور من البصرة ، ولكن هذا الاجراء لم ينعش تمور الاحساء كثيرا .. لانها لا تجد لها اسواقا خارجية مهمة .. ان منافسة تمور العراق ، التى تخضع لادارة حكومية منظمة ، قد اقفلت الاسواق العالمية فى وجه تمور الاحساء ..

اما فى الداخل فلم يعد التمر ، وجبة أساسية يقبل عليها الجميع ، بل اصبح وجبة ثانوية .

ان تمور الاحساء تمر بمرحلة غريبة ، جعلت المزارعين يقدمونها كعلف لحيواناتهم ، لعدم وجود اسواق لبيعها او تصنيعها !

وفى مجال تنشيط استهلاك التمور يقترح مدير مصنع التمور : السيد احمد محمد المرفج :

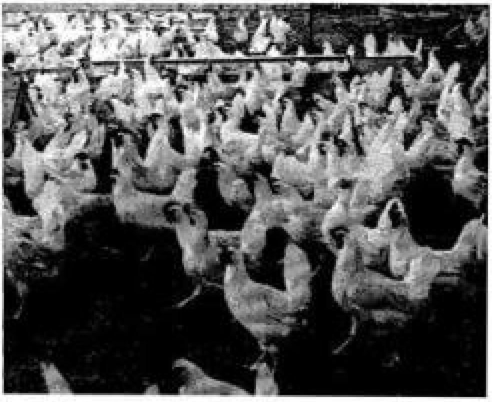
« أن يضاف التمر مع الوجبة الاساسية فى المستشفيات والمدارس والسجون وجميع المؤسسات الحكومية الاخرى ، بدلا من التفاح والبرتقال وبقية الفواكه التى تستورد من الخارج .. » .

من الذى زحزح التمر عن عرشه

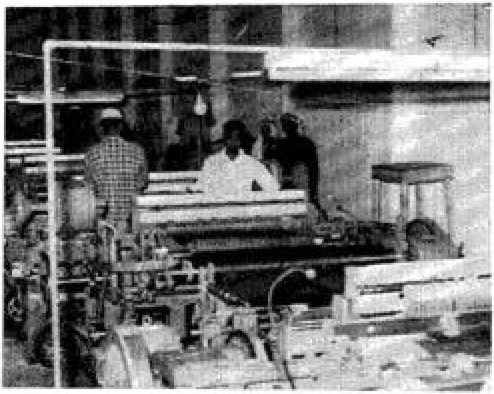
ان الذى زحزح التمر عن عرشه كغذاء رئيسى هو تنوع الغذاء الشعبي ، بعد ارتفاع مستوى المعيشة ، فدخلت الخضروات الى الموائد ، وبدأ المزارع يقبل على زراعة انواع جديدة لم يسبق له أن زرعها من قبل ، مثل الجزر الاصفر ، والشمندر (البنجر) والقرنبيط (الزهرة) ، وغيرها ..

وكان الاقبال على شراء هذه الخضراوات أعظم

بعد أن كان مجرد حمل الدجاج يعتبر أمرا غير لائق ، أصبحت الهفوف وضواحيها تضم ١٢ مزرعة دجاج تحوى أكثر من ٥٠ الف دجاجة !



مصنع « العبى » و « البشوت » : انه اول مصنع من نوعه فى المملكة يستطيع أن ينتج مائة عباءة يوميا كلها مصنوعة من الصوف ووبر الجمل.







بترول ومعادن : الى جانب الثروة البترولية التى تتركز فى المنطقة الشرقية ، بدأت تظهر ثروات معدنية هائلة مثل رمل الزجاج الذى اكتشف بكميات هائلة فى المنطقة ، وخامات الاسمنت من حجر جيري وطين . وعند أطراف الاحساء أقيم مصنع كبير لانتاج الاسمنت .. وفى الهفوف خمسة معامل تنتج يوميا ٢٥ ألف بلاطة تستخدم كلها فى سد مطالب السكان المتزايدة ..

مشجع للفلاح على زرعها وعرضها للبيع فى « سوق الخميس » الكبير ، الذى يباع فيه كل شيء من خضر ، وفواكه ، وابقار ، وحمير صبغوا وجوهها بالحناء .

ويبلغ عدد هذه الحمير الشهيرة ٤٦١٦ حمارا ، بينما لا يعيش فى منطقة الاحساء كلها أكثر من تسعة جياد !

انها الحمير الحساوية ذات الشهرة المدوية منذ القدم فى الوطن العربي ، لقوة احتمالها وسرعتها .

عادات زالت

والى جانب الحمير والابقار يباع الحمام والدجاج الذى له قصة طريفة . فقديما كان أهل الهفوف يتمسكون بعادات وتقاليد موروثة كادت أن تنقرض كلها ، منها أن تدخين السجاير فى الطريق كان ممنوعا ، ومزاولة مهنة الحلاقة كانت أمرا غير مستحب .. أما حمل البيض أو الدجاجة فأمر لا يليق ، واذا اضطر أحدهم لشراء دجاجة فانه يحملها فى السر ويخفيها تحت « البشت » العباءة ، حتى لا يراه أحد !

كان هذا فى الماضى . أما اليوم فقد انتشرت مزارع الدواجن فى كل بقعة من الاحساء ، ووصل عدد الدجاج فيها الى ٥٢ ألف دجاجة، يستهلك جزء صغير منها فى الهفوف والباقى يصدر الى الخارج ..

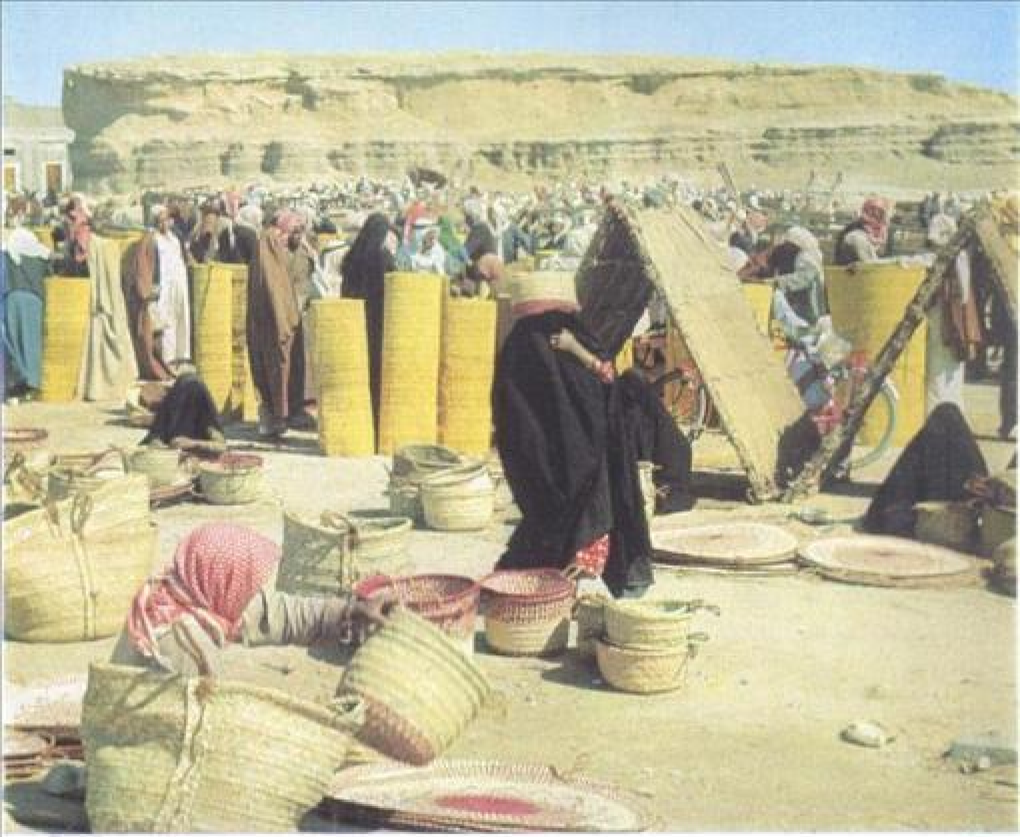
أما عن البيض فقد زاد انتاجه عن الحاجة ، وكادت سوقه تصاب بالكساد مثل التمور ، حتى انهم أتلفوا فى العام الماضى أكثر من ١٠٠ ألف بيضة !

مصانع .. وتصدير

ان الهفوف أصبح عندها فائض فى الانتاج تقدمه لمختلف أرجاء المملكة .. حتى مصانعها تشارك فى التصدير ، وفى مقدمتها مصنع الاسمنت الكبير .. ومصنع العباءات (البشوت) ، الوحيد من نوعه فى المملكة .. ومصانع البلاط والطابوق التى تنتج مئات الآلاف من القطع يوميا، يصدر معظمها لخارج الاحساء .

استقرار بعد مشاغبات

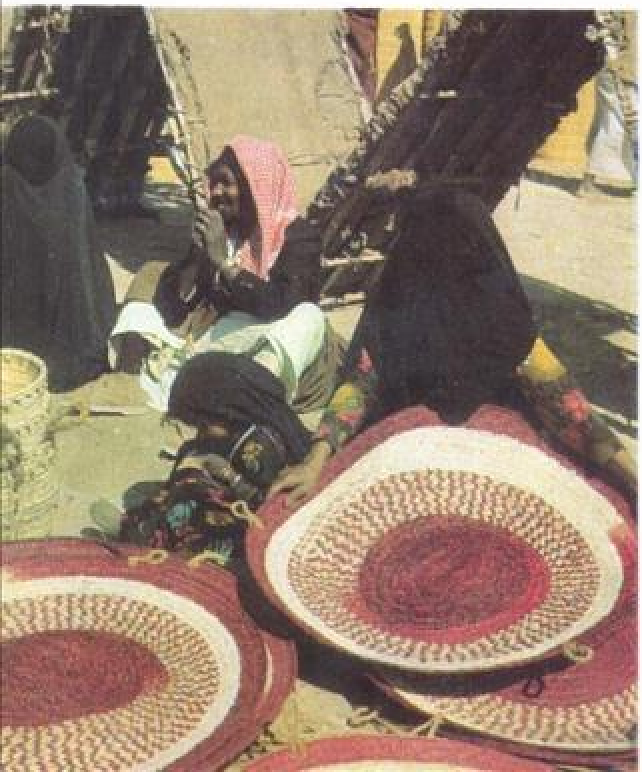
ان استتباب الامن جلب الاستقرار..والاستقرار





سوق الخميس : فى صبيحة كل يوم خميس ينعقد سوق كبير فى الجهة الشمالية من الهفوف، يجلب اليه أهل قرى الاحساء والبدو مصنوعاتهم وحيواناتهم وحاصلاتهم فيعرضونها للبيع .. وأكثر المصنوعات من سعف النخيل الذى يأخذ أشكالا مختلفة فمرة حصيرة منبسطة ، ومرة سلة ، ومرة دائرة واسعة يسمونها « سفرة » ـ الصورة السفلى ـ وهى التى يوضع فوقها الطعام .. أما الخضراوات والحمضيات المعروضة فتبين مدى نجاح زراعة هذه الأنواع فى المنطقة، ونظرة الى الصورة اليمنى السفلية، التى تبين « الترنج » وهو من نوع الحمضيات بين الليمون الحامض والأترنج ، تبين لنا مدى صدق هذا القول .. وأعجب ما رأيناه فى هذه السوق هو « الطرثوث » . انه من فصيلة البطاطس لكنه فطرى ، يقول بائعه انه مر المذاق ، لكنه يشفى ٧٠ علة .. وخاصة الام المعدة ! كما شاهدنا فى السوق الأسماك الصغيرة المجففة من نوع السردين ويسمونها « العومة » وتستعمل علفا للماشية .

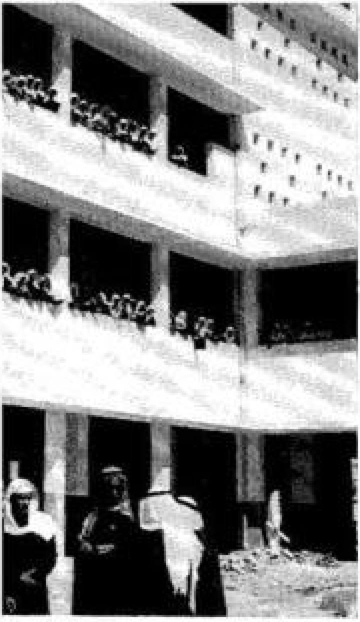








حصة كيمياء فى المدرسة النموذجية المتوسطة التى تضم ٢٠٠ طالب لا يزيد عمر كل منهم عن ١٣ سنة .



ما كاد طلبة المتوسطة الثانوية بعثة « العربي » بينهم ، حتى هرعوا

ضاعف عدد السكان فى الاحساء ، التى كانت دائما مسرحا للمشاغبات والاضطرابات .. ويكتب الشيخ حافظ وهبه عن تاريخ الاحساء فى كتابه جزيرة العرب فيقول : « .. ومن بعد القرامطة ظلت الاحساء تتنازعها الايدى الحاكمة ، وتعبث بها أيدى البدو الى أن فتحها آل سعود فى دولتهم الاولى ، فاستقر الامن وتم القضاء على الفساد . وبقيت فى حكمهم الى أن انتزعها منهم المصريون بعد دخولهم الدرعية عام ١٢٣٣ هـ ـ ١٨١٨ م . ثم استردها الامام فيصل . وبعدها استولى عليها الاتراك عام ١٨٨١م . والحقوها بولاية البصرة .. وفى ٥ مايو ١٩١٣ انقض عليهم الملك عبد العزيز واستولى عليها وطرد الحامية التركية منها . وباستيلائه عليها ساد الامن وانقطعت غارات البدو على القوافل والسكان » .

اما الرحالة الاديب الاستاذ أمين الريحاني فيصف الغارات على هذه القوافل فى كتابه ملوك العرب بقوله :

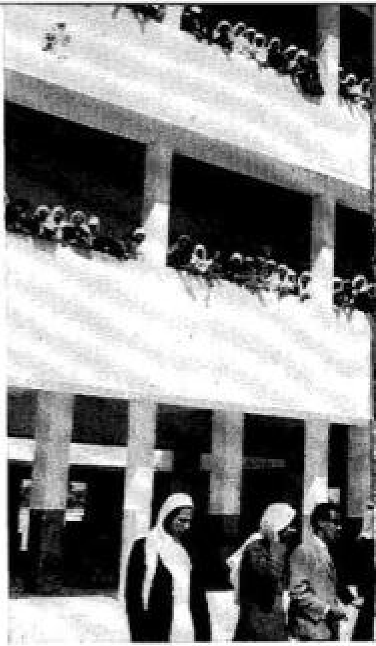
« كانت طرق الاحساء فى عهد الاتراك لا تعبر الا بقوة عسكرية أو بدفع « الخوة » . فكان التاجر العربى المسلم الذى يروم الوصول الى الهفوف من العقير ـ مسافة أربعين ميلا ـ يضطر أن يدفع « الخوة » كلما اجتاز خمسة أميال أو عشرة من هذه الطريق المخيفة » .

اما اليوم فان مسئولية الامن فى المنطقة الشرقية تقع على عاتق الامير « سعود بن جلوى » ، الذى يكفى مجرد ذكر اسمه لاشاعة الاطمئنان فى قلوب المواطنين ، والرعب فى افئدة المجرمين !.. وفى الهفوف يتولى شقيقه الامير عبد المحسن بن جلوى ، تدبير شئون الاحساء ..

توطين أهل البادية

وفى اجتماع خاص ضم نخبة من العلماء ورجال الدين الأجلاء قال لنا الامير عبد المحسن بن جلوى فى معرض حديثه عن مشاريع الحكومة :

« ان أهم مشروع نقوم به حاليا هو توطين رجال البادية ، اننا نقوم بتنفيذ مشروع كبير ، كاد أن



– ٣٦٠ طالبا – يطلون بوجود الى شرفات المدرسة لتحيتها ..



تضم مدرسة الهفوف الابتدائية بالمزروعية ٥٧٠ طالبا ، وفي المساء تتحول الى مدرسة متوسطة ثانوية تضم ٤٥٠ طالبا آخر.

ينتهي لتوطينهم في حرض ، الواقعة بين الرياض والهفوف ، انه مشروع يجب أن يراه كل عربي ليلمس مقدار الجهد الذى يبذل من أجل توطين أهل البادية ..

« أما عن المياه فقد رأيتم منها ما فيه الكفاية ، ولكن الجديد هو اننا ندرس مشروعا لتقطير مياه الخليج العربي ، وعند اتمام المشروع سوف نحصل على ٢٧ مليون جالون من الماء العذب يوميا .. ان هذا المشروع سوف يمد الرياض بالماء ، ولكننا سوف ننتهز فرصة مروره بالهفوف فنأخذ حاجتنا منه للشرب » .

الفتاة .. والتلفزيون .. والسينما

وانتقل الحديث بعد ذلك الى الحياة الاجتماعية واشترك العلماء والشيوخ الافاضل في الحديث ، الذى كان مجمله : « ان تعليم الفتاة أصبح أمرا ضروريا لأن الظروف تتطلب ذلك ، وتعليم الفتاة في حد ذاته أمر طيب وجميل اذا تحرر من قيود العادات الغربية وحافظ على عاداتنا وتقاليدنا الدينية .

« أما كيف نسمح بالتلفزيون ونرفض فتح دار للسينما .. فهذا أمر طبيعي .. لقد دخل التلفزيون الينا بصفة خاصة ، ونحن نرضاه ، لأنه يجمع أفراد الاسرة داخل المنزل .. ولكننا لا نرضى بالسينما لانه لا سيطرة لنا عليها ، فضلا عن أن السينما ستفتح المجال للاختلاط وهذا ما لا نقبله » .

كل فرد يريد أن يتعلم !

لقد اشتهرت الهفوف منذ القدم بمركزها العلمى والادبى ولكن أسلوب التعليم اليوم اختلف كلية عن أسلوب الامس .. لقد تطور التعليم وتقدم على مر السنين .. وقضى في نهضته على الضجة المفتعلة التى أثارها بعضهم على ادارة المعارف عام ١٩٢٧ لانها قررت تحسين مناهجها بادخال الرسم ، واللغات الاجنبية ، والجغرافيا التى تتحدث عن دوران الارض وكرويتها !



قفز تعليم الفتاة قفزة هائلة في الهفوف ، حتى أصبح عدد التلميذات ٣٥٠٠ تلميذة بعد أن كان ١٨٠ تلميذة فقط منذ ٥ سنوات !!

الى اسفل : درس في اللغة الانجليزية على أحدث الطرق، بواسطة الاسطوانات «والبيكاب»... والمدرس من انجلترا







بعيدا عن متاعب ومشاكل المدينة يجلس الكشافة فى معسكراتهم يلعبون حول النيران .. ان عددهم اكثر من الف كشاف ، لا يلتفتون الى مساعدة مدينتهم الا مرة فى السنة ، وذلك فى اسبوع النظافة ، حيث يقيمون « حفلات السمر » بمناسبة ذلك الاسبوع !

الى اسفل : أبناء المدرسة النموذجية المتوسطة يتلقون درسا فى الزراعة ، والى أقصى اليسار يبدو نجل الامير عبد المحسن بن جلوى يعمل مع بقية الطلبة ، ومما يذكر أن مقر المدرسة كان بستانا للدولة ، منحته لوزارة المعارف التى أقامت فيه هذه المدرسة النموذجية .



اما المصاعب التى يواجهها التعليم فى الاحساء حاليا فقد اجملها لنا الاستاذ عبدالله عبدالرحمن الشعبى مدير المعارف بالهفوف بقوله : « ان مشكلتنا تنحصر فى مجابهة الاقبال الهائل على التعليم .. ان كل فرد ابتداء من سن السادسة حتى سن الستين يريد أن يتعلم .. ولمواجهة هذا الاقبال الهائل جعلنا جميع مدارسنا النهارية تفتح أبوابها بالليل ليتعلم فيها كل من فاتته سن التعليم ، أو تحول أعماله دون الذهاب الى المدرسة فى الصباح » .

ويتلقى طلبة المدارس المتوسطة والثانوية دروسا تطابق مناهج اى دولة اخرى ، مضافا اليها اللغة الفرنسية بجانب الانجليزية .

حتى الرياضة البدنية أصبحت من المواد الاجبارية التى يتحتم على الطالب أن يرتدى خلالها الشورت بدلا من الثوب !.. والويل للطالب الذى يرفض ارتداء الشورت ، فهو يتعرض للطرد من المدرسة !

معسكران

اما تعليم الفتاة فقد تدهش اذا علمت أن تعليمها فى المملكة العربية السعودية لم يبدا رسميا الا منذ خمس سنوات فقط !

وفى الهفوف جاء ممثل الحكومة ليفتح مدرسة، فدارت مناقشات صاخبة بين أبناء المدينة الذين انقسموا الى معسكرين .. معسكر يعترض بشدة على مبدأ تعليم الفتاة أصلا ، ويعتبره مفسدة .. ومعسكر آخر ينادى بضرورة تعليم الفتاة .. ولجا الطرف المعارض الى الملك يناشده انقاذ الفتاة السعودية مما يوشك ان يلحق بها ، وفى حضرة الملك اتضح ان مجموعة من المؤيدين قد اندسوا خلسه بين المعارضين ، وفى ساحة الملك تكلموا مؤيدين تعليم الفتاة !!

وعندها طلب الملك من الفريقين اعداد مذكرات بوجهة نظرهما ..

وجاءهم الرد على مذكراتهم ببرقية من الملك ، يقول فيها لأفراد الطرف الاول : « مدرسة البنات سوف تفتح أبوابها لبنات الراغبين فى التعليم ، والذى لا يرغب لا يوجد ما يجبره على ذلك » .

واستلم أفراد الطرف الثاني برقية من الملك يقول لهم فيها : « بارك الله فيكم .. لم تقم الا بالواجب » .

ووضع الامير عبد المحسن بن جلوى امير الاحساء ، احد قصوره ليصبح مقرا لاول مدرسة بنات بالمدينة .. وفتحت المدرسة أبوابها لتستقبل ١٨٠ طالبة .. وما كادت تمضى بضعة شهور على الافتتاح ، حتى لحقت بنات المعارضين ببنات المؤيدين ، بعد أن لمس الآباء فوائد التعليم .



١٥٠ كيلومترا من الطرق شقتها مديرية الشئون الزراعية ببساتين النخيل، التى لم يكن بالامكان السير خلالها فى الماضى .

مطلوب ٦ مدارس جديدة

ويروى لنا السيد احمد الموسى الزويد مندوب الرئاسة العامة لتعليم البنات بالهفوف شيئا عن تعليم الفتاة بعد مرور خمس سنوات فيقول : « تضاعف عدد الطالبات عشرين مرة خلال هذه السنوات الخمس ، حتى وصل الى ٣٥٠٠ طالبة ما زالوا جميعا فى المرحلة الابتدائية .

« وفى العام الماضى لم تستطع مدارسنا أن تستوعب سوى ١٥٠٠ طالبة مستجدة ، وبقيت ١٢٠٠ فتاة دون تعليم لعدم وجود أماكن لهن !

« وفى هذا العام طلبت ادارة تعليم الفتاة بالهفوف ـ التى ترتبط برئاسة عامة مستقلة يتولى الاشراف عليها المفتى العام للدولة ـ فتح ست مدارس جديدة بالهفوف لمواجهة الاقبال المتزايد على التعليم ، ولكن العمل لم يبدأ الا لبناء أربع مدارس فقط ! وهذا معناه اننا لن نجد فى العام القادم مكانا لالفى فتاة » .

ان السر فى هذا الاقبال يعود الى امهات الفتيات اللواتى شعرن بمدى النقص الهائل فى حياتهن بسبب جهل معظمهن ، فاردن تعويض ما فاتهن بتعليم بناتهن .. والظاهرة الثانية لتعليل هذا الاقبال مردها الى اعراض الشباب السعودى عن الزواج من الفتيات الجاهلات !!

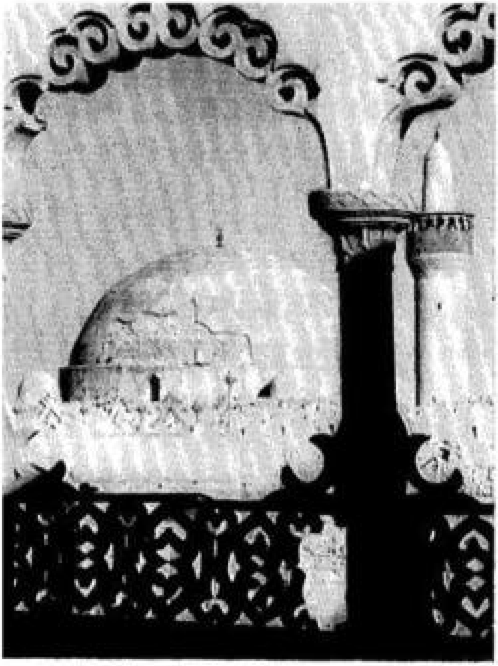
عندما تصبح الدولة اما وأبا

والى جانب مدارس البنات العادية قامت وزارة الشئون الاجتماعية بفتح مدرسة نموذجية لرعاية البنات الفقيرات اليتيمات ، حتى يصبحن ربات بيوت أو موظفات ماهرات .. ان المملكة تقوم فى هذه المدرسة بدور الاب والام معا ، فتوفر للطالبات كل ما يحتجن اليه من تعليم واكل وشرب ومعلمات متفانيات يحللن مكان الامهات الغائبات ..

الرمال الموسيقية

ان الهفوف اليوم تتكدس فيها الطاقات والكفاءات والتجارب ، التى تنتظر اشارة الانطلاق لتساهم فى نهضة المملكة بأسرها ..

ويعمل أهل الهفوف الآن فى هدوء واطمئنان اما قصص الجن ، واصواتهم المنبعثة من



تزخر الهفوف بالقصور والقلاع والمساجد القديمة .. وهذا هو مسجد القبة داخل القصر المسمى بقصر ابراهيم. ويعود تاريخ بنائه الى عام ٩٧٤هـ. أى اثناء استيلاء الاتراك العثمانيين على الاحساء

الرمال المتحركة فلم يعد لها وجود ، ولم يعد أحد يقيم وزنا لقول الشاعر ذى الرمة :

للجن بالليل فى أرجائها زجل
كما تناوح بين الريح عيسوم

لقد استطاع العلم الحديث ان يكشف سر هذه الاصوات التى كانت ترهب البدوى فى الليل وسط الصحراء .. انها تصدر نتيجة احتكاك حبيبات الرمال ببعضها عندما تنهال من اعلى الكثبان .. هذا اذا تضافرت معها عوامل أخرى مثل الاستدارة التامة وكبر حجم حبيبات الرمال المنحدرة ، ومقدار انحدار الكثبان ، وحرارة ورطوبة الجو..

من أين تأتى الرمال

والسؤال الذى لا بد من الاجابة عليه هو : من اين تأتى هذه الكميات الهائلة من الرمال ؟. وما هو مصدرها ؟





يشتهر أهل الاحساء بزراعتهم للنخيل والأرز .. ومع مرور الأيام تدهورت زراعة الأرز وانخفضت كمية محصوله، وعمدت وزارة الزراعة الى جلب مجموعة من المزارعين الصينيين قاموا باجراء العديد من التجارب لتحسين زراعة الأرز في الاحساء، وكانت نتائج التجارب مشجعة للغاية ، اذ أمكن زرع أكثر من ١٦ نوعا مختلفا من الأرز صيفا وشتاء ، تعطي محصولا يزيد بمقدار الضعف عن المحصول الحالي .. مع مراعاة جودة الصنف وبياض حبة الأرز.



صورة رائعة من الجو توضح قصة الصراع مع الرمال .. الى اليسار الكثبان الرملية التى استولت على جزء من اجود اراضى الاحساء انتاجا ، انها تبدو هنا وكأنها تستعد للهجوم على الارض الزراعية .. ولكن زحفها قد أوقف امام خط الدفاع الذى يبدو فى الوسط ، وطوله ١٢ كيلومترا . ان الهدف التالى لاهل الاحساء هو استرداد الاراضى التى سلبتها الرمال واعادة زراعتها بمختلف المحاصيل .. ومما يذكر ان الماء متوفر بكثرة تحت سطح الرمال .

الى اليمين : بلغ عدد النخيل الذى « قتلته » الرمال أثناء زحفها أكثر من مليونى نخلة .. ان النخلة عندما تحيط بها الرمال من كل جانب تظل تناضل وتقاوم لمدة سنتين .. وبعدها تبدأ فى الاستسلام ثم لا تلبث أن تختنق فتتهاوى قمتها ، ويبدأ السعف فى التساقط وتموت .. تموت دون أن يشعر بها احد أو تمتد اليها يد لتنقذها .. وتختفى النخلة ليبقى مكانها جذعها يحكى مأساتها مع الرمال ..!





تسد الرمال فى تقدمها القنوات والمصارف ، فتتكون المستنقعات الكبيرة وسط رمال الصحراء ، وتصبح المنطقة مثل أهوار العراق !

ان زحف الرمال قد أوقف الكثبان الرملية الى أرض

انها رمال ذات مصدرين : مصدر بحرى ، وآخر برى .

المصدر البحرى يأتى عندما تندفع أمواج الخليج العربى ناحية الشاطىء الضحل فتنقل معها حبيبات الرمال البيضاء .. ثم يأتى الجزر فتنحسر المياه، وتبقى الرمال على الشاطىء متعرضة لوهج الشمس حتى تجف، وتهب الرياح فتنقل الحبيبات بسهولة الى داخل البلاد .. وتتميز الرمال البحرية بأن ذراتها شبه مستديرة بيضاء ..

أما الرمال البرية فمصدرها الدهناء ، وهى منطقة صحراوية واسعة فى غرب الاحساء ، تتوفر فيها ملايين الاطنان من الرمال الصفراء . ان حبيباتها أكبر حجما من حبيبات الرمال البحرية، ولكنها اقل استدارة وخطرا ..

١٨ مليون تصبح ٤ مليون !

ان خطر هذه الرمال المتحركة قد أوقف نهائيا تقريبا بعد مجهودات شاقة بدأت منذ ثلاث سنوات مضت ، عندما تقدمت بعض الشركات الامريكية واليابانية والالمانية بمشروع لاضافة طبقة من النفط الخام على سطح رمال الكثبان لتثبيتها وشل حركتها .. وقالوا ان تكاليف المشروع ١٨ مليون ريال ، والمدة التى يستغرقها التنفيذ لا تقل عن ١٢ عاما ..

ولكن هذه الفكرة لم تلق تجاوبا كبيرا لدى المسئولين ، لتكاليفها الباهظة ، وصعوبة صيانتها، فضلا عن أن القاء النفط على الرمال سوف يقتل المنطقة زراعيا .

وهنا تقدم الخبير العربى الاستاذ عز الدين رشاد ، باقتراح مضاد يرمى الى ايقاف الرمال مع تحويل الارض الرملية الى أرض زراعية تزرع فيها الاشجار والنباتات الكثيفة بحيث يصبح من المستحيل مرور حبيبات الرمال من بينها،بل كلما ارتفعت كثبان الرمال سبقتها النباتات وارتفعت



عز الدين رشاد : المسئول عن وقف زحف الرمال



على جبهة طولها ١٢ كيلومترا ، وتحولت يزرع فيها شجر الاثل والطرفة والكرش ..



٣٢٠ قدانا من الاراضى التى استولت عليها الرمال تم زرعها بأشجار الخروع ، بنجاح كبير .

الى أعلى .. وقدرت تكاليف المشروع العربي بأربعة ملايين ريال ، على أن يتم تنفيذه فى ثلاث سنوات فقط !

ثلاثة خطوط دفاع

وبدأ المهندس العربى يعمل مع ٣٠٠ عامل وعشرة مزراعين فنيين فى اكبر عملية شهدتها المنطقة لوقف الرمال .. وما كادت تنقضى ثلاث سنوات حتى ظهرت المعجزة فوق الرمال ، لقد تم ايقاف الرمال على جبهة طولها ١٢ كيلو مترا بعد ان اقاموا عليها ثلاثة خطوط مزروعة للدفاع : واحد سفلى ، وثان منحدر ، وثالث مرتفع بعرض ٢٠٠ متر .

نهاية الرمال المتحركة

كانت هذه المنطقة الزراعية الجديدة مكونة من كثبان رملية متلاصقة ، وضعوا عليها سمادا صنعوه محليا ، وحفروا فيها ٢٧ بئرا ارتوازيا ، وغرسوا ثلاثة ملايين ونصف مليون شجرة ، وشقوا ٤٠ كيلومترا من الطرق ، ليخلقوا أول خط دفاع متين منظم امام الرمال الزاحفة ..

وبفضل هذه الاجراءات تمت السيطرة على ١٥٠ الف طن من الرمال المتحركة .. الا أنه ما زال هناك ٥٠ الف طن من هذه الرمال حرا طليقا يتحرك مع كل نسمة هواء . ولكن حريته هذه لن تدوم طويلا ، اذ ينتظر السيطرة عليه خلال هذا العام ، بعد أن يصل طول خط الدفاع الى ٢٢ كيلومترا ..

عروس عاطلة .. ولكن

واخيرا ان الاحساء رغم عاديات الزمان عليها ما زالت جنة خضراء وسط رمال الصحراء ، فيها الكثير من الخيرات، لكنها تحتاج الى عمل وتعب.. وفى هذا يقول الشاعر الاحسائى المعاصر ، الشيخ عبد الله عبد اللطيف المبارك :

ان الحســاء عروس وهى عاطلة
فكيف لو قلدت حليا وسجادا ؟

ان «الحلى والسجاد» المقصودين هنا يتمثلان فى تنفيذ المشاريع الكبيرة الموضوعة للمنطقة ، والتى سوف تجعل من الاحساء درة وجوهرة مدن المنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية ■■

سليم زبال

الرَّصيف وَزَهْرَة الأُقْحوان

للشاعر : سليمان العيسى

■ أتُراهــا علمتْ مافي يــدي
من عبير الأبــد ؟
من أغاريد .. كدمع الفجـر .. والفجر نَـدِي
خبأتها شفة جفت على النبع .. ونبعٌ يجتــدِي
لرصيف الأقحوانه ..
للجمُانه ..
زرعتْها في طريقي نسمــةٌ لاتهتــدي
عبثتْ في شَعرها الحلوِ .. وضاعت في زوايا الأبد ..

★★★

أقرب النـاس إليَّـا
زهـرةٌ بين يديَّــا
يسكب السِّحر عليها كـلُّ فجـرٍ قَدَحـا
من ربيع عَبَّ حتى ما صَحا ..



فهي أحلى ..
كلَّ فجرٍ هي أحلى ..
مثلما تستيقظ الوردةُ أنداءً وظلا ..
أتُراها علمتْ ما في سكوني ؟
من صلاة .. وحنين ..
لرفيفِ الخُصْلة الحيرى على حُلْوِ الجبين ..
ترتمي كالقطْرة العطشى .. وتَفْنى في ظنوني ..
ويُنادي الرصيفُ الأسمرُ
ويَعُبُّ الخُصلةَ الحيرى .. ومِثْلي يسكرُ ..

★★★

حُلوةٌ ريحانةُ الصبح .. فديتُ الأقحوانهْ
ما شَفَى منها نَدَى الفجرِ .. ولا روَّى لُبانَه
أتمنَّى لو عصرتُ الكرْمَ .. كرْمَ الغزلِ
باقةً من أملِ ..
وضفرتُ الحُبَ ، والشعْرَ ، لننْهدَيها وشاحَا
ونسجتُ الغيمةَ الزرقاء في الأُفق جناحَا
وحملتُ الأقحوانهْ
نحو فردوسٍ نُضيع الخلدَ فيه ، وجِنانَهْ
فإذا نادى الرَّصيفُ الأسمرُ
لم يجد غيرَ الصدَى .. خلْفَ خُطانا يسكرُ ..

حلب ـ **سليمان العيسى**

مسلمات خالدات

زينب بنت جحش

بقلم : سنية قراعة

انقشعت ظلمات الليل عن يثرب الوادعة ، وانتشرت الاضواء على رباها ، ودبت فيها الحياة - في الوقت الذي خرج فيه « زيد بن حارثة » من داره ، قاصدا بيت رسول الله لامر اهمّه ، وفكرة تملكته ، فأراد انفاذها ولم يجد لها عونا غير محمد الحبيب المختار .

واسرع زيد يحث الخطى ، ثم ما لبث ان تباطأ وتمهل ، وزحمته افكار احب ان يستسلم لها كمن اراد - وهو يراجعها ويصل فيها بين الماضي والحاضر - ان يتعرف على مكانته عند محمد العظيم ..

كان زيد بن حارثة اسير حرب ، غنمه بعض العرب في موقعة لهم مع قومه ، فباعوه لـ « حكيم ابن حزام » ، الذى وهبه لعمته « خديجة بنت خويلد » ، فوهبته بدورها الى زوجها محمد بن عبد الله ..

وصحب زيد محمدا ، وقام على خدمته ، وتعرف على اخلاقه العظيمة وشمائله الغراء ، فاكبره واحبه واخلص له الود وكان من اشد المعجبين به والمؤمنين بطهارته ..

ومع كر الاعوام توثقت صلته بسيده ، واكبر فيه حبه للوحدة ومداومته على الصمت والتأمل في غار حراء .. حتى لقد احس في قرارة نفسه ان وراء هذه الخلوات سرا سوف تكشف عنه الايام !

ونزل جبريل على محمد في خلوته التأملية ، ليقرئه القران ..

ثم فتر الوحي وعاد ليكلف رسول الله بحمل الامانة العظمى وابلاغ الرسالة الى اهله وعشيرته الاقربين ، فكان زيد من السباقين الى الاسلام . ومن اوائل من نطقوا بـ « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ..

ومحت الدعوة السمحاء الفوارق بين السيد والمولى .. وتوثقت الصلة وزادت . واذا بمحمد الكريم يلحق به « زيدا » ويعتبره ابنه المتبنى ، فحرر بذلك رقبته واعتقه . وكما ادخله في دين الله .. ادخله كذلك في دنيا الاحرار ، وجعل منه « ابنا » له - على عادة العرب في ذلك الحين !!

وشهد زيد مع رسول الله واقعته الاولى مع كفار قريش ، ومطاردتهم له محاولين قتله ..

وانصت اليه وهو يردد ما انزل عليه في ذلك من قول الله تبارك وتعالى :

« واذ يمكر بك الذين كفروا ، ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » !!

وكان له بعد ذلك شرف الصحبة في هجرة رسول الله الصغرى الى ثقيف ..

ثم عاد الى مكة ، وبقي فيها حتى اذن اللـه بالخروج والهجرة الكبرى ، فهاجر هو الاخر بعد خروج محمد واستقر به المقام في يثرب ، وكـان له هناك شان كبير ..

ثم خرج في السرايا ، وهاجم اعداء اللـه .. وجاهد وانتصر !

وشهد بدرا وابلى فيها وفي غيرها من المواقع بلاء حسنا .. كما شهد علو منارة الاسلام واستقرار الدعوة بمن آمنوا بهـا ودخلوا في دين اللـه ، فتعاظمت وراحت تمتد الى غد مشرق ومسـتقبل عظيـم !

★★★

زوجني يا رسـول الله !

واوحى استقرار الدعوة لزيد بان يحاول ان يستقر هو الاخر ، وان يكون له بيت واسرة ،شانه في ذلك شان غيره من انصار ومهاجرين ..

وراقت فكرة الزواج لزيد بن حارثة ، ووجـد في نفسه حافزا يدفع به الى سرعة تحقيقهـا ليتم استقراره ويتذوق طعم الراحة الى جانب زوج بارة ، تسعده وتشاركه حياته ويكون له منها خير البنين ..

★★★

لقد كان زيد يعرف مكانته من القوم ، ولقـد كان في انعام محمد عليه يوم الحقه بنسبة اشعار له برفع مرتبته ، فهو اليوم من بني هاشم، وانه لابن رسول الله ! فليس اقل ــ وقد فكر في الزواج ــ من ان يجد الزوجة التي تطاوله حسبا وتساويه رفعة ومكانة ..

ومن هنا جاءته فكرة محاولة ربط نسـبه بالهاشميين .. وكان ان فكر في ان يخطب « زينب بنت جحش » بنت عمة رسول الله ..

ولكنه خشي ان يطرق باب زينب ليخطبها ، دون ان يستشير في ذلك رسـول الله ويطلب موافقته وعونه ، وقد دخل في روعه ان « بنـي جحش » قد يرفضون يده ويابون مصاهرته ، وهم السادات الذين يحرصون على انسابهم اشد مـن حرصهم على الحياة !!

ولقد شاءت ارادة الله ، لأمر في مكنون غيبها ، ان تملأ الرغبة في زواج زينب الهاشمية العريقة كل مناحي وتفكير زيد ، بحيث استحوذت عليـه واصبحت اقصى امانيه !

وانه ليتجه الى بيت رسول الله ليعرض عليه الامـر ..

وطرق زيد باب رسول الله صلى الله عليــه وسلم .. وجاءه الامر بالدخول على أبيه العظيم ، الذى لقيه بالترحاب وقد احس ان في مَقـدم « دَعِيّه » في هذه الساعة المبكرة ، امرا هاما .. فطلب اليه ان يجلس ، ثم اقبل عليه في حنانه الابوى الفياض يسأله ما به ، ويتقصاه ما وراءه من انباء ..

وران الصمت على زيد وهو يفكر في الطريقة التي يستطيع ان يفاتح بها رسول الله في مطلبه : هل يحدثه بصفة مباشرة ويعين رغبته في صراحة ؟ ام يجعل لهذا مقدّمات ؟!

وهدى زيدا تفكيره الى ان يبدا بعرض مطلبـه في صورة مقترح ، كان بمثابة رغبة ، عبر بهـا عن امل كان يراوده . فقال للنبي :

ــ اخطبْ عليّ يا رسول الله !

وشعت الفرحة في وجه محمد عليه صـلوات الله وسلامه ، واسعده ان فكر ابنه ومتبنـاه « زيد » في ان يستكمل اسباب راحته وهدوئه ، وان يكون له بيت يفيء اليه ، ويقيم لنفسه دعائم اسرة تعوضه عن اسرته التي تركها وآثر جـوار رسول الله !

ورفع النبي الكريم وجهه المتهلل ليسال زيـدا عمن تكون تلك السعيدة التي اختارها وجاء يطلب وساطة الرسول في طلب يدها ؟!

واذا بزيد يقول في فرحة وابتهال :

ــ زينب بنت جحش يا رسول الله !!

وسكت زيد ، وارتبطت عيناه القلقتان بشفتي محمد ليسمع جوابه ..

ولكن رسول الله ظل على حاله من الصمت وكأنما اسلم نفسه الى خضم من الافكار !

وكما كرت حوادث الماضى امام عيني زيد منذ لحظات وهو في طريقه الى محمد ، راح هذا الماضى يقحم نفسه على خيال الرسول ، وقد تولته دهشة غمرته مع صوت زيد ساعة عيَّن له عروسه التي اختارها ! ..

انها : زينب بنت جحش !!

وطال انتظار زيد ، وطال صمت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكأنما كان يقدر موقف أهـل زينب اذا ما تقدم ليطلب يدها ، وخشي ان هـو

اقره على طلبته ان ترده العروس ويرفضه اهلوها ! ..

لقد كانت حيرة .. وكان على رسول الله ان يفكر في طريقة لا يرغم بها اهل زينب او يؤلم زيد بن حارثة ..

وتلاقت العينان .. واذا بمحمد امام نظرة القلق التي تبدت في عيني مولاه ، يقول له في رقة وادعة :

ـ اي زيد ، لست اراها تقبل !! فاخطب عليَّ اخرى ازوجك بها !!

وارتج على زيد وشهق ماخوذا ، وعز عليه ان يرفض محمد التوسط له في طلب يد زينب بنت عمته ، ولقد كان بوسعه ان يسكت وان يسلم بالامر ولا يجادل فيه ما دام النبي لم يرتح لذلك .. ولكنه اصر في نفسه ان يلحف في الطلب ، وكانما كان في الحافلة هذا مدفوعا بقوة خفية لا يعلمها .. فعاد يقول لرسول الله مستدركا :

ـ يا رسول الله !! لقد انعمت على ، والحقتني بنسبك ، وشرفتني بصحبتك ، فلا اقل من ان تستكمل وسائل تشريفي بأن تخطب عليَّ ابنة عمتك لانال الفخر العظيم !!

واطرق محمد ثانية ..

وسكت زيد .. بل وتراجع وقد غمره احساس بالرهبة المشوبة بالخجل ، مما عاد به الى ماضيه وارغمه على ان يحيا في حقيقته التي ظن انه طرحها وراء ظهره وابعدها عنه دخوله في دين الله !!

عرَف زيد انه أمير السرايا الاسلامية ، والمجاهد الباسل في سبيل الله ، ومتبنى محمد وأقرب الناس اليه .. عرَف انه لم يزل بعد في صف الموالي !! وان اشراف مكة وسادانها من بني عبد المطلب بن هاشم ما زالوا يعتبرونه ، رغم اسلامهم ، عبدا رقيقا ، ليس له ان يتطاول الى حد المطالبة بشرف مصاهرتهم !!

★ ★ ★

تزوجيه .. !!

ومرت ايام .. وحاول زيد ان يبعد عن خياله التفكير في امر الزواج .. بل لقد صمم على أن ينسى ما حدث .. ولكن الفكرة العارمة ما لبثت ان هاجمته من جديد ، وفي قسوة كان من العسير عليه ان يقاومها . !! بل لقد سدت عليه المسالك

فاصبح يرى حياته وكرامته في كفة ، وزواجه من زينب في كفة اخرى !!

ولما كان رسول الله قد سكت ولم يجبه بكلمة شافية ترده او تشجعه او تحكم عليه بالصمت لم يجد زيد غير ان يلجأ الى «علي بن ابي طالب» ، ودرجته في قرابة « زينب بنت جحش » كدرجة رسول الله ، وساله ان يخطب عليه زينب ، او ان يضم صوته الى صوته عند محمد ، ليامر باتمام الزواج .

★ ★ ★

وامام صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعدم تعرضه لطلب زيد بلا .. او نعم ـ ابى « علي » ان يتقدم لخطبة « زينب » ، واخذ على عاتقه ان يضم صوته الى صوت زيد عند رسول الله ، عساه يستجيب لرجائهما معا هذه المرة ..

وعجب محمد لالحاف زيد في مطلبه ، وزاد من عجبه اصراره على الزواج من زينب بالذات ، التي قد تتعالى بنسبها على العبد السابق ، وتتطاول عليه فتسود بيتهما سحائب الكدر ، ويفسد جو الزيجة ، ولا يستقر اساس البيت الوادع الهانيء الذى يرجوه لمتبناه زيد ! ..

استعرض رسول الله هذه الاسباب كلها ، وفكر فيما هو ابعد عنها مدى ، وكتم في نفسه كل شيء ، وابى عليه كريم خلقه ان يصارح بها هذين القادمين لرجائه ..

وسكت محمد .. وعاد « عليٌ » يرجو ، وزيد يصر على اتمام طلبه ، واخيرا ، اختار عليه الصلاة والسلام اوسط الامرين ، وطلب من « علي بن ابي طالب » ان يطرق باب « زينب » ويطلبها من اهلها لتكون زوجا لزيد ..

وطرق «علي» باب عمته حاملا اليهم رغبة متبنى ابن عمه العظيم في أن يصاهرهم .. ورجا ان يقبلوه زوجا لزينب ..

وثارت نخوة السادات البهاليل من بني هاشم .. وابوا مصاهرة عبد وهبته خديجة لمحمد ، فدلله واعتقه والحقه بنسبه !!

وغضبت زينب لوساطة ابن خالها في هذا الامر الذى كرهته ولم تجد الا ان قالت في مرارة واسى :

ـ يا علي !! اتتزوج ايِّمُ قريش من عبد رقيق ؟! .

وعاد « علي » الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليخبره بما كان من امر زينب واهلها ..

وتلقى محمد نبأ رفض زينب واهلها في دهشة ، استحالت ثورة ، وقد كبر لديه صلى الله عليه وسلم ان تظل بين المؤمنين فئة لا تزال شديدة التعلق بمفاخر الجاهلية ، والتباهي بانسابها !!

وامام هذا ، ورغبة منه في ازالة الفوارق الطبقية والاجتماعية بين من كانوا يعتزون بشرف الانساب ، ومن اتسموا بصفة العبودية ـ اراد الرسول الكريم أن تزول مثل هذه الاعتبارات» وأن يدرك الناس جميعا انه : « لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » ..

وأن يذكروا قوله تعالى : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم » ..

وبلغت القضية بمحمد صلى الله عليه وسلم مداها .. فاصر على ان تقبل زينب وآلها «زيدا» زوجا لها ..

وارسل اليهم ثانية ـ وقد اغضبه رفضهم وساطته ـ من قال لهم على لسانه :

ـ لقد رضيته لكم ، واقضي بان تنكحوه ، فانكحوه !!

ولم تلبث الحكمة الربانية ـ في مقدم زيد على النبي لطلب يد زينب ان تكشفت ونزل الوحي مؤيدا لحكم النبي بهذا الزواج بقوله تعالى .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ! ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » !!

وامام ما جاء به الوحي من امر رباني بالطاعة ، وخشية ان يوصم اهل زينب بانهم كانوا ممن عصوا الله ورسوله ـ نزلوا على امر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقبلوا ان تدخل ايم قريش ، وبنت ساداتها ـ بيت العبد المشترى ، فليس لهم ان يتخيروا غير ما اراده الله ورسوله .. وقالوا :

ـ رضينا يا رسول الله !!

★ ★ ★

واكرم النبي زيدا ، فساق لزينب واهلها عشرة دنانير وستين درهما ، ودرعا ، وحمارا ، وملحفة ، وازارا ، وخمسين مدا من الطعام ، وعشرة امداد من التمر ـ اعطاه ذلك كله رسول الله ، واولم الولائم واطعم المساكين خبزا ولحما ..

وهكذا دخلت القرشية الهاشمية ، بيت مولى من موالي محمد ابن خالها وهي راضية نازلة على حكم الله ورسوله ..

وعاش زيد وزينب في بيت.. اقلما كان يوصف به انه لم يعرف الهدوء ولا الراحة الزوجية الا في الايام الاولى من زواجهما ، ثم ما لبث الحال ان تغير ، واخذت القرشية بعد ذلك تنظر الى زوجها نظرة السيد لخادمه !! فكانت تؤذيه وتفخر عليه بنسبها ..

فلم يرتح زيد الى معاشرة زينب التي احبها الحب كله .. ولشدة قسوتها عليه واحتقارها له بدا حبه يفنى ويموت .. واستحالت سعادته شقاء وتعاسة ، ولم يعد يحتمل البقاء معها وقد اشتد كرهه لها !!

خلصني .. يا رسول الله !!

واشتدت بالزوج حيرته .. وعجب لتصاريف القدر معه ، فقد احب بقوة ، وها هو ذا يكره بقوة ، حتى لا يطيق ان يبقى وحبيبة الامس في بيت واحد !! .. وانه ليحار وتستبد به حيرته فلا يعرف ماذا يفعل ولا اين سيصل به المطاف !!

لقد أراد الزواج من زينب وكلم محمدا في التوسط له فسكت عنه في بادىء الامر .. ولقد كان عليه وقتها أن يسكت وينصرف ، ولكنه ابى الا ان يستمر في الحافه ليصاهر آل جحش ويبنى بابنتهم !!

واستجاب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى بأن يتزوج عبد سابق من ايم قريش دفعا لنعرة جاهلية !!

ثم .. ها هو ذا يكرهها !!

ثم ها هو ذا لا يدرى ماذا يفعل ؟ !

ايسكت على مضض ؟ ! ام يذهب ثانية الى محمد يرجوه ان يقر مفارقته لها ؟ !

وخرج زيد ذات صباح مرة اخرى ، وقد كره البقاء في داره ، ووجد نفسه يسير الى بيت محمد وفي نفسه رغبة ما ابعدها عن رغبة ذلك الامس الذى ادبر ! !

واستقبل الطارق بابه .. وجلس يستمع الى شكاة زيد من حياته مع زينب .. وقد اخفى في نفسه ما أراد الله ان يبديه ، ليقضي على ادعاء تقليدى من ادعاءات الجاهلية التي كان يتمسك بها العرب .. وانصت الرسول الكريم الى زيد وهو يقول له :

ـ خلصني يا رسول الله ..

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ أمسك عليك زوجك ، واتق الله !!

ولم يرتح زيد الى الامر .. وهو الذى كان يطمع في ان يقره النبي على ترك زوج لا تحبه ولا يحبها .. وهو فوق هذا يحس صادقا بأن بقاء حياتهما الزوجية هو المستحيل بعينه ! !

ولكنه لم يملك غير الصمت والعودة ثانية الى جحيم البيت الذى يبغضه ! !

حكمة الله ..

ومرت الايام .. وعاد الجفاء سيرته بين الزوجين، واستفحل الخلاف وتعاظمت الكراهية ...

وطرق زيد باب الرسول مرة ثانية .. واذا بالرسول يكرر عليه قولته الاولى :

ـ امسك عليك زوجك واتق الله ! !

ويكره زيد في صميم نفسه ان يستجيب هذه المرة للنصيحة ، ويغادر بيت محمد ، لا ليعود الى بيته وزوجه ، بل ليبحث له عن دار بعيدة عنها ، وليكن بعدها ما يكون ، اذ كيف يحيا مع من يكره ويرى زوجا تترفع عنه ولا تحب ان تراه ؟!

وطلق زيد امرأته !! واستشعر الراحة بطلاقها في الوقت الذى كان رسول الله يتلقى فيه وحيا وأمرا ..

كانت الخطوة الاولى في الحكمة الربانية ـ وهي ازالة الفوارق ـ قد تمت وحطم بها حصنا من حصون الجاهلية وقضى على التفاخر والتعالى ، وبقى ان تتلوها خطوات وخطوات ، تقرر تشريعات هامة لذلك المجتمع الجديد الذى لم يكن من السهل ان يتخلص من ادران الجاهلية وعاداتها دفعة واحدة ، ما لم تعرض له حالة مثل هذه الحالة الطبقية ، لتكون اساسا لحالات وأوامر ودساتير تهتدى بها الاجيال القادمة .

★ ★ ★

لقد أراد الله أن يقضى على تقليد جاهلى آخر يدين به العرب ، وهو انزال الابن « المتبنى » منزلة الابن الحقيقي واعطائه كافة الحقوق في الزواج والميراث وغيرهما من الحقوق القبلية التى كان يتمسك بها العرب قبل الاسلام .

ولما كان رسول الله قد اخفى في نفسه امرا قضى الله باظهاره ـ فقد اراد الله سبحانه وتعالى ان يدعمه في أمر سماوى نزل به القرآن الكريم، يقضى على الشبهات ويحدد اجتماعيات موقف الاب من متبناه ، وموقف المتبنى من ابيه في شتى الحقوق ، وما احل لكل وما حرم في قوله تعالى :

« وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل».

ولم يفت الشارع الحكيم ان يستعرض قصة زواج زيد من زينب وأدوار الصراع العاطفى والشخصى فيها ، ثم الحكمة الخفية من اتمامها .. وكيف أن الرسول كتم في نفسه أمرا قضى به ربه خشية أن يقول له الناس ، وما قضى الله به الا ليهدى الناس الى اقوم سبيل ويشرع لهم بالحق ويقضى على فكرة الادعياء وما فرضه لهم المجتمع الجاهلي من حقوق ، طالما اثارت المشاحنات والخصومات والضغائن ـ اذ كانوا يشاركون أصحاب الانساب الحقة ، ويقفون جنبا الى جنب مع الابناء في التوارث وغير ذلك من الامتيازات ، وذلك في قوله تعالى :

« واذ تقول للذى أنعم الله عليه ، وأنعمت عليه ، امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه » !!

ثم .. جاء الامر السماوى التالى الى محمد بعد ذلك : بأن الله تبارك وتعالى قد زوّجه من زينب بعد ان قضى « زيد » منها وطرا :

« فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ، ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا » .

وكان المعنى واضحا .. اذ ان محمدا عليه الصلاة والسلام الح على زيد ـ الذى أنعم الله عليه بالاسلام والهداية ، وأنعم هو ـ الرسول الكريم ، عليه بالحاقه به واعلان نسبه اليه بتزويجه من ابنة عمته سيدة شريفات العرب .. الح عليه ان يتقى الله ويمسك عليه زوجه ولا يطلقها .. وهو يخفى في نفسه ما الله مبديه من اظهار ما بين الزوجين من تنافر وكراهية .

فقد اراد الله لزيد ان يطلق زينب ليتزوجها رسوله الكريم لكيلا يكون على المؤمنين حرج

فيما احله الله لهم في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ...

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يخشى تقول الناس عليه بانه تزوج من كانت زوجا لولده الذي تبناه ، فاشار الله بقوله : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

وكان رسول الله ساعة اخذته فيها غشية الوحي ، في بيت عائشة ، فلما استفاق ابتسم وقال :

ــ من يذهب الى زينب ، فيبشرها بأن الله قد زوجنيها من فوق سبع سموات طباق .. ؟ !

★ ★ ★

ولما بلغ زينب هذا النبأ السعيد ، سجدت لله شاكرة .. فقد اجاب دعوتها في طلاقها من زيد ، وجازاها خير الجزاء بتزويجها من محمد رسوله ! !

وبسبب زيجتها الاولى ، قضى على الفوارق الطبقية ، والقبلية ، وكانت الزيجة الثانية حكما بابطال حقوق الادعياء التي جعلتها الجاهلية تقاليد حافظت عليها واستمسكت بها . ولولا ان جعلها الله على رسوله بالذات ما قبلوها ولا آمنوا بها .. ! !

★ ★ ★

وقام النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فدخل على « زينب » بغير اذن لان « الحق » من فوق سبع طباق ــ قد ابرم هذا الزواج .. فكانت زينب تفخر بذلك على نسائه بقولها :

ــ لقد زوجكن آباؤكن واولياؤكن ، اما انا فقد زوجني الله اياه من فوق سبع سموات طباق ! !

وكانت زينب من احب نساء النبي الى نفسه الكريمة ، ومما يروى ان نساءه امهات المؤمنين سألنه يوما :

ــ أينا اسرع لحاقا بك يا رسول الله ؟

فاجاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

ــ اطولكن يدا ..

فاخذن يتقايسن ولم يفهمن ما كان يرمي اليه النبي الا بعد انتقاله للعالم الاخر ، فكانت زينب اولاهن في اللحاق به ، فعرفن انه قصد بطول اليد : الكرم والجود والتصدق على الفقراء والمعوزين .. وكانت هذه صفات زينب بنت جحش ..

★ ★ ★

ثم ان النبي دعا القوم الى وليمة صبح أول ليلة بنى فيها بزينب بنت جحش فتوافد المسلمون سراعا ، وبعد ان اصابوا ما اصابوا من الطعام ، انصرف البعض ، وبقيت طائفة منهم حيث هو وقد راح افرادها يتحادثون ويتسامرون .

ومل رسول الله وقد طالت جلسة مدعويه وأبى عليه احساسه المرهف ، وحياؤه النبوى ان يتكلم ، ولم يجد الا ان يشعرهم بما احس من ضيق لطول بقائهم ، فقام من بينهم وسار حتى حجرة عائشة ثم عاد بعد فترة ، وقد ظن ان القوم قد ذهبوا ، فاذا به يجدهم قعودا حيث تركهم ، فلم يجد بعد ذلك غير ان يكرر ذهابه وعودته وهم عنه لاهون .. مستمرين على حالهم من البقاء والاسترسال في الاحاديث !

ونزل اذ ذاك قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ، لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ، ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق ، واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما » ! !

وكما نزلت هذه الآيات للمؤمنين لتوجههم وترشدهم الى واجبهم ازاء النبي ، نزل قوله تعالى موجها آياته الكريمة الى امهات المؤمنين في نفس الوقت وبهذه المناسبة بالذات :

« يا نساء النبي ، لستن كأحد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذى في قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا ، وقرن في بيوتكن ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ، وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وضرب النبي بين المسلمين وبين نسائه سترا ..

■■

سنية قراعه



مهمة القانون والقضاء

من مجلة « تايم » الامريكية :

● لا ريب فى أن زنوج الجنوب فى الولايات المتحدة الامريكية قد احرزوا تقدماً كبيراً فى سبيل استرداد حقوقهم ، وتحقيق المساواة بينهم وبين البيض من اقرانهم . يصدق ذلك على التعليم والمدارس كما يصدق على الاعمال والوظائف . ولعله يتجلى على نحو بارز فى مجال التصويت والانتخاب . الا ان حقوق الزنوج ما زالت مهضومة منتهكة الى حد لا يستهان به بالرغم من كل ما تلقاه تلك الحقوق من تأكيد وتوطيد سواء فى الدستور الامريكى أو فى التشريعات المدنية الجديدة التى توافرت وتراكمت فى الآونة الاخيرة . وتشاء سخرية القدر أن تكون حقوق الزنوج هذه موضع مزيد من الانتهاك والمهانة فى ميدان القانون والقضاء بالذات حيث يتوقع المرء لها المزيد من الحماية والتوطيد . فالبيض المشبعون بروح التفرقة العنصرية ماضون فى اغتيال دعاة المساواة فى الحقوق من الزنوج دون خوف من عقوبة أو وَجَل من محاكمة . ورجال الشرطة ماضون فى ارهاب الابرياء ومطاردة الضحايا بدلا من القاء القبض على المجرمين . وتبدو القوانين بأسرها فى ولايات الجنوب وكأنها سلاح لا للذود عن الحقوق وحمايتها وانما لتمزيقها والنيل منها .

القوت : ثمن للحرب أم للسلم ؟

من صحيفة «الهيرالد تريبيون» الأمريكية :

● كثيرا ما يتهمنا الآخرون بان مساعداتنا الخارجية لا تخلو من بواعث خاصة تشوبها ، واغراض سياسية تختفى وراءها .

وواقع الحال هو أن المساعدات الأمريكية ، العسكرية منها والاقتصادية على السواء ، من شأنها ان تفسح المجال ، كما افسحته بالفعل ، للحكومة الأمريكية للافادة منها على صعيد سياستها الداخلية ، وفى تسيير دفة سياستها الخارجية المتصلة بالدول المنتفعة بتلك المساعدات .

ونحن لا نستطيع أن نتعامى ، والحالة هذه ، عن النتائج المترتبة على ما نشحن الى الخارج من اسلحة واطعمة ، على سبيل العون والمساعدة .

فالسلاح والعتاد الذى زودنا به على سبيل المثال الهند والباكستان ، بقصد تعزيز أسباب الدفاع فى وجه الشيوعية وما تبيته من اطماع ، قد استعمل فى الحرب العدوانية التى احتدمت قبل حين حول كشمير بين أولئك الاشقاء . والقمح الذى شحنّاه وما زلنا نشحنه بملايين الاطنان الى ملايين الهنود قد يشجع الحكومة الهندية على توظيف المزيد من اموالها فى تنشيط الصناعة فيها وتنميتها ، على حساب ما هى بحاجة اليه من اصلاح زراعى واستصلاح .

والامر متروك لأولى الامر فى وشنطون على كل حال . فهم الذين سيقررون الشروط والكيفية التى تكفل لهباتنا السلميّة هذه ـ سلمية ببواعثها وسلمية بأهدافها ـ الاسهام فى تحقيق حل سلمى للمشاكل ، بدلا من أن تستغل فى اذكاء نار الحرب فى سبيلها .

موطن الضعف فى اقتصاديات الولايات المتحدة

من صحيفة التايمز البريطانية :

● اشتهرت اقتصاديات الولايات المتحدة ، قبل خمس سنوات ، بالبطء فى نموها وتطورها . اما الآن ، وقد دخلت تلك الاقتصاديات سنتها السادسة من حيث التوسع والامتداد ، فلها ان تفاخر باسرع نسب النمو والتطور ، ولها ان تباهى باكبر قسط من الرخاء والرفاهية تمتع به الشعب الامريكى منذ بدء تاريخه حتى الآن .

اما قدرة الولايات المتحدة على تحمل نفقات مشاريع الوصول الى القمر ، وهى باهظة ، فضلا عن مجابهتها نفقات الحرب الفتنامية وهى كبيرة متزايدة ، فقدرة يكاد لا يرقى الشك الى توفرها او مداها . ولا ريب فى ان الولايات المتحدة قادرة لا على سد هذه النفقات وتلك وانما هى كذلك قادرة على المضى فى تنفيذ مشاريعها الخاصة بالانعاش الاجتماعى وفى المحافظة على المستوى الرفيع من الرخاء والرفاهية الذى حققته لمواطنيها .

غير ان ميزان المدفوعات كان ولا يزال موطن الضعف فى اقتصاديات الولايات المتحدة . ومن شان الزيادة المرتفعة فى النفقات ان تعرض ذلك الميزان الى مزيد من الضغط والخطورة خلال الشهور الاثنى عشر المقبلة .

حلف الاطلسى والرأى العام الفرنسى

من صحيفة « لافيجارو » الفرنسية :

● قد يتفق المرء الرئيس ديجول على نواياه او قد لا يقره عليها . كذلك الحال بالنسبة الى اساليب الرئيس الفرنسى التى قد تلقى تاييدا من بعضهم او لا تلقاه من آخرين .

وثمة حقيقة واقعة لا سبيل الى تغييرها وتبديلها بمثل هذا التاييد او عدمه . تلك ان الحكومة الفرنسية ليست الحكومة الوحيدة التى ترى ضرورة اعادة تنظيم حلف الاطلسى على نحو يتفق والظروف الراهنة ويسايرها .

السياسة الامريكية فى فتنام

من صحيفة النيويورك هيرالد تريبيون الامريكية « طبعة أوروبا »

● يعتقد المستر دين راسك وزير الخارجية الامريكية كما يعتقد زميله وزير الدفاع المستر ماكنمارا بان السياسة التى ينتهجانها بالنسبة الى فتنام انما تمثل مستوى من سياسة القوة هو اعلى مستوياتها وارفعها . وهما يؤمنان بان سياستهما تلك قد ادت الى كبح جماح الصين ، ويمعنان فى الايمان على هذا النحو بالرغم مما افضت اليه سياستهما فى فتنام من تنفير للاتحاد السوفياتى ، وبذر لبذور الريبة والتخوف فى اليابان ، وبالرغم ايضا من اخفاق تلك السياسة فى احراز اى تاييد لها سواء فى الهند او فى الباكستان . والسؤال الهام هو : كيف امكن لوزيرين مسؤولين عرفا بالرصانة والجد ان يسترسلا فى القول بان ما يفعلانه فى فتنام كفيل بالحد من استشراء الخطر الصينى ، وكيف خفى عليهما ان الولايات المتحدة قد باتت فى عزلة سياسية ، او كادت ، فى مجال سياسة القوة تلك وقد كانت تنتهجها فى القارة الآسيوية وما زالت .

■■



المظاهر خدّاعة

بقلم
حسن الجداوي
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ هذه قضية فتاة صغيرة ـ ستة عشر ربيعا ـ ربيت تربية دينية متزمتة اضفت عليها مظهرا من الورع والتقوى خدعت به أهل مدينتها فناصروها، وخدعت به الصحافة فتحمست لها ، وخدعت به اثنين من كبار المحامين فتبنيا قضيتها ونصرا ـ بقوة حجتهما ـ باطلها،وخدعت النيابة العمومية فتحركت من أجلها ، وخدعت المحلفين فادانوا خصمها مع وضوح براءته .

وهي في الوقت نفسه قضية ضابط شاب مستهتر مشهور ، كثير الديون والمغامرات ، خدع



.. ولكن الفتاة لم ترق فى عين الضابط الشاب ، فلم يبد أى اهتمام بها . وقد زعمت – فيما بعد – أنه أسر اليها بأن لها أما فى غاية الجمال ، وأن من المؤسف أنها لا تشبهها.

مظهره المحلفين فأدانوه بغير دليل ، أو بالاصح بناء على أقوال تلك الفتاة وحدها .

اما الفتاة فهى مارى موريل ابنة الجنرال كونت موريل قائد مدرسة « سومور » الحربية . وأما الضابط فهو الملازم لارونسيير ابن الجنرال كونت لارونسيير وأحد تلاميذ مدرسة سومور ..

ولقد وجدت مدام موريل أن لارونسيير – رغم سمعته – يصلح زوجا لابنتها ، فدعته الى احدى الحفلات واجلسته الى جوار ابنتها . ولكن الفتاة لم ترق فى عين الضابط الشاب ، فلم يبد أى اهتمام بها . وقد زعمت – فيما بعد – انه أسر اليها بأن لها أما فى غاية الجمال ، وان من المؤسف انها لا تشبهها .

وكان من ضمن الذين يترددون على مدرسة سومور وعلى بيت الجنرال موريل ضابط آخر اسمه ديستول ، وضعت الاسرة عينها عليه لتزوجه ابنتها ..

وبعد تلك الحفلة المشئومة بدأ سيل من الخطابات المجهولة يصل تباعا الى زوجة الجنرال، كان أولها خطاب غزل يقول فيه مرسله :

« سانتظر اليوم بطوله امام منزلك . فاذا رأيتك تخرجين من الباب فاسمحي لي ان اعتقد انك لا ترفضين الحب المقترن بالاحترام الذى يكنه لك قلبي » .

واطلعت مدام موريل زوجها على الخطاب ففتح نافذة تطل على كوبرى نهر اللوار في الوقت الذى اعتادت زوجته فيه مغادرة المنزل ، فخيل له انه راى لارونسيير يبتعد مسرعا على الكوبرى .

ومن هنا بدات متاعب لارونسيير ، فنسب اليه الخطاب المجهول وما تلاه من خطابات لم ينقطع سيلها . وكانت خطابات تهديد وسب وبذاءة واهانة موجهة الى الجنرال وزوجته وابنته ومربيتها - مس الن - والكابتن ديستول . ولم يفد لارونسيير توكيده اكثر من مرة انه لا شأن له بتلك الخطابات .

★ ★ ★

وفى احـــدى حفلات الجنرال موريل علم ان لارونسيير موجود بمنزله ، فارسل فى طلبه وقال له - بحضور الكابتن جاكمان : « ارجوك لاسباب خاصة بي ان تنسحب من منزلي وان لا تتردد عليه بعد اليوم » .

وانسحب لارونسيير دون ان يعترض ، ولكنه فى اليوم التالي قابل زميلا له وروى له ما حدث ، ثم زار الكابتن جاكمان وطلب منه تفسيرا لحادث الامس ، فنسب جاكمـــان السبب الى حديث لارونسيير للآنسة موريل والى الخطابات المجهولة.

وطلب لارونسيير رأى المسيو امبير وهو صديق للاسرتين ، فاشار عليه بأن يتقدم ببلاغ للنيابة العمومية ويطلب تعيين خبراء خطوط لمعرفة كاتب الخطابات المجهولة . ولكن ذلك الرأى لم يــروق للارونسيير لما فيه من اســـاءة لسمعة الآنسة موريل .

★ ★ ★

واستمر سيل الخطابات ومنها اربعة ارسلت الى ديستول يقول مرسلها فى آخر خطاب منها :

« ان القتل نفسه لا يشفي غليـــلا . لا بد من اهدار كرامة تلك الفتـــاة اللعينة . واذا كنت تريدها فسيلقى بها فى احضانك . لقد احببتهـا حبا جنونيا - اى ماديا - وعلى طريقتي ، وسعيت لكي ادير راسها ، ولكن نظرة الاحتقار التي رمقتني بها منعتني من ان ابوح لها بحبي ، لذلك سانتقم منها بسبب حبها لك » .

واطلع ديستول الجنرال موريل على الخطـاب وطلب منه ان يسمح له بطلب لارونسيير للمبارزة، ولكن الجنرال رجاه ان لا يفعل محافظة على سمعة ابنته .

وفى مســـاء ٢٣ سبتمبر ١٨٣٣ ذهب الجنرال موريل وزوجته الى المسرح وتركا ابنتهما ومربيتها - التى لا تكبرها الا بسنتين فى الدور الثالث من منزلهما حيث تقيمان بمفردهما . وقالت مـارى موريل انها استيقظت فى الساعة الثانية صباحـا على صوت كسر زجاج نافذة غرفتها ، ورات يـدا تمتد وتفتح النافذة ، ورجلا يدخل الى غرفتهـا ويسارع الى قفل الباب الفاصل بين غرفتها وغرفة مربيتها . وانها قفزت من فوق سريرها واحتمت بكرسى كان فى متناول يدهـا واستطاعت ان تتبين على ضوء القمر الرجل - بالرغم من انه كان ملثما - انه لارونسيير .

وقالت انه القى بنفسه عليها وقال لها « لقد جئت لانتقم » . ولم يستطع فى باديء الامر ان يمسك بها لانهـــا كانت تمسك الكرسى ، ولكنه تغلب عليها وانتزع قميص نومها ولف منديلا حول عنقها وشده بقوة منعتها من الصراخ ، ولف حبلا حول جسمها واحست بقدمه بين ساقيها ، ثـم ضربها فوق صدرها وعلى ذراعيها ، وعضهـــا فى قبضة يدها ، وقال لها ان هذا هو انتقامه مما حدث له بمنزل والدهـــا ، وان انتقامه سيكون اعنـف من الشخص الـذى استعمل الخطابات المجهولة ، وانه من اللحظة التى وقع نظره عليهـا وشيء ما يدفعه الى الانتقام منها . وانه طعنهـــا بآلة حادة ولكمها على فخذيها .. وعندها فكت عقدة لسانها فصرخت ووصل صوتها الى مربيتها الآنسة الن فبدات تطرق الباب بعنف ، وعنـدها قال لارونسيير «هذا يكفي» ، وقفز من النافذة..!

وقالت المربية انها وجدت مارى فى حـــالة اغماء ، وجسمها ملفوف بحبل ، وعنقها بمنديل ورات آثار دماء بموضعين او ثلاثة من جسمها ، ولما افاقت روت لها ما حدث .

وارادت مربيتهـــا ان توقظ الجنرال وزوجته ولكن مارى رفضت واسرعت الى النافذة حيث كان

لارونسيير لا يزال واقفا ينظر الى النافذة بشماتة، ويقهقه مسرورا .

وفى الساعة السادسة صباحا أيقظت المربية الجنرال وزوجته فحضرا ورأيا الزجـاج المكسر والنافذة المفتوحة والمنديل والحبل . ولكن مدام موريل رأت برغم فداحة الاعتداء ان تكتم الأمر محافظة على سمعة ابنتها .

ولم ينقطع سيل خطابات التهديد ، وكلها بنفس الخط . خطاب الى مدام موريل يقول مرسله انها وحدها التى تعرف سبب الاعتـداء على ابنتها . وخطاب الى ديستول يصفه بالحقارة والجبن .

رأى ديستول انه لا محل للسكوت بعـد ذلك فطلب الى صديق له أن يكون شاهده وطلب الى لارونسيير ان يبارزه ... وأكد لارونسيير للصديق انه لم يرسل الى ديستول ولا لغيره أى خطاب ، وانه لا يرى محلا لهذه المبارزة ، ولكنه نزولا على قواعد الشرف فى تلك الأيام قبل المبارزة وتغلب على ديستول واصابه بجرحين .

وبعد انتهاء المبارزة استحلفه ديستول أن يعترف ووعـده بنسيان كل شىء ، ولكن لارونسيير أصر على انكاره . فقال ديستول « انني سابلغ النيابة العمومية ضدك » . ووافق لارونسيير على الفور وطلب تسليمه الخطابات ليحملهـا بنفسه الى النيابة العمومية . ولكن ديستول رفض خشية أن يعدم لارونسيير الخطابات .

★★★

وتحت تأثير الحاح زملائه من الضباط ، وخشية وصول الأمر الى والده ، قبل لارونسيير أن يكتب اعترافا كاملا بانه كاتب جميع خطابات التهديد ، واعتذر عنها ، وقرر انه طلب اجازة من المدرسة ووعد بمغادرة سومور فى اليوم نفسه وسافر فعلا الى باريس .

والاعتراف كما هو معروف سيد الادلة ... بشرط أن يكون اعترافا صحيحا تسنده الوقائع. ولكن سيل خطابات التهديد المرسلة من سـومور لم ينقطع . وكان هذا وحده كافيا لاقناع من لم يقتنع بعدم صحة الاعتراف .

★★★

وتحسنت صحة مارى بعض الشىء ثم عثر عليها فى حالة غيبوبة وبيدها خطاب تهديد جديد . ولما افاقت اخذت تصرخ « الرجل الاحمر .. الورقة .. انهم يقتلون ابى وامى » ...... واستمرت حالتها تسوء فاستدعت اسرتها الكاهن ، واتموا لهـا الاجراءات الدينية متوقعين ان تقضى نحبهـا بين لحظة واخرى . ورأى الجنرال نفسه مضطـرا لابلاغ السلطات فقبضت على لارونسيير ووجهت اليه تهمة الاعتـداء على مارى وارسال خطابات التهديد ....

ومع ذلك استمرت خطابات التهديد، ولارونسيير فى السجن !

★★★

وعندها رأى لارونسيير ان انكاره لا يكفى للدفاع عن نفسه فاتخذ موقف الهجوم . قال انه يعتقد ان ما حدث مؤامرة من تدبير مدام موريل وابنتها والمربية ، واشترك فيها السيد ديستول . وانه لم يحدث اى اعتداء على مارى . وان ديستول كان على علاقة بمارى عن طريق مربيتها .. علاقة ربما انتجت حملا ، فاتفقت مارى واقعة الاعتداء انقاذا لسمعتها . وحين علم والداهـا بالحقيقة ارادا اجباره بهذه الطريقة على الزواج منها . وتحدى ان يثبت التحقيق ان خطابات التهديد بخطه .

★★★

ولم تر النيابة العمومية مفرا من تعيين خبراء لتحقيق ذلك التحدى . وكان موضع الدهشة ان الخبراء الثلاثة الذين عينتهم النيابة أجمعوا على ان الخطابات ليست بخط لارونسيير ، وان اثنين منهم جزما بان الخطابات بخط مارى موريل ،وقال الثالث انه من المرجح أن تكون بخطهـا ولكنها تعمدت تغييره .

ولولا هياج الرأى العـام وحملات الصحافة المخدوعة لقفلت النيابة التحقيق وحفظت الدعوى وافرجت عن لارونسيير . ولكن النيابة العمومية فضلت ان تكذب خبراءها على ان تكذب فتاة صغيرة ربيت تربية دينية ، ووجدت فى الفاظ الخطابات وبذاءتها ما لا يتصور صدوره من مثل هذه الفتاة، فرفعت الدعوى العمومية .

وجارت النيابة العمومية الرأى العام فنشرت فى الصحف ــ على غير المعتاد ــ تقرير الاتهام قبل الجلسة المحددة لنظر الدعوى بعـدة أسابيع .

وتناولت الصحف تقرير الاتهام بالتعليق ، وتتبع الجمهور تلك التعليقات بشغف ، فكتب لارونسيير الى الصحف الاحتجاج التالي :

« انها سابقة خطيرة ان ينشر تقرير الاتهام قبل بدء المحاكمة فيترك المتهم تحت وقع هذا الاتهام ــ صحيحا كان او كاذبا ــ دون أن يكون له الحق في الدفاع عن نفسه . ويبدو لي انه في مثل هــذه الظروف يجب ان تقدم مصلحة المتهم على حب استطلاع الجماهير .

اما عن التهمة الموجهة الي فانها تحتاج لمرافعة طويلة لاثبات زيفها ، ويكفيني أن اقول ان هــذه الرواية الخيالية سوف تنهار فصولها فصلا بعد فصل . وانني وأسرتي ــ بعد نشر هذا الاتهام ــ حريصون على أن تجرى المحاكمة بصورة علنيــة لتظهر الحقيقة في وضح النهار . »

★ ★ ★

وادعت أسرة موريل مدنيا وعهدت الى اثنين من اكبر محامي فرنسا اذ ذاك في تأييد وجهة نظرها ، هما الاستاذ اوديون بارو ــ الذي أصبح فيما بعد وزيرا للعدل ــ والاستاذ بريبهالفني عن التعريف . كما عهد لارونسيير بالدفاع عنه الى الاستاذ شيه ديستانج المحامي الشاب الذي بدأ اسمه يلمع في سماء المحاماة والذيأصبح فيما بعد نائبا عموميا .

★ ★ ★

بدأ أوديون بارو مرافعته التي استغرقت عدة ســاعات يشرح خطورة الجريمة والبواعث التي حملت الاسرة على تكتم الامر ثم قال :

« انني ــ وقد قضيت حياتي كلها في حمــل رسالة الدفاع المقدسة ــ أجد نفسي ــ للمــرة الأولى التي أرجو أن تكون الأخيرة ــ ارفع صوتي ضد متهم . ومهمــا بلغ كرهي للجريمة وايماني العميق بثبوت التهمة ، فلن أنسى انني ارفــع صوتي ضد انسان في محنة ، وان ادانته يجب أن تكون نتيجة اليقين الذي لا شك فيه لا نتيجــة البلاغة الخطابية . »

ثم تحدث عن المبارزة التي جرح فيها ديستول وتساءل « كيف يملي المغلوب فيها شروطه عــلى الغالب ويلزمه الاعتراف بجريمة يزعم الآن انه لم يرتكبها ــ ويقبل ذلك بغير احتجاج ويوقع عــلى اعترافه صاغرا ؟ أليس ذلك شأن المذنب المقر بذنبه ؟؟ »

« لقد قلت في بداية مرافعتي انني آسف لانني ــ خلافا لطبيعتي ــ اتولى الاتهام.ولكنني أخطأت . انني هنا لا زلت اقوم بدور الدفاع عن شرف وسمعة فتاة بريئة يحاول دفاع لارونسيير الكاذب ان يلطخ جبينها بالعار . انه يتهمها ــ وهي الفتاة الصغيرة البريئة ــ بأنهــا اخترعت تلك الوقائع المريعة منخيالها المريض، وانها هي التي كتبت تلك الخطابات البذيئة ، وانها حددت موعدا غراميــا لامها مع أحد الضباط ، وانهــا هي التي كتبت خطابا غراميا لضابط آخر . »

ثم بدأ يقرأ للمحكمة الخاطابات المجهولة ليبين ان تعابيرها وبذاءة الفاظها لا يمكن أن تصدر عن فتاة بريئةفي سنها وانما تصدر من ضابط مستهتر معروف بمباذله .

ثم هاجم تقارير الخبراء وسخر منها ، وضرب امثلة عديدة بقضايا ثبت فيها خطأ الخبراء ،وقال انه لم يبق امام الدفاع الا الاحتماء بجنون ماري . ولكنه جنون متقطع تسترد كامل قواها العقلية في ساعات استنارة عقلها كما رأيتموهــا وهي تدلي باقوالها امامكم .

ثم ضيق الخنــــاق على لارونسيير لاعترافه المكتوب والموقع عليه بخط يده وتساءل في ختام مرافعته « هل يريــد الدفاع ان يقول ان اسرة موريل دبرت كل الذى حدث فكسرت زجــاج النافذة وفتحته وأحضرت منديلا وحبلا وانهالت بالضرب واللكمات على ابنتها وطعنتها في ذراعيها وفخذها ؟

« ان اسوأ يوم في حياتي هو اليوم الذي يؤدي فيه كلامي الى ادانة بريء . اما هنا فانني اعلن باعلى صوتي ان ايماني بصحة التهمة كامل ، فانا في وضع لا يسمح لي الا بأحــد فرضين اما ادانة الفتاة الصغيرة ماري موريل او ادانة المتهم . وانا كرجل ورب أسرة وبدافع من ضميري ، لا أجد محلا للتردد » .

ولم يكن يدري ان كلامه وقوة مرافعته قد أديا فعلا الى ادانة بريء .

★ ★ ★

وجرى العمل على ان تتم مرافعة الادعاء المدني

قبل مرافعة الدفاع ، ولكن بريبيه طلب ان يعقب على مرافعة الدفاع على ان يكون للدفاع الكلمة الاخيرة على كل حال . فترافع الاستاذ شيه ديستانج محامى لارونسيير .

« كانت محاكم التفتيش ـ فى عهدها المظلم ـ تدين بمبدأ انه كلما كانت الجريمة فظيعة كلما ضعفت الحاجة الى ادلة قوية لاثباتها . وهو مبدأ يبدو لنا غريبا وخطرا . ولكننا جميعا ـ دون ان نحس ـ نخضع له . فحين تروى لنا تفاصيل جريمة شنيعة ـ كتلك التى ترن اصداؤها بين جدران هذه القاعة ـ نجد انفسنا ـ دون وعى او تفكير ـ نتحمس ضد المتهم .... وهذا ما حدث لي حين طلب الي الجنرال لارونسيير أن ادافع عن ابنه . فقد رفضت بشدة وقلت له ان أسعد يوم فى حياتى هو ان يعهد الى بالمطالبة بعقابه .. ولكننى بعد دراسة دقيقة لجميع الظروف والوقائع آمنت بأننى اخطأت فى تسرعى ، وأن واجبي يقضى علي بالوقوف الى جوار هذا المتهم . وكل ما أطلبه منكم ـ ايها السادة المحلفين ـ ان لا تفعلوا ما فعلته ـ وما أقر لكم بأننى كنت مخطئا فيه ـ وأن تنصتوا الي بدون عطف ، ولكن بدون حقد ».

ثم أخذ يحدثهم عن ماضى المتهم واخطائه ، ويبررها بقسوة والده عليه ، مما جعله اذا استدان ـ ككل الشبان ـ يخشى أن يفضى لأبيه ، واذا احب ـ شان كل الشبان ـ اخفى ذلك عن اسرته . وروى لهم كيف نفاه أبوه فى جزيرة نائية وهدده ـ بعد أن عاد وتاب وأناب ـ بأنه سيتبرأ منه عند أول هفوة أخرى .. وهو مع ذلك ضابط نظيف كما تدل على ذلك شهاداته الدراسية وشهادات رؤسائه المتعاقبين ... لقد استدان ، وكانت له خليلة أو اثنتان ، فهل هذه امور لا تغتفر لمن كان فى سنه ؟؟؟

وتساءل ان كان بين الموجودين من يصدق ان ضابطا شابا ، له اخطاء يسعى ليغفرها له قائد مدرسته ، يدعى الى شرف الجلوس على مائدة بجوار ابنة هذا القائد ، فيكون حديثه لها ان يقول ـ كما تدعى مارى ـ « ان امك جميلة ومن أسف انك لا تشبهينها » ؟؟؟

وماذا ـ يا ترى يكون الباعث ليرسل لارونسيير خطابات التهديد ؟ قالوا انه وقع فى غرام مدام موريل . ترى ما مظاهر هذا الغرام ؟ لقد دعى لمنزل الجنرال ثلاث او اربع مرات . فهل تحدث اليها بهذا الغرام ؟ هل اذا لم يتحدث بلسانه فضحته عيونه ؟ ان مدام موريل لم تقل ذلك ، والمرأة لا تخفى عليها نظرات المحب الولهان .

ثم ناقش الخطابات المنسوبةالى لارونسيير وبين انها لا تصدر عن محب .

لعل الباعث هو الرغبة فى أن يتزوج بمارى . وهو باعث له قيمته لأن مارى غنية . ولكن لارونسيير بعد ثمانية أشهر من الحبس الاحتياطي، وبعد ان اخذ يقدح زناد فكره أثناء وحدته باحثا عن الباعث لتوجيه هذا الاتهام اليه ، قال لي « لعلهم أرادوا ارغامى على الزواج من ابنتهم ؟»

ودافع عن تقرير الخبراء وقال ان الخبراء غير معصومين منالخطأ ولكن الخبير قد يخطئ فى نسبة توقيع لصاحبه ، ولكن اجماع الخبراء بعد ان فحصوا العشرات من الخطابات لا يتصور فيه الخطأ .

وناقش الاعترافالمنسوب الى لارونسيير ونسبه الى رغبته فى تكتم الخبر عن والده ، وأن يسدل الستار على الحادث ـ وان لم يكن له اى شأن فيه . ثم تساءل كيف يمكن تفسير خطابات التهديد التى استمرت بعد الاعتراف ؟ وبعد سجنه ؟

لقد أثبت لكم ان لارونسيير لم يكتب تلك الخطابات ، وأثبت الخبراء ان الخطابات بخط مارى موريل ، فلنطو صفحة خطابات التهديد وننظر فى ذلك الاعتداء الذى قيل انه وقع على مارى موريل .

انه اعتداء مادى لم يدبر فى الخفاء كما تدبر الجرائم ولكنه دبر ورتب فى وضح النهار ضد أسرة كاملة . فلم يكن لدى الاسرة اى شك فى ان اعتداء يدبر على ابنتهم.بذلك كانت تنطق خطابات التهديد . فماذا فعلت الاسرة لحماية ابنتها ؟ لا شك ان الحراسة حولها ستكون شديدة . ولكن لا . ان مارى تركت بمفردها مع مربيتها التى لا تكاد تكبرها سنا .

لقد أثبت لارونسيير انه كان فى المسرح فى ليلة الاعتداء واستشهد بشهود أيدوه ، بل ورأى الجنرال موريل ورآه الجنرال بالمسرح . وقال

انه اتجه من المسرح الى منزل صديقتــه وقضى ليلته بجوارها ، وشهدت هي بصحة ذلك .

وتعالوا معنا الى واقعة الاعتداء كما ترويهـا مارى . ماذا كانت تفعل الآنسة الن أثناء الاعتداء المزعوم ؟ لقد كانت نائمة . ان بينها وبين غـرفة مارى باب غير محكم الغلق ، ولكنها نائمة ! كسر الزجاج وفتح الشباك . وهى لا تزال نائمة ! وقفز المعتدى من النافذة الى غرفة مارى وجرى يغلق الباب ، والن لا تزال نائمة ! واخذ المعتدى يروح ويغدو فى الغرفة ووقع التماسك والضرب والطعنات والتهديد ، ولكن لا شىء « يوقظ الآنسة الن » ! ان ذلك كله حدث فى سكون الليل ، ولكن الآنسة الن لم تسمع شيئا . انها نائمة ... أقول لكم انها نائمة !

ولكنها تستيقظ بعد أن يكون كل شىء قد انتهى . الآنسة الن . ان الجريمة ترتكب تحت سمعك ، وبصرك ، ولكنك لا تتحركين ! يا آنسة الن ، اننى لا اصدقك . ان الامور لا يمكن أن تكون قد جرت كما تزعمين .

★★★

وما الذى فعلتـــه مارى بعد هذا الاعتـــداء الفظيع الذى وقــع عليهـا ؟ ان لنا جميعا بناتا واخوانا . ما الذى تتصور ان تفعله احداهن ـ لا قدر الله ـ اذا وقعت فريسة لمثل هذا الاعتداء .

فتـــاة طاهرة بريئة تدرس القراءة والكتابة فى صفحات الانجيل . ان أول ما تفعله ان تجرى الى ذراعى امها . ان تسارع الى احضانها . ولكـن لا ... ان الآنسة موريل تفضـل ان تنتظر حتى الصباح كان امرا خطيرا لم يحدث لها ! انها لا تطالب امها ولا تجرى اليها. بل تتجه الى النافذة لتزعم انها وجدت لارونسيير يتجه بنظره ويقهقه فى شماتة !

★★★

ويقع هذا الاعتداء الفظيع على الفتاة البريئة وتقرر اسرتها التكتم على الحادث . فليكن . ولكنها بعد اربعة ايام من الحادث ترتدى ملابس السهرة وتتزين لتشترك فى الحفلة السنوية وتشارك فـي الحفلة السنوية وتشارك فى الرقص . لقد اعتدى عليها فى ذراعيها وفى فخذيها وصدرها . وملابس الرقص لاتغطى الذراعين وتكشف الصدر . فكيف اخفيت الجروح والكدمات ؟ وقيل انها طعنت فى فخذيها بآلة حادة . فكيف قويت أرجلها على الرقص ؟

★★★

قد تتساءلون كيف ان مثل هذه الفتاة التى ربيت تربية دينية وتعلمت على صفحات الانجيل تخترع كل هذه الاكاذيب ؟ الا يمكن ان يقع فى يد مثل هذه الفتاة رواية من الروايات فقرأتهـا ـ بشغف من وراء امها ـ ولأنها لم تعتـد مثل هذه القراءات ، ولأنها بطبيعتها سريعة الانفعال ، تأثرت وارادت أن تمثل دور فتاة الرواية ؟

اننى مؤمن بعد كل ما شرحته لكم من متناقضات واستحالات انكم لن تدينوا لارونسيير بشهـادة مارى موريل وحدها .

★★★

ولم تخرج مرافعة النيابة ومرافعة ربيبه عما قاله اوديون بارو . وعقب عليهما شيه ديستانج فكرر حججه وختم تعقيبه بفقرة هى دستور رسالة المحاماة يستشهد بها جميع الذين كتبوا عـن المحاماة قال .

« ان لارونسيير برىء . اقول لكم ذلك وأؤكده مؤديا هنا رسـالـة تتطلب بعـض الشجاعـة .

« واعترف لكـم اننى ترددت أول الأمـر في حمل عبئها . ولكنـه عمـل شريف .. دعوني اقـول لكـم انه عمـل شريف ، وحـق مقـدس للمحامى أن يتولـى قضـية ضـد الراى العام المضـلل فيدافع عـن متهـم يطلبون القضـاء علـيـه بتهم باطلـة . وان يقـف فى وجـه الذين يحكمون بدون علـم ، ويقضـون بغـيـر معرفـة ، ويحيطونه بشكوكهـم لانهم لايعرفـون رسـالة الدفـاع .. تلـك الرسالة الشريفـة المقدسـة ، رسالتنـا حين نجـد رجـلا بريئـا قـد هجـره اهلـه وتنكـر لـه اصدقاؤه ، ولعنـه الناس جميعا ، فيقف المحامى الـى

جانبه يدافع عنه كما يقف القسيس الى جوار المحكوم عليه ، فيسير الى جانبه وسط صخب الجماهير حتى سلم المشنقة . ذلك ما انا فاعله . انني اسلمكم هذا الرجل بريئا مطهرا وسط سخط الجاهلين . وانتظر منكم له اما الحياة واما « الموت » .

★ ★ ★

وقام رئيس المحكمة بتلخيص وقائع الدعوى . وناقش ادلة الاتهام وادلة البراءة . ولو لم يكن المحلفون مخدوعين بمظاهر « الضحية » لادركوا ان رئيس المحكمة يطلب منهم ان يقضوا بالبراءة . ولكن المحكمة كانت فى واد والمحلفون فى واد آخر كما يقولون ، فقرروا الادانة واصدر القاضي - على كره منه - حكم القانون وهو يقضى بالسجن الانفرادى مع الاشغال الشاقة عشر سنوات .

وقال القاضى لكاتب الجلسة وهو يوقع على مسودة الحكم « وددت لو ان يدى قطعت ولا اوقع على هذا الحكم » ، ولم يكتف القاضى « فيرى » بهذا الاحتجاج الصامت ، بل انتقل بنفسه الى وزارة العدل وقابل وزيرها وشرح له خطأ المحلفين، فسمع من الوزير كلمات طيبة ولكنه لم يفعل شيئا . ذلك ان اسرة موريل كانت ذات نفوذ كبير وفي براءة لارونسيير تلطيخ لسمعة ابنتها .

وجاء وزير عدل جديد فاعاد رئيس المحكمة مساعيه لديه ارضاء للعدالة واراحة لضميره ، ولكن القوى الخفية التى منعت الوزير السابق من اتخاذ قرار تغلبت على خلفه .

★ ★ ★

ثم بدا الرأى العام يشك فى عدالة الحكم . وتولت الصحافة بدورها مساندة الراى العام فى طلب اعادة النظر فى القضية .

كتب اللورد ابينجر الفقيه الانجليزى الكبير الى الجنرال لارونسيير يقول له « ان تلخيص القاضى كان مثالا للبلاغة القانونية والحيدة وقوة العارضة . وما لم اكن مخطئا خطأ فاحشا فانه واضح جدا ان رايه كان متجها الى البراءة » .

ومثلت على مسرح بروكسل رواية بعنوان « قضية لارونسيير » خاتمتها اعلان البراءة .

وكتب لورد ابينجر سالف الذكر بحثا نشره بين فيه بعد دراسة عميقة لجميع اوراق القضية استحالة ادانة لارونسيير .

ودرس الدكتور ماتيبى وهو طبيب المانى نفسانى القضية وبين ان ملاحظات الاطباء الفرنسيين عن حالة مارى موريل العقلية لم تتعمق التعمق الكافى ، وانه من الواضح وضوحا لايحتمل الشك انها هستيريه ، وانها خلقت القضية كلها من خيالها المريض ، ولعبت دورا اساسيا ادخلت به الحيرة على كل من كانوا حولها ، شان المرضى بهذا المرض العقلى .

وفى عام ١٨٤٣ - اى بعد ان قضى لارونسيير ثمانى سنوات فى العذاب الاليم - اصدر الملك لويس فيليب عفوا عن المدة الباقية من العقوبة .

وفى عام ١٨٤٩ - اى بعد اربعة عشر سنة من الحكم جاء اوديون بارو وزيرا للعدل . وكانت ادانة لارونسيير تثقل ضميره . فدعا اليه الاستاذين بريبه وشيه ديستانج واطلعهما على دخيلة نفسه . فاقراه . وقال بريبه ان الحكم على لارونسيير اوجد فى نفسه ندما كاد ينقلب الى تأنيب الضمير ، وقدم الوزير تقريرا مفصلا مدعما بالحجج وبذلك استصدر عفوا شاملا عن لارونسيير .

وعينت الحكومة لارونسيير فى وظيفة اكبر واخذ يتدرج فى الوظائف الكبيرة حتى انتهى حاكما لاحدى المستعمرات .

★ ★ ★

واستقال الجنرال موريل عقب الحكم . ويقول الذين حضروا وفاته ان قضية لارونسيير كانت تقض مضجعه .

وتزوجت مارى من احد رجال السلك السياسى، وتنقلت فى عدة بلدان ، ولم يبد عليها الندم فى اى وقت من الاوقات على الجريمة التى ارتكبتها .

اما ديستول ، الذى شارك ولا شك فى الجريمة فقد انهى حياته راهبا فى احد الاديرة الارمنية بسوريا ■

حسن الجداوى

(بقية المنشور على صفحة ٢)

القانون والنظام فى حضارة الرومان

■ قد لا يشك الناظر الى الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد فى أن المشهد الذى تصوره لنا انما هو مشهد لاحدى محاكم القرن العشرين الذى نعيش فيه . وان هى الا برهة وجيزة حتى يزول الشك ويحل محله اليقين . فهذه الأثواب الفضفاضة التى يرتديها القضاة والمحامون ولا يختلف عنهم فيها كثيرا أفراد الجمهور الشاهدون ، ليست كالملابس التى ألفناها فى عصرنا هذا . وهذه الأعمدة المتوجة الفخمة ليست كالتى يصادفها المرء أحيانا فى مبانى دور المحاكم وقصور القضاء فى زمننا هذا . بل لعل فى هذا الوقار الذى يسود جو الصورة ويشيع فيه ما يخشع له قلب الانسان من أسباب الحرمة ، مزيداً من دليل وقرينة تعود بالأذهان الى محاكم الرومان .

أما المبنى فواحد من تلك المبانى العديدة ـ الباسيلكات ـ التى انتشرت فى سائر مدن الامبراطورية الرومانية ، الأوروبية منها والافريقية والآسيوية .

حقا لم تكن الباسيلكات هذه فى أول عهدها سوى قاعات مسقوفة، تعقد فيها سائر الاجتماعات العامة والخاصة ، بصرف النظر عن أغراضها المختلفة . الا انها تحولت عن ذلك تدريجيا ، وأصبحت مع الزمن محاكم مقصورة على التقاضى والمرافعة والحكم بالقانون وتحقيق العدالة . وهى تحولت عن ذلك ايضا بعد قرون طويلة ، ولدى انتشار المسيحية وخروجها من أوكارها السرية لتصبح دين الدولة ، تحولت الى كنائس حفظت العقيدة المسيحية ونشرت تعاليم النصرانية فى سائر القرون الوسطى والحديثة .

على أن المحكمة التى تبدو لنا فى الرسم لم تكن من محاكم روما ، ولكنها واحدة من تلك التى عمّت المدن الافريقية . وقد اتسع اختصاصها ليشمل الحكم بالاعدام فى القضايا الجنائية ، فضلا عن اصدار الاحكام فى القضايا المدنية العادية.

وأما القاضى الذى يتصدر هذه المحكمة فليس سوى الحاكم الرومانى أو الوالى ، وقد قدم حديثا لمباشرة سلطاته التنفيذية فى تلك المدينة الافريقية . تصدّر المحكمة وسمع أقوال محامى الدفاع والنيابة حول القضية بقصد اصدار الحكم بادانة أو براءة ، لا باعتباره حاكما ، وانما بوصفه قاضيا يحمل لقب البروقنصل Proconsul الذى لا يحق لمن دونه مباشرة السلطات القضائية.

وتجدر الاشارة الى أن قرارات المحاكم الرومانية ، سواء كانت فى روما نفسها أو فى غيرها من المدن القريبة أو النائية ، كانت قرارات نهائية لا تقبل الاستئناف ولا النقض ، ولا تسمح بالمراجعة ما دام المحكوم عليه لا يتمتع بحقوق الرعوية الرومانية . ويختلف الأمر اذا كان المحكوم عليه مواطنا رومانيا يحظى بكامل حقوقه الرعوية. فقد كان من حقه أن يستأنف مثل ذلك القرار ويعيد رفع قضيته الى من هو أعلى من ذلك الوالى سلطة ومكانة ، بل الى الامبراطور نفسه . على ان هذه الامتيازات التى تمتع بها المواطنون الرومان دون غيرهم من سكان الامبراطورية ، على قلة أولئك وكثرة هؤلاء، لم تلبث أن زالت وتلاشت أيام الامبراطورية الرومانية الثانية . فقد بلغت الحضارة الرومانية حينئذ ذروة من الرقى على صعيد الحقوق الفردية والحياة المدنية .

ويذهب المفكرون والمؤرخون الى أن احترام حقوق الأفراد المدنية ، وتعشق العدالة الجامعة ، والنزاهة الشاملة ، كانت من ابرز الخصائص التى فطر عليها العقل الرومانى . ولولا ذلك لما تسنى للرومان وضع تلك القوانين المتكاملة ، وقد شملت معظم الميادين ، وقامت أساسا فيما بعد لما اتخذته سائر الأمم الأوروبية واعتمدته من شرائع ونواميس .

لقد بادت الحضارة الرومانية من بعد أن سادت الا أنها خلدت بما تركته للبشرية من تراث فى النظم والقوانين . ■■

طَبيبُ الأُسرَة

عرق النسا مرة أخرى

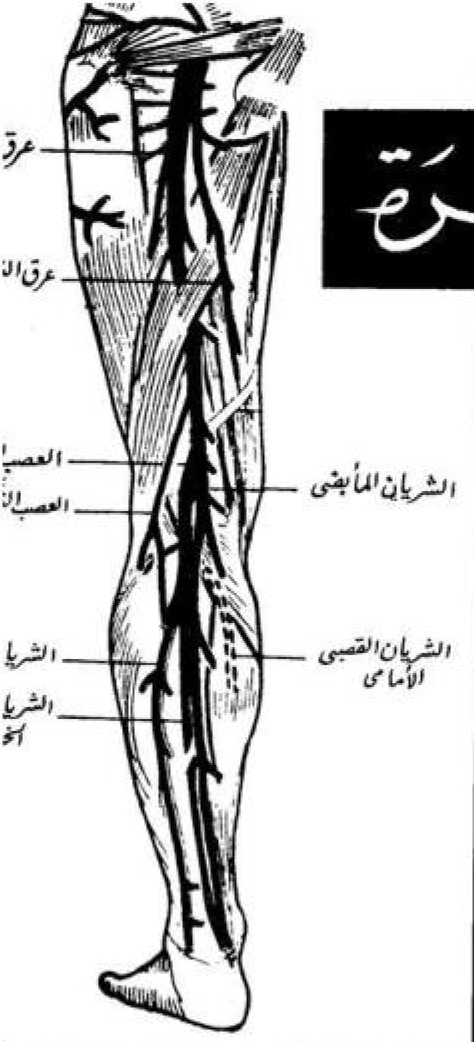
● عندى الم فى رجلى اليسرى ، من خلف ، يمتد على طولها ، قيل لي انه نوع من العصاب يعرف بعرق النساء ، فما سبب ذلك ؟

ـ اولا نصحح خطأين فى السؤال :

الخطأ الأول انك سميت هذا المرض بالعصاب ، والعصاب هى ترجمة للفظ الافرنجى Neurosis ، وهو مرض نفسى كالهستريا ، والنوروستانيا ، وحالات القلق الشديد وغير ذلك . اما اللفظ الذى اردته أنت فالتهاب العصب، ولفظه الافرنجى Neuritis. ، وهو عبارة عن التهاب يصيب غِمْد العصب أو ما فى داخل الغمد من الياف يتألف منها العصب .

والخطأ الثانى ، وهو خطأ مشهور ، انك سميت العصب الذى تشكو منه بعصب النساء ، وهو عصب يوجد فى النساء والرجال على السواء ، وموضعه ما ذكرت خلف الرجل،اليمنى او اليسرى على السواء (انظر الشكل) . واسمه الصحيح عصب النَسا ، بفتح النون . والنسا فى القاموس العربى هو « عرق من الورك الى الكعب ، مثناه نَسَوان وتَسَيان ، والجمع أنساء » .

والمرض من نوع الأمراض العصبية التى تصيب عصبا واحدا فقط ، فى عضو واحد ، فى جهة واحدة من الجسم . والأعراض لا تقتصر على الألم ، وانما تتعداه الى فقدان الحس فى الجلد والى ضعف العضل . والرای الطبى الحديث



يميل الى ان أمثال هذه الامراض لاتنشأ عن استبراد يصيب الجسم ، أو عدوى أو تسمم أو ما شابه ذلك،ولكنها تنشأ فى الأحوال جميعها تقريبا بسبب ضغط يقع على العصب نفسه ، او على منشئه عند خروجه من النخاع الشوكى .

وفى عرق النسا قد يحدث هذا بسبب غضروف انزلق من غضاريف السلسلة الظهرية ، أو بسبب روماتزم مفصلى فى هذه السلسلة ، او بسبب ضغط ورم فى الحوض ، او بسبب ضغط وقع على هذا

العصب في النقطة التي يدخل عندها بالردف الى الورك .

وعرق النسا مرض يصيب عادة سائقي السيارات اذا كان مقعد السيارة غير مريح، وذلك بأن للمقعد طرفا يضغط على العصب .

وهذا المرض اذا طال سبب انضمار العضل في الفخذ وبطن الساق . وألمه يمتد من الردف الى كعب القدم .

وعلاجه عند الطبيب بالكشف عن اسبابه .

أنا حامل ، ومضطرة الى ركوب الطائرة

● أنا حامل ، ومضطرة للسفر بالطائرة فهل من خطر عليّ من ذلك . انني سافرت بالطائرة في الشهرين الاولين ، ولم يحدث لي ما يزعجني ..

ــ قبل الجواب لا بد أن يسأل المرء ما الذى تخشاه المراة الحامل من الطيران . انها تخشى الرجة المفاجئة للطائرة عند الهبوط في فجوة من الهواء باغتة اقل كثافة مما كانت تجرى فيه . وأما الشيء الثاني الذى تخشاه فهو تغير الضغط المفاجيء في جو الطائرة، فذلك قد يسبب انشقاق الكيس الذي يلف الوليد وانصباب مائه .

اما عن رجات الطائرات فقد قلت مع الطيران قلة ودرجة حتى ما يكاد يخشى منها شيء . وان في الهزات التى تصادفها النساء في بعض السيارات ، من عامة وخاصة ، ما هو اقرب للخطر من هزة طائرة اليوم .

اما عن ضغط جو الطائرة ، فكل الطائرات اليوم في الخطوط المعتبرة بها الجو مكيف بالضغط الموافق الذى لا يتغير .

وعلى هذا ، فطيري يا سيدتي، ما حلا لك الطيران ، فطائرة اليوم هي وسيلة النقل الكبرى ، يجب أن لا يمنع منها الا الشيء المنذر . والتجربة دلت أن آلاف الحاملات ركبن الطائرات ولم ينلن من ذلك سوءاً .

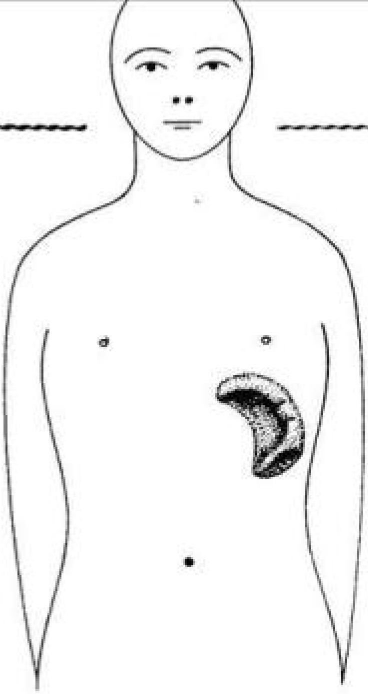
الطحال ، لا نسمع عنه كثيرا

● لاول مرة اسمع عن الطحال ، وانه يدخل في تشخيص الامراض .
ولقد سمعنا عن المعدة ، والامعاء ، والكبد ، والقلب ، والصدر ، وحتى اللوز ، اما عن الطحال فلم اسمع عنه الا عندما علمت من صديق لي انه عرض نفسه على طبيب للكشف فخرج بقوله ان طحاله متمدد . فاين يوجد هذا الطحال من الجسم ، وما فائدته ، اذ ليس شيء في الجسم خلقه الخالق الا وله فائدة .

ــ صحيح ما تقول من ان الطحال عضو من اعضاء الجسم يقوم بعمله دون ان يحس احد به ، ومن اسباب ذلك انه موجود في ركن من الجسم لا تكاد تصل اليه أصابع الطبيب الجساسة الا اذا تمدد ، فهو يقع في الشمال من البطن من فوق ، عند المعدة والكلية اليسرى .

والطحال له جسم استطال شكله ، وهو اقرب الى التفرطح . وطوله نحو ٥ بوصات .

اهم وظائفه انه جهاز قائم «بترشيح الدم» ، بمعنى انه يحبس منه خلاياه الحمراء المستهلكة ويتخلص منها .



والحق أن من وظائفه كان صنع هذه الخلايا الحمراء فى الدم ، وذلك قبل الولادة . ثم حمل عنه هذا الواجب من بعد ولادة نخاع العظام ، ففى النخاع خلايا Lymphocytes هى التى تقوم بصنع هذه الخلايا الحمراء طول الحياة .

وعمل الطحال لا ينحصر فى حجز الكرات الحمراء التى استهلكت ، فكثيرا ما تدخل الجسم انواع من البكتير وغيره من الاحياء الصغيرة الضارة بالجسم ، فيقوم الطحال باحتجازها واتلافها تماما كما يصنع فى الكرات الحمراء المستهلكة .

وعمل ثالث : قد تدخل الجسم اجسام غريبة عنه ، فيستجيب الجسم لها بصنع اجسام مضادة لها عاكسة لعملها Antibodies ، تتحد واياها فتذهب بأضرارها . ومن مراكز الجسم التى تصنع فيها هذه الاجسام المضادة الطحال .

والطحال يتألف من الياف عضلية . وينقبض فيصغر حجم الطحال ، وبذلك يخرج منه مقدار من الدم طيب يجرى فى الدورة الدموية فيزيدها دما . ويحدث هذا عند استنزاف الدم من الجسم فى الشدائد ، واثره كبير فى الحيوانات خاصة .

فهذه بعض وظائف الطحال .

والطحال من اعضاء الجسم ليس شغوفا بالمرض ، ولكنه كثيرا ما يواسى سائر الاعضاء فى اختلال يقع بها . ومن ذلك انه يتضخم . وهو يتضخم اذا اصيب الجسم بالسرطان الدموى مثلا ، وبالملاريا ، وبكثير غيرها من امراض المناطق الاستوائية . وبتضخمه يستدل الطبيب على وقوع خلل فى مكان منها فيبحث عنه .

لقاحات ضد امراض البرد ؟



● سمعنا عن لقاحات كثيرة تحمى من امراض البرد . فهل هى فى الحقيقة ناجحة ؟

ــ لقد صنعوا لقاحات عدة من بكتير مقتول ، واستخدموا هذه اللقاحات للحماية من امراض البرد ومن الزكام الذى يصيب الانسان . وهذه اللقاحات هدفها البكتير الذى يتخلف عند المريض فى أعقاب عدوى من فيروس هو سبب مرض البرد .

واختلفت التقارير عن نتائج هذه اللقاحات كثيرا ، واذا كان لا بد من حكم عليها فهى فى عمومها غير مرضية .

مِنْ أَيْنَ تأْكُلُ الكُوَيْتُ ؟

• ٩٩ فى المائة مِنْ طعام السُّكان يأتى مِنَ الخارج !

• نتائج مشجعة تحققها طريقة الزراعة بدون تربة فى الكويت

هل تدرى كيف تغلبت الكويت على مشكلة من أعقد المشاكل التى واجهتها فى تطورها ونموها الحديثين ؟

ان الكويت كما هو معروف خالية من الأنهار ، والأمطار فيها شحيحة ، والحرارة تقرب من ٥٠ درجة مئوية فى الصيف ، والأرض جدباء تزرع منها مساحات صغيرة .

ورغم كل هذا ، يعيش فوق هذه الأرض حوالى نصف مليون نسمة يأكلون ويشربون .

■ **والسؤال هو من اين يأكل ويشرب هؤلاء الناس ؟!**

كانت الكويت قبل اكتشاف النفط تستورد زادها من الخارج ، وتشرب مما يأتيها من مياه العراق بالسفن .. وفجأة تدفق الذهب الأسود من أعماق أرضها ، فتبدلت الحياة على سطحها وتغيرت .. والماء الذى كانوا يجلبونه للشرب ، من شط العرب ، توقف وروده بعد أن أنشيء فى منطقة الشويخ أكبر مصنع فى العالم لتقطير ماء البحر المالح .

وانتقل التغير الى أنواع الطعام ، فتنوع غذاء الشعب واختلف ، وتضاعفت الكميات التى يأكلها



تلعب المعلبات دورا أساسيا فى تأمين جزء كبير من طعام الكويت . وكلمة معلبات تعني كل شيء يوضع داخل العلب ، والواقع ان المعلبات أصبحت تحوى كل الاصناف ، فالملوخية معلبة و « الحمص بطحينة » معلب ، والمكسرات معلبة ، والفول معلب ، واللحوم والاسماك معلبة ، وعصير الفواكه على اختلاف أنواعه معلب ، حتى البطاطس أصبحت معلبة ! وتستورد الكويت سنويا ١٤ مليون كيلوجرام من مختلف أصناف هذه المعلبات التى تباع فى جميع المحلات والمتاجر والجمعيات التعاونية .

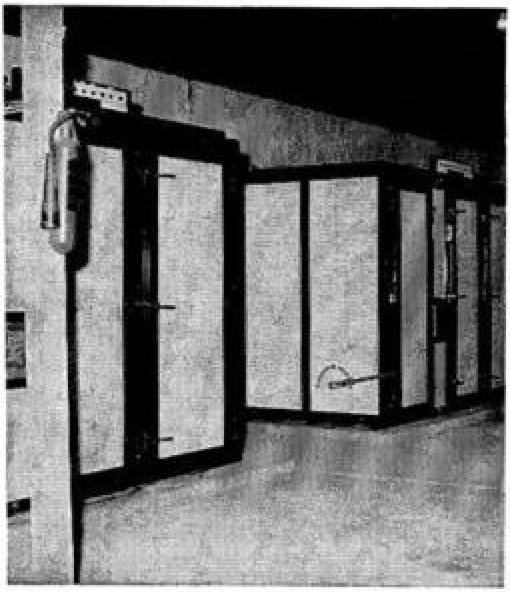
عشرات الاضعاف ، ومع ذلك لم يشعر احد بنقص فى المواد الغذائية بالبلاد .

ماكولات من اركان العالم الأربعة

ان تضاعف عدد السكان ومقاربتهم للنصف مليون نسمة خلق طبقة جديدة من التجار فى الكويت ، يستوردون المأكولات والخضراوات من اركان العالم الأربعة .. واحد يستورد الدجاج المثلج من بولندا والدانمرك وامريكا .. وثان يستورد اللحوم المجففة والمثلجة والآيس كريم من استراليا والدانمرك . وثالث يستورد التونة من اليابان .. ورابع يستورد معلبات اللحوم من كينيا .. وخامس يستورد « الكارى » من الهند ، وسادس يستورد الاغنام من استراليا والصومال .. وسابع يستورد الارز من الشرق الاقصى .. وثامن يستورد السكر من كوبا .. وتاسع يستورد الشاى من سيلان وعشرات آخرون يستوردون الفواكه والخضراوات من العراق والأردن وسوريا

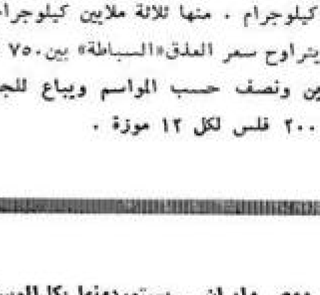


تستورد الكويت من الفواكه ما يزيد وزنه على ٢٩ مليون كيلوجرام . منها ثلاثة ملايين كيلوجرام من الموز ويتراوح سعر العذق «السباطة» بين ٧٥٠ فلسا وديناراين ونصف حسب المواسم ويباع للجمهور بسعر ٢٠٠ فلس لكل ١٢ موزة .



هذه الدواليب ، هل تعرف ما هي ؟ ... انها فقاسات البيض ، وتتسع الواحدة منها لسبعة آلاف بيضة مرة واحدة ، تظل بداخلها مدة ٢١ يوما ، وهي المدة اللازمة للفقس ، وتسلط عليها حرارة معينة ، وبعدها تفتح الابواب ليخرج منها سبعة آلاف فرخ « كتكوت » .

ولبنان ومصر وايران .. يستوردونها بكل الوسائل : بالطائرات والسيارات ، والسفن والمراكب لسد حاجة سكان الكويت الذين تضاعف عددهم بعد ان خلق البترول آفاقا جديدة للعمل في كل الميادين ..



٢٧٩ تاجرا و ٧١ شركة

لقد أجري أخيرا احصاء لعدد التجار المستوردين، فوجد ان ٥١ شركة و ٢٥٠ فردا يستوردون الخضر .. و ١٥ شركة و ١٧ فردا يستوردون اللحوم المثلجة والمجففة والمعلبة .

اما الذين يستوردون الماشية الحية فعددهم ٧ شركات و ١٢ فردا .

ان هذه الشركات وهؤلاء التجار يستوردون جميعا ما يقرب مجموع وزنه من مائة مليون كيلو جرام من المواد الغذائية سنويا ، يصل ثمنها الى أكثر من ١١ مليون دينار ..

« العيش » هو الأرز !

والمادة الرئيسية التى تستهلكها الكويت هى الارز .. انه طبق الطعام المفضل الذى لا تخلو منه مائدة كويتية .. انه اشبه بالخبز بالنسبة لأهل الكويت الذين يسمونه « عيشا » ..

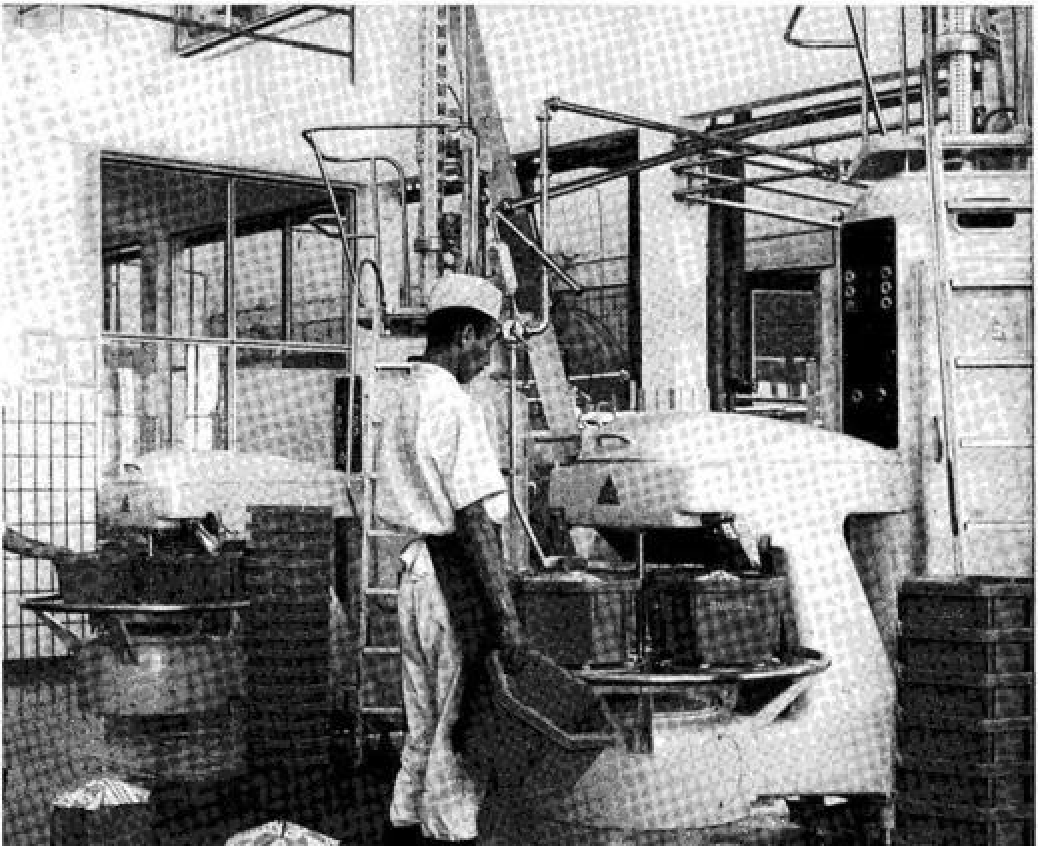
ويستورد منه سنويا ٢٣ مليون كيلو جرام ، اى ان نصيب الفرد الواحد يصل الى ٥٠ كيلو جرام سنويا .

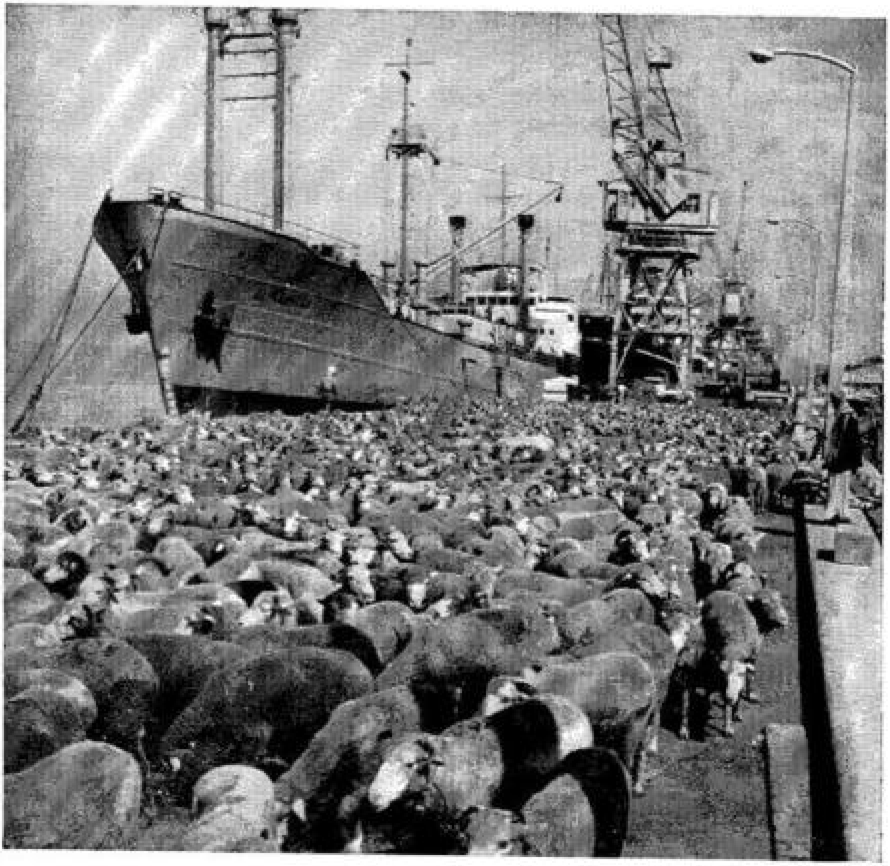
والى جانب الارز يأكل الاهالى لحوم الابقار والاغنام والدجاج والطيور والاسماك . ويصل وزن الماشية المستوردة الى ١٤ مليون كيلو جرام سنويا ، ثمنها ٢ مليون دينار ..

والى جانب الماشية الحية تستهلك الكويت نحو اربعة ملايين كيلو جرام من اللحوم والاسماك المثلجة والمملحة والمعلبة سنويا التى يقرب ثمنها من مليون ونصف مليون دينار .

أما الالبان ومشتقاتها فيستهلك منها ما يزيد

فى الكويت مصانع كبيرة مجهزة بأحدث الآلات تتم فيها عمليات حفظ الحليب ومشتقاته فيوضع داخل أكياس من الورق المقوى ، كما يصنع اللبن الزبادى (المرَوّب) داخل أكواب من (البلاستيك) فضلا عن « الآيس كريم » الذى أصبح يصنع محليا .. ان كل شىء هنا يتم صنعه بالآلة دون أن تلمسه يد الا فى المرحلة النهائية لتجميع الانتاج .





تستورد الكويت اغنامها من السودان والصومال واستراليا وبعض البلاد المجاورة .. تأتيها على سفن الشحن الكبيرة التي ترسو في ميناء الشويخ .. وحال وصولها تبدأ عملية تطعيمها ضد الامراض .

وزنه على سبعة ملايين كيلوجرام ، ثمنها اكثر من مليون ونصف من الدنانير ..

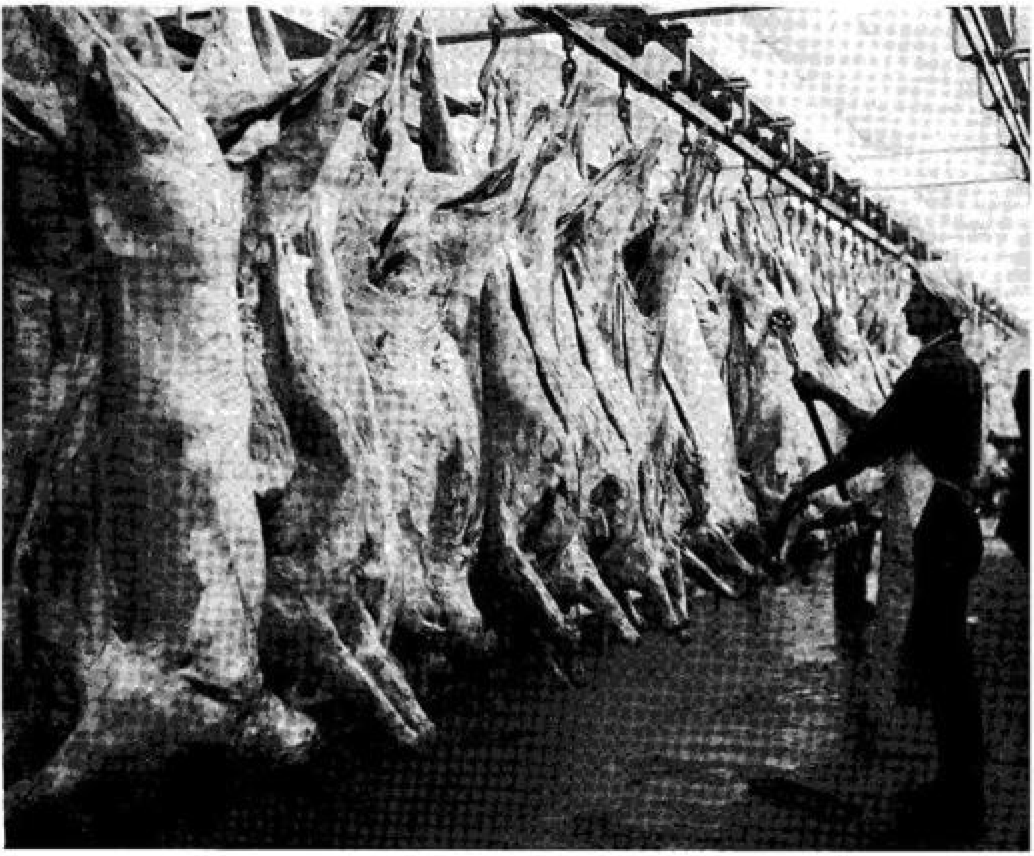
فواكه .. وخضراوات

ونتنقل الى صورة الخضراوات الطازجة ، فنجد ان الكويت تأكل منها سنويا ٤٨ مليون كيلو جرام .. الى جانب ٢٨ مليون كيلو جرام من الفواكه على اختلاف انواعها .

هذا خلاف المواد المحفوظة والتي يبلغ وزنها ١٣ مليون كيلو جرام ..

مليون ونصف مليون كيلو من النقل والمكسرات !

اما المنبهات والتوابل فتستورد الكويت منها ما زنته ثمانية ملايين كيلو جرام سنويا ،منها ثلاثة ملايين كيلو جرام من الشاى..ولكن الكويت تعيد



كانت الكويت منذ ٣٥ عاما تستهلك يوميا ٤٠ ذبيحة مختلفة .. وبازدياد عدد السكان ارتفع عدد الذبائح الى ٣٦٠ ألف ذبيحة في العام أي نحو ألف ذبيحة في اليوم . وتذبح هذه الحيوانات في المسلخ المركزي الجديد الذي تكلف أكثر من نصف مليون دينار والذي يمكن ذبح ٥٠٠ ذبيحة فيه كل أربع ساعات أي ٣٠٠٠ ذبيحة في اليوم الواحد في حالة توافرها ..

تصدير نصف كمية الشاي هذه الى البلدان المجاورة .

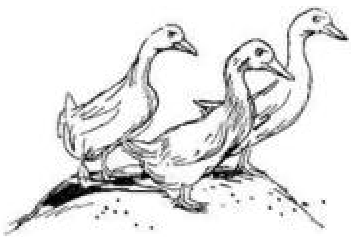
ويتسلى سكان الكويت بأكل ما وزنه مليون ونصف مليون كيلوجرام من المكسرات وبذور التسلية كاللب ..

كما أنهم يدخنون مليوني كيلو جرام من التبغ والسجاير والسيجار والتنباك سنويا !

نقص الماء هو السبب

ان الذي يجعل الكويت تعتمد على استيراد ٩٩



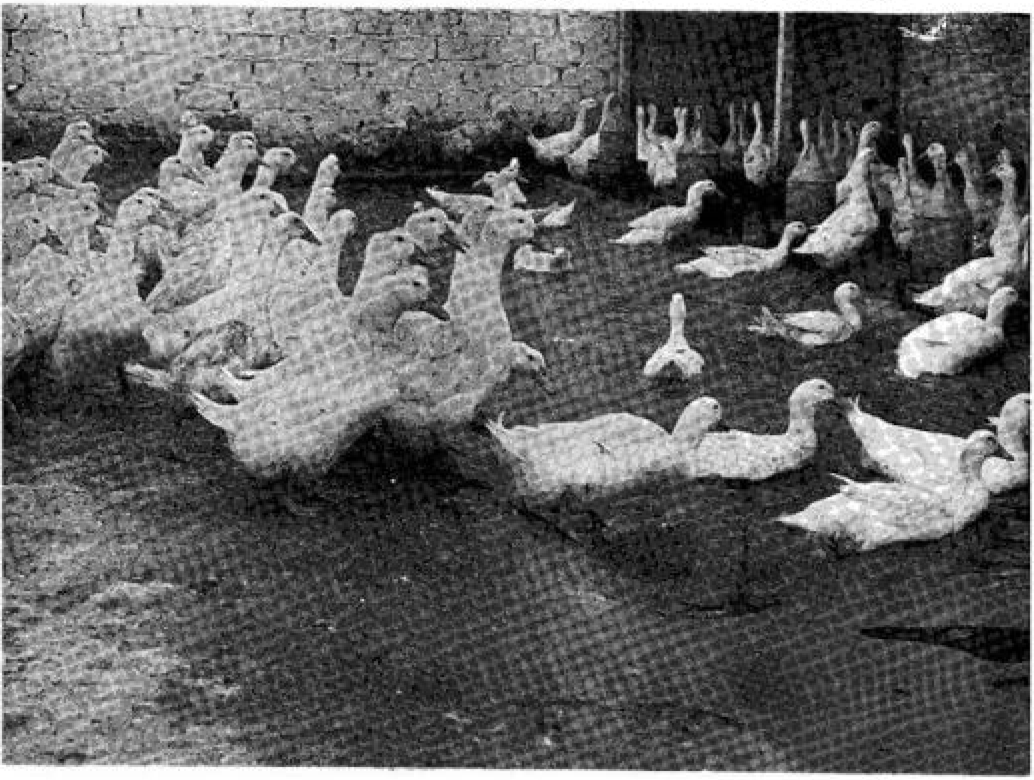


في المائة من طعامها هو عدم توفر الماء الكافي للزراعة فيها .. أما التربة فهناك مساحات كبيرة من الاراضي صالحة للزراعة ، كما ان المناخ مناسب لزراعة انواع كثيرة من المحاصيل والخضر في بعض شهور السنة .

وكانت المساحة المزروعة في الماضي اكبر من المساحة المزروعة حاليا ، التي انخفضت الى ١٢١ مزرعة مجموع مساحتها ٥ آلاف دونم ، أي خمسة كيلو مترات مربعة ، بينما تبلغ مساحة الكويت ١٦٠٠٠ كيلو متر مربع ، هذا غير المنطقة المحايدة التي تبلغ مساحتها ٥٧٠٠ كيلو متر مربع ..

ان مستقبل الزراعة في الكويت ، والاتفاقية التي ابرمت مع العراق ستمد الكويت بنحو ١٢٠ مليون

توجد في الكويت حاليا ٣٠ مزرعة دواجن تمد البلاد بأكثر من نصف حاجتها من البيض والدجاج .. ومن المنتظر ان تحقق الكويت اكتفاء ذاتيا في هذه الناحية خلال فترة خمس سنوات على الاكثر ، اذا استمر التشجيع والحماية الحكومية لهذه المزارع .





تستورد الكويت سنويا ٨٤ مليون كيلوجرام من الخضر المختلفة التى ترد من جميع البلدان المجاورة مثل العراق وايران والاردن وسوريا ولبنان .. ان أسواق الكويت لا تخلو أبدا من كل أنواع الخضراوات ، بل على العكس تجد فيها بعض الاصناف فى غير مواسمها العادية لانها ترد من بلدان ذات مناخ مختلف .

جالون من الماء يوميا مما سوف يسمح بظهور مزارع جديدة عديدة . فى مختلف انحاء البلاد ..

طماطم وملوخية بدون تربة !

والى جانب هذا أسفرت التجارب التى أجراها قسم الزراعة بوزارة الاشغال عن نتائج طيبة فى مضمار استخدام الوسائل العلمية الحديثة فى الزراعة ، فقد أثبتت هذه التجارب ـ التى استمرت أكثر من خمس سنوات ـ أنه بالامكان التغلب على مشكلة الماء ، عن طريق الزراعة بدون تربة(١) .

وقد تبنت الحكومة هذه التجارب ، وقررت تحويلها الى وحدات تجارية تبيع ناتج محصولها للجمهور .. وقد خصص لها ١٢٥ دونما ، نحو ٣٠ هكتارا ، لزراعتها خلال مشروع الخمس سنوات الاول فى الكويت ..

ان الحكومة بتبنيها مشروع الزراعة بدون تربة تسعى الى الاستعاضة عن الطريقة الزراعية القديمة بهذه الوسيلة العلمية الحديثة لانتاج بعض انواع الخضراوات ـ الطماطم والملوخية فقط ـ على اساس اقتصادى تجارى سليم .. ومن المنتظر أن يصل الانتاج فى بداية السنة الاولى الى ٣٠٠ الف

(١) راجع استطلاع « الزراعة بدون تربة » فى العدد رقم ٢٨ من العربى .



القرن الكهربائي يعمل لاخراج الخبز النظيف الى شعب الكويت .. وقد فرض المجلس البلدى رقابة مشددة على المخابز ، والزمها بشروط معينة لضمان نظافة الخبز .. ومن بين هذه الشروط ضرورة استعمال (العاجن الميكانيكي) بدلا من العجن باليد . ويبلغ عدد الافران فى الكويت ٢٢٥ فرنا تنتج أكثر من مليون رغيف يوميا .

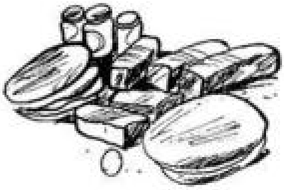
كيلو جرام من الطماطم ومائة الف كيلو جرام من الملوخية .

وقد اثبتت التجارب التى اجريت فى الكويت ان طريقة الزراعة بدون تربة تعطى محصولا يوازى سبعة اضعاف محصول الأرض المزروعة بالطريقة العادية القديمة ، مع وفر فى كمية الماء المستعمل يصل الى النصف ..

وليست الزراعة بدون تربة بدعة فقد سبقتنا اليها امريكا وروسيا واليابان ، فهناك وحدات

كبيرة للزراعة بدون تربة ، تعمل كلها على نطاق تجارى واسع وناجح .

ان الكويت الحديثة تنظر الى المستقبل بثقة ، انها تتطلع الى اليوم الذى تستطيع أن تحقق فيه اكتفاء ذاتيا زراعيا .. فيأكل اهلها من خيرات ارضها التى يعيشون ويبنون فوقها معالم حياة جديدة فى قلب الصحراء ..

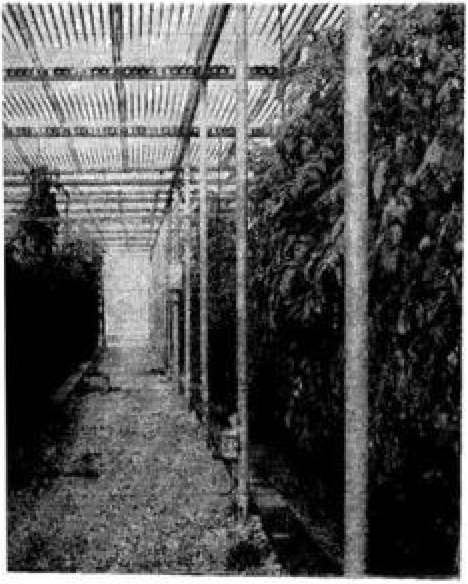


اما مظاهر التقدم الزراعى والحيوانى والصناعى الاخرى فى الكويت .. فقد فصلناها باسهاب تحت الصور المنشورة مع هذا المقال .. ■■

يعيش فى مياه الخليج العربى اكثر من اربعمائة نوع من الاسماك . كان أهل البلاد يخرجون لصيدها بكثرة وخاصة فى أيام الربيع والخريف ، اما اليوم فقد تأسست شركات لصيد الاسماك برأس مال ضخم ، وصل بعضها الى مليون دينار . ان ما تصطاده هذه الشركات أصبح يزيد عن حاجة السوق ، لهذا عمدت الى التصدير . انها تصدر ٩٥٪ مما تصطاده من الاسماك للبلاد الاوروبية وأمريكا ولبنان .



حققت تجارب الزراعة بدون تربة نتائج طيبة فى الكويت بعد أن تقرر تحويلها الى عملية اقتصادية تجارية فى مشروع الخمس سنوات . ورصد لها نصف مليون دينار .. ومن المنتظر أن يصل الانتاج فى السنة الاولى ٣٠٠ الف كيلو جرام من الطماطم و ١٠٠ الف كيلو جرام من الملوخية وهذه الكمية سوف تتضاعف حتى تصل فى نهاية سنى الخطة الخماسية الى مليون ونصف مليون كيلوجرام من الطماطم و ٩٠٠ الف كيلوجرام من الملوخية .





المن بالإمامة

تأليف عبد الملك بن صاحب الصلاة (توفي ٥٩٤هـ/١١٩٨م)

تحقيق: عبد الهادي التازي

بقلم: الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ اشار الأستاذ محمد عبد الله عنان عند حديثه عن مصادر كتابه «عصر المرابطين والموحدين فى الأندلس» الى ان هذا الكتاب الذى نقدمه ، كتاب «المن بالامامة» هو «أهم مصادرنا المخطوطة عن المرحلة الأولى من تاريخ الدولة الموحدية» .

ولهذا كان عملا جليلا ان يقدم الأستاذ عبد الهادي التازي على تحقيق هذا الكتاب تحقيقا علمياً ، ثم ينشره ، بعد ان قدم له بدراسة وافية ، واضاف اليه تعليقات نافعة .

والاستاذ المحقق من خريجي جامعة القروين بفاس ، وجامعة محمد الخامس بالرباط . وله بحوث ، ومقالات ، ومؤلفات ، ومعربات ، منشورة. وهو الآن سفير المملكة المغربية ببغداد .

ومؤلف الكتاب هو عبد الملك بن صاحب الصلاة(١) ، واصله من باجة ، المدينة التى انجبت نخبة لامعة من العلماء . وقد اهمل كتاب التراجم الحديث عنه ، حتى اننا لا نعرف شيئا عن نشاته

(١) « صاحب الصلاة » اى الذى يؤم الناس فى صلواتهم ، وقد بدأ استعمال هذا اللقب منذ اواسط القرن الثالث، وانتشر بعد ذلك فى الاندلس والمغرب وافريقية .

وتربيته . ومن كتاب « المن بالامامة » نعـرف انه تنقل بين اشبيلية ، وسبتة ، وفاس ، ومراكش . ويحكى عنه انه عندما كان فى مراكش تنبأ صباح الاحد ٢٣ من ذى الحجة ، سنة ٥٦٠ هـ (٣١ اكتوبر ١١٦٥ م) ، بانتصار الموحدين على ابن مردنيش فى الاندلس ، ذلك انه راى قطا يمشى على سقف دار الخليفة ، وفى فمه فـرخ حمام قـد افترسه ، فقال لمن حوله من اشياخ أهل الاندلس : الله اكبر ! هزم والله ابن مردنيش ! وقد حدث فعلا ان انتصر الخليفة الموحدى على ابن مردنيش فى هذا اليوم .

ويبدو أن ابن صاحب الصلاة كان ينعم بمركز مرموق فى البلاط الموحدى ، فقد رافق الخليفة فى حملته على الاندلس ، وفى حملته الشهيرة على شنترين (شمال لشبونة) بالبرتغال . وهو فى كتابه يتحدث بدقة عن انطباعاته ، وعن الاسعار ، واحوال الناس ، وكل أمر هام حدث أثناء حياته .

وقد اختلف المؤرخون حول وفاة ابن صـاحب الصلاة ، ولكن سائر المستشرقين الذين تحدثوا عنه، او اشاروا اليه ، امثال : بروكلمان Brockelmann وامارى Amari ، وليفى بروفنسال Provencal حددوا سنة ٥٧٨ هـ/١١٨٢ م تاريخا لوفاته. وهذا هو التاريخ الذى اعتمده الدارسون المحدثون .

ويرى الاستاذ محقق الكتاب أن هذا التاريخ خطأ ، لان ابن صاحب الصلاة يـؤرخ فى كتابـه لحوادث وقعت سنة ٥٩٤ هـ ، واقرب الاحتمالات عنده انه قد توفى فى اواخر المائة السادسة ، لان النقل عنه اختفى فى اواخر القرن السادس الهجرى.

ويناقش الاستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه الذى اشرنا اليه تاريخ ابن صاحب الصلاة ، ثـم يستنتج « أن مؤلف كتاب « المن بالامامة » قد عاش حتى أواخر القرن السادس ، بل والى أوائل القرن السابع ، وانه قد توفى على الارجح حوالـى سنة ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م واما مولده فيمكن ان نضعه بين سنتي ٥٢٠ و ٥٣٠ هـ/ ١١٢٦ و ١١٣٥ م » .

ويظهر من خلال كتاب « المن بالامامة » أن ابن صاحب الصلاة كان يتصف بأخلاق رفيعة ، فهـو لا يهاجم الدولة التى حكمت قبل الموحدين ، ولا يقلل من شانها ، ولعل هذا مرده الى ورعه وتقواه.

وابن صاحب الصلاة اديب ناثر ، وشاعر ، ولكن جل شعره مفقود، ولهذا يصعب الحكم علىشاعريته

وقد ذكرت المصادر القديمة ان له كتاب « ثورة المريدين » ، بالاضافة الى كتابه الشهير « المـن بالامامة » . وقد ورد ذكر هذا الكتاب سبع مرات فى « المن بالامامة » ، واعطـانا الابار فى كتـابه « الحلة السيراء » ، وابو عبد الملك المراكشى فى « الذيل والتكملة » ، فكرة تقريبية عن محتواه . ومن سوء الحظ ان يكون مصيره مصير السفر الاول والثالث من « المن بالامامة » ، اذ فقد ولم يعثر عليه .

وكتاب « ثورة المريدين » يعالج فترة قلقة من تاريخ الاندلس ، فهو يتناول تاريخ طائفة دينيـة دعت الى الزهد والتقشف ، وكان زعيمهـا ابـا العباس احمد بن قسي . ويرى المستشرق الالمانى اشباخ أن ابن قسي من اصل قوطي ، وانه كان أول الامر تاجرا، ثم حدثته نفسه بالتشبهبالرسول، فوهب أملاكه ، واعتزل الحياة . وقـد استطاع بفضل دهائه وذكائه أن يجمع حوله انصارا آمنوا به ، وكان يدرس لهم باشبيلية كتب ابى حامـد الغزالى . ولم يلبث أن تسمى بالامام ، وأطلق على اصحابه اسم « المريدين » . واخذ هو واتباعه يهاجمون مدن الاندلس ابتداء من سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤ م ، فسقطت فى أيديهم عدة منها . واخيرا ندم على ما فعل ، واتصل بالموحدين تائبا طالبا الصفح ، فغفر له الموحدون خروجهعليهم،وعينوه واليا على مدينة شلب ، وتقع على مقربة منشاطىء المحيط الاطلسى غرب باجة الى الجنوب ومع هذا فان ابن قسي قد حنث بعهده للموحدين ، واتصل بالفونس هنريكيز البرتغالى ليقيم معه حلفا ، ولكن أهل شلب ثاروا عليه ، وقتلوه .

هذا هو موضوع كتاب « ثورة المريدين » .

★★★

اما كتاب « المن بالامامة » فهو حقا من أهـم الوثائـق التاريخية التى ظهـرت حتى الآن عـن الامبراطورية الموحدية بالمغـرب ، وافـريقية ، والاندلس : فهو يتضمن وثائق تاريخية هامـة ، ويتناول جوانب من الآثار المعمارية والحضارية ، ويحتوى على تراث ممتاز من الادب المغربى ، شعره ونثره ، مما ظل مجهولا الى أن ظهر هذا الكتاب .

وأول ما يجبهنا فى هذا الكتاب عنوانه الطويل

طولا غير مألوف ، فهو « كتاب تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، وظهور الامام المهدى بالموحدين على الملثمين ، وما فى مساق ذلك من خلافة الامام الخليفة أمير المؤمنين ، وأخير الخلفاء الراشدين ». وهذا العنوان الطويل يدل دلالة واضحة على موضوع الكتاب ، كما ان فيه اشارة صريحة الى الآية الكريمة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ، ونجعلهم ائمة ، ونجعلهم الوارثين » ، ودلالة على القداسة التى يضفيها انصار الموحدين على خلفائهم . وقد كان رجال الدولة الموحدية يتشبهون بالرسول فى تصرفاته واعماله ، وكثيرا ما كانوا يحاولون أن يفسروا الآيات والاحاديث بصورة تجعلها تنطبق عليهم . وقد كان الذين يبايعون منهم خلفاء يحملون لقب أمراء المؤمنين ، اقتداء بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

والسفر الاول من كتاب « المن بالامامة » يتضمن قيام الموحدين ، وظفرهم بالتغلب على المرابطين ، وتاريخ أول خلفاء الموحدين عبد المؤمن بن على . وهذا السفر لم يصل الينا ، كما لم يصل الينا السفر الثالث . وهذا الذى بين أيدينا هو السفر الثانى من الكتاب،وهو يبدأ بحوادث سنة ٥٥٤ هـ، وينتهى بحوادث سنة ٥٦٨ هـ ، وهى فترة قصيرة من الناحية الزمنية ، ولكنها حافلة بالاحداث ، وهى احداث كان ابن صاحب الصلاة شاهد عيان لكثير منها ، وهو يعرض لنا هذه الاحداث بتفصيل شاف .

وليست الاحداث التاريخية هى أهم ما فى الكتاب ، فقيمته الاولى مردها تلك المجموعة من الرسائل والوثائق الموحدية الصادرة عن الخلفاء والامراء الموحدين ، وتلك التفاصيل الدقيقة التى يقدمها لنا عن نظام الحكم ، والشؤون الادارية والمالية ، فى الدولة الموحدية .

ولا توجد من هذا السفر النفيس سوى مخطوطة واحدة فى العالم ، موجودة فى المكتبة البوذلية بجامعة اكسفورد . وهذه المخطوطة مجلد ضخم فى ١٩٤ لوحة مزدوجة ، أى فى ٣٨٨ صفحة كبيرة الحجم ، مكتوبة بخط اندلسى كبير واضح . والمخطوطة بحالة جيدة ، ما عدا الورقة الاولى فهى قديمة باهتة .

ولابن صاحب الصلاة فى عرض الحوادث اسلوب خاص ، وصفه الاستاذ عنان فقال « انه جزل نوعا ، وأن كان يلجأ احيانا الى السجع الركيك، والتنميق المتكلف . وهو يبدو سواء بأسلوبه ، أو طريقة عرضه للحوادث ، وتقديمه للاشخاص ، مؤرخ بلاط أثير ، يحرص كل الحرص على الاشادة بسادته وبأعمالهم ، يغمرهم خلال حديثه بالالقاب الفخمة ، والدعوات الرنانة ، ولا يفوته كلما ذكر اسم الموحدين أن يقرنه بقوله « أعزهم الله » ، ثم هو يلجأ احيانا فى وصف الخلفاء والامراء الى عبارات من المديح المسجع ، والملق المفرق . بيد انه مع ذلك لا يحجم ، فى بعض الاحيان عن النقد، والتنديد بأعمال وتصرفات يراها جديرة بذلك»(١).

ويعنى ابن صاحب الصلاة فى كتابه بضرب المثل، والاستشهاد بالتاريخ ، لاعطاء الدليل ، كما يستشهد بالشعر فى كل مناسبة تسنح .

★ ★ ★

وقد استمد المؤلف مادة كتابه من مصادر ثلاثة :

١ ـ من الرواة الذين تحدثوا اليه .

٢ ـ ومن مشاهداته الخاصة للاحداث التى يحكى عنها . وهو هنا ، فى رأى الاستاذ التازى ، تبدو عليه الامانة فى القول ، والنزاهة فى الحكم . وقوله هذا يخالف رأى الاستاذ محمد عبد الله عنان الذى اقتبسناه ،ورأى المستشرق دوزى Dozy الذى يعتقد ان ابن صاحب الصلاة كان يغدق الاطراء دائما على الموحدين .

٣ ـ ومما ينقله عن بعض المؤرخين المعروفين كابن حيان ، وابن العربى ، او عن بعض الوثائق الرسمية للدولة ، مما لم يقع تحت يد مؤرخ غيره : ففى كتابه هذا رسائل موحدية لا يوجد لها ذكر فى اى كتاب غيره .

★ ★ ★

والقارىء للكتاب يدرك أن ابن صاحب الصلاة حاول ان يكتب تاريخه مرتبا سنة سنة على طريقة الطبَرى ، ولكنه لم يلتزم بهذه الطريقة التزاما كليا . وفى الكتاب عيب تقع عليه فى جل الكتب القديمة ، ذلك هو الاستطراد الناجم عن تداعى الافكار . ويبدو ان المؤلف كان يدرك ان هذا الاستطراد دخيل على الموضوع الرئيسى ، ولهذا فانه يقدم له بقوله « قال المؤلف : وفى المثل

(١) عصر المرابطين والموحدين ص ٩ .

الحديث شجون .. » ، ثم يعود فينبه القارىء الى الموضوع الاصلي فيقول : « رجع الخبر » أو « فلنرجع الى ذكر .. »

وفي الكتاب اخطاء مطبعية لم تشر اليها قائمة التصويبات في آخر الكتاب ، وقد يكون الخطأ احيانا نتيجة سهو ، من ذلك الاشارة في صفحة ٤٦ الى ان « الدكتور علي محمود مكي يستعد لنشر نظم الجمان لابن القطان » ، والصواب الدكتور محمود علي مكي ، كما ان صفحة ٨ تنتهي وتبدأ الصفحة التالية بعنوان جديد دون ان يتم الكلام ، مما يدل على أن جملة الاقل قد سقطت في الطباعة .

★ ★ ★

ونظرا لقيمة الكتاب فقد كان مرجعا لجل المؤرخين ، المتقدمين والمتأخرين ، فاعتمد عليه ابن القطان في « نظم الجمان » ، وابن عذارى في « البيان المغرب » ، وابن الابار في « الحلة السيراء » ، وابن عبد الملك في «الذيل والتكملة» ، وابن خلدون في « العبر » ، والمقرى في « نفح الطيب » ، وابن الخطيب في « الاحاطة » .

واهتم به المستشرقون : فحاولوا التعريف به وبمؤلفه ، وترجمة اجزاء منه ، ومن هؤلاء : المستشرق الهولندي دوزي Dozy ، والمستشرق البرتغالي لوبيز Lopez ، والمستشرق الاسباني جارسيا جومز Garcia Gomes .. الخ .

★ ★ ★

والمطالع للكتاب يقع على جوانب هامة في تاريخ دولة الموحدين ، ظلت مجهولة الى ان عرف هذا الكتاب . ولبيان هذا سنقف عند موضوعات بعينها ، وقف عندها الاستاذ المحقق ، ونترك امر الرسائل والوثائق لمن يهمه الموضوع ليرجع اليها في الكتاب نفسه .

يتحدث ابن صاحب الصلاة عن جهاز الدولة ونظامها حديثا دقيقا مستفيضا ، من ذلك ان ولاية العهد عند الموحدين كانت لا تخضع الا لشرطين اثنين : الكفاءة والصلاح . ولهذا فقد كان يحدث احيانا أن يقصي الخليفة ولي عهده ويستبدله بغيره ، لانه ثبت له انه لا يصلح للخلافة .

وقد كان اللون السياسي للامبراطورية الموحدية هو البياض ، ولكنهم كانوا يتخذون اللون الاحمر للقبة التي يقيم فيها الخليفة ، واستعملوا أيضا اعلاما ثانوية ملونة بالاحمر والابيض والاصفر .

ومن العادات الحميدة أن رجال الحكم الموحدي لم يكونوا يقضون في الامور الجليلة الا بعد الاستشارة ، فلا يقدمون على غزوة حربية مثلا الا بعد أن يقرر المجلس الحربي ذلك ، ولا يقومون بتشييد منشآت في الدولة الا بعد اخذ راى الاعيان . ومن الطريف أن نقرأ في هذا الكتاب ان موافقة الشعب على القرارات التي تتخذها الدولة ، كانت تتجلى في شكل رسائل توقعها الطبقة الواعية في البلاد ، وترسل بها الى السادة .

وانه لمن الممتع أن نقرأ في هذا الكتاب الوصف الجميل للتشريفات الخاصة بمناسبة الاعياد ، وتنصيب العمال الجدد ، والحفلات ، وخروج الخليفة للغزو ، وتلقي البيعة ، وجلوسه في الصباح المبكر حيث يفد عليه الشيوخ والكبراء والفقهاء والقضاة والكتاب والولاة والشعراء .

ويصف ابن صاحب الصلاة ، مثلا ، استقبال الخليفة للعرب الوافدين من افريقية ، فيقول انه خرج تتقدمه زهاء مائة طبل وقد ركب على صهوة فرسه الاشقر ، وحاجبه ووزيره يمشي على قدميه بين يديه ، وعلى مقربة من فرس الخليفة اخوه الاكبر ، والى جانب الاخ الاكبر سائر الاخوة ، ثم الامراء الصغار ، وفي ساقته ست عشرة راية من كبار البنود .

وكان من عادة الدولة في المناسبات أن تقوم باطلاق سراح جل المعتقلين والمخالفين ، وتغدق من خيراتها على الضعفاء والمحتاجين . وكان الخلفاء يحاولون تطبيق العدالة ما امكن : فكانوا يقمعون بشدة كل مسؤول يبدو عليه الانحراف ، ولو كان أقرب الناس اليهم . وكانوا بعد صلاة الجمعة يستمعون لاصحاب الشكايات على مرأى ومسمع من الناس، وينصفونهم ان كانوا يستحقون الانصاف .

وكتاب « المن بالامامة » ، بما فيه من منظوم ومنثور ، يرد على بعض المستشرقين مثل ليفي بروفنسال وعلى بعض كتابنا مثل المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في كتابه « أدب المغاربة والاندلسيين » والدكتور جودة الركابي في كتابه « في الادب الاندلسي » ، الذين يرون أن الفكر كان راكدا زمن الموحدين . والواقع ان الدولة

الموحدية كانت تغدق العطايا على الادباء والشعراء والمؤرخين ، وتخصص لهم الجوائز السنية ، وكان الحكام انفسهم يشتركون في النقد والتوجيه.

وقد كان في الامبراطورية الموحدية عدد كبير من الأطباء ، والصيادلة ، والفلاسفة ، والفقهاء ، والفنانين ، والمهندسين ، والموسيقيين : ففي ظلها عاش ابن رشد ، وابن زهر ، وابن طفيل ، واضرابهم من العلماء . وكثرت في عهد الموحدين المجالس العلمية . ومن الطريف أن نقرأ أن الخليفة كان يقف بنفسه على اختيار التلاميذ وامتحانهم .

وفي عهد الموحدين انتشرت الخزانات العلمية ، وكثر اقتناء الكتب وانتساخها في خزانات الدولة والخزانات الخاصة . وكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية المستعملة ، كما تشهد بذلك الرسائل الديوانية ، وما أثر من شعر ونثر ، ولكنهم كانوا أحيانا لا يتهيبون الاستعانة باللسان البربري من أجل افهام القوم .

وكان من رأى الموحدين على العموم ، أن يتركوا للناس حرية التفكير ، ولذلك ازدهرت الفلسفة وظل كل من ابن رشد ، وابن زهر ، وابن طفيل ، متنقلا بين الأندلس وفاس ومراكش . وكانوا يحضرون مجلس الخليفة فيثيرون أسمى النظريات ، وادق المشاكل . ولم يكن الموحدون يضيقون بالنقد ، وكانوا يعرفون للعلماء قدرهم فيستقبلونهم اول الناس ، ويؤثرونهم على غيرهم .

وفي هذا الكتاب وصف للمنشآت التي اقامها الموحدون ، ومنها الوصف الدقيق لمدينة جبل طارق التي فاقت ، في رأى المؤلف ، قصور الخورنق والسدير ، وقد « صنع في أعلى الجبل رحى تسير بالهواء لطحن الأقوات ، فاعطى بذلك مظهرا من مظاهر النهضة الميكانيكية » .

وبعد بناء مدينة جبل طارق ، كان بناء مُدينة المهدية (رباط الفتح ، الرباط اليوم) ، وما تزال آثارها الى اليوم شاهدة بعظمة الموحدين . ونالت مراكش من عنايتهم الشيء الكثير . وفي الأندلس أعادوا الحياة من جديد الى مدينة قرطبة ، وجندوا البنائين والعمال لاعادة بناء قصورها ودورها . وفي اشبيلية شيدوا آثارهم الشهيرة : من القصور ، والجسر العظيم ذي القنطرة الرائعة الهندسة ، والأسواق المختلفة ، والمسجد الكبير الذي أسهمت في بنائه كل من مدينة فاس ومراكش ، وبناه المهندس العربي ابن باسه .

واهتم الموحدون بالاسطول البحري ، لأنهم كانوا مضطرين لربط الصلة بين افريقية والاندلس ، ونقل المئات من الجند . وهذا الكتاب يصور القوة البحرية الهائلة التي كان ينعم بها المغرب في العصور الوسطى .

وعنى الموحدون بانشاء شبكة من الطرق تربط بين مختلف أجزاء الامبراطورية ، واهتموا بعمليات الاحصاء في كل مدينة وقرية ، وضمنوا البريد بشكل سريع في الليل والنهار ، والبر والبحر .

★ ★ ★

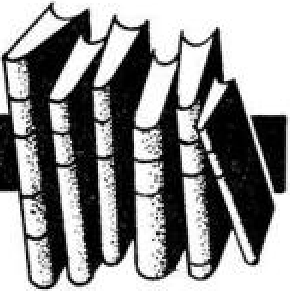
ونحن نشعر في كل فصل من فصول الكتاب بالروح الدينية التي تهيمن على الدولة الموحدية: فالجميع يقومون بالشعائر الدينية في وقتها المعين لها ، ولا يمنعهم من ذلك سفر أو غزو . وكان من عادتهم أن يقرأوا قدرا معينا من القرآن كل يوم . وقاموا بتشييد المؤسسات الدينية . وانفقوا الأموال الطائلة على بناء المساجد فأصبحت آية من ايات الفن المعماري ، حتى انهم عهدوا للطبيب ابن زهر الاشراف على زخرفة جامع اشبيلية ، وجملوا بعض المساجد بالنواقيس التي غنموها في بعض حروبهم بعد أن ادخلوا عليها بعض التحويرات الفنية .

ويؤثر عن الموحدين أنهم كانوا لا يابهون الا بالكتابين في امور الدين ، اى القرآن والسنة ، وانهم كانوا يقولون : « ليس الا هذا وهذا او السيف » يعني : القرآن والسنة والا السيف . واظهارا منهم لاحترام الدين وتقديسه كانت جميع المراسيم التي تصدر عن الدولة تتلى على منابر المساجد ، وكانت حدود الله تقام على العابثين والمخالفين .

★ ★ ★

ان كتاب « المن بالامامة » مادة خصبة ، ووثيقة هامة ، وهو يتحدث عن التاريخ الموحدي حديث معاينة ومشاهدة . وهو بكل ميزاته التي ذكرناها من ابرز الوثائق التاريخية التي تجلو لنا كثيرا مما كان غامضا من التاريخ الموحدي . ■■

محمود السمره



من الكتب التى وصلتنا

تاريخ المشعشعين

تأليف : جاسم حسن شبر

● يقع هذا الكتاب فى ٣٥٠ صفحة ، ضمنها المؤلف تاريخ الدولة المشعشعية فى عربستان والعراق ، وما لهم من الحوادث الهامة التى اهملها التاريخ ، وكشف فيها بعض الحقائق التى تمس حياتهم الفكرية والسياسية منذ بداية حكمهم فى الاهواز (عربستان) اى اقليم العرب ، عام ٨٤٤ هجرية حيث شكلوا دولة عربية فى فارس استمرت خمسة قرون الى ان قام بنو كعب بالاستيلاء على الحكم ..

الشرق الاوسط

المؤلف : جورج لنشوفسكى .

ترجمة : جعفر خياط . الموزع : دار الكشاف ببغداد . الناشر : فرانكلين بغداد . الثمن ٥٠٠ فلس عراقى .

● يعرض هذا الكتاب تاريخ الشرق الاوسط ابتداء من الامبراطورية العثمانية فى اوج عظمتها فى زمن السلطان سليمان القانونى الذى امتد ملكه من فيينا غربا حتى حدود افغانستان شرقا ومن آسيا الصغرى وبحر القرم شمالا الى البحر العربى وقلب افريقيا السوداء جنوبا . وقد أثار المؤلف – وهو استاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا بامريكا – عددا كبيرا من قضايا الساعة التى تتصل بالتنظيم السياسى والاجتماعى والاقتصادى لبلدان تلك المنطقة . ولم يغفل المؤلف وهو الذى عاش حقبة طويلة فى قلب هذه الاحداث ان يتعرض بالشرح الى المشكلة القبلية بالعراق وكيف ان الانجليز استغلوا هذه المشكلة لتثبيت دعائم الاستعمار فى هذا القطر العربى العريق واشار الى ان القبائل فى العراق تؤلف حوالى سدس السكان وهذه هى احدى المعضلات المزمنة التى تواجهها الحكومات العراقية جميعا . ثم انتقل المؤلف الى ارادة الصهيونية العالمية فى ان تكون يد بريطانيا مطلقة فى فلسطين حتى تستطيع تنفيذ وعد بلفور وهو الذى اعلنته بريطانيا عام ١٩١٧ الذى قام عليه صك الانتداب البريطانى الذى فرض على فلسطين العربية وانتهى بالاغتصاب الصهيونى الذى ارادت به الدول الكبرى تقسيم العرب ، والحيلولة دون وحدتهم .

معجزة فوق الرمال

تأليف احمد عسة .

الناشر : المطابع الاهلية اللبنانية .

● هذا الكتاب يحكى قصة قيام الدولة السعودية الاولى ويتتبع الظروف والاسباب والعوامل التى ادت الى تدميرها ويعرض بعد ذلك بالتفصيل الجهود التى بذلها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود لاعادة بنائها ولتحويل شبه الجزيرة العربية من مجتمع قبلى يعيش على الرعى والاقتتال الى مجتمع حضارى مستقر . هذا ، ويشرح الكاتب بالتفصيل الظروف الموضوعية والصعوبات التى تغلب عليها الملك الراحل ليدفع المجتمع القبلى القديم الى طريق اقامة دولة العرب والاسلام على أسس من الحق والعدل والانصاف

اعلام الجاسوسية العالمية

تأليف : كيرت سنجر

ترجمة : بسام العسلى . الناشر : دار اليقظة العربية ببيروت . الثمن : ٨٠٠ قرش لبنانى .

● بدأت الجاسوسية منذ الخليقة .. وستبقى الى الابد .. نطالعها ، وندركها ، ونشعر بها .. ولكن تبقى اشياء كثيرة عنها غامضة ومثيرة ومتجددة. والجاسوس لا وطن له ، ينتقل من بلد الى اخرى سعيا وراء التآمر .. عدته الفكر الخلاق المبدع والتخطيط الذكى ، والعلم ، والآلة ، وذلك فى سبيل اقامة حكم او ازالة مملكة او نصب امبراطورية او للاطاحة بجمهورية » . وقد ضمن المؤلف كتابه قصصا شيقة شهيرة ومعروفة عن عالم الجاسوسية الخفى من الشرق ومن الغرب باسلوب شيق وجذاب . ■■

صفحة في اللغة

الهمزة في أول الكلمة

أَحمد . أُستاذ . إدريس

تكتب الفا ، سواء كانت مقطوعة او موصولة .
وسواء كانت مفتوحة او مضمومة او مكسورة .

★ ★ ★

كأحمد . لأُستاذ . وإدريس

تكتب الفا كما ذكرنا ، ولا عبرة بدخول الكاف واللام والواو والفاء والباء الخ عليها .

★ ★ ★

آخـذ

همزة مفتوحة جاء بعدها مدٌ من جنسها ، فأدمج الاثنان فصارا الفا ممدودة .

الهمزة في آخر الكلمة

قَرأ . قُرِئ . تكافُؤ

الهمزة في قرا على الف لأن الراء التي قبلها مفتوحة .
الهمزة في قرىء على ياء لأن الراء التي قبلها مكسورة .
الهمزة في تكافؤ على واو لأن الفاء التي قبلها مضمومة .

★ ★ ★

هَنِيءٌ . وضُوء . ضَوءٌ . بطءٌ

الهمزة في كل منها مفردة وحدها لأن الحرف الذي قبلها ساكن .

الهمزة التي تقع في الوسط

وهي نوعان :

بئر

همزة فى الوسط ، وهى فى وسط الكلمة ذاتها .

شيئك

همزة فى الوسط ، وهى فى وسط التركيبة كلها ، وهى تركيبة تتألف من (شىء) ثم (ك) .

★ ★ ★

هذا شيْئُك . خذ شيْئَكَ . اكتف بشيْئِكَ

الهمزة هنا على نبرة لأنها مسبوقة بياء ساكنة .

هيْئة . هنيئاً

الهمزة هنا على نبرة لأنها مسبوقة بياء ساكنة .

★ ★ ★

وضوءَك . وضوءُك . وكذا السموْءَل

الهمزة مفردة لأنها مفتوحة أو مضمومة ، ومسبوقة بواو ساكنة .

★ ★ ★

تفاءَلَ . رداءَكَ

الهمزة مفردة لأنها مفتوحة وقبلها الف ساكنة .

★ ★ ★

وغير ما تقدم اذا كانت الهمزة ساكنة رسمت :

على الف ان كان ما قبلها مفتوحا مثل رأي

وعلى ياء ان كان ما قبلها مكسورا مثل بئر

وعلى واو ان كان ما قبلها مضموما مثل سؤْل

★ ★ ★

اذا كانت الهمزة مفتوحة رسمت :

على الف ان كان ما قبلها مفتوحا مثل سأل

وعلى واو ان كان ما قبلها مضموما مثل سؤال

وعلى ياء ان كان ما قبلها مكسورا مثل وئام

★ ★ ★

اذا كانت الهمزة مضمومة وليس بعدها واو ممدودة رسمت على واو مثل يرؤف به

اذا كانت الهمزة مضمومة وبعدها واو ممدودة رسمت مفردة او على نبرة مثل رءوس وشئون .

اذا كانت الهمزة مكسورة رسمت على ياء مطلقا مثل سئم ، سائل سئل

أنت تسأل .. ونحن نجيب

عندما استوطن اليهود القدامى فلسطين كانوا مجرد مهاجرين .. لا مواطنين

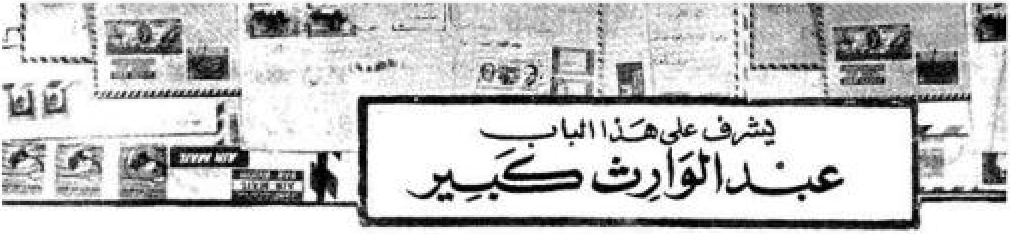
● ... وقد لفت نظرى ، بل أثار قلقى ، كما أثار قلق الكثير ممن يتابعون مشاهدة برنامج «نور على نور» على شاشة تلفزيون الكويت ، ماجاء على لسان الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب الاستاذ بكلية الدراسات العربية بجامعة الازهر ، من «أن الجزيرة العربية كان فيها أقوام من اليهود اتوا اليها من موطنهم الاصلى فلسطين» !!

فمن أين ياترى ، ومن أى المصادر التاريخية استمد الدكتور صلاح قوله هذا الذى أقل ما يقال فيه أنه من دس الصهيونية الخبيث ؟ وماذا يريد اليهود منا يا ترى أكثر من هذا الاعتراف لتبرير عدوانهم على جزء عزيز من الوطن العربى بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ ؟

مواطن عربى من لبنان

ـ كان الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب ـ وهو الآن مدير عام السياحة فى الجمهورية العربية المتحدة ـ يزور الكويت فى الشهر الماضى ، بدعوة من وزارة الارشاد والانباء ، فرأى بعض اصدقائه أن يستوضحوه ما قصد اليه بالعبارة التى لفتت انظاركم كما لفتت أنظارهم فى حديثه التلفزيونى الذى تشيرون اليه ، فقال : ان عبارة هجرة اليهود قبل الاسلام ومجيئهم من ارض فلسطين جاءت فى مقام ليس اصلا مقام الكلام عما تدعيه الصهيونية من حقوق فى فلسطين ، اذ ان الصهيونية حركة سياسية حديثة وُلِدت فى أواخر القرن الماضى فقط .. وربما كانت العبارة المذكورة قد وردت فى شىء من الغموض ولم يتسع المقام لتفسيرها . ولكنها على اى حال وردت فى مقام التدليل على أن اليهود كانوا يهاجرون الى اراض كثيرة ، منها الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ومن ثم كانوا دخلاء عليها ، شأنهم فى كل البلاد التى هاجروا اليها . وهم كذلك قد هاجروا من مصر مع سيدنا موسى عليه السلام هربا من فرعون ، واتجهوا الى فلسطين . وتلك حقيقة تاريخية لا سبيل الى انكارها ، لكنها لا يمكن ان تعطيهم اى حق فى تلك البلاد التى سكنها العرب قبل الاسلام وبعده قرونا متصلة ، وكان اليهود دخلاء عليها ، لا مواطنين اصليين. وفرق بين المواطن والمستوطن ، فالمواطن هو الأصيل فى الارض التى يرجع اصله فيها الى قرون بعيدة متصلة ، فاصبح جزءا منها واصبحت جزءا منه ، اما المستوطن فهو الذى يهاجر الى تلك الارض ويعيش فيها ، بحق او بغير حق ، كما كان اليهود فى فلسطين ، والايطاليون فى ليبيا ، والفرنسيون فى الجزائر وتونس وغيرهم وغيرهم .. وهذه التفرقة معروفة عند الفقهاء ورجال القانون ، وهى ما تنص عليه القوانين الحديثة للدول المختلفة ، فى حقوق المواطن الأصيل والمتجنس .. وكون اليهود هاجروا الى مصر او فلسطين وعاشوا فيها فترة من الزمن ثم طردوا منها ، لا يعطيهم اى حق فى ادعاءاتهم المضللة ، ولا فى اغتصاب هذا الوطن الذى اغتصبوه بالقوة ، دون مبرر من التاريخ ولا من القانون .

ونظن أن فى ذلك الايضاح ما يكفى ..



يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

المعلم الثاني .. من هو : الفارابي .. أم ابن سينا ؟

● استرعى انتباهى فى العدد ٨٧ من مجلة « العربى » الغراء قولكم فى الاجابات الصحيحة لمسابقة العدد ٨٥ من مجلتنا الحبيبة : « ظن بعضهم أن الفيلسوف المسلم الذى أطلقوا عليه لقب « المعلم الثانى » هو « ابن رشد » وظنه آخرون « ابن سينا » وحقيقته « الفارابى » ..

وبمراجعة كتاب « أصول العالم الحديث » وهو الكتاب المقرر على طلبة الصف الاول الثانوى فى ج.ع.م. وجدت فى ص ٩٥ الجملة الآتية : « ومن أشهر أعلام العرب فى العلوم والطب ابن سينا الذى يعتبر امام العلوم والمعلم الثانى بعد أرسطو ».

ولاعتقادى بأن كتابا مقررا على طلبة جمهوريتنا من الصعب أن يخطىء ، أرجو من سيادتكم زيادة الايضاح . وقد شجعنى على الكتابة اليكم ما عهدناه من حرص « العربى » على نشر وتأكيد المعلومات الدقيقة . وشكرا .

عمر البقرى ــ القاهرة

ــ اذا كان « المعلم الاول » ــ باجماع الآراء ــ هو ارسطو ، فان المعلم الثانى هو « الفارابى » ، مؤسس الفلسفة الاسلامية ، وأفهم فلاسفة الاسلام على الاطلاق .

وهو تركى المولد ، ويزعم بعض المؤرخين انه من أصل فارسى .. ومع ذلك فهو بجملة ثقافته ومؤلفاته فيلسوف عربى .. بل لقد قال عنه أحد المستشرقين انه « مؤسس الفلسفة العربية » .. وقال غيره « انه أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة » ..

وقال عنه ابن خلكان انه لم يكن فى فلاسفة الاسلام من بلغ رتبته فى فنونه . « وأن الرئيس ابن سينا بكتبه تخرج وبكلامه انتفع فى تصانيفه ».

وقال بعض المستشرقين أيضا : « ليس شىء مما يوجد فى فلسفة ابن سينا وابن رشد ، الا وبذوره موجودة عند الفارابى » . وكان كتاب العرب يعدونه أكبر العلماء بعد أرسطو ، ولما كانوا يطلقون على أرسطو اسم « المعلم الاول » فقد أطلقوا على الفارابى اسم المعلم الثانى ..

ألف كتبا كثيرة ضاع معظمها . على أنه اشتهر بين العرب بشروحه على فلسفة أرسطو . ألف طائفة من الرسائل أوضح فيها فلسفته الخاصة منها « نصوص الحكم » و « احصاء العلوم » و « الجمع بين رأيى افلاطون وارسطو » و « آراء أهل المدينة الفاضلة » و « تحصيل السعادة » وغيرها .

وكانت له فوق ذلك معرفة بالطب ومواهب بارزة فى الموسيقى ، علما وفنا ، حتى ليروى انه صنع آلة موسيقية عزف عليها مرة فأضحك الحاضرين وعزف ثانية فأبكاهم ، ثم عزف ثالثة فأنامهم !!

وكان مولعا بالأسفار منذ صباه ، تنقل فى بلاد الاسلام حتى دخل العراق وتلقى طرفا من علوم الفلسفة على أستاذ نصرانى فى بغداد ، ثم ارتحل الى حلب واتصل بالأمير سيف الدولة ونال عنده حظوة وصحبه الى دمشق فى حملته عليها ، وهناك وافته المنية سنة ٩٥٠ ميلادية ، ودفن فيها وهو شيخ فى الثمانين .

ذُو القَرنَين .. أَهُوَ اسكندر الأكبر المقدوني؟ أم كورش الأكبر الإيراني؟

قرأت في القاموس « المنجد » ما يفيد أن « ذا القرنين » الذي ورد ذكره في القرآن هو اسكندر الأكبر المقدوني ، بينما جاء في بعض كتب التاريخ القديمة أن « ذا القرنين » هو « تبّع الاقرن » من ملوك حمير ، وانه سُمّي ذا القرنين لشيب كان على قرنيه منذ ولادته .. وبينما كنت اقلب بعض اعداد جريدة « الاخبار » القاهرية بدار الكتب المصرية ، وقعت على مقال للمرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد ينفي فيه وجود صلة بين « ذي القرنين » وبين اسكندر الأكبر كما ورد في بعض كتب التفسير ، وقد دلل الأستاذ العقاد على ذلك بكثير من الوقائع التاريخية التي تؤيد رأيه .. فأي هذه الروايات أصح ؟

محمود درويش — القاهرة

ـ اختلف المؤرخون والمفسرون في شخصية « ذي القرنين » الذي ورد ذكره في القرآن الكريم. فقال بعضهم انه اسكندر المقدوني الذي خلف أباه « فيلبوس » على عرش مقدونيا في القرن الرابع قبل الميلاد وأسس الاسكندرية ..

وفي « تاريخ ملوك حمير وأقيال اليمن » ان ذا القرنين هو تبع بن شمر يرعش بن افريقس بن ابرهة ذي المنار بن الحارث الرائش ، وانه غزا بلاد الروم وأوغل فيها حتى وصل الى وادي الظلمات حيث قيل ان هناك واديا فيه الياقوت ، وعلى مقربة منه عين « ماء الحياة » ،وهناك مات..

وفي رواية اخرى انه « الصّعب بن تبّع الأقرن المذكور » .

وفي غيرها انه « الصعب بن القرين بن لهماء ».

ومن المؤرخين من يزعم انه « الهَمَيْسَع » بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان ، باني سد يأجوج ومأجوج .

ومنهم من يزعم انه « المنذر بن ماء السماء » .

وفي رواية عن سيدنا علي بن أبي طالب ، وأخرى عن ابن عباس أنه « الصعب بن مالك بن زيد » .

اما العلماء المحدثون فمنهم من ينكر كل هذه الروايات ، لأنه ليس بين من ورد ذكرهم فيها من تتوفر فيه الصفات التي ذكرها القرآن .. ومن هؤلاء الأستاذ عباس العقاد ..

وتتحدث « دائرة المعارف البريطانية » عن سد « دربند » فتقول انه موجود في المنطقة التي عينها هيرودوت كطريق السيثيين ـ Sythiens الذين يقول « يوسفيوس » من المؤرخين القدامى انهم هم بعينهم يأجوج ومأجوج ـ وتزيد دائرة المعارف المذكورة أن هذا السد طوله ٥٠ ميلا وارتفاعه ٢٩ قدما وسمكه عشرة اقدام ، وكانت تتخلله بعض الابواب الحديدية ، وفي اعلاه ابراج للمراقبة .. ولكنها تستبعد أن يكون اسكندر المقدوني هو بانيه ..

وقد أهدانا الأستاذ حسن فرامزي الملحق الصحفي بالسفارة الايرانية بالكويت كتابا وضعه العلامة المحقق المرحوم أبو الكلام آزاد وزير المعارف الهندي الأسبق ، عن « ذي القرنين » ، اعتمد فيه على ما جاء عنه في القرآن الكريم ، وما تثبته بعض الآثار التاريخية المكتشفة في تخت جمشيد (برسيبوليس) وغيرها من الآثار ، ثم خرج من بحثه هذا الى أن « ذا القرنين » ليس الا «كورش الأكبر » ، مؤسس الاسرة الاخمينية ، ومنشىء الامبراطورية الايرانية القديمة ، والذي يقول الأستاذ العقاد اننا اذا أنعمنا النظر في التاريخ نجد ان أوصافه تنطبق على ما وصف به القرآن « ذا القرنين » اذ كان ملهما ، وفاتحا عظيما ، غزا الارض شرقا وغربا ، وأقام سدا ليصد به هجمات المغيرين من « يأجوج ومأجوج » على بلاده ..

يضاف الى ذلك أن كتاب (Historians History of the world) يؤيد هذا الرأي الأخير استنادا الى بعض اسفار التوراة ، والى الفرق العظيم بين كورش وما اتصف به من الرحمة والعدل ، وما هو معروف عن إسكندر الأكبر من القسوة والوحشية وسفك الدماء ..

"المزدكية".. و"المانوية".. و"الخرمية" كلها نحل فاسدة أبادها الزمان

● فى تعليقكم الرادع على مأساة الفتاة التى أراد عمها أن يتخذ منها عشيقة له ، قلتم : « أو ليس المزدكية – قاتلهم الله كانوا يجعلون الحق فى الاموال والنساء – حتى بناتهم – مشاعا بينهم ، بدليل قول شاعرهم :

« ووطء بناتنا حل علينا .. الخ .. » .

نرجو أن تزيدونا ايضاحا عن هؤلاء الذئاب فى لباب الأناسى ، هل هم عرب ؟ وأين يعيشون ؟ وما هو دينهم ان كان لهم دين ؟

البصرة – المعقل   مناهل عبد الله السالم

● لمناسبة ما نشرتموه أخيرا عن « المزدكية » الذين يجعلون الحق فى النساء والاموال مشاعا للجميع ، نرجو أن تفيدونا عن هذه الطائفة ، وهل لها علاقة بالشيوعية ؟

الدمام   صلاح امام

● « ... وقد ترددت علينا كثيرا كلمة « المزدكية » أثناء دراستنا للتاريخ الاسلامى ، وهى تعنى ذلك المذهب الذى اعتنقه أحد ملوك فارس قبل الاسلام فى زمن المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء أحد ملوك المناذرة . ولكنى لم استطع أن أصل الى معلومات وافية عن هذا المذهب وأين نشأ وما هى أهدافه ومبادئه ؟

جامعة البصرة   حبيب عبد المجيد حبيب

– يقول الامام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهير بالشهرستانى فى كتابه المعروف « الملل والنحل » ان المزدكية هم أتباع « مزدك » الذى ظهر فى بلاد فارس أيام قباذ والد الملك انو شروان، ودعا قباذ الى مذهبه فاجابه، فلما اطلع انو شروان على مخازيه جدّ فى طلبه حتى قبض عليه وقتله .

ويضيف الشهرستانى ان مزدك كان من أتباع « مانى » احد أنبياء الفرس ، ولكنه خالفه فى بعض آرائه ، اذ كان « مانى » يرى أن التخلص من الشر مستحيل ، وان استمرار العالم معناه استمرار الشر ، وأن الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذا الشر هى تدمير العالم !! فلما جاء مزدك حوالى نهاية القرن الخامس الميلادى رأى ان القضاء على الشر ممكن ، وان الوسيلة الى ذلك هى الشيوعية فى الأموال والنساء !!

وكانت وجهة نظره أن الحقد الذى يأكل قلوب البشر والحروب التى تمزق اشلاء احد الاخوين بيد أخيه ، لا مصدر لهما الا الاموال والنساء ، فكان ينهى الناس عن الاختلاف والتباغض والقتال، وأحلّ النساء وأباح الأموال ، والغى الملكية واصبح المال والنساء مباحين للجميع بلا قيد ولا شرط ، وكان رأيه ان ذلك يطهر القلوب من الحقد الى الأبد ، ويضع اوزار الحرب الى نهاية الوجود !!

وقد قضى انو شروان على مزدك ولكن تعاليمه بقيت راسبة فى نفوس أتباعه ، حتى ظهرت من جديد ابان قوة الاسلام على يد « بابك الخرمى » الذى راح يدعو أتباعه الى الملذات والعكوف على الشهوات والمشاركة فى الحرم والأهل ، لا يمنع أحدهم الآخر عن شىء ، واذا استضاف أحدهم صديقا لم يمنعه حتى من زوجته !!

وقد قضى على هذه الطائفة الملعونة ، الخليفة المعتصم بعد أن ظل يجاهدهم ويجاهدونه عشرين عاما . ■■

مَعنى التَّسْمِيات
لِلشعُوب السَّامِيَة الثلاثة الكُبرى
العرَب ، الآرامِيِّين ، العبْرانيِّين

بقلم : الأب اسحق ساكا

■ السامية والساميون ، اصطلاح ظهر للمرة الاولى سنة ١٧٨١ في دراسات المستشرقين نسبة الى سام بن نوح استنادا الى ما جاء في الفصل العاشر من سِفْر التكوين(١) .

والتسمية بِحَدّ ذاتها لا تنحصر في الشعوب المنحدرة من سام فحسب ؛ بل تعم سائر الشعوب التي نطقت باللغة السامية ، وان كانت غير سامية الجنس والدم . ويتضح هذا من مراجعة الجدول الخاص بانساب نوح الواردة في التوراة « تك(٢) .١ » اذ نرى عدم ذكر الكنعانيين بين أبناء سام لكونهم غير ساميي الجنس والدم ، في حين ان لغتهم تعتبر سامية محضة . ولقد توهّم كثيرا من جعل الكنعانيين ساميين وشك في صحة الجدول التوراتي لعدم ذكره الكنعانيين بين ابناء سام . كما أخطأ بروكلمان(٣) بقوله « ان بني اسرائيل هم الذين اقصوا الكنعانيين من الجدول السامي لاسباب سياسية ودينية » . كما ننكر على الدكتور ولفنسون قوله « نحن نميل الى الاعتقاد بأن الرابطة التاريخية التي كانت تربط العبرانيين بالكنعانيين كانت قد تفككت عراها ، وامّحت آثارها منذ عهد بعيد قبل خروج بني اسرائيل عن الجزيرة العربية ... وهذا هو السبب في عد الكنعانيين من بني حام(٤) .

الكنعانيون ساميون

والصحيح الثابت ان الكنعانيين ساميون(٥) . فبمخالطتهم الآراميين الساميين غلبت الآرامية على لغتهم الأريّة حتى صاروا آريين ساميين(٦) ومثل الكنعانيين الاحباش ، فهم حاميّو الاصل ساميّو اللغة(٧) .

الشعوب السامية تطلق على من تكلم السامية أيضا

وورد ايضا في الجدول المذكور ان آل عيلام وميديا من الساميين مع أنه من المعلوم أن لوجتهم كانت غير سامية(٨) . ونتيجة البحث ان « السامية »اطلقت على الشعوب السامية الأصل ، النقية الدم ، والحامية الناطقة بلغة

الساميين ، لذا يجب التمييز ما بين « شعوب سامية » و « لغات سامية » .

ساميون اصليون ، وناطقون بالسامية ، ادق !

ان الباحثين ولئن اتفقوا على « السامية » اصطلاحا لشعوب ولغات لم يطمئنوا اليها تمام الاطمئنان ، فقد قال الدكتور ول ديورانت : (٩) « ليس باستطاعتنا ان نقول بالدقة : ما هي هذه الشعوب السامية الا اذا فهمنا عن اللفظ انهم يتكلمون لغات سامية » . ويراها السيد محمد عزة دروزة تسمية خاطئة ، ويصطلح عليها ب « الجنس العربي »(١٠) . وعلى راى غيره ومنهم لاترمان قال « وجب ان تسمّى بالسرياني العربي» لكون العربية والسريانية فرعين عامين للغات السامية يسمى الاول منهما جنوبيا والثاني شماليا(١١) . ونحن نرتئي لو اصطلح على ذلك باصطلاح آخر يشمل الساميين والحاميين لكان انسب وادق واوفى بالمعنى والمقصد ، كان يقال « سامية » للشعوب السامية الاصلية ، و « الناطقون بالسامية » لغيرها كما ارتاى الاستاذ انيس المقدسي ، اذ آثر اطلاق كلمة « الناطقين بالعربية » على العرب تمييزا ما بين العرب الاصليين وغيرهم من الامم ذات الجنسيات الاخرى وانما تتكلم العربية(١٢) .

العرب والآراميون والعبرانيون امة واحدة بالاصل

من الحقائق المقررة ان هذه الشعوب الثلاثة في الاصل امة واحدة تاريخا ولغة ، فالتاريخ يصرح ان ابراهيم الخليل كان آراميا جنسا ولغة ووطنا (١٣) ، وان العبرانيين هم احفاده ومنسوبون اليه . اما العرب فالعدنانيون منهم هم ذرية اسماعيل بن ابراهيم ، والقحطانيون ينتسبون الى عابر (١٤) ، الذي انقسم احفاده الى فصيلتين: اقامت الاولى في آور الكلدانيين(١٥) وهم ابراهيم، وارتحلت الثانية الى بلاد العرب وهم بنو يقطان او قحطان (١٦،١٧) ، واكد الدكتور اوليري « الآراميون فرع من العرب (١٨) » .

وعلى ضوء هذا التحليل التاريخي ترجع الشعوب الثلاثة الى اصل واحد ، وبتمادي الازمان انقسمت جغرافيا ، واستقل كلٌّ بمفرده ، وطنا ، ولغة ، وجنسا ، وتاريخا ، وتسمية . واضحوا الفروع الثلاثة الكبرى للساميين ، العرب في الجنوب ، والعبرانيين في الوسط ، والآراميين في الشمال (١٩) .

العربية والسريانية والعبرية لهجات للغة واحدة

واما لغويا ، فقد اثبت ابن حزم ان العربية والسريانية والعبرية كانت في قديم الزمان لغة واحدة ، وعن طريق الهجرة وتفرق الشعب السامي في بلاد شتى ، وتاثير البيئة اخذت لغة كل قبيلة تتعرض لبعض التغيير ، الا انها بقيت متقاربة لفظا ومعنى ، فالعربي والعبراني والآرامي كانوا يتفاهمون بلا واسطة ولا ترجمان بما يشبه حال اللغات العامية العربية المتشعبة من اللغة الفصحى الآن (٢٠) ثم بتعاقب الازمان اخذت المخالفة تنمو حتى اصبحت تلك اللهجات متغايرة للاصل متغايرة واضحة ومستقلة(٢١) .

العرب اقسامهم ، معنى التسمية وزمن ظهورها وتطورها

اقسامهم : (أ) (العرب البائدة) اكثرهم من احفاد آرام، ومنهم عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الاولى ، وسمّوا بائدة لانهم بادوا ، ولم يبق لهم ذرية مستقلة .

(ب) (العرب العاربة) او العَرْباء (٢٢) ومساكنهم بلاد اليمن وما جاورها وكانوا متحضرين، سمّوا بالعاربة او العَرْباء لرسوخهم في العروبة(٢٣) وجدهم الاعلى قحطان (٢٤) وقد نسبوا اليه فدعوا « قحطانيين » وقد تفرقوا بعد سقوط سد مأرب الشهير بحسب قبائلهم وبطونهم .

(ج) (العرب المستعربة) او « المتعربة »(٢٥) وسكناهم الحجاز ونجد ، وما جاورهما في اواسط الجزيرة العربية ، وكانوا بدوا رحالة ويدعون بالعدنانيين ايضا وهم احفاد اسماعيل ابن ابراهيم .

اسماعيل تعلم العربية

وقد اجمع مؤرخو العرب على ان اسماعيل بعد

مفارقته أبيه رحل الى البادية ، ثم استوطن مكة المكرمة حيث تقيم قبيلة جرهم العربية ، وشب بينهم ، وتعلم اللغة العربية ، لأن لغته في الأصل كانت عبرانية ، ثم تزوج منهم امراة هي الحنفاء بنت الحارث بن مضاض الجرهمي ، فولدت له اثنى عشر ذكرا واسماؤهم تختلف في الهجاء واللغة ، لأنها مترجمة من العبرانية ، ومنهم نابت وقيدار ، اللذان منهما نشر الله العرب، ولذلك سموا بالمستعربة أو المتعربة (٢٦).

وأعظم القبائل العدنانية قبيلة (معد) ومنها تسلسلت قبائل عدنان كلها . وتفرع من معد اياد ونزار ، وسكنت اياد العراق ، وأما نزار فانقسمت الى قبيلتين ، ربيعة ومضر، فسكنت ربيعة في جزيرة العراق وتفرعت الى بطون، وأما مضر فهم الاغلبية الساحقة بالحجاز .وكانت لهم الرياسة في مكة ، ومن مضر تشعبت عدة عمائر من جملتها قريش ـ وتشعبت قريش الى خمسة وعشرين بطنا من جملتها بنو عبد المناف ومنهم بنو هاشم ، ومنهم النبى العربى العظيم « صلى الله عليه وسلم » . وبه تشرفت مضر الاسلام على سائر العرب قحطانيها وعدنانيها(٢٧).

معنى التسمية

يعتقد الدكتور ولفنسون أن بين كلمتى (عربى) و (عبرى) ارتباطا لغويا متينا فهما مشتقان من ثلاثى واحد هو « عبر » بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو عبر الوادى أو النهر . وان الفعل « عبر » تبدل فصار « عرب » وبرهانه ان التصرف في حروف الثلاثى بالتقديم والتاخير شائع جدا في اللغات السامية ، وفي اللغة العربية نفسها كثير من الكلمات المترادفة الدالة على معنى واحد ، وليس بينها أى اختلاف الا في ترتيب الحروف ، مثل : يئس ، وايس ، واب وباء(٢٨). ويقول أيضا ان الفعلين « عبر » و « عرب » يؤديان معنى واحدا ويدلان على حياة البداوة الصحراوية التى لا تستقر في مكان ، بل ترحل من بقعة الى أخرى بابلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى (٢٩) . وان كلمة « عبرى » مثل كلمة « عربى » ومعناهما « البدوى » أى ساكن الصحراء والبادية (٣٠) .

عربى تعنى ، قديما ، بدويا او ساكن البادية

والواقع أن الدكتور ولفنسون توفق في اعطاء النتيجة المطلوبة وهى أن معنى « عربى » بدوى أو ساكن البادية . وهو المعنى الذى أجمعت عليه الآراء واوردته أسفار العهد القديم . قال المؤرخ الكبير فيليب حتى«لفظ عربى من ناحية الاشتقاق سامية معناها « البادية » أو ساكن البادية » ، وجاء في التاريخ الاسلامى العام ص ٢٤٠ لعلى ابراهيم حسن ما ملخصه : المعنى الحقيقى للفظ عرب هو صحراء ، وكلمة عرب كما جاءت في نقوش الملك داريوس ميستاسبيس تعنى صحراء الجزيرة وسوريا وشبه جزيرة سيناء . وكثيرا ما تصادف في المؤلفات اليونانية لفظتي عرب ، وعربية . وكان هيرودت عارفا بالجزيرة العربية كما درس معاصروه من المؤرخين من امثال اكزينوفون لفظ « عرب » وقالوا انه يطلق على صحراء الجزيرة بوجه خاص كما يطلق على البدو كلمة اعراب . « وقال ول ديورانت(٣١) » معنى عرب قحل .

عودة للمعاجم السريانية والعربية

لنعد الى الدكتور ولفنسون لنقف عنده وقفة قصيرة لمناقشة آرائه فنقول :

أولا : أن فعل « عبر » لا يعنى اقام في البادية أو ما يتعلق في البادية مطلقا . فالمعاجم السريانية تعطى له ثلاثة معان رئيسية وهى أجتاز ، قطع مسافة ، فنى أو زال . والمعاجم العربية تعطى للفعل نفسه : عبر عبرا ـ حزن ، سالت دمعته، وعبر عبورا ـ مر عبورا ـ مر كانه شقها وقطعها ، ومات وانقضى . أما « عبري » فبالسريانية تعني ساحلا او شاطئا أو اجتيازا ولا معنى لها بالعربية سوى « اليهودى » الذى ينسب الى ابراهيم العبرانى .

ثانيا : ان لفظة العبرانى ظهرت في الالف الثاني قبل الميلاد بينما ظهرت لفظة العربى في القرن التاسع بعد الميلاد .

ثالثا : أن كلمة عرب كانت مستعملة في اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العربة «الصحراء» فقط ، في حين كان لأهل المدن والعمران أسماء أخرى جاءت في كتب اليهود القديمة كما يشهد الدكتور ولفنسون نفسه(٣٢) .

رابعا : قولنا (ان كلمة العربي تعني « ساكن البادية ») لانطلقها بالحضر لان البدو صنفان، صنف يقوم على الشياه والبقر ويسمى « الشاوية » [٣٣] ولا يبعدون في القفر لقلة المراعي الطيبة ، وهؤلاء مثل البربر في شمال افريقيا ، والترك والتركمان والصقالبة[٣٤] وصنف مختص بالقيام على الابل فقط وهذا وحده يسمى«العرب»[٣٥] وتطلق اللفظة على جميع الذين يعيشون حياة البداوة ، ومهما كان عنصرهم وجنسهم وكما روى الطبري « أتدري يا مجاهد من الذي اشار بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار ؟ قال : لا ، قلت : يقال : رجل من اعراب فارس ، قال :
يا أبا عبد الرحمن وهل للفرس اعراب ؟ قال : نعم ، الكرد وهم اعراب فارس »[٣٦] غير ان اشهرهم العرب[٣٧] حتى غدت اللفظة ملكا لهم لانهم اختصوا بالابل اكثر من سائر الاقوام ، فقد غدت عماد حياتهم ، من اجل ذلك ملئت اللغة العربية بالابل فلم يترك العرب صغيرة ولا كبيرة مما يتعلق بها الا وضعوا لها اللفظ ، ولحملها ، ولنتاجها ، ووضعوا الاسماء لاعمارها ، ورضاعها وافطامها ، وكل ما يتعلق بها[٣٨] . فغدا للناقة ٢٥٥ اسما[٣٩] وفي كتاب المخصص لابن سيدة يستغرق في الكلام على الابل وما يتعلق بها ١٧٦ صفحة كبيرة عدا ما ذكر متفرقا في مواضع أخرى منه . ووصفوا ايضا الارض الصحراوية بما فيها من رمال وحشرات واعشاب ونجاد ووهاد ، وغدا لكل ما يتعلق بكل مظهر من مظاهرها ما بين الـ ٢٠ – ١٠٠ اسم[٤٠] حتى أن أدب العرب ان هو الا ظل حياة الصحراء ، وصورة صادقة لمعيشة البداوة .

العدنانيون ، أهل الحجاز ونجد ، هم العرب اصلا

على من اطلق لفظ العرب في الاصل ؟ على القحطانيين ام العدنانيين ؟ لا شك ان لفظ العربي بمعناه الذي صار معروفا اطلق في الاصل على العدنانيين الاسماعيليين اهل الحجاز ونجد فقط . والسبب في ذلك : ان العدنانيين اكثرهم اهل البادية وظلوا على بداوتهم ، وان العروبة ومنازعها لم تفارقهم ولم يتحول عنهم شعار البداوة الى شعار الحضارة[٤١] . وذلك لجدب ارضهم وجفاف تربتهم مع بعد جزيرتهم عن الاحتكاك بالدول المتحضرة لتوسطها في الصحراء، ووعورة المسالك اليها ، حتى امتنعت عن الفاتحين العظام من الرومان واليونان والفرس وغيرهم[٤٢] ، وظلوا هكذا حتى حان وقت هجرتهم المشهورة فلم تمض على نشوء دولتهم قرن حتى ظهر تمدنهم[٤٣] .

القحطانيون ليسوا عربا !

اما القحطانيون القاطنون في اليمن فقد تمدنوا لخصب ارضهم ورخائها ، فنشأت منهم دول متحضرة ، وان تمدنهم هذا لا يقل عن تمدن الاشوريين والمصريين والفينيقيين[٤٤] ، وكان هؤلاء العرب الحضر المتمدنون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكن البادية[٤٥] ، أضف الى هذا ، العداء الذي كان مستحكما بين الطرفين : القحطانيين الحضر والعدنانيين البدو ، حتى رووا ان كلا منهم اتخذ لنفسه شعارا في الحرب يخالف شعار الآخر ، فاتخذ المضريون العمائم الحمر والرايات الحمر ، واتخذ اهل اليمن العمائم الصفر . قال الجوهري : سمعت بعض اهل العلم يفسر ذلك من قول ابي تمام يصف الربيع :

محمرة مصفرة فكأنها
عصب تيمن في الوغى وتمضر

واصل هذا العداء على ما يظهر هو ما بين البداوة والحضارة من نزاع طبيعي[٤٦] . وحيث أن العرب تعني البدوي او ساكن الصحراء ؛ لا بل ان لفظة عرب في التاريخ القديم كان يرادف لفظ « بدو » او بادية في هذه الايام[٤٧] . وحيث أن القحطانيين الحضر لم يكونوا بدوا ؟ لا بل كانوا يستعيذون بالله من التعرب ، ويكرهون العدنانيين ويعادونهم كما سبق ، فنتخلص منه الى ان لفظ « عرب » انما هو خاص بالعدنانيين . وحتى اذا قيل « عرب » فانما يراد بهم اهل الحجاز وبالاخص قريش[٤٨] . وفي المعجم السرياني لحسن ابن بهلول وردت كلمة عرب بمعنى «الاسماعيليين». وبتمادي الازمان ، وتقلبات الظروف لم يعد لفظ العرب محصورا في البدو وحدهم ، فتنوع معناه كما تنوع مسماه ، فاضطروا الى كلمات تميز بين الحالين فاستعملوا لفظ الحضر لاهل المدن والبدو لاهل البادية .

الاعراب تعني ، الآن ، البداوة

ولم يبق للفظ « عرب » من معنى البداوة الآن

الا في مثل قولهم « اعرابي »(٤٩) . واضحت كلمة عرب تشمل جميع القاطنين في الجزيرة العربية من قحطانيين وعدنانيين . ويقال ان اليونان في عهد البطالسة أطلقوا على الجزيرة العربية اسم بلاد العرب ثم سُمّي أهلها بالاجماع عَرَبًا باطلاق الجزء على الكل .

زمن ظهور التسمية وتطورها

متى ظهر لفظ العرب ؟ قسم محمد عزة دروزة الجنس العربي الى دورين ، دور العروبة غير الصريح وهو الدور الذي لم يكن فيه الجنس العربي يسمى باسم العرب ، والجزيرة العربية باسمها ، ودور العروبة الصريح الذي صار الجنس العربي يتسمى باسم العرب ، وصارت اللغة العربية الصريحة لغة لهم(٥٠) . فدور العروبة غير الصريحة هو الدور الذي كان العرب في الجاهلية يعيشونه قبائلَ متباغضةً مشتتة ، ومتنازعة مختلفة في اللغة واللهجة ، فلا شعور قوميا يجمعهم ولا وطنية شعبية تعمهم ولا اسمَ عاما ينضمون تحت لوائه ، بل كان كل شيء عندهم يبنى على اساس القبيلة ، فالقبيلةُ هي الوَحْدة التي يبنى عليها كلُّ نظامهم الاجتماعي ، ولكلِّ قبيلةٍ اسمٌ خاص تعرف به وشاعرٌ خاص يتغنى بانتصارها ويَسْرُدُ محاسنها ، ويهجو القبيلةَ الأخرى من اجل قبيلته ، وقد تتحالف القبيلة مع القبيلة او قبائل للاغارة على حلف آخر او لرد غارة ، وقد تمر الاجيالُ وتنسى القبائل المتحدة اسماءها وشخصياتها وتنقسم تحت اسم واحد هو اسم اقواها .

بلاد العرب في التورات والانجيل

وقد ذكر العهد القديم تسمية صريحة لاحدى القبائل في القرن العاشر ق.م وهي سبأ ، ويسمى بلاد العرب في هذا الدور بارض المشرق(٥١) وارض بني المشرق(٥٢) .

واما الدور الثاني وهو دور العروبة الصريح اي الدور الذي ظهرت فيه التسمية ، فيبتدئ من القرن التاسع ق.م عندما اخذت بذورُ الشعور القومي تذر قرنها في اذهانهم ومشاعرهم ، فنجد اسم « العرب » للمرة الاولى في السنة ٨٥٤ ق.م لما حالف العربي جندبو ملك دمشق بن عدري المسمى بنهدد في التوراة، وقدم له ...١٠٠ جمل من بلاد اربى في حربه ضد شلمنصر الثالث(٥٣) ومن بعد هذا التاريخ نرى ان لفظ عرب قد ورد عشر مرات في العهد القديم(٥٤) وفي العهد الجديد مرة واحدة(٥٥) وورد مرة واحدة كل من عربي(٥٦) واعرابي(٥٧) ، وعربان(٥٨) ، في العهد القديم ، وورد مرة واحدة « العربية » في العهد الجديد(٥٩) .

كما نرى ايضا في هذا الدَّوْر نفسِه اسماءَ قبائلَ عربية، اي الى جانب ذلك نحو ـ قيدار ، وهي اسم اشهر قبيلة من القبائل العربية ، ولذلك ذكرت بالنيابة عن الكل . وقيدار بالاصل هو ابن اسماعيل الثاني(٦٠) ، وذَكَرَ ايضا قبائلَ اخرى مثل التيماء والددانيين .

لفظ القرآن الكريم يختلف تخصيصا

ولما جاء الاسلام تكون العربُ امةً اذ توفرت فيها خصائص الامة من اتحاد ولغة ودين من وجود حكومة على راسها ، وَعَقَبَ ذلك ، الانتصارُ على امتين كبيرتين هما الفرسُ والروم ، واخذ لفظ العرب يستعد لتبوء المكانة اللائقة به ، فقد ورد في القرآن الكريم كلمتا « عربي » و « عربيا » في سور الـ « النحل » و « الشعراء » و « فصلت » و « يوسف » و « الرعد » و « طه » و « الزمَر » و « الشورى » و « الزخرف » و « الاحقاف »(٦١)

نزعة الى القبيلة ونزعة الى الامة لم تندمجا

ولكن مع هذا فان الروح القبلية لم تمح بعد فوجدت النزعتان معا ، نزعة العربي لقبيلته ثم بطنه ثم فخذه ، ونزعة للدم العربي وللامة العربية ، والجنس العربي . وسارت النزعتان جنبا الى جنب في صدر الاسلام(٦٢) وهناك قِصصٌ رُوِيت ، واحاديثُ نقلت تبين ما نحن بصدده من ذلك : ان نافعَ بنَ جُبَيْر التابعي الشهير اذا مرت به جنازة قال « من هذا ؟ فاذا قالوا قريشي قال : « واقوماه » واذا قالوا عربي قال « وابلوتاه » واذا قالوا مولى قال : هو مال الله ياخذ ما يشاء ويدع ما يشاء »(٦٣)

تغلبُ النزعة العربية في عهد بني امية

غير ان النزعة العربية اخذ ساعدها يشتد منذ عهد الدولة الاموية(٦٤) والجاحظ يلقب دولة بني

مروان بـ « عربية اعرابية »(٦٥) ولم تزل قوية في العصر العباسي وسط العنصرين القريبين الفارسي والتركي ، وصارت الجنسية العربية مطمح ابصار الموالي وقبلة انظارهم حتى لترى ابا مسلم الخراساني يصطنع لنفسه نسبا عربيا(٦٦) وتشبثت حركة الانساب الى العرب حتى بلغت مبلغا كبيرا(٦٧) واسترعت اهتمام الشعراء للتمييز ما بين العربي الاصيل والعربي الزيف المصطنع . فقال بشار في رجل ادعى النسبة الى العرب :

ان عمرا ، فاعرفوه ،
عربي من زجاج
مظلم النسبة لا يعـ
ـرف الا بالسراج

وقال مخلد الموصلي :

انت عندي عربي
ليس في ذاك كلام
عربي عربي
عربي والسلام (٦٨)

الاراميون السريانيون

ضبط اللفظ : الاراميون السريانيون قبائل سامية شمالية ترتقي في انتسابها التاريخي الى آرام واشور ابني سام بن نوح(٦٩) وباسم آرام سميت ، اللغة آرامية ، وان ضبط اللفظ وكتابة هذا الاسم فهو بمد الالف والراء مفتوحتين « آرام » والنسبة اليه آراميين ، ولذا فيجب التمييز ما بين آرام آراميين وأرم ارميين التى تعني الوثنيين ، وقد قال العلامة ابن العبرى « ان الاراميين يانفون من الاختلاط بالارميين »(٧٠) كما انه ليس للفظ آرام اي صلة بلفظ ارم الواردة في سورة الفجر الشريفة « الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها في البلاد » فالمراد بارم هنا اسم مدينة مشيدة ، وللمفسرين في تعيين اصلها ومركزها اراء عديدة ، وجاء في دائرة المعارف الاسلامية في هذا الصدد ما يلي « وواضح انه لا حاجة بنا الى الاعتراف بخطا ما ذهبت اليه الرواية القائلة بان هنالك صلة بين قوم آرام وارم ذات العماد »(٧١) .

الاراميون توطنوا الهلال الخطيب

موطنهم : ظهر الاراميون حوالي الالف الثاني قبل الميلاد وهاجروا من مهد الساميين الاصلي المختلف عليه وانتشروا في البلاد التى تسمى في التوراة « آرام » وتقسم الى قسمين كبيرين ، « آرام الشام ـ او سوريا الداخلة ـ وتشمل على سوريا الحالية وفلسطين ولبنان ـ » و « آرام النهرين ـ او سوريا الخارجة ـ وتشمل على كلده وبابل واثور » . يحدها شرقا بلاد فارس وغربا البحر المتوسط ، وشمالا ارمينيا واسيا الصغرى ، وجنوبا بلاد العرب .

معنى اللفظ : لفظ عبرى يعني « المرتفع » وكان الاراميون مثل العرب يتالفون من قبائل ، كل قبيلة تسمى باسماء خاصة كتسمية اهل بابل وما يجاورها بالكلدانيين ، وتسمية سكان مملكة اثور بالاثوريين ، وتسمية اهل الشام بالادوميين ، غير ان التسمية « آرام » كانت تشملهم جميعا .

الاراميون هم السريان

السريان هم الاراميون بالذات(٧٢) وقد اخطا كل من يفصل ما بين الاراميين والسريان ويعتبر الاخير فرعا للاول . ولا صحة لما زعم جرجي زيدان بقوله « انقسم الاراميون بتوالي الاجيال الى امم اشتهرت في التاريخ اهمها امة السريان في ما بين النهرين والعراق والكلدان في اعالي سورية(٧٣) وقد ايد صحة قولنا كل مورخي العرب . قال اليعقوبي « السريانية لسان آدم واولاد نوح »(٧٤) وقال الطبرى « كانت السريانية لغة قبل الطوفان(٧٥) ويعني المورخان بالسريانية « الارامية » لان لفظ السريانية لم يكن قد ظهر في تلك العصور السحيقة في القدم .

آراء في أصل تسمية « السريانية »

اختلف الباحثون في اصل لفظة « سريان ـ سوريا ـ سريانية » اى اختلاف فهنالك آراء عديدة بهذا الخصوص منها :

اولا : انها متاتية من مدينة « صور » قاعدة بلاد فينيقية وقد عرف اليونان اهلها لكثرة ترددهم الى بلادهم للتجارة فابدلوا الصاد بالسين لعدم وجود الصاد باللغة اليونانية فصارت سور ثم جعلت سوريا(٧٦) غير ان القرداحي لم يقنعه هذا الراى فقد علق عليه قائلا: «لو كان اسم سوريا ماخوذا من اسم صور لما ساغ لهم ان يسموا به

ما بين النهرين ايضا وهي لم تدخل في مُلك صور، بل صور" دخلت في مُلكها »(٧٧) .

ثانيا : قال مسبرو" انها متأتية من لفظة «خارو» المصرية ثم بدلت خارو بشارو ثم بسارو او سوريا لمقاربة اللفظ(٧٨) .

ثالثا : ذهب الاب دي كارا الى ان اسم سوريا منسوب الى اسود او اسوديم بن ددان بن يقشان بن ابراهيم الخليل(٧٩) ودعّم رأيه هذا بالاستناد الى الآثار التي اكتشفت في صان بالشرقية بمصر .

رابعا : اجمع المؤرخون السريانيون أن لفظة سوريا منسوبة الى سورس الذى ظهر قبيل ظهور النبي موسى ، وهو من الجنس الارامي ، زعموا انه قتل اخاه قيليكوس وبنى مدينة انطاكية واستولى على سوريا وما بين النهرين ونسبة اليه سُميت هذه البلاد « سورسيين » ثم حذفت السين فاصبحت سوريين(٨٠) .

خامسا : وطلع علينا مؤخرا قداسة الحبر الاعظم العلامة مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس، برايه حول الموضوع فقال ما خلاصته « ان سرياتيين تعني مسيحيين وتاويل ذلك ان اليهود المتنصرين رأوا في المسيح مخلصا ، وراعيا ، وقائدا لهم ، بالنسبة للاعتبارات الروحية كما كان كورش ملك فارس ومادي نحو سنة ٥٥٠ ق.م نظرا للاعتبارات الزمنية عند السبي البابلي ، فايقنوا من ثم ان كورش مجرد سبيهم ان" هو الا رمز للمسيح فكانوا يرددون اسم المسيح مقرونا الى اسم كورش ، فلما طرق ذلك مسامع العناصر الامية في انطاكية دعوهم سورسيين او كورسيين وهي تعني مسيحيين اى سريان ـ وكريستيان ، نسبة الى الملك سورس او كورش(٨١) .

الرأى الاصوب

سادسا : من المقرر تاريخيا انه في القرن الخامس ق.م اندمج الاراميون في الاثوريين وخضعوا لهم واصبحوا امة واحدة ، وبسطوا سلطانهم على سوريا الداخلة (سوريا الحالية ـ ما بين النهرين ـ فلسطين ـ لبنان) ولما وصل اليونان الاقدمون هذه البلاد ورأوها خاضعة لسلطة ملوك اثور اطلقوا عليها سوريا معدولة عن اثور او اثورى ، وذلك بان ابدلوا السين بالثاء لسهولة اللفظ وقالوا « اسور » او « اسورى » ثم لمزيد السهولة حذفوا الف الابتداء فصارت « سوريا » و « سورى » ومنها اتى لفظة السريان ، وعليه ان اصل التسمية معدولة ومنسوبة الى اثور ، كما ان لفظة الارامي منسوبة الى ارام اخيه . واخطأ من زعم ان الاراميين تركوا اسمهم القديم ، واتخذوا لانفسهم « السريان » تسمية جديدة . انما اصبح الطرفان يسميان بكلتا التسميتين ، الا ان لفظة السريان كانت الاغلب والاعم .

هذا هو الرأى الانسب والاصح غير ان المطران جرجس شاهين علق عليه بقوله « كيف يصدق العقل السليم ان امة كبيرة وعظيمة الشان كالامة السريانية تترك اسم لسانها الاصلي وتستبدله باسم آخر اعجمي قد وضعته لها امة غريبة منها كامة اليونان وقاصية عنها »(٨٢) .

احتلال اليونانيين غير الاسماء

ومهما يكن من الامر فهذا هو الرأى المعول عليه والماخوذ به والذى يركن اليه ، اما تعليق شاهين فَهوْوَاهٍ جدا لان اعظم دافع للاسكندر اليوناني وقواده على افتتاح البلدان وخوض معارك الحروب مزج الشرق بالغرب ، وهي نفس الفكرة التي كان يرمي اليها نابوليون ابان الثورة الفرنسية عن طريق نشر الروح اليونانية في هذه الاصقاع . وقد سلك سبلا متعددة لتحقيق امانية وبلوغ ماربه ، اهمها مسالة الزواج ، فقد اقترن هو نفسه بابنة داريوس ملك الفرس وشوّق قواده ورجاله على الاقتران بالشرقيات وفتح باب المهاجرة لليونان على مصراعيه فتدفق على سوريا وفلسطين وشرق الاردن سيل عظيم من اليونانيين فغلبت عليها الروح اليونانية ادبا وفلسفة وعادات وتقاليد وسائر مظاهرها ، وبدون شك ان تغيير الاسم يكون في مقدمة الطرق التي اتخذوها ، غير ان الاراميين وان غيروا اسمهم ـ بقوا محافظين على لغتهم كل الحفاظ .

السريانية تنتصر على الارامية بفضل المسيحية

قلنا ان كلتا التسميتين « الارامية » و « السريانية » المعدولة عن اثور او اثورى اطلقتا على الشعبين الارامي والاثورى الشقيقين معا ،

الا أن التسمية « السريانية » درجت فى سوريا الداخلة والتسمية « الآرامية » سادت فى سوريا الخارجة ، وظل الامر هكذا حتى ظهور المسيحية ، حيث أخذت التسمية « السريانية » تغزو سوريا الخارجة أيضا وذلك لان دعاة المسيحية الاولين الرسل الحوارين كانوا سريانا من سورية الداخلة، ولما عرفت العصور الاولى الحوارين سريانا ، فكان كل من يقبل الى تعاليمهم ويتنصر من سوريا الخارجة يستبدل باسمه الارامي الاصيل « السرياني » ويفاخر بكونه « سريانيا » مثل الرسل ، ومن اجل هذا اصبح اسم السرياني على هذا الشكل علما للدين الى جانب الجنس واللغة ، بينما أمسى اسم الآرامي مرادفا للوثني حتى الترجمة السريانية المعروفة بالبسيطة استخدمت لفظ الارامي للدلالة على معنى الوثني.وهكذا زالت التسمية الآرامية من الشعوب المسيحية فى بلاد ارام وعمت التسمية السريانية وكان من نتائج هذا التطور فى التسمية أن فقدت السريانية مدلولها الجنسى والقومى كليا وصارت تعبر عن معنى دينى محض أو بعبارة أخرى أن اصبح اللفظ «سرياني» مرادفا لكلمة مسيحى أو نصرانى ولا يعكس ، أى أن هذا التعبير لا يؤخذ نظرا للحقيقة اللغوية من حيث المعنى والاشتقاق ، لأن هذا غير واقعي، بل خطأ واضح ، لان هذه التسمية كانت قد تغلغلت ودرجت فى الوثنية قبل ظهور المسيحية بخمسة قرون ق.م، فهل كان السريان نصارى قبل النصرانية ؟ ومن المعلوم ايضا أن السريان لم يعتنقوا المسيحية باجمعهم فى القرنين الاول والثانى بعد الميلاد ، فهل يعقل أن يعتبر السريانى الوثنى مسيحيا ؟ ثم لو كان هذا التأويل صحيحا اى حقيقة لغوية ، لجاز اطلاق اسم « سرياني » على كل مسيحى ايضا من اى جنس وصقع كان . وهذا غير معقول ابدا ، وبالتالي تعنى بقولنا « السريانى مرادف للمسيحى ولا يعكس » اى أن كل السريان يعتنقون المسيحية كما يقال ان كل افغانى مسلم ولا يعكس ، باعتبار الافغان قاطبة يدينون بالاسلامية لا أن معنى الافغانى هو مسلم .

وهكذا فسر ايليا مطران نصيبين النسطورى فى القرن العاشر لفظ سريانى بنصرانى ، وهذا ما عناه الدكتور اوليرى بقوله « واحل الكتاب « الراميون » المسيحيون كلمة « سوريا » اسما للغتهم ومن هذا أصبح مألوفا استخدام الكلمة « سريانى » لتدل على الارامية المسيحية (٨٣) . وحتى يومنا هذا تتخذ التسمية السريانية للدلالة على الدين المسيحى لا على الامة أو القومية (٨٤).

العبرانيون

العبرانيون هم احفاد ابراهيم الخليل ، وهم الفرع الثالث الرئيسى للقبائل السامية الى جانب العرب والاراميين،وقد مرت أخبارهم خلال كلامنا عن اشقائهم ، ولم يبق الآن الا أن نتحدث عن أصل تسميتهم ومعناها :

من الحقائق الراهنة أن العبرانيين منسوبون الى جدهم الأعلى ابراهيم الذى لأول مرة ينسب سفر التكوين اليه تسمية « العبرانى » فيسميه ابراهيم العبرانى (٨٥) والواقع أن فى التسمية شيئا من الغموض أشكل كشفه على العلماء المتتبعين ، فاختلفت اقوالهم وتشعبت آراؤهم وكل ما قيل ان هو الا من باب الرجحان اقرب منه الى الجزم والتأكيد . فهنالك رايان قديمان ورأى ثالث حديث .

الرأى الأول : أكد بعضهم أن ابراهيم عرف بالعبرانى لانه عبر نهر الفرات وانهارا أخرى .

الرأى الثانى : ان التسمية منسوبة الى عابر احد اجداد ابراهيم .

الرأى الثالث : وهو رأى الدكتور ولفنسون استاذ اللغات السامية فى جامعة مصر الذى خالف الرأيين السالفين فقال « ان كلمة عبرى ترجع الى الوطن الأصلى لبنى اسرائيل وذلك أن بنى اسرائيل كانوا فى الاصل من الامم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان بل ترحل من بقعة الى أخرى بابلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى وبالتالى أن كلمة عبرى مثل كلمة بدوى اى ساكن الصحراء والبادية » .

رأى ابن الصليبي وابن العبرى وكليفن أقرب للصواب

وقد رجح العلماء الثقات ، ومنهم العالمان السريانيان ابن الصليبي ١١٧١م وابن العبرى ١٢٨٦م ، الرأى الاول وهو أن التسمية ناتجة عن عبور ابراهيم نهر الفرات . وايد ابن العبرى قوله بالترجمة اليونانية « اكوبلا » التى تترجم « العبرانى » ب « المجتاز » او العابر . وقد اخذ

بهذا الراى ايضا الدكتور ا.ف.كليفن بقوله «انه مشتق من فعل معناه عبور النهر وفي هذا اشارة الى عبور ابرام (٨٦) نهر الفرات ، وفي هـذه الحالة يمكن ان تترجم الكلمة الى « مهاجـر » وهذه قد تظهر طريقة الكنعانيين في التحدث عن ابراهيم « ومما يؤكد هذا الراى ايضا ما جاء في سفر يشوع »

هكذا قال الرب اله اسرائيل في عبر النهر سكن اباؤكم منذ الدهر تارح ابو ابراهيم وابو ناحور وعبدوا الهة اخرى ، فاخذت اباكم ابراهيم من عبر النهر وسيرته في جميع ارض كنعان (٨٧). واضافة الى ذلك نقول ان هذه اللفظة لم تظهر الا بعد اجتياز ابراهيم نهر الفرات ، هذا فضلا عن ان الاخذ بهذا الراى اقرب الى الصحة مـن الرايين الاخرين . كيف لا وهو راى معظم العلماء وفحولهم .

راى يصعب الاخذ به

واما الراى الثانى فالاخذ به صعب ، اولا : لان بين ابراهيم الذى كان اول من وصف بهذه التسمية وعابر مدة ستة اجيال متوالية . فلو شاء ابراهيم ان ينسب الى احد اجداده لكان من البديهى ان يعزى الى سام اشهر اجداده . ثانيا : لو كانت النسبة الى عابر فلم لم ترد في الكتاب طيلة ٦٠٠ سنة ؟ ولم لم يسم ابراهيم

المراجـــع

(١) شلوزر : فهارس الأدب الشرقي والتوراتي ، المجلد ٨ ص ١٦١ .
(٢) سفر التكوين
(٣) بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية
(٤) تاريخ اللغات السامية : للدكتور ولفنسون ص ٢و٣ .
(٥) اليعقوبى : جـ ١ ص ٢٢ : اصدار دار العراق ـ بيروت .
(٦) القرداحي : المناهج في النحو والمعاني ص ٣ ـ والمطران الدبس : تاريخ سوريا جـ ١ ص ١٠٩
(٧) الطبري : جـ ١ ص ٢١٦ .
(٨) ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ٢ .
(٩) قصة الحضارة .
(١٠) العرب والعروبة جـ ١ ص ٤٦٣ .
(١١) لاترمان : تاريخ سوريا جـ ١ ص ١٤١ .
(١٢) المقتطف مارس ١٩٢٣ ص ٢١٧ .
(١٣) تك ١/٢٦ ـ ٥ .
(١٤) جرجى زيدان: التمدن الاسلامى جـ ٣ ص٤٠
(١٥) نسبة الى كلدة أرض العراق الجنوبية .
(١٦) تاريخ سوريا جـ ١ ص ١١٦ : لاترمان .
(١٧) وكذلك الطبرى جـ ١ ـ ٢١٧ .
(١٨) الدكتور أوليرى : الارامیون فرع من العرب.
(١٩) التمدن الاسلامى جـ ٥ ص ١٢ .
(٢٠) التمدن الاسلامى : جـ ١ ص ٢٤ .
(٢١) ولفنسون : ص ٣ ـ ٤ .
(٢٢) الدكتور احمد امين : فجر الاسلام ص ٦ .
(٢٣) مقدمة ابن خلدون : ص ١٧٦ .
(٢٤) الطبرى : جـ ١ ص ٢١٧ : وتاريخ سوريا : جـ ١ ص ١١٦ .
(٢٥) الطبرى : جـ ١ ص ٢١٥ .
(٢٦) تاريخ سوريا : جـ ١ ص ١١٧ واليعقوبى : جـ ١ ص ٣٠ و ٢٥٢ ومقدمة ابن خلدون : ص ٦٢٢ والطبرى : ١ ـ ٣٥٢ .
(٢٧) التمدن الاسلامى جـ ٤ ص ١٩ .
(٢٨) ولفنسون ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .
(٢٩) ص ٧٧ .
(٣٠) ص ٧٨ .
(٣١) قصة الحضارة ـ عصر الإيمان : ترجمة محمد بدران جـ ٢ ص ٧ .
(٣٢) ص ١٢٤ ـ ١٦٥ .
(٣٣) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٢ .
(٣٤) التمدن الاسلامى جـ ٤ ص ١٥ .
(٣٥) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .
(٣٦) الطبرى جـ ١ ص ٢٦٢ .
(٣٧) التمدن الاسلامى جـ ٤ ص ١٥ .
(٣٨) فجر الاسلام ص ٤٧ .
(٣٩) جرجى زيدان : العربية كائن حى ص ٥٩ .
(٤٠) ص ٥٩
(٤١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٣ .
(٤٢) التمدن الاسلامى جـ ١ ص ٣٢ .
(٤٣) جـ ١ ص ٢٩
(٤٤) جـ ١ ص ٢٣ ـ ٢٦ .
(٤٥) مقدمة ابن خلدون ص ٢١٦ .
(٤٦) فجر الاسلام ص ٦
(٤٧) جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٣٩.

بها قبل عبوره نهر الفرات وهو بعد في ارضه وعشيرته ؟ وما الحكمة في نسبته الى عابر دون غيره ؟ وَلِمَ لَمْ ينوه كاتب التوراة بذلك ؟ هذا كله يحملنا على ابعاد هذا الراى من الاذهان.

راى لا يركن اليه

اما الراى الثالث فلا يركن اليه لانه لو كانت التسمية متاتية من الهجرة والتنقل لكانت معظم الامم السامية نعتت بها . اليس الدكتور ولفنسون نفسه عند كلامه عن مهد الساميين الاصلي ، والحركات والهجرات عند اغلب الامم السامية كالبابليين والكنعانيين والاراميين والاسرائيليين والعرب يقول « يلاحظ في مظاهر اغلب هذه الامم انها مظاهر تكاد تكون صحراوية فعواطف هذه الامم وخيالها واتجاه افكارها مما يشعرنا بروح الصحراء»(٨٨) . فاذا كانت التسمية متاتية من التنقل وحياة البداوة كقوله لِمَ لَمْ تَدْعُ بها كل الامم السامية ؟ ولم خصت بالاسرائيليين وقد كانوا ينفرون منها كما يزعم هو ذاته ؟ واذا صح قول الدكتور ولفنسون ان العبرانيين كانوا ينفرون من هذه التسمية ، وبعد ان استقروا وتحضروا استبدلوها بالاسرائيلي، فلماذا لم يستبدلوا ايضا اسم لغتهم العبرانية بالاسرائيلية ؟ فالراى اذن لا يقوم على الدليل المقنع ، وبالتالي فيكون الراى الاول هو المعقول ويجب الأخذ به . ■■

الاب اسحق ساكا

---

(٤٨) جرجي زيدان : التمدن الاسلامي ج ١ ص ٣٦ .
(٤٩) العرب قبل الاسلام ص ٣٩ .
(٥٠) العرب والعروبة ج ١ ص ٤٦٧ .
(٥١) سفر التكوين ٦/٢٥
(٥٢) ١/٢٩
(٥٣) من السامية الى العرب ص ١٥١ .
(٥٤) ١ مل ١٠/١٥ ، ٢ أى ١٤/٩ ، ١٦/٢١ ، ١/٢٢ ، ٧/٢٦ نح ٧/٤ ، اش ١٣/٢١ ، ار ٢٤/٢٥ حز ٢١/٢٧ .
(٥٥) أع ١١/٢ .
(٥٦) نح ١٩/٢
(٥٧) ار ٢/٣ .
(٥٨) ٢/٢ أى ١/١٧ .
(٥٩) قل ١٧/١ .
(٦٠) تك ١٣/٢٥ .
(٦١) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص ٤٧٦ .
(٦٢) ضحى الاسلام ج ١ ص ١٩ طبعة ٧ .
(٦٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٧٣ .
(٦٤) ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٢ .
(٦٥) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٠٦ .
(٦٦) الطبرى ج ٩ ص ١٦٧ .
(٦٧) ضحى الاسلام ج ١ ص ٣٨ .
(٦٨) محاضرات الادباء ج أ : ٢٢٢ وفجر الاسلام ضحى الاسلام والعرب قبل الاسلام .
(٦٩) تك ١٠/٢٢ ، ٢٣ .
(٧٠) ابن العبرى : المدخل ، باب المماثلات حرف أ
(٧١) المجلدا : ٦٢٢ ، من دائرة المعارف الاسلامية. وتلخيص مقال آرامية واراميين لنعمة الله دنو الموصلي ، في لسان المشرق ص ١١٧ السنة الثالثة.
(٧٢) العرب والعروبة ج ١ ص ٤٦٣ .
(٧٣) التمدن الاسلامي ج ٥ ص ١٢ .
(٧٤) اليعقوبى ج ١ ص ٢٢ .
(٧٥) الطبرى ج ١ ص ٢٢٠ .
(٧٦) قاموس منا ـ المقدمة ص ١٠ ، وتاريخ سوريا للدبس ج ١ ص ١٣ .
(٧٧) المناهج في النحو والمعاني ص ٥ .
(٧٨) التاريخ القديم لشعوب المشرق فه ص ١٤٧ .
(٧٩) تك ٣/٢٥ .
(٨٠) ابن الصليبى في كتاب الجدل ف ١٤ ، وحسن بن بهلول في قاموسه تحت كلمة سوريا ، وتاريخ الرهاوى المجهول ص ٥٩ طبعة بيروت .
(٨١) المجلة البطريركية ـ دمشق ـ السنة الاولى ١٩٦٢ ص ٢٠ .
(٨٢) نهج وسيم ص ٥ .
(٨٣) انتقال علوم الاغريق الى العرب ـ الملحق الاول .
(٨٤) قاموس اودو المقدمة ص ٩ وقاموس منا المقدمة ص ٣ والآب لامنس اليسوعى المجلد ٢٧ ص ٤٣٢ المة الشهية ص ٢٦ مجلة لسان المشرق السنة الثالثة ص ٢٥٣ .
(٨٥) تك ١٣/١٤ .
(٨٦) ابراهيم .
(٨٧) يش ٢/٢٤
(٨٨) ولفنسون ص ٨ .

(بقية المنشور على صفحة ٧)

اللغة العربية .. أم السامية !

● قرات مقالا للدكتور خليل يحيى نامى عنوانه « اللغة العربية وصلتها باللغات السامية » لفت نظرى فيه قوله ان اللغة العربية هي الاصل الذى نشات منه كل اللغات التى عرفت باسم اللغات«السامية» وهو عند اطلاقه « اللغةالعربية» ولم يقيدها يريد بها هذه اللغة التى تتميز الآن بهذا الاسم بمجرد اطلاقها . ولا اعرف رأيا قاطعا مثل هذا الراى جاء به الاستاذ الجليل .

وكل ما قيل فى هذا المجال ، وكل ما كتب الباحثون فيه : ان اقدم اللغات السامية هى : الكنعانية ، والبابلية ، والعربية القديمة وليست لدينا اى حجة قاطعة تحكم بسبق واحدة منهن لان كل لغة منها ضاربة فى القدم .

وغير مستبعد ان تكون اللغة العربية القديمة هى أصل لهما . كما يجوز أن تكون الكنعانية او البابلية أصل للاثنتين . او ان هذه اللغات قد انبثقت عن أصل هو أم لهن جميعا ثم انقرض .

صحيح ما سطره الدكتور الجليل من أن بلاد العرب فى الجزيرة هى المهد الاول للشعوب السامية ، ومنها هاجرت الى اطرافها وما جاورها وعلى هذا فان اللغة العربية القديمة هى اصل اللغات السامية ومن الجائز أن تكون لغة العرب فى ذلك الوقت الارامية ، كما يمكن ان تكون لغتهم لغة اخرى اسبق من الارامية فى الوجود .

فالحكم اذن ليس بقطعى فى ان اللغة العربية التى تتميز بهذا الاطلاق هي المصدر الاول .

هذا ما اردت ايضاحه فاذا كان للاستاذ الفاضل رأى آخر نتنور به فنحن بحاجة اليه، وله الشكر .

عبد الكريم الدجيلى

المفتش الاختصاص للغة العربية ــ بغداد

مارى .. لاكاترين

● لاحظت على العدد ٨٧ الصادر فى شوال الجارى ملاحظتين احببت الكتابة لكم بشانهما وهما .

١ ــ جاء فى ص ١١١ أن هنرى الرابع المعروف بهنرى نافار حينما علم أن زوجته كاترين المديشية الخ . والصواب أن زوجة هنرى الرابع هى مارى المديشية ــ وأما كاترين فقد كانت زوجة هنرى الثانى الذى قتل فى مبارزة رياضية سنة ١٥٥٩م وهي أم الملوك فرانسوا الثاني وشارل التاسع وهنرى الثالث ــ وبموت الاخير انقرضت اسرة فالوا ــ وولى عرش فرنسا هنرى الرابع .

٢ ــ جاء فى ص ١١٤ عند الكلام على الرخ والبيدق (بالدال المعجمة كما فى لسان العرب والقاموس للفيروزبادى) انهما طائران اولهما وهمى ــ والثانى من الجوارح كبير الحجم ــ وهذا الشرح الذى ذهب اليه كاتب المقال بعيد عما هو مشهور من مراد كتاب نقفور الى الرشيد ــ فالمراد ان ايريني تصاغرت امام الرشيد اشارة الى قطعتين من قطع لعبة الشطرنج المعروفة هما الرخ والبيذق (بالذال) . ارجو نشر ذلك حرصا على الفائدة العامة التى تتوخاه المجلة .

عبد السلام محمد النجار ــ دسوق

لمن هذه الابيات ؟

● جاء فى العدد ٨٧ لشهر شباط ١٩٦٦ وتحت عنوان الشعر والشعراء عند رسول الله للسيد محمود ابو رية ان الرسول كان يتمثل من شعر ابن رواحه :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود

والصحيح أن هذا البيت من الشعر لطرفة بن العبد ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع هذا البيت فقال : ان معناه من كلام النبوة .

(العقد الفريد الجزء ٢ ص ٧٢)

والسلام ،،،

بغداد . احمد عبد العزيز الشوملى

إربح فائدة مأمونة

٦٪

في حساب الودائع

يدر عليك حساب الودائع في بنك لومبارد فائدة بنسبة جيدة مع سلامة تامة لرأس مالك تضمن لك الطمأنينة المالية. وطالما نقودك مودعة في هذا الحساب، فإنها تحظى بفائدة على الدوام، وتستطيع ان تسحبها بسهولة وفقاً للشروط التي تتفق عليها عند فتح الحساب. لا تخصم منها أية ضريبة دخل في المملكة المتحدة. ويمكنك ان تودع مبالغ اضافية في الحساب في اي وقت تشاء، مما يتيح لك طريقة ممتازة لاستثمار رأس مالك.

والربح ٦٪ سنوياً، يبلغ الحد الأدنى لمهلة السحب ٦ أشهر، سوى ان المائة جنيه الأولى يمكن سحبها لدى الطلب. ويدعم ودائعك في مؤسسة لومبارد المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطات تتجاوز ١٢،٥٠٠،٠٠٠ من الجنيهات الاسترلينية. أطلب من المدير العام مزيداً من التفاصيل، ونسخة من كتيب "حساب رقم AO.182"

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: LOMBARD HOUSE, CURZON STREET, PARK LANE, LONDON, W.1.
GROsvenor 4111 (30 lines)

City Office: 31 LOMBARD STREET, LONDON, E.C.3. MINcing Lane 4111 (7 lines)

اضحك ...



تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

لها حق

● اسمعت ما قاله الأستاذ المحاضر ؟ انه يقول ان اجراما سماوية آخذة فى الابتعاد عن كوكبنا الأرض ، بسرعة تقدر ببضعة آلاف من الأميال فى الدقيقة الواحدة ؟!

— والله لها حق !

حرصا على السمعة !!!

● متعليش صوتك كده لحسن الجيران تفتكر اننا بنتخانق !!

براءة !

● قال القاضي فى استياء شديد موجها كلامه للمتهم بضرب زوجته : « انني لا استطيع ان اتصور ان هناك عملا أسوأ من هذا الذى ارتكبته ! هل تستطيع ان تذكر لى الاسباب التى دفعتك الى ضرب زوجتك ؟ »

وقال الزوج المتهم : « لقد دعتني هي الى ضربها . ظلت تقول لى اضربنى لو كان لديك ذرة من الشجاعة ! وسوف اشكوك للقضاء واجعلك تقف امام القاضى الاصلع العجوز الذى يشبه القرد ليلقى بك فى غياهب السجون ! »

العرب

العدد ٩٣
١١ ربيع الاول ١٣٨٦
يوليو
(تموز) ١٩٦٦

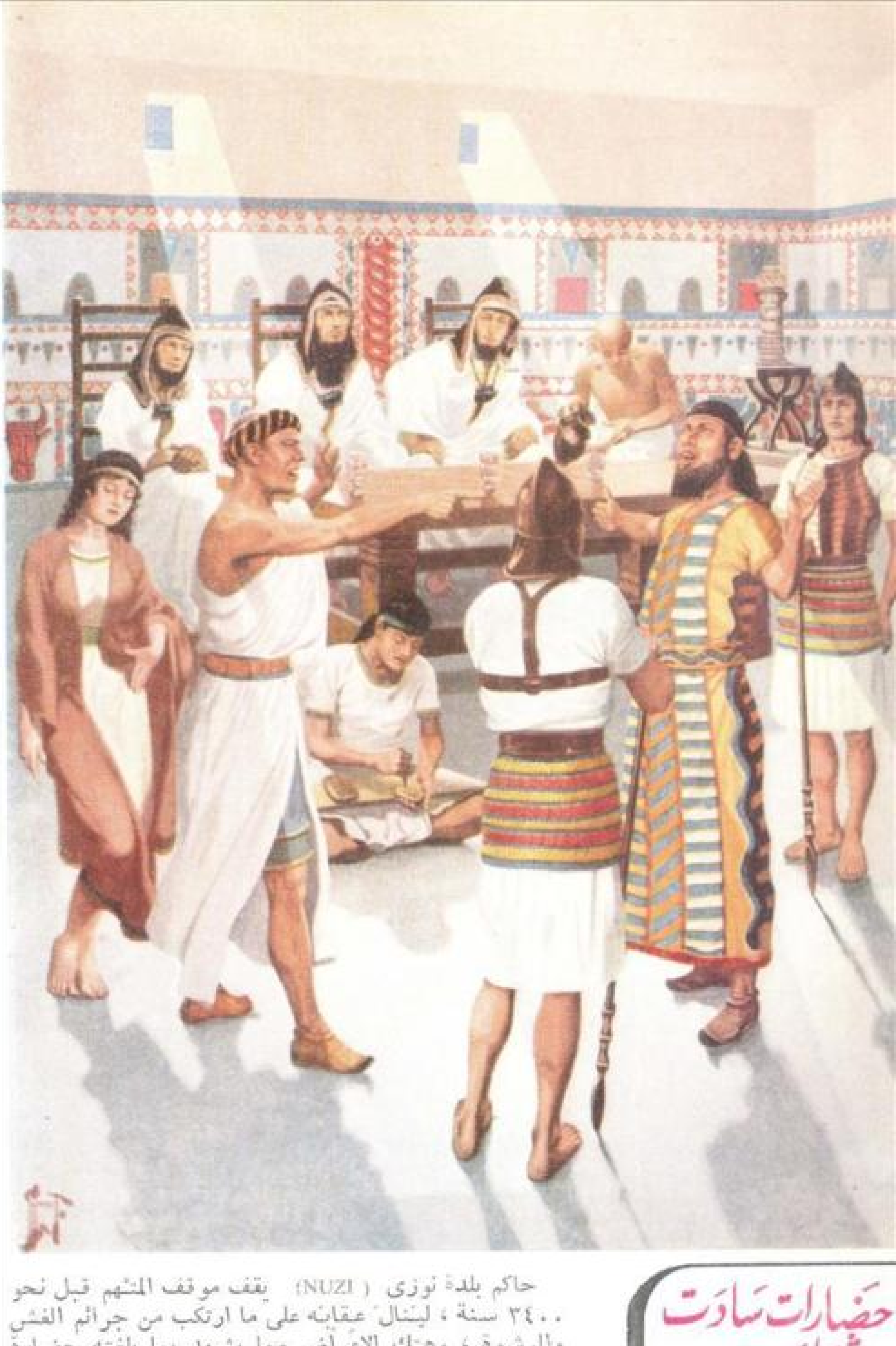


عربيتان ، فى المختبر الكيماوى بالسودان

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية				ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	٢	ريال	الاردن	١٠٠	فلس	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢،٥	شلن	سورية	١٠٠	قرش	الجزائر	٢٠٠	مليم



يقف موقف المتهم قبل نحو ٣٤٠٠ سنة ، حاكم بلدة نوزى (NUZI) لينال عقابه على ما ارتكب من جرائم الغش والرشوة ، وهتك الأعراض مما يشهد بما بلغته حضارة الرافدين وحققته فى ميدان العدالة والسلوك القويم .

(انظر صفحة ٩٧)

حضارات سادت ثم بادت





عزيزي القارىء

■ خلا كرسي الامارة في الكويت من الشيخ الضخم الذي ملاه سنوات عديدة ، الضخم في عزمه ، الضخم في صفاء فكره ، والضخم في حبّه ، والضخم في أناته وحتى تصرّفه ، فتلفت الناس يطلبون الشيخ الذي يملأ هذا الكرسي الواسع ، وما كانوا في حاجة الى التلفت . عرفوا من قبل انه صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح ، خير خلف لخير سلف ، وبايعته الأمة ممثلة في مجلسها ، وهتف الناس من كل حدب وصوب ، وما زالوا يهتفون .

وبامتلاء كرسي الأمير خلا كرسي ولي العهد ، وكان لا بد أن يمتلىء . وتلفت الناس ، وعرفوا ، واطمأنوا . فلما جاءت الساعة المقدورة ، زكّى الأميرُ الشيخَ جابر الأحمد الجابر وليًا لعهده ، وبايعته الأمة ممثلةً في مجلسها ، وهتف الناس من كل حدب وصوب ، وما زالوا يهتفون .

ولم نجد كلمة نتقدم بها للأمة العربية ، تقدم بها سمو الشيخ جابر ، ولي عهد الكويت ورئيس وزرائها ، مثل الكلمة التي ألقاها سموه ارتجالا في مجلس الأمة الكويتي على اثر مبايعة المجلس اياه :

في هذه اللحظات التي تغمرني فيها الغبطة بتزكية حضرة صاحب السمو اميرنا المحبوب اياي وليا للعهد ، وبمبايعة اخواني أعضاء مجلس الأمة الموقر ، اشعر بمزيج من السعادة والمسؤولية معا ، فليس اسعد لانسان من أن يحظى في وطنه بثقة عاهل الدولة وممثلي شعبها الكريم،وبقدر الثقة تكون المسؤولية ويكون الاحساس بها ، ولهذا لا يسعني الا أن أسأل المولى جل وعلا وانا اشكره على فضله أن يمدني بعون من عنده ، حتى أكون عند حسن الظن والثقة بي لأخدم وطني وامتي العربية المجيدة ، راجيا ان اسجل من اعماق القلب في هذه المناسبة شكري الجزيل لحضرة صاحب السمو اميرنا المفدى ولمجلسكم الموقر مسترشدا بقوله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـــون » .

فلسمو وليّ العهد من « العربي » أخلص التهنئة ، وللأمة الكويتية توفيق مضطرد دائما ابدا ان شاءَ الله .

المحـــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكى

القسم العام :

استطلاعات [illegible] مصورة :

لغات وآداب :

[illegible]

[illegible]

ركن الذرة والفضاء :

طب وعلوم :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

العربى

[illegible]

ALARABY = No. 92 July 1966 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

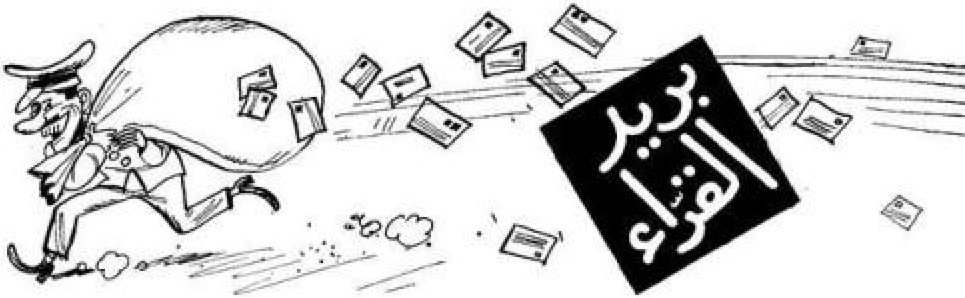


صورة الغلاف :

● لم تعد الفتاة السودانية تقنع بالبقاء فى البيت بعد اتمام مرحلة الدراسة الثانوية ، فى انتظار العريس . انها تريد اليوم ان تكمل تعليمها الجامعي أولا . ان ٧٠٪ من طالبات مدرسة البنات الثانوية بمدينة الابيض عاصمة مديرية كردفان ، يفضلن الدراسة الجامعية على الزواج الباكر .
(اقرا الاستطلاع الذى تقدمه لك بعثة العربي من مدينة الصمغ والبحيرات)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢ر٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢ر٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت — ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



ماذا صنعنا للرد على دعايات اسرائيل ؟

● لست ادرى هل تعرف الجامعة العربية وهل يعرف الشعب العربى والحكومات العربية ، ان ما تقوم به نحن العرب من دعاية لقضية فلسطين لا يوازى عشر معشار ما تقوم به دويلة العصابات ؟

وهل تعرف الجامعة العربية ، وهل يعرف الشعب العربى والحكومات العربية ، ان الشعوب الاوروبية ، وخاصة الشباب فيها ، لا تكاد تعرف عن البلاد العربية الا انها صحراء شاسعة تقطنها شعوب فقيرة حافية القدمين ! ولا غرابة فى جهلهم هذا لان الجماهير تقبل دائما على الصحف الرخيصة الثمن ، وهذه تكتب لصالح من يدفع اكثر ، ولذا كثيرا ما نشاهد هنا فى صحف سويسرا صورا مؤذية ومقالات منفرة عن الشعب العربى والبلاد العربية ، فضلا عن المجلة التى تصدر باللغة الالمانية وعلى غلافها بخط عريض : اسرائيل ! بالاضافة الى الافلام الاسرائيلية التى تعرض الحياة فى اسرائيل وكأنها جنة الله فى ارضه ، ومن هنا تقع الشعوب الاوروبية تحت تأثير تلك الدعايات ، ويتدافع افرادها الى مكاتب السياحة لحجز اماكن لرحلة الى اسرائيل .

بل ان اشد ما يشده العربى ان يرى نساء سويسريات مسيحيات يقفن فى الشوارع معترضات لكل غاد ورائح وهن ينادين : « برتقال يافا .. بليرة واحدة .. مساعدة لاسرائيل ! » ولا تكاد تدخل متجرا من متاجر الفاكهة او البقالة فى اى بلد اوربى حتى تجد المنتجات الاسرائيلية معروضة باسعار تقل عن اسعار المنتجات المحلية، فاذا ما اشتريت منها شيئا ، وضعه لك البائع فى كيس من الورق مطبوع عليه كلمة « اسرائيل »!!



وانى لأتساءل لماذا لا تفكر الجامعة العربية فى ان تصدر مجلة ، ولو شهرية ، باللغات الأجنبية ، لتعريف الرأى العام الاوربى بقضية فلسطين ، وللرد على دعاية اسرائيل المفضوحة التى تجد المجال امامها خاليا فسيحا ؟

ولماذا لا تقوم مكاتب الجامعة العربية باصدار النشرات المختلفة للتعريف بالبلاد العربية ، وخاصة بين الشباب الذى يقع تحت تأثير دعاية اسرائيل لأنه لا يجد من يفندها او يدحضها ؟

محمد زهير قناعة
زيورخ — سويسرا

شعور بالخزى .. فى غير موجب

● انى أطالع مجلة «العربى» بشوق شديدولك أن تعتبرنى من أنصاركم . وفى الليلة الماضية بينما كنت أقلب الصفحات ، وقفت عند صفحة١٩ من العدد ٩٠ لأقرأ « صفحة فى اللغة » وحينما مررت على موضوع «التلفاز» وجدتنى أصبحت بخزى ، وأقولها صراحة ان تعلقى بالعربى قد فتر منذ ذلك الحين ، والسبب فى هذا يرجع الى ايمانى الأكيد بما يعطيه لنا العربى ، وكأنى استكثرت عليه الغلط . على كل هاكم هذا الشرح : كلمة Television لا تتكون من ثلاث مقاطع كما ذكرتم ، انما من مقطعين هما Tele و Vision الاولى تعنى « البعيد » والثانية تعنى الرؤية ، بكلتا اللغتين الفرنسية أو الانجليزية . وانه يؤسفنى أن أقرأ شرحكم لكلمتى(فز) و (يون) الذى سبب لى ضيقا وربما ينفرج عن صدرى عندما استطلع ردكم ، هذا ولكم أطيب التحية .

دادور الخرطوم

« العربى » تأسف لأن سببنا للسيد دادورشعورا بالخزى عندما قرأ ما قلناه عن لفظ تلفزيون، وانه يتألف من ثلاثة مقاطع ، وعنده هو انه يتألف من مقطعين اثنين فقط ، تل و فزيون . وعنده ان فزيون Vision مقطع واحد .

والحقيقة ان فزيون ، هى كما قلنا ، تتألف من مقطعين ، فز Vis ، وهى مأخوذة من الأصل اللاتينى Visus وهو المشتق من كلمة Videre وهى فعل بمعنى يرى . وأما المقطع الثانى فهو I o n وهو مقطع يضاف لمقاطع اخرى ليدل على أن الكلمة اسم ، أى اسم يفيد اسما لفعل، او اسما لحالة الخ . ومثال ذلك . Fusion , translation , Correction

هكذا يقول قاموس وبستر Webster عمدة القواميس الانجليزية الحديثة جميعا .

فلعل بعد ذلك ان يكون قد ذهب عنك الخزى ،واشتد من وراء ذلك تعلقك بالعربى بعد أن فتر .

غَرناطة ... بفتح الغين لا ضمها

● طالعنا العدد ٨٩ من مجلتنا الغراء «العربى» باستطلاع فريد فى بابه عن غرناطة ، آخر المعاقل العربية بالاندلس ، ونحن اذ نزجى آيات الحمد والثناء لكل من ساهم فى هذا الاستطلاع ، نرى وفاء بالأمانة العلمية ان نعرض لمناقشة بعض النقاط التاريخية ، التى تضمنها .

اولا : لقد ضبطت (غرناطة) عنوان الاستطلاع بضم الغين ، ولكن المؤرخات العربية تذكرها دائما بالفتح ، فقد أوردها الوزير المؤرخ الأندلسى لسان الدين بن الخطيب ، فى كتاب الاحاطة تحت عنوان « فصل فى اسم هذه المدينة » ، « يقال : غَرناطة، ويقال اغَرناطة ، وكلاهما أعجمى ، هى مدينة كورة البيرة » . وفى كلتا التسميتين قد شكلت الكلمة بفتح الغين .

راجع : ص ٩٩ من كتاب الاحاطة ج ١ تحقيق الاستاذ عنان . وكذا نفح الطيب للمقرى ج ١ ص ١٥٥ .

ثانيا : جاء فى ص ٧٦ باسفل منظر احد الحمامات الغرناطية بيانا عنه ، كما يلى :

« الحمام الوحيد الباقى من حمامات غرناطة ، عمارته تدل على أنه بنى أيام الخلافة . ونحن نذكر ـ فى ظل المشاهدة والتاريخ ـ أن هذا الحمام المصور هو « حمام قصر الحمراء » ذاته ، اذ لا يوجد فى غرناطة الآن سوى حمام واحد . لا صلة له بحمام الحمراء هذا ، يطلق عليه الاسبان اسم El Banuelo بيد انه حمام متآكل متداع يمكن للزائر ان يراه فى « طريق الحزانى » عند صعوده الى تل البيازين ، بحذاء مجرى نهر جدره ،تحت اسوار الحمراء .

ثالثا : جاء فى ص ٨٢ من الاستطلاع ان« قصر السيد الموحدى يسمى قصر شفيل » بالفين نسبة الى الوادى الذى يقع قربه ، والصواب انه «قصر شنيل » بالنون لا بالفين . .

راجع : الاحاطة ج ١ ص ١٢٤ تحقيق « عنان »

ختاما : تقبلوا تحياتى واحترامى .

دكتور محمد كمال شبانة
مدرس التاريخ الاسلامى بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

حديث الشهر

شبابنا وثقافة العصر

قارئ شكا صعوبة لفظ وارتفاع أسلوب ولو درى لشكا قلة معرفة وقصور ثقافة

بقلم رئيس التحرير

■ كثيرا ما يأتيني من القارىء كتاب يشكو انه لم يفهم مقالا لأنه صعب اللغة عالي الاسلوب .

وافتش عن المقال ، واعيد قراءته ، فقليلا ما اجد مقالا فيه اللفظ صعب حقا ، واللغة جاهلية مهجورة ، وقليلا ما اجد صاحب مقال يتصيد غريب اللفظ من القواميس تصيدا ، واذ وقع على صيده ، اعتز به ، وراح يحمله الى الورق عسى ان يرتفع صاحبه في ابصار القارئين .

مقال عسير اللفظ ، سهل المعنى

لقد صادفت فيما بعث به الينا قلة من كتاب « العربي » شيئا من هذا . فاما المقال الصعب اللفظ القليل المعنى فقد رددته ، ردّ البندقة عزيزة المكسر عن ضيفي اذا علمت ان ليس وراء مكسرها الصعب شيء يؤكل يساوي جهد كسرها . ولكن من المقال الصعب اللفظ ما حرصت عليه ، لأن وراء لفظه الصعب معنى جيدا ، وثمرة فكرية لا يجوز اضاعتها . وحدث اني ضقت بالمقال الثالث لأحد هؤلاء الكتاب ، ذوي اللفظ العسير والمعنى الميسور ، فنبهت صاحبه في مزاح الى ما يصنع لفظه بالقارىء المسكين ، فما كان منه الا ان بعث لنا بمقال يسير اللفظ جميل المعنى ، تقراه فتحسب ان كاتبه انما هو كاتب غير ذلك الكاتب الاول .

وكل هذا منشور في « العربي » ، ولكن لا سبيل الى افراده في استعراض الأمثال .

مقال سهل اللفظ ، سهل المعنى ، صعوبته عند القارىء

اقول قليلا ما يأتيني المقال المشكو صعوبته ، فأجد الشكوى فيه شكوى حقة .

اما الكثير من المشكو منه من مقالات ، فأجد فيه صعوبة ، ولكنها ليست « صعوبة لفظ » ولا « علو أسلوب » كما يصف الشاكى . فاللفظ ليس بصعب ، والاسلوب ليس فيه غلو ، والمعنى واضح متصل متناسق جميل . ومع هذا يشكو منه القارىء .

ان القراءة مفاعلة بين كاتب وقارىء .

فاذا ادى الكاتب ما وجب عليه ، واضحا سهلا ، وكانت صعوبة وجب ان نبحث عن مصدرها فلعلها عند الجانب الآخر المتفاعل ، ذلك القارىء .

وقد نظرت فوجدتها كثيرا ما تكون عند القارىء بسبب نقص فى معرفته وعدم اكتمال ثقافته . وكثيرا ما يكون القارىء حديث السن لم تأذن سنونه بعد باستكمال ثقافة .

واضرب لذلك الامثال .

المثل الاول : من الادب

من القراء من يقرأ هذين البيتين :

صددت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصبحينا

يقراهما فيقول لا افهم . ان كل ما فيهما من لفظ سهل ، الا ربما اللفظ الاخير (تصبحينا) . واعين القارىء فاقول تصبحينا اى تعطينا الشراب فى الصباح يا أم عمرو . واقول هذه كانت عادة العرب فى الجاهلية ، وان هذا البيت قاله عمرو بن كلثوم فى معلقته المشهورة . اما عمرو بن كلثوم فلم يسمع به قط ، ويجد عذره الواضح فى عدم الفهم ان هذين البيتين من المعلقات ، وانهما قيلتا فى الجاهلية ، وانه لا المعلقات ولا الجاهلية ولا كل ذلك كان من همه ، وما وجب أن يكون .

عمرو بن كلثوم والجاهلية للعربى ، مثل شكسبير وعصره للانجليزى

فهذه صعوبة فى الفهم لا تكاد ترجع الى اللفظ والاسلوب ، وانما ترجع الى قلة العلم ونقص فى الثقافة . فلو ان رجلا انجليزيا لم يسمع بعمرو بن كلثوم ولم تكن الجاهلية من همه لعذرته ، فعذره واضح كالشمس الطالعة فى الضحى ووجه السماء صاف رائق . ولكن لا يجوز مثل ذلك عذرا عند عربي . انه عندئذ كالانجليزى المثقف تذكر له « هملت » فلا يدرى ما « هملت » ، او « عطيل » فلا يدرى ما عطيل . ان شكسبير وعصره للانجليزى ، مثل الجاهلية وعصرها للعربى . كلاهما من ماض ، وفى الماضى جذور الحاضر . وفى الجاهلية روائع من ادب رفيع ، قل أن تجد مثله فى الادب الحاضر .

عتاب غاية فى الرقة

وانظر لهذين البيتين مرة ثانية .

صددت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا

وما شر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذى لا تصبحينا

عتاب بين عمرو بن كلثوم وأم عمرو ، وهى ليست بأمه . كانوا جميعا فى مجلس ، وهى تأمر بالشراب او لعلها تدور به . وادارت الشراب بين الحاضرين شمالا ، وكان مجراه يمينا ، حتى لا يكون عمرو فى شرف التقدم أولا .

عتاب غاية فى الرقة . لم يقل لها

انها اخطأت . كل ما قاله انه لم يكن شر الثلاثة. لم يقل حتى انه خير منهم .

وهما بيتان ، كما هما للادب فى كل عصر ، فهما كذلك للتاريخ . ان المرأة فى الجاهلية كان لها مكانة ربما كانت أرفع مما كان للمرأة العربية فى بعض ما تلا ذلك من قرون .

جليلة بنت مرّة

واستطرادا ، اذكر من نساء العرب جليلة بنت مرة . امرأة كان لها فى قومها راس مرفوع وصوت مسموع . وتزوجها كلَيب بن ربيعة ، ذلك الذى قيل عنه فى المثل اعز من كليب وائل. وساد قومه. ثم دخله زهو شديد ، حتى كان من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى احد حماه . واذا جلس لا يمر احد بين يديه اجلالا له .

وحدث ان كليبا دخل على امرأته جليلة يوما فقال لها : هل تعلمين على الارض احدا امنعَ مني ذمّة ؟ فسكتت .

ثم اعاد عليها ثانية فثالثة ، فقالت نعم: اخي جَسّاس بن مرة .

وكان لجساس خالة اسمها البَسُوس، نزلت عنده . واختصارا حدثت أحداث كثيرة انتهت بأن شاء كليب أن يذلّها هى واهلها، فضرب فَصيل ناقتها بسهم وهو رضيع ، فأرداه . فلم يثر ذلك بكرا . فرمى ناقتها فى ضرعها ، فعادت الناقة هالعة الى البَسُوس وقد اختلط دمها بلبنها . فصاحت صيحة العرب المعروفة : واذلاّه يالَ بكر .

والتقى جساس بكليب، فجرت بينهما مناوشة ، انتهت بأن عطف جساس فرسه وطعن كليبا طعنة نافذة .

وبذلك قامت حرب البسوس التى استمرّت أربعين عاما .

واجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت كلَيب : رحّلى جليلةَ اختَ جساس عن مأتمك فان قيامها فيه شماتةٌ وعار علينا عند العرب . فخرجت جليلة عن المأتم وهى تجر اعطفتها ، وسارت الى مضارب اهلها. وانطلقت من تلك المضارب

ان شكسبير وعصره الانجليزي مثل الجاهلية وعصرها للعربي ، وفى الجاهلية روائع من ادب رفيع



قصيدتها الرائعة التى ترثى فيها زوجها، ولا تقسو على اخيها . وفيها تقول :

يا قتيلا قوّضَ الدهــــرُ بـه
ركـن بيتـى جميعا من عَـــلِ

هـــدم البيتَ الذى استحدثته
وانثنى فى هــدم بيتى الأولِ

نعم كان لها بيتان ، بيت استحدثته ، هو بيت زوجها ، وقد انهدم . ثم بيت ابيها وأهلها وذويها وهو بالحرب صائر الى التهدم .

فهذه هى أيام الجاهلية التى لم تكن من همّ صاحبنا القارىء العربى . ولو انها خرجت عن همّ قارىء واحد لهان الأمر ، ولكنها خرجت عن هم الكثير .

ولقد كانت من همنا نحن ، شبانا وشيبا ، فى تلك الأيام الغابرة، الذواهب.

انه جيل جاء من بعدنا ، دهمته سرعة الحياة ، وغمرته المدنية غمرا حتى ما تكاد تستقر فى فيضها المتدفق قدماه ، وراح يحسب انها مدنية ، فى أدب وفى غير أدب ، دانية الثمار ، ليس عليه الا ان يمدّ يده اليها ويقطف . والذين خبروا هذه المدنيةيخبرونك ان وراءها التحصيل الكثير والسهر الطويل والحفظ المتصل المستنير . انها مدنية شاقة ، يبذل الانسان فيها ، مثل ما يجنى منها وأكثر. ولكم شقىَ الانسان فيها بالعمل ، ولكم شقى ببعض ما جناه منها من ثمار .

ومثل ثان : المأمون وتحليل شخصيته

ان الحديث شجون . وأعود الى ما كنا فيه .

ومثل آخر للقارىء الذى عزه فهم ما يقرأ ، لا لصعوبة لغته ، ولكنه للذى عزّه هو من نقص فى معرفته وثقافته .

نذكر المأمـــون ، ونذكـر فى تكييف شخصيته ما كان منه من أخذ العهد للخلافة من بعهده لعلى الرضا ، وانه جاء بأكابر الناس ليبايعوه ، وجاء بابنه أولا ، ولىّ العهد بالوراثة ، فبايعه .ونستطرد فى تحليل النفس التى صدر عنها كل هذا.

ولكن القارىء الذى نعنى يقرأ ولايفهم . هو فهم كل ما بالجمل من معنى . ولكنها معان تستند الى معان سابقة ، مفروض ان تكون عند القارىء . معان تتصل بالتاريخ العربى ، منذ مات النبى (ص) ، وما دب بالخلاف من بعده . وبما وقع لعثمان وعلى . وما كان من أمر معاوية . ثم ما كان من قتل على وابنه الحسين . ثم التشيّع الذى كان . ثم المتاهات التى سارت فيها الأمةالعربية والاسلامية بعد ذلك والخلافات .

وكان على القارىء ان يكون قد علم على الأقل بأن على الرضا هو أحد ائمة الشيعة الذين تنتهى أنسابهم عند على ابن ابى طالب من فاطمة الزهراء .

وجهل القارىء كل هذا فلم يستيقظ الى خطورة ما يقرأ ، ولا الى ضرامة هذه الفواعل التى كانت تفعل فى رأس المأمون، فتصده عن مجار فى الذهن جرت فيها على العادة أفكار الخلفاء والملوك ، فراح يتنكر لزمرته من اهل العباس عم النبى الكريم .

جهـلَ هذا القارىء جهـلٌ بالتاريخ العربى الشائع،الذى يلتقى به فى طرُقات الثقافة منثورا منشورا كلّ عابر سبيل.

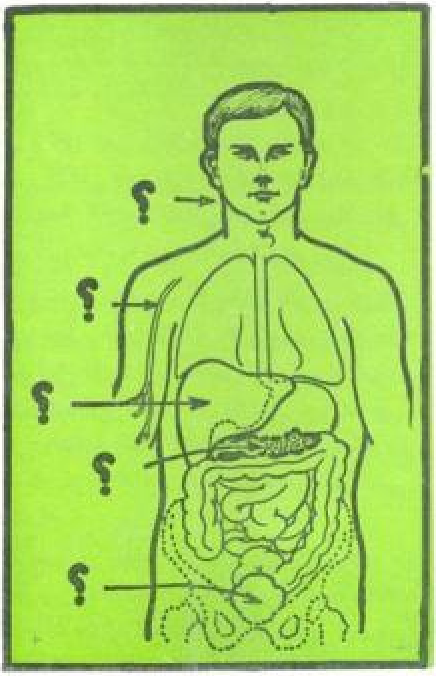
ومثل ثالث : فى الهضم والجهاز الهضمى

ومن الأدب والتاريخ ننتقل الى معنى من معانى الحياة العادية الجارية .

ونتحدث عن الهضم وما يجرى فيه ، وهذه عملية يحملها كل انسان فى بطنه،

تجرى فيه وهو نائم ، وهو قائم ، وهو فى مكتبه يصرف أعماله،او وهو فى المحكمة يتهم متهما أو يدفع اتهامه . فى كل وقت وفى كل ساعة ودقيقة يجرى الهضم فى جوفه ، وتتوزع مهضوماته على سائر اعضائه فتنتج الفكر ، وتنتج الكلام ، وسائر مناشط العيش .

هذا الهضم نتحدث فيه ، ونذكر ان الأطعمة ثلاثة : بروتينات ، ونشويات" سكريات ، ودهون . ونبدا نصف انحلالها فى الهضم ، فيصرخ القارىء : انى لا افهم .



الناس تسعى فى الحياة ، وهى تحمل فى جوفها أعضاء كثيرا ما لا تفهمها ، ولا تعلم بالدقة ما وظائفها . وقد وضعنا على بعض هذه الاعضاء علامات استفهام ، فحاول" أن تعرف ما هى ، وانظر بعدئذ ما موضعك من الثقافة ، ثقافة جسمك .

وبالطبع هو لا يفهم ، لانه لا يعرف حتى الفرق بين الحامض والقلوى ، او لو كان عرفه فقد نسيه . ثم هو قد لا يعرف الفرق بين المواد المعدنية والمواد العضوية، ولا الامينات ولا الانزيمات . وهو لو عرف شيئا عن الهرمونات والفيتامينات ، فانها اشياء عجيبة ، يجب أن يصحب ذكرها التعظيم والتفخيم والاكبار .

وبالطبع كذلك هو لا يفهم عن الجسم واعضائه وتشريحه ، وأجهزته الدموية والهضمية والبولية ، وغدده الصماء وغير الصماء الا شيئا قليلا ، صار من الترك وعدم القراءة شيئا كالضباب فى انسياحه وانبهامه . وليست حادثة رئيس المحكمة الذى شكا الم الاعور وقد وضع يده على جانب بطنه الايسر بالحادث البعيد .

كيمياء الحياة ، وعلم الجسم وعلم الحياة ، كانا جديرين بان يكونا فى مقدمة الثقافة التى ينسقاها الطالب ، لا من حيث الدور والترتيب ، ولكن من حيث الخطورة . وكيف يكون رجلا مثقفا وهو يحمل جسما يدور به فوق رجلين ، فى شتى مسالك الحياة ، وهو لا يدرى ما يجرى فيه !

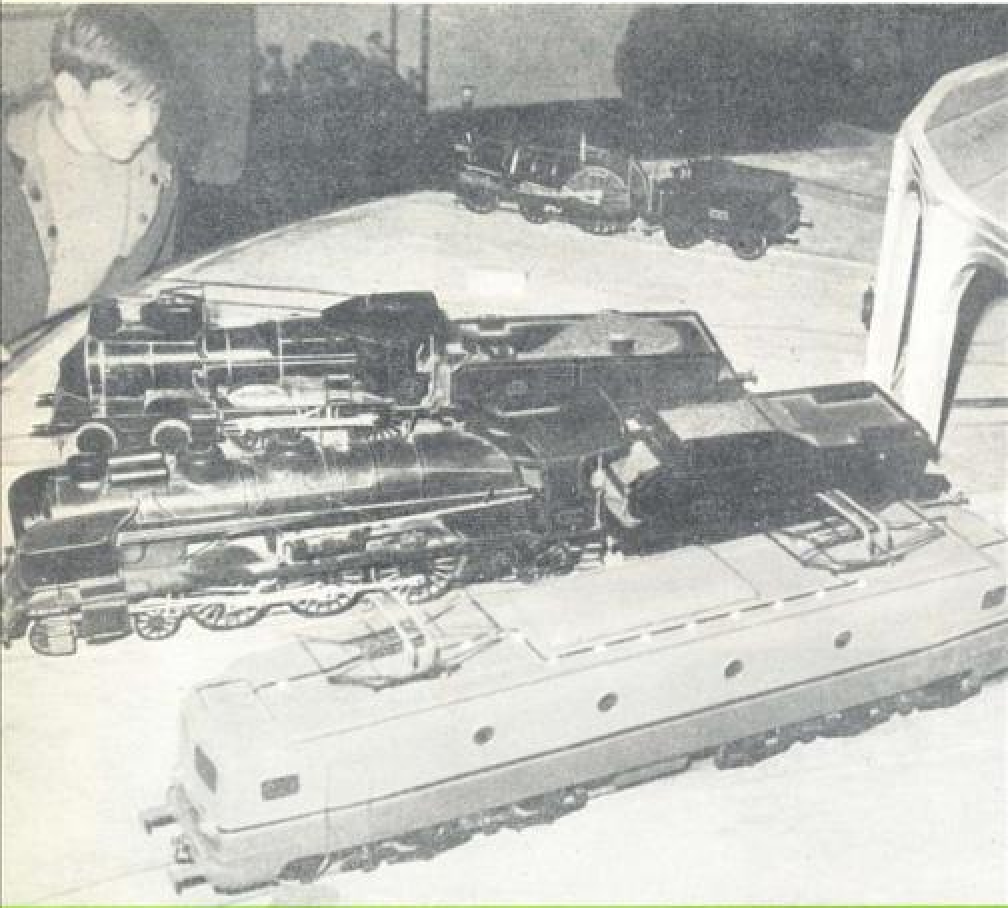
حدثت شابا مغرما بالشعر فى هذا ، فقال انا شاعر ، فمالى وما للعلم . قلت له ان جسمك اقرب اليك من شعرك . وشعرك فى حاجة الى هذا العلم وان لم يظهر فيه .

ومثل رابع : الكهرباء

نأتى على صناعة الكهرباء التى تصدرت صور القوى جميعا فى هذا العصر، وانتجة الحضارة جميعا فى هذه الحياة .

ويقول قارىء انه لا يفهم .

ولو اننا أردنا منه ان يفهم بالقدر الذى



هكذا يعلم اهل الغرب اولادهم اسس المدنية التى صنعها اباؤهم ، فى المدارس ، وبالمتاحف . وهذا صبى يتفحص قاطرة للسكك الحديدية ، قد سبق أن درس كيف تدور بالبخار ، وهو هنا يطلع على انواعها ، ونماذجها ، وكيف تقدمت وتحسنت وكانت اكثر كفاية على السنين .

يكون به مهندسا كهربائيا لو قع احتجاجه منا موقع الفهم ، فنحن انما نريد أن يفهم بالقدر الذى وجب أن يفهمه انسان يعيش فى هذا الزمان . الانسان المثقف بمعنى هذا الزمان . نريد أن يفهم منه بالقدر الذى يفهمه الشاب الاوربى ، المغمور فى فيض هذه المدنية ، وقد بلغ السادسة عشرة او الثامنة عشرة . ونحن فى حديثنا هذا انما نتوجه للشباب من القراء فى هذه السن الطرية فما فوقها ، ليصلحوا من امر جاز انه لم يكن عندهم قد تم ، ويسدوا من ثغرة قبل فوات الاوان .

وهذا القارىء الذى قال انه لا يفهم ، هو حقا لم يفهم .

تذكر له الأثر الذى يحدث فى السلك اذ تحركه فى المجال المغناطيسى فلا يعلم .

وتذكر له التربين ، تلك العجلة التى

تحدث هذه الحركة التي تولد الكهرباء ، فتجده لم يسمع قط بالتربين . وتسأل الصبي الفرنسي والايطالي والروسي ، وهو في العاشرة فيأخذ يشرح لك أنواعه .

ونذكر لهذا القارىء ، الذي اتخذناه مثلا ، نرجو أن لا يكون الا قلة بين شبابنا من القراء ، نذكر له الفلط والأمبير والكيلو وط ساعة ، فلا يدري من ذلك شيئا . مع انه هو في بيته ، بل ابوه ، انما يدفع أجر ما استهلك من كهرباء بناء على هذه الأشياء .

ومثل خامس : تضخم النقد وانكماشه

ومثل خامس

النقد ، عصب الحياة ، والذي تتمثل فيه أرزاق الناس .

انه يتضخم ، فما معنى أنه يتضخم .

وانه لينكمش احيانا ، فما معنى انكماشه .

والحكومات تدخل فيه فتضخمه او

هذه هي بورصة الاوراق المالية في طوكيو عاصمة اليابان ، هل تعرف الغاية من عملها ؟ وهل تدري من هؤلاء الرجال الذين يعملون فيها ؟ وكيف تؤثر البورصات في اقتصاديات البلاد ؟ وكيف تؤثر بورصة في الشرق في بورصة في الغرب ؟ وأي اقتصاد يؤذن فيه بقيام مثل هذه السوق ؟ ان الثقافة الاقتصادية وجب ان تكون بعض ثقافة الرجل الذي يعيش في هذا القرن الحاضر .



تكمشه ، فكيف تفعل ذلك ، ومتى تفعل، ولأى هدف ترمى .

واثمان الحاجات تزيد ، وتبقى الأجور ثابتة ، ويغضب أصحاب الأجور الثابتة، وهم كثرة فى الشعوب ، فيحتجون ، وقد يعتصبون ، كما هم اليوم معتصبون وانا اكتب هذا ، فى فرنسا ، وفى انجلترا .

فما العلاقة بين أثمـان الحاجـات والأجور ، وهل ترتفع هذه كلما ارتفعت تلك .

صاحب الحاجة يبادر فيقول نعم يجب أن ترتفع .

وصاحب العلم الاقتصادى يتردد . لأن هذه الاثمان لها علاقة بالانتاج، فكلما كثر الانتاج رخصت اثمان الحاجـات ، وكلما قل الانتاج غلت أثمان الحاجات . ولكن من يقوم بهذا الانتاج؟ انهم العاملون الشاكون . فهل هم وحدهم المسئولون عن قلة الانتاج ؟ بالطبع يشركهم فى ذلك رؤساء فى الدولة مخططون ، ويشـركهم فنيون وعلماء مبتدعـون ، يبتدعون ما يتنافسون به فى السوق ، سوق العالم . فلم تعد الأسواق اليوم مغلقة على نفسها.

شئون الاقتصاد كثيرة يجب أن يعيها كل مثقف ، وكل عامل ، وكل عالم ،حتى يسود الوئام فى البلد الواحد ، وينصرفوا الى جذور هـذه الشرور فيحسموها . وبالابتداع يحسمون ، وبالاختـراع ، وبحسن الادارة .

ولا ننسى العرق الصبيب . فهـذه الحياة عرق صبيب. انه العرق الصبيب او الفقر الذريع . ومن أجل هذا وجدنا اكثر شعراء هذا العصر فقراء . لأنهم عدوا النزول ، من ابراجهم التى اقاموها عالية ، الى الارض الدنية ، يتفهـمون الحياة كيف تجرى،والمال كيف يتحصّل، والانتاج كيف يكون ، والأمعدة كيف تملأ والأجسام كيف تكتسى ، انما هو هبوط الى عالم المادة، عالم الانحطاط والتردى.

المادية والروحيـة

واعجب ما أعجب له حديث بعضـهم فى هذا الصدد ، عن المادية والروحية .

حديث الاقتصاد عنـد الروحانيين حديث مادة . وعجلات الصناعات انما تجرى بأصوات منكرة ، لأنها تخرج عن مادة . ومع هذا هم لا يرفضون ثمرات المادة : المائدة العامرة ، واللباس الأنيق، والسيارة الفخمة .

كل هذه الأشياء يصنعها الماديـون ، ليتفرغ بها للروح غيرهم من الروحانيين.

وعندى ان رجلا عاملا ، يقف الثمانى الساعات كل يوم امام آلاته ، تتسخ يده بمسها ، وينال قميصه غير المحمود من زيتها ، ويعود فى آخر اليوم الى بيته، ينفق مما كسب على أهله ، طعاما هنيئا وكساء سابغا ومسكنا طيبا ، وترفيهاً ما استطاع ترفيها ، ويسجد لله يحمده على ما كسب ، هذا الرجل ، وهو يعمل فى المادة ، لينعم هو واهله بالمادة ، روحانى فى الصـفوف الأولى من الروحانيين ، وحسبه من روحانيته انه أحيا بعملـه ، فى المـادة ، لانتاج المادة ، أرواح ذرية مساكين . وكل ذرية مسكينة ، لأنها على الصفر بالعجز موسومة . ■■

احمد زكى

عَوْدُ على بَدْء

بقلم
أحمد السقاف

كنت قد كتبت لمجلة « العربي » القراء عن شعر الدّيارات (١) ، وقلت فى نهاية الحديث عنها أن من يرغب فى المزيد يمكنه الرجوع الى ما ألف فى أخبار الدّيارات النصرانية ، ولكني رأيت أن أعود الى الكتابة عنها تتمة لما كتبت فى العدد (٩٠) ، ذلك انى رأيت ان حديثى عن شعر الدّيارات النصرانية كان موجزا الى ابعد حدود الايجاز ، فى حين ان شعر الديارات النصرانية يحتاج الى بحوث مستفيضة ، أما العجالات فانها لا تزيد العطاش اليه الا عطشا . ومهما كان الامر فانه ليرضيني كل الرضا ان اكون قد اثرت الاهتمام بهذا النوع من الشعر، كما يرضيني فى الوقت نفسه التعريف العاجل بأولئك الشعراء وتقديمهم للقارىء الكريم كما يتم التقديم فى حفلات التعارف ، بشكل مختصر سريع .

ان شعراء الديارات فنانون حقا ، وان ما خلفوا من شعر جميل أصيل ليستأهل أن يكون مثالا حيا للابداع ، فلقد تجرد أولئك الشعراء من الاقنعة المزيفة فكانوا صادقين فى وصفهم لأنفسهم ، وفى وصفهم لحياتهم وحياة الآخرين .

ان الفنان الحق هو ذلك الفنان الذى تأبى عليه أصالته الفنية أن يغني حيث يجب ان ينوح ، أو ان ينوح حيث يجب ان يغني ، كما تأبى عليه روحه الملهَمة أن يخادع ويزيّف فيما يرسم من مناظر الحياة ، ولذلك كان يجن جنونُ كبار القوم حين يسمعون شعرا نابعا من القلب يجيش بأصدق المشاعر والانفعالات، ولربما وهب أحدهم شاعرا من الشعراء بضعة آلاف من الدنانير لبيتين أو ثلاثة .

ابن هاشم الموصلي فى دير سعيد

وفى اعتقادى ان شعر الديارات كله شعر جميل ، وكلّه نابعٌ من اغوار

---

(١) الدّيارات : بتشديد الدال وكسرها ثم ياء مفتوحة دون تشديد مقرونة بألف مد ، جمع لدير ، وأظنه جمعا غير مألوف أطلقه بعضهم فى العصر العباسى أو أن يكونوا قد اعتبروا الدير دارا فيكون الجمع المذكور صحيحا .

النفس ، فلا تكلف ولا تقعر ، ولا خشيةولا رهبة ، ولذلك كان أكثره مما يتغنى به لسلاسته وعذوبته ولما فيه من تعبيرات صادقة شجية . ولا اكون مبالغا ان قلت ان اكثر شعر الديارات شعر راقص يحس المرء بكل كلمة من كلماته تهتز طربا ونشوة ، وسيجد القارىء الكريم في الابيات الآتية مصداقا لهذا القول :

قد طَفَحَ القلبُ بالهموم فــانْ ... طُفْتَ بكأسٍ فهاتِها تَطْفَـح
في جُنُحِ ليلٍ تُرى كواكبُـهُ ... وهي إلى الغربِ كلُّها جُنَّـح
نراك تنسى سرورَ يومـك فـي ... ديرِ سعيدٍ وظلّـهِ الأَفْيَـح
علـى بساطٍ من البنفسجِ قـد ... ألقى من الوردِ فوقـه مَطْـرَح

ولا شك انها أبيات جميلة راقصة وهي للشاعر الموصلي محمد بن هاشم الخالدي خازن كتب سيف الدولة في دير سعيد . وقد كان دير سعيد من اجمل ديارات الموصل واكثرها اعتناء بالحدائق وزراعة الرياحين والازهار ، وأن كل كلمة من كلمات كل بيت لتدل على سمو ذوق الشاعر وبراعته في اختيار اللفظ الرشيق والمعنى الأنيق ، كما ان اختياره لهذه القافية وهذا الوزن كان رائعا بكل ما تحمل الكلمة من معنى ،ولا شك بعد هذا كله أن كل بيت من هذه الابيات يصلح لأن يتغنى به ساعات وساعات .

ابن المزرَع في دير الطور

اما المهلهل بن يموت بن المزرَع فانه يصف الوقت الجميل الذى قضاه مع رفاق له في دير الطور فيقول :

مضيت إلى الدير في فتيـــةٍ ... سراع النهوضِ إلى ما أُحِـبْ
كرامُ الجدودِ حسانُ الوجـوه ... كهـولُ العقولِ شـبابُ اللّعِبْ
فأيُّ زمانٍ بهم لـم يُسَـرْ ... وأيُّ مكانٍ بهـم لم يَطِـبْ
أنختُ الركابَ على ديـره ... وقضَيْتُ من حقّه ما يَجِـبْ
وانزلتُهُمْ وسـط أعنابِـه ... وأسقيتُهم من عصـيرِ العنب
وما بين ذاك حديثٌ يـروقُ ... وخوضٌ لهم في فنـون الأدب ..
فيا طيبَ ذا العيشِ لو لم يَـزُلْ ... ويا حُسْنَ ذا السعدِ لو لم يَغِبْ

هكذا رفاقه ، من سراة القوم ، ومن احسنهم شكلا ، واكملهم عقلا ، وانشطهم لهوا ولعبا ، فالزمان بهم سعيد، والمكان الذى يقصدون يصبح جميلا بهم طيبا بنزولهم فيه .

وهو في هذا يذكرني بالحسن بن هانيء ـ استاذ شعراء الديارات ـ فرفاقه ابدا من السادة النجب ، وهل يمكن ان يرافق الحسن بن هانيء سوى ذوي المكارم وأرباب الحسب والنسب، أليس هو القائل :

طربنا إلى خمرٍ وقصفِ الدَّساكرِ ومنزلِ دُهقانٍ بها غيرِ داثرِ
بفتيانِ صدقٍ من سراةِ ابن عامرٍ وأزدِ عُمَانٍ ذي العُلى والمفاخرِ
فلما حللناها نزلنا بأشمطٍ كريمِ المُحيّا ظاهرِ الشركِ كافرِ
له دينُ قسيسٍ وتدبيرُ كاتبٍ واطراقُ جبّارٍ وألفاظُ شاعرِ
فحيّا وبيّا ثم قال لنا و ارتعوا نزلتم بنا رَحْباً بأيمنِ طائرِ،

الى آخر القصيدة .

وابن عاصم المصري في دير القصيّر

ويأتي محمد بن عاصم المصري ليحدثنا في أبياته الآتية عن الايام الحسان التي قضاها في دير القصيّر فيقول :

انَّ ديرَ القُصيّرِ (٢) هاج ادكاري لِهَوَى ايامنا الحسانِ القصارِ
وكأني اذ زرتُه بعد هَجرٍ لم يكن من منازلي وديارى
اذ صعودي على الجيادِ اليه وانحداري في المنشآت الجواري
منزلاً لستُ محصياً مابقلبي ولنفسي فيه من الأوطار
منزلاً من علوه كسماءٍ والمصابيحُ حوله كالدراري
كم شربنا على التصاوير فيه بصغارٍ محثوثةٍ وكبار
صورةٌ من مصورٍ فيه ظلّت فتنةٌ للقلوب والابصار
لا وحسنِ العينين والشفةِ اللمياءِ منها وخدِها الجُلّنـاري
لا تخلفت عن مزاري ديراً هي فيه ولو نأى بي مزاري
فسقى اللهُ أرضَ حلوانَ فالنجد فدير القُصيّرِ صَوْبَ العشار
كم تنبهتُ من لذاذة نومي بنعيرِ الرهبان في الاسحار
والنواقيسُ صائحاتٌ تنادي حي يا نائماً على الابتكار

---

(٢) القصير : بضم القاف وهذا الدير كان يقع قرب حلوان .

لست ادرى اى بيت أعرض ليكون نموذجا لروعة هذه القطعة . ان كل بيت من ابياتها لتزهو فيه الكلمات والحروف بما حباها الابداع من روعة وجمال ويكفي أن نستعيد بعض الابيات كقوله :

وكأني إذ زُرْتُهُ بعد هجر ... لم يكن من منازلي وديارى

وقوله :

منزلاً من علوه كسماء ... والمصابيحُ حوله كالدرارى

وقوله :

لا وحسن العينين والشفة اللمياءِ منها وخدها الجلنارى
لاتخلفتُ عن مزارى ديراً ... هي فيه ولو نأى بي مزارى

وفي دير شعران

ثم لنترك دير القصير وارض حلوان ولنتوجه الي دير شعران وهو من ديارات القاهرة في سفح جبل المقطم ولنستمع لهذه القصة التي يرويها ابن فضل الله العمرى في كتابه « مسالك الابصار » بصدد الحديث عنه .

يقول ابن فضل الله العمري ان هذا الدير كان متطرحا لشاعر رقيق يدعى السراج الوراق ، وانه كان يغشى فيه راهبا كامل العقل وافر الفضل ، فخرج اليه كعادته ذات يوم في جماعة من أهل الادب ، ولم يبق من شعبان الا القليل ، فوجدوا الراهب قد ترك الدير وساح ، فندب السراج اليه راهبا من شباب الدير ليتبعه وكتب معه هذه الابيات :

أبلغ الفاضلَ الرئيسَ السلاما ... شقَّ عن زهره الصباحُ كماما
قل له : ايها الحكيمُ الذى في ... دين عيسى قد برهن الاحكاما
كم رقبناك كالهلال الى أن ... لُحتَ للناظرين بدراً تماما
يا أبا الملّةِ المسيحيةِ ارحمْ ... معشراً مذ ظعنت عنهم يتامى
فُطِموا من رضاعِ كأسِ الحُمَيَّا ... وهي انكى للمرضعين فطاما
عدموا راحةَ النفوسِ من الرا ... حِ فدارِكْ بالأنفس الاجساما
وأطالوا حبسَ المدامةِ في الدنِّ ... ويكفي حبسُ المدامةِ عاما
ودعا الديكُ للصبوح فهبّوا ... كالمحبين لايعون الملاما
فاسقهم من سُلافة تطردُ الهمَّ ... وعجلْ لهم بذاك اهتماما
وعسى قائل يقولُ لحظى ... ونصيبي أطلتَ في ذا الكلاما
كذب المدعي وآخرُ شعبانَ ... يناديني الصيامَ الصياما

خالد بن يزيد ودير سمالو

ويطيب لي وانا اتحدث عن شعر الديارات أن أورد ما رواه خالد بن يزيد الكاتب قال : انه كان بدير سمالو (٣) فلم يشعر الا ورسول ابراهيم بن المهدى قد وافاه فذهب اليه فاذا برجل مشفراني (٤) قد غاص فى الفرش فاستجلسه ثم قال له : انشدني شيئا من شعرك فانشده :ـ

رأت منه عيني منظرين كما رأت ... من البدر والشمس المضيئة بالأرضِ
عشية حياني بورد كأنه ... خدودٌ اضيفت بعضهن إلى بعضِ
ونا ولي كأساً كأن رضابها ... دموعي لما صدَّ عن مقلتيّ غُمضي
وولى وفعلُ السكرِ في حركاته ... من الراحِ فعلُ الريح بالغصن الغضّ

فزحف حتى صار فى ثلثي المصلى ،ثم قال له : يا بني شبه الناس الخدود بالورد وشبهت انت الورد بالخدود !واستزاده فانشده هذه الأبيات :

عاتبتُ نفسي في هواك ... فلم اجدها تَقبَلُ
واجبت داعيها اليك ... ولم أُجِبْ من يَعذِلُ
لا والذى جعل الوجوهَ ... لحسن وجهك تمثلُ
لا قلتُ ان الصبرَ عنك ... من التصابي أجملُ

فزحف حتى صار خارج المصلى ،واستزاده فانشده هذه الابيات :

عش فحبيك سريعاً قاتلي ... والهوى ان لم تصلني واصلي
ظفر الحب بقلبٍ دَنِفٍ ... بك والسقم بجسم ناحل
وبكى العاذلُ لى من رحمتي ... فبكائى من بكاءِ العاذل

فصاح وقال يا غلام اعطه ما عندك من الدنانير فاعطاه ما كان لديه منها ، وخرج خالد بن يزيد يجرر أذيال السعادة . وليس فيما رواه هذا الشاعر ما يدعو الى الغرابة، أو العجب، فابراهيم بن المهدى خير من يتذوق الشعر الجيد الرقيق ويطرب له ، فهو شاعر وأديب ،ومغن ذائع الصيت ، ومطرب من كبار المطربين فى عصره ، كما أن أبا الهيثم خالد بن يزيد الكاتب من الشعراء المجيدين فى

---

(٣) كان يقع دير سمالو شرقي بغداد على نهر المهدى .
(٤) كان ابرهيم بن المهدى ضخما غليظ الشفتين .

الغزل والوصف ، وممن كانوا يقصدون دير سمالــو ويستوحون منـه الكلمـة العذبة والمعنى الرائع ، وهو القائل فيه :

يامنزلَ القصفِ في سمالـــــو ما لي عن طيبك انتقـــــالُ
واهاً لأيامــك الحوالـــــى والعيشُ صـافٍ بهـــا زلالُ .

ومن اجمل ما قرات لهـذا الشاعر قـوله :

محبٌ شفّهُ ألمُــــــــهْ وخامر جسمَـــهُ سـقمُـهْ
وباحَ بمـــا يجمجمُـــــهُ من الأسرار مُكتتَمُـــهْ
أما ترثـــى لمكتئــــبٍ يُحبُّكَ لحمُهُ ودمُـــهْ
يغارُ على قميصِـكَ حيـــــنَ تلبسُهُ ويتهمُـــهْ

واذا كنت قد بدات الاستشهاد بأبيات جميلة للخالدي الكبير (ه) فانني أرى أن أختتم هـذه النماذج بأبيات للشـاعر نفسه يذكر فيها الاسباب التى تدعوه الى التردد على الأديرة ومنادمة الرهبان فيها فيقول :

محاسنُ الدير تسبيحي ومسباحـــى وخمرهُ في الدجى صبحي ومصباحي
اقمتُ فيـه إلى ان صـار هيكلُـهُ بيتي ومفتاحُه للحسن مفتاحـــى
منادماً في قلاليه رَهابنـــــةً راحت خلائقُهم اصفى من الــراح
قد عدّلوا ثِقَلَ أديـانٍ ومعرفةٍ منهم بخفةِ ابـــدانٍ وارواح
وشحّوا غُرَرَ الاداب فلســـفةً وحكمةً بعلومٍ ذاتِ ايضـــاح
في طبِ بقراطَ لحن الموصليّ ، وفي نحوِ المبرّد اشعار الطرمّـــاح

ولعمرى انها لأسباب معقولة ومقبولة جدا فان منادمة امثال هؤلاء ومساجلتهم فى شتى صنوف المعرفة لما يُشدّ لـه الرحال وتستعذب من اجله المشـقات فى كافة الظروف والاحوال ، فكيف اذا كانت هذه المنادمة ميسرة كل اليسـر لا سيما لمن كان فى منزلة هذا الشـاعر الكبير . ■■

الكويت ــ **أحمد السقاف**

(ه) الخالدى الكبير هو ابو بكر محمد بن هاشم والخالدى الصغير هو اخوه الشاعر ابو عثمان سعيد بن هاشم الخالدى .



نغمة التوازن والاعداد للعدوان

عن صحيفة الاهرام القاهرية :

● كل الحجج والأسانيد التى تروج لها أبواق الدعاية الأمريكية والصهيونية تبريرا لتسليح اسرائيل ، لا تخفى النيات العدوانية المدبّرة ضد قلاع التحرر فى الشرق العربى .

الا أن خبرة النضال الثورى ، فى عالمنا المعاصر ، تثبت بصورة قاطعة من نماذج حيّة وعلى أسس علمية ، أن السلاح وحده لا يقهر شعبا ، خاصة اذا وضع ذلك السلاح فى أيدى قوى أجنبية مستوطنة معتدية، فى مواجهة أمّة عقدت العزم على تحرير ارضها من المستعمرين وتحرير ثرواتها من المستغلين .

الحوار بين العرب والاتراك

عن صحيفة المنار العراقية :

● ان بيننا وبين تركيا حوارا خالدا نحرص على احترامه،ودينا سمحا نؤمن به جميعا ، ويؤلف بين قلوب الشعوب الاسلامية ــ وخاصة الشعبين العربى والتركى ــ فى تاريخ مشترك ، تاريخ المحبة والكفاح الشريف لاعلاء كلمة الله .

ولا نشك اننا والأتراك فى هذه المنطقة نواجه ظروفا متشابهة ، ونعيش آمالا مشتركة فى تحقيق الرفاه لشعوبنا ، وتوفير الامن والاستقرار والسلام فى الشرق الأوسط، فى ظل احترام المصالح المتبادلة، واقامة قاعدة الند للند فى التعامل الدولى .

اخطاء شائعة

عن صحيفة العلم المغربية :

● من الخطأ الذى شاع وذاع فى الصحافة وعلى السنة الناس قولهم الزيجة للزواج ، فيكتبون مثلا زيجة وزيجات سعيدة وناجحة أو فاشلة وهم يريدون زواجا موصوفا بما ذُكر .

والغالب انهم يقصدون فى ذلك الى الهيئة ، ومصدر الهيئة الذى يكون على وزن (فِعْلة) بالكسر انما يأتى من الثلاثي لا من الرباعي . والمادة التى نحن بصددها فعلها رباعي فلا يصح ان يأتى منها مصدر للهيئة ولا للمرة على وزن فعْلة . والصواب أن يقال زواج سعيد أو ناجح مثلا او يقال زوجية على طريقة المصدر الصناعى وتوصف حينئذ بما يراد وصفها به .

(اسرائيل) ودول شرق أوربا

عن صحيفة عمان المساء الاردنية :

● اليهود فى الغرب فقط مترفون ومسيطرون. أما فى دول المعسكر الشرقى فلا يعدو وجودهم نطاق المواطن العادى، ان لم يكونوا موضع الحذر والريبة لكثرة منظماتهم ونشاطهم الذى يسير دائما فى فلك الدولة الاسرائيلية . وتشعر (اسرائيل) دائما بمرارة لهذا الحجر المفروض على اليهود فى الدول الشرقية . فمنذ عام ١٩٤٠ والى الآن والعلاقات السياسية معدومة بين اسرائيل ومعظم عواصم الدول فى أوربا الشرقية ، واذا وجدت فهى غالبا ما تكون متقطعة حينا وباردة حينا آخر .

وتحاول اسرائيل منذ حين كسب المزيد من الأصدقاء لها وخاصة فيما وراء الستار الحديدى .

ولكن هل تسير الدول الشرقية كذلك مع اسرائيل فى أهدافها وأطماعها ؟ هل تتحول صداقة الشرق من العرب الى اليهود ؟!

هذا ما يشك به الكثيرون . واغلب الظن ان الشرق سيبقى مع العرب لانه يعتبر وجود اسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط ليس اكثر ولا اقل من قاعدة استعمارية عدوانية تعمل لحساب أمريكا وبريطانيا .

أمريكا والعمل بعقلية عام ١٩٤٥

عن صحيفة الثورة السورية :

● تريد الولايات المتحدة ان تكون حكومة بون هى الممثلة للشعب الألمانى وان يكون الحلف الأطلسى هو الحلف الوحيد والوجه الحقيقى لاوربا، وتعبت من أجل ذلك كثيرا ، فدخلت فى برامج تنمية واسعة ، ووظفت الرساميل الضخمة واستخدمت كل ثقلها المادى والمعنوى لتحول ذلك الخيال الى حقيقة!

ولولا القوة النووية التى تقف وجهها لاستعملت القوة كالعادة فى فرض مفاهيمها ولكن احدى وعشرين سنة أظهرت ان الحلف يقف على أرجل من قصب ، وان فى وجوده عدوانا على الأطراف الداخلة فيه ، مما جعل دى جول يتمرد عليه ، وأظهرت اكثر فأكثر ان حكومة بون تمثل النفوذ الأمريكى بدلا من الشعب الألمانى. ولعل محنة الحرب القاسية هى التى جعلتها تعمر الى الآن لتلعب دورا ممسوخا من الدور الأمريكى فى السياسة الدولية .

نكبة الذكرى .. فى ذكرى النكبة

عن صحيفة الأنباء اللبنانية :

● مرت الذكرى الثامنة عشرة للنكبة الفلسطينية والعرب (عربان) بل أعراب .. والفلسطينيون بالطبع عن بلدهم اغراب ! وليس بين العربين او الأعراب من يعرف اين نحن من البداية أو النهاية.

والذكرى الثامنة عشرة لضياع فلسطين هى فى الواقع اكثر ايلاما من كل سابقاتها. فبالاضافة الى الوضع العربى المتفسخ المشحون فان اسرائيل ، كما يقال ، تسير قدما فى طريق صنع قنبلتها الذرية الاولى . ■■

كيف نصنع الكهرباء

التى تنير المنازل، وتدير عجلات المصانع؟

كيف نصنع الكهرباء
التى تنير المنازل ، وتدير عجلات المصانع؟

■ سؤال قد يجفل منه القارىء لصعوبته . وهو قد يصعب على كثير من القراء لو اننا دخلنا فى تفاصيل المولدات الكهربائية العظمى ، وما نقصد الى هذا . وانما القصد اعطاء فكرة عابرة يرضى بها القارىء ويطمئن بها الى أن صناعة الكهرباء ليست كلها ألغازا .

الفكرة على بساطتها الأولى

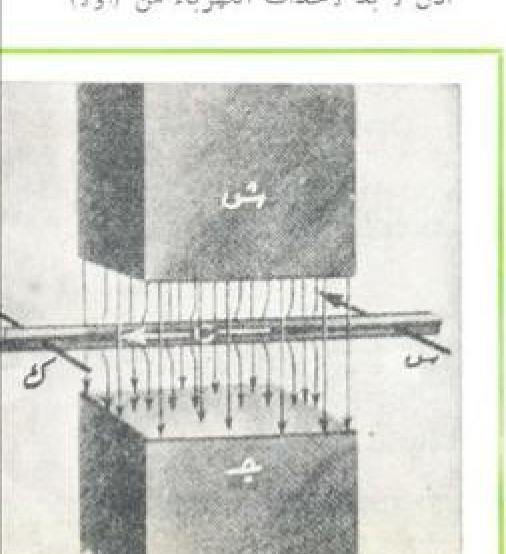
انها فكرة كشفها العالم الانجليزى المعروف فاراداى Faraday (١٧٩٠ — ١٨٦٧ م) . اكتشف أنك لو حركت سلكا من النحاس مثلا بين قطبى مغناطيس ، بين قطب شمالي وقطب جنوبى ، سرى فى السلك تيار كهربائى .

ويقول العلماء فى تفسير ذلك انه ، بين القطبين ، يوجد مجال مغناطيسى ، يتمثل فى خيوط من القوى تخرج من أحدهما لتنتهى الى الآخر . والسلك اذ يتحرك بين القطبين يقطع خطوط القوى هذه ، واذن يتولد فى هذا السلك تيار كهربائى .

والصورة توضح ما اقول . ش قطب مغناطيسى شمالي . حـ قطب مغناطيسى جنوبى . والسلك الذى بينهما سك او ان شئت فالقضيب سك ، وهو من المعدن ، يتحرك فى اتجاه السهمين الاسودين ، والحاصل أن يجرى فى السلك تيار يتبين اتجاهه السهم الأبيض .

من حركة طولية الى حركة دوارة

اذن لا بد لاحداث الكهرباء من (أولا)





فاراداي، كاشف ان الكهرباء تتولد في سلك اذا حركناه بين قطبين مغناطيسيين، احدهما شمالي، والآخر جنوبي . اي حركناه في مجال مغناطيسي كما يقول العلماء .

مغناطيسات (ثانيا) سلك من معدن (ثالثا) قوة تحرك السلك .

والقوة التي يعرفها العلم الميكانيكي هي الحركة الدوارة .

ان القطار يتحرك على خط السكة الحديدية ، والذي يحركه البخار ، ولكن عن طريق الحركة الدوّارة . البخار يدير اذرعا تدير عجلات القطار ، والعجلات تدفع القطار الى أمام .

وكذا السيارات . وكذا الطائرات . وكذا المصانع اشتاتا والوانا . تنتقل اليها الحركة دوّارة .

واذن تنتقل الفكرة، من سلك مستقيم، الى لفيفة من سلك تتحرك بين هذين القطبين المغناطيسيين بأن تدور حول نفسها .

والصورة التي بأسفل هذه الصفحة توضح ما أقول .

ش ، ج هما القطبان المغناطيسيان .

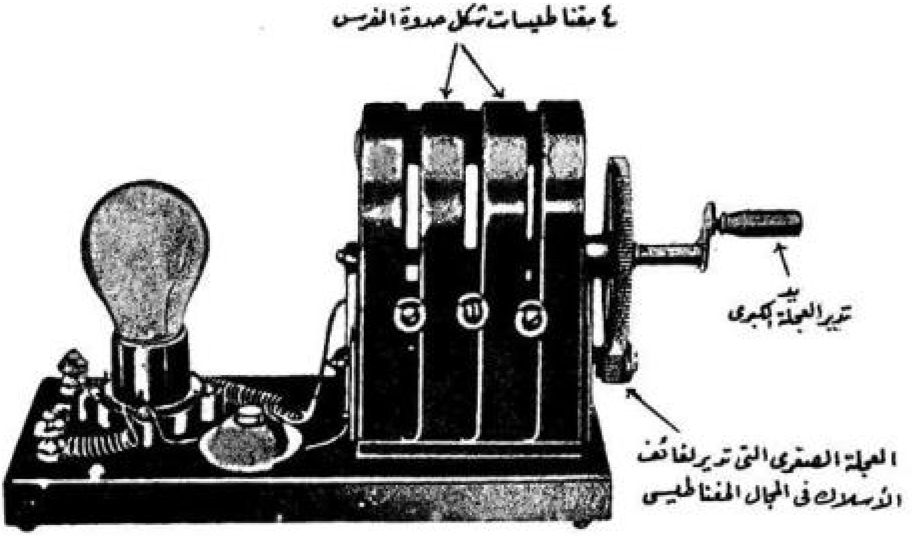
واللفيفة المعدنية أ ب تدور فتقطع الخطوط المغناطيسية فيتكون في اللفيفة التيار الكهربائي ، يسير في الاتجاه الذي تريك اياه الاسهم .

وطرفا اللفيفة متصلان باسطوانة تدور معهما ، مشقوقة بالطول نصفين ، بينهما ما يعزل الكهرباء ان تنتقل من احد النصفين الى الآخر ، واحد النصفين متصل بجزء اللفيفة المرموز اليه بالحرف ا ، والنصف الآخر متصل بجزء اللفيفة الآخر المرموز اليه بالحرف ب .

والجزء ا من اللفيفة يعطي الكهرباء المتولدة فيه الى النصف من الاسطوانة الذي هو على اتصال به ، وهذا يعطيه الى الريشة س التي لا ترتبط به اذ يدور، وانما تمسه مسا لتأخذ ما قد تولد فيه من كهرباء .

والجزء ب من اللفيفة يعطي كذلك





مولد كهربائي به ٤ مغناطيسات على شكل حدوة الفرس ، ظهورها الى اعلى ، واقطابها الى اسفل . وبين هذه الاقطاب تدور لفائف الاسلاك فيتولد فيها التيار الذى يضيء المصباح . واللفائف تديرها حول محورها عجلة صغيرة تديرها عجلة كبيرة ، تديرها يد المدرس الذى يشرح هذا الجهاز لطلبته

الكهرباء المتولدة فيه الى النصف من الاسطوانة الذى هو على اتصال به، وهذا يعطيه الى الريشة ص التى لا ترتبط به، وانما تمسه مسا لتأخذ ما تولد فيه كهرباء .

والكهرباء المتولدة هكذا تسير في السلك الخارجي، وبذلك تتم دورة كهربائية كاملة . وتجد بهذه الدورة في الصورة مقياسا يقيس التيار، هو أشبه شيء بوجه الساعة .

لا بد من قوة تدير

وذكرنا أن اللفيفة تدور حول نفسها ، وأن الاسطوانة المشقوقة التي هي متصلة بها تدور معها حول نفسها ، ولكن لم نذكر كيف تدور ، ولا من يديرها .

أما كيف تدور فهناك محور يخترق قلب الاسطوانة ، حذفناه من الرسم للتبسيط، وهو يدور على نفسه فيديرها حول نفسها، ومعها اللفيفة التي تدور بين القطبين .

وهذا المحور ، على اتصاله بالاسطوانة التي يديرها ، هو معزول بعازل يمنع أيا من الكهرباء التي يتحمل بها أي من نصفي الاسطوانة من أن تسرى اليه .

وقلنا ان المحور يدور حول نفسه .

فلا بد له هو ما يديره .

وهو متصل من ناحيته الاخرى بعجلات هو محورها ، وهذه العجلات يديرها الماء المتدفق من سد في نهر مثلا ، أو هي تدار بالبنزين كما تدار عجلات السيارات .

أو يديرها بخار الماء الذى يدير عجلات القاطرات . والحرارة التي تصنع البخار لها مصدران :

الفحم .

أو الذرة تنشق (١) .

المولد الكهربائي

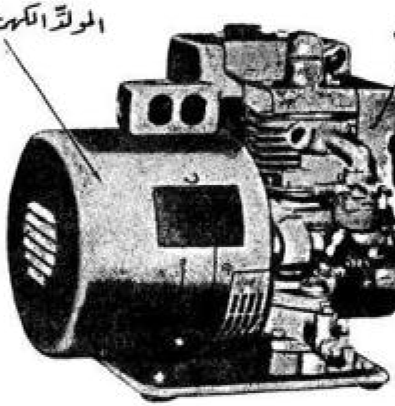
ويعرف هذا الجهاز الذى وصفنا بالمولد الكهربائي Electric Generator

وقد وصفناه في صورة غاية من البساطة . والمولدات الكهربائية في الحياة أعقد من ذلك كثيرا .

ومنها المولد الذى في السيارة ، وهو يملأ البطارية حتى لا تفرغ . ويعرف بالدينمو Dynamo .

ومنها المولد الذى تستخدمه أحيانا

(١) في هذا العدد من العربي تجد مقالا عنوانه: الذرة والفحم يتنافسان في انتاج الكهرباء .



مولد كهربائى يدور بالبنزين

بيوت الريف، ومصدر الحركة فيه محرك كمحرك السيارة وقوده البنزين .

ومنها المولدات التي تصنع الكهرباء لاضاءة المدن ، أو لادارة عجلات الصناعة، وهذه مولدات ضخمة معقدة التركيب .

والتعقيد هنا كان ضرورة . نفهم ذلك اذا علمنا أن مقدار الكهرباء الناتجة يتوقف على عدد اللفائف من الاسلاك التي تقطع الخطوط في المجال المغناطيسي، وعلى قوة هذه المغناطيسات ، وعلى عددها ، وعلى السرعة التى تقطع هذه الاسلاك بها هذا المجال .

والمولد الكهربائي فى السيارة يولد كهرباء قد يتراوح ضغطها بين ١٠ و ١٥ فلطا .

والمولد الكهربائي الذى يصنع القوة المحركة فى المصنع يولد كهرباء ضغطها ١٠٠٠٠ فلط فما فوق ذلك .

ولزيادة مقدار الكهرباء الناتجة فى الثانية الواحدة جعلوا رؤوس المغناطيسات مرتبة ، فى شكل دائرة . وجعلوا اللفائف التى تتحرك فى هذه المجالات المغناطيسية ايضا مرتبة فى شكل دائرى فتظهر كانها المغزل Spinidle ، وهي تدخل فى الدائرة المكونة من الرؤوس المغناطيسية.

وبعد ذلك اما تدور حول محورها الذى يحركها وتبقى المغناطيسات ثابتة ، واما تدور المغناطيسات وتبقى اللفائف ثابتة.

والنتيجة واحدة .

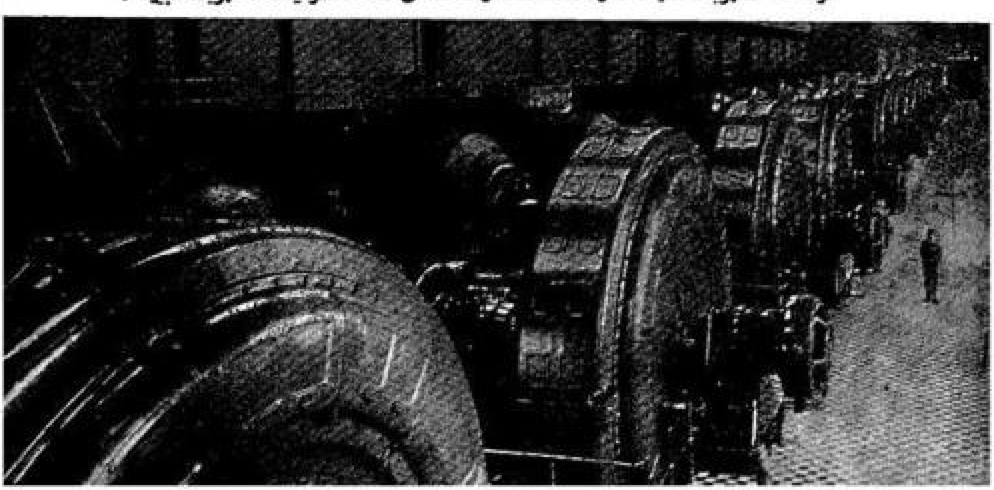
وهذا النظام الحركي الدائرى يتفق مع ما فى عالم الميكانيكا من قوة محركة ، هى غالبا قوة تحرك العجلات ومعها محاورها .

وهذا النظام يأذن بالسرعة الفائقة . انها عجلة تدور !!

والتيار الكهربائي منه المتذبذب ومنه المطرد . ولكل مولده .

علم واسع الابواب ، كثير التفاصيل ، يقضى المهندس الكهربائي الخبير عمره فيه ، ويموت وما زال باقيا فى نفسه « شيء من حتى » كما قال عالم النحو العربى قبل أن يموت .

مولدات للكهرباء عديدة ، وضعت صفا واحدا فى محطة لتوليد الكهرباء كبيرة .



مسابقة العربي

١٠ أسئلة

■ تختلف مسابقة هذا العدد فى مسابقاتها ، بأنها لا تتطلب منك الرجوع الى اعداد « العربى » الماضية ، او الى غيرها من المراجع التاريخية والعلمية والادبية ، بل يكفى ان تطالع مواد هذاالعدد لتجد الاجوبة الصحيحة لاسئلتها الاثنى عشر التى قد يبتسم لك الحظ وتربح احدى الجوائز ان اجبت على عشرة منها فقط اجابة صحيحة .. وها هي تلك الاسئلة :

١ ــ أصبحت الكهرباء الآن تنتج بطريقتين أساسيتين ، لا بد لكل منهما من وقود .. اذكر نوع الوقود الذى يستخدم فى كل من الطريقتين .

٢ ــ من وزراء خارجية بريطانيا من كان يساعد زوجته فى شؤون البيت ايام الآحاد ، فكان يطهو الطعام ، وبعد المائدة ويغسل الصحون .. فما اسمه ؟

٣ ــ أين تقع مدينة قرطاجة ؟ وأين تقع مدينة قرطاجنة ؟ وأى المدينتين أقدم من أختها ؟

٤ ــ منذ بضع سنوات دعا احد مشاهير رجال السياسة والقانون الى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية . . فمن هو ؟!

٥ ــ اشتهرت الأبَيِّض فى السودان بانتاج الصمغ العربى . ما هي نسبة انتاجها منه بالقياس الى الانتاج العالمي ؟

٦ ــ لعب الراهب راسبوتين فى قصر الاسرة القيصرية الروسية دورا لم يلعبه فى التاريخ مثيل له ، ثم انتهت حياته بالقتل .. فما اسم قاتله ؟

٧ ــ متى انتهت دولة بني أمية، وبدأت دولة بني العباس ؟

٨ من هو مؤلف كتاب « الذخيرة » ؟

٩ ــ كاتب بريطاني معاصر ، نقم على مجتمعه وبصق عليه قولا وعملا ، ومع ذلك صفق له المجتمع وعوضه عن فقره .. فمن هو ؟

١٠ ــ شاء ربك أن تكون الصحراء على سطح الارض واسعة مديدة ، فما هي نسبة مساحتها الى مساحة اليابس من سطح الارض ؟

. وجوائز ١٠٠ دينار

١١ ـ احيانا يعمد الاطباء الى حقن الضفدعة ببول المرأة .. فلماذا ؟

١٢ ـ منذ بضع سنوات ظهر فى الاسواق عقار جديد لاعادة الشباب فتهافت الناس عليه . لكن الجمعيات الطبية العالمية كذبت هذا الزعم ، وحرمت بعض الدول تداوله فيها . . ما اسم هذا العقار ، وما اسم مخترعه أو مخترعته ؟

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٢ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٦ .

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينـار

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ ديناراكل منها ٥ دنانير ..

كوبون مسابقة العدد ٩٢

نتيجة مسابقة العدد ٩٠

الاجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

كان لموسم الامتحانات اثر ظاهر في عدد الاجابات التي وصلتنا عن هذه المسابقة ، فلم تتجاوز بضعة آلاف دون اصابع اليد الواحدة !

وقد اختلط الامر على كثيرين ممن اشتركوا في حل الاسئلة ، وذلك في السؤالين الاول والثالث ، فخلط بعضهم بين كعب بن زهير ، وأبيه زهير بن ابي سلمى ، وأولهما هو المقصود .. كما خلط آخرون بين كرومر ، وغوردون ، وكتشنر ، وهو المقصود .

وفيما يلي الاجابات الصحيحة :

(١) **كعب بن زهير**

(٢) **جوهر الصقلي**

(٣) **لورد كتشنر**

(٤) **الفنان ليوناردو دافنشي**

(٥) **كان هتلر نقاشا**

(٦) **السيد مصطفى لطفي المنفلوطي**

(٧) **الشاعرة فدوى طوقان**

الفائزون بالجوائز

وقد اسفرت عملية الاقتراع على الجوائز عن فوز الآتية اسماؤهم بعد :

١ ــ **الجائزة الاولى** وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها: **عبد الباقي عباس الجار الله** ، الكويت .

٢ ــ **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: **فهد بن عبد الله بن فهد الثنيان** ــ الرياض السعودية .

٣ ــ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : **الياس غالي** ــ دمشق ــ سورية .

٨ جوائز مجموعها ٤٠ دينارا ، قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ــ **احمد محمد العكبري** : المكلا ــ حضرموت .

٢ ــ **حبيب وداعة الحسناوي** : بنغازي ــ ليبيا .

٣ ــ **محمد علي الخطيب** : المريضة ــ لبنان .

٤ ــ **السيدة فاطمة محمد داود** : الدوحة : ــ قطر .

٥ ــ **خليل احمد الأصم** : غزة ــ فلسطين .

٦ ــ **محمود اسماعيل المكي** : رمل الاسكندرية ــ ج٠ع٠م .

٧ ــ **سيف الدولة احمد حسن** : مدني ــ السودان .

٨ ــ **منى محمد الحميدات** : بصرة ــ العراق .

وسترسل الجوائز لاصحابها .

صفحة في اللغة

أمثال تضرب :

خلا لك الجو فبيضي واصفري

■ انه طرفة بن العبد ، صاحب المعلّقة التي مطلعها :

لِخولةَ أطلالٌ ببُرقة ثهمد ... تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ
وقوفاً بها صحبي على مطيّهم ... يقولون لا تهلك أسىً وتجلّدِ

وهو طَرَفة بن العبد بن سفيان بن مالك ، من بكر بن وائل . وكان قومه يعيشون في البحرين في الخليج العربي .

نشأ على البديهة شاعرا ، يثيره بحكم الطبع ما يلقى في الحياة . وكان يرتجل الشعر وهو صغير ، ويحسن ارتجاله .

خرج مع عمه يوما في سفر ، وحاول الصيد . ونصب فخا فما واتاه الحظ طول نهاره . وجمع شباكه يتاهب للرحيل . وعندئذ هبطت على الارض بقربه قبّرة ، واخذت تنقر الارض ولايستطيع لها صيدا ، فاخذ ينظر اليها ثم ينظر . ثم قال يخاطبها ، وقد همّ بالرحيل :

يالكِ من قُبّرة بمعْمَرِ ... خلا لك الجوُّ فبيضي واصفري
وتقّري ما شئت أن تنقّري ... قد رحل الصيّاد عنك فابشري
ورُفع الفخُّ فماذا تحذري ... لا بد يوما أن تُصادى فاصبري

ومن طرائف ما يحكى عن طرفة ،وهو لا يزال صبيا ، ان مات أبوه ، فابى اعمامه ان يقسموا المال ويعطي للورثة حقهم .

فغضب الصبي ، وانكر على اعمامه ماكان منهم من ظلم امه وَرْدة وحبس تركة صغارها . واخذ ينذر اعمامه ويعيّرهم بانهم ما ظلموا امه وردة الا لان اهلها غائبون ، ولو حضروا ما جرؤوا . قال :

ما تنظرونَ بحقِّ وردةَ فيكم ... صَغُرَ البنون ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعث الأمرَ العظيم صغيرُه ... حتى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ
والظلم فرّق بين حيّي وائل ... بكرٌ تساقيها المنايا تغلبُ
والصدق يألفه الكريم المرتجى ... والكِذْب يألفُهُ الدَّنيُّ الأخيبُ
أدّوا الحقوق تفِرْ لكم أعراضكم ... إن الكريم إذا يُحَرَّب يغضبُ

الذرة والفحم

يتنافسان فى إنتاج الكهرباء

هذا الكيلووط ساعة من الكهرباء تصنعها

■ عجلات الصناعة لا بد أن تدور .

وتعتمد هذه العجلات فى دورانها،أكثر ما تعتمد على الكهرباء .

والكهرباء تنتجها مولدات معروفة ، تتلخص فى أنها أسلاك من النحاس ملفوفة حول محاور تدور بين أقطاب مغناطيسات، وبهذا الدوران تتولد فى الاسلاك الكهرباء (١) .

ولهذا السبب تحتاج الكهرباء، لانتاجها، الى قوة تدير .

وهذه القوة هى غالبا قوة البخار ، بخار الماء ، المألوفة فى تحريك الأشياء ، تلك التى عرفناها وألفناها حتى قبل الفتنا الكهرباء.

للحرارة مصدران

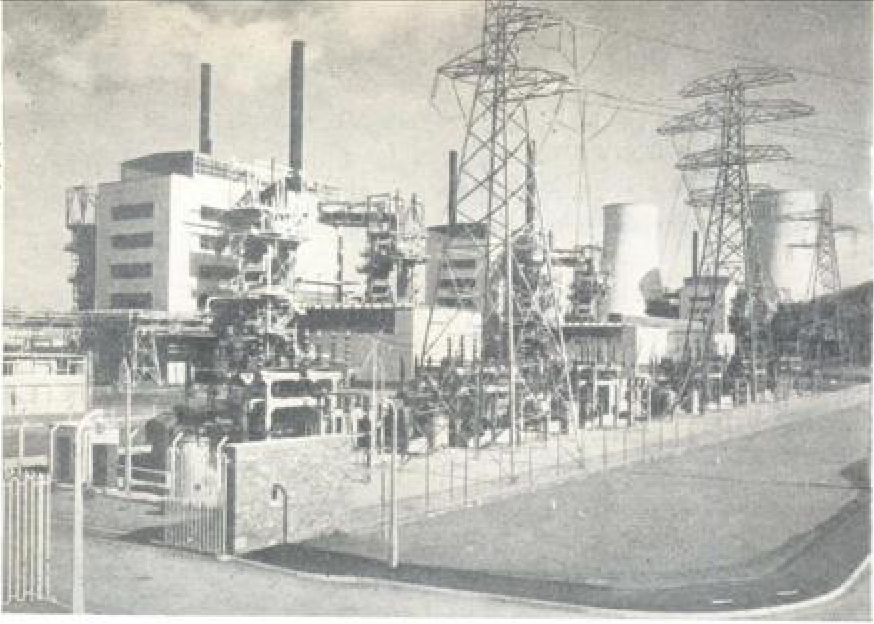
ولانتاج الكهرباء اذن نحن فى حاجة الى بخار يحركه .

وهذا البخار نصطنعه على ما هو معروف بالحرارة نعطيها الى الماء .

وهذه الحرارة ، كما هو مألوف ، نتخذ لها وقودا ، هو الفحم الحجرى .

ولكن فى السنوات هذه الحديثة انشقت الذرة ، ومع انشقاقها خرجت حرارة هائلة ، صارت تنافس حرارة تأتى من الفحم الحجرى ، لتولد من الماء البخار .

(١) شرحنا ماهو المولد الكهربائي وكيف يعمل،فى هذا العدد من العربى فى باب «فى سبيل موسوعة علمية»



المفاعل الانجليزى كلدار هول وهو من المفاعلات الاولى المنتجة للكهرباء ، التى سبقت بها بريطانيا وهى مدفوعة الى ذلك بحكم احوالها الاقتصادية

الذَّرَّة متى بلغت تكلفة نصف البنس أو دون ذلك

واذن فلانتاج الكهرباء طريقتان

اذن صار لانتاج الكهرباء طريقتان اساسيتان: قديمة معروفة مألوفة تعتمد على الفحم .

وجديدة تعتمد على الذرة اذ تنشق فى أفرانها ، تلك التى يسميها العلماء بالمفاعلات .

وتنافست الطريقتان فى الميادين الصناعية والعمرانية جميعا .

واهل التقدير ، وفى الولايات المتحدة خاصة ، يقدرون أنه فى العشر القادمة من السنين ، ستزيد فيها مصانع الكهرباء ، من الفحم ومن الذرة على السواء ، ولكن سيكون حظ الذرة من هذه الزيادة ما بين ١٠ الى ١٥ فى المائة . حتى اذا جاء عام ١٩٨٠ بلغ حظ الذرة من كل جديد من مصانع الكهرباء ٣٥ فى المائة .

ان اول مصنع للكهرباء من الذرة ، فى الولايات المتحدة، بدا يعمل فى عام ١٩٥٧، فى ولاية بنسلفانيا ، ولم يكن من اهدافه الدخول فى تنافس مع مصانع الكهرباء من الفحم . وكانت قدرته ٦٠ . . . كيلووط .

واليوم صار فى الولايات بضعة مصانع، قدرة المصنع منها نحو ٢ . مليون كيلووط، تنتج كهرباء، تكلفة الكيلووط ساعة منها يبلغ سنتيما واحدا اى $\frac{1}{2}$ من البنس الانجليزى الواحد .

وهى تكلفة تزيد قليلا جدا على تكلفة الكيلو وط ساعة تنتجه مصانع الكهرباء التى عمادها الفحم لا الذرة ، فى نفس

المنطقة التى تنتج فيها الذرة الكهرباء.

وقد خططت الشركة المركزية للقوة والنور فى « جرزى » بالولايات المتحدة لمصنع ذرى قدرته ٥١٥ الف كيلووط ، وحسبت تكلفة الوحدة الكهربائية الناتجة بناء على هذا التخطيط فكانت نصف سنتيم . ولو انها زادت قدرة هذا المصنع الى ٦٢٠ الف كيلووط لهبطت التكلفة الى ٤و. من السنتيم الواحد .

والمصنع الذى قدرته ٥١٥ الف كيلووط ينتج كهرباء أرخص قليلا مما ينتجه مصنع الفحم ، على شريطة أن يبقى ثمن الفحم اليوم فى الولايات هو ما هو .

ولكن الفحم قد يرخص فى العشر السنوات الآتية بمقدار ٢٥ ٪ ، ويكون اكبر اسباب ذلك سهولة المواصلات ورخصها .. ولكن فى هذه العشر من السنوات ايضا سوف تتحسن لا شك تكنية المصانع الذرية فيهبط هذا بثمن الوحدة من الكهرباء بأكثر مما هبط رخص الفحم المنتظر .

وهكذا تظل المنافسة بين الذرة والفحم قائمة طوال سنين .

كانت تكلفة الكيلو وط من الكهرباء وعن طريق الذرة عالية فى اول الأمر ، اذا قيست بتكلفة الكيلو وط من الكهرباء تاتى به عن طريق الفحم .

وزادت الأيام تحسين الطريقة الذرية ، وارخاصها ، حتى جرت فى سباقهما ، راسا الى جانب رأس ، كما يجرى فرسان فى ميدان السباق ، يتباريان . هذا يسبق احيانا ، ثم يسبق ذلك .

والسؤال : هل تفوز الذرة . فى مباراتها الفحم والزيت ، أم يظل الفحم وسائر الوقود الارضى سابقين فى انتاج الكهرباء ؟

سؤال ليس من السهل جوابه لان المسألة ليست مسألة علم وتكنية فحسب . هناك امور اقتصادية لا تقل خطرا عن الأمور التكنية .

الفحم مثلا ، ما ثمنه ؟ والفحم انواع ، واذن فما نوع هذا الفحم ، وكم ينتج هذا الفحم من حرارة . ثم بعد الفحم يكون للموضع الذى تصنع فيه الكهرباء خطره .

كل هذه العناصر لا بد من دخولها فى الحساب ، فى مقارنة ما بين الذرة والفحم من ارخاص لثمن الكيلو وط ساعة من الكهرباء .

الذرّة فى الولايات المتحدة

وننظر الى الولايات المتحدة ، وهى الدولة الذرية الاولى ، لنطلب ما عندها ، فلا نجد أن الذرة اقتلعت الفحم من سلطانه اقتلاعا يذكر .

فالآن ، وبعد مضى نحو ربع قرن على التحكم فى الذرة اليورنيومية عند انشقاقها ، نجد فى الولايات المتحدة نحو اثنى عشر مصنعا من المصانع التى تصنع الكهرباء من الذرة ، بدأ الكثير منها وهدفه التجريب .

وهى مجتمعة تكفي لانتاج مليون كيلووط من الكهرباء .

ومع هذا ، فهذا المقدار من الكهرباء يمثل فقط جزءا من مائتين من الكهرباء التى تنتجها اليوم الولايات .

والسبب فى ذلك أن مصادر القوى الاخرى فى الولايات المتحدة كثيرة ، منها المياه المتدفقة ، ومنها الفحم ويوجد فى ارضها بمقادير هائلة . ثم هناك البترول .

الذرّة فى بريطانيا

وغير هذا الحال فى بريطانيا ، ففحمها الى انتهاء ، ولا زيت فيها . لهذا زاد ما تنتجه من الكهرباء من الذرّة على ٢٥ مليون وط وهي برّزت فى صناعة المفاعلات الذرية تبريزا كبيرا .

وكان من حوافزها الى هذا انقطاع البترول عنها عند الاعتداء الثلاثي على السويس . ■■

اللَّيْثُ بْنُ سَعْد

قَالَ الشَّافِعِي: اللَّيْثُ بْنُ سَعْد أَفْقَهُ مِنْ مَالِكٍ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمْ يَقُومُوا بِهِ.

بقلم: عبد الستار أحمد فراج

مجمع اللغة العربية ـ القاهرة

■ انتشرت فى مصر القبائل العربية التى جاءت مع الفتح الاسلامي وبعده واستوطنتها، وتكثرت تلك القبائل فيها وفى غيرها بمن حالفها ووالاها، من أهل البلاد التى أقاموا بها، أو بمن جاء معهم اليها من أبناء الدول التى أشرق عليها الاسلام.

وممن نزح الى مصر قبيلة فهم التي ينتهي نسبها الى قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان.

والى هذه القبيلة ينتمي نسبا أو ولاء الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى الفقيه الثقة الحجة.

مولده ونشأته

فى بلدة كانت حسنة المنظر غزيرة الفواكه تسمى قلقشندة ـ قرقشندة الآن، تتبع محافظة القليوبية لا يتجاوز بعدها عن عاصمة مصر اثنى عشر ميلا ـ كان مولد الليث بن سعد، سنة أربع وتسعين من الهجرة.

ونشأ فى نعمة وخير، وتلقى علومه على صفوة من رجال مصر من امثال يزيد بن ابي حبيب فقيه مصر وشيخها ومفتيها، وعمرو بن الحارث الفقيه الذى كان أحفظ الناس فى زمانه. وبكير بن عبد الله بن الاشج المدنى الفقيه نزيل مصر، وغيرهم من العلماء.

ولما بلغ عشرين عاما سافر الى الحجاز وفيه اذ ذاك من أعلام الاسلام من تابعين وتابعى التابعين

من حفظة الحديث واهل الفقة والرأى عدد لايحصى كثرة ، من أمثال نافع مولى ابن عُمَر ، ومحمد ابن شهاب الزهرى ، وعطاء بن أبى رباح ، وابى الزناد عبد الله بن ذكوان . فروى عنهم وجلس فى حلقات الدروس ، يتلقى على الذين تصدّوا لاستنباط الأحكام الشرعية من القرآن والسنة . واجتمع هو والامام مالك بن أنس فى حلقة شيخهما ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، الذى أدرك جماعة من الصحابة ، رضى الله عنهم ، واشتهر بربيعة الرأى ، وعمراهما متقاربان ، وقد يزيد الامام مالك على الليث عاما وبعض عام . يقول الليث رأيت أبا الزناد وخلفه ثلاثمائة تابع ، من طالب فقه وعلم وشعر، ثم لم يلبث أن بقى وحده واقبلوا على ربيعة .

وظهر من الليث ومالك استقلال فى البحث ونبوغ ، فجادلا وناظرا فى حلقة شيخهما ، وكان لهما فى بعض ما يقول خلاف .

وعاد الليث الى وطنه ، وقد صار من المرموقين المقصودين .

الآراء فى الليث

لا يتوالى الثناء من مختلف الأنحاء الا على من أوتى خيرا كثيرا وخلقا عظيما ، ومزايا جليلة يعجب بها الخاصة والعامة . واذا تتبعنا ما قيل فى الليث بن سعد وجدناه مديحا لعلمه وفقهه ، وحفظه لأحاديث الرسول وثقة فيما يرويه . ويضاعف هذا المديح ما اتصف به من نبل ومروءة وسخاء . وهذا بعض مما قاله عنه اشخاصٌ مختلفو المذاهب والمشارب ، ممن عاصروه أو رأوه اما المتأخرون فثناؤهم عليه بليغ .

رأى الائمة فيه

فى رسالة من مالك الى الليث يقول له : «وأنت فى امامتك وفضلك ومنزلتك وحاجة مَنْ قِبَلَك اليك » . وقال عبد الله بن وهب ــ وهو أحد الأعلام الذين تفقهوا بمالك والليث : كل ما كان فى كتب مالك « واخبرنى من ارضى من أهل العلم » فهو الليث بن سعد . وقال الامام الشافعى : الليث ابن سعد أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به .

وقال الامام احمد بن حنبل : « الليث بن سعد كثير العلم صحيح الحديث ثقة ثبت .

رأى الناس فيه

قال شرحبيل بن جميل : أدركت الناس ايام هشام ، (١) وكان الليث بن سعد حدث السن ، وكان بمصر عبيد الله بن جعفر ، وجعفر بن ربيعة، والحارث بن يزيد ... وغيرهم من أهل مصر ومن يقدم علينا من فقهاء المدينة ، وانهم ليعرفون لليث فضله وورعه وحسن اسلامه على حداثة سنه . وفى سنة ١٢٨ هجرية ، وكان عُمْرُ الليث خمسة وثلاثين عاما ، وكان الخليفة مروانَ بن محمد ، جاء كتاب منه بتولية حَوْثَرة بن سُهيل على مصر . وقال فى كتابه : انى قد بعثت اليكم رجلا أعرابيا بدويًا فصيح اللسان ، من حاله ومن حاله (يريد ذكر محاسنه) فاجْتَمِعُوا له رجلا فيه مثل فضائله يُسدِّده فى القضاء ، ويُصوِّبه فى النظر . فاجمع الناس كلهم يومئذ على الليث ابن سعد . وفيهم مُعلماه يزيد بن أبى حبيب وعمرو بن الحارث .

تقدير الخلفاء له

انتهت دولة بنى أمية فى سنة ١٣٢ هـ وبدأت دولة العباسيين ، ومرت خلافة عبد الله السفاح أعواما خمسة ، ثم جاءت خلافة أخيه أبى جعفر المنصور . وأبو جعفر عالم قبل أن يكون حاكما ، خبيرٌ بأقدار العلماء ومراتبهم ، طلب من الامام أبى حنيفة أن يلى له القضاء وألحّ فى ذلك . واقترح على الامام مالك أن يؤلف موطأه ذاكرا له أنه شغل بهذا الأمر ــ وهو الخلافة ــ عن العلم والحديث . وقال وهو خليفة لليث بن سعد : أعجبنى ما رأيت من شدة عقلك والحمد لله الذى جعل فى رعيتى مثلك . وأراد أن يوليه امر مصر فامتنع ومع ذلك كانت له الكلمة الاولى فى ولاة مصر وقضاتها ، وكان امراؤها لا يقطعون أمرا الا بمشورته ، واذا رابه من أحد أمرٌ كاتبَ الخليفةَ فيعزله . وهذا شاعر كنيته أبو السعر او أبو السعد ، حسد الليث ، والعظماء لا يخلون من حساد ، ولو كان خيرُهم عامًا ، وفضلهم ظاهرا ،

---

(١) كانت خلافة هشام من ١٠٥ الى١٢٥ هجرية.

فكتب الى ابى جعفر واشياً فى خفية ، زاعما انه ناصح . وابو جعفر اسمه عبد الله وهو ايضا عبدٌ لله .

لعبدِ الله عبدِ الله عندى
نصائحُ حكتُها فى السرِّ وحدى
اميرَ المؤمنين تلافَ مصرا
فان اميرَها ليثُ بنُ سعدِ

ولكن ابا جعفر لم يُعر هذه النصيحة الساقطة التفاتا .

وظلت منزلة الليث رفيعة فى ايام ابى جعفر ومن بعده الى ان مات .

قال يعقوب بن داوود وزير المهدى : قال لى امير المؤمنين لما قدم الليث بن سعد العراق : « الزَم هذا الشيخ ، فقد ثبت عند امير المؤمنين انه لم يبق احد اعلم بما قيل منه » .

ثراؤه وسخاؤه

يبدو من اخبار الليث ان الثروة الواسعة لم تكن محدثة عنده ، وان السخاء طبيعة فيه وفى بنيه ، مع علو فى الهمة ، وقدره لنفسه حق قدرها . وسواء اكان من بنى فهم نسبا ، ام من بنى فهم ولاءً ، فان رجالا من فهم وَلوا مصر وهو طفل ، منهم عبد الملك بن رفاعة الفهمى وليها سنة ٩٦ من الهجرة الى سنة ١٠٩ وفيها توفى . ووليها اخوه الوليد بن رفاعة سنة ١٠٩ الى ان توفى سنة ١١٧ . ووليها عبد الرحمن بن خالد الفهمى سنة ١١٧ حوالى سنة .

فالليث بن سعد المنتمى الى بنى فهم نشأ اذن فى جاه وثراء . كانت له ضيعة على القرب من رشيد يدخل عليه منها فى كل سنة خمسون الف دينار ، قد تزيد وقد تنقص . وكان ينفق غلتها كلها هو وابناؤه ، بحيث يحول الحول ولا يبقى منها شيء . واكثر انفاقه على نفسه وعلى العلماء .

تحدثوا ان امراة اتته ومعها قدح ، فقالت : يا ابا الحارث — وهى كنية الليث — ان زوجى يشتكى وقد وُصف له العسل فقال : اذهبى الى ابى قسيمة — كاتبه أو خازنه — فقولى له يعطيك مُطراً من عسل . والمطر ١٢٠ رطلا . فذهبت ، فلم يلبث ان جاء ابو قسيمة وجعل يُساره . فرفع راسه وقال : اذهبْ فاعطها مطرا ، انها سالت بقدرها واعطيناها بقدرنا .

وقالوا انه حج فاهدى اليه الامام مالك رطبا على طبق . فرد اليه على الطبق الف دينار .

واحترقت دار عبد الله بن لهيعة — وكان ممن ولى قضاء مصر — فبعث اليه بألف دينار .

وجاء منصور بن عمار الواعظ المحدث القاص الى مصر ، فسمع الليثُ حديثه ، وكانت تبلغه اخباره ، فاكرمه واقطعه أرضا ، وجعله فى جملته، الى ان خرج من مصر ، فوصله بالف دينار ووصله ابناء الليث بمثلها ، وقال له : صُن هذا الكلام ان تقف به على أبواب السلاطين ، ولا تمدحن احدا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين .

وقال أبو صالح عبد الله الجهنى المصرى الحافظ كاتب الليث بن سعد : كنا على باب مالك بن انس فامتنع علينا ، فقلنا : ليس يشبه صاحبنا . فسمع مالك كلامنا ، فادخلنا عليه وقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث بن سعد . فقال : تشبهوننى برجل كتبنا اليه فى قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا ، فانفذ الينا ما صبغنا به ثيابنا وثياب صبياننا وثياب جيراننا وبعنا الفضلة بالف دينار ؟

والحافظ أسد بن موسى الأموى ، الذى يقال له أسد السنّة ، ممن رحل فى طلب الحديث وصنف التصانيف يقول :

كان عبد الله بن على العباسى يطلب بنى أمية فيقتلهم ، فلما دخلت مصر دخلتها فى هيئة رثة ، فدخلت على الليث بن سعد ، فلما فرغت من مجلسه خرجت فتبعنى خادم له فى دهليز،فقال : اجلس حتى أخرج اليك . فجلست، فلما خرج الىّ وانا وحدى دفع الى صرة فيها مائة دينار وقال : يقول لك مولاى : اصلح بهذه النفقات بعض امرك ، ولمّ من شعثك . وكان فى حوزتى هِميان فيه الف دينار ، فاخرجت الهيمان فقلت : انا عنها فى غنى استاذن لى على الشيخ . فاستاذن لى فدخلت فاخبرته بنسبى واعتذرت اليه من ردها . فقال : هذه صلة وليست بصدقة ، فقلت : اكره ان اعوّد نفسى عادة ، وانا فى غنى . فقال : ادفعها الى بعض اصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها ، فلم يزل بى حتى اخذتها ففرقتها على جماعة .

توسعته على نفسه واهله

كان الليث يعيش فى رفاهية ، ياكل ما طاب ،

ويلبس الفاخر من الثياب، ويسكن الدورالواسعة. ويبدو أيضا انه كان يذهب الى الأماكن ذات الهواء المنعش فى الصيف ، فى جملة من اصدقائه وتلاميذه . يقول قتيبة بن سعيد محدّث خراسان وهو ممن رحل اليه العلماء ـ وكان روى عن مالك والليث ـ قفلنا مع الليث بن سعد من الاسكندرية وكان معه ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخة ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه .

حجته فى الرفاهية ورده على مالك

كتب الامام مالك من المدينة الى الليث بن سعد: « بلغنى أنك تأكل الرّقاق ، وتلبس الرّقاق ، وتمشى فى الأسواق .

فكتب اليه الليث بن سعد : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق». (الآية ٣٢ من سورة الاعراف) .

أسلوبه الكتابي

من رسالة الليث بن سعد التى كتب بها الى الامام مالك يُحاجّه ، ويرد عليه بعض ما يأخذه عليه ، يتضح لنا أسلوبه الجميل ، وما يتمتع به من نفس عالية ، وتحبب الى مخاطبيه ، واجتذاب لودهم يبدأ رسالته بقوله :

« سلام عليك ، فانى أحمد الله اليك الذى لا اله الا هو ، أما بعد ،

عافانا الله واياك ، وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والآخرة .

قد بلغنى كتابك ، تذكر فيه من صلاح حالكم الذى يسرنى ، فادام الله ذلك لكم وأتمه بالعون على شكره والزيادة من احسانه ..» . ويختمها بقوله :

« وانا أحب توفيق الله اياك ، وطول بقائك ، لما أرجو للناس فى ذلك من المنفعة ، وما أخاف من الضيعة اذا ذهب مثلك، مع استئناسى بمكانك، وان نأت الدار ، فهذه منزلتك عندى ، ورأيى فيك . فاستيقنه ولا تترك الكتاب الىّ بخبرك وحال ولدك وأهلك ، وحاجة ان كانت لك أو لأحد يوصل بك ،فانى أسر بذلك .

«كتبت اليك ونحن صالحون معافون والحمد لله ، نسأل الله ان يرزقنا واياكم شكر ما أولانا وتمام ما أنعم به علينا ، والسلام عليك ورحمة الله » .

ومن ايراد بعض ما فى رسالته الى الامام مالك نعلم وجهة نظر كل منهما ، وما اختلفنا فيه . ووضوح ما فيها يغنى عن التوضيح مع الاستفادة مما فيها من براعة واستدلال .

أ ـ عمل أهل المدينة :

يقول الليث :

« وانه بلغك انى افتى باشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم . وانى بحق على الخوف على نفسى ، لاعتماد مَن قِبلى على ما أفتيتهم به ، وأن الناس تبع لأهل المدينة ، التى اليها كانت الهجرة، وبها نزل القرآن . وقد اصبت بالذى كتبت به من ذلك ان شاء الله تعالى ، ووقع منى الموقع الذى تحب . وما أجد أحدا ينسب اليه العلم أكره لشواذ الفتيا ، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه منى ، والحمد لله رب العالمين لا شريك له

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ونزول القرآن بها عليه بين ظهرَىْ أصحابه ، وما علمهم الله منه ، وأن الناس صاروا تبعا لهم فيه ، فكما ذكرت .

ب ـ تفرق الصحابة فى الامصار واجتهادهم :

وأما ما ذكرت من قول الله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) فان كثيرا من أولئك السابقين الأولين خرجوا الى الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله فجندوا الأجناد ، واجتمع اليهم الناس ، فاظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ، ولم يكتموهم شيئا علموه ، وكان فى كل جند منهم طائفة ، يعلمون لله كتاب الله وسنة نبيه ، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة ..

ج ـ التابعون وأتباعهم اختلفوا :

ثم اختلف التابعون فى أشياء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ سعيد بن المسيب ونظراؤه ـ أشد الاختلاف ، ثم اختلف الذين كانوا بعدهم ، فحضرتهم بالمدينة وغيرها ،

وراسهم يومئذ ابن شهاب وربيعة بن ابي عبد الرحمن .

د ـ مخالفتهما لأستاذهما :

وكان من خلاف ربيعة لبعض ما قد مضى ما قد عرفت ، وحضرت وسمعت قولك فيه وقول ذوى الرأى من اهل المدينة يحيى بن سعيد وعبيد الله ابن عمر وكثير بن فرقد ، وغير كثير ممن هو أسن منه ، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك الى فراق مجلسه . وذاكرتك أنت وعبد العزيز بن عبد الله بعض ما نعيب على ربيعة من ذلك ، فكنتما من الموافقين فيما أنكرت ، تكرهان منه ما أكره .

هـ ـ مدح ربيعة مع مخالفتهما اياه :

ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير ،وعقل أصيل ، ولسان بليغ ، وفضل مستبين ، وطريقة حسنة فى الاسلام ، ومودة صادقة لاخوانه ولنا خاصة ، رحمه الله وغفر له ، وجزاه باحسن من عمله .

و ـ مثل من اختلاف ربيعة ومالك :

فهذا الذى يدعونى الى ترك ما أنكرت تركى اياه وقد عرفت أيضا عيب انكارى اياه ان يجمع احد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر . ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه الا الله ، لم يجمع عنهم امام قط فى ليلة مطر، وفيهم ابو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل .. وكان ابو ذر بمصر والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وبحمص سبعون من اهل بدر .. وبالعراق ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان وعمران بن حصين ونزلها امير المؤمنين على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه فى الجنة ـ سنين ، وكان معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط .

ومن ذلك القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق .. الخ » .

لا نريد الاطالة فى النقل من رسالته ، وقد ذكرها ابن القيم الجوزيه فى كتابه اعلام الموقعين الجزء الثالث صفحة (٧٢ ـ ٧٧) ونجد فيها اربع مسائل أيضا ناقشها ورد عليها ، ثم أورد فى رسالته اربع مسائل أخر يعيب فيها على مالك انه افتى بها وينقضها ، مستشهدا بعمل الصحابة والتابعين واقوالهم فى بيان سليم .

شىء من آرائه الفقيهة

ان الأئمة من الفقهاء اجتهدوا بقدر ما وصلهم من الاحاديث التى اعتمدوها ، والفهم الذى فهموه منها ومن كتاب الله ، فاذا اختلف أحدهم مع الآخر اتفق مع ثالث ورابع واتفق الاول مع رابع وخامس ، ولا يفسد منهم ذلك وداً، ولا يقطع بينهم حسن اتصال،يعرفون أنهم بشر يصيبون ويخطئون. وعلمنا من قول الامام الشافعى أن أصحاب الليث ابن سعد ضيعوا آراءه الفقهية ، ومع هذا نجد بعض ما تفرق من اجتهاده ، نسوق منه امثلة ثلاثة .

١ ـ النية فى الوضوء فرض يتفق معه فى ذلك مالك والشافعى واحمد بن حنبل .

٢ ـ القعود للتشهد الاوسط واجب لا سنة ، يتفق معه فى ذلك احمد بن حنبل .

٣ ـ سجود السهو لا يسقط عن المأموم بترك الامام لنقصان صلاته بسهو الامام ، يتفق معه فى ذلك مالك والشافعى .

وفـــاته

قيل ان وفاة الليث كانت سنة ١٦٥ هجرية ، فى خلافة المهدى . وأخشى أن يكون الرقم ٦ محرف عن ٧ وأن جملة « فى خلافة المهدى » اقحمت على ابن سعد فى طبقاته .

اما أكثر المؤرخين فقالوا انه توفى بمصر سنة ١٧٥ هجرية . ويتفق هذا مع الخبر الذى يقول ان هارون الرشيد استقدمه واستفتاه وبالغ فى اكرامه، وهارون تولى الخلافة سنة ١٧٠ وتوفى سنة ١٩٣ هجرية ، ويتفق مع القول بأن موسى بن عيسى العباسى حينما توفى الليث صلى عليه وكان ذلك فى ولايته الثانية لمصر التى كانت فى هذا التاريخ.

وقد أورد الحفاظ:ابو نعيم والخطيب البغدادى وابن حجر ، والذهبى ، فى كتبهم كثيرا من شيوخ الليث البارزين ، كما ذكروا كثيرا من تلاميذه الأئمة الأعلام ، فى مصر وغيرها من أقطار الاسلام، واغلب هؤلاء وأولئك من رجال الكتب الصحيحة المشهورة ، التى تلقاها الناس بالقبول والرضا والاطمئنان ■■

عبد الستار أحمد فراج



دردشة

قضية قضائية ، ذات صلة بمقتل راسبوتين

● من طريف ما يروى أن الأمير الروسى فيلكس يوسوبوف ، المقيم حاليا فى الولايات ، قد أقام الدعوى مؤخراً على شركة كولومبيا للاذاعة والتلفزيون الأمريكية ، يطالبها فيها بدفع مليون ونصف المليون دولار كغرامة مالية .

ويدعى الأمير الروسى المذكور انه هو الذى اقدم فى سنة ١٩١٦ على قتل راسبوتين ، ذلك الراهب الروسى الشهير ، ويطالب بدفع الغرامة السالفة الذكر لأن شركة كولومبيا قد عمدت الى اخراج فيلم عن راسبوتين ، يصور مقتله على يد هذا الامير دون أن تحصل على موافقته المسبقة فى هذا الصدد .

أهو تناقض" فى القوانين بالولايات المتحدة أم دقة بالغة فى التحديد

● فوارق مذهلة ، وتفاوت بين أحكام القوانين يبعث على الدهشة ، بل اختلاف بين عقوبة وعقوبة على الجريمة الواحدة يكاد يحمل المرء على الريبة فى وجود العدالة .

فعقوبة الاغتيال هى السجن ٥ره سنة فى ولاية تكساس ، و٥ر١٦ سنة فى ولاية اللينوى من الولايات المتحدة الامريكية . كذلك لا يعاقب على الاجهاض فى ولاية كانساس باكثر من السجن سنة واحدة بينما يعاقب عليه فى ولاية الميسيسيبى بالسجن عشرين عاما . أما الاعتداء على العذارى فجزاؤه فى ولاية مين Maine مقصور على غرامة مالية قدرها ٥٠٠ دولار ، ويعاقب عليه بالسجن لمدة ١٠ سنوات فى نيويورك ، ولمدة ٥٠ عاما فى كاليفورنيا ، ولمدة تبلغ ٩٩ سنة فى نيومكسيكو .. وهكذا حتى تصبح عقوبة الاعدام فى ولاية ديلاوير Delaware

ولا تقتصر هذه الفوارق على القوانين السائدة فى الولايات المختلفة ، بل يوجد طائفة منها فى قوانين عدد من الولايات المتحدة الامريكية ، كل على حدة . ففى كولورادو مثلا يعاقب المرء على سرقة كلب من الكلاب بالسجن عشر سنوات ، ولا يعاقب على قتل ذلك الكلب باكثر من السجن ستة اشهر مع دفع غرامة مالية لا تزيد على ٥٠٠ دولار . أما فى كاليفورنيا فالعقوبة التى تنزلها القوانين بمن يسرق سيارة ما بكاملها هى السجن لمدة لا تجاوز عشر سنوات ، فى حين ان العقوبة التى ينالها من لا يسرق السيارة بل يكتفى بكسر الصندوق الصغير الخاص بسائقها ، فهى السجن لمدة خمسة عشر عاما .

طرائف لا تخلو من حكمة

● لا يدرى المرء أحيانا اذا كان بعضهم مصابا « بخفة العقل » أو « بخفة الدم ».

● يذهب بعض الأطباء الى أن الرجل اطول قليلا فى الصباح منه فى المساء . نحن لم نتحرَّ حقيقة هذا القول بالذات ، ولكننا واثقون من جنوح الانسان الى شىء من « القصر » فى آخر النهار ، ومن تعرضه الى مزيد من القصر فى آخر الشهر .

● لكل مشكلة وجهان وحلاّن . والسياسى هو الذى يأخذ بكلا الوجهين والحلّين .

● الشعور الغالب على قلب العروس ليس شعورَ سعادةٍ بقدر ما هو شعور نصرٍ وغلبة .

الزواج والمهــــور فى بلاد متخلفة نائية

● من طريف ما يروى عن الزواج فى بلاد غينيا الجديدة ، تلك البلاد المتخلفة اجتماعيا ، والتى لم تمتد اليها المدنية الا قليلا ، ان العروس لا تختلف كثيرا عن السلعة التى تشترى وتباع فى الاسواق ، فى نظر اهل تلك البلاد . فالمهر ثمن لا مفر من دفعه لابتياع السلعة . ولكنه يقلّ او يزيد لابالنظر الى جمال الفتاة وحسبها ونسبها وانما تبعا لمهارتها وكفاءتها فيما تمارسه من أعمال ، وقدرتها بالتالى على تحصيل الأموال . فالفتاة الجاهلة التى لا تستطيع القيام بغير الاعمال المنزلية سلعة كاسدة هناك . والمَهْرُ المتداول لأمثالها فى سوق الزواج لا يعدو كونه مجموعة اشياء تعطى على سبيل المقايضة ، فيتم الاتفاق بين الآباء . من ذلك ، على سبيل المثال :

١ — خنزير

٥ — شباك للصيد من الحجم الصغير الذى يكون على هيئة اكياس .

١٠ — صحون

١٠ — قدور للطبيخ

١ — عقد مكون من اسنان الكلاب

٢ — سهمان

٧٢ — رغيفا من الخبز

٧٠ — رطلا من السكر

١١٢ — رطلا من الارز

٣٦ — علبة من اللحم المعلب .

اما تفاهة هذا المهر فتتضح اذا علمنا أن قيمة كل هذه الأشياء مجتمعة لا تزيد على ٢٨٠ دولارا. وهو بلا ريب مهر او ثمن بَخْس اذا ما قورن بالمهر الذى بلغ ٤٠٥٠ دولارا ، وقد دفعه مؤخرا موظف غينى فى تلك البلاد يتقاضى ١٨ دولارا فى الأسبوع ، وذلك فى سبيل الزواج من مُمرّضة غينية متدربة ، لا يقل دخلها عن دخله .

(عن مجلة لايف الامريكية)

كتب كان لها شان فى التاريخ

كتاب «كفاحي» لأدولف هتلر



● الى أولئك الذين لا يقيمون كبيرَ وزنٍ للكتب ، ولا يدركون التفاعل الحيوى البالغ بينها وبين حياة الواقع ، ولا يخطر لهم ببال ان جانبا كبيرا من مدنية الانسان ورفاهيته بل وجانبا اكبر من التاريخ وحروبه وثوارته انما يعزى الى حروف وكلمات تضمنتها كتب وكتيبات ... الى أولئك البسطاء من الناس ، سيقت هذه الحقائق والمعلومات .

كان لكتاب « كفاحى » Mein Kampf الذى كتبه ادولف هتلر ، وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره ، فى فترة السنتين التى قضاها فى السجن بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٦ ، أبعدُ الاثر فى زجّ الحضارة الانسانية فى اتون الحرب العالمية الثانية . وعلى كل ما احتواه هذا الكتاب من نظرات صائبة ثاقبة ، فانه قد حفل بوفرة من النظريات السخيفة والآراء التافهة ، ولم يعدُ كونه كتابا من الكتب قوامه الحروف والكلمات والحبر والورق . ومع ذلك فقد اقام الدنيا باسرها واقعدها ، واحدث فيها من الانقلابات والازمات ما هزّ أركانها ، وغير حدود الدول فيها ، وبدّلها أو محاها ، ونشر الموت بين اهلِ الارض وسكانها ، بحيث تكبّدت البشرية بسببه الملايين من الضحايا ، زهقت أرواحهم بمعدل مليون مقابل كل فصل من فصوله ، وبمعدل ١٢٥ لقوا حتفهم مقابل كل كلمةٍ من كلماته .

القديم والحديث

يتساندان ولا يتعارضان

بقلم : الدكتور عز الدين اسماعيل

■ ما يزال التيار الموغل فى البحث عن الجديد،والتيار المنقب فى القديم ، يتلازمان فى عصرنا هذا منذ بداية النهضة حتى اليوم . وفى النظرةالسريعة قد يبدو هذا الانقسام عاملا من عوامل تفتيت الثقافة وتقويض البنية الفكرية لمجتمعنا ،ولكنني أراه ـ على العكس ـ علامة صحة وحياة . فالخطر الحقيقي ليس فى ايغالنا فى البحث عن الجديد ، ولا فى تنقيب بعضنا فى القديم ، وانما الخطر كامن دائما فى عمليات التزييف التى قدتصحب استقبالنا للجديد ونظرتنا الى القديم ..

لا بد من الاحاطة الشاملة قبل الحكم على الاشياء ، من قديم أو حديث

واول بديهية تلفت اليها فى هذا السياق هى انك لن تكون قادرا على الحكم على شىء قبل أن تمتلكه . وأعنى بالامتلاك،فى مجال الثقافة الاستيعاب الكلى والاحاطة الشاملة . ومن ثم فانه من التزييف الضار أن نصدر احكامنا على أشياء لم نرها الا من زاوية واحدة ، أو من مجموعة من الزوايا دون غيرها . ويستوى هذا بالنسبة للجديد والقديم على السواء .. ولعله من أجل هذا ـ ورغم الدراسات الكثيرة السابقة التى تناولت تراثنا الأدبى ـ ظهرت منذ سنين الدعوة الى ضرورة اعادة النظر فيما سبق أن صدر من أحكام بشان هذا التراث . ولا انكار فى هذا المجال لفائدة الثقافة العصرية ، فالمؤكد أن الدعوة الى اعادة النظر لم تنشأ جزافا ، وانما خلقت هذه الثقافة العصرية فى نفوس الكثيرين الوعى بضرورة شمول النظرة قبل اصدار الحكم . ويندر ، ان لم ينعدم ، أن تكون هذه النظرة الشاملة لتراثنا الأدبى والفكرى قد تحققت لباحث من قبل ..

ان كتب الدكتور احمد امين التى يؤرخ فيها للحياة الفكرية عند العرب تعد ـ من هذه الوجهة ـ أول محاولة فى سبيل الوصول الى النظرة الشاملة .وهذه هى أروع قيمة لهذه الكتب ولكنها رغم ذلك مليئة بالاحكام التى تحتاج الى مراجعة . وفى ظنى أن السر فى ذلك يرجع الى أنها لم تستفد من العصرية فائدة كبيرة فى القاء الأضواء المختلفة على القضايا المطروحة ، وفى ربط الظواهر المتجانسة بعضها ببعض ، وكذلك الظواهر المتعارضة لاستخلاص الحقائق الكبرى العامة ..

لا بد من تجديد النظر فى الثقافة ، ما دامت هي دائمة التجدد

ان المزيد من الايغال فى الثقافات العصرية

لا بد من الإحاطة الشاملة قبل الحكم في قديم أو حديث

لغة الشعر قضية تثار دائما عند مراحل التجديد

ليس القدماء أعلم منا بالذي خلفوا لنا من تراث

الجديدة يمكننا من غير شك من اعادة النظر على الدوام فى هذا التراث . وما دامت هذه الثقافات متجددة ، فانها ستفتح لنا كل يوم نافذة جديدة نطل منها على هذا التراث ، فاذا بنا نراه بنظرة أوسع وأشمل من ذى قبل ، وعند ذاك نلمس ضرورة تمحيص ما سبق أن صدر بشأنه من احكام .

ومعنى هذا أنه من الخطأ أن نقف فى فهمنا وتقديرنا لهذا التراث عند مرحلة بعينها نعد احكامنا فيها عليه احكاما نهائية . من الخطأ أن نقفل هذا الباب ونستريح ، ونقول اننا قد فرغنا نهائيا من النظر فى تراثنا والعناية به ، وانما سيظل الاهتمام به واعادة النظر فيه واصدار الجديد من الأحكام عليه فى ضوء ما نحرزه من تقدم ثقافى عصرى ـ سيظل هذا الاهتمام ، كما قلنا ، علامة صحة وحياة ، ما دمنا مؤمنين بالجديد ومخلصين للقديم ..

ونحن بهذه الحركة الدائبة فى التنقيب والبحث فى القديم لا نزجى أوقات فراغ أو نشغل انفسنا بتاريخ عقيم ، فكل فترة من حياة الانسان هى جزء من مكونات حياته، ولن يستطيع انسان ان يتحدث عن نفسه اليوم دون أن يذكر كل ماضيه . ومن ثم يجب أن يكون الماضى ـ بخاصة فى حياة امة ـ قطعة حية متحركة ، وسبيلنا أن نعيد اليها الحياة والحركة ان هى خمدت ، وأن نبث فيها كل يوم مزيدا من الحياة والحركة . وليس من صالحنا فى يومنا ولا فى مستقبلنا أن يظل لها وجه واحد شاحب هزيل متغضن ..

ليس قدماؤنا أعلم منا بما خلفوا لنا من تراث

قد يقال لنا اننا بهذا الأسلوب من الاحياء ، وحين نستهدف من مداومة النظر فى التراث هذا الهدف ، انما نبتعد بهذا التراث عن أصله ، ونحمله فى كل مرة أكثر مما يطيق والواقع اننا نخطىء دائما فى تصورنا ان القدماء كانوا أعرف منا بتراثنا ، أو كانت لديهم امكانية معرفته أكثر مما هى متاحة لنا . انهم بلا شك اقرب منا اليه ، اما نحن فنبتعد عنه فى التاريخ يوما بعد يوم . ولكن قربهم منه وبعدنا عنه لا يجعل لهم الحق فى الكلمة النهائية ، بل اننا ـ رغم بعدنا ، بل قل بسبب هذا البعد ـ قادرون على رؤيته رؤية أكثر شمولا . وكل صورة جديدة نرى فيها هذا التراث انما هى صورة صحيحة وصادقة بالنسبة اليه، وبالنسبة لمستوى رؤيتنا ...

بهذا الأسلوب اذن لا يكون التراث قطعة ملقاة او معطلة من كياننا الثقافى بل جزءا حيا وفعالا فى هذا الكيان، يوسع من رقعته ، ويثرى محتواه. بل أكثر من هذا ان رؤيتنا السليمة لهذا التراث اجمالا وتفصيلا قد تعيننا فى كثير من الأحيان على

تمثل بعض القضايا التى تعترض طريق التجديد نفسه .

لغة الشعر قضية تثار دائما عند كل مرحلة من مراحل التجديد

واكتفى هنا بان اضرب مثالا لذلك . فلغة الشعر قضية تثار دائما عند كل مرحلة من مراحل التجديد والتطور فى مجال الشعر . ولا انكار لوقوع هذه القضية من قضايا التجديد فى شعرنا المعاصر موقعا اساسيا . ومعروف أن النزاع يدور حول مدى قرب لغة الشعر وبعدها عن لغة الناس فى حياتهم العادية . وليس المقصود بلغة الناس هنا كلمات الناس التى تجرى على ألسنتهم وانما المقصود روح اللغة كما تتمثل فى كلماتهم . وقد كان مما عيب على شوقى انه يصوغ فى شعره كثيرا من الحكم الشعبية بلغة هي أقرب ما تكون الى لغة هذه الحكم . عيب عليه هذا ممن يتصورون لغة الشعر الفاظا غريبة عن مالوف الناس وعن ثقافتهم ، وتراكيب فيها اغظال وبعد عما استقر فى اذهانهم . وما زال هناك من يناقشون لغة الشعر على هذا الأساس ، ويرفضون ما يظهر فى محاولات التجديد من قرب من لغة الناس . وتصور الأولين الخاطىء يرجع الى ظنهم أن الشعر العربى القديم كان يصطنع لغة خاصة بعيدة عن لغة الناس ، فى حين أن الحقيقة أن الشعر العربى كان يحمل فى كل عصر صورة من لغة الناس والحياة فى هذا العصر ..

غزل الشاعر ابن قيس يمثل نهضة الشعر الغنائي فى عصره

وقد سرني كثيرا ان اقف على ما يؤيد هذه الحقيقة فى الكتاب الذى اصدره أخيرا الدكتور ابراهيم عبد الرحمن عن حياة الشاعر ابن قيس الرقيات وشعره . فابن قيس الرقيات من اقوى الشعراء تعبيرا عن عصره ، وهو يعد فيه من الشعراء المقدَّمين المعدودين ، ولا شبهة عند احد من المتقدمين او المتاخرين فى قيمة شعره . يقول الدكتور ابراهيم : « وفى الحق ان غزل ابن قيس فى رُقَيَّة وفى غيرها من النساء يمثل هذه النهضة التى نهضها الشعر الغنائي فى عصره ، بما شاع فيه من الملاءمة بين لغته ولغة الجمهور .. » ،

وهو يعني بالجمهور هنا جمهور الشعب العربى فى صدر الاسلام والعصر الأموى ..

وهو لم ينته الى هذه النتيجة جزافا ، وانما انتهى اليها بعد التمحيص الدقيق للغة الشاعر وشعره ، رابطا بين هذا وبين وجه الحياة الادبية فى ذلك العصر ، مسجلا بذلك تطور الشعر العربى ولغته نتيجة لتطور وجه الحياة العربية والمجتمع العربي ..

الشعر الجاهلي استخدم من الفاظ التعبير ما هو شديد القرب من لغة الناس فى عصره

وهناك مثال آخر قدمته الينا الدراسات الادبية الحديثة التى تستهدف اعادة النظر فى تراثنا الادبي وفيما استقر فى اذهاننا عنه من تصورات . فقد الف الدكتور محمد النويهي كتابا ضخما عن الشعر الجاهلي ، سبق ان نشر بعض فصوله فى مجلة الثقافة التى كانت تصدر بالقاهرة . ومع أن هذا الكتاب لم يفرغ العمل فيه فى المطبعة بعد فان تلك الفصول التى سبق نشرها تسمح لنا بتمثل جانب من النظرية التى اقام عليها الباحث دراسته ، وهو الجانب الذى يهمنا فى هذا المقام ..

لقد استقر راى الباحث فى هذه الدراسة الضخمة على أن الشعر الجاهلي كان يستخدم من الفاظ اللغة ومن صور التعبير ما هو شديد القرب من لغة الناس فى ذلك العصر . وهو يرى انه من الواجب علينا كي نحسن تذوق هذا الشعر ان نتمثله فى اطار روح اللغة كما كان العرب فى الجاهلية يستخدمونها فى حياتهم العادية . بل لقد استطاع الباحث فى مواطن كثيرة من دراسته لنماذج ذلك الشعر أن يقربها الى ذوق المتلقى وحسه من خلال العبارات الشعبية التى ما زلنا حتى اليوم نستخدمها فى حياتنا اليومية . وفى هذا تاكيد جديد لسريان نبض لغة الحياة فى لغة الشعر ..

فاذا كانت الدراسات الممحصة قد أكدت لنا علاقة لغة الشعر بالحياة فى العصرين الجاهلي والاموى فان الدعوة العصرية لضرورة المواءمة بين لغة الشعر ونبض الحياة الراهنة تكون دعوة وجيهة لها ما يبررها ..

لغتنا ، فى عصرنا هذا ، اختلفت عن لغة أى عصر مضى

ان لغة عصرنا تختلف بكل تأكيد عن لغة أى عصر مضى . وهي لا تختلف عنها من حيث هي لغة مجردة ، فما زالت عربيتنا الأدبية أو الكتابية بعامة هي العربية الفصحى ، وانما تختلف من حيث علاقتها بظروفنا المعاشية الراهنة ، بأفكارنا وتصوراتنا وآرائنا ، بمشكلاتنا وقضايانا ، وبكل ما يمثل الجوانب الروحية والمادية فى حياتنا . وكل هذا من شأنه أن يشكل اللغة تشكيلا جديدا يتناسب وواقع هذه الحياة ، حتى يكون للشعر دور فعال فى نفوس متلقيه ..

« يا حادى العيس » لا تتفق وهذا العصر

لم تعد عبارة مثل « يا حادى العيس ... » مثلا تعني شيئا بالنسبة للانسان المعاصر ، وكذلك لم تعد مثل هذه المبالغة فى قول الشاعر « لولا مخاطبتي اياك لم ترنى » أو قوله :

تركت منـي قليــــلا
من القليل أقلا .. الـــخ

لم تعد مثل هذه المبالغة مقبولة فى عصرنا لتعبير الشاعر عما يصنعه الحب بجسمه ..

وهذان المثالان اللذان يرتبط أحدهما بصورة من صور الحياة المادية والآخر بصورة من صورها المعنوية يكفيان للتدليل على أن مواصفات العصر لا تسمح بالتعامل مع روح اللغة الذى كان ممثلا لعصر آخر ومقبولا فيه . فليس لحادى العيس وجود فعال فى حياتنا حتى يصح أن ترتبط به بعض مشاعرنا . وكذلك الشأن فيما يختص بالحب ، تلك العاطفة الانسانية الخالدة ، فقد تشكلت هذه العاطفة فى عصرنا هذا بحيث صار حديث المحب عن هزال جسمه نتيجة لهيامه شيئا قد يبعث على الضحك ولكنه لن يثير التعاطف ..

لغة الشعر العربى ، منذ البارودي ، تطورت بما يتفق ولقمة العيش

وكل من يتابع حركات التجديد فى الشعر العربي الحديث يلاحظ أن أبرز ما أصاب هذا الشعر من تطور ، منذ عهد البارودى حتى حركة التجديد الأخيرة ، انما يتضح فى تطور لغة هذا الشعر بما يتفق ولغة الناس ، بالمعنى الذى سبق أن شرحناه . فقد اقترب شوقي فى بعض شعره من هذه اللغة كما قلنا وان أساء المتزمتون فهم هذا الشعر وقيمته . ثم أحدثت المدرسة الرومنتيكية تطورا ملحوظا فى لغة الشعر وفى أساليبه وصوره بما يناسب المرحلة التاريخية التى عاشتها من حياتنا ، ثم وجدت المدرسة الجديدة نفسها تواجه ظروفا جديدة على المستويين السياسي والاجتماعي ، فسعت الى خلق اللغة الشعرية التى تعكس وقع هذه الحياة . ولا شك أن كل تجديد من هذا النوع مشروع بل لعله واجب ، ما دام الواقع التاريخي يسنده ويعززه ..

اللغة الشعرية فى كل زمن شديدة المساس بلغة الجمهور

وهكذا تؤكد لنا حياة اللغة الشعرية أنها كانت فى كل زمن شديد المساس بلغة الجمهور . ولا شك فى أن ادراكنا لهذه الحقيقة من واقع تراثنا الأدبي لا ينفصل عن ادراكنا للغة الشعر كما ينبغي أن يكون فى العصر الحاضر بل يؤكده . وسوف يجد الداعون الى تحرير لغة الشعر وضرورة الملاءمة بينه وبين لغة الجمهور فى هذه الحقيقة التى تقررت بشأن الشعر القديم ــ وهو الآن جزء من تراثنا ــ سيجدون فيها من غير شك السند الكافي لتعزيز دعوتهم وتأكيد صلاحيتها ..

ومن هذا يتضح لنا كيف أن التيارين ، تيار السعي نحو التجديد وتيار التنقيب فى القديم ، لا يمثلان تناقضا فى حياتنا الثقافية أو تمزقا ، وانما هما تياران متوازيان ومتساندان ، ومن الأفضل استمرارهما على الدوام ، فكلاهما يغذى الآخر . وكل ما ينبغي تأكيده هنا كيما تظل الحياة محتفظة بصحتها هو أن يكون المتحمس للجديد ملما بالقديم كما أن يكون المنقب فى القديم على وعي كاف بالجديد ، فالعمل فى أى هذين الميدانين على هذا الأساس هـو تعزيز واثراء للميـدان الآخـر .. ■■

عز الدين اسماعيل
كلية الآداب ــ جامعة عين شمس



ركن الأسرة والمرأة

ما كل رجل أو امرأة بصالح للزواج

■ بعض الناس يجب الا يتزوجوا !

هذه هي النتيجة التي توصل اليها الدكتور هوجو أ . بوردو « Hugo A.Bordeau » الطبيب النفساني الامريكي المعروف خلال الفترة التي مارس فيها مهنته والتي تزيد على خمسة عشر عاما كاملا !

لقد توصل الدكتور هوجو الى هذا الرأي بعد أن استمع الى مئات من الناس الذين جاءوا يشكون اليه متاعبهم في الزواج .

وكانوا خليطا من البشر ، الحقود منهم والخجول ، الحائر والمتعجرف ، الباكي والحزين .

يقول الدكتور هوجو :

« كنت أتحدث يوميا الى الرجال والنساء الذين بلغ من افتقارهم للصفات اللازمة للزواج ان اصبحوا يتسببون في اتعاس أنفسهم واتعاس زوجاتهم أو أزواجهم وكذلك أطفالهم الصغار .

ولا أعني بذلك هؤلاء الذين لا يتمتعون باللياقة البدنية ، أو الذين يعانون من امراض عقلية ، ولكنني أتحدث هنا عن هؤلاء الاشخاص العاديين من الرجال والنساء الذين لا يفتقرون الى الذكاء ، ومن بينهم عدد كبير يتمتع بشخصية تجذب الناس اليه ، ومع ذلك فهم غير صالحين من حيث العاطفة للزواج .

متاعب بالجملة

انهم دائما بيننا ، نجدهم في العناوين العريضة التي تنشرها الصحف ، وفي قلب مجتمعنا الذي نعيش فيه . فهناك الممثلة السينمائية التي تغير ازواجها بنفس السرعة التي تغير بها فساتينها ، وهناك الرجل الذي يهجر أسرته فيخرج عن بيته بالسهولة التي يخرج بها من فندق ثم لا يعود. ثم هناك ايضا الزوجة التي تحزم حقائبها وتترك بيت الزوجية لتذهب الى أمها الى غير رجعة .

لقد كان كل هؤلاء يجيئون الى عيادتي ويجلسون امامي ليحدثوني عن متاعبهم . وكان بينهم الرجل الذي جاءني من بلد صغير . يتحدث في ثقة عن نفسه فيقول انه لم يشعر ابدا بان هناك من استطاع ان ينافسه في عمله . لقد بدأ واضحا من حديثه انه يفرط في ثقته بنفسه ! أن هذا الرجل تزوج ، ولكن زواجه مع هذا الغرور قد انهار بعد مولد طفله الاول مباشرة . وكانت شكواه ان زوجته اهملته وفضلت الطفل الصغير عليه !!

الطبيبة التعسة

وكان من بين من جاءني الطبيبة التي تكسب اكثر من زوجها . ان عملها يضطرها الى البقاء بعيدا عن البيت معظم وقتها . وجلست تروى لي كيف اضاعت فرصة الاستمرار فى ابحاثها الطبية لان زوجها هدد بأن يهجرها اذا هي مضت فى تلك الابحاث .

وعندما قابلت هذه الزوجة الطبيبة لاول مرة كانت تدمن الخمر تحاول بذلك أن تغرق فيها الآلام التى سببها لها شعورها بالفشل ، فلا هي اصبحت طبيبة ناجحة ولا هي اصبحت زوجة صالحة !

لماذا تزوجوا ؟

مثل هؤلاء الناس كان يجب الا يتزوجوا !

والواقع انهم أقدموا على الزواج لمجرد انهم وجدوا أن من الصعب عليهم أن يعيشوا بدونه . فالمجتمع يفرض علينا الزواج كما أن عددا كبيرا من أصحاب الاعمال يشترط على طالب الوظيفة عنده، سواء كان رجلا أم امرأة،ان يكون متزوجا،ذلك فضلا عن الحرج الذى تشعر به المرأة غير المتزوجة أو الرجل الاعزب عندما يدور الحديث أمامهما عن البيت والاطفال ، وعن تكاليف الحياة . وأسوأ من هذا كله الشعور العام عند الناس بان هناك شيئا غير طبيعي فى الفتاة التى فاتها القطار فلم تتزوج أو فى الرجل الاعزب، وهما كثيرا ما يتعرضان للسخرية أو للعطف وكلاهما مر . ذلك الى جانب المحاولات المؤلفة التى لا يفتأ يتطوع بها المتطوعون لمساعدة صديق الاسرة الاعزب على الزواج عن طريق ترتيب مقابلة بينه وبين احدى الفتيات .

النتيجة الحتمية

وتكون نتيجة هذا الحرج كله أن يقدم بعض هؤلاء على الزواج ، للهرب من السخرية ، أو للتخلص من هذا النقص الذى يزعمه الناس فيهم، أو للهرب من الوحدة ، وذلك رغم انهم غير صالحين لزواج . فماذا يحدث لهم بعد زواج ؟ انهم اما أن يعيشوا على هامش الزواج فى جو من التوتر والمنازعات على احسن الفروض ، واما أن تنتهي حياتهم الزوجية بالطلاق وما يترتب عليه من شقاء زوجين ، ومن تشريد للاطفال وحياة تملؤها الذكريات المريرة .

ان كل فتاة وشاب يستطيع أن يوفر على نفسه الدخول فى هذه التجربة المريرة اذا تريث قليلا ليسأل نفسه : « هل انا احد هؤلاء الذين يجب الا يتزوجوا ؟ » .

ولكي نجيب على هذا السؤال يجب أن نحدد اولا من هم هؤلاء الذين لا يصلحون للزواج .

اصحاب المهن

انهم (أولا) بعض أصحاب المهن .. الرجال والنساء الذين يعتبرون مهنتهم من الاهمية بحيث لا يمكن أن يعترفوا بالزواج الا كوسيلة لتدعيم نجاحهم فيها . ان هذا الطراز من الناس ، سواء كان رجلا أم امرأة لا يعتبر الزواج واجبا ، فهو يختلف فى نظرته اليه مع نظرة الاسرة والمجتمع وصاحب العمل، فالجميع ينظرون اليه نظرتهم الى واجب مقدس .

ان المرأة او الرجل ، من بعض اصحاب المهن ، يستنكر الوقت الذى يتطلبه الزواج والجهد الذى يبذل فى تدعيمه .

وفرق كبير بين هذا الطراز من أصحاب المهن وبين آخرين منهم يمتلئون طموحا طبيعيا واملا



فى المستقبل يجمع بين مهنة ناجحة وزواج ناجح ان الفريق الاول يفتقر الى مفهوم صحيح واقعي للزواج . والرجل من بين هؤلاء يطلب من شريكة

حياته أن تكون سكرتيره له ، ومدبرة لبيته ، ومضيفة ، ولكنه لا يريدها أبدا زوجة ! بينما نجد المرأة من بين هؤلاء تريد من زوجها أن يكون مرافقا لها فى زياراتها ، وسائقا للسيارة فى تنقلاتها ، ومستشارا لها فى مشاكلها ، ولكنها لا تريده زوجا بالمعنى المتعارف عليه .

الانانيون

وهم (ثانيا) الانانيون .. الذين تتسم مطالبهم بالأثرة وحب النفس ، والذين يعانون فى نفس الوقت من اضطرابات تتعلق بطبيعة شخصيتهم بحيث لا يستطيعون التعود على الاهتمام بغيرهم من الناس . فهم اما غير مدركين لمطالب الآخرين او غير مبالين بها . وهؤلاء لا يرضون ابدا الا بنصيب الاسد من ميزانية الاسرة ، واذا جلسوا يتناولون طعامهم اسرعوا باختيار احسن شريحة من اللحم ووضعوها امامهم .

ان اى شخص يستطيع التعرف على هذا الطراز من الناس فغرورهم دائما ظاهر ، وحاجاتهم



الدائمة الى المديح والاطراء بينه ، واعتمادهم على عطف الغير عليهم لا يخفى وكذا ميلهم الى الثورة والغضب اذا لم تنفذ لهم رغباتهم .

المراهقون الكبار

وهم (ثالثا) المراهقون الكبار .. وهؤلاء غير مسموح لهم بالانفصال عن عائلاتهم ، أو هم غير قادرين على ذلك حتى اذا أرادوا ، فالروابط العائلية لديهم اقوى من أن تنفصم ، وهم يريدون من أبويهم دائما أن يشاركوهم حتى فى اختيار الاصدقاء ويدعوهم الى الخروج معهم فى نزهاتهم.

انهم يشعرون دائما أن أمامهم التزامات قوية تجاه عائلاتهم . وكل تصرفاتهم وأعمالهم تتم بوحي من والديهم .

دور المرأة والرجل

وهم (اخيرا) المتنافسون : وهؤلاء يفتقرون الى ادراك دور الرجل ودور المرأة فى الزواج ، وانهما دوران مختلفان ، كما تنقصهم القدرة على القيام بهذا الدور لو أنهم ادركوا طبيعته . أنهم يتنافسون فيما بينهم على القيام بنفس الدور الذى يعتبر من صميم اختصاص الجنس الآخر .

والمرأة من هذا الطراز من الناس تنفرد بروح العداء للرجل والرغبة فى السيطرة عليه ، والميل الى تقليد الرجال عامة !

اما الرجل من هذا الصنف فهو يبدو سالبا للغاية ومترددا واقرب الى النساء فى تصرفاته .

الشذوذ لا يمنع من جاذبية

وهؤلاء الشواذ ، رغم ما نقول فيهم ، يتمتعون غالبا بجاذبية قوية .

فاصحاب المهن الذين يكرسون حياتهم لمهنهم دائما ما يكونون ميسورى الحال وعلى درجة من الثراء ، واثقين بانفسهم وغير محتاجين لمعونة الآخرين ، كما انهم مرحون فى العادة .

والمراهقون الكبار الذين نشأوا وتربوا فى احضان ابويهم اشخاص يتميزون غالبا بالوداعة ، ويحبون الناس ، وقلوبهم عامرة بالدفء والحنان .

حتى الانانيون قد تجدهم محدثين لبقين ، ولو انهم يحرصون دائما على أن يكون معظم حديثهم عن انفسهم !

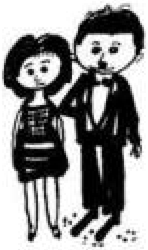
ومع هذا واصلاح هؤلاء بعد الزواج أمر صعب للغاية وان لم يكن مستحيلا . ان تكييف المرء حياته الجديدة من بعد الزواج عملية صعبة للغاية اذا لم يسبقها تغيير شامل لشخصيته .

فما الذى يمكن أن نفعله اذن لتجنب النتائج السيئة التى تترتب على زواج هؤلاء الذين لا يصلحون بطبيعتهم للزواج ؟

تجنب الكارثة

ان كل فتاة او شاب يعتزم الزواج يجب ان يسأل نفسه هل هو او خطيبته من بين تلك الاصناف

من الناس التي يجب الا يتزوجوا ابدا. فاذا كان لديه ادنى شك في الوصول الى اجابة صحيحة بينه وبين نفسه ، وجب عليه أن يبحث الموضوع كله بصراحة مع بعض الاشخاص الذين يثق فيهم وفي



حكمهم ممن خبروا الحياة طويلا ، وخبروهم هم ايضا في مقداهم ومراحهم .

بقي بعد ذلك سؤال هام : كيف يكون الحال لو نصحوك بان لا تتزوج ؟ . هل معنى هذا صدور الحكم على الفتاة او الشاب بالعيش في وحدة طول الحياة ؟ !

النجاح بلا زواج

والجواب لا . فقد اثبت الملايين من الفتيات والشبان الناجحين الذين يمتلئون بالحياة والنشاط انهم يستطيعون البقاء بلا زواج والاستمرار في كفاحهم من اجل تحقيق هدفهم في الحياة .

فلا تشفق على نفسك كثيرا اذا كنت غير صالح للزواج ، فكّر في التعاسة التي وفرتها على نفسك وعلى الاخرين بفضل بقائك بلا زواج . فالزواج يمكن ان يصبح اجمل علاقة انسانية ، ويمكن ان يكون اتعس العلاقات التي تقوم بين رجل وامراة . فالحياة في منازعات لا تنتهي ، والجو الذي يسوده التوتر يمكن ان يؤدي في النهاية الى اضطراب اكثر العقول تفكيرا وحيوية .

ان اي شخص يستمع الى القصص المحزنة ، التي اشخاصها الازواج التعساء ، سوف يتقبل هذه الحقيقة التي اوردها ، وهي ان البقاء بلا زواج ، لبعض بني الناس ، هو النعمة الكبرى . وهي نعمة سالبة ، مفادها الافلات من المآسي .

النجاح بلا زواج

العربي : هـذا راى لطبيب نفسـاني مجرّب صدع به عن خبرة . شرح فيه كيف يكون الزواج مأساة واتى على بعض اسباب ذلك . ونحن نؤكد هذه المعاني ، وحسبنا ان نقف عندها ولا نسير معه الى آخر المطاف . فانت اذا وصفت الداء ، فقد جاز ان يكون له دواء .

الطبع غلب التطبع

● قال بعضهم كنت في سفر فضللت في الطريق فرايت بيتا في الفلاء ، فاتيته ، فاذا باعرابية فيه ، فلما راتني قالت : من تكون ؟ قلت : ضيف .. قالت : اهلا ومرحبا بالضيف ! انزل على الرحب والسعة ! قال : فنزلت ، فقدمت لي طعاما فاكلت ، وماء فشربت ، فبينما انا على ذلك اذ اقبل صاحب البيت فقال : من هذا ؟ فقالت : ضيف .. فقال : لا اهلا ولا مرحبا .. مالنا وللضيف !؟ فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت . فلما كان في الغد رايت بيتا في الفلاة فقصدته فاذا باعرابية ، فلما راتني قالت : من تكون ؟ قلت : ضيف .. قالت : لا اهلا ولا مرحبا .. مالنا وللضيف ..! فبينما هي تكلمني اذ اقبل صاحب البيت .. فلما رآني قال : من هذا ؟ قالت : ضيف .. قال : مرحبا واهلا بالضيف ! ثم اتى بطعام حسن فاكلت ، وبماء شربت .. فتذكرت ما مر بي بالامس . فتبسمت . فقال : ممم تتبسم ؟ فقصصت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها ، وما سمعت منه ومن زوجته فقال : لا تعجب ! ان تلك الاعرابية هي اختي ، وان بعلها اخو امراتي هذه ، فغلب على كل طبع اهله !

طرائف عربية

من نوادر القضاة

● « قيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من اكابر العقلاء ، وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها . فكان من جملة الوقائع التي صدرت منه ، وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح ، انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالأمانة ، فاتفق أن رجلا اراد ان يحج ، فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ، ثم حج ، فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه ، فانكره وجحده ، فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال القاضي : هل اخبرت بذلك احدا غيري ؟ قال لا ، قال فهل علم الرجل انك اتيت الي ؟ قال لا . قال انصرف واكتم امرك ثم عد الي بعد غد ، فانصرف . ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له : قد حصل عندي اموال كثيرة ، ورأيت ان اودعها عندك ، فاذهب وهيىء لها موضعا حصينا ! فمضى ذلك الرجل ، وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل ، فقال له القاضي اياس : امض الى خصمك ، واطلب منه وديعتك ، فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس اتحاكم انا وأنت عنده ! فلما جاء اليه دفع اليه وديعته .. » .

.. والبادي أظلم

● دخل شريك بن الاعور على معاوية وهو يختال في مشيته . فقال له معاوية : والله انك لشريك ، وليس لله من شريك ، وانك ابن الاعور ، والصحيح خير من الاعور ، وانك لدميم والوسيم خير من الدميم ، فيم سودك قومك !! فقال له شريك : والله انك لمعاوية ، وما معاوية الا كلبة عوت فاستعوت ، فسميت معاوية ، وانك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وانك ابن صخر ، والسهل خير من الصخر ، وانك ابن أمية ، وما امية الا امة صغرت فسميت امية !

زيت الاكل وزيت السراج

● روي أن السراج الوراق أرسل غلاما له يوما ليبتاع له زيتا طيبا ليأكل به لفتا ، فأحضره وقلبه على اللفت ، فوجده زيتا حارا ، فأنكر ذلك على الغلام ، وأخذه وجاء الى البياع وقال له : لم تفعل مثل هذا ؟ فقال له البياع : « والله يا سيدي ما لي ذنب لأنه قال أعطني زيتا (للسراج) ! » .

من حكم العرب وأقوالهم

- من رضي من نفسه الاساءة شهد على أصله بالرداءة .
- افضل المعروف اغاثة الملهوف .
- لاتستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير ، فان الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها !

أنا وابن عمي على الغريب

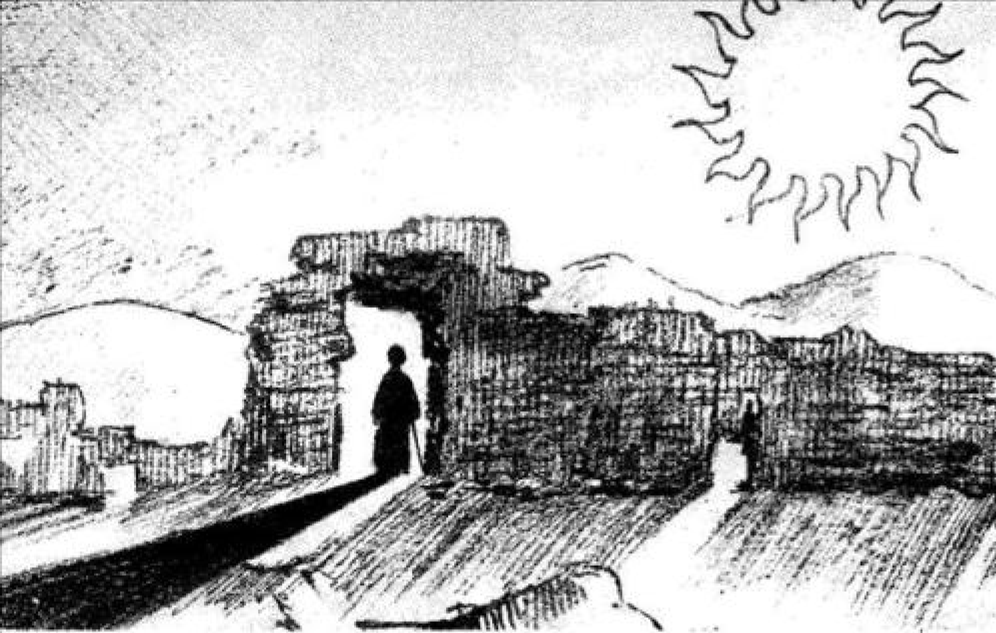
● « مات بعض خلفاء المسلمين ،فاختلفت الروم واجتمعت ملوكها. فقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض ،فتمكننا الفرصة منهم والوثبة عليهم . وعقدوا لذلك المشورات وتراجعوا فيه بالمناظرات . واجمعوا على انها فرصة الدهر . وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والرأى غائبا عنهم . فقالوا من الحزم عرض الرأى عليه . فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال : لا ارى ذلك صوابا ! فسألوه عن علة ذلك فقال : فى غد اخبركم ان شاء الله تعالى. فلما اصبحوا اتوا اليه وقالوا له : قد وعدتنا أن تخبرنا فى هذا اليوم بما عولنا عليه ،فقال: سمعا وطاعة ! وأمر باحضار كلبين عظيمين كان قد أعدهما . ثم حرّش بينهما وحرض كل واحد منهما على الآخر ، فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما ، فلما بلغا الغاية ، فتح باب بيت عنده ، وارسل على الكلبين ذئبا كان قد أعده لذلك ، فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتألفت قلوبهما، ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه . فأقبل الرجل على اهل الجمع فقال : مثلكم مثل هذا الذئب ! لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتألفوا على العدو ! فاستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه ،فهذه صفة العقلاء » .

اللحن ارضاء للحكام

● قال الحجاج للشعبي يوما . كم عطاءك ؟ قال الفين . . . فقال له ويحك ، كم عطاؤك ؟ قال الفان . . . فقال : كيف لحنت أولا ؟ فقال : لحن الامير فلحنت ، فلما أعرب أعربت ، وما يحسن أن يلحن الامير وأعرب ، فاستحسن ذلك منه واجازه .

الهمُّ خير وسيلة

● كان بعض ملوك الارض قديما كثير الشحم ، فجمع الحكماء وقال : احتالوا لي بحيلة يخف بها عني لحمي قليلا . فما قدروا له على شيء ، واخيرا قال له احدهم: ان اعطيتني الامان وصفت لك دواء علتك فلما امنه قال له: رأيت طالعك يدل على انه لم يبق من عمرك غير شهر واحد. فامر الملك بحبسه ورفع الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتما فكلما انسلخ يوم ازداد هما وغما حتى هزل وخف شحمه، وفى نهاية المدة بعث فى طلب الطبيب وساله : ما ترى؟ فقال اعز الله الملك : والله اني لا اعلم الغيب ولا اعرف عمرى فكيف أعلم عمرك ؟! ولكن لم يكن عندى دواء الا الغم ولم اقدر على جلب الغم الا بهذه الحيلة . فاجازه الملك على ذلك واحسن اليه غاية الاحسان !...



الليلُ وَالكَلِمَات

■ ظمآنُ أين منابعى وجداولى ... لاشيءَ غيرُ سساسب ومجاهل
لاشيءَ غيرُ الليل في أبعاده ... وبصيصُ أنجمه رماد مشاعل
وكأننى ، وأنا بعالم واقعى ، ... أبداً أعيش على هوامش راحلِ
متغلغل ، وكأننى مذ أرتقى ... أبدا ، أرانى في مهاوى واغل
وقد احترقت مع الحروف ،وها أنا ... بُقيا رماد أضالع ومفاصل
وإذا اشتكت نفسى الظما فلطالما ... قد كنت أشكو من نمير مناهلى

★ ★ ★

ياضيعة العربى لا صحراوُه ... تُجدى ولا أعشاب رِبع آهل
لم يبق من أشعاره وخيامه ... ومن المواقد غيرُ ظل زائل
قُلبت مفاهيم الحياة جميعها ... وتبدَّلت مثل الخيال الآفل
لم يبق في كأس الرشيد بقيةٌ ... لأبى نوّاس في الزمان الراحل
وكأنى مازلت أستقى الطِلَى ... من ليلهم فأنا خميرة ناهل
أبدا أعيش على هوامش عالم ... وهو الذى قد قام فوق كواهلى
أنا ما نَقِمتُ عليه لكنى أرى ... معنى حياتى في فراغ هائل



جدران بيتي لم تسو صخرةً ... كفّي ولا مرت عليه أزاملي
وتكاد أفكاري تذوب بناره ... من بعد ما حرّقت جميعَ أوائلي
متناقض أنا والحياة ، ولم أكن ... قلقا ، ولكني حرارة عاقل
أحرقت يابسة الهشيم بجذوتي ... ثم ارتقيت على الرماد الذابل
ووقفت حيث الشمس تملأ جبهتي ... نورا ، وتملأ بالضياء وسائلي
حتى انتهيت أمام جدران الأُلى ... وضعوه دون مواكبي كالحائل
ونضحت أشعاري على أعتابه ... متلمّسا دَرْبا يقود رواحلي
فسمعت قهقهة الحياة وهُزءها ... منّي وها أنذا نهايةُ جاهل
ولمحت قافلتي التي غنّيتها ... مثلي تضيع بلا قيادة عاقل
ورجعت للماضي لعل بقيةً ... من جذوة تُذكي حرارة خامل
قلِقٌ كحافظة الجبان بداخلي ... قلبان ، قلب مُعاند ومُجامل
هيهات ضعت مع الدروب ولم أجد ... دربا يقود غمامتي وقوافلي
من يشتري الكلمات ، إني بائع ... هيهات ليس لكونها من طائل
كانت كأفواه الظّماء تَعبُّ من ... فيض الطبيعة والجمال الشامل
وإذا تفجرت الحروف بأضلع ... فاضتْ بأغدقِ منبع للناهل
ولكم أطاحت بالعروش وأوقفت ... أقدام خاذلة وعزمةَ خاذل
والآن يابسةُ العروقُ يحيلها ... صخب الحياة إلى احتضارِ قاتل ■■

الكويت ـ محمد الفايز

راسبوتين

أو الشيطان المقدس

بقلم على أدهم



■ « الشيطان المقدس » هو اللقب الذى اطلقه على راسبوتين أحد خصومه الألداء ، وهو القس الراهب اليودور ، وجعله عنوان رسالة الفها فى التشهير براسبوتين والنعي عليه ، وكان اليودور رجلا مرهوب السطوة ، معروفا بسلاطة اللسان ، وله فى الهجاء الباع الواسع ، وقد كان للاتهامات التى وجهها الى راسبوتين والافاعيل الشنعاء التى نسبها اليه أثر كبير فى خلق تلك الصورة التى يظهر فيها راسبوتين رجلا خبيث الطوية سيىء المكر ، والسبب الرئيسى فى انهيار نظام الحكم القيصرى فى روسيا .

ولم يكن من المنتظر فى عهد الثورة التى اطاحت بالنظام القيصرى أن ينظر الى حياة الرجل نظرة محايدة ، ويَعْمَل على ادخال أى تعديل على تلك الصورة الشوهاء التى ابرزَ بها للعالم ، فقد كان يروق القائمين بالثورة الابقاء على تلك الصورة لتكون شاهدا على الفساد الذى ارتكست فيه روسيا القيصرية ، يضاف الى ذلك ولع الكثيرين باخبار الفضائح المدوية والحوادث المثيرة.

ويؤكد لنا المؤرخ العلامة المفكر رينيه فيليب ميللر *René Fülop Miller* فى دراسته الممتعة المؤيدة بالوثائق التاريخية لحياة هذا الرجل العجيب الشأن أن الكثير من الوقائع زيفت والكثير

لعب فى قصر الأسرة القيصرية الروسية الأخيرة باسم القداسة دوراً لم يلعبه فى التاريخ ضريب له ، واغتالوه ، وفى العام التالى لم يكن فى روسيا قصر ولا قيصر.

من التواريخ وضيعت* والكثير من الاسماء الخاطئة للاشخاص والامكنة لفقت* حتى أصبح من الصعب استقصاء الحقائق ، وقد حاولت ابنته ماتريونا Matriona فى رسالة لها صغيرة أن تنصف أباها، وترد اليه شيئا من الاعتبار ، ولكن ما ذكرته عن ابيها ليس الحق كل الحق، فان حبها له واحترامها لذكراه جعلاها تغفل الاشارة الى الظلال السوداء فى حياته ، وتكتفي بوصف الرجل الطيب الرحيم العطوف الذى عرفته أبا لها .

وكان راسبوتين رجلا موفور الحيوية فيه الكثير من الصفات الطيبة مقترنة بالكثير من نواحي الضعف ، فهو رجل كثير الجوانب ، شديد التعقيد ، فيه من المتناقضات ما يوجب على من يحاول رسم شخصيته وتصوير اخلاقه ان يكون شديد العناية فى تقدير ما له وما عليه .

نشأته

وتبدأ قصة حياة راسبوتين فى سيبريا ، فقد كان والده من صغار المزارعين بها ، وكان الى جانب عمله فى الزراعة يقوم بتربية الخيل ، وقد وُفق فى ذلك ، فصلحت أحواله وكثر ماله ، ونشأ راسبوتين محبا للخيل ، شديد الكلف بها ، ميالا الى القراءة فى الكتاب المقدس والاستماع الى ما به من أقاصيص .

ولما اكتمل نموه ، وصلب عوده ، عجب من امره الاب بيوتر قس الناحية ، فقد وجد فيه مزيجا عجيبا من التقوى ولكنه مع ذلك كان يشارك لداته من شبان الناحية فى الاقبال على الشراب وتصيد الفتيات ، وقد قبله بيوتر على علاته ، واغضى عما يعرفه من هفواته لأنه كان دائم القراءة فى الاسفار المقدسة .

وتزوج الشاب جريجورى ، ورزق اطفالا ، وكان مع ذلك لا يزال عائشا فى كنف أبيه ، وفى جانب من دار أبيه كان هناك قبو يشبه الغار لايواء الاولياء أو الهاربين من مطاردة الشرطة .

وحينما بلغ الثالثة بعد الثلاثين من عمره غيرت حادثة عرضية سير حياته ، وذلك أن نجاح أبيه فى تربية الخيل أغراه بأن يضيف الى أعماله فى الزراعة نقل الناس على ظهور خيله من مكان الى آخر ، وتولى هذه المهمة جريجورى الذى كان يحسن رياضة الخيل ويجيد التفاهم معها ومعرفة طباعها .

صلته بالدير

وفى ذات يوم قام بنقل الطالب القس ميلك زاتر وسكي الى دير فيركلوتير ، وتبادلا الحديث فى خلال الرحلة ، ولم يعبأ جريجورى باعادة الخيل الى دار ابيه بل ظل فى الدير .

اعتناقه مذهب الكلستي

وكان ديرفيركلوتير أقرب الى أن يكون منفى

لمعاقبة الرهبان الخارجين على العقيدة ، ويشرف على ادارته طائفة من اشد الرهبان محافظة ، واعجب ذلك الجو جريجورى ، ولكنه سرعان ما سلم زمام نفسه للجماعة الخارجة على العقيدة، وهم انصار مذهب الكلستى Khlysty وهو مذهب يرمى الى التخلص من الخطيئة بالانغماس فيها والندم فى اعقاب ذلك على اقترافها ، وهذا فى نظر اصحاب هذا المذهب الطريق المؤدى الى التوبة الصادقة والايمان الحق ، وهم يقولون كيف يتوب من الذنب من لم يقارفه ؟ وكيف يندم على الخطيئة من لم يقع فى شباكها ويذق حلاوتها ويتجرع مرارتها ؟

وفى اثناء اقامته فى الدير كان يلتزم كبح جماع نفسه ، وقمع شهواته ، وكبت نزواته ، وينزل على ما يتلقى من اوامر ، ويعمل بموجب ما يفرض عليه من نصائح وتوجيهات ، ولما هم بترك الدير بعد ان امضى فيه قرابة عام او اكثر قليلا مثل بين يدى الاب مكارى الراهب الذى كان يعد قديس الناحية ، فقد عاش سنوات فى غار ، فباركه بيديه المعروقتين وانهضه واوصاه بان يقوم بمهمة التبشير بتعاليم الانجيل فى روسيا ، ولم يكن يعرف فرط تأثر جريجورى بمذهب الكلستى ، وعند اتباع هذا المذهب ان جوهر المسيحية هو الندم والتوبة ، ومن ثم لا بد ان يأتي الانسان ما يندم عليه ويتوب عن ارتكابه ، والخلاص عن طريق الخطيئة ، هو خلاصة هذا المذهب الملائم للذين لا يستطيعون الاستجابة للمبادىء والكف عن المحظورات ، وقد اتجه جريجورى راسبوتين الى الاخذ بهذا المذهب الملائم لطبيعته .

عودته الى أسرته

وعاد الى والده وزوجته واطفاله الذين هجرهم دون ان يذكر لهم كلمة عن اسباب غيابه ، وكان قد ارسل لحيته فلم تعرفه زوجته فى بادىء الامر، ولكنها سرعان ما لمحت عينيه الصغيرتين النفاذتين اللتين عرفت قبل ذلك ما فيهما من سحر عجيب، وجاذبية لا قِبَلَ لاحد بمقاومتها ، وعانق زوجته، وأثار دهشتها حينما اتجه الى السلالم الخفية التى تفضى الى القبو المستور .

وظل افراد اسرته لمدة ثلاثة اسابيع يسمعون تارة العويل المنبعث من القبو واخرى ينصتون الى الاناشيد الدينية والتسبيحات الدالة على الابتهاج والغبطة ، واقتنع ابوه ان ابنه قد اصبح من عباد الله الصالحين واوليائه المقربين .

ذيوع تدينه

وشاعت اخبار تقواه فى القرية ، وكان أهل القرية يعرفون الكثير عن ماضيه وانه لم يكن من خيرة الشبان بل لعله كان اشقى من سائر اترابه، واقبل عليه الرجال ليعرفوا ما شأنه ، ويتبينوا احواله ، وتبعهم النساء ، واخذ به الجميع ، وكانوا يعودون من حضرته متأثرين بكلماته ومظهره ونظراته الآسرة ، وقل الاقبال على كنيسة الحي ، وساء ذلك الاب بيوتر قس الكنيسة فانبرى لمنازلة الشيطان ، وخرج من صومعته مفلول العزم ، وذهب احد رجال الشرطة بايعاز من القس الى زيارة راسبوتين فى قبوه ليرى هو نفسه جَلِيَّةَ امره ، ولكنه بعد ان جالسه اخِذَ بسحره ، وكان من السباقين الى التماس البركة من « الاب جريجورى » ، وابلغ رؤساءه انه لم يجد ما يدعو الى الريبة ، واهمِلَتْ شكوى الاب بيوتر .

وتأهب راسبوتين للقيام بالمهمة التى أوصاه بها الاب مكارى ، ولكن قبل ان يبرح عرينه الى قازان كثرت احاديث الناس عن ذهابه الى الغابات المحيطة بيكروفسكو مصحوبا باتباعه من النساء حيث كان يثبت لهن عمليا ضرورة اقتراف الخطيئة للندم عليها والتماس المغفرة ، وظل مظهر النساء المصابات بالعصاب والحريصات على التوبة عن طريق ارتكاب الخطيئة من المظاهر الملازمة له الحافة به اينما اتجه ، والبَيِّنات المؤيدة لحدوثه ثابتة بالروايات المختلفة والادلة القاطعة ، وهذا هو جانب الدجل وناحية الضعف والتهافت فى حياة هذا الرجل العجيب الشأن .

سحره فى النفوس والمرضى

وقد ذهب الى قازان بوصفه من الحجاج ، وكان يشفي المرضى فى الطريق ، وقد كان لسحر نظراته وطريقته فى الحديث التى تجمع بين الخشونة والعذوبة والدهاء والسذاجة اثر ملحوظ فى ابراء الأسقام ، وتبديد الاوهام ، وادخال السرور على النفوس .

وتابع السير حتى وصل الى لينينجراد ـ وكانت تسمى حينذاك بطرسبرج ـ فى سنة ١٩٠٤ وهي عاصمة الحكومة القيصرية ، ودخل اكاديمية اللاهوت ، واستخف الطلبة النجباء فى بادىء الامر بهذا الفلاح القام من سيبريا ولهجته الريفية ، وكانت قد سبقته اليها شهرته بابراء المرضى ، فاخذوا يرشقونه بالاسئلة اللاهوتية ليختبروا معرفته بالمسائل الدينية ، وكان يرد على أسئلتهم فى ايجاز ووضوح دون أن يعاني مشقة ، ولحظ عميد المعهد الاب فيوفان تحلق الطلبة حوله فى دهليز المعهد ، وكان هو الذى يتولى اعتراف القيصر ، فتسلل خفية ليعرف سبب تجمع الطلبة حول راسبوتين ، وادهشته اجابات هذا الفلاح الغريب على أسئلة الطلبة ، واضاف اليها اسئلة من عنده أصعب وادق من الاسئلة التى وجهها الطلبة الى راسبوتين ، ولم يعجز راسبوتين عن الاجابة بل كان يرد على الاسئلة فى وضوح ودقة وفى بعض اجاباته كان يوسع اطراف الموضوع، فما تمالك الرجل أن أعجب براسبوتين ، بل حدث ما هو ادعى الى الدهشة ، فقد التمس هذا العالم الديني الراسخ القدم فى اللاهوت البركة من الفلاح النكرة الذى لم يكن يدرى من أمره شيئا !

تأثيره على رجال الدين

وفى اليوم التالى صحب الاب فيوفان راسبوتين الى الاسقف هيرموجن Hermogen وكان على دراية بالشؤون الدنيوية ، وله خبرة عريضة بالمسائل السياسية ، ولكن راسبوتين عرف مع ذلك كيف يتناول هذا الاسقف ، ويوقعه تحت تاثيره ، وكان الاسقف هيرموجن مثل الاب اليودور ـ احد كبار رجال الدين ـ فى جماعة « اتحاد روسيا الحقيقية » ، وزكى الاثنان راسبوتين فى الانضمام الى أعضاء هذه الجماعة التى كانت تعمل على مقاومة اتجاه روسيا الى الغرب ، وكان رأيهما أن هذا الفلاح القادم من سيبريا اصلح لتمثيل روسيا من اعضاء « الدوما » ـ وهو مجلس النواب الروسى ـ ومن هؤلاء الذين يدعون الى الآراء الديمقراطية .

وكان الاب اليودور معروفا بشدة وطأة هجماته على موظفي الحكومة وسلقهم بلسانه الحاد حتى أطلق عليه لقب الشتام ، وكان من اشد انصار النظام الملكي وكان له أتباع كثيرون ، وقد ندم بعد فوات الاوان على مساندته لراسبوتين .

ولما صحب الاسقف هيرموجن والاب فيوفان راسبوتين ليقدماه « للشتام » وجدوه مشغولا بالصلاة ، واطال الدعاء والتوسل ولم يجرؤ الاسقف ولا الاب فيوفان على مخاطبته وهو مقبل على الصلاة والانهماك فى تلاوة الادعية ، ولكن الفلاح الجرىء عرف كيف يتصرف فى هذا الموقف، فقال مخاطبا الاب اليودور الرهيب « انك يا أخي تحسن الصلاة ، فدعها الآن وتوقف عن مضايقة الرب بصلواتك ، فحتى هو فى بعض الاوقات يحتاج الى الراحة ، وهذان الرجلان عندهما بعض أشياء يودان بحثها معك » !

ومنذ سنوات طوال لم يتقدم أحد على مخاطبة الاب اليودور بمثل هذه اللهجة التى خاطبه بها راسبوتين ، وقد استطاع راسبوتين بهذه الطريقة ان يقلب الرجل على أمره ويستولي عليه حتى النهاية على وجه التقريب ، وحينما استطاع الخلاص من تأثير راسبوتين صار ألد خصومه ، ولكنه فى هذا الموقف برغم شعوره الباطني بكراهة راسبوتين تصدى لأحد المحامين الحذرين الافاضل الذى عارض فى ترشيح راسبوتين ليكون أحد أعضاء « اتحاد روسيا الحقيقية » ، وقد تم انتخابه لعضوية هذا الاتحاد ، وتطوع الاب فيوفان بمناصرته وكان من الذين يسروا له الوصول الى السدة القيصرية .

نيقولا الثاني آخر القياصرة

وحينما جاء راسبوتين الى بطرسبرج فى سنة ١٩٠٤ كان يجلس على عرش القياصرة القيصر نيقولا الثاني آخر القياصرة من أسرة روماتوف ، وكان رجلا ضعيف الارادة ، سيىء الظن ، كثير التوجس ميالا الى الاعتقاد بالخرافات . ولم يكن مع ذلك شريرا فاسد النية . ويقال ان والدته كانت تعنفه لسرعة موافقته على الآراء التى تبدى له . وحينما طلب اليه فى سنة ١٩١٧ أن يتنزل عن العرش وافق فى سهولة ويسر ولم يبد معارضة.

وكان القيصر نيقولا شغوفا بحب زوجته الالمانية الاصل ، وكانت شديدة الحياء ، وقد جعلها هذا الحياء مكروهة فى الاوساط الروسية . ورأى

القيصر أن يحميها من شر هذه الكراهة بالتباعد عن المجتمعات ، وبان يعيش معها في شبه عزلة ، فحتى الاجتماعات العائلية على العشاء التى كان يتناول فيها الشؤون السياسية ويتبادل فيها الرأى مع أفراد أسرته والمقربين من أعيان دولته ورجالاتها الغيت ، ولم يكن القيصر يقابل وزراءه الا في النادر ، وحينما تفرض عليه ذلك الطوارىء . وكان يكتفى بقراءة التقارير المكتوبة التى تقدم له ، ويعكف على دراستها . وكان هو والقيصرة كلما مرت الايام ازدادا امعانا في العزلة في تزارسكو سيلو .

قلق القيصرين على ولي عهدهما

وقد احتواهما الخوف على نجلهما ولي العهد الذى رزقت به القيصرة بعد يأس ، ولكن من سوء حظ القيصر والقيصرة ان هذا الغلام الذى رزقا به بعد طول ترقب وانتظار وقلق كان مصابا بمرض خطير وهو مرض « الهيموفيليا » أو النزيف الدموى ، وكانت اقل حركة عنيفة أو اصطدام بالارض تحدث له نزيفا داخليا واوراما تهدد حياته ، وتسبب له آلاما مُبَرِّحَة ، وعجز الاطباء عن علاج هذا المرض الخطير الذى جاءه من ناحية والدته فقد كان مرضا وراثيا في أسرتها .

وقد الجأهما الخوف الشديد على حياة ولي عهدهما وحيرة الاطباء في علاجه الى الاستعانة بالدجالين من امثال الدكتور فيليب الذى كان مساعدا لأحد الجزارين في باريس وجاء الى روسيا وادعى القدرة على معالجة الامراض المستعصية ، ولكنه بضرورة الحال لم يُوَفَّق في علاج ولي العهد ، ورأيا بعد ذلك الاعتماد على بعض المجاذيب المصابين بالعاهات لاعتقادهما أن الله عوضهم عن عاهاتهم بالقدرة على ابراء المرضى ، ولكن هذا العلاج كذلك لم يأت بنتيجة .

وايثار القيصر والقيصرة للعزلة جعل الجماعة التى كانت من قبل تغشى البلاط القيصرى تنقسم الى جماعات صغيرة تحاول بشتى الطرق ان تعرف آراء القيصر في السياسة واختيار الوزراء ، ولا تتردد في تقديم الرشى لمن يوافيها بالاخبار الصحائح ، وكان الوزراء وكبار الموظفين يتنافسون في ذلك ولا يتعففون عن استرضاء الخدم الذين يعملون في القصر القيصرى لينقلوا اليهم بعض ما يدور بين القيصر والقيصرة من الاحاديث وما يكتبه القيصر من التأشيرات على التقارير التى تقدم له ويتركها في بعض الاحيان على مكتبه .

أول صلة راسبوتين بالبيت القيصري

واشتد قلق القيصرة على حالة نجلها الصحية وساورتها المخاوف حتى اعتلت اعصابها وساءت حالتها ، وقربت الأميرتين الغراندوقة ميليتسا والغراندوقة ستاتيا شقيقتى ملك الجبل الأسود ليؤنسا وحشتها ، ويطيبا خاطرها ، بصوتهما اللين العذب واحاديثهما الجذابة ، وكانت الاميرتان قد بلغتهما اخبار راسبوتين وهما في احدى صالونات بطرسبرج وقدرته على شفاء الناس من الامراض ، وكان أول من حدثهما عن راسبوتين هو الاب فيوفان الذى كان يتولى اعتراف القيصرة وتحدثت الغراندوقة ستاتيا مع الاب جريجورى عن مرض ولى العهد ، فقال لها في ثقة واطمئنان « يلقى القيصرة أن تهدىء بالها فانى ساشفى ولى العهد وارد اليه الصحة والعافية » . ولم يمض على ذلك ايام حتى احضر الاب جريجورى لمعالجة ولى العهد ، وكان الغلام قد شَحَبَ لونه وعلت حرارته والتوت ساقاه من الالم الذى كان يعانيه .

تأثيره السحري

وكان صوت راسبوتين حسن الوقع في السمع برغم لهجته الريفية ، وقد تحدث الى الغلام في رفق وحنان بصوته العذب الخالى من التكلف وأكد له ان حالته ستتحسن ، وأن مرضه سيزول ، ومس بيديه الخشنتين جسم الغلام ، ومر بهما على موضع الالم وفى خلال هذا التدليك الخفيف المحتمل اخذ يروى له بعض القصص والحكايات الشائعة بين مزارعي سيبريا والتى يمتزج فيها الخيال بالواقع ، فاخذ الكرى بمعاقد اجفان الغلام ، واستغرق في نوم هادىء مريح ، وبهذه المقدمة الموفقة بدأ راسبوتين يعالج ولى العهد .

أعظم نفوذه

وقد استمر هذا العلاج فترة طويلة من الزمن ،

قويت فيها ثقة القيصر والقيصرة براسبوتين ، واشتد اعجابهما به ، وايمانهما بقداسته ، واثار ذلك بطبيعة الحال حسد الحاسدين ، فكثرت حوله الوشايات والدسائس ، وتصيّدت له الشباك، ولكن ثقة القيصر والقيصرة براسبوتين كانت فوق متناول الظنون والوشايات والدسائس والاتهامات ، وتدخل راسبوتين فى نظام الحكم وتوجيه سياسة الدولة ، وكان له الراى الاعلى فى اختيار الوزراء وكبار رجال الدولة .

كرهه للحرب

وكان راسبوتين يمقت الحرب لكثرة ضحاياها وما تحدثه من تخريب وازهاق للارواح ، ففىسنة ١٩١٢ عارض سياسة الغراندوق نيقولا التى كانت ترمى الى اشتباك روسيا فى حرب البلقان ، وقد نجح فى ذلك ولكن اصراره على تجنيب روسيا ويلات حرب البلقانعرضه لعداء الغراندوق نيقولا، وقلل من نفوذه فى البلاط القيصرى ، واشير عليه بالسفر الى بيت المقدس لاداء الحج ، فذهب الى هناك، وعاد من بيت المقدس الى قرية بكروفسكو التى نشا بها فى ربيع سنة ١٩١٤ . وفيها وقع اول اعتداء على حياته ، فقد تصدت له امراة عجوز مشوهة الصورة وهو فى طريقه الى الكنيسة وزاحمته فى الطريق فدفعها عن طريقه فى رفق ، ولكنها ترصدته فى خارج منزل أبيه واستجمعت قواها وطعنته فى بطنه بخنجر ، وبلغته وهو يتماثل للشفاء من تاثير هذه الطعنة الدامية انباء نشوب الحرب العالمية الاولى ، فارسل برقية الى القيصر يحضه فيها على الامتناع عندخول الحرب، وفى برقية أخرى للقيصر صارحه بان روسيا اذا خاضت غمار الحرب فانها لا تحصد من الثرى الروسى لمدة عشرين سنة سوى الحزن . وقد اثبتت الحوادث التالية صدق تكهنه !

وفى خلال الحرب بلغ نفوذ راسبوتين قمة النفوذ ، وكانت بعض نصائحه وتوجيهاته للقيصر صائبة ونافعة ، وقد ذكر للقيصر أن تموين الجيش بالاسلحة والذخائر ليس اهم من توفير الغلال للشعب ، وهنا عادت سياسته الى مصادمة سياسة الغراندوق نيقولا الذى كان حينذاك القائد الاعلى للجيش . ولم يتدخل راسبوتين كثيرا فى الشؤون العسكرية وذلك بالرغم من أن معارضته فى هجوم الربيع على غاليسيا فى سنة ١٩١٥ قد أثبتت الايام أنه كان على حق فيها ، وظل له الراى الأعلى فى اختيار الوظفين للمناصب الكبيرة .

قبوله الرّشى

وعرف عن راسبوتين انه يقبل الرّشى ، وانه يمكن الاستفادة الى أقصى حد من نفوذه العظيم فى البلاط القيصرى عن طريق النساء وزجاجات النبيذ ، وكانت العلاقة بينه وبين الاسرة الحاكمة قد توثقت الى حد أن أطفاله كانوا يلعبون مع اطفالها ، وكانت اسرة راسبوتين تقيم معه بشقة فى احد شوارع بطرسبرج وفى كل يوم فى الساعة العاشرة كان القيصر والقيصرة يتصلان براسبوتين عن طريق التلفون

وكان لراسبوتين تأثير شديد فى نفوس النساء ، وكانت تحضر اليه فى شقته نساء من طبقات مختلفة ، وكن يبالغن فى مدحه والتقرب اليه والعمل على استرضاء ولى الله المقدس ، وكانت تقوم بينهن مشاجرات عنيفة لتنافسهن على كسب مودته ، وفى اغلب الاوقات كان يحدثبينهن الخلاف الشديد على أيتهن تبادر الى تقديم قدح الشاى للقطب الربانى ، وأيتهن تحظى بالجلوس على ركبته !

ومن الساعة الثامنة صباحا كانت تغص ردهة الشقة بصفوف مقدمى الالتماسات من جميع الطبقات ، وكلهم يتطلعون الى لقائه ، وكان بوجه عام يحاول ان يعمل شيئا لهم ، ولكن اذا تقدم اليه احد من المنتمين الى اعدائه فانه يمزق الالتماس وينطلق لسانه بالفاظ نابية وشتائم جارحة بلهجة الفلاح الروسى التى كان يلتزمها فى حديثه حتى مع كبار رجال الدولة واعيان العصر.

ذكاؤه واسرافه

وكان عنده كتاب يفحصون الطلبات والالتماسات التى تقدم له ، وكان مقدمو العرائض من عِليَة القوم يقدمون له الاوراق المالية فيضعها فى جيوبه الواسعة التى كانت تمتلىء فى اكثر الايام بها ، وكان رجال الأعمال الذين يلجأون اليه ويستعينون

بنفوذه لاتمام صفقاتهم ونجاح مشاريعهم يعجبون من اتجاه تفكيره المباشر الى صميم الموضوعات التي يتحدثون معه عنها وسرعة تأتيه في فهم جوهرها دون عناية بالتفصيلات المملة والحواشي التي لا لزوم لها . وبرغم كثرة الأموال التي كانت تعطى له في نظير وساطته في قضاء الحاجات وتحقيق المطالب فانه لم يترك بعد موته لأرملته واولاده سوى مبلغ ضئيل من المال يقدر بنحو مائتي جنيه ، وذلك لان كثيرا من المال الذي كان يحصل عليه من الأغنياء المياسير كان يعطى جانبا كبيرا منه للفقراء والمحتاجين الذين كانوا يتقدمون اليه بالالتماسات والشكاوى فالمال كان عنده غاديا ورائحا على حد قول حاتم الطائي لزوجته حينما لامته على اسرافه في الكرم .

وقد كان السياسيون الذي اتخذوه وسيلة للتقرب من القصر والوثوب الى المراكز الاستراتيجية في الحكم سبب نكبته والعداء الشديد الذي وجه اليه ، وكانوا من اقوى اسباب هدم بنيانه والقضاء على حياته . وقد كان يحسن تصريف امور اصحاب الصفقات ومقدمي العقود ومن اليهم من المشتغلين بالمسائل الاقتصادية ، ولكن مشكلات السياسة اشد تعقيدا من مشكلات الاقتصاد ، وهي في حاجة ماسة الى خبرة دنيوية ومعرفة نفسية ويقظة دائمة في مراقبة التيارات المتاوحة والتغيرات المتتابعة ، وكان راسبوتين حينما تعرض عليه الوساطة في ترشيح احد الرجال الطموحين لمنصب من المناصب العالية يقول لمحدثيه « ارسلوه الى لاختبر روحه » . وكان بغريزته يحسن التمييز ، ويجيد وزن الرجال ، ويصيب التحزر .

خطؤه والتفكير في القضاء عليه

ولكنه برغم ذلك تورط في خطأ خطير في وقت

الوزارات عرفا بالضعف والعجز ولم يكونا يصلحان بحال لحمل اعباء رياسة الوزارة في الظروف العصيبة التي كانت تجتازها روسيا والحرب دائرة الارجاء ، وهذان الرجلان هما ستيرمر Sturmer وبروتوبوبوف Protopopoff وهذا هو ما بعث الامير يوسيبوف على تدبير قتل راسبوتين .

ولم تكن اسرة الامير يوسيبوف من الاسر الروسية العريقة ، فقد زادت ثروتها واتسع ثراؤها في القرن التاسع عشر ، وتزوج الامير احدى قريبات القيصر ، وحينما فكر في اغتيال راسبوتين اراد ان يحتاط لنفسه فسعى في اشراك الغراندوق ديمتري ـ احد افراد الأسرة الحاكمة ـ في المؤامرة ليتحاشى التعرض لبحث الشرطة ، وذلك لان شؤون الأسرة الحاكمة كانت من اختصاص القيصر مباشرة .

وتلطف الامير في التماس الحيلة لاصطياد راسبوتين ، فذهب اليه طالبا الشفاء من الام تنتابه في ظهره عجز الاطباء العاديين عن علاجها واراحته من آلامها الحادة ، وقد تحدث الامير عن قدرة الرجل في التدليك الساحر الذي كاد يفقده ارادته ويجعله طوع امر راسبوتين ، وكان يسرع في الخروج من الحجرة هربا من سيطرة الرجل عليه .

اغراؤه

وظل برغم ذلك يوالي الاتصال به ، ويعمل على كسب ثقته ، واغراه بانه سيقدمه الى زوجته وهي من اعضاء الأسرة الحاكمة ومعرفتها تزيد نفوذه اتساعا ، وكان راسبوتين في كثير من المواقف قليل الحذر الى حد التهور ، فهو كان يعلم من غير شك انه مراقب ، وان مجموعة

وشاعت الاحاديث السيئة عن اسرافه فى الدعارة ورقصاته وهو ثمل ومجرد من الثياب ، وظل القيصر برغم ذلك كله يحمى ظهـره ويرفض الاستماع الى الذين يشون به ويكشفون مخازيه، ويعادى من يناصبه العداء ويسعى فى ابعاده عن القصر صونا لسمعته وابقاء على مكانته فى النفوس.

جناية مذهب الكلستي

واضمر له الشر صديقاه القديمان الاب اليودور والاب فيوفان ، وعداه من المارقين اتباع مذهب الكلستي ، وانه وجد من تعاليم هـذا المذهب ما يسوغ له طلب الخلاص عن طريق الامعان فى الخطيئة ، وكان راسبوتين والقا الثقة كلهـا من قوة نفوذه وثبات مكانته ، ولذلك لم يحفل بالاحتياط مما كان يدبر له من الدسائس .وكان من الحين الى الحين يعود الى زيارة داره القديمة وفى احدى هذه الزيارات دعا الاب اليودور الى مصاحبته والاقامة معه ، وشاهد اليودور بعينيه الرسائل التى كانت ترد يوميا الى راسبوتين وعليها الخاتم الامبراطورى ، واثار ذلك حسده ، وكان ورود البرقيات كذلك لا ينقطع ، فلم يستطع اليودور احتمال ذلك كله فخرج على اصـول الضيافة وتسلل خفية الى مكتب راسبوتين واخذ ما زعم بعد ذلك انه الرسائل الواردة اليه من القيصرة ، واعتقد انه اصبح يملك سلاحا يمكنه من التغلب عليه وابطال سحره ، وسواء اكانت هذه الرسائل التى استولى عليها واردة مـن القيصرة ام لا فانها اقنعته ان الرجل غارق الى اذنيه فى شهوات الجسد ، ولكنه اخطا الحساب ، ونجم عن ذلك نفى « الشتام » الى التروبج حيث بدأ حملة من الرسائل حشوها الطعن فى راسبوتين ملقبا اياه « بالشيطان المقدس »

اما الاسقف هيرموجن ـ احد من زكوه للالتحاق بجماعة انصار روسيا الحقيقية ـ فقد سلـك مسلكا آخر ، فقد استدعى جماعة من الصحفيين ليكونوا شهودا . ودعا راسبوتين للقدوم عليه ، ولما جاء اليه أشبعه ضربا على راسه بصولجانه حتى اعترف بتأثيره الاجرامي فى اسرة القيصر ، ووعد بانه سيتجنب لقاء القيصر ، وكانت نتيجة هذا الاعتداء نفى الاسقف هيرموجن كما نفى قبله ضريبه الاب اليودور .

تدبير المؤامرة للقضاء عليه

وهذه الحوادث مجتمعة كانت الأسباب التى حملت الامير يوسيبوف على تدبير المؤامرة ، فقد كان فى رايه ان راسبوتين قد افسد النساء وافسد القساوسة وافسد الساسة وفوق كل شىء افسد روسيا برمتها ، وكان تدبيره المؤامرة غـاية فى البساطة ، فقد دعا الرجل الى زيارة قصـره ، وكان بالقصر حجرات تحتية لا تسمع منها الاصوات فى خارج القصر،ففرش فيها الطنافس والسجاجيد الفارسية والصينية النادرة ، وزينها باحسـن انواع الخزف ، واعدها لاستقبال الرجل المقدس ، وكان والداه متغيبين فى قصرهما الشتوى فى شبه جزيرة القرم ، ولم يشرك معه فى المؤامرة سوى عدد قليل ممن يثق بهم حتى لا يذاع سره ويكشف امره ، وهم الغراندوق ديمترى واحد الاطباء واحد كبار أعضاء الدوما ، كما استدعى ضابطين وبعض الخدم اللازمين لتنفيذ المؤامرة ، وكان الميعـاد المحدد لقدوم راسبوتين بعد العشاء ، ولم يتاخر الرجل عن الحضور فى الميعاد المضروب فقد كان يطمع فى لقاء الاميرة كما وعده يوسيبوف ، وهى علاوة على كونها من الأسرة الحاكمة كانت مشهورة بالجمال ، واستقبله الامير بالحفاوة اللائقة حين قدومه ،وقاده الى الحجرات التحتية التى ازدانت بفاخر الرياش ، وسمع الرجل صوت الحـاكى ، فسبب له ذلك بعض الازعاج ، ولكن الامير طمانه وازال قلقه بقوله ان بعض اصدقاء العائلة جاءوا لزيارة زوجته ، وانهم سينصرفون قريبا وتأتى زوجته للترحيب بضيفها الموقر . والواقـع ان زوجته كانت متغيبة فى شبه جزيرة القرم . وفى الحديث الذى دار بينهما وهما جالسان الى مائدة الشاى قال راسبوتين « انى شوكة فى جسـد كثير من الناس لانى دائما اقول الحق ،وجماعتكم الارستقراطية شديدة الحسد والحقد ، ولكن ماذا يخيفنى منهم ؟ انهم لا يستطيعون أن ينـالوا منى ! لقد حاولوا ذلك غير مرة ، ولكن اللـه فى كل مرة خيب سعيهم » . فاخاف هذا الحديث يوسيبوف وخاله موجها الى شخصه ، فمـلا

له قدحا من الشاى وقدم له فطائر مسمومة ، اعدها الدكتور لازوفرت Lazovert وحشاها بالسيانيد . وكان راسبوتين يلتهم الواحدة فى اثر الاخرى فقد كان قوى الشهية نهوما بالطعام والشراب ، واستمر فى الحديث دون أن يظهر عليه اى أثر لسريان السم فى جسده ، وازعج ذلك يوسيبوف فبادر بتقديم احدى زجاجات النبيذ المسموم التى اعدها لراسبوتين ، وساله أن يذوق نبيذ آل يوسيبوف المشهور الوارد من شبه جزيرة القرم ، فافرغ راسبوتين فى جوفه بضع زجاجات وطلب المزيد، فناوله يوسيبوف زجاجات اخرى ، وحار فى تفسير عدم ظهور تاثير السم ، وخشى أن يكون الدكتور لازوفرت قد خدعه ، كما خطر فى باله ان يكون هذا الرجل انسانا اعلى فى حيويته فهو يستطيع ان يحتمل من السموم ما يكفى لقتل جماعة من الناس العاديين ، ونظر فى عينى ضيفه وخيل اليه انه يلمح فى نظراته الاحتقار وسوء الظن ، فنهض واقفا واحضر قيثارة كانت معلقة على الحائط ، فابتسم راسبوتين وسر وطلب منه ان يعزف عليها احدى الاغنيات المطربة وقال له انه يروقه ان يسمع غناءه ، فعزف له الامير على القيثارة وغنى احدى اغنيات الغجر واتبعها باغنية اخرى وهو يستمع اليه فى سرور وغبطة ، وكان كلما توقف عن الغناء يطلب اليه الاستمرار وقد أشرق وجهه وظهرت عليه امارات القديس الحقيقى .

التعجيل فى القضاء عليه

ونفد صبر المتآمرين ، وكانوا مجتمعين فى حجرة المكتب ، فاحدثوا صوتا ليستحثوا الامير على المبادرة الى العمل السريع ، ولحظ ذلك راسبوتين فقال له الامير انهم أصدقاء زوجتى يهمون بالانصراف ، وهيأ له ذلك العذر ليترك الحجرة واقتنع راسبوتين بانه حينما يعود يستانف الغناء والعزف على القيثارة .

خاتمته وكيف تم قتله

والطريقة التى تم بها قتل راسبوتين لاتزال تحيط بها الشكوك ، وقد ذكر الامير يوسيبوف فى المحكمة الانجليزية حينما كانت تنظر قضيته التشهيرية التى رفعها لمقاضاة شركة متروجولدوين ماير الامريكية للأفلام السينمائية انه اقدم على قتل راسبوتين بباعث من ضميره ، وذكر انه قدم له طبقا من الحلوى المسمومة يكفى لقتل ثلاثة من الناس العاديين ، ولما لم يحدث ذلك تاثيرا قدم له نبيذا مسموما ، وقيل انه شعر بان هناك محاولة مدبرة لاغتياله فجن جنونه وثار كالثور الهائج ، وهدرت شقاشقه ، واخذ يحطم الاثاث الثمين ، فتجمع حوله يوسيبوف واعوانه المتآمرون واطلقوا عليه الرصاص حتى قضوا عليه ، ودفنوه تحت الثلج فى نهر نيفا فى الليلة نفسها .وحينما سمع احد رجال الشرطة صوت طلقات الرصاص وراى آثار الدماء قيل له ان احد الكلاب اصيب بسعار وكان لابد من قتله ، ولتاكيد هذا الادعاء قتلوا كلبا أصيلا . وقد حاولت ابنة راسبوتين التشكيك فى هذه الرواية وزعمت ان اباها كان لا ياكل شيئا حلو المذاق ، وانه كان شديد الشعور بالجو الاجتماعى الذى يحتويه ، وكان لا بد ان يدرك فى الحال ان خطرا يترصد حياته ، وقد يكون لاعتراضها نصيب من الوجاهة والتقدير ، وقد تكون المأساة قد مثلت فى صورة اخرى ، ولكن الحلوى وزجاجات النبيذ لم تحدث تاثيرها لان الذين اعدوها لم يحسنوا دراسة طبيعة راسبوتين دراسة كافية .

ولكن هل كان راسبوتين هو الذى افسد روسيا واحدث انهيار الحكم القيصرى ؟ الكثيرون يشاركونه هذه التبعة ، ولم يكن هو شرهم ، وقد ابيدت خلال الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وثائق كثيرة تدين الكثيرين فبقى اللوم واقعا على راس راسبوتين ، اما المتآمرون فقد حاولوا التنصل من ارتكاب الجريمة ، ولم يتورعوا عن الكذب لنفى الاتهام مما يشكك فى نزاهة بواعثهم ، وآثر الامير يوسيبوف الاحتفاظ بذكر الحقيقة للمذكرات التى كتبها بعد انقضاء العهد القيصرى .

وكان مصرع راسبوتين فى ديسمبر ١٩١٦ .■■

علي أدهم

ابن بسام
وكتابه "الذخيرة"



بقلم : محمد عبد الله عنان

■ منذ بضعة اعوام كنت فى زيارة للبرتغال : وكان برنامجي أن ازور بها عدة مدن أندلسية ، منها باجة ، وشلب وشنترين . وكانت تحفزني الى زيارة هذه المدن الاندلسية القديمة ، فضلا عما بها من الآثار الاندلسية أسماء لامعة فى تاريخ التفكير والآداب الاندلسية .

ففي باجة ذكرت الفقيه العلامة الاصولى الكبير ابا الوليد الباجى المتوفى سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) .

وفى شلب كانت تساورني ، وانا اطوف

عصر ابن بسّام من أشد عصور الأندلس إيلاماً.

باطلال قصر الشراجيب ، ذكرى ابنها الشاعر الكبير ابى بكر بن عمار المتوفى سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٥ م) وزير المعتمد ابن عباد وشاعره .

واما عن شنترين ، فقد كانت تساورني ، وانا اسير وئيدا فى الطريق الجبلي الصاعد اليها ، ذكرى ابنها الكاتب الاندلسي الأشهر ابن بسام،الشنتريني، صاحب كتاب « الذخيرة » الذى وضع مصنفه التاريخي والادبى الرائق ، قبل سقوط وطنه شنترين فى ايدى البرتغاليين وذلك فى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) .

ومما هو جدير بالذكر ان مدينة شنترين، تشتهر فى تاريخ الاندلس ايضا بحادث محزن ، هو هزيمة الموحّدين الفادحة تحت اسوارها ، فى محاولتهم لاستردادها ، ومصرع عاهلهم الخليفة ابى يعقوب يوسف من الجراح التي اصابته فى الموقعة . وكان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ٥٨٠هـ(يولية١١٨٤م) .

ابن بسام اندلسي برتغالي

ولد ابو الحسن علي بن بسام بمدينة شنترين ، فهو اذاً اندلسي برتغالي ، من اهل ولاية الغرب الاندلسية ، وهو الاسم الذى كان يطلق يومئذ على المنطقة الشاسعة ، التي تمتد من غربي نهر الوادى الكبير حتى المحيط الاطلنطي ، وتشمل النصف الجنوبي من البرتغال الحديثة . ولا نعرف بالتحقيق تاريخ مولد ابن بسام ، كما اننا لا نعرف ظروف نشأته وحياته الاولى . وكل ما نعرفه من ذلك ، انه غادر موطنه شنترين فتى حدَثا . وهو يقص علينا قصة مغادرته لوطنه فى تلك الفقرة من مقدمة كتابه « الذخيرة » :

« وعلم الله تعالى ان هذا الكتاب لم يصدر الا عن صدر مكلوم الاحناء ، وفكر خامد الذكاء ، بين دهر متلوّن تلونَ الحِرباء ، لانتباذى كان فى شنترين قاصية الغرب ، مفلول الضرب ، مروع السرب،بعد ان استنفد الطريف والتلاد، واتى على الظاهر والباطن النفاد ، بتواتر طوائف الروم علينا فى ذلك الاقليم » .



خريطة شبه جزيرة ايبريا ، وفيها تظهر مدن الاندلس والبرتغال التى ورد ذكرها فى المقال

عصر الطوائف، عصر ابن حزم وابن عباد وابن زيدون

ابن بسام كتب الذخيرة ليبصر أهل المغرب بتفوق أدبائهم

ابن بسام فى اشبيلية

وغادر ابن بسام شنترين مع من غادرها من بنيها خوفا من سقوطها فى ايدى البرتغاليين ، وقصد الى مدينة اشبيلية . وهنالك قضى بضعة أعوام فى بؤس ومشقة ، يدرس على شيوخها ، ويتعيش بقلمه وادبه .

ابن بسام فى قرطبة

وفى سنة ٤٩٤ هـ قصد الى مدينة قرطبة ، ودرس على شيوخها واستقر بها بقية حياته . وكانت قرطبة قد فقدت يومئذ كثيرا من اهميتها القديمة، وبهائها السالف ، ولكنها احتفظت بكثير من سمعتها وتقاليدها العلمية القديمة ، ولبثت مركزا من اهم مراكز الدراسة بالاندلس .

عصر ابن بسام ، عصر من اشد عصور الاندلس ايلاما

وقد نشأ ابن بسام وعاش فى عصر مؤلم من عصور التاريخ الاندلسي ، وهو اواخر عصر الطوائف ، واوائل الفتح المرابطي . وكانت الاندلس قد انتثرت فى ظل الطوائف الى امارات متعددة ، تناهض بعضها بعضا ، وتضطرم بينها الحروب الاهلية بلا انقطاع . وكانت اسبانيا النصرانية، انتهازا لهذه الظروف المؤلمة ، تعمل للضرب والتفريق بين هذه الامارات المتنافسة المتخاصمة، وتقتطع منها ما تستطيع اقتطاعه من الحصون والاراضي ، وانتهت هذه السياسة المدمرة باستيلاء اسبانيا على اول قاعدة اندلسية كبيرة ، وهي مدينة طليطلة عاصمة مملكة بنى ذى النون ، وكان سقوطها فى ايدى القشتاليين (الاسبان) فى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٥ م) .

ملوك الطوائف يستنجدون بالمرابطين من وراء البحر

وعندئذ فقط استيقظ ملوك الطوائف من سباتهم وأدركوا فداحة الخطأ الذى ترددوا فيه بتفرقهم وتنابذهم، واجمعوا على الاستنجاد بأخوانهم فيما وراء البحر ، بأولئك المرابطين الذين غلبوا على المغرب ، وقامت به دولتهم قوية شامخة . واستجاب المرابطون لصريخ اخوانهم ، وعبروا فى حشودهم الجرارة الى شبه الجزيرة ، واجتمعت الجيوش الاندلسية والمرابطية المتحدة بقيادة البطل المرابطي يوسف بن تاشفين ، والتقت بالجيوش النصرانية المتحدة فى موقعة الزلاقة الشهيرة ، وهي التي كتب فيها النصر الباهر للمسلمين (٤٧٩ هـ

١٠٨٦ م) وعندئذ ارتدعت اسبانيا ، ولزمت السكينة حينا . وادرك يوسف ابن تاشفين ، مما شهده من احوال دول الطوائف الضعيفة المتخاذلة ، ان سلامة الاندلس تقتضي أن تزول هذه الدول وان يضطلع المرابطون بحكم الاندلس والدفاع عنها ، فقام بافتتاح دول الطوائف تباعا ، واصبحت الاندلس من اليوم ولاية مغربية تخضع لحكومة مراكش .

عصر الطوائف ، على ضعفه سياسيا ، كان عصر العلوم والآداب بحق

ذلك هو العصر الذى عاش فيه ابن بسام . ولقد كان عصر الطوائف على ما كان يتخلله من الفتن والحروب المتوالية ، عصرا زهت فيه العلوم والآداب بحق . وكان يحتشد فى كل قصر من قصور الطوائف ، جمهرة من العلماء والكتاب والشعراء ، وكان امراء الطوائف ـ ومعظمهم من الأدباء والشعراء ـ يغدقون رعايتهم وصلاتهم على اقطاب العلم والأدب . ويكفى أن تعلم أن هذا العصر ، هو العصر الذى نبغ فيه ابن حزم ، وابن حيان ، وابو الوليد الباجي ، والمعتمد ابن عباد ، وابن عمار ، وابن زيدون ، وغيرهم من اعلام التفكير والأدب .

ابن بسام عاش فى أواخر عصر الطوائف

وجاء ابن بسام فى اواخر هذا العصر الذى زهت فيه الآداب ، فبهرته هذه النهضة الأدبية التي عاصر جمهرة من اعلامها ، وتذوق الكثير من روائعها من المنثور والمنظوم ، وجالت بخاطره فى نفس الوقت فكرة لم تخطر لأحد من قبله ، هى ان الأدب الاندلسي لم ينصفه مواطنوه ولم يقدروه قدره ، واعتزم أن يقدم لمواطنيه اروع صورة من أدب الاندلس ، وادب الطوائف بنوع خاص ، فكتب مؤلفه الضخم « الذخيرة » فى محاسن اهل الجزيرة » بمدينة قرطبة ، وانتهى من كتابته فى سنة ٥٠٣ هـ . وللعنوان الذى اتخذه ابن بسام لكتابه مغزى واضح .

دافع ابن بسام الى تاليف كتابه الذخيرة

ويصارحنا ابن بسام فى مقدمته بالدافع النفسي الذى دفعه الى تصنيف كتابه « الذخيرة » وهو انه راى انصراف اهل عصره وقطره ، الى ادب الشرق والتزود منه ، والاعجاب به ، واهمال ادب بلدهم ، فأراد بوضع الذخيرة وجميع ما تضمنه من رائق المنثور والمنظوم ، ان يبصر اهل الاندلس بتفوق ادبائهم ، وروعة انتاجهم ، وانه من حقهم ان ينْوّهوا بادبهم ، وان يتذوقوه ، وان الاحسان ليس مقصورا على اهل المشرق .

ومن الواضح ايضا ان ابن بسام يعارض بمؤلفه فى التنويه بمحاسن اهل الجزيرة ، اى جزيرة الاندلس ، اديب المشرق الكبير ابا منصور الثعالبى صاحب كتاب « يتيمة الدهر فى محاسن اهل العصر » . « فالذخيرة » و « اليتمية » هما بذلك صنوان يمثل كل منهما اتجاهه الخاص فى التنويه بمحاسن قطره .

وفضلا عن هذه الظاهرة التي حرص ابن بسام على ان يؤكدها لكتابه ، فان كتاب « الذخيرة » يعتبر بمحتوياته من التراجم القوية العديدة ، لعشرات من رجالات الاندلس ومفكريها وادبائها ، والمختارات النثرية والشعرية المنوعة ،

والنبذ التاريخية الكثيرة الموضوعة والمقتبسة من مصادر عديدة سابقة ومعاصرة - يعتبر من انفس مصادرنا التاريخية والأدبية والاجتماعية ، ولا سيما عن عصر الطوائف وامرائه وادبائه وشعرائه .

ابن بسام جعل كتاب الذخير أربعة اقسام

ويشتمل كتاب « الذخيرة » وفقا لتصنيف مؤلفه على اربعة أقسام :
القسم الأول « لأهل حضرة قرطبة وما يصاقبها من بلاد متوسطة الاندلس . ويشتمل من الاخبار وأسماء الرؤساء وأعيان الكتاب والشعراء على جماعة » . والقسم الثاني « لأهل الجانب الغربي من الاندلس ، وذكر اهل حضرة اشبيلية، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وفيه من الأخبار وأسماء الرؤساء واعيان الكتاب جملة موفورة » . ويخصص القسم الثالث « لأهل الجانب الشرقي من الاندلس ، وممن نجم من كواكب العصر في افق ذلك الثغر الأعلى ، الى منتهى كلمة الاسلام هنالك ، وفيه من القصص واسماء الرؤساء واعيان الكتاب والشعراء طوائف » . والقسم الرابع يختص « بمن طرا على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من اديب شاعر واوى الى ظلها من كاتب ماهر ، وذكر طائفة من مشهوري اهل تلك الآفاق ممن نجم في عصرنا بافريقية والشام والعراق » .

تلك هي اقسام كتاب « الذخيرة » ومحتوياته . وانه لما يدعو الى الغبطة ان البحث قد استطاع اخيرا ان يضع يده على النص الكامل لكتاب «الذخيرة» باقسامه أو مجلداته الاربعة ، بعد أن لبث مدة طويلة مفتقدا لبعض اجزائه .

بين « الذخيرة » و « العقد الفريد »

ويعتبر كتاب « الذخيرة » مثل كتاب « العقد الفريد » من الكتب الاندلسية المميزة لعصر بعينه . بيد انه على النقيض من « العقد الفريد » الذي يغلب على محتوياته ادب المشرق ، يعتبر اروع نموذج للأدب الاندلسي الرفيع . وانك لتكاد تشعر من تلاوة محتوياته انك تعيش مع شخصياته في عصرهم ، وفي ظروف مجتمعهم ، وتتذوق مع مؤلفه تلك المختارات العديدة الرائقة ، التي يوردها من منثورهم ومنظومهم .

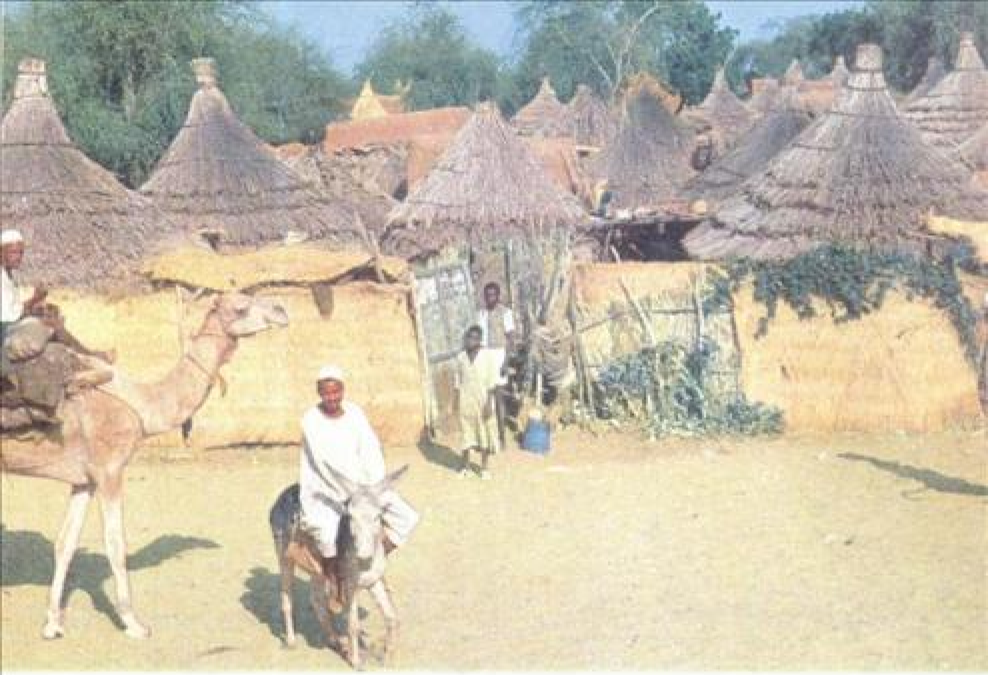
كتب اخرى لابن بسام

وكتب ابن بسام غير « الذخيرة » عدة مصنفات اخرى ، منها كتاب في شعر المعتمد ابن عباد ، وكتاب في شعر ابن وهبون ، ورسالة عنوانها « سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر » ومجموعة مختارة من شعر ابي بكر ابن عمار .

ويمتاز ابن بسام ، في سائر كتاباته ، بأسلوبه الجزل المشرق ، الذي يغلب عليه السجع دون أن ينتقص من قوته واشراقه ، كما يمتاز بملاحظاته النقدية القوية التاريخية والاجتماعية . وهو في احيان كثيرة لا يحجم عن مهاجمة معاصريه من الامراء ، والكتاب والشعراء ، ذلك ان ابن بسام كاتب حر مستقل، بعيد عن الملق ، وهو لم يُعرف عنه انه خدم احدا من امراء عصره ، او تطفل على موائدهم ، او تقلب في صلاتهم ، اسوة بمعظم زملائه من كتاب عصره وشعرائه ، وقد كانوا يحتشدون جميعا في قصور الطوائف ، ويتقلبون في خدمة امرائهم .

وتوفى ابن بسام بمدينة قرطبة عن سن عالية في سنة ٥٤٢هـ (١١٤٧م) . ■■

محمد عبد الله عنان



الى أعلى : القبائل العربية : نزحت من شبه جزيرة العرب في فجر الاسلام وهي تنتشر حول مدينة الابيض حيث تسكن الاكواخ التي بنيت من البوص وسعف النخيل .

الى أسفل : الماء..كان المشكلة الرئيسية بالنسبة للابيض لبعدها عن مجرى نهر النيل . ولكنهم تمكنوا من التغلب على هذه المشكلة جزئيا باقامة البحيرات الصناعية لخزن مياه الامطار .



اعرف وطنك أيها العربي

الأُبيِّض

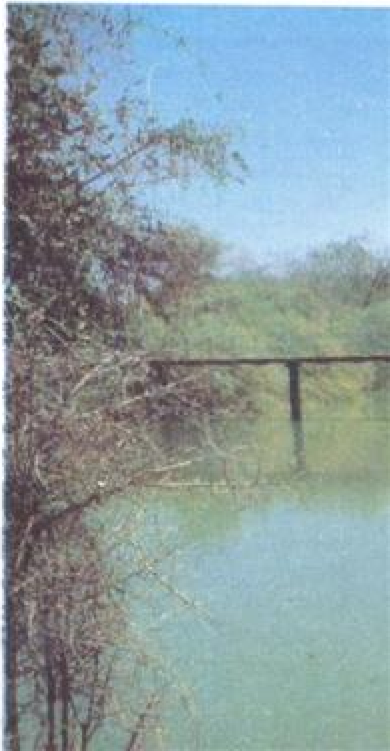
- أكبر سوق عالمي للصمغ العربي
- مدينة البحيرات الصناعية التى قامت فى قلب الصحراء

■ تنقلك « العربى » اليوم الى قلب السودان النابض.. الى مدينة «الابيض» عاصمة مديرية كردفان .. المدينة التى تعتبر مركزا عالميا لانتاج الصمغ وتصدير الابقار والجمال والضأن الى معظم الدول العربية والعالم الخارجى .

قام بهذا الاستطلاع — منير نصيف

وصوره — أوسكار مترى







تعتبر الأبيض أكبر سوق عالمي لتجارة الصمغ العربي أو صمغ الهشاب الذي يصدر لمختلف دول العالم ، ويبلغ قيمة ما تصدره السودان من الصمغ حوالي أربعة ملايين ونصف مليون جنيه سنويا .

فالأبيض تنتج ٦٠٪ من الاستهلاك العالمي للصمغ العربي او صمغ « الهشاب » ، وهو اسم الشجرة التي تنتجه بينما لا ينتج باقي انحاء السودان اكثر من ٢٥٪ من صمغ العالم الذى تنمو أشجاره في مديريتي دارفور والنيل الازرق . ومن أجل هذا تعتبر الابيض اكبر سوق عالمي لتجارة الصمغ التي تدر على السودان مبلغا كبيرا يصل الى اربعة ملايين وتصف مليون جنيه استرليني .

وفي الأبيض بعد هذا عشرات الالوف من الابل والابقار والثيران والجمال التي تنتشر في كل مكان فيها .. في شوارعها وطرقاتها ووسط منازلها في الحي الوطني . ويشكل رعي الماشية في مديرية كردفان ، كلها عملا أساسيا لأهالي هذه المنطقة ، فترعى في ربوعها ، اثنان وربع مليون راس من البقر ومليون ونصف من الجمال ومليونان و ٦٠٠ الف رأس من الضأن ومثلها من الماعز .

هذه هي أبرز معالم مدينة الابيض التي تقع وسط منطقة صحراوية تبعد ٧٠٠ كيلومتر عن مجرى نهر النيل ويفصل بينها وبين الخرطوم عاصمة السودان ٧٠٠ كيلومتر اخرى يقطعها القطار السريع في ١٨ ساعة بينما يمضي القطار العادي يوما كاملا لكي يصل اليها . وتعداد سكانها ٦٥ الف نسمة أما تعداد سكان مديرية كردفان كلها فلا يزيد على مليونين ونصف مليون نسمة .

مشكلة المياه

ولكن هناك شيء يشكل أزمة بالنسبة لهذه المدينة التي طارت اليها بعثة « العربي » لتقدم صورة للحياة في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، الا وهو ازمة المياه التي يعانيها أهل المدينة . وهي مشكلة قديمة استمرت قرونا طويلة قبل أن تحل جزئيا منذ ١٥ سنة تقريبا . ولكي تدرك مدى تأثير أزمة المياه على سكان هذه المدينة يكفي أن تعلم ان اسم الأبيض جاء من المشكلة نفسها .

قصة الحمار الابيض

روى لنا أحد المسئولين أن هناك قصة منتشرة على شفاه الناس في المدينة ويتناقلونها أبا عن جد : انهم يحكون لك أن رجلا كان عنده

حمار أبيض ، وكان الرجل ينقل على حماره قِرَبَ الماء منذ مائة عام أو يزيد حيث ينتظر أهل المدينة وصوله بصبر نافد ، ليوزع عليهم الماء . وكان الرجل يعود الى البئر بعد ان تفرغ قربه ليملأ منها مرة ثانية وثالثة وهكذا ... ولكن وصول الحمار وصاحبه كان يتأخر فى بعض الاحيان فيعطش أهل المدينة ويقولون : « انتظروا الفرج من صاحب الحمار الابيض ! » ومن هنا سميت « الأبيّض » نسبة الى لون الحمار !

وكان سكان الأبيّض كلهم يعتمدون فى الماضى على المياه الموجودة فى الآبار الجوفية ، فكانوا يشربون منها ويسقون بهائمهم ، ثم مضت السنون وبدأت العقول المفكرة تعمل وتفتقت الاذهان التى هدّها البحث ، عن مشروع لتوفير المياه لأهل المدينة . وتم تنفيذ المشروع بالفعل فى عام ١٩٤٣ ، عندما أعدت الخزانات الكبيرة أو البحيرات الصناعية لتخزين مياه الامطار للانتفاع بها فى وقت الجفاف ثم تنقيتها وترشيحها بالوسائل الحديثة ونقلها عن طريق المواسير الى المنازل والمستشفيات والمدارس .

البحيرات الصناعية

ويعتمد المشروع كما ذكرنا على الخزانات أو « الفُوَل » وهى جمع فولة كما يسميها أهل المدينة ، وعدد هذه الخزانات خمسة أهمها الخزان الرئيسى أو « البحيرة الأم . » التى تقع فى واد سحيق تحيط به الجبال من كل جانب فى منطقة « العين » على بعد ٢٨ كيلومترا جنوبى الأبيض ، وتسع هذه البحيرة ثلاثة ملايين و ٧٦٠ الف متر مكعب من الماء . أما عمقها فيصل الى نحو ثلاثة أمتار و ٥٥ سم .

ولا تكاد الأمطار تهطل على سفوح الجبال التى تحيط بالبحيرة الأم فى موسم المطر حتى تنحدر الى الوادى السحيق فتمتلىء البحيرة بالماء ، ويظل الماء راكدا فيها وراء السد الذى أقيم لحجز المياه والتحكم فيها . ومن المياه المحجوزة وراء السد او الخزان يتم ضخ الماء وسحبه الى البحيرات الاربع الفرعية التى تغذى مدينة الابيض والتى اقيمت بالقرب من محطة الابيض لترشيح المياه وتنقيتها .

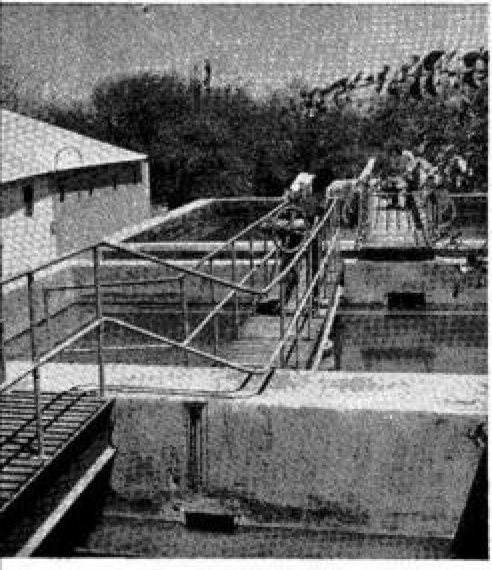
مضاعفة ضغط الماء

وقد اقام المهندسون فى نفس الوقت محطات فى وسط المسافة بين المدينة والبحيرة الأم وذلك لمضاعفة ضغط الماء فى المواسير التى ينقل الماء بواسطتها الى خزانات الابيض او البحيرات الفرعية التى يضيع ٧٥٪ من مياهها بفعل البخر وكذلك تسربه الى جوف الارض . وتسع البحيرة الواحدة لحوالى ١٢٠ الف متر مكعب من الماء ويبلغ عمقها عشرة أمتار تقريبا . ومن هذه البحيرات تشرب الأبيض بعد ترشيح المياه وتنقيتها ، اذ تقوم محطة الترشيح بدفع ٢٢٠ مترا مكعبا من الماء النقى فى الساعة الواحدة ، بينما يزيد استهلاك المدينة اليومى على ٤٥٠٠ متر مكعب ، كما تحرص المحطة على ارسال عينات من المياه التى تم ترشيحها الى الخرطوم من آن لآخر لفحصها واعداد تقرير عن مدى صلاحيتها للشرب .

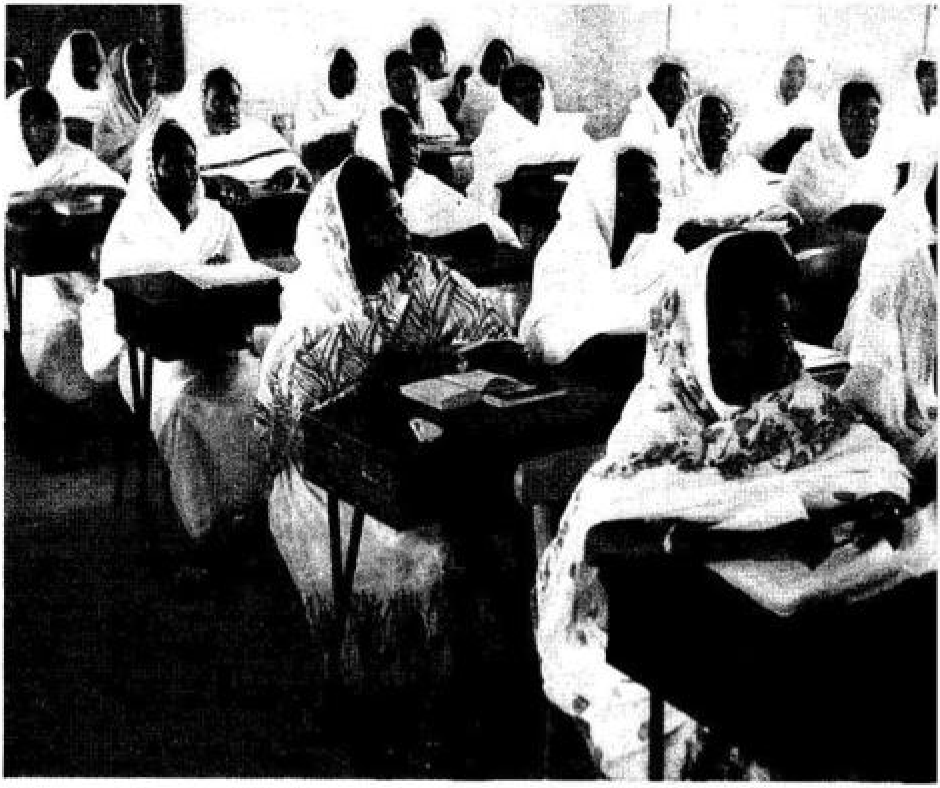
الازمة باقية

ولكن هل حلت أزمة المياه نهائيا ؟

ان المسئولين يؤكدون انه لم تعد هناك مشكلة مياه بالنسبة للابيض على الاقل ، لأن باقى



تقع محطة تكرير المياه لمدينة الأبيض بالقرب من الخزانين الرئيسيين حيث ينتقل اليها الماء لترشيحه فى أحواض الترسيب ، وهى تدفع ٢٢٠ مترا مكعبا فى الساعة للتصفية بينما يزيد استهلاك المدينة اليومى على ٤٥٠٠ متر مكعب .



التعليم ق الأبيض : ق مدرسة البنات الثانوية ق الأبيض جلست الطالبات ينصتن باهتمام لدرس ق اللغة العربية . انها المدرسة الثانوية الوحيدة ق الأبيض ، وهى تضم ٢١١ طالبة .

الى أسفل : من أجل الماء تصل الجمال والأبقار يوميا الى مدينة الأبيض قاطعة عشرات الأميال لتشرب من الآبار الجوفية المخصصة للماشية وحدها بعد اتمام مشروع خزانات المياه .







القديم والحديث : ما زالت المرأة السودانية فى الابيض تضع الحجاب وتخفى وجهها رغم أنها أصبحت تشارك الرجل فى كل أعماله . (والى اليمين) امرأتان بالملابس الوطنية التقطت عدسة « العربى » صورتهما وهما فى طريقهما الى السوق . بينما وقفت طالبات مدرسة البنات الثانوية فى المعمل أمام الكاميرا (الى اليسار) وانهمكن فى الاعداد للدرس وكلهن أمل فى المستقبل . ان الطريق أمام الفتاة المتعلمة ما زال طويلا وشاقا ولكنها ماضية فيه بعزم واصرار .



الى اليسار: «المراكيب» فى سوق المدينة جلس التاجر يعرض بضاعته من « المراكيب » او الاحذية الوطنية . وتشتهر الابيض بصناعة « المراكيب » من جلود الحيوانات . كما برع الاهالي أيضا فى صناعة الاطباق الملونة من سعف النخيل .



خريطة جمهورية السودان، وقد أشير بسهم الى مدينة الابيض ، التى تضم أكبر سوق عالمي لتجارة الصمغ العربى .

مدن مديرية كردفان لا تزال تعتمد على الآبار الجوفية . ولكن الحقيقة والواقع يؤكدان أن المشكلة ما زالت باقية . وخلال الفترة التى قضيناها فى الأبيض كانت المياه تنقطع ساعات طويلة عن الفندق . ألذى ننزل فيه ، واذا جاءت اخيرا فهى تصل ضعيفة متقطعة ثم لاتلبث أن تنقطع مرة أخرى وهكذا .

وثمة حقيقة أخرى ، وهى أن خزن الماء فى البحيرات شهورا طويلة خلال فترة الجفاف يضفى ظلالا من الشك على مدى صلاحية هذه المياه للشرب بعد ترشيحها ، وذلك لتكاثر الميكروبات والديدان التى تتوالد فيها مما يجعل عملية ترشيحها وتنقيتها مهمة عسيرة للغاية .

أشجار التبلدى

فمشكلة المياه ـ لا تزال قائمة ـ ولا يزال الأهالى فى ضواحى الابيض يختزنون المياه فى موسم الأمطار فى جذوع الاشجار الضخمة فيحفرون جذوع شجرة « التبلدى » وهى شجرة كبيرة تنمو وسط الغابات ويبلغ قطر جذعها نحو مترين ، ثم يملأونها بالماء الذى يظل مخزونا فيها حتى يبدأ موسم الجفاف فيلجأوا اليه ليشربوا منه ويسقوا ماشيتهم .

وقد بقيت الماشية تشرب من الآبار التى تنتشر حول المدينة فتصل اليها فى ساعة مبكرة من الصباح قاطعة عشرات الأميال ، وتقف فى طوابير طويلة ثم لا تلبث أن ترتفع أصواتها وتختلط بعضها ببعض وكأنها فى فرح كبير .

عملية شاقة

وقد وقفنا نرقب عملية استخراج المياه من هذه الآبار التى يصل عمق الواحد منها الى ستمائة متر. وهى عملية شاقة يقوم بها أربعة رجال مفتولى العضلات ، فينزلون اليها قربة مصنوعة من جلد الحيوان ، وتمتلىء القربة بالماء ، ثم يبدأ الرجال فى سحبها بواسطة حبل يلتف حول محور من الحديد يديره الرجال الأربعة فى اتجاه واحد ، ويظل الحبل يلتف حول المحور والقربة ترتفع شيئا فشيئا حتى تصل الى سطح الارض فيفرغوها فى جدول طويل تقف الحيوانات متلاصقة على جانبيه لتشرب وتملأ جوفها بالماء الذى قطعت فى سبيله عشرات الأميال .

ويبدأ العمل فى منطقة الآبار منذ الساعة الرابعة فى الفجر ، وهو موعد وصول الماشية من مختلف ضواحي المدينة حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا .

الثروة الحيوانية

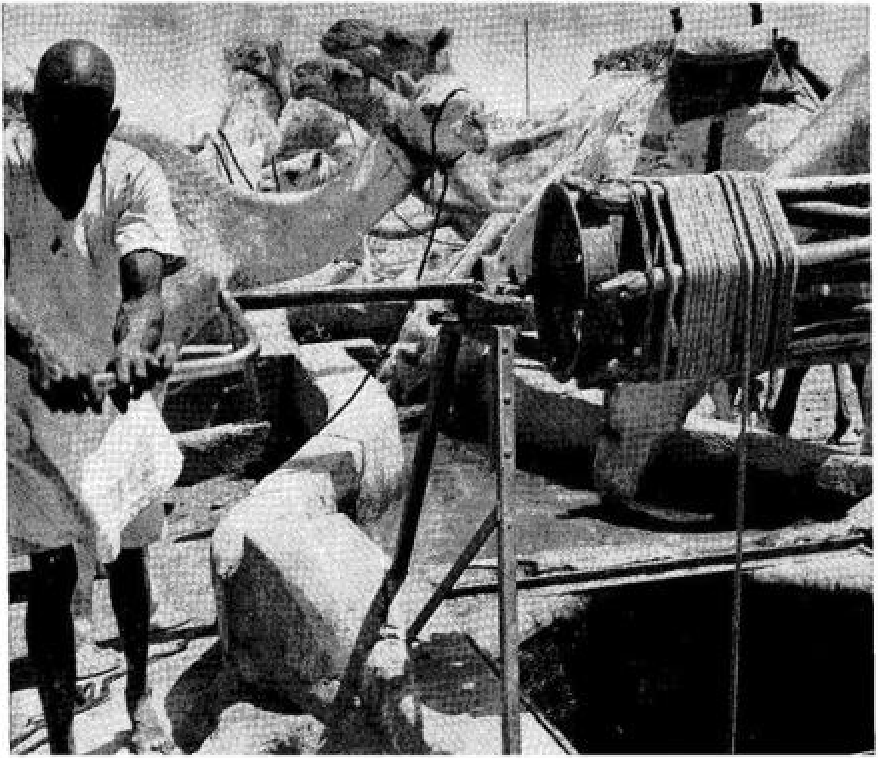
ان هذه الحيوانات لها دورها الهام ، كما قدمنا،

في اقتصاد مدينة الأبيض ومديرية كردفان التي تعد في المرتبة الثانية بين مديريات السودان التسع من حيث الثروة الحيوانية ، فهي تصدر الماشية الى الأسواق في الخارج وتحصل على ملايين الجنيهات التي تساعد على ازدهار الحياة في البلاد والنهوض بمرافقها العامة ، فسعر الجمل الذي يصدر للخارج ٢٥ جنيها سودانيا ، وقيمته في البنك هي قيمة الجنيه الاسترليني ، وسعر البقرة او الثور ٢٣ جنيها وسعر رأس الضأن يتراوح بين ستة وثمانية جنيهات . أما الماشية التي تباع محليا فيقام لها سوق كبير خارج المدينة يحيط به سور مرتفع ، ويزدحم السوق يوميا بالأبقار والجمال والضأن التي تصل اليه من جميع انحاء مديرتي كردفان ودارفور حيث ينتشر تجار الماشية في السوق لشرائها وذبحها ، بعد الكشف عليها طبيا للتأكد من خلوها من الأمراض ، ثم بيع لحمها للجمهور . اما الماشية التي تعد للتصدير فهي تصل الى محطة السكة الحديد في الأبيض وتنقلها القطارات الى الخرطوم ومنها الى جهة الاستيراد في الدول العربية وفي مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة والكويت والسعودية .

صمغ الهشاب

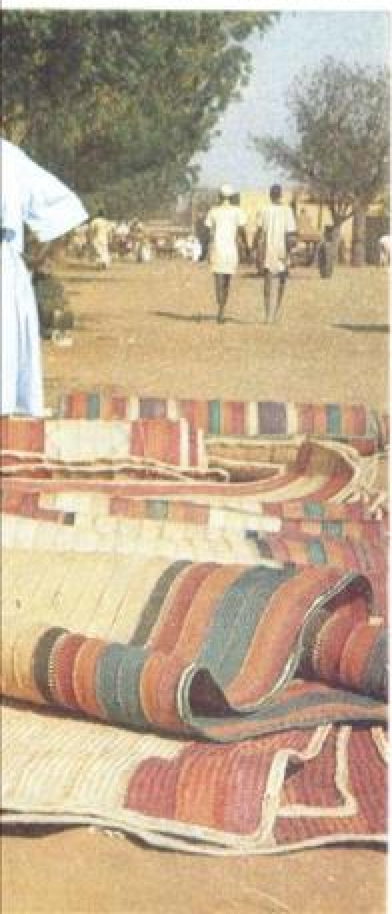
ونعود الى الصمغ العربي ، ويعرف هناك بصمغ الشهاب الذي اشتهرت به مدينة الابيض كسوق عالمي لانتاجه وتسويقه . وتبدأ عملية جمع الصمغ « بطبق » الشجرة او خزها بسكين في مكانين من فروعها القوية . وتتم عملية « الطق » مرتين في العام الواحد . الطقة الأولى بعد نهاية الخريف في ١٥ اكتوبر تقريبا من كل عام اما الثانية فتبدأ في أواخر يناير واوائل فبراير .

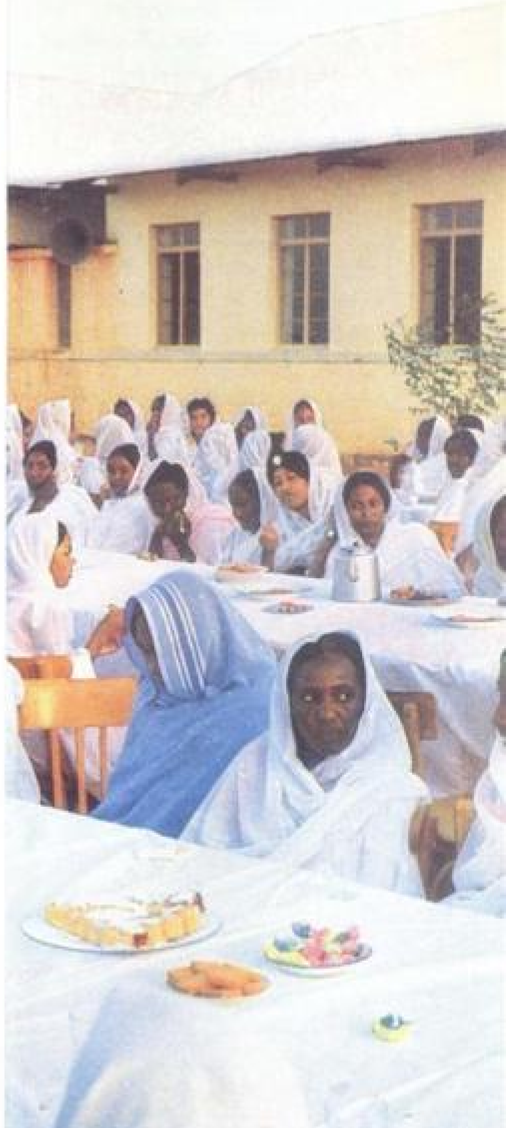
عملية استخراج المياه من الآبار الجوفية ، عملية شاقة يقوم بها اربعة رجال ، وتصل الجمال والابقار يوميا من ضواحي الابيض لتشرب وترتوي من الاحواض التي تمتلىء بالمياه المستخرجة من الآبار .





الصمغ العربي : يخرج الصمغ من الجروح التى احدثتها السكين بالاغصان ، ويستمر لثمانية أسابيع



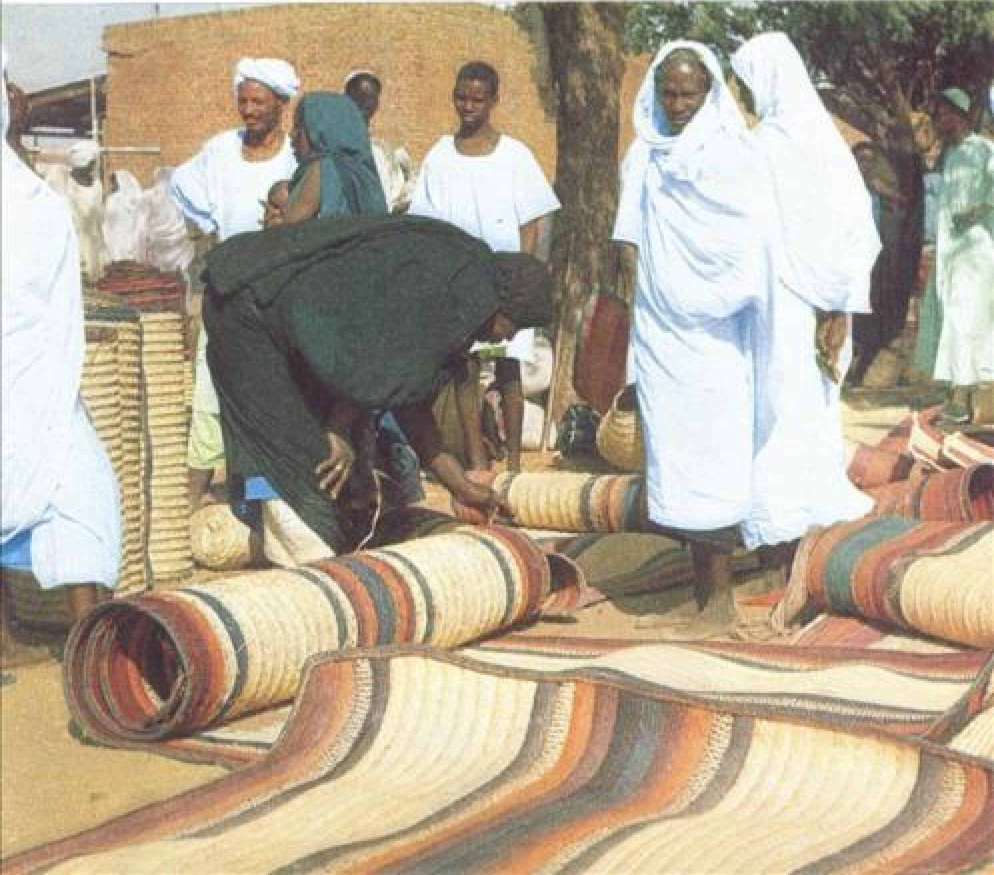


دور المرأة : فى الحفل السنوى الذى تقيمه مدرسة البنات الثانوية لتوديع الخريجات اللواتى سيلتحقن بالجامعة ، دارت مناقشات طويلة حول دور المرأة فى المجتمع الجديد ، وايدت الاغلبية عمل المرأة جنبا الى جنب مع الرجل فى كل الميادين .



الى اعلى : سوق عالمي : يجمع الفلاح الصمغ ويحمله الى السوق حيث ينتشر وكلاء الشركات

الى أسفل : الصناعات الوطنية : صناعة الحصير من أهم الصناعات الوطنية في الأبيض .



وتترك اشجار الصمغ لفترة تتراوح بين ١٥ و ٢٠ يوما بعد فلقها ثم لا يلبث الصمغ ان يخرج من الجروح التى أحدثتها السكين وتبدأ بعد ذلك عملية جمعه التى تتم مرة كل أسبوع ولمدة شهرين متتالين . اى ان الشجرة الواحدة تستمر فى انتاج الصمغ لمدة ثمانية اسابيع يتوقف بعدها خروج الصمغ .

وعلى أثر ذلك تبدأ عملية جمع الصمغ فى جوالات ينقلها الفلاحون الى السوق العالمى للصمغ بالابيض حيث ينتشر وكلاء الشركات التجارية الذين يقومون بتسويق الصمغ ثم بيعه فى مزاد علنى تحت اشراف بلدية الأبيض .

والصمغ نوعان ، والنوع الغالب منه هو الذى يجمع فى موسم الجفاف ، اما النوع الآخر وهو يشكل نسبة ضئيلة فتصيبه مياه الامطار اثناء وجوده على فروع الشجر قبل جمعه مما يؤدى الى انخفاض جودته وسعره .

ويدخل الصمغ ، الذى يصدره السودان الى معظم دول اوروبا وامريكا،فى عدد كبير من الصناعات الهامة ، فى مقدمتها صناعة الخزانات الضخمة التى تستخدم فى تخزين البترول وفى تركيب الادوية والعقاقير الطبية وافخر أنواع الحلوى وبعض الادوات المنزلية .

جولة فى المدينة

وننتقل بك الآن فى جولة سريعة بالمدينة التى تعتبر من اهم المدن الرئيسية فى السودان ، فهى عاصمة لمديرية شاسعة تبلغ مساحتها ١٤٦ الف و٩٣٠ ميلا مربعا ، أى قدر مساحة فرنسا او مساحة سوريا ولبنان والاردن مجتمعة، وهى مدينة هادئة تنام فى ساعة مبكرة من المساء ، فوسائل اللهو والتسلية فيها قاصرة على دارين للسينما وهى دار «عروس الرمال» و «دار كردفان» حيث تعرض الافلام العربية بصفة خاصة والافلام الأمريكية . كما توجد أيضا بعض النوادى الثقافية والنوادى الاجتماعية التى اقامتها الجاليات المختلفة التى تعيش فى الابيض مثل الجاليات المصرية ، ومعظم افرادها من المدرسين، والسورية واليونانية والهندية ، والجالية الهندية كبيرة ويعمل معظم افرادها فى التجارة .

الوجوه العربية

ومعظم مساكن الابيض من طابق واحد باستثناء بعض المبانى الحكومية ومبنى فندق كردفان ، وهو الفندق الوحيد فى المدينة . والأبيض تنقسم الى قسمين : الحى الجديد الذى لم يمض على انشائه اكثر من خمسين عاما ، والحى الشعبى



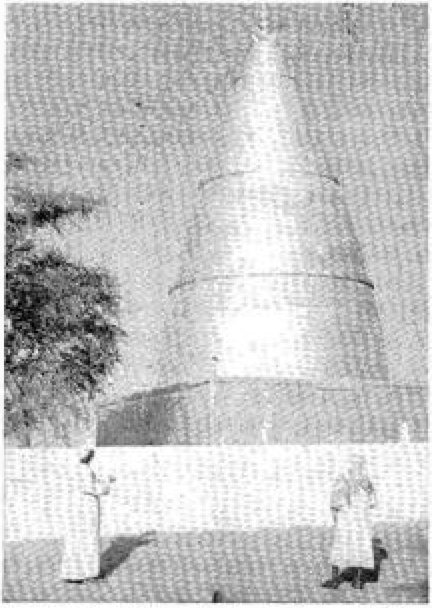
الطالبة السودانية تذهب الى المدرسة بالزى الوطني أو الثوب الابيض الذى تلفه حول جسمها. ان أمنيتها هى اتمام تعليمها فى جامعة الخرطوم .

القديم الذى يضم المنازل الصغيرة والاكواخ المصنوعة من القش والبوص ، والتى بدات السلطات المسئولة فى ازالتها وبناء مساكن جديدة مكانها .

واول شيء يسترعى نظرك وانت تسير فى شوارع الأبيض كثرة الوجوه العربية التى تصادفك فى الطريق . وقد نزح افراد القبائل العربية من شبه جزيرة العرب عن طريق مصر ، بعد ظهور الاسلام ، وجاءوا الى مديرية كردفان واختلطوا بأهلها وتزاوجوا وعاشوا معهم واشتغلوا بالرعى والزراعة .

والقبائل الرئيسية التى تعيش اليوم فى كردفان هى جوامعه وتسكن شرق المديرية وحَمَرْ وتسكن غرب كردفان والكبابيش ويعيشون فى الشمال ويعملون فى الزراعة وتربية الماشية .

وتعتبر هذه القبيلة الاخيرة ، من اغنى القبائل من حيث اقتناءوتربية الجمال . ومعظم اهل الأبيض يشتغلون فى التجارة ورعى الاغنام وفريق صغير يعمل فى الزراعة التى تعتمد على مياه الآبار .



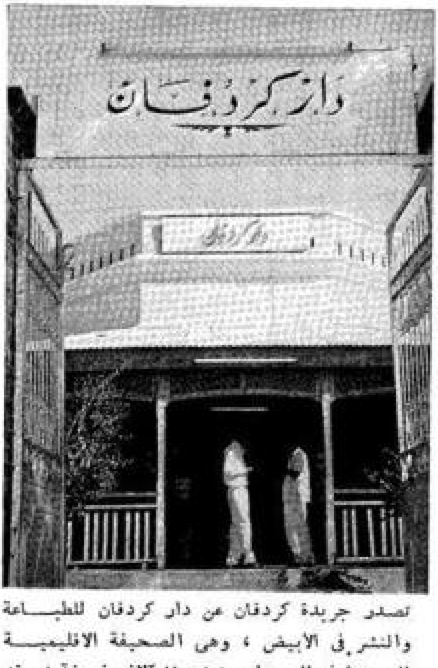
قبة ضريح الشيخ اسماعيل الولى شيخ طريقة طائفة الاسماعيلية الذى كان رجلا تقيا ورعا يحترمه أهل مديرية كردفان ويجلونه . وقد حرص الاهالى على طلاء القبة باللون الفضى لتظهر ليلا ونهارا .

فى سوق المدينة

والشارع الرئيسى فى الأبيض يضم البنوك والمحال التجارية الكبيرة وهو يتوسط المدينة ويؤدى الى السوق المركزى حيث يشترى الأهالى كل أنواع المنتجات والسلع المحلية والمستوردة ، الى جانب ما يحتاجون اليه من المواد الغذائية التى تقوم البلدية بمراقبة اسعارها بالتعاون مع رجال الشرطة ، وكذلك مراقبة السوق صحيا .

وتستورد الأبيض التفاح من لبنان ، والبرتقال من الجمهورية العربية المتحدة ، أما الفواكه التى تنمو فى مديرية كردفان فهى الموز والمانجو والجوافة ، كما تنمو أيضا أشجار « اللالوب » التى تنتج ثمرة خضراء أشبه ما تكون بالتمر وهم يستحلبونها ويقال انها تشفى المرضى بالسكر .

وهناك أيضا شجر الدوم الذى ينمو من تلقاء نفسه ، وينتج ثمرة مستديرة جافة لها بذرة كبيرة يلتف حولها لباب حلو أسمر اللون تغطيه قشرة بنية رقيقة ، وهم ياكلون لبها ويصنعون من بذورها الكبيرة الأزرار ، كما يستخدمون جذوع أشجاره فى صنع أسقف المنازل .



تصدر جريدة كردفان عن دار كردفان للطباعة والنشر فى الأبيض ، وهى الصحيفة الاقليمية الوحيدة فى السودان وتوزع ٧ آلاف نسخة ، وقد صدرت فى عام ١٩٤٥ .



رقصة النقارة : تألفت في الابيض فرقة لتطوير الفنون الشعبية والمحافظة عليها ، ويقدم افراد الفرقة عدة رقصات من بينها رقصة النقارة التي يرقصها رعاة البقر من العرب ، وتعتمد على الايقاع وحركات الارجل ، ويرقصها اهل مديرية كردفان في الاعياد والمناسبات .





الامل الكبير : ان الامل الذى يراود قلوب افراد فرقة كردفان للفنون الشعبية ، هو عرض رقصاتهم خارج حدود السودان ، ويهتم المسئولون اهتماماكبيرا بهذه الفرقة ويشجعونها ، وهي تضم الآن مائة وستين عضوا من الشبان والفتيات الذين يهوون الرقص والموسيقى .

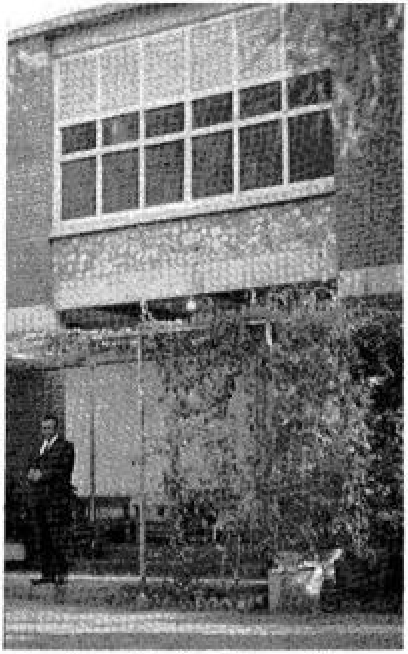
رقصة الكَيْسْة : أما أهالي أقصى الجنوب الشرقي من كردفان فيرقصون رقصة الكَيْسْة وتقوم بأدائها قبائل النوبة ، وهي ترمز الى الشجاعة والاقدام ، فيحمل الراقصون الحراب والعصي وغصون الاشجار ، وهي تتسم بالعنف رغم ما تشتهر به قبائل النوبة بالطيبة ودماثة الخلق .

الصناعات الوطنية

وتشتهر الأبيض بصنع الأواني الفخارية مثل الأزيار والقلل وكذلك الابراش جمع « برش » والأطباق الملونة التي تصنع من سعف النخيل ، والحذاء الوطني عندهم هو « المركوب »ويصنعونه من جلود النمور والأسود والماشية .

ومن الصناعات الوطنية أيضا السراير أو « العنقريبات »جمع « عنقريب » وهو يصنع من الخشب الذي يستخرج من الغابات ومن الحبال التي تصنع من الياف شجر النخيل .

وتعمل المرأة جنبا الى جنب مع الرجل في هذه الصناعات ، وهي تعاونه في تجارته فتظهر في السوق وتجلس بملابسها الوطنية او « الثوب الأبيض » وهي تتفنن في رص السلع امامها على الأرض في شكل هندسي وتجلس بجانب سلعها تساومك على أسعارها وغالبا ما تفوز بربح أكبر من الرجل .



بيت محافظ مديرية كردفان الذي تعاقب عليه جميع المحافظين الانجليز قبل الاستقلال ، وقد أصبح يسكنه الآن محافظ سوداني هو السيد سليمان وجيع الله .

الى أسفل : تشترك المرأة مع الرجل في بيع السلع المحلية في سوق المدينة، وهي أمهر منه في البيع.





الأزيار والقلل من الصناعات الوطنية فى الأبيض وهم يملأونها بمياه الشرب لتبرد ، ولا يخلو بيت من هذه الأزيار المصنوعة من الفخار ، وخاصة المنازل التى لم تمتد اليها مواسير المياه بعد .

تطور المرأة فى الابيّض

وما دمنا نتحدث عن المرأة فلا بد أن نقدم لك الفتاة المثقفة او المرأة الحديثة فى الأبيض . وقد اعجبنا التقدم الذى حققته والتطور الذى طرأ على تفكيرها ، فهى لم تعد تنظر الى الزواج كهدف ولم تعد ترضى بان تمضى حياتها كلها فى البيت تنتظر « العريس » الذى سيدق الباب طالبا يدها . انها تريد اليوم أن تكمل تعليمها الجامعى أولا .

فقد زرنا مدرسة البنات الثانوية بالأبيّض وحضرنا الحفل الذى اقيم لتوديع طالبات السنة الرابعة الثانوية اللواتى سيتركن المدرسة للالتحاق بجامعة الخرطوم .

وسألنا ناظر المدرسة السيد انور توّس : « هل تعتقد أن كل الطالبات اللواتى أتممن المرحلة الثانوية بنجاح سيدخلن الجامعة ؟ » .

الدراسة أفضل من الزواج

قال : « لماذا لا تسألون هن ؟ انا شخصيا أعتقد أن الغالبية تفضل الزواج على الاستمرار فى الدراسة الجامعية ! » .

ووجهنا السؤال التالى الى الطالبات : « هل تفضلن الزواج أم الجامعة ؟ » .

وكان السؤال محرجا بطبيعة الحال ، فاقترحنا ان تكتب كل طالبة الاجابة على ورقة صغيرة دون ان تذكر اسمها ! وجاءت النتيجة على عكس ما كان ناظر المدرسة يتوقع ، فقد ظهر أن ٧٠٪ من



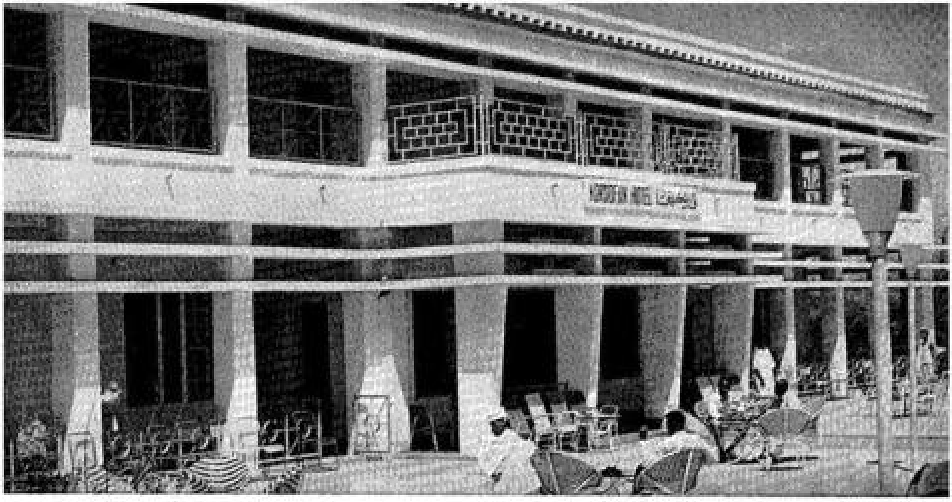
رقصة الكمبالا : وفى جبال النوبة بجنوب مدينة كردفان يرقص الأهالى رقصة الكمبالا التى تمثل حركات الثيران ؛ فالناس فى هذه المنطقة من السودان يعتبرون الثور جزءا من حياتهم ورمزا للقوة ؛ وفى أحيان كثيرة ينسى الأهالي أنفسهم وهم يؤدون هذه الرقصة فيتصورون فى غمرة حماسهم أنهم ثيران حقيقية فينتا طحون كما يفعل الثور تماما .



ابتسامة النجاح : تأسست فرقة فنون كردفان فى عام ١٩٦٢ ، وكانت اول فرقة شعبية تطوف بمدن السودان شماله وجنوبه . وقد لاقت نجاحا كبيرا وخاصة فى المسرح القومي بأم درمان . ان الابتسامة على وجه هذه الفتاة التى اشتركت فى عرض خاص لمجلة العربي ، تعبر عن النجاح الذى تلقاه الفرقة يوميا على مسرحها الخاص فى الابيض .

الرقصة الاولى : يقول مدير فرقة فنون كردفان ، ان رقصة النقارة التى يشترك فى ادائها الرجال والنساء معا ، هى الرقصة الشعبية الاولى التى ترقصها مديرية كردفان كلها فى الاعياد والمناسبات ولعل السبب فى ذلك انها ترمز الى حركات البقرة التى تعتبر أهم حيوان فى تلك المديرية السودانية التى تشتهر بتربية الابقار والجمال والاغنام وتصديرها للخارج .





فندق كردفان ، هو الفندق الوحيد بمدينة الابيض ، ويتألف من طابقين وتحيط به حديقة فسيحة،ومعظم نزلائه من المدرسين العرب الذين يقومون بتأدية رسالتهم التربوية فى هذا الجزء من السودان .

الطالبات اللواتى يبلغ عددهن ٤٢ طالبة يفضلن الالتحاق بالجامعة واتمام تعليمهن الجامعى ، ولا بأس من « العريس بعد ذلك بطبيعة الحال » .

قالت لنا مدرسة اللغة العربية بعد أن عرفت النتيجة : « انا فخورة ببناتى . الا ترون معى انه تطور جدير بالاهتمام ؟ » .

التعليم مجانا

لقد انشئت هذه المدرسة منذ ثلاث سنوات فقط ، فقد كانت الطالبات يتلقين تعليمهن الثانوى فى الخرطوم قبل انشائها . وهى تضم الآن ٢١١ طالبة فى جميع فصول الدراسة الثانوية . وفى المدرسة قسم داخلى يضم ٢٤٠ طالبة من مختلف مدن المديرية . وجميع المدرسات تخرجن فى الجامعة أو فى معهد المعلمين العالى بالخرطوم .

اما المدارس الثانوية للبنين فهى أربع ، كما توجد ست مدارس ابتدائية ، أربع منها للبنين ، وكذلك ٣٠ مدرسة أولية للبنين والبنات .

والتعليم فى الأبيض مجانا فى مراحله الاولية والابتدائية والثانوية ، ولكنه ليس اجباريا ولو أن المتبع ان ترسل كل اسرة أطفالها الى المدرسة بمجرد بلوغهم سن السابعة . اما السبب فى رفع سن القبول الى السابعة فهو عدم وجود مدارس كافية لاستيعاب العدد المتزايد من التلاميذ .

مشكلة نقص السكان

وتولى السلطات المسئولة فى الأبيض عناية خاصة بالحالة الصحية لأهالى العاصمة ،والعلاج بالمستشفى المركزى بالمجان،وهو يضم ٤٨٠ سريرا، ويعمل فيه ثمانية من الأطباء السودانيين الى جانب الأخصائيين فى أمراض النساء والولادة التى تلقى عناية خاصة من الحكومة لمضاعفة النسل ومواجهة مشكلة نقص عدد السكان الذى يعانى منه السودان فالمعروف أن تعداد سكان السودان لا يتجاوز ١٢ مليون نسمة ينتشرون فى أراضيه الشاسعة التى تزيد مساحتها على مليون ميل مربع ،أى بمعدل ١٢ شخصا فقط فى كل ميل مربع !

وقد حرصت السلطات المسئولة أيضا على انشاء مدرسة لتخريج الممرضات والدايات فى المستشفى العسكرى لمساعدة أطباء الولادة ،وتنتقل الداية او الممرضة فى الأبيض على ظهر حمار الى القرى والضواحى بمجرد وصول اشارة بأن احدى السيدات تتوقع حادثا سعيدا ، ولا يتدخل الطبيب الا اذا كانت الولادة عسرة وتتطلب انتقاله فورا .

الجريدة الاقليمية الوحيدة

وقد خصصت صحيفة « كردفان » وهى جريدة مستقلة نصف أسبوعية بابا خاصا للمواليد ، كما

تهتم بنشر صورهم وأعياد ميلادهم . وقد زرنا دار كردفان للطباعة والنشر التى تصدر عنها هذه الصحيفة الاقليمية الوحيدة فى السودان . وتستخدم الدار ماكينات الجمع الانترتيب Intertype الحديثة ، ويعمل فيها خمسون محررا وعاملا وتوزع سبعة آلاف نسخة .

وقال رئيس تحريرها السيد فاتح النور : « ان جريدة كردفان هى صحيفة سياسية علمية ثقافية اقتصادية ، ولكنها قبل كل شيء صحيفة مستقلة، لا تتاثر براى او بحزب معين » . وقد صدر العدد الاول من جريدة كردفان فى عام ١٩٤٥ ، أى أن عمرها الآن ٢١ عاما .

عرض خاص « للعربي »

لقد اقتربت جولتنا فى الأبيض على الانتهاء ، ولكننا قبل ان نختتم رحلتنا القصيرة سنقدم لك صورة جميلة للفن الشعبى فى الأبيض . انها مجموعة من الرقصات الوطنية القبلية التى يرقصها ابناء مديرية كردفان كما قدمتها لنا فرقة الفنون الشعبية فى عرض خاص .

وفى حديقة فندق كردفان وقف الراقصون والراقصات يؤدون رقصاتهم الجميلة على انغام الموسيقى. وكانت الرقصة الاولى هى رقصة «الكمبالا» التى يرقصونها فى منطقة جبال النوبة بجنوبى كردفان، وهى تمثل حركات الثيران ، فالثور فى هذه المنطقة يشكل جزءا هاما فى حياة الناس ، وهو رمز للقوة عندهم ، وأهم وسيلة من وسائل الانتقال، فهم يركبونه ويحملون أمتعتهم وطعامهم على ظهره فى موسم الخريف وينتقلون به من مكان الى آخر .

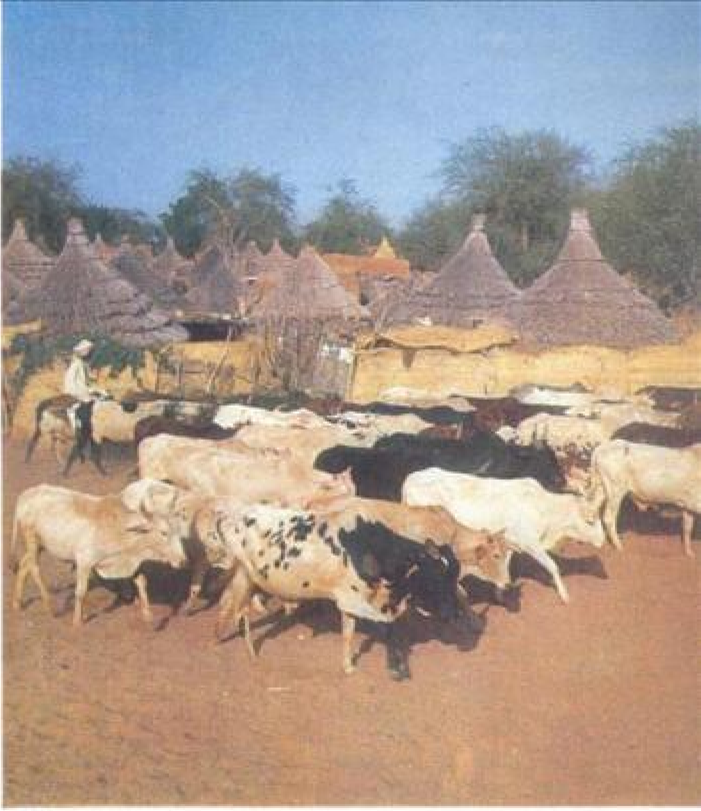
والرقصة تمثل الثور عندما يكون هائجا ،ويقول أفراد الفرقة الراقصة وهم يصفون لك حماس أهالى النوبة وهم يؤدون هذه الرقصة .. يقولون: « يحدث فى كثير من الأحيان أن ينسى الاهالى انفسهم وهم يرقصون فيتصورون انهم ثيران حقيقة ، فيتناطحون بالقرون المثبتة فى رؤوسهم ويرفسون بعضهم بعضا تماما كما يفعل الثيران ! » .

رقصة رعاة البقر

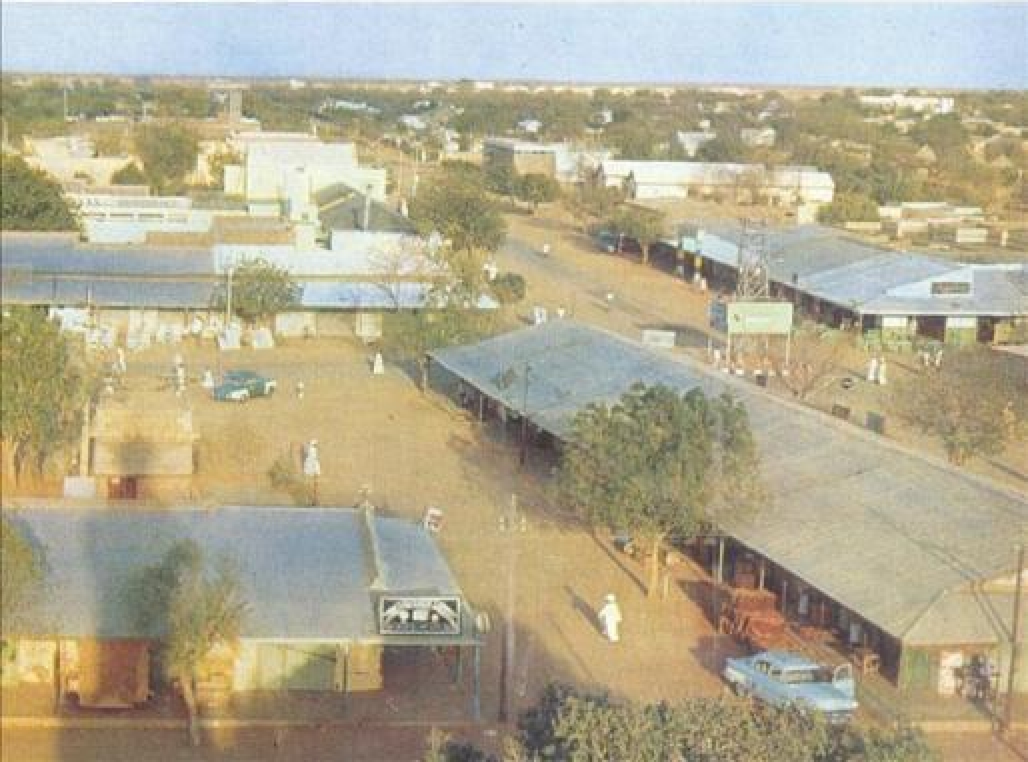
ثم شاهدنا رقصة « النقارة » أو رقصة رعاة البقر ، وهم أصلا من العرب الذين نزحوا الى منطقة شمال كردفان والمنطقة الجنوبية الغربية منها سعيا وراء المرعى ، واستوطنوا اقليما يطلقون عليه اسم « اقليم البقارة » نسبة الى البقرة ومركزه المجلند . وترمز رقصة النقارة الى حركات البقر . وهى تتسم بالعنف وتعتمد على الايقاع وحركات الأرجل . والطبلة هى الآلة الموسيقية الوحيدة التى تستخدم فى العزف أثناء تادية هذه الرقصة التى تعتبر رقصتهم الشعبية المفضلة فى المناسبات والأعياد ، وقد نقلها عنهم اهالى مديرية كردفان كلها .

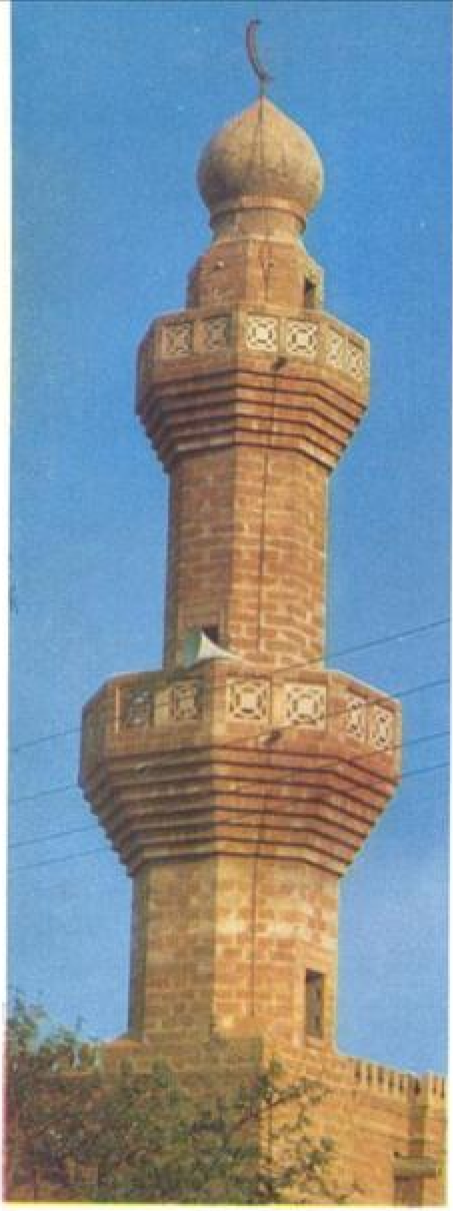
نادى المعلمين فى الأبيض ، وهو أول ناد من نوعه فى السودان ، وقد أنشىء فى عام ١٩٥٧ فى بيت صغير استأجره الاعضاء ، ثم ما لبث أن أصبح ملكا لهم .



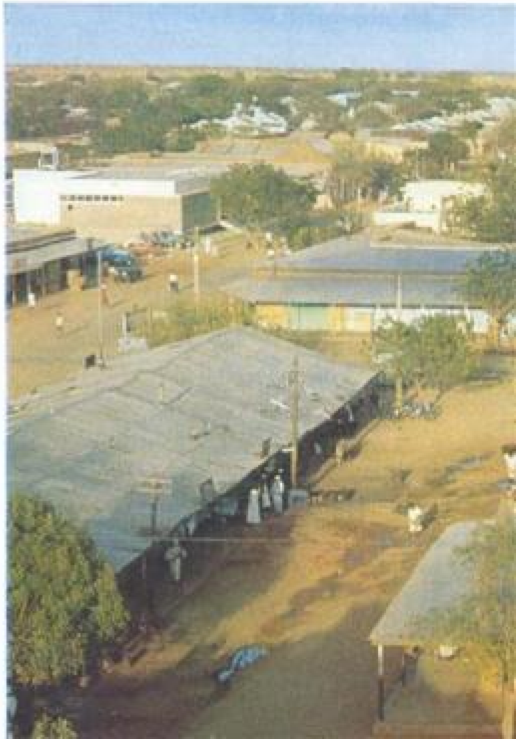


الى اليمين فى طريق العودة
الأبقــار ترعى فى القرى الصغيرة المجاورة لمدينـــة الابيض بعد ان عادت من منطقـــة الآبار الجوفيـــة وشربت وارتوت من مياهها. ان البقر يشكل أكبر جزء من الثروة الحيوانيـــة فى مديرية كردفان ، ويليـــه الضأن الذى يصـــدر الى معظم الدول العربية .

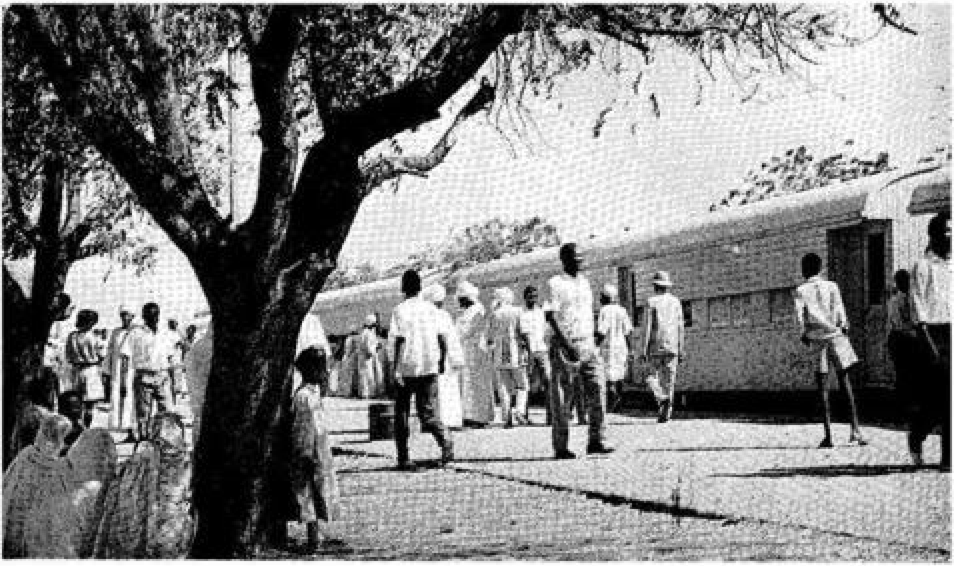




الى اسفل مدينة الأبيض
منظر عام للمدينة التى تقع فى منطقة صحراوية تبعد من مجرى نهر النيل بحوالى ٧٠٠ كيلومتر . وتسكنها مجموعة من القبائل العربية والسودانية عاشوا فيها وتزاوجوا منذ مئات السنين ، وهى عاصمة لمديرية شاسعة تزيد مساحتها على مساحة قرنسا .



مسجد الأبيض : يقع المسجد فى قلب سوق المدينة ، وتشرف عليه وزارة الأوقاف السودانية . وحول المسجد يوجد عدد كبير من المحال التجارية التى تمتلكها الوزارة ، ويخصص ايجارها لصيانة المسجد واصلاحه .



قطار السكة الحديد يقطع المسافة من الأبيض الى الخرطوم وهى ٧٠٠ كيلومتر فى ٢٤ ساعة ، بينما يقطعها القطار السريع فى ١٨ ساعة ، وهو وسيلة المواصلات الرئيسية بين مديرية كردفان وعاصمة السودان .

اما سكان المنطقة الواقعة فى اقصى الجنوب الشرقى من كردفان فيرقصون رقصة « الكتيشة » وهى ترمز الى الشجاعة والاقدام ويستخدمون فى ادائها الحراب والعصى ، وهى أيضا تتسم بالعنف والقوة رغم ما يشتهر به أهل هذه البلاد بالطيبة ودماثة الخلق .

فرقة الفنون الشعبية

روى لنا السيد عبد القادر مدير فرقة فنون كردفان قصة هذه الفرقة الشعبية وكيف تألفت. قال : « لقد كنا نحلم دائما بتأليف فرقة ناجحة تقدم هذا اللون من الفن الشعبى ، وبذلنا فىسبيل ذلك كل جهد تحت رعاية محافظ المديرية الذى قدم لنا كل مساعدة ممكنة . وكان هدفنا الاول من انشاء هذه الفرقة التى بدأت نشاطها فى عام ١٩٦٢ هو تطوير الفنالشعبى وصيانته .وهىتضم الآن ١٦٠ عضوا من الموظفين والعمال والطلبة ، وعددا من الفتيات والسيدات اللواتى يهوين الموسيقى والرقص الشعبى . ان الأعضاء يجتمعون فى مساء كل يوم للتدريب والدراسة وفى رؤوسهم حلم طالما تاقوا لتحقيقه . لقد طاف أعضاء الفرقة بمدن السودان كلها شماله وجنوبه وعرضوا فنهم الشعبى الأصيل . وهم يتوقون الآن الى اليوم الذى يعرضون فيه رقصاتهم خارج حدود السودان » .

قصة انتصار شعب

هذه صورة سريعة للحياة فى كردفان ..المديرية التى جهر فيها المهدى بدعوته الى تحرير السودان فى عام ١٨٨٢ فالتف حوله قبائلها ، وقاد المهدى معركته ضد القائد الانجليزى الجنرال هكس باشا بمنطقة « حلة شيكان » القريبة من مدينة الأبيض ، وانتصرت قوات المهدى على الاستعماريين الانجليز انتصارا ساحقا رغم عدم تكافؤ قوة الفريقين ، فقد قاتل الوطنيون ببسالة مستخدمين الحراب والسيوف واستطاعوا بسلاحهم الابيض البدائى ان ينزلوا الهزيمة ببنادق الانجليز ومدافعهم . ■■

منير نصيف



خمسة طرق لتوفير الماء للصحارى العربية :

- ضبط الانهار حتى لا تضيع قطرة .
- تشذيب مجاريها حتى لا يضيع ماؤها بخراً .
- خزانات وسدود حيثما هبط ماء فى صحراء .
- تحلية ماء البحر بالوسائل الحديثة ما رخص منها .
- مراكز علمية تنشا فى الصحراء لبحوث نباتية تربية مائية ولأهداف شتى .

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر
استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ تشغل الصحارى مساحة من سطح الارض ، تقرب من ثلث مساحة اليابسة . وتقع دولنا العربية ، ضمن حدودها المترامية ، وان نسبتها فى ارض الوطن العربي ، لتزيد على تسعين بالمائة من مساحته . وهي تمثل اكثر من ٩٦٪ من مساحة مصر ، ولعلها لا تقل عن ذلك كثيرا فى شبه جزيرة العرب او العراق او سوريا او شمال السودان وليبيا والجزائر ، انه نطاق صحراوى متصل ، فيما عدا أحواض الانهر ، وبعض المناطق الساحلية والواحات والحطيئات(١) ، مما لا يزيد على عشرة

(١) الحطيئة : ارض بها ماء ونبات ، لا يسكنها انسان . اما الواحة ففيها الماء والنبات والناس .

بالمائة من مساحة هذه الاقطار مجتمعة .

وقد درج الناس على تعريف الصحراء أو البرية، بانها الارض التى لا ماء فيها ولا نبات ، انما هي ارض رملية أو صخرية ، جافة ، واسعة الارجاء ، يسكن بعض اجزائها البدو ، ممن يتميزون بالقدرة على احتمال قسوة الحياة فى الصحراء ، من حيث ارتفاع درجة الحرارة ، وندرة المطر أو انعدامه ، والرياح العاصفة ، والاضاءة الشديدة نهارا ، وما الى ذلك من عوامل ، تجعل حياة الكائنات الحية امرا صعب الاحتمال .

المدلول العلمي للصحراء

على انه ليس من اليسير ، تحديد مدلول كلمة الصحراء علميا ، ويظهر انه لا بد من ائتلاف عدد من هذه العوامل التى ذكرنا ، حتى يتضح هذا المدلول . اذ أن قلة المطر وحدها ، لا تكفي لذلك. ففى بعض الصحارى ، لا يسقط من المطر الا ما يقدر بنحو ٥ر٢ من السنتيمترات ، ولكنها تكفى لزراعة بعض المحاصيل كما فى غرب استراليا ، وما ذلك الا لان المطر ينزل فى الوقت الملائم لنمو النبات ، وفى فصل تقل فيه شدة البخر . وهناك جهات اخرى كثيرة ينزل فيها اضعاف هذا القدر من المطر ، ومع ذلك فانه لا يكفى لزراعة محصول ما . وذلك لانه ينزل فى دفعات متباعدة ، وفى أوقات لا يفيد منه النبات ، وانما يضيع أغلبه بالبخر او التسرب أو هما معا .

لذلك رئى الجمع بين كمية المطر ودرجة الحرارة لتحديد معنى الصحراء ، فقيل انها المناطق التى تقل فيها كمية المطر السنوية (بالسنتيمترات) عن متوسط درجة الحرارة السنوية (مئوية) مضافا اليه ١٠ ، وقال آخرون انها المناطق التى تقل فيها كمية المطر السنوية (بالبوصة) عن خمس متوسط درجة الحرارة السنوية (فهرنهيت) .

أنواع الصحارى

ويقسمون الصحارى الى ثلاث فئات ، فئة شديدة الجفاف ، وثانية جافة وثالثة شبه جافة . والاولى هى التى لا يسقط فيها شىء من المطر طوال العام ، والثانية هى التى لا يتيح مناخها ومطرها زراعة بعض المحاصيل ، والثالثة هى التى يسمح مناخها ومطرها بزراعة محاصيل معينة.

وتقدر مساحة الصحارى شديدة الجفاف بنحو ستة ملايين من الكيلومترات المربعة ، على حين تبلغ مساحة كل من الصحارى الجافة وشبه الجافة نحو واحد وعشرين مليونا من الكيلومترات المربعة ، ومجموع هذه المساحات حوالي ثمانية واربعين مليونا من الكيلومترات المربعة أى نحو ٣٦٪ من المساحة الكلية لليابسة التى تبلغ نحو مائة وثلاثة وثلاثين مليونا من الكيلومترات المربعة .

وليس من شك فى أن الحياة النباتية فى الصحراء انما هى من سماتها الاساسية ، فنبتها مبعثر ، قمىء ، أغلب الامر ، يتميز بصفات فسيولوجية وشكلية وتشريحية تجعله يطيق قسوتها وجفافها. على أن فصل المطر ، حين يوالي ، يتيح نمو النباتات الحولية أو الموسمية ، التى تنبت وتزهر وتثمر فى أسابيع قليلة ، متفادية بذلك فصل الجفاف .

وتشغل الصحارى ، مساحة كبيرة ، من نصف الكرة الشمالي ، فى شمال افريقيا ، ممتدة من شاطىء المحيط الاطلسي غربي افريقيا ، الى شاطىء البحر الاحمر فى شرقها ، ثم تمتد عبر سيناء الى شبه جزيرة العرب ، فالعراق وآسيا الوسطى كما تشغل جنوب غربي امريكا الشمالية والولايات المتحدة ، وشمال غربي المكسيك . كما تشغل مساحة اخرى فى نصف الكرة الجنوبي فى استراليا وجنوب غربي افريقيا وامريكا الجنوبية . وتبلغ مساحة صحارى افريقيا نحو ١٧٫٧٥٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع ، كما تبلغ مساحة صحارى آسيا نحو ١٥٫٠٠٠٫٠٠٠ كم .

وللرياح اثرها الكبير على مناخ الصحراء ، فهى جافة ان اتجهت من اليابسة ، رطبة ان اتجهت من البحر ، وهذه قد تسقط ماءها قرب الساحل، او غير بعيد منه ، ما لم تعترضها عوائق جبلية ، وعلى ذلك تكون الصحراء ، حيث المناطق التى تتجه فيها الرياح من اليابسة الى البحر ، او تكون بعيدة عن الساحل الذى تصل اليه الرياح المطيرة ، أو تكون الرياح ذات سحب قليلة تسقط وراءها قرب الشاطىء ، فلا يبقى ما يحمل الى الاراضى البعيدة عن الساحل .

وعلى ذلك فالعامل الاول فى جفاف الصحراء ، وقلة أمطارها ، انما هو قلة المحتوى المائي للهواء الجوى ، اى أن هواءها دون درجة التشبع بالماء ،



الى اسفل : صحراء يدل ما ينبت فيها من عشب على أنها لا ينقصها الا الماء

توزيع الصحاري بقارات الارض

وفيما يلي توزيع الصحارى بمراتبها الثلاث على سطح الارض مقدرة بالالف كيلومتر مربع .

الجهة	شديدة الجفاف	جافة	شبه جافة	المجمـوع
شمال افريقيـا	٤ر٠٠٠	٦ر٥٠٠	٧ر٢٥٠	١٧ر٧٥٠
جنوب افريقيـا	٢٠٠	٨٠٠	١ر٢٥٠	٢ر٢٥٠
شبه جزيرة العرب	١ر٠٠٠	٢ر٠٠٠	—	٣ر٠٠٠
آسيا	٤٥٠	٦ر٠٠٠	٦ر٠٠٠	١٢ر٤٥٠
استراليا	—	٤ر٠٠٠	٢ر٥٠٠	٦ر٥٠٠
امريكا الشمالية	—	٧٥٠	٢ر٧٥٠	٣ر٤٥٠
امريكا الجنوبية	٢٠٠	١ر٥٠٠	١ر٢٥٠	٢ر٩٥٠
المجموع	٥ر٨٥٠	٢١ر٥٠٠	٢١ر٠٠٠	٤٨ر٣٥٠

وتأتي درجة الحرارة واتجاه الرياح في المرتبة الثانية، فموضع الصحراء بالنسبة للبحر وموسم هبوب الرياح واتجاهها لها اكبر الاثر على كمية المطر التى تسقط بهذا الموضع او ذاك من الصحراء ، كما تحدد موسم الامطار .

اي الصحاري يمكن الاستفادة منها

وليس من شك ، في أن الامل ـ بعض الامل ـ في الاستفادة من هذه المساحات الشاسعة انما يتركز اولا في الصحارى شبه الجافة ، التى تبلغ مساحتها نحوا من واحد وعشرين مليونا من الكيلومترات المربعة . على أن هذا الامل لا بد ان تؤيده دراسات علمية ، متشعبة ، تستغل فيها اعظم الجهود ، واجل القدرات ، حتى لا تضيع الجهود بددا .

ولا بد ان نمهد لهذه الدراسة بتصنيف الصحارى على أساس ما ، مثل درجة الحرارة ، وكمية المطر السنوية ، وطبيعة التربة ، وشكل الارض . وانها لتقسم على اساس درجة الحرارة الى قسمين ، هما صحارى حارة واخرى باردة ، وتقع الاولى في مناطق الرياح التجارية ، مثل صحراء افريقيا ، وامتدادها في شبه جزيرة العرب، وجوها حار في الصيف ، دافيء في الشتاء . وهذه الصحارى الحارة اما ان تكون قارية ، مثل

الصحراء الكبرى ، او ساحلية مثل صحراء بيرو بامريكا الجنوبية . وفي الصحاري القارية البعيدة عن سواحل البحار، يكون التباين كبيرا بين درجات الحرارة في النهار والليل ، ويكون الهواء جافا ، وتهبط الرطوبة النسبية الى نحو ٣٥٪ أو ٢٥٪ في اشهر الصيف . ومتوسطها السنوى نحو ٤٥٪. اما الصحاري الساحلية ، فمدى تغير درجات الحرارة فيها محدود ، والرطوبة النسبية مرتفعة، حيث يقدر المتوسط السنوى ب ٧٥٪ .

صحار باردة

اما الصحاري الباردة ، فتتميز بفصل بارد ، ينخفض متوسط درجة الحرارة فيه الى بضع درجات ، قد لا تجاوز الخمس ، وهي قارية بعيدة عن البحار ، ومثالها صحراء الاتحاد السوفيتي الممتدة الى شرق من بحر قزوين ، وصحاري الحوض الكبير في أمريكا الشمالية. فمتوسط درجة الحرارة في سمرقند في يناير لا يجاوز الصفر ، وفي صحاري طارم تنخفض الدرجة في يناير الى بضع درجات تحت الصفر ، وتزداد برودة الشتاء، كلما اتجهنا الى الشمال الشرقي نحو منغوليا ، على أن درجة الحرارة ترتفع في الصيف الى نحو الثلاثين .

وتصنف الصحاري على أساس كمية المطر ، الى ثلاث مراتب هي : عديمة الامطار ، وجافة ، وشبه جافة ، ففي الاولى لا يسقط المطر قط طوال العام أو لعدة اعوام متتابعة ، كما في المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى . وقد ورد في أطلس الارصاد الجوية لخمسين سنة ، ان بعض جهات صحراء مصر ، لم يسقط فيها المطر قط في عشرات من السنين متتابعة .

صحار جافة

اما الصحاري الجافة ، فهي التي لا يجاوز المطر السنوى فيها ١٢٫٥ سم ، وشبه الجافة متوسط المطر فيها من (١٢٫٥ — ٢٥ سم) . وقد يكون المطر شتويا، كما في الصحاري الساحلية في شمال افريقيا ، حيث ينزل المطر فيما بين اواخر الخريف واوائل الربيع . وقد يكون المطر صيفا في المناطق الاستوائية، مثل شمال السودان، حيث يسقط المطر فيما بين يونيو وسبتمبر .

وتلعب درجة الحرارة دورا هاما في أثر المطر ، فقد يكون الشتوى اجدى بالنسبة لنمو النباتات، حين لا تفقد منه نسبة كبيرة بالبخر ، واذا كانت درجة الحرارة معتدلة افاد النبات من هذا المطر اعظم فائدة .

والآن ، وقد عرفنا الصحراء وصنفناها على أساس علمي ، وعرفنا موضع صحاري الوطن العربي الكبير بالنسبة لصحاري العالم ، فما السبيل الى الاستفادة من بعض هذه الصحاري المترامية الاطراف ، التي تكتنف بلادنا العربية ، وتجعل اغلب مساحاتها غير ذات زرع ، مما يجعل الحياة الرغيدة صعبة على اكثر قطانها .

الاستفادة من مياه الانهار

لعل أول سبل الاستفادة من صحاري الوطن العربي ، ان نحرص أشد الحرص على ما ارسل الله الينا من مياه الانهار التي تجري هنا وهناك مخترقة هذه الصحاري ، كالنيل في السودان ومصر ، ودجلة والفرات في العراق وسورية . فنقيم السدود والقناطر والخزانات ، التي تحبس هذا الماء ، فلا تضيع قطرة منه ، دون الاستفادة منها في ري زرع او سقي ضرع وينبغي أن نعترف انه ما زالت هناك ملايين من الامتار المكعبة من هذا الماء العذب السلسبيل ، تضيع هباء في هذا البحر او ذاك ، في البحر المتوسط او الخليج العربي .

وينبغي أن نحترز من النباتات المائية ، التي تنمو وتتكاثر بسرعة على سطح الماء مثل ورد النيل (الياسنت المائي) والزقيم وغيرهما ، فهي تتكاثر بسرعة وتغطي سطح الماء ، وتنزف منه الكثير عن طريق النتح من سطوحها ، حتى أن الفاقد من هذه السطوح المائية المغطاة بمثل هذه النباتات ، اضعاف الفاقد بالبخر فيما لو كانت المياه معرضة لعوامل البخر المباشرة ، ولذلك ينبغي

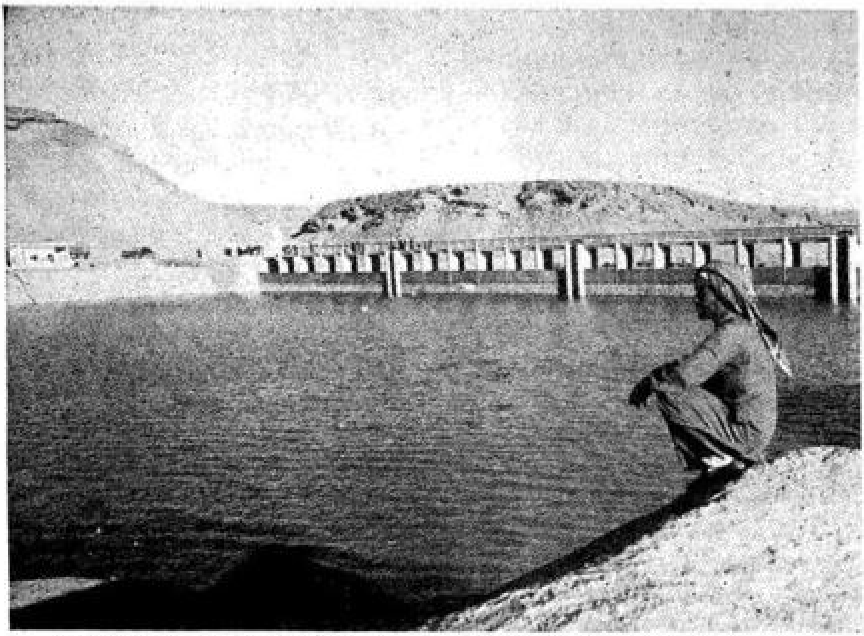
العمل على استئصال هذه النباتات حتى لا تتجمع وتغطى المجارى المائية والخزانات .

تشذيب مجارى الانهـار

ولا بد من تشذيب مجارى هذه الأنهار . حتى لا تضيع ملايين اخرى من الأمتار المكعبة من جهات كثيرة كمنطقة السدود بالنسبة لنهر النيـل ، ومناطق اخرى على شطآن دجلة والفرات بسبب عدم تهذيب الجسور وتقويتها . ولو حبسنا هذه المياه فى مساربها الصحيحة ، واقمنا ما يلـزم من سدود وقناطر وخزانات وشققنا ما تدعو الحاجة اليه من قنوات وترع وفروع ، وقوينا الشطآن والجسور لامكننا استغلال الملايين من الأمتار المكعبة من الماء العذب فى رى بضعة ملايين من الأفدنة من الصحارى القريبة من هـذه الأنهر ، والتى يمكن ريها بسهولة . ولا ينبغى أن ننسى ، ونحن نعنى بتوفير الماء للرى ، ان نعد ما يلزم من مصارف ومبازل حتى لا تفسد الارض، كما هو حادث فعلا فى بعض اراضى الوطن العربى، حيث عنوا بالرى وتجاهلوا الصرف ، ففسدت الارض وزادت ملوحتها ، وفسد هواؤها ، وبالتالى هبط محصولها وقل انتاجها .

خزانات وسدود بالصحراء

أما السبيل الثانية للاستفادة من الاراضى شبه الجافة ، فهى ان نستغل كل ما يتساقط على سطحها من مطر ، وقد يكون احيانا سيولا جارفة، ولكنها تضيع بددا بين رمال الصحراء الجافـة الحارة ، فلا بد من اقامة سدود ، وخزانات حيث يمكن ان تتجمع مياه هذه السيول ، لتستغل وقت الحاجة فى زراعة هذا المحصول أو ذاك . من محاصيل زراعية ملائمة او فاكهة او خضراوات يمكن أن تزرع هنا وهناك فى المناطق الساحلية من



من طـرق الاستفادة من الامطار فى الاراضى الصحراوية اقامة السدود لتصنع الخزانات ، وفيها تجتمع مياه السيول بوفرة كبيرة . وهذا هو سد « وادى حنيفة » ويقع بين جبلين والغرض منه هو تسرب الماء الى الآبار المقامة فى الجهة الأخرى من السد . للرى هناك .

الصحاري . كالشعير ، والكروم ، والزيتون والنخيل والبطيخ، مما يجود بقرب الكثبان الرملية وعلى سفوحها حيث يتجمع ماء المطر اسفلها وبقرب منها ، وحيث يعتدل المناخ قرب شاطىء البحر ، مما يطيقه هذا النبات أو ذاك .

دراسة نباتات الصحارى

ولا بد من دراسة علمية منظمة لنباتات الصحارى ، وخاصة ما يكثر منها في اوديتها فهناك نباتات كثيرة ، لم تدرس بعد الدراسة الكافية ، فلعلها نافعة من الوجهة الطبية ، ولعل الكثير منها له من القيمة الغذائية ما لم تحسن تقديره بعد ، ولعل بعضها يعطى اوفر غلة واعظم محصول لو وجد الدراسة الكافية والعناية الواجبة، فهناك الوف من الانواع النباتية تطيق المناخ الصحراوى ، يمكن ان نعنى بتكثيرها لاستغلالها ، فهل عرفنا كل ما تجب معرفته ، عن العوسج والقتاد والغردق والسكران ، والحنظل ، والرتم، والمرخ ، والقيصوم ، والبعيثران ، والعقول والسله ، وقرن الغزال ، والضال ، والسمر ، وما اليها من الوف النباتات الصحراوية .

اعذاب ماء البحر

وثمة وسيلة ، لا بد من الالتجاء اليها عاجلا او آجلا ، لانها آكد هذه الوسائل جميعا ، الا وهى اعذاب ماء البحر ، وقد لجات اليها بعض البلاد فعلا كالكويت وغيرها ، وذلك بتقطير ماء البحر ، ولا عيب في هذه الطريقة الا انها باهظة التكاليف ، ولو امكن خفض تكاليف التقطير ، الى الحد ، الذى يجعل استغلال ماء البحر سهلا ميسرا ، لافادت البلاد العربية من ذلك اعظم فائدة ،وذلك بزراعة بعض الجهات الصحراوية . وتجرى بحوث هنا وهناك لاستعمال اغشية كيميائية ، ينفذ خلالها الماء العذب دون الاملاح الذائبة ، الا انها هى الأخرى ما تزال باهظة النفقة ثم ان الاغشية تفسد بسرعة ، مما يجعل استعمالها على نطاق واسع غير متيسر . والامل معقود على استعمال الطاقة النووية في تقطير ماء البحر واعذابه ، واقامة مفاعلات القوى هنا وهناك لهذا الغرض ، ولكن الوقود النووى ما زال هو الآخر باهظ النفقة كثير التكاليف ، ولعله ان يغدو مقبولا نقدر عليه في المستقبل القريب .

مراكز اقليمية للبحث العلمي

ويحتاج وطننا العربى ، لتنظيم ذلك كله ، والاشراف العلمي على ذلك كله ، الى مراكز اقليمية للبحث العلمى المنظم ، في موضوعات التربة الصحراوية والمناطق الجرداء . واعذاب ماء البحر ، والنباتات الصحراوية ، والمياه الارضية والجوفية ، لا بد من انشاء هذه المراكز والمعاهد في ارجاء الوطن العربى ، بشرط ان تكون متكاملة ، وذات فروع في البلاد العربية ، يختص كل فرع بالدراسات الخاصة بالمنطقة التى يوجد بها المركز او المعهد . وذلك بقصد عمل دراسات وتحليلات وتجميع بيانات عن كل ما يتعلق بالصحارى من دراسات نباتية وحيوانية ومناخية ، وجيولوجية، وجيوفيزيقية وتربية وما اليها ، ولا بد أن تكون الصورة كاملة امام العلماء والخبراء حتى يمكن ان يدلوا برايهم الصحيح المدعوم بالادلة والاسانيد المؤيد بالتجارب والارقام . ومن اجل ذلك لا بد من تزويد هذه المراكز بالمعدات والاجهزة والادوات والمختبرات والمكتبات ، ولا بد قبل ذلك من ان يتولى امرها خبراء مدربون وعلماء شهد لهم بطول الباع وعلو الكعب في هذه الدراسات ، وينبغى بطبيعة الحال ، الاستفادة من كل ذى خبرة ودربة بمثل هذه الموضوعات الصحراوية ، كما ينبغى تبادل هذه الخبرات والتخصصات ، وتنظيم عقد ندوات ومؤتمرات يتبادل المختصون فيها الرأى فيما وصل اليه العلماء والبحاث من نتائج ويناقشون ما انتهوا اليه من آراء ، حتى يمكن ان يوصوا بما ينبغى اتخاذه من وسائل للاستفادة من بعض صحارينا ، لمقابلة الزيادة المطردة في عدد السكان ، ولرفع مستوى المعيشة بين قطان البلاد العربية . ■■

دكتور عبد الحليم منتصر

(بقية المنشور على صفحة ٢)

حضارات سادت ثم بادت

مثل رائع في القضاء والعدالة

■ بلغت حضارة الرافدين منذ اكثر من ثلاثة آلاف عام ذروتها ، وهذه الصورة تمثل حاكم بلدة « نوزي » يقف موقف الاتهام لينال عقابه على ما ارتكب من جرائم الرشوة والغش وهتك الاعراض ، مما يشهد بتمسكهم بالقوانين والفضيلة.

لم يكن غريبا ان يكون حاكم ورئيس بلدية كالذي يبدو على الصفحة الثانية واقفا ورافعا كلتا يديه قد اقدم على ارتكاب الجريمة . فقد كثر الحكام الذين كانوا موضع الريبة والشبهة . الا ان الغريب حقا انما هو في ادانة مثل اولئك الحكام وفي انزال العقوبة القانونية بهم ، رغم ما يتمتعون به من حول وقوة . فهذا هو الذي يندر حدوثه في ايامنا الحاضرة، وقد حدث فعلاً في مدينة نوزي (NUZI) القديمة ، وقد كانت على بعد عشرة اميال من مدينة كركوك الحديثة . فقد سيق رئيس بلديتها (كوشي ــ حارب) ، وهو حاكم المدينة ، فحوكم وادين ، ومن ثم نال عقابه في جو من المحاكمة العادلة .

اما التهم التي وجهت اليه فكانت الرشوة والاستغلال والغش والاغتصاب وما الى ذلك مما يمت الى فساد الحكام بصلة . ولم يجرؤ هذا الحاكم على نفي تلك التهم وقد كان من بين الشهود احد اعوانه .

بيد ان (كوشي ــ حارب) لا يبدو عليه في الصورة الاذعان او الاستسلام للامر الواقع . بل انه يبدو ثائرا غاضبا ماضيا في الدفاع عن نفسه . وخاصة حينما وجهت اليه تهمة اخرى كانت على ما يبدو ملفقة . فقد اتهم باصطحاب الفتاة الظاهرة في الصورة الى بيته والاختلاء بها . فما كان لينفي تلك التهمة ، رغم مواجهته بالفتاة ، وبعد اعترافه الضمني بغير ذلك من التهم ، لو لم تكن هذه التهمة الاخيرة مزورة . وليس ما يستهجن في تلفيق التهم ضد من اسقط في يده ، اذ تكثر الطعنات ، كما تقول الامثال ، لدى وقوع الثور .

لذلك لم يجد دفاع (كوشي ــ حارب) في هذا الصدد عن نفسه . بل ان حججه وادلته ذهبت ادراج الرياح لدى القضاة الثلاثة الجالسين الى الوراء . وتراهم يصغون الى الاتهام والدفاع ولا يبدون حراكا فكأن في آذانهم وقرا . فهم ينظرون اليه نظرة ملؤها اللامبالاة ويستمعون الى دفاعه في فتور . فقد قضي الامر بعد ان اعترف (كوشي ــ حارب) بجرائمه ولم يعد نفيه لتهمة اخرى لاحقة ذا موضوع او اثر .

هذا والجنديان الواقفان الى جانب الحاكم ينتظران صدور الحكم على (كوشي ــ حارب) لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بتنفيذه . اما كاتب المحكمة فجالس على الارض منهمك بتسجيل وقائع الجلسة على نحو ما يفعل كتبة المحاكم الحديثة .

كل ذلك قد حدث قبل ٣٤٠٠ سنة ! حدث وانقضى الا ان ذكره بقي حيا في اذهان اهل بلدة (نوزي) قرونا واجيالا لاحقة ، لانه كان تحولا خطيرا في تاريخهم ، وانطوى على مفاهيم واعتبارات خطيرة . ولعل في وقوع هذا الحدث قبل هذه القرون الطويلة دليلا على ما احرزته البشرية او لم تحرزه من تقدم على صعيد تجاوبها والمثل العليا وامتثالها للقيم الخلقية . او لعل فيه شاهدا على وجود هذه القيم وتلك المثل المطلقة الباقية الثابتة التي لا تقوم للحضارات الانسانية من دونها قائمة . ■■

الاتزان الوجداني

بقلم : الدكتور مصطفى سويف

استاذ مساعد علم النفس ـ جامعة القاهرة

■ لا أجد وانا بمعرض الحديث عن هذه السمة الكبرى من سمات الشخصية كما توضحها لنا دراسات علم النفس الحديث ، لا أجد خيرا من أن أذكر القارىء بكتاب « الفراسة » للعالم العربى القديم محمد بن عمر بن الحسين الرازي، المعروف باسم فخر الدين الرازى . ذلك ان فى هذه التذكرة كثيرا من العبر لعل أوضحها للعيان ما يمكن للقارىء أن يستشفه من أدلة على أن مبادىء التفكير العلمى الحديث فى موضوع الشخصية ليست مبتورة الصلة بالفكر القديم ، وأن جوهر النظرة العلمية الذى يدعو الى احترام شهادة الواقع ، واتخاذها أساسا للتعميم فى أحكامنا ، ويدعو الى حساب احتمالات الترجيح حيث تبدو شهادات الواقع أحيانا متباينة او متعارضة فيما بينها ، أقول ان جوهر هذه النظرة ليس وقفا على سلالة بشرية دون غيرها ، ولا على بقعة جغرافية دون سواها .

امثال من اقوال الرازى

وانى مورد فيما يلي بضعة أمثلة من اقوال الرازى ليشهد القارىء بنفسه بعض ملامح النظر العلمى عند هذا المفكر العربى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر وأوائل الثالث عشر الميلادى (١١٥٠ ـ ١٢١٠ م) .

يستهل الرجل كتابه بتعريف علم الفراسة فيقول : « الفراسة عبارة عن الاستدلال بالاحوال الظاهرة على الاخلاق الباطنة » . هذا الرأى أقرب ما يكون الى قولنا فى الوقت الحاضر اننا نصل الى معرفة البناء الاساسى للشخصية عن طريق مشاهدتنا لمظاهر السلوك المختلفة .

ويقول فى موضع تال : « ان أصول هذا العلم مستندة الى العلم الطبيعي وتفاريعه مقررة بالتجارب ، مثل الطب سواء بسواء ، فكل طعن يذكر فى هذا العلم فهو بعينه متوجه فى الطب » .

وهذا التشبيه لا يزال يعقده العلماء المختصون فى الوقت الراهن على أساس أن عملية تشخيص الامراض فى الطب (الباطني والنفسى) انما تبدأ بمشاهدة عدد من الاعراض او مظاهر الاضطراب فى وظائف معينة ثم يستنتج الطبيب وجود مرض معين . والمرض هنا نظام او قالب تنتظم على أساسه هذه الاضطرابات . وشبيه بهذا ما يفعله الدارس لبناء الشخصية ، اذ يستنتج وجود سمة ما وراء مشاهدته عددا من مظاهر السلوك (بغض النظر عن الصحة او المرض) ، والسمة هنا نظام او قالب تنتظم من خلاله هذه المظاهر .

ويقول الرازى فى موضع ثالث ، وذلك أثناء حديثه عن الطرق التى يمكننا أن نعرف بها اخلاق الناس : « اننا اذا عرفنا شيئا من الطرق المذكورة

- الشخصية بناء هندسي، قوامه عدد من المحاور والأبعاد
- الاتزان الوجداني محور من محاور الشخصية أساسي
- دراسة الشخصية تقلل نسبة الفشل في الحياة الفردية وفي المشاريع التربوية

عند حصول خلق مخصوص فى الباطن فقد يمكننا أن نستدل بمحصول ذلك الخلق على خلق آخر ، ومثاله : اننا اذا عرفنا كون الانسان سريع الغضب فى كل شيء ، عرفنا انه لا يكون تام الفكر فى الامور » .

ومثل هذا القول لا نزال نردده حتى اليوم عندما نتكلم عن الفائدة التى نجنيها من معرفة سمات الشخصية ، فالسمة باعتبارها قالبا يربط بين عدد من جوانب السلوك برابطة محددة منتظمة يمكنها أن تمدنا بأساس للتنبؤ لا غبار عليه ،نشهد جانبا معينا من سلوك الشخص فنتنبأ بما سيكون عليه سلوكه فى جوانبه الاخرى .

ويقول الرازى فى موضع رابع : « ان كل واحد من هذه الدلائل ليس دليلا يقينا بل هو دليل يفيد الظن الضعيف ، وكلما كانت الدلائل المطابقة على المدلول الواحد اكثر كانت فى افادة الظن اقوى . فيجب على صاحب هذا العلم ان لا يحكم بالدليل الواحد ولا بالدليلين بل عليه أن يعتبر جميع الوجوه فى هذا الباب » .

ثم يقول فى موضع خامس : « ان هذه الدلائل اذا تعارضت فلا بد من المصير الى الترجيح » . ويمضى بعد ذلك ليفصل القول فى هذا الترجيح وكيف يكون .

وثمة اقوال اخرى من هذا الطراز تشيع فى مواضع متعددة من الكتاب لتكشف عن أصول التفكير العلمى فىموضوع بناء الشخصية الانسانية ، والي أى مدى استطاع الفكر العربى القديم أن يسهم فى تحديد هذه الاصول .

على اننى لا اقول ذلك داعيا الى تقديس السلف واهدار منجزات العلم الحديث ، ولا محبذا لنعرة قومية على حساب ما يشهد به التحقيق الموضوعى لتاريخ البشرية فى هذا السبيل ، ولكن احقاقا للحق ، ورفعا للهمة ، وتنبيها للاذهان ألا تغريها مظاهر الاختلاف والانفصال بين الحديث والقديم فتنسى مواضع الالتقاء والاتصال او تنكرها .

ثم ماذا عن الدراسات الحديثة

ولنترك الآن الرازى والجذور التاريخية البعيدة للتفكير العلمى فى موضوع الشخصية . ماذا عن الدراسات الحديثة فى الميدان ؟

الاجابة على ذلكان الدراسات الحديثة متشعبة، وان من اهم مجالاتها ذلك المجال الذى يتناول الباحثون فيه نظام الشخصية الاساسى ، فالشخصية ، رغم كل ما يصدر عنها من مظاهر السلوك التى لا اول لها ولا آخر ، بناء ذو خطة هندسية بسيطة ، قوامها عدد محدود من المحاور او الابعاد . وتترتب هذه المحاور فيما بينها ترتيبا هرميا على النحو الآتى : فى أسفل قاعدة الهرم مظاهر السلوك التى تصدر عنا فى كل لحظة من لحظات الحياة ، وهذه هى مادتنا الخام . وأعلى من ذلك قليلا مجموعة العادات التى تنتظم البراعم الاولى للمحاور . وأعلى من ذلك مستوى المحاور الاولية او الابعاد الصغرى (وقد نسميها السمات)، وهذه تقوم كاطار لتنظيم العادات ، ثم من فوقها مجموعة المحاور الاساسية او الابعاد الكبرى (أو السمات العريضة) ، كل منها يربط بين عدد

السمات الصغرى في سياق له منطق واضح واتساع ملحوظ .

هذه هي الخطة الاساسية لبناء الشخصية ، وقد امكننا معرفتها بوساطة التجريب والقياس والتحليل الاحصائي التي عرفها العلماء في نصف القرن الاخير ، فهي اذا ثمرة مباشرة للجهود العلمية المعاصرة . ومع ذلك فهي لا تزال تمضي على الدرب نفسه الذي اسهم الرازي واساتذته من امثال جالينوس الطبيب الروماني ، وابقراط الحكيم اليوناني في تمهيد جنباته وتوجيه الباحثين الى السير فيه .

« المرونة والتصلب » كانا مثلين من الابعاد الصغرى في بناء الشخصية

وقد حاولنا في بضع مقالات سابقة ان نقدم للقارىء العربي لمحات من هذه المعرفة العلمية المعاصرة ، ولعل القارىء لا يزال يذكر بعض ما اوردناه عن « المرونة او التصلب » ، ثم عن سمة « المثابرة » ، فهما انموذجان لتلك الجوانب التي امكن الكشف عن مقوماتها وعن دلالتها في نظام الشخصية ، وهما باصطلاح أهل المهنة مثالان للمحاور او الابعاد الصغرى في هذا النظام .

وفي مقالنا الراهن نتحدث عن « الاتزان الوجداني » باعتباره محورا من المحاور الاساسية او سمة من السمات العريضة للشخصية ، آملين بذلك ان تكتمل في ذهن القارىء صورة على درجة لا باس بها من الوضوح لما نعنيه بالابعاد الصغرى والكبرى ، وكيف ان الابعاد الكبرى تعني مزيدا من التحقيق لما كان يرجوه الرازي، « انا اذا عرفنا شيئا من الطرق المذكورة عند حصول خلق مخصوص في الباطن فقد يمكننا ان نستدل بحصول ذلك الخلق على خلق آخر » .

ماذا نعني بالاتزان الوجداني

المقصود بالاتزان الوجداني الاشارة الى ذلك الاساس او المحور الذي ينتظم جميع جوانب النشاط النفسي التي اعتدنا ان نسميها بالانفعالات او التقلبات الوجدانية من حيث تحقيقها لشعور الشخص بالاستقرار النفسي او باختلال هذا الاستقرار ، وبالرضا عن نفسه او باختلال هذا الرضا ، وبقدرته على التحكم في مشاعره او بافلات زمام السيطرة من يديه . والمحور بهذه الصورة يمتد بين طرفين، احدهما يمثل أعلى درجات الاتزان او الاستقرار النفسي ، كما يمثل أعلى درجات السيطرة على حاضر هذا الاتزان ومستقبله القريب . والآخر يمضي نحو اكبر قدر من الاختلال الذي يأخذ شكل تقلبات وجدانية عنيفة متلاحقة ، ليس لها ما يبررها في نظر صاحبها ، من الواقع الذي يحيط به ، وتكون في أغلب الاحيان مصحوبة بضعف القدرة على ضبط النفس او السيطرة على تلك التقلبات . وقد اعتاد العلماء ان يطلقوا على القطب الاول اسم « النضج الوجداني » أو « قوة الانا » ، وعلى الثاني اسم « الضعف الوجداني » أو « العصابية » . وأحيانا « الانفعالية » . وبين القطبين يحتل الاشخاص المختلفون مواضع مختلفة.

وبعبارة اخرى اذا نحن قسنا الاشخاص المختلفين بمقياس للاتزان الوجداني تبين لنا انهم يحتلون مواضع تتفاوت قربا من أحد الطرفين وابتعادا عن الطرف الآخر . ويندر أن نجد شخصا يمثل النضج الوجداني في أكمل صورة ، ويندر كذلك أن نجد شيئا يمثل العصابية بعينها . فنحن نعرف من عديد الدراسات التجريبية التي اجريت على الصغار والكبار انه يكاد يتعذر وجود شخص واحد لم يصدر عنه في فترة من فترات حياته مظهر الضعف الوجداني أو العصابية ، ويكاد يتعذر أيضا أن يوجد شخص يجمع في سلوكه بين جميع مظاهر هذه العصابية .

التقدم في العلوم مرهون باستخدام مقاييس دقيقة

من أهم الدروس التي يعيها علماء النفس المعاصرون ان التقدم في اي فرع من فروع المعرفة العلمية رهن بتمكن علماء هذا الفرع من استخدام المقاييس الدقيقة لقياس الموضوعات التي يقومون بدرستها . وهو درس يستطيع ان يستخلصه كل مثقف (بغض النظر عن التخصص العلمي) اذا كلف نفسه مشقة الاطلاع على التاريخ المفصل لاى علم من العلوم . ومع ذلك فهذا القول لا يعني ان قيام العلم ذاته متوقف على وجود المقاييس المناسبة لميدانه ، كما انه لا يعني ان الباحث لا يستطيع ان يقوم باى نشاط علمي دون أن يستعمل مقياسا ما ، فهذا غير صحيح . ذلك ان جوهر ممارسة العلم انما يتمثل في عنصرين أساسيين : تجميع عدد من المشاهدات بطريقة منظمة حول الموضوع الذي ندرسه ، واستخلاص معنى عام من هذه المشاهدات، والمفروض أن يقوم هذا المعنى بدور النواة

لقانون علمي أو لنظرية تنتظم عددا من القوانين . هذا هو جوهر العمل العلمي . أما استخدام المقاييس فهو طريق الى مزيد من الدقة في المشاهدة ، مما يطلق قوى التقدم في العلم بصورة ملحوظة .

كيف نقيس الاتزان الوجدانى

هذا الدرس يعيه علماء النفس المعاصرون ، وبالقدر المناسب له يحفلون بايجاد المقاييس المناسبة لمظاهر النشاط النفسى المختلفة، ويكرسون قدرا معقولا من جهودهم لتحسين هذه المقاييس .

من هنا تأتى أهمية الحديث عن قياس السمة التى نحن بصددها . فكيف نقيسها ؟

اضرب مثلا احد المقاييس التى يشيع استعمالها فى الميدان . وهو جهاز يعرف باسم « مقياس رد الفعل السيكوجلفانى » ، والسيكوجلفانى لفظ ومعنى الجلفانى النفسانى. وهذا الجهاز فى حقيقته نوع من الاجهزة المعروفة فى معامل الطبيعة باسم الجلفانومترات ، يعرفه الطالب المبتدىء فى كليات العلوم، ويعرف انه جهاز لقياس التيار الكهربائي. كل ما فى الامر أن النوع الذى نستخدمه نحن فى معاملنا شديد الحساسية لاصغر كمية ممكنة من الكهرباء .

اما كيف يكون الاستعمال فبان نصل الجهاز بدائرة كهربائية تتضمن الجلفانومتر النفسانى المذكور ، ومصدر الكهرباء فيها بطارية تعطى تيارا يستطيع الانسان ان يتحمله دون تألم . ونقطع الدائرة فى احد مواضعها ونثبت طرفى السلك المقطوع فى نقطتين متقاربتين فوق كف الشخص الذى نقيس لديه الاتزان الوجدانى .

ومن المعلوم ان البشرة فى حالة جفافها تعتبر موصلا رديئا للتيار الكهربائي ، فاذا ابتلت بالعرق ، والعرق محلول ملحى ، أصبحت موصلا جيدا للتيار . هنا يستعين الدارس ببعض المعارف الاساسية فى الصلة بين الاضطرابات الانفعالية وبين نشاط الغدد المفرزة للعرق ، فمن الامور المعروفة فى هذا الصدد ان هذه الاضطرابات تكون مصحوبة بزيادة نشاط تلك الغدد . وبناء على ذلك يبدا الباحث عمله فيعرض الشخص لتنبيه مفاجىء ، وليكن صوتا مرتفعا كصوت بوق سيارة ، عندئذ يتحرك مؤشر الجلفانومتر حركة تتناسب فى سعتها وكمية العرق التى تم افرازها نتيجة للتنبيه المفاجىء ، فيسجل الباحث مقدار هذه الحركة كمقياس للاضطراب الانفعالى الذى طرأ على الشخص .

متوسط القياس للفرد الواحد

وجدير بالذكر أننا اذا كررنا اجراء هذه التجربة على الشخص نفسه عددا من المرات ، على فترات متباعدة قليلا ، فان درجة اضطرابه كما يسجلها الجلفانومتر تتفاوت زيادة ونقصا من مرة الى اخرى ، لكن هذا التفاوت يظل محدودا فى نطاق معين ، يحوم حول متوسط ثابت . عندئذ نعتبر هذا المتوسط افضل تقدير لقابلية الشخص للانفعال فى موقف ذى خصائص معينة . والى هنا تكتمل نصف قصة القياس ، اعنى قياس السمة التى نحن بصددها .

متوسط القياس لطائفة كبيرة من الناس

اما النصف الآخر فيتلخص فى اعادة التجربة نفسها بجميع خطواتها على عدد كبير من الأشخاص عندئذ سنجد فروقا واضحة وثابتة بين المتوسطات التى يحصلون عليها ، لكننا سنصل فى نهاية الأمر الى العثور على متوسط ثابت للمجموعة كلها .

وضع الناس مراتب من حيث الاتزان الوجدانى

فاذا رتبنا افراد المجموعة ترتيبا تصاعديا او تنازليا استطعنا أن نتحدث عن أفراد شديدى القابلية للانفعال ، وافراد متوسطين او قريبين من المتوسط ، ثم افراد متخفضين .

والنقطة الجوهرية التى تهمنا هنا كدارسين للسلوك البشرى ان هؤلاء الأفراد يختلفون فيما يصدر عنهم من مظاهر الاضطراب الانفعالى رغم بقاء العامل الخارجي المثير لهذا الاضطراب واحدا . وان الأداة التى استخدمناها والموقف التجريبى الذى اصطنعناه اتاحا لنا الفرصة لأن نترجم هذه « الانفعالية » الى ارقام ، وبذلك نستطيع ان نقارن بين الاشخاص على سمة معينة من سمات الشخصية مقارنة كمية دقيقة الى حد كبير .

الاتزان الوجدانى كسمة عريضة

هنا يبدا فصل جديد من فصول التقدم العلمى. كيف توصل الباحثون الى القول بان الاتزان الوجدانى سمة عريضة او محور أساسى يقوم وراء

عدد من المحاور الصغرى الشخصية ؟

واقع الأمر كما حدث (وكما يحدث فعلا في كثير من فصول التقدم العلمي عامة) ان علماء الميدان بدت أمامهم شواهد متناثرة تشير الى أن التفكير في هذا الاتجاه معقول او بالأحرى دفعت بعضهم الى التفكير في هذا الاتجاه . وقد بدت هذه الشواهد كنتائج جانبية لعدد من الدراسات التجريبية العملية ، وبدت أيضا كاستنتاجات عابرة يرجحها العاملون في عيادات الامراض النفسية والعصبية . ثم تبلور هذا التفكير في التخطيط لاجراء عدد من البحوث تهدف أساسا الى القاء الضوء على هذه المشكلة ، ويستعين الباحثون فيها بكل طرق الضبط الممكنة للتحقق من مدى صحة هذا الظن . وأجريت البحوث فعلا ، وانتهى الأمر بها الى تأييد ما توقعه الدارسون . وكان ذلك في أواخر الاربعينيات ، أى منذ حوالي عشرين سنة فحسب . ولا يسمح المقام طبعا بعرض الخطى التفصيلية التي انتهت بالعلماء الى هذه النهاية . ومن ثم فاننا نكتفي بوصف النتائج الأخيرة لجهودهم .

ومجمل هذه النتائج أن الاتزان الوجداني يمثل قاعدة عريضة تقوم عليها مجموعة المحاور أو السمات الصغرى ، أهمها : القابلية للايحاء ، والمثابرة ، والايقاع الشخصي ، والقصور الذاتي للوظائف النفسية ، ونسبة السرعة الى الدقة في أداء الاعمال المختلفة .

ويخيل الينا ان السمتين ، الأولى والثانية ، ليستا بحاجة الى شرح لتوضيح المقصود بهما . أما السمات الثلاثة الأخيرة فربما احتاجت كل منهما الى قدر طفيف من التوضيح . نبدا بالايقاع الشخصي Personal Tempo ، هذه السمة تكشف عن نفسها في وجود ميل ثابت لدى كل شخص الى أن تصدر مظاهر نشاطه الحركي والنفسي جميعا (كالمشي والكلام والادراك .. الخ) أقرب الى البطء او أقرب الى السرعة . أما القصور الذاتي للوظائف النفسية فيشير الى ما يبدو في كثير من مظاهر نشاطنا الحركي والحسي والفكري من ميل الى الاستمرار رغم انتهاء المؤثر الخارجي الذي أثار هذا النشاط . واخيرا سمة التناسب بين السرعة والدقة فهذه تشير الى ما يبديه الأشخاص المختلفون من ميل مستقر الى اداء اعمالهم بسرعة على حساب الدقة او بدقة على حساب السرعة . هذه تعريفات موجزة للسمات الثلاثة ، وقد أمكن استخلاصها جميعا من عديد الدراسات التجريبية على النحو الذى أوضحناه في حديثين سابقين عن سمتي التصلب والمثابرة .

نعود الآن الى موضوعنا الأصلي . ماذا نعني بالضبط بقولنا ان الاتزان الوجداني قاعدة عريضة وراء السمات الخمسة التى ذكرناها ؟ نعني نقطتين رئيسيتين ، من شان الأولى أن تعود علينا بمزيد من الفهم لطبيعة الحياة النفسية ، ومن شان الثانية أن تطلق قوانا نحو مزيد من العمل، سواء قصدنا بالعمل خطوات نحو دراسات جديدة ، أو خطوات في طريق التطبيق والافادة العملية .

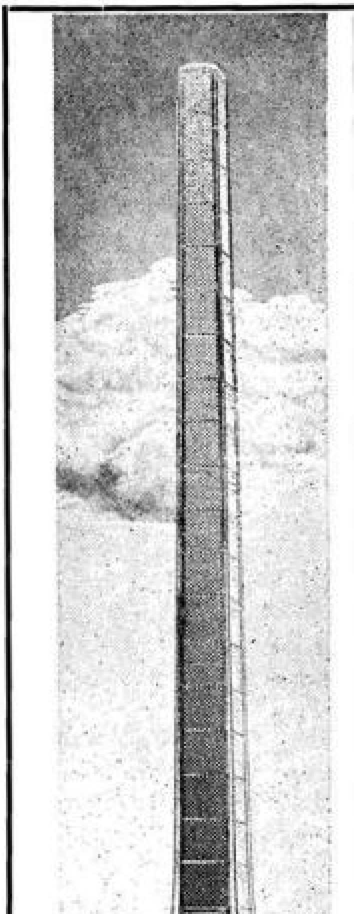
أما النقطة الأولى فهي أن هذه السمات الخمسة متصلة أومتداخلة فيما بينها . صحيح أن بينها درجة من الاستقلال والتمايز ، ولكن بينها كذلك قدرا من الاشتراك ، بينها أرض مشتركة هي مستوى الاتزان الوجداني . وبعبارة أخرى ان كل سمة من هذه السمات الصغرى تتألف من جزءين ، أحدهما مستوى قوة « الأنا » أو ضبط الانفعالات والسيطرة عليها ، والآخر هو الطبيعة النوعية لهذه السمة أو تلك . هذا التصور ليس صحيحا كل الصحة ، ولكن لا بأس به كوسيلة تفيد في تقريب الفكرة الى الأذهان .

واما النقطة الثانية فتتلخص في أننا ما دمنا قد استخلصنا هذه السمة العريضة ، فاننا نستطيع ان نصنع مقياسا جيدا لها هكذا قائمة بذاتها ، وعندئذ تكون الدرجة التي يصل اليها أى شخص على هذا المقياس بمثابة تلخيص بليغ للدرجات التي يمكن أن يحصل عليها اذا ما طبقنا عليه مقاييس للسمات الفرعية الخمسة . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أننا نستطيع عن طريق الاستعانة بمعادلات خاصة أن نتنبأ بمستوى قابلية هذا الشخص للايحاء ، وبمستوى المثابرة لديه .. الخ.

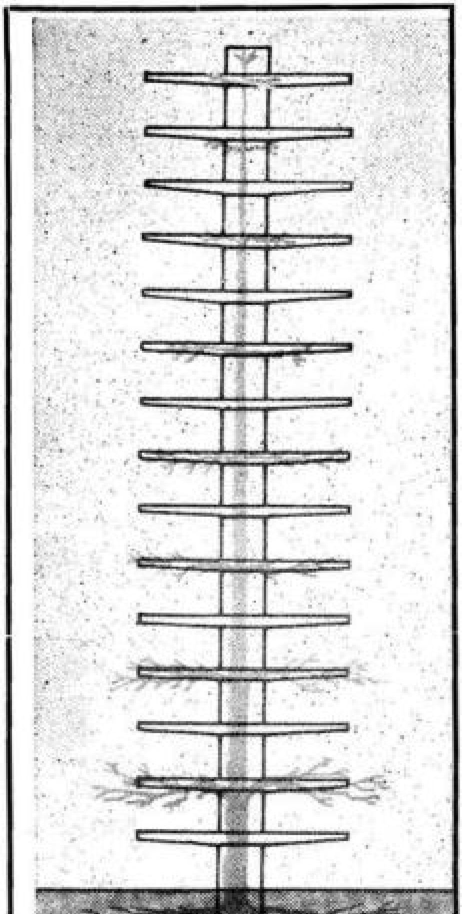
هذا هو ما نعنيه بالضبط بقولنا ان الدراسات الحديثة وصلت بنا الى الكشف عن الاتزان الوجداني كمحور رئيسي من محاور الشخصية ، وقد أوضحنا ماذا يعنى هذا المحور بالضبط ، وما معنى أن يقوم كسمة عريضة وراء عدد من السمات الصغرى .

عودة الى النظرة الكلية للبناء

هنا يحسن بنا أن نتوقف قليلا لنستعيد صورة البناء ، أعنى بناء الشخصية كما رسمنا



صورة للعمارة الجديدة التى يصمم لها مهندسو اليوم للغد ، حينما يكثر السكان كثرة تجعل المدن لا تقبل الزيادة افقيا ، واذن تتجه الى الزيادة راسيا .



هذا تصميم لبناء العمارة الحديثة التى سوف تنشأ فى المستقبل عندما تضيق المدن بسكانها ، وهو تصميم يقى البناء أن يميل مع الريح أو يرتجف بالزلازل . وقد اقتبسه المهندس الانجليزى من الطبيعة . من الشجرة التى لا تبالي بريح أو زلزال .

أعظم تلسكوب رديوي وأعظم تلسكوب ضوئي فى الاتحاد السوفييتي قريبا

● وقريبا هنا معناها بضع سنوات . اما عن التلسكوب الرديوى ، فترى فى الصورة بعض « هوائياته » وهى لجمع الموجات اللاسلكية التى تأتى من اعماق الكون . وهى اكثر من الفى هـوائى ، منشورة فى اكثر من اربعين فدانا مـن الأرض . وعند اكتمالها يستطيع هذا التلسكوب الرديوى ان يجمع موجـات تأتى من ابعاد فى الكون تصل مقاديرها الى ١٠ ملايين من السنوات الضوئية ، وبهذا يستطيع ان يكشف عن اجرام سماوية،غير مرئية ، لها من العمر ضعف عمر شمسنا هذه .

اما عن التلسكوب الضوئى ، أو ان شئت فالبصرى ، هذا الذى تتزود به فى العادة المراصد الفلكية ، فقد أخبر عنه الاستاذ الكسندر ميخائيلوف عميد علم الفلك السوفييتى ، قال : « ان سـبك مرآة التلسكوب قد تم، ويحتاج تبريدها التدريجى الى عام . ثم سنها وصقلهـا

ناقلة زيت : ١٠٥٠٠٠ طن

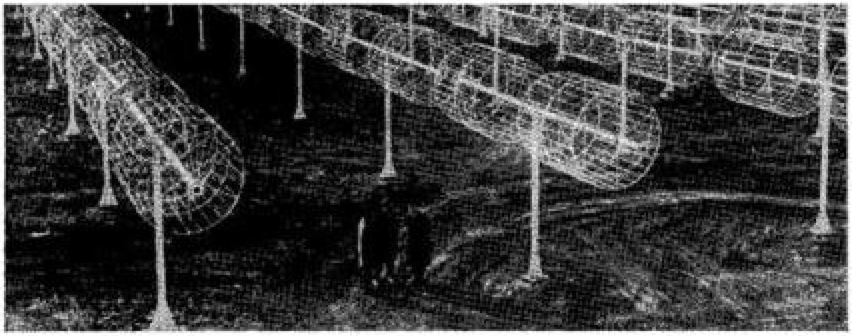
● هذه أكبر ناقلة للبترول بنتها انجلترا، وهى تتسع لـ ١٠٥ آلاف طن من الزيت الخام ، ولها سطح واسع تبلغ مساحتهنحو فدانين . وهم انزلوها الى مـاء النهر، نهر تاين Tyne ،وهو النهر الشهيرالذي به ترسـانات صناعة السفن ، وشدوها من الوراء بسلاسل بلغ وزنها ١٣٠٠ طن ، حتى لا تندفـع فى النزول بقوة تحملها الى الشاطىء الآخر مـن النهر .

واسـموها ارجوزي البريطانيـة British Argozy .

وبذلك تدخل بريطانيا السباق مـع اليابان فى صناعة السفن الضخمة التى برزت فيها اليابان فى هذه السنين الاخيرة.

ناقلة الزيت البريطانية : ١٠٥٠٠٠ طن





وهما عمليتان قد تستغرقان خمس سنوات ! وهى مرآة قطرها ٢٢٧ بوصة او ستة امتار (مرآة امريكا الكبرى ٢٠٠ بوصة) » .

وقال الاستاذ ميخائيلوف : ومن بعد عام ١٩٧٠ بسنتين أو ثلاث يكون عند الاتحاد السوفييتى اكبر تلسكوب بصرى فى العالم .

وقد خصصت مساحة من الارض ، على علو أكثر من ٦٥٠٠ قدم ارتفاعا ، على المنحدر الشمالى للقوقاز ، لاقامة هذا التلسكوب .

الماء ! الماء ! والوطن العربي

صدر مؤخرا تقرير هيئة الامم المتحدة عن اهم مشكلة يواجهها الانسان على سطح هذه الارض ، وهي مشكلة الجفاف الناتج عن قلة المياه فى مناطق عديدة من العالم .

وقد شمل التقرير من البلاد العربية الكويت والبحرين وقطر والاردن والسعودية والجمهورية العربية المتحدة والسودان وتونس وليبيا . وكانت الامم المتحدة تنبأت فى عام ١٩٦٢ ان الحاجة الى المياه العذبة ستزداد اثناء السنوات العشر القادمة ٢٠٠ فى المائة فى السعودية ، ومائة فى المائة فى السودان ، وبين ٣٠ و ٥٠ فى المائة فى الكويت وليبيا .

اما الكويت فانشأت أول محطة لتكرير مياه البحر سنة ١٩٥٣ . ومنذ سنة ١٩٥٣ أنشأت الكويت محطات لتكرير الماء تنتج يوميا ٦ ملايين جالون ماء أى ما يزيد على ٢٧ الف متر مكعب . فالكويت بذلك أكبر البلاد النامية تكرير ماء .

وليبيا بها محطتان صغيرتان للمياه ، الاولى فى زليتان وتعتمد طريقة التجميد فخروج الثلج من ماء البحر بالتبريد ، وهو ثلج عذب ، والاخرى فى مرسى بليفا وتعتمد طريقة التبخير فتكثيف البخار . ولا يزيد انتاج المحطتين على ٦٠٠ متر مكعب يوميا . وليبيا بحاجة شديدة الى المياه .

والبحرين توجد بها محطة واحدة لتكرير المياه بالتبخير ، وانتاجها ٤٤٠٠ متر مكعب فى الشهر لا فى اليوم . وفى البحرين نحو ٥٥٠ بئرا ، تنقص مياهها سنة بعد سنة . فالحاجة ماسة الى بناء المزيد من محطات التكرير .

وقطر يوجد فى عاصمتها وهي الدوحة ، محطتان لتكرير المياه بالتبخير تنتجان ٤٠٠ ... جالون يوميا ، أى نحو ١٨٠٠ متر مكعب . وقطر تستهلك ضعف هذه المياه .

وبتونس ٣ محطات للحصول على الماء العذب من ماء البحر بالتجميد ، وهي محطات لا يزيد انتاجها اليومي على ٤٠٠ متر مكعب .

بقيت المملكة السعودية ، وبها محطتان صغيرتان جدا فى الدمام انتاجهما اليومي لا يزيد على ٧٥ مترا مكعبا . ولكن الحكومة وقعت أخيرا اتفاقا لبناء محطة كبرى فى جدة ستنتج أكثر من ٥ ملايين جالون فى اليوم ، وتكون بذلك أكبر محطة من نوعها فى العالم تنتج وحدها مثل هذا القدر من الماء .

الفضة
تشع اشعاعا ذريا

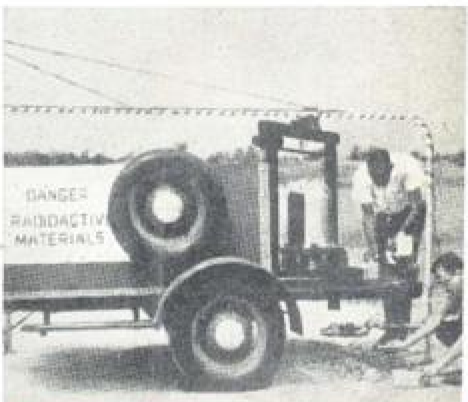
● نقص مقدار الفضة المطلوب فى العالم ، واشتد هذا النقص منذ العام الماضى وبسببه اضطرت الولايات المتحدة ان تعدل عن استخدام الفضة فى سك نقودها ، من ذات الربع من الدولار ، والعشر ، فصنعتهما من قرص صفير من النحاس ، من فوقه ومن تحته طبقة رقيقة من أشابة من النحاس والنيكل

وبما ان الحاجة تفتق الحيلة .

فقد قام جماعة من العلماء بصنع جهاز ، يستخدمه المنقبون الجيولوجيون الباحثون فى خامات الارض، فيكشف لهم هذا الجهاز عن وجود الفضة .

والطريقة فى الحداثة بمكان .

انها تعتمد على الجسم الصغير الذى يدخل فى تركيب نواة الذرات ، ذلك الذى يسميه العلماء بالنيوترون Neutron ، والذى يخرج من ذرات اليورنيوم اذ تنشق ، ليصدم ذرة منه



هذا هو الجهاز كاشف الفضة ، اثناء تجربته ، كشفها فى الارض

اخرى فتثيرها الى الانشقاق . واذن يبدأ الفرن الذرى فى العمل ويعطى الحرارة التى تعطينا الكهرباء .

ان اسم النيوترون صار اليوم فى علم الذرة ، من الشيوع والالفة عند القراء ، فى مثل شيوع اسم الاكسجين والادروجين فى عالم الكيمياء .

والجهاز الذى ابتدعوه يخرج فيضا من النيوترونات على صورة اشعاع يوجه الى سطح الارض التى يشتبه وجود الفضة فيها ، فيشمل نحوا من قدمين مربعين من هذا السطح ، وينفذ فى التربة الى ٣ اقدام . فان وجدت الفضة فى هذا العمق او دونه ، أصابت النيوترونات ذرات الفضة ، فنشطتها وجعلتها تشع . وهى فى اشعاعها تعطى اشعة جيم ، Gamma rays ، فيتلقاها العلماء ، ومنها ، ومن شدتها يعلمون وجود الفضة فى الارض ، وكم هى .

وهذا الجهاز لا يزال للتجريب . وقد امتحنوه فنجح فى الامتحان . وذلك بأن دفن علماء آخرون الفضة فى أماكن من الارض كشفها الجهاز سريعا .

والآن يتجهون الى صناعة جهاز تجارى كبير . وهذا يتكلف ما بين ٥٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ دولار .

ثمن غال ، ولكنه يكشف عن ماذا ؟ عن الفضة ! وبأى مقادير !

ان ادوات الانسان التى يستعين بها على كشف خبايا هذا الكون ، حتى تلك التى تتصل اتصالا وثيقا بعيشه ، تزداد على السنين غلاء ، وتزداد كذلك فنا وعلما يشق على المتخلفين . ■■

طبيب الأسرة

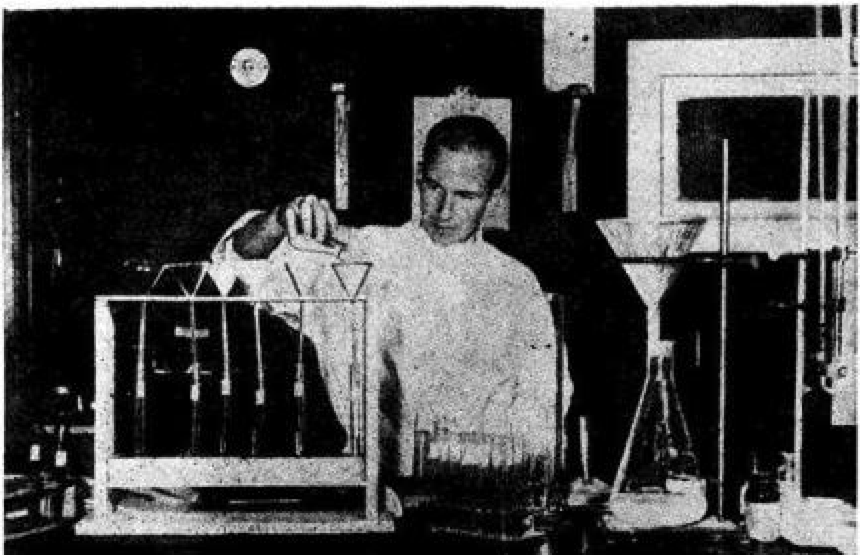
أبوال الناس مايصنعون بها في مختبرات التحليل



● ارسلت ، بناء على نصيحة الطبيب ، عينة من بولي الى المختبر لتحليلها ، فجاء التقرير فلم افهم منه كثيرا . فارجو تنويرنا فى الغاية من هذه التحاليل فى شيء من التفصيل، وهل يجوز عليها الخطأ ؟

أبدا بآخر جملة فى سؤالك : هل يجوز عليها الخطأ ؟

وهو سؤال جوابه ان الخطأ جائز على كل ما يقوم به انسان من أعمال ، ومنها التحاليل الطبية . ولقد حدث عندنا اخيرا ان محللا قام بتحليل دم صديق يخشى من تجلط دمه ، ويعالج بناء على ذلك ، فجاء تقرير المحلل وهو يفيد ان دم المريض بلغ من الميوعة (البعد عن التجلط) بعدا كبيرا . فما كان من الطبيب الا أن عكس علاجه، فبدل أن يمنع التجلط أعطى المريض بسرعة مواد تزيد فى سرعة تجلطه . ثم تراءى لبعضهم ان هذا التحليل لا بد خاطىء . وأعيد فى مختبر آخر فوجدوا حال الدم لم يتغير . واذن فالدواء الجديد الذى أعطاه الطبيب للمريض ليزيد سرعة تجلطه كان سيقضى عليه . ولقد كان جاز عليه بعد ذلك ان



يتغنى بالبيتين الشهيرين :

غلط الطبيب عليّ غلطة مورد
عجزت موارده عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما
غلط الطبيب اصابة الاقدار

والحق ان كل تحليل يجب ان يقوم به محللان ، واحد بعد واحد . ولكن كيف يمكن هذا الآن وهناك ازمة شاملة تعم الدنيا في الأطباء والمحللين على السواء.

ومع هذا فصاحب البول قد يكون هو صاحب الخطأ ، بأن لا يراعى الشروط الواجبة في جمع البول ، واولها نظافة الوعاء الذى يجمع فيه البول . ولكم جاء المختبرات عينات بول مجموعة في زجاجات كان بها شراب . وعند صاحبه ان الشراب طاهر والا ما تعاطاه الانسان، فلا ضرر ان يختلط بعضه بالبول اذا هو لم يقم على تنظيف القنينة تنظيفا كاملا.

لون البول

ونبدأ بكلمة عن لون البول . وهذا اللون يكون اصفر كلون الزيت ، يخف جدا حتى يكون له لون القش ، ويشتد حتى يكون بنيا ذا احمرار . وهذا يتوقف غالبا على تركز البول او تخففه . وفي الصيف يتركز البول ، اذ يفرز منه الجسم القليل ، فيكون به من جراء ذلك من المواد الذائبة الشيء الكثير . واذن يشتد اللون .

مقدار البول

يتوقف كثيرا على ما يشرب الشخص من ماء ، وعلى الجو حار هو او بارد . وهو للرجل السليم لتر ونصف لتر او دون ذلك . وهو أقل للاطفال . فالطفل بين السنتين والاربع السنوات يبول نصف لتر يزيد او ينقص . وذو السبع السنوات حول ٨٥٠ سنتيمترا ، وذو الثامنة عشرة فوق اللتر قليلا . ومن الأمراض ما يكثر البول كمرض السكرى.

حموضة البول

والبول عادة حامض، قليل الحموضة، ولكنه يصير قلويا من بعد طعام وذلك بسبب ما يفرز الدم في المعدة من حامض اثناء طعام ، فهذا يقلل من حموضة الدم، فيزيد بذلك من قلويته، واذن فمن قلوية البول . وكذلك يصير البول قلويا اذا تعاطى الانسان مسحوقا من تلك المساحيق القلوية التى يعالج بها ما في معدته من حموضة .

تعكر البول

وقد يتعكر البول ولا يكون من تعكره خطر .

وقد يتعكر البول ويكون من تعكره خطر .

مثال ذلك : ان الأبوال المركزة قد تنفصل منها أملاح حامض البوليك Urates عندما تبرد ، ويكون لها لون الطوب الأحمر . والمحلل يسخن جزءا من هذا البول ، فان كان سبب التعكر وجود هذه الأملاح ، صفا البول .

ومثال آخر : البول القلوى ، قد ينفصل منه بلورات من أملاح الفسفات، وهذه يصفو البول منها باضافة قطرة من حامض .

والبول العكر قد لا يصفو بالتسخين ، ولا بالتحميض ، فيدعو ذلك الى شيء من الريبة تحتاج الى زيادة فحص . فقد يكون سبب التعكر وجود كثرة كبيرة من البكتير. وهذه يكشفها المختبر البكتيرى.

وفي حالة الاصابة بعدوى شديدة ، يوجد في البول مدة Pus ، تجعل عينة البول لزجة ميالة للبياض ، وله رائحة كريهة . والنقطة من هذا البول توضع تحت المجهر تكشف عن خلايا المدة المعروفة .

دم في البول

وقد يصيب الكليتين او المثانة سوء ، فيظهر في البول دم . وقد يكون من القلة بحيث لا يظهر الا للعين المجربة . ولكن المحلل يجرى على البول تجارب تكشف الدم فيه ، او هو يرى خلاياه الحمراء تحت المجهر .

والاحمرار قد لا يكون من الدم . فقد يكون صاحب البول اكل طعاما به صبغ أحمر ينفذ الى البول،وذلك مثل البنجر؟ او سائر الأطعمة المصنعة التى يدخلها الصبغ .

البول فى الطاردة المركزية

ومما يعين المحلل فى اختبار البول الطاردة المركزية : يضع المحلل شيئا من البول فى انابيب اشبه بانابيب الاختبار المعروفة فى المختبرات المدرسية ، ويدور بها الجهاز فتدور معه فى حركة غاية فى السرعة قد تبلغ الألف لفة والآلاف فى الدقيقة وتزيد . وهذا يقذف بكل عكر فى البول فى أقصى قاع الانبوبة لأنه اثقل من البول . ومن هذا العكر الذى فى القاع يأخذ المحلل حاجته للفحص تحت المجهر، أو للفحص البكتيرى .

الزلال فى البول

ومن اغراض المحلل فى كل بول يأتيه للتحليل العام أن يبحث عن زلال فيه .

هذا جهاز للطرد المركزى ، تدور فيه اربعة انابيب بسرعة هائلة حول المركز الذى هو المحور ، كما تفعل الارجوحة الدوارة ، فتتخذ الأنابيب ، وبها الابوال ، وضعا افقيا . وينطرد ما فى الأبوال الأربعة من مواد صلبة الى قيعان الأنابيب فتنفصل بذلك عن الأبواب . وتكون هذه المواد الصلبة جاهزة للاختبار .



فمرض الكليتين كثيرا ما يكشف عنه وجود الزلال فى البول .

والزلال فى البول يشبه زلال البيض . والزلال يكون ذائبا فى الماء ، فاذا سخن خرج عن الماء اذ يتجمد ، كبياض البيضة عند تسخينها .

والمحلل يسخن شيئا من البول فى انبوبة اختبار فيتجبن الزلال . اى يظهر فى البول منه شيء لا يذوب . واذا وضع عليه المحلل قطرات من حامض الخل ، لا يذوب . فان ذاب فهو ليس بزلال .

السكر فى البول

ومن اغراض المحلل الكشف عن السكر فى البول فى سبيل الكشف عن المرض السكرى فى المريض . والمحلل يضيف الى قليل من البول فى انبوبة اختبار محلولا خاصا من ملح النحاس ، شديد الزرقة ، صافيا ، ويسخنه مع البول . فان كان فيه سكر (سكر العنب او الجلوكوز ، وهو الذى فى الدم) ، خرج من البول راسب اصفر بنى هو بعض مركبات النحاس ، ويتوقف مقداره على مقدار ما بالبول من سكر . وهناك طرائق يستدل المحلل على مقدار السكر فى البول .

على أن العلم تقدم حتى فى هذه الناحية الصغيرة فأصبح يوجد فى السوق، عند الصيادلة ، فى العواصم ، اشرطة صفراء يشتريها من شاء ، يقطع الرجل ذو البول منها شريطا طوله ٣ سنتيمترات، ويغمس طرفه فى بوله . فان لم يتغير اللون الأصفر ، فلا سكر فى البول . وان تغير الى اخضرار فزرقة درجات ، فعلى العلبة التى بها الشريط الوان فوقها مقدار السكر بالمائة الذى يعطى كل لون من هذه ، أهو ١/١٠٠٠ أو ١/١٠٠ وهلم جرا . ومن هذه الأشرطة ما يعرف باسم TES - TAPE .

واذا اهمل المريض بالسكرى حاله ، واشتد عليه المرض ، ظهر فى دمه الى جانب السكر (الجلوكوز) مواد أخرى كيتونية ــ هكذا اسمها فى الكيمياء ــ هى

التي تؤدي الى اصابة المريض بالغيبوبة المخوفة في ذلك المرض . والمحلل يكشف كذلك عن هذه المواد الكيتونية في البول. وهذه ايضا يمكن الكشف عنها بكاشف سهل ، دليله اللون الحادث في أقراص بيضاء تشترى من الصيدليات ، وهو كاشف يجريه المريض نفسه لنفسه .

الكشف عن أشياء أخرى

ومن هذه الكشف عن المرارة في البول عندما يصاب المريض بمرض الصفراء .

والكشف عن البولينة في البول لمعرفة الى اى حد عجزت الكليتان عن افرازها من الدم في حالة مرضهما . ويستدل على هذا ايضا بتقدير البولينة في الدم ، فان زاد مقدارها عن المقدار السوى دل ذلك على عجز الكليتين عن افرازها في البول وتخليص الجسم منها . وهذا شيء ذو خطر كبير .

وهناك اختبارات نادرة . مثال ذلك المرض المسمى Phenylketonuria وهو عبارة عن مرض وراثي يعطى فيما يعطى التخلف الذهني ، ويكتشف في الأطفال حتى وهم صغار جدا ، فبعد شهور من ولادة الطفل توضع نقاط من محلول كلوريد الحديد ، وهو اصفر اللون ، فان كان الطفل مصابا ، ظهر في البول اللون الأزرق أو الأخضر القاتم أو ما بينهما . وعلاج هذا المرض بسيط، وكشفه بسيط حتى لقد اقترح اجراء هذا الكشف على كل طفل وليد .

ولهذا المرض عند العلماء معنيان طريفان . أولهما تاريخه ورده الى خطأ في الجينات التي ورثها الطفل عن والديه، فهو وراثي . ثانيهما أن هذا التخلف الذهني سببه كيماوي ، هو عجز جسم الطفل عن أكسدة حامض اميني يخرج مع الحوامض الأمينية الأخرى التي تنحل اليها البروتينات عند الهضم (عجز اكسدة فينيل الانين Phenylallanine الى تيروسين Tyrosine . انها عملية كيماوية محضة ولكنها تورث التخلف الذهني !

وتخص النساء بتحليل

هذه الكشوف كلها للرجال والنساء على السواء .

وقد وجب أن نخص النساء بكاشف هو لهن وحدهن . وذلك هو كاشف الحمل عن طريق البول . وهو كاشف لا تلجأ اليه المرأة الا نادرا ، وأسرع ما تكون اليه الفتاة عند أول حملها ،وعندما يأخذ القلق في استهلاك صبرها .

★ ★ ★

وهذا الكاشف مبني على أن المرأة ، عقب التلقيح مباشرة، تأخذ تفرز في البول هرمونا ، لو انه حقن في صنوف شتى من اناث الحيوانات الصغيرة ، لأثار أعضاءها التناسلية فأخذت تعمل .

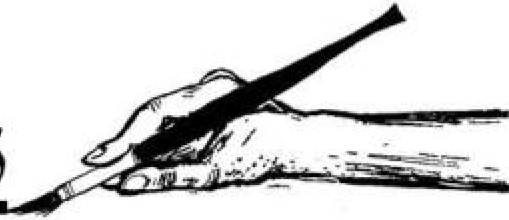
والكشف يجرى بأن يحقن قليل من بول المرأة تحت جلد ضفدعة من ضفدعات البر ، فلا يمضى على ذلك اثنتا عشرة ساعة حتى تكون الضفدعة الانثى قد باضت كثرة من البيض .

ولا تضار الضفدعة بذلك ، فيمكن اجراء كشف ثان فثالث عليها ، وتظل حية سليمة .

فهذه قصة البول ، قصة تحليله في المختبرات ، يجب أن يقتبس الرجل المثقف ، والمرأة المثقفة ، منها ، ومن شئون الثقافات جميعا ، بقدر ما يستطيع وتستطيع . فالعلم فوق نفعه ، هو نور ، والنور غير الظلام . ■■

الضفدعة التي تحقن تحت الجلد بشيء من بول المرأة الحامل ، فتأخذ الضفدعة تبيض بعد ساعات





فلسفة الفن عند :

كاسيرر

- الفن مظهر من مظاهر الحياة البشرية ..
- الفن ليس صورة طبق الأصل من الواقع الخارجي
- الفن عملية بنائية ، لا استجابات غرائزية .
- الفن والعلم يكشفان الطبيعة على نحوين مختلفين
- الفنانان ، يريان الشيء الواحد ، لا يريانه واحدا

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

الاستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

اذا كنا قد تحدثنا عن فلسفة هيدجر Heidegger فى الفن (١) ، فربما كان من واجبنا أيضا أن نعرض بالبحث لفلسفة زميل آخر له يشترك معه فى الانتساب الى الأصل الالماني ، وان كان الاول منهما قد اشتهر فى موطنه الاصلى ، بينما عرف الثاني منهما على صعيد الفكر العالمى على أثر هجرته من ألمانيا ، وانتقاله الى امريكا . وعلى حين أن هيدجر لم يضع كتابا مستقلا فى الفن ، وان كان قد اهتم بدراسة الشعر فى أكثر من كتاب ، نجد أن كاسيرر قد وجه جانبا غير قليل من اهتمامه الى دراسة الفن ، فتعرض للفلسفة الجمالية فى كتابه المشهور : « فلسفة الاشكال الرمزية » ، وفى كتاب آخر له باللغة الانجليزية ظهر عام ١٩٤٤ بعنوان « مقال فى الانسان » : Essay on man ، وقد ترجم أخيرا الى لغتنا العربية ...

نشأته

وقد ولد أرنست كاسيرر بمدينة برسلاو Berslau بألمانيا فى ٢٨ يوليه سنة ١٨٧٤ ، ولم يكن فى حياته الدراسية تلميذا نابها ، ولكنه واصل مع ذلك دراساته العليا ، فكان ان التحق

(١) انظر مجلة « العربى » ، العدد ٧٣ ، ديسمبر سنة ١٩٦٤ ، (هيدجر زعيم الوجودية الالمانية يطبق فلسفته فى الفن) ، ص ١١٠ ـ ١١٨ .

بجامعة برلين فى الثامنة عشرة من عمره ، بقصد دراسة القانون ، تنفيذا لرغبة والده ، ولكنه لم يلبث أن انصرف عن دراسة القانون ، واتجه الى دراسة الفلسفة والادب ، كما راح يحرص على تزويد نفسه بالكثير من المعارف فى الفن والتاريخ . وسرعان ما ارتحل كاسيرر الى جامعتي ليبزج وهيدلبرج باحثا عن أساتذة ممتازين فى الفلسفة والفن ، الى أن سمع بقيام حركة فلسفة هائلة فى جامعة برلين على يد استاذين كبيرين هما هرمان كوهين Cohen وجورج زمبل Simmel ، فلم يلبث أن عاد الى هذه الجامعة للاستماع الى محاضرات هذين الاستاذين . واستطاع كاسيرر الحصول على درجة الدكتوراه من جامعة ماربورج برسالة ممتازة ناقش فيها نظرية المعرفة عند ديكارت ، ثم عاد بعد ذلك الى برلين حيث عكف على دراسة نظرية المعرفة فى الفلسفة الحديثة ، وأخرج للناس فى سن الثانية والثلاثين مجلدا ضخما فى « مشكلة المعرفة » سنة ١٩٠٦ ، لم يلبث أن اتبعه بالجزء الثانى منه فى عام ١٩٠٨ . وبعد ذلك بأربع سنوات أصدر كاسيرر كتابا فلسفيا آخر كان بمثابة أرهاص بمذهبه الفلسفي العام ، الا وهو كتاب « الجوهر والوظيفة »

ثم وقعت الحرب العالمية الاولى ، فاتجه تفكير كاسيرر الى مشكلات الحرب والسلم والحرية والسياسة ، وكانت ثمرة تأملاته هي كتاب «الحرية والشكل» الذى تعرض فيه لدراسة تفكير كل من لسنج Less ng وشيلر Schiller وكنط Kant وجيته Goethe وغيرهم من انصار الحرية فى الفكر الالمانى .

وعكف كاسيرر بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى على النظر فى الصور أو الاشكال الرمزية للفكر البشرى ، بما فيها اللغة والاسطورة والطقوس الدينية والفنون ، فأخرج للفكر المعاصر مجلدات ثلاثة ضخمةظهرت فى الفترة ما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٢٩ . وهذه المجلدات الثلاثة التى اطلق عليها كاسيرر اسم « فلسفة الاشكال الرمزية » هي التى عملت على وضع اسمه جنبا الى جنب مع أسماء كل من برجسون Bergson ، وكروتشه Croce ، وديوى Dewey ، وسانتايانا ، ووايتهد ، وهيدجر ، وغيرهم من أقطاب الفلسفة فى القرن العشرين .

ولما تولى هتلر زمام الحكم فى المانيا ، آثر كاسيرر مغادرة بلاده ،وقبل منصب الاستاذية باحدى جامعات السويد حيث بقي هناك ست سنوات نشر خلالها كتابه « الحتمية واللاحتمية فى علم الفيزياء الحديث » ، كما كتب كتابا آخر عن ديكارت وصلته بالملكة كريستينا .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية ، آثر كاسيرر الهجرة الى الولايات المتحدة ، فاستقل آخر باخرة سمح لها الالمان بالسفر الى أمريكا ، ملبيا دعوة جامعة ييل Yale ، وقضى هناك حينا من الزمن ، ثم انتقل الى جامعة كولومبيا .

وكانت وفاته فى ١٣ ابريل سنة ١٩٤٥ أثناء قيامه بالتدريس بنيويورك .

وقد كان الجزء الرابع من كتابه « مشكلة المعرفة » تحت الترجمة ، حين توفى كاسيرر، مخلفا وراءه الكثير من المخطوطات القيمة . ومن بين الكتب التى نشرت له بعد وفاته كتاب « أسطورة الدولة » The Myth of the state الذى كان قد كتبه بالانجليزية ، أسوة بما فعله فى كتابه السابق : « مقال عن الانسان » . وقد ترجم الى الانجليزية بعد وفاته كتابه الضخم فى « الاشكال الرمزية » » ، وصدرت أجزاؤه الثلاثة فى السنوات ١٩٥٣ و ١٩٥٥ و ١٩٥٧ على التعاقب ، كما ترجمت له سوزان لانجر كتابا آخر بعنوان : « اللغة والاسطورة » ... الخ(١) .

الفن مظهر من مظاهر الحضارة البشرية

ولا سبيل الى فهم فلسفة كاسيرر فى الفن الا بالوقوف على نظرته الفلسفية العامة : فان الفن عنده لا يخرج عن كونه مظهرا من مظاهر الحضارة البشرية ، بما فيها الاسطورة ، والدين ، واللغة ، والتاريخ ، والعلم .. الخ .

وليس الانسان فى نظر كاسيرر مجرد « حيوان ناطق » ، بل هو أولا وبالذات « حيوان رامز » ، أو « حيوان صانع للرمز » . وليست الرموز البشرية مجرد مجموعة من الدلالات أو العلامات التى تشير الىبعض المعانى أو الافكار أو التصورات، بل هى شبكة معقدة من الاشكال أو الصور التى

(١) يجد القارىء عرضا طيبا لحياة كاسيررومذهبه العام فى بحث قيم للدكتور زكي نجيب محمود ، بالعدد ٦٢ من مجلة « العربى » ، يناير سنة ١٩٦٤ ، من ص ٧٤ الى ص ٧٨ .

تعبر عن مشاعر الانسان واهوائه وانفعالاته وآماله ومعتقداته .. الخ . وتبعا لذلك فان كاسيرر يرى ان «فطرة الانسان اوسع من دائر العقل الخالص» وان مكانة الفن فى مضمار الحضارة البشرية انما ترجع الى كونه لغة من اللغات الرمزية العديدة التى حاول اصطناعها فى فهمه للعالم ...

الفن بين قطب الذاتية ، وقطب الموضوعية

والحق ان التفسيرات العديدة التى قدمها لنا الفلاسفة قديما وحديثا للظاهرة الفنية قد تذبذبت دائما بين قطب الذاتية وقطب الموضوعية ، ولكن بيت القصيد فى راى كاسيرر الايحاول الفيلسوف اغفال احد هذين القطبين لحساب الآخر ، او الاقتصار على ابراز الواحد منهما دون الآخر . ولا يرى كاسيرر مانعا من استعراض بعض النظريات التقليدية فى الفن ، فنراه يناقش نظرية المحاكاة ، ونظرية التعبير ، ومذاهب الشكليين ، وآراء القائلين بالتوحيد بين الفن واللعب ، وتفسير انصار التحليل النفسي للنشاط الفني ، وغير ذلك من النظريات القديمة والحديثة فى تأويل الظاهرة الفنية . وليس فى وسعنا ـ بطبيعة الحال ـ ان نتعقب مناقشات كاسيرر الطويلة لكل هذه النظريات ، وانما حسبنا أن نشير الى حرصه البالغ على فهم النشاط فى مظهره التكاملي بوصفه نشاطا حضاريا لا يقتصر على نسخ الواقع او محاكاة الطبيعة ، بل يقوم اصلا على تمثيل الواقع فى صورة مركزة .

الفن ليس صورة طبق الاصل من الواقع الخارجي

والواقع ان نقطة البدء فى فلسفة كاسيرر الجمالية انما هي رفضه للنظرية التقليدية التى كانت تعد الفن صورة طبق الاصل من الواقع الخارجي. ولكن كاسيرر يلاحظ ان اشد المتحمسين لهذه النظرية قد وجدوا انفسهم مضطرين الى التسليم بأن العمل الفنى لا يمكن أن يكون مجرد تكرار آلي للواقع ، او مجرد نسخة اخرى من الحقيقة الخارجية . هذا الى ان « ذاتية » الفنان التى تلعب دورا كبيرا فى انتاجه الفني قد تحول بينه وبين الخضوع للطبيعة خضوعا اعمى .

واذا كانت الطبيعة نفسها ليست معصومة من الخطأ ، بدليل انها لا تحقق اغراضها فى جميع الحالات ، فربما كان من واجب الفن أن يأخذ بيد الطبيعة ، بحيث يعمد (عند اللزوم) الى تصحيحها أو تكملتها أو سد ما فيها من ثغرات . ومن هنا فقد ظهر بين انصار مذهب « المحاكاة » فلاسفة يدعون الى انتقاء المظاهر الجميلة من الوجود الطبيعي ، بدلا من الاقتصار على تقليد الطبيعة بجمالها وقبحها ، دون أدنى تمييز . وفات هؤلاء أن كل تعديل يدخله الفنان على الطبيعة لن يكون ـ وفقا لمنطق هذه النظرية ـ سوى ضرب من الخيانة : اذ كيف يعدل الفنان من نموذجه ، دون أن يشوهه أو يسيء اليه ؟ أو كيف يتجاوز الفنان واقع الاشياء ، دون أن يتعدى على قوانين الحقيقة ؟ ومن جهة أخرى ، كيف يمكن أن نجعل من بعض الفنون ـ مثل فن الشعر الغنائي ـ مجرد تكرار للواقع أو نقل عن الطبيعة ؟ افلا يجدر بنا اذن أن نرفض تلك النظرية الكلاسيكية التى تحيل النشاط الفني كله الى عملية وصف للطبيعة ، أو تقليد للعالم التجريبي ؟

النشاط الفنى ، عند جوته ، نشاط تشكيلي ابداعي ، له طابع شخصي

وهنا نجد انفسنا بازاء نظرية جديدة فى الفن ، عمل على الدفاع عنها فلاسفة وادباء عديدون مثل روسو Rousseau وجوته Goethe وغيرهما . واصحاب هذه النظرية يقررون ان مهمة الفن لا تنحصر فى تقليد الجمال الطبيعي ، أو محاكاة الاشكال الواقعية ، بل هى تتمثل على وجه الخصوص فى خلق بعض الاشكال ، أو ابداع مجموعة من النماذج الاصيلة ، بحيث يتجلى فى العمل الفني طابع شخصي يجيء مميزا له عن كل ما عداه . وقد دافع عن هذه النظرية بصفة خاصة الشاعر الالماني الكبير جوته :

فقال ان النشاط الفنى نشاط تشكيلي ابداعي، وبالتالي فان دور الفنان لا ينحصر فى خلق الجمال، بل هو يتمثل فى ابداع وحدات متماسكة ذات طابع خاص ، أو خلق صور متسقة تحمل شخصية متكاملة . صحيح ان من شان الفن بالضرورة ان يجيء معبرا عن انفعالات او عواطف ، ولكن الطابع التشكيلي للفن ـ فى نظر جوته ـ أهم بكثير من طابعه التعبيري . والحق ان الفنان الذى قال عنه جوته انه « نصف ـ اله » انما هو انسان قد تحرر من الهم والخوف ، فهو يسعى جاهدا فى سبيل ممارسة قدرته الابداعية ، ومن ثم فانه

يلتمس فيما حوله مادة عقلا يستطيع أن يشيع فيها من روحه !

وعلى حين أن جوته كان يؤكد دور «المادة» في عملية النشاط الفني ، خصوصا وانه قد جعل من الفن عملية تشكيلية ، نجد أن الفيلسوف الايطالي كروتشه (واتباعه) يغضون من قيمة هذا العنصر المادي ، أن لم نقل بأنهم يغفلونه تماما ، لكي يقتصروا على القول بأن الفن تعبير ، دون الاهتمام بطريقة هذا التعبير ، ولا بالوسائط المستخدمة في تحقيقه ...

والمهم عند كروتشه ، هو حدس الفنان

والواقع ان الامر الوحيد الهام ـ في نظر كروتشه ـ انما هو « حدس » الفنان ، لا الجهد الذي يقوم به في سبيل تجسيم هذا الحدس في مادة خاصة . واذا كان للمادة أدنى قيمة في نظره ، فذلك باعتبارها واسطة تكنيكية ، لا باعتبارها اداة جمالية . ولا شك أن نزعة كروتشه المثالية هي التي أملت عليه ـ فيما يقول كاسيرر ـ الاقتصار على ابراز الطابع الروحي الخالص للعمل الفني . ومن هنا فقد جعل كروتشه من الطاقة الروحية بأسرها مجرد قوة تستنفد في تشكيل الحدس وحده . وبمجرد ما تتحقق هذه العملية ، يكون الابداع الفني ـ في رأي كروتشه ـ قد وصل الى تمامه . واما كل ما يجيء بعد ذلك ، فهو لا يخرج عن كونه مجرد تنفيذ خارجي لا صلة له بماهية العمل الفني نفسه، بل هو أداة ضرورية لتوصيل الحدس الى الآخرين ، فهو خارج بطبيعته عن صميم الانتاج الفني الاصلي . وفات كروتشه أن الالوان، والخطوط ، والايقاعات والكلمات ، بالنسبة الى المصور العظيم ، والموسيقار الكبير ، والشاعر الحقيقي ، ليست مجرد جزء من أجزاء جهازه التكنيكي فحسب ، وانما هي أيضا مراحل ضرورية داخلة في صميم عملية الانتاج الفني نفسها .

الفن عملية بنائية تركيبية

ولا تصدق هذه الحقيقة على الفنون التمثيلية فقط ، بل هي تصدق أيضا على الفنون التعبيرية . وآية ذلك ان « الانفعال » في الشعر الغنائي نفسه لا يمثل السمة الاساسية او الطابع الرئيسي لهذا الفن . حقا ان الشعراء الغنائيين انما هم أولئك الذين يعبرون عن أعمق المشاعر الانسانية ، كما أن الفنان الذي لا يتمتع بأية عاطفة جياشة أو أي احساس قوي لن يكون في وسعه ان يقدم لنا الا عملا فنيا تافها ضحلا ضئيل الشأن ، ولكن هذه الحقيقة التي لا مراء فيها ليست مبررا كافيا للقول بأن كل مهمة الشاعر الغنائي أو الفنان بصفة عامة ـ هي الافصاح عن مشاعره أو التعبير عن عواطفه .

ولهذا يرفض كاسيرر عبارة الفيلسوف الانجليزي كولنجوود : Collingwood التي يقول فيها ان كل مهمة الفنان هي العمل على التعبير عن عاطفته، كما يأبى التسليم معه بأن كل عبارة ينطق بها الانسان ، أو كل حركة يقوم بها انما هي في حد ذاتها عمل فني . وحجة كاسيرر في هذا الرفض أن الانتاج الفني يستلزم بالضرورة عملية بنائية أو تركيبية ، فليس في استطاعتنا أن ندخل في عداد الاعمال الفنية شتى الاستجابات الغريزية واللا ارادية التي يقوم بها الانسان ، لأن أمثال هذه الارجاع لا تنطوي على أية تلقائية حقيقية .

ولا شك أن عنصر « الغائية » ـ أو الرغبة في الوصول الى بعض الاهداف ـ عنصر ضروري في كل تعبير فني . فليس في استطاعتنا أن نعد افعالا تخلو تماما من كل طابع غائي أفعالا جمالية ، وكأن كل نشاط بشري هو في حد ذاته ابداع فني ! والحق أن الابداع الفني ليس مجرد « تعبير » ، بل هو أيضا « تمثيل » و « تأويل » . وحتى لو نظرنا الى الشاعر الغنائي ، فاننا لن نجد انفسنا بازاء انسان عاطفي يقتصر على التعبير عن أهوائه وانفعالاته ، بل سنجد انفسنا بازاء فنان مبدع يعمل على تشكيل أحاسيسه وتنظيم عواطفه وتركيب عمله الفني . وفارق كبير بين الفنان والرجل العاطفي الصرف : فان الفنان مستغرق في تأمل الصور وابداع الاشكال ، في حين أن الرجل العاطفي مستغرق في الخاصة ، منهمك في الاستمتاع بعواطفه الذاتية، وكأنما هو يستمرىء حياته الوجدانية بما فيها من غبطة وسرور ، أو حزن وأسى . ولهذا يقرر كاسيرر ان الطابع الذاتي لا يبدو أوضح في الشعر الغنائي منه في أي شكل آخر من أشكال الفن .

القصيدة الغنائية عملية تجسيم وتحقيق موضوعي

ومهما كان من أمر تلك العواطف التي يعبر عنها الشاعر ، فان القصيدة الغنائية ـ كأي عمل

فني آخر – لا بد من أن تجيء منطوية على عملية « تجسيم » أو « تحقيق موضوعي » . ولعل هذا ما فطن اليه الشاعر الفرنسي الكبير مالارميه حينما قال : « ان الشعر لا يصنع من أفكار ، بل من ألفاظ » ! أجل فان الشعر – غنائيا كان أم دراميا – انما يقوم على مجموعة من الصور ، والاصوات ، والايقاعات ، بشرط أن يتكون من هذه العناصر جميعا كل موحد لا يقبل التجزئة .

الفن والعلم ، يكشفان الطبيعة ، على نحوين مختلفين

وهنا يقرب كاسيرر الفن من سائر الاشكال الرمزية الاخرى ، فيقرر انه ليس مجرد نسخ لحقيقة جاهزة معدة من ذي قبل ، بل هو واحد من تلك السبل العديدة المؤدية الى تكوين نظرة موضوعية الى الاشياء والى الحياة البشرية . ولكننا لا نكتشف الطبيعة – عبر الفن – على نحو ما يراها العالم ، أو على نحو ما تتصورها لغة العلم ، فان الجهد العلمي يقتضي تصنيف ادراكاتنا الحسية وادراجها تحت بعض المعاني العامة أو القواعد الكلية من أجل اعطائها معنى موضوعيا ، في حين أن الجهد الفني لا يتطلب مثل هذا التصنيف ولا يبغي التوصل في خاتمة المطاف الى ضرب من التبسيط . ومع ذلك فان « العمل الفنى » يتضمن – بوجه من الوجوه – فعلا من أفعال « التكثيف » و « التركيز » . ولكن ، على حين أن كلا من اللغة والعلم انما يهدف الى تقوية الواقع أو زيادة شدته . وبينما يقوم كل من العلم واللغة على عملية أساسية واحدة هي عملية « التجريد » نجد أن الفن في جوهره عملية « تجسيم » أو « تحقيق عيني » مستمر .

واذا كان من شأن العالم أن يبحث عن السمات الجوهرية للشيء ، حتى يفسر شتى خصائص الجزئية بارجاعها الى تلك السمات ، فان الفنان – على العكس من ذلك – لا يسلم بمثل هذا النوع من التبسيط التصوري أو التعميم الاستنباطي .

والواقع ان الفن لا يبحث في كيفيات الاشياء أو أسبابها ، بل هو يرمي الى تزويدنا بضرب من العيان أو الحدس الذي يكشف لنا عن « أشكال » تلك الاشياء . ولكن مثل هذا الحدس لا ينطوي على أي تكرار للواقع ، فضلا عن أنه لا يعيد الى ادراكنا شيئا كان موجودا لدينا من ذي قبل ، وانما هو في صميمه كشف حقيقي أصيل .

وكل ما هنالك ان العالم مكتشف لوقائع الطبيعة وقوانينها ، في حين ان الفنان مكتشف لأشكالها وصورها . وقد فطن الى هذه الحقيقة كبار الفنانين في كل زمان ومكان ، فكان الفن في نظرهم مجرد طريقة لتعليمنا كيف ندرك العالم المرئي . ولعل هذا ما عناه الفيلسوف الفنان الايطالي ليوناردو دافنشي Leonard de Vinci حينما قال ان الصور والمثال هما المعلمان العظيمان اللذان يكشفان لنا عن ملكوت العالم المرئي .

والحق ان ادراك الأشكال الخالصة للأشياء ليس منحة طبيعية أو هبة فطرية ، بل هو درس نتلقاه على أيدي كبار الفنانين . وأبسط دليل على ذلك اننا ربما نكون قد التقينا بموضوع ما في تجربتنا الحسية المادية آلاف المرات ، دون أن نكون قد رأينا «شكله» أو «صورته». ومن هنا فاننا قد نقع في حيرة كبرى لو طلب الينا أن نصف خصائص هذا الموضوع ، أو أن نحدد تأثيراته ، وان نصف شكله المرئي الخالص . والفن انما هو الذي يجيء فيسد هذه الثغرة . لأننا هنا انما نحيا في عالم الأشكال الخالصة أو الصور النقية، لا في عالم التحليل التجريبي للموضوعات الحسية، أو الدراسة الموضوعية للآثار الحسية (١) .

التجريدات العلمية لا تستوعب الحقائق الخارجية بأسرها

والحق أن العلم انما يعني التجريد ،والتجريد لا بد من ان يؤدي الى الحد من ثراء الواقع ، أو العمل على اجدابه . ومن هنا فان اشكال الأشياء – على نحو ما تصفها لنا المفاهيم العلمية – سرعان ما تستحيل الى صيغ مبسطة ، وكان في وسع الصيغة العلمية الواحدة – كقانون نيوتن مثلا – ان تفسر لنا كل بناء العالم المادي ، أو كان من شأن التجريدات العلمية أن تستوعب الحقيقة الخارجية بأسرها ! ولكننا بمجرد ما ندنو من عالم الفن ، فان مثل هذه النظرة التبسيطية سرعان ما

(I) E. Xassirer : « Essay on man. » Ch 1x Art, PP. 184 - 185.

تبدو ضربا من الوهم . وذلك لأن للاشياء من المظاهر ما لا حصر له ، فضلا عن أنظواهر العالم تتغير باستمرار من لحظة الى أخرى ، حتى لقد يكون من العبث أن نحاول فهم الاشياء بالتجاء الى بعض الصيغ العامة المبسطة .

الاثنان ، يريان الشيء الواحد ، لا يريانه واحدا

واذا كان هرقليطس قد قال قديما اننا نرى الشمس جديدة كل يوم ، فربما كان هذا القول صحيحا ، لا بالنسبة الى شمس العالم ، بل بالنسبة الى شمس الفنان ! وحينما نقول عن مصورين أنهما يرسمان « نفس » المنظر ، فاننا نصف خبرتنا الجمالية وصفا بعيدا كل البعد عن الصحة . وآية ذلك أن هذا التطابق المزعوم بين المنظرين انما هو – من وجهة نظر الفن – مجرد وهم فليس في استطاعتنا أن نتحدث عن « شيء » واحد بعينه ، حتى حينما يكون المصوران بازاء « موضوع » واحد بعينه . والسبب في ذلك أن المصور لا ينسخ موضوعا تجريبيا بعينه ، او هو لا ينقل شيئا محسوسا بكل تفاصيله وجزئياته، وانما هو يقدم لنا عن « الموضوع » (سواء كان جبلا أم نهرا أم غديرا أم غير ذلك منمناظر الطبيعة) صورة فردية ، جزئية ، وقتية ، ومعنى هذا ان المصور ينقل الينا على القماش احساسه بـ«جو» الأشياء،وتعبيره الخاص عن تلاعب الاضواءوالظلال، معتمدا في ذلك على ادراكه الحسيّ ، وخياله ، وشتى قواه الذهنية . ولا شك أن ادراكنا الجمالي أخصب ، وأعقد،وأشد تنوعا ، من ادراكنا الحسي العادي : فاننا نقتصر في تجربتنا العادية على ادراك السمات الثابتة المشتركة للموضوعات ، في حين اننا نحاول في خبرتنا الجمالية الوقوف على الخصائص النوعية للأشياء ، والفروق الدقيقة المميّزة لها .

ولهذا يقرر كاسيرر أن الخبرة الجمالية مشحونة بالامكانيات اللامتناهية التي تظل غير متحققة في مجال التجربة الحسية العادية . وأما في العمل الفني فان هذه الامكانيات تستحيل الى وقائع : اذ تخرج الى عالم النور وتتخذ لنفسها اشكالا محددة . وربما كان من بعض مزايا الفن ، ان لم نقل من أعمق آثاره ، انه يكشف لنا عن بعض الجوانب الخفية من الواقع ، فيرينا من الأشياء ما لا عهد لنا به في التجربة الحسية العادية .

حينما يستغرق الفنان في عمل فني ، تضيع الحدود بين العالمين ، الذاتي والضوئي

وقد نجد أنفسنا مدفوعين في بعض الاحيان الى القول بأن الفن وليد المزاج الشخصي ، أو ان العمل الفني – على حد تعبير اميل زولا Zola انما هو ركن من أركان الطبيعة قد تنظر اليه من خلال مزاج خاص ، ولكن الواقع أن « المعادلة الشخصية » ليست هي كل شيء في العمل الفني. والحق اننا حينما نستغرق في ادراك عمل فني عظيم ، فاننا لا نشعر بأدنى فاصل بين العالمين الذاتي والموضوعي . والسبب في ذلك اننا عندئذ لا نحيا في عالم الأشياء المادية التي اعتدنا أن نراها في تجربتنا المألوفة ، كما اننا في الوقت نفسه لا نحيا في عالم فردي محض ، بل نحن نمتد الى ما وراء هذين العالمين ، لكي نحيا في ملكوت الاشكال التجسيمية والموسيقية والشعرية ، وهي تلك الاشكال التي تتمتع بضرب من « الكلية »الحقيقية: Real Universality ولو لم يكن العمل الفني سوى مجرد ثمرة عابرة لنشاط فردي محض ، او نتيجة عرضية لجهد شخصي بحت ، لما كان في امكانه ان يحظى بأدنى قبول عام ، أو ان يلقى اي أصداء لدى الآخرين ، ولكن الحقيقة أن خيال الفنان لا يخترع أشكال الأشياء (بطريقة تعسفية صرفة) . بل هو يكشف لنا عنها في صورها الحقيقية ، حتى يتسنى لنا أن نراها وتتعرف عليها . حقا ان الفنان يتخير جانبا ما من جوانب الواقع ، ولكن عملية «التخير» هي في الوقت نفسه عملية« تحقيق موضوعي »Objectification وحينما نعمد الى اتخاذ وجهة نظر الفنان ، أو حينما نتخذ من « منظوره » منظورا لنا ، فاننا لا بد من أن نجد أنفسنا مضطرين الى رؤية العالم من خلال عيانه الخاص . وعندئذ قد يخيل الينا اننا لم نر العالم قط من قبل في هذا الضوء الخاص ولكننا مع ذلك نشعر شعورا اكيدا بان هذا الضوء ليس مجرد ومضة سريعة خاطفة ، بل هو قد أصبح – بفضل العمل الفني نفسه – نورا ثابتا قابلا للاستمرار . وما دام الواقع قد انكشف لنا في هذا العمل الفني على ذلك النحو الخاص ، فلم يعد في وسعنا سوى أن نستمر في

رؤيته بتلك الطريقة المعنية ، أو في ضوء ذلك الشكل الخاص (١) .

لا تفرقة بين الفنون التمثيلية ، والفنون التعبيرية

وهنا يقرر كاسيرر أنه لا موضوع لاستبقاء تلك التفرقة التقليدية بين الفنون التمثيلية والفنون التعبيرية ، بحجة أن الاولى منها موضعية ، في أن الثانية ذاتية . وحجة كاسيرر في هذا الصدد أن أعمال بعض كبار الشعراء الغنائيين من أمثال جوته ، وهلدرلن ، وشلي ، وورد سوورث، وغيرهم ، ليست مجرد قطع مبعثرة غير متماسكة من حياة هؤلاء الشعراء ، بل هي أشكال رمزية تكشف عن وحدة عميقة واستمرار حي ، فهي تضع بين ايدينا صورا خصبة لواقع الوجود البشري ، وعلى حين أن المصورين والنحاتين يكشفون لنا عن « أشكال الأشياء الخارجية » ، نجد أن الشعراء ورجال الدراما يكشفون لنا عن « أشكال حياتنا الباطنية » . والحق أن الشاعر الدرامي انما يكشف لنا ـ من خلال بعض الشخصيات والمواقف ـ عن نظرته الخاصة الى الحياة البشرية ككل ، في عظمتها وضعفها ، في جلالها وتفاهتها ، في روعتها وعبثها .. الخ . وليس من شأن الفن ـ كما قال جيته ـ أن ينافس الطبيعة في سعتها وعمقها ، بل حسبه أن يتوقف عند ظاهر الوقائع الطبيعية ، لكي يستخرج منها عمقا خاصا يكون هو سر قوته . فالفن يبلور اللحظات العليا من تلك الظاهر السطحية ، وذلك عن طريق استخلاصه لما فيها من اطراء ، وانسجام ، وتناسق ، وكمال ، وجمال ، وتناسب محكم . وليس من شك في أن « تثبيت » هذه اللحظات العليا من الظواهر لا يعني محاكاة الأشياء الطبيعية ، كما أنه لا يعني في الوقت نفسه الاقتصار على تسجيل بعض الاحساسات الخاصة . وتبعا لذلك فان الفن تأويل جديد للواقع ، ولكنه تأويل يقوم على « الحدوس » لا على «التصورات» ، وهو يتم عبر بعض الأشكال الحسية ، لا من خلال وساطة الفكر .

اتهام الفن باستثارة الانفعالات وتهييج العواطف

وقد درج الكثير من الفلاسفة ـ منذ أيام أفلاطون حتى تولستوي ـ على اتهام الفن باستثارة الانفعالات ، وتهيج العواطف ، واشاعة ضرب من الاضطراب في نظام حياتنا الاخلاقية . فكان أفلاطون مثلا يقول ان خيالنا الشعري مرتع خصب لنمو الشهوة والغضب والرغبة والألم في نفوسنا ،بينما كان تولستوي يرى في الفن مصدرا للعدوى ،ويعتبر النشاط الفني مجرد انتقال لهذه العدوى الوجدانية من نفس الفنان الى نفوس الناس . ولم يقتصر تولستوي على اغفال عنصر هام من عناصر النشاط الفني ، ألا وهو عنصر « الشكل » ، بل هو قد تناسى أيضا عنصر « الانفعال » المتمثل في العمل الفني لا بد من أن يكتسب على يد الفنان دلالة جديدة وطابعا مختلفا . وآية ذلك أن الشاعر حين يصوغ انفعاله ، فانه يقدم لنا « صورة » لهذا الانفعال تختلف في كثير أو قليل عن الانفعال نفسه. وليس معنى هذا أن « الانفعال » المعبر عنه يفقد شيئا من قوته بسبب استحالته الى « صورة فنية » ، وانما كل ما هنالك أنه يصبح شفافا ، بعد أن كان أشبه ما يكون بقوة مظلمة أو حقيقة معتمة هيهات لنا أن تنفذ الى أعماقها .

وتبعا لذلك فان الشاعر الذي يصور لنا بعض الانفعالات ، لا ينقل الينا عدوى تلك الانفعالات ، بل هو يسمح لنا بالنفاذ الى أعماق الطبيعة البشرية من خلال تلك العواطف التي يجسمها أمامنا في شخصياته الدرامية . ولهذا فاننا لا نجد أنفسنا في الدراما تحت سيطرة بعض الانفعالات ، أو تحت رحمة بعض العواطف ، بل نحن نشعر باننا نسيطر على مشاعرنا ، ونهيمن على حياتنا الوجدانية .

واذا كان من شأن الفن الدرامي أن يكشف لنا عن بعد جديد من أبعاد الحياة البشرية ، فذلك لأن هذا الفن يزيد من احساسنا بعمق الحياة ، وعظمة الانسان ، وخطورة الحرية ، وجدية المصير البشري ، وشقاء الضمير الانساني ، مما قد تبدو لنا معه حياتنا العادية تافهة ، فقيرة ، عقيمة ، ضئيلة الشأن ! وكأن الشاعر الدرامي حين يعبر عن بعض العواطف البشرية ، أو حين يصور لنا بعض المواقف الانسانية ، انما يسلط أضواء الوعي على الامكانيات العديدة الراقدة في قلب الحياة ، أو هو يستجمع تلك المعاني الشاردة في متاهات الوجود ، لكي يفتح أمامنا السبيل لفهم أشكال حياتنا الباطنية . واذن فان

(1) Cassirer ; « Essay on man. », 1954, PP. 186 - 187.

مقياس الامتياز الفنى – فى راى كاسيرر – ليس هو درجة العدوى التى يثيرها العمل الفنى ، بل مدى ما ينطوى عليه من قدرة على توضيح احاسيسنا، وتعميق عواطفنا ، وتقوية شعورنا بالحياة .

العودة الى نظرية ارسطو فى التطهير

ولا يرى كاسيرر مانعا من العودة الى نظرية ارسطو الكلاسيكية فى « التطهير » (او الكاتارسيس Catharsis) من اجل اظهارنا على دلالتها الحقيقية فى صميم خبرتنا الجمالية . والواقع أن «التطهير» لا يعنى تغير الطابع او الكيفية المميزة للانفعالات نفسها ، بل هو يعنى تغير النفس البشرية ذاتها . فالشعر الدرامى يساعد النفس على اتخاذ موقف جديد من انفعالاتها ، اذ لا تعود النفس تحس باى اضطراب او اى انزعاج بسبب معاناتها لانفعال الخوف او الشفقة مثلا ، بل تشعر بانها قد اصبحت فى حالة سكينة وسلام بسبب هيمنتها على تلك الانفعالات . ومعنى هذا اننا بمجرد ما نخطو الخطوة الاولى نحو عتبة الفن ، فاننا نخلف وراء ظهورنا ضغط اهوائنا ، وقهر انفعالاتنا، وسيطرة عواطفنا . وليس الشاعر الدرامى عبدا لاهوائه ، بل هو سيد لها ، ومن ثم فان فى استطاعته نقل هذه السيادة (أو السيطرة) الى نفوس النظارة . ونحن حين نتحدث عن الحرية الجمالية فاننا لا نعنى بها حالة رواقية سلبية تنعدم فيها سائر الانفعالات ، بل نحن نعنى بها حالة ايجابية فعالة تتم فيها السيطرة على تلك الانفعالات .

ومعنى هذا اننا حين نكون بازاء أى عمل فنى، فاننا لا نحيا عندئذ فى الواقع المباشر للاشياء ، بل نحن نحيا فى عالم من الاشكال الحسية الخالصة، ومن هنا فان من شان مشاعرنا وعواطفنا ان تخضع لضرب من التحول الجذرى – أن من حيث الماهية او من حيث الطابع – بمجرد ما تنتقل الى هذا العالم الفنى . وهكذا تفقد انفعالاتنا كل ثقلها المادى ، وتتحرر كل مشاعرنا من شتى احمالها الجسيمة ، فنشعر بحياتنا الوجدانية خالصة نقية ، خالية تماما من كل حمل أو ثقل. ولكن من الملاحظ – مع ذلك – أن هدوء العمل الفنى ليس مجرد هدوء سكونى (أو استاتيكى) ، بل هو هدوء حركى (أو ديناميكى) . والفن – بهذا المعنى – انما يزودنا بحركات النفس البشرية بكل عمقها وتنوعها . ونحن لا نستشعر فى الفن مجرد كيفية وجدانية جزئية بسيطة ،بل نحن نستشعر عملية ديناميكية معقدة هى عملية الحياة نفسها ، بما فيها من تذبذب مستمر بين الاقطاب المتعارضة : اعنى بين الغبطة والأسى ، بين الأمل والخوف ، بين النشوة واليأس .ولاشك اننا حينما نخلع على انفعالاتنا واهوائنا شكلا جماليا ، فاننا عندئذ انما نحيلها الى حالة حرة فعالة . واذن فان قوة الانفعال نفسها لا بد من أن تستحيل على يد الفنان الى مجرد «قوة تشكيلية » Farmative .

والواقع أن العملية الفنية – مثلها فى ذلك كمثل عملية الكلام سواء بسواء – انما هى«عملية جدلية » تقوم على ضرب من الحوار ، فلا بد من أن يقوم بين المبدع والمتذوق تواصل حقيقى. وليس أمعن فى الخطأ – فيما يقول كاسيرر – من أن ننسب الى التأمل دورا سلبيا محضا ، فى حين أن فهم أى عمل فنى يقتضى بالضرورة – الى حد ما – العمل على تكرار ، أو اعادة تركيب ، تلك العملية الابداعية التى كانت الأصل فى ظهور هذا العمل الفنى . ونحن نعرف كيف أن من طبيعة العملية الابداعية أن تحيل « الانفعالات » نفسها الى « افعال » . ولو كان علينا أن نعانى فى الحياة الواقعية كل تلك الانفعالات العنيفة التى نعيشها فى رواية أوديب لسوفوكليس ، أو فى رواية الملك لير لشكسبير ، لما كان فى وسعنا أن نتحمل أمثال تلك الصدمات الهائلة ، والأزمات النفسية العنيفة . ولكن الفن يجىء فيحيل تلك المآسى والفظائع الى اداة فعالة لتحقيق ضرب من « التحرر الذاتى » ، فيوفر لنا – على هذا النحو – حرية باطنية هيهات لنا أن نحصلها بطريقة أخرى .

كاسيرر يرفض عنصر الانفعال وحده ، او التعبير وحده، تفسيرا للعمل الفني

وهكذا نرى أن كاسيرر يرفض مسايرة أولئك الباحثين الذين كانوا يحاولون تفسير العمل الفنى باكمله عن طريق عنصر « الانفعال » وحده ، أو عامل « التعبير » بمفرده . والحق أن الفن لايرمى الى التعبير عن حالة وجدانية خاصة ، او مشاعر جزئية محدودة ، بل هو يريد أن ينقل الينا تلك العملية الديناميكية التى تجرى على قدم

وساق فى صميم حياتنا الباطنية ، ومن ثم فانه لا يصور لنا بعض « الانفعالات » ، Emotions بل يصور لنا بعض « الحركات » Motions وســواء أكان المرء بازاء مأســاة أم بازاء ملهــاة ، فانه لا بد مـن أن يجـد نفسـه ـ فى كلتا الحالتين ـ بصدد خبرة كلية موحدة تعبر عن الوجود البشرى بأسره ، ابتداء من أدنى انفعالاته حتى أرقاها . ولولا تلك الرؤية التعاطفية التى ينطوى عليها كل فن (بما فى ذلك الفن الهزلى نفسه) ، لما كان فى وسعنا أن نستجيب له ، أو أن نتعاطف معه ، ولما كان فى امكانه هو أن يحقق لنا ضربا من التطهير أو التحرر الذاتى ، كما يظهر لنا بوضوح فى « الملهاة » حيث يجىء الضحك فيكون بمثابة اداة للتحرر .

معنى الجمال فى الطبيعة ، ومعناه فى الفن ، عند كاسيرر

ثم يعرض كاسيرر بعد ذلك لدراسة معنى الجمال فى الطبيعة ومعناه فى الفن ، فيقول ان الجمال ليس مجرد خاصية مباشرة باطنة فى الاشياء ، بل هو تضمين بالضرورة احالة الى الذهن البشرى الذى يدركه، كما لاحظ معظم المشتغلين بالدراسات الجمالية . ولكن كاسيرر لا يقتصر على القـول مع هيوم بأن الجمال لا يوجد الا فى العقـل الذى يتأمله ، وانما هو يقرر أن وجود الجمال لا ينحصر فى مجرد « قابليته للادراك » Percepi ، والا لكان الجمال شيئا سلبيا محضا . والواقع أن ادراك الجمال يمثل نشاطا ايجابيا يقوم به الذهن البشرى، مستخدما ما لديه من قوى ادراكية . وليست هذه العملية مجرد عملية ذاتية خالصة ، بل هى ـ على العكس من ذلك ـ شرط من شروط ادراكنا الحدسى للعالم الموضوعى . وليست عين الفنان عينا سلبية تقتصر على التقبل المحض لبعض التأثيرات الخارجية، أو تنحصر كل مهمتها فى تسجيل بعض انطباعات الأشياء ، وانما هى عين ايجابية بناءة تستطيـع عن طريق بعض الافعال التركيبية اكتشاف ما فى الأشياء الطبيعية من جمال . واذن فان الاحساس بالجمال انما هو ضرب من الحساسية المرهـفة للحياة الديناميكية الشائعة فى الاشكال ، ولاسبيل الى ادراك تلك « الحياة » اللهم الا بفعل عملية ديناميكية مقابلة تتحقق فى صميم نفوسنا .

وقد نجد أنفسنا مدفوعين فى بعض الأحيــان الى اقامة تفرقة حاسمة بين « الجمال الطبيعى » و « الجمال الفنى » ، حتى نميز جمال الاشياء عن جمال الأشكال ، وكاسيرر لا يرى مانعا من الأخذ بمثل هذه التفرقة ، ولكن على شرط الا نقول مع كورتشه ان الطبيعة خرساء ، الى ان يجىء الانسان فيفك عقدة لسانها ! وربما كان الادنى الى الصواب ـ فيما يقول كاسيرر ـ ان نفرق بين الجمال العضوى والجمال الفنى ، على أساس الاعتراف بأن فى الطبيعة الكثير من ضروب الجمال التى لا تملك أية صبغة فنية أو أى طابـــع « استطيقى » . وحسبنا أن نتطلع الى الجمــال العضوى الماثل فى أى مشهد ما من المشاهد ، لكى نتحقق من انه لا يشبه فى شىء ذلك الجمال الفنى الذى نستشعره حينما نكون بازاء بعض اعمال فنية كبرى صور لنا فيها بعض عظمــاء المصورين مناظر طبيعية أو مشاهد واقعية . وقد يقوم المرء أحيانا بنزهة قصيرة فى وسط الحقول ، فيستمتع برقة الجو ، ونضارة المروج ، وتنـوع المشاهد ، ونصاعة الألوان الطبيعية ، وسـحر الشذى العطرى المنبعث من الازهار ، ولكنــه بمجرد ما يحاول تأمل هذا المنظر الطبيعى بعينى الفنان ، فانه سرعان ما يستشعر تغيرا مفاجئا فى كل اطاره الذهنى : اذ يشرع عندئذ فى تكـوين « صورة » لهذا المنظر ، فلا يلبث ان يجد نفسه قد انتقل من عالم الاشياء الحسية الى « عالــم الأشكال الحية » . وهكذا يخلص كاسيرر الى القول بان الفنان لا يحيا فى الواقع المباشر للاشياء بل هو يحيا فى عالم خاص من الأشكال ، قوامه الايقاعات المكانية ، وانسجام الالوان وتباينها ، وتوازن الأضواء مع الظلال .. الخ . وليس ما نسميه باسم « الخبرة الجمالية » سوى هذه العملية التى يقوم بها المتذوق حين يستغرق فى المظهر الديناميكى للاشكال الحية . ولا غرابة بعد ذلك فى أن ينتهى كاسيرر الى القول بأن الفن اتجاه خاص ، أو توجيه جديد ، لافكارنا ، وخيالنا ، ومشاعرنا ، حيث نصل عن هذا الطريق الى حقيقة جديدة هيهات ان تنكشف لنا من خلال اى نشاط آخر ، وتلك هى حقيقة « الاشكال الخالصة » Pure Forms . ■■

زكريا ابراهيم



استطلاع الكويت

الطب البيطري في الكويت

■ قصة الطب البيطرى هي قصة الرابطة القوية التي نشأت بين الانسان والحيوان، فالراعي يترك بيته واهله وعشيرته ليرعى اغنامه ويعتني بها ويبحث لها عن المرعى لترعى، وعن الماء لتشرب، فاذا مرضت امضى الليل ساهرا بجوارها، يشعل لها النار ليطرد البرد من اوصالها، ويقدم لها الدواء لتشفى. فهى عنده اثمن شيء فى حياته، يشرب لبنها ويصنع منه زبدا وجبنا، ياكله او يبيعه ليشترى بثمنه كساء، ويأكل لحمها ليشبع هو واولاده وكل من يعول. فتراها معه فى الحقل، وفى الصحراء، وفى الريف، وفى الحضر، وفى كل مكان. فهي عصب الحياة بالنسبة له ولاولاده من بعده.

ومن هنا كان الاهتمام بهذه الثروة الحيوانية.. بالبقر والماعز والضان والجمال والخيول وما اليها.

- وحدات بيطرية سبع، ترعى صحة الحيوان وتقوم بعلاجه.
- عناية الطب البيطري تشمل البقر والخراف والماعز، وتمتد لتشمل سائر الحيوانات الأليفة
- الصقور من أهم ما يعني به الطبيب البيطري، لأنها عين الصياد في صيد الحبارى



يقوم العاملون في الوحدات البيطرية بزيارات دورية منتظمة لمزارع الأغنام لرشها بالبودرة التي تقيها من الأمراض المعدية كالجرب. ان المحافظة على الثروة الحيوانية من أهم واجبات الطب البيطري.

يحتاج الحيوان أحيانا الشربة لتنظيم الغذاء في الكرش والأمعاء، أو لتنشيط حركة الأمعاء وفي الصورة احد المعاونين البيطريين يحاول اعطاء شربة لخروف في مزرعة



الى أسفل: المعاون البيطري يقوم بفحص فم بقرة للتأكد من أنها غير مصابة بمرض الفم وهو مرض فيروسي سريع الانتشار يصيب الحيوانات المشقوقة الظلف.



وكان لا بد من دراسة طبيعة هذه الحيوانات وايجاد أحدث الطرق لتربيتها وتسمينها وعلاجها ، وتحصينها ضد الاوبئة التي تهددها بالفناء .

ولذا انشئت المدارس للاطباء الذين تخصصوا في العناية بالحيوان وتربيته وعلاجه . وانتشر الاطباء البيطريون في الريف والمدن لتادية رسالتهم في المحافظة على هذه الثروة وتنميتها ، وانشئت جمعيات الرفق بالحيوان في كل عواصم العالم .

وشيئا فشيئا امتد نشاط هذه الفئة من الاطباء المعالجين ، فلم يعد يقتصر على الحيوانات المدرة للالبان او الحيوانات التي يعتمد عليها الانسان في نقل متاعه وسط تيه الصحراء فحسب ، بل امتد ليشمل كل الحيوانات المستانسة والطيور على مختلف اشكالها .

أول وحدة بيطرية في الكويت

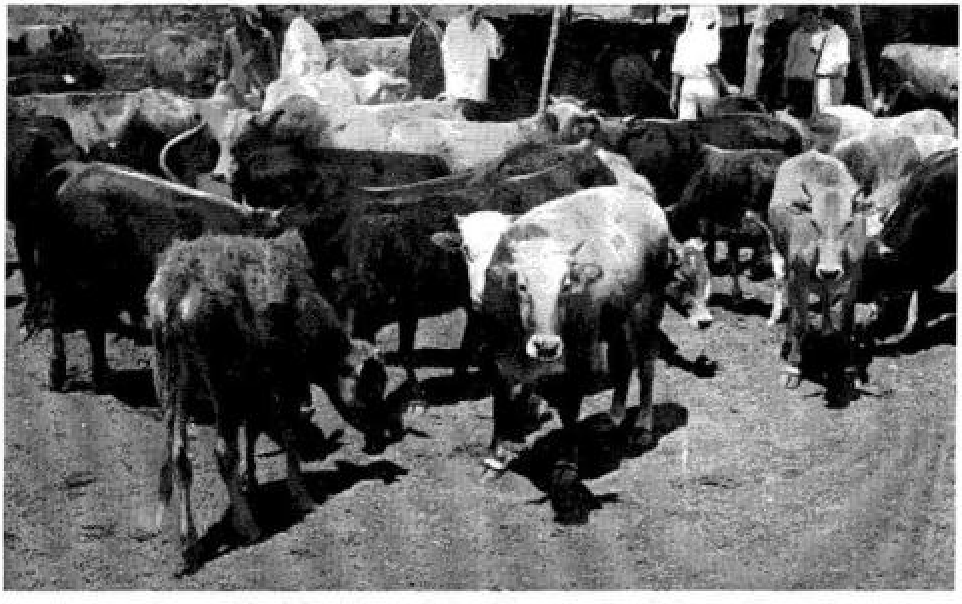
وقد شهد عام ١٩٥١ مولد اول وحدة بيطرية في الكويت . لعـــلاج الحيوانات التي يمتلكهـا السكان . وفي اقل من خمسة عشر عاما تضاعف عدد هذه الوحدات حتى اصبح اليوم سبع وحدات علاجية يعمل في كل وحدة منها طبيب ومعـاون بيطري واثنان من اللاحقين البيطريين واثنان من المرضين .

وقد بدات قصة انشاء اول مستوصف بيطري في الكويت عندما تعاقدت البلدية مع احـد الاطباء البيطريين للعناية بهذه الحيوانات وعلاجها والاهتمام بتنمية الثروة الحيوانية في البلاد بحيث تصبح جزءا رئيسيا من غذاء الانسان وكسائه .

لكل حيوان تاريخ واصل

وكانت الامراض محدودة في بداية الامر لان حجم التبادل التجاري في الثروة الحيوانية كان ضعيفا نظرا لقلة عدد السكان من ناحية ، ولان الحيوانات التي ترد الى الكويت كانت محدودة ومنتقاة حتى لكان للبقر منها اسم وتاريخ واصل معروف .

ولكن جهود المشرفين على تلك الوحدة العلاجية



احدى مزارع تربية العجول وتسمينها ، وقد نجحت التجربة في الكويت حيث يقدمون للعجول التمر كعلف أساسي ، بعد أن ثبتت صلاحيته كغذاء هام لها .

ما لبثت أن صادفت بعض العقبات فى بداية انشائها ، فقد كان امامهم أولا مهمة شاقة لا بد من انجازها حتى يمكن حصر الثروة الحيوانية فى البلاد واخضاعها للاشراف الصحى ، وهي اقناع الاهالي بتسليم ما لديهم من أبقار واغنام الى المزارع الخاصة بتربية الحيوانات الحلوبة ، مقابل امدادهم باللبن ومستخرجاته يوميا ، وبذلك يوفرون على انفسهم نفقات تربية الابقار فى منازلهم .

وقد رفض الاهالي الاستجابة الى هذا الطلب نظرا لحداثة هذه التجربة التي لم يكن لديهم ثقة فيها ، وشكهم من ناحية اخرى فى امكان وصول الالبان من هذه المزارع بصورة خالية من الغش !

عقبات فى الطريق

وثمة سبب آخر كان له أثر أيضا فى رفض الاهالي الاستجابة الى هذا الطلب ، وهو اعتيادهم على وجود مثل هذه الحيوانات فى البيت وخاصة بالنسبة للمسنين منهم ، الذين كانت كل هوايتهم بعد أن تقدم بهم العمر ، هي تربية الابقار والاغنام التى لم يكن من السهل أن يفترقوا عنها .

وليس هذا بجديد ، فكلنا يعرف قصة ارتباط الانسان بالبقرة او العنزة ، فهو ارتباط قديم يرجع الى بداية اعتماد الانسان على الحيوان فى غذائه كما قدمنا .

بين أمس واليوم

وصادفت جهود المشرفين على الطب البيطرى فى الكويت عقبة اخرى ليست بجديدة عليهم اذ انهم ألفوها من قبل فى مختلف الدول العربية فى اوائل عهدها بالعلاج الحديث للحيوانات ، وهي ايمان البدو من مقتني الماشية بالطب القديم وعدم ثقتهم فى الطب الحديث . فكانوا يلجأون الى كي حيواناتهم المريضة او الجريحة فى أماكن مختلفة من اجسامها ، حتى اذا أعيتهم الحيلة واشتدت وطأة المرض عليها ، لجأوا اخيرا الى الطبيب البيطرى الذى لا يلبث ان يكتشف ان الحالة ميئوس منها ! .

ولكن هذا كله لم يَفُتّ فى عضد الاطباء او يثبط من عزيمتهم ، فقد مضوا يؤدون رسالتهم فى عناد

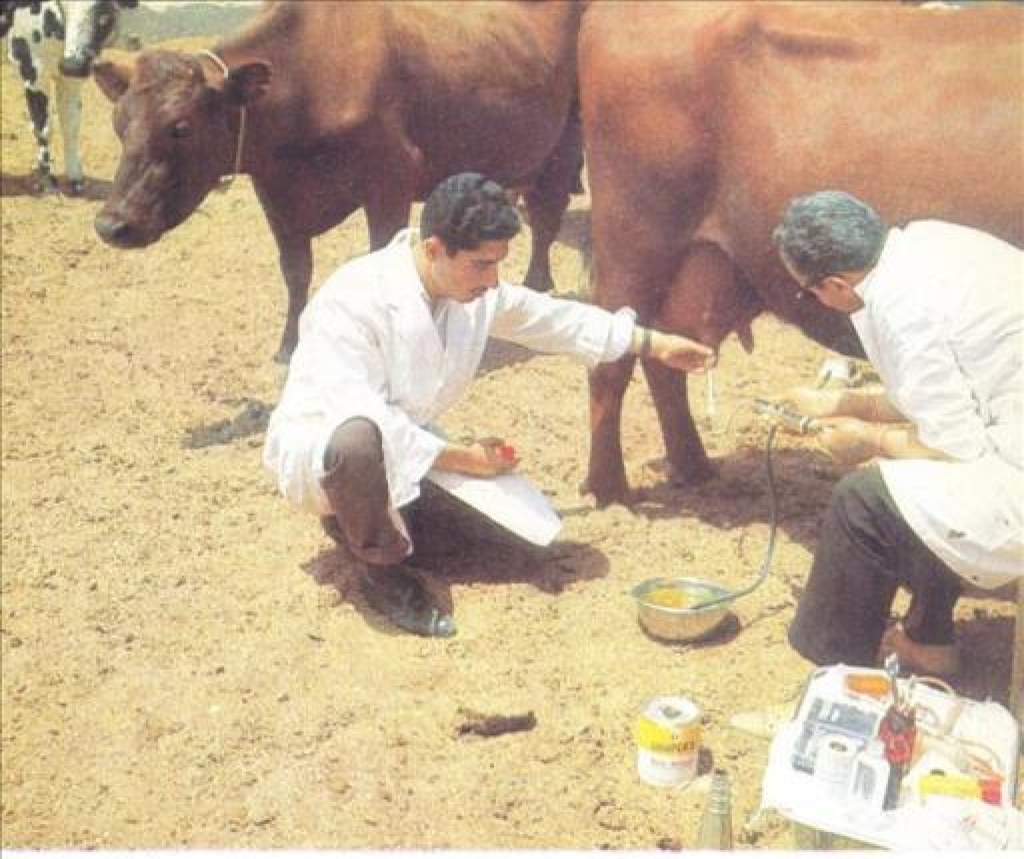


حقنة للعنزة المريضة التى حملها صاحبها بين يديه فى بيته بعد أن أفلح فى اقناع الطبيب بالانتقال اليها نظرا لخطورة حالتها .

واصرار وثقة بالمستقبل ، فركزوا اهتمامهم بالاوبئة التي تنتشر بين الحيوانات فى الكويت فى المواسم المختلفة ، كما اهتموا فى نفس الوقت بالحالات المرضية المفاجئة التي تصيب الحيوانات نتيجة لسوء التغذية او لتعرضها لمختلف عوامل الطبيعة.

اخطر الامراض المنتشرة

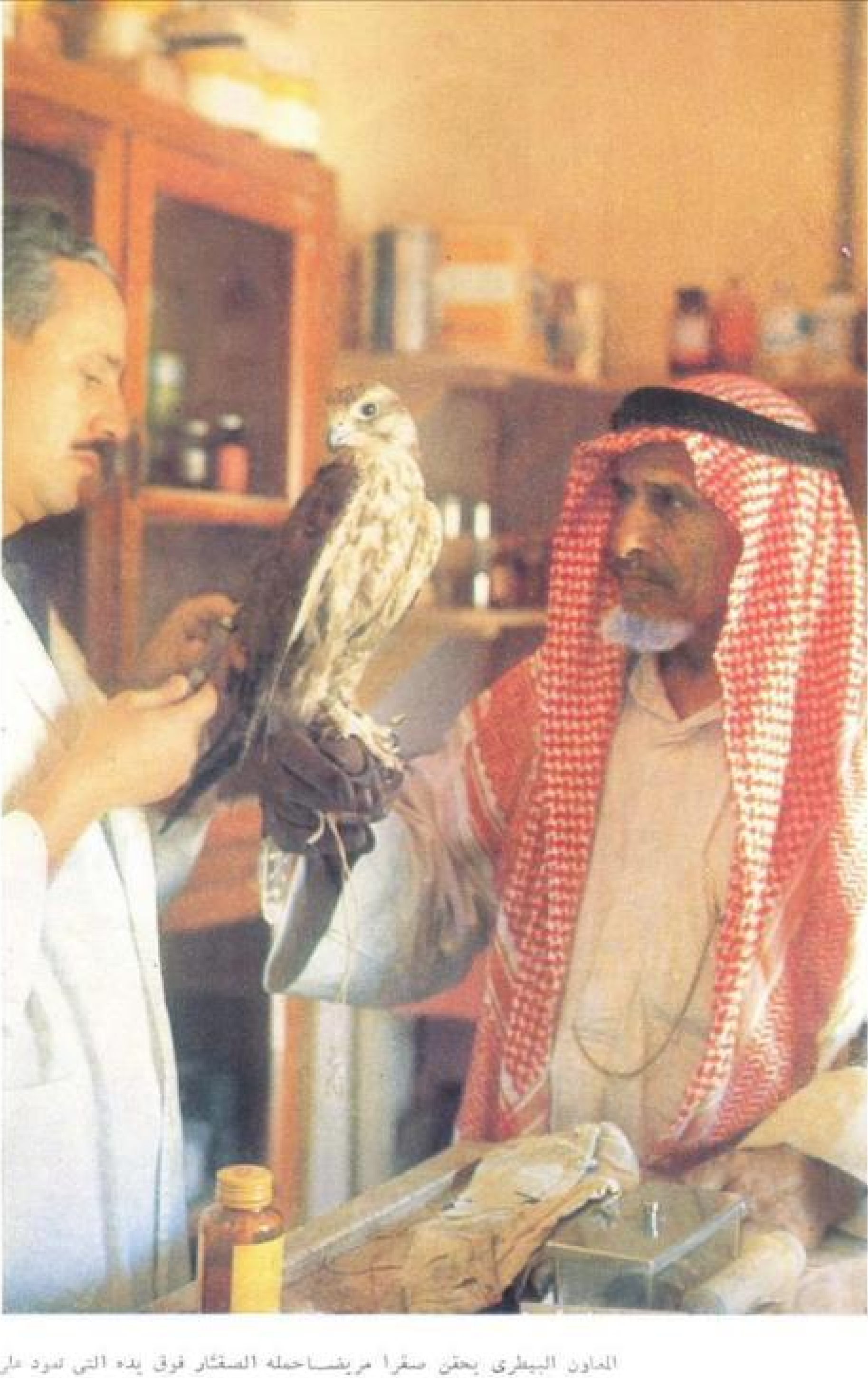
وفيما يختص بالامراض المنتشرة بين الحيوانات فى الكويت فقد قال لنا الطبيب البيطرى المختص ان اخطر هذه الامراض هي الحمى الفحمية Anthrax وهو مرض معد وحاد وخطير يصيب الانسان والحيوان على السواء . واهم اعراضه اسوداد دم الحيوان



تصاب ضروع البقرة أحيانا بالتهابات مزمنة او اورام ، فيقــوم الطبيب البيطري بحقنها في حلمة الضرع بدواء خاص يعيده الى طبيعته.

الى اسفل : طبيب الوحـدة البيطرية بالزوانية يفحص عنزة مريضة عن طريق نقل عينات من لبنها لتحليله.





المعاون البيطري يحقن صقرا مريضا حمله الصقار فوق يده التي تعود على الوقوف عليها ، وجاء به الى عيادة الطبيب . ان الصقر هو أهم «زبون» يتردد على الوحدات البيطرية في الكويت.

العربي : العدد ٩٢ يوليو ١٩٦٦



مواطن كويتي من مقتنى الحيوانات يطلب الى الطبيب الانتقال الى بيته لعلاج عنزته المريضة لأن حالتها لا تسمح بنقلها الى الوحدة العلاجية .

وهو يفتك بضحيته فورا ، ولذلك فان الاطباء ينصحون دائما بعدم فتح الجثة أو الاقتراب منها او نقلها من مكانها حتى يفحصها الطبيب منعا لتلوث المكان بميكروب هذا المرض الخبيث .

وهناك أيضا الحمى القلاعية أو مرض الفم والقدم Foot and mouth Disease وهو مرض فيروسي سريع الانتشار يصيب الحيوانات المشقوقة الظلف ، والبقر اكثرها قابلة للعدوى ، ويليها الاغنام والماعز ، كما يمكن ان تنتقل العدوى أيضا الى الطيور والحيوانات كالقطط والكلاب . والحمى القلاعية من الامراض المتوطنة فى بعض دول أوربا وآسيا وافريقيا وشمال ووسط أمريكا .

ويوجد فيروس هذا المرض عادة فى اللعاب وفى الدم اذا كان الحيوان مصابا بالحمى .

أما الحمى المالطية Malta Ferer ، فهى تصيب الماعز بصفة خاصة وتنتقل عن طريق لبنه الى الانسان ، ولذا ينصح الاطباء بغلى اللبن جيدا قبل تناوله سواء أكان لبن ماعز ام بقر ، لان الابقار ايضا عرضة لامراض اخرى غير تلك التي ذكرناها ، ومن بينها السل والجدري وغيرهما.

غذاء الانسان

تلك هي اكثر الامراض انتشارا بين الحيوانات فى الكويت وغير الكويت ولا يقتصر نشاط الطب البيطرى على مراقبة هذه الامراض وانتشارها حتى لا تنتقل بشكل وبائي فحسب ، ولكنه يمتد الى غذاء الانسان من الحيوان ، والاهتمام بتحديد مدى صلاحية لحم الحيوان ولبنه لغذائه . وكذلك بحث الاستفادة فى الوقت نفسه من منتجاته الاخرى مثل جلد الحيوان وعظامه وروثه ، وهذا الاخير يستخدم سمادا للارض بعد اضافة دم الحيوان اليه .

والدم غذاء رئيسي للدجاج فيخلط العلف الذى يقدم له بدماء الذبائح ، وقد عرفت الدجاجة بشراهتها للدم حتى انها لا تكاد ترى لونا أحمر حتى تسرع اليه وتعمل فيه بمنقارها . ومن اجل ذلك تهاجم الدجاجة اختها وتنقرها حيث يكون اللون الاحمر فى رأسها . وكثيرا ما تودى هذه الاصابات بحياتها . ولذلك فقد عمد الاطباء الى استخدام دواء أحمر اللون لمنع النقر Stop pick ، والغرض منه تضليل الدجاجة ، فيغطون به الاجنحة حتى تركز الدجاجة هجومها عليها حيث ينمو الريش القوى فلا يؤثر النقر فى جسمها .

مزارع تربية الدواجن

ويشمل نشاط الوحدات العلاجية البيطرية فى الكويت ، الاشراف على مزارع تربية الدواجن والحيوانات الحلوبة ، سواء الاهلية منها أم

● الطب البيطرى فى الكويت



رئيس الوحدة البيطرية بالفروانية يعالج بقرة مصابة بالجرب فى بيت أحد المواطنين الكويتيين .

الحكومية ، مثل مزارع تحسين النسل الحيواني وكذلك اسطبلات الخيول والكلاب والجمال التي يستخدمها رجال الشرطة وفرسان الجيش والهجانة على الحدود وداخل البلاد .

اما الوحدات البيطرية السبع التي اشرنا اليها فهي موزعة بين الكويت وضواحيها وقراها ، حيث توجد وحدتان منها بالمدينة ، وواحدة في كل من حولى والجهره والفحاحيل والفروانية وجزيرة فيلكه .

المختبر البيطرى

ولم يعد الطبيب البيطرى وحده مسئولا عن تشخيص الامراض السارية أو الاوبئة ، اذ أصبح يشاركه الآن فى هذه المسئولية المختبر البيطرى الذى يقوم باخذ عينات من دم الحيوان ولعابه عند مرضه والتاكد من نوع المرض .

وقد تقرر اخيرا نتيجة لازدياد تعداد سكان الكويت ، وما ترتب عليه من زيادة كبيرة فى استهلاك اللحوم ، انشاء محجر صحي يشرف على دخول وخروج الحيوانات من الكويت واليها ، وحجزها فى المحجر لفترات تطابق الشروط القانونية البيطرية التي تختص بكل نوع من الحيوان للتاكد من خلوها من الامراض الواردة التي قد تؤثر على الثروة الحيوانية المحلية .

ولكل وحدة بيطرية فى الكويت اهتمامات بنوعين من العلاج ، وهما العلاج داخل الوحدة أو المستوصف بالنسبة للحيوانات الصغيرة الحجم التي يسهل لاصحابها نقلها كالماعز والاغنام والقطط والكلاب والطيور ، وكذلك العلاج خارج المستوصف للحيوانات التي يتعذر نقلها لكبر حجمها أو كثرة عددها ! .

ولكن كثيرا ما يحدث أن يصر بعض الاهالي ، الذين يفدون الى الوحدة كل يوم ، على أن ينتقل الطبيب الى بيته ليعالج معزة « سخلة » نظرا لخطورة حالتها وتعذر نقلها ، فيضطر الطبيب الى الانتقال مع احد معاونيه لاسعافها بالعلاج .

قصة الصقور فى الكويت

هذا موجز لتاريخ الطب البيطرى ونشاته فى الكويت . ولكن بقيت قصة اخرى .. قصة اهم « زبون » يتردد على العيادات البيطرية للعلاج ، الا وهو « الصقر » ! ليعالج مما يعتريه من امراض أهمها مرض السدة Bumble Foot وهو عبارة من التهاب نتج عنه ضعف الكف الذى تضعف معه قوة الصقر لدرجة انه يعجز عن الوقوف ... فاهل الكويت هواة صيد برى كما هم هواة صيد بحرى فى نفس الوقت . وفى الصيف يتلمسون البحر ، بينما يلزمون البر شتاء ، حيث يخرجون فى رحلاتهم المشهورة لصيد « الحبّاري » ، جمع « حبْارى » ، وهو نوع من انواع الدجاج الطائر ، فتسير القوافل من السيارات

المكشوفة وبداخلها الصيادون والصقار ، أو مدرب الصقر ، حاملا صقره فوق يده التي وضعها داخل قفاز جلدى ، وقد غطى عينى هذا الطائر الجارح « بقبع » من الجلد الرقيق أيضا .

وتصل قافلة السيارات الى منطقة يعتقدون أن فيها صيدا ثمينا سواء من الحبارى أو الارانب البرية او الغزلان . وينزل الجميع من السيارات والصقور ما زالت مغطاة العيون ، ثم يرفع الصقار الغطاء عن عينى الصقر ، الذى اشتهر بقوة حاسة الابصار بحيث يستطيع أن يرى ما لا يراه الانسان بالعين المجردة .

وهنا يصيح الصقار بصوته المعهود الذى تدرب عليه الصقر ، ويتلفت الطائر حوله وينفذ بعينه الى ما عند الافق البعيد ثم لا يلبث أن ينطلق مسرعا فى السماء متجها الى مكان فريسته ! .

وفجأة تظهر الحبارى التي تكون قد حطت على الارض وتجمعت حول بعضها البعض فى ذعر وهلع شديدين غير قادرة على الطيران بعد أن شاهدت عدوها فى السماء وهو يستعد للانقضاض عليها والفتك بها !

الحيوانات والطيور التى وصلت الى الكويت خلال عام ١٩٦٥

كتاكيت (صيصان)	١ر٠٤٧ر٨٨٥
أغنام	٢٧١ر٥٠٨
ابقار	٢٤ر٥٤٣
دجاج	٣ر٩٦٤
طيور زينة	٢ر٣٤٠
بط وحبش	١ر٢١٩
حمام	٣٠٦
جاموس	٨٠٢
قرود	٤٦
كلاب	٤٢
خيل	٣٣
غزال	١٦
قطط	٢

انقضاض خاطف

وفجأة مرة اخرى يرى الصقر فريسته ، وقد تجمعت تحته على الارض فينقض عليها انقضاضا سريعا خاطفا ويمسك احداها بمخالبه ويبدأ فى نقرها وأكل لحمها ! .

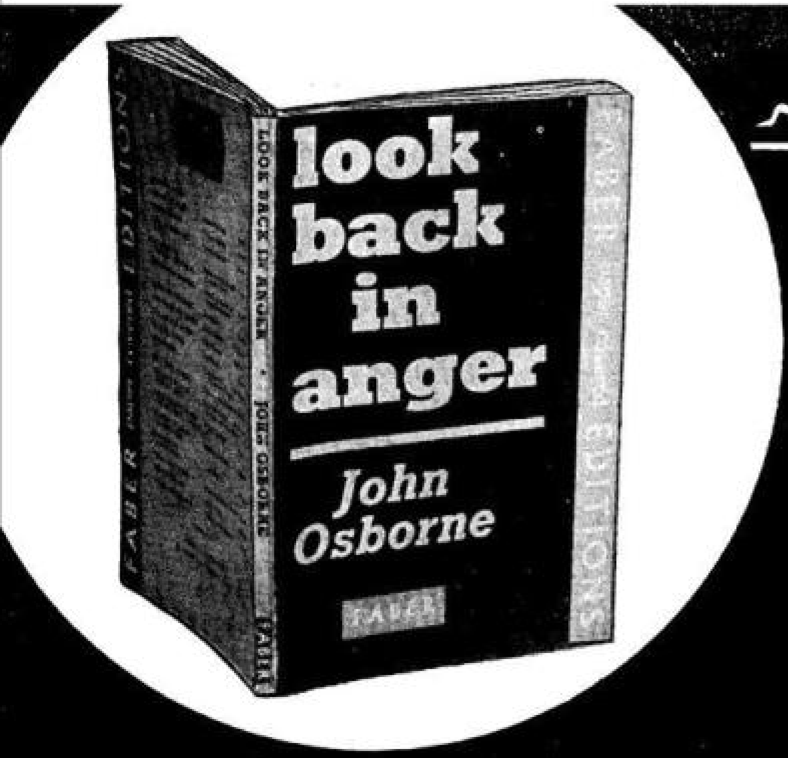
وفى اللحظة التي يصل فيها الصقر الى فريسته ويعمل فيها بمنقاره ومخالبه،تسارع الحبارى،وقد استبد بها ذعر أشد ، لتنجو فى السماء التي نزل منها العدو الى الارض .

وهذه بالضبط اللحظة التي كان ينتظرها الصيادون الذين وقفوا ببنادقهم على أهبة الاستعداد . فتنطلق الرصاصات وتهوى الحبارى التي افلتت من مخالب الصقر لتقع فريسة سهلة لرصاص الصيادين المهرة .

أغلى من الكاديلاك

وتنتهي رحلة الصيد ويخرج الرجال لجمع الحبارى ، ويبدأ الصقار مهمة اخرى .. مهمة اعادة الصقر الى مقره فوق يده ، فيتجه اليه حيث وقف ينهش لحم فريسته ، ويجلس بجواره على الارض ، ويتظاهر بمعاونته فى اخراج قلب الحبارى وكبدها والاجزاء الباقية من احشائها ويسرع باخفاء بقاياها تحت طرف ثوبه ، ويمسك بقطع اللحم فى يده التى تلبس القفاز الجلدى،وهنا يسرع الصقر عائدا الى تلك اليد التي درب على الوقوف عليها،والتى تمتلىء الآن باحشاء فريسته. وعندما ينهمك الصقر فى التهام قلب الحبارى وكبدها يكون الصقار قد أعاد بسرعة الغطاء الجلدى فوق عينيه ! .

لقد انتهت مهمة الصقار، وانتهت رحلة الصيد وهكذا لتبدأ من جديد .. وأعيد الصقر الى وكره .. انه طائر ثمين يدفع الصياد الكويتي ثروة فى سبيل اقتنائه ، قد تصل الى مائتين أو ثلاثمائة دينار ، وقد لا يقدر الصقر بعد تدريبه بمال ، فهو اذن أثمن من البقرة والجمل ، بل هو أغلى عند صاحبه من السيارة الفخمة . ■■



جون أُزبورن رأس «الشباب الغاضب»

بقلم : الدكتور محمود السمره
الجامعة الاردنية ـ عمان

■ فى الجو الادبي فى الغرب اليوم فئة من الكتاب الشباب ، الثائرين على قيم مجتمعهم ، المتمردين على أوضاعهم . ودوافع الثورة عندهم جميعا واحدة ، هي : ايمانهم بأن الحضارة الغربية قد ادت الى سحق انسانية الانسان ، بسبب الحربين العالميتين اللتين شنهما الغرب، وبسبب تعبده للمادة والآلة ، والغلو فى تقديز قيمة المال .

وقد اطلق على هؤلاء الكتاب الشباب الثائرين اسماء مختلفة : فهم الشباب الغاضب The Angry young men فى بريطانيا، والجيل المهزوم The Beaten فى امريكا ، والموجة الجديدة The new wave فى فرنسا .

ولكن علينا ان نذكر ان هذه الاسماء لا تعني ان من نطلق عليهم اسم « الشباب الغاضب » مثلا ،

يكوّنون جماعة أو مدرسة يلتقي أفرادها بعضهم ببعض . وواقع الامر أن هؤلاء الكتاب انفسهم يكرهون هذه التسميات ، وقد نجد الواحد منهم لا يعرف الآخر ، ولم يلتق به فى حياته .

كتب جون وين Wain ، احد مشهوري كتاب الشباب الغاضب ، فى جريدة « الاوبزرفر » ، ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٦١ ، ردا على سائل طلب منه تعريف حركة « الشباب الغاضب » ، فجاء فى رده قوله : « انني لم أصف نفسي بأنني شاب غاضب ، ولم يجتمع الذين سموا بهذا الاسم ليعلنوا موافقتهم عليه ، ولكن الامر الثابت أن كل انسان فى الحياة غاضب بطريقة ما وبسبب شيء ما ... وانا شخصيا غاضب على هذا المجتمع لأنه تسيطر عليه الصحافة ووكالات الاعلانات ، ولأنه يمتهن الخيال المبدع ويحتقره ، ويكرم الرقم وحده. فى هذا المجتمع نجد الفنان مرفوضا، والصحفي مقربا ، والانسان ممتهنا ، والآلة الها ، والعمل لا قيمة له، والانتاج كل شيء . انه مجتمع انحطت فيه القيم حتى الحب فيه صار جنسا ، والموسيقى أصواتا ناشزة تطلق عليها اسماء مختلفة حسب المودات .

وقد تتجاوز نقمة بعض هؤلاء الكتاب مجتمعهم الى الايمان بأن الجنس البشري كله مكتوب عليه الهلاك . ويمثل هذا الاتجاه خير تمثيل كاتبان مغتربان مهاجران الى باريس : اولهما صمويل بيكيت Beckett من ايرلنده ، وثانيهما يوجين يونسكو Ionesce من رومانيا .

واشهر الكتاب الذين تتجلى فى كتاباتهم هذه الثورة العاصفة على المقدسات والتقاليد هم : جون أوزبورن Osborne ، وهارولد ويسكر Wesker ، وبنتر Pinter ، وأردن Arden فى بريطانيا .

ونورمان ميلر Mailer ، وكرواك Kerouak فى امريكا .

وجنتر جراس Gunter Grass فى المانيا الغربية .

وهذا الاخير انسان عجيب ، متعدد المواهب : فهو رسام ، ونحات ، وشاعر ، وكاتب قصصي ، وكاتب مسرحي .

وهؤلاء الكتاب الشباب جميعا يحتلون اليوم مكان الصدارة فى أدب أوروبا الحديث ، ولعلهم اكتسبوا من الشهرة أكثر مما يؤهلهم لذلك انتاجهم .

★★★

وهناك فرق بين الكتاب الشباب المتمردين فى امريكا ، وبين أمثالهم فى بريطانيا : فهم فى امريكا قد تنكروا للفكر،والقوا جانبا قواعدالنحو والصرف واللغة ، وآمنوا بالتشرد ، وأرخوا العنان لملذاتهم، وقطعوا كل صلة لهم بالحياة الوقور ، وتحدوا جميع المقدسات . وكلمتهم التي يرددونها دوما هي : « اخرج من نيويورك قبل ان تقتلك » !! وهكذا نجد ان كثيرين منهم هجروا امريكا ، فنورمان ميلر وغيره كثيرون يعيشون فى باريس ، وجنسبرغ Gainsberg وجماعة اخرى يطوفون فى الهند .. وهكذا لقد هجروا امريكا لأن كل منجزات حضارتها ، فى رأيهم ، ليست سوى قشرة سميكة من الجليد تغطي مياه المحيط ، ولكن هذه المياه سرعان ما تسخن ، فتذيبه وتبدده .

ورغم هذا ، أو بسبب هذا ، فان كتبهم رائجة فى أمريكا : فشاعرهم لورنس فرلنغتي Ferlinghetti يباع من ديوان شعر يصدر له أكثر من مائة الف نسخة ، فى الوقت الذي لا تباع فيه فى بريطانيا اكثر من الف نسخة من ديوان اى شاعر انجليزي معاصر .

اما الكتاب من الشباب الغاضب فى بريطانيا فهم على غير هذه الصورة : انهم يشكون ، ويتبرمون ، ولكنهم مع هذا باقون فى حظيرة المجتمع .

★★★

وجون أوزبورن هو زعيم كتاب هذا الاتجاه فى بريطانيا ، دون شك .

وهو ان كان قد نقم على مجتمعه ، وبصق عليه قولا وعملا ، فان هذا المجتمع قد صفق لمسرحياته طويلا وعوضه عن فقره غنى ، وبدا الغنى عليه واضحا ، فى ملابسه الانيقة ، وحياته المترفة ، التي تتحدث بنعم الله عليه .

واذا كان أوزبورن اقل من ويسكر عمقا ، ودون أردن ثقافة ، فانه قد عوض عن هذا بالحيوية المعدية التي تتجلى فى مسرحياته . انها مسرحيات

حافلة بالحيوية حقا ، ولكنها دافقة بالبؤس ايضا، نتيجة لحياته اليائسة ... هذه الحياة التي جعلته مرهف الاحاسيس ، بحيث ان اقل اساءة تثيره وتقلقله . وبقيت هذه الصفة ملازمة له حتى بعد ان اشتهر : فنقد النقاد يثيره وان ادعى انه لا يهتم بهم ، وانهم اقل من أن يستطيعوا الحكم على مسرحياته . واذا كانت هذه الحساسية المفرطة ترهق اعصابه ، فانها قد عادت بالنفع الكثير على الادب ، لانها جعلته ينفعل بواقع مجتمعه انفعالا عميقا مجديا .

ان جون اوزبورن ابن فنان فقير ، كان يعيش من رسومه . وتوفى والده ، وهو مازال صغيرا ومع هذا فانه مازال الى اليوم يحمل له كل حب . وهو يذكر في مقال له عن والده نشره في « الصنداى تلغراف » ، ١٣ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٣ ، ان اقدم ما يذكر من أحاديثه اليه ما قصه من الوان البؤس الذى عاناه في حياته . ورغم تعلق الطفل بابيه فانه لم يكن يراه كثيرا ، لانه كان دوما مريضا ، ينتقل من مستشفى الى مصح ، يعالج جسمه واعصابه . وكان الصبى يشكو منذ صغره ايضا من مرض عصبى ، فكانت امه تاخذه كل ثلاثة اشهر الى طبيب للامراض العصبية . وكان خفيض الصوت حتى بعد ان كبر وعرف الدنيا والناس ، وهو مازال يذكر ان كمسارى الاوتوبيس وفتاة المطعم كانا دوما يكرران عليه السؤال ليفهما منه ما يريد .

وعاشت العائلة بعد وفاة الاب حياة فقر مدقع ، على جنيه واحد في الاسبوع . وشب اوزبورن والاحساس بالفقر يعتصره ، ومرارة من كل شيء تسكن نفسه . لقد عمل حمالا ، ثم ترك هذا العمل وانضم سنة ١٩٤٨ الى فرقة صغيرة للتمثيل تعمل في مدينة شفيلد ، فوجد في هذا العمل الجديد سبيلا للتعبير عن الثورة الكامنة في نفسه . واقبل على كتابة المسرحيات . وتشاء الصدف أن مسرحا في لندن كان على وشك الافلاس ، واغلاق ابوابه ، فتقدمت اليه هذه الفرقة المجهولة التى من بين ممثليها اوزبورن ، واستاجرته لتقدم عليه اول مسرحية من تاليف الممثل الشاب ابن السابعة والعشرين .

وقد احاط اوزبورن تقديم مسرحيته بجو من الرومانسية ، فاختار ليوم الافتتاح اليوم الثامن من مايو (آيار) من سنة ١٩٥٦ ، لانه يتفاءل بهذا التاريخ ، ففيه ولد أبوه قبل ست وخمسين سنة . وكان تفاؤله في محله ، لان المسرحية لقيت نجاحا منقطع النظير ، وكانت نقطة تحول في تاريخ المسرح في بريطانيا . اذ لاول مرة يسمع النظارة الانجليز مسرحية تخاطبهم بهذه اللهجة ،ولاول مرة يرون على المسرح مسرحية عن اناس عاديين يعيشون في غرفة مشوشة ، ويتحدثون بلهجة كوكنية ، لهجة الحى الشرقى في لندن ، ويقسمون الايمان المغلظة .

لقد عاد نجاح مسرحية « ثورة على الماضى » Look Bock in Anger على المسرح الذى مثلت فيه بالخير ، فانتعش ، وبلغ ما ربحه من مال من مسرحيات أوزبورن ، خلال سنوات قليلة، اكثر من ستين الف جنيه .

والان نقف عند هذه المسرحية فنوجزها اولا ، ثم نعلق عليها .

اليوم هو الاحد . ترتفع الستارة عن جيمي بورتر Porter وصديقه كليف يقرآن جريدة « الاوبزرفر » و « الصنداى تايمس » في شقة متواضعة الاثاث في احدى المدن الصغيرة ، بينما تكون اليسون ، زوجة جيمى ، تكوى بنطلونا لزوجها . ونفهم من حديثهم انهم يعملون ممثلين في هذه المدينة ، وان ظروفهم قاسية .

وبسبب قسوة الحياة فان اعصاب جيمي دائما متوترة . ونجده فجاة يثور ، ويصب اللعنات على الصحف والصحفيين لتفاهتهم ، وعلى عائلة زوجته اليسون ، لارستقراطيتها وعجرفتها . وتستبد به الثورة فيدفع صديقه بيده ، فيقع على لوحة المكوى مما يؤدى الى احتراق ذراع اليسون . (تسدل الستارة) .

الفصل الثانى : اليوم هو الاحد ايضا ، والشقة نفسها . ترفع الستارة عن اليسون وصديقتها هيلينا التى قدمت لزيارتها وانتهت بالاقامة في الشقة مع الزوجين ، وصديقهما كليف. ان هيلينا تريد من اليسون أن تصحبها الى الكنيسة ، فيثير هذا الطلب ثائرة جيمى ، ويجد الفرصة مناسبة ليبدأ في سلسلة من الشتائم يوجهها الى كل المقدسات في نظر المتجمع ، ويمنع زوجه من الذهاب .

وتسر اليسون الى صديقتها انها حامل ، ولكنها

تخشى أن تخبر جيمي ، لئلا يزيد هذا من ثورته . وفى اثناء ذلك تصل برقية فيها أن والدة صديق حميم من أصدقائه فى المستشفى فى لندن وعلى فراش الموت . فيطلب من زوجته أن ترافقه لرؤيتها ، فترفض ، فيثور عليها وعلى عائلتها ثم يهرع الى المستشفى وحيدا . واثناء ذلك يحضر والد اليسون وهو رجل مهذب ، واع لما يجرى ، ويعرف أسباب ثورة جيمي المستمرة. ويعود بابنته الى البيت ، وتبقى هيلينا لتجابه جيمي وحيدة. وعندما يعود تأخذ فى تانيبه على سوء معاملته لزوجته ، ثم يشتد بينهما الجدل ، فتصفعه ، لترتمي بعد ذلك بين أحضانه ، لأنها تكتشف أنها تحبه . وهكذا ينتهي الفصل الثاني ، وهي نهاية" مسرحية جيدة .

ويبدأ الفصل الثالث والاخير ، بداية مسرحية طيبة : ففي الشقة نفسها نرى امرأة تكوى بنطلونا ، انه تكرار لبداية الفصل الاول ، ولكن المرأة هذه المرة هي هيلينا ، وليست اليسون . وتبدى هيلينا ، التى قامت بينها وبين جيمي علاقة ، مهارة فائقة ، وذكاء ، فى تذليل جيمي وترويضه .

وفجأة تدخل اليسون ، محطمة ، يائسة ، وقد أجهضت نفسها ، ولم يعد بامكانها الانجاب . انها تعود محطمة كما أراد لها جيمي أن تكون . وهنا تثور نوازع الشفقة فى نفس هيلينا فتترك جيمي الذى تحبه لزوجته المحتاجة اليه . وتغادر هي وكليف الشقة . ويسدل الستار وجيمي ينحني على اليسون ليرفعها عن الارض :

هذه هي المسرحية فى اطارها العام .

ولكل حادث فيها دلالته .

ونحن اذا تأملنا فى مسرحية « ثورة على الماضى » وجدنا انه ليس فيها تجديد من حيث البناء المسرحي: فالحوار حوار مسرحى تقليدى ، فيه سخرية لاذعة كسخرية جورج برنارد شو ، وشخصيات المسرحية تتحدث بالطريقة التى تتحدث بها الشخصيات المسرحية التقليدية .

والجديد فيها هو المعانى : فهى هجوم على المشاعر العامة ، وسخرية من التقاليد الموروثة لا تبقى على شيء .

وجيمى بورتر ، بطل المسرحية ، لا يؤمن بمثل أخلاقية ، ولا يعير الدين اهتماما ، ولكنه يحس احساسا عميقا بطبقته وفقره ، ولهذا ففيه حقد على كل ما فى الوجود ، ورغبة فى الانتقام ، وثورة على كل ما تواضع عليه المجتمع انه حسن:فلتنصب اللعنة عليكم جميعا » ، « انا لم تفسدنى المدارس الخاصة ، ولهذا فلا أتوانى عن ضرب المرأة اذا بدا لى هذا ضروريا » .

وهو يتوق الى عمل بطولى يقوم به ، ولكن المجتمع يغل يديه ، ولهذا يثور عليه . (هذا هو فى رأى نفسه) وهو يؤمن انه الأوحد فى مجتمعه الذى يتمتع بكل هذه الحيوية ، اما الآخرون فهم فى نظره أشباه أموات . ويجد حقده متنفسا فى ثورته على زوجته اليسون ، ابنة الطبقة الغنية ، طبقة زوجته . انه بثورته هذه ينتقم لطبقته من طبقتها ، فهى ، وطبقتها ، فى نظره « غير قادرة على الولاء حتى لنفسها. انها واقعة بين عالمين متأرجحين، وهى لا تستطيع أن تفكر بعقلها ، فتبدو كأنها لا عقل لها .. ان عقلها هو عقل والديها بكل قيمهما البورجوازية » .

ونحن نجد فى المسرحية لحظات يبدى فيها جيمى حبه لاليسون ، وحدبه عليها ، ولكنها لا تدوم سوى لحظات . انه فى هذه المسرحية مزيج من الاخلاص والحقد ، والرقة والقسوة ، ورهافة الحس والوحشية. وهو بهذا خليط عجيب من المتناقضات، حتى ليبدو لنا نحن متمردا قليل التهذيب دون قضية ، وجعجاعا يكثر من الحديث عن نفسه . انه يفعل كل ما من شأنه أن يزعج الآخرين ، ولكنه لا يبدو لنا قادرا على عمل شيء نافع ، وان كان يدعى انه سيكتب عن هذا المجتمع المنحل كتابا « لا بالقلم ، بل بلهب يرى من مسافة أميال .. ساكتبه بالدم ، بدمى أنا » !

أما اليسون فرمز للطبقة الغنية ، وهى ان لم تكن على حظ كبير من الذكاء ، الا أن فيها تحرر طبقتها ، فهى قد ضحت بالكثير من أجل الزواج من جيمى ، لتكتشف انه قد تزوجها لا لأنه يحبها، بل لأنه وجد الفرصة للانتقام من طبقتها ممثلة فيها . لقد ارادت أن يكون الحبيب ، والصديق ، والزوج ، وأراد هو أن يقهرها ، ويسيطر عليها ، ويؤذيها ، ويحطمها ، وبتحطيمه لها يحطم طبقتها واخيرا ينتصر جيمى بعد أن يحطم اليسون نفسيا وجسديا : فهى قد قطعت صلتها بطبقتها ،وتخلت

عن كل ما تتمتع به من مثل طبقتها . وتسليمها وخضوعها يعنى انتصار الطبقة العاملة على الطبقة الغنية ، وهو حلم من احلام الكاتب تجلى بعد الحرب العالمية الثانية بفوز حزب العمال فى الانتخابات ، ولكن عودة المحافظين فيما بعد كان فى نظره نكسة .

وعبارة اليسون التى تقولها فى ختام المسرحية بالغة الدلالة . انها تقول : « أنا لا أريد ان اكون قديسة ، وانما أريد ان أكون قضية خاسرة .. أريد ان أكون فاسدة ، عديمة النفع . الا ترى ؟ اننى اخوض فى الوحل .. واغوص .. وازحف؟! » ومعنى هذا أنها تتنكر للكنيسة ، وتعترف بان طبقتها فاسدة،عديمة النفع ، على وشك السقوط، وهى ان احتفظت بالسلطة الآن (كان هذا قبل مجىء حكومة العمال الحالية طبعا) الا انها ليست اهلا لذلك لأنها فاسدة .

ان اليسون ، وقد تخلصت من كل ما يربطها بطبقتها ، اصبحت جديرة بأن يحبها جيمى ، وهو لذلك ينحنى عليها بحب ليعينها على النهوض ، وعلى هذا المنظر يسدل الستار الأخير . ومعنى هذا انه رغم العداء القائم بين الطبقة العاملة الفقيرة ، والطبقة المترفة ، فانه لا انفصام بينهما، ولن تسود المحبة بينهما الا اذا تخلت الطبقة الغنية عن امتيازاتها ، ونزلت الى مستوى الطبقة العاملة . واجهاض اليسون ، وعدم قدرتها على الانجاب بعد ذلك ، رمز على حتمية اندثار هذه الفروق .

ويبدو لى أن موقف كليف ، صديق جيمى ، من كل هذه المشاحنات ، موقف سليم : فهو يدير ظهره لصديقه وينسحب ، ويتركه ناقما عليه ، لان حربه هذه التى يشنها على زوجته حرب لا معنى لها ، لأنها حرب ضد فرد واحد .

ورغم ان هذه المسرحية ، فى اكثرها ، ليست سوى صرخات تنطلق ضد كل القيم التى يؤمن بها المجتمع الانجليزى ، الا ان فى عباراتها جمالا وسحرا يخلب الألباب . ولعل هذه الحيوية التى يعبق بها جو المسرحية ، هى السبب فى النجاح الباهر الذى لقيته . وعندما كانت تعرض هذه المسرحية عرضها الأول فى لندن ، كان جون اوزبورن نفسه يمثل دور كليف ، وقد دهشت ليلة حضرتها للتصفيق المتصل الذى استقبلت به بعد انتهائها ، وكنت أتوقع أن يترك المشاهدون مقاعدهم ، للنقد اللاذع ، والشتائم التى صبها الكاتب على المجتمع الانجليزى ، الذى يعيش فى رأى أوزبورن حياة كذب ورياء .

وفى سنة ١٩٥٧ صدركتاب بعنوان Declarotion باقلام جون أوزبورن ، وجون وين ، وكولن ولسون، وغيرهم من الشباب الغاضب . ومقالات الكتاب غاضبة ثائرة على القيم الاجتماعية التى يعيشون فى ظلها . وهى فى روحها تكرار لشخصية جيمى بورتر بطل « ثورة على الماضى ». وعلى أثر ظهور هذا الكتاب اخذ من يكتبون عن هؤلاء الكتاب الغاضبين يطلقون عليهم اسم « الشباب الغاضب» ثم شاعت هذه التسمية . انهم فى هذا الكتاب يهاجمون كل شىء : نظام الحكم ، والسياسة ، والصحافة ، وضيق افق مواطنيهم ، وعدم قدرتهم على التطور مع الزمن ، وتعاليهم دون سبب ، وتزمتهم المقبض ، وصلاتهم الجافة الباردة ، انهم ينقدون هذه كلها واكثر ، ولكنهم لا يضعون حلولا لها . ولا يضيرهم الا يضعوا الحلول ، فهذا ليس من رسالة الفنانين ، بل من عمل الدارسين .

وتتالت مسرحيات أوزبورن ، ومن اشهرها « المهرج » The Entertainer ، وهى من وحى حرب السويس فى خريف سنة ١٩٥٦ ، وفيها ثورة على كل التقاليد والمثل البريطانية كالعادة ، فاحدى الشخصيات تقول:ان كل ما يتعلمه الأبناء، وينشؤون عليه من ديمقراطية وحرية ، ونبل فى السلوك ، لا وجود له فى الحياة البريطانية ، وهذه الحرب خير دليل ، لأنها ضد كل المثل .

وقد نجحت هذه المسرحية نجاحا فاق كل تقدير، فعرضت فى لندن شهورا متصلة ، ثم مثلت فى نيويورك فلقيت نجاحا اكبر . ولعل من العوامل التى ساعدت على هذا النجاح قيام لورنس اوليفييه الممثل الشهير بالدور الرئيسى . وخير موقف فى المسرحية هو ظهور المهرج لاضحاك جمهوره بينما كان قد تلقى قبل لحظات نبأ مقتل ابنه فى حرب السويس .

وظهرت له مسرحية عن زواج أميرة بمصور ، وهى فى ظاهرها لا تمت بصلة لزواج الأميرة مرجريت، شقيقة ملكة بريطانيا ، ولكنها فى حقيقتها سخرية مرة من النظم القائمة ، ومن الذين يحفلون بها . وتلت هذه مسرحية « انجلترة ... اننى اكرهك !!»

والعنوان وحده فيه تحد ما بعده من تحد للمجتمع الذي يعيش فيه ، والوطن الذى يظلله .. وهكذا تتابعت مسرحياته .

★★★

والصفة العامة لكل هذه المسرحيات أن ابطالها صورة عن مؤلفها : فهى تعانى من حساسية مفرطة، وشعور عميق بالشقاء ، يجعلنا نحس به يقطع نياط قلوبنا . والمرء قد يحس بالتعاسة دون سبب بين ، سوى أنه تمس بطبيعته ، وتكوينه النفسى .

واذا كان ابطال أوزبورن ينتقدون مجتمعهم بكل هذا العنف ، فانهم مع هذا يرفضون أن يتركوه الى غيره ، ويرضون به على ما فيه ، ويبدون استعدادهم للتضحية من اجله ، وهم فى هذا كاوزبورن نفسه الذى لم يهجر وطنه ، كما فعل الكتاب الغاضبون فى أمريكا واوروبا . وهذا الموقف من أوزبورن وابطاله ، يجعله فنانا ،وصاحب رسالة أيضا .

لقد قال يوجين يونسكو ، الكاتب المهاجر من رومانيا الى باريس ، ان أوزبورن قد رفعه الانجليز بدافع العصبية القومية لينافسوا الأدب فى أوروبا ، بينما هو فى حقيقته لا يستحق هذا التمجيد .

وفى رايى أن الكتاب ، وان كانوا كبارا ، قد يصدر عنهم كلام غير مسؤول . ويكفى أوزبورن انه كان نقطة تحول فى تاريخ المسرح الانجليزى ، أشهر مسرح فى العالم ، كما أنه كان القنبلة التى انفجرت فى الحياة الأدبية فى بريطانيا ، فايقظتها ، وامدتها بدم جديد ، فيه الصراحة والجراة ، والاحساس بالحياة . ■■

محمود السمره



الاسلام أم الشيوعية ؟

تأليف : الشيخ محمد عرفة عضو جماعة كبار العلماء بالازهر . الناشر : مطابع دار الكتاب العربى بالقاهرة

● فى هذه الآونة الحرجة التى يجتازها العالم، وهو امام مذاهب اجتماعية واقتصادية تتنازع الغلبة والسيطرة عليه . كل يريد أن يفرض نفسه او يراد فرضه على الامم ومنها الامم الاسلامية . وكل مذهب لا يتفق وعقائد الامة ومزاجها وروحها فهو مجاف لطبيعتها ومتنافر وروحها. والشيوعية من هذه المذاهب بل هي أنشطها فى الدعاية واخلبها للعقول ولكن .. هل اذا وازنا بينها وبين الاسلام ترى هل تصالحه ام تنافره ..؟ وفى هذا الكتاب الرد على ذلك التساؤل .

التراب الحزين

تأليف : الدكتور بديع حقي . الناشر : المطبعة الهاشمية بدمشق ـ الثمن ١٥٠ ق.س.

● هذه مجموعة قصص من واقع النكبة الفلسطينية الاليمة ، ذات طابع حزين وواقعي وقد كتبت باسلوب يدعو الى وضع اليد على الجرح الذى خلقه الاستعمار . والحق فقد اتت بكثير من الاعجاز فى وصف القضية الفلسطينية باخلاص .

تحت سماء الاندلس

تأليف : زكي قنصل . الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ سوريا الثمن ٧٥ ق.س.

● هذه تمثيلية فى أربعة فصول دارت حوادثها فى قصر موسى بن نصير عامل بني امية على المغرب. وتخلل التمثيلية كثير من الحوادث المثيرة المشوقة، فجاءت تحفة ادبية جميلة .

الفــن والقومية

تأليف : الدكتور عفيف بهنسي . الناشر : وزارة الثقافة والارشــاد ـ سوريا . السعر ١٠٠ قرش

● أحـد روائع سلسلة الكتب القومية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي بالقطـر الســوري . وفيه بحث قيم في مفهوم الفن القومي ، وفي المعالم العربية في الفن ، وفيه أيضا دعـوة الى بناء فن أصيل . والواقع أن ارتقاء الفـن وازدهاره هو رسالة قومية أساسية صحيحة . اما التزام الاهداف القومية فهو الطريق لتعميق جذور الفن، والكشف عن معالم الشخصية القومية المتطورة. ويعد الكتاب بحثا من أقيم ما قدم للمكتبة العربية .

الفــن والادب

تأليف : لويس هورتيك . ترجمة : الدكتور بدر الدين قاسم الرفاعي . الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ سوريا الثمن ٢٥٠ قرشا سوريا

● في هذا الكتاب القيم يتحدث المؤلف عـن أوجه الشبه بين الالفاظ والصورة ، واوجه الخلاف بينهما . ثم يتعرض للعلاقة التى تربط الادب بالفن ، وللاثر المتبادل بين هذين النوعين مـن الفعالية المبدعة . والكتاب عبارة عن تحليل علمي منطقي واضح ، يكشف عن الحقائق الموضوعية ، التي في كثير من الاحيان يشوبها الغموض، بأسلوب سهل ممتع .

كيف تصبح صحفيا ؟

تأليف : محمد صالحة وسميح أبو مغلي . الناشر : دار بيكار بعمان

● المسلم به أن الصحفي يولد صحفيا .. يولد ولديه الاستعداد ليكون صحفيا . يولد وفيه كل ما في الصحفي من عادات وميزات لا ينقصها الا التوجيه والصقل والتهذيب والتثقيف . ولكن حتما هنالك موازين لا مجال لمناقشتها وهـي أن الصحفي المتعلم هو خير من الصحفي الجاهل ، والصحفي المثقف هو خير منهما .. وفي هـذا الكتاب جهد مشكور يحيط بأسرار هذه المهنـة الجميلة المضنية . كما يعطي صورة تقريبية لما يحيط بها ، ولتاريخها في كل بلد عرف الصحافة عملا حرا مستقلا .

قادة فتح الشام ومصر

تأليف : محمود شيت خطاب . الناشر : دار الفتح ببيروت ـ الثمن ٧ ليرات لبنانية

● هذا الكتاب عن قادة الفتح الاســلامي ، الذين حملوا رايات الاسلام الى حدود الصـين شرقا وفرنسا غربا . وفيه سيرة كل فاتح لارض الشام وارض الكنانة . وفي الكتاب أيضا سـيرة قادة فتح فلسطين العربية لعل ذلك يدفع العرب لاستعادة المغتصب من أرضهم .

التقرير الاقتصادي العربي

الناشر : الاتحاد العام لغرفة التجارة والصناعة والزراعة ببيروت

● هذا التقرير يصدره الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية ويتضمن بحوثا عن الاقتصاد العربي ، ويستعرض التطورات الاقتصادية في كل بلـد عربي ، ومجال التعـاون الاقتصادي بين البلاد العربية ويعد هذا الكتـاب احصاء قيما .

المدخل الى المسائل المختارة لمحاكم حضرموت

تأليف : عبد الرحمن عبد الله بكير . الناشر : مطبعة الامام بالقاهرة

● في هذا الكتاب بحث يسّر به المؤلف الاطلاع على نواح من شرح التشريع الاسلامي من الناحية الاجتماعية فيما يتعلق بالاحوال الشخصية ومن ناحية المعاملات أيضا .

التكنيك المسرحي

تأليف : فيليب فان تيجام . ترجمة : يوسـف البـدري . الناشر : مؤسسة بورسعيد للطباعة

● في هـذا الكتاب تعريف لجمهـور المسرح بالعمليات المختلفة التى تؤدي الى عرض المسرحية التي يشاهدونها ، وبالعوامل التى تلعب دورا في تنظيم واعداد وعرض المسرحية ، مـن لحظـة اختيار النص المسرحي الى وقت عرضه أمـام الجمهور . ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب



كرامة بعض الأزواج : متى تستيقظ .. ومتى تغط فى نوم عميق ؟

● منذ بضع سنوات قدمت الى الكويت طلباللرزق ، كما فعل الآلاف من أبناء البلاد العربية وغير العربية . وبعد أن حفيت قدماى بضعةأشهر وفقت الى الالتحاق بوظيفة كتابية باحدى الوزارات ، فأسرعت باستقدام والدتى وشقيقتىاللتين لم يكن لهما عائل بعد النكبة سواى . وبعد عامين من قدومهما خطبت شقيقتى ولـم تلبث أن انتقلت الى بيت زوجها ، ولكن والدتى ، وهى سيدة عجوز تشكو من روماتزم فى قدميهـاعجزت عن القيام وحدها بشـؤون المنزل ، فنصحتنى بالزواج ، واختارت لى واحدة من‌بنات بلدنا تعمل مدرسة باحـدى المدارس الحكومية ، ولم تمض الا اشهر قلائل حتى صرنازوجين .. وقد مرت السنة الاولى من زواجنا على خير حال ، اذ كانت زوجتى تقوم بما تعجز عنه‌والدتى من شؤون البيت ، كما أنها لم تكن تبخل بمعاونتى بدفع ثمن كثير من المشتريات الضرورية. لكنها بعد عام واحد من زواجنا بدأت تقبض يدها عن المساهمة فى نفقات البيت ، وراحت تطـالبنى باحضار خادم يقوم بشؤونه ، فلما افهمتها ان ازمة الخدم مستحكمة ، وأن أجورهم مما ينوء به كاهلى طالبتنى بأن أساعدها فى أعمال الكنس ومسح البلاط وغسيل الحلل والأطباق ، فقبلت فى أول الأمر الى أن اكتشف ذلك بعض زملائى وزملائها وأقاربى وأقاربها ، فراح بعضهم يعيرنى ويقول ان الرجل لا يصح أن يقوم بأعمال الخدم فأضربت عن العمل ، وقلت لزوجتى ان عليهـا أن تستأجر خادما تدفع له أجره من راتبهـا فرفضت ، ومن هنا بدأت حياتنا المنزلية تنقلب الى جحيم من جراء ما يقع بينى وبين زوجتى من شجار مستمر ، خاصة وأن الروماتزم اشتد بوالدتى فى الشهور الاخيرة حتى كاد يقعدها عن كل عمل !

والمشكلة الآن هى أن زوجتى تصر على أحـد امرين : اما ان أساعدها فى شؤون المطبخ وتنظيف البيت ، واما أن أحضر لها خادما تأبى هى ان تدفع أجره من راتبها .. وأنا الآن بين نارين : اما أن أرضخ لطلبات زوجتى وأساعدها فى المسح والكنس وغسل الأطباق ، وعندها يعود زمـلائى وأقاربى الى تعييرى كما فعلوا من قبل ، واما أن ادفع أجر الخادم فلا يبقى من مرتبى شىء يدخر ادخره للمستقبل المظلم .. ومن هنا بدأت افكر أن أطلقها رغم كل ما تحملته فى زواجنـا وزواج شقيقتى من باهظ النفقات .. لكنى لـم أشأ أن اقدم على ذلك قبل أن ألجأ اليكم عسى أن تشيروا على بحل وسط ، يعيد الى هـذه الأسرة سعادتها التى توشك أن تتحطم ، ويحفظ على كرامتى أن تمتهن .. فهل أجد عنـدكم مثل هذا الحل ؟

الكويت **س. ع.**

ـ عجب والله اى عجب ! فمن الذى يزعم ان مساعدة الزوج لزوجته فى بعض الاعمال المنزلية

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

كغسل الحلل والأطباق ، أو حتى الكنس ومسح البلاط ، عمل يحط من شأنه او يهدر من كرامته ، خصوصا اذا كانت هذه الزوجة تساعده فى بعض نفقات البيت ؟!

ان قاموس الحياة الزوجية السعيدة لايعترف باعتبارات الكرامة بين الزوجين الا فى حدود معينة، ليس من بينها قط اشتراكهما فى شؤون المنزل ، سواء بالتعاون على نفقات الحياة الزوجية او القيام ببعض أعمال الكنس والمسح والتنظيف .. ولست ادرى لماذا لا تذكر انت وامثالك من الازواج الانانيين هذه الكرامة عندما يمدّ احدكم يده اول كل شهر ليأخذ من راتب زوجته أو من مواردها الخاصة ما يكمّل به نفقات البيت ، وهو يعلم انه وحده ملزم بها ، سواء بحكم الشرع أو بحكم القانون ؟

لماذا لم تذّكر" هذه الكرامة او تغضب لها عندما ساعدتك فى بدء حياتكما الزوجية بدفع ثمن الكثير من المشتريات الضرورية باعترافك فى خطابك ؟

اين كانت هذه الكرامة يومئذ يا صاح ! كانت نائمة .. اما الآن عندما تطلب اليك زوجك أن تدفع اجر الخادم ـ وانت ملزم به شرعا وقانونا ـ يرتفع صوتك بالشكوى من أن مرتبك لايحتمل .. فاذا طلبت منك ان تساعدها فى تنظيف البيت وغسل الصحون ، استيقظت هذه الكرامة من نومها العميق ، تحت ضغط صرخات أصدقاء السوء من زملائك واقاربك .. الرجعيين !

اسمعها يا أخى منى كلمة صريحة ، انت وامثالك من الأزواج المغرورين الذين يعيشون فى عصر الذرة والصواريخ،ولكن بعقلية عصور الجمال والبغال والحمير !

ان مساهمة الرجل مع زوجته فى أعمال البيت عند عدم وجود خادم أو خادمة ، لسبب او لآخر ليس فيه ما يعيبه او يمس كرامته من بعيد أو من قريب ، بل هى فى رأيى عمل" يشرّف كل زوج ويُعلي من قدره فى نظر زوجته أو نظر المجتمع الذى يعيش فيه . حتى لو لم تكن الزوجة تساهم معه فى نفقات البيت لانه هو وحده الملزم بهذه النفقات . فاذا فعَلَت" كان اولى به أن يتيح لها الفرصة لكى تذهب الى بعض شؤونها أو زياراتها، ويبقى هو فى البيت ليغسل الاطباق ! فليس من العدل أن يترك الزوج زوجته تشقى وتتعب طول النهار فى عملها الخارجي ، لتساعده على نفقات العيش ، ثم تشقى فى الليل فى أعمال البيت وحدها ، بينما يذهب هو الى المقهى يمضى السهرة مع أصدقائه او يظل فى الصالون وهو يضع ساقا على ساق ، يشاهد التلفزيون أو يستمع الى الراديو أو يطالع الصحف والمجلات !

ان قيام الزوج بمسح البلاط أو غسل الاطباق ليس عملا مُشينا أو مهدرا للكرامة قط .. بهذا يقول كل رجل عاقل بل كل زوج مثالى دون حياء او خجل ، حتى أن هربرت موريسون احد مشاهير وزراء الخارجية البريطانية كتب فى مذكراته ـ دون ان يشعر باى خجل ـ انه كان ، حتى وهو وزير ، يطهو الطعام فى بيته أيام الآحاد ، ويُعِدُّ المائدة ، ويغسل الصحون ، كي يريح زوجته يوما كل أسبوع ، دون أن يجد فى ذلك ما يمس كرامته ، ودون أن يجد غضاضة فى أن يسجل ذلك فى مذكراته ، لا كرجل عادى ، بل كوزير لخارجية الامبراطورية التى لم تكن الشمس تغرب عن ممتلكاتها يوما من الايام !

وان لم تصدّقني فاقرأ هذه المذكرات .. وتعلّم" !!

الآباء يزرعون الشوك . . والأبناء يحصدون !



● أنا فتاة في الثامنة عشرة من عمري، لا أدري لماذا خلقني الله من هذه الاسرة التي انتمي اليها ، ولماذا لم يخلقني من أسرة أخرى ؟ اقول لماذا خلقتني يا رب فتاة تفهم معنى الحياة ؟ أليس من الافضل أن أكون بنتا بلهاء لا تفقه شيئا ولا تحس بما يجري حولها ؟ واستغفرك يا رب اذا كنت قد اخطات او اذنبت في قولي هذا .

مشكلتي هي انني وُجِدْتُ في هذا الكون لا أعرف صديقا او صديقة . وليس هذا ذنبي ، وانما هو ذنب عائلتي التي هيأت لي جوا مليئا بالبغض والكراهية قبل ولادتي . فوالدي ووالدتي لم يدعا لعائلتنا اى صديق . بل على العكس قد خلقا من أقاربنا أعداء ، ومن أعدائنا الداء ، فلم يتركا شخصا الا وخاصماه ، ولذلك كرههما الناس ونبذهما المجتمع ، وبالتالي نبذوني أنا وأخوَاتي واخي ، لما يقترفه اهلي معهم !

والآن وقد عرفتم مشكلتي فالذى ارجوه منكم هو أن لا تطلبوا اليّ أن اعمل على اصلاح والِدَيّ، فلقد جربت كثيرا ولكنني لم افلح ، ولا تقولوا لي اصلحي نفسك مع المجتمع ليفهم الناس انك لست نسخة من والديك وانك شيء آخر .. فكم حاولت ذلك ولكنني كنت أنتهي دائما بالفشل .. فاذا رآني أحد في بيته طردني ومنع أولاده وبناته من مخالطتي ، وحتى من النظر اليّ !!

وفي المدرسة تعاملني مدرستي كمعاملة زميلاتي لي ، لان نفس المعلمة أخذت من والدتي نصيبها كاملا من المعاملة السيئة التي اعتادت أن توزّعها على كل معارفها ، والتي كثيرا ما كانت تنتهي بالمشاجرة ، وربما بالمحاكم !

انني ارجوكم رجاء حارا ان تنقذوني من محنتي هذه لان الدنيا قد ضاقت في وجهي ، ولا ادري كيف افْهِمُ الناس انني ناقمة على والدَيّ وافعالهما ، وانني لست شبيهة بهما باى حال ؟

المعذبة سهيلة ـ الكويت

ـ انها لمشكلة حقا لفتاة في مثل سِنّك انْ تجد نفسها وقد تجنّبتها زميلاتها ومدرساتها ومعارفها، لا لذنب جنته ، ولكن لانها ابنة لابوين كابويك ، جرا على نفسيهما وعلى اولادهما كراهية الناس لسوء معاملتهما لهم ، او لانحرافهما عن سواء السبيل ..

وقد يكون هذا ظلما من المجتمع الذى يأخذ الابناء بجريرة الآباء والامهات ، في حين يقول الله في كتابه العزيز : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » . ولو ان المجتمع قد يكون في نفس الوقت معذورا ، فالمثل العربي يقول :

هذى العصا من هذه العُصَيّة
لا تلِد الحيّةُ الا حيَّة !

ومما يزيد المشكلة تعقيدا أن آثارها لن تقف عند حد مقاطعة زميلاتك لك او تجنبهن اياك ، الآن ، اى في فترة الدراسة .. ان خطرها سيبدو اكثر وضوحا عندما تبلغين سن الزواج ، فلا تجدين بين الشبان من يتقدم لطلب يدك ، تفاديا لما قد يناله من سوء معاملة والديك ، واتقاءً لشرهما ..

على أن ذلك لا يجب أن يقعدك عن أن توالي محاولاتك لاقناع والديك بتحسين معاملتهما للناس، خصوصا ان لهما ، فيما يبدو من رسالتك ، اكثر من بنت ، سيقفان بسلوكهما الحالى حجر عثرة في سبيل سعادتهن ، واذا كنت قد فشلت في ذلك فيما مضى ، فقد تنجحين فيه في قابل الايام ، اذا ما اتممت دراستك ، وحصلت على ما يؤهلك للالتحاق باحدى الوظائف ، واصبحت في غنى عن مساعدة والديك ، وجعلتهما يشعران بانك قادرة على ان تبتعدى عنهما او ان تَضُمّي اخواتك الى صفك في استنكار موقفهما وسوء معاملتهما للناس، وما يجره ذلك عليهما وعليكن من سوء العاقبة ..

ونصيحتي اليك هى الا تستسلمي لليأس .. بل عليك اولا ان تقنعي زميلاتك ومدَرِّساتك بانك لست راضية عن تصرفات والديك الشاذة ، لعلك تستطيعين أن تكسبي منهن من تعينك على اقناعهما بالعدول عما يجر عليهما وعليكن كراهية الناس ونبذهم اياكم .. وحبذا لو استعنت في ذلك ببعض ذوى قرابتكم من اولى الرأى، أو باحدى المرشدات الاجتماعيات ، فقد تكون اقدر منك على تحقيق ما فشلت فيه ..

اسأل الله لهما الهداية ، ولك التوفيق .



دعوة ضالة مضللة، قد فشلت من قبلها دعوات ودعوات!

● تحية العروبة الصادقة ، وبعد ، فانني ارغب في التعبير عن رايي بشأن اللغة العربية على صفحات مجلة « العربي » الغراء ، لعلني أجد من حضرتكم الاجابة التي تطمئن نفسي .

ان اللغة العربية التي يتحدث بها الان ما يقرب من مئة مليون من البشر ، لغة قديمة ، مضى عليها اجيال واجيال وهي لا تزال على حالها ، لم ينتبه اليها أصحابها ، ولم يطوّروها مسايرة لتطور الحضارة ، وتطور اللغات الاخرى . فاللغة الانجليزية مثلا اصبحت لغة عالمية لسهولتها ، وسرعة تعلمها ، وكذلك شأن اللغة الفرنسية ، اما اللغة العربية فالكل يعرف صعوبتها حتى على ابنائها ، فكيف بالاجنبي الذي يرغب في تعلمها ! فلماذا لا نسهّل لغتنا وتيسّرها لكل من يريد ان يتعلمها ، فنلغي الاعراب بطريقة يراها اللغويون مناسبة ، ولماذا لا ننتخب لغة من احدى اللهجات العربية الحلوة السهلة ، وتصبح لغة رسمية لجميع الاقطار العربية !!

حافظ حافظ ـ الاردن .

ـ مسكينة هذه اللغة العربية ! ففي الوقت الذي يشيد بفضلها المستشرقون ويعكفون على دراستها والتاليف بها ، نرى الطعنات تلو الطعنات توجّه اليها .. وممن ؟ من ابنائها .. وممن كان ينبغي ان يكونوا في طليعة المنادين بالحفاظ عليها!!

فمنذ سنوات وسنوات، قام المرحوم عبد العزيز فهمي باشا ، احد اقطاب الفقه والقانون واللغة والسياسة ، يدعو الى كتابة اللغة العربية بالاحرف اللاتينية ، كما فعل « أتاتورك » باللغة التركية ، بحجة ان الاحرف العربية لم تعد تلائم روح العصر!

لكن اللغة العربية كانت اقوى من زميلتها التركية ، فوقفت في وجه عبد العزيز فهمي ودعوته رحمة الله عليه .

ومن بعد ذلك اخذنا نسمع ونقرا انتقادات للغة العربية في هذه الناحية او تلك ، ومطاعن توجه تارة الى الكتابة الهجائية ، وطورا الى قواعد النحو والصرف ، وثالثة لانها لم تعد تتسع لكثير من الالفاظ التي تمخضت عنها العلوم الحديثة ، حتى ضاق بها اهلها ذرعا !!

وهذه دعوة السيد حافظ حافظ الى الغاء قواعد الاعراب لان اللغة العربية صعبة على ابنائها، مع اختيار احدى اللهجات السهلة لتصبح لغة رسمية لجميع الاقطار العربية !

ولست ادري ماذا يقصد بعبارته الاخيرة « لتصبح لغة رسمية لجميع الاقطار العربية » ؟ هل يريد ان نختار اللهجة الكويتية او العراقية او المصرية او اللبنانية او المغربية او الاردنية او التونسية مثلا لتكون هي اللغة الرسمية ! انه لعمري اقتراح عجيب لا يقول به عاقل ولا مجنون، لان كلا من هذه اللهجات تتضمن عبارات واصطلاحات ليست من العربية في شيء ، ولا يستطيع ان يفهم معناها الا ابناء القطر الذي ابتدعها ، في حين ان العربية الفصحى هي وحدها ـ دون غيرها ـ عنوان عروبتنا ، ان اردنا لهذه العروبة ان تعيش وتقوى ، وكنا بها حقا مؤمنين ..

ثم كيف نلغي قواعد الاعراب يا سيد حافظ ، لتصبح لغتنا بعد ذلك بغير ضابط ولا رابط ، يسومها كل جاهل كما فعلوا بالشعر العربي ، فجردوه من اوزانه وبحوره ، واسمَوْه ـ ظلما ـ بالشعر الحديث ؟!

وماذا ترانا نفعل بالتراث العربي القديم الذي تضمه ملايين الكتب وآلاف المجلدات ؟ انحرقها ؟ ام نودعها المتاحف ؟ وكيف يفيد منها ابناء الاجيال «الحافظية» القادمة عندما يقراونها وهم لا يفهمون من قواعد اللغة والاعراب شيئا ، لانهم يكونون اذذاك قد اعتادوا لغة لا قواعد لها ولا اعراب فيها؟؟

ثم من قال لك ان اللغة الانجليزية او الفرنسية او الالمانية او غيرها من اللغات الحية ، لا اعراب

فيها ولا قواعد ، وهي لهذا لغات سهلة ، عالية ؟! انك بقولك هذا تشهد على نفسك انك لا تعرف من امر تلك اللغات شيئا !

وتقول ان اللغة العربية لغة قديمة مضى عليها اجيال واجيال ، وهي لا تزال على حالها دون ان تتطور .. وليت شعرى ماذا تعني بالتطور ؟ ان كنت تعني تجريدها من قواعد النحو والاعراب فلبئس هذا التطور الذى تريده وتدعو اليه !

نحن نفهم ان تتطور اللغة العربية ، لا بالغاء قواعد الاعراب ولا بتعديل الكتابة الهجائية ، ولا بابدال الاحرف العربية بأخرى لاتينية ، ولكن التطور الذى يجب أن يدعو اليه كل محب للعربية هو العمل على استنباط الفاظ ومشتقات جديدة تلائم ما تمخضت عنه العلوم الحديثة ، وتلك مهمة المجامع اللغوية ، فان قصّرت فيها فالذنب ذنبها، لا ذنب اللغة العربية التى قال حافظ ابراهيم بلسانها :

وَسِعْتُ كتابَ اللهِ لفظاً وغايةً
وما ضِقتُ عن آيٍ به وعِظاتِ

فكيف أضيقُ اليوم عن وَصْفِ آلةٍ
وتنسيقِ اسماء لمخترَعاتِ ؟

الى آخر قصيدته المعروفة .

وبعد . فان اللغة العربية التى ازدهرت في عصور الجاهلية الاولى أيام كان العرب قوما أميين لا يقرأون ولا يكتبون ، ومع ذلك استطاعت أن تترك لنا أميتهم تلك ، هذه الكنوز الفنية من التراث الادبى ، لا يمكن أن يقال انها لغة تعجز ـ في عصر الذرة والصواريخ ـ عن أن تخرج لنا أضعاف أضعاف تلك الكنوز !



حَدِيثُ خُرَافَةٍ يا أُمَّ عَمْرو !

● منذ أكثر من خمسة عشر عاما زوّجنى أهلى،من تاجر من أثرياء الحرب ، كان يكبرنى بأكثر من ربع قرن من الزمان . ورغم أن هذا الزواج تم رغم‌ارادتى الا أننى لم ألبث أن‌رضيت بالامر الواقع، خصوصا وأن زوجى لم يكن يدخر وسعا في تحقيق‌كل رغباتى ، بل انه عندما أحسّ باقتراب اجله منذ ثلاث سنوات باع لى عمارة كبيرة من عماراته‌تدرّ علىّ ايرادا شهريا يغطى كل نفقاتى ، كما أودَعَ باسمى في أحد البنوك بضعة آلاف من‌الجنيهات ، ثم انتقل الى جوار ربه دون أن تنجب أطفالا .. ولم تكد فترة الحداد تنتهى حتى‌تقدم لخطبتى كثيرون لم أجد بينهم ضالتى وفتى أحلامى ، فكنت أردهم بحجة أنه لم يمض على وفاة‌المرحوم الا قليل ..وأخيرا ، في مثل هذا الصيف من العام الماضى ، تعرفت بشاب في الخامسة والعشرين أو نحوها ، راح ينصب شباكه حولى حتى قبلتُ زواجه ، رغم أن أهلى وقفوا فى‌وجه هذا الزواج بحجة أن مثله لا يتقدم على الزواج بأرملة تكبرُه بعشرين عاما الا طمعا في ثروتها .. لكننى لم أكترث بمعارضتهم وتزوجته ، بعد أن وافق على أن تكون « العصمة » بيدى ..

ولقد بدا لى في الشهور الأولى من زواجنا أننى أسعد امرأة في الوجود .. لكننى ما لبثت أن‌تبينت أن‌أهلى كانوا على صواب ، وأن زوجى لم يكن الا شابا مستهترا لا يعرف للحياة الزوجية معنى الا أن يبتز أموالى لينفقها على صديقاته من بنات الليل .. وقد حاولت أن أثنيَه عن سلوكه بالحسنى ، خصوصا بعد أن كانت المكالمات التلفونية النسائية لا تكاد تنقطع ، على مرأى منى ومسمع .. فلما نبهته الى ما في عمله من الاستهتار بالحياة الزوجية ، نظر الىّ ساخرا وقال : «وهل نسيتِ أننى شاب ، وأنك في مثل سن أمّى .. يا ماما ؟!!! » .

ولقد كانت عبارته هذه طعنة قاسية لى ، فتحت عينى على الحقيقة المرة ، فما لبثت أن ذهبت الى المرآة ، فاذا بي الاحظ ـ لأول مرة ـ ان التجاعيد قد بدأت تظهر على وجهى وأن الشيب أخذ يغزو شعرى ، وأن لون أجفانى لم يعد أبيض صافيا كما كان !

وصدقونى أننى لم أعد حريصة على أن أظل زوجة لهذا الفتى المراهق الماجن ، قدر حرصى على شيء أثمن من ذلك وأغلى ، حتى أننى لا أتردد فى أن أنفق من أجله كل ما أملك .. ذلك هو أن أسترد نضارتى ، وبأى ثمن ، حتى لا يعيّرنى هو أو غيره بأنى « عجوز عقيم » كما يقول !

وأنا أكتب اليكم هذه الرسالة لأنى أذكر أننى كنت قد سمعت من بضع سنوات عن دواء يزيل الشيب والتجاعيد ، ويعيد الشباب ، ويرد أبناء الستين والسبعين الى الثلاثين أو ما دون الثلاثين .. وقد كتبت الصحف اللبنانية والمصرية تتحدث عن هذا الدواء بضعة أشهر ، وأن كانت عادت فذكرت أن رأى الأطباء فيه لا يبعث على الثقة .. وكل ما أرجوه هو أن أعرف اسم ذلك الدواء ، ومن أين يمكن أن أحصل عليه ، وهل لا بد من السفر الى الخارج كما سمعت من بعض السيدات لاجراء العلاج المنشود هناك ؟!

دمنهور (ج·ع·م·) ح·س·م

ـ لست أدرى أيكما المراهق ، ولا أيكما الملوم ؟ هو ، أم أنت ؟! على أى حال أنا لا ألومك بقدر ما أرثى لك ، فقد كان عليك ان تتنبهى من أول الأمر ان زواجا كهذا لا يمكن أن يكون زواجا سعيدا، طال العهد به أم قصر ، وان شابا فى الخامسة والعشرين لا يتقبّل ان يتزوج ارملة فى سن امه دون أن تكون له مآرب لم يستطع أن يخفيها أكثر من شهور ، ظهر بعدها على حقيقته !

ومهما يكن من الأمر فتلك مشكلتك تحلينها بالصورة التى تريدين .. أما عن دواء اعادة الشباب الذى تسألين عنه ، فإنك تقصدين ذلك العقار الذى أطلقوا عليه « هـ ٣ » للدكتورة « آنا اصلان » ، وهو الدواء الذى شاع اسمه وذاع منذ ٦ سنوات ، ثم اختفى ، وعاد للظهور بعد ذلك فى موكب من الدعاية لا نظير له ، ثم اختفى من جديد ، بعد أن قررت الجمعية الطبية البريطانية ـ وهى هيئة علمية لها خطرها ـ انه لا يوجد دليل على أن له ذلك الأثر الذى يُدّعَى من تجديد الشباب .. واعقب ذلك تقرير آخر من بعض كبار الأطباء الاخصائيين الامريكيين يقول : « ان هـ ٣ لا علاقة له بالهرمونات كما يزعمون ، وانما هو نوع من المخدرات الموضعية ، كالكوكايين، أما انه يعيد الشباب الى الانسان فلم يقم على ذلك دليل » !

وكذلك قررت الجمعية الطبية المصرية ، بعد ان اجرت عدة تجارب ثبت منها ان كل ما نسب اليه من اعادة الشباب كذب محض ووهم من الأوهام!فرفضت السلطات الطبية المصرية تسجيله وحرّمت وزارة الصحة هناك استيراده واستعماله.

ان اعادة الشباب امنية كل انسان .. وهى امنية لو تحققت لكانت اعظم واجدى من اختراع القنابل الذرية والهيدروجينية وغير ذلك من أدوات الهلاك والدمار .. ومن هنا امضى كثير من العلماء والأطباء ، القدماء والمحدثين على السواء ،اعمارهم فى الجرى وراء هذه الأمنية ، وما حققوها ، ولو انهم استطاعوا ذلك يوما لا نقلب خريف الحياة ربيعا ، بل لأضحت الحياة كلها ربيعا متصلا بغير خريف ..

وحسبكِ دليلا على ان كل ما قيل عن هذا الدواء ليس الا مجرد خرافات ، ان تتأملى الصور التى نشرتها الصحف والمجلات للدكتورة التى اكتشفته ، فاذا هى كما قال الشاعر :

أودَى بنضرتِها الكِبَرْ
ومضَى برونقِها العُمُرْ
ذهبت بفتنتها السنو
نَ .. فلا رُضابٌ ولا حَوَرْ !

وكان أولى بها أن تبدأ بنفسها فتزيل التجاعيد التى ترتسم على وجهها ، والعراقيب التى تبدو فوق قدميها،فلا تكون كذلك الذى يدعى انه اخترع دواء لازالة الصلع ، بينما هو نفسه ليس فى رأسه شعرة واحدة ! ■■



كبش الفداء فى قضية روديسيا

عن مجلة الايكونومست البريطانية :

● حقا لقد تأثرت روديسيا بسياسة الحظر الاقتصادى التى اتخذتها بريطانيا ضدها ، بان اصبحت حكومة سميث اكثر استعدادا للدخول فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية . ولكن ذلك يصدق على بريطانيا بقدر ما يصدق على روديسيا.

فسياسة الحظر والعقوبات الاقتصادية هـذه قد كلفت الحكومة البريطانية من النفقات المنظورة وغير المنظورة ما يقدر اجمالا بنحو ۲۰۰ مليون جنيه استرليني فى السنة الواحدة . ولعل ذلك هو السبب الذى يحدو بالمستر ولسون ، شاء أم أبى ، الى اناطة الامر بهيئة الامم المتحدة وتقبل فرض الهيئة الدولية لتلك العقوبات لا على روديسيا فحسب وانما على اتحاد جنوب افريقيا والمستعمرات البرتغالية أيضا .

ولا يخفى ان الاقتصاديات البريطانية هي التى ستكون كبش الضحية فى ذلك كله . فاتحاد جنوب افريقيـا يحتـل المكانة الثالثة بين الدول التى تربطها ببريطانيا علاقات تجارية وثيقة . وانفصام هذه العلاقات بينهما من شأنه ان يكيل للاقتصاد البريطانى ضربة كبيرة ، قد تكون قاضية .

بريطانيا وجبل طارق

عـن صـحيفة المانشستر جـارديان البريطانية :

● لا جـدال فى ان الحكومة البريطانية قـد ارتكبت ثلاث خطيئات فى السياسة التى انتهجتها وعالجت بها مشكلة جبل طارق . فمباشرتهـا التمهيد والاعداد لمنح جبل طارق الاستقلال كانت خطيئتها الاولى ، بقدر ما انطوت على خرق صريح لمعاهدة (اوترخت) Utrecht ، وقد منحت بريطانيا بموجبها (سنة ۱۷۱۳) حق الاشراف والسيطرة على ذلك الجبل . أما خطيئتها الثانية فكانت فى رفضها فتح باب المفاوضات غير المشروطة مع اسبانيا وضربها عُرْضَ الحائط بتوصيات لجنة الوصاية التابعة للهيئة الدولية ، وقد دع تلك التوصيات الى الدخول فى مثل تلك المفاوضات وازدادت خطيئتها الثانية هذه تعقيدا وتفاقم بعدولها آخر الامر عن موقفها السلبي السا الذكر وبفتحها باب المفاوضة مع اسبانيا بعـ جمود دبلوماسي ساد العلاقات بينها طيلة شهور

واما الخطيئة الثالثة التى اقترفتها الحكو البريطانية فى هذا الصدد فكانت فى عودتهـا ال معاهدة اوترخت والحاحها على ضرورة تنفيذه بدلا من المضي فى سياستها الاولى على اسـا الاعتراف بحق سكان جبل طارق فى تقرير مصيرهم ولا يخفى ان نكوصها هـذا كان اهْوَنَ الشر بقدر ما بدا لها ان رجوعها الى معاهدة (اوترخ والتشبث باحكامهـا هو الرد السليم على مطال

حول تحـول الصين الى دولة نووية

عن صحيفة النيويورك هيرالد تريبون فى باريس :

● ما زالت الطريق طويلة امام الصين الشيوعية لتصبح فى مصاف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى من حيث قوتها النووية وقدرتها على الفتك والتدمير . ولكن انى لمثل هذا الكلام ان يرضى الهند او يعزّى اليابان ، او يبعث على اطمئنان اى من بلدان جنوب شرق آسيا . اذ لن يهدا لهذه الدول بال حتى تشعر باليقين بان الدول النووية الكبرى عازمة على الوقوف فى وجه الصين، وقادرة على الحيلولة دون نسفها لجاراتها او اخضاعها والزج بها فى حرب اعصاب نووية. فالخطر من منشآت نووية كالتى انشاتها فرنسا وغيرها ، وخاصة الصين الشعبية ، لا يكمن فى قوة تلك المنشآت بالذات او فى طاقاتها وهي محدودة : وانما فى التصدع الذى قد يطرا على علاقات الدول النووية الكبرى نتيجة للمناورات او التهديدات التى قد تعمد اليها تلك الدول الاخرى التى تمتلك مثل تلك المنشآت .

اسبانيا بالسيادة على جبل طارق . ولا يخفى ايضا ان فى اقدامها على انشاء مطار عسكرى فى تلك المستعمرة خرقا صريحا لشروط تلك المعاهدة وقد نصت على حياد المنطقة بالمفهوم العسكرى .



تشاؤم حول تزايد عدد السكان

عن صحيفة ملووكى جورنال الامريكية :

● لو اخذنا بعين الاعتبار ان عدد سكان الهند سيصبح ١٠٠٠ مليون نسمة فى عام ٢٠٠٠ ، وان نسبة تزايد السكان فى الفلبين لا تقل عن ٣ر٢٪ سنويا ، لشعرنا بخطورة مشكلة تزايد السكان فى العالم .

ويذهب علماء الاقتصاد وزعماء السياسة ، او الابعد نظرا منهم على الاقل ، الى ان الحدّ من تزايد السكان انما هو الشرط الاساسى الذى يفترضه الانماء الاقتصادي ويقتضيه رفع المستوى الاجتماعي . على ان الآراء والنظريات لا تفي بالحاجة الملحّة ولا بد من ترجمة هذه الآراء الى برامج عملية فعالة اذا اردنا لتلك المشكلة الخطيرة حلا ناجعا . مثل هذه البرامج قائم فعلا فى بعض تلك البلاد التى بات انفجار السكان فيها قريبا ، كالهند على سبيل المثال . ولكن ما الفائدة ، وقد امسى هذا الانفجار وشيكا للغاية واصبحت مشكلة تزايد السكان عويصة ان لم تكن مستعصية.

المعسكرات التجارية

عن صحيفة (امهولتى) الفنلندية :

● منذ عام ١٩٥٩ ودول اوربا الغربية منقسمة الى معسكرين ، على الصعيد الاقتصادى . غير ان دول منظمة التجارة الاوروبية الحرة (افتا) كانت ، والحق يقال ، تتلمس اسباب التعاون والتبادل التجارى مع دول السوق الاوروبية منذ سنة ١٩٥٦ ، اى منذ اللحظة التى بدات فيها مفاوضاتها ومداولاتها لانشاء منظمتها (افتا) تلك . ولعل اكثر ما يهمنا معرفته هو موقف الدول الحيادية الاعضاء فى منظمة افتا - اى النمسا والسويد وسويسرة - ازاء الوحدة المنشودة بين الهيئتين التجاريتين المذكورتين . وقد لا يكون فى وسع تلك الدول الحيادية ان تتصرف فى هذا الاتجاه ، على ما يبدو ، الا من بعيد ، وكأنها دول غير معنية ، وذلك بالنظر الى وضعها الحيادى وحرصها على الحفاظ عليه . لذلك فان التعاون او تضافر الجهود المنشود سيكون فى الغالب اقتصاديا صرفا لا ينطوى على اية التزامات سياسية .



جذور

قصة بقلم : الدكتور عبد الرحيم بدر

كان للباب صرير مزعج كعادة الابواب التي صنعت من صفائح مختلفة في الشكل واللون ، ومقدار ما علاها من صدأ ، وعدد ما فيها من ثقوب . ولهذا كانت تغلقه بتؤدة وبطء ، وتسير في الطريق الذي اعتادت السير فيه منذ أمد بعيد ، بعيد جدا ، كل يوم مع مطلع الشمس . وما تكاد تقفل الباب حتى ترى أنها قد انتهت من تلاوة الدعاء الذي كانت تتمتم به منذ ان فرغت من الصلاة . فتجد عندئذ فراغا فكريا فتنصرف الى خيالاتها وتأخذ تعيش في الماضي . ولم يكن في الطريق شيء يصرفها عن ذلك ، فهي تعرفه خطوة خطوة ، وتكاد تفتقد الحجر اذا تحرك من موضعه . والمارة من الناس في هذه الساعة من الصباح قليلون . ولكنها أخذت في الاسابيع الثلاثة الاخيرة تحس بأن الابريق الفخاري المملوء بالماء الذي تحمله في يدها اليمنى ، ثقيل . وكان نقله الى اليد اليسرى أول الامر يستحوذ على قسم كبير من تفكيرها ، فيصرفها بعض الصرف عن خيالاتها الواسعة ، غير انها فيما بعد أخذت تنقله دون تفكير ، أكثر من مرة . كانت تدرك أن هذا دليل الهرم وآذان الشيخوخة ، ولكنها سرعان ما تهرب من هذه الفكرة البغيضة لتعيش في عالم شبابها وعزها وعنفوانها .

لم تكن المقبرة بعيدة عن المخيم ، ولكنها في طرفه على أية حال ، وقطع هذه المسافة لامرأة عجوز يستغرق وقتا غير قصير ، وقتا كافيا لاستعادة غير قليل من الماضي السعيد .

فابو الحارث رجل جدير بان تزور قبره كل يوم . لم يكن شيئا كثيرا بالنسبة لها وحسب ، انما كان شيئا كثيرا بالنسبة للقرية كلها . انها لا تذكر شخصا مثله يحترمه الناس ويستمعون الى رأيه ويسعون الى مشورته . وكان المترددون على البيت لا يكادون يتركونه ليلة واحدة يجلس فيها معها ومع الاولاد . كانوا يزعجونها اذا ما جاءوا يطلبونه الى المضافة لحل المشاكل . وعندما يعود كانت البهجة تبدو على محياه ، فيخبرها بأن الخصام بين فلان وفلان قد انتهى والحمد لله . وعندما سافر الى بيت الله الحرام وأدى فريضة الحج وغاب شهرين طويلين عنها وعن القرية كلها ، حدثت حادثة قتل ، وقالت لها أم احمد ان الحادثة ما كانت لتقع لولا غياب (أبو الحارث) .

كان يملأ عليها البيت بهيبته ورجولته وجلال قدره . لم يكونوا في تلك الايام بحاجة الى بطاقة المؤن او الى أي انسان . بل ان الله سبحانه وتعالى كان رؤوفا به فاختاره الى جواره قبل ان يعرف هذه اللعنة التي يسمونها بطاقة المؤن . فبستان البرتقال كاف يعيشون من ريعه في عيش رغيد . كانت تنهض في الصباح الباكر مع الفجر فتعد الفطور وتوقظ الاولاد الاربعة وأباهم ،



فيتناولون كأس الشاى مع قطعة الخبز الذى كان انذاك من القمح الخالص ، ويحمل الرجال منهم ـ الاب وحارث وراوى ـ الفؤوس والمجارف . اما البنات ـ زهرة وغصون ـ فتحملان السلال وينطلق الجميع الى العمل فى اشجار البرتقال ، اما هى فكانت تمكث فى البيت لاعداد الطعام للوجبة التالية .

وكان يظهر لها من العطف ما لا تستطيع ان تنساه . فقد حاولت ذات يوم ان تساعد ابنتيها فى نقل السماد ، ولكن ابا الحارث اقسم بالله ان لا تفعل ذلك ، لا فى ذلك اليوم ولا فيما يلي من ايام . كانت تشعر انه ليس زوجا لها وحسب ، بل الأب الحنون والأم الرؤوم والعلم المخلص المتفانى . كان اذا جلس اليهم فى المساء ـ وقل أن تطول جلسته ـ يحدثهم بأحاديثه الشهية ، ويناديهم « يا أولاد » وهى تعرف انه يشملها بهذا النداء . وكان صوته الجهورى الرصين اجمل وأعذب ما يطرق السمع ، فهو على خشونته يفيض بالحنان .

كانت غصون فى العاشرة من عمرها عندما كانوا

يجلسون كلهم تحت شجرة برتقال فمدت انامالها الطرية اللينة وقطفت زهرة من زهوره المتفتحة آنذاك . واذا بالرجل ينطلق بحديث طويل عن قيمة البرتقال وزهر البرتقال ، وعرف من لم يكن يعرف بانهم مرتبطون بهذه الشجرة وزهرها وثمرها ، وان الزهرة ثمرة في اول الطريق ، وانهم ياكلون ويشربون بفضل هذه الزهرة او هذه الثمرة ، وان الواجب عليهم هو الحرص والعناية بكل ورقة وكل ثمرة . وفي تلك الاونة ، انما في مناسبة اخرى ، عرفت انه تزوجها لان اسمها « خضرة » ، بلون الشجر ، وسمى ابنهما الكبير « الحارث » وهو يقصد حراثة الارض ، وكانت تظن قبل ذلك انه حارسا ، وسمى ابنهما الثاني « راوي » لكي لا ينسى ري البستان وسقياه ، اما البنتان فسمى احداهما « غصون » والاخرى « زهرة ». كان يدخل في اذهانهم – رحمة الله عليه – انهم من الاشجار وان علاقتهم بها اكثر مما يظنون . وكان يندفع في شتى المناسبات في احاديث طويلة مختلفة عن هذا الموضوع باسلوب منسجم لا تستطيع استعادته الان . ولكنهم جميعا كانوا يفهمون ما يريد ان يقول . لم يكن يكتفي بهذه التشبيهات بينهم وبين الاشجار ، بل كان يقول لهم بأن لهم جذورا كالاشجار ، لا تمتد الى باطن الارض فقط بل تمتد الى الاباء والاجداد والى اهل القرية والمعارف والاصدقاء . وكان يقول ايضا ان الانسان اذا اقتلع من جذوره يذوى ويموت كالشجرة تماما .



وبعد أن قتل اليهود ابنيه الحارث وراويا هناك، في المعركة التي نشبت عند مفترق الطرق ، غير بعيد عن المستعمرة وغير بعيد عن القرية ايضا ، وبعد ان قتلت غصون ، في المعركة الاخرى التي هاجم فيها اليهود القرية ، وكانت تحمل الماء للمناضلين المدافعين ، بعد هذا كله اضطر ابو الحارث أن يترك السلاح، لا لان عزيمته قد خارت، فهذا أمر لا يرد لمخلوق في حسبان ، وانما لأن الجسم الذي يحمل تلك العزيمة خار وتهاوى .

احساس غريب كان يطبق على صدره ، ويسري الى لوحة الكتف الايسر ثم يشده مما تحت الترقوة فيحسب ان عذاب الدنيا والاخرة قد تجمع مرة واحدة ليسكن بين اضلاعه ويحط في صدره عصا الترحال . كان يحاول ان ينهض من فراشه لمتابعة الجهاد الذي أُقعد عنه ، ولكن عذاب السعي يلتهم ما تبقى له من عزم . وعندما رحلت القرية ، وحمله النازحون فيما حملوا من متاع ، وارادوا ان يضعوه في سيارة الشحن ، على الرغم من عناده الهش الكسير الجناح ، كان يصيح بصوت لا يزال فيه بعض الوضوح ، وينادي نداء غريبا ويقول « جذوري ، جذوري » .

★ ★ ★

ووصلت خضرة الى المقبرة ، وسارت بين القبور المتماثلة في الطريق المألوف . اكوام مستطيلة من تراب غير منتظمة ولا متناسقة ، وضع على طرف كل كومة حجر ليدل على اتجاه راس القاطن فيه . ومعظم هذه الاحجار قد زُلقت عن مواضعها او فقد بعضها فقدا . وما هي الا بضع سنوات وبضع رخات من المطر حتى تستوي الاكوام بالارض ، فلا يعود لها اثر . غير ان القبر الذي وصلت اليه كان على قدر كبير من العناية . فكومة ترابه ظاهرة، وعليها ثلاثة احجار ، كبيرها الذي يدل على الراس ثبتت في الكومة بالطين . وقد قامت خلف الراس حفرة صغيرة تميزه عن جميع القبور الاخرى . كان في الحفرة شجيرة برتقال هزيلة ذات ورق قليل ذابل ، لها فرعان منطلقان من الساق ، احدهما يبدو عليه الجفاف .

رفعت خضرة ابريق الفخار بيدها اليمنى وصبّت معظم ما فيه على جذع الشجرة ، وابقت فيه شيئا قليلا اخذت تصب منه في راحة يدها اليسرى وتنثره من يدها رذاذا على كومة التراب . ثم جلست القرفصاء متجهة الى كتفي القبر ، وراحت تقرأ الفاتحة وتدعو له بالرحمة وبان يريحه الله في آخرته كما اراحها في دنياها .

وبعد ان انهت مهمتها ومسحت وجهها براحتيها، وقفت والقت نظرة على الشجرة . انها شجرة برتقال من بستانهم في القرية فيما وراء الحدود . ان مثيلاتها الان باسقات عاليات يكدن يتهاوين لفرط ما يحملن من ورق وثمر ، ويدررن المال الوفير ويرمين الظل الظليل . انها لا تطلب من هذه الشجرة

مالا ولا ثمرا ، ولكنها تريد بعض الظل لكي يدفع به عن نفسه المسكينة لظى الشمس المحرق والحر اللافح .

★★★

عندما رمتهم سيارة الشحن فى هذه الارض القفر – وكانت قفرا بلقعا آنذاك – لمح الشيخ المريض ظل شجرة بعيدة عن محط رحال اللاجئين، لا ظلها يلفت الناظر ، ولا مظهرها يروق البصر . فطلب من القوم ان ينقلوه اليها والح فى الطلب. ووضع فراشه بالقرب من جذعها ، على غير امل فى ان تجمع اوراقها المتناثرة بعض الظل وتلقيه على راسه المثلوم . كانت بعض جذورها ترتفع وتبرز حوالى الجذع على سطح الارض ، فكان يمد يده يتحسس الجذور وكانه يجد فيها بعض العزاء. وكان ينام واحدى يديه ممسكة بها بكل تؤدة وحنان كانما كان يخيل اليه انه يجد فيها ابناءه



المثكولين « الحارث وراوى وغصون » . وكان يدعو ربه طيلة نهاره وليله يقول : « اللهم ما دمتَ قد قدرت لى فى لوحك المحفوظ ان أُخلع من اساسى وأُجتثّ من جذورى ، فاغثنى اللهم برحمتك ، واختر لى الراحة التى ترضاها » . وكانت عيناه دائما ساهمتين فى الشجرة التى ينام تحتها ، ينظر اليها بوجه كئيب بائس غير الوجه الذى عرفته به القرية ، ويقول : « هنيئا لك جذورك ايتها الشجرة المسكينة . فمهما ذبلت اوراقك ومهما تساقطت ، فانت حية سليمة . ان بعض العناية بك ترد اليك الخضرة اليانعة والاوراق الكثيفة والظل الظليل . فما دامت جذورك ففيك صلب الحياة » .

وعندما كانت تقدم له الاكل كان يعافه ويقول : « الماء . الماء . اسقونى بالماء . الاشجار المجتثة لا تأكل ، انما هى بحاجة الى الرطوبة لكى تخفف عنها الم الجفاف » .

وعندما كانت تنتابه اغماءات طويلة كان يصحو اثناءها ليقول لصاحبته : « اصحيح يا خضرة اننى سأموت بعيدا عن اشجار البرتقال ؟ ». او يهذى ويقول : « اياكم والجذور ، حافظوا على سلامتها ، فالجذور السليمة يقوم عليها الشجر السليم» . اشياء كثيرة وكثيرة جدا تلك التى كان يهرف بها حتى فاضت روحه الى بارئها .

وهى بدورها لم تقصر فى واجباته حتى بعد موته. فعندما جاء زوج زهرة يخطبها عرفت كيف ترد لزوجها الجميل . طلبت من خاطب زهرة ان يكون المهر شجرة برتقال صغيرة يحضرها من بستانهم فى القرية من الحوض الصغير الذى زرعوه قبل الرحيل بين السياج والكوخ العتيق . وخاطر العريس بنفسه واحضرها ، وزرعوها فوق راس الشيخ . وتم الزواج .

ولكن الشجرة يبدو عليها العناد ، فقد مر عليها الآن عدة سنوات وهى تأبى النمو وتحافظ على الشكل الذى جاءت به منذ ان قدر لها اللجوء. فهل تعرف الاشجار معنى الالفة ؟ وهل تصاب بمرض الحنين ؟ .

وكانت قد وصلت الى الباب الصفيح ذى الصرير المزعج . ففتحته واغلقته دون ان تكترث لما يصدر عنه من صرير ، لانها كانت آنذاك تبغى ايقاظ زهرة وزوجها ، كعادتها منذ سنين .

★★★

كان كثير من اهل المخيم يعرفون قصة خضرة وقصة الشجرة التى كانت مهرا لزهرة . وعلموا ذات يوم بموت العجوز، وخبر كهذا ليس بالمستهجن او الغريب ، فالاف مثلها يموتون بالتوالى دون ان يكترث لموتهم احد . ولكنهم بعد بضعة ايام وجدوا على راس قبرها الملاصق لقبر زوجها شجرة برتقال صغيرة اخرى . واصبح القبران متماثلين فى كل شىء . واصبح حديث المخيم الآن ، كيف جاءت الشجرة الجديدة . ■■

عبد الرحيم بدر

أريحا – الاردن

اضحك



تضحك الدنيا معك .. ابكِ تبكِ وحدك

البلاغة فى الاسهاب ..

● **تلميذ فى المدرسة لزميل لـه :** ما هي ابرز صفات والدك ؟

الزميل : انه اعسر ، لا يستعمل الا يده اليسرى ، ومع ذلك فانه لا يحتفظ بنقوده الا في جيبه الايمن ...

مديح فى معرض الهجاء

● **الزوج :** ولكنك مضطرة للاقرار بان الرجال اكثر حكمة وحصافةً من النساء فيما يصدر عنهم من قرارات واحكام ..

الزوجة : حقا.. بدليل انك تزوجتني وانني تزوجتك ؟!...

لبـاقة

● **الام لابنها الصغير لدى عودته من حفلةٍ في بيت صديقه :** ارجو الا تكون قد طلبتَ قطعة ثانية من الكمك ، كعادتك في البيت ؟!

● **الابن :** طبعا لا ! فقد عملتُ بتعليماتك . الا انني لم املك نفسي عن اطراء ام صديقي على كعكتها الممتازة ، معربا عن رغبتي في الحصول على تعليمات صنعها لتتمكني انت من صنع مثلها لنا في البيت . وما كان من ام صديقي الا ان قدمت لي بمحض اختيارها قطعتين اضافيتين من تلك الكعكة !

مستقبل باهـر

● **احدهم لصديق له قديم :** هل تدري انني اتخذت من كتابة القصة مهنةً وسبيلا للرزق ؟!

الصديق : وهل تمكنت من بيع اي شيء حتى الآن ...

الكاتب : نعم، سيارتي واثاث بيتي..

دبلوماسية

● **سيدة متوسطة العمر فى المصعد لشاب دخل المصعد ولم يرفع قبعته :** غريب ! اليس من عادتك ان ترفع قبعتك للسيدات ؟!

الشاب بعد حيرة قليلة : ولكني لا افعل ذلك الا للسيدات المتقدّمات في السن ..!

شرود الذهن



● استاذ شارد الذهن : **لقد نسيت مظلتي في المنزل هذا الصباح..**

زميله : **كيف اكتشفت انك نسيتها ..؟!**

الاستاذ : **كان ذلك حين توقف المطر فرفعت يدي لاغلاقها فلم اعثر عليها..**



الامانة والحكمة في الاعمال التجارية

● رجل الاعمال لابنه : ثمة شرطان أساسيان لا سبيل الى النجاح فى الاعمال التجارية من دونهما ..

الابن : ما هما يا والدى ؟!

الأب : هما الأمانة والحكمة .

الابن : وما هو المقصود بالامانة؟!

الأب : أن تحافظ على وعودك وتلتزم بعهودك ..

الابن : والحكمة ؟!

الأب : ألا تَعِدَ شيئاً ولا تَتَعهَّدَ بشيء ..

لماذا يخدع من يحبونه

● هى : لماذا تعمل دائما على خداع اللذين يحبونك ؟

هو : لانهم الوحيدون الذين يعطوننى الفرصة لخداعهم !

سوء طالع اللصوص !

● **اللص الاول وكان يقوم بالحراسة خارج المبنى :** عسى أن يكون التوفيق قد حالفك !؟

زميله اللص الثاني : لا . فسوء طالعنا قد دفع بنا الى هذا البيت وهو بيت لأحد المحامين ...

اللص الاول : اذن عليك ان تتأكد من انك لم تفقدْ شيئا اثناء وجودك داخل البيت !

قالت ((نعم)) ولكن ..

● **الشاعر لفتاة أحلامه لدى موافقتها المبدئية على طلب يدها :** « ترى هل يعلم أهلك انني اجيد قول الشعر ؟! » .

الفتاة : كلا ، اذ أن الفرصة لم تسنح لي حتى الآن لاخبارهم بغير ادمانك على الكحول والمقامرة ..

ليس بالحب فقط يتم الزواج!

● **شاب لفتاة وهو متردد فى طلب يدها نظرا لشحّ موارده المالية :** هل تحبينني حقا ؟!

الفتاة : طبعا يا عزيزي ..

الشاب : ولكن هل تعتقدين ان مرتبي يكفيك ؟!

الفتاة : يكفيني بلا ريب ! ولكن ترى ما الذى ستعيش عليه أنت ؟!

حسن التصرف

● احد الطلاب فى قاعة المحاضرات للاستاذ المحاضر ، السير وليام أوزلر ، وهو الطبيب العالمي الكندي الشهير : **هل تساعد المشروبات الروحية من يتعاطاها على حسن التصرف ؟**

وكان رد السير وليام : **انها تساعده على التخفيف من شعوره بالخجل لما يأتيه من سوء التصرف !**

العربي

العدد ٩٣
١٤ ربيع الثاني ١٣٨٦
اغسطس
(آب) ١٩٦٦



طالبات من البحرين في مكتبة ثانوية البنات

جوائز ١٢٠٠ دينار سنويا

الثمن

الكويت	١٠٠	[illegible]	لبنان	١٠٠	[illegible]	السودان	[illegible]	[illegible]
الخليج العربي	٢	روبية	الأردن	١٠٠	[illegible]	ليبيا	١٥	[illegible]
السعودية	٢	ريال				تونس	٢٠٠	[illegible]
اليمن	[illegible]	[illegible]	سورية	١٠٠	[illegible]	الجزائر	[illegible]	[illegible]
العراق	١٢٠	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	المغرب	[illegible]	[illegible]



حضارات سادت .. ثم بادت

لعل حب المعرفة وتقديرها والاقبال عليها في سائر صورها ومجالاتها هي الميزة التي اتصفت بها حضارة الاغريق القديمة ، بل بذت بهـا سائر الحضارات العريقة التي سادت ثم بادت . وتتجلى تلك الميزة في انتشار التعليم والمدارس والجامعات في حياة قدامى اليونان .

(انظر صفحة ٥٥)

عزيزي القارئ

في هذا العدد تنقلك « العربي » الى اكثر من مكان ..

ففي « حديث الشهر » ، تقلك الطائرة مع رئيس التحرير الى لندن ، حيث يقضي عطلته الصيفية ، فيفضي اليك بملاحظاته وتعليقاته ، التى يمتزج فيها العلم بالسياسة ، والفن بالفلسفة ، والاقتصاد بالاجتماع ، فاذا هي في النهاية صورة صادقة للحياة في العاصمة العجوز ، لا يعرفها الا الاقلون ..

وتترك لندن .. الى اين ؟! الى « البحرين » التى تتجه اليها الانظار هذه الأيام ..

كان استطلاعنا الأول عنها من نحو ثمانية اعوام .. في العدد الاول من « العربي » .. وهذا هو الاستطلاع الثاني .. ومن مقارنة الاستطلاعين تستطيع ان تقف على مدى التطور في هذا الجزء الصغير ، من الوطن العربي الكبير ..

ثم تعود بك الى الكويت .. لترى كيف تشترك الحكومة والشعب في مقاومة حر الطبيعة ، في هذا الصيف ، بمختلف الوسائل ..

واخيرا تنقلك مركبة الفضاء الروسية « لونا ٩ » Luna الى القمر ، الذي هبطت على سطحه ، لا ارتطاما كما فعلت اخوات لها من قبل ، ولكن هبوطا سهلا لينا ، هو اول هبوط من نوعه عرفه الانسان .

وهذا كله ، الى جانب ما الفت من مختلف الموضوعات والأبواب .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

ادب ولغـة :

شعر وشعراء :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

اسـلاميات :

ركن الفضاء والذرة :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 93 August 1966 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »
الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● لأول مرة في تاريخ البحرين تنشر صور لتلميذات المدرسة الثانوية هناك .. لقد تغيرت النظرة الى المرأة في البحرين ، فارتفعت منزلتها في أعين الرجال ، ولم تعد كمية مهملة تقبع في غياهب الجهل ، بل اقبلت على العلم بشغف بالغ يدعمها تشجيع والدتها التي لا تريد أن ترى ابنتها ترسف في نفس الأغلال التي كانت هي ترسف فيها لسنين وسنين ..

(انظر استطلاع البحرين ابتداء من صفحة ٧٢)

طب وعلوم :

ركن الاسرة والمرأة :

جرائم وقصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٢ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٥ر٢ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت – ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



بريد القرّاء ..

« جُدّة بالضم فقط

● ورد في العدد السابع والثمانين من مجلة(العربي) الزاهرة ـ شباط ١٩٦٦، ان التسميات الثلاث (جُدّة ، وجَدّة وجِدّة) صحيحةبالسماع . غير ان الذى نعرفه خلاف ذلك . فهي جُدّة بالضم فقط ، لا بالكسر ولا بالفتح . لأن(الجِدّة) ـ بالكسر ـ الاجتهاد ، و (الجَدّة) ـ بالفتح ـ أمُّ الامِّ ، وامُّ الاب . اما بالضمساحل البحر بمكة ، و (جُدّة) لموضع بعينه منه ، كما جاء في القاموس للفيروزابادي (المطبعةالحسينية ١٣٣٠ هـ ج ١ ص ٢٨١) ولسان العرب لابن منظور (دار صادر وبيروت مج ٣ ص ١٠٨) . وفي صبح الاعشى (ج ٤ ص ٢٥٨ ط . دار الكتب المصرية) قال القلقشندي : (جُدّة ـ بضمالجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء ـ وهي فُرضة مكة على ساحل بحر القُلزُم ، وموقعها في أولالاقليم الثاني من الاقاليم السبعة ، وهي في الغرب عن مكة بميلة الى الشمال) .

وذكر ياقوت في معجم البلدان (ت.ويستنفيلد/ ليبزك ١٨٦٧ ج٢ ص٢١) ان (الجُدّة) في الاصل الطريقة . و (جُدّة) : بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فُرضة مكة ما بينها وبين مكة ثلاث ليال .

قال ابو المنذر : وبجُدّة ولد جُدّة بن حزم ابن ريّان بن حلْوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فسمي جُدّة باسم الموضع . قال : ولما تفرقت الامم عند تبلبل الالسن صار لعمرو بن معَدّ بن عدنان وهو قضاعة لمساكنهم ومراعي اغنامهم جُدّة من شاطىء البحر وما دونها الى منتهى ذات عرق الى حيز البحر من السهل الى الجبل فنزلوا وانتشروا فيها وكثروا بها .

هذا وقد ضبطت (جُدّة) بالضم برواية الاصمعي في موضعين وردت فيهما من كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة (نشر دار الكتب المصرية) ، اولهما : (ج١ ص٢١٤) : « حدثني الرياشي قال : حدثني الاصمعي قال ، قال معاوية : اغبط الناس عندي سعد مولاي، وكان يلي امواله بالحجاز يتربع جُدّة ، ويتقيظ الطائف ، ويتشتى مكة » . وثانيهما (ج٣ . ص٢٠١) : « الاصمعي قال : وقال ابو صوارة او ابن دفة : اطول الليالي ثلاث : ليلة العقرب ، وليلة الهريسة ، وليلة جُدّة الى مكة » .

وضبطها بالضم العالم المحقق عبد السلام محمد هارون في (رسائل الجاحظ) (ج١ ص١٨٧) ، وضبطت بالضم ايضا في شرح ديوان كعب بن زهير برواية ابي سعيد السكرى (ط . دار الكتب المصرية ص ١٩٢) .

اما سوى هذا فلم نسمعه الا من الاذاعات ومما يشيع على السنة الناس هذه الايام .

البصرة / كاظم نعمة التميمي

صهاينة .. فى الوطن العربى

● نشرت صحيفة Ideal الاسبانية التى تصدر فى مدينة غرناطة خبرا نقلته عن احدى وكالات الانباء يقول ان الجمعيات الصهيونية فى الولايات المتحدة رفعت الى الرئيس جونسون رسالة تقترح فيها على الحكومة تعيين موظفين اسرائيليين فى السفارات الامريكية فى البلاد العربية، وتقول ان ذلك ضرورى لخدمة اسرائيل وتزويدها بالمعلومات التى تهمها لتكون على بينة مما يبيته لها العرب .

وتقول الصحيفة الاسبانية التى نشرت الخبر انه قيد البحث والدرس.

هذا ولا يفوتنا ما تلجأ اليه دولة العصابات والجمعيات الصهيونية فى امريكا واوروبا من ايفاد أشخاص فى صورة طلبة من أجل الدعاية لاسرائيل يحملون مختلف الجنسيات ، وهم فى الحقيقة صهاينة يتسترون وراء الجنسيات التى ينتمون اليها حتى لا يلفتوا اليهم الانظار .. ومعظم هؤلاء الاشخاص من الجنس الناعم لتكون طريقه معبدة ووصوله الى القلوب ايسر ، وقيامه بالدعاية أو جمع المعلومات أكثر يسرا .

فماذا يا ترى اعددنا نحن العرب لهذه الاساليب ؟

غرناطة — سالم عبد الحميد الحيارى
كلية الطب

حول مقال عزيز المصرى

● فيما كتبه البحاثة (البدوى الملثم) عن عزيز المصرى عدة امور تحتاج وقائعها الى تصحيح اكتفى منها الآن بأمر واحد : هو ما ذكره عن اعتقال عزيز علي فى الآستانة والحكم عليه بالاعدام . فقد ذكر الكاتب أنه بنتيجة المظاهرات والاحتجاجات اذعنت الحكومة العثمانية وانزلت عقوبة الاعدام الى السجن خمسة عشر عاما ، وان رفاق عزيز رفضوا هذا الحل واقتحم السجن ثمانون ضابطا واخرجوه عنوة ، وأن السلطان عبد الحميد بنتيجة ذلك اصدر عنه العفو على ان يبرح الآستانة .

هذه خلاصة ما ذكره الكاتب عن هذه الواقعة ، وموضع الخطأ فيه أنها لم تجر فى عصر السلطان عبد الحميد ، بل بعد خلعه ولم تجر تفاصيلها بالشكل الذى ذكره .

وحقيقة ما جرى ان عزيزا التقى فى الحرب الطرابلسية بانور باشا وعملا معا وجرى بينهما تنافس أورث نفس أنور حقدا على عزيز ، فلما انتهت الحرب ورجعا الى الآستانة وتولت جمعية الاتحاد والترقى الحكم ، ولمع فيها نجم أنور واصبح وزيرا للحربية ووكيلا للقائد العام (السلطان) راى ان الفرصة سانحة للانتقام من عزيز فلفق له تهمة وحكموا عليه بالاعدام فضجت البلاد العربية وأحرار العثمانيين لهذا الحكم،وساهم الشاعر شوقى بذلك فنظم قصيدته اللامية باستعطاف السلطان محمد رشاد وتذكيره ببطولة عزيز فى طرابلس .

وكانت نتيجة الجهود أن اضطر أنور لعدم تنفيذ الحكم على أن يترك عزيز الآستانة ويسافر الى مصر ، وهكذا كان .

حسن الامين

(البقية على صفحة ١٣٧)



لندن في صيف عام ١٩٦٦

● اذا اردت ان تعرف وجهك ، معتدلا هو أو معوجا ، فانظر في وجوه الناس ، وعلى هذا المثال يتبين وجه الأمة الواحدة بين ما لسائر الأمم من وجوه .

● حرج" عند باب فندق،ووقفة" حيرى عند صالون حلاق .

بقلم رئيس التحرير

■ لا ادرى لماذا خلق الله الانسان ملولا .

انه يمل الحركة اذا طالت .

ولكن كذلك هو يمل السكون .

وخبرتي تقول ان الانسان اكثر مللا بسكونه منه بحركته . واريد ان اعلل ذلك فاقول : لعل ذلك لأن الحركة حياة والسكون نقيضها،وما دام الانسان حيا، فهو دائما في حركة ، وللسكون ، وهو اخ الجمود ، ما بعد الحياة . وهو دهر بعد الحياة طويل لا يعرف الناس له أمدا ، وعلمه عند الله .

في الطائرة

بهذا الخاطر وامثاله غذاني الفكر وقد مضى لي في الطائرة نحو سبع



● لبريطانيا ٢٥٠٠ سفينة ، فى بحار العالم ، تنذرها بالجوع ، وبافساد تجارة ، وبتدهور قيمة عملة ، هى العملة الثانية بعد الدولار .

● اسكاق فى زفاق ، له رأى فى سياسة الدولة ، وفلسفة فى المجتمع لا تخلو من نفع عند الكثير من الحكام .

ساعات ، استمعنا فيها بين الحين والحين الى ربان الطائرة يعلن لنا اين نحن من مواقع الارض تحتنا ، ملهاة لنا ومصابرة ، وتخفيفا عنا من سأم .

وفتاة الطائرة تروح وتغدو بالطعام الثقيل . ونعطى له من الزمن ما يشاء . ثم تغدو الفتاة بالطعام الخفيف ، فنعطى له من الزمن مثل ثقيله . والشراب ، من ساخنه والبارد ، تحاول الفتاة أن تزجه بين الطعامين زجا . وكل هذا لنتلهى عن الرتابة المتصلة .

زاد العلم من أمن الطائرة ، فزاد من رتابتها

وقد خيل الىّ ان هذه الرتابة من بعض اسبابها سكون الطائرة . كانت الطائرة منذ عشر وعشر من السنين ، وعندما بدات تشق أجواء السماء ، لا تلبث أن تهتز . ثم تسكن لتعود فتهتز . وراكبها لا ينقطع عن التفكير فى حزام النجاة الذى تحت مقعده . وكان فى هذا كسر من الرتابة وذهاب بالكثير من الملل . ثم رفع العلم ورفعت التكنية هذه الطائرة الانسانية الى درجات من

الامن والطمأنينة عالية . ففقد الانسان بذلك حتى الخوف الذى كان يرفع عنه بعض سأم الطريق .

آلفة ما أبدع العلم ، أنستنا ما كان فى ابداعه من روائع

ويخطر لي ، فيما يخطر ، وانا جالس فى مقعدى من الطائرة ، مرتبط به من غير رباط ، أن آلفة الاشياء تضيع على الانسان الكثير من الفوائد ، وان آلفة راكب الطائرة للطائرة ضيَّعت عليه معانيَ كثيرة ما عاد بعد يذكرها وينتفع بذكرها.

واعود فأقول لنفسى ان راكب الطائرة ، للذى أعطته اياه من راحة وآلفة ، قد نسي امر هذه الطائرة ، كيف كانت ، والى أى شيء صارت . ونسي راكب الطائرة من بني الناس العلم وفضله ، والتكنيّة وفضلها ، ونسي من عقول السابقين من اهل البشر ، تلك الآلاف المؤلفة التى وُجدت منذ حط الانسان على سطح هذه الارض، تلك التى صنعت لتسهيل الحياة وترفيهها ما صنعت . ونسي قطرات الفكر التى صبتُها هذه العقول ، فى المستودع البشرى العام ، على الاحقاب جميعا ، ذلك المستودع الذى حوى من اشتات المعارف فيضا عظيما ، كانت الطائرة ، وآلفُ شيء غير الطائرة، من انتجته، نسي راكب الطائرة، وغير راكب الطائرة ، كل هذه المواهب ، ونسي واهبها .

ان كل الذى سمعته من جارى من اعجاب هو ان هذه الطائرة لا تهتز حتى هزَّة القطار الجارى بالبخار على سطح الارض .

متحف عظيم

قلت لجارى ان الطائرة متحف عظيم .

قال جارى ، وكيف كان ذلك ؟

قلت : انك لو طالعت رجالا فى هذا القرن ، والقرن الذى سبق هذا ، فالذى سبق ، لاجتمع عندك من وجوه هؤلاء الرجال ومن حياتهم صحائف من تاريخ بني الناس يحتويها سجلٌ فى الزمان عظيم . لقد طواهم الزمان طيًا ، ولم يبق من آثارهم،عندى وعندك ، غير هذه الطائرة واشباه لها من الابداع كثيرة ، شواهد عليهم . ونركب الطائرة ، كما ركب أسلافنا الخيلَ والبغالَ والحميرَ ، وقد غفلوا جميعا عن جمال الخلق فيما ركبوا . هذه الركائب الحيَّة كانت وما زالت من خلق الله مباشرة ومن جميل صنعه ، وهذه الطائرة من خلق مخلوق الله. وهكذا شاء الله أن يخلق مخلوقهُ ، هذا القدرَ،بالفكر الذى حباه به وهداه.

الطائرة تهبط بنا

ويأتي صوت ربّان الطائرة من المذياع يعلن عن قرب اختتام الرحلة فيرتاح الى صوته الركاب،ويهرعون الى الأحزمة يربطونها حول بطونهم ، والى النوافذ ينظرون الى الارض يجتلونها . وما كانت هناك ارض بعد . كنا فوق السحاب والشمس طالعة تنعكس اشعتها عليه فاذا به بساط من عهنٍ ، ابيض كالقطن، وهو جميع متماسك ، حتى لتود ان تهبط اليه ، وتسير بقدميك عليه . ثم نخلف ظنك ان الطائرة لا تلبث ان تخترقه اختراقا ، فاذا هو ضباب كبعض ضباب الأرض .

وظهرت لنا لندن من بعد سحاب ، رقعة من بعد رقعة ، كصور فى بطاقات .



والمنازل كبيوت العرائس التى تلعب بها الأطفال ، صفوفا صفوفاكأنها الجند مجندة . شكل واحد ، ومثال من التخطيط واحد ، كما عهدناه دائما . لا يزيد البيت منها عن طابقين ، تسكنهما الأسرة الواحدة . وفى هذا يتراءى حُبُّ اهل بريطانيا التعزُّلَ فى اسرهم ، وكراهتهم ان يقتحمها عليهم مقتحم .

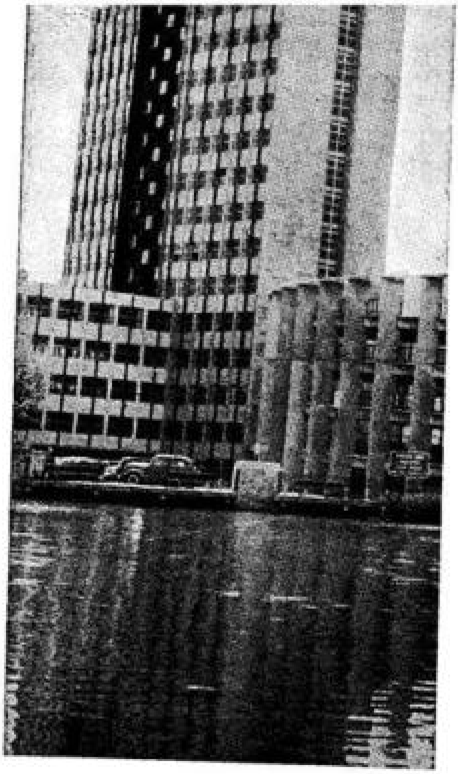
الناطحات تغزو لندن

ثم لاتلبث ان تظهر لنا فى الأفق البعيد نقائض لذلك . انها عمائر منثورة هنا وهناك ، طالت الى عشرة اطباق فما فوقها ، تلك التى يسمونها ناطحات السحاب ، وما نطحت . فأدركنا بذلك ان الأمم، مهما جَهِدت ، ومهما تحفظت، لا تستطيع ان تصمد لأطوار من الزمان جديدة شديدة . فلقد غزت لندن الناطحات ، وغزاها الرأى الذى غزا امم الأرض ، ذلك الذى يقول ان اعداد بنى آدم تزيد زيادة لا يكاد يضبطها ضابط ، وقريبا يملؤون الأرض حتى لا يكون لأحد على سطحها غيرُ موضع قدم. وهؤلاء يحتاجون الى الطعام ، فلا بد من توفير الأرض للزرع ، وللمساكن بعد ذلك أن تمتد رافعة رؤوسها الى السماء ما شاءت أن ترتفع . وقد يسكن العمارة من الناس الف . وقد يسكنها الوف . وقد ذكرت بذلك باريس وما غزاها . وذكرت منتريال عاصمة كندا الفرنسية وما خططوا لها . وما كنت بحاجة الى ذكر نيويورك فى الولايات المتحدة تلك التى سبقت بناطحاتها سائر الأمم عندما ضاقت بها الجزيرة التى قامت عليها .

وجرت الحياة بنا مجراها

وجرت الحياة بنا فى لندن، وجرينا. وعدنا نمارس عادات للعيش كانت لنا فيها قديما احتوتها عشرات من السنين.

واخذنا نقرأ ، واخذنا نسمع ، واخذنا نقول ، واجتمعت لنا فى المدى القصير

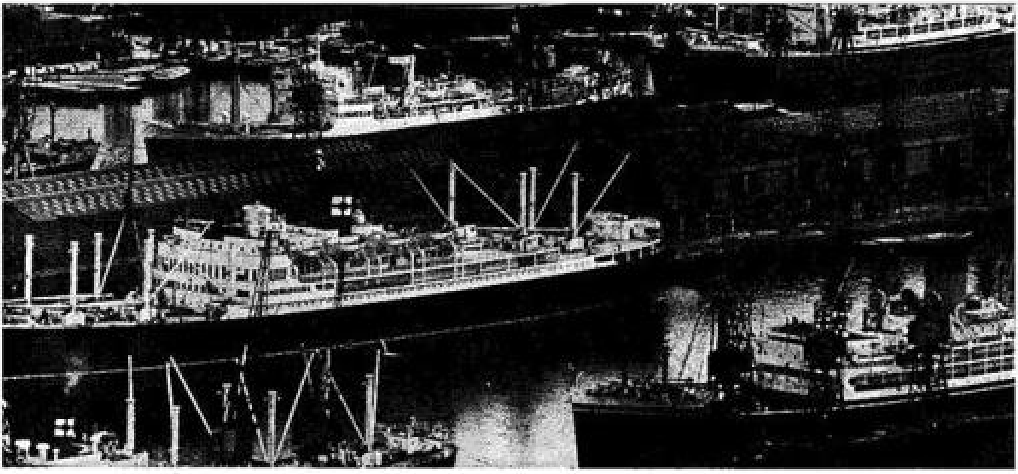


احداث واحاديث كثيرة نجتزىء منها هنا القليل لعل فيه نفعا .

اضراب لقلة الأجور

وابدا بحديث البحارة البريطانيين ، حاملى البضائع ذهابا وجيئة بين بريطانيا واقطار الارض جميعا ، وما قاموا به من اضراب عن العمل لم تتم بعد فصوله ، وانا اكتب هذا . ان هذا الاضراب قام به بريطانيون ولكنه فى صميمه، فى كنهه ، فى معانيه، وما يتخرج منها، ليس بريطانيا، انه صورة من صور الصراع الذى تريد الأمم ان تتفاداه فلا تستطيع .

لبريطانيا نحو من ٢٥٠٠ سفينة تسير فى البحار جميعا ، عملها الأصيل حمل مصنوعات بريطانيا الى اقطار الأرض ، صادرات، والرجوع اليها بالطعام ، والمواد الخام وغير ذلك ، واردات . ويقوم على هذه السفن من الرجال بضع وستون الفا . واضربوا لقلة الأجور ، وطول



هكذا اصطفت وحدات الاسطول التجارى فى موانىء بريطانيا ، وقد توقفت الحياة فيها تماما ... ان لبريطانيا ٢٥٠٠ سفينة تجوب بحار الارض .

ساعات العمل . ودعونا من الدخول فى التفاصيل .

اضراب هؤلاء العمال : اجاعة بطون ، ودهورة تجارة ، وخفض عملة

واضرابهم معناه تجويع بريطانيا اذا هو طال . ومعناه تدهور تجارتها . ومعناه زيادة الفجوة المزمنة القائمة بين قيمة ما تصدره الى الأمم ، وقيمة ما تستورد منها ، وهى تستورد أكثر مما تصدر ، فهى دائما مدينة . ومعنى هذا الدين المتزايد ضياع ثقة الأمم فى الجنيه الاسترلينى، وعجزه عن الاحتفاظ بقيمته الرسمية منسوبا الى الدولار ، وهو يساوى (٢ر٨٠) من الدولار . وقد يذكر اهل هذا الجيل الحاضر ان الجنيه الاسترلينى كان يساوى ٥ دولارات . ثم خفضوا قيمته فصار ٤ دولارات . ثم خفضوها مرة اخرى فى عام ١٩٤٩ الى قيمته الحالية اى ٢ر٨٠ من الدولارات. فلو اضطروا اليوم الى تخفيضه مرة ثالثة ، فقد ينزل الى دولارين أو الى دولار ونصف دولار .

وتخفيض الاسترلينى نكبة . نكبة على كل ذى أجر فى بريطانيا ، فالاثمان لا بد أن تزيد ، ونكبة على كل قطر فى الأرض يتعامل بالاسترلينى ، أو لعملته عماد من الاسترلينى . والاسترلينى هو العملة العالمية الثانية بعد الدولار . ويقدر رصيد الأمم من الاسترلينى بنحو ٢٠٠٠ مليون جنيه .

بهذه المخاطر جميعا يهدد الاضراب .

الاضراب عندهم ، حرية سياسية

ومع هذا فانت تقرأ الصحف فتجدها لا تعنف رجال البحرية التجارية هؤلاء . حتى الصحف المحافظة تقول ان من حق العمال ، اذا احسوا غبنا ، ان يضربوا ، وانها حرية من الحريات السياسية التى يجب أن يحرص البريطانيون عليها حرصهم على سائر حريات الحياة .

ان هذا معنى من المعانى السياسية عندهم خطير ، رضيناه نحن ام كرهناه.

لجنة للتحقيق محايدة

وتقيم الحكومة البريطانية ، وهى حكومة عمال ، لجنة تحقيق محايدة ، تنظر فى هذا الخلاف القائم بين العمال واصحاب السفن، وتنشر اللجنة تقريرها، وهو يستجيب الى الكثير من مطالب هؤلاء العمال . فهو يهبط بساعات العمل من ٥٦ ساعة الى ٤٨ ساعة ، ثم الى ٤٠ ساعة ، ويجعل الهبوط بالتدرج ليتم كله فى عام . ويرفض العمال . ويريدون تخفيض الساعات اليوم ، وما زاد من ساعات العمل يؤجرون عليه اضافة .

وقد كانت اجورهم زيدت بمقدار ١٤١/٢ ٪ فى العام الماضى فقط .

الحكومة البريطانية ربطت زيادة الأجور عامة بزيادة فى انتاج العاملين

والحكومة سنت نظاما للأجور ربطته بمقدار التقدم السنوى الذى تقدمه البلاد فى الانتاج عامة ، وتزيده بزيادة عمل العاملين ، وبأثمان حاجات العيش. وضربت للأجور نسبة سنوية تزيدها ولا تتعداها اجمالا ، تلك نسبة ٣١/٢ ٪ .

ولكن الانتاج لم يزد بالذى يرضى . واذن لا يمكن الحكومة ان تزيد الأجور فى العام الواحد باكثر من ٣١/٢ ٪ . ورجال البحرية التجارية هؤلاء زادت هذه اللجنة المحايدة أجورهم بنحو ٩ ٪ ، غير زيادة العام الماضى ، ومع هذا هم يرفضون.

اضراب ضد الدولة

ويقول رئيس الوزراء العمالى ان هذا الاضراب موجه نحو الدولة . ويقول العمال بل نحو أصحاب السفن . وتنذر الحكومة باستخدام رجال الأسطول فى تحريك السفن الراكدة ، ويطلب العمال توسيع الاضراب ، فيطلبون ، او يطلب رؤساؤهم ، الى الاتحادات العمالية للنقل فى دول العالم أن ترفض شحن أو تفريغ أى سفينة بريطانية ترسو بموانيهم .

والنتيجة ؟ تجويع بريطانيا ، وافساد تجارتها ، واحراج الاسترلينى حتى يوشك على الانهيار ، كما ذكرنا .

وفى هذا معنى آخر من المعانى السياسية الخطيرة ، رضيناه أم كرهناه .

وهو معنى يتضمن ان رابطة العمال فى بلد ما بأشباههم فى بلد آخر ، اقوى من الرابطة بين العمال فى البلد وبين سائر ساكنيه .

حماية الاسترلينى من السقوط

ويجتمع رؤساء البنوك العالمية الكبرى فى سويسرا ، ويتفاوضون ، ويقررون حماية الاسترلينى من الهبوط ، مهما كلفهم حاضر الاسترلينى من مشقة .

والمعركة معركة بين طائفة واحدة من العمال ، وبين حكومة ودولة ، وبين انتاج واسعار واجور . وبين عملة متأرجحة يتحكم فى قيمتها فروق بين قيمة استيراد وتصدير .

بضع وستون الفا من العمال يستطيعون ان يفرضوا على الدولة ، خمسين مليونا من الأنفس ، وحكومتها من العمال ، ان تجثو لهم وتخضع . ووسيلتهم فى ذلك التجويع والتخريب .

ومع هذا ، فهى حرية سياسية ، يحرص عليها القوم هنا خشية أن ينال الضياع سائر الحريات ! ولسنا نحمد ، ولسنا نذم ، وانما نصف حالا .

واخيرا فاض الكيل

وكان الجمهور يعطف على هؤلاء العمال فقل عطفه ، وقل عطف اتحادات العمال الأخرى . واخيرا فاض الكيل فقام رئيس الوزراء يتهم مجلس ادارة البحارة



اخذ الاسترلينى يهتز واهتزت معه كل عملة فى الارض ، فاجتمع رؤساء المال فى كبريات الامم وقرروا حمايته الى حين



عمد البحارة المضربون الى الحصول على تأييد اتحادات العمال الاخرى ، فقاموا بحملة دعائية لمطالبهم ... ونجحوا فى بادىء الأمـــر ، ولكن سرعـان ما تضـاءل عطف الجماهـير والاتحادات عليهم ...

هؤلاء بانه تقـف من ورائه عصـــبة سياسية حمراء .

حرج عند باب فندق

فهذا حديث البحارة ، أحسب انه ينتفع به كل بلد ، بحسبانه نمطا من أنماط الحياة الحديثة فى بلد ليس له بين بلاد العالم شأن صغير .

وحدثت لنا أحداث فى لندن دلت على شئون من الحياة اخرى ، كيف تتخذ مجاريها .

نزل صديق لنا فى فندق هلتون الشهير بلندن ، فى بارك لين ، فى ذلـك الحى الارستقراطى المعروف ، وزرناه ، مودعين . وكان على موعد لمغادرة لندن بالطائرة . ونزلنا معه والسيدة زوجتـه الى باب الفندق . وطلبنا سيارة تكسية فلـم نجد . ووجدنا عند باب الفندق ، فى الطريق ، طائفة من الرجال يحمل أحدهم لوحة كبيرة مكتوبا عليها : يا أصحـاب التكسيات قاطعوا هذا الفندق بأمـر من اتحاد عمال النقل رسمى . وتمـر بنا التكسيات فارغة فلا تتوقف .

وسألنا فلم نفهم من الأمر كثيرا . علمنا أن الفندق يستدعى بالتلفون نوعا من السيارات الشبيهة بالخاصة لنزلائه ، لا سيما «للمشاوير» البعيدة الكبيـرة الأجر ، ويقتسم بعض رجـال الادارة بالفندق وصاحب التكسية الأجر الكبير . ونفى الفندق ذلك ، وأبى القائمون على المقاطعة التصديق .

ولم ندر كيف نصنع والطائرة لا تنتظر . وتقدمت الى احد رجال المقاطعة وقلت له انما نحن نطلب سيارة من تكسياتكم انتم الرسمية فكيف تحجبوننا عنها .

فما كان من الرجل الا أن حمـــل الحقيبتين ، وقال اتبعونى . وذهب بعيداً عن الفندق عشرات الأمتـــار . وعبر الطريق وعبرنا . ثم اوقف سيارة تكسية ، وحمل الحقيبتين اليها ، ودعا لنا بالعافية وذهب .

وقفة أخـــرى من وقفـات العمال يدافعون بها عن حقوقهم ، أو عما يرون أنه الحق .

وخطر لى انه فى الأمم الشيوعية تأتى الاوامر والنظم والاحكام من فوق ، وعلى العمال الطاعة . أما فى الأمم الموسـومة بالتصرف الحر ، فتدفع كل فئة عـن نفسها ما استطاعت ، وتتخذ من تماسك أعضاء اتحاداتهـــا ، تماسـك البناء المرصوص ، قوة تدفع بها .

وحاول رجل الشرطة ان يفرق هؤلاء الرجال عن الفندق ، فالتجأوا الى موقف للسيارات العامة ، ووقفوا فيه صفا

واحدا ، زعما بأنهم فى انتظار سيارة تأتى . احتموا بذلك من رجل الشرطة ، فمضى لسبيله . وهكذا الحياة صراع .

فى صالون حلاق

ومررت فى قلب المدينة بصالون حلاق، وتوقفت هنيهة أنظر اليه ، اداور فى عقلى هل ادخل اليه ؟ . فاذا رجل فى الطريق ، لا أدرى من اين اتى ، يسرّ فى اذنى ان الخير فى اختيار صالون غير هذا ، فاتحاد الحلاقين مقاطعٌ هذا الصالون .

وذكرت تجربتنا فى فندق هلتون ، فقلت فى نفسى لا حاجة الى ارتياد المشاكل ، لا سيما وانا اجهل سببَ هذه المقاطعة .

وفى الغد قرات فى الصحف القصة ، تلك ان اتحاد الحلاقين قرر رفعَ الحدّ الأدنى لقص الشعر من ثلاثة شلنات ونصف،الى اربعة. ورات قلةمن الحلاقين ان هذا فيه اضرارٌ بصالح الجمهور ، لا سيما الزبائن الذين تعودوا الذهاب الى صالون خاص بهم ، ورات ان فيه مجاراةٌ لرفع الأثمان عامة والتضييق على الناس فى معاشهم . ورات هذه القلة فضلا عن هذا انه سوف يكون من نتيجة هذا الرفع ان الرجل الذى كان يقصُ شعرَه كلَّ اسبوعين ، سيعمَدُ الى قصه كلَّ ٣ اسابيع ، وبهذا تقَل حصيلة الصالونات .

ولست ادخل فى نقاش هذا .

المهم انها صورة من صور الحياة ، فى المجتمع ذى التصرف الحرّ . تهب الرياحُ فيه احيانا بالخير ، وتهبُ احيانا بالشر، والجميع ، فرادى او جماعات ،يدفعون عن انفسهم . وكثيرا ما لا تبالى جماعة ما تصنع جماعة اخرى . وكثيرا ما تنظر الجماعات المستنيرة نظرة من فوق عالية، تدور بها على الآفاق جميعا ، فتحكم بالذى يكون أقرب الى الصواب والعدل. ولا اقول تحكم بالصواب والعدل ، فالصواب والعدل معنيان لايكاد ان يكون لهما فى هذا الوجود معنى محدد .

واعود فاقول لست أحمد ولست اذم، وانما أصف حالا .

والأطباء والحمالون والخبازون

ولكل من فئات العمال مطالب .

كان للأطباء مطالب ، فاستجابت لها السلطات ، ورضى الأطباء .

والحمالون فى الموانىء لهم مطالب .

والخبازون يريدون انقاص ساعات عملهم فى الأسبوع الى اربعين ، وزيادة الأجر الادنى فى حرفة الخبازة حتى لا يقل عن١٥ جنيها استرلينيا فى الأسبوع.

وكل هذه الأمور تحال الى اللجنة ، لجنة الموازنة بين الأجور ، وأثمان الحاجات، وزيادة الانتاج . وذلك خشية ان يتسع الخرق على الراقع ، وينفرط الامر ، وينهار النظام كله ، فترتفع



وقفة عند صالون حلاق

بغير حد ، وترتفع الأثمان بغير حد ، وترتفع الأجور وفقا لها ، هكذا صعدا ، والانتاج واقف حيث هو . واذن تصبح الأجور آخر الأمر ورقا من الاسترليني لا حصر له ، تخرجه المطابع ، وليس له من حصيلة الانتاج الصناعي والزراعي ما يعمده . وتتدهور العملة حتى تصبح صفرا . فهذا ما حدث للمارك الألماني بعد الحرب العالمية الأولى ، وصار عند الالمان مئات الألوف من الماركات لاتساوى شيئا . كان هذا لأسباب أخرى .

عند الصيدلي

ودخلنا صيدلية تعطى كل من دخل اليها الطمأنينة كاملة. فليمرض من شاء، بما يشاء ، فكل دواء حاضر. الف صنف وصنف . وان كان عقارا نادرا أحضروه لك في الغد .

شيء واحد يعكر الصفو ، ذلك أن الدواء الذي تشتريه في الشرق ،فتعطاه دون سؤال وجواب ، لا بد له عند الصيدلي هنا من تذكرة طبيب . الاسبرين وامثال له قليلة معفاة ،وبعض الأدهان مما يستعمل من الظاهر .

وتذكرة الطبيب ميسورة على الجمهور هنا ، فالطب مؤمم ، وزيارة الطبيب لا تكاد تكلف شيئا . ولكن هي غير ذلك للغريب الزائر .

وارتفعت الأثمان

وارتفعت الأثمان عما عهدناها منذ سنتين ارتفاعا ذا بال . المطاعم ، الملابس، النقل . ارتفاع تجده في كل شيء . وقيل لنا ان الأثمان ارتفعت خاصة عندما جاءت حكومة العمال ، وانها لا تزال ترتفع .

واكثر الناس لا يحس ذلك احساسا يبعث على الشكوى ، وذلك لأن الأجور سمينة . الشاب يدعى الى عمل بيع تذاكر في المترو الأرضى مثلا ، يغريه أصحاب العمل بالحضور بأشياء كثيرة ، منها التدريب فهو لا يعرف من هذا العمل شيئا ، ومنها الساعات القليلة المحدودة في الأسبوع ، ومنها الاجازة الطيبة في العام ، ومنها الأجر فهو ١٧ جنيها استرلينيا في الأسبوع ، يزيد بعد عام الى ١٩ فما فوق . وعنده بعد ذلك باب الترقية السريعة مفتوح .

عند تاجر ملابس

ودخلنا عند تاجر ملابس جاهزة للرجال ، من باطنة ، وظاهرة . ووجدنا الصنف والصناعة التي نطلب . واردنا ان نقتصد ، فحملنا البائع على شيء من الاسراف ، عندما قال : ان الأصواف سوف يرتفع ثمنها في الشهر القادم او الذي يليه . وصدقناه ، لأن هذا هو مجرى الأسعار عامة .

وعند الاسكافي

نعم عند الاسكافي .

ولم لا نزور الاسكافي وهو يؤمّن بعض حاجات الحياة .

كانت معنا شنطة جلد ، انحل الخيط في جانب منها .

قلنا ليس لمثل هذا الا الاسكافي . وطلبنا في الحي العامر الذي نحن فيه ، في بعض أطراف لندن، اسكافيا . ودلتنا سيدة فاضلة تقيم في تلك الناحية على مكانه .

وذهبنا اليه .

ان له دكانا صغيرا في شارع جانبي مسدود ، تدخل اليه من الطريق العام الذي لا تهدأ فيه السيارات . ووجدت رجلا شيخا . وبعد أن قضينا منه حاجتنا سألته :

ــ هل انت الشاب الذي كنت اعهده في نفس هذا المكان منذ ثلاثين من الاعوام ؟

قال : نعم هو هو ، لم يغير مكانه .

وسألته اما ان له أن يخرج الى الطريق العام ؟

قال : لا أستطيع أجره .

قلت : اذن فلوحة عند ركن الطريق تدل على وجودك في هذا الزقاق .



اسكاف ... فيلسوف !

قال : كلفتها كبيرة ، لان عليها ضريبة ليست قليلة .

واخذ يشكو .

الجلد يغلو ثمنه . المطاط يغلو ثمنه. وهو لا يستطيع رفع اثمانه خشية ان يهرب الزبائن .

قلت : واين تهرب الزبائن ؟

قال : الى الاسكاف الذى امام مكتب البريد فى الطريق العام . ان دكانه اكبر وافخم ، واثمانه تعلو نحو الثلث فوق اثمانى .

واستطرد يقول : حتى اكياس الورق اخبرونى هذا الاسبوع بزيادة ثمنها ،وانا اضع فيها الأحذية من بعد اصلاح .

قلت : اذن فلفها فى ورق الصحف .

فهز راسه وهو يقول : ان الزبائن لها امزجة عصية على الاسكاف .

واستطرد الشيخ يشكو ، وعلى العادة يرمى كل الذنوب على الحكومة والقادة. وفهمت انه من المحافظين .

قلت : على كل حال يوجد فى بلاد العالم بلاد اسوأ حالا .

وهنا انفرجت عيناه ، وهو يقول : وهل انا فى حاجة الى علم ذلك ؟ انبلدى هذا ، على ما فيه ، خير بلد . يكفى انى استطيع ان اشكو ، ويسمع الكل شكواى ، ومن الحكومة اشكو ، ومع هذا اصحو فى الغد فلا اجد الشرطة عند بابى .

قلت : وماذا تنفع الشكوى ؟

قال : تفك عن النفس الأزمات . ان الصراخ ما خلقه الله عبثا . انه لتفريج الهم . والقوانين التى سنها الحكام ، وراء الستار الحديدى فى اوروبا ،قوانين تتعارض مع مشيئة الله ، لأنها تجعل الصراخ حراما .

قلت : لقد بدأ يتغير الحال وراء هذا الستار ، واخذت الامور تتطور .

ولكن صاحبى لم يظهر عليه انه سمع قولى ، ذلك انه استطرد يقول : ان الهموم لا بد ان يصرخ ،والا مات كمدا، ونحن فى بلدنا هذا لا نحل امورنا بعنف، والحكومة فى امان ، لانها تأذن للناس بأن يصرخوا .

ولم يكن لهذا الفيلسوف السياسى عندى ، الاسكاف القابع فى هذا الزقاق ، الا ابتسامة تركتها تتسع عريضة .

■■

لندن **أحمد زكى**

مِنْ وَحْي..

مسابقة العربي

٥ إجابات..

■ نحن الآن فى « عز الصيف » ... فقد انقضى شهر يوليو (تموز) بموجات الحر المتتالية ، واقبل شهر اغسطس (آب) الذى يمتاز – فضلا عن الحر – بارتفاع نسبة الرطوبة . وفى هذين الشهرين يهرع الناس الى المصايف ، فيقصدون الى البحر أو الى الجبل .. ومن وحى الصيف كانت هذه المسابقة التى تتألف من ثمانية أسئلة يكفى أن يجيب القارىء عن خمسة منها اجابات صحيحة ، فتتاح له فرصة الاشتراك فى الاقتراع على الجوائز .

– ١ –

❋ تحيط بالوطن العربى بعض المحيطات والبحار .. اذكر أسماء هذه البحار وتلك المحيطات ..

– ٢ –

❋ لجميع الدول العربية سواحل على البحر ، الا دولتين ليس لكل منهما الا منفذ جنوبى ضيق على البحر .. اذكر اسمى هاتين الدولتين،وهذين المنفذين.

– ٣ –

❋ اذكراسماء خمسةمصايف بحرية، فى خمسة من البلاد الآتية ، بحيث لا تذكر اسم أكثر من مصيف واحد فىالبلد الواحد : الجمهورية العربية المتحدة ، سوريا ، لبنان ، ليبيا ، تونس ، الجزائر، المغرب .

– ٤ –

❋ فى الوطن العربى عدة مصايف جبلية .. اذكر اسماء خمسة من هذه المصايف فى البلاد الآتية ، بحيث لا تذكر اكثر من مصيف واحد فى بلد واحد : سوريا ، العراق ، الاردن ، السعودية ، اليمن ، السودان ، تونس ، الجزائر ، المغرب .

– ٥ –

❋ فى جنوب تونس جزيرة اشتهرت عند الاوروبيين بأنها أروع مصيف .. ما اسم هذه الجزيرة ؟

– ٦ –

❋ فى الجهة الشرقية من السودان مصيف جميل ، اجريت فيه منذ مدة مفاوضات سياسية عربية هامة .. ما اسم ذلك المصيف ؟

.. الصَّيف

.. صَحيحَة .. .. وجَوائز ١٠٠ دينار

— ٧ —

* يشتهر لبنان بشجرة الارز التى اتخذها شعارا رسميا ، حتى لتجد رسمها على علمه ، .. لكن هذه الشجرة تنمو ، وبكثرة ، فى بلد عربى آخر .. ما اسم هذا البلد ؟

— ٨ —

*** فى احدى الدول العربية مصيف لمع اسمه فى سماء السياسة العالمية منذ سنوات ، وما يزال العرب فى كل مكان يذكرونه بالتقدير والاعزاز .. هذا المصيف يقع نصفه فى القارة الافريقية ، ونصفه الآخر فى آسيا .. هل تعرفه ؟!**

***

شروط المسابقة وجوائزها

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٣ » .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ .

٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

***

الجوائز ١٠٠ دينـــار

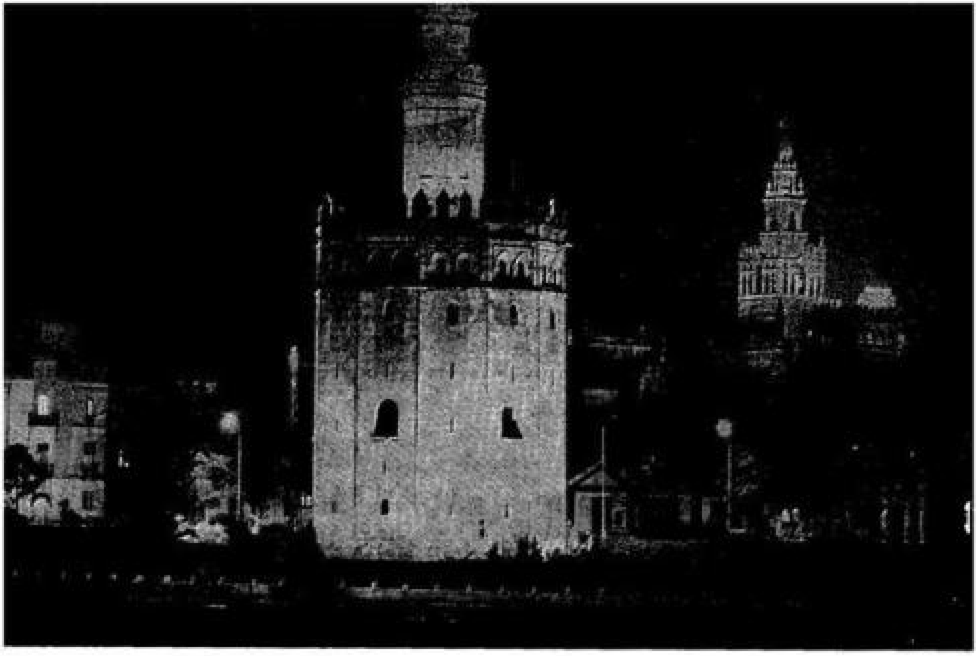
● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع كالآتى :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ..



عاش العَرَبُ في

بقلم : الدكتور يوسف هيكل

■ من أهم مشاهد تاريخ العرب في الاندلس ، مشهدان :

المشهد الاول

الاول مشهد نزول جيش طارق بن زياد القليل العدد عام ٧١٢م قرب صخرة على الشاطىء الاسباني مقابل شاطىء المغرب ، عرفت فيما بعد بجبل طارق ، ومواجهة هذا الجيش الصغير لجيش لذريق ملك الاسبان الذى كان عدده ستة أضعاف جيش طارق .

وقف الجيشان بالقرب من وادى لكة وخطب طارق جيشه فقال :

« أيها الجند ، العدو أمامكم والبحر وراءكم ، وليس لكم والله الا الجلد والصبر والقتال لتنجوا بأرواحكم ». فاستنجد الجند بشجاعتهم وصاحوا: « انّا وراءك يا طارق » . ثم هجموا خلف قائدهم يقذفون بأنفسهم في وطيس الحرب وأتونها . واستمرت المعركة اسبوعا أسفرت في النهاية عن انتصار جيش طارق وانهزام جيش لذريق، الذى قتل ووجد فرسه وخفتاه عند شاطىء النهر بعد يوم من المعركة . ولم يظهر له هو أثر ، ومن المحتمل انه غرق ، وان النهر حمل جثته الى المحيط ...

تابع العرب فتوحهم في شبه الجزيرة الاسبانية فتم لهم الاستيلاء عليها الا جزءا صغيرا جبليا في الشمال الغربي لأسبانيا ، تركوه ولم يهتموا بشانه ، واجتازوا جبال البرنيه ووصلوا الى مدينة « تور » في فرنسا عام ٧٣٢ . غير أنهم اضطروا الى الإنسحاب الى جنوب فرنسا، واسبانيا، اثر استشهاد قائدهم عبد الرحمن الغافقي ...

- جامعة قرطبة تعير أساتذتها لجامعة مونبلييه

- مكتبة "الحكم الثاني" بقرطبة احتوت على ٤٠٠ ألف مجلد

- قرطبة كانت مصدر "الموضات" كل عام كما هي اليوم باريس

الأندلس ثمانية قرون

المشهد الثاني

والمشهد الثاني حدث يوم الخامس والعشرين من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) عام ١٤٩١ الذى وقع فيه ابو عبد الله ، آخر ملوك العرب فى أسبانيا ، شروط تسليم عاصمة ملكه الى فرديناند وازابلا ، ملكي أسبانيا ، بعد معارك عديدة لم يحالفه النجاح فيها . وخارج سور المدينة فى يناير عام ١٤٩٢ سلم ابو عبد الله مفاتيح المدينة الى فرديناند ، ثم غادر غرناطه ، وما فيها من قصور الحمراء ، مع ثلة من فرسانه ، منطلقا الى الجبال . وعندما وصل الى قرية « البذول » على مسافة بضعة كيلومترات من المدينة ، فوق مرقب عال من جبال البشرات وقف يودع المملكة « فرأى المرج النضير وأبراج الحمراء ومنائرها الضاربة فى السماء ، وبساتين جنة العريف ، وكل ما بغرناطة من جمال وعظمة ، فاجهش بالبكاء وصاح : الله أكبر .. » ووقفت امه عائشة الى جانبه وهي تقول :

أبك مثل النساء ملكا مضاعا
لم تحافظ عليه مثل الرجال

ولا تزال البقعة التى ودع فيها أبو عبد الله مدينته المحبوبة بدموعه وزفراته تسمى الى الآن : « آخر حسرات العربي » . ثم ذهب أبو عبد الله الى شمالي أفريقيا حيث صار يعيش بها وابناؤه .

بين المشهدين ثمانية قرون

بين هذين المشهدين مضت مدة ٧٨٠ عاما اى حوالي ثمانية قرون قضاها العرب فى أسبانيا بالفتح ثم الذود عن الديار ، اذ ان البقعة الصغيرة التي تركوها شمالي غربي أسبانيا دون فتح كانت مركز المقاومة لهم ومن ثم الاغارة على ملكهم ... وفى انشاء مدنية بهرت العالم فى العصور الوسطى .

العربي : العدد ٩٣ اغسطس ١٩٦٦

ثلاث شموس اضاءت سماء الاندلس

وخلال هذه القرون ظهرت في الاندلس شموس اضاءت الظلمات بنورها ، واعظمها ثلاثة :

عبد الرحمن الداخل المعروف لدى الغرب بعبد الرحمن الاول (حكم ما بين ٧٥٦–٧٨٨م) .

وعبد الرحمن الناصر ، المعروف عند المؤرخين الغربيين بعبد الرحمن الثالث (حكم ما بين ٩١٢ – ٩٦١) .

وابن ابي عامر كبير الوزراء ، الملقب بالمنصور (حكم باسم الخليفة ما بين ٩٧٨ – ١٠٠٢م) .

وفي ايام هؤلاء الثلاثة العظام وغيرهم لمعت المدنية العربية في اسبانيا وشع نورها في ميادين متعددة ، منها : الطب والعلوم ، والثقافة والادب ، والحياة الاجتماعية ، والصناعة ، والفن المعماري .

وتمتاز امم عن اخرى بعلمائها وقادة الفكر والعلم فيها ، وبفنانيها وما لديها من صناع مهرة . واذا ابعدنا هذه الطبقات من الامم تساوت كلها بالجهل ومستوى العيش الوضيع ...

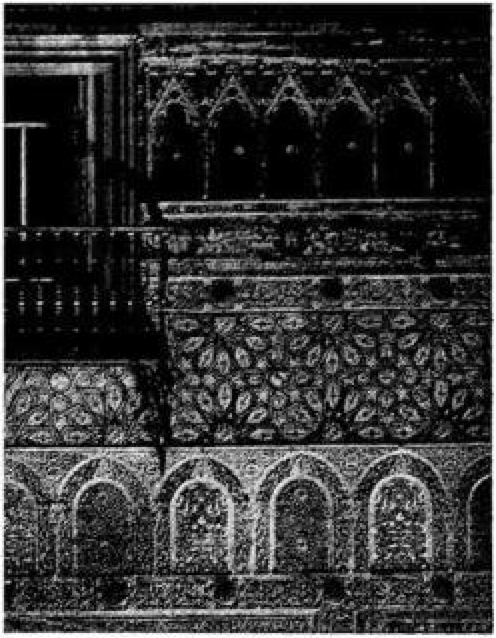
وامتازت اسبانيا العربية في القرون الوسطى بتفوقها على العالم بنبوغ عدد كبير من ابنائها في ميادين العلم والفكر والفن التي اشرنا اليها ، فاوجدوا المدنية العربية في الغرب ، التي انارت العالم خلال قرون عديدة ...

والحديث عن المدنية العربية في اسبانيا حديث طويل وضعت فيه المجلدات ، ولا يستطيع الانسان تصور هذه المدنية ، تمام التصور ، من القراءة او السماع فقط ، وانما يتطلب ذلك ايضا مشاهدة ما تبقى من القصور والآثار ، والقليل الذي حفظ من المصنوعات في المتاحف ومن المخطوطات في المكتبات .

لقد زرت جنوب اسبانيا المعروف بمقاطعة الاندلس ، خلال شهري اكتوبر ونوفمبر من عام ١٩٦٥ ، ووقفت على بعض آثار تلك المدنية العربية الرائعة ، فبهرت مما رايت وشاهدت ... واني على يقين من ان ليس في مقدوري ان انقل ما شعرت به من عواطف ، وما رايت من معالم ، واني ذاكر في هذه العجالة نبذا من تلك المدنية العريقة ، التي كانت ارقى مدنية في عصورها ، مع المدنية العربية في الشرق .

الجامعات العربية في الاندلس

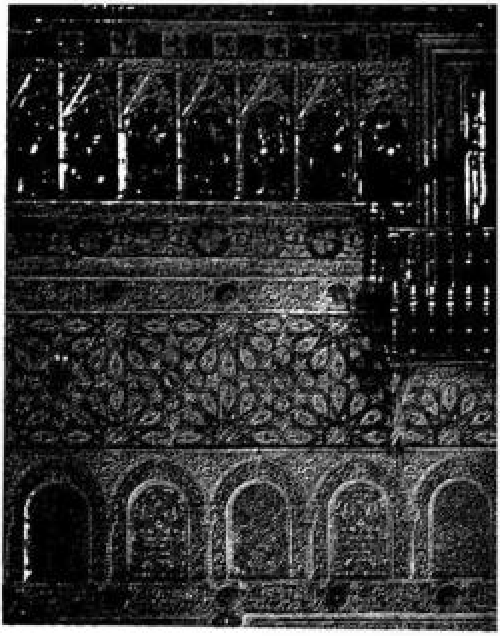
كانت العواصم العربية في الاندلس خلال القرون



سقف قاعة السفراء في قصر اشبيلية ، مزخرف نموذج رائع لمدى تقدم الفن

الوسطى ، كقرطبة ، وغرناطة ، واشبيليا ، وسرقوزا ، ارقى مراكز العلم في اوقاتها . وكانت فيها الجامعات الراقية عديدة ، وقد بلغ عددها في قرطبة وحدها خمسين جامعة ومدرسة.وتفوقت هذه الجامعات بالطب والفلسفة ، والرياضيات ، والكيمياء ، والفلك ، وعلم تفسير الاحداث حسب مواقع وحركات النجوم Astrology وعلم الارواح Demonology ، ووضع العلماء في هذه العلوم وغيرها المؤلفات المتعددة ، التي كانت مرجعا لطلاب العلم في الشرق والغرب عدة قرون ، وظلت تؤثر في الفكر الاوروبي حتى القرون الحديثة .

ومن اهم من اثر على الفكر الاوروبي بكتاباته الفيلسوف العربي العالم ابن رشد المعروف عند الغرب باسم افيروس Averroes، المولود عام ١١٢٦ في مدينة قرطبة والمتوفي عام ١١٩٨ . وقد عرف الغرب عن طريقه فلسفة ارسطو طاليس التي نقلها ابن رشد الى العربية وعلق وزاد عليها . ولقد كان لآراء ابن رشد اثر كبير في الاوساط العلمية الغربية ، حتى ان جامعة باريس خشيت من تلك الافكار المتحررة فادانتها. وامر البابا بحرق كتبه وحرم قراءتها . وتعرف بعض القواميس الاوروبية



بنقوش حمراء وزرقاء وذهبية .. انه المعماري العربي في اسبانيا

ان فكرة « النقطة الرابعة » فكرة انسانية جليلة ، ولكنها ليست بجديدة . صمت الحاضرون كان دشا باردا صب عليهم ، وقال احدهم : وكيف ذلك ؟ قلت : أجيب على استيضاحكم بالواقعة التالية :

عندما كنت طالبا في جامعة مونبلييه Montpellier في جنوبي فرنسا ، القى البروفسور دالماس عميد كلية الطب محاضرة في قاعة محاضرات البلدية عن انشاء جامعة مونبلييه عامة وكلية الطب فيها خاصة . واثناء محاضرته قال انه عندما اراد اهل مونبلييه في اوائل القرن الثاني عشر انشاء جامعتهم ، وجدوا ان ليس في مدينتهم الأساتذة والعلماء ذوو الكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العلمية العالية ، ففكروا بالاستعانة بجامعات اخرى لهذه الغاية . نظروا اولا الى باريس فراوا انها ليست احسن حالا منهم . ثم فكروا في روما فوجدوا انهم أحسن حالا منها ، أما انكلترا والمانيا فكانتا لا تزالان في الأشواط الاولى في العلم والثقافة . وبعد بحث قرروا ان لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذى يستطيع أن يمدهم بالأساتذة والخبراء الاكفاء ، وهو الدولة العربية في الأندلس. اتصلوا بها ، وعرضوا عليها وضعهم . فلبت الحكومة العربية طلبهم ، وارسلت الى مونبلييه ثلاثة من كبار الأساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . عكف هؤلاء على مهمتهم ، واخذوا ينظمون الجامعة ، سيما كلية الطب ، مع الاساتذة الفرنسيين ،كما القوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات . وبعد ذلك وجدوا ان في امكان الأساتذة الفرنسيين الاستمرار في عملهم دون الحاجة اليهم ، فاستاذنوا في العودة الى اعمالهم في جامعتهم في اسبانيا العربية .

هذا ما قاله البروفسور دالماس .

ولفت نظر الحاضرين في تلك السهرة الى أن ما قامت به الحكومة العربية في اسبانيا ، في تلك القرون البعيدة، في جامعة مونبلييه ، هو ما يسمى اليوم « بالمساعدات العلمية او الفنية » وهو مضمون « النقطة الرابعة »حديثنا ذاك المساء . والجديد في « النقطة الرابعة » ليس مضمونها وانما الاتجاه الذى سارت فيه . فقد كانت في السابق تجرى من الشرق الى الغرب ، وهي اليوم تجرى من الغرب الى الشرق . ووقع ما ذكرته لهم

ابن رشد بانه صاحب اعظم عقل نير واسع العلم والاطلاع في القرون الوسطى .

وكان كثيرون من محبي المعرفة في الغرب يؤمون هذه الجامعات للدراسة فيها والتزود من العلم والمعرفة التي لم يجدوها في جامعاتهم . كما ان الجامعات العربية في الاندلس كانت تزود بعض الجامعات الاوروبية بكبار اساتذتها للتدريس فيها مدة من الزمن مساعدة لها في ميدان العلم والمعرفة.

قصة

ولأذكر هنا قصة ذات علاقة بهذا الموضوع :

عينت عام ١٩٤٩ سفيرا للاردن في الولايات المتحدة الامريكية ، واثناء وجودى هناك دعيت انا وقرينتي مرارا لتناول العشاء في بيوت عدد من رجالات الحكم . وذات مرة ، وكنا حوالي ثلاثين مدعوا في بيت وزير من الوزراء ، وبعد العشاء دار الحديث عن « المنطقة الرابعة » (المساعدات الفنية الامريكية) وما تحرزه من نتائج طيبة في اوروبا . وكان المجتمعون يتحدثون بهذا الفتح الجديد في التعاون بين الدول ، الهادف الى تقديم الدول المتقدمة المساعدات العلمية والفنية الى من هم في حاجة اليها من الدول الاخرى . وبينما هم في نشوة هذا الحديث شاركتهم فيه قائلا :

موقع القرابة ، حتى لحسبت أن الكثيرين منهم لم يكونوا يعلمون أن اسبانيا كانت عدة قرون دولة عربية .

عناية الدولة العربية فى الاندلس بالكتب وجمعها

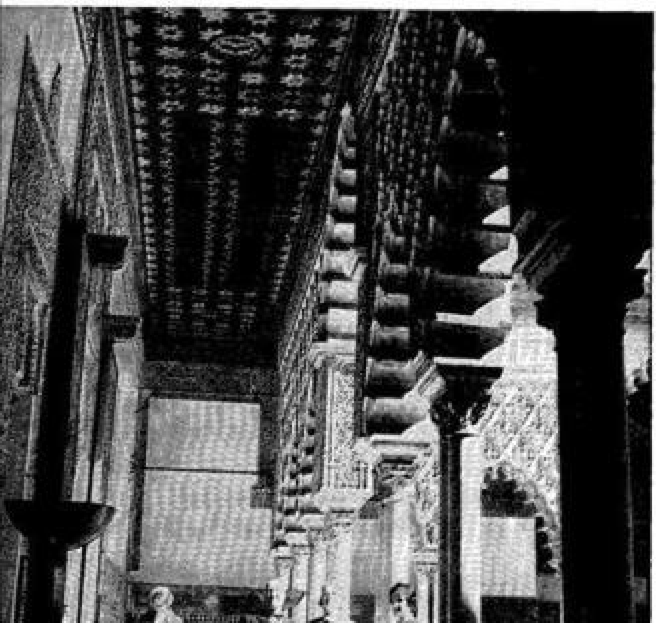
ان الامم عندما تصل الى درجة عالية من الثقافة يقدر حكامها العلماء والأدباء والشعراء .. ويهتمون بجمع المؤلفات على مختلف أنواعها وتسهيل الاطلاع عليها لأبناء الشعب ، وهو ما يعرف فى اوقاتنا بالمكتبات العامة . وقد فاقت الأندلس العربية فى أيامها البلادَ أجمع فى جمع المؤلفات من مختلف انحاء العالم المتمدن ، ودراستها ، والتعليق عليها ، بالاضافة الى وضع المصنفات فى مختلف العلوم والآداب .

لقد أرسل حاكم الأندلس الخليفة عبد الرحمن الثالث الرسل الى الشرق لشراء ما يمكن شراؤه من المخطوطات الهامة ، واستنساخ ما يتعذر شراؤه . فتمكن رسله من الحصول على كثير من مؤلفات الفكر اليونانى الشهيرة ، ومن مؤلفات فارس ، بالاضافة الى أمهات مخطوطات الفكر العربى فى بغداد ودمشق ومصر . وكان ابنه الحكم الثانى على رأس الحركة الفكرية فى الأندلس حتى قبل توليه الملك عام ٩٦١م (حكم ما بين ٩٦١ ـ ٩٧٦). لقد كان عالما مفكرا ، محبا للكتب والكتّاب. وقد بلغ عدد ما احتوت عليه مكتبته فى قصره بقرطبة اربعمائة الف مجلد . ومن المهم الاشارة اليه أنها كانت مخطوطات نسخت بالأيدى اذ الآلة الطابعة لم تكن معروفة فى تلك العهود ، وقد كان لهذه المكتبة فهرس يقع فى الفى صفحة .

ان هذه المكتبة الهائلة، على كثرة ما كان فيها من كتب قيمة ، كانت ملك أمير واحد ، فى قرطبة ، وكان الأمراء الآخرون والأغنياء يقتنون المخطوطات ويتنافسون بالمكتبات. وهذه الظاهرة من أرقى دلائل النهضة الفكرية والاتساع الثقافى فى الأندلس العربية . وقد امتازت مدينة قرطبة فى هذا المضمار على المدن الأندلسية الأخرى ، كما أن اشبيلية،مع اعتنائها بالكتب امتازت بفنون الطرب، وهو نوع من الثقافة جميل . ولقد سجل ابن رشد الملاحظة التالية : ـ

« اذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حُمِلت الى قرطبة حتى تباع فيها . وان مات مطرب بقرطبة ، فأريد بيع آلاته ، حُملت الى اشبيلية » .

كانت هذه المكتبات الهائلة فى نوعها وعددها منتشرة فى مختلف المدن الاسبانية العربية . ولنقف على قيمة ذلك ، يحسن أن اذكر أن المراكز العلمية فى المدن الاسبانية غير العربية كانت فى



تستفيد الحكومة الاسبانية من آثارنا العربية الرائعة التى ما زالت موجودة فى أسبانيا ، وهذه المعالم من أهم أسباب اقبال السياح على زيارة أسبانيا ، وقد بلغ عددهم فى العام الماضى ١٧ مليونا .. ونرى هنا بعضا منهم مبهورين امام ممر الأعمدة فى قصر اشبيلية .

الاديرة وكان الدير الذى لديه اربعة عشر مخطوطا يعتبر نفسه من الأثرياء ثقافيا ، وحرصا على الجواهر الفكرية التى لديه يضعها فى صندوق من الحديد يلف عليه الجنازير حرصا عليها من الفقدان ..

زرياب اكبر موسيقيي الاندلس

ولم تكن الاندلس مهبط طلاب العلم والمعرفة من الشرق والغرب فحسب ، وانما جذبت كذلك عددا من كبار رجال الفن والفكر من الشرق العربى . ومن هؤلاء الفنان صاحب الذوق السليم زرياب الذى غادر عاصمة الرشيد الى قرطبة عام ٨٢٢ وله من العمر ٢٥ سنة ، ومكث فيها حتى وافته منيته عام ٨٥٧ . واسم زرياب الأصلى هو أبو الحسن على بن نافع ، ولد فى العراق عام ٧٨٩ . وسبب تسميته زرْيابا هو لون وجهه النحاسى الغامق ، وكان هذا الاسم يعنى طيرا اسود الريش .

كان زرياب اكبر موسيقار عرفه زمنه . اسس مدرسة موسيقية فى قرطبة ، واخترع العود ذا الأوتار الخمسة الذى حل محل العود ذى الأوتار الثلاثة المستعمل حتى ذاك الحين ، واوجد المضرب من مخلب النسر بدل المضرب المصنوع من الخشب .

والموسيقى العربية الاندلسية لا تزال ذات اثر كبير فى الموسيقى الاسبانية . ولقد استمعت فى اشبيلية الى فرقة موسيقية اندلسية مؤلفة من اثنى عشر مطربا ومطربة وراقصا وراقصة ، اطربت الحاضرين ، واغلبيتهم من سكان اشبيليا مدينة المرح والطرب ، بموسيقى الفلامنكو والرقص الذى يتبعها . وكان بجانبي جماعة من الاسبان فى سن الرجولة ، اخذتهم نشوة الطرب فاخذوا يحركون ايديهم واصابعهم واكتافهم حركات تتمشى مع الموسيقى والرقص ، فظننت اننى فى احدى صالات الموسيقى العربية فى بلادنا .

زرياب يغير نظام المائدة

ولم يكن زرْياب موسيقارا كبيرا فحسب ، وانما كان مبتكرا لأساليب الحياة الاجتماعية ، ولا ذكر بعض ابتكاراته وتطور الحياة الاجتماعية العربية فى الاندلس .

كان العرب يضعون فى الولائم مختلف انواع الطعام معا فى الموائد وياخذ المدعوون ما طاب لهم من الوانه . فغير زرياب نظام المائدة هذا الى نظام جديد غريب سماعه :

قال : يجب الا تقدم الوان الطعام بلا نظام ، بل ينبغي أن يبدا اولا باطباق الحساء ، ويتبعها مقدمات من اللحم ، يتلوها الوان الطيور المتبلة بالبهارات بمستوى الذوق الرفيع ، وفى النهاية تأتي الاطباق المحلاة ، ثم الفواكه المعطرة المحشوة بالفستق والبندق . وبعد ذلك كله تأتي القهوة .

قائمة الاكل هذه هي قائمة الاكل الاوروبية العصرية ، والفرق الوحيد بينهما هو أن صاحبنا قدم اللحوم فى قائمته على الطيور ، بينما النظام الغربي الحديث يقدم الطيور على اللحوم فى قائمة الطعام .

وكان العرب الاثرياء يقدمون الشراب والماء فى قصورهم فى طاسات من الفضة أو الذهب . فقال زرياب ، ان استعمال طاسات الزجاج الثمين (البلور) أكثر ملاءمة مع اناقة المائدة من طاسات الفضة او الذهب ، وكان العالم العربي عباس بن فرناس ، قد اخترع (البلور) الذى اشار اليه زرياب ، وهذا ما يصنعه الغرب اليوم .

زرياب يفتح معهدا للتجميل وينصح بحسر الشعر الى الوراء

وبالاضافة الى ذلك فتح هذا الفنان معهدا للجمال فى قرطبة ، كان يلقن فيه فن التبرج والتخضب ، ونتف الشعر ، واستعمال معجون الاسنان ، وهندمة الرأس .

كان العرب يتركون شعرهم متفرقا ينحدر على الجبهة وعلى جانبي الرأس فيغطى الصدغين والعنق ، اى انهم كانوا يتبعون فى هندمة راسهم زى الخنافس البريطانية اليوم .. فقال زرياب ان هذا الهندام ليس بجميل ، وعلمهم حسر الشعر الى الوراء ، ثم طيه طيا قصيرا على شكل دوائر . بحيث يكشف عن الجبهة والاذنين وقفا العنق .

ثم ادخل زرياب مودات أزياء الالبسة . فطلب ان يلبس الابيض منذ مطلع الشهر السادس حتى نهاية الشهر العاشر ، والحرير فى فصل الربيع مع سترات ذات الوان زاهية ، والفراء المبطن ومعاطف الفراء فى الشتاء .

وهكذا انتشرت فى اسبانيا اساليب اجتماعية

عربية مبتكرة استفاد الغرب كثيرا منها . وكانت النساء في تلك السنين ، تنتظر آخر مودة تصدر عن قرطبة لاتباعها والتفاخر بها ، كما تنتظر نساء العالم اليوم مودات باريس لاتباعها والتحلي بها . . .

وحمامات الاندلس

وما دمنا في صدد بحث الاناقة الاجتماعية ، يحسن ان نذكر النظافة التي هي من اهم عوامل تلك الاناقة . لقد اشتهر العرب بالنظافة اذ هي من الايمان ، وشرط لازم لاداء الصلوات والعبادات، في حين ان غير العرب في العصور الوسطى كانوا ينهون عن النظافة ويعدونها من عمل الوثنيين ... وكانت المدن العربية في اسبانيا ملأى بالحمامات العامة بالاضافة الى الحمامات الخاصة. وقد سجل المؤرخون انه كان في قرطبة وحدها تسعمائة حمام عام . وحينما عادت الاندلس الى حكم الاسبان ، امر فيليب الثاني ، زوج ماري ملكة انكلترا ، بهدم كل الحمامات العامة ، لانها من معالم العرب!

وبقايا من عمائر ، لا تزال تذكر

والحديث عن الفن المعماري العربي في اسبانيا وهو أهم ما بقي من المدينة العربية في الاندلس ، حديث يطول ، ولا يتسع المجال لذلك ، غير انني اشير الى اهم المعالم العربية التي رايتهـا في اشبيليا وقرطبة وغرناطة :

ففي اشبيليا يوجد مئذنة الجامع الذي هدمه الاسبان ، ويسمونها الخيرالدا ، وهي عـروس اشبيليا او الجوهرة الاثرية الناصعة ، كما يوجد القصر الذي بناه العرب وادخل عليه الاسبان اضافات ، وبناء برج الذهب الذي هو اليوم متحف بحري .

وفي قرطبة يوجد بناء الجامع الكبير ، الذي اوحى الي عندما دخلته بانني في غابة من النخيل لعظم اتساعه ، جذوعها الاعمدة الصديدة ، وسقوفها المتشابكة هي الاقـواس . وقد بنى الاسبان داخله كتدرائية كبيرة ، ورغم ذلك لم تزل مظهر الجامع وهيبته ، وهي في الواقع كانها قصر في غابة .

وفي غرناطة ، آخر العواصم العربية في الاندلس، قصور الحمراء ، وهي آية من ايات الفن المعماري العربي ، ولا يسع مشاهدها الا التمتع برؤياها مرارا ، وفي أوقات مختلفة من النهار والليل ، واعطاء فكرة عنها بالوصف الكلامي من المحـال ، كما ان الصور لا تعبر عن عظمتها تماما ..

والحكومة الاسبانية تستفيد مما فيها من آثار عربية رائعة وتستغلها أوسع استغلال لجلب السياح. وما تركه العرب في اسبانيا من آثار عمرانية باقية الى اليوم هو محجّ السياح من جميع اطراف العالم . وهذه المعالم هي من أهم اسباب اقبال السياح على زيارة اسبانيا وقد بلغ عددهم عام ١٩٦٥ حوالى سبعة عشر مليونا ..

فلقد حكم العرب اسبانيا ، مدة ثمانية قرون ، واوجدوا فيها مدنية كانت ارقى مدنية عرفتهـا القرون الوسطى . على أنهم ، للاسف ، لـم يستطيعوا المحافظة على ذلك الفردوس ، بسبب التنافس الشخصي ، والتعصب القبلي ،والتطاحن المذهبي ، وكيد بعضهم لبعض .. حتى اضعفوا انفسهم فتغلب عليهم في النهاية سكان القسـم الصغير من شمالي غربي اسبانيا الذين لم يهتم بهم العرب عند نشوة فتوحهم .

والناظر الى تاريخ العرب في الاندلس ، والى اوضاع العرب اليوم ، يأسف لما بين الوضعين من تشابه . ويتساءل : اما آن للعرب أن يتخذوا من تاريخ اجدادهم في الاندلس عظة وعبرة ، يتعظون به ويعتبرون بما حل باولئك الأجداد ، بسبب التنافس الشخصي ، والتعصب الاقليمي ،والتطاحن العقائدي .. واما آن لهم ان يستفيدوا من الدرس القاسي الأليم ، الذي يحتم على الأمة أن لا تترك جزءا من البلاد في قبضة أعداء لها .

لو ان العرب قضوا على الاسبان الذين تحصنوا في شمالي غربي اسبانيا ، لما وجدوا من يتابعهم ويخرجهم من فردوسهم العظيم . واسرائيل اليوم البلد الصغير ، هو أخطر على العالم العربي مما كان سكان شمالي غربي اسبانيا على العرب في الاندلس ، ومع ذلك راينا ما كانت النتيجة ..

وهل لعرب فلسطين ، متعاونين مـع الدول العربية ، أن يعملوا جميعا بجد على ازالة خطر اسرائيل قبل ان يستفحل ويعم بلاؤه البـلاد العربية ؟ .. هذا ما آمل ان نراه ، اذ لا سلام ولا راحة ولا تقدم لأبناء الأمة العربية في جميـع بلادهم واسرائيل موجودة .. ■■

الاردن — **يوسف هيكل**

نتيجة مسابقة العدد ٩١

الإجابات الصحيحة والفائزون بالجوائز

■ كشفت هـــذه المسابقة عن ان بين الذين اشتركوا فى حلها عددا غير قليل من المشتغلين بالادب والشعر ، فلم يكتف معظمهم بايراد الاجابة الصحيحة ، ولكنه زاد عليها بعض ما قاله المحققون فى نسبة هذه الأبيات أو تلك ، الى هذا الشاعر أو ذاك .. كالباقة الرابعة التى تبدأ بعبارة « أحقا عباد الله » ذكرت أغلبية القراء انها لابن الدمينة، ولكن بعضهم زاد ما ذكره الأستاذ عبد الستار فراج محقق ديوان مجنون ليلى من ان هذه الابيات منسوبة الى المجنون الذى اختلط كثير من شعر ابن الدمينة بشعره ، اما لان الجامعين لهـــذا الديوان او ديوان ابن الدمينة نسبوا هذا لذاك وذاك لهذا ، لاتفاق الوزن والقافية . الخ ...

كذلك أشار آخرون الى ما ذكره الدكتور احمد محمد الحوفى استاذ الأدب العربى بكلية دار العلوم من ان بعض ابياتها لمالك بن الصمصامة .

وكذلك الحال فى الباقة الثالثة التى نسبها بعضهم الى عبدة بن الطبيب بدلا من علقمة الفحل، ولكل من القولين ما يؤيده ..

وفيما يلى الاجابات الصحيحة .

(١) أبو تمام (٢) ابن زيدون (٣) علقمة الفحل (٤) ابن الدمينة (٥) قيس بن الملوح «مجنون ليلى» (٦) جرير بن عطية (٧) العباس بن الأحنف (٨) أبو الطيب المتنبى (٩) عنترة بن شداد (١٠) أبو صخر الهذلى .

الفائزون بالجوائز

وقد أجريت عملية القرعة بين الاجابات الصحيحة فاسفرت عن النتائج الآتية :

● **الجائزة الأولى** وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : الأستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى، ليسانسيه فى العلوم والآداب العربية ودبلوم فى الدراسات النفسية والتربوية ـ ٦ (أ) شارع الجد ـ الفجالة ـ القاهرة ـ ج.ع.م.

● **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : الأستاذ رمزى الدهان المحامى ـ شارع بارون ـ حلب سوريا . (وقد كانت اجابته أوفى اجابة فى المسابقة) .

● **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : ياسين محجوب عبد الرحيم ـ ص.ب. ٢٠١٤ ـ الخرطوم ـ السودان .

● ٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها السادة :

(١) **احمد امين قاسم سلطان** ـ ص. ب ٣٧ عدن ـ الجنوب العربى .

(٢) **محمد سالم خلايله** : مستشفى الاميرة بسمة ـ اربد ـ الاردن .

(٣) **بدر ابراهيم جاسم العلى** ـ شارع ٣٨ منزل ١/ كيفان ـ الكويت .

(٤) **ربا عبد الله السعدى** : صيدا ـ لبنان.

(٥) **عبد الرحمن البراهيم الهدلق** : مركز هيئة اليمانية ـ شارع السداد ـ الطائف ـ السعودية .

(٦) **احمد مصطفى ابو قعيقيص** ـ مكتبة طبرق العامة ـ طبرق ـ ليبيا .

(٧) **طارق حسين** ـ اذاعة بغداد ـ العراق .

(٨) **عبد الرحمن سعود مطر عبد العزيز** ـ فريق البوخميس ـ المحرق ـ البحرين .



القمر

أول نزول سهل لين على سطحه عرفه الانسان

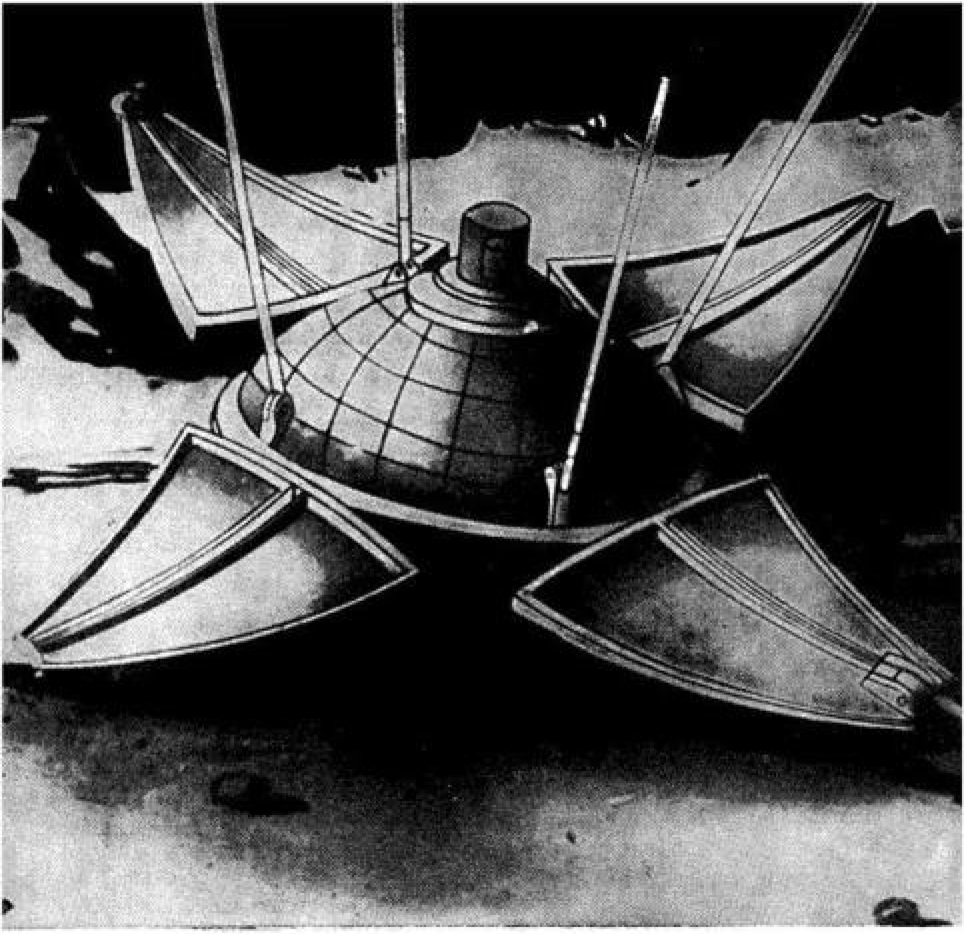
أنها قصة المركبة الروسية لونا ٩ Luna التى حملها صاروخهم الذى اطلقوه من سطح الارض فى صباح يوم ٣١ يناير ١٩٦٦ ، فهبطت على سطح القمر فى مساء يوم ٣ فبراير عام ١٩٦٦ ، لا ارتطاما كما فعل أخوات لها من قبل ، ولكن هبوطا لينا لم تهتز به هزا عنيفا يسىء اليها .

ولقد كان هذا عملا رائعا ، سبقوا اليه : ان يرسل انسان من الارض الى القمر بقذيفة ، وبين الاثنين ... ٢٢٠ ميل ، ويصوب اتجاه المركبة الفضائية التى حملها الصاروخ ، لا الى مكان كان فيه القمر وقت اطلاقه ، ولكن الى مكان سيكون فيه عند نهاية المرحلة ، بينما الارض والقمر كلاهما جرمان فى السماء متحركان .

ولونا Luna لفظ لاتيني معناه القمر . ومنه جاء اللفظ الفرنسى للقمر Lune

وترقيمه بالرقم ٩ معناه أن ثمانية من قبله سبقت ، لكل منها قصة ، ولو قصيرة ، ليس هذا مكان حكايتها . وقد يكفى ان نقول ان لونا ٩ نجحت فيما خابت فيه لونا ٦ ، ٧ ، ٨ . وهذا يدل على صبر للعلماء دونه صبر ايوب .

ونزلت المركبة لونا ٩ من سطح القمر حيث ارادوها أن تنزل ، فى بحر الزوابع .



اول صورة ينشرها الروس عن لونا ٩ ، كما خالها رسامهم ان تكون ، وقد هبطت على سطح القمر . وهى على شكل نصف كرة ، ترفعها عن ظهر القمر اربع صفائح كاوراق الزهر اذ يتفتح . وهى كانت مجتمعة فوق الكرة تحميها ثم انفتحت لتقوم مقام الارجل تتلقى عنها الرجة .
والكمرة تراها فى قمة نصف الكرة .

وما هو ببحر ، وما به زوابع . وانما هو منخفض من منخفضات فى سطح البحر عظيمة ، خالها السابقون أول ما رأوها بتلسكوباتهم القديمة ، انها بحار . وسموها أسماء من صنع الخيال لا عماد لها الا كما تسمى ولدا يولد لك اسما كائنا ما كان ، هو رمز تعرفه به .

اما كيف هبطت المركبة على سطح القمر بهذا اللين ، ففى هذا نقول ان المركبة وهى سائرة نحو القمر كانت تسير بسرعة نحو ٦٠٠٠ ميل فى الساعة . فلما اقتربت من القمر أرسل علماء الارض الاشارات اللاسلكية اللازمة تأمر الصواريخ العاكسة لاتجاه سير المركبة ان تنطلق لتهدىء من سرعتها ، فاستجابت الصواريخ لذلك . حتى اذا كانت المركبة تسير بسرعة ١٥ ميلا فى الساعة ، وقبل ان تمس سطح القمر مسا ، ارسل علماء

الارض الى المركبة أن تقطع ما بينها وبين كرة كانت حملها تحتوى على الأجهـزة اللازمة .

وانفصلت كرة الأجهزة هذه ، ووزنها ٢٢٠ رطلا ، عن المركبة قبيل مساس السطح بـ ٤٨ ثانية .

يا للدقة المتناهية تلك التى بلغها علماء الأرض !!

وحطت الكرة بأجهزتها قريبـا من موضع حطت فيه المركبة . وانفتحت فكشفت عن أجهزة الارسال اللاسلكى والبطاريات اللازمة والكمرة التلفازية وغير ذلك .

واخذت الكمرة التلفازية تدور وتلتقط ما ترى من سطح القمر ، وترسل بصور ذلك لاسلكيا الى علماء الارض .

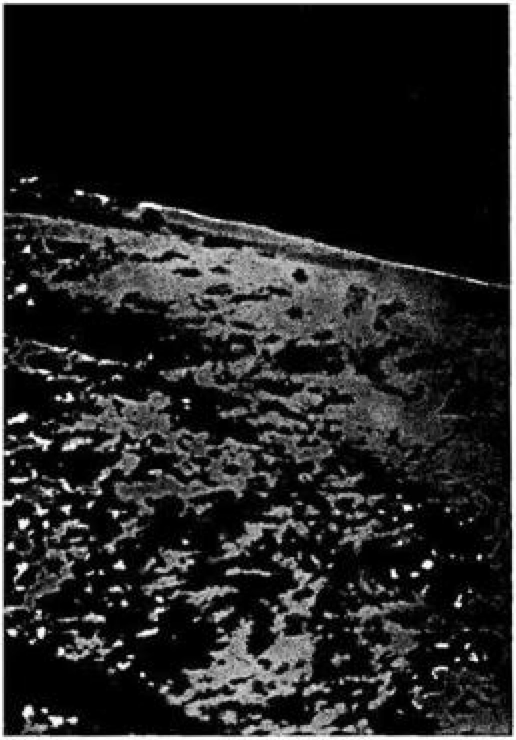
وانزال الكمرة بعيدة عن المركبة بعض البعد كان هدفه أن تصور من القمـر اسطحا بكرا لم يؤثر فيها هبوط المركبة ولا ما بعثت صواريخها الرجعية من غازات .

كان الهبوط عند انبثاق فجر القمر

ولا شك دبر العلماء أن يكون الهبوط ، (أولا) فى موضع من القمر منير ، لا فى ظلام ليل القمر ، و(ثانيا) ان لايكون الهبوط عند ظهر القمر ، والشمس فوق راسه ، فعندئذ لا تكون للاشياء التى فى سطح القمر ظلال . والظلال التى تظهر فى الصور هى التى تدل على أشكال الأشياء واطوالها .

وهبطت المركبة على سطح القمر ، فى فجر القمر ، قرب اشراقة الشمس الاولى . وجاء الضياء من جانب الافق فظهرت الظلال .

ونتحدث عن القمر ، فجره ، وصباحه ، وظهره ، وعصره ، ومغربه . وليس فى هذا شيء من التشبيه اللغوى ، انما هو واقع هذه المعانى تريد .



هذه صورة من صور القمر التى اخذتها كمرة المحور يميل عن الوضع الراسى بنحو ٣٠ درجة . الكمرة تاخذ من القمر ، أحيانا السماء ، واحيانا افق القمر . ونذكر هنا انه لصغر القمر لا يرى ونصف الكيلو . ولما كانت الكمرة مرتفعة عن ارض الشيء الصغير من هذه الارض الذى لا يزيد جرمه عن

فالفجر حيث تبشر الشمس باشراق ، والظهر حيث تكون الشمس من سطح القمر عمودية فى السماء . والمغرب حيث تجنح الشمس لمغيب .

ويوم القمر نحو من اربعة أسابيع .

نهاره اسبوعان .

وليله اسبوعان .

وليل القمر ونهاره ، كليل الارض ونهارها ، يتعاوران .

الدرس الأول المستفاد من الهبوط اللين

واول درس يستفاد من الهبوط اللين



المركبة لونا ٩ وهى تدور على محورها ، وكان هذا واذن فهو فى دوران الكمرة حوله وهو مائل ، كانت ارض القمر ولاسماء ، واحيانا هذه الصورة وبها الانسان لو وقف على سطحه ابعد من كيلومترين القمر نحو ٦٠ سنتيمترا فقط استطاعت ان تظهر بضعة مليمترات .

ان فى امكان الانسان ان يركب الى القمر ويهبط عليه دون أن تتحطم مركبته فيكون هو بين حطامها .

دل هذا الهبوط اللين على ان سطح القمر من الصلابة بحيث يتحمل هبوط مركبة برجالها دون أن ترتج المركبة ارتجاجا عنيفا يودى بها . ويزيد تأمين الهبوط أن يكون بالمركبة مصادم زنبركية تمتص الرجة عند مساس المركبة بسطح الأرض .

اذن فلم يصدق القول بأن سطح القمر تغطيه طبقة سميكة من التراب يغوص فيها النازل الى آذانه .

والحذرون يقولون فى هذا الشأن ان هذا الاستنتاج ، ان سطح القمر صلب كاف للهبوط اللين ، قد لا ينطبق الا على هذه المنطقة التى هبطت فيها المركبة لونا ٩ . أما سائر المناطق فعلمها عند الله .

الدرس الثانى المستفاد من الهبوط اللين

وهو يستفاد مما أخذته الكمرة التلفازية من صور .

قال العالم الروسى نيقولا باراباشوف Barabashov ان الصور دلت لا شك على أن سطح القمر يتركب من مادة صلبة اسفنجية ، خشنة التركيب ، انتشرت فيها قطع صلبة ، فرادى ، ذات حروف حادة .

ورأى علماء آخرون من الروس ومن الأمريكان أن سطح القمر ، فى هذه الصور ، يشبه العجائن المعدنية المنصهرة التى تخرج من أفواه البراكين على سطح الارض اذ تبرد وتجمد ، وأن « البحار » التى على سطح القمر لا بد مليئة بهذه الفيوض البركانية ، تلك التى خرجت من أفواه البراكين فى الزمان القديم منذ آلاف الملايين من السنين .

ورأى آخرون غير هذا ، وان هذا الذى زعموه لا يستفاد من الصور وحدها .

وهذه المسألة لها خطورتها العلمية عند العلماء الذين يبحثون فى أصل القمر ، هل هو جزء اقتطع من الأرض ، أم هو جرم كان يسير فى السماء ثم التقطته الأرض بجاذبيتها .

ومما يذكر هنا ان هذه الصور هى أكثر صور القمر تفصيلا تراها عين انسان ، الا ان يهبط هو على سطح القمر ، وبعينه يرى . وذلك لأن عدسة الكمرة التلفازية المستخدمة تبين تفاصيل سطح القمر حتى التى بلغت من الصغر بضعة مليمترات . وحتى لقد قيل انه لو كان على سطح القمر كتاب مفتوح ، والكمرة التلفازية تدور على محورها وتأخذ لما ترى صورا ،



صورة من صور القمر التى اخذتها الكمرة عندما هبطت مركبة الروس لأول مرة على سطح القمر . وكان لهذه الكمرة عدسة واسعة تحتوى مجالا كبيرا من سطح القمر . وكانت تدور وهى على ارتفاع قدمين فقط من سطحه. وترى فى الصورة ، فى أوسطها الى اليسار ، ثغرة قد لا يزيد قطرها عن قدمين.

اذن لأخذت صفحة الكتاب وفيها أحرف الكلمات بينة ظاهرة .

الدرس الثالث المستفاد من الهبوط اللين

وكان مع الأجهزة التى حطت على سطح القمر أجهزة تقيس ما ينبعث من القمر من اشعاعات ، وقد اتضح منها ان النشاط الاشعاعى للقمر أقل منه للارض كثيرا . وهذه النتيجة من المحتمل ان يكون لها أثر بالغ فى رأى العلماء عن اصل القمر ، ذلك الذى ذكرناه فى الأسطر السابقة . فعند العلماء أن القمر لو كان اشتق من الأرض لقارب نشاطه الاشعاعى نشاط الارض .

ولتناقض الأدلة اجمع العلماء على تأجيل الحكم فى اصل القمر حتى تأتيهم نتائج تجازب أخرى .

تكلمت عيناك!

تكلمت عيناك في ومضةٍ ... تاه لها القلب ولم يهتدِ
تقول أسرار الهوى جُمّعت ... وتنتهى حولي كما تبتدي
وكدت من فرط افتتاني بها ... والوجد يغريني إلى أبعد
أقول ماحظ امرئٍ واله ... في جلسة منك ولو في غد
جلسة ودّ عابر علّها ... تسعده حيناً وكي تسعدى
وفسَّرت عيناى ماكدته ... وخلت عينيها جلت مقصدى
فشعّت البسمة في وجهها ... وابتسمت عينى لها تقتدى

★ ★ ★

الله ما أحلى لقاء بها ... وأمتع الجلسة في مقعد
ومن لَمىً في مبسم زاهر ... يفيض بالدر وبالعسجد
قطّر في روحى أطاييبه ... فزاد من شوق إلى مورد

★ ★ ★

فتنة حسن غامر زانها ... من جوده الفكر بعطر ندى
تموّج الليل على شعرها ... وأسفر الصبح على نضّد
وفتح الرمان عن برعم ... تخاله بكّر في الموعد
يهيج في الصدر على نشوةٍ ... تُراه قد ثار على مرقد ؟
فخلت نفسي والهوى ماكر ... ألهو بلا رشد ولامرشد
وغبت في دوامتى هائماً ... ياليتنى تهت ولم أهتدِ

الكويت ... **خالد سليمان العدساني**

حكم وأقوال مأثورة

* الكتب هي أعزّ ما يملك الانسان. فهي التى حفظت بين دفتيها وما زالت تحفظ كل ما أتته البشرية من أعمال وأنجبته من أفكار وكل ما كسبته بلا استثناء.

توماس كارلايل Thomas Carlyle

* الحيطة هي أم الحكمة.

فكتور هوجو Vecter Hugo



دردشة

كتب استغرق تاليفها ربع قرن أو يزيد

● الوهبة وحدهــا لا تكفي لتحقيق الجــدلصاحبها ، حتى لو بلغت مرتبة النبوغ . وهي في حاجة الى جهود دائبة متواصلة ، وصبر لا يعرف الكلل والا اعتراها العقم وذهبت هباء . يصدق ذلك على سائر مجالات النشاط الانساني ويصدق بصفة خاصة على المجال الفكري والعلمي .

فليس من يشك في نبوغ المؤرخ ادوارد جيبون Edward Gibon مؤلف الكتاب العالي الشهير « انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطهـــا » Decline Fall of the Roman Ampire انه اروع كتاب من نوعه ظهر في التاريخ اطلاقا ،لا فيما يتصل باحوال الدولة الرومانية فحسب ، ولكن فيما تضمنه هذا الكتاب النفيس من تفهم عميق للطبيعة البشرية ايضا وفيما تحلى به كذلك من اسلوب ادبي بديع. على ان هذا الكتاب الفخم لم يخرج الى حيز الوجود ارتجالا وبين عشية وضحاها . لقد كان الثمن الذي دفعه جيبون في سبيل وضعه ونشره غاليا مرتفعا ، فقد استغرق تاليفه عشرين سنة قضاهـــا الكاتب الكبير في الاطلاع الواسع والبحث العميق والكتابة المركزة .

ومثل ذلك يقال بالنسبة الى كتاب تاريخ الولايات المتحدة الامريكية « History of the united states » ، وقد قضى كاتبه جورج بانكروفت George Bancroft نحوا من ٢٦ سنة في تاليفه .

اما قاموس اللغة الانجليزية الشهير ، قاموس ويبستر Webster فقد استغرق تاليفه ما لا يقل عن ٣٦ عاما !

مجلس العموم في الحمام

● كان من عــادة الســير ونستون تشرشل أن يعيد تلاوة خطبه قبل القائها في مجلس العموم ، وذلك حرصا على استكمال اسباب الارتفاع بمستواها.

واتفق ذات صباح انه كان يردد احدى خطبه بصوت عال وهو في الحمام ، وأنّ صوته المرتفع بلغ مسامع خادمه الذي لم يستطع تمييز ما قد سمع ، نظرا لاختلاطه بصوت انصباب المياه وتراشقها. فاقترب هذا من باب الحمام فطرقه وقال :

« هل كنت تتحدث الي يا سيدى. !؟»

« لا » اجاب تشرشل ، واردف قائلا : «فقد كنت أتحدث الى مجلس العموم».

لكل مقام مقال

● اشتهر الكاتب البريطاني تكارى Thackeray (١٨١١ – ١٨٦٣م) بمضاء لسانه فى اخراس المعتدين بانفسهم فى المجالس والمتبجحين، شهرته بسحر بيانه ويراعه.

حدث مرة ان ضايقه احد الضباط المغرورين، اذ فاجاه بالقول: «أهلا بالعم تكارى .. هل بدأ الرسام لورانس حقاً فى رسم صورة لك، قد تخلد ذكرك ..؟».

فاجاب تكارى: «هذا صحيح»...

فقال الضابط: «ولا بد لتلك الصورة من ان تكون بحجمك الطبيعي لكي يتسنى لها اداء مهمتها ..!» قال ذلك وانطلق فى الضحك مقهقها ...

فرد تكارى: «لا، فهي ليست بذلك الحجم. اذ لا حاجة الى الصور بالحجم الطبيعي الا فى الحالات التى يكون للاحذية فى نظر أصحاب تلك الصور قيمة وخطورة تحتم ظهورها فيها.. وهذا الذى ينطبق على بعض الناس (من امثال ذلك الضابط طبعا ..) لا يصدق علينا نحن معشر الكتّاب، والشيء الوحيد الهام فى نظرنا انما هو فى الطرف العلوي من جسم الانسان ..».

أمريكا كما كانت فى مطلع القرن العشرين

● استأثرت صناعات المأكل والملبس والمسكن نحوا من سبعة اعشار اليد العاملة اما الثلاثة الاعشار الاخرى فقد وظفت فى الاعمال الكتابية والمالية وما اليها من اعمال وخدمات.

ولا تستوعب تلك الصناعات المذكورة فى الوقت الحاضر اكثر من اربعة اعشار اليد العاملة.

اما عدد سكان الولايات المتحدة فقد بلغ الآن ضعفين ونصف ضعف مما كان عليه سنة ١٩٠٠.

على ان الدخل القومي قد بلغ ستة أضعاف، ما كان عليه قبل ٦٦ عاما.

طرائف لا تخلو من حكمة

✶ يفقد المرء جانباً كبيراً من حماسته لاصلاح جيرانه واقرانه، متى بدأ فى اكتشاف حقيقة نفسه.

✶ ثمة شروط اربعة يشترط بعض الفتيات الجميلات توفرها فى الرجل مجتمعة، ليصبح الزواج – فى نظرهن – فكرة مقبولة معقولة. تلك الشروط هى: تفوق فى الذكاء ورصانة فى الأخلاق، ووفرة فى المال، وخفة دم، وروح دعابة فى المزاج. الا يذكرك هذا بسنة تعدد الأزواج!

✶ السنة الثلاثون سن جميلة متألقة بالنسبة الى المرأة وحياتها، وخاصة اذا كانت فى السنة الأربعين من عمرها.

✶ حب النظرة الاولى ممكن ولا ريب. ومع ذلك فالجدير بك أن تحصل على نظرة ثانية!

✶ ثمة فرق بسيط بين المتفائل والمتشائم. فالاول لا يرى الا الدفعة النقدية الاولى، والثانى لا يرى الا الأقساط العديدة المقبلة!

حديث حروف

إلى ابني الصغير عماد

بقلم : الدكتور بديع حقي

■ لا ، لم يبق مني ، انا الخروف الصغير ، بعد ذبحي ، سوى جلدي الصغير الرقيق ، يموج فوقه صوف الابيض الناعم ، بيد أن روحي ، ما تزال ، في مضطرب السماء ، تجترّ هذه الذكريات وتغزلها خيطا ، خيطا .

لم أكن اعرف شيئا من الدنيا ، حين فصلت عن امي النعجة ، سوى المُراح الذي ولدت فيه والسهل الاخضر الذي كنت أضرب فيه وأسرح ، ولم يبق ، فى ذاكرتي من ضرعيها الممتلئين المتقامزين، المتدفقين لبنا ، سوى خطوط مبهمة ، غائمة ، فقد محا العشبُ الاخضرُ الشهيُّ من رأسي كل شيء يتصل بسبيل الى اللبن الابيض ، وقد كنت مغرما كلفا بارتشافه .

وما زلت اذكر الى ذلك ، عيني امي تحدران اليّ نظرة راضية مزهوة ، وانا أقفز حولهما وانطحها وانمسّح بها والتقم ضرعها بخطمي النهم الصغير . وكان هناك من يشاركني فى هذا الضرع الكريم السخيّ ، فقد كان يقدم ، فى كل صباح ، راعٍ ذو قبضة خشنة معروقة ، الى حظيرة امي ، ويضع قدرا تحت ضرعيها المتدليين ، وتمتد انامله اللبقة المدرّبة الى الضرعين وتفجّر منهما اللبن السائغ الطيب .

وكان يخيل اليّ ، حين فطمت واغريت بالعشب الاخضر ، وعافت نفسي ذلك اللبن الذى أولعت به من قبل ، أن ذاك الراعي الذى كانت أنامله موكلة بلبن امي تستدرّه ، كان يسعى بهذا القدر اليومي الى خرفان صغيرة جائعة محرومة تريد مزيدا من اللبن تعبُّ منه .

وكان الراعي يتراءى لي ، حين نسعى الى السهل مع القطيع ، حنونا سمحَ النفس . وكانت عصاه التى يهش بها غنمه ، متسامحة ، وحين تستأثر باحدى الغنمات نزوة طارئة تجنح بها بعيدا عن القطيع فقد كانت ضربات العصا على اليتها النافرة اللعوب ، رفيقة لينة .

لا ، لن انسى ، عمري كله ، تلك الاوقات السعيدةَ التى مرّت خاطفة سريعة ، فى طفولتي ، العب وأطفر مع لداتي الغنيمات الصغيرات، فوق السهل الاخضر المنفسح امام عيني ، اقضم العشب الطريّ واستنشق الهواء النقي وأصغي الى شبّابة الراعي ، تنزلق من ثقوبهانغمات حلوة شجية ، وارفد بندائي ، ثغاء القطيع الذى كان يملك الصمتَ مرتجفا طليا رطبَ القرار .

ولم يكد قرناى الصغيران ينبتان ، فى قمة



راسي ، حتى امتلات نفسي زهوا وتيها ومثّل في خاطري أن في ميسوري ان انطح بها الذئب الذي حدثتني عنه امي وخوفتني منه فارديه قتيلا ممزقا ، مبقور البطن .

وكثيرا ما كان صاحبي الراعي يعابثني ويهيجني الى النطاح ، ويغريني براحته الضخمة تتحدى قرنيّ الوليدين ، فاهجم عليه ويقاوم نطحتي المسددة البارعة ثم يصطنع الاستسلام ، فاهز اليتي فخرا واعتدادا ، ويمد راحته المداعبة الى صوفي مستظرفا ضاحكا .

أجل ، لقد انطفات تلك الاويقات السعيدة وانتسخت تلك الاحلام الشهية تتنقل بين الحظيرة الدافئة والسهل المرع الخصيب ، ووافى يوم قاس اسود فصلت فيه عن أمي المسكينة ، اذكر الآن عينيها الضارعتين ، يتوثب فيهما الرعب والاشفاق ، واذكر صوتها المرتجف الباكي يناديني ويستعطف صاحبي ، فقد أدركت انه سيمضي بي مع بعض لداتي الى المدينة ، ليبيعنا ويسلمنا الى مصير جديد مجهول .

وظل صدى ثغائها المفجوع يلاحقني الى المدينة، وصدمتني هناك، وانا تائه في ساحة كبيرة، بين لداتي من الخرفان الخائفة الجزعة ، أصوات منكرة ناعقة ، وغبت بين رفاقي الصغار ، لعلي أن أصيب لديها أمنا وطمانينة ولكني لم اجد بين الانفاس

المتقطعة المبهورة ، سوى النظرات المشردة والاستسلام المقيت الذليل .

واحسست بيد جاسية تمتد الي ، فتلبث بصوفي وتمسك باليتي ، تروزها وتجسها . ورفعت بصري فاذا انا امام عينين منقبتين فاحصتين، تحاولان أن تجدا لدي بغيتهما ، ، وخفت ، وحاولت التخلص من اليد القاسية ، ولكنها امسكت بي وتشبثت بصوف الغزير فلم استطع من القبضة العتية فكاكا ، ولهثت وصرخت فلم يستجب أحد لندائي . ولفت نظرى طفل صغير يقف الى جانب الرجل مستطلعا ، لعله ان يكون ابنه ، كانت نظرته الي رؤوفا حادبة ، فلذت به ، وأمر يده على ظهرى ، ملاطفا ، ثم شخص بصره الى أبيه مستطلعا ، وقال له شيئا ، لعله كان يريد أن يغريه بشرائي ، فهز الرجل رأسه وساوم صاحبي على الثمن هنيهة. وكذلك انفصلت عن لداتي تلاحقني نظراتها الذاهلة والسحن الجهمة مرددا هاتفا : وداعا ، وداعا .

كانت روضتي التى صرت اليها صغيرة ، وقد استشعرت ، في البدء ، وحشة مملة ، فقد حرمت امي الحبيبة ، ومراحي الدافىء وسهولي التي كانت تضرب فيها الاظلاف الغضة النافرة ، وفضائي الفسيح الذى كانت تثقبه القرون المعربدة ، وانغام شبابة صاحبي تغازل الطير وتداعب الفراش وتنسج لنظرتي بساطا من العشب رطيبا أخضر . واستبدلت من ذلك كله حديقة صغيرة ، وربط قرناي بحبل موصول بجذع غليظ من شجرة أدور حولها وأحك بها قرني . بيد انني الفت فيها عيشي ، لا بل استطبته وشغفت به ، وانقلبت هذه الحديقة الضيقة في عيني الى جنة وارفة الظلال ، فقد أحببت الطفل الصغير عماد ـ وكان هذا اسمه ـ حبا جما جارفا نفذ الى شغاف قلبي وغزاه . وكانت أجمل اللحظات عندى هي التى يقدم فيها بحزمة من البرسيم ، فيلقمني طرفا منها بانامله الغضة ، وكان يطيب لي ، فيما كنت اعتلفها ، ان اختلس من راحته قبلات شهية ، وكان يتوهم أحيانا ، انني ابغي قضمها ، فيبعدها ، خائفا ، واضحك في ذات نفسي وأتمسح به ، فيمسك براسي ويحيط عنقي بذراعه من خطمي ، ثم يغيب راحته الحنون تتغلغل في صوفي ، واشعر على مسها ، بسعادة غامرة .

ولست أدرى كيف أنساق بيننا تفاهم وثيق ، فقد كان يؤثر ان يتحدث الي ، وأن ينفض لي همومه وشكواه ، ولم أكن أملك ان اجيب عن أسئلته ونجواه الا بهزة من رأسي افصح له بها عن موافقتي وتفهمي .

وكان يروق لي ، حين كان يفك عقالي ، أن اتبعه كظله فادرج خلفه ماشيا او راكضا . وكثيرا ما كان يعابثني فيختبيء في القبو ، ويناديني ، فاهتف له ، واطلق ندائي المالوف ، والوب عليه ، ههنا وههنا ، حتى اعثر عليه ، واهز راسي هزة لوم وعتاب ويتهانف هو ضاحكا سعيدا .

الشخص الوحيد الذى كان يضايقني في هذا البيت هو (ام حدو) الطباخة ، وكانت امراة بدينة ثقيلة الخطى ، وكانت اليتها المترجرجة المهتزة تربو في جرمها على اليتي . وكانت تضيق بصوتي وتدعي انني أوقظها ، صباح كل يوم باكرا ، في وقت تحرص فيه على النوم ، وأنني ، الى هذا انثر ، حينما سعيت ، بعرا ، دون ان القي بالا الى تعبها وجهدها ونظافتها .

ولمحتها ذات مرة تسترق السمع الى الصغير عماد يخاطبني قائلا : أتعلم يا خروف انني احبك واحب البابا والماما اكثر من اى شيء في الدنيا ، فهززت راسي هزة أعني بها : أجل وانا احبك ايضا .

وليس من شك ان (أم حدو) قد لحظت هزة راسي،فقد غمغمت قائلة: بسم الله الرحمن الرحيم، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ان هذا الخروف يفهم ، لعل جنيا قد ركبه وحل فيه .

واحسب أن غيرتها منى هى التى أملت عليها هذا الكلام الذى ينضح حقدا وسخيمة .

وقد تجرات ، ذات يوم ، فتسللت الى المطبخ ـ وكان عماد قد نسي ربطي الى الشجرة ـ فلم اجد أم حدو ـ وكانت فرصة الدهر لي ، فقد قلبت بعض القدور وكسرت بعض الأطباق ، وبعثرت على الأرض، ما استطعت الى ذلك سبيلا، فلما رأيت (أم حدو) مقبلة اصطنعت البلاهة والغفلة ، ونظرت اليها نظرة غبية ، ورايت وجهها السمين يتميز غيظا وغضبا ، وخفت الى عصا تهم أن تضربني بها ، فلذت بالفرار ، ولمحتها وهي تلوح بعصاها مهددة ، متوعدة :

انتظر على يا جني يا ابن الجنى ، حتى يأتي العيد ، والله العظيم العلى الأوحد ، سآكل لسانك الذى حرمنى النوم ، مشويا على النار .

وافضى الىَّ عماد ، فى اليوم التالى ، بحديث ارتعدت منه فرائصى ، فقد سمع من ابيه ، ان العيد قريب وانه سيضحى بى ، سأذبح فى يوم الوقفة ، وانه لا يدرى ماذايفعل ، واستبنت فى قسمات وجهه قلقا متصلا ، وقلت له بهزة تشير الى هذه الكلمات : سيان عندى الموت والحياة ، ما دمت انت راضيا عنى .

فاجاب : لا ، لا ، يا حبيبى ، سأخبئك فى بيت المؤونة ، ولن اسمح لاحد بان يذبحك .

واحاطنى بذراعه الحانية ، وقبلنى من خطمى ، ودموعه تطرد على مسارب وجهه .

لا ، لن انسى ابدا ذلك اليوم المشؤوم ، فقد استفاق عماد فى غلس الفجر ، وقدم الى متسللا ، وايقظنى وقال لى وهو يمضى بى« اليوم هو الوقفة، ستختبىء فى بيت المؤونة ، سنعيش هناك معا ، دوما ، اياك ان تثغو فالجميع نيام » .

فانسلست له راضيا ، وصعدنا درجا طـــويلا ، وكنت اشعر بلهاثه يتاسم وجهى ويهب لى هناءة ممزوجة بالمرارة، وكنت اجد مشقة فىصعود الدرج فقد سمنت وازدادت اليتى شحما . ولما افضينا الى بيت المؤونة ، احكم عماد اغلاق الباب خلفـه ولذنا بركن من الغرفة ، متربصين هلعين ، وكان قد جلب لى حزما من البرسيم تكفينى اياما عديدة، ولكنى لم اطعم منها شيئا ، ووضعت رأســى على ركبته مستسلما ، واصبت اغفاءة قصـــيرة هنيئة لن انساها ، واستفقت من اغفاءتى علـى جلبة ، فقد سكَّ سمعى نداءات متصلة منغمة تهتف لعماد ، فكظم عماد انفاسه وهمس فى اذنى :

« لقد استيقظوا ، لعلهم جاءوا بحمدى اللحام ليذبحك،اياك ان تثغو » . فهززت رأسى مستجيبا، مذعنا ، وطفقت انتظر،ومرت فترة طويلة مشحونة بهذا النداء : عماد ، عماد اين انت . وسمعت (ام حدو) اللعينة تقول،لقد اختبأ فى بيت المؤونة انى ارى بعرا على الدرج ، وتناهى الينا خفقُ اقدام صاعدة . رباه لقد انتهى كل شىء .

وجعل ابوه يقرع الباب ، مخاطبا ابنه فىرفق ولين ، ويدعوه الى فتح الباب ، فأبى ، واحاطنى بذراعيه متشبثا ممسكا بى ، واضطر ابوه الى كسر القفل وفتح الباب عنوة . واقسم لقد رايت عينى الاب الطيب تدمعان وهو يرى ابنه الصغير قد شدَّنى بذراعيه الى صدره ودموعه الساجمة تهمى صافية غزيرة وهو يردد فى ثورة عارمة :

ــ دخيلك يا بابا ، لا تذبحوا خروفى .

وقال له ابوه :

ــ لا تخف يا بنى ، سنحتفظ لك بجلده ، تنام عليه،لقد احلَّ الله لنا لحمه ، لنضحى به.

وكان لا بد لعماد من ان يذعن ، ساخطا كارها ، حزينا ، وان يرى الى وهو يشرق بالدمع ، اسير خلف ابيه ، وامام حمدى اللحام لينتحى بى طرفا من الحديقة ويتحرنى بسكينه الماضية ويسـلخ جلدى ، وان تصعد روحى الى السماء مرفرفة هائمة .

وقد ابى عماد ان يطعم من لحمى ، وزعم له ابوه ان لحمى المطبوخ مجلوب من السوق ، فاكل منه ، غافلا ، وشعرت روحى وهو يمضغ لحمى بسعادة كبرى ، فقد سرى دمى فى جسمه الحبيب ومنحه قوة وعافية .

وبرّت (ام حدو) بقسمها ، فقد حرصت على ان تأكل لسانى مشويا ، وضحكت روحى ، فى عليائها ، وانا ارى اليها تغص بلسانى ، وتجحظ عيناها وتشهق حتى تكاد تختنق وهى تدمدم : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

لا ، لم يبق منى ، سوى جلدى الرفيق ، يموج فوقه صوفى الابيض الغزير ، وقد حرص عماد ، على ان يضعه امام سريره ، ليقبِّلَ قـــدميه الصغيرتين ، حين يفىء الى النوم وحين يستيقظ فى الصباح .

وتلخصت امانى روحى ، فى امنية واحدة هى اللحظة التى يروق له ان يضطجع عـلى جلـدى ويغيب انامله فى صوفى ، ويخاطبنى ويتحدث الىَّ كما لو كنت حيا . وقد أسلى جفناه للنوم ، ذات مرة ، وهو يلثم صوفى ، فتراءيت له فى الحلم وسألنى :

ــ انت سعيد ، فى السماء ، يا خروفى العزيز؟

فهززت رأسى ، كمألوف عادتى مجيبا :

ــ اجل يا حبيبى الصغير عماد . ■■

بديع حقى
دمشق

التشريع الجنائي الإسلامي

أعطى مزيداً من الحريات

بقلم : الدكتور عبد المنعم البهى

استاذ بالدراسات العليا بكلية الشريعة

■ فى العالم اليوم موجة تنتقل من بلد الى بلد تهدف الى المطالبة بالغاء عقوبة الاعدام كلية من التشريعات الجنائية ، وآخر بلد ألغى هذه العقوبة كان بريطانيا اذ تم ذلك فى شهر نوفمبر ١٩٦٥ ، والاتحاد السوفييتي ألغى هذه العقوبة أيضا وأبقاها فى جريمتين هما جريمة التجسس والاعتداء على مال الدولة .

وقد امتدح البعض فى الشرق العربي الغاء عقوبة الاعدام واعتبره خطوة تقدمية فى تطوير العقوبة وتطرق الى الحملة على العقوبات فى الشريعة الاسلامية متهما اياها بالقسوة والشدة ممتدحا ما قررته بعض الدول من الغاء هذه العقوبة .

وقبل ان يجف المداد الذى كتبوا به ما كتبوا نقول لهم ان الشعب البريطانى كما جاء فى اكثر من برقية من لندن يطالب الحكومة باعادة عقوبة الاعدام بعد ان كثرت حوادث ازهاق الارواح هناك بصورة واضحة بعد الغاء هذه العقوبة .

هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان الذين حملوا على التشريعات الجنائية فى الشريعة الاسلامية لم ياتوا بجديد فى هذا الشان ورددوا أقوال بعض المستشرقين بدون روية وتبصر .

اما حقيقة الأمر فان التشريعات الجنائية فى التشريع الاسلامي جاءت بما لا نجده فى اى تشريع جنائي آخر ، وهذا دون ريب يعتبر من ميزاته الكبرى فى هذا المجال .

واذا كان رجال القانون يعتزون بالنظرية القائلة « القوانين الجنائية لبلد ما هي الا الدستور الدستور الحقيقي للحريات الشخصية » نقول اذا كان رجال القانون يعتزون بهذه النظرية فان التشريع الجنائي الاسلامي قد أعطى مزيدا من الحريات ، ذلك ان الشريعة الاسلامية فى هذا المجال قد تميزت باسلوب فريد تظهر فيه الحقائق سافرة بعكس الصورة القاتمة التى صور البعض بها تشريعات الاسلام الجنائية .

هذا الأسلوب يمكن ان نلخصه فى الأمور الآتية : ـ

١ ـ قلة انواع العقوبات .

٢ ـ تحديد قدر العقوبة البدنية وبعض العقوبات المالية .

٣ ـ دفع الجريمة قبل التحقيق فيها .

٤ ـ دفع العقوبة بالشبهة .

٥ ـ التضييق فى اثبات الجرائم .

٦ ـ اسقاط العقوبة بالتوبة عند بعض الفقهاء .

٧ ـ الحث على ترك القصاص والعفو عنه .

★ ★ ★

وكل واحد من هذه الأمور مظهر من مظاهر عناية الشريعة الاسلامية بتشريعاتها الجنائية ولكنى قبل ان افصل القول فى هذه الأمور أوضح هنا انى أعنى بالتشريعات الجنائية مجموعة الجزاءات النصية التي جاءت بها الشريعة الاسلامية فى بابى الحدود والاعتداء على النفس

٧ حقائق تميز بها هذا التشريع ولا نجدها في تشريع جنائي آخر

او ما دونها متمشيا فى ذلك مع ما اختاره الامامان الماوردى وابن فرحون فى بيان معنى العقوبة (١) واذ قد استبان هذا فانى أفصل ما وعدت به آنفا من تناول هذه الامور بقدر ما يتسع له حيز هذا المقال واليك بيان القول فى ذلك .

١ ــ قلة أنواع العقوبات :

من أهم ميزات التشريع الجنائي الاسلامي قلة أنواع العقوبات وهي سبع عقوبات بدنية باتفاق الفقهاء هي : القصاص فى القتل العمد أو اتلاف عضو من أعضاء الجسم عمدا بدون ما حق،وعقوبة السرقة ، وعقوبة قطع الطريق ، وعقوبة القذف ، وعقوبة الزنا ، وعقوبة السكر ، وعقوبة التعزير .

وهناك عقوبات أخرى بدنية اختلف الفقهاء فيها سنعرض لها عند الكلام على تقدير الشريعة للعقوبات .

والى جوار هذه العقوبات البدنية جاء التشريع الجنائي الاسلامي بعقوبات مالية وأخرى أدبية .

والمالية تتمثل فى الدية فى القتل الخطا او العفو عن القصاص اليها ، وتتمثل أيضا فى الكفارات المالية ، وتتمثل أيضا فى ضمان صيد الحرم ونباته وفى ضمان تلف المغصوب .

والعقوبة الأدبية تتمثل فى رد شهادة القاذف بعد ثبوت التهمة عليه وتنفيذ العقوبة المقررة فيه ، ورد شهادة الفاسق . على خلاف بين الفقهاء فى قبولها منهما بعد صلاح حالهما او عدم قبولها.

★ ★ ★

هذه هى أنواع العقوبات المقدرة فى التشريع الجنائي الاسلامي وهى كما ترى من القلة ومؤدية الى ما هدفت اليه الشريعة الغراء من رعاية المصلحة ودفع الضرر دون تجاوز أو تقصير .

٢ ــ تحديد قدر العقوبة البدنية وبعض العقوبات المالية :

وهذا الأمر أيضا من أهم مميزات التشريع الاسلامي ذلك أن الشريعة قدرت مواطن الخطر وقررت عقوبته ولم تجعل لأحد سواها دخلا فى ذلك .

وهذا يعنى أنها هدفت من وراء ذلك بقاء العقوبة فى موطنها فلا يجوز القياس عليها بمعنى انه لا يجوز لحاكم أو قاض أن يحكم بعقوبة من العقوبات المقدرة من الشارع فى جريمة أخرى لم يرد فيها نص بعقوبة .

ويعنى أيضا انه لا يجوز لحاكم أو قاض أن يحكم بعقوبة مقدرة فى موطن فى جريمة أخرى قدرت لها عقوبة من الشارع أيضا .

---

(١) جمهور الفقهاء جروا على التفريق بين الجرائم التى توجب الحد والتى توجب القصاص فسموا جزاء الاولى حدا وسموا عقوبة الثانية قصاصا ،أما الامام الماوردى فقد قال عن الجرائم « انها محظورات شرعية زجر عنها بحد أو تعزير واعتبرمنها ما يوجب القصاص » الاحكام السلطانية ص ٢١٩ جـ ١ . ط . الحلبى ، وسمى الامام ابن فرحون ما أوجب الحد وما أوجب القصاص جناية اذ قال فى تعريفها « الجنايات هى الجناية على النفس والجناية على العقل ، والجناية على المال والجناية على النسب والجناية على العرض» تبصرة الحكام جـ ٢ ص ٢٢٩ ط الحلبي .

وهذا يعني أيضا أن العقوبة النصية يجب أن تظل كما قدرت في كل موطن .

ويعني أيضا أنه لا يجوز التعديل فيها بالزيادة عليها او النقص منها وان الحاكم امامها مرتبط بنصها ومقيد به .

وهذا لا شك غاية العدل من الشريعة اذ الزمت من اليهم الامر بتطبيق كل عقوبة في موطنها حتى لا يختلف الحكم باختلاف ميول الحاكم وهواه ، ولا يختلف ايضا باختلاف الاشخاص والبيئات كما حدث ويحدث في بعض المجتمعات ، فقد قرانا من سنوات ان قاضيا امريكيا حكم على زنجي سرق اربعة دولارات من سيدة من البيض بالاعدام، ترى لو كان السارق من البيض أكان القاضي يحكم عليه بنفس هذا الحكم الذى كان الباعث عليه اختلاف اللون ؟ .

الجواب بالطبع لا .

من أجل ذلك كان تقدير العقوبة في الشريعة الاسلامية سدا منيعا امام ميول الحكام وأهوائهم وحماية للجماعة والمذنب نفسه من اخضاع العقوبة للرغبات الشخصية والمؤثرات الخارجية .

★ ★ ★

وقد يقال ربما كان في تقدير العقوبة من الشارع تضييق وحجر على الناس وما يصلح لمجتمع ربما لا يصلح لمجتمع آخر .

وردا على هذا القول ما دام الجرم واحدا فان صفتهلا تتغير من مجتمع الى آخر فكذلك العقوبة.

يقول الامام ابن القيم في تبيان مزايا تقدير العقوبة في الاسلام : « ان الناس لو وكلوا الى عقولهم في معرفة وترتيب كل عقوبة على ما يناسبها من الخيانة جنسا ووصفا وقدرا لذهبت بهم الآراء كل مذهب ، وتشعبت بهم الطرق كل متشعبولعظم الخلاف ، واشتد الخطب ، فكفاهم أرحم الراحمين واحكم الحاكمين مؤنة ذلك وازال عنهم كلفته ، وتولى بحكمته وعلمه ورحمته وتقديره نوعا وقدرا ورتب على كل جريمة ما يناسبها من العقوبة ويليق بها من النكال (١) » ـ.

هذا فيما يتعلق بأمر العقوبات المقدرة التى لم يختلف عليها الفقهاء ونراهم يختلفون بعد ذلك في هذا الباب في شيئين :

أولهما : عقوبة بعض الجرائم الاخرى هل هي عقوبة مقدرة من الشارع أو انه لم يرد فيها نص فيترك امرها لظروفها وتقدير الحاكم ومن هذه الجرائم جريمة الردة والبغى على الامام والاصرار على ترك الصلاة كسلا وجريمة السكر بعد اقامة الحد في صاحبها ثلاث مرات أو اربعا .

بعضهم يرى أن هذه الجرائم لها عقوبة نصية مقدرة من الشارع كباقي العقوبات المقدرة وبعضهم خالف في ذلك .

وثانيهما : عقوبة التعزير ـ وهو التاديب ـ واختلاف الفقهاء فيها لم يات من ناحية مبدأ تقريرها فهذا قدر متفق عليه بينهم ، وانما خلافهم كله يدور حول مجالها ومداها .

ففي مجالها منع جمهور الفقهاء أولى الأمر ان يعزروا متهما ليقر بتهمة ولم يروا ذلك جائزا او مستساغا في شريعة الاسلام ، وأجازه بعض الفقهاء وانتصر لهذا الرأى ابن القيم وفي هذا يقول « حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم في تهمة ، وعاقب في تهمة لما ظهرت أمارات الريبة على المتهم ، فمن اطلق كل متهم وخلى سبيله مع علمه باستشهاره بالفساد في الارض وقال لا آخذه الا بشاهدى عدل فقوله مخالف للسياسة الشرعية (٢) » .

وقال الامام أبو يعلى « يجوز للامير مع قوة التهمة أن يضرب المتهم ضرب تعزير لا حد ليأخذه بالصدق عن حاله الذى اتهم به (٣) » .

وجانب الخير فيما ترى ألا يكون ذلك قاعدة متبعة بل يترك هذا للظروف والملابسات التي تحيط بالمتهم فان كان جانب التهمة واضحا وكان ممن يصح منه ما اتهم به جاز تعزيره وان لم يكن هذا ولا ذاك فلا داعي لتعزيره او ايذائه خصوصا وان الرسول صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لما رأى امارات الريبة على المتهم ان صحت الرواية التي افادت ذلك .

وفي غير هذا الخلاف فان التعزير عقوبة لكل جرم لم يُنَصّ على عقوبته وقيد جمهور الفقهاء مداه بالا يصل الى أدنى عقوبة مقدرة فلا يجوز عند الشافعي أن يبلغ التعزير اربعين جلدة وهي

---

(١) اعلام الموقعين جـ ٢ ص ٢١٧ . ط الكردى بالقاهرة .

(٢) الطرق الحكيمة ص ١٤

(٣) الاحكام السلطانية لابي يعلى ص٢٤٣ط الحلبي

عقوبة السكر عندهم ولا يجوز ان يصل عند ابي حنيفة رضي الله عنه الى ثمانين جلدة هي حد السكر عنده .

اما المالكية والحنابلة وبعض فقهاء الحنفية رضي الله عنهم فقالوا : للحاكم أن يجاوز بالتعزير المقدار المقرر لعقوبة جريمة ما من الجرائم وروى عن الامام مالك « انه يجوز ان يزاد التعزير عن الحد اذا رأى الامام ذلك (١) » .

وجاء في حاشية ابن عابدين في فقه الحنفية في باب التعزير « للحاكم أن يزيد عن الحد المقرر اذا رأى مصلحة في ذلك (٢) » .

★ ★ ★

وجمهور الفقهاء في هذا الجانب على حق ولهم ادلة من المنقول والمعقول تقوى جانبهم فيما ذهبوا اليه في أن الشريعة قدرت العقوبات في الجرائم الخطيرة فالتجاوز بالتعزير أى مقدار لها معناه اطلاق يد الحاكم في فرض ما يرى من العقوبات على ما لا خطورة فيه على المجتمع هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان هذه سياسة غير مامونة العاقبة ومن ثم فلا يجوز ان يبلغ التعزير ادنى مقدار عقوبة نصَّ عليها .

٣ ــ دفع الجريمة قبل التحقيق فيها :

اما عن دفع الجريمة قبل التحقيق فيها فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يفيد ذلك صراحة فمن ذلك ما رواه أنس قال « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فقال : يا رسول الله انى اصبت حدا فاقمه علي . ولم يساله . قال وحضرت الصلاة وصلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ! انى اصبت حدا فاقم فيَّ كتاب الله ، قال : اليس قد صليت معنا ؟ قال : نعم . قال : فان الله قد غفر لك ذنبك او حدك (٣) » .

وقد اخذ الفقهاء من ذلك ان من اقر بحد او ذنب يستحق عقوبة عليه ولم يفصل هذا الذنب لا يحد عليه وعلى ولى الامر الا يطالبه بتفسير ما ارتكبه (٤) .

وفى الام للشافعي رضي الله عنه أن ابا بكر وعمر رضى الله عنهما امرا رجلا اصاب حدا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالاستتار وقال الشافعي رضي الله عنه « ونحن نحب لمن اصاب حدا أن يستتر ويتقى الله عز وجل ولا يعود لمعصية الله فان الله عز وجل يقبل التوبة عن عباده (٥) » .

٤ ــ دفع العقوبة بالشبهة :

وكذلك من مميزات الشريعة في هذا المجال ــ مجال العقوبة ــ دفع العقوبة بالشبهة ومن ذلك ما روته السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان كان له مخرج فخلوا سبيله فان الامام ان يخطىء في العفو خير من ان يخطىء في العقوبة (٦) » .

واخذ الفقهاء من هذا الحديث ومما جاء على نحوه من روايات اخرى ان الحاكم يُعَرِّض للمقر بالرجوع عن اقراره وقالوا ايضا لا عقوبة على المقر اكراها .

واهل المذهب الظاهرى انفردوا بمخالفة العلماء في درء الحد بالشبهة وقالوا لم يصح في هذا حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمل لواء الدفاع عن رأيهم الامام ابن حزم (٧) .

الا ان الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تضافرت على ذلك والروايات يقوى بعضها بعضا ، وعمل الصحابة بهذا ، ورويت احكام كثيرة عنهم تدل على تبرئة كثير من المتهمين بالشبهة سواء كانت في الاثبات ذاته او في الحادثة نفسها .

٥ ــ التضييق في اثبات الجرائم :

اما التضييق في اثبات الجرائم فيظهر اثره في ان الشارع جعل اثبات الجرائم منحصرا في طريقين لا غير الاقرار بدون اكراه ، والشهادة بنصابها المنصوص عليه في ثبوت كل جريمة من الجرائم وجمهور الفقهاء على ان شهادة المراة لا تقبل في الجنايات : بل لا بد ان يكون الشاهدان

---

(١) المغنى لابن قدامة مع الشرح الكبير جـ ١٠ ص ٣٤٨ ط . المنار .

(٢) حاشية ابن عابدين باب التعزير جـ ٣

(٣) أخرجه البخارى ومسلم ولأحمد ومسلم من حديث ابى امامة نحوه

(٤) راجع نيل الأوطار للشوكاني جـ ٧ ص ١٠٠

(٥) الامام الشافعي جـ ٦ ص ١٣٨ ط شركة الطباعة الفنية المتحدة .

(٦) رواه الترمذى

(٧) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ١٥٣ ط المنيرية

او الشهود من الرجال وذكر الفقهاء تفصيلات في غاية الدقة في هذا الشأن ومن ذلك مثلا انهم ذكروا أن الشهادة لا تسمع بعد تقادم الجريمة فيما عدا القصاص .

وترى الشريعة أيضا تهمل التعويل على القرائن في اثبات الجنايات وبهذا قال جمهور الفقهاء وعمدتهم في ذلك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كنت راجما احدا بغير بينة لرجمت فلانة فقد ظهر منها الريبة في منطقها وهيئتها ومن يدخل عليها (١) » .

والحكمة واضحة في اهمال القرائن في باب الجنايات وعدم التعويل عليها لأن القرائن سلاح ذو حدين ان صدقت مرة فقد تخطىء مرات وربما يقاد برىء الى السجن اذا عولنا عليها كما في الواقعة التي نسوقها .

قتل جماعة شخصا ووضعوه فوق شجرة وفروا دون ان يراهم احد ثم جاء عابر سبيل واستظل بتلك الشجرة فتساقط دم القتيل على ظهره دون ان يعلم .

ولما واصل مسيره قدم الى المكان جماعة رأوا القتيل على الشجرة ورأوا ظهر الرجل ملوثا بالدم وهو يجد في سيره فلحقوا به واتهموه بقتله وادانه القضاء وحكم عليه بالسجن بمجرد القرينة لا غير وهو تلوث ظهره بدم القتيل .

★ ★ ★

وكذلك لم تجعل الشريعة علم القاضي طريقا لاثبات الجنايات حتى لا يكون هناك ادنى شبهة في ارضاء نزعة ما من النزعات عند القاضي ضد احد .

وهكذا نرى الاثبات في هذا المجال مقصورا على الاقرار والشهادة لا غير وان كان مذهب ابن القيم وابن الفرس الفقيه الحنفي التعويل على القرائن للاثبات في باب الجنايات .

٦ ـ اسقاط العقوبة بالتوبة عند بعض الفقهاء :

من مجموع ما تقدم من قلة انواع العقوبات ، والنص على قدر العقوبة ، ودفع الجريمة قبل التحقيق فيها ، ودفع العقوبة بالشبهة ، والتضييق في اثبات الجرائم ، من مجموع هذه الميزات يتضح لك ما هدفت اليه الشريعة من رعاية الحقوق والحريات .

والى جوار ذلك نرى بعض الفقهاء يسبقون سائر التقنينات الاخرى ويستخلصون من نصوص الشريعة الاسلامية مبدأ جديدا هو اسقاط العقوبة بالتوبة قبل تنفيذ العقوبة في المتهم .

فقد نقل الفخر الرازي في تفسيره أن بعض علماء التابعين قالوا ان توبة السارق قبل تنفيذ العقوبة فيه مسقطة لها وذلك اخذا من مضمون قول الله تبارك وتعالى « فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم » (آية ٣٩ سورة المائدة) وذلك بعد قوله تعالى في الآية السابقة عليها « والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

واليك نص عبارة الفخر الرازي « اذا تاب قبل القطع تاب الله عليه وهل يسقط عنه الحد ، قال بعض العلماء التابعين ، يسقط عنه الحد ، لان ذكر الغفور الرحيم في آخر الآية يدل على سقوط العقوبة عنه والعقوبة المذكورة في هذه الآية هي الحد ، فظاهر الآية يقتضي سقوطها ، وقال الجمهور لا يسقط عنه الحد (٢) » .

وهناك رأى آخر قاله بعض فقهاء الشافعية خلاصته أن التوبة مسقطة لجميع حقوق الله وحدوده الا حد السرقة وحده وقد نقل هذا عنهم ابن العربي في تفسيره احكام القرآن وفي هذا يقول :

« قال بعض الشافعية ان التوبة تسقط حقوق الله وحدوده وعزوه الى الشافعي قولا ، وتعلقوا بقول الله تعالى « الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم » وذلك استثناء من الوجوب ، فوجب حمل الحدود عليه (٣) » .

وقد رد عليهم بأن الآية لا تشمل الا سقوط حق الله تعالى بالنسبة لقطاع الطرق لا غير ولا تتناول غير ذلك (٤) .

وهناك رأى آخر نقله الفخر الرازي عن أبي حنيفة واحمد بن حنبل واسحق بن راهوية في باب السرقة خلاصته انه لا يجتمع القطع والغرم

---

(١) رواه ابن ماجة راجع نيل الاوطار للشوكاني جـ ٧ ص ١٠٤ ط الحلبي .

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ ١١ ص ٢٣٠ ، ط . عبد الرحمن محمد

(٣) أحكام القرآن لابن العربي جـ ١ ص ٢٥٤ ط . مطبعة السعادة .

(٤) المصدر السابق

فان غرم فلا قطع وان قطع فلا غرم (١) .

وفى المغنى لابن قدامة من أعلام المذهب الحنبلى ما يفيد أن ابن حنبل مذهبه اجتماع القطع والضمان معا كما نقل أن ابن راهوية ليس مذهبه عدم اجتماع القطع والضمان وبعد أن صحح مذهب ابن حنبل واسحق نقل أن مذهب أبى حنيفة والثورى عدم اجتماع القطع والغرم وقال عنهما ان غرم قبل القطع سقط القطع ، وان قطع قبل الغرم سقط الغرم (٢) .

ونقل ابن العربى فى تفسيره أيضا مذهب أبى حنيفة فى ذلك فقال « قال أبو حنيفة ان شاء اغرم السارق ولم يقطعه ، وان شاء قطعه ولم يغرمه (٣) » .

ومن هذه الاقوال نرى أن بعض أعلام الفقه الاسلامى يرى أن تغريم السارق ما سرق يدفع عنه العقوبة التى جاء بها النص فى هذا الشأن ويعاقب بأى لون من ألوان التعزير وان بعضهم يرى أن التوبة مسقطة لحق الله تعالى والعقوبة التى تعلقت به واشبه بذلك ما استحدث أخيرا باسم الاختبار القضائي (٤) وهو الحكم بالعقوبة وارجاء تنفيذها على سلوك المجرم ومراقبته فى ذلك فان استقام وصلح حاله لم تنفذ فيه العقوبة، وان ساء سلوكه نفذت فيه .

الا أن الفارق بين ما ذهب اليه الفقهاء الاسلاميون والاختبار القضائي أن التوبة وحدها عندهم كفيلة بعدم التنفيذ .

٧ ـ الحث على ترك القصاص والعفو عنه :

ولعل من أبرز ما تميزت به الشريعة الاسلامية فى مجال العقوبات حثها على ترك القصاص فى القتل العمد أو فى اتلاف عضو من الاعضاء عمدا الى الدية أو العفو بلا مقابل ولم تجعل ذلك الزاما لأن أولياء القتيل وصاحب القصاص هم أصحاب الحق الاول فى ذلك الا أن حثها على العفو قد اقترن به ما يؤكد رغبتها فيه فمن ذلك قول الله تبارك وتعالى « ومن قُتِلَ مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا (٥) » .

يقول الفخر الرازى فى تفسير معنى قوله تعالى « فلا يسرف فى القتل » ان الاولى للولى ألا يقدم على استيفاء القتل وأن يكتفى بأخذ الدية أو يميل الى العفو (٦) .

ومما يؤكد رغبة الشريعة الغراء أيضا فى ذلك قوله تعالى « فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان (٧) » .

فقد جعلت الشريعة الاسلامية الجريمة حدثا لا يمكن ان يؤثر على مكانة الاخوة الاسلامية التى هى أسمى رباط بين المسلمين ولذا كان من الاوفق فى نظرها عدم التمادى فى العداوة واثارة الشحناء والبغضاء ، وترك القصاص الى الدية أو العفو بلا مقابل ، فان هذا الاجراء فى ذاته جميل فى عنق القاتل وذويه يقدرونه لأسرة القتيل ولا ينسونه مدى الحياة وقد عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وحشى الذى قتل عمه حمزة برغم ما كان منه من تمزيق جسده والتمثيل بجثته فكان فى ذلك اسوة حسنة للجماعة الاسلامية كلها .

★ ★ ★

اذا وضح هذا فانه من الظلم والافتئات أن يعمد باحث أو كاتب فينكر هذه الحقائق أو يهملها فى اعتباره ثم يتعلق بعد ذلك بالسراب والاوهام ويقول ان التشريع الجنائي الاسلامي بلغ غاية الشدة والقسوة وقد رأيت مما سقناه لك ان هذا بعيد كل البعد عن مقاصد الشريعة ، وانها توخت فى ذلك العدالة والرحمة وان تشريعاتها الجنائية دستور الدساتير فى الحفاظ على الحريات ، وأن ما جاءت به فى هذا الشأن هدفت من ورائه حماية الجماعة ورعاية الحقوق واصلاح حال المجرم ، كل ذلك دون أن يكون هناك افراط فى ناحية أو تقصير فى ناحية أخرى ، ومن أجل ذلك كانت تشريعاتها متسمة بالجدة والصلاحية لكل جيل وزمن . ■■

أحمد عبد المنعم البهي

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ ١١ ص ٢٢٨ .

(٢) المغنى لابن قدامة جـ ١٠ ص ٢٧٩ ط . المنار

(٣) أحكام القرآن جـ ١ ص ٢٥٣

(٤) محاضر مؤتمر مكافحة الجريمة الذى عقد بالجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦٢ .

(٥) آية ٣٣ سورة الاسراء .

(٦) الفخر الرازى جـ ٢٠ ص ٢٠٢ ط عبد الرحمن محمد

(٧) آية ١٧٨ سورة البقرة



تحسين صنع السيارات

عن مجلة تايم الامريكية :

● قامت فى الولايات المتحدة مؤخرا ضجة كبيرة حول السيارات والعيوب التكنية فى صنعها، وقد دلت الاحصائيات على أن هذه العيوب قد تسببت فى عدد كبير من حوادث السيارات ، وتسببت بالتالى فى جانب كبير مما أدت اليه تلك الحوادث من اضرار جسيمة ووفيات . وانطلق الناس كبيرهم وصغيرهم فى اقتراح التعديلات والتبديلات الرامية الى اصلاح تلك العيوب والكفيلة بالحد من حوادث السيارات .

من تلك المقترحات ما تقدم به احدهم اذ قال : ثمة تغيير واحد طفيف لو أخذت به مصانع السيارات لكفلت تفادى اكثر من ٥٠٪ من حوادث الطرقات . فلو صنعت السيارات على نحو لا تستطيع معه الدوران الى اليسار وانما فقط الى اليمين ، لأمكن ضمان عدم تخطى السيارات للخط الذى يقسم الطرق الى نصفين ، بانحرافها من يمين الى شمال ، ولأمكن ايضا تحاشى دوران السيارات على نحو يتعارض والسيارات الاخرى المقبلة عليها . بذلك يصبح محتما على كافة السيارات فى سائر انحاء البلاد الا تدور الا فى اتجاه واحد ، هو اليمين ، ويتسنى بالتالي تفادى الحوادث التى تنجم عن قدرتها على الدوران فى كلا الاتجاهين ، اليمين واليسار .



ولن يكون الدوران الى اليسار مستحيلا على السيارة فى تلك الحال . وما عليها الا الدوران فى اتجاه اليمين بزاوية منفرجة تبلغ ٢٧٠ درجة حتى تدور على نفسها وتعود الى سيرها بالانحراف المطلوب الى اليسار .

المهور وتعدد الزوجات

عن صحيفة المنيابوليس ستار الامريكية :

● فى ساحل العاج عادات وتقاليد ، منها تعدد الزوجات وارتفاع المهور . وفى ساحل العاج ايضا عناصر تقدمية ناشطة فى سعيها للقضاء على هذه العادة وتلك .

وتعمل هذه العناصر بوحي مما تعرفه او لا تعرفه عن البلاد المتقدمة التي تنشد الاقتداء بها ، كالولايات المتحدة مثلا ، وهي خلو ، فى نظر تلك العناصر ، من المهور وتعدد الزوجات ... وقد آن

مستقبل العلاقات بين الغرب والشرق

عن صحيفة المانشستر جارديان البريطانية :

● لم يعد الخلاف العقائدي بين موسكو والغرب ذلك الخلاف الحاد المرير الذى ساد العلاقات بينهما قبل نحو ١٥ سنة . فقد خفت حدة ما يقوم به المعسكران من هجوم ودفاع على صعيد المبادىء والمذاهب ، وقل تشويه الواحد منهما لدوافع الآخر وبواعثه ، واصبح فى وسع الواحد منهما ان يقبل الفوارق بين مجتمعه والمجتمع الآخر ويتلمس الاسباب لما يصادفه من ظواهر الخلاف وبوادره ، على نحو اكثر هدوءا وتجردا مما سبق .

لذلك كان الاجدر بنا الا نعامل الصين الشيوعية وكأن السياسة التى تنتهجها قائمة على اساس من العقائد الثابتة الراسخة التى لا تتبدل ولا تتغير . اذ ليس ما يحول دون تعرض الصين الى مثل ما تعرضت له روسيا من تحول قد ينتقل ببكين كما انتقل بموسكو من سياسة تجاه الغرب يغلب عليها التشبث والصرامة الى سياسة يشوبها التسامح والمرونة .

المقصود بالحملة على الفقر فى الولايات المتحدة

عن صحيفة النيويورك هيرالد تريبيون فى باريس :

● مازلنا (فى الولايات المتحدة) نتقدم فى كلا القطاعين، الحكومي والاهلي، وان كان تقدمنا هذا لا يزال بطيئا وبحاجة الى تنشيط . فقد كان من شأن نهضتنا الاقتصادية خلال السنة الماضية وحدها ان مكنت زهاء مليونى عائلة من تخطي الحد الفاصل بين البحبوحة والفاقة وذلك برفع الدخل السنوى لكل من تلك العائلات الى ٣٠٠٠ دولار او يزيد . فضلا عن ذلك فان نسبة البطالة بين الكبار من الزنوج قد هبطت الى ٥ر٥٪ .

على ان الحاجة الملحة فى الوقت الحاضر ليست فى خلق المزيد من الاعمال وانما فى اعداد العمال اعدادا فنيا وتكنيا يمكنهم من القيام بتلك الاعمال التى اوجدتها وما زالت توجدها النهضة الاقتصادية فى بلادنا .

وذلك هو بيت القصيد فى الحملة التى اخذت تشنها حكومة الولايات المتحدة على الفقر والفاقة . فهى تهدف الى توفير التدريب الخاص والمران الملائم لأولئك الذين حرموا ما نعم به غيرهم ، فضلوا السبيل الى تلك الاعمال .

فى الولايات المتحدة وفى ساحل العاج

الاوان لقول كلمة حق فى هذا الشأن .

ففى الولايات المتحدة ايضا تعدد زوجات ! وما على الزوج الا ان يتخذ الحيطة ويتذرع بالكتمان فلا يكشف النقاب للمجتمع الا عن زوجة واحدة لكى تعتبر علاقاته غير الشرعية الاخرى من خصوصياته التى لا يجوز للمهذبين من الناس التدخل فيها او التحدث عنها . وفى وسع الزوج ان يلجأ الى الطلاق ، يعيده ويكرره عدة مرات ، فى بعض الولايات التى تبيحه دون اشتراط الاسباب الموجبة او المبررات ، فيتسنى له الزواج علنا بمن يشاء وفى الوقت الذى يشاء ، ولا تتعرض سمعته فى نظر المجتمع لأى مأخذ او مساس .

وفى الولايات المتحدة كذلك مهور وان جاء دفعها بصورة هدايا احيانا او بصورة تركات فى كل الاحيان تستوفيها الزوجات غالبا لا فى بداية الحياة الزوجية وانما فى اثنائها او فى انتهائها .

المسرحية الشعرية

اختلف فيها النقاد اختلافا كبيرا

بقلم : الدكتور حسين نصار
الاستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة

■ كان اللقاء الواسع النطاق ، البعيد الأمد بين الحضارتين العربية والأوروبية ، لقاءين .ولكن شتان بين اللقاءين .

كان أحدهما ، وحضارتنا ناشئة فتية ، ذات قيم عربية خالصة أو تكاد ، لا تأبى أن تأخذ من غيرها ما تراه صالحا لها ،بعد أن تخضعه لقيمها، فتبرزه عربيا . وكان ذلك في عصورنا الأولى .

وكان الثانى ، وحضارتنا عجوز هرمة ، امتد بها العمر ، واجتمعت عليها العلل ، فنسيت نفسها ، وفقدت قيمتها وصارت لا تستطيع أن تمتنع على وافد ، ولا تحسن اختيارا . وكان ذلك في عصورنا المتأخرة التي سبقت عصر النهضة الحديثة .

في اللقاء الأول

وفي اللقاء الأول ، واجه العرب امورا كثيرة ، غريبة ، استطاعوا أن يدركوا بعضها ،واستعصى عليهم بعضها الآخر . وكان الأدب الاغريقى من الفئة الأخيرة .

فقد نقل المترجمون والفلاسفة ، من امثال الكِنْدى وحُنَيْن بن اسحاق وغيرهما ، كتابى « فن الشعر » و « الخطابة » لأرسطو ، منذ النصف الاول من القرن الهجرى الثالث . ولكنهم وجدوا المؤلف يتحدث في « فن الشعر » عن أشياء عصية على فهمهم ــ ونعرف نحن الآن انها الشعر المسرحي والملحمى . ولما أرادوا ادراكها ، كان ذلك منهم على ضوء ما يعرفون من فنونهم الشعرية فضللهم ذلك ، وظنوا انه يريد بالمأساة المديح ، وبالمهزلة الهجاء . ولم يتنبهوا الى ذلك الفن الشعرى ، الذى لم يكن في مجتمعهم ، وخاصة انه كان قد اندثر أو يكاد في المجتمع الأوروبى . فلم يكن هناك امل ان يلتقى به أحد العرب الذين

• الشّعر المسرحي بقي عند العرب مجهولاً قروناً

• قيل عن شوقي في مسرحياته أنه أراد أن يمثّل فغنّى

• المسرحيّة الشّعريّة لا تلائمها الموضوعات السّياسيّة والاجتماعيّة

• وسومرست رأى أنّ الشّعر يخلّص المسرحيّة من الواقعيّة

قاموا ببعض الرحلات فى بعض أقطار أوربا . فبقى « فن الشعر المسرحى » مجهولا عندهم ، مفقودا من أدبهم .

حقا ، نجد فى بعض القصائد العربية تصويرا قصصيا ، وحوارا متبادلا . ولكن التصوير القصصى فيها معتمد على السرد ، والقصة غير مكتملة المعالم ، وتطور الوقائع غير درامى ، والحوار معتمد على الحكاية ، ولا يضطلع باية وظيفة قصصية ، ولا يكشف عن سير الأحداث ، ولا يبين عن طبائع الأشخاص . مثال ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

أرسلتْ هندُ إلينا ناصحاً
بيننا : ايتِ حبيباً قد حَضَرْ
فاعلمنْ أن محبا زائر
حين تخفى العينُ عنه والبصر
قلت : أهلا بكمُ من زائر
أورث القلبَ عناءً وذِكَر
فتأهّبتُ لها فى خفْية
حين مال الليل واجْتَنّ القمر (١)
بينما أنظرها فى مجلس
اذ رماني الليل منها بسَكَر
قلت : من هذا ؟ فقالت : هكذا !
أنا من جشّمتَهُ طولَ السهر
ما أنا والحب قد أبلغني
كان هذا بقضاءٍ وقدَرْ
ليت أني لم أكن علّقتكم
كلَّ يوم أنا منكم في عِبَرْ
كلما توعدني تُخلفني
ثم تأتي حين تأتي بعذَرْ
عمرَكَ اللهَ ، أما ترحمني
أم لنا قلبك أقسى من حجر
قلت ، لما فرغتْ من قولها
ودموعي كالجُمان المنحدر
لم يَرُعني بعد اخذي هجعةً
غيرُ ريح المسك منها والقُطُر
أنت - يا قُرّةَ عيني - فاعلمي
عند نفسي عِدْلُ سمعي والبصر
فاتركي عنك ملامي واعذري
واتركي قول أخي الإفْك الأشِر
فأذاقتني لذيذاً خلته
ذَوْبَ نحل شيب بالماء الخَصِرْ (١)

(١) اجتن : استتر . السكر : الغفوة ، يريد النوم . القطر : العود الذى يتبخر به . الجمان : اللؤلؤ . الافك : الكذب . الاشر : البطر . الخصر : البارد .

اللقاء الثاني

وفي اللقاء الثاني ، واجه العرب امورا غريبة ، اكثر مما واجهوا في لقائهم الاول . ولكن هذا اللقاء كان من الاتساع ، والالتصاق ، والتعدد ، بحيث ارغمهم على التعرف على كل شيء او محاولة ذلك التعرف . فلم يقتصر هذا اللقاء على نقل الثقافات ، بل انتقل الافراد والجماعات والمجتمعات بين الاقطار في يسر وسرعة . فلم يبق شيء عسيرا على الادراك .

وكان المسرح قد بعث الى الحياة في اوربا ، وخضع لالوان من التطور ما كانت تخطر على بال اغريقي . وكان حتما أن يرى العربي هذا المسرح الاوربي : في بلده العربي حينا ، وفي بلد هذا المسرح احيانا . وكان حتما ان يتعرف العربي على هذا المسرح ، ويتعجّب به ، ويتأثر ، ويسعى وراء اسراره ودقائقه . وكانت ثمرة ذلك كله ان حاول العربي أن ينقل هذا المسرح الى بلده ، ليتمتع به مواطنوه ، فاقامه في النصف الثاني من القرن الماضي في لبنان ومصر . واعتمد العربي في باديء امره على ما ترجمه من مسرحيات ، وخاصة من الادب الفرنسي . ثم حاول ان يجلو امام النظارة مسرحيات عربية أو معربة ، لتكون اقرب اليهم ، واسرع نفوذا الى قلوبهم . ولم يقتصر العربي على المسرحية النثرية ، بل انتج المسرحية الشعرية ، للمرة الاولى في تاريخ الشعر العربي .

أول المسرحيات في العالم العربي

وتدل الاشارات الباقية بين ايدينا ان المسرحيات الشعرية ظهرت بشطريها : المؤلف والمترجم ، في وقت واحد على وجه التقريب . فاول المسرحيات المؤلفة التي نعرفها هي « المروءة والوفاء » من نظم خليل اليازجي ١٨٧٦م. ثم تلاها عدة مسرحيات لعبد الله البستاني ١٨٨٩م. وغيره .

واقدم مسرحية شعرية مترجمة وصلت الينا معلومات عنها ، هي « تسلية القلوب في رواية ميروب » لفولتير Voltaire ، التي قام بترجمتها محمد عفت ١٨٨٩م. ثم مسرحية « مكبث » Macbeth لشكسبير من ترجمته ايضا .

واعقبت هذه المحاولات محاولة اخرى تعتمد على اللغة العامية . فقد قام محمد عثمان جلال بترجمة « الشيخ متلوف » و « النساء العالمات » و « مدرسة الازواج » و « مدرسة النساء » من ملاهي موليير Molière ، الى الزجل العامي ، ونشرها في كتاب بعنوان « الاربع روايات من نخب التياترات » في سنة ١٣٠٧ هـ . ثم ترجم «الثقلاء» لموليير ايضا في سنة ١٣١٤ هـ . وفي سنة ١٣١١هـ. ترجم من مآسي راسين Racine « استر » و « افقانية » و « اسكندر الاكبر » . وكان ان الف « المخدومين » في عام ١٩٠٤م . وصاغ كل هذه المسرحيات المترجمة والمؤلفة زجلا عاميا .

وتتابعت المسرحيات الشعرية

ثم تتابعت المسرحيات الشعرية ، مثل « حياة مهلهل بن ربيعة » و « وحياة امريء القيس » لمحمد عبد المطلب ومحمد عبد المعطي مرعي ، و « جريح بيروت » لحافظ ابراهيم . ثم ظهرت مسرحيات احمد شوقي ، وكان اكثر هؤلاء الشعراء قدرة شعرية ، واعظمهم اتصالا بالمسرح الغربي ، واوثقهم معرفة بالمسرحيات الشعرية . مسرحياته ـ وما زالت ـ روائع فنية لا تداني . فانست الناس ما كان قبلها ، وما ظهر معها ، واستبدت بالانظار وحدها ، حتى ظن كثيرون أن أحمد شوقي أول من نظم المسرحية الشعرية في ادبنا .وليس الأمر كذلك ، كما رأينا .

واعجب هذا المسلك كثيرا من الشعراء ، فعزموا على اختراقه ، فوجدوه دربا قد ذللت صعوباته ، وحددت معالمه . فساروا فيه على مهل وتأن . فابدعوا مسرحيات ، اختلفت طولا وقصرا، وموضوعا ، ونهجا فنيا . فكان منها المسرحيات الطويلة المؤلفة من الفصول المتعددة ، يقوم كل منها على مشهد او اكثر ، مثل اكثر ما نعرف من مسرحيات شوقي وعزيز اباظة وغيرهما . وكان منها المسرحيات القصيرة المؤلفة من فصل واحد ، مثل الفاكهة المحرمة لعبد القادر رشيد الناصري.

روافد اغترف منها كتاب المسرحية

وتعددت اتجاهات الكتاب ، واختلفت الروافد التي يغترفون منها لصوغ مسرحياتهم . فكان منهم من تطلع الى التاريخ القديم : سواء التاريخ الحق او الاسطوري ، فاحياه في مسرحياته . وطبيعي ان تكون نظرة اهل كل قطر عربي الى تاريخه الخاص . فنظم سعيد عقل اللبناني

« قدموس » ، واحمد زكى أبو شادى المصرى « نفرتيتى » ، وخالد الشواف العراقى « شمسو » و« الأسوار » . ولكن بعض الشخصيات كان لها من السحر ما فرضها على غير أهل قطرها . فكتب عن « سميراميس » العراقية عمر أبو ريشة السورى .

واغترفوا من التراث العربى اغترافا

اما التراث العربى ، من تاريخ ، واساطير ، وقصص ، فنهر عظيم ، متدفق الامواه ، تطل عليه كل اقطار العروبة والاسلام ، وتستقى منه فلا هى تكف ولا هو ينضب . فاقدم مسرحية شعرية عربية وهى « المروءة والوفاء » تدور حول واقعة حدثت لدى النعمان ملك الحيرة فى الجاهلية وتمثل قبح الظلم ، وجمال الفضائل البدوية .ومن التراث الجاهلى أيضا التقط أحمد شوقى الشاعر البطل عنترة بن شداد العبسى ، ومحمد حسن علاء الدين ، ومحمد عبد المطلب وزميله الملك الضليل امرأ القيس بن حجر الكندى ، فصاغوا مسرحياتهم عنهم . ومن البطولات الاسلامية التقط محمد زيتون « ميلاد النبى » ، وفؤاد الخطيب « فتح الأندلس » ، وعزيز اباظة « الناصر » . ومن القصص العربى ، اخذ عزيز اباظة «قيس ولبنى » ، وعلى عبد العظيم « ولادة » ، وعلى احمد باكثير « قصر الهودج » ، ومحمود غنيم « غرام يزيد » . وغيرهم .

وآخرون اتجهوا فى مسرحياتهم الى الحديث الحاضر

ولم يلتفت بعض الشعراء الى الوراء ، بل نظر الى وقائع العصر الراهن ، فجذبه بعضها فكتب عنه المسرحيات الشعرية ، كما فعل بدر الدين حامد فى « ميسلون » وعبد الحميد الراضى فى « ثورة العراق »

وترك القليل من الشعراء التاريخ : حقه وباطله، وماضيه وحاضره ، وكتبوا مسرحياتهم حول موضوعات اجتماعية ، تصور بعض جنبات المجتمع الحالى ، او تمثل بعض نماذجه ، أو تبرز بعض امراضه . فكتب احمد شوقى ملهاة « الست هدى » وعزيز اباظه « اوراق الخريف » وغيرهما.

عنت النقاد

وعلى الرغم من هذه الثروة الطائلة ، فلم يكن الطريق معبدا امام الشعراء بل كثيرا ما لقوا — ولا زالوا يلقون — العنت من النقاد ، الذين يصبون سهامهم نحو العمل الفنى المفرد تارة ، ونحو الاتجاه الفنى آخرى ، ونحو الشعر المسرحى كله ثالثة .

فما أكثر ما واجه — ولا زال يواجه — احمد شوقى من طعون ، توجه نحو آثاره المسرحية . وانه ليتعذر على أن اتحدث عن هذه الطعون فى مقال واحد ، خاصة اننى لا أريد شاعرا واحدا بالكلام بل الشعر المسرحى نفسه . ولكن اهم ما عيب به شوقى أنه لم يحكم بناء مسرحياته ، ولم يحسن ابراز شخصياتها ، ولم يستطع تجلية ما تضطرب به نفوسهم من صراع داخلى ، فنقله الى الخارج وجعله صراعا خارجيا غير درامى،وانه لم يستطع الانفلات من اسر الشعر الغنائى ذى التراث الفسيح فى الأدب العربى فلم يعط للنظارة شعرا مسرحيا بل غنائيا ، فى زى مسرحى ، حتى أطلق عليه القول المشهور : اراد شوقى ان يمثل فغنى .

المسرحيات الشعرية لاتلائمها الموضوعات السياسية والاجتماعية الحاضرة

وواضح ان القسط الاكبر من المسرحيات الشعرية ماخوذ من التراث القديم . ولا تصدق هذه الظاهرة على الشعر العربى وحده بل على الشعر العالمى كله ، وكان لذلك صداه على النقاد ، فذهب بعضهم الى أن الشعر المسرحى لا يصلح لكل الموضوعات ، بل لموضوعات بعينها، حتى لا يصدم المشاهد بامور يعتقد انها غير طبيعية ولا واقعية . فيقول على احمد باكثير ، وهو احد الذين مارسوا الفن المسرحى : شعرا ونثرا ، يقول : « لا ريب ان للموضوع دخلا فى اختيار لغة المسرحية . فلا مجال للغة الشعرية مثلا فى الموضوعات الاجتماعية والسياسية .وانما مجالها فى الموضوعات التى تعالج المشكلات الكبرى فى الوجود ، والتى تتجاوز حدود الواقع المادى والنفسى ، وتتطلع الى آفاق المجهول ، أو تضرب فى سراديب اللاشعور . هناك حيث تقف اللغة العادية عاجزة عن التعبير امام تلك المعارض الحافلة

بالصور المتذبذبة والاخيلة الرفافة فلا تنفع فيها غير لغة الشعر » .

ويتفق الدكتور عبد القادر القط مع باكثير فى عدم صلاحية الشعر لتصوير الاحداث المعاصرة ، بخلاف حاله مع الأحداث التاريخية ، غير انه يقصر هذا الحكم على الشعر العربى وحده . فيقول : « للمسرحية الشعرية العربية وضع خاص يميزها عن المسرحيات النثرية ، ويحدد موضوعاتها بما تفرضه تقاليد الشعر العربى ومقوماته الفنية. فهى لا تستطيع أن تعالج موضوعات عصرية او تصور شخصيات من المجتمع الذى يعيش فيه المؤلف لما يقوم حينئذ من مفارقة بين حديث تلك الشخصيات فى الحياة العادية وبين حوارها على المسرح . وتعظم هذه المفارقة اذا كان المتحدث فى مستوى اجتماعى أو فكرى لا يلائم اجواء الشعر العالية وتعبيراته الادبية الخاصة..واضطر شوقى وعزيز أباظه الى أن يختارا موضوعاتهما من أحداث التاريخ المعروفة ليتجنبا تلك المفارقة التى اشرنا اليها . فالشخصية التاريخية ليس لها فى نفس القارىء أو المشاهد وجود مادى خاص يحول دون تقبله اياها بالصورة الشعرية التى رسمها لها المؤلف . وللماضى فى نفوس الناس من السحر والغموض ما يغلفه بجو شعرى يتناسب مع اجواء المسرحية الشعرية » .

العقاد رأى ان للشاعر المسرحى أن يتخذ من الوقائع العصرية موضوعه

فاذا كان باكثير والقط يقصران المسرحيات الشعرية على الموضوعات التى تعالج المشكلات الكبرى فى الوجود ، وتضرب فى سراديب اللاشعور، وتعود الى الوراء فتغرف من أحداث التاريخ فان نقادا آخرين لا يتفقون معهما ويفتحون الأبواب جميعا أمام الشعراء . فقد اعلن المرحوم عباس محمود العقاد أن الشاعر المسرحى له الحق أن يجعل مسرحيته تدور حول الوقائع العصرية ،وتبعد عن الأحداث التاريخية . ولم يطالبه الا بشرط واحد لا يتغير مع الموضوع ولا مع الزمن ، هو شرط التعبير الصادق والتصوير الجميل . ولا عليه أن يجعل الأحياء يتكلمون بالشعر الفصيح ، وهم من عامة الناس ، فما كان عليه من حرج أن جعل الموتى من أبناء التاريخ يتكلمون ، وهم لا يتكلمون ولا ينطقون .

وآخرون رأوا : أن الشعر والنثر فى المسرحية سواء

ومن أكبر المدافعين العالميين عن المسرحية الشعرية ت.س. اليوت ، لم يفرق بين المسرحيتين الشعرية والنثرية ، واعلن أن النثر والشعر فى المسرحية وسيلتان لغاية ، وليس الفرق بينهما ـ فى بعض الحالات ـ كبيرا ، كما قد نظن ، فالنثر الذى كتبت به المسرحيات التى لا تزال حية تقرأ وتمثل على المسارح بعيد فى مفرداته وتراكيبه وجرسه عن كلامنا العادى بعد الشعر عنه . فهناك ثلاث وسائل للتعبير ـ فى رأيه ـ هى : النثر ، والشعر، والكلام العادى الذى هو دون النثر والشعر فى مستواه . فالنثر اذن متكلف وصناعى على المسرح شانه شان الشعر . ونستطيع أن نعكس الأمر فنقول ان الشعر يمكن ان يكون طبيعيا كالنثر. ولا يقصر اليوت الشعر المسرحى على موضوعات معينة : بل يصرح انه ـ اذا كانت المسرحية الشعرية تريد أن تسترد مكانتها السابقة ـ فيجب عليها أن تدخل فى صراع سافر مع المسرحية النثرية.

طغيان النثر على الشعر فى تطور الأدب التمثيلى الحديث

ويتصل بهذا الأمر العاصفة التى اثارها النقاد على مصير الشعر المسرحى ، عندما رأوه يتنازل عن المنزلة السامية التى كان يتبوأها فى عصر النهضة الأوروبية وينزوى بعيدا . فحكموا عليه بالموت الوشيك . قال المرحوم الدكتور محمد مندور : « وباستمرار تطور فن الأدب التمثيلى واتجاهه نحو الواقعية وظهور ما يسمى بالدراما الحديثة ، اخذ النثر يطغى على الشعر فى لغة المسرح بحيث يندر فى العصر الحديث أن نجد ادباء كبارا يكتبون مسرحيات شعرية .. ولا غرابة فى ذلك ، فالشعر متاع الخواص ، كما أن لغته وقيوده تبعد بالحوار عن الطبيعة المطلوبة ،وكثيرا

ما تؤدى الى ضعف الحركة الدراماتيكية والى تغلب النزعة الغنائية أو الخطابية على الحوار ، وتمنعه عن الغوص وراء الحقائق النفسية أو المفارقات الدقيقة فى مبادىء الأخلاق ومواضعات المجتمع ، وبخاصة بعدما أخذت الدراما الحديثة تحل محل التراجيديا القديمة ، ولم تعد تقتصر على اختيار شخصياتها من بين الملوك والأمراء والأبطال وأعلام المجتمع ، بل أخذت تعرض مآسى عامة الناس وتختار من بينهم شخصياتها كما نشاهد مثلا عند برنارد شو » .

ورأى سومرست : أن الشعر يخلص المسرحية من الواقعية ويرتفع بها

وطبيعى الا يرضى عن هذا القول كل القوم ،وأن يعارضه الشعراء الذين ينظمون المسرحيات الشعرية ، والنقاد الذين يشيدون بها . بل لقد عارضه جماعة من كبار الناثرين ، مثل سومرست موم ، الذى قال : «لا يسعنى الا أن أقرر ما أعتقده من أن المسرحية النثرية التى وقفت حياتى كلها عليها سوف تموت عما قريب . ولعل أحسن فرصة أمام الكاتب المسرحى الواقعى هى أن يشغل نفسه بما لم تستطع السينما أن تنجح فى ابرازه وعرضه ، الا وهو المسرحية التى يكون فيها العمل باطنيا لا خارجيا ثم ملهاة الذكاء والنكتة . وفى اعتقادى أن المسرحية قد ضلت الطريق حينما قادتنا الرغبة فى الواقعية لهجر حلبة الشعر . ان للشعر منزلة مسرحية سامية،ففضلا عما يحدثه النغم والوزن من الاحاسس والانفعالات حين يلقى على المسرح ، فان الشعر يخلص المسرحية من الواقعية ، ويضعها فى مستوى آخر ، ويجعل من اليسير على الجمهور أن يهيىء لنفسه حالة شعورية جديدة محببة ، وتلك هى الجاذبية المسرحية الخاصة » .

ولعل فى التطورات الأخيرة التى خضع لها المسرح اجابة لكثير من الأسئلة ، وحلا لكثير من مشاكل الشعر المسرحى . فقد أخذت الواقعية التى سيطرت على المسرح واستبدت به تخلى مكانها لمذاهب مسرحية أخرى لا تلتزم بالواقع ولا بشىء منه ، مثل اللامعقول ، ولما كانت الواقعية هى العدو اللدود للشعر المسرحى ، فالمرجح أن يستفيد الشعر من هذا التطور ، ويعود الى المسرح قويا رائعا ، غير مقصور على أركان معينة ، وان كانت طبيعة الامور تجعله أليق ببعض الموضوعات مثل الموضوعات التاريخية، والخرافية ، والوجدانية، والخيالية ، واللاشعورية ، وتجعل النثر أليق منه ببعض الموضوعات، مثل الموضوعات الاجتماعية والسياسية .

الجمع بين الشعر والنثر فى المسرحية الواحدة

وينقلنا هذا الجدل الى آخر ثار حول لغة الشعر . فقد رأينا أكثر مهاجمى المسرحية الشعرية يفعلون ذلك بسبب لغتها ، والقيود التى تلتزمها . وقد حاول الشعراء أن يتغلبوا على هذه العقبة ، اذ وجدوا فى كلام المهاجمين شيئا من الحق . فعمد شكسبير الى ادخال بعض القطع النثرية فى مسرحياته ، على لسان العامة والطبقات الدنيا . وابتكر أحمد شوقى أوزانا جديدة ، ولم يصر على أن يتم المتكلم البيت الشعرى بل جعل المتكلم الثانى يتممه. واعتمد بعضهم على الشعر المرسل، كما فعل على أحمد باكثير فى مسرحيته « أخناتون ونفرتيتى » . ولكن ذلك لم يهدىء من العاصفة .

فقد انتقد ت.س. اليوت الجمع بين الشعر والنثر فى المسرحية الواحدة ، لأن الانتقال بينهما يجعل المشاهد يتنبه الى أن ما يراه ليس الا شيئا مصطنعا . وأعلن انه يجب علينا أن نهدف الى نوع من الشعر يستطيع أن يعبر تمام التعبير عن كل شىء نود أن نقوله . فاذا وجدنا موقفا لا يستطيع الشعر التعبير عنه ، فمعنى هذا أن الشعر الذى نستعمله غير مرن ولا يفى بالغرض . واذا وجدنا مناظر فى المسرحية لا نستطيع أن نعبر عن معانيها بالشعر ، وجب علينا اما أن نغير فى الشعر الذى نستعمله أو أن نتجنب ادخال مثل هذه المناظر .

دفاع عن الشعر المرسل

ودافع باكثير عن الشعر المرسل ، وهاجم

الشعر العمودى مبينا آثاره الضارة فى المسرحية ، حين قال : « الشعر المرسل ـ وهو شعر فيه تحدر وانطلاق وليس مقيدا بإسار القافية ـ فهو أصلح للمسرحية ان كان لابد من استعمال الشعر فيها» وكشف عن الامور التى تباعد بين الشعر العمودى والمسرحية الشعرية فقال : « فان الفارق كبير واسع المدى بين النثر والشعر المقفى القائم على اتخاذ البيت وحدة نغمية مستقلة . فهذا الشعر ابعد ما يكون عن الصلاحية ليكون لغة المسرح ، لأن استناده الى البيت الكامل كوحدة مستقلة عن سابقه وعن لاحقه يعمل على تجزئة الوحدة التعبيرية وتقطيعها الى وحدات متساوية ، مستقل بعضها عن بعض ، دون مراعاة لاختلاف الجمل المسرحية طولا وقصرا . وينشأ عن ذلك أن الجملة المسرحية التى تكون أطول من أن يستوعبها بيت واحد تنشطر فى بيتين تفصل القافية بينهما فصلا واضحا ليس من السهل على المستمع أن يغفل عنه . وكذلك الحال فى الجملة المسرحية التى تكون اقصر من أن تشغل بيتا كاملا . فاما أن يصلها الكاتب بجملة مسرحية أخرى أو بجزء من جملة مسرحية أخرى . واما أن يضطر الى الحشو لتكملة البيت » .

وذهب اليوت الى ابعد مما ذهب اليه باكثير . فرأى أن سبب اخفاق شعراء القرن التاسع عشر ـ من الأوروبيين ـ فى مسرحياتهم يعود الى لغتهم الدرامية لا الى الخطأ فى الفن المسرحى . وسبب هذا أنهم قيدوا أنفسهم بالشعر المرسل الذى صار غير قادر على التعبير عن لغة الحديث . ونادى ان يكتب الشاعر مسرحيته فى جرس شبيه بجرس لغة الحديث اليومى .

شعر التفعيلة اطوع من الشعر العمودى

والحق مع الرجلين . فالشعر القائم على التفعيلة أطوع لمقتضيات المسرح من الشعر العمودى، اذ تتلاحق التفعيلات فى الجملة المسرحية الواحدة متصلة ، دون نظر الى الحيز الذى تشغله ، فقد تشغل ما كان يشغله بيت واحد ، أو اكثر او اقل، لا أهمية لذلك . وكلما كان ذلك الشعر قريبا من لغة الحديث اليومى كان اقرب الى الافهام واسرع فى التأثير. اما الشعر الذى لايستهدف الا الزخرفة وبعث اللذة فى نفوس المتذوقين ، فلا قيمة له فى المسرحية ، اذ يجب على الشعر أولا ان يثبت أن له قيمة درامية ، لا ان يكون مجرد شعر جميل وضع فى قالب درامى .

لون آخر استحدثه أبو شادى

ويتصل بالشعر المسرحى لون آخر استحدثه أحمد زكى أبو شادى فى الشعر العربى . فقد نشأت المسرحية الاغريقية القديمة جامعة بين النص الشعرى ، والتلحين الموسيقى ، والاداء الصوتى . ولما ظهر عصر النهضة ، الف الأوروبيون مسرحياتهم على هذا النمط .ولكنهم سرعان ما خلصوا النص الشعرى من الغناء والموسيقى . وفى الوقت نفسه ابتكروا فنا موسيقيا يقوم على قصة شعرية سموه « الأوبرا » . ولكن عنايتهم فى هذا الفن بالموسيقى اكثر منها بالنص الشعرى ، بحيث كانوا ولايزالون يعدون الأوبرا من الفنون الموسيقية لا الادبية .

واذ اطلع أبو شادى على هذا الفن الموسيقى ، أراد ان ينقله الى العرب ، مع اخضاعه لبعض التغيير ، بالعناية بالقصة الشعرية فيه ، وخاصة أن رواد المسرح من العرب كانوا مولعين بالغناء لا يتذوقون المسرحية الخالية منه . فالف الشاعر « أوبرا احسان » ـ وهى مأساة مصرية ـ و « أوبرا اردشير وحياة النفوس » ـ وهى قصة غرامية ـ و « أوبرا الزباء » ـ وهى تاريخية ـ و « أوبرا الالهة » ـ وهى رمزية .

ولكن النقاد ـ فيما يبدو ـ لم يلتفتوا كثيرا الى هذه المحاولات ، فلم يصل الينا نقد أو جدل عام حولها ، وان كانت مقدمات الشاعر لها تبين انه كان يحاول أن يعرف هذا الفن الجديد لمواطنيه، وأن يزيل سوء فهم بعضهم له . وعلى أية حال ، فهى محاولة طيبة ، تتفق مع المزاج العربى المحب للغناء ، ومع الشعر العربى : العمودى منه والحديث ، فيمكن استغلالها وتنميتها ، لاعطائنا صورة عربية من الشعر المسرحى . ■■

حسين نصار

(بقية المنشور على صفحة ٢)

المدارس في حياة اليونان القدماء

■ ليست الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد الا صورة تنادى اليها المعلمون والطلاب من أهل اليونان . انها صورة للمدرسة اليونانية، رسمها أحد فناني الاغريق على مزهرية بقصد الزينة ، وأبرز فيها مقومات تلك المدرسة عفو المخاطر .

فبساطة البنيان والاثاث تكاد تكون في غير حاجة الى بيان . ولولا الاعمدة لاقتصر البناء على الاربعة الجدران . ولولا المقاعد الخشبية المنتشرة هنا وهناك لخلت القاعة تقريبا من كل اثاث . اما المرتفع او المنصة المنخفضة في آخر القاعة فلم يكن القصد من اقامتها سوى وقوف الطالب عليها حين الحاجة ، كأن يكونَ موضعَ امتحان .

غير أن القاعة حافلة بآلات العزف الموسيقية ، كالمزمار والناى والقيثارة ، تراها معلقة على الجدران او يحملها الطلاب بقصد العزف او المران . ولئن افتقرت القاعة الى لوح أسود كبير ، درجت المدارس على استعماله في العصر الحديث ، فان اللوح الشمعي الابيض الصغير ، الذى يحمله أحد الاستاذين الجالسين ، وهو يشرح الدرس لثلاثة من الطلاب الواقفين ، قد سد الحاجة وادى المهمة . وتجدر الاشارة هنا الى ان رجال العلم والتعليم في فرنسا قد دعوا مؤخرا الى الاخذ باللون الابيض ونبذ الاسود بالنسبة الى سائر الالواح المدرسية .

اما اللفافة التى يحملها الاستاذ الآخر فلا تعدو كونها لفافة من ورق البردي . ولا ريب في أن غلاء هذا النوع من الورق . وهو النوع الوحيد الذى عرفه الاغريق، هو السبب في قلة ما نراه منه في هذه المدرسة ، اذ ليس فيها ، بالاضافة الى تلك اللفافة ، الا لفافتان معلقتان على الجدار الخلفى ، ولفافتان اخريان أو ثلاثة داخل الصندوق الاسود الصغير الذى يظهر في مقدمة الصورة .

ثمة ملاحظة اخرى او ملاحظتان . فالقاعة ليست فصلا واحدا من فصول المدرسة أو صفا من صفوفها . انها المدرسة بكاملها،يتلقى فيها سائر الطلاب القراءة والكتابة ومبادىء الحساب في آن معا،فتكون تلك المدرسة من فئة المدارس الابتدائية ، أو يدرسون فيها فنون الموسيقى والغناء وما يتصل بهما من قصائد شعرية وملاحم غنائية كالالياذة والاوديسة لشاعر اليونان الاول هوميروس ، فتصبح تلك القاعة بحكم المدرسة الثانوية أو المتوسطة .

على ان الدراسة الجامعية هى المفخرة الكبرى التى يحق للحضارة الاغريقية أن تزهو بها في هذا الصدد . فالجامعة اليونانية القديمة هى النواة التى انبثقت منها سائر الجامعات الحديثة . تدل على ذلك اللغة بقدر ما تدل عليه المناهج الدراسية . فكلمة اكديمية كلمة يونانية Academy تعنى الرابطة العلمية ، وهو المعنى الذى اتخذ بعد ذلك معنى التعليم العالي أو الجامعة . واول اكديمية كانت هى التى اسسها افلاطون سنة ٣٤٨ قبل الميلاد بصورة خاصة . يصدق ذلك ايضا على لفظة (الليسيوم) Lyceum وما يتفرع عنها من الفاظ شبيهة كالليسي والليسانس . فقد سميت الأكديمية التى اسسها ارسطوطاليس بهذا الاسم .

اما من حيث المناهج والبرامج فلا ريب في أن الدراسة الجامعية عند الاغريق قد حققت الكثير من مقوماتها المتعارف عليها في العصر الحديث . لقد تعهدها منذ البدء واشرف عليها السفسطائيون Sophists الذين ركزوا اهتمامهم على تدريس الخطابة والبلاغة وسائر

الشؤون المتصلة بالسياسة واللغة والحياة العامة . واولى السفسطائيون هذه النواحي والدراسات جلّ عنايتهم لا لسبب الا لاستكمال أسباب النجاح لطلابهم .. فاحراز النجاح فى الحياة العامة لا المعرفة من اجل المعرفة كان رائدهم . والغلبة والشهرة لا الثقافة الأصلية او نشدان الحق والحقيقة هي الغاية التى استهدفتها أساليبهم وتعاليمهم . تشهد على ذلك آراء علم من أعلامهم هو بروتاغوراس Prota goras (٤٨١ ـ ٤١١ ق.م.) ، وقد نفى وجود الحقيقة المطلقة والقيم الباقية وانكر بالتالي امكانية المعرفة ونادى بعرَضيّة الحياة وبزوال سائر ما فيها من اشياء ، وانتهى الى القول بأن الانسان بأهوائه ونزواته انما هو المقياس الأول والأخير فى هذه الحياة .

ومع أن السفسطائيين لم يحفلوا كثيرا بغير تعليم البيان والديباجة ، والفنون الكلامية والخطابة وشؤون السياسة ، ولم يعبأوا كثيرا بتدريس العلوم والآداب والفنون ، الا انهم يعتبرون بحق رُوّاد التعليم الرفيع فى تاريخ اليونان القديم .

وتجدر الاشارة الى أن الحوار والجدل بين الأستاذ وتلميذه ، على نحو يساعد الطالب على تبيّن اخطائه ، وتلمّس مقوماته ، دون تلقين مباشر ، هو الأسلوب الذي غلب على طرق التعليم التى أخذ بها السفسطائيون . بل انه الأسلوب الذي اتبعه سقراط Socrates (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م.) ومن بعده أفلاطون فيما بذلاه من جهود على صعيد التعليم والتثقيف . لذلك ولعدم حصر سقراط لجهوده تلك فى مبنى او قاعة معينة كان الشبه كبيرا بينه وبين السفسطائيين واعتبره الكثيرون واحدا منهم ، كما فعل ارستوفان Aristophenes كاتب الكوميديا الاغريقي المشهور فى روايته التهكمية « الغيوم » . هذا بالرغم من اختلافه الكبير عنهم بل بالرغم من حملته الشعواء عليهم من حيث الراى والمذهب .

على أن التدريس العالى عند الاغريق لم يبلغ أشده الا فى عهد أفلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق. م.) وفى ظل أكديميته ، وقد طال بقاؤها واستمر اشعاعها نحوا من تسعمائة سنة اى حتى عام ٥٢٩ بعد الميلاد ، حينما اغلق أبوابها الامبراطور البيزنطي جوستنيان . فقد شملت الدراسة فيها الرياضيات والهندسة والمثلثات وكان قوامها طبعا الفلسفة بسائر فروعها كالمنطق والسياسة والأخلاق .

يصدق ذلك ايضا على غير اكديمية افلاطون مما عاصرها من معاهد . فاكديمية ارسطو التى أسماها (ليسيوم) لم تختلف كثيرا عن اكديمية افلاطون فى مناهجها او فروع تدريسها . بل انها كانت صورة طبق الأصل منها ، اضطر التلميذ ارسطو الى انشائها بسبب اختلافه وأستاذه افلاطون على صعيد الفكر والفلسفة . اذ كانت القاعدة الا يخرج طالب الجامعة على فلسفة أستاذه ما دام طالبا من طلابه ، ويحصّل منه العلم والمعرفة . فاذا حل الخلاف الفكرى بينهما كان على ذلك الطالب أن ينسحب من زمرة مريديه وطلابه ويخرج من اكديميته . فعل ذلك أرسطو ولكنه لم يقف عنده . اذ أسس « الليسيوم » لتنطلق فى نشر العلوم والفنون والآداب ضمن اطار فلسفته .

وتجدر الاشارة الى ان الاكدميات الاغريقية لم تتقاض من طلابها رسوما على نحو ما تفعل جامعاتنا الحديثة . فقد احتقروا استيفاء الأجور لقاء نشر العلم والمعرفة ، على نحو ما كان يفعل السفسطائيون . ويعزى ذلك العرف الى سقراط الذى ازدرى مسلك السفسطائيين هذا باعتباره حاطا بالكرامة ومشينا بمهمة نشر الحكمة والثقافة .

كذلك اتسعت الأكديميات الاغريقية لنوم طلابها فيها ولاقامة الولائم الفكرية التى جمعت بين الأكل والشراب من جهة والحديث والمناقشة من جهة أخرى ثانية . ■■



رفاعة الطهطاوى

● أول صيحة فى تعليم المرأة العربية الحديثة وتحريرها
● جاءت دعوته أولاً، ولقاسم أمين كانت الدعوة الثانية

بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

■ غضب البحر غضبة ضارية فى هذه الليلة من ليالى ديسمبر ١٨٢١ فتعلا صدرُه وما أعظم صدر البحر ، وانتفخت أوداجه ، وما أروع هذه الاوداج . وأرغى وأزْبد ، واشتد صخبه وهياجه، وارتفع صياح المسافرين على هذه السفينة الشراعية الفرنسية ، وطال صراخ النساء والاطفال، واستمرت الحال على هذا النحو ساعات طويلة ، استغرقت الليل كله وطرفا من النهار .

فما أن هدأ صدر البحر واطمان ، حتى استسلم الركب للنوم ، شاكرين الله سبحانه ، حامدين للقدر سلامتهم من هذه الغضبة الضارية ، التى جاءت بعد شهر أو نحو من ذلك، وهُمْ للبحر ركوب ... غير هذا الشاب المصرى فيهم ، وما اقل مَنْ كان من الفرنسيين ، قادمين من مرسيليا الى الاسكندرية .. فلم ينم الشاب غير ساعة أو بعض ساعة ، ثم ايقظه الجوع الشديد ، والبرد المؤرق ، وأكثر من هذا وذاك افكار ملحة مصطرعة ، وشوق الى أهله ووَطَنِه عظيم .

وصعد الشاب الى ظهر السفينة ، بعد أن شدّ على بدنه دثاره ، ليقضي ما تبقى من سويعات النهار ، تحت دفء الشمس التي اطلت بعد غيبة، قبل أن تذهب مرة أخرى الى خدرها مع الغروب .

وترك الفتى لفكره العنان ، وهو يتفرس امامه في السفر الأزرق العظيم ، تتقلب صفحاته مع لفحات الهواء الباردة التي تقلبه موجة في اثر موجة ، وتلطم وجه صاحبنا ، فتذهب منه آثار الجهد ، وتنفض عنه آثار النعاس .

ترى أي مستقبل ينتظره في وطنه ، بعد ان غاب عنه خمس سنوات كاملة، قضاها في باريس، اماما لاول بعثة كبيرة الى فرنسا ، وان كانت ثالث بعثة تخرج من مصر ، قضاها في العلم والتعلم ، مكبا على التحصيل ، غير باخل عليه بصحته وبدنه ، حتى اصابه هذا الضعف الذي ألم بعينه اليسرى. فقد سهر ليالي طويلة يقرأ في الطبيعة والكيمياء والرياضة والرسم تارة ، ويطالع في الفلسفة والمنطق والسياسة والحرب تارة اخرى . وما اكثر ما قرأ في التاريخ والجغرافيا وما ترجم في ذلك كله !

ولم يطل تفكيره في البحث عن جواب لهذا السؤال ، فقد كان غاص النفس بالعزم والارادة والتصميم ، مليء القلب بحب وطنه الحب الشديد، عامر الفؤاد بالايمان بالله سبحانه .. وكفاه بهذه الثلاثة مصابيح تنير أمامه السبيل وتجنبه عثرات الطريق .

المسيو شيخ رفاعة

ولقد كان « المسيو شيخ رفاعة » ـ كما كان يناديه اساتذته من امثال : شواليه ، وجومار ، ولومتري ، وكبار المستشرقين امثال : البارون سلفستر دي ساسي ، وكوسان دي برسفال ـ كان على علم كاف بان بلده تحث الخطا نحو نهضة قوية ، تعتمد على هذا الدم الجديد الذي يجري في عروقه ، وعروق أترابه من الشباب يأتي من ورائه .. وكان رفاعة جديرا بالثقة التي أولاها نفسه . كتب عنه استاذه جومار في تقرير : « اننا نقول من غير خشية مما نقول : انه سيكون من الذين ينفعون مصر اعظم منفعة » وقد قرأ محمد على هذا التقرير .

كان محمد على مصمما كل التصميم على ان يدعم ملكه ويقوي اركانه ويثبت قوائمه ، وكان يعرف جيدا انه من اجل ذلك لا بد من جيش قوي ، وانه لا بد من علم جديد « وتكنيك » جديد يخدمان جيشه وسياسته . وكان قد رأى جانبا من ذلك ، منذ قدم مصر لطرد الفرنسيين ، ورأى وسمع عن الفرنسيين وعلومهم ووسائلهم في الحرب ، ووجد من المصريين همة رائعة ساعدت على طرد الغزاة ، كما وجد عندهم عينا ثرة وجامعة علمية كبيرة تخرج الشباب الطموح يقوم عليهم نخبة من جلة العلماء .. ولكن هذه الجامعة في حاجة الى تطعيم وتلقيح بما عند الفرنسيين . وهكذا عرف الطريق ، ولم يكن سوى البعثات والنقل والترجمة الى ذلك طريق .

الشيخ حسن العطار يمهد السفر للشيخ رفاعة الطهطاوي

وسافر الشيخ رفاعة ، وعاد من نفس هذا الطريق .. عاد مشغول القلب والعقل بالعلم وقضايا التعليم . وهل تقوم نهضة المجتمع على غير العلم والتعليم ؟ وهل ينفع المجتمع تعليم الفتيان والأمهات والزوجات والاخوات والبنات والحفيدات جاهلات ؟

لم يكن بالبلاد مدارس ولامعاهد لتعليم البنين ، سوى الأزهر باعمدته وحلقاته ونظامه القديم ، حتى المدرسة الحربية التي انشأها محمد على سنة ١٨٢٥ لتخدم اغراضه واطماحه ، والمدرسة الطبية التي انشئت سنة ١٨٢٦ لعلاج الجنود ، لم تكن تضم سوى العناصر غير الوطنية من صغار المماليك وابناء الاكراد والالبانيين واليونانيين والارمن ،وكانت محرمة على المصريين ، كما ان التعليم فيهما كان باللغة التركية .

ان الشيخ رفاعة نفسه ، حينما سافر في البعثة الموفدة الى فرنسا ، لم يتم له ذلك بناء على رغبة السلطات في البلاد . انه سافر لان استاذه الشيخ حسن العطار استطاع ان يقنع ولي الامر بانه لا بد من امام يصحب هؤلاء الشبان في سفرهم واقامتهم بهذه البلاد البعيدة الغريبة ليعنى بشئون دينهم .

والبعثة التي سافرت لم تكن تضم سوى قلة من المواطنين المصريين ، اذ كان محمد على يتوجس خيفة من هؤلاء الوطنيين أن تقوى شوكتهم عليه بانتشار الروح الوطنية في البلاد .

واتجه رفاعة الى التعليم، أول ما اتجه، ينشره. وتراءى له كأنما كان تعليم الفتاة ، ام الاسرة ، في

الخطورة كتعليم الفتى . ولكن لم يكن من السهل المناداة بتعليم الفتيان والفتيات فى آن واحد ، فى ايام كان نظام الحريم يفرض قضبانه الحديدية على حياة المرأة من كل الوجوه .

ومنذ عاد الشيخ رفاعة من فرنسا نلاحظ أن عدد المدارس بدأ يزداد ويأخذ طابعا جديدا ومنهجا جديدا ، فانشئت المدارس الابتدائية والثانوية فى انحاء شتى من البلاد ، واخذ المواطنون يقبلون على ارسال ابنائهم اليها فكثر عدد المصريين فيها ، كما اصبحت اللغة العربية فيها لغة التعليم . ولم تمض خمس سنين على عودته المذكورة حتىاصبحت البلاد فى حاجة الى ديوان يرعى شئون التعليم ويدبر امورها ، فانشىء ديوان المدارس سنة ١٨٣٦ ، الذى سمى بعد ذلك نظارة (وزارة) المعارف .

مدرسة الالسن

وكان من ابرز اعضاء هذا الديوان رفاعة بك الطهطاوى ، وقد كان ناظرا ومديرا لاحدى المدارس الكبرى ، (مدرسة الالسن) . وكانت من اهم المدارس ان لم تكن اهمها على الاطلاق ، من حيث مناهجها الجديدة والمواد الكثيرة التي تدرس فيها واختيار الطلاب الصالحين لها . وقد عنى رفاعة بهذه المدرسة ، منذ جاهد فى انشائها سنة ١٨٣٥ ، عناية كبرى ، ملكت عليه كل وقته .

مدرسة لتعليم المرأة

وفى هذه الفترة استطاع رفاعه بك ان يضع اللبنة الاولى فى تعليم المرأة ، حين ظهرت الى حيز الوجود مدرسة القوابل سنة ١٨٤٢ ، تتعلم فيها المرأة فن العلاج النسوى والتوليد ، وكان لهن فى هذا المجال مستشفى خاص يحظين فيه بالدراسة العلمية والتمرين . وعلى الرغم من وسائل التشجيع التي اتخذت لدفع النساء الى دخول هذه المدرسة ، بأن تمنح المتخرجة فيها رتبة بكباشى ، وأن يكون لها حرية الدخول الى قصور الوجوه والعظماء ، فان الوطنيات صدفن عنها لأسباب تتعلق بتقاليد العصر ، فكان جلّ طالبات المدرسة من الجوارى الحبشيات .. وبذلك اصطدمت فكرة تعليم المرأةباسوار التقاليد العالية، وكانت هذه الأسوار مع علوها قوية ايضا ، وليس من السهل اختراقها او تسلقها او كسر منافذ منها على الحياة الجديدة التي تتحرك، تلك الحياة التي كانت بعيدة عن أن تشارك فيها المرأة او حتى ان تتطلع اليها .

أسوار حصن عنيد

وكان لا بد اذن من الطرق الشديد على أسوار هذا الحصن الحريمي ، حتى يصيبها الوهن ،وحتى تتطلع المرأة من وراء السور الى تيار الحياة الجديدة ، وما بها من ومضات تلمع بين الحين والحين ، تنحسر امامها حنادس الجهل شيئا فشيئا ، وتتقشع ظلمات الفكر والتقاليد رويدا رويدا .

كان محرما على العرب والمسلمين أن يقتربوا من روافد العلوم العصرية ، الى درجة تخشى معها الحكومة ان تقرر شيئا منها فى التعليم ؟ وتستفتى الحكومة فى ذلك شيخ الجامع الازهر : هل يجوز تعليم المسلمين العلومالرياضية كالهندسةوالحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء ، المعبر عنها بالكيمياء ، وغيرها من سائر المعارف ؟ فيجيب الشيخ فى حذر : ان ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها .

أما المرأة فقد كانت شيئا مهملا ، فى مختلف الطبقات ، لا وظيفة لها ولا مشاركة فى الحياة خارج بيتها . تقوم على خدمة رجلها وخدمة ولده وضيفه . وأما فى مجالات العمل والعلم فلا ينبغى ان يذكر حتى اسمها ذكرا خارج اسوار الحريم . كانت المرأة فى الطبقة المتوسطة التي ينتمى اليها صاحبنا الشيخ رفاعة ، سجينة بيتها لا تكاد ترى من نور الطريق الا ما تتطلع اليه خلسة من خلال النوافذ الضيقة وخروق المشربيات ، وعار على البنت ان تمد بصرها على هذا النحو او تقترب من منافذ تطل على جار أو طريق . وليس لها رأى ، فى أن تتزوج أو فيمن يكون زوجها وشريك عمرها وأبا اولادها، فهى بذلك اسيرة حبس يحيط بها من كل جانب فى الاجتماع والرأى والتفكير جميعا . وكانت المرأة فى الطبقات العالية تستطيع ان ترى ضوء الطريق ، ولكن من خلال حجاب صفيق يضرب بجرانه على جسمها بالملاءة السوداء، وعلى رأسها بالغطاء وعلى وجهها بالبرقع الابيض ، بينما نسوة الطبقة الفقيرة يكشفن عن وجوههن استجابة لدواعي العمل ومشاركة الزوج فيه ، وسعيا وراء لقمة العيش الغائصة فى تراب الحرمان وشظف الحياة يلفها الجهل المطبق وسوء

التغذية والوان من الحشرات والجراثيم والميكروبات فتاكة .

نشـأة رفاعـة

وجد رفاعة ذلك كله من حوله ، منذ نزل الى الوجود سنة ١٨٠١ ، وتفتحت عيناه على الحياة فى طهطا وفى القرى المحيطة بهـا فى صعيد مصر ، حيث حفظ القرآن وقرأ كثيرا من المتون المتوارثة فى النحو والفقه ، على أشياخ بلده ومنهم أخواله ، كما شاهده فى يقظة وانفتاح حين مضى الى القاهرة سنة ١٨١٧ ليتم علومه فى الازهر ، مستعينا على العيش الرقيق ، بما كانت تنفقه عليه امه من بقايا عقار وحلى كانت تبيعها ، ومن دروس كان يعطيها هو فى أواخر السنين الثمانى التى قضاها فى الازهر، تلميذا مجدا ذكيا، يلفت أساتذته الى تحصيله ومناقشته فيحوز اعجاب شيخه حسن العطار ، الذى يرعاه ويعاونه ، تلميذا ومدرسا فى الازهر ، واماما لاحدى فرق الجيش ، ثم يدفعه دفعا — كما رأينا — الى بلاد الفرنسيين اماما دينيا للبعثة ، فمبعوثا فيها للتخصص فى الترجمة بمختلف فروعها .

وفى فرنسا ادركت يقظة الشاب ابن الخمس والعشرين وفطانته الفروق الشاسعة بين ما ترك وراء ظهره عبر البحر المتوسط وبين ما يراه ، ويهوله هذا الفرق ويروعه ، حتى ليرى فى هذا الفرق رأيا ، ويدبر من أجله أمرا .

كتابه : تلخيص باريس

وفى سنة ١٨٣٤ دارت مطبعة بولاق على أوراق كتابه عن « تلخيص باريس » ، وتناوله الناس ، فقرؤوا فيه ، عن المرأة كلاما عجبا .

ونفدت الطبعة الاولى من الكتاب ، دليل الاقبال على ما فيه بنَهَم وشغف ، وأن الطرَقات الاولى التى بدأ رفاعة يدقها على الاسوار العالية أخذت تهزها .

وظهرت الطبعة الثانية من كتابه ذاك سنة ١٨٤٨، فالتهم الناس الكتاب مرة ثانية .

رئيس تحرير « الوقائع الرسمية »

وكان رفاعة منذ سنة ١٨٤١ يعمل رئيسا لتحرير جريدة الوقائع الرسمية ، اذ لم يكن فى البلاد من يصلح لهذا العمل الجليل غيره ، فكان بذلك اماما ورائدا فى الصحافة العربية ، وخاصة بعد ان جاهد جهادا كبيرا فى تنظيمها وتغيير اسلوبها ، فجعل للشئون المصرية الصدارة والاهمية الاولى بين موضوعاتها ، وعمل على تعريبها بعد أن كانت تصدر باللغة التركية ، وعاونه فى تحريرها نخبة من تلاميذه بمدرسة الالسن ، وآخرون من أهمهم أحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين ، يتناولون الموضوعات الحية ذات الخطر فى مصر والشرق واوروبا ، فنقلها بذلك من أوراق أخبار رسمية تافهة جامدة الى صحيفة مثيرة بموضوعاتها المحررة والمترجمة ، باسلوب متحرر جديد .

واشتدت طرَقات الرائد الكبير ، ومعه تلاميذه وحواريوه ، على أسوار السجن الكبير ، حتى تقرر فتح المدارس والتعليم العام للفتاة العربية ، وبذلك تحققت الامنية الكبيرة من أمانيه ، بفتح نوافذ المعرفة الساطعة على حجرات الحريم وخبايا « الحرملك » القديم .

فى مسقط رأسه

كل ذلك ، والرَّجُل الطهطاوى ابن الصعيد ، الذى يحمل من سمات « الصعايدة » سمرة اللون، واتساع الجبين وعظمة الطلعة ، وان كان قصيرا ، مع دهاء وحزم وتواضع وذكاء ، لم ينس اهل وطنه الصغير ، وهو الوطني الكبير ، فكان منذ شهد الازهر حتى ارتفعت مكانته وكثرت اعباؤه وأسباب كفاحه ، يعود الى مسقط رأسه ليجلس الى أهله يعلمهم فى بيته أو فى جامع جده أبى القاسم ، ويبصرهم بشئون دينهم ودنياهم ويعكف على التأليف والترجمة أحيانا ، وخاصة فى شهر رمضان . وجعل يمهد لهم سبل النور والمعرفة والتمدن ، حتى يسرها لهم ، بفتح المكاتب والمدارس،فصار منهم العالمون والمعلمون ، وأخذوا من أسباب المدنية ومظاهرها الشيء الكثير .

أول صيحة فى قضية المرأة العربية

كان يريد أن تصل صيحته فى التربية والتعليم الى كل مكان يستطيع ايصالها اليه ، وكان يريد أن تنقشع عن وطنه جحافل الظلام الكثيفة التى كانت تحيط به فكريا واجتماعيا ، وكانت صيحته بلا شك ، أول صيحة فى قضية المرأة العربية الحديثة ، بل انه أول من جعل منها قضية لها



قاسم أمين محرر المرأة

اهميتها وخطورتها . ونستطيع أن نلمس ذلك من كتاباته وآثاره ، ومن اهمها فى هذا المجال كتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريس » الذى سجل فيه مشاهداته ودراساته وتجاربه ومقارناته ، ابان رحلة فى فرنسا ، فاطلع القارىء العربى لأول مرة على ما يجرى فى هذه البلاد ومجتمعاتها ومدارسها وجامعاتها ، من عادات وتقاليد ومناهج وأساليب — وكانت له أثناء ذلك وقفات خاصة عن المرأة الغربية ، سجل فيها — منذ وطئت قدماه مرسيليا — كل ملاحظاته عنها ، فى اسلوب تقريرى وعبارات محايدة ، ومقارنة موضوعية بينها وبين المرأة العربية، وأحيانا كان يعطى نفسه حق الاستحسان او الاستهجان هنا وهناك فى غير اندفاع او انفعال .

كتابه : المرشد الامين للبنات والبنين

اما كتابه الثاني الذى يخدم هذه القضية ، فهو «المرشد الامين للبنات والبنين» وفيه يسوى فى مجال التربية بين البنات والبنين ، ويؤدى الى هؤلاء وهؤلاء النصائح والوصايا ، ويضرب الامثال لهم جميعا دون تفرقة ، فيما يجب عليهم أن يتحلوا به وأن يزدانوا من صفات حميدة وخلق قويم . كما يخص الفتاة بوجوب التمسك بالحشمة والحياء ، ولكنه فى الوقت نفسه يؤكد فضل المرأة فى تربية الابناء والبنات ، وتنشئتهم على الصلاح والشجاعة والوطنية ويضرب فى ذلك كله كثيرا من الامثال ويروى الطرائف والاخبار من أدب العرب .

كما أن له مقطوعة شعرية فى تعليم البنات والبنين نشرها فى كتاب ثالث هو « مناهج الالباب المصرية فى مباهج الآداب العصرية » .

تعلم الادب حسن فى الرجال والنساء ، ولكنه فى النساء أحسن

والافكار السائدة عند رفاعة فى قضية المرأة تقوم أساسا على المساواة بين الذكور والاناث فى التربية ، منذ دعا الى تحرير المرأة من الجهل والضلالة وفتح المدارس لتعليمها ، بل لعله كان يدعو الى تقديمها فى هذا الميدان على الذكور ، لما لهن من آثار معنوية فى تربية الاجيال ورعاية الاسرة ، وقد ذكر ذلك صراحة فى كتاب المرشد الامين ، حيث يشير الى أن تعلم الادب حسن فى الرجال والنساء جميعا ولكنه فى النساء أحسن ، لما فيهن من الرقة الطبيعية والمحاسن المعنوية .

فاذا تحررت المرأة من الجهالة بالتعليم ، فقد استطاعت أن تتحرر من البطالة وأضرارها بالخروج الى العمل ، وأن تتحرر من الاحتكار والسجن بالاختلاط والانطلاق وتكوين الشخصية النسوية وتنميتها ، فتكون زينة المنازل وأنس المجتمعات بثقافتها وأدبها ورقتها ، وتتحرر بذلك من الضرائر وتعدد الزوجات الناجم عن الجهل أو سوء الخلق والادب ، وتتحرر دون شك من الحجاب .

بين رفاعة الطهطاوي وقاسم امين

والذين يرون أن « قاسم امين » هو أول من دعا الى تحرير المرأة تحررا كاملا فتملك حرية السعي والاختلاط ، وحرية الانكشاف ورفع الحجاب في حدود الشرع ، يختصرون التاريخ اختصارا مخلا فيه ضنٌ وابتسار .

واذا اردنا أن نرد الحقوق الى أصحابها ، والاصول الى أربابها فلنتأمل آثار « رفاعة الطهطاوي » وخاصة ما كتبه عن المرأة الغربية دون أن نغفل حساب الزمن في آثار الصيحة الرفاعية والدعوة القاسمية وظروف كل منهما .

سبقت الصيحةالرفاعية الدعوةالقاسمية بنصف قرن من الزمان لا أقل من ذلك ، ونصف قرن في تلك الظروف شيء ليس هينا لان هذه الصيحة كما يقولون كانت في واد ، حين لا حياة لمن تنادي.

رفاعة يعجب بالمرأة الفرنسية ، وينقدها في آن

ونلمح في افكار رفاعة للوهلة الاولى اعجابه الصريح بالمرأة الغربية ، وفي كثير من الامور يثني عليها ثناء طيبا فضلا عن عجبه واعجابه ، وهو مع ذلك ينكر عليها ما يتنافى مع الدين الحنيف والاخلاق العامة .

فهو يعجب بسفور المرأة الفرنسية ، « وكشف الوجه والرأس والنحر واليدين » ، ولكنه ينكر على الباريسية خاصة تبرجها الزائد وخلاعة ملبسها .

ويلاحظ أن « جمال النساء وصفاء ابدانهن اعظم في القرى منه في مدينة باريس ، وأن نساء الارياف اقل تزينا ، كما هو العادة المطردة في سائر بلاد العمران » .

ومن الطريف ان يذكر رفاعة ان بعض القاهريات يلبسن على أيامه الشعر المستعار (الباروكة) .

كما يعجبه أن تشارك المرأة الرجل في مَيدان العمل ، في التجارة وغيرها ، ولكنه لا يرضى بان يكون الرجال « عبيد النساء وتحت أمرهن »

وينكر أشد الانكار ما رآه من فجور الزوجات في العائلات الصغيرة والكبيرة ، بينما المرأة في الطبقة المتوسطة متعففة نقية الذيل . عنده ان المرأة اذا كانت مدللة عند الافرنج ، فانها كامتعة البيوت في بلاد الشرق . ولا يرضيه الا يغار الرجل على امرأته ، وهو الصعيدي الذي يفهم ان القتل من وسائل الغيرة على النساء وعفتهن .

ولقد لاحظ من الطباع العربية الاصيلة ان الفرنسيين لا يغشون الغلمان ولا يتغزلون فيهم . ومن المعروف أن هذا الغزل كان قد تسرب الى الادب العربي عن طريق الفرس والشعراء الذين تنتمي اصولهم اليهم .

وكان أشد ما أعجبه وأثلج صدره أن « للنساء تآليف عظيمة ، ومنهن مترجمات للكتب من لغة الى اخرى ، مع حسن العبارات وسبكها وجودتها، ومنهن من يتمثل بانشائها ومراسلاتها » ، وأن المرأة هناك تقوِّم بعقلها وقريحتها وفهمها ومعرفتها، ومن أجل ذلك لا يكتمل الانس ولا تحلو الجلسة الا بها . وهي « التي تحيئ الضيوف ، أصالة، وزوجها يحييهم بالتبعة » فالمرأة لها احترامها وجلالها ، « والانثى دائما في المجالس معظمة اكثر من الرجل » بثقافتها واطلاعهاورقتها وظهور شخصيتها .

ولقد اعجبه كذلك فن التمثيل ، ومشاركة النساء في هذا الفن على خشبة « التياترات » . ومن العجب في هذا المقال أن يُعجب الشاب الصعيدي بحفلات الرقص والموسيقى ، وينظر الى هذا الفن نظرة موضوعية فيراه لونا من الوان الرياضة والايقاع المتناسق الصعب في الاداء .

وينبغي لنا ان نلاحظ هنا أن الشاب رفاعه ، الذي سافر اماما دينيا للبعثة في باريس ، لم يتغير سلوكه ، ولم تتبدل أخلاقه ، وله في ذلك شهادات قوية ، وانما الذي تغير هو عقله ومنهجه في التفكير ، تبعا لاتساع ثقافته وازدياد تجاربه وتاملاته .

لماذا تعسرت دعوة رفاعة لتحرير المرأة ، وتسهلت دعوة قاسم

ومن العسير أن تعقد مقارنة سليمة بين صيحة رفاعة ودعوة قاسم في قضية المرأة لاعتبارات كثيرة. ونحن نؤكد ذلك لان الظروف بطبيعتها الفكرية والاجتماعية كانت تحول دون أن تصبح صيحته قضية كاملة او دعوة شاملة، فالسنوات الخمسون، او تزيد ، حدثت في غضونها احداث كبيرة في البلاد، في جوانب مختلفة من تاريخ حياتها ، لا نشك في ان صيحات رفاعة وتلاميذه كان لها اكبر الاثر في حدوثها .

ونستطيع ان نجمل على عجل هذه الاحداث .

فهى سرعة دوران المطابع على الكتب والصحف ، وانشاء المدارس بأنواعها للبنين والبنات ، وكثرة العائدين من البعثات بالخارج فى أقطار مختلفة ، وتزايد عدد الخريجين والمتعلمين من المدارس الوطنية ، وازدياد الشعور الوطني والقومي وارتفاع حرارته ، وظهور أول مجلس لشورى النواب ، ولمعان زمرة كبيرة من الزعماء والخطباء والكتاب فى السياسة والوطنية والاجتماع ، وتجمع المستنيرين من الوطنيين فى اتحادات وجمعيات وندوات . كل ذلك كان تمهيدا طيبا للطريق الذى اختطه قاسم أمين لدعوته فى قضية المرأة وجعلها دعوة واسعة كبيرة .

وفى الوقت الذى كان يقف فيه رفاعة الطهطاوى، وهو يكاد يكون وحيدا ، حينما رُفض الطلب المقدم سنة ١٨٣٦ بفتح مدارس لتعليم البنات ، نرى أن قاسما كانت تحيط به كوكبة من جلة الدعاة الكبار ، والمؤمنين بحرية المرأة ، من أمثال محمد عبده ، وسعد زغلول ، وفتحي زغلول ، ولطفى السيد ، وحافظ ابراهيم ، واحمد شوقى، وخليل مطران . وزاد الدعوة حرارة ، واكسبها حيوية ونشاطا فى صراعها أنه كان هناك معارضون من أمثال محمد فريد وجدى ، وطلعت حرب ، ومحمد رشيد رضا ، على تفاوت فى المعارضة ، واختلاف فى أسلوبها وفى عناصرها .

عهد عباس الاول وسعيد ، كان عهد ركود

ونستطيع أن نشير ايضا الى أن الفترة التى حكم فيها عباس الاول وسعيد ، وخنقت انفاسها النهضة التعليمية التى رادها رفاعة ورعا بادرتها كانت من العقبات الكبرى التى اعترضت طريق قضية المرأة ، وحالت دون اتصال السير فيها ، ولكن رفاعة بعد انتهاء هذه الفترة (١٨٤٩-١٨٦٣) عاد الى العمل بخطى كبيرة وعزم شديد ، ومعه نفر فى مقدمتهم على مبارك ، فى سبيل تحرير المرأة من قضبان الجهل وأسوار الظلام .

احسب أن الطهطاوى كان يفهم قضية المرأة واعطائها حرية التعليم وحرية السفور وحرية العمل على أنها وحدة متكاملة الجوانب، بلا تفصيل او تفريع ، وانما الذى دعا الى كثرة التفصيلات والتفريعات هو ذلك الحوار الطويل والجدل العنيف الذى ثار ايام قاسم امين . واما الشيخ رفاعة فقد رأى أن مجرد اخراجها من وراء قضبان الحريم ، وتعهدها بالتعليم والتهذيب فى المدارس أسوة بالبنين نداً لند ، كفيل بحل المشكلة من أساسها حلا صحيحا كريما يصحح الاوضاع الاجتماعية الضاربة فى الارض بجذور عميقة ويكسب المرأة حرية الحركة والانطلاق .

حسب رفاعة انه دعا الى تربية الفتاة منذ قرن وثلث من الزمان

وحسب رفاعة فى هذا المجال انه دعا قرنا وثلثا الى تربية الفتاة وتعليمها ، وكافح فى هذه السبل كفاحا مجيدا ، فى وقت عز فيه تعليم البنين والرجال وندر تعليم الصبيان والفتيان ، فاخلق بدعوته من أجل المرأة من ثورة جريئة جليلة ، وكفاه فخرا أنه أول من نبّه الاذهان وحرك الابصار والبصائر بصيحته القوية المجلجلة ، وطرقاته العنيفة الملحة ، التى افاقت المجتمع العربى من نوم عميق ، وأقامته مذعورا من سباته الطويل ، وقدّم بعد ذلك للاجيال الناهضة مدرسة تضم نخبة من التلاميذ الذين ملأوا العصر من بعده ، فتشعبت فروع شجرته الظليلة فى الاصلاح على أيديهم ، وحملوا نبراس دعوته ومشعل أفكاره وأفكارهم فى التربية والتعليم واحياء التراث المجيد ، ونقل العلوم الحديثة ، وصقل اللغة وتنميتها واغنائها عن طريق الصحيفة والكتاب والمدرسة ، فأضاءوا الطريق للبنين والبنات ، بل « للبنات والبنين » .

وفاته

واحسب ان الرجل الكبير قد مضى حين مضى عن الدنيا ٢٩ مايو ١٨٧٣ ، رضىّ النفس قرير العين ، بهذه المدرسة الفكرية القوية بطريقتها ومنهجها ووسائلها فى النقل والنشر ، وبما تركه من ثروة عقلية وفكرية فى كتبه الكثيرة التى ألفها وترجمها فى العلوم والآداب ، وبهذه المجلة الفنية « روضة المدارس » التى كانت أغنى صحف عصره، بما فتحت من صدرها ، للكتاب من علماء وأدباء ومعلمين ومعلمات،وما كان يخلو عدد من أعدادها من موضوع أو موضوعات تتناول قضية المرأة أو قضية الاسرة أو قضية المجتمع فى جراة وصراحة ، بل ثورة فى التناول والتعبير والتطوير . ■■

محمد محمود الدش

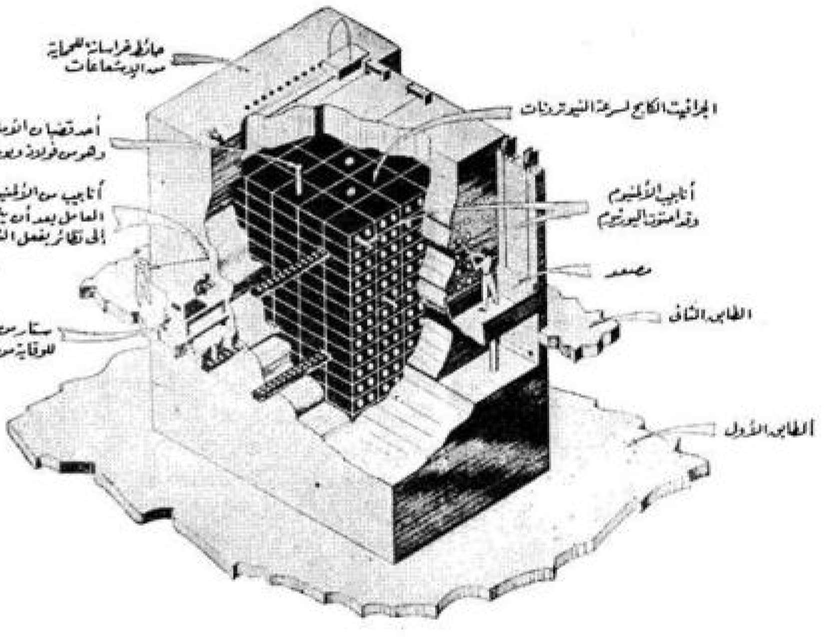
الفرن الذرى

■ انه المفاعل الذرى ، أو النووى Nuclear Reactor كما يسميه العلماء .

ونسميه نحن هنا ، فى الكلام الى الجمهور المثقف،بالفرن ، لأن الغاية منه، ومن التفاعل الذى يحدث فى نواة ذرة اليورانيوم الذى هو وقوده ، انما هى انتاج الحرارة . لنستخدمها فى انتاج الكهرباء .

تماما مثل ما نطلب الفحم ، ونطلبه لحرارته ، لنستخدمها فى تبخير الماء لادارة العجلات التى تنتج الكهرباء .

ومن الآن نذكر اليورنيوم الذى يوجد فى الطبيعة ، له صورتان (نظيران) ، صورة وزن ذرتها ٢٣٥ ، وهى التى تنشق وتعطى لنا الطاقة،وصورة أخرى وزن ذرتها ٢٣٨ وهى لاتنشق فى الفرن.



يُنْتِجُ الكَهْرَبَاء وَوَقُودَ القُنْبُلَةِ الذَّرِّيَّةِ مَعًا

الصورة الأولى توجد فى اليورنيوم الطبيعى بنسبة واحد الى ١٤٠ ، فهى قليلة .

النيوترون
أساس من أسس هذا الوجود

واسمه بالافرنجية Neutron

وهو بطل هذه القصة ، قصة الفرن الذرى .

انه هو ذلك الشىء الضئيل ، المتناهى الضآلة ، السريع ، المتناهى السرعة ، الذى يدخل الى نواة اليورنيوم ، فيشقها شقا ، فتنشق . ومع انشقاقها تخرج الحرارة واشعاعات أخرى لا تهمنا الآن .

والنيوترون أساس من أسس هذا الوجود ، لأنه يدخل فى تركيب الذرات ، ومن الذرات تتركب الأشياء جميعا . انه يدخل فى تركيب نواتها . مثال ذلك الأكسجين ، بنواته ٨ نيوترونات ، ومعها شىء آخر فى مثل ضآلة النيوترون ، ويعرف بالبروتون Proton . وبنواة الأكسجين ٨ بروتونات . والبروتون أساس من أسس هذا الوجود كذلك لدخوله فى نواة كل ذرة .

والفحم ، وبنواته ٦ نيوترونات ، و ٦ بروتونات .

والكبريت ، وبنواته ١٦ نيوترونا ، و ١٦ بروتونا .

ومن أثقل العناصر اليورنيوم ، وهو صنفان ثقيل وزنه الذرى ٢٣٨ ، وبنواته ١٤٦ نيوترونا ، و ٩٢ بروتونا . وصنف أخف ، وزنه الذرى ٢٣٥ ، وبنواته ١٤٣ نيوترونا ، و ٩٢ بروتونا .

ولاستكمال صورة بناء الذرة نقول ان هذه النواة لأى عنصر ، يدور حولها عدد من الالكترونات ، طبقا من فوق طبق ، عددها قدْرَ ما فى النواة من

رسم تخطيطي لفرن ذرى من الافران التى اقامتها الولايات المتحدة قبل اطلاق القنبلة الذرية فى عام ١٩٤٥ . وهذا الفرن هو المفاعل الذى باوك‌ردج Oak Ridge . وترى فيه الجرافيت الكابح لسرعة النيوترونات ، واليورنيوم فى انابيب من الألمنيوم ، وكذلك قضبان الأمان . أما المبرد الذى يحمل الحرارة الى خارج المفاعل فكان الهواء . وكان أهم غرض لهذا المفاعل هو انتاج البلوتنيوم الذى قدر له من بعد أن يكون وقودا للقنابل الذرية .

بروتونات . والسبب ؟ أن البروتون يحمل شحنة كهربائية موجبة Positive Charge ، والالكترون يحمل شحنة كهربائية مثلها مقدارا ، ولكنها سالبة Negative . واذن فتتعادل الذرة كهربائيا ، فلا سالب ولا موجب .

أما النيوترونات التى تتضمنها النواة فهى تقف من الكهرباء على الحياد ، فهى لا سالبة ولا موجبة ، انها لا تحمل من الكهرباء شحنة . انها محايدة ، أو كما يسميها أهل العلم متعادلة Neutral ومن عجيب الأمر انه فى التفاعلات النووية الذرية قد يتحول النيوترون ، ويذهب ويعطينا مكانه بروتونا واحدا (موجبا) والكترونا واحدا (سالبا) .

وليس البروتون هنا من همنا .

وليس الالكترون هنا من همنا .

وانما هو النيوترون ، الذى كشف وجوده العالم الانجليزى شدوك Chadwick عام ١٩٣٢ ، هو الذى من همنا الآن وهم كل من يتحدث عن الذرة وانفلاقها . ولقد قيل فيه انه بكشفه انفتح الباب الى تفجير الذرة تفجيرا عنيفا يحمل الهدم والخراب والدمار ، وتشويه الارض وما عليها من انسان وحيوان ، ثم انفتح باب بعد ذلك ، هو شق الذرة ، اليورنيومية ، شق نواتها شقا هادئا مواتيا أعطى الانسان الخير الكثير فى حياته ، فأعطاه القوة ان هو شاء القوة ، وهى له أول مطلب ، وأعطاه الكثير مما يذكره الذاكرون الذين يحاضرون الناس فيما أعطت الناس الذرة فى شتى وجوه الخدمة ، على السلام .

حجم النيوترون

وأول شىء نذكره من صفات هذا الجسيم ، حجمه . انه بلغ من الصغر تلك الأبعاد الذرية التى يرقمها الراقم على الورق بالحبر كتابة ، ولكنها لاتظهر فى ادراكه الواعى فى وضوح لأن العقل لم يتعود أن يتصور تلك الأبعاد المتناهية الصغر .

ولنبدأ بالذرة . ان وحدة القياس هنا هى جزء من عشرة ملايين جزء من المليمتر الواحد ! وقطر ذرة الكربون مثلا هو نحو ١١/٢ من هذه الوحدة . وقطر ذرة الادروجين ١ من هذه الوحدة تقريبا . وقطر ذرة الرصاص ٣١/٢ من هذه الوحدة .

وقطر النواة يختلف طوله من ذرة الى ذرة طبعا ، ومتوسطه يصغر عن قطر الذرة نحو . . . ١٠ مرة . والذرات تتضمن بروتونات ونيوترونات ، فقطر النيوترون أصغر من ذلك طبعا انها عوالم دون ما قدر للانسان أن يدركه عيانا .

طاقة يحملها النيوترون

ان النيوترون ليس بالشىء الثابت . انه يحمل طاقة تعطيه حركة . وقد اتخذ للتعبير عن الطاقات التى تحملها هذه الجسيمات من نيوترونات وبروتونات والكترونات ، وحدة تعرف بالفلط الالكترونى Elactron volt ، وهى بالتعريف مقدار الطاقة التى يكتسبها أى جسم يحمل وحدة كهرباء الكترونية يهبط بها فى مجال فلطا واحدا .

وما علينا بهذا التعريف . ان «الفلط الالكترونى» هو وحدة الطاقة التى تقاس بها طاقة تحملها النيوترونات التى نحن بصددها ، وكفى . وهى بالطبع غاية فى الصغر .

سرعة النيوترونات

والنيوترون قد يحمل من هذه الطاقة مليون فلط الكترونى ، وتتمثل هذه فى السرعة التى يتحرك بها هذا النيوترون ، وهى تبلغ . . . ١٤ كيلو متر فى الثانية .

والنيوترون قد يحمل طاقة ، فسرعة اكثر من هذا .

وهو بهذه السرعات يعرف بالنيوترون السريع .

وهذه السرعة يمكن تهدئتها بأن يوضع فى سبيل النيوترون ، بل النيوترونات وهى بلايين بلايين ، جسم له ذرات ، يصطدم بها النيوترون فتهدأ سرعته . ومثل هذا الجسم الفحم . والنيوترون يصطدم بذرة الفحم هذه ، ثم هذه ، اصطدام الكرة بالكرة ، حتى تهدأ سرعته وتقل طاقته .

فاذا هبطت طاقته الى نحو الكترون فلط واحد ، بل الى كسر صغير منه ، بلغت سرعته السرعة التى عليها سائر الذرات فى تحركها فى درجات الحرارات العادية كذرة اكسجين وادروجين، وعندئذ يسمى بالنيوترون البطىء ، او النيوترون الحرارى Thermal Neutron لأنه عندئذ يعتمد على درجة الحرارة القائمة .

والنيوترون ، حتى البطىء منه ، يظل يتحرك بسرعة تزيد على الميل الواحد فى الثانية . وهو يظل يصطدم بنواة هذه الذرة ، فهذه ، فأخرى ، وقد تمتصه نواة تلك الذرة فتنشق ، وقد تمتصه نواة فتتحول الى عنصر جديد ، وقد يهرب النيوترون من حقل التفاعل ويضيع فى الفضاء .

والبطىء والسريع فى النيوترونات لهما خطرهما الكبير فى انشقاق ذرة اليورنيوم فى الفرن الذرى (المفاعل الذرى) . وسوف نصف ذلك .

مصادر النيوترون

والنيوترون ، اذا شئنا تحضيره ، كان لذلك عدة طرق ، هى تفاعلات بين نوايا ذرات خاصة تتبدل فى أثناء ذلك تبدلا .

ولكن المصدر الأكبر للنيوترون ، فى الموضوع الذى نحن بصدده، هو انشقاق ذرة اليورنيوم تلك التى وزنها الذرى ٢٣٥ . والنيوترونات التى تخرج من هذا الانشقاق من النوع السريع .

كابحات النيوترونات Moderalors

لهذا وجب النزول بسرعة النيوترونات الخارجة من انشقاق اليورنيوم ٢٣٥ فى المفاعل الذرى باحاطة اليورنيوم بكثير من الفحم (الجرافيت) . ويسمى الجرافيت هنا كابحا Moderator ، وجاز أن يكون الملطف أو المهدِّىء او المسكن ، وكلها تشير الى السرعة. وقد نختار لفظ المسكن ترجمة لهذا اللفظ الافرنجى . ولكن تراءى لنا ان لفظ الكابح لعله امثل . فهى اذن الكابحات الالكترونية .

والكابحات كالجرافيت ، من المواد المهمة فى بناء الفرن النووى .

وكان الجرافيت اول من اختير من هذه الكابحات . وذلك بسبب ثبات نواته واتزانها . فالنيوترون السريع يصدمها ولا تمتصه ، الا نادرا . وعندما تهبط سرعة النيوترون الى سرعة الذرات تكون فرص التقائه بنواة اليورنيوم ٢٣٥ اكثر منها وهو ذو سرعة كبيرة .

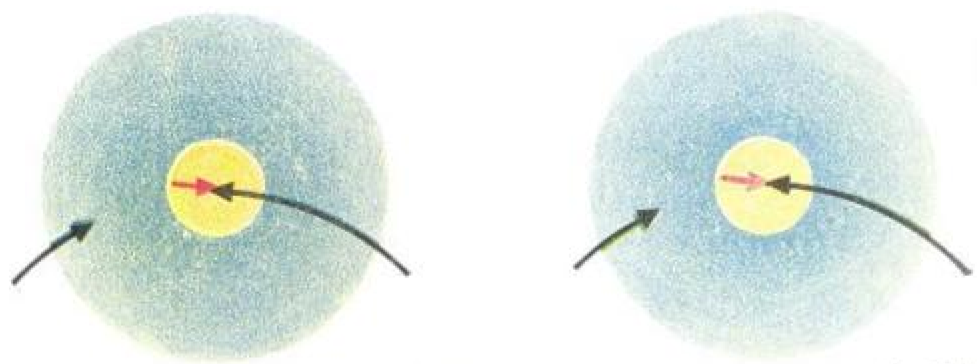
قضبان الأمان فى المفاعلات الذرية أو مصاصات النيوترونات

ان الجرافيت وهو صورة من صور الكربون ، تصطدم النيوترونات بذراته مرة فمرة ، فمرة، فترتدُّ عنها ، وذلك الى أن تلتقى بذرة يورنيوم قابلة للانشقاق فتشقها ، فتخرج من الانشقاق الحرارة المطلوبة ، وغير الحرارة مما ينبعث من انشقاق الذرة .

ولكن من العناصر ما لا تتلقف نواتها النيوترون لترده ، وانما هى تحتضنه احتضانا . انها تمتصه . وهكذا يفعل الكدميوم . وهكذا يفعل البورون .

وقد تفعل ذلك ذرات الجرافيت ،

اليورانيوم ذرتان ، لهما وزنان مختلفان

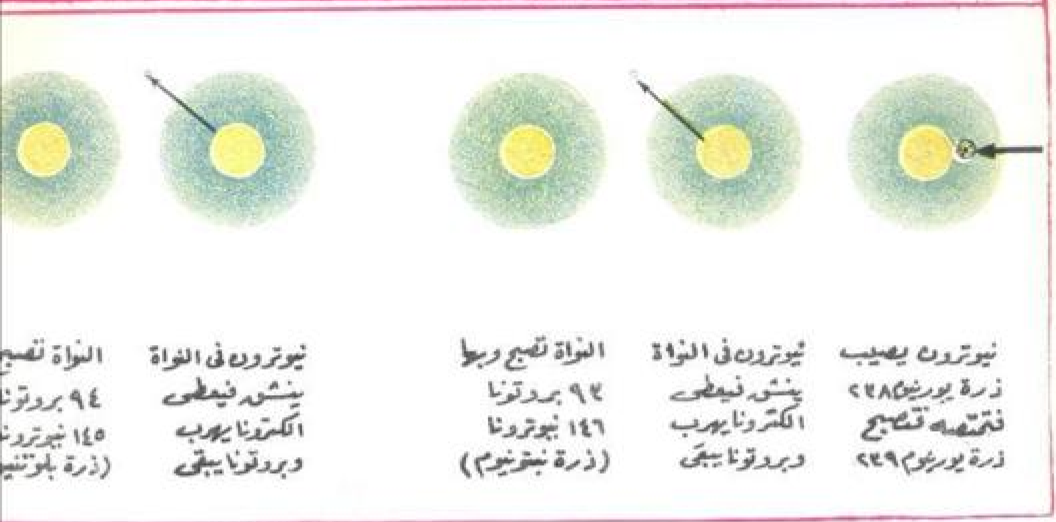


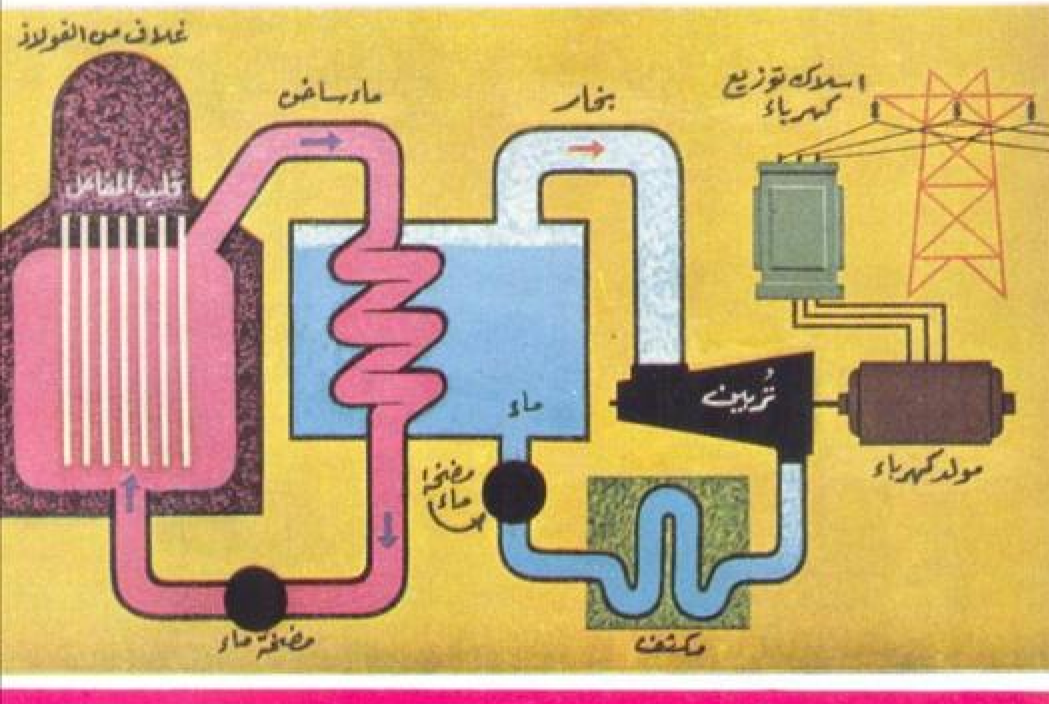
انشقاق ذرة يورانيوم ٢٣٥



بروتون يصيب نواة ذرة يورانيوم ٢٣٥ فتنشق ، ويخرج منها ، فيما يخرج ، نيوترونان أو ثلاثة تصيب أكثر من نواة ذرة . وهكذا تتكاثر الذرات المنشقة بسرعة زائدة ، وبهذا يتسلسل الانشقاق وما يصحبه من تفاعل . وإذن كان لا بد من ضبطه بقضبان الأمان حتى لا يشتد فيصبح خطرا .

ذرة اليورانيوم ٢٣٨ تتحول الى ذرة بلوتنيوم وقود القنبلة الذرية .





هكذا تتولد الكهرباء من الذرة : المفاعل الذرى الى اليسار ، وفيه تدور دورة الماء لتحمل الحرارة التى ينتجها ، وهى بدورها ، فى الخارج ، تعطى الحرارة لدورة الماء الثانية ، وفيها يتحول الماء الى بخار ذى ضغط شديد ، يدفع عجلة التربين فتدور محورها محور مولد الكهرباء ، فتنتج الكهرباء التى توزع بعد ذلك بالأسلاك الكهربائية .

وذرات سائر الكابحات مثل الجرافيت ، ولكن بدرجة قليلة جداً . عملها الأصيل الغامر الشامل هو الرد ، فتهدئة سرعة النيوترون .

وتسمى هذه المواد، كمعدن الكدميوم والبورون ، الماصات للنيوترونات Absorbents .

وهدفها ؟

هدفها الوقاية . تقى المفاعل الذرى من أن يشتد تفاعله اشتدادا يطيح به . فهى قضبان كثيرة لها فى قلب المفاعل (وهو يحتوى اليورنيوم والجرافيت) ثقوب تدخل فيها وتخرج . فاذا ادخلها العاملون على المفاعل كل الادخال فى هذه الثقوب ، امتصت مقدارا كبيرا من النيوترونات يقف التفاعل بالمفاعل ايقافا واذا هم اخرجوا هذه القضبان ، قللوا الممتص من النيوترونات فزاد نشاط المفاعل .

انهم بهذه القضبان او الاعواد الماصة للنيوترونات يتحكمون فى سرعة التفاعل، بحيث يقونه شر الجموح والتصدع .

انها اذن قضبان الأمان .

وهى فى بناء المفاعل الذرى اصيلة .

الذرات قد تمتص النيوترونات فتتحول الى ((نظائر))

والنيوترون قد تمتصه نواة العنصر الذى يصطدم به ، واذن ينتج عن ذلك عنصر ذرته أثقل ، ولكن تبقى الذرة هى هى ، من حيث صفاتها الكيماوية ، ذلك لأن النيوترون ليس به شحنة كهربائية موجبة أو سالبة. ومثال ذلك النيوترون يصيب الأدروجين ، فيستقر فى نواة ذرة الادروجين ، فيصبح وزنها أثقل . والنيوترونات تصنع ذلك فى ادروجين الماء فينتج من ذلك الماء الثقيل .

وبما ان الادروجين الثقيل ، له نفس الصفات الكيماوية التى للادروجين العادى الخفيف سمى هذا الادروجين بالنظير Isotope .

النيوترونات تحوّل اليورنيوم الى بلوتنيوم ، وقود القنابل

ومثل آخر متصل بالذى نحن فيه من المفاعلات الذرية . ذلك يورنيوم ٢٣٨ . انه يورنيوم لا ينشق بفعل النيوترونات كأخيه يورنيوم ٢٣٥ كما سبق أن ذكرنا ولكنه فى المفاعلات الذرية، يصيب النيوترون نواة ذرته فتتحول الى نظير لليورنيوم ، يزيد وزنه الذرى واحدا ، فهو يورنيوم ٢٣٩ ، لا يلبث أن يتحول الى عنصر جديد هو نبتونيوم Neptunium ، لا يلبث أن يتحول بدوره الى بلوتونيوم Plutonium وهو وقود القنبلة الذرية . هذا بالطبع الى جانب اليورنيوم ٢٣٥ الذى كان الوقود الأول للقنبلة ، الا ان البلوتنيوم بهذه الطريقة أسهل ايجادا واستخلاصا .

اذن فالمفاعلات الذرية هى أيضا « مرابٍ » للبلوتنيوم Breeders .

وقد يجرى تصميم المفاعل ليكون هدفه الأول اعطاء البلوتنيوم ، أو اعطاء الحرارة فالكهرباء ، أو هما معا .

واذكر ما سبق أن قلنا عن مفاعل اسرائيل وتحضير البلوتنيوم لصنع القنبلة الذرية . وذلك فى « العربى » عدد ٨٥ شهر ديسمبر ١٩٦٥ .

التفاعلات الجارية فى المفاعل الذرى

ونحصيها الآن فنجدها :

١) انشقاق يورنيوم ٢٣٥ بالنيوترونات البطيئة السرعة ، بعد أن هدأ الكربون سرعتها .

٢) امتصاص النيوترونات الزائدة عن الحد، ويمتصها البورون أو الكدميوم الذى يوجد فى قضبان الأمان .

٣) امتصاص يورنيوم ٢٣٨ النيوترونات وتحوله الى بلوتنيوم .

حجم المفاعل الذرى

فى كل جسم ، مكعبا كان أو دائرة ، توجد نسبة معينة بين حجمه وسطحه. واذا نحن زدنا أبعاد المربع او الدائرة ، زدنا هذه النسبة . اى أن حجمه يزداد اكثر مما يزداد سطحه .

واذا علمنا ان النيوترونات التى تخرج من انشقاق اليورنيوم ، يهرب بعضها من سطح المفاعل ، وانه من واجبنا توفير هذه النيوترونات لتقوم بزيادة من شق اليورنيوم ، كان علينا ان نصغر السطح بالنسبة الى اتساع قلب المفاعل .

وهذه الغاية تكون بتكبير الحجم ، حجم المفاعل .

فالمفاعل ذو الحجم الصغير قد يضيع من سطحه ، الكبير نسبيا ، عدد كبير من النيوترونات ، يجعل المتبقى منها فى بطن المفاعل غير كاف لاجراء الانشقاق وتسلسله .

اذن لا بد من الوصول الى حجم يعطى الكفاية من النيوترونات داخل المفاعل .

واصغر حجم يتفق مع هذا يسمى بالحجم الكافى Critical size

المبردات فى المفاعل الذرى Coolants

لقد كدنا نأتى على أجزاء الفرن الذرى، المفاعل الذرى ، كلها .

فأولا اليورنيوم ، ولنا فيه كلمة اخرى تأتى .

وثانيا الكابحات ، وذكرنا مثلا لها الجرافيت .

وثالثا المصاصات ، وذكرنا مثلا لها الكدميوم والبورون .

وبقى المبردات.

ذلك اننا نبنى المفاعل الذرى لنستفيد من حرارته ، كما نحرق الفحم لنستفيد من حرارته. ونحن نحرق الفحم ، ونأخذ حرارته لنحول بها الماء الى بخار ذى ضغط عال ندفع به الى التربينات فتدور. والتربينات ، وهى عجلات ، تدور فتدير محاورها مولدات الكهرباء فتنتج الكهرباء .

وهكذا نفعل بحرارة المفاعلات الذرية النووية .

اذن لا بد من حمل هذه الحرارة الى خارج المفاعل . ومن الحاملات لها الماء . انها دورة من انابيب يدور فيها الماء بفعل مضخة دافعة له .

وبعض هذه الدورة يدور داخل المفاعل، وهذا البعض يسخن ماؤه فيدور فيخرج عن المفاعل بحرارته هذه . وفى الخارج يعطى هذا الماء ، وقد استحال الى بخار تحت ضغط شديد تتحمله انابيبه ، يعطى حرارته الى دورة ماء اخرى خارجية هى التى يدفع بخارها عجلات التربين الذى يدير مولد الكهرباء .

وقد استخدموا بدل الماء الهواء. وقد استخدموا بدل الماء ثانى اكسيد الكربون. وكلاهما غاز . وتوصف المبردات عندئذ بانها غازية .

الجدار الواقى

وماذا بقى بعد ذلك ؟

بقى الجدار الواقى ، هذا الذى يلف المفاعل لفا فيحبس ما يصحب الانشقاق من اشعاعات ذرية تؤذى العاملين على هذا الجهاز أيما ايذاء . وهذه الجدران تكون من الصلب السميك، ومن الخراسانة العريضة .

ويكون بالجدران بالطبع فتحات تصل العاملين بالمفاعل يجرون عن طريقها أعمالا روتينية لابد منها، كادخال القضبان الماصة فيه أو اخراجها ، وكاخراج اليورنيوم المستهلك فى الجهاز واستبداله. وهلم جرا . ■■

اعرف وطنك أيها العربي

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال

البحرين بعد

نهضتان جديدتان: إحداهما عمرانية..

الى اسفل : هذه هي البحرين بعد ثماني سنوات : عمارات جديدة عالية ، الى جانب سفينة «البوم» التقليدية الدائـ



وصوره **عبد الناصر شقره**

٨ سنوات

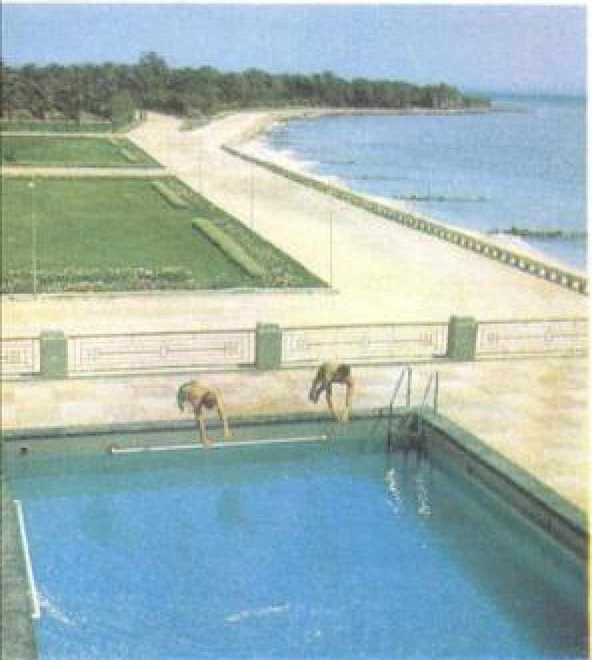
والأخرى نسائية.

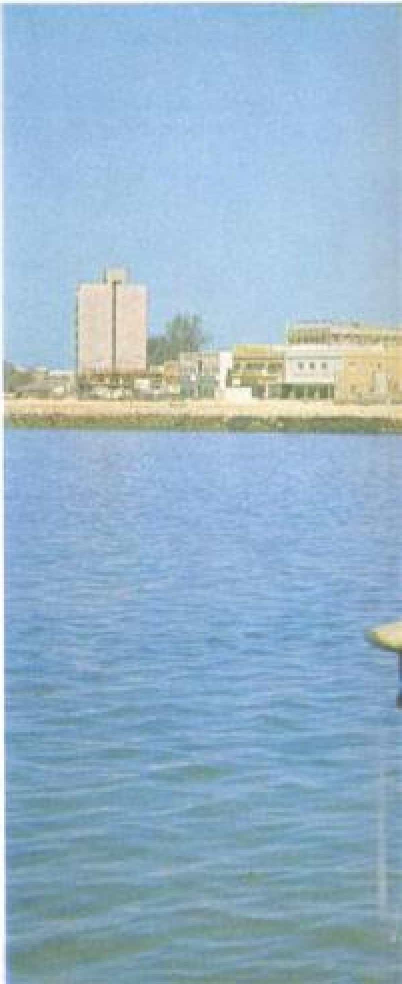
..كل هذا وسط مياه الخليج العربي..



دخلت المرأة البحرانية الحياة الاجتماعية ، بعد عزلة طويلة

الى اسفل : بستان .. و
ماء عذب .. على شاطىء ال





■ منذ ثماني سنوات و« العربى »تتنقل معك فى رحلات شهرية مصورة الى مختلف مدن ومناطق وطننا العربىالكبير .. وقد بدانا سلسلة هذه الرحلات باستطلاع عن « البحرين »نشرناه فى العدد الأول .

واليوم وبعد مضى هذهالفترة الطويلة،طارت بعثة « العربى » مرة ثانية الى البحرين لتنقل لك صورة جديدة عنالحياة فى هذه الامارة التى تبدو على الخرائط فى حجم رأس الدبوس !

تعيش معظم اقطار الوطن العربى فى فترة انتقال شملت جميع الميادين: العمرانية والصناعية والثقافية .. ومن خلال هذه الحركة الجماعية الهائلة سجلنا مكاسب وانتصارات ، الى جانب بعض الخسائر والانتكاسات ، فقد شهدنا خلال جولاتنا العديدة فى الوطن العربى ، اقطارا تقفز عشرات السنين الى الامام .. واخرى يضطرب بها السير فلا يدرى المرء أهى سائرة الى الأمام أم الى الوراء .. وثالثة تتقاذفها الرياح ، فتبذل الجهد كل الجهد لتحظى أولا بنعمة الاستقرار .

تقدم وليس جمودا

بعد هذه المقدمة القصيرة نعود لنتساءل : والبحرين ماذا كان نصيبها من هذه القفزات ، خلال الثماني سنوات الماضية ؟ ..

والجواب علىذلك .. ان البحرين بلاد تتقدم .. حقيقة انه تقدم بطيء .. ولكنه تقدم على اية حال ، لا سيما فى مجالى التعليم والعمران .

وعندما هبطت بنا الطائرة فى مطار المُحَرّق بالبحرين احسسنا وكاننا نزور هذه البلاد لأول مرة ، فقد كان كل شيء فيها جديدا .. وبقى هذا الشعور يراودنا خلال اغلب أيام اقامتنا فى البحرين ، ولا شك انه شعور غريب ، لأننا زرنا هذه البلاد من قبل !

أفقر حقول الخليج

ان الفكرة السائدة عن البحرين أنها عضو فى مجموعة الدول البترولية ، وعلى ضوء هذا التفكير تقارن دائما بالكويت والسعودية وقطر وابو ظبى .. بينما الواقع أن البحرين لا تملك الا أفقر الآبار البترولية فى الخليج العربى .. انه حقل « عوالى » الصغير ، الذى قدروا احتياطى النفط المخزون فيه بنحو ٣٠ مليون طن .. بينما يبلغ احتياطى النفط المخزونفىالكويت مثلا ..٥٤٠ مليون طن !

وينتج حقل البحرين ٢٢ مليون برميل من النفط سنويا .. ولكن الذى يضخم أمر النفط فى البحرين ، هو الستين مليون برميل من النفط الخام القادم اليها من المملكة العربية السعودية عبر أنابيب طولها ٣٤ ميلا نصفها يمر تحت ماء الخليج ، ونصفها الآخر يمتد فوق اليابسة فى الجزيرة ..

ويختلط النفط السعودى بنفط البحرين فى معمل التكرير الكبير بالقرب من جزيرة سترة .وفى



٧٥٪ من البترول الخام الذى يكرر فى البحرين يأتى من المملكة العربية السعودية عبر انبوبين طول كل منهما ٣٤ ميلا ، وقطرهما ١٢ بوصة .. أما الأنبوب الثالث ، الظاهر فى الصورة فيحمل الماء من البحر الى محطة تكرير البترول للتبريد

هذا المعمل يتحول النفط الخام الى غازولين ، وكيروسين ووقود للمحركات الثقالة واسفلت ، قبل أن تنقله ناقلات النفط الراسية فى ميناء سترة ، الى الهند وجنوب شرق آسيا .. وقد بلغ ما كرره هذا المعمل فى عام ١٩٦٤ نحو ٧١ مليون برميل . (الطن = ٦٫٢٨ برميلا) .

٧ ملايين دينار و ١٨٢ ألف نسمة

ويقولون ان دخل البحرين من النفط هو أربعة ملايين ونصف المليون من الدنانير ، هذا ما يقولونه لأنه لا توجد أرقام ميزانية فعلية ، يضاف الى ذلك دخل الجمارك ، ويبلغ مليونين ونصف المليون من الدنانير ، أى ان دخل امارة البحرين كلها سبعة ملايين دينار سنويا .. وهذا الرقم يوازى ميزانية دائرة أو وزارة فى بعض دول البترول المجاورة !!

ومن هذه الميزانية الضئيلة استطاعت حكومة البحرين أن تؤدى خدمات كبيرة لأهل البحرين ، الذين أجرى احصاء لهم فى العام الماضى فبلغ عددهم ١٨٢٢٠٣ نسمة منهم ١٤٣٨١٤ يحملون الجنسية البحرينية و ٧٢٢٣ ايرانى و ٥٣٨٣ هندى و ٣٩٣٢ باكستانى و ١٢٦٢٨ مسقطى و ٢٧٩٧ بريطانى،والبقية من مختلف بلاد العالم..

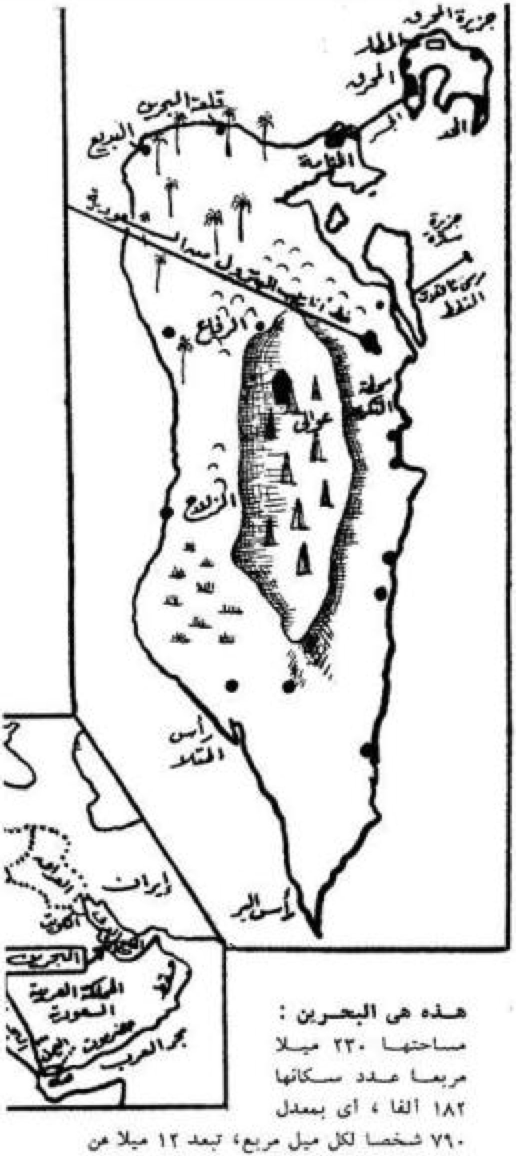
سر النهضة العمرانية

وأول ما لمسناه من تطور فى البحرين ، كان مشهد العمارات الضخمة المتناثرة على طريق البحر .. كل منها يحوى ما يتراوح بين خمسة وتسعة طوابق .. لقد ارتفعت هذه العمارات بعد أن استطاعت الهندسة الحديثة القضاء على فكرة خاطئة كانت تسيطر على أهل البحرين ، من أن ارضهم لا تستطيع تحمل ثقل العمارات العالية بسبب المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض !

لقد انتشرت حمى بناء المنازل والعمارات السكنية فى جميع أرجاء البحرين ، وخاصة فى العاصمة المنامة . ولم يكتفوا بالبناء على الارض ، بل اتجهوا الى البحر فردموا شواطئه الضحلة ليقيموا عليها المنازل الشعبية والعمارات الحديثة!

ان التوسع الطبيعى للعاصمة كان باتجاه الجنوب ، ولكن مقبرة ضخمة تزيد مساحتها على كيلو متر مربع وقفت حجر عثرت فى وجه الامتداد الطبيعى للمدينة ، الذى انحرف ناحية الغرب فالتحم بمبانى القرى المجاورة التى أصبحت بمثابة ضواح للعاصمة ! .

وقد تبين من الاحصاء الأخير أن عدد منازل البحرين ٢٦٣٠٠ منزل ، أى بزيادة قدرها ١٩ فى المائة ، من عدد منازل عام ١٩٥٩ .

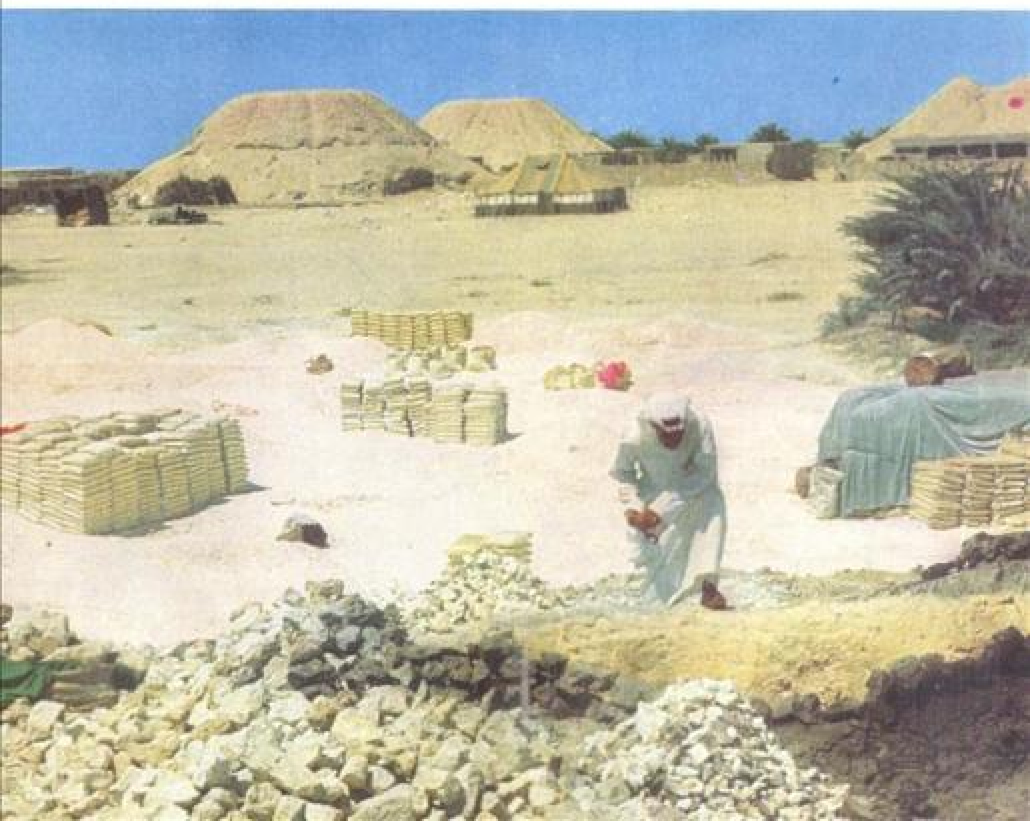


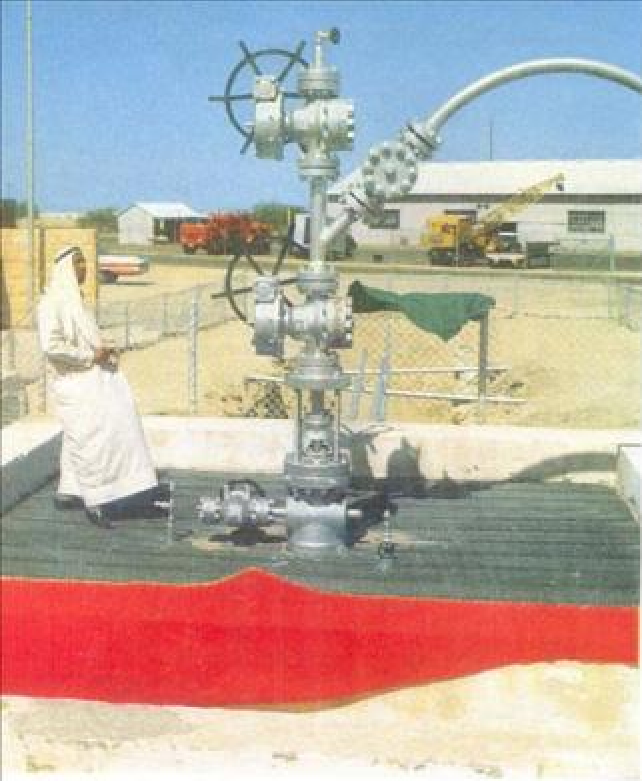
هذه هى البحرين : مساحتها ٢٣٠ ميلا مربعا عدد سكانها ١٨٢ ألفا ، أى بمعدل ٧٩٠ شخصا لكل ميل مربع، تبعد ١٢ ميلا من ساحل الجزيرة العربية ، بينما يفصلها عن أقرب نقطة لايران ١٨٠ ميلا .



الى اليمين : بالرغم من انتشار الغسالات الكهربائية ومحلات التنظيف بالبخار ، فما زال «الدوبية» يغسلون ملابس الاهالي على الطريقة الهندية في النهير الصغير المتفرع من عين عذاري ..

الى اسفل: هذه الاكام التي تراها في الصورة هي بعض المقابر الاثرية لشعب ديلمون الذي عاش في البحرين منذ ٥٠٠٠ سنة .. ان عدد القبور الموجودة يقرب من مليون قبر لم يفتح الا القليل منها ، ويعمد الاهالي الى استعمال فوهاتها ، التي تشبه البركان ، كأفران لحرق احجار الجص الموضوعة في الغرف السفلى التي كان يدفن فيها الموتى!





الى اليسار : النصب التذكاري لأول بئر نفط في الخليج العربي اكتشفت في يونيو ١٩٣٢ كانت تعطي ٤٠٠ برميل في الساعة حتى عام ١٩٤٠ وبعدها توقفت عن الحياة بعد أن نضب النفط فيها .. ان عدد الآبار المحفورة حتى الآن ٢٢٤ بئرا منها ١٢٨ منتجة للنفط **.. والى اسفل اليسار ،** البئر الجديدة التي يحفرونها في جزيرة سترة،انهم يحيطونها بهالة من السرية، ويمنعون الاقتراب منها او تصويرها .. لأن الآمال كلها معلقة على اكتشاف حقل جديد للنفط تحتها .. ومما يذكر ان اهل البحرين ، مثل بقية الامارات، يعتقدون بأن النفط موجود تحت اراضيهم ومياههم بكثرة ، ولكن السياسة هي التي تتدخل لتحرمهم من التمتع بواردات نفطهم ..





ان النهضة العمرانية تخفى وراءها قصة التاجر البحريني الذى يقبل على بناء العمارات السكنية للايراد السنوى الكبير الذى تدره ، والذى لايقل عن ٢٠ في المائة من ثمنها ، أى أنها تغطى مصاريفها فى خلال خمس سنوات فقط !!

وما تكاد المنازل ترتفع حتى تهرع الشركات والعائلات الأجنبية من مدنية وعسكرية الى استئجارها بعقد لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد لنفس المدة !

الفندق الحائر !

من هنا كان الاقبال على بناء المنازل ، وكانت النتيجة تفشى الخمول فى جميع القطاعات الأخرى .. فليس فى البلاد مصنع قام به فرد أو جماعة .. حتى الفنادق ليس فى البحرين كلها فندق لائق ... وقد حاولت الحكومة منذ خمسة أعوام أن تبنى فندقا فخما للبلاد .. فهاج التجار وقالوا : « الحكومة تريد منافستنا فى أرزاقنا ».

وتنازلت الحكومة لغرفة تجارة البحرين عن حقها فى مشروع الفندق الكبير ، ولكنها سعيا وراء نجاح الفكرة خصصت ٦٠٠٠ الف قدم مربع فى منتصف الجسر لاقامة الفندق عليها ، كما وعدت بالمساهمة بنسبة ٢٠ فى المائة من رأس مال شركة الفنادق التى قرر التجار تكوينها ..

وظل مجلس ادارة هذه الشركة يجتمع ويجتمع لمدة خمس سنوات متوالية .. خرج بعدها بقرار اعرج كان مفاجأة للجميع .. لقد قررت الشركة التنازل عن المشروع وعدم تنفيذه .. والسبب ان ارباحه غير مضمونة !!!

وهكذا ضاعت خمس سنوات على البحرين دون أن يتم تنفيذ هذا المشروع الحيوى الذى بدونه لا يمكن أن تفتح البحرين ابوابها للسياحة على نطاق واسع ! .

ان تاجر البحرين هو طفلها المدلل .. جميع رغباته مستجابة .. والضرائب على بضائعه زهيدة لا تكاد تذكر ، فهى لا تتجاوز ٥ فى المائة على مواد البناء .. وعشرة فى المائة على السيارات ، و ٣٥ فى المائة على السجائر والمشروبات .. بينما الأطعمة والأسمدة والتمور والاغنام معفاة تماما من الضرائب!

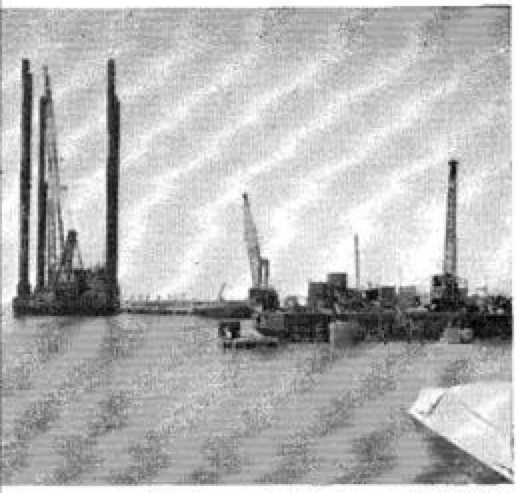
أغرب الموانىء !

وترد جميع البضائع الى البحرين بالبواخر الكبيرة التى أصبحت تقف ملاصقة لرصيف ميناء سلمان الكبير ، بعد أن كانت تقف فى عرض البحر ، وتفرغ حمولتها فى المراكب الصغيرة !

ويؤم هذا الميناء الكبير ، الذى افتتح منذ اربع سنوات ، نحو ٥٠ باخرة شهريا تفرغ ما زنته ٣٥ الى ٤٠ الف طن .. يعاد تصدير نحو ٢٠ فى المائة منها الى البلدان القريبة بواسطة البواخر الصغيرة ..

ويتميز هذا الميناء بغرابته فعندما تشعر ادارته أن ايراداته قد زادت تعمد فى الحال الى تبديل وتنزيل التعرفة الجمركية ! فمثلا كانت الرسوم المفروضة على طن البضائع المارة (ترانزيت) هى ٣٢ روبية ، ولكنهم ما لبثوا أن خفضوها الى ٢٧ روبية ، تنزل بدورها الى ٢٠ روبية فى حالة زيادة وزن البضاعة عن ٥٠٠ طن !

ان الفكرة وراء هذه التخفيضات ، كما شرحها لنا الشيخ دعيج بن خليفة مساعد مدير الميناء ، تنحصر فى تشجيع التجارة والتجار البحرينيين الذين يستوردون البضائع بكميات كبيرة جدا بلغت قيمتها فى العام الماضى ٢٩ مليون جنيه استرليني أعيد تصدير ما قيمته ثمانية ملايين جنيه منها الى



المنطقة الحرة فى ميناء سلمان : يضع فيها التجار بضائعهم التى يشترونها من الخارج ، ويعيدون تصديرها دون أى ضريبة .. أما الشركات فتستأجر قطعة أرض مغطاة بالماء الضحل ، وتردمها وتتخذها مركزا لها .. وتكاليف الدفن تخصم من الايجار السنوى الذى يتقاضاه الميناء .

السعودية، وقطر ، وايران وبقية امارات الخليج.

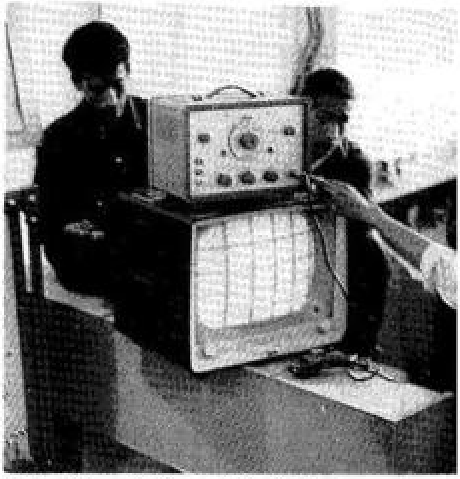
الدينار يساوى ١٥ شلنا

ومما يذكر أن العملة فى البحرين كانت الروبية الهندية ، التى ما زال الناس يتحدثون ويتعاملون باسمها بالرغم من تبديلها منذ اكثر من عام بالدينار البحرينى المزخرف بشعارات ومعالم البحرين ، والذى يعادل ما قيمته ١٥ شلنا استرلينيا ، او عشر روبيات هندية .

وقد وصل مجموع ما استبدل من الروبيات اكثر من ٦٢ مليون روبية ، تم استبدالها دون أن تتأثر الاسواق ، أو يعانى المجتمع من اى غلاء !

طمر الآثار بعد اكتشافها

ان المجتمع البحرينى هو مجتمع تجارى .. ورث ابناؤه مهاراتهم عن اسلافهم ، الذين انطلقوا من هذه الجزيرة الى كل اتجاه .. ومع كل ريح كانت اشرعة سفنهم تمتلىء لتتحرك الى ارصفة الموانىء فى أكبر محاولة تجارية سجلها التاريخ القديم لجمع ذهب العالم



تدريب على اصلاح التلفزيون فى المدرسة الصناعية

.. حقيقة انه لا توجد محطة تلفزيون ، لكن برنامجى محطتى الكويت والظهران يصلان واضحين الى البحرين ، وخاصة فى أيام الرطوبة .. حتى قالوا لنا : « كانت رطوبة البحرين نقمة ، والآن نعمة ، لأنها تنقل الينا برامج تلفزيون الكويت »

فى يد فئة معينة من أبناء الأرض ..

وقد احتار المنقبون فى معرفة سكان البحرين الأوائل ، الذين قالت عنهم البعثة الدانمركية للآثار فى تقريرها الأخير : « ان سبب قدومنا الى هنا هو لايجاد تفسير لوجود مائة الف مدفن أثرى فى البحرين . ان هذه المدافن تشكل أعظم مقبرة يرجع عهدها الى أزمنة ما قبل التاريخ فى العالم، وهى دليل على وجود شعب أصيل استطاع من الخليج العربى ادارة دفة التجارة عبر البحار ، فكان همزة الوصل التى ربطت بين المدنيتين العظيمتين فى وادى الهندوس والعراق منذ ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد .. انه شعب ديلمون ،الذى اطلقت عليه الأساطير السومرية لفظ « آلـك دلمون » .. ان هذا الشعب النشيط قد توارى فى هذه القبور العظيمة الواقعة قرب قرية عالى بجزيرة المنامة » .

والآثار فى البحرين ، مثل أغلب الآثار فى الخليج، لا تلقى الاهتمام الكافى من الأهالى أو من المسئولين .. واكثر ما يضايق المنقبين هم الأهالى الذين يقلعون احجار المعالم الأثرية لبناء منازلهم بها .. ولهذا السبب اضطرت البعثة الدانمركية الى طمر آثار عاصمة شعب ديلمون بالأتربة بعد أن اكتشفتها ، خوفا من أن يقتلع الأهالى احجارها !

والى جانب الأهالى نجد الزمن يقوم بدوره ، فالقلاع القديمة يتناقص حجمها عاما بعد عام بفعل تساقط ابراجها وحوائطها القديمة المتروكة دون اى عناية ..

حتى الآثار الحديثة تعانى نفس المشكلة ، فمئذنتا جامع الخميس ، الذى يقال انه بنى فى عهد عمر بن عبد العزيز الأموى ، والذى وضعوا رسمه على الدينار الجديد وعلى الهدايا والتذكارات، هذا الأثر اصبح فى حالة يرثى لها من التداعى ..

ومن الطريف أن ميدان المتحف هو من الميادين الرئيسية فى العاصمة ، وتسأل عن مكان هذا المتحف فيجيبونك : « سلامتك .. عندنا ميدان فقط .. أما المتحف فلم يبن بعد ! » .

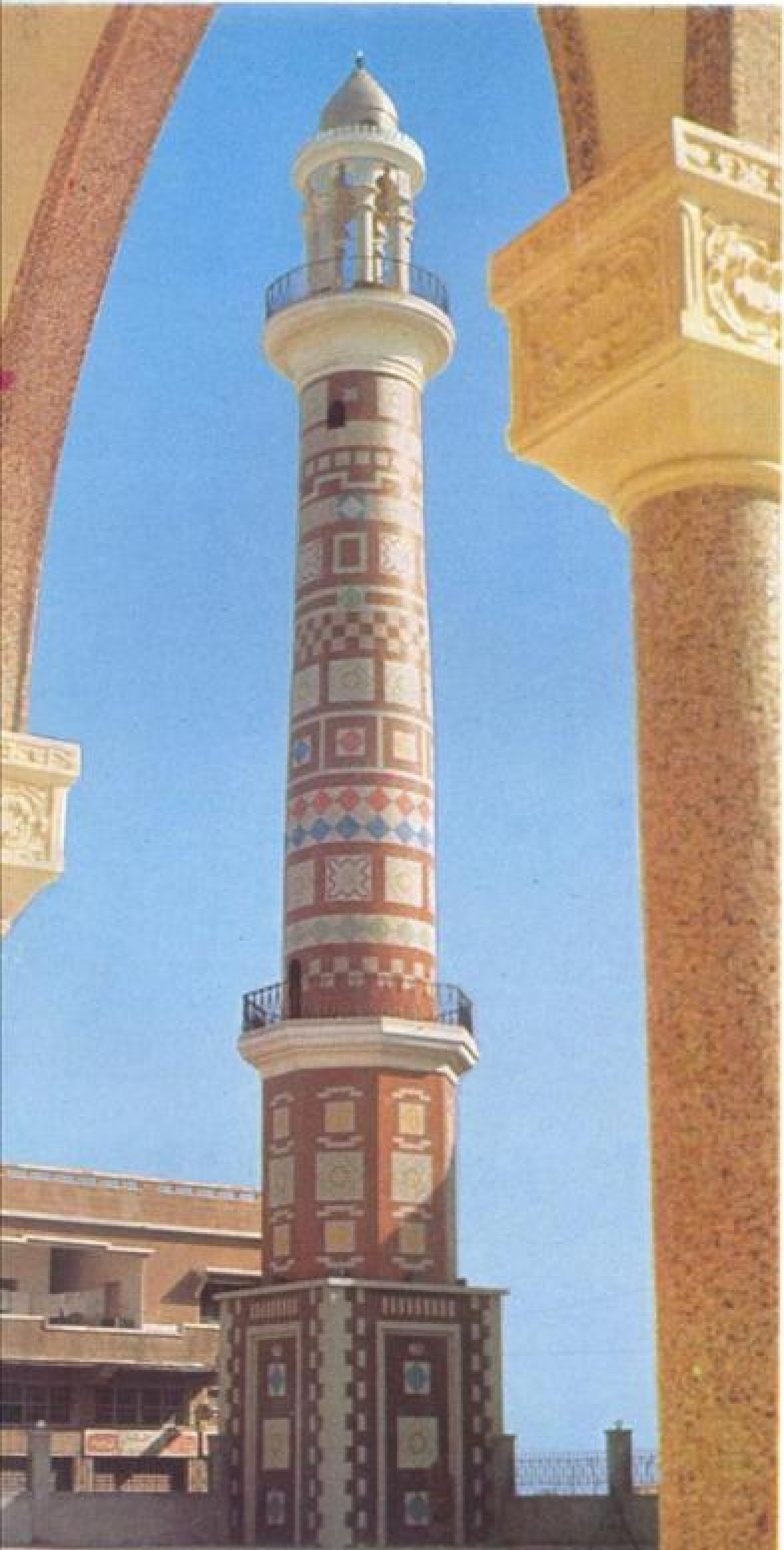
المنامة .. والمحرق

ولا يمكن أن تتحدث عن التاريخ دون التطرق الى جغرافية البحرين ، التى تتكون من أرخبيل يضم ١١ جزيرة مجموع مساحاتها ٢٤٥ ميلا مربعا .. أشهرها جزيرة المنامة ، التى لا يتعدى طولها



صورة من الجو للعاصمة المنامة : انها المدينة التى ينام أهلها من السابعة والنصف مساء كل يوم فتتوقف الحياة العامة فيها تماما . ان اجمل ما فى المنامة هى احياؤها الجديدة وأسواقها العامرة بكل حديث وقريب ! وعدد سكانها ٧٩٫٠٩٨ نسمة ومنازلها ١٢ الف منزل، انها منازل مكتظة بجوار بعضها .. وأمنية البلدية هى شق طرق رئيسية بين هذه المنازل المتراصة مع توسعة الطرق الاخرى، ولكن نقص المال أوقف هذا المشروع .. ان ميزانية البلدية لا تسمح باستملاك المنازل الا فى حدود مبلغ خمسة الاف دينار سنويا ! .. وأزمة السكن فى المنامة على أشدها ؛ لهذا بدأ الاهالى يتجهون الى بناء العمارات العالية (العمرة اليمنى) بعد أن كانوا يتهيبون هذا النوع من البناء بحجة أن أرض المدينة لا تحمله ! والعمارة الظاهرة فى الصورة تقع على طريق الحكومة أو طريق الكورنيش المطل على مياه الخليج العربى ..







الى اليسار : مئذنة الجامع الكبير في المنامة، انتهى العمل من تجديدها فلبست حلة قشيبة من القيشاني الملون . ومما يذكر أن هذا هو ثالث تجديد وترميم لهذه المئذنة ، التي يقال ان بانيها هو الشيخ احمد بن محمد الملقب بالفاتح ، واول حكام آل خليفة في البحرين ، اذ حكم عام ١١٩٧ هـ . ١٧٨٣ م.

٣٠ ميلا ، واقصى عرض لها ١٠ أميال .. وفى وسط هذه الجزيرة تقع حقول ومدينة النفط : انها مدينة « عَوَالى » المكيفة الهواء والتى يعيش فيها ٢٩.٧ نسمة .. وبطرف الجزيرة الشمالى تقع العاصمة، وتسمى «المنامة» وعدد سكانها ٧٩.٩٨ نسمة.. وقد اختلفوا فى معرفة سبب هذه التسمية وفى ذلك يقول صاحب التحفة النبهانية : « من قائل أن اسمها كان « المتعجمة » ثم حرف ، ومن قائل انها كانت تضم قصرا ينام فيه احد حكامها.. ».

اما الجزيرة الثانية فهى المُحرّق ، وتضم مدينة تحمل نفس الاسم ، كانت هى العاصمة فى قديم الزمان ، أما اليوم فهى المدينة الثانية ، يعيش فيها ٣٠.٢٤٤ نسمة . ويعللون اسمها بأن المجوس كانوا يحرقون أمواتهم فى ناحية منها لما كانوا مالكيها قبل الاسلام .. وقد اصبحت المحرق مدينة سكنية فقط ، لا يزيد ارتفاع أعلى منزل فيها عن طابقين ، لأن أهلها يعمدون الى بناء منازلهم الكبيرة فى العاصمة المنامة ، لارتفاع الايجار هناك بمقدار ١٠ أضعاف الايجار فى المحرق .

ويتميز أهل المحرق بتمسكهم بالتقاليد والعادات العربية ، ولولا المطار الذى فيها ، والذى شقوا له طريقا على البحر ، لماتت مدينة المحرق منذ أمد بعيد ..

ومن هذا الكلام يتضح أن المدينتين الرئيسيتين فى البحرين تقع كل منهما على جزيرة مستقلة ، يفصلهما بوغاز طوله ميل واحد فقط .. وعلى هذا البوغاز أقاموا جسرا حجريا يربط بين الجزيرتين ، وتمر عليه السيارات وتعبر من تحته السفن الصغيرة ..

برسيم فقط !

وكانت البحرين تضم فى السابق ٣٦٧ بلدة وقرية ، دمر أكثرها فى سلسلة الحروب التى مرت على الجزيرة ، ولم يبق منها اليوم الا ٧٠ بلدة وقرية . اشهرها المنامة ، المحرق ، ستره ، الرفاع ، البديع ، الزلاق ، الحد ، جد حفص .

وتبع اندثار هذا العدد الكبير من القرى ،تدهور شامل فى الزراعة .. وازدادت المشكلة تعقيدا منذ أن انبثق النفط عام ١٩٣٢ لقد هجر القرويون مزارعهم واتجهوا الى شركة البترول للعمل فيها

ولم تقف الكارثة عند هذا الحد بل اتسع نطاقها مع انتشار التعليم فى القرى ، وكانت النتيجة : هجرة ثانية لم تكن متوقعة . لقد ترك الشباب المتعلم القرية الى المدينة !!

وهكذا لم يعد يعمل فى الارض الا قلة ضئيلة جدا من أبناء البحرين.. أما الفلاح الموجود حاليا فهو من أبناء مسقط وعمان ، يعمل فى أرض البحرين لقاء أجر شهرى يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ روبية !

والمحصول الرئيسى الوحيد الذى يزرع على نطاق واسع هو البرسيم .. انهم يزرعونه لانه يكاد ينمو من ذات نفسه ، ولا يحتاج الى عناية كبيرة ، اذ يظل فى الارض سنوات دون أن يتأثر بعملية الحصد المتكررة !

والى جانب البرسيم يعتنى الفلاح بالخضروات الأخرى السهلة الزرع كالطماطم والكراث .. أما الخيار ، والكوسة ، والملوخية وكل نوع آخر من الخضار فترد من لبنان بالطائرات ، أو من ايران بالمراكب ..

الى اليسار : ظلت المراة البحرانية تعيش حبيسة بيتها فى معزل عن جميع النشاطات رغم تعلمها ، كانت محرومة من النوادى والجمعيات والاختلاط .. ولكن لم يكد ينقضى عام ١٩٦٠ حتى انطلقت المراة البحرانية ، يساندها المسئولون ، تطالب بحقوقها .. وتكونت جمعية نهضة المراة البحرانية ، أخذت على عاتقها رفع شأن المراة ثقافيا واجتماعيا .. وفى اجتماع مجلس ادارتها الاسبوعى (**الصورة العليا الى اليسار**) تقرر فتح قسم لتعليم المراة والفتاة التى فاتتها سن التعليم .. وكان الاقبال هائلا (**الصورة السفلى**) حتى أن قاعة الالعاب الاجتماعية والرياضية تحولت الى قاعات للدراسة ، وتوقفت جميع النشاطات الاخرى فى سبيل تعليم المراة ، لانه ، كما تقول نساء الجمعية : بدون العلم لن نصل الى نتيجة .. ان الجمعية فى حاجة الى عشرة آلاف دينار بحرانى أخرى حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها الثقافية والاجتماعية على أكمل وجه . وتفتح مدرسة جديدة لتعليم البنات الكفيفات .





مقتل النخيل والعنبروت !

ان الفلاح الذى يعمل فى ارض البحرين لا يكاد يفقه شيئاً فى كيفية الاعتناء بالمزروعات او بالاشجار المثمرة فمات النخيل .. وتهاوت اشجار العنبروت (البابای) ومعها اشجار التين واللوز .. كل هذه الاشجار ، التى كانت تفخر البحرين بزراعتها قديما ، كادت أن تنعدم تماما اللهم الا من البساتين والمزارع التى تصادفها فى الطريق الى قرية البُدَيِّع ..

وفى هذه القرية تجرى محاولات يائسة لانقاذ الزراعة فى البحرين باجراء التجارب فى المحطة الزراعية ..ولكن تشعب الأنواع التى تجرى عليها التجارب ، الى جانب الاعتناء بالأبقار والدجاج والاحصنة والزراف وحتى الحمار الوحشى ، كل هذا اضاع المجهود الكبير الذى تبذله المحطة ، من أجل ايجاد أفضل الأنواع ، مع افضل الاوقات اللازمة للزراعة ..

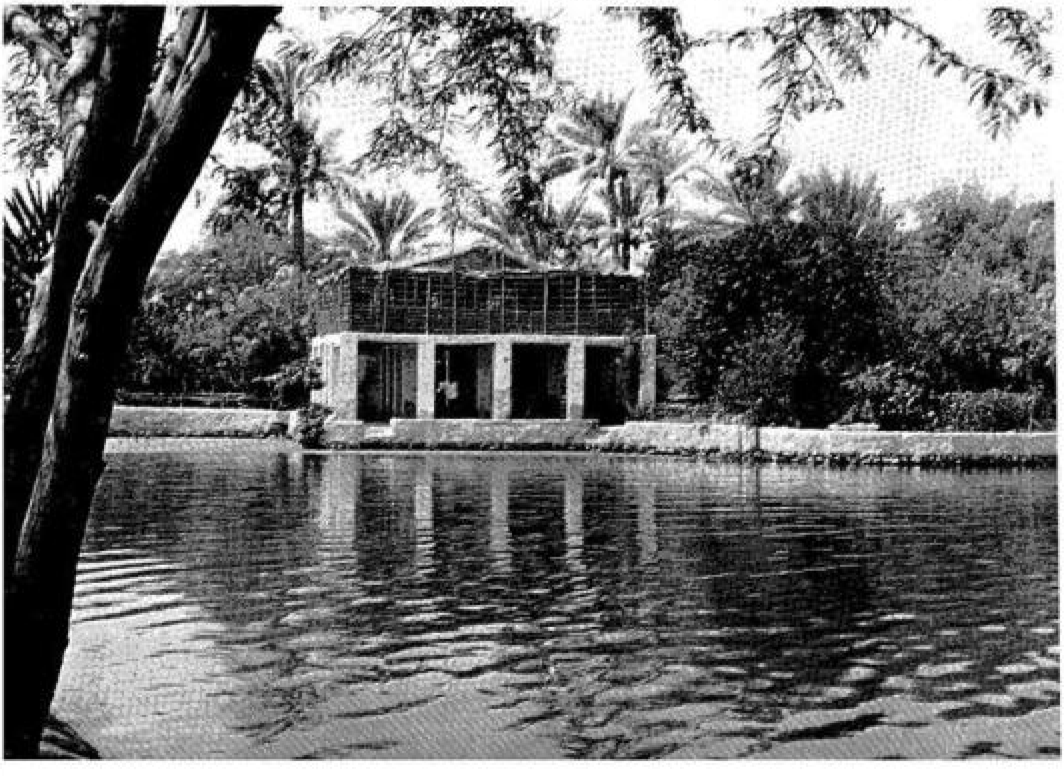
ومن المنتظر أن تتعاقد حكومة البحرين مع عدد كبير من الخبراء الزراعيين بحيث يصبح كل منهم مسئولا عن منطقة معينة من البلاد .. على أن تحل الآلة مكان الانسان فى الزراعة !

٢٠٪ من السكان فى المدارس !

والمؤسف فى موضوع الزراعة ، أن يكون انتشار التعليم من بين أسباب تدهورها، فى حين أن العكس هو الذى كان يجب أن يكون ..

ولكن التعليم ذاته يمر بمرحلة عسيرة ، رواها

الى أسفل : تأخذ البحرين حاجتها من الماء العذب من الينابيع التى تتدفق من النهر الجوفى الطويل ، الذى يمتد من جبال الحجاز عبر صحراء المملكة العربية السعودية ، تحت الخليج، الى جزيرة البحرين!! وهناك ينابيع من الماء العذب تتدفق وسط ماء البحر المالح ـ ولهذا أسموها بالبحرين ـ وفى البحرين عدة ينابيع كبيرة كونت بركا مثل عين عذارى ، التى لا يسبح فيها الا الرجال.. وعين قصّارى (اسفل هذا الكلام) ، التى لا تستعمل الا للنزهة ، بعد أن خربوا منبعها منذ خمس سنوات، عند محاولتهم تنظيفه بالكراكات ، فردموه ولم يعد الماء يخرج منه الا بكمية شحيحة .





الزراعة هى الهواية المفضلة لسكان البحرين الذين يعتنون بحدائقهم عناية خاصة ، فيزرعون الاشجار وزهور الزينة التى تنجح زراعتها بشكل مذهل فى البحرين ، لتوفر الحرارة والرطوبة والمياه المأخوذة من الآبار الارتوازية ..



الارملة الحزينة والحمار الوحشى : فى حديقة البديّع للتجارب الزراعية تعيش هذه الزرافة مع الحمار وحيدين .. لقد مات « زوج » الزرافة وتركها عنشراً .. بينما ماتت « زوج » الحمار اثناء وضعها لجحش يعيش الآن مع والده !

لنا الأستاذ أحمد العمران مدير التربية والتعليم بقوله : « ــ اننا نواجه مشكلة صعبة فى نطاق التعليم ، ولا تنحصر هذه المشكلة فى تدبير الأماكن اللازمة للآلاف الكثيرة من الطلبة الجدد ، وانما تتجاوزه الى تدبير الأموال اللازمة لتعليمهم ! .. اننا ننفق سنويا مليونى دينار من أجل التعليم ، اى ٣٠ فى المائة من ميزانية الدولة ! وضعف ما كنا ننفقه منذ ثمانى سنوات ، ومع هذا فاننا بالكاد نقوم بتغطية المصاريف » .

ويتابع الأستاذ العمران حديثه عن فترة الثمانى سنوات الماضية فيقول : « لقد زاد عدد المدارس فى هذه الفترة من ٥٥ مدرسة الى ٨٢ مدرسة ، وزاد عدد الطلبة من ٣٠ ألف الى ٣٨ الف طالب (منهم ٣٧٪ طالبات) .. أى اننا نقوم بتعليم ٢٠ ٪ من سكان البحرين ..

« ان مشكلتى زيادة مصاريف التعليم ، وزيادة عدد الطلبة ليست مقصورة علينا وحدنا ، بل هى موجودة فى جميع البلاد العربية ، التى قالت احصائيات اليونسكو عنها ان ٥٠ فى المائة من سكانها هم دون سن العشرين » .

وينهى الأستاذ احمد العمران ، الذى قضى اكثر من ثلاثين عاما فى التعليم حديثه بقوله :

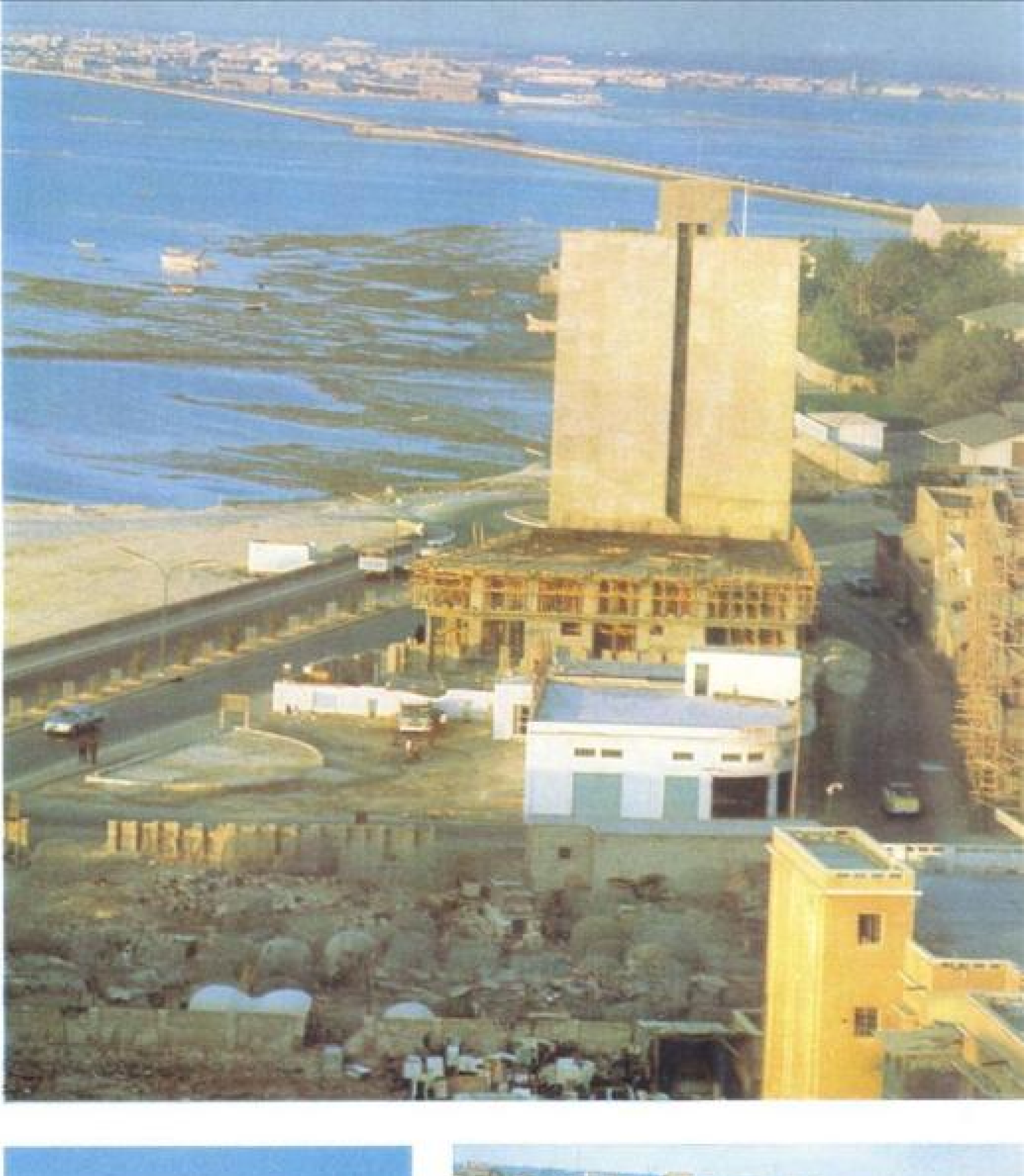
« ان الحل العملى الوحيد لهذه المشكلة لن يتم الا بتنظيم النسل » .

عرفت المرأة طريقها

لقد مضى ٤٧ عاما على افتتاح أول مدرسة للبنين فى البحرين .. أما تعليم الفتاة فقد بدأ منذ ٣٨ عاما بالرغم من المعارضة الزائدة التى واجهته فى أول عهده ..

ان تعليم الفتاة هذا بدأ يعطى ثماره حتى اصبحت النهضة النسائية فى البحرين تكاد تتعادل ، فى ضخامتها ، مع النهضة العمرانية .. ولا يكاد يمر اسبوع دون أن تعقد الندوات ، أو تكتب المقالات التى تعالج المشاكل التى تعترض تقدم المرأة ..

لقد تقدمت المرأة البحرينية خلال السنوات الثمانى الماضية تقدما محسوسا يشوبه حذر زائد











باب البحرين : ويؤدى الى أسواق المدينة .. لقد بنى عام ١٩٤٩ والنية متجهةلازالته وانشاء ميدان كبير مكانه،ولكن المال ينقص البلدية!

الى اليمين : الجسر الذى يربط بين جزيرتى البحرين : المنامة فى المقدمة ، والمحرق فى النهاية ، وطول هذا الجسر ميل واحد .

الى اسفل اليمين : طريق الكورنيش فى المحرق ، انه الطـــــريق الرئيسى الذى يوصل بين المطار فى المحرق والعاصمة المنامة ..

الى اسفل : منازل مدينة عيسى ، انها مدينة سكنية جديدة يجرى بناؤها لتستوعب ٣٥ الف نسمة . والمرحلة الاولى ، التى أوشكت على الانتهاء ، ستوفر سكنا لخمسة عشر الف نسمة .



من الرجل .. وقد نجحت فى حركة تسللها هذه ، فاصبح لديها جمعيتان كبيرتان ، واصبحت هى المسئولة عن تدريس بنات جنسها فى المدارس الإبتدائية ، وهناك ٢٥ موظفة يعملن حاليا فى شركة النفط ، من المنتظر نقلهن الى الدوائر الحكومية ليعملن سكرتيرات لرؤساء ومديرى الدوائر المختلفة. وبهذا تكون المرأة قد دخلت الى الوظيفة الحكومية لأول مرة ، بعد أن كان عملها قاصرا على التدريس فقط ..

وفى المطار الجديد تعمل الفتاة الى جانب الرجل فى الجمارك .

حتى الغناء دخلته الفتاة البحرينية بطريقة مسرحية.. كان الجمهور ينتظر سماع فرقة غنائية من القاهرة ، لكن الفرقة تاخرت ، وأزيح ستار المسرح لتظهر على خشبته اول مطربة بحرانية ، استقبلها الجمهور بعاصفة قوية من التصفيق والهتاف والتشجيع ..

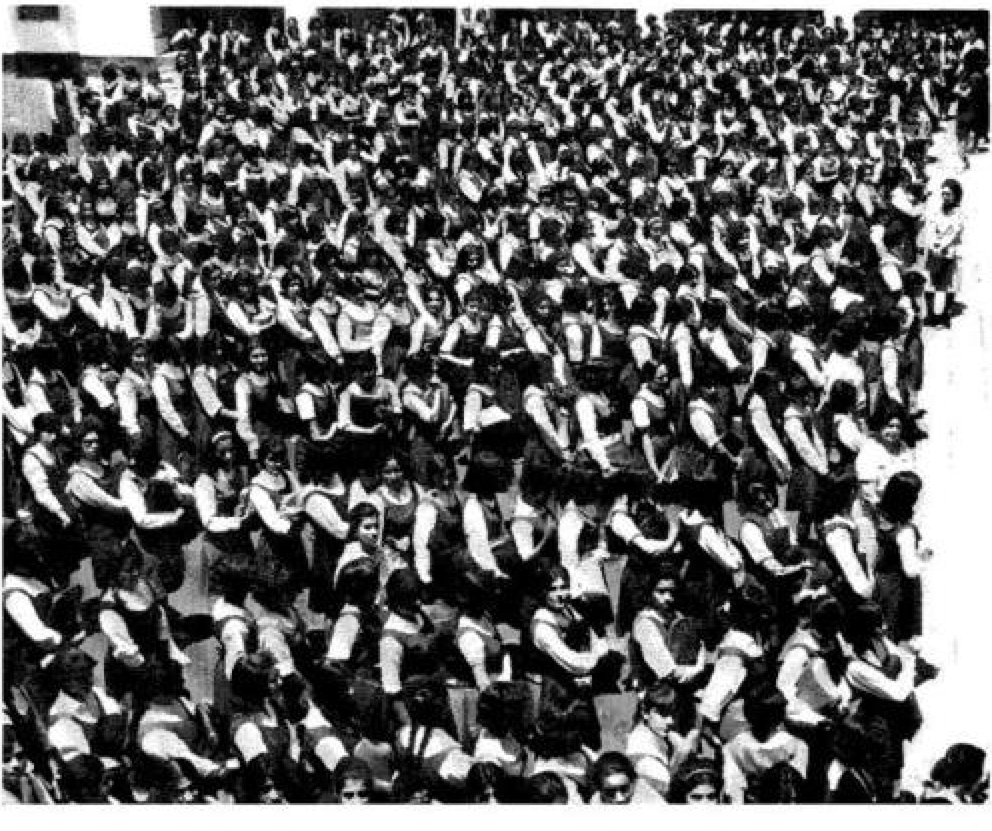
وكان ظهور « فائقة داود » بمثابة الغيث ، اذ ظهرت بعدها « منال » ، التى تغنى للحريم فقط ، وتبعتها « وداد » .. وهكذا اصبح للبحرين ثلاث مغنيات مرة واحدة !

« العربى » أول من دخل الثانوية

ان العمل الكبير الذى تتخرج منه فتاة البحرين الحديثة هو ثانوية البنات .. وقد كانت بعثة « العربى » اول بعثة صحفية يسمح لها بدخول هذه المدرسة ، تقديرا للدور الثقافى الكبير الذى تؤديه المجلة ..

ان مبنى الثانوية يحمل طابع تطور تعليم

الى اسفل : ١٥ ألف فتاة يتلقين تعليمهن فى المدارس الإبتدائية والاعدادية والثانوية ، وهؤلاء طالبات الثانوية وعددهن ٧١٥ طالبة اثناء طابور الصباح



الى اسفل : قالوا عن المرأة البحرانية : « انها تعيش في معزل عن الحياة الاجتماعية العامة .. ومحافظة الى أقصى الحدود .. لا تعرف سوى الواجبات التى لا تتعدى باب منزلها » أما اليوم فقد اصبح في البحرين خريجات جامعيات يعملن من اجل تحرير شقيقاتهن من التقاليد البالية التى يعشن فيها.



الفتاة ، فكلما زاد عدد الطالبات ، أو استحدث قسم جديد ، اضيفت غرفة او جناح لهذا المبنى الذى أصبح متشعبا في كل اتجاه !!

ولكن قبح هندسة المبنى تقابله روعة في الأعمال التربوية الكبيرة الجارية في داخله على أيدى ١٠ معلمات بحرينيات ، و٢٤ معلمة مصرية ، و٤ فلسطينيات ، و ٦ اردنيات ، و١٠ هنديات وانجليزيات . .

انهن يعملن يتفان لتأهيل ٧١٥ طالبة حتى يحصلن على الشهادة التوجيهية .. ومن المنتظر ان تتخرج هذا العام ١٣٠ طالبة موزعات كالآتى : ٣٩ قسم علمى ، ٦١ قسم أدبى ، و٣٠ قسم المعلمات .

نهاية « الدراعة » و « البطولة » !

ومما يذكر أن بنات الثانوية يتلقين دروسهن وهن سافرات ، ولكن ما يكاد جرس الانصراف يدق ـ وهو يدق بعد ربع ساعة من خروج طلبة مدارس البنين خوفا من الاختلاط ـ حتى تسرع ٥٠ في المائة من التلميذات الى عباءاتهن فيرتدينها عند الباب ، أما الحجاب فلا تضعه الا نصف المرتديات للعباءة !

ان بعض الرجال ما زالوا يفرضون على نسائهم لبس السواد شاملا كاملا ، ولكن العدد القليل من الخريجات الجامعيات ، اللواتى تلقين دروسهن في الخارج على حسابهن الخاص ـ لأن البعثات الحكومية المجانية للطالبات قد توقفت منذ أمد بعيد ، واقتصر الأمر على الطلبة فقط ـ هؤلاء الخريجات طرحن « الثوب » و « الدراعة » و «البطولة» جانبا وانطلقن لمساعدة بنات جلدتهن والأخذ بأيديهن لانتشالهن من التأخر والتخلف اللذين يعشن فيهما ..

وكانت باكورة نشاط المرأة الرسمى هو تكوين جمعية لنهضة فتاة البحرين عام ١٩٥٥ « لرفع شأن المرأة اجتماعيا وثقافيا » .

متاعب بالجملة !

وفي جلسة طويلة مع سيدات وآنسات الجمعية بمقر جمعيتهن المتواضع قلن للعربى :

« ان أغلب الرسميين والأزواج موافقون على منح المرأة الكثير من حقوقها ، ولكن المشكلة اننا عندما نحاول ترجمة هذه الموافقات الى حقيقة ملموسة نصطدم بمصاعب لا حصر لها .. كل شيء في طريقنا يقفله الرجل العادى .. فمثلا طلبت الجمعية التصريح لها بفتح فصول لتعليم النساء اللواتى فاتتهن سن التعليم ، وتقدمت





يرجع تاريخ تعليم البنين في البحرين الى عام ١٩١٩ عندما لم تكن بالبلاد أي صناعات محلية ، بالاضافة الى عزوف أبناء البلاد بطبيعتهم عن ممارسة مهنة يدوية .. وجاء النفط عام ١٩٣٦ فكان لا بد من تطوير مفهوم الصناعة ، فأضيف صف لتعليم التجارة الى المدرسة الابتدائية ، ولكن الاقبال عليه لم يكن مشجعا ومع ذلك استمرت حملة التوعية الصناعية بين الطلبة .. ومع الايام أخذ التعليم الصناعي يغزو القلوب . فتحت مدرسة صناعية ثانوية تضم حاليا ٤٨٠ طالبا تتخاطفهم الشركات بمجرد تخرجهم . اما في مدرسة ثانوية البنين (الى اليمين) فقد وصل عدد الطلبة الى ١١٠٠ طالب .. ان الثانوية مدرسة نموذجية ورسوم طلبتها تطبعها الحكومة على مطبوعاتها .





أما تعليم الفتاة فقد بدأ بعد تعليم البنين بعشر سنوات تقريبا، أى عام ١٩٢٨ ولكنه بدا متعثرا متلكئا لما لاقته هذه الفكرة من معارضة الأهالى القوية .. وبمرور الزمن خفت المعارضة ، وادرك الناس أن تثقيف المرأة ضرورى لنهضة البحرين الحديثة .. وانتشر التعليم فى كل مكان ، ولكن دخول الرجال الى مدارس البنات ظل محظورا ، حتى جاءت بعثة العربى الى البحرين، فسمح لها لأول مرة بالتقاط صور فتيات البحرين داخل مدارسهن .. وتراهن فى الصورة العليا يتلقين درسا فى الكيمياء داخل المختبر .. وفى الصورة اليسرى يتعلمن صناعة الحلوى والكيك تحت اشراف الآنسة ليلى عبد الوهاب البنا التى قدمت منذ عامين من مصر لتدريس بنات البحرين .. قد تكون الأدوات المستعملة فى ثانوية البنات بسيطة، لكن الدراسة جدية للغاية .

الجمعية بطلب رسمى لهذا الغرض .. ومـرت الايام والاسابيع دون نتيجة ، وبعدها ، قمنا نحن نساء الجمعية ، بعملية سعى وراء هذه الاوراق ، التى كانت تختفى من مكتب لتظهر فى مكتب آخر ، ولكنه أمام اصرارنا ، وبعد مرور أكثر من ثلاثة شهور استطعنا أن نحصل على طلبنا !! » .

وتتابع الخريجات الحديث فيقلن :

« حتى حصولنا على اجازة القيادة السيارة نعانى منه الأمرين ، رغم وجود قانون يعطينا هذا الحق .. ان اجازة قيادة سيارة لم تصرف حتى الآن لاى امرأة بحرينية ، فى حين أن شقيقاتنا العربيات اللواتى يعشن فى البحرين يحصلن عليها بمنتهى اليسر » .

من الذى يدفع ضريبة التخلف ؟

وينتقل الحديث الى الازواج ، فتسمع شكوى مرة من النساء عن بعض الازواج البحرينيين الذين يتركون زوجاتهم ويسافرون بمفردهم الى اوروبا والخارج .. بحجة ان الزوجة قد لا تشرف زوجها فى المجتمعات الاجنبية الغريبة عليها .. وتستطرد عضوات الجمعية فيقلن : انها انانية الرجل .. انه هو المسئول عن تخلف المرأة ، وضريبة التخلف يجب أن يدفعها هو .. انه لا يسعى حتى الى رفع مستواها ليستطيع الافتخار بامرأته فى الوسط الذى يذهب اليه .

وينتقل الحديث الى الزواج ، وكيف ان نحو ٥٠ فى المائة من فتيات البحرين بدون زواج ، بسبب غلاء المهور .

ـ لقد حاول المغفور له الشيخ سلمان أن يحدد قيمة المهر بألفي روبية ، فكانت النتيجة كسادا زائدا فى سوق الزواج !!

« ان الذى يعانى فعلا من أزمة الزواج هم ابناء الطبقة المتوسطة ، لأن المشكلة اقتصادية بحتة ، فالمهور العالية تقف عقبة أمام الشاب العادى الذى يتقاضى راتبا يقرب من ٦٠ دينارا شهريا ، وهذا لا يتناسب أبدا مع الغلاء المستحكم فى جميع المجالات .. ان التجارة عندنا حرة ، والتاجر حر يضع التسعيرة التى تناسبه، ويفرض الايجار الذى يحلو له على المساكن ، حتى بلغ ايجار الشقة فى المنزل الحديث ٦٠ ديناراً شهرياً، كل هذا والرواتب على ما هى عليه لم تتغير منذ ١٥ سنة !! » .

سبعة هنود فى حجرة !

ان انخفاض الرواتب فى البحرين من أهم الاسباب التى حدت بأبناء البلد الى الهجرة لبلاد البترول المحيطة بهم حيث المرتبات مرتفعة.. هذا الى جانب الصعوبة التى يلقاها الشباب فى منافسة الوافدين من الهنود والباكستانيين ، الذى يعملون بأقل الرواتب لانخفاض مستوى المعيشة فى بلادهم .. أما اقامتهم فى البحرين فلا تكلفهم شيئا، لانهم يعيشون كل ٦ أو ٧ فى حجرة واحدة !!

ولكن ... الى جانب منافسة الاجانب التى لا شك فيها ، يأتى تفضيل ابن البحرين شخصيا للعمل الحكومى .. اذ ما يكاد الشاب منهم يحصل على الابتدائية حتى يسرع من قريته أو بلدته الى العاصمة ، ليدق الابواب طلبا للعمل الحكومى !! وقد وصل الامر ببعضهم أن عمل فراشا رغم انه تلقى تعليمه حتى الثانية الثانوية!!



اول مطربة بحرانية : انها فائقة داود ، التى ظهرت على المسرح لاول مرة فى العام الماضى ، فاستقبلها الجمهور بعاصفة من التصفيق والتشجيع .. وفى البحرين فرقتان للموسيقى.. هما : هواة الفن ، والانوار ..



مسكينة بلدية المحرق ! لقد انشأت حديقة عامة فى المدينة أدخلت اليها أضواء الفلورسنت .. ولكن شقاوة أطفال المدينة تجعلهم يقطعون الاشجار المزروعة ، ويكسرون اللمبات .. ويهرع الحراس يضربون الاطفال ، فيبكى هؤلاء ويأتى الآباء فيضربون الحراس !! وهذه صورة لهؤلاء الاطفال اثناء شقاوتهم !

حتى الاطباء والصيادلة البحرينيين ، وعددهم ٧ اطباء و ٤ صيادلة ، بعضهم آثر العمل فى الخارج من أجل قلة الرواتب ، ومنهم من فضل البقاء فى البحرين .

ملخص قصة طويلة !

والطب فى البحرين له قصة طويلة ، يمكن تلخيصها فى انه بدأ مجانيا للجميع ، وكانت النتيجة ازدحام هائل فى المستشفيات ، وارتفاع كبير فى الارقام والاحصائيات التى سجلت :

- ٦٠٠٠ حالة ولادة فى العام الماضى ، أغلبها لسيدات انجليزيات وأمريكيات ، وهنديات وايرانيات .
- ٧٠٠ حالة سل ٩٠ منها فقط من أبناء البحرين، والبقية من أبناء ساحل عمان والسواحل المحيطة بالبحرين .
- ارتفاع ميزانية الصحة التى قفزت الى ٢١/٢ مليون دينار ، وهو رقم هائل بالنسبة للميزانية العامة ..

وامام هذه الارقام لم يجد المسئولون مندوحة من فرض رسوم على كل مريض غير عربي ، فاصبحت مراجعة الطبيب لا تتحقق الا بعد دفع دينار .. والولادة لا تتم الا بعد دفع ٥٠ دينارا .. والعملية الجراحية لا تجرى الا بعد دفع ١٠٠ دينار ..

مشكلة اليمة .. واحدة

اما مشكلة العلاج المجانى لأبناء البحرين فهي نفس المشكلة التى تعانيها بقية دول وامارات الخليج، فالمريض يقوم بجولة يتنقل فيها من طبيب الى طبيب ، وياخذ الادوية بالجملة من كل منهم ، وبعدها يذهب الى المنزل فيحتفظ بالدواء الذى يراه مناسبا له ، والباقى يلقيه فى ماء البحر !!

والنقص فى الجهاز الطبى بالبحرين ملموس واضح ، ومن المنتظر أن يتخرج خلال الاعوام القليلة القادمة ١١ طبيبا بحرينيا فى مختلف الفروع .

اما الممرضات فقد بدأت ٩ ممرضات بحرينيات فى العمل بالمستشفيات . انهن أول خريجات مدرسة التمريض التى تضم ٣٥ فتاة بحرينية يتلقين محاضرات من الاطباء ودروسا من السيدتين: أمية قربى التاجر ، وانصاف المزم ..

ان البحرين تعانى الامرين من تشعب واختلاف أنواع المرضى فى مستشفياتها ، كما تعانى من كثرة





الى اليمين : تعاني البحرين من انعدام دور الحضانة ورياض الأطفال فيها ، وفي عام ١٩٦٠ اجتمعت بعض السيدات الفاضلات ، وقررن تكوين جمعية لرعاية الطفولة والامومة .. وكانت باكورة عملهن اقامة سوق كبير جمعن فيه ٦٧٠٠ دينار ، شيدن بها مقرا لهن بلغت تكاليفه ١٢ الف دينار .. وبدأت الجمعية تستقبل أطفال العاملين والعاملات ترعاهم طوال اليوم مقابل ٤ دنانير شهريا ، يدفعها القادر ، ويعفى منها المحتاج .. ومما يذكر أن المقتدرين أرسلوا أطفالهم الى هذه الدار قبل الفقراء ، اذ بلغ عددهم ٤٠ طفلا في حين أن أبناء المحتاجين لم يتجاوزوا ٢٤ طفلا .. ويقوم على رعاية الأطفال مدرستان متخصصتان (الصورة اليمنى الى أسفل) فضلا عن كرائم السيدات اللواتي يقدمن الكثير من مجهودهن ووقتهن لصالح الدار ، وعلى رأسهن الرئيسة الشيخة لولوة محمد آل خليفة والسكرتيرة السيدة سلوى العمران ، التي تراها وسط الصورة التي الى اليمين .

الى اسفل : بعض فتيات البحرين يتلقين درسا عمليا من السيدة أمية قربي التاجر مديرة مدرسة التمريض .. ان ملائكة الرحمة في مستشفيات البحرين كلهن من الاجنبيات وخاصة الهنديات ، أما فتاة البحرين فلم تدخل الى هذه المهنة الا في العام الماضي ، وهذا العام بعد تخرج دفعتين من طالبات هذه المدرسة .. ومما يذكر أن الطالبة تتقاضى مكافأة تشجيعية قدرها ٢٠ دينارا في السنة الاولى من التحاقها .. ويتزايد المبلغ عشرة دنانير كل عام في حالة نجاحها حتى تصل الى ٤٠ دينارا في الشهر .. وبعد التخرج تتقاضى راتبا قدره ٦٠ دينارا .. ويقبل الشباب على طلب يد الطالبات ، ولكن شروط المدرسة تحتم عليهن عدم الزواج قبل التخرج ، فيكتفين بالخطوبة حتى التخرج !





المرضى القادمين اليها من السواحل حتى قال لنا احد الاطباء البحرينيين : ان البحرين أصبحت ضحية موقعها الاستراتيجي،ليس فقط من الناحية العسكرية ، وانما من الناحية الصحية كذلك !

مناقشات صريحة

وما دمنا تطرقنا الى السياسة فلا يمكن اغفال ذكر القاعدة البريطانية في البحرين .. ان أهل البحرين اليوم يتناقشون بصراحة زائدة عن هذا الموضوع بعد أن نشرت صحيفة الديلي تلغراف اللندنية مقالا ذكرت فيه : « ان حاكم البحرين يطالب بتعديل الاتفاقية مع بريطانيا التى تدفع بموجبها ايجارا رمزيا قدره ٣٠٠ (ثلثمائة) جنيه في السنة نظير ايجار القاعدة .. (!!!) » .

« وتتألف القوات البريطانية في البحرين من فرقة براشوت ، وسرب من الطائرات هنتر المقاتلة ووحدات بحرية مختلفة ، وقيادة مركزية مشتركة ..وعمل هذه القوات هو حماية المصالح البريطانية في الخليج » .

وقد قامت « الاضواء » ـ صحيفة البحرين الوحيدة بالمطلبة بزيادة ايجار القاعدة الى عشرة ملايين جنيه استرليني سنويا ، يكون فيها بعض التعويضات عن الخسائر الادبية والمادية الماضية . .

وفي شهر مايو الماضي سافر الشيخ خليفة بن سلمان الخليفة ، رئيس المالية والمجلس الادارى بالبحرين الى لندن لاجراء محادثات حول هذا الموضوع ، صدر بعدها بيان مشترك ، جاء فيه : « ان الحكومة البريطانية وافقت على أن تدفع لحكومة البحرين مدفوعات سنوية قدرها نصف مليون جنيه ، على أن يسبق ذلك دفعة أولية قدرها مليون جنيه عام ١٩٦٧ » .

الباب والشباك !

ويقول البعض ان وجود القاعدة فيه حماية للبحرين من الخطر الايراني الملموس ، الذى يتحرك عندما يريد منه الاستعمار التحرك .. ان ايران تعتبر البحرين الولاية الايرانية الرابعة



كان أهل البحرين يبتعدون مع عائلاتهم في الصيف ، عن مزارع النخيل ، خوفا من البعوض والملاريا ، فيتجهون الى الساحل الجنوبي لجزيرة المحرق قرب قلعة « عرّاد » ، التى اقامها عامل حاكم مسقط عام ١٢١٥ هـ . وكان الاهالى يبنون عششا من سعف النخيل للاقامة فيها وقت الحر .. ثم جاء النفط وازدهرت التجارة ، فهجر الناس العشش ويسمونها « كبَّر » واتجهوا الى المصايف العربية والاوربية ..

عشرة . ولها نائبان يمثلانها فى البرلمان الايرانى .. وفى عام ١٩٥٨ أعلنت ايران ان البحرين جزء من اراضيها .. ان ايران تطالب بالبحرين بحجة ما تزعمه من حق تاريخي عليها ..

وعندما يصل البحراني الى ايران يقولون لـه انت ايراني ويعطونه هوية ايرانية يتجول بها فى ايران ولا يعترفون بجواز سفره البحراني ..!

حتى دائرة المعارف البريطانية تشترك فى حرب الاعصاب هذه فتقول : « ان ايران لا تفتأ تطالب بين الفينة والفينة بحقها فى السيادة على البحرين، لكن الحكومة البريطانية أعلنت عزمها فى استمرار حمايتها للبحرين ضد أى محاولة لاخضاعها لنفوذ أجنبى .. » .

وتنشر بعض الصحف البريطانية مقالات توحى بأن بريطانيا تفكر جديا فى الخروج من الخليج ، لأن وجودها فيه يكلفها طاقة لا تحتملها ، فضلا عن ان الاستراتيجيةالحربية قد تغيرت بعد ظهور القوة النووية .. وبريطانيا لم تعد وحدها تملك بترول الخليج انما هناك امريكا وفرنسا واليابان ..

وترتفع أصوات لتقول : « ان خروج بريطانيا من الباب ، معناه دخول ايران من الشباك » .

ولكن العناصر الوطنية تقول : « نحن نرفض مبدأ الاحتلال ، والدول العربية كفيلة بحمايتنا».

هذا الحوار وامثاله الكثير تسمعه يتردد فى المجالس والدواوين التى تنعقد كل ليلة ..

موكب دينى أم عسكرى ؟

وقد صادف وجودنا فى البحرين يوم العاشر من محرم .. يوم المواكب التى لا حصر لها ، تتقاطر من كل حدب وصوب لتحيل الحياة فى البحرين الى مأتم كبير ، كله حزن ونواح .. انه يوم عاشوراء .. اليوم الذى قتل فيه الحسين سيد الشهداء..

الاعلام السوداء ترتفع على المنازل مكان علم البلد الاحمر والابيض ، والمآتم تنعقد فى كل مكان بينما الخطباء القادمون من العراق وايران يقرأون ويرتلون المراثى فيرددها الالوف من الجموع .. ان كل مأتم له رئيس ينظم مسيرته التى تنطلق بعد منتصف ليالى الثامن والتاسع وصباح العاشر من محرم فى شوارع المنامة والمحرّق .. ويتقدم الموكب مجموعة من الجمال ترمز الى الجمال التى حملت الحسين ، يتبعها حصان أبيض عليه كف



صناعة السفن : ما زالت صناعة السفن القديمة قائمة : الخشب يستورد من الهند ، وهيكل المركب يتكلف ١٢٥٠ دينارا ، أما محرك الديزل فثمنه ٢٥٠٠ دينار !

يرمز الى كف العباس الذى قطع فى المعركة ، ثم تابوت يرمز الى نعش اطفال الحسن والحسين ..

وبعدهم يبدأ الموكب المثير .. ألوف من الشباب والرجال يرتدى كل منهم سروالا أسود وقميصا أسود مطرزا على صدره كلمتا « يا حسين .. يا شهيد .. » وفى ظهر القميص فتحة خاصة كالطاقة ..

ويسير الشباب فى خطوات رتيبة منتظمة حاملين فى أيديهم « الصَنْجَل » وهو مجموعة من السلاسل الحديدية بعضها فى آخره أمواس ، يضربون بها ظهورهم العارية فى حركات ايقاعية منتظمة ، حتى تدمى وتقطر دماء .. ويتبع هؤلاء مجموعة اخرى من الرجال يتجمع بعضهم حول بعض ويضربون صدورهم العارية بايديهم ضربا . ومن خلفهم أطفال دون الخامسة يحملون « صَنَاجل » تنوء بها أيديهم ، يضربون بها ظهورهم الصغيرة وهؤلاء الاطفال نذر أهلهم ، ان عاشوا ، أن يسيروا فى موكب العزاء هذا طوال حياتهم ..

ان تنظيم هذا الموكب الذى يضم عشرات الالوف من المشتركين ، يجعلك تقف مشدوها وتتخيل نفسك وكأنك أمام جيش منظم ، اكثر منك امام موكب ديني !

« فى حدود ما تسمح به التقاليد »

ان شعب البحرين شعب اجتماعى وديع مسالم، لكنه شعب حذر ، أصبحت عنده طاقة كبيرة من



ميناء سلمان : كان العمل يجرى فى بناء قاعدته أثناء زيارتنا السابقة للبحرين ، أما اليوم فقد تم بناء الميناء الذى يستقبل ٥٠ باخرة فى الشهر ، تقف ست منها مرة واحدة على رصيفه الممتد نصف ميل فى البحر .. ومعدل التفريغ فيه ألف طن فى الساعة .. وبجوار العاصمة يقع ميناء ثان صغير (السورة السفلى) تقف عليه المراكب العربية التقليدية القادمة من الامارات المجاورة محملة بمنتجاتها ولا سيما « العومة » ، أى السمك الصغير المجفف الذى يعطى طعاما للحيوانات .



الشباب المثقف الذى يمكنه تولى الوظائف القيادية فى دوائر الامارة ..

وعلى راس البحرين يتولى الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ادارة دفة الحكم .. انهم يلقبونه بكلمة « الشيوخ » رغم انه شاب ! ان كلمة « الشيوخ » هى لقب كانوا يطلقونه على والده احتراما له لكبر سنه ، وبعد وفاته اصبح تسمية متعارفا عليها تطلق على الشيخ الحاكم ..

لقد استلم آل خليفة حكم البحرين منذ ١٨٣ سنة ، اى فى عام ١١٩٧هـ ـ ١٧٨٣م . اما الشيخ عيسى فقد تولى مقاليد الحكم منذ خمس سنوات عندما توفى والده فى ٢ نوفمبر ١٩٦١ .

وما زال الشيخ عيسى محافظا على عادات وتقاليد العرب ، فهو يجلس ثلاث مرات فى اليوم بقصره فى منطقة الرفاع يستمع الى الشكاوى ويستقبل الزوار .. كما انه يهوى تربية الخيول والابل ، وهو على بينة بكل كبيرة وصغيرة تحدث فى البحرين ، ويرقب عن كثب مدى تقدم العمل فى المشاريع ، وخاصة فى مشروع مدينة عيسى السكنية ، الذى يهتم به شخصيا .. انه مشروع مدينة جديدة تكاليفها ٢/٣١ مليون دينار ، سوف تستوعب ٣٥ الف نسمة ، سينتهي العمل فى المرحلة الاولى منها خلال هذا العام ..

ويرعى الشيخ عيسى النهضة النسائية فى البحرين ويشجعها وقد قال لنا : « على المرأة ان تعمل بجد .. ونحن على استعداد لتسهيل كافة الامور لها ، فى حدود ما تسمح به التقاليد ، لانه قد مضى العهد الذى يجلس فيه نصف المجتمع مشلولا يتفرج على النصف الآخر .. ان نهضة المرأة التى تربى أطفالنا معناها نهضة مجتمعنا .. »

من يهتم بالمستقبل ؟

وبينما التطور يدفع بعجلة الزمن فى البحرين ، نجد شركة النفط تعمل بكسل وتراخ بحثا عن حقل جديد للبترول بدلا من الحقل القديم الذى شاخ وهرم حتى اضطروا الى وضع ماكنات السحب عند فوهات بعض آباره لتسحب النفط من الاعماق ..

ان الآمال كلها معلقة على البئر اليتيمة الجديدة التى يحفرونها فى جزيرة سترة ، والتى يمنعونك



عظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة ، حاكم البحرين وتوابعها

من تصويرها او الاقتراب منها . لأن حفرها يتم بطريقة سرية ، على ما يبدو ؟!!

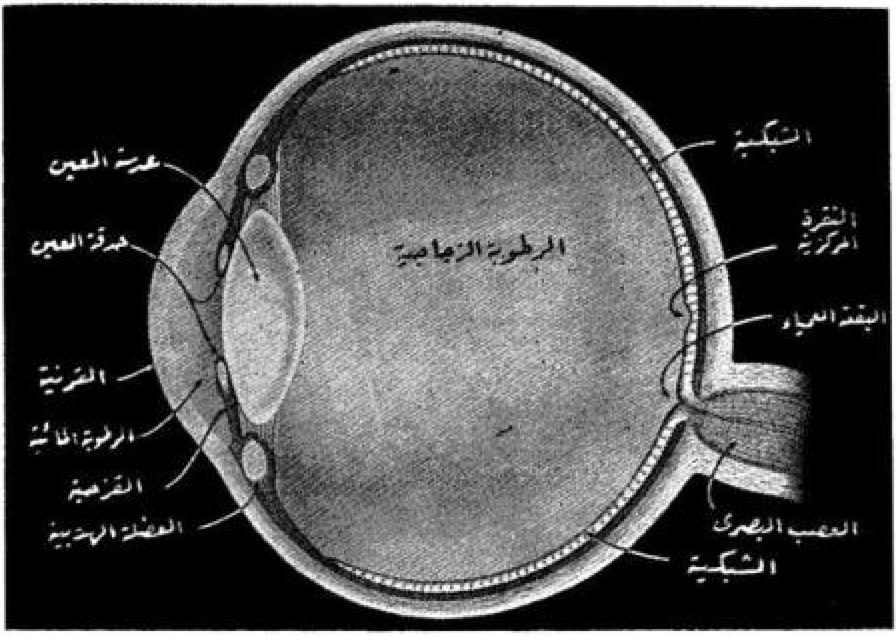
ان اول بئر للبترول اكتشفت فى الخليج العربى كانت فى البحرين يوم ١٦ اكتوبر ١٩٣١ وفى عام ١٩٤٠ تنضب النفط منها .. ان أهل البحرين لا يلتفتون الى هذا الانذار الالهى لهم ، ويقولون لك : منذ اكتشاف البترول وهم يؤكدون لنا أنه سينضب بعد ١٥ سنة ، ولكننا بمراجعة الارقام نجده يتزايد كل سنة .. »

ان الخوف من حلول مورد آخر للطاقة بدلا من البترول ، لا يثير اى قلق فى البحرين .. لأنه ، فى رأيهم : حتى يأتى هذا اليوم فان أشياء كثيرة اخرى ستتبدل فى مختلف أرجاء العالم ، فلماذا نحمل هموم المستقبل من اليوم ؟! .

وهكذا يسير موكب الحياة فى البحرين .. جيل جديد يصبو الى الحركة والحياة .. وجيل عرك الحياة ومتاعبها فاصبح يميل الى السير البطيء الرتيب . ■■

سليم زبال

أنباء الطب والعلم والاختراع



بدلا من النظارة تصلح البصر، جعلوا من قرنية العين نظارة

● الى متى يقع الفكر الانسانى كل يوم على شيء غريب ؟!

وخبر اليوم القريب يتصل بالعين ، وبالنظارة التى نستخدمها فى اصلاح بصرنا .

ان النظارة تصلح العين قصيرة النظر بالذى بها من عدسات . والعدسة شيء من الزجاج الشفاف فى سطحه تقوس مناسب يوجه الأشعة الداخلة الى العين لتصنع الصور المرئية بحيث تقع واضحة على الشبكية فى قاع العين .

ويخطر على الخاطر ان قرنية العين جسم متقوس ايضا . فلم لا ننحت هذه القرنية ونعطى لها التحدب المطلوب فى العدسة الزجاج .

ولكن القرنية نسيج من انسجة الجسم طرى ، فكيف ننحته كما ننحت الزجاج؟

ويجيب الأستاذ براجير Barraguer بمدينة بوجوتا Bogota ، عاصمة جمهورية كولمبيا بأمريكا الجنوبية ، بأن القرنية يمكن تثليجها فتجميدها ، فنحتها .

وفعل ذلك الأستاذ . وركب القرنية فى العين بالاسلوب المعروف الجارى الذى يعرفه جراحو العيون عندما يبدلون قرنية بقرنية .

وقد قام الأستاذ المذكور الى اليوم بنحو اربعين جراحة كهذه .

الفئران،عددها كعدد السكان بفرنســا

● قدر الاحصائيون الفرنسيون عدد الفئران الموجودة بفرنسا وخرجوا على أن بها ٥٠ مليونا ، اى بعدد ما فيها من أنفس .

ولا يعجب من هذا العدد انسان اذا عرف مقدار اخصاب الفئران وسرعة انتاجها . ان هذا الفار يعيش فى المتوسط ٤ سنوات ، ولكنه يصل الى البلوغ عند تمام ٣ أشهر من عمره . والأنثى منه تستطيع أن تلد ثلاث مرات أو اربعا فى السنة ، وفى كل مرة تلد سبعة أو ثمانية من الفئران.وعلى هذا الحساب لو بدأنا بذكر من الفئران وانثى ، فانا نجدهما قد زادا حتى وصلا الى ... ٢٥٠ من الذرارى بعد نحو ٣ سنوات .

وليس الأمر هنا امرا يتصل بضبط نسل الفئران ، ولكنه يتصل باستئصالها .

ولهذا سببان : اولهما ما قد تحمل الفئران من أسباب الامراض والعدوى ، وثانيهما أنها تلتهم غذاء الانسان التهاما . ففى باريس مثلا قدروا ان الفئران تلتهم فى اليوم الواحد ٢٠٠ طن من من الطعام ، وهى أثناء ذلك تلوث من الطعام مثل ذلك قدرا .

وهى تعيث فضلا عن ذلك فى أجهزة البلد عيانا، فهى تحفر حيث يسيء الحفر الى أجهزة البلدية فتسقط بذلك الانشاءات ، وهى تفسد الاسلاك الكهربائية ، وتقرض انابيب الرصاص .

ولاستئصال هذا العدد الهائل من الفئران لا تنفع بالطبع القطط ولا المصائد . لا بد من الالتجاء الى سموم الصناعة ، من كل صنف ، ومن كل نوع ، شريطة أن لا تسيء هذه الى الانسان فى طعامه وفيما يمتلك ، وكذا لا تسيء الى الحيوانات المستأنسة والمواشى .

واستخدموا السوائل من السموم ،والمساحيق، وحتى الغازات السامة . حرب شاملة يشنها البوليس شملت آلافا من الاجراءات فى آلاف من المواقع فى باريس وضواحيها وحوض نهر السين .

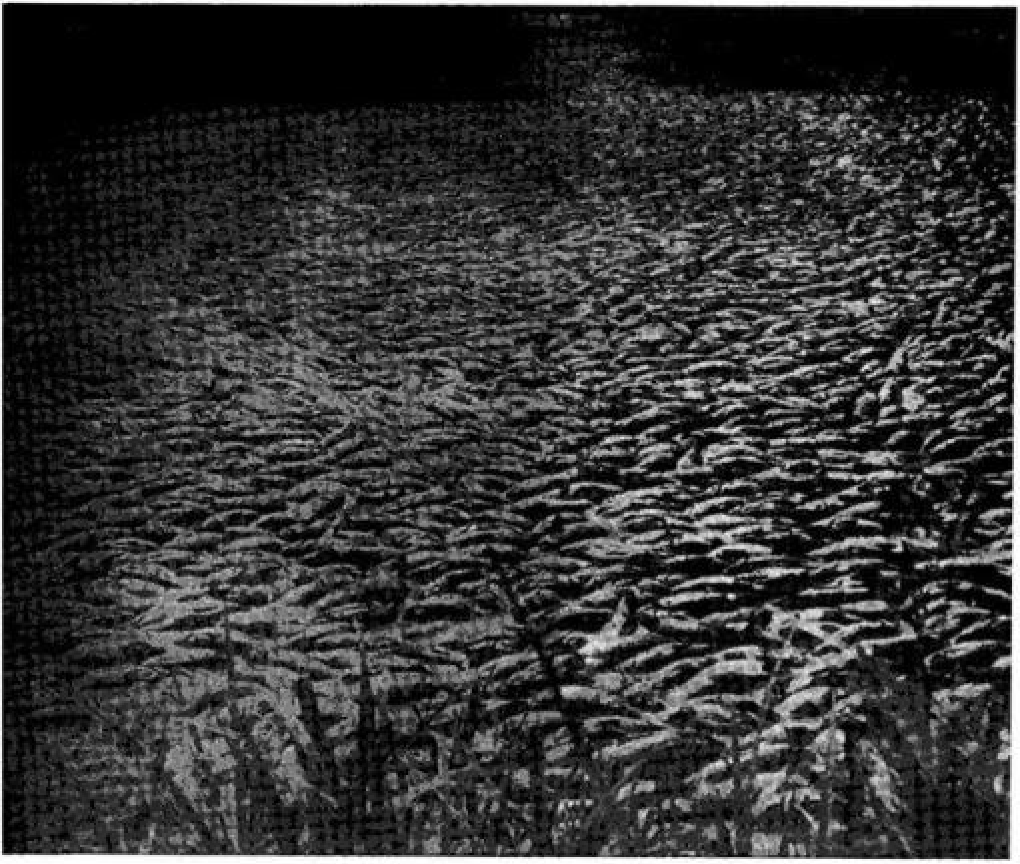
وهكذا الانسان ، تغزوه صور الحياة من كل جانب ، من الصغير الاصغر كالفيروس والمكروب ، الى الكبير الأكبر . وهو دون هذه كلها يجاهد ليحيا .

فمن ذا الذى قال ان الحياة بنيت على سلام؟!





أحد الرجال القائمين باستئصال الفئران من السفن التى تحط فى ميناء ليفربول بانجلترا . انهم يستخدمون الغازات السامة ، ولذا ترى هذا المفتش يلبس الكمامة على وجهه للوقاية .



صيد" ، وما هو بصيد

● تنظر الى هذه المقادير الهائلة من السمك فتقول انه الصيد . وما هو بصيد . قصته مأساة من مآسى عهد الصناعة الذى يعيش العالم اليوم فيه .

انها نفايا من مصنع كبير من مصانع الولايات وجدت خطأ سبيلها الى النهر فسممت ماءه ، وقتلت ما فيه من سمك على طول ٥ كيلومترات منه .

انها صورة فريدة ، وهى فريدة فى انذارها ، لما قد يحدث من سموم تلقى فى البحر من مصانع كيماوية او اخرى ذرية .

والحق ان العاملين فى الصناعات الذرية اليوم فى حيرة مما يتبقى لديهم من نفايات مشعة ، اين يذهبون بها . يدفنونها فى الارض ؟ فما يحدث للناس لو حفروا وهم غافلون . ام فى البحر ؟ فيقتلون كل الذى به حياة . اخطار نفرد لها حديثا فى المستقبل خاصا ان شاء الله .

فكرة : لجلب ماء السحاب

* الانسان، فى الأرض التى لا ترويها الأنهار الجارية، ينظر دائما الى السحاب، يطمع فى مطره، ويأمل. وكثيرا ما يُخلف السحابُ الآمال .

واذن فقد فكر الانسان مرارا فى اعتصار الماء من السحاب اعتصارا .

ويصعد اليه الطيار بطائرته ، وينثر فى السحاب أملاحا ، مثل يوديد الفضة ، فتتجمع قطراته ، وتثقل ، وتهبط مطرا .

وقد خطرت لفريق من الكيماويين الرومانيين فكرة طريفة . ان سخام الفحم معروف انه يمتص الحرارة امتصاصا ، واذن فلم لا نستخدمه لانزال السحاب مطرا . ان نثره فى السحاب ، وهو فى العلالى ، ومعرض أشد التعرض لضوء الشمس وحرارتها، فهى هناك دائما حاضرة ، هذا النثر يهيئ لمسحوق الفحم هذا امتصاص حرارة من الشمس ، وانزال المطر من السحاب .

وجرّبوها .

ونثروا فوق السحاب قليلا من هباب الفحم ، فنزل المطر .

قطار يجرى على وسادة من هواء

● هل تصبح قاطرات السكة الحديدية تجرى على وسائد من الهواء ، كما تجرى الآن سيارات الهوفركرافت Hovercraft فى البر والبحر .

ان هذه السيارات الوسادية نجحت فى البر ، ونجحت اكثر من ذلك فى البحر ، وهناك منها الآن معدّيات تحمل الناس من انجلترا الى فرنسا عبر المنش بانتظام ، وكذلك من مدينة بورتسموث Portcmouth عبر الشاطئ الجنوبى لانجلترا الى جزيرة ويت Wight .

وهى تسير على وسائد من هواء .

يندفع منها الهواء ، من محركات فيها ، الى اسفل بقوة ، فيرفعها من الارض أو الماء رفعا ، بينا محركات أخرى تحركها فى الهواء ذهابا وجيئة .

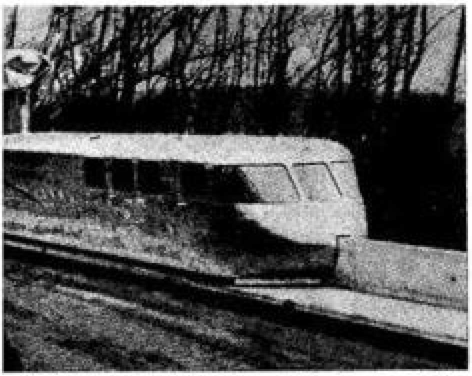
نجحت هذه ، فلم لا تنجح قطارات تسير كذلك على وسائد من هواء .

وقد بدءوا فى باريس فعلا يجربون هذا عمليا .

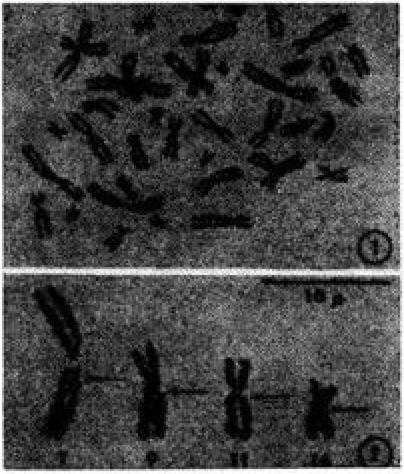
وتجد ذلك فى الصورة المرفقة . انها قاطرة نصف حجم القاطرة التى ستكون . والقضيب الظاهر فى الصورة غايته توجيه القاطرة عندما تجرى حتى لا تحيد ، وهو عندئذ لا يحملها . والارض التى تجرى فوقها القاطرة مبسوطة وهى على درجة من الاستواء كبيرة . ان خروجها من هذا الاستواء بقدر سنتيمتر واحد يسبب الاضطراب فى حركة القاطرة ، والعاملون على هذه التجارب يهدفون الى ان لا يخرج الطريق عن الاستواء غير مليمتر واحد .

وتقول القاطرة ، وهى قاطرة وقطار معا ، فهى تحمل الركاب .

وبالقاطرة محركات اربعة تدفع الهواء الى أسفل القاطرة لرفعها ، فهى وسائد من الهواء أربع . وبها محركات اربعة أخرى لدفع القاطرة افقيا لتجرى . وهذا الدفع يقوم به محركان من محركات القاطرة قوة كل منها ٢٥٠ حصانا .



كروموسوماتك في كل خلية من خلايا جسمك لها شكل مبروم



● من العلم الشائع اليوم ان الخلية الانسانية ، وكل خلية حيوانية ، بها نواة ، وان بهذه النواة أشياء صغيرة جدا لها شكل العصي ، او شكل قرون الفول او البسلة وما شابهها ، تسمى بالكروموسامات Chromosomes .

وان بهذه الكروموسومات توجد الجينات Genes ، وهي كحبات الفول أو البسلة في تلك القرون . وان هذه الجينات هي أشبه بمخططات المهندس التي بها يستهدى لبناء البيت . وبها تستهدى خلايا الجسم لبنائه .

ومن الشائع الثابت المعروف كذلك ان كل خلية من جسم الانسان بها ٢٣ زوجا من هذه الكروموسومات ، او ٤٦ كروموسوما .

وتنشق الخلية الى خليتين ، في سبيل النمو ، أو حتى في سبيل التجديد والتعويض عما يستهلك في الجسم من خلايا . وفي هذا الانشقاق تتقسم الكروموسومات كذلك وتتوزع ، نصف للخلية من الخلايا الجديدة ، ونصف لأختها الخلية الجديدة الثانية .

وقد فرض العلماء دائما ان الكروموسوم الانساني له شكل كشكل البرْيمة ، ولكنه فرضٌ كان يعوزه البرهان الكامل .

ولا برهان كالرؤية .

وقد كشف العالم الياباني اهنوكي Ohnuki عن هذا الشكل البريمي بما لا يدع للشك مجالا ، وذلك بأنه كبّر هذه الكروموسومات ، وهي تنتصف في خلية واحدة، لتكوّن خليتين، وصوّرها. وتجدها في الصورة كما نشرها ، شكلها البريمي واضح تماما .

وتجد في كل صورة من الصورتين ، في شمالها الى يمين ، خطا افقيا ، فهذا طوله في الصورة Io u اى عشرة أجزاء من الف جزء من المليمتر . وهذا يعطيك فكرة عن صغر هذه الكروموسومات التى تحتوى على الجينات التى لا بد انها أصغر منها كثيرا ، تلك المخطّطات التى تبنى اجسامنا وفقا لها .

الكهرباء من الذرة في فرنسا

● يأتي الخبر من فرنسا بانه في بحر شهور سيتم المفاعل (أو الفرن) الذرى الثالث وهو أكبر مفاعل صنعته فرنسا . وستكون قدرته الكهربائية ٤٨٠ الف كيلو وط .

والمفاعل الاول كانت قدرته ٧٠ الف كيلووط.

والمفاعل الثانى كانت قدرته ٢١٧ الف كيلو وط .

وعندما يتم بناء المفاعل الثالث سيكون لدى فرنسا من القدرة الكهربائية المستمدة من الذرة أكثر من ٧٥٠٫٠٠٠ كيلو وط عند مدينة شينون Chino ويقول القائمون باقتصاديات هذه الصناعة في فرنسا انهم يرون أن اليوم الذى تستطيع الكهرباء المصنوعة من الذرة منافسة الكهرباء المصنوعة بطرق اخرى ، يوم قريب جدا .

جهاز البول

كليتان، وحالبان، ومثانة، ومخرج للبول

ـ فى العدد الماضى ذكرتم لنا ماذاتصنع المختبرات الطبية فى بول مريض عندما يصلها لتحليله، وأرى استتماماللفائدة أن تحدثونا، ولو باختصار، عن البول فى جسم الانسان، كيفيتكون، واين، وما يعترى الانسان بسببه من امراض.

قارىء

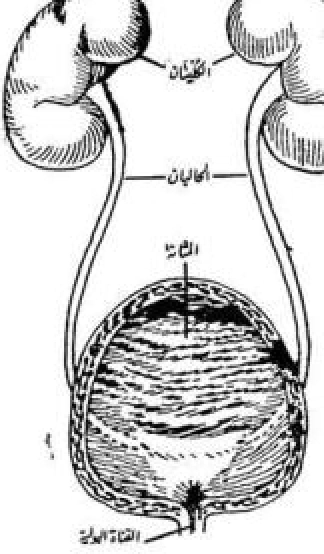
● الصورة المرفقة توضح الجهاز البولى، وهو يتألف فى الشخص الواحد من كليتين، متصلتين بقناتين يتحلب فيهما البول النازل من الكليتين، ولذا سميا بالحالبين، والحالبان يصبان فى المثانة وهى مجتمع البول. ومن المثانة يخرج البول من الجسم عن طريق قناة البول.

الكليـة

والكلية أخطر جزء فى الجهاز. انها تعمل عمل المرشح. يمر فيها دم الجسم كله فى خمس دقائق او ست. واذا علمنا ان دم الجسم فى الرجل البالغ يبلغ نحو ٥ التار ادركنا أن سرعة مرور الدم فى الكليتين ليست بالسرعة القليلة.

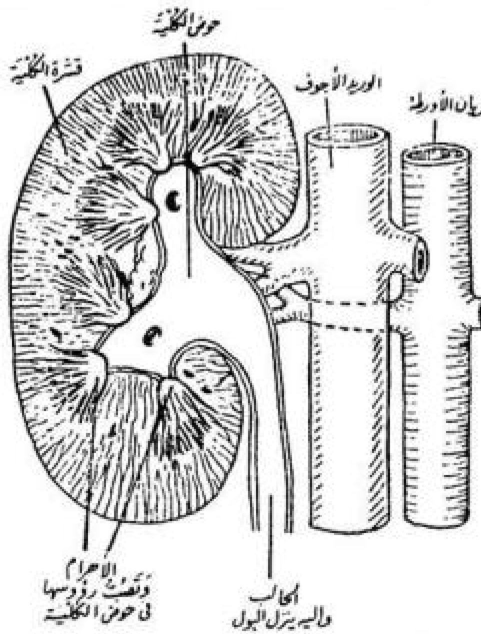
والكلية اثناء مرور الدم تأخذ منه ما فرغ الجسم منه من انتجة احتراق الاغذية فى خلاياه، ذلك الاحتراق الذى هو مصدر عمل الحياة. حتى الخطوة التى تمشيها القدم، حتى الفكرة التى تخطر بالرأس. والكلية لا تستطيع ان تأخذ من الدم هذه الانتجة، وهى صلبة ذائبة فى الدم، الا ان تأخذ معها بعض ماء الدم وهو ماء بالطبع فائض عن حاجة الجسم. فهذا هو البول، حامل «قمامة» الجسم والملقى بها فى المرحاض.

والكلية لا تأخذ هذه الانتجة من الدم هكذا اعتباطا. فهى لا تأخذ الا كل جسم صلب من طبيعته التبلور اذا هو جف. فهى لا تأخذا المواد الفروية الذائبة كزلال الدم مثلا، على الصحة انها لا تأذن له بأن ينفذ من الدم عبرها الى البول. ان الكلية تختار المواد التى ترشحها مع البول، وهى تحجز فى الدم



كل ما الجسم فى حاجة اليه ، نوعا ومقدارا .

فالسكر مثلا (الجلوكوز) موجود فى الدم، وهو من المواد المتبلورة اذا جف، ومع هذا فلا تأذن الكليتان له بالخروج من الدم الى البول على الصحة . اما فى المرض السكرى ، عندما يعجز الجسم عن حرق السكر كله بسبب خلل فى البنكرياس الذى لا يصنع الكافى من الانسولين ، فعندئذ يأخذ يتراكم السكر (المواد الزلالية واضرابها كالتى فى اللحم



فى الدم ، حتى اذا بلغ حدا ، يعرف بالعتبة Threshold ، لم تستطع الكليتان حبسه فتأذن له بأن يفيض من فوق « العتبة » الى البول . ووجود السكر فى البول هكذا مرض .

ومن امثلة ما ترشحه الكليتان فتخرجانه من الدم فى البول ، البولينة Urea وحامض البوليك Uric acid وكلاهما من انتجة احتراق البروتينات

والجبن وغير ذلك) فى الجسم . ومن امثلة ذلك املاح الفسفات Phosphates والبوتسيوم والكلوريد .

والكليتان توازن بين ما يأخذان من الدم وما يبقيان فيه لضرورة عمليات الحياة . مثال ذلك أن نجد فى البول من البولينة نحو ٧٠ مثلا مما فى الدم ، وعشرين مثلا من حامض البوليك ، و٣٠ مثلا من الفسفات ، و٨ امثال من البوتسيوم ، ومثلين من الكلوريد ، وهلم جرا .

موضع الكليتين فى الجسم

انهما فى البطن ، فى أوسط الظهر ، عند العمود الفقرى ، وواحدة الى يمينه فهي الكلية اليمنى ، والاخرى الى شماله فهي اليسرى .

والكليتان لهما شكل كلية الحيوانات كالخراف والبقر .

وطول كلية الانسان نحو ٤١/٢ بوصة، وعرضها نحو ٢١/٢ بوصة ، وسمكها نحو ١١/٢ بوصة ويثبت الكليتين فى وضعهما من داخل الظهر بطانة لهما من الدهن ونسيج ليفى .

عملية الترشيح كيف تنجزها الكليتان

لو انك شققت كلية وهي مبسوطة على مائدة ، وشققتها افقيا على طولها ، لظهر لك من اى شيء يتألف باطنها .

ان الكلية تتألف من قشرة من الخارج سميكة ، ثم من اشكال هرمية ، تستقر بقواعدها على القشرة ، اما رؤوسها فتصب فى فجوة فى قلب الكلية تعرف بالحوض . وترى كل هذا فى الشكل المرفق . وترى فيه الشريان الكبير ، وهو يأتى بالدم من شريان الجسم الاكبر ، فيدخل الكلية ويدور فيها بفروعه الكثيرة العديدة ، وشعيرياته التى تنتهي اليها هذه الفروع . ثم يتجمع الدم فى أوردة صغيرة ، فأكبر ، ثم يخرج الدم من الكلية ليصب فى الوريد المعروف بالاجوف . ومنه يدور فى الجسم .

ولكن ماذا يحدثه الدم فى دورته هذه بالكلية ؟

ان الدم يدور حول قنوات صغيرة ، عديدة ، ملتو بعضها على بعض لتطول كثيرا دون أن تأخذ مساحة كبيرة . فالخلايا بجدران هذه القنوات تمتص من الدم بعض مائه وفيه الكثير من الانتجة التى فرغ منها الجسم . فهذه القنوات فى قشرة الكلية هي صانعة البول الاولى. وهي تتصل بعد ذلك بالقنوات التى تتألف منها الاهرامات . ومن رؤوس هذه الاهرامات يصب البول فى حوض الكلية ، ومنه الى الحالب . ويكاد الهرم الواحد وما وراءه من قاعدة مستقرة فى قشرة الكلية ، يكاد أن يكون كلية مستقلة بعملها .

فى الحالبين

والحالبان قناتان جدرانهما عضلية . والبول يساق فيهما الى المثانة بدفعات تحدثها تقبضات تجرى فى هذه الجدران، يلي بعضها بعضا . والبول يدفع من مخرج الحالب الى المثانة على دفعات متتاليات ، بينها نحو من ٢٠ ثانية .

فى المثانة

والمثانة هي مخزن البول ، ويوجد عند مخرجها الى قناة البول خاتم من عضل ، مغلق على نفسه فهو لا يأذن للبول أن يمر ، ويعرف بالعضلة العاصرة او القابضة . حتى اذا امتلات المثانة بالبول فبلغ بها ضغطا معلوما ، تقبضت عضلات المثانة لتطرده ، وفى الوقت نفسه تنفتح العضلة العاصرة اذ ترتخي . فاذا افرغت المثانة بولها ، عادت الى ارتخائها، وتقبضت العضلة العاصرة .

ومن عجيب الامر ان هاتين عمليتان تجريان فى الاصل تلقائيا ، دون ارادة الانسان .

نظام عصبي يقوم بالتجهيز لخروج البول Parasympatnetic nerves وجهاز يقوم بعكس ذلك وحبسه Sympathtie .وهذا رغم الانسان.

ويستدل على هذا ممن يصابون بشلل نصف جسمهم الادنى من الناس، تفرغ مثانتهم وتمتلىء من ذات نفسها على هذا المثال دون تدخل ارادتهم .

وكذلك الحال فى الاطفال . ثم يأخذ الطفل فى التحكم بارادته فى افراغ بوله .

امراض تصيب الكلية والحالب والمثانة

انها امراض عديدة ، تصيب أيا من اجزاء الجهاز البولى ، ليس هذا مكان تفصيلها .

ولعل من اخطرها تلك التى تصيب الكليتين ، لا سيما تلك التى تفت في قدرتها على ادرار البول ، فيبقى البول فى الدم ، وتبقى مواد كان يجب أن تخرج منه ، فيتسمم بها الجسم . والناس كثيرا ما تموت بهذا .

والكلية قد يصيبها التخلخل فتتحرك عن موضعها وتعرف بالعائمة .

والكلية قد يتكون فيها الحصا .

والكلية قد تصيبها العدوى .

ومن حسن الرعاية بالانسان أن خلق الله له كليتين، تغنى احداهما عن الاخرى اذا هي تعطلت ، فاذا تعطلت الاثنتان فلا سبيل الا .... الجنة . والعلماء تحاول اليوم أن تزرع كلية يتبرع بها الاحياء الاصحاء ، مكان كليتين فسدتا لمريض بلغ بأسهم من حياته غايته .

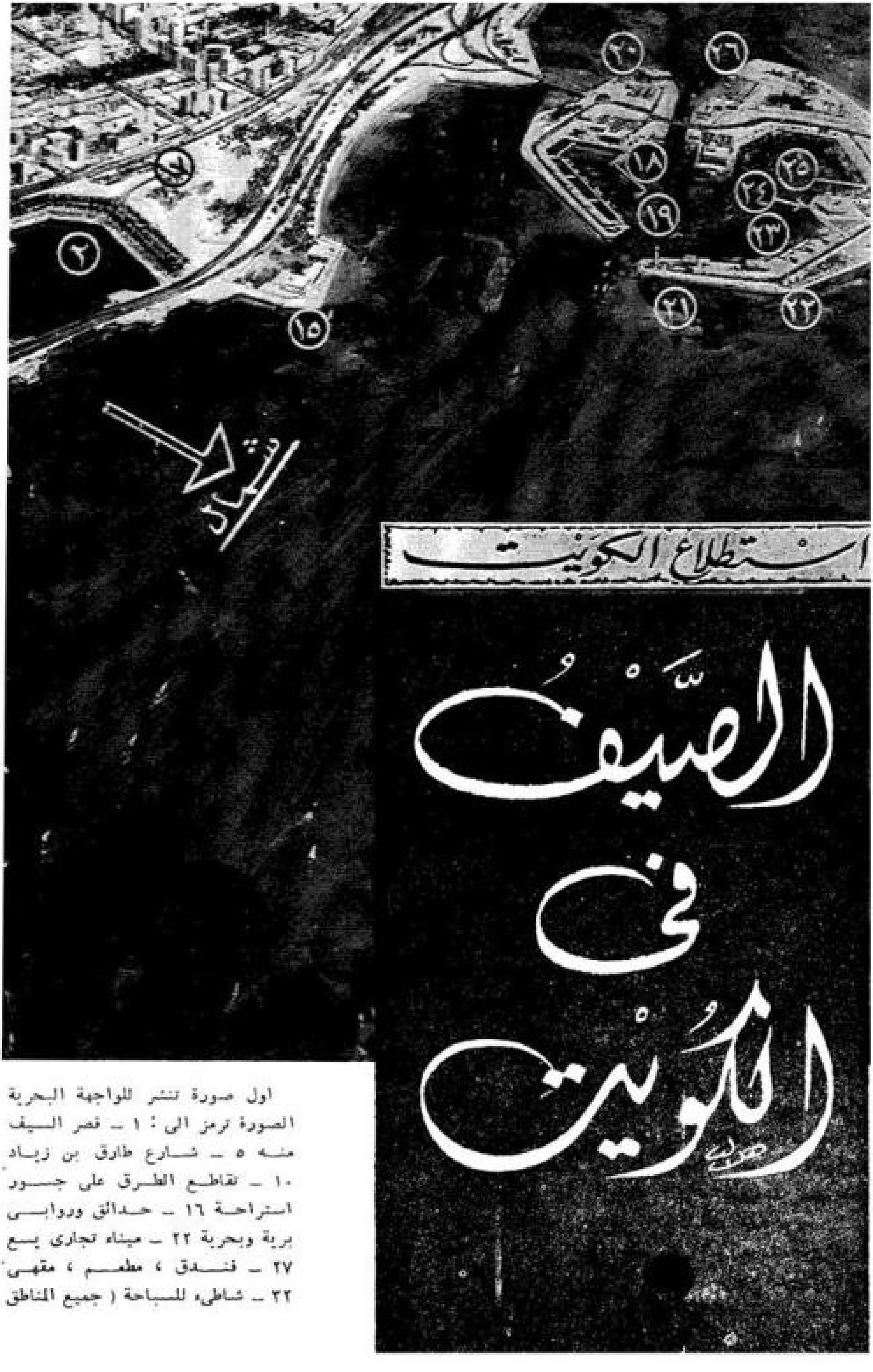
وقد سمعنا هذا الشهر عن التعويض عن كلية الانسان بكلية من قرد . وعاش بها المريض اسابيع ثم مات .

والحالب قد تنشأ فيه حصوة تسده، ويحدث هذا آلاما شديدة تعرف بالمغص الكلوى .

والمثانة يصيبها المكروب فتلتهب .

حتى مجري البول ، فى الرجل ، تقوم حوله غدة تعرف بالبرستاتة Prostate قد تتضخم فى الشيخوخة فتسد البول. ولكن قل الخطر اليوم منها . فعلاج الجراحة حاضر ، وكذلك الدواء .

كل اجزاء الجهاز البولى يدخل اليها المرض . ولكن ليس كمرض يدخل الى الكليتين فيعجزهما تعجيزا . ■■



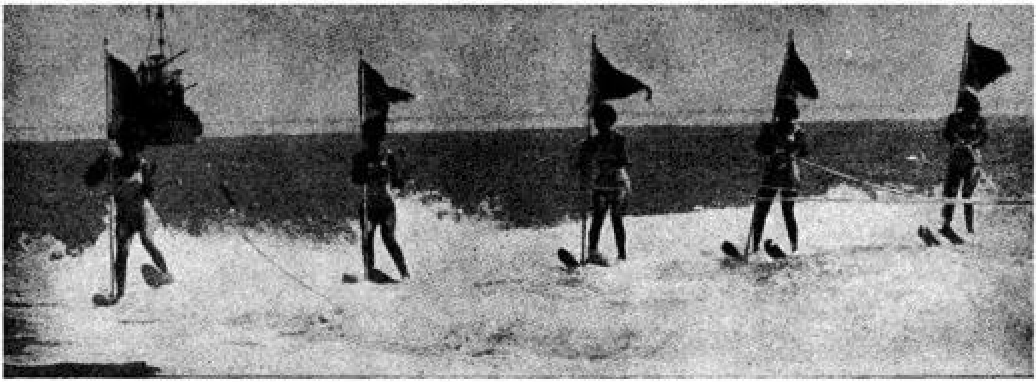
استطلاع الكويت

الصَّيفُ في الكُوَيْت

اول صورة تنشر للواجهة البحرية الصورة ترمز الى : ١ ـ قصر السيف منه ٥ ـ شارع طارق بن زياد ١٠ ـ تقاطع الطرق على جسور استراحة ١٦ ـ حدائق وروابى برية وبحرية ٢٢ ـ ميناء تجارى يسع ٢٧ ـ فندق ، مطعم ، مقهى ٣٢ ـ شاطىء للسباحة (جميع المناطق



الجديدة لمدينة الكويت التى بدأ العمل فيها منذ ثلاث سنوات لتجميل مدينة الكويت .. والارقام التى على
٢ ـ بحيرة قصر السيف ٣ ـ شارع مبارك الكبير ٤ ـ شارع الخليج العربي ، الطريق الذى انتهى العمل
٦ ـ شارع الكورنيش الرئيسى ٧ ـ طريق للنزهة ٨ ـ حوض اليخوت الكبيرة ٩ ـ مقاه ، بوفيه ، استراحة
١١ ـ متحف أحياء مائية ١٢ ـ مطعم ١٣ ـ نادى اليخوت ١٤ ـ مقاه، بوفيه، استراحة ١٥ ـ مقاه ، بوفيه ،
١٧ ـ مواقف سيارات ١٨ ـ سوق سمك ١٩ ـ حوض يسع ١٠١ مركب صيد ٢٠ ـ مطعم سمك ٢١ ـ شرطة
١٢٨ مركبا تجاريا ، ٢٢ ـ تفريغ ٢٤ ـ انتظار ٢٥ ـ تحميل ٢٦ ـ رصيف يسع ٢٣ مركبا
٢٨ ـ شاطىء للسباحة مجهز ٢٩ ـ شارع الهلالى ٣٠ ـ صيانة واصلاح ٣١ ـ بركة سباحة للاطفال
شمال شارع الخليج العربي مكتسبة من البحر .



تعتبر مياه الخليج افضل مكان لمزاولة التزلج على الماء فالامواج والصخور معدومة .. ويتبنى نادى

• حيث ترتفع الحرارة في الظل إلى ٥٠ درجة !
• الحكومة والشعب يشتركان في مقاومة حر الطبيعة .

■ منذ القدم والكويت مرتبطة بساحلها البحرى الطويل .. ومن هذا الارتباط تكونت صداقة خاصة بين ابناء البلد وبين البحر المتموج الالوان .. من الازرق والاخضر الى اللازوردى الرائع الجميل ...

ان كل بيت فى الكويت ما زالت تربطه ـ الى الآن ـ ذكريات كفاح مجيد على صفحات مياه هذا البحر الهادىء الذى كان وما يزال الملجأ الوحيد للهاربين من شدة الحر فى الكويت .

حر شديد

ان الله خص الكويت بمناخ «قارى» فاعلى درجة حرارة سجلت فى الظل ، بلغت ٥١ درجة مئوية فى صيف ١٩٥٤ ، ونفس التسجيل تم فى شتاء ١٩٦٤ فكانت درجة الحرارة احيانا ٢ تحت الصفر .

ولكن الشتاء فى الكويت فى معظم الاحيان معتدل البرودة ، صافى السماء ، الا من سحب تزجى فيه بيضاء ، هو كاحسن ما يكون الشتاء فى اى بلد كان .

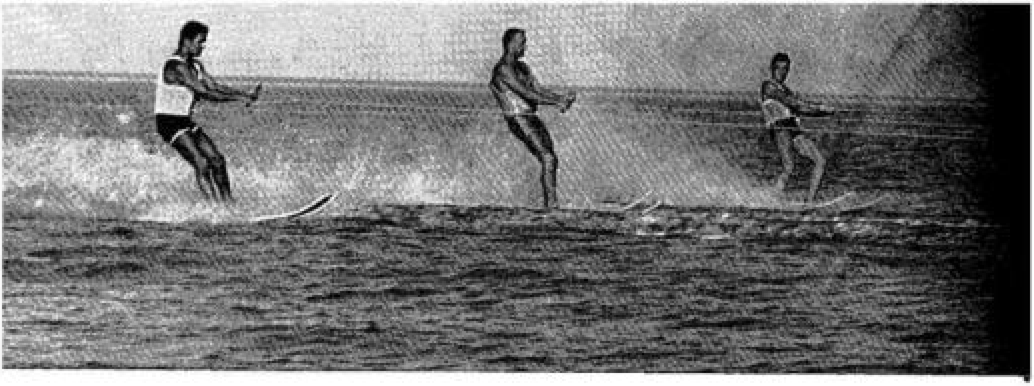
السيارة تاخذ مكان الطائرة

وما يكاد الصيف يطل حتى تبدا هجرة على نطاق واسع .

لقد بلغ عدد الذين سافروا من الكويت فى صيف العام الماضى ٢١٥ الف نسمة .. اى نصف عدد السكان تقريبا ! .. هذا ما تقوله ارقام وزارة الداخلية والادارة المركزية للاحصاء .

وفى سفرهم هذه المرة لم يستقلوا فقط الطائرات الداكوتا ، والكوميت ، والكارافيل ، والبوينج ، كما اعتادوا ان يفعلوا ، بل ركب معظمهم سياراتهم الكبيرة والصغيرة وراحوا يتزاحمون على طول الطريق الرفيع الطويل الذى يربط الكويت بالعراق والاردن وسوريا ولبنان .

لقد بلغ عدد الذين سافروا على هذا الطريق بسياراتهم ١٥٠ الف نسمة ، اى ثلاثة اضعاف عدد الذين سافروا بالطائرات ، وقد بلغ عدد هؤلاء ٥٢ الف نسمة فقط ..



الغزال ، الذى يراسه بدر الملا هذه الرياضة ، التى يقام لها مهرجان سنوى تشترك فيه الفرق الرياضية

• نصف السكان يسافرون في إجازات سنوية..
• "الطوز" عدو سكان الكويت رقم (١)

اما المراكب والبواخر فقد نقلت فى الصيف الماضى ، تسعة آلاف مسافر الى امارات الخليج والجنوب العربى ، والهند .

ماء ... وملح !

هذا عن الذين سافروا الى المصايف العربية ، وربوع اوروبا وامريكا ، هربا من الحر .. يبقى بعد ذلك سؤال عن الذين يتطلب عملهم البقاء .. كيف يقضون الصيف ؟

انهم يقضون اوقاتهم فى تصريف اعمالهم كما يقضى كل مواطن فى وطنه ، الف حر ّه ، فلم يزعجه كثيرا .

وغير ذلك القادم الى البلاد فى الصيف .

ان النصيحة الاولى التى يسمعها القادم الجديد الى الكويت فى الصيف هي : اشرب الماء بكثرة .. وضع الملح على الطعام ، وعلى عصير الطماطم، والبعض الآخر يزدرد يوميا « اقراص الملح »، وهى حبوب من الملح المغطى بطبقة سكرية ، تباع فى الصيدليات !

والسبب فى هذا ان الانسان الذى يعمل فى الجو الحار ، وخاصة الذى يتطلب عمله القيام بمجهود جسمانى ، يفقد كثيرا من الملح والماء اللذين يخرجان مع العرق ، رغم احتياج الجسم اليهما ..

ومن عجب أن بعض الأمريكان لا يجدون فى صيف الكويت شيئا غير عادى، ويقولون ان فى كاليفورنيا اماكن اشد حرا من الكويت !!

« شط العرب » هو السبب !

وتتميز الكويت بشواطئها الجميلة المتعرجة الممتدة على مسافة ٢٧٥ كيلو مترا بحذاء مياه الخليج العربى .. ولكن نصف هذا الساحل تقريبا غير صالح للاستحمام .. والسبب يرجع الى الطمى او الغرين ، الذى يصبه نهر شط العرب فى الخليج ، وتنقله التيارات المائية الى شواطىء الكويت الشمالية، فيحيلها الى ارض طينية لزجة، لا تصلح للسباحة الا فى حالات المد العالى .

اما السواحل الجنوبية فعلى العكس ، اذ تغطيها رمال بيضاء ناعمة جميلة ، وان كان جزء

كبير منها ، ضاع في عمليات تشييد الاستراحات والمنازل الخاصة على السواحل ..

ارض من البحر !

وقد ارادت الحكومة ان تعيد الرابطة الوثيقة بين الكويت والبحر ، ففكرت في تجميل ساحل العاصمة ، ولكنها اصطدمت بازدحام المنطقة ، وارتفاع ثمن الأرض .. واتجه تفكيرها الى البحر الضحل الذي يحيط بالعاصمة ، فعمدت اليه تردمه لتوفر ارضا جديدة مساحتها مليون واربعمائة الف متر مربع ، تقيم عليها « واجهة بحرية » فائقة الروعة والجمال .

ويقدر ثمن هذه الارض الجديدة التي سوف تؤخذ من البحر بنحو ١٤٠ مليون دينار ، في حين ان ميزانية مشروع ردم الساحل واقامة الواجهة البحرية تقدر بنحو ١٢٫٥ مليون دينار .. وبمعنى آخر يمكن القول ، تجاوزا بان هذا المشروع سيحقق ربحا يبلغ نحو ١٢٧ مليونا من الدنانير ! فضلا عن فوائده الترفيهية والعمرانية ، اذ سيجعل للكويت طابعا مميزا يربط بين مبانيها المبعثرة ، ويجعلها وحدة واحدة .

والمرحلة الأولى من الكورنيش ظهرت عند افتتاح طريق الخليج العربي ، الذى اعتبره البعض طريق الكورنيش الرئيسى ، في حين انه طريق عادى من سلسلة الطرق التي يشملها هذا المشروع الكبير .



سخت الطبيعة على الكويت فمنحتها شواطىء رائعة على الخليج العربي ..
وكأنها بهذا تعوض عن الحرارة الشديدة التي يعيش فيها السكان ..

دراسات ضرورية

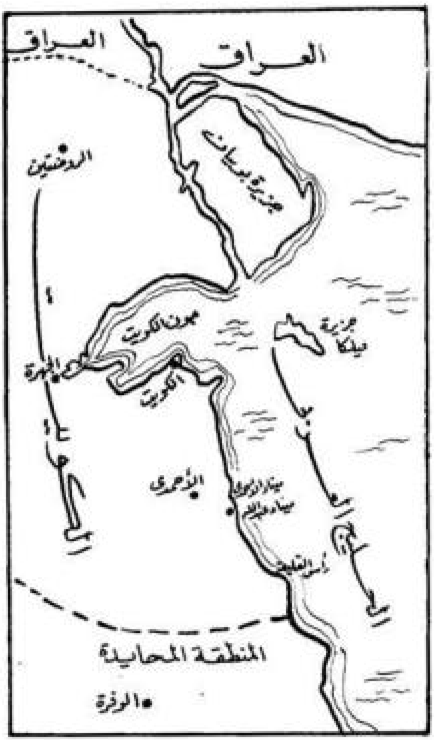
والأمل كبير في أن يقلل هذا المشروع من الهجرة الصيفية للسكان ، لما يحويه من أماكن خاصة للنزهة والرياضة كالسباحة والتجديف والتنس، الى جانب الحدائق والمنتزهات وملاعب الاطفال والاستراحات والمقاهي والمطاعم ، ومرفأ خاص لليخوت وقوارب النزهة .

هذا الى جانب المرفأ الاخر الذي يضم ٢٦٠ سفينة خشبية ، من تلك التي كان لها تاريخ طويل مرتبط بحياة الكويت من جمع اللؤلؤ وصيد الاسماك والتجارة .

ان مثل هذا المشروع الضخم لا بد انه يحتاج الى دراسات وافية : من مسح جوي وأرضي ، ودراسات لأعماق الخليج ، وحركة المرور في المدينة ، ومدى تحمل التربة في أعماقه للجسور والمباني ، ودراسة للمد والجزر ، وارتفاع الامواج ومدتها وقوتها واتجاهها ..

وقد انتهت كل هذه الدراسات بالفعل، وسوف تستكمل التصميمات المبنية على هذه الدراسات نهائيا في اغسطس من عام ١٩٦٧ ، أي بعد ثلاث سنوات من تاريخ بدئها .

وتبدأ الآن بالتدريج مراحل الدفن في البحر . والمأمول أن تخلق هذه الواجهة متنفسا للمدينة ، وتصبح عنوانا لكونها عاصمة عربية بحرية ..



خريطة ساحل الكويت ، مبين عليها اسماء المدن والمناطق التي ورد ذكرها في المقال ..

القطاع الاهلي يساهم في مقاومة الحر

ولا تقف الحكومة بمفردها في هذا العمل من أجل الترفيه عن سكان الكويت في الصيف ، وانما يساندها الاهالي بالمنشآت العديدة التي يقيمونها على الساحل ، مثل نادي الغزال ، اجمل نوادي الخليج العربي ، وفيه كل وسائل التسليةالبحرية من حوض للسباحة ، وشاطىء رملي، ومكانخاص لممارسة رياضة التزلج على الماء ، ومبنى مقفل يحوي ملاعب للبولنغ والبلياردو وتنس الطاولة ، وقاعة كبيرة للاحتفالات والسينما .

ويجري العمل حاليا بهمة ونشاط في بناء ناد بحري جديد في منطقة الضباعية جنوب الكويت لحساب شركة الفنادق الكويتية .

كما أن البلدية قد انتهت من دراسة مشروع ناد بحري جديد على ساحل«البدع» في السالمية، سوف يكون من أجمل وافخم النوادي البحرية العالمية .. انهم أفراد اجتمعوا ووضعوا المشروع واشتركوا في نفقاته واشتركت معهم وزارة الشئون الاجتماعية من أجل تجميل الكويت ومقاومة حرها وتشجيع الاهالي على البقاء في الصيف ..

الزيوت تدفع المستحمين الى البرك العذبة

اما حاليا فيتوجه الاهالى للاستجمام الى شواطىء منطقة السالمية لقربها من المدينة ، والبعض يفضل الاماكن النائية ، فيتجه الى الجنوب قرب ميناء عبد الله للاستحمام مع افراد عائلته على الشاطىء الطويل الخالى ، بعيدا عن أعين الفضوليين ..

وأكثرما يضايق المستحمين سفن ناقلات النفط، التى تفرغ نفاياتها من الزيوت عند اقترابها من موانىء الكويت فتصبغ المياه الزرقاء والخضراء بالزيوت السوداء ، حتى يصبح الاستحمام ضربا من المحال .

ومن أجل هذا قررت الحكومة الكويتية حماية الاهالى فاصدرت قانونا يعاقب السفينة التىتلوث ماء البحر فى الكويت بغرامة تزيد عن الالف دينار، ولكن بالرغم من هذه الغرامة المرتفعة ، فان بعض السفن ما زالت تلقى بفضلاتها فى ماء البحر .. وخاصة فى الاجزاء الجنوبية من البلاد التى لم يمتد اليها العمران بعد ..

لهذا تجد الكثيرين من الاهالى يفضلونالسباحة فى أحواض السباحة ذات الماء العذب بدلا من مياه البحر الملوثة ..

وعدد هذه الأحواض محدود فى مدينة الكويت نفسها ، أما فى مدينة الاحمدى ، المدينة الثانية فتضم ثلاثة أحواض للسباحة يتدفق فيها الماء باستمرار ، ومع ذلك لا يفيض ، لانها مياه جارية تتغير باستمرار من الفتحات الخاصة بذلك ..

والماء العذب الذى تمتلىء به هذه الأحواض هو



أول مرحلة تمت من الواجهة البحرية ، انه شارع الخليج العربى ، الذى أخذت أطرافه من البحر بعد ردمها .. ان جمال هذا الشارع جعل الناس يعتقدون بأنه هو الطريق الاصيل الذى لم يبن بعد ، والذى سيقام فى الطرف الايمن من الصورة بعد ردم البحر الظاهر..



تنتشر المقاهي الشعبية على سواحل رأس السالمية .. فيقصدها الاهالي فى الرطب الذى يهب عليهم من البحر .. قسمين : قسم للعائلات ، وقسم للعزاب،

ماء آبار ، يمر على مرشحات خاصة ، ترشحه وتعقمه وتضيف له مادة الكلور لقتل البكتير ، لهذا ينبهون على الأطفال بعدم المكوث فترة طويلة فى الماء ، حتى لا تلتهب أعينهم من المواد الكيماوية المطهرة ..

الطوز فى الكويت

ان كلمة « طوز » مثل كلمة « الهَبوب » فى السودان ، و « الخماسين » فى مصر .. عاصفة رملية تحمل معها غبارا كثيفا يحجب نور الشمس فى بعض الاحيان لكثافته الزائدة .. ويستمر « الطوز » فى بعض الأحيان لمدة يومين أو ثلاثة متعاقبة يغطى خلالها الكويت عندما ينحسر بطبقة من الرمال..فتجده يتسلل الى المنازل والمتاجر ، ولا تسلم منه اى بقعة ولو صغيرة فى اى مكان ..

وفى ايام « الطوز » تتوقف جميع وسائل المواصلات من طائرات وسيارات عن السير خوفا من الاصطدام عندما تتعذر الرؤية .

الطوز على أنواع

ولزيادة معلوماتك يقول الخبراء انه توجد ثلاثة انواع من الطوز : نوع تحمله الرياح الموسمية القادمة من الهند ، وهذا يحدث فى الصيف فى شهرى يونيو ويوليو .. ونوع ثان يأتى عن طريق الصحراء العربية ويحدث فى اشهر فبراير ومارس وابريل .. ونوع ثالث يأتى قبل هطول الأمطار فى شهرى ديسمبر ويناير ، وهذا يتلاشى بمجرد سقوط الأمطار ..



الكويت ، وخاصة فى منطقة الليل للتمتع بالنسيم وتنقسم هذه المقاهي الى الذين تراهم فى الصورة ..



لليخوت فى الكويت ثلاثة أندية : واحد فى الكويت واثنان فى الاحمدى، وكثيرا ما تجرى المباريات بين فرق هذه الاندية وفرق الاندية الخارجية القادمة من قبرص وبيروت والبصرة .. ويطلقون على هذه اليخوت الصغيرة لفظ « الفراشة النارية » لخفتها وسرعتها ..



نادى الغزال ، اجمل الاندية البحرية على الخليج العربي .. لقد اقفل باب القبول فيه بعد ازدحامه بالاعضاء وتقوم ادارته حاليا بتوسعته ليستقبل عددا اكبر من الاعضاء ..

وليس معنى هذا أن يتحتم وجود الطوز فى هذه الاشهر كلها ، والا كانت السنة كلها طوزا !

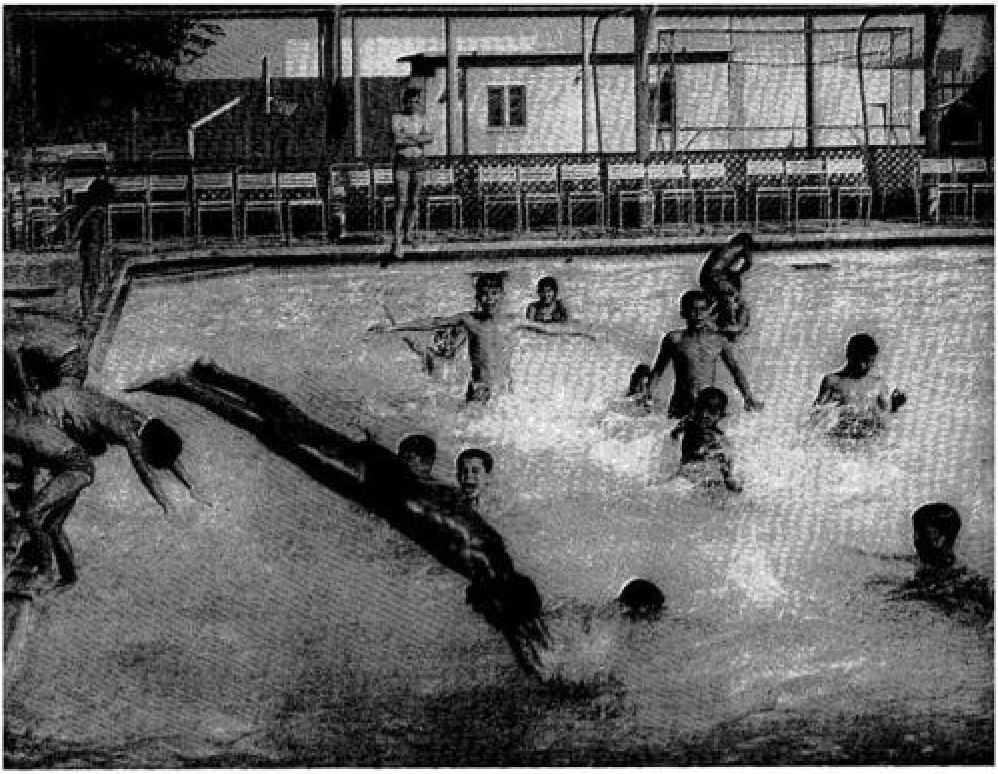
بلد المكيفات

كثيرا ما يلجأ سكان الكويت الى منازلهم فى الصيف يحتمون بها من الحر ، فيديرون المراوح ويشغلون «مكيفات الهواء» التى تديرها الكهرباء، تلك التى اصبحت من الضروريات والتى يملكها متوسط الحال والغنى على السواء . وفى المكاتب أصبحت أغلب البنايات الحديثة مكيفة الهواء .. حتى السيارات أصبح منها ما هو مكيف الهواء تلطيفا للحرارة الشديدة التى تتعرض لها السيارة أثناء سيرها فى الشمس ..

أربعة شهور فى الماء

قال الرحالة الايطالى الشهير ماركو بولو منذ ٣٠٠ سنة عندما زار هذه المنطقة : ان الأهالى كانوا يتوجهون فيغطسون فى ماء البحر الى الرقاب تخفيفا من حرارة الجو .

اما فى زمن مبارك الصباح الذى كان أميرا للكويت منذ خمسين عاما ، فان الأهالى كانوا يهجرون البلاد فى الصيف على ظهور سفنهم القديمة من «سنبوك» و « بتيل » و « جالبوت » ، ويتجهون فى جموع هائلة يقرب عددها من ٢٠ الف نسمة ، الى المغاصات ، اى أماكن جمع اللؤلؤ ، حيث يمكثون طوال مدة ألصيف ، وتستمر أربعة شهور ،



احواض السباحة التى تشتهر بها الاحمدى .. الماء فيها عذب يجرى باستمرار ، انه ماء آبار ارتوازية يرشح ويعقم قبل أن تمتلىء به الاحواض

يغوصون خلالها عشرات المرات فى مياه الخليج الدافئة الى أعماق ٦٠ و ٧٠ قدما بحثا عن « المحار » الذى يحوى اللؤلؤ الثمين ..

أول مكيف هواء

اما الذين يتخلفون على اليابسة من تجار واطفال ونساء فكانوا يتقون الحر بوسائلهم الموروثة عن الآباء والأجداد .. يغطون النوافذ بقطع القماش المبللة بالماء ، أو يجلسون فى المنازل تحت « البادجير » أو « ماسك الهواء » الذى يعتبر من أول مكيفات الهواء التى صنعها الانسان لتخفيف حدة الحر فى الصيف .. انه برج حجرى عال مقام فوق المنزل مفتوح الجوانب، تصطدم به الريح أثناء هبوبها ، فتندفع لداخل المنزل ، وترطب الحرارة بداخله !

سراب ..

ومن اطرف المناظر واحبها الى القلب فى صيف الكويت منظر بائع المثلجات والايس كريم ، الذى تجده واقفا امامك بدراجته عند زوايا الطرق ، وعلى السواحل تحت اشعة الشمس .. وليس فى الصيف شىء أشهى من رؤية المثلجات والثلج فتتخيل نفسك وكأنك امام سراب .. فقطعة الثلج تتراءى وكأنها قطعة من الماس !! ■■

س . ز



على هامش المعركة الانتخابية المقبلة فى الولايات المتحدة

عن صحيفة الاهرام القاهرية :

● استطاع روبرت كندى ، شقيق الرئيس الراحل جون كندى، وعضو مجلس الشيوخ عن مدينة نيويورك ، أن يجعل انباءه لها العناوين الكبرى فى الصفحات الاولى للصحف الامريكية فى طول الولايات وعرضها .

ومن عادة الامريكيين — لا فى التجارة والصناعة وحدهما وانما فى السياسة ايضا — ان يحاولوا رسم صورة للمستقبل . وبالرغم من أن معركة الرياسة الانتخابية ما زال أمامها وقت طويل ، اذ انه من المتوقع ان يبقى جونسون فى الحكم حتى سنة ١٩٧٢ ، فقد بدات استعدادات الحزب الديمقراطي لاحتمالات المعركة من الآن ، للاحتفاظ بمنصب الرياسة بين مرشحي الحزب ، ولتحديد هذا المرشح .

فقد تحرك السناتور روبرت كندى اخيرا لكي يضع نفسه فى زعامة النقاد الذين يعتقدون ان الحكومة فى خطر الفشل فى امريكا اللاتينية بسبب الخجل وقلة الخيال وعدم المبالاة بالاحتياجات السياسية لنصف الكرة الارضية الغربي .

نحن وخطر القنبلة الذرية الاسرائيلية

عن صحيفة عمان المساء الاردنية :

● ان اسرائيل تعتدى وهي تمتلك اسلحة تقليدية ، فكيف بها وهي تمتلك السلاح الذرى الرهيب ؟

اننا اليوم احوج الى التضامن من اى وقت مضى وعلينا مواجهة المستقبل الذى يحمل بين ثناياه مفاجآت مثيرة ، وعلى الدول المحبة للسلام والمنظمات العالمية ان تتخذ جميع الوسائل وتبذل جميع الجهود المخلصة لوقف التسلح الذرى الذى تسعى اسرائيل جاهدة لامتلاكه، نظرا لتاريخها الحافل بالعدوان ودرءا لخطر الفناء البشرى وصونا للحضارة الانسانية الخالدة .

فالمسالة لم تعد مجرد التضحية بعدد من الافراد للبقاء على حياة الغالبية كما فى الحروب السابقة ، بل ان الحرب اليوم تهدد المجتمع العالمى كله بخطر الفناء التام .

عندما تتعارض الاخلاق والمصلحة

عن صحيفة الجزيرة السعودية :

● الاخلاق .. كلمة اعتاد الناس تداولها .. تجرى على ألسنتهم فى سهولة وبساطة .. وبنفس السهولة والبساطة يظنون انهم يعرفونها حق المعرفة .. وانهم يسيرون بخطى واثقة فى طريقها. حتى اذا ما بدا فيها ما يتعارض مع مصالحهم انحرفوا قليلا عن تلك الطريق.. حامدين انه لا يوجد من يرى هذا الانحراف ما دام بسيطا خفيفا .. وكأن الاخلاق ليست سوى ما يراه الآخرون من تصرفات .. وما يمكنهم الحكم عليه.. أن كان اخلاقيا .. أو غير اخلاقى. ولكن الاخلاق فى حقيقتها ابعد من ان تكون مثالا سهلا لمثل هؤلاء .. وابعد ان تكون طريقا لينا لهم .. **فالاخلاق** حين تتعارض مع المصالح الشخصية وحين تتعارض مع بعض متطلبات النفوس.. وحين تلتزم للسير فى طريقها التضحية ببعض الرغبات .. تطلب من رائدها الايمان العميق بها .. والارادة الثابتة باهدابها .. ورائدها ليس هو الذى يهمه فقط راى الآخرين فى تصرفاته .. وليس هو الذى يطلب فى صحبتها المدح والاطراء .. وانما هو الذى يملك القدرة على التضحية بمصلحة ما فى سبيل مرافقتها .

الاتجاهات الجديدة فى اوربا

عن صحيفة النار العراقية :

● يشهد حلف وارسو انقساما يشبه من بعض الوجوه الانقسام الذى يشهده حلف الاطلسي . وكما تطالب فرنسا باعادة النظر فى الحلف الغربي لتقليص النفوذ الامريكي فيه وتحديد الدور الرئيسي الذى تلعبه الولايات المتحدة فى توجيه سياسته وخططه فان رومانيا تطالب الآن باعادة النظر فى الحلف الشرقي للحد من الدور الذى يلعبه الاتحاد السوفيتى فيه . ويعتقد الرومانيون ـ كما يعتقد الفرنسيون ـ انه لا توجد ضرورة لبقاء القوات الاجنبية فى الاقطار الاوربية وان على القوات السوفيتية الانسحاب من شرقى اوربا كما يطالب ديغول بسحب القوات الامريكية من غربها . ودعوة رومانيا تجد صدى لدى بعض دول اوربا الشرقية كما تجد دعوة فرنسا صداها لدى بعض الدول الغربية . ولكن تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية وبولندا التى لها خلافات حدود مع المانيا الغربية تتخوف من انسحاب القوات السوفيتية كما يتخوف



الالمان الغربيون والهولنديون والبلجيكيون من انسحاب القوات الامريكية . ولكن هذه المخاوف سوف لن تقف امام التحولات الجديدة فى القارة الاوربية . ان ديغول الذى يمثل هذه التحولات فى اوربا الغربية أخذ يجد صدى لاتجاهاته وآرائه فى اوربا الشرقية ومع مرور الايام ستتحقق نبوءة الرئيس الفرنسي فى قيام اوربا مستقلة لا تقوم بينها الحدود والحواجز والاحلاف ولا تقسمها المذاهب والسياسات والقوات الاجنبية . ■■

نهاية الرحلة

قصة بقلم : محمود سيف الدين الايرانى

■ ـ تقول انه مات .. مات .. ؟

ـ مات فى لحظة كان قبلها فى تمام عافيته ..

ـ انها السكتة القلبية اذن ..

ـ هى تلك .. كما قال الطبيب .. كان رجلا طيبا ..

ـ ايديه .. دنيا .. نمر فيها كالأشباح ..

ـ وقع فى دكانه .. بين العمال .. تصور !

ـ أشباح .. نحن أشباح فى هذه الدنيا ..

وتنهد مجدى بك،ومر بيده على ذقنه يتحسسها، وعاد الحلاق يقول له :

ـ تسمح أحلق لك ؟

ـ طبعا .. طبعا ..

كان يرتاح لـ « سمعان » الحلاق ، يرتاح لحديثه ، وليده الخفيفة ، انه يمر هكذا بالموسى على صفحة وجهه بخفة ، بلباقة ، ويحس دائما انه يُعنى بشانه عناية خاصة ، كلماته تترفق به ترفق هذا السلاح الماضى فى يده .. وقد زال الكثير من الكلفة بينهما على فرق المنزلة الاجتماعية .. كان قد ارتاح اليه منذ أمد .. انها سبع سنوات طوال .. أم تراها اكثر ؟ .. وقد الف مجدى بك هذا الدكان الصغير ، وهذه المقاعد ، وهذا العبير الدائم الذى يشيع فى أرجاء الدكان ، وزجاجات العطر والقوارير العديدة ، فى بعضها قطن ابيض نظيف ، وفى بعضها الآخر معاجين طرية ، ناعمة ، كأنها المراهم ، وفى غيرها مادة التعقيم .. ثم الامواس،والمقصات ،والامشاط، والفوط البيضاء الناصعة ، والمرايا المتالقة ، وجهاز الراديو الصغير ، العاجى اللون لا ينفك يرسل انغاما هادئة خافتة ، كأنها آتية من بعيد .. من بعيد .. وما ابرع سمعان الحلاق فى التقاطها من بين شتى المحطات .. وسمعان كله ذوق ، وهو وان زال الكثير من التكلف بينهما ، فانه لا ينسى أن يدعوه بلقبه العزيز عليه بعد أن زالت الالقاب .. انه يقول له دائما ، ودون ان يخطىء مرة واحدة : مجدى بك اهلا وسهلا .. مجدك بك ، صحتك اليوم عظيمة والحمد لله .. مجدى بك ، الجو الآن يلائمك .. البرد خفيف ، والشمس دافئة .. ويبتسم مجدى بك مزهوا ، ويهز راسه ويقول له :

« سأسهر الليلة عندك .. » . والسهرة عند سمعان الحلاق حلوة ودافئة ومريحة .. وكان مجدى بك يعجب احيانا كيف استطاع هذا الحلاق الظريف ان يكون له مثل هذا البيت بحديقته الصغيرة ، وسلمه الرخامى ، وشرفته التى تزينها الورود ، وغرفة الاستقبال التى تتوسطها سجادة عجمية مزدانة بعناقيد الزهر ، وليس فيها اكثر من اربعة أو خمسة مقاعد مريحة ، حديثة ،



وجهاز تلفزيون ، ورسوم ذات الوان زاهيـــة فى اطرها المذهبة . وكان مجدى بك يتخذ لنفسه مجلسه فى ركن قد اعتاده ، ويروح يشاهد ما تعرضه شاشة التلفزيون من هذه البرامج المختلفة تحملها اليه القاهرة ، وبيروت ، ودمشق ،ويستمع الى همسات سمعان الحلاق ، وتعليقاته السريعة المؤدبة على هذه البرامج .. وكان مجدى بك لايجد غضاضة فى ان يشرب كاسا او كاسين من الويسكى مع سمعان الحلاق .. هكذا على مهل ، وبنشوة يسيرة ممتعة .. وقد يتناول قطعتين صغيرتين من شواء الكبد ، وقطعا اخرى قليلة من هـــذا اللحم الطرى الذى تعالجه الست ام انيس بالزبد والبهارات وتفتن فى صنعه ايما افتنان .. وتبلغ نشوة مجدى بك ذروتها حين تقبل زوجة سمعان الحلاق مشرقة الوجه ، متضوعة العطر ، رشيقة القدم ، فتجلس وهى لا تنفك ترحب بمجدى بك ، وتبتسم له ، وتخافت من صوتها اذ تتحدث اليه، وتضج ضاحكة مرحة اذا روى بعض المفاكهات ، او انثالت على لسانه ذكريات الشباب .. وكان يتضاحك هو الآخر ويقول :

ـ كان هذا ايام زمان .. ايام أنس .. ايام حلوة ..

ويقول سمعان :

ـ اى والله .. ايام حلوة .. ليتها تعود ..

انها مجاملة لطيفة ولا ريب .. فان سمعان ما يزال شابا ، يصلح ان يكون ابنا لمجدى بك .. الا يمكن لمن بلغ الاربعين أن يكون من ابناء من تخطى السبعين ؟ ولكن ماذا تراه يخسر حين يطيب خاطر مجدى بك بهذه الكلمات واشباهها ؟!

وتحمله السيارة الى غرفته في الفندق . تشق به الطريق ، وتهبط من هذا الجبل وتصعد ذاك الجبل من جبال عمّان ، ولا ينفك مجدى بك يدير عينيه في الشوارع ، واضواء النيون ، وواجهات المتاجر ، ويلمح السائرين لمحا ، ويعجب لمن يتسكعون في الطرقات ، ويخطر له انه احسن صنعا اذ قدم لحلاقه بضع زجاجات من الوسكى .. انه يفعل هذا بين حين وآخر ، ويقول له : « انها هدية بسيطة .. بسيطة .. » . وكذلك بعض الدنانير كان يمنحه اياها مع راتب الحلاقة الشهرى ، ويهمس في اذنه : « احتفظ بها .. ساحتاجها في يوم من الايام .. » فهو لا يريد ان يقع في روع سمعان الحلاق انه .. انه .. وتراءى لهوالسيارة ما تزال منطلقة به الى فندقه كانه بهذا كله يشترى شيئا ما ، شيئا عزيزا ، ما اعمق حنينه اليه ، ولكن ما هو هذا الشيء ؟ .. ان خاطره اصبح لا يسعفه ، هذه الايام ، بما يريد التعبير عنه .. ولم يستطع ان يرى في افق نفسه الا صورة هذه السهرة الدافئة .. العائلية .. وهذه الاحاديث المؤدبة اللطيفة ، المرحة احيانا ، والضحكات الحلوة ، ونشوة الكاسين ..

ومع ذلك فها هو يتكفيء عائدا الى فندقه ، الى وحدته ، الى هذه الجدران الاربعة ، الى وجوه الخدم .. ونفاقهم .. ولهجاتهم المؤدبة الباردة ، والى فطور الصباح الذى لا يتغير ابدا : مرَبّى ، وزبد ، وبيض ، وشاى وحليب ،وحليب وشاى وزبد وبيض .. باستمرار باستمرار .. الألوان الابدية نفسها : في قاعة الاستقبال ، في الردهات ، في غرفته ، في الشرفات ، في الحديقة الكبيرة .. حتى الحديقةاصحتلا توحى له بالمودة، وبالبشاشة ، وابتسامة الصداقة ..

كان مدير الفندق يهرع الى لقائه ، ويرحب به ، ويضع نفسه تحت امرته .. ومع الايام والليالى .. يبدو انه سئم .. وتبلد .. فهو لا يكاد يرفع راسه اذا رآه خارجا او مقبلا يتوكا على عصاه .. غاية ما يفعله ان يبتسم احيانا ابتسامة مصطنعة آلية ، تنفرج عنها شفتاه قليلا ، ثم تعودان فتنطبقان باسرع من لمح البصر ...

ويوم اقعده المرض،واشتدت عليه وطأته ، ضاق به الفندق .. وتقدم المدير الظريف ينصح له بكلمات مؤدبة ان ينتقل الى المستشفى .. وامضى في المستشفى اسابيع ، ثم عاد الى الفندق مضطرا .. والا فاين عساه كان سيذهب ؟ وعادت الصور نفسها تتكرر .. تتكرر .. ولا منجى الا هناك .. في ذلك الركن الدافىء .. والحديث اللطيف ، ونشوة الكاسين ، والمفاكهات المحببة ، ورواية الذكريات البعيدة .. كان ذلك ايام زمان .. ايه .. .. ايام زمان ..

وايام زمان كان مجدى بك في عنفوان شبابه : يشرب ، وياكل ، وينصب شباك الغواية ، ويطلق ضحكة عريضة ، مدوية اذ يرى الحياة تمتد امامه ولا نهاية لها .. ولا آخر لورودها المنثورة تحت قدميه .. وهل يمكن ان يكون للحياة الضاحكة ، المزهوة ، حد ؟ اين تراه هذا الحد ؟ ان العين لا تتبين منه شيئا على الاطلاق .. وانما هى جنة مترامية الاطراف .. والاغبياء اولئك الذين يموتون قبل الاوان .. بل لا اوان هناك .. وليس في الحياة كلها ما يساوى حزن ساعة .. وكيف يحزن الناس .. ولماذا يحزنون .. ولماذا يمرضون .. ولماذا يحملون الهموم..انهم يصنعونها بايديهم ويضعونها فوق اكتافهم .. بل لماذا يموتون ؟ اغبياء .. دون ريب ..

ويوم جاوز الاربعين اخذ يتئد قليلا .. يتريث .. عاد لا ينصاع من فوره للنفس الامّارة .. ويتردد .. كانه يواجه مشكلة عويصة .. فلا يتخلص منها الا بالاندفاع من جديد .. فيحب ، وينفق عن سعة .. ويتخذ من هذه وتلك خليلة شهرين او ثلاثة .. ثم يعاف اللون الواحد والطعم الواحد ، ويبحث عن جديد .. ويبالغ في التانق ، ويبالغ في الأمر والنهى في مكان عمله .. ويعبس ، ويتجهم ، وينصب قامته ، ويشدها شدا كلما قابله احد مرؤوسيه من الشبان .. وفي

نهاية الدوام يمضى قبلهم مرفوع الراس ، مبروم الشارب ، وقد امال طربوشه الانيق الى الجانب الايمن من راسه ، ودس يده فى جيب بنطاله .. فهكذا ينبغى ان يكون حزم الرجال وعزمهم ...

كان شعوره باهميته ، فى تلك الفترة من حياته، قد ملأ نفسه . وكان ربما لاح له انه يحسن ان يستقر ، ولا استقرار بدون زوجة وبيت ، ولكن اليس فى الوقت متسع ؟ والحياة اليست جنة مترامية الأطراف ، دانية القطوف ؟ من قال هذا؟ غباء وسخف .. فان لكل شىء نهاية .. وستكون لكل حياة نهاية .. وما اكثر المنغصات والهموم.. انه يعانى منها كل يوم .. والمرض ، لعنه الله ... يأتيك من حيث لا تحتسب .. مرض يومين او عشرة .. هو مرض السلام .. ولا تنهض منه الا متخاذلا ، منهوكا ، ولا بد من ايام تمضى قبل ان تسترد عافيتك وقوتك .. والناس كلهم يمرضون فما شكواك ؟ ..

الا انه ما تزال فى العمر سعة .. واذا كان لابد من زواج فيجب ان تتمهل .. ان تفكر .. ان تتروى .. لكى تختار .. ليكون اختيارك صحيحا، موزونا ، هذه مسالة لا يجوز فيها الخطأ او الزلل .. وفى العمر سعة .. وانت لست على عجل من امرك .. سبحان الله متى كنت تتخذ القرارات الخطيرة بسهولة ، دون روية ، دون انعام تفكير ؟ رح يا شيخ .. دع هذا التفكير الذى يحيرك .. وهل ثمة من شىء اثمن من هذه الحرية الرائعة التى تنعم بها ، حرية يلهف عليها الكثيرون من اولئك الازواج المساكين .. الرازحين .. تفترسهم زوجاتهم ببطء .. ويفترسهم الأبناء .. والهموم ..ومشكلات العيش .

كنت تفكر فى « الهام » .. فكرت طويلا ان تصبح زوجة لك .. بل اوشكت ان تتورط حقا ..هممت ان تطلب يدها .. وماذا اعجبك فيها ؟ قدها ، عيناها ، شقرة شعرها ، اكتناز بدنها ؟! الست تجد هذا كله واكثر منه وامتع فى : انصاف، وسعاد ، وهيام .. تغص بهن حياتك .. رح .. رح .. لا تكن سخيفا .. لقد تمتعت ، وانتشيت، ولم ترتبط بواحدة منهن . لم تضع ، بعد ، قيدا فى يدك .. اتراك تجازف حقا ، وتضع اليوم هذا القيد طائعا مختارا ؟ .. انت والله لأحمق .. وحتى وانت فى الخمسين ما تزال العين تراك شابا ملء اهابك قوة وعزم ورجولة ..

نعم كان يحسن ان تتزوج .. ان تجد ابنة الحلال .. وصحيح ان « الهام » قد اصبحت زوجة لسواك منذ طويل .. وان لها لاطفالا .. وصحيح انك رايتها وقد ترهلت ، واهملت نفسها، وذبلت ملامح محياها ، وكانما قد انطفأ فيها شىء تحس به ولا تدركه .. صحيح .. ولكن اما كان يحسن ان تتزوج ؟ ان تكون الى جانبك امراة تسكن اليها ، وتعنى بك ، وتملأ لك هذا الفراغ ؟ انه هذا الفراغ الذى يعذبك اليوم .. حتى الكِتاب لم يعد ينفع ، ولم يعد صالحا لقتل الوقت .. انك مثل الكثيرين الذين تعلموا ... ودرسوا حتى فى اوربا نفسها .. ومع ذلك بقى الكتاب ، فى اعتبارهم ، اداة لقتل الوقت .. وهل امسكت يوما بكتاب الا مترفعا ، متعاليا ، ومشمئزا فى بعض الأحيان .. وهو لن يفيدك اليوم شيئا ، لن يملأ فراغا فى حياتك .. اتراك تأسف ؟ وما جدوى الاسف ؟ الم يكن نصيبك هو الأوفى ؟ انك من القلة المختارة التى عاشت بلا قيود .. بلا هموم .. بلا مشكلات .. بلا زوجة واولاد .. سيخدمك الجميع فانت والحمد لله ذو مال ..

كانت رحلة طويلة ، حط مجدى بك رحاله ، بعدها ، فى دكان سمعان الحلاق ، وكانت الرحلة شاقة فى نهايتها .. وانه ليحمد الله .. فما زال يتحرك ، ويروح ، ويجىء ، ويتحدث ، ويسهر عند سمعان الحلاق مرة ، مرتين فى الاسبوع ،ولقد منعه اطباؤه من اشياء كثيرة ، واباحوا له ان يشرب كاسا او كاسين من الوسكى احيانا ،وقالوا له انه ينفع شرايينه ، على ان لا يبالغ ولا يفرط .. وقد احب سمعان الحلاق حقا ، وارتاح اليه كثيرا ، وما شكا يوما او توجع او تأوه الا بادر يقول له :

ـ سلامتك مجدى بك .. سلامتك .. راح الشر ..

وشيئا فشيئا اخذت تزول الكلفة بينهما ، وتمحى الفوارق ، كان الاصدقاء قد انفضوا من

حوله ، وتخطف الموت اكثرهم .. وكان هو لا يبكيهم لانه فى شغل شاغل بنفسه ، وامراضه ، واوصابه .. وما العيش ، وما اقصر الحياة .. بالأمس فقط كانت القطوف دانية حتى ليحيرك الاختيار .. وكانت الدنيا فسيحة ، عريضة ، لا نهاية لسمتها .. وماذا انت الآن ؟ ذبالة تحترق؟ اناء نضب ماؤه ؟ حطب كان ، ذات يوم ، شجرة فينانة خضراء ؟ ماذا انت؟ كان يسائل نفسه احيانا فترتعد أوصاله ، وتتبهر انفاسه ، ويسارع الى دكان سمعان الحلاق ، فيضع نفسه بين يديه ينعم بحلاقته اللطيفة ، وكلماته المعسولة ، وتبهجه فكاهة يقولها ، او دعابة ظريفة تزيل الهم عن قلبه .. ويضحك مجدى بك ضحكة خارجة من القلب ، ثم ينتابه سعال طويل ، ويرتج جسمه ، ويروح يلتقط انفاسه .. ويقول فى النهاية « سمعان .. سأسهر عندك الليلة .. » . ويشعر ، من فوره، انه يذوب من فرط الحنين والانعطاف ، والتطلع الى تلك الساعة التى يسترخى فيها هكذا ... ويمد رجليه الموجعتين ، ويشاهد برامج التلفزيون ويستمع الى تعليقات سمعان الحلاق وهمساته ، ويشرب الوسكى متمهلا ، متذوقا ، ويتناول قطع اللحم الشهى ، ويرخى اذنه متوقفا ، فى كل لحظة، ان تقبل أم أنيس .. وتملأ حجرة الاستقبال شذا وطيبا واشراقا ..

مرة واحدة فقط خطر له خاطر أزعجه،ولا يدرى كيف طرأ هذا الخاطر على ذهنه : تصور انه يعيش على فتات مائدة حلاقه .. رأى نفسه كشحاذ على بابه .. يمد يده مستعطيا ، ذليلا ، منسحق القلب .. فى ذلك اليوم لم يبارح فندقه ... وآثر لؤم مدير ذلك الفندق ، وابتسامته الكريهة، وحديقته الكاذبة ، وصور الأشياء والمرئيات المعادة المكررة الف مرة .. وانطوى على نفسه يجتر روحه .. ولكنه ، فى الغداة،عاد ليرى من جديد زجاجات العطر ، وقوارير القطن والمعاجين ، والامواس ، والمقصات ، والامشاط ، والفوط ، وجهاز الراديو، العاجى الصغير ، والمرايا المجلوة التى ترد اليه صورة من شخصه تروى له تاريخ حياته بسرعة الخواطر التى تمر فى الذهن .. عاد ليرى هذا كله

.. ويهز راسه،ويذكر كتابا واحدا من بضعة كتب قراها .. يذكر « صورة دوريان غراى » ، ولايدرى هل ياسى ، أم ياسف ، أم ينسى .. ينسى كل شيء .. ولا يهتم الا باللحظة التى هو فيها .. ويتادى اليه صوت حلاقه :

ــ كان جارى .. كنت احب صباحه كل يوم .. مات فى دكانه فجاة بين العمال .. رحمه الله .

هكذا يمضى الناس اذن ؟! والقى مجدى بك نظرة الى الشارع الكبير .. ومر شريط الحياة امام عينيه.. رأى فتاة شابة نشيطة.. وعجوزا شمطاء .. الفتاة تسير بخفة ورشاقة وسرعة ، وعلى مبعدة منها العجوز تشيل قدما وتحط اخرى بجهد عظيم .. ومر رجال ، وشيوخ ، وصبية ،ونساء ، وباعة متجولون ، وسياح اجانب ، وفى الزحام كانت تسير جنازة ميت .. لا يكاد يلتفت اليها احد ، ووقع فى روعه انه هو المحمول هكذا على الأكتاف ، وسمع بعضهم يقول : « رحمه الله ..» ومال آخر على اذن رفيقه وقال : « لقد مات اخيرا .. كنا نحسب انه لن يموت .. » . وخاض آخرون فى سيرته : كان رجلا طيبا .. لا .. لم يكن طيبا .. كان تافها .. بل كان زير نساء .. بل كان متغطرسا جبارا .. بل كان وكان .. يرحمه الله .. ما تجوز على الميت الا الرحمة .. واستفاق مجدى بك من ذهوله ، ومر بيده على جبهته ، وتمتم : الحمد لله .. الحمد لله .. والتفت اليه سمعان الحلاق جازعا :

ــ سلامتك مجدى بك ..

ــ سلمك الله ...

ــ هل تشعر بشيء ؟

ــ كلا .. انما الحمد لله .. الحمد لله ..

ولم يفهم الحلاق شيئا وهو واقف يفرك يديه .. ثم ما لبث ان اشرقت اساريره وهو يسمع مجدى بك يقول له بلهفة : « سأسهر عندك الليلة .. سأسهر عندك الليلة .. » . ■■

محمود سيف الدين الايرانى



رُكنُ الأُسْرَةِ والمرْأة

كَيْفَ يَرى الأبناءُ الصِّغارُ آباءَهُم ؟

● يَرونَهُم خالدين .. وعلى كُلّ شيءٍ قادرين ! وعندهم عِلمُ الأولين وعِلمُ الآخرين

■ قلما يفكر الآباء فى الأحداث التى يثيرونها ، والانطباعات التى يحدثونها ، فى نفوس صغارهم الأبناء . أو لعلهم يفكرون فلا يجدون فرقا يذكر بين الصورة التى يخالونها ترتسم لهم فى أذهان أبنائهم الأطفال والصورة التى يحملونها هم لاخوان لهم أو أصدقاء بالغين من الرجال والنساء .

وهم على خطأ فى هذا وذاك ، فى نظر سائر علماء النفس والأطباء .

وعند هؤلاء العلماء ان ادراك الآباء لما يجول فى خاطر صغار الابناء ، عنهم ، وعما يتصفون به فى صغرهم من صفات ، شرطٌ لازم لتفهم طبيعة الأطفال ، وهو بالتالى شرط من شروط احكام تربيتهم واحسان تأديبهم .

ان الأطفال ينظرون الى آبائهم والى سائر من شابههم من الرجال والنساء ، وكأنهم مخلوقات تنتمى الى عالم غير عالمهم ، قوامها معدن غير معدنهم . ينظرون اليهم وكأنهم عمالقة أو آلهة كالتى تتحدث عنها الأساطير وينسج معالمها الخيال. فبواعث الآباء فى نظر الصغار ضرب من ضروب الغيب والاعجاز ، وأساليبهم غامضة كالأحاجى تمتنع وتلتبس على العقل والادراك . والآباء لذلك موضع حبّ صغارهم الفائق وهم أيضا موضع خوف أطفالهم البالغ .

والجدير بالآباء ان يقفوا على بعض ما توصل اليه الأطباء النفسيون والعلماء فى هذا الصدد من نتائج وآراء .

أنتما ، أيها الأبوان ، طراز من جنس آخر من المخلوقات

يقول الدكتور جورج ، أحد علماء النفس المهتمين بشئون طلبة المدارس العاملين كمستشارين للمربين والمعلمين فى سائر المعاهد : « ليس من عادة الصغار أن ينظروا الى الكبار وكأنهم كانوا قبلا كالأطفال ثم تموّا وكبروا ، حتى أصبحوا رجالا بين الرجال . اذ ليس عندهم ما يبعث على



اشتباههم بأى تحول طرأ على الآباء ، وحقبة طفولتهم من القِصَر بحيث تحول دون استدلالهم على ما يمر به آباؤهم من نمو وتغير ، وهو فى هذه الفترة ضئيل تفوت ملاحظته الكبار » .

« هذا ، ولا وجود فى نظر الطفل الا للحاضر . اما الماضى الذى يسبق الحاضر والمستقبل الذى يعقبه ، فلا اثر لهما البتة فى مخيلته . لذلك كان النمو والتحول من ماض الى حاضر الى مستقبل غير ذى موضوع بالنسبة الى الطفل ، بل بلا معنى ، ويتجاوز بلا ريب قدرته على التفكير او الخيال » .

وانتما خالدان مدى الدهر

تلك هى الفكرة الثانية التى يحملها طفلكما بفطرته عنكما . فما دمتما بلا ماض وبلا مستقبل فان الطفل يفترض قِدَمكما ووجودكما منذ الأزل ، كما يفترض بقاءكما وخلودكما ابد الدهر . وتراه يعجز عن ادراك الشبه بينكما وبينه ، رغم نزولكما الى مستواه فى ملاعبته حينا ومداعبته احيانا ، فلا يرى العرضى العابر من ذاتكما مع انه يحس به فى ذاته ، ولا يرى فيكما الا تجسيدا للخلود والبقاء مما لا يراه فى نفسه .

وتعزى هذه النزعة فى الاطفال ، نزعة اسباغ صفة الخلود على الآباء ، الى غريزة الأمن وصون الذات ، على ما يذهب اليه علماء النفس . فخلود هؤلاء ضمان لبقاء اولئك وشرط لاستمرار الرعاية والعناية بهم ، من حيث هم اطفال .

وتتمثل هذه الغريزة فى حاجة الطفل الى الأم ، او من يقوم مقامها ، وهى الحاجة الغالبة على من تراوحت اعمارهم بين السنة الثانية والثالثة من الأطفال . ويسترسل علماء النفس فى هذا الصدد ليحددوا تلك الحاجة بوصفها حاجة الى عطف ومحبة لا غنى للطفل عنهما ابدا ، ياتيانه فى كل لحظة من لحظات حياته ، من ام عطوف ، او اى شخص آخر بوسعه ان يقوم مقام تلك الام الحنون .

قد لا نعير مثل هذا الكلام اهتمامنا الكبير وقد لا نرى فيه اى اثر خطير ، وقد سمعناه مرارا وتكرارا فبات فى حكم المألوف الذى لا يبعث على مزيد من امعان او تفكير . على ان مستقبل طفلك يعتمد اعتمادا كبيرا على ما ينطوى عليه هذا القول ، حسبما يؤكد لنا الأطباء النفسانيون . فمآله الى الاقبال على الحياة وتوثيق العرى مع غيره من بنى الانسان ، بكل ما يترتب على هذا وذلك من تفاؤل واستبشار وتوفيق ونجاح ، اذا هو لم يحرم فى طفولته الاولى ما هو بامس الحاجة اليه من حب وحنان .. ومصيره الى الادبار عن الحياة والانزواء عن المجتمع الذى لا غنى له عن الاسهام فيه استكمالا لمقومات انسانيته ولشروط سعادته ونجاحه ، اذا هو لم يحظ بالأم الحنون العطوف فى السنتين او الثلاث الأولى من حياته .

وحينما يبلغ الطفل الثالثة من العمر ، تكتسب حاجته تلك صفة الازدواج ، كما يقول لنا اطباء النفس ، ولا تعود تكتفى باحد الابوين ، بالأم او من يقوم مقامها ، بل تنزع بالطفل الى كليهما وتتجه الى الأب فضلا عن الأم ، ان لم يكن على حسابها . يتجلى ذلك فى الطفل الذى فقد اباه صغيرا او الذى حرم حب أبيه لسبب ما . تراه يتخبط فى فراغ ويتصيد الأب البديل كان من كان . حتى اذا عثر عليه هدات ثورته الصامتة وبايعه ابا او كالاب ، واذا لم يعثر عليه انتهى امره الى سد الفراغ بضرب من ضروب الجنوح النفسى .

ويضرب الدكتور جورج الذكور لنا مثلا بالطفل « جون » الذى بلغ الثامنة من العمر واصبح مشكلة من مشاكل مدرسته المستعصية ، يأبى التعلم ويقضى وقته فى الصف جالسا على نحو من البلادة والغباء ، ويشوب مسلكه نحو رفاقه شيء من الخشونة والوقاحة . ولو تحسسنا طريقنا الى بيئة ذلك الطفل البيتية لوجدنا انه كان يعيش مع امه بعيدا عن أبيه وقد فرق بينهما الطلاق .

فالأطفال الذكور جميعا فى حاجة الى أب يمجدونه ويسعون الى اقتفاء اثره ومحاكاته ، ويمثل لهم

معارج الرجولة ومسالكها . اما « جون » فقد حُرِمَ من ذلك لانه حُرم وجود ابيه في البيت الذى يعيش فيه . ويضيف الدكتور جورج الى ذلك قوله : « ولم يكن الحل الذى عمدنا اليه بصدد مشكلة « جون » هذه ، غير نقله الى فصل من فصول المدرسة كان المشرف عليه معلما ذكرا قام بالنسبة الى « جون » مقام الأب فسد له الفراغ واصلح حاله دون مشقة او عناء .

انتما جباران وقوتكما الخارقة تفوق الوصف

وعند الطفل انك ، ايها الأب ، جبار ، وقوتك تفوق الوصف . وكذلك انت ايتها الأم .

ذلك لان الفروق بين قوتكما وقوة طفلكما هائلة في نظره بحيث يتعذر عليه تحديدها . ولا غرابة في ذلك ما دامت احتياجات الطفل كافة انما يسدها له ابواه ، كما يقول الدكتور ريتشارد جوردن Jordon.

ويردف هذا الطبيب النفسانى الواسع الخبرة في شئون الاطفال ، قائلا : « تصور نفسك في ازمة او ضائقة ، وانتصب فجاة امامك مارد من الجان يخاطبك : لبيك .. لبيك .. اطلب ما تشاء من مال وثراء تنل كل ما تشاء .. اما كيف يحصل لك على ذلك المال ومن اين يحصل عليه فلا يعنيك في شيء .. وكل ما يهمك هو ان يكون المال في متناول يدك لدى الشعور بحاجتك او التعبير عن ارادتك . وما المارد الجنيُّ هذا سواك في نظر اطفالك !

لا غرابة اذن في اعتقاد الطفل بقوة ابيه الخارقة وهو الذى رآه بام عينه يحمل صندوقا كبيرا ثقيلا طالما عجز هو عن مجرد تحريكه . ففى ذلك دليل قاطع على جبروت الأب في نظر ابنه . ولا ينتقص من ذلك الجبروت احتمال تعذر رفع ذلك الصندوق على الأب فيما لو كان الصندوق اثقل وزنا مما هو . فمثل هذا الاحتمال لا يخطر للطفل ببال . وان وقع الاحتمال ورأى الطفل اباه يحاول حمل الصندوق الثقيل فيفشل ، نسب الطفل ذلك الى استحالة حمل ذلك الصندوق اصلا ، وبرر لنفسه عجز ابيه بتعذر حمل هذا الصندوق على كل انسان . هذا اذا أعارَ الطفلُ فشلَ تلك المحاولة أىَّ اهتمام .

على ان جبروتكما في نظر ابنكما لا يقف عند حد رفع الصندوق ، ولا يقتصر على هذا او ذاك من الاعمال . اوليست قواك الخارقة تلك ، ايها الأب هى نفسها التى تمكنك من قيادة سيارتك ! ، اوليست هى التى تمكنك من انماء الزهور، وكانك تخلق شيئا من لا شيء ، وتمكنك من استخراج النقود من جيبك بلا قيود او حدود !

غير انكما تتمتعان بقوى وصنوف من القدرة تفوق كلَّ ذلك غرابة وعجبا . فشانكما في مخيلة ابنكما كشان الساحر الذى لا يلبث ان يذهلك بمعجزة اخرى غير التى اذهلتك . ومثلكما كمثل تلك الأم التى بلغت من القوة الخارقة – في نظر ابنتها – ما جعلها قادرة على تغيير وجهها وهيئتها كيفما تشاء ، وفي الوقت الذى تشاء . فقد فوجئت الطفلة لدى استيقاظها من النوم ذات ليلة برؤية امها وقد همّت بالخروج من البيت وظهرت بابهى مظاهر الهندام والزينة ، وهى التى الِفَت مشاهدتَها في البيت اثناء النهار في ملابس رثة قديمة . عزت الطفلة ذلك التغير المفاجيء الى السحر والاعجاز لا الى المساحيق والثياب ، ولم تملك نفسَها عن التعبير عن ردة فعلها بقولها لمعلمتها : في يوم لاحق : « لقد حوَّلت امي نفسها الى اميرة او ملكة وبدت لى طويلة القامة ، تكاد تنطح براسها سقف الغرفة » .

اما تجاهل ابنكما مظاهر عجزكما وتاكيده على جبروتكما بالرغم من بوادر فشلكما فمردُّه ، على ما يعتقد اطباء النفس وزملاؤهم العلماء ، الى رغبة طفلك في الاعتقاد بجبروتكما . ذلك لان قوتك الجبارة هذه ، ايها الأب ، انما تعنى امنَه ، وتكفل له سلامته ، وهي تبعثُ على ارتياحِه واطمئنانِه ، وان كانت تشعِرُه ، في كثير من الاحيان ، بعجزه هو وتلهب في قلبه ثورة من الغضب والنقمة عليك . فقوتك هي حِماه ووجودك بقربه يشعره باليقين بانه في منأى عن كل ما قد يسيء اليه .

وغنى عن البيان ان شعور الاطفال بالامن والاطمئنان ، لدى تعرضهم للمخاطر ، يزداد تبعا لوجود آبائهم الى جانبهم ويفوق ما يشعرون به من هذا القبيل في حالة بُعْدِ هؤلاء عنهم . كذلك



يشعر أولئك الأطفال المهددون ، كما لا يخفى ، بقدر من الطمانينة في حالة وجود كلا الابوين الى جانبهم يفوق كثير جدا ذلك القدر الذي يشعرون به فيما لو كان احد الابوين وحده حاضرا . على أن ذلك الشعور بالاطمئنان أو بمزيد منه ، انما يعزى لكيان الاسرة من حيث هي اسرة . لهذا تراه يتقلص اذا ابتعد الطفل من عائلته ، ويعود من بعد تقلص اذا كان بصحبة بعض أهله ، ويبلغ الذروة اذا احاط به كل ذويه ، وخاصة اباه وامه .

وتجدر الاشارة هنا الى حادث غرق الباخرة « أندريا دوريا » قبل نحو عشر سنين . فقد تبين ان الاطفال الذين بقوا مع آبائهم وأمهاتهم على ظهر تلك الباخرة ، وهي تغرق ، كانوا اقل تأثرا من أولئك الذين خلصوا منها بركوب قوارب النجاة بصحبة امهاتهم دون آبائهم . ومنذ ذلك الحين والريبة تحيط بالقاعدة المألوفة والمعمول بها في عرض البحار بأن تعطى الاولوية الى النساء والاطفال فيما يتصل بأعمال الغوث وركوب قوارب النجاة .

من خلق العالم سواكما ؟!

فالاعتقاد الشائع بين صغار الاطفال انما هو اعتقاد بأن العالم من صنعكما ، وصنع بعض الكبار الآخرين أمثالكما ، وانه خاضع دوما لقيادتكما وزعامتكما بكل ما فيه من حوادث واحداث .

يتجلى ذلك في المراحل التي يمر بها الطفل على صعيد النمو النفسي ، حسبما يذهب اليه كثير من علماء النفس والاطباء . ففي المرحلة الاولى من تلك المراحل ، اي في غضون الاشهر الاولى التي تلي الولادة ، لا يميز الطفل ذاته عن العالم الخارجي الذي يحيط به ، ثم يبدأ تدريجا في تحسس وجوه هذا الشيء الآخر – اي العالم الخارجي – في المرحلة الثانية من مراحل نموه .

تراه يتحسس مغايرة ذلك العالم لذاته هو ، ولكنك تراه يشعر في الوقت نفسه وكأن الغاية التي وجد من أجلها ذلك العالم انما هي ارضاؤه هو وسد حاجاته . فالعالم موجود لكي يضع الاكل في فمه ، والكون قائم يستبدل النظيف الجاف بالقذر المبتل من ثيابه وفراشه .

من ثم يتقدم الطفل قليلا على صعيد نموه النفسي ، فيتعرف الى كيان ثالث هو كيان امه . يراها تتميز عما سواها من العالم الخارجي الذي تحسسه ، بقدر ما تنحصر فيها مهمة اطعامه والعمل على راحته . فهي اذن صانعة ذلك العالم وهي التي تدير شؤونه حرصا على مصلحته .

ولا يلبث الطفل ان يتحسس وجود « امين » له لا أم واحدة . تتصف الاولى باللطف والنعومة والرائحة الزكية كما تتصف الثانية بشيء من القسوة والخشونة . وليس هذا الكيان الرابع سواك انت أيها الأب ، يتعرف اليك اول ما يتعرف وكأنك ام ثانية مختلفة .

وان هي الا فترة وجيزة حتى يصطدم الطفل الصغير بأولى حقائق الواقع المرير . اذ سرعان ما يكتشف ان العالم الخارجي لم يوجد خصيصا لتغذيه وارضائه ، وان امه وأباه لا يتركان الحبل له على غاربه . فثمة اشياء يأمرانه بفعلها وثمة اشياء اخرى ينهيانه عنها ، ان لم يزجراه او يضرباه لفعلها .

بذلك تبدأ في حياة الطفل مرحلة اخرى من نموه . فامه وابوه اللذان خلقا عالمه ، لم يخلقا عالمه هذا من اجله . ثمة غاية أخرى ولا ريب ، وان كان ادراكها يتجاوز وعيه وشعوره . ومهما يكن من امر ، فادارة شؤون هذا العالم منوطة بهما لا به .

انت قادر على قراءة المستقبل

وانت ايها الاب ، وانت ايتها الام ، كلاكما عند الطفل قادر على قراءة المستقبل .

لا فرق بالنسبة الى طفلك بين ما هو مفتعل . كذلك لا فرق في نظره بين ما يحدث صدفة وما يحدث تبعا لارادة . وهو فوق هذا وذلك لا يميز الاشياء والافعال الماضية عن تلك الحاضرة ولا يفرق بين هذه او تلك وبين أفعال اخرى مقبلة .

ولا يبدأ التحسس لهذه الفروق والمميزات الا

بعد ان يألف على لسان ابويه عبارات لهما متكررة ، كالقول حينا « سيأتى النجار غدا » والقول حينا آخر « شاهدنا الحلقة الاولى من مسلسلة (كذا) على شاشة التلفزيون البارحة ، وسنشاهد حلقات اخرى منها فى غضون الاسابيع القادمة » .

واذا ما صدقت هذه التنبؤات يوما بعد يوم ، ساعده صدقها على تحسس المقصود بالماضى والحاضر والمستقبل تحسسا عمليا واقعيا ، وحمله ايضا على الشعور بأن ابويه يحيطان بما يختفى عنه فى ثنايا ذلك المستقبل .

وانتما ايها الأبوان ، تعلمان الغيب وتقرآن الأفكار

وان كان ابنكما فى السنة السادسة او السابعة من عمره ، افترض فى الغالب انكما بصيران بكل ما يجول فى خاطره . وتذكر فى هذا الصدد قصة يرويها احد المعلمين عن تلميذ له صغير طالما ابدى التردد فى العودة الى بيته لدى فراغه من مدرسته . هذا بالرغم مما دلت عليه تحقيقات ذلك المعلم من أن التلميذ ينعم ببيئة عائلية سعيدة وابوين يحبانه ويتصفان بالحكمة .

وتبين بعد ذلك ان سبب تردده انما هو شقيقته الطفلة . فقد شعر بالغيرة منها ، وراودت نفسه بالتالى اخيلة صبيانية ترمى الى النيل منها والحاق الاذى بها . ولكنه واثق من ان ابويه قد تغلغلا الى اعماقه ، واكتشفا ما يُبيّته لاخته فى مخيلته ، فهما اذن ينتظران الوقت المناسب لمعاقبته . وما تردده فى العودة الى البيت الا نتيجة لتخوفه من عقاب ابيه وامه ..

أساليبكما ألغاز تتعدى ادراكه

يبقى العالم فى نظر الطفل نسيجا حافلا بعجائب وغرائب تتخطى حدود العقل ، حتى يدخل الفصل الثالث او الرابع من دراسته الابتدائية . ذلك مايقوله علماء النفس وما يؤيدونه بالقرائن والامثلة.

فالصغير يرقب امه ، على سبيل المثال ، وهي تدير ارقام التلفون لتتحدث مع ابيه ، وهو بعيد عنها فى مقر عمله . وذلك فى نظره لغز لا يدرى له تفسيرا ، وامه بالتالى ساحرة او كالساحرة . ويزداد يقينا من ذلك حينما يحاول ادارة الجهاز والتحدث الى ابيه على نحو ما فعلت امه فتنتهي محاولته بالفشل . والانطباع الذى يرسو فى نفسه من جرّاء ذلك كله هو أن امه وأباه يستطيعان فعل المعجزات التى يستحيل تقليدُها كما يتعذر فهمُها .

وبواعثكما عند طفلكما طلاسم

لا يخفى أن المجتمع الانسانى المتحضر الذى نعيش فيه يتطلب منا التضحية بعدد كبير من غرائزنا ونوازعنا الجسدية الحيوية الطبيعية . ولا يخفى ايضا ان تخطى هذه النوازع وتجاوزها ينطوى على قدر لا يستهان به من العذاب الاليم للطفل . فهو يشعر بالعجز عن فهم الاسباب التى تحملنا على الخروج على ما هو طبيعي مالوف فينا ، وتسوّغ لنا تقييد انفسنا وحصرها داخل قفص معقد متشابك من النظم الغريبة والتقاليد العجيبة .

تراه يرقب ويعانى من التسامى على تلك النوازع القوية التى فطر عليها منذ ولادته ، ويعمد ، من حيث لا يعي طبعا ، الى تفسير البواعث التى تدفع بابويه الى اقامة العراقيل فى سبيله ، وكبح غرائزه ، ونوازعه ، تفسيرات تتمثل فيها طفولته.

أنتما رمز الفضيلة

فابنكما يقدسكما وقد لا تدريان ذلك. بل انه ينظر اليكما مثلا اعلى لفعل الخير والفضيلة ، منزّهًا عن فعل الشر أو الرذيلة . وتبلغ به هذه النزعة حدًّا ، على ما يعتقد عالم النفس السويسرى الدكتور جين بياجت Dr. Jean Piaget يؤثر معه ادانةَ نفسه عن غير حق على ادانة ابيه او امه بحق ، فى تلك الحالات التى يتعرض فيها لعقوبة على ذنب لم يقترفه ، وذلك حفاظا على ما يعتمر به قلبه من اكبار لهما وتقديس .

كل شيء يعتمد على مدى حبكما لطفلكما

قد لا تدريان ان حرص طفلكما على الظفر بمحبتكما وتقديركما هو اقوى البواعث التى تجيشُ فى صدره . وقد تبلغ به حاجته الماسة هذه مبلغا يجعله يتجاهل بعضَ غرائزه الاساسية لصالحها. فهو لا يتردد فى كبح جماع نزعته الفطرية السليمة نحو الاستقلال الذاتى مثلا ، تبعا لشعوره بان نزوعه الى الاستقلال مقرون بجنوحه الى تخطى



تعليماتكما وخرق اوامركما ، ويؤدى بالتالي الى حرمانه محبتكما وتقديركما .

ولا يغرنك ايتها الأم صراخ طفلك في وجهك احيانا مرددا القول « اكرهك .. اكرهك ! » . فقد لا تكون هذه الثورة الا تعبيرا عن حاجته الملحة الى حبك وعطفك . كما قد تكون انعكاسا للمأزق الذى قد يتورط فيه الطفل ، أو بالحرى لشعوره بتورطه في هذا المأزق الذى يعانيه ، وباليأس الذى يغلب عليه بصدد تخطيه . وما كان ليتورط على هذا النحو لولا حاجةفينفسه الى حبك متشبعة، وما كان ليثور عليك على نحو ما ثار لولا يقينه بأن خلاصه من ذلك المأزق انما يعتمد على حبك له وتقديرك . فانت سبب ورطته ومأزقه وانت الكفيلة بنجاته وخلاصه ، وبيت القصيد في هذه الحالة وتلك انما هو حبك وتقديرك . لا غرابة والحالة هذه ان خضع طفلك لك واذعن لارادتك.

فنزعته الى حبك وحاجته الى عطفك هما من القوة والالحاح بحيث تجعلانه يستطيب ذلك الخضوع ويستعذب هذا الاذعان .

وللدكتور سبلفربرغ رأى خاص في هذا الصدد قد لا ينسجم تماما مع ما اخذنا به ، الا انه لا ينفيه . فهو يرى في حيرة الطفل بين استقلاله عنك وطاعته لأوامرك ازمة نفسية بل مأساة ، بقدر ما يحرمه كل من هذين الاحتمالين المتناقضين ما يصبو اليه بفطرته من سعادة كاملة غير منقوصة . فاذا سلبه الاستقلال حب ابيه وتقديره وما يترتب عليهما في حياته هو من رضى وطمانينة ، فان من شان الاذعان والخضوع لأوامر أبيه وتعليماته ان ينال من حبه لنفسه هو ويحرمه الشعور بالثقة بالنفس وباحترامها ، ويبعث على شعوره بشيء من الجبن عوضا عن الشعور بالاعتزاز والشجاعة.

وان صح هذا الرأى فلا مفر من الاقرار بأن السواد الأعظم من الأطفال يختارون السبيل الذى يشوبه الجبن في معظم الاوقات . فهل من دليل اقوى من هذا على مدى قوتك وخطورة اثرك في حياة ابنك !! ولكنه دليل ايضا على أن ما يضحيه ابنك في سبيل الفوز بحبك ، ليتضاءل قيمة ويتقلص قدرا اذا ما ظفر دوما بمحبتك وتقديرك! ■■

امتثالا للمبادىء الكشفية

● قال قائد الكشافة مخاطبا ثلاثة من افراد فرقته : **ما دمتم قد خرقتم المبادىء الكشفية ولم تقدموا على فعل الخير طيلة هذا اليوم ، فان عليكم أن تخرجوا حالا ولا تعودوا الى هذا الاجتماع الا بعد أن تكونوا قد اتيتم صنيعا ما ، تنفيذا للمبادىء الكشفية .**

ولم تكد تمضى ساعة من الزمن حتى عادوا الى القاعة فخورين مزهوين . ثم جعلوا يخاطبون القائد ، الواحد منهم تلو الآخر .

فقال الاول : **« سيدى . لقد اديت واجبي الكشفي وصنعت جميلي. اذ انني ساعدت امراة عجوزا على اجتياز الشارع » ...**

وقال الثاني : **« وانا ايضا يا سيدى . فقد ساعدت تلك المراة بالذات على الانتقال من رصيف الى رصيف في امن وسلامة » ...**

وقال الثالث : **« كذلك فعلت » ..**

فأجاب القائد : **هل تريدونني ان اصدق أن المراة العجوز كانت بحاجة الى مساعدة ثلاثة من الشباب مجتمعين لمجرد اجتياز الشارع؟؟!**

فرد أحد الثلاثة بصوت خافت :**بالضبط يا سيدى ! اذ ان تلك العجوز لم تكن تنوي اجتياز الشارع !!. »**

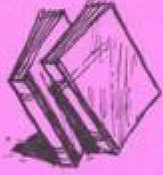
العز بن عبد السلام

٥٧٧ - ٦٦٠هـ



بقلم الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية - عمان



■ هذا كتاب عن رجل ليس معروفا عندنا ، كما يجب ان يعرف. ولم يكتب عنه كتابنا المحدثون سوى مقالات قصيرة . ومن الذين كتبوا عنه : الشيخ عبد القادر المغربي ، ومصطفى صادق الرافعي . وكل ما كتب عنه ، حتى صدور هذا الكتاب ، لا يتجاوز العرض السريع ، دون محاولة سبر الأغوار. واوفى ترجمة للعز بن عبدالسلام نجدها في كتاب طبقات الشافعية الكبرى ، الجزء الخامس ، لتاج الدين السبكي .

والعز هو ابن دمشق ، عاش فيها الى سنة ٦٣٩ هـ ، ثم ارتحل الى القاهرة ، واقام فيها الى ان مات. ولرحيله الى القاهرة سبب سنعرض له في حينه .

وقد عاش العز في فترة مضطربة داخليا وخارجيا .

فهو قد شهد اختلاف ابناء صلاح الدين الأيوبي، وابناء أخيه العادل ، على الحكم . وتمزقت الشام

ومصر الى ممالك صغيرة بعد وفاة الملك العادل سنة ٦١٥هـ ، واستقل كل واحد من أولاده بقسم: فالكامل استولى على مصر ، والأشرف على دمشق، وعيسى وجواد على بعض مدن الشام الأخرى .ولم يكن الحكم مستقرا فى أى منها سوى فى مصر .

لقد كانوا يقتتلون على الحكم ، فى الوقت الذى كان فيه العدو يتربص بهم الدوائر : فالصليبيون يهاجمون سواحل بلاد الشام تارة ، وحدود مصر من ناحية دمياط تارة أخرى .

وفى سنة ٦٤٨ هـ طويت صفحة الدولة الأيوبية، على أثر خيانة أودت بالملك توران شاه على يد معز الدين أيبك ، أحد مماليك أبيه ، بعد انتصار الملك على الصليبيين فى المنصورة . وهكذا برزت للوجود دولة جديدة عرفت باسم ، دولة المماليك البحرية فى مصر . وبرز فى هذه الدولة الجديدة قطز الذى استطاع أن ينتصر على التتار فى الشام سنة ٦٥٨ هـ ، فى معركة خالدة ، هى معركة « عين جالوت » . وعندما كان القائد المظفر قطز ما زال منتشيا بانتصاره على التتار ، اذا بأحد محاربيه يقتله غيلة ، ليملك بعده ، وهو من عرف فى التاريخ باسم الملك الظاهر بيبرس .

هذه هى الأحداث التى شهدها الشيخ الجليل العز بن عبد السلام،وكان له منها مواقف خالدة.

★ ★ ★

نشأ العز متدينا شديد التدين ، ونهل من العلوم على اختلاف فروعها ، وألف فيها كلها ، فكان حجة فى الفقه ، والأصول ، والتوحيد ، والتفسير ، والحديث ، والبلاغة . وزهد فى الدنيا، وشارك مشاركة عملية وعلمية فى تطوير التصوف.

وقد درس على علماء أفذاذ مثل فخر الدين ابن عساكر ، وجمال الدين الخراسانى ، وسيف الدين الامدى ورحل الى بغداد طلبا للعلم ،وجالس فقهاءها ، ثم عاد الى بلدته . وعلى يديه تخرج علماء ثقات ، كانت لهم مواقف مذكورة ، من أشهرهم ابن دقيق العيد .

وولى العز مراكز حساسة فى كل من دمشق ومصر : فعمل فى التدريس ، والافتاء ، وخطابة جامع دمشق وجامع عمرو بن العاص والقضاء.

وللشيخ مواقف حاسمة فى حياته ، هى التى تعنينا هنا .

★ ★ ★

ففى دمشق نذكر له موقفه من فتنة الحنابلة، وأساس هذه الفتنة أن جماعة من مبتدعتهم قالوا: ان كلام الله بحروف وأصوات . وكان الملك الأشرف موسى بن العادل سلطان دمشق ، مقربا معظما للعز بن عبد السلام ، ولكنه وقع فى الوقت نفسه تحت تأثيرهم .

واندفعت هذه الفئة المبتدعة فى جدال لا يفيد، ودخلت فى شقاق وشجار مع غيرها ، فى الوقت الذى كان التتار يهددون دمشق بالزحف عليها . فقام العز وأخذ يهاجمهم فى خطبه غير آبه لمناصرة الأشرف لهم . فثار الأشرف على ابن عبد السلام لموقفه هذا ، وأرسل اليه وزيره الغرز حاملا اليه حكمه عليه ، وكان الحكم : أن لا يفتى أحدا، وأن لا يجتمع بأحد ، وأن يلزم بيته .

ولكن العز استقبل هذا الحكم ببشر وترحاب ، وقال لوزير الأشرف : « يا غرز ! ان هذه الشروط من نعم الله الجزيلة علىّ ، الموجبة للشكر لله تعالى على الدوام . أما الفتيا فانى كنت والله متبرما بها وأكرهها ، وأعتقد أن المفتى على شفير جهنم ، ولولا اعتقادى أن الله أوجبها علىّ فى هذا الزمان لما كنت تلوثت بها ، والآن فقد عذرنى الحق ، وسقط عنى الوجوب ، وتخلصت ذمتى ، ولله الحمد والمنة . وأما ترك اجتماعى بالناس ولزومى البيت ، فما أنا فى بيتى الآن ، وانما أنا فى بستان ، ومن سعادتى لزوم بيتى ، وتفرغى لعبادة ربى ، والسعيد من لزم بيته ، وبكى على خطيئته ، واشتغل بطاعة الله تعالى .. والله ، يا غرز ! لو كانت عندى خلعة تصلح لك على هذه الرسالة ، المتضمنة لهذه البشارة ، لخلعت عليك .. خذ هذه السجادة ، وصلّ عليها . فقبلها وقبلها .

وعند مرض الأشرف مرضه الأخير ، بانت له الحقيقة ، فارسل الى العز يعتذر اليه ، ويرجو حضوره اليه ، فاغتنم هذه الفرصة ، ونصحه قائلا : كيف تعد الذخيرة ، وتجمع الجيوش لمحاربة الملك الكامل سلطان مصر ، وهو أخوك ؟ فتضيع الدماء الطاهرة فى خلاف عائلى لا يرجع على الجميع

بغير النكبة والخسران !! ان جيوش التتار تخوض بلاد المسلمين ، وأولى بكما أن تتعاوناعلى دره الخطر الزاحف ، فتنالا مثوبة الله ، واعجاب الجميع » .

وما زال الشيخ بالملك المريض حتى ردّه الى جادة الصواب . وتأثر الأشرف من موقف الشيخ المخلص ، فامر له بألف دينار ، فما كان منه الا ان ردّ بهذا الجواب الخالد ، قائلا : « هذا اجتماع لله ، فلا أكدره بشيء من عرض الحياة ! »

★ ★ ★

واشهر موقف للعز فى دمشق ، هو ذاك الموقف الذى دفعه الى تركها .

كان ذلك سنة ٦٣٨ هـ ، وكان الملك الصالح اسماعيل بن العادل قد أصبح سلطان دمشق بعد وفاة الملك الأشرف سنة ٦٣٥ هـ . وكان بينه وبين ابن أخيه الصالح نجم الدين خلاف وعداوة . وهنا فى شخص اسماعيل نجد صورة أخرى من تلك المأساة التى أضاعت الأندلس : فاذا كان ملوك الطوائف قد حالفوا ملوك الاسبان ضد بعضهم بعضا ، فان اسماعيل قد حالف الصليبين ليساعدوه على نجم الدين ملك مصر ، وسلّم لهم مقابل ذلك قلعة صفد وبلادها ، وقلعة الشقيف (قرب بانياس) وبلادها ، ونصف صيدا وطبريا واعمالها ، وجبل عاملة ، وسائر بلاد الساحل ، وهذه كلها مواقع استراتيجية هامة .

وبالاضافة الى هذا فقد سمح اسماعيل للصليبيين بدخول دمشق وشراء السلاح من أهلها لمحاربة اخوانهم فى مصر . فقام العز بن عبد السلام ، وافتى بتحريم بيع السلاح للصليبيين ، وأخذ يندد فى خطبه بفعل اسماعيل ، ويقول : «اللهم ابرم لهذه الأمة ابرام رشد ، تعز فيه أولياءك وتذل فيه أعداءك ، ويعمل فيه بطاعتك ، وينهى فيه عن معصيتك » . والناس يرددون الدعاء من ورائه .

وأخذ اسماعيل يضيّق على العز ، فعزم على أن يهاجر الى مصر .

ترك العز دمشق ، وأقام مدة فى نابلس «والغور» والقدس ، وبينما كان الشيخ فيها قدم اسماعيل ومعه ملوك الصليبيين فى طريقهم الى مصر ، فأراد اجتذاب الشيخ اليه ، فارسل بعض خواصه ، وقال له : تدفع منديلى الى الشيخ ، وتتلطف به غاية التلطف ، وتعده بالعودة الى مناصبه على أحسن حال ، فان وافقك تدخل به علىّ ، وان خالفك اعتقله فى خيمة الى جانب خيمتى » .

واجتمع الرسول بالشيخ ، واخذ فى ملاينته ، ثم قال له : بينك وبين أن تعود الى مناصبك ، ما كنت عليه وزيادة ، أن تنكسر للسلطان ، وتقبل يده لا غير .

فقال الشيخ : والله ، يا مسكين ، ما أرضاه أن يقبل يدى ، فضلا عن أن اقبل يده . يا قوم! أنتم فى واد ، وأنا فى واد . والحمد لله الذى عافانى مما ابتلاكم به » .

فاخذه واعتقله فى خيمة الى جانب خيمة السلطان .

ويكمل السبكى رواية القصة فيقول : « وكان الشيخ يقرأ القرآن ، والسلطان يسمعه ، فقال يوما لملوك الفرنجة ، تسمعون هذا الشيخ الذى يقرأ القرآن ؟

فقالوا : نعم .

قال : هذا اكبر قسوس المسلمين ، قد حبسته لانكاره علىّ تسليمى لكم حصون المسلمين،وعزلته عن الخطابة بدمشق ، وعن مناصبه . ثم أخرجته، فجاء الى القدس ، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم .

فقالت له ملوك الفرنج : لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه ، وشربنا مرقته !! » .

ولم ينج الشيخ من أسر اسماعيل الا وصول جيش الصالح نجم الدين،وانتصاره على اسماعيل وحلفائه .

★ ★ ★

وصل الشيخ الى القاهرة فى سنة ٦٣٩ هـ ، وكان قد سبقه اليها علمه ، ومواقفه النبيلة ، فاستقبله العلماء بالتبجيل والتعظيم ، حتى أن المحدث العظيم الحافظ المنذرى صاحب الفتيا بها ، امتنع عنها اجلالا له . وأحاطه السلطان

نجم الدين أيوب برعايته ، فولاه الخطابة بجامع عمرو ، والقضاء بمصر والوجه القبلي . وهنا وجد الشيخ المناخ ملائما لمتابعة رسالته في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وله في مصر مواقف مذكورة مشكورة :

مرّ العز صباح يوم العيد على صديقه السلطان الصالح نجم الدين ايوب ، فرآه وقد غالى في زينته ، واصطف الجند بين يديه ، وأخذ الأمراء يقبلون الارض تحت أقدامه . فالتفت الشيخ اليه وقال :

يا أيوب ! ما حجتك عند الله ، اذا قال لك : الم أبوئك ملك مصر ، ثم تبيع الخمور ؟

فاندهش السلطان وقال :

اهل حصل ذلك ؟

فقال الشيخ : نعم .

فقال : هذا من زمان أبي ، وما صنعت شيئا !

فقال الشيخ: ما هذا ؟ أأنت من الذين يقولون: انا وجدنا آباءنا على أمة !

فأمر السلطان باغلاق الحانات حالا .

ورجع الشيخ الى درسه، فسأله تلميذه الباجي عن موقفه هذا ، فقال :

يا بني ! لقد رأيته في تلك العظمة ، فأردت أن اهينه ، لئلا تكبر عليه نفسه ، فتؤذيه . ولقد استحضرت هيبة الله تعالى اذ أخاطبه .. ولو كانت بنفسي لديه حاجة من حاجات الدنيا لرأيته الدنيا كلها ! .

★ ★ ★

وفي الوقت الذي كان فيه المماليك الأتراك في ذروة عزهم ، اراد العز ، قاضي القضاة ، أن يتحداهم ونظر فرأى انهم ما زالوا عبيدا أرقاء من الوجهة الشرعية القضائية ، فحكم عليهم بأنهم من أملاك بيت مال المسلمين ، واذا ارادوا الحرية فلا بد من بيعهم. وبدأ الشيخ فأبطل العقود التي يعقدونها ، فتعطلت مصالحهم ، وثاروا لهذا ، وكان اشدهم ثورة نائب السلطنة ، الذي سار الى بيت الشيخ وسيفه مشرع في يده ، فما أن خرج اليه بهدوئه ووقاره حتى استخذى امام سحر شخصيته وقوتها ، وقال له :

يا سيدي ! ماذا تصنع بنا ؟

فأجابه بثبات : انادي عليكم وابيعكم ،واقبض الثمن غاليا لأدعه في بيت المال !!

وهذا ما حدث .

ووثيق الصلة بهذه الحادثة ، ان الملك المظفر قطز ، بطل عين جالوت ، قتل غيلة اثناء عودته مزهوا بانتصاره ، فدبر الظاهر بيبرس مؤامرة توصله الى الحكم . ولكن العز رفض مبايعته رغم جبروته وبطشه ، وقال له : يا ركن الدين ! انا اعرفك مملوك البندقداري ، ولم يثبت لديّ عتقك الآن ، فكيف ابايعك ؟

واضطر الظاهر بيبرس الى ان يحضر شهودا يشهدون له بأنه قد خرج من ملك سيده واسترد حريته . عندها بايعه الشيخ ، وتبعه الجميع .

★ ★ ★

وكان للشيخ مواقف مأثورة ضد الصليبيين والتتار :

هاجم الصليبيون دمياط ، وجرت بين الفريقين معركة بحرية كانت الريح فيها ضد المصريين ، وكان الشيخ على رأس المقاتلين ، يخطب فيهم حاثا اياهم على الاستبسال . فلما اشتدت الريح ضد الاسطول المصري ، وقف الشيخ وصاح بأعلى صوته : اللهم حوّل الريح عن عبادك !! فانكفأت الريح الى سفن الفرنجة .

ولا شك أن تغير اتجاه الريح ظاهرة طبيعية، ولكن هذه القصة تدل على مدى ثقة الناس بالشيخ ، وايمانهم ان وجوده بينهم خير وبركة .

وحثّ الشيخ القوم على ان يهبوا لتلبية نداء اخوانهم في بلاد الشام التي كانت تتهددها جيوش هولاكو . فدعا الأمراء المماليك الى اجتماع عام ، واعلنوا ان بيت المال خال ، ورأوا ان تجمع الأموال من الناس لتجهيز الجيش. ووافق الجميع.

ولكن الشيخ يقف وسط الجمع الحاشد ، ويصيح بأعلى صوته قائلا :

لكم ان تفرضوا الضرائب على الرعية ، كما تريدون ، اذا لم يبق فى بيت المال شىء ، واذا باع المماليك جواهرهم النفيسة ، وادواتهم المذهبة، وذخائرهم الثمينة، ولم يبق لهم شىء غير ما للعامة، فيتساوى الجميع ، وتفرض الضرائب على الرؤوس .

ونفذت كلمة الشيخ ، وتوجه الجيش فانتصر على التتار ، ولكن العز لم يستطع أن يشترك فى الحرب لكبر سنه ، اذ كان قد نيّف على الثمانين.

★ ★ ★

والى هذا كان الشيخ جم التواضع ، بعيدا عن التكلف ، فى سلوكه وملبسه ، ولكنه كان متواضعا فى غير ضعف ، ومترفعا فى غير كبرياء ، وجريئا فى الحق على الباطل .

وكان زاهدا مكتفيا بالكفاف ، ولو شاء لكان من اغنى الاغنياء ، وكان يتصدق بما يملك ، على قلته .

ففى طبقات السبكى ، على سبيل المثال ، أن الشيخ لما كان بدمشق وقع غلاء كبير حتى صارت البساتين تباع بالثمن القليل ، فاعطته زوجته مصاغا لها . وقالت : اشتر لنا به بستانا نصيّف به . فاخذ ذلك المصاغ وتصدق بثمنه .

فقالت : يا سيدى ! اشتريت لنا ؟

قال : نعم ، بستانا فى الجنة ! انى وجدت الناس فى شدة ، فتصدقت بثمنه .

فقالت له : جزاك الله خيرا .

★ ★ ★

ولما بلغ الشيخ الثالثة والثمانين ، مَرِض مَرَض الموت ، فارسل اليه الظاهر بيبرس يعرض عليه أن يعيّن اولاده العلماء فى منصبه . فابى ،وقال: ليس فيهم من يصلح ، ثم رشح من زملائه الائمة من وثق بعلمه ودينه ، ارضاء للعدالة .

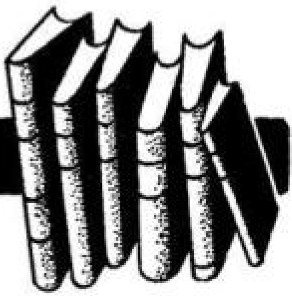
وحين شيّعت جنازته لم يبق رجل او امراة او طفل الا وسار فيها يبكيه .

وعندما راى الظاهر بيبرس هذا المنظر ، ذهل وقال :

الآن قد استقر الامر لى ، فلو انّ هذا الشيخ امر الناس بخلعى لبادروا الى امتثال امره !

هذا هو الشيخ العز بن عبد السلام ، شخصية حافلة بالمعانى والدلالات ، وهو فى حياته ، وافعاله، صورة مصغرة من الفاروق عمر بن الخطاب . ■■

محمود السمره



مِنَ الكتب التى وصَلتنا

مـن روح الاسـلام

للدكتور عبد الرحمن البزاز ــ الناشر مطبعة العانى ببغداد ــ الثمن ربع دينار عراقى

● مجموعة من الخطب والاحاديث القاها المؤلف فى مناسبات عدة وفيها يشرح بعض ما كان لايمانه عليه من فضل فى حياته .

التاريخ العربى وبدايته

تأليف أمين مدنى ــ الناشر دار المعارف بالقاهرة

● دراسات الماضى العربى القديم ليست جديدة على المكتبة العربية وانما الجديد فى بحوث هذا الكتاب هو مقابلة النصوص القديمة بالتحقيقات الحديثة ، ففى كل جزء منه بحث متزن لم ياخذ بالقديم لأنه قديم ولا بالجديد لأنه جديد بل يقف وجها لوجه امام الآراء المتصارعة ويناقشها فى أسلوب العالم المنصف .

عقبة بن نافع الفهـري

للـواء الركن محمـود شيت خطـاب ـ الناشر مطبعة العاني ببغداد

● ان عقبة بن نافع كان ولا يزال وسيبقى المثل الاعلى للقائد الفاتح والبطل الفذ والمؤمن الحق في المغرب لذلك حاول الاستعمار باذنابه الانتقاص من قدره قائدا ليحطموا تاثيره العميق في نفوس العرب والمسلمين وفي هذا الكتاب تناول المؤلف بالشرح امجاد عقبة وبطولاته .

الانسان وحقيقته

تأليف : محمد صالح كريم خان ـ مطبعة العاني ببغداد

● ان لمعرفة العلاقة بين الله سبحانه والانسان ذاته لمن النعم الذى أسبغها عليه ذلك ليكون على بينة من أمره .. فهل قدر الانسان ذلك ووفى بالتالي ما عليه من حق ثم الى أين الانسـان سائر ..؟ وما هي وجهته ..! أهو في ركاب المؤمنين بيوم الحساب أم مع زمرة القائلين « ان هي الا حياتنا الدنيا » . وفي هذا الكتاب تعرض المؤلف لصراع الانسان النفسي وضمنه توجيهه وارشاده باسلوب سهل ممتع .

فيضانات بغداد في التاريخ

للدكتور احمد سوسة .

الناشر : مطبعة الاديب ببغـداد وسـاعد على النشر المجمع العلمي العراقي .

● لفيضان الانهر في العراق تاريخ يرجع الى نوح عليه السلام، ولذا جاء هذا البحث في تاريخ فيضانات انهـر العـراق وتأثير هـذه الفيضانات بالنسبة لمدينة بغـداد ويتعرض المـؤلف بالبحث ايضا الى التدابير المتخذة والواجب اتخاذها للوقاية من خطر الغرق سيما وأن الدعامة التي يشيد عليها رخاء هذا القطر تعتمد على صيانته من اخطـار الفيضان وكلما قويت هذه الصيانة ازداد الرخاء زيادة محسوسا بها بالاضافة الى ان كل محاولة لاعمار الاراضي بغير التوقي من طغيان الماء الجارف لا تكون نتيجتها غير انجراف البلاد يوما الى الدمار. والحق .. يعد هذا البحث التاريخي العلمي المركز فريدا في نوعه سيما وانه جاء باسلوب سـهل وشيق .

تجديد رسـالة الغفران

للاستاذ خليل الهنداوي ـ الناشر دار الآداب ببيروت ـ الثمن ٢٥٠ قرشا لبنانيا

● جاء هذا الكتاب توضيحا لما في « رسـالة الغفران » للمعري من اثقال لغوية واعباء نحوية شوهت وجهها الاصيل لمن هم من غير أهـل الاختصاص في اللغة والنحو والادب . وهـذه الطريقة لو اتبعت في كثير من آثارنا الوعرة لمهدت الطريق للاحفاد للاستمتاع بهذه الآثار الرائعة التي تحتاج الى من يجلو عنهـا الغبـار وييسر تناولها للاذهان .

زائر نصف الليـل

المؤلف : عبد الكريم فرحان ـ الناشر : دار الكتاب العربي ببيروت ـ الثمن ٢٧٥ ق.ل.

● قصة تحكي ماساة ابن القرية الهادئة الوادعة الساذجة عندما ينزل الى المدينة بعينين زائغتين نهمتين تطلبان الحياة والحب والامل .

بين عالمين .. عالم المادة وعالم الروح

للاستاذ مصطفى الكيك ـ الناشر دار المعارف بمصر ـ الثمن ٢٥ قرشـا

● بحث موضوعي للتركيب الانساني في الحياة وعلاقته بعالم المادة والعالم الآخر . ويضم الكتاب كثيرا من الاسئلة التي تراود الانسان عن العالم الآخر ويجاوب المؤلف على هذه الاسئلة باسلوب تحليلي علمي مبسط ، نذكر من هذه ، حقيقة النفس والروح ، الموت ليس عدما ، الانسـان ثنائي الجسد ، الصحيح في عذاب القبر ، ماهية السموات السبع ، الهدف الحقيقي للحيـاة ، والقانون الذي يضبط العلاقة بين عالم المـادة والعالم الآخر وغيرها من الموضوعات التي تهم الانسان المفكر الباحث .

حكايات جوقة التماثيل

تقديم : سعد الله ونوس . الناشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ سوريا الثمن ٢ ل.س.

● هذه مجموعة من التمثيليات الهادفة نذكر منها لعبة الدبوس والجراد ، وجثة على الرصيف، والمقهى الزجاجي وغيرها . وقـد كتبت هـذه التمثيليات باسلوب شيق جميل يشد القارىء .

■■

 (بقية المنشور على صفحة ٧)

السيدة نفيسة .. وابن طولون

● نشرت مجلة العربي القراء بعددها التسعين مقالا للكاتبة سنية قراعة عن السيدة نفيسة رضي الله عنها جاء فيه ان السيدة نفيسة شهدت حكم ابن طولون في مصر ، وبلغها عسفه وجوره بالرعية وصار الناس من أهل مصر يأتونها متوسلين للتشفع لهم لديه ليرفع عنهم مظالمه ، فعز عليها ذلك واضمرت في نفسها أمرا ، وسألت عن مواعيد خروجه حتى اذا كان في موكبه العظيم استوقفته السيدة نفيسة وقدمت اليه ظلامة كتبتها بيدها ، ونادته باسمه فاستجاب لها في سرعة وترجل عن جواده وأسرع اليها موقرا معظما فاخذ الظلامة ، وارتجف وتولاه الخوف وملأت الرهبة قلبه واقبل على نفيسة العلم يترضاها ويعدها الخير للرعية الى آخر ما زعمته الكاتبة .

وايراد الخبر على هذه الصورة غير صحيح بوجهين : أحدهما نقلي وثانيهما ذوقي . فأما النقلي فهو أن ظهور الدولة الطولونية كان في سنة اربع وخمسين ومائتين كما في تاريخ الاسحاقي ، او خمسين على ما في تاريخ القره ماني ، ووفاة السيدة نفيسة كما تقول صاحبة المقال نفسها كانت سنة ٢٠٨ هجرية .

ومن هذه التواريخ يكون القول باجتماع السيدة نفيسة واحمد بن طولون وشفاعتها للمصريين قولا غير معقول ولا مقبول .

واما الوجه الثاني ، الذوقي ، فهو أن السيدة نفيسة لم تكن من أوباش الناس حتى يتوهم غبي غافل ، فضلا عن عاقل فطن ، انها تذهب الى احمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره ليمر بها !

فالرجاء ان تستدركوا هذا الخطأ وتشيروا اليه ؟

الهند احمد شهاب الدين
قاضي كالكوت

من أبوها .. ومن زوجها ؟

●... وتقول السيدة سنية قراعة ان السيدة نفيسة رضي الله عنها هي حفيدة الامام الحسن السبط وهي ابنة الامام الحسن الانور ابن الامام زيد الابلج ، وأن السيدة المذكورة كان قد خطبها ابن عمها اسحاق ابن الامام جعفر الصادق .

وما جاءت به الأخت سنية قراعة غير صحيح ، والصحيح هو :

أولا - ان السيدة نفيسة هي ابنة زيد بن الحسن المجتبى بن الامام على بن أبي طالب ، وكان يكنى بأبي الحسين ، وأن الحسن الانور هو أخوها - وليس أباها - ويكنى بأبي محمد ، وكان اميرا للمدينة من قبل المنصور الدوانيقي .

ثانيا - ان زوج السيدة نفيسة هو الوليد بن عبد الملك بن مروان حيث كان أبوها يفد الى الوليد وكان يجلسه على سريره ويكرمه .

ثالثا - ان اسحاق ابن الامام جعفر الصادق لم يكن ابن عم السيدة نفيسة بل انه أحد أحفاد عم أبيها زيد وهو الحسين السبط . هذا وان أباها لم يكن اماما حتى ولا أخوها ، حيث ان الامامة انحصرت بعد الامام علي بالحسن السبط ومن بعده بأخيه الحسين السبط وفي ذريته من بعده التسعة الائمة فقط ليس الا .

رضا زيني الحسني - كربلاء

أنتَ تسألُ .. ونحنُ نجيب

صحيفة "ايكونومست" تقول:

الفاتيكان أكبر صاحب أملاك في العالم !

● نشرتم في أحد أعداد « العربي » الاخيرةأن الفاتيكان هي أغنى دولة في العالم بالنسبة لعدد سكانها ، وأنها تتحكم في مجموعة من الاعمال التجارية في الخارج لا تقل قيمتها عن خمسة آلاف مليون جنيه استرليني . ولكن مجلة شهرية تصدر في لبنان زعمت أن ما ذكرتموه عن ثراء الفاتيكان غير صحيح ، حتى لقد اضطر لعرض ما عنده من احتياطي الذهب للبيع لتغطية نفقاته .

فأي القولين نصدق ؟ ومن أين استقيتم المعلومات التي ضمنتموها مقالكم ؟

ى. ذ/ بيروت

ـ قرأنا المقال الذي تشيرون اليه ، وما تضمنه من تعريض واتهام ، نمر بهما مر الكرام ، لأنهما في رأينا من لغو الكلام ..

أما ما نشرناه عن ثروة الفاتيكان فاذا كان فيه شطط وافتراء ، فذلك اننا لم نورد ارقام هذه الثروة على حقيقتها التي تزيد على ما ذكرناه اضعافا مضاعفة .. ويكفي أن نحيل المجلة المذكورة الى مقال نشرته مجلة الايكونومست Economist البريطانية ، وهي من أوسع المجلات الاقتصادية والسياسية انتشارا ونفوذا ، في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٦٥ تحت عنوان « ثروة الفاتيكان » والذي قالت في مقدمته « انها تنشره لانه يلقي ضوءا جديدا على مالية اكبر صاحب أملاك في العالم » !

وقد استهلت الايكونومست مقالها بقولها :

« ان أول عمل مقدس يؤديه المرشح لوظيفة في « الكوريا » ، أو الادارة المركزية للكنيسة الكاثوليكية ، هو ان يقسم اليمين المقدسة على كتمان كل شيء يصل الى علمه أو يقع تحت بصره من معلومات عن ثروة الكنيسة ومواردها ! وانه كلما كبرت مسئولياته ازداد تكتمه للأسرار . والى جانب هذه القاعدة التي تراعى بدقة في «الكوريا» يمكن اضافة حسن الادراك المعتاد الذي يتميز به هؤلاء الذين يشرفون على المعاملات الضخمة ، ومن أجل هذا يمكن ان ندرك بسهولة مدى صعوبة تكوين فكرة دقيقة عن ثروة الفاتيكان .

« ولكن الذي يمكن ان نقوله هو ان اكثر التقديرات المتحفظة التي يمكن وضعها بصورة معقولة ، تؤكد ان الفاتيكان أو البابا ـ لأن حكمه مطلق ـ يعتبر اكبر مساهم في العالم ، اذ يملك تأمينات محددة في مختلف انحاء الدنيا تساوي في مجموعها ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني او ٥٦٠٠ مليون دولار ! لا يزيد ما في ايطاليا من هذا المبلغ على العشر !

ونتيجة لذلك نجد أن الفاتيكان يعتبر قوة مالية دولية ذات أبعاد كبيرة ، تتحكم في منقولات وممتلكات ضخمة تساوى على وجه التقريب

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

ONOMIST MARCH 27, 1965

USINESS

e Vatican's Riches

A tax dispute with the Italian state has produced much argument about the extent of the Vatican's wealth. In this article a Rome correspondent draws on his own researches to throw new light on the finances of the world's biggest property owner

st solemn act which a candidate for a post in the
—the central administration of the Catholic Church
erform is to swear an oath to keep secret everything
uring on his job. The higher his responsibility, the
tly kept his secret will be. Add to this general rule,
scrupulously observed in the Curia, the habitual
of those who deal in large financial transactions,
easy to understand how difficult it is to form an
dea of the Vatican's wealth.
can put two and two together: and they add up
nds of millions. The most conservative estimate
easonable to make establishes the Vatican—or rather
for his rule is absolute—as far and away the world's
areholder, with a portfolio of quoted securities the
r totalling the equivalent of over £2,000 million
illion). Of this, only about a tenth is held in Italy.
is therefore an international financial power of
with realisable assets roughly equal to, say
foreign exchange reserves of Fr
folio of En

ecclesiastical bodies—bishoprics, convents, colleges—which
are, as property, completely independent of the Holy See.
The Holy See is a particularly big landlord in the Rome
area. It owns whole blocks of houses and hundreds of flats,
as well as big stretches of land on the outskirts of the city.
These have been highly valuable in the building boom of
recent years. The Vatican continues to build
flats, and lets flats to its own officials.
Real estate asse ually mana
the Administr
founded
had be
other
actin
Law
S

مجموع احتياطي الذهب والدولار في فرنسا نفسها !!

« وهذا التقدير لاشك أنه يتضاءل ، اذا اخذنا في الاعتبار ثروة الفاتيكان الاضافية ، والتي لايمكن تقديرها ، من أراض وضياع وقصور في جميع أنحاء العالم ، الى جانب ما يملكه الفاتيكان من تحف وثروة فنية تعتبر من أثمن الثروات في العالم ».

ويمضي المقال الطويل في الحديث عن ثروة الفاتيكان بما لا يتسع لنشره المقام ، فليعد اليه من كان في ريب مما نشرناه ..

«شوقى» بين العقاد والمازنى و«هاملتون جب»

● اطلعت فى عدد مايو من « العربى » على مقال يستعرض فيه الدكتور محمود السمره كتاب « دراسات فى حضارة الاسلام » للمستشرق « هاملتون جب » ، جاء فيه أن « العقاد » و « المازنى » هاجما « شوقى » (عن دافع شخصى) .. وفى ذلك ما فيه من تحريف لبعض الوقائع وتشويهها ونفيها ، وهو ما آخذه عليه . فليس فى ما حفظه تراث مدرسة العقاد والمازنى أى هجوم من المازنى على أحمد شوقى،بل على حافظ ابراهيم ، فى مقالات جمعت فى كتيب بعنوان « شعر حافظ » ..

تلك هى الواقعة التى حرصت على تصحيحها ،تاركا ما سواها مما جاء فى مقال الدكتور عن شوقى ورأيه فيه ، ورأى صاحبه هاملتون جب ، فلكل رأيه ، ولكل أن يقبل من الآراء ما يشاء أو يرفض ما يشاء .

احمد ابراهيم الشريف / أسوان

ـ معذرة ان كنت قد اكتفيت بهذه السطور من كتاب السيد احمد الشريف ، فان هذا الباب لا يتسع لنقاش أدبى كتبت فيه عشرات المقالات ، بل مئاتها ، والفت فيه عشرات الكتب .. وانا لا أعرف رأى الزميل الفاضل الدكتور محمود السمره الذى احلت اليه الكتاب برمته ليحيط بما فيه . وكل الذى أحب أن اقوله للسيد الشريف انه هو نفسه وقع فيما يعيبه على الدكتور السمره والأستاذ جب ، من « تحريف بعض الوقائع أو تشويهها أو نفيها ! » فهو يقول بصيغة التأكيد ان « المازنى لم يهاجم احمد شوقى أبدا ، وانما كان هجومه على حافظ ابراهيم .. وذلك هو التحريف الصريح لواقعة لا يمكن أن تنكر .. فلقد شن المازنى على شوقى هجوما عنيفا على صفحات

السنة الايرانية تبدأ بأول يوم

● هل صحيح أن للايرانيين تقويما سنويا يختلف عن التقويم الهجرى والتقويم الميلادى؟ وأن السنة عندهم لا هى شمسية ولا هى قمرية،وانما هى خليط من الاثنتين ، ويسمونها السنة الهجرية الشمسية ؟

واذا كان هذا صحيحا فمتى تبدأ السنة الايرانية ؟ وهل هى عبارة عن اثنى عشر شهرا كما هو الحال فى كل من السنتين الشمسية والقمرية ؟

سميرة عزت / بيروت

ـ الاجابة عن الشق الأول من السؤال : نعم . فالتقويم الفارسى هو غير التقويمين الهجرى والميلادى .

وتبدأ السنة الايرانية أول يوم من فصل الربيع. ويوم رأس السنة الايرانية هو يوم عيد النيروز ، أقدم الأعياد فى ايران .

والسنة الايرانية كزميلتيها الشمسية والهجرية تتألف من ١٢ شهرا مع فارق بسيط هو أن كل شهر من شهورها الستة الأولى يتألف من ٣١ يوما ، وكل شهر من الستة الأخيرة من ٣٠ يوما ، الا اذا كانت السنة بسيطة فان الشهر الاخير يتألف من ٢٩ يوما فقط ، فهى ، كالسنة الميلادية، تتألف من ٣٦٥ يوما ، ان كانت بسيطة ، و ٣٦٦ يوما ان كانت كبيسة .

وهى تنقسم كذلك الى فصول أربعة ، كل منها ثلاثة أشهر : فصل الربيع ، ويبدأ فى اليوم الاول من « فروردين » ، وهو أول أيام عيد النيروز ، ويقابله دائما يوم ٢١ مارس (آذار) ويسمى الربيع بالايرانية « بهار » .

وفصل الصيف ، ويسمى « تابستان » ، ثم فصل الخريف ويسمى « بابيز » ، وأخيرا فصل الشتاء ويسمى « زمستان » .

« السياسة » و « السياسة الاسبوعية » و « البلاغ الاسبوعى » وغيرها من الصحف التى كان المازنى يكتب فيها ، فى الفترة التى تلت عام ١٩٣٠ بقليل ، وكان هجومه منصبا اولا على شعره وثانيا على مسرحياته ، الأمر الذى اضطر معه احمد شوقى الى مهاجمة المازنى من وراء ستار ، واتهامه بسرقة الكثير من كتاباته ورواياته ، وخاصة مسرحية « بيت الطاعة » التى قيل يومئذ انها مسروقة من رواية «الشاردة» للكاتب «جالسورزى» ، فحاول المازنى يومئذ أن ينفى التهمة بأن نشر روايته والى جانبها ترجمة « الشاردة » على صفحات « السياسة اليومية » ولكن الراى العام لم يقتنع يومئذ بما فعل ..

هذه واقعة حرصت على تسجيلها لاننى عشت فيها ، اذ كان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل (باشا) مديرا لجريدة السياسة ، وكان الأستاذ المازنى رئيسا لتحريرها ، وكاتب السطور سكرتيرا للتحرير ، فكان من واجبى أن اصححها للحقيقة والتاريخ .

من الربيع

وأما أسماء الشهور فهى : « فروردين » وبه يبدأ فصل الربيع ، ثم « اردیبهشت » ، ثم « خرداد » . وشهور الصيف الثلاثة هى « تير » « مرداد » ، « شهريور » . وشهور الخريف هى « مهر » ، « آبان » ، « آذر » وشهور الخريف هى « دى » ، « بهمن » ، « اسفند » .

ويبدأ الاسبوع عندهم بيوم السبت واسمه «شنبه» فالاحد « يك شنبه » والاثنين «دو شنبه» والثلاثاء « سه شنبه » والاربعاء « جهار شنبه » والخميس « بنج شنبه » والجمعة « جمعة ـ آدينه » .

ويلاحظ أن الايام الخمسة التالية ليوم السبت تبدأ أسماؤها بالأرقام المتداولة فى لعبة النرد « الطاولة » وهي « يك » بمعنى واحد و « دو » بمعنى اثنين و « سه » بمعنى ثلاثة ، و « جهار » بمعنى أربعة ، و « بنج » بمعنى خمسة .

ردود سريعة

● السيدة خيرية حسن : بيروت

ـ قبل الاقدام على عملية التلقيح الصناعى، لا بد من اجراء بعض الفحوص الطبية والتحاليل المعملية . فاذا كان العيب من الزوج فما فائدة التلقيح الصناعى ؟

● احمد قاسم باجميل : المكلا : حضرموت

ـ كل ما ذكرته مما قاله لك أصدقاؤك عن مضار حبوب الحمل غير صحيح .

● حمدى شفيق ابو الجبر : العراق

ـ ليس فى الاسلام ما يمنع أن يأكل المسلم طعاما طهته امرأة غير مسلمة ما دامت من أهل الكتاب ، وخاصة اذا كانت زوجته .

● عبد العزيز الحامد : الرياض

ـ العمل على الآلة الكاتبة لمدة ٨ ساعات على فترتين ، لا يعود على الجسم بأى ضرر ، فلا تدع الهواجس تسيطر عليك .

● حميد بن عامر الشمرانى

ـ ليس ما ذكرته شيئا غير طبيعى ، بل هو كثيرا ما يحدث دون أن يكون له سبب مسبق .. فاهدأ بالا .

● محمد غياث الكيلانى ـ وزارة المواصلات : دمشق

ـ لا شأن لنا ببيع أو شراء أية سلعة يعلن عنها فى « العربى » ، فخابروا الوكلاء رأسا .

● السوسى على بن احمد ـ فاس : المغرب

ـ رسالتك لم تصل ، فكيف نجيب عنها ؟

اجابة خاصة

ن . ح . و : القاهرة

● اذهبى فورا لاقرب قسم للبوليس ، وقصى عليهم قصتك ، لينقذوك من هذا الوحش الضارى ، فعمله هذا ليس علاجا كما يوهمك ، ولكنه استغل سذاجتك وصغر سنك واعتدى عليك تحت ستار العلاج !

تَرْكُ الصَّلَاةِ كَسَلًا لَيْسَ كُفْرًا، وَلَكِنَّهُ مِنَ الكَبَائِر. أَمَّا تَرْكُهَا إِنْكَارًا لِوُجُوبِهَا فَخُرُوجٌ عَنِ الإِسْلَام.

● كنت قد قرات فى احد كتب الامام الغزالي ما يفيد ان المسلم تارك الصلاة هو والكافر سواء ، وقد استند الغزالي الى احاديث رواها عن الترمذى وابى داود وغيرهما . كما قرات فى احد الكتب الدينية ان تارك الصلاة عمدا يخرج عن الاسلام ويقتل كفرا كالمرتد ! واذا صحت هذه الاراء فان اكثر من نصف المسلمين يصبحون كفارا ! ! واذا لم تصح فكيف ضمنها اصحابها كتبهم التي يتداولها الكثيرون ؟ .

حلب — امين عوف

ـ الصلاة هي احد اركان الاسلام الخمسة ، وهي تلى الشهادتين ، واول ركن بعد الايمان ، ولذا قالوا انها « عماد الدين من اقامها فقد اقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين » .

ويقول الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر السابق فى كتابه « الفتاوى » : لا خلاف بين المسلمين فى ان من ترك شيئا من فرائض الاسلام واركانه ، منكرا لوجوبه ، كان خارجا عن الاسلام ، وحكمه حكم المرتدين . اما الترك مع اعتقاد الوجوب والفرضية فهو ، بالاجماع وبالدلائل الصريحة ، كبيرة من الكبائر ، يستحق فاعلها الجزاء الاخروى الذى توعد الله به ارباب الكبائر ، ولا يطهره منها سوى التوبة الصادقة ، او الحج المبرور ، وهذا هو الحكم الاخروى ..

ولقد تكلموا فى تارك الصلاة كسلا ، وكان لهم فيه مذاهب ثلاثة : اولها انه يخرج عن الاسلام ويقتل كفرا كالمرتد ، وثانيها انه لا يخرج عن الاسلام ولكن يجب قتله حدا اذا لم يتب ويصلِّ ، كقاتل النفس بغير حق ، وثالثها انه لا يخرج عن الاسلام ولا يحد بالقتل ، وانما يعزر بالضرب والحبس حتى يصلي ..

وبالنظر فى ادلة هذه المذاهب نرى ان اقربها الى الصواب هو المذهب الاخير : لا كفر ولا قتل

حَذَارِ يا آنِسَة إِنَّهُ السَّرَاب .. فَلَا تَنْخَدِعِي !

● اتقدم اليكم بمشكلتي كاشفة النقاب عنها بعد تردد وحياء داما طويلا ، آملة ان اجد عندكم الحل لاستريح مما انا فيه .

ابلغ العشرين من عمري ، من اسرة محافظة ، وضع القدر فى طريقي شابا جميلا ، متزنا ، يتمتع باحترام الجميع ، فأحببته ، وتمنيت ان يجمع الله بيننا فى ظله .. لكن حبي كان من طرف واحد فى اول الأمر ، الى ان شاءت الظروف ان انفرد به ، واذا به يتلقاني بكل لهفة ، وبعد جهد كبير نال مني قبلة ... بعد ذلك صرنا نتقابل كلما سنحت الفرصة ، ومضت سنة كاملة ، وانا اتردد عليه ، آملة ان يفاتحني فى الزواج او يتقدم ليطلب يدي ... ولكن عبثا ! .

وبدأ الشك يتسرب الى قلبي .. خاصة وقد تقدم اليّ خلال هذه الفترة اكثر من شاب يخطبني وانا ارفض ، من اجله .. ولا اريد أن أفاتحه فى ذلك خشية ان افقده وأخيرا تقدم لخطبتى شاب فوافقت اسرتي دون أن تأخذ رأيي لكثرة ما رفضت الزواج .. وانا الآن فى حيرة : اصارح اهلي بالحقيقة وأعترف بحبي ؟ ام اصارحه هو ، وقد

وانما الضرب والحبس . والحجة فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : كفر" بعد ايمان ، وزنا بعد احصان ، وقتل" بغير حق » .

اما الاحاديث التي استدل بها القائلون بالقتل ، فان ما صح منها وكان فى الموضوع ، وهو الترك كسلا ، كقوله عليه السلام « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » وقوله « العهد الذى بيننا وبينكم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » فانه يجب حمله على التغليظ والتوبيخ ، ومعناه انه فى صورة الكفر باعتبار العمل ، وليس كفرا على الحقيقة وانما وجب حمله على التغليظ لا على الحقيقة ، لقيام الادلة على ان صاحب الكبيرة لا يخرج بها عن الاسلام .

اما القول بالقتل حداً فقد قال فيه الامام ابن رشد المالكى انه قول ضعيف ، ولا مستند له الا قياس ترك الصلاة على القتل ، باعتبار ان الصلاة راس المامورات ، وان القتل راس المنهيات ، وهو قياس ضعيف ، ولا يباح بمثله دم" موثوق بايمان صاحبه . (أ. هـ)

تكون النتيجة فى الحالين ان افقده ان كان يلهو بى .. علما بأنى لا أطيق البعد عنه ، حتى أننى لأرضى ان اعمل خادمة عنده ، حتى لا احرم من رؤيته ! .

بالله عليكم دلوني ماذا افعل . فلعل كلمة منكم تردني الى طريق الصواب ان كنت مخطئة .

المعذبة

س.هـ/البصرة

ــ لماذا كل هذه الحيرة ، وبيدك وحدك ان تقررى مصيرك ...

صارحيه بان علاقتكما الحالية فى الخفاء لا يمكن ان تدوم ، فضلا عن انها منافية للعرف والتقاليد ، وصارحيه ايضا بامر خطبتك واصرار اهلك على تزويجك ، فان كان جادا فيما يبديه من حبه لك تقدم الى اهلك يخطبك منهم ، وعندها تستطيعين ان تصارحيهم بما فى قلبك ، بلباقة وظرف ، حتى لا تاخذهم العزة ويرفضوا قبولـه بحجة انهم « اعطوا كلمة » لغيره .

اذا راوغ فى خطبتك فاعلمى انه انما يريد ان يتلهى بك ، وعندها يجب ان تقطعى علاقتك به فورا ، وتكفى عن مقابلته مهما كان حبك له ، حفاظا على شرفك وسمعتك ..

ان شباب هذه الايام لا يعرفون عن الحب الا انه اخذ بلا عطاء ، وانه وسيلة سهلة للايقاع بالفتيات الساذجات ، حتى اذا ما قضوا اوطارهم تركوهن يندبن حظهن ، وشرفهن ، بعد ان يفقدن اعز ما يملكن ! .

فحذار يا فتاتي .. انه السراب ، فلا تدعيه يخدعك ، والا فلن تلومي الا نفسك ..

دول عدم الانحياز

● انني اسمع واقرأ كثيرا عن الدول السبع عشرة لنزع السلاح التي تعقد اجتماعاتها فى مدينة جنيف . ولكنني لا أعرف اسماء هذه الدول ، وهل توجد بينها دولة عربية او أكثر ، أرجو الاجابة ولكم الشكر .

دير الزور　　　محمد فريد مرعشلي

ــ الدول السبع عشرة التى تسأل عنها هى : الولايات المتحدة الامريكية ، والمملكة المتحدة ــ بريطانيا ــ وكندا ، وايطاليا . وهى وحدها الدول الأربع الغربية بعد ان رفضت فرنسا الاشتراك فى هذه اللجنة التى كان مقررا ان تتالف من ١٨ دولة .

اما المعسكر الشرقى فتمثلـه دول الاتحاد السوفييتي ، وبولنـدا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا وبلغاريا .

وهنـاك معسكر ثالث هـو معسكر دول عـدم الانحياز ، ويتالف من البرازيل وبورما والسويد والحبشة والهند والمكسيك ونيجيريا، ثم الجمهورية العربية المتحدة ، وهى الدولة العربية الوحيدة التى تشترك فى هذه اللجنة .

أنت على حق .. ووالدك أيضاً على حق وإنما الذنب ذنب التخلف .. والتقاليد البالية !

● أكتب اليكم هذه الرسالة لاعرض عليكم مشكلتي التي حيرتني وأمضيت الليالي والايام أفكر فيها ، دون أن أجد لها حلا الا الاستسلام لقضاء الله ، في انتظار معجزة أو ما يشبه المعجزة ..

أنا فتاة في السابعة عشرة من عمري ، انقطعت عن دراستي الثانوية منذ عام ونصف عام ، عندما عدت مع أسرتي الى اليمن ، ولكني مللت الاقامة فيها لسبب واحد هو أنه ليس بها مدرسة ثانوية للبنات ألتحق بها لاتم تعليمي ، ووجدتني مضطرة للاقامة في البيت بلا دراسة. ولما فاتحت والدي في الامر وهو رجل مثقف ، لم يتردد في أن يحضر لي الكتب اللازمة لدراسة المقرر ، بالاضافة الى مجموعة طيبة من كتب الادب ، لانه يعرف شدة اقبالي على القراءة والمطالعة . لكني كلما فتحت كتابا من الكتب المدرسية وجدت نفسي عاجزة عن فهم ما فيه بلا مدرس او مدرسة ، فاقترحت على والدي أن أستعين بمدرس خاص يعينني على فهم الدروس فرفض وقال انه لا يسمح بأن يدخل بيته رجل ، رغم انى ذكرت له أسماء طالبات مثلي يدرسن في بيوتهن على أيدي مدرسين خصوصيين . ولما عرضت عليه أن يرسلني الى احدى المدارس الداخلية في أي بلد عربي كالقاهرة او بيروت أو غيرهما ، رفض بحجة انى وحيدته ولا يستطيع فراقي !

ولما يئست من اقناعه أسلمت أمري الى الله، وعزمت على مواجهة الامر الواقع ، ما دام ذلك حظى .. وليت الامر وقف عند هذا الحد ، فقد تقدم الى أبي منذ أيام أحد أقربائي ليخطبني منه ، فرفضت بطبيعة الحال رغم محاولات والدي ، بل وتهديده ، لانى لا أرغب في الزواج الآن ، بل كل همي هو أن اتم دراستي بأي ثمن ...

أنتم تعلمون من غير شك طبيعة الحياة في اليمن ، وهذا مما يزيد مشكلتي تعقيدا .. فالايام تمر بطيئة أو سريعة ، دون أن أرى بريقا من الامل في أن يقتنع والدي بأن مصلحتي في اتمام تعليمي . واخشى أن تزيده الايام اصرارا على تزويجي من هذا القريب أو من سواه بحجة انني لم اعد صغيرة ، ولا بد من زواجي ، رضيت أم لم أرض ، وهذا ما يؤرقني ويقض مضجعي ، ويجعل الدنيا مظلمة في ناظرى ، حتى ليخيل الى أحيانا أن لا خلاص لي الا الموت !

أنا لا أعرف بماذا ستنصحونني ، ولكني بعد أن كتبت لكم هذه الرسالة أحس براحة كبرى ، لانى واثقة من أنكم ستجدون لمشكلتي حلا ..

س . م

ـ مشكلتك يا آنسة مشكلة عويصة بالفعل ، وان كانت تبدو عكس ذلك لاول وهلة .. فهي تخضع لعوامل شتى ، تتضافر كلها على أن تزيدها تعقيدا .. فان رغبتك في اتمام دراستك لا يمكن ان ينكرها عليك أحد ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ، وانت تقولين انه ليست عندكم مدرسة ثانوية للبنات ، وهذا والدك يرفض أن يأتيك بمدرس خصوصي يساعدك على استذكار المقرر في البيت ، وهو في ذلك قد يكون له بعض العذر ، ما دمت وحيدته ، وقد لا تسمح له ظروفه بان يكون الى جانبك عندما تكونين مع المدرس ، وهو ـ اى والدك ـ يرى أن في وجودكما أنت وهذا المدرس منفردين خطرا عليه أن يتفاداه ويبتعد عنه ، حتى ولو كان في ذلك ضياع مستقبلك ، فذلك في رأيه ـ وهو رأى صائب ـ خير من

(البقية على صفحة ١٥٦)

مِنْ أخطاء القضاء

رُبَّ صُدفةٍ شرٌّ مِنْ مِيعاد



بقلم : حسن الجداوى

المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ « ليزورك » هو الاسم الذى يرد على لسان كل محام امام محكمة الجنايات يريد ان ينقذ موكله من حبل المشنقة فيقيم بينه وبين الادانة شبح الخطأ القضائى الذى لايمكن اصلاحه .

انه من مواليد مدينة ديويه بفرنسا . بدأ حياته صبيا لدى احد الصياغ ، ثم التحق بالجيش وحارب فى صفوف جيش الثورة الفرنسية ، وحين سرح من الجيش اشتغل بالتجارة واثرى فترك مدينته واقام فى باريس ، وفى انتظار تاثيث الشقة التي استاجرها اقام لدى ابن عم له يحمل نفس الاسم .

وكنا فى أواخر القرن الثامن عشر ـ وعلى وجه التحديد فى عام ١٧٩٦ ، ايام حكم الدُيِر كتوار ، حين كانت عصابات قطاع الطرق تعيث فى الارض فسادا ، وقد وقعت بالقرب من ليون جريمة فظيعة اذ اعتدى خمسة اشخاص على عربة البريد وقتلوا قائدها ومساعده ونهبوا محتوياتها .

وكان ليزورك ككل مغترب كلما صادف احد



ابناء بلدته فى باريس يتوق الى التحدث اليه لمعرفة اخبار القرية . وشاء له سوء حظه ان يقابل بمحض الصدفة احد ابناء قريته واسمه جوسنو فسار الى جواره يتحدث اليه حتى وجدا انفسهما امام مقر البوليس الذى كان جوسنو يقصده ليتسلم اشياء له احتجزت لشبهة كانت قد علقت به فى جريمة بريد ليون .

★ ★ ★

ولان الحديث بينهما لم يكن قد انتهى طلب جويسنو من ليزورك ان يدخل معه الى مقر البوليس ليتسلم اشياءه ، وهكذا دخلا غرفة المحقق الذى كان يتولى قضية بريد ليون ، وكان بها بعض شهود الحادث ، وكان صاحبانا فى امان واطمئنان يتحدثان . ولم يكد يرد على لسان جوسنو كلمة بريد ليون حتى اخذت اثنتان من الشهود تحدقان بهما فى اهتمام وخوف دون ان يشعرا بهما .

★ ★ ★

ولنعد قليلا الى الوراء . فقد كان المحقق الذى كلف بتحقيق الحادث الفظيع قد ارسل اعوانه يتتبعون خيط سير عربة البريد منذ تركت باريس حتى وقع الاعتداء عليها ويجمعون له المعلومات .

وقد تبين له ان شهودا راوا اربعة فرسان يتجهون الى ميلون ويعودون منها ، وانهم توقفوا امام احدى الحانات فاكلوا وشربوا ، وان احدهم اصلح مهمازه بان ربطه بخيط استعاره من احدى الخادمات ، وانه رجل مديد القامة اشقر الشعر . وانه عاد بعد لحظة لاسترداد سيفه الذى كان قد نسيه فى حظيرة الخيل .

وشهد آخرون بان شخصا اجنبيا ركب بجوار سائق عربة البريد واعطوا اوصافه .

وهكذا استنتج المحقق ان عدد القتلة اربعة وربما خمسة اذا اضفنا الى الفرسان الاربعة ذلك الرجل الذى كان يجلس الى جوار قائد العربة .

وشهد حارس بوابة رامبوبيه بباريس انه راى خمسة فرسان يدخلون باريس فى الساعة الرابعة صباحا وخيولهم تلهث ويتصبب العرق منها مما يدل على انها عائدة من مكان بعيد . ولما كان احد حصانى عربة البريد مفقودا فقد ثبت لدى المحقق ان هؤلاء الخمسة هم القتلة وانحصرت مهمته فى البحث عن تلك الخيول وراكبيها .

وأوصلت التحريات الى علم البوليس ان شخصا ترك فى الساعة الخامسة صباحا أربعة خيول تتصبب عرقا فى حانة أوبرى ، وعاد فى الساعة السابعة صباحا ومعه شخص اسمه برنار فتسلماها، وان الشخص الاول اسمه كوربول ، وانه يقيم مع سيدة اسمها مادلين بريمان — يظن انها زوجته — وانه لم يبت فى منزله فى ليلة الحادث . وجد البوليس فى البحث عن كوربول وبرنار فاكتشف أن كوربول اختفى لمدة اسبوع فى منزل شخص يدعى ريشار مع صديقته ثم قصدا مدينة تروا فى عربة استأجراها من يهودى سيىء السمعة اسمه دافيد برنار . وهكذا قبض البوليس على كوربول وعشيقته ووجد معهما مبالغ طائلة من الفضة والذهب والجواهر وحوالات البريد .

فهو اذا واحد من القتلة قد وقع فى قبضة العدالة .

★ ★ ★

وعند القبض على كوربول كان معه شخصان : جولييه وجوسنو — الذى تحدثنا عنه والذى قالت المصادفة السيئة انه تقابل مع ليزورك — فقبض عليهما على سبيل التحرى خاصة وقد علم البوليس انه أقام لدى ريشار — وهو لا يملك فندقا — فى فترة وجود كوربول. ولكن البحث أثبت ان جوسنو وجولييه يتمتعان بسمعة طيبة لذلك اكتفى المحقق بأن نبه عليهما بأن يقدما أنفسهما الى البوليس فى باريس ، ووضع الاختام على الغرفة التى كان جوسنو يقيم فيها فى منزل ريشار دون فحص محتوياتها .

وركب جوسنو وصاحبه نفس العربة التى اقلت كوربول وشهود الحادث الى باريس .

وتبين المحقق ان الشكوك التى تحيط بجوسنو لا تكفى لتوجيه أى اتهام اليه فأمر بتسليمه محتويات غرفته . وفى طريقه لاستلامها تقابل مع ابن بلدته ليزورك وهكذا وجدا فى غرفة انتظار المحقق يلفتان نظر شهود الحادث بحديثهما عن جريمة بريد ليون .

★ ★ ★

ودخلت الشاهدتان غرفة المحقق وأكدتا له ان اثنين من القتلة موجودان بغرفة الانتظار وأرسل المحقق يستدعي جوسنو وزميله الذى يجلس معه . ودخل ليزورك والدهشة تأخذ منه كل مأخذ اذ لا شأن له بالموضوع — ولكن المحقق أجلسهما بجوار النافذة وأخذ يوجه اليهما أسئلته فى عنف وبطريقة تدل على الشك فيهما بينما استمرت الشاهدتان تحدقان النظر اليهما .

وطلب المحقق من ليزورك أوراق هويته . فتبين أن ورقة الهوية التى يحملها ليست له بل لابن عمه وزاد فى حرج موقفه أن تبين انه يحمل ورقة هوية بيضاء .

ولم يسع المحقق الا ان يصدر الامر بالقبض عليه وعلى جوسنو .

ولكن القاضى دوبانتون كان رجلا عادلا حصيفا لم يأخذ ليزورك لمجرد توكيد الشاهدتين بل حقق معه طويلا . وأثبت ليزورك انه لم يفارق باريس فى يوم الحادث وأشهد عددا كبيرا من أصدقائه العدول على صحة أقواله وحسن سيره وسلوكه . وآمن المحقق ببراءة ليزورك وجوسنو ولكنه رأى أن يتمهل قليلا قبل اصدار قرار بحفظ الدعوى ضدهما أمام اصرار الشاهدتين أن ليزورك هو الشخص الطويل الاشقر الذى كسر مهمازه .

★ ★ ★

اما كوربول فقد أخذت أدلة الثبوت تأخذ بتلابيبه . شهدت ضده — من حيث لا تقصد — عشيقته . وقالت انه تغيب ليلة الحادث بطولها والليلة التى تليها ، ثم أرسل لها رسولا يطلب ملابس له فوجدته عند شخص اسمه دوبوسك ، وانها قابلت برويير وريشار عدة مرات لدى عشيقها ، اما جوسنو فقد رأته مرة واحدة وانها لا تعرف ليزورك ولم يسبق أن وقع نظرها عليه . وان السيف الذى وجد فى مكان الحادث وظن انه سيف ليزورك هو لعشيقها . كما أكد برويير وبرنار انهما لا يعرفان ليزورك ولم يسبق لهما رؤيته بينما أكد ريشار انه رآه مرة واحدة مع أحد أبناء بلدته .

★ ★ ★

ولو بقي التحقيق تحت يد القاضى دوبانتون لانتهى حتما الى حفظ الدعوى بالنسبة لجوسنو وليزورك . ولكن كان مقدرا للخطأ القضائي أن يرتكب . فقد شاء الاختصاص القضائي — أو شاء سوء طالع ليزورك — أن يحال التحقيق الى قاضى تحقيق مكان الحادث ، وهو رجل متأثر بفظاعة الجريمة التى ارتكبت وواقع تحت تأثير الجو المحيط به ، يعتقد كما هى عادة محققى الارياف ان الرأى العام فى القرية لا يخطىء ، وقد قيل له ان مرتكبي الحادث خمسة وهو يجد أمامه

خمسة متهمين فلماذا يحمّل نفسه البحث عن غيرهم ؟؟

فاسقط من حسابه جميع الشهود الذين شهدوا لصالح ليزورك وقدم القضية للمحكمة .

★ ★ ★

وتقدم شهود ليزورك بشهاداتهم لصالحه ، بينما تردد الشهود ضده في اقوالهم ، فاحدهم لم يتعرف الا على كوربول ، والثاني لم يتعرف على اى احد من المتهمين . وقال الثالث انه يعتقد (كذا) ان ليزورك احد الثلاثة الذين رآهم ، ولكنه غير متأكد . وتعرفت شاهدة على بروير . وقال شاهد رابع انه ربما كان ليزورك احدهم ولكنه غير متأكد لان الوقت كان ظلاما . ولكن الشاهدتين اكدتا انهما تعرفتا على ليزورك لشعره الاشقر .

ولكن رئيس المحكمة كان يعتقد انه لا بد من حكم رادع لوضع حد لجرائم قطاع الطرق فكان يعنف شهود النفى ويفسح المجال لشهود الاثبات ، ويستمع في ملل لدفاع المحامين . ثم اقفل باب المرافعة وطلب الى المحلفين ان ينتقلوا الى غرفة مداولتهم .

★ ★ ★

وفي اثناء مداولة المحلفين تقدمت عشيقة كوربول الى القاضى وقالت ان لديها معلومات خطيرة وقالت ان واحدا فقط من المتهمين هو المذنب وهو كوربول، وانهم على وشك ان يدينوا ابرياء ، وان هناك شبها كبيرا بين ليزورك ودوبوسك زاد منه ان دوبوسك كان قد اعتاد ان يضع باروكة شقراء .

ولو ان القاضى لم يكن متحمسا للاتهام — لكن عليه — كما تحتم عليه رسالة القضاء — ان يفتح باب المرافعة ويقضى باستمرارها ولكنه اجاب ان الوقت فات للاستماع لاقوال جديدة .

وصدر الحكم باعدام كوربول وليزورك وبرنار وبالاشغال الشاقة لمدة اربع وعشرين سنة على ريشار .

وغاض الدم من وجه ليزورك حين سمع النطق بالحكم ولكنه تحامل على نفسه ورفع يديه الى السماء وقال بصوت واضح « ان الاتهام الموجه الى فظيع يستحق الاعدام ، ولكن اتخاذ القانون سبيلا لاعدام برىء جريمة افظع . وستظهر براءتي في يوم من الايام ، ويقع دمي على رأس المحلفين الذين ادانوني وعلى رأس القاضى الذى اثر عليهم».

وصرخ كوربول « ان ليزورك وبرنار بريثان فكل الذى فعله برنار انه قدم الخيول . اما ليزورك فليس له اى يد في الجريمة » . وذهب صراخه في مهب الريح .

وامام كاتب السجن وبحضور عدد من اقاربهم اعترف المتهمون بجريمتهم واكدوا جميعا براءة ليزورك .

وقدم ليزورك طعنا في الحكم امام محكمة النقض وشفعه محاميه بالتماس الى الديركتوار .

★ ★ ★

وكانما استيقظ ضمير كوربول — او ربما ساءه ان يعدم وحده ويفلت شركاؤه الحقيقيون من العقوبة ويتحملها وحده فتقدم الى مأمور السجن واكد له — في محضر حرره المأمور — ان ليزورك وبرنار بريثان ، وكذلك ريشار ، وان الشركاء الحقيقيون هما دوبوسك الذى يشبه ليزورك ، وفيدال الذى يشبه برنار ، وان مادلين بريان تستطيع ان تدلي بمعلومات عنهما . ووصف كيفية ارتكاب الجريمة وتفاصيل الاستعداد لها .

ولكن ذلك كله لم ينفع بل ذهب كصرخة في واد لان محكمة النقض محكمة اجراءات لم تجد في اوراق القضية ما يعيب الحكم او ما يبيح لها التعرض للموضوع فرفضت الطعن .

★ ★ ★

قدم محامى ليزورك التماسا الى مجلس الرياسة « الديركتوار » الذى له حق العفو او ابدال العقوبة . وكانت قضية ليزورك قد اصبحت الشغل الشاغل للرأى العام ، وتحركت ضمائر الكثيرين . ودرس الديركتوار اوراق القضية واعتراضات محامي ليزورك على الحكم ، وقرر عرض الموضوع برمته على مجلس الخمسمائة برسالة يطلب فيها البت في الموضوع باسرع ما يمكن اذ كان التنفيذ قد تحدد له اليوم التالى ، وقرر مجلس الخمسمائة بناء على اقتراح عضوين من اعضائه تأجيل تنفيذ الحكم وتشكيل لجنة من ثلاثة اعضاء لدراسة الموضوع .

★ ★ ★

وانهالت الرسائل على الديركتوار تطالب ببراءة ليزورك ، ومنها رسالة من كوربول من اعماق السجن يقول فيها « هل يراد مني ان اضيف الى جرائم القتل التى ارتكبتها جريمة قتل بريئين هما ليزورك وبرنار . وهل يجوز لى ان آمل — على الاقل — ان يجرى البحث عن شركائي الاربعة ؟ » .

ومن اسف ان اللجنة التى عهد الينا بالتحقيق تصورت ان الامر لا يعدو اتفاقا بين المحكوم عليهم

وشركائهم فى الجريمة ، وان الاستماع الى هذه الاقوال تشكيك فى الاحكام النهائية التى هى عنوان الحقيقة ، وان فى قبول اعادة مناقشة قرار المحلفين هدم لقواعد العدالة . واقترحت رفض الالتماس .

★★★

وتقدمت عشرات من الاعتراضات على تقرير اللجنة ومذكرات تبين خطأ الحكم ، وكان اشد المعترضين القاضى دوبانتون - المحقق الاول - للقضية - ولكن الجهود كلها ذهبت هباء وقررت اغلبية الخمسمائة رفض الالتماس .

★★★

ولما فقد ليزورك كل امل استعد للتنفيذ وللقاء خالقه يشكو له ما حاق به من ظلم . فودع امراته واولاده . وقص شعره بيديه وجعل منه اربع خصل بعث بها لزوجته لها ولاولاده ، وارفقها بخطاب لزوجته عنونه « الى ارملة ليزورك » يقول فيه انه سيقتل بحكم من القضاء مع انه برىء .

ثم كتب خطابا مفتوحا الى دوبوسك طلب ان ينشر فى الصحف يقول فيه « انت يا من ساقتل بدلا منه اذا وقعت فى قبضت العدالة ، فاذكر ما سببته لى ولاولادى ولزوجتى من مصائب فلا تضف الى عذابهم تشويه سمعة أبيهم البرىء » .

وفى ساعة التنفيذ قال كوربول وهو يصعد درجات المقصلة « اننى مذنب ولكن ليزورك برىء» وقال ليزورك حين جاء دوره « اننى اموت بريئا . غفر الله لقضاتى . واتقدم راضيا لملاقاة القاضى الذى لا يخطىء » .

ولم يقتصر خطأ القضاء على ازهاق روح بريئة بل تعداه بحكم القانون الى زوجتهواولاده فوضعت الحراسة على املاكه وبيعت بثمن بخس لتسديد مطالب مصلحة البريد . واصيبت والدته وزوجته بالجنون . وماتت امه بحسرتها ولم تسترد زوجته صحة عقلها الا بعد ثمانى سنوات .

★★★

ولم ييأس القاضى دوبانتون من اثبات براءة ليزورك حتى بعد تنفيذ الحكم . واستطاع ان يعثر على دوبوسك مقبوضا عليه فى قضية اخرى، وهو الغريب الذى كان يركب بجوار قائد عربة البريد ، واستدعى مفتش البريد الذى كان قد تعرف على ليزورك فهاله الشبه بينه وبين ليزورك ولكن دوبوسك تمكن من الهرب من السجن .

واستطاع دوبانتون ان يعثر بعد ذلك على دوروشا . احد المتهمين الآخرين . فاعترف له بتفاصيل الجريمة واكد انه اشترك فيها مع روس ودوبوسك وكوربول وفيدال ، وان برنار اعارهم الخيول ، وانه سمع بان شخصا اسمه ليزورك حكم عليه فى تلك الجريمة مع انه لا شان له بها .

وقدم دوروشا للمحكمة وحكم عليه بالاعدام ونفذ فيه .

★★★

ثم قبض على فيدالوحوكم واعدم هو الآخر بعد ان رفضت محكمة النقض طعنه .

ولم يبق الا العثور على دوبوسك الذى ذهب ليزورك ضحية شبهه به . وعين القاضى دوبانتون مخبرا خاصا استمر سنتين يبحث عنه حتى وفق الى وجود عشيقته بباريس فاصدر امرا بتفتيش منزلها وعثر فيه على اوراق عديدة لدوبوسك ، وعدد من جوازات السفر ، ومفاتيح وطفاشات ، ولكنها امتنعت عن ذكر عنوانه ، الا ان البوليس عثر عليه وقدم للمحاكمة واعترف اكثر الشهود الذين شهدوا على ليزورك بخطئهم وان الذى راوه هو دوبوسك وليس ليزورك .

وحاول محامى دوبوسك ان يتخذ من الحكم الذى صدر ونفذ فى ليزورك دفاعا عن موكله بدعوى سبق الحكم على ليزورك ولكن المحكمة لم تاخذ بهذا الدفاع وحكمت عليه بالاعدام وعلى عشيقتهبالسجن المؤبد لاخفائها الاشياء المتحصلة من جناية قتل .

★★★

وجاء دور خامسهم - خامس القتلة الحقيقين ووضعت العدالة يدها عليه فى مدريد حيث اختفى تحت اسم مستعار وبدا فيها صناعة لتنقية الزيت ينافس بها احد رجال الصناعة من ابنائها . واخذ منافسه يتقصى امره حتى اكتشف حقيقته ، فابلغ البوليس الفرنسى فحوكم وحكم عليه بالاعدام، واعترف للقسيس بذنبه وشركائه وبان ليزورك برىء ، واعطاه وصية مكتوبة بخطه يؤكد فيها ذلك الاعتراف ببراءة ليزورك .

★★★

ازاء ثبوت التهمة على القتلة الخمسة وادانتهم باحكام نهائية ووضوح براءة ليزورك تقدم اخوه وارملته بطلب اعادة المحاكمة . ولكن القانون الفرنسى - فى ذلك الوقت - لم يكن يسمح باعادة المحكمة الا اذا تقدم المحكوم عليه نفسه بذلك الطلب وعارضت النيابة فى قبول هذا الطلب بحجة

ان الطالبين لم يكونا طرفا فى الدعوى . وهكذا حال الشكل دون تحقيق العدالة ورد الظلم .

ولم تيأس اسرة ليزورك وقدمت التماسا للامبراطور نابوليون ، ارفقته بمذكرة من القاضى دوباتنون محقق القضية الاول الذى بيّن ما فى القانون من مصادرة للعدالة.ورغب نابليون ان يرفع ذلك الظلم ، وكلف كبير قضاته ببحث الموضوع ، وعهد كبير القضاة الى احد اعوانه بتقديم تقرير . عز على ذلك القاضى ان يقر بخطأ القضاء وقدم تقريرا مليئا بالمغالطات يؤيد فيه حكم الاعدام .

وقدمت الاسرة نفس الالتماس الى الملك لويس الثامن عشر فكان مصيره نفس المصير .

وفى عام ١٨٢١ قدمت ارملة ليزورك وابنتاها عريضة لمجلس البرلمان يطلبن استصدار تشريع يسمح باعادة المحاكمة فى مثل هذه الحالات ، ولكن وزير العدل عارض بحجة ان المحكوم عليه لا وجود له ، وان القول بان عار الحكم يمتد الى اسرته قول هراء ، اذ ان العار لا يمتد من انسان لافراد اسرته كما لا يمتد اليها ما ينال من شرف . وان للاحكام حرمتها ولا يجوز التشكيك فيها .

★ ★ ★

ولكن البرلمان لم ياخذ بهذا الراى وطلب احالة الموضوع لرئيس الوزارة ووزير العدل لايجاد حل لهذه الصعوبة القانونية اذ قد تبين للبرلمان ـ بمجلسيه ـ ان براءة ليزورك لم تعد موضع شك .. ولكن وزير العدل تعصب لرايه وقدم تقريرا اكد فيه ان الحكم على ليزورك كان صحيحا .

وبيّن محامي الاسرة فى مذكرة قدمها ـ ان واضع تقرير وزير العدل قد حشاه باخطاء فى الوقائع وفى الاسماء وفى التواريخ ، وانه يجب اطراحه . ورأى وزير الداخلية ـ الى ان يمكن التغلب على الصعوبة القانونية ـ ان يظهر عطفه على ارملة ليزورك ، فكتب لها خطابا يعتذر فيه عن الخطأ الذى وقعت فيه العدالة ، وان سماه فى خطابه الحادث المؤسف الذى ذهب ضحيته زوجها وقرر منحها اعانة شهرية . كما قرر وزير المالية الغاء الحراسة التى وضعت على اموالها ورد املاكها اليها او ثمن ما بيع منها ، وبلغت حصيلة ذلك كله ثلاثة ارباع المليون فرنك وهى ثروة طائلة فى ذلك الزمن تدل على ان ليزورك لم يكن قاطع طريق .

★ ★ ★

ويئست الاسرة من الحصول على حكم برد اعتبار عائلها من القضاء الجنائى فاتجهت الى القضاء المدنى تطالب بتعويض من الحكومة عن الضرر المادى الذى حاق بها ، معتبرة انها بحصولها على هذا التعويض تحصل على اقرار ـ ولو بطريقة غير مباشرة ـ بأن خطأ قضائيا قد ارتكب . وأيد طلبها عدد من كبار المحامين وحكم لها بالتعويض عام ١٨٣٨ اى بعد اكثر من اربعين سنة .

★ ★ ★

وفى عام ١٨٥١ تقدمت صغرى بناته واثنين من احفاده الى المجلس التشريعى يطلبون اصدار قانون ببراءة ليزورك ما دام القضاء لايجد سبيلا لاقرارها ، وقدمت لجنة المجلس تقريرا اوضحت فيه براءة ليزورك ، ولكن انقلاب نابوليون الثالث قضى على المجلس التشريعى برمته واغلق آخر امل للاسرة .

★ ★ ★

وتجدد الامل حين صدر فى عام ١٨٦٧ تعديل فى القانون الفرنسى يبيح لافراد الاسرة التى اعدم عائلها او حكم عليه خطأ ان يطعنوا فى تلك الاحكام امام محكمة النقض ، وحدد القانون سنتين بالنسبة للقضايا القديمة . وتقدمت حفيدة ليزورك لمحكمة النقض بطعن فى حكم ادانة جدها ، واستند محاميها فى الطعن على اساس ان الحكم على دوبوسك يتناقض مع الحكم على جدها، وان الثابت ان الذين ارتكبوا الحادث خمسة بينما ادانت المحاكم ستة من المتهمين مما يقطع بأن أحدهم برىء وان البرىء هو ليزورك .

ولكن محكمة النقض بحكمها الصادر فى ١٧ ديسمبر ١٨٦٧ ـ بعد سبعين عاما من اعدام ليزورك ـ قالت انه لم يثبت امامها فى الاوراق ان الذين ارتكبوا الحادث خمسة لا أكثر لان احدا لم يشهد واقعة القتل . هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الحكم على دوبوسك يتناقض مع الحكم على ليزورك لان دوبوسك حكم عليه بانه الفاعل الاصلى وانه كان موجودا فى مكان الحادث بينما ليزورك حكم عليه ـ بحسب تعبير حكم الادانة ـ باعتباره شريكا وليس يتحتم على الشريك ان يكون موجودا فى مكان الحادث . ورفضت الطعن .

ولكن رفض الطعن هذا لاينهض دليلا على ان ليزورك لم يعدم ضحية بريئة . ولا يزال اسمه يجلجل فى محاكم الجنايات كلما اراد محام ان يذكر القضاة بانهم غير معصومين . ■■

حسن الجداوى



إضحك ..

تضحك الدنيا معك .. ابك تبك وحدك

هي في واد وهو في واد

الزوجة: يبدو ان العريسين الساكنين بجوارنا يفيضان حبًا وغراماً . فهو لا ينفك يقبلها قياما وقعودا وفي كل لحظة يلتقي بها .. ترى لم لا تحذو حذوه ؟!

الزوج : كنت أود ان احذو حذوه ، ولكنني لا اعرف العروس معرفة كافية !

باعث الرجل على الشراء وبواعث المرأة

● يشتري الرجل من السلع ما يشتري لسبب واحد معين ، هو في الغالب حاجته او حاجة بيته الى تلك السلعة . اما المرأة فتشتري ما تشتري لواحد او اكثر من اسباب ثمانية هي :

١ ــ لاعتراض زوجها على شراء تلك السلعة .

٢ ــ لاعتقادها بأن تلك السلعة ، ثوبا كانت ام حذاء ام عقدا للزينة ، تساعدها على ان تبدو نحيفة ..

٣ ــ لكون تلك السلعة مستوردة من باريس .

٤ ــ لعدم قدرة جيرانها على شراء مثلها .

٥ ــ لأن اية واحدة من صديقاتها ومعارفها لم تحصل على تلك السلعة .

٦ ــ لأن كل صديقاتها قد حصلن على مثلها .

٧ ــ لأن السلعة المقصودة غريبة وتختلف عن كل ما سواها ..

٨ ــ لعدم وجود اسباب اخرى ...

من الاجدر بمستشفى المجاذيب ؟

● رجلان اوقفا سيارتهما فجأة بالقرب من فلاح يعمل في حقله : **نحن حراس نبحث عن مجنون تمكن من الفرار من مستشفى المجاذيب ، فهل رأيته ؟**

فقال الفلاح : **وما صفته ؟**

فرد الرجلان : **هو قصير جدا ، ونحيف جدا ، ويزن نحوا من مائة كيلوغرام ...**

قال الفلاح لهما ، متعجبا : **قصير جدا ونحيف جدا وثقيل الوزن جدا ! كيف يكون ذلك ؟**

فأجاب الرجلان : **الم نقل لك منذ البدء انه مجنون !!**



العين بالعين ..

● طبيب العيون للممرضة في عيادةالاسنان : **يجب أن اقابل طبيب الاسنان فورا ! فانا طبيب العيون ولا أستطيع العناية بمرضاى واضراسى تؤلمني كما ترين !**

المرضة : **آسفة يا سيدى ، فطبيبالاسنان غير قادر على معالجة مرضاه ما دمت لم تزوده بعد بنظاراته الجديدة !!**

العتب على النظر !

● اقتحم احدهم مكتب تسجيل المواليد ، وكان مبتهجا وسعيدا للغاية بدليل انه كان يغنى ويخاطب موظف التسجيل بأعلى صوته : « **أسعدتم صباحا يا سادتي . ارجو أن تتكرموا بتسجيل مولد توأمين أنعم الله بهما علي** » ...

موظف التسجيل : ولكن لمَ صيغة الجمع وليس في هذا المكتب احد سواى ..؟

الرجل : **لعنة الله على الشيطان ... أراك اثنين وأنت واحد .. دعني أرجع للبيت وأتحقق من انني رُزقتُ توأمين !**



الجنون فنون

● قال أحد رجال الشرطة لواحد من أصدقاء ثلاثة كانوا جالسين على أحد المقاعد في حديقة عامة : **هل هذان من أصدقائك ؟! لا ريب في أنهما مجنونان ! فمنذ نصف ساعة وهما يحركان أيديهما على نحو ما يفعل الصائد وهو يصيد الاسماك على شاطىء البحر ..**

فرد الرجل : نعم انهما مجنونان ..

فقال الشرطي : **اذن امضي بهما واخرجهما من هذه الحديقة العامة فورا ..**

فأجاب الرجل : سمعا وطاعة .. ثم جعل يحرك يديه على نحو ما يفعل المجدّفون في عرض البحر .

فعل ذلك لا شك ليبلغ بهما الشاطىء!



طرائف عربية

العاقل والقرائن الدالة عليه

● قيل لبعض الحكماء : بماذا يعرف عقل الرجل ؟ فقال بقلة سقطه فى الكلام وكثرة اصابته فيه . فقيل له : فان كان غائبا ؟ فقال باحدى ثلاث : اما برسوله واما بكتابه وما بهديته . فان رسوله قائم مقام نفسه ، وكتابه وصف نطق لسانه ، وهديته عنوان همته ، فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها .

الفقر وكلام الناس

● قال لقمان لابنه : يا بنى ، اكلت الحنظل ، وذقت الصبر فلم ار شيئا أمر من الفقر. فان افتقرت فلا تحدث الناس كيلا ينتقصوك، ولكن اسأل الله تعالى من فضله .

آراء فى سلوك الانسان ثاقبة

● قالوا المنفعة توجب المحبة ، والمضرة توجب البغضة، والمخالفة توجب العداوة، والمتابعة توجب الالفة ، والعدل يوجب اجتماع القلوب ، والجور يوجب الفرقة، وحسن الخلق يوجب المودة ، وسوء الخلق يوجب المباعدة ، والانبساط يوجب المؤانسة ، والانقباض يوجب الوحشة، والكبر يوجب المقت ، والتواضع يوجب الرفعة ، والجود يوجب المدح ، والبخل يوجب الذم ، والتوانى يوجب التضييع، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلام ، والتدبير يوجب بقاء النعمة . وبالتانى تسهل المطالب ، وبحسن المعاشرة تدوم المحبة ، وبخفض الجانب تأنس النفوس ، وبسعة الخلق يطيب العيش ، والاستهانة توجب النفور وبالصمت تكون الهيبة ، وبعدل المنطق تجلب الجلالة ، وبالافضال يعظم القدر، وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال ، وبالحلم على السفيه تكثر انصارك عليه، وبالرفق تستحق اسم الكرامة، وبترك ما لايعنيك يتم لك الفضل .

التقليد

● كان لاعرابى ولد اسمه حمزة ، فبينما هو يمشى مع ابيه ، اذا برجل يصيح بشاب ، يا عبد الله ! فلم يجبه ذلك الشاب . فقال الا تسمع ؟ فقال : يا عم ، كلنا عبيد الله ، فاى عبد الله تعنى ؟ فالتفت ابو حمزة الى ابنه وقال،

من حكم العرب واقوالهم المأثورة

* اظهر الناس نفاقا من امر بالطاعة ولم يأتمر بها ، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها .
* من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب،ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب .

فصاحة غلام استحقت العطاء

● حكى ان البادية قحطت فى ايام هشام بن عبد الملك ، فقدمت عليه العرب فهابوا ان يكلموه، وكان فيهم درواس بن حبيب ، وهو ابن ست عشرة سنة ، له ذؤابة وعليه شملتان ، فوقعت عليه عين هشام ، فقال لحاجبه : ما شاء احد ان يدخل على الا دخل ، حتى الصبيان ؟! فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقا فقال : يا امير المؤمنين ! ان للكلام نشرا وطيا ، وانه لا يعرف ما فى طيه الا بنشره ، فان اذن لى امير المؤمنين ان انشره نشرته . فأعجبه كلامه وقال له : انشره ، لله درك ! فقال : يا امير المؤمنين اصابتنا سنون ثلاث، سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم ، وسنة دقت العظم ،وفى ايديكم فضول مال ، فان كانت هذه الفضول لله ففرقوها على عباده ، وان كانت لهم ، فعلام تحبسونها عنهم ، وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزى المتصدقين !

فقال هشام : ما ترك الغلام لنا فى واحدة من الثلاث عذرا ، فأمر للبوادى بمائة الف دينار وله بمائة الف درهم .

الأعمى

يا حمزة، الا تنظر الى بلاغة هذا الشاب!! فلما كان الغد اذا برجل ينادى شابا : يا حمزة ! فقال حمزة ابن الاعرابى : كلنا حماميز الله فأى حمزة تعنى .. فقال ابوه : ليس يعنيك يا من اخمد الله به ذكر ابيه ..

لكل سؤال جواب

● حكى ان صيادا اتى ابرويز بسمكة فاعجبه حسنها وسمنها ، فامر له بأربعة آلاف درهم ، فخطأته سيرين زوجته . فقال لها : ماذا افعل؟! فقالت : اذا جاءك ، فقل له اذكرا كانت ام انثى ، فان قال لك ذكر ، فاطلب منه الانثى ، وان قال لك انثى ، فاطلب منه الذكر . فلما اتاه ، سأله فقال : كانت انثى ! فقال ابرويز : ائتني بذكرها .. قال : عمر الله الملك ! فقد كانت بكرا لم تتزوج .. فقال زه ! وامر له بثمانية آلاف درهم .

 (بقية المنشور على صفحة ١٤٤)

ضياع شرفه وتلويث سمعته، وقديما قال الشاعر:

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الاسد

وظاهر من رسالتك انك كنت قد بدات بالفعل تسلمين بالامر الواقع وتستعدين لمواجهته كما هو.. وقد لا أكون مخطئا اذا ما ظننت - وبعض الظن اثم - ان مجرد تقدم قريبك هذا بالذات لخطبتك هو الذى آثار نفسك من جديد، ربما لانك لا تريدينه هو، اما لعيب فيه، واما لان فى خيالك من تظنينه خيرا منه ...

والرأى عندى أن تحاولى من جديد اقناع والدك باستئناف دراستك فى البيت، اما بمساعدته هو دون مدرس، واما بواسطة مدرس ولكن تحت اشرافه .. حاولى أن تكسبيه لصفك وأن تفهميه أن فرصة الزواج لن تضيع منك، وانه ما يزال امامك عامان أو ثلاثة دون أن يفوتك قطار الزواج، وفى هذه المدة اما ان تنشأ فى اليمن مدرسة ثانوية للبنات، واما أن تتمكنى من التقدم للامتحان من المنزل وتنجحى فى الحصول على الشهادة الثانوية، وعندها يفعل الله ما يشاء، ويخلق ما لا تعلمون ...

ولكن حذار أن تفقدى ثقة والدك، ألا تعملى على اثارة غضبه، حتى ولو أدى الامر الى الزواج بقريبك او من هو أصلح منه اذا ما تقدم من هو أصلح منه لطلب يدك ..

والله معك فى مشكلتك، بل فى محنتك ...

■■

العرب

العدد ٩٤
١٦ جمادى الأولى ١٣٨٦
سبتمبر
(ايلول) ١٩٦٦

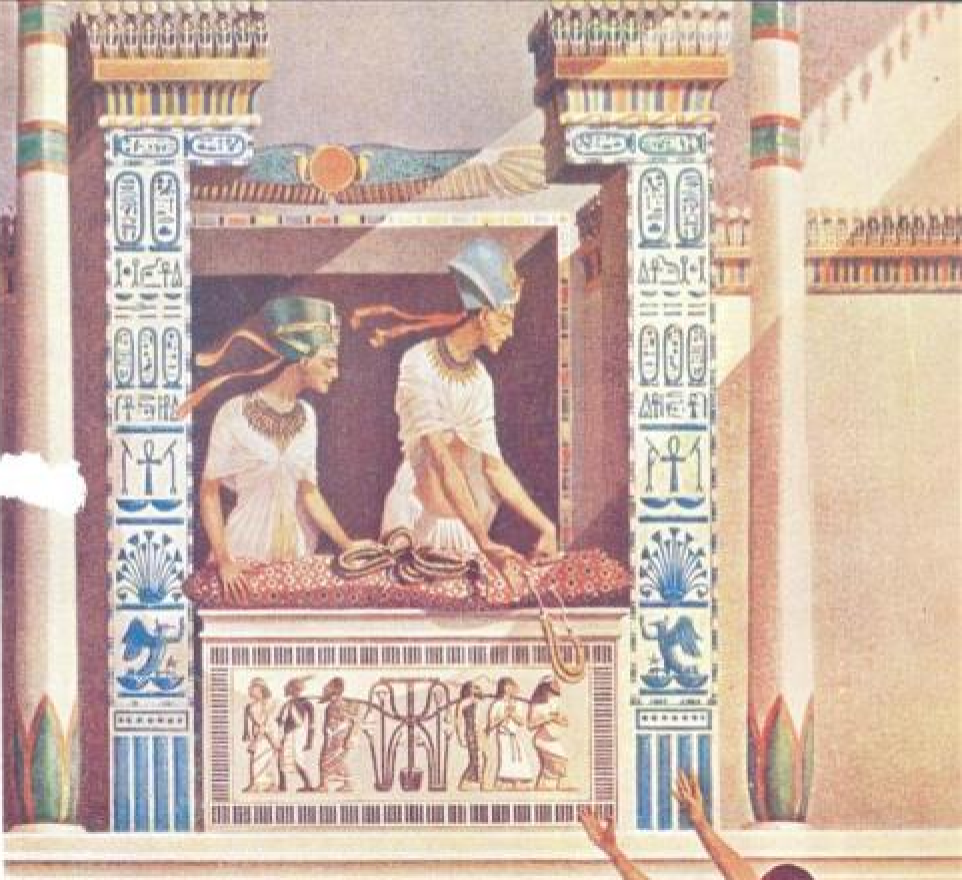


بنت الصعيد .. فى جامعة اسيوط الجديدة

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	[illegible]
الخليج العربى	٢	روبية	الاردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥	[illegible]
السعودية	٢	ريال	سورية	١٠٠	قرش	تونس	٢٠٠	[illegible]
اليمن	٢٫٥	شلن	ج.ع.م.	١٠	قروش	الجزائر	٢٠٠	[illegible]
العراق	١٢٠	فلسا				المغرب	٢	[illegible]



حضارات سادت ثم بادت

تكاد تستوى الحضارات العريقة التى سادت ثم بادت فى انها دانت لمعتقدات وثنية فى الدين وفى انها خرجت على تلك المعتقدات احيانا واشرفت على الاعتقاد بوحدانية الله . ويتجلى ذلك أكثر ما يتجلى فى الحضارة الفرعونية ، وفى قصة اخناتون وزوجته نفرتيتي على وجه التعيين . هذا بالرغم من أنهما يبدوان فى الصورة وهما ينعمان بالقلادة الذهبية على الكاهن (عاى) ، أحد رجال الدين التقليديين . (انظر صفحة ١٤٥)

عزيزى القارىء



عالم مجنون .. مجنون !

هو فيلم سينمائي شهدته منذ شهور ، لم يعجبني منه غير اسمه الذى اخترته عنوانــا لهــذه السطور ... وسترى اننا فعلا نعيش فى عالم مجنون .. مجنون !!

ثلاثة اسابيع كاملة ، والعالم كله ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، ملوكه ورؤساؤه ، حكوماته وشعوبه ، مشغولون بمباريات « ويمبلى » لاحراز كاس العالم فى كرة القدم ! حتى لقد تراهن رئيس وزراء كندا ورئيس وزراء بريطانيا على النتيجة النهائية ، اثناء اجتماعهما لاجراء مباحثات سياسية ، قالت الصحف انها « على جانب كبير من الاهمية » !!

ففي كل صباح تصدر الصحف العالمية وفى صدر صفحاتها الأولى « مانشتات » حمراء وسوداء ، عن نتائج مباريات اليوم السابق .. بالاضافة الى صفحات داخلية باكملها فى وصف تلك المباريات ، وصور الاف المتفرجين فى هياج مجنون عند تسجيل احدى الاصابات ...

وفى المساء تحتشد الجموع امام اجهزة التلفزيون ، وانظارهم مشدودة الى الشاشة الصغيرة وهي تعرض تلك المباريات ..

ويوم اعلنت نتيجة المباراة النهائية ، نشرت الصحف العالمية تلك النتيجة على صفحاتها الأولى بالخط العريض ، بينما نشرت فى ركن منزوٍ من صفحاتها الداخلية ، وبخط عاديٍّ لا يلفت النظر ولا يثير الاهتمام ، تصريح مستر ثانت ، فى لهجة تشاؤمية ، بان الامم المتحدة ليس لديها ما يمكن ان تصنعه لوقف الحرب فى فيتنام ، تلك التي يحذّر العالم من أن تتحول الى حرب عالمية ثالثة !!

ومعنى ذلك ، ان هذا الخبر الخطير ، بل هذا الانذار والتحذير ، لم يكن ليثير عشر معشار مــا اثارته مباريات « ويمبلى » من عناية الصحافة العالمية واهتمام الجماهير !!

وعندها تذكرت اسرائيل ، كيف تقف لنا بالمرصاد ، وفى يدها القنبلة الذرية التى فرغت مــن صنعها او تكاد ، ونحن عنها غافلون ، وبخلافاتنا الداخلية مشغولون ، تماما كما شغل العالم بمباريات الكرة عما يتهدده من خطر .. واى خطر اشد وادهى من حرب ذرية لا تبقى ولا تذر .. ؟!

ارايت كيف اننا نعيش حقا فى عالم مجنون .. مجنون .. مجنون .... ؟!!

المحـرر ٣١ يوليو ١٩٦٦

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 94 September 1966 P.O.B. 748 =KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »
الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

فى ثقة وأمل بالمستقبل ، وقفت فتاة أسيوط الجامعية تحتضن كتبها وتسند براسها الصغير على جذع شجرة كبيرة فى نادى الطالبات ، وقد استغرقت فى تفكير عميق .. انها اليوم فتاة الغد والمستقبل ، وهى فخورة بدورها الجديد وفخورة بمدينتها .. المدينة التى ولدت ونشأت فيها ، والتى أصبحت اليوم عاصمة الثقافة فى الصعيد كله .

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

ركن الأسرة والمرأة :

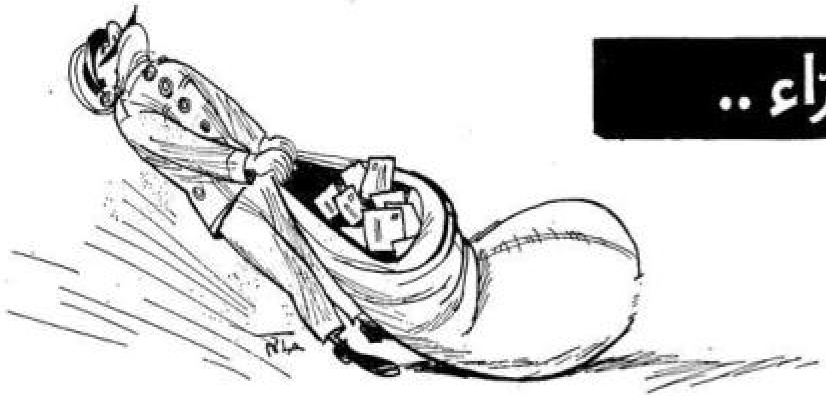
قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٢ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى .



العربيـة بخيـر .. وستظل بخيـر ولـو كره المتحـررون والمتفرنجـون !

قرات ما خطه قلم الاستاذ عبد الوارث كبير في الرد على الأخ حافظ حافظ ، وملأ نفسى بفخر عميق ، وثقة وايمان بقوة الفكر العربى ، وغيرةالعربى الكريم على مقدسات لغته وحرمة تراثه الفكرى .. ولقد اثلج صدرى هذا الرد ، فضعفاللغة – كما يدعى – انما ياتيها عن طريق جاهليها، والذين يعيبون انما يدللون بذلك على جهلهم بها ،وصدق المتنبى اذ يقول :

وكم من عائب قــولا صـحيحا
وآفتـه مـن الفهـم السـقيم

انها حقا دعوات ضالة مضللة سبقتها دعوات ودعوات ذهبت كما سيذهب غيرها ادراج الرياح ، وتبقى اللغة العربية الخالدة ، لغة القرآن المجيده ثابتة وطيدة الاركان ، كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء يباركها الله وتؤتى اكلها كل حين باذن الله .

ولقد نادى كثيرون من دعاة التقدمية بضرورة التحرر من قيود اللغة ، ونادوا بتحرير الشعر ، واولى بهم ان يحرروا عقولهم من ربقة الجهل .. نادوا كالعير الصائحة بالشعر العامى ، الشعر المتحرر ، او المتحلل ، وما فعلوا ذلك الا لعجزهم عن ان ياتوا بمثل ذلك التراث الخالد الذي خلفه ابو الطيب المتنبى والمعرى والبحترى وغيرهم من شعراء العروبة الذين يعدون بالمئات بل بالآلاف.

وقد قلت في هؤلاء المتحررين او المتحللين ابياتا منها :

يمل قيود (الضـاد) قـوم تغنوا
بجهل على نبراس تلـك الأعاجـم

وغرهم شـعر من الغـرب زائف
فجاءوا بـه يبغون هـدم الدعائم

اتقتـل في مهـد العـروبة امنا ؟؟
وتواد ضـاد الشرق بنت الكرائم ؟؟

وتذبـح اخت العرب في حجر امهـا
بسكين غـرب جائر الحكـم ظالم ؟؟

وفي الغـرب منـا كل يوم منارة ..
على يد (مرجليوت) او اى عـالم

فماذا اعد الشرق الا زخارفـا
تفانين غـرب في الخلاعـة ناعم ؟؟

تهاوت لها الحمقى من الناس سجدا
ومـا سحرها البراق يوما بدائم

وطارت خوافى الشعر من كل ثنية
تسب على جهل مكان القـوادم

فيا قـوم هـل هذا التراث مقـدس
وما بات من طيش الصغار بسالم ؟؟

ويا قـوم قبلا قبـل الغرب تربه
فلم تطلق الأقوال من كل شـاتم ؟؟

اذا كانت الآداب لهوا لأحمـق
وضحكا لمحتـال الثقافات آثم

فهاتوا (لهارون الرشيد) و« جعفـر »
و (حاتم) و « الحجاج » و «الزير سالم »

التعليم فى لبنان .. و ((خبز الصدقة)) !

● ان كثيرا من المواد الدراسية التى تدرس فى مدارس ومعاهد وجامعات لبنان لا تزال تدرس باللغة الانجليزية او باللغة الفرنسية كالعلوم والرياضيات وغيرهما ، وسبب ذلك ان اكثر المدارس والجامعات اللبنانية هى من مخلفات اللجان الطائفية والبعثات الدينية او الثقافية الغربية، ولا يم انتشار اللغة العربية فى الجامعات والمدارس والمعاهد اللبنانية بمختلف مراحلها حتى تصبح تلك المدارس او الجامعات ذات صبغة لبنانية عربية مجردة .

لقد كان ولا يزال التعليم يأتى الينا بشكل الصدقة من الدول الغربية وامريكا وغيرها . «ولقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون ، ولقد احيانا ذلك الخبز ، ولما احيانا اماتنا : احيانا لانه ايقظ جميع مداركنا ونبه عقولنا قليلا ، واماتنا لانه فرق كلمتنا واضعف وحدتنا وقطع روابطنا وابعد ما بين طوائفنا حتى اصبحت بلادنا العربية مختلفة الاذواق ومتضاربة المشارب ، كل منها تشد فى حبل احدى الامم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وامجادها».

وقد صدق جبران خليل جبران حين قال« ان الذين درسوا بعض العلوم باللغة الانجليزية يريدون امريكا او انكلترا وصية على بلادهم والذين درسوها باللغة الفرنسية يطلبون فرنسا ان تتولى امرهم .. » .

« نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية فى المدارس العالية وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية وتتبلور منازعنا القومية .. ولكن لا يتم هذا حتى يصير بامكاننا تعليم الناشئة على نفقة الأمة ، ولا يتم هذا حتى يصير الواحد منا ابنا لوطن واحد بدلا من وطنين متناقضين احدهما لجسده والاخر لروحه ، لا يتم هذا حتى نستبدل خبز الصدقة بخبز معجون فى بيتنا ، فالموهوب صبى دائما ، والواهب مخير ابدا » .

بيروت ـ لبنان   احمد محمد الحسين

من الغرب بعض القبعات فانها
ارق لديكم من بغيض العمائم

تمادى اناس فى الجهالة والهوى
وظنوا قوال الشعر مثل التمائم

اقول لهم : مهلا فانى اقلكم
ذكاء وبحثا فى دروس المعاجم

ولكن اراها لا تضيق قيودها
واشعر انى لا تخور عزائمى

فما كل من قال الكلام بقائل
ولا كل من صاغ القصيد بناظم

اعيدوا تراث العرب من اجل نهضة
فلا خير فى عرش بدون القوائم

اذا كان تجديد تعالوا نصوغه
ولا نلفظ الماضى بنكران آثم

دعوا الحجة البلهاء يا قوم واعقلوا
فلا خير فى (موضات) تلك المواسم

فآدابنا من آبد الدهر مرتع
خصيب واسمى من خيالات حالم

الا فاذكروا (اشكول) بالامس جازعا
يقول : وجود الضاد شر النقائم

يزمجر مذهولا ويدعو لخسفها
وهيهات ان تمحى بريح السمائم

يشع من الفرقان نور يزينها
فتسمو على الارجاف من قول جارم

تعيش باضلاع ، وتحيا بامة
حمتها .. فكانت كالسيوف الصوارم

وما دام فى شرق الديانات نورها
ومنبعها الروحى بين المكارم

ستحيا على مر الدهور عظيمة
على وحدة الاهداف اعظم قائم

احمد عنتر مصطفى
العمرانية ـ الجيزة

الجنون فنون

● ما العبقرية ؟ انها موقف بين العقل والجنون

بقلم رئيس التحرير

■ يقولون ان الجنون فنون .

كلمة قالها القدماء ، وقالها الأحدثون .

واذ قسموا الجنون الى فنون ، فقد جعلوه يختلف كيفا ، وقد جعلوه يختلف كمّا وقدرا . والقدر قد يكون مائة فى المائة ،وثمانين فى المائة ، وسبعين وستين، ولهذا قد جعلت المستشفيات ، وحتى هذه قد جعلت اقساما ، بعض ساكنيها يعيش وراء قضبان من حديد .

والقدر قد يكون ثلاثين فى المائة ، او عشرين وعشرة ، او دون ذلك قدرا . فاصحاب هذا القدر من الناس يؤذن لهم بالسكن فى البيوت ، وفى ارتياد الشوارع والاسواق، وذلك لعدة اسباب، منها ان اعراض الجنون فى هذه الدرجات الصغيرة اخفى ، ومنها ان صاحب الجنون القليل فى استطاعته ان يعيش مع صاحب الجنون الاقل . ولعل من هذه الاسباب ايضا انه لا يوجد فى المستشفيات مايتسع لكل المجانين بكل الدرجات .

المهم هنا ان الجنون درجات . والجنون لو صغر حتى صار واحدا فى المائة او دون ذلك فهو جنون .

وما دام الجنون هو اختلال فى العقل صغر او كبر ، فهل جاز لنا أن نقول اننا جميعا مجانين ، او على الاقل أن بنا نصيبا لا بأس به من جنون ؟ واذا نحن

اذا نحن وضعنا عقول الناس فى موازين !!



نحمد المنطق، ولكن من المنطق العاقل، ومنه المجنون

ما من جسم خلا من علة، فكيف تخلو العقول؟

إذا نحن وضعنا عقول الناس في موازين، رأينا كم في العالم من عقل، وكم من جنون

لم نقل ، فهل يكون ذلك لان الجنون من اخص صفاته انه لا يدركه صاحبه ؟

جريمتان

اد'ى بى الى هذا الحديث،لا سيما فى هذه الأيام ، جريمتان لا تصدران الا عن مجانين . أولاهما فى انجلترا ، وثانيتهما فى امريكا فى الولايات .

ثم حادث ثالث عابر وقع لى ، ليس بجريمة ، ولكنه اختلال عقل،وكل اختلال جنون .

واد'ى بى الى هـذا الحديث اخيرا تاملى الطويل فيما يصنع الناس وما صنعوا ، وأنا منهم ، صنعتُ واصنع .

المرأة حاملة الاطفال وحاميتهم ، تتخذ منهم ضحاياها

وقعت الجريمة الأولى هنا،فى انجلترا، منذ اشهر قليلة .

اختفى طفل فى بعض نواحى هـذه البلاد ولم يعثر احد له على أثر . وتلاه اختفاء ثان ، ثم ثالث ورابع وهلم جرا . واذ تعد'دت الجناية فى الجهة الواحدة ، وعلى الاسلوب الواحـد ، ومن حيث الزمان والمكان ، اتضح لرجال الأمن أن اليد التى وراء هذه الجرائم واحدة . ثم كشف الباحثون عن الجثث ، فجثة فى بئر ، وجثة دفينة تحت تراب غير عميق، وكل الجثث مقطعة اشلاء .

واخيرا ضبطوا القاتل ، لأن الحظ فى هذه المر'ة خانه .

وانت تحسب لا شك أنه رجل ذكر ، وهذا ما كان . ولكن ما كان أحد يمكنه ان يتصور أن مع الجانى جانية صديقة له . فامرأة ، وطفل ، وتقطيع جثته اشلاء ، ثلاثة اشياء لا تجتمع فى خاطر ، فكيف اذا كان الطفل اطفالا .

وحكم على الجانيين بالسجن المؤبد ! لأن الطرافة العقلية الجديدة ، فى هذا

البلد المتقدم ، حذفت من قوانين البلد ان يكون القتل جزاؤه القتل .

والسبب فى هذه الطرافة ؟

سببها ان علماء النفس اهتدوا الى ان الاجرام سببه خلل فى النفس . انه مرض . والمرض له علاج. ونحن لا نقتل ذا الجسم المريض مهما بلغ مرضه ،وانما نضعه فى المستشفى لتصلح من جسمه. وكذا مريض النفس عندهم ، مهما بلغ مرضه ، ولو ادى الى جريمة قتل ، لا يقتل ! انه يوضع فى السجن ، وهناك يعالج مرضه . ووضعوا للسجون انظمة تحولها الى مستشفيات نفسية .

ما علينا من هذا . فالغاء عقوبة الاعدام الذى اخذ ينتشر فى بلاد الغرب، موضوع يفرغ له مكان خاص به ، لا يتصل وثيقا بالمجرى الذى يجرى فيه حديثنا اليوم .

واعود الى المجرمين، قاتلى الأطفال، فاقول ان الدفاع بالطبع حاول ان يدفع عنهما بالجنون ، الجنون الرسمى ، فما استطاع . فلو انه ثبت انهما مجنونان ، جنونا رسميا كالذى يصفه الأطباء ، وتصفه الشرائع ، لثبتت براءتهما ، ولافرج عنهما القاضي ليودعا مستشفى المجاذيب . شيء من هذا لم يحدث . كان القاتل والقاتلة فى تمام عقلهما وادراكهما .

وما دلالة هذا كله لنا ؟ دلالته أن الجنون فى الناس قد يكون اخفى من ان يكشف عنه الأطباء والمشرعون .

« ولدت لأخلق فى الأرض جهنما »

الجريمة الثانية وقعت فى البلد البعيد، شيكاجو ، بالولايات المتحدة .

وقعت فى بيت تسكنه فتيات تلميذات يتعلمن التمريض فى مستشفى هناك . أعمارهن بين العشرين والخامسة والعشرين . يطلبن التعلم للعمل ،والعمل للرزق ، والرزق للوفاء بحاجات الحياة .

وينزل عليهن القدر المحتوم ، جنونا ، فيقطع حبل كل هذه الآمال . زهرات ثمان ، تفتحت ولم يكتمل تفتحها ،تقضى عليهن الجريمة المتوهة بالذبول. وذبول الورد يستغرق يوما ، وذبول هذه الزهرات لم يستغرق غير ساعة أو بعض ساعة من الزمان .

انهن فى حجرات لهن ، فى بيتهن هذا ، نائمات والليل ضارب رواقه .

ويدق باب الحجرة الأولى ، وتفتح الباب واحدة من الفتاتين النائمتين فيها ، فاذا برجل شاب مسلح يسد فاها بجورب . ولا يلبث ان يسد فاه زميلتها بجورب . ثم هو يقيدهما بالحبال ، يلفها حول جسميهما لفا ، ثم يرمى بهما الى الأرض .

ويذهب يفعل هذا بحجرة من بعد حجرة .

وجمع الفتيات جميعا فى الحجرة الواحدة ، فكانوا تسعا ، منهن ثلاث من اهل السمرة من الشرق الأقصى البعيد ، والباقيات من البيض ، أهل البلاد .

ثم هو يعود الى صيده هذا ، فيحمل واحدة من بعد واحدة ، خارج الحجرة ويقتلها .

وفى اثناء ذلك خطر لاحدى السمراوات أن تتدحرج على الأرض ، حتى يختفى جسمها تحت سرير . وفعلت . ونسى القاتل أمرها .

وانبلج الصباح. وفى الساعة الخامسة اخذ جرس البيت يدق كعادته كل صباح، ينبه النائمات . ولم يكن لهذا الجرس الهاتف من مجيب .

الا هذه الفتاة القابعة تحت السرير .

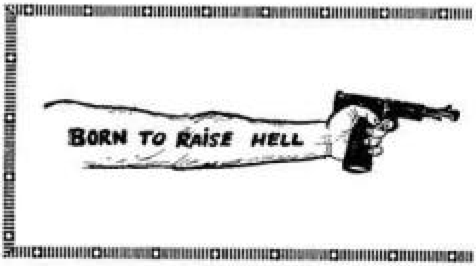
ظنت أن الجرس المنبه ، بجلجلته فى

البيت وطرقاته ، لا بد أفزع المجرم فهرب .

وانصتت فلم تسمع حركة . فأخذت تفك عن جسمها الحبال ، وتخلصت بعد حين . ثم اندفعت الى النافذة فحطمت زجاجها واخذت تصيح تطلب النجدة . وهرع المنجدون من كل صوب ، ليلقوا جثثاً هامدةً ثمانيا .

وفى هذا اليوم الذى اكتب فيه جاء الخبر على التلفاز بأن الشرطة تعرفت على الجانى بالذى وصفته به الفتاة السمراء ، وبما خلّف فى مكان الجريمة من بصمات أصابع .

كلُّ الذى عرفناه عنه انه بحار ، كتب بالوشم على ساعده : « ولدتُ لأخلق فى الأرض جهنما » .



« ولدت لأخلق فى الأرض جهنما » !!

ماذا كانت او تكون غاية شاب بحار من هذه المجزرة التى لم يكن هدفها حتى طلب الجنس ؟ سوف تجد الشرطة الجانى ، وسوف يدفع عن نفسه ، بل يدفع عنه المحامون بأنه مجنون ، وسوف يمتحنه الأطباء ليتبينوا فيه « جنونا رسميا » فلا يجدون . وكيف وهو قد دبّر الأمر فأحكم تدبيره . انه عقل منظّم منظّم .

واعود فأقول انه الجنون الخافي فينا نحن جميعا ، معشر العقلاء ، بمقدار يخفُ ويشتد ، وهو لا يؤدى دائما وحتما الى جريمة ، ولكنه يؤدى الى ما نجد فوق سطح هذه الارض من تعاسة وشقاء .

ان الجنون الخفيف موجود فى كثير من العقلاء ، وهو أكثر شيوعا من ثقيله واليك مثلا :

فى محطة المترو ، ببطن الأرض

وقع لي هذا الحادث العابر ، فى محطة المترو ببطن الارض .

اعني بها تلك السكة الحديدية الكهربائية المشهورة فى لندن ، تلك التى تجرى قطاراتها فى أنابيب مسقوفة فى الأعماق .

كنت انتظر القطار، وهو يمر فى اطراف المدينة كل دقائق عشر .

ومشيت اتروض على الرصيف العريض . وصادف ان كنت اسير عند الحائط ، وكدت امسه . وكنت غارقا فى الفكر ساهيا . واخرجني من فكرى ، فطفوت من اعماقه فجأة ، لأجد وجها امام وجهي يتحداه ان يفسح له الطريق . ولم يكن على الرصيف الطويل العريض فى المحطة غير هذين الوجهين ، والطريق يتسع لعشرة من الرجال يجيئون فيه ويروحون .

ولم يكن لهذه المباغتة عندى الا أن افسحت له طريقا بيني وبين الحائط .

مرَّ الرجل وظل وجهه على تحدِّيه .

وجه ذى الخمسين ، على جسم ذى الأربعين . وعلى الوجه شارب أصفر ، له طرفان مبرومان مرفوعان الى السماء . وقبعة ذكرتني بقبعات تلبسها ضباط الانجليز اذا عسكروا فى الهند ، ثم تمدينوا ، واحتفظوا فى لباسهم المدنيِّ بمسحة من تلك العنجهية الغابرة .

منطقٌ مجنون

وصاحب هنا عرفتهُ .

وحدثته بالذي جرى ، ففكّر مليّاً ، ثم اخذ يسألني واخذت اجيب :

ـ في اي جانب من رصيف المحطة كنت تسير ، على اليمين ام على اليسار ؟

ـ كنت أسير على اليمين .

ـ وانت تعلم لا شك ان القاعدة ، في خطوط ما تحت الأرض ، تقضي بأن تسير على اليسار ؟

ـ نعم اعلم . ولكني اعلم كذلك ، وانت تعلم ، ويعلم راكبو السكة جميعا ، انها قاعدة لا يتبعها احد .

ـ هذا صحيح، فهل تعرف ما السبب؟

قلت :

ـ السبب ان راكبي هذه السكة ملايين . ويخرج الراكبون من هذا القطار الى الطرقات تحت الأرض في زحام ، وهي ضيقة ، فيملأونها ملأً ، يمينا ويسارا ، لا يبالي اربعون او خمسون ، سائرين الى اعمالهم مسرعين، أن يتركوا نصف الطريق لنفر قليل . ويزدحم النصفان ولا يبالي احد بتقسيم الطريق . ولهذا سقطت القاعدة وسقطت من قديم .

ـ واستطرد صاحبي يقول واستطردت . قال :

ـ هذا حق عندما يكون زحام .

قلت :

ـ وهل خلقت القاعدة الا لتنظيم زحام ؟ ومع هذا فالناس اسقطوا القاعدة في زحام وغير زحام .

قال :

ـ ان القاعدة قاعدة ، فاذا نحن عجزنا عن تطبيقها لتنظيم زحام ، كان العذر في ذلك بيّنا . ولكن ما العذر اذا ذهب العجز بذهاب زحام ؟

قلت :

ولو كان في المحطة اثنان ؟

قال :

ـ ولو كنت أنت بها وحدك . ان القاعدة أوجب ما تكون تطبيقا عند ذلك . انها أوجب ما تكون اتباعا عندما تكون ايسر تطبيقا .

قلت :

ـ واذن هي ايسر تطبيقا ، واوجب نفاذا عندما اكون على الرصيف الواسع العريض وحدي ؟

قال :

ـ هو ذاك .

وحملقتُ مليّاً في عيني محدثي ، اتبين ما يقول . وشممت رائحة خفيفة من جنون، فرحتُ اتعرّف ، انا المجنون، او هو المجنون ؟ .

وخطر لي أن لعله علمٌ فاتني،وفلسفة شقّ عليّ فهمها ، ، فقد كان صاحبي استاذا يدرّس المنطق .

فاستطرد يسألني :

ـ الا ترى فيما قلت منطقا سليما ؟

ـ قلت انه منطق .

وكأنه لم يرض بهذا الوصف المقتضب. فقال :

بل هو المنطق العاري (لفظ انجليزي معناه الخالص الذي لا تخفيه حتى الثياب) . قلت :

ـ نعم . نعم ، هو المنطق العاري ، العاري . . . قال :

ـ اراك لست بجادٍ . قلت :

ـ اذن فاعلم يا صاحبي انه المنطق الذي ادّى الى التهلكة بأبيك ، واب المناطقة جميعا .

سقراط ، اهلكه منطقه

قال : من تعني ؟

قلت : سقراطيس . مشى بتعاليمه كما تعلم بين شباب أثينا ، ليصلح فسادا ، ويقوّم اعوجاجا . وقام فيهم يجادل ويناقش ، ويعلّمهم في مناقشاته ومجادلاته ، ومن التعليم والتنوير اثارة . فلما احست الدولة بالخطر اتهمته



يمهدون له الهرب من الظلم ، فيناقشهم فى وجوب البقاء !

بافساد شبابها ، وحكمت عليه بالموت ، بشربه سماً . واجتمع عليه تلاميذه يمهدون له الهرب ، فأبى الهرب .. وبالمنطق أخذ يحاورهم ، ويداورونه ويداورهم . وكان منطقه انه مواطن يؤمن بالدولة ، وبسلطانها شاملا كاملا . ومن حيث انه رضى ان يكون مواطنا فقد ارتبط بالولاء للدولة . والهرب نقضٌ لهذا الولاء . ونقض الولاء نقض للفلسفة وذهاب بها . واذن فليبق على تعاليمه فلا تذهب سدى . وجب عليه الاحتفاظ بهذا الولاء .. وشرب السم فى حضرة تلاميذه ، واخذ يمشى ذهابا وجيئة حتى اعجزه السم فرقد . ثم مات .

واتخذ العالم عبر القرون من هذا الحادث مثلا للتسامى الخلقى عظيما . واحسبك يا صاحبي ترى معي أن هذا المنطق ، والدولة دولة سوء ، زاد حتى بلغ الحدَّ الفاصل بين العقل والجنون . قال صاحبي :

ـ اذن انت ترى ان سقراط كان مجنونًا ؟ قلت :

ـ اما فى هذه فنعم . ان الجنون علّة، والعلّة مرض .. ومن المرض الطارىء الذى لا يلبث ان يزول ، ومن المرض المقيم .

بالطبع لم يرض صاحبي عن هذا . ان سقراط عنده ارفع من ان يوصف بأنه قد جن ، ولو لساعة لا سيما وانا ادعى ان جنونه كان بسبب منطقه المنحرف . وصاحبي يدرس المنطق .

علل الاجسام ، وعلل الأنفس

والواقع اني لا أفهم ان يرى الناس ان الاجسام تصاب بعلل شتى ، وعلى درجات ، ثم لا تقتنع اقتناعا سهلا بأن الأنفس كذلك تصاب بعلل شتى ، وعلى درجات .

انك لا ترى انسانا سليما كله ، وسليما دائما . مرض فى القلب . مرض فى الكبد . مرض فى كلية من الكليتين . حمى حتى تؤدى الى ان يخرف . وتأخذ

تعـدد حتى تصـل الى أخف العلل : الصـداع .

فاذا جاز على الجسم كل هذا ، وظهر لنا لأنه منظور مسموع محسوس ، فلِمَ لا يجوز هذا على النفس ، ولا يُعفيها من ذلك أنها لا تُرى ، ولا تُمس ، ولا توزن. وكالجسم هي تكون : لها اعضاء غير محسوسة ولا ملموسة ولا موزونة ، لها هي الأخرى وظائف شتى . وتختل هذه الوظائف بعضا ، وتختل كلا ، فيكون من ذلك الانحراف الذى نسميه جنونا . وهو خفيف (صداع) وهو ثقيل (تفيّخ كلية) ، أو هو بين هذا وذاك (امساك أو اسهال) وان منه الطارىء العابر ، ومنه المتريث المقيم .

وصفوه عاقلا ، ثم عبقريا ، ثم مجنونا !



هتلر ، فى الرجال ، مثل صارخ

ومن الأمثال الصارخة ، التى يذكرها الناس عندما يتحدثون عن العقل والجنون فى معارض التاريخ : هتلر .

قاد سبعين مليونا من الالمان طوعا ، وقادهم فى مطلع حكمه الى حيث وجب أن يقود . قادهم من التعطل الى العمل، ومن الجوع الى الشبع ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الذل الى الكرامة ، ومن الابتذال بين الأمم الى الجاه العريض. وكنا لا نسمع ، فى العقد الرابع من هذا القرن الحاضر ، من أصدقائنا من الالمان عن قائدهم هذا Fuh er الا الحمد كل الحمد . قالوا ما أكبره ما أفخمه (والكثير منهم يؤمن بهذا الى اليوم ، ولكن يخشى أن يجهر) . وقالوا انها العبقرية التى لا تكون من حظ الأمم الا مرّة فى القرن الواحد .

ثم تلبدت السماء بالغيوم ، واربدّ وجه الدنيا ، على ما علمنا وعلم العالم . ولما انفضّ السامر بغلبة الحلفاء فى الحرب اخذت الناس تقول : ان الرجل كان مجنونا . هكذا ينقلب الوصف الى نقيضه فى سنوات من الزمان قصار . العبقرية ، العقل فى أسماه ، ينقلب الى جنون .

والناس ، من يلق خيرا ، قائلون له ما يشتهي ، ولأم المخطىء الهَبَلْ

على انه يجب أن لا ننسى أن الناس تقرن دائما العبقرية بالجنون .

بذور العقل ، وبذور الجنون ، قد تجتمع فى الراس الواحد

والرأى عندى ان بذور العقل وبذور

الجنون ، قد تجتمع فى الراس الواحد . بل هي مجتمعة ويتقدم الزمن وتقوم احداثه بسقى البذرتين . ويعتدل الجو فيساعد على نمو بذور العقل . ويسوء الجو فيساعد على نمو تلك البذور الاخرى ، وقد تغلب .

وقد اجتمعت البذرتان فى راس هتلر منذ كان جنديا نفرا ، لا يذكر اسمه ذاكر ، الى أن صار مستشار دولة الريخ الالماني ، وكنا ننصت الى خطبه الرنانة ، ونسمع صرخاته ، فنخشى على مكروفون المذياع ان تتحطم رقائقه . وكان يخطر ببالنا خاطر يزعجنا فنحاول طرده ، ان هذه الصرخات كانت اشبه بصرخات مجنون .

وعندى ان الناس تغضب. فاذا غضب غاضبهم وصرخ شديدا ، فقد بدأ يكشف عما اختفى فى طيات نفسه من جنون . وكم من غضب انتهى بجريمة . وهل يجرم الانسان ، ويقتل ، الا اذا فارقه العقل وغلب عليه الجنون. ومن اين جاءه الجنون ، الا ان يكون خبيئا فى النفس ينتظر الظرف الملائم فيسبق الى الظهور .

كم فى العالم اليوم من عقل ، وكم من جنون

هتلر جن جنونه .

وموسوليني جن جنونه .

وستالين جن جنونه .

وآخرون جن جنونهم،وذهبوا جميعا، فهل خلا العالم من جنون ؟

واستبدلت الامم زعماء ، فهل ابدلت عقلا بجنون ؟

الرأى عندى انها ابدلت خليطا من جنون وعقل ، بخليط من عقل وجنون ، والا فما الذى أوجد كل هذه الخطايا التى تبقّع بها وجه الأرض ، كما يتبقع وجه المجدور فلا يكاد يترك المرض منه مساحة من جلد أراده الله أن يكون املس سليما .



وجه الأرض ، وجه مجدور

والعرب ؟

وامة العرب ؟

يتراءى لي ، وارجو الهدى فى الراى ، ان العرب امة . ومن حيث انهم امة على سطح الارض ، فقد وجب أن تخلط عقلا بجنون . وهي لم تقصر والحمد لله فى بلوغ مكانتها بين الامم من حيث ذاك .

■■

احمد زكي

لندن

طرائف عربية

من نوادر الفقهاء

● وقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة ، فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما ، فدخل اليها وقال : ان أبا محمد شيخ كبير ، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه ، ونتن ابطيه ، وبخر فيه ، وجمود كفيه . . !! فقال له الأعمش قم قبحك الله ! فقد اريتها من عيوبى ما لم تكن تعرفه . .

من حكم العرب وأقوالهم المأثورة

* ثمرة العلوم العمل بالمعلوم
* من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصائب .
* لا تشتكِ ضعفك الى عدوك ، فانك تشمته بك وتطمعه فيك .
* الحازم من حفظ ما في يده ، ولم يؤخر شغل يومه لغده .

الكرم العربي

● قيل لقيس بن سعد : هل رايت قط اسخى منك ؟! قال : نعم . نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها فقالت له : انه نزل بنا ضيفان . فجاء بناقة ، فنحرها ، وقال : شأنكم (اى عليكم بها) .
فلما كان الغد جاء بأخرى فنحرها وقال: شأنكم ! فقلنا : ما اكلنا من التى نحرتَ البارحة الا القليل !! فقال : اني لا اطعم ضيوفي البائت !! فبقينا عنده اياما والسماء تمطر وهو يفعل كذلك . فلما اردنا الرحيل ، وضعنا مائة دينار فى بيته ، وقلنا لامرأته : اعتذري لنا اليه ، ومضينا . . فلما ارتفع النهار اذا برجل يصيح خلفنا . قفوا . . قفوا . . فوقفنا . . فلما دنا منا قال : خذوا دنانيركم ، فاني لا آخذ على اكرامي ثمنا وان لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا . . ! فأخذناها وانصرفنا . .

المرأة الجميلة كما رآها

● قال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان ، صف لى احسن النساء ، قال : خذها يا أمير المؤمنين ملساءَ القدمين ، ردماءَ الكعبين ، ناعمةَ الساقين ، ضخماء الركبتين ، لفاء الفخذين ، ضخمة الذراعين ، رخصة الكفين، ناهدةَ الثديين، حمراءَ الخدين،

تفاوت فى فعل الخير

● قال حكيم من حكماء العرب : الناس فى الخير اربعة اقسام . منهممن يفعله ابتداءً ، ومنهم من يفعله اقتداءً ، ومنهم من يتركه حرماناً ، ومنهم من يتركه استحساناً ! فمن يفعله ابتداء فهو كريم ، ومن فعله منهم اقتداء فهو حكيم ، ومن تركه حرماناً فهو شقى ، ومن تركه استحساناً فهو دنى » .

من ألغاز العرب

قالوا فى الغزال :

اسم من قـد هويتــــه ظاهـر في حروفـــه
فاذا زال ربعُـــه زال باقـى حروفـه

وقالوا فى القلم :

بصـير بما يُوحَى اليه ، ومالَه لسان ولا قلب ولاهو سامـع
كأن ضميرَ القلب باح بسـره إليه إذا ما حرَّكَتْه الأصابـع

وقالوا فى الطاحونة :

ومسرعة في سيرِها طولَ دهرِها تراها مدى الايام تمشي و (لا) تتعب
وفي سيرها ما تقطع الأكلَ ساعة وتأكلُ معْ طول المدى وهى (لا) تشرب
وما قطعت في السير خمسةَ أذرع ولاثلثَ ثُمْنٍ من ذراع و (لا) أقرب

انما الاعمال بالنيات

● حكي ان المغيرة بن شعبة لما ولي الكوفة ، سار الى دير هند بنت النعمان، وهى فيه عمياء مترهّبة، فاستأذن عليها فقالت : من انت ؟! قال : المغيرة بن شعبة الثقفى . قالت : ما حاجتك ؟ قال (وكان اعور) : جئت خاطبا ! قالت : انك لم تكن جئتنى لجمال ولا مال : ولكنك أردت أن تتشرّف فى محافل العرب فتقول « تزوجت بنت النعمان ابن المنذر . . » ، والا فأىُّ خير فى اجتماع عمياء وأعور !! .

العرب وصفوها

كحلاء العينين ، زجّاء الحاجبين ، لمياء الشفتين ، بلجاء الجبين ، شمّاءَ العِرنين ، شنباءَ (اى بيضاء) الثغر ، محلَولِكةَ الشعر ، غيداء العنق ، مكسَّرة البطن .. فقال ويحك ! واين توجد هذه ؟ قال تجدها فى خالص العرب وفى خالص فارس .



الثورات المضادة فى العالم

عن صحيفة الانباء اللبنانية :

● منذ نحو سنتين والعالم يمر بسلسلة من الثورات المضادة التي يعتبرها البعض نكسات للعالم الثالث فى مسيرته نحو التحرر والنمو ، ويعتبرها بعض آخر مجرد احداث لا تستحق كثيرا من الاهتمام .

واول ثورة مضادة جديرة بأن تكون محل اعتداد ، هي التى وقعت فى ٣١ اذار سنة ١٩٦٤، حين استطاعت العناصر الرجعية فى البرازيل أن تخرج الرئيس غولار من الحكم ، وان تصفى فى نحو اقل من عام جميع العناصر وجميع التنظيمات التقدمية لتعيد البرازيل الى حظيرة المعسكر الاميركي .

وتكررت تلك الظاهرة فى عدة بلاد فى العالم : رأيناها فى الكونغو ، ونراها اليوم فى اندونيسيا حيث يسقط آلاف من الضحايا ، ونراها فى غانا . ولا يكاد يمضى يوم لا تتكهن فيه الصحافة الرجعية اينما وجدت ، بأن العالم الثالث يتمخض عن ثورات مضادة جديدة .

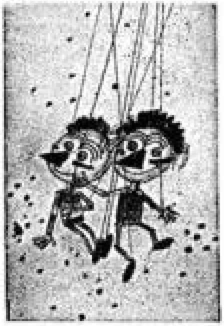
هل هذا يعنى أن سياسة عدم الانحياز وثوره العالم الثالث قد فقدا شعبيتهما لدى الجماهير الكادحة التى لم تتحرك بالتالى للعمل على حماية ثورتها من العادين عليها ؟

كلا . . ان الثورة المضادة قد تستطيع ان تعترض مجرى التاريخ فترة قصيرة من الزمان ، وتتيح مهلة لتحالف الرجعية والاستعمار ، ولكنها لا تستطيع الصمود امام ثورة العالم الثالث ، ولا بد ان تتحطم لسبب بسيط هو ان الثورات المضادة التى قامت فى بعض اقطار آسيا او افريقيا او اميركا اللاتينية لن يكون فى مقدورها ان تحل المشكلة التي تعانيها دول العالم الثالث ، وهي مشكلة القضاء على الفقر والتخلف ، والبحث عن العزة والكرامة .

ان الثورات المضادة لا بقاء لها ، فكل ما هو مضاد لغريزة الشعوب وارادتها فى مكافحة التخلف والتبعية ، لن يكتب له بقاء .

مسرح العرائس

من صحيفة العلم المغربية :



● في الواقع ان لمسرح العرائس تأثيرا كبيرا في نفوس الصغار فهو يستطيع تربية اذواقهم الفنيــة ، وتهــذيب اخلاقهم . وقد اهتمت جميع الدول الاوربية بهذا الفن ، واصبح له جمهور كبير ، غير انه في المغرب ــ ومع كامل الاسف ــ لا نجد اهتماما به ، رغم انه من الفنون الجميلة . فهو مسرح انتقادي هزلي ، سياسي واجتماعي . فهو في العموم من الفنون الرائعة التي تلعب دورا هاما في الميدان الاجتماعي ، والميدان التربوي على الخصوص .

فكــرة

من صحيفة الاخبار اليمنية :

● كتّابُ الافكار .. وشعراء الافكار !! هما بحق القوة الدافقة التي نفتقر اليها اليوم في مجالنا الادبي ..

ولكن اين هم هؤلاء واولئك ؟

اننا لا نعلم سببا لهذه الأسوار من اللامبالاة وعدم الاكتراث التي يحتجب خلفها كثيرون منهــم .. بينما الواجب يدعوهم الى توجيه شباب الجيل وانارة السبل امامهم في فهم واقع الحياة والأدب.

ان مجال الادب واســع لكل مــن وَعى حقيقة الواجب الكبير الملقى على عاتق الأدباء والمفكرين نحو أبناء هــذا الوطن المتلهفين للنور والمعرفة ..

فهل نرى مفكرينا وادباءنا وشعراءنا وكتابنا وقد اعتزلوا ابراجهم ليتسلموا طريق الواجب ؟

نحن لا نيأس ممن خبرناهم وعــرفنا مبلغَ النبل والوفاء منهم للادب والوطن ــ كما لن ينسى الوطن ذلك النفر الطيب الذي عمل ويعمل من اجل الحفاظ على الشعر والكتابة ، والادب وجوهره من الضياع والتلف والتفكك .

. والف تحية من الاعماق للأدباء !

الحضارة الزنجية على مفترق الطرق

من صحيفة العروبة اللبنانية :

● **لعل الحوار التاريخي الذي بــدا يجري في اواسط القرن العشرين ليس بين الحضارة الزنجية وحضارة اوروبا بل هو بين الحضارة الاوروبية من ناحية والحضارة العربية من ناحية اخرى وهي التي تتمتع بالقدرة على ارساء قواعد ذات ابعاد واطماح وقيم واخلاق ومناهج مستقلة في مواجهة مشاكل الانسان الحديث .**

يبقى ان تختار الحضارة الزنجية احد طرق الحوار فتكون امتدادا لمنهجية الغرب اليونانية اللاتينية او استمرارا للعقلية العربية الدينية . والثابت ان الحوار بين اوروبا القائمة غربي المتوسط والعرب المقيمين في شرقيه ما يزال في البداية . والطريق طويل جدا . وقد لا يتعين مصير هذا الحوار قبل جيل او جيلين .

مسابقة العربي

اختبر معلوماتك

٨ أسئلة

تتالف هذه المسابقة من ثمانية اسئلة تدور كلها حول بعض تجاربنا ومشاهداتنا فى حياتنا اليومية ، وما لم نشاهده باعيننا قراناه فى الكتب المدرسية او فى الصحف ...

ويكفي لكى تتاح لك فرصة النجاح أن تجيب اجابة صحيحة عن خمسة اسئلة فقط ، من الأسئلة الثمانية الآتية :

١ ● اليوم ليل ونهار ، وفى الكرة الارضية التى نعيش عليها شيءبسبب اختلاف النهارعن الليل فى الطول فى شتى البلاد . فما هو هذا الشيء ؟

٢ ● هل تدرى كم طول النهار عند القطب الشمالى فى أواخر شهر يونية (حزيران) ، وكم طوله عند القطب الجنوبى فى هذا الشهر ؟

٣ ● الشمس تضرب بأشعتها الأرض فتسخن ويحتر الناس . ولكن هناك طبقة فى الارض ، قريبة من السطح ، لا تصل اليها حرارة الشمس ، وعندها لا يكون صيف ولا شتاء . فما عمق هذه الطبقة من سطح الأرض ؟

٤ ● ثلاجة كهربائية فى حجرة ، وهى تدور فتبرد الطعام الذى فيها ، اى تنقص من حرارته ، فأين تذهب هذه الحرارة ؟

٥ ● جسم الانسان يعرق فى الصيف ، او عندما يقوم الانسان بمجهود جسمانى شديد ، فالى اى شيء يهدف الجسم من اخراج هذا الماء من ثقوب جلد الانسان ؟

٦ ● الكلاب تلهث عندما تجرى شديدا ، لا سيما فى الصيف ، وتظل تلهث مدة من الزمن ، فما سبب ذلك ؟

العلميّة واربح جائزة !
.. وجوائز ١٠٠ دينار

٧ • الانسان يبول فى الشتاء ، ويبول فى الصيف ، ففى اى الفصلين يكون البول اكثر ، وما سبب ذلك ؟

٨ • الصوف لباس الشتاء،والقطن لباس الصيف . فهل تدرى كيف تفرق بين قطعتين متشابهتين ، قبل ان احداهما من قطن والأخرى من صوف ، تفرقة لا تدع للظن مكانا ؟

شروط المسابقة وجوائزها

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٤ » .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر اكتوبر ١٩٦٦ .

٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

كوبون مسابقة العدد ٩٤



دردشة

الزمن .. وفولتير

● كلمة مأثورة خالدة للكاتب الفرنسى الشهير فولتير Voltaire وقد توفى عام ١٧٧٨ عن عمر يناهز الرابعة والثمانين، فطوى الزمن رفاة جسمه القزم الضئيل، الا انه خلد آثار عقله العملاق العظيم . وما كلمته المشهورة تلك سوى حكمة مشرقة تنفذ بها الى اعماق مفهوم «الزمن»، ذلك الخصم الجبار العنيد الذى كاد له ولغيره وما زال يكيد . قال :

« ليس فى الكون ما هو اطول من الزمن وليس فى الوجود ما هو أقصر منه . أو ليس الزمن هو المقياس الوحيد الذى نقيس به الخلود نفسه ! ومع ذلك، نراه دوما يضيق دون استكمالنا لما نحن بصدده ، ويقصر دون انجازنا لما نهدف الى تحقيقه » .

« والزمن ابطأ ما يصادفه المرء فى حياته ، اذا ما اعتمر قلبه بالشوق والحنين ، ولكنه يمضى بسرعة تفوق سرعة الضوء والبرق فى حس من تسرب الفرح الى قلبه وحظى من المتعة والسعادة بنصيب » .

« ورغم هذا وذلك فان الناس جميعا يغالون فى تجاهله بقدر ما يغالون فى الندم على فقدانه ، اذليس هناك شىء ما يمكن فعله من دونه » .

« هذا وليس فى الكون مثل الزمن يطمس معالم التفاهة ، وليس فى الوجود غير الزمن يخلد آثار النبوغ والعظمة » .

بين اهل الفن وذوى السلطان

● يروى عن فرانس لِسْت Franz Liszt. (١٨١١ ـ ١٨٨٦) الملحن وعازف البيانو المجرى الشهير ، انه توقف فجاة عن العزف فى الحفلة التى دعاه لاقامتها قيصر روسيا نيقولا الاول . اذ لم تجد ِ التفاتات" الموسيقى" ونظراته فى منع القيصر من التحدث الى وزيره فى وقت كان المفروض فيه أن يصغى ويستمع الى الموسيقى بملء قلبه وعقله . لذلك كان استياء (لِسْت) الشديد وكان توقفه عن العزف قبل استكماله وخروجه من القاعة فى انفعال وحسرة . ولما ساله القيصر بعد ذلك عن السبب الذى يحول دون عودته الى المسرح واستئنافه لعزفه ، اجاب : « ان الادب يقضى علىّ المرء العادى ان يسكت اذا بدا القياصرة فى الحديث والكلام ... » وهكذا تسنى للموسيقى العودة الى بيانه والمضى فى عزفه دون ازعاج حتى نهاية تلك الحفلة .

حكم واقوال ماثورة

❋ « لقد بكى يوليوس قيصر لبكاء الفقراء والمساكين فأقام الدليل على ان مَعْدنه لم يكن من الصلابة بالقدر الذى استوجبه طموحه » .

« شاكسبير » Shakespear (١٥٦٤ ـ ١٦١٦)

❋ أول الواجبات التربوية التى يضطلع بها الآباء تجاه الأبناء هو العمل على جعلهم سعداء . والاخفاق فى هذا الصدد اجحاف بحق الصغار لا يغتفرُ ولا يُعوَّض .

C. Baxton باكستون



الولايات المتحدة الامريكية كما كانت فى مطلع القرن الماضى

* لم يكن فيها اية مكتبة عامة للقراءة او المطالعة !
* كانت تستورد جل ما تحتاجه من الاثاث المنزلى من بريطانيا اذ لم يكن فيها مصانع اثاث تذكر ..
* اضطرت السلطات فى ولاية كونكتكت الى تحويل احد مناجم النحاس الى سجن فقد كاد العالم الجديد ان يكون خلوا من السجون !
* لم تكن مظاهر احترام الرجل للمرأة فى المجتمعات مقصورة على الانحناء او الايماء قليلا لدى تحيتها والسلام عليها بل تعدت هذا وذلك الى تحريك الرجل ورفس الارض بالاقدام !
* حرص الرجال عموما والذين ينعمون بمكانة اجتماعية مرموقة بوجه خاص على التحلى بالشعور المستعارة ذات الذيول المتدلية من فوق رؤوسهم .
* بلغ عدد سكان ولاية فرجينيا بمفردها خمس عدد سكان البلاد باسرها .
* كانت الأزرار فى تلك الزمن نادرة الوجود باهظة الثمن بحيث عزء استعمالها فى ملابس الرجال وخاصة البنطال فحلت الأشرطة والاربطة محلها وادت مهمتها ..

---

* « النقد أكثر شحذا للهمم من الاطراء . تلك هي سنة الله فى خلقه ، تصدق على البسطاء كما تصدق على العلماء والعظماء » .

* التكوين الخلقى للفرد يتكشف فى القرارات التى اتخذها بارادته وحريته ، لفعل الخير أو الشر ، فيما مضى من حياته .

جايكى Giekie

* لا يبهج قلب انسان ما يفعله وانما الذى ينوى أن يفعله .

« روبرت براونتج » Robert Browning
(١٨١٢ - ١٨٨٩)

* لا قيمة لانسان لا يكون على اهبة الاستعداد دوما للتضحية بجسده وكيانه بل بروحه وحياته فى سبيل هدف او مثل أعلى ينشده .

تيودور روزفلت T. Roosevelt

* الشيوخ المسنون يبزون الشباب نقدا للأمور ، ولا يضاهونهم مغامرة فى سائر الشئون . وهم أسرع الى الشعور بالندامة وأحرص على التريث والمشورة .

فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١-١٦٢٦)

* ليكن نطقك خيرا من صمتك، والا فالصمت أولى .

ديونزيوس Dionysius

نتيجة مسابقة العدد ٩٢

الاجابات الصحيحة والفائزون بالجوائز

ننشر فيما يلي الاجوبة الصحيحة لاسئلة هذه المسابقة :

(١) الفحم . الذرة (٢) هربرت موريسون (٣) قرطاجة اقدم من قرطاجنة ، الاولى كانت فى تونس ، اما الثانية فمرفا فى اسبانيا (٤) عبد العزيز فهمي باشا (٥) الابيتفى تنتج ٦٠٪ من الاستهلاك العالمى للصمغ (٦) الامير اليكسى يوسيبوف (٧) انتهت دولة بنى امية فى سنة ١٣٢هـ (٨) ابن بسام (٩) جون اوزبورن (١٠) مساحة الصحارى تمثل ٣٦٪ من مساحة اليابسة (١١) تبيض الضفدعة كثرة من البيض بعد ١٢ ساعة (١٢) العقار هـ ٣ ومخترعته آنا اصلان ..

وقد اجريت القرعة بين اصحاب الاجابات الصحيحة فاسفرت عن النتيجة الآتية :

● **الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا :** فاز بها نزيه بوشعيب ــ دربالسوق ــ الزنقة ٥ الرقم ٢٥ الدار البيضاء ــ المغرب .

● **الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا :** فاز بها الطالب الليبي الجنسية مصطفى علي كيلان جامعة لندنبرج بألمانيا الغربية .

● **الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير :** فازت بها الآنسة انتصار محمود شفا عمرى ، بيروت ــ لبنان .

● ٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من الآتية اسماؤهم :

١ ــ **الآنسة ابتسام عبد الله حبشي :** الاسكندرية ــ ج.ع.م .

٢ ــ **تيسير النعال :** ص.ب ٢٢٣ ــ حلب ــ سورية .

٣ ــ **حسن عبد الامير :** المتوصف الجمهورى ناحية المهناوية ، قضاء الشامية : العراق

٤ ــ **عبد الله طاهر صدام :** ص ب ٣٢٢ ــ الحديدة ــ الجمهورية العربية اليمنية .

٥ ــ **فيصل علي عبد الرحمن محمد البحر :** ص.ب ٨٩ ــ دولة الكويت .

٦ ــ **الجندى الاول شمس حسين هلال :** المدفعية الخامسة ، القوات الاردنية الهاشمية ، عمان ــ الاردن .

٧ ــ **الآنسة منيرة على عبد الرزاق :** دبى ــ الخليج العربى .

٨ ــ **عبد العزيز بن سعد الخراشي :** مركز الدراسات التكميلية ص. ب ٨٩٠ الرياض ــ السعودية .

أول مصنع ذري للصناعة في اليابان بلد الزلازل



المصنع الذرى الأول لانتاج الكهرباء للصناعة فى اليابان

استنباط القوة من الذرة ، حاجة ملحة في كل بلد يتزايد سكانه

■ انه اول مصنع ذرى يصنع الكهرباء ، لاستخدامها فى المصانع اليابانية . والشركة التى قامت ببنائه هى شركة جنرال الكتريك البريطانية التى باليابان . وهى بنته على غرار المصنع الذرى الانجليزى فى هنترستون Hunterstone ويستخدم اليورانيوم الطبيعي وقودا لمفاعله الذرى . ويستخدم غاز ثاني اكسيد الكربون ليحمل حرارة المفاعل الى دورة البخار فى خارجه ، ذلك البخار الذى يحرك التربينات فى المولدات الكهربائية فتنتج الكهرباء (١) .

(١) لا بد لفهم هذا المقال من الرجوع الى العدد السابق من العربى ، عدد ٩٣ شهر اغسطس صفحة ٦٤ . وقراءة مقال « الفرن الذرى » . وهكذا العلم ، مركب ، طبقات بعضها فوق بعض. لا يفهم الانسان ما فى الطابق الثالث مثلا حتى يكون قد عرف ما فى الطابق الثانى والأول .

وبالطبع توجد مع اليورنيوم مادة الجرافيت لتهدىء من سرعة النيوترونات، فتصيب ذرات اليورنيوم ، فتحملها على الانشقاق فاعطاء الحرارة فى اعتدال .

تأمين المفاعل حتى لا ينفجر

وبالطبع توجد مع اليورنيوم ، اى فى قلب المفاعل ، قضبان الأمان ، تلك التى تنزل من قلب المفاعل فى مجار راسية ، تنزل فيها بين اليورنيوم قليلا أو كثيرا حسب الحاجة ، فتمتص فيض النيوترونات اذا زاد على حده واصبح خطرا .

ان هذه القضبان ، وهى من الحديد ومعه عنصر البورون Boron ، هى قضبان الأمان،لذلك كانت قابلة للخروج من قلب المفاعل والدخول فيه بالقدر اللازم للتفاعل ودرجته المطلوبة ، فاذا هى دخلت بين اليورنيوم كل الدخول فهى تمتص من النيوترونات المنطلقة قدرا كبيرا يكفى لتعطيل التفاعل فلا يطرد اليورنيوم فى انشقاقه .

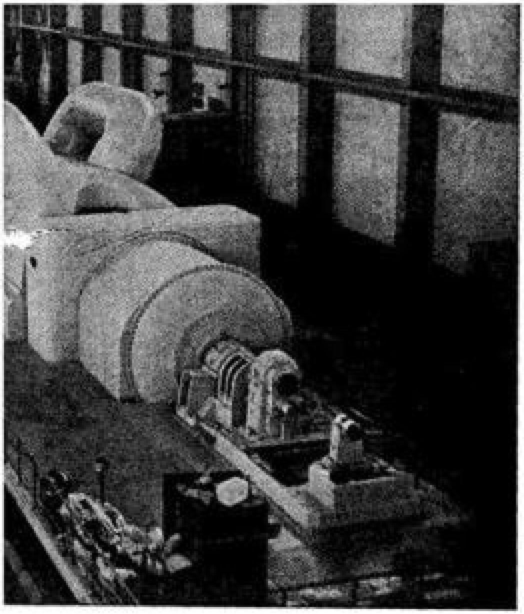
ليس فى كل هذا شىء جديد . انها هكذا المفاعلات الذرية وهى هكذا تعمل، او على الأقل هذا المفاعل الذى نحن بصدده وامثاله .

الجديد فى المفاعل الذرى اليابانى

ولكن الجديد هو انهذا المفاعل ،بهذه المحطة ، محطة القوة الذرية ، يبنى فى اليابان بلد الزلازل . والزلازل تهدم المبانى والأفران الذرية على السواء . وهدم المبانى شر ، ولكن هدم المبانى الذرية شر مستطير .

واذا لا بد من احتياط .

والاحتياط الذى اتخذوه هو انهم صنعوا من الحديد الممزوج بالبورون كرات صغيرة قطر الواحدة منها نحو ربع بوصة ، وصنعوا منها ٤ ملايين،ووضعوها فوقهذا المفاعل الذرى الكبير ، فى قواديس كقواديس الطاحونة ٤٤ .وربطوا بين الأبواب السفلى



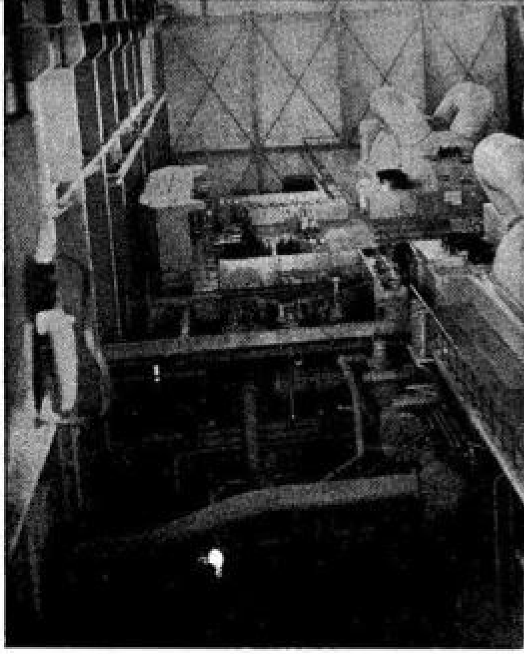
حجرة التربينات التى تدور فتنتج الكهرباء
راجع مقالنا « كيف تصنع الكهرباء »

لهذه القواديس وبين اجهزة تقيس ارتجاج الأرض،حتى اذا تعدى ارتجاجها بالزلزلة حدا معلوما ، فرضوا عنده امكان تحطم المفاعل وتحطم ما فيه من يورنيوم ، انفتحت هذه القواديس ، وملأت الشقوق الناتجة بين حطام اليورنيوم ، فامتصت ما ينطلق منه من نيوترونات ، واوقفت بذلك التفاعل فلا يكون منه الخطر الذى خافوه عند تحطم المفاعل بالزلزال .

ومعنى هذا ان هذه الكرات ، وهى مصنوعة من نفس المعدنين اللذين صنعت منهما قضبان الأمان ، فعلت باليورنيوم، اذا هو خرج عن تحكم الانسان فيه بفعل الزلزال ، تماما مثل ما يفعل الماء بالنار عند الحريق .

محصول اليابان من الكهرباء عن طريق الذرة

واتماما للخبر نذكر ان المفاعل بدا وقدرته ٥٠٠٠ كيلو وط ، زيدت الى ٦٠ . . . كيلو وط، والمفروض انه وصل



في المصنع الذرى الأول للصناعة في اليابان.
بالعربي العدد ٩٢ شهر يوليو صفحة ٢٤ .

الى اقصى قدرته في مارس الماضي وهى ١٦٠ ... كيلو وط .

وتكلفت المحطة باديء ذى بدء ٥٠ مليون جنيه . وثمن الكيلو وط ساعة الناتج منها ٥ر٥ ين ، اى نحو بنس انجليزى واحد ، يزيد قليلا . وهو ثمن محسوب على فرض ان المحطة تعمل لمدة عشرين سنة .

وستبنى اليابان محطتها الذرية الثانية وقدرتها ... ٣٢٥ كيلو وط من الكهرباء وحسبوا فوجدوا ان سعر الكيلو وط ساعة فيها يهبط الى النصف او فوقه قليلا ، فهو سوف يكون ٦ر٢ ين اى ٦ر. من البنس الانجليزى .

وقد بدات ثلاث شركات اهلية للقوى الكهربائية في بناء مفاعلاتها الذرية ، ومن المتوقع أن ينتهى العمل فيها عام ١٩٧٠ .

كذلك شرعت ثلاث شركات في دراسة مشاريع لبناء محطات لتوليد الكهرباء من الذرة .

ومن المتوقع أن تزود المفاعلات الذرية حوالى ١٠ في المائة من الطاقة اللازمة لليابان في عام ١٩٧٧ .

● أول مصنع ذرى في اليابان

وقد حسبوا ما تكون عليه قدرة اليابان في انتاج الكهرباء من الذرة فكانت بين٧و٢/٩١ مليون كيلو وط عام ١٩٨٠ .

حاجة الى التوسع في انتاج الطاقة لا بد منها

وندرك توثب اليابان السريع للدخول في ميادين القوة الجديدة لانتاج الطاقة من حاجتها الملحة الى ذلك . فما كان لأمة يتزايد سكانها تزايدهم في اليابان ان تهمل هذا الجانب الذى يبقى على المستوى المعيشى المعقول الحاضر .

فقد بلغ سكان اليابان في أكتوبر ١٩٦٥ نحوا من ٩٨ مليون نسمة .

وبذلك اصبحت اليابان تحتل المركز السابع بين دول العالم من حيث عدد السكان بعد الصين الشعبية ، فالهند ، فالولايات المتحدة فروسيا فاندونيسيا فباكستان .

اعداد من الخلق لا بد لهم من طعام وكساء وسكن ، وكلها من خلق القوى الصناعية ، التى مصادرها الذرة او غير الذرة من فحم وزيت وماء دافق .

واليابان تزيد صناعاتها ، بينا هى تحافظ قدر الطاقة على أعداد ساكنيها فلا تزيد زيادة مطلقة هوجاء لا ضابط لها ، تؤدى حتما الى هبوط مستوى المعيشة فيها .

ويسجل لليابان أنها في الخمس السنوات الماضية لم يزد عدد سكانها الا بمقدار ٥ر٢ في المائة ، في الخمس السنوات كلها ، وهى نسبة تشابه الزيادة الحاصلة في الغرب من اوربا ، في بريطانيا وفرنسا وهولندة . وهى اقل قليلا من نسبة زيادة السكان في كل من أمريكا وروسيا .

ورغم أن الزيادة في عدد السكان كانت نحو ٥ر٢ فقط ، فان عدد الأسرة الواحدة هو الآن نحو ٤ ، اى ان عدد افراد العائلة في اليابان هو في المتوسط نحو أربعة افراد : اب وام وولدان .

والزيادة في السكان بينة على الأخص في المدن الكبرى ، وهى مراكز كبرى للصناعة والتجارة . ■■

المقدسي

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

* قال عنه المستشرق اشبرنجر Springer : أعظم جغرافي عرفته البشرية قاطبة .
* رجل علم صادق ، هان عليه كل شيء في سبيل العلم .
* صورة العالم الاسلامي التي رسمها ليست عملا جغرافيا فحسب، بل هي وثيقة تاريخية حضارية من الطراز الاول .

■ فى تاريخ العلم الجغرافى عندنا رجال" حياتهم فى ذاتها قصص بديعة جديرة بأن تحكى وتؤثر ، وفى اشخاصهم طَرَف بين البَشَر حقيقة بأن تدرَس لذاتها وتتأمل لغرابتها ..

هناك ابو الحسن على المسعودى ، ذلك الطواف الجوال والعقل الحائر المتشرق للمعرفة ، الذى قضى العمر كله فى ركوب المخاطر فى البر والبحر والغوص فى ماضى البشر ، والبحث عمن « أباده الحَدَثان (١) » على حد تعبيره .

وهناك أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله ابن ادريس الحَسَنى المعروف بالشريف الادريسى الذى استقر فى بلاط ملك نصرانى فى صقلية ، وصاحبه فى العلم ، وللعلم ، وصنع له اول كرة ارضية صنعها بشر ، وفى شرحها الف كتابه المبدع « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ..

وهناك أبو حامد الغرناطي ، ذلك الاندلسي الذى قطع المعمورة على أيامه من طرف لطرف ، وقضى أجمل سنوات عمره على حدود الصين وفى بلاد التركستان وجنوبي روسيا ووسطها وسهل المجر وتزوج وانجب وخلف الكثير من اولاده فى هذه النواحى التى لم تطأها قدم جغرافى قبله ،

---

(١) الحدثان : الليل والنهار أو نوائب الدهر

رحالة مغامر
وجغرافي نابغ
وعالم اجتماعي فذ
وصحفي بارع سبق أوانه بقرون كثيرة

ثم عاد ليكتب لنا كتابين من الطف وأمتع ما يقرأ الناس ...

وهناك أحمد بن فضلان بن العباس سفير الخليفة المقتدر العباسى الى ملوك الترك (فى اقصى شرقى هضبة ايران) والخزر (جنوبي بحر قزوين) والروس والصقالبة ، ذلك الرجل الطيب الذى قضى فى بلاد البرد والثلوج شهورا بعد شهور حتى كان اذا عاد الى بيته وجد لحيته « قطعة واحدة من الثلج » كما قال ، ثم رجع الى بغداد وكتب رسالته المنسوبة اليه .

وهناك شمس الدين ابو عبد الله محمد المعروف بابن بطوطة امير الرحالين فى العصر الوسيط وصاحب الرحلة المشهورة التى اصبحت من منتصف القرن الماضى قطعة من التراث العالمي الادبى والعلمي ...

وشهاب الدين احمد بن ماجد اعظم ملاح اديب شاعر فى تاريخ البشر ، يعرفونه فى الغرب اكثر مما نعرفه نحن ، فهو الربان الذى دل البرتغالى فاسكو داجاما على طريق الهند . وكتبه واشعاره الملاحية درست ونشرت فى عواصم الغرب من باريس الى لندن الى موسكو ، وما زلنا نحن لا نعرف عنه قدرا يوازى مكانه فى تاريخ الحضارة الانسانية .

وابو الريحان البيْرونى رجل العلم الخالص والبحث الصافى ، هذا العلامة الجليل الذى رَوَى ياقوت انه لم يكن يضع القلم من يده الا يومين فى السنة : النيروز والمِهْرجان ، وما نعرف فى تاريخنا الفكرى رجلا غيره كان يحسن الفارسية والتركية والسنسكريتية واليونانية واللاتينية والعبرية والآرامية والقبطية ... والعربية طبعا .

وابو الحسين بن جُبَيْر ، ذلك الشيخ الغرناطى الطيب القلب الذى ارغمه الامير على أن يشرب كأسا من الخمر ، ثم عوضه بملء الكاس دنانير سبع مرات ، فحلف أن يحج بها كفارة عن ذنبه ، وما ان شرع فى الرحلة حتى استطاب السفر واكتشف نفسه ، فحج مرة ومرتين وثلاثا ثم كتب رحلته الطريفة التى لم تبق لغة اوروبية الا ترجمت اليها ...

وابو عبد الله محمد المقدسى موضوع كلامنا فى هذه الصفحات ...

رجال كلهم تطلّع" الى المجهول وشوْق" الى المعرفة وجرأة" على ركوب المخاطر واقتحام المتاعب . سلسلة" ذهبية من الاعلام يصورون جانبا باهر النور من جوانب النفس العربية : جانب الشغف بالعلم والسعي اليه والاخلاص فى طلبه...

والعلم فى ذاته سيادة ، لا يطلبه ويخلص فى سعيه اليه الا رجل سيد فى نفسه ، وما من أمة نهضت وسادت الا كان طلب العلم من مظاهر سيادتها ، وما من امة نامت وخملت الا كان زهدها فى العلم اكبرَ نذُر انهيارها .

دراسة الجغرافية كانت في نظر الناس لهوا لا ينفع

هذه السلسلة الباهرة من خلاب العلم الجغرافي في تاريخنا جديرون منا بكل تمجيد ، لانهم طلبوا العلم للعلم وحده ...

لان الذين « سهروا الليالي في طلب المعالي » ـ كما يقولون ـ لدراسة الفقه وعلوم الدين كانوا يطلبون الوظائف والجاه في نفس الوقت ، وقد اشار الى ذلك ابو حامد الغزالي ـ حجة الاسلام ـ في كتابه المبدع « المنقذ من الضلال » .

والذين طلبوا العلم عن طريق الادب . واجهدوا انفسهم في حفظ المنثور والمنظوم كانوا يأملون الوصول الى الحظوة ومنادمة السلاطين والاكابر والحصــــول على الجوائز الثمينة ووظائف دور الانشاء ...

والذين درسوا الطب وافنوا العمر في طلب الادوية والعقاقير والاعشاب كسبوا المال وطببوا السلاطين ...

ولكن الذين طلبوا العلم الجغرافي في عصورنا الوسطى لم يطلبوا غير المتاعب وسوء المقال ، او قنعوا بالخمول والاهمال من اهل زمانهم على اقل تقدير ...

لان طالب ذلك العلم كان لا بد له من شيء من علوم النجوم والفلك والهندسة وما الى هذه مما كان يسمى « بعلوم الاوائل » ، وكانت الفكرة العامة ان من يتعرف الى هذه العلوم اما ان يكون ضعيف الايمان تحوم حوله شبهة الزندقة ، او ضعيف العقل لانه يترك العلوم التي تنفع ويتعرف الى تلك التي لا يتاتى منها شيء .

وليست لدينا حالة واحدة عن جغرافي عربي وصل الى الاحترام والتقدير من اهل زمانه عن طريق علمه او التاليف فيه .

وليس ابعد عن الحقيقة من مثل هذا الراى .

فان الناس في تلك العصور لم يكونوا يعتمدون في رحلاتهم على الكتب بل علــى الادلاء المجربين وهؤلاء ـ دون استثناء ـ ما كانوا يقرأون او يكتبون .

وربما حمل احد من الرحالة نسخة من كتاب الاصطخري او ابن خُرْدَاذْبَه او ابن حَوْقل ليتسلى بقراءتها لا لكي يسير بمقتضاها ، لان دليل القافلة الأميّ كان عنده اولى بالثقة من كل ما يقوله اولئك الفضلاء .

وما من جغرافي ممن ذكرنا الا كتب لنفسه فحسب او لصديق له ممن يهوَى ذلك العلم مثله، ولا بد له مع ذلك من الاعتذار في مقدمته عن التاليف في ذلك الباب .

ولهذا فمعظم هؤلاء لا نجد لهم في معاجم الرجال تراجم وافية او شبه وافية . لقد اهملهم اصحاب هذه الكتب ، لانهم انصرفوا ـ في رايهم ـ الى لهو لا ينفع ، واذا ذكروا واحدا منهم ذكروا له كل شيء الا ما الّف في الجغرافية ، فابو عبيد البكري عندهم لغوى اديب واحمد بن عمر العذري فقيه ، والادريسي عند ابن ابي اصيبعة ـ صاحب اعشاب وعقاقير ، وثلاثتهم مِنْ اعظم مَنْ اطلعت العبقرية العلمية العربية مِنجغرافيين ـ والمقدسي صاحب حديثنا في هذه الطور خير مثال لما قلناه .

نشأ في بيت يسار وانفق حياته في الرحلات

حياته لا نعرف عنها الا نَزْرًا يسيرا فوق ما ذكره هو في كتابه « احسن التقاسيم » الذي سنتحدث عنه بعد قليل ، فلم يَعْنَ احد ممن نقلوا عنه بايراد شيء يعرفنا به ، حتى ياقوت ، كنز الجغرافية العربية الاكبر ، لم يتفضل علينا بسطور عن صاحبه في العلم واخيه في الوطن ، فكلاهما شامي ، فياقوت (١) من حَماة والمقدِسيُّ من بيت المقدس ، جمع الله شملهما في رحاب العروبة .

اسمه الكامل شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري ، ولد في بيت المقدس سنة ٣٣٥ هـ . ٩٤٦م . وكان جده ابو بكر بناء او مهندسا معماريا على الاصح ، فهو الذى اقام ابواب مدينة عكا لابن طولون، والمقدسي تفتشه يورد فيتضاعيف كلامه اشاراتٍ كثيرةً تدل علىمعرفة طيبة بالهندسة والمعمار ، وبهذه المناسبة نذكر انك تستطيع ان تنطق اسمه المَقْدِسِيّ او المُقَدَّسِيّ ، والصورة

---

(١) ياقوت : رومي الجنس ، حموى الوند ،بغدادي الدار ، كما في ابن خلكان ، ولمولده في حماة وسعة علمه بالشام وكثرة تردده الى مدنهاصح أن يكون شاميا .

الاولى نسبة الى البيت المقدس ، والثانية نسبة الى بيت المقدس ، والاولى منهما اغلب على السنة الناس .

نشا محمد بن احمد المقدسي في ذلك البلد المبارك ، ويبدو انه لم يصبر طويلا على متاعب الدراسات التقليدية التي كانت تشغل حياة طلاب العلم في تلك العصور الى ما فوق الثلاثين من سنوات العمر ، لاننا نجده في مكة المكرمة سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦م حاجا رحالة لا طالب علم وسماع، وقد كانت سنه اذ ذاك عشرين سنة او فوقها بقليل ، ومن ذلك الحين نجده رحالة جوّاب افاق لا يستقر به مكان حتى وفاته حوالى سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م ، ولم يسجل لنا احد تاريخ وفاته ، ولكننا لا نجد في كتابه اشارة الى اى حادث وقع بعد ذلك التاريخ ، ومعنى ذلك ان المقدسي لم يعمّر الا ٥٤ او ٥٥ سنة ، قضى معظمها ـ من سن العشرين فصاعدا ـ في رحلات واسفار ومغامرات يحدثنا عنها في اسلوب يفيض ظرافة وظرفا .

ومن بعض اشارات المقدسي نفهم ان امه كانت من بلدة بيّار في اقليم « قومس » ، وهو قلب ايران الاسلامية ، وعاصمة الدامغان قريبة من موضع طهران اليوم ، وكان القومسيون من امهر اهل مملكة الاسلام في النسيج ، وكانوا لهذا اغنياء او مياسير ، والمقدسي في حديثه عن « ابي الطيب » جده لامه يشير الى ذلك ، وواضح من حياته وكلامه انه نشا في بيت يسار ونعمة وان المال كان موفورا بين يديه حياته كلها رغم قلة اشتغاله بما يدرّ المال ، وكان هذا من حسن حظه وحظنا فقد اتاح له فرصة الرحلة واشباع هوايته في جوب الافاق ومشاهدة الارض ومن عليها.

كتاب « احسن التقاسيم » ومكانته العلمية

لم يغادر المقدسي ناحية من نواحي العالم الاسلامي الا نزلها واقام فيها وعرف اصلها عدا الاندلس والسند وربما سجستان ، فقد اخذ معلوماته عن هذه النواحي الثلاث من نفر من اهلها وطوّف المقدسي في البحار وركب المخاطر في بحر الهند والبحر الاحمر والبحر الابيض وحديثه عن هذا البحر الاخير طويل دقيق ذو قيمة علمية كبرى ، وبخاصة حينما يتصل ببعض الجزائر التي زارها وكتب عنها مثل صقلية ، وبعد هذه الرحلات الطويلة جمع ثمرة مشاهداته وتجاربه وخبراته ودونها في كتابه الفريد : « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » . فرغ من كتابه اول مرة سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م واهداه الى آل سامان اصحاب السلطان اذ ذاك في شرق ايران ، ثم اعاد كتابته واهدى نسخته الجديدة الى الفاطميين سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م ، ومعنى هذا انه استقر اولا زمنا طويلا في ايران « بلد امه » ، ثم انتقل الى القدس او القاهرة واقام في ايهما سنوات فرغ خلالها من صياغة كتابه الثانية . ومن حسن الحظ ان وصلتنا نسخة من هذه ونسخة من تلك ، وعلى اساسهما قام على نشر الكتاب المستشرق الهولندي دى خويه في ليدن سنة ١٩٠٦ ضمن سلسلة « مكتبة جغرافيي العرب » وقد تقادم العهد بتلك الطبعة وآن اوان نشر هذا الكتاب النفيس من جديد ، ولكني انصح الا ينشره الا عالم باللغات الشرقية متمكن ، فالكتاب حافل بالعبارات والكلمات التي لا يستطيع تحقيقها الا المتمكن من هذه اللغات . خذ مثلا تلك الفقرة الطويلة التي يذكر فيها مترادفات الكلمات الاصطلاحية التي يستعملها اهل البلاد في مسائل تتعلق بحياتهم اليومية ، فهذه تحتاج الى ان تحقق لفظا لفظا ، لم يبحث عن المكان الذى كانت تستعمل فيه ، اليك بضعة امثلة :

لحّام : جزّار ، قصّاب .

قطن : منطب ، كرسف .

قطّاف : حلاّج .

البزازون : الكرابسيون ، الدهادنة .

جبّان : طبّاخ ، بقّال ، فامىّ تاجر .

ميزاب : مرزاب ، مزراب ، مثعب .

فول : باقلى .

قِدر : برمه .

زنبيل : مكتل ، قفه ، سبيل ، مركن ، اجّانه .

حصن : قلعة ، تهندز ، كلات .

فاعل : روزكارى ، قربانى ، وسقاقى ، سوادى .

معلم : خادم ، استاذ ، شيخ ، خصي .

الى آخر هذه القائمة الطويلة التى يوردها لالفاظ اصطلاحية مترادفة ، والصعوبة هنا

ليست فى مجرد تحقيق اللفظ ، بل فى معرفة اصله ومعناه الحقيقي ومغزاه الاجتماعى كما ترى فى السطرين الاخيرين من المترادفات التى اوردناها ، ويكاد السطر الاخير منها أن يكون موضوعا لدراسة وفكاهة فى آن واحد ...

وفى كتاب المقدسى فصول كثيرة من هذا النوع هي أشبه بصفحات من مفكرة كان يحملها فى جيبه ويدون فيها ما يحتاج اليه او يستحق التدوين ومثال ذلك فصول « قصائد الاقاليم ». « الاسامى واختلافها » و « المذاهب والذمة » وما الى ذلك.

وهذه الفصول كلها ــ وهى من أقيم ما فى الكتاب ــ انما هي مقدمات لموضوعه الحقيقى وهو وصف الامبراطورية الاسلامية او مملكة الاسلام فى مصطلح الجغرافيين المسلمين ، والوصف الذى يورده المقدسي هو دون شك من احسن واقيم ما لدينا ، وهو يضع المقدسى فى الطبقة الاولى من رواد العلم الجغرافى على الاطلاق .

ذروة العلم الجغرافى العربى فى القرن الرابع الهجرى ــ العاشر الميلادى

ذلك ان أبا عبد الله محمد بن احمد المقدسى هو رابع اربعة يعتبرون ذروة العلم الجغرافى العربى فى القرن الرابع الهجرى على مذهب العرب الاصيل ، وهو مذهب البلدانيين والمسالكيين ، اى مذهب الرحلة والمشاهدة وتدوين الوصف والملاحظات بعد ذلك ، ومن هنا كانت كتبهم تسمى كتب البلدان أو كتب المسالك وهي الطرق ، ويجمع الامران فيقال كتب المسالك والممالك ، وربما سمى بعضهم كتابه باسم صورة الارض ، اى خريطة الارض ، لان اساس هذا الطراز من الكتب صورة او خريطة يرسمونها ثم يشرحون الخريطة فى كتاب، وهذه الخرائط لم تكن كخرائطنا اليوم وانما مجرد رسوم توضيحية كما ترسم لصاحبك طريق مكان معين على ورقة ، فانت لا تريد أن ترسم له خريطة دقيقة لهذا الحي او ذاك من القاهرة او بغداد ، وانما انت تدله على اتجاه السير .

نقول هذا لان بعضنا ينظر فى خريطة من خرائط الجغرافيين العرب ويقارنها بخرائط اليوم ثم يمضى يتعجب مما يشاهده من نقص أو خطأ او غرابة شكل ، فاما النقص والخطأ فشىء طبيعى بالنسبة لكل ما اخرجت العصور القديمةوالوسطى فى ميادين العلوم ، وأما غرابة الشكل فسببها ما ذكرناه .

وأعلام هذه المدرسة الاربعة هم أبو زيد احمد ابن سهل البَلْخِى (٢٣٥/٣٢٢ ـ ٨٥٠/٩٣٤) وأبو اسحاق ابراهيم بن محمد الإصْطَخْرى الفارسى (من أهل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) وأبو القاسم محمد بن حَوْقل (معاصر للاصطخرى)والمقدسىالذى يدور عليه هذا المقال. وكتب الثلاثة الاولمنهم تتشابهفىالخطة والاسلوب، بل فى بعض الاحيان نجد البلخى والاصطخرى وابن حوقل يكتبون نفس الكلام حرفا بحرف عن هذا الاقليم او ذاك ، والدراسات كثيرة جدا عن علاقة كل منهما بالآخر .

من يقرؤه يحسبه رجلا شديد الغرور بنفسه ، ولكنه على الحقيقة ساذج طيب القلب

اما المقدسى فيختلف عن زملائه من البلدانيين اختلافا واضحا ، وهو نفسه حريص كلَّ الحرص على ان يَلْتَفِت نظر القارىء الى ذلك ، وله فى هذا المعنى اسلوب جارح كله نقد عنيف لكل من سبقوه بحيث يتصور القارىء أن الله لم يخلق للجغرافية سواه .

وقد اخذ الكثيرون على المقدسى ذلك المذهب ووصفوه بالغرور وطول اللسان والخروج عنسمت العلماء ، ولكن الحقيقة أن الرجل كان مسرفا فى السذاجة واحسان الظن بنفسه ، وكان يحسب انه بلغ من العلم فى هذا الباب مبلغا لم يبلغه احد قبله ولن يدركه احد بعده ، فهو يقول فى فاتحة كتابه : « اما بعد ، فانه ما زالت العلماء ترغب فى تصنيف الكتب لئلا تدرس آثارهم ، ولا تنقطع اخبارهم ، فاحببت ان اتّبع سُنّتهم واَقْتفو سننهم ، واقيم علما احيى به ذكرى ونفعا للخَلْق أُرضِى به ربى ، ووجدت العلماء قد سبقوا الى العلوم فصنفوا على الابتداء(١) ، ثم تبعتهم

(١) يريد اوائل العلماء الذين كتبوا فى هذاالعلم أو ذاك

الاخلاف(١) فشرحوا كلامهم واختصروه فرأيت ان اقصد علما قد اغفلوه ، وانفرد بفن لم يذكروه الا على الاخلال ، وهو ذكر الاقاليم الاسلامية وما فيها من المفاوز والبحار ، والبحيرات والأنهار .. الى آخره» .

ومعنى هذا أن المقدسى ظن انه بكتابه هـذا ينشىء اوبقيم علما اهمله الناس او لم يحسن التاليف فيه احد منهم ، وهذا كلام لا يقوله الا ساذج طيب القلب ، لأن كتابى الاصطخرى وابن حوقل كانا بين يديه ينقل منهما دون حساب وهما ليسا اقل من كتابه قيمة من الناحية العلمية الجغرافية .

وهو يشرح لنا بعد المقدمة منهجه الذى سار عليه فيقول : « اعلم انني اسست هذا الكتاب على قواعدَ محكمة واسندته بدعائمَ قويةٍ ، وتحرّيتُ جهدى الصواب، واستعنت بفهم اولى الألباب ، وسألت الله ، عز اسمه ، أن يجنبنى الخطأ والزلل ، ويبلغنى الرجاء والأمل ، فأعليَ قواعده ، وارصفَ بنيانه بما شاهدته وعقلته، وعرّفته ، وعلقته(٢) ، وعليه رفعت البنيان ، وحملت الدعائم والأركان .. » ، وهذا الكلام لا يشرح خطة ولا يدين منهجا ، ولكن المقدسى تصور انه اتى بخطة ومنهج واضحين فى هذا الكلام الذى قاله !

والمقدسى معذور اذا تصور ذلك «فان الجغرافية من العلوم التى كان من المستحيل أن يصل الناس فيها الى خطة البحث وطريقة الدراسة الا عندما دخلت الانسانية كلها فى طوْر النهوض العلمى الحاسم ابتداء من منتصف القرن الخامسَ عشرَ الميلادى ، والجغرافية الصحيحة بالذات وليدة حركة الاستكشاف ، وحركة الاستكشاف وليدة الاستقرار السياسى النسبى الذى وصلت اليه اوروبا خلال النصف الاول من القرن الخامسَ عشرَ ، وهى ايضا وليدة تقدم فى بناء السفن واختراع البوصلة وانتظام امور الجمهوريات التجارية الايطالية ، وهذه كلها خطوات من التقدم الحضارى البشرى بعضها معتمد على بعض ،ولم يكن من الممكن أن ينشأ منهج جديد للبحث الجغرافى الا اذا سار هذا التطور الحضارى كله الى مداه .

مغامر لم يدع شيئا فى الدنيا الا اقدم عليه فى سبيل اشباع نهمه للعلم والمعرفة

ومع هذا فقد ابتكر المقدسى فى عمل كتابه هذا مذهبا جديدا طريفا ولا نستطيع ان نصف هذا المذهب بانه علمى خالص ، ولكنه طريق من طرق العلم ، وهذا المذهب يقوم على تجربة كل شىء تجربة شخصية وعدم الوقوف بالمعلومات عندما يسمع وينقل عن الاخرين .

والمقدسى هنا مغامر لا يتردد فى اقتحام المخاطر وصحفى لو أتيح له أن يعيش فى ايامنا لكان دون شك من أعلام الصحافة فى الدنيا ، ولأتركْه هنا يتحدث اليك بنفسه لتستبين طرافته وقدرته على استلفات اهتمام قارئه : « ... وما بقيت خزانة ملك الا وقد لزمتها ، ولا مذاهب قوم الا وقد عرفتها ، ولا اهل زهد الا وقد خالطتهم ، ولا ولا مذَكّرو(٣) بلد الا وقد شهدتهم، حتى استقام لى ما ابتغيه فى هذا الباب ، ولقد سميت بستة وثلاثين اسما ، دعيت وخوطبت بها مثل مقدسى وفلسطينى ومصرى ومغربي وخراسانى وسلمى(٤) ومقرى وفقيه وصوفى وولى وعابد وزاهد وسياح ووراق ومجلد وتاجر ومذكر وامام ومؤذن وخطيب وغريب وعراقى وبغدادى وشامى وحنيفى ومتودب(٥) وكرى(٦) ومتفقه ومتعلم وفرائفى واستاذ ودانشموند(٧) ونشاسقه(٨) وراكب ورسول ، وذلك لاختلاف البلدان التى حللتها وكثرة المواضع التى دخلتها .

ثم انه لم يبق شىء مما يلحق المسافرين الا وقد اخذت منه نصيبا غير الكُدْية (التسول)وركوب الكبيرة ، فقد تفقهت وتأدبت وتزهدت وتعبدت وفقهت ، وادبت ، وخطبت على المنابر ، وأذنت

---

(١) اى الاجيال التالية التى خلفتهم

(٢) يريد كتبته او قيدته . علمته .

(٣) من يذكرون بالآخرة ويزهدون فى الدنيا

(٤) تسمية كانت تطلق على من كان يكسب رزقه باللعب والشطارة .

(٥) الغالب أن المراد به متأدب، اى من أهل الادب

(٦) اى عامل بالاجرة ، ويقال أيضا كراد .

(٧) فارسى بمعنى السيد .

(٨) تركي بمعنى الشيخ .

المنائر ، وأممت في المساجد ، وذكرت في الجوامع، واختلفت الى المدارس، ودعوت في المحافل ،وتكلمت في المجالس ، وأكلت مع الصوفية الهرائس ومع الخافقانيين الثرائد ومع النواتي (اى الملاحين) العصائد،وطردت في الليالي من المساجد ، وسحت في البراري ، وتهت في الصحاري ، وصدقت في الورع زمانا ، وأكلت الحرام عيانا ، ومِجْتُ (١) بعُبّادِ جبل لبنان ، وخالطت حينا السلطان ، وملكت العبيد ، وحملت على راسى بالزنبيل ، واشرفت مرارا على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق ، وخدمت القضاة والكبراء ، وخاطبت السلطان والوزراء ، وصاحبت في الطرق الفساق، وبعت البضائع في الاسواق،وسُجِنت في الحُبوس، وأُخِذتُ على أنى جاسوس .. » والفقرة بعد ذلك طويلة بالغة الطرافة .

وواضح ان المقدسي قد عاين ذلك كله ، فهذه الفقرة وحدها لا تصدر الا عن رجل صريح واثق من نفسه شديد الايمان بالهدف العلمي الذى يرمى اليه .

وما اظن أن هناك عالما جرؤ على ان يقول عن نفسه مثل هذا الكلام ...

هذا دون شك رجل فريد في بابه ومفكر أصيل وطالب علم بلغ في اخلاصه له مدى جعله لا يحفل للناس وما يقولون. ومن دلائل تفانيه في طلب العلم قوله : « وما سرت في جادة وبيني وبين مدينة عشرة فراسخ فما دونها الا فارقت القافلة وانفتلت اليها لانظرها (نظرا) فويما وربما اكتريت رجالا يصحبونني ، وجعلت مسيرى في الليل لارجع الى رفقائي مع اضاعة المال والهَم » .

وصف علمي محكم للعالم الاسلامي في عصره

والنتيجة ان لدينا كتابا في وصف العالم الاسلامي هو غاية في الطرافة والفائدة فان المقدسي بعد أن يفرغ من المقدمات يتناول وصف العالم الاسلامي قطرا قطرا بادئا بجزيرة العرب ومنتهيا باقصى شرقي ايران .

وطريقته في الكلام على كل اقليم من هذه ان يبدا بمقدمة يسيرة ، ثم يذكر التقسيم الاداري، ويصف كل قسم وصفا موجزا ثم يتكلم عن مدنه واحدة واحدة وما فيه من المعالم الجغرافية المميزة من جبل او نهر او بحيرة وما الى ذلك ثم يبدا فصلا عاما عن ذلك الاقليم يذكر فيه هواءه .. اى مكانه ، ثم يتكلم عن الاحوال الدينية فيه تحت عنوان « المذاهب » ، ويتحدث بعد ذلك عن الناحية الاقتصادية تحت عنوان «التجارات» ويعقب ذلك بفصل قصير عنوانه «ومن خصائصهم» يذكر فيه ما يمتاز به الاقليم على غيره من منتجات زراعية وصناعية ، وتحت عنوان « رسومهم » يتحدث عن العادات والتقاليد . ويفرد بابا للاثار وما يستحق الفرجة تحت عنوان « المشاهد » ويعقب ذلك فصل هو اشبه بالموجز التاريخي المعاصر (لايامه) تحت عنوان « الولايات » يذكر فيه الحاكم واهله واسرته وتاريخها ، ويتكلم بعد ذلك عن الناحية المالية الحكومية تحت عنوان الخراج ، فيذكر مقادير الضرائب التى تجبى من كل ناحية من نواحي القطر ، ويختم ذلك بايراد مساحته،وينتهى كلامه عن القطر بذكر «المسافات» وهى الطرق بين مدينة ومدينة .

والمقدسي يتبع هذا المنهج بغاية الدقة ، الا في الحالات التى تعذر عليه فيها الحصول على معلومات عن هذه الناحية او تلك .

وهو من الكتّاب الذين يتقصدون الى ما يريدون راسا دون اضاعة وقت في شقشقة لغوية لا تنفع، فكل سطر في كتابه له قيمة ، وهو يستعجل في العادة الالفاظ الاصطلاحية لكل بلد ، وقد يلجا الى العامية في بعض الفقرات اذا وجد ان ذلك اعون على الوضوح .

عندما نقرا فاتحة كتابه نتعجب من غروره وتقديره نفسه .

ولكننا عندما نقرأ الكتاب نعذره فيما قال فقد كتب الرجل شيئا فريدا في بابه ، وعين بكتابه قمة من قمم العلم العربي على مدى العصور. ■

حسين مؤنس

(١) مجت : من ماج يميج أى اختلط .

في سبيل
موسوعة علمية

سُمُّ الثُّعبانِ وتِرْيَاقُه



رأس الثعبان ربط في
طرف عصا من خشب
بواسطة شريط حتى
لا يستطيع أن يتحرك.

■ ولكل سم ٍ ترياق .

والترياق فى اللغة دواء يدفع السموم، فان كان له جمع فقد صح أن يكون ترايق ، او يجمع جمع تأنيث فيكون ترياقات .

وهو بالافرنجية Antitoxin ، اى مضاد السم ، واذن فهو ترياقه . وقد سماه ابن البيطار انتيتقسين .

والذى نتحدث فيه اليوم هو سم الثعبان ، وهو يوجد فى غدة فى فمه متصلة بناب يفرزه الثعبان فى الضحية عند عضه اياها .

وهو هكذا يفعل فى الانسان .

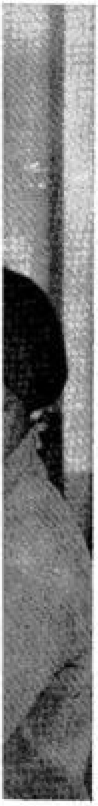
ولسموم الثعابين ترايق او جواهر مضادة تعمل فى اجسام الضحايا ، من حيوان وانسان ، بحيث تفسد عمل السموم ، واذن هي تقي منها .

تحضير سم الثعبان ، وتحضير الترياق منه

ويستحضر ترياق راس الثعبان من سم الثعبان نفسه بالطريقة التى تكشف عنها الصور الملونة المرفقة بصفحتى ٣٨ و ٣٩ .

فبعد ان يربط راس الثعبان فى عصا، ويفتح فكاه ، يفرّغ سمه فى الكاس اذ ينصب من الغدة التى فى فمه عن طريق الناب الذى فى فكه الاعلى . ثم يعالج هذا السم بعد ذلك بما يخفف من وطأته ، ثم يحقن منه فى اجسام الخيل .

والذى يحدث فى أجسام الخيل هو ما يحدث دائما عندما تدخل مادة غريبة ضارة فى جسم حيوان . يقوم الجسم لساعته بصنع ترياق يقي من هذه المادة الضارة ، من هذا السم .

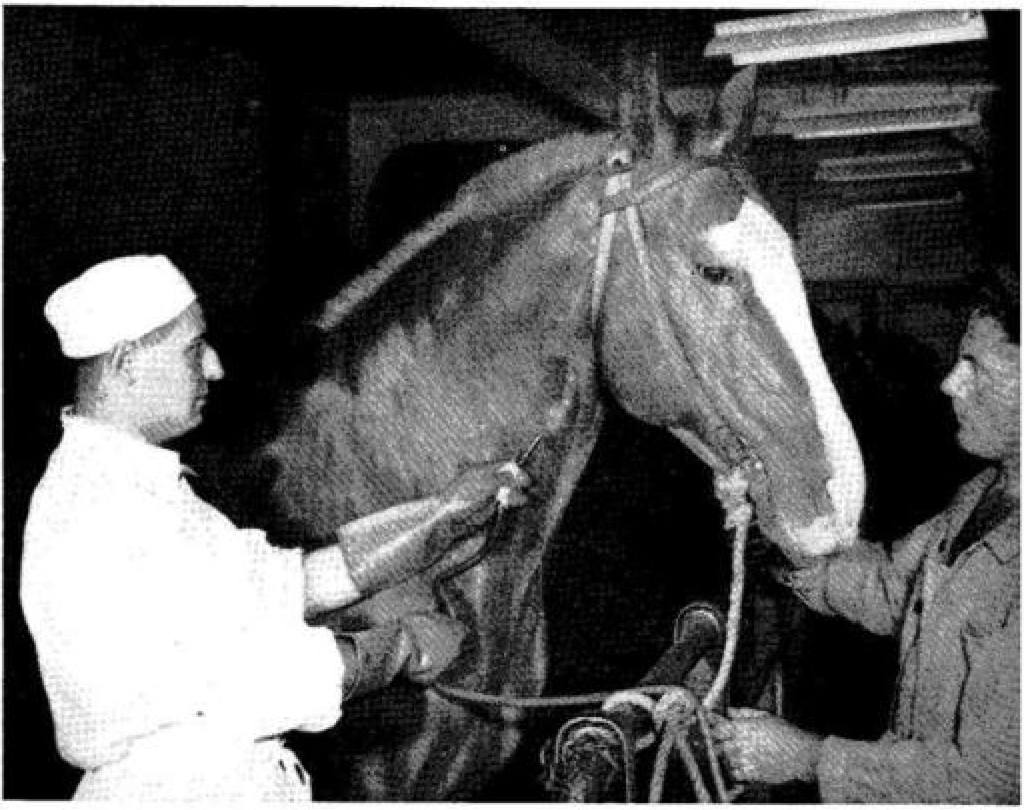


يستحضر المصل عادة من الخيل ، اذ يحقنونها بسم الثعبان مثلا (او مكروب مرض) . فيقوم جسم الحصان بالدفع عن نفسه فيصنع الترياق (او المادة المضادة للمرض).وهي تجرى فى دمه. عندئذ يأخذون من دم الحصان، عن طريق ابرة كبيرة يدخلونها فى وريد الحصان ، مقدارا ، منه يصنعون المصل نقيا.وهو يختزن لحين الحاجة. ولقد تقدم علم الامصال كثيرا منذ بدأه العالم بستور Pasteur فى باريس . والحق أن هذه الصورة هى صورة حصان من ..٥ حصان توجد لتحضير الامصال الآن فى معهد بستور بباريس .

بعد ذلك يؤخذ بعض دم هذا الحصان ، ومن هذا الدم يحضر المصل الواقي ، الترياق، الذى يحقن به الرجل الذى اصابه هذا الثعبان بنابه ، فينفي عنه سوء السم الذى دخل الى جسمه .

الجسم يقوم بتركيب ترياق ليس له به علم سابق

والنقطة الهامة فى هذه الكلمة ،ليست هي التي تتحدث فى السم ، ولا هي التي تتحدث عن الترياق ، ولكن خطر هذه



الكلمة هو فيما قام به الجسم ، ، جسم هذا الحصان أو غيره من حيوان أو انسان (وهو الجسم الذى لا يعقل) بتركيب مركب كيماوى (الترياق) لم يكن له به ولا يتركيبه علم من قبل ، ولا هو بمستطيع عمله او وعي عمله ، هدفه ان ينفي اثر مركب كيماوى آخر (السم) لم يكن له به ولا بتركيبه علم من قبل . ويختلف الترياق باختلاف السم ، ومع هذا يستجيب الجسم لكل اختلاف . ويستجيب على الفور الى ما عجز الجمع من العلماء عن الوقاء به ولو كان بعضهم لبعض نصيرا .

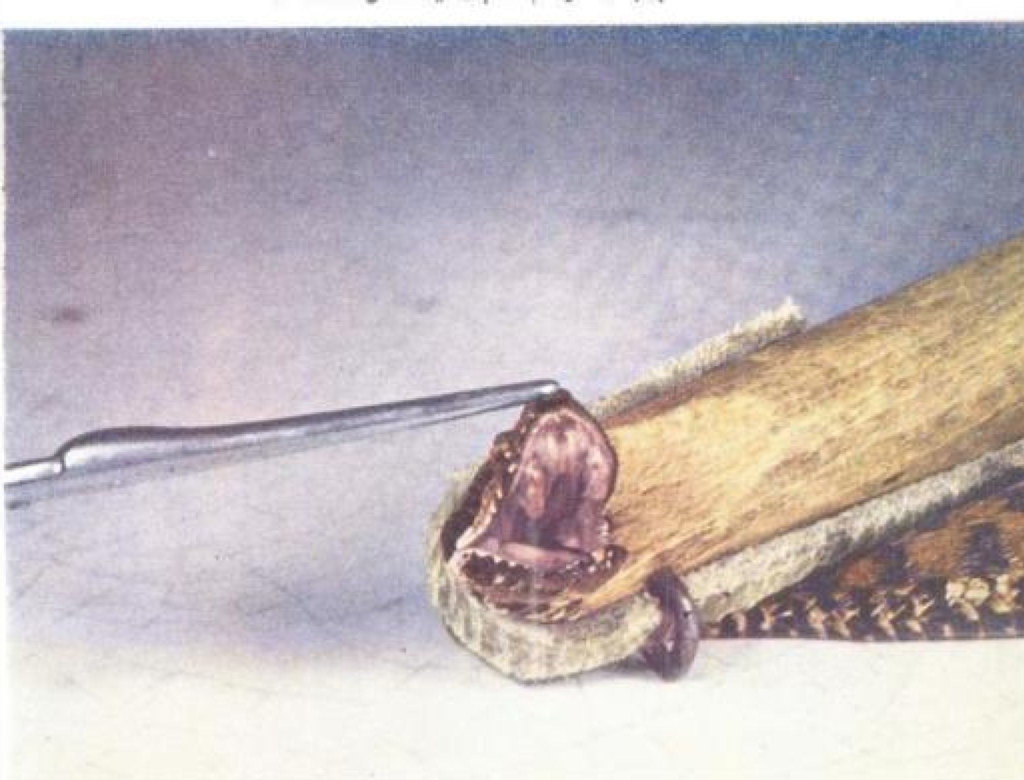
من كل بكتير سم ، ولكل سم بكتير ترياق

وكسموم الثعابين سموم الصنوف العديدة من البكتير التى تصنع فى اجسام الناس الامراض . البكتير يصنع في الاجسام السموم ، والجسم يصنع لها الترياق المناسب لكل سم على حدة . ويعجز هذا الترياق الذى يصنعه الجسم عن الصمود امام المكروب الغازى ، فيعينه العلماء بالامصال ، وهي ترياقات ، صنعتها اجسام حية اخرى . تماما كما تصنع الخيل المصل الذى هو ترياق سم الثعبان .



فم الثعبان يفتحه الرجل غصبا عنه .

الطبيب يمتحن فم الثعبان ليتأكد من سلامته .





الرجل يمسك براس الثعبان من خلف ، ويجعله يصب سمّه من نابه البارز فى وعاء من زجاج .

المصل غير اللقاح

والمصل غير اللقاح .

فالمصل للعلاج ، وقد وقعت الواقعة، وقد اصاب الرجل سم الافعى ، او سموم بدخول المكروب الى جسمه يصنع السموم . ومثال ذلك مصل الدفتريا ، والدوسنطاريا ، والتيتنوس ، ومكروب الالتهاب السحائى او المنجوكوك ، والجمرة الخبيثة او الانثراكس ، وغير ذلك .

واللقاح هو المكروب نفسه ، قتلوه او ذهبوا بعنفه وشرّته . وهو عموما للوقاية قبل ان يصاب المريض بالداء . ومثال ذلك لقاح شلل الاطفال والتيفود والكوليرا ، وبالطبع ابو الجميع واولها : لقاح الجدَرى .

والمصل فيه الترياق ، وقد صنعوه من اجسام الحيوانات باعطائها السم او المكروب ، ثم حصلوا من دمها على الترياق المطلوب . ذلك الذى يسميه الاطباء بالجسم المضاد ، وهو يضاد سم الثعبان ان كان سم ثعبان ، او سم المكروب فينفى فعله .

اما اللقاح فيدخل الى جسم الرجل الصحيح ، فيصنع فيه الترياق ، ترياق المرض الذى يحتوى هذا اللقاح مكروبه ، ميتا او مضعفا . يقوم جسم الرجل الصحيح بصنع الترياق ، صنع الجسم المضاد للمرض الذى يسببه هذا المكروب . وهذا الجسم المضاد يبقى فى الجسم زمانا ، حتى اذا اصاب ذلك المكروبُ هذا الرجل ، صمد الرجل بالذى هو مختزنٌ فى جسمه من الجسم المضاد ومع هذا فكثيرا ما استخدم الاطباء اللقاحات والمرض قائم ، فجعلوها للعلاج ايضا . ■■



الثالوث الحاكم فى روسيا

عن صحيفة لاشبامبا الايطالية (تورين) :

● منذ مدة والاتحاد السوفياتى يسير بقيادة ثالوث من المهندسين المعماريين هو ثالوث بريجنيف ـ كوسيجين ـ بودجورنى . فمنصب الزعيم الحقيقى الذى يتمتع بالحول والقوة ما زال شاغرا .

على ان من البديهيات المسلم بها ان مقاليد السلطة والنفوذ فى روسيا كانت دائما مركزة فى زعيم واحد قائد ، اختلف ، باختلاف الازمان ، من قيصر الى لنين الى ستالين الى خروشوف . وما العودة الى تسمية مجلس السوفييت الأعلى بالبوليتبورو (اى المكتب السياسى) بعد ان اطلق عليه طيلة سنوات خلت اسم البريزيديوم اى مكتب الرئاسة ، وما الرجوع الى تسمية الرجل الاول فى الحزب بالسكرتير العام بدلا من تسميته بالسكرتير الاول الا دليل على التخوف السائد من الزعامة المثلة فى تلك الأسماء الأولى ، وهو تخوف لا يخلو من هالة تقديس وتبجيل تحيط بمنصب الزعيم وتفشاه . الا انه دليل أيضا على وجود ذلك الشاغر فى جهاز الحكم فى روسيا وعلى الشعور الدفين بالحاجة الى ملئه .

رأى للمستر يوثانت فى الصين

عن صحيفة المانشستر جارديان البريطانية :

● يذهب المستر يوثانت الى ان التفسير الحقيقى لسياسة الصين الخارجية انما هو تفسير نفسانى سيكولوجى . « فهى تعامل وكأنها المجرم الخارج على القانون ، وهى مدفوعة بالتالى الى التصرف على نحو من الغرابة والشذوذ » ، كما يقول . ويضيف المستر يوثانت الى ذلك قوله :

« والأقطار التى تعانى مثل ما تعانيه الصين من مراحل النمو تظهر عادة العنف والصلابة فى مسلكها بل تبدى العجرفة والهستيريا فى تصرفاتها » . والمرجح هو الا يبعث هذا التشخيص على رضى الصين ، بل انه يتساوى واتهامات المستر مكنمارا فى اثارة استيائها .

التفرقة العنصرية فى اتحاد جنوب أفريقيا

عن صحيفة واشنطون بوست الامريكية :

● لعل اكثرية الاصوات التي ما زال الرئيس فيروورد Verwoerd وأتباعه من الوطنيين البيض يفوزون بها فى اتحاد جنوب افريقيا ، لعل هـذه الأكثرية المتزايدة لا تثير دهشة احد ولا تبعث على استغراب أحد من السكان البيض فى تلك البلاد . الا ان من شانها ان تخيب امل الملايين فى مشارق الأرض ومغاربها، وتبعث على حسرة الملايين من سكان الاتحاد الافريقيين الذين جُرِّدوا من سائر حقوقهم فى بلدهم وعقر داهم ، فباتوا بحكم الأقلية فيها من حيث وضعهم وهم الأكثرية من حيث عددهم .

لا ريب فان الكرامة الانسانية بالذات ما زالت موضع تحقير ومهانة ما دامت التفرقة العنصرية قائمة فى اتحاد جنوب افريقيا ومفروضة بالقوة. واما ما تقدمه حكومة الاتحاد الى بعض سكان البلاد الوطنيين من عون مادى ومساعدة فلا يغير من الأوضاع ولا يبدل ولا يعدو كونه من قبيل ذر الرماد فى العيون .

فضلا عن ذلك فان النظر الى الأمم وتصرفاتها بالمنظار الذى تنظر فيه الى الافراد وتصرفاتهم ، والعمل على تحليل سياسات تلك الدول بردها الى امراض نفسانية تفسرها ، ليس اساسا سليما للتعامل الدولى وقد يفضى الى شحن الجو بالشبهة والريبة .

على ان المستر يوثانت محق فى سعيه الى تفسير مسلك الصين فى المجال الدولى برده الى الخبرات التى عاناها اهل الصين .

موقف الشعب الامريكي من الحرب الفتنامية

عن صحيفة نهان وان الفتنامية (هانوى) :



● فى الولايات المتحدة الامريكية شعور متزايد ضد استمرار الحرب الفتنامية. ولعل فى هذا الشعور العارم وفى ما قام به اصحابه من اعمال تتسم بالجراة والاقدام ، دليلا على تحول جديد فى موقف شعب الولايات المتحدة نحو حكومته وازاء الحرب العدوانية التى ما زالت تشنها فى فتنام .

لقد ازهقت أرواح الكثيرين من الامريكيين بلا طائل فمات منهم ما لا يقل عن ٣٤٠٠ جندى فى غضون الأشهر القليلة الواقعة بين ابريل سنة ١٩٦٥ وفبراير سنة ١٩٦٦ .

وليس فى وسع جموع الشعب الامريكى ، كما لا يخفى ، ان يستمروا على وقوفهم من حكومتهم وقفة المتفرج المكتوف الذراعين فى الوقت الذى يذوق فيه أهلهم وذووهم الأبرياء مُرّ العذاب، ان لم يلاقوا حتفهم فى فتنام .



ولا شيءَ يبقى !

■ معاً نحن هذا المساء ، وتطويك عنـــي غدا
ضـــراوةُ هذي الحيـــاة
ستقصيك عني بحار ، وهيهات بعدُ أراك
سأجهد دوما الى أين أفضـــى
مسيرُك ، أيَّ اتجـــاه
أخذت ، وأيَّ مصير خفي حثثتَ إليه خُطاك .
ستمضـــى ، وسارقُ كل جميل وغال لدينا
سيسرق هــذي الهناءة منا
ويُفـــرغ منهـــا يدينـــا

* * *

غدا مع وجـــه الصباح ستمضي كطيف
كظـــلٍّ غمامٍ لطيف عَـــبَرْ
ســـريعَ الخطى في ظهيرة صيـف
وعطرُكَ ، عطرٌ له فوحان ، الحياة بقلبي ،
ورائحـــةُ الأرض غِـبَّ عطـــاء المطر .
ونفحُ الشـــــجر
سأفقده حين تمضـــــي غدا
ولا شيء يبقـــــى
ككـــل جميل وغال لدينـــا
يضيـــع ، يضيـــع ، ولا شيء يبقـــى ! ■■

فدوى طوقان ــ نابلس

حيّ على الإصلاح !

● انقلب حال العرب ، رأساً على عقب ، ولهذا التحول أسباب وأسباب .

● الإصلاح يكون : بتوفير الأرزاق ، وبالحكم الديمقراطي ، وبالرجوع إلى قيم سنّتها الشرائع والأديان .

بقلم الدكتور اسحق موسى الحسيني

■ ليرحم الله من يعيش فى المجتمع العربى حاملا معايير القيم الاخلاقية كالصدق والامانة والرحمة والتواضع والحياء والوفاء وما الى ذلك من الصفات التى تحلى بها اجدادنا فى عصور الرقى ! انه يفجع كل يوم فجيعة تقطع نياط قلبه وتورثه الحسرة والمرارة .

وتزداد الفجيعة والوجيعة حين يوازن المرء المجتمع العربى بالمجتمع الغربى ، فى اسفاره أو قراءته أو سماعه الانباء الصحائح .

وما الذى قلب دنيا العرب راسا على عقب ، وطمس تلك السجايا الكريمة ، والشيم الرفيعة التى تتحدث عنها كتب التاريخ والادب ؟ وما الذى يرد الى العرب ما فقدوه ، ويبعث ما اندثر ، حتى يعودوا كما كانوا أمة خيِّرة كريمة متحابة متعاطفة ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ؟

الشعر العربى سجل المكرمات عند العرب

اما ان العرب تحلوا بحميد الصفات وجليل الفعال فامر لا يحتاج الى ايراد الادلة . فالشعر العربى وحده شاهد صدق على ذلك . وهو بجملته يكاد ان يكون شعرا اجتماعيا يسجل المكرمات وينظم المآثر ، او كما قال ابن قتيبة فى كتابه عيون الاخبار : « ومَن لم يقم عندهم على شرفه وما يدعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيتٌ منه – أى الشعر – شذَّت مساعيه ، وان كانت مشهورة ، ودرست على مرور الايام وان كانت جساما . ومَنْ قيدها بقوافى الشعر ، واوثقها بأوزانه ، واشهرَها

بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف ، اخلدها على الدهر ، واخلصها من الجحد ، ورفع عنها كيد العدو ، وغض عين الحسود » .

ولهذا يصح القول ان معظم الشعر العربي شعر « ذريعي » ، بمعنى انه كان ذريعة ووسيلة لتقييد المآثر والمحامد ، لا لغاية في ذاته . وفي القليل منه يتحدث الشاعر عن مشاعره الخاصة ، كمن يناجي نفسه ، او يهمس في اذن غيره . وربما كان هذا سبب الصنعة « الخطابية » التي نلحظها في معظم الشعر العربي . فالشاعر خطيب يقف على المنبر ليذيع البطولات والمحامد والمآثر . وهو سياسي ومصلح اجتماعي ومؤرخ في وقت واحد .

اسباب ستة للتحول العربي

اما لم انقلب الحال ، وغاضت المروءات ورقت الاخلاق ، فلذلك اسباب يمكن أن نجملها في ستة.

تداخل العرب في شعوب كثيرة

الاول : تداخل العرب الاقحاح في شعوب كثيرة، واندماجهم فيها بحكم الفتح المتسم بالتسامح والمساواة ، الدينيين على الاقل . والظاهر انه ما من ربح الا يلازمه خسارة . فقد ربح العرب بفتوحاتهم نشر دينهم ولغتهم ، ولكنهم خسروا ايضا بما ادخله الأوشاب – وهم من كل امة – من انحراف على القيم الاصيلة والسجايا المتوارثة . والبعيد دوما اقل حياء من القريب ، واشد استخفافا بحق التربة وفروض الولاء . وزاد البلاء في العصور التي فقد فيها العرب سلطانهم السياسي فتكونت فيهم أخلاق الامم المغلوبة على امرها . والحاكم – وان كان ظالما – يستشعر في نفسه الرفعة ، أو على الاقل يتلبس بأخلاق السيد . اما المحكوم فيشعر في نفسه الضعة ، وان غالبها وتعلق بأهداب المعالي .

شيوع الفقر

والثاني : شيوع الفقر نتيجة عدد من العوامل، كترف الاقلية على حساب الاكثرية ، والتبذير الذي لا يقابله انتاج ، والتخلف الحضري ، وآفات الطبيعة ، وما الى ذلك من عوامل نقرؤها حينا في ما سطره التاريخ ، وحينا في ما لم يسطره التاريخ . والفقر أبو الرذائل، بل جدها الولود المكثار ، لا سيما حين تقرن به عوامل أخرى تزيد في استفحاله .

ظلم الحكام

والثالث : ظلم الحاكم او الحاكمين او طبقات من الشعب استأثرت بالخيرات دون غيرها من سواد الشعب ، وامترت نفسها بالقوة ، ودعمت ظلمها بالقانون ، ونفذت احكامها بالجور والبطش . وأكثر ما يؤتى الشعب من فساد ساسته .

اختفاء القدوة الصالحة

والرابع : اختفاء القدوة الصالحة او تضاؤلها حتى امست الرعية بلا راع ، والقانون بلا محام ، والقوة بلا رادع . وكان رجال العلم والدين في تاريخنا الذهبي ينصبون انفسهم حماة متطوعين عن حقوق الناس ، يخافون الله ، ويرعون الحقوق ، ويأخذون للضعيف من القوي، وللمظلوم من الظالم ، ويرشدون الضال في صلابة وجراة ، وان كان سيدا او ولي أمر . ويوم استبد السلطان ، وجعل نفسه ظل الله على الارض ، المعصوم عن الخطأ ، وحكّم السيف في الرقاب ، تراجع رجال العلم والدين ، وفقد الشعب القوة الوازعة .

ضعف الايمان

والخامس : ضعف الايمان الحق بالله وبرسله وبكتبه ، والاستعاضة عن ذلك بالعبادات الشكلية حتى أضحى الدين حركة بلا روح ، ورياضة بلا قواعد ، ومعاملة بلا أخلاق .

انتشار الانانية والاستسلام للاقدار

والسادس : انتشار الانانية واللامبالاة واليأس من صلاح الحال والاستسلام للاقدار .

وهكذا ضاعت المروءة ، ووهنت الروابط الاجتماعية ، وفقدت القيم الخلقية ، وأضحى القابض على دينه كالقابض على جمر .

وكيف نصلح المجتمع ونرد اليه ثقته بنفسه وايمانه بالقيم الخلقية ؟

اول خطوة اصلاح : توفير العمل والرزق للناس

ان رخاء المجتمع المادي وتوفير العمل والرزق

للناس كافة اولى الخطوات . وفى المجتمع العربى من موارد الرزق ما تكفى كل فرد فيه ، فيه الماء والنفط والذكاء البشرى والمناخ الملائم لقيام حضارة شبيهة بالحضارة المصرية القديمة ، والحضارة التى ازدهرت فى العراق قبل الاسلام وبعده وحضارة الاندلس . وما نحسبه عوائق لم يعد كذلك فى نظر العلم الحديث . فقد استطاع العلماء ان يستثمروا الارض المكسوة بالثلج والصحارى المغطاة بالرمال . ولا مفر من البدء من حيث انتهي غيرنا بالانتقال الثورى من حياة القرون الوسطى الى حياة عصر الذرة والفضاء . ان تأمين لقمة العيش ، والقضاء على الجوع والحرمان ، وتيسير العمل لكل قادر ، ضمان للطمأنينة وكبح للانحراف والفساد .

لا بد ان يقرن الرخاء المادى بحكم ديمقراطي سليم

ولا بد من ان يقرن الرخاء المادى بحكم ديمقراطى سليم قوامه العدل والحزم وتقوى الله . وشعارنا القديم « العدل أساس الملك » ينبغى ان يرتفع ثانية حتى يصبح مصباحا ينير الطريق امام كل انسان ، حاكما كان أو محكوما . لقد كفل الشرع لكل انسان ماله وعرضه وحياته وحريته ضمن اطار الدولة . واذا اطمأن المرء الى توفير حقه كاملا لم يتخلف عن اداء واجبه ولم يعتد ولم يَعث فسادا .

ولا بد من الرجوع الى قيم ومعايير فى السلوك رسمتها الاديان

ويلازم ذلك تطور فى داخل النفس ليكون السلوك الخارجي على وفق مبادىء اصيلة ، وقناعة ذاتية ، لا سَوْقا بحكم القانون او النفاق الاجتماعي . وقد الف الناس فى بلادنا ان تكون القيم الاجتماعية والخلقية منبثقة من التعاليم الدينية او موصولة بها . والدين ــ اسلاما كان ام مسيحية ــ يمد المؤمن بقيم كلها حاضة على الخير والاستقامة والصدق والامانة وما الى ذلك من صفات تجعله ملاكا سماويا على الارض الدنيوية . ولكن هذه القيم قد علاها الصدأ واصبحت آلية وتعطلت قوتها . ورجال العلم والدين مسئولون امام الله والناس أن يؤكدوا هذه الصفحات الكريمة وان يصوغوها صياغة جديدة تلائم روح العصر .

لقد ثار ابو العلاء المعرى على مجتمعه يوم رآه ينحرف عن الجادة ، وأرسل أبياته ــ فى اللزوميات ــ حمما على رؤوس المنحرفين . وأخطأ من زعم انه خرج على الدين أو كفر بربه . لقد كفر بتقاليد المجتمع وبأخلاقه القائمة على الرياء والظلم والعبادة الآلية المجردة من الروح . ولكنه ظل راسخ الايمان بربه .

اذا قومنا لم يعبدوا الله وحده
بنصح فانا منهم بُرآء

وراع المعرىَّ ان يفقد العلماء وأن يفشى السواد الغي .

فقدت فى ايامك العلماء
وادلهمت عليهم الظلماء
وتغشى دهماءَنا الغيُّ لما
عطلت من وضوحها الدهماء

ان الذين يهدمون الدين يهدمون القاعدة الاساسية التى ترتكز عليها انسانية المرء . ولم يقطع الانسان هذه المراحل الطويلة من الحضارة الا برعاية القيم الخلقية والاجتماعية التى امدَّه بها الدين . وقد فعل الدين فى النفوس وبلغ منها ما لم يبلغه قانون او نظام عربي .

ودب فى المجتمع يأس نتيجة ما ذكرنا من عوامل ، يأسٌ عند الفرد من اصلاح المجتمع ، ويأس عند الحاكم من اصلاح المحكوم ، ويأس عند العلماء من اصلاح الناس . ونتج عن ذلك موقف « عدم المبالاة » او استقلال كل فرد بوزره . وهذا موقف يفقد المجتمع الخيط الذى ينتظمه ، والحزام الذى يشده ، والعماد الذى يستقطبه . ومن الطبيعي ان ينبثق من الظلمة نور ، وعن الازمة فرج ، وعن اليأس شجاعة مؤمنة واثقة . وقد أرسل الله انبياءه فى الازمات المؤرِّبة ، وظهر القادة المصلحون ظهور النجوم فى الليالي الحالكة . وما اخلقنا ان نصغي لصوت المعرّى :

الجسم كالصفْر يكسوه الثرى صدأ
والخير كالتبر لا يدنو له الدنس
ان دام فى الارض عُمرَ الدهر مختزَنا
لما تغير مما يعهد الانس

وما احوجنا الى مصلحين يعيدون الى نفوسنا الثقة والرجاء والايمان ! وما اجدرنا بان نهتف من اعماق قلوبنا :

« حى على الصلاح ! » . ■■

اسحق موسى الحسيني



آرثر كونان دويل

الطبيب الكحال .. مبتكر شخصية شرلوك هومز ، والروائي الذي طغى اسم بطل رواياته على اسمه !

بقلم : الدكتور فخرى الدباغ

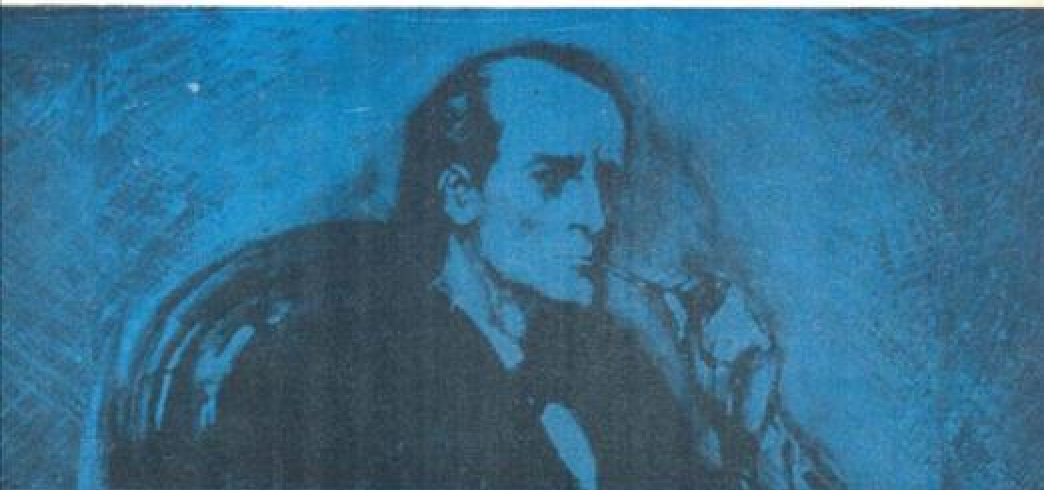
■ « .. دويل ، لقد عرفتك لمدة سبع سنين ، وفهمتك جيدا .. وسأقول لك شيئا ستتذكره طيلة حياتك .. وهو انك سوف لا تصبح شيئا ذا نفع أبدا .. »

هذا ما خاطب به أحد مدرسي آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ ـ ١٩٣٠) في السنة الاخيرة من دراسته الابتدائية ! ولكن (دويل) حقق في حياته أكثر من شيء وأصبح من مشاهير العالم . وقدطغى اسم (شرلوك هومز) Sherlock Holmes على المؤلف ذاته ، وطغت شهرة المؤلف في روايات (هومز) على كل ما امتاز به من انتاج في مختلف ميادين الادب . ولكن انتاجه الادبي الآخر ونشاطه كانا أهم بكثير من روايات شرلوك هومز .

نشـأته

كان (آرثر كونان دويل) ايرلندى الأصل ، اسكتلندى الولادة ، وانكليزى النشأة . ولد في أدنبرة سنة ١٨٥٩ من عائلة فقيرة . وكان والده يشتغل صباغا . وكانت نشأة (دويل) اسبرطية .. ، ففى سن السابعة دخل المدرسة وكان يتعارك مع زملائه وخاصة للدفاع عن الضعفاء . ومع ميله الى العراك والرياضة كان له ولع شـديد بالقراءة وقرض الشعر . وقد قرأ ديوان (ماكولى)

(١) انظر مقالا آخر عن كونان دويل في العربي عدد ١٢ شهر نوفمبر ١٩٥٩ .



Macaulay عن هوراتيوس Horatius الرومانى وحفظه عن ظهر قلب .

وفى سن التاسعة التحق بمدرسة (ستونى هيرست) التابعة للجزويت . وهنالك بدأ يلتهم كتب الاغريق . وكان نظام المدرسة فى تناول الطعام اسبرطيا .. وكان عقابهم قاسيا ، وكان دويل معرضا للعقاب الكثير بسبب كثرة مخالفاته .. ، ولكن تحمله للعقاب كان يفوق بقية زملائه .. ! ولم يكن ممتازا فى دروسه ، ولكنه كان نشيطا فى ميدان الرياضة وبارزا فى القاء النثر والشعر أمام شخصيات المدرسة وزوارها . وتولى رئاسة تحرير مجلة المدرسة فى السنة الأخيرة . وفى تلك السنة اكتشف شيئا مهما أثر فى حياته الادبية وحدد معالمها الا وهو موضوع التاريخ . وكانت مقالات ماكولى فى التاريخ قد سحرته بعد ان كان ينفر من كل ما يتعلق بالموضوع . وكانت لروايات سكوت Scott نفس مكانة ومفعول مقالات ماكولى فيه . وغادر دويل المدرسة وهو فى سن السادسة عشرة من عمره .. ، وكانت آخر كلمة توديعية تلقاها من أحد مدرسيه تلك التى ذكرناها فى أول المقالة – من أنه سوف لا يصبح ذا نفع .

دويل الطبيب

رجع (دويل)الى أدنبرة حيث الفقر والكفاح. وكان أبوه لا يزال صباغا محدود الدخل وفير النسل ! .. ولولا قرار والدته بأن عليه أن يصبح طبيبا لاتجه الى العمل الجسمانى .

دخل (دويل) جامعة ادنبرة سنة ١٨٦٧ .. ، وكان بين كتبه الطبية القليلة كثير من كتب الروائى الانجليزى تاكرى Thackeray والروائى ميردث Meredith و واشنطن .. ، بل انه بدأ يجمع له مكتبة صغيرة ، وتأثر بقصص ادجار الان بو Edgar allan poe وسكوت Scott .

وكان يمتاز دوما بالبساطة وبشدة تأثره بكل ما هو مهم .

وتخرج طبيبا واستقر فى مدينة بورتسموث Portsmouth بانجلترا ومارس الطبابة واستفاد منها بدخل مناسب . وكان اتجاهه انسانيا ، وسر نجاحه قابليته الامتزاج بالناس ومسايرتهم. وهنالك اشترك فى عدة نواد ، وأسهم فى كل المناشط ، والقى المحاضرات السياسية والأدبية.

وتزوج من فتاة اسمها لويز كان قد تعرف عليها عند زيارته ومعالجته لأخيها المريض . ثم سافر الى فيينا حيث اختص بأمراض العيون ، ثم استقر فى لندن وفتح له عيادة فى شارع هارلى Harley شارع الأطباء الشهير .

بداية الطريق

وفيما بين سنتى ١٨٧٨ – ١٨٨٣ كتب دويل غرائب قصص لم تنشرها له أغلب الصحف .

لم بدأ بتاليف الروايات التى اجتذبت قــراء ووجدت لها بعض الصدى .. ، ولكنه خلال كل ذلك لم ينقطع عن القراءة فى التاريخ والشــعر والنثر .

شخصية لا تنسى

عندما كان كونان دويل يطالع القصص المتسلسلة فى الصحف المحلية ، فكر فى ان ايجاد شخصــية واحدة تتكرر فى سلسلة من القصص المنفصلة قد تكون اشد وقعا لدى القراء . وكانت شخصية شرلوك هومز فى مخيلته منذ ان كان تلميذا فى كلية الطب حيث التقى هناك باستاذه الدكتور بيل . وكان الدكتور بيل جراحا دقيق الملاحظة ، سريع البديهة ، له تقاطيع وحركات نفاذة . ولم ينس دويل قط حادثة واقعية — من بين جملة حوادث اخرى — جعلته ينظر باعجاب عميق الى شخصية استاذه الدكتور بيل وتخليدها . يروى دويل تلك الحادثة :

كان مــع بقيــة زملائه تلاميذ الكليــة الطبية يستمعون الى الدكتور بيل وهو يفحص مريضا تلو الآخر .. ، ويدخل المريض الرابع — وهو رجل كهل — وتدور بينهما المحاورة التالية :

الدكتور بيل — حسنا ايها الرجل .. ، يظهر انك خدمت فى الجيش ..

المريض — .. آه .. ! ، نعم .

— .. وفى فرقة جبلية .. ؟

— .. آه .. ! ، نعم .

— وبرتبة ضابط ؟

— .. آه . !! ، نعم .

ومن حامية (باربادوس) ؟

— آه !!! . ، نعم .

ويلتفت الاستاذ نحو تلاميذه قائلا : « .. ترون ايها السادة بان الرجل يبدو شخصا محترما ، ولكنه لم يرفع القبعة عن راسه حينما دخــل القاعة .. ، وفى الجيش لا يرفعون قبعاتهم . ولو انه كان ترك الجيش مدة طويلة لتعلم الاصول المدنية . وتبدو عليه مسحة من السيطرة والاعتزاز ، فهو اذن اسكتلندى ومن المناطق الجبلية . اما عن حامية باربادوس فلانه يشكو من مرض الفيل وهو مرض لا يوجد فى انكلترة بل فى الهند الغــربية — حيث حامية باربادوس » ..

ظهور شرلوك هومز

وهكذا ظهر شرلوك لاول مرة فى سنة ١٨٨٦ فى رواية « فضيحة فى بوهيميا » . ولم يكتــف دويل بالاستعارة من شخصية استاذه الدكتور بيل ، بل انه تاثر بشخصيات حية اخرى وباساليب روائية اخرى مثل شخصية صديقيه الدكتور بلو Blow والدكتور كلى Kelley ، واسلوب فولتير Voltaire فى قصة زادج Zadig ، وبقصص ادجار الان بو . ولقد كان انتاجه سريعا جدا ووفيرا جدا — رواية فى كل اسبوع تقريبا ..! وطارت شهرته وشهرة بطله هومز سريعا ايضا ، فترك العمل كطبيب وآثر التفرغ للادب فقط .

ان رجل الشارع وعامل الميناء والمنجم ، وكل رجل له اطلاع بسيط يستطيع ان يدرك من هو شرلوك هومز . ويقول احد النقاد بان ٩٠٪ من الشعب البريطانى وملايين عديدة فى انحاء العالم يعرفون اربعة اسماء فى تاريخ الادب يرمز كل واحد منها الى معنى خالد ، وهى : « روميو » ويمثل الحب .. ، و « شيلك » ويرمز الى الجشــع .. و « روبنسون كروزو » ويرمز الى المغامرة .. و « شرلوك هومز » ويرمز الى الروح الرياضية .

ولقد تغلغلت شخصية هومز فى الفكر العالمى الى درجة جعلت كثيرا منهم يعتقد بانه شخصية حية !! .. اما الذين يمرون فى شارع بيكر فى لندن — حيث سكن هومز فى رواياته — فانهم يدققون النظر ويتلفتون يمنة ويسرة ليحققوا اين هو مسكنه بالضبط !

هومز يموت ويبعث من جديد

ولما قضى على هومز بان يتوفى فى سنة ١٨٩٣ انهالت على دويل الرسائل من القراء تلح عليه بالاستمرار فى كتابه روايات شرلوك هومز ! .. واضطر بعد الحاح مزعج ان «يحييه» من جديد!!

وكانت المغامرة الاخيرة هى الستين صدرت فى سنة ١٩٢٧ وكان عنوانها «Shoscombe old Place»

ان روايات هومز مع ما امتازت به من رياضة عقلية وحبك واثارة ، كانت تعوزها الدقة العلمية والترابط التاريخى ، والمدقق فيها يستطيع ان يضع يده على متناقضات وارتباكات تنطلى على القارىء السطحى .. ولكنها مع ذلك اصبحت روايات عالمية .

دويل .. الآخـر ..

لعل روايات هومز المحققت حق دويل فى ميادين الفكر الاخرى .. ، اذ كانت اوجه نشاطه عديدة .. التاريخ .. الرياضة .. السياسة .. الدين والروحانيات .. التنويم المغناطيسى وما فوق الطبيعة .

وكانت قابليته على الكتابة عظيمة .. ، كان يكتب فى الفجر ، وبعد لعبة (جولف) ، وفى غرفة مزدحمة بالناس ! وكانت قابليته الحديث فى كل موضوع متساوية فى الدين او الجريمة او الادب او السياسة .. وكان يتوق دائما الى الاسهام فى خدمة غيره .. ـ « اود ان اشعر بان لى تاثيرا عمليا فى شئون عصرى ، مهما ضؤل .. » ، وكان بالحقيقة ذا تاثير خطير فى شئون عصره. من ذلك :

فى حقل الجريمة والقضاء

كانت كتاباته عن شرلك هومز قد جعلته يتتبع شئون الحوادث الجنائية المهمة .. ، وقد اهتم بقضيتين شهيرتين حكم فيها القضاء الانكليزى خطا على المدعو « اوسكار سليتر » بالسجن المؤبد ، وعلى « ايدالجى » بالسجن لمدة سبع سنوات . وكانت كتابات دويل فى الصحف وتحقيقاته الخاصة ذات الأثر الفعال فى استبدال الحكم بالبراءة فى كلتا القضيتين ، وبذلك اثبت ذكاءه البوليسى عمليا وليس فى روايات هومز فقط .. ، كذلك اثبت اخلاصه ودفاعه عن حقوق الافراد بالاضافة الى جهوده فى الدفاع عن حقوق الانسانية .

وفى ميدان السياسة ...

رشح نفسه للنيابة عن اسكتلندة مرتين ، فى سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٥ وفشل فى المرتين ، وكان سبب فشله اخلاصه وصراحتـــه وفقدانه « اللعب السياسية » . على ان ذلك لم يثنه عن الاستمرار فى التأثير فى شئون عصره بطرق اخرى غير البرلمان. فقد اسس « نادى البندقية » ودعا الى فتـــح ممرات وانفاق تحت القنال الانكليزى .. ، ودافع عن حقوق اهالى الكونغو واسهم لمدة سنتين فى « جمعية الكونغو » مع « موريل » ، واصدر كتابا اسماه « جريمة الكونغو » دفع الحكومة البلجيكية آنذاك الى تحسين معاملتها لسكان الكونغو . وكان يحض على السلام . وزار جنوب افريقيا اثناء حرب البوير . وكتب مقالات عديدة يحذر فيها من وقوع الحرب العالمية الأولى .. ، وهو الذى توقع خسارة انكلترة الجسيمة بواســطة الغواصات الالمانية . وألف « جمعية المحاربين المتطوعين » ممن تزيد اعمارهم على سن الجندية. وبلغ عدد تعداد الجمعية مائتى الف فى انحاء القطر .. ، وكانت تقوم بعمل اى شىء يطلب منها . وخلال الحرب ، الف كتابه « معركة الانكليز فى فرنسا والفلاندرز » فى ستة اجزاء .

.. وفى ميدان الاجتماع والرياضة

اصبح رئيسا « لجمعية الكشافة للشباب » .. وكان رئيسا لاتحاد « اصلاح قانون الطلاق » .. وكان مولعا بركوب الخيل، وقد سقط مرة من على راسه ورفسه الحصان فى عينه التى كادت ان تفقد البصر تماما . وكان لاعبا خطيرا فى الكريكيت والجولف ، ولاعب كرة قدم ومبارزا ..

ولما توفيت زوجته الاولى تزوج من اخرى تدعى (جين) .

.. وفى حقل التاريخ والفكر والادب ..

الف دويل فى التاريخ ، وكانت كتاباته تمتاز بالدقة والحركة والصدق .. ، ومن مؤلفاته التاريخية « نابليون » ، و « مدينة بورتسموث » ، و « الجمعية البيضاء » ، و « السر نيجيل ».. ومن رواياته المتسلسلة الشهيرة ايضا «جيرارد».

وكتب للمسرح ، وحول قسما من رواياته الى تمثيليات . وكانت آخر مؤلفاته فى سنة ١٩٢٩ فى رواية Maracot Deep وهى تدور حـــول

حضارة قديمة اكتشفها العالم « ماراكو » فى قاع المحيط الاطلسي .

وقد اهتم دويل بالدين والروحانيات .. ودرس البوذية والفعنها كتابين أحدهما اسمه «الطفيلي». والاتجاه الروحي وما فوق الطبيعة جعلاه يهمل تعاليم الجزويت والمعتقدات الأخرى فى ايامه . اراد أن يجد الحقيقة .. وآمن بالحياة بعد الموت .. وكرس جهودا مضنية لنشر التعاليم الروحية بعد الحرب العالمية الأولى .. وقد حاربه الكاثوليك والبروتستانت والاشتراكيون العلميون والأحرار على السواء .. ففقد كثيرا من شعبيته السابقة منذ اعتناقه هذا المذهب .

صداقاته .. ورحلاته ..

لم يكن دويل متصفا بشواذ الفنانين المعروفة .. ، ولذلك وصفه أحدهم : « .. انك لا تجد شيئا غريبا أو سخيفا فيه .. » . وكان لدويل أصدقاء مشاهير كثيرون ، منهم « أوسكار وايلد » Oscar wilde و « أنتونى هوب » Antony Hope مؤلف « أسير جزيرة زندا » Prisoner of zenda .. وجيروم جيروم Jerome Jerome مؤلف « ثلاثة رجال فى قارب » . ومساجلاته مع برنارد شو Shaw مثيرة سنذكرها فى موضع آخر. وفى سنة ١٩٠٢ منح لقب « سير » ، وفى صباح يوم من نيسان ١٩١٧ تناول طعام الافطار مع رئيس وزراء بريطانيا حينذاك (لويد جورج) .

وزار فيينا وباريس .. وسافر الى مصر مع زوجته حيث وجد بعض رواياته مترجمة الى العربية . وفى وادى حلفا نبتت لديه نواة قصة جديدة كانت « مأساة كوروسكو » . وسافر الى سويسرا حيث الف فيها عدة روايات وأبحاث .. ودعى لالقاء محاضرات فى أمريكا سنة ١٨٩٤ .

.. مع برنارد شو ..

فى سنة ١٩١٢ غرقت الباخرة العظيمة «تيتانيك» ذات حمولة ٤٦٫٣٢٨ طن بعد أن اصطدمت بجبل جليدى عائم ولم ينج من ركابها الـ ٢٢٠١ الا ٧١١ . وبقى فيها الكابتن « سميث » الذى انتحر بان اطلق على نفسه النار مع أربعة من ضباطه غما وغيظا .. ، وكانت المأساة الشغل الشاغل للرأى العالمى والبريطانى على السواء ، وأسهمت الصحافة بالجزء الوفير من النقد والتعليق ــ من مادح ، ومن قادح .. وكان السير آرثر كونان دويل مادحا متحمسا مبجلا لموقف القبطان سميث ، بينما كان برنارد شو متهكما قادحا مستهزئا به. وقد كشفت مساجلات الاثنين عن طابع الشخصيتين الشهيرتين : شو الايرلندى ، البروتستانتى ، المنطقى التهكمى، ..ودويل الايرلندى، الكاثوليكى، الخيالى ، المندفع الجدى !! . وكان ملخص رأى دويل بان القبطان قام بعمل بطولى خالد وانه قام بواجبه باخلاص وان شو لم يقدره حق قدره بل انه وصف ادعاء شو بالبهتان ! .. ، أما برنارد شو فقد علق على انتحار القبطان بانه كذبة خيالية و « بطولة فارغة » لان البطولة الحقة هى الحذق واليقظة وتجنب الاخطار والمآسى وتهكم على كل حركة جرت على الباخرة الغارقة .

وقد علق أحد النقاد على تلك المساجلة التاريخية بان الشعب البريطانى وان كان مقتنعا بوجهة نظر برنارد شو منطقيا .. ولكنه كان فى صف آرثر كونان دويل من الناحية الوجدانية .

خاتمة المطاف ..

كانت آخر رحلات دويل الى الاقطار الاسكندنافية .. وهنالك انتابته نوبة قلبية تبعتها عدة اغماءات .. ، فرجع من « أوسلو » فى نهاية الرحلة وهو شبه حطام .

وفى يوم ٧ تموز سنة ١٩٣٠ زاره احد أصدقائه فخاطبه دويل قائلا ــ « اننى سعيد ونشوان .. مستعد للذهاب .. وأعرف ان الحب والحياة أبديان .. » .

وكانت زوجته تمسح جبينه براحة يدها فالتفت نحوها قائلا ــ « جين .. ، لقد كنت طيبة كريمة معى ..» ، ثم لفظ انفاسه الأخيرة . ■■

الموصل ــ العراق : **فخرى الدباغ**

الـزّنـوج في مَعْرَكـة الإسْلام

بقلم : حسن الامين

■ كرّم محمد بن عبد الله (ص) الانسانية كلها فالغى الاضطهاد العنصرى الغاء عمليا حين اختار لاقدس مهمة زنجيا اسود اللون ، وجعل منه مؤذنه الذى ينادى المؤمنين للصلوات فى فى اوقاتها الخمسة .

هذا الاسود هو بلال الحبشى الذى كان عبدا من عبيد قريش فلم تكد تبلغه الدعوة الاسلامية حتى كان اول الملبّين لها، وتعلم به قريش ، ويعلم به سيده (امية بن خلف) ، فينصحونه بالعدول عن الطريق الذى مشى فيه فلا يقبل النصيحة ويستمر مسلما مخلصا ، فياخذون فى تعذيبه العذاب الاليم ، ولكنه لا يزداد الا ايمانا ، ثم يفر بنفسه الى المدينة مع من هاجر اليها ، وهناك صار مؤذن الرسول . ولقد كانت فى صوته لكنة فلا يستطيع ان يلفظ الشين لفظا صحيحا ، بل تخرج من فمه وكانها سين ، فيقول الرسول (ص) ان سينه عند الله شين .

وعلى صوت بلال الحبشى كان يهرع شيوخ المسلمين وشبانهم الى المسجد ملبين نداء الله يبعثه هذا الانسان الاسود اللون . ولم يكن تكريم لعنصر بلال اعظم من هذا التكريم الذى خصه به رسول الله ، ولذلك فانه لما مات النبى انقطع الى اهل البيت مخلصا لهم وفيا لذكرى ابيهم الرسول .

بين الجحود والوفاء

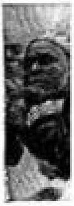
وتدور الايام ويلقى اهل البيت محنا وارزاء ، ويبرز الاوفياء ملتفين حول الاسرة النبوية عازمين على الموت دونها اخلاصا لمحمد ورسالته. ويقف الحسين فى كربلاء فى اقل من مائة من الرجال كانوا يمثلون فى تلك الساعة انبل ما فى الكون من سجايا ، وهل فى الكون انبل من ان يبذل الانسان دمه طواعية وفاء لرجل وثباتا على مبدأ واخلاصا لعقيدة.

وتبارى الرجال فى التضحية ومضوا يسقطون واحدا بعد الآخر . وكان فى الركب الحسينى رجل بسيط، لا يحسب اذا حسبت البطولات ، ولا يذكر اذا ذكرت التضحيات، لا يؤبه لرأيه ولا يعد لمهمة من مهمات الامور .

كان يؤمر فيلبى الامر ، ويستخدم فيخدم مسرعا ، كان اقصى ما يعرفه







من مزايا الاسلام انه قضى على التفرقة العنصرية ، وقال انه لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا لابيض على احمر .

الرفاق عنه انه خادم أمين وتابع مخلص. وما فوق ذلك فليس مما يرد اسمه على البال .

كان رقيقا من اولئك الأرقاء السود الذين امتلأت بهم قصور العتاة وبيوت الطغاة ، وكانت اية حشرة تلقى عناية اكثر مما يلقاه اي واحد منهم . وكان نصيبه ان وصل الى يد ابي ذر الغفاري صاحب محمد المخلص ، وسمع ابو ذر النبي (ص) يوصي بالأرقاء خيراً ويحض الناس على تحريرهم ، ومن اولى من ابي ذر بتنفيذ وصايا النبي فأعتق ابو ذر العبد (جون) وارسله حرا .

واصابت المحنة ابا ذر وطورد واضطهد ومات منفيا في الربذة ، وظل جون فقيرا معدما ، فتلقاه اهل البيت بالحنان والعطف فقد كانت فيه ذكريات من صاحب جدهم رأوها جديرة بالوفاء فاحتضنوه والحقوه بشؤونهم يقوم على رعاية بيتهم والعناية بأطفالهم وقضاء حاجات رجالهم .

جون في كربلاء

ومشى الحسين الى كربلاء ، وهذه حال جون ، لا شأن له اكثر من هذا الشأن ، ولا من يفكر بأن يكون لجون دور فوق هذا الدور . وكان في حسبان الجميع انه سيغتنم اول فرصة للسلامة فينجو بنفسه وينشد الخدمة من جديد في بيت جديد .

ولكن جون بقي في ركب الحسين لم يفارقه مع المفارقين، وثبت مع الرجال المائة الذين ثبتوا حتى وصلوا الى كربلاء وظن الناس أن (جون) سينتظر الساعة الحاسمة ثم ينطلق بعدها في طريق النجاة، ولكن الأيام مضت وجون في مكانه لم يبرحه ، وجاء اليوم التاسع من المحرم وجون قائم على خدمة الحسين ، فها هو



يصلح له سيفه والحسين يردد تلك الأبيات الشهيرة التي لم تستطع معها اخته زينب الا أن تذرف دموعها .

اما جون فلم يذكر احد أنه انفعل او تأثر او بكى ! اتراه لم يفهم ما كانت تعنيه تلك الأبيات؟! أتراه صلب العاطفة متحجر القلب الى حد لا يهزه صوت الحسين ينعى نفسه ؟! أتراه في تلك الساعة في شاغل عن كل شيء الا عن نفسه يفكر كيف يدبر وسيلة الخلاص عصر اليوم او صباحه ؟

معالم الوفاء

الحقيقة كانت فوق كل تصور ! .. لم يبك جون ولم ينفعل ولم يتأثر ، لأن ما كان فيه كان فوق البكاء والانفعال والتأثر . كان جون وهو يصلح سيف الحسين ، والحسين ينشد أبياته ، كان جون يستعرض في ذهنه كل ذلك الماضي الحافل ، كان يتذكر النبي محمدا (ص) وهو يرفع الانسان الأسود الى أعلى مراتب الكرامة حين عهد الى واحد منهم بوظيفة مؤذنه الخاص ، وكان يتذكر تلك الألوف من السود التي انطلقت حرة تنفيذا لوصايا محمد . كان كل ذلك يجول في ذهن (جون) مولى أبي ذر الغفاري .

مع سيف الحسين

وها هو سيف الحسين الآن في يده لآخر مرة يصلحه له ليقف به الحسين غدا على أعلى قمة التاريخ فيهز الدنيا كلها لتشهد كيف تكون حماية الهدى والحق والخير ، وكيف تكون البطولات التي لا تبغي الا الاستشهاد ذودا عما تؤمن به وتعتنقه ، وكيف يرفض الاباة الحياة اذا لم تكن كما يريدون حياة الحرية والسعادة للأمة ، وحياة الكرامة والحق لهم .

غدا سيلمع هذا السيف الحديدي في كف الحسين ثم ينثلم الى الأبد ،ولكن سيف الحق الذي جرده الحسين سيلمع الى الأبد دون أن ينثلم ، وغدا سيعلو صوت الحسين بنداء الحرية ثم يصمت الى الأبد ، ولكن صوت الحرية الذي انطلق من فم الحسين سيظل مدويا الى الأبد !!

سكون جون

كان جون يلجا الى صمت رهيب، وظل صامتا حتى دنا الليل ، وأصغى بكل جوارحه الى الحوار الخارق الذي جرى بين الحسين وانصاره ، وهو يحرضهم على تركه وحده والانطلاق في سواد الليل، وهم يردون عليه واحدا بعد واحد رافضين لأول مرة في حياتهم أوامره ، ويصرون على أن يلقوا نفس المصير الذي سيلاقيه هو .

كان جون في تلك الساعة يجلس في زاوية دون أن يأبه له أحد ، وكان يود من كل قلبه لو كان لصوت الزنوج صوت بين هذه الأصوات ، ولكنه فضل الصمت المطبق .

جون البطل

وفي الصباح عندما تبارى الأبطال المائة متسابقين الى الموت ، ومشى كل منهم يستأذن الحسين ويودعه ماضيا الى مصيره ، تقدم (جون) ، وهو في كل خطوة من خطواته لا ينفك مصغيا الى

صوت زميله بلال متعاليا فوق كل أصوات البيض تكريما من محمد واعزازا . وربما خطر له في تلك اللحظات منظر بلال وهو واقف على أشرف مكان وأقدس بقعة ، على ظهر الكعبة حين امره محمد ساعة فتح مكة ان يصعد فينادي بالآذان . الأسود الذي كان عبدا ذليلا قبل رسالة محمد يصعد على الكعبة ، وهو ينظر الناس أعز انسان !

دنت ساعة الوفاء لمحمد ، دنت الساعة التي يرد فيها هذا الزنجي (جون) بعض الجميل لمحمد ، وهل أعظم في الوفاء لمحمد من ان يموت ذودا عن ابنائه ونسائه وتعاليمه ، وتقدم (جون) من الحسين وقد انقلب بطلا مغوارا ، وقد تجمعت فيه كل فضائل بني جنسه ، تقدم يستأذن الحسين في أن يكون كفيره من رفاق الحسين !

الكريم الحسب

والتفت الحسين اليه وقد اخذته الرقة له والحنان عليه ، ولم يشأن ان يورطه فيما لا شأن له به ، فقال له : أنت انما تبعتنا للعافية فلا تبتَلَ بطريقتنا .

ولكن جون البطل أجاب الحسين : انا في الرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة آخذ لكم ؟! ... ثم اردف هذا الجواب بكلمات لم يقصد بها الحسين ، بل أراد أن يوجهها للاجيال الماضية ، والاجيال الحاضرة والاجيال القادمة ، تلك الأجيال التي لم تر للزنوج الكرامة التي لهم ، فقال : ان ريحي لنتن ، وان حَسَبي للئيم ، وان لوني لأسود ، أفتنفس عليَّ بالجنة فيطيب ريحي ويشرف حسبي ويبيض وجهي ؟! لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود بدمائكم .

لقد كان جون يعلم انه اكرم على الحسين من الوف البيض ، وان الحسين اكرم من ان يراه لئيم الحسب نتن الريح . لم يكن جون في الواقع يخاطب الحسين سبط محمد مكرِّم الزنوج ، بل كان يقف على ذروة من ذروات التاريخ ليقول للادعياء المفاخرين بالوانهم واطيابهم ، اليكم هذا الذي ترونه في نظركم لئيم الحسب نتن الريح ، اليكم به اليوم يطاولكم شرفا وحميَّة وشجاعة ووفاء فلا تصلون الى أخمَص قدميه . فكم يزيد الابيض اللون ، المنحدر من عبد مناف ، المضمخ بالاطياب ، ومنكم شمر ابن ذي الجوشن وحجار بن ابجر وقيس ابن الأشعث ، منكم قبل هؤلاء وبعد هؤلاء كثيرون ، وكلهم يشع بياضا ويعبق طيبا ، وكلهم يجر وراءه حلقات آباء واجداد !

أولئك غدروا بمحمد الذي اخرجهم من الظلمات ، فداسوا تعاليمه وحشدوا الحشود على بنيه ، أولئك يتهيئون الآن ليرفعوا رؤوس ابناء محمد على رماحهم . وهذا الزنجي وفى لمحمد الذي حرره واكرم جنسه ، فتقدمكم ليذودكم عن بنيه وبناته وتعاليمه ، وهو يتهيأ الآن ليسفك دمه دون ذلك ، فأيكم اللئيم الحسب ، النتن الريح ، الأسود الوجه؟! انتم ام هو ؟!

جون يحقق أمله

وحقق الحسين رجاء جون فأذن له . ومشى (جون) مزهواً ببطولته معتزا بوفائه ، يود لو أن عيني بلال الحبشي تراه في خطواته هذه ، وأن زنوج الدنيا يطلون عليه ليروا كيف مثلهم في موكب البطولات وتكلم باسمهم على منبر التضحيات ، وكيف شرفهم ساعةً لا شرف الا للنفوس العظيمة .

لقد ضارب جون الحر أولئك العبيد بأعمالهم ، السود بقلوبهم ، وكان له ما اراد ، فامتزج دمه الأسود مع أشرف دم : مع دم الحسين سبط محمد ومع دماء اهل بيته .

ووفى الزنوج لمحمد الذي رفع من شأنهم وأعلى أمرهم ، وتحقق ما أراده جون . فلم ينفس عليه الحسين بالجنة ، ولم يبخل عليه بأن يثبت بأنه كريم الحسب طيب الريح ! ■■

حسن الأمين — بيروت



ركن الأسرة والمرأة

كيف نشرح للطفل معنى الموت ؟!



● « ليس من السهل ان يشرح الاب او الام معنى الموت لطفلهما ، ولكن من الافضل ان يفعلا ذلك قبل ان يلتقى الطفل بالموت وجها لوجه بوفاة شخص قريب الى قلبه عزيز لديه » .

بقلم الطبيبة النفسانية ت.ك

■ مات شخص يعرفه الطفل معرفة وثيقة .

ترى ماذا سنقول له . كيف نشرح له ما حدث لهذا الشخص الذى لن يراه مرة اخرى بعد اليوم ؟

وهل من الافضل ان نتكلم ، او نسكت ولا نقول له شيئا على الاطلاق ؟

مثل هذه الاسئلة كثيرا ما تسالها الامهات . وهى اسئلة على جانب كبير من الخطورة ، وهى اسئلة ليس من السهل الاجابة عليها لان فكرة الموت تثير دائما شعورا بالقلق والحزن عند الكبار والصغار على السواء .

والذى لا شك فيه انه ليس هناك رصيد فى الكتب ولا ذخيرة عند الحكماء نتزود منها للجواب على مثل هذا السؤال . كذلك لا احسب ان هناك تفسيرا واحدا يناسب كل حالة وكل سن .

لقاء الطفل مع الموت

ان لقاء الطفل مع الموت ياتى فى وقت مبكر للغاية قد لا يتصوره كثير من الكبار ، فهو قد ياتى مع حشرة صغيرة تموت تقع عليها عين الطفل ، او مع طير محتظ من وراء زجاج احد المحال التجارية ، وقد يموت الكلب الصغير او القط الذى تحتفظ به الاسرة فى البيت ، فيكون لهذه التجربة اثرها فى الطفل اكثر من اى تجربة اخرى .

انها تثير فى نفس الطفل تساؤلا وحيرة . فهو يرى امامه سكون الموت وهدوءه ولكنه لا يعرف معنى له .

وقد يحدث ان الطفل ، الذى لم يتجاوز عامه الرابع ، يصيح فى وجه امه ، التى اضطرت الى منعه من نيل شىء يبتغيه : « اننى اكرهك . انى اكرهك واتمنى لك الموت ! » .

ولا شك ان هذا الطفل الصغير لا يعنى شيئا بهذه الصرخة العابرة ، ولو ان استخدامه لكلمة الموت يعنى ان لديه فكرة عنه .. انه شىء مرعب مخيف عنده من الممكن ان يحدث ! واكثر من هذا

◄

فقد ربط الطفل بين الموت وبين شعوره بالغضب ورغبته فى معاقبة ذلك الشخص الذى أثار غضبه !

لعب الاطفال بالموت

ومن يرقب الاطفال وهم يلعبون يستطيع ان يرى كيف يعبرون عن الاوهام التى تراود عقولهم الصغيرة وتصور لهم انهم قادرون على كل شيء ، فهم يقيمون الجبال من الرمال ويهدمونها ، ويدفنون لعبهم تحت التراب ثم يعيدون اليها الحياة من جديد ، ويحملون الرمال فى جرادلهم ثم يلقون بالذى فيها من مرتفع يريدون بذلك احداث عاصفة رملية عاتية ! انهم يقتلون لعبهم الصغيرة ، ثم يبعثون قتلاهم الى الحياة . دون ادراك للعلاقة التى تربط بين هذا الذى يفعلونه وبين واقع الحياة !

فهذا هو اللعب بالموت .

ولكن الموت الحقيقى يتحدى اوهام هؤلاء الصغار . والطفل قد يكون من الصغر بحيث لا يعى أية فكرة عن الموت ، وكل الذى يعرفه هو ان شخصا مرموقا قد ذهب ولن يعود أبدا ! وان كل الاعيبه السحرية لم تفده فى اعادة أحد منهم كما كان يصنع مع لعباته ، وهو يربط فى نفس الوقت بين ذهاب هذا الشخص وبين الشعور بفشله هذا ، وربما أحس بالذنب . فقد يسأل : « هل ذهبت جدته أو عمه أو والده أو والدته ، لانه ولد شرير ولانهم لا يريدون البقاء معه ؟ ماذا حدث لهم ؟ وهل اخطأ هو فى حق احدهم ؟ »

انه عالم للصغار لا يدرك وقائعه واوهامه الكبار .

الحقيقة كاملة

ان هذه الاسئلة وامثالها تتزاحم فى عقل الطفل الصغير الذى يواجه تجربة فقد شخص عزيز عليه قبل أن يعرف شيئا عن الحقائق المتعلقة



بالموت . وهو لا يسال ، وما ذلك الا لان مثل هذه الاسئلة قد يصعب عليه وضعها في كلمات او توجيهها بطريق مباشر ، ولكنها دائما هناك في راسه كما لو كانت الما خفيا مدفونا يحتاج الى العلاج .

فاذا لم تقل الحقيقة للطفل عندما يحتاج اليها ، فمن المحتمل ان يؤدى هذا الى تركه نهبا لتخيلات اسوأ بكثير من الحقيقة نفسها . وهذا من شانه ان يدمر حالته المعنوية بصورة خطيرة .

وقد كان هذا هو ما حدث للطفل رامى عندما جاءت به امه الى عيادتي وهي تشكو الليالى التى يصحو فيها الطفل من نومه مذعورا . قالت الام ان نشاط طفلها قد فتر واصبح غير قادر على التركيز في دروسه وواجباته . وكان رامى الطفل الوحيد لهذه الاسرة ، وقد كان والده لقى حتفه في حادث منذ سبعة اشهر .

الطفل متعب

والقيت نظرة فاحصة على هذا الطفل الصغير الذى لم يتجاوز عامه السابع .. لم تكن الابتسامة تعرف طريقها الى وجهه .. لم يكن يبدو كبقية الاطفال ، ولولا صغر حجمه لتصورت اننى اقف امام رجل كبير انهكه التعب وتجارب الحياة !

وبقى الطفل امامى صامتا لا يتكلم، الا كلمة نعم او لا ، كان يجيب بها في ادب وفي صوت خفيض على الاسئلة التي اوجهها اليه .

وعندما دعوته الى اللعب باحدى اللعب المغرية التى امتلا بها المكان من حوله ، اظهر عدم اكتراث. عندئذ طلبتُ الى الام ان تخرج وتتركنا وحدنا فترة من الوقت ، فربما كان الطفل يشعر بالخجل من امه ، وكانت سيدة ضخمة كثيرة الكلام . عندئذ ظهر عليه بعض الارتياح ولكن قلة ثقته بالكبار كانت بادية عليه ، وكذلك شعوره بالكآبة والانقباض .

خطأ الأم

واتضحت الصورة كاملة بعد حديث قصير مع ام الطفل . لقد بدات المتاعب منذ ستة اشهر او سبعة مضت عندما بدا الطفل يصحو مذعورا في الليل ، ولكنها لم تربط بين هذا الصحو والذعر وبين حادث وفاة والده . كانت تظن ان رامى من الصغر بحيث لا يمكن ان يفكر فى مثل هذا الحادث، فهو لم ير والده مريضا في يوم من الايام فكيف يفكر في موته ؟

وسالتها : « هل كان رامى يرى والده كثيرا ؟ » واجابت : « نعم . فقد كانا يخرجان معا دائما ، ويقومان برحلات قصيرة فى سيارتنا الصغيرة ويتنحيان ناحية الكتب يقلبانها بعد العشاء . كان بينهما تشابه كبير. فهما من هذا النوع الودود الهادىء ».

وانزعجت الأم عندما قلت لها : « لا بد انك وجدت صعوبة كبيرة في ان تقولى له ان والده قد مات » . فقد قالت الام على الفور وهى تنكر بشدة انها قالت له شيئا من ذلك : « ومن الذى قال لك اننى اخبرته بموت والده ؟ اننى لم اقل له شيئا ، وكيف احدثه في هذا الموضوع وهو في مثل هذه السن الصغيرة ؟ » .

حيرة وقلق

يا للام المسكينة ، ويا للطفل البائس ، ولو ان الحال يختلف مع كل منهما . فهى تستطيع ان تجد العزاء مع الاصدقاء الذين يعطفون عليها ، وعن طريق ايمانها بالله . اما رامى المسكين فلم يجد شيئا يخفف عنه الم فقدان والده . فقد اختفى والده الحبيب ورفيقه فجاة دون ان يقول له كلمة واحدة ولم يذكر له احد شيئا عن هذا الاب الذى ذهب الى غير عودة .



وربما استطاع رامى الصغير ان يستنتج هذا الذى حدث لابيه ، ويحتمل ايضا ان يكون قد سمع شيئا عن الحادث ، ولكن المحنة التى يعيش فيها كانت من الضخامة بحيث لم تمكنه من تحدى مؤامرة الصمت التى تحيط به .

ولم يتضح الموقف تماما الا في وقت متاخر فيما بعد ، وخلال فترة العلاج الطويل الذى كان يحتاج اليه الطفل الصغير لاستعادة سعادته الطبيعية .

فقد كان خاف من توجيه الاسئلة لانه كان يخشى ان تدعيم الاجابات مخاوفه من انه كان مسئولا عما حدث لأبيه .

هذه قصة من القصص الواقعية العديدة التى يمكن ان نسوقها لكى ندلل على مدى الضرر الذى يمكن ان يلحق بالطفل اذا خدعنا انفسنا وتصورنا ان الطفل الذى يفقد شخصا عزيزا على نفسه لا تسمح له سنه الصغيرة بأن يعرف ما حدث له ! ولكل قصة من هذه القصص اعراض غير التى اصابت رامى ، ومخاوف غير التى خافها تختلف بظروف كل قصة .

ماذا نقول

فما الذى يمكن ان نقوله للطفل اذن ؟ وكيف نقوله ؟ والذى لا شك فيه أن المهمة ليست سهلة وخاصة عندما يكتنفنا الحزن نحن الكبار أيضا .

ولكننى استطيع ان اقول يجب علينا أن نتحدث الى الطفل فى حب وادراك ، وأن نكون أمناء معه ، وان نتحرى الصدق والبساطة فى كل ما نقول مهما كانت سن الطفل وقدرته على الفهم .

ان المخاوف والاوهام ترتبط دائما بالموت ، ومع هذا فنحن نستطيع ان نفعل الكثير للتخفيف من آثارها دون أن نشير اليها . ويجب أن نعترف بالمخاوف الحقيقية التى تختفى وراء الواجهة الماثلة امامنا . يجب أن نوضح للطفل انه ليس وحده فى هذه المصيبة ، لاننا أيضا نشاركه خسارته . يجب ان نقول له اننا جميعا نشعر بالخوف لاننا كنا نحب هذا الشخص الذى ذهب ولانه كان يحبنا .

والامانة فى شرح معنى الموت اصعب من ذلك بكثير ، ولكن طالما ان الاطفال ، لحسن الحظ ، واقعيون ، فنحن نستطيع ان نركز بكل امانة على الحقائق التى يمكن أن تشيع فى انفسهم الراحة والطمانينة ، والتى نعرف عنها المعلومات الاكيدة، فنقول له مثلا ان الجسم لا يشعر بأى ألم بعد الموت ، والانسان عندما يموت يفارقه الشعور بالقلق وبالوجع والتعاسة والتعب .

الراحة فى الموت

واى طفل حتى لو كان فى الثالثة من عمره ، يستطيع أن يدرك بهذه الطريقة أن هناك شيئا طيبا فى الموت يهم الشخص المريض أو الذى تقدمت به السن ، فيألف الطفل مثلا القول بان جده مريض أو جدته متعبة ، وانهما ، ان بلغ اليأس بهما غايته ، فى حاجة الى الراحة التى سيجدانها فى الموت . ولكن لسوء الحظ لم يكن بين هذه العبارات ، شىء تستطيع والدة رامى أن تقوله فى حالة الموت المفاجىء الذى اختطف زوجها الشاب الذى كان ممتلئا بالحياة ، ولذلك تعقدت مشكلة الطفل الصغير .



وهنا يبرز سؤال ، ترى هل نشرح للطفل الذى يشعر بالحزن على فقد شخص يحبه ، ايماننا بوجود حياة بعد الموت ؟

والآراء تختلف فى الاجابة على هذا السؤال ، فهناك عدة عوامل تتصل به اتصالا مباشرا من بينها مدى صدق المتحدث واخلاصه ، وسن الطفل والمعتقدات الدينية وغير ذلك . وربما كان أهم تلك العوامل هى ان يكون المرء طبيعيا فى حديثه وصادقا فى قوله ، فاذا كان الايمان بوجود حياة اخرى بعد الموت جزءا من الحياة اليومية للأسرة، فسيكون عدم الاشارة اليه شيئا غير طبيعى .

الايمان بالله

وشىء آخر اودّ أن يسمعه الطفل ، ذلك ان الشخص الذى فارقنا انما ذهب ليعيش الى جوار ربه .

لا بد من نقل الايمان الصادق بالله ، الذى يرعانا ويعنى بنا ، الى الطفل . أما الكلمات التى نستخدمها فيجب أن تختلف باختلاف السن ومقتضيات الظروف والتجربة التى تواجه الطفل، وكلما كانت العبارات مبسطة كلما كان ذلك أفضل. ولكن لا بد ان يكون ذلك على اساس ان الموت حدث طبيعى فى الحياة . ■■

بين ثورتين

تجارب مريرة في الحرب العالمية الأولى

١٩١٤ - ١٩١٨

بقلم : عارف العارف

من اصعب الامور واشدها مضاضة على النفس ، ان يساق المرء ـ رغم انفه ـ لخوض معركة لا ناقة له فيها ولاجمل !.. وان يحمل السلاح ـ على كره منه ـ ليقاتل قوما ليس بين بني قومه وبينهم اى عداء أو خصام !.. وهذا ما جرى لي في الحرب العالمية الاولى(1) ، يوم ساقني الأتراك مع من ساقوا من خريجي الجامعات الى مختلف جبهات القتال . وكان نصيبي ان ارسلوني الى جبهة القفقاس في اقصى الشمال من بر الاناضول . وهناك في جبال القفقاس كتب علي القتال في رقعة من الارض ليست جزءا من وطني ، هي (أرضروم) .. وان أضحي بنفسي في سبيل قوم ليسوا بني قومي ، هم (الاتراك) ، وان اقاتل قوما ليس بيني او بين قومي وبينهم اى عداء ، وهم (الروس) !..

موقف الاتراك في الحرب العالمية الاولى

كانت بلاد العرب ، عند نشوب تلك الحرب الطاحنة ، خاضعة لحكم الاتراك العثمانيين الذين راوا من مصلحتهم ان يقفوا الى جانب حلفائهم الالمان والنمسويين ، وان يحاربوا الروس والبريطانيين .

اما الروس فقد حاربوهم في جبهتين : في القفقاس .. عند اقصى الشمال من بر الاناضول .. وفي الروم ايلي .. على حدود بلغاريا ورومانيا .. واما الانكليز فقد حاربوهم في العراق .. وفي سينا وفلسطين .. وكان عليهم ان يحموا ـ في

(1) اشتعلت شرارتها الاولى في مدينة (سراجيفو) عاصمة البوسنة ، عندما قتل شاب « صربي » يدعى (برنزيب) ، ولي عهد النمسا الارشيدوق فرنسيس فرديناند وقرينته الاميرة صوفيا . وكان ذلك في ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩١٤ . وعندما وضعت تلك الحرب اوزارها ، وامضيت الهدنة في الساعة الحادية عشرة من اليوم الحادي عشر من الشهر الحادي عشر (نوفمبر) ١٩١٨ ، كان حصادها ملايين القتلى والجرحى والمشوهين ، ينتمون الى مختلف الشعوب والاقوام .

الوقت نفسه ـ مضيق الدردنيل ومعابر البوسفور، ليدفعوا الاذى عن عاصمتهم : اسطمبول .

ومن اجل القيام بهذه المهمة الشاقة ، كان لا بد لهم من تجنيد خمسة جيوش كبيرة ، وقفت لتحمي حدودهم الطويلة في خمس جبهات متباعدة.

وفرة الجنود وقلة الضباط

لم يكن من الصعب على ولاة الامر في اسطمبول ـ وكان الامر يومئذ بيد جمعية الاتحاد والترقي وليس بيد السلطان المتربع على العرش ـ أن يستنفروا الشعب من أجل سَوْقِهِ الى ساحة النضال . وقد استنفروه . فلبى النداء . وكان عدد سكان السلطنة العثمانية يومئذ عشرين مليونا . فتمكن القوم من تجنيد ما لا يقل عن ربع مليون جندي .. ولما تفاقمت الازمة في اوربا في اواخر شهر يوليو (تموز) ١٩١٤ ، ساقوا الى معسكرات التدريب ربع مليون آخرين . فاصبح لديهم ، عندما صدرت اوامر الزحف ، نصف مليون من الجنود .

ولما لم يكن لديهم سوى سبعة وعشرين الفا من الضباط ، وهذا العدد لا يكفي لادارة دفة القتال ، فقد قرروا دعوة الخرِّيجين الذين أتموا دراساتهم الجامعية في مختلف الكليات والمعاهد العلمية .. وتخريجهم ضباطا .. ولفترة مؤقتة تنتهي بانتهاء القتال ... وكنت انا ، انا العربي ، واحدا من هؤلاء الخريجين . وكان علي ان انصاع للامر . فانصعت على كره مني . وادخلوني في (الكلية الحربية) مع من ادخلوهم من الخريجين . وهناك قضينا ستة اشهر صحاح ، نتدرب على استعمال السلاح وادارة الجند .

وعندما اتممنا فترة التدريب وتخرجنا برتبة (وكيل) ، قسمونا الى فئات . وارسلوا كل فئة منا الى جبهة من جبهات القتال . فكان نصيبي ـ ولست ادري كيف كان ـ أن ارسلت الى (جبهة القفقاس) .

لماذا ابعدوا شباب العرب عن بلاد العرب؟

عبثا حاولت ان اقنع رؤسائي ، وكلهم من الترك ، انني اوثر العمل في المناطق الحارة عليه في البلاد الباردة . وقد رجوتهم ان يلحقوني بالكتائب التي كانت ترابط في فلسطين ، أو التي كانت في العراق ، ذلك لانني عربي ، وانا على استعداد للقتال في اي جزء من بلاد العرب . وما علمت الا بعد حين ، انهم (اي الاتراك) كانوا يتعمدون ابعاد شباب العرب عن بلادهم ، لئلا تحدثهم انفسهم بالانضمام الى (حزب العهد) او (حزب اللامركزية) أو (الاصلاح) وما الى ذلك من أحزاب قومية كانوا قد سمعوا بتكوينها في بلاد العرب ...

وكان اكثر الريب موجها ضد الشبان المنتمين الى (المنتدى الادبي) . ذلك المنتدى الذي اسس في عاصمة الخلافة سنة ١٩٠٩ . وقد انضم اليه جميع طلاب المعاهد العلمية هناك . حتى انه لم يبق شاب من الشبان العرب الذين يتلقون العلم في (اسطمبول) ، الا انخرط في صفوفه . انه وان كُنِّيَ بالادبي ، الا انه في الحقيقة لم يبتعد عن الاهداف القومية والمبادىء التي كانت تسير على هداها الاحزاب الاخرى .

بين اسطمبول وارضروم

وهكذا !! بين طرفة عين وانتباهتها .. وجدتني متمنطقا بزيي العسكرية ، ومسوقا الى جبهة القفقاس .. عبر مدن ما عرفتها من قبل .. هي (اسكشهر) و (قرنية) و (افيون قرة حصار) . ثم (قيصرس) و (سيواس) و (ارزنجان) و (ارضروم) . وهناك في موضع يسمونه (طاهر خوجة) على مقربة من ارضروم .. كان علي ان التحق بالفيلق التاسع .. الذي كان يحاول صد القطعات الروسية الزاحفة من (صاري قامش) .. وسط رياح عاتية وجبال مكللة بالثلوج ، وكان القطاع الذي يحتله فيلقنا على وشك الانهيار .

كيف السبيل الى النصر والجيش جائع

كان لتركيا في جبهة القفقاس يومئذ ثلاثة فيالق. في كل فيلق ثلاث فرق . وفي كل فرقة عشرة طوابير (كتائب) من المشاة . يضاف اليهم الوية من الفرسان . كان هذا عند بدء القتال في شهر نوفمبر ، تشرين الثاني ١٩١٤ . ولما احتدم القتال في شهر يناير ، كانون الثاني ، ١٩١٥ راحت قواتنا تزحفان صوب الجبهة : الفيلق الاول جاء من اسطمبول بحرا ونزل في طربزون على ساحل البحر

الأسود . وجيء بالفرقة ٣٧ من فرق الفيلق الثالث عشر من بغداد . فاصبح مجموع الجيش المحارب في تلك الجبهة مئة وخمسين الفا .

كان باستطاعة هذا الجيش ان يتغلب على خصمه الجيش الروسي ، الذي لم يستطع ان يحشد في تلك الجبهة يومئذ سوى مئة الف . ذلك لأنه كان مضطرا لحشد معظم قواته من اجل صد الهجوم الألماني في الجبهة الغربية . ولكن العثمانيين لم يتمكنوا من الصمود في وجه الروس لأسباب عديدة: منها انهم كانوا يحاربون وهم جياع .. والمرض يهرؤهم .. وليس على ابدانهم ما يدرأ عنها شر البرد غير أطمار بالية .. والبرد في القفقاس شديد بدرجة لا تطاق .. حتى ان الفرقة التي قلت انهم جاءوا بها من بغداد ، وهي مؤلفة من عشرة آلاف مقاتل ، كلهم ممن الفوا حر الصحراء ، ما كادوا يحطون رحالهم في جبال القفقاس حتى راح البرد يفتك باجسامهم . فمات معظمهم ضحية البرد القارس والرياح الهوج وانعدام وسائل النقل والتدفئة وهم يجتازون الجبال المكللة بالثلوج .

والأمَرّ من هذا وذاك ان قادة الكتائب والسرايا الصغار ، كانوا يخفون الحقائق عن القادة الكبار المسؤولين عن ادارة دفة القتال .

ولئن نسيت فلن انسى يوما ناداني اليه قائد الكتيبة التي انتمي اليها وامرني ان أُعَلِّمَ افراد سريتي كيف يجيبون على اسئلة قائد الفرقة عندما جاء هذا ليفتشهم : ان يقولوا له : « انا نعيش في نعمة بفضل السلطان ! .. نأكل من اللحم والأرز والسكر ما يكفينا ! .. ولا مطلب لنا سوى صدور الأمر لنا بالزحف لنقضي على اعدائنا واعداء السلطان ! .. » . وامر الجند ان يختموا كلامهم بالدعاء المعتاد للسلطان بطول الحياة : « پاد شاهم جوق يشا ! » .

وما كان الجنود يطعمون في الحقيقة في سوى الخبز اليابس والشاي ! .. وما كانوا يأكلون اللحم اكثر من مرة في الأسبوع ! .. وكثيرا ما كانت مؤنهم وأرزاقهم تسرق وتباع في السوق السوداء ! ..

فما كان مني الا ان قلت لقائد الكتيبة : « اليس من الافضل ان نذكر لرؤسائنا الحقيقة ، ليعملوا على اتمام النقص قبل ان يصدروا اوامرهم بالزحف ؟ وزحف الجنود العراة والجائعين لا يمكن ان ينتهي بالنصر ! » .

ولكن صاحبنا لم يجرؤ على مصارحة رؤسائه ! .. فكانت النتيجة أن غلبنا على أمرنا . وانتصر الروس علينا .

معركة حامية الوطيس

كذلك كان وضعنا عندما هاجمنا الروس في (امرة قوم) و (دلي بابا) . ووقعت بيننا وبينهم معركة حامية الوطيس . كان النصر فيها حليفهم اذ كانت قد أتتهم نجدات كثيرة من داخل بلادهم . فهاجموا كتيبتنا بثلاث من كتائبهم . وكانت كل كتيبة من كتائبهم اقوى من كتيبتنا واكثر عددا وعدة . فانتصروا علينا . واحتلوا مواضعنا ، بعد ان ابادوا معظم رجال الكتيبة جنودا وضباطا . فلم يبق منا على قيد الحياة سوى أحد عشر رجلا . وكان كاتب هذه السطور من الناجين .

في ديار الأسر

نحن الآن أسرى .. لا خيار لنا في أي عمل من اعمالنا .. ولا راد لمشيئة القادة الذين أسرونا .. وقد جردونا من اسلحتنا .. وساقونا مخفورين الى المناطق الداخلية من بلادهم .. واني لأذكر الآن من بين المدن التي مررنا بها : (مخبكرد) و (صاري قامش) و (باكو) و (كديك صاتلمش) و (الكسندرا بول) و (قارص) و (تفليس) وما الى ذلك من المدن الواقعة في جبال القفقاس الممتدة من البحر الأسود غربا الى بحر القزوين شرقا .

وعبرنا بعدئذ السهول الواقعة في اواسط روسيا مارين ب (روستوف) و (خارقوف) و (ساراتوف) و (كاميشكي) و (بنزي) و (سيزرن) و (بتراكي) و (سامارا) و (ابدول) و (اوفا) .

وفي الطريق الى (جبال الاورال) عبرنا ثلاثة من الأنهر الكبيرة ، هي : (نهر الفولجا) و (نهر الطون) و (نهر الارال) .

وفي مدينة تدعى (شليابنسك) أخبرونا ــ ويا له من خبر أَقَضَّ مضاجعنا ــ ان قطارا آخر سيقلنا الى سيبريا ! .. فاقشعَرَّت لهذا الخبر ابداننا ! .. ذلك لأننا كنا قد سمعنا الشيء الكثير عن تلك البقعة المخيفة من بقاع العالم . وقرأنا الشيء الكثير مما كتبه الركبان عنها وعن بردها القارس !..

فكرنا في العصيان .. والامتناع عن السفر .. ولكن ! كيف السبيل الى ذلك ومن ورائنا الجند شاكين السلاح، يسوقوننا سوق الغنم !.. ولهذا لم يدم عصياننا سوى بضع ثوان !.. فامتثلنا للامر. وركبنا القطار الذي اعدوه لنقل الأسرى . وهو من النوع الذي كان الروس - قبل نشوب الحرب - قد اعدوه لنقل الدواب ! .. ذلك لان القطارات الاخرى كانت تعج بالآدميين من الجند المرسلين الى جبهات القتال .

شهران كاملان .. قضيناهما في الطريق قبل ان نصل الى (قراسنوبارسق) حيث انتهى بنا المطاف .. عشناهما كالحيوانات .. في عربات القطار المعروف بقطار سيبريا .

واني لأذكر الآن من المدن التي مررنا بها في تلك الرحلة الطويلة الشاقة : (اومسق) و (كورغان) و (بترو باولسق) و (نيو نيقولا يفسق) و (طومسق) و (تايغا) و (ايرقوتسق) و (قراسنو بارسق) .

وهناك على ضفاف نهر (يني - ساي) وعلى مقربة من قراسنو بارسق ، زجونا في معتقل اسموه : (ديوتي غوردودوق) . وقد كانوا انشاوه حديثا لأسرى الحرب . وفيه قضينا ثلاثة اعوام كاملة .. وكان معنا في ذلك المعتقل اربعة آلاف وخمسمائة أسير ، ينتمون الى مختلف الجنسيات . منهم العربي والتركي والالماني والنمسوي والمجري ..

سيبريا

لست أنوي أن أحدث قراء « العربي » الكرام حديثا مسهبا عن سيبريا وأهوالها في هذه العجالة التي خصصتها للبحث عن ثورتين ، وانما لا بد لي من اعطائهم فكرة موجزة عن ذلك القطر الواسع المتجمد .. لعلهم يتبينون من خلالها مبلغ الشدائد التي قاسيناها ، نحن معشر الاسرى ، ابان وجودنا في تلك الديار .

سيبريا .. اسم أطلقه الروس على الجزء الآسيوي من بلادهم . يحده من الشمال البحر المتجمد الشمالي . ومن الجنوب بلاد المغول والقازاخستان . ومن الغرب جبال الأورال . ومن الشرق منشوريا وولادي فوستوق المطلة على بحر اليابان. مساحتها ٤٫٩٥٦٫٨٦٨ ميلا مربعا . وعدد سكانها يوم نزلتها (١٩١٥) كان حوالي ثمانية ملايين .

ارضها ، ولا سيما في الشمال ، دائما مكللة بالثلوج ، وبردها قارس . وكثيرا ما كانت درجة الحرارة تهبط الى ما تحت الصفر بخمس وثلاثين درجة . وأحيانا الى الاربعين .

ان هذه القسوة في الطقس..والمسافات البعيدة التي تفصل بينها وبين الأقطار المجاورة لها .. وفقدان الطرق وقلة الوسائل المعدة للنقل .. هي التي جعلت القياصرة يتخذون (سيبريا) سجنا للمجرمين ، ومنفى للكبار من خصومهم السياسيين .. وكان قيصر روسيا بطرس الأكبر أول من سن هذا النوع من العقاب . وفي الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) اتخذت معتقلا لايواء الأسرى من جنود وضباط ! ..

و (قراسنو بارسق) هذه .. التي عشنا في سجنها ثلاث سنين .. واقعة على ضفتي نهر (يني - ساي) وهو من أكبر الأنهار الواقعة في اواسط سيبريا . يتجمد في فصل الشتاء ، بحيث يسير الناس فوقه مشيا على الأقدام . ويمر من على جسر أقيم فوقه الخط الحديدي قادما من موسكو ومنتهيا عند ميناء ولادي فستوق . انه من اطول الخطوط الحديدية في العالم ، ان لم يكن اطولها طرا .

خوف وجوع وحرمان

هذه لمحة عابرة لا بد منها عن سيبريا . وقد اصابنا فيها ما أصابنا من خوف وجوع وحرمان.. وكثيرا ما كنا نشتهي لقمة (الخبز) فلا نجدها،حتى ولو كانت يابسة او عفنة !.. ونشتهي ايضا قطعة (السكر) فلا نحصل عليها !.. وكنا نبحث عن قطعة (الحَطَب) نوقدها نارا ونصطلي بها ! .. وقد ازدادت حالنا سوءا ، عندما نشبت الثورة ، وقامت حرب اهلية بين أنصار الحكم القديم والحكم الجديد ..

هذا فضلا عن بعدنا عن الأوطان . وما عرفنا في يوم من الأيام التي مرت بنا ، أن الوطن غال الى هذا الحد ، مثلما عرفنا ذلك في ديار الأسر . ورحم الله شوقي حين قال :

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني اليه في الخلد نفسي

كيف كنا نعيش داخل المعتقل ؟

كان الروس يحيطون بمعتقلنا احاطة السوار بالمعصم . وكانت ثكناتنا محاطة بسور من الاسلاك الشائكة والحواجز الخشبية والقضبان الحديدية. وبعدد كبير من ابراج المراقبة . وما كان يسمح لنا ان نقترب من السور او من أى برج من الأبراج اكثر من خمسة اقدام . والويل كل الويل لمن ينسى ويقترب منها !..فان جزاءه رصاصة تخترق صدره ! ..

وما كان يسمح لنا بالخروج من المعتقل، الا باذن خاص . واذا سمح لنا بالخروج ، كان علينا ان نحمل على اذرعنا شارة عليها حرفان يرمزان الى اننا اسرى ! . وكان علينا أن نرضى بالجند يسيرون من خلفنا ! . وراء كل اسير جندى مسلح ! . وقد حرموا علينا الاختلاط بالآدميين من سكان المدينة!. ولا اذكر انهم سمحوا لى أن اغادر المعتقل ، فى غضون السنوات الثلاث التى قضيتها فى الأسر ، سوى مرة واحدة ! .

هذه وما اليها من مخاوف لم تفارقنا يوما واحدا . وكثيرا ما أقضت مضاجعنا . لست أريد أن اتناولها هنا بالتفصيل . وان كنت لم أر بدا من الاشارة اليها اشارة عابرة . ذلك لان القصد من مقالى هذا ، هو التحدث عن ثورتين أتتنا اخبارهما ونحن فى تلك الديار . وكان لكليهما اثر فى مجرى حياتنا : ـ

أ) الثورة العربية التى اوقد نارها أمير مكة الشريف الحسين بن على (١٩١٥) والتى انتهت بطرد الأتراك العثمانيين من بلادنا .

ب) والثورة الروسية التى أوقد نارها « لينين » وصحبه (١٩١٧) والتى انتهت بزوال الحكم القيصرى فى روسيا .

الثورة العربية

اما (الثورة العربية) فقد سمعت بها بعد اندلاعها بتسعة شهور ! .. وذلك عن طريق رسالة تلقيتها من الاستاذ محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) القاهرية . جوابا عن رسالة كنت قد بعثت بها اليه ، قلت له فيها اننا ـ انا ورفاقى العرب فى الأسر ـ نعيش عيشة منعزلة عن العالم كله .. واننا فى شوق لاستماع أخبار بلادنا . اذ لا صحف هنا ، ولا كتب ، أو أى نوع من أنواع التسلية . والصحيفة العربية الوحيدة التى نلهو بها هى : (ناقة الله) . هذه الجريدة الهزلية التى أصدرتها دون اذن من السلطة . ولكنها لا تسمن ولا تغنىمن جوع . ذلك لانها خطية . تصدر مرة فى الأسبوع . وما كانت تملك من وسائل الاتصال بالعالم الخارجي ما يساعدها على اداء رسالتها .

ولهذا رجوت صاحب المنار ان يزودنا بما يتيسر له من صحف وكتب عربية ، وأن يخبرنا عن الوضع فى بلادنا فارسل الي ـ رحمه الله ـ أعدادا من جريدة (الاهرام) القاهرية ومن جريدة (أم القرى) التى كانت تصدر فى مكة .. ومع هاتين الجريدتين رسالة بتوقيعه قال فيها :

« يسرنى أن اخبرك ، يا عارف ، أن أمير مكة .. الشريف الحسين بن علي .. أيده الله قد أعلن الثورة ضد الأتراك .. وقد نودى به ملكا .. نحن اليوم مستقلون .. لنا كيان قومي .. ولنا جيش مستقل .. وها هو العلم العربى يخفق فوق الحجاز ، وسيخفق عما قريب فوق بلاد العرب كلها .. وها هم الجند .. جندنا .. يحاصرون (المدينة) .. والامل قوى فى سقوطها فى أيدينا بين لحظة وأخرى ..

« رفاقك فى الدراسة وفى (المنتدى الادبى) ـ جُلّهُمْ ان لم اقل كلهم ـ قد انضموا الى جيش التحرير . جيش الشريف الحسين بن علي أيده الله .. تلك الأهداف التى عاهدنا الله على تحقيقها .. ولست أرانى فى حاجة لأن احثك على المجيء ، وأن تخبر من تلقاه منالاخوان كي يسرعوا فى المجيء الينا . فالثورة ، ثورة العرب كلهم ، وليست ثورة الحسين وأنجاله وحدهم ..

« راجعوا حكومة القيصر . ستجدونها على استعداد لأن تسمح لكم بمغادرة بلادها . ليس هذا فحسب . بل انها تعهدت أن ترجع من شاء من الأسرى العرب على نفقتها » .

هذا ما قاله الاستاذ رضا فى رسالته . وقد ختمها بقوله : « أسرعوا بالمجيء الينا . فاننا فى حاجة لكل واحد منكم » .

كدت أطير فرحا لهذا الخبر . وما كدت أنتهى من قراءة الرسالة حتى جمعت رفاقى فى المعتقل ، وأطلعتهم على ما جاء فيها . وكان كل واحد منا أكثر اخلاصا من الآخر لقومه وبلاده . وما كنا لنميز بين مصرى وسورى ، أو عراقى وفلسطينى .. بل كنا نعرف شيئا واحدا ، هو اننا كلنا عرب

..وان مصلحة قومنا وبلادنا تقضى علينا بالاتحاد والعمل المشترك من اجل خير العروبة ، ومن اجل التخلص من الحكم الأجنبى .

ديوان عالية وشهداؤنا الابرار

وأتتنا ، بعد قليل ، أخبار أكثر تفصيلا عن الثورة وعن شهداء العروبة فى عالية . فالحسين ابن على أعلن ثورته فى التاسع من شهر شعبان ١٣٣٤ هـ ـ ١٠ حزيران ١٩١٦م . وجمال الطاغية



بعض رجال القافلة الثانية من شهداء العروبة

.. قائد الجيش التركى المرابط فى سوريا .. كان ـ قبل ذلك ـ قد أحال الى (ديوان الحرب) فى عالية عددا من رجالاتنا الأحرار .. وان هذا الديوان ـ بعد محاكمات صورية ـ أدانهم . وحكم عليهم بالاعدام شنقا ! .. لا لذنب اقترفوه ، وانما لأنهم أرادوا الحرية والعزة لقومهم وبلادهم .

اما رجال القافلة الأولى من قوافل الشهداء ، فهم :

عبد الكريم الخليل . محمد المحمصانى .محمود المحمصانى . نور الدين القاضى . صالح حيدر . عبد القادر الخرسا . على الارمنازى . سليم عبد الهادى . محمود العجم . نايف تلو . محمد مسلم عابدين .

هؤلاء شنقوا فى بيروت فى ١٤ آب (اغسطس) ١٩١٥ .

وأما رجال القافلة الثانية فهم الذين شنقوا فى ٦ أيار (مايو) ١٩١٦ . سبعة منهم لاقوا ربهم فى دمشق وهم : شفيق المؤيد . الامير عمر الجزائرى. الشيخ عبد الحميد الزهراوى . شكرى العسلى. عبد الوهاب الانكليزى . رشدى الشمعة . رفيق رزق سلوم .

والباقون من رجال القافلة الثانية ، لاقوا وجه ربهم فى بيروت وهم :

عمر حمد . محمد حسين الشنطى . عبد الغنى العريس . عارف الشهابى . توفيق البساط . الشيخ احمد طبارة . سيف الدين الخطيب . سعيد عقل . بترو باولى . جرجى حداد . سليم الجزائرى . امين لطفى الحافظ . جلال البخارى.

وهناك ثلاثة امر جمال باشا بشنقهم فى القدس ، قاصدا ارهاب الفلسطينيين كما ارهب السوريين واللبنانيين وهم : احمد عارف الحسينى . ونجله مصطفى . وعلى بن الحاج عمر النشاشيبى . وظلت جثث هؤلاء الثلاثة تتأرجح على أعواد المشانق يومين كاملين فى الساحة الكائنة امام (باب العمود) من أبواب مدينة القدس .

التفكير فى الهرب

اخبار عالية هذه وقعت علينا وقع الصاعقة . فتألمنا ألما لا مزيد عليه . ورحنا نفكر فى الفرار

الطرق واجداها للخروج من المعتقل ، والهرب من سيبريا ، والرجوع الى اوطاننـا . ولكـن كيف السبيل الى ذلك ؟ لا ، بل كيف السبيل الى الاتصال برجال الحكم الذين قيل لنا انهم على استعداد لاطلاق سراحنا وارجاعنـا الى بلادنـا ، والوضع فى روسيا كان قد تغير فى غضون الفترة التى انقضت بين اليوم الذى كتب فيه السيد رشيد رضا رسالته واليوم الذى وصلتنا فيه، وهي تسعة شهور(١) ؟ ..

الثورة الروسية

كان الجيش الروسى ، خلال تلك الفترة من الزمن ، يجتاز ازمة عصيبة بسبب الضربات المتلاحقة التي كالها له الجيش الالمانى فى الجبهة الغربية . وكانت السحب .. سحب الثورة .. تتلبد فى كبد السماء.. فى (موسكو) و (بطرسبورغ)(٢) وفى المدن الروسية الكبرى .. ولا سيما فى أوساط الجنـود والعمال والفلاحين .. ورياح النقمـة والغضب تكاد تعصف بالحاكمين ! .. وفيما كنا نفكر فى الهرب ، اتتنا من خارج معتقلنا اخبـار تقول : ان الثورة قد نشبت .. وان البلاشـفة الروس اطاحوا بالحكم القيصرى (١٧ اكتـوبر ١٩١٧) وانهم اقاموا بدلا منه حكم الشعب .. حكم العمال والجنود والفلاحين . وما هى الا بضعة ايام حتى قتلوا القيصر (نقولا الثانى) . وقتلوا معه القيصرة الكسندرا . وثلاثا من بناتها الاربع : الغرندوقة اولجا. والغرندوقة تاتانيا . والغرندوقة نيقولا نفيا . واما البنت الرابعة ، وهى الغرندوقة انسطاسيا ، فما عرف الناس عنها شيئا حتـى الآن .

ولكن الامر لم يستتب للينين ورفاقه الا بعـد حين . اذ انقسمت البلاد ، اثر اعلان الثورة ، الى فئتين : فئة تؤيد الثورة ، وتريد تغيير الاوضاع فى البلاد . ومـن زعماء هـذه الفئـة الجنـرال بروسيلوف وهو الذى بلغ القيصر قرار (مجلس الدوما) بخلعه .. واخرى تؤيد الحكم القيصرى ، وتريد بقاءالاوضاع على ما كانت عليه..وتشبثت بين الفئتين حرب طاحنة ، ادت الى شيوع الفوضى فى روسيا من اقصاها الى اقصاها .

الفوضى تصيب الاسرى برشاشها

تعرضنا ، نحن معشر الاسرى ، مرة اخرى لشيء



قيصر روسيا
نقولا الثانى



الجنـرال
بروسيلوف

كثير من الخوف والجوع والحرمان . وتردت احوالنا الى الحضيض نتيجة للحرب الأهلية التى عمت البلاد . فسادت الفوضى . وحلت ازمـة اقتصادية خانقة وقد قل الانتاج . واختفت المواد الغذائية . وهبطـت قيمـة النقـد . وارتفعت الاسعار .

ولما لم نجد من يعنى بامرنا ، راح كل منا يبحث عن عمل يرتزق من ورائه . فمنا من اشتغل عاملا فى حقل ، او اجيرا فى حانوت .. ومنا من راح يحلب البقر ويحتطب فى الغابات لقاء اجر معين !..

١ ـ كانت رسائل الأسرى خاضعة لرقابة عسكرية صارمة ، حتى ولـو أرسـلت بوساطة الصليب الاحمر ! ..

٢ ـ هذا هو الاسم الذى عرفت به عاصـمة الروس عندما بناها بطرس الاكبر . ثم عرفت بـ : (بتروغراد) . وبعد الثورة الشيوعية أسموها : (لينين غراد) . و (غراد) تعنى البلد .

كيف أنقذتني الاقدار ؟

كان من حسن حظي ان جاءني رجل بولوني كان يعيش في تلك المدينة ، وكان هذا تواقا لان ينقل في يوم من الأيام قنصلا لبلاده في تركيا . فاستأجرني لأعلمه اللغة التركية لقاء أجر معين . وكنت انا قد تعلمت اللغة التركية في اسطمبول ، والألمانية من الألمان الذين جمعتني الاقدار بهم في الأسر .. وعلى هذا تم الاتفاق بيننا . فكان له هو ما أراد من معرفة باللغة . وكان لي انا ما أردت من رغبة في الخروج من السجن اذ حصلت بفضل هذا الرجل البولوني على اذن من البلاشفة للعيش في المدينة .

ليس هذا فحسب . بل ان معرفتي بهذا الرجل النبيل ، وعيشي في المدينة ، وصداقتنا التي توطدت مع الايام ، مكنتني من الهرب ، ومن تهريب عدد آخر من زملائي العرب .. الاخوة الذين ذكرتهم في مطلع كلامي .. انه الدكتور فارول ريبا Dr. Karol Ripa خريج جامعة (وارصوفيا). انتدبته حكومته قنصلا لها .

ولما عرفته كان في العقد الثالث من عمره . وقد عرفته محبا لقومه وبلاده . رفض الانصياع لأوامر حكومته عندما انضمت هذه الى الكتلة الشيوعية . وطلب من حكومة الولايات المتحدة اعتباره لاجئا سياسيا .

كيف هربنـا ؟

كم كنت اود ان لو يتسع لي المجال هنا ءفاذكر لقراء (العربي) الكرام : كيف هربنا ؟ وما هي الصعاب التي اعتورتنا في طريقنا من اليوم الذي غادرنا فيه (فراستوبارسق) الى ان وصلنا الى بلادنا . ولكـن . انى لهـذه الصفحات ان تتسع لذلك . ولهذا اريد ان اكتفي الآن بالقول انـه كان علينا ان نعبر بلادا ، لكل منها ظروفها وعاداتها وقوانينها .. واجتياز الحدود لم يكن سهلا في أوقات السلم ، فكيف به في تلك الأيام .. أيام الحرب والقتال ..

واني لذاكر من المدن والاقطار التي مررنا بها : بحيرة (بايقال) .. ومدينة (خاربين) بين روسيا والصين .. وميناء (ولادي فوستوق) في أقصى الشرق .. و (ناجاساكي) من ثغور اليابان(١) .. و (شانغهاي) الواقعة عند مصب نهر (يانغ شي كيانغ) .. و (هونغ قونغ) المعـروف بالمينـاء الامين من ثغـور الصين .. وجـزر (الفلبين .. ومدينة (سنغابورا) في أقصى الجنوب من آسيا .. و (كولومبو) عاصمة جزيرة سيلان .. ثم (بومباي) .. و (عدن) .. والبحر الاحمر ..

رحلة طويلة شاقة دامت أربعة شهور .. قمنا بها من اجل تحقيق هدف قومي نبيل . ولكـن الاقدار لم تتح لنا تحقيق امانينا . اذ كانت الهدنة قد أمضيت . وكان القتال قد توقف ونحن في عرض البحر .

كيف قبلنا الترب عندما هبطنا أرض الوطـن ؟

كان اول شيء عملناه عندما وطئت أقدامنا أول أرض عربية ، ان رحنا نقبل تربتها .. ونحمد الله اذ رجعنا الى بلادنا .

ولكـن

فرحتنا ـ ويالأسف ـ لم يدم طويلا . اذ ما كدنـا نلتقي بالأهل والصحـاب ، حتى راحـوا يخبروننا بما جرى بعد ان وضعت الحرب أوزارها .. فتألمنا .. وقد ازددنا ألما ، عنـدما رأينـا المستعمرين يسرحون ويمرحون في بلادنا .. وكان اكثر ألمنا ، لما حل بفلسطين . حيث قلبت لنـا بريطانيا ظهرَ المِجَنّ . فرحنا نرى (العلم البريطاني) يرفرف على المباني بدلا من (العلم العربي) الذي كنا نتمنى ان نراه يخفق فوق الديار ..

والانكى من هذا ، وادهى وأمر انهم ـ أي الانجليز حلفاءنا بالامس القريب ـ وعدوا اليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ! .. وعدوهم بذلك في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ . ولما يجف المداد الذي كتبوا به وعدهم للحسين في ١٠ يونيو (حزيران) ١٩١٦ !.. ■■

عارف العارف

---

(١) هذه المدينة التي ضربها الامريكيون بقنبلتهم الذرية ..

سيكولوجية الاشاعة

الحوافز النفسية إلى إطلاق الاشاعات

الاشاعة إشاعة عداء، أو خوف، أو تمن، أو غير ذلك

أدوار ثلاثة تمر بها الاشاعة حتى تصبح مركزة قصيرة تستهل على الذاكرة.

بقلم: الدكتور فاخر عاقل

الأستاذ بجامعة دمشق



■ من المواضيع التى أهتم بها علم النفس منذ الحرب العالمية الثانية موضوع الاشاعة، فلقد لاحظ علماء النفس والمهتمون بالحروب النفسية أن الاشاعة وسيلة هامة من وسائل الحرب النفسية يفيد منها العدو الذى يوعز الى عملائه ببث الاشاعات التى تبلبل نفسية الجماهير وتفقدها ثقتها بحكومتها وتشككها بجيشها وقواتها المحاربة.

ولذلك عكف علماء النفس على درس الاشاعات وعوامل انتشارها وما يحدث لها منذ أن تنطلق الى أن تنتشر.

وسنحاول فى حديثنا هذا اعطاء فكرة عن ذلك كله مستهدفين من ذلك ايضاح الاشاعة للمواطنين عامة، ولمن كان منهم فى مركز التوجيه خاصة، ليستطيعوا فهمها ومحاربتها.

الاشاعات أثناء الحرب

وما دمنا قد اشرنا الى عناية علماء النفس بالاشاعة منذ الحرب العالمية الثانية فلنبدأ حديثنا بالكلام عن الاشاعة أثناء الحروب ، ولنلاحظ فى بادىء الأمر أن الاشاعات الخاصة بموضوع معين تنتشر بين جماعة ما بقدر ما تعلق هذه الجماعة من اهمية على موضوع الاشاعة من جهة ، وبقدر غموض الموضوع ولا سيما من حيث علاقته بحياة افراد الجماعة من جهة اخرى .

ولنضرب على ذلك مثلا حادثة ضرب اليابانيين الأسطول الامريكى فى ميناء (بيرل هاربور) أثناء الحرب العالمية الثانية ، تلك الحادثة التى كانت سببا فى دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب العالمية الثانية الى جانب الحلفاء وضد دول المحور .

ولنلاحظ أن الحادثة هامة جدا باعتبارها تتناول حياة جميع الامريكيين ومصائرهم ، كما انها حادثة غامضة وذلك على اعتبارها جاءت مفاجئة للامريكى العادى الذى لم يكن يتوقعها ، ومن هنا كانت موجة الاشاعات التى انطلقت والتى زعمت ان الأسطول الامريكى قد عطل نهائيا وان ثمة خيانة داخلية شارك فيها بعض القوميات وبعض الاديان وبعض الفئات وبعض الأشخاص . وهكذا كانت اهمية الحادثة وغموضها سببا فى انطلاق اشاعات كثيرة ومتنوعة كادت تحطم معنويات الامريكيين .

هذا ويلاحظ أن الغموض قد ينتج عن انعدام وسائل الاتصال والاعلام ، أو فقدان الأخبار الموثوقة ، أو امثال ذلك من الأسباب التى تكثر أثناء الحروب ، أو فى البلاد التى مزقتها الحروب، أو فيما بين الجماعات المعزولة كبعض الفرق الحربية أو بعض الجماعات النائية . كما قد ينشأ الغموض عن انتشار الأخبار المتضاربة وانعدام الثقة بالسلطات الحاكمة أو وجود رقابة على الأخبار وسواها .

ويلاحظ ان الاشاعات قد تنتج عن الخوف ، خوف المواطنين ، فهم يفتحون آذانهم لالتقاط الاشاعات التى قد يطلقها اناس ابرياء او جماعة من العملاء والمخربين والخونة .

وهنا نلاحظ علاقة الاشاعة وانتشارها بوجود الاقليات العرقية او الدينية او القومية او سواها وكيف تدور هذه الاشاعات حول هذه الاقليات وتتناولها وتهاجمها ، كما ان الاشاعات قد تصدر عن هذه الاقليات بحسن نية او بسوء نية احيانا ، والامر متوقف بطبيعة الحال على الظروف المعينة .

ولقد اجرى احصاء فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٤٢ حيث درست الف اشاعة فوجد انها تتوزع كالتالى :

٦٦ ٪من الاشاعات كانت اشاعات عداء

٢٥ ٪ كانت اشاعات خوف

٢ ٪ كانت اشاعات تمنى

٧ ٪ كانت اشاعات من أنواع مختلفة

ولقد لوحظ أن اشاعات الخوف والتمنى ما لبثت أن تغيرت طبيعتها باقتراب النصر .

على ان الملحوظ ان غالبية الاشاعات كانت من طبيعة افترائية شريرة وتعبر عن عداء ضد هذه الجماعة او تلك .

والأسباب الرئيسية لانتشار الاشاعات هى انها تقوم بوظيفة مزدوجة فهى تفسر التوترات الانفعالية التى يستشعرها الافراد وتنفس عنها ، ففى حادثة (بيرل هاربور) ساعدت الاشاعات على تفسير القلق الذى شعر به الناس ، ومن ذا الذى لا يقلق اذا مُسح أسطول بلاده مسحا كما قيل آنئذ ، ثم ان العائلات التى فقدت ابناءها او مُعيليها تريد اشخاصا تصب عليهم نقمتها ولذلك كان لوم الاقليات متنفسا للناس . وهكذا انصبت الاشاعات على خيانة بعض الأقليات القومية فى الولايات المتحدة واشير الى جشع اليهود وعلاقتهم بالسوق السوداء وغير ذلك .

وهكذا فان لوم الآخرين لا يفسر قلق الافراد فحسب بل هو مُتنفّس لهم . وليس مهما ان يكون اللوم مذنبا او غير مذنب ما دام اللوم يخفف من الضغط العاطفى والتوتر العصبى . ومعلوم ان التنفيس المادى والمعنوى يسبب تراخى التوتر ويقود الى شعور بالراحة . وهكذا فان فى اخبارى الآخرين بان المكان الفلانى قد تكدس بالقتلى هو

تعبير عن قلقي على من احب وتنفيس لي وتعزية ومقاسمة لاحزاني مع الاخرين وتحذير لهم .

العملية النفسية التي تسبب الالتواءات التي تسبب الاشاعة ، تتضمن عمليات ثلاثا

والسؤال هو : ما العملية التي تجري في النفس البشرية والتي تسبب هذه الالتواءات والمبالغات التي تحدث في الاشاعة فتقود الى هذا القدر الهائل من التخريب للذكاء العام والضمير الجماعي؟!

من الواضح أن تتبع الاشاعة امر صعب جدا ولذلك لجأ العلماء الى التجريب في المختبر . واذا كان المجال لا يتسع لذكر تفاصيل التجارب التي اجريت فاننا نسوق ها هنا خلاصة ما توصل اليه العلماء من تجاربهم .

بانتقال الاشاعة من شخص الى آخر تحدث فيها عمليات ثلاث هي التسوية والشحذ والتمثل وسنحاول ان نعطي فكرة عن كل واحدة من هذه العمليات .

التسوية Leveling

حين تنتقل الاشاعة من فرد الى فرد تميل الى ان تصبح اقصر واشد كثافة واسهل فهما واخبارا ، وكلما زاد ترددها قل عدد الكلمات المستعملة فيها وقلت تفاصيلها وهذه العملية هي التي تسمى بالتسوية .

ان عدد التفاصيل المحتفظ بها يتناقص بسرعة في البداية ، ثم يتباطأ فيما بعد بحيث ان نسبة التفاصيل المحتفظ بها تكون في الرواية الثانية او الثالثة قرابة ٧٠٪ من الاصل ، ثم تهبط الى ٣٠٪ في الرواية الخامسة ولو لم يمر زمن طويل على انتشار الاشاعة .

وهنا نلاحظ ان التسوية لا تصل الى حد التغيير المطلق بل يبقى منها قرابة ٣٠٪ وهذا يعني :

١ ـ ان الاشاعة القصيرة المكثفة ابقى .

٢ ـ حينما تصبح الاشاعة قصيرة وكثيفة يصعب تغييرها بعد ذلك .

٣ ـ الاشاعة القصيرة والكثيفة سهلة الحفظ سريعة الانتشار .

وعلى كل فالأمر لا يحدث بشكل عفوي بل ان الامور التي تهم الناس بشكل خاص او توائم ما يتوقعونه وتساعدهم على بناء القصة التي يريدونها قلما تنسى بل تبقى دائرة في الاشاعة .

الشحذ Sharpening

يمكننا تعريف الشحذ بانه ادراك وحفظ ونقل اختياري لعدد محدود من التفاصيل تختار من نص واسع . انه عكس التسوية ، ولكن التسوية او الشحذ لا يمكن أن يوجد واحد منهما بدون الاخر ، بل ان العمليتين تمشيان جنبا الى جنب، وما يبقى من الاشاعة بعد التسوية يشحذ اي يصبح حادا .

هذا وبالرغم من حدوث عملية الشحذ في كل رواية فان ما يشحذ في رواية ليس من الضروري ان يشحذ في سواها .

ان احدى طرق الشحذ هي الاحتفاظ ببعض الكلمات الغريبة او التي تسترعي الانتباه . تلك الكلمات التي ما تكاد تظهر في الرواية الأولى حتى تسترعي انتباه كل سامع من سامعي الاشاعة وتنتقل من فرد الى آخر مفضلة على غيرها من التفاصيل التي قد تكون أكثر أهمية .

وقد يتخذ الشحذ شكلا رقميا اي عدديا فيزاد عدد الافراد الذين لهم صفة خاصة مثلا .

وهناك شحذ زمني فيميل الرواة الى جعل الحادث واقعا في الزمان والمكان الحاضرين بدلا من زمن ماض او مكان آخر . ان الناس أكثر اهتماما بالحاضر منهم بالماضي ولذلك فهم ميالون الى نقل الاشاعة من الماضي الى الحاضر .

وثمة اتجاه لاضافة الحركة الى الاشاعة وهكذا فطيران الطائرات وانفجار القنابل وسواها أمور تبرز وتتشدد في اهميتها .

والحجم النسبي مدعاة للانتباه فالاكبر والابرز والاهم يحتفظ به وقد يبالغ في اهميته .

واذا اعطيت الاشاعة عنوانا او شعارا فان العنوان او الشعار يبقى وذلك كان نقول هذه قصة تظهر التعصب العنصري ..

وقد يضاف الى الاشاعة تفسير وحينئذ فان هذا التفسير يشحذ وهذا يحدث حينما تكون الاشاعة قد حرّفت بشكل باتت معه غير معقولة وتحتاج الى تفسير. وهكذا ففى الاشاعات اليومية يحدث الشحذ عن طريق ادخال تفاسير مقبولة .

وحادثتا التسوية والشحذ تظهران خطأ الذين يشبهون الاشاعة بكتلة الثلج التى تتضخم كلما تدحرجت ، فالعكس هو الصحيح أى أن الاشاعة تختصر وتشحذ كلما انتشرت .

التمثـــل

واضح أن عمليتى التسوية والشحذ عمليتان انتقائيتان ، ولكن ما الذى يقود الى التغاضى عن بعض التفاصيل وابراز بعضها الآخر؟ومن المسؤول عن التغييرات والتبديلات والتحويرات التى تطرأ على مجرى الاشاعة ؟ الجواب موجـود فى عملية التمثل ذات الصلة الوثيقة بالقوة الجاذبة التى تؤثر فى الاشاعة عن طريق العادات والاهتمامات والعواطف الموجودة فى نفس السامع . هذا ويتم التمثل باشكال مختلفة ، منها :

١ ــ التمثل بحسب الفكرة الرئيسية :

ان ما يحدث بصورة عامة هو أن التفاصيل تسوّى أو تشحذ لتناسب الحافز الرئيسى فى القصة ولذلك فهى تصبح مناسبة لهذا الحافز بحيث تصبح القصة الناتجة اكثر تناسقا وقبولا وحبكا . وهكذا فقد تكون الفكرة الرئيسية هى الحرب أو حدوث حادث أو غير ذلك وحينئذ فكل التفاصيل تنسق بحيث تكـون شكلا انسب والتفاصيل غير المناسبة تستبعد ، ونحن لا نكتفى باضافة بعض التفاصيل بل نعمد الى تغيير التفاصيل أو معانيها لتتناسق مع الشكل المطلوب .

٢ ــ وثمة تغيير آخر يحدث فى هذه الحالات الا وهو اكمال الصور الناقصة وسد الثغرات ، للحصول على كل متناسق وذى معنى .

٣ ــ التمثل بالتكثيف : ان الذاكرة تميل الى التخفيف عن ذاتها فبدلا من أن تعدد انواع الفواكه التى تراها تقول ، كل انواع الفواكه .

٤ ــ التمثل بالتوقع : ان العديد من التفاصيل تتخذ الشكل المتوقع منها بدلا من شكلها الحقيقى وهكذا فعربة الاسعاف تحمل مريضا ولو كانت فى الواقع تحمل متفجرات .

٥ ــ التمثل بحسب العادات اللغوية : هناك أوصاف لغوية يوصف بها بعض الناس فاذا ما وصفنا هؤلاء الناس وصفناهم بها ولو كانت لا تنطبق عليهم . كقولنا عجوز (كرّارة) أو (علاّكة).

٦ ــ التمثل بالاهتمام والمصلحة: حين يكون الرواة نساء فقد يعلقن أهمية على الملابس ويبالغن فى وصفها الأمر الذى لا يحدث بالنسبة للرجال . اما اذا قدمنا صورة لرجال الشرطة وكان فيها صورة شرطى فان اهتمامهم يتركز حوله .

٧ ــ التمثل بالتعصب : فى تجربة فيها رجل ابيض يحمل موسى ويناقش رجلا أسود قال المجرب عليهم من البيض ان الموسى كانت فى يد الاسود وانه كان يهدد بها الرجل الابيض . والتعصب قد يكون طبقيا أو عرقيا أو اقليميا أو فرديا ..

والخلاصة

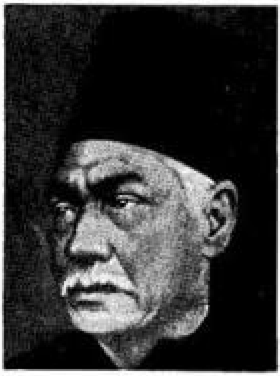
فان عمليات التسوية والشحذ والتمثل ليست آليات مستقل بعضها عن بعض ، بل هى تعمل متكافلة متضامنة وتعكس عملية شخصية تعطى الاشاعة صورتها النهائية . ولو حاولنا تلخيص ما يجرى بكلمات محدودة لقلنا :

حين يكون حقل مستثير ذا أهميـة بالنسبة للفرد ، ولكنه فى نفس الوقت غير واضح أو قابلا للتفسير باشكال مختلفة تبدأ حينئذ عملية شخصية. وبالرغم من أن العملية معقدة فيها تسوية وشحذ وتمثل فان طبيعتها الأساسية يمكن أن توصف بأنها جهد لتخفيف المثير الى بناء بسيط وذى معنى لەدلالة تكيفية بالنسبة للفرد وفيما يخص شتيت اهتمامه وخبرته . وتبدأ العملية فى اللحظة التى يدرك فيها الوضع الغامض ، ولكن الآثار تكون أعظم ما تكون اذا تدخلت الذاكرة ، وكلما كان الوقت الذى يمر بعد ادراك المثير اطول يكون التغير ذو الوجوه الثلاثة أعظم . وكذلك فانه كلما زاد عدد الأشخاص الذين يتناقلون الاشاعة أكثر يكون التغيير أعظم ويستمر ذلك الى أن تصل الاشاعة الى قدر من الاختصـار يمكن معه اعادتها من الذاكرة . ■■

فاخر عاقل

القصة في شعر

حافظ ابراهيم



بقلم : طاهر الطناحي

■ خلف حافظ ابراهيم من الاشعار ما ملانحو ستمائة صفحة من ديوانه .. وهي قصائد نظمها في نحو خمسة وأربعين عاما من حياته ، كانت اقرب في الكثير منها الى القصة والمسرح موضوعا واسلوبا .

ولو انه اتجه جديا الى ذلك ، لكان من بعض قصائده ثروة روائية باقية ، لانه تناول مآسي مصر الاجتماعية ، ومنشئاتها القومية وسعيها للحرية ، وجهادها في القضاء على الاحتلال وفوزها بالاستقلال ، ولانه كان على قدرة بارعة في دقة الوصف .. والقصة والمسرحية تعتمدان على الوصف ، وهما من الأدب الوصفي ، لا الادب الانشائي كالقصيدة والمقالة ..!

حياته حياة بكاء واشتكاء

ولكن حافظا كان من طبعه الكسل ، وكان يشكو قلة التشجيع ، بل صادف في شبابه الكثير من التثبيط والاهمال والاضطهاد ، ومعاكسة المحتلين الانجليز ، فكان يكافحهم بقصائده الوطنية والسياسية ، وقد بكى واستبكى لحظه العاثر ، وشغله رثاء زعماء الوطنية والمجد الوطني عن أن ينصرف الى ادب القصة والمسرح الذى يحتاج الى الوقت الصافي والنفس الهادئة المطمئنة ، حتى ان رثاءه لهؤلاء الزعماء يكاد يكون نصف ديوانه . وقد قال في ذلك :

إذا تصفحتَ ديواني لتقرأني
وجدتَ شعر المراثي نصفَ ديواني

نفسه الحزينة اخمدت جذوة الحب فيه

وقد أثرت حاله البائسة ونفسه الحزينة على عاطفته وميله الى الحب ، فلم نر له شعرا في الغزل الا نحو ثلاثين بيتا نصفها مترجم عن الفرنسية ، وهي مقطوعات صغيرة . نذكر من انشائه قطعة غزلية بعنوان « رسائل الشوق » قال :

سُوَرٌ عندي له مكتوبةٌ
وَدَّ لو يَسري بها الروحُ الأمينْ
إنني لا آمنُ الرسْلَ ولا
آمنُ الكتبَ على ما يحتوينْ
مُستهين بالذى كابدتُه
وهو لايدرى بماذا يستهينْ
أنا في همٍّ وبأسٍ وأسىً
حاضرُ اللوعةِ موصولُ الأنينْ

وقال في الحب بعنوان « يقين الحب » هذين البيتين :

أذنتك ترتابين في الشمس والضحى
وفي النور والظلماء والأرض والسما
ولا تسمحى للشك يخطر خطرة
بنفسك يوما أنى لست مغرما

وهما قطعتان فى غاية البرود العاطفى كغيرهما مما انشاه فى الغزل . وكذلك فى ترجمته من غزل « جاك روسو » فانه اختار اضعف غزل فى الشعر الفرنسي ، وترجم منه ومثال ذلك ما ترجمه وهو فى عنفوان شبابه عن هذا الفيلسوف الفرنسي سنة ١٩٠٠م وهما بيتان فى الحب ، جاء فيهما :

يا أيها الحب امتزج بالحشى
فإن في الحب حياة النفوس
واسلل حياة من يمين الردى
أوشك يدعوها ظلام الرموس

ولا ندرى هل استجاب الحب لنداء الشاعرين ام لا ، على ان عهدنا فى الحب انه يميت المحبين، ويذهب بهم كما ذهب بمجنون ليلى الى الرموس..!

هذا اذا استثنينا ذلك الغزل الذى بدا به بعض قصائده على طريقة القدماء كقصيدته فى مدح محمود سامي البارودى ، وقصيدته فى مدح احد حكام مصر السابقين وهو غزل تقليدى صناعي لا يمت الى العاطفة الصادقة باية صلة من نوازع الحب والهيام .

عمريته الخالدة

على انه على الرغم من هذه النفس اليائسة المضطربة ، بعث فى بعض اشعار حافظ وقصائده روح قصصية فذة . ومن ذلك « عمريته الخالدة » التى نظمها سنة ١٩١٨م عن حياة «عمر بن الخطاب» والقاها بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز فى الثامن من فبراير من ذلك العام ، ومطلعها :

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها
أني إلى ساحة الفاروق أهديها
لاهم هب لى بيانا أستعين به
على قضاء حقوق نام قاضيها

فقد جمع فيها اهم احداث هذه الحياة العظيمة لهذا الخليفة العظيم فى شعر قصصي ، بديع .. ومن عناوينها: «اسلام عمر »و« خالد بن الوليد » و « عمرو بن العاص » و « وعمر وولده عبد الله » و « عمر ونصر بن الحجاج » و « عمر ورسول كسرى » و « عمر والشورى » الى آخر ما جاء فى هذه القصة البليغة التى لو انه قد حولها الى حوار لاصبحت من ابلغ المسرحيات ... !

وقد جاء فى خاتمتها :

هذى مناقبه في عهد دولته
للشاهدين وللأعقاب أهديها
في كل واحدة منهن نابلة
من الطبائع تغذو نفس واعيها
لعل في أمة الاسلام نابتة
تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
حتى ترى بعض ماشادت أوائلها
من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من «عمر»
حتى ينبه منها عين غافيها

قصيدته فى زلزال مسينا

وكذلك قصيدته فى زلزال مسينا سنة ١٩٠٨ فقد نظم فيه ماساة شعرية مؤثرة لو انها صورت فى فيلم سينمائي لكانت من اشد الافلام هولا ، واكثرها تاثيرا . وما بالك بزلزال يطوى مدينة باهلها وطرقها ومبانيها وسمائها وارضها بين ثوران البحر وثيران البركان . فاذا بهذه المدينة الايطالية الجميلة ، تصبح كان لم تكن ، فى ثوان ، بعد ما اصيبت بما اصيبت به من الخسف والغرق والهدم والدمار ، كما قال فى هذه الماساة :

خسفت ، ثم أغرقت ، ثم بادت
قضى الأمر كله في ثوان
وأتى أمرها فأضحت كأن لم
تك بالأمس زينة البلدان

ولكن هذه الثواني قد حدث فيها مالم يحدث فى عدة ايام ، فقد محت مغاني ماهولة بالنساء

والرجال والاطفال والمساكن والآثار الفنية الجميلة والضواحي الرافصة البديعة الزدانة بمباهج الحياة، ووقع فيها من آلام الانسان ، وصراخ الاطفال والامهات والآباء ما يذيب النفوس ، ويسيل العبرات :

ربَّ طفل قد ساخ في باطنِ الأرْ
ض يُنادى أمى أبى أدركانى
وفتاة هيفاءَ تُشوى على الجَمْـ
ـرِ تُعانى من حرِّه ماتعُانى
وأبٍ ذاهلٍ إلى النار يمشى
مُسْتميتا تَمتدُّ منه اليدانِ
باحثاً عن بناته وبنيه
مُسرع الخطو مستطير الجنانِ

الى آخر هذه القصيدة ، بل هذه المأساة المؤثرة .

قصيدته فى ملجا رعاية الأطفال

وكذلك حافظ فى قصيدة « ملجا رعاية الاطفال » التى انشدها سنة ١٩١١ م فى حفل اقامته جماعة رعاية الاطفال بالاوبرا فقد نظمها فى اسلوب قصصي ليؤثر على الجماهير ويستدر عطفهم ومساعداتهم لهذه الجمعية الخيرية ، وقال فى نهايتها :

لم أقف موقفى لأنشد شعرا
صُبَّ في قالب بديع النظامِ
إنما قمتُ فيه والنفس تَشوى
من كؤوس الهموم والقلبُ دامى
ذقتُ طعم الأسى وكابدت عيشا
دون شربى قذاه شربُ الحمامِ
فلهذا وقفتُ أستعطف النا
س على البائسين في كل عامِ

حافظ مترجما لهوجو وشكسبير

ولقد كان يميل فى قصائده الوصفية الاخرى الى الاسلوب القصصي ، بل كان ينزع الى القصة حتى فى الترجمة ، وقد ترجم جزءا من « رواية البؤساء » لفيكتور هوجو نثرا ، ثم ترجم فى خمسة وعشرين بيتا موقفا من رواية شكسبير على لسان مكبث يخاطب خنجرا تخيله حينما هم باغتيال ابن عمه « دانكان » الملك ليخلفه فى ملكه . وقد وصف تردده اولا ، ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما اراد . ومن ذلك قوله فى هذه الابيات .

كأنى أرى في الليل نَصلاً مُجرداً
يطيرُ بكلتا صفحتيه شرارُ
تُقلبه للعين كفٌ خفية
ففيه خفُوق تارة وقَرارُ
يُماثل نصلى في صفاء فرنده
ويحكيه منه رونق وغرارُ
أراه فتدنيني إليه شَراستى
فينأى وفي نفسى إليه أوارُ
وأهوى بزندى طامعاً في التقاطه
فيدركهُ عند الدنو نفارُ

ثم يقول :

على الفتك يادنكانُ صحّت عزيمتى
وإن لم يكن بينى وبينك ثارُ
فإن يكُ حبُ التاج أعمى بصيرتى
فمالى على هذا القضاء خيارُ
أعرنى فؤداً منك يادهرُ قاسياً
لو ان قلوب القاسيات تُعارُ
وياحلمُ قاطعنى ، ويارشدُ لاتثبْ
وياشرُّ مالى من يديك فِرارُ
وبالليل أنزلنى بجوفك منزلا
يَضِل به سربُ القطا ويَحارُ

تلك بعض أبيات حافظ فى ترجمة هذا الموقف

الروائي ، وبها من التأثير الرائع ما لو أن شكسبير كان حيا لهنأ حافظا على براعته وقدرته في وصف هذا الموقف الذي نظمه وكأنه كان حاضرا يراه رأي العين ، ويشهد ما فيه من تردد ثم غدر وخيانة وجشع !!

عندما ضرب الاسطول الطلياني بيروت

وقد وضع حافظ في شعره السياسي قصة تمثيلية شعرية عقب ضرب الاسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاما من الاتراك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الايطاليين والاتراك سنة ١٩١٢م . وقد دار حوار هذه التمثيلية بين اربعة اشخاص هم : جريح من بيروت ، وزوج له اسمها « ليلى » وطبيب ، ورجل عربي .
وقد جاء في مشهدها الاول :

(ليلاي) ما أنا حَيٌّ
يُرجى ولا أنا مَيْتُ
لم أقض حقَّ بلادي
وهأنا قد قَضيْتُ
شَفَيتُ نفسي لو اني
لما رُميتُ رَمَيْتُ
(بيروت) لو أن خصماً
مَشى إليَّ مشيتُ
أو داس أرضكِ باغٍ
لِدُسْتُهُ وبغيْتُ
أو حلَّ فيك عدوٌ
مُنَازلٌ ما انقيْتُ
لكن رَماك جبانٌ
لو بان لي لاشتفيتُ
(ليلاي) لا تحسبيني
على الحياةِ بكيتُ
ولا تظني شِكاتي
من مصرعي إن شكوتُ
ولا يخيفنْك ذكرى
(بيروت) انى سلوتُ
(بيروتُ) مهد غرامي
فيها وفيك صَبوتُ
جررتُ ذيل شَبابي
لهواً وفيها جريتُ
فيها عرفتُكِ طفلا
ومن هَواكِ انتشيتُ
ومن عيون رُباها
وعذبِ فيك ارتويتُ
فيها (لليلى) كِناسٌ
ولي من العز بيتُ
فيها بَنى لي مجدا
أوائلي وبَنيتُ
(ليلى) سِراج حياتي
خبَا فما فيه زَيْتُ
قد أطفأته كراتٌ
ما من لظاهن فَوْتُ
رمى بهن بُغاةٌ
أصبنني فتويتُ

ليلى :

لو تُفتدى بحياتي
من الردى لفديتُ

ولو وقـَــاكَ وفـــى
بمهجـــة لوقيـــــتُ
إن عشـــتَ أو مُـــتَّ إنـى
كمـــا نَويتَ نَويــــتُ

ثم جاء فى مشهدها الاخير :

الطبيب :

أواهُ إنــــــــى أراهُ
بالموتِ أمسى رهينَــــا
جراحهُ بالغـــــاتٌ
تُعمى الطبيـبَ الفطينـــا
وعن قريــب ســـيقضى
غــضَّ الشباب حزينـــا

العربي :

أف لقـــوم جيـــاعٍ
قد أزعجـــوا العالمينـــا
فراهـم أيـنَ حلـــوا
ضرب يقـدُّ المتونــــا
عقّـــوا المـروءة هـــدّوا
مفاخـرَ الأولينـــــا
عاثوا فســـادا وفـــروا
يستعجلون السَّفينـــا
وألبسوا الغرب خزيـــا
في قرنــه العشــــرينا
وألجموا كــــل داع
وأخرجـــوا المصلحينـا
فيا (أربة) مهـــــلا
أينْ الـــذى تدعينـــا
ماذا تريديــن منـــا
والـــداء أمســى دفينـا

الجريح :

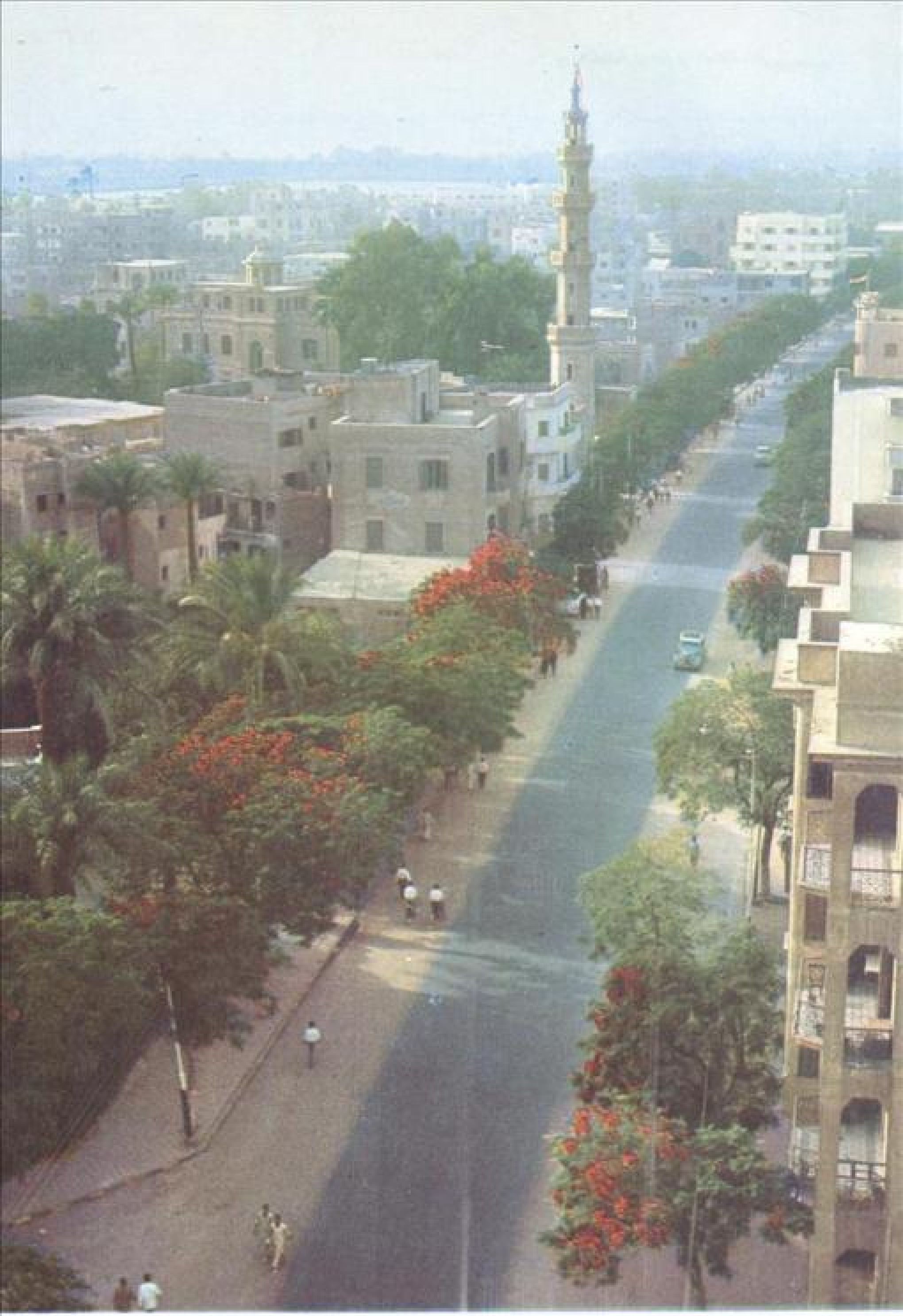
رأيتُ يأس طـــــبيبى
وهمســـه فـــى فـــؤادى
لاتندبيــــنى فانـــى
أقضـى وتحيـا بـــلادى

العربي :

أستودع الله شــــهمـا
نَدْباً طويــــل النّجـــادِ
أستودع الله روحـــــا
كانت رجـــاء البـــلادِ
فيها شهيـــداً رمتـــه
غـدرا كراتُ الأعـــادى
نَمْ هانئـــا مطمئنـــا
فلم تـــنم أحقـــادى
فســوف يُرضيك ثـــأر
يذيـبُ قلـبَ الجمـــادِ

هذه بعض مشاهد التمثيلية التى نظمها حافظ ابراهيم . وهي تصلح أن تكون مسرحية أو فلما سينمائيا اذا أضيف اليها بعض أحداث الحرب الطرابلسية التى تطوع فيها عدد كبير من العرب المصريين وغير المصريين ، وتبرعوا بالكثير فيها من الاموال ، واظهر فيها العرب بطولة فذة ، ودافعوا فيها عن الارض العربية دفاعا مجيدا .

طاهر الطناحي



اعرف وطنك أيها العربي

أسيوط

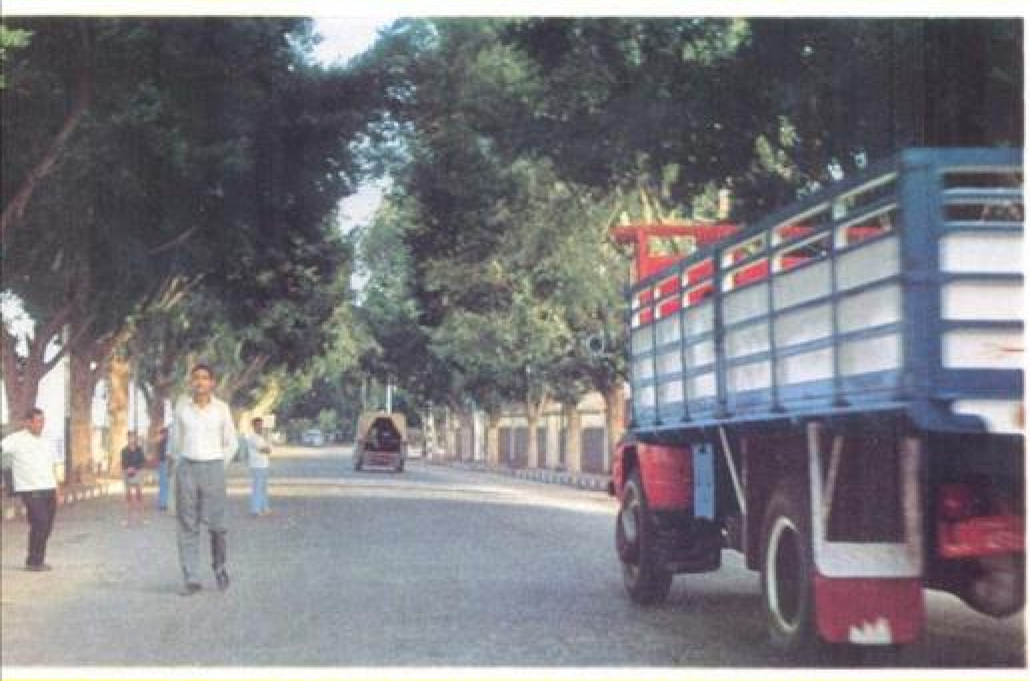
قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف

وصوره
عبد الناصر شقرة

عاصمة الثقافة في صعيد مصر
وأهم مدن الوجه القبلي بعد أسوان

منظر عام لمدينة أسيوط عاصمة الثقافة في صعيد مصر . وقد ظهر في الصورة شارع الجمهورية (الخزان سابقا) .

كورنيش النيل حيث يجرى الآن بناء ا
فندق سياحى بالمدينة ، ويمتد جنوبى اس
عند محطة الكهرباء وينتهى عند قناطر اس



لم يعد دخول الجامعة مشكلة بالنسبة للفتاة فى الصعيد ، حيث كان أهلها يترددون فى ارسالها وحدها الى جامعات القاهرة والاسكندرية . فقد قامت الجامعة واصبحت تضم الآن أكثر من الف ومائتى فتاة فى مختلف بلاد الصعيد ، واصبحت بنت الصعيد تنظر الى المستقبل بثقة واطمئنان .

■ أسيوط ، أو « عاصمة الصعيد » بلد مصرى قديم يقع على الشاطىء الغربى للنيل ، واذا كان السد العالى سيجعل من أسوان أضخم مدينة صناعية بلا دخان فى الجمهورية العربية المتحدة ، فان الجامعة التى أنشئت أخيرا فى أسيوط أعادت الى هذه المدينة مشاعل النور والفكر التى رفعتها أيدى جلال الدين السيوطى وأمثاله من أولئك العلماء الاعلام الذين أنجبتهم تلك المدينة .

والى عاصمة الثقافة فى الصعيد ، طارت بعثة « العربى » لتنقل لك صورة الحياة الجديدة فى هذه المدينة التى أصبحت أهم مدن الوجه القبلى بعد مدينة أسوان .

وأسيوط هى عاصمة محافظة أسيوط ،وتضم ثمانية مجالس مدن أو « مراكز » هى : أسيوط وديروط ومنفلوط وأبو تيج وابنوب والبدارى والقوصية وصدفا ، ويتبع هذا المركز ٦٩ مجلسا قرويا .

وتبعد مدينة أسيوط ، موضوع هـذا الاستطلاع ، عن القاهرة بحوالى ٣٧٥ كيلو مترا يقطعها القطار السريع فى خمس ساعات ، كما يربطها بعاصمة الجمهورية العربية المتحدة طريق معبد تسير فيه قوافل سيارات الركاب والنقل الى مختلف مدن ومراكز الوجه القبلى حتى مدينة أسوان التى تقع على بعد ٩٠٠ كيلو متر من القاهرة .

وأسيوط أو « سيوط » هو الاسم القديم الذى كان يطلقه الفراعنة على هذه المنطقة من وادى النيل ، ومعناه « الحدود » باللغة الهيروغليفية ، لأنها كانت الحد الفاصل بين مصر العليا » و « مصر السفلى » . ويبلغ تعداد سكان مدينة أسيوط ١٢٧ الف نسمة طبقا لآخر تعداد تم فى عام ١٩٦٠ .

لقاؤنا بالصعيد

كان لقاؤنا بالصعيد من نافذة القطار الذى يسير بمحاذاة ترعة الابراهيمية التى تتفرع من نهر النيل عند أسيوط وتمتد حتى الجيزة جنوبى القاهرة ، وهى من أطول الترع فى العالم حيث يزيد طولها على ٣٥٠ كيلو مترا . ولم تكن هذه هى رحلتنا الأولى الى صعيد مصر ، ولكننا شعرنا ولا ندرى كيف انتابنا هذا الشعور ، اننا لم نر من قبل شيئا من كل هذا الذى نراه حولنا اليوم!

كنا نذهب الى الصعيد فى المرات السابقة كزائرين فقط .. اما هذه المرة فقد ذهبنا اليه بعيون المستطلع الذى يسعى جاهدا الى تقديم صورة كاملة للقارىء فى كل مكان من الوطن العربى الكبير عن هذا الجزء من وطنه .

ونمضى بك سريعا مع القطار الذى ينهب الارض نهبا بسرعة ثمانين كيلو مترا فى الساعة ... وادى النيل الأخضر الجميل الذى يترامى أمام الاعين كما لو كان بساطا سندسيا اخضر يشقه الجسر الذى تمتد فوقه القضبان الحديدية ، ومع هدير عجلات القطار المنطلق يذوب كل صوت آخر من حولك .. كصوت الساقية وهى تدور لتروى الارض الطيبة ، وصوت الفلاح وهو ينشد أغانيه الريفية الجميلة ويرفع فأسه ليعمل بها فى الأرض وخوار الجاموسة أو البقرة وهى تتجه الى الترعة لتشرب وتسبح فى مياهها ، ونهيق الحمار وهو يحمل فوق ظهره ما أراد له صاحبه أن يحمله فى طريقه الى سوق القرية !

ويتكرر المنظر على طول الطريق فى القرى والمراكز والمدن الواقعة على الجانبين ، وتتلاحق الصور بسرعة خاطفة ، حتى يصل بنا القطار أخيرا الى محطة أسيوط .

وما كاد يستقر بنا المقام ، حتى أسرعنا نحمل

مدرسة اسيوط الثانوية للبنات ، انشئت فى فى الصعيد كله ، وتضم ٨٥٧ طالبة فى مختلف اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية . وفى



أوراقنا وآلات التصوير ونتزل الى الشـارع لنسجل بالكلمة والصورة كل جديد وقديم فى المدينة .

معالم المدينة تغيرت

لقد تغيرت معالم أسيوط تغيرا كبيرا .. دبت الحياة فى شوارعها وميادينها وفى كل شىء فيها ، وهو دبيب طالما سعت اليه المدينة المنسية منذ عشرات السنين ، واصبح اهلها يحاولون اليـوم ان يرتفعوا كلهم الى مستوى الجامعة ... كل امكانيات المدينة وضعت فى خدمة الجامعة والطلبة الجامعيين ..

وتغير تفكير أهل اسيوط وتطورت نظرتهم الى الحياة،بعد ان تطورت الحياة نفسها بالنسبة لهم. لم يعد الشاب يحزم حقائبه بعد اتمام المرحلـة الثانوية ليقطع مئات الكيلو مترات الى القاهـرة أو الاسكندرية طلبا للعلم والمعرفة ، فقد اصبح فى أسيوط جامعة .

والفتاة أيضا ، لم يعد الوصول الى الجامعة بالنسبة لها مشكلة ، فقد كان أهل الصعيد فى الماضى ، وهم المشهورون بالمحافظة الشديدة ، يترددون فى ارسال بناتهم وحدهن الى القاهرة أو الاسكندرية لاتمام تعليمهن الجامعى . امـا اليوم فقد فتحت الجامعة أبوابها فى قلب المدينة لتستقبل الشبان والفتيات من كل مدن الوجه القبلى بل والبحرى أيضا .. واصبحت جامعـة اسيوط هدف كل فتاة أو شاب يريد أن يغترف من مناهل العلم بعيدا عن ملاهى القاهرة وضوضاء العاصمة ، واصبح عدد طلبة جامعة أسيوط التى شيدت على أحدث الطرق العلمية ، يزيد الآن على عشرة آلاف طالب من مختلف أنحاء الجمهورية ، بينهم ١٢٠٠ طالبة . كما أصبحت الجامعة تضم ٩٥٠ طالبا وطالبة من الدول العربية الشـقيقة بينهم تسعة طلبة كويتيين .

وذهبنا الى جامعة أسيوط التى أنشئت من أجل بناء المواطن العربى الصالح الذى يسـتطيع أن يعطى وطنه حينما يكتمل نموه أكثر مما أخذ منه . وقابلنا مدير الجامعة الدكتور حسـين فهيـم ، ، ووكيلها الدكتور التهامى عبد الرحمن موسى،وعددا آخر من المسئولين فى هيئة التدريس ويسرنا أن نذكر أن الدكتور مدير الجامعة كان أحد تلاميذ الدكتور أحمد زكى الذين يشغلون الآن مراكز كبرى فى مصر ، وهو قد مارس معـه البحث العلمى فى كلية العلوم بجامعة القاهرة . وجلس الجميع يتحدثون الينا عن الدراسة فى الكليات المختلفة ، النظرية منها والعملية ، وعن الحياة الجامعيـة ، والمشروعات التى تمـت والمشروعات التى لا تزال موضع البحث والدراسة لاستكمال هذا العمل الكبير .

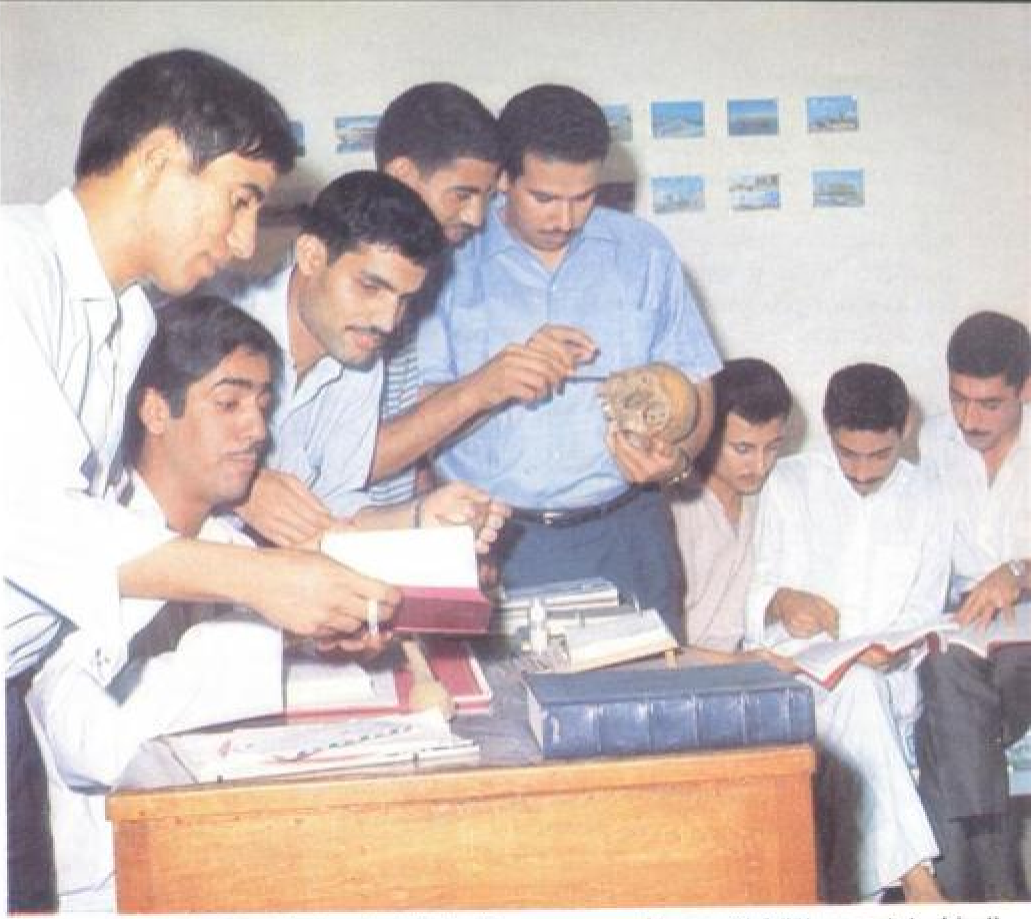
قال لنا وكيل الجامعة، انه سبق انشاء الجامعة دراسات مستفيضة تستهدف تحديد احتياجـات اقليم الصعيد والتعرف على مـدى توافـر الامكانيات المادية والبشرية اللازمة للجامعة،ولذلك تقرر أن تبدأ الجامعة بكليات العلوم ، الطبيعية والتطبيقية ، وأن تنتهى بكليات الدراسـات الانسانية .

متى أنشئت الجامعة ؟

وفكرة انشاء جامعة أسيوط كانت موجودة منذ عام ١٩٤٩ ، ففى ذلك العام صدر قانون انشائها ، ولكن هذا القانون بقى حبرا على ورق ، الى ان جاء عام ١٩٥٢ ، عام الثورة ، فأخرجت الفكرة الى حيز التنفيـذ .. وبدأت الجامعـة تؤدى رسالتها بقبول ٥٠٠ طالب وطالبة فى عام ١٩٥٧ ،

عام ١٩٣٤ ، وهى اقدم مدرسة ثانوية للبنات
مراحل الدراسـة ، حيث تـدرس الطالبات
المدرسة أيضا قسم تجارى يضم ٢٢٥ طالبة .





الى أعلى : فريق من الطلبة الكويتيين الذين يتلقون العلم في جامعة اسيوط ، وقد انهمكوا في مراجعة دروسهم ، استعدادا للامتحانات .

الى أسفل : مئات الدراجات التي تكدست في المكان المخصص لها في حرم الجامعة وبذلك حل الطلبة والطالبات مشكلة المواصلات .





الى اليسار : جانب من ورش كلية الهندسة حيث يتلقى الطلبة دراساتهم العملية في مختلف أقسامها، وهى لا تخدم الطلبة الجامعيين فحسب ، بل تضع خبراتها تحت تصرف المدينة كلها .

الى اسفل : ثلاث من طالبات كلية العلوم بالجامعة،جئن الى اسيوط قادمات من سمالوط ومنفلوط وملوى ويقمن في شقة استأجرنها في قلب المدينة ، انهن يراجعن معلوماتهن في نادى الطلبة والطالبات قبل الدخول الى لجنة الامتحان .



وكان عدد أعضاء هيئة التدريس فى ذلك الوقت ٣٢ استاذا ومدرسا . وفى أقل من تسع سنوات ارتفع عدد الطلبة والطالبات الى عشرة آلاف ، أى الى عشرين ضعفا ، موزعين على كليات العلوم والهندسة والزراعة والطب والصيدلة ، والطب البيطرى والتجارة . وينتظر الانتهاء من افتتاح كليتى الدراسات الانسانية (الآداب والحقوق) قريبا . كما ارتفع عدد أعضاء هيئة التدريس فى نفس الوقت الى ٥٠٠ استاذ ومدرس ، أى الى ستة عشر ضعفا ! .

وقد بدأت الدراسة بالجامعة فى مقر مؤقت كانت تشغله مدرسة اسيوط الثانوية للبنين منذ انشائها فى عام ١٩١٣ ، وذلك بعد أن ادخلت عليه تعديلات لتجعله صالحا للدراسة الجامعية .

أما مدرسة اسيوط الثانوية ، فقد نقلت الى مبنى آخر شيد خصيصا لها واصبح اسمها الآن مدرسة ناصر الثانوية وهى أول المدارس التى تغذى الجامعة بالطلبة بعد اتمام دراستهم الثانوية ، تليها كلية الامريكان ، ثم مدرسة « اخوان ويصا » الثانوية ، هذا الى جانب المدارس الثانوية للبنات وعددها ثلاث بمدينة اسيوط وحدها .

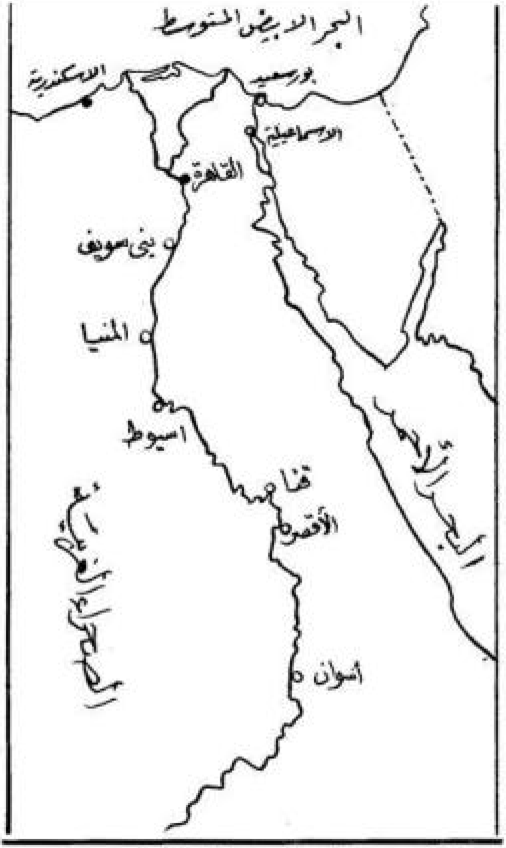
الحرم الجامعى

ونعود الى الجامعة التى شيدت مبانيها الضخمة فى مكان مناسب يقع فى شمال غربى المدينة بالقرب من الطريق البرى المؤدى الى القاهرة ، وعلى بعد كيلو مترين تقريبا من قلب المدينة . وتبلغ المساحة الكلية للحرم الجامعى حوالى ٣٦٥ فدانا ، بما فى ذلك أرض المزرعة التى تشغل حيزا كبيرا منه ، وأرض الاستاد الرياضى والحدائق التى تحيط بالمبانى .

وخرجنا نطوف بالأقسام فى الكليات المختلفة . انها تمثل مجموعة من المبانى الجميلة التى شيدت كما قدمنا على أحدث طراز لمبانى الجامعات فى العالم . ويتألف كل مبنى من أربعة أو خمسة طوابق تضم قاعات المحاضرات وحجرات الاساتذة ، والمعامل ، والورش فى الكليات العملية مثل كلية الهندسة .

٥ جنيهات شهريا

وقد تم حتى الآن بناء الجزء الاكبر من مبانى الأقسام العملية لكليتى العلوم والهندسة ، كما



خريطة تبين موقع اسيوط عاصمة الثقافة فى الصعيد

تم بناء الاستاد الرياضى الذى يتسع لعشرين الف متفرج ، وكذلك صالة الالعاب المغلقة ، وجزء من المبانى الخاصة بمساكن هيئة التدريس ، وأربع مجموعات من مساكن الطلبة وهى تتسع لسكنى ١٢٠٠ طالب ، من بينهم ٥٠٠ طالبة ، جهزت لهن حجرات مستقلة زُودت بكل وسائل الراحة . ويدفع الطالب أو الطالبة مبلغا رمزيا بسيطا مقابل السكن والمأكل لا يزيد على خمسة جنيهات شهريا بينما تزيد التكاليف فى الواقع على عشرين جنيها .

وقد بدأ العمل من ناحية أخرى فى بناء مبانى الاقسام العملية لكلية الزراعة ، وينتظر أن تتم باقى المبانى فى عام ١٩٧٠ ، وبذلك تكون الجامعة كلها فى حرم واحد يضم جميع مرافقها التعليمية والرياضية والاجتماعية .

حل مشكلة الاسكان

قال لنا الدكتور التهامى وكيل الجامعة ، ان



السيد أحمد كامل محافظ أسيوط ، استقبل بعثة « العربى » فى منزله حيث جلس يتحدث فى غرفة المكتب عن المشروعات الضخمة التى يجرى العمل فيها للمدينة الجامعية .. انه يعمل ١٨ ساعة فى اليوم،وتعمل معه كل المصالح والمؤسسات الحكومية لدفع عجلة التطور بالمدينة، وهو لا يكف عن التفكير فى مشروعات جديدة .. وفى الصيف الماضى استغل اوقات فراغ الطلبة خلال الاجازة الصيفية ودعاهم الى الخروج معه فى حملة ضخمة للنظافة ، وسار معهم فى المقدمة .

باقى طلبة الجامعة يسكنون حاليا فى المنازل التى يستأجرونها وسط بيوت الاهالى بالمدينة ، ونحن نحاول الآن حل هذه المشكلة بحيث يستطيع جميع الطلبة الغرباء عن اسيوط او الجزء الاكبر منهم ، السكن فى الحرم الجامعى . وقد تم الاتفاق مع السيد أحمد كامل محافظ أسيوط على تخصيص جزء من اعتمادات الاسكان بالمحافظة للجامعة . بمعنى أن تبنى المحافظة للجامعة داخل الحرم الجامعى وحدات سكنية ينتقل اليها الطلبة الذين يشغلون مساكن بالمدينة ، على أن تسلم هذه المساكن للمحافظة . وينتظر الانتهاء منهذا المشروع فى العام القادم .

وقال لنا وكيل الجامعة ، ان ثمة مشروعا آخر لحل مشكلة اسكان الطلبة ، يتلخص فى مساهمة باقى محافظات الجمهورية فى مشروعات الاسكان . وقد كتبت الجامعة بالفعل الى المحافظات ، وكان أول من استجاب لهذا الاقتراح السيد محافظ المنيا ، حيث تبرع أولياء أمور الطالبات ، وعددهن ٢١١ طالبة ، ببناء منزل خاص بطالبات المنيا بالمدينة الجامعية ، كما أعربت محافظتا اسوان وبور سعيد عن رغبتهما فى المساهمة أيضا . وينتظر أن تستجيب باقى المحافظات لهذا الطلب .

وليست هذه الفكرة بجديدة ، فقد سبق تنفيذها فى جامعة القاهرة .

النشاط الاجتماعى والرياضى

وقال لنا مدير الشئون العامة بجامعة اسيوط، ان ادارة الجامعة تهتم اهتماما كبيرا بالنشاط الاجتماعى والرياضى للطلبة والطالبات ، ومن اجل ذلك انشأت لهم الاستاد الرياضى ، كما انشأت مسرحا كبيرا وناديا للتجديف وأندية اجتماعية مختلفة . كما عنيت الادارة ايضا بانشاء قسم خاص للخدمة العامة ، يهدف الى تحويل الجامعة الى مركز للخدمات العلمية والثقافية والاجتماعية للصعيد كله .

وترتبط جامعة اسيوط بالمجتمع ارتباطا وثيقا ، فهى جامعة بلا اسوار تسمح لأفراد الشعب بالمشاركة فى نشاطها ودراساتها . وقد وضعت ادارة الجامعة ورشتها الكبرى بكلية الهندسة فى خدمة اسيوط كلها ، كما تقوم كلية الزراعة بتجاربها الزراعية لخدمة المزارع وارشاده الى افضل الطرق العلمية الحديثة . وبدأت بالفعل بحوث فىالحقول تهدف الى النهوض بزراعة قصب السكر . وتقوم كلية العلوم وخاصة قسم الجيولوجيا بدراسة التربة المعدنية فى المناطق الصحراوية على جانبى وادى النيل فى الصعيد . اما كلية الطب فتهدف الى أن تصبح مركزا للدراسات الطبية والخدمات العلاجية فى اقليم الصعيد كله ، وكذلك كلية الطب البيطرى التى تساهمفىالمحافظة علىالثروة الحيوانية فىالصعيد.

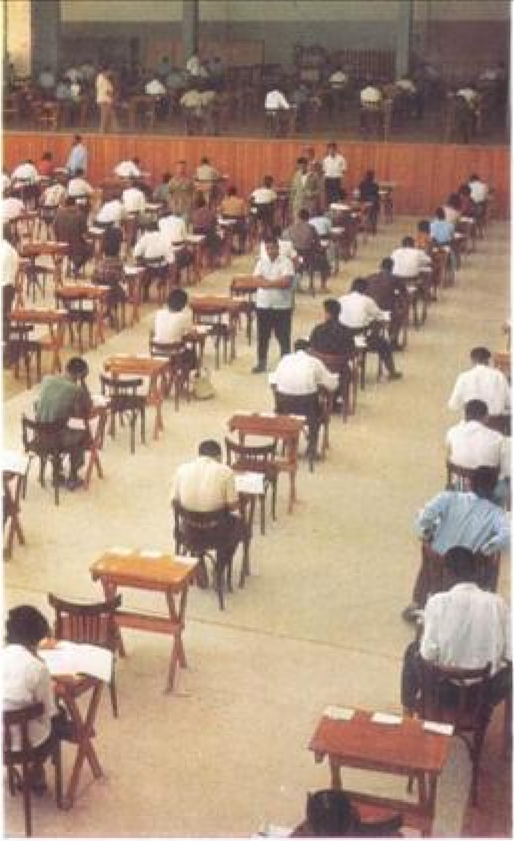
بنت الصعيد الجديدة

وقد التقينا بالفتاة الجامعية فى حرم الجامعة .. كان الوقت قبل الظهيرة بقليل وشمس أسيوط تلفح الوجوه السمراء ، وترسل اشعتها الساخنة فوق المبانى الجامعية التى تحولت الى لجان جلس بداخلها مئات الطلبة والطالبات يؤدون الامتحان فى مختلف المواد ، فقد جاءت زيارة بعثة « العربى » لاسيوط فى موسم الامتحانات .

وامام الباب الخارجى لاحدى اللجان ، وقفت



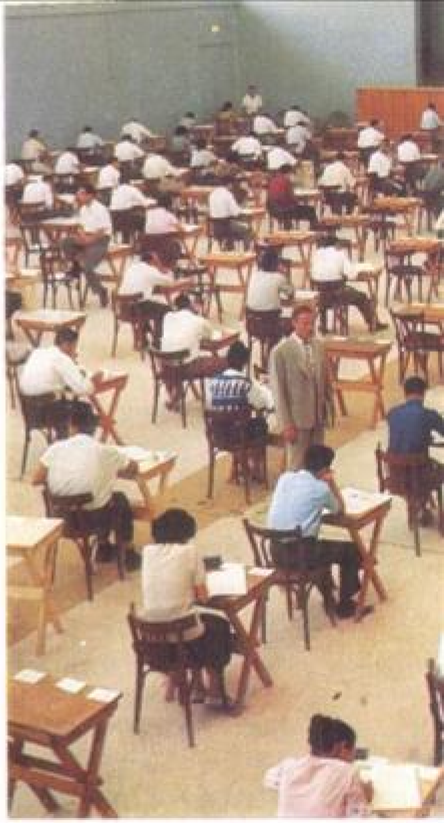
الى اعلى : وحدة الميكروسكوب الالكتروني بالجامعة ، وقد ساعد في رؤية الميكروبات مكبرة تكبيرا مباشرا ربع مليون مرة .



الى اعلى : جاءت زيارة بعثة العربي لمدينة احدى لجان الامتحانات بالجامعة ، وقد الاجابة على الاسئلة دون ان







اسيوط فى موسم الامتحانات ، وفى الصورة
اسطف فيها الطلبة والطالبات والممكن فى
يشعروا بعدسة المصور .



الى اعلى : داخل مسجد المعهد الدينى بأسيوط اجتمع بعض الطلبة بأحد اساتذتهم . ويعتبر هذا المسجد من أجمل المساجد فى الصعيد ، حيث تميز بالنقوش العربية والاسلامية وقامت وسطه الاعمدة المصنوعة من أحجار الجرانيت .

الى اليمين : اعتنت جامعة أسيوط بالنشاط الرياضى فأقامت ناديا للتجديف على شاطىء ترعة الابراهيمية ، وقد اشترك فريق أسيوط للتجديف فى بطولة الجامعات وجاء ترتيبه فى المركز الثانى .



اهتمت جامعة أسيوط بالنشاط الرياضي . وكان من مظاهر الاهتمام انشاء « استاد » يتسع لاكثر من عشرين الف متفرج ، وناد للتجديف على شاطئ ترعة الابراهيمية .

« بنت الصعيد الجديدة » تتحدث الينا . كانت انيقة ولكن فى بساطة .. جميلة ، ولكنه جمال هادئ وقور .. انها تدعى اقبال احمد ، طالبة بالسنة الثانية بكلية الزراعة وعمرها ١٩ سنة ، قالت اقبال : انها جاءت من بنى سويف لتدرس فى جامعة أسيوط، وهى تقيم مع لفيف من زميلاتها الطالبات فى شقة استأجرتها بالمدينة على بعد ثلاثة كيلو مترات من الجامعة . وقد واجهت الطالبات فى بادئ الأمر مشكلة ايجاد الوسيلة المناسبة للمواصلات حتى يتمكن من الحضور الى الجامعة فى الساعة الثامنة من صباح كل يوم ، وهو موعد بدء الدراسة الصباحية ، بينما تستمر الدراسة المسائية حتى الساعة العاشرة مساء . ولكن المشكلة ما لبثت أن حُلّت سريعا عندما شاهدت الفتاة زميلاتها « بنات أسيوط » الجامعيات يركبن الدراجة ، فركبت هى الاخرى الدراجة .

وتركتنا اقبال بعد هذا الحديث القصير لتعود الى البيت وتستعد لامتحان الغد ، وأسرعت الى المكان الذى تركت فيه دراجتها وسط مئات الدراجات الاخرى التى تنتظر زملاءها وزميلاتها أمام لجنة الامتحان ، لقد أصبحت بنت الصعيد تقوم بدور فعال فى مجتمعنا الجديد .

قناطر أسيوط

وانتهت جولتنا فى الجامعة ، وركبنا السيارة لنبدأ جولة اخرى فى أسيوط .. فى شوارعها وميادينها ووسط معالمها .. وفى الطريق مررنا على قناطر أسيوط التى تعتبر من ابرز معالم المدينة ، فهى اول شيء يطالعك وانت قادم بالسيارة من القاهرة ، وآخر جسر تعبره وانت تغادر أسيوط الى بعض المراكز والقرى التابعة للمحافظة .

انشئت هذه القناطر فى عام ١٩٠٢ لتحفظ ماء النيل وتساعد على تنظيم الرى الدائم فى الاراضى الواقعة بين الجيزة واسيوط . واجريت لها عملية توسيع فى عام ١٩٢٧ ، ويبلغ طول القناطر ٧٥٠ مترا ، وبها ١١٠ فتحات تتدفق منها المياه المخزونة وراءها للاستفادة بها فى رى الاراضى الواقعة شمالى المدينة فى موسم التحاريق .

وعلى مقربة من قناطر أسيوط أو « الخزان الكبير » كما يسميها أهل المدينة تقع قناطر ترعة الابراهيمية ، أو « الخزان الصغير »، الذى انشئ فى عام ١٩٠٧ ، فوق الترعة الطويلة التى تتفرع من نهر النيل عند أسيوط ، للتحكم فى مياهها . وتمتد هذه الترعة ، كما ذكرنا ، الى ضواحى القاهرة عند الجيزة ، كما يتفرع منها بحر يوسف عند مدينة ديروط ويصب فى بحيرة قارون .

كورنيش النيل

وفى الطريق الى المدينة ، عرجت بنا السيارة الى كورنيش النيل ، الذى يبدأ من جنوب أسيوط عند محطة توليد الكهرباء وينتهى عند قناطر أسيوط ، مارا بمديرية أمن أسيوط ، ومديرية المرافق والاسكان ، ودار المعلمين والمعلمات حتى مركز أسيوط . ويجرى العمل الآن فى بناء فندق سياحى كبير على الكورنيش .

وزرنا حديقة الحيوان، وهى تقع على الكورنيش مباشرة ، وقد انشئت فى عام ١٩٦٢ ، وهى حديقة صغيرة تحيط بها الاشجار العالية من كل جانب ، وتشرف على نهر النيل امام معهد أسيوط الدينى، وتضم من الحيوانات المفترسة الاسد والنمر ، كما



منظر عام لمجموعة من العمارات السكنية ، وهى تضم قسمين أو نوعين من المساكن ، أحدهما شعبى والآخر اقتصادى ، والأول يتألف من ثلاث حجرات والثانى من أربع

تسبح فى البركة التى تتوسطها مجموعة كبيرة من البط البكينى الذى ينقل اليها من مزارع تربية البط فى اسيوط ، وتنتشر اقفاص الطيور على مختلف أشكالها فى جميع أرجاء الحديقة .

الشارع الرئيسي بأسيوط

ونمضى فى طريقنا الى شارع الجمهورية ، وهو الشارع الرئيسى فى أسيوط ، وكانوا يسمونه قديما شارع الخزان ، لأنه ينتهى عند الخزان أو قناطر أسيوط ، ويبدأ عند النفق الذى يسير فوقه قطار السكة الحديد وسط المدينة . ويعتبر هذا الشارع مدخلا للقادمين بالسيارات من القاهرة ومركزى أبنوب والبدارى .

وتبدى محافظة أسيوط فى الوقت الحاضر اهتماما كبيرا بهذا الشارع الذى تقرر تحويله الى شارع تجارى يضم جميع المحال التجارية الكبرى بالمدينة . وقد اتفقت الدار القومية للطباعة والنشر على انشاء مكتبة فى شارع الجمهورية ، وتم الاتفاق بالفعل مع المحافظة على موقع المكتبة الجديدة .

اما المحال التجارية وفى مقدمتها محلات عمر افندى وشيكوريل واركو وشملا وغيرها، فقد بدات تستعد للانتقال الى شارع الجمهورية او الحي التجارى الجديد .

المساكن الشعبية

وزرنا منطقة المساكن الشعبية فى الوليدية ، وهى منطقة جديدة ، تضم عددا كبيرا من العمارات السكنية الحديثة التى تتالف من أربع وخمس طوابق ، وتحيط بها الحدائق والمزارع من كل جانب . وقد بدأ العمل فى بناء هذه المساكن فى عام ١٩٦٢ . وقد تم انشاء ما يقرب من الف وحدة سكنية فى جميع أنحاء محافظة أسيوط ، تكلفت أكثر من مليون جنيه . ويبلغ عدد الوحدات السكنية التى شيدت فى مدينة أسيوط وحدها أكثر من مائتي وحدة . ولا يزال العمل جاريا فى بناء وحدات سكنية جديدة .

وتنقسم هذه الوحدات الى قسمين ، احدهما



فى نادى أسيوط جلس فريق من المشرفات الاجتماعيات يستمعن الى محاضرة يلقيها عليهن أحد اساتذة الجامعة . وقد تميز هذا النادى بقاعاته الفسيحة التى تتسع لعقد الندوات والاجتماعات .



مباني الكليات المختلفة بالحرم الجامعي ، وقد شيدت كلها على أحدث طراز ، ولا يزال العمل جاريا لاضافة مبان جديدة لكليتي العلوم الانسانية ، ولانشاء مساكن للطلبة والطالبات داخل المدينة الجامعية

أقيمت جامعة أسيوط فوق أرض تبلغ مساحتها ٣٦٥ فدانا بما في ذلك أرض المزرعة وأرض الاستاد الرياضي ، وفي الصورة منظر لقسم من المباني الجامعية ، وقد أحاطتها الحدائق الفسيحة من كل جانب

في حديقة نادي أسيوط جلس بعض الطلبة والطالبات يتسامرون بعد تأدية الامتحان في بعض المواد





الى اسفل : بركة البط البكيني في حديقة الحيوان بأسيوط . وقد انشئت هذه الحديقة في عام ١٩٦٢ ، وتضم مجموعة من الوحوش والطيور ، ويتجه التفكير الآن الى توسيعها واضافة أقسام جديدة اليها .



يضم المساكن الشعبية التى خصصت للموظفين وبعض الافراد من ذوى الدخل المحدود ، ويدفع المستاجر مبلغ ثلاثة جنيهات شهريا ، ايجارا لثلاث غرف وصالة ودورة مياه .

اما القسم الثانى فيضم المساكن الاقتصادية التى يستاجرها الموظفون من متوسطى الدخل وتتالف الشقة من اربع غرف وصالة ودورتين للمياه ، وايجارها الشهرى خمسة جنيهات .

الزراعة فى اسيوط

وقد عرفت مدينة اسيوط منذ اقدم العصور بخصب ارضها ، وكثرة خيراتها ، ويحكى ان احد عمال الخليفة هارون الرشيد ، وصف له اسيوط ضمن بلاد الدنيا التى استحسنها فى القرن الثانى الهجرى ، فقال : « ثلاثون الف فدان (مساحتها فى ذلك الوقت) ، لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت فى جميعها ، لا يظما فيها شبر ، ويزرع فيها الكتان والقمح وسائر اصناف الغلات ، فلا يكون على وجه الارض بساط اعجب منه ، على جانبه الغربى جبل ابيض على صورة الطيلسان (جبل اسيوط) ويحفه من جانبه الشرقى ، نهر النيل ، كانه جدول فضة . لا يسمَع فيها كلام من شدة اصوات الطير » .

ولا تزال ارض اسيوط وما جاورها من اجود الاراضى الزراعية فى الوجهين القبلى والبحرى ، وهى تشتهر بزراعة القطن والموز والموالح والنبق الاسيوطى والبصل والثوم وجميع أنواع الحبوب. وقد تضاعف انتاج الارض بعد ادخال احدث الوسائل للزراعة وبعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ، وبعد ان أصبح الفلاح يعمل فى ارضه ، بعد ان كان أجيرا ، وهو الآن يعمل ويكدح لنفسه .

الثروة الحيوانية

وما دمنا نتحدث عن الفلاحين والزراعة فلا بد أن نتناول فى حديثنا الثروة الحيوانية . فالحيوان لازم الفلاح فى ارضه وحقله منذ أقدم العصور .

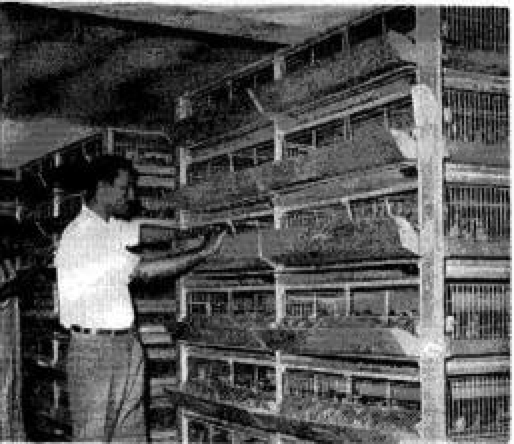
وقد عنيت حكومة الجمهورية العربية المتحدة بهذه الثروة التى تعتبر عماد حياة الفلاح ، فانشات مزرعة « الفريزيان » أو البقر الهولندى Frizian فى قرية بنى مُرّ على بعد كيلو مترين فقط من قناطر اسيوط ، وهى مزرعة تابعة للمؤسسة العامة للحوم ، وسميت بهذا الاسم نسبة الى مقاطعة فريزلاند بهولندا التى تشتهر بتربية العجول والابقار .

وقد بدا هذا المشروع بوصول خمسين عِجْلة عشَراء فى عام ١٩٦٢ من هولندا ، واصبحت المزرعة تضم الآن ٢١٥ رأسا ، من بينها ٥٤ بقرة و ١١٢ عجلة و ٣٠ عجلا طلوقة . والباقى نتاج رضيع .

اما الغرض الأساسى من انشاء هذه المزرعة ، فهو توفير طلائق منتخبة لتحسين النسل الحيوانى وحل مشكلة الالبان واللحوم ، وقد اثبتت التجارب ان الأبقار الهجين التى جاءت نتاجا لاختلاط العجول الهولندية (الفريزيان) والابقار المصرية، تدر أكثر من ٣٠ كيلو جراما من اللبن الحليب يوميا وبعد الولادة بشهر تقريبا ، بينما لا يزيد معدل ادرار اللبن عند البقرة المصرية على عشرة كيلو جرامات .

وقد تقرر أن يلحق بهذه المزرعة قسم خاص لتربية الأغنام ، وتم بالفعل اعداد المكان المناسب لاستيعاب ٦ آلاف رأس .

ويشرف على هذه المزرعة فريق من المهندسين والخبراء الزراعيين والاطباء البيطريين الذين خصصت مساكن صحية لهم ولافراد أسرهم داخل المزرعة .



تتم عملية التفريخ صناعيا فى مزرعة الدواجن بقرية « بنى مر » حيث تنتج المزرعة حوالى ثلث مليون كتكوت سنويا ، ويباع الانتاج فى أسيوط والمحافظات القريبة منها .

مزرعة الدواجن

كذلك انشات الحكومة مزرعة الداوجن التى بدا العمل فيها فى ديسمبر عام ١٩٦٤ وتم عملية التفريخ والفقس فى هذه المزرعة الحديثة اصطناعيا، ويبلغ انتاج الكتاكيت ثلث مليون سنويا ، اما عدد الدجاج الموجود حاليا بالمزرعة فيصل الى ٦٤ الف دجاجة من النوع الفيومى ، لان عددا كبيرا من الانتاج يباع للمزارعين باسعار بسيطة بمجرد اتمام فترة الحضانة .

كما يبلغ الانتاج اليومى للبيض فى المزرعة بين الفين و٦ آلاف بيضة ، طبقا لمراحل عملية استبدال القطيع وحاجة المحطة من البيض للتفريخ .

أسواق المدينة قديما

وتنتقل بعد ذلك الى أسواق أسيوط ، وقد اشتهرت أسواق المدينة منذ الزمان القديم برواج تجارتها . فكان الناس يأتون اليها من كل صوب ليبيعوا ويشتروا السلع المحلية والبضائع الواردة اليها من مختلف أنحاء البلاد القريبة والبعيدة ، مثل سن الفيل وريش النعام والصمغ العربى من السودان ، والأحرمة والبرانس من المغرب ، والبن والتوابل والعطور من اليمن والحجاز والهند . والعجوة والتيلة من الواحات الى آخر ما هنالك.

ولعل السبب فى ازدحام مدينة أسيوط بالتجارة والحاصلات الواردة منذ القدم ، هو وقوع المدينة عند نهاية طريق القوافل الذى يمتد بين مديريتى دارفور وكردفان بالسودان جنوبا وينتهى عند أسيوط شمالا ، ويعرف بدرب الأربعين . وقد سمي كذلك لأن الجمال كانت تقطع هذا الطريق الصحراوى الطويل فى اربعين يوما واربعين ليلة .

الصناعات الوطنية والحديثة

وقد قامت فى أسيوط منذ أجيال بعيدة عدة صناعات اشتهرت بها مثل صناعة السجاد والكليم من صوف الاغنام ، وصناعة العاديات والتحف والتماثيل الصغيرة من سن الفيل والعظم وقرون الجاموس والأبنوس وخشب الصندل .

وقد اهتم المسئولون بتطوير هذه الصناعات والنهوض بها ، فانشأت المؤسسة المصرية العامة للتعاون الانتاجى والصناعات الصغيرة مصنعا سمته « خان الخليلى » ، وهو اسم الحى الذى تباع فيه هذه التحف بالقاهرة . وافتتح المصنع فى مبنى حديث بأسيوط فى عام ١٩٦٢ ، ويعمل فيه عشرات من العمال الفنيين الذين توارثوا هذه الصناعة وأتقنوها على مر الأجيال ، يعاونهم عدد كبير من الصبية الصغار الذين يمنحون مكافآت تشجيعية على انتاجهم .

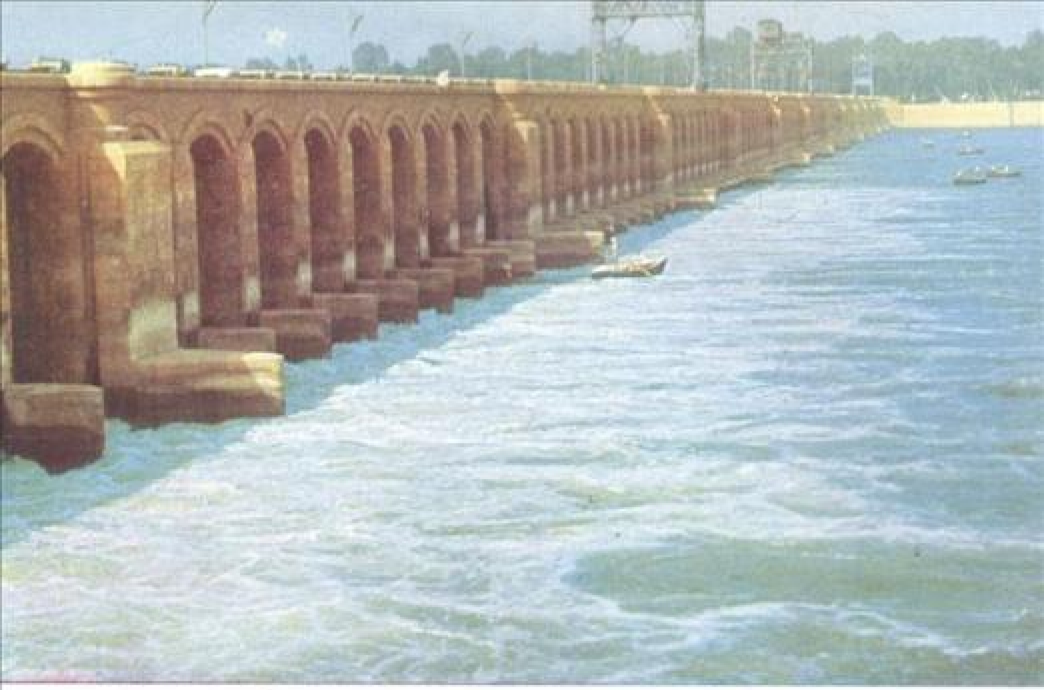
ويقوم المصنع بانتاج علب المجوهرات والحلوى وعلب السجائر والصوانى والفازات المصنوعة من خشب الصندل والأبنوس والمطعمة بسن الفيل ، وكذلك التماثيل الصغيرة لقدماء المصريين. وتعرض هذه المنتجات فى مركز للتسويق ، وترسل بعد تسويقها الى المراكز السياحية بالجمهورية العربية المتحدة حيث يتهافت السائحون على شرائها ، وتصدّر للخارج .

وحدة السجاد والكليم

وزرنا وحدة السجاد والكليم بقرية درنكة ، التى تقع على بعد بضعة كيلو مترات من أسيوط، وهى تابعة أيضا للمؤسسة العامة للتعاون الانتاجى، ويعمل فيها حوالى مائة عامل . ويبلغ الانتاج الشهرى للمصنع حوالى ٢٠٠ متر من الكليم و ٦٠ مترا من السجاد الأسيوطى . وليس هذا



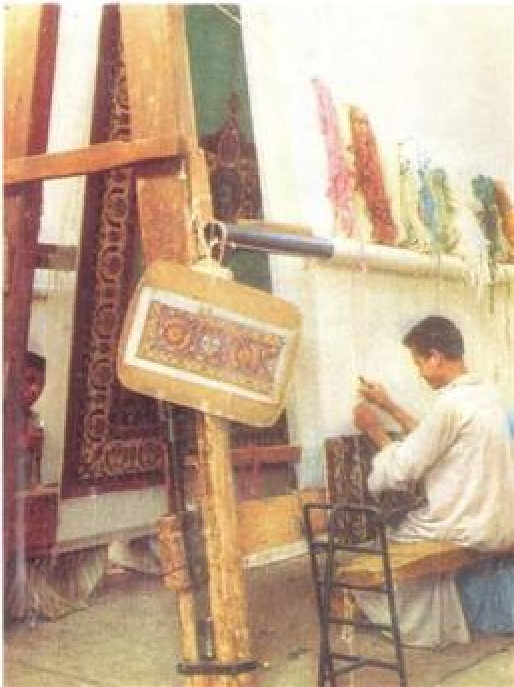
فى أسواق أسيوط يجد الجمهور كل ما يحتاج اليه من الاقمشة والسلع التى تصنع محليا فى مختلف مصانع الجمهورية والتى لا تقل جودة عن المنتجات العالمية .



الى أعلى : قناطر أسيوط التى شيدت فوق نهر النيل عند منطقة الوليدية لتساعد على تنظيم الرى الدائم بين أسيوط ومدينة الجيزة . وقد أنشئت فى عام ١٩٠٢ وأجريت لها توسعة فى عام ١٩٣٧ .

الى اليمين : مما تشتهر به أسيوط ، صناعة السجاد ، وهناك عدة مصانع للسجاد بالمدينة، بعضها تابع للمؤسسة العامة للتعاون الانتاجى، والبعض الآخر يمتلكه الأهالى الذين توارثوا هذه الصناعة أبا عن جد .

معرض العاديات والتحف التى ينتجها مصنع خان الخليلى بأسيوط ، وقد اشتهرت المدينة بهذه الصناعة الوطنية منذ القدم ، وهى تباع فى أسواق القاهرة وتصدر لجميع أنحاء العالم .



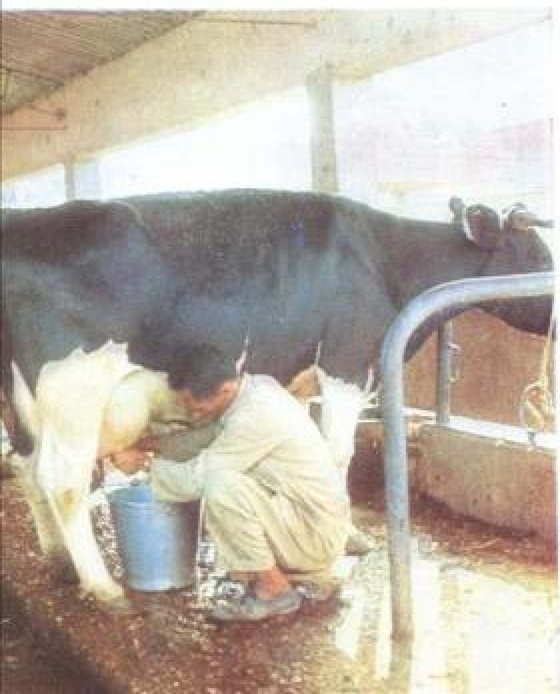




في ساعة محددة من النهار يفتح الجزء المتحرك من الجسر المقام فوق النيل عند قناطر أسيوط لمرور القوارب في النيل . ويتعطل المرور فوق القناطر لفترة قصيرة تعود بعدها السيارات الى الانطلاق بين المدينة وضواحيها .

اهتم المسئولون في أسيوط بالثروة الحيوانية فانشأوا مزرعة « الفريزيان » لتربية العجول والابقار في عام ١٩٦٢ ، والهدف منها توفير طلائق منتجة لتحسين النسل الحيواني وحل مشكلة الالبان واللحوم .





هو المصنع الوحيد فى المدينة ، فهناك عدة مصانع أخرى للسجاد ، ومصانع صغيرة يمتلكها الاهالى فى بيوتهم ، حيث يمارسون هذه الصناعة التى اشتهرت بها مدينتهموتوارثوها عنآبائهم واجدادهم منذ مئات السنين .

مشروعات التصنيع

وقد اهتمتالحكومة ايضا بالصناعات الحديثة. فانشأت مركز تدريب مهنى لحرف المعادن بلغت تكاليفه حوالى ٢٠٠ الف جنيه ، كما تم انشاء وحدة صباغة وتجهيز تكلفت مليون جنيه ، ويجرى العمل الآن على قدم وساق لانشاء وحدة غزل تتألف من ٣٠ الف مغزل وتبلغ تكاليفها حوالى مليونين من الجنيهات ، وكذلك وحدة نسيج مكونة من ٨٦٤ من الانوال ، وتزيد تكاليفها على مليونين و ٨٠٠ الف جنيه . كما يجرى العمل فى نفس الوقت لاتمام مصنعالسوبر فوسفات الذى ستصل تكاليفه الى اربعة ملايين من الجنيهات .

الآثار التاريخية

ومدينة أسيوط وما جاورها من المدن والقرى مشهورة بآثارها التاريخية القديمة التى ترجع الى مختلف العصور . وقد جاء فى خطط المقريزى انه كان هناك ما يقرب من ٣٦٠ ديرا فى البرين الشرقى والغربى لمنطقة أسيوط ، كما جاء عن قرية درنكة انها كانت قرية للنصارى الصعايدة ، واهلها متفقهون فى دينهم ، ولهم أديرة كثيرة ولكن تخرب أكثرها . وقد زرنا فى درنكة احد الاديرة الباقية حتى اليوم ، وهو دير العذراء الذى شيد فى بطن الجبل بالقرب من المغارة التى كان يسكنها النصارى منذ مئات السنين ، الى ان تركوها قبل بداية القرن الحالى لينتقلوا الى السفح ويشيدوا مساكنهم التى يعيشون فيها الآن .

ويزعم بعض اقباط أسيوط ان المسيح عليه السلام ، جاء الى تلك المنطقة التى اقيم فيها الدير ، مع والدته السيدة العذراء ، هربا من هيرودوس ، وبقى المسيح هناك ستة اشهر . ومن اجل هذا يجىء المسيحيون من جميع أنحاء مصر والعالم الخارجى ليتعبدوا ويصلوا فى عيد العذراء كل عام .

العصر الاسلامى

وما دمنا نتحدث عن الآثار القديمة فلا بد أن نشير الى الآثار التى ترجع الى العصر الاسلامى وأهمها الجامع المعروف اليوم بجامع سيد محمد البقلى ، وهو مسجد مهجور لم يعد يتبقى منه سوى اعمدته الجرانيتية وارضيته الرخامية ، وهو من الكنائس التى تحولت الى جوامع فى بداية العصر الاسلامى .

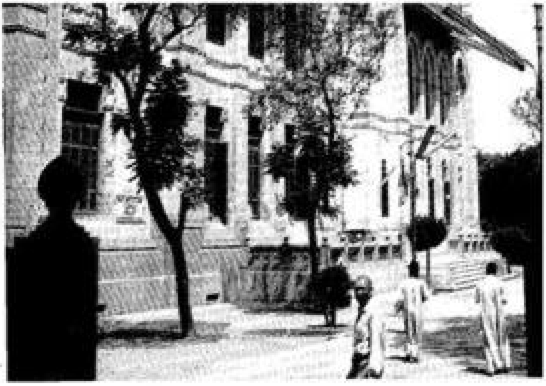
وقد كانت أسيوط دائما منبع العلماء والأدباء والزعماء السياسيين وذوى الفضل ، وجاء فى رسالة البيان والاعراب للمقريزى ، أن فى أسيوط طائفة من أولاد اسماعيلبن جعفر الصادق بنمحمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب .

جلال الدين السيوطى

ومنأجَلّ علمائها ابو بكر كمال الدين السيوطى الذى تلقى علومه بها وتقلب فى مناصبها حتى وصل الى منصب القضاء ، ثم رحل الى القاهرة يطلب المزيد من العلم ، وهناك اشتهر أمره وظل يعمل بها حتى سنة ٨٥٥ هـ . وترك بعد وفاته ابنه جلال الدين السيوطى ، وهو طفل لم يتجاوز العام السادس من عمره بعد . وجلال وان لم يولد بأسيوط فهو ينتسب اليها من جهة أبيه ، وقد كان نابغة زمانه ، اذ حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الثامنة من عمره ، ونبغ فى التفسير والحديث والنحو والمعانى والبيان والبديع واللغة ، كما سافر الى بلاد الشام والحجاز والهند واليمن والمغرب ، وألف ما يزيد على خمسمائة مؤلف ، منها طبقات الحفاظ ، وطبقات المفسرين ، والاتقان فى علوم القرآن ، والمزهر فى علوم اللغة .. الخ ولا يزال الكثير منمؤلفاته يدرس بالجامعةالازهرية حتى اليوم .

المعهد الدينى

وقد زرنا المعهد الدينى الجديد الذى شيد فى عام ١٩٣٤ ، ليحل محل المعهد الدينىالقديم الذى أنشىء فى عام ١٩١٧ ، وهو يضم ١١٠٠ طالب



منظر خارجي لمبنى المعهد الديني بأسيوط . ويضم المعهد حوالى ١١٠٠ طالب فى القسمين الاعدادى والثانوى و ٥٠٠ طالب بالقسم الداخلى، ويلتحق الطلبة بعد اتمام دراستهم فيه بكليات الجامعة الازهرية بالقاهرة .

بالقسمين الاعدادى والثانوى ويرأسه الشيخ ثابت أبو المعالى . وقد شيدت مبانى المعهد والمسجد الذى يتوسطه بالاحجار وزينت من الداخل بالنقوش العربية الاسلامية . والدراسة فى المعهد بالمجان ومدتها تسع سنوات للمرحلتين الاعدادية والثانوية ، يلتحق الطلبة بعدها بكليات الجامعة الأزهرية بالقاهرة .

ويضم المعهد مبنيين للدراسة ، يتالف كل مبنى منهما من طابقين ، كما يوجد مبنى ثالث لمساكن الطلبة والمكتبة التى تحتوى على أكثر من ٧ الاف كتاب .

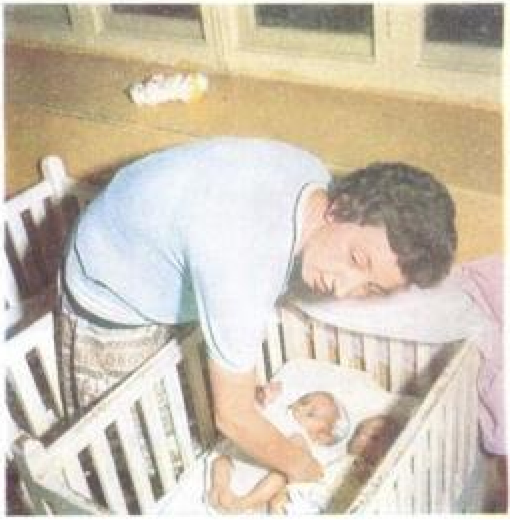
وتحيط بالمبانى من كل اتجاه حديقة شاسعة مساحتها أربعة افدنة .

ملجأ ليليان تراشر

وعلى الجانب الآخر من قناطر اسيوط تعيش اليوم صورة حية لعمل انسانى لا تزال قصته ماثلة فى راس كل فرد من اهالى اسيوط . وقد بدأت القصة بوصول فتاة غربية فى الرابعة والعشرين من أمريكا فى عام ١٩١٠ ، تدعى مس ليليان تراشر Lillian Trasher ، وهى لا تدرى لماذا جاءت الى هذا المكان من العالم ، ولكن الذى كانت تعلمه انها تركت خطيبها الذى كان من المقرر أن تزف اليه بعد ايام ، لتستقل الباخرة فى طريقها الى مصر . وفى أسيوط افتتحت الفتاة ملجأ للأيتام يتالف من غرفة واحدة برأس مال قدره سبعة قروش تبرع بها أحد سعاة البريد . ومضت

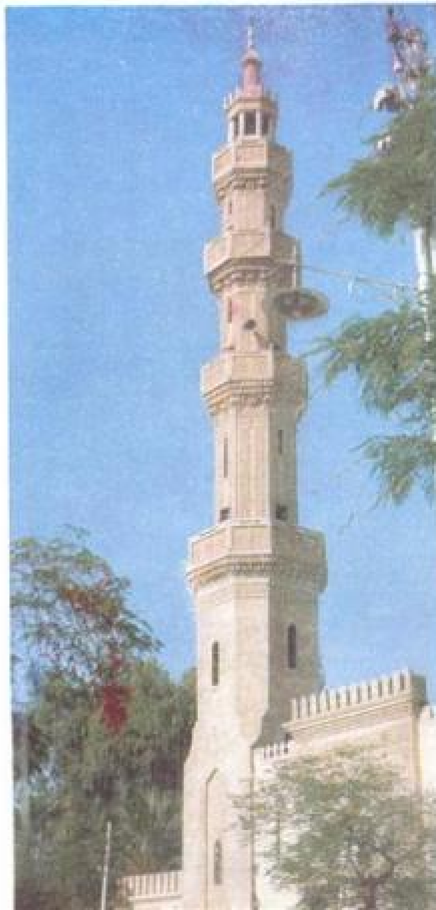
فى مؤسسة « ليليان تراشر » يعيش الاطفال اليتامى من مختلف الاعمار حيث يجدون الحنان والدفء اللذين حرموا منهما . لقد كان اسمها قبل أن تموت صاحبتها ملجأ الايتام الخيرى، ثم أطلقت المحافظة عليه اسم « مؤسسة ليليان » بعد موتها ، تكريما لها .





الى اليمين : فى مؤسسة «ليليان تراشر» التقينا بفتاة المانية تركت بلادها وجاءت لتعنى بالايتام الذين حرموا من حنان الابوين .. وبين اطفالها الاخوان التوأمان ماتت امهما اثناء الوضع ، فحملتهما هذه الفتاة الى الملجأ حيث وجدا الدفء فى هذا الفراش الصغير .

الى اسفل : مسجد آل خشبة الذى شيدته اسرة خشبة بشارع الجمهورية باسيوط ، والى اليسار كنيسة دير العذراء التى اقيمت فى قرية «درنكة» ، ويحج اليها المسيحيون من جميع انحاء الجمهورية .

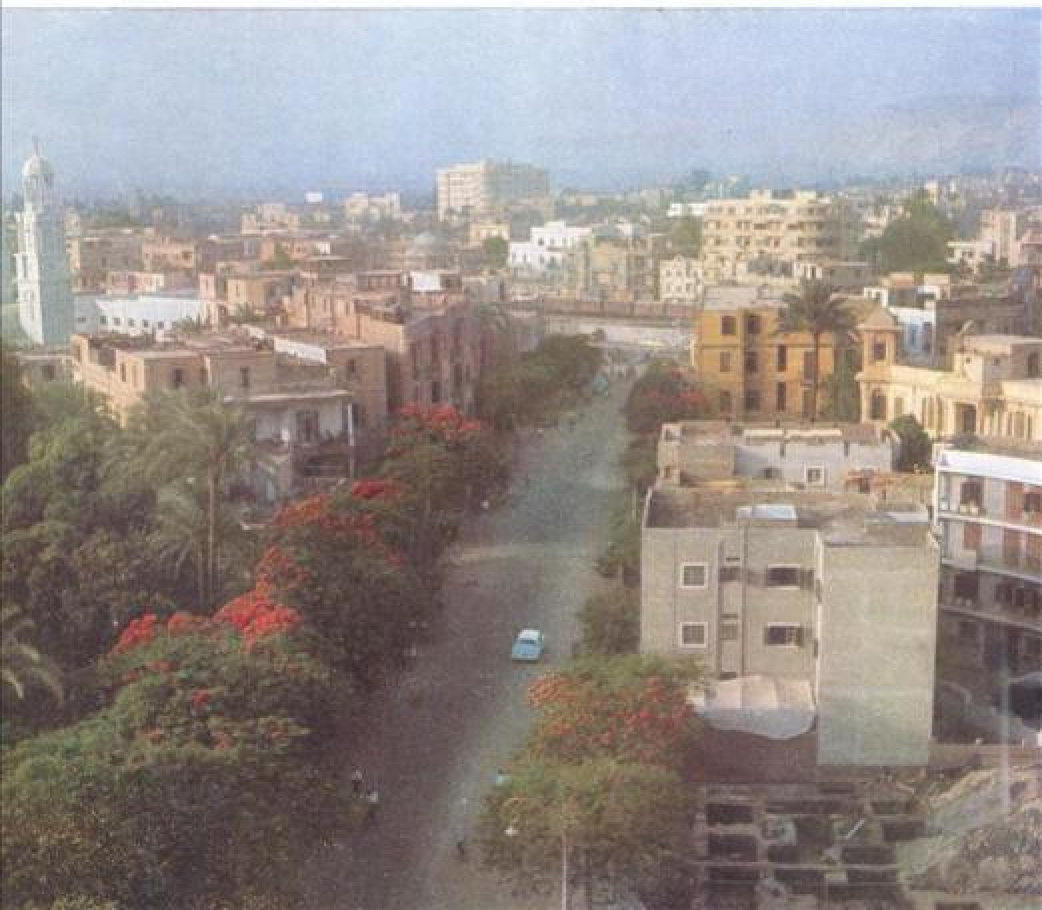






الى اعلى : يمارس الاولاد رياضة السباحة فى اوقات فراغهم فى مؤسسة ليليان حيث يبدى المسئولون عناية خاصة بالناحية الرياضية .

منظر آخر لمدينة أسيوط التى ارتفعت الى مستوى الجامعة ، لقد ازداد عدد سكانها فجأة ١٠ آلاف، وهم طلبة الجامعة الوافدون اليها.





الام « ليليان » ، أوصت بأن تدفن فى أسيوط حيث عاشت خمسين عاما مع « أطفالها » الذين لم ينسوها ابدا .

الايام وكبر الملجأ وارتفع عدد الأطفال اليتامى الذين تكفلت الفتاة الصغيرة الجميلة برعايتهم ، وبدأت التبرعات تنهال عليها من كل مكان ، ومضت الأم « ليليان » كما كانت أسيوط تدعوها، تؤدى رسالتها الانسانية الى أن ماتت فى عام ١٩٦١ عن ٧٦ عاما ، وبعد ان أصبح عدد الأطفال الذين يأويهم الملجأ ٨١٥ طفلا من مختلف الأعمار، وبينهم عدد من الأطفال الرضع الذين ماتت امهاتهم اثناء عملية الوضع .

لقد كان اسم الملجأ ، قبل أن تموت الأم ليليان، هو ملجأ الايتام الخيرى، فلما ماتت قررت محافظة اسيوط اطلاق اسمها عليه تكريما لها . فأصبح الآن مؤسسة ليليان ، وأصبح يديره مجلس ادارة يتألف من تسعة أعضاء .

أمنية تحققت

هذه هى قصة الأم ليليان التى يرويها لك أبناؤها الروحيون الذين يعيشون فى الملجأ ، والذين غادروه منذ سنوات بعيدة مضت ، بعد أن كبروا واشتد ساعدهم وأصبحوا قادرين على كسب قوت يومهم ، وبعضهم مهندسون واطباء . انهم يروون لك قصتها وفى عيونهم دمعة كبيرة فهم لن ينسوا حنان هذه الأم وحبها لهذا البلد الذى بلغ من فرط حماسها له ان امرت بتدريب كل الشبان فى الملجأ على حرب العصابات حتى يستطيعوا المشاركة فى صد العدوان على مصر فى عام ١٩٥٦ .

لقد شيد ملجأ ليليان تراشر فوق أرض تبلغ مساحتها عشرة أفدنة ، وهو يضم قسما خاصا للاولاد وآخر للبنات ، ويتلقى الأيتام علومهم الابتدائية فى المدرسة التى أنشئت داخل الملجأ ، حتى اذا أتموها ، التحقوا بالمدرسة الثانوية ، ثم الجامعة ، اذا أظهروا تفوقا فى دراساتهم .

ويتلقى الملجأ الآن المساعدات المالية من وزارة الشئون الاجتماعية والجمعيات الخيرية بالجمهورية العربية المتحدة ، وكذلك من بعض الهيئات الأمريكية والسويسرية .

دور أسيوط فى التاريخ

هذه هى أسيوط التى بدأ دورها فى التاريخ منذ العهد الفرعونى عندما انضمت الى طيبة عاصمة البلاد فى النضال ضد الهكسوس وطردهم من مصر.وقد أدت تبعية أسيوط للسلطة المركزية العليا فى طيبة الى تركيز كل القوى والامكانات لخدمة أغراض الوطن الكبرى فى سبيل تكوين أقوى امبراطورية شرقية عرفها التاريخ فى ذلك الوقت .

ثم خضعت مصر بعد ذلك للحكم الاغريقى ، وتبعه الحكم الرومانى الذى وجه فيه الرومان اهتمامهم الى البلاد الشمالية المطلة على البحر المتوسط،مما أدى الى ازدهار هذه المناطق وتخلف مدن الوجه القبلى .

وبدخول العرب مصر ، دخل كثير من أهلها عند ذاك فى الدين الاسلامى . وفى عهد المماليك زار أسيوط الرحالة العربى المشهور « ابن بطوطة» سنة ١٢٥٠ م وقال عنها « هى مدينة رفيعة أسواقها بديعة » .

كان هذا فى التاريخ القديم ، أما التاريخ الحديث فيشير بكل فخر الى جهاد أسيوط خلال ١٥٢ عاما عاشتها فى ثورات دائمة أولها ثورة بنى عدى فى سنة ١٧٩٩ ، وهى ثورة حطمت جنود فرنسا خلال الحملة الفرنسية على مصر ، ولم يستطع الفرنسيون دخول بنى عدى ، الا بعد أن أصبحت خرائب وأشلاء من الابطال . وقد أصبح يوم ١٧ ابريل ، وهو يوم اندلاع هذه الثورة من عام ١٧٩٩ عيدا قوميا تحتفل به محافظة أسيوط كل عام . ■■

منير نصيف

نقل الدم الى المرضى ، هل يحمل اليهم الزهرى والملاريا؟



● سمعنا أن الدم الذى يعطيه الاصحاء لضحايا الحوادث ، قد يحمل الى هؤلاء الضحايا امراضا كالزهرى والملاريا وغيرهما . فان صح هذا ، فلم لا يستخدم الأطباء ابدال الدم التى اساسها البلزمة ونحوها .

ـ ان الدم الذى يعطى للمرضى من بنوك الدم يتبرع به الأصحاء ، وهؤلاء لا يقبل منهم دم الا بعد الفحص الدقيق، فمن كان منهم مصابا بالزهرى او الملاريا او غير ذلك من الامراض ، فلا يقبل منه دم .

هذه حقيقة يجب أن يعرفها الناس، فالشائعات فى مثل هذا الامر تضر ضررا بليغا .

أما عن ابدال الدم من بلزمة مصنوعة ونحوها ، فأمرها لا يزال كما هو . انها فى بعض الظروف يمكن استعمالها ليتخطى بذلك الطبيب ازمة ، ولكن لا شىء يمكن أن يعوض الانسان عن دم مفقود الا الدم نفسه .

الذهب يسوّد جلدى

● ظاهرة غريبة هذه . جلدى يصيرلونه أسودبلمسه للذهب . حدث هذا فى الاشهر الستة السالفة . واسودجلدى خاصة تحت خاتم اصبعي وهو من الذهب من عيار ٢٢ قيراطا . وتحت أسورة بها ١٨ قيراطا . حتى الساعة التى البسها .

ـ اسوداد جلدك هذا بتأثير الذهب ظاهرة غريبة،لأنه لا يوجد لها الى الآن تفسير ، ولكنها غير نادرة .

انها تقع فقط مع بعض الناس،لا كلهم ، واختلف عيار الذهب والنتيجة واحدة ، اسوداد الجلد. والذهب نفسه يتغير لونه عادة فيميل الى الخضرة حيث يلامس الجلد .

لا يوجد تفسير لهذه الظاهرة ،وربما يكون غدا .

الدودة الشريطية

● صبي تأتيه نوبات غريبة ، يصحبها صداع . ومع هذا فشهيته زادت على المرض . وعرضناه للطبيب فقال انه مصاب بالدودة الشريطية، فما هي هذه الدودة ؟

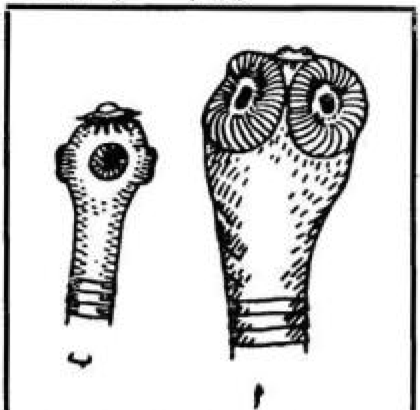
ـ الدودة الشريطية من الاحياء التي تتطفل على الانسان والحيوان ، وهي انواع : منها دودة شريطية توجد في لحم الخنزير ، فاذا لم يتم نضجه تماما ، واكله الانسان ، حدث له من الدودة عدوى . ومنها دودة شريطية توجد في لحم الأبقار ، وأخرى في السمك . ودودة اخرى يصاب بها الكلاب والقطط ، ويلعب بها الاطفال فتنتقل اليهم منها عدوى .

ولنأخذ احدى هذه ونصف كيف تتولد :

بيض من هذه الدودة يوجد في الأرض ، مع الحشيش ، أو نفاية القمامة كائنة ما كانت . فهذه تحتاج الى حيوان يبلعها، وليكن الخنزير . وفي معدة الخنزير يذوب غلاف البيضة ، تذيبه العصارة الهضمية في المعدة . ويخرج الجنين من البيضة الملقحة وبرأسه ستة مشابك ملتوية كالصنارات، ثم هو يخرق لنفسه طريقا في المعدة أو الامعاء ، فاذا دخل الدورة الدموية وصل عن طريقها الى الكبد ، أو العضلات أو اي جزء آخر من أجزاء الجسم .

ويأكل الانسان هذا اللحم الموبوء ، من خنزير او ثور أو غير ذلك ، فتدخل الدودة الشريطية الى امعاء الانسان ، وتشبك في جدرانها . ويجوع الانسان،

راس الدودة الشريطية عند الخنزير ثم عند البقر



الامساك ، الامساك

● نحن اسرة مصابة بمرض مصاب به على ما نسمع اكثر الناس ، ذلك الامساك . فهل هو مرض ، وان كان مرضا فهل له من دواء ؟ وهل المعدة سببه ام سببه سوء الهضم في الامعاء ؟

ـ ابدأ اولا بتوضيح الفرق بين نوعين من الامعاء ، الامعاء الدقاق وهي تتلقف الأغذية عن طريق الأنبوب المعروف بالاثنى عشر (سمي كذلك لأن طوله يساوي عرض ١٢ أصبعا مجتمعة) ذاك الذي يتلقف اغذيته من المعدة بعد أن يحدث فيها من الهضم ما يحدث . وهذه الامعاء الدقاق ضيقة (ومن هذا جاء اسمها) ويبلغ طولها نحو ٢٥ قدما . وعمل هذه الامعاء اساسا هو الهضم ، وامتصاص الأطعمة المهضومة لتدور في الدم ففي الجسم .

اما النوع الثاني من الامعاء فهي الفلاظ ، ويدل اسمها على أن قطرها اكبر ، وهي ليست بطول الامعاء الدقاق، فطولها نحو ٥ اقدام فقط ، اي انها نحو خمس طول الامعاء الدقاق . وعمل هذه الامعاء الفلاظ اساسا هو الاحتفاظ

ويعزى هذا الجوع الى ان الدودة تشاركه فى طعامه .

اما صفة الدودة فطولها يبلغ ما بين عشرة واثنى عشر قدما ، وهى مفرطحة الجسم كما يدل اسمها ، وهى تتركب من راس ، به المشابك الستة التى ذكرنا ، وبه اربع مصاصات تمص الطعام لتتغذى . وجسم الدودة يتألف من وحدات ، قد يبلغ عددها المئات ، متصل بعضها ببعض على طول الدودة .

ويتم نماء الجسم الخلفى من الدودة ، فتطرحه ، فيخــرج فى براز الشخص الموبوء . وتبقى فى امعائه بقية الدودة ، وبها الراس ، فتأخذ تنمو من جديد .

وهذه القطعة من الدودة التى تخرج فى البراز تؤكد المرض .

اما علاج هذا الحال فيكون باعطــاء المريض جرعة طبيّة من زيت السّرخس الذكر Male Fern ، يعطاها المريض صباحا بعد صيام ١٢ ساعة . ومن بعد اربع ساعات يعطى زيت الخروع . ثم هو يتبرز فى ماء دافىء . وفى هذا الماء الدافىء يجد الفاحص قطعا من الدودة ، ولكن هذه لا تكفى . لا بد من الحصول على الراس ، راس الدودة . فاذا لم يكن هناك فلا بد من الانتظار ثلاثة اشهر حتى يتكون للدودة جسم جديد يأخذ بعضه فى الخروج . عندئذ يعاد العلاج .

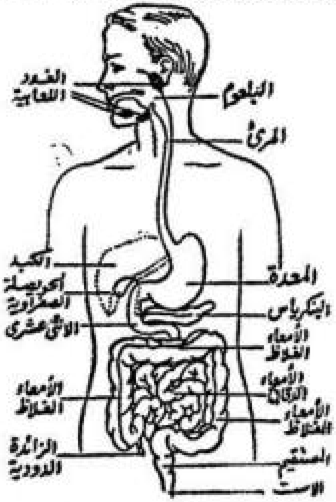
بالطعام المتبقي من بعد هضم ، ذلك الذى تدفعه اليها الامعاء الدقاق ، وذلك الى حين أن يبلغ المحفوظ من المقدار ما يأذن بدفعه الى الخارج ، عن طريق القناة المعروفة بالمستقيم ، ونسميه برازا .

ولكن للامعاء الغلاظ وظيفة هامــة اخرى ، ذلك امتصاص الماء من هــذا الفيض الذى اندفـــع اليها من الاغذية المتبقية من الأمعـــاء الدقـــاق ، وبهذا الامتصاص للماء يقل حجم هذه الأغذية المتبقيـــة من الأمعاء الدقاق . وبهذا الامتصاص للماء يقل حجم هذه الأغذية المتبقية وتهدف الى الصلابة من بعــد ميوعة .

ولمقدار الماء المتبقى فى الامعاء الغلاظ علاقة كبرى بنوع البراز الخارج ، أهو عن امساك ، أم عن لين ، أم عن اسهال .

وشىء آخر لا بد أن نذكره عن هذه الامعاء ، انها أعضاء من الجسم تخضع للعادة التى تتعود عليها ، فاذا اختلت العادة اضطربت .

والواقع أن الذى يدرك هاتين الحقيقتين عن الامعاء ، من حيث الماء ، ومن حيث خضوعها للعادة ، يستطيع أن يتجنب الامساك بتدبيره هو وتنظيمه .



ففيما يختص بالماء يجب على الانسان ان يأكل من الاطعمة مقدارا من تلك التى من خصائصها الاحتفاظ بالماء . مثال ذلك الخضراوات ، كالكرنب ، والخس ، والجزر ، والسبانخ ، وكذا الفواكه من طازجة وجافة . فهذه جميعا تبقى بقايا من مادة لا تنهضم ، تعرف بالسيلولوز ، وهى كالقطن تحتفظ بالماء .

ومن حيث العادة يجب زيارة بيت الخلاء فى مواعيد لا تختلف . ■■

عالم الدقائق من الأحياء

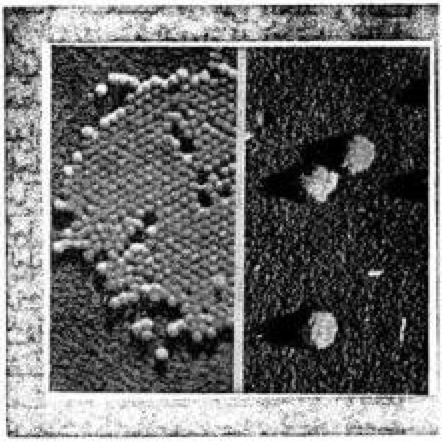
بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر
استاذ النبات بجامعة عين شمس

انه عالم فسيح ، يشمل الهواء والماء والارض وما عليها ، يموج بكائنات دقت على البصر، فلا يراها ودقت على المجاهر العادية ، فلا تدركها ، ولم تكد نعلم من امرها شيئا ذا خطر ، الا بعد أن عرفت المجاهر الحديثة ثم المجهر الالكترونى ، الذى يكبر الاشياء، الى ما لا يكاد يحصى من المرات ، بل لقد استطاع احد العلماء تكبير نموذج لاحد هذه الكائنات بوساطة المجهر الالكترونى ۲٫۵۰۰٫۰۰۰ من المرات، حتى امكن رؤية تفاصيله الدقيقة بوضوح، وقد قدر ان الجرام الواحد من التربة او الماء قد يوجد به احيانا عشرات الملايين من مثل هذه الكائنات .

ومع ذلك فان كثيرا من هذه الكائنات التى تبلغ انواعها المئات عدا، والتى لاتكاد تحصى صفوفها وضروبها ، تسبب اخطر الامراض ، وتشكل اعدى اعداء الانسان والنبات والحيوان . ومع ذلك فان الانسان لا يستطيع ان يقى نفسه تماما من شرها ، ثم انه لن يستطيع ذلك قبل ان يدرس تاريخ حياتها دراسة كاملة ، ليعرف كيف يتغلب عليها .

ولعل اخطر هذه الكائنات الدقاق ، هى ما يسمى «فيروس» الذى حار العلم فى امره ردحا من الزمان ، هل هو كائن حى او غير حى ، واذا كان حيا هل هو نبات او حيوان . انه دقيق جدا ، ينفذ من المرشحات ، وانه ليتكاثر بذاته ، وان انواعه لتبلغ عدة مئات ، منها ما يصيب الانسان ومنها ما يصيب الحيوان ومنها ما يصيب النبات . عدا مئات من أنواع البكتير تسبب هى الأخرى عشرات من الأمراض مما يصيب الانسان والحيوان ، ومما تنشأ عنها خسائر فادحة فى الأرواح او فى المحاصيل او الثروة الحيوانية ، فالحصبة والجدرى وشلل الأطفال وغيرها من امراض تصيب الانسان ، انها امراض فيروسية تسببها هذه الكائنات الدقاق .

ومع ذلك فنحن نقصر الحديث فى هذا المقام على الكائنات الدقاق من فيروس او بكتير ، ولن نشير الى مئات من الطفيليات او الديدان ، وما اشبه من اعداء ، تنافس فى ضراوتها الفيروس او البكتير ، وقد تتفوق فى فتكها على هذه



وتلك ، لولا ان العلم قد استطاع ان يحد من شوكتها ، وان يوهن من ضراوتها ، وان ينجح فى التغلب عليها ، وقاية من شرها قبل أن تصيب ، وعلاجا لها اذا اصابت . اما الأمراض الفيروسية والبكتيرية فما زال العلم يشرع اسلحته ضدها،وما زالت خطى العلم نحو التغلب عليها وجندلتها وئيدة ، وان دفعتها مستحدثات العلم ومبتكراته من اجهزة وادوات ، دفعتها لتسير فيها .

وعلى انه مما يزيد الأمر تعقيدا ، ان بعض هذه السلالات من عالم الدقاق ، كثيرا ما يحدث بها ، ما يسمى بالطفرة، مما يجعلها تقاوم فعل المضادات الحيوية او عقاقير السلفا Sulpha drugs مما يستعمل فى مقاومتها وابادتها ، بل ان بعض صور الفيروس كثيرا ما تحدث بها طفرات ، حتى أن المصل او الطعم الذى يستعمل فى مقاومتها يكون عديم الجدوى فى مقاومة الطفرات الجديدة .

ومع اننا نعيش اليوم فى عصر التعقيم والمطهرات والمضادات ، فان نزلاء المستشفيات بسبب هذه الأعداء الدقاق، يكاد ان يساوى عددهم ما كان عليه الحال منذ اكثر من خمسين عاما . وينتظر ان يزيد العدد فى المستقبل بدلا من ان ينقص وذلك بسبب تلوث الهواء بهذه الكائنات الدقاق ، كما أن عوامل المدنية والحضارة قد قللت من مناعة الانسان وقدرته على المقاومة ، كما ان هذه الكائنات الدقيقة ، قد استحدثت منها صورا وضروبا اقدر على مقاومة المضادات التى ابتدعها العلم لمقاومتها والقضاء عليها . ولعل العلوم الطبية ، احوج ما تكون فى الوقت الحاضر ، ان تبتكر وسائل مقاومة هذه الكائنات الدقاق ، قبل أن يستشرى ضررها ويستفحل أمرها . ومما يجعل الأمل فى النجاح كبيرا ، ما ابتكره العلم اخيرا من تقدم رائع فى المجاهر الالكترونية كشف عن حقائق مدهشة عن تركيب هذه العوالم المتناهية فى الدقة والضآلة .

ولقد شغلت بحوث الفيروس العلماء فى الأيام الأخيرة واتجهت الكثرة الغالبة من العلماء نحو هذه البحوث الفيروسية وانصرف غير قليل منهم عن البحوث البكتيرية التى كانت شغلهم الشاغل الى عهد قريب ، مع ان الكائن البكتيرى اكبر حجما من الفيروس بما لا يقاس ، كما غدت بحوثها مألوفة لديهم ، وانهم لاكثر خبرة وتمرسا بشئونها وتجاربها . وذلك منذ ثمانينات القرن السابع عشر ، عندما فحصها ليفنهرك بمجهره البدائى من فضلات بين أسنانه ، اعدها على شريحة زجاجية ورآها بعدساته المكبرة. ومنذ ذلك التاريخ والعلم يضيف جديدا عن الكائنات البكتيرية وما تسببه للانسان من أمراض وانه ليبتكر فى الوقت نفسه الوسائل لمقاومتها .

والبكتير كائنات دقيقة ، مختلفة الشكل ، فقد تكون كروية او عصوية او حلزونية أو واوية الشكل وهى خالية من المادة الخضراء التى توجد فى النباتات عادة ولكنها تشبه النباتات فى وجود جدار صلب نوعا ، وهى فى ذلك تختلف عن الحيوانات وعن الفيروسات ، وقد يبرز على سطحها زوائد ذات اشكال مختلفة، وان لها القدرة على ان تتحوصل، وتحيط نفسها بجدار غليظ ، وتتقوقع

المادة الحية بداخله وبعيدا عنه ، وذلك اذا ساءت الظروف ، وتستطيع أن تبقى على هذه الحالة مدة طويلة ، الى أن تتحسن الظروف،وعندئذ تنشط وتنمو، وتذيب الجدار الغليظ ثم تتكاثر وتعود سيرتها الأولى من النمو والنشاط والانقسام طالما كانت الظروف مواتية . وهي تتكاثر بسرعة عجيبة ، اذ أن الفرد ينتج فردين في دقائق معدودة ، ولنا أن نتصور الأعداد الهائلة التي ينتجها الفرد الواحد في اليوم الواحد عندما تكون الظروف مواتية. لقد حسب احد العلماء ما ينتجه هذا الفرد البكتيري في اليوم ، فاذا به أطنان من المادة البكتيرية بشرط ان تكون جميع الظروف مواتية ملائمة ، ولكن من نعم الله أن الظروف جميعا لا تواتي أبدا ولمدة طويلة ، وانه يكفي ان ترتفع او تنخفض درجة الحرارة قليلا او ترتفع او تهبط الرطوبة بضع درجات، حتى يكون ذلك كافيا لوقف هذا التكاثر السريع او ابادة اعداد هائلة من الأفراد البكتيريةالتي كانت ناشطة للنمو والتكاثر.

وعندما يغزو الكائن الدقيق سواء كان من « البكتير » أو « الفيروس » أو « ميكوبلازما » فان الجسم المصاب يبدأ في افراز أجسام مضادة ، دفاعا عن نفسه ضد هذا العدو الغازي ، وان هذه الأجسام المضادة لتنفذ الى جدران هذه الكروبات بين زوائد مولدة المضادات على سطحها ، وبذلك توقف نشاطها ، وقد تقضي عليها . وهذا ما يلجأ اليه العلم منذ اكتشاف الأمصال ، انه يحقن في الجسم ،جرعات محدودة من مكروبات موهنة ، تحفز الجسم على افراز هذه الأجسام المضادة التي تفتك بالميكروبات الفازية .

ومع ذلك فانه قبل افراز الأجسام المضادة،فان جماعات من الحلفاء أصدقاء الانسان تظهر للدفاع عنه ، ضد هؤلاء الغزاة الدقاق ، ومن الغريب أن هؤلاء الحلفاء انما هم ايضا من عالم الدقاق ، من بكتير يعيش في القناة الهضمية او القناة التنفسية او على الجلد وكانما هي ما يسميه العلماء المعيشة التكافلية، حيث يتبادل المتكافلان النفع ، وهما هنا الانسان والبكتير ، وانه ليوجد دائما عداء مستحكم بين صنوف البكتير النافعة الحليفة، وبين الصنوف الضارة الغازية. اما الحليفة فانها تقوم بافراز فيتامينات كما تساعد في هضم الطعام . ويرى العلماء انها ضرورية للنمو الطبيعي وعمليات الهضم العادية ، اذ انها تقوم بدور فعال في هذه وتلك ، وبدونها تتأثر أو تتعثر هذه وتلك .

وقد استفاد العلماء من هذه الظاهرة في وقف امراض بكتيرية كانت تقصف بالأطفال الرضع في المستشفيات ،وذلك بتقطير بضع قطرات من بكتير موهن في انف الطفل لحمايته من هجوم البكتير الضار الذي قد يغزوه ، كما ثبت أن الحيوانات ذات المناعة الطبيعية ضد الدوسنطاريا تغدو قابلة للعدوى بها اذا استبدل بالبكتير المعوي انواع ضارة.

وتفعل المضادات الحيوية فعلها في قلب هذا التوازن البكتيري راسا على عقب ، وذلك لأنها تقتل النافع والضار من البكتيريا ، وعلى ذلك خلق هذا العقار النافع مشكلة عويصة ، كان على العلم ان يجد لها العلاج النافع . فقد يكون العدو الذي يغزو جسم الانسان بعد ذلك مكروبا ضارا مقاوما للمضادات الحيوية ، ثم انه لا يجد البكتير النافع الحليف الذي كان مقيما هنا أو هناك في جسم الانسان ، فيخلو له الميدان ، ليصول فيه ويجول ويسبب حالة مرضية اقسى من الأولى ، ولعل المضادات الا تجدي في علاجها . .

وقد اكتشف العلماء في انجلترا وفرنسا واليابان حديثا من المكروبات التي لم تتعرض قبل لفعل المضادات الحيوية ، ومع ذلك فانها ذات مناعة حيالها ، ولا تتأثر بها. لقد وجدوا ان مثل هذا البكتير يحوي جسيمات اسموها « ابيسومات » تتكون من مادة (دنأ) هي المسئولة عن مقاومة الميكروبات للمضادات الحيوية .

وعندما يقترب بكتير مقاوم للمضاد من آخر غير مقاوم ، فان ابيسومات الاولى تنتقل للثانى ، وتكسبه هو الآخر المناعة.

وان تتبعنا لتكوين مولدات المضادات والاجسام المضادة ، ولو انها عملية شاقة جدا ، اذ أن هذه المواد ضئيلة جدا حتى يصعب رؤيتها بالمجهور الالكترونى،ليقدم لنا فهما دقيقا لهذه العمليات التى تقوم بها هذه الكائنات الدقيقة . وقد ابتدع احد العلماء طريقة رائعة لهذه المتابعة وذلك انه استطاع أن يلحق صبغا متفلورا بالاجسام المضادة ، فتبدو حيثما كانت ، فعندما يتعرض النسيج الذى يحوى هذا الصبغ للاضاءة بالاشعة فوق البنفسجية تحت المجهر فان جزيئات الصبغ تشع الضوء فتدل على مكانها بالضبط وتبين ان الاجسام المضادة انما تتكون فى خلايا خاصة سميت الخلايا الميلازمية ، وانها لتشع مع بعض الاصباغ ضوءا اخضر ، ومع آخر ضوءا برتقاليا . وقد اجدت هذه الطريقة فى تتبع مولدات المضادات كذلك . وافلح العلماء فى تشخيص كثير من الحالات المرضية بهذه الطريقة الرائعة المؤكدة واعتبر ذلك نصرا عظيما فى ميدان عالم الدقاق المليء بأعداء الانسان من المكروبات، وبهذا التعرف السريع على المكروبات والتمييز لها ، يمكن تشخيص الحالة بسرعة وبالتالى وصف العقار الناجح ، الذى يوقف المرض عند حده قبل أن يستشرى أو يستفحل امره ، ومع ذلك فان الاطباء يترددون فى وصف المضادات الحيوية قبل التأكد من شخصية المكروب . وقد كان هذا التأكد يستغرق عدة ايام فى الماضى ولكنه بالوسائل الحديثة التى ابتكرها من اشرنا اليهم من العلماء أصبح لا يستغرق اكثر من ساعتين . وذلك باضافة أجسام مضادة متفلورة الى عينات من المكروبات ، فاذا كانت المكروبات المسببة موجودة فستلصق بها الاجسام المضادة وتدل عليها .

وقد كان على الذين يتعرضون لعضة كلب مثلا ان يحتملوا آلام حقن الوقاية اسبوعين قبل القطع بأن الحيوان مكلوب او غير مكلوب . ولكن الاجسام المضادة المعلمة اصبحت طريقة سريعة للتشخيص الصحيح . وكذلك كانت الاصابة بالحصبة الالمانية كفيلة بالقضاء على الجنين فى أشهره الاولى اذا أصيبت بها الام الحامل ، وكان من الصعب تشخيص المرض بسرعة ، وقد اصبح ذلك ممكنا اليوم بفضل اختبار ابتدعه احد العلماء ، فاذا كانت مصابة فان اجسامها المضادة للفيروس ستكشف عن نفسها . وقد اتبعت الطريقة نفسها فى بحوث السرطان وسرطان الدم بمتابعة مولدات المضادات للفيروسات المسببة لبعض انواع السرطان .

وكذلك اجدت هذه الطريقة فى تتبع الاصابة بالحمى الروماتيزمية التى تتلف انسجة القلب حيث امكن تتبع مولدات المضادات والاجسام المضادة ، وتبين مدى تركيز هذه الاجسام فى انسجة القلب بصفة خاصة ، وكذلك فى حالات اخرى خطيرة تصيب الكلى حيث تتلف انوية الخلايا من جراء الاصابة .

وبعد : فهذا عرض سريع موجز لبعض الصور عن عالم الدقاق من الاحياء، وانها لتدل على عظمة الخالق سبحانه مبدع الكون بما فيه من دقيق وجليل ، ولعل عظمة البارى انما تتجلى بصورة اشد روعة فى هذه الكائنات الدقيقة التى لا تدركها الأبصار والمجاهر العادية، ومع ذلك فانها حية ، تنمو وتتكاثر وتكون فى عداوتها شديدة الضراوة وفى صحبتها شديدة النفع والوفاء . أقول لعل عظمة البارى تكون مع هذه الدقاق اشد روعة من كونه الفسيح ذى البلايين من الاجرام السماوية التى تسبح فى كون يمتد بلايين من السنين الضوئية . . . سبحانه جلت قدرته . ■■

عبد الحليم منتصر

أنباء الطب والعلم والاختراع

هبوط الطائرات والضباب كثيف

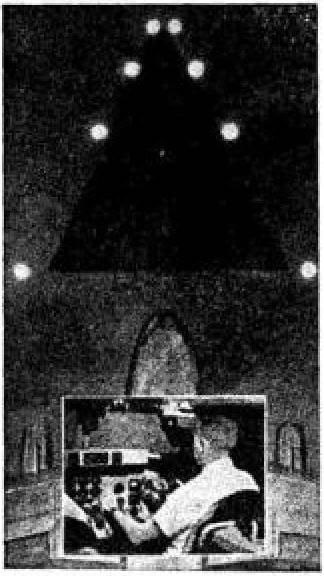
● كثير من الحوادث تضيع فيها ارواح كثيرة ، لاضطرار الطائرات الى الهبوط فى مطارات بها الضباب كثيف او الجو معتكر .

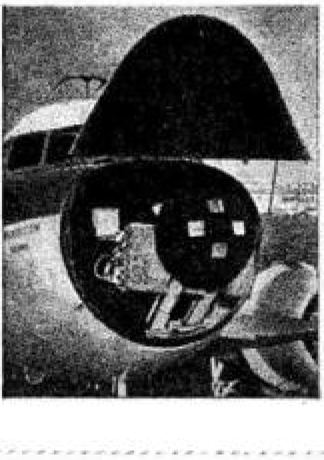
وقد حاولوا تجنب هذا بأجهزة تعمل تلقائيا فتهبط بالطائرة الى الارض والطيار لايرى شيئا ، حتى لسموا هذا الهبوط هبوط الاعمى ، لأن الطيار فى هذه الحالة لايرى من المطار شيئا . انما الجهاز هو الذى يرى، وهو الذى يحرك للهبوط .

وهذه الطريقة فى الهبوط لم ترق عند الطيارين . انهم لم يأمنوا خطأ الجهاز ، واعترت انفسهم ازمة عند النزول .

وقد ذهب بهذه الطريقة طريقة اخرى حديثة تستخدم فيها الموجات البالغة القصر Microwaves . وسموا جهازها عين الطيار الثالثة . وسموه ايضا جهاز الابصار المكروني Microvision ومكانه فى انف الطائرة، فى مقدمتها . فاذا اقترب الطيار من المطار ، ولو على بعد ٢٠ كيلو مترا ، كشف عن هذا الجهاز وهو فى انف الطائرة ، فرسم هذا الجهاز للمطار صورة الكترونية مفصلة تأتى الطيار عبر الضباب الكثيف ، او حتى فى الظلام الدامس ، تريه ممر النزول بالطائرة ، وذلك بالكشف عن الاضواء التى تحدد موقع هذا الممر من جانبيه .

والصورتان المرفقتان توضحان ما نعنى .





وسادة ، ترد اليك الحرارة التى تأخذها منك

● اتعرف ، عندما تجلس على وسادة ، وتدفأ بها ، ما الذى جرى بالضبط ؟

ان الناس تقول ان الوسادة تدفىء ، وهذا الصحيح اذا اعتبرنا النهاية . ولكن الواقع الدقيق الصحيح انك تبدأ بالوسادة وهي باردة ، وحرارة جسمك هى التى تدفئها . فهى التى تأخذ منك الحرارة . وهى لا تعطيها لأنها ليست مصدر الحرارة . انما هى تحتفظ بها لأنها ، لا سيما وهى من صوف ، من صفتها انها لا توصل الحرارة فلا تعطيها الى ما تحتها من أشياء .

والخبر الذى نسوقه هو وسادة من لدين من اللدائن يعرف بالفينيل Vinyle وهو هنا يشبه الرغوة نسيجا . وقد جلست عليه هذه الفتاة ، التى تستعد للتزحلق على الثلج، وقد حماها ان تحس بَرْدَ المقعد فوق ما يحمى الصوف وغيره .

والسبب ؟

ان هذا اللدين يمتص حرارة جسم الانسان ، ولكنه يردها بالاشعاع اليه !

ويستخدم هذه الوسائد فى الأجواء الباردة صيادو السمك بالصنارة ، والنظارة فى مباراة كرة القدم حيث لا تكون تدفئة ، وغير ذلك .



يشتغل الانسان فيحتر ، ولكن جلده يبرد

● هذا ما يقوله علماء وظائف الأعضاء : انت تشتغل، فتزداد حرارة جوفك ، ولكن جلدك تنخفض درجة حرارته .

والتفسير المعهود فى الكتب لهذه الظاهرة هو ان الجلد يبتل بالعرق عند الشغل ، ويتبخر العرق فيبرد الجلد .

ثم جدّ الآن جديد .

ذلك انه حتى لو لم يعرق الذى يشتغل ، فجلده يبرد وتزيد حرارة جوفه . ومع ان العرق يبرّد اذا هو حدث ، فان العامل الاكبر فى هذه الظاهرة هو ان دم الانسان عند الشغل ، يهرب من الجلد الى العضل الشغال ، ومع هرب الدم تنخفض درجة حرارة الجلد .

حتى الدموع يبحثونها



● وهم بحثوها فى جامعة كلفورنيا بسان فرنسيسكو .

وخرج العلماء بأن دمع الانسان يتميز عن سائر الدموع بأن به هرمونا مطهرا معتدل التطهير. Lysozyme وهو يوجد فى الدمع الانسانى باكثر مما يوجد فى سائر الدموع .

ووجدوا هذا الهرمون فى القردة والحيوانات القريبة من خلق الانسان ، ولكن ليس بهذا المقدار .

ولم يجدوا للتماسيح دموعا .

ولم يجدوا للدببة دموعا .

بدات الحياة على الأرض أقدم مما قدّروا

● عثر عالمان من علماء جامعة هرفرد الشهيرة ، يعملان فى الترانسفال ، على احياء عضوية متحجرة . تشبه البكتير، محفوظة فى نوع من الصخر السيلسى Black chert rock ، وقدروا اعمارها فكانت اقدم من عمر اسبق حياة قدرها العلماء على سطح الأرض .

ان أقدم حياة للخلايا الحيوية التى عثر عليها العلماء سابقا ، حفريات فى الأرض ، كانت منذ الفي مليون عام .

اما هذه الأحياء الجديدة ، فقد قدرهذان العالمان ، أنها عاشت على الارض منذ أكثر من ٣ آلاف مليون عام .

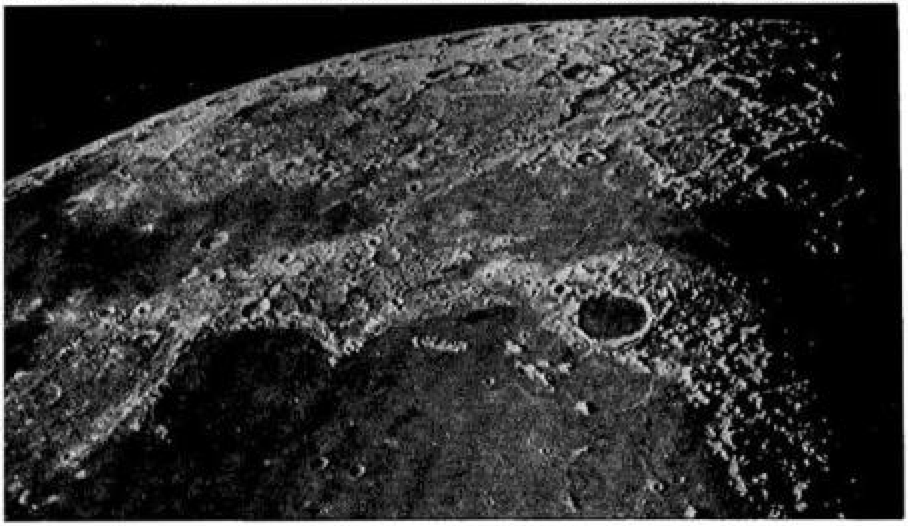


فيروس يستزرع فى بيض

● نجح استاذ فنلندي ، أسمه بكا هالونن Pekka Halonen ، فى تحضير فيروس مضاد للانفلونزا . واراد أن يستزرعه ويحتفظ به فعمد الى البيض يحقنه بالفيروس . والمعروف ان الفيروس يتكاثر دائما فى مادة عضوية ،وكان البيض خير ما يستزرع فيه .

وهذا الفيروس ، ضد الانفلونزا ، نما وتكاثر فى داخل البيضة ، تلك المزرعة المغلقة تماما .

كل ما خشيه الاستاذ ان يتحول البيض داخل القشرة الى عجة ، بفعل الفيروس ، وهذا امر محتمل .



اخطاوا فقالوا : ان مشى الانسان على سطح القمر سيكون سهلا

● قالوا ذلك لظنهم ان جاذبية القمر للماشين على سطحه اقل كثيرا من جاذبية سطح الارض . انها تبلغ نحو سدس جاذبية الارض .

واذن فيكون الانسان على سطح القمر اكثر انطلاقا واخف عدوا .

ولكن استاذ علم وظائف الاعضاء الايطالى ، الاستاذ مرجاريا Margaria رأى غير ذلك . ان عنده ان انخفاض الجاذبية لا يسهّل المشى . وذلك لان القدم عندما ترتفع فى المشى بسرعة ، لا تنخفض الى سطح القمر بمثل سرعة سقوطها على سطح الارض . وحَسْب فوجد ان الانسان فى هذه الحالة لا يستطيع ان يخطو الا عشرين خطوة فى الدقيقة . ومعنى هذا ان سرعته تبلغ فقط ١٥٠٠ متر فى الساعة .

ويرى الاستاذ ان الجرى سوف يبذل فيه الجارى على سطح الارض طاقة اصغر مما يبذل فى مثل هذا الجرى على سطح القمر .

ولكنه يعود فيقول : ولكن فى الجرى يثبّت الجارى قدمه بسطح القمر ثم يقذف بنفسه . اذن فبين قدمه وهذا السطح احتكاك يعتمد عليه فى القذف . ولو كان مقدار هذا الاحتكاك صفرا لما استطاع ان يقذف بنفسه فى الجرى . انه يكون سطحا زلقا . وفى الزلق لا يجرى الانسان .

ولكن مقدار هذا الاحتكاك يتناسب مع ثقل الرجل الجارى ، اى مع جاذبية القمر له ، واذن فهو مقدار من الاحتكاك اصغر من احتكاك الارض ٦ مرات .

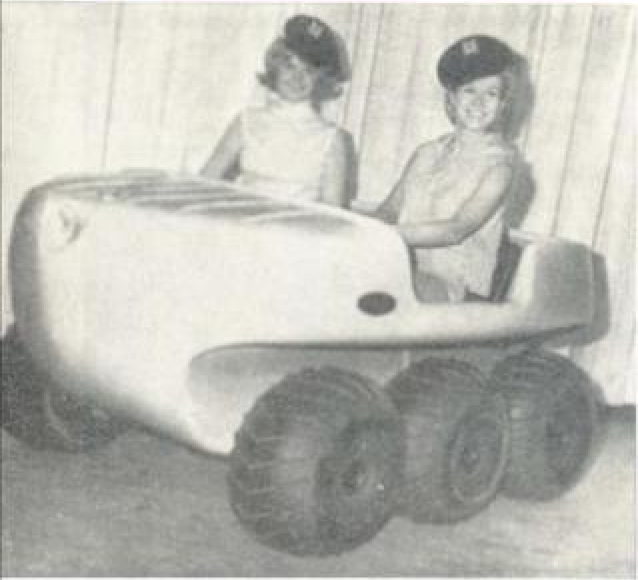
وهذا سوف يعوق الجارى على سطح القمر فلن يجرى عليه بنفس السرعة التى يجرى بها على سطح الارض .

فماذا بقى للانسان على سطح القمر للتنقل فوقه بعد ذلك ؟

بقى النط . ينط كما ينط الكنغر

واذن يصبح على الارض الكنغر الحيوان ينط فى استراليا ، بينا الكنغر الانسان ينط فيقفز على سطح القمر .

الجمال عندهم لا يمنع من التخشن عند الحاجة

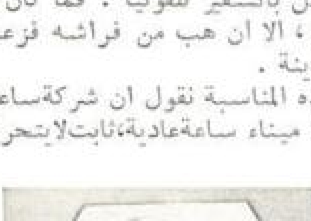


● ومن امثلة ذلك هاتان الفتاتان، لقد لبست كلتاهما قبعة لا يلبس مثلها الا من جاز امتحان السواقة للاسفار البعيدة ونجح فيه . وحق لهما ذلك بعد أن تدربا على سواقة هذه السيارة، فجازا بها الارض،من سهلة ووعرة، وفى صفاء الجو وعكره ، وفى حيث تهبط الثلوج تغطى الارض او تنحسر عنها . وكذلك ساقاها فى البحر ، فهى سيارة برمائية . وسرعتها على الارض الجامدة تبلغ ٥٠ كيلو مترا فى الساعة، اما فى البحر فتسعة كيلو مترات فقط .

وقام الرجل من فراشه فزعا

● رئيس من رؤساء الدول الاوروبية،اراد ان يتصل بسفيره ، وكان بمدينة فنكوفير فى كندا . ونظر الرئيس فى ساعته فوجد انه الظهر تماما . وطلب ان يتصل بالسفير تلفونيا . فما كان من السفير المسكين ، عندما سمع جرس التلفون ، الا ان هب من فراشه فزعا . ذلك لأن الشمس لم تكن طلعت بعد فى تلك المدينة .

وبهذه المناسبة نقول ان شركة ساعات سويسرية قد ابتدعت ساعة ذات ميناءين، احدهما ميناء ساعة عادية، ثابت لايتحرك . اما الآخر فيدور حول طرف الميناء الثابت ، وعليه اسماء أشهر بلاد العالم . فاذا كنت فى لندن ، وكانت الساعة ٢ بعد الظهر ، اى ١٤ (١٢+٢=١٤) ، فما عليك الا أن تدير الاطار الخارجى للميناء الثانى حتى يقف اسم لندن عند رقم ١٤ ، واذن يعطيك هذا الاطار كم هى الساعة فى شتى البلاد . فان اردت أن تعرف كم الساعة فى مدينة سدني ، باستراليا ، مثلا ، عندما تكون الساعة ٢ بعد الظهر فى لندن ، قرات ذلك فى لحظة وعرفت أن سدنى الآن فى منتصف الليل .



سُمَيَّة أُمُّ عَمَّار

أوَّلُ شهيدةٍ في الإسلام

بقلم سنية قراعه

■ حثت الابل خطاها ... واستخفتها نشوة السير ... وكأنما كانت تبتدىء المسير لا تنهيه... واحس جميع من فى القافلة بانهم يقتربون من الحضر ، ويشارفون مداخل العمران ، فتطلعوا الى ما وراء الافق يرقبون تيجان النخيل وقد تعالت خضراء مزهوة ، تشير الى الحياة الناعمة ، التى حرمها القوم زمانا طويلا وهم يرتادون الصحارى ، ويطوفون بالواحات ، يسعون وراء الرزق عارضين ما معهم من بضائع فى الاسواق ...

وفجاة تبدد الصمت الضارب على الصحراء الشاسعة ... ورغت الابل ... وتحدث الناس بعد سكوت طويل ... وتعالت اصوات الحداة طروبة رنانة تنشد أهازيج الفرح ، واغنيات السعادة بالعودة الى الوطن الحبيب ...

واصغت الصحراء طويلا الى الاصوات المشبوبة، وكأنما راحت تنشق فيها عبق البعث بعد الموات ...وزفرت الرمال الصامتة زفرات الحياة ... فما لبثت أن رددت قمم الجبال العالية تراجيع تلك الزفرات الحنون ، وحملتها عبر الاهوية الوسنانة الى اسماع كانت تلهف شوقا الى عودة الغائبين ...

وتعالت أصوات الفرح هنا وهناك ... وكيف لا تعلو وتتردد ، وقد عادت القافلة الكبيرة التى خرجت منذ شهور . عادت فى النهاية الى الأهل والأحباب بالخير العميم والربح الدافق ونفائس الأسواق التى ارتادتها فى البلاد التى مرت بها ...

وخلف أهل ذلك الحى من أحياء بلاد اليمن السعيدة ديارهم ، وتسابقوا مسرعين ليلقوا الاحبة بالبشر والأهازيج الحلوة..وخرج بينهم« ياسر بن عامر » وقد غلبه الشوق الى رؤيا اخيه الذى طالت غيبته عن الأهل والصحاب .

ولقى الأب ولده ، والزوج زوجه ، والأخ أخاه والصديق صديقه الا ، « ياسر » المسكين ، فقد وقف يتفحص الوجوه فى لهفة ، وحيرة ، وقلق ، اذ لم يطالعه بين العائدين وجه اخيه ...

وراح المسكين فى غمرة حيرته الملتهفة ، يعلل نفسه بالأماني متصورا ان اللقاء الحاني لا بد وان يتم بعد ان تخف وطأة زحام العائدين وتدافعهم الى لقاء بعضهم بعضا . « ولكن ، لقد خف الزحام ... وتفرق القوم ، وعاد كل حبيب بحبيبه، الا هو .. « ياسر بن عامر » فقد بقى حيث هو ، يرقب الجميع ، وقد تحققت امانيهم ، ورجعوا بالاحبة ، فى حين ظل هو فى مكانه ، يرقب ويتمنى ، دون ان تتحقق له أمنية ، أو تبدو بارقة رجاء ...

وعاد ياسر بن عامر الى داره بقلب كسير ...

عاد كما عاد من قبل مرة ومرات ... فشقيقه الاعز لم يعد ، ولم يجد عنه خبرا عند العائدين...

لقد خرج المسكين مع رفاقه من أهل اليمن قبل ذلك وكان يعود موفقا .. ولكنه اليوم لم يعد ... ولم يسمع عنه اهله شيئا على الاطلاق ، حتى يئسوا من عودته ، وايقنوا بموته الا « ياسر » شقيقه الوفى ، الذى كان الامل يملأ قلبه ، فظل كلما عادت قافلة من القوافل يخف الى لقائها ، وهو يرجو أن يجد شقيقه بين العائدين ..

واقبل الأهل على ياسر يواسونه ، وينصحونه بان يقبل الواقع ، وان يسلم أمره الى القدر ، ويحتسب شقيقه الذى انقطعت من القوم أنباؤه.. ولكنه ابى ان يستسلم ، واقسم ليخرجن يجوب هذه الصحراء ، ويرتاد مجاهلها ، وينزل بواحاتها ، ويجول فى اسواقها للبحث عن أخيه ..

وترك ياسر بن عامر بلاده اليمن ... واستقر به المطاف اخيرا فى مكة ، مركز تجمع القوافل ، فى رحلتي الشتاء والصيف ، ومستقر وفود الحجيج ، والقاصدين ، وملاذ من لا ملاذ له ، وملجا الناس اجمعين ...

وارتاحت نفس ياسر الى مكة ، وتاق الى العيش فى ربوعها قلبه ، وقد غلبه احساسه بأنه سوف يلقى فيها الحبيب الغائب والشقيق الذى انقطعت انباؤه ..

ومرت الأيام .. وتوالت الاحداث،ووجد اليمنى النازح الى مكة ، أن مقامه بها قد طال ، وانه من اللازم كى يعزز هذا البقاء ، أن يتحالف وسيدا من سادات قريش ، يتلمس حمايته،ويعيش فى كنفه ، ويرجو نداه ، وكان ان تخير ابا حذيفة سيد بنى مخزوم ...

وقبل ابو حذيفة محالفة ياسر بن عامر اليمنى ، وانزله فى رحابه أكرم منزل وامنه على نفسه وماله ، واشعره ، وكأنه هو الآخر سيد من سادات بنى مخزوم ...

وفي بيت أبي حذيفة المخزومي ، وقعت عينا ياسر على « سُمَيَّة » ، جارية ابى حذيفة السمراء الحبشية الفاتنة ، فوقعت فى نفسه موقع الحب ، وتملكت فؤاده ، وشغلته حتى عن مجرد التفكير فى العودة الى بلاده ، ولم يجد وقد برّح به الشوق غير ان يطلبها من سيدها الكريم لتكون شريكة حياته وأم أولاده ...

وابى القرشي السمح ابو حذيفة ، الا أن يزيد مكرماته مكرمة جديدة ، فزوج جاريته الحبشية الفاتنة « سمية » ، من حليفه « ياسر » ، وتمنى لهما الحياة الرغدة المستقرة والهناءة الدائمة ...

وانتقلت « سمية » من بيت سيدها ابى حذيفة الى بيت زوجها ياسر ، وقد انستهما غمرة الفرح الطاغية ، اشهادَ الناس على أن السيد المخزومى الكريم ابا حذيفة قد اعتق جاريته يوم وهبها لياسر الطيب ...

بل انهما مع مرور الزمن نسيا ذلك الأمر تماما ، ولم يدر بخلدهما ، أن واقعية الأمر الذى هونا من شانه ، ولم يشهدا الناس على صحة تمامه ـ سوف يسبب لهما من المشاكل والاضرار ما لم يدر لهما بخلد فى يوم من الايام ..

وآلت الزيجة السعيدة أول ثمارها .. وانجبت سمية لزوجها ياسر ، بكر بنيه ، الذى اسماه « عمارا » ...

ومات ابو حذيفة ... وشب عمار ، ولم يثر فى القوم جدل حول الجارية ووليدها ، وهل ما زالت « امة » لبنى مخزوم ، وابنها « عبدا » من عبيدهم ـ ام قد اصبحا مع الزمن أحرارا لا حق عليهما لسيد من سادات قريش ؟! .

وسارت الحياة على وتيرتها الرتيبة فى قريش .... وبقى ياسر وأهله ، كما عرفهم الناس حلفاء بنى مخزوم ...

وعلت صيحة الحق ذات يوم ..وأسرعت قريش اللاهية الماجنة لتسمع فى دهشة صوت محمد بن عبد الله ، ينذر عشيرته الاقربين ، ويدعوهم الى عبادة اله واحد لا شريك له ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، يحيى ويميت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ..

وضحكت قريش اللاهية ... وتفرق ساداتها ساخرين من الداعى ودعوته ، وراحوا يتندرون بها فى سوامرهم ، ولم يدر بخلد السفهاء العتاة ان الصيحة المؤمنة ، قد وجدت صداها فى بعض النفوس ، وأن هذا الصدى القوى ، قد استقر فى اعماق القلوب التى راحت تفكر فى قول محمد ،

وقد ارتاحت اليه ، وطابت الى تصديقه ، ووجدت فيه ما يدعو الى التفكير في امر ذلك الدين ...

كان غريبا ان تصغى قريش في سخرية الى قول الله الحق ، يردده رسوله الصادق الأمين محمد بن عبد الله قائلا :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » ..

وتتركه بعد ذلك عابثة لاهية ماجنة .. فلا تتدبر ما يعنيه القول الكريم ولا تحاول استجلاء مكنونه الرائع ، وأن تستمر في طريق الضلال في اصرار وعناد وكبرياء ، ودون ان ترقى عقلية سفيه من سفهائها الى تدبر الدعوة ، واعادة النظر في امر الاصنام التى كانوا يتكالبون عليها ، ويسجدون لها ...

واستمر محمد في دعوته ، في صدق ، وحرارة وايمان ، وافاقت قريش في النهاية ، وصحت من غفوتها ... لا لتتبعه على دينه ، وتؤمن بما دعا اليه .. بل لتقف دونه ، وتسكته ، لان ساداتها قد سمعوا ان قلة منهم تابعت محمدا على دينه ، وان هذه القلة ، لو تركت فمن يدرى ربما تكاثرت واصبحت الدعوة الجديدة خطرا على القرشيين ..

وبدأ الصراع الرهيب ...

وراحت قريش تتربص الدوائر بالمسلمين ، وخاصة ذلك النفر من الغرباء ، والحلفاء والعبيد الذين امنوا بمحمد رسول الله وفيهم عمار بن ياسر حليف بني مخزوم ...

لقد آمن عمار بن ياسر ، وتردد على دار الارقم مع بلال الحبشي ، وخباب بن الارت وصهيب بن سنان ، وغيرهم من الموالي والعبيد ، وآمن بالدعوة وتحمس لها تحمسا جعله ينقل انباءها الى ابيه ياسر وامه سمية ...

واصغى الاب الى حديث ابنه ، ونشقته الام في شغف وقد امتلأ شغاف قلبها بكل كلمة من كلماته ...

ولم يكد « ياسر » يعلن اسلامه ويشهد انه لا اله الا الله وان الصادق محمدا رسول الله حتى أسرعت سمية تردد الشهادة في صدق وحرارة ، فسجلت لنفسها السبق الى الاسلام ، وقيل انها كانت ثاني امراة آمنت بدعوة سيد الخلق اجمعين بعد زوجته خديجة ...

وطابت نفس ام عمار الى الاسلام ، وهانت في عينيها كل تضحية ، وتاقت نفسها الى الجنة التي وعد الله بها المؤمنين من عباده الاخيار الصادقين ، وتمنت لو يكون لها هي الاخرى في ميدان الدعوة مجال للجهاد ...

وطاش صواب قريش لما حدث ، وكبر في عيني القوم ان تفعل بهم دعوة محمد هذه الافاعيل ، وان تجعل اراذل العشيرة ، وضعاف العبيد فيها يعصون ساداتهم جهارا ، ويخرجون عن دين السادة العظام ، ويسخرون من اربابهم ويكفرون بها علانية ويشهدون بوحدانية رب محمد ، وان محمدا هو رسول الله ، البشير النذير الداعي الى الحق ، ليخرج بالناس من الظلمات الى النور ..

وعذبت قريش « بلالا »و«خبابا»، « وصهيبا »، وفكرت في امر « ياسر » وزوجه « سمية » وابنه « عمار » ..

اجل ... فكرت قريش في الوضع الاجتماعي لهذه الاسرة المتمردة ...

ان ياسر حليف لبني مخزوم ، وحمايته حق واجب عليهم حتى بعد موت أبي حذيفة ، وما دام قد خرج على حلفه ، وعارض العشيرة فلا اقل من ان يكون في هذا اعتراف صريح منه بانه يرد عليهم الحلف والاجارة وينفض ايديهم منه ...

وتبقى بعد هذا سمية زوجته ... ومن موجبات رد التحدى عليها ان تفكر قريش في امرها ... في وضعها ... في صفتها ...

لقد وهبها ابو حذيفة الى حليفه ياسر حقا ... ولكنه لم يعتقها ، ولم يشهد القوم على عتقها ، ولم يثبت هذا العتق في باحة الكعبة او في مكاتبة ..

اذا فسمية زوج ياسر ، ما زالت رقيقا مملوكا لبني مخزوم ، والرقيق بحكم الوضع المتعارف عليه مملوك لسادته ، وذريته عبيد لأولئك السادات .

وهللت قريش للنتيجة الرهيبة التي وصلت اليها ...

ان سمية لم تزل امة لا حول لها ولا قوة ولا

ارادة ... وان ابنها عمار هو الآخر عبد رقيق يملكه بنو مخزوم ، وهم وحدهم اصحاب التصرف فيه ...

وبدات المساومة مع ياسر ليكفر بما امن به ، ويرتد عن دين محمد ، ليبقى بنو مخزوم على حلفه معهم ...

ورفض ياسر أن يكفر ... واصبح خارجا على قريش ...

وجاء السفهاء بسمية وعمار ... وكانت المساومة الرخيصة ، وكان الاصرار من سمية وابنها على الاسلام ، ورفضهما أن يبيعا جنات الله ورضوانه ، بحرية مزعومة مناهم بها السفهاء الضالون ...

وقالت قريش ... عذبوا آل ياسر ... عاملوهم بالشدة ، وخذوهم بالعسف ، ولا تاخذكم فيهم رحمة ، فقد عابوا اربابنا ، وسخروا منا ، وخرجوا على شرعة الطاعة للسادات ...

واسرع الزبانية القساة يلبون الامر الرهيب ... وتقدم جلاد قريش الغظ الغليظ القلب «الحكم به هشام» الذى اطلق عليه سيدنا رسول الله اسم «ابى جهل» يطلب أن تكل اليه العشيرة امر هذا التعذيب ، فهو اقدر القوم على ترويض العصاة ، وتهذيبهم وردهم الى الطاعة ، وعالم الضلالات من جديد ...

وترك القوم الى ابى جهل حرية ممارسة تعذيب الصابئين ممن آمنوا بدعوة محمد بن عبد الله ...

وكما سيق بلال الحبشي الى التعذيب البشع ، كذلك سيق آل ياسر جميعهم ... ياسر وعمار وايضا سمية ...

ولقد كان غريبا أن يقدم السفهاء من قريش على تعذيب امراة ، والتعرض لها بافانين القسوة الرهيبة ، خارجين بهذا على العرف الذى يقضى بحماية النساء ، والتقاليد التى توجب حمايتهن ... ولكن قريشا العمياء القلب ، نسيت كل هذا ، ولم تعد تذكر الا انها امام عاصية ، من الواجب ردها الى الطاعة، مهما كانت الوسائل والاسباب..

وسارت سمية الىحيث اراد اللعين ابوجهل...

سارت سمية فيحمارة القيظ الى مكان التعذيب..

سارت سمية مؤمنة ، صابرة محتسبة فالقيت على الرمال وقد تعرى جسدها ، وانهالت عليه سياط ابي جهل في قسوة وبشاعة ، حتى اذا تعب، وكل ذلك الى عبد قاس من عبيده ، أو صاحب من السفهاء ، وسمية صابرة ، تأبى التسليم ، ولا تكف عن ترديد قولها : «احد ... احد ...»

وكان ابو جهل كلما سمع صوتها ، وهي تردد الشهادة ، وتقر بالوحدانية ، يجن جنونه ، وتزداد ثورته ، ويزار صاخبا ، وكانما كانت سمية هي التى تعذبه وتلهب جسده هو بسياط من نار لم يستطع ان يدراها او يتوقاها ...

وراح ابو جهل يعذب ويضرب ويتفنن في ضروب الانتقام من آل ياسر . ولا جدوى ... بالغ في تعذيب ياسر الزوج ليثير تعذيبه اشفاق زوجته وولده ، ولا فائدة ...

عذب الابن ليثير تعذيبه حنان ابويه ولا جدوى..

بالغ في تعذيب سمية الصابرة ، لتنهار مقاومة ولدها ، ورحمة زوجها ، وعبثا حاول .. حتى لكانما كان ما يوليه لهؤلاء المؤمنين من قسوة وتعذيب يزيدهم ايمانا ، ويجعلهم يستمسكون بالدين القويم الذى ملا نوره قلوبهم ونسوا فيه الاضطهاد والعسف والتعذيب ...

وكانت الساعات تمر ... ساعات القيظ الشديد ، وقد راحت الرمال الساخنة تلهب الاجساد الملقاة عليها ، والدماء تنزف منجراحاتها ... وسمية مكانها لا تبالي ، ويرتفع صوتها مرددا «احد ... احد» ... فيسرع زوجها يردد ذلك النداء ، ويجيبه به ولده الشجاع عمار ...

كان قلب سمية قد امتلا بالنور الفياض ، فطغت النورانية المشرقة على عتمة الجسد ، وفنيت المادة ، وتعاظم شان الروح ، فلم يكن عجبا ، أن تموت حساسية الجسد ، ويفنى شعوره بالتعذيب ، وتمر به لحظات القسوة وكان لم تكن ... اذ كانت له في قوة الروح عصمة ، وفي عظيم الايمان درع ووقاء ...

بل كيف كانت تابه سمية لعذاب البشر ، وتضج من حمارة القيظ ومن وهج الشمس ، وهي التى احتمت بالوحدانية ، وتدرعت بشهادة انه لا اله الا الله وان الصادق محمدا رسول الله ، لتحمى نفسها من هول النار ، وتخلص من عذاب

الجحيم ، ولا يكون لجهنم وزبانيتها عليها من سلطان !!

ولطالما اثار هذا الثبات نفس اللعين أبي جهل، وعجز عن أن يفهم سر هذه النفوس الكبيرة وكيف كانت تحتمل في صبر عذابا رهيبا بثبات لم يكن لمثله عهد به من قبل ..

وكيف كان للكافر ان يفهم حقيقة شعور المؤمن، او يقدر جلال ثباته على العهد ، بعد أن باع الدنيا بالآخرة ، ، واشترى بسخط الناس رضوان الله ...

كان ايمان سمية وجلدها يرهب ابا جهل اللعين، كان صبرها يؤرقه وكان جلدها يثيره ، ولكم تمنى لو يحولها عن هذا الثبات ، ويذل كبرياءها وهو يقسو على الابن الحبيب والزوج الضعيف ولا فائدة ، فلم يجد الا أن يضرب من جديد ويضرب ويضرب ، ليسمع ثانية وعاشرة ومائة « أحد ، أحد ... » .

لم يكن ابو جهل يرجو أن يسمع من سمية الا أن تعيب محمدا ودينه ، وتعلن الخروج من الاسلام ، وتعترف بارباب قريش ، ليترك سمية وزوجها وابنها وشانهم ، ولكن سمية المؤمنة ابت ان تطيعه وتعصى الله ، وراحت تسخر منه ومن اصنامه العاجزة ، وهي تنذره وقومه بالويل وعذاب النار ...

وراى أبو جهل أن يتمادى في قسوته على آل ياسر وبصورة اشد رهبة ، فابقاهم حيث هم عراة ، معرضين لوهج الشمس وقسوة القيظ واجسادهم تدمى من لسعات السياط ثم وضع على صدورهم حجارة ثقيلة لا يستطيعون التحرك من تحتها لتظل عيونهم مفتوحة ، ناظرة نحو الشمس لتؤذى بصرهم وتذهب به ...

ومرت التجربة كما مرت تجاريب العذاب الاخرى من قبلها ... وظل آل ياسر على العهد لم يحيدوا عنه ...

حتى سمية ... الضعيفة الفانية المرهقة الجسد ، التى عذبها سيدها بالجوع والعرى والعطش لم تتزحزح عن ثباتها ، ولم تتحول عن ايمانها القوى الذى كانت تتضاعف شحنته وتزداد قوة وصلابة يوما بعد يوم ، وبعد أن يمر محمد رسول الله بسمية وزوجها وابنها ، وهم في اماكنهم مشدودون معذبون فيقول لهم :

« صبرا آل ياسر ، فموعدكم جنات الله » ..

لقد كانت الجنة حلم سمية .. وكان رضوان الله غايتها ، وعلى نفس العهد ثبت الزوج والابن ..

وكان يحلو لسمية ان تتخيل جنات الله ، وكان شوقها الى ذلك النعيم الخالد يزداد ويتضاعف كلما امعن اللعين أبو جهل في الايذاء ، فكانت ترفع الى سماء الله القادر وجهها وعلى شفتيها دعاء صامت ، وهي ترجو السميع مجيب الدعوات ، ان يدعوها اليه ليهبها جزاء الصابرين، والشهداء ، جنات تجرى من تحتها الانهار ونعيما لا عذاب بعده ولا شقاء ولا عسف ولا جور أو طغيان ...!!

وراى ابو جهل ذات يوم أن يروع قلب سمية، ويصدع فؤادها ويحطم ثباتها الذى اثاره ، فاغرق ولدها الباسل عمارا بالماء ، وحمل صدره القوى بالحجارة ، ولم يرحمه من ضربات السوط .

وانتظر عدو الله ، ليرى ماذا ستفعل الام امام ما لحق ابنها من هول التعذيب ، وهو يرجو ان يسمع صراخها وتوسلها وهى ترجو أن يترك عمارا ويرحمه ، ولكن خاب ظنه ، ولم يسمع غير الكلمة التى اثارته دواما : « أحد ، أحد ... » .

وزمجر وصاح ، وافرط من جديد من تعذيب الابن الصابر ، واذا بحنان امه يقلبها فعلا من أجله ، واذا بها تخشى ان يضعف أو أن يلين ، واذا بصوتها يرتفع في قوة واعتداد .. لا لترجو ابا جهل الرحمة .. ولكن لتشجع عمارا وتشجع ياسر وهى تذكرهم ببشرى سيدنا رسول الله لهم ... بالجنة والرضوان والرزق الكريم ، وسعادة الخلد ...

وتذهل قريش امام روعة هذا الايمان ، ويرى بعض عقلائها أن ينصحوا ابا جهل ليكف عن غلوائه في تعذيب آل ياسر ، وصاحب لهم ، واخ في الايمان هو « بلال بن رباح » ولكن عدو الله ابى الا ان يستمر في طغيانه ما داموا على دين محمد..

ومرت الايام .. واستمرت الدعوة في سيرها ، واخذت القلة المستضعفة تتزايد ... وزاد الحكم ابن هشام حنقا وكراهية للمؤمنين ، وراح في استنباط ابشع الوان العذاب لأولئك النفر من المؤمنين ، فخابت محاولته ، ورد كيده الى نحره ، ولم يستطع أن يصل الى معادن تلك النفوس الأبية التى سخرت من العذاب وابت ان تهبط

الى مستوى طلب رحمة المخلوق العاجز ، وزاد استمساكها بحبل الله .

وراحت قريش تتحدث في دهشة عن ذلك النفر الذى سفه أحلام العشيرة ، وخرج على دين الآباء والاجداد ، وكيف أن العذاب لم يردهم ولم يؤثر فيهم .. وكأنما ضاقت صدور القوم بتكرار الفشل امام اصرار هذه الفئة المعاندة ، حتى لقد ود بعض العقلاء منهم أن يتركوا اتباع محمد وما آمنوا به ، ولكن ابا جهل ابى أن يترك اهليه الى احلام العفو التى مرت باخيلتهم واصر على مضاعفة التعذيب على من وكل اليه امرهم من الموالي والعبيد ...

وعاد العذاب ليأخذ سيرته من جديد ... وكأنما اصبح امرا عاديا بالنسبة للمعذبين فلم يأبهوا له ، أو يهتموا به قدر اهتمامهم باللجوء الى الذات الكبرى يسألونها العون وتخفيف القسوة، وثبتت قلوبهم على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ، والثبات على دينه ليكون لهم الجزاء والرضوان...

وحاول الصديق ابو بكر أن يشترى حريات الرقيق المعذب ، وكلم سادتهم في ذلك الامر ولكن عناد أبي جهل وقف دونه وما كان يريد ، اذ ابى ان يبيع له ثلاثتهم بالذات ، او أن يعتقهم ، واقسم ان يبقوا في عذابه واسره حتى يموتوا ، أو يعيبوا دين محمد ، ويعودوا الى عبادة الاوثان !!

هذا .. بالرغم من أن ابا بكر رضى الله عنه قد استطاع شراء آخرين واعتاقهم ...

ودارت عجلة الايام رتيبة ، وعلى نفس الوتيرة ... والتعذيب يشتد ، والظلم ينزل رهيبا بساحة آل ياسر ... وآل ياسر على عهد قريش بهم ... صابرون .. ثابتون على العهد ... وما زادهم العسف الا استمساكا بانه لا اله الا الله وان الصادق محمدا رسول الله ، وأن الحكم بن هشام عدو الله ، وانه سيلقى من ربه سوء المصير ...

وتولى نهار في اثره مساء ... وسمية وزوجها وابنها حيث هم ... على الرمال بين الموت والحياة ... اجساد شبه ميتة الا من انفاس لاهثة تتردد فيها،فتثير حنق عدو الله فيعاود الايذاء والتعذيب وسمية وولدها وزوجها لا يفتأون عن ترديد : « احد احد .. » وهم يزدادون ايمانا بالله ...

وكان يحدث أن يترك عدو الله ضحاياه لبعض من الوقت ، بعد أن تدمى اجساد ثلاثتهم وينصرف الى ملاهيه في سوامر قريش الماجنة العابثة ليفخر ويندد ، ويتنفر ، ويهدد ، ويقسم باللات والعزى ومناه ، انه لا بد وأن يصل ذات يوم الى نفوس القوم ، فيردهم عن حب محمد والاستمساك بدينه الى الاعتراف بدين العشيرة والسجود للصنم من جديد .

وتمر باللاهين العابثين ساعات الصفو والاحلام، فينسون ضحاياهم المعذبة ولا يتصورون ، أن ساعات بعدهم عنهم ، كانت بالنسبة لآل ياسر اروع واجمل ساعات الصفو الروحي ... ساعات النجوى وتخيل الجنات والعيون ، وآيات الرضوان وحسن المثوبة ، وعلو المقام الكريم ...

وذات ليلة ... وقد انصرف ابو جهل الى صحبة الشر من أصحابه الناقمين على محمد ومن تابعوه ... خلا المكان من ظل اللعنة ، واستشعرت سمية وولدها وزوجها بعض الراحة ، فران عليهم الصمت واسلموا انفسهم الى الحمد والتسبيح ...

وعلا صوت ياسر يقول هامسا لزوجته في ارهاق : ان بشرى سيدنا رسول الله لهم ، موشكة ان تتحقق ، وانه يرى بعين ايمانه الملكوت الاعلى ، وتبدو لناظريه جنات الخلد ، واصوات الملائك تدوى في مسمعيه مع تراتيل الحور والولدان ...

ونظرت سمية الى زوجها وقلبها ينفطر حزنا عليه ، وقد ظنت ان مافاه به كان من اثر التعذيب البشع الذى انزله به اللعين ابو جهل في ذلك اليوم ، واحبت سمية لو تواسى ياسر وتشجعه ، وتهون عليه ما كان ولكنه راح يطمئنها ويؤكد لها انه انما يقول الصدق .. والصدق الصراح الذى لا ينطق الانسان بغيره في هذه اللحظات بالذات وهو في طريقه الى لقاء رب كريم ..

واستشعرت سمية جلال الموقف ، ودق قلبها المليء بالنورانية ، وقد اشعرها ان ما يقوله ياسر صحيح لا ريب فيه ، وان الروح ، قد آن له أن يفارق الجسد المرهق المعذب ، وينطلق الى ملكوت الله ...

ووجدت سمية نفسها تزحف الى جوار ياسر وتمسك بيده ، وتصغي اليه في ذهول مشوب بالفرحة ، وهو ينطق بكلمات مبهمة ، وقد راح يصف ما لاعين رأت ولا اذن سمعت ..

كانت الروح على مشارف جنات النعيم ولا شك

... وكانت ترى ... وكانت تسمع ... وكانت تستروح عبق الجنان ، وترى آيات الرضوان والرضا والحب والترحيب بالشهيد الذى شاءت ارادة الله أن يستريح بعد عذاب ، وأن يلقى ما وعده به رسول الله عليه الصلاة والسلام من اجر سابغ وعظيم ...

وظلت سمية تسمع ... وياسر يتحدث ... وبقيت صامتة ، وكأنما تنهل بروحها الظامىء ما كان الزوج العظيم يسر به من معالم الغيب واسرار عالم البقاء ...

لقد عرفت الجنة بصفاتها ، كما جاءت فى قول الله تعالى ، فى محكم قرآنه ، وانها الآن لتعرفها عيانا ، وتشهدها علانية ، وتراها بالروح وقد انطلقت تحوم الى جانب روح ياسر العظيم ...

وهان العذاب فى عيني سمية ، وتمنت لوضاعفه لها عدو الله ، ليتضاعف لها الأجر والثواب ، وتنال الرضوان ضعفين ، وتكون لها بدل الجنة الواحدة جنات وجنات ...

وجعلت تصغي ... وترى ... وتنصت ... وياسر يتحدث ... ويتحدث ... ثم ... لم تجاذبت ايديهما ... وزفر ياسر زفرة طويلة ، نطق بعدها بالشهادتين معبر الدخول الى ملكوت الله ...

وعلا صوت سمية تردد ! الله أكبر ... الله اكبر ... وفى ذمة الله يا ياسر الحبيب ... والى لقاء قريب فى جوار الله ...

لقد واعدها الزوج الأمين على اللقاء ...

وانطلقت الروح من اسار الجسد ، وقدر الله تعالى للمتعب المعذب ان يستريح !!

وبكت سمية بدموع الفرح ، لان ياسر واعدها على اللقاء السريع ...

انها بشرى سيدنا رسول الله ، بشرى الموعد الخالد ، فىجنات النعيم ، حيث لا سلطان لأحد على المؤمنين الصالحين ، ولكن ...

ولكن الساعات مرت ... وبدات غاشية الليل تنجاب عن صبح جديد ، وسمية فى مكانها ، ينبض قلبها المحزون بالحياة ، وحيدة بعد ان تركهـا ياسر الى عالم الخلود ...

وبكت ... بكت سمية لان الموعد قد تاخر ، واشفقت على ذاتها من لوعة الفراق الطويل ... وقد امضها ان يسبقها ياسر فلا تكون الى جواره ، وهى التى لم تتركه وحده يوما وهما يجـاهدان فى مسالك الحياة وعذاب الكافرين اللاهين ...

وبكت سمية ... بكت بكاء مرا ، بكاء الحنين والتحنان الى الرحيل ...

وسمعها ابو جهل المتحجر القلب ... وأسرع اليها متنمرا شرسا ، يلعنها ويهددها ويقسو عليها باغلظ القول وهي صامتة ، صابرة منصرفة عنه...

واستشاط القلب الشرير بالحقد على الجارية الأبقة ... وانهال عليها بالسوط ، فلم تضج ولم تئن ، ولم تتكلم ... كانت منصرفة عـن الام التعذيب الى تخيل ساعات اللقاء المرجوة مع روح ياسر فى جوار الله ...

وعلا صوت ابى جهل يدعوها الى ان تسـب محمدا فكالت لعدو الله أبشع السباب ..

وراح اللعين يضرب ويضرب وهو يامرها ان تعيب دين الحق الذى اتبعته ، فراحت تعيب دينه وتسخر من عبادته ، وتلعن اربابه العاجزة التى لا تقدر على شيء ...

ثار ابو جهل ونقم وامتلأ قلبه بالشر ، وغشى الدم عينيه ، وقد أحس بكراهية مقيتة لتلك الجارية التى عصته وسخرت منه ، وأبت ان تطيعه ولو كذبا لترضي غروره ويفاخر فى سوامر القوم بانه افلح فى رد مؤمنة بدين محمد الى أربابه هو .. وعلا صوت أبى جهل مزمجرا يحذر سمية من نقمته ... ولكنها سخرت منه ، فجن جنونه ووجد يده تمتد دون وعي الى حربة كانت مـع أحد عبيده وطعن بها سمية فى قلبها ... وانتظر أن يسمعها وهي تلفظ آخر الأنفاس ...

وابتسمت سمية فى رضى .. ونطقت بالشهادتين ... وتهلل بالبشر وجهها ... كيف لا وها هي ذى ذاهبة الى الموعد الحبيب لتلقى ياسر المؤمن العظيم فى جنات الرضوان ...

انه الوعد الذى لا يكذب ... والموعد الذى تمنته وجاهدت ليكون لها ، لتنعم بالراحة فى جنات الخلد .

واختلج الجسد الطاهر ... وصعدت الروح الى بارئها ... وكتبها الله لعنة على عدوه أبى جهل ، ورحمة لسمية أول شهيدة فى الاسلام ...

■■

سنية قراعه


وَهَرَبَتْ..!

قصة بقلم : الفة الادلبى

■ تخيفنى نظراته الثاقبة..ترعبنى .. تخترق راسى كسهام مسنونة ، تنبش دماغى .. اخشى ان تعثر فيه على السر الرهيب ..

لماذا يتفرس فى وجهى ؟ انه يحملق بى على غير عادته .. ايجد تصرفاتى غريبة ؟ يا الهى كيف استطيع ان ابدو امامه على طبيعتى تماما ؟ لم اعد استطيع النظر فى عينيه .. لا شك ان نظراته تلاحقنى كيفما تحركت .. ايصور لى الوهم هذا ؟ ام هى حقيقة الواقع ؟ كيف يتسنى لى ان اعرف ذلك ؟ ايريبه صمتى وذهولى واضطرابى ؟

لقد ازداد موقفى حرجا منذ انتهى المأتم ، وانصرف عنا الاقارب والأصدقاء ، وبقينا فى البيت وحدنا ، انا وهو ، اصبح يتحتم على ان اظل الى جانبه ، اتحدث اليه ، ارفه عنه لاخفف من حزنه ولوعته .. كلما حاولت ذلك خانتى النطق ، وهربت الكلمات التى اعددتها من ذهنى ! ..

كيف اتحدث اليه ؟ ماذا يقال لاب فجع بفقد طفلته الوحيدة فى حادث مروع ؟

حين عاد اليوم الى البيت من عمله حيانى بلطف وحنان ، بل حاول ان يبتسم على الرغم من حزنه ، غير ان نظراته ظلت ثاقبة ملحاحة ، كمرآب يعمل فى دماغى ، او هكذا خيل الي .. ارتبكت ورحت ارتجف ، واتحاشى النظر اليه . اشحت وجهى عنه. كانت الى جانبى مرآة معلقة على الحائط عكست وجهى مخيفا ، لا لون له ، حتى كدت لا اعرفه انا .. وجه مكهرب ، نظرات زائغة ، شعر منفوش يا الهى كأنه وجه مجنونة ! .. لا . لا انه وجه مجرمة آثمة !..كيف لا يلفت نظره الذعر الواضح فى نظراتى التائهة ؟

سحبنى من يدى الى مقعد كنا نجلس عليه . جلس قبلى . وقفت امامه جامدة كصنم ، اخذ يدى وراح يمرغها على وجهه .. نظر الي والدموع تملأ عينيه وقال لى بحنان ما عهدته به قط :

ــ اخشى ان يمرضك الحزن .. ! اراك اشد لوعة منى .. لم يعد لي احد فى الدنيا سواك .. كم انت امرأة طيبة بل نادرة .. لم يخطر لى ابدا انه توجد امرأة نظيرك تحزن على فقد ابنة زوجها كما تحزنين انت على فقد ابنتى .. تعالى نتعاون على النسيان ..

كانت كلماته تمزقنى كخناجر حادة .. شعرت بدوخة ، ثم تخاذلت ركبتاى . بركت امامه دفنت راسى فى حجره ، رحت اجهش بالبكاء .

فى تلك اللحظة سيطرت علي رغبة ملحة فى ان اعترف بكل ما يدور فى راسى ويعذبنى فاقول له : انا القاتلة ! ..

نعم انا التى قتلت صغيرتك الحلوة التى تعبدها، فافعل بى ما شئت .. ها انذى اضع نفسى بين يديك .. ، فارو غلتك منى .. قتلتها ! .. نعم قتلت تلك الطفلة الحلوة التى كانت تشغلك عنى ، وتستأثر وحدها بحبك ، وحنانك ..

. اتدرى اننى رايتها حين تسللت الى الشرفة ، ثم رايتها حين راحت تتسلق الكرسى الذى نسيته انت قرب الدربزين .. تسمرت مكانى ورحت اراقبها من بعيد .. لم اهرع الى انقاذها ! .. يا الهى كيف لم اهرع الى انقاذها !..يا الهى كيف لم اهرع ؟ ..

رايتها تتدلى من الشرفة لتنظر الى الشارع ، كان راسها الصغير الجميل يتلفت الى اليمين والى الشمال فتنوس على كتفيها جدائلها الشقراء التى جدلتها انا قبل قليل . خشيت ان تخوننى عاطفتى فاسرع الى نجدته ، انا التى يمزقنى الغيظ منها فى كل لحظة ، فاتمنى لها الموت . اغلقت على نفسى باب المطبخ ورحت اتشاغل عنها فى اعداد طعام الفطور . كنت انت فى الحمام، وكانت الخادمة قد ذهبت الى السوق. مرتين وجدتنى اهرع نحو الباب فاضع يدى على اكرته لافتحه واسرع الى انقاذها . ولكن يدى .. آه شلت يدى ! .. كانت فى كل مرة تتراجع ببطء حين تغلى الغيرة فى صدرى ! ..

كنت انت السبب ! .. انت الذى دفعتنى لافعل ما فعلت من حيث لا تشعر .. لانك جعلتنى اكرهها ! .. تصرفك الفظ معى جعلنى احقد على طفلة بريئة ! .. كنت اتمثل فى ذهنى دائما ولعك بها ، واهمالك لى ، انا التى احببتك حتى الوله .. ما شعرت مرة انك عدت الى البيت وبك حنين الي .. كنت تفتح لها ذراعيك وتضمها الى صدرك

بوله عجيب ، دون أن تلتفت الى أو تجود عليّ بنظرة واحدة مهما تزينت وتأنقت ، وبذلت من جهد لاثير اهتمامك . ثم تظل تداعبها حتى انتهي انا من اعداد المائدة وكنت تصر على أن تجلسها بيننا ، وأن تطعمها بيدك . وما اذكر اننا كنا نتحدث بغير الحديث عنها . حتى اذا انتهينا من الطعام كنت تضعها في حجرك وتظل تحكي لها الحكايات وتهدهدها حتى تنام . وكان هذا كله يتكرر في المساء ايضا . ولقد ذهب بك ولعك بها الى حد جعلك تضع سريرها في غرفة نومنا كي لا تغيب عن ناظريك لحظة واحدة . وكم من مرة قلت لي وانت تتفرس في وجهها : الا ترين ان عينيها جذابتان جميلتان كعيني امها تماما ، وتروح تقبلها من عينيها .. كأنك كنت تنسى ان التي تحدثها قد اصبحت امرأتك . ولم تعد مجرد ابنة عمك الكبيرة ، وان تصرفك هذا يثير غيرتها ، بل يهين كبرياءها .

لقد تأكد لي ان طفلتك ستظل حاجزا منيعا بيني وبينك ، ووجودها سيحول دون محو ذكرى امها من ذهنك .

آه لو انك تدري كم قاسيت من امها ! ..

اتذكر يا ترى تلك الايام ؟ .. ايام عودتك من اوروبا بعد ان انهيت دراستك فيها ، كيف كنا نحتفي بك نحن بنات الاسرة وشبابها ، كيف كنا



نقيم لك في كل بيت من بيوتنا حفلة راقصة تكريما لك ، وكي لا تشعر بوحشة في بلدتنا الصغيرة بعد عودتك من الغرب . وما ادري ما الذي حدا بك في تلك الآونة لان تتودد اليّ ؟ أكان توددك مجرد مجاملة ؟ أم كان كجبر خاطر لفتاة عانس قلما يتودد اليها احد ، او يدعوها الى الرقص شاب في مثل تلك الحفلات الصاخبة .. كيف انسى قولك لي ذات ليلة وانت تراقصني :

ـ انت فتاة رائعة ، لك طابع خاص ما رأيته في فتاة غيرك ، ان اهل هذا البلد لا يدركون معنى جمالك ، عندما ارقص معك احسبني في باريس اراقص باريسية انيقة . كم تجيدين اختيار عطورك وثيابك ..

آه لو تدري ماذا فعلت بي كلماتك التافهة تلك والتي لم يسبق لي أن سمعتها من رجل غيرك . لقد حركت في شعورا غريبا ، بعد ان كنت قد استسلمت الى واقعي ، ورضيت به ، كنت ادرك انه قلما تتزوج في بلدنا فتاة قد تجاوزت الثلاثين من عمرها ، لكن اهتمامك بي اعاد الامل الى نفسي ، واصبحت اتخيل دائما نظراتك الحنون التي كنت توجهها الي ، واردد كلما خلوت الى نفسي كلماتك الرقيقة وأترنم بها،واشعر بنشوة ما ذقتها عمري . ويصبح شغلي الشاغل هو ان ابدو امامك انيقة جميلة مهما كلفني ذلك من جهد ومال. كنت اشتري لكل مناسبة نجتمع بها ثوبا جديدا على احدث طراز كي اسمع تعليقاتك الزكية عليه ، فآتيه واطرب لها . وما ادري لِمَ اصبحت على مثل اليقين من انك تحبني ولا بد ان تخطبني ، ورحت ارتقب تلك اللحظة ملهوفة ، وانام واصحو وانا احلم بها .. ولكن احلامي وآمالي انهارت كلها في طرفة عين ! .. انهارت لحظة بلغني انك خطبتها صديقتي الصغيرة ذات العينين الخضراوين البلهاوين ! .. وقد كنت انا واسطة التعرف بينكما ! .. لم يخطر لي ابدا انك ستعجب بتلك الدمية الفارغة .. انت الذي تقدر الذكاء والذوق والاناقة واللباقة كما كنت تدعي ! ..

ما من احد علم بالذي قاسيت في وحدتي سوى وسادتي التي شربت من دموعي حتى ذَوِيَت !

ولم يحل لك أن تسكن انت وعروسك الا قبالة بيتنا تماما . كنت اراكما كيفما التفت . وكان هذا يزيد في تعاستي .. لم يعد لي شاغل سوى ان اراقبكما من شباكي . كنت لا انام حتى ينطفيء نور غرفة نومكما . عندئذ اتخيل واتألم واتحرق ثم اهوي منكفئة على سريري كأني مخلوق على

الارض . كنت ادرك مـدى سخافتي فاكتمها في نفسي واجدني عاجزة عن مقاومتها فاكـره ذاتي واحتقرها ! .. وما اظنك ادركت على الرغم من فراستك وذكائك ما كان يعتمل في نفسي من حقد عليكما وحسد منكما . كان لي قدرة عجيبة على اخفـاء شعوري امامكما . كنت احيل دمـوعي بسمات ، والكبت يمزقني .. ثلاث سنوات مضت وانا اجتر آلامي في صمت ذليل ، دون ان يدري بي احد . واذا الموت ينتصر لي ذات يوم ..

لقد خطف منك تلك التي خطفتك مني ..



لم تعد تجد امامك من يواسيك ، ويرعى طفلتك اليتيمةالتي لمتتجاوز السنتين من عمرها سواي. انا بنت عمك الكبيرة ، وجارتك القريبة ، ذات القلب الطيب كما كنت تسميني ! ..

وافتح لك قلبي الطيب ! .. كنت تأتيالى بيتنا كل يوم ، انت وطفلتك لتبدد احزانك بيننا . وراحت تلتئم جراحي . وبدأت انتاسى الماضي فاشعر نحوكما بعطف وحنان .

واذا انتذاتمساء تناديني الى الحديقة فتقوللي ببرود قتال ، كأنك تتحدث عن قضية لا تعنيك :

ــ ما رأيك في ان نتزوج ؟ انت تحبين ابنتي ، وانا واثق بانك سترعينها كأم حنون .

طعنتني كلماتك الباردة التي انتظرتها امـدا طويلا ! .. اتريد ان تتزوجني اذن من اجل ان ارعى ابنتك فقط .. كدت ارفض طلبك،ويا ليتني رفضته . جرَّبت ان افعل فلم استطع ، لقد حال دون ذلك حبي العميق لك ، وتلهفي الطويل عليك. وظننتني استطيع على مر الايام ان اجد لي مكانا في قلبك . واعتقدت انني ساجده حتما حين امد عليك ظلي ، واغمرك بحبي وحناني . غير انني فشلت ! .. لقد شعرت انك اغلقت باب قلبك دوني ، كنت مصرا على ان تظل وفيا لها ، واسير ذكراها تلك الدمية الفارغة ذاتالعينينالخضراوين اللتين كنت تراهما دائما في وجه طفلتها ! ..

كيف تنمحـي الذكرى مـن ذهنك ، والطفلـة تذكي أوارها كلما دنت اليك ؟ لقد فشلت كل محاولاتي ! .. كنت تجرح كبريائي في اليوم الواحد مئة مرة دون ان تشعر .. كانت الطفلة كل شيء في حياتك ، وكنت انا لا شيء ابدا ! .. مجرد مربية للطفلة ! ..

ارأيت كيف جعلتني احقـد على طفلـة بـريئة فاتمنى لها الموت ! ..

وحين جاء الموت من تلقاء نفسه ليبتلعها تركته يفعل ذلك .. تركته بلـؤم .. لم اهـرع الـى انقاذها ! .. يا هول ما فعلت ! .. اقترفت من اجلك جريمة .. جريمة نكراء .. انا مجرمة ! .. مجرمة اثيمة .. اصرخ بها من اعماقي .. كيف استطيع تبرير نفسي ومرآك ، وقد تشنجتذراعاك على الجثة الصغيرة وانت تحتضنها ، والناس من حولك يحاولون انتزاعهـا منك .. مـرآك هـذا محفور في دماغي .. اراه في كل لحظـة ، اينمـا نظرت .. ، كيفما التفت ، انه يعذبني .. يفتت كبدي ، يطرد النوم من عيني ، ثلاثة ايام ما عرفت فيها النوم ابدا ..

كان هذا كله يمر في خاطري ، وكان راسي لايزال مدفونا في حجره ، وكانت اصابعه تتخلل شعري ، وتعبث به بحنان ..

شعرت انني اختنق ..

لم يعد امامي سوى ان افر بعد ان اصبح لي وحدي ! .

لا بد لي ان اهرب من هذا الذي خُلق ليكون جحيمي ..

وهَرَبْتُ .. ! ■■

ألفة الادلبي ــ دمشق



السِّرُّ الخَفِي

■ لاتطمعي يانفس في إدراكِ مـــا ‏ ‏ ‏ ‏ أعيا حِجَى المتعمقِ المتفاسفِ
طِلْسْم آبادٍ خلال قشـــوره ‏ ‏ ‏ ‏ تبدو الظنونُ الحائمات وتختفي
القربُ منه هو البعادُ بعينِـــه ‏ ‏ ‏ ‏ إن لم يَرِد في غمضـه المتكشِّف
أنا ما عدلتُ عن التساؤل قانعـــا ‏ ‏ ‏ ‏ بحقيقةٍ أروت غليلِ تشوُّفي
لكنني ألفيْتُ إبلائي سـدى ‏ ‏ ‏ ‏ ثوبَ الشبابِ من الجنون المتلِف
ولَوَ انّني أدركتُ بعد الجهد ما ‏ ‏ ‏ ‏ أمّلتـه ، وكشفتُ مالم يكشَف
أفكنت أدرج في نعيم دائـــم ‏ ‏ ‏ ‏ صفو السعادة فيه غير مزيَّـف ؟
لا ! فالحياة بجهلنا وبعلمنـــا ‏ ‏ ‏ ‏ لم يعرها نقص ، ولم تتشـرفِ
يانفس ، لن تجدى السبيل فأطفئي ‏ ‏ ‏ ‏ هذا السراج ، فما الضياء بمسعف
ما زلت أبحث مُمْعِناً في حيرتي ‏ ‏ ‏ ‏ وأجدُّ خلف الوهم جد تلهّف
حتى رجعتُ إلى الشكوك مصدّعـا ‏ ‏ ‏ ‏ ورأيتُ أني مَصدرُ السرِّ الخفي ■■

عاصمة الارجنتين

الياس قنصل

غرفة تجارة وصناعة الكويت



اجتماع مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة الكويت : ويبدو فى الوسط الرئيس السيد عبد العزيز حمد الصقر والى يساره السيد يوسف الفليج نائب الرئيس ، والسادة حمود الزيد الخالد ، وعبد المحسن الثوينى ، وعبد الرزاق الخالد ، وحسين مكى الجمعة . وجلس الى يمين الرئيس سكرتير الغرفة السيد هيثم اللوحى ثم السادة محمد يوسف النصف أمين الصندوق الفخرى للغرفة ، فعبد العزيز البحر ، وعبد اللطيف النصف . وتغيب عن الجلسة بسبب السفر السادة : عبد الله يوسف الغانم ، محمد عبد الرحمن البحر ، يعقوب يوسف الحمد ، محمد عبد المحسن الخراق ، بدر السالم ، يوسف ابراهيم الغانم .

من احدث الغرف التجارية العربية .. وأكثرها نشاطا !

■ شيخ التجار .. شاه بندر .. شيخ الكار .. شيخ السوق .. القاب مختلفة كانت تطلق منذ عصر مضى على اكبر التجار فى الأسواق العربية، ايام كانت هذه الاسواق محصورة داخل زقاق ضيق صغير تغلق ابوابه عند الغروب ، ولا تفتح الا مع بزوغ الشمس ..

وبجانب هذه البوابات كانت قوافل الجمال تستريح من عناء رحلاتها الطويلة عبر طرق القوافل القديمة ، ومنها الطريق الممتد من بادية الشام فى بلاد ما بين النهرين حتى الكويت . فكانت البضائع تنقل عليه لتشحن على السفن الكويتية الكبيرة المتجهة للهند وشرق افريقيا ، وفى مقدمتها اللؤلؤ الطبيعى الذى كان يجمعه أهل الكويت ويتاجرون فيه حتى عام ١٩٢٥ عندما تعرض العالم لهزة عنيفة





لجنة التحكيم تصدر أحكامها

تتفرع من مجلس ادارة غرفة الكويت لجنة للتحكيم الخلافات التجارية الناشئة بين طرفين مقيمين فى الكويت .. وتجتمع الغرفة بعد ظهر كل أربعاء لبحث ان لجنة التحكيم فى الغرفة هى لجنة « حبية » الطرفين وديا .. وبعد اصدار الحكم يصر الرئيس اذا كان الخلاف مع شركة أجنبية ، فان اللجنة تأخذ بالطرف الثانى وتطلب الوثائق منه فى محاولة للوصول بالاتحادات التجارية فى الخارج وبالقنصليات والسفارات

من جراء ظهور اللؤلؤ الاصطناعى الذى قضى تماما على اللؤلؤ الطبيعى ، فتدهور سوقه وتحولت رؤوس الأموال العاملة فيه صوب التجارة التى احتلت مركز الصدارة بين المهن الاخرى فى الكويت.

ازدهار .. وانطلاق

.. ودارت عجلة الزمان ، وازدهرت هذه التجارة وتبوأت الكويت المركز التجارى الرئيسى فى الخليج العربى بحكم موقعها الاستراتيجي على راس الخليج العربى ، وكجزء من الممر المائي الكبير الذى يبدأ بنهرى دجلة والفرات وينتهى فى الهند.

وبعد الحرب العالمية الثانية جاء النفط حاملا معه افواجا من المهاجرين والعاملين .. فانتشر العمران ، وتطور المجتمع وتغيرت اساليب التجارة، وانطلق التاجر الكويتى الى آفاق أوسع ، فاصبح يستورد ويتصل مباشرة بأسواق العالم ومصانعه .

« فورة الذهب »

ومرت عشرون عاما على الكويت ، شهدت خلالها ازدهارا وتقدما ونشاطا لم يسبق له مثيل فى اى بقعة اخرى من العالم ، الا عندما قامت : « فورة الذهب فى كاليفورنيا » التى حدثت فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر عندما اكتشف الذهب فى كاليفورنيا ، وتقاطر عليها المهاجرون من كل حدب وصوب ، فانشاوا مجتمعا حضاريا وصناعيا وزراعيا متطورا .

اما فى الكويت فقد تحول المجتمع الى مجتمع تجارى ، بحكم مهارة الكويتيين المكتسبة فى حقل التجارة منذ زمن بعيد ، وصاحب هذا التحول تبدل فى الاسلوب والنهج فانقضى عهد التاجر الجليل الكبير الذى كان يقف بين زملائه حكما عادلا ، وظهرت حاجة ملحة الى تنظيم احدث واشمل لشئون التجارة والتجار فى الكويت ..

كيف تكونت الغرفة ؟

فى مطلع مايو (أيار) ١٩٥٩ اجتمع ٣٩٠ تاجرا على هيئة جمعية عامة لانتخاب ١٥ شخصا اعضاء لاول مجلس ادارة فى اول غرفة تجارية كويتية ..





بالصلح ، وضرورة تناول الشاى !

تضم خمسة من أعضاء مجلس الادارة ومهمتها فض
الكويت ، أو بين تاجر كويتى وطرف أجنبى خارج
الحالات المعروضة عليها ، كما ترى فى الصورة العليا ،
تسعى دائما لمحاولة الوصول الى حل وسط يرضى
على ضرورة تناول الشاى قبل مغادرة القاعة .. أما
أقوال التاجر الكويتى أولا ، ثم تقوم بالاتصال
الى حل مرض .. وتعمد اللجنة الى الاتصال
ووزارات التجارة لتحقيق عملها على الوجه الاكمل ..

وقد جاء هذا الاجتماع قبل انعقاد الدورة التاسعة لمؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية فى الكويت، حيث كان عقد هذا المؤتمر ايذانا بولادة اول غرفة تجارية فى الكويت .

لم يكن الهدف من تكوين هذه الغرفة تحقيق اى ربح مادى ، وانما كان الهدف هو تجميع التجار فى هيئة موحدة تتولى خدمتهم وتسهيل اعمالهم ..

« الغرف » فى العالم

وقبل ان نتحدث عن غرفة تجارة الكويت يجدر بنا ان نستعرض تاريخ الغرف ومعنى كلمة «غرفة» .. وهذه الكلمة ماخوذة عن الفرنسية .

وتمتد جذور الغرف التجارية بمفهومها الحديث الى عصور حضارات الصين والفراعنة والرومان ، حيث كانت الاتحادات الاقتصادية لمنتجى الاصناف المتماثلة امرا معروفا وشائعا فى ذلك الوقت .

اما فى العصر الحديث فاول غرفة تأسست فى مرسليا عام ١٥٩٩ ثم عرفت الدول العربية هذا النظام عندما كان اغلبها تحت الحكم العثمانى .. ولكنها كانت تاسيسات صورية . ومن اقدمها غرفة تجارة حلب وقد قامت عام ١٨٨٥ ، وتاتى بعدها غرفة تجارة بغداد وتأسست عام ١٨٩٠ ، وغرفة تجارة بيروت عام ١٩٠٠ ، ولم تتأسس الغرف التجارية فى مصر الا فى عام ١٩٢٢ . حقيقة انه كانت هناك غرف تجارية قبل هذا التاريخ ، ولكنها كانت كلها اجنبية : انجليزية وايطالية وفرنسية ويونانية وامريكية تكونت منذ عام ١٨٨٠ . كانت مصر مستعمرة تجارية لغير أبنائها ، من كل من هب ودب ، ثم تبدل الحال ، وكان لا بد ان يتبدل .

الصناعة تدخل الغرفة

وعند تاسيس غرفة تجارة الكويت كانت حركة التصنيع فى أولى مراحلها ، ولكنه ما كادت تنقضى ثلاث سنوات حتى انضم الصناعيون الى التجار ، وابدلوا اسم الغرفة التجارية الى غرفة تجارة وصناعة الكويت ، واصبح للمشتغلين

بالصناعة ثلاثة مقاعد في مجلس الادارة الى جانب ١٢ مقعدا مخصصة للتجار .

ومن خلال تطور ونشاط غرفة تجارة الكويت نستطيع تكوين فكرة عامة عن تطور التجارة نفسها في البلاد .

اول غرفة بدائرة قانونية

لقد بدأت غرفة الكويت أعمالها متمشية مع العرف والعادات التجارية القديمة المتبعة، فكانت لجنة التحكيم تجتمع مساء كل اربعاء لتقوم بمهمة فض الخلافات التجارية بطريقة ودية .. وهو نفس الدور الذي كان يقوم به « التاجر الجليل » مع فارق واحد هو انها اصبحت هيئة ، مزودة بخبير قانوني لتؤدي عملها على أكمل وجه .. انها اول غرفة تجارية عربية تنشأ فيها دائرة قانونية لخدمة أعضائها .

وتنحصر الخلافات بين تجار الكويت على الأكثر في قيام بعضهم باستيراد بضائع من المناطق الحرة في الخارج بالرغم من وجود وكلاء توزيع لهذه البضائع في الكويت .. ومن الخلافات الاخرى : اختلاف نماذج ونوعية البضاعة المتعاقد على شرائها ، أو خلاف الشركاء حول تفسير نصوص العقد الموقع فيما بينهم ..

ازدياد الوعي هو السبب

ومما يذكر ان عدد الحالات التي عرضت أمام لجنة التحكيم كانت ٧٠ حالة في سنة التأسيس ، انخفضت في العام الماضي الى ٢٠ حالة فقط !

وهذا الانخفاض ليس مرده التجاء التجار للمحاكم، وانما لكون لجنة التحكيم هي لجنة « ودّية » تقضي بالصلح دائما في احكامها ، وليس لها سلطة في فرض الحكم ، وانما قوتها تنبع من احترام التجار لأعضاء اللجنة ولغرفتهم التجارية .. والسبب الثاني في انخفاض الحالات يعود الى ازدياد الوعي عند التاجر الكويتي ، والى تنبيهات الغرفة في منشوراتها الى أصول وقواعد التجارة الدولية .

الغرفة تدرس القوانين

ولم تقتصر خدمات الغرفة على فض الخلافات والدفاع عن مصالح التجار فحسب ، بل تعدتها الى مصلحة الاقتصاد الكويتي بصورة عامة ، اقتناعا منها بأن الوضع الاقتصادي للبلاد في الوقت الحاضر يعتمد على التجارة وتسهيلها ودعمها .

وما كاد العام الأول ينقضي على تأسيس الغرفة حتى استطاعت ان تفرض شخصيتها القوية ، فاشتركت مع اللجان الحكومية في دراسة مختلف القوانين التجارية التي لم تكن قد ظهرت ، مثل قانون الشركات ، وقانون الائتمان ، وقانون التأمين، والقانون التجاري، وقانون المواصفات والمقاييس، وقانون المنطقة الحرة ، وقانون مجلس النقد الكويتي ، وقانون تشجيع وحماية الصناعة المحلية .. وغيرها من القوانين التجارية والصناعية ، وكان مندوبو الغرفة يبدون في هذه الاجتماعات ، العديد من الملاحظات والتعديلات .



منذ تأسست غرفة تجارة الكويت وتفكيرها يدور لاقامة مبنى حديث لها .. وفي عام ١٩٦٢ منحها مجلس الوزراء قطعة أرض في المنطقة التجارية المركزية مساحتها ١٥٠٠ متر مربع .. وتجري حاليا أعمال البناء على قدم وساق (الصورة اليمنى) حتى يفتتح المبنى رسميا في النصف الثاني من عام ١٩٦٧ ويبدو الشكل النهائي للمبنى في الصورة اليسرى . وحرصت الغرفة في مبناها على ابراز الطابع المعماري العربي الاسلامي .

رفض زيادة الضرائب

كما وكِلت الى الغرفة مهمة دراسة التشريعات التجارية على اختلافها .

وفى عام ١٩٦٢ رفضت الغرفة اقتراحا من وزارة الجمارك والموانيء يقضى برفع الرسوم الجمركية من ٤٪ الى رسوم تصاعدية تصل الى ١٠٪ وعللت اسباب رفضها بأن الضرائب فى الكويت هى ضرائب اسمية ، اذا ان الحكومة لا تعتمد على ايرادات من هذا النوع من الضرائب ، ولذلك فان رفع الضرائب ليس له بالتالى ما يبرره ، خاصة وان وضع الكويت الاقتصادى يعتمد على التجارة التى يقوم بها القطاع الخاص ، وأى رفع للرسوم الجمركية يتعارض معهذا الاتجاه ومعمبدأ تشجيع التجارة ، وقد يؤدى الى خفض تجارة الكويت المنظورة وغير المنظورة .

عطلة الخميس

ومن الأمور الاخرى الهامة التى رفضتها الغرفة موضوع امكانية جعل يوم الخميس عطلة رسمية بالكويت بالاضافة الى يوم الجمعة ، وكان الرفض بناء على أن اجراء كهذا يؤدى الى شلل اضافى فى أعمال الحكومة واداراتها الحساسة فى مثل ادارتي الميناء والبريد وغيرهما من الادارات التى يتحتم عليها تقديم خدماتها بصورة مستمرة طيلة أيام الأسبوع .

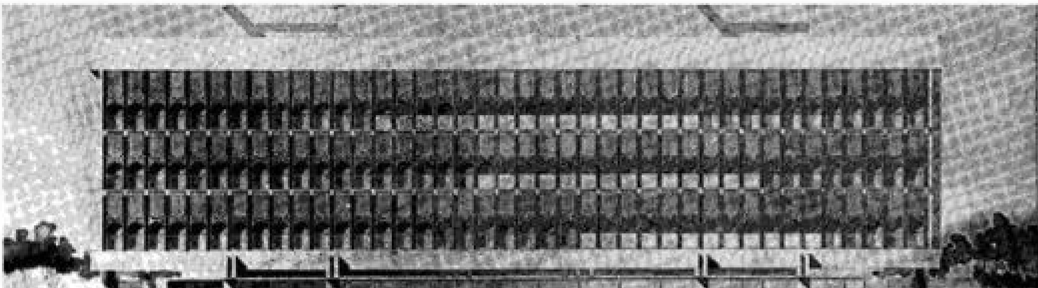
كذلك أصرت الغرفة على ضرورة جعل رأسمال البنوك وشركات التامين ١٠٠٪ كويتيا ، كما أنها هى التى طالبت بأن يكون ٥١٪ على الأقل من رأسمال الشركات التجارية المتكونة فى الكويت رأسمالا كويتيا .

اجتماعات مع السنهورى

وقد عقدت الغرفة مع الدكتور عبد الرزاق السنهورى الخبير القانونى لوزارة المالية الكويتية آنذاك ٢٤ اجتماعا تدارست معه خلالها قانون الشركات وقانون التجارة ، وأصرت الغرفة خلال المناقشات على ضرورة قصر الوكالات التجارية على الكويتيين ، وعلى تحريم التجارة فى الكويت لغير الكويتيين ، الا اذا كان للغرباء شركاء كويتيون يمتلكون ٥١٪ على الأقل من مجموع رأسمال المتجر .

اسباب الكساد

وقامت الغرفة باعداد عدة دراسات اقتصادية عن الكويت ، شملت امكانيات التصنيع ومبدأ الاتفاقيات الثنائية التجارية ، ومشاريع الوحدة الاقتصادية العربية ، وأسباب حالات الكساد التى مرت بها الأسواق الكويتية ، فوجهتفى سبيل هذه الدراسة مجموعة من الأسئلة الى أكثر من الفى تاجر ، ثم عكفت لجنة خاصة على مراجعة هذه الاجابات ، وجمعت ذلك كله فى دراسة تفصيلية حوت تحليلا للوضع الاقتصادى فى الكويت ، وعناصر وأسباب الكساد التجارى ، ثم أرفقت بها مجموعة من الاقتراحات التى تعالج كل سبب من تلك الأسباب ، وأرسلت



كل هذا الى الجهات الحكومية المختصة لدراسته ..وقد قامت الغرفة بهذه العملية مرتين.. واحدة فى عام ١٩٦٢ والثانية فى عام ١٩٦٥ .

وفود ومؤتمرات

واستمرت اعمال الغرفة فى التوسع حتى شملت كل الحقول الاقتصادية والتجارية فى البلاد، فاستقبلت الغرفة عشرات الوفود الاقتصادية من البلدان العربية الشقيقة والدول الاجنبية . وبحثت معها المواضيع التى من شانها ان تؤدى الى زيادة حجم التبادل التجارى مع بلدانها .

والى جانب ذلك اشتركت فى عدة مؤتمرات دولية وعربية كلها اقتصادية ، منها المؤتمر الاقتصادى الافريقى الآسيوى ، ومؤتمر العمل الدولى ، ومما يذكر ان رئيس غرفة التجارة الكويتية السيد عبد العزيز الصقر قد انتخب رئيسا للمكتب الدائم لاتحاد الغرف التجارية والصناعية والزراعية العربية اثناء مؤتمر هذه الغرف الذى عقد بالجزائر فى العام الماضى .

نصف مليون دينار تكاليف المبنى

ان المهام الكثيرة التى اثقلت بها الغرفة منذ تاسيسها ، وتشعّب اعمالها ، جعلا من الضرورى اقامة مبنى لائق بها وبمركزها وبالهيئة التى تمثلها .. وقد منحتها الحكومة قطعة ارض مساحتها ١٥٠٠٠ متر مربع فى وسط المنطقة التجارية بمدينة الكويت لاقامة مبناها الذى يضم قاعة كبرى للاجتماعات تتسع لنحو ١٠٠٠ شخص ، ستعقد فيها الجمعيات العمومية لجميع الشركات المساهمة والمؤتمرات ، فضلا عن تخصيص الطابق الأول من الغرفة ليصبح معرضا صناعيا دائما للصناعات الكويتية .

وتقدر تكاليف مبنى الغرفة باكثر من نصف مليون دينار باستثناء قيمة الارض .

ومما يذكر ان تصميم المبنى طرح فى مسابقة عالية اشتركت فيها خمس شركات دولية ، الا ان تصميم دار للهندسة عربية هو الذى فاز فى المسابقة.

اشتراكات تبرعية

وقد راى مجلس ادارة الغرفة ضرورة زيادة الايرادات حتى يمكن ان يمتد نشاط الغرفة ليشمل مختلف المجالات .. فعمد الى الاتصال بالشركات المساهمة الكويتية وشركات النفط العاملة ، باعتبارها العمود الفقرى للاقتصاد الكويتى، وعرض عليها مشروع دفع تبرعات للغرفة كي تتمكن من تحقيق برامجها الطموحة ، واستجابت هذه الشركات للنداء وتبرعت بسخاء اذ تراوحت اشتراكاتها بين ٢٥٠ و ٥٠٠٠ دينار سنويا ..

رئيس اتحاد الغرف التجارية يتحدث :

متى يتوقف القاء الأسماك والأنانـاس والمانجـو الى

وفى حديث خاص مع السيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت، ورئيس اتحاد الغرف التجارية والزراعية والصناعية العربية قال لمندوبنا:

« ان غرفة تجارة وصناعة الكويت ، مثل اى مؤسسة ذات نفع عام تهدف الى زيادة خدماتها وتوسيع اختصاصاتها مع تطوير اعمالها ونشاطها حتى تتمشى مع احدث الانظمة والقوانين .. وسوف تشهد غرفة الكويت تطورا كبيرا حال الانتهاء من بناء مبنى الغرفة الجديد الذى سيتيح لنا المزيد من الحركة للتنظيم والتوسع ..

« ولا يجب أن ننسى ان غرفة تجارة وصناعة الكويت هى اصغر الغرف التجارية العربية عمرا ، ومع ذلك فهى من اكثرها حركة ونشاطا .. »

الوحدة الاقتصادية قبل الوحدة السياسية

وانتقل السيد عبد العزيز الصقر فى حديثه بعد ذلك الى الوحدة الاقتصادية،وهل يجب ان تتم قبل الوحدة السياسية ؟ فقال : ان المنطق نفسه يقول ان هذا هو الذى يجب ان يكون .. ولو اخذت البلاد العربية بهذا المبدا لتغير حالنا عما هو عليه اليوم .

تكامل .. وكفاءة .. وطرق

وتطرق الحديث الى ثروات البلاد العربية المهملة وكيف ان الاسماك والتمور تقدمان طعاما



والتمور الى الحيوانات
اعماق المياه ؟

للحيوانات ، والمانجو والاناناس يلقيان فى النيل بجنوب السودان لعدم وجود وسائل للنقل ، بينما احسن انواع سمك التونة يصاد فى بحار المغرب وجنوب الجزيرة العربية حيث يصدر خاما الى اوربا ليعاد تصديره الينا معلبا وباسعار مضاعفة ..

وهنا قال الاستاذ عبد العزيز الصقر : لا يمكن ان اتخيل بلدا يمكن ان يسمى نفسه بلدا صناعيا مصدرا دون ان تكون فيه شبكة طرق حديثة منتظمة .. وهذه هى حالتنا فى الوطن العربى حيث نفتقر الى الطرق الدولية والى وسائل المواصلات التى تتفق مع روح العصر الحديث .

« والى جانب ذلك نفتقر الى يد عاملة صناعية مدربة ذات كفاءة عالية ، تقدم لنا انتاجا بمستوى عال مشرّف يستطيع الصمود امام المنافسات الخارجية .. ان تأمين هذه الايدى الفنية سوف ينهض ببلادنا نهضة كبرى لانها تحتوى على محاصيل ليس لها منافس فى العالم كالتمور مثلا .. ومما يثلج الصدر ان حركة التصنيع بدات تزحف على اجزاء كثيرة من وطننا العربى ، فظهرت صناعات لم نكن نحلم بوجودها على ارضنا فى يوم ما ..

« ان موارد وطننا العربى موارد ضخمة متعددة الأصناف ، وعلى جانب عظيم من الأهمية،ولكنها موارد تفتقر الى التنظيم الذى يمكن ان يتم بنظام للتكامل الاقتصادى ، اى تكامل فى الانواع التى يزرعها كل بلد ، وفى الانتاج الذى ينتجه كل قطر .. وبمعنى آخر يتخصص كل بلد عربى فى نوع معين من المنتجات حتى لا يحدث ازدواج وتضارب ..

« واعتقد انه عندما نصل الى تحقيق هذه الامور الثلاثة : شبكة طرق دولية ، كفاءة صناعية ، تكامل اقتصادى أو تنسيق صناعى .. يومها فقط سيتوقف القاء الأسماك والتمور والأناناس والمانجو ، وتصدير سمك التونة الى اوربا » .

تبادل الزيارة : ضرورة

ومن التكامل الاقتصادى انتقل الحديث الى فوائد تبادل الوفود التجارية ، فقال رئيس الغرف العربية :

« ان تبادل الزيارات يفتح آفاقا جديدة امام التاجر الذى يلمس عن كثب مدى امكانيات التعاون والتبادل والاستثمار فى البلاد الأخرى، وفى نفس الوقت يعمد الى تذليل الصعاب فى اجتماعات ودية بين التجار ، دون حاجة لاضاعة الوقت فى مراسلات طويلة معقدة .. وقد نتج عن تبادل الزيارات بين وفود غرفة تجارة وصناعة الكويت والوفود الأخرى،توقيع اتفاقيتين للتبادل الاقتصادى مع البلاد العربية .. » .

وقد بلغ مجموع هذه الاشتراكات المحصلة ٦٥ الف دينار فى عام ١٩٦٣ خصصت جميعها لتمويل مشروع تشييد مبنى الغرفة .

لقد كرس مجلس ادارة الغرفة جهده لتاسيس الغرفة على قواعد ثابتة. ولضمان استمرارتوسعها مستقبلا عمد الى تنمية احتياطياتها التى ستناهز فى اواخر هذا العام ١٠٠٠٠٠ دينار بينما يقدر مجموع واردات الغرفة بـ ٩٠ الف دينار فى عام ١٩٦٦ .



تضم مكتبة غرفة التجارة والصناعة الكويتية أكثر من ستة آلاف مجلد، تشمل الموسوعات العالمية ، والمعاجم والتشريعات القانونية التجارية ، الى جانب مجموعة كبيرة من الكتب الاقتصادية التي تعالج نظريات الاقتصاد العامة والمصارف والنقود والسياسة المالية وطرق التمويل ، والتضخم المالي والنقدي وغيرها من المواضيع الاقتصادية الهامة .. كما تضم المكتبة مجموعة من الدليل التجاري جاءتها من ٤٠ بلدا مختلفا ، كل هذا الى جانب ١٥٠ مجلة مختلفة ترد للغرفة بانتظام ، وهي موضوعة تحت تصرف التجار والمراجعين .. ان المكتبة بالنسبة للغرفة بمثابة جهازها المفكر

مكتبة المراجع

ويؤمن مجلس ادارة الغرفة بان رسالة اى مؤسسة اقتصادية حديثة لا يمكن ان تكتمل الا اذا دخلها عنصر الدراسات واسلوب البحث السليم .

واتماما لمهمة هذه اللجنة وافق مجلس الادارة على تكوين مكتبة اقتصادية ضخمة خصص لها ستة آلاف دينار بالاضافة الى مخصصات سنوية قدرها الف دينار .. وتضم المكتبة أكثر من ستة آلاف مجلد أكثرها يدور حول الشئون الاقتصادية، كما حرص المسئولون فيها على تزويدها بعدد كبير من المراجع : كدوائر المعارف المختلفة ، والقواميس والادلة التجارية لمختلف البلدان ، ومختلف كتب العلوم والآداب .

اول دليل من نوعه

وتصدر الغرفة نشرة اقتصادية شهرية تقع فى ستين صفحة وتتضمن مقالات اقتصادية نظرية ، واخبار الاقتصاد فى الكويت ، والعالم العربى والخارجي ، ومنشورات النفط والاحصائيات ، ومختلف العروض والطلبات الصناعية والاستشارات التجارية ، وجدولا باهم المعارض ، وتقريظا لاهم المطبوعات التجارية بالاضافة الى الأبواب الاخرى .. ان نشرة الغرفة هي حلقة الاتصال بينها وبين المنتسبين ..

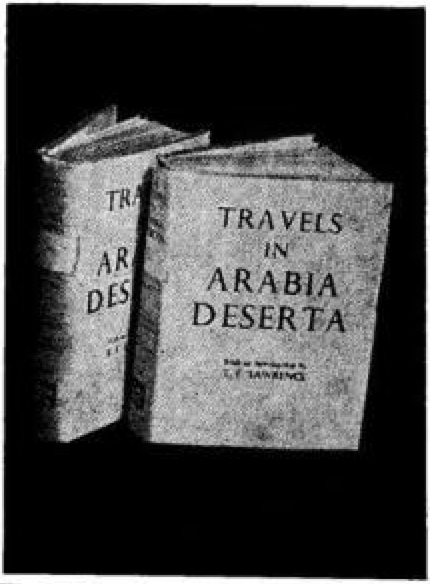
وفى العام الماضى اصدرت الغرفة اول دليل شامل عن الكويت جندت له جهازها الادارى بكامله لمدة ثلاثة اعوام اخرج بعدها الدليل الذى اعتبر نواة لاول دائرة معارف عن الكويت تعكس بأمانة وواقعية نهضة الكويت الرائعة ، وتجربتها الاجتماعية الفريدة التى قلبت منطقة صحراوية شبه قاحلة الى دولة حضارية مزدهرة ..

انه دليل يصحح المفاهيم الخاطئة التى يحملها الكثيرون عن الكويت ، حتى من بعض اخواننا العرب ، بسبب نقص المعلومات المتوفرة لديهم .. ويقع الدليل فى اكثر من ألف صفحة من الحجم الكبير .

آمال الغد

ان غرفة التجارة والصناعة فى الكويت بعد مضى سبع سنوات على تأسيسها ، تتاهب اليوم للانطلاق نحو آفاق جديدة من أجل مستقبل تجارى وصناعى افضل .. لا للكويت فحسب ، وانما لجميع دول الوطن العربى الكبير ..

كتاب الشهر



رحلات في الصحراء العربية

تشارلز دوتي (١)

بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ ثلاثة اسماء ترد الى الذهن عندما نتحدث عن الرحالة الانجليز فى العصر الفيكتورى .

وهؤلاء الثلاثة هم : ريتشارد بيرتون، وويلفريد سكاوين بلنت ، وتشارلز مونتاجيو دوتى(٢) .

وقد عرف هؤلاء ، عند العرب الذين اتصلوا بهم ، بألقاب : الحاج ، والشيخ ، والنصرانى ، على التوالي .

واسماء هؤلاء الرحالة لمعت فى العقد الثامن من القرن الماضي : يوم كان بيرتون منكبا على ترجمة « الف ليلة وليلة » ، وبلنت متحمسا للدفاع عن استقلال مصر ضد الاستعمار البريطاني، ودوتى منقطعا الى وضع كتابه « رحلات فى الصحراء العربية » .

وفى هذه الفترة كان الاستعمار البريطاني قد بلغ أوجه .

★ ★ ★

وقد نشأ هؤلاء الرحالة وهم يستنشقون ، منذ ان خطوا نحو الشباب ، اهتمام بلادهم بالوطن العربي ، حيث جندت البعوث لاكتشافه ، وشجعت العلماء على دراسة تراثه . وكل هذا من اجل فهم النفسية العربية فهما يمكنها من بسط نفوذها عليه .

ومن اشهر الرحالة الذين ارتبطت اسماؤهم بالشرق العربي ، عدا هؤلاء الثلاثة ، لورنس ، وجيرترود بيل ، ثم ويلفريد تاسيجر الذى ما

(1) Charles Montagu Doughty, Travels in Arabia Deserta .
(2) Richard Burton; Wilfrid Scawen Blunt .

زال حيا وفتيا ، ونشر قبل نحو سنتين كتابا عن منطقة الاهوار فى العراق ، وكان قبل ذلك قد قطع الربع الخالى وسجل ذلك فى كتابه المشهور « الصحراء العربية Arabian Sands » .

وقد سبق أن تناولنا ، فى هذا الباب من « العربى » ، هؤلاء جميعا ، وبيّنا ادوارهم التى قاموا بها فى بلادنا ، عدا دوتي الذى سنقف عند كتابه هنا .

★ ★ ★

ودوتى الانسان قوى الارادة ، عنيد ، عزوف عن المجتمع . وهو فى صفاته هذه يذكرنا بالشاعر الانجليزى ملتون . ويكفى لتصور مدى انقطاعه عن المجتمع انه لم يكن حتى عام ١٩١٢ قد سمع باسم الكاتب القصصى المشهور توماس هاردى ، وحتى عام ١٩٢٢ لم يكن يعلم بوجود كاتب اسمه تشسترتون .

وكان دوتى لا يعرف المجاملات فى حياته ، يقول ما يعتقد به دون مواربة او التواء ، ولا يحفل برأى الناس ، أو نقدهم : فعندما كان يجوب الجزيرة العربية أصر على أن يعرف البدو انه نصرانى ، وعندما عاد منها كان ذلك فى شهر ديسمبر (كانون الاول) البارد ، فكان يسير فى بلدته سفولك بملابسه القطنية البيضاء المصنوعة فى الشرق ، متمنطقا بحزام أخضر ، ولابسا صندلا دون جوارب ، ورافعا فوق رأسه مظلة خضراء اللون .

ودوتى الرحالة يختلف عن بلنت وبيرتون : فهو لم يكن ثريا مثل بلنت ، ولم تسهر على رحلاته الجمعيات ولم تتعهده الحكومات مثل بيرتون . لقد قام برحلته وهو لا يملك سوى بضع ليرات ذهبية ، وصندوق من الدواء ، معتمدا فى كثير من الأحيان على ضيافة العرب له .

★ ★ ★

وهو فى رأى « دائرة المعارف البريطانية » أشهر من جاب أنحاء الجزيرة العربية .

وهو فى رأى « بلنت » أعمق المستعربين الانجليز فهما للعرب : فقد جاب بنفسه بعض المناطق التى وصفها دوتى فى كتابه « الصحراء العربية »، وخاصة منطقة نجد ، واستيقن من دقة ما جاء



فيه . وهذا الكتاب ، فى رأيه ، هو « خير ما كتب عن الجزيرة العربية .. فهو عميق ودقيق ، وعيبه الوحيد انه لم ير غير الجانب السيىء فى العرب،وعمى عن محاسنهم ».ولم تخبُ حماسته له الى آخر حياته ، فبقى يرى فيه خير كتاب صدر باللغة الانجليزية فى القرن التاسع عشر ، وان كان يرى فى الوقت نفسه أن شعر دوتى هو أسوأ شعر قرأه .

اما عند بيرتون فهو غير هذا : فعندما صدر كتاب « الصحراء العربية » سنة ١٨٨٨ كتب مقالا تناول فيه ما فى الكتاب من أخطاء متعلقة بالثقافة العربية ولغتها ، وبيرتون فيهما متضلع عميق . وعندما أخبره دوتى انه لم يطلع على ما كتبه قال له : « كنت أتمنى لو قرأت ما كتبته ، لخيرك لا لخيرى ، لانى كنت أريد لك أن تتجنب الوقوع ثانية فى ما وقعت فيه من أخطاء فاحشة » .

هذا بعض ما قيل فيه ، وهو يصور الغلو فى المدح والقدح ، ولعل المرء بعد أن يقرأ «الصحراء العربية » يخرج برأى هو مزيج منها جميعا .

★ ★ ★

فى التاسع عشر من أغسطس (آب) ١٨٤٣ ، وفى بلدة سفولك ، ولد دوتى من عائلة ارستقراطية انجبت ستة من أمراء البحر ، وثلاثة جنرالات ، وأسقفا ، وقاضيا ، وحاكما لاحدى المستعمرات ،



وكبر دوتي وهو يحلم بان يصبح ضابطاً في البحرية، وكاد حلم صباه يتحقق سنة ١٨٦٢ لولا انه رسب في الفحص الطبي ، بسبب اعتلال صحته اعتلالا لازمه منذ مولده . وتغلب على هذه الصدمة النفسية وقرر أن يكرس جهده لخدمة بلاده في مجال آخر ، فبدأ بدراسة الجيولوجيا . وبين ١٨٦٥ و١٨٧٠ درس في جامعة لندن وكيمبردج الأدب الانجليزي القديم . وفي هذه الفترة تعرضت عائلته لأزمة مالية أتت على كل ما تملك .

ومن سنة ١٨٧٠ الى أن بدأ برحلته في البلاد العربية ، قام بجولات في أماكن عدة : فزار هولندة ، وبلجيكا ، وفرنسا ، والرفييرا الايطالية، وأقام زمنا في فلورنسا ، وجاب أنحاء صقلية . وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٧٢ زار الجزائر ، فكان هذا أول اتصال له بالمسلمين . وطاف باسبانيا ، ولم يعجبه فيها سوى برشلونة « المكان البهيج الوحيد في اسبانيا » ، وقضى نحو سنة في اليونان .

★ ★ ★

وبعد انقضاء شتاء ١٨٧٣ - ١٨٧٤ أدار دوتي ظهره للغرب ، وقصد الشرق العربي ، فجاب ارجاء سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، ومصر ، وأمضى ثلاثة شهور من عام ١٨٧٥ في شبه جزيرة سيناء . ومن هنا كتب الى صديق له يقول :

« ليس لي من غاية بعد هذا سوى أن أرى البتراء .. » .

وتوقف وهو في طريقه الى البتراء عند عين موسى، ونام مع البدو الذين توقفوا عندها ليستقوا ويستريحوا . وفي الليل استمع اليهم يتحدثون عن مكان يقع على طريق الحج الى مكة يسمى مدائن صالح ، فيه نقوش كثيرة ، وأضرحة من الصخر . وفي البتراء سمع البدو أيضا يتحدثون عن هذا المكان ، فأثار حديثهم اهتمامه ، وقرر أن يزوره، وينقل لعلماء أوروبا ما فيه من نقوش .

ومن هنا تبدأ قصة « الصحراء العربية » .

★ ★ ★

تسمى دوتي باسم خليل ، وانضم الى قافلة من الحجاج . وعند مدائن صالح انفرط عنها على أن يرافقها عند عودتها الى دمشق . وأقبل على النقوش النبطية ينسخها ويدرسها ، فما أن فرغ منها حتى استهوته المنطقة . وتعرف بأحد الحجاج العائدين ، ووثق به فسلمه نسخة من النقوش طلب منه أن يسلمها بدوره للقنصل الانجليزي في دمشق ليحتفظ له بها الى حين عودته، فان لم يعد أرسلها الى الجمعية الجغرافية الملكية.

وبدأ رحلته في الشمال الغربي من الجزيرة العربية : يعيش مع البدو ، ويؤاكلهم ، ويتعرض

للمخاطر ، فزار خيبر ، وتيماء ، وحائل ، وبريدة ، وعنيزة ، والطائف ، وجدة . وقد قضى في رحلته هذه واحدا وعشرين شهرا . ومن جدة ابحر الى بومبى ، ومن هناك عاد بحرا الى انجلترة .

وفي العاشر من نوفمبر (تشرين الثاني)١٨٧٦ كان دوتي في دمشق ليقوم برحلته الثانية الى الجزيرة العربية ، فوصل بومبى في اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٧٨ ومنها عاد الى انجلترة .

ولم يكن من اليسير على دوتي أن ينشر ما وصل اليه من كشوف ومعلومات ، ولكن كان لا بد من نشرها لتسجيل سبقه الى كشفها . وقد اعانه في هذا بروفسور سبرنجر Sprenger فظهرت مقالاته في المجلة الالمانية Globus بين عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ . وكان دوتي يعلم أن « بلنت » وزوجته قد وصلا الى حائل بعد مغادرته للجزيرة العربية بستة اشهر ، كما أخبره سبرنجر أن بيرتون كان يعتزم السفر الى مدائن صالح . ولهذا كان لا بد من نشر هذه النقوش ايضا ، وقد ساعده على نشرها ارنست رينان ، فظهرت سنة ١٨٨٤ في مجلد مستقل فيسلسلة كتب عن النقوش السامية ، تصدرها « اكاديمية باريس للنقوش » .

ورأى بعد نشرها أن يقدم « الاصول هدية للمتحف البريطاني ، ولكن رئيس المتحف رفضها بازدراء » ، كما جاء في رسالة له الى صديقه هوجارث Hogarth ، مما يدل على أن رئيس المتحف لم يكن قد أدرك بعد قيمتها العلمية .

★ ★ ★

وفي الوقت نفسه كان دوتي مكبا على وضع كتابه « الصحراء العربية » الذى استغرق منه جهد عشر سنوات ، سجل فيه ما رأى بعينيه ، وسمع باذنيه ، ووعى بعقله وقلبه وخياله . وبعد أن فرغ منه لقى صعوبة كبيرة في نشره . واخيرا وافقت على ذلك مطبعة جامعةكيمبردج سنة ١٨٨٨ ، فظهر في مجلدين ضخمين .

وقد تكبدت هذه المطبعة خسائر فادحة لقلة الاقبال عليه. ولم يكن موضوع الكتاب هو السبب في عزوف القراء عنه ، بل طريقة عرض الكاتب لموضوعه :

فالاسلوب قديم نهج فيه الكاتب نهج تشوسر وسبنسر ، مع الاكثار من الكلمات العربية . انه اسلوب صعب ، عبارته بعيدة عن ذوق العصر ، وبعض الفقرات لا تفهم الا بصعوبة ، واحيانا يعسر فهمها . وقد قصد دوتي قصدا الىهذا الأسلوب: فاحدى غاياته منتأليفه كتابه ، كما قال هو نفسه، العودة باللغة الانجليزية الى رونقها وجمالها القديم .

ومن اسباب العزوف عنه ايضا أن فيه حشدا من التفاصيل الدقيقة التي لا تهم القارىء . واذا كان هوميروس في « الالياذة » قد أرهق قراءه بما ساق لهم من اسماء السفن ، فان دوتي قد فعل مثل هذا واكثر .

★ ★ ★

ويرى تي. اى. لورنس أن كتاب « الصحراء العربية » هو أول كتاب عن العرب في صحرائهم لا يستغنى عنه أى مستعرب » . والذى لا نشكفيه هو أن دوتي حاول أن يسجل تجاربه بدقة ، ويبلغ من دقة تصويره لحياة الصحراء أحيانا أن تفوح من كتابه رائحة لبن النياق ، والسمن ، والجمال . ويتمتع دوتي بقدرة فائقة على تصوير الجو ،حتى لنحس أننا نشاركهالسير فيالصحراء، ونعطش مثله ، ونتعب ، ونخاف ، وتشوينا حرارة الشمس اللاهبة . وفي الوقت نفسه يعيش في خيالنا منظر الصحراء المترامية وقت الغروب، ونشاط القوم في ضرب الخيام في المساء . ونغذ السير معه فاذا بدت واحة من بعيد ، بعد طول الشقاء والعناء ، ملأت النفس سعادة غامرة .

وفي الكتاب نلتقي بشخصيات تظل حية في خيالنا ، بل أكثر حياة من كثيرين من الاحياء الذين نلتقي بهم . ومع هذا كله فان الكاتب يبلغ الذروة عند وصفه للصحراء .

والكتاب ، وان كان لا يتناول سوى جزء صغير من الجزيرة العربية ، الا انه حافل بالمعلومات القيمة عن سكان المنطقة ، وجغرافيتها،ومزروعاتها وحيواناتها ، وطيورها .

★ ★ ★

واذا كان الرحالة الانجليز من أمثال بيرتون ، وبلنت ، ولورنس ، قد اقبلوا على الصحراء العربية برومانسية وتوق الى المغامرة ، فان دوتي يختلف عنهم في أنه اقبل عليها بروح واقعية تبحث عن ماضيها ، ولم ير فيها جنة الأحلام ، بل أرض الماضي الدفين التي تنتظر من يكشف عن أسرارها . وهذه الروح العلمية واضحة في الكتاب

فى التفاصيل الدقيقة ، والوقوف عند الآثار القديمة : انها روح عالم الآثار . وقد ذكر هو نفسه أن من اسباب رحلته الى الجزيرة العربية رغبته فى الكشف عن الآثار ، وجمع المعلومات الجغرافية .

ويبدو دوتى فى كتابه متناقضا مع نفسه : فهو حينا يبدو صبورا ، عطوفا ، كريما ، وفى بعض اجزاء الكتاب احساس باخوة الانسان ، وبالرابطة التى تجمع بين البشر جميعا . وقد نمى هذا الاحساس عنده ما لمسه عند البدو من انسانية : فكان اذا دخل مضاربهم قابله الاطفال صائحين : « النصرانى ، النصرانى »، فيهب الكبار لاسكاتهم، ويرحبون به بينهم ، ويقولون له مواسين : « كل واحد على دينه ربنا يعينه » .

واكثر ما اعجبه من البدو ايمانهم العميق بالله وبعدله ، مما جعل الانتحار معدوما بينهم ، ومثل هذا الايمان يفتقر اليه الاوروبيون ، لهذا كان الانتحار شائعا عندهم . كما اعجبه اكرامهم للضيف ، دون انتظار مقابل على ذلك : فهو يذكر انه حل فى ضيافة بدوى زمنا ، وعندما عزم على الرحيل قدم اليه بعض ما يحمل معه ، فرفض البدوى ذلك بإباء وتصميم ، لانه ربأ بنفسه أن يأخذ ثمنا على ضيافته. وفى رأى دوتى أن البدوى « ذكى ، ولا ينقصه سوى الظروف الملائمة » .

هذا جانب منه .

ومن ناحية أخرى ، فهو يبدو احيانا حادا ، عنيفا ، ناكرا لجميل الذين أكرموه ، وحموه ، حتى ليقول انه لم يحس بالسعادة يوما واحدا فى جزيرة العرب . ونحن لا نحمل قوله هذا على معناه الحرفى ، فالمرء فى ساعة الشقاء قد يقول اى شيء . وفى الكتاب روح بروتستانتية متعصبة تجعله يعمى عن ادراك ما فى غيرها من ميزات ، وتدفعه الى أن يقول اشياء لا ترضى . وهذا ما جعل بيرتون يقول عنه : « انه ضيق الافق ، محدود المفاهيم ، ولهذا لم يستطع أن يفهم البدو على حقيقتهم ، وأن يندمج معهم » .

★ ★ ★

وكان لهذا الكتاب دور فى ميدان السياسة فيما بعد : فلورنس يذكر فى مقدمته لطبعة متأخرة منه ، انه « أصبح بعد نشره كتابا مفروضة قراءته على الضباط فى منطقة الشرق الاوسط ، وساهم مساهمة كبرى فى قيادة جيشنا الى النصر » فى معركة الشرق العربى فى الحرب العالمية الأولى .

★ ★ ★

و «الصحراء العربية» هو الأثر النثرى الوحيد لدوتى ، عدا مقالاته ، فكتبه الأخرى كلها دواوين شعر كرس لها آخر خمس وثلاثين سنة من حياته. ومن دواوينه Under Arms الذى ظهر سنة ١٩٠٠ ، وفيه ثمانون مقطوعة شعرية تسجل حرب البوير . وفى سنة ١٩٠٦ ظهر فى جزاين ديوان The Dawn in Britain ، يقص فيه تاريخ خمسمائة سنة من عمر الجزر البريطانية ، ابتداء من دخول المسيحية اليها . وفى سنة ١٩٠٨ ظهر ديوان « سقوط آدم » . فى خمسة اناشيد ، وهو مستوحى من اسطورة تقول ان آدم وحواء ، بعد طردهما من الجنة ، التقيا بعد طول تطواف عند جبل عرفات .

ودوتى فى شعره شديد العصبية لقومه ، مؤمن بوطنه ، يستثير الماضى ليبعث الهمم ، ويستنطق الحاضر لينبه الى الاخطار . ومن هذا الحاضر استوحى ديوانيه The Clouds, The Cliffs (١٩١٢) ، وفيهما ينبه قومه الى مخاطر الغزو الخارجى .

وصدر له عام ١٩١٦ The Titans ، وعام ١٩١٨ Mansoul or the Riddle of the world وهو تأمل فى معنى الحياة .

ويبدو ان هذا الديوان الأخير كان احبها جميعا اليه ، كتب الى لورنس سنة ١٩٢٢ يقول : « ان هذا الديوان لا نظير له بين دواوين الشعراء، ولم استوحه الا من الطبيعة ، ولهذا فانا اعهد به للاجيال القادمة لتقدره ، وتعرف قيمته » . كما كتب الى ادورد جارنت .

« ليس فى هذا الديوان شيء مما فى الكتب ، سوى بيت شعر واحد من سبنسر . انه حصيلة جهد تسعة اعوام ، وهو عندى خير ما كتبت » .

★ ★ ★

ولكن دوتى الشاعر لم يجد عند احد قبولا ، وبقى معروفا بانه مؤلف « الصحراء العربية » . وكانت وفاته فى العشرين من يناير (كانون الثانى) ١٩٢٦ . وخير كتاب صدر عنه هو « حياة تشارلز م. دوتى » بقلم صديقه هوجارث . ■■

محمود السمره



من الكتب التى وصلتنا

أبحاث وأحاديث فى الفقه والقانون

للدكتور عبد الرحمن البزاز ـ الناشر مطبعة العانى ببغداد ـ الثمن ربع دينار عراقى

● فى هذا الكتاب جمع الدكتور المؤلف مجموعة مقالاته واحاديثه القيمة التى كتبها والقاها فى مجال القانون والفقه . وهو عمل على جانب عظيم من العمق اذ فيه الكثير مما يحتاجه القارىء والباحث عن هذه العلوم .

تاريخ الوجودية فى الفكر البشرى

تأليف : محمد سعيد عشماوى ـ الناشر الدار القومية بالقاهرة الثمن ١٧ قرشا

● فى هذا الكتاب بحث فى أصل الوجودية مبنى ومعنى وفيه استقصاء لمفهوم الوجودية التى يقول المؤلف انها قديمة قدم الانسان وانها تواكب نصرة الفكر الواقعى ، وتأخذ بيد الفرد الحائر الى حيث يجد نفسه ويلتقى بذاته .

المخدرات

تأليف : العقيد ابراهيم غازى ـ الناشر : مطبعة دار الحياة بدمشق

● فى هذا الكتاب يعرض المؤلف انواع المخدرات واوصافها ، واحصاءات عنها ، محلية ودولية ، ثم يتعرض لتاريخها وتجارتها السرية ، وينتقل الى ادمانها وتاثيراتها العقلية واضرارها الصحية والاجتماعية ، واخيرا يذكر القوانين التى سُنت لمكافحتها دوليا ومحليا .

الرمال الذهبية

تأليف : عبد الله سالم باوزير الناشر : مكتبة الصبان ـ عدن

● مجموعة قصصية تتضمن صورا من المجتمع فى عدن وحضرموت .

اسرار النجاح فى الحياة

تأليف محمد وفا ضامة جى ـ الناشر : المطبعة العصرية بحلب سوريا

● هذا الكتاب يرشد القارىء الى الوسائل لتحقيق الشخصية المتزنة الناجحة الصحية نفسيا ويطوف به فى مجالات ودراسات متعددة كعلم النفس وعلم الاجتماع . وقد كتب باسلوب سهل ممتع جذاب .

العراق فى الشعر العربى والمهجرى

للدكتور محسن جمال الدين ـ الناشر : مطبعة الارشاد ببغداد الثمن دينار عراقى

● فى هذا الكتاب يجمع المؤلف بين الشعر العربى والشعر المهجرى ويقدم بعض شعراء كل من العصرين وموجزا لتاريخ حياته واعماله .

الرمال والعيون

تأليف عصام عيران ـ مطبعة قلفاط : بيروت

مؤلف هذه المجموعة زميل من ابناء لبنان يعمل بوزارة الارشاد والانباء بدولة الكويت . وقد ضمنها ١٢ قصة ، ما بين مؤلفة ومترجمة ، بالاضافة الى بعض الخواطر والسوانح الفكرية ، دون أن يلتزم فى كل ما كتب خطا معينا من خطوط الفن القصصى ، او يتقيد بمذهب أدبى محدد ، وهذا بطبيعة الحال لا ينقص من قيمتها الادبية ، بل يحمل على اعتبارها باكورة طيبة ، وبداية مشجعة ، يرجى أن يعقبها انتاج جديد ، يعد بعطاء امثل .

ستة عشر عاما واكثر

تأليف : نزار مؤيد العظم ـ الناشر : مطبعة الايام بدمشق ـ الثمن ٢٠٠ قرش سورى

● هذه مجموعة من القصص الواقعية تمثل كل منها مشكلة من مشاكل الحياة وقد عولجت باسلوب شيق جميل .

■■

في السنة الأولى بكلية الآداب بجامعة عين شمس..

وتبين لنا انها متزوجة .. وليس في ذلك شيء جديد او غريب ، فهناك مئات بل آلاف من طالبات الجامعات ، كن يدرسن وهن متزوجات ..

وتبين ايضا انها ام .. وليس في ذلك ايضا شيء جديد أو غريب .

ولكنني لم البث أن تملكني الاعجاب بها عندما عرفت انها ايطالية الاصل ، تحمل الجنسية المصرية ، جنسية زوجها ، وانها آثرت أن تلتحق بكلية الآداب لتجيد اللغة العربية التي تتكلمها بصعوبة ! .

ثم .. ثم لم أملك الا أن ينقلب اعجابي بها الى اقصى درجات التقدير والاجلال ، عندما عرفت أن ابنها الأكبر في الثامنة عشرة من عمره ، أي في السن التي تكون فيها عادة طالبة السنة الأولى بالكليات الجامعية !!

سيدة .. ايطالية .. متزوجة .. وأم لاثنين .. اكبرهما في الثامنة عشرة .. اي ان سنها هي تتراوح بين الخامسة والثلاثين وبين الاربعين..ومع ذلك لم تجد غضاضة في أن تلتحق بكلية الآداب .. في السنة الأولى .. اي في نفس المستوى الذي يمكن ان يكون فيه ابنها او ابنتها !!

لم يمنعها الزواج ، ولم تمنعها الامومة ، ولم يمنعها جهلها باللغة العربية ، واخيرا لم يمنعها كبر السن ، عن ان تبدأ مرحلة في الدراسة ، ربما – كما قلت – كانت هي المرحلة التي بدأها ابنها أو بنتها .. !

اليست هذه السيدة جديرة بالتقدير والاجلال ؟

ثم يسألها المذيع اثناء الحديث : ما الذي حفزها على أن تستأنف الدراسة بعد هذه السن ؟ فتقول : كي اضرب المثل – Example كما قالت – لكل سيدة أو آنسة على ان الرغبة في التعليم لا يقف في وجهها شيء ، وان على بنات حواء الا يقعدهن الزواج أو الامومة عن الاستزادة من العلم والثقافة، كلما وجدن الى ذلك سبيلا ..

اقرئي قصة هذه السيدة من جديد ، رغم انى اعترف بانى قد شوهتها باختصارى لها ، ثم قولى لنفسك ، ولكل من هن في ظروفك ، أن العلم لا يعترضه الزواج ولا الأمومة ولا كبر السن .. بل ان وقته ممتد دائما ، من المهد الى اللحد ، وانه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة !

أأنت تخشى مزاحمتها لك في العمل أم تشفق من غسل الحلل وتقشير البصل ؟

● قرأت تعليقكم اللاذع في عدد يوليو سنة ١٩٦٦ تحت عنوان « كرامة بعض الازواج : متى تستيقظ .. ومتى تغط في نوم عميق » ! ومع انني اتفق واياكم في كثير مما جاء فيه ، بالنسبة لصاحب الرسالة وامثاله الذين يحاولون استغلال زوجاتهم والحصول على رواتبهن ، أو على الاقل مساهمتهن في نفقات الحياة ، كما أؤيدكم في أن قاموس الحياة الزوجية السعيدة لا يعترف باعتبارات «الكرامة» بين الزوجين الا في حدود معينة ، ليس بينها معاونة الزوج زوجته في شؤون المنزل اذا ما مرضت او كان لديه من الفراغ ما يسمح بذلك ، الا انني اعترف لكم ، وبكل صراحة وشجاعة ، انني ضد مبدأ اشتغال المرأة المتزوجة ، على طول الخط ! وبالتالي ضد مبدأ طلبها من زوجها أن يساعدها على غسل الصحون ومسح البلاط وتربية الاطفال، لأنها تقضي معظم وقتها ، هي الاخرى ، في عملها بالخارج ...

أنا لا أستطيع أن أتصور نفسي مشمرا عن ساعدي، أو عن ساقي، ، جالسا القرفصاء ، أمسح البلاط ، أو أقشر البصل وادق الثوم و « اقرطف » الملوخية ، أو واقفا امام حوض الغسيل أغسل الحلل والملاعق والصحون .. لأن زوجتي ، حفظها الله ، موظفة ، لا يتسع وقتها للقيام بشؤون المنزل !

لقد اقتضت سنة الله في خلقه أن تقوم المرأة بتوفير الراحة والطمأنينة لزوجها ، وتدبير شؤون بيتها وأسرتها ، وتربية أولادها ، فقال تعالى في كتابه العزيز : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها » ، ولم يقل جل شأنه : خلق لكم من أنفسكم ازواجا يسعين معكم في طلب الرزق ، وبالتالي ليزاحمنكم في الوظائف والاعمال الحكومية وغير الحكومية !

ولقد طالما قرأنا في معرض تأييد حق المرأة في

العمل أن المرأة في الاسلام كانت تعمل مع الرجل جنبا الى جنب .. تغزل الصوف ، وتحتطب ، وتحلب الاغنام ، وتشترك في كثير من أعمال الرجال . ولكن يجب الا ننسى أنها كانت تفعل ذلك في أوقات فراغها ، وبعد انتهائها من واجباتها الاسلامية وهي رعاية البيت والاسرة .. ولم نسمع أن المرأة في الاسلام أهملت وظيفتها كما تفعل هذه الايام لتقوم بالسعي على الرزق ، أو بعبارة أخرى ، لمنافسة الرجل ومزاحمته في مجال غير المجال الطبيعي الذي خلقت من أجله ...

وليس معنى ذلك انني أعارض في أن تمارس المرأة – قبل الزواج لا اثناءه – بعض الاعمال التي تلائم طبيعتها ، مثل : التمريض والتدريس والسكرتارية وما اليها ، فاذا ما تزوجت فقد وجب عليها أن تتفرغ لشؤون بيتها وتربية أطفالها ، ولما بقي بعد ذلك أوقات الفراغ ...

أما اذا أصرت على أن لها حق العمل كالرجل سواء بسواء ، ثم تعرضت حياتها بعد ذلك للاضطراب وعدم الاستقرار ، ثم للطلاق ، فعندئذ لا تلومن الا نفسها .. وعلى الازواج أن يفهموا ذلك جيدا ، قبل أن يقدموا على الزواج بموظفات !

الاسكندرية : عبد الحميد شريف

– « صح النوم » يا سيد عبد الحميد !

اتراك قد نسيت اننا الآن في عام ١٩٦٦ ؟

أنسيت أننا في عصر الذرة ، والصواريخ ، والاقمار الصناعية ، وسفن الفضاء التي تستطيع الوصول الى القمر ، والمريخ ؟!

وتتحدث عن المرأة في صدر الاسلام .. وتنسى أن رسول الله (ص) كان يساعد ازواجه في واجباتهن المنزلية : كان يحلب شاءه ، ويرفو ثيابه ، ويرقع نعليه ، بل كان يكنس بيته بنفسه ، ويعقل ناقته ويعنى بها بنفسه ، وقد جاء في الأثر : « خيرُكم خيرُكم لأهله ، وانا خيرُكم لاهلي . ما أكرمَ النساءَ الا كريم ، ولا أهانهن الا لئيم ».

ثم من قال لك ان المرأة لا تصلح الا للتدريس او التمريض ، وهي قد أثبتت في هذا العصر أنها – في كثير من المجالات – لا تقل عن الرجل كفاءة وقدرة واتقانا ، ان لم تفقه في بعض الاحيان ...

لقد عرف العالم في العصر الحاضر الافا والافا من أمهر الطبيبات ، والمهندسات ، والعالمات ، والقاضيات والمحاميات ، والمديرات ، في الحكومة أو في الشركات، فضلا عن عشرات الآلاف بل مئاتها من العاملات المجدات اللواتي أثبتن أن الايدي الناعمة تعرف كيف تدير أكبر الآلات الميكانيكية والكهربائية ، بنفس البراعة التي تهز بها مهد الطفل وهي تغني له حتى ينام !

ولا أحب أن أذكر لك أسماء من خلد التاريخ أسماءهن من المخترعات او الوزيرات ورئيسات الوزارات ...

فهل منع اشتغالُ هذه الآلاف المؤلفة من السيدات بممارسة ما أسند اليهن من جليل الاعمال من أن يكن زوجات صالحات وربات بيوت مثاليات ؟! طبعا لا .. بل كن سعيدات في حياتهن الزوجية ، وموفقات في حياتهن العملية على السواء ..

اما القول بأن المرأة انما خلقت لتكون زوجة وأما فحسب ، فتلك خرافة قديمة قد اثبتت التجارب فسادها. وأما انك لا تستطيع أن تتصور نفسك مشمرا عن ساعديك أو ساقيك لتغسل الصحون أو تمسح البلاط لأن زوجتك موظفة ، فمغالطة عجيبة ! فليس كل المتزوجين بموظفات يغسلون الصحون ويمسحون البلاط .. بل ليست كل زوجة ، غير موظفة ، تغسل الصحون وتمسح البلاط !

وعلى اى حال فمن الذي يرغمك على أن تتزوج بموظفة ؟

وعلى اى حال ايضا فليس قيام الزوج بمساعدة زوجته في بعض شؤون المنزل عارا ولا عيبا ، سواء أكانت هذه الزوجة موظفة أو غير موظفة ..

انما العار والعيب الذي اخذناه على صاحب الرسالة التي علقنا عليها في العدد الماضي ، فهو أن يمد الزوج يده الى مرتب زوجته الموظفة ، ثم يشكو من أنها تطالبه بغسل الصحون او مسح البلاط ، ما دامت هي تعمل ، وهو يقبض مرتبها كله او بعضه ، ثم يبخل بأن يستخدم من يقوم عنها بشؤون البيت ...

تلك هي القضية يا سيد عبد الحميد ... ■■

الحانوتى



للقصاص الروسى الكسندر پوشكين (١٧٩٩ – ١٨٣٧ م)

إنّ آخر أمتعة وحاجيات الحانوتي ، ادريان بروخوروف ، قد حُملت على عربة الموتى ، فانطلق الجوادان النحيلان يَتخبان للمرة الرابعة ، من شارع باسمانايا ، الى شارع نيكيتسكايا ، حيث انتقل الحانوتى بعائلته . وأغلق الحانوتى الدكان والصق اعلانا على مدخلها ينوه فيه بانها للايجار او البيع ، وامتطى قدميه الى مسكنه الجديد .

وما أن اقترب الحانوتى الشيخ من الجدران الصفر لتلك الدار الجديدة التى ظلت تستهوى قلبه فترة طويلة ، والتى اشتراها مؤخرا بمبلغ جسيم ، حتى اكتشف أنه لم يطرب لرؤيتها . وأثار هذا فى نفسه عجبا عظيما .

واجتاز العتبة غير المألوفة الى داخل هذا البناء الجديد ، وكان الأثاث لا يبرح مبعثرا متناثرا هنا وهناك ، فاطلق تنهيدة حرّى متحسرا على

عشه القديم الذى قضى فيه قرابة ثمانية عشر عاما فى نظام صارم . وراح يعنف فتاتيه والخادمة على ابطائهن فى تنظيم البيت ، ثم ما عتم ان شرع يساعدهن بنفسه .

وما أسرع أن ساد النظام. فوضع الايقونسطاس، والتحف الصينية ، والمائدة ، والسرير فى أماكنها المختارة من الغرفة الخلفية . اما حاجيات سيد الدار - من توابيت من مختلف الألوان والقياسات، وخزائن تعج بشارات الحداد من معاطف واوشحة - فقد وضعت فى المطبخ وحجرة الجلوس .

وعلقت على البوابة لوحة تمثل كيوبيدا ، فارع القامة ، يحمل مشعلا منكسا فى يده ، وتحته خطت هذه الكلمات :

نعوش عادية ، وملونة ، ومبطنة ، للبيع والايجار ، تصليح النعوش القديمة

وأوت ابنتاه الى مخدعهما ، فراح أدريان يتفقد منزله الجديد ، ثم جلس الى النافذة وامر بتهيئة السماور .

ان القارىء المطلع قد يعرف ان شكسبير ، والسير ولترسكوت ، جعلا حفارى القبور فى مؤلفاتهما من اهل المجون والمرح ، على امل ان يتركا أعمق الأثر فى عقولنا بفضل ما فى ذلك من تناقض . ولكن احترامنا للحقيقة ، يمنعنا من أن نحذو حذوهما ، ونحن مضطرون للاعتراف بأن مزاج حانوتينا كان على تمام الائتلاف مع تجارته الحزينة الأسيفة . لقد كان أدريان بروخوروف شخصا واجما مطرقا مكتئب الطلعة . وهو يفتح فمه الصموت فى حالات نادرة جدا ، فذلك حين يوبخ ابنتيه اذ يراهما تطلان فى كثير من الكسل والفتور على السابلة من خلال النافذة ، أو حين يطلب أبهظ الأثمان لبضاعته من أولئك الذين يحوجهم سوء الحظ (وأحيانا حسن الحظ) الى مشتراها .

وهكذا جلس ادريان الى النافذة ، وغرق فى لجة من الافكار المكتئبة كعادته أبدا . لقد كان يفكر فى ذلك المطر الهائل الذى انهمر منذ اسبوعين فوق جنازة الضابط المتقاعد ، بينا هم يجتازون به بوابة المقبرة ، لقد تبللت من جراء ذلك بعض العباءات والمعاطف فتقلصت ، وامحت الوان بعض القبعات . وتنبأ لنفسه بتكاليف باهظة ، اذ أن البسة الحداد القديمة التى يملكها امست فى حال يرثى لها . وكان يؤمل أن يعوض هذه الخسارة من جنازة العجوز تروخينا ، أرملة التاجر ، تلك التى ظلت طوال عام كامل على شفا الموت وحافة القبر. غير أن السيدة تروخينا تعانى سكرات الموت فى راز جولى ، وكان بروخوروف يخشى أن يلجأ ورثتها ، رغما عن وعدهم اياه ، الى حانوتى قريب منهم بدلا من طلبه من قريته هو البعيدة .

وتبعثرت هذه الهواجس من رأسه فجأة عند سماعه ثلاث قرعات على الباب الخارجى . فصاح الحانوتى :

- من الطارق ؟

وفتح الباب ، ودخل الغرفة رجل عرف فى الحال انه صانع ألمانى . وخطا الصانع مقتربا من الحانوتى طلق الأسارير .

وراح يقول ، وهو يتحدث بلهجة روسية محطمة ، بذلك الأسلوب الذى ما برحنا لا نسمعه حتى ننفجر من الضحك :

- معذرة ، أيها الجار الكريم ، معذرة اذا اقلقت راحتك ، ولكنى اردت التعرف اليك فى اقرب فرصة ممكنة . انى صانع احذية ، وأدعى جوتليب شولتز ، وانا اعيش عبر الشارع فى ذلك المنزل الصغير الذى تستطيع رؤيته من نافذتك . وسوف اقيم وليمة احتفالا بذكرى زواجى الفضى غدا ، وقد جئت ادعوك وابنتيك الى الغداء كاصدقاء أحباء .

وقبل الحانوتى الدعوة بمنتهى السرور والامتنان .

وسأل الحانوتى الحذاء أن يجلس ويتناول معه قدحا من الشاى ، وما اسرع أن تجاذبا أطراف الحديث فى اسلوب ودود حقا ، وما ذلك الا نتيجة لمزاج جوتليب شولتز الطيب .

استفسر ادريان :

- كيف حال تجارتك ؟

فاجاب شولتز :

- كاسدة . ان بضاعتنا عرضة للمد والجزر . ولا يحق لى أن اشكو . طبيعى ان بضاعتى ليست مثل بضاعتك . فالأحياء قد يستغنون عن الاحذية ، لكن الميت لا يمكن ان يستغنى عن النعش .

فوافق ادريان بقوله :

- هذا صحيح وربى . ان المرء اذا كان لا يملك مالا لشراء حذائين ، فهو يستطيع أن يسير حافيا ،

مع احترامى لك . لكن الميت الفقير يحصل على نعشه دون مقابل .

ودار الحديث على هذا النمط فترة من الزمن، ثم نهض الحذاء، واستأذن الحانوتى فى الانصراف، مجددًا دعوته فى الوقت نفسه .

وفى اليوم التالى والساعة تعلن الثانية عشرة ظهرا ، خرج الحانوتى وابنتاه من بوابة الدار التى ابتاعوها حديثا ، وانطلقوا لزيارة جارهم . ولن أحاول أن أصف ذلك القفطان الروسى الذى لبسه ادريان بروخوروف ، ولا الزينة الاوروبية لاكولينا وداريا ، منحرفا فى هذا الشأن عن الطريقة التى درج عليها الروائيون المعاصرون . لكنه لن يكون من التافه على أية حال الاشارة الى أن كلتا الابنتين قد لبست قبعة صفراء وحذاء أحمر ، وهما لم تكونا ترتديانهما الا فى المناسبات الخاصة .

كانت غرفة الحذاء الصغيرة مزدحمة بالضيوف، ومعظمهم من الصناع الالمانيين ، مع زوجاتهم وأجرائهم . وكان هنالك موظف روسى واحد ، الشرطى يوركو ، من شوخون ، وكان يتمتع ، بالرغم من رتبته المتواضعة ، بعطف خاص من مضيفه . فلقد ظل طوال خمس وعشرين سنة يقوم برسالته بجد واخلاص، مثله فى ذلك مثل ساعى البريد بوجوريلسكى الشهير .. ان حريق عام ١٨١٢ ، اذ دمر العاصمة القديمة ، كان قد أتى على كشك حراسة هذا الشرطى ، وكان أصفر اللون . ولكن لم يكد الأعداء يُطردون من البلاد، حتى ظهر له مكانه كشك حراسة جديد ، مطلى باللون الرمادى ، ومزيّن" بأعمدة اغـريقية ، فراح يوركو يستأنف رواحه وغدوه أمام هـذا الكشك ، مسلحا بعصاه الغليظة ، ولقد تعرف الى أكثر الالمانيين القاطنين فى الشوارع المحيطة ببوابة نيكيتسكى ، حتى لقد وجد بعضهم أنفسهم يقضون ليالى الأحد فى كشك حراسته .

واسرع أدريان فقدم للشرطى نفسه ، وقد نظر اليه باعتباره شخصا قد يحتاج اليه عاجلا أو آجلا . ولما جلس الضيوف الى المائدة ، جلس الصديقان الجديدان جنبا الى جنب . وكان الهر روفرو شولتز وزوجته وابنتهما لوتشين ، وهى فتاة فى السابعة عشرة من العمر ، يقومون بخدمة الضيوف على المائدة ومساعدة الطاهى فى تبديل الصحون . وتدفقت البيرة بوفرة . وأكل يوركو قدر أربعة أشخاص . ولم يقصّر ادريان عـن ذلك بينا احتفظت ابنتاه بآداب المائدة . وعلا صخب الحديث وحَمِى الحوار ، وكان يجرى باللغة الالمانية. وفجأة استأذن المضيف لحظة من صمت، وفتح زجاجة من الخمرة كانت مسدودة بالقطران، وصاح بالروسية فى صوت عال :

ـ نخب لويزى الطيبة !

وفارت الشمبانيا . وقبّل المضيف وجه شريكة حياته العجوز ، فشرب الضيوف فى صـخب نخب صحة لويز الطيبة .

وأعلن المضيف ، وهو يفض سداد زجاجة أخرى :

ـ نخب صحة ضيوفى الكرام !

فرد الضيوف شاكرين ، وملأوا كؤوسهم من جديد .

وتتالت الأنخاب بسرعة وكثرة ـ شربوا نخب كل واحد من الموجودين على حدة ، ونخب موسكو، وعدة بلدان المانية صغيرة ، ثم جاء دور انخاب كل حرفة ، ونخب كل صانع فيها . وشـرب ادريان دون وعى ، ولعبت برأسه الخمرة تماما ، فاقترح نخبا غريبا حقا. ومن ثم رفع أحد الضيوف، وهو خباز ممشوق العود ، كأسه الى العلاء مقترحا :

ـ نخب أولئك الذين نشتغل من أجلهم .

وشرب الجميع هذا النخب فى سرور وغبطة مثلما شربوا الانخاب الماضـية . وبدا الضيوف ينحنون بعضهم لبعض ـ انحنى الخياط للحذاء ، فانحنى الحذاء للخياط ، وانحنى الخباز لهما ، وانحنت الجماعة كلها للخباز ، وهكذا دواليك .. واستدار يوركو فى قلب هذا المعمان من التحيات الى الحانوتى ، وصاح :

ـ هلم ، يا جار ، واشرب نخب جثثك المقبورة!

فاغرق الجميع فى الضحك ، ما عدا الحانوتى الذى استاء فقطب وجهه واطرق ولم يفطن الى غضبه احد من الحاضرين ، بل ان الضيوف تابعوا نهل الشراب . ولما نهضوا عن المائدة كانت الاجراس ترن معلنة وقت صلاة الغروب .

وتفرق الضيوف فى ساعة متاخرة ، وقد غلبهم السكر. وقاد الخباز والمجلّد ، هذا الذى يبدو وجهه وكأنه قد « من الجلد القرمزى المراكشى »، قادا الشرطى الى كشكه وقد وضع كل منهما

يدا تحت ابطه ، متبعين فى هذه الحالة المثل الروسى القائل ـ ان الدَّين يتوج بالدفع .

وقفل الحانوتى الى بيته غضبان ناقما .

فكر بصوت مرتفع :

ـ عجبا ! هل مهنتى اقل شرفا من المهن الأخرى ؟ فالحانوتى ، اليس هو اخا للجلاد ، الست مصيبا ؟ لماذا جعل اولئك الغرباء يضحكون منى ؟ وهل الحانوتى هزْ ءَاة مُبَرقش الألوان فى نظرهم ؟ لقد كنت اود دعوتهم جميعا الى دارى ! اوه ، كلا ، لن افعل ذلك ! لسوف ادعو اولئك الذين اشتغل لهم ـ جثثى المسيحية المُسجّاة فى قبورها .

وصاحت الخادمة ، وهى تنزع حذائيه من قدميه ، وقد سمعت ما يقول لنفسه :

ـ اوه ، يا سيدى ! فكر فيما تقول ! ارسم اشارة الصليب على صدرك ! أتدعو الأموات الى وليمة ! ذلك فظيع !

وتابع ادريان كلامه قائلا :

لسوف افعل ذلك ، وحق الله ! وليكونن ذلك غدا ، أيضا ! تكرموا على ، يا زبائنى الكرام ، واقبلوا دعوتى للعشاء غدا . لسوف تقاسموننى القليل الذى لدى .

وعلى أثر ذلك استلقى الحانوتى فى فراشه ، وسرعان ما علا شخيره .

كانت العتمة لا تبرح منتشرة فى الخارج حين نهض ادريان . لقد ماتت تريخونا أرملة التاجر ، فى الليل . وقدم رسول من أسرتها على ظهر جواده ينقل الخبر الى ادريان . وكافاه الحانوتى بقطعة من ذات العشرة كوبيكات ثمن كاس من الفودكا ، ولبس ثيابه على عجل ، وامتطى مركبه ، وانطلق الى رازجولى .

كان بعض رجال الشرطة قد اتخذوا مراكزهم عند مداخل بيت المرحومة وعدد غفير من التجار يروحون ويجيئون مثل الغربان استشمت رائحة الجيفة . وكانت الجثة مسجاة على طاولة ، وقد تشمّع محياها ، لكن الملامح لم تشوّه بعدُ بفعل التحلل والتفسخ. وكان الأقارب والجيران والخدم قد أحاطوا بها من كل جانب . وفتحت النوافذ على مصاريعها ، واضيئت الشموع ، وراح الكهنة يتلون صلواتهم من أجل الراحلة .

واسرع ادريان الى ابن أخى المتوفاة ، وهو تاجر شاب يرتدى معطفا عصريا ، واخبر أن النعش ، والشموع ، وبساط الرحمة ، وسائر معدات التشييع الاخرى ستكون جاهزة على الفور وهى على احسن حال . وشكره الوريث دون ان يعيره ادنى اهتمام ، وأعلنه بانه لن يساوم فى التكاليف، ولكنه يعتمد الاعتماد كله على شرف الحانوتى الطيب . واقسم الحانوتى ، كعادته ، انه لن يصرف كوبيكا واحدا أكثر من اللازم ، ثم تبادل نظرة ذات مغزى مع الخادم ، ورجع ادراجه ليعد عدته .

وأمضى ذلك النهار بطوله غاديا رائحا بين رازجولى وبوابة نيكيتسكى . وفى العشية كان كل شىء قد انتهى ، فرجع أدراجه الى البيت راجلا ، بعد أن صرف السائق .

كانت الليلة مقمرة . واقترب الحانوتى من بوابة نيكيتسكى . وبينا هو يجتاز كنيسة الصعود استوقفه صديقنا يوركو ، ولما عرف أنه الحانوتى تمنى له ليلة طيبة . وكان الوقت متأخرا ، والحانوتى يقترب من بيته ، حين خيل اليه فجاة أن شخصا اقترب من البوابة ، وفتحها، ثم اختفى فيها .

وتساءل ادريان :

ـ ما معنى هذا ؟ ومن يحتاجنى الآن ، يا ترى؟ أهو لص جاء يسرق الدار ؟ أم أن بعض الشباب يزورون ابنتى الطائشتين فى الليل ؟

وخطر له أن يدعو صديقه يوركو لمساعدته . وفى تلك اللحظة اقترب شخص آخر من البوابة ، وهمّ بدخولها . ولما أبصر الحانوتى يسرع راكضا تجاه البيت توقف دون حراك ثم رفع له قبعته المتكسرة حوافيها . وصُوّر لادريان أنه يعرف ذلك الوجه ، ولكنه لم يتبينه جيدا من شدة سرعته . لهث قائلا :

ـ أجئت تطلبنى ؟ ادخل من فضلك .

فرد ذلك المجهول بصوت أجوف :

ـ دع الكلفة فيما بيننا ، يا صاح . ادخل أولا، واهد ضيوفك الى الطريق . وكان ادريان فى عجلة من امره بحيث لم يهتم بآداب الزيارة ساعتئذ .

كان مزلاج البوابة مرفوعا . وصعد سلم البيت، يتبعه ذلك الآخر . وبدا لادريان ان ثمة اناسا يجوسون خلال غرفته ، فقال فى نفسه :

ـ ماذا يعنى هذا كله ؟

وأسرع بالدخول ، و ... لقد خارت قــواه واصطكت ركبتاه .

كانت الغرفة تغص بالهياكل العظمية . ومن خلال النافذة كان القمر ينير وجوهها الصــفر والزرق وافواهها المتقلصة ، وعيونها المظلمة نصف المغمضة ، وانوفها البارزة . .

وعرف ادريان ، في هلع ، اناسا كان قد تولى دفنهم ، وعرف في ذلك الذي دخل واياه الى البيت الضابط المتقاعد الذي امطرت السماء يوم دفنه . وكانوا جميعا ، رجالا ونساء ، قد حدقــــوا بالحانوتي ، وراحوا ينحنون له ويحيونه ، ما عدا رجلا فقيرا كان دفن مجانا منذ مدة قريبة لم يقترب منه ، بل وقف في مذلة في زاوية من الغرفة وكأنه خجلان من اطماره البالية . وكان الجميع في أبهى حــلل ، فالنساء يلبسن قبعــات ذات شرُط ، والضباط في ملابسهم الرسمية ، لكن دون أن يحلقوا ذقونهم ، والتجار في أفخر ثيابهم.

قال الضابط المتقاعد :

ــ أنت ترى ، يا بروخوروف ، أننا نهضــنا جميعا تلبية لدعوتك . ولم يتخلف منا غير اولئك العاجزين الذين نخرهم الفساد والبلى ، واولئك الذين لم يبق منهم غير العظم وحده . بل لقد كان ثمة واحد من هؤلاء لم يطق صبرا ، وكان يحن الى زيارتك . .

وفي تلك اللحظة تقدم هيكل صغير وشق طريقه خلال الحشد ، واقترب من ادريان . وراح محياه العاري من اللحم يرنو الى ادريان في مودة .وكانت تتدلى منه شرُط من الثياب حمراء وخضراء ، وكلها مهترئة بالية ، فكأنها ربطت الى عمــود صغير ، وعظام قدميه تقرقع في حذائيه العاليين مثل المدقة في الهاون . قال : ــ ألا تعرفني ، يا بروخوروف؟افلا تذكر شاويش الحرس المتقاعد بيوتر بيتروفيتش كوريلكين ، ذلك الذي بعتــه أول نعش من صنع يديك عام ١٧٩٩ ، وكان مصنوعا من خشب الشوح وانت قلت انه مــن السنديان ؟

وفتح الهيكل العظمي ذراعيه يريد أن يعانق ادريان ، ولكن هذا الأخير جمع قوته ، وصــاح بصوت عال، ودفعه عنه. فترنح بيوتر بيتروفيتش وهوى على الارض كتلة من العظام المتناثرة.وارتفع من الحشد صدى همهمة واستنكار .

وتحمس الجميع للدفاع عن شرف رفيقهم ، فتقدموا من ادريان يشتمون ويهددون ، فاذا ذلك المضيف التعس ، وقد أصمه صراخهم ، وحطمه ذلك الاكتساح الذي بدأوه في اتجاهه ، يفقــد سيطرته على قواه العقلية فيتهاوى فاقد الوعي فوق عظام ذلك الشاويش المرحوم .

كانت شعاعات الشمس تضيء السرير الذي استلقى بروخوروف عليه . وفتح عينيه أخيرا ، فابصر امامه الخادم تنفخ فحم السماور وهو غلاية الشاي النحاسية . وتذكر ادريان ، في هلــع حوادث الليلة . ان تريخينا ، والضابط المتقاعد، والشاويش كوريلكين ، باقية صورهم في غموض على مخيلته.وانتظر في صمت ان تبدأ الخادم الحديث فتروي له نتائج تلك المغامرة الليلية .

قالت اكسينيا ، وهي تناوله ثوب الصباح :

ــ لقد تأخرت في النهوض ، يا سيدي ادريان بروخوروف . لقد جاء جارنا الخياط لرؤيتــك، وجاء الشرطي ليعلن ان اليوم هو عيد ميلاد مفوّض الشرطة ، ولكنك كنت تغط في النوم ، ولم نشأ أن نوقظك .

ــ وهل جاء احد من قبل الأرملة المرحــومة تريخينا ؟

ــ تريخينا ؟ لماذا ؟ هل ماتت ؟

ــ أيتها الحمقاء ! أفلم تساعديني في تجهيــز لوازم الجنازة عشية البارحة ؟

ــ هل أصابك مس ، يا سيدي ، أم أن سكرة الأمس لا تزال تسيطر عليك ؟ لم يكن ثمة جنازة عشية البارحة ! لقد ذهبت الى حفلة ذلــك الألماني البارحة ، وقضيت هناك النهار بطوله ، ورجعت سكران ، وسقطت في فراشك وبقيت نائما حتى الآن ، ولقد انقطعت الاجراس عن دعوةقداس الصباح . فاستوضح الحانوتي ، وقد هدأ روعه :

ــ أصحيح هذا ؟

فردت الخادم :

ــ طبعا .

ــ في هذه الحال ، أسرعي بتهيئة الشــاي ، ونادي ابنتي . ■■

دمشق : ترجمة سهيل أيوب

العربـ

العدد ٩٥
ادى الآخر ١٣٨٦
اكتوبر
ين الاول) ١٩٦٦



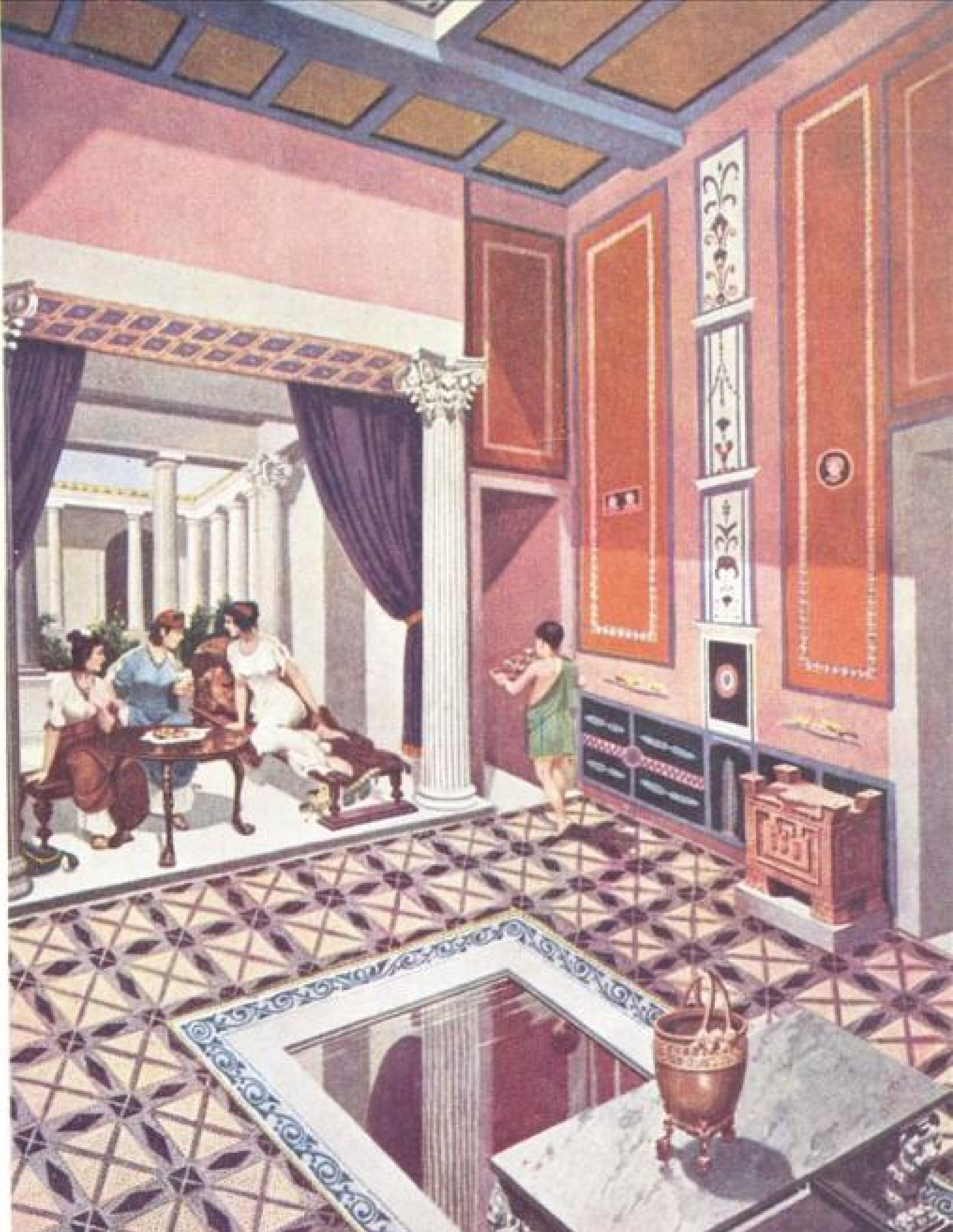
اطلب
ربي الصغير
ع هذا العدد

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

اسبانية المولد
عربية السمات

الثمن

ويت	١١٠	فلوس
ليج العربى	٢	روبية
سعودية	٢	ريال
من	٥ر٣	شلن
راق	١٢٠	فلسا
نان	١٠٠	قرش
دن	١٠٠	فلس
ورية	١٠٠	قرش
ع.م.	١٠	قروش
سودان	١٠	قروش
يبا	١٥	قرشا
س	٢٠٠	مليم
زائر	٢٠٠	مليم



ضارات سَادَت ثم بَادَت

● كانت حضارة الرومان من الحضارات القديمة التي بادت من بعد أن سادت وخلفت للحضارة الاوروبية التي خلفتها تراثا ضخما من القوانين والانظمة خلدت به او كادت . ولعل من ابرز خصائص تلك الحضارة ما نعم به الرومان من ترف في العيش ورفاهية ، تدل عليهما فخامة هذا القصر الذي يبدو في هذه الصورة ، وقد كان بيتا خاصتا لأحد الاغنياء ذوي الثروات الطائلة .

(انظر صفحة ٦٠)

عزيزى القارىء :

● هذا شهر اكتوبر ، شهر تفتتح فيه المدارس ، وتفتتح الجامعات فهو شهر العلم بادئا ، كما كان يونيو شهر العلم منتهيا .

وأسموا اكتوبر بالشهر العاشر ، وأسموا يونيو بالشهر السادس . وسموا ما بينهما بالسنة . ولاختلافها عن السنة الشمسية أسموها بالسنة المكتبية .

والحق ان هذه السنة المكتبية أحق بان تكون ((السنة)) ، سنة العيش، من السنة الشمسية ، تلك التى تبدأ فى يناير ، وتنتهي فى ديسمبر .

تبدأ فى برد وتنتهي فى برد .

ولا تكاد تكون لها علاقة بالشمس فى أفلاكها .

كان جديرا أن يبدأ العام عندما يتساوى الليل والنهار فى الشهر الثالث ، الحادى والعشرين من آذار ، أو عندما يتساوى الليل والنهار فى الشهر التاسع ، فى الحادى والعشرين من ايلول .

وجاز ان يبدأ العام باطول نهار ، او باطول ليل .

ومع كل هذا ، فلا مهرب من الاقرار بان أول اكتوبر ، هو أحق الايام جميعا بأن يكون أول العام ، وان السنة التى نسميها المكتبية هي أحق السنوات جميعا باتباع ، فى بدء ونهاية . فالمدارس والجامعات وأعمال الحياة جميعا ، انما تبدأ نشاطها فى اكتوبر . ويعمل الناس ، من كل الاعمار ، ما يعملون ، نحوا من تسعة أشهر ، يكسبون بعدها حقا من الراحة . والراحة تأتي دائما فى ختام الزمان .

واذن ففي ختام سبتمبر يكون ختام العام .

على هذا الحساب ، كل عام وانت ، يا قارئي العزيز ، متو ثب" لبذل نشاط جديد فى عامك هذا الجديد

المحــرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

عروبة :

ادب ولغة :

اسلاميات :

ركن الذرة والفضاء :

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 94 October 1966 P.O.B· 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٢٩٤١١ – تلغرافيا « العربى »

الاعـلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير

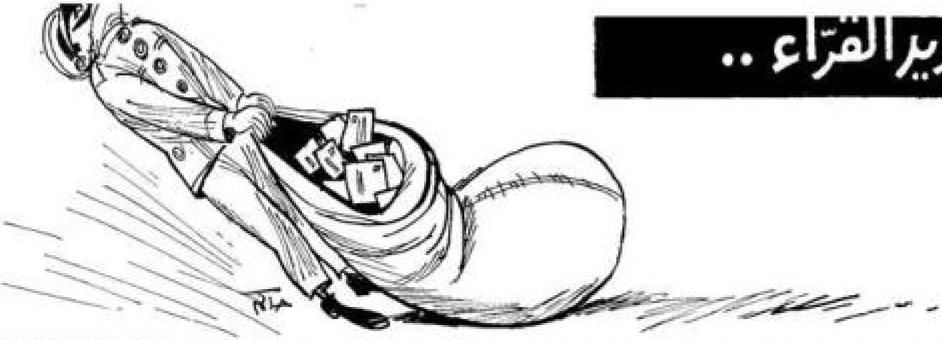


صورة الغلاف

● تقدم لك العربي في هذا العدد استطلاعا عن قرطبة .. مدينة ابن رشد وابن طفيل وابن حزم وابن شهيد .. ان السائر في طرقات وشوارع قرطبة اليوم يشعر بأن حزنا عميقا يملأ النفس .. نفس الزائر ونفس الساكن .. لقد ورث اهل قرطبة ، سواء الرجال او النساء منهم ، خصال الاجيال العربية الماضية : الوقار والصمت والنظرة الفلسفية الى الحياة .. (انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٦٨)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٥ر٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٥ر٣ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



((العربي)) .. وبعض الزميلات
ذاكرة القراء ليست ضعيفة

● ... واني اذ ارفق لكم مع هذا ، الصفحة التي نشرت بها جريدة « العمل » التونسية ، مقالكم عن « الشكلاتة والكاكاو » دون أن تشير الى « العربي » ، أرى أن هذه الصفحة وحدها غنية عن التعليق !

وما ضرّ صاحبنا محرر « العمل » لو انه ذكر المصدر الذي استقى منه ، لا بل المصدر الذي نقل منه المقال حرفا حرفا ، مع الصوَر ، دون أن يغيِّر حتى العنوان ، اللهم الا تلك الارقام التي كتبها بالرسم الذي يكتبه الغربيون ، والذي يرده بعضهم الى الفينيقيين فيما يزعمون !

ما ضرّه لو انه قال في مقدمة المقال ، أو حتى في نهايته ، انه استقاه من عدد شهر يونيو (حزيران) من مجلة « العربي » ؟ !

أنا ما أردت بهذا تشهيرا بأحد ، ان هو الا تبيان للواقع ، ورد الحق الى أصحابه ، اللهم الا اذا كانت جريدة « العمل » قد استأذنتكم في نشره فنشرته ، دون أن تشير الى مصدره الحقيقي .

والسلام عليكم ورحمة الله .

« ابو بسام » ممدوح عياد — ريدنج/ الولايات المتحدة

(العربي) : ليست هذه أول مرة تأخذ فيها زميلة من الزميلات مقالة من مقالات « العربي »

أول مسرحية عربية

● ورد في العدد الثالث والتسعين من مجلة « العربي » القراء - آب ١٩٦٦ عن المسرحية الشعرية بقلم الدكتور حسين نصار الاستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة أن أول المسرحيات المؤلفة التي نعرفها هي « المروءة والوفاء » من نظم خليل اليازجي ١٨٧٦ م . ثم تلاها عدة مسرحيات لعبد الله البستاني ١٨٨٩ ميلادية وغيره .

ولكننا نعلم أن مارون النقاش المولود سنة ١٨١٧ في مدينة صيدا (لبنان) هو رائد المسرح العربي ، اذ انه في سنة ١٨٤٦ قصد أوروبا فزار ايطاليا وعرف مسارحها وشاهد بعض التمثيليات فيها ، فاحب أن ينقل هذا الفن الى بلاده ليكون وسيلة اصلاح اجتماعي . فوضع رواية البخيل ، متأثرا فيها دون شك برواية موليير الفرنسي ، ولكنها ليست ترجمة لها . مثّلها مع عدد من أصحابه في بهو بيته ببيروت سنة ١٨٤٨ فلاقت اعجابا ظهر صداه في الصحف والمحافل الوطنية والأجنبية ، مما شجعه على تجهيز مسرح بجانب بيته ، وعلى وضع روايتين : أبو الحسن المغفل أو هارون الرشيد ، والحسود السليط . ولكن الموت داهمه في طرطوس سنة ١٨٥٥ وهو في مستهل نشاطه المسرحي بعد .

وعلى هذا يكون مارون النقاش هو أول من وضع المسرحيات في العالم العربي وليس خليل اليازجي لأنه وضع أولى مسرحياته قبل ٢٨ سنة من مسرحية « المروءة والوفاء » لخليل اليازجي .

عباس نمر ماجد
بيروت/دار المعلمين



العمال يحملون على رؤوسهم سلات الكاكاو لشحنها في

الشكلاتة والكاكاو

عامل يرطف حبات الكاكاو

لطعام محبب الى النفوس فيه متعة ومع المتعة غذاء يتعاطاه الالوف والمؤلفة من الناس
ملفوفة بالورق الفضي واكثرهم يجهلون ما اصله فصله
كلاتة من الناس طعاما لا شك عرفوا الكاكاو نراها ساخنا محلى فيه

كادان ان يكونا اصلهما جميعا واحد
حمص قبل طحن .

الازتك

فتنشرها كما هي ، دون أن تشير الى المصدر الذي نقلت عنه .. بل ان بعض الزميلات يذهب الى اكثر من ذلك فيغير عنوان المقـال ، ظنا أن ذلك يبعد عنه مجانبة الذوق وأصول اللياقات !
لكن قراء « العربي » والحمد لله ، ليسوا ضعاف الذاكرة كما يتوهم هؤلاء الزملاء !!

زلطن لا « زلتان » وبريقة لا « بليفا »

● الجهد الذى تبذله أسرة « العربى » لخلق صحافة عربية بناءة لا يحتاج الى مزيد من الاطراء والتقدير ، فقد شبعتم اطراء ، وما اعتقد أن ذلك ما انتم عنه باحثون .

غير انى احب أن الفت انتباهكم الى هفـوة بسيطة ترجع حسب ظنى الى نقلكم عن مصدر غربى عند الحديث عن الميناءين الليبيين اللذين تجرى بهما تحلية مياه البحر (الماء ! الماء !والوطن العربى ـ ص ١٠٩ ـ العدد ٩٢) .

فان الاسم الحقيقى لزلتان هو « زلطن » ، و« بليفا » هو « بريقة » ، وهما اثنان من أربعة موانىء بترولية تعمل الآن بانتظام فى منطقة سيدرة الفنية بالبترول ، وأن هنالك ميناء خامسا ، بمدينة طبرق المشهورة ، يشيد حاليا ، بينما سيكون ميناء « زوارة » على الحدود الغربية هو الميناء البترولى السادس ، وهو قيد الدراسة والبحث.

ومهما كان من أمر « فالعربى » ليست وحدها ملومة فى هذه الهفوة البسيطة ، فالصحافة الليبية يبدو أنها لم تتمكن من الانطلاق الى الاسواق العربية ، وأجهزة الاعلام العربية لم تحقق بعد أى تعاون جدى فى تقريب الشقة بين أرجاء الوطن العربى ، لا فى المجال السياسى ، فما الى ذلك قصدت ، وهذا أمر تحاشته « العربى » ببراعة ومكنها تجاوزها لهذه العقبة من تقديم خدمات جليلة ما كانت لتحققها لو أنها انغمست فى متاهات الخلافات السياسية العربية التى تدمى قلب كل مخلص وتفرح قلب كل عدو . وانما أقصد المجالات التى لا تحمل بذور الفرقة والخصام ، بل قد تخلق جوا أكثر صفاء ، كالمجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، حتى لا تقع فى مثل هذه الاخطاء المضحكة المخجلة !

سعد مجبر

أَلفُ مَصْنَعٍ ومَصْنَع
تَفْتَحُ الآنَ أَبْوابَهَا
لِتَصْنَعَ الرِّجَال

بقلم رئيس التحرير

- صناعة الرجال صناعة موجّهة محتكَرة فى كل الامم .
- صناعة الرجال كسائر الصناعات ، تخرج لك المسمار الذى ينثني عند دق ، والدبوس الذى لا يخرق الورق .
- صناعة الرجال كمٌ وكيف ، اما الكم فتكشفه الاحصاءات ، اما الكيف فلا بد له من مواصفات .
- البضاعة الانسانية لا تستهلك سريعا ، فالطبيب السيىء يمارس طبه ٤٠ عاما .
- التوسع في التعليم غاية العرب ، ولا حرَج على عطشان ان يشرب الماء بطينه الى حين .
- لا بد من لقاءات بين من يصنعون الرجال ، وبين من يستخدمونهم في وجوه الحياة من بعد تخرج .
- مواصفات الناتج الانسانى لا بدَ ان ترتبط بالرباط العالمي ، والذى يثير النعرة الوطنية في هذا ، يضر بامته .
- التعلم للتثقف العام ، قبل التعلم للحرفة والمهنة والرزق .
- الآداب والسلوك معان خلقها معنى المجتمع ، ولولا المجتمع ما كانت هناك حاجة الى آداب وسلوك .
- وأخيرا حاجات للأنفس لا بد أن تشبَع ، تتصل بفلسفة هـذا العيش ، ما بدايته ، ما نهايته ، ما غايته ؟

حظوظ وحظوظ

■ للناس فى الحياة حظوظ ، احيانا كبيرة ، واحيانا صغيرة ، واحيانا لا حظ لهم فهم نكرات .

وكذلك للكلمات فى اللغات حظوظ ، فاحيانا تروج كلمة ، فى عصر خاص ، فلا تكاد تسمع كلمة اكثر منها ترددا على الالسن . ثم يأتى عصر ، فاذا حظ هذه الكلمة هبط ، فقلما تسمعها تجرى على لسان . واحيانا يهبط حظ الكلمة فلا تذكر ابدا . انها تدخل فى عداد كلمات نكرات .

ومن الكلمات التى راجت اكثر رواج فى هذا العصر الحديث كلمة « مصنع » . لا يتحدث الناس فى مستقبل الفرد ، الا ويدخل الحديث كلمة « مصنع » ، ولا يتحدث الناس فى مستقبل امة الا ويدخل الحديث كلمة « مصنع » .

ذلك ان المصانع اليوم صارت ابواب الثراء ، وابواب الاكتفاء ، وابواب الرخاء ، وابواب العزة لمن يطلب العزة ، والقوة لمن يطلب القوة . والعزة التى بناؤها القوة هى اليوم المتكأ الاول لمن يخشى فى الحياة ذلة .

خامات وخامات

والمصانع تبدا بخامات ، تدور بها دورات فى مجالات للفنون كثيرة ، فتخرج لك كل مستطاب من حاجة الانسان فى عصره المدنى هذا .

ولكن من يصنع هذه المصانع ؟



مصنع للحديد والفولاذ

« المصانع صارت اليوم ابواب الثراء ، وابواب الاكتفاء ، وابواب الرخاء »

انهم الرجال .

ولكن اين يصنع الرجال ؟

انهم يصنعون في المدارس،الف مدرسة ومدرسة .

والرجال ، في الطفولة ، ليسوا سوى خامات ، تماما كخامة القطن المستنبت بالزرع ، او كخامة الحديد المجروفة من تراب الأرض ، كل مستعد لأن يتشكل وان يتطور ، ويتخذ صورة أفضل وانفع وأقدر .

وهذه الخامة الانسانية هي أخطر الخامات الصناعية جميعا . لأنها هي التي تحرك مصانعها ، وهي التي تديرها وتدبر لها .

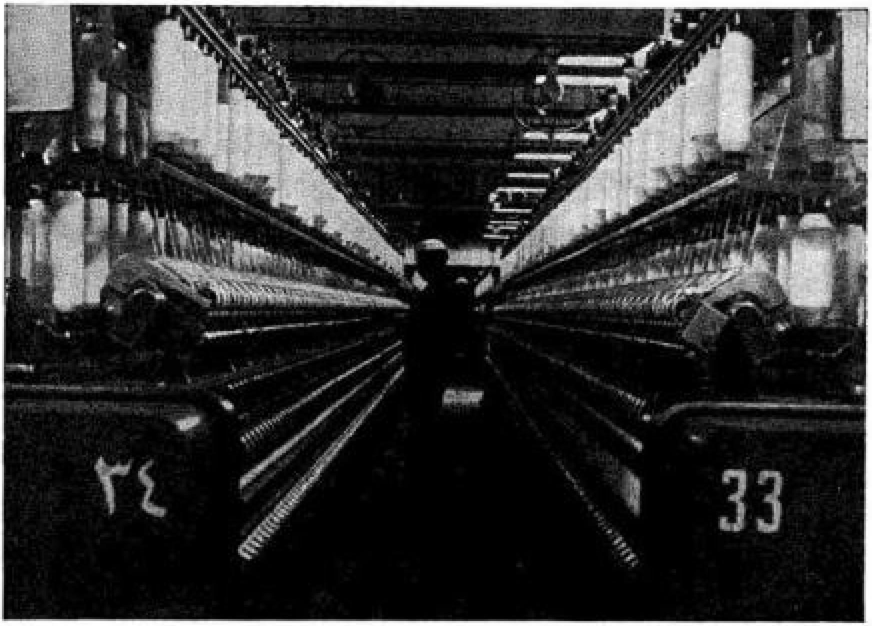
ان المصانع صم بكم ، ويتولاها الرجال فتبدأ تسمع ، وتبدأ تتكلم ، وتدب فيها الحياة فتنتج خير انتاج ، تبعا للناتج الانساني القائم عليها .

وهذه الخامة الانسانية هي أخطر الخامات جميعا ، لأنها هي التي تصنع القطن في مزارعه خامة ، وهي التي تصنع القمح ، فما الزراعة الا صناعة ، تصنع الخامات . والأرض بكماء صماء ، حتى تسمعها وتنطقها عقول الرجال في الرؤوس ، وحيل الرجال في الأيدي والسواعد .

وهذه الخامة الانسانية هي أخطر الخامات جميعا ، لأنها تصنع الحياة في كل مظاهرها . وهي في الأمم تصنع الدول .

لكل نتاج مواصفات

ونتحدث عن الأنتجة الصناعية ، وعن



جانب من مصنع للنسيج

« لكل ناتج من انتجة الصناعات مواصفات ، لا بدأن تبلغها البضاعة المصنوعة لتجوز في الأسواق »

انتجة الصناعات الزراعية، فننتقد نتاجها، ونطالب بتحسينه. بل نزيد فنجعل لكل منتوج صفات، يسمونها مواصفات، لا بد أن تبلغها البضاعة المصنوعة لتجوز في الأسواق الداخلية، ولتجوز في الاسواق العالمية اذا هي خرجت عن البلاد.

وحين لا تكون مواصفات، يكون عند جمهور الناس، الذي يشترى البضاعة، مواصفات تكشف عنها التجربة عند الاستعمال. وفي الاقتصاد الحر، او هذا الذي يسمونه حرا، تخرج البضاعة الى ايدي الجمهور فتمتحن بذلك اعسر امتحان. ويتعدد الصانع لها، فبعض يروج، وبعض يكسد. وتنتهي المصانع التي تنتج البضاعة الكاسدة الى الاغلاق. انها المنافسة التي تكسب الخير، او تكسب الشر، للمتنافسين. وفيها خير الشعب لا شك في هذا، الى أن ينقلب نجاح الناجح فيصبح طمعا، ويصبح استغلالا لا يكبحه، لا سيما في الأمم المتخلفة، كابح.

وفي الاقتصاد غير الحر، واعنى به الاقتصاد الموجّه، اى الذي تقوم الدولة بتوجيهه، ذلك الذي اضطرت بعض الأمم، من متخلفة وغير متخلفة، الى اقتباسه وفقا لظروفها. ففى هذا الاقتصاد تخرج البضاعة واحدة لمصنع واحد، وتتحكم الدولة في الانتاج وفي الثمن فلا يكون في البضاعة من حيث الثمن استغلال. وهذا خير. ولكن تخرج البضاعة في غيبة المواصفات، فيقف الجمهور منها موقفا حائرا. مسمار تدقه فيعوج. دبوس له سن كسن مسمار. خضار معلب تأكله فتحس بين أسنانك منه الحصى. عيوب ظاهرة لا تحتاج حتى الى مواصفات لتدمغها. ويعلم بها صاحب المصنع، ويحميه احتكار، لهذا هو لا يتحرك لتحسينها، وقد يكون التحسين منه على بعد خطوات.

ففي هذه الحالة وجب على الشعب ان ينقد، وان يرفع صوته بالنقد، وان يرفعه عاليا ليصل الى آذان الصانعين، حتى اذا كان بها صمم سمعت.

في الاقتصاد الحر، في الأمم المثقفة الواعية، تقوم المنافسة تجيز المحسن احسانا باحسان، وتبادل المسيء اساءة باساءة. والذي يمارس استغلالا كثيرا ما يلقى، على يد الشعب الواعي، حتفه.

وفي الاقتصاد الموجه، وهو لكثير من امم الأرض اليوم ضرورة، لا بد أن يكون صوت الشعب آخر الأمر هو الحكم، يمدح البضاعة محمودة، وينتقدها مذمومة، نقدا بناء، له غاية واحدة: بذل الجهود في تحسين هذه البضاعة، وايقاظ صانعيها من نعاس اكسبهم اياه الاطمئنان المفرط والتراخي وغيبة المنافسة.

صناعة الرجال صناعة موجّهة محتكرة في كل الأمم

ونعود الى البضاعة الانسانية، تلك التي تنتجها المدارس.

انها صناعة كسائر الصناعات، قد تخرج لك المسمار الذي ينثني عند دق، والدبوس الذي لا يخرق القماش او الورق، والخضار المعلوب الذي يصحبه الرمل.

وهذه الصناعة التي تنتج الرجال (وتنتج النساء) صناعة موجهة في كل الأمم، محتكرة في كل الأمم، الا ما ندر، لا منافسة فيها. من اجل هذا هي اقرب الى التراخي.

والتراخي يكون كمّا ويكون كيفا. اما الكم فيدركه الشعب المستهلك، لأن الأرقام حاضرة تدل عليه. كم تخرج صناعة الرجال من طبيب، وكم تخرج من مهندس، وكم من مدرس، وكم من بزاد ونجار وفنان؟ أجوبة هذه الأسئلة كلها حاضرة في الدول التي تعنى بالاحصاء. اما اى طبيب هي تنتج،

واى مهندس ، واى مدرس ، واى براد ونجار وفنان؛ فالجواب عن هذه الأسئلة عسير،لانه ليس للطبيب الجيدمواصفات، ولا للمدرس ولا للنجار والحداد . ولا يكفى فى تكييف الطبيب مثلا ان تذكر لك مؤهلاته ،فالمؤهلات نفسها ترتفعاقدارها فى الامم وتهبط .

انت ان طلبت جبنا وجدته وعليه اسم صانعه. وتأكل الجبن ، فان حمدته، عدت اليه ، وان ذممته طلبت غيره .

ولكنك اذا طلبت طبيبا، لم تدر مقدار كفايته الا بالذى يجرى على السنةالناس. وهو فى العادة الكلام المبهم ، والظن الذى لا يخلو من اثم . ان الطبيب تصنعه مصانع الطب ، فيخرج الى الحياة يحمل «ماركة» الجامعة التى صنعته. والناس لا تأخذ عند تقدير بضاعة بقراءة « الماركات » لأنها كلام الصانع . لا بد من مواصفات تكون للطبيب عند خروجه من الجامعة ، صانعته . ولا بد من مواصفات تكون للطبيب بعد خمس سنوات من خروجه ، وبعد عشر وبعد عشرين . والذى يقوم بالاختبارات التى تقضى بها المواصفاتلا بد أن يكون بمنحى عن الجامعات ، عن المصانع .

وكالطبيب المهندس،والمدرس ،والبراد والحداد ، وصاحب كل حرفة ومهنة غايتها الخدمة العامة .

ثم تعود نتائج هذه الاختبارات التى تقضى بها المواصفات ، الى المصانع ، مصانع الرجال ، لتصحح خطأ او لتزيد الرجال كفاية ، تماما كما ترد نتيجة اختبار قضيب من الفولاذ الى مصانعه لتزيد من قوته او تهدىء من قساوته .



صورة اكبر جراح عين فى العالم العربى

لم تزده الشيخوخة الا كسبا لعلم جديد الى ان مات

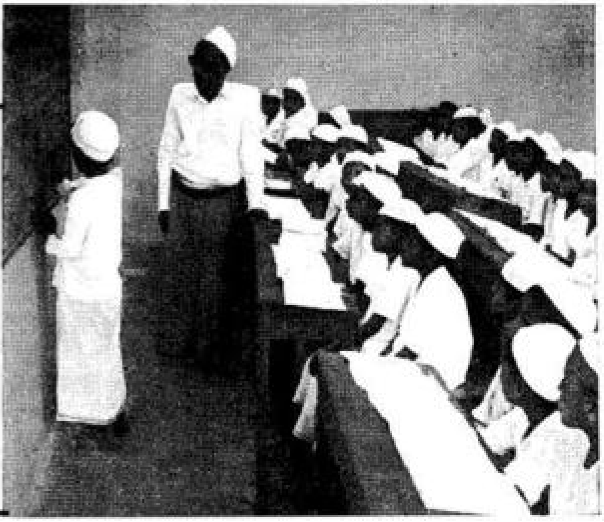
« لا بد من مواصفات تكون للطبيب عند تخرجه من الجامعة ، صانعتِه ، ومواصفات تكون له بعد ٥ سنوات من بعد تخرج ، وبعد عشر ، وعشرين ».

البضاعة الانسانية لا تستهلك سريعا

والبضاعة الانسانية تختلف عن سائر البضائع.ان حذاء تشتريه ، لا يعجبك، تلبسه عاما او بعض عام.، ثم هو يبلى ، ويختفى . اما الناتج الانسانى فمقيم ما امتد به العمر . فالطبيب غير الكفء، مثلا ، يظل يمارس طبه فى الناس اربعين عاما ، فى غير كفاية . وكذا المدرس،وكذا الصانع « الماهر » ، وغير الماهر . وكذا الزارع الذى يسىء الى ارضه ، فيسىء بذلك الى جمهور الناس ، بعد ان يكون قد اساء الى نفسه .

لا حرج على عطشان ان يشرب الماء بطينه ، الى حين

وأنظر فى الأمة العربية هذه السنين الحاضرة ، فأجد التوسع فى التعليم غاية كل دولة عربية ، وهو يجرى فى شدة وحرارة واندفاع ، كما يفيض النهر الصاخب فلا يكاد يقف فى سبيله حاجز يهدىء من سرعته . وهو هكذا حتى فى أطراف الأمة العربية عند الثغور ، وحتى



في حضرموت تكدس ٥٢٠ طالبا بمدرسة واحدة صغيرة وبقى أضعافهم خارجها لا يجدون مكانا .

فى غيبة الاستقلال ، وحيث النفوذ الاستعمارى قائم لا يرضى عن تعليم .

وهذا الاندفاع الى التوسع السريع فى التعليم شيء محبب الى كل نفس تطلب الخير ، وتطلبه شاملا ودائما . وهذا الاندفاع الى التوسع السريع فى التعليم ، فى الأمة العربية خاصة ، انما هو ردفعل لتاريخ طويل بالجهالة حافل ، ومع الجهالة صاحبها الدائم ، الفقر ، ومع الفقر والجهل الذلة والمهانة : عطشى ، عزّهم الماء طويلا ، فلما وجدوه اخذ يعبّونه عبّا .

ولكنى أخشى ، مع اندفاع العاطش الى الماء ، ان ينسى من أى ماء هو يعب . ولا حرج على العاطش الغرثان ، اذا وجد الماء من بعد طول غياب ، أن يشربه ومعه عكره . ولكن الأمة العربية ترك السواد الأعظم منها هذه المرحلة الحرجة الاولى من زمن بعيد ، وآن لها ان تنظر فى أمر التعليم لتدرك ، لا كم عندها من مدارس فحسب ولا كم عندها من جامعات فحسب ، ولكن لتحصى اى نوع من الكفايات تخرج هذه المدارس وهذه الجامعات .

بالمدارس عشرات الالوف ، او مئات الالوف من الطلبة ، فى هذه الدولة العربية او تلك .

فهذا خير ، والحمد لمدبّريه .

وبالجامعة او الجامعات عشرات الالوف من الطلبة او مئاتها ، فى هذه الدولة العربية أو تلك . وقد كان بجامعة القاهرة ، يوم كنت مديرها ، أكثر من ٣٠ ألف طالب ، زادوا اليوم كثيرا .

فهذا خير ايضا ، والحمد للدولة القائمة عليه .

ولكن كل هذا يتصل بالكم لا بالكيف .

الكم اكده لنا الاحصاء ، فكيف بالكيف ؟

لا يكفى ان يقال : عند أمة ما ، جيش يحميها ، مليونٌ من الأنفس عدًّا . لا بد من ذكر السلاح ، ومن درجة كفاية الجند وتدريبهم .

ونحن لا نقول ان ناتج المدارس سيىء ، ولا ناتج الجامعات ، فأى تعلم ، وبأى مقدار ، وعلى اى صيغة ، لا شك نافع . ولكن فى مرحلة بل مراحل التطور العربى الحاضر ، لا تكفي الاعداد الكثيرة وحدها . ولا بد فى مرحلة التطور الانسانى الحاضر من تقدير ما تحمله الرؤوس من بعد تخرّج ، وما تحمله الأيدى من تدرُّب .

لا بد من تكييف وتصنيف .

لا بد من مواصفات توضع لهذه البضاعة الانسانية ، ومن مختبرات تقوم على النسيج تشده ، لتعلم كم يحتمل من الشد ، ولتقوم تعرّضه للشمس لتمتحن صبغته ، كم تثبت على حالها ، وكم تتحول .

لست اشك ، ولكن لتطمئن قلوب .

هذه المواصفات ، ما تكون ؟

وهنا يظل سؤال يلح على القارىء ، وعلى الكاتب ، على السواء . هذه المواصفات ما تكون ؟ ومن يضعها ؟ ومن يقوم بتطبيقها ؟

وهنا اصرح في غير حرج انه كثيرا ما يكون تصوير مشكلة وتحليلها اسهل من الوقوع على حل لها .

ويخطر لي في هذا الصدد حديث جرى بيني وبين صديقين من رجال التعليم ، مدرس ثانوي ، واستاذ جامعي . قالا في نفس واحد : ولكن هذه المواصفات موجودة فعلا . انها برامج التعليم القائمة في كل مدرسة وكل جامعة .

وهذا قول فيه شيء من الحق كثير . ان البرامج انما وضعت لينحت المدرسُ وينحت الأستاذ ، على مثالها ، الشكلَ الانساني الذي يريد تسويقه .

اما ما بقي من غير الحق في هذا القول فأمران :

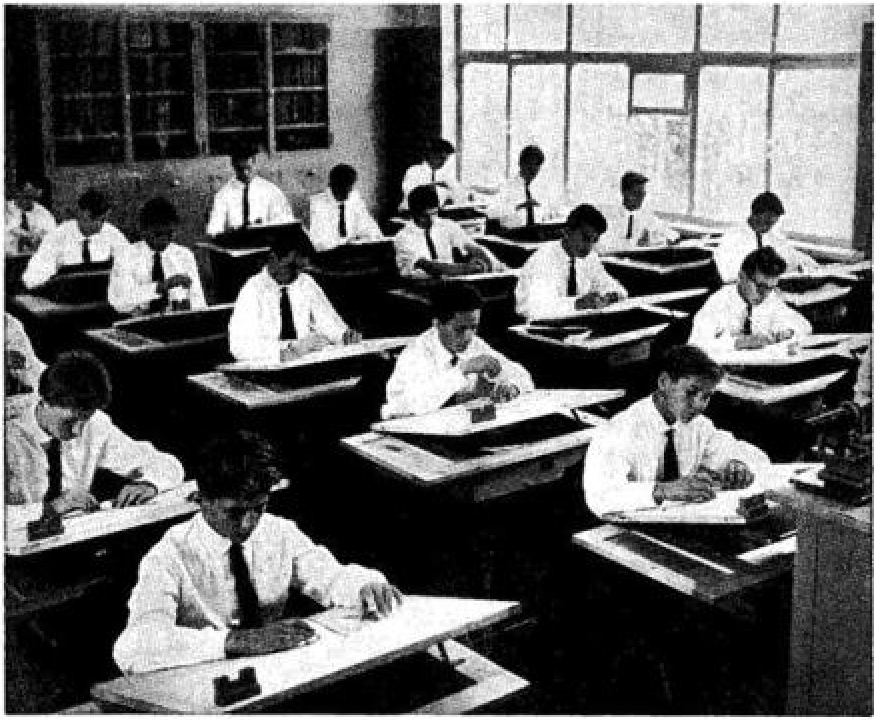
واضعو البرامج ، ضاق وقتهم عن استيعاب أوجه الحياة جميعا

اما الأمر الأول ففي كنه هذه المواصفات نفسها . هل هذه المواصفات تنتج البضاعة الانسانية التي تتطلبها الأسواق ، والتي يتطلبها المجتمع ، لا سيما المجتمع المتنشيء ، وهو في أشد الحاجة اليها . ان واضعي هذه البرامج مدرسون وأساتذة ، عندهم التعليم حرفة ، ولكن ليست عندهم ، في صميم اختصاصهم غاية التعليم بحرفة . فغاية التعليم موضوع مشتبك بمعنى الحياة ، وهو معنى فلسفي ، وليس كل معلم بفيلسوف . وهو موضوع متصل بأوجه الحياة ، في مصنع ، وفي معمل ، وفي حقل . والحياة لها ألف وجه ، ولا يستطيع المدرس ، ولا الأستاذ استيعابها لأنهم حصينون محصنون في مدارسهم ، لا يأذن لهم وقتهم ، ولا الممكن المتاح من خبرتهم ، بأن يخرجوا الى الحياة يمارسون أعمالها الكثيرة الشتيتة ، ويتفهمونها ، ثم يصفون ما يجب أن يكون عليه الشباب الداخل اليها من بعد تخرج .



مختبر للتحليل

« لا بد من مختبر تمتحن فيه البضاعة المصنوعة للكشف عن مقدار ما حققت من مواصفاتها »



« عوامل كثيرة تضطر القائمين على الامتحانات أن يجعلوها تتفق مع الدرجة التى بلغها تعليمهم ، لا مع الدرجة التى وجب أن يبلغها التعلم . »

وخلاصة هذا الأمر أنه لا بد ان يشترك فى صياغة هذه البرامج الشعوب . ولا أعنى اشتراك الشعوب جملة . ولكن القلة ، من اى طبقة ، تلك التى تميزت برأى ، واتيح لها ممارسة الحياة فى شتى مسالكها ، وعن كثب ، واكسبها السن ، غير الطاعن ، نضوج الفكرة ووضوحها .

الامتحانات لا تفي لتقدير جودة الناتج الانسانى

اما الامر الثانى ، فيما زعم الصديقان ، المدرس واستاذ الجامعة ، من ان البرامج هى المواصفات ، فيتصل بأن البرامج ، حتى على الزعم بانها مواصفات صحيحة ، اشترك جانب الشعب الواعى فى تصحيحها ، ما امكن فى مقدور الانسان من تصحيح ، هذه البرامج الصحيحة ليس فيها وحدها ضمان الناتج الانسانى الصحيح .

لا بد من مختبر تمتحن فيه البضاعة . لا بد للقماش من جهاز يشده حتى يتمزق ، وترقم القوة التى مزقته . ولا بد من تعريض القماش المصبوغ للشمس لتقدير مبلغ احتمال الصبغة .

وينهض الصديق المدرس ، والأستاذ الصديق ، ينهضان معا ، ليقولا : وهذا ايضا قائم ، فما الامتحانات السنوية والنهائية الا مختبرات لتقدير جودة الناتج الانسانى ، صعودا وهبوطا .

والرد على هذا ان الرجال الذين يقومون على القماش يمتحنونه فى مختبراتهم ، غير الرجال الذين قاموا على القماش يصنعونه . اما فى الناتج الانسانى ، فصانع القماش والذى يختبره واحد .

وهناك عوامل كثيرة ، تؤثر فى المدرس ،

والأستاذ ، فردا ، وتؤثر فيهم «مجموعة» تضطرهم اضطرارا الى جعل الامتحان يتفق مع الدرجة التى بلغها القماش من الجودة ، لا مع الدرجة التى وجب ان يبلغها للوفاء بحاجة المجتمع .

والتعليم لا ننسى انه سلّم طويل ، له مراحل ثلاث او اكثر . والقماش يفتل فى مرحلة ، وينسج فى مرحلة ، ويصبغ في مرحلة . والاستاذ القائم على المرحلة الاخيرة يتحمل غصبا ما وقعت فيه المراحل السابقة من اخطاء . فلو انه اشتد فى امتحانه لقسى على الطالب قسوة من اجل ضعف لم يكن هو دائما جانيه .

ثم قد يهبط التعليم عاما فعاما ، عن مستواه العالمى ، ولا يستيقظ الشعب سريعا الى هذا ، لأن نتيجة الامتحانات طيبة في كل المراحل . طيبة ارقاما .

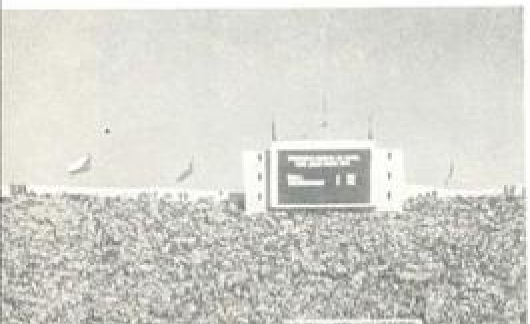
الشرق فى هذا الأمر ، والغرب ، سواء

ان هذه الأشياء التى أصفها افتراضا ، هى قائمة فعلا فى أكثر من بلد . وليست هى قائمة فى بلاد الشرق دون بلاد الغرب . فالصرخة اليوم قائمة تشكو هبوط المستوى . والهيئات القومية أخذت تتدخل فى تحمل المسئولية فلا تتركها لهيئات التعليم وحدها . ومن ذلك المؤتمر الذى انعقد فى جامعة ليفربول قريبا ، وجمع بين رجال الجامعات ورجال الصناعات ، واخذ هؤلاء ينتقدون أولئك ، واولئك ينتقدون هؤلاء ، فى صراع من الرأى مشبع طريف ، دل احيانا على وقوع فجوة كبيرة بين من يصنعون الرجال ، ومن يستخدمونهم من بعد تخريج .

لقاءات كهذه بين شتى رجالات التعليم ، والمسئولين عن الحياة ومرافقها فى الأمم ، من اهل الاختصاص ، لا شك تكشف عن العورات فى التعليم . ولا أقول تفضحها ، لأن عورة التعليم مسئوليتها لا تقع عادة على افراد بذاتهم ، ولا على جماعة بذاتها ، ولكنها قد تقع على جيل . وقد تكون مما لا بد ان يتحمله التاريخ . ان كشف عورات التعليم لا يفضح احدا ، ولكنه ينير الطريق ، والنور من الظلام اهدى .

نتخذ من عالم الرياضة مثلا

على أننا نستطيع ان نأخذ من عالم الرياضة مثلا . انه من السهل ، الى حد ما ، أن يقول الانسان أى الأمم فى الساحة اسبق ، وايها فى حمل الأثقال . والذى يضع الأمم فى درجاتها من هذه الأشياء



« تدخل الامم المباريات الرياضية الدولية ، وبمقدار فوزها او اخفاقها تدرك مكانها من التقدم والتخلف ، وكذلك فى العلوم والفنون ، لا تدرك الامم مكانها فيهما الا اذا هى انتسبت . »

انما هي المباريات العالمية . وقد بدات الدول العربية أن تدخلها .

وكذا المهن ، والحرف ، يحدد كفاية الرجال فيها ، لا ما بلغته الأمة ، حيث هي ، من التقدم ، ولكن ما بلغه العالم . لهذا وجب أن ترتبط كل مواصفات للناتج الانساني بالرباط العالمي ، اين كان ، في غرب كان أو شرق . والذي يثير النعرة الوطنية في هذا الصدد يضر ، أول ما يضر ، بأمته . فالعالم يسير قوافل ، هي الأمم . والقافلة التي تتخلف ، عليها هي ، على الأكثر ، وزر تخلفها .

السواد الأعظم من اشياء هذا العالم نسبي

السواد الأعظم من اشياء هذا العالم نسبي . والمبلغ الذي بلغته الأمة ، اى امة ، من التقدم او التخلف ، هو كذلك نسبي . وتقديره يكون بايجاد هذه النسبة . وهذه النسبة لا تجدها الا بالمقارنة في المجالات العالمية . خريجو مدارسنا وجامعاتنا كم هم من خريجي المدارس والجامعات بشتى بقاع الأرض ، عند تخرج ، وبعد خمس سنوات من بعد تخرج ، وعشر سنوات ؟ ويشمل هذا كل صاحب مهنة ، وكل صاحب حرفة . حتى كنس الشوارع اصبح حرفة ، أداتها في الامم المتقدمة المكانس الدوارة . واقرن كناس الشارع بمهندس الجامعة في غير حرج ، فكل عامل ، وقد صغرت الفروق في هذه الأيام بين صنوف الأعمال . وكل انسان ميسّر لما خلق له . وانما قيمة العامل في أن يحسن عمله ، ولو كان كناس شارع .

نعم ، لا بد من الرجوع الى المقارنة العالمية ، فعهد القوقعة قد مضى وانقضى . والعالم اليوم من حيث التعليم في ثورة لا يدركها الا متابع هذه الأحداث . الغايات من التعليم تتغير باختلاف المجتمعات . والتكنيئة المتقدمة تقدمت بحيث اصبحت انقلابا ، ومعها التعليم ينقلب ، تنقلب غاياته وتنقلب وسائله . وطالب عام ٢٠٠٠ سيدخل في بعض الأمم المتقدمة مدارس تقوم الآلة فيها بنصيب ضخم من التعليم حتى ليكاد يصبح دور المدرس انما هو دور القائم على الآلات يديرها . حتى المدرس تصوروه صنفين ، صنفا يعطي المعرفة ، وصنفا يفلسف هذه المعرفة ذاتها ، ويربطها بمستقبل الانسان فوق هذه الارض . وهذا الأخير يجعل من التعليم تربية .

للتعليم أهداف غير الأرزاق

ان الحديث شجون .

ولقد مضى بي شجن هذا الحديث الى ان تركزت على التعليم من حيث انه ، يعطي الطالب مهنة أو يعطيه حرفة .

وهو شجن خطير لانه يتصل بالأرزاق . والارزاق قد جعلها الله هي المطلب الأول من الحياة . ترى ذلك بيّنا واضحا فيما خلق الله من دون الانسان . كل حيوان دون الانسان درجة ، في أي شيء يقضي يومه وعامه ؟ في طلب الرزق . طلب الطعام . الأسد في ادغاله ، الطير في اوكاره ، السمك في بحاره ، كل ساعة هي تقضيها في طلب الطعام ، مطلب الحياة الأول . ومن يضع الطعام ، فالأرزاق ، في غير الصف الأول من مطالب الحياة ، فقد جهل الحياة عارية ، وجهل اصول هذا الخلق ، وضل ضلالا بعيدا .

ولكن التعليم للمهنة ، والتعليم للحرفة ، واختصاراً التعليم للرزق ، انما هو الفصل الثالث من قصة التربية تمتزج فصولها الثلاثة امتزاجا .

التعلم للتثقف العام ، قبل التعلم للمهنة وللرزق

ان التعليم للحرفة وللمهنة ، واذن

للرزق، لا يقوم الا على ثقافة عامة يعطاها الطالب او الطالبة فى سنوات الحياة الخمس عشرة الأولى او نحو ذلك .

ان الطفل يبدأ العيش فى الدنيا ، وهو يجهلها جهلا تاما . وهو يتعرف عليها رويدا رويدا ، وكل يوم ، وكل عام ، يزيده عرفانا بها . وهو فى هذه الأثناء يعال . يعوله ابواه طفلا ، ويعولانه صبيا، ويعولانه يافعا ، لأنه يتحضر للحياة ، بتعرفه بدنياه . وكل نظرة تنظرها عينه، وكل صوت تسمعه اذنه،وكل عثرة تعثرها قدمه ، انما تزيده بالحياة علما . وينتظم الصبى فى المدرسة ، ويجد المعرفة قد تقسمت ضروبا . فالجغرافيا تزيده علما بأرضه وبيئته . والعلوم والطبيعة تزيده علما بقوانين تحكمه ما ظل يخطو على سطح كوكبه . والصحة تزيده علما بجسده . والتاريخ يعطيه علم قوم كانوا فبانوا لينفتح له الماضى صورا جلية تشبه صور الحاضر وتنير له الطريق. والكتابة والقراءة والحساب هى بعض آلات العيش فى مجتمعه القائم ، وهكذا دواليك .

كل هذه الضروب من المعرفة انما هى ثقافة عامة ، لا تفتح باب الأرزاق ،ولكن تمهد لها . وبدونها لا يكاد ينفتح للرزق باب .

والصبى فى تحصيل هذه الثقافة يزيد عقله مرانا، ويزيد فكره ، ويكتسب حظا، يكبر او يصغر ، من هذا الشيء الذى نسميه بالذكاء . وباب الرزق لا ينفتح واسعا الا اذا حمل طارقه حظا من الذكاء اوفر .

ان التعليم الفنى ، سواء كان لزرع فجلة فى حقل ، أو ابرة فى مصنع ، او انسان طبيب ، او مهندس ، او قاض فى مجتمع ، لا يقوم الا على تعليم ثقافى عام ، نافع . ان التعليم للرزق ، كالزرع لا يصلح فى الرمل . لا بد من ارض خصبة مسمدة، وارض الصبى يسمدها التثقف العام .

والتعليم للرزق كالرسم والتخطيط، لا يكون الا على ورق . والتعليم العام هو ورقه . وقد يفسد الرسم لسوء الورق ، وقد يحسن .

والأخلاق وآداب السلوك

فهذه هى احدى فصول القصة، قصة التعليم ، مثلثة الفصول .

بقى فصل السلوك والآداب .

وهو فصل يجرى مع فصل التعليم العام ، ويزامنه .

والسلوك والآداب معان خلقها معنى المجتمع . فالرجل الذى يعيش وحيدا فى قنة جبل ، او فى بقعة منعزلة تأذن بالحياة فى صحراء ، او يعيش وحيدا فى دغل من الأدغال ، لا حاجة به الى معانى السلوك والآداب والأخلاق . نقول لك : اصدق ولا تكذب . وهذا يفرض وجود الرجل الآخر الذى تكذب عليه او تصدق له . ونقول لك : لا تسرق وهذا يفرض وجود الرجل الذى عنده ما يسرق . ونقول : تلطف ، وهذا لا يكون الا مع آخرين . ونقول للشاب : ان يدع العاجز والشيخ يتقدمان عليه ، وهذا يفرض وجود العاجز والشيخ . ونقول رفقا بالقوارير ، وهذا يفرض وجود القوارير.

كل ادب من آداب السلوك يفرض وجود المجتمع .

ومعان اخرى من السلوك اخفى ، لولا المجتمعات ما كانت . منها تفهم الفرد وضعه فى المجتمع، ووضع المجتمع منه. فليس احد يعمل الا وهو يعمل ، فيما يعمل ، للمجتمع ، وما مجتمع صالح يعمل الا وغايته الفرد . ولست ازيد .

كل هذه الآداب وقواعد السلوك لا يدخل برامجَ الدراسات فى المدارس منها الا الشيء العابر الذى لا يتريث طويلا . وودى لو جعل لهذه الآداب حصة فى الدراسة قائمة دائمة لا سيما فى هذا الزمن الذى فيه اصبحت المجتمعات ، بفضل التنور العام ، مصالح متشابكة ، ادت وتؤدى الى مصارع دامية ، حتى فى ارقى الأمم علما وفهما .

انهما خطتان لا ثالث لهما : جهل بالعلائق بين الناس والطوائف ، يزيده الانعزال انانية ، تؤدى بالناس والطوائف الى حرب . او علم بهذه العلائق ، يزيده التداخل والتعارف والتوادد ادراكا وفهما ، يؤدى بالناس والطوائف الى سلم وطيب مآل .

واخيرا وليس آخرا

واخيرا وليس آخرا اذكر حاجة الانفس فى مضطرب هذا العيش الذى كله حركة وصخب . والحركة تلهى والصخب يُصِمّ .

وما من نفس هدات من حركة ، واحتواها ركن حماها من صخب ، الا وتساءلت عن هذا العيش المتحرك الصاخب،وهذا الكون الدوّار الصامت. ما بدايته ؟ ما نهايته ؟ ما غايته ؟

تتساءل الانفس ، وتعجز عن جواب. وتغمرها من العيش غمرات تحملها الى حيث الحركة والصخب . . والنسيان .

ثم تعود ، غصبا ، الى ركنها الهادىء الذى يحميها من صخب،فتعود تتساءل، وتعود تعجز عن جواب ، وتعود فتنسى.

حاجات فى الأنفس كهذه لا بد لها فى



« ما من نفسٍ هدأت ، الا تساءلت : هذا العيش المتحرك الصاخب ، وهذا الكون الدوار الصامت ، ما بدايته ، ما نهايته ، ما غايته ؟ » .

الدراسات مكان. والا فهو عيش البهائم، او عيش السباع،لا همّ لها الا بحاضرها.

واعلم ان فى الناس البهيم .

واعلم ان فى الناس السَّبعْ .

واعلم ان فى الناس من ضلّ فقال :

ما مضى فات ، والمؤمّل غيب
ولك الساعة التى انت فيها

■■

احمد زكى

رائد الفكر العربي الحديث

الإمام محمد عبده

في ذكرى وفاته الحادية والستين

بقلم : الدكتور عثمان أمين

استاذ الفلسفة بالجامعة الليبية

■ الأستاذ الامام محمد عبده علم من أعلام النهضة الاسلامية ، وقائد من قادة الفكر العربي ، وزعيم من زعماء الاصلاح المصري . وهو فوق ذلك كله فيلسوف انساني ، ومجدد ديني ، وباحث اجتماعي .

عاش سبعا وخمسين سنة ، ففي أولها في التعلم ، ووسطها في التعليم ، وآخرها في اعلاء شأن الدين ونفع المسلمين . ولكن رسالته الدينية لم تشغله عن الجهاد القومي . فكان في مقدمة الزعماء الذين أيقظوا مصر من سباتها الذي أسلمها اليه المستعمرون .

وكان أول صوت ارتفع في مصر الحديثة يدعو الى نشر العدالة الاجتماعية بين الطبقات ، ونشر الثقافة بين الفقراء . وكان يرى أن التربية هي السبيل القويم للاصلاح السياسي ، وأن لا بد من تطهير المناصب الحكومية من ضعاف النفوس ومحترفي السياسة، لكي يقدر للأمة أن تنهض نهضة حقيقية شاملة .

ما هذا الشيخ الذي يتكلم الفرنسية ؟!

كانت شخصية محمد عبده ذات طابع خاص يميزها عن الشيوخ المنعزلين ، حتى لقد كان الكثيرون يعترضون عليه قائلين : « ما هذا الشيخ الذي يتكلم اللغة الفرنسية ، ويسيح في بلاد الافرنج ، ويترجم مؤلفاتهم ، وينقل عن فلاسفتهم، ويباحث علماءهم ، ويفتي بما لم يقل به احد من المتقدمين ، ويشترك في الجمعيات الخيرية ،ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ؟ .. ان كان من أهل الدين ، فليقض حياته بين الجامع والبيت . وان كان من رجال الدنيا ، فانا نراه يعمل فيها وحده أكثر من جميع الناس » . ووصفه مستشرق امريكي كبير فقال : « كان محمد عبده فلاحا صميما ، وليد تربة مصر العريقة قبل أن يغدو مفتيا واماما للمسلمين . واننا لنلمح في اخلاصه لهذه التربة ، وفي دعوته الى الوطنية ، مزاجا عجيبا من الوفاء للماضي المجيد ، والاستمساك بيقين الدين ،والولاء لوطنية الفلاح .

حياة خصبة حافلة

وكانت حياته ـ مثل شخصيته ـ خصبة حافلة، اذ صنعها بقلبه ورأسه ويده ، كما يصنع الفنان الموهوب تحفة رائعة ، وكانت أعماله وفيرة متنوعة ، اذ لم يكل يوما عن الفكر والعمل ، منذ شبابه الباكر الى أن صار شيخا اقترب من الستين ، فكان يطالع ويتعلم ، ويحرر « الوقائع المصرية » ، ويلهم الثورة العرابية ، وينشر دعوة « العروة



الوثقى » ، ويشتغل بالقضاء فى المحاكم ، ويعلم فى الأزهر ، ويصدر الفتاوى فى الشئون الدينية والاجتماعية ، ويشترك فى جلسات مجلس شورى القوانين وفى مجلس الأوقاف الأعلى ، ويشرف على اعمال الجمعية الخيرية الاسلامية، ويضع مشروعات لاصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية ، ويؤلف الرسائل الدينية،وينشر المقالات الفلسفية ، ويفسر القرآن الكريم ، ويدافع عن الاسلام ، ويرد على منتقديه، ويراسل علماء المسلمين،ويصادق افاضل الغربيين، ويسعى الى البر واغاثة المنكوبين ، باذلا من جهده الشخصى ، منفقا من ماله الخاص .

وراسل اهل الفكر فى اوروبا ، وراسلوه

وكان طُلعة، واعيا ، حر الفكر ، واسع الافق ، محيطا باهم ما تنتجه قرائح المفكرين الغربيين . وقد استكمل ثقافته برحلات عديدة فى افريقيا واوروبا . وكان له اصدقاء عديدون ، شرقيون وغربيون ، كما كان يراسل بعض المفكرين الأوربين مثل « جوستاف لوبون » و « هربرت سبنسر » و « تولستوى » وقامت بينه وبين « ولفرد بلنْت » صداقة متينة ، وكان المستشرق البريطانى « ادوارد براون » شديد الاعجاب به حتى انه قدم الى مصر ليشهد دروس التفسير التى كان يلقيها الاستاذ الامام فى الأزهر .

فى السجن رهن التحقيق

وتتمثل شمائله فى الوفاء ، والشجاعة ، وكرم النفس ، وحب الخير ، وقد اتهم بعد هزيمة عرابى بانه افتى بوجوب قتل الخديوى لخروجه على اجماع الأمة ، فزج به فى السجن رهن التحقيق ، حيث عانى تجربة مرة قاسية بسبب انقلاب بعض الأصدقاء عليه اثناء المحاكمة ، فملا ذلك نفسه كراهية للاحتلال الانجليزى واعوانه .

يدفع عن شيخ الأزهر بالحق ، فيستاء رب النعَم !

كذلك كان الامام صريح النفس ، مستقيم الضمير ، شديد الاعتزاز بكرامته ، وحياته حافلة بآيات الشجاعة والوطنية . وقد حدث مرة ان اصدر الخديو عباس الثانى امرا شفويا الى شيخ الأزهر بان يوجه « كسوة تشريف » من الدرجة الأولى الى شيخ لم يكن من كبار العلماء ، وانما كان الامام الخاص للخديو ، فلم ينفذ هذا الامر لمخالفته لقرار مجلس ادارة الأزهر ، مما ادى الى استياء الخديوى . فلما جاء موعد « التشريفة الخديوية » انتهزها الخديو فرصة فقال لشيخ الأزهر بلهجة التأنيب : « الم آمرك بتوجيه كسوة الى فلان ؟ » فتعلثم شيخ الأزهر ، ولم يدر بماذا يجيب . فما كان من محمد عبده الا ان تطوع بالجواب ، فقال مخاطبا الخديو ، بصوت الشجاع الذى لا يهاب الحق : « ان القرار الذى اتخذه مجلس ادارة الأزهر فى هذا الموضوع هو التنفيذ لأمر الخديو ، لانه مقتضى ما نص عليه القانون المتوَّج باسمه . فاذا شاء افندينا ان يكون منح كساوى التشريف العلمية بمقتضى ارادته ، فليصدر بذلك قانونا جديدا ينسخ القانون القائم » . فاحمر وجه الخديوى غضبا عندما سمع الاجابة ، ووقف ايذانا للحاضرين بالانصراف .

وكان صادق الايمان ، مطبوعا على الاحسان

وكان محمد عبده مسلما صادقا فى اسلامه ، ينطوى قلبه على تقوى متينة عميقة . وبلغ ايمانه من الرسوخ واليقين حدا جعله ينفر من كل تظاهر او مباهاة فى شئون الدين ، حتى ظن بعض السطحيين انه لم يكن دقيقا فى اداء فروضه الدينية . وكان شاعر النيل ـ حافظ ابراهيم ـ احد من ساورهم شىء من الارتياب فى عقيدة الأستاذ الامام ، ولكنه لما رافقه فى رحلته الى الوجه

البحرى ، ادرك سوء ظنه ، حتى اشار الى ذلك فى احدى قصائده اذ قال :

وكم لك فى اغفاءة الفجر يقظة
نفضتَ عليها لذّةَ الهجَعات .

كذلك كان الاستاذ الامام مطبوعاً على الاحسان ، فما كاد يشب حريق « ميت غمر » حتى قام بجولة طويلة فى مدن مصر ، ليجمع المال للمنكوبين ، كما ثبت انه كان يوزع جميع مرتباته من الاوقاف على الفقراء والمساكين ، ويبالغ فى كتمان احسانه عنهم : ذلك لان حب الخير كان سجيته العليا ، وكانت الاخوة الشاملة التي الهمت علماء الصوفية نبراساً منيراً له . وقد كان الفضل للسيد جمال الدين الافغاني فى ذلك الانسجام النادر بين صوفية كلها باطنية وبين حاجة ملحة الى العمل .

فلسفة محمد عبده

نظر محمد عبده الى الفلسفة تلك النظرة الانسانية الاصيلة ، فاخذها على معنى محبة الحكمة وممارسة الفضائل الاخلاقية ، وهداية السلوك الانساني . وقد فهم محمد عبده حق الفهم ان التفكير الفلسفي لا يمكن ان يبقى دائماً نظريا « تامليا » فحسب ، وانه لا يستطيع ان يعطينا عن الوجود وجداناً مليئا وتملكاً صحيحاً الا اذا استطاع ان يقحمنا فى الدنيا ، بدلا من ان يخرجنا منها ، وان يلزمنا ان نتحمل مسئولية شخصية بازاء كل ما يحدث فيها ، بدلا من ان يدعونا الى ان نجد فى استقلال الفكر وعزلته ملاذاً نلوذ به .

بهذا المعنى السامى كان محمد عبده فيلسوفاً جديراً بهذا الاسم الجميل . على يديه عادت الفلسفة فى العالم العربى الاسلامي الى ما كان ينبغي ان تكون عليه دائماً ، فاضحت تاملا روحياً فى معنى هذه الحياة الانسانية ، وتحقيقاً لوعى الانسان لذاته ، وبحثا عن دعائم العمل والأخلاق .

فتح باب الاجتهاد وسعَهُ ، وكاد التقليد ان يكون عنده كفراً

وقد كان يرى ان الخطوة الاولى فى كل مسعى فلسفى هى تنبيه الوجدان ، وايقاظ الضمير ، واثارة روح النقد ، ولذلك وجدناه فى جميع اقواله ورسائله ومؤلفاته دائباً على مهاجمة « التقليد » ، اى تقبل آراء الغير دون المطالبة بالدليل ، ودون الالتفات الى حق كل شخص فى النظر والفحص .

ومن اجل هذا نراه يشيد دائما بمبدأ « الاجتهاد » ، نعنى الفكر المتحرر من كل عائق ، ويحمل على المقلدين حملة شعواء ، حتى لنجده يصفهم احياناً بما يقرب من الكفر والضلال . وهو يقول ان ابواب الاجتهاد لم توصد ، كما زعم بعض المسلمين واهمين ، وانما هي مفتوحة لجميع المسائل التي تثيرها ظروف الحياة المتجددة . ويجب الا تكون الكلمة الاخيرة للنصوص البالية ، ولا للسلطات البائدة ، بل للحياة النابضة ، ولروح التجديد ، وتوخي المصلحة العامة : « فان فكراً يكون مقيداً بالعادات مستعبداً للتقليد ، لهو فكر ميت ، لا شان له ولا حياة ، اذ ان « الفكر انما يكون فكراً له وجود صحيح ، اذا كان مطلقاً مستقلا ، يجرى فى مجراه الطبيعي ، الذى وضعه الله تعالى ، الى ان يصل الى غايته » . ويجب الا يذل الانسان فكره لشيء سوى محبة الحق ، « فان الذليل للحق عزيز » .

نعم ان واجبنا ان نسير فى وجودنا الحاضر مهتدين بتجارب السلف ، لكن ليس من واجبنا ان نقبل جميع ما يؤثر عنهم من تقاليد دون فحص وتمحيص ، بل ينبغي ان نستعمل فيها تفكيرنا : فاذا وجدناها صحيحة ـ اى موافقة للعقل ـ قبلناها .... والا رفضناها .

هذا البحث الحر ، هذه الحاسة الناقدة ـ فيما يرى محمد عبده ـ هي ما يميز « الحيوان الناطق » اى الانسان ، عن سائر الحيوان ، وهى الشجاعة فى طلب الحق ، تلك الشجاعة التي تجعل « طالب الحق صابرا ثابتا ، لا تزعزعه المخاوف » ، والتي تجعل المرء عزيزاً كريماً ، بعيداً عن الاوهام العامية ، محطماً للاصنام السوقية ، والتي بها « يكون الانسان حراً » ، خالصاً من رق الاغيار ، عبداً للحق وحده » .

نقد المجتمع من اجل الاصلاح :

فى اوائل هذا القرن ، انتهت زعامة الفكر فى الشرق العربى الى الاستاذ الامام ، فاشتغل بالتجديد الديني ، والاصلاح الاجتماعي ، وكان بحق ، رجل علم وعمل ، ورجل دنيا ودين ..... اذ راح يهاجم ما يخالف الصواب من افكار واخلاق

وعادات سيئة ، شائعة ، سواء بين علماء العصر أو عامة الناس .

فى الجانب العقلى

ففى الجانب العقلى ، وجه الامام شديد النقد للمشتغلين بالعلم فى عصره ، وكثيرا ما نعى عليهم جهلهم وضيق عقولهم ، كما نعى على الفقهاء تزمتهم فى فهم النصوص الدينية ، وتشبثهم بحرفيتها وظاهرها ، دون الالتفات الى روحها وجوانيتها ، وحملهم تبعة ما وصل اليه المسلمون من قلة الاكتراث بجوهر العقيدة ، وانحى باللــوم على العلمـاء خاصـة ، لافتقارهم الـى روح النقـد والتمحيص ، وتمكـن الأوهـام والخرافات مـن اكثرهم .

وقد غدا النقد الذى وجهه الفيلسوف الـى التعليم فى الأزهر امـرا معروفا ، اذ عاب عليـه قصوره من حيث الشكل والموضوع ، او من حيث الطريقة والمادة : لانالعلماء والمعلمين كانوا ينفقون السنوات الطوال فى وضع الحواشى على شرح لنص من نصوص مؤلف قديم ، وهم يفسرون العبـارات والعلاقات بين الالفاظ فى اسهاب كثير .. واستنكر هذا اللون من الثقافة « المدرسية » التى تنمى الذهن دون أن تقوى الشخصية،وتدفع الىالجدال دون الانتاج ، وتركن الى القول دون العمل !

فى الجانب الاخلاقى

اما فى الجانب الأخلاقى ، فقد رأى الفيلسوف الناقـد أن ضـعف المسلمين مصـدره جمودهم وقصورهم عــن فهم الأركان الأسـاسـية للأخلاق الاسلامية ، وانهم فقدوا الايمان بالله « لانهم اخذوه اسما ، واكتفوا به علما ورسما ! » . وكان يعيب عليهم ان ليس بينهم ما يدل على تضامنهم او الثقة فى انفسهم ، ولم يعُدْ لـديهم امل فى النهوض ببلادهم .

ونشأت عن هذه الحال النفسية آفات التردد وفتور الهمة وضعف العزيمة وفساد السلوك . وهذه الآفات تبتدىء من البيت وتنتهى الى سواد الامة ، وتمـر فى كل طبقـة ، وتجول فى دوائـر الحكومة ! .

وفى الجانب الدينى

وفى الجانب الدينى ، أخذ محمد عبدة علـى المسلمين انهم زيّفوا تعاليـم الاسـلام السمحة الواضحة ، وكان يندد بما درج عليه العلمـاء من « شكلية » قطعية تنبىء عن وسوسة ارتيابية اذ تجعلهم يسرفون فيفترضون ـ آليا ـ ابعـدَ ضروب الاحتمالات ، ويلاحظون ـ من الخارج ـ ادق تفاصيل العبادات .

اما عقائد العامة فكان الامام يرى انها الفاظ لا تمتّ الى الدين بسبب ، فهى عنـد الجمهور عَوْد الى العقائد الجبرية ، والذهاب الى انـه لا حرية ولا اختيار للانسان فيما يفعل ، وانما هو مجبر فيما يصدر عنه جبـرا محضـا ، ولهـذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض واقتراف المعاصى ! .

وقد وجه الناقد المصلح اعنف هجوم على البدع المذمومة التى كانت منتشرة بين المسلمين فى عصره. وقـد كتب ابّان نفيـه فى بيروت : « ان ضـعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين علـى اختلاف طبقاتهم ، الا من عصم الله ، وهم قليلون. ولهذا نراهم يفرون من الخدمة العسكرية،ويطلبون للتخلص منها اية حيلة ، وهى من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم . ونرى المسلمين يبخلون باموالهم اذا دعت الحـال الى مساعدة الدولـة والانفاق على مصالح الامة ، ولا يبخلون بذلـك على شهواتهم .. بعكس ما نرى فى سائر الامم » .

اما فى الجانب الاجتماعى للحياة الاسلامية ، فان الفيلسوف يوجه اللوم الى رجال الفكر فى عصره ، لأنهم لم يقدموا على أى محاولة لاصلاح مجتمع هم أعلم الناس بما يشوبه من عيوب . وكان يدعو الأغنياء الى بـذل المـال مساهمة فى المشروعات العامة ، ويهيب بالأفراد أن يتضامنوا فيما يعود بالخير على الجماعة .

واذا كان محمد عبده قد لخص رسالة حياته فى امرين : الدعوة الى تحرير الفكـر من قيـد التقليد ، ثم التمييز بين ما للحكومة من حقالطاعة على الشعب وما للشعب مـن حق العدالة على الحكومة ، فقد لاحظ ان أكثر الناس قد أساءوا فهم المعنى المقصود من الطاعة للسلطة الحاكمة ، فالقوا كل شان من شئونهم على عاتق الحكومة ، معتقدين انهم غير ملزمين بان يعاونوا من جانبهم الا بدفع الضرائب التى تفرض عليهم ، أما الحكام فلم يفهموا مـن معنى الحكـم الا تسخير الناس لاهوائهم واذلال الافراد لسلطانهم ، وجمع الثروة

وابتزاز الأموال ، لانفاقها في ارضاء شهواتهم ، لا يرعون في ذلك عدلا ولا قانونا ، فكانوا اسوأ مثل يقتدى به الشعب !

اقتنع الناقد المصلح بأن التقدم الصحيح هو التقدم الداخلي « الجواني » ، تقدم المعرفة والتربية والاخلاق،وان هذا التقدم لن يكون ثابتا باقيا الا اذا سار وئيدا أكيدا . وبعبارة أخرى نستطيع أن نقول ان ما رآه الأستاذ الامام في اصلاح المجتمع هو عين ما رآه النبي العربي في اصلاح الفرد ، اذ قال عليه الصلاة والسلام : « ما من عبد الا وله جواني وبراني،بمعنى سريرة وعلانية ، فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ، ومن افسد جوانيه أفسد الله برانيه .. » .

وعند الامام :
ان ارادة الانسان حرّة

وقد ناصر الأستاذ الامام نظرية « حرية الارادة » مناصرة متصلة لم تنقطع . وكثيرا ما نهض محتجا على «الجبريين» القائلين باننا لا نستطيع أن نغيّر شيئا مما كُتب علينا في لوح القضاء المحتوم ، ولذلك فلا فائدة من العمل والسعي ، ومن الخير أن نسلم أمورنا الى المقادير تصرفها دون أن نفرض على أنفسنا جهودا مقضيا عليها بالضياع ! ويرد الامام عليهم بقوله : « ان الله لم يأمرنا بأن نهمل واجباتنا بحجة التوكل عليه . فان مثل هذا لمن سخف الرأي ، ولا يمكن أن يحتج به الا قوم لا أخلاق لهم ولا دين » ! ويمضي الفيلسوف في دفاعه عن الحرية وحملته على « الجبر » فيقول : « ان جزءا من أعمالنا منسوب الى الارادة ، وذلك ما يسمى « بالكسب » وهو مناط الثواب والعقاب » .

وان المنكرين لحرية الأفعال الانسانية يحتجون بالآية القرآنية : « والله خلقكم وما تعملون » ويفسرونها على معنى أن الله هو خالق أعمال الانسان . لكن الامام محمد عبده يلاحظ أن هذه الآية نفسها تقول « .. وما تعملون » : فهي بذلك تفيد نسبة العمل الى الانسان .

ولكنهم قد يزعمون أننا اذا حرصنا على اثبات الحرية الانسانية ، فقد رفعنا ارادته الى مرتبة الارادة الالهية ، وهذا يؤدي الى « الشرك » بالله . لكن الفيلسوف يدفع ذلك الاعتراض الأخير على وجه لا يخلو من طرافة ، فيبين أن الانسان الذي يقترف اثم « الشرك » ليس هو الانسان الذي يعوّل على قواه الخاصة ، ويعدُّ نفسه مسيطرا على أهوائها ، مسئولا عن تصرفاتها ، بل المشرك هو ذلك الذي يعتقد ان لغير الله اثرا فوق ما وهبه الله من الأسباب الطبيعية الظاهرة ، وان لشيء من الأشياء سلطانا على ما خرج عن قدرة الناس . ثم ان « المشرك هو من يعظم سوى الله مستعينا بهفيما لا يقدر الانسانعليه: كالاستنصار في الحرب بغير قوة الجيوش ، والاستشفاء من الأمراض بغير الأدوية التي هدانا الله اليها ، والاستعانة على السعادة الأخروية أو الدنيوية بغير الطرق والسنن التي شرعها الله » .

على أن « التوكل » الصحيح لا يعني شيئا آخر سوى الثقة بالله ، مع استعمال الأسباب الطبيعية من اجل غايات ترسمها عقولنا : « فلا نكون متوكلين حق التوكل حتى نستعمل نفوسنا في الوسائل التي توصلنا الى بلوغ الغاية من أعمالنا،وان نجيد الاستعمال حتى لا يقع لنا ضلال في طريق الوصول الى المقصود » .

ان عقيدة « القضاء والقدر » اذا فهمت على الوجه السليم ، وخلصت من شناعة القول بالجبر ، لا يمكن أن يكون لها على الأخلاق الا اثر حميد : تبعث النفوس على الاقدام والشجاعة ، واحتمال المكاره ، واقتحام الأهوال ، وتبث فيها روح التضحية ، وتطبعها على السخاء والثبات ، وبذل ما هو عزيز في سبيل الفكرة والعقيدة « والذي يعتقد أن الأجل محدود ، والرزق مكفول، والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء..كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه واعلاء كلمة أمته أو ملته ؟ وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله في تعزيز الحق ، وتشييد المجد ، على حسب الأوامر الالهية ، وأصول الاجتماعات البشرية ؟ » .

ان العودة الى مناصرة عقيدة الحرية هي اذن سبيل النجاة للأمة الاسلامية ، والانصراف عن الاعتقاد بالجبر معناه ايقاظ القوى الأخلاقية ، والتمسك بالعزة القومية والحرص على كرامة الانسان .

رأي الامام في السياسة والحكم

كان العصر الذي عاش فيه محمد عبده مليئا بالأحداث ، مثيرا للخواطر . فلم يكف المفكر

الواعي عن ابداء رأيه في المشكلات العصرية الكبرى ، من سياسية واجتماعية . وقد ناصر محمد عبده – في البداية – النظام الديمقراطي البرلماني . غير أن تتابع الاحداث السياسية في مصر ، وبلاد الشرق العربي ، لم يكن من شأنه أن يمكن الأستاذ الامام من البقاء على آرائه الاولى فان مساوىء الحكومات، وجهل الشعب ،والفوضى العقلية ، والانحطاط الأخلاقي الذي ساد البلاد عقب الاحتلال الانجليزي لمصر ، وانهيار سياسة جمال الدين الافغاني لتحرير الشعوب الاسلامية من الاستعمار .. كل هذه التجارب جعلت المفكر الوطني يرى في الأفق البعيد نموذجا آخر للحكم أكثر ملاءمة لحال البلاد ، وأدنى الى تحقيق آماله في اصلاح أمرها .

ومنذ ذلك الحين اتجهت آراء الامام بالتدريج نحو نظام خاص من « الحكم العادل » ، يخلص البلاد من تلك المساوىء ، ويحقق لها ما تبغيه من نهضة شاملة . وللامام في هذا الموضوع كلمة مأثورة هي : « لن ينهض بالشرق الا حاكم مطلق عادل ».

ومجمل رأى الامام في هذا الصدد أن الاصلاح الأخلاقي يجب أن يسبق الاصلاح السياسي ، بل قد يغني عنه ، فكانت وسيلته الى الاصلاح السياسي هي « التربية القومية » ، واعداد جيل قادر على القيام بما يعهد اليه من بعث الروح في المجتمع العربي ، ولكن بعثا كهذا لا يمكن أن يتم – في رأيه – الا على يد حاكم قوي ، نزيه ، عادل ، شجاع ، عالم ، حازم ، أصيل الرأي .

وكان يرى انه ينبغي الشروع في تطهير واسع ، يتناول أهل النفوس الضعيفة ، ومحترفي السياسة والانتهازين ، والمتخاذلين ، والمهرجين والديماجوجيين .. فيقصيهم عن مناصب الحكومة ذات المسئولية ليفسح المجال لأهل الارادة القوية، والتصميم الحازم ، والضمير الحي .

وكان يرى أن تمثيل الشعب في المجالس النيابية ، على النمط المعروف في البلاد الغربية ، ليس له معنى الا اذا اجتمعت كلمة الأمة على غاية واحدة ، والا اذا بذل المواطنون جهودهم في سبيل المصلحة العامة .

وما دامت الأمة متفرقة ممزقة الأوصال مشتتة الأهواء ، وما دامت أحزابها السياسية خاضعة في تصرفاتها لمآربها الشخصية ، وما دام أفراد الطوائف المختلفة يعوزهم الوعي العام .. فالتمثيل النيابي حديث خرافة ساقه الوهم والتقليد .

رأى الامام في المجتمع الانساني

فسر محمد عبده أصل الجماعة الانسانية وطبيعتها ، فميز في ذلك ثلاثة مبادىء اساسية :

أولها : الغريزة الاجتماعية التي تحدث عنها « ارسطو » في كتاب « السياسة » وهي الغريزة التي تدفع الناس الى العيش مجتمعين. وفيلسوفنا العربي على وفاق مع أرسطو في أن الدولة ليست موجودة بالعرف والمواضعة فقط، وانما لها جذورها في الطبيعة البشرية .

وثانيها : مقارنة الجماعة بالبدن الحي ،وهي مقارنة شائعة في الكتابات الفلسفية الكلاسيكية .

وثالثها : طابع « الفطرية » في الدين الذي هو لازم للاخلاق وحفظ المجتمع .

جاء في القرآن الكريم : « كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .. »ومعنى هذا عند محمد عبده أن الله خلق الناس أمة" واحدة ، أي مرتبطا بعضهم ببعض في المعاش ، لا يسهل على أفرادهم أن يعيشوا في هذه الحياة الا مجتمعين ، يعاون بعضهم بعضا ، ولا يمكن أن يستغني بعضهم عن بعض . « فكل واحد يعيش ويحيا بشيء من عمله . لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفيته جميع ما يحتاج اليه ، فلا بد من انضمام قوى الآخرين على قوته ، فيستعين بهم في بعض شأنه ، كما يستعينون به في بعض شأنهم ، فالانسان يحس بفطرته أنه محتاج الى غيره من الافراد الذين يعيشون في جماعته ».

التعاون مِسَاك المجتمع عند الامام

والتعاون – فيما يرى الأستاذ الامام – هو الأساس الذي يقوم عليه التماسك الاجتماعي بين الافراد . وقد دأب الفيلسوف المصلح ، حتى في تفسيره للقرآن الكريم ، على التنديد بما يلاحظ عند أكثر أفراد الجماعات من الانانية أو عدم المبالاة ، وهي حالة لا بد أن تؤدي الى تفكك الروابط الاجتماعية بين الناس ، وتؤدي بالمجتمع نفسه الى البوار . وهو يهيب بكل فرد أن يشعر

بانه جزء من كل ، وانه عضو عامل في المجتمع الانساني الكبير . ويستحث النفوس على الاتحاد والوفاق ، وذلك ببذر بذور تربية اخلاقية جديدة، هي ابقى اثرا من القوانين التي تفرضها الحكومات، فان « الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع واوراق وجذوع وجذور ، هي الأخلاق الفاضلة بمراتبها ». وبغير الاتحاد والمحبة لا تقوم للاخلاق قائمة . فيجب ان تكون التربية الجديدة تربية اجتماعية مستنيرة ، اساسها الايثار ومحبة الغير : فالعلم الحقيقي هو الذي يعلم الانسان من هو ومن معه ، فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة ، هي ما يسمونه بالاتحاد » .

لكن هذه التربية الاجتماعية يجب أن تبدأ بالأسرة .وقد عرف الفيلسوف المصلح من تجاربه في القضاء وبالمحاكم المصرية أن نحو ثلاثة أرباع القضايا انما هي بين بعض الأقارب وبعض . وهذه المنازعات ناشئة عن التباغض، وحب الوقيعة والنكاية بأفراد الأسرة الواحدة .. ، وهي مشاعر راجعة الى نقص التعليم والتربية الاجتماعية . « فهل من المعقول أن يكون الفساد في العلائق الطبيعية الى هذا الحد من التصرم ، ونتساءل عن تصرم العلائق الوطنية ؟ هل يمكننا اننا بعد أن نفقد الروابط الضرورية بين العائلات ، نبحث عن الروابط الخارجية للجامعة الكبرى؟ » .

والجماعة الانسانية اذا سارت على سجيتها ، مع توجيهها الى الخير المركوز في جبلتها ، رسخت فيها الفضائل الاجتماعية التي من شأنها أن تقوى في نفوس الناس الشعور بوحدتهم في الأصل والنوع والمصير ، وتبعث فيهم روح الوفاق والتراحم والسلام . بل قد صرح الفيلسوف المصري في « العروة الوثقى » سنة ١٨٨٤ بأن الفضائل في عالم الانسان « كالجذبة العامة (الجاذبية) في العالم الكبير » ، فهي تمسك المجتمع وتصونه من البوار .

« فكما أن الجذبة العامة يحفظ بها نظام الكواكب والسيارات ، وبالتوازن في الجاذبية ثبت كل كوكب في مركزه ، وحفظت النسبة بينه وبين الكوكب الآخر ، وانتظم بها سيره في مداره الخاص بتقدير العزيز العليم ، حتى تمت حكمة الله في وجود الأكوان وبقائها ــ كذلك شأن الفضائل في الاجتماع الانساني ، بها يحفظ الله الوجود الشخصي الى الأجل المحدود ، ويثبت البقاء النوعي الى أن يأتي امر الله » .

عصرية الامام وانسانيته

ولم يكن محمد عبده احد كبار ائمة الاسلام فحسب ، بل كان أيضا فيلسوفا باسمى معاني الكلمة واصدقها ، وضع لهداية العمل مذهبا خصبا ضافيا ، واتخذ من اغلب المسائل الفلسفية موقفا لا تعوزه الأصالة ولا الاستقلال . وكان له ــ فوق هذا ــ مزاج الفيلسوف الحق الذي يميل في كل ما يعرض له ، الى التأمل والروية ،وينحى عن ذهنه طغيان الآراء المألوفة المشهورة ، ولا يستسلم لحكم الأمر الواقع « الذي يذعن له فاترو الهمم أكثر مما ينبغي ، بل كان يسلك الطريق الفلسفي على الاصالة ، ذلك الطريق الأفلاطوني القديم ، الذي جدده « ديكارت » وأعاد بناءه « كنْتْ » ونعني به تغليب « الجواني » على « البراني » ، والنظر الى الانسان بعين الروح ، واخضاع العالم لشرعة العقل .

ومحمد عبده عصري جدا في فلسفته . وانه لشديد القرب منا ، متى راعينا الاتجاهات العامة لفكره ، وسيادة الشعور الإخلاقي على مذهبه .

فاذا استثنينا «الغزالي» ، لم نكد نجد من بين فلاسفة الاسلام أحدا قبل الاستاذ الامام اوتي استعدادا نفسيا كهذا: فبدلا من تلك الثقة المطلقة في قوة العقل (وهي ثقة تتجلى في كتابات الفارابي وابن سينا وابن رشد) ، نجد عند الفيلسوف المصري العربي موقفا انسانيا معتدلا ، فهو لا يغترف من الجدل والمنطق الا بقدر محدود ، لانه كان يرى مع « بسكال » أن « روح الرياضة لا تكفي وحدها ، ولا غنى لنا عن « روح اللطافة ».

استطاع ــ محمد عبده ــ بتعاليمه في مصر وفي بلاد العروبة والاسلام ــ أن يرفع لواء القيم الروحية ، وأن يؤدي للوعي الانساني ما ينبغي له من احترام . واستطاع كذلك ــ امام بطش القوة الغاشمة ــ أن يؤيد حقوق الضمير ومطالب الأخلاق ، ففتح بذلك للفلسفة في العالم الاسلامي والعربي آفاقا بعيدة واسعة . ■■

بنغازي — عثمان أمين

نتيجة مسابقة العدد ٩٣

الفائزون بالجوائز ... والإجابات الصحيحة

■ معظم الذين اشتركوا فى هـــذه المسابقة أجابوا على أسئلتهـــا الثمانية اجابة صحيحة .

وقد أسفرت عملية الاقتراع على الجوائز عن النتيجة الآتية :

الجائزة الأولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها : عبد الله محمد بصعر ، مدرسة الثغر الثانوية ـ الحديدة ـ اليمن .

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فاز بها: عبد العزيز محمد العمرى ص.ب ٣٢٧٦ الظهران ـ السعودية .

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها : محمد شاكر أحمد ـ بيت حنينا ـ القدس ـ الاردن .

٨ جوائز قيمتها أربعون دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من :

١ ـ محمد المدنى : صالون الهلال ـ شارع ابو بكر الصديق ـ المصيطبة ـ بيروت : لبنان .

٢ ـ عبد اللطيف البحراوى ـ شارع مدغشقر رقم ٢٨ الرباط ـ المغرب .

٣ ـ سعد فالح رويشد ـ سرية الموسيقى النحاسية ـ الحرس الاميرى : دولة الكويت .

٤ ـ على الخويلدى ـ ص.ب ١٠٩٨ ـ طرابلس ـ ليبيا .

٥ ـ عبد الستار فتحى السبعاوى : الدار ٩٩٩ ـ دور الشؤون ـ مدينة الحرية : بغـداد ـ العراق .

٦ ـ قاسم الخطيب ـ كلية العلوم ـ جامعة دمشق ـ دمشق سورية .

٧ ـ عباس المبارك محمد : وزارة الخارجية ـ الخرطوم ـ السودان .

٨ ـ عبد العليم عبد الحميد سالم عوض : مدرسة العريش الثانوية ـ محافظة سيناء ـ ج.ع.م.

ونشر فيما يلى الاجابات الصحيحة

١ ـ المحيط الاطلسى ـ المحيط الهندى :بحر العرب ـ البحر الابيض المتوسط ـ البحر الاحمر .

٢ ـ العراق ـ الاردن .

٣ ـ الاسكندرية ، بورسعيد ، رأس البر (ج.ع.م.) اللاذقيـــة ، بانياس (ج.ع.س) جونيه ، طرابلس ، بيروت، صيدا ، صور (لبنان) درنه ، طبرق ، بنغازى ، طرابلس (ليبيا) جربه، تونس، بنزرت ، طبرق ، قرطاجنة (تونس) وهران ، الجزائر (الجـــزائر) الدار البيضاء ، الرباط (المغرب) .

٤ ـ بلودان، كسب (سورية) سرسنك، صلاح الدين (العراق) رام الله ، بيت جالا (الاردن) الطائف (السعودية) صنعاء (اليمن) اركويت (الســودان) باجه ، عين دراهم (تونس) قسنطينة (الجزائر) افران (المغرب) .

٥ ـ جزيرة جربه ٦ ـ اركويت ٧ ـ المغرب ٨ ـ بورسعيد .

قمر السماء

لو انك نطقت بكلمة القمر فى القرون البعيدة الغابرة ، لما فهم الناس منك الا انك تعنى قمر السماء الواحد ، ذلك القرص الابيض الذى يشرق كما تشرق الشمس ثم يغرب ، ثم يشرق ثم يغرب .

القمر اعطى الانسان معنى الزمان

ويختلف زمن شروقه كل يوم وزمن غروبه ، ويختلف مقدار ما يحمل كل يوم من ضياء وما يحمل من ظلمة . واذ هو يحمل اكثر ما يحمل من ضياء فهو بدر . ويأخذ يستبدل بالضياء ظلمة فاذا هو هلال . ثم ينطفىء ، ثم هو يعود سيرته الاولى فيستبدل بالظلمة ضياء حتى يصير بدرا . وبين البدر والبدر نحو من اربعة اسابيع ، اعطت للانسان معنى الوحدة التى يقيس بها الزمان ، فأسماها شهرا ، وذلك بعد الوحدة الاقل ، تلك التى اوحت بها الشمس ، بطلوعها وغروبها ، وسماها الانسان يوما .

وعرف الانسان ذلك ، ووعاه ، قبل ان يعرف ما الساعات ، وقبل ان يعرف ما الاعوام .

فضول هو ، ام طبيعة ؟

وسار الزمان قرنا من بعد قرن ، والانسان لا يفتأ ينظر الى اجرام السماء ، ان شئت عن فضول كما يحلو لكتاب القصة ان يقولوا ، وان شئت عن طبيعة وضعت فى خلق البشر ، مرسومة مقدورة ، هدفها الاحاطة المتزايدة ، والفهم الاوسع ، تلك التى تحمل الانسان بدورها الى غاية ارادها الله له ، مرسومة كذلك مقدورة .

اجرام السماء صنفان

وادرك الانسان من نظراته الى السماء ان اجرامها صنفان ، صنف ثابت ، وهذا عدده عدد حصى الرمل فى الصحراء ، وصنف لا يفتأ يغير مواضعه بين النجوم . فأجرام السماء اذن نجوم ثوابت ، بينها نجوم لا تفتأ تسير فهى سيارة . ثم تتغير الاسماء ، فالثوابت نجوم ، والمتحركات كواكب .

ويتقدم الكشف ، وتتقدم آلاته ، فاذا النجوم شموس من نار ، واذا الكواكب اجسام كالارض باردة تستعير من شمسنا هذه ضياءها فتعكسه الى ابصار اهل الارض .

وظل معنى القمر هو القمر الواحد الاوحد .

كواكب غير الأرض لها أقمار

ثم تزيد ادوات الابصار قوة ، فاذا لبعض الكواكب اقمار تدور حولها كما للارض قمر .

كان القمر لفظا مفردا لا يعرف له العلم الجمع ، فصار اقمارا .

الأقمار توابع

وعاد الانسان يفكر فى الأرض وقمرها . ان الأرض تدور حول الشمس . وان القمر يدور حول الارض . وتسير الأرض فى السماء ويسير قمرها معها . انه دائما يتبعها . انه يسير معها حيثما سارت . انه اذن « تابع » Satellite والاقمار اذن توابع Satellites ، لأنها

يدير الإنسان حوله أقمارًا

تتبع دائما اجرامها التى تدور حولها ، لا تبغى ، بل لا تستطيع عنها انفصالا .

الله قدّر للانسان ان يصنع قمرا

كل هذه الأقمار التوابع كانت من صنع الله .

ولكن الله ، كما قدّر لخلق هـذه الاقمار، قدّر للانسان ان يكون فى مقدوره فى زمن ما ان يصنع للأرض قمرا . وتحقق ذلك على أيدى الروس من عباده ، حين اطلقوا القمر الاصطناعى الأول، الاسبتنك Sputnik ، فى عام ١٩٥٧ ، فصار يدور حول الأرض .

انه قمر صغير بالغ الصغر حقا. قليل بالغ القلة حقا ، ولكنه ضخم عظيم اذا قورن بجرم الانسان ، والقصير من حيلته . ومع هذا فهو قمر تقمص كل مؤهلات الطبيعة وقوانينها ليكون قمرا. او ان شئت فتابعا . تابعا للارض .

تابعا ارسلوه يستخبر

وتمضى بحوث الفضاء بالانسان الى ان يحاول النزول على سطح القمر . ولكنه سطح نكرة غير معروف . واذن هو يرسل اليه القذائف فتحط عليه . وتأخذ كمراتها من صور هذا السطح ما تأخذ وترسلها الى اهل الأرض .

ولكن لم تكف هذه الصور ، واشباه لها ، لتعريف الانسان بسطح القمر ، ولا لتأمين هبوطه عليه .

اذن فليرسل الى القمر تابعا يستخبر. وكان هذا التابع قمرا يدور حول القمر .

قمر الانسان يدور حول قمر الطبيعة. وما الطبيعة كلها ، وما الطبع والاطباع جميعا ، وما العقول ، الا من صنع الله .

ونقول هـذا ونكرره ليطمئن اولو العقول التى ترى فيما صنع الانسان ويصنع تحديا لصنع الله .

القمر الأول ، الذى اداره الانسان حول القمر

كان الروس أول من أطلق قمرا اصطناعيا اداروه حول الأرض . ينافس قمر السماء ولا ينفسه . انه الاسبتنك.

كان هذا عام ١٩٥٧ كما ذكرنا .

واخذ العجب الناس اشد مأخذ . واختبلوا من الدهشة ثم استفاقوا .. وبعض كذّب .

ثم تعود الناس أن يدور حول الارض قمر وقمر وقمر ، حتى بلغت الاقمار عددا لا يذكره الناس ، لأنه صار امرا عاديا لا يثير أحدا . انها الالفة التى تنزل باقدار الأشياء .

ويشاء ربك ان يكون الروس ايضا ، من بين عباده ، اول من يطلق قمرا ، يدور حول القمر .

كان هذا فى الحادى عشر من الشهر الرابع ، ابريل ، من هذا العام الحاضر.

كيف اطلقوه

انها « محطة الفضاء » التى اسموها لونا عشرة Luna 10 . ولونا لفظ يحمل معنى القمر .

وهم اطلقوا « محطة الفضاء » هذه كما تطلق سائر الاقمار لتدور حول الأرض ، بالصاروخ .

واذ استقرت « المحطة الفضائية » فى فلكها حول الارض ، امر علماء الارض صاروخا بها أن ينطلق . وانطلق الصاروخ فزاد سرعة المحطة بالقدر الذى استطاعت به أن تفلت من الأرض وتنطلق نحو القمر .

والوقت الذى اختاروه لهذا وقت معلوم . والثانية من الزمان التى اختاروها لهذا الاطلاق ثانية معلومة . والسرعة التى اطلقوها بها لتفلت من الارض سرعة محسوبة . وكل هذا لتصل المحطة الى القمر فى موضع من الفضاء معلوم ووقت محسوب .

ولتثبيت المحطة فى مسارها نحو القمر اجهزة تحملها ، بعض يربطها ببعض نجوم السماء ، فاذا هى تحولت عن مجراها ، علم بذلك أهل الارض ، فأصلحوه . ومن وسائل اصلاحه صواريخ غاية فى الصغر ، يأمرها أهل الارض من هذا البعد البعيد فتنطلق ، فتزيد فى سرعة المحطة ، أو تنقص منها ، ومعنى هذا تغير ولو ضئيل فى اتجاه المسار . والشارات اللاسلكية دائما منطلقة من المحطة الى علماء الأرض ، ومنها يعلم العلماء عن المحطة الكثير .

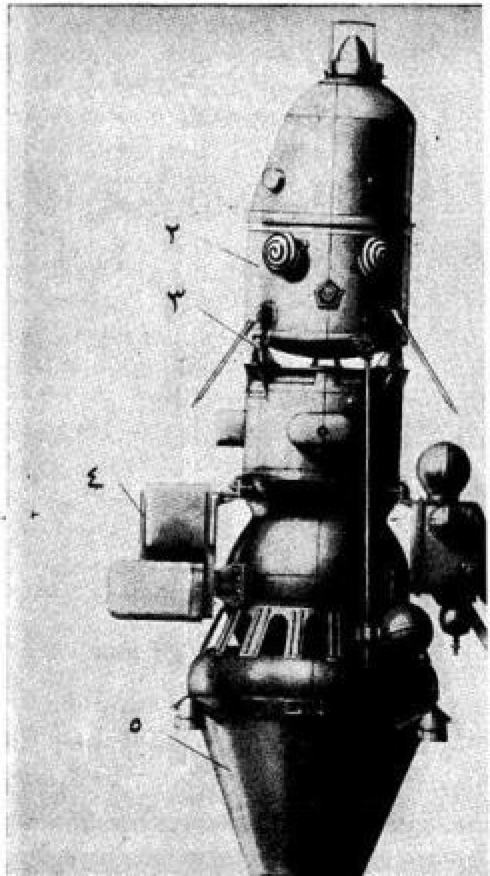
وتقترب المحطة ، ووزنها ١٦٠٠ كيلوجرام ، من القمر ، وتكاد تدخل فى نطاقه .

وعلم العلماء ان سرعتها عندئذ تبلغ ١ر٢ كيلومتر فى الثانية ، وهذه سرعة لايستطيع القمر معها ان يجذب المحطة جذبا كافيا فى فلكه .

واذن أمر العلماء جهاز الحركة بالمحطة ان يعمل . ثم أمروه بالسكون فسكن . وعندئذ كانت سرعة المحطة ٢٥ر١ كيلومتر . واذن استطاع القمر أن يحتفظ بها فى نطاقه .

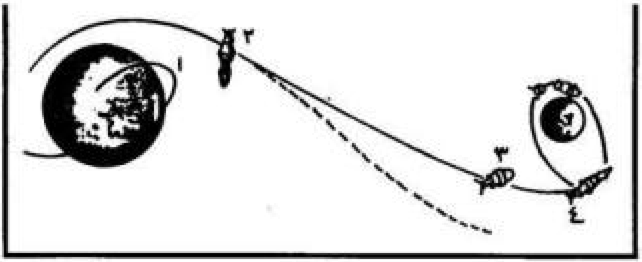
المحطة الفضائية الذاتية هذه قسمان

وهذه المحطة التى نتحدث عنها تتألف من قسمين ، قسم هو القمر الاصطناعى الذى اريد له أن يدور حول القمر ، والقسم الثانى هو المجموعة التى ضمت اجهزة الحركة واجهزة التوجيه ، وكل شىء استخدمه العلماء من بعيد لتأمين مسار المحطة ، جملة ، ناحية القمر ،



محطة الفضاء الذاتية التى أطلقت من مدارها حول الأرض الى القمر

(١) أجهزة الرديو القياسية (٢) القمر الاصطناعى الذى انفصل ليدور حول القمر (٣) الجهاز الذى فصل القمر الاصطناعى عن المحطة (٤) الجهاز الذى يربط المحطة بنجم فى السماء مختار ليحتفظ وضع المحطة فى مسارها (٥) جهاز الحركة.



رسم ايضاحي لمسار المحطة الفضائية من الأرض الى القمر

(١) مدار المحطة الفضائية حول الارض (٢) تصحيح مسار المحطة كي لا تبعد عن القمر (٣) تغيير وضع المحطة قبل انفصال القمر الاصطناعي عنها (٤) حين انفصل القمر الاصطناعي عن المحطة ودار في فلكه حول القمر .

ولتصحيح هذا المسار بالتحكم فى السرعة عند الحاجة (انظر الشكل الاول المرفق) .

واذ دخلت هذه المحطة ، جملة ، فى نطاق القمر، لم تكن هناك حاجة الى ابقاء هذه المجموعة التى ضمت اجهزة الحركة وغيرها مرتبطة بالقمر الاصطناعى .

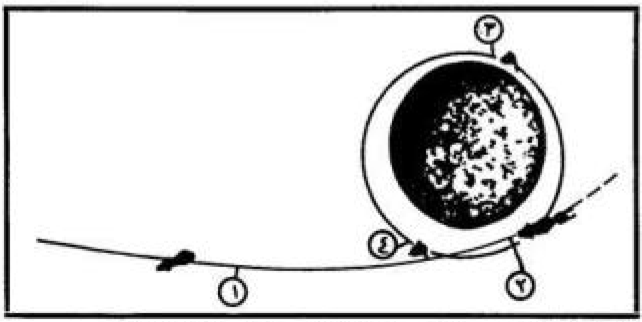
واذن أرسل العلماء شارة تحمل الأمر الى جهاز الفصل بينهما ، فأطاع ، وانفصل القمر الاصطناعى ، واخذ مداره حول القمر . وأخذت أجهزته العلمية التى حملها تعمل وترسل بنتائجها الى علماء الارض .

واذ دار هذا القمر الاصطناعى حول القمر الطبيعى بَعُد عنه حتى بلغ بعده نحو ألف كيلو متر ، ثم هو اقترب منه بعد نصف دورة ، فى ناحيته الأخرى، حتى لكان على بعد نحو ٣٥٠ كيلومترا .

قمر يتبعه اقمار

فهذا هو القمر الاصطناعى الأول ، الطليعة الأولى لما تبعه وسوف يتبعه من أقمار . وهو خطوة الى الامام وصفها الروس فقالوا:

« ان اصطناع قمر يدور حول القمر حدث بارز من أحداث التاريخ ، فى كشوف الفضاء ، وهو مرحلة جديدة تزيد الانسان علما ، نرجو بعدها أن لا يطول بالانسان الزمن حتى يستطيع أن يضع فيه قدمه على سطح القمر . ونحن الروس نغتبط بأن يكون من حظنا أن نخطو تلك الخطوات الأولى فى الطريق الصعب الذى هدفه استجلاء خفايا هذا الكون » . ■■



رسم ايضاحي لانفصال القمر الاصطناعي عن المحطة الفضائية ودورانه حول القمر

(١) مسار المحطة الى القمر (٢) الموضع الذى امر عنده جهاز الفصل ان يعمل (٣) الموضع الذى كان فيه القمر الاصطناعى اقرب من القمر (٤) الموضع الذى كان فيه القمر الاصطناعى ابعد من القمر .

مسابقة العربي

خمسة عشر كتابا وجوائز

■ اخترنا لهذه المسابقة خمسة عشر كتابا من أشهر الكتب واكثرها تداولا ، وضعنا امام كل منها اسماء ثلاثة من الكتاب ، بينهم مؤلف الكتاب .

اذا عرفت الاسماء الصحيحة لمؤلفي عشرة من هذه الكتب ، كنت احد الذين تدخل اجاباتهم عملية الاقتراع على الجوائز ، وقد يسعدك الحظ فتكون من الفائزين .

١ ● كتاب « العبرات » من تأليف :

احمد حسن الزيات ــ مصطفى صادق الرافعى ــ مصطفى لطفى المنفلوطي

٢ ● سلسلة « روايات تاريخ الاسلام » من تأليف :

محمود تيمور ــ جرجى زيدان ــ عبد الوهاب عزام

٣ ● كتاب « ضحى الاسلام » من تأليف :

محمد مصطفى المراغى ــ احمد امين ــ مصطفى عبد الرازق

٤ ● رواية « سارة » من تأليف :

أحمد الصاوى محمد ــ محمد التابعى ــ عباس العقاد

٥ ● « يوميات نائب فى الأرياف » من تأليف :

توفيق الحكيم ــ كامل كيلانى ــ فريد ابو حديد

٦ ● رواية « ابراهيم الكاتب » من تأليف :

ابراهيم رمزى ــ ابراهيم المصرى ــ ابراهيم المازنى

٧ ● « رسالة الغفران » من تأليف :

الامام ابن تيمية ــ ابو العلاء المعرى ــ ابو حامد الغزالى

٨ ● كتاب « الضاحك الباكي » من تأليف :

عبد الرحمن شكرى ــ احسان عبد القدوس ــ فكرى اباظة

٩ ● رواية « قنديل ام هاشم » من تأليف :

نجيب محفوظ ــ يحيى حقى ــ علي ادهم

١٠ ● كتاب « البخلاء » من تأليف :

المسعودى ــ الجاحظ ــ ابن الاثير

.. وخمسة وأربعون مؤلفاً

١٠٠ دينار

١١ ● القاموس « المنجد » من تأليف :
انستاس الكرملي ـ لويس معلوف ـ نجيب الحداد

١٢ ● كتاب « الاسلام واصول الحكم » من تأليف :
محمود شلتوت ـ عبد الرحمن عزام ـ على عبد الرازق

١٣ ● كتاب « حياة محمد » من تأليف :
امين الخولى ـ محمد حسين هيكل ـ محمد الخضر حسين

١٤ ● كتاب « حول القومية العربية » من تأليف :
عبد الرحمن البزاز ـ ساطع الحصرى ـ ميخائيل نعيمة

١٥ ● كتاب « في الشعر الجاهلى » من تأليف :
علي الجارم ـ طه حسين ـ احمد شوقى

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٥ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٦ .
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :
الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ؛ كل منها ٥ دنانير . . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ٩٥



أوقات الفراغ

عن مجلة الكويت :

● ان الفراغ لا يعني التسكع ،وعليناان ننظر اليه على انه عملية اجتماعية منشطة تعيد الحيوية والنشاط الىالجسم ، وعلينا ان ندرب الافراد على نشاطات اوقات الفراغ مثلما ندربهم الآنمن اجل التأهل للعمل . وليس افضل من الدولة للقيام بواجب تثقيف ابناءالشعب من الطفولة كي يصبحوا عند بلوغهم سن الرشد قادرين علىالاستفادةمن وقت فراغهم على خير وجه . وعلى الدولة ان تتدخل فى هذا الامر فى الحالوان تنقل مسئولياتها فى هذا المجال الى هيئة لها كافة السلطات المطلقة للقيامبهذه المهمة . وعلى الدولة كذلك ان تضمن التركيز على العمل من اجل هذهالغاية اذ ان بعثرة الجهود المبذولة ستحدث تأخيرا فى الوقت وتخصصا غيرمثمر وازدواجية فى الوسائل وتنافسا غير مشروع ، ولا يعنى هذا ان تأخذالدولة كافة المسئوليات الناجمة عن هذا الاتجاه على عاتقها وحدها، فان نشاطاتوقت الفراغ فى ذاتها ومن حيث طبيعتها المنوعة تشكل حقلا للمبادرة والتنافسالحر ، بل عليها أن تبادر الى تطوير نشاطات وقت الفراغ عن طريق رسم سياسة خاصة بها وفرض انظمة يتبقى على القطاع الخاص مراعاتها واتباعها .

شركة ملاحة عربية للخليج العربى

عن صحيفة الاضواء البحرانية :

● اننا نهيب بالحكومات فى منطقة الخليج العربى أن تباشر باقامة شركة بواخر عربية للسفر بين موانىء خليجنا بدلا من ان تحتكر شركة (بى آى) هذا الطريق ، وكأنه ملك لها ، ووقف على بواخرها القديمةالتى يرجع تاريخبعضها الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، ويخجل المرء من تسميتها بالبواخر.

فان لم يكن بامكان الحكومات عمل ذلك فان الباب مفتوح أمام ابناء الخليج لكى يساهموا جميعا فى اقامة شركة بواخر عربية تدر أرباحها على ابناء هذا الخليج انفسهم ، لأنهم احق بها من الأجنبى الغريب الذى يكفيه ما ربحه طوال هذه الفترة من عمرنا .

وعلى حكومة الكويت فى الدرجة الأولى يقع هذا العبء ، فقد تناهى الى اسماعنا فى العام الماضي انها قررت انشاء شركة بواخر عربية للمسافرين تنافس بواخر شركة (بى آى) . وللاسفالشديد انه لم يظهر حتى الآن تحقيق لهذا المشروع الذى نرجو ان يخرج الى حيز الوجود فى القريب .

النساء في مسرحيات شكسبير

عن صحيفة « الدفاع » الاردنية :

● ان من اعظم مميزات الشاعر شكسبير تفهمه للنفس الانسانية وتقصيه لخفاياها ، وتعمقه في تحليلها . وقد كان لفهمه الطبيعة النسوية اثر بالغ في خلود مسرحياته ، وشيوعها . فقلما تجد شاعرا استطاع ان ينفذ الى اعماق طبيعة المراة مثله . يصور خلجاتها ، ويسجل انفعالاتها الى ابعد الحدود . ولا تقف خبرته عند نوع واحد من النساء دون الآخر ، او على سن معينة دون الاخرى . فشخصياته النسوية تتفاوت بين ملكة وبائعة حليب ، وبين فتيات لم يتجاوزن الخامسة عشرة من عمرهن الى نساء اجتزن سن الخمسين .

واذا كانت بطلات شكسبير في ملاهيه، يمتزن بالتفكير المتزن الصحيح وبالانوثة الجارفة ، وبالصراحة والعزم في مواجهة الحقائق وظروف الحياة ، فان بطلات الشاعر في مآسيه يختلفن في مزاياهن الانسانية وخصائصهن النسوية . فمنهن فريق على جانب عظيم من البراءة والتواضع والصفاء مثل جولييت ، وديدمونة في مسرحية عطيل . ومنهن فريق يتسم بطابع الارادة الحديدية الجبارة والطموح مثل الليدي مكبث بطلة مسرحية مكبث التي تعتبر من اروع مآسي شكسبير .

رأي في اللغة

للفيلسوف الالماني المعاصر مارتن هيدجر

عن مجلة الآداب اللبنانية :

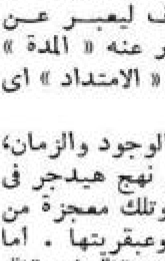
● لقد عاب هيدجر على اللغة عجزها احيانا عن اعطاء مدلولات متعددة في اللفظ الواحد ، واعتبر ذلك عجزا عن الامتلاء الواضح . ولعل العجز هنا يكمن في اللغات التي عالجها هيدجر . . ثم لعلنا نستطيع القول ان هيدجر لو عالج اصول الاشتقاق في اللغة العربية لتردد قليلا في اطلاق احكامه على اللغة من حيث عجزها عن الوضوح وعجزها عن الامتلاء في آن واحد .

خذ مثلا الفعل « مد » . ان هذا الجذر يمتد الى اطراف ليعبر عن مدلولات عديدة . تصدر عنه « المدة » اى الزمان ، ويصدر عنه « الامتداد » اى المكان .

انه جذر ينطوى فيه الوجود والزمان، على نحو قريب جدا من نهج هيدجر في التعبير عن تساؤلاته . وتلك معجزة من معجزات اللغة العربية وعبقريتها . اما في اللغات الاخرى فان الاشتقاق اشتقاق ضمني – كما يدعوه الفيلولوجيون – ، اى تحول الكلمات من مستوى الى مستوى مغاير تماما، واذا تضمنت اللفظة الواحدة اكثر من مدلول فقد فقدت صفة الوضوح التي يشترطها هيدجر .

الجريمة في المدن والارياف

عن صحيفة الاخبار القاهرية :



● لا بد من التفريق بين طبيعة الجريمة في المدن وطبيعتها في الريف ، حيث تختلف الدوافع ويختلف اسلوب الحياة ، كذلك لا بد من الربط بين الجريمة عامة وبين النظام الاقتصادى السائد، ولذلك نعتقد ان تقريب الفوارق بين المدينة والريف من حيث الثقافة والتعليم الاقتصادى سيؤدى مع الوقت الى التقريب بين الدوافع والاساليب ، ومن ثم الى التقليل من الجرائم ، كما ان استواء الحياة الاقتصادية وتقارب المستويات سيؤديان حتما الى تعديل كبير في عدد الجرائم ونوعها . .

عبد الله بن مسعود



بقلم : عبد الصاحب جعفر جمال الدين

■ كثيرا ما يرد اسم عبد الله بن مسعود فى كتب التفسير للقرآن الكريم وفى كتب السير ، وكثيرا ما نقرا فى كتب التفسير ان فلانا قرأ الآية على قراءة ابن مسعود ، وأن اهل الكوفة اتخذوا مصحف ابن مسعود الى غير ذلك ، فمن هو ابن مسعود هذا ؟

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب .. ابن تميم بن سعد بن هُذَيل ، كُنى بأبى عبد الرحمن ولقب بالهذلى .. وهُذَيل احدى القبائل العربية التى تسكن فى الجزيرة العربية ، اما امه فهى ام عبد بنت عَبْد وُدّ من هذيل ايضا ، واما امها فهى من بنى زهرة . ولقد تحالف مسعود ابن غافل مع بنى زهرة فى الجاهلية ، ولهذا فان رابطة ابن مسعود ببنى زهرة ترجع الى كونهم اخواله من امه اولا وحلفاءه ايضا . ولقد عاش ابن مسعود صدرا من حياته فى البادية ، فعاش عيشة الشظف ، وبعد وفاة ابيه انتقل مع امه الى مكة ، ومكث مع اخواله ، واشتغل راعيا لغنم عتبة بن ابى مُعَيْط قبيل اسلامه ، وظل كذلك حتى اسلم .

صفاته

لقد كان ابن مسعود قصيرا نحيفا ، يكاد طوال الرجال يوازونه جلوسا وهو قائم ، وكان دقيقَ الساقين ، وقد رآه اصحاب الرسول يرقى شجرة فى المدينة ذات يوم فضحكوا من دقة ساقيه ، فقال لهم النبى (ص) « انهما لأثقلُ فى الميزان يومَ القيامة من جبل أُحُد». ومما امتاز به ابن مسعود سرعةُ حركته ونشاطه ، فكان لهذا بمثابة الساعى بين الرسول وأصحابه لابلاغهم التعاليم التى يصدرها الرسول ، وقد ضاقت قريش بعمله هذا حتى قال ابو جهل « ما ضِقْتُ باحد من اصحاب محمد كما أضيق بهذا الفتى الهُذَلى » .

اسلامه

لقد كان اسلام ابن مسعود قديما ، فى الوقت الذى اسلم فيه سعيدُ بن زيد وزوجته فاطمةُ بنت الخطاب « اخت الخليفة عمر » . وسبب اسلامه كما يرويه لنا هو فى قوله : « كنت ارعى غنما لعُتْبة بن ابى مُعَيْط ، فمر بى الرسول

أَوَّلُ مَنْ أَفْشَى القُرآنَ بِمَكَّةَ بَعْدَ الرَّسُول وَأَشْهَرُ المُقْرِئِينَ فِي صَدْرِ الإِسْلَام وَجَدُّ المُؤَرِّخِ الكَبِيرِ الشَّهِيرِ بِالمَسْعُودِي

ومعه أبو بكر ، فقال لى يا غلام هل من لبن ؟ فقلت نعم ولكنى مؤتمن !! ، فقال لى الرسول : فهل من شاة لم يَنْزُ عليها الفحل ؟ فأتيته بشاة ، فأخذ يتكلم بكلام لم أفهمه ، ومسح ضَرْعَها ، فنزل لبن ، فحلبها فى اناء حجرى جلبه له أبو بكر ، فشرب ، وسقى أبا بكر ، ثم قال للضرع اِقْلِص « فقَلِص » !! فتعجبتُ من ذلك . وبقيت أفكر فى هذا العمل ، ثم أتيتُ الرسول (ص) بعد ذلك فقلت : يا رسول الله ، علمنى من هذا القول ، فمسح رأسى وقال« يرحمك الله انك عليم معلَّم » .

ولقد لعب ابن مسعود بعد اسلامه دورا خطيرا فى نشر تعاليم الرسول ، وذلك لنشاطه وخفة حركته .

أول من أفشى القرآن بعد النبى(ص)بمكة

ولقد امتاز ابن مسعود من بين المسلمين بجرأته وتجلى لنا هذه بافشائه ما يتزل على الرسول من آيات بمكة ، فى الوقت الذى كان فيه المسلمون قلة، وفى الوقت الذى كانت فيه الدعوة فى طور الكتمان ، ولقد أورد لنا ابن هشام فى سيرته رواية تبين لنا كيفيةَ قيام ابن مسعود بهذا العمل الخطير ، فقد روى « ان أول من جهر بالقرآن بعد الرسول (ص) بمكة عبدُ الله بن مسعود (رضى الله عنه)» فقد اجتمع أصحاب الرسول يوما وقالوا : والله ما سمعتْ قريش هذا القرآنَ يُجهر لها به قط ، فمن رجل يُسمِعُهُمُوه ؟ فقال عبد الله بن مسعود أنا ، قالوا : انا نخشاهم عليك ، انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان ارادوه ، قال دعونى فان الله يمنعنى ، قال : فغدا ابن مسعود حتى اتى المَقام فى الضحى وقريش فى أنديتها ، حتى قام عند المقام ، ثم قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علم القرآن .. » قال ثم استقبلها يقرؤها، قال فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد ؟ ثم قالوا : انه ليتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا اليه فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله ان يبلغ ، ثم انصرف الى أصحابه فقال له أصحابه هذا الذى خشيناه عليك ، فقال لهم ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا ، قالوا لا ، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون » .

رحم الله ابن مسعود لقد بلغت به جرأته حدا

يفوق التصور فى الوقت الذى كان فيه أصحابه يعانون صنوف العذاب من تحريق وضرب وجرٍّ على الرمال،ويأتي هو فيهذا الوسط المكفهر ، ويقف في فناء الكعبة المشرفة ويتلو ما أنزل الله بصوت جهورى لم يتضعضع ، ويبلغ به الحماس ذروته عندما يقول لأصحابه« ولئن شئتم لاغادينهم بمثلها غدا » واستمر ابن مسعود على هذه الطريقة حتى اصطدم ذات يوم بأبى جهل العدو اللدود ذى الجاه والنفوذ ففرر وبأمر من النبى (ص) الهجرة الى الحبشة ولم يمكث هناك طويلا حتى عاد بعد ذلك الى مكة ـ ولما اشتد ايذاءُ المشركين له هاجر مع من هاجر من المسلمين بعد أن أمرهم الله بذلك الى المدينة .

ابن مسعود فى المدينة

هاجر ابن مسعود كما قلنا الى المدينة ، ونزل على معاذ بن جبل الذى آخى الرسول بينه وبين ابن مسعود لما آخى بين المهاجرين والأنصار ، كما ان الرسول آخى بينه وبين الزبير بن العوام لما آخى بين المهاجرين أنفسهم ، وبقى ابن مسعود عند مضيفه حتى اختط الرسول للناس دورهم فى المدينة ، فخط لبنى زهرة فى مؤخرة المسجد ، فقال جماعة منهم للنبى « نكّب عنا ابن أم عبد » كانهم كرهوا نزوله بينهم ، فقال لهم الرسول قوله المشهور « لم بعثنى الله اذّن ؟ ان الله لا يقدس قوما لا يعطى الضعيف منهم حقه » ثم أنزله بينهم منزلا كريما ..

ملازمة ابن مسعود للرسول

لقد كان ابن مسعود بمثابة الحاجب للرسول الكريم (ص) وقد ضمه الرسول اليه ، فكان يدخل عليه ويلبسه نعليه اذا أراد القيام ، ويمشى أمامه ويستره اذا اغتسل ، ويوقظه اذا نام . وكان يعرف ما بين الصحابة بصاحب السواد والسواك ، وقد كان صاحب طهور الرسول كلما أراد الوضوء ، وكان صاحب وساده كلما اراد النوم فى سفره ، ولقد بقى ابن مسعود ملازما للرسول طيلة حياته حتى لم يشك كثير من الصحابة بأن ابن مسعود كان من اهل بيت النبى ، فقد روى عن أبي موسى الاشعرى انه قال « قدمتُ انا واخى من اليمن فمكثنا حينا ما ، نرى ان عبد الله بن مسعود رجل من اهل بيت النبى (ص) لما نرى من كثرة دخوله ودخول امه على النبى » .

ولقد كان ابن مسعود أشبه الناس هديا وسمتا برسول الله . ولقد شارك ابن مسعود الرسول فى كافة حروبه وغزواته ، ويعد ابن مسعود من طبقة البدريين[1] ومن أصحاب بيعة الرضوان،ومن الذين صلوا مع الرسول تجاه القبلتين،ولقد شارك ابن مسعود المسلمين فى موقعة بدر وروى عنه انه هو الذى أجهز على أبى جهل المخزومي بعد اصابته بجروح بليغة يوم بدر، فبعد انتهاء المعركة بانتصار المسلمين أخذ ابن مسعود يبحث ما بين القتلى عن بقيته ، فوجد أبا جهل مضرّجا بدمه وبه رمق من الحياة فارتقى ابنُ مسعود صدرَه بغية الاجهاز عليه ، فلم تهن كبرياء عدو الله حتى قال لابن مسعود « لقد ارتقيت مرتقىً صعبا يا رُوَيعى الغنم » . وبعد قتل ابن مسعود لابى جهل ذهب الى الرسول ليخبره بذلك ففرح الرسول فرحا كبيرا .

خازن بيت مال المسلمين ومعلمهم فى الكوفة فى خلافة عمر

وبعد وفاة الرسول (ص) بقي ابن مسعود فى المدينة ، ثم لما حدثت الفتوحات الاسلامية ذهب ابن مسعود مع من ذهب الى الشام غازيا واستقر به المقام فى حمص الى ان استدعاه الخليفة عمر (رض) ذات يوم الى المدينة وكانت نتيجة ذلك الاستدعاء تعيينه خازنا لبيت مال المسلمين فى الكوفة ، وروى أن الخليفة عمر (رض) كتب كتابا

(١) أصحاب غزوة بدر .

لأهل الكوفة يقول فيه « اما بعد فاني قد بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا ، وابن مسعود معلما ووزيرا ، وهما من النجباء من اصحاب محمد ومن اهل بدر ـ وقد آثرتكم بابن أم عبد على نفسي ـ فاسمعوا لهما واطيعوا واقتدوا بهما » . والحقيقة تقال : ان هذا العمل الجليل الذى قام به الخليفة يعتبر عملا عظيما ، وذلك لأنه بمثابة التثمين للجهود التى بذلها هؤلاء المستضعفون فى سبيل الاسلام يوم كان الاسلام لا يستطيع الوقوف امام المحن والصعوبات والأخطار التى تتهدده .

ولقد بقي ابن مسعود فى منصبه هذا طيلة البقية الباقية من خلافة عمر (رض) وصدرا من خلافة عثمان .

أشهر القراء المسلمين

يعتبر ابن مسعود فى نظر بعض المفسرين والمؤرخين من أشهر القراء المسلمين ولا غرابة فى ذلك لأنه كان ملازما للرسول (ص) دائم الأوقات فكان يتلقى ما ينزل به الوحي من السماء من فم الرسول (ص) مباشرة ، فكان رضى الله عنه ثقة فى حفظ القرآن لدى الرسول واصحابه حتى ان الرسول (ص) شهد له بذلك فى احاديث كثيرة نورد منها قوله (ص) « من اراد ان يقرأ القرآن غضا ـ كما أنزل ـ فليقرأه على قراءة ابن ام عبد » وجعله الرسولُ فى حديث آخر اول اربعة شهد لهم بحفظ القرآن بقوله المروى فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر « استقرئوا القرآن من اربعة : عبد الله بن مسعود ـ وسالم مولى ابى حذيفة ـ وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل » .

ولقد بقي ابن مسعود ثقة فى حفظ القرآن حتى بعد وفاة الرسول ولم ينكر عليه احد ذلك ، ومن ابرز الادلة على ما نقول ما روى من أن رجلا جاء الى الخليفة عمر (رض) وهو بعرفات ، فقال جئتك من الكوفة وتركتُ بها رجلا يحكى المصحفَ عن ظهر قلبه ، فغضب عمر غضبا شديدا وقال ويحك من هو ؟ قال الرجل عبد الله بن مسعود ، قال فذهب عنه ذلك الغضب وسكن وعاد الى حاله وقال : والله ما اعلم من الناس احدا هو احق بذلك منه . كما بقيت قراءة ابن مسعود المعول عليها بين جل الصحابة بعد الاختلاف الذى حدث بين المسلمين فى مسالة قراءة القرآن . ومما يؤيد هذا القول ما روى عن ابى الظبيان أنه قال « قال لى عبد الله بن العباس اى القراءتين تقرأ ؟ قلت القراءة الاولى ـ قراءة ابن ام عبد . فقال أجل هى الآخرة ، لأن الرسول كان يعرض القرآن على جبرائيل فى كل عام مرة فلما كان العام الذى قبض فيه ، عرضه مرتين فحضر ذلك ابن مسعود فعلم ما نسخ من ذلك وما بدّل » . (انظر الاستيعاب)

ولقد كان ابن مسعود (رض) يفاخر بمنزلته هذه ما بين المسلمين فكان يقول : « انى لأعلم الصحابة بكتاب الله وما انا بخيرهم وما فى كتاب الله سورة" ولا آية" الا وانا اعلم فيما نزلت ومتى انزلت » .

جمع القرآن ومعارضة ابن مسعود للخليفة عثمان فى ذلك

لقد اختلف المسلمون بعد وفاة النبي (ص) فى قراءة القرآن الكريم ، ولقد كان هذا الاختلاف على الالفاظ لا على المعاني السامية والسبب فى ذلك هو عدمُ وجودِ مصحفٍ موحّد ، وانما كانت هنالك اربعة مصاحف مشهورة مأخوذ بها : فكان مصحف ابن مسعود فى الكوفة ومصحف ابي موسى الاشعرى فى البصرة ومصحف ابيّ بن كعب فى دمشق ، ومصحف المقداد بن الاسود فى حمص، وكثيرا ما كانت المجادلاتُ تدور بين الجنود المسلمين على قراءة القرآن واى القراءات اصح ؟ وقد ادى هذا الجدال الى الاختلاف فيما بينهم ، وقد حدث مرة أن اشتد النزاع بين الجنود المسلمين فى ارمينيا واذربيجان على مسالة اى القراءات هى الاصح ، فخاف قائد الجند « حذيفةُ بن اليمان » على صفوف المسلمين من التفرق بسبب ذلك الجدال ، فكتب كتابا الى الخليفة عثمان يطلب منه توحيدَ القرآن فى مصحف واحد ، فلبى الخليفة عثمان الطلب وكان مصحفنا الذى نتداوله الآن .

ومن الواجب أن نقول : ان عثمان لم يكن الجامعَ الاول للقرآن وانما الجامع النهائي او المنفذ الحقيقي.ومسألةُ جمع القرآن ترجع الى

عهد الخليفة ابي بكر (رض) حينما اشار عليه عمر (رض) بوجوب جمع ما انزل الله في مصحف واحد حفظا له وخوفا من ضياعه او نسيانه وخاصة بعد قتل الكثير من مشاهير القراء المسلمين في حروبهم ضد مسيلمة الكذاب في حرب الردة .. وقد عهد الخليفة ابو بكر الى جماعة برئاسة زيد بن ثابت للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، وقد اجتمعت الجماعة فجمعت كل ما وجد مكتوبا على العظام وعلى الجلود وعلى عسب النخيل والذى كتبه كتاب الوحي في حياة النبي (ص) ، واودع كل ما جمع لدى (حفصة) زوجة النبي وابنة الخليفة عمر ولم يطرأ اى تغيير على ذلك طيلة فترة خلافة عمر (رض) وذلك نتيجة لانشغاله بامور الفتوحات ونشر الاسلام خارج شبه الجزيرة العربية . وبقيت الحال كذلك صدرا من خلافة عثمان حتى اشار عليه حذيفة بن اليمان كما قلنا ، فعهد الخليفة الى جماعة برئاسة زيد بن ثابت لتقوم بمهمة توحيد المصاحف فاخذت الجماعة ما اودع لدى حفصة من مصاحف وسارت في نهجها مع ما يتفق ولهجة قريش ، واستنسخت من المصحف « اربع نسخ » وقيل اكثر من ذلك .. وابقت النسخة الاصلية في المدينة وارسلت ثلاث النسخ الباقية الى كل من الكوفة والبصرة ودمشق ، ثم أمر الخليفة بتحريق كل مصحف يخالف المصحف الذى تم جمعه والغاء كل مصحف لا يتفق والمصحف المذكور ، فاحرقت والغيت المصاحف الاخرى ومن بينها مصحف ابن مسعود ، وهنا قامت قائمة ابن مسعود وانكر على عثمان ذلك العمل ــ والسبب الذى حدا الى معارضة ابن مسعود (على ما أعتقد) هو عدم دعوته ضمن الجماعة التى نيط بها جمع القرآن واعطيت رياستها الى زيد بن ثابت ، وتركه وهو الذى علمنا من هو ، وما هي منزلته بين الصحابة . والشيء الثاني هو عدم الاخذ بمصحفه كمصدر اساسى في جمع القرآن مع العلم بانه يعتبر من اشهر وادق المصاحف الاربعة على الاطلاق ، ومما يؤيد قولنا هذا ما روى عنه من انه قام خطيبا في الكوفة يوما من الايام وقال « ايامرونني ان اقرأ القرآن على قراءة زيد بن ثابت ، والذى نفسي بيده لقد اخذت من فم رسول الله سبعين سورة وان زيد بن ثابت لذو ذؤابة يلعب بها الغلمان ، والله ما نزل من القرآن شيء الا وانا اعلم في اى شيء نزل ــ وما اعلم ان احدا اعلم بكتاب الله مني ، ولو اعلم احدا تبلغنيه الابل اعلم بكتاب الله لاتيته » ثم استحيا مما قال فقال وما انا بخيركم . فلم ينكر عليه احد ذلك ولارد ما قال :

والذى اود ان اقوله ان الحق كان بجانب الخليفة عثمان في هذه المسألة ، وذلك لانه لو لم يقم الخليفة بهذا العمل الجليل الخطير لظل الناس حتى وقتنا الحاضر مختلفين في قراءة كتابنا المقدس ولظهرت نتيجة لتعدد القراءات وتعدد المصاحف اختلافات ومضاعفات خطيرة قد تزيد في الفرقة بين المسلمين وقد تؤدى الى انشقاقهم الى نحل وطوائف هم في غنى عنها .

ومع هذا فان مصحف ابن مسعود ومصحف أبيّ ابن كعب بقيا ماخوذا بهما فترة طويلة بعد توحيد المصاحف وذلك لشهرتهما .

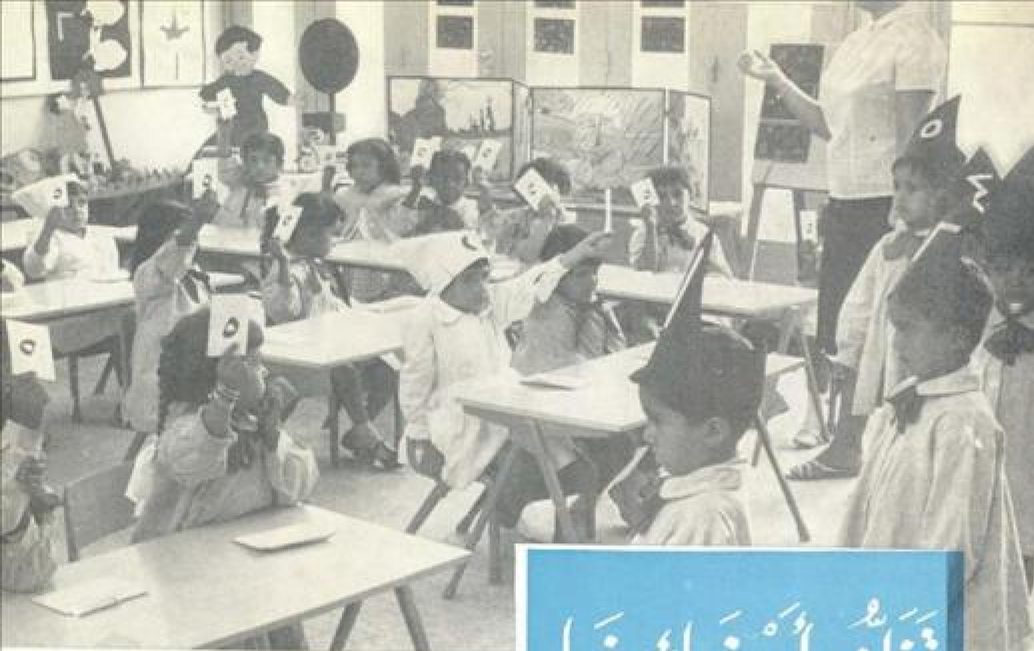
الخاتمة

توفي ابن مسعود سنة ٣٢ هـ في المدينةودفن في مقبرة البقيع وصلى عليه عمار بن ياسر وقيل الزبير بن العوام . ولقد اعقب بن مسعود ثلاثة اولاد هم عبدالرحمن وابو عبيدة وعتبة ، والى عتبة هذا يرجع نسب المؤرخ الشهير بالمسعودى (صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر).

وبعد فلا احسبني في هذه الأسطر القليلة أفي بحق شخص كان من مشاهير القراء ، ومن اشبه الناس هديا وسمتا برسول الله ، ومن العشرة المبشرة بالجنة في الحديث المروى والمسند اسنادا جيدا . لا استطيع ان افي بحق شخص قال في حقه الرسول الكريم (ص) بالحديث المروى عن علي بن أبي طالب (رض) لو كنت مؤمّرا احدا من غير مشورة لامّرت ابن أم عبد .

يرحم الله ابن مسعود لقد كان عالما بكل المسائل التى تتعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية . ■■

عبد الصاحب جعفر جمال الدين
الناصرية ــ العراق



تخلف أبنائنا في التحصيل الدراسي أسبابه وعلاجه

تطورت طرق التدريس اليوم تطورا سهل على المتخلفين أن يلاحقوا . وهذا درس فى تعليم الاعداد وكتابتها .

بقلم :

الدكتور علي أحمد علي

دكتوراه فى التوجيه النفسي والتربوى
(جامعة كولومبيا بنيويورك)

■ لا شك أن التحصيل المدرسى موضوع يهم الآباء والابناء معا ، ذلك لاتصاله بالمستقبل التعليمى ، والمهنى للأبناء . وما من ام أو اب الا ويريد أن يرى ابناءه فى مصاف المتفوقين المتقدمين فى دراساتهم المختلفة . وكثيرا ما يصاب الآباء بخيبة امل كبيرة عندما يشاهدون انه بالرغم من العناية والاهتمام الموجه لابنائهم لكي يرتفعوا بمستوى تحصيلهم ، فانهم فى هذا المجال متخلفون متعثرون فى دراساتهم .

والتخلف الدراسى وان كان مظهره واحدا الا انه يرجع الى أسباب كثيرة متنوعة . فقد تجد طفلين متخلفين فى مادة الحساب ويحصلان على درجات شبه متقاربة ومع ذلك تختلف اسباب هذا التخلف اختلافا بينا ، ذلك لأن هناك عشرات من العوامل التى يمكن أن ترجع اليها هذا التخلف الدراسي .

أسباب التخلف الدراسى

فالطفل قد يكون متخلفا فى تحصيله المدرسي نتيجة لنقص فى قدراته العقلية ، فقد وجد أن

هناك علاقة موجبة وارتباطا موجبا بين الذكاء والقدرات العقلية، وبين التفوق فى المواد الدراسية المختلفة . ولو أن هذه العلاقة وهذا الارتباط يختلف كل منهما فى مداه من مادة الى مادة .

وقد يكون الطفل فاشلا فى مادة كالرياضيات وفى نفس الوقت متفوقا فى مادة كاللغة العربية او الرسم أو المواد الاجتماعية، ذلك لأن بعض الاطفال قد منحوا قدرات خاصة Special Abilities وحرموا من بعض القدرات الاخرى .

وقد اثبت عالم النفس الامريكى ثرستون Thurstone ، وجود عدد من القدرات الخاصة المتميزة مثل القدرة الحسابية والقدرة اللغوية والقدرة الميكانيكية .

ولكن ... ما دلالة هذا القول بالنسبة للآباء ؟

الجواب على ذلك أن على الآباء ألا يجزعوا عندما يرون تخلف ابنائهم فى بعض المواد الدراسية طالما أنهم متفوقون فى مواد اخرى ، وعليهم أن يتحروا سبب هذا التخلف دون قلق بعد أن يدخلوا فى حسابهم أن تخلف الابناء فى بعض المواد الدراسية ، قد يكون مرجعه نقص فى القدرة والاستعداد كما قد يكون مرجعه عشرات من العوامل الاخرى .

والحياة العملية تعطينا امثلة كثيرة على ذلك . فبعض الناس لا يمكنهم الوصول الى مستوى عال من المهارة الفنية مثل (رسم اللوحات ـ النحت) مهما بذلوا من جهد فى التدريب الموجه ، بينما يستطيع البعض الآخر الوصول الى أعلى مستوى باقل جهد ، ذلك لانهم يتمتعون بقدرة فنية Artistic Ability تساعدهم على الاجادة والتفوق . ونفس الشيء نشاهده بالنسبة للمواد الرياضية Mathematical Subjects . فبعض الناس يواجهون صعوبة كبيرة فى استيعاب وتحصيل العلوم الرياضية بفروعها المختلفة من جبر وهندسة وميكانيكا وحساب مثلثات وغيرها ، فى حين نرى فئة من الناس تجد متعة فى الاشتغال بالعلوم الرياضية ويتفوقون فيها بسهولة ويسر وباقل جهد . والسبب فى ذلك ان هذه الفئة من الناس تمتاز بقدرة رياضية .

وخلاصة القول ان انخفاض مستوى التحصيل فى بعض المواد الدراسية قد يكون مرجعه انخفاض فى مستوى القدرة وعدم توافر الاستعدادات اللازمة للنجاح فى هذه المواد الدراسية . وقد امكن الآن وضع بعض اختبارات للقدرات يمكن عن طريقها التنبؤ بالنجاح فى المستقبل فى المواد الدراسية المختلفة، وهذه الاختبارات يطلق عليها الاختبارات التنبئية Proggnostic Tests .

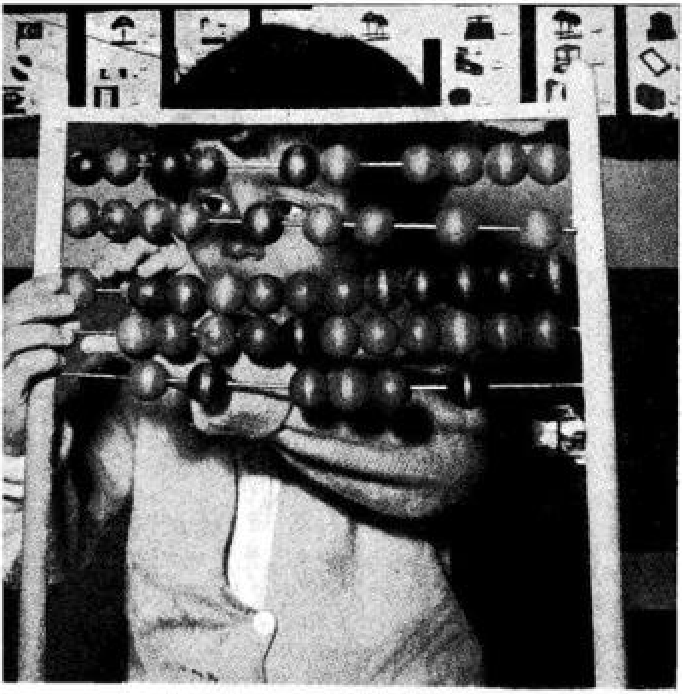
التحصيل الدراسي والميل

اهتمت معظم الدراسات التى اجريت على التحصيل الدراسي فى ايجاد العلاقة بين التحصيل الدراسي والميل Interest ، وذلك لأن الطالب الذى يلتحق بنوع من الدراسة لا يميل اليه عادة ينخفض تحصيله ويزيد احتمال فشله . وهذا يضع المعلمين والآباء أمام مسئولية وضع ميل الطالب فى الاعتبار عند تقرير مستقبله التعليمى . ويوجد الآن عدد من الاختبارات يمكن عن طريقها التعرف على ميول مختلف الافراد حتى يمكن وضع هذه الميول فى الاعتبار عند توجيه الطلاب لأنواع التعليم المختلفة بكافة مستوياتها .

التحصيل الدراسي والاضطرابات النفسية

تؤثر الاضطرابات النفسية على التحصيل الدراسي تأثيرا كبيرا . وهناك عدد كبير من الحالات لأطفال تتراوح أعمارهم بين ٦ سنوات ، ١٢ سنة ممن اعتبروا متخلفين عقليا نظرا للانخفاض الشديد فى مستوى تحصيلهم الدراسي على الرغم من الجهود التى يبذلها المنزل وتبذلها المدرسة للارتفاع بمستوى هذا التحصيل . ولكن بدراسة هذه الحالات دراسة علمية شاملة وُجد ان الكثير، من حالات التخلف الدراسي الشديد هذه ، لا يرجع الى نقص فى القدرة العقلية ، اذ أن معظم هؤلاء الاطفال يتمتعون بذكاء متوسط أو فوق المتوسط ، وهذا يدل على أن التخلف الدراسي فى الحالات السابقة لا يمكن أن يكون بسبب انخفاض فى مستوى القدرة العقلية . بل اتضح أن انخفاض المستوى الدراسي الشديد لهؤلاء الاطفال سببه ما يقاسونه وما يعانونه من اضطرابات ومشاكل نفسية تعوقهم عن التحصيل. ويطلق على الأطفال الذين مستوى تحصيلهم الدراسي أقل من مستوى قدراتهم العقلية بالمتخلفين تحصيليا Under-achievers ويجب أن يكون واضحا فى ذهن القارىء أن الشخص الذى منح ذكاء محدودا ويحصل دراسيا على مستوى منخفض يتناسب مع مستوى قدراته العقلية لا يعتبر متخلفا فى هذا المجال ، اى فى مجال التحصيل . فهو حصل بمقدار ما عنده من ذكاء .

وقد اهتمت بعض الدول الأجنبية بالتخلف



ليس شيء كالعد" اظهارا لفطنة التلميذ الصغير ، وقد تجسدت الكرات أمامه، ومستها يداه .

الدراسى الذى يعتبر نتيجة الاضطرابات النفسية، فانشات لذلك مدارس خاصة . ومن احدث هذه المدارس واحقها بالذكر هنا مدرسة روبرت لويس ستيفنسن Robert Louis Stevenson بمدينة نيويورك بالولايات المتحدة ، فقد اتيحت الفرصة لكاتب هذا المقال بدراسة هذه المدرسة حيث هى ، ونظرا للنظام الفريد الذى تسير عليه هذه المدرسة فسنتكلم عنها بشىء من التفصيل ، حتى يستفيد من التجربة الرائدة التى تقوم بها هذه المدرسة المربون والقائمون على امر التعليم فى البلاد العربية .

مدرسة رائدة

.. يقبل بمدرسة روبرت لويس ستيفنسن الطلاب بين سن الثانية عشرة والتاسعة عشرة ، فهى بذلك تقابل مرحلتى التعليم الاعدادى والثانوى ، ويلتحق بهذه المدرسة كل طالب يثبت تمتعه بنسبة ذكاء مرتفعة ، ولكنه رغما عن ذلك فانه يحصل دراسيا على مستوى اقل بكثير من مستوى ذكائه . وقد وجد ان الغالبية العظمى لهؤلاء الطلاب يعانون من اضطرابات نفسية انفعالية Emotional Disturbance تقف حائلا بينهم وبين التحصيل الدراسى المناسب . وقد وجد أن تربية الأسرة غير الصحيحة ، وسلوك الوالدين غير السوى ، والجو المنزلى المضطرب تسهم جميعها اسهاما مباشرا فى خلق الكثير من هذه المشكلات النفسية .

لذلك فان من سياسة هذه المدرسة أن تهيىء للتلاميذ الملتحقين بها جوا مستقلا عن المؤثرات المنزلية غير المرغوب فيها ، فعمدت الى عدم السماح للآباء بزيارة المدرسة الا اذا طلب منهم ذلك عندما تستدعى الضرورة حضورهم لمناقشتهم فى الموضوعات التى تهم أبناءهم . وتهدف المدرسة من وراء ذلك الى جعل البيئة المدرسية مستقلة عن البيئة المنزلية التى اسهمت فى خلق مشاكل الطالب النفسية . وتعمل المدرسة جادة على خلق جو يستطيع الطالب أن يعيش فيه متحررا من الخوف والقلق ويستطيع فيه التعبير بحرية تامة عن مشاكله وحاجاته. ويختار أعضا هيئة التدريس لهذه المدرسة من بين المدرسين الذين جمعوا بين اتقان المادة العلمية والفهم العميق لمشاكل السلوك للطلاب . ويتفق جميع مدرسى هذه المدرسة فى ضرورة تقبلهم للطلاب كما هم: بفضائلهم ونقائصهم، بمزاياهم وعيوبهم ، بنواحى القوة والضعف فيهم، وان يعمل كل واحد منهم على مساعدة هؤلاء الطلاب ما وسعه الجهد .



ومن أهم ما يشعر به الزائر لهذه المدرسة جو الحب الذى يسود المدرسة . هذا الجو الذى

يعوض الطلاب ما افتقدوه من حب في حياتهم المنزلية غير المستقرة . كما يسترعي انتباه الزائر صغر حجم الفصول . فكل واحد من هذه الفصول لا يزيد عدد طلابه على ثمانية حتى يستطيع المدرس أن يوجه الرعاية والتوجيه الفردى لكل واحد منهم . وقد وضع لكل واحد من الطلاب اسلوب خاص للمعاملة ، وضع في صورة رمزية Code وهذا الأسلوب يختلف من طالب الى طالب ، كما أن هذا الاسلوب يتغير من وقت الى وقت حسب ما يقرره المدرسون والأخصائيون النفسيون الذين يقدرون موقف الطالب في كل اسبوع تقديرا دقيقا لمدى تقدمه . هذا وقد أثبتت التجربة الرائدة التى تجربها هذه المدرسة انه ، عن طريق المعاملة الحسنة الموجهة ، والرعاية النفسية المستنيرة ، وفي ظل الحب والاحترام المتبادل الذى يسود المدرسة ، أمكن مساعدة هؤلاء الطلاب على الارتفاع بمستوى تحصيلهم الدراسى ، بل أمكن فوق ذلك مساعدة بعضهم في اتمام دراستهم الثانوية بنجاح ومتابعة دراساتهم العالية في مختلف الميادين والمجالات .

التحصيل الدراسي وصحة الطالب

تؤثر صحة الطالب تأثيرا كبيرا في تحصيله الدراسي . ولعل المثل القائل : العقل السليم في الجسم السليم ، يوجهنا الى انه اذا أردنا عقلا سليما فلا مناص من الاهتمام بالجسم ، وهذا ولا شك يعبر عن وحدة الكيان البشرى . فالجسم العليل يسبب لصاحبه الكثير من المشكلات والمضايقات ويعتبر معوقا في الكثير من الحالات عن التحصيل الدراسى والاجادة والانتاج .

والحالة الصحية لها علاقة بالمثابرة Persistancy على الدرس والتحصيل . فالطالب العليل تضعف فيه روح المثابرة . والحالة الصحية تؤثر أيضا في قدرة الفرد على التركيز Concentration فعادة ما نجد أن الشخص السليم الجسم اكثر قدرة على التركيز من الشخص المعتل الصحة .

والأمراض عموما كثيرا ما تؤثر على التحصيل الدراسى ، فهى فوق ما تسببه للطالب من انقطاع عن الدراسة بعض الوقت فانها تضعف مقاومته وتقلل من الجهد الذى يبذله في الدرس والتحصيل .

ومن اكثر الأمراض تعويقا للتحصيل الدراسى عند الأطفال امراض الحلق ، وأكثرها شيوعا وخطرا التهاب اللوزتين ، الحاد منه ، والمزمن . فالتهاب اللوزتين يسيء الى جسم الطفل كله عن طريق ما تفرزه اللوزتان من صديد وسموم تسير في الدم وتعرض الطفل لأخطار الحمى الروماتزمية وأمراض القلب والتهاب الكليتين وغيرها . هذا بالاضافة الى أن التهاب اللوزتين المزمن ينهك قوى الطفل ويتركه ضعيف المقاومة ، قليل المناعة ، معرضا لمختلف الأمراض .

والتحصيل المدرسى له علاقة بافرازات الغدد . فالزيادة في افراز غدة كالغدة الدرقية مثلا يوصل الشخص الى حال من التبلد الذهنى Sluggishness وبطء الانفعالات .

والحواس وما يصيبها من امراض أو عاهات يعوقها عن اداء وظائفها ، وتؤثر تأثيرا كبيرا في التحصيل المدرسى . فالحواس من سمع وبصر وذوق ولمس تعتبر منافذ الادراك بالنسبة للشخص فاذا سدت عليه بعض هذه المنافذ نقص ادراكه وبالتالى تحصيله الدراسى . فمثلا ضعف الابصار بالنسبة للفرد قد يؤدى الى نقص في تحصيله وكذلك الحال في ضعف السمع . ولهذا كان من الواجب التأكد من سلامة أجهزة الطفل الحسية اذا أردنا أن يحتفظ بمستوى مناسب من التحصيل المدرسى . والتغذية السليمة المتوازنة تساعد الطفل على التحصيل الدراسى . ذلك لأن سوء التغذية له أثره السيء على الطفل ككل . فالبروتينات تساعد الطفل على تعويض ما استهلك من خلايا جسمه ، والمواد الكربوادراتية تمد الطفل بالطاقة الضرورية لاستمرار نشاطه . والفيتامينات والأملاح المعدنية تساعد الجسم على الاحتفاظ بحيويته وقوته وتمكن اعضاء الجسم من حسن أدائها لوظائفها .

التحصيل الدراسي والظروف الاجتماعية والاقتصادية

أثبتت الدراسات التى اجريت في هذا الميدان وجود علاقة بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتحصيل الدراسى . فقد وجد مثلا أن مستوى تحصيل الطلاب الذين ينتمون للطبقة المتوسطة يزيد عموما على مستوى تحصيل طلاب الطبقة دون المتوسطة والفقيرة ، وان كان هذا لا يعنى اننا نجد من بين ابناء الطبقة الفقيرة من يفوق في تحصيله الدراسى ابناء الطبقة المتوسطة أو الطبقة الغنية . ولكن ما السبب في ارتفاع مستوى

التحصيل الدراسى بين أبناء الطبقة المتوسطة والغنية عن تحصيل أبناء الطبقة الفقيرة أو دون المتوسطة ؟ .

الواقع أن سبب ذلك يرجع أساسا الى الدافع Motive ، فالدافع للتعليم والاستزادة منه يزيد عادة كلما ارتفعنا فى السلم الاجتماعي . كما يرجع ذلك الى القيمة التى تعطيها كل طبقة من الطبقات السابقة للتعليم . فافراد الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة فى معظم المجتمعات الحديثة يعطون قيمة للتعليم اكبر مما يعطيه افراد الطبقة الفقيرة او دون المتوسطة .

وفى ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية المناسبة يعيش الطفل فى جو منزلى يساعده ويشجعه على التحصيل . فوجود الطفل فى بيت له فيه حجرة خاصة للاستذكار ، تتوافر له فيه جميع وسائل التثقيف المختلفة من تلفاز وراديو وصحف ومجلات وغير ذلك من وسائل الثقافة العامة يزيد من معلوماته العامة ، ولا يخفى ما لهذا من علاقة بالتحصيل الدراسى . والطفل الذى يعيش فى أسرة يسودها التفاهم والمحبة والتقدير المتبادل يتفرغ بكليته للتحصيل فى حين نرى الطفل الذى يعيش فى أسرة تسودها البغضاء والتحكم والتعصب وضيق الافق والتحيز تتجاذبه الصراعات النفسية، وينتابه شعور بعدم الامن فينصرف عن الدرس والتحصيل الى احلام اليقظة يهرب اليها من واقعه غير السار الذى يسوده عدم الاستقرار .

والواقع انه اذا اردنا أن نساعد الطفل على التحصيل الدراسى فانه يجب أن نهيىء له الجو المناسب لذلك وأن نشعره بالطمانينة والامن وأن نحيطه بسياج من الحب .

المدرسة والمدرس وأثرهما على تحصيل الاطفال

لا شك ان التحصيل الدراسى للطلاب يرتبط ارتباطا وثيقا بالمدرس والمدرسة . والجو المدرسى له اثر كبير على تحصيل الطلاب . فهناك مدارس يسودها جو يحبّب العلم لنفوس الطلاب فى حين يسود بعض المدارس الاخرى جو يبغّض الطلاب فى الدراسة والتحصيل .

والمدرس له دور فعال اساسى فى ترغيب الطلاب فى الدراسة والتحصيل ، ولا بد من أن تتوافر فيه عدد كبير من الصفات حتى يمكن الاعتماد عليه فى حمل امانة التدريس .

والمدرس فوق المامه التام بالمادة العلمية التى يقوم بتدريسها ، يجب أن يكون عنده حب عميق للمهنة ، وتقدير تام للرسالة الانسانية الملقاة على عاتقه ورغبة اكيدة فى مساعدة طلابه ، واعتراف تام بانسانيتهم وبالفروق الفردية القائمة بينهم .

التحصيل المدرسى وحب القراءة

وهناك نقطة هامة لا يجوز اغفالها وهى العلاقة بين حب القراءة والاطلاع وبين التحصيل الدراسى ، ذلك لأنه لا يمكن ان نرتفع بمستوى التحصيل الدراسى للطلاب مالم نحبّب اليهم القراءة والاطلاع، وما لم نساعدهم على القراءة السريعة ونخلصهم من الطرق الخاطئة للقراءة والتى تعتبر من معوقات التحصيل .

والواقع انه اذا اردنا ترغيب الطلاب فى القراءة فلا بد من أن ترتبط المادة التى يقرأونها بحياتهم وأن تكون متمشية مع قيمهم وأن تمس مشاعرهم واحاسيسهم ، وهذا فى الواقع موضوع يطول شرحه ولا يسعه هذا المقال .

نصيحة للآباء

واذا كانت هناك من نصيحة توجه للآباء فيما يتصل بالتحصيل الدراسي لأبنائهم فهي الا يغالوا فى مستوى التحصيل الدراسي الذى يطلبونه لهم. فمعظم الآباء عادة يرسمون لأبنائهم خططا تعليمية Educational Plans ترتفع كثيرا عن مستوى قدرات ابنائهم .

والآباء فى ذلك يكونون مدفوعين بحبهم الزائد لفلذات اكبادهم . ولكن الآباء لا يعرفون انهم بسلوكهم هذا يسيئون لأبنائهم اساءة بالغة ، ذلك لأن مستوى طموح Level of Aspiration الآباء بالنسبة لأبنائهم اذا ما غولى فيه أدى بالابناء الى طريق الفشل والرسوب وترك الدراسة وشعور الخيبة وضعف الثقة بالنفس .

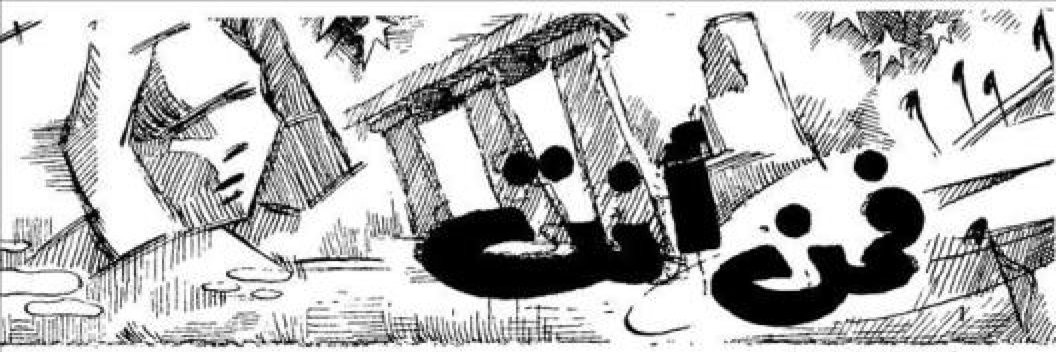
فليساعد الآباء الابناء على الواقعية Reality عند اختيار مستقبلهم التعليمي ، وبذلك يضمنون لهم السعادة والرضى فى المستقبل والنجاح فيما يرسمون لانفسهم من خطط . ■■

على أحمد على



■ انت من حيرني غموضك .. واثارني صمتك !!
انت من كنت اجهله ، وان خلقت لأعرفه ! ..
انت من تود ان تفهم عني كل شيء ، وتسألني : من تكونين ؟!
انا من خلقت لكي اطيعك وحدك .. ؟!
انا ظلك الوفي وخيالك الذي يتبعك ..
انا الروح الضال الذي اهتدى اليك .. وتشبث بك !!
انا .. من تلاشي كيانها وكبرياؤها واستحال عَبَقا يضوع عبيره في محراب هواك ..
ولكن انت ..
من انت ؟!
انت الذي ملكت القلب والروح معا ! ..
وعبثت بالفكر وبددت طلاسمه ! ..
انت !! الرجل الذي نسيتُ فيه نفسي وما عدت اذكر سواه ! ..
انت يا من تفتحت عيني على صورتك الحلوة ، فتلاشت عندها كل الصور !!
انت الأمنية العذبة التي تملكت الفكر .. وطغت على الحواس فاذا بي لاشيء الا .. انت!!
انت يا من قدّستُ فيك كل طاهر وجميل !!
اما .. انا ؟!
انا .. الترنيمة العذبة التي تهمس بها شفتاك !
انا .. انا الأغرودة الباسمة التي يهتز لسماعها قلبك !
انا .. انا وميض النور السحري الذي كشف لعينيك العميقتين ظلمات المجهول ! ..
انا .. انا الزفرة الحارة التي تتردد بين احناء صدرك !
انا .. لا شيء !!
وانت لي كل شيء .. كل الحياة .. بل الحياة انت !!
نعم .. انت الحياة ومصدر النور والالهام !!
انت .. روح الفؤاد واصل وجوده !!
انت عذابي !! ونعيمي .. وجنتي
انت .. من ملأ القلب حبا وشبابا !!
انت .. انت .. بربك من انت ؟!!
ليتني اعرف من تكون ؟!
اما .. انا ..
انا الهمسة الحيرى ..
انا الأغرودة العذبة ..





انا الزفرة الحارة ..
انا التى تريد أن تنصت اليها .. لا بقلبك وحده بل بوجدانك كله !!
انا .. الضالة فى عالم الناس .. تنشد الحنان ..
انا .. من تلمّستُ الحب والحنان .. فكنتَ أنت .. الحب والحنان !!
انا النغم الضال !! والأنين الحزين !!
انا .. من ايقظتَ قلبها بعد غفوته ..
انا من احييتَها بعد موات ..
ولكن من أنت ؟!
لأريج انفاسك سحر غامض ! ..
انت من صغت من أنينى نشيدا ! .. ومن ضلالى هدى ! ..
انت من تبعتك النفس الحزينة ، فسموت بها الى دنيا الحب والجمال ! ..
انت من تعالت الروح نحو سمائك التى تناثرت فيها نجوم الامال الذهبية ، كما تتعالى ادخنة المجامر
فى جوف معبد صامت جلله الخشوع وطافت فوقه القداسة ! ..
انت .. انت لا ادرى بعد كل هذا .. من انت ؟!!
انت .. الذى هدهدتَ يأسى فى ارجوحة الأمل ، فأحلت لونه الحالك الى طيف حبيب ! ..

فقل لى بربك : من انت ؟!
وقل لى كذلك : من انا ؟!
انا الهاربة من ظلم البشر !!
انا فى حقل الحياة اشلاء مبعثرة !!
انا من اعدو خلف السراب وليس فى دنياى الا ضباب !
ان القلق يعبث بى حتى لأسأل نفسى حيرى .. ترى..لمن ستكون فى غدى المجهول!!
يا لنيران الغيرة ..
يا لرهبة القلق ..
يا لقسوة الخوف من المجهول ..
فقل لى بربك من انت ؟ ..
انت من بددت ظلمات الحياة واسفر وجهك عن اليقين !!
وانى لأرجو فى النهاية ان اكون : انا انت .. وانت انا !!

سنية قراعه



تأويل الأحلام عند ابن

● من هو ابن سيرين ؟
● وهل كتب حقاً كتابه ؟
● واذن فمن صاحب الكتاب الأصيل ؟
● ومن أين استقى علمه ؟

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

■ حينما نقول ان الثقافة العربيـة الصحيحة التي ينبغي أن تقدم لجيلنا ، لا بد ان تكون ثقافة أصيلة تحقق المزج العضوي بين التراث العربي القديم وتراث الانسانية المحدث ، ينهض في راس هذا المطلب ان نلقي على تراثنا القديم نور العلم الحديث، وأن نسلط على جوانب ثقافتنا التليدة كل مستحدث وطريف مما انتهت اليه الثقافة الانسانية .

ولا شك ان مثل هذه المهمة الملقاة على دارسي تراثنا العربي ما تزال مقصرة عن مداها ، رغم الجهود العديدة التي بذلت في هذا السبيل . ونستطيع ان نقول ـ دون ما غلو ـ ان ابناء البلاد العربية لا يجدون بعد صورة واضحة كاملة تقدم لهم التراث العربي بلغة عصرهم ، وتعرّفهم به على هدى مما يقبسون من ثقافة الغرب .

ولهذا نجد الحكم على تراث العرب ـ لدى ابناء جيلنا ـ يذهب زمَراً وفرائق ومنازع . وكثيرا ما يغلب على هذا الحكم طابع الانكار لشأن التراث والتنكر لما فيه . فالتراث لم يذلل لأبنائنا ولم ييسر لهم ، ولم يوطأ ليكون جزءا متكاملا من جملة ثقافتهم . ولم تمتد الأواصر اللازمة بينه وبين ما يعرفون من جوانب العلم الحديث والدراسات الحديثة .

مثل من الدراسات النفسية

وما نريد ان نمضي بعيدا في هذا السبيل ، فهو في حاجة الى صفحات . وحسبنا ان نضرب مثلا على ما نقول ، نسوقه من ميدان علم النفس .

ان دراسات علم النفس الحديث التي تقدم لطلابنا في المدارس والجامعات كثيرا ما تبدو لهم فاقدة الأواصر مع جملة تراثهم وثقافتهم العربية. والراجح

ســليين

ان يقدّم لهم هذا العلم على انه علم حديث لا جذور تربطه بماضى التراث العربى . واذا جرب مدرسو هذا العلم ربطا ، كفاهم فى معظم الاحيان ان يضربوا الأمثلة على بعض حقائق علم النفس عن طريق الاستشهاد بما حواه الأدب العربى والشعر العربى من اقوال واشعار فيها تعريض ببعض تلك الحقائق .

اما الدراسات التى تحاول ان تكشف عن مدى اسهام التراث العربى الماضى فى الكشف عن حقائق علم النفس ، فما تزال نادرة وقليلة . واذا هى وجدت ، لم تعرف فى معظم الأحيان ان تسلّط على دراسات العرب نورَ العلم الحديث ، بحيث تجلوها جلاء جديدا ، وتلبسها ثوب الدراسات المحدثة وتترجمها الى لغة علم النفس الحديث .

الجوانب المهملة فى تراث العرب النفسى

وقد عنينا منذ سنوات بالبحث فى هذه الجوانب المهملة من تراث العرب فى ميدان علم النفس ، وحاولنا أن نقيم الجسور بين ذلك التراث وبين حقائق الدراسات الحديثة فى هذا الباب . وتبدّت لنا فى هذا المجال ميادين ثلاثة جديرة بأن تستبين فيها الصلة بين علم النفس الحديث وبين ما قدمته الحضارة العربية . ونعنى بهذه الميادين : ميدان الطب النفسانى ، وميدان التوجيه المهنى ، وميدان تأويل الأحلام .

أما ميدان الطب النفسانى عند العرب فقد كان له حظ اكبر من دراسات الباحثين (١) رغم انه يحتاج الى فضل من بحث وتقويم على ضوء الدراسات المستحدثة . واما ميدان التوجيه المهنى عند العرب فهو ميدان يجلله الغموض والجهل الى حد كبير ، ولا نقع فيه الا على نتف من دراسات لا تجزىء ولا تغنى . واما ميدان تأويل الأحلام عند العرب فقد عرّف بعض الدراسات ، غير انها ظلت ــ رغم جودة بعضها (٢) ــ بعيدة عن تحقيق الربط الوثيق بين ما وصلت اليه الدراسات النفسية الحديثة فى ميدان تأويل الاحلام ــ وعلى راسها دراسات فرويد ــ وبين ما يختبىء فى قلب كتب تأويل الاحلام القديمة من حقائق واساليب فى البحث تقترب الى حد كبير مما نجده فى حصاد الدراسات اليوم .

تاويل الاحلام عند العرب

ولعل ميدان تأويل الأحلام عند العرب ميدان يبدو للباحثين أبعد الميادين قربا من الدراسات الحديثة ، ولعلهم يظنون به الظنون ، فيرون فيه مرتعا للعامة وحدهم ، يشتمل على خط من التخرّص والنبوءة والخرافة اكبر بكثير مما يشتمل عليه من مجالات التأويل الصحيح لتلك الظاهرة النفسية .

وقد يكون فى هذا القول جانب من الصحة : وظاهر كتب تأويل الأحلام عند العرب هو هذا الظاهر الملىء بالتخريف والتأويل العجيب الذى لا يبدو له أى سند . غير أن مهمة العين المزودة بنور العلم الحديث هى أن تمضى الى ما وراء هذا الظاهر ، كما يمضى مؤوّل الأحلام تماما من محتوى العلم الظاهر الى محتواه الباطن ، وأن تنبش وراء هذه التفسيرات

(١) يمكن الرجوع مثلا الى كتاب « العلاج النفسى » لحامد عبد القادر ، كما يمكن الرجوع خاصة الى كتاب لوكلير Leclere « تاريخ الطب عند العرب » (فى خمسة اجزاء بالفرنسية)

(٢) يمكن الرجوع الى تاويل الاحلام عند العرب للدكتور توفيق الطويل .

عن الأسس التي استندت اليها وعن الأساليب التي اتبعت في صياغتها وعن الفنون التي تلجأ اليها .

وقد حاولنا أن نضطلع بجانب من هذه المهمة في دراسة لنا لتأويل الاحلام عند ابن سيرين (نشرت بالفرنسية) . وفيها أردنا أن نكشف عن الأسس التي يستند اليها تأويل الأحلام عند العرب (بعد أن اتخذنا ابن سيرين نموذجا ورمزا)، والقواعد التي يرونها في تأويل الأحلام والصفات التي ينبغي ان تتوافر في مفسر الأحلام والحقائق التي ينبغي أن يستند اليها في فنه . وبينا وراء ذلك كله كيف تلتقي هذه الدراسات العربية للاحلام بالدراسات المحدثة ، وعلى رأسها دراسات « فرويد » . بل بيّنا في بعض المواضع كيف يقدم ابن سيرين احيانا تأويلات اسلم واصح من تأويلات فرويد . وانتهينا وراء هذا كله الى القول بوجود لغة انسانية مشتركة في ميدان الرموز التي يراها الرائي في الحلم وهي التي تتيح اللقاء بين المفسرين حول هذه الناحية أيا كانت ثقافتهم ، وهي الأساس الذي يمكن ان يعتمد في دراسة الأحلام . ولن نتحدث في هذه الكلمة عن هذه الجوانب، ونرجو أن تكون موضوع مقال خاص . ونود هنا أن نمهد لمثل ذلك البحث ، عن طريق دراسة تاريخية موجزة نضع بها تأويل الأحلام عند العرب وعند ابن سيرين في اطاره التاريخي ، ونكشف الستار خاصة عن حقيقة شخصية ابن سيرين .

الاطار التاريخي لتاويل الأحلام عند العرب

من العسير في هذه المجالة أن نشير الى أصحاب تفاسير الأحلام العرب جميعهم ، والى امهات المؤلفات في هذا المجال وتواريخها . والبحث يطول ان نحن أردنا أن نذكر مثلا تاريخ بعض المؤلفات ومحتواها من مثل : كتب ابي معشر الفلكي ، وكتاب محمد بن زكريا الرازي ، وكتاب الكرماني ، وكتاب القادري ، وكتاب ابن قتيبة ، واخيرا كتاب النابلسي ، وغيرهم .

غير أن ما يسر علينا هذه المهمة أمران: أولهما التشابه الكبير بين كتب تأويل الأحلام عند العرب ـ لأنها جميعها تستقى من مصدر واحد تقريبا ـ وثانيهما الارتباط الوثيق الذي انعقد بين تأويل الأحلام عند العرب وبين اسم محمد بن سيرين . حتى ليصح أن نقول ان الآثار التي تذكر لابن سيرين تكاد تلخص آثار التراث العربي كله في هذا المجال . واكثرها يستشهد بابن سيرين كحجة في تفسير الأحلام، فيقول : قال ابن سيرين .

من هو ابن سيرين ؟

فمن هو ابن سيرين هذا ؟ وما حقيقة قصته مع تأويل الأحلام ؟ وهل كان له فيها هذا الباع الطويل الذي يذكره مؤلفو كتب التفسير ؟

لقد بيّنت لنا الدراسة أن ابن سيرين ـ كمفسر للاحلام ـ رمز اكثر من كونه حقيقة :

فمحمد ابو بكر ابن سيرين ـ كما تدل كتب الطبقات ، وعلى رأسها طبقات ابن سعد ـ توفي في عام ١١٠ للهجرة ، وولد ، فيما يقول بعض المؤرخين ، قبل ولاية الخليفة عثمان بسنتين . وكل ما تشير اليه كتب الطبقات هذه أنه كان قاضيا وأنه كان فقيها تقيا ومحدثا شهيرا (راوية للحديث) وذا علم غزير وفير في شتى فنون المعرفة ، ولا نقع في هذه الكتب على اي شيء يشير الى كونه مؤولا للأحلام ، ولا نجد مثل هذا خاصة في أقدم كتب الطبقات ، نعني طبقات ابن سعد (توفي ابن سعد عام ٢٥٢ للهجرة) وكل ما نقع عليه في هذا الكتاب اشارتان في موضعين يذكر فيهما ابن سعد أن شخصا طلب من ابن سيرين أن يؤول له حلمه .

غير أن نسبة تفسير الأحلام الى ابن

سيرين ما تلبث حتى تمتد وبذر قرنها فى النصف الثانى من القرن الرابع للهجرة حيث يغدو ابن سيرين مؤولا شهيرا يذكر فى سائر كتب تفسير الأحلام .

وهكذا يفقد ابن سيرين مع الزمن وجهه الحقيقى ، وجه العالم المحقق والمحدث الشهير والقاضي العادل، ويلبس وجها ثانيا ، هو وجه مفسر الأحلام بل شيخ المفسرين .

لماذا نسب المفسرون علمهم لابن سيرين ؟

ولنا ان نسأل لماذا نسب المفسرون الى ابن سيرين تأويل الأحلام هذا ؟ والجواب على هذا السؤال واضح بسيط . فلقد كانوا فى حاجة الى ان يؤيدوا علمهم بحجة دينية ، دفعا لما يمكن ان يلقاه من مقاومة . فوجدوا فى ابن سيرين ــ التقى الذى اثر عنه بعض التفسيرات العابرة للاحلام ــ ضالتهم المنشودة ، والقوا بكل علمهم على كاهله ، ونسبوا اليه تأويلات اخذوا معظمها فى الواقع من «ارطميدورس» اليونانى ، وعلما موضوعا منقولا ارادوا ان يثبتوا اركانه ويظهروا اصله الدينى فى القرآن والسنة بل لدى الصحابة . وهكذا نجحوا فى جعل التفسيرات الغريبة التى استقوها من مصادر اجنبية تفسيرات يؤيدها الدين .

يضاف الى هذا ان مفسرى الاحلام ارادوا ان يسيطروا على الخلفاء المسلمين بفنهم ــ كما سيطر مفسرو الاحلام اليونان على كثير من حكامهم . ولهذا لجأوا الى تدعيم هذا الفن بنسبته الى حجة دينية مشهود لها بالورع والتقى ، تتجلى فى ابن سيرين .

وهكذا استخدموا هذا العلم لاغراض سياسية ، وكثيرا ما اولوا الاحلام تأويلا يستهدف التبشير بمجيء بعض الخلفاء أو بولادة بعض الفاتحين . حتى أن بعض امراء المسلمين ضموا لبلاطهم مؤولا للأحلام ، على نحو ما فعل البابليون من قبل وقدماء المصريين الى حد ما (هكذا يستقدم المهدى مفسر الأحلام الكرمانى ويستشيره فى حلم من احلامه . ويستشير هارون الرشيد احد المفسرين . ويبدو ان مخاوف ابنه الأمين من منافسة أسرة « بنى طاهر » له ، ترجع الى حلم رآه . بل ان ترجمة كتب ارسطو الى العربية ــ كما تذكر كثير من المؤلفات ــ اوحاها الى المأمون حلم رآه) .

هل كتب محمد بن سيرين كتابه فى تفسير الأحلام ؟

على هذا النحو غدا محمد بن سيرين عنوانا ورمزا مفيدا استخدمه كتاب التفاسير ومؤولو الأحلام لتدعيم اركان علمهم المجلوب الغريب . ولا نقع فى واقع الأمر على اى كتاب حقيقى خطته يد ابن سيرين .

« ومنتخب الكلام فى تفسير الاحلام » الذى ينسب اليه كتبه فى الواقع ــ كما دلت الأبحاث التى قمنا بها ــ كاتب متأخر اسمه « الدارى » (عاش بعد القرن الرابع للهجرة، وان كنا لم نقع على ترجمة صحيحة لحياته) وفى المكتبة الوطنية بباريس مخطوط يحمل اسمه ، وهو تماما عين الكتاب الذى يحمل اسم ابن سيرين والذى اشرنا اليه منذ حين . وهنالك اكثر من دليل يشهد على عدم صحة نسبة الكتاب الى ابن سيرين ، ابرزها ان فى الكتاب اخبارا تشير الى حوادث جرت فى عهود متأخرة ايام المهدى والرشيد وغيرهما .

وهكذا جمع المؤلف ، نعنى الدارى ، كثيرا من كتب تفسير الأحلام التى كانت موجودة قبله ، ووضعها فى كتاب جامع نسب الى ابن سيرين ، كما نسب الى هذا المحدث الورع غيره من الكتب والأقوال فيما بعد .

ابن سيرين خارج العالم العربى

وقد وقع هذا اللبس نفسه عندما

انتقل اسم ابن سيرين الى الغرب ، وترجمت كتب تفسير الأحلام عند العرب الى اليونانية واللاتينية . وهكذا نجد أن أشهر كتب الأحلام القديمة التى نقع عليها فى اليونانية واللاتينية هى الكتب التى تحمل اسم « اشميتوس فيليوس سيريمى » « Achmetis Filius Sereimi » وهذا الاسم كما هو واضح تصحيف وتحريف لاسم محمد بن سيرين (اللبس بين محمد واحمد Achmetis شائع كما نعلم) . ويبدو لنا أن مؤلف هذا الكتاب هو المترجم الشهير حنين بن اسحاق لأسباب لا مجال للتفصيل فيها هنا . والراجح انه ترجمة قام بها لكتاب « ارطميدورس اليونانى » مع تعديلها (يذكر صاحب الفهرست أن حنين بن اسحاق ترجم كتاب « ارطميدورس » فى تأويل الأحلام) ثم نقل هذا الكتاب بعد ذلك الى الغرب باسم محمد بن سيرين جريا على السنة التى كانت شائعة والتى أشرنا اليها ، نعنى سنة نسبة أكثر كتب الأحلام الى ابن سيرين .

ابن سيرين و « ارطميدورس »

ومن الهام أن نذكر اخيرا أن الكتاب المنسوب الى ابن سيرين وكثيرا من كتب تفسير الاحلام عند العرب تستقى فى الواقع من مصدر واحد ، هو كتاب « تفسير الأحلام » للكاتب اليونانى « ارطميدورس » فتضاف اليه بعض النصوص المنقولة عن ارسطو وافلاطون .

العرب دمجوا تراثهم بتراث اخذوه من اليونان

ولا مجال للتدليل على هذه الحقيقة هنا . غير ان علينا ان نذكر ان الكتاب العرب ، لم يكتفوا فى هذا المجال ــ وفى اى مجال آخر ــ بمجرد النقل، بل اضافوا وغيروا ودمجوا ما أخذوه دمجا عضويا بجملة تراثهم ، حتى اصبح ما اقتبسوه جزءا لا يتجزأ من ثقافتهم . وهذا ما نجده فى مجال تأويل الاحلام خاصة . فهم قد استندوا الى « ارطميدورس » دون شك غير انهم أضافوا اليه اضافات ذكية اساسية ، وربطوا ربطا مذهلا بين ما أخذوه من هذا الكاتب وبين الدين الاسلامى ، واوثقوا الصلة بين تأويلاتهم وبين القرآن والسنة وأمثلة العرب وأشعارهم ، وجعلوا هذه المصادر كلها اصولا يعتمدونها فى تفسيراتهم . حتى ليخيل للقارىء للوهلة الأولى انه أمام علم مبتكر ، لا أصول له الا فى تراث العرب وكتابهم المقدس وسنة نبيهم وامثالهم واشعارهم . أو لم يجعلوا أساس علم تفسير الأحلام الحديث الشريف : « الرؤيا الصادقة جزء من واحد واربعين جزءا من النبوة ؟» وسنرى عند الحديث عن المبادىء التى استند اليها مفسرو العرب كيف استطاعوا فعلا أن يربطوا هذا العلم المجلوب بثقافتهم ويخلقوا منه فى نهاية الأمر علما أصيلا يحق للباحث ان يقول انه من وضعهم ، رغم تأثرهم الكبير بأبحاث يونان .

وفى هذا نجد مثالا واضحا على براعة العرب فى تمثل تراث يونان وفارس والهند ونقله نقلا أصيلا ومزجه مزجا عضويا بثقافتهم . بحيث يحق ان نقول ان التراث العربى ــ رغم تأثره بهذه الأصول كلها ــ ظل تراثا أصيلا ذاتيا مبتكرا . ولعل فى هذا النهج الذى سار عليه قدماء العرب فى نقل تراث الآخرين درسا لمحدثيهم يهديهم الى أصول النقل الأصيل للتراث الحديث ويبين لهم معنى تمازج الثقافات تمازجا مبدعا لا متبعا .

■■

عبد الله عبد الدايم

المتعة الفنية المثلى

في الشعر

■ متعة قريبة تتصل بلطافة التركيب وحلاوة المعنى
■ واخرى بعيدة تتجاوزهما الى المعنى البعيد العميق

بقلم : انيس المقدسي

■ الشعر ككل فن رفيع يعتني بجمال الحياة ويعبّر عنه تعبيرا يحمل الغبطة الى قلب الانسان. ولما كانت الحياة متعددة الجوانب مختلفة المراتب كان التعبير عن ظواهر الجمال فيها مختلف الدرجات . فمن الشعر ما تسرك فيه نكتة بيانية، او سلاسة مبانيه ، او خفة في روح ناظمه تستهويك او حسن وصف يروق لك . ومنه ما تعجبك جزالة الفاظه ومتانة تركيبه وسلامته من العيوب وطلاوة ديباجته وصحة معانيه . ولقد تكون ممّن يسرون بالمواضيع الخيالية البعيدة او بالحقائق الكونية السامية فتقبل من الشعر على ما يجلو لك هذه الحقائق ويحملك على اجنحة الخيال الى البعيد البعيد من المواضيع . ومهما كنت فانك تنشد في الشعر ما تميل اليه وما تشعر بغبطة اذا سمعته او قرأته .

من الشعر الخفيف اللطيف ، شعر ابي نواس

والانسان عادةً يميل في الفن الى الخفيف اللطيف . خذ مثلا ابا نواس في بعض خمرياته وقد دخل حانةً واخذ يداعب صاحبها او صاحبتها وهما نازلان معا الى قبو قديم تحت الحانة ليتفحصا زقاق الخمر . ولما فتح احدها نظر الى الخمر فاذا هي تسطع بنور مشرق قال :

فأبدت لنا صهباء تمّ نشاطُها
لها مَرَحٌ في كأسها ووثوبُ
فلما اجتلاها للندامى بدا لها
نسيم عبيرٍ ساطعٍ ولهيبُ

وتابعه الى آخر القصيدة فتشعر بمرح وان لم تكن من شاربي الخمرة . بل اسمعه في بعض مجونه يقول :

طربتُ إلى الصَّنج والمِزهر
وشرب المدامة بالأكبرِ
وألقيت عني ثياب الهدى
وخضت بحورا من المُنكر

وأقبلت أسحب ذيل المجو
ن وأمشي إلى القصف في مئزر

فانت اذ تسمع هذه الابيات وامثالها لا تفكر بمجون الشاعر وتهافته على الملذات الجسدية الباطلة بل ترى نفسك مرتاحا الى شعر لطيف وكلام مطرب . وبهذا المقياس غالبا تحكم على رقة شاعرية ابينواس وعلى امثاله من قدماء ومحدثين.

ومثيله شعر ابن السماك الاندلسي

فمثل هذا المرح او الارتياح تشعر به اذ تسمع ابن السماك الاندلسي يصف زجاجات الخمر ويقابل بين الفارغ والملآن منها فيقول :

ثَقُلَتْ زجاجات أتتنا فُرَّغا
حتّى إذا ملئت بصرف الراحِ
خفّت فكادت أن تطير بما حوت
وكذا الجسوم تخفّ بالأرواحِ

وانما اعجبتك هنا لطافة المقابلة بين ثقل الزجاجات الفارغة وخفتها وهى ملآنة ورايت نكتة فى التشبيه غير عادية .

وشعر لابي تمام

وليس هذا الشعور بالطرب مقصورا على ما نسمعه او نقراه من خمريات ومجونيات فهو قد يوجد فى جميع انواع الشعر على اختلاف اغراضها فلا عجب ان يهتز ابو دُلَف العجلى طربا وقد قام ابو تمام يمدحه بقصيدة قال فيها :

تكاد مغانيه تهشّ عِراصُها
فتركب من شوق إلى كل راكبِ
إليك أرحنا عازب الشعر بعدما
تمهّل في روض المعاني العجائب
ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قَرَت
حياضك منه في العُصُور الذواهب
ولكنّه صوب العقول إذا انجلت
سحائب منه أُعقبت بسحائب

فالتفت الى قومه وقال يا معشر ربيعة ما مُدحتم قط بمثل هذا الشعر . ثم امر له بخمسين الف درهم . طرب ابو دلف لا لنعت ابى تمام اياه بالجود فحسب ولكن لما فى هذا النعت من جزالة وحسن بيان وابداع فى التشبيه . ونحن الآن نقراه ونطرب به كما طرب به ذلك الامير الجواد .

وشعر البحترى ، وغيره من الشعراء

ومن ترى لا يطرب اذ يسمع قول البحترى متصابيا :

إنى وإن جاوزت بعضَ بطالتي
وتوهّم الواشون أنى مُقْصِرُ
ليشوقني سحر العيون المجتلَى
ويروقني ورد الخدود الاحمر

او قول ابى صخر الهذَلى فى فتاته ليلى وقد امضه بعادها :

وإنى لتعروني لذكراك هِزَّة
كما انتفض العصفور بلّله القطْرُ
فيا حبّها زدْني جوى كل ليلة
ويا سلوة الأيام موعدكِ الحشر
عجبت لسعى الدهر بيني وبينها
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

او قول الشريف الرضى راثيا صديقه ابا اسحاق الصابى :

أعلمت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا ضياء النادى
جبل هوى لو خرّ في البحر اغتدى
من وقعه متتابع الازباد

او قول المتنبي واصفا الناس واختلاف طباعهم :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت اكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى

او قول ابى العتاهية مهنئا المهدى بالخلافة :

أتته الخلافة منقادةً
إليه تجرر أذيالها
فلم تكُ تصلح إلاَّ له
ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره
لزلزلت الأرض زلزالها

اقول من ذا الذى يسمع مثل هذه الابيات فى المديح والغزل والرثاء والحكمة وغيرها وهى كثيرة فى دواوين شعرائنا قديما وحديثا ، ولا يحس بمتعة فى النفس تحبّب اليه الاستزادة من أمثالها . ولماذا ؟ لما فيها من حسن ايقاع وجمال فى التركيب والمعنى . وتلك كانت مقاييس الجودة الشعرية فى كل زمان ومكان .

متعة التركيب ولطافة المعنى ليست كل متع الشعر

ولكن هل هى المقاييس الوحيدة ؟ أو ليس وراء المتعة الحاصلة من جمال التركيب والمعنى فى البيت او القطعة الشعرية متعة أخرى قد يكون لها تأثير اشد واعمق .

وهنا لا بد لنا من أن نفرق بين نوعين من المتعة الفنية ، فنسمى الواحدة متعة قريبة والثانية متعة بعيدة .

المتعة القريبة

ونعنى بالأولى ما نشعر به من استحسان او طرب لجزء خاص من المنظومة الشعرية . كبيتٍ واحد أو جملة من الابيات تمتاز بالطلاوة وجمال المعنى ولطف الصناعة . وقد أشرنا الى ذلك فى الامثلة الآنفة الذكر . ولا نبعد عن الصواب اذا قلنا ان المقاييس البيانية للشعر انما وضعت منذ القدم للتفرقة بين الجيّد وغير الجيد من أجزاء القصيدة . « فلا يصح (كما قال احد ادبائنا) أن يسمى شعرا الا ما كان صحيح الوزن جزل الالفاظ رائق الاسلوب متين القوافى سالما من العيوب لا ابتذال فيه ولا تكلف ولا تعسف تتجلى النكتة الرائعة فى أبياته وتكاد الطلاوة تتدفق من صدوره واعجازه »(1) ولو رجعت الى نقد الشعر لقدامة بن جعفر لوجدته يجعل جودة الشعر فى اللفظ والمعنى والوزن والتقفية . فاللفظ يجب أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف عليه رونق الفصاحة مع الخلوّ من البشاعة . والمعنى يجب أن يكون مواجها للغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب ، ويشترط فىالوزن سهولة العروض وفى القوافى سلاسة المخارج . وهكذا نراه كما نرى غيره من النقاد يهتم بالجزئيات ويضع لنا أحكامها لتكون جيدة ممتعة .

المتعة البعيدة

اما المتعة البعيدة فتتجاوز الجزئيات الى ما ابعد منها ، أعنى الى القصيدة او المنظومة فى اتجاهها ككلٍّ الى مرمى معنوى جميل نشعر متى ادركناه اننا علونا الى ما هو أسمى من اختبارنا او الى ما لم تكن نفطن له من معانى الحياة فيحصل لنا من ادراكه سرور غير عادى ، سرور اعمق مما نحس به فى جمال الصناعة اللفظية او النكتة المعنوية .

قال الشاعر اليونانى لوكريتيوس Lucretius اعظم حبورى أن أصل الى ينابيع الوحى الصافية، وأن أجمع ازهارا جديدة واحوك لرأسى اكليلا لم تضعه الآلهة على رأس انسان وأن أنشد الحقائق وأحرّر نفسى من الترّهات والاوهام اذ أتناول أسرار الحياة المظلمة فأتلوها متلألئة بأنوار الجمال الشعرى .

فهنا متعة تتأتى لا عن تركيب لفظى حسن ، أو متانة قافية محكمة، أو لطف نكتة بيانية فحسب وانما عن الكشف فى المنظومة الشعرية عن حقيقة فكرية بارزة لنا فى صورة شعرية رائعة . وأكثر ما يكون ذلك فى اتجاه الشاعر نحو غير المعتاد — فى ابتكاره مواضيع أو أهدافا يحملنا نحوها بخياله الخصب وأساليبه الجميلة فيرينا ما لا نراه عادة أعيننا ، ويُسمعنا ما لا تسمعه آذاننا . وهكذا يرتفع بنا الى حيث يغمرنا جمال سام لن نبلغه بانفسنا .

(1) المقتطف ٧٠ — ٢٦٩ .

الشعراء شاعران : شاعر يتقدم جيله ، وشاعر يتلبس عصره

كان أهل الادب قبلا يقولـون الشعراء اربعـة ولعلنا نستطيع ان نقلل هذا العدد فنقول الشعراء اثنان : شاعر يتقدم جيله اذ يرى ما لا يرونـه ويرتاد لهم مناطق لم يعرفوها ، وشاعر هو مرآة عصره يلتبس روح العصر ويبرزها في صورة شائقة ويكشف لهم ما استتر من حقائقها .

ومهما يكن فان الروائع الشعرية التى كان لها اثر عالى عظيم لا تقوم روعتها فقط علـى جمال جزئياتها بل على جمال مرماها وسمو الفكر فيها .

خذ مثلا رائعة الشاعر الالماني جوته Goethe التى موضوعها « فاوست » ، فهى مؤلفة منفصول واجزاء شتى ، في كل منها ما يستهوى القارىء ويسره . ولكن المتعة الحقيقية ناشئة عن الفكرة العامة التى ترمى اليها والتى يشعر القارىء انه منقاد اليها وهى ان الخلاص للجرىء المجاهـد وأن السعادة ما هى الا سعادة الساعـى أبـدا وراءها . فكرة عميقـة ، فكـرة النفس البشرية المتعطشة الى السعادة تجرب كل نوع من انواع المسرات الدنيوية فتجد بعد التجربة الطويلة ان هذه المسرات لا تجلب للنفس ما تتعطش اليه ، وان حقيقة السعادة انما هي العمل المستمر في حقل الواجب الانساني . هذا المرمى الفكرى الذى تتوحد اجزاء المنظومة الشعرية في التوجيه اليه لم يُعنَ بـه شعراؤنا قـديما . على ان الشعر الحديث قد تنبّه اليه فظهر فيه من ذلك ما يعدّ بحقّ اتجاها جديدا فيه .

الشعر لا يتقيد بالتزام

وليس من الضروري أن يكون المرمى أو الفكـرة العامة في المنظومة من باب الدعوة الـى التـزام الارشاد الخلقي او الروحي. فالشعر لا يتقيد بمثل هذا الالتزام . على أن الشعر العالى لا يكونُ دون مرمى عالٍ . نحن كما قالت اديبة عصرية « ليس من الممكن ابدا أن نقول لفنان مثقف واعماذا يخرج من آثار الفن ، ولا أن نرسم له المواصفات . ولكن الفنان الرفيع عنده من الثقافة ومن الوعى مـا يستطيع به أن يجعل فنه مصدر دوافع سلوكية جديدة تعمل لصالـح الشعب كلـه بل للانسانية أيضا » .

ومهما أردنا أن يكون الفن حرا طليقا فـان عظمته لا تشرق الا في اجواء الفكر العالية . ان الشاعر الحقيقى لا يفكر ثم ينظم ما توصّل اليه بالتفكير ، ولكنه بطبيعته مفكر مدرك للحقائق ، وما شعره الا تصوير لادراكه الطبيعي واحساسه الحى . هو لا يفكر بوعى في الحياة أو الطبيعة ، ولكنه يعى دون تعمّل فكرى ما تخفّى من معانيها ويجسم ذلك الوعى في كلام موسيقى هو غايـة الغايات في المتعة الفنية .

قال ابن رشيق : « وانما الشعر ما أطـرب وهزّ النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذى وضع له وبني عليه لا ما سواه » . وانـنـا نجاريه في ذلك . ولكننا لا نقف عند هذا الحد ، بل نقول مع شاعر الهند طاغور ان الفن العالى ذو مرام عالية وفيه تجد النفس ما تتوق اليه من معاني الحياة وقد عبّر عن ذلك احـد شعرائنا العصريين بقوله : الجمال تعبير عن الحياة ولكن ليس تعبيرا عن اية حياة . هناك أشكال من الحياة قلقة مشوهة تشوبها عنيفا لا تستطيع أن تكـون خليقة باكثر من احتقارنا او شفقتنا ، ان التعبير عن حياة غنية متسعة هو وحده يوقظ حنيننا واعجابنا وحماسنا .

الشعر تعبير عن اختبارات نفسية وقيم انسانية رفيعة

ليس الشعر ذو المتعة الفنية العالية مجـرد تعبير موسيقى سار . وقولنا ان الفن هو تعبير عن اختبارات في النفس لا يمنعنا من القول ان أسماه ما عبّر عن أسمى الاختبارات او ما انعكست عنه الانسانية باشواقها وأحلامها وهواجسها وآلامها فكل قصيدة رائعة هى اشراق من عالم تسودهالقيم الانسانية .

واذا قلنا القيم الانسانية فنحن نعنى كل مـا يرفع الانسان فكريا الى الحقائق الكونية مهما كان نوعها ، فقد تكون اخلاقية او اجتماعية او قومية او فكرية أو غير ذلك . المهم أن تكـون اختبارا رفيعا مجسّما بكلام رفيع .

قصيدة العنقاء

فمن امثلة ذلـك في شـعرنا الحديث قصيدة « العنقاء » لايليا ابى ماضى التى يرمز بها الـى السعادة ، وانه من العبث أن يطلبها الانسان خارج نفسـه .

فهو يحدثنا انه اخذ يفتش عنها فى كل مكان ، يسال عنها جميع ما فى الكون ـ يسال النجوم والبحر ـ يدخل القصور ويجوب الفضاء ـ ينشدها فى الاحلام والرؤى فى مسرات الدنيا وفى حياة الزهد والتقشف . وما زال يفتش ويسال حتى مر ربيع الحياة وجاء الخريف فالشتاء وكانت النتيجة ما يقصه علينا فى ختامها اذ يقول :

صفرت يدى منها وبى طيش الصبا
وأضلنّى عنها ذكـاء الألمعـى
حتى إذا نشر القنوط ضبابـه
فوقي فغيبنى وغيّب موضعـى
وتقطّعت أمراس آمالى بهـا
وهى التى من قبلُ لم تتقطـع
عصر الأسى روحى فسالت أدمعا
فلمحتهـا ولمستهـا في أدمعـى
وعلمت ، حين العلم لايجدى الفتى
أن التى ضيّعتهـا كانت معـى

فهنا فكرة فلسفية يحملها الينا الشاعر على اجنحة الفن الرفيع فنشعر بعد قراءة القصيدة بمتعة عميقة تستولى على مشاعرنا . هى متعة السير مع الشاعر الى مرماه والتاثر بما اختبره وراه .

قصيدة على بساط الريح

ومثل هذه القصيدة قصيدة فوزى المعلوف « على بساط الريح » والفكرة الاساسية فيها خيالية وهى ان موطن الشاعر الحقيقى ليس على الارض فهو يتوق أبدا الى الانعتاق من عبودية المادة ليتمتع بحرية الحياة العليا . وقد اخرجها فى شكل حلم رأى نفسه فيه على متن طيارة يصعد فى الجو . وفى أثناء تصعيده يسمع أحاديث الطيور والنجوم والارواح وآراءهم فى الانسان فيعيد الينا هذه الاحاديث والاراء ملونة باصباغ جميلة من تشاؤمه . ولا يزال مصعدا حتى يصل الى عالم الارواح حيث يلتقى بروحه ، فيتمتع بلقائها هنيهة من الزمان . ثم يستيقظ من حلمه فاذا هو فى غرفته وليس الى جنبه غير يراعه الذى هو فى الحياة خله الوفى الوحيد فيقول :

وإذا بى أهوِى إلى الأرض وحدى
بعد حريتى أكابـد رِقّـا
فرأيت اليراع قربى يؤاسيـنى
ويبكى لما لقيـتُ ويلقـى
يايراعى رافقـتَ كل حياتـى
فاروِ عنى ما كان حقّاً وصدقا
أنا لم ألقَ مثل صمتك صمتـا
حولّته عرائس الشعر نطقـا

وما هذان الا مثلان من عدة امثلة اخذت تشيع فى ادبنا الحديث . ولا يخفى ان هذا النوع من الشعر كثير فى منظومات كبار الشعراء العالميين وهو يظهر فى اشكال شتى ، ملاحم وروايات ومسرحيات وقصائد ، ومنها الطويل ومنها القصير ، واهم خصائصها تصوير الحياة لنا تصويرا رائعا .

نعم لا يطلب من الشاعر ان يتكلف التفتيش عن فكرة عالية يجعلها هدفا لمنظومة يصوغها . على ان الشعر العالى هو نتيجة طبيعية لتاثر الشاعر بالحياة ـ نظر ثاقب فى مشكلاتها وكشف بيّن عن شتى القيم الانسانية فيها ـ .

وختاما

نعود ختاما فنقول ان المتعة الشعرية درجات فهى قد تاتى فى البيت الواحد او الجملة من الابيات عن معنى طريف او مبنى لطيف او نكتة بارعة او وصف رائق . ولكن ذلك لا يناقض الحقيقة ان الشعر الذى يستحق ان يسمى عظيما ليس فقط ما راقنا لسهولة مبانيه وقرب معانيه واشباعه المألوف من اختباراتنا ، ولكن ما كشف لنا عن عظائم فى الحياة ترفعنا عن العادى فيها . وهذا لا يكون الا للخاصة من متذوقى الادب العالى ، وما يصدق على الشعر يصدق على الموسيقى وسائر انواع الفنون الرفيعة . ■■

انيس المقدسى



دردشة

أليس فى بلاد العجائب كتاب للاطفال رائع

● لقد مضى على ظهور كتاب « أليس فى بلاد العجائب » Alice in wonderland مائة عام ، ومع ذلك فان هذا الكتاب المعدّ للأطفال يبـــدو وكأنه كتب قبل يوم أو يومين . غير ان الأهم من ذلك هو ان اثر هذا الكتاب فى شحذ مخيلة الأطفال وصقل مواهبهم ، سواء فى بريطانيا او فى غيرها من ســـائر اقطار العالم ليحول بيننا وبين تصور بريطانيـــا ، بل العالم ، من دون « اليس » هذه . ونستطيع الجزم بأن ما يتجلى فى هذا الكتاب من ابداع يجعله من اروع ما انجبته الانسانية من كتب ، وذلك بالنظر الى مدى تأثيره فى تفكير الناس وحديثهم اليومى ، وبالنظر لصغر حجمـــه كذلك . ولعل السرّ فى هذا هو ما تتصف به الصبية « اليس » من تجاوب فعّال مع سائر الناس على كافة المستويات . ففي وسع المرء أن يستمتع بقراءة هذا الكتاب ، على نحو ما ، وهو فى السابعة من عمره ، وفى استطاعته ان يجد مثل هذه المتعة فى قراءته ، متعة القصة والسرد القصصى ، ولو بلغ من العمر ما بلغ . على ان السنين تضيف الى هذه المتعة متعات . فكلما نضج الانسان تمكن من القراءة بين سطور هذا الكتاب والاستمتاع بظلال من معانيه عميقة تختفى وراء الفاظه البسيطة .

براعة نادرة فى مجابهة موقف مألوف

● اطال السير يسوع ستامب Josiah Stamp فى خطاب له واسهب . ولما رأى عددا من المستمعين يرفعون أيديهم الى انظارهم ، الواحد تلو الآخر ، ليروا كم كانت الساعة ، قال :

« لا يضايقنى ابدا أن تنظـــروا الى ساعاتكم . فمن حقكم أن تعرفوا كم مضى من الوقت ، وان تتكهنوا كم بقى منه ، وقد طال حديثى اليكم . وكل ما اخشاه هو ان تضطروا بعد قليل الى رفع ساعاتكم الى آذانكم لتنظروا هل توقفت عن العمل .. » .

وغنى عن البيان أن المستمعين كفوا عن النظر الى ساعاتهم ، بعد سماعهم هذا التعليق ، وان كان باعثهم على ذلك هو الخجل ، لا عدم الملل .

حكم وأقوال مأثورة

❋ احرص على أن تعـرف نفسـك! فتلك مهمة شاقة لا تعدلها مشقّة اية مهمة اخرى فى الحياة .

سرفانتس Cervantes

● لا مفر لنا مما نصنع من خير وشر ولا مهرب . فهو يلحق بنا ويلازمنـا بل يدبننا ويحكم علينا أنىّ ذهبنا وحيثما حللنا . وما نحن الآن الا نتيجةٌ لما كنّا .

جورج اليوت George Eliot

● لا سبيل الى شـــحذ المواهب وتنميتها الا بالعمل فى هدوء وعزلة عن العالم وصخبه ، ولا سبيل الى صقل الخلق وتقويمه الا بخوض معترك هذا العالم ومعاناة صخبه .

جوتيه Goethe

الأم هي المعلمة الاولى

● تستطيع الأم الفاضلة أن تؤدى مهمة مائة أستاذ من أساتذة المدارس . هذا ما قاله الشاعر الانجليزى جورج هربرت George Herbert (١٥٩٣ ــ ١٦٣٣) وهذا ما أثبته التاريخ . فجورج واشنطون George Washingten (١٧٣٢-١٧٩٩)، اول رئيس للجمهورية فى الولايات المتحدة الأمريكية ، كان قد فقد أباه وهو فى الحادية عشرة من عمره . وما كان ليشب على نحو ما شب عليه من رصانة الخلق وقوة الشخصية لو لم تكن امه على جانب كبير من الحكمة والاقتدار . وقد تولت تربيته ، منفردة ، بعد وفاة أبيه . ويصدق ذلك كثيرا أو قليلا على عدد من اعلام الأدب والعلم والشعر عبر التاريخ ، نذكر منهم على سبيل المثال : جوته Goethe ، وجرى Gray وشيللر Shiller ، وبيكون Bacon وارسكين Erskine ، فلولا تربية أمهاتهم لهم لما احتل هؤلاء مكانتهم بين الأعلام المبدعين .

● خسر من احجم عن فعل العمل القليل رجاء فعل العمل الكبير الخطير . ثم سيمضى الزمن سريعا وستمضى معه الفرصة لفعل اى شيء ، قليله وخطيره .

صامويل جونسون
Samuel Johnson

● أنى للدغة الأفعى أن تحدث من الألم ما يتركه العقوق فى قلوب الآباء .

وليم شاكسبير
William Shakespear

● تستطيع ايجاز النظرية الشيوعية بكلمتين : أجهزوا على الملكية الخاصة كائنة ما كانت .

كارل ماركس وفردريك انجلز
Karl Marx and Friedrich Engles

الايجاز فى البلاغة أصعب منالا وأحوج الى الاعداد

● سئل الرئيس الامريكى الأسبق ودرو ولسون Woodrow Wilson عن الزمن الذى يحتاج اليه لاعداد خطبة لا تستغرق من الوقت الا عشر دقائق ، فأجاب : « أسبوعين .. » .

فأردف السائل : **« هب أن الخطبة التي تعدها اطول وتستغرق من الزمن ساعة ، فكم هو الوقت الذى تحتاج لكتابتها .. ؟ » .**

فرد ولسون : **« أسبوع واحد .. »**

ثم جاء السؤال الثالث : **واذا كانت الخطبة أطول من ذلك وتحتاج لالقائها الى ساعتين .. » .**

فأجاب ولسون : **« مثل هذه الخطبة لا تحتاج الى اعداد وأنا على أتم استعداد لالقائها فورا .. » .**

حب الوطن أقوى من النعاس

● عرف عن بوث تاركنجتون Booth Tarkington كثرة السفر والتجوال كما عرف عنه التعلق الشديد بولاية انديانا ، باعتبارها موطنه ومسقط راسه .

واتفق مرة ان كان بوث فى رحلة بحرية ، فى بقعة نائية من المحيط الهادى، وانه بقى جالسا على ظهر الباخرة فى احدى الليالى رغم تأخر الوقت ورغم عدم وجود رفيق او جليس معه من ركاب الباخرة وقد أووا جميعا الى فراشهم . فاقترب منه قبطان الباخرة وهمس فى اذنه : **« لم لا تذهب الى غرفتك وتأخذ نصيبك من النوم والراحة .. ؟ » .**

فرد بوث قائلا : **« لا أشعر بالنعاس .. وكيف أشعر به والساعة لم تقارب الثامنة صباحا فى انديانا بعد !! » .**

حضارات سادت ثم بادت

جولة داخل بيت من بيوت الرومان

■ كانت بيوت الرومان ، كما كانت حضارتهم ، مرآة انعكست عليها مؤثرات مختلفة ، اغريقية مستوردة ، واخرى ايطالية صميمة ، وثالثة اتروسكانية قديمة. والصورة المنشورة على الصفحة الثانية تفضى بنا الى داخل احد تلك البيوت او القصور لتكشف لنا عن بعض معالم جماله وبهائه .

تضعنا الصورة فى قاعة القصر الرئيسية . يتوسطها حوض تتجمع فيه مياه الأمطار الساقطة من فوهة سقف القاعة . وحرصا على تجميع اكبر قدر من تلك المياه عمد المعماريون الرومان الى اقامة المنحدرات على جوانب تلك الفوهة العليا حتى يجرى الماء سهلا الى الحوض المصنوع من الرخام .

وتتجلى روعة هذه القاعة فى أرضيها المرصّعة بالفسيفساء بقدر ما تتجلى فى جدرانها المكسوّة بالرخام . وعلى قِلّة ما فى هذه القاعة من اثاث ، بالمقارنة مع ما ألِفناه فى هذا الصدد فى عصرنا الحاضر ، فان فى جدرانها واعمدتها وحوض الماء الذى فى وسطها ، والمنضدة القائمة فوق هذا الحوض ، وكلها مصنوع من الرخام ، الأبيض الناصع تارة والملون تارة أخرى ، ما يجعل هذه القاعة الرومانية القديمة على جانب من الجمال والبهاء كبير . على أن روعتها تُعزى ايضا الى تناسق الألوان فيها . والجدير بالذكر أن الرومان ابدوا تفوقا ملحوظا فى تخيُّر الألوان المختلفة والجمع بينها على نحو يكفل التناسق بينها ويترك اوقع الأثر واجمله فى الناظر اليها .

وكانت هذه القاعة التى أسماها الرومان أتريوم Atrium بمثابة قاعة الاستقبال . قاعة يستقبل فيها سيدُ البيت اصدقاءه وضيوفه ، لذلك كانت هذه القاعة دوما تتصدر البيت أو القصر ، لا يفصل بينها وبين الباب الخارجي الذى يفضى الى الشارع الا ممر صغير تحجبه ستارة يظهر جزء منها فى مقدمة الصورة الى اليمين . وفضلا عن ذلك فان القاعة المذكورة كانت تتوسط غرفا اخرى تحيط بها كغرفة الخدم وغرفة البيت الخاصة وغرفة اللهو . والجدير بالذكر ان هذه القاعة كانت تغصّ بالضيوف فى الصباح الباكر وهو الوقت الذى درج الرومان على تفضيله لاستقبال اخوانهم وخِلانهم .

وتختلف هذه القاعة اختلافا بيِّنا عن القاعات الداخلية البيضاء التى يُفضى اليها الباب المتسع فى وسط الصورة . فهذه من طراز اتروسكانى ايطالى وبتيت او الحقت بالقاعات الداخلية التى هى نمط يونانى . وتظهر هذه الفوارق على صعيد معمارى فى الأعمدة ذات التيجان والاعمدة التى لا تيجان لها ، كما تظهر أيضا فى القاعة الداخلية البعيدة المكشوفة التى لا سقف لها . وهذه القاعة أو الساحة التى لا سقف لها هى التى نقلها العرب عن الرومان ونقلها هؤلاء بدورهم عن اليونان ، كما نقلها الاسبان وسائر الاوروبيين فى العصور الحديثة عن أسلافنا واجدادنا الذين اضافوا اليها ،بل اضفوا عليها الكثير من مبتكراتهم كالأقواس والنقوش البديعة .

اما غرف النوم وحجرات النساء فقد أقيمت فوق الغرف التى احاطت بتلك الساحة المكشوفة ، على أن هذا لا يعنى ان الرومان كانوا يحظرون على نسائهم الظهور فى قاعة الاستقبال Atrium . فقد كان من حق المتزوجات من نسائهم استقبال ضيوفهن وصديقاتهن فى هذه القاعة .

وتجدر الاشارة الى ان البيوت الرومانية كانت تحفل بالستائر الجميلة التى أسبغت على الجو رونقا كبيرا . اما الرسوم والصور التى كانت تزدان بها تلك البيوت فلم تكن من نوع الصور التى تعلق على الجدران بل كانت مصورة مرسومة على الجدران بالذات .

■■

مؤامرة كاتيلين

● مؤامرة تكشف عن التيارات السياسية في العصر الروماني : عصر خطيب روما "سيشرون" وقيصرها "يوليوس قيصر"

بقلم : علي أدهم

■ من الاقوال المأثورة عن المؤرخ البريطاني الكبير جيبون Gibbon قوله فى كتابه المشهود عن سقوط الامبراطورية الرومانية ، خلال حديثه عن عهد الامبراطور الروماني انطونينوس بيوس « يمتاز حكمه بالميزة النادرة ، وهى تزويد التاريخ بمواد جد قليلة ، والتاريخ فى الواقع لا يزيد الا قليلا علىتسجيل جرائمالبشر وحماقاتهموكوارثهم». ولا يسع من يطيل النظر فى تاريخ البشر ، او يلم به الماما يسيرا الا أن يقر هذا الرأى ، فصفحات التاريخ وسجلاته ملأى بالحروب المدمرة، والأحداث الدامية، والفواجع الاليمة ،والخيانات والحماقات، والسخافات التى تسميها تاريخ الانسانية .

المؤامرات

ومن قبيل تلك الأحداث المؤامرات على اختلاف أنواعها ، والأصل فى التآمر هو التشاور بين اثنين أو اكثر لايقاع الأذى ، والقيام بعمل ينطوى على تحدة للقانون ، مثل الاتفاق على السطو على أحد المصارف ، أو نسف احدى المؤسسات ، أو احراق حى من الأحياء،أو اغتيال شخصية من الشخصيات البارزة مثل زعماء الاحزاب او رؤساء الدول او القادة العظام .

وكثيرا ما يشغل المؤرخون بالهم بتحرى أخبار المؤامرات السياسية بوجه خاص ، وذلك لان هذه المؤامرات ، فضلا عن كونها تكشف جوانب مختلفة من الطبيعة الانسانية ، فانهـا شديدة العلاقة بالتيارات الفكرية ، والحالات النفسية الغالبة على العصر الذى تدبّر فيه ، ويمكن أن يقال بوجه عام ان معظم المؤامراتالسياسية كانباعثها الصراع من أجل طلب السيطرة والنفوذ والسلطان ، اى انها فى جوهرها لون من ألوان الصراع السياسى .

مؤامرة الديسمبريين فى روسـيا

وقـد اشتهرت فى التاريخ العالمى مؤامرات سياسية كثيرة ، بعضها حقق الأهداف التى كان يرمى اليها المتآمرون ، وفى بعضها أخفق المتآمرون فى اصابة الهدف وتحقيق الغاية منه . من أمثلة ذلك مؤامرة الديسمبريين فى تاريخروسيا السياسى، وقد حدثت فى أعقاب وفاة القيصر الاسكندر الأول فى نوفمبر سنة ١٨٢٥ للاطاحة بالحكم القيصرى ، وقد أخمدها القيصر نيقولا الأول ، وبعد اخفاقها أرسل الوزير البريطانى المقيم فى بطرسبرج الى كاننج Canning وزير خارجية انجلترا فى تلك

الفترة يقول (١) أخفقت المؤامرة الأخيرة لأنها كان ينقصها الادارة ، ويعوزها الرأس الموجه ، وقد كانت من قلة النضج بحيث لا تستطيع تحقيق اية غاية ، ولكنى أعتقد أن البذور التى ستأتى بالنتائج الهامة قد ألقيت » .

مؤامرة كاتيلين

ومن أشهر المؤامرات التاريخية تلك المؤامرة التى حدثت فى أواخر العهد الجمهورى عند الرومان ، وهى المعروفة باسم مؤامرة كاتيلين ، وكان هدف القائمين لها وعلى رأسهم لوسياس سرجيوس كاتيلين Lucius Sergius Catiline الاستيلاء على السلطة .

طبقات روما

وكانت الطبقة الحاكمة فى روما حينذاك مفرطة الثراء ، مسرفة فى طلب المتعة والانغماس فى الترف، ولكنها مع ذلك لم تكن قد فقدت نشاطها الجم ، وحيويتها القوية ، وقدرتها على التنظيم ، والميل الى المغامرة ، والصبر على احتمال المشاق ، وما الى ذلك من الصفات التى مكنت الرومان من فرض سلطانهم على جزء واسع الرقعة من العالم المعروف فى زمانهم .

وكانت تلو طبقة النبلاء الطبقة المتوسطة المكونة من أعيان الريف وتجار المدن . ووراء هذه الطبقة الطبقة الثالثة من الفقراء والصعاليك والعبيد أسرى الحروب وسلالاتهم .

ثورة سابقة يتزعمها أحد العبيد

وقبل وقوع مؤامرة كاتيلين ببضع سنوات قامت هذه الطبقة المعدمة بثورة خطيرة تزعمها المدعو سبرتاكوس أحد العبيد المجلوبين من تراقيا والهاربين من مدرسة تدريب المصارعين ، وقد لقيت الجمهورية الرومانية صعوبة شديدة ، وبذلت جهودا شاقة فى التغلب على هذه الثورة ، واخماد جمرة العصاة .

الأسر الرومانية عندما كانت تغرق فى الدين

وكانت المدن الرومانية النامية المزدهرة الغاصة بالسكان تجمع بين النقيضين ، القصور الفخمة الحافلة بفاخر الرياش ونفائس التحف ، والأحياء القذرة التي يعيش فيها الفقراء المحرومون ، وبرغم احتفاظ أسر النبلاء بامتيازاتها كاملة كان الكثير من تلك الأسر غارقا فى الديون ، وكانت كثرة الديون آفة ذلك العصر . وقبل ذلك بخمسين سنة كان يسهل على الأسر النبيلة سداد ديونها وتفريج أزماتها المالية باختيار أحد أفراد الأسرة حاكما لولاية من الولايات الرومانية الكثيرة ، فقد كان فى هذه الحالة يستطيع أن يصادر من الممتلكات ويبتز من الأموال ما يكفى للوفاء بديون الأسرة ، ويكفل لها استعادة مكانتها ، ولكن ذلك العهد تولى وانقضى ، وعرف سكان الولايات الالتجاء الى المحاكم ، والاستعانة بالمحامين المتداره من امثال سيشرون واضرابه . وكانت الأسر النبيلة التى ظلت محتفظة بمكانتها تحرص على أن تظل مستأثرة بالخيرات ، وتحاول أن تقصى من صفوفها الأسر التى لم تستطع المحافظة على كيانها ، والاحتفاظ بمكانتها .

كاتيلين ، أحد النبلاء ، تهدده ديونه الثقيلة بالسقوط

وكان من هؤلاء النبلاء الذين رأوا أنهم أصبحوا مهددين بالسقوط من مكانتهم العالية ، والطرد من صفوف النبلاء كاتيلين ، وكانت حياته صورة من صور حياة شباب الطبقة الارستقراطية فى عصره ، فقد بدد أمواله بغير حساب للعواقب ، وأسرف فى الاقتراض ، وأرخى لنفسه العنان . وحينما بلغ الثلاثين من عمره أصبح أمله الوحيد لعلاج أحواله واستدراك أخطائه أن يصبح حاكما لاحدى الولايات ، وفى أيامه لم يكن ذلك ميسورا فى كل حين ، ولكنه مع ذلك استطاع الحصول على مثل هذا المنصب ، ولم يصلح من سيرته ، ولم يقتصد

---

(١) صفحة ١٤٧ من كتاب « تكوين روسيا الحديثة بقلم ليونل كوشان The Making of Modern Russia. By Lionel Kochan.

فى نفقاته ، وبرغم ابتزازه الأموال من ولايته على افريقية أغنى الولايات الرومانية ظلت الديون تلاحقه .

وكان كاتيلين فارع القامة ، حسن التكوين ، قوى البنية ، جلدا على احتمال المشاق ، يستميل قلوب النساء بشدة أسره ، ويستهوى الرجال بالهدايا والملاينة ، ثم يقتضيهم ثمن بسط حمايته عليهم . وقد ولد زعيما ، ولكن بغير كابح ولا ضمير رادع ، ويقال انه قتل زوجته الأولى وابنه ، وعذب أحد أبناء عمومته حتى أزهق روحه ليستولى على أملاكه التى كان يطمع فى حيازتها .

كاتيلين يعزل من ولاية أفريقية ويعود الى روما

ولما عاد الى روما بعد عزله من الولاية على افريقية اتصل برجلين لعبا دورا هاما فى تاريخ روما ، وهما الثرى الواسع الثراء كراسس Crassus ، ويوليوس قيصر ، وكانا يميلان الى « حزب الشعب » ويشجعان الجنود المدربة المسرحة بالمنح والعطايا ، ويقاومان بذلك سياسة النبلاء القدماء المسيطرين على السيناتو (مجلس الشيوخ) ، وقد استطاعا أن يضما الى جانبهما كاتيلين ، وكان قبل ذلك يناصر حزب السيناتو . وشجعاه على أن يتقدم لترشيح نفسه للقنصلية نائبا لحزب الشعب فى انتخابات القنصلية سنة ٦٥ قبل الميلاد .

كاتيلين يُلغى ترشيحه لمنصب القنصلية الرومانية

وحينما وضع اسمه فى قائمة المرشحين وقف فى سبيله ماضيه حينما كان واليا على افريقية ، وبرغم ان الرومان كانوا لا يتشددون فى محاسبة الولاة على الفساد وقبول الرشى ، الا انهم كانوا فى الوقت نفسه لا يتساهلون فى شيئين ، وهما العجز عن أداء الدين أو التعرض للمحاكمة . ولم يكن فى وسع من ركبته الديون أو رفعت عليه قضية أن يقبل ترشيحه لأحد مناصب الدولة الكبيرة .

وكان قد اتفق فى هذه الظروف ان جاء وفد من افريقية ، وأقام دعوى ضد كاتيلين يتهمه فيها باغتصاب المال خلال مدة حكمه . ونجم عن ذلك الغاء ترشيحه لمنصب القنصلية .

وكان قد تقدم للدفاع عنه ماركاس تلياس سيشرون Ciceron احد المحامين البارزين فى روما ، وخطيب الرومان الشهير ، ولم يكن من طبقة النبلاء ، وكان يفتخر بذلك ، وقد نشأ فى بلدة اربينام القريبة من روما ، وكان رجلا مثقفا يجيد اليونانية قراءة وكتابة ، ويهوى الرسم والنحت ، ويعد نفسه من الفلاسفة ،ويتأنق فى تدبيج الرسائل البليغة .

وكان سيشرون بعيد الطموح ، طامعا فى منصب القنصلية ، وقد اعتمد الى حد ما على الحزب الشعبي لمساندته فى تحقيق طموحه ، وربما كان من أسباب ذلك تقدمه الى كاتيلين بطلب الدفاع عنه ، ولكن كان فى سلوك سيشرون ما يبغضه الى كاتيلين الارستقراطى النشأة ، ولذلك استعان بمحام آخر نجح فى دفاعه عنه .

وخسر الوفد الافريقى القضية ، ولكنه نجح فى تشويه سمعة كاتيلين ، وكلفه فقدان البقية الباقية من ثروته ، ومن ذلك الحين فقدت الناس الثقة به، وحامت الشكوك حول امانته واستقامته ، فلم يوفق هو ولا غيره من مرشحى حزب الشعب فى انتخابات القنصلية التى أجريت فى نوفمبر سنة ٦٥ قبل الميلاد .

الاخفاق يحرك كوامن الشر فى كاتيلين فيزمع أمرا

وأثاره هذا الاخفاق ، وحرك كوامن الشر فى نفسه ، وأصبح مهددا بالافلاس وفقدان المكانة الاجتماعية ان لم يبادر الى عمل شىء يرد عليه أمله ، ويحقق له هدفه . وسبق له أن استعان بالخنجر للخروج من أزماته السياسية وضائقاته المالية ، ولذلك صمم على اغتيال القنصلين الجديدين عند ذهابهما الى السيناتو فى مستهل سنة ٦٤ قبل الميلاد .

وتسربت الأخبار كما يحدث عادة فى أغلب

المؤامرات ، فذهب القنصلان الى المجلس في حراسة شديدة ، ولذلك لم تعط الاشارة لاشهار الخناجر.

الجنود القدامى من أنصار كاتيلين

والجنود القدامى المدربون لم يكونوا صالحين لفلح الأرض ، ولم يستطيعوا اصلاح المزارع التى عهد اليهم الاشراف عليها بالمنح التى أعطيت لهم ، وغرقوا في الديون مثل كاتيلين ، مما جعلهم يعطفون عليه ، وقد عرفوه فيما مضى جنديا بارعا مقداما اظهر ضروبا من الشجاعة في عهد الحرب الداخلية القديمة ، لذلك صمموا على مساندته اذا تقدم لانتخابات القنصلية مرة أخرى .

فى انتخابات القنصلية التالية

وخيم على ميدان السياسة فى تلك السنة هدوء كالهدوء الذى يسبق العاصفة ، وكان يوليوس قيصر وحليفه كراسس يعملان على مقاومة الحزب المسيطر بطريق اذنابهما. وكان سيشرون من ناحيته يعمل على تحسين علاقته بحزب السيناتو ، فلما تقدم للانتخابات القنصلية التالية عجب الناس كيف يسلك هذا الرجل ، من الطبقة المتوسطة ، والذى صناعته الكلام ، فى مقاومة منافس من الطبقة الارستقراطية شديد المراس مثل كاتيلين الذى تقدم بوصفه مرشحا مستقلا ، ولم يكن سيشرون يملك سوى مقولة سلاحا وقدرته على التأثير فى الشعور العام التى ساعدته على الانتصار فى قضايا كثيرة . ولكن هل تنفع الكلمات اللوامع والحجج الدوافع فى مقاومة الخناجر ؟

كان الانتخاب حافلا بالشغب، فقد جاءت الجنود المدربة المسرحة من الاقاليم ، وكانوا يعرفون أساليب فض الاجتماعات السياسية . وطاف سيشرون بالدوائر الانتخابية وهو معرض للاغتيال فى كل لحظة ، وكان اينما حل يلقى كلماته الساحرة بصوته الرخيم المؤثر . وكان يستطيع أن يقول ما يشاء عن خصومه ومنافسيه لأنه لم يكن هناك قانون يمنع القذف والنيل من سمعة الأفراد ، وانصار كاتيلين من محترف الاجرام وحثالة المجتمع كانت تجعل له مجال القول ذا سعة ، وقد افتن سيشرون فى الحملة على كاتيلين ، واظهر عيوبه ، وفضح مخازيه ، وجرائمه ، ووصف مؤيديه بأنهم عصبة من الأشرار السفاكين والنهابين السلابين وانهم عرضة فى كل وقت للانقضاض على المواطنين السالمين والفتك بهم واغتصاب اموالهم ، فكيف يختار المواطنون مثل هذا المجرم العنيد لمنصب القنصلية ؟ وكانت كلماته تلقى القبول فى نفوس المواطنين لانه هو نفسه كان يخشى حقا عدوان كاتيلين ورفاقه ويرهب سطوتهم ولا يأمن شرهم .

كاتيلين يهزم فى انتخابات القنصلية مرة أخرى

وهزم كاتيلين فى هذه المرة كذلك ، ولكنه لم يكن ممن يقبلون الهزيمة ، فقد كانت فيه طبيعة المناضل العنيد الذى يأبى التراجع ولا يقبل الاستسلام للهزيمة ، وكان يعرف أن سيشرون لم يكن على جانب كبير من الشجاعة ، وكان يزعم أن كاتيلين يرصد له القتلة فى كل مكان ، وان عناية الالهة الحريصة على سلامة الدولة هي التى وقته شرهم وردت عنه كيدهم !

عشيقة تحمل أخبار المؤامرة

وما دام كاتيلين يدبر له المؤامرات ، وينصب له الشباك ، فما عليه الا أن يذيع الاشاعات عن تلك المؤامرات برغم عدم توفر الأدلة الكافية على وجودها ، وكانت هذه هى المرحلة الأولى فى الصراع بين الرجلين ، ولم يلبث سيشرون أن جاءته البينة التى يستطيع الاعتماد عليها فى توجيه الاتهام الى كاتيلين ، وذلك ان أحد أصدقاء كاتيلين المقربين الذين يشبهونه فى اخلاقه وعاداته ، وهو كوينتاس كيرياس Quintus Curius ، كان على صلة مريبة باحدى سيدات الطبقة الارستقراطية وهى الحسناء فولفيا Fulvia ، وقد كان لهذه السيدة الـر كبير فى اتلاف ماله وتكاثر الديون عليه ، ولما قل ما بيده بدأت تتنكر له ، فحاول استرضاءها بزعمه انه فى سبيل الحصول على ما يدر عليه الأموال الطائلة ، بل هددها أنها اذا استرسلت فى مغاضبته فانه يستطيع فى المستقبل ، متى حدث ذلك الحادث المجهول الذى لم يفصح لها عن

حقيقته ، أن ينتقم منها ، وقد نقلت فولفيا هذا التلميح الخفى الى رجال سيشرون الذين كانوا يتسقطون الأخبار ويجمعون المعلومات ، ودفع لها سيشرون مبلغا كبيرا من المال لتظل توافيه باخبار صاحبها ، واعتقله سرا .

ومن هذه اللحظة أصبح سيشرون على علم بكل ما يدبره كاتيلين واصحابه ، ولكن ذلك لم يكن كافيا لتوجيه الاتهام الى كاتيلين فى مجلس الشيوخ، فقد قال له احد الشيوخ المجربين فى المجلس « اين الوقائع التى تستطيع تقديمها ؟ انك تذكر شبهات، ولكنك لا تقدم لنا اسم مواطن واحد نستطيع ان نوجه اليه الاتهام » .

وكان من رأى سيشرون ان اجراء انتخابات فى مثلهذا الجو المشحون بالاشاعات لا يخلو من خطر، وحمل ذلك أعضاء المجلس على التردد ، ولم يبلغ سيشرون بذلك كل ما يريد ، واقر المجلس ارجاء الانتخابات يومين ، وقد استطاع سيشرون ان يلحق شيئا من عدم الثقة حول اسم خصمه .

كاتيلين يندفع فى تدبير الثورة

وتكاثرت الاشاعات حول كاتيلين ، وادرك ان الطريق الى السيطرة قد سد فى وجهه ، فجمع عصابته ، وشاورهم فى الأمر ، وكان اكثرهم ، باستثناء لنتلاس Lantulus القنصل السابق ، من ذوى السمعة المتهمة والسيرة المشبوهة ، والنزعة الاجرامية ، وصارحهم بانه ليس امامهم سوى تحريض الجنود المدربين السابقين فى تسكانيا على الثورة ، واشار على مانليوس Manlius احد اصحابه المقربين بان يمدهم بالسلاح ، ووافق مانليوس على القيام بتلك المهمة، واقترح كاتيلين اشراك العبيد الارقاء المضطهدين فى الثورة ، ولكن لنتلاس عارض فى ذلك ، فلم يوافقه الزعيم وذكر له اهميتهم فى كسب المعركة .

واتفق على احراق النواحي التى يسكنها الرجال ذوو الأخطار فى المدينة ، وقتل طائفة مختارة من اعضاء السيناتو البارزين ، على أن لا يتم شيء من ذلك الا حينما تظهر كتائب المهاجمين من الشمال على أبواب المدينة .

وحدث شيء لم يفسر قط تفسيرا مقنعا ، ففي مساء يوم ٢٠ أكتوبر ، بينما كان كراسس يهم بمغادرة منزله ليتنسم هواء روما النقى لحظ ، وجود مجموعة من الرسائل على منضدة فى الردهة، ودفعه حب الاستطلاع الكامن فى رجال الأعمال الى الوقوف على محتوياتها قبل الخروج من المنزل ، وطلب الى مرافقيه الانتظار حتى يقرأ ما بها. وكان عدد الرسائل ثلاثين رسالة ليس بها سوى رسالة واحدة باسمه، والرسائل الباقية موجهة الى غيره من رجال روما البارزين ، وكان مضمون الرسالة « ان كاتيلين سيحرق المدينة فخذوا حذركم » . واطلع كراسس صاحبين له كانا معه على مضمون الرسالة ، فسأله احدهما عما يصنعه ، واشار عليه بالتوجه الى القنصل . ووافق كراسس على هذا الرأى ، وطلب من صاحبيه الذهاب معه الى سيشرون ، وذهب الثلاثة اليه .

وقرأ سيشرون الرسالة الموجهة الى كراسس وسائر الرسائل ، ووجدها جميعها خالية من التوقيع ، وانها متفقة فى المضمون ، ومكتوبة بالخط نفسه . وسر ذلك سيشرون ، فها هنا دليل جديد على تدبير المؤامرة الواسعة النطاق، فدعا السيناتو الى الاجتماع فى صباح اليوم التالى ، وعقد الاجتماع ، وجاء الاعضاء فى طياليسهم البيض الى دار السيناتو ، ووقف القنصل ، وخطبهم مقدما دليله على وجود المؤامرة ، وذكر لهم انه قد بلغته انباء مضمونها ان مانليوس ، أحد أعوان كاتيلين مع الجنود المدربين فى تسكانيا ، وانهم يتاهبون للزحف على العاصمة . فوافق الأعضاء على اعلان حالة الطوارىء وخولوا القنصل السلطة التى تجعله فوق القانون ، وهكذا وجد رجل الطبقة المتوسطة ، الوافد من اربينام ، انه قد أصبح حاكما بامره .

نظام الحكم فى روما

وكان الرومان منذ عهد الحكم الملكى يكرهون ان يستأثر فرد بالحكم ، ولذلك كان من اسس الحكم الجمهورى عندهم ان يقتسم الوظيفة اثنان ليكبح كل منهما جماح الآخر ، ولكن حينما تتأزم الأمور كانوا يضعون مصائرهم فى يد رجل واحد يمنحونه السيطرة المطلقة ويدعونه الدكتاتور ، وكانوا فى الوقت نفسه يرصدون له العقوبات الشديدة من النفى الى الاعدام اذا تجاوز حده واساء استعمال السلطة الممنوحة له ، وكانت تعطى له السلطة

المطلقة لمدة معينة . وكان يقـدم للمحاكمة اذا استعمل هذه السلطة بعد انقضاء المدة المحددة .

أزعج سيشرون أن دكتاتوريته غير قانونية

وكان هناك شرط جوهرى قبل تعيين الحاكـم بأمره ، وهو وجود العدو المسلح فى داخل التخوم الايطالية ، ومعنى ذلك ان دكتاتورية سيشرون من بادىء الأمـر لم تكن مطابقة للقانون ، فكاتيلين ومانليوس لم يكونا قد أعلنا الثورة بعد ، وقـد شغلت هذه المسألة بال سيشرون صاحب العقلية القانونيـة ، وجعلته يخشى العواقب اذا خانه التوفيق فى استعمال سلطته العالية ، فبدأ بتنظيم كتيبة تجوس الشوارع والطرقات ليـلا لتراقب وقوع حوادث العنف ، وبخاصة اشعال الحرائق ، ومر اسبوعان ساد فيهما القلق والتوجس .

ولم تسر أمور كاتيلين على ما يرام ، فقد حرك مانليوس كتائبه فى يوم ٢٧ اكتوبر ، ولكن المشكلة الحقيقية كانت محاولة الحصول على المال الكافى للتسليح ، وكان كاتيلين قد أنفق ما عنده وأصبح خاوى الوفاض ، وخشى أن يكشف أمره ، فصمم على عقد اجتماع من أنصاره ليلة اليوم السادس من نوفمبر ليرى مدى استعدادهم لتنفيذ خطتهم ، وتم الاجتماع فى منزل أحد الأعضـاء المغمورين ، ووعد بعضُ انصاره بقتـل سيشرون فى داره ، وتسربت هذه الأخبـار الى سيشرون عن طريق فولفيا ، فوضع حراسة مشددة على داره .

سيشرون يدعو السيناتو للاجتماع تحت حراسة شديدة

وحاول سيشرون أن يستفيد من أخبار هـذه المحاولة ، فدعا السيناتو الى الاجتماع مرة ثانية ، واستكثر من الحراس لحماية الأعضـاء ، وحضر كاتيلين الاجتماع ، وتحاشى الأعضاء الاقتراب منه ، ووقف سيشرون يخطب ، وألقى خطابا يعد من أبلغ خطبه ، وهاجم كاتيلين هجوما عنيفا ، ووجه اليه الكلام قائلا « أناشدك باسم السماء يا كاتيلين الى متى تستغل صبرنا ؟ والى متى يسخر منا جنونك؟ والى اى حد يدفع بك تهورك غير المكبوح ؟ »

وكان سيشرون يرمى بذلك الى استدراج كاتيلين الى الاعتراف بالجريمـة ، أو الى ارغامه على الانضمام الى مانليوس فى خارج رومـا واعلان الثورة ، ويثبت بذلك انه عدو للدولة ، ويتخلص سيشرون بذلك من تبعة المسارعة الى تقلد وظيفة الدكتاتور .

واسترسل قائلا «انك لست الرجل الذى يصده الحياء عن ارتكاب المخزيات ، ولا يمنعه العقل عن التورط فى الأعمال الجنونية ، ولا يحول الخوف بينه وبين الاقدام على الخطر .... »

وذكر فى الخطبة « ان المؤامرة أصبحت معروفة ، وانه أصبح مكروها من الجميع وان أنصاره مـن ذوى السمعة السيئة والماضى الملوث » .

واحتمل كاتيلين هـذا الهجوم العنيف دون أن يغض طرفه او يتغير لون وجهـه ، بل وجه الى سيشرون سؤالين بارعين ، أوقعا القنصل فى حيرة، فقد سأله قائلا « هل هـذا الاتهام الموجه اليه بوصفه عدوا للشعب ؟ واذا كان كذلك فمـا هو الدليل عليه » ؟ والسؤال الثانى هو « هل يرى القنصل نفيه ؟ » .

وكان هـذان السؤالان يثيران اشكالين قانونيين خطيرين ، فأين الدليل على التهمة الموجهة اليه ؟ وكان سيشرون يعرف أنه بوصفه قنصلا لا يملك السلطة التى تخول له نفى أحد المواطنين،لأن الحكم بالنفى كان من سـلطة مجلس الشيوخ ، ولكنـه بوصفه حاكما بأمره كان يملك ذلـك ، وفى هذه الحالـة كان فى اسـتطاعة كاتيلين ان يثبت ان سيشرون قدم للمجلس معلومات غير مؤكدة ليضلله لكى يحصل على سلطة الدكتاتور ، وأدرك سيشرون ما قصده كاتيلين فقال له فى رفق « انى لم آمر بنفيك ، وانما قدمت لك نصيحة أخوية ، وهى أن تخرج من هذا البلد الذى أصبحت فيه مكروها يخافك الجميع » .

وأثار خطاب سيشرون حماسة أعضاء السناتو ، وجعلهم يقدرون خطـورة الموقف وينقمـون على

كاتيلين ، ولكن كاتيلين ظل يناضل من أجل حريته ، فطلب أن يوضع تحت رقابة اختيارية يتولاها أحد الاعضاء ، وليكن كراسس او يوليوس قيصر أو لنتلاس ، ولكن لم يتقدم احد من هؤلاء السادة بقبول هذا الاقتراح .

كاتيلين يجهز للثورة

واضطر هذا الموقف كاتيلين الى الكشف عن حقيقته والمجاهرة بالثورة ، وقضى تلك الليلة ، وهي آخر ليلة قضاها فى روما ، مع اعوانه ، وكان لا بد من القيام بالعمل بعدما حدث فى صباح اليوم بالمجلس،ولوحظ أن مانليوس كان بطيئا فى حركاته، فلا بد اذن من ذهاب كاتيلين بنفسه الى الشمال ليظاهره ، ولا بد من اثارة العبيد فى الجنوب . واتفق على أن لا يحرق أى حي من احياء المدينة ، ولا يقتل أى عضو من أعضاء السيناتو الا حينما تقترب اعلام كاتيلين ومانليوس من أبواب المدينة . وبعد أن أخذ كاتيلين على أعوانه المواثيق المؤكدة ، وضمن ولاءهم لقضيته ، ركب مع صديقين من اصدقائه الذين يثق بهم جوادا سريعا ، وهربوا فى جنح الليل من أبواب المدينة ، وكسب سيشرون المعركة .

سيشرون يقبض على أعوان كاتيلين بعد خروجه من روما والسيناتو يحكم باعدامهم

واذيع أن كاتيلين قد ذهب الى مرسيليا ، ولكن الديكتاتور سيشرون كان متأكدا من أنه انضم الى كتائب مانليوس ، وانه ترك جماعة من أعوانه البارزين فى المدينة وكان معظمهم من شباب النبلاء وعلى رأسهم لنتلاس الذى كان قنصلا سابقا . ووجد سيشرون وثيقة يستطيع بها اداتنهم فاعتقلهم جميعا ، وقدمهم للمحاكمة ، وبرغم اعترافهم تصدى يوليوس قيصر لطلب الترفق وقلل من خطورة الاتهام الموجه اليهم ، وكاد يختلط الامر على المجلس لولا تصدى كاتو – أحد أعضاء السيناتو – للسخرية من هذا الطلب وحملته على المتهمين لأنهم عرضوا الدولة للخطر الشديد ، وحاولوا اشاعة الفوضى ، وارتكاب الجرائم المنكرة ، فقضى المجلس باعدامهم جميعا .

معركة حامية بين كتائب كاتيلين وجيش الجمهورية ، قضت على كاتيلين وانصاره

ولم يجد كاتيلين محيصا عن اعلان ثورته وكان جيشه مكونا من خليط من الجنود المدربين القدامى وزعانف العبيد وشرذمة من الاوغاد ونفايات المجتمع ، ولم يكن معهم ما يكفى من السلاح ، ودارت معركة حامية بين جيش الجمهورية وكتائب كاتيلين ، وأسفرت عن هزيمته ومقتله وصفوة انصاره ، وانقذت روما من اخطار هذه المؤامرة الواسعة النطاق والتي كان باعثها الطمع فى السيطرة ، والرغبة فى الهدم والتدمير ، وعدم المبالاة بالعواقب . وعُدّ سيشرون أبا لوطنه ومنقذا للجمهورية .

والخطب الثلاث التي القاها وتناول فيها قضية كاتيلين تعد من نماذج البلاغة اللاتينية ، وأرقى امثلة الهجو السياسي والحملات الخطابية .

مقتل سيشرون

ولكن هذا الموقف اكسبه عداوة رجل لا يستهان بعداوته وهو يوليوس قيصر ، وكان قيصر محاميا قديرا مثل سيشرون . وكان يرى أن موقف سيشرون من الوجهة القانونية لم يكن سليما ، ولا بد انه افضى بذلك الى ابن اخته الامبراطور الروماني اغسطس قيصر ، ففي سنة ٤٣ قبل الميلاد أمر اغسطس بقتل سيشرون بعد عشرين سنة من انتصاره العظيم على كاتيلين وركونه الى الشدة فى معاملته والقضاء على حركته .

ومهما يكن من أمر هذه المؤامرة فانها ترينا الكثير من النقائض والعيوب التي سرت الى الخلق الروماني وتعارض التيارات السياسية التي غلبت على ذلك العصر وادت الى انتقال الرومان من الحكم الجمهورى الى الحكم الامبراطورى. ■■

علي أدهم

الاقواس المزدوجة في جامع قرطبة ، آية من آيات





تمثال العالم العربي محمد بن قسوم الغافقي الرمدي الاشهر وصاحب كتاب «المرشد في الكحل» .. أي في طب العيون ، أزيح عنه الستار في قرطبة في اكتوبر الماضي وشارك في الحفل مندوبا « العربي » سليم زبال واوسكار مترى ، فكانت أول مجلة عربية تساهم في مثل هذا الحفل

اعرف وطنك أيها العربي

قرطبة ..

دُرّة مُدُن أوروبا في العصور الوسطى

بقلم الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

تصوير

اوسكار مترى





هذه مئذنة وبرج أجراس في آن واحد ، فأما المئذنة فقد بناها عبد الرحمن الناصر وقد حول منار المئذنة الى برج للنواقيس

الى أسفل : يزور قرطبة سنويا حوالى ٧٠٠ ألف سائح، وكل هؤلاء يزورون مسجد قرطبة الشهير .



■ الشعر الأندلسي بحر حافل بكل جميل من بدائع التصوير الفني وكل صادق من الاحساس الشاعري ، ما شرعت في مطالعة ديوان من دواوينه الا شغلتني المطالعة بقية يومي ، ولكن قطعة منه لا تزال تردد في خاطري كلما وقفت بأثر من آثار الغابرين من أهلي في الأندلس ، كأنها لحن طويل يصاحبني أينما وقفت هناك ، وهو قول أبي صخر القرطبي :

ديارٌ عليها من بشاشة أهلها ... بقايا تسرُّ النفسَ أُنساً ومنظرا
ربوعٌ كساها المُزْنُ مِن خِلَعِ الحَيا ... بُرودا وحلاها من النَّوْر جوهرا
تَسُرُّك طورا، ثم تُشجيك تارةً ... فترتاحُ تأنيسا وتُشجى تذكُّرا

ولا يصدق هذا الكلام بقدر ما يصدق عن قرطبة .

فانك ـ أيها العربي ـ ما زلت ترى عليها «بقايا» من بشاشة أهلها الذين بنوها وجعلوا منها درةً في تاريخ البشر ، ثم مضوا وخلفوها عبرة لكل مَنْ يعتبر ..

حقًا تسر النفس لحظة وتشجيها لحظات . تسر النفس بالأنس وتشجيها بالذكريات .

وفي السطور القادمة سنطوي القرون القهقرى ونعيش في قرطبتنا لحظات نملأ النفس بمسرة العيش فيها، ولكننا لن نسرف في شجو الذكريات فاننا اليوم ـ معاشرَ العرب ـ لا نبكي الماضي ، ولكننا نعتبر ونتعظ ، ونعيش في يومنا ولغدنا وهما باذن الله اسعد وامجد من هذا الذي نبكيه في الذكريات ..

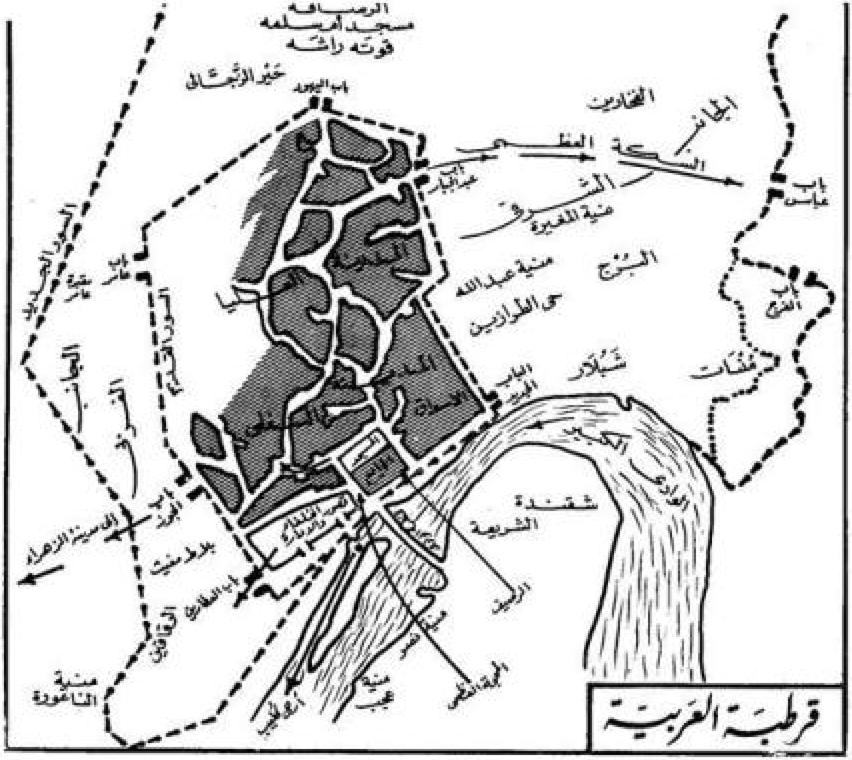
كان لكل من مدائن الاندلس الكبرى وصف ينطبق عليها وتعرف به. كانوا يقولون اشبيلية" العروس ومالقة" النور وسرقسطة البيضاء" وغرناطة" الحمراء ، اما قرطبة" فكانوا يقولون عنها : قرطبة العلا او قرطبة المعالي ، اي انها مدينة العز والأمجاد .

وهذا حق ، فان قرطبة كانت ـ دون اخواتها من مدائننا مدينة عز ومجد ، فقد قامت وسط سهل فسيح يمتد على ضفتي الوادي الكبير اميالا بعد اميال ، فلا يتعذر الرزق" فيه على احد ، وقد كان الاندلسيون بطبعهم أهلَ جد وعمل يأنفون من التسوّل والبطالة ، ويحدثنا ابن سعيد المغربي انهم كانوا اذا رأوا رجلا يتسول عنفوه وشتموه ، فلم يكن امامه الا ان يخرج الى الأرياف الواسعة ويلتمس قطعة ارض يزرعها ويعيش منها، وكان هناك نظام في المزارعة يعرف بالمناصفة ، اي تناصف الغلة بين صاحب الارض وزارعها ، وكانت الارض كثيرة والناس قليلين ، وكان الأغنياء في بحث دائم عمن يزرع معهم أرضهم، ولدينا نصوص تؤكد ان اصحاب الأرض كانوا يتقبلون ربع الغلة ممن يزرع لهم ارضهم .

ولهذا فلم يكن يقيم في قرطبة من الناس الا القادر على الكسب والعمل ، وكان بنو امية ورجال دولتهم ذوي ولع بالمباني والقصور وزينة البيوت والحدائق والتحف، فكان للعمال واصحاب الحرف وأهل المعمار والفن مكان ممتاز عندهم ، وكان متوسط أجر العامل الدقيق « نصف" مثقال محمدي » اي ما يقابل جنيها ذهبيا اليوم ،



خريطة تبين موقع قرطبة في اسبانيا



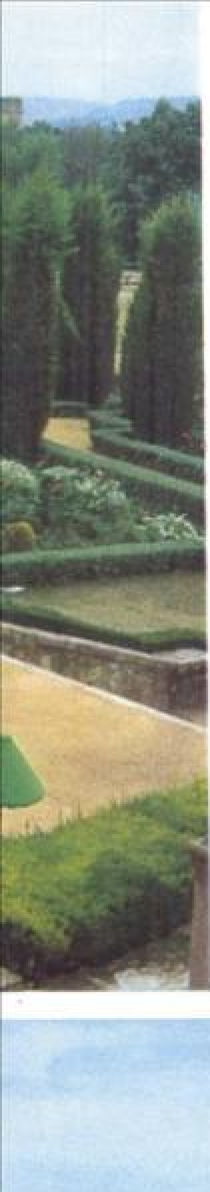
قرطبة العربية : يقال ان قرطبة أقدم مدينة فى شبه الجزيرة . أنشأها مهاجرون وتجار من فينقيا وسواحل الشام فى نفس الوقت الذى انشأوا فيه قادس وقرطاجنة ومالقة وغيرها من جنوب شبه الجزيرة . ويقال ان اقدم اسمائها كان توردیتانيا Turditania . تم استيلاء العرب عليها فى المحرم ٩٣ هـ/اكتوبر ٧١١ م بقيادة مغيث الرومى قائد طارق بن زياد . وفى عام ٩٨ هـ/٧١٧ م انتقلت العاصمة من اشبيلية الى قرطبة . وفى ٢٧ شوال ٦٣٤ هـ/٢٩ يونيو ١٢٣٦ م استولى فرناندو الثالث الملقب بالقديس على قرطبة، وكان البلد قد تخرب تماما بسبب الثورات التى قامت فيه وبذلك انتهى تاريخ قرطبة العربية .

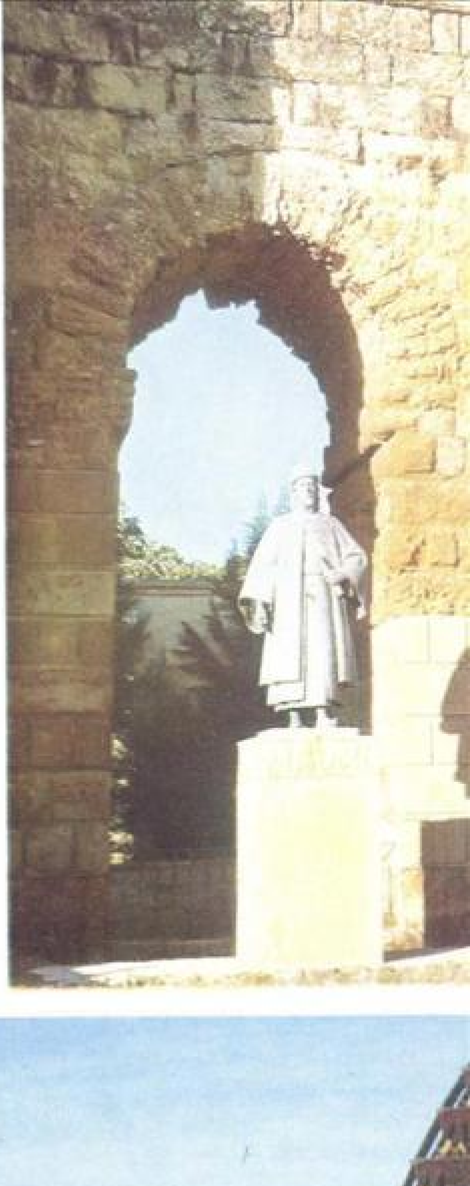
اما متوسط أجر العامل العادى فكان نصف دينار أى نحو نصف جنيه ، وهذا من الف سنة ! عندما كان ايجار البيت عشرين درهما أى نصف جنيه ، وكانت الأسرة الكبيرة لا تنفق اكثر من خمسة دراهم ، اى عشرين قرشا فى اليوم لتعيش عيش الملوك .

وكان القرطبيون ـ وأهل الأندلس عامة ـ أهل نظافة ومظهر حسن ، ويحكى أن الواحد منهم اذا لم يكن معه غير درهم اشترى منه صابونا ليغتسل، وكان الماء جاريا الى بيوتهم بواسطة انابيب الرصاص (لا تزال آثارها باقية الى اليوم) ، وكان عدد حمامات البلد ٨٠٠ على اقل تقدير .

وكانت لهم عناية بالملبس الأنيق الجيد ، فكان القرطبى الأصيل لا يخرج من بيته الا اذا أسبغ على نفسه رداء واسعا من القطن أو الكتان أو الصوف ولبس فوق ذلك عباءة أو عبا كما كانوا يقولون أو ملفا ولم يكونوا يضعون على رءوسهم عمائم أو قلانس ، انما كانوا يسيرون برءوسهم مكشوفة وشعورهم السبطة تسترسل على آذانهم.

وكانت عظمة قرطبة الحقيقية تقوم على أهل الطبقة الوسطى فيها دون الأغنياء ورجال الدولة ، فقد كان فى البلد ٢١ حيا ، منها ثلاثة فقط للموسرين وأصحاب السلطات .. والى منتصف القرن التاسع الميلادى كانت الأحياء القائمة على الضفة الغربية (الجنوبية فى الرسم) لنهر الوادى الكبير أحياء الصناع والعمال والطلاب وصغار الفقهاء والموظفين والكتاب ، ثم قام هؤلاء بثورة كبرى على الأمير الحكم بن هشام المعروف بالربضى كادوا يطيحون فيها بعرشه . وثورتهم هذه كانت على ظلم هذا الرجل واستخفافه بالناس





الى اليمين : في أيامنا هذه ، وبفضل المودة التي تسود علاقاتنا مع اسبانيا يعمل رجالها بالتعاون مع علمائنا على احياء أمجاد قرطبة العربية ، فلم يعد الأمر يقتصر على تسمية شوارع بأسماء عربية ، بل هذا امامك تمثال رائع لأبي محمد علي بن حزم المفكر الأندلسي الاكبر ، صنعه المثال القرطبي أولموس Olmos بتكليف من بلدية قرطبة .

الى اليسار : منظر لبركالماء وأحواض الزهر في قصور الملكين الكاثوليكيين Alcazares de les Reyes cristianos في قرطبة. ان تصميمها ليس عربيا خالصا ولكنه مقتبس من الذوق العربي القرطبي .

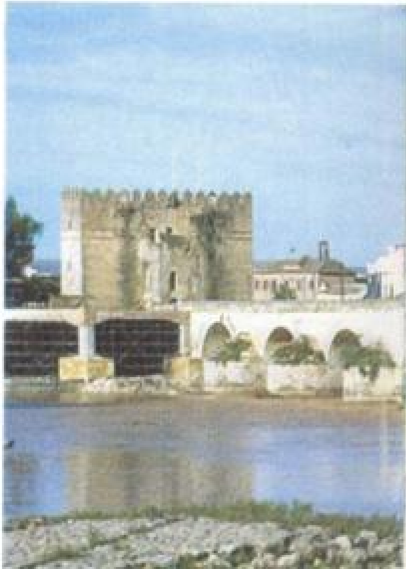
الى اسفل : يحرص الاسبان على احياء كل ما يجدد رسم قرطبة العربية اجتذابا للسائحين ، وهذه عجلة ساقية أو ناعورة أقاموها بالضبط في المكان الذي كانت تقوم فيه أرحي كاليب . الأرحي هي الطاحونة المائية ، وبجانبها تظهر قنطرة الوادي .







الى اليسار: ادخل العرب في اسبانيا الحصان العربي ، وقد اصبحت اسبانيا من البلاد المربية له ، وتعنى الحكومة الاسبانية بأنواع الخيول العربية عناية خاصة . اخذت هذه الصورة في قسم تربية الخيول التابع لسلاح الفرسان في قرطبة



واقدارهم ، وقد انتصر عليهم ، ولكنه تعلم منها درسا لم ينسه هو ولا احد من أهل بيته بعده وهو ان العدل اساس الملك، والعدل ليس عدل السلطان وحده بل عدل التفاهم بين الحاكم والمحكــوم .
لا عجب اننا لم نعد نسمع بعد ذلك ان امير قرطبة او خليفتها قبض على انسان وقتله دون حــق الا مرة واحدة ! ولم يصادر اولئك الخلفاء الى آخر حكم الحكم المستنصر مال احد أو ثروة تاجر مرة واحدة ..

لا عجب أنّ كانت الطبقةُ الوسطى في الأندلس في رخاء لم يصل اليه الناس في اى بلد اخرى في العصور الوسيطة . كانت بيوتهم كثيرةَ الخير



درة قرطبة هو الجامع او لاميثكيتا La Mezquita وهو تحريف لاسم مسجد . انهم يسمونه هنا « المسجد الكاتدرائية » Mezquita Catedral وهو أغرب اسم من نوعه في الدنيا . ان مئذنته اليوم برج للنواقيس ــ كان قد تداعى على اثر زلزال سنة ١٥٨٩ فبنى حول المبنى الاصلى مبنى جديد تقوية له ــ وهى تطل عليك من أي ناحية في القسم العربى كما ترى في الصورة .. وليس في الدنيا أروح لنفس العربى من هذا المنظر في الصباح

وافرةَ الأثاث ، حتى كان الواحد منهم يحرص على أن يقتنى مكتبة يملأها بالكتب الفاخـــرة التجليد ، لا ليقرأ فيها ، بل « ليتجمل بها بين اعيان البلد » كما قال احدهم .

والآن ، تعال نلتمس قرطبةَ هذه بين معالم قرطبة اليوم ..

هكذا ولدت قرطبة

ان مركزَ قرطبة الحالية ، أو سُرّتها كما نقول ، هو الميدان الصغير المنسوب الى خوسيه انطونيو . هناك وانت تتناول فنجان قهوة في واحد من المقاهى الكثيرة في ذلك الميدان تستطيـــع ان تستمع الى دقات أغرب ساعة في الدنيا : قبل كل ميقات تسمع أربع وحدات ــ أو مازورات ــ على الجيتار هى اشجى واجمل من انغام ساعة بيج ــ بِنْ التى طبّقتْ شهرتها الآفاق .

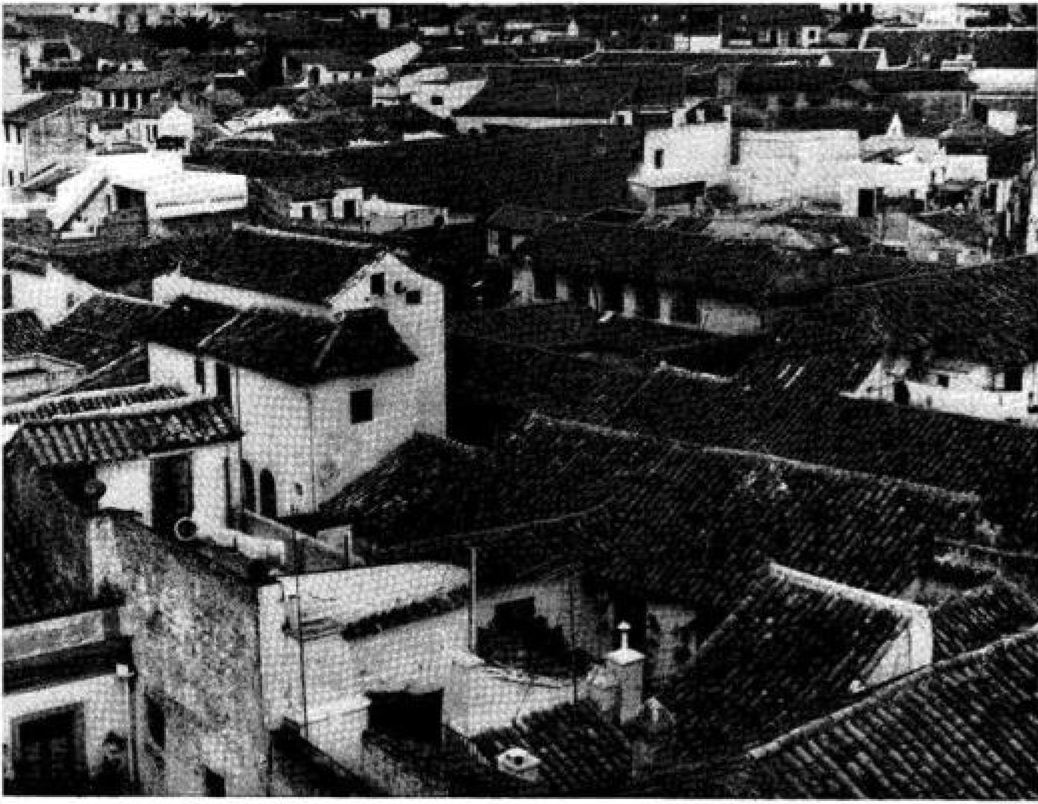
ولكن أحدا من زائرى قرطبة اليوم لا يضيـع وقتا في تناول القهوة في ذلك الميدان الصغير ..

انهم يأتون لرؤية الجامع الذى اصبح اليــوم كاتدْرائية ، وهم يسمونه في الكتب الجامــع الكاتدرائية (لاميثكيتا كاتيدرال) وهى اغــرب تسمية في الدنيا .

والجامع يقع على ضفة الوادى الكبير ، وأمامه القصر الأسقفى ، وبينهما يجرى شــارع يسمى توريخوس ، هذا كان الشارع الرئيسى في قرطبتنا، وكان اسمه على أيامنا المَحجَة العظمى . القصر الأسقفى هذا سنتحدث عنه بتفصيل ، لأنه كان فيما مضى قصرَ الخلفاء . بين القصر والجامــع كانت تمتد قنطرة فوق الطريق ليَعْبُر الأمير أو الخليفة الى المسجد للصلاة . كانت هذه القنطرة ــ وتسمى الساباط ــ مغطاة ، وكان الخلفــاء يقضون الساعات عليها ، يتأملون من شرفاتها أهل قرطبة وهم رائحون غادون . كانت تسلية وفرْجة، وكانت أيضا دراسة واطلاعا على أحوال الناس .

هذا الشارع يؤدى الى قنطرة ــ أو كوبرى ــ قرطبة . وهذه القنطرة كانت هى الأصل في قيام قرطبة ، لولاها ربما لم تكن في التاريخ مدينـةٌ مذكورة بهذا الاسم .

فان الرومان في تنظيمهم لدولتهم ، أنشأوا طرقا كبرى تبدأ من روما وتشرع الى اقاصى حدودهم .



وهذا منظر لما يقع عليه بصرك اذا نظرتَ من نافذة أحد بيوت قرطبة . النخلة العربية تحييك من وسط البيوت وتذكرك أنها هي الأخرى وافدة من الشرق مثلك . عندما وقع نظر عبد الرحمن الداخل على نخلة كهذه جرى لسانه بالشعر ، وما كان بشاعر ، فقال :

تبدت لنا وسطَ الرصافةِ نخلة — تناءت بأرض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت : شبيهي في التغربِ والنوى — وطولِ التنائي عن بنيّ وعن أهلي

من هذه كان طريق ضخم يتفرع من روما ويسير غربا فيخترق شمال ايطاليا فجنوبي فرنسا ثم ينحدر جنوبا محاذيا ساحل البحر الابيض فيصل الى تربونة ثم برشلونة في شبه الجزيرة الايبيرية ، ومن هناك يتفرع فرعين يسير الرئيسي منهما الى طليطلة ثم ماردة ثم قرطبة ويعبر الوادي الكبير ويستمر الى ساحل المحيط الأطلسي الى قادس .

وعند هذه المدن بنى الرومان قناطر لعبور الطريق : بنوا قنطرة طليطلة على نهر تاجة ، وقنطرة ماردة على نهر الوادي آنة ، ثم قنطرة قرطبة على الوادي الكبير .

على رأس كل قنطرة من هذه نشأت مدينة . كانت كل منها في أول الأمر سوقا ومعسكرا ومَحرَسا للقنطرة والطريق .

هكذا كانت قرطبة أول الأمر . محطة على رأس القنطرة . كان من الطبيعي أن تنمو ، فهي في وسط سهل خصيب . كان الوادي الكبير يسمى اذ ذاك بيتيس (بيطي عند العرب) ، وكان أضخم وأوسع بكثير بدليل ان العرب سمّوه الوادي الكبير . لو رأوه كما هو اليوم لسمّوه الوادي الصغير . كانت الأراضي الزراعية اذ ذاك أكثر وأخصب . يقول العرب ان قرطبة كان يتبعها ثلاثة الاف قرية . الآن لا يوجد ولا ربع هذا العدد في كل محافظة قرطبة .

كل ما يقال عن قرطبة أيام الرومان مبالغات . لم تزد على أن تكون مركزا زراعيا ومحطة على طريق كبير ومعسكرا . لم تكن كذلك مركز ثقافة أو حضارة رومانية ، والفيلسوف سينيكا الذي ينسبونه اليها ، تربى وعاش عمره كله في روما .



كلما اقتربت من محراب الجامع رأيت من عجائب الفن المعماري العربي ما يذهل البصر ، هذه البوابة الرائعة تؤدى الى بلاطة المحراب . تأمل كيف استطاع الفنان العبقرى أن يحافظ على الوحدة الفنية

الى أسفل : محراب جامع قرطبة الوحيد فى الدنيا الذى بنى على هيئة غرفة صغيرة تؤدى اليها بوابة رائعة . هذه البوابة الى اليسار . ان واجهة المحراب آية هندسية زخرفية كبرى . وهــذه البوابة على هيئة حذوة الحصان تعتبر من الأصول البعيدة للطراز الفنى القوطى الذى تفخر به أوروبا . لاحظ حجارة العقد كيف زينت بالفسيفساء مع المحافظة على طابع أقواس الجامع كله .





كان لجامع قرطبة كما قلنا ١١ بابا من ناحية الصحن المكشوف المعروف بصحن البرتقال ، وذلك فى جامع عبد الرحمن الداخل وحده وكان له فى الجدار المطل على شارع توريخوس Torrijos الذى كان يعرف على أيامنا بالمحجة العظمى أربعة أبواب صنعت كلها على طراز الباب الغربى لمسجد عبدالرحمن الداخل وهو الذى يسمى حاليا بباب القديس اسطفان Portaco de San Esteban . وعندما أضاف عبد الرحمن الأوسط زيادته جعل لها بابا من نفس الطراز ، ثم أضاف الحكم المستنصر بابا هو الذى نراه هنا وهو آية فى الجمال الفنى ، فقد جمع المعمارى الفنان فيه كل ما استطاع من الأشكال الفنية : بوابة" وإطارا وأعمدة" تحمل أقواسا صماء ونوافذ وما الى ذلك . هذا الباب لا يزال محتفظا بالكثير من ألوانه .

لم يزد امرها كذلك أيام القوط الغربيين .

تاريخها ومجدها الحقيقيان يبتدآن بفتح العرب اياها باتخاذهم اياها عاصمة لهم .

الدور الأول فى تاريخ قرطبة العربية دور الانشاء

فى شوال سنة ٩٢هـ اغسطس ٧١١م أرسل طارق ابن زياد قائده مغيثا الرومى ، مولى الوليد بن عبد الملك مع قوة من ٧٠٠ فارس لتستولى على قرطبة ، وسار هو ببقية الجيش الاسلامى الى الشمال نحو طليطلة .

حاصر مغيث قرطبة نحو ثلاثة شهور . أثناء الحصار اقام بمعسكره فى المساحة الواقعة اليوم بين القصر الأسقفى وشط النهر . عرفت الناحية بعد ذلك باسم بلاط مغيث واصبحت من اكبر احياء قرطبة . استمر الحصار ثلاثة اشهر لان مغيثا لم يشأ أن يهدم سور البلد . بعد ان استولى على الاسوار اعتصمت بقية الحامية فى كنيسة تسمى سان فيسنت San Vicente (عند العرب بنثجنت) استسلموا آخر الامر وعرفت الكنيسة فيما بعد باسم كنيسة الأسرى. لا تصدق ما يقوله بعض مؤرخى العرب انفسهم (مثل ابن عذارى) ان العرب قتلوا هؤلاء الأسرى، لان العرب لم يفعلوا ذلك ابدا . ابن عذارى وامثاله كتبوا بعد ضياع الأندلس ، وكان يحلو لهم ان يقولوا مثل هذا الكلام انتقاما — شفويا — لما جرى للمسلمين فى الاندلس بعد ذلك .

هكذا بدأ تاريخ قرطبة العربية . كان ذلك فى المحرم ٩٣ هـ/أكتوبر ٧١١ م .

لم تكن هى عاصمة الأندلس العربى من أول الامر . كانت العاصمة الأولى هى اشبيلية حتى نقلها الى قرطبة ثالث ولاة بنى أمية على الأندلس وهو الحر بن عبد الرحمن الثقفى خلال سنة ٩٧ هـ/٧١٦ م .

وقد مرت قرطبة العربية بأربعة أدوار ، «ثلاثة منها أدوار انشاء ونمو وازدهار » والدور الرابع عصر تدهور واضمحلال .

الدور الاول دور الانشاء ، وهو يرتبط باسم السمح بن مالك الخولانى رابع ولاة الاندلس بعد طارق وموسى (حكم من رمضان عام ١٠٠ هـ . الى ذى الحجة ١٠٢ هـ/مارس ٧١٩ م — يونيو ٧٢١ م) .

كان السمح منشئا عظيما ، وهو من القلائل من ولاة العصر الاسلامى الأول الذين أوتوا نظرا سليما فى مسائل الحكم والادارة والتعمير ، فقد حكم الأندلس فوق السنتين بقليل ، ولكنه نقل قرطبة خلالهما من مجرد حصن وسوق الى مدينة جليلة .

فهو الذى وسع البلد من جانبيه الشرقى



وهذا الشارع الصغير ؟ انه ينطق بأنه أندلسى أى عربى . انه أحد الشوارع الصغيرة الساحرة التى تحيط بالجامع فى قرطبة . هذا الحى يسمى اليوم « الخودرية » أى حى اليهود . لم يكن بحى اليهود على أيامنا وانما هم انتقلوا اليه بعد خروجنا وخلاء بيوتنا من أهلها .



تمثال لابى عمران موسى بن ميمون العالم الاندلسى اليهودى، حسب خصومنا من اليهود انهم يضاهون ابن حزم بابن ميمون فسمّوا حتى اقيم هذا التمثال ، وقد فاتهم أن موسى بن ميمون عالم عربى قبل أن يكون يهوديا ، وبالعربية لا بالعبرية كتب وفى بلادنا ومعنا عمل ، وعندما هاجر من الاندلس لم يذهب الى فرنسا مثلا ، بل الى القاهرة ، وهناك اصبح من اطباء صلاح الدين . ان حضارتنا العربية تفخر بموسى بن ميمون لانه دليل على تسامحها وفضلها على غيرها .

والقربى ، فهدم السور القديم واعاد بناءه بالطوب على مسافة ضاعفت" سعة" البلد .

وهو الذى انشا قصر الامارة حيث" ستقوم قصور" الخلفاء فيما بعد ، واستعمل حجارة السّور القديم فى اعادة بناء قنطرة الوادى ، فبنيت محكمة على سبع ارجل او اعمدة كما تسميها نحن. هذه أول مرة يبنى العرب قنطرة حجرية على نهر .

لكى يستطيع السمح بناء هذه القنطرة كان لابد أن يحبس ماء النهر فلا يسمح للماء بالتدفق الا من خلال مجرى ضيق. على هذا المجرى انشا رحى" ، اى طاحونة مائية يدفع الماء عجلتها الضخمة فتدور وتطحن . اصبحت هذه الطاحونة من معالم الأندلس الاسلامى وعرفت باسم أرحى كليب . الآن أعادوا انشاء الأرحى لفرجة السائحين لا للطحن .

وعندما ما انتهى حكم السمح بن مالك الصغير كانت قرطبة قد اصبحت عاصمة جديدة بدولة كبرى . جهد" السمح هذا يعطينا فكرة عن فحولة ذلك الجيل العربى الأول : رجل" من ثقيف يخرج من جزيرة العرب الى الاندلس ، وهناك على آلاف الكيلومترات من بلده - وهى الطائف - ينشىء بلدا أضخم واكبر ، وبعد ذلك يختم حياته بالشهادة ، فقد استشهد مجاهدا لمد لواء الاسلام والعروبة فى فرنسا .

الدور الثانى : قرطبة الأمراء

من المعروف أن تاريخ بنى امية الأندلسيين مر فى عصرين : عصر الامارة ، اى أيام" كان الحكام يسمون أمراء ويمتد من ١٣٨ الى ٣١٦ هجرية اى من ٧٧٦ الى ٩٢٨ ميلادية ، والعصر الثانى يسمى عصر" الخلافة اى من يوم اتخذ عبد الرحمن الثالث بن محمد لقب" الخلافة ولقب بالناصر لدين الله فى سنة ٣١٦ هـ/٩٢٨ م . الى نهاية حكم آخر خلفاء المروانيين فى الاندلس وهو هشام الثالث المعتد سنة ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م .

خلال عصر الأمراء ، وخاصة ايام عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن الأوسط أخذت" قرطبة" هيأتها كعاصمة من أجمل عواصم الدنيا فى عصرنا.

وخلال عصر الخلفاء أخذت قرطبة هيأتها كاعظم مدينة فى أوروبا، وثانى مدينة فى الدنيا بعد بغداد. لم تكن القاهرة قد وصلت" بعد الى مكانها فى التاريخ كثالثة عواصم الاسلام ، ثم ثانيتها ثم أولاها .

عبد الرحمن الداخل هو صاحب الفضل الأكبر فى قيام قرطبة الأمراء . فمنذ اليوم الذى تودعه به أميرا على قرطبة فى ١٠ ذى حجة ١٣٨ هـ/١٥ مايو ٧٥٦ م بدأ يعمل على النهوض بعاصمته من قاعدة ولاية الى مركز دولة .

بدأ بانشاء دواوين الدولة . جعلها كلها الى جانب قصر الامارة وحوله فى منطقة واسعة عرفت بعد ذلك بقصور الامارة .

كانت العادة اذ ذاك أن تكون ادارة الدولة وقصر الخليفة شيئا واحدا . كانت هناك قصور ملكية مثل « الكامل » و « الروضة » و « الزهراء » و « المعشوق » و « المبارك » وما الى ذلك : وكان يسكن فى بعض هذه اميرات" البيت الأموى : أما الأمراء فقد جرت العادة بأنه اذا بلغ الأمير مبلغ الرشد وتزوج خرج من منطقة القصور ، واتخذ لنفسه قصرا فى اى مكان أحب" من البلد .

وكانت هناك أيضا مبانى الادارة ، وكانت تعرف بالبيوت ، كان هناك بيت الوزراء وبيت المال :



غابة من الاعمدة والاقواس ! : منظر داخل المسجد اخذ من الزيادة التي اضافها المنصور بن ابي عامر .
ولهذا فمعظم المصورين يلتقطون منه الصور التي تصور الاتساع والعمق ، وقد عرف مصور « العربي »



هذه الزيادة تعدل ثلث مساحة الجامع كله ، وهي أقل أجزائه جمالا ولكنها أضفت عليه اتساعا وعمقا
الخاص كيف يختار الزاوية التي يأخذ منها هذا المنظر الرائع الذي يصور لك روعة المسجد

وبيت الأحفاد وما الى ذلك ، وكانت هذه المبانى داخل الحرم الملكى ولكنها كانت منفصلة عنه بجسور ضخمة ، وكانت منطقة الادارة هذه تعرف بالسُّدة ، وبابها العام كان يعرف بباب السُّدة على شاطىء النهر . اما أبواب قصور الامارة فكان اهمها بابُ الجامع ، وكان يقوم حيث يقوم باب القصر الأسقفى اليوم فى مواجهة الجدار الغربى للجامع .

ولكن اهم من تلك القصور كان مبنى مسجد قرطبة الجامع الذى بدأ عبد الرحمن الداخل فى بنائه سنة ١٦٢هـ/٧٧٧م،وهو فى الحقيقة أربعة مساجدً فى مسجد واحد . عمل فنى جليل استمر العمل فيه ٢٤٠سنة! اشترك فى بنائه كل امراء بنى أمية الاندلسيين وخلفائهم ثم وزيرهم المستبد بامر دولتهم المنصور محمد بن أبى عامر .

تاريخ هذا الجامع يسير محاذيا لتاريخ بنى أمية . لم يحدث فى التاريخ أن سار تاريخ اسرة وتطور عمل فنى جنبا الى جنب على هذه الصورة . ومن الطريف أن المبنى الأول للمسجد كان بعيدا عن ضفة الوادى الكبير ، ثم اخذ ينمو على ايدى الخلفاء حتى وصل الى ضفة النهر أيامَ الحكم المستنصر ، ثم جاء المستبد محمد بن أبى عامر الذى اغتصب السلطة من الخليفة الشرعى وحجر عليه ، واراد أن يضيف هو الآخر الى المسجد شيئا ، ولما كان المسجد قد وصل الى اقصى حده فى الامتداد جنوبا ووصل الى الشاطىء ، فلم يجد المنصور بُدا من الانحراف بالمبنى ناحية الشرق ، فاضاف زيادته هناك . كان ذلك تصويرا ماديا لانكسار الخط الشرعى والانحراف عن الطريق السليم .

ولكن الذى يعنينا الآن هو جامع عبد الرحمن الداخل . انه الجزء الصغير الذى تُفْضى اليه اذا دخلتَ من الباب الحالى حتى ما يوازى جدار



ميدان صغير فى قرطبة العربية لا يزال يحمل اسما عربيا.ان اسمه شارع المنصور ، والمراد به محمد ابن أبى عامر العبقرى السياسى الذى استبد بأمر الاندلس ٢٦ سنة متوالية . أثناء خلافة هشام المؤيد . وهناك أيضا شارع ابن رشد وشارع أبى القاسم الزهراوى وهم يكتبونه باسمه المحرف فى اللغة اللاتينية Albucasis . كان أبو القاسم الزهراوى أعظم جراح فى العصور الوسطى . وهو منسوب الى الزهراء، مدينة عبد الرحمن الناصر.

الكاتدرائية التى بنوها داخلَ الجامع بعد استيلائهم على قرطبة سنة ١٢٣٦ .

كان جامعا صغيرا ، ولكنه امتاز بشىء عظيم : هذه الأقواس المزدوَجة التى تعطى هذا الجامعَ شخصيةً يتميز بها عن جوامعنا كلها . لجأ المعمارى الذى بنى الجامع الى هذا الحل المعمارى ليزيد فى ارتفاع السقف حتى يصبح متناسبا مع مساحته .

وخلال عصر الامارة اكتملت المدينةُ العتيقة أو القصبة كما كانت تسمى . وكانت تنقسم الى حيين كبيرين : المدينة العليا وهى الحى المحيط بالمسجد والقصور ، والمدينة السفلى كانت تلى ذلك شمالا الى السور .

وكانت للسور أبوابٌ كثيرة مشهورة .. لا تقل عن أبواب دمشق أو القاهرة ، يهمنا منها هنا

الى اليسار : العرب هم الذين ادخلوا الزيتون الى اسبانيا ، ولا يزال الزيتون هناك يسمى باسمه العربى Acetituna وان كانت شجرة الزيتون تسمى باسمها اللاتينى Olivo ، وقد نجحت زراعة الزيتون فى اسبانيا حتى أصبحت اكثر بلاد أوروبا انتاجا له ، وهى تصدره الى نواحى الدنيا كلها ومنها البلاد العربية نفسها . اسبانيا وحدها تنتج نصف زيت الزيتون فى العالم . هاتان الصورتان تبين الاولى منهما مزارع الزيتون الممتدة على مدى البصر حول قرطبة ، والثانية التقطت فى مصنع من أكبر مصانع عصر الزيتون وتعبئته فى قرطبة .





بابُ الوادى الذى يؤدى الى قنطرة الوادى فهنا كان الناس يتلاقون للنزهة والفرُجة خارج البلد. هنا كان الشعراء والأدباء يتواعدون ، ثم ينطلقون للنزهة فى الرصيف،وهو الشارع الواسع المبلط بين جدار الجامع وشط النهر ، أو يتجهون الى اليمين ليقضوا يومهم فى حدائق المصارة : او يعبرون القنطرة الى ضاحية شقندة ، حيث كانت رياضٌ واسعة وحدائق او جنان كما كانوا يقولون.

هذا الباب كان يسمى ايضا بابَ الصورة ، والصورة هنا هى التمثال،والمراد تمثال للسيدة العذراء مريم «صاحبة قرطبة» كما كانوا يقولون. كان الكثيرون جدا من اهل قرطبة مسيحيين . كانوا يسمون المستعربين أو الموتارابس Mozarabes بالنطق الاندلسى ، ولكنهم كانوا عربا بالفكر والاحساس واللغة واسلوب الحياة .



قرطبة العربية لا تخفى أبدا ، فالى جانب ميدان خوسيه انطونيو يجرى شارع الجران كابيتان (ويراد به القائد جونذالو القرطبي) وفى نهايته ترى هذه الكنيسة المنسوبة الى القديس نيقولا . هيأتها ومئذنتها هى بالضبط هيئة جامع على ناصية شارع فى أى بلد من بلادنا . لو لم اقل لك ان هذه كنيسة ما صدّقت . كان اصلها بالفعل جامعا .

كانوا يعيشون جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين ويأخذون بنصيب وافر فى شئون الدولة حتى كان منهم وزراء ، وهذا فى عصر لم يكن يسمح فيه لأى مسلم أو يهودى أن يقيم فى اى بلد أوروبى آخر . تلك هى الميزة الكبرى لحضارتنا العربية الاسلامية: التسامح المطلق والمساواة التامة بين المواطنين ، الدين لله والوطن للجميع كما نقول . ارضاء لمشاعر المسيحيين فى قرطبة عاصمة الخلافة الاسلامية نصب تمثال السيدة العذراء . واعتبرها القرطبيون جميعا « صاحبة » بلدهم ، أى حاميتها او ملاكها الحارس : لاباترونا Lapatrona كما يقولون اليوم فى اسبانيا .

الدور الثالث : قرطبة الخلفاء

عندما أعلن عبد الرحمن الناصر نفسه خليفة ، كانت قرطبة قد أصبحت بالفعل عاصمة دولة كبرى بل امبراطورية . لم يبق على الخليفة الا أنْ يضفى على تلك الدرة المتالقة جاه الخلافة وأُبهةَ الدول الكبرى .

كان عبد الرحمن الناصر فى الثالثة والعشرين من عمره عندما تولى أمر الاندلس . لم يحدث فى تاريخنا ـ لا قبل ولا بعد ـ أن أوتى شاب فى هذه السن مثلَ ذلك النضج الذى أوتيه عبد الرحمن . واجهته اذ ذاك عقبات عجز عنها جهدُ الكهول : ثورةٌ فى كل مكان ، وعمر بنُ حفصون الثائر الأكبر يحكم من الاندلس نصفَ ما كان يحكمه عبدُ الرحمن ، والخزانةُ خاوية والقلوب مفرقة والآمال فى الحضيض .

بعزم ثابت وحلم يزعزع الجبال وخلق تنحنى له الرءوس سار هذا الفتى المروانى خطوة خطوة يوحد بلاده ويمهد أمورها ويستالف الثائرين . ما أعطى وعدا لخصم الا وفى به ، وما وهب أمانة لانسان لم غدر به مهما حدث . من الأقاصى اقبل الطغاة يستأمنون ويدخلون فى الطاعة واثقين فى شرفه وأمانه ، فكان يتقبلهم فى رفق وينزلهم فى قرطبةَ فى كرامة وسعة . بعد ١٥ سنة كان الأمان قد عاد وارتدت الوحدة للبلد الذى توزعته الخصومات . هنا أعلن عبد الرحمن نفسه خليفة ، وهو من أمجد مَنْ جلس على كرسيها فى التاريخ .

حكم عبد الرحمن الناصر خمسين سنة متوالية. لم يزد عليه فى مدة الخلافة الا المستنصر الفاطمى. خلال هذا العمر الطويل ، وفى ظلال الأمن والعدل



لا يخلو عام من مؤتمر على الاقل للدراسات العربيةفى قرطبة ، وهذا واحد منها يخطب فيه الاستاذ مارتين الماجرو رئيس جميعية المستشرقين الاسبانورئيس البعثة الاسبانية لحفائر النوبة . والى جانبه على المنصة جلس مدير معهد الدراسات الاسلامية . لقد أهدت ج.ع.م. اسبانيا معبدا فرعونيا من معابد النوبة هو معبد دبود . سيقام فى المدينة الجامعية فى مدريد .

أصبحت مدن الأندلس كلها عظاما ، وبلغت قرطبة ــ أم هذه المدائن ــ أوجا لم تصل اليه مدينة فى أوروبا قبل القرن الثامن عشر : اتسع البلد أولا ناحية الشرق ، نشأت خارج السور مدينة تعدل المدينة العتيقة (داخل السور) مساحة واتساعا . هذا الامتداد عرف بالجانب الشرقى أو المدينة الشرقية او الشرقية فقط . لا يزال هذا الاسم باقيا الى اليوم ، فكل الجناح الشرقى من قرطبة اليوم يسمى بالاخركية Ajerquia .

كان يتكون من ستة أحياء . كانوا يسمون الحى فى الأندلس بالربض مع أن المعنى الحقيقى للربض هو الضاحية . اليك أسماء هذه الأحياء لتأخذ فكرة عن الألفاظ الأندلسية ، وكانت فى كثير من الأحيان خليطا من العربية والاسبانية القديمة واللاتينية . فى الأندلس كان من المألوف جدا أن يسمى الرجل محمد بن مرتين، أو عبد الرحمن بن بسيل ، أو أبا القاسم بن بشكوال Pascual او Pascal أو أبو مروان ابن غرسية Garcia . لهذا كان طبيعيا أن تسمى أحياء قرطبة الشرقية : شبلار ، تعريب للفظ Satulaia اى منطقة الرمال ، وفرن بريل ومنية عبد الله ومنية المغيرة والبرج والزاهرة ، الزاهرة هذه ضاحية بناها المنصور ابن أبى عامر ليضاهى بها الزهراء التى ابتناها الناصر . لم يبق للزاهرة أثر . مكانها اليوم كنيسة وروضة تسمى فوينسانتا Iglesia ej Huertade la Fuensanta . زالت لانه بناها بالظلم والغصب،حتى كان الناس ينظرون اليها ويقولون: يا دار فيك من كل دار، جعل الله منك فى كل دار!

ثم اتسعت المدينة من الغرب ، خارج السور ، فنشأت سبعة أرباض جديدة هي الرقاقون ومسجد الرقاقين ، ومسجد الشفاء ومسجد مسرور ، وبلاط مغيث ، وحمام الأبيرى ، والسجن القديم .



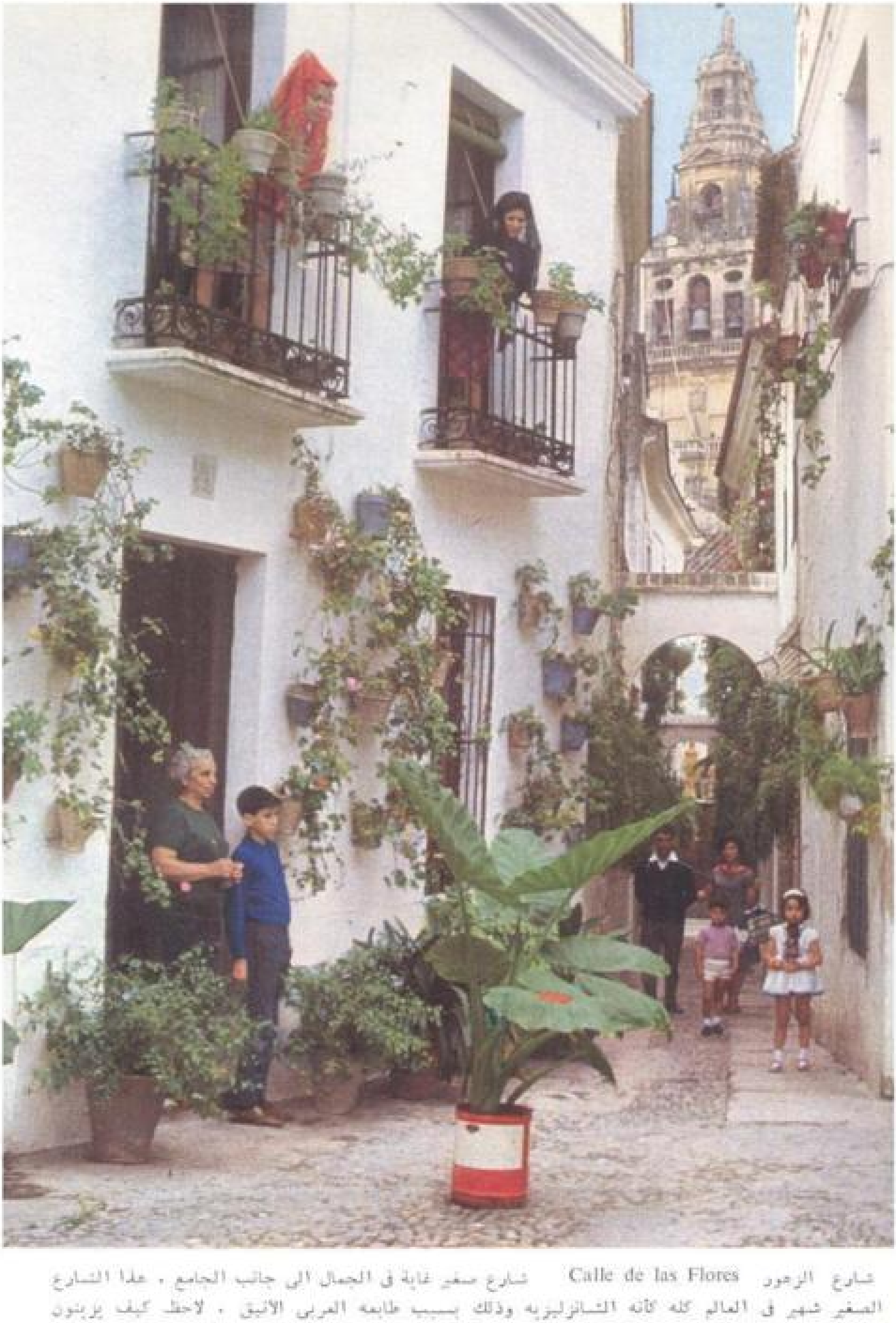


قهى من المقاهي الكثيرة التى تجدها حول الجامع . هذا المقهى قائم فى شارع
ريخوس أى المحجة العظمى ، لاحظ تفننهم فى ترتيبه على صورة توهم السائح
ه فى قرطبة العربية والنافورة وسط البهو امامه ..

ى اسفل : جانب من سور قرطبة الى جانب الباب المسمى بباب المدور
La puerta de Almodova. كان يجرى بحذاء السور فصيل أى مجرى يملأ بالماء
التحصين.الآن أعادوا حفر الخندق وأجروا فيه الماء فى صورة أحواض طويلة
جميلة تزينها الورود . هذا الجزء افتتحوه هذه السنة فقط .



نتيجة تعاون الأهالي والبلدية



شارع الزهور Calle de las Flores شارع صغير غاية فى الجمال الى جانب الجامع . هذا الشارع الصغير شهير فى العالم كله كأنه الشانزليزيه وذلك بسبب طابعه العربى الأنيق . لاحظ كيف يزينون الحوائط والنوافذ بأصص زهر القرنفل او الجهنمية التى تسمى هناك بالخرانيا . بلدية قرطبة هى التى تصنع التصميم السياحى لمثل هذا الشارع ، ثم تتعاون مع اهل الشارع فى التنفيذ .

والرقاقون هنا هم تجار الرَّق اى الورق ، والرَّقاق فى الاندلس هو الذى كان يبيع الورق وأدوات الكتابة ، اى ما يعرف فى الانجليزية باسم Stationery ، أما بائع الكتب فى الاندلس فكان يسمى بالوراق ، وكان الوراق يعتبر نفسه أعلى مرتبة من الرقاق ، لأن عملاءه من العلماء فى حين أن معظم عملاء الرقاق من الصبيان !

والطف ما يستوقفُ انتباهَنا فى ذلك الجانب الغربى انه كان فيه حى كامل لتجار الزهور يسمى رَبَض حوانيت الريحان . من هنا تعرف اصلَ الوردة أو القرنفلة التى تزين نساءُ الاندلس بها شعورَهن؟ . الى جانب هذا الحى كان يوجد باب العطارين من أبواب قرطبة . طبيعى أن يوجد باب العطارين الى جانب حى تجار الزهور . هذا الباب سمى بعد ذلك بباب اشبيلية، وعنده اقمنا تمثال أبى محمد على بن حزم صباح الاحد ١٢ مايو ١٩٦٣ لمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لوفاته .

وامتدت قرطبة ايضا فى الشمال حتى وصلت الى تل الرصافة . هذا التل يقع شمالى قرطبة باربعة كيلومترات. هناك بنى عبدُ الرحمن الداخل لنفسه قصرا ريفيا سماه الرُّصافة تذكارا لرصافة بغداد . زال هذا القصر الآن وحل محله فندق جميل لا يزالون يسمونه الرصافة Parador de La Arruzufa من شرفة هذا الفندق ترى قرطبة كلها وبينك وبينها مروج خضراء . هذا جزء من ارياف قرطبة أوباديتها التىكانت تسمى بالقنبانية La campina .

اذا نظرت من شرُفات هذا الفندق رأيت سهلا فسيحا يمتد الى مدى البصر حتى قرية المُدَوَّر عند سفح تل المدور ، هذه القرية لا تزال تعرف باسمها العربى Almoduar del Rio هذا السهل كله كانميدانَ عَرْضِ جنود الخلافة. كانوا يسمونه فحص (اى سهل) السرادق . كانت حوله الوف السرادقات أى الخيام . عندما يعلن النفير يتوافد الجند والضباط الى هذا الميدان باسلحتهم وخيلهم . هناك يقيمون فى السرادقات حتى يكتمل عددهم وسلاحهم ومعداتهم . من شرفة الرصافة يستعرض الخليفة الجنود قبل خروجهم للفتح والحملات . كان ذلك فى قرطبة يوم عيد . لم يكن الاندلسيون يحتفلون بشىء قدر احتفالهم بجيشهم المظفر تخفق فوق جنوده البنود والأعلام .

وكان عبد الرحمن الناصر بنّاء ومنشئا عظيما. واذا كان الوليد بن عبد الملك هو بَنّاء بنى أمية المشارقة فانعبد الرحمنالناصر بناؤهم فىالاندلس، فهو صاحب الزيادة الثالثة فى المسجد الجامع ومنشىء العدد الكبير من قصور الخلافة ، وهو بانى مدينة الزهراء ومنشىء سور قرطبة الكبرى الذى بنى خارج السور القديم ليضم المدينة بجانبيها الشرقى والغربى .

ولم يكن عبد الرحمن الناصر يكتفى بأن يامر بأن يبنى له قصر أو تزاد فى الجامع زيادة ، بل كان يُشرف على العمل بنفسه ، او ينيب عنه فيه ابنه الحكم ، ويصف لنا ابن حيان المؤرخ كيف كان الناصر يُثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة بعشرة دنانير سوى ما كان يلزم على قطعها ونقلها ومئونة حملها . وجلب اليها (اى الى مدينة الزهراء) الرخام الابيض من المَريَّة ، والمجزع من رية ، والوردى والاخضر من افريقية ، أى من سفاقس وقرطاجنة ، والحوض المنقوش المذهب من الشام .. وقال : وفى صدر هذه السنة كمل للناصر بنيان القناة الغريبة الصنعة التى أجرى فيها الماءَ العذْبَ من جبل قرطبةِ الى قصر الناعورة غربى قرطبة فى المناهر المهندسة وعلى الحنايا المعقودة ، يجرى ماؤها بتدبير عجيب وصنعة محكمة الى بِركة عظيمة عليها أسد بديع الصنعة »واذا كانوا حدثوك أن العرب لم تكن لهم عناية بفن النحت فاسمع ما يقوله ابن حيان عن حوض من الرمر الاخضر جلبوه للناصر : «وجعل عليه ١٢تمثالا من الذهبالأحمر مرَصَّعة بالدر النفيس الغالى ، مما عمل بدار الصناعة بقرطبة : صورة أسد بجانبه غزال الى جانبه تمساح ، وفيما يقابله ثعبان وعُقاب وفيل ، وفى المجنبين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك وحدأة ونسر ...» .

كان الناصر اذن فنانا عظيما كما كان خليفة مجيدا .

أكمل المسجد الجامع وأنشأ محرابه الرائع وجعل منه غرة مساجد الاسلام .

وابتنى مدينة الزهراء خارجقرطبة لتكون مدينة ملكية تتناسب مع ابهة الخلافة العظيمة ، بناها كما بنى ملوك فرنسا قصور فرساى ، وها نحن اليوم نعثر على آثارها ونجدد رسومها فتبدو لنا مدينة رائعة حقا ..

وفعل مثله رجاله ورعيته ، فقد كان الرخاء عظيما والمال كثيرا ولا شىءَ كالعدْل يجلبالبركاتِ



الى اليسار : ميدان خوسيه انطونيو قلب قرطبة اليوم. انه ميدان صغير ليس فيه من الطابع العربى شيء . الساعة التى تراها تعزف قطعة على الجيتار قبل أن تدق الساعات وأنصافها . انها وحيدة من نوعها فى اسبانيا ، ولها بذلك شهرة عالمية.

ويضاعف الخيرات . واصدق مظهر للعدل فى سياسات الحكومات فى العصور الوسطى كان اعتدال الضرائب وتعفف الحكومة عما فى أيدى الناس ، وكانت الضرائب أيام عبد الرحمن الناصر قليلة جدا ، وكان تعففه عن أموال الناس مضرب الأمثال.

من هنا اتجهت همم الناس نحو البناء والتعمير، فكانت شوارع قرطبة آية فى الجمال والاتساق وحسن الرونق . نعم كانت تلك الشوارع ضيقة ولكنك كنت اذا نظرت من خلال الأبواب رأيت فسحة البيت فى وسطها النافورة تبعث الماء فى رفق ، ونوافذ البيت وشرفاته تطل عليها فتملأ قلبك أمنا وسلاما .

وحول قرطبة قامت المنيات أى الفيلات بحدائقها الجميلة وقصورها البديعة التى تتحدث عن حضارة وارفة الظلال .

وتدور بذلك كورة قرطبة أى محافظتها : ريف أخضر جميل تقوم وسطه القرى البيضاء بسقوفها الحمراء كأنها جواهر نثرت على المرج الأخضر . ان زائر الاندلس اليوم ليقضى عجبا وهو يتأمل هذا المنظر الجميل ، وأيام عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر كان المنظر اجمل ، فقد كان المطر اغزر والخضرة افسح بساطا ، وكان الناس أقل فكان الخير اكثر .

هكذا كانت قرطبة تعيش

كان الناس فى قرطبة يسمون الشارع الكبير بالسوق ، والشارع الأصغر بالدرب ، أما الميدان – وكانت كلها ميادين صغيرة – فكان يعرف بالسُّوَيقة – وكانت المنطقة الواقعة شرقى المسجد الجامع منطقة الأسواق والمتاجر والاعمال . كان لكل حرفة شارع كما كان الحال فى كل مدن العصور الوسطى : سوق الغزل ، سوق الجباسين ، سوق الوراقين ، سوق الحصارين وما الى ذلك .

وبعض هذه الشوارع (الأسواق) كان فريدا فى بابه ، أى لم يوجد الا فى قرطبة ، مثال ذلك كان هناك شارع يسمى بالمرقطال ، وكان خاصا ببيع الملابس الجاهزة . ومرقطال لفظ اسبانى قديم Mercatal ولا يزال فى برشلونة سوق يعرف بالمرقطال .





وكان هناك سوق يعرف بالسقاطين مخصص للملابس القديمة المستعملة . اما شارع تجار الأحذية فكان يعرف بالقراقين ، والقرق هو الفلين (اللفظ الانجليزى Cork والالمانى Kork والاسبانى Corch وكان القرطبيون يتخذون نعال أحذيتهم منه فسموا بالقراقين .

وكان لكل شارع بابان ، واحد فى أوله وآخر فى نهايته ، فاذا هبط الليل وصلى الناس العشاء اقفلت الأبواب ، وكان لكل باب حارس ليلى يسمى سامرا معه سراج وعصا وكلب ! وكانت هذه الأبواب لا تفتح الا اذا نادى المؤذن لصلاة الفجر.

أما الشرطة فكانوا يقفون فى الليل فى السويقات (الميادين) ، وكانوا يقفون مجموعات مسلحة مع كل منها مجموعة من الكلاب ، فلم يكن احد غيرهم ليمر فى الشوارع بالليل . وكان لكل ربض (حى) مركز لشرطته لا يبطل العمل فيه ليلا أو نهارا ، وكانت هناك ثلاثة مراكز للشرطة ، اكبرها الشرطة العليا وكان مركزه على مقربة من القصر ،وصاحب الشرطة العليا كان بمرتبة وزير ويمكن اعتباره وزير الداخلية وتحت يده صاحب المدينة وهو رئيس شرطة العاصمة ومدير الأمن العام فيها .

غير أن فخر قرطبة الاكبر كان جامعها العظيم ، وهو واحد من اربعة أشياء امتازت بها قرطبة على غيرها من البلاد كما قال الشاعر أبو محمد بن عطية:

بأربعٍ فاقتْ الأمصارَ قُرطبة
وهنَّ قنطرةُ الوادى وجامعُها

هاتان ثنتان ، والزهراءُ ثالثةٌ
والعلمُ — أكبرُ شئٍ — وهو رابعُها

فقد كان الجامع كما رأينا تحفة فنية ، ولكنه كان كذلك مدرسة كبرى ومحكمة . عند كل عمود من هذه التى تراها كان يجلس عالم يقرأ وحوله التلاميذ . كانوا علماء أجلاء طبقت شهرتهم الآفاق ، كانوا بعلمهم وجلالهم وخلقهم عمد المجتمع الأندلسى كله . كان لهم على الناس سلطان عظيم وكان الخلفاء يحسبون لهم كل حساب . على أيديهم تخرج المئات بعد المئات من علماء هم فخر تاريخنا الفكرى .

وكانت محكمة ، هنا كان يعقد قاضى قرطبة مجلس الحكم كل يوم . كان يجلس وامامه كاتبه يقرأ ويسجل والمتقاضون صفوفا ، والى جانب القاضى كان يجلس الخصوم أو الخصماء ،ويراد بهم المحامون،وكان الناس يوكلونهم عنهم كما نفعل اليوم فيتولون عنهم القضايا .

وكان قاضى قرطبة يحكم فى قضايا النصارى واليهود أيضا اذا شاءوا ، وفى هذه الحالة كان يجلس لهم على باب المسجد ، وكانت العادة أن يعقد هذه الجلسة صباح كل خميس . ■■

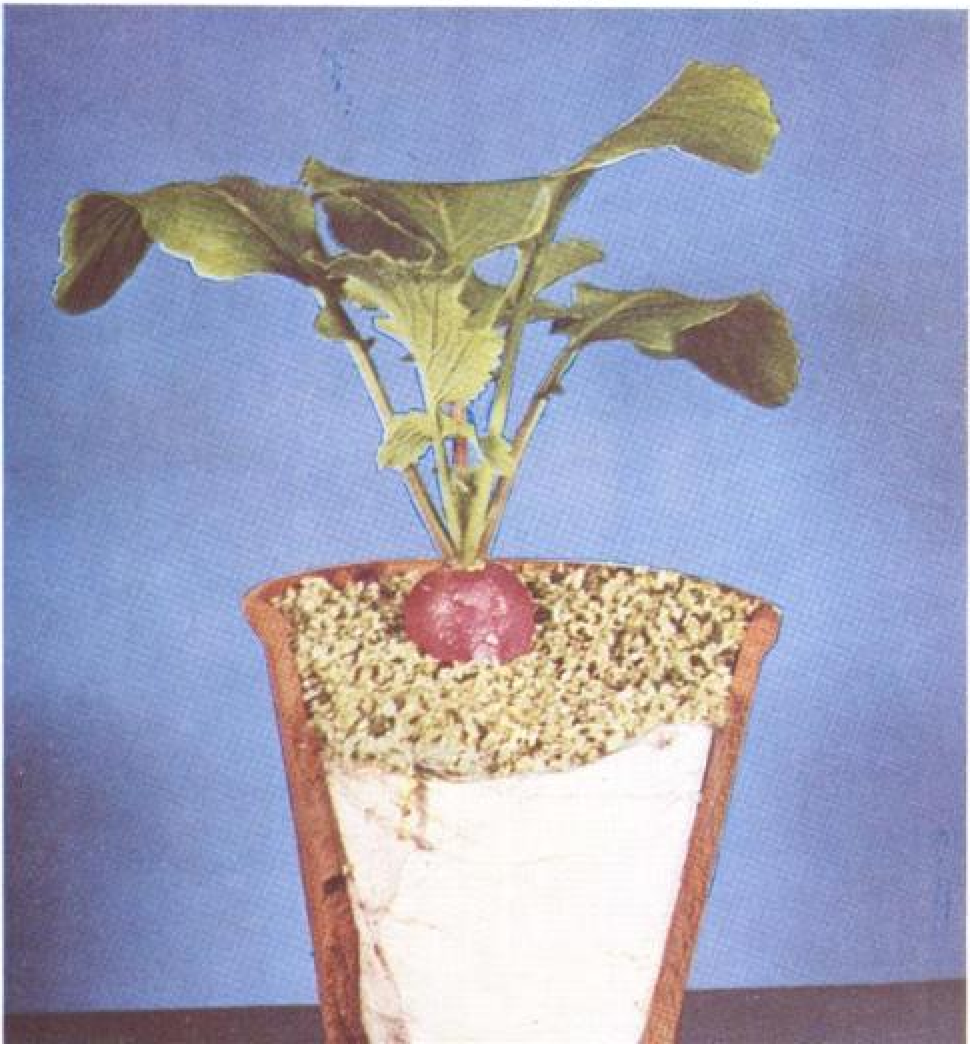
حسين مؤنس

الى اليمين : الزهراء ، مدينة ملكية بناها عبد الرحمن الناصر عندما اتسع عمران قرطبة ولم يعد فى شوارعها مجال لمواكب السفراء واستعراضات الجند والحفلات الرسمية الكبرى . اختار لها سفح جبل العروس المطل على قرطبة ، وجعلها على درجات السفح بحيث اذا نظرت اليها من أعلى رأيت سقوف المبانى تتوالى تحت بصرك . وهم يعيدون الآن ترميمها ، وترى فى الصورة بهو الاستقبال الرئيسى وقد أعيد تركيب قاعته الوسطى والايوانين المحيطين بها وكذلك قاعات الحرس — الى اقصى اليمين . لاحظ ان طراز المبنى وعقوده هنا شبيهة بطراز الجامع . فى وسط الصورة أحد الأثريين يختبر بعض القطع الأثرية . لقد قام أولئك الرجال بعمل فريد فى بابه ، لأن هذه القطع لا بد أن تدرس كل منها على حدة ليعرف فيم كانت تستعمل وما موضعها من البناء،ثم ضم ما يتكامل منها بعضه الى بعض بعد ترميمه . والصورة السفلى لاطلال الزهراء كما تبدو للداخل الآن . لاحظ كيف يستدلون على هيئة الحديقة الأصلية باستخراج جذور النباتات الميتة ودراستها ثم زراعة نباتات مماثلة للأولى مكانها . حدائق الزهراء الآن قريبة جدا مما كانت عليه أيام عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر .

في سبيل
موسوعة علمية

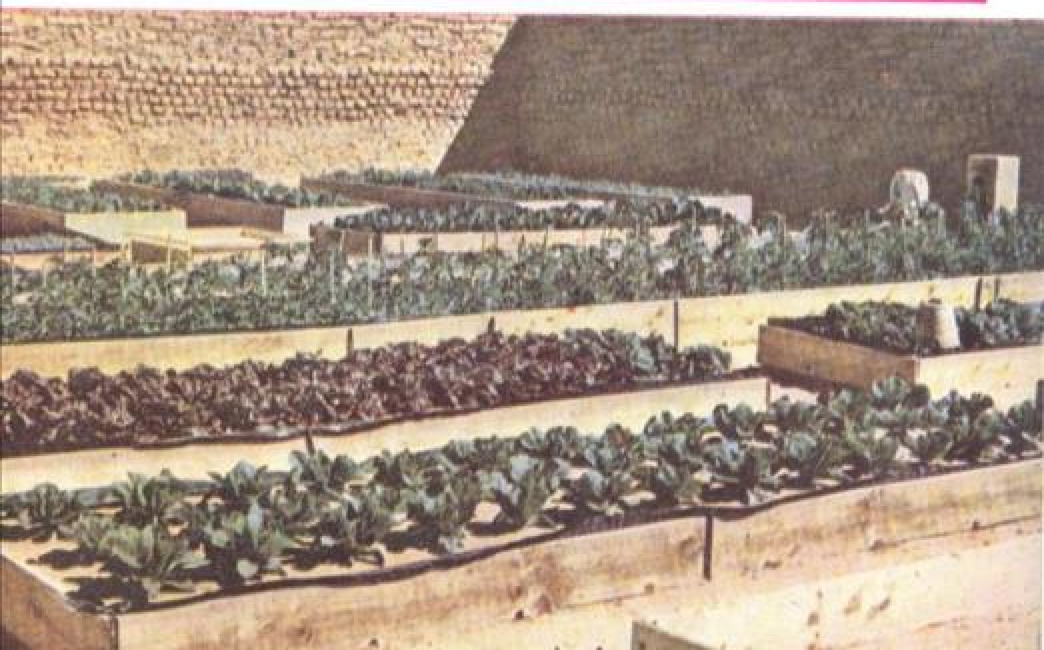
الفلاحة في الماء

فجل افرنجي لم ير التربة الزراعية قط . وضعت بذرته على سطح صوف زجاج ، ثم غطي الصوف بطبقة من الصخر الصلد الجامد المشوش ، الذي لا يتدخل في الزراعة وانما هو يحمل النبات ويسنده . ثم سُقي النبات بالمحاليل المناسبة لغذائه فنما وترعرع كخير ما ينمو في الأرض الصالحة .





خس افرنجي زرع بنفس الطريقة التي تزرع بها الفجل الافرنجي الذي سبق .



صور للتجارب التي اجريت لفلاحة الماء في الصحراء الكبرى ، ونرى الرمل في الاحواض لحمل النبات فقط . وفي الاحواض ، في اسفل الرمل ، جرى الماء بأملاحه المغذية في انابيب بها ثقوب تخرج منها المحاليل فتغذى جذور النبات ، ولا تصل الى سطح الرمل فتتعرض للتبخر الشديد ففقد الماء ..

■ هذا علم جديد ، يطلقون عليه احيانا « الزراعة من غير تربة » .

تبرير الاسم

والاسم الافرنجي Hydroponica وهو على وزن Geoponice . وكلاهما اغريقى الأصل .

اما جيوبونكس فهى الزراعة العادية المعروفة ، والكلمة مؤلفة من مقطعين ، جيو ومعناها الارض ، وبونكس ومعناها الشغل . فهى اذن شغل الارض او فلاحة الأرض .

اما هيدروبونكس فمؤلفه كذلك من مقطعين ، هيدرو ومعناها الماء ، وبونكس ومعناها الشغل ، فهى اذن فلاحة الماء ، مثل ما كان اللفظ الأول فلاحة الأرض .

المقصود بفلاحة الماء

والمقصود بالطبع هو الاستغناء عن التربة فى الزرع ، والاكتفاء بالماء . واذا نحن استخدمنا الحصو او الرمل الخالص . فما ذلك الا ليسند اعواد النبات عندما يخرج فيقيمها . وليس يسمى الرمل عندئذ بالتربة ، فالتربة تسند النبات لا شك ، ولكن لها وظائف اخرى هامة غير ذلك .

وظائف التربة

من وظائف التربة انها تسند جذوع النباتات وما تحمل من افرع ومن اوراق ، وذلك بواسطة الجذور الذى تخرج وتتفرع فى التربة فتمسك بها امساكا .

وهذا السند يقوم به الرمل الخالص . وما الرمل بتربة زراعية .

والتربة الزراعية تخزن فوق ذلك الماء وتحتفظ به للذى بها من طفل ومن دبال . والتربة الزراعية مصدر كذلك للاملاح اللازمة لتغذية النبات وهى عديدة . والتربة الزراعية مستودع للبكتير الذى يحل المواد العضوية التى بها ويصنع منها الأملاح الأزوتية اللازمة لغذاء النبات . والبكتير يصنع كذلك الدبال .

ولو نظرنا لكل هذه مليا وجدنا ان هذه الوظائف تنتهى بتحضير الغذاء للنبات .

واذن فلم لا نستغنى عن التربة ، ونوفر للنبات الأملاح التى هو فى حاجة اليها غذاء ، لا سيما وسطح الأرض ليس فيه دائما تلك التربة الجيدة التى تقوم بهذه الوظائف كاملة .

وكثير من سطح الأرض الرمل ، وكثيرة هى الصحراء فى سطح الارض ، فلم لا نتخذ من الرمل ، وهو ليس بتربة زراعية ، سندا ، ونوفر للنبات ، فى هذا العصر الصناعى ، كل ما يحتاج اليه من غذاء ؟ .

فى منتصف القرن الماضى

وبدات هذه الفكرة تتنفذ فى منتصف القرن الماضى بعد ان فقه الانسان من وظائف اعضاء النبات ما كان استغلق عليه طويلا .

ولم تكن الفكرة فكرة استغناء عن تربة ، ولا خطرت الصحارى المترامية فى خاطر .

كانت الفكرة بحثا علميا صرفا . اراد العلماء بالاكتفاء بالماء ان تنبت فيه جذور النبات وهو ماء صرف ، يضاف اليه من الأملاح التى زعموا انها موجودة بالتربة الزراعية ما يضاف ، ثم هم ينظرون فى اثرها ، مفردة ، ومجتمعة ، فى نمو النبات .

ولما نما النبات فى الماء اسندوا أعواده ، اى جذوعه ، بحاملات شتى . ثم تراءى لهم ان يقوم بهذا السند الحصو ، من اى شيء ، ولو من زجاج . فهو شيء جامد ،

يقف على الحياد ، لا يتفاعل مع زرع او ماء .

وخطوا بذلك خطوات نافعة . وعرفوا اى الغذاء النافع ، ولأى نبات ، وبأى مقدار .

وظهرت للعلماء حقيقة لا شك فيها ، هى جواز الزرع فى الماء الخالص ، او ومعه الحصى .

فى عام ١٩٣٦

ولكن لم تبدأ تجربة هذه الفلاحة المائية فى المساحات الكبيرة الا فى عام ١٩٣٦ . ففى هذا العام اخذ العلماء يبحثون الأسلوب الذى يتبع فى الخروج بالتجارب من المقدار الاختبارى القليل الى المقدار التجارى الكثير .

وتلقفت الصحف الخبر واذاعت ان العلماء فى السبيل الى استبدال الماء بالتربة ، وانه لن يمضى زمن طويل حتى يستغنى أهل الأرض عنها .

وبذيوع هذه الشائعة السخيفة فقد المشروع كثيرا من الحوافز والدوافع .

ثم عاد العمل يجرى فيه .

أملاح فى ماء هى كل الغذاء

اما الماء فالماء النقى ، يذاب فيه كل ملح يحتاجه النبات لغذائه . فهى أملاح تحتوى العناصر الضرورية الآتية: الازوت ، الفسفور ، البوتسيوم ، الكبريت ، الكلسيوم ، المغنسيوم ، بمقادير مناسبة ، يبلغ مجموعها ما بين ٧ر. و٥ر٢ من الجرام فى اللتر الواحد . ويكون المحلول قليل الحموضة .

وكذلك يكون فى المحلول مقادير من أملاح تعرف عناصرها المطلوبة بالأثرية للقلة القليلة التى تحتاجها النباتات منها Traca elements . انها لا تحتاج منها الا الى آثار قليلة .

ومنها أملاح الحديد والبورون والنحاس والزنك والمنجنيز ، وهى بنسب اقل من نسب الأملاح المذكورة آنفا بنحو مائة او الف مرة .

فى الصحراء الكبرى

وقد اجريت حديثا تجارب فى الصحراء الكبرى ، استخدم فيها الرمل الخالص سندا للنبات وغذى بغذاء من هذه المحاليل يجرى فى طبقة الرمل ، وهى فى احواضها ، فى اسفلها ، فلا يصل الى سطحه حتى لا يتبخر . وتتغذى منه جذور النبات وما احتوى عليه من محاليل فينمو ويطيب .

ووجدوا ان هذه الزراعة ، على هذا النحو تحتاج الى مقدار يبلغ ما بين الثلث الى العشر مما يحتاجه مثل هذا النبات لو انه زرع فى الواحات فى التربة العادية الخصبة .

التكلفة

ان النتائج التى خرجوا بها من الفلاحة المائية ، من حيث الجودة ، لا تقل عن جودة النباتات التى تزرع بالفلاحة التربوية ، ان لم تزد .

بقيت مسألة التكلفة .

وهى بالطبع اعلى من تكلفة الفلاحة العادية . ولهذا تقتصر الفلاحة المائية على بعض الخضراوات والطماطم ، وعلى الأزهار ، واحيانا على انواع من الفواكه ، اى على تلك الاشياء ذات الثمن المرتفع ، لا سيما فى الأماكن البعيدة عن التربة الزراعية ، تلك الأماكن التى تحمل اليها هذه الأشياء فتتكلف فى النقل نفقة كبيرة .

وهى للاراضى القحلة على كل حال .

■■

بابا فوان

أعدموه مجنوناً غير مسئول
ولو تأخرت محاكمته سنة لما أعدموه!

بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة



■ شان الخطأ القضائي شأن كل عمل انسانى . تعددت الاسباب والخطأ واحد . فهو لا يرجع دائما الى سوء دفاع من المتهم ، أو تقصير من محاميه ، أو شهود زور يدخلون الغش على ضمائر القضاة . أو مصادفات غريبة تتجمع فوق راس برىء وتدينه . فكثير من أخطاء القضاء ــ فى الايام الماضية ــ يرجع سببها الى قصور العلم وقت المحاكمة أو عدم توفر الضمانات الكافية لاظهار الحقيقة .

ومن الامثلة على ذلك قضية مدام لافارج ، الفتاة الفرنسية التى تزوجت رجلا عجوزا . وكانت شاعرة رقيقة الاحساس ، وكان هو فظا غليظ القلب ، ومع ذلك أحبته بكل قلبها البرىء وكرهتها أسرته . فلما مات اتهمتها الاسرة بدس السم له ، وأدانها المحققون . وبعد أن امضت شبابها في السجن تقدم العلم وامكن التدليل على خطأ التحاليل الطبية التى أدينت على اساسها ، فافرج عنها وما كادت تتنسم عبير الحرية حتى وافتها منيتها .

وقضية ضحية فرن الجير ، تلك المراة التى اتهمت بقتل زوجها واخيها وحكم عليها بالاشغال

.. وتقدم صاحب الردنجوت الازرق، الى السيدة ذات الرداء الاحمر يسألها هل تعرفين هذين الطفلين ؟ ..



الشاقة ، ثم تبين ان القاتل هي غازات كانت تتسرب من فرن جير ملاصق للمنزل . وقد سبق نشر تفاصيل تلك القضية على صفحات « العربى » ضمن هذه السلسلة من اخطاء القضاء .

وكقضية بابا فوان ، الذى اعدم مجنونا غير مسئول ، ولو تاخرت محاكمته سنة واحدة لما اعدم ، والتى تنشر فيما يلي تفاصيلها .

انها قضية تبدو عادية للغاية . توفرت فيها جميع عناصر الادانة . الجريمة ثابتة وشنيعة . والضحية طفلان بريئان . والشهود عديدون ومجمعون على الاتهام . والمتهم نفسه معترف بارتكاب الفعل وحوكم وادين واعدم . ومضى على ذلك مائة وخمسون عاما تقريبا ومع ذلك فانها تؤرق الضمير القضائي لأن من المقطوع به — لدى اهل العلم ورجال القضاء — انه لم يكن مسئولا عن فعلته . والمسئولية هي العنصر الذى لا بد من توفره لادانة الفاعل . فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى . وفاقد العقل لا يدرك ما يفعل ولا يُسئل عما يفعل .

فى صبيحة يوم الاحد ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٤ كان جمهور غفير من سكان باريس يتجه الى غابة فانسين للتنزه بين اشجارها . وكان من بينهم سيدة تمسك بيديها طفلين فى الخامسة والسادسة من عمرهما . وقابلتها في الطريق سيدة اخرى — ذات رداء احمر — لفت نظرها جمال الطفلين فوقفت تلاطفهما — على غير معرفة بهما او بالسيدة التى تصحبهما — ثم انصرفت الى حال سبيلها . واذا برجل يرتدى ردنجوتا أزرق وعلى رأسه قبعة اسطوانية من النوع الذى يلبسه ميسورو الحال يتقدم اليها ، الى السيدة ذات الرداء الاحمر ويسألها ان كانت تعرف هذين الطفلين .

واعتبرت السيد ذات الرداء الاحمر أن السؤال الموجه اليها سؤال سخيف — او لعلها اعتقدت أن الرجل يحاول استدراجها للحديث معه — فاجابته بشىء من العنف « وهل هناك مانع من ملاطفة اطفال من غير معرفة » ؟ وادارت له ظهرها ومضت مرة اخرى — لحال سبيلها .

ولاحظت السيدة التى كانت مع الطفلين — والتى تبين فيما بعد انها امهما — ان لابس الردنجوت يحدق النظر فى طفليها بطريقة مريبة ، ولكنها لم تعر ذلك اهتماما ، واتجهت بطفليها الى الغابة وراقبتهما وهما يمرحان ويلعبان فوق الرمال البيضاء . ثم بدأ المطر يتساقط غزيرا فاسرعت الى مقهى قريب تحتمى فيه . واذا بها تفاجأ بالرجل الغريب يندفع نحوها فى حركات عصبية وقد امتقع لون وجهه ، ويتقدم نحو اصغر ولديها ويضربه بقسوة وحاولت الدفاع عن ابنها فاخذت تضرب المعتدى بمظلتها ولكنه لم يلتفت اليها بل اتجه نحو الطفل الاخر وضربه ايضا . واذا بالطفلين يسقطان على الأرض والدماء الغزيرة تتدفق منهما ، والام تصرخ من هول الحادث وتقع مغمى عليها .. بعد ان فارق الطفلان الحياة .

وتجمع الناس على صوت استغاثة الام واقبل رجل البوليس واسعفت الام حتى افاقت وادلت باقوالها . ان اسمها شارلوت هيرين . وهي أم للطفلين . لم تتزوج . ووالد الطفلين يدعى جيربو ، وينتمى الى اسرة كبيرة ميسورة . وقد جمع الحب بينها وبين والد طفليها منذ عام ١٨١٥ . ولان والده يعارض فى هذا الزواج ابعده الى بروكسل واكد للام انه يعتبر ابنيها كما لو كانا ولديه وتعهد برعايتهما على شريطة ان لا تتزوج من ابنه . ولكنها لم تقبل هذا العرض وسافرت الى بروكسل وعادت مع الابن متفقين على اجراء مراسم الزواج رضى أم لم يرض ابوه .

★ ★ ★

واعتقدت الام — ولها عذرها فى هذا الاعتقاد — ان للسيدة ذات الرداء الاحمر يدا فى الجريمة ، او انها — على الاقل — تعرف القاتل . وجد البوليس يبحث عنها حتى وجدها فأكدت انها لا تعرفه وذكرت ما دار بينها وبينه من حديث .

وبينما البوليس يجرى تحرياته فى مكان الحادث تقدمت سيدة — صاحبة متجر قريب من ذلك المكان — وروت ان شخصا تتفق اوصافه وأوصاف القاتل حضر الى متجرها فى الصباح ، وكانت السيدة ذات الرداء الاحمر موجودة بالمتجر ، وظهر لها بوضوح انهما لا يعرف أحد منهما الآخر وانصرفت السيدة ذات الرداء الاحمر اذ اشترت حاجتها من المتجر ، وتبعها الرجل المجهول ، ثم عاد لتوه وطلب من صاحبة المتجر أن تبيعه سكينا. ولان ما لديها من سكاكين — مجموعات — رفضت أن تبيعه واحدة الا بالثمن الذى يعوضها عن تلك المجموعة . فقبل ودفع الثمن الكبير بغير مناقشة واخذ السكين وانصرف .

وفى هذه الاثناء عثر البوليس على شخص تنطبق اوصافه على اوصاف القاتل وطلب منه ان يتبعه الى مقر البوليس ، حيث كان الجميع قد انتقلوا، فانصاع للامر دون أن يبدى أى اعتراض ، ولكنه قال لرجل البوليس « انك تعتقد انني الشخص الاخر . ولكنك واهم وتضيع وقتك وتمكن للفاعل الحقيقى من الهرب » .

وبمجرد وصوله الى مقر البوليس تعرفت عليه السيدات الثلاث : أم الطفلين وصاحبة المتجر والسيدة ذات الرداء الاحمر . وظهر أن اسمه بابا فوان وانه من مواليد عام ١٧٨٣ وينتمى الى اسرة كريمة، وقد نال حظا وافرا من التعليم،وكان قد اعد للعمل فى البحرية وارتقى فيها سلم الوظائف حتى وصل الى رئيس لميناء برست ، وهى وظيفة تتطلب الكثير من الدقة والامانة وحسن الادارة وكان يؤدى عمله على اكمل وجه .

الا ان وفاة ابيه ـ فى العام السابق ـ اضطرته على الاستقالة من منصبه ليتولى ادارة المصنع الذى لم يكن فى مقدور امه ان تديره ، خاصة وتركة ابيه مثقلة بالديون . وقابلته فى ادارة المصنع مصاعب لم يتمكن من التغلب عليها فاعتلت صحته وانتابه الارق ، وزاد من قلقه وارقه ان الحكومة فسخت تعاقدها مع ابيه . وقد كان مجيئه الى باريس لمحاولة تسوية ذلك الخلاف والتعاقد مع الحكومة من جديد .

★ ★ ★

واثبت التحقيق ان لا صلة تربط بين المتهم وام الطفلين او ابيهما او جدهما ، ولا بينه وبين ذات الرداء الاحمر فازداد الامر تعقيدا .

وانكر بابا فوان ارتكابه للحادث . وكان يرد ـ اثناء التحقيق الطويل الذى أجرى معه ـ على جميع الاسئلة التى وجهت اليه بردود تدل على صفاء الذهن . وحين تجمعت ضده الادلة اخذ يذكر المحقق بالامثلة الصارخة المعروفة لبعض الاخطاء القضائية التى ادين فيها ابرياء .

واثبت التحقيق انه كان قد كتب الى امه ـ اثناء رحلته الى باريس ـ يطلب منها ان تبعث له بملابس تزيد عما تحتاجه رحلته القصيرة كما طلب منها سكينين حادتين لهما نصل ثابت لا ينثنى واتخذت النيابة من هذا الطلب دليلا على النية المبيتة والاصرار الذى يسبق الجريمة .

★ ★ ★

واستمر بابا فوان ينكر ارتكابه للجريمة . وفجاة عدل عن انكاره وتقدم فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٢٤ ـ اى بعد اكثر من شهر من التحقيق ـ باقوال جديدة اعترف فيها باكثر مما كان مطلوبا منه ـ ان صح مثل هذا القول ـ لانه قال انه حين قتل ابن الانسة هيرين وابنتها ، كان يعتقد انهما ابنا ملك فرنسا .

وقامت النيابة العمومية وقعدت لخطورة ذلك الاعتراف . لقد تطورت القضية من جريمة قتل عادى ـ مهما بلغت شناعتها ـ الى جريمة اعتداء على الاسرة المالكة . واثبت التحقيق ان هذا الاعتراف لا اثر فيه للحقيقة ، وايقنت النيابة العمومية أن هذه رواية كاذبة يريد بها المتهم ان يتظاهر بالجنون .

وذات يوم ـ وهو فى السجن ـ اضرم النار فى فراشه . ولما سئل عن ذلك اجاب ببرود « اردت التخلص من الحشرات التى تقلق منامى » . وبعد ذلك ببضعة ايام اختطف سكينا وطعن بها مسجونا صغيرا بدون اى مبرر بزعم انه ينتمى الى اسرة اورليان « الاسرة الحاكمة » محاولا ـ فيما زعمت النيابة العمومية ـ ان يؤكد اعترافه بان الجريمة التى ارتكبها هى جريمة سياسية . ولكن النيابة ـ فى مرافعتها ـ اكدت ان تلك الاقوال وتلك الافعال تمثيلية اراد بها المتهم التظاهر بالجنون وانه ليس مجنونا باى مقياس من مقاييس الجنون .

★ ★ ★

ووصلت القضية الى قاعة محكمة الجنايات من غير ان تكون النيابة قد توصلت الى معرفة الباعث على جريمة قتل الطفلين البريئين .

وكانت جريمة الموسم . فغصت قاعة المحكمة بجمهور كبير من الفضوليين . وشغلت المقاعد الاولى بعدد كبير من السيدات الانيقات . ذلك ان الراى العام استبعد ان تكون جريمة شنيعة كتلك الجريمة قد ارتكبت بغير باعث وتوقع ان تصدر اعترافات مثيرة اثناء المحاكمة .

وحين ادخل بابا فوان قفص الاتهام اتجهت اليه الانظار واشرابت الاعناق فقد توقع الجميع ان يروا مجرما عتيدا اشعث الشعر وحشى النظر ، فاذا بهم امام انسان عادى يرتدى بذة سوداء نظيفة ، تدل مظاهره كلها على الاتزان ، يتحدث الى محاميه بصوت هادىء ، ليس فى نظراته زيغ

ولا في حركاته عصبية . وساد القاعة وجوم . واحسوا بخيبة امل .

★ ★ ★

وتليت صحيفة الاتهام فاذا بعلامات الاستفهام تتخلل كل سطر من سطورها . ولم تجد النيابة جوابا لكل سؤال فيها . ترى هل تقع مسئولية الجريمة على بابا فوان وحده ؟ هل له شركاء ؟ هل له محرضون ؟ ومن يكونون ؟ لقد حاولت النيابة العمومية ــ اداء لواجبها وتحقيقا للعدالة ان تدرس جميع تلك الاحتمالات فتوغلت في جميع المسالك التي فتحها التحقيق وتاهت في مجاهلها ولم تصل الى معرفة الباعث على الجريمة الاولى.

وحين اعيتها الحيل واضناها البحث تساءلت النيابة ــ في صحيفة الاتهام ــ عما اذا كان من الجائز ان يكون الباعث هو الجنون ؟ ولكنها لم تقف عند هذا الاحتمال بل استبعدته بسرعة وكأنها تخشى ان يفسد عليها هذا التفكير قضيتها متناسية ان واجبها هو البحث عن الحقيقة لا الحصول على عقوبة ... وبدلا من ان تجد في محاولة بابا فوان قتل المسجون الصغير واضرام النار في فراشه مظاهر جنونية قالت النيابة انها محاولات فاشلة للادعاء بالجنون . فليس في التحقيق ــ كما تقول النيابة ــ ما يشير ــ من قريب او بعيد ــ الى ان عقله يختلف عن عقول عامة الناس . بل دل التحقيق ــ على العكس ــ على ان للمتهم قدرة كبيرة على الجدل ، وان منطقه سليم ، فهو يفكر ويتحادث ويجادل كرجل عاقل حريص . وقد لا يسيطر عقله دائما على تفكيره ، ولكن ذلك يحدث لكثير من الناس الذين تتغلب فيهم الشهوة على التفكير . وليس هذا من الجنون في شيء . كل ما في الامر انه منطو على نفسه يتغلب الشر في نفسه على الخير ، يحقد على غيره لانه سعيد ، ويتعطش الى اراقة الدماء . فاذا كان هذا هو الباعث على الجريمة فليس في ذلك ما يبرر جنايته او يخفف من عقابه .

فالعدالة لا تطالب بان تنفذ الى قلب بابا فوان لكي تتوه في مجاهله . ان الجريمة ثابتة والادلة تحيط بالمتهم من جميع جوانبه . وجاء الاعتراف ــ وهو سيد الادلة ــ متوجا لكل تلك الادلة . والقانون يدين من يستحل دم انسان آخر ايا كان الدافع سواء اكان الطمع ام الغيرة ام الانتقام ام مجرد الحقد على الانسانية . ان من حقنا ان نشك في الباعث على الجريمة . اما الجريمة ذاتها فلا موضع فيها لشك . وهذا كاف لتحقيق العدالة والقصاص من المجرم . اما ما بعد ذلك فان علمه عند ربي .

★ ★ ★

وبدأ بعد ذلك دور المحكمة . واخذ المحلفون يتتبعون باهتمام المناقشة الطويلة التي دارت بين رئيس المحكمة وبين المتهم والتي استغرقت عدة ساعات وكانت اجابات المتهم عن جميع الاسئلة اجابات سليمة منطقية لا تلعثم فيها ولا خطأ في تحديد الوقائع والتواريخ الى ان سأله رئيس المحكمة ..

س ــ انت تجيب اجابات سليمة واضحة تدل على سلامة عقلك ؟

جـ ــ انني لا أزعم اني مختل العقل دائما .
س ــ لماذا اذا طعنت هذين الطفلين ؟
جـ ــ فعلت ذلك في لحظة جنون عارض .

★ ★ ★

وبدأ الشهود يدلون باقوالهم ويشرحون الحادث كما وقع اذ لا غموض فيه ولا ابهام . ولم تجد النيابة العمومية ولا الدفاع مجالا لتوجيه اسئلة اليهم جميعا فالوقائع مسلم بها من الجانبين وليست موضع خلاف .

★ ★ ★

وتولى الدفاع عن المتهم الاستاذ بابيه الذي اصبح بعد ذلك علما من اعلام الفقه والقانون وركز دفاعه حول عدم وجود باعث على الجريمة . واستعرض حياة المتهم السابقة على ارتكاب الجريمة فاظهره ابنا بارا بابويه ، وصديقا مخلصا لرفقائه ، ومواطنا صالحا ووطنيا محبا لوطنه . وتساءل ايمكن أن يكون مقدرا لمثل هذا الانسان ــ وتلك صفاته ــ ان تتدلى رقبته من حبل المشنقة ؟؟

وناقش المحامي جميع الوقائع التي ارادت النيابة ان تدلل بها على أن المتهم يتصنع الجنون. وارجعها الى انها ــ على العكس ــ تثبت اختلال قوى المتهم العقلية .

جريمة بغير باعث ؟! اننى لا أتردد فى القول بانها تكون الاولى من نوعها . واية جريمة ؟ جريمة قتل طفلين بريئين . لا حول لهما ولا قوة . اين هو الباعث على الجريمة ان لم يكن الجنون ؟! ان اى انسان يسمع بالخبر لا يستطيع الا ان يصيح « لا شك ان الفاعل مجنون » . تلك الصرخة الطبيعية هى التى تحمل فى طياتها السر الحقيقى لهذه الجريمة .

ان للجنون مظاهر مختلفة متعددة . والمجانين انواع . منهم من حرموا نعمة العقل حرمانا مطلقا. ومنهم من يفقد عقله فى اوقات متباعدة تحت تأثير الم شديد او دهشة مفاجئة .

لقد شرعت العقوبة ، لا لرغبة الهيئة الاجتماعية فى الانتقام من المجرم ، ولكن لتكون رادعا له وعظة لغيره . فما هى العظة التى تنتج من اعدام انسان ارتكب فعلته وهو فاقد العقل لا يدرك ما فعل ؟ ان اعدام القاتل لا يرد الحياة لمن فقدها . ان المجنون الذى ارتكب جريمة اذا ظل حرا طليقا قد يرتكب غيرها فمن العدل مراقبته والتحفظ عليه اتقاءا لشره . ذلك عدل ووقاية . اما اعدامه فمجرد قسوة بل جريمة ترتكبها الهيئة الاجتماعية .. جريمة قتل متعمد بغير سبب وبغير مبرر .

★ ★ ★

وكان لهذه المرافعة أثر قوى على عواطف القضاء والمحلفين وجمهور المستمعين . ولكنها لم تنجح فى تغيير الفكرة السائدة لدى رجال القانون ــ وحتى رجال الطب ــ فى ذلك الوقت وهى انه لا وجود لما يسمى بالجنون المؤقت . فاما جنون مطلق لا مكان فيه لفترات صحو . واما مسئولية كاملة لا متسع فيها للاعفاء من العقوبة او حتى لمجرد تخفيفها .

★ ★ ★

وكان مصير بابا فوان الاعدام . وحين نطق القاضى بالحكم لم تبد على بابا فوان اية مظاهر للتأثر بل تقبل الحكم فى هدوء ــ كأنه يخص شخصا غيره ــ وقال « اننى استأنف الحكم الى الله المطلع على خفايا النفوس » . ثم شكر محاميه واخذ يشجعه ويواسيه . فقد كان تأثر المحامى بالحكم اشد من تأثر المحكوم عليه نفسه .

وقدم المحامى طعنا فى الحكم امام محكمة النقض ولكنه رفض .

ولجأت اسرة بابا فوان الى الملك تلتمس العفو عنه ولكن مستشارى الملك لم يشيروا عليه بقبول الالتماس فاغلقت ابواب الرحمة امامه ونفذ فيه الحكم .

★ ★ ★

ولست بحاجة لان نقول انه لو جرت محاكمته الان لما اعدم ، لان امره كان يعرض حتما على رجال الفن من اطباء العقول ، وكان القضاء ياخذ برايهم . بل لا نبالغ اذا قلنا انه لو تأخرت محاكمته بضعة اشهر لانقذت رقبته من حبل المشنقة .

فقد قدمت بعد ذلك بشهرين للمحاكمة فتاة اسمها هنريت كورنييه ذبحت طفلة لم تكن تعرفها وعينت محكمة الجنايات ثلاثة اطباء لفحص قواها العقلية ووصفوا حالتها بانها حالة جنون يكون فيها المريض سليما ثم تنتابه نوبة الجنون فيرتكب جريمة ثم يعود لحالته الطبيعية . وفى هذه الجريمة بالذات كانت النيابة تطالب بالاعدام بمقولة ان الجريمة تمت مع سبق الاصرار ــ وكان سبق الاصرار واضحا ثابتا ــ ولكن المحلفين اعتبروه غير ثابت لينقذوا الفتاة المسكينة من حبل المشنقة .

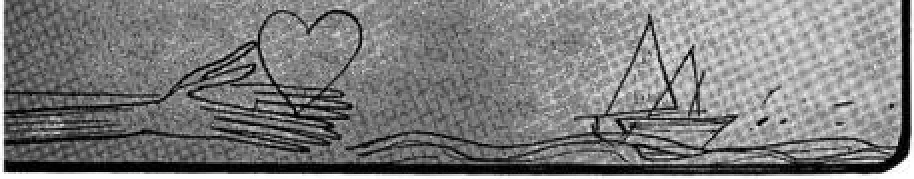
واخذ القضاء من وقتها يستعين برجال الفن فى تحديد مدى مسئولية مرتكب الجريمة . وانقذ العلم مئات ومئات .

ترى كم عدد الالاف الذين اعدموا لجريمة ارتكبوها وهم فاقدو العقل ؟!

ان الاخطاء القضائية قد تؤدى المحكوم عليه فى ماله او حريته ، وعندها يمكن ملافاة اضرارها وتعويض ضحيتها . اما الاخطاء القضائية التى تدلى بجسم البرىء من حبل المشنقة فتلك التى لا علاج لها والتى تقض الضمير الانسانى ، وهى جريمة اشد من الجريمة ذاتها ، لان الجريمة ترتكب فى ساعة شهوة طارئة اما الخطأ القضائى فيرتكب فى هدوء وبعد بحث واستقراء . ■■

حسن الجداوى

قصائد.. في قصيدة



شعر : محمد أحمد العزب

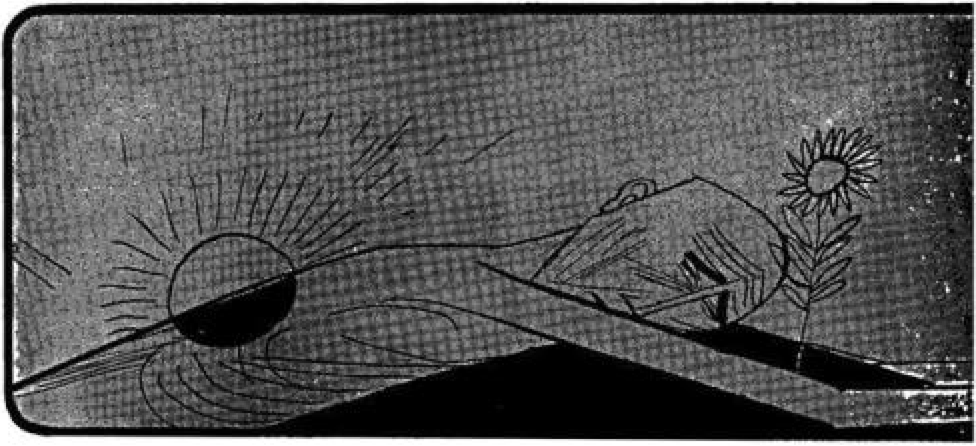
قلبي في عزلة صوفيٍّ .. يسكن خيماتٍ صوفيه
يأكل من زاد لا يُغني فوق المائدة الأزليه
لكن الجوع يوسّده حجرا في ليل البرّيّه
فينام بلا نوم .. ويضيق على أصداءٍ شبحيّه :
المجدُ لِمَن داس الأشواك .. وحلّق فوق الأرضيه
واسترخى في حضنِ الملكوت الرحب بعينٍ مرخيّه
وتململ .. واستسلم .. وانهار ..وثار على كل قضيّة
وانتصب يجسّم للإنسان نقائضه الإنسانيه

★ ★ ★

قلبي مِن بدْءٍ بحّار تهزمه الريح الليليّة
فيعاود رحلته في الشمس إلى أرضٍ أسطوريه
يحسو بمناقيرٍ شتّى كلَّ الأنباع الفوقيه
ويعود إلى الأرض الصفراء لينفخ فيها الحريه

★ ★ ★

من أين لقلبي زاد الرّحلة ؟ يالغباء التضحيّة



قلبي يقتات من النبضـات .. من الخفقات الكونيّة
ياقلـبي مهلا .. فالشاطئ ريحٌ خرسـاءُ وعبثيّـة

★ ★ ★

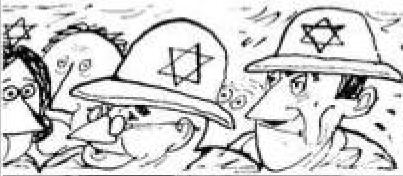
لو أنّ القلـب الباذل حين يضيء دروب البشريـه
يحيا فـي عدم العدم ويطفو فوق بحـار الأبديّـه..
كانت أدمعنـا ترقؤها رؤيـا الأحلام الورديه
كانت أشرعـة السُّفْن تقاتل زحف الريح البحريه
كانت خطوات الإنسانية تخطـو فوق العدميـة
لكـن المـوت يسلُّ السيف علينـا في كل حنَيِّه

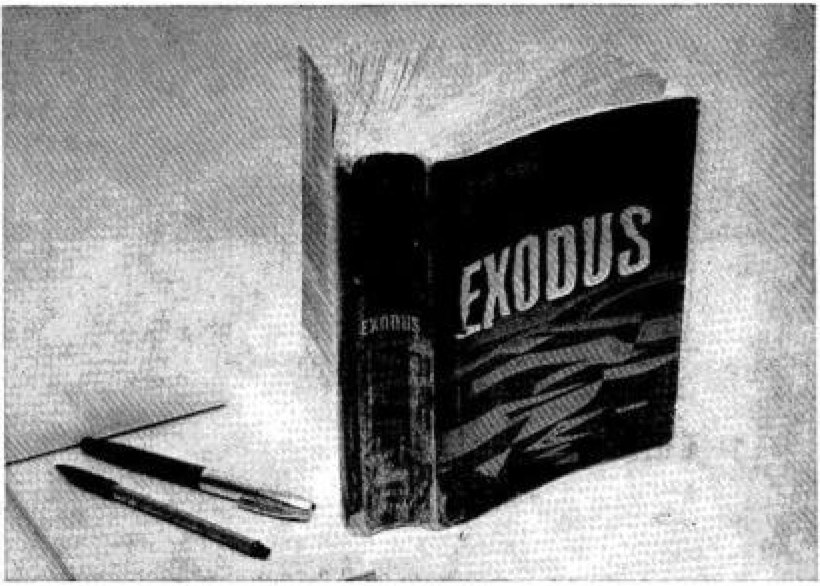
★ ★ ★

ياقلبي للكلمـات المجـد .. فخط حروفا فجريه..
واعبر بالكلمـة بهو النّار ووسد نومك أغنيّـة
قل ياقلـبي كلماتك وارحل خلْف تُخُومٍ منسية
لاتذرف دمعـة حزْن .. لاتحـرق أهْدابا غسقيـه
فالكلُّ هبـاءٌ .. وخواءٌ .. وجبالُ جليدٍ وهْمية!!

القاهرة محمد احمد العزب

الكتاب نور يضيء أو نار تحرق





يَصنع اليَهُود بالعَرَب مَا يَصنعُون والعَرَب عمّا يَصنع اليَهُود غافِلون

بقلم : ظافر القاسمي

■ اذا كان العلماء « يحزرون انه فى العشرين السنة القادمة، سوف يستطيع تفجير الذرة "أمم" عشرون ، منها اسرائيل ، او هكذا يتنبؤون » على ما قال استاذنا الدكتور احمد زكي فى هذه المجلة(١) ، واذا كان فريق من رجال السياسة او العلم ، يقدر ان اسرائيل ، وان وفقت الى صنع القنبلة الذرية ، فانها لن تفجرها ، لأسباب كثيرة يسردونها . اذا كان هذا كله صحيحا ، او متوقعا ، فان قنبلة اخرى من نوع آخر ، قد صنعتها اسرائيل ، ولم تقف عند حدود صنعها، بل مضت فى تفجيرها، وحصلت على الكثير من نتائج هذا

(١) العدد ٨٥ ص ١١ « العربى » .



التفجير . وفي رأيي أن هذه القنبلة ان لم تكن افتك وامضى من القنبلة الذرية ، فانها لا تقل عنها شأنا ، ولا تنقص في ميزان العقلاء وزنا،واعني بها «الكتاب».

واذا قلت « الكتاب » فانما اعني الكتاب الذي يبدو للوهلة الاولى ، ولا سيما امام القارىء الاوربي ، انه كتاب علم ، لا نشرة للدعاية ، صادرة عن دولة تريد أن تروج لنفسها ، وان تنشر في الناس محاسنها ، وان تزين لهم مفاتنها . انه كتاب علم يريد ان يبث في الناس المعرفة ، وان يجلو لهم الحقيقة ، وان يقدم لهم زادا فكريا هم محتاجون اليه .

اكتب هذه الكلمة ، وامامي ثلاثة كتب وضعت باللغة الفرنسية ، اخترتها من مكتبة كاملة عن اسرائيل . ولا شك أن في اللغات الاخرى ما في اللغة الفرنسية ، ان لم يكن أكثر . فلقد مررت خلال رحلاتي على بعض المكتبات في باريس ، وسألت عن الكتب الصادرة عن اسرائيل ، لها وعليها ، فوجدت عشرات الكتب ، ان لم أقل مئات الكتب ، التي صنفت عنها ، ولها ، ولم أجد الا كتابا واحدا كُتِب عليها ، وهو أقرب الى الهزل منه الى الجد ، والى الغرام بالفضائح منه الى تقرير الحقائق .

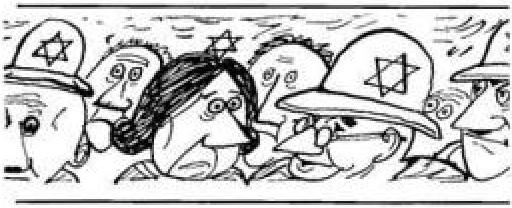
والقارىء الاوربي خاصة،والغربي عامة ، قارىء ساذج ، يصدق ما يلقى اليه ، ولا يحاول ان يكذب ما في « الكتاب » ، الا اذا عارضه بكتاب آخر ، في نفس المستوى ، من حيث المؤلف ، ومن حيث قوة العرض ، ومن حيث دار النشر . والقارىء الغربي معذور ، لانه لا يفترض ان العلم يمكن أن يكون مطية للكذب السياسي ، وهو اكثر عذرا اذا هو لم يجد امامه الا نوعا واحدا من انواع البحث العلمي المنظم .

ان اسرائيل لم تلجأ الى النشرات والكتب التي توزعها بعض الحكومات للدعاية . ولعلها لجأت الى هذا الاسلوب في بداية امرها . اما اليوم فانها قد استخدمت « الكتاب » ، لتقول للناس زورا ، من هي وكيف قامت ، وماذا صنعت ، وماذا يمكن ان تصنع ، في خدمة الحضارة ، وفي تقدم المدنية ؟ .

والقارىء الغربي ، يعتمد اول ما يعتمد على اسم دار النشر . فلقد قامت لدى القوم دور النشر اتسمت بالجد ، وعرف عنها انها لا تتصدى الا للعام ، وانها لا يمكن أن تنشر الا ما كان حقيقا بالنشر . وهذه الدور تشبهها الى حد بعيد لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، التي كنا نقتني مطبوعاتها في شبابنا ، من غير أن نعرف المؤلفين ، ومن غير ان نعرف موضوع الكتاب ، لان تتويج الكتاب باسم « اللجنة » كان وحده كافيا لاعتبار الكتاب جديرا بالاقتناء .

اول هذه الكتب التي اخترتها كتاب وضعه « بن غوريون » وسماه «اسرائيل : سنوات من النضال» ونشرته مؤسسة (فلاماريون Flammarion) عام ٩١٦٤ . فاما المؤلف فهو من عرفت . وهو وان كان من رجال السياسة ، الا انه يعتبر ايضا من رجال العلم ومن المؤكد ان اسم المؤلف وحده جذاب بالنسبة للقارىء الاوربي . فاذا اضيف الى ذلك ان كتابه هذا قد صدر عن دار عُرفت بالجد كل الجد ، عَرفتَ المدى الذي يلقاه مثل هذا الكتاب من الرواج بين قراء يقدر عددهم بخمسمئة مليون انسان على الاقل ، من الشعوب اللاتينية وحدها ، فضلا عمن يعرف الفرنسية من الشعوب الاخرى .

صيغ هذا الكتاب الصغير الحجم (٢٨٠ صفحة من القطع الصغير) ، الغالي الثمن (١٣ فرنكا فرنسيا) ، بكثير من الخبث والمكر ، فهو من اجل ان يحمل القارىء على تصديق ما في الكتاب من أكاذيب عن الفكرة الصهيونية ، وعن الجهود التي بذلتها في اقامة وطنها القومي ، وعن البطولات التي ظهرت ، لا يني جهدا في وصف اليهودي أقبح وصف عرف ، فيقول (ص ٧٢) :



« فى اية بقعة من بقاع الارض يوجد فيها اليهودى ، فانه يملك الحق التاريخى فى العودة الى اسرائيل والاقامة فيها ، سواء أكان ذلك ناشئا عن انه يشعر حيث يقيم فى أنه تابع الى طبقة ادنى من المواطنين ، أم كان ذلك لانه يشعر بانه مضطهد ، أو قلق على مصيره ، أم كان ذلك لان اليهودى يوحى الحقد والامتهان .. » .

هذا ما قاله رئيس وزراءاسرائيل عن «اليهودى» ليوحى الى القارىء انه منصف فى كل ما يكتب ، ولا ادل على ذلك من هذا الوصف القبيح ، الذى تدعو قراءته وحدها الى الكراهية والاشمئزاز من اليهودى !

كذلك خصص المؤلف ثلاث صفحات (٢٦٣ ـ ٢٦٥) لتمجيد الاسلام ، ولصاحب الرسالة (ص) وللقرآن الكريم ، وللفتوحات الاسلامية .

وفيما عدا ذلك فالكتاب مشحون بالأكاذيب ، وبالمغالطات ، بل وبالمتناقضات . ومن الطبيعى أن لا ينتبه القارىء الغربى الى هذا كله ، وانما يعرفه القارىء العربى المطلع وحده . وهذا الكتاب لم يوضع للقارىء العربى ، وانما وضع للقارىء الغربى . فهو مثلا يرضى عن تشيكوسلوفاكيا لانها سلحت اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولكنه يغضب عليها وعلى الاتحاد السوفييتى لانها تبيع الاسلحة لبعض الدول العربية المحيطة باسرائيل تحت سمع الروسيا وبصرها . وهو يسرد المراحل التى نبتت فيها الصهيونية ، وفكرتها ، ودولتها ، وكفاحها مع العرب بشكل مشوه كل التشويه ، قلب فيه كل الحقائق ، وزور فيه كل الوقائع . ويلقى بعد ذلك كله بهذا الزور الى القارىء الغربى ليصدقه وحده .

وثانى الكتب التى اخترتها ، كتاب اسمه « اسرائيل : الكوكب الصغير Petite planete وضعه رجل صهيونى اسمه « داود كاتاريفاس David Catarivas . وهو كتاب صغير الحجم ايضا (١٩٠ صفحة) ، سمج ، ثقيل الظل ، على القارىء العربى خاصة ، حتى ليبدو لك من بين سطوره أن مؤلفه (حاخام) . ولكن اسلوبه رفيع ، وبيانه مشرق . وقد شحن بالمبالغات ، وفاض منه الغلو ، فضلا عن الاضاليل التى زرعت من الفه الى يائه . وهذا الكتاب لم يدع فضيلة الا والصقها باليهودية وباليهود ، وباسرائيل خاصة ، ولم يدع رذيلة الا ونفاها عنها ،ونسبها الى العرب . وقد تمر ببعض صفحاته ، فيخيل اليك انك فى بيعة تسمع الى عظة من عظات حَبْر يهودى ، لا الى عالم يكتب فى السياسة والتاريخ .

ومع هذا كله فان الكتاب قد صدر ايضا عام ١٩٦٤ عن دار (سوى Seuil) ، وهى من الدور التى عرف عنها الاهتمام بالعلم وكتبه ، وبالادب واسفاره . ومن آخر ما نشرت (مختارات من الأدب العربى المعاصر) مترجمة الى اللغة الفرنسية ، كما نشرت كتابا عن تونس ، وآخر عن مراكش ، وثالثا عن مصر ، لمؤلفين مختلفين ،ولكنهم جميعا من الفرنسيين . وهنا مكمن الخطر ، فهى تهتم بالعرب كما تهتم باليهود بحسب الظاهر . ولقد عجبت بادىء الأمر وانا اقرا الكتاب ، كيف ساغ لمثل هذه الدار أن تطرح مثل هذا الكتاب على القراء ، ثم عدت الى نفسى وادركت اننى اناقش الأمر بعقل المسلم العربى ، لا بعقل الفرنسى !

وثالث هذه الكتب ، ولعله أخطرها ، كتاب اسمه « دولة اسرائيل » ومؤلفه « اندرة شوراقى Andre Chouraqui » . هذا الكتاب صادر فى عام ١٩٦٢ عن دار اسمها « المطبوعات الجامعية فى فرنسا » Presses Universitaires de France وضمن سلسلة شهيرة اسمها « ماذا اعلم ؟ Que Sais - Je » . وقد اصدرت هذه السلسلة اكثر من الف كتاب ، ترى ثبْت بعضها على صفحة الغلاف الأخيرة.وهذه السلسلة من المُوجَزات التى يتداولها طلاب الجامعات عادة فى فرنسا ، وفى جميع البلاد التى تدرس باللغة الفرنسية . وطابعها الظاهر هو العلم . وهذا الكتاب لا يعدو (١٢٧) صفحة ، وقد حاول صاحبه أن يكون أكثر تظاهرا بالتجرد ، فقد أشار الى حجج العرب ، ولخصها ، ثم عقب عليها بالتسفيه . واشار الى مذابح دير ياسين ويافا ، ولكنه لم يسمها «مذابح» وانما سماها «التعطيل Panne » . وحينما بحث عودة اليهود من

أصقاع العالم الى فلسطين بعد عام ١٩٤٨ صرح بأن الدولة لم تلق أية صعوبة فى اسكان نصف مليون منهم ، لأن منازل العرب كانت خالية ،ولأن مخازنهم كانت مليئة . كذلك أشار الى تنافر المجتمع اليهودى الحاضر فى فلسطين، والى تركيبه من عناصر متباعدة فى الطبائع،والأخلاق،والعادات، والأمزجة ، والتقاليد ، والمستوى الثقافى ، فضلا عن تعدد لغاته . وأبان عن وجوه كثيرة من وجوه الخلل فى الدولة القائمة . ولكنه حاول بالطبع رتق كل هذه الفتوق ، بما أوتى من حسن الأداء ، وقوة الأسلوب .

ومضى بعد هذا كله يحدث قارئه عما صنعت الصهيونية ، وعما تصنع ، وتحاول أن تصنع ، فشوه التاريخ ، ومسخ الحقائق ، ووضع لهذا القارىء الغربى صورة من أسوأ الصور التى يمكن أن يتصورها الانسان الحيادى .

واذا كنت لم أحدثك عما فى هذه الكتب بالتفصيل . فلأن المجال لا يتسع ، ولأن القارىء العربى يستطيع أن يفترضها ، فلا يعدو الحقيقة ، انلم يكن أقل من الحقيقة . واذا كنت لم أحط بالكتب الأخرى التى وقعت عليها ، فلأن الاحاطة مستحيلة . ولكنى حزرت ما فيها ، وقدرت مبلغ خطرها .

هذه هى القنبلة التىصنعتها اسرائيلوفجرتها. انها « الكتاب » الذى قيل عنه قديما : انه خير من الفداعية وخطيب،لانه يقراه الموافق والمخالف، ولأن الداعية والخطيب يموتان ، أما الكتاب فلا يموت ، ولأن المستمعين اليهما محدودون ، أما قراء الكتاب فغير محدودين .

قال فولتير فى معجمه الفلسفى : « من الكتب ما هو كالنار فى المنزل . فلقد تأخذ النار منجارك، وتشعلها فى بيتك ، وتعطيها الى غيرك ، وملكيتها تعود الى الناس كافة » .

لقد وضعت اسرائيل « الكتاب » ، الذى قد يكون نورا يضيء ، كما يكون نارا تحرق ،وفرضته على الناس ليشتروه ، ثم ليسمتموا أفكارهم بما فيه . فاذا وجدت الرأى العام الغربى يعرف عن اسرائيل أضعاف أضعاف ما يعرف عن العرب فلا تعجب . ان كتابا واحدا نشر فى أوربة خلال القرن السابع عشر هو « ألف ليلة وليلة » قد رسم صورة للشرق فى أذهان الأوروبيين لم تمحها القرون حتى الآن ، على الرغم من كل الجهود التى بذلت وتبذل . واليوم تنشر عشرات بل مئات المؤلفات ، فى كل اللغات ، لتضع من شأن العرب ، ولترفع من شأن الصهيونية ، فماذا صنعنا نحن العرب ، لرد هذا الهجوم ، ولاطفاء هذه النار ؟

الواقع أننا لم نصنع شيئا . فلا الهيئات ، ولا الجمعيات ، ولا المؤسسات ، حتى ولا الحكومات ألقت الى هذا الأمر بالا . ان الدول العربية تنفق مئات الملايين سنويا على تسلحها ، ولم تدرك بعد أن هذا السلاح من أفتك الأسلحة وأشدها خطرا ، لأنه يسمم الرأى العام الغربى ، ولا بد له من مضاد ، اذا كنا جادين فى الدفاع عن أنفسنا ، ثم فى استنقاذ فلسطين !

ومن عرف العالم الغربى ، عرف أنه لا ينقصنا فيه الأصدقاء ، ولا يعوزنا فيه الأنصار ، فهم كثيرون ، فى جميع الأقطار والأمصار ، ومنتشرون فى جميع البقاع والأصقاع . ولكن من منا حاول استثمار نصرتهم ، والاستفادة من صداقتهم ؟ وفى هؤلاء الأصدقاء والأنصار علماء وكتاب ومؤلفون من أعلى طراز ، وبعضهم من اليهود أنفسهم ، وبعضهم ينتظر التكليف للتأليف ، ودور النشر تنتظر الوضع للطبع .

ثم ما لهؤلاء المئة المليون من العرب ، لا يمد أحد منهم قلما فى لغة أجنبية ، ليدفع تهمة ، أو ليرد فرية ، أو ليقرر حقيقة واقعة ؟ هل عقموا حتى ليس فيهم من يجيد كتابة صفحات فى لغة أجنبية ، أم كسلوا فلا يحركهم أى عامل ، ولا يؤرقهم أى باعث ، أم ماذا ؟

الذى أراه أن العبء يقع أولا على الحكومات العربية ، فعليها أن تجند بعض قواها وأموالها واهتمامها لمثل هذا الكفاح ، الذى لم تغفل عنه أمة فى القديم ولا فى الحديث ، الا نحن ! ■■

دمشق ظافر القاسمى

نقيب المحامين سابقا

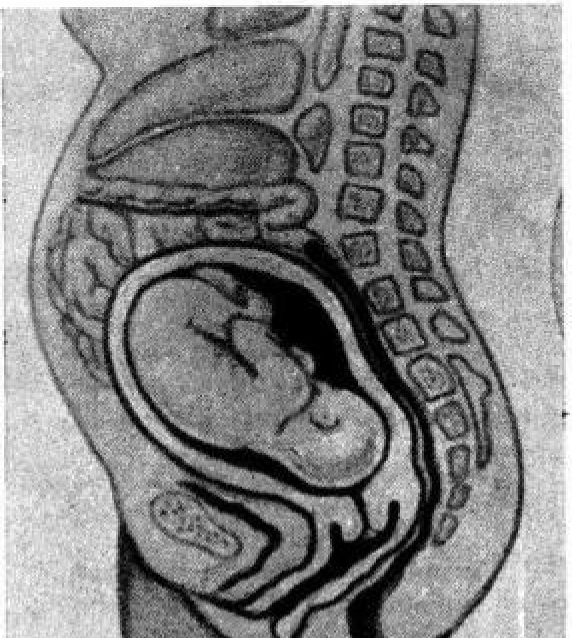
أنباء الطب والعلم والاختراع

٣٠٠ الف بحث طبى فى خزانة حاسبة

● هكذا يتقدم العلم ، وهذا بعض مايصنع تسهيل تبادل المعارف فيها وتعجيلها .

٣٠٠ الف بحث طبى ، مما نشر فى العالم من كل خطير جليل ، جمعت على شرائط مغناطيسية ، تطلعك على ماتطلب منها ، فى سرعة فائقة حاسبة Computor من تلك الحاسبات الميكانيكية الحديثة ، التى تطلب منها الشىء فلا تلبث ان تجيبك . ان كل هذه البحوث فى جوف هذه الحاسبة . ولها فهرس يتجدد كل شهر ليعطى الباحثين أجد نتاج فى العالم الطبى .

اما هذه الحاسبة فتوجد الآن ، تستخدم بالمجان لمدة عامين ، فى دار كتب العلوم والتكنية ، فى بسطن سبين فى يوركشير Boston Spain Yorkshire .



اجنة تخرج من بطون امهاتها ثم تعود اليها

● بجامعة جون هبكنز ، بمدينة بلتيمور Baltimore ، اخرج العلماء من الشياه اجنتها ، وهى فى درجات من النمو مختلفة . وعالجوا هذه الاجنة بالدواء ، أو تدخلوا فيها بجراحة المشرط ، ثم اعادوها الى ارحام امهاتها ، وهناك استكملت نموها ، وخرجت الى الدنيا بعد اسابيع ، فى الوقت المحدد ، وفى صحة كاملة !!

خلق الكيماويون الانسولين فى المختبر



● كان الراى السائد فى الكيمياء الحديثة ان المواد التى يصنعها الجسم ، لا يستطيع ان يخلقها الانسان فى المختبر من اصولها البسيطة الأولى، وان الانسان يعجز عن صنع ما تصنعه الطبيعة .

ثم استطاع الانسان ان يخلق مادة البول ، المسماة بالبولينة ، من عناصرها البسيطة الأولى . وبذلك انهدمت هذه العقيدة .

واصبح الانسان قادرا ، باذن الله ، على تخليق ما تخلقه الطبيعة ، ما تقدم الانسان فى العلم ، وتمهدت له وسائله .

ومن اعقد ما صادف الانسان فى التخليق البروتينات . ونجح وقارب .

ومن آخر هذا الفوز خبر اليوم : ذلك نجاح الكيماويين فى تخليق الأنسولين من بسائطه الأولى .

وقد تم تخليق انسولين الشياه منذ نحو سنتين ، خلقه الدكتور كتسويانس Ketsoyannis بمدينة بتسبرج Pittsburg بالولايات المتحدة . واعقب أن خلق الصينيون انسولين الأبقار . واليوم يعود الدكتور كتسويانس فينجح فى تخليق انسولين الانسان عبر عديد من التفاعلات الكيماوية . وحصل بذلك على بضعة مليجرامات منه !!



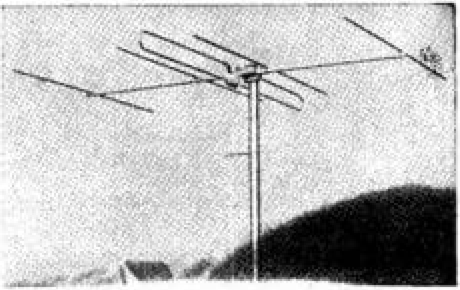
رقم قياسى فى التوائم

● انه بمدينة برمنجهام بانجلترا .

اجرى اطباء النساء بحثا ظريفا خرجوا به على ان هذه المدينة تحمل الرقم القياسي في ولادة التوائم . فحصيلة التوائم فيها تبلغ في المتوسط خمس ولادات توامية في الاسبوع الواحد .

وهم حسبوا فوجدوا ان ولادة التوامين الاثنين تقع في ولادة واحدة بين كل ٨٦ ولادة . وان ولادة التوائم الثلاثة اندر ٨٦ مرة ، اقل من ولادة التوامين . وان ولادة التوائم الاربعة اندر ٨٦ مرة ، اقل من ولادة التوائم الثلاثة .

وتساءلوا : ما السر الخبىء في تكرار هذا الرقم ، رقم ٨٦ ؟



عدد المستقبلات التلفازية في فرنسا ٦٣٨٥٤٩٥

● هذا ما نشرته غرفة التجارة الفرنسية . والجدول الآتي يدل على مبلغ ازدياد عدد هذه الاجهزة في السنوات السالفة المذكورة .

التاريخ	العدد
آخر عام ١٩٦٠	١٨٤٨٣٤٥
آخر عام ١٩٦١	٢٥٠٨٥٤٤
آخر عام ١٩٦٢	٣٣٤١٦٤٩
آخر عام ١٩٦٣	٤٢٩٩٨٥٧
آخر عام ١٩٦٤	٥٣١٥٦٨٧
آخر عام ١٩٦٥	٦٣٨٥٤٩٥

الحيتان تؤذن بانقراض

● هذا ما ينادي به خبير من خبراء هيئة الأمم المتحدة .

انه يقول ان بحار الأرض الجنوبية كان بها نحو ٤٠٠٠٠ من الحيتان في عام ١٩٣٠ ، وانه أصبح بها اليوم من الحيتان نحو ٢٥٠٠٠ حوت فقط . ومعنى هذا ان صيد الحيتان اذا اطرد على النحو الحاضر ، فسوف يأتي يوم تنقرض فيه الحيتان من البحار انقراضا .

لابد أن لا يصاد من الحيتان الا بالقدر الذى تلده الحيتان فى العام ، ولكن أمما يعميها الجشع الحاضر ، فلا تذكر او لا تبالى ما يؤدى اليه هذا الجشع من الحرمان .

ولا فائدة ترجى من الصراخ، فالجشع يصم الآذان .

واذن فلا بد من جمع مؤتمر من الامم التي تمارس هذا الصيد ، يجتمع فى دار هيئة الأمم المتحدة وتحت رعايتها ، فى عام ١٩٦٧ ، وينظر فى احتمال وضع قواعد للصيد تسهر على تنفيذها هيئة فى هيئة الامم المتحدة مختصة .

اليابان تقدمت في بناء السفن تقدما عجيبا ..

● نعم . انها تبنى اكثر من ثلث السفن الناقلة للبترول فى العالم . ويوجد اليوم فى احواض بناء السفن بها ثلث السفن التجارية التى تبنى الآن في العالم . والذى تصدره في هذا المجال جميعه يبلغ ثلث المجموع العالمي كله .

سجل لموقع نجوم السماء كامل

● انه سجل يعطى موضع كل جرم من أجرام السماء ، ٢٥٠٠٠٠ عدد .

انه يعرّف بها ، ويحدد مواضع كل نجم عرف الى اليوم ، من مشع وخافت، حتى تلك النجوم التى بلغت من الخفوت الدرجة التي يعرفها بها الفلكيون فيقولون انها الدرجة التاسعة ، وحتى ما دونها خفوتا .

واشتغل فى هذا العمل فرق من الفلكين والرياضيين واهل البرامج التى تغذّى بها الحاسبات الميكانيكية Computors . وهم جمعوا الخمسين

متى يجوز اسقاط المرأة الحامل ؟

● رابطة الأطباء البريطانيين كونت لجنة من رجالها تنظر في امر المرأة الحامل ، متى يجوز للطبيب اسقاط حملها . وقد أتمت اللجنة بحثها وتقريرها ، واخذ التقرير سبيله الى رجال البرلمان تهيئة لصياغة قانون يضع الأمور في نصابها . وقد اسرع الأطباء في بحث هذا الموضوع بعد حادث العقار الذى اخذته الامهات للتداوى فاذا به يخرج على غير انتظار اطفالا مشوهين ، بعض لا رجل له ، وبعض لا يد ،وبعض لا يدان له .

والقانون الانجليزى الحالى لا يبيح الاسقاط لمجرد أن طبيبا يرى ان الطفل سوف يكون مشوها.

وقد اوضح التقرير عدة نقاط ، منها :

١ ـ لا يجوز الا لطبيب متخصص في الولادة او امراض النساء ، او من يرتفع الى مستواهم أن يقوم بعملية الاجهاض .

٢ ـ لا يجوز اجراء الاسقاط الا في مستشفى او بيت للتمريض معترف به .

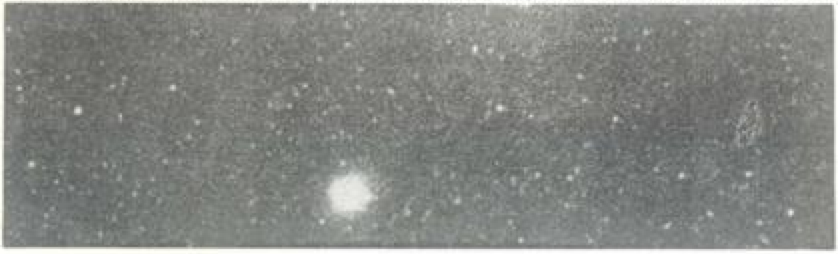
٣ ـ ان كل اجهاض لا بد ان يبلغ امره الى الطبيب الرسمى المسئول عن الناحية ، ليسجله في سجل رسمى يحصى عدد الاجهاضات التى جرت في الناحية كل عام ، وذلك بغية الاحصاء .

٤ ـ انه لا يجوز اطلاع رجـــال الشرطة على هذا السجل ، فهو من اسرار الافراد المكنونة. وهو من الأسرار الطبية التى يحلف الأطباء على حفظها فلا يبوحون بها .

٥ ـ انه لا بد من طبيبين اثنين يتفقان على ضرورة اجراء الاجهاض .

٦ ـ انه يجوز اجهاض المرأة اذا تبين للاطباء ان الاستمرار في الحمل يعرض المرأة لتلف في الصحة،وترك التقرير تحديد هذا التلف لصعوبة ذلك .

٧ ـ انه لا يجوز اجهاض المرأة لا لسبب الا انها سنها دون ١٦ سنة ، وبالطبع لا يجب الخلط بين الاجهاض وبين تعاطى الحبوب او اشباهها لضبط النسل ، فهذان امران مختلفان .



من السجلات المعروفة ، وصنعوا منها هذا السجل الواحد العظيم . وغذوه للحاسبات صورا من صحائف ، آلافا . وتطلب الى الحاسبة فتدور وتكشف لك عما تريد علمه من موقع هذا الجرم السماوى او ذاك .

وقد قام بعمل هذا السجل ، وهو يحتوى على ٢٧٠٠ صفحة،مرصد اسمث سنين Smithsonian الفلكى الفزيائي بمدينة كمبردج ، بماساشوست بالولايات المتحدة ، بهبة من ادارة الفضاء القومية الامريكية . ويطلبه العلماء المعنيون من رئيس الوثائق بمطبعة الحكومة بواشنجطن ، وثمنه ٢٠ دولارا، ويمكن شراؤه صورا على شريط مغناطيسى من المرصد المذكور سابقا مقابل ٥٠ دولارا .



قلب يموت صاحبه، ويظل القلب حيًا

● حدث هذا في جامعة امستردام. مات رجل عقب ازمة قلبية، وقام الأطباء بانتزاع القلب من صدره، ووصلوه على الفور بجهاز يدور فيه بسائل يحفظ عليه الحياة، كما يدور الدم تماما. فلم يلبث القلب أن عاد يدق. في انتظام كامل.

غاز كثير لبريطانيا من قاع البحر الشمالي

● من المعروف أن بريطانيا تنقب في أعماق البحر الشمالي رجاء أن يخرج منه غاز بترولي يفي ببعض حاجاتها من الوقود.

وقد علق السير هنري جونز، رئيس مجلس الغاز، أن بريطانيا «تستطيع أن تؤمل أملا صادقا بأنها ستحصل، نتيجة للاحفار التي جرت في أعماق البحر الشمالي، على نحو ٤٠٠٠ مليون قدم مكعب من الغاز في اليوم، وأن هذه الآبار سوف تستمر في اعطاء بريطانيا هذا القدر لسنوات تمتد الى ٣٠ أو ٣٥ عاما. وهذا المقدار هو اربعة امثال ما يحرق اليوم من الغاز في كل بريطانيا في شتى الأغراض».

وقال رئيس مجلس الغاز البريطاني: «وقد قررنا استبدال غاز المدن (المصنوع من الفحم وغيره) واحلال الغاز الطبيعي (غاز البحر الشمالي) محله».

وزاد السير هنري: «ان هذا الكشف يعد اخطر حادث وقع في هذه البلاد منذ الثورة الصناعية الكبرى».

وقد قرر المختصون ان هذا الحقل الغازي يساوي في حجمه، الحقل المكتشف في هولندا ان لم يزد عليه، وذلك علما بأن هذا الحقل الهولندي، في شلخترن Slochteren، هو ثاني حقول العالم الغازية من بعد حقل ولاية تكساس بامريكا، حقل بانهندل Panhandle الذي هو اكبر حقل في العالم.



طبيب الأسرة

ورق البنكنوت ، هل نغسل ايدينا بعد مسه خشية العدوى ؟

● يقولون ان المكروب منتشر بين الناس ، وقد يحملونه ولا يحسون بوجوده . وهناك اشياء كثيرة يتداولها الناس ، ومنها ورق البنكنوت . وانا صرت اخشى العدوى من النقود بعد ان سمعت ، فكيف اتجنب ذلك . وهل ما سمعت صحيح ؟



ـ اما ان المكروب يوجد بين الناس فهذا صحيح . وصحيح ايضا انه يوجد على الاشياء .

ولكن لا بد من تحليل عملية العدوى . انها تحتاج الى شيئين ، اولهما وجود المكروب بمقدار يكفي لاحداث العدوى ، وثانيهما وجود الشخص الحساس الذى لا يقدر على مقاومة هذا المقدار من العدوى .

واذا نحن بدانا بالطفل منذ ولادته وجدنا انه يتعرض للعدوى منذ ان بدا يتنفس . وهو يتلقاها وجسمه يتعود على مواجهتها ومقاومتها . وهكذا هو يستمر وهو صبي ، وهو شاب ، وفى الرجولة . وطوال هذه السنين ، وفى هذه الاثناء ، يحصل الجسم من المقاومة علما كثيرا وفنا عظيما .

وهو فى الحياة يغزوه المكروب ، ويعديه ، وهو على الفور يتخلص منه غالبا وهو لا يدرى . ويتكرر هذا الحال مرارا . وليس من انسان يستطيع ان يعيش فى مجتمع انساني حي ، ويستطيع مع ذلك ان يتجنب لقاء المكروبات . ان المكروبات هى بعض هذه الحياة ، ولها الحق فى الحياة كالذى لنا ، وكما لسائر الاحياء . ومنها النافع ، بل الضرورى لاجراء الحياة . فيجب ان لانضيق بها ، وانما نتقيها ، ولكن بمقدار خطرها .

ان الذى يحفظ علينا الحياة رغم انتشار المكروب الضار ان الجرعة التى ناخذ من المكروب المنتشر هى فى العادة صغيرة لا تكفى لاحداث المرض والتغلب على المقاومة التى بناها الجسم لنفسه فيما سبق من سنين .

كل شيء تمسه قد يكون حاملا للمكروب ، ولكنه لا يكفى للعدوى . خذ مثلا ورق البنكنوت المتداول بين الناس الذى تذكره ، انه قد يحمل العدوى من يد الى يد ، ولكن ليس معنى هذا انه يتحتم علينا ان نغسل ايدينا كلما مسسنا جنيها ورقا او ديناراً . ولكن غير ذلك امر الرجل الذى من عمله عد هذه النقود مئات والافا ، كبعض رجال البنوك مثلا . هؤلاء يحسن بهم ان يغسلوا ايديهم بعد هذا العدّ الكثير .

المسالة يحكمها التقدير المعقول والراى المستنير .

صداع يشمل نصف المخ أيمنه ، وأيسره



● أصيب ابن بالغ لى منذ سنتين بصداع فى الراس ، شديد ، ياتيه على حين بغتة ، ثم يزول . ووصف له الاطباء عقاقير ولكنها قليلة الفائدة، بل اردت أن اقول عديمتها . وهم يسمون هذا الصداع بالمجرين ، فما هو هذا المجرين ، وما علاجه .

ــ ونبدأ بالعلاج، فنقول صراحة انه لا دواء له ، الى اليوم ، ولكن له عند الطب ما يخفف منه .

ولنبدأ بشرحه

انه المجرين Migraine ، وهذا اسمه . وللرجوع الى الاصل اللغوى للكلمة علاقة بفهم المرض . ان الكلمة تأتى من اللفظ الاغريقى Hemikrania او من اللفظ اللاتينى Hemicrania ، ومنه اشتق الفرنساويون اسم Migraine وهو تحوير للاسم الاصلى . فقد اختصروا Hemi ، ومعناه النصف ، فصارت Mi ، و Crania ، ومعناها الجمجمة ، نطقوها Graine ، واذن فالكلمة معناها نصف الجمجمة .

وهذا النوع من الصداع يأتى فى نصف الراس ، الايمن أو الايسر .

أما صفة هذا المرض فنذكر منها اولا انه يأتى فى العادة بعد البلوغ ، وكثيرا ما يميل الى التوقف فى الكهولة ، وتتوقف النوبات عند النساء عادة عند انقطاع العادة .

اما سبب المرض فغير معروف على التحقيق ، ولكن التفسير الجارى هو ان سببه انقباض تشنجى يحدث فى الاوعية الدموية التي بالمخ . وهى تقتصر على نصف واحد من المخ . ومن هذا جاء اسم هذا الصداع .

والذى يبدأ هذا الصداع ، عند المؤهلين له ، عدة من أشياء ، مثال ذلك الاجهاد الجسمى أو العقلى ، والقلق والهم ، والطعام الخاطىء ، وكذلك تعب العين واجهادها . وعند النساء كثيرا ما يرتبط بدء النوبة بالعادة الشهرية .

والنوبة لها اسلوب تتبعه غالبا . فهى تبدأ بصداع شديد ، يكون موضعه عادة فوق العين . ويستبق هذا الصداع عادة غثاء فى النفس وابهام فى صور تراها العين . وقد يصحب هذا الابهام نقاط من ضياء تظهر للعين . واغلب هذه النوبات يصحبها قىء .

اما مدة النوبة فتقصر او تطول ، وقد تشتد فيضطر المريض الى الرقاد فى السرير ٢٤ ساعة .

اما العلاج فاكثره علاج وقائى ، يحاول المريض فيه دائما أن يتجنب الاسباب التى تثير الداء . فاذا انذرت النوبة وجب الالتجاء فورا الى السرير ، فهذا الالتجاء قد يقصر طول النوبة الى ساعات قليلة .

اما اذا اكتملت شدة النوبة وجب الرقاد فى حجرة مظلمة ، وذلك لان الاصوات والاضواء تزيد شدة الصداع . وقلة الطعام والنوبة قائمة مفيدة ، اما الشراب فيشرب المريض منه كفايته .

اما العقاقير فقليلة الغناء .

افقد التركز على ما أدرس ، فكيف أستعيده ؟

● انا طالب ، ولي رغبة فى التركز على ما ادرس ، ولكنى فقدت القدرة على ذلك منذ سنتين . فهل لهذا الحال من علاج ؟

— فقدك القدرة على التركز على ما انت دارسه قد يتسبب عن اجهاد ، أو عن مرض جثمانى ، أو عن ضعف واسترخاء ، وأخيرا هو قد يتسبب عن عوامل عقلية أو انفعالية .

ان المعروف ان الدراسة كلما طالت زادت الدارس قدرة على التركيز وعلى التحصيل ، وذلك لأن الدراسة عادات لا بد من تربيتها ، ولأنها تربط جديدا بقديم ، ولأن المرء اثناءها ينظم ما حصّل من معرفة فلا يتركه ركاما لا يتصل بعضه ببعض ، وكل هذه عادات تقوم ، ودوافع تغرى .

وهذا كله يحتاج اصلا الى العزيمة ، ولا شيء يمكن ان يقوم مقام العزيمة فى ذلك . ولا شيء يحيى العزيمة كتنظيم النفس بالنفس . اعلم ان هذا قد يشق احيانا ، ولكنه يسهل بالمران .

ومن ضرورات الدراسة ان يفصل الانسان بين اجزائها فلا تظل تتصل حتى تضيق النفس بها . لا بد ان تتجزأ . ولا بد أن تتنوع . ولا بد من ساعات نوم كافية ، وحركة فى الهواء الطلق ، مشيا او لعبا ، منعشة . وشيء من اللهو . وقد تجور بعض الشيء على هذه عندما يقرب الامتحان ، ولا تَجُرْ كل الجور .

اما بعد كل هذا ، اذا انت وجدت قدرتك على التركيز لا تزال ضعيفة ، فانظر لعل هناك أسبابا عقلية ، أو اخرى عاطفية تشغلك عما أنت فيه .

ولا تنس أن من أسباب قلة التركيز يكون احيانا كراهة للشيء الذى تدرس . فرع من المعرفة لا تميل اليه النفس .

ان اتضح لك هذا فتحول عما انت فيه .

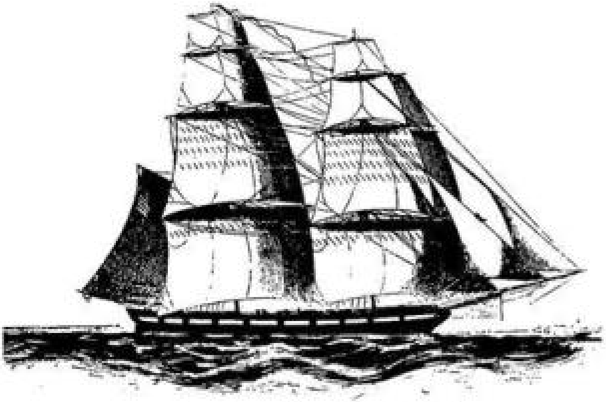
زاد طول ابنتي فوق ما يجب

● ابنتي الكبرى قد أتمت عامها التاسع عشر ، ومع هذا فهى تظهر لى كأنها لا تزال تنمو . لقد زادت نحو بوصة فى الطول فى العام الماضى ، وطولها الآن صار ٥ اقدام و ٨ بوصات . وانا ارى ان هذا الطول زائد على الحد التى تبلغه الفتاة فى هذه السن ، فكيف اذا استمر نموها . ان طول زوجى ٥ اقدام و ١١ بوصة ، وطولي انا ٥ اقدام و ٦,١/٢ بوصة . والغريب ان ابنتي لما بلغت الثالثة عشرة كانت دون المتوسط فى الطول ، ولكنها اخذت تزداد طولا بعد هذه السن . ولم تأتها العادة الا عندما بلغت سن السادسة عشرة . فهل تكون هذه الاشياء مجموعة سبب الاضطراب الذى سبب هذا الطول الذى لم يتوقف بعد . انى قلقة فطول البنات ليس بالشيء المرغوب .

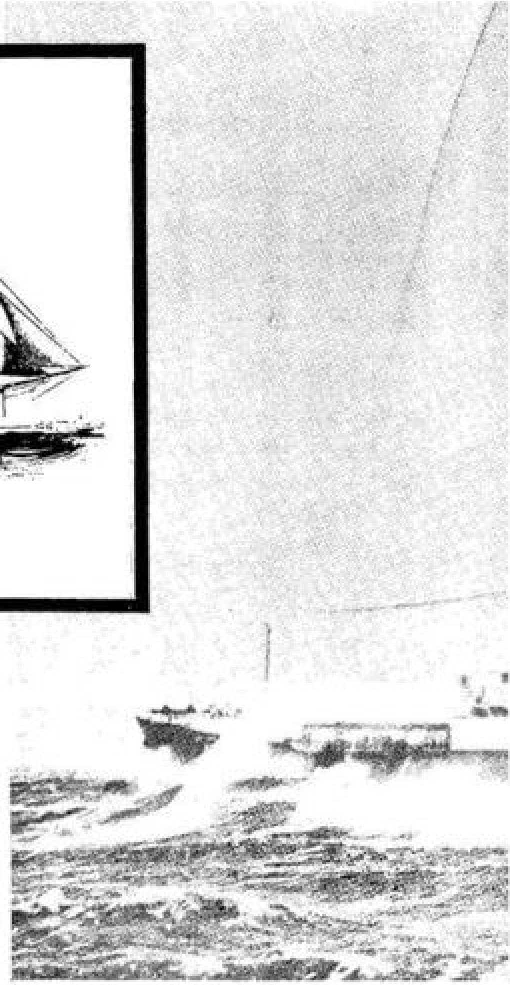
— اولا يجب ان اقول انك تسرعت فى الحكم ، فالطول الذى تذكرين انه طول ابنتك ، وهو ٥ اقدام و٨ بوصات ، ليس فيه شيء غير عادى مطلقا لفتاة حديثة فى سن التاسعة عشرة . فأغلب الظن أن هذا الطول سيتوقف قريبا اذا لم يكن قد توقف . ثم ان هذا الطول الذى تذكرينه لابنتك هو اكثر من طولك انت. وجرت العادة أن تكون الفتاة اطول من امها واقصر من ابيها . ولو ان هذا لا يحدث دائما . وابنتك دارجة وفق هذه العادة .

اما ان الطول غير مرغوب فى الفتيات، فاذكرى دائما ان بين الشبان الطوالَ ، وللقصيرات القصار . ■■

استطلاع الكويت



« اليزابيث واطس » أول ناقلة نفط عبرت المحيط من أمريكا الى انجلترا عام ١٨٦١



ثم بدات المنافسة ـ التى تعتمد على توفر الناقلات وخفض أجور الشحن ـ تشتد بين الشركات المنتجة للنفط ، وأحس المسئولون عن صناعة النفط فى الكويت بخطر هذه المنافسة الجديدة ، لا سيما وأن مراكز استهلاك نفط الكويت أو تسويقه تبعد كلها آلاف الكيلومترات عن مراكز انتاجه ، اذ أن ما يزيد عن ٦٠٪ من انتاج الكويت تستهلكه مصانع أوربا وانجلترا ، والباقى تستهلكه اليابان والهند واستراليا وامريكا .. لهذا كان لا بد من عمل شىء يحفظ لنفط الكويت قدرته على الصمود فى وجه المنافسة العالية .. واتجه الرأى الى ضرورة تخفيض تكاليف النقل عبر المسافات الطويلة ..

أكبر ٦ ناقلات فى العالم

وفى الشهر الثالث من هذا العام وقف رئيس مجلس ادارة شركة « الجلف » للبترول يعلن فى اجتماع الشركة السنوى فى مدينة بتسبرج :

« لقد قررنا بناء أكبر ست ناقلات للنفط فى العالم حمولة كل واحدة منها ٣٠٠ ألف طن ، أى ما يعادل مليونى برميل ، لتنقل نفط الكويت الى أسواق أوروبا وانجلترا .

« ان مشروعنا لبناء ناقلات عملاقة ، سيكون له تأثير كبير فى تخفيض تكاليف النقل .. ولكنه مشروع يحتاج الى مجهودات ضخمة ، فى مقدمتها تحسين موانىء النفط الموجودة حاليا حتى تستطيع استقبال هذه الناقلات الجبارة » .

ومضى رئيس مجلس الادارة يقول : « وقد اتفقنا مبدئيا على بناء ميناء جديد فى جزيرة ويدى بجنوب ارلندا ، لاستقبال الناقلات العملاقة ، التى ستفرغ حمولتها من نفط الكويت فيه . وبعدها يتم توزيع النفط الى أوروبا وانجلترا على ظهر ناقلات أصغر حجما ، حمولة الواحدة منها ٨٠ ألف طن » .

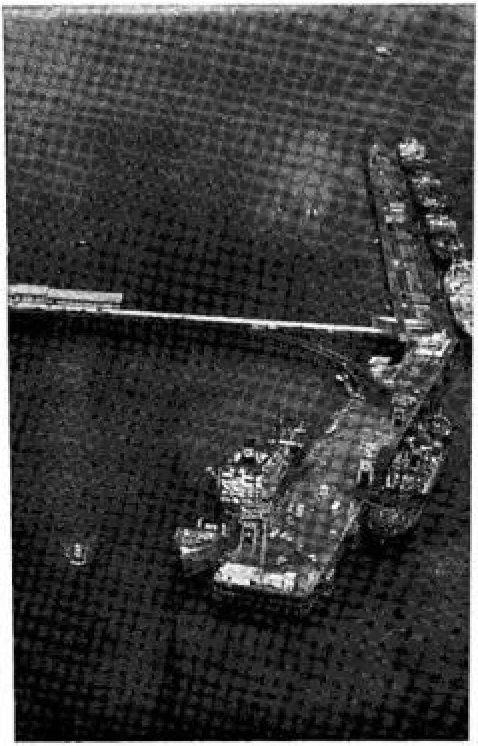
مطلوب ميناء ثالث !

وانتقل العمل بعد ذلك الى ميناء تصدير النفط فى الكويت ، وبدأ البحث عن افضل مكان لاستقبال هذه الناقلات العملاقة التى لا

يمكنها الرسو بجوار الرصيفين الموجودين حاليا في ميناء الاحمدي .

و « الاحمدي » هو أول ميناء شيدته الكويت لتصدير النفط في عام ١٩٤٩ ، واطلقت عليه اسم « الأحمدي » تيمنا باسم أمير البلاد الأسبق أحمد الجابر الصباح ، وهو رصيف هائل من الفولاذ زنته ٢٨ الف طن ، يمتد داخل البحر على هيئة حرف T لمسافة ٤٥٠٠ قدما ، تستطيع ثماني ناقلات أن ترسو عليه مرة واحدة ، وعمق الماء عنده لا يزيد عن ٤٩ قدما ..

ومع التطور الذي رافق ناقلات النفط ،وازدياد حمولتها ، اتضح في عام ١٩٥٦ أن هذا الرصيف الذي كان يعتبر اكبر رصيف من نوعه في العالم لتعبئة النفط ، لا يصلح لاستقبال ناقلات تزيد حمولتها عن ١٠٠ الف طن .. وفي الحال بدأت



الرصيف الجنوبي لميناء الاحمدي ، كان يعتبر أكبر رصيف من نوعه في العالم لانه كان يستطيع استقبال ناقلات حمولتها ١٠٠ الف طن !

الدراسات والابحاث لاقامة رصيف جديد ، تم بناؤه على بعد أربعة أميال شمال ميناء الاحمدي، وقد صمم خصيصا « لتعبئة أضخم الناقلات الموجودة حاليا والتي يتجه التفكير الى بنائها مستقبلا » .. هذا ما قالوه في عام ١٩٥٦ عندما لم يكن هناك أحد يتخيل ان في الامكان بناء ناقلة تزيد حمولتها عن ٢٠٠ الف طن . لهذا اكتفوا بعمق للمياه لا يتجاوز ٦٠ قدما .

ولكن لم تكد تمضي عشر سنوات على بناء هذا الرصيف الجديد ، حتى أعلن منذ شهور قليلة عن الشروع في بناء الناقلات العملاقة ــ حمولة ٣٠٠ الف طن ــ تلك التي يمتد غاطسها ٧٥ قدما تحت سطح الماء !

تصـــميم

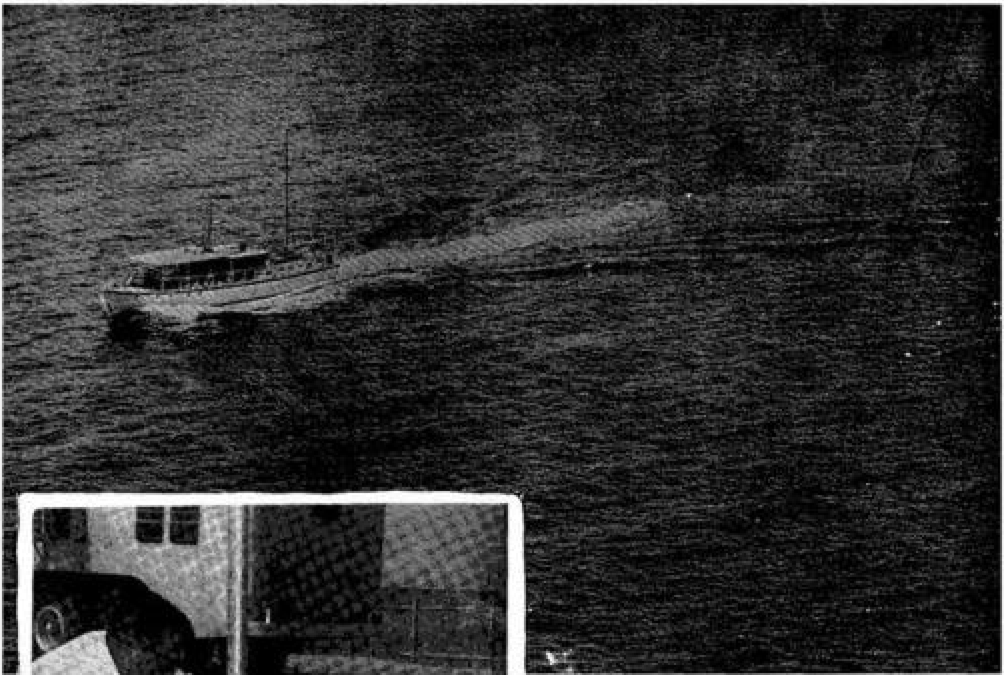
وتكررت القصة . ولكن مع اختلاف في الصورة. فالمطلوب الآن ايجاد مكان لميناء آخر يستطيع استقبال الناقلات الجديدة التي يوازي حجم الواحدة منها مرتين ونصف حجم سفينة الركاب الهائلة « كوين اليزابيث » .

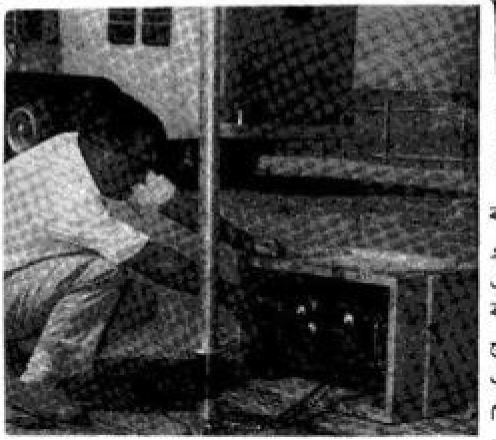
ولم يقتصر الأمر على الاستعداد لرسو هذه الناقلات فحسب ، بل تقرر أن يصمم الميناء الجديد ليستقبل ناقلات المستقبل التي ينتظر ان تصل حمولتها الى ٥٠٠ الف طن . ويصل عمق غاطسها الى نحو ٩٥ قدما .

وتقول شركة نفط الكويت: « اننا مصممون على الاحتفاظ بقدرة نفط الكويت على المنافسة ،ونعلم أن ذلك لن يتحقق الا عن طريق تخفيض تكاليف النقل ، وذلك باستعمال أضخم الناقلات العائمة».

عقبات ..

وقد اصطدم مشروع الميناء الجديد ببعض العقبات عند البدء في تنفيذه ، وتبذل الآن جهود جبارة للتغلب عليها ، وفي مقدمة هذه العقبات عدم توفر المياه العميقة بجوار شواطىء الكويت اذ اثبتت الخرائط الموجودة ان المياه ضحلة بجوار الشاطىء ، وانه لا بد من التوغل ١٢ ميلا على الاقل في قلب الخليج للوصول الى عمق ٩٥ قدما. ولكن حتى هذه المياه العميقة ، التي تمتد على هيئة قناة وسط الخليج ، لا تخلو من اخطار على الملاحة .. مثال ذلك صخرة « تايلر » التي تحمل اسم القبطان الذي اكتشفها ، وهذه





تجرى حاليا عملية مسح لقاع المياه العميقة المقابلة لميناء الاحمدى فى الكويت .. والهدف هو تحديد وتسجيل أماكن العوائق المختفية فى أعماق مياه الخليج ، والتى قد تتسبب فى اصابة الناقلات الضخمة بعطب .. وفى كل صباح يخرج اليخت « مراقب » الى عرض الماء ويبدأ فى ارسال موجات صوتية الى قاع الخليج،وفى حالة اصطدام هذه الموجات بصخور أو عوائق ترتد وتنعكس الى القارب لتلتقطها الآلات الحساسة الموجودة فيه وتسجلها .. وعلى الشاطىء أقيم جهازان للارشاد اللاسلكى يرسلان اشارات لاسلكية دائرية الى القارب ليستطيع بواسطتها تحديد مكانه بدقة

الصخرة تقع فى وسط المياه العميقة ، ولكنها تختفى أثناء المد لتعاود الظهور أثناء الجزر !

والى جانب الصخور توجد شعاب المرجان المختفية تحت مياه الخليج الزرقاء والخضراء فى منطقة ماديرة ، وهى شعاب تمتد لمسافة اربعة كيلومترات ، وتصنع حاجزا قويا وسط الخليج وشاهدنا عند اطرافها سفينة جانحة،لقد خدعها هدوء الماء فاندفعت نحو الشعاب ولم تستطع منها نجاة الا بعد ان وصلتها نجدات كبيرة ، وتم افراغ حمولتها وسط مياه الخليج العربى .

٧ مليون جنيه ثمن الناقلة

وتجرى حاليا عملية مسح قيعان الخليج وحركة المياه فيه Hydrog. phical Survey وذلك فى المنطقة العميقة الموازية لميناء الأحمدى ، والغرض من هذه العملية تحديد وتسجيل اماكن العوائق المختلفة المختفية تحت مياه الخليج ، والتى قد تتسبب فى اصابة الناقلات العملاقة بعطب ، وهذا امر لا يمكن المخاطرة به لان ثمن الناقلة الواحدة من هذا النوع سوف يصل الى سبعة ملايين جنيه استرلينى !

البحث عن الصخور والعوائق

ومع فجر كل يوم يخرج « مراقب » الى عرض مياه الخليج العربى الدافئة ، ويبدأ فى ارسال طائفتين من الموجات الصوتية الى قاع الخليج ،

طائفة تتجه عموديا من القارب الى القاع ، وطائفة تتجه بزاوية مائلة .. وتصطدم الموجات بالصخور والعوائق الموجودة فى قاع الخليج فترتد وتنعكس الى القارب لتلتقطها الآلات الحساسة الموجودة فيه وتسجلها . ثم يتحرك القارب الى موقع جديد ، ويظل يتنقل من موقع الى آخر ، كاشفا عن العوائق فى الاعماق ، لمسح منطقة مساحتها ١٣٥ ميلا مربعا من قاع الخليج .

جزيرة أم « مائدة »

وحالما تظهر النتائج النهائية لهذا المسح سيبدأ العمل فى اعداد الدراسات الهندسية لنوع الميناء الذى سيجرى انشاؤه .

غير ان فكرة مد رصيف بهذا الطول ــ ١٢ ميلا ــ أمر غير ميسور، لكثرة تكاليفه، واعاقته للملاحة... والاتجاه السائد هو بناء ميناء يكون اما على هيئة جزيرة صناعية ثابتة وسط مياه الخليج ، او على هيئة مائدة متحركة على مركز ثابت Mono Mooring تتحرك هى والسفينة المرتبطة بها مع هبوب الريح ..

ان تحديد نوع الميناء الجديد لن يتم الا بعد دراسة دقيقة لمدى قاع الخليج ، وهل هو : رملي ام صخرى .

١٥ الف طن فى الساعة !

وسوف يرتبط الميناء الجديد بالشاطىء بواسطة عشرة انابيب لضخ النفط ، يندفع فيها النفط الى الناقلات بمعدل هائل يقرب من ١٥ الف طن فى الساعة الواحدة ! اى نحو ضعف معدل التعبئة الحالى الذى يبلغ ٨ آلاف طن فى الساعة !

ولكن رغم هذا التبدل الهائل فى سرعة التعبئة فان الناقلة العملاقة سيلزمها ٢٠ ساعة ، لتاخذ حاجتها من النفط .

سر يابانى

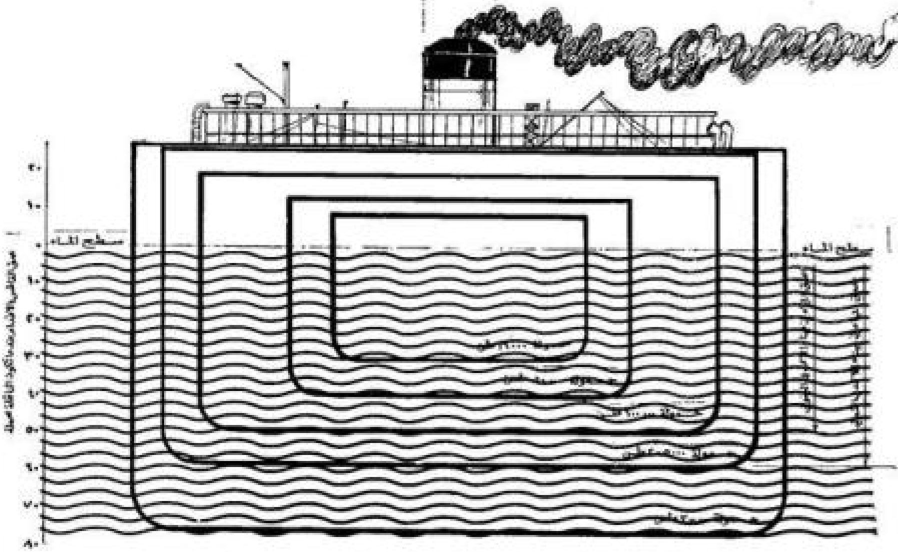
ان بناء الناقلات الضخمة لن يتم قبل مضى ثلاث سنوات بسبب الضغط الهائل على ترسانات بناء السفن فى اليابان ، التى اصبحت المركز العالمى الرئيسى لبناء الناقلات بفضل الاسلوب الجديد الذى تتبعه فى هذه الصناعة .. انها تبنى الناقلة على اجزاء صغيرة فى مختلف الاحواض ، ثم تجمع هذه الأجزاء المبعثرة لتضمها وتصنع منها الناقلة الواحدة .

اكبر الناقلات الحالية

وحتى يتم بناء هذه الناقلات الضخمة فان اكبر الناقلات العاملة حاليا فى بحار العالم هى



خريطة توضح المنطقة التي تجرى فيها عملية المسح المائى فى الخليج العربي أمام ميناء الاحمدى فى الكويت .. ويظهر عليها الموقع المقترح لانشاء الميناء الجديد لاستقبال الناقلات العملاقة والذى سيكون على بعد ١٢ ميلا من شاطىء الكويت .



يبين هذا الرسم مقدار طول غاطس الناقلات ، الذى يزداد بازدياد حمولة الناقلة فمثلا الناقلة حمولة ١٦ الف طن لا يتجاوز طول غاطسها ٣٠ قدما بينما يمتد غاطس ناقلة ٣٠٠ ألف طن الى ٧٥ قدما

« طوكيو مارو » وحمولتها ١٥٠ الف طن ، تليها « نيشيو مارو » وحمولتها ١٣٠ الف طن .. ومن المنتظر تدشين « ايدى ميتسو مارو » فى نهاية هذا العام ، وستكون حمولتها ٢٠٥ الف طن .. وهذه الناقلة ستصبح سيدة ناقلات النفط حتى تاريخ بناء الناقلات العملاقة حمولة ٣٠٠ الف طن.

والاتجاه السائد حاليا هو عدم بناء ناقلات تقل حمولتها عن ١٠٠ الف طن .

٦ ناقلات كبيرة تساوى ٦٥ ناقلة صغيرة

ان ناقلات النفط بالنسبة لأوروبا تعتبر كالشرايين التى تغذى جسم الانسان ، فهى التى تمد تلك القارة بحاجتها من النفط .. ومما يذكر ان ٣٤٨٢ ناقلة تمخر عباب بحار العالم حاليا ، أكبر مجموعة منها ترفع علم ليبريا وعددها ٥٢٥ ناقلة ، وتليها النرويج التى تملك ٤٤٣ ناقلة .

ولكن « العدد » لم يعد يعنى شيئا كبيرا ، بعد ان اصبحت حمولة هذه الناقلات تزداد حجما وسعة ، فمثلا الناقلات الست الضخمة المزمع بناؤها ستوازى حمولتها ما يقرب من حمولة الـ ٦٥ ناقلة التى تملكها السويد !

عملية اقتصادية

ولكن لماذا يبنون الناقلات بهذه السعة الكبيرة ؟

ان الجانب الاقتصادى يلعب دورا هاما فى كبر حجم الناقلة ، التى تقل تكاليف بنائها بالنسبة للطن الواحد ـ كلما كبر حجمها .

ولناخذ مثلا ناقلة حمولتها ٥٧ الف طن ، ان تكاليف بناء هذه الناقلة هو ٢٠٥٠٠٠٠٠ر جنيه استرلينى ، فى حين أن تكاليف بناء ناقلة حمولتها ١٨٠ الف طن لا تزيد على ٥٠٢٥٠٠٠٠ر جنيه استرلينى ، اى ان حمولة الناقلة قد تضاعفت اكثر من ثلاث مرات ، بينما لم تزد تكاليفها عن ضعفين ! ... وبمعنى آخر يمكن شراء ثلاث ناقلات بثمن ناقلتين !

كل هذا الىجانب الوفر الكبير فى اليد العاملة، فالناقلة حمولة ٤٧ الف طن يلزمها طاقم بحارة يتالف من ٧٠ شخصا ، بينما يمكن أن يهبط عدد البحارة الى ٣٢ بحارا فى الناقلات حمولة ١٨٠ الف طن ، نتيجة للتطور الآلى الكبير فى المعدات والآلات .. وتجرى حاليا أبحاث لانقاص هذا العدد الى ١٩ بحارا فقط !

كم عندنا من ناقلات ؟

والى جانب نقل النفط تلعب الناقلات دورا هاما فى نطاق « سياسة البترول » .. فالشىء الوحيد الذى يسبق الناقلات فى الاهمية هو النفط ذاته .. والذى يملك أسطولا من الناقلات

هو الذى يمكنه التأثير فى سياسة النفط وارقام انتاجه ..

واذا اتجهنا ناحية وطننا العربى لوجدنا ان انتاجنا من النفط يقرب من ٤٠٠ مليون طن سنويا .. وهذه الكمية يلزمها نحو ٨٠٠ ناقلة ، حمولة الواحدة منها ٥٧ الف طن ، لتستطيع نقل النفط العربى الى اماكن استهلاكه .. فكم يا ترى عند الدول العربية من مثل هذه الناقلات ؟

والجواب على هذا التساؤل لا يسر ، لان البلاد العربية التى تنام على اكبر احتياطى نفط فى العالم لا تملك الا ثلاث ناقلات تابعة لشركة مساهمة وطنية فى دولة الكويت !! هى شركة ناقلات النفط الكويتية .

انها ثلاث ناقلات تحمل أسماء بعض معالم الكويت : الأولى هى « كاظمة » وحمولتها ٤٧٠٠٠ طن ... والثانية والثالثة : وربة والصبية وحمولة كل منهما ٥٧ الف طن .. والى هذه الناقلات الثلاث ستنضم « مربة » و « القنطاس » الناقلتان الجديدتان اللتان تبلغ حمولة كل منهما ٢٠٠ الف طن ، اى ان حمولة ناقلة واحدة جديدة تزيد على حمولة الناقلات الثلاث الاولى !

ومنذ شهرين فقط سافر رئيس ومدير شركة ناقلات النفط الكويتية الى اليابان لتوقيع عقد بناء هاتين الناقلتين الجديدتين ، ومن المنتظر الانتهاء من بنائهما بين اواخر عام ١٩٦٨ واوائل عام ١٩٦٩

وبانضمامهما الى بقية الناقلات تزداد حمولة اسطول الناقلات الكويتي الى ٥٢١ الف طن ، وبذلك يتمكن من نقل نحو اربعة ملايين ونصف المليون طن من النفط الخام سنويا ..

ومما يذكر ان الجمهورية العربية المتحدة قد تعاقدت على بناء ثلاث ناقلات نفط جديدة مجموع حمولتها ٩٠ الف طن .

لماذا ٢٠٠ الف ؟

ان شركة ناقلات النفط الكويتية لم تحدد حمولة ناقلتيها الجديدتين ب ٢٠٠ الف طن لكل منهما ، الا بعد دراسة مستفيضة ، وخاصة لمشاريع المستقبل المتعلقة بقناة السويس ... لان عمق القنال يشكل عاملا هاما فى شئون النفط المار من الخليج الى اوروبا ... ومشكلة مرور الناقلات الكبيرة ليست مشكلة جديدة بالنسبة للقنال ، فمنذ وجود القنال وهذه المشكلة قائمة !

لقد حفرت قناة السويس عام ١٨٦٩ وكان عمقها ٢٦ قدما ، وظلت مشاريع التوسيع والتعميق تتوالى عليها ، حتى ارتفع طول غاطس السفن العابرة من ٣٥ قدما عام ١٩٥٦ الى ٣٨ قدما فى عام ١٩٦٤ ويجرى العمل حاليا لتعميق القناة حتى تستطيع السفن ذات الغاطس الممتد الى ٣٩ قدما أن تمر خلالها فى النصف الاول من عام ١٩٦٧ وكذلك السفن التى غاطسها ٤٠ قدما ستتمكن من المرور فى اواخر عام ١٩٦٨ .

ان تعميق القنال قدما واحدا جديدا يكلف اكثر من ١٥ مليون جنيه لان القنال يمتد لمسافة ١٧٢ كيلومترا ، بينما يزيد عرضه على ١٢٦ مترا ، ولكن بالرغم من هذه التكاليف الباهظة فقد بدات الدراسات لاعداد مشروع جديد يستغرق تنفيذه ٦ سنوات ويسمح بمرور ناقلات حمولة ١١٠ الف طن ، كاملة الحمولة ، كما يسمح بمرور الناقلات من حمولة ١٢٠ الف طن بشرط أن تكون محملة حمولة جزئية ، اما الناقلات حمولة ٢٠٠ الف طن فسيمكنها المرور وهى فارغة فقط !

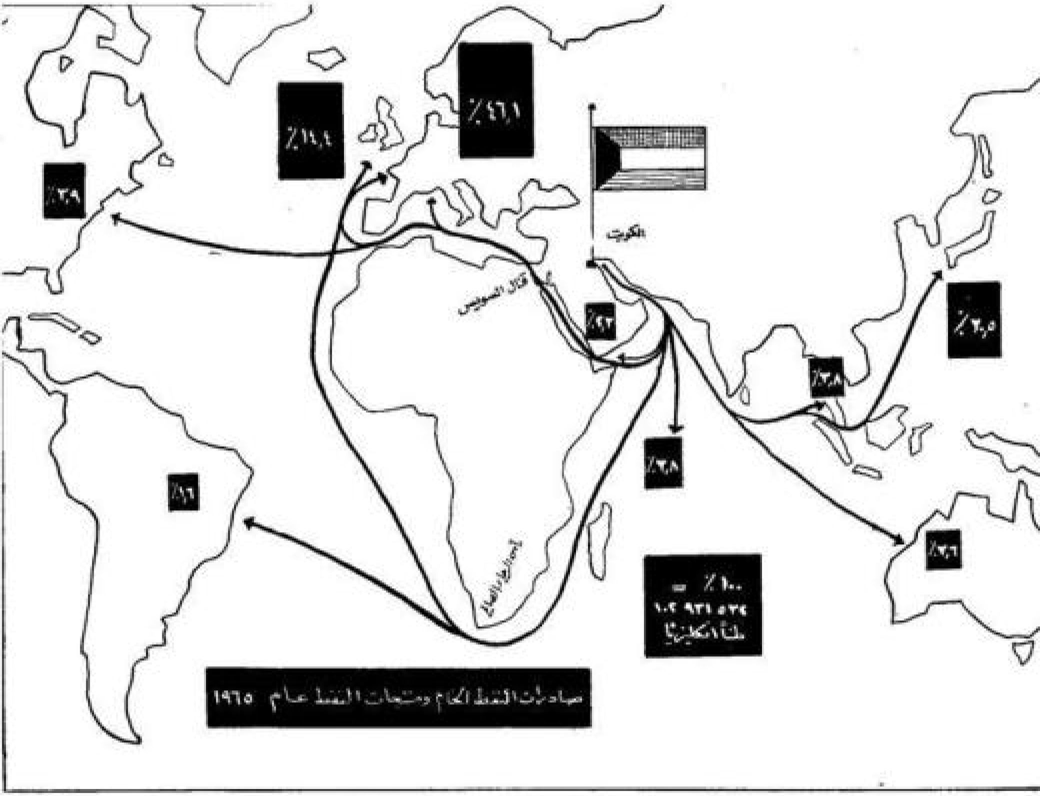
وبناء على هذا المشروع قررت شركة ناقلات النفط الكويتية ان تكون حمولة ناقلتيها الجديدتين مساوية لحجم اكبر ناقلة يمكنها المرور من القنال مستقبلا ، اي ٢٠٠ الف طن .

١٣ يوما اكثر

وستقوم الباخرتان الجديدتان الضخمتان برحلاتهما ، وهما محملتان بالنفط ، عن طريق راس الرجاء الصالح بجنوب افريقيا ، وعند عودتهما فارغتين ستمران من القنال .. اى ان كل واحدة

ناقلة نفط تسير فى مياه الخليج بعد أن أخذت حمولتها كاملة من نفط الكويت .. لاحظ الريم الابيض الذى تركته خلفها نتيجة احتكاك غاطسها بقاع الخليج الضحل ..





خريطة توضح وجهة صادرات النفط من الكويت ، باستثناء الكميات المصدرة من المنطقة المحايدة والتى يبلغ مجموعها ٩ ملايين طن . ان التطور فى بناء الناقلات الضخمة جعل البعض منها يضطر للمرور حول رأس الرجاء الصالح فى رحلة الذهاب وهو محمل بالنفط .. أما العودة فمن طريق قنال السويس وهو فارغ .. وكان عدد الناقلات التى مرت فارغة من قناة السويس ٦٤ ناقلة عام ١٩٦٣ وصلت الى ١٣١ سفينة فى عام ١٩٦٥ .

منهما ستقضي ١٢ يوما أكثر من المدة التي ستقضيها فيما لو كان الذهاب والاياب عن طريق قنال السويس .

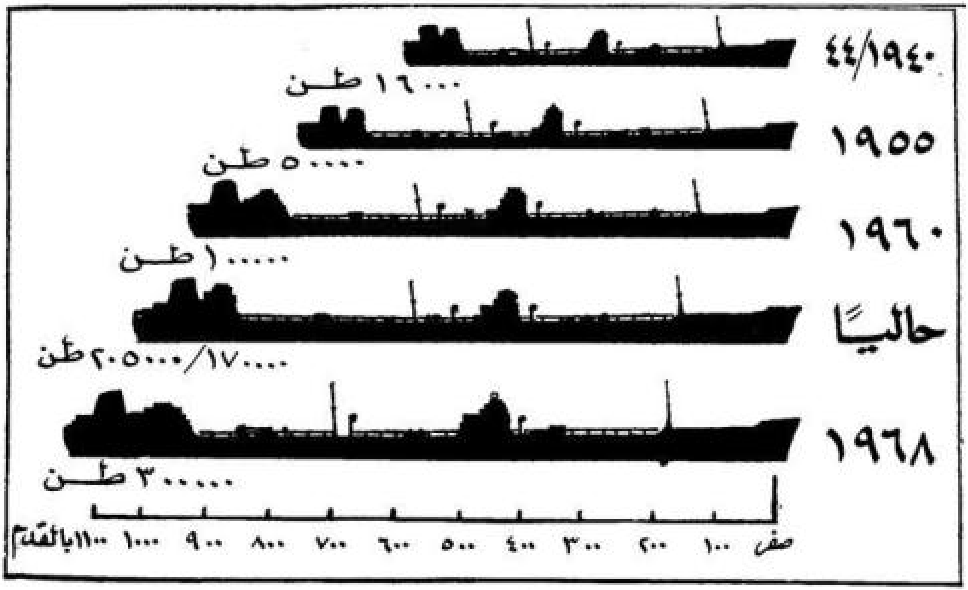
ومما يذكر ان الرحلة من الخليج الى انجلترا عبر قنال السويس تستغرق ١٧ يوما ، بينما تستغرق نفس الرحلة عن طريق راس الرجاء الصالح ٣٠ يوما .. لان المرور عبر القنال يوفر مسافات شاسعة ، فالطريق من الكويت الى لندن، عبر راس الرجاء الصالح ، يبلغ طوله ١١٦٣٦ ميلا بحريا أى ٢١٥٠٠ كيلومتر ، بينما المرور عبر القنال يختصر المسافة الى ٦٧٠٠ ميل بحرى أى ١٢٥٠٠ كيلومتر فقط .

٧٤٪ من الحمولة المارة بالقنال

وقد مرت في عام ١٩٦٥ من القنال ٢٫٢٨٩ سفينة حمولتها ٢٤٦٨١٧٠٠٠ طن ، كان منها ٩٦٦٣ ناقلة نفط حمولتها ١٨٣١٩٥٠٠٠ طن .. أى ان حمولة ناقلات النفط التى عبرت قناة السويس بلغت ٧٤٪ من مجموع حمولة السفن التى عبرت القنال عام ١٩٦٥ وتتقاضى ادارة القنال رسما قدره ٧ شلنات عن كل طن من النفط الخام الذى يمر خلالها ، أى نحو ٢٠ الف جنيه استرلينى عن الناقلة المحملة بسبعة وخمسين الف طن . وتستخدم هذه الحصيلة ، فيما تستخدم فيه ، فى تطوير القنال ليفى بحاجة العالم المتزايدة على الاعوام .

نقل النفط بالبراميل

اننا نسمع اليوم عن العمالقة والناقلات الجبارة



رسم بيانى يوضح تطور حمولة وطول ناقلات النفط منذ عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٦٨

التى تحمل الواحدة منها ما يوازى حمولة ٣٠ الف سيارة شحن ، فى حين ان أول ناقلة لم تحمل اكثر من ٢٢٤ طنا !

كان هذا فى عام ١٨٦١ . ففى هذا العام ارتفع على السفينة الشراعية « اليزابيث واطس Elizabeth Watts » الراسية عند شواطىء فيلادلفيا بامريكا ، علم أحمر مع لافتة كتب عليها : « خطر .. ممنوع الاقتراب .. السفينة تعبأ بمادة خطرة سريعة الاشتعال» كان العمال يدحرجون بكل رفق عددا من البراميل التى تحوى هذه المادة القابلة للاشتعال حتى امتلات السفينة بما زنته ٢٢٤ طنا منها !

كان كل شىء معدا للاقلاع ما عدا بحارة السفينة الذين هربوا تاركين القبطان وحده خوفا من اشتعال النار فى السفينة وانفجار شحنتها !

وازاء هذا الموقف اضطر القبطان الى اتباع أسلوب غريب لحملهم على العودة لعملهم ، فاتجه الى الحانة التى يترددون عليها وقدم لهم الخمر بوفرة فشربوها حتى الثمالة ، ثم قادهم دون ان يشعروا الى السفينة ، وعندما صحوا فى اليوم التالي كانت السفينة تمخر عباب المحيط الاطلسى باقصى سرعتها فى طريقها الى انجلترا ، فوصلتها بعد ٤٥ يوما . فكانت بهذا اول سفينة تنقل النفط عبر البحار ، من أمريكا الى انجلترا .

ملكة سفن الشحن

ومضت الأعوام ... وتحولت براميل النفط الى خزانات حديدية سعة الواحد منها ١٢ طنا .. وهذه بدورها تحولت الى خزان هائل يمتد بطول السفينة ، ويشغل هيكلها كله .. وأصبح البحارة يتهافتون على العمل فوق الناقلات بعد أن زودت بجميع وسائل الراحة والتسلية .

لقد اقاموا هذه التسهيلات للبحارة وقالوا لهم: « ان ناقلة النفط هي ملكة سفن الشحن » حتى لا يشعروا بالملل اثناء الرحلة الطويلة التى لا يرون فيها الا الماء ... تشقه ناقلتهم وهى منطلقة دون توقف من ميناء التصدير الى ميناء الاستقبال والسماء من فوقها تمطر أحيانا وتلسعها بلهيب شمسها أحيانا أخرى ..

كل شىء يعمل آليا

أما التعب والارهاق فلا يشعر بهما البحارة الا وهم على ظهر الناقلات الصغيرة ، التى تنقل النفط الى المدن والقرى الساحلية ، انها ناقلات لا يزيد طولها عن ٦٠ مترا ، واقصى حمولة لها ٢٠٠٠ طن فقط ..

اما الراحة الحقيقية فيشعر بها البحار على ظهر الناقلات الضخمة الحديثة التى يصل طولها الى ٣٤٢ مترا وحمولتها ٢٠٥ الف طن ، حيث لا

يحتـــاج شحن الناقلة وتفريغها الى اى مجهود جسمانى ، فكل شىء يعمل اليا ، ولا تتعدى مهمة البحارة مجرد مراقبة الأجهزة والآلات ..

نصف مليون طن

وبعد .. ان المشتغلين بصناعة البترول ما كادوا يفيقون من مفاجأة خبر بناء الناقلات الجبارة التى تبلغ حمولة كل منها ٣٠٠ الف طن ، حتى اعلنت شركة هيتاشى اليابانية انها ستبنى لشركة نقل يونانية ، ناقلة نفط ضخمة حمولتها ٤٠٠ الف طن .. وفى نفس الوقت اعلنت أحواض بناء السفن فى اليابان انه فى الامكان ، من الناحية الفنيـة ، بناء ناقلات حمولة نصف مليون طن !

ولا شك ان بناء هذه الناقلات العملاقة سيكون له تأثير كبير على اقتصاديات البلاد العربية عـلى المدى البعيد ... ولكن الذى لا شك فيه أيضا ان الناقلات ذات الحمولة المتوسطة التى تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ الف طن ، ستظل هى سيدة الموقف لسنوات طويلة ، حتى يظهر مدى صلاح الناقلات العملاقة من الناحيتين : الاقتصادية والفنية .. لأن أغلب موانىء النفط فى العالم ، ان لم يـكن كلها ، لا يستطيع استقبال مثل هذه الناقلات ذات الغاطس العميق في مياهها .. فضلا عن ان اصلاحها لا يمكن ان يتم الا في احواض ميناء او مينائين في العالم كله .

ولا يدرى احد ما يخبئه المستقبل .. لكـن الشىء المؤكد هو ان حضارة هذا العالم سـوف تظل تعتمد لاعوام طويلة مقبلة على النفط ، الذى يتضاعف حجم استهلاكه مرة كل عشر سـنوات .. والذى ستظل تحمله الناقلات عبر البحار فى رحلاتها الطويلة المملة لتخلق حياة جديدة .. حياة حركة وعمل في كل بلد ترسو فيه . ■■

سليم زبال



بدأ نقل النفط بالبراميل فى عـام ١٨٦١ وانتهـى بالسفن الجبارة العالمـة فى خلال قرن من الزمان .



الحرب الفيتنامية تنذر بحرب آسيوية شاملة

عن صحيفة المانشستر جارديان البريطانية :

● « لعل الصين والولايات المتحدة مقبلتان على اشعال نار الحرب فيما بينهما . بل لعل هذه الحرب واقعة لا محالة فى غضون السنة المقبلة . هذا بالاقل هو اعتقاد زعماء الصين الراسخ او بالحرى الاعتقاد الذى ينسبه الى اولئك الزعماء المختصون الخبراء فى شئون الصين من رجال حكومتنا . هذا بالاضافة الى ان عددا من كبار موظفينا يتوقعون مثل هذه الحرب ان عاجلا او آجلا » .

هذا ما قاله المستر فولبرايت عضو مجلس الشيوخ الامريكي ورئيس لجنة الشئون الخارجية فيه ، فى جلسة عقدها المجلس قبل حين للمناقشة فى مزيد من مخصصات المساعدة الخارجية ، يبلغ ٤١٥ مليون دولار ، ويرصد للحرب الفيتنامية على وجه التخصيص . واعرب المستر فولبرايت عن امتعاضه العميق لكون الحرب الفيتنامية ، وهي التي تنذر بان تصبح حربا كبيرة تشمل القارة الآسيوية باسرها ، قد بدات واندلع لهيبها فى الوقت الذى باشرت فيه اعمالها البعثة الصغيرة التي اوفدتها حكومة واشنطون الى سايغون قبل سنين بقصد تقديم بعض المساعدات والمعونات لحكومتها . واقترح على مجلس الشيوخ عدم الموافقة على مشاريع المخصصات المالية المتصلة ببرنامج المساعدات الخارجية بصورة عامة ما لم يتنص فى تلك المشاريع بالذات على عدم اضطرار حكومة الولايات المتحدة والتزامها بارسال قواتها الى البلدان التى تتلقى تلك المساعدات بقصد الدفاع عنها .

النازيـــة فى المانيـــا

عن صحيفة اتابهان جيجي الالمانية (دوسلدورف) :

● فى المانيا الغربية حزب نازى جديد ، يعرف بالحزب الديمقراطى الوطنى ، ولا يختلف فى اهدافه وشعاراته عن حزب هتلر القديم . ولئن لم يفز هذا الحزب باكثر من ٣٫٩٪ من الاصوات فى الانتخابات البرلمانية التى جرت فى مدينة هامبورغ قبل حين ، الا ان هذه النسبة تسجل زيادة ملحوظة بالمقارنة مع ما كان يفوز به ذلك الحزب من اصوات قبل حين .

فضلا عن ذلك فان الحزب المذكور يبدى من مظاهر النشاط ما لو اضيف الى النسبة التى ذكرنا لكان باعثا كافيا على قلق العالم الديمقراطى ومخاوفه ومبررا قويا لتفكير الدول الديمقراطية جديا فى الاسباب الكفيلة بكبح جماحه وهو فى مهده .

البرلمانات وحاجتها الى الاصلاح

عن مجلة الايكونومست البريطانية :

● ثمة أسباب عديدة للانحطاط الذي اعترى وما زال يعتري البرلمانات النيابية. ولم يَجِدْ من أثر تلك الأسباب اللجانُ الخاصةَ التي درجت السلطات التشريعية على اقامتها والافادة منها في الآونة الأخيرة .

فالقرارات التي كانت تتخذها البرلمانات منذ حين لم تكن كلها تشريعية . فقد وجد بينها من القرارات السياسية عدد كبير . ولعل وفرة هذه القرارات الأخيرة من جهة ، وطبيعتها المعقدة من جهة أخرى ، والحرص البالغ على الحيلولة بين ممثلي الأمة وبين التخصص الذي قد يحد من الشمول والاحاطة وقد تقتضيهما طبيعة مناصبهم ، هذا فضلا عن ضيق وقت اعضاء البرلمان وانشغالهم بأمور ونشاطات تتصل بأحزابهم او دوائرهم الانتخابية، لعل في هذه العوامل كلها ما يفسر تخلف اعضاء البرلمانات عن زملائهم الوزراء، وهم المختصون والخبراء ولعل في تلك الاعتبارات ما يحول دون ارتفاعهم الى مستوى ما يتخذون على صعيد الشؤون السياسية والتنفيذية من قرارات .

والاهم من ذلك كله هو ان تقيد اعضاء البرلمانات بالسياسة التي تنتهجها احزابهم قد انتقص كثيرا من قيمة آرائهم حتى ولو كانوا من خيرة الناس كفاية واطلاعا . ولا يتضمن هذا الكلام دعوة الى خروج اعضاء البرلمانات على سياسة احزابهم . وليس فيه الا تأكيد لما لاحظه المراقبون من ان أقوى البرلمانات في العالم كانت تلك التي لم يتقيد اعضاؤها كثيرا بسياسة احزابهم . فحيث يغلب هذا التقيد ، يغلب ايضا انطلاق الحكومات او الوزارات في اسكات من ينتقدها من اعضاء البرلمان وفي الامساك عن تقديم ما قد يطلبه البرلمان منها من معلومات .

مصلحة للارصاد أم للسيطرة الجوية

عن صحيفة شيكاجو الاخبارية اليومية الامريكية :

● تشير التقارير العلمية الأخيرة الى أن سيطرة الانسان على احوال الطقس والمناخ قد باتت وشيكة ولم تعد ضربا من ضروب الخيال. وتتكهن هذه التقارير بأن الانسان سيصبح قادرا ، عما قريب، لا على تفادي الطقس الرديء الضار فحسب ، وانما على استبداله بالطقس الملائم المرغوب فيه .

على أن هذه السيطرة على الطقس ليست مسألة علمية صرفة ، تقف عند حدود العلم فلا تتعداها . فهي بالاضافة الى ذلك مسألة ذات اثر وخطورة على الصعيدين السياسي والعسكري بل على الصعيد الخلقي . وهي لا تختلف كثيرا في ذلك عن مسألة تفجير الذرة . فاذا ما فوجيء العالم على حين غرة بسيطرة الانسان على الطقس ، كما فوجيء فعلا بقدرته على التدمير والافناء بالأسلحة الذرية قبل نحو عشرين سنة ، كانت العاقبة وخيمة في المستقبل على نحو ما كانت في الماضي .

لذلك كان على المسؤولين والمعنيين بشئون العالم ان يبدأوا فورا في احداث الأجهزة السياسية وتطوير الهيئات القانونية التي تستطيع مباشرة الاشراف الفعال على كل ما له صلة بالتحكم بالطقس والسيطرة على عوامل الجو ، وقد بات هذا وذاك قاب قوسين او ادنى.



الطفل الوحيد

مشكلة لها وجهان مُشْرِق وغير مُشْرِق



■ ما هو الفارق بين الطفل الوحيد وبين الطفل الذى يعيش وسط أسرة كبيرة من أشقائه وشقيقاته ؟

ان علماء النفس يجمعون على أن الطفل الوحيد « مشكلة » ! وفى هذا المقال يتحدث الدكتور وينيكوت D. W. Winnicott أستاذ علم النفس ، ورئيس جمعية علماء النفس فى بريطانيا ، عن مشاكل الطفل الوحيد .

يقول الدكتور وينيكوت انه عندما ينظر حوله ويرى أسرة سعيدة ويرى بها أطفالا كثيرين، يدرك على الفور انه لا بد وأن يكون هناك سبب قوى يدفع بعض الأزواج الى الاكتفاء بطفل واحد .

الدافع الى انجاب طفل واحد

ويعتقد الدكتور وينيكوت ان السبب الرئيسى الذى نسمعه عندما نرى طفلا وحيدا فى احدى الأسر هو: «ان ميزانيتنا لا تحتمل أكثر من طفل واحد» .

والذى لا شك فيه ان الاطفال يكلفون كثيرا ، وليس من الحكمة فى شىء أن ننصح الآباء بتجاهل الدوافع الداخلية التى تتصل اتصالا مباشرا بحالتهم المالية . فاذا شاء الناس أن يتحدثوا بلغة المال فى تبرير اكتفائهم بطفل واحد ، فهم على حق ، ولو ان الدكتور وينيكوت يرى ان هناك دافعا آخر يجعل الآباء يترددون فى انجاب عدد كبير من الاطفال ، هو خوفهم من أن يفقدوا كثيرا من حريتهم الشخصية .

مزايا ومساوىء

ويمضى العالم النفسانى الكبير فى بحثه فيقول : « ونعود الآن الى الطفل الوحيد .. ان هناك حقيقة لا يختلف عليها اثنان ، وهى تلك المزايا التى يتمتع بها الطفل الوحيد فى الأسرة ، وفى مقدمتها تركيز كل حب الوالدين واهتمامهما بهذا الطفل الذى لا يشعر بان أحدا سواه يشاركه فيهما،

فينشأ نشأة غير معقدة فى طفولته ، ويستطيع ابواه أن يهيئا لهالجو الذى يشعر فيه بالاستقرار والطمأنينة ، وهو شعور يحتاج اليه الطفل فى حياته العملية عندما يكبر ويعتمد على نفسه .

كما ان هناك مزايا أخرى كثيرة يتمتع بها الطفل الوحيد ، ومن بينها العناية الفائقة التى يلقاها فى أكله وشربه ولبسه وتعليمه ! ولو ان هذا كله قد يؤثر فى شخصيته وتصرفاته بطريقة اخرى مع مضى الوقت . وسنعود الى ذلك فيما بعد .

اما المساوىء التى تترتب على بقاء الطفل وحيدا ، فمن بينها افتقاره الى رفقاء فى اللعب ، والى الخبرة الغزيرة التى يمكن أن يكتسبها عن طريق علاقاته باشقائه وشقيقاته الذين يكبرونه او يصغرونه على السواء .

فهناك الكثير من التجارب فى لهو الأطفال ولعبهم. وهى اشياء لا يستطيع الكبار أن يروها أو يشعروا بها ، وحتى لو فهموها ، فهم غالبا ما يجدون انفسهم غير قادرين على الاندماج فيها بكليتهم ، او بطريقة ترضى هؤلاء الصغار وتجعلهم يشعرون بانهم مثلهم !

فاذا لعب الكبار مع الأطفال ، شعر الطفل الوحيد بانه يفتقد المتعة التى يشعر بها غيره من الأطفال وهم يلعبون بعضا مع بعض . وهى متعة تنبع من تصرفاتهم التى تتسم بعدم الشعور بالمسئولية وعدم المطابقة لما يمليه عقل الكبار ، وأخيرا بالحركة والنشاط والاندفاع بلا تفكير فيما سيترتب على تصرفاتهم من نتائج .

طفل كبير

لذلك نجد ان الطفل الوحيد يكبر وينضج قبل الأوان ، فيفضل ان يجلس ليستمع الى حديث الكبار ، أو يساعد امه فى اعمال البيت ، ان كان الطفل انثى ، او يقلد والده بان يقضى وقته مع الادوات التى يحتفظ بها الأب فى بيته ، اذا كان صاحب حرفة معينة !

ويشعر الطفل بمرور الوقت وخاصة عندما يشاهد أطفالا يلعبون معا ، ان هذا اللعب سخف، بينما نرى الأطفال الذين يلعبون معا يتمتعون بقدرة عجيبة على الابتكار فى العابهم،وهم يستمرون فيها لفترات طويلة دون أن يشعروا بالتعب أو الملل.

تجربة تعطى الطفل معنى الحياة

ثم ان هناك التجربة التى لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للطفل ، عندما يرقب قدوم ضيف جديد الى اسرته .. عندما تعود الأم الى البيت قادمة من المستشفى وهى تحمل مولودا جديدا ، سواء أكان ذكرا ام انثى .

فهناك شيء اساسى لا غنى للطفل عنه ، وهو مراقبة التغييرات التى تطرأ على الأم اثناء الحمل. فالطفل الوحيد لن يرى مثلا بطن امه وهو يكبر تدريجيا ، وتكبر معه المتاعب التى يشعر بها كلما اراد أن يجلس على ركبتى امه كما تعود أن يفعل دائما . وكيف انتهت هذه المتاعب بوصول الطفل الجديد وعودة امه الى حالتها الطبيعية . فقد كان الطفل الصغير دائما فى حيرة من أمر مجيئه الى هذه الدنيا ، وكان يتساءل ، وكانت امه تروى له كيف جاء بصورة مبسطة يمكن أن يستوعبها عقله الصغير . ولكنه عندما راى التجربة امام عينيه فارقه الشعور بالحيرة وأحس بارتياح نفسى .

ولا شك ان كل طفل حرم من مراقبة هذه التجربة التى تمر بها الأم اثناء فترة الحمل وما بعدها ، وكل طفل حرم من رؤية امه وهى ترضع صغيرها الجديد من ثدييها ، او وهى تعتنى به وتغسل جسمه لتضعه فى ملابس نظيفة جديدة .. مثل هذا الطفل المحروم اقل فهما لمعنى الحياة من الطفل الذى عاش هذه التجربة .. ومن هنا كان ولع الاطفال البنات بالعرائس التى يلعبون بها ، فهم يحملونها ويدللونها كما لو كانت اطفالهم !

بين الطفل السابق والطفل اللاحق

ولكن هل يحب الطفل شقيقه منذ اللحظة الاولى التى تقع عليه فيها عيناه ؟ والجواب « لا » بطبيعة الحال .. فهو يكرهه فى بادىء الأمر ، وهذا شعور طبيعى لأنه يحس ان هذا الزائر الجديد ينافسه فى حب والديه ، ويهدد العلاقة الطبيعية الآمنة التى كانت قائمة بينه وبينهما . واول تعليق يخرج من شفتى الطفل عندما يرى امه عائدة الى البيت من المستشفى وهى تحمل مولودها الجديد هو : « ان وجهه احمر مثل ثمرة الطماطم ! » وهذا الكلام يجب الا يزعج الوالدين لانه تعبير مهذب عن كراهية طبيعية !

كراهية وحب

ولكن هذه الكراهية لا تلبث أن تتطور الى حب ، كلما كبر المولود الصغير وبدأ يتحول الى رفيق لشقيقه يلعب معه ، ويضحك لحركاته ،

ويبكي اذا أصابه منه سوء. وهذا التطور فى شعور الطفل نحو شقيقه، وتحول الكراهية التى قد تدفع الطفل فى بعض الأحيان الى الرغبة فىالتخلص من منافسه الجديد بوضعه فى « صندوقالقمامة » مثلا ! .. تحول هذه الكراهية الى حب وصداقة وشعور بالفخر بعد أن أصبحله شقيق او شقيقة. هذا فى حد ذاته تجربة حيوية بالنسبة له. فالمشكلة التى تواجه الأطفال دائما هى حرمانهم من حقهم المشروع فى الاعراب عن كراهيتهم واظهار الجانب العدائي من طبيعتهم . وكل طفل يحرم من هذا الحق الذى يتمتع به غيره من الأطفال يعانى نقصا فى تكوين شخصيته .

والأطفال الذين يلعبون ويكبرون معا تتاح لهم فرصة التخلى عن شعورهم العدائي تجاه الآخرين، وهو شعور لا يولد الا عن طريق الاحساس بالندم عندما يحس الطفل انه تسبب فى الحاق الأذى بالآخرين.

ميزة أخرى : تحضير الأطفال لدورهم فى المجتمع

والأسرة التى تضم عددا كبيرا من الأطفال تتمتع بميزة اخرى ، ففى مثل هذه الأسرة نجد ان الفرصة سانحة لجميع اطفالها من اولاد وبنات ، لأن يقوموا بجميع الأدوار المختلفة فى هذا المجتمع الصغير ، بعض تجاه بعض ، وهذا من شأنه ان يُعدّهم للحياة فى المجتمع الكبير فيما بعد . بينما الطفل الوحيد ، وخاصة اذا لم يكن له اولاد عمومة ، يجد صعوبة فى التعرف بالأولاد والبنات الذين فى مثل سنه ، وصعوبة اكبر فى عقد علاقات صداقة طارئة معهم ، وذلك لأنه يركز كل تفكيره واهتمامه باقامة علاقات مستقرة كالتى اعتاد عليها مع والديه فى البيت ، مما يجعله يخشى الصداقات التى تظهر فجأة فى حياته ، ويحاول دائما أن يبتعد عنها .

اما الطفل الذى يعيش وسط عدد من اشقائه وشقيقاته ، فتجده قد اعتاد مثل هذه الصداقات التى تتم عن طريق مقابلة اصدقاء وصديقات اخوته فى البيت ، مما يساعده على اكتساب خبرة فى علاقاته بالجنس الآخر عندما يصل الى مرحلة الشباب.

حب الوالدين المفرط يذهب بحرية الولد الوحيد

وثمة حقيقة اخرى ، وهى ان الوالدين اللذين لم ينجبا سوى طفل واحد ، يستطيعان كما قدمنا أن يقدما الشيء الكثير من الحب والحنان والرعاية لهذا الطفل ، وهما يبذلان كل جهد فى سبيل ذلك ، فاذا غاب عنهما وحيدهما لحظة واحدة شعرا بوحدة قاتلة وقلق وانزعاج شديدين .

ثم تكون التجربة الكبرى عندما تنشب الحرب، ويقدم الابن نفسه للدفاع عن وطنه ، فلا شك ان الوالدين يكونان فى حاجة الى شجاعة منقطعة النظير ، اذا سمحا لابنهما الوحيد بالذهاب الى ميدان القتال ليحارب دفاعا عن بلده . هذا بينما نجد الابن ينظر الى هذا العمل بوصفه انبل واعظم عمل قام به فى حياته .

فالأولاد والبنات على السواء فى حاجة الى الحرية التى تكفل لهم القيام بمغامرات حتى لو كان فيها تعرض حياتهم للخطر ، ويستبد بهم الغضب عندما يشعرون انهم محرومون من هذه الحرية ، وهذا هو الفارق بين الطفل الوحيد والطفل الذى يعيش بين عدد من الاخوة والاخوات.

فالأول تعلم فى طفولته ان اى ضرر يصيبه سوف يسبب الما لوالديه ما بعده ألم . فكثيرا ما شاهدهما يسهران بجواره الليالى الطويلة اذا مرض ، وكثيرا ما رأى نظرات القلق واللوعة فى عيونهما اذا تأخر عن موعد عودته من المدرسة !

الطفل الوحيد ، يكبر ، فلا ينجب الا طفلا وحيدا

فالواقع ان الطفل الوحيد يشفق على والديه ويحرص على شعورهما ويبذل قصارى جهده حتى يجنبهما اى ألم او قلق ، فيحرص بدوره على نفسه خوفا من ان يتعرض لأذى يسبب لهما حزنا وشقاء ! ويكبر الطفل وتستمر رعايته لوالديه حتى بعد أن يتزوج ! وكثيرا ما يحدث له ما سبق ان حدث لوالديه ، فقد يقرر هو ايضا ان ينجب طفلا واحدا ، لا لأن تجربته هو قد أثرت فى نفسه الى هذا الحد الذى دفعه الى تكرارها مع نفسه، ولكن لأنه يشعر بالتزام أدبى ومادى قوى نحو هذين الوالدين اللذين يعتبر نفسه المسئول الوحيد عنهما طوال ايام حياتهما ، ولذلك فهو يريد ان يقلل مسئولياته تجاه الآخرين بقدر الامكان ، فيكتفى هو الآخر بطفل أو « عبء » واحد !

ولكن كثيرا ما يحدث ايضا أن يصبح هذا الطفل الوحيد ، بعد ان يكبر ويتزوج ، ابا لأكبر عدد ممكن من الأطفال ، لسبب واحد ، هو انه لا يريد لتجربته هو أن تتكرر !! . ■■

فكرة الالتزام في الفن

بقلم : الدكتور عز الدين اسماعيل
كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

■ فكرة الالتزام فى الفن فكرة حديثة،هى وليدة عصرنا ، ولم يعرفها النظر النقدى فى العصور الماضية . والمصطلح نفسه ـ اعنى الالتزام ـ مصطلح جديد فى ميدان الفن ، لم يستخدمه الاقدمون ولم يعرفوه . والواقع ان مفهوم الالتزام قد ارتبط الى حد بعيد بمفهوم الادب نفسه ، ومدى علاقته بالحياة ، وبالدور الذى يقوم به الأدب فى توجيه هذه الحياة . .

المعيار الجديد : قيمة الادب مقدار نقده للحياة

والحديث عن العلاقة بين الادب والحياة شىء لم يعرفه النقد القديم ، أو هو لم يعرفه فى صورة نظرية مبلورة . وربما كانت اول عبارة فى تاريخ النظر النقدى قد احكمت الربط بين الادب والحياة هى العبارة المأثورة عن الناقد والشاعر الانجليزى المشهور كولردج ، التى يقرر فيها أن الادب نقد للحياة . فاذا قلنا ان الرومنتيكيين قد احدثوا تحولا خطيرا فى ميدان الادب فان ذلك يرجع الى ادخالهم هذا المعيار الجديد الذى يجعل روعة الادب وقيمته رهنا بمدى ما يتحقق فيه من نقد للحياة . فالنقد يقتضى اولا الفهم ، ومن ثم صار الاديب مطالبا بأن يتفهم الحياة قبل ان يكتب ما يكتب . وهو لن يستطيع تفهمها الا من خلال تجربته فيها ومعاناته الصميمة لها ، وانخراطه فى هذه التجربة وهذه المعاناة الى ابعد مدى ، حتى يدرك دقائق الحياة وتفصيلاتها ، وحتى يقف فيها على العناصر الجوهرية الكامنة فى اغوارها ، والمسببة لوجودها . ومن شأن الاديب بعد ذلك ان يكشف كل هذه الخبرات وينقلها الى الآخرين . ومن ثم تتحور القيمة الى نوع من الخبرة بالحياة ، فاذا العمل الفنى القيم هو ذلك الذى ينم عن خبرة صاحبه ، والذى يضيف الى خبراتنا القديمة مزيدا من الخبرة .

هذا المفهوم اذن يمثل نقطة تحول خطير فى تاريخ النظر النقدى وفلسفة الفن بصفة عامة ، لأنه خرج فى الواقع على المعيارين التقليديين لتقدير قيمة الفن ، اللذين سيطرا ، متلازمين ، او بالتبادل ، على ميدان الأدب منذ عصوره

والأدب

الأولى حتى العصر الرومنتيكي ، وهما المعيار الأخلاقي والمعيار الجمالي الصرف.

فكرة الالتزام جاءت نتيجة لاحتكاك الأديب بمشكلات الحياة

لقد نشأت فكرة الالتزام اذن في العصور الحديثة نتيجة لاحتكاك الأديب بمشكلات الحياة التي يعيشها وادراكه لخطورة الدور الذي يقوم به ازاء هذه المشكلات. ومن ثم تحدد مفهوم الأدب منذ وقت مبكر في العصر الحديث بأنه «نقد للحياة» او « تفسير لها » ، وكان ذلك معناه ضرورة احتكاك الأديب بمشكلات عصره وقضاياه ، حتى يتمكن من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس الى ما هي رازحة فيه ، وتوعيتها بواقعها ومصيرها . .

ارتباط الأديب بمشكلات عصره ارتباط قديم

وارتباط الأديب بقضايا عصره على اختلاف أنواعها ، وبمشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه ـ مهما يكن لها من طابع محلي ـ ليس شيئا غريبا على طبيعة الأديب ، فنحن نفترض في الأديب المعاصر حصيلة وافرة من الثقافة والخبرة ، فضلا عن حس مرهف وادراك سليم للامور ودقة في ملاحظة الحياة في تطورها الظاهري والباطني . وهذه الميزات لا يمكن ان تسمح للأديب ان يعيش في عزلة عن قضايا مجتمعه ومشكلاته ، بل الأحرى انها تشده اليها شدا . فالأديب الحق ـ في رأيي ـ لا يمكن أن يعيش بضميرين ، ضمير مع نفسه وضمير مع الناس ، وانما يواجه الأديب الحق نفسه ومجتمعه بضمير واحد ، لانه يحس أن مشكلاته لا تنفصل عن مشكلات الناس ، بل ربما كانت مشكلات الناس بالنسبة اليه هي محور مشكلاته . .

وليس معنى هذا أن الأديب المعاصر ملتزم بالضرورة ، والا لما كان هناك مبرر للحديث عن الالتزام وما يثار حوله من مناقشات كثيرة ، وانما يتحقق الالتزام عندما يقدم الأديب للآخرين أعمالا ايجابية في تأثيرها ، تمس حياتهم ومشكلاتهم مسا مباشرا . فالناس في حاجة دائما الى من يمهد لهم الطريق الى الحلول الناجزة لقضاياهم ومشكلاتهم التي يحسون بوطأتها عليهم . وهم لن يكونوا متأهبين لاستيعاب قضية عامة قبل أن يفرغوا من قضاياهم الخاصة . .

الأديب بين القضايا المحلية ، والقضايا العامة الانسانية

ولا شك أن كل مجتمع معاصر له قضاياه المحلية الخاصة ، وهي قضايا قد تتشابه في مجتمع أو آخر ، لكنها مع ذلك تظل قضايا محلية ، تنتظر الحلول السريعة الناجزة . وانهماك الأديب في القضايا العامة ، أي في القضايا الانسانية المطلقة ، التي لا ترتبط بزمان أو مكان بعينه ، لا يمكن ان يعني بطبيعة الحال أنه ليس أديبا وليس صادقا ، كل ما في الأمر أن هذه القضايا الانسانية العامة ينبغي ـ لكي تلقى استجابة من الجمهور المتلقي ـ أن تنعكس بشكل أو آخر على حياة الناس ، وذلك انما يتحقق عندما

ينظر الأديب الى هذه القضايا من منظور عصره ومجتمعه ، فان هو لم يصنع هذا دل ذلك على غفلة منه ، وكان أدبه حريا الا يلقى الاستجابة المنشودة . هكذا صنع كبار الأدباء العالميين فى عصرنا الحاضر عندما تناولوا موضوعات انسانية عامة ، شغلت الأدباء العالميين فى العصور الماضية كذلك ، فقد عبروا فى هذه الأعمال عن نظرة عصرية ، وشدوا بذلك الموضوع التجريدى المطلق الى الواقع الراهن الذى يعيشه الناس . .

ومن ثم يتحدد الالتزام فى الأدب بمدى ارتباط الأديب بقضايا الناس فى مجتمعه، وما يتقدم به من حلول لهذه القضايا ، او بمجرد التنبيه اليها . .

اشتغال الأديب بالمشكلات اليومية الماشية ، لا يحط من قدر أدبه

والذين يعادون هذه الفكرة يحسبون ان التزام الأديب بقضايا مجتمعه يعني بالضرورة اشتغاله بالمشكلات اليومية الماشية ، وان هذا من شأنه ان يحط من جلال الأدب ، وان يهبط بالفن من عليائه . وهذا التصور خاطىء بطبيعة الحال ، فالفن لا يستمد جلاله وروعته من جلال الموضوعات وروعتها. هذا شيء اكدته فلسفة الجمال الحديثة منذ الربع الأخير من القرن الماضي ، وكانت اشعار بودلير مثالا عمليا لهذا التحول الجمالي. وانما تتحدد قيمة العمل الفني بالأثر الفعال الذى يتركه فى نفوس الناس ، أيا كان الموضوع الذى يتحدث فيه . ثم ان احدا لم يقل ان هذه المشكلات اليومية تافهة ولا تستحق من الأديب الاهتمام بها ، لأن هذه المشكلات اليومية البسيطة تشكل فى مجموعها آخر الأمر صورة الحياة التى يحياها الناس . واذا كان المفروض فى الأدب والفن بعامة أن ينقى هذه الصورة من الشوائب ، او ان يعمل على تنقيتها ، وأن يتطور بها الى صورة ارقى يمارس فيها الانسان حياة كريمة تسودها العدالة ويعمها الخير، فانه بذلك يكون قد حقق اجل الغايات . .

ادباؤنا انتجوا فى العشر السنوات الماضية اعمالا تمس حياتنا مسا

ولقد كثر الجدل عندنا من أكثر من عشرة اعوام حول موضوع الالتزام ،ولعلنا ما زلنا حتى اليوم نجادل فيه . ولكننى اومن دائما أن الجدل النظرى وان كانت له فائدته التي لا تنكر فى تنوير الأذهان فان الواقع العملى هو المعيار الحقيقي الذى تقاس به الظواهر والأفكار . وفى ضوء هذا المعنى يستطيع المتتبع لنشاطنا الأدبى فى مجالات القصة والمسرحية والشعر ان يدرك أن أدباءنا قد انتجوا خلال السنوات العشر الماضية ، ودون ان يتأثروا بأى تفكير نظرى ، منطلقين من ادراكهم السليم لطبيعة الادب ومهمته فى الحياة ، قد انتجوا أعمالا ادبية تمس حياتنا مسا عميقا وتنعكس على مشكلاتنا الفردية والمجتمعية على حد السواء . قد تكون هناك بعض الأعمال الأدبية التى لم تتحقق فيها هذه الظاهرة ، ولكنها نادرة ، والندرة لا يقاس عليها . وكذلك لا انكار لأن هناك بعض الأعمال التى يبدو فيها التزام الاديب متكلفا ، ولكن مثل هذه الأعمال لا يكون لها التأثير الفعال المنشود ، لاننا نفتقد وراءها غالبا الأديب الفنان ، الذى يستطيع أن يجعل التجربة الفنية تنطق وحدها بكل ما يريد . .

الجدل حول الالتزام جدل بين الاديولوجية والفن

وربما كانت هذه المشكلة الاخيرة اشد محاور الجدل حول قضية الالتزام حيوية وتأثيرا . ويمكننا أن نتمثل هذا الجدل فى صورته التجريدية العامة اذا نحن عرفنا الحقيقة الجدلية الكامنة وراءه .

فالحق أن الجدل حول قضية الالتزام هو فى صميمه جدل بين الايديولوجية والفن . ومنشأ هذا الجدل ـ فى صورته المبسطة ـ هو ان الايديولوجية تمثل تفكيرا او موقفا فكريا محددا ، فى حين ان أفق الفن طليق لا يمكن أن يحد . واخضاع الفن للايديولوجية اذن معناه اخضاع المطلق للمحدود ، أو الحرية للقيود . .

العلاقة بين الفن والعقيدة ، علاقة قديمة

وقد يستغرق الانسان طويلا فى مثل هذا الجدل النظرى ، فى سبيل أن ينتصر لجانب على آخر ، ولكننا لو أمعنا النظر فى حقيقة الفن من حيث هو تعبير انسانى وجدناه منذ البداية شديد الارتباط بالعقيدة . ورجعة فى التاريخ الى الوراء تؤكد لنا هذه الحقيقة ، فتاريخ الفن يحدثنا كيف أن الفن نشأ فى أحضان العقيدة الدينية، وظل آمادا طويلة شديد الارتباط بها . بل ان المتدبر لتاريخ الفن حتى العصور الحديثة يستطيع أن يدرك هذه العلاقة الوثيقة بين الفن والعقيدة ، فليس هناك فنان معروف لم يصدر له فى أعماله الفنية عن عقيدة . «والعقيدة» هى التعبير القديم عما نسميه اليوم بالايديولوجية . فالايديولوجية عقيدة ، وكل ما فى الأمر ان كلمة العقيدة ارتبطت فى أذهاننا من خلال التاريخ بالعقيدة الدينية وحدها . وفى العصور الحديثة ، راح الانسان يستبدل فى الأدب والفن بالعقيدة الدينية عقيدة أخرى . وقد ساد على مدى قرون فى العصور الحديثة الاعتقاد فى الانسان الفرد ، وتمثل هذا فى الايمان بالعبقرية والانسان العبقرى . لكن العبقرية ظاهرة فردية،لاءمت الحياة فى تلك القرون التى غلبت عليها فكرة سيادة الفرد ، والتى سمحت فيها ظروف الحياة ونظامها للفرد بهذه السيادة . لكن تطور المجتمع الانسانى خلال هذه العصور وتحوله من المجتمع الزراعى أو التجارى الى المجتمع الصناعى قد أحدث شكلا للحياة لم يعد الايمان فيه بالعبقرية عقيدة ملائمة ، وبخاصة بعد أن كشفت الدراسات النفسية عن حقيقة العبقرية ، وكيف أنها لا تميز فردا عن آخر تمييزا كيفيا بل كميا . ومع حطام هذه العقيدة المنهار بزغت عقيدة جديدة ، تؤمن بالفن فى ذاته ، وتجعل منه فى الفن والأدب العقيدة البديل من العقيدة الدينية وعقيدة العبقرية على السواء . ولكن سرعان ما تبين أن الفن فى ذاته لا يمكن أن يكون عقيدة ، لأنه قبل كل شىء نتاج بشرى شديد المساس بالحياة . انه يحتاج دائما للعقيدة التى تسنده وتكون بالنسبة اليه بمثابة نقطة الانطلاق . ولهذا انهارت هذه العقيدة وان ظل فلول من الناس يؤمنون بها . وهم يجادلون كل من يريد أن يربط الفن بعقيدة من العقائد ، ناسين أنهم هم أنفسهم قد جعلوا الفن « عقيدة » . .

عقيدة جديدة تتمثل فى ايمان الفنان بالمجتمع

ولما كانت عقيدة الانسان الفرد قد انهارت فقد فرضت ظروف الحياة الجديدة المتطورة نحو « الجماعية » عقيدة جديدة تتمثل فى الايمان بالمجتمع، وصارت هذه العقيدة الجديدة هى عقيدة الفنان نفسه ، بوصفه انسانا يعيش فى جماعة ، وتربطه بها مصالح وأهداف مشتركة . ومن ثم ارتفعت شعارات « الفن للحياة » و « الفن للمجتمع » ، معبرة عن هذه العقيدة الجديدة أو هذه « الايديولوجية » . وفى اطار هذه العقيدة يجد الفنان نفسه منخرطا بالضرورة فى واقع الجماعة التى يعيش فيها ، يعانى كل قضاياها ، ويعبر عن هذه المعاناة على نحو كاشف . وفى هذا يتحدد مفهوم الالتزام . ■■

عز الدين اسماعيل

أنتَ تسألْ .. وَنحْنُ نجيب

فليقرأ معارضو تحديد النسل :

زوجان شابان يُنْجِبان ١٧ ولداً وبنتاً حتى الآن!

ترتفع في هذه الايام دعوة حارة للعمل علىتنظيم النسل ، ولكن هذه الدعوة تقابل بحملة شعواء من بعض الناس ، بحجة ان تنظيم النسلحرام ، لانه ـ فيما يزعمون ـ لا يختلف عن واد الاطفال في الجاهلية ، وعن الاجهاض في هذه الايام .

وكم احب لو ان القائلين بتحريم تنظيم النسل،والذين يعملون على محاربته ، تاملوا الصورة المرفقة التي ارجو ان تنشروها ، والتيتمثل مشكلة اجتماعية خطيرة ، رفعتها الى كثيرين من المسؤولين بالدول العربية لعلهم يساعدونني على حلها ، فلم يهتم لها احد !

انها صورة أسرتي ... أسرتي المتواضعة ! التيتتالف من زوجتي ومنى ، ومن سبعة عشر ولدا وبنتا ، بينهم توأمان !

فبربك قل لي كيف يستطيع اب مثلي محدودالدخل ، ان يعول هذا الجيش العرمرم ، الذى لا نكاد انا وزوجتي نعرف أسماء أفراده الابالارقام !!

ثم أليس من حق هؤلاء الابرياء ان يجدوا منالمجتمع العربى الذى هم بعض افراده ، ما يوفر لهم الغذاء والكساء والتعليم حتى يصبحوامواطنين صالحين ؟

محمد حافظ شعبان/مكتبة الشرق/ سوق الحجاوى الزرقاء/الاردن

ـ ان هذه الرسالة ـ في رأيي ـ هي والصورة المنشورة معها ، أبلغ رد على الذين يعارضون تنظيم النسل ويروجون دعوتهم هذه بين العمال والفلاحين ، في المدن أو في الارياف على السواء ، زاعمين أن تنظيم النسل حرام ، وان استعمال حبوب منع الحمل حرام ، وهم يعلمون أو لا يعلمون ، ان منع الحمل شيء ، وقتل الجنين بالاجهاض شيء آخر غير منع الحمل ذاته ، وذلك بالحيلولة بين التقاء الحيوان المنوى ببيضة الانثى ،وان الشرائع



محمد حافظ شعبان الأب ، والى جانبه زوجته ،ومن حولهما اولادهما السبعةعشر :عشرة اولاد وسبعبنات.. والبقية تاتى !!

فتوى شرعية منذ ٣٠ عاماً بجواز التنظيم

السماوية السمحاء لم تحرم تنظيم النسل أو منع الحمل على سيدة يسرع اليها الحمل وهي لا تقوى على تربية الاولاد لكثرتهم ، أو سيدة لا تقوى على آلام الحمل والوضع ، أو اب لا تساعده ظروفه الاجتماعية على احتمال مسؤولية تربية الاولاد تربية تجعل منهم مواطنين صالحين ، لا عالة على المجتمع الذى يعيشون فيه .

هذا فيما يختص بالفرد ، اما ما يختص بالأمم فهذا يتوقف على ظروفها . فاذا رات مصر ان تقلل النسل ، فقد ترى سوريا أن تزيده .

النص الرسمي لفتوى المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم

في شهر مارس عام ١٩٣٦ ، أى منذ أكثر من ثلاثين عاما ، تلقى صاحب الفضيلة المغفور له الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية في ذلك الحين ، سؤالا من احد المواطنين هذا نصه :

● رجل متزوج ، رزق بولد واحد ، ويخشي ان هو رزق اولادا أكثر أن يقع في حرج بسبب عدم القدرة على تربية الاولاد والعناية بهم ، أو خوفا من أن تسوء صحته فتضعف أعصابه عن تحمل واجباتهم ومتاعبهم ، أو تسوء صحة زوجته لكثرة ما تحمل وتضع دون أن يمضي بين الحمل والحمل فترة تستريح فيها وتسترد قوتها . فهل له أو لزوجته أن يتخذا بعض الوسائل التى يشير بها الاطباء ، لينجتب كثرة النسل ، بحيث تطول الفترة بين الحمل والحمل لتستريح الام ولا يرهق الوالد ؟

وقد أصدر فضيلة المفتي الاكبر ، ردا على ذلك السؤال ، الفتوى الآتى نصها بعد الديباجة :

« يؤخذ من نصوص فقهاء الحنفية انه يجوز اتخاذ بعض الوسائل الكفيلة بمنع تمام مقومات الحمل ، سواء من جانب الزوج او من جانب الزوجة .. وأصل المذهب انه لا يجوز لأحد الزوجين اتخاذ مثل هذه الوسائل الا باذن الآخر وموافقته. ولكن المتاخرين اجازوا للرجل ان يتبع وسائل منع الحمل دون اذن زوجته ان هو خاف من الولد السوء لفساد الزمان ...

« وقد قال صاحب «الفتح» : «فليعتبر مثله من الاعذار مسقطا لاذنها» . والظاهر من هذه العبارة ان مثل خوف السوء من الولد لفساد الزمان، من الاعذار كأن يكون في سفر بعيد ويخاف على الولد .

« وجملة القول في هذا انه يجوز لكل من الزوجين ، برضا الآخر ، أن يتخذ من الوسائل ما يمنع الحمل منعا للتوالد ، ويجوز على راى متاخرى فقهاء الحنفية لكل من الزوجين ان يتخذ وسائل منع الحمل بدون رضا الآخر ، اذا كان له عذر من الاعذار التى قدمناها أو مثلها » .



فارق السن بين الزوجين
متى يكون مكروها.. ومتى لا يكون ؟

● أنا شاب جامعي ، في السنة الثالثة بكلية التجارة . كانت حياتي سلسلة من المحن والمشاكل ، ولكني كنت دائما أعمل على تذليلها حتى تنقشع ، وانا الآن موظف في احدى دوائر الحكومة ، وقد عرضت لي اخيرا مشكلة لم أر خيرا من ان الجأ اليك في حلها ، لما توسمته في اجاباتك الحكيمة في كل مشكلة تطرح عليك .

ولا اكتمك ان مشكلتي تحتاج الى حل سريع ، اذ كلما طال عليها الزمن تزداد تعقيدا . ولا اكتمك ايضا انها اخطر مشكلة تواجهني ، لانها تتعلق بمستقبلي وسعادتي .

ففي جو العمل تعرفت على احدى زميلاتي ، ثم لم نلبث أن غدونا صديقين متفاهمين، وقد مضى على تعارفنا عام كامل ، استطعت فيه ان أتبين انها ستكون خير زوجة لي . وفعلا فاتحتها في الموضوع وتفاهمنا على كل شيء ... وفجأة ظهرت المشكلة ، فأنا في الخامسة والعشرين وهي في نحو الثلاثين ..

وقد تسألني : ألم تتنبه الى ذلك قبل أن تتقدم على خطبتها ؟ وجوابي اني لم أعر هذا الفارق في السن كبير أهمية في اول الامر ، فهي فضلا عن انها مثقفة ثقافة عالية ، من عائلة كريمة محافظة ، متدينة .. والذي خلق المشكلة وجسمها لي هو خالي الذي أفهمني ان فارق

+++

المسلمون حكموا الفلبين قبل ان يحكمها

● قرأت في بعض الصحف ان في جزر الفلبين جالية اسلامية . فمتى وكيف دخل الاسلام الفلبين ؟ وكم يبلغ تعداد الجالية الاسلامية هناك، واين تقع هذه الجزر بالنسبة للعالم الاسلامي .

عدنان سليم ـ بيروت

ـ تقع جزر الفلبين في بحر الصين الجنوبي ، شمال اندونيسيا وماليزيا ، وشرق فيتنام وجنوب الصين وفرموزة . عاصمتها مانيلا ، وعدد سكانها بحسب تعداد ١٩٦٠ يزيد على الثلاثين مليونا بقليل ، ، منهم ...ر١٢٥ صيني وعشرة آلاف امريكي ، والفان من الاسبان .

واكثر من ٨٠٪ منهؤلاء السكان يتبعون كنيسة الروم الكاثوليك ونحو ٨٪ يتبعون كنيسة الفلبين الكاثوليكية المستقلة ونحو ٥ر٢٪ بروتستانت و ٢ر٤٪ مسلمون .

وقد اكتشف جزر الفلبين « فرناندو ماجلان » الرحالة البرتغالي في رحلة كان يقوم بها لحساب اسبانيا عام ١٥٢١ ، وسميت بعد ذلك بالفلبين نسبة الى فيليب الثاني ملك اسبانيا في ذلك

السن العكسي بينها وبيني نكبة !! وما يزال يضرب على هذا الوتر حتى كدت اكره الحياة ..

ارجو ان تسعفني بنصيحتك التي سأعمل بها، حتى ولو كان فيها حرماني من الانسانة التي اتوسم ان سعادتي مرهونة بزواجي منها ..

احمد حسين الاحمد

ـ عندما يقدم رجل في الستين او حتى في الخمسين ، على الزواج بفتاة في الثامنة عشرة او في العشرين ، يكون قد ارتكب في حق نفسه وفي حق الفتاة التى اختارها ، جريمة لا تغتفر .

لكن عندما يتضاءل فارق السن بين الزوجين الى خمس سنوات او عشر يكون مقبولا لا اعتراض عليه ، حتى ولو كانت الزوجة هى الاكبر سنا .

لقد تزوج سيد الرسل صلوات الله عليه السيدة خديجة وكانت قد تزوجت من قبله برجلين : ابى هالة بن زرارة التميمى ، وعتيق ابن عائد المخزومي .. وكانت يوم تزوجته في نحو الاربعين ، ومع ذلك فقد كانت خير نسائه اجمعين ، وكان زواجهما انجح زواج ، حتى انها لما ماتت حزن عليها اشد الحزن ، وقال فيما قال فيها : « والله ما ابدلنى الله خيرا منها .. آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » ، وحتى انه لم يفكر قط في ان يتزوج باخرى غيرها الا بعد ان ماتت ، على حين جمع بعدها بين اكثر من زوجة ، حتى مع عائشة ، احب نسائه اليه ..

ثم خالك ، ما شانه ؟ اهو الذى سيتزوجها ام انت ؟ وهل الحب والسعادة الزوجية شيء مادى يقدره الاخوال والاعمام ؟

وصاحبتك التى عاهدتها على الزواج ما ذنبها ؟ وماذا يكون موقفها بين زملائكما في العمل ، عندما تفسخ خطبتك لها فتنطلق حولها الاشاعات من هنا ومن هناك كالصواريخ ، وهى البريئة المبراة من كل ما يشين ؟

صدقنى ان فتى في مثل عمرك ، وظروفك ، في اشد الحاجة الى زوجة كصاحبتك ، عاقلة ، رزينة عركت الحياة ، اكثر من حاجته الى عروس « دلوعة » في الثامنة عشرة او في العشرين .

فدعك من نصائح خالك ، وتوكل على الله ، وتزوجها ... ولكما منى التهنئة سلفا .

+++

الغرب يقرون

الحين . وظلت تحت السيطرة الاسبانية اكثر من ٣٥٠ سنة ، ثم انتقلت الى ايدى امريكا بمعاهدة ١٨٩٩ التى ابرمت بين الولايات المتحدة واسبانيا في اعقاب الحرب الامريكية الاسبانية .

لكن المسلمين كانوا قد وصلوا الى الفلبين ـ وكانت اذ ذاك تعرف باسم « صولو » ـ قبل ذلك بمئات السنين ... وتقول بعض كتب التاريخ ان بعض العلويين استوطنوا « سيلي » او « صولو » عام ٨٠ من الهجرة ، وقيل عام ٧٨٥هـ الموافق ١٣٦٥م . فاستوطنوا بها وتناسلوا فيها وملكوا عليها وماتوا بها . ويقول بعض المؤرخين ان المسلمين نزلوا اول ما نزلوا في سومطرة ومنها الى « سيلي » .

وقد استمر حكم العلويين حتى سنة ٨٨٥ هـ الموافق ١٤٦٥ ميلادية ، وقيل الى عام ١٥٢١ ميلادية حين هاجم الاسبان المسلمين ، وفشل السلطان عبد القهار في صد هجومهم ... ويروى تاريخ العلويين في الفلبين حادثا لا ينسى ، عندما احتال السلطان العلوى على الاسبان ، ودعاهم الى فرح احدى كريماته ، وبينما هم على المائدة هاجمهم المسلمون وافنوهم حرقا وتذبيحا ..!

والفلبين الآن جمهورية مستقلة ، لكنها في شبه اتحاد مع الولايات المتحدة الامريكية .

دمشق .. ام القدس .. أم أريحا ؟

ايها اقدم عاصمة ، او اقدم مدينة ؟!

● ما هي أقدم العواصم الحالية في العالم ؟ ومتى أنشئت ؟ ومن الذى انشأها ؟

كاظم ابراهيم / بغداد

ـ الرأى الغالب عند المؤرخين القدامى أن دمشق هى أقدم العواصم الحالية ، بل هى أقدم مدينة فى العالم . فبعضهم يقول انها بنيت عام ٢١١٩ قبل الميلاد ، وبعضهم يقول انها بنيت على رأس ثلاثةآلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذى يقولون انه سبعة آلاف سنة كما فى « معجم البلدان » لياقوت الحموى ! وهناك رأى ثالث يقول ان ادم نزل الى جوارها ، وأن فيها قتل هابيل ـ احد اولاده ـ بيد أخيه قابيل! وأن أول جدار بنى بعد طوفان نوح ، بنى فيها كما يقول « كعب الأحبار » !

ويضيف معجم البلدان ان سيدنا ابراهيم عليه السلام ولد بعد بنائها بخمس سنوات .

وقيل ان الذى بناها هو « جيروذ بن سعد ابن عاد بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام » .

وهناك رأى آخر يقول ان « القدس » أقدم من دمشق ، لأنها بنيت قبل الميلاد باكثر من ثلاثة آلاف سنة !

اما الذى بنى القدس ، فيما يقول المؤرخون ، فهو « مليكصادق » أحد ملوك اليبوسيين ، من بطون العرب الأوائل الذين نزحوا من الجزيرة العربية من الكنعانيين ، ولذا سميت « يبوس » ثم اغار عليها العبرانيون وظلت فى قبضتهم حتى أجلاهم عنها «تحوتمس الاول» أحد الملوك الفراعنة عام ١٥٥٠ قبل الميلاد .

وقيل ايضا ان نبى الله موسى عندما خرج من مصر على رأس شعب اسرائيل سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد ، اتجه اليها .

وهناك غير هذا وذاك رأى آخر يقول ان «اريحا»، وان لم تكن من عواصم العالم الحاضرة ، هى اقدم مدينة فى العالم ، لأن الآثار التى اكتشفت بها تدل على أن معالم الحياة كانت متصلة فى تلك البقاع منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد ، وأنها سُمّيت بهذا الاسم نسبة الى « اريحا بن مالك بن ارفخشد بن سام بن نوح » .

ومن أقدم العواصم الحالية ، فيما يقول الأستاذ فيليب صوايا : « أثينا عاصمة اليونان ، وبنيت عام ١٦٤٣ قبل الميلاد ، وروما عاصمة ايطاليا التى بنيت عام ٧٥٤ قبل الميلاد ، وباريس عاصمة فرنسا (عام ٤٩ ق.م) ثم لندن التى بنيت فى العام السابع والأربعين قبل الميلاد .

المرأة في البرلمان الهندى

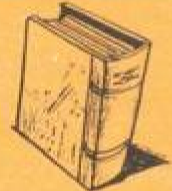
● لمع اسم السيدة « أنديرا غاندى » منذ توفي والدها وليت رئاسة الوزارة من بعده . والذى تكتبه الصحف عنها ينم عن أنها سيدة على جانب كبير من الثقافة العلمية والسياسية على حد سواء .. فهل بلغت المرأة الهندية بوجه عام ما يؤهلها لتولي المناصب السياسية الكبرى ؟ أم ان أنديرا اختيرت لرئاسة الوزارة تكريما لذكرى والدها ؟

وهل يوجد في البرلمان الهندى أعضاء من السيدات المثقفات ؟

ايزيس فخرى/الاسكندرية

ـ ليست السيدة انديرا غاندى أول امرأة هندية تشتغل بالسياسة أو تلى منصبا حكوميا كبيرا . فقد سبقتها عمتها السيدة فيجايا لاكشمى التى كانت سفيرة للهند، فممثلة لها في الامم المتحدة ، فرئيسة للجمعية العامة للامم المتحدة في احدى دوراتها .

وقد برزت في الهند بعد استقلالها طائفة من السيدات يعملن في الهندسة والطب والقضاء والسلك الدبلوماسي وادارة البنوك والحكومة المركزية . اما في البرلمان فهناك نحو ستين نائبة ، منهن ٣٩ نائبة في مجلس الامة الذى يبلغ عدد أعضائه خمسمائة عضو ، و ٢٣ سيدة هن عضوات في مجلس الاعيان ، تشغل احداهن منصب نائب رئيس المجلس .



مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي

فراز روزنتال

بقلم: الدكتور محمود السمرة

■ مؤلف هـــذا الكتاب مستشرق مشهور ، ولد في برلين عام ١٩١٤، ومن جامعتها حصل على شهادة الدكتوراه . ثم هاجر الى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠ ، وعمـــل استاذا مساعدا للغات السامية في احدى الجامعات ، وهو اليوم استاذ اللغـات السامية في جامعة ييل Yale بالولايات .

وللاستاذ روزنتال مؤلفات عديدة ، منها هذا الكتاب الذى نقدمه ، ومفهوم الحرية في الاسلام ، والفكاهة في الأدب العربي ، وغيرها .

وفي هذا الكتاب يوضح المؤلف نظرة العـالم المسلم الى المشكلات الأساسية المتصلة بالبحث العلمي ، كما يبحث في طرائقه وأساليبه ، وهو موضوع جديد لم يلق من الباحثين عناية ، رغم اهميته البالغة . ولروزنتال غاية اخرى من تاليفه كتابه هي:« بيان وجوه الشبه ، ووجود التباين، بين البحث العلمي عند المسلمين والبحث العلمي في الغرب ».والواقع اننا عندما نقرأ الكتاب نعرف كيف كان العالم المسلم يفكر في مشكلات البحث العلمى ، لا كيف كان يكتب ويؤلف .

وبجانب هذا فان هذه الدراسة تلقى اضواء جديدة على طبيعة الحضارة الاسلامية ، وهي حضارة تعرضت لتفسيرات واجتهادات كثيرة ، متناقضة :

فالفيلسوف هيجل Hegel يقول في كتابه ، « محاضرات في تاريخ الفلسفة » ، عند حديثه عن التاريخ السياسي للعالم الاسلامي : « انه مجرد معرض للتغيرات الدائمة....وفي هذا الاوقيانوس الذى لا حدود له نجد ان الفتح ، والتوسع ، ابدا في استمرار ، ولا شيء ثابت او جامد .وكلما ظهرت احدى التموجات ، وارتفعت ، لكى تتخذ شكلا ما ، اضمحلت وانحلت وهي ترتفع دون ان تفقد شفافيتها » .

وبعد خمسين سنة قام المستشرق فون كريمر Von Kremers ، وهو أحد الرواد في تاريخ الحضارة الاسلامية ، يندد بالاعتقاد الخاطيء الذى كان سائدا في الغرب ، والقائل ان طبيعة الفكر في الشرق لا تقبل التطور . ومن اقواله : « ان كل نسمة من نسمات الراي العام الاوروبى تترك تموجا عنيفا . أما في الشرق فان ما يبـدو على سطح الحياة يظل ساكنا كالمرآة ، الى أن تتفجر فجاة من الهدوء التام قوة تندفع من الأسفل بشكل براكين من القوة المخرّبة » .

(1) Fr. Rosenthal, The Technique and Approach of Muslim Scholarship .

وقد ترجمته الى العربيـة مؤسسة فرانكلين ببيروت ونشرته دار الثقافة .

وبعد مرور خمسين سنة اخرى قام مستشرق اخر هو جولدتسيهر Goldziher يؤيد بقوة ما جاء به كريمر . ويرى جولدتسيهر ان التاريخ الداخلي للحركات الدينية السياسية في الاسلام « صراع مستمر بين السنة والبدع ، اى بين مبدأ العرف الذى لا يلين وبين المحاولات الدائمة لتوسيع نطاق هذا المبدأ ، وللخروج من الاطار الذى اقامه » .

وطبق جولدتسيهر نظرية التطور الحديثة على المشكلات التى تعترض سبل الباحث في دراسته الاسلام .

★ ★ ★

والصفة العامة لآراء الباحثين الغربيين في البحث العلمي عند المسلمين ، هي شعورهم بالتفوق شعورا لا يقوم على أساس أو منطق . وقد بلغ من غرور لي ستراتج Strange ان وقف عند راى لياقوت اعجبه ، فعلق قائلا : « وانه ليندر جدا ان يبدو ياقوت بمثل هذا التعقل وهذه الرصانة » ، مع انه ليس اكثر من قزم اذا قيس بياقوت .

وهنا تكمن قيمة روزنتال في كتابه هذا : انه يحاول ان يتجنب السقوط في مثل هذه الصغائر التى وقع فيها كثير من المستشرقين .

ومن عيوب الباحثين الغربيين عند تقديرهم البحث العلمي عند المسلمين : انهم يضعون مقاييس صارمة يحكمون بموجبها على ما انتجه الفكر الاسلامي . وهي مقاييس اشد صرامة من المقاييس التى يقيسون بها البحث العلمي فيالغرب في ايامهم . والامانة العلمية ، ودقة البحث ، توجبان ان يقاس تراث العرب العلمي بمقاييس زمانه . ولا يستطيع الباحث ان يدرك أساليب البحثالعلمي وطرقه عند المسلمين ادراكا صحيحا الا اذا وضع نصب عينيه التغيرات الجذرية التى طرات على الأساليبالعلمية بسبب ظهور الطباعة. فالحضارة الانسانية مرت بثلاثة اطوار متميزة : الطور الاول هو الفترة السابقة لظهور الكتابة (عصر ما قبل التاريخ) ،والطور الثاني هو الفترة التى ظهرت فيها الكتابة (عصر المخطوطات) ، والطور الثالث والاخير ، هو طور الطباعة ، العصر الذى نعيش فيه . ولهذا فان على كل من يريد ان يدرس البحث العلمي في عصر المخطوطات ويقابل بينه وبين البحث العلمي في عصر الطباعة ، ان يأخذ بعين الاعتبار عوامل عديدة .

بين التدوين والحفظ

منخصائص عصر المخطوطات الاعتماد الكبير على الذاكرة في نقل الأخبار الدينية والأدبية . ولكن ارهاق الذاكرة بالحفظ أصبح لا مبرر له بعد اختراع الطباعة . واذا كان الحفظ مهما في عصر المخطوطات ، فان الحضارة الاسلامية كانت تقوم على الكلمة المكتوبة ، وكان من المسلم به في القرن التاسع الميلادى أن يدون النتاج العلمي والأدبي بجميع فروعه . وهذه قصة وردت في الجاحظ تدل على ان المعرفة عندهم هى تلك التى يعتمد حفظها على الكتابة والتدوين . فقد ورد في كتاب الحيوان : « قال بعضهم : كنت عند بعض العلماء ، فكنت اكتب عنه بعضا ، وادع بعضا . فقال لى : اكتب كل ما تسمع ، فان مكان ما تسمع أسود خير من مكانه ابيض » .

وقد استعمل المؤلفون المسلمون الجذاذات لتدوين الملاحظات عليها ، أو لنسخ المقتبسات من الكتب التى كانوا يقرأونها . وكانت هذه الجذاذات هي المادة الأولية التى يعتمدون عليها في تآليفهم . وهذه الجذاذات هى بعينها البطاقات التى يستعملها الباحثون المعاصرون. ومن الطريف أن نقرأ ان كتاب حنين بن اسحق «كتاب المسائل» لم يكن كله جاهزا عندما مات، فاتم تاليفه حبيش من جذاذات تركها المؤلف .

وعندما كان المؤرخ المشهور ابن الأثير (توفي سنة ٦٣١ هـ ، ١٢٣٣ م) في سورية طلب اليه ان يضع كتابا عن الصحابة ، غير ان كتبه الخاصة ، وجذاذاته ، لم تكن معه ، لانه كان قد تركها في بلدته الموصل . وشاء حسن الحظ ان كان هناك رجل ممن كانوا قد سمعوا محاضراته في الموصل ، وكتبوها عنه ، فرجع اليها مع انها لم تكن تفي بالحاجة ، ووضع مؤلفه . وعندما رجع الى الموصل والى مكتبته الخاصة ، عزم على ان يضيف الى مؤلفه كامل الأسانيد للروايات المختلفة ، ولكنه كان متعبا ، ولهذا لم يضف الا ما رآه ضروريا .

وهذا يدلنا على أن العالم المسلم الأمين على ذكر الحقيقة كان يدرك أن النصوص اذا أوردت من الذاكرة لم تسلم من الخطا ، ولهذا كان يعتمد على الوثائق المدونة ، ولا يعير الذاكرة شأنا في تأليفه .

وما دمنا قد قررنا هذا ، فان علينا ان ندرس بعده طريقة استفادة العالم المسلم من النصوص المكتوبة .

الكتب آلة العلم والعالم

ومن حسن الحظ ان وصلت الينا دراسة مركزة حول هذا الموضوع :

فقد الف الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى المتوفى فى دمشق سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م. كتابا سماه « المعيد فى ادب المفيد والمستفيد » عالج فيه قضية اسلوب الرواية المدونة للعلم واساليبها وطرائقها وشروطها . وهذا الكتاب اختصار لكتاب « الدر النضيد » للبدر الغزى (توفى سنة ٩٨٥ هـ ، ١٥٧٧م) .

وفى الباب السادس ذكر العلموى عددا من المسائل تتعلق بالكتب التى هى آلة العلم وما يتعلق بتصحيحها ، وضبطها ، ووضعها ، وعملها ، وشرائها ، واستعارتها ، ونسخها ، وغير ذلك .

★ ★ ★

وهو يقرر اولا انه ينبغى لطالب العلم ان يعتنى بتحصيل الكتب المحتاج اليها فى العلوم النافعة ما امكنه ، شراء ، أو استئجارا ، أو استعارة ، لانها آلة التحصيل . ولكن عليه الا يكتفى من العلم بجمع كتبه ، لانه عند ذلك يصدق عليه قول الشاعر:

اذا لم تكن حافظا واعيـــا
فجمعك للكتب لا ينفـــع

ولم يغفل العلموى عن ذكر آداب استعمال الكتاب، من ذلك انه لا يجوز للمرء أن يصلح كتاب غيره بغير اذن صاحبه ، ولا ينسخ منه بغير اذن صاحبه، واذا نسخ منه او طالعه فلا يضعه مفروشا على الأرض ، ولا يطوى حاشية الورقة وزاويتها « كما يفعله كثير من الجهلة » .

ويبدو أن مثل هذه الآداب فى استعمال الكتاب كانت معروفة عند العبرانيين ، فقد ورد فى « سفر حسيديم » ما نصه : « على المرء الا يضع قلما او قطعة نقود ، او اى شىء ثمين فى الكتاب ، بقصد اخفائه او حفظه ، غير انه يجوز ان يستعمل قلمه ليدل على الصفحة التى وصل اليها فى قراءته» .

★ ★ ★

وكان العالم المسلم لا يهتم بالمبالغة فى حسن الخط ، وانما يهتم بصحته ، ويتجنب وصل الحروف التى ينبغى ان تكون مفرقة .

وللتحقق من صحة النص الذى بين يديه كان يقابله بنص آخر موثوق به ، وهو ما نفعله اليوم فى نشر المخطوطات ، اذ نحاول ان نجمع اكثر ما يمكن من نسخ للخروج بنص صحيح . ومن الثابت انهم كانوا يهتمون اهتماما كبيرا بتحقيق النص ، ومن امثلة ذلك أن عروة بن الزبير قال لابنه هشام :

ـ كتبت ؟

قال : نعم

قال : عرضت كتابك (اى على اصل صحيح).

قال : لا .

قال : لم تكتب .

★ ★ ★

وكان العالم المسلم اذا أراد أن يلغى شيئا مما كتب ، يختار طريقة من ثلاث : الكشط ، وهو سلخ الورق بسكين ونحوها ، والمحو : وهو الازالة بغير سلخ ان امكن ، والضرب عليه . وللضرب عدة طرق ، منها : ان يكتب فى اول المبطل وفى آخره صفرا ، وهو دائرة صغيرة . او ان يكتب فى اول الكلام المبطل وفى آخره نصف دائرة هكذا ( ) . او ان يجعل الخط فوق الحروف منفصلا عنها، منعطفا طرفاه على اول المبطل وآخره كالياء المقلوبة هكذا ... الخ .

واذا تكررت كلمة ، ضرب على الثانية لوقوع الأولى صوابا فى موضعها ، الا اذا كانت الثانية اجود صورة وادل على القراءة ، وكذلك اذا كانت الاولى آخر السطر فان الضرب عليها اولى صيانة لاول السطر .

وجرت عادة المحدثين على اختصار الفاظ كتبهم:

من ذلك كلمة « حدثنا » اختصرها بعضهم على « ثنا » ، وبعضهم على « نا » ، وبعضهم على « دثنا » . ومن ذلك كلمة « أخبرنا » ، اختصرها بعضهم على « انا » وبعضهم على « ارنا » وبعضهم على « ابنا » . ومن ذلك حدثنى ، اختصرها بعضهم على « ثنى » وبعضهم على « دثنى » . واما « اخبرنى » و « انبـانا » و « انبانى » فلم يختصروها .

ومن ذلك « قال » الواقعة فى الاسناد بين رواية، اختصرها بعضهم قافا مفردة هكذا « ق »، وجمعها بعضهم بما يليها هكذا « قثنا » يعنى : قال حدثنا.

ومثل هذه المختصرات كثير ، وهى مختصرات تذكرنا بمختصرات ايامنا هذه فى كل ميادين المعرفة.

التفتيش عن المخطوطات

ومن المشكلات التى كان على العالم المسلم ان يتغلب عليها ، صعوبة الحصول على المخطوطات القيمة . واذا كان الحصول على المخطوطات عسيرا فى ايامنا هذه ، فكيف به فى تلك الايام ؟ وقد كان فقد العالم المسلم لمكتبته يعد كارثة تفوق كل كارثة ، فقد حزن الكندى على فقد مكتبته حزنا اثر فى انتاجه العلمى . ومثل هذا حدث لحنين بن اسحق. وعندما اضطر حسن بن محمد بن حمدون (توفى سنة ٦٠٨ هـ ، ١٢١١م.) أن يبيع كتبه ، قال لمن جاء يهوّن عليه : « حسبك يا بنى ، هذه نتيجة خمسين سنة من العمر انفقتها فى تحصيلها».

وقد كانت المخطوطات التى تعالج قضية البدع فى الاسلام نادرة جدا ، ولهذا كان على العالم الذى يود الحصول عليها ان يبذل جهدا كبيرا لذلك . وعندما كثر الطلب على الكتب العلمية المترجمة من الاغريقية فى مستهل القرن التاسع للميلاد ، استلزم ذلك ارسال جماعة من افاضل علماء ذلك العصر الى بلاد الروم للتفتيش عن المخطوطات . وقضى البيرونى اكثر من اربعين سنة وهو يفتش عبثا عن نسخة من كتاب مانى « سفر الاسرار» الى أن حالفه الحظ أخيرا فحصل عليها.

وكان يحدث أحيانا ان يكون كتاب نادر الوجود، لم تكثر نسخه لسببين : اما لان مصنفه أصبح عالما مشهورا بعد أن كان مغمورا ،أو لان محتويات الكتاب من فكر وعقائد لم تعد مما ينفر منه الناس.

وقد روى التوحيدى ان ابا بكر الاخشيد اراد الحصول على نسخة من كتاب الجاحظ « الفرق بين النبى والمتنبى » فلم يستطع . وعندما خرج حاجا الى مكة المكرمة استأجر مناديا ينادى فى عرفات يسأل الناس عن هذا الكتاب ، ولكنه لم يعثر له على أثر . ويتابع التوحيدى روايته فيقول : « أما اليوم فان الكتاب فى متناول كل انسان ، وكل مكتبة تحتوى على نسخة منه ، وقد رايت منه اكثر من مئة نسخة » .

ولم يتمكن ابن خلكان من الحصول على اكثر كتب المعرى ، ولكن ناسخ مخطوطة تعود الى القرن السادس عشر يقول انه راى معظم كتب المعرى فى مصر .

الاشارة الى المراجع

لم يكن لدى العالم المسلم وسيلة مرضية لاطلاع القارىء على المصدر الذى اخذ عنه ، أو الاشارة الى نصوص سبق ان ذكرها فى كتابه . ولهذا فانه عندما يشير الى كتاب ما ، أو الى فصل منه أو جزء ، فان الاشارة تكون غير دقيقة . ونستطيع نحن ان نتصور المشقة التى يجدها القارىء اذا ما حاول ان يرجع اليها .

وقد لا نستطيع ان نتصور هذه الصعوبة ، لان الطباعة قد جعلت الاشارة الى المراجع سهلة ، بسبب وجود نسخ متماثلة من الكتاب الواحد . اما فى المخطوطة فان من العسير ايجاد فقرة معينة. وهذه الصعوبة هى التى جعلت الخطيب البغدادى يرتب مواد كتابه « تاريخ بغداد » على حروف الالفباء ، وقلده فى ذلك جماعة كبيرة من المؤرخين وقد حدد البغدادى غايته من تاليفه كتابه على هذا النحو ، وصرح بأن الدافع له الى ذلك مساعدة القارىء على مراجعة مؤلفه الضخم ، ويقول : « فانى رأيت الكتاب الكثير الافادة ، المحكم الاجادة ، ربما أريد منه الشىء ، فيعمد من يريده الى اخراجه ، فيغمض عنه موضعه ، ويذهب بطلبه زمانه ، فيتركه وبه حاجة اليه ، وافتقار الى وجوده » (٢١٣/١) .

علامة انتهاء الاقتباس

من السهل تحديد بداية الكلام المقتبس ،

فاستعمال « قال » دلالة كافية على بدء النقل والاقتباس . أما المشكلة عند العالم المسلم فقد كانت في تحديد نهاية الاقتباس ، دون الاخلال بالاسلوب . ولم يشع وضع اشارة تدل على نهاية الكلام المقتبس الا في القرن الثالث عشر الميلادي . ومن الكلمات التي كانوا يستعملونها للدلالة على ذلك : « الى هنا قول .. الى هنا عبارة .. هذا نهاية كلام .. » .

ويعتقد الاستاذ روزنتال أن استعمال كلمة « انتهى » وحدها دون زيادة ، متاخر عن استعمال العبارات التي أوردناها . وهو مصيب في رأيه هذا لأن مؤلفي القرن الخامس عشر الميلادي امثال ابن تغرى بردى صاحب « النجوم الزاهرة » ، ومؤلفي العصور التالية امثال ابن العماد (توفى سنة ١٦٧٩م) يتبعون طريقة واحدة لا يحيدون عنها في تعيينهم نهاية النقل أو الاقتباس ، وذلك بقولهم « انتهى » .

هذا بعض ما في كتاب الاستاذ روزنتال .

وقد يرى بعض القراء أن هذه النتائج التي وصل اليها ليست بذات قيمة كبيرة ، ولكن القارىء الذي عانى مشقة البحث العلمي ، يدرك مدى ما يتطلبه هذا العمل من جهد متواصل ، واطلاع واسع ، وتمرس في البحث . ■■

محمود السمرة/عمان



دراسة في طبيعة المجتمع العراقي

تأليف : الدكتور علي الوردي ـ الناشر مطبعة العاني ببغداد ـ الثمن نصف دينار

● محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الاكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث وفيه يبين المؤلف ـ وهو استاذ علم الاجتماع في جامعة بغداد ـ مدى اختلاف العرب عن غيرهم من الامم ثم يجيب عن السؤال الحائر : هل يختلف أهل العراق عن غيرهم من العرب ..؟

اكتشاف كهف أهل الكهف

تأليف : رفيق وفا الدجاني ـ الناشر : مؤسسة المعارف ببيروت الثمن ٣٠٠ قرش لبناني

● **هذا الكتاب هو تمحيص وتحليل وبحث واستنتاج بني على مجهود شخصي واقتراحات معقولة وبينات ملموسة ، يكشف الكثير مما يتصل بكهف اهل الكهف .**

ممنوع الدخول

تأليف : علي باذيب ـ الناشر : مؤسسة الصبان بعدن

● **وهذه مجموعة قصص وطنية تمثل كفاح الشعوب العربية من اجل الاستقلال .**

الشمس الغاربة

تأليف : أسامو دازاي ترجمة : فائز بشور ـ الناشر : وزارة الثقافة والارشاد ـ سوريا

● **تمثيلية يابانية تروى قصة امرأة من الارستقراطية اليابانية تضطر أثناء الحرب الى ترك بيتها الخاص في طوكيو لتذهب وتعيش عيشة متواضعة في دارة جبلية . وتدور حوادث القصة حيث تذهب ابنتها المجندة « كازوكو » في الارض بينما ابنها « ناووجي » يعود من الحرب مسمما بالعقاقير ويتحول الاخ والاخت الى العامية والابتذال ويجهران بتمردهما وهكذا تمضي فصول التمثيلية . واسلوبها شيق يشد المشاهد وبالتالي القارىء .** ■■


نشافة الشعر
رونسون اسكورت
اول نشافة للشعر نقالة ومانعة تعطي نتيجة فعالة
تمتاز رونسون اسكورت بانها تنشف الشعر بسهولة فائقة بينما انت تقومين بعملك اليومي . كما انها مجهزة باربع عيارات لتكييف الحرارة . وبالاضافة يوجد مع كل آلة مصفف (مشط) وفرشاة مزودان بهواء دافئ ليجعلا من الشعر ناعم الملمس وسهل التسريح .
RONSON
ELECTRICS

طرائف عربية

الصدق

● امتدح ابن متاده جعفر بن سليمان فأمر له بمائة ناقة فقبّل يده وقال :والله ما قبّلت يد قرشي غيرك الا واحدا . فقال أهو المنصور؟ قال : لا والله : قال: فمن هو ؟ قال : الوليد بن يزيد . . . فغضب وقال : والله ما قبلتها لله تعالى! فقال ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي .. فقال : والله لا ضرك الصدق عندى ، أعطوه مائة أخرى .

حسن التخلص

● تنبأ رجل في زمن المأمون ، فقال المأمون : أريد منك بطيخا في هذه الساعة ! قال : أمهلني ثلاثة أيام.. قال : ما أريده الا الساعة ! فقال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين ، اذا كان الله تعالى الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ما يخرجه الا بين ثلاثة أشهر ، فما تصبر أنت على ثلاثة أيام !!.؟

فضحك منه المأمون ووصله ..

الناس صنوف وأمزجة

● سأل الحجاج يوما الغضبانَ بن القبعثرى قال : من شر الناس ؟ قال : أطولهم جفوة ، وأدومهم صبوة ،وأكثرهم خلوة ، وأشدهم قسوة . قال : فمن أشجع الناس ؟ قال :أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف ، وأتركهم للحيف .. قال فمن أجبن الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزحوف ، المرتعش عند الوقوف ، المحب ظلال السقوف ، الكاره لضرب السيوف .. قال : فمن أثقل الناس ؟ قال : المتفنّن في الملام ، الضنين بالسلام ، المهذار في الكلام ، المقبقب (أي النهم) على الطعام .. قال : فمن خير الناس ؟ قال : أكثرهم احسانا ، وأقومهم ميزانا ، وأدومهم غفرانا ، وأوسعهم ميدانا .. فقال الحجاج : لله أبوك ! فما العاقل والجاهل ؟ قال : أصلح الله الامير ! العاقل الذى لا يتكلم هذرا ، والجاهل هو المهذار في كلامه ، المنّان بطعامه ، الضنين بسلامه ، المتطاول على امامه ، فقال الحجاج : لله درك! فما الحازم الكيّس؟ قال : المقبل على شأنه التارك لما لا يعنيه.. قال فما العاجز؟ قال : المعجب بآرائه الملتفت الى ورائه..

سباق..

● يحكى انه جرى بين الحسين ابن على بن أبى طالب وبين أخيه محمد ابن الحنفية رضى الله عنهما كلام ، فانصرفا متغاضبين ، فلما وصل محمد الى منزله اخذ رقعة وكتب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن على بن أبى طالب الى أخيه الحسين . أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه،

من حكم العرب وأقوالهم المأثورة

* عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم .
* استح من ذم من لو كان حاضرا لبالغت فى مدحه ، ومدح من لو كان غائبا لسارعت الى ذمه .
* ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه .

من ألغاز العرب

● قالوا فى التين :

أيُّ شيء لـذَّ طعمُـه ناعـمُ الملمس لـيـنْ
كيـف لا يبدو وضـوحاً وهـو في التَّصحيـف بيـنْ

● وقالوا فى الموز :

ما اسمٌ لشيء حَسَنٌ شكلهُ تلقاه عنـد الناس موزونـا
تـراه معدوداً فـان زِدْتَـه واواً ونوناً صـار موزونـاً

● وقالوا فى الكتاب :

وذي أوْجُـهٍ لكنه غير بائـح بسـرٍ وذو الوجهين للسر يظهر
تناجيك بالأسرار أسرارُ وجهـهِ فتسمعها بالعين ما دام تُبصِـرُ

رمية من غير رام

● صلى اعرابى خلف امام . فقرا الامام « الم نهلك الاولين .. » وكان الاعرابى فى الصف الاول ، فتاخر الى الصف الآخر . فقرا الامام « ثم نتبعهم الآخرين .. » فتاخر ، فقرا « كذلك نفعل بالمجرمين .. » وكان اسم البدوى مجرما ، فترك الصلاة وخرج هاربا وهو يقول : والله ما المطلوب غيرى .. فوجده بعض الاعراب ، فقالوا لـه : مالـك يا مجرم ؟! فقال : ان الامام أهلك الأولين والآخرين واراد ان يهلكنى فى الجملة والله لا رايته بعد اليوم ..

... الى الفضل

وفضلا لا ادركه ، فاذا قرات رقعتى هذه ، فالبس رداءك ونعليك ، وسر اليّ فترضني . واياك .. اياك ان اكون سابقك الى الفضل الذى انت اولى به منى ، والسلام » .

فلما قرا الحسين رضى الله عنه الرقعة لبس رداءه ونعليه ثم جاء الى اخيـه فترضاه .

اضحك

تضحك الدنيا معك ... ابك تبك وحدك

على هامش علم النفس

● **احد المتقدمين بالسن لآخر** :كان طموحي وانا في العشرين من عمرى ان أصبح ثريا ..

فرد الآخر وكان صديق الاول وفى مثل عمره ، ولكنك لم تثر ابدا !

فاجاب الاول : طبعا لا . فقد اقتنعت وانا فى الخامسة والعشرين أن التنازل عن بعض طموحي ايسر واقرب من اكتساب الملايين ! ثم تحول طموحي بعد ذلك وانا في الثلاثين الى الشهرة وذيوع الصيت .وتركز طموحي منذ ذلك الحين على التفوق فى ميدان العلم والفكر وماالیه من ميادين . اما الآن فلا شعار لي سوى « القناعة كنز لا يفنى » ولا طموح الا تامين مرتب تقاعدي يكفل لي لقمة العيش فى شيخوختي !

تكاليف اصلاحها تفوق قيمتها

● **الزبون** : (وبيده ساعة رخيصة يريد اصلاحها) لقد وقعت هذه الساعة من يدى على الارض . فالخطأ خطئى انا ولا ريب ، اذ كان فى وسعي الا ادعها تقع وتنكسر ..

الساعاتي : اخطأت بلا شك ، ولكن خطاك ليس فى عدم تفادى وقوعها على الارض ، وانما فى عدم تركها على الارض!

التامين على الحياة نعمة أم نقمة

● **الابن** : يا لها من بحيرة هادئة ، ويا له من طقس جميل ! اتسمحين لي بالسباحة يا أماه ؟!

الام : لا يا عزيزى ، فهذه البحيرة عميقة جدا !

الابن : ولكنك لم تمنعي أبي عن السباحة فيها ..!

الام : لا بأس على ابيك فقد امن على حياته بمبلغ من المال كبير ..



منطق معقول ..

● **القاضي** : يا للفظاعة ، فانت لا تغش الا اولئك الذين اولوك ثقتهم ؟

السجين : لا غرابة في ذلك يا سيدى ، فالناس الذين لا يولونني ثقتهم لا سبيل الى غشهم !

الزوج المثالي

● احدى الزوجات لأخرى صديقة : هل تعلمين يا عزيزتي ان من خصائص النعامة أنها لا ترى الا قليلا ، وان جهاز الهضم فيها قادر على هضم كل شيء تقريبا !!

الصديقة : يا لها من خصائص تكاد تصدق على الزوج المثالي !

أب بالايجار أم ماذا ؟

● **ابنة احدى ممثلات السينما لاخرى:** هل اعجبك ابوك الجديد ؟

الفتاة الاخرى وكانت ابنة ممثلة ثانية: حقا ! فهو لطيف ومرح للغاية ..

الابنة الأولى: اوافقك تماما يا عزيزتي فقد استعذبنا لطفه ومرحه حين كان معنا في البيت ابا قبل عامين ..



هل يُصلح العطار...!

● **الزبون للمصور** : ارجو العدل من عدستك ..

المصور للزبون : ان عدستي تعطى العدل ، ومع العدل الرحمة .

الكاتب الفرنسي الشهير يروي قصة حبه الأول



بقلم : أندريه موروا

■ ليس هناك ما هو أثمن من ذكرى اللحظات التي يخفق فيها القلب بالحب لاول مرة . ان اندريه موروا احد مشاهير الكتاب والمؤلفين في فرنسا يعود بذاكرته ستين عاما الى الوراء ليستعيد ذكريات تلك اللحظات . لقد كتب موروا عشرات المؤلفات والمقامات والمذكرات والاعمال التاريخية . ولكنه برز في كتابة القصص الغرامية لمشاهير الناس . وهو في هذه القصة يكتب عن نفسه .

★★★

كنت في السابعة عشرة من عمري في ذلك الوقت ، وكنت اعيش في مدينة صغيرة من المدن الجامعية في فرنسا . ولم تكن كليات الجامعة الفرنسية تخصص غرفا لنوم الطلبة ولذلك فقد اقمت في بيت والدي . وكنت اترك هذا البيت في صباح كل يوم قبل الساعة الثامنة لاذهب الى الكلية . كانت حياة عادية لطالب يتلقى العلم في الجامعة ولا شيء جديد فيها . ثم حدثت المفاجأة . ففي يوم من الايام وانا في طريق عودتي الى البيت رايت اجمل امراة في العالم . كانت تقف في ركن من شارع ماليري، وترقب الناس وهم يمرون امامها بعينين ساحرتين . ولم تكن جميلة فحسب ، ولكنها كانت ايضا من ذلك الطراز من النساء الذي اراه في احلامي كلما قرات قصة غرامية او قصيدة من الشعر . كانت مزيجا من المراة الرزينة والمراة الفاتنة في نفس الوقت .

واحسست بقلبي يخفق بحب هذه المراة التي اصبحت اراها كل يوم في طريق عودتي الى البيت عند الظهر . كنت اقف في صبر كلما تأخرت عن موعدها لمجرد ان القي نظرة قصيرة على وجهها الجميل . ورحت اسأل نفسي : « ترى من تكون هذه المراة . من اين جاءت . وماذا تفعل هنا في هذا الوقت بالذات كل يوم ؟ » وحاولت ان ابحث عن اجابة لهذا السؤال لمدة ثلاثة اشهر كاملة ولكن على غير جدوى !

وفي يوم احد، جاء والدي الطبيب يقول لي : « ان احد اصدقائي من المرضى الذين يترددون على عيادتي ، وهو

.. وذهبت الى بيت « حبيبتى » وعندما اصبحنا وحدنا قلت لها :
هل تعلمين انني كنت مجنونا بحبك في يوم من الايام .





اندريه موروا

مسيو فيرجيه، دعاني انا ووالدتك لتناول طعام العشاء في بيته . وقد قال مسيو فيرجيه اننا نستطيع ان نصطحبك معنا . انه رجل لطيف وكذلك زوجته وانا واثق من انك ستكون سعيدا بلقائهما » .

ولم يكن لدى اية ارتباطات اخرى في ذلك اليوم فقبلت الدعوة ، وكانت المفاجاة . لم تكن المراة الساحرة التى طالما كنت اتوق لاكتشاف شخصيتها سوى زوجة مسيو فيرجيه صديق والدى . وانتابني شعور من السرور والحزن . من الضيق والفرح ، وانا امد يدي لاصافح مدام فيرجيه !

فتاة احلامي

واحسست على الفور انها هي ايضا قد عرفتني . فقد عاملتنى على الفور كما لو كنت صديقا قديما . ولاحظت شيئا آخر : كانت مدام فيرجيه تبدو اصغر بكثير من زوجها المريض ، ولو انها كانت اكبر مني سنا . كان واضحا ان عمرها يتراوح بين الخامسة والعشرين والثلاثين . وكانت مغرمة بالكتب التى كانت هوايتي . وبالرغم من انني شعرت بخجل شديد وانا اتحدث اليها ، الا انني احسست بعد فترة قصيرة ان الكلفة قد زالت بيننا . وانتهت السهرة وعدنا الى البيت .

وعندما التقينا في اليوم التالي في ذلك الركن من الشارع الذي تعودت ان اراها تقف فيه، هزت« مونيك فيرجيه »راسها وابتسمت لي . وشعرت بسعادة تغمرني،فاقتربت منها في جراة ثم مشينا معا الى ان افترقنا وساركل منا في طريقه. قالت لي « موني » في ذلك اليوم الذي لن انساه ابدا،انها تهتم بالاعمال الخيرية، وانها اعتادت ان تزور مقر الجمعية الخيرية ، وثلاث او اربع مرات في الاسبوع . وفسر لي هذا سر وقوفها في ذلك الركن من شارع ماليري . وشكرت المهندس الذي قرر ان يبني مقر الجمعية الخيرية في طريق كليتي ؟

هل احببتها ؟ لو قلت انني وقعت في الحب فلن يكون ذلك كافيا لأعبر عما كان في قلبي . لقد كان في الواقع شيئا اقوى من الحب نفسه . ولكن ما هو ؟ لا ادري !

كنت كلما رايتها احسست بالحرارة تسري في جسمي . والسعادة الطاغية تغمرني . كنت اشعر انني احلق في سماء بعيدة وحدي مع « موني » ! ولو انني كنت شابا من شبان هذا العصر الحديث لفكرت على الفور في ان اقبلها . اما وقد كنت طالبا شاعريا اعيش في عام ١٩١٤ فقد تملكني مجرد شعور بأنني فقدت قلبي . واردت ان افعل شيئا عظيما اثير به اهتمامها . ولكنني لم اجد شيئا استطيع حتى ان افكر فيه ! واخيرا خطر لي خاطر . تذكرت انها كثيرا ما كانت تصنع حزمة صغيرة من زهر البنفسج في صدر فستانها . فقررت ان اغامر واشتري لها ولو زهرة واحدة من هذه الزهور التي تحبها . ولم يكن هذا عملا عظيما ولكن الفكرة راقت لي فنفذتها !

واستقبلت « موني » زهرة البنفسج استقبالا طيبا. وشعرت انني بدات احقق تقدما ملحوظا . لقد عرفت ذوقها وعرفت الاشياء التي تحبها فكنت اقدم لها جميع انواع الهدايا الصغيرة التي كان مصروفي المحدود يسمح لي بشرائها . لقد علمت علم اليقين انني احب « موني » ، واحسست ان ثمة شعورا من السرور والطرب يخالجها وهي تنظر الى عيني وتقرأ فيهما حديث الحب الصامت . ولكن « موني » بالرغم من هذا لم تذكر يوما كلمة واحدة عن هذه العلاقة الصامتة . وفي يوم من الايام سألتني : «لماذا انت لطيف معي الى هذا الحد ؟ » .

وكان سؤالا خبيثا ، ولم اجد جوابا له سوى ان اقول في صوت اشبه بالهمس : « لأن سعادتي الكبرى في ان اسعدك ! »

اللوحة التي اعجبتها

ويبدو انها كانت تتوقع ردا آخر ، ولكنها لم تعلق على هذا الكلام . وفي احد الايام ، وكانت نهاية الفصل الدراسي الاخير تقترب ، قالت لي « موني » انها على وشك السفر الى امريكا مع زوجها ، وانها لن تعود قبل شهر سبتمبر . ثم سألتني : « هل ستظل تواصل دراستك في الجامعة ؟ » وقلت : نعم . فنحن نستانف الدراسة مرة اخرى في سبتمبر . وقالت : اذن فسوف القاك عند عودتي .

قلت : سوف افتقد صحبتك كل يوم !

وكنا قد وصلنا الى واجهة دكان او معرض للوحات الفنية ، وفجأة نظرت « موني » الى اللوحة المعروضة فيها وقالت : « هل تعجبك هذه الصورة ؟ » وكانت لوحة من القماش رسمها الرسام بودين . كانت تمثل منظرا على الشاطىء في دوفيل بأعلامه الساحرة التي ترفرف امام رياح البحر . وقالت : ما اجملها ! ؟

انني معجبة بها جدا وقد طلبت الى زوجي ان يشتريها ، ولكنه قال ان لدينا صورا كثيرة لم يعد لها مكان نستطيع ان نعلقها فيه . وربما كان زوجي على حق ، ولكنني مازلت اريدها .

وتركنا واجهة المعرض ومشينا بعيدا عنها ، ورحنا نتحدث عن امريكا وعن رحلتها المقبلة. ثم افترقنا . ولكنني بدلا من ان اعود الى البيت عدت الى المعرض ووقفت امام واجهته مرة اخرى ورحت اتامل الصورة . نعم . انها جميلة حقا : ربما لانها اعجبتها هي . لا ادرى ! المهم ان الصورة بدت جميلة فى نظرى ودخلت المعرض وسألت السيدة الشابة ، المسئولة عن اللوحات ، عن ثمن لوحة بورين الصغيرة المعروضة . وراجعت الاسعار ثم ذكرت لي رقما يصل الى عشرة اضعاف المصروف الذي كنت اتقاضاه من والدى ولمدة عام كامل !

وقلت : اخشى ان اقول ان هذا الثمن اكثر مما تستطيع ان تتحمله ميزانيتى !

وضحكت السيدة وقالت : كنت اتصور ذلك فمن السهل ان يكتشف المرء انك ما زلت طالبا صغيرا . ولكن يبدو انك مغرم باللوحات الزيتية . اليس كذلك ؟

قلت : جدا . وخاصة هذه اللوحة بالذات ! انني اعبدها ! هل تستطيعين ان تحتفظى لى بها حتى شهر اكتوبر ؟ فربما استطعت ان اشتريها . من يدرى !

قالت : استطيع ان اعدك بذلك . فنحن نغلق ابواب المعرض ثلاثة ايام كل اسبوع خلال اشهر الصيف ، فليس هناك امل كبير فى بيعها الان . ولكنني لا استطيع ان اعدك بشىء بعد اكتوبر !

اتفقنا. فانا اذا لم استطع ان اشتريها فى اكتوبر فلن يكون لدى امل فى شرائها بعد ذلك !

خطة مجنونة

وكنت قد اعددت لذلك خطة مجنونة. كان والدى قد اقترح ان يرسلنى فى رحلة الى اسبانيا فقد كنت ارغب بشدة فى ان ارى لوحات جويا Goya فى مدريد ولوحات جريكو Greco فى توليدو Toledo . وكانت هذه الرغبة المفاجئة نتيجة لتأثير « مونى » علي . لقد وجدت نفسى فجأة احب الفن ، وكنت اجد نفسى قريبا منها كلما وقفت امام لوحة فنية جميلة !

وكانت اسرتي على استعداد لدفع نفقات الرحلة التى اعددت لها كل شيء. وفى الطريق الى اسبانيا قررت ان اتوقف فى بياريتز Biarritz وان اذهب الى الكازينو واقامر لاول مرة فى حياتي . وتصورت وقتها انني اعرف كل اسرار القمار ، شعرت ان دراستى للرياضيات ستساعدني على كشف حساب الحظ . واحسست بشىء يشدني الى مائدة الروليت Roulette . ورحت اجمع واطرح واحسب المبالغ التى سوف اكسبها . وقلت لنفسي : بهذه الطريقة سأتمكن من جمع ما يكفى لشراء اللوحة التى اعجبت « مونى » وسأقدمها لها عند عودتها !

ودخلت الكازينو ووقفت امام مائدة الروليت ولعبت وخسرت كل ما معى من نقود ، حتى آخر فرنك فى جيبي ! ماذا افعل الان بعد ان انهارت كل احلامى ؟ انى لم اعد املك حتى المبلغ الذى استطيع ان اسدد به حساب الفندق الذى انزل فيه . وكان امامي طريق واحد لاخراجي من هذا المأزق . وهو ان اتصل بوالدى تليفونيا واطلب

اليـه اعادتي فورا الى بلدى . ولكنني استبعدت الفكرة. فقد كان والدى رجلا طيبا وكنت واثقا من انه سيساعدنـي ولكنه كان سيفقد كل ثقته فى . وقـد يصبـح ذلـك عقبـة خطيرة فى طريـق مستقبلي. وكان هناك سبب آخر دفعني الى نبذ هذه الفكرة . وهو انني كنت اريد ان اعاقب نفسى علىهذا التصرف. وقلت : « لا بد ان اواجه الموقف » . وذهبت الى مدير الفندق راسا . وكان رجلا ذكيا يقدر الظروف ، ورويت له تفاصيل ما حدث بالضبط . ثم قلت : « ماذا عساى افعل الان ؟ » .

ساعتي الذهبية

وكان الشيء الوحيد القيم الذى املكه هـو ساعتى الذهبيـة . وقلت لمديـر الفندق : « انني استطيع ان اتركها معك كضمان حتى اتمكن من تسديد ديونى . ولكننى لا اعرف ماذا ساقول لوالدى عن فقد ساعتى ؟انى افضـل ان اعمـل فى الفندق لمدة شهر ، وهى الفترة التي كان مفروضا ان اقضيها فى اسبانيا . فهـل انت فى حاجة الى مسـاعدة مؤقتـة فى فندقك ؟ انى على استعداد لان اقـوم بأى عمل » .

وتصادف ان كان احد عمال المصعد فى الفندق قد ترك عمله فى ذلك اليـوم وعرض علي المدير الوظيفة الشاغرة ، بل انه عرض علي ما هو اكثر من هذا . قال : « لقد كان مفروضا ان تكون فى اسبانيا ولكنك الان فى بيارتيز ، ولكننى سأتدبر الامر . سأطلب الى بعض اصدقائي ان يرسلوا خطابات باسمك من مدن اسبانيا المختلفـة الى والـدك فى فرنسـا حتى لايكتشف انك لم تذهب اليها » .

وامضيت اجازتى اعمل فى هذا الفندق واحببته . وفى نهاية الاجازة عدت مرة اخرى الى بيتي وهناك وجدت مفاجأة اخـرى فى انتظارى . لقـد قرر والدى ارسـالى الـى السوربون فى باريس . وامضيت عاما بعيدا عن بلدى . ثم قامت الحرب العالمية الاولى وفقدت خيال حبي الاول وان لم اكن قد فقدت ذكراه .

ومرت السنوات . والتقيت بها مرة اخرى . . التقيت بمونى . . وكان عمرى خمسين عاما . اما هى فقد كانت قـد قاربت عامها الستين . وكنت قد تلقيت دعوة ، لالقى محاضرة فى بلدتى . ومـا كدت انتهى من المحاضرة حتى اتجهت مونى الي . وعرفتها على الفور . كانت لا تزال تحتفظ بابتسامتها الساحـرة وبصوتها العذب . وكانت مونى جدة وارملة . وقلت اسألها : « هل استطيع ان ازورك فى بيتك قبـل عودتى الـى باريس ؟ » .

وقالت : ان ذلك سيسعدنى .

وذهبت الى بيت« حبيبتى» . وعندما اصبحنا وحدنا قلت لها : « هل تعلمين انني كنت مجنونا بحبك فى يوم مـن الايام ! » ورويت لها كل شيء . قصة الصورة التى اعجبتهـا . والقمـار فى الكازينو ، والعمل الذى قمت به كعامـل مصعد من اجلها . وقالت : « قصـة جميلة . ليتك رويتها لى من قبل ! » .

وقلت : لم اجد الفرصـة . ولكنني كنت فى وقت من الاوقات على استعداد لان اضحى بحياتى من اجل ان اضمك الى صدرى واقبلك ! ولو لدقيقة واحدة !

قالت : لماذا لا تفعل ذلك الان !

وفعلت . وكانت لحظة سعيدة . ولو انها جاءت متأخرة ثلاثين عاما ! ■■

ترجمة : منير نصيف

العربي

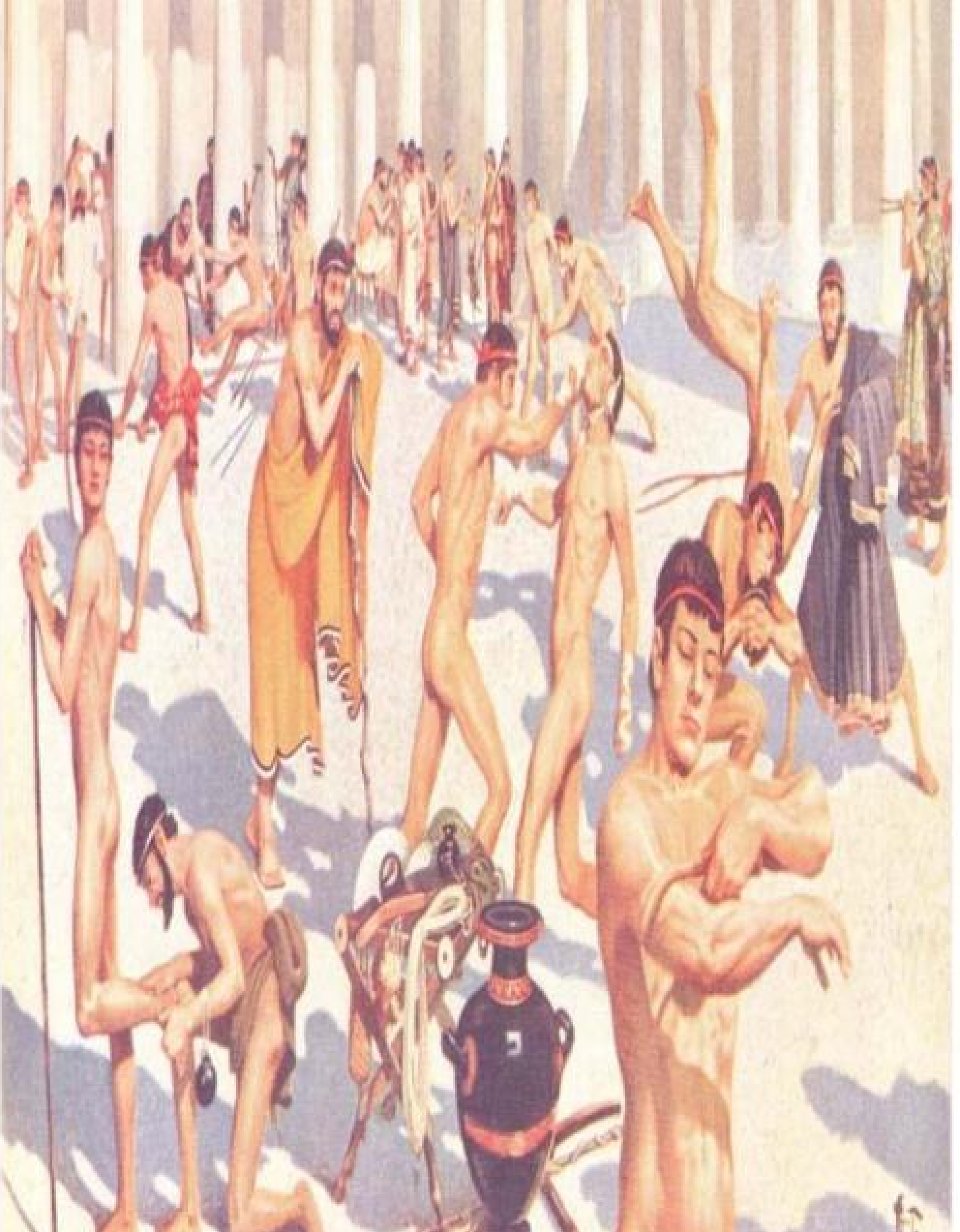
العدد ٩٦
١٨ رجب ١٣٨٦
نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٦٦



دبي ترعى حتى الولائد الذين لم يستكملوا حملا !

الثمن

الكويت	١١٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	١	روبية	الاردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥	قرشا
السعودية	١	ريال	سوريه	١٠٠	قرش	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢٫٥	شلن	ج.ع.م	١٠	قروش	الجزائر	٢٠٠	سنتيم
العراق	١٢٠	فلسا				المغرب	[illegible]	[illegible]



حضارات سادت ... ثم بادت

● ساحة أثينية فسيحة ، وهي أيضا طلقة الهواء مشمسة ، أقامها الاغريق في سائر مدنهم ، ان لم نقل في أحياء سكنهم ، لا لغرض سوى ممارسة الألعاب والتمارين الرياضية . ولا عجب : فقد أولوا التربية البدنية والمباريات الرياضية جانبا كبيرا من اهتمامهم ، واحتفوا بأبطالهم وأكرموهم ومجدوهم الى حد دفع شاعرهم الأول هوميروس الى القول : « ما من مجد يضاهي المجد الذي يحرزه الانسان بقوة يده وقدمه في ميادين الرياضة والسباق » .

(أنظر صفحة ١١١)

عزيزي القارئ

● **نريد ان نعرف رايك**

مضي على « العربي » منذ ظهوره ثماني سنوات كادت أن تتم ، وهي تتم ، من حيث ما يصلك من اعداد « العربي » ، بهذا العدد الذي في يديك ، عدد أول نوفمبر فهو العدد ٩٦ ، (حاصل ضرب ١٢ × ٨ سنوات) .

ولكنها تتم زمنا باليوم الذي يخرج فيه عدد اول ديسمبر هذا القادم .

وجرت عادتنا بان نحتفل بذكرى الأعوام في أول يناير من كل عام ، وسوف نحتفل بالذكرى الثامنة في أول يناير عام ١٩٦٧ .

نذكر هذا لنرجو منك ، يا قارىء «العربي» ، أن تدلنا على اى تغير تود أن تراه في « العربي » ، فالعربي لك ، وهو منك .

فاقترح ما تشاء .

ولكن اذا زدت بابا فاذكر ما تحذف من الأبواب الحاضرة ليحل محله .

واذا انقصت بابا فاذكر ما تضيف من جديد الأبواب ليحل محله .

وفي السياسة راع اننا نتجنب الحديث في ما بين العرب من خصومات ليدخل « العربي » كل باب .

ولا تنس ان « العربي » كتاب شهري للثقافة أكثر منه صحيفة ، وأكثر كثيرا .

ولك الشكر على كل حال .

المحــرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

أدب ولغة :

ركن الذرة والفضاء :

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

اسلاميات :

شعر .. وشعراء :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 96 Novemper 1966 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٣٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربى »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● الى عهد غير بعيد ، كان معظم الاطفال الذين لم يستكملوا اشهر الحمل سرعان ما يتخطفهم الموت . اما اليوم ، وقد تقدم العلم والطب ، فانهم يلقون من العناية والرعاية ما لم يكن يلقاه امثالهم من قبل ، على نحو ما ترى في هذه الصورة التي تمثل احدى فتيات « دبي » المشتغلات بالتمريض، وهي ترعى احد هؤلاء الولائد الذين لم يستكملوا حملا .

(اقرأ الاستطلاع على صفحة ١٦٨ وما بعدها)

طب وعلوم :

تربية وعلم نفس :

ركن الاسرة والمرأة :

قصص :

كتب

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس . مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٢٫٥ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . تونس والجزائر ٢٠٠ مليم . المغرب ٢ درهم . اليمن ٢٫٥ شلن . ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .



أزمة أخلاق .. وأزمة ثقة

● ان الصراع قائم في بلادنا بين القديموالحديث ، وبين اليسار واليمين . وما هو الا صراع سياسي أو اقتصادى ، يستهدف اما تغييرالحكومات او الاشخاص الذين يستلمون الحكم . ولكن غرُب عن بال ذوى الامر منا أن مشكلتناتكمن في نفوسنا واخلاقنا اكثر مما تكمن في المبادىء الاقتصادية والسياسية . لانه ما من مبدأ يستطيعالوقوف على أرجله اذا لم يكن اساسه الاخلاق الكريمة والثقة المتبادلة ، وحسن النية .

وهذا التاريخ امامنا نستعرضه بقديمه وحديثهفلن نجد امة قامت ونهضت الا على اساس قوى من الاخلاق . والغريب اننا نحن العرب ـ وبلادنامهبط الأديان الداعية الى مكارم الاخلاق وتربية النفوس ـ من ابعد الناس عن الاهتمام بهـــذهالأمور . فهل خطر يا ترى ببال علمائنا الاجتماعيين والنفسيين والتربويين أن يتقصـــوا سبب ذلكالنقص ، وان يضعوا الحلول الصحيحة الفعالة لتلافيه ؟ لقد افسحت مجلة « العربى » صدرهاالمناقشة مثل هذه الموضوعات على صفحاتها وهى بذلك تؤدى خدمة واية خدمة للوطن العربى بكامله.. وبقى دور هؤلاء العلماء والباحثين .

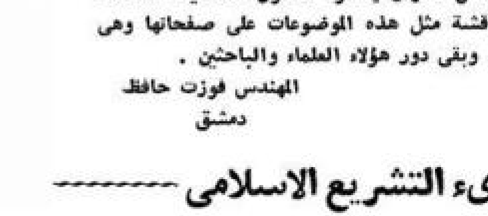
فهل تراهم فاعلين ؟

المهندس فوزت حافظ
دمشق

التشريع الامريكي ومبادىء التشريع الاسلامي

● لفت نظرى في مقـــال الدكتور أحمـــد عبد المنعم البهى عن التشريع الجنائيفي الاسلام اشارته الى حديث الرسول الكريم الذى يقول فيـــه : « ادرءوا الحدود عـن المسلمين مـا استطعتم ، فان كان له مخرّج فخلوا سبيله ، فان الامـام ان يخطىء في العفو خير منأن يخطىء فيالعقوبة » .

ومـن عجيب أن مجلة Time الأمريكية نشرت في عددها الصادر في نفس الشهر الذى نشر فيه مقـــال



Americans still live in a society that prefers to let ten guilty go free rather than risk convicting one innocent man. "The jury," say the authors, an expression of the community's science, interprets this norm more

الدكتور البهى ،مقالا تتحدث فيه عن القانون الامريكي وقـــد جاء فيه ان الامريكيين لا يزالون يعيشـــون في مجتمع يفضّل فيه أن يطلق سراح

للحقيقة والتاريخ

● قرات في العدد الرابع والتسعين من مجلتنا الغراء وفي مقال الاستاذ عارف العارف « بين ثورتين » ان المرحوم احمد عارف الحسيني ونجله مصطفى وعلى بن الحاج عمر النشاشيبي قد شنقوا في ساحة باب العمود بالقدس وان جثثهم ظلت تتارجح على اعواد المشانق يومين كاملين .

ولما كنت شخصيا من رجال الشرطة الذين اشرفوا على شنق المرحوم أحمد الحسيني فانني اود أن أصحح الحادثة للحقيقة والتاريخ .. فقد شنق أحمد عارف الحسيني في ساحة باب الخليل وليس العمود ، أما نجله مصطفى فقد قتل رميا بالرصاص وليس شنقا ، لأنه لم يكن مدنيا بل كان من العسكريين ، وتم اعدامه في « البقعة » في أرض تسمى أرض الشيخ الخليلي .

اما علي بن الحاج عمر النشاشيبي فقد شنق في عاليه وليس في القدس . وجثة أحمد عارف أنزلت بعد موته ببضع ساعات وليس بعد يومين كما جاء في المقال : وقد انزلناها نحن رجال الشرطة بأنفسنا .

وانني لاتسائل هنا : اذا كانت هذه الأحداث قد وقعت منذ حوالى خمسين سنة فقط ولحق بها كل هذا التحريف فما بالكم بأحداث وقعت منذ الاف السنين ؟

محمد داود الخالدي
القدس ـ الاردن

البادجير .. والبادنج

● اشكركم جدا لاجابتي على سؤالى المنشور بالعدد رقم ٩٢ وتضمن هذا العدد مقالا عن (الصيف في الكويت) جاء فيه بالصفحة ١١٧ كلمة عن مكيفات الهواء القديمة واسمها (البادجير) أو (ماسك الهواء) وبهذه المناسبة اقول ان اكثر دور حلب القديمة فيها من هذه المكيفات ويسمونها (البادنج) واظنها كلمة فارسية ودمتم .

امين عوف
حلب

المحامى نصير العدالة لا عدوها

● قرات في العدد ٩٢ من « العربي » في الصفحة رقم ١٥٤ نكتة تحت عنوان « سوء طالع اللصوص » . فذكرتني بالمشكلة التى اعانيها اذ انني قد حصلت على ليسانس في الحقوق وفكرت ان امتهن المحاماة . ولكن رغبتي هذه قوبلت بالمعارضة من قبل والدى وأكثر الأهل مفضلين الوظيفة الحكومية عليها ، زعما منهم ان المحامى « يقلب الحقائق فيجعل من الباطل حقا ومن الحق باطلا ، وانه يلجا الى مختلف الوسائل ولو انها باطلة ، ليربح الدعوى ويحصل على الاتعاب ؟ » .

ومع ذلك دافعت عن هذه المهنة بقدر ما استطيع .

ولست ادرى لماذا يحمل اكثر الناس مثل هذه الافكار الخاطئة عن مهنة المحاماة وما هو الاساس الذى بنوا عليه ادعاءاتهم هذه ؟

محمد فائز محيي الدين
دمشق

عشرة مجرمين ، على أن يدان برىء واحد .

" What is most evident is the fact that Americans still live in a society that prefers to let ten guilty go free rather than convicting one innocent man ",

وهكذا نرى التشريع الامريكي يسير على أحد المبادىء الاساسية التي جاء بها الاسلام منذ ثلاثة عشر قرنا أو يزيد .

« مسلم »

دُنْيَا البِيضْ

وَدُنْيَا الصُّفْر

- عَهْدُ المَدِينَة .. بَعْدَ عَهْدِ القَبِيلَة
- كَانَ العَرَبُ قَبْلَ الإسْلام قَبَائِل
- الإسْلام صَنَعَ أُمَّةً وَاحِدَة
- ضَعُفَ الإسْلامُ فَانْهَارَتْ وَحْدَتُه

بقلم رئيس التحرير

■ العالم اليوم في قلق شديد .

وهو قلق لا احسبه اشدّ من قلق كان العالم فيه في سائر ما مضي من ايام .

فان يكن قلقا اشدّ ، فما ذلك الا لاننا احس به ، بسبب عيشنا في هذا الزمان . فما خلا زمان قط من قلق .

ولقلق الزمان الحاضر أسباب كثيرة . ولكن عندما تكثر الأسباب ، يستطيع المستقرىء لها أن يستخرج منها أفعلها اثرا ، وأكثرها اتساعا .

وقد حاولت لهذه الأسباب ، أسباب القلق ، اجمالا ، فوجدت أنها تقع تحت عنوانين كبيرين :

ا ــ عقائد اقتصادية اجتماعية سياسية ، فرّقت بين أهل الارض : شيوعية ، ورأسمالية ، بينهما درجات من الاشتراكية ، تقترب من هذه حتى تكون منها ، أو من تلك حتى تكون منها .

ب ــ مذاهب عنصرية ، شطرت الأرض نصفين ، تقسّما بعد ذلك أخماسا وأسداسا .

والسُّمْر، والسُّود

- النَّصْرانِيَّةُ كانَتْ وَحْدَةً فانْفرطَتْ
- ظُهورُ القَوْميّات في العَصْرِ الحَديث
- لَوْنُ الجِلْدِ شَطَرَ الدُّنْيا شَطْرَيْن
- الخَطَرُ الأَصْفَرُ يَدْعَمُهُ اليَوْمَ الخطَرُ الأَسْوَدُ والأَسْمَر

كلاهما اشقى الناس ويشقى .

وكلاهما ذهب بأمن الناس ، في يومهم هذا ، وفي غدهم ، قريبه والبعيد .

ولست اتحدث الآن في العقائد الاقتصادية والاجتماعية ، وانما اتحدث في المذاهب العنصرية .

العنصرية اساس من اُسُس القومية قديم عريق

ان العنصر معنى يتضمن وشائج الدماء .

ومن العنصر الواحد ، ومن العناصر المختلفة ، تنتج السلالات .

وقد نسمي العنصرَ بالعِرْق ، وهما شيء سواء .

والقومية لفظ مذهبي حديث لم يكن له في سالف التاريخ وجود .

كان القبيل والقبيلة ، وكان الشعب، وكان القوم .

والقبيل ، في اللغة العربية، «الجماعة من الناس ، قلّوا او كثروا » .

والقبلية في اللغة العربية « بنو اب واحد » .

والشعب هو « القبيلة العظيمة » .

وفي القرآن الكريم : « وجعلناكم شعوبا وقبائل ، لتعارفوا . . »

ومعنى هذا انهم غـير متعارفين ، والهدف أن يتعارفوا. فهم اذن مختلفون. واختلافهم اختلاف عرق. اختلاف دم. اختلاف اب وأم . اختلاف عنصر .

اما قوم الرجل ، في اللغة العربية ايضا ، « فاقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد » .

اما قومية الرجل ، في اللغة ، فهي « قامته » .

من ذلك نرى ان هذه الالفاظ جميعا فيها معنى العنصر ، معنى الدم ، مع السلالة والقرابة ، يملؤها حتى القمة .

والحق أن الانسان لم يعرف في تاريخه الأول القديم غير القبائل نظاما سياسيا للحياة .

عهد المدينة بعد عهد القبيلة

وبعض بنى الانسان زال عنه العهد القبلى باكرا ، وانتقل الى عهد المدينة والمدنية .

ومن امثلة ذلك الرومان . كانت لهم امبراطورية قبل المسيح ، وكانوا ذوى مدائن في الأرض شتى . والمدينة تضفى على العنصرية القبلية غطاء كثيفا يحجب عنها التنفس فلا تلبث أن تموت، أو لا يكون لها من السلطان أثر اكثر مما للأموات .

وبعض من بنى الناس زال عنه العهد القبلى متأخرا ، وبعض تأخر كثيرا . وممن تأخر فيهم العهد القبلى ،العرب. ومن اقطار العرب ما زال فيه النظام القبلى سائدا حتى اليوم .

العرب ، قبل الاسلام ، قبائل

والعرب لم يعرفوا الوحدة ، بمعنى فيه كفاية، قبل الاسلام .

كان العرب قبل الاسلام قبائل ، ولم تجمعهم ، بالمعنى الحديث، أمة ، ولا كان



نموذج للوجه العربى
دليل على أن أثر الوشائج لم ينقطع في بعض الاقطار

لهم ، بالمعنى الحديث ، قومية ولا دولة .

كل قبيلة كانت لاب واحد ، او هى هكذا اعتبرت ، طال زمانها او قصر . واختلف الآباء فاختلفت القبائل. وكانت الحرب بينها سِجالا . وكانت القبيلة لغنم أو لدفع غنم. وكانت لمظلمة ودفع مظلمة ، وكانت لرفع كرامة واهدار كرامة . واذن لم يكن للقبائل ، مجتمعة، مصالح واحدة ، ولا مظالم واحدة ، ولا كرامة واحدة ، كالتى تكون للأمم بالمعنى الحديث .

وتفاخروا وتذامّوا .

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحْ ابلى
بنو اللقيطة من ذُهل بن شيْبانا
اذن لقام بنصرى معشرٌ خُشُنٌ
عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

وزادت الحروب بينهم توثيقا لأواصر القربى في القبيلة الواحدة. ومن الحروب ما دام ثلاثين عاما . ومنها حرب

البسوس، وقيل انها دامت أربعين عاما، وغير حرب البسوس . حياة طغت فيها فترات الحرب على فترات السلم،حتى كانت الأشهر الحرم ، تحرم فيها الحروب .

وكان هذا كله رغم أن اللغة ، لغة القبائل ، واحدة . يشهد على هذا فيما يشهد سوق عكاظ .

الاسلام وحّد العرب

وجاء الاسلام فوجد النظام القبلي قائما . قريش ، قبيلة الرسول ،تعادي محمدا . والأوس والخزرج (لايثرب !) تنصران محمدا .

قبائل تحارب ، وقبائل تناصر .

وكان اول عمل الاسلام المؤاخاة بين القبائل ، فوحّد بين العرب .

والاسلام سوّى بين العربي وغير العربي ، فوحّد معنى الانسان .

وصار الاسلام دولةً كانت أقرب ما تكون مما يعني لفظ « القومية » في عصرنا الحديث ، الدين قوامها .

وكثر علماء الاسلام ، وكثر فقهاؤه ، وكثر شعراؤه ، وما سال أحدٌ ، أهذا عربي أم أعجمي . وما أكثر ما كان الأعاجم فيهم .

كان الاسلام دينا لسانه العربية . فمن الف كتابا بالعربية فقد الف بلسان الاسلام ، وعلى العنصرية العفاء .

واتسعت دولة الاسلام ، ودخل فيها من لم يكونوا قبل الاسلام عربا ، وانتشر العرب في أرجاء الدولة ، كثيرا حينا ، وقليلا حينا ، فأعطوا من لغتهم ،وأعطوا من دمائهم ، وأعطوا من ثقافتهم ، من ثقافة فيهم أصيلة ،ومن ثقافة مكسوبة. واعطت أمم دانت بالاسلام من ثقافاتها كذلك . وصبّت جميعا في لغة واحدة ، هي اللغة العربية .

صلاح الدين
لم يكن بالوشيجة عربيا .
كان قائدا اسلاميا



نموذج للوجه المغولي
ذلك الذى خرب بغداد وعبث بدمشق
والشرق العربي ، وغزا اوروبا حتى بلغ اواسطها



ودخلت دارَ الخــلافة كلُّ الأصول والفروع ، ولم يكن أحد عن دار الخلافة بممنوع .

ثم ضعفت الخلافة ، وانهار الخلفاء . وتقسمت الدولة دولا ، في مشرق الارض ومغربها ، ومع هذا حرص كل أمير جديد على ان يكون أسمه باسم الخليفة مقرونا ، ولو بخيط رفيع .

ويأتي المغول مــن الشرق ، بجيوش لهــم جرارة ، هدفهم بغداد ودمشق ومصر ، وغايتهــم التنكيل والتخريب ، فتقوم قطَع الدولة الاسلامية المنهارة ، من كل فَج ، تدفع بقــدر ما تستطيع .

ويسير المصريون الى الشرق ويدفعون . وفي « عين جالوت » وقفوا زحف المغول ، وسحقوهم (١٢٦٠ م) وعلى رأسهــم السلطان قطــز . ومــا كان قطــز عربيا ، ولكنه كان قائدا اسلاميا .

ثم جاءت دولة الخلافة العثمانية آخر الدهر . بدأت قوية ذات عز وسلطان ، ثم ضعفت . وهي ضمت أكثر ما كــان بقي من دولة الاســلام . وكان ضعف الدولة العثمانية وبالا على أهلها ، ووبالا على مــا ضمّت . وفي ظل الدولــة العثمانية ، بل في ظلال شمسها الغاربة ، تبلور معنى في القومية جديد : تلك هي القومية العربية .

العنصرية في الدولة الاسلامية

ومع هذا لم يستطع الاسلام ان يقتل العنصرية قتلا .

بدأ التعنصر حتى في عهد الخلفــاء ، حين اتهم به عثمان بن عفان ، الخليفــة الرابع ، ان صدقا وان زعما . زعمــوا انه حابى آل مروان .

وجاء الأمويون ، فكان تعنصرهــم استطرادا لتعنصر عثمان . اما في العرب فعادوا العلويين ، من بني هاشم . واما خارج العرب فمارسوا التمييز العنصري ، وبهذا اتهموا ، واتهموا في ذلك بالخروج عن الاســلام . ودفعوا عن أنفسهم بمعاذير .

والخصومة القبليــة ، العنصرية ، ماشت الاســلام حتى ديار الأندلس ، والقول في هذا يطول .

وانشقاق الــدين الى مذاهب ، ذلك الذي لقيت الدولة الاسلامية منه الأمرين ، كانت القبلية ، وكانت العنصرية ، من بعض اسبابه .

جرى في الدولة النصرانية ، ما جرى في الدولة الاسلامية

والذي جرى في الدولة الاســلامية ،

السلطان عبد الحميد
بلغت الخلافة الاسلامية في عهده الحضيض



دولة الشرق ، جرى مثله أو شبيه له في الدولة النصرانية ، دولة الغرب .

بدات أوروبا ، كما بــدأ الشرق ، قبائل في تاريخها الأول .

وكان بين القبائل حروب . وغـارات من شرق ، وغارات من شمال .

ونسمع في العهـد الاغريقي انه في الاحتفالات الأولمبية كانت الحـرب على أهل الحرب حراما ، ما دام الاحتفـال قائما . تماما كالأشهر الحرم عنـد العرب . وما كان اشبـه « الأولمب » بعكاظ .

والظاهر ان تحول أوروبا من الحـال القبـلي ، الى الحـال المدني ، والى المدنيـة ، كان أسرع من تحول الشرق العربي . فكانت في اليونان دول ، ولو انها دول مدائن . وكانت في روما دولة ، ورثت ما خلف اليونان،وذهب سلطانها، وذهبت مدنيتها في الأرض بعيدا .

وكمـا تكونت في الشرق الدولـة الاسلامية ، تكونت في الغـرب الدولة المسيحية ، وحكمت أوروبا في القـرون الوسطى حكما دينيا . وتعـدد ولاء الناس،ولكنه كان ولاءً محليا ، لصاحب الاقطاع ، ولم يكن لوطن بذاته أو دولة بذاتها . ولكن غلب كل صنوف الولاء ، الولاء الأكبر للكنيسة في روما .

وكانت لغـة الأقوام ، لغة الدراسة والخطابة والوعظ والتسجيل ، اللغـة اللاتينية ، لغة الكنيسة ، تماما كمـا كانت العربية لغة الخلافة .

ثم حل بالمسيحية ما حل بالدولـة الاسلامية . وكلٌ شباب الى شيخوخة . وعندئذ فقط بدات تظهـر القوميات الحديثة .

وبعضٌ سبق ، وبعض لحق .

وقامت بين الأقوام حروب ، تؤكـد معنى القوميـة في كل قوم . وكانت قوميات جائرة ، جار بعضها على بعض.

وسبقت أوروبا بقومياتها ، وسبقت بنهضاتها ، وسبقت بعلمها وفنها .

وصورت لهـا القوة ، ان الدنيـا مُسبعة. ونظرت جنوبا ،ونظرت شرقا، وحتى نظرت عبر البحر غربا ، فوجدت في برارى الدنيا القديمة النعاج كثيرة ، والمواشي سـمينة ، والأدغال شتيتة ، والأحمرة مزوقة وغير مزوقة ، فقالت : لقد والله حان للسباع أن تفترس .

ودخلت الدنيا في عهد سمَّيناه بعهد الاستعمار، جهدت فيه كل دولة أوروبية، بل وكل قوميـة في الغرب جديـدة استطاعت أن تصل الى حيث الفرائس قابعة ، جهدت أن يكون لهـا في الأرض البعيدة مواضع اقدام .

وهلَّ القرن الحاضر وقـد انقسمت الدنيـا قسمين : أوروبا المستعمِرة ، وافريقيا وآسيا ، وحتى الجنوب من امريكا بمعنى ، وهي جميعا مستعمَرة .

لم يكد يبقى في افريقيا كلهـا قـوم يستطيعون أن يقولوا انهم أحرار ، من شمال الى جنوب. ومن شرق الىغرب. حتى الأرض صار لها بالأوروبية أسماء: فكتوريـا . روديسيا . سالسبرى . ليوبولدفيل ، ستانلى فيل . فريتون . كيب تاون .

وفي آسيا وقعت حتى الهند فريسة. ووقعت الصين فريسة أكبر . والهنـد الشرقية . واندونسيا . اندونسيا مائة مليون حكمتها هولندة وهي بضعةملايين، كالطفل الصغير يأخـذ بخطام الثور الكبير .

واغارت القوميات الأوروبية على ما تخلف من الدولة العثمانية . فرنسا لها المغرب العربي . وايطاليا لهـا ليبيا ، ولبريطانيا النيل وما عليه وما وراءه . وجاء « لورنس » في الحرب العالميـة الأولى يثير العـرب الى حرب الترك ، مبشرا لهم بفك الأغلال، وتنقضي الحرب، فاذا العالم العربي كله أشلاء، ضرب فيها ناب السبع أو مخلب النمر فسالت منها الدماء .

عصر التحرر

ولم ينتصف القرن العشرين حتى تغير كل شيء .

موجات من الحرية عمّت كل الأرض.

آسيا تحررت . افريقيا تحررت . ولست ادخل في معنى هذه الحرية ، ما هي ، وكم هي . المستعمر ترك البلاد لأهلها ، وكفى .

فالهند تحررت . وتحررت الصين . وتحررت اندونسيا . حتى العرب تحرروا .

وافريقيا ،صار فيها كينيا، وتنزانيا، ويوجندا ، والصومال . وصار فيها الكنغو ، ومالي ، ونيجيريا ، والنيجر وغانا وغينيا والسنجال وداهومى ، وغير ذلك شيء كثير .

من كان يتصور في اول هذا القرن العشرين ان شيئا من هذا يكون .

والأسباب التى دعت الى هذا الانقلاب ؟

اسباب كثيرة ، ليس اقلها ظهور الروس على مسرح الأرض ، وكم من ضارة نافعة .

العنصرية :
لها وشائج في التاريخ قديمة واخرى في هذا الزمن الحاضر مستحدثة

ان العنصرية لعبت،في العصر الحاضر، في المجال السياسي خاصة ،دورا خطيرا، وذلك في سبيل كسب استقلال ، او احياءً لنعرة وطنية تسند استقلال دولة وتزيد في تماسكها . وقد يكون الهدف الأخير الاعتداء والغلبة .

ومن مثل هذا العنصرية عنصرية قال بها هتلر ، من آرية وغير آرية .

ومن هذه العنصرية صرخة موسولينى في الطليان بالعودة الى مجد آبائهم ، المجد الرومانى .

وزعم قوم أن مصر من الفراعين وللفراعين .

وزعم قوم ، ويزعمون ، ان ايران لداريوس ، وانوشروان .

وهذه كلها وشائج قديمة ، هى اليوم مزعومة ، بعد ان طال عليها الزمان ، وعفّى عليها اختلاط بنى الانسان . وشائج يرسمها الخيال ، وتحييها العاطفة ، وتساورها الآمال ، لغاية .

لقد اظهر العلم ، واظهر التاريخ ، واظهر الامتزاج الذى جرى ويجرى بين الأمم في الزمن القديم والزمن الحديث ، ان العنصر الواحد في الأمة الواحدة شيء، ان كان حقا قد كان ، فهو اليوم قد بان، وانه ما من امة كائنة متحركة في المجال العالمى الحاضر الا تألفت من عناصر شتى ، ثم امتزجت ،ومحا الامتزاج ما كان بينها من فوارق .

ولكن ، بالامتزاج المستمر ، وتذويب الفوارق المستمر ، تتألف لا شك أمة جديدة تكاد تكون على نسق واحد ، وحتى ليخال افرادها انهم من عنصر واحد .



وجه هندى احمر امريكى
بينه وبين وجوه الجنس الاصفر سمات
وهذا في امريكا ، وهذه في آسيا

وان تكن العنصرية وشائج وارحام ، ففي الأمم الحديثة من هذه الوشائج ، مع سهولة المواصلات الحاضرة ، وسرعتها ، وشدة حركتها ، اكثرَ مما خيل انه كان في العنصر الواحد الأول المخَيل .

واذن فقد أحدث التمازج بين عناصر الأمة الواحدة ، من الأمم الحاضرة اليوم على ظهر الأرض ، شيئا عظيما من التناسق انتج شيئا جاز ان نسميه بالعنصر المستحدث .

ان الأمة الانجليزية اليوم ، مثلا ، تألفت من السلت ، والبريتونيين ، والغاليين ، ومن التيوتون ، ومن النورمنديين والسكسون . هذا في الماضي . ولكنهم في الحاضر هدفوا ، أو كادوا يهدفون الى عنصر مستحدث واحد . يهدفون الى ذلك بالتزاوج المستمر . واللغة الواحدة تضفي على القومية الواحدة مقدارا من معنى العنصر الواحد لا يستهان به ، فعادة الخلق ان تكون اللغات ارث الأبناء من الآباء .

ان الذين ينكرون العنصر في القوميات الأوروبية الحاضرة ، ينكرون شيئا جليا .

ومن الانجليز من وصف قومه ، فسماهم السلالة الانجليزية English Race . وقد عابه من عاب . ولكن ما كان اصدقه . فما من سلالات اجتمعت في الصعيد الواحد ، واللغة الواحدة ، والمدينة الواحدة ، والحياة اليومية الواحدة ، واختلط نساؤها برجالها ، زواجا لا يسأل فيه احدهما أخاه عن اصله وفرعه ، ما من سلالات اجتمعت على كل هذا ، الا جعل الزمن منها سلالة واحدة ، ولكنها سلالة مستحدثة .

القوميات لها ركائز خمس

ولقد أرى ان القوميات ، تلك التي تصنع الدول ، لها ركائز خمس ، والركيزة هي كل ما يرتكز عليه بناء ليقيمه :

الركيزة العنصرية .
الركيزة اللغوية .
الركيزة الثقافية .
الركيزة التاريخية .
الركيزة المصلحية .

يضاف اليها ركيزة جديدة ، هي الركيزة الجلدية ، قومية اللون الذى شاء ربك ان يصبغ به وجوه الناس .

الركيزة العنصرية

اما الركيزة العنصرية التي تقوم عليها القومية فهي التي اساسها وشائج القربى ، وتتمثل اكثر ما تتمثل في القبائل .

ولكنها كذلك تتمثل في القبيل من الناس ، يسكنون البقعة الواحدة من الارض ، ويجرون الحياة على اسلوب واحد ، وعلى الرغم من انهم من اعراق بدأت في الزمان مختلفة ، الا انهم بتزاوجهم مزجوا بين الدماء المختلفة ، فكان منها دم تزيده الأيام تجانسا . ويتمثل هذا في كل دولة حديثة ، تأطّرتْ من حدودها في اطار ظل باقيا على الزمان بالمقدار الكافي الذي يأذن للعوامل الحيوية البيولوجية أن تمارس عملها الطبيعي في التقريب بين السلالات حتى تكون سلالة واحدة .

فاذا نحن قلنا السلالة الانجليزية ، عنينا سلالة اليوم ، أو السلالة الفرنسية ، او الايطالية ، أو الأمريكية ، عنينا السلالات القائمة اليوم .

الركيزة اللغوية

اما الركيزة اللغوية فهي التي اساسها وحدة اللغة .

وخطورة هذه الركيزة انها كانت من العُمُد الكبيرة التي استند اليها صانعو معاهدة فرساي التي اختتمت بها الحرب العالمية الأولى . سلخت بلاد عن بلاد ، وضمت بلاد الى بلاد ، وكان

الهادي في كل ذلك وحدة اللغة . انهـا قومية لغوية واحدة .

واهــــل بريطانيا ، واهل الولايات المتحدة ، يكوّنان كلاهمـا امة واحدة ، عند علماء الاجتماع ، ولو انهم امتان في حكم القانون الدولي السياسي .

الركيزة الثقافية

والثقافة لفظ واسع يتضمن ما عند قوم مــــن علم ومعرفة وفن ومدنيـــة واسلوب عيش .

واللغات هي وعاء الثقافات .

الركيزة اللغوية تـسندهـــا الركيزة الثقافية .

ولكن اللغة قــد تتوحد ، وتتفارق الثقافات .

واذن يمتنع العيش الواحد ،ويصعب التقارب .

هب ، فرضا ، لا اكثر من فرض ، ان قوما يتكلمون اللغة البرغوانية ، يعيشون في الحاضر ، ولكن على أسلوب قرن من القرون الوسطى ، وقومـــا آخرين ، يتكلمون اللغة البرغوانية كذلك ، ولكن يعيشون في الحاضر ، على اسلوب القرن العشرين ، كيف يكون بينهمـــا امتزاج عقلية ، وامتزاج غاية ، ووحدة قومية ، الا ان يقف بها الواقع عند كونها نظرية لا سبيل الى تحقيقها .

وكذا في الدولة الواحدة . قد تجـد دولة ذات قومية واحدة ، على الأقل لأن لها لغة واحدة . ولكن تبحث في شئونها فتجد انها تتألف من طبقات ذات ثقافات مختلفات متفاوتات،بعضها في الحضيض وبعض في السماء العُلى . دولة كهـذه كيف يمكن ان تؤلف في حسبان علمـــاء



طالب جامعي ماوري ، من أهل نيوزيلندة الاصليين
الوجه ماوري ، والراس والثياب والثقافة ، وكل شيء اوروبي غربي

المجتمع قومية واحدة ، مهما اكد ذلك القانون ، واكد الساسة انها قومية واحدة . ان قالوا دولة واحدة . فنعم . واما ان قالوا امة واحدة ، فلا .

الركيزة التاريخية

وهى الركيزة التى تجمع بين قبيلين من الناس ، او اكثر ، كان لهما في التاريخ تناصر وتآخ ، اورثهما ارثا من الفكر والتقاليد واحدا .

ومن امثلة ذلك الركيزة الدينية ، ان جاز هذا تعبيرا .

الركيزة المصلحية

وهى ان يجتمع قبيلان من الناس، او اكثر من قبيلين ، في صعيد واحد ، وقد عزتهم الركيزة اللغوية مثلا ، او ركيزة اخرى من سائر ما ذكرنا ، ومع هذا يرضي الجميع بالجمع بينهما .

ومن امثلة ذلك سويسرا ، ولها لغات على الأقل ثلاث مختلفات .

وبلجيكا وبها لغتان .

وكندا ، وبها الفرنسية الى جانب الانجليزية .

الركيزة الجلدية

بقيت الركيزة الجلدية .

وصدق المواطن الذى وصف مواطنه فقال : هذا ابن جلدتي .

ان اجناس البشر كثيرة ، يتميز بعضها عن بعض بصفات ، اظهرها سمات الوجوه . واظهر ما في سمات الوجوه اللون .

انك ترى الصيني ، وترى الكنغولى ، فلا تخطىء ابدا فتقول هذان من قومية واحدة . لقد فارق بينهما الصفرة والسواد . ومع الصفرة والسواد ، اختلفت اللغة ، واختلفت الثقافة غالبا ، واختلفت سائر سمات القومية .

وجلود البشر الوان اربعة : الأبيض ، والأسمر ، والأسود ، والأصفر . ※

ولن تجد شيئا فرّق بين اهل الأرض كلون جلود . ولقد كانت الخصومة نائمة نوعا ما ، والبيض سادة ، وسائر الألوان عبيد .

ثم جاء العصر الحديث ، وشاءت سائر الألوان ان تنهض فابى عليهم البيض النهوض .

مقدار الوحدة والتواحد في كل امة

بعد تصنيف ركائز القومية الى اصناف خمسة ، يصبح مقدار ما بأمة (بالمعنى السياسي) من قومية تدعم الوحدة ايسر تقديرا .

انه مجموع ما بها من هذه الركائز الخمس . هو ليس مجموعها ، بل هو حاصلها . او كما يقول الرياضيون محصلّتها .

والمحصلّة في علم الميكانيكا ، على ما يدرس طلاب الثانوى ، هى قوة واحدة تلخص عمل قوى كثيرة ، تعمل في جسم واحد ، وقد اختلفت مقدارا واختلفت اتجاها . وحاصل هذه القوى قوة واحدة ، ذات مقدار واحد وذات اتجاه واحد . وتعرف بالمحصلّة .

※ سبب الوان الجلد ان الجلد الأسود به مقدار كبير من صبغة تعرف بالميلانين Melanin ، يسقط عليها ضوء الشمس فتمتص اغلبه ، ولا يعكس الجلد منه الا القليل ، فيظهر الجلد اسود اللون . اما الجلد الأسمر ففيه من هذه الصبغة مقدار اقل ، ولذلك ينعكس عنه الى عين الناظر اليه مقدار اكثر من ضوء الشمس ، فتراه العين اخف دكنة . اما الجلد الابيض ففيه قلة من هذه الصبغة ، فالضوء الذى يقع عليه ينعكس عنه من ضوء الشمس الى عين الرائى ما بين ٢٠ الى ٤٠ في المائة ، فتراه العين ابيض . وما بالجلد الابيض من مادة بيضاء . وقد يمتنع جلد انسان اسمر مثلا عن صنع هذه الصبغة فتظهر في جلده بقع بيضاء لا تختلف عن سائر الجلد في شيء آخر . فهذا هو « البهاق » .



ڤلتير

قال فريدريك الأكبر ، وهو ألماني، انه سعيد أن يكون عاش في العصر الذى انجب ڤلتير وهو فرنسي ، دليل العاطفة الاوروبية المتبادلة من قديم رغم اختلاف الدول



بسمارك

السياسي الألماني الكبير الذى وحد الألمان وانشأ لهم دولة طلب اليه الاسكندر ، قيصر الروس أن يأتي اليه ليقوم بادارة سياسة الدولة

فالقومية هي حاصل صنوف الركائز التى توجد في بلد ما أو بلدان ، وهي التى تقضي بالوحدة تكون أو لا تكون ، وعلى اي درجة من القوة هي كائنة ، وفي اى اتجاه تتجه .

الوحدة الأوروبية

ولقد انتقلت الوحدةفي العصر الحديث من المطالبة بوحدة البلدان التى تجمعها ركائز واحدة، الى المطالبة بوحدةالقارة. فقيل الوحدة الأوروبية ، والوحدة الافريقية ، وغير ذلك .

واقرب هذه الوحدات الى التحقيق هي لا شك الوحدة الأوروبية ، فحظ دولها من سمات القوميةالخمس السالفة الذكر حظ كبير .

ان أوروبا ، ومعها الشمال من أمريكا (وما هذا الشمال الا امتداد لأوروبا) ، يجمع بين دولها البياض . وما هو ببياض من جلد فحسب . ان هذا اللون يتمثل فيه اليوم (وما تمثل بالأمس ، وقد لا يتمثل غدا) العلم ، وتتمثل التكنية ، واذا قلنا العلم والتكنية فقد قلنا الزراعة ارفع ما تكون واوسع ما تكون واكثر ما تكون ثمرات (فائض محاصيل الولايات) . واذا قلنا العلم والتكنية، فقد قلنا الصناعة ادق ماتكون، واعقد ما تكون،واكثر شعابا . والصناعة لعلها اكبر عُمُد الجانب المادى من هذه المدنية الحاضرة . واذا قلنا العلم والتكنية فقد قلنا علم الأرض ، وعلم البحر ، وعلم الفضاء والسماء . وسلاح الأرض والبحر

والسماء والفضاء ثمرة من ثمرات العلم والتكنية . (واهل الارض اذا طلبوا سلاحا فمن اوروبا والولايات) . ومع السلاح العزة ، ومع السلاح الطغيان اذا اريد به طغيانا .

والمعرفة الانسانية ، وهي تمثل الجانب غير المادي من المدنية الحاضرة ، لها ابواب كثيرة ، اسبق الناس اليها اليوم (لا امس ولا اقول غدا) ذوو الجلدة البيضاء (بعثات طلبة أهل الارض تجرى اليوم عبر البحر الأبيض المتوسط الى شمال ، او عبر المحيط الأطلسي الى غرب) .

هذا ما تمثله اليوم الجلدة البيضاء .

فماذا تمثل اليوم الجلدة الصفراء والسمراء والسوداء ؟

تمثل محاولة اللحاق بذوى الجلدة البيضاء ، ولا اقول ان تسبق . فلا بد قبل السبق من لحاق .

لون الجلد قسم الدنيا دنيوين

فلون الجلد قسم الدنيا اليوم فصارت دنيوين .

دنيا متقدمة ، فيها القوة وفيها الثراء . ومنطق القوة ومنطق الثراء يقضي بالدفاع عن قوة وعن ثراء .

فليس في أمة البيض من لا يخشي يقظة الصفر والسمر والسود .

وقديما قالوا : « الخطر الاصفر » .

والخطر الأصفر اليوم شق العالم الشيوعى شقين ، روسيا بيضاء في الشمال ، والصين صفراء في الجنوب . وتكاثرت حشود الجند من الجانبين على الحدود ، وقيل بل اشتبكا .

وتحدث جونسون رئيس الولايات : قال ان المستقبل جدير بأن يجمع بين روسيا والولايات ، جمع مصلحة . وفهم العالم اى مصلحة يعنى . انها المصلحة البيضاء تخشى المصلحة الصفراء .

والكنغو مثل يضرب . ثار فيه الكنغوليون العبيد السود ، على البلجيكين السادة البيض . وتغلبوا .

ثم اذا بالسياسة العالمية البيضاء تقلب المائدة على السود ، ويعود البيض ، وتعود لهم مصالحهم .

وجنوب افريقيا ، وامرها معروف مشهور ، تخاصمها الدول البيضاء شكلا وقالبا ، وتناصرها قلبا .

وروديسيا : يستولي البيض فيها ، قلة ، على السود ، كثرة . وتطلب الدول الافريقية من بريطانيا ان تخرج اسميث Smith من روديسيا بالقوة . ويتلكأ العمال ، حاكمو بريطانيا ، الاشتراكيون . ويطالب المحافظون ، اعلانا ، بنصرة البيض فيها . نصرة اسميث ، الاسم الانجليزى ، والوجه الانجليزى ، والثقافة الانجليزية ، والدين الانجليزى .

يا جماعة ! يا أهل افريقيا ! الا طلبتم شيئا يجوز في العقول !؟

وفي الولايات المتحدة حرمان للسود ومطاردة .

وفي غير الولايات .

دنيوان :
دنيا بيضاء
ودنيا صفراء سمراء سوداء

هذه هى الدنيا اليوم، وقد تقسمت. وسوف تزيدها الأيام تقسما .

ولا ينجيها من وبال ذلك الا ان تتقارب الثقافات وتتشكل المدنيات . فالفرقة القائمة اليوم ، ان يكن ظاهرها اختلاف لون ، فهى في الصميم اختلاف علم وفهم . واختلاف غنى وفقر ، واختلاف قوة وضعف . ودرجات على سلم المدنية ، خطت بعض الأمم منها درجات كثيرا ، وخطت الأخرى درجات قليلا .

وسوف يظل سلام اهل هذا الكوكب محفوفا بالمخاطر ، حتى تتقارب حظوظ الناس من انسانية ، وتهدف بذلك الى غايات اراها الاهية ، سجلتها الطبيعة تسجيلا ، في خلايا تتوارثها ، بخيرها وشرها ، على الزمان ، الأرحام . ■■

احمد زكى

طرائف عربية

العفة فى المحبة

● خرج عثمان الضحاك يريد الحج،فنزل بخيمة ، فاذا بجارية جالسة على باب الخيمة ، فاعجبه حسنها ، فتمثل بقول نصيب :

بزينب ألمِمْ قبل أن يرحل الركبُ　　وقلْ لا تملّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت : يا هذا : اتعرف قائل هذاالبيت ؟ قال : بلى ، وهو نصَيب . فقالت : اتعرف زينَبه ؟ قال : لا . قالت : انا زينبه ! قال : حيّاك الله وحباك ! قالت : اما والله ان اليوم موعدُه ، وعدنى العامَ الاول بالاجتماع فى هذا اليوم ، فلعلك ان لا تبرح حتى تراه ! قال : فبينما هى تكلمنى اذا انا براكب .. قالت : ترى ذلك الراكب ؟قلت نعم . قالت : انى لأحسبه اياه .. فاقبل ، فاذا هو نصيب ، فنزل قريبامن الخيمة ، ثم اقبل فسلم ، ثم جلس قريبا منها ، فسألتهُ أن ينشدَها ،فانشدها . فقلتُ فى نفسى .. مُحِبّان قد طال التنائي بينهما فلا بد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة .. فقمت الى بعيرى لاشد عليه . فقال نصيب :على رِسْلِكَ (اى على مهلك) ! انى معك ! فجلست حتى نهض معى ، فسرناوتسامرنا . فقال لى : أقلتَ فى نفسك « محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد أن يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة !؟ » .

قلت : نعم قد كان ذلك ! قال : وربِّ هذا البيت ، منذ أحببتها ما جلست منها مجلسا هو اقرب من مجلسى هذا ! فتعجبت لذلك وقلت . والله هذه هى العفة فى المحبة !

تَكْرَهُ مِنْهُ مِثْل

● مر رجل اشمط بامراة عجيبة فى الجمال فقال : يا هذه ، ان كان لك زوج فبارك الله لك فيه ، والا فأعلمينا .. فقالت : كأنك تخطبني ! ؟ قال : نعم ... فقالت : ان فى عيبا .. قال : وما هو ؟ قالت : شيب فى رأسي ... فثنى عنانَ دابته .. فقالت : على

ضم الرزق من اطرافه ..

● قيل تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول : اللهم أوسِع لنا فى الرزق .. فقال لها : يا هذه ! انما الدنيا فرح وحزن .. وقد اخذنا بطرفي ذلك .. فان كان فرح دعوني ، وان كان حزن دعوكِ ! .

من حكم العــرب واقوالهم المأثورة

* المرء بفضيلته لا بفصيلته ، وبكماله لا بجماله ، وبآدابه لا بثيابه .
* لا يجد العجول فرحا،ولا الغضوب سرورا، ولا الملول صديقا .
* من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه.
* اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده .

بين هرقل ومعاوية

● يروى ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن ابى سفيان ، رضى الله عنه ، يسأله عن : الشيء ولا شيء ، وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا فى اصلاب الرجال وارحام النساء ، وعن رجل لا اب له ، وعن رجل لا أم له ، وعن قوس قزح ما هو ، وعن شجرة نبتت من غير ماء ، وعن شيء تنفس ولا روح له ، وعن اليوم وامس وغد وبعد غد ، فأجــاب معاوية بعد ان حصل على رد ابن العباس على هذه الأسئلة ، قال :

اما الشيء فالماء ، اذ قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي ، واما لا شيء فانما الدنيا تبيد وتفنى ، واما الأربعة الذين فيهم الروح ولـم يركضوا فى اصــلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحــواء وناقة صالح وكبش اسماعيل ، وامــا الرجل الذى لا اب فالمسيح، واما الرجل الذى لا ام له فآدم ، واما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق ، واما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام ، واما الشيء الذى تنفس بلا روح فالصبح ، وقــد قــال تعــالى «والصبح اذا تنفس»،واما اليوم فعملٌ وامس فمثلٌ وغــد فأجلٌ وبعد غــد فأمل .

كيف ينقلب مديح الناس ذما

● قال بعض الحكمــاء : ما من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقيــر عيب ! فان كان شجاعا سمي أهوج ، وان كان مؤثرا سمي مُفسِداً ، وان كان حليما سمي ضعيفاً ، وان كان وقورا ســمي بليدا ، وان كان لَسِناً سمي مِهذارا ، وان كان صموتا سمي عَيِيًا . قال ابن كثير :

الناس اتباع من دامت لــه نعم
والويــل للمـرء ان زلت بــه القدم

مَا يَكْرَهُ مِنْهَا

رسلك ! فلا والله ما بلغتُ عشرين سنة ، ولا رايت فى راسي شـعرة بيضــاء . . ولكنني احببت ان اعلمك اني اكره منك مثل ما تكره مني ، فانشد يقول :

رأين الغواني الشــيب لاح بمفرقي
فاعرضــن عني بالخــدود النواضر



سياسة تثبيت الاثمان والدخول دفاعا عن اقتصاد البلاد

عن صحيفة ((النيوستيتسمان))البريطانية :

● تقوم الديمقراطية الاجتماعية على اساسين رئيسيين: أولهما اعتبار السوق اداة عقيمة غاشمة لا تصلح لتنظيم العلاقات الاقتصادية بين المواطنين ، وثانيهما الجزم بضرورة ضبط السوق والاشراف عليها ، وذلك عن طريق تدخل اجهزة الدولة في سائر شئونها. ولايخفى ان هذه الأجهزة مسئولة بدورها أمام برلمان هو وليد انتخابات عامة .

وهذا هو بالضبط ما تسعى الى توطيده التشريعات الحكومية الجديدة في بريطانيا . على ان ما يجدر بحزب اليسار أن يفعله هو استغلال الفرص التى أتاحتها له الظروف الجديدة. ففكرة تنظيم الأسعار وما يكسب الناس من دخول ، قد تم الوصول اليها في غمرة من الفزع بسبب الأزمة التى هددت مصير الجنيه الاسترليني . وبالنظر الى ما انطوت عليه تلك الفكرة من علاج لأزمة الجنيه ، فقد بقيت الفكرة المذكورة بلا اسس فكرية فلسفية تدعمها ، وظلت على حالها ، مجرد وسيلة او اسلوب من وسائل الاقتصاد وأساليبه ، تفتقر الى المضمون الاجتماعى .

غير أن امكانيات تلك الفكرة هائلة . وعلى اليسار أن يجد السبيل الى اعطاء سياسة الاشراف على الأسعار والدخول معنى وغاية على الصعيد الاجتماعى .

البطالة فى أمريكا

عن مجلة ((النيوزويك)) الأمريكية :

● من المؤسف حقا ان تكون الحكومة الامريكية قد تخلت عن سعيها الى الحد من البطالة ،والهبوط بنسبتها ، قبل نهاية العام الحالى ، الى ٣٫٥٪ من حجم القوة العاملة اجمالا !

يدل على ذلك بقاء نسبة العاطلين عن العمل ٤٪ طوال الشهور الثمانية الماضية .

هذا بالرغم من أن الشواغر الجديدة ما انفكت تظهر على سائر المستويات في المجال الاقتصادى . فثمة عوامل لم تكن في الحسبان ظهرت وحالت دون اى هبوط في نسبة البطالة الراهنة .

من تلك العوامل الزيادة الخارقة التى حلت بالقدرة الانتاجية ، ومنها الزيادة البالغة التى طرات على عدد القادرين على العمل والمؤهلين له . والزيادتان المذكورتان لم تأتيا معا فحسب ولكنهما جاءتا على غير توقع ، او بالاقل ، على نحو يفوق كل التقديرات والتكهنات .

وتجدر الاشارة الى ان نسبة البطالة بين الزنوج في امريكا تبلغ اكثر من ضعف البطالة بين البيض، وان تلك النسبة بين الملونين في تزايد مستمر .

بين مخصصات التعليم ومخصصات الدفاع

عن صحيفة «الصنداي تلغراف» البريطانية :

● تشير الاحصائيات الرسمية الاخيرة الى ان ما تنفقه الحكومة البريطانية على شئون التربية والتعليم قد بلغ ١٥٠٠ر١ مليون جنيه استرليني في السنة الواحدة ، اي ثلاثة اضعاف ما كانت تنفقه قبل عشر سنين . وبالرغم من هذه الزيادة فان نفقات الدفاع ما زالت تزيد على نفقات التربية والتعليم بنحو خمسمائة مليون جنيه استرليني سنويا .

ولا ريب أن المثاليين من المواطنين يذهبون الى أن من الخطأ أن تستأثر شئون الدفاع بمزيد من الاهتمام وتحظى بمزيد من الأموال ، بالمقارنة بشئون التربية والتعليم .

غير أن هذه الزيادة في بريطانيا تكاد تتضاءل لدى مقارنتها بمثيلاتها في معظم الدول الاخرى ، سواء الراسمالية منها او الاشتراكية ، بما في ذلك الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا والمانيا الغربية . ولا يستثنى من ذلك حتى بلاد السويد نفسها ، وهي التي تنعم بنظم نموذجية مثالية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي . فنفقات الدفاع في السويد لا تقل عن نفقات التربية والتعليم ، بل تزيد عليها بنحو عشرين بالمائة !

لذلك كانت احتمالات زيادة مخصصات التربية والتعليم في بريطانيا على حساب مخصصات الدفاع احتمالات ضعيفة ومحدودة ، بحكم الواقع ، بالرغم من أن مخصصات التربية والتعليم ، قابلة للزيادة بل وجديرة بها .

رجحان كفة موسكو

عن مجلة «الايكونومست» البريطانية :



● لقد تجلت معالم الانشقاق داخل المعسكر الشيوعي في ابعادها الحقيقية . فالحزب الشيوعي الصيني ، اكبر الاحزاب الشيوعية اطلاقا ما زال يفقد المزيد من مؤيديه ، في ذلك المعسكر .

يصدق ذلك على شيوعيي اندونيسيا الذين ما انفكوا يركبون رؤوسهم حتى غلبوا على امرهم وباتوا في شر مأزق ، وقد كانوا سابقا أهم انصار بكين واخلصهم . ويصدق ايضا على الشيوعيين في شمال فيتنام وفي كوريا الشمالية ، وقد بدا توانيهم في تأييد الصين بحضورهم المؤتمر الشيوعي السوفييتي قبل حين .

اما الشيوعيون في اليابان ، فقد استمروا على ولائهم المطلق لبكين . ويستثنى من ذلك الحزب الشيوعي الالباني ، وقد ظل البوق المدوي الذي يرجع في اوربا اصداء ما يتردد في الصين.

الكوكبان التوأمان

الأرض والزهرة لا توأمة بينهما

- التحفت احداهما لحافا رقيقا . والتحفت الأخرى لحافا صفيقا ، ففرّق ذلك بينهما .
- ساعة من الزمان ، يفرغ فيها الانسان ، يتامل فيها ما صنع الله بالزهرة ، المع اجرام السماء ، ساعة فيها من العبادة ما في الف ركعة مما يعده الراكعون .

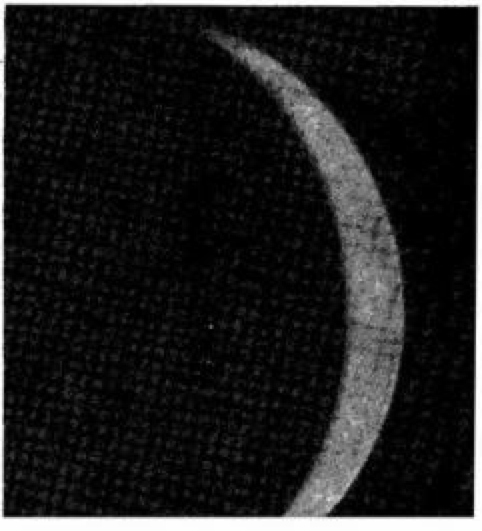
■ ليس من لا يعرف ان الأسرة الشمسية تتوسطها الشمس ، ومن حول الشمس تدور الكواكب التسعة ، اقربها الى الشمس عطارد ، وتليه الزّهَرَة ، ثم الأرض ، ويليها المريخ ، ثم المشترى ، ثم زحل . وزحل آخر ما كشف القدماء من الكواكب ، فكانوا عندهم سبعة . ولذلك قال المعرى :

زحل اشرف الكواكب دارا
من لقاء الردى على ميعاد

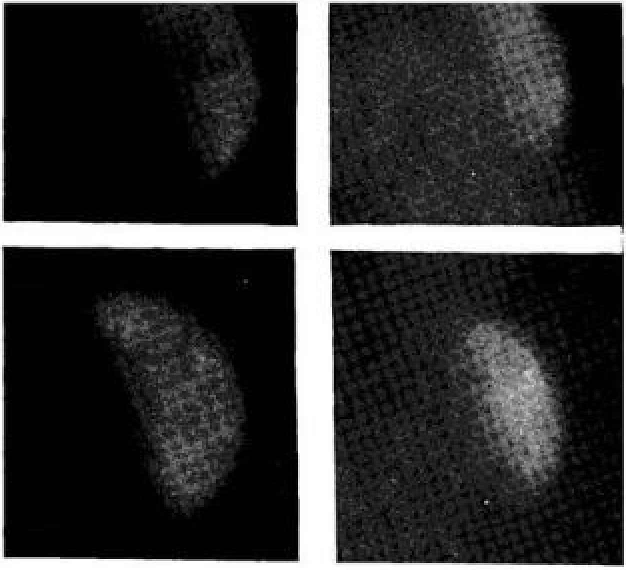
ثم كشف الأحدثون عن يورانيوس Uranius ، وبلوتو Pluto . وبذلك تم عدد الكواكب تسعة .

التوأمان

واطلق العلماء على كوكب الزهرة ،



الزهرة ، المع اجرام السماء ، تراها العين في السماء ، مساء ، وهى تغرب بعد غروب شمس ، او تراها العين ، في السماء ، صباحا ، وقد سبقت الشمس الى اشراق . والعين لا تراها الا نقطة من ضياء . اما التلسكوب ، فتراها احيانا هلالا ، واحيانا قمرا بدرا ، وما بين ذلك ، تبعا لموضعها من الشمس والأرض ، تماما كما يظهر القمر لناظره من الأرض ، او كما يرى الأرضَ ناظرٌ ينظرها وهو في احد الكواكب ، او كما رآها اخيرا رجل الفضاء وهو في مركبة الفضاء .



الزهرة تخيب امل الناظر اليها بالتلسكوب ، لان الذى يصلها من اشعاع الشمس ، وهو ضعف ما يصل الأرض ، يمتصه جوها . ويمنع ذلك رؤية ما تحته ، فتظهر الزهرة ، وكان عليها ضبابا . والصور المرفقة ، الاثنتان منهما التى الى اليمين صورتان فوتغرافيتان للزهرة أخذتا بالاشعة دون الحمراء ، والاثنتان اللتان الى اليسار ، أخذتا بالاشعة فوق البنفسجية .

والكوكب الأرضي ، كوكبنا هذا الذى نعيش عليه ، لفظ التوامين .

وذلك لتشابه بُعديهما عن الشمس ، فالزهرة تبعد عنها نحوا من ٦٧ مليون ميل ، والأرض تبعد نحوا من ٩٣ مليون ميل .

وقطر الزهرة ٧٧٠٠ ميل ، بينا قطر الأرض نحو ٧٩٢٧ ميلا .

وكتلة الزهرة قريبة من كتلة الأرض، فهي تساوي نحو ٨٠ في المائة منها .

ومتوسط كثافة مادة الزهرة ٤ر٨٦ ، بينا متوسط كثافة الأرض ٥ر٥٤ .

والزهرة تدور حول الشمس فتستغرق دورتها ٢٢٤ر٧٠١ يوما ، بينا تدور الأرض حول الشمس فتستغرق لتمام الدورة ٣٦٥ر٢٥٦ يوما .

والأرض لها جاذبية ، وهذه الجاذبية احتفظت للأرض بجو ، تمسك بها ، وتمسكت به ، وكذا الزهرة لها جاذبية احتفظت لها بجو تماما كما فعلت الأرض .

من كل هذه الحقائق جاء معنى التوامة التى جمعت بين الزهرة والأرض .

حتى لقد اغرى هذا الكاتب الفرنسي القديم الشهير ، برنار فنتينل(١) Bernard Fontenelle ان يقول :

« استطيع ان اقول من هنا .... من يكون سكان الزهرة ؟ . انى اراهم قوما صغار الأجسام، سود الوجوه ، أحرقتهم حرارة الشمس ، فيهم فطنة ، وفيهم نار . الحبّ ديدنتهم . يكتبون الشعر ، ويغرمون بالموسيقى ، في احتفال دائم ، ورقص ومساجلات لا تنتهى » .

اقتراب الزهرة من الشمس لم يكن وحده بمانع من حياة

كل هذا خيال حبيب .

فكل هذا التشابه يغرى بهذا الخيال . او هو على الأقل يغرى بوجود ناس على كوكب الزهرة أمثال ناس على كوكب الأرض .

حتى اقتراب الزهرة من الشمس ما كان بمنع هذا . اى ما كانت شدة الحرارة بمانعة اياه . نحن نعلم ان شدة الضوء والحرارة ، وامثالهما من الاشعاعات ، تخف بالبعد عن مصدر

---

(١) فنتينل (١٦٥٧ – ١٧٥٧ م) كان السكرتير الدائم للاكاديمية العلمية الفرنسية . جاء وصفه للزهرة هذا في كتاب له شهير اسماه « احاديث في تعدد الدنيوات » . ومما يذكر ان خاله الكاتب الفرنسي الشهير كورني Corneille

الحرارة والضوء . فلو ان جسما يبعد عن الشمس مائة ميل ، وآخر يبعد عنها مائتي ميل ، لكان مربع المائة ١٠٠٠٠ ، وكان مربع المئتين ٤٠٠٠٠ ، اذن فكانت شدة الحرارة على الجسم الأبعد ربع شدتها على الجسم الأقرب ١٠٠٠٠/٤٠٠٠٠

هذا هو القانون المعروف .

وقد عرفنا ما بعد الزهرة عن الشمس ، وما بعد الأرض ، وتطبيقا لهذا القانون وجب ان تكون شدة حرارة الشمس على الزهرة نحو ضعف شدتها على الأرض .

وهذا ليس بمانع من حياة على الزهرة .

اختلف الجوان
جو الزهرة وجو الأرض
فذهب اختلافهما
بمعنى التوأمة بينهما كل ذهاب

نعم ، انهما الجوان خالفا بينهما .

فجو الأرض جعل متوسط درجة حرارتها نحو ١٥ درجة مئوية .

وجو الزهرة جعل متوسط درجة حرارتها نحو ٣٢٧ درجة مئوية .

فهذه الدرجة العالية لا تأذن لحياة ، كالتي نعرفها ، ان تكون . يكفي ان تعلم ان هذه الدرجة هي الدرجة التي يسيح عندها الرصاص لتدرك حقيقة ما نقول .

انه لو كان للزهرة ، فرضا ، جو كجو الأرض ، من حيث تركيبه ، ومقدار تكثفه ، لزادت الحرارة على سطحها فوق مثيلاتها على السطح الأرضي . ولكن هذه الزيادة ما كانت بمانعة حياة طيبة . وقد حسبوها على هذا الفرض ، وادخلوا في الحساب كل الملابسات ، فوجدوا أن بلدا ، مثل لندن ، كان يرتفع متوسط حرارتها فيكون ٢٧ درجة مئوية !

ولنتحدث عن الجوين لنبين كم اختلفا فأطاح اختلافهما بمعنى التوأمة بين الارض والزهرة كل اطاحة .

جو الأرض
لحاف" التحفته الأرض سابغاً

انه من أكسجين (نحو الخمس) ، وآزوت (نحو الأربعة الاخماس) أساسا ، ثم من قلة من غازات أخرى : أهمها ثاني أكسيد الكربون وبخار ماء . وتكثفه عند سطح الأرض يقدره البارومتر بنحو ٧٦ سنتيمترا ارتفاع زئبق . انه ضغطه عند سطح الأرض . انه « الضغط الجوي » .

وعبر هذا الجو ، تأتينا من الشمس طاقات الحياة ، تتجمع في طيفها . والطيف أجزاء . أولها مرئي تراه أعيننا ، فهو ابيض ، ونسميه النور . واذا حللناه انفصل الى الالوان السبعة المعروفة التي تبدأ باللون الأحمر ، وتنتهي باللون البنفسجي . والجزء الثاني من الطيف يأتي دون الأحمر في الطيف ، طيف الشمس . فيه الحرارة ، ذات موجات مختلفات ، لا ترى . ثم الجزء الثالث من الطيف ، وهو فوق البنفسجي . تأتي فيه الأشعة فوق البنفسجية ، ذات موجات صنفريات .

واشد هذه الموجات صفرا هي للانسان والحياة على الأرض ، مهلكات . واذن شاء ربك أن يكون من صفات هوائنا الجوي أن يمنع وصول هذه الموجات الشديدة الصفر الينا . وهذه هي الثمرة الأولى التي يجتنيها الانسان من وجود الهواء . انه يدفع عنه سببا من أسباب الهلاك ، وما أكثرها في السماء ، وما أكثر هبوطها الى الارض ، وما أكثر الهواء حجبا لها وحماية لنا منها .

والاشعة التي تأتي الى الأرض من الشمس ، يرد الهواء منها الى الفضاء نحوا من ثلثها (٣٥ في المائة) ، ويأذن للثلثين (نحو ٦٥ في المائة) بالنفاذ الى سطح الأرض .

وسطح الأرض يمتصها فيحتر . ثم هو يشعها نحو السماء ، حرارة لا ضياء . وهي تريد أن تمر في هذا اللحاف الهوائي صاعدة فيمنعها أن تمر . انه يحتر بها ، ويحتر سطح الأرض . تماما كما يفعل اللحاف بالنائم .

والدفء حياة .

وشاء ربك أن يكون الدفء بمقدار يتسق مع حياة هو شاءها وقدرها تقديرا .

فكانت على الأرض الحياة ، وكان الأحياء ، وكان الانسان .

جو الزهرة
لحاف التحفته أيضا سابقا ولكنه أسمك ، وأكثف ، وأشد احتفاظا بحرارة رفضت معه الحياة أن تكون

انه جو يتألف ، على أحسن تقدير ، وبناء على آخر البحوث العلمية (٢) ، تلك التى أجريت فى هذه السنوات الست الماضية ، يتألف من آزوت (٩٥ فى المائة)، ومن ثانى أكسيد الكربون (٥ فى المائة) وقليل غاية القلة من بخار الماء .

ويراعى أول ما يراعى فى هذا الجو خلوه من الأكسجين .

ويلاحظ زيادة نسبة ثانى أكسيد الكربون . ان مقداره فى جو الزهرة ١٠٠٠٠ مرة من مثل مقداره فى جو الأرض . وهذا الغاز من صفاته البارزة احتفاظه بالذى يصله من حرارة ، فهو لحاف يؤدي وظيفته خير أداء .

ثم ضغط هذا الجو عند سطح الزهرة؟

قدروه فكان ما بين ٥٠ الى ١٠٠ ضغط كضغط جو الأرض .

والحرارة عند هذا السطح ؟

انها ٣٢٧ درجة مئوية .

بحوث عجيبة ، رائعة ، قام بها العلماء حديثا ، وهم على سطح الأرض ، لم يقذفهم الى السماء صاروخ ، أو تحملهم الى الفضاء مركبة .

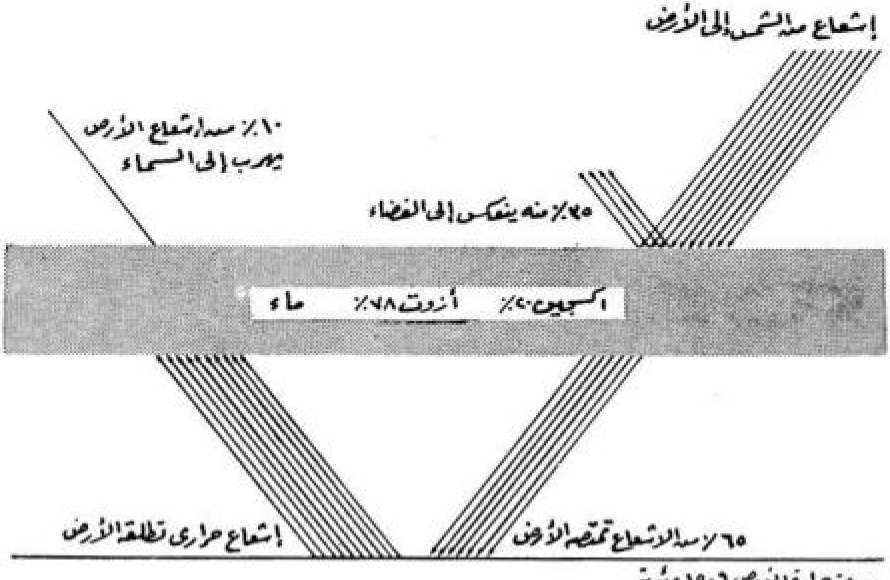
ووسيلتهم الى ذلك ؟

التلسكوب الكبير ، الذى قطر مرآته ٥ أمتار .

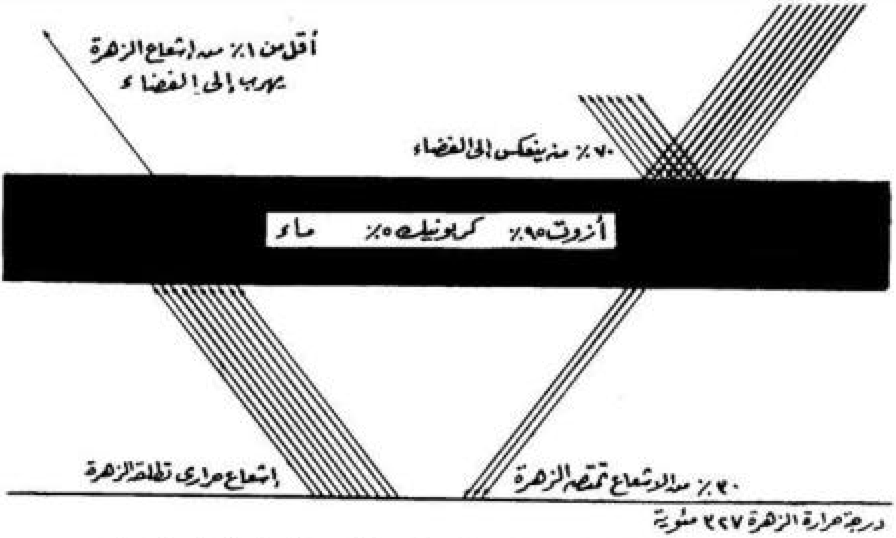
والموجات الكهربائية المغناطيسية ، شبيهة موجات الضوء والحرارة ، تلك التى تسميها بالموجات اللاسلكية .

والرادار .

رسم ايضاحي يمثل اللحاف الجوى للأرض ، وكيف يحفظ عليها بعض اشعاع الشمس ، حرارة الجو : ٢٠٪ أكسجين ، ٧٨٪ ازوت ، غازات أخرى ، مياه ، وغاز كربونيك الخ



(٢) نذكر منها بحوث اسبنراد Hyron Spinrad بجامعة كلفورنيا ، عام ١٩٦٠ ، وبحوث تديوس Patrick Thadeus بجامعة كولمبيا عام ١٩٦٣ وصاحبه وليم هو William Ho



رسم ايضاحي يمثل اللحاف الجوى للزهرة ، وكيف يحفظ عليها بعض اشعاع الشمس ، حرارة . الجو : ٩٥٪ ازوت ٥٪ غاز كربونيك ، قليل جدا من ماء

يطلقونها الى الزهرة ، ثم ترتد عنها وتعود بخبر عجيب .

ولا يحتمل هذا المجال تفصيلا .

وبسبب هذا اللحاف السميك ، التى ازدحمت فيه جزئيات الغازات ، واصطرعت واحترّت ، اختفى وجه الزهرة كما يختفى وجه المراة من وراء حجاب .

وسطح الزهرة

دلّ عليه الرادار .

اشعة منه ، موجتها ١٢٫٥ سنتيمتر ، ترسل من الأرض الى الزهرة ، فتضرب سطحها وترتد عنه ، ويتلقاها علماء الأرض واضحة جلية ، لم يعبث بها عابث . ودلهم ذلك على أن سطح الزهرة على استواء عجيب . فلو انه مخشوشن زائد الخشونة ، لما عادت موجات الرادار سليمة المعالم هكذا واضحة الحدود .

واختلفت الزهرة دورانا حول محورها

ودوران الزهرة حول محورها يطيح بمعنى توامتها للأرض ، ان كانت هذه الاطاحة في حاجة الى مزيد .

دلت البحوث التى أجريت حديثا ، بالرادار ، في الولايات المتحدة ، وفي روسيا ، وفي بريطانيا ، على ان الزهرة تدور حول نفسها على عكس ما تدور الأرض وسائر الكواكب . انها تدور من يمين الى يسار ، وقد دارت الكواكب من يسار الى يمين .

والأرض تتم دورتها حول محورها في يوم واحد .

والزهرة تتمها ، بناء على هذه الابحاث ، في ٢٥٧ يوما .

هذا موقف العلم اليوم من الزهرة .

والعلم كل يوم يأتى بجديد .

وسائل يسأل : وما خطر كل هذا ؟

والخطر هو المعرفة ، التعرف الى هذا الوجود . ساعة من الدهر ، يفرغ الانسان فيها ، لينظر ، في غبش مساء ، وقد غربت الشمس ، او عند اشراقة الصباح ، وقد كادت الشمس تشرق ، الى هذا الكوكب ، المع اجرام السماء ، يتأمله على هذا البعد الشاسع ، ما صنع الله به ، وما صنع الانسان ، وما الغاية . ويعجز عن ادراك غاية . ساعة كهذه فيها من العبادة ما في الف ركعة مما يعده الراكعون .

٤ ز

مسابقة العربي

اختبر معلوماتك واربح جائزة

١٢ سؤالا .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ هذه مسابقة في المعلومات العامة ،تتألف من اثنى عشر سؤالا ، لا يدخل القرعة الا من يجيب اجابة صحيحة عن ثمانية منها ، فاذا زاد عدد الاجابات الصحيحة عن ذلك كانت الاولوية لأصحابها .

وفيما يلي أسئلة المسابقة :

– ١ –

● **كان العلماء في الماضي ينسبون كل مرض الى مكروب ، حتى جاء رجل هولندى نقض هذه النظرية ، واثبت أن هناك امراضا تنجم عن نقص أشياء في الغذاء ، عرفت فيما بعد بالفيتامينات .**

فما اسم هذا الرجل ؟ ومتى ولد ؟ ومتى مات؟

– ٢ –

● في مثل هذه الأيام من ثلاث سنوات احتفل بالذكرى المئوية الرابعة لاتخاذ مدريد عاصمة لاسبانيا .. والغريب أن العرب هم الذين بنوا مدريد أيام كانت لهم في الأندلس دولة وحضارة ارتفع علمها قرابة الف سنة .

فما اسم الأمير العربى الاندلسي الذى اضطلع ببنائها ؟

– ٣ –

● **كلنا نعرف أن مدينة القدس الآن مشطورة شطرين : القدس العربية ، والقدس المحتلة التى يريد الصهاينة أن يتخذوا منها عاصمة لهم .. تفصل بين الشطرين بوابة كبيرة ، يجتازها الذين يسمح لهم من العرب بدخول القدس المحتلة لزيارة الأماكن المقدسة في المناسبات الدينية .**

فمااسم هذه البوابة ؟

– ٤ –

● من بين العواصم العربية عاصمة تسمى « العاصمة المثلثة » .. في أى هذه الاقطار تقع ؟ وما سر هذه التسمية ؟

– ٥ –

● **لما سافر الكاتب الامريكى الشهير « ارفنج واشنطون» الى اسبانيا للفرجة على قصر الحمراء لم يكن يعتزم أن يقيم هناك أكثر من اسبوع،ولكنه قضى عامين كاملين ، كتب خلالهما كتابه الشهير « قصر الحمراء » الذى يروى فيه تاريخ العرب في الاندلس باسلوب يدل على النزاهة والعبقرية .**

في اى مدينة من مدن الاندلس يقوم قصر الحمراء ؟ ومن الذى بناه ؟ وفي اى قرن بنى ؟

– ٦ –

● «تاج العروس في شرح القاموس» استغرق وضعه أربعة عشر عاما ، وقد صدرت منه طبعة ناقصة في خمسة أجزاء ، وأخرى كاملة في عشرة أجزاء ، وعيب الطبعتين أنهما خاليتان من الضبط مع أنه كتاب لغة . وقد بدأت وزارة الارشاد والأنباء بدولة الكويت في اصدار طبعة جديدة وفق الأصول العلمية الحديثة .

فمن هو مؤلف « تاج العروس » ومن هو مؤلف « القاموس » ؟

- ٧ -

● الصابئة قوم يعبدون النجوم ما يزالون ، لا يحلقون شعورهم، ولا يرتدون الملابس السوداء. وكتابهم المقدس يحوى تعاليم هى خليط من الوثنية القديمة واليهودية والنصرانية والاسلام . وهم يختارون كهنتهم من أجمل الرجال ... والنساء !

في أى الأقطار العربية تعيش هذه الطائفة العجيبة ؟

- ٨ -

● كان الخلفاء العباسيون مشهورين بالبذخ والسخاء في الهبة والعطاء ، الا واحداً ، اشتهر بالبخل حتى أصبح يضرب ببخله المثل ، اذ كان شحيحا يحاسب على الحبة والدانق ، ولذا سمى « الدوانيقى » أو « أبا الدوانيق » ..

فما اسمه ؟!

- ٩ -

● تعرضت مصر في القرن الثالث عشر لسلسلة من الحملات الصليبية ، باءت كلها بالفشل . وفي احدى هذه الحملات أسر المصريون ملك فرنسا الذى كان يقود الحملة ، ولم يطلقوا سراحه الا بعد أن دفع الفدية وسلم بكل شروط المصريين .

فما اسم هذا الملك الأسير ، وأين سجن بعد أسره ؟

- ١٠ -

● يعتبر « تاج محل » من أشهر المعالم التاريخية ، لا في الهند وحدها ، بل في العالم كله . وقد انشأه احد اباطرة الهند ليكون ضريحا لزوجته ، واستغرق بناؤه ١٧ عاما ، وبلغت تكاليفه نحو خمسة ملايين من الجنيهات بتقديرات عصرنا .

فما هو اسم هذا الامبراطور ؟ وما هو اسم زوجته ؟

- ١١ -

● من العواصم العربية ما يقع على نهر ، ومنها ما يقع على بحر، ومنها ما لا يقع على نهر أو بحر. فاى العواصم التالية يقع على نهر ، وأيها يقع على بحر ، وايها لا على هذا ولا ذاك :

القاهرة . بيروت . بغداد . الرياض . دمشق. صنعاء . الكويت . الخرطوم . عمان . الجزائر . طرابلس . مراكش .

- ١٢ -

● للكاتب المعروف السيد مصطفى لطفى المنفلوطى قصة مترجمة اسمها « تحت ظلال الزيزفون » وهو اسم طريق مشهور في عاصمة احدى الدول الأوروبية ..

فما اسم تلك العاصمة ؟

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٦ » .
٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦.
٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع . ■■

نتيجة مسابقة العدد ٩٤

الاجابات الصحيحة.. والفائزون بالجوائز

■ كانت نسبة الاجابات الصحيحة الى مجموع الاجابات التى تلقيناها لا تكاد تتجاوز ٢٠٪ . ومع ذلك فان عدداً غير قليل من المشتركين لم يكتفوا بالاجابة عن الأسئلة الخمسة التى هى الحد الأدنى بل اجابوا عن كل اسئلة المسابقة الثمانية، اجابات صحيحة . وكان معظم هؤلاء من الطلبة والمدرسين والخريجين .

ونبدأ بنشر الأجوبة الصحيحة بايجاز:

١ ـ السبب هو ميل محور الارض .

٢ ـ ٢٤ ساعة عند القطب الشمالى ، و (.) عند القطب الجنوبى .

٣ ـ ٣ امتار .

٤ ـ تذهب الحرارة الى جو الغرفة التى فيها الثلاجة .

٥ ـ للتخلص من حرارة الجسم الزائدة .

٦ ـ ليس لجلد الكلاب مسام يخرج منها العرق، فهى تلهث لتبترد .

٧ ـ بواسطة احراق فتلتين من كل منهما ، فتبقى من فتلة الصوف بقية سوداء لها رائحة اللحم المحروق . اما فتلة القطن فلا تخلف الارماداً .

الفائزون بالجوائز

وقد اسفرت عملية الاقتراع على الجوائز عما يأتى :

١ ـ الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : سعود عبد العزيز الفريح ـ منزل رقم (١) شارع الدوحة ـ الدسمة ـ دولة الكويت .

٢ ـ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها: عبد الرحيم محمد لطيف ـ بيت جبار عبد اللطيف ـ الحنان ـ حى السعد ـ النجف الاشرف ـ الجمهورية العراقية .

٣ ـ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها: المواطن السورى المغترب : ابراهيم ماردينى، برلين ـ المانيا الغربية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ـ هند ابراهيم محمد : الاسماعيلية ـ ج. ع. م.

٢ ـ عبد الرحمن محمد العوهلى: مكتبة المعرفة ـ عنيزة ـ المملكة العربية السعودية .

٣ ـ عبد الله الخير : وزارة الاشغال العامة والنقل ـ طرابلس ـ لبنان .

٤ ـ خلف محمد أحمد ياسين : قسم الاشعة بمستشفى الحكومة ـ الزرقاء ـ الاردن .

٥ ـ كميلة الطاهر قاباج : طرابلس الغرب ـ ليبيا .

٦ ـ موسى بله حسين : بواسطة الاستاذ بابكر الجزولى عثمان ـ الجامعة الاسلامية ـ أم درمان ـ السودان .

٧ ـ احمد مبارك بن مخاشن : ص.ب ٢٢ المكلا ـ حضرموت .

٨ ـ ابراهيم يوسف ابراهيم : ادارة البريد العام ـ كريتر ـ عدن .

وسترسل الجوائز الى أصحابها ■■

الفُول السُّودانى

النَّبات الَّذِى إلَّا إذا دَفَنَاهُ هَذَا

■ للرجل العادى ، ليس الفول السودانى الا طعاما يؤكل حين يستحب ، اكلَ البندق والجوز ، تسليةً ، او تصبيرةً حتى يجيء موعد الطعام .

ولكن نظرة الفلاح الى الفول السودانى تختلف عن نظرة الرجل العادى .

وكذلك تختلف نظرة التاجر .

وكذلك تختلف نظرة الصانع .

وكذلك تختلف نظرة الطبيب ، ونظرة العالم ، العالم النباتى .

حتى اللغوى ، قد يكون له في موضوع هذا الفول حديث .

حتى المؤرخ له في موضوع هذا الفول ما يقوله .

ما يقول رجل التاريخ

ولو اننا بدأنا برجل التاريخ لعلمنا منه ان الفول السودانى ليس عريقا بين اهل الدنيا القديمة ، اوروبا وآسيا وافريقيا . فهو لم يعرف بها الا بعد اكتشاف امريكا ، وعلى الاخص بعد وصول الاسبان الى مناطقه في امريكا الجنوبية . فهناك كان موطنه ، في البرازيل ، وقيل في المكسيك كذلك .

ومن مواطنه هذه الأولى ، فيما اسموه بالعالم الجديد ، انتقل الى العالم القديم ، وزرعته الهند وزرعته الصين ، وزرعه كثير من مناطق افريقيا .

ما يقول التاجر

واذا انتقلت الى التاجر لعلمت منه من



نبات الفول السودانى ، وترى فيه السيقان ، والزهر ، والثمر (الفول نفسه) وقد اندفن تحت الأرض

لا تنضج ثمرته النبات في الأرض

اين يستبضع الفول السوداني اليوم ، ولعلمت ان اكبر دول تنتج الفول السوداني اليوم هي الهند والصين ، ودول غرب افريقية،والولايات المتحدة. ولعلمت ان الفول ليس صنفا واحدا ، وانما هو صنوف ، وفي الولايات المتحدة صنفان يتميزان ، الفرجيني ، وهو كبير ، والاسباني وهو دونه ، وهناك ثالث .

ويقول لك التاجر ان قرن الفول يحتوى عادة على حبتين (بذرتين) او ثلاث حبات .

ما يقول الصانع

وتمضي الى الصانع تساله عن هذا الفول فتعلم منه انه يقوم بعصره لينتج منه الزيت ، وهو زيت للمائدة حل محل الكثير من زيت الزيتون . وفي الولايات المتحدة يطحنونه طحنا لينتجوا ما يسمونه « بزبدة الفول » ويستهلكون في ذلك نصف محصولهم .

ثم هو يستخدم في الولايات وغير الولايات طعاما ، وغالبا بعد تحميصه لان التحميص يخرج له صفات تحمد في فم الطاعم .

ما يقول الفلاح

وانت تسال الفلاح فتعلم منه ان خير تربة لزراعة الفول السوداني هي التربة الصفراء ، الرملية ، سهلة التفكك ، سهلة الصرف . وان الفول يتم نماؤه في نحو ٥ اشهر فما فوقها ، في جو دافيء ، وانه لا بد له من مطر ، بين ٢٢ ، ٢٤ بوصة ، او ري من ماء جار .

وفي الولايات المتحدة ، اذا جاء اوان الحصد ، حصدوا النبات كله فاخرجوه من الارض بمقدار ما يتعمق المحراث فيها ، وهو محراث ميكانيكي ، وسوف تعلم ان قرون الفول السوداني ترقد عند الحصاد في بطن الارض ، خافية .

والزارع الأمريكي يطعم النبات ، بعد فصل قرون الفول عنه ، الى المواشي ، فهو غذاء طيب .

وبعضهم يزرع المساحة من الفول السوداني ، فاذا جاء وقت حصادها ، اطلق فيها الخنازير فتقوم بنبش الأرض، واستخراج الفول ، واكله غذاء طيبا ، يستحيل في اجسامها الى لحم له في أسواقهم ثمن .

ما يقول الطبيب

وحتى الطبيب له في مجال الفول مقال.ان الفول السوداني عنده من اكرم الاغذية ، فيه أصول الطعام الثلاثة : البروتين ، والنشا ، والدهن . ومع هذه حسن الطعم ، ومذاق الطعام عامل في الاغذية غير قليل ، وهو يحسب عندما تحسب قيمها الغذائية .

سل اهل الحلوى عنه ، والطابخين ، تجدهم يدخلونه فيما يسوون من ذلك، سواء في الأسواق ، او في البيوت .

واللوز والجوز والبندق كلهامستحبة. ولكن الفول السوداني قد ينوب عنها . ولولا رخصه لحسب كثير من الناس انه احسن طعما من هذه الأجواز .

ما يقول اللغوى

وهنا يأتي دور اللغوى . اللغوى الافرنجي .

ان الافرنج لا تسميه فولا . انهم يسمونه جوزا Peanuts, Ground nuts . وقد أخطأوا علما . فما هو بجوز . انه في صنوف النبات فول . انه من البقول.

ويعتذر اللغوى الافرنجي عن ذلك بأن الناس عرفوه قبل التقسيم النباتي ، واعتمدوا على المذاق ، فمذاقه مذاق الجوز .

واذن صح ما قلناهمن انه لولا الرخص لارتفع الى مقام الجوز .

ما يقول النباتي

بقي قول العالم النباتي ، وقد جعلناه اخيرا لانه قول طويل . ولكنا نختصره . والصور المرفقة تنطق بالكثير .

فهو نبات لا يرتفع عن الأرض كثيرا ، وقد يمتد .

وله زهر اصفر ذهبي .

وهو نبات به امران طريفان يذكران فيحمدان .

نبات يدفن ثمرته في الأرض

اولهما ان زهرته بعد ان تتلقح ، وينضمر ورقها الزاهي ، تأخذ تميل الى الأرض، ويطول العود الرائد الذي يحملها لكي تنال الأرض . فاذا بلغتها دفنت نفسها في التربة حتى تختفي . وبها بالطبع البذور . وبها قرن الفول أو ما سوف يتم نماء فيصبح قرن فول ، فول سوداني .

وفي هذه التربة يتم نماء هذا القرن ، ولولا دفنه هكذا ما تم .

ظاهرة عجيبة ، ان لا تنضج ثمرة نبات الا اذا دُفنت في الأرض دفنا .

ومن اجل هذا كان ثمر الفول السوداني ، في الأرض ، لا على شجر في الهواء ، كسائر الثمر من اضرابه ، كالفول ، والبسلة ، وسائر البقول الذي هو منها .

نبات يسمد الأرض لسلفه من النباتات

اما الأمر الطريف الثاني الذي يذكر عن هذا النبات فيشكر ، فهو ان جذوره ، تلك التي خفيت في الأرض ، تتكون فيها انتفاخات بسبب غزو مكروب ارضي يعيش فيها . انه يعيش على ما يأخذه من هذه الجذور من طعام .

ولكنه يدفع الثمن .

ذلك انه بكتير ، يستطيع ان يصنع من آزوت الهواء ، ومن الاكسجين ، ومن عنصر من عناصر الأرض كالبوتسيوم ، يصنع ملحا آزوتيا كآزوتات البوتسيوم . والآزوتات هي السماد العضوي الكيماوي الشهير الذي يسمد الفلاح به أرضه .

وليس نبات الفول هو وحده الذي يصنع هذا ، فيترك هذا السماد في الأرض لينتفع به النبات الذي سوف يأتي . ان الأفوال تصنع هذا . والبسلات .

والبرسيم من اشهرها . انه يزرع في الأرض لأغراض منها تسميد الأرض ، ويزرع بعد البرسيم القمح او الذرة مثلا ، في الأرض ، فيطيب محصوله ويكثر . ■■



نبات الفول السوداني . وهي صورة كالصورة التي في اول المقال . جئنا بها هنا لتظهر للقارىء فيها الانتفاخات التي بالجذر ، تلك ، بسبب غزو مكروب ارضي يدخل الى الجذر ، ويصنع من الهواء سماد ، هو الآزوتات ، ينفع النبات الذي يلي .

المدنية الإسلامية

أثرت في مدنية الغرب والحضارة الإنسانية

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ في أواخر القرن الخامس الهجري ، أو الحادي عشر الميلادي، بدأت بين الشرق والغرب ، وبين الاسلام والنصرانية ، تلك المعارك العنصرية الطويلة التي استمرت بين المد والجزر زهاء قرنين ، ونعني بها الحروب الصليبية ، وهي الصفة التي شاء الغرب ان يسبغها عليها ، والتي أريد بها ان تحجب أغراضها الحقيقية الدنيوية والاستعمارية .

ظن الفرنج بالشرق شرا ، ثم استبانوا

وكانت طوائف الفرنج الغازية التي اجتمعت فيها زهرة الفروسية الأوروبية من كل امة ومجتمع ، تعتقد انها سوف تلقى في المشرق ، أمما همجية ، وثنية بعيدة عن كل حضارة وتمدن ، فاذا بها تصطدم بأمم قوية ناهضة ، حسنة التسليح والأهبة ، تدافع عن نفسها خير دفاع ، وتعيش في عالم آخر من التقدم والازدهار، غير ذلك العالم القاتم ، الذي تصوره الغزاة ، وتنعم بالثراء والرفاهية ، ولاتقل في تقدمها وحضارتها ، عن الدولة البيزنطية ، التي كانت يومئذ كعبة أوروبا النصرانية ، ومثلها الاعلى في الحضارة والتقدم .

ميادين الحرب اصبحت ميادين للكسب الحضاري

وهكذا بهرت طوائف الفروسية الأوروبية ، بما وقعت عليه أبصارها في

المشرق من مختلف ضروب العلوم والتقدم، واضحت المعارك المضطرمة بين الشرق والغرب ، ميادين للكسب الحضاري ، وفتح الغرب عينيه ، على ما لم يكن يحلم به، من معالم الحضارة والعلوم المشرقية، وبدات محاولاته المنظمة للاقتباس منها والانتفاع بثمارها .

وفى الاندلس ، كانت مدارس الترجمة تقوم بالنقل الحضاري

وكان صدى هذه المحاولات ، يتردد فى الوقت نفسه فى الناحية الأخرى من البحر المتوسط حيث كانت اسبانيا المسلمة ، التى كان الغرب يعرف عنها اكثر مما يعرف عن المشرق ، لقربها منه ، تثير بحضارتها وعلومها وفنونها اهتمام الامم الأوروبية ، وحيث كانت جارتها المباشرة مع اسبانيا النصرانية ، تلعب دورها المأثور فى الاقتباس والاتصال الحضاري . وفى الوقت الذى كانت تضطرم فيه المعارك الصليبية فى المشرق ، اعنى خلال القرن الثانى عشر ، كانت مدارس الترجمة ، ولا سيما مدرسة طليطلة الشهيرة ، تقوم بعملها المتصل المنظم ، فى نقل ثمار العلوم الاسلامية ، الى اللغة اللاتينية ، وهى يومئذ لغة العلم في سائر أنحاء أوروبا .

وظلت المساهمة زهاء ثلاثة قرون

ومن ذلك الحين تبدأ مساهمة الحضارة الاسلامية، فى تكوين الحضارة الاوروبية. وقد امتدت هذه المساهمة زهاء ثلاثة قرون ، وكان لها أثرها العميق الواضح.

ثم تأخر العالم الاسلامى ، وتسلط الاستعمار الأوروبي

ولكن تأخر العالم الاسلامى ، منذ أواخر القرن الخامس عشر ، ثم تسلط الاستعمار الاوربي بعد ذلك منذ القرن الثامن عشر على كثير من الأمم الاسلامية، قد حجب كثيرا من الحقائق العلمية والحضارية ، التى يدين بها الغرب الى حضارة الاسلام ، وتركت الكلمة فى معظم الأحيان للبحث المغرض . على ان هذا التشويه لحقائق التاريخ ، لم يقو على الصمود امام نتائج البحث النزيه الحر . فمنذ قرن من الزمان ، يدرس تراث الاسلام والعربية ، وتترى الحقائق المدهشة ، عن القسط العظيم الذى ساهمت به المدنية الاسلامية ، فى بناء الحضارة الأوروبية والحضارة الانسانية بوجه عام. وفي وسعنا الآن ان نتتبع هذه المساهمة فى كثير من نواحيها العلمية والأدبية والفنية ، وغيرها من مقومات الحضارات العظيمة .

الحضارة الاسلامية سطعت خلال حلك العصور

لبث العالم الاسلامى مدى عصوره يشغل مراكز الصدارة والتفوق في العالم القديم ، سواء فى الشرق أو الغرب . واذا استثنينا الدولة البيزنطية وبقايا الحضارة الرومانية القديمة ، فقد كانت المدنية الاسلامية تسطع وحدها خلال حلك العصور الوسطى ، فى الوقت الذى كانت فيه الأمم الاوروبية ما تزال تعيش فى غمار من البداوة والتأخر . ولما وصلت المدنية الاسلامية الى ذروتها فى نحو القرن الثانى عشر ، كان الغرب قد بدأ يستيقظ من سباته الطويل ، أولا بتأثير الهزة العنيفة التى شعر بها خلال الحروب الصليبية ، والتى انتهت بتحطيم طوائف الفرسان المستبدة ،التى لم يكن لها شعار سوى النار والسيف ، وثانيا انحلال نظام الاقطاع الذى لبث

عصورا يشل سائر ضروب النشاط العقلي والعلمي . وثالثا بقيام القوميات الاوروبية ونهوض المجتمعات المدنية المتجة فى داخلها .

وكانت بقايا المدنية الرومانية ممثلة بالأخص فى المدنية البيزنطية ، هى اقيم تراث يهتدى به الغرب فى خطواته الحضارية منذ القرن السابع الميلادى . فلما فتح الغرب عينيه على تراث الحضارة الاسلامية الفى فيه ميدانا أوسع واخصب واكثر جدة وتقدما . ومن ثم فقد اخذ ينهل الغرب من ثماره من مختلف الميادين ، ولسنا ندعى اننا نستطيع فى مثل هذا المقال المحدود ، ان نحيط بسائر العلوم والفنون التى اقتبسها الغرب ، وانتفع بها فى تكوين مدنيته ، فهذا بحث يقتضى المجلدات الضخمة . ولكنا سوف نحاول فقط ان نقدم لمحات عابرة عن هذا التأثر والتفاعل الحضارى العريق .

بحوث المسلمين فى الطب والكيمياء والطبيعة

وربما كانت بحوث المسلمين فى الطب والكيمياء والطبيعة ، هى اعظم ما افاده الغرب وما افادته المدنية الاسلامية من هذا التراث . وقد كان هذا الميدان منذ اقدم العصور يجذب بسحره واسراره عقول الباحثين فى كل قطر . وقد خصه المفكرون المسلمون سواء فى الشرق او الغرب بأعظم عناية وكانت لهم فيه بحوث واكتشافات عظيمة ، كانت اخصب مستقى للغرب فى هذا الميدان . وقد احرز المسلمون بالأخص فى ميدان الطب اعظم مكانة ، وكان الأطباء المسلمون سواء فى الشرق او الغرب أعظم الأطباء فى العصور الوسطى ، وقد فتحت بحوثهم واكتشافاتهم فى ذلك الميدان آفاقا جديدة كان لها اعظم الاثر فى تطور الطب فى تلك العصور . ولعل الحضارة الغربية لم تفد من تراث الاسلام قدر ما افادت من بحوث الأطباء المسلمين . ولدينا من اعلام الطب المسلمين سواء فى الشرق اوالغرب ثبت حافل ، وفيه أسماء لبث الغرب مدى عصور ، وما زال حتى عصرنا ، يذكرها مع عميق الاجلال والتقدير .

ابو بكر الرازى

وفي مقدمة هؤلاء ابو بكر الرازى الذى عاش فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى وقد كان الرازى من اعظم الأطباء والكيميائيين الذين عرفهم التاريخ . ويعتبره الاستاذ سارتون مؤرخ العلوم ، اعظم مشخص فى الاسلام وفى العصور الوسطى . وله بحوث هامة فى مواد الجراحة الرمدية والولادة وامراض النساء . وقد ترجمت معظم مؤلفاته الى اللاتينية . ونشرت بعد ذلك بمختلف اللغات الأوروبية ، وكانت ما تزال حتى القرن الثانى عشر من اهم واقيم المراجع الطبية .

ابن سينا

على أن اعظم اطباء الاسلام قاطبة هو الشيخ الرئيس ابو على بن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧ م والمعروف للعالم الغربى باسم Avicenna . ويجمع النقد الغربى على اعتبار ابن سينا من اعظم رجالات العلم فى العالم كله . ويصفه الأستاذ سارتون بانه من اعظم الأطباء فى سائر العصور واشهرهم بين سائر الأجناس والبلاد والعصور . وقد كان ابن سينا طبيبا وفيلسوفا ورياضيا وفلكيا وانسيكلوبيديا ، وقد كتب فى الطبيعة والكيمياء والطب والفلسفة

والمنطق وغيرها . ولكنه عرف بالأخص بتراثه الطبى . وتعتبر موسوعته الطبية المسماة « بالقانون » من أعظم المراجع الطبية فى الشرق والغرب ، وقد ترجمت الى اللاتينية على يد جيراردو الكريمونى، ونشرت بعد ذلك بمختلف اللغات .وطبع « القانون » بنصه العربى فى رومة سنة ١٥٩٣ .

ابو القاسم الزهراوى

ونجد فى اسبانيا المسلمة ثبتا آخر من الأسماء اللامعة ، وفي مقدمتها ابو القاسم بن خلف الزهراوى القرطبى المتوفى سنة ١٠١٣ م. ويعتبر ابوالقاسم اعظم جراح فى الاسلام وكان لطرائقه المستحدثة تأثير عظيم فى تقدم الجراحة فى أوروبا حتى عصر الاحياء. وللزهراوى موسوعة طبية عظيمة يتناول فيها جراحة العين والأذن والأسنان وله كتب أخرى فى علم الصحة والعلاج . وقد ترجمت كتبه الى اللاتينية فى وقت مبكر وذاعت فى جميع انحاء أوروبا .

اسرة بنى زهر

واسرة بنى زهر الاشبيلية وعميدها الوزير الطبيب أبو العلاء بن زهر ، ثم ولده ابو مروان بن زهر المتوفى سنة ١١٦٢م. وهو المعروف باسم Avenzoor . وكان ابن زهر يعتبر اعظم طبيب ومشخص فى العصور الوسطى بعد الرازى. ويعتبره ابن رشد أعظم طبيب بعد جالن. ويعتبر كتابه (التيسير) من أعظم مراجع الطب فى العصور الوسطى . وكان لمؤلفاته التى ترجمت كثيرها الى اللاتينية أثر عظيم فى سير المباحث الطبية فى أوروبا .

ابن رشد

والفيلسوف ابن رشد الذى برع فى الطب فى الوقت نفسه، واشتهر فى الغرب منذ القرن الثالث عشر فى الترجمة اللاتينية لكتاب الكليات فى الطب . وقد الفه فى ابواب الطب الكلية او الرئيسية بعيدا عن التفاصيل الجزئية ، وهى التى عنى بتناولها وشرحها أستاذه ابن زهر فى كتاب التيسير . وقد قصد ابن رشد من تأليف الكليات، أن يكون كتابه وكتاب ابن زهر فى الجزئيات وحدة تكمل بعضها ، وتستوعب كل ما عرف عن صناعة الطب فى هذا العصر .

مدرسة سالرنو من أعظم حلقات الوصل بين الشرق والغرب

ونحن نقف فى ذكر الاسماء عند هذا الحد . وما نود أن ننوه به هنا هو ان العلوم الطبية التى تقدمت على يد ابن سينا فى العصور الوسطى تقدما عظيما وان بحوث الأطباء المسلمين واكتشافاتهم فى هذا الميدان ، كان لها أعمق الآثار فى تقدم الطب فى أمم الغرب . وكانت مدرسة سالرنو الطبية التى ازدهرت فى جنوب ايطاليا منذ القرن الثانى عشر الميلادى ، من اعظم حلقات الوصل بين الشرق والغرب فى هذا الميدان . وكان لبحوث المسلمين الطبية فى مناهجها وتعاليمها اعظم تأثير . وكان جنوب ايطاليا معبرا لحضارة الاسلام التى ازدهرت فى صقلية زهاء قرن ونصف . وكان الطب يدرس منذ القرن الثالث عشر فى معاهد ايطاليا وفرنسا على ضوء المؤلفات العربية .

وعلم الكيمياء عند العرب

ولم يكن نبوغ المسلمين فى ميدان العلوم مقصورا على الطب وحده، بل كان شاملا لسائر العلوم الأخرى ، التى عنيت بها سائر الحضارات العظيمة . فالى جانب الطب كانت الكيمياء والرياضة والفلك والفلسفة ، وغيرها ، وهى جميعا مما يزهو به تراث العربية.

وقد كانت البحوث الاسلامية خلال العصور الوسطى فى هذه الميادين الهامة تفوق بحوث سائر الأمم الأخرى . وقد استطاع العلماء المسلمون بالاخص أن يقوموا فى ميدان الكيمياء باكتشافات مدهشة . وقد كانت الكيمياء العلمية تعتبر فى الواقع علما اسلاميا محضا ، وبلغت ذروة ازدهارها على يد العلماء المسلمين فى معامل الرى وبغداد والقاهرة وقرطبة واشبيلية . وانه ليصعب علينا فى هذا المقام ان نستعرض ذلك الثبت الطويل من الكيميائيين المسلمين في كل عصر وكل قطر . ولكنا نكتفى بأن نخص بالذكر اسمين من ألمع الأسماء هما جابر ابن حيان والرازى .

جابر بن حيان

فأما الأول وهو جابر بن حيان وهو الذى يعرف باسمه اللاتينى فى الغرب Goeber فقد عاش فى أواخر القرن الثامن الميلادى، فى الوقت الذى كان يخيم فيه الظلام العميق ، على سائر الأمم الأوروبية ، والذى كانت فيه العلوم الاسلامية تخطو خطواتها الأولى . وكان جابر اعظم كيميائى مسلم على الاطلاق . فقد وفق فى بحوثه وتجاربه الى تحسين عمليات التبخير والترشيح والكلسنة والتقطير والتبلور . وهو لم يوفق الى استخراج الذهب من المعادن المنحطة ، ولكن تحويل العناصر بعضها الى بعض لم يوفق اليه العلم الحديث نفسه الا منذ مدة قريبة وبتكاليف باهظة، ولقد استطاع جابر ان يبتكر نظريات جديدة وركب كثيرا من المواد والاصباغ التى تستخدم فى الصباغة .

ابو بكر الرازى ، كيماويا

واما الثانى فهو أبو بكر الرازى الذى سبق ذكره والذى لم يكن فقط اعظم اطباء الاسلام بل كان أيضا من اعظم الكيميائيين فى العصور الوسطى . وقد اشتهر الرازى بالأخص فى هذا الميدان بتطبيق بحوثه الكيماوية فى المسائل الطبية وله مؤلف مشهور فى الكيمياء العملية .

وترجمت كتب الكيمياء الى اللاتينية

وقد وقف الغرب على تجارب الكيميائيين المسلمين واكتشافاتهم فى عصر مبكر ، اذ ترجمت كتب جابر والرازى ، الى اللاتينية منذ القرن الثانى عشر الميلادى على يد جيراردو الكريموى ، ونشرت فى ايطاليا منذ القرن الخامس عشر ، ثم ترجمت بعد ذلك الى مختلف اللغات الأوروبية . وكانت المعاهد الأوروبية تستقبل كتب الكيمياء العربية بحماسة واجلال، اذ كانت تتفوق بمادتها واكتشافاتها على الكتب اليونانية القديمة . وقد تسرب كثير من الكلمات العربية الكيميائية الى مختلف اللغات الأوروبية وما زالت تمثل فيها الى اليوم ، مثل الانبيق والقلويات والكحول وغيرها .

وفى ميادين الرياضة والفلك

ولم تكن مساهمة التراث الاسلامى فى الحضارة الأوروبية فى ميدان الرياضة والفلك اقل شأنا . وقد ظهرت عبقرية العلماء المسلمين فى هذا الميدان فى عصر مبكر . فمنذ القرن التاسع الميلادى تتوالى بحوثهم الرياضية والفلكية . ونستطيع أن نذكر كثيرا من الرياضيين والفلكيين المسلمين ممن كانت لبحوثهم اكبر الأثر فى تطور هذه الدراسات فى العصور الوسطى .

الخوارزمى

فمنهم الخوارزمى الذى عاش فى النصف الأول من القرن التاسع ، وهو فلكى ورياضى وجغرافى ممتاز ، يصفه الأستاذ سارتون Sarton بأنه أعظم علماء جنسه ، وأعظم علماء عصره ، وقد

احدثت نظرياته الرياضية من التأثير ما لم تحدثه بحوث اى عالم آخر فى العصور الوسطى .

الفرغانى

ومنهم الفرغانى المعروف باللاتينية باسم Alferganus وقد عاش ايضا فى القرن التاسع ووضع مؤلفا شهيرا فى النجوم .

البتانى

والبتانى المعروف باسم Albatanius والمتوفى فى سنة ٩٢٩ م وهو من اعظم فلكيى العصور الوسطى .

المجريطى والزرقالى

واشتهر فى اسبانيا المسلمة المجريطى الذى اشتهر ببحوثه عن الكواكب ، والزرقالى الذى عاش في أواخر القرن الحادي عشر والذى كانت كتبه وجداوله الفلكية اهم المصادر العربية التى اعتمد عليها الملك الفونسو العالم وقد ترجمت معظم بحوث أولئك العلماء المسلمين الى اللاتينية واشتهرت جميعها في أوروبا وانتفع بها البحث الغربى في العصور الوسطى اعظم انتفاع .

ابن الهيثم

ويجب ان نذكر الى جانب هؤلاء رياضيا مسلما من طراز خاص هو ابن الهيثم المتوفى سنة ١٠٣٩م والذى اشتهر ببحوثه المبتكرة فى البصريات . ويصفه الأستاذ سارتون بأنه اعظم العلماء الطبيعيين فى العصور الوسطى . وقد كانت نظرياته الهندسية والطبيعية من أعظم ما حدث منذ العصر القديم حتى القرن السادس عشر . وقد ترجمت بحوثه كذلك الى اللاتينية وكان لها فى الغرب اعظم تأثير .

ومن علماء المغرب ثلاثة

ونستطيع ان نذكر من العلماء المغاربة ثلاثة اشتهروا في ميدان الفلك والرياضيات هم ابو العباس ابن البنا المتوفى سنة ١٣٢١م . وقد كان رياضيا وطبيبا ممتازا وقد انتهت الينا بعض آثاره فى الرياضة والفلك . والحسن بن عمر المراكشى الذى عاش ايضا فى النصف الأول من القرن الثالث وكان فلكيا ممتازا . وابو الحسن على المراكشى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، وقد برع كذلك فى الفلك وهاجر الى الأندلس واشتهر ايضا هنالك ببحوثه الفلكية ومحاولته لقياس ارتفاعات القطب .

والذين استفادوا من علماء العرب

وقد كان للدراسات الرياضية والفلكية الاسلامية اثرها العميق فى الدراسات الغربية ونستطيع ان نذكر عدة من مشاهير العلماء الأوروبيين الذين تأثروا بهذه الدراسات . فمنهم كبلر ورجر باكون والبرتو ماجنو وليوناردو فيبونوتشي وغيرهم .

ونبغ المسلمون فى النبات

ونبغ المسلمون فى نفس الوقت فى النبات وكانت بحوثهم فى هذا الميدان من اهم ما اعتمد عليه العلم الأوروبى في العصور الوسطى . وقد ازدهرت البحوث النباتية بالأخص فى اسبانيا المسلمة وكان من اعظم اقطابها ابن بصال الطليطلى الذى عاش فى عصر الطوائف وترك لنا مؤلفا نفيسا عن بحوثه النباتية والزراعية وابو جعفر الغافقى القرطبى المتوفى سنة ١١٦٥م . وقد درس النبات فى افريقية واسبانيا ووصفها وصفا علميا دقيقا وابو العباس بن الرومية الاشبيلى المتوفى سنة ١٢٤٠م . وهو يعتبر من أعظم النباتيين والعشابين فى العصور الوسطى ،

وابن البيطار المالقى المتوفى سنة ١٢٤٨ م وقد درس النبات بمصر والشام وآسيا الصغرى وبلاد اليونان وترك لنا كتابه الجامع فى الأدوية النباتية .

وفى الفلسفة

وقد ساهم التفكير الاسلامى بقسط بارز فى ميدان الفلسفة اليونانية القديمة والتعليق عليها . وفى وسعنا ان نذكر ثبتا حافلا من الفلاسفة المسلمين الذين كان لبحوثهم اثر عميق فى سير التفكير الأوروبى فى العصور الوسطى وما بعدها . ويكفى أن نذكر فى هذا المقام من فلاسفة المشرق الكندى الذى عاش فى القرن التاسع . والفارابى المتوفى سنة ٩٥٩م والذى كان يسمى بالمعلم الثانى بعد ارسطو والشيخ الرئيس ابن سينا المتوفى سنة ١٠٣٧م .

ومن فلاسفة الغرب الاسلامى ابن باجه المتوفى سنة ١١٣٨م. وابن طفيل المتوفى سنة ١١٨٥م. وقد ترجم الكثير من بحوثهم الى اللاتينية منذ عصر مبكر . وابن رشد المتوفى سنة ١١٩٨م. وقد اشتهر ابن رشد بالأخص بشروحه لفلسفة ارسطو وهى التى ترجمت الى اللاتينية منذ القرن الثالث عشر وجعلت لابن رشد أعظم مقام فى التفكير الأوروبى منذ العصور الوسطى الى العصر الحديث .

ولا ننسى ابن خلدون

ويجب أن نذكر بهذه المناسبة فيلسوفا من طراز خاص هو العلامة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون . فقد كان لبحوثه الاجتماعية المبتكرة أعظم تأثير فى تطور البحوث الاجتماعية الاوروبية حتى أن النقد الحديث يعتبره بلا مراء واضع اصول علم الاجتماع الحديث .

وفى علم الجغرافيا

واخيرا يجب الا ننسى ما ساهم به المسلمون فى ميدان الجغرافيا والاكتشافات الجغرافية فقد كان للجغرافيين العرب فضل كبير فى اكتشاف كثير من أنحاء العالم القديم وقد عرفوا الشرق الاقصى وجزائر الهند الشرقية وشواطىء الصين قبل ان يعرفها العالم الغربى عن طريق مركوبولو بعد ذلك بنحو قرنين . وقد اكتشفوا فى الغرب جزائر كناريا والأزور، واكتشف الرحالة الكبير ابن بطوطة بلاد النيجر وممالك السود فى قلب الصحراء الافريقية قبل أن يعرفها العالم الغربى بقرون . واخترع العرب كثيرا من الآلات البحرية التى عاونت فى تقدم الملاحة فى العصور الوسطى .

ولقد كان الجغرافيون المسلمون امثال المسعودى وابن الفدا واليعقوبي والاصطخرى وابن حوقل وياقوت والادريسى هم الرواد الأوائل لتعريف الغرب بمعظم انحاء العالم القديم . وقد اشتهر الادريسى السبتى بالأخص فى دوائر الغرب حيث عاش فى بلاط ملك فرنجى هو روجر الثانى ملك صقلية والف برعايته كتابه الشهير « نزهة المشتاق » في وصف العالم بعد رحلات وبحوث عديدة قام بها . وكان من اعظم كتب الجغرافيا فى العصور الوسطى واتمها ، وصنع الادريسى ايضا خريطة العالم القديم على كرة فضية ووضع فى كتابه خرائط للاقاليم السبعة كانت من ادق ما عرف فى تلك العصور .

وحتى أواخر القرن الخامس عشر نجد الجغرافيين ورجال البحر المسلمين يحتفظون بتفوقهم القديم فى هذا الميدان . وليس ادل على ذلك من أن الذى قام بارشاد المكتشف البرتغالى الشهير فاسكو داجاما وقاده من ثغر ملندى خلال المحيط الهندى حتى ثغر قاليقوط فى الهند ، هو البحار العربى ابن ماجد ، وقد كان من اعرف الملاحين بطرق البحار الشرقية وأسرارها . ■■

محمد عبد الله عنان

رُموز

شعر
محمد احمد العزب



تلاقينا على وعدٍ .. منى ظمآنة العودْ
شهورُ الجوع .. والحرمان .. ياقلبي بلا عدّ
فخذ ما شئت من وردٍ وتفاح بلا حدّ

★ ★ ★

تواعدْنا على اللُّقيا وراء الصمت في جهد
وحمَّلْنا رسائلنا رؤى غيمانة القصْد
وكنَّا قد رمزْنا للشفاه بسلَّة الورد
وبالمرْعى لعينيْها .. وبالتفاح للنهد
وللهمس الطريّ الحلو بالإيقاع إذ يُصْدى
وللأحضان بالوعْد الذى يفترُّ للوعْد

★ ★ ★

تلاقينا .. فضجّ البابُ والشباك بالوجد
وأرختْ هُدْبها اليقْظان كلُّ ستائر الرصْد
ومال الورد يغمز للأصيص الناعم الخدّ
وسال الدّفْءُ وانهمرتْ ثمار الصيف لى وحدى

★ ★ ★

فقيراً كنتُ .. أستجدى لها تأتى على البُعْد
وها أنا مترع الكفيْن بالأطياب يا سعْدى
فَخُذْ ما شئت ياقلبي .. ونمْ في ساعد المجْد
وقل لحدائق الأعطار هذا موسم الرّقْد
تعبْتُ فكيف حال الريح والأمطار من بعدى ؟

★ ★ ★

غدَائرِهَا .. ستائرِهَا .. تَنَهُّدَ ثوبها الجعْد
بقايا عطرها الموّاج في الشرفات . في المهْد
لكلّ صغيرةٍ ملساء من أشيائها أفدى

القاهرة **محمد احمد العزب**



مَالارْمِيه

Mallarmé

رَاهِبُ الفِكْرِ . وصَانِعُ الحَرْفِ

● لَمْ يَكُنْ فِي "أُمْسِيَاتِهِ" زَعِيماً دِينِياً، وَلا مُصْلِحاً اجْتِمَاعِياً، وَلكِنَّهُ كَانَ رَاهِباً مُتَبَتِّلاً فِي صَوْمَعَةِ الفِكْرِ.

بقلم : الدكتور بديع حقى

■ كان بيته فى شارع (روما) رقم ٨٩ بباريس،على تواضعه وبساطته ، منبعا للشعر والفكر ، ماتعا سخيا ، وكان يوم الثلاثاء ، يبدو لضيفه الطلعة ، رئة الاسبوع وجذعه ، فكان بقية الايام كانت جسر انتظار وترقب يفضى اليه ، حتى اذاوافى هذا اليوم الموعود ، وضرب الليل بجرانه ، مضت صفوة مختارة من الشعراء والكتاب والفنانين،كانها شرايين يتدفق فيها دم حار وينساق الى قلب طيب معطاء ، يخفق ، هنا ، بين ضلوع هذاالبيت ، فيهب لها طراوة الحرف وطلاوة الفكرة، وتهب له حبا واعجابا واذنا صاغية .

فى حجرة الطعام كان ينتظم عِقد الندى

ها هى ذى حجرة الطعام الصغيرة ، قد انقلبت الى صومعة عابقة بالشعر والالفة والانس ، ويقف الشاعر ــ وكان ربعة ، الى القصر ــ مؤثرا الوقوف على الجلوس ، وظهره الى المصطلى الكبير الجاثم فى ركن الحجرة ، تهفو اليه الاحداق ، منجذبة ، مسحورة ، وتستبق الى وجهه امارات الدماثة واللطف ، وتطفو على شفتيه ابتسامة عذبة ، تترقرق معانيها،مموجة ، منهدهدة،الى عينيه الصافيتين. وتتعانق سبلتا شاربيه ، كلذراعين حانيتين ، فمه الضاحك ، ثم تنحدران فتضمان لحيته الصغيرة ، وتشيران الى ابتسامته المترجحة بين عينيه وشفتيه وتحصيان كلماته تهمي ، جوهرة اثر جوهرة .

ان المائدة التى كانت تحمل صحاف الطعام ، اضحت ، الآن ، ملعبا رحيبا ، لعلبة الطباق ، تمتد اليها انامل الشاعر الشيخ ، بين الفينة والفينة ، لتلقم قلب غليونه المضرم . ويرن جرس الباب ، وتمضى (جنفييف) ابنة الشاعر ، خفيفة منسرقة الخطى ، لتفتح باب الفردوس الشعرى، للقادم الجديد .

لقد التام عقد الندى ، واشرأبت الرؤوس

من المقاعد التى كانت تتحلق مائدة الشعر الشهية، الى الشاعر الشيخ ، ويجيل (مالارميه) عينيه فى فضاء الغرفة وجدرانها ويحدر الى ضيوفه نظرة خضراء رمادية ، ثم يشرع فى حديثه ، فيرفع سبابته ويواكب بحركتها ألفاظه المتأنية ، كأنما يحمل ازميلا خفيا ينحت به الكلمات ، يصقلها، يجسدها ، يجعلها مرئية ملموسة ، وتتبدى نظرته المتسربة من أهدابه ، كفراشة صغيرة قد املست من فيلجتها الحريرية ، مرحة هفهافة ، انها نظرة - كما يقول عنها (ليوبولد دوفان) شفافة طاهرة ، مسربلة بالحلم كنظرة الطفل الغرير .

ويتردد صوته المتزن ، دافئا ، منغما ، ويتلقف لسانه نهاية الجملة ، فيديرها ويعجنها كلقمة سائغة ، ويعد لها منزلقا لينا ، سلسا ، حلو المكسر،وسبابته لا تنى ترسم فى الفضاء بين الكلمات المتناسقة ، اقواسا وفواصل ونقاطا وهمية وظلالا موضحة . وتحاول قدمه أن تناغم السبابة المهومة، مهيئة لها ايقاعا مناسبا ، ويمثل فى الخاطر ان هذا الانسان المتحدث قائد فرقة موسيقية ، يعزف افكارا ، يريق سمفونية شعرية ، منسقا بايقاع قدمه ، ملونا بنبرات صوته ، مشيرا بتنقلات سبابته ، الى فكرة ملحنة ، يبعثها هنا ، ويسوقها ههنا ، ويطفئها هناك ، وقد يتفق لقدمه ان تضرب خشبان الارض ، فى خبطة مفاجئة ، ليتخلج ، على الارض ، ظل مرن أسود ، ثم يقفز ، فكرة خاطفة مكهربة ، استحالت الى قطعة من الظلام داجية ، وتقمصت جنية سوداء وحلت فى مسلاخها النزق الرشيق .

انها القطة السوداء المدللة (ليليت) التى كان يحلو لها دوما ان تقبع ، تحت المائدة ، قريبا من قدمى سيدها ، تجتر قصيدة رتيبة خفيضة الجرس . ها هى ذى تمرق كسهم مفوق ، الى خوان المصطلى ، وتقف هنيهة ، وتنفض الشعراء الضيوف ، بنظرة ناعسة ، ثم تهبط وتتطامن وتتمسح برُبَلةِ ساق سيدها ، مستجدية قدميه مداعبة من راحته الملاطفة ، وتعود الى قدميه وتضطجع ، راضية ، مستكينة ، وتصر أذنيها الرقيقتين ، حين يعلو صوته ، لتلتقط فتات الافكار الشهية ، ثم تفىء الى الغفاءة قريرة هنيئة.

مالارميه ، فى امسياته

ترى اى قوة سحرية أوتيها هذا المتحدث البارع، ليجتذب اليه صفوة مختارة من عشاق الشعر والفن ، مرتشفا نظراتها المتطلعة ، واصلا خفقات قلوبها بوجيب قلبه الخير الكريم .

لقد تهادت قبل (مالارميه) وفى عصره قافلة الرمزية ، وهزج فى هذه القافلة شعراء بثوا فى هيكل الشعر صورا خلابة وشيات غائمة وانغاما شجية . لقد هرق (بودلير) بديوانه (أزهار الشر) رعشة جديدة فى الشعر الفرنسى ، وتنسم بعض الطيوب المتضوعة من شعر (ادجار الان بو) وسلسله فى قارورة شعره ، وفجر الفتى العبقرى (رامبو) عالما من الصور مهتزا ، وحشيا ، وسفح (فيرلين) الحانه العفوية الغميسة باللذة والحرقة والأسى ، حتى أتى (مالارميه) بألفاظه الشفافة المتألقة بوهج الفكر ، وجلّا القواعد الهندسية التى قام عليها صرح الرمزية، وامسك بمسح البناء العالم الحاذق ، يرمم ما تداعى منه حتى استوى ممردا شامخا .

لا . لم يكن (مالارميه) ، اذ يصطفى لأمسيات الثلاثاء ، هذه النخبة الملهمة من المعجبين به زعيما روحيا يبشر بعقيدة دينية ولا مصلحا اجتماعيا يدعو الى سلوك مثالى،ولا قائدا وطنيا يضع برنامجا سياسيا ، بل كان راهبا متبتلا فى صومعة الفكر يبحث عن المعنى المطلق السرمدى الكامن خلف الاشياء ،ويزجى الى سامعيه الأفكار التى اقتنصها فى عزلته ، وكان شاعرا فذا يغزل فى دأب عجيب ألفاظه الناعمة ويستل ارق ما يسرى فى عروقها من نغم ثم يخبىء فى سغطها - كالغانية المترفة تخبىء حلاها - يخبىء جوهرته ، معناه الخفى الذى استشرفه بفكره ، تاركا لمتذوق شعره نشوة تنقله الى الجو نفسه الذى عاشه الشاعر وهو ينظم قصيدته وشوقا ملحاحا الى استجلاء تلك الجوهرة، الى ذلك المعنى المتوارى الخبىء . لقد وهب (مالارميه) - كما يقول (بوزير) - حياته كلها لشىء وحيد هو القصيدة،موطئا قلبه وفكره وبصره لعبادة الجمال ، فليس ثمة شىء ، كما كان يقول، سوى الجمال ، وليس له تعبير كامل سوى الشعر.

ولم يشأ (مالارميه) أن يكون غزير العطاء ، فلم يجاوز ما نظمه فى حياته خمسين قصيدة ، لقد آثر أن يستبدل من الاتساع عمقا ومن البذل المتدفق استصفاء وانتخالا ، فنفى من شعره كل ما يمكن للعاطفة الجياشة ان تعلق به مجملة له او مكدرة . ولقد انتهت به هذه الندْرَة فى الانتاج

الى الخوف المتصل من شبح العقم الفكري والشعري، واضحت الصفحة البيضاء المنفسحة أمام عينيه ، المتحدية لقلمه غولا بيضاء يفرق منها ويخشاها .

ومن أماسيه ، من أماسي الثلاثاء ، كانت أحاديثه تتفطر شؤونا وشجونا ، وتتشقق الوانا من المتعة الفكرية الخالصة ، وكانت قصائده التى يهزج بها ويترنم ، تنور في هذا المعبد الفكري ، الف معنى ومعنى وتفرش ألف صورة وصورة ، كان في وعاء فكره الذهبي – كما يقول (رودنباخ) – قليل من العطر المصفق المصفى، ولكنه كان كافيا ليضمخ عصرا بأسره .

لنعد اذن الى مولد هذا العطر ومنبلجه ،لنرى اليه كيف فغم من برعمه الغض ، ولنتتبع مسرى هذا العطر على خفق خطاه الهادئة الساعية في دروب الحياة .

نشـــأته

في الثامن عشر من آذار (مارس) عام ١٨٤٢ ولد (استيفان مالارميه) واختطف الموت امه وهو ما يزال يحبو الى الخامسة . في هذه السن المبكرة حرم الطفل الصغير حنان أمه ، ثم حرم الرعاية والعطف بعد زواج أبيه ، فقد وضع في مدرسة داخلية ونقل الى غيرها . كذلك كانت طفولته قاحلة معذبة ، وشب الطفل حزينا ، منطويا على نفسه، بيد انه فزع الى الشعر ووجد فيه ملاذه وسلواه، وخلب لبه ، في البدء (فيكتور هوجو) فقرزم بعض القصائد ، مترسما خطاه ، قابسا هديه . وقد وشيت بواكير شعره بموهبة شعرية ناضجة ، ولم يكد ينهي دراسته في (سانس) حتى اكتشف شعر (بودلير) وقرأ (أزهار الشر) مشـــغوفا معجبا ، ووجد فيها نغما مبتكرا تسلل الى أذنه الواعية وهز كيانه ونحا به الى افق جديد لم يسرح اليه نظره من قبل .

وتعلق قلبه وهو ما يزال في ريّق العمر بفتاة المانية تدعى (ماري جيرهارد) ولكن نظراته كانت موصولة بحلم آخر ، ما عتم أن حققه ، فترك وطنه وحبيبته وسافر الى (لندن) ليتمكن ثمة من دراسة اللغة الانكليزية ويتاح له – كما أورد ، فيما بعد ، في رسالة له الى (فيرلين) – أن يقرأ (ادجار الان بو) قراءة واعية ، بلغته الأصلية ، ولكن (ماري) لحقت به وعاش الحبيبان في ضيق واملاق، ولم يكن لهما متعدى عن الزواج ، فتوجا بهغرامهما الفتي وعاد (مالارميه) مع زوجته الى فرنسا ، حاملا شهادة تؤهله لتدريس الانجليزية ، وعين معلما مساعدا في (تورنون) ولم يجد الشاعر في التدريس متعة ولذة ، فقد كانت حرفته هذه تفترس جل فراغه وتنأى به عن القلم،ولكن زوجته الوفية عرفت كيف تجعل بيتها الصغير فردوس طمأنينة واستقرار .

ولفتت قصائده نظر قلة من رفاقه . كتب له صديقه (كازاليس) : أنت أكبر شاعر في عصرك يا استيفان ، أيها الصديق الذي كانت حياته مؤلمة مقدسة حزينة ، انا كلنا لسنا بشيء ، حين نوضع معك في قرن واحد .

ولكن الشاعر لم يكن يتعجل المجد ، انه راض بعزلته التى كانت تمده بالتفكير والتأمل ،فالعزلة كما كان يقول ، تهب القوة للاقوياء فحسب .

ومن (تورنون) تلالأت الماساته الشعرية: نسيم بحري ، أزهار ، زفرة ، عودة الربيع ، لازورد ، حزن الصيف ، النوافذ ، وانهلت هذه القصائد تحمل الشهد الذي اشتارته يده الصناع وأزجته الى متذوقي الشعر الرفيع .

وتتأود موسيقا قصيدته (نسيم بحري) وتخفق فيها رعشة من روح (بودلير) الضجرة ، ويهفو من حروفها المبرية بالحنين ، توق الى الآفاق البعيدة ، وترنو في كل لفظة منها عين حالمة سؤوم تريد الانعتاق من الجسم الحزين الى مضطرب قصي ، تغيب فيها نظرتها اللاغبة الظماى :

اللحن حزين ، واأسفاه ، ولقد قرات الأسفار كلها ،

هروبا ، بعيدا ، هروبا ، اشعر بأن طيورا قد ثملت ،

وهي تلتقي نفسها بين اللجـــة المجهولة والسماوات .

لا ، ليس ثمة شيء ، يثنى هذا القلب الذي ينغمس في البحر ،

ولا الحدائق القلّب القديمة المنعكسة على الاحداق .

في هذه القصائد تجد الأفكار تجثم خلف برود الالفاظ القشيبة ، تختبيء ، تومىء ، تطل ، فكأن (مالارميه) قد تأثر – كما ذهب (دلقفل) في دراسته عنه – بافلاطون ، واستنزل مثُلَه الى كهوف اللفظ والحرف .

وانك لتلمح الشاعر يمضي ، عازفا عن الواقع الجاف المتبلد ، ساعيا وراء حقيقة مثلى ، حتى اذا اقتنصها ، - أو بدا له انه اقتنصها - اغرى بها الفاظه ، فزج بها في سجنها المترف ، وقيدها باغلاله المذهبة ، وجعل الاستهداء الى مفتاح محبسها ، مرهونا بسلسلة من متاهات التشبيه والرمز ، تتجاوب في غياباتها وسوسة الحروف الهازجة المترنمة ، والقارىء الطُلَعة هو الذى يتقصى أثر الشاعر ويضرب في هذه المتاهات ،مفسرا، محللا ،مستطلعا وقد لا يتسق له أن يظفر بطلبته وأن يفضي الى شيء يرضيه ، فيتكفىء ، من رحلته الشعرية ، منتشيا بالأصداء المتناغمة التى خلصت الى ذهنه .

قصيدته : هيروديا

ويتحو قدر جديد بشعر (مالارميه) الى ذرى سامقة من الابداع في قصيدته « هيروديا ». و (هيروديا المعروفة في الكتاب المقدس باسم (سالومى) هي المرأة الفاتنة التى أغرت (هيرود) برقصتها المغتلمة الفاجرة وحملته على قطع رأس (يوحنا المعمدان) . ولكن (مالارميه) لم يأخذ من الأسطورة سوى اسمها المعبر المثير ، اما دلالتها الخفية فتتوارى خلف الفاظ مسكرة وصور مكثفة، تتضح تارة ، في خطرة لفظة ، وايماءة حرف ، وتلتاث تارة أخرى ، وراء كلمات غائمة . وقد نحت الفاظه وانتقاها ، كالصائغ المفن الذى يستصفي الجواهر من شوائبها ويصقلها صابرا ساهرا .

وقد ذهب الشراح في تأويل هذه القصيدة كل مذهب ، ورأى بعضهم ان (مالارميه) قد رمز بها الى الشاعر الذى تدعوه الحياة الى الواقع، ولكنه يلوى بصره عن مغرياتها ، مؤثرا مُثُله الأعلى في الجمال ، أليس في وصف شعر (هيروديا) المجدول المضفور بالذهب ، اشارة الى شعره نفسه ؟

ان الألق البارد المتوامض من تورك الشاحب ،
أنت الذى يفتنى ، الذى يحترق طهرا ،
أنت ليلة بيضاء من الجمد والثلج العتى .

ومهما يكن من أمر اختلاف الشراح، فان القصيدة ترتفع قمة من ارفع قمم الشعر العالمى ، وقد ظلت مشغلته اكثر من ثلاثين عاما ، يعود اليها ، دوما مستبدلا لفظا بلفظ ، وصورة بصورة ،متخللا ، محككا ، دائب البحث عن الأجمل والانسب والاصفى . وكان يتفق له أن يهجر قصيدته أياما وشهورا ، ثم يعاوده الحنين والشوق ، فيؤوب اليها مستشفا غلالة كل حرف حتى يحسر له عن وضاءته وروائه ، متذوقا عصارة كل لفظة ،حتى تهَبّ له ذوبها وخلاصتها . ولم يكن يسترفد الالهام ، بل كان يستعين بالذوق المتكىء على ادامة التفكير ، فقد كان يفرق من شطحات الالهام . ان (هيروديا) هى كما يقول « موندور » : استهلال لمأساة فكرية دامت ثلاثين عاما ، صانعة ، خلال اللذات الممزوجة بالآلام ، بطلا من كاتب وقديسا من معتزل !

وفيما كان الزمن يغزو حياته ، والغانية (هيروديا) تتصبى جفونه المقروحة الساهرة ، كان عقله الجوال يتناهى به الى فكرة العدم العتية، فيرى العالم الظاهر غشاوة ويرى الوجود كله عبثا وقبض الريح،ويكتب الى صديقه (كازاليس): سوف أغني ، بعد الآن ، يائسا .

ارايت اليه كيف كان يشذب ، في قلق مبدع ، الفاظه ، ويمزج صوره ويوارى معانيه ، انه مثل (سيزيف) بطل الأسطورة اليونانية الذى عاقبته الآلهة بأن يحمل صخرة على كتفيه ويتوقل في الجبل، والعرق ينتضح من جبينه ، فما يكاد يشارف القمة حتى تزلق الصخرة منه وتتدهدى الى السفح ويعود فيحملها في جهد مضن متصل ، لتفلت منه دوما .

كان (مالارميه) يرى أن ثمة مثلا أعلى ، عليه ان يستشرفه ويصل اليه ، وأن هنالك سفرا فيه الكون ويجدر به أن يسعى الى كتابته . ولعل (مالارميه) قد وصل - كما يرى الناقد (جى ميشو) - الى هذه الذروة التى كان يلهث فيها فكره بتأثير (هيجل) ، فان فكرة العدم التى تناهت اليها قصيدة(هيروديا) تجد أصداء هامسة لها في فلسفة (هيجل) . ان الكون الظاهر يخفى فكرة المطلق Absolu اكثر مما يفصح عنها ، ولكن هذه الفكرة التى شغلته لم تكن منتزعة من مفهوم ميتافيزيقى بل من مفهوم جمالى شعرى . ان الحقيقة كامنة وراء النظام المشخص ، وليس في وسعنا ان نفضى اليها الا بوسيلة تقلب هذا النظام ، وقد هفا (مالارميه) الى هذه الحقيقة ، غير متكىء على معطيات فلسفية أو مستند الى منطق محدد ، بل بأسلوب شعرى مبدع ، بكيمياء

لفظية ، ينتقل فيها من ايحاء الى ايحاء ، متجاوزا المعنى المبذول الى ما وراءه ، متخطيا الشيء المادى المشخص الى الفكرة الخبيئة خلفه . فليس عمل الشاعر اذن الا اعادة خلق لعالم المثل ، وليس الشعر الا تعبيرا لمعنى الوجود بكلام موزون لماح.

ويجفو الشاعر غانيته (هيرودياد) تخلد الى اغفاءة طويلة في مخطوطته ، ليعود اليها ذات يوم، ويستاف عطرها يفغم ، ساطعا طيب الشميم ، فان فكرة مغرية تجتذب قلمه من جديد ، وينقاد خياله الى قصيدة أخرى لا تقل جمالا عن (هيروديا)، لقد برم بامرئه الحالمة وتعب فكره وهو يضــرب في بيداء العدم . ان فكرة الجمال، الجمال الصافى، تستبد به ، وتتقرى انامله كلمات قصيدته (أصيل رب الحقول) لتجلوه ، نافخـا في نايه الســاحر ، وترسل الصورة ، شفيفة نقية ، كالماسة ذات ألف حرف وحرف . كل حرف منها ينفض ماء ورونقا ممزوجا بماء رفيقه ورونقه ثم يرفض ذلك كله حزمة اشعة متداخلة متعانقة .

انتقاله الى باريس

وتقرع شهرة القصيدة ، بعد نشرها ، حدود موطنها لتهيج موجة من الاعجاب عارمة ، ويستلهم



منها (ديبوسى) أكبر موسيقى في عصره ، لحنا من أروع ألحانه . وتتحدث (باريس) عن راهب الفكر الذى انتبذ محراب الشعر ، ضائعا منسيا في بلد ناء ، ليدرس اللغة الانجليزية ، وفي عام ١٨٧١ ينقل الشاعر الى باريس ، ويقدم اليها مع زوجته وابنته ووليده الجديد (أناتول) ، وكانت عيشته فيها راضية هادئة ، ولكن قصائده كانت ، على يسرها، ثورة لاهبة في الشعر الفرنسى الحديث. ولم يتفق لشاعر ما اتفق لمالارميه من جدل عنيف، بين مادح منصف وذام متحيف لشعره . أجل ان نور الشهرة جارح قاس ، فالشجرة المثمرة ـ كما قيل ـ تجتذب صيب الحجارة أكثر من غيرها ، وتتجرأ اقلام ، منها الهزيل ومنها النابه ، تنتقده وتغمز من غموضه وتتهم اتجاهه الفكرى والشعرى بالفوضوية الثائرة الخطرة، ويغالى بعض المتسخطين فيبعث اليه برسائل تهديد ووعيد ان اقدم على نشر شعر غامض يستغلق على الفهم ، بيد انه لوى وجهه عن ذلك كله ، فقد كان عف اللســان ، لم يمرجه قط بقالة سوء أو ذم .

وسكن الشاعر في شارع روما ، في بيت صــغير ، ليضحى، فيما بعد منارة الفكر والشعر . واستأجر دارة في ضاحية (فالفان) بجوار (فونتنبلو) كان يمضى اليها في الصيف ينشد الأمن والطمأنينة، ويلتمس الهواء النقى والطبيعة الجميلة .

وكان يطيب له أن يذهب أيام الأحد لسماع الموسيقى الكلاسيكية، رجاة أن يغسل اذنيه ـ على حد تعبيره ـ من الكلمات التى سمعها خـــلال الأسبوع . وينساق في تيار عصره ، راضيا أو كارها ، بالقدر الذى يمليه عليه ظرفه وادبه وذوقه المرهف ، ويعقد أواصر الصداقة مع أعظم العبقريات النابهة في عصره كتب (فيرلين) : ان عددا من شبان هذا العصر وجد في (مالارميه) الرائد الأول لفكره الفنى والفلسفى معا .

محـــنة

وفي عام ١٨٧٥ أوكل الى لجنة تضم (أناتول فرانس) و (فرانسوا كوبيه) انتقاء مجموعـة البارناس ، تنتظم منتخبات كبار شعراء العصر ، واستبعدت اللجنة الظالمة قصائد (مالارميـــه) و (فيرلين) محتجة بانها لا ترقى بغموضها والتوائها الى المستوى المطلوب . واشتجر الخلاف ، مثيرا بين المريدين والمناهضين رهج خصومة عنيفـــة ، وكان (أناتول فرانس) بلسانه الذرب الفتيـق وقلمه الجارح المتقد أكثر الحاقدين المصطفقين قسوة واشدهم لددا ، ولكن (مالارميه) زوى وجهه عن أصحاب الثرثرة العقيم والجدل التافه، منصرفا الى وساوس اللفظة وهواجس الفكرة ، حانيا على قصيده ، كما تحنو الأم على وليدها.

ومحنة أخرى

ويمتحن الشاعر في ابنه الصغير ويحتسبه وهو

ما يزال طفلا ابن ثماني سنوات ، ويخلف موت ابنه في قلبه جرحا رغيبا لم يلأم ، عمره كله . وفي عام ١٨٩٢ احيل الشاعر ، بطلب منه الى التقاعد، وانفسح لراهب الفكر ، الوقت ليديم النظر في لآلئه الشعرية وينصرف الى الكتابة والنظم ، ويشارك في الحركة الأدبية والفكرية في عصـره ، وكان آخر ما نظمه من شعر ، قصيدته العجيبة (رمية نرد) .

قصيدته : رمية نرد

ارأيت الى الكواكب كيف تسبح في مناطها من الفلك ، يتراءى بعضها كالشمس ، كبير الحجم ، متلألئا ، مريقا لعابه المحرق ، فاذا غلب الليل على أديم الارض ، انكفأت الشمس أمام الدجنة المنتشرة ، ورفرف هنا ، في حاشية الأفق ، سرب من النجوم صغير ، وزحف هنالك سرب آخر ، يلامحه بنوره ، وتوثبت هنا في سرة السماء كواكب احاطت بقمر شاحب يلهث نورا معذبا ، كأنهـا راقصات تحلقت نارا مشتعلة ، كذلك نثر (مالارميه) – كما تنثر الراحة البارعة كعاب النرد – نثر الفاظ قصيدته (رمية نرد) ، ههنا كلمة كبيرة الأحرف ، قد استبدت ، وحدها بصفحة كاملة ، كالشمس المضيئة المستبدة بملعب السـماء ، وههنا انسابت كلمات أصغر حجما تشرب من غدير منتصف الصفحة الأبيض وازدحمت بعيدا ، في أعلى الصفحة أو في ذيلها كلمات منمنمة كأنها نجوم صغيرة تتوسد الأفق . وتسبح هذه النجوم ، هذه الكلمات السود ، في فلكها الابيض الناصع ، وتتألق في مدارها جذى أفكار خاطفة وذوائب صور منطفئة: ثمة قبطان هدته العاصفة،ثمة ريشة تجرفها اللجة المزبدة، حاملة املا نحيلا،ويقيم البحر ممتدا منبسطا كأنه صورة مخيفة مجتثة من فكرة العدم الممتدة المنبسطة .

ترى أتكون هذه القصيدة صورة شعرية للسفر الذي تاق الى تأليفه . ان من النقاد من ألفى في توزيع ألفاظها ما يماثل توزيـع الألحـان في السمفونية الموسيقية ، فترى الى الألفاظ، مبعثرة كالاشارات الموسيقية المتسلقة سلم الصـفحة البيضاء ، ومنهم من رأى فيها قصيدة بصـرية ، لا تغازل السمع والفكر فحسب ، بل تداعب البصر وتومىء له .

ثم ينتخب أميرا للشعراء

وفي عام ١٨٩٦ ، أي قبل وفاة (مالارميه) بسنتين ، انتخب أميرا للشعراء ، وقد قبل هذا اللقب ، مرتبكا خجلا ، فقد كان يتجانف عن الشهرة وينفر منها ، وكان أزهد الناس بالالقاب الرنانة ، يكفيه من المجد هذا الشعر الذي استصفاه من فكره وروحه ، يكفيه من الناس هذه النخبة من الكتاب والشعراء التي أكملت رسالته الشعرية ، يحدثها ويأنس اليها ، وتحبه وتصغي اليه وتنقل شذا أفكاره الى الاجيال القادمة .

شعر مالارميه يتمنع عن كل من تصدى لترجمته

في صيف عام ١٩٤٦ ، أتيح لي أن أذهب الى (فونتنبلو) وأن أجول في منازه غابتها الخضراء ، وطلب لي أن أزور قرية (فالفان) القريبة منها ، حيث كان (مالارميه) يسيغ في دارته الصغيرة بلهنية الحياة الهنيئة الناعمة . وتساءلت ، فيما أنا أطوف بالمرابع التي هينم فيها خفق أقـدام الشاعر الكبير ، عما اذا كان في مكنتي أن أنقل شعر (مالارميه) الى العربية ، وانتهيت الى شعور قريب من اليأس ، وأنا أراني أحطم بالترجمـة هذا التمثال الرائع وأتركه أشلاء لفظية ، ممزقة المعنى أو لا معنى لها ، لا ، لا يمكن ان أذيب هذا الألماس الصافي ، أن أفتته ، أن أترجمه . أتراني أستطيع تقليده ؟ أيتسق لي أن أختصر الدهر في لحظة ؟ لا ، ان في ميسوري فحسب أن أزجي تحية شعرية ، فيها ايماء الى بعض معاني (مالارميه) وصوره ، ومثل في وهمي فيما أنا أضرب هائما في مجالي (فالفان) أن نسمة طرية تصافح وجهي ، أن خفقة ريا من قصيدة مروحة (مالارميه) الى أهداها الى ابنته تناسم وجهي وتغريني بالشعر ، ونظمت ، آنذاك ، قصيدة (المروحة) وقد نشرتها مجلة الأديب اللبنانية،وأهديتها الى روح(مالارميه)، وقد قبست من قصيدته تشبيه المروحة بالجناح وجعلته يخفق في قصيدتي .

ومنذ ذلك الوقت انتسخ أملي بترجمة شعر (مالارميه) ، وأحسب أني لم أكن وحدي في احجامي ويأسي ، فقد تمنع شعر (مالارميه) على كل من تصدى لترجمته ونقله الى لغة أخرى . وفي الواقع ينبغي لمن يترجم شعره ، ألا يجتزىء

بالمعنى ـ ان قدر له أن ينفذ الى المعنى ـ بل ان ينقل اللفظة الى لفظة تعدلها في اللغة الأخرى، بكل ما تدخره في مسارب حروفها من ايحاء وصورة ونغم وما يتصل بها من وزن وقافية، فعلى من يود ان يتذوق شعر (مالارميه) اذن، أن يقراه بلغته الفرنسية، ليرى الى جهد الشـاعر المركز العجيب، كيف ينتظر قوافيه، كيف يقرى أوزانه، كيف يقطر ألفاظه، كيف يجتوى بعض الحروف ويدنى بعضها الآخر. أما المعنى، والفكرة، والرمز فيختبىء، كما يختبىء العبير في البرعم. وعلى القارىء الطلعة وحده، أن يستدنيه ويجره ويتنسمه، فلعله يستطيع أن يحل مـن مغالق غموضه، بيد أن هذا الغموض يؤدى الى ممكنات شتى من التفسير، وتبقى القصيدة مطلاً لعالم سخى من التأويل، ويظل القارىء المستمتع بها دائب الشوق اليها، لا ينى يرود حولها، يلهج بها، يناجيها، وتظل صلته بها باقية لاتنبت ابدا، ما بقيت القصيدة تعطيه في كل تـلاوة صورا مستجدة خلابة.

وقد يتأبى المعنى فلا يسلس لهذا القارىء وتنشز الصور فلا تفرش البتة أمام مطارح خياله، ولكنه يظل الى ذلك، راضيا جذلان، مكتفيا ببعض الألق، قانعا ببعض الشذا، اذ يتبقى له جرس الكلمـة وطراوتها وصداها.

ان قصيدة مالارميه، كالسيجارة ودخانها المتخلف

ان القصيدة ـ كما تصورها (مالارميه) وجلاها في احدى قصائده ـ هى كالسيجارة يتلوى دخانها حلقة حلقة، ويتهاوى رمادها، بعد أن يحظى بقبلة النار النقية. ان الرماد هنا، هو الشىء المادى الذى تتسامى منه فكرة الشاعر، كمـا تتسامى حلقات الدخان، وما دام هذا الشىء المادى ـ هذا الرماد، زائلا، فيجب أن يختفى في الأثر الفنى، ويتبقى أثره، هذا الدخان المتلوى الصاعد.

وشعر مالارميه قاس كالماس

ان شعر (مالارميه) ـ كما يقول (موندور) ـ قاس كالماس، وانه ليماثله في شفافيته الملغـزة، ويخيل الى أن الجهد الذى بذلته الطبيعة في آلاف السنين وهى تهصر الفحم وتستصفيه لتحيله الى الماس، يشابه جهد هذا الشاعر الذى أنفق عمره كله مسهدا مؤرقا، ليهصر كلمات اللغة ويستنبط منها الماسات شعرية نقية، لا تتجاوز ألف بيت، سوف تحتفظ «الدهر كله»، بالقها ورونقها ومائها.

والى جانب هذه الألماسات النادرة، تتالق شذرات من الذهب لطيفة صغيرة، نظمها الشاعر، تظرفا واستجلابا لبسمة راضية، هذه الشذرات هى نقيض ما ألفه الناس في شعره الرمزى الغامض. انها أبيات من شعر المناسبة تنبع من طبعه الذى عرف بالدماثة والكياسة والظرف، فقد كان يروق له أن يبعث في مناسبات مختلفة، الى زوجته وابنته وأصحابه، برباعيات صغيرة، تنبض فيها جذوة فكرة او خفقة صورة، وتستبق في حروفها الضاحكة مفارقة أو نكتة، وكان يكتبها على ظروف الرسائل او بطاقات الزيارة أو المراوح او الأقداح. كتب الى (ميرى لوان) وكانت غانية لعوبا هذه الرباعية على قدح :

ان شفتيك على البلور،
تنضدان، رشفة اثر رشفة،
الذكرى الخضيبة الحية،
لأقل الوردات زوالا.

والى جانب هذين اللونين من شعره، يدجـو احدهما في متاهات الفكر، غامضا ظليلا يجاذبه حلك اللاشعور والضمير، ويسرى الآخر، واضحا شفيفا، يجاذبه نور الشعور، يقف نثره بين بين، فأسلوبه النثرى يجفو التعبير المألوف المطروق المهترىء، ويؤثر تعبيرا مستجـدا غاصـا باللمع والشرر، ويترقرق في جمل قصيرة، كثيرة النقاط والفواصل، تحمل في منعرجاتها، ادق التفاصيل، حتى ليكل الذهن في متابعتها. ان نثره ـ كما يقول الناقد (كلوادر) ـ أشبه بطرفة صينية عاجية، نحتتها يد صناع. وقد وجد (مالارميه) في مقالاته التى ضمها كتابه (هذر) متنفسا لنظرياته الشعرية، لقد أكمل الشاعر صرحه الشعرى وجاء دور المفسر الذى يفصح عن القواعد التى أرسى عليها البناء.

وفي الحق، أن أحاديثه الساحرة، في أماسى الثلاثاء، هى التى جعلت منه بوضوحها وطلاوتها واشماعها (سقراط) الشعر الحديث.

يوم الثلاثاء كان سامرا، بالشعراء والكتاب، عامرا

أجل لقد كان يوم الثلاثاء رئة الاسبوع ومركزه،

فى بيت (مالارميه)يتعد فيه الفكر والشعر والمحبة. واتخيله واقفا ، مبتسما ، مجيلا عينيه الصافيتين فى جنبات حجرته الصغيرة ، يلاحق فكرة لـه آبدة شاردة ، ويرن جرس الباب ، وتمضى (جنفييف) ، خفيفة ، مشرقة الخطى ، لتفتح باب الفردوس الشعرى للقادم ، ويؤوب الشاعر الى فكرته النافرة ، كطفل يطارد فراشة ، حتى يقتنصها ويبسط لضيوفه خلجاتها ، وينسم نغم فى مطاوى مخيلته ، وترهف اذنه الواعية سمعها وتتسمت مدارج النغم ، حتى اذا ادركته ، اغرت به لفظة شهية الحروف ترتديه ، ثم تريقه ، حلوا طليا ، ناعم الجرس .

الحديث ما يزال سائغا شائقا ، والليل ما يزال متمهلا مستانيا ، كانما كان يصغى الى حديث الشاعر . ان لحظات الصمت التى يستريح اليها يسيرة ، ولكنها تظل غنية ، لأن اصداء الفكرة التى سامرها تمتد وتتسع وينسحب عليها خيال السامع ليلونها بما يشبه سمادير الشراب النشوان . بيد ان السهرة على طولها تتراخى الى نهاية ، وعلى الشاعر ان يأوى الى فراشه ، ليمنح جسمه النحيل نصيبه من الراحة ، وكذلك تختتم الأمسية بالتحية المودعة ، وينفض السامر ، ويصدر رواد المعلم عن النبع الذى لا ينضب ، بعد ان اصابوا ريا شهيا .

ولقد انشعب من هذا النبع جداول رفدت الأدب العالمى بالخصب والبركة وشقت دوروبها فى الحياة تياهة ، وخلفت دويا وصدى بعيدا ، غير ناسية فضل النبع الذى فصلت منه واستصفت خيره .

واتخيل هذه النخبة المختارة تتساقط أطراف الحديث مع الشاعر الشيخ ، وضوء المصباح يمرح مرتعشا على قسمات الوجوه ، وهناك على الجدار الأبيض كان الظل يتحدث الى النور ، مع حركة الرؤوس حديثا معبرا صامتا .

ها هم أولاء (كلوديل) بسحنته المقطبة ، (اندره جيد) بعينيه الموغوليتين ، (بيير لويس) بابتسامته العابثة الماكرة ، (بول فاليرى)بوجهه النحيل ، ها هم أولاء كتاب وفنانون وموسيقيون، الكاتب الانجليزى (أوسكار وايلد) ، الموسيقى (ديبوسى) النحات (رودان) ، المصورون (مانه ديجا ، رونوار ، جوجان) انهم كلهم ، كلهم قد متحوا من معينه ، قبل ان يصبحوا نجوما وضيئة لامعة فى سماء الفن والأدب ، كلهم أخذوا عنــه وتفيأوا فى ظله وقطفوا من روضته الزاهرة باقات ممرعة يانعة .

ولكل أجل كتاب

وانطفا فى (فالفان) ذات يوم من أيام الخريف، هذا الشعاع الخيِّر السنى ، واضحى يـوم الثلاثاء موحشا مقفرا ، عاد يوما من أيام الأسبوع تتعلق به الذكريات الخوالى .

ومات (مالارميه) فى التاسع من أيلول (سبتمبر) عام ١٨٩٨ ، بعد أن شكا من التهاب مفاجىء فى حلقه أدى الى اختناقه ، لم يكن شيخا هــرما تقادمت به الأعوام بل مات فى السن الناضجة التى يطمح فيها الى البذل والعطاء .

وبعثت ابنته الملتاعة الى أصحابه ببرقيـــات ناعية والدها الحبيب ، ومشى موكب الجنازة من الدارة الريفية الصغيرة الى الكنيسة حيث اقيم قداس على روحه ثم اتخذ الموكب سمته نحو المقبرة، وكانت الشمس تريق اشعتها الصافية على الشاعر المسجى المغمور بالازاهير ، على الشاعر الذى كان يستل ارق نغم واطيب شذا من لغته الفرنسية الحلوة ليضمخ به عصرا باسره . ووقف الموكب ، ها هم اولاء الذين كانوا يمزجون ، الى امد قريب نظراتهم المتطلعة بنظرته الحانية الخضراء الرمادية.

وتبكى (مارى) رفيقة العمر و (جنفييف) الابنة الحبيبة بكاء مريرا ، لقد انطفا الشـعاع السنى ، وامّحت البسمة القريرة ، مات راهب الفكر وصائغ الحرف .

ويتقدم (بوفاليرى) صفيه الـذى سيتمم ، ذات يوم ، رسالته الشعرية الخالدة ، ليلقى كلمة الوداع ، ولكن الكلمات تختنق فى لهاته ، فـلا يستطيع اتمام كلمته ، وتبتدر العبرات منهمرة من مآقى المشيعين جميعا .

ومن بين الدموع المنذرفة المسفوحة ، يتساءل صديقه المثال العظيم (رودان) بصوت مسمـوع ذى دلالة :

– ترى كم ذا يقتضى هذا الكون من زمن ، ليخلق فيه ، مرة اخرى ، دماغ مثل هذا ؟

اجل ، لقد مضى راهب الفكر الى عزلة أخرى ، ومن يدرى لعلها ان تكون اكثر صفاء وأمنـا وهناءة من عزلته فى الحياة . ■■

دمشق　　　**بديع حقى**

مبادىء تأويل الاحلام

عند ابن سيرين

وسائر المفسرين العرب

بقلم : الدكتور عبد الله عبد الدايم

في كلمة سابقة بينا الاطار التاريخى لتأويل الاحلام عند العرب ، وتحدثنا خاصة عن حقيقة ابن سيرين ، ورأينا أن ما نسب اليه من تأويل الحلم لا يعدو ان يكون اختلاقا ، قصد لأغراض عديدة ، اهمها رغبة المفسرين المتأخرين (بدءا من القرن الثالث والرابع الهجرى) في ان يعطوا صفة الشرعية الدينية لعلمهم المجلوب الذى سرقوه من يونان ، ومن ارطميدورس خاصة ، ثم افلاطون وارسطو . وهكذا اختاروا القاضى الورع والفقيه الدينى ابن سيرين ليكون مثلا لهذا العلم الدنيوى .

وقد كان حديثنا هناك مقدمة لما قصدنا اليه منذ البداية : نعنى جلاء اصول تفسير الاحلام عند العرب وبيان الصلة بين مبادئه وبين ما نعرفه اليوم من حقائق تفسير الحلم ، لا سيما بعد دراسات علم النفس الحديث ، وعلى رأسها دراسات « فرويد » .

وللقيام بهذه المهمة لا بد ان نتحدث عن جانبين: الأول هو المبادىء التى اتبعها مفسرو الاحلام عند العرب ــ ممثلين بابن سيرين المزعوم ــ فى تفسير الاحلام . والثانى مدى ما تشتمل عليه هذه المبادىء من حقائق قريبة من الدراسات العلمية الحديثة ، وعلى رأسها دراسات « فرويد » .

وسنبحث فى هذه الكلمة عن الجانب الأول ، دون أن نهمل ان نبين من خلاله مدى التقارب بين اصول تفسير الاحلام عند العرب واصوله عند المحدثين ، ممهدين بذلك للكلمة التالية والاخيرة ، التى نتحدث فيها حديثا مباشرا عن القيمة العلمية لتأويل الاحلام عند العرب وعن نقاط اللقاء بينه وبين تأويل الاحلام حديثا .

المبادىء التى ينبغى أن يتبعها مفسر الاحلام

ان حديثنا عن هذه المبادىء ــ كما يراها العرب وكما تراها الاقوال المنسوبة الى ابن سيرين ــ يبين بوضوح ان مفسرى الاحلام عندهم لم يلجأوا كما قد يظن الى نوع من التأويل الجامد الحرفى ، ولم يردّوا الامر فى النهاية الى « مفاتيح » والى ترجمة حرفية للغة الحلم الى لغة

اخرى . بل جعلوا من تأويل الحلم فنا وعلما قائما بذاته يحتاج الى المعرفة والفهم والذكاء ، ويحتاج الى تفحص صاحب الحلم وظروف حياته ، ويحتاج الى احاطة بعادات الناس وتقاليدهم ، وبآداب العرب وتراثهم ، وبالقرآن والحديث وغير تلك من انواع المعرفة .

ذلك ان مفسر الحلم لا يضع كلمة مقابل كلمة كما قد يبدو لعامة الناس حين يستشيرون كتب تفسير الاحلام ، فيجدون مقابل كلمة « اسنان » اقارب مثلا ، او مقابل كلمة قارورة امراة . وانما يقوم بعملية كاملة متكاملة ، يحلل فيها ويقارن ، ويتعرف على الحالم وعلى مهنته ودينه وعاداته وظروفه ، بل كثيرا ما يطلب اليه نفسه ان يفسر ما يراه . ويستند فى هذا كله الى الاشتقاق اللغوى للكلمات والى معانيها والى تشابهها اللفظى ، كما يستند الى المأثور من القول والى الامثال والى الشعر والادب ، والى القرآن الكريم والحديث ، ليتخذ من هذا كله اساسا لتفسير الحلم ، وليضع الحلم فى النهاية ضمن سياقه الكامل واطاره الحي .

ومثل هذا النهج يرينا كيف جعل مفسرو الأحلام العرب من تأويل الحلم فنا نفسيا له اصوله وله مبادئه ، يهدف ـ بالاستناد الى مجموعة من الوسائل ـ الى البحث عن المعنى الباطن الثاوى وراء المعنى الظاهر ، كما فعل المحدثون من علماء النفس تماما .

ونورد فيما يلى اهم الاسس التى استند اليها مفسرو الاحلام العرب عند تفسير الحلم .

الحلم وشخصية الحالم

الاساس الاول ان يعرف المفسر من هو الحالم وان يتعرف على حاله وشخصيته . وهذا يعنى ان يعرف عمره وبلده ودينه وطبقته وبيئته ومهنته وعاداته وكل ما يتصل بحياته . ذلك ان تأويل الحلم يتوقف اولا وقبل كل شيء على شخص الحالم . والحلم الواحد لا يعنى شيئا واحدا ان رآه شخصان مختلفان : فالحلم الذى يراه مَلِك لا يفسر كالحلم الذى يراه رجل من السوقة . والحلم الذى يراه عربى لا يفسر كالذى يراه اعجمى (فكلمة سفرجل تعنى للعربى السفر والجلال ، بينما تعنى للفارسى الجمال والقوة ، نظرا للمعنى الاشتقاقى للكلمتين فى كل من اللغتين) . والحلم يختلف معناه باختلاف ديانة صاحبه ، وباختلاف مهنته (حمل السلاح اذا رآه جندي يعنى حمل السلاح ، اما اذا رآه عالم او قديس فهو يعنى شيئا آخر) ، وباختلاف عاداته (حلق اللحية او الراس لمن عادته حلق اللحية او الراس يعني غير ما يعنيه لدى من ليست عادته كذلك . وركوب البغل لمن عادته ركوب الحصان يعنى غير ما يعنيه لدى من عادته ركوب الحمار) ويختلف كذلك باختلاف جنس الحالم ، فحلم الرجل يؤول بغير ما يؤول به حلم المراة .

الحالم هو الذى يفسر الحلم

ويبلغ اهتمام العرب بتأويل الحلم تأويلا مرنا متباينا بتباين الحالم وحاله ، انهم يرون ان يطلب الى الحالم فى كثير من الأحيان ان يفسر حلمه . ويعنون بذلك ان يسألوا الحالم عن الشيء الذى يخطر لباله امام ما تراءى له فى الحلم (وفى هذا تشابه واضح مع اساليب علم النفس الحديث ، والتحليل النفسى خاصة ، وما يعنى به من امر الكشف عن المعنى اللاشعورى الثاوى وراء الحلم) . ويوضح مفسرو الأحلام العرب هذا النهج بقولهم ان على المفسر أن يعلم ما فى « ضمير » الحالم : فقد يرى ضفدعة وهو يفكر بأنها حية . ومن الهام جدا ان تأخذ بعين الاعتبار ما فى ذهن الحالم وضميره قبل ان تأخذ ظاهر الحلم . فادراكنا للصورة ـ كما يقول مفسرو العرب ـ اهم من الصورة الظاهرة نفسها .

كذلك من واجب مفسر الاحلام ان يسأل

الحالم عن الأثر الذى احدثه الحلم لديه وعن حاله العاطفية ومدى سروره او حزنه عند رؤية الحلم .

وفى بعض الأحيان يوكل المفسر الى الرائى تأويل الحلم بكامله ، كما جرى لابن سيرين ـ الرمز ـ عندما اتاه رجل حلم بأن رأسه حلق وان الطير خرجت من فمه الخ .. فلقد قام بتفسير الحلم صاحبه نفسه واقره على ذلك ابن سيرين .

التاويل يستند الى القرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال والأقوال السائرة

وللثقافة اثر كبير فى تأويل الحلم . فما يحفظه الناس من القرآن الكريم ومن الأحاديث الشريفة ومن الأمثال والاشعار وغيرها يترك اثرا فى نفوسهم وينعقد معناه فى لاشعورهم ، وكثيرا ما يصدرون عن واحد من هذه المعانى عندما يرون حلما من الأحلام . وهكذا ينبغى أن يعود مفسر الأحلام الى هذه المظان جميعا ليستعين بها على تفسير الحلم ، فهى ثاوية فى نفس الحالم وهى الأساس الثقافى العميق الذى يسقى منه صوره ومعانيها :

هكذا يتوجب على المفسر ان يستهدى بعض آيات القرآن الكريم فى تفسيره . كأن يفسر البيض بالنساء لقوله تعالى : (كأنهن بيض مكنون) ، او الحجارة بالقسوة لقوله : (فهى كالحجارة او أشد قسوة) ، او اكل لحم الميت بالغيبة لقوله : (ايحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه) الخ ..

كذلك يتوجب عليه ان يستهدى أقوال النبى (ص). فيفسر القارورة بالمرأة ، لقوله ـ فى بعض ما روى ـ « رفقا بالقوارير » . أو يفسر الاسكفة (العتبة) بالمرأة أيضا لأن النبى (ص) حكى عن ابراهيم عليه السلام أنه قال لابنه اسماعيل « غير اسكفة بيتك » يعنى امراتك . الخ.

كذلك عليه أن يستند فى تفسيره الى الأمثال والأقوال السائرة ، فيفسر طول النجاد بالكرم لقولهم فلان طويل النجاد اى كريم ، ويفسر طول الباع بالمقدرة لقولهم فلان طويل الباع اى مقتدر، ويفسر القوس بالمراة لقولهم : « المراة كالقوس ان قومته كسر » ، ويفسر الرحى بالحرب ، ، ويفسر الابل بالسفينة لقولهم : الابل سفن البادية الخ ..

وهكذا يتوجب على المفسر أن يلجأ فى الجملة الى ثقافة الحالم ، وعناصر هذه الثقافة ، والى الشائع من معانى الكلمات فى القرآن الكريم والحديث والأدب والشعر والقول المأثور ، فالكلمات فى الحلم ـ ان صح ان نستخدم تشبيها قريبا مما يذكره فرويد ـ تتزيى بزى غير زيها الحقيقى ، ولا بد أن ننبش ما وراء هذا الزى الظاهر من زى باطن ، وهذا الزى الباطن الحقيقى ـ اى المعنى الحقيقى لكلمات الحلم ـ تساعدنا على كشفه الثقافة الشائعة وما تعطيه للكلمات من معان خاصة .

التاويل يستند الى معانى الألفاظ واشتقاقها وتشابهها فى اللفظ

وضمن هذا الاطار نفسه ينبغى ان يلجأ المؤول ـ فضلا عن المعانى التى للالفاظ فى القرآن والحديث والأدب ـ الى معانيها العادية وما توحى به ، والى اصول هذه المعانى الاشتقاقية ، والى تشابه بعض الألفاظ فى جرسها .

فالنرجس يعنى الزوال لانه لا يبقى ويذبل سريعا . أما الآس فيعنى البقاء وطول العهد ، لأنه طويل العمر .. والثمار تؤول تبعا لخصائص كل منها .. ومثلها الأشجار الآنية والمهن . فالخباز اذا رئى فى المنام يعنى رجلا ثرثارا ، والخياط يعنى رجلا يؤلف بين الناس لأنه يؤلف بين قطع القماش . والجدار يعنى رجلا منيعا ، والسقف يعنى رجلا رفيع المكانة الخ ..

وقد يلجأ المؤول أحيانا الى التأويل بالضد (وهذا من فنون الحلم وقف عنده

فرويد وقفة خاصة) فالالفاظ كثيرا ما تعنى فى اعماق العالم اضدادها : كأن يعنى البكاء فرحا ، وان يعنى الغالب مغلوبا والعكس ، وان يعنى الشقاق حلما والقوة ضعفا الخ . .

كذلك قد يتم التأويل عن طريق الرجوع الى الاشتقاق اللفظى للكلمة . فرؤية رجل اسمه « فاضل » فى المنام تعنى الزيادة والبركة لان اصل الكلمة « فضل » ورؤية رجل اسمه « رشيد » تعنى الصلاح والرشد ، ورؤية « سالم » تعنى السلامة، ورؤية سهل تعنى السهولة. وكلمة « كفر » يمكن أن تعنى الغطاء لان الاصل الاشتقاقى لهذه الكلمة يعنى ذلك. كذلك تعنى كلمة « غفران » الحمى والنجاة ، بسبب اصلها الاشتقاقى ، وتعنى كلمة « ظلم » السفر ، وتعنى كلمة « فسق » النتوء والبروز للسبب نفسه . وللاسباب الاشتقاقية نفسها تعنى كلمة « عماد » السند والقوة ، وكلمة « مفازة » الفوز ، وكلمة « غنم » الغنيمة ، وكلمة «دهن» المداهنة ،وكلمة « سفرجل » السفر والجلال ، وكلمة « ياسين » اليأس ، الخ . .

بل يلجأ المفسرون العرب الى تشابه اللفظ والجرس اللفظى والى لعب الالفاظ (وفى هذا يلتقون مع مبدأ هام من مبادىء تكون الحلم كما يفسره فرويد) . فصوت الطبل قد يعنى صوت الباطل (طبل ــ باطل) ، والعلم يعنى العالم ، والحصا تعنى الاحصاء ، والحمام يعنى الحم (الصهر) والذهب يعنى الذهاب والضياع ، والعقد يعنى لدى العازب عقد الزواج ، والبحر يعنى البحران ، والشجرة قد تعنى المشاجرة ، والورد قد يشير الى ورود غائب ، والنعع قد يشير الى « النعى » الخ . .

وهذا التفسير باللفظ وبمعناه واشتقاقه وجرسه ونقيضه ، هام جدا يشير فعلا الى اكتشاف مفسرى الاحلام العرب لبعض الحيل والعمليات اللاشعورية الهامة التى يلجأ اليها الحلم فى بنائه وتكوينه ، والتى أشار اليها فرويد مفصلا (١) .

التأويل يستند الى ما يضاف الى الأشياء أو يحذف

كذلك يعتمد المؤول فى تفسيره الى التفصيلات المضافة او المحذوفة. فالبكاء يعنى الفرح ، كما قلنا ، غير ان علينا ان نعير انتباهنا لما يضاف اليه . فاذا كان البكاء مع التأوه والصراخ وتمزيق الثياب دل على مصيبة . كذلك يعنى الجوز مالا مكنوزا ، عندما لا يحدث صوتا ، اما اذا احدث صوتا فيعنى غما . والشعر يعنى الزينة والغنى ، غير انه عندما يغطى الوجه يعنى اسى . واللطمة تعنى ثيابا ولكنها اذا كانت فى الظهر تعنى الغيبة الخ . .

ويعير مفسرو العرب هذا المبدأ اهمية خاصة ، وهو يبين ــ كما سبق ان قلنا ــ انهم لا يفسرون الاشياء تفسيرا حرفيا بل يأخذونها ضمن جملة سياقها. وفى هذا يلتقون مع حقائق علم النفس الحديث واساليبه فى فهم الحلم وتفسيره.

التأويل يعتمد الى جنس الشيء ونوعه وطبيعته

فالاشجار والحيوانات المفترسة والطيور تعنى فى الحلم رجالا . ولكن علينا بعد ذلك ان ننظر الى جنسها فشجرة النخيل تعنى رجلا عربيا ، لانها تنبت فى بلاد العرب ، وشجرة الجوز تعنى رجلا اعجميا . كذلك علينا أن ننظر الى طبائع هذه الأشياء : فالنملة تعنى رجلا نافعا له صفات جميلة حسنة ، وشجرة الجوز تعنى رجلا مخادعا فى تجارته ميالا الى الشقاق ، لان الجوز يحدث جلبة وضوضاء . والطائر يدل

---

(١) يمكن الرجوع الى كتابه الشهير الضخم «تأويل الأحلام» وقد ترجم الى العربية ونشرته دار المعارف.

على رجل اسفار ، واذا كان طاووسا دل على ملك فارسي ذي ابهة وجلال وحاشية ، واذا كان غرابا دل على رجل كافر . ان علينا ان نوازن ونحاكم ونزن الامور بموازين عديدة عند تفسير الأحلام . وليس الأمر ابدا امر تفسير حرفي آلي جامد لا ناظم له ينظمه .

التأويل يستند الى الوقت الذي جرى فيه الحلم

بل ان تأويل الحلم يختلف باختلاف الوقت الذي تم فيه والفصل الذي جرى به . فالشجرة المثمرة اذا رؤيت في الربيع دلت على خير اما اذا رؤيت في الخريف فهي تدل على شر . ويروى أن رجلا جاء الى ابن سيرين فروى له انه راى فيما يرى النائم اربعين ثمرة . ففسر ذلك بأنه سوف يجلد اربعين جلدة . ثم جاءه الحالم نفسه بعد حين يروى حلما مماثلا ، ففسره بأنه سوف يربح الف درهم . ولما سأله عن اختلاف التأويلين أجابه انه روى له الحلم الاول في وقت جفاف الاشجار نهاية العام ، بينما روى له الثاني أيام الربيع حين تجرى الحياة في الشجر . وشتان بين الحالين !

منهج العرب في تفسير الأحلام وفهمها

تلك هي – في نظر مفسري العرب – اهم المبادىء التي ينبغي أن يستند اليها مفسر الأحلام ونحن حين نذكرها لا نريد من وراء ذلك ان تكشف عن مدى صحتها ، وانما نود قبل هذا أن نبين المنهج الذي استند اليه العرب في فهم الحلم وتكونه وتفسيره . فمثل هذه المبادىء تشير بالدرجة الأولى الى فهم نفسي عميق لعملية الحلم ولآليته ولتكونه ، وتنعقد الصلة واضحة بينها وبين الآلية التي اكتشفها المحدثون من علماء النفس حين تحدثوا عن تكون الحلم ، وسنشير الى هذا الجانب – جانب اللقاء بين الحقائق التي ذكرها علماء النفس المحدثون وبين حقائق مفسري الأحلام العرب – في كلمة تالية .

وحسبنا ههنا اننا بينا كيف يخضع تفسير الحلم لقواعد وأصول تعتمد أول ما تعتمد على شخصية الحالم نفسه – وهذا هو اعز مبدأ عند علماء النفس المحدثين – كما تعتمد على جملة من العوامل الثقافية التي تفعل فعلها في نفس الحالم ، والتي تساعد على فهم المعنى الباطن الثاوي وراء المعنى الظاهر للحلم . وهم في هذا ينطلقون من النقطة التي انطلق منها علماء النفس المحدثون ، حين استندوا في تفسير الحلم وتحويله من محتواه الظاهر الى محتواه الباطن الى جملة من العوامل ، على رأسها فهم شخصية الحالم وثقافته ورغباته . واذا كانت العوامل اللاشعورية تلعب الدور الاكبر في تكوين الحلم ، فمن الواضح ان وراء هذه العوامل اللاشعورية جملة شخصية الحالم وحياته الماضية وحوادثه وذكرياته وثقافة بيئته . وهذه امور يظهر المفسرون العرب اثرها الكبير ودورها في تفسير الأحلام .

ان في اللاشعور عنصرا ينتسب الى الثقافة الجماعية للبيئة دون شك ، لا سيما بعد الأبحاث التي قام بها « يُنج » . ومفسرو الاحلام العرب لم يكونوا بعيدين عن هذا حينما أكدوا اهمية هذه الثقافة الجماعية في تفسير الأحلام .

ولا حاجة الى القول بعد هذا كله ، ان المفسرين العرب اشاروا في تفسيراتهم التي يعطونها للحلم الى ما سيحدث من الأمور ولجأوا بالتالي الى منح الحلم صفة النبوءة غير ان في وسعنا – كما قلنا – ان نعتبر التفسير الذي يشير عندهم الى ما سيحدث ، تفسيرا للمعنى الحالي الذي يحمله الحلم لدى صاحبه وتحليلا بالتالي لعملية تكون الحلم وآلية بنائه . ■■

عبد الله عبد الدايم



دردشة

حكمة من الهند

● سالوا احد الفلاسفة الهنود في عيد ميلاده الرابع بعد المائة : « **ما هو سر الحياة الطويلة ؟** » فقال : « العمل والوحدة والقراءة ... فانا تزوجت الكتب بحثا عن المعرفة، وعشت حياة الناس ولكن من بعيد ، وما زلت اعمل في مزرعتي ست ساعات يوميا ! ! » .

أقوال .. صحيحة !

● ان الرجل الذى يتصور انه اكثر ذكاء من زوجته لا بد ان يكون قد تزوج اذكى امراة فى العالم !

● المال يتكلم ولكنه لا يسمع . انه لا يسمعنا ابدا ونحن ندعوه الينا !

● المتعة هى الشىء الذى يكلفك ثروة طائلة وانت تبحث عنه عندما تتقدم بك السن !

● الأزياء الحديثة هى الفساتين التى تصبح « موضة قديمة » قبل ان تنتهى المرأة من دفع ثمنها !

● سائق التكسى هو الشخص الذى يقوم بأطول رحلة بالسيارة ، ويلتقى بأكبر عدد من الناس دون ان يغادر حدود بلاده !

سبب وجيه !

● روى احد اصدقاء الملك ادوارد الثامن ، او دوق وندسور الذى تنازل عن عرش بريطانيا من اجل المراة التى احبها ، قصة طريفة يرجع تاريخها الى ايام الدراسة ، قال :

« شاهد ناظر المدرسة ولى العهد ، وكان يدعى « امير ويلز Prince of Wales » ، يبكى بحرقة فى فناء المدرسة ، وحاول الناظر ان يعرف سبب بكائه ، ولكنه رفض ان يتكلم ! فما كان منه الا ان قام باجراء بعض التحريات الخاصة التى ادت فى النهاية الى معرفة اسباب بكاء ولى العهد . فقد اتضح ان ثلاثة من زملائه انهالوا عليه ضربا وركلا !

واسرع الناظر يستدعى التلاميذ الثلاثة الى مكتبه وقال لهم : « لا تحاولوا الانكار ، لقد اعتديتم على ولى العهد بالضرب ، واحب ان اقول لكم انه لم يَشْكُ لى ، وانا اريد الآن ان اعرف لماذا اقدمتم على هذا العمل ؟ وسوف اصفح عنكم اذا لم تحاولوا اخفاء الحقيقة ورويتم كل شىء بصراحة ! »

ووقف التلاميذ الثلاثة يتداولون ، وانقضت بضع دقائق ، قبل ان يتقدم احدهم ويقول : « لقد كنا نريد ان نقوم بعمل ... اى عمل نستطيع ان نفخر به فى المستقبل ... فلم نجد خيرا من ضرب « ملك بريطانيا المقبل » علقة ! » .

جبال من الاوراق والوثائق

● حدثت مجلة تايــم الأمريكيـة قالت :

ـ ثمة ارقام واحصائيات تكاد تكون خيالية عمن كميات الورق التى تستعملها حكومة الولايات المتحدة فى سائر اعمالها.

فهى توزع على رعاياها سنويا نحو من الف مليون نموذج أو استمارة ،وتنفق فى سبيل صنع هذه النماذج واعدادها وحفظها ما لا يقل عن ٧ آلاف مليون دولار ، وتحفظ هذه الأكوام المتراكمة بعد استردادها من المواطنين فى خزائن حديدية خاصة يجاوز عددها ٤٠٠٠٠٠ خزانة .

وليست النماذج التى ذكرنا الا فئة محدودة من مجموعة النماذج المتداولة فى أعمال الحكومة الأمريكية . فهنالك النماذج الخاصة بالشركات العادية غير المساهمة، والتى تنفق تلك الشركات نحو من ٩٥ مليون ساعة سنويا فى سبيل تعبئتها ، اى بزيادة ٨٪ عما كانت تنفقه بصددها عام ١٩٦٤ . وهنالك أيضا النماذج الخاصة بالبواخر ، القادمة منها الى الموانىء الأمريكية والمغادرة . فكل واحدة من تلك البواخر مكلفة بملء (١١٧) استمارة ، كلها مكتوبة بنفس اللغة التى كتبت بها سنة ١٧٩٩ ، دون تغيير أو تبديل .

كتب كان لها شان في التاريخ :

كتاب التحليل النفسانى

(لسيجموند فرويد)



● ما من علم من العلوم التى تبحث فى طبيعة الانسان استطاع ان يتجنب آثر نظريات سيجموند فرويد Sigmond Freud فى التحليل النفسانى ، وقد أوجزها فى وضوح ودقة فى كتاب له خطير بين كتبه المتاخرة . ذلك هو كتاب «التحليل النفسانى فى سطور » An ontline of psychology وقد فرغ فرويد من كتابته سنة ١٩٣٨ وعمد الى نشره لاول مرة عام ١٩٤٠ . وعلى المعارضة العنيدة الشديدة التى قوبلت بها نظريات هذا الكتاب طيلة سنوات ، فانها لم تلبث ان أصبحت بعد ذلك فى عداد الحقائق البديهية والمعطيات التى تسلم بصحتها البشرية . يصدق ذلك على مايعطيه فرويد من تفسيرات لزلات اللسان خاصة ، كما يصدق على عقدة أوديب وعلى ما تفترضه الامراض النفسية من اسباب وبواعث جنسية دفينة . الا انه يصدق اكثر ما يصدق على قيمة التحليل النفسي فى معالجة الأمراض العقلية . ويؤثر عن فرويد قوله : ان كبرياء الانسان قد تلقت ثلاث ضربات قاضية فى غضون القرون القليلة الماضية. اولى تلك الضربات اكتشافه مركز الكون فى العالم الذى يعيش فيه . وثانيها : ادراكه مع داروين Charles Darwin ، انه وليد سنة النشوء والارتقاء وسليل ما هو دونه من حيوانات ومخلوقات ، اما الضربة الثالثة من تلك الضربات القاضية فقد كانت فى ادراك الانسان مع فرويد بانه فاقد السيطرة ليس فقط على كونه وعالمه ومصيره ، وانما ايضا على نفسه وعقله .

الفضل بن سهل

وزير المأمون وحامله الى الخلافة حملاً

شَخصيَّةٌ قويَّةٌ طاغِيَة وَنزَاهَةٌ عَن أموَال الرَّعيَّة غير مُنكرة وَقُتِلَ، وَلاضيعَة له، وَلا فرَس، وَلا آنيَة

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

■ شخصية عجيبة ارتبطت بحياة الخليفةالمامون السياسية ارتباطا وثيقا منذ كان وليا للعهد فى حياة أبيه الرشيد ، حتى نهاية اقامتهفى مَرْو بخراسان وهو خليفة على المسلمين ، واقصد بهذه الشخصية الفضل بن سهل .

وهو فارسى مجوسى الاصل ، يقال انه كان من اولاد ملوك الفرس ، وان اباه سهلا اسلم ايام المهدى(١) وأن الفضل كان يعمل قهرمانا ليحيى ابن خالد البرمكى ، أو أنه كان يشتغل فى عصر الرشيد ـ وهو ما يزال شابا فتيا ـ بالترجمة من الفارسية الى العربية ، فنقل ليحيى البرمكى ... ، فاعجب يحيى بحسن فهمه

الفضل يُسلم على يدى المامون

واستجاب الفضل لرغبة يحيى قائلا : نعم أصلح الله الوزير أسلم على يديك ، فقال له يحيى : لا ، ولكن اضعك موضعا تنال به حظا من دنيانا ، ودعا سلاما مولاه وقال له : خذ بيد هذا الفتى وامض به الى جعفر ، وقل له يدخلْ على

على جعفر أصول المهارة السياسية التى كان يحذقها .

وكان البرامكة يعلقون على الفضل بن سهل آمالا كبيرة ، من ذلك ما يذكره الجهشيارى قال : ذكر أبو العلاء المذارى أنه سمع الفضل بن سهل يقول : قال لى يحيى بن خالد : فى كل أربعين سنة يحدث رجل يجدد الله به دولة ، وأنت عندى منهم .

الفضل بن سهل امتداد للبرمكة

فلما نكب البرامكة تفرغ الفضل بن سهل لخدمة المأمون ، وظل امتدادا حقيقيا للبرامكة فى سخائه وكثرة أفضاله على الناس ، وفى براعته فى تحريك الأمور من وراء ستار .

وصفه الجهشيارى بأنه سخى سرى نبيل النفس . ويقول غير مصدر انه كان أخبر الناس بعلم النجامة وأكثرهم اصابة فى أحكامه ، وأن سبب ميله الى المأمون انه نظر فى طالعه فرأى صعود نجمه فلزمه . وبلغ من براعته فى معرفة الطوالع انه ترك رسالة بوقت وفاته ومكان حدوثها، فقال انها ستكون بين ماء ونار ، فكان مقتله فى الحمام !

لزوم الفضل للمأمون لم يكن عن نجامة ، وانما عن حصافة

وارى أن لزوم الفضل بن سهل للمأمون واختياره جانبه لم يكن محتاجا الى رصد الطوالع والبراعة فى معرفة الغيب الذى لا يعلمه الا الله ، ولكنه كان ذكيا حاذقا يعرف شخصية المأمون جيدا وما هو عليه من همة عالية ورزانة وقدرة على تصريف الأمور ومواجهة الصعاب، كما كان يعرف شخصية الأمين وضعفها وتهالكها على الملذات ومتابعة الشهوات .

يروى أن مؤدب المأمون قال يوما للفضل : ان المأمون لجميل الراى فيك ، وانى لا استبعد ان يحصل لك من جهته الف الف درهم ، فاغتاظ الفضل من ذلك وقال له : الك علىّ حقد ؟ الى اليك اساءة ؟ فقال المؤدب : لا والله ، ما قلت هذا الا محبة لك ، فقال : اتقول لى انك تحصل منه ألف ألف درهم . والله ما صحبته لاكتسب مالا قل أو جل ، ولكن صحبته ليمضى حكم خاتمى هذا فى الشرق والغرب .

الفضل بن سهل فارسى الهوى

ثم لا ننسى ان الميل الطبيعى للفضل بن سهل الفارسى الأصل ، ينبغى أن يكون فى اتجاه المأمون لا الأمين ، ويجب أن نؤكد منذ البداية أن الفضل ابن سهل لم ينس أصله الفارسى قط ، وأنه ظل يعمل لصالح الفرس ، واستطاع أن يغرد بالمأمون سنوات طويلة من ناحية استخدامه لتحقيق المصالح الفارسية أولا . ولهذا اتهم المأمون بأنه فارسى الهوى وأنه يقف على راس النفوذ الفارسى ويمثله، فى حين ان الأمين يمثل فى صراعه ضد أخيه النفوذ العربى .

الاتزان الفكرى عند الفضل ، لما مات الرشيد

وبالرغم من كل الشبهات التى تحيط بالفضل ابن سهل ينبغى ان نقرر انه يعتبر من الشخصيات التاريخية الفذة فى القدرة السياسية والاتزان الفكرى وضبط النفس الى أقصى حدودها . فحين تشاور قواد الرشيد وأهله ــ وهم فى خراسان عقب وفاة الرشيد فيها ــ فى اللحاق بالأمين ، ناسجين بذلك خيوط الفتنة بين الأخوين وكان على راسهم الفضل بن الربيع الذى قال : لا ادع ملكا حاضرا لآخر ما ندرى ما يكون من أمره ، وأمر الناس بالرحيل الى بغداد ، ناكثين بوعودهم للرشيد بالبقاء الى جانب المأمون . فلما علم المأمون بذلك جمع من معه من قواد أبيه فشاورهم وأخبرهم الخبر ، فأشاروا عليه بأن يلحقهم فى الفى فارس فيردوهم ، الا أن الفضل بن سهل عارض هذا الراى قائلا : ان فعلت ما أشاروا به عليك ، جعلت هؤلاء هدية الى محمد الأمين ، ولكن الراى أن تكتب اليهم كتابا ، وتوجه اليهم رسولا فتذكرهم البيعة ، وتسالهم الوفاء ، وتحذرهم الحِنْث .

ونفذ المأمون مشورة الفضل ، فلما وصل رسول المأمون الى جماعة المارقين ، وهم فى طريق عودتهم

الى بغداد ، قال الفضل بن الربيع : انما انا واحد منهم ، اما عبد الرحمن بن جبلة فشد على حامل الرسالة بالرمح فامره على جنبه ، ثم قال: قل لصاحبك والله لو كنت حاضرا لوضعت الرمح فى فيك ، ونال من المامون .

ولما وصلت أخبار ذلك كله للمامون جزع وتحسر ، واحس أن بريق الخلافة قد أعمى أبصار فئة من الناس فضلوا ، وكذبوا العهود والمواثيق ، ولكنه لم يلبث أن وجد حوله رجالا يقفون معه فى وجه العاصفة ، وعلى رأسهم الفضل بن سهل الذى هون على المامون خروج بعض قواده عليه قائلا : أعداء استرحت منهم . وعدد له الخارجين على الخلفاء من قبله وكيف تم القضاء عليهم ، وأبان له أن موقفه أفضل من موقف الخلفاء السابقين لأنه فى أخواله (أى الفرس) وبيعته فى أعناقهم. ووضع الفضل يده على صدره وهو يقول للمامون فى ختام حديثه : اصبر وأنا أضمن لك الخلافة .

ثقة بالنفس لا حد لها ، واعتداد من الفضل بقدرته ومواهبه ، ولكنه لم يكن مجرد قوال لا يدرى من أمره شيئا ، بل استطاع أن ينفذ ما وعد به المامون ، فجعل الخلافة تنقاد له بعد صراع مرير وكفاح دائب .

لم تكن الخلافة من همّ الامين

لقد ولى محمد الأمين الخلافة وليس فى خاطره أن ينكث بوعده ، كل ما فى نفسه أن ينصرف الى حياة عامرة بالملذات والبهجة ، حتى انه أمر – بعد بيعته بيوم واحد – ببناء ميدان حول قصر ابى جعفر فى بغداد يخصص للعوالجة . وكان ينعم بحب جاريته « نظم » التى تزوجها وانجب منها ابنه موسى ، كما كان مشغولا بحبه الجديد للجارية « بذل » التى كانت لجعفر بن موسى الهادى ، فرآها الأمين وهام بها حبا ، حتى استطاع أن يشتريها بعشرين الف الف درهم كما يقول صاحب العقد الفريد ، وان كنت اشك فى صحة هذا الرقم لضخامته . ولم يكن يشغل بال الأمين صراع من أجل السلطان ، بل كان مشغولا بلهوه ، منهمكا فى ملذاته ، وكان من الممكن أن تمضى به الأمور على هذا المنوال دون أن يدخل مسالك السياسة الضيقة ودروبها المعقدة ، ودون أن يشغل نفسه بالحرب وأهوالها .

الفضل بن الربيع يدفع بالامين الى الخلافة

ولكن قيض الله له وزيره الفضل بن الربيع – وقد رأينا قصر نظره فى الميل الى جانب الأمين دون المامون – وكأنما خشى على نفسه غضب المامون اذا صار الى الخلافة يوما ، فسعى فى اغراء الأمين به وحثه على خلعه من ولاية العهد ، فانقاد الأمين لرأيه ، وبعث الى المامون ثلاثة رسل ليبلغوه تقديم موسى بن الامين الذى سمى « الناطق بالحق» على نفسه ، فابى المامون ذلك .

بين الفضل بن سهل والعباس بن موسى

وأراد أحدهم وهو العباس بن موسى أن يهون الأمر عليه قائلا : وما عليك أيها الأمير من ذلك ، فهذا جدى عيسى بن موسى قد خلع فما ضره ذلك ! عندئذ صاح الفضل بن سهل بالعباس قائلا : اسكت فان جدك كان فى أيديهم أسيرا ، وهذا بين أخواله وشيعته . وأعجب الفضل بذكاء العباس فاراد أن يستميله الى جانب المامون فخلا به ، وقال له : يذهب عليك فى فهمك وسنك أن تأخذ بحظك من المامون ؟ ومناه بولاية الرسم وبعض مواضع الاعمال بمصر ، ولم يتركه حتى أخذ عليه البيعة للمامون بالخلافة ، فكان العباس بن موسى بعد ذلك عينا على الأمين يبعث بأخباره الى المامون.

الفضل يطلق لقب الامام على المامون

وباشارة من الفضل فيما يظهر اطلق على المامون اسم « الامام » تمهيدا لاعلان خلافته ، ولما استنكر أخوه الأمين هذه التسمية ، وأثار موضوعها أحد رسله ، أجاب الفضل بن سهل فى خبث : قد يكون امام المسجد والقبيلة ، فان وفيتم لم يضركم ، وان غدرتم فهو ذاك .

حدود خراسان تغلق دون كل دعاية للأمين

وبازاء هذا الجهد الضخم الذى كان يبذله

الفضل بن سهل لتحقيق النصر السياسى للمامون كان الفضل بن الربيع يقود المعركة فى الجانب الآخر : جانب الأمين، فنهى عن ذكر المامون والدعاء له على المنابر ، وأعلن المبايعة لموسى بن الأمين وولاه العراق . وأخذ كل جانب يعجم عود الآخر ، فالأمين يطلب الى المامون أن يتنازل له عن بعض المواضع فى ولايته ، والمامون يأبى ذلك ، ثم يأمر المامون بوضع حراسة مشددة على حدود خراسان فلا يجوز رسول من العراق الا مع ثقات من رجاله، لا يدعونه يستعلم خبرا أو يؤثر أثرا ، وبذلك استطاع أن يحمى أهل خراسان من أن يستمالوا برغبة أو تودع صدورهم رهبة. كل ذلك كان بتدبير الفضل بن سهل الذى كان ينصح المامون بالا يكون « المستفتح باب الفرقة » حتى لا يفقد عطف العامة عليه ، والعامة دائما مع المظلوم المفترى عليه .

كاد المامون أن يخضع لأخيه الأمين ، لولا الفضل بن سهل

وكان المامون تنتابه حالات ضعف ، يتهيب فيها موقفه من أخيه ، وكان يهم بتسليم نفسه اليه ، ولكن الفضل بن سهل كان يثبته فى مكانه المرة بعد المرة ويطالبه بالتمسك بموضعه ، فيجيبه المامون فى غمرة اليأس : وكيف يمكننى التمسك بموضعى ومخالفة محمد ومعظم القواد والجنود معه ، وأكثر الأموال والخزائن قد صارت اليه ، مع ما فرق فى أهل بغداد من صلاته وفوائده ، وانما الناس مائلون مع الدراهم ، منقادون لها ، لا ينظرون ازاء وجودها حفظ بيعة ، ولا يرغبون فى وفاء عهد ولا أمانة ؟! ويثير الفضل الأمل فى نفس أميره ، ويستحث كرامته ونخوته فيقول : أنا لقدر محمد متخوف ، ومن شرهه الى ما فى يديك مشفق ، ولأن تكون فى جندك وعزك مقيما بين ظهرانى أهل ولايتك أحرى ، فان دهمك منه أمر جردت له وناجزته وكايدته ، فاما أعطاك الله الظفر عليه بوفائك ونيتك ، أو كانت الأخرى فمت محافظا مكرما ، غير ملق بيديك . ولا ممكن عدوك من الاحتكام فى نفسك ودمك .

ولا تظهر براعة الفضل بن سهل وثباته وحسن سياسته وتدبيره فى هذا الموقف فحسب ، بل تبدو أيضا حين تخوف المامون شر أخيه ، وشر ملوك العجم المحيطين به فى خراسان ، والذين استثارهم الأمين فى الغالب ضد أخيه ، فتحفزوا للقضاء على المامون ، مما جعل المامون يفكر فى الهروب من هذا الموقف العسير كله ليلجأ الى ملك الترك ، ولكن الفضل شد من أزره ، وأشار عليه بمنح ملوك العجم استقلالهم الذاتى أو التنازل عن الجزية وارسال الهدايا لاسترضائهم ، فهدأوا وسكنت ثائرتهم .

الصدام المسلح ، وانهزام جيش الأمين

وكان لا بد أن يحدث الصدام المسلح بين الأمين والمامون بعد معركة التحدى السياسى ، فارسل الأمين جيشا يتكون من أربعين الف مقاتل ، جعل قيادته لعلى بن موسى بن ماهان الذى أخذ معه قيدا من فضة ليليق بمعصم المامون حين يأتى به أسيرا ، وبعث المامون جيشا متواضعا يبلغ تعداده أقل من أربعة آلاف ، وجعل على رأسه طاهر بن الحسين أكبر قواده ومن صنائع الفضل بن سهل، فاستطاع بعبقريته العسكرية أن يهزم جيش الأمين الضخم ويقتل قائده . وأرسل طاهر الى الفضل يبشره بهذا الظفر قائلا : أطال الله بقاءك وكبت أعداءك ، وجعل من يشناك فداك ، كتبت اليك ورأس على بن عيسى فى حجرى ، وخاتمه فى يدى، والحمد لله رب العالمين .

المامون يكافىء الفضل بن سهل

بعد هذا النصر العظيم لم يجد المامون بدا من خلع أخيه الأمين واعلان نفسه خليفة على المسلمين. واحس المامون أنه مدين بهذا النصر للفضل بن سهل وزيره ومستشاره الأول فأراد مكافأته ، فعقد له على ولاية واسعة وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم ، وعقد له على سنان ذى شعبتين وأعطاه علما وسماه ذا الرئاستين ، رئاسة الحرب ورئاسة التدبير .

ويبدو أن المامون لم يكتف بذلك ، فقد كان يحس أنه مغمور بمعروف الفضل وبعد نظره واحكام تدبيره ، فكتب له سنة ست وتسعين ومائة كتابا سماه « كتاب الشروط والحباء » يصف فيه طاعته ونصيحته ، وعظته وعنايته ، وذهابه بنفسه

عن الدنيا ، وارتفاعه عما بذل من الاموال والقطائع والجوهر والعقد ، ويشرط له على نفسه كلما يسأل ويطلب لا يدفعه ولا يمنعه ، ووقع فيه المأمون بخطه واشهد على نفسه .

نزاهة الفضل بن سهل

وهذا الكتاب يفسر لنا استئثار الفضل بالسلطة دون المأمون ، حتى كاد الأمر يخرج من يده تماما، فالمأمون يقر بتسليم الفضل كل السلطات، وهو معذور في هذا أشد العذر ، فالفضل شخصية قوية طاغية ، ولولاه لأسلم المأمون نفسه للامين ـ كما رأينا ـ فهو جدير بالثقة من ناحية ولائه للمأمون ،كما انه جدير بالثقة من نواح اخرى ، فقد كان ـ في جماع المؤرخين ـ نزيها عن اموال الرعية . وحين قتل لم يوجد له مال ولا ضيعة ولا فرس ولا آنية يعتد بها ، وكل ما وجد في ميراثه خمسة اعبد وفرس وبرذون . وكان الفضل يحس انه غني بجاهه ونفوذه ، فقد قال له احد جلسائه يوما : أيها الأمير لو امرت أن يتخذ لك ضياع وعقد ، فقال : ولم ويحك ؟ ان دام ما أنا فيه فالدنيا كلها ضيعتي وعقدي . يضاف الى ذلك انه لم يكن رجلا تتحكم فيه الشهوة او تأسره اللذة ، فهو لم يبح لنفسه النبيذ الذى اباحه العراقيون بصفة عامة استنادا الى تفسير لأبي حنيفة ، بل كان يحرمه ويحظر شربه ويأمر بعقوبة شاربه ، واذا صح ما روى من أن المأمون سأل الفضل أن يزوجه احدى بناته فأبى ، لكان في ذلك دلالة على قوته النفسية وعدم انسياقه وراء العواطف أو المظاهر . وعلى الرغم من كراهيته للامين الا انه غضب لما قتله طاهر قائلا : ما فعل بنا طاهر ؟ سلَّ علينا سيوف الناس وألسنتهم ، أمرناه أن يبعث به أسيرا فبعث به عقيرا ! ولهذا تغير الفضل على طاهر واغرى به المأمون .

الفضل يرمي الى ابقاء الخلافة للمأمون في خراسان بعد قتل الأمين

وعلى الرغم من استقرار الخلافة للمأمون بعد مقتل أخيه وبقائه سيد الامبراطورية الاوحد كما يقول « بروكلمن » الا انه ظل في مكانه بمرو بتدبير الفضل بن سهل قرابة خمس سنوات ، وكان الفضل ـ فيما يبدو ـ يرمي من وراء ذلك الى نقل مركز الخلافة الاسلامية من العراق الى خراسان ، واختيار مرو عاصمة للخلافة ، وبذلك يحس الأعاجم من الفرس بعودة دولتهم اليهم . وكان الفضل يصنع صنيع وزراء الفرس الأقدمين فقد هيأ كرسيا مجنحا يحمل فيه اذا دخل على المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه. فيوضع الكرسي وينزل عنه فيمشي، ثم يحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون، فيسلم الفضل عليه ، ويعود فيجلس على كرسيه .ويقول الجهشياري « وانما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة ، فان وزيرا من وزرائها كان يحمل في مثل هذا الكرسي ، ويقعد بين أيديها عليه » .

ثورة الامصار على المأمون بسبب الفضل بن سهل

وكان من نتيجة بقاء المأمون بعيدا عن مركز الخلافة الأصلي في بغداد أن كثر الطامعون في الخلافة الخارجون عليها ، الكارهون لحكم الفضل ابن سهل وجماعته من الفرس، وقد كان أوعز الى المأمون بأن يعين أخاه الحسن بن سهل مكان طاهر ابن الحسين ويبعد طاهرا فيوليه على الموصل والجزيرة والشام والمغرب ، ثم يندبه لقتال نصر ابن شبث أول الخارجين على دولة المأمون .

ويقول الطبري ان غلبة الفضل بن سهل على المأمون ، وتعيين الحسن بن سهل واليا على العراق أثار الفتن في الأمصار . فثار ابن طباطبا وبعده أبو السرايا ومحمد العلوى ، وقد قاتلهم جميعا وانتصر عليهم القائد العربي العظيم هرثمة ابن أعين الذى شارك في تأسيس دولة المأمون ، ولكنه كان يحس أن المأمون اسير الفضل بن سهل، وليست له حرية التصرف في شيء ، وان الفضل يريد أن يصرف الخلافة الى الأعاجم .

هرثمة يدخل مرو الى المأمون ليبصره بحقائق الامور ، فيلقى حتفه

فرغب في أن يلقى المأمون ليبصره بأسباب هذه الثورات المتلاحقة ضد حكمه منذ قتل الأمين ويطلب اليه الانتقال الى بغداد دار خلافة آبائه

وملكهم ليتوسط سلطانه ويكبح جماح الطامعين . وهنا يظهر الفضل بن سهل حقيقة نواياه ، فاستئثاره بالسلطة دون المأمون يجعله يبعد المزاحمين الأقوياء مثل طاهر بن الحسين او هرثمة ابن اعين ، ولكن اذا فكر أحدهم فى الاقتراب من المأمون لافساد تدبير الفضل وخاصة ـ من ناحية سيادة الأعاجم فى هذه الدولة دولة المأمون التى يصنعها على عينه ـ فالويل له .

لقد دخل هرثمة الى مَرْو كما اراد وخاف أن يحول الفضل بن سهل بينه وبين المأمون فدق الطبول عند دخوله المدينة ، وسرعان ما اوغر الفضل صدر المأمون عليه ، لقد صوره فى صورة المارق الذى يعادى دولة المأمون ، وأبان له أن سبب قدومه عليه رغبته فى الخلاف والتهديد بالثورة. فلما دخل هرثمة على المأمون واجهه صراحة بهذا الصراع الذى يدور ضد العرب بتدبير الفضل ابن سهل ، وقال له : قدمت هذه المجوس على أوليائك وانصارك . وأشار الى الفضل قائلا : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى رأيت هذا المجوسى فى هذا المجلس على كرسى . ولما كان صدر المأمون موغرا بكلام الفضل ، لم يسمح لهرثمة باطلاعه على حقائق الأمور ، وانما كان اللقاء بينهما عاصفا حادا، واستشاط المأمون غضبا فأمر بهرثمة فوجىء على أنفه ، وديس بطنه ، وسحب من بين يديه ، ثم أمر بحبسه . وما لبث ان قتل فى سجنه، لا ندرى هل كان ذلك باذن من المأمون أو الفضل، وان كان الطبرى يقول ان الفضل دس اليه من قتله .

موقف المأمون من الصراع بين العرب والفرس

وهكذا دفع القائد العظيم هرثمة حياته ثمنا لدفاعه عن العروبة واخلاصه النصيحة للمأمون فزاد هذا الثورات ضده اشتعالا ، وخاصة بين جنود هرثمة الذين استطاعوا طرد الحسن بن سهل من بغداد . والحقيقة أن موقف المأمون من الصراع بين العرب والفرس لم يكن واضحا كل الوضوح فى هذه الفترة ، فعلى الرغم من غلبة الفضل بن سهل عليه الا أن بعض العرب الذين كانوا حوله ، كانت تتمثل فيهم العصبية العربية ، ولم يملك أحدهم نفسه ، وهو يحيى بن عامر بن اسماعيل فقد اغلظ للمأمون لوقوعه تحت تأثير الفرس فقال له : « يا أمير الكافرين » فأمر به المأمون فقتل بين يديه .

حين نقل المأمون ولاية العهد الى على بن موسى الرضا

وحين انتقلت ولاية العهد الى العلويين لم يتحرج نعيم بن حازم ان يقول للفضل بن سهل فى حضرة المأمون : انك انما تريد أن تزيل الملك عن بنى العباس الى ولد على ، ثم تحتال عليهم فتصيّر الملك كِسْرويا ، ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة على وولده ، وهى البياض ، الى الخضرة ، وهى لباس كسرى والمجوس .فكان نعيم بن حازم يريد ان يقول ان الفضل بن سهل صرف الخلافة الى اولاد على كمرحلة انتقالية تصير بعدها الى الفرس ، ودليله على ذلك اختيار اللون الأخضر شعارا لدولة المأمون وهو شعار الفرس ، بدلا من الأسود الذى يميز العباسيين ، والابيض الذى يميز العلويين . وقد هم المأمون بقتل نعيم بن حازم ، ولكن من العجيب ان الفضل ابن سهل الذى يدبر كل ذلك ويحرك المأمون لتنفيذ ما دبره ، يظهر نفسه أمام المأمون بمظهر الناصح المشفق عليه لكثرة ما يتعقب العرب بالقتل ، فيذكره الفضل بما كان منه قائلا : يا أمير المؤمنين انك قتلت بالأمس هرثمة وقدره فى الناس قدره ، واظهرت موته وقد تيقن الناس قتلك اياه ، وضربت عنق يحيى بن عامر صبرا ، وامرت بحمل عبد الله بن مالك وضربت استه كما يضرب الصبيان . وعبد الله بن مالك الذى يشير اليه الفضل كان عربيا له مكانته منذ ايام المهدى والرشيد ، وكان يمثل الحزب العربى فى بطانة المأمون بمرو ، فناصبه الفضل العداء واخذ يكيد له عند المأمون حتى أمر به فحمل على ظهر جمل وضربت استه كما يضرب الصبيان.

على بن موسى الرضا يفتح عين المأمون ، فيقرر العودة الى بغداد

وظل الفضل بن سهل مستمسكا بالمأمون فى مرو،

لا يطلعه الا على ما يريد من الحقائق حتى نجح ولى عهد المأمون على بن موسى الرضا فى ازالة الغشاوة عن عينيه وتبصيره بالحقيقة التى يحاول الفضل اخفاءها عنه . لقد كشف له عن الفتن التى تضطرب بها البلاد منذ خلوص الخلافة له ، وكيف أن أهل بيته والناس جميعا قد نقموا عليه اشياء حتى قالوا عنه انه مسحور مجنون بتأثير الفضل . ولما بلغ بهم الضيق كل مبلغ بايعوا لعمه ابراهيم بن المهدى بالخلافة .

وبدا المأمون كأنه يسمع ذلك لأول مرة ، فقد رد قائلا : انهم لم يبايعوا له بالخلافة ، وانما صيروه اميرا يقوم بأمرهم ! ووضح أن هذا ما أخبره به الفضل ليحجب عنه خطورة الموقف ، ولم يجد على بن موسى بدا من اخبار المأمون بأن الفضل قد كذبه وغشه ، وأن الحرب دائرة بين ابراهيم ابن المهدى والحسن بن سهل ، وأن الناس تكره مكان الفضل وأخيه من المأمون . ولما استوثق المأمون من صحة ما سمعه قرر أن يهجر مرو وينطلق من خراسان الى بغداد ليواجه عاصفة السياسة متحديا ، بدلا من أن يقبع راضيا بتدبير الفضل بن سهل وحده الذى كان يقصد به مجد الفرس لا مجد العرب .

مقتل الفضل بن سهل

وفى خلال رحلة المأمون من مرو الى بغداد بل فى أول مدينة وصل اليها من مرو وهى سَرَخْس تمت حادثة اغتيال مروعة لوزيره ومستشاره الأول الفضل بن سهل ، دخل عليه المتآمرون وهو فى الحمام فضربوه بالسيوف . واختلف المؤرخون حول شخصيات الذين اغتالوه فذكر الطبرى أنهم اربعة ، غالب المسعودى الاسود ، وقسطنطين الرومى ، وفرج الديلمى ، وموفق الصقلبى . بينما نجد اليعقوبى يذكر أن القتلة اثنان : غالب الرومى صاحب ركاب المأمون ، وسراج الخادم . واتفق المؤرخان ان الذى دس فى قتل الفضل ابن اخته على بن أبى سعيد ، أو هكذا اعترف القتلة امام المأمون . ويبدو أن غالبا كان زعيم المؤامرة اذ يذكر اليعقوبى أن الفضل حاول رشوته بمائة ألف دينار ليهب له حياته فقال له غالب : ليس بأوان تملق ولا رشوة .

هل كان قتل الفضل بن سهل بايعاز المأمون ؟

واختلف الباحثون حول دور المأمون فى هذه الجريمة الغامضة ، هل تمت بتدبيره خصوصا أن القتلة من عبيده وخدمه ، ويد التدبير واضحة فى اختيارهم من اجناس مختلفة حتى لا يكون ثأر الفضل محصورا في جنس بعينه. واذا كان المأمون قد بعث فى طلب القتلة بعد هروبهم وجعل جائزة كبيرة لمن يأتى بهم ، فقد يكون ذلك مجرد تمويه منه لاخفاء الحقيقة . بل لقد تردد فى كتابات بعض المؤرخين أن القتلة واجهوا المأمون بأنه هو الذى امرهم بقتل الفضل ، فقالوا له : انت أمرتنا بذلك ثم تقتلنا ، فقال لهم : انا أقتلكم باقراركم ، واما ما ادعيتموه على من انى أمرتكم بذلك فدعوى ليس لها بينة . وقيل انهم اتهموا ابن اخت الفضل بذلك ، ولو صحت هذه الرواية فان قولهم كان لابعاد الشبهة عن المأمون اذ ليس مقتل الفضل من مصلحة ابن اخته على بن أبى سعيد الذى وجد كل معونة من الفضل ، وكان يعهد اليه بأعمال سياسية خطيرة .

واتماما لفصول الرواية أمر المأمون بقتل المتآمرين جميعا ومعهم من حامت حولهم الشكوك والشبهات . ويميل اكثر المؤرخين الى اثبات يد المأمون فى مقتل الفضل ويتابعهم فى ذلك بعض الباحثين المحدثين ، والحقيقة أن الملابسات كلها تدين المأمون . فهو قد هجر مرو بعد أن أحس اهتزاز عرشه وسطوة الفضل عليه . ثم هو سلك طريقه الى بغداد ضد ارادة الفضل وجماعته من الفرس ، وهو يعلم أن أهل العراق ناقمون عليه بسبب الفضل ، فلماذا لا يكتسب محبة العراقيين بالتخلص من الفضل ، وهو بذلك يستطيع أن يحكم فى حرية ، ويثبت لمن حوله قدرته على الاضطلاع بمهام الدولة بنفسه دون استشارة أحد. ودليل هذا استئثاره بالسلطة دون وزرائه جميعا بعد الفضل .

المأمون يسترضي الفرس بعد مقتل الفضل

واراد المأمون أن يستميل الحسن بن سهل والفرس جميعا الى جانبه ، فاسترضاه وبعث اليه

برؤوس المؤامرة ، وصيره فى مكان اخيه من الناحية الظاهرية ، بل اراد ان يوثق صلته بآل سهل الى ابعد مدى فتزوج بوران بنت الحسن بن سهل بعد شهور من مقتل الفضل ، ولم يكن من دافع وراء هذا الزواج غير السياسة ، اذ كانت بوران فى ذلك الوقت طفلة لم تتجاوز العام العاشر من عمرها ، ولهذا عقد المأمون عليها توكيدا للمعنى السياسى الذى قصده ، ولم يدخل بها الا بعد انقضاء ثمانية اعوام . وقد اشار ابراهيم الصولى ــ الفارسى الاصل ــ الى هذا الزواج الذى يعبر عن التقاء الفرس بالعرب فقال :

لِيَهْنِيكَ أصهارٌ أذلت بعزها
خدودا وجدَّعْنَ الأنوف الرواغما

جمعت به الشملين من آل هاشم
وحزت به للاكرمين المكارما

بنوك غدا آلُ النبي ووارثوا الْـ
ـخلافة والحاوون كسرى وهاشما

ويرى كاتب مادة المأمون فى دائرة المعارف الاسلامية أن العرب هم الذين قتلوا الفضل بن سهل باعتباره عدوا لهم ، والحقيقة أن مقتل الفضل لم يكن انتصارا للعرب بقدر ما هو ايقاف لتيار المدّ الفارسى الذى كان الفضل يُعدّه ليجرف أمامه الخلافة العربية .

وقد رثى شعراء الفرس الفضل بن سهل احر رثاء ، واتجهت آمالهم بعده الى اخيه الحسن كما يتضح لنا من قصيدة ابراهيم الصولى التى مطلعها :

احدى الملمات الجلائل
أودت بفضل والفضائل

فهو يقول فيها :

ما مات من حَسَنٌ أخو
ه وشِبْهه فيما يحاول

ثم لا يريد الفرس ان يقطعوا املهم فى المأمون ايضا ، ولا فى ولى عهده على بن موسى الرضا ، ولهذا يقول ابراهيم الصولى :

الموت بعدك نعمة
والعيش بعدك غير طائل

إمَّا يَزُلْ بك ذا الزما
ن فان مدحك غير زائل

فى الله والمأمون منـ
ـه المرتضى عوض لعاقل

مثل الخليفة والرضا
عزاً عن النوب الجلائل

وهكذا دفع الفضل بن سهل حياته ثمنا لطموحه الشديد وعبقريته السياسية الفذة . لقد رفعته السياسة الى اعلى مكان ، ومنحته كل أسباب القوة والسلطان ، ولكنها كانت سببا فى فقدان حياته وانطواء صفحة داهية من دواهى التاريخ .

■■

محمد مصطفى هدارة

من حكم العرب وأقوالهم المأثورة

* من صبر غنم ، ومن لم يحلم ندم ، ومن سكت سلم ، ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم .
* لا يكمل الانسان حتى يكون فيه ثلاث خصال : يقطع رجاءه مما فى أيدى الناس ، ويسمع شتم نفسه ويصبر ، ويحب لغيره ما يحب لنفسه .
* سئل أحد الحكماء : ما الشىء الذى لا يحسن أن يقال وان كان حقا ؟! فاجاب : مدح الانسان نفسه !



روديزيا وفلسطين قضية واحدة

عن جريدة « بيروت المساء » اللبنانية :

● البريطانيون لا يوافقون على استعمال القوة والعنف ، وهم يعترفون بأن العقوبات التي فرضوها على حكم الأقلية العنصرية فى روديزيا لم تأت بالنتائج المتوخاة لأنها لم تشمل جنوبي افريقيا بأسره ، وهم يعترفون ايضا بانه يتعذر عليهم ان يعمموا العقوبات لتشمل المنطقة بأسرها .. فاذن .. هم لن يحركوا ساكنا .. وسوف يتركون الاكثرية السوداء تحت رحمة الأقلية البيضاء ولتذهب الديمقراطية وتوصيات الأمم المتحدة الى جهنم ..

هذا تماما ما فعلته بريطانيا حين كانت وصية على فلسطين .. فانها سلحت الصهاينة وسلمتهم البلاد بأكثريتها العربية لقمة سائغة .. وخانت الأمانة التي تسلمتها من عصبة الأمم .. ثم مضت فى السر والعلن تناصر اسرائيل بكل وسيلة ممكنة وتهزأ بحقوق العرب المشروعة ..

المكان مختلف .. واما الجريمة فواحدة .. هي جريمة تحكيم الأقلية الدخيلة على البلاد فى رقاب الاكثرية صاحبة الحق فى اوطانها ..

والمؤسف ان تخفق الأمم المتحدة فى الأخذ بناصر اصحاب الحقوق المشروعة في كلتا القضيتين .. فيتمادى الصهاينة فى عدوانهم ويتجاهل ايان سمث وعصابته نداءات الأمم المتحدة بالاجماع .

صلات الدول النامية

عن جريدة « الجمهورية » المصرية :

● ان سبعا وسبعين دولة نامية سبق لها ان عقدت مؤتمرا منذ سنتين لدراسة شئونها الاقتصادية وعلاقة هذه الشئون بالدول الأخرى ، وقد اتخذ هذا المؤتمر من القرارات ما يعالج كل هذه الشئون .. والمطلوب الآن هو ازالة العوائق التى تعترض تنفيذ هذه القرارات .

اننا اذا نظرنا الى مشكلات العالم ، سياسية كانت او اجتماعية ، نجد الصلة بينها وبين الاقتصادية صلة صميمة . فى الوقت الذى نرى فيه كيف ان الاستعمار الجديد يحاول الضغط دائما من طريق الاقتصاد .. فاذا تقاربت الخطط الاقتصادية لسبع وسبعين دولة تمثل نصف العالم فان النصف الآخر الذى تقع فيه دول الاستعمار لا بد ان يعدل من مخططاته .

مشكلة الامية فى المجتمع العربى

عن جريدة « البعث » السورية :

● يشهد الوطن العربى اليوم نهضة شاملة تتجلى آثارها واضحة فى الميادين السياسية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية . بيد أن هذه النهضة لن تحقق اهدافها المرجوة الا اذا صحبتها نهضة تعليمية تستهدف نشر التعليم والثقافة بين ابناء الأمة جميعا وفى مختلف اوساط الشعب .

وينبغى أن نعترف ، فى بداية بحثنا هذا ، ان الحكومات العربية انشأت المدارس ، وعدلت المناهج ، واصلحت نظم الادارة المدرسية ، وسنت القوانين ، واكثرت من عقد المؤتمرات واقامة المعارض وايفاد البعثات ، وشجعت ـ الى حد ما ـ حركات البحث والترجمة والتأليف .. لكن اهتمامها بتعليم الصغار كان اعظم من اهتمامها بتعليم الكبار .

وظلت مشكلة الأمية دون ان تمسها روح هذه النهضة الحديثة ودون ان تدرس دراسة جدية شاملة ودون ان توضع لها الحلول الملائمة . والغريب فى الأمر ان بعض الذين نطلق عليهم لقب « المفكرين » لا يحسون بوجودها ولا يشغلون عقولهم « الكبيرة » بها . واذا نبهوا اليها زعموا انها غير موجودة ، الا فى جزء قليل من البلاد ، وقسم صغير من السكان ، وخاصة فى الريف ، وادعوا بأن التعليم نفسه كفيل بالقضاء عليها ، لأن الأميين الكبار سينقرضون من تلقاء انفسهم .

سؤال امام مكنمارا

عن جريدة « الثورة العربية » العراقية :

● اذا كان مكنمارا احسن وزير دفاع فى نظر بعض المراقبين السياسيين فاننا لا نعتقد انه كذلك . ومن الممكن جدا ان نعتبره افشل وزير دفاع شهدته الولايات المتحدة . ذلك انه ، كما ذكر السناتور فولبرايت : ليس سوى آلة بيد اولئك الذين يريدون تدمير الولايات المتحدة وتوجيه سياستها الخارجية نحو الهاوية .

ان المعركة الحالية معركة طبيعية جدا . ذلك لأن اى شخص لا يمكن ان يغض الطرف عما يدور الآن فى فيتنام ومناطق اخرى من جرائم ومذابح . فقد تحولت العسكرية الأمريكية على يد مكنمارا الى بربرية وحشية لم يشهد العالم لها مثيلا فى الفترة الأخيرة .. فمكنمارا لا يتوانى عن استعمال افظع اسلحة الابادة وقصف القرى الآمنة والاطفال والنساء والشيوخ . ولكن لصالح من يقاتل الأمريكان ؟! وماذا يريدون ؟

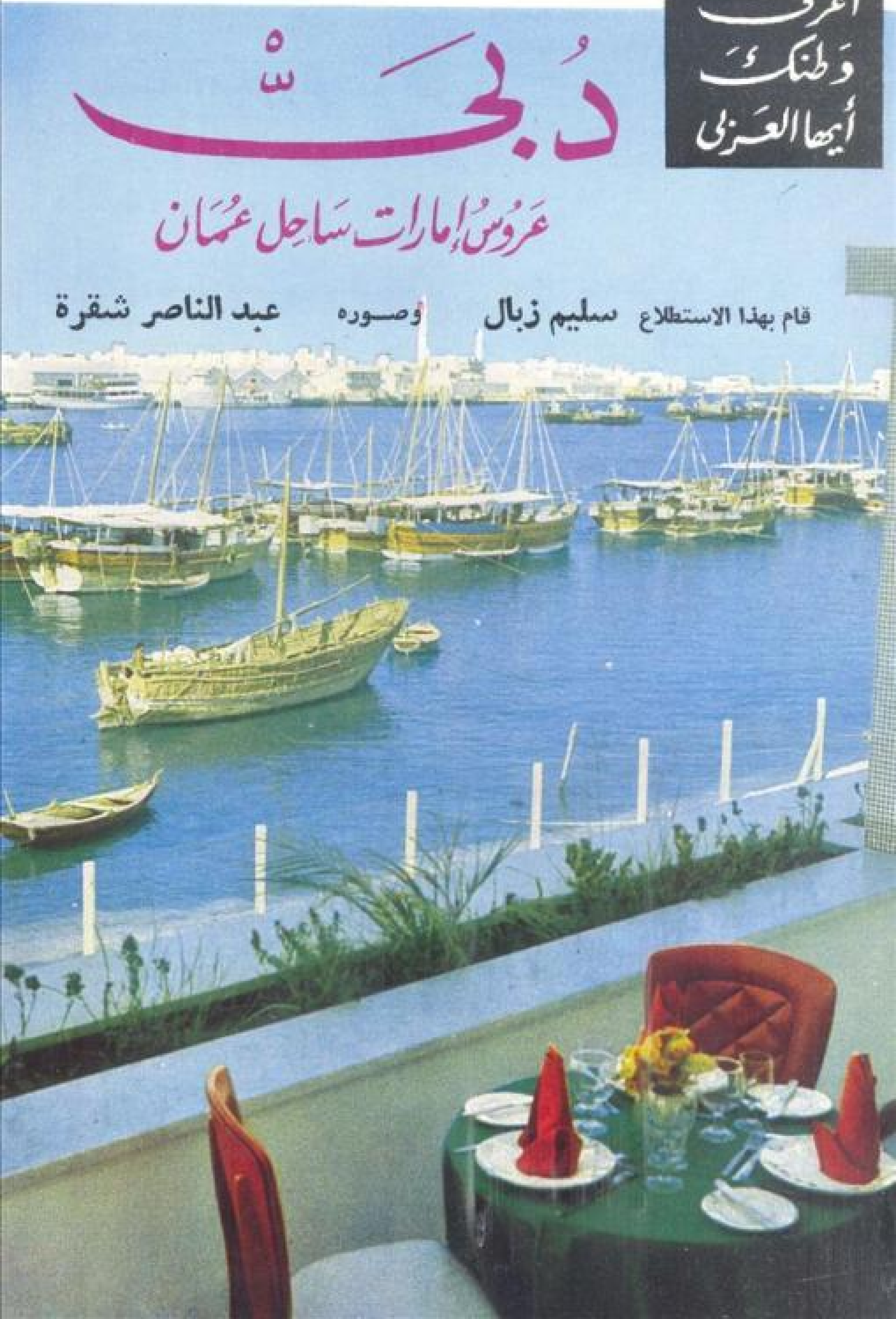
هذا هو السؤال الذى لا يمكن ان يجيب عليه مكنمارا أو دين راسك أو جونسون نفسه ..

اعرف وطنك أيها العربي

دبي

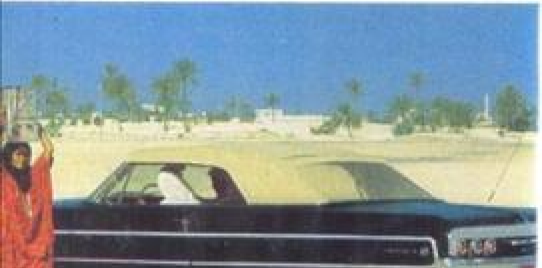
عروس إمارات ساحل عمان

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال وصوره عبد الناصر شقرة





برج الساعة الدقاقة عند مدخل دبى

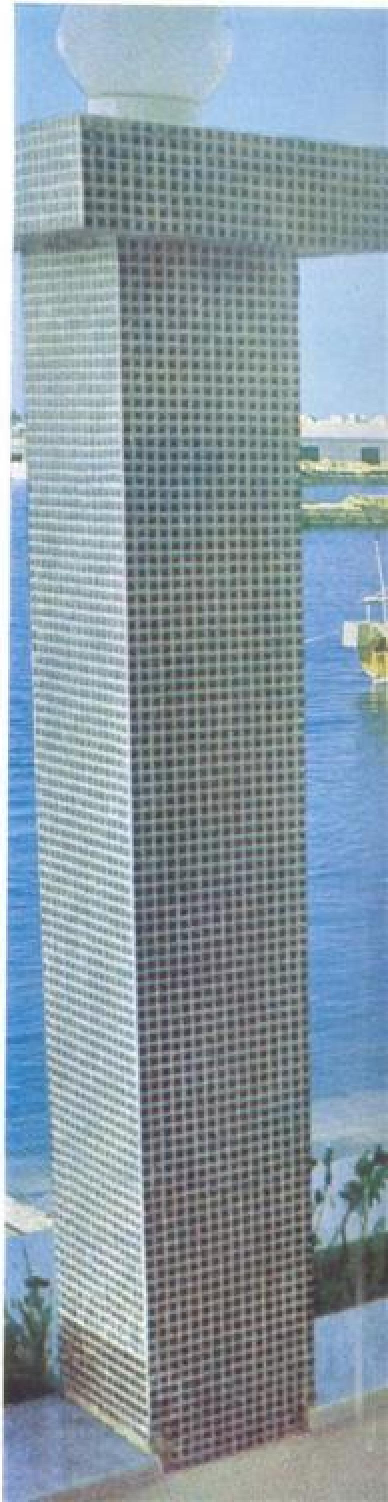


التناقض في دبى : حاملة الماء بجانب سيارة حديثة

الى اليمين : منظـر رائع للمراكب في خور دبى

الى اسفل : وجه عربى لفحته حـرارة الشمس





■ كانوا يخرجون الى عرض البحر حاملين شباكهم لصيد الأسماك .. ومن بعيد كانت تتراءى لهم مداخن ناقلات النفط تحمل فى جوفها الذهب الاسود ، فى طريقها من الخليج الى أوروبا واليابان .. وتقترب الناقلات من سفن الصيد ، ويتوقف الصيادون عن القاء شباكهم ، ويخيم الصمت فلا يعود أحد يتكلم .. ففى الحلق غصة .. وفى العين دمعة .. وعلى الشفاه همسة : « متى يأتى دورنا ؟! » متى ينطلق المارد الاسود القابع تحت ارضنا .. ارض ساحل عمان .. فيحيل تعاستنا الى سعادة ، وشقاءنا الى نعيم ؟! » .

ثقة وايمان

والذى يثير هذا التساؤل حقا هو سر تمسك أبناء ساحل عمان بأرضهم وتشبثهم بها رغم جدبها وفقرها .. وردا على هذا التساؤل قال لنا احد امراء هذا الساحل وهو يشير بأصبعه الى الصحراء : « ان الدور قادم علينا ، لا شك فى هذا . ان الدائرة يجب أن تكتمل ، لقد انبثق النفط من معظم سواحل الخليج العربى ، الذى يشبه البحيرة المقفلة ، ولم يبق الا أن يتفجر من ساحلنا .. ساحل عمان .. » .

كان يحدثنا فى ثقة وايمان ، وكأنه يردد قصة وحى نزل على أجداده من سالف العصور والازمان يطلب منهم انتظار نهاية القرن العشرين «لانالذهب الاسود سوف يتدفق فى هذا التاريخ من بطن صحرائهم القاحلة» ليعوضهم عن حرمانهم وصبرهم الطويل ..

وتحققت النبوءة

وكانت ليلة ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٦ بمثابة « ليلة القدر » لأهل هذا الساحل .. ففى تلك الليلة استيقظ مارد النفط الاسود من سباته الطويل تحت مياه الساحل الفقير . فاهتزت له دبى طربا ، وخرج اهلها يرقصون فرحا .

والى أرض الأمانى التى تحققت ، طارت

دبى الحديثة .. لقد ظهرت قبل البترول ،وبعد اعداد مشروع جديد لتخطيط المدينة يهدف الى جعلها مدينة عصرية تتوفر فيها جميع متطلبات المدن الحديثة : من توفير الطرق ، وتخصيص اماكن للصناعة والتجارة والمدارس والمبانى العامة ، ومناطق تحجز للملاعب والمتنزهات ..





تكاثر العمران الحديث في بر ديرة ، فأصبحت المباني كلهـــا بالطوب والاسمنت ، ولم يعـد للعشيش وجود داخل المدينة التى تشكو ازدحاما كبيرا في عدد سكانها ..

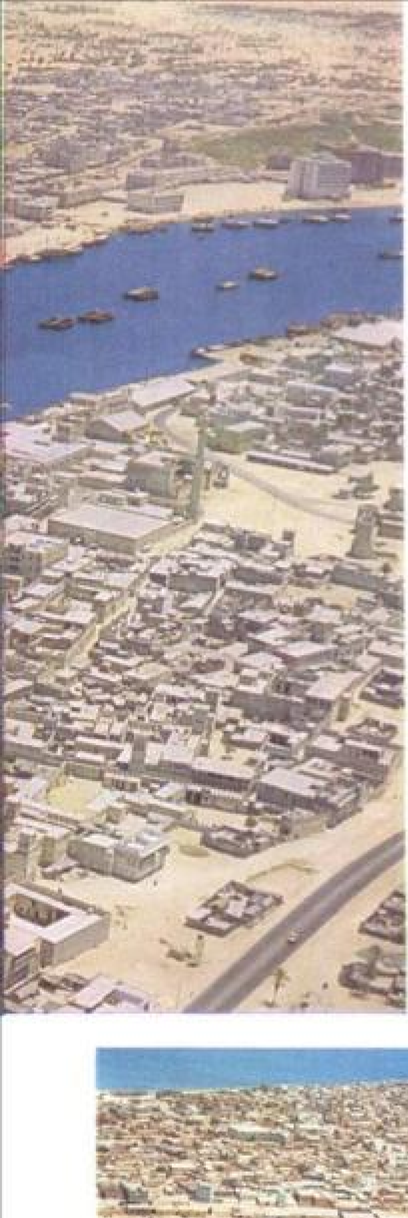
بعثة « العربى » لتنقل لك عن كثب صورة صادقة للنبوءة التى عاش أهل هذه البلاد يتحدثون عنها ، ويؤمنون بها ، وينتظرون حدوثها أجيالا طويلة حتى شاء الله أن يحققها لهم ..

كان هدفنا مقصورا على زيارة « دبى » ، لأنهـا الامارة الوحيدة التى مسها التطور والتغيير بدرجة ذات بال خلال الست السنوات الماضية .. كانت تفتقر الى مطار ، فاصبح لها مطار يستقبل أكبر الطائرات واحدثها .. كان خليجها معتما حزينا فاصبح مضيئا سعيدا تتمايل القوارب على مياهه مع نفحات الموسيقى التى لا ينقطع عزفها في الفنادق طول الليل .. كانت بيوتها أكواخا من سـعف النخيل ومنازل تتألف من طابقين ، أما اليوم فقد ارتفعت العمارات الضخمة ذات التسعة الطوابق على الجانبين.. كان التنقل مقصورا على المشى والمشاة .. أما الآن فقد امتلأت « دبى » بالسيارات تقطع البلاد طولا وعرضا فوق طرق معبدة نظيفة حتى بلغ عددها أكثر من ٣٦٠٠ سيارة أجـرة و ٧٠٠ سيارة خاصة !

سر الازدهار

ولكن هل تحقق كل هذا التطور والازدهار بعد ظهور النفط ؟

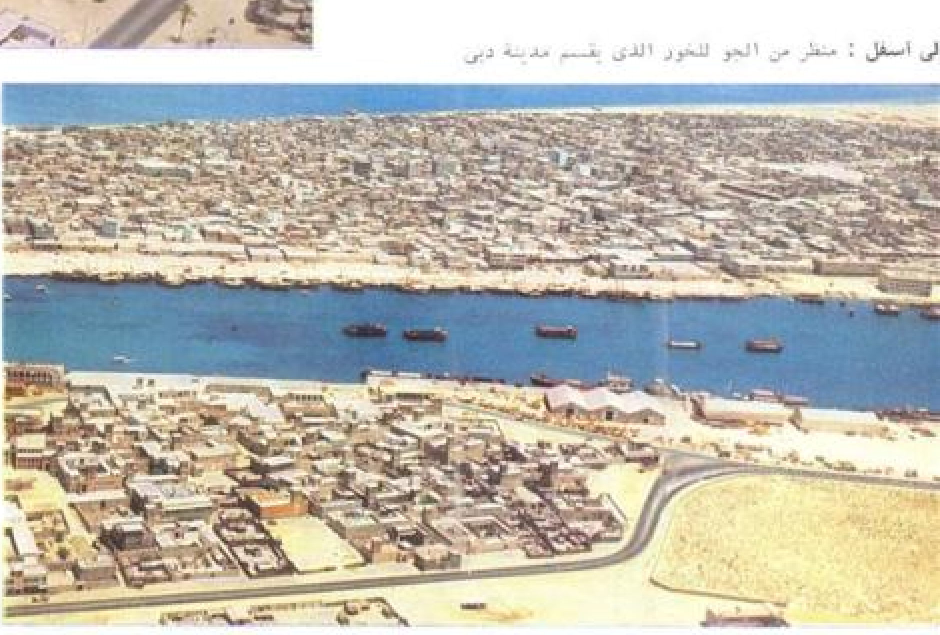
والجواب : لا .. ! فقد بدأت دبى تزدهر قبل ذلك بكثير ، بفضل مهارة أبنائها في التجارة ، حتى





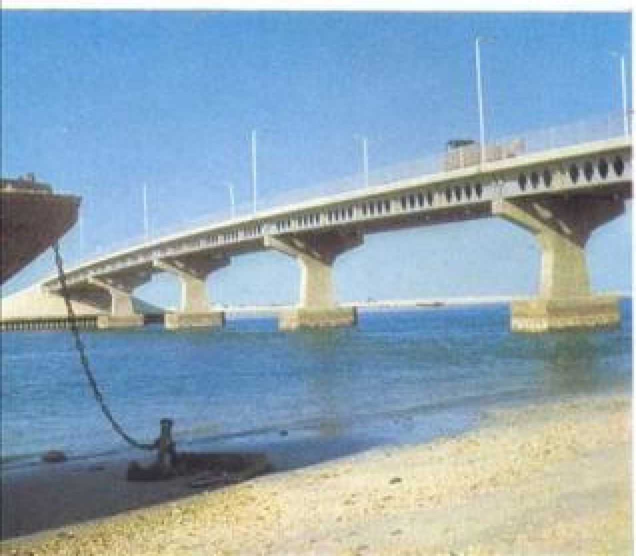
طلوب تصميم جديد لهذه العبّارات التي هي لدبي
بمثابة الجندول وقد تطورت فأصبحت تعمل بالموتور !

لى أسفل : منظر من الجو للخور الذي يقسم مدينة دبي





منظر من الجو لبر ديرة المكتظ بالمباني والسكان .. لاحظ الارض المكتسبة من البحر والخور .. وفي مقدمة الصورة تبدو بعض منازل دبي القديمة ..



الى اليسار : جسر المكتوم : الوسيلة الوحيدة التي تربط بين دبي وديرة ، بلغت تكاليفه ٣ مليون روبية ، وتدفع السيارات المارة من فوقه رسما بسيطا يلغى في الاعياد والاحزان .

لقد استطاعوا تشييد هذه المدينة الحديثة ، مدينة دبى التى ظلت ، وما زالت ، تعتمد على التجارة فى بقائها .. والتجارة هنا تعنى تجارة الترانسيت أو المرور..اذ أن دبى تستورد سنويا بضائع قيمتها ٢٥٠ مليون روبية ، اى ما يوازى ١٨ مليون وربع مليون جنيه استرلينى (قبل تخفيض سعر الروبية) .. وما تكاد هذه البضائع تصل الى أرصفة ميناء دبى حتى يعاد تصدير كمية هائلة منها الى الخارج .. الى امارات الخليج ومسقط وايران والهند والباكستان .

سر تأخر تأشيرة دبي

وينعم تجار دبى بحرية مطلقة فى بلادهم المفتوحة الابواب امام التجار العرب والاجانب على السواء الذين يعملون فيها ويربحون دون أية قيود ودون اى تفرقة بين جنسياتهم المتباينة .

قصة الاسماء السبعة

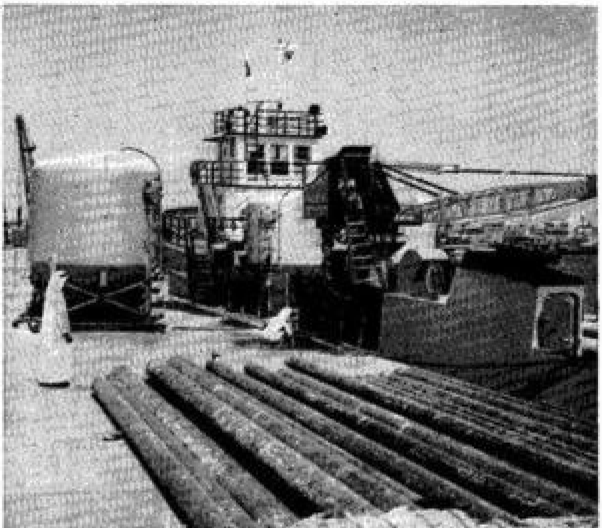
ان موقع ساحل عمان على الطريق البحرى القديم المؤدى الى الهند جلب الى المنطقة القراصنة الاجانب ، فقامت المعارك البحرية الضارية قرب الساحل اسفرت عن تسميته قديما باسم «ساحل القراصنة».. وظل هذا الاسم عالقا به فترة طويلة حتى نسى الناس القراصنة ومفهوم الكلمة .. فزال هذا الاسم عن الساحل منذ فترة ، ولكنه لم يجد بديلا ، بل أصبح يحمل سبعة أسماء : ساحل الهدنة ـ الساحل المتصالح ـ ساحل الامارات السبع ـ ساحل الامارات المتصالحة ـ الساحل المتهادن ـ الساحل الاخضر ـ ساحل عمان ..

وعلى هذا الساحل ذى السبعة الأسماء تقوم سبع امارات هى : أبو ظبى ـ دبى ـ الشارقة ـ عجمان ـ ام القيوين ـ رأس الخيمة ـ الفجيرة ..

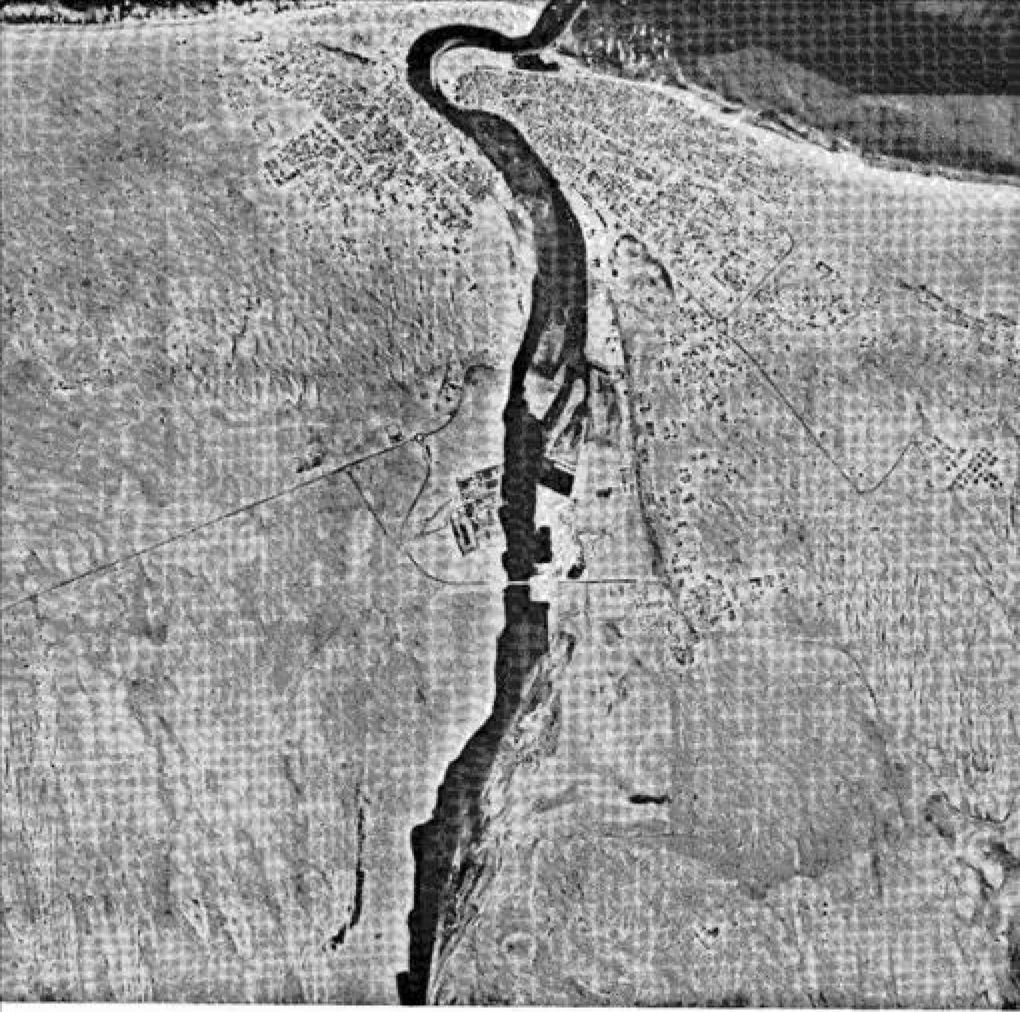
هونج كونج ودبي

ودبى هى باب هذا الساحل ، كل شىء يرد عن طريقها لبقية الامارات ، انها مدينة صغيرة يقسمها خور (خليج صغير) طوله ثمانية اميال الى قسمين : بر ديرة .. وبر دبى ويعيش فيهما ٦٠ الف نسمة حياة كلها حركة، حتى انهم يشبهون بلادهم بهونج كونج الخليج !

والواقع أن دبى تملك جميع المقومات التى



ميناء دبى الحالى ويستقبل السفن حمولة الف طن ومن الطريف ان الضريبة على الوارد هى ٤٫٦٢٥ فى المائة ولا أحد يريد انقاص أو زيادة هذه النسبة العجيبة المتعبة للحاسبين !



منظر من الجو لخور دبى الذى يمتد مسافةثمانية أميال داخل الصحراء ، وعند مدخله تقع مدينة دبى التى يقسمها الى قسمين : الايمن بَرديرة والأيسر بر دبى القديمة .. ان عدد سكانهما ٦٠ ألف نسمة ولكنهم يقدرون عدد مشيخة دبىكلها بنحو ٩٥ ألف نسمة (لا يوجد احصاء رسمى) وتبلغ مساحة دبى كلها ١٥٠٠ ميل مربع تقريبا .

تجعل منها هونج كونج الخليج . فمثلما تنعم هونج كونج بجميع الحريات ، كذلك دبى ، كل شىء فيها مباح ، وبامكانك ان تحصل على ما تريده وما تشتهيه بحرية كاملة ..

وعلى شاطىء ديرة فى مدينة دبى تتجمع الأسواق ومراكز الشرطة والصناعات ، وتجرى فيها الاعمال والاتفاقات حتى زاد عدد سكانها على ضعف عدد سكان بر دبى القديمة التى اصبحت منطقة سكنية فقط .

وينتقل الناس من بر ديرة الى بر دبى القديم على عبَّارات ـ قوارب صغيرة ـ منها الخاص الذى تركبه بمفردك نظير اربع آنات .. ومنها العام الذى تركبه مع جماعة مقابل آنة واحدة لكل شخص !

وقد ضعف الاقبال على ركوب هذه العبَّارات بعد انشاء الجسر الحديدى الجديد الذى يعتبر وسيلة الاتصال البرية الوحيدة بين دبى وديرة .





مئات من انابيب الحفر متجمعة على ظهر السفينة (تاسمان) التي قام رجالها باكتشاف اول بئر للنفط تحت مياه دبي يوم ٦ يونيو ١٩٦٦



الى اليمين : العمال على ظهر السفينة يقومون بعملية ضبط جهاز الحفر . لقد سبق لشركة كونتيننتال حفر ثلاثة آبار في دبي دون نتيجة : اثنتان على الارض : فتشرة (١٥٠٠٠ قدم) ورماح (١٢٠٠٠ قدم) وواحدة تحت الماء فابر (١٢٠٠٠ قدم) ولكن دون نتيجة . اما هذه المرة فقد اكتشف النفط على عمق ٧٦٠٠ قدم فقط قرب الحدود البحرية مع ابوظبي وايران .





السفينة (جلومر تاسمان) تقف وحيدة وسط مياه عمقها ١٢٥ مترا لبحث عن النفط .. انها جزيرة صناعية عائمة ، يعيش عليها ٤٠ خبيرا جاءوا من تكساس ليبحثوا عن النفط في دبي فعثروا عليه بعد ٥٠ يوما من العمل المضني . ان صلتهم الوحيدة بالعالم هي عن طريق طائرة الهليكوبتر ، تنقلهم مسافة ١٠٠ كيلو متر قبل وصولهم الى دبي .. لاحظ مطار الهليكوبتر الصغير في مؤخرة السفينة.

لقد انشاوه على بعد اربعة كيلومترات من مدخل الخور بعيدا عن المنطقة السكنية حتى لا يقطعوا ارزاق أصحاب العبارات العديدين ، وفي نفس الوقت حتى يبقى مدخل الخور العميق بدون عائق يضايق السفن الكبيرة المتجهة الى ميناء دبي .

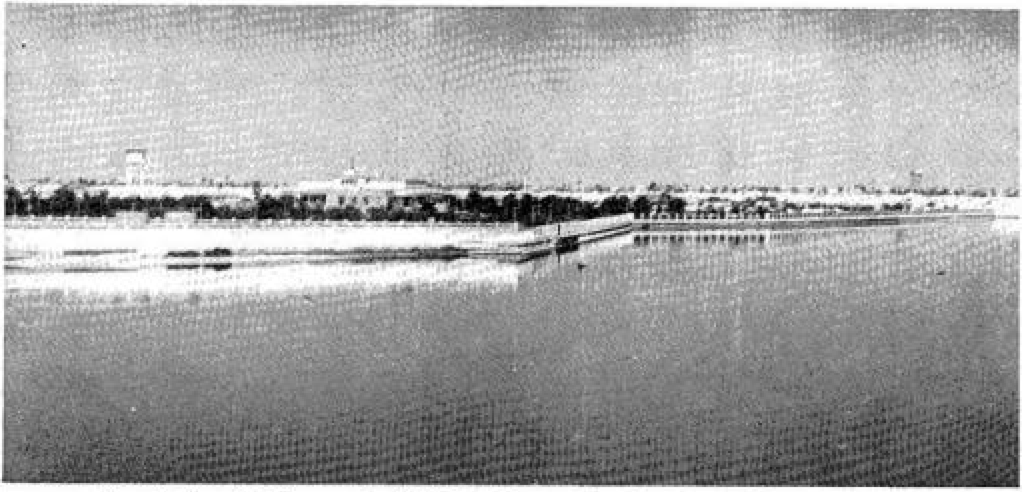
شوارع تنتظر المنازل

وقد أقيم هذا الجسر في منطقة صحراوية ولكن سرعان ما بدأ الناس يشيدون منازلهم ومصانعهم بجواره .. وعلى الاراضي الشاسعة المحيطة به سوف تقوم دبي المستقبل .. دبي البترول .. لقد خططوا لها منذ الآن ، فأقاموا الشوارع الفسيحة التي تتسع لست سيارات .. ثلاث منها في كل جانب .. ان هذه الشوارع الطويلة الفسيحة التي يبلغ عرض الواحد منها ١٢٠ قدما، تضفي جوا غريبا على المنطقة .. انها شوارع تمتد في كل اتجاه لتنتهي في الرمال ! .. ولا شيء على جانبيها الا الرمال .. انها شوارع المستقبل .. لقد شقوها لتستوعب الازدهار والتوسع القادمين .. انها شوارع تنتظر المباني الضخمة التي سترتفع قريبا بعد أن استيقظ مارد النفط في المنطقة ..

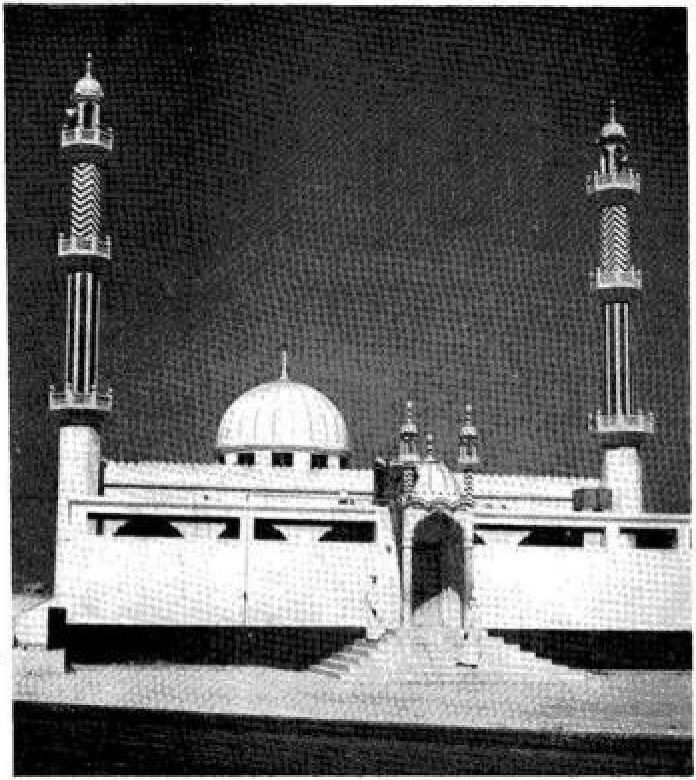
لقد قسموا الاراضي على جانبيها وعرضوها للبيع بأسعار بخسة جدا .. ولكن ما كاد خبر اكتشاف البترول يعلن حتى ارتفعت اسعارها .. وما زالت الأسعار في صعود يوما بعد يوم .. ان امتلاك الارض مسموح به للعرب في دبي ، والسعيد هو الذي كان يمتلك قطعة ارض « قبل البترول »!

اللا معقول في دبي

ويشهد القادم من المطار ، عند مدخل المدينة ، برجا جميلا من الاسمنت المسلح مبنيا على طريقة « اللامعقول » في الفن الحديث ! تعلوه ساعة كبيرة ، اوصت بلدية دبي بصنعها عام ١٩٦٢ لوضعها فوق مبناها الجديد . ويبلغ قطر هذه الساعة ثلاثة اقدام ، تضيء بالليل ، وتدق عند تمام كل ساعة دقات يسمع صداها على بعد ربع ميل ، وثمنها ٥٠٠ جنيه استرليني .. وعندما وصلت هذه الساعة الكبيرة الى دبي ، اجتمع حولها المجلس البلدي ، وقرر بناء هذا البرج الكبير لتوضع فوقه الساعة عند مدخل المدينة بدلا من وضعها على مبنى البلدية ! وقد بلغت تكاليف بناء البرج ٢٥ الف جنيه استرليني .. ويجري الآن عند قاعدته اقامة نافورة مياه ملونة تتوسط حديقة جميلة يجلس فيها الجمهور بين أحواض الزهور .



قصر الشيخ احمد آل ثاني حاكم قطر .. لقد بناه في أجمل بقعة على خور دبي فزادها جمالا على جمال



قرية بور سعيد ، التى بنيت أيام العدوان الثلاثى على مصر ، وقد سميت بذلك تخليدا لاسم المدينة المجاهدة ، وعند مدخلها يرتفع هذا المسجد الجميل المتميز بمئذنتيه المرتفعتين .

الماعز .. والجمال .. والمناخ

وتجرنا الزهور الى الحديث عن الزراعة ، التى تنحصر فى تجمعات للنخيل يسمونها « زرائب » .. اما بقية انواع الزرع فشبه معدومة لضعف تربة الارض وقلة المياه ، وهم يجلبون الطين اللازم للزراعة من امارة راس الخيمة البعيدة ، وبفضل هذا الاجراء نجحت زراعة الميادين فى الأحياء الحديثة من ديرة .. وبالرغم من هذه الصعوبات فان البلدية تعد برنامجا جريئا لتشجير دبى، ولكن عقبات كثيرة تقف فى الطريق ، وفى مقدمتها الماشية ــ الماعز والجمال ــ التى تسير فى الطرقات فتلتهم الشجيرات الخضراء الصغيرة وتقضى عليها ..

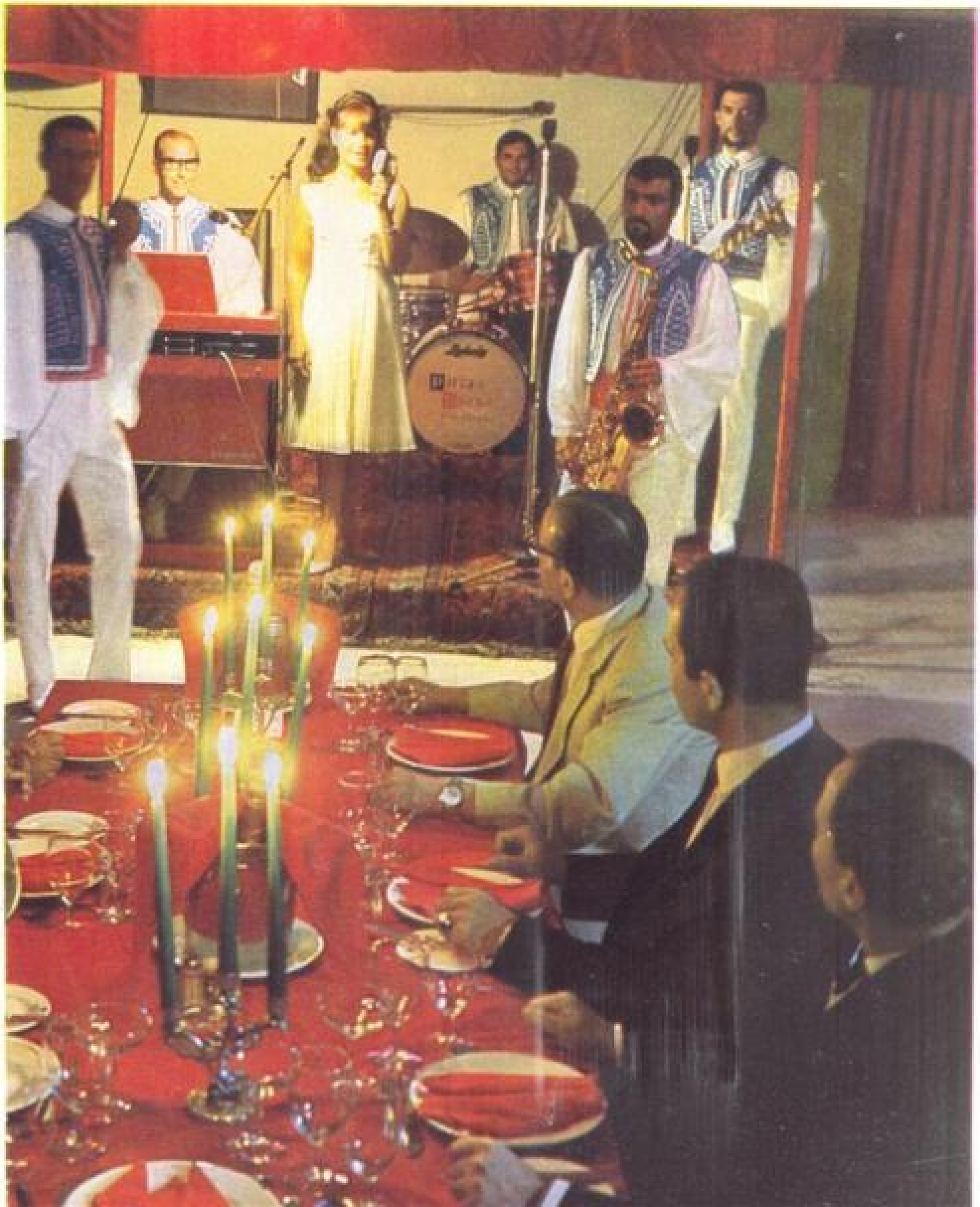
وقبل الماعز والجمال يأتى مناخ البلاد الذى تتراوح اقصى درجة الحرارة فيه بين ٨٤ درجة مئوية فى شهر يوليو و ٣٢ درجة مئوية فى يناير .. اما الرطوبة فتتراوح نسبتها بين ٧٠ و ٩٠٪.

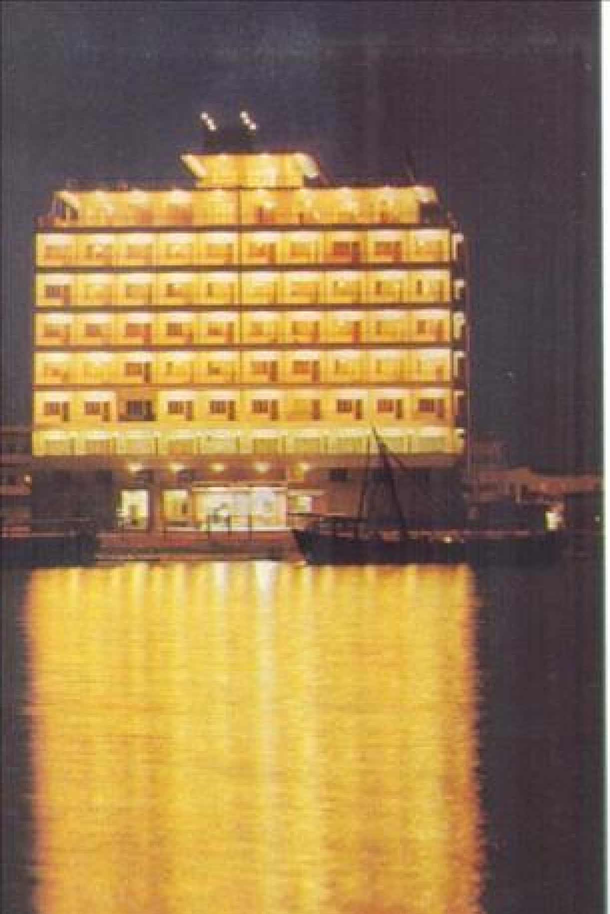
من أين تأكل وتشرب دبي

ان انعدام الزراعة فى دبى جعل المدينة تعتمد على استيراد الاطعمة والخضراوات من الخارج .. فمن عمان الداخل تحمل قوافل الجمال منتوج « اللومى » اى الليمون والتمر والموز والهامبا (المانجو) والبيض والدجاج حتى واحة البريمى، ومن هناك تنقله سيارات اللاندروفر الى دبى فى رحلة تستغرق ثمانى ساعات .

اما بقية الخضراوات فترد كلها من امارة راس الخيمة ، وعندما ينتهى موسم الزراعة فى راس الخيمة يستوردون الخضراوات من لبنان ، فتجدها فى الاسواق باستمرار على مدار السنة .







أضواء فندق كارلتون تنعكس على صفحة ميـــاه خور دبى ، الذى كان معتما فأصبح اليوم مضيئا .. ان قوة التيار الكهربائي في دبى يمكن ان تغذى جميع امارات السـاحل .

كانت الحيـــاة في دبى تبـــدا مع غروب الشمس وراء النخيل ، اما اليوم فقـد امتلات المدينة بأجهزة التلفزيون ، وبنيت سينما جديدة،واصبحت الفرق الموسيقية الاجنبية تصدح بموسيقاها طول الليــل **(الصورة السفلى)** بينما يتناول الناس عشاءهم على ضوء الشموع .. ولا تقدم الخمور الا للاجانب النازلين في الفنادق فقط .



وبظهور محلات البقالة الحديثة المكيفة الهواء ، بدات الماكولات المثلجة والمحفوظة المستوردة من كينيا واوروبا تنافس الماكولات الطازجة .

وتشرب دبى يوميا ..٣٠٠ الف جالون من المياه الجوفية العذبة تاتيها داخل أنابيب طولها ٢٢ كيلو مترا من آبار منطقة العوير .. وفى حالة الضرورة يمكن زيادة كمية الماء الى مليون جالون يوميا .

ان مشروع اسالة المياه وايصالها بالانابيب الى منازل دبى مباشرة ، مع توفر التيار الكهربائى اللازم للانارة وغيرها من مستلزمات الحياة الحديثة ، الى جانب شبكة خطوط تليفونية ، كل هذه المشاريع الثلاثة الأساسية لعبت دورا هاما فى تقدم دبى وازدهارها ، وجعلت أهلها يشعرون بالطمانينة والارتياح والاستقرار .



امام مجسم لدبى الحديثة جلس الشيخ راشد ابن سعيد بن مكتوم يشرح لنا تفاصيل المشروع ..

فنادق بالجملة

ولقد أدى هذا الاستقرار الى خلق مجالات ترفيهية جديدة .. فقد أصبح فى المدينة ثلاثة فنادق من الدرجة الاولى ، وهى « كارلتون » و « الواحة » و « البستان » . وكلها مكيفة الهواء صيفا وشتاء ، وتحوى غرفا بحمامات خاصة وماء بارد وساخن .. وفى فندقى الواحة والبستان بركتان كبيرتان للسباحة ، يستحم فيهما الأهالى والنزلاء ..

وتتقاضى هذه الفنادق ما يوازى سبعة جنيهات استرلينية ونصف جنيه عن الشخص الواحد مقابل الاقامة والطعام فى اليوم.. وتنخفض الى ٥جنيهات عندما يحذف الطعام ..

ان هذه الفنادق جزء من مشاريع المستقبل فى دبى ، لان أصحابها فتحوها قبل أن يظهر النفط ، وقد واجهوا متاعب جمة فى الشهور الاولى من الافتتاح اذ كان عدد الذين يتناولون طعامهم فيها من الزبائن اقل من عدد الجرسونات الذين يعملون فيها .

الى اليسار : توضح هذه الخريطة طريقة تقسيم ساحل عمان الى سبع مشيخات .. انها الخريطة الوحيدة لهذا الساحل. وكانت «العربى» أول من نشرها منذ ٦ سنوات في العدد رقم ٢٢ وقد نقلتها الصحف والكتاب في كتبهم كما أصبحت تحتل مكان الصدارة في مختلف مدارس ساحل عمان .. ومن المؤسف ان هذه الخريطة ، التى تشبه لوحة اللامعقول ، لم يطرأ على حدودها المتشابكة اى تعديل .. ان طول ساحل عمان من حدود قطر حتى رأس مسندم ١٥٠ ميلا والمسافة من دبى الى رأس الخيمة ٤٥ كيلو مترا ، ومعظم مدن هذا الساحل تقع على رأس خور (خليج صغير) ضحل المياه .



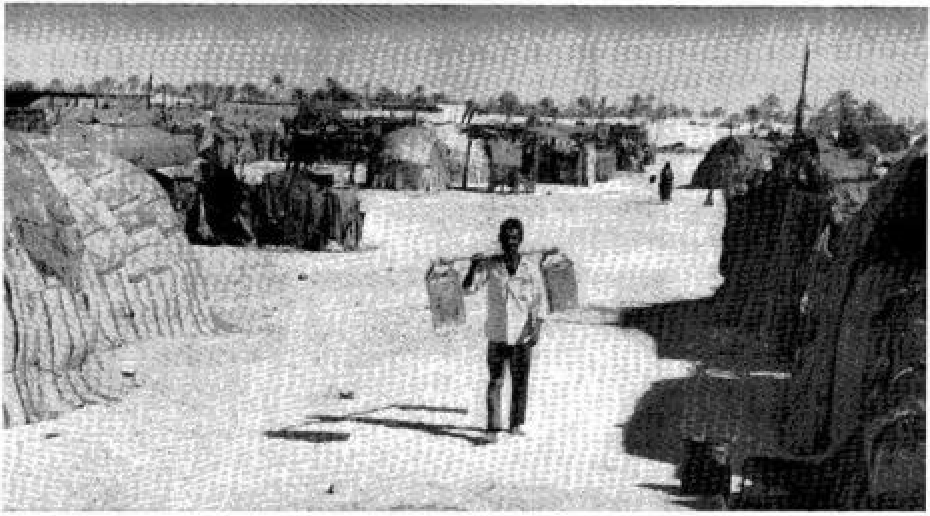
الى اليسار : في مستشفى المكتوم مدرسة صغيرة لتعليم بنات دبي مهنة التمريض ، وتضم المدرسة تسع طالبات ،نرى هنا ثلاثة منهن يتلقين درسا على نموذج مجسم لجسم الانسان .

الى اليمين : طبيب الاسنان في مستشفى الكويت الذى يضم سبعة أطباء في مختلف الاختصاصات .. ان عدد الأسرة فيه هو ٢٨ سريرا ، ولكن المستشفى الجديد الذى افتتحه أمير الكويت في زيارته الأخيرة لدبي ، يضم ٦٠ سريرا ..



الى اسفل : السفن العربية التقليدية القديمة تقف في وسط خور دبي .. ان كل سفينة منها أصبحت مزودة بمحركين يساعدانها على السرعة في رحلاتها الطويلة..





كانت منازل الجريد تحتل اماكن كثيرة متفرقة من دبي ، وقد عمدت البلدية الى توجيه نداء للاغنياء الذين كانوا يقيمون هذه العشش لتأجيرها الى هدم عششهم وبناء منازل حديثة مكانها . وقد استجاب عدد كبير من المواطنين الى هذا النداء. أما غير القادرين من سكان هذه العشش فقد انتقلوا الى اماكن أخرى خارج المدينة خصصها شيخ دبي لهم، مع تقديم الماء والكهرباء لهم مجانا.

وفي فندق كارلتون تناولنا العشاء على ضوء الشموع، واستمعنا الى الموسيقى الحالمة لاوركسترا الاوليمبيانز .. انها فرقة أوركسترا عزفت الموسيقى الراقصة الغربية على الساحل المتصالح .. ويمتد عزف الفرقة يوميا من التاسعة مساء حتى ساعة متأخرة من الليل ..

والعجيب أن افراد الفرقة خليط من مختلف الجنسيات .. جاءوا من اليونان، وكوبا، والعراق، والارجنتين، وايطاليا ليعزفوا في دبي التي أحبوها وعشقوها .

الاجانب في دبي

وتهتم دبي بالقادمين اليها ، وخاصة المشتغلين منهم بالتجارة ، وهي تقدم لهم كل التسهيلات اللازمة .

ويقبل التجار الانجليز خاصة على زيارة دبي لتصريف منتجات مصانعهم .. وقد ساهمت سهولة المواصلات الجوية بين لندن ودبي على انتعاش مثل هذه الزيارات . وتقطع الطائرات النفاثة الضخمة هذه المسافة في أقل من عشر ساعات عبر لندن ــ بيروت ــ دبي ــ بومباي .

من مجلس « الشيخ »

والى جانب المطار الجوي الكبير ، يوجد ميناء دبي البحري الذي يقع عند مدخل الخور وفي مبنى الجمارك يجلس شيخ دبي يوميا للاجتماع بأبناء الشعب حيث يستمع الى شكاواهم ويحاول أن يجد الحلول المناسبة لكل مشكلة ..

.. وصعدنا درجات السلم العالية مع الصاعدين ، وتقدمنا الى مجلس الشيخ راشد ابن سعيد بن مكتوم .. كان الباب مفتوحا أمامنا على مصراعيه .. الناس يدخلون دون استئذان أو كلام .. يخلعون النعال ويتجهون للجلوس في أحد اركان مجلس الامير العربي الذي لا يجد غضاضة في الجلوس على السجادة في ركن من الغرفة أمام شباك صغير يطل على خور دبي ، وينظر في امور رعيته .

ان كل شيء تقريبا في دبي قد تغير ما عدا



انتقل عدد كبير من سكان العشش الى المنازل الشعبية التى بناها شيخ دبى على نفقته .. ويجرى العمل حاليا فى بناء ٢٠٠ منزل من هذا النوع ، كما سبق أن تم توزيع ٢٠٠ منزل من قبل على الاهالي .. ومن اللطيف ان مفاتيح هذه المنازل تسلم الى السكان دون اى مقابل ، ودون أن يدفع أى نوع من الاقساط .. انها هدية من الشيخ الى ابنائه ..

شيخها ! فهو ما زال يدخن غليونه الخشبى الاسود الصغير ، وما زال يضع التبغ فى زجاجة أدوية فارغة .. وقد ساعدت سهولة الاتصال بالحاكم على حل الكثير من المشاكل فى دبى ..

قلنا للشيخ راشد : سمعنا أنكم استبدلتم بمجلسكم التقليدى مكتبا فاخرا مكيف الهواء ، فما الذى حدث بالضبط ؟

قال : « انى لا أميل الى هذا المكتب الذى تتحدث عنه ، ولا أحب الجلوس فيه ، وهو مغلق ولا افتحه الا اذا جاء للبلاد زوار .. ان امنيتى هى ان أظل على اتصال وثيق مع ابناء الشعب ، وسأستمر باذن الله فى اتباع هذا الاسلوب .. ».

قلنا : ولكن ـ طال عمركم ـ البلاد تغيرت ، والسكان تضاعف عددهم فى ٦ سنوات ، والمدينة اتسعت وامتدت ، والمصانع بدأت تظهر ، والطرق تغيرت .. ودبى اليوم لم تعد دبى الامس ..

قال : اننا لا نزال نسير على أنظمتنا السابقة ، لاننا ما زلنا شعبا صغيرا ، أو ان شئت فقل عائلة كبيرة » .

قلنا : وكان الحديث قبل اعلان اكتشاف البترول رسميا ، وما رأيكم فى البترول ، وهل انتم متأكدون من ظهوره ؟

وتفضل الشيخ راشد باجابتنا قائلا : « أحب ان اطمئنك الى أن ظهور البترول أو عدم ظهوره لا يهمنا فى كثير او قليل .. اننا تجار نعتمد على تجارتنا ، وكل هذا التقدم الذى تراه هو من التجارة وليس من النفط !

قلنا : هل يمكن أن نعرف شيئا من المساعدات التى يقدمها لكم مكتب تطوير الخليج ، الذى تموله بريطانيا وأمراء قطر وأبو ظبى والبحرين ؟

وهنا قال الشيخ راشد : يجب أن أوضح لكم ان مكتب التطوير الذى تشيرون اليه لم يقدم لدبى فلسا واحدا ، بل على العكس فقد كنا نحن الذين قدمنا له المساعدات بطريق غير مباشر ..

قلنا : ومساعدات الدول العربية لدبى ، هل يمكن أن تحدثونا عنها ، خاصة وأن نائب رئيس الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى بالكويت

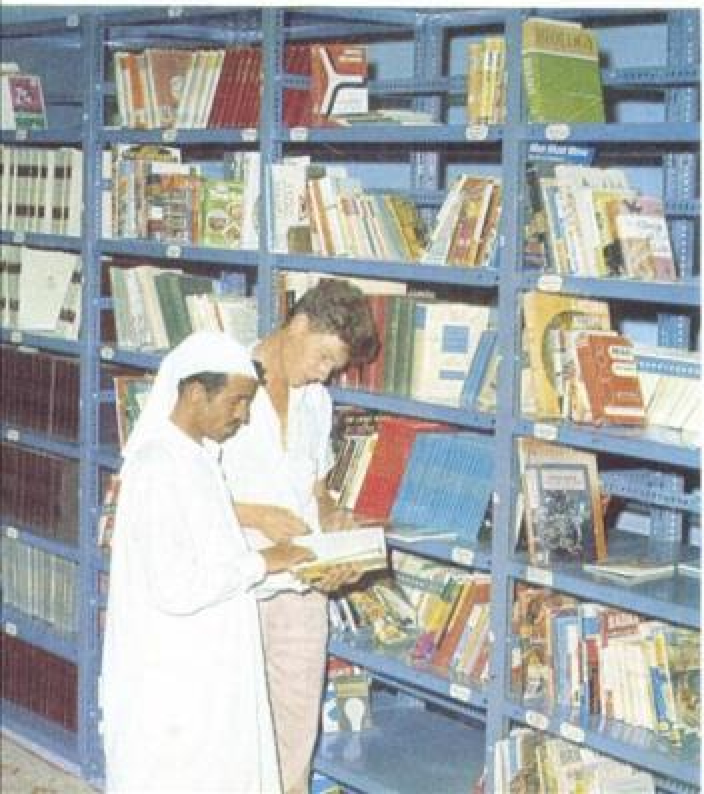


الى اليمين : المشكلة الرئيسية في ساحل عمان هي انعدام الطرق المعبدة التي تربط بين مختلف المشيخات .. وقد اوشك العمل على الانتهاء من تعبيد الطريق المؤدي من دبي الى الشارقة وطوله ١٢ كيلومترا ونصف كيلومتر، وتكاليفه ٣٥٠ الف جنيه استرليني سيدفعها مكتب التطوير .. وقد وعدت المملكة العربية السعودية بمد طريق من الشارقة الى راس الخيمة وطوله ٤٥ كيلو مترا ، على ان تقوم المملكة السعودية بتنفيذه بنفسها .. وعدا الطرق لم تمتنع بلدية دبي من شق وتعبيد ٣٢ كيلو مترا من الطرق داخل دبي وضواحيها .

الى اسفل : في الحي الجديد من ديرة زرعوا بقعة اشجار حول نافورة للمياه مزدانة بتماثيل صغيرة لفيلة وحمام .. قلما تنطلق منها المياه لعدم وجود فائض في الوقت الحاضر .







آخـر مجموعة من « البادجير » محصورة في منطقة صغيرة من دبي .. ان البادجير هو برج حجري مفتوح الجوانب يصطدم به الهواء فيتجمع ويتسرب الى داخل المنزل فيرطب جو الغرفة .. لقد اختفى عهد هذه الابراج من جميع امارات ودول الخليج العربي ولكن الناس ينادون بضرورة الابقاء عليها كأثر قديم .

الى اليسار : على شاطيء الخور في ديرة اقيمت مكتبة شعبية عامة تضم ٤ آلاف كتاب عربي و٣ آلاف كتاب انجليزي و ٢٠٠ كتاب فارسي .. ان التجار بالتعاون مع الحكومة هم الذين انشأوا هـذه المكتبة الخاضعة للبلدية . ونرى هنا امين المكتبة يساعد احد ابناء الجاليات الاجنبية في العثور على كتاب من القسم الانجليزي .

السيد بدر الخالد البدر قال لنا : انما أخوة مع ابناء الخليج كله ، وقد جئنا الى هنا لمساعدة اخواننا .. لهذا ليس لدى ما أستطيع التحدث اليكم به سواء من ميزانية الكويت أو عن خدماته في المنطقة ! » .

وهنا قال الشيخ راشد : « ان كلام نائب رئيس الهيئة الكويتية يبين لكم مدى الارتباط الاخوى الذى يعيشه ابناء الخليج العربى فيما بينهم .. ولكن الذى لا شك فيه أن مساعدات الكويت لنا ولبقية الامارات أمر لا يمكن أن ينكره أحد ، فهى التى تشرف على التعليم فى مدارسنا ، وتقدم الكتب والملابس والغذاء للطلبة والطالبات ، كما ان بعثتها الطبية ومستشفاها الجديد يقومان بدور فعال فى مكافحة الامراض بالمنطقة .

« وبهذه المناسبة لا يجب ان ننسى الجمهورية العربية المتحدة، والبحرين وامارة قطر فكلها تمدنا بالمساعدات وتزودنا بالمدرسين والمدرسات » .

وعندما سألنا الشيخ راشد عن السماح بتقديم الخمور للاجانب فى الفنادق ، أجاب بقوله :

« نحن لا نسمح بتقديم الخمور الا فى فنادق الدرجة الاولى ، وللاجانب فقط .. اننا من أشد الناس تمسكا بالاسلام، ولكن هذا لا يعنى أن أخنق حرية الآخرين من غير المسلمين » .

وفى النهاية قال لى الشيخ راشد بن مكتوم : « أرجو أن تنزل الى الأسواق ، وتختلط بالناس وتسأل اى واحد منهم ، ولا تخف من السؤال فانت فى بلد حر .. اننا قد نخطىء لاننا نعمل ، أما الذى لا يخطىء فهو الذى لا يعمل .. » .

مد وجزر

وانطلقنا الى الشوارع والمدارس والاسواق والمصانع والمستشفيات لنرى كيف يعيش أهل هذا البلد السمح الذى يحتاج الى عزم وجهد ومثابرة ليتخطى المصاعب والعقبات التى تظهر فى طريق التقدم والازدهار ..

ان الحياة كلها تتركز حول خور دبى الذى يخضع لظاهرتى المد والجزر ، فتجد المياه ترتفع وتهبط مرتين فى اليوم ، فيشتد التيار حيث يجرف معه مياه الصرف والمجارى التى تصب فى الخور من المنازل المحيطة به ، فيدفعها الى الخليج دون أن تتسبب فى أى أضرار صحية لأهل دبى ، وقد انتهت الدراسات الخاصة بمد شبكة عامة للمجارى تبلغ تكاليفها مليون جنيه استرلينى ..

لقد اضحت مياه هذا الخور تنساب فى هدوء على نغمات أهازيج العمال وهم يعبدون طريق الكورنيش الجديد الذى يمتد على أطراف الخور الضحلة بعد تجفيفها .. وفى المساء تجزر مياهه على نغمات الموسيقى والاضواء اللامعة المنبعثة من فندق كارلتون ..

اسرع من خفر السواحل

وتتعاقب الموجة وراء الموجة على صفحة مياه الخور أسرع من سفن خفر السواحل فيتمايل معها الجلبوت والسنبوك والبوم والبتيل والبقارة .. انها السفن العربية القديمة المصنوعة من خشب الساج المستورد من الهند ، والتى تقف فى كسل ظاهر عند سواحل ديرة : أشرعتها البيضاء مطوية وليس فيها الا حارس يحرسها ..

وتعجبنا من هذا الركود الذى لم نره فى مكان آخر فى دبى ، وظننا أنها أصبحت من السفن القديمة البطيئة .. ولكن جاءنا الجواب غريبا : لا يغرنكم هذا المنظر الهادىء فاكثر هذه السفن مزود بماكنتين قوة كل منهما ٤٢٠ حصانا .. أى ان هذا السنبوك او البوم يستطيع ان يسبق أسرع مركب لخفر السواحل !!

ولاحظ محدثنا الكبير ازدياد دهشتنا فقال :

ـ ألم تسمعوا بأن دبى هى هونج كونج الخليج ؟ وهذا معناه ان الحرية الزائدة التى تنعم بها جلبت اليها اناسا من مختلف الطوائف والأجناس من الهند والباكستان وايران وهؤلاء يشترون الذهب والساعات و « الولاعات » القداحات ، وحتى شفرات الحلاقة من أسواق دبى والخليج العربى بكميات هائلة لينقلوها الى بلادهم على ظهر بعض هذه السفن .. » .

وقد قال مصدر كريم موثوق به ان عدد أصحاب الملايين فى دبى يقرب من ٦٠ مليونيرا ..



انتقلت الديوانيات من خارج المنزل، الى داخل الصالونات ذات المقاعد الوثيرة والأرض المغطاة بالسجاد .. وهذه ديوانية السيد حمد و محمد القطيم .. ويطلقون على الديوانية كلمة مَرْمَس أى المكان الذى يتحدثون ويسمرون فيه .

المرأة ... والزواج

والمرأة في دبي ما زالت كما رأيناها منذ ست سنوات لا تخرج الا و « البتولة » ـ البرقع الاسود ـ تغطي وجهها .

وفي سينما « الجميرة » كالعادة ، قسم خاص لجلوس النساء ، له مدخل خاص ، وزيادة في حفظ الحرمات جعلوا النساء هي التي تبيع لهن التذاكر ، وترشدهن الى مجالسهن .

وقد ارتفع مهر فتاة دبي ارتفاعا فاحشا في السنين الست الماضية .. انها عدوى غلاء المهور انتقلت الى دبي من الكويت والبحرين ، فأصابت اغلب شباب دبي بنارها،فعطلتهم عن الزواج لعدم قدرتهم على دفع هذه المهور الغالية .. اللهم الا الذين يجدون المساعدة من والديهم وأهليهم .

ان مصاريف الزواج ـ كما قال لنا بعض الشباب ـ تصل لنحو ١٥ الف روبية ، وهذا أمر لا تحتمله ميزانية الشاب الذى يتخرج من المدارس الثانوية ، والذى يتقاضى راتبا يتراوح بين ٤٠٠ ، ٥٠٠ روبية شهريا .

اما عن الكيفية التي يختار بها الشاب عروسه، فما زالت هي نفس الطريقة المتبعة في الكثير من البلاد العربية وقد وصفها لنا احد شباب دبي بقوله : « اني لا أستطيع أن أرى شريكة حياتي المقبلة الا بعد عقد الزواج ! فما زالت أمي او جدتي هي التي تراها وتختارها نيابة عني » .

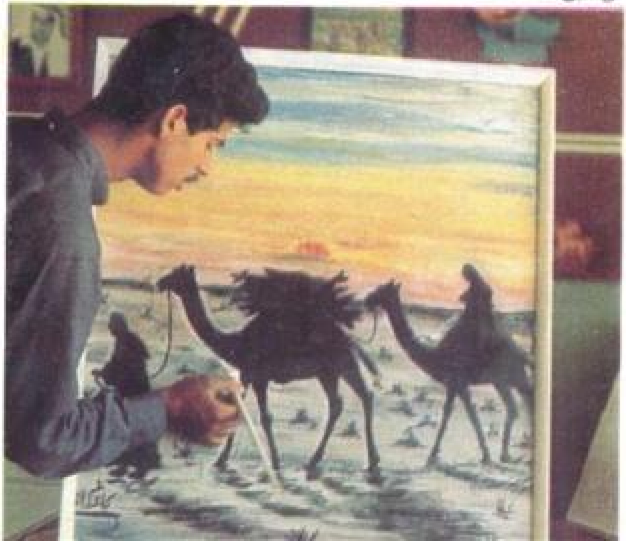
تعليم الفتاة

لقد بدأ تعليم الفتاة في دبي منذ سبع سنوات بسبع طالبات فقط اصبحن اليوم ٩٢٧ طالبة يتلقين تعليمهن في ثلاث مدارس : خولة والخنساء





تقم دبي ٧ مدارس للبنين منها ثانوية واحدة ، نرى صورتين منها :
العليا : الطلبة يتلقون درســـا عن جسم الانسان ، **والسفلى** : لطالب يرسم لوحة من واقع الحياة : قافلة جمال تحمل الحطب في طريقهـــا الى دبي !

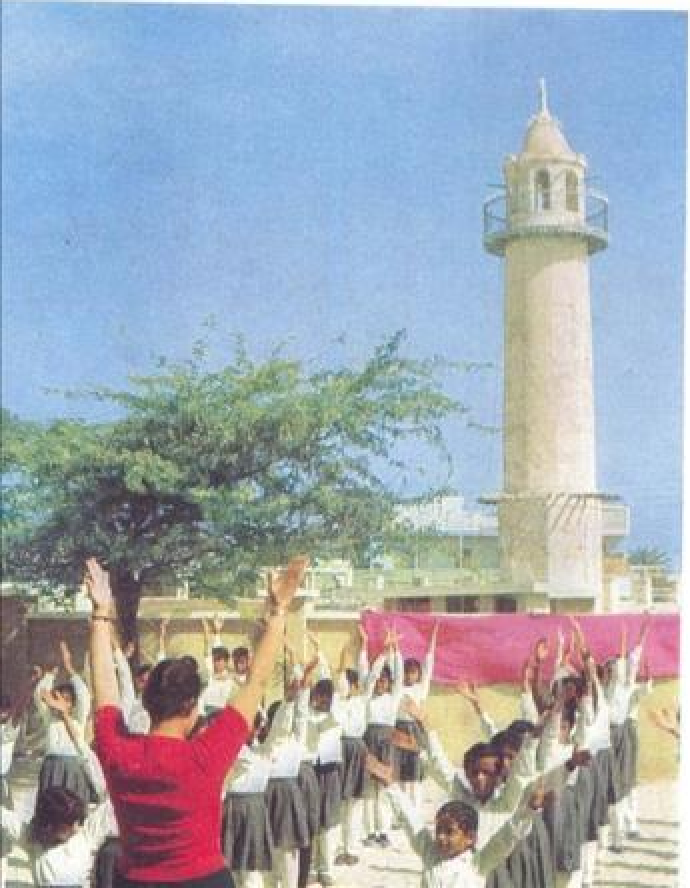


ما اروع الفـرق بين الم
تعليم بناتهم ، اما اليوم فلم
بدبي بعد ان اصبح كل اب ي



٩٣٧ تلميذة يتلقين تعليمهن في ثلاث مدارس بدبي والصورة العليا
في حصة الاشغال المنزلية والسفلى اثناء التمرينات الرياضية .





ر .. كان الاهالي يتهيبون
كان لقدم في مدارس البنات
تعليم بناته ..

والزهراء ، وكلهـا اعدادية ومتوسطة ، وتتلقى الطالبات تعليمهن الثانوى في الشارقة ..

ولمواجهة الاقبال الهائل على مدارس الفتيات اضطر المسئولون في العام الماضي الى افتتاح عدد كبير من الفصول ، يضم كل منهـا ٥٠ تلميذة ، ولكن رغم هذا اضطرت ادارة المدارس الى رفض طلب أكثر من ١٥٠ تلميذة لعدم وجود اماكن خالية لهن ..

والفصول الجديدة التى فتحوها هى الغرف الادارية وغرف الرسم التى تم تحويلهـا الى صفوف للطالبـات اللواتى يذهبن الى المدارس مرتديات السراويل الطويلة الفضفاضة تحت ثياب المدرسة الرسمية ، كما تصنع الباكستانيات والايرانيات .

وقالت لنا المدرسات القادمات على نفقة حكومات الكويت و ج.ع.م وقطر : « ان تعليم الفتاة في دبى مشكلة كبيرة ، اذ لا تزيد نسبة عدد الطالبات العربيات بينهن عن ٢٥٪ ، أما بقية الطالبات فهن من بنات الجاليات القادمة من الهند وايران وباكستان وزنجبار .. ومعظمهن لا يتكلمن العربية ، مما يجعل تعليمهن من الصعوبة بمكان ، رغم اقبالهن على التعلم واصرارهن على تعلم اللغة العربية بالذات ! »



لم يكن في دبى منذ ٦ سنوات أى مصنع أو محل للصناعة ، أما اليوم فقد ظهرت منطقة صناعية تحوى مجموعة من الصناعة الخفيفة مثل سبك الحديد والخراطة ومصانع للبلاط والخشب والطابوق وتعبئة الغاز ومصنع للألبان .. انها بداية الطريق نحو مستقبل صناعى زاهر ..

معهد دبى الدينى

أما تلاميذ دبى فعددهم ٢١٢١ طالبا يتلقون تعليمهم في تسع مدارس واحدة منها ثانوية .. وهناك المعهد الدينى الذى يضم ٥٠٠ طالب ، وقد أنشاه شيخ دبى منذ أربع سنوات ، وفي عام ١٩٦٦ تولى مكتب دولة الكويت بساحل عمان مهمة الاشراف عليه فنيا ، فامده بما يلزمه من كتب دينية وعربية وغيرها .

وفي دبى مجلة نصف شهرية تصدرها البلدية باسم « أخبار دبى » الى جانب الجريدة الرسمية المعروفة باسم « دبي » فقط .

متناقضات دبى !

ان انتشار التعليم وارتفاع مستوى المعيشة جعلا من دبى بلدا يصطدم فيه الزائر بالمتناقضات غير المألوفة ، فبينما أصبح الناس يستعملون الغاز في المطابخ بدلا من الحطب ، والمكيفات الكهربائية بدلا من حصون الهواء الحجرية . وبينما انتقلت « الديوانيات » من الجلوس امام الباب الخارجي للمنزل ، الى جلسات على الارائك الحريرية في الصالونات الداخلية ، للفرجة على برامج تلفزيون الكويت والظهران التى تصلهم في شهور الرطوبة الثلاثة .. وفي الوقت الذى يفكر فيه أحد ابناء دبى بفتح بنـك برأسمال قدره ٥ مليون جنيه استرليني .. وبينما تهبط الطائرات من طراز البوينج بدلا من طائرات الداكوتا القديمة في مطار دبى الحديث .. ويتحول السير من اليسار الى



تضم دبي ٩ أندية رياضية وثلاث فرق للكرة في أشد الحاجة الى معونة اتحادى الكرة في البحرين والكويت لمساعدتها ... ان هذه الاندية هى المكان الشعبى الوحيد لقتل الفراغ بين الطلبة . ونرى هنا الرباع مقيل بن محمد ، عمره ١٨ سنة ووزنه ٦٧ كيلو انه مستعد لتحدى جميع الابطال الذين من وزنه . لقد صنع الحديد الذى يحمله بنفسه ويقول ان ما يحمله يزن ٢٨٠ كيلو جراما !

اليمن .. وينبثق البترول من تحت سطح البحر .. ويرقص نزلاء الفنادق الزوربا والهالى جالى والتويست .. في الوقت الذى نرى فيه كل هذه الصور للحياة الحديثة نجد أشياء كثيرة ما زالت باقية كما هى تشدنا الى الماضي البعيد ... فما زال راعى الماعز يدق كل صباح ابواب المنازل لياخذ ماعز المنزل ويسرح بهـا مع بقية القطيع الذى يرعاه حتى الغروب .. وما زال الناس ينظرون الى بعض المهن وكانها مهن حقيرة لا يصح مزاولتها ، وفي مقدمتها مهن الحياكة والحلاقة واصلاح الأحذية .. وما زال البدو الرحل يأتون الى دبى مع قوافل جمالهم من اقاصي عمان لبيع الحطب والثمام (عشب فطرى تاكله الاغنام والأبقار) ويقايضون به الشاى و « الشكر » و « الشمك » .. اى السكر والسمك ولكنهم يقلبون السين الى شين في لهجة اهل عمان !!

ان صور الحياة في دبى خليط من الماضي البعيد والحاضر الحديث لهذه المدينة التى تعيش كل يوم مشكلة جديدة جاءتها مع نهضتها الحديثة ..وهذا يحدث طبعا في كل بلد يريد أن يأخذ بأسباب التطور .

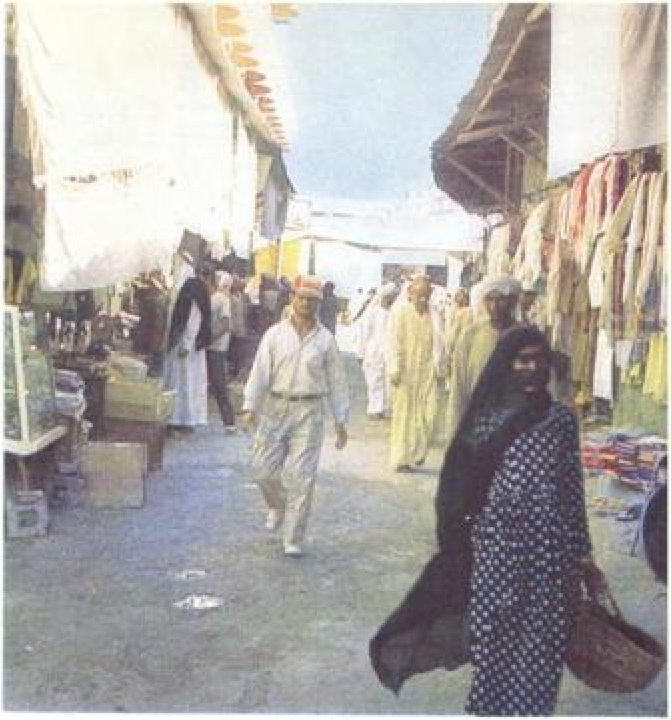
اطنان من الفضة

وقد عشنا مع الأهالى في مشكلتين من أهم المشاكل ، ، كانت اولاهما : مشكلة النقد المتداول ..

لقد اعلنت الهند فجاة منذ عدة شهور عن تخفيض قيمة عملتها (الروبية) فجعلت الجنيه الاسترليني يساوى ٢١ روبية بدلا من ١٣ روبية ونصف .. وكان لهذا التخفيض المفاجىء وقع الصاعقة على أهل دبى .. فالعملة الهندية هى عملة جميع امارات ساحل عمان ... وتخفيضها المفاجىء سبب خسائر فادحة لأبناء هذا الساحل ودبى بالذات ..

حقيقة ان أهل المنطقة تعودوا على تغيير العملة، ولكنهم لم يالفوا تخفيض قيمتها ... وتبدأ قصة متاعب النقد في دبى منذ سبع سنوات عندما قررت حكومة الهند في عام ١٩٥٩ اصدار روبيات

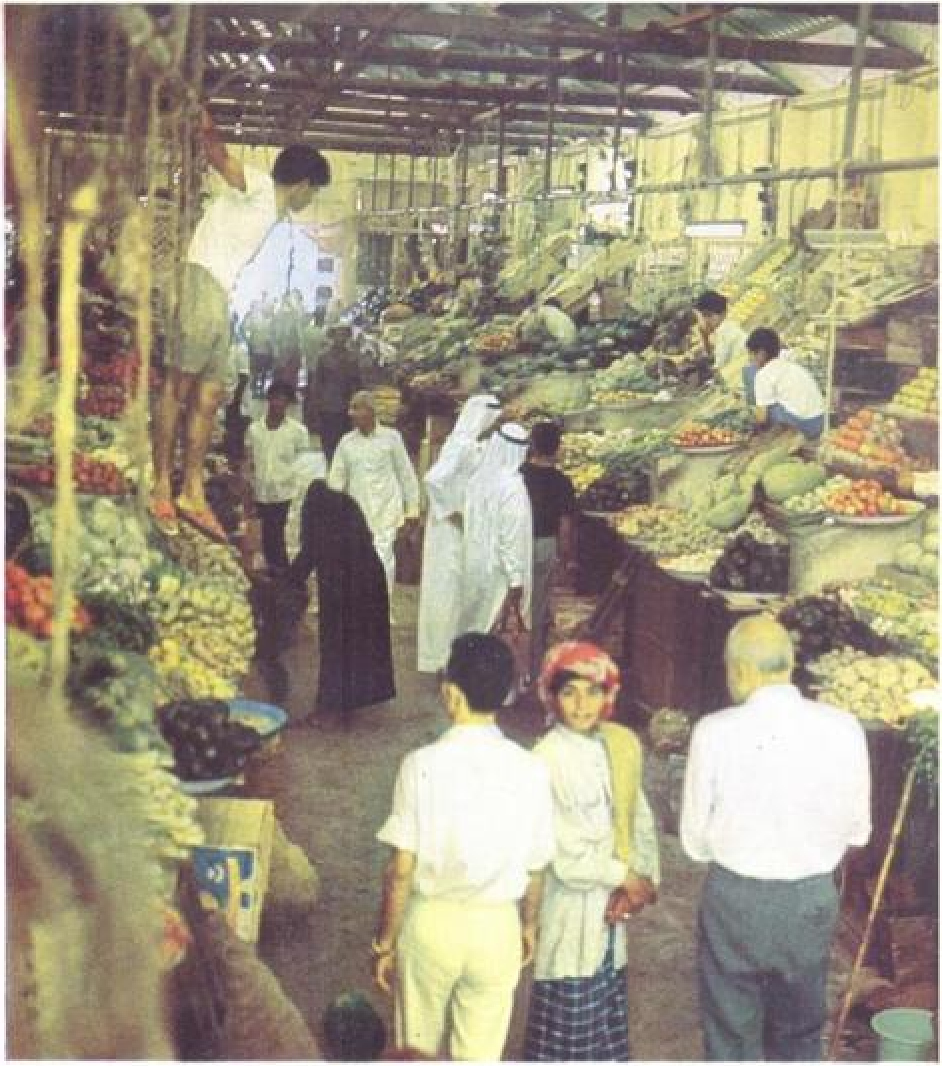


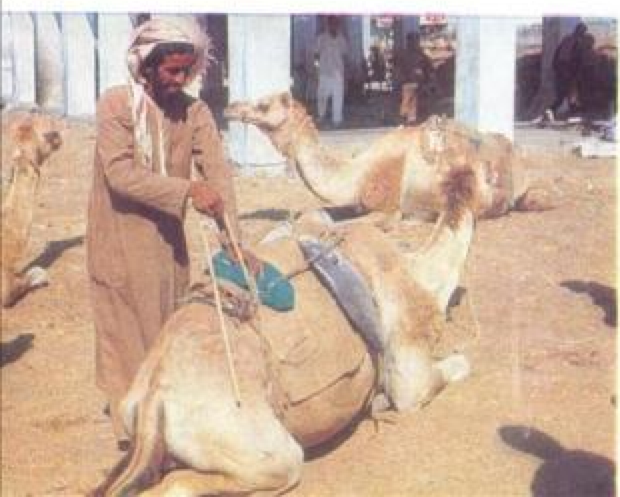


الاسواق والحوانيت التي تبيع كل صنف وصنف ، تعتبر جزءا هاما ومكملا في حياة دبي التي تعيش فيهـــا جاليات من مسقط وعمان وايران وبلوخستان وباكستان والهند .

الى جانب الاسواق القديمة المسقوفة (الصورة العليا) التـي تعـرض الخضراوات والفواكه الطازجـة ، انتشرت الاسواق المركزية الحديثـة (الصورة اليمنى) التي تبيع المأكولات واللحـوم المحفوظة الواردة من كينيا واوربا .







الى اليسار : سمكة على ظهر الجمل!
لقد جاء هذا الاعرابي من داخل صحراء عمان حاملا الحطب والثمام ، وهو عشب تأكله الغنم والابقار . وبعد ان باعهما في اسواق دبي اشترى بثمنهما السكر والشاي وقطعة قماش خضراء وسمكة كبيرة ليأكلها مع اهله واصدقائه .

هندية خاصـــة بمنطقة الخليج ، فابدلت لون الروبية الورقية من الاخضر الى الاحمر ، وجعلت تداول الروبية الخضراء مقصورا على داخل الهند ... وكان هدف الحكومة الهندية من هـذا هو وقف عمليات اخراج الروبية الهندية من الهند .. ولكن هـــذا الاجراء لم يحقق الغرض منه ، اذ سرعان ما خرجت العملة الفضية الهندية من الهند بدلا من الروبية الهندية الخضراء ... وهنـا بدات مشكلة أخرى أعقد من الأولى ، فقد وجدت دبى نفسها فجاة غارقة وسط ملايين القطع مــن الروبيات الفضية .. واختفت الروبية الورقية تماما من الأسواق .. وتراكمت أطنان من العملة الفضية في البنوك التى كان الناس يدخلونهـــا ومعهم احد الحمالين لحمل مدفوعاتهم بالروبيات الفضية ، وعجزت الخزائن الكبيرة عن استيعاب هذه الكميات الضخمة ، وهنا أصدرت حكومـة دبى اعلانا سريعا في جريدتها الرسمية ، هـــذا نصه الرسمي :

(اعتبارا من الثانى من شـــهر ابريل ١٩٦٢ ستكون العملة المعدنيـــة عملة قانونية في دبى وتوابعها حتى مبلغ عشر روبيات فقط .

ومعنى هذا هو أن لا أحد ملزم بقبول أكثر مما يعادل العشر روبيات بالمسكوكات النقدية في وقت واحد تسديدا لدين ما .. وعلى كل فان البنـك البريطاني للشرق الأوسط سيستمر في قبوله لأى مبلغ من العملة المعدنية اذا ما اقتنع بأن أصحابها قد حصلوا عليهـــا من خلال أعمالهم التجارية العادية .. وفي حالة عدمه ، فان البنـك مخول باستحصال عشرة بالمائة كأجور تسليم واستلام .. وقد وضع هذا النظام لحماية العملة المعدنيـــة الحالية ...)

وتنبهت الهند الى ما يجرى فسحبت عملتهـا الفضية من أســـواق الخليج ، وقررت وقف تداولها هناك ..

واضطرت دبى الى الاستعانة بالفلس البحريني المعدنى ومشتقاته وهى ٥ و ١٠ و ٢٥ و ٥٠ فلسا فقط ، أما القطعـــة ذات المائة فلس والدنانير البحرانية فغير متداولة . وانما أوراق الروبيات من الفئات الكبيرة . ثم تبدلت هـــذه الروبيات وحل الريال السعودى مكانهـــا ، وان تكن بعض الامارات تستعمل الدينار البحريني .

وممـــا يذكر أن حكام امارات الخليج العربي عقدوا اجتماعا في دبى في شـــهر يوليو ١٩٦٥ ، وقعوا خلاله على اتفاقية لاصدار « ريال الخليج العربى » ليصبح النقد القانونى الوحيد المتداول في المنطقة .. ولكن هذه الاتفاقية ظلت حبرا على ورق لا يتقيد بها أحد .. وازاء هذا اضطرت دبى الى الاتفاق مع امارة قطـر لاصدار ريال خاص بهما ... وفعلا بـــدأ تداول المسكوكات الفضية لهذا الريال الجديد منذ ١٥ يوليو الماضي .. أما العملة الورقية الريالية فسوف تطرح في الأسواق خلال هذا الشهر .

بقيت المشكلة الثانية التى عشناها مع الأهالى وهى :

الصحة وعلاج المرضى

تضـــم دبى مستشفيين : مستشفى المكتوم ، ومستشفى الكويت .. وأهل دبى والمسئولون عن مستشفى المكتوم ما زالوا الى اليوم يتذكرون مـا كتبناه عن مستشفاهم منذ ٦ سنوات ، من أنه ينطبق عليه المثل القائل : « من الخارج رخام ، ومن الداخل سخام » ولكن هذا المستشفى قـد تطور الآن واتسع مبنـــاه الذى يضاهى أحدث المستشفيات في الخليج .. ولو ان هنـاك بعض أوجه النقص في التنظيم العام . والتى ينتظـر الاستعانة بأحد خبراء الهيئة العالمية التابعة للأمم المتحدة لمعالجتهـــا ، ثم تحويل المستشفى بكامله ليصبح تابعا لدبى ، خاصة وان الشيخ راشـد شيخ دبى انفق عليه في العام الماضي مليونا و ٦٨ الف روبية ..

وتوجهنا الى المستشفى وقمنا بجولة في غرفه واقسامه مع مديره ، وفي احدى الغرف رأينـــا صورةمن صور الرسالة الانسانيةلهذا المستشفى:



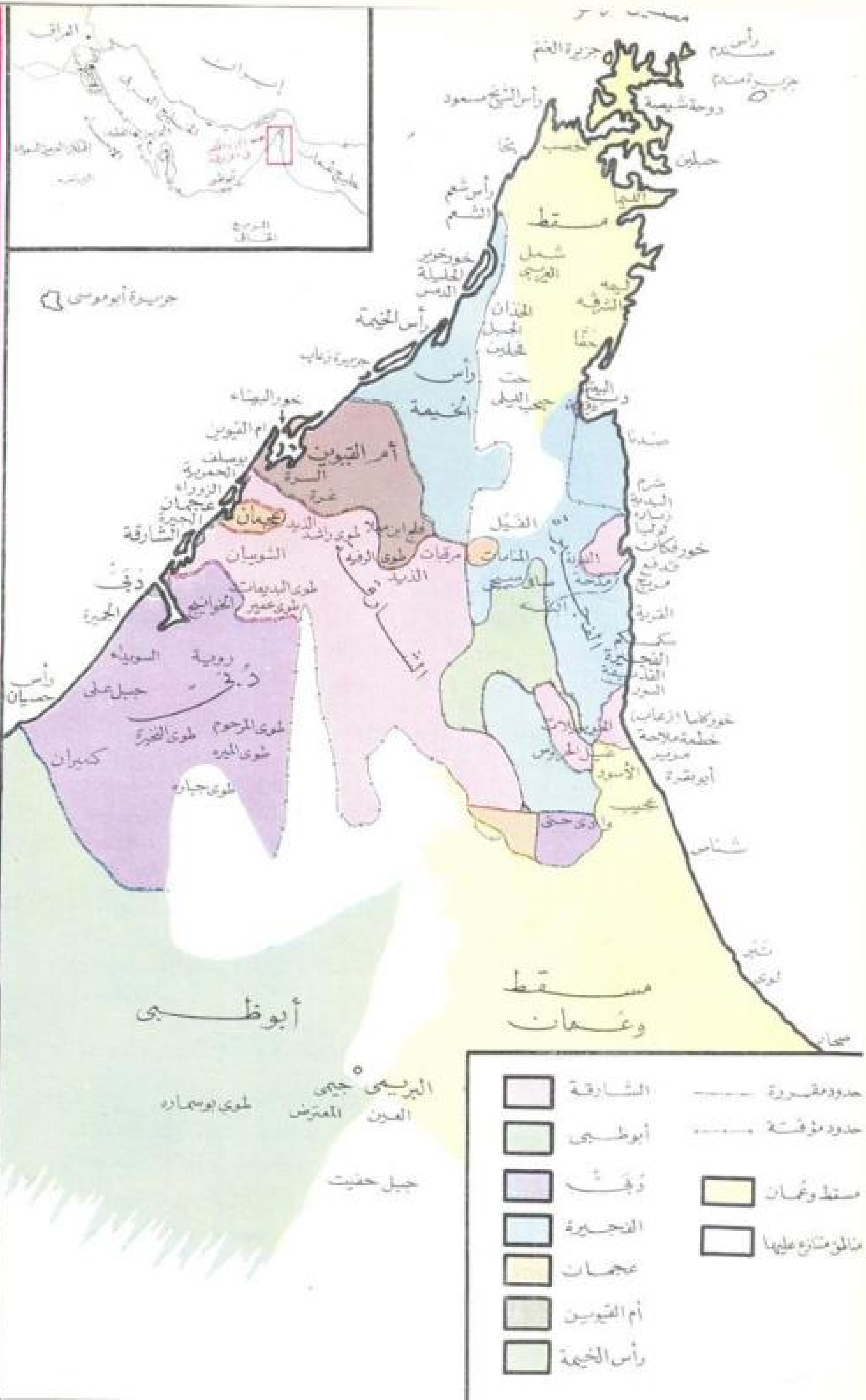
في مستشفى مكتوم : طبيبة هندية تعالج طفل امرأة ايرانية ، بينما جلست احدى الباكستانيات في الانتظار ، ووقفت الممرضة الهندية تساعد الطبيبة في عملها .. ومما يذكر انه ما كاد مصورنا يدخل الى الغرفة حتى غطت المراجعات وجوههن بالحجاب السميك ..

طبيبة من الهند ، تعالج مريضة ايرانية، والممرضة هندية . وامرأة باكستانية تنتظر دورها !

ان ٧٥٪ من المرضى في مستشفيي المكتوم والكويت هم من غير أبناء دبي .. فيكفي ان تكون مريضا لتدخل المستشفى دون أي اعتبار آخر ..

وأكثر الأمراض انتشارا بين المقيمين في دبي هي فقر الدم وسوء التغذية .. أما الدرن (السل الرئوي) فهو المرض المتوطن في المنطقة ، الى جانب امراض الدوسنطاريا والتيفود والأمراض الجلدية والتناسلية .

ان أكثر هذه الأمراض جاء مع الهجرات الأجنبية الى دبي ومنطقة الساحل كله .. لقد جاءت هذه الهجرات عندما سمعت عن الانتعاش وقلة اليد العاملة في المنطقة .. وعلاج هذا لا يمكن



جزيرة الغنم
رأس الشيخ مسعود
جزيرة أبوموسى
رأس الخيمة
مسقط
أم القيوين
عجمان
الشارقة
دبي
الحميرية
خورفكان
شناص
صحار
أبوظبي
مسقط وعمان
البريمي
العين
المعترض
جبل حفيت
طوى بوسمارة
كمبران
جبل علي
الشارقة
أبوظبي
دبي
الفجيرة
عجمان
أم القيوين
رأس الخيمة
حدود مقررة
حدود مؤقتة
مسقط وعمان
مناطق متنازع عليها

ان يتم الا بتنظيم الهجرات وتسجيل أسماء القادمين وأماكن اقامتهم .. وهذه القضية لا تنطبق على دبى فقط ، وانما على جميع الامارات السبع على شاطىء عمان ..

وباختصار نستطيع أن نقول : ان الحالة الصحية في دبى في حاجة الى مصح للأمراض الصدرية ، ومستشفى للأمراض العصبية ، لان الانتقال من البداوة الى الحضارة في مثل تلك الفترة الوجيزة من الزمن يتسبب دائما في ارهاق زائد للأعصاب ... وقد علمنا ان الكويت قد انتهت من بناء مستشفى للسل على الطريق الموصل الى الشارقة .. وسيفتتح قريبا ..

دُبَيّ تدخل مباراة النفط

ان دبى تدخل الى عصر النفط والبترول وهى مزدهرة نامية .. ومن طائرة الهليكوبتر التىنقلتنا الى منطقة الحفر على بعد ١٠٠ كيلومتر من دبى وسط مياه الخليج العربى الزرقاء والخضراء شاهدنا عمليات الحفر عن كثب .. لقد سبق أن تم حفر بئرين على بعد ٢٠ ميلا من أرض دبى ، ولكن النفط لم يتدفق منهما .. أما هذه المرة فما كادت حفارة البئر تصل الى عمق ٣٥٠٠ قدم تحت قاع البحر حتى بدات رائحة الغاز تتسرب قوية .. واستبشر الناس خيرا .. وظلت الحفارة تندفع الى الأعماق والناس يتساءلون كل صباح : متى تصل الى النفط ، أو متى يصل هو الينا ؟ .. ولكن الأيام كانت تمر بطيئة متثاقلة والناس يتململون .. وظل أهل دبى يتابعون أخبارحفارتهم التى وصلت الى عمق ٦٠٠٠ قدم ومع هذا لم يظهر النفط .. ولكن ما كادت الحفارة تصل الى عمق ٧٠٠٠ قدم حتى بدات آثار النفط تتراءى .. وعندما وصل الحفر الى ٧٦٠٠ قدم انبثق النفط غزيرا من الأنبوب ، معلنا اكتشاف اول حقل للبترول في دبى ..

وتجرى حاليا أعمال المسح لمعرفة الحقل وكمية النفط المخزون فيه ..

موانىء بالجملة

وبعد فقد أوشكت جولتنا على الانتهاء ،ولكننا لا يمكن ان نختم حدبثنا دون الاشارة الى أهم مشاريع المستقبل .. انه مشروع ميناء دبى الجديد الذى سيكلف ستة ملايين من الجنيهات الاسترلينية .. وبانتهائه ، بعد ٣٠ شهرا ، سوف تستقبل دبى السفن الضخمة حمولة ١٢ الف طن بينما ميناؤها الحالى لا يستقبل الا السفن حمولة ألف طن ..

ان هذا الميناء هو واحد من سلسلة موانىء ضخمة بدات تمتد داخل مياه الخليج من ساحل عمان .. فالشارقة أوشك ميناؤها الكبير الذى يمتد لمسافة ميل في البحر على الانتهاء ، وسيبدأ في استقبال السفن حمولة ١٠ الاف طن قريبا جدا .. ورأس الخيمة بدورها أوشكت على الانتهاء من بناء مينائها الكبير .. والشيخ زايد حاكم أبوظبى الجديد ، يعلن عن عزمه على انشاء ميناء كبير ... ودبى ، كما رأينا بدات في بناء مينائها الكبير ..

ان الشيء الثابت الأكيد في ساحل عمان هو أن ظهور النفط في دبيّ ، ومن قبلها في ابىظبى ، واحتمال ظهوره القوى في الشارقة ، سوف يحيل هذا الساحل القاحل الى ميدان هائل للانشاء والتعمير والازدهار والتنافس.. التنافس من اجل رفاهية أبناء هذا الساحل الذين من فرط تعودهم على قسوة الحياة أصبحوا يخافون من نعومتها !

ان العمل كثير والأيدى قليلة .. والمطلوب أيد خبيرة تبنى وتعمّر .. أيد عربية لا أجنبية ... فالى ساحل عمان أيها العرب ... فالمستقبل هناك ..

وسلام ... ألف سلام على دبى الجميلة ... عروس الخليج .. ■■

سليم زبال

أنباء الطب والعلم والاختراع

ضحايا السلم



يربط الانسان دائما الضحايا بالحرب ، ولكن للسلم ضحايا كثيرون ، سببها عجز الانسان عن حماية نفسه ، وقيام رسل الموت تحصد من ارواح البرايا ما تستطيع ، او ما هو مقدور لها .

ومناسبة اليوم هي عدد ضحايا الطريق في الامم المتقدمة ، حيث المفروض ان تكون الرقابة على الارواح أتم ، والحرص على الحياة مكتملا .

ولنضرب فرنسا مثلا :

فقد دل الاحصاء على ان ضحايا الطرق فيها ، في عام ١٩٦٥ ، بلغوا ٢٩٢٦٨١ جريحا ، و١٢٣٣٥ من الموتى .

وكانوا في عام ١٩٦٤ قد بلغوا ٢٦٤٩٧٩ من الجرحى و ١١١٨٤ من الموتى .

فالضحايا في ازدياد .

واهل التكنية اليوم جادون في جعل السيارات اكثر امنا .

وقد ابتدعوا لراكبيها احزمة تربطهم بالسيارات حتى اذا اصطدمت لم يلق الراكب بسبب هذا الاصطدام حتفه .

وقد اتجهت النية في بعض الأمم الى تعميم هذه الاحزمة حتى تبلغ حكم الشيء المفروض فرضا .

اصفر راديو

انه جهاز قليل الحجم ، ملء الكف ، وزنه ٢٢٠ جراما ، يبث الى مدى ٥٠٠ متر . وليس هو باللعبة الطريفة ، التي كل طرافتها في صغر حجمها . انه يعمل ويحسن عملا . وقد اجازت ادارة البريد والبرق في فرنسا بيعه في الاسواق .

وثمنه به من طرافة الصغر ، ما بحجمه ، ان الجهاز الذى يبث ، والآخر الذى يستقبل ، ثمنهما معا ٢٩٠ فرنكا فقط ، او هو بالجنيه الاسترليني نحو ٢٠ جنيها .

البطاطس والفضاء

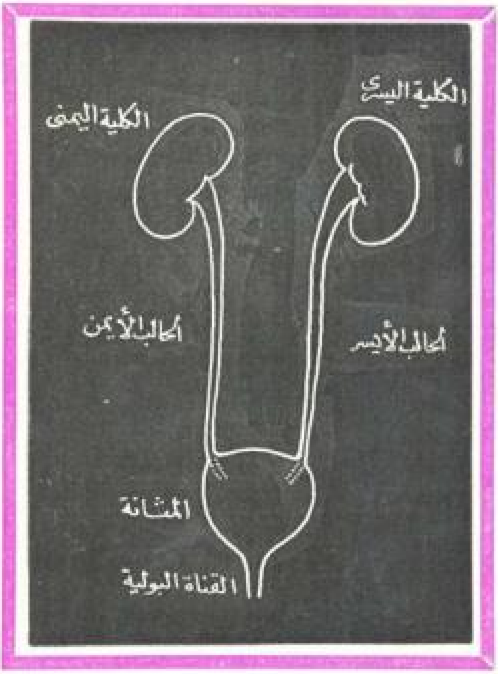
اقترح بعض العلماء ان يضعوا في اجرام الفضاء شيئا من البطاطس . والهدف من ذلك ان يعلموا ؛ هل ما يجرى في البطاطس من تغيرات حيوية ، كالنضج وغيره ، يجرى وفقا « لساعة » زمنية دفينة في سر الخلايا ، ام هي تحكمها عوامل خارجية ، كجاذبية الأرض ، وخطوطها المغناطيسية ، وكذا الاشعاعات العالمية وما الى ذلك .

فرنسا والهند

في فرنسا لجنة تعرف بلجنة مقاومة الجوع . وقد ارتأت هذه اللجنة اخيرا ان تقيم في الهند قرية نموذجية فرنسية ، قرب مدينة بونا Poona ، يقوم عليها متطوعون فرنسيون يعلّمون الفلاحين هناك كيف يعيدون الى الأرض صلاحها ، وكيف يحفرون الآبار ، ويستخدمون لرفع مياهها احسن الوسائل وأبسطها وارخصها واكثرها كفاية .

كليتك في حقيبتك ، لحين الحاجة

ابتدع الدكتور ازمند Esmond بجامعة ماري لاند Maryland كلية صناعية وزنها فقط ٤. كيلو جراما ، يحملها المريض ، ذو الكليتين اللتين تنذران ، في سفر ، باحداث ازمة . فاذا وقعت الأزمة كان من السهل على اي جراح ان يربط بين هذه الكلية الصناعية وبين شريان بسيط من شرايين الرجل المأزوم ، وبذلك يتحول دم الجسم الى هذه الكلية الاصطناعية ، وفيها ينقى الدم مما به ، تماما كما تنقيه الكلية الطبيعية السليمة ، ثم يعود الدم الى الجسم عن طريق ربط الكلية بوعاء دموى آخر ، وقد ترشح وصلح ، وصلحت به الحياة .



السجارة الكيماوية

امكن الكيماويين ان يفصلوا من دخان السجائر ، وما يخرج معه من قطران ، عددا كبيرا من المواد الكيماوية ، الكثير منها ، اما سام ، او هو يغرى باحداث السرطان في الرئة .

وعلى هذا اتجهت الآراء الى صناعة سجارة كيماوية ، وذلك باستخلاص كل المواد الموجودة في ورق التبغ الطبيعي ، ثم اضافة مواد جديدة كيماوية ، كلها لا ضرر منه ، بحيث تحفظ على السجارة خواصها الطبيعية ما امكن ذلك .

السفينة الطائرة نسيتها

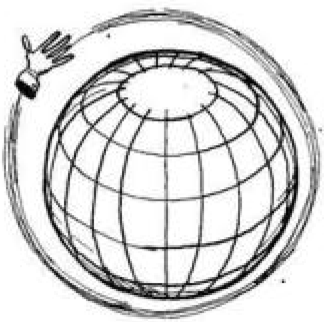
● منذ أكثر من ٣ سنوات وصفنا في «العربي» ذلك الاختراع الجديد ، السيارة التى تسير على الأرض ولا تمسها ، أو هى قارب يسير في الماء ولا يمسه ، وانتظرنا من مجامع اللغة أن تجعل لهذا الاختراع الجديد اسما فلم تفعل .

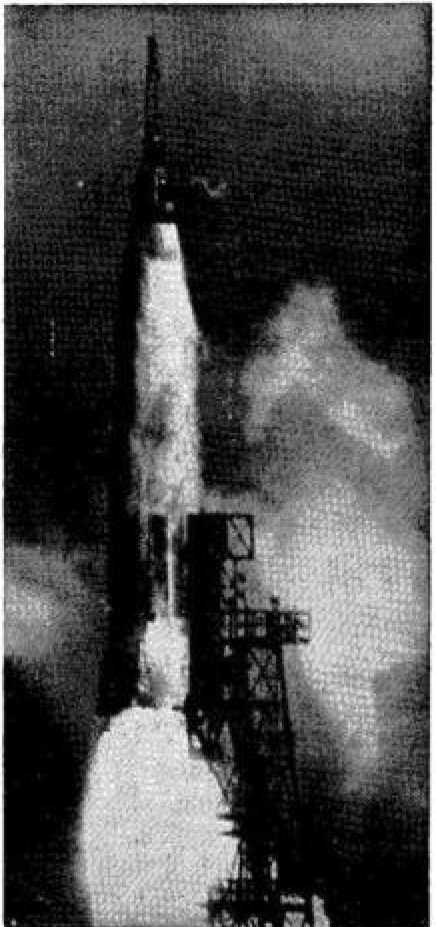
واذن نعود الى الاسم الافرنجي ، انه هوفركرافت Hovercraft ، وان شئت ترجمة حرفية له فهو المركبة الحوامة . والمركبة اسم صحيح ، لأن المركبة تكون للبر وللبحر . وليست الحوامة بالاسم الصحيح ، والخطأ هنا خطأ اللفظ الانجليزى . فالطائر يحوم اذا هو دار في الفضاء . وهذه المركبة لا تدور ، وانما تسير .

انها ترتفع عن الأرض ، أو عن الماء في البحر . ترفعها محركات تدفع الهواء الى أسفل ، اذ

قفاز ، يصبح قمرا اصطناعيا

● انه قفاز رجل الفضاء ادوارد هويت Edward White ، أحد الرجال الأوائل الذين سبحوا في الفضاء ؛ وكان فقده في الفضاء . ومنذ أن فقده وهو يدور في فلك حول الأرض بسرعة ٢٨ الف كيلو متر في الساعة !





فرنسا تحمي صواريخها من مباغتة الأعداء

● هكذا هى اعتزمت ، أما طريقة ذلك فهى شق مغارات كبيرة لها في الصخر ، مساحة الواحدة منها من هكتار واحد الى ٣ هكتارات (الهكتار ١٠٠٠٠ متر مربع أو فوق الأربعة فدادين بقليل) وفي النية البلوغ بهذه المساحات الى ٣٦٠٠٠ هكتار تتوزع على ٢٥ مغارة . وسوف تشق أولى هذه المغارات في منطقة ابت Apt بفنكلوز Vancluse

الصحف ، ولم ينسها رجال الحرب

تجعل بينها وبين الارض (أو ماء البحر) وسادة من هواء ، وبذلك يزول اكبر عائق يعوق الحركة، ذلك الاحتكاك بالأرض ، أو تعويق ماء البحر فهو يرفض ان ينشق . ثم تقوم محركات اخرى تدفع المركبة الى الامام دفعا ، بسرعة فائقة .

فهـــذه السرعة الفائقة هى الميزة الكبرى في البحر . يضاف اليها ميزة اخرى في الأرض ، ان المركبة تستطيع ان ترتفع فوق تضاريس الأرض .

كل هذا ، انما هو مقدمة للخبر الذى نورده .

ذلك ان هـــذا الاختراع ، الذى سكتت عنه الصحف ، لم يسكت عنه المخترعون .. ظل يزيد على السنين تحسينا فوق تحسين .

قليل من الناس يعرف ان هذه السفن الطائرة قامت بنصيب غير قليل في الحرب التى دارت بين اندونيسيا من جهة ، وماليزيا وبريطانيا من جهة. وهى قامت بنصيب غير قليل في الحرب الفيتنامية القائمة اليوم .

وميزتها الكبرى في البحر هى السرعة ، ومع السرعة المباغتة ، وهى عامل في الحرب هام .

واهل الصناعة جادون ، رغم صمت الصحف ، في تزويدها بما يجعلها صالحة للنقل بين ساحل المحيط الاطلسي الشرقى ، وساحله الغربى . أى بين أوربا وامريكا . وهـــذا امر يتراءى اليوم بعيدا ، ولكن الأعوام كثيرا ما تقرب البعيد

والشيء الذى ينتقدونه اليوم في هذه السفن الطائــرة هو الصوت المزعج الذى يخرج مـــن محركاتها .. انه يصمّ اذا طال .

والدعوة اليوم الى تدبير المحركات الخرساء ، او التى يبلغ بهـــا الخرس الدرجة التى ترتاح عندها آذان الركاب .

العلم في الصين

● لم يصدق اهل الغرب ، منـــذ سنوات ، ان الصين تهـدف الى تفجير القنبلة الذرية .

ثم حدث أن فجرت الصين قنبلتهـــا الذرية الأولى في ١٦ اكتوبر عام ١٩٦٤ .

ثم فجرت قنبلتها الذرية الثانيــة في ١٤ مايو عام ١٩٦٥ .

ثم فجرت قنبلتها الثالثة في ٩ مايــو عام ١٩٦٦ .

والظاهر ان هذه القنبلة الثالثة كانت قنبلة هدروجينية .

بعد ذلك بدأ أهل الغرب يدركون انهم بخسوا الصين قدرها في العلم ، وبداوا يبعثون اليهـــا الرسل من العلمـــاء يستخبرون .





أكثر من ١٠ ملايين صورة تؤخذ في الثانية الواحدة

● هكذا شاء العلم أن يكون .

رصاصة تخرج من مسدس ، يرادتصويرها .

انفجار يستغرق كسرا من ثانية ،يراد تصويره بادئا ، ومتدرجا ومنتهيا .

وحركة الذرات ، بالكتروناتها،وعاريةمن الكتروناتها في التفاعلات الذرية التى عنها تنتج أشباه للقنبلة الادروجينية .

كل هذه تحتاج الى الكمرة السريعةالخاطفة ، لا خطف البصر ، ولكن خطف الخيال .

وطلب العلم ، واستجاب الفن . واليك بعض النتائج مما تخرجه الكمرات العلمية ، (وهى غير تلك التى تجدها فيالأسواق لاستخدامها في اغراض الحياة الشائعة) .

عدد الصور التى تؤخذ فى الثانية الواحدة	الزمن اللازم لأخذ الصورة الواحدة بالثانية
من ١٠٠ إلى ١٠٠٠ صورة	من ١/١٠٠ إلى ١/١٠٠٠ من الثانية
من ١٠٠٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ صورة	من ١/١٠٠٠ إلى ١/١٠٠,٠٠٠ من الثانية
من ١٠٠,٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠,٠٠٠ صورة	من ١/١٠٠,٠٠٠ الى ١/١٠,٠٠٠,٠٠٠ من الثانية
أكثر من ١٠,٠٠٠,٠٠٠ صورة	أقل من ١/١٠,٠٠٠,٠٠٠ من الثانية





فوزي المعلوف
شاعر زحلة .. والبرازيل

أبوه شاعر .. وأخوه شاعر
وللمعالفة في اللغة العربية فضل مذكور

بقلم : البدوى الملثم

■ ولد فوزى عيسى اسكندر المعلوف فى زحلة ، جارة الوادى ، ولم ينس الشهر الذى رأت فيه عيناه النور ، فكتب فى احدى مفكراته قبيل هجرته الى البرازيل :

« خُلقت في أيار ، في حضن الربيع ، والأرض بما فيها زاهية باسمة ، وأنا فوقها منقبض النفس ، مقطّب الجبين ، الا ما أمرّ العبوسة في محيط الابتسامات ! لذلك أتمنى أن يطرحني الدهر عند موتي ، في حضن الخريف ، بين اصفرار الاوراق وذبول الأزهار وبكاء السماء ، حينذاك قد ابسم عند عتبة الموت غير آسف على فراق حياة، قطعتها في خريف صامت ذاو .. وتركتها في خريف صامت ذاو ! »

كان « فوزى » يخفي تحت كل ابتسامة حرقة ، حتى انه قبيل وفاته بأشهر قلائل ، وهو فى عنفوان شبابه ، والاماني تفتر له من كل جانب ، انشد يوم عيد ميلاده :

بسمة الأهل – يوم نولد حولي   عبرات – على العهود !

دمعة الأهل – يوم نلحد سيلي   بسمات – على اللحود !

❋ أبوه الشاعر عيسى اسكندر المعلوف ، وسبق أن ترجمنا له فى العربى . وأخوه الشاعر شفيق المعلوف . ومن آلهم ناصيف معلوف (١٨٢٢ – ١٨٦٥) ولد في زبوغة بلبنان وتوفي في أزمير . كان استاذ اللغات الشرقية وعضو الجمعية الآسيوية فى باريس . ألف بالتركية والعربية والفارسية والفرنسية . ومنهم الاب لويس معلوف اليسوعي (١٨٦٧ – ١٩٤٦) ، ولد فى زحلة ، وتعلم فى بيروت واوروبا . حرر جريدة البشير ٣٠ عاما . وهو صاحب قاموس المنجد المعروف .

دراسته

وتلقى « فوزى » دروسه الاولية فى « الكلية الشرقية » بزحلة . وفى أول سني الحرب العالمية الاولي انتسب لمدرسة الفرير ببيروت ، وهناك توثبت روح شاعريته ومال الى النظم .

كان فى نية « فوزى » التخصص بفرع من فروع العلم ، لكن مدرسة الفرير ببيروت أوصدت ابوابها عام ١٩١٤ ، فعاد الى زحلة عاكفاً على الدرس والمطالعة ، يساعده على تبسيط الأبحاث وشرحها والده النسّابة المرحوم عيسى اسكندر المعلوف . وحينما هدات الأمور فى سورية بانتهاء الحرب العالمية ، استدعاه والده الى دمشق ، حيث كان عضوا فى المجمع العلمي العربى وقيّماً على الآثار العربية ، فعمل اميناً لصندوق « دار المعلمين » فكاتماً لأسرار المعهد الطبي العربي ، وشرعت الصحف والمجلات فى نشر انتاجه ، ورأى الناس فيه خطيباً جريئاً ، فذاع صيته وفاح عبير شعره حتى أصبح مرموق المكانة !

على ضفاف بردى

أحب « فوزى » دمشق وتغنى ب « بردى » وخاطب ذلك النهر الخالد بقوله :

« ايه بردى ، يا ابن العصور ، ورفيق الأجيال !

الظلام خاشع أمام عظمتك ، والنجوم تفضّض ثوبك اللازوردى ، وعذارى الماء حولك هازجاتٌ راقصات ، وأنا واقف أسكب فى حضن الظلمة تأملاتي !

يا أبا التاريخ ، والتاريخ سلسلةٌ شهدتَ انفراطها ، فمِنْ مَجْد الآراميين ، الى انقراض الحثيين ، الى صولة الفراعنة ، الى فتوحات الأشوريين ، الى مدنية الرومان ، الى عظمة العرب ، الى اعتساف الطورانيين ، الى نهضة الحفدة !

أمَمٌ تطورتْ ، وممالك شيّدت ، ودول دالت ، وشعوب انقرضت ، وأنت ... أنت ... تنظر بعين الهزء الى الأجيال المتتابعة ، وتكبّر عظمة الله فى خلقه !

فيا ابن الأمس الممتلىء حكمة واختبارا ، اهمسْ فى سكون الظلام كلمات يحملها الى أبناء اليوم ورجال الغد !

قل لأولياء الأمر ، ما قاله أرسطو للاسكندر : « لا تؤسسوا الممالك على الرؤوس بل على القلوب ! »

الى البرازيل

وفى السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٢١ امتطى « فوزى » الباخرة الى سان باولو ، بالبرازيل ، للعمل مع خؤولته من آل معلوف، ولم تلهه المَصانعُ عن الأدب فنظم القصائد والملاحم ، وأسس «المنتدى الزّحْلي » وترأسه، وتمثلت فى ابهائه رواياته ومسرحياته، وظل عاكفا على نظم الشعر وارسال النثر !

مصرع النسر

وبينما كان فوزى فى ثورة شاعريته ، وريعان شبابه ، وقبل أن يتم عامه الحادى والثلاثين ، داهمه مرض فى «ريو دى جانيرو» عاصمة البرازيل ، فاجريت له جراحة كان وقعها اليما على النزالات العربية فى البرازيل وسائر النزالات العربية فى جمهوريات أميركا الجنوبية ، وظل اربعين يوماً فى صراع مع

الداء الى أن صرعه في السابع من يناير عام ١٩٣٠ فتسابقت صحف البرازيل ، على اختلاف لغاتها ، الى نشر رسومه وسيرة حياته ووصف ماتمه ، ونقل جثمانه الى سان باولو ومنها ، الى الأبدية ، جذلا مهللا ينشد قوله :

إنني شاعر ، بروحي فوق المــــوت تمشي بكل حبي وبُغضِــــــي
إيه ياموتُ لن تمس خلـــــودي فاقْضِ ما شئت لستَ وحدك تَقضي
فأنا خالد بشعـري علـــــــي رغم زمانٍ عن قيمة الشعر يُغْضِي ! !

تمثال الشاعر

وتقديراً لنبوغ هذا العبقري الخالد وتكريما لذكراه ، تألفت في سان باولو لجنة من كرام المغتربين العرب ، ودعت الى صنع تمثال من البرونز يُهدى الى زحلة ، مسقط راسه . وفي الثاني عشر من سبتمبر عام ١٩٣٧ أزيح الستار عن التمثال في حديقة المجلس البلدي بزحلة ، في مهرجان حافل أسهم فيه أدباء من سورية ولبنان ، وقلّد وزير داخلية لبنان المرحوم حبيب أبو شهلا « الفلّ المتحجر » وسام الاستحقاق اللبناني المذهب . وختم الحفلة الشاعر شفيق معلوف ، شقيق فوزي ، بكلمة جاء منها :

«فوزي ! » ومالي في الخطوب يــدان ما هكذا الاخوان يلتقيـــــان
قربتُ صدري للعناق فلم أقـــعْ إلا على قطَـــع من الصَّـــوان
نُصُبٌ خفضـــتُ له الجفون كأنما نُصبتْ حجارته على أجفـــاني !

ايها البردوني ! لقد عاد اليك الشاعر الفياض بروحه ، فقف تهيّباً لرمز الخلود ! انت الآن في أمان بين (صنّين) و (حرمون) و (التمثال) : ثلاثة جبابرة من جبابرة الجماد الناطق بالكرامة والسؤدد والحسن والجمال ! »

عروبة الشاعر

كان فوزي متحمسا لوطنه ، يتمنى للعرب كل سعادة ومغنم . وفي العهد الوطني – الفيصلي – عرف فوزي بوطنية لاهبة وحماسة متأججة ، ومنذ العهد العثماني الى الاحتلال الفرنسي ، الى هجرته الى البرازيل ، تقلّب في أطوار ثلاثة ، وفي هذه المراحل الثلاث سادت شعرَه الوطنيَ مرارةٌ تحسُّ بشيء منها في الأبيات التالية :

تجافيتُ في شعري السياسة مـــدّةً لعلمي بما يُرمَى به قائل الصدقِ
وعندي شؤونٌ لو أردت بيانهـــا لكان نصيبي أن أساق الى الشنق
أرى أمتي تمشي بكل غبــــاوة إلى حيث لاتلقى سوى البؤس والسحقْ
لقد قيل إن الشرق أتعسُ موطــن ونحن ، لسوء الحظ ، أشقى بني الشرق

ورغم ما اصاب فوزى فى ديار الغربة من غنى وثراء تراه يذكر بلاده ... ويرى ما عداها مجدا زائلا ، وفى ذلك يقول من قصيدة بعنوان (اماني مهاجر) :

لاالمجد فيالأرض يُرضيني ولاالذهبُ — إن لم يكن في بلادي المجدُ والنشَبُ
ولا السعادة بين الناس تُقنعـــــني — إن كان من حظ قومي الضيمُ والنصَبُ
تالله ماالبعدُ ينسيني مودّتهـــــم — فالجسمُ مبتعدٌ والقلب مقـــتربُ
تالله لانرتقي إلا مـــتى اتّحـدت — تلك المآذن في الأوطـــان والقُبَبُ !
فَلْتَحْيَ قوميـة كانت لنا نسـبا — يضمّ أشتاتنا ، ما فاتنا النسـب
ومن يكون بلا قـوم يُذلّ بهـم — فلا يشرّفه ديـنٌ ولا لَقـبُ
ديـني لنفسي ، ولكن قبلـه وطني — ودينه الوفق والاخلاص لا الشغـب
ولنُكرم العلم أيا كان مصـــدره — فانه للتآخي والعلـــى سبـب
لادينَ للعلم في الدنيا ولا وطـــن — فالعلمُ كالنور لم تُحصَر به تُرَبُ
ولْتَستعدْ لغةُ (الضاد) التي دعيـت — أمّ اللغات شبابا بُرده قَشـب
إن لم نكن كلنا في أصلنا عربـا — فنحن تحت لواها كلنا عـــرب !

غرناطة فى شعره

ولفوزى المعلوف طائفة من المعرّبات عن الفرنسية والبرتغالية والاسبانية من ابرزها « شاعر اسباني كبير يفاخر بنسبه العربي » .

وفيها تناول « فوزى » حياة امير شعراء الاسبان « فرنسيسكو فيلاسباسا » (١)

ومما عرّبه ملحمة « فيلاسباسا » فى بكاء « غرناطة » منها :

غِرْناطةُ ! أوّاه غرناطـــــــةُ — لم يبق شيءٌ لك مـــن صولتكْ !
هل نهرك الجارى سوى أدمـع — تجرى على ما دال مـــن دولتك ؟

★★★

والنسْمةُ الغادية الرائحـــــــهْ — هل هى إلا زفـــرةٌ نائحـــه !

---

(١) بلغ من حب هذا الشاعر الاسباني للعرب انه كان يتنقل فى شوارع (مدريد) و (برشلونة) مرتديا ثيابا عربية وعلى وسطه خنجر ذهبى ، ومتغنيا بأمجاد العرب ومفاخرا بتحدره من بنى أمية !

ماعدت في النهر كسلطانـــة جبهتها في مائـه ساطعـــه
للقبة الحمراء في تاجهـــا وهَجٌ وللمِئْذنةِ اللامعـه
آه علـى أمجادك الضائعـه شيّعتِها بالنظـرة الدامعـه

★★★

مرت مرور النهر من جسـره وأورثتْـك النوحَ في عزلتك !
غرناطةُ ! أوّاه غرناطـةُ ! لم يبق شيءٌ لك من صولتك !

على بساط الريح

فى اوائل (مايو) ١٩٢٦ امتطى «فوزى» طيارة كانت جاثمة على شواطىء « ريو دى جانيرو » ، ولما صار فى الفضاء على علو شاهق قال :

أنزلتْهُ فيـه عروسُ قوافيـه بعيـدا عن الوجـود وظُلمه
ضارباً في الفضـاء ، موكبُهُ النو رُ وأتباعُـهُ عرائسُ حُلْمه

واسفرت رحلة « فوزى » الجوية عن ملحمة شعرية جاءت فى اربعة عشر نشيدا ، وصدرت طبعتها الاسبانية بمقدمة نفيسة للشاعر الاسباني « فرنسيسكو فيلاسباسا » ، وترجمت تلك الملحمة العربية المعاصرة الى اشهر اللغات الحية !

اندفع « فوزى » بطيارته محلقا فى الفضاء ، مارا باسراب من الطير افزعها هدير الطيارة ، فتصدت الأسراب للطائر الأرضي المرعب وضربت حوله نطاقا من اجنحتها ، وسألته :

« لمْ تجرأت فى فحة وروعت مملكة الطير يا هذا ؟ »

فراح فوزى يقنع الطير بانه شاعر لم يرد الفضاء مستعمرا ، انما جاءه يائسا من الأرض وبنيها :

لاتخافِي ياطـيرُ ما أنـا إلا شاعرٌ تَطْرب الطيورُ لشعـره !
زارك اليوم مُتعبًا يَنْشد الـرا حةَ في هدْأة السكون وسِحره
فرّ عن أرضـه فـرارك عنهـا من أذى أهلهـا وتنكيل دهـره !

فارتاحت أسراب الطير لما أبداه الشاعر فاذنت له ، بالسير والتحليق فى الفضاء .

وبينما هو قريب من النجوم :

انبرتْ نجمةٌ لأخـرى تقـول : من يحومُ ؟ مَن البعيـدُ ؟
أهو نجم مذنّب ؟ أم دخيـلٌ ؟ في النجوم ؟ وما يريـد ؟
وإذا نجمةٌ تجيبُ : وقاكِ البعدُ أختي شرَّ انطلاق جناحـه
هو تحت السّديم أعجز عـن أن يبلغ النجم فـوق متْن رياحـه
لا تخافي منـه وخلّيـه يعلـو فقريبا يهْوى صريعَ كفاحـه !

وسرعان ما هب الشاعر اليائس الى ازالة المخاوف ، وتبديد الهواجس بقوله :

إيه يانجمتي ألم تعرفيـــــني شاعرا يُنصتُ الدجى لنواحـــهْ
كم ليال في الروض أحييتها أبـــــكي وأشكو إليك بـين أقاحـهْ ؟
سامحَ الله فيـك قلبا نسِـيًا هو في الكون مثل قلـب ملاّحـهْ !

ولما علت الطيارة طبقات جوية متصاعدة لمح الشاعر في الجو حشدا من الارواح ، وسمع حديث ذلك الحشد الذى استروح رائحةَ الانس من جناحي ذلك الطائر الفولاذى :

وسرى في عالـم الأرواح مِن قدومى — شِبْهُ همسِ
إذ تنسّمْنَ من خفوق جناحي في السديـم — ريحَ إنـس

★★★

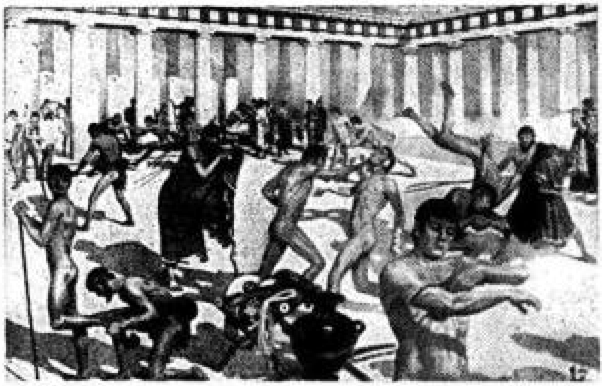
فتالبّن حول جسمي جماعـا ت ملأن الجو الفسيح دويّا
وإذا بي أعى مسالك أشيـا ء ولما حدّقت لم أر شيّا
فكأني في الحلـم نشوانُ صاحٍ تتوالـى رؤى الخيال عليّا
طوّقتني الأشباح ، ها هى حامت ثـم أهـوتْ ترفُ بـين يديّـا
إنها كاللهـاث نفحـا ولفحـا وكموج الشعاع نشرا وطيّـا
هى كالوهـم ألبستهُ خيُوط الفكر ثوبا من الخيـال جليّـا
لم يـزل صوتها إلى اليـوم في أذ نِي ، وأنفاسُها على شفتيّـا
إنما عند وصفهـا خانني الفكر وألقى على بياني عيّـا
ياله عالمـا هنـاك بعيـدا قربتهُ عروسُ شعـرى إليّـا
فتنبّهـت من ذهـولي وأصغيـت لعلى أجلو هنـاك خفيّـا
فسمعـت الذى (توشوشه) الأر واح عـنى وما تفكّر فيّـا !

وراح يصف الطائرة التي كان فيها فيقول :

هى طير من الجمـاد كأن الجـنّ في صدرها تحثُّ خيولا
حمحمت تضرب الريـاح بنعليهـا فشقّت إلى السمـاء سبيلا
ثم مدّت إلى النجـوم جناحـين وجرّت علـى السحاب ذيـولا
غرقتْ في الأصيل حينا وعامت بعد حين تعلـو قليـلا قليـلا
ترتـدى من دخانها بُردة الليـل وتُلقى عن منكبيهـا الأصيـلا
وعليها من الشرار نجـوم عقدتْ حول رأسها إكليـلا

■ ■

عمان — الاردن « البدوى الملثم »



الرياضة عند الأغريق

■ الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد لا تقتصر على اظهار ما كانت عليه ساحات الرياضة عند اليونان ، من رونق اضفته عليها الأعمدة المحيطة بها ، وملاءمة للأغراض الرياضية والشروط الصحية ، تجلت في رحابتها وخاصة في انتشار الشمس وانطلاق الهواء في جنباتها .

فهي تظهر ايضا نفرا من الشبان اليونان وهم يمارسون طائفة من الألعاب الرياضية التي الفها الاغريق في ذلك الزمان . ولو امعنا النظر في الصورة لوجدنا الملاكمة والمصارعة بين تلك الألعاب ولوجدنا ايضا العدو ورماية الرماح وقذف الصحون وغيرها .

هذه الألعاب الشائعة في هذا الزمن الحاضر ، ليست اذن من ابتكار هذه الحضارة الحديثة . اخذها الحاضرون عن الاغريق كما اخذوا الكثير غيرها عنهم ، ومارسوها بتعديل طفيف حينا ودون تغيير ولا تبديل في معظم الأحيان .

على ان المدنية الحاضرة مدينة للاغريق ايضا بالمباريات الرياضية العالمية التي تقام مرة كل اربع سنوات ، كما كانوا اقاموها قديما ، وتسمى بالألعاب الأولمبية ، كما كانوا اسموها قديما ، ويمارس فيها من الألعاب مثلما مارسوا .

وقد اشتملت تلك المباريات عند الاغريق على مسابقات في الشعر والأدب والموسيقى ، ولكن هذه لم تأخذ المدنية الحاضرة منها شيئا .

وقد احتلت الألعاب الأولمبية في حياة اليونان وقلوبهم ، مكانة ، زادها قدسية ، ان نسبوا تأسيسها عام ٧٧٦ قبل الميلاد الى هرقل بن زيوس ، كبير آلهتهم ، واحاطوها بهالة من القداسة دفعت بدويلاتهم الى اعلان الهدنة والتوقف عن الحرب والقتال طيلة ايام المباريات . هذا بالاضافة الى امتناع تلك الدويلات في تلك الأيام عن جباية الضرائب التي اعتادوا جبايتها من المسافرين .

(البقية على صفحة ١٤٣)



العائلة لها أكبر الأثر

فى جنوح الأحداث

بقلم : ممدوح الجابرى

رئيس مركز ملاحظة الاحداث سابقا ـ حلب

فتاة ، ورسالة ، وقاض فى محكمة

■ لن استطيع ان انسى هذه الرسالة التى تلقاها حاكم احدى الولايات من فتاة تدافع عن أخيها الذى حكمت عليه المحكمة بالاعدام لأنه قتل امراة بالرصاص بعد ان دق راسها بمطرقة ..

وحين قبضوا عليه كانت الضحية بجانبه ، وهو مشغول بتمزيق ثيابها ..

وقد قرات الرسالة منذ سنوات فى مجلة (روز اليوسف) المصرية ، واحتفظت بهذا العدد الذى أنقل منه نصها الكامل .

كتبت الفتاة للحاكم تقول :

« ان القانون ـ يا سيدى ـ شىء اعمى ، وكثيرا ما يكون المخطىء امام عينيه ولكنه لا يراه ..

ان الانسان لا يصبح مجنونا فى يوم وليلة .. وحالة شقيقى تعود الى جذور عميقة فى قصة بيتنا الشقى وهو طفل ، وكيف كان أبى وأمى يتعبان كثيرا فى تكبيل يديه ، ووضعه فى حمام دافىء ليعود اليه الهدوء !

وهذه حال أصبحنا الآن ، وبفضل التقدم العلمى ، نعرف أنها تؤدى الى تدمير منطقة معينة

● تصدع كيان العائلة
● فقر العائلة
● جهل الأبوين

من المخ ، منطقة هى المسئولة عن السيطرة على الغرائز الحيوانية البدائية .

ان طفلا كهذا ، كان واجبا أن نعرف منذ البداية حاجته الى العلاج وعجزه عن الملاءمة بين نفسه وبين البيئة التى هى حوله ، بفرض انها بيئة صالحة ، فما بالك يا سيدى اذا كانت هذه البيئة ـ بيئتنا ـ من النوع الذى لا يمكن لأى انسان ذاق هناءة البيت العائلى ان يتصوره؟

انتى أريد أن اقدم اليك نفسى كنموذج لجريمة هذه البيئة ، وأنا على العكس من شقيقى ، خلقت اكثر ذكاء من المعتاد ..

ولكن هل افادنى ذكائى هذا شيئا ؟

لقد كان الاحساس بالفزع وعدم الاطمئنان بسبب المشاجرات الدائمة بين ابوينا يخنقنى ويملأ طفولتى بالصور والاشباح المخيفة ، وكنت اهرب من هذا باللجوء الى قراءة القصص ..

ولكن اخى ، بعجزه العقلى لم يكن يستطيع أن يفعل ذلك .. وكان الصغار فى المدرسة يسخرون منه ، والرفاق فى الملعب لا يشركونه معهم ، وأمى فى البيت تضربه فوق رأسه بالكتاب كلما عجز عن القراءة ، وتصرخ فى وجهه بانه بليد.

وعندما بلغت السادسة عشرة من عمرى ، كنت قد اصبحت فريسة انهيار كامل ، وتشاؤم يزداد عمقا كل يوم حتى وجدت نفسى آخر الأمر عاجزة تماما عن تركيز ذهنى فى أى شىء اكتبه أو اقرؤه .

وكان العلاج الذى ابتدعته امى لهذا العجز أن تضربنى على ظهرى بسير من الجلد ، وعندئذ قررت ان انتحر .. ولكنهم انقذونى ..

وكان المهرب الآخر الذى تحولت بعد ذلك اليه



- يا سيدي - هو الدعارة .. نعم لقد اصبحت من هواتها ، ولم آكن اتقاضى عنها مليما واحدا .. ولكنني اعرف الآن فقط أنني كنت أتقاضى الثمن عاطفة واحساسا خفيا بالتشفي من والدي ..

ومضت اعوام، عرفت بعدها رجلا رقيقا أحببته، وتزوجته ، وعثرت بين أحضانه على دفء الحنان الذي افتقدته طيلة حياتي .. ومع ذلك فانا اعرف تماما ان أعواما كثيرة لا بد أن تمضي قبل أن تلتئم جراح نفسي ، وآثار الطعنات التي مزقتني بها حياتي العائلية ..

اما اخي فقد أصبح - بحكم نقصه العقلي - عاجزا عن فهم اية علاقة سواء أكانت اجتماعية أم جنسية الا مترجمة الى لغة العنف .

ومنذ اعوام حدث أنه حاول الاعتداء بالقوة على احدى السيدات .. وقال الذين فحصوه انه في حاجة ماسة الى العلاج !

فهل العلاج الآن أن تقتلوه ؟ هل تعاقبونه لمجرد أن الذين كان عليهم أن يعالجوه لم يكترثوا بأداء واجبهم ؟

لقد قدمت اليك قصة حياتي كأساس للقياس والمقارنة .. ولست أدري كيف يمكنك أن توافق على اعدام ضحية سبق أن تعاون المجتمع كله على اعدامها أكثر من مرة ؟ »

وأمام هذه الرسالة وجد الحاكم نفسه عاجزا عن اصدار الامر المطلوب منه باعدام المجرم ، فأمر بايقاف التنفيذ ، وبنقله من السجن الى المستشفى لمعالجته ..

العائلة هي المزرعة الأولى التي تنبت فيها بذور الشخصية

فما هو دور العائلة في جنوح الاحداث ؟

الحقيقة ، أن العائلة - هذا العالم الصغير الذي ينشأ فيه الطفل وتتفتح له عيناه اول ما تتفتح على الدنيا - يلعب دورا اساسيا رئيسيا في مستقبله من حيث حياته الروحية والفكرية والعضوية .

وبقدر ما تكون هذه العائلة سليمة التكوين ، قويمة الأركان يكون الطفل صحيحا سليما ، ويشب مواطنا صالحا لنفسه وامته وبلده .

اما اذا نشأ الطفل في عائلة متداعية متفككة وفقيرة لا تتوفر فيها شروط العائلة الصالحة خرج الى الحياة سيىء التكوين تنعدم فيه شروط المواطن المنتج الخير المستقيم ..

والعائلة تكون اقوى أثرا في الأطفال الذين يولدون وفي جبلتهم استعداد للجنوح ، وهنا الخطر كل الخطر .. فاذا لم توفر العائلة للطفل الذي هو من هذا النوع أسباب العناية والتوجيه والعلاج اضحى الطفل مشكلا جانحا قد لا ينفع فيه علاج في المستقبل ويهدد مجتمعه بالخطر العظيم ..

فالعائلة هي المزرعة الاولى التي تنبت فيها بذور الشخصية ..

وان اسس هذ الشخصية تتكون في المنزل في السنوات الخمس الأولى ، خاصة ، والسنوات التي بعدها من سني الطفولة عامة ، بحيث يصعب تقويمها فيما بعد تقويما مرضيا .

الأسرة أبلغ أثرا في الطفل من المدرسة

ولقد ثبت أن المدرسة لا تؤثر في الطفل كما تؤثر فيه الأسرة ، لأن عمل المدرسة الاول هو تزويده بضروب العلم والخبرة والمعرفة . وقام بعض الباحثين بمقارنة أثر كل من العائلة والمدرسة في تكوين الشخصية .. فوجد أن نصيب الأم في التأثير على التكوين الخلقي للطفل يوازي ٦٠ درجة ، ونصيب اقرب صديق الى الطفل ٥٨ درجة ، ونصيب الأب ٤٠ درجة ، بينما وجد أن نصيب المدرس الكشافة - وهو أقرب المدرسين الى التلميذ - يوازي ٢٠ درجة ، ونصيب المدرس العادي ٨ درجات فقط .. مما يدل على أن المدرسة لا تخلق شخصية جديدة ، وانما تبني على الأسس التي وضعها المنزل محاولة تهذيبها واصلاحها .

عوامل في المنزل ثلاثة تؤثر في جنوح الأحداث

ويمكن تلخيص العوامل المنزلية التي تؤثر في جنوح الأحداث بحالات رئيسية ثلاثة هي :

١ - تصدع كيان العائلة .

٢ - فقر العائلة .

٣ - جهل الأبوين ، وعاداتهما السيئة وسوء التوجيه التربوي .

تصدع كيان العائلة

اما من حيث تصدع كيان العائلة :

فنحن نعرف من عالم النبات ان الغراس الصغيرة سرعان ما تذوى اذا لم تتوفر لها عناصر الشمس والهواء والماء والتربة الصالحة .

فما بالنا بالطفل الصغير ، وهو مخلوق يتميز بالعقل والاحساس والانفعال اذا انعدمت في أسرته العناصر الصحيحة لتربيته وتنشئته نشأة صالحة حسنة ؟

لقد أصبح في حكم المؤكد ان الطفل يتأثر في كافة ادوار طفولته وخاصة في السنوات الخمس الأولى - كما ذكرنا - تأثرا بالغا بأسرته يطبع حياته المقبلة كلها ، ويلازمه هذا الاثر طيلة العمر فلا يستطيع عنه فكاكا ، كما تلازمه ذكرى هذه السنوات بحيث يكون لكل فرد من افراد عائلته - وخاصة أبويه - تأثير خاص عميق الجذور في نفسه .

وتأكد الباحثون أن أكثر الاطفال الجانحين الوافدين على دور الاصلاح يأتون دوما من اسر متداعية مفككة انعدمت فيها شروط العائلة الصالحة .

ويلخص هذا التفكك :

١ - بالخصام الدائم بين الابوين .

٢ - بتعدد الزوجات .

٣ - بوفاة أحد الأبوين أو كليهما .

٤ - بوجود زوجة الأب بدل الأم أو زوج للأم بدل الأب .

٥ - بوجود اخوة غير اشقاء .

٦ - بانفصال بين الزوجين مؤقت ، كالهجر ، او دائم كالطلاق .

٧ - بشيخوخة الأب وانعدام سلطته ورقابته على أولاده .

هذا ولقد ثبت لدى أحد العلماء المختصين ، بعد أن قام بدراسة لحالة ٤٠٠ طفل مشرد أن : ١٥٪ منهم كانوا يعيشون في عائلات طبيعية

اما الـ ٨٥٪ ففي عائلات مفككة متداعية ، ذلك لان الاطفال الذين يعيشون في هذه الاجواء العائلية المضطربة يحسون بالحرمان من العناية والعطف والحنان ، فيفقدون شعورهم بالامن والطمأنينة وتنعدم بالتالي ثقتهم بعائلتهم ، فيهربون من هذه الأجواء الى الشارع ويعاشرون رفاق السوء ، وقد ينتهي الأمر بهم الى عصابات الاجرام حيث يصبحون احداثا جانحين .

فقر الأسرة

اما من حيث فقر الأسرة وأثره في جنوح الاحداث ، فلقد دلت الدراسات الاجتماعية على ان عدم كفاية موارد العائلة من أهم أسباب الفساد، ومن اعظم دوافع الجريمة .

كما ثبت أيضا أن الوضع الاقتصادي هو عامل فعال في تكوين الشخصية الانسانية .

ووجد أحد الباحثين ان ٨١٪ من جرائم الفقراء هي السرقات ..

فحاجة الانسان الى الطعام والكساء ، والعلاج، والمسكن ، هي ضرورات ملحة لا تعالج بالقوانين، ولا تداوى بالسجون ، ولا تشفى بالاحسان والصدقات .. !

ان مطالب الفقر والبطالة والجوع والتعرض للبرد ، والوقوع بين براثن العلل والأمراض ، وما ينتج عن هذا كله من قلق ، وغم ، واضطراب بين أفراد الأسرة تترسب آثار ذلك جميعا في نفوس الصغار تشاؤما وآلاما وقلقا ، وسرعان ما يظهر ذلك في افعالهم فتراهم يتمردون على الفضيلة والنظم والقوانين ، ويشعرون بالشك في عدالة السماء ..

ولا ينبغي أن يغرب عن بالنا قط هذه الأكواخ الحقيرة،والبيوت البائسة التي يأوي اليها الفقراء، فهي فضلا عن انعدام الشروط الصحية فيها ، ترى العائلة الكبيرة تعيش في غرفة واحدة حيث ينام افرادها على فرش متلاصقة - ان كانت هناك فرش - مما يجعل غريزة الجنس في الصغار تستيقظ قبل الأوان .

وقد دلت الاحصاءات على أن ٢٨٪ من المجرمين في احدى المدن الأوروبية الكبرى كانوا يعيشون في بيوت تغص بأهلها ..

وفوق هذا، فقد يحدث أن يغيب الاب عن المنزل

فى سفر طويل التماسا للرزق ، أو ينصرف الى عمله بياض النهار كله ، وطرفا من الليل مما يجعل الأولاد محرومين من رقابة الاب المنزلية ..

والأمر يزداد خطورة من دون ريب اذا عملت الأم خارج المنزل ايضا ، فيبقى الأولاد للمقادير تعمل عملها فيهم حيث يتركون للجدات او الخدم أو الشوارع ..

ولا نعنى بذلك أن تنفصل الأم عن العمل والانتاج وهى نصف جسم الأمة ، ولكننا نريد ان تنشأ بيوت للأمهات العاملات يودعن فيها اطفالهن حيث تكفل لهم حسن الرعاية والعناية والتوجيه .

جهل الأبوين

اما العامل الرئيسى الثالث فى جنوح الأحداث فهو :

جهل الأبوين بما فى ذلك سوء التوجيه التربوى، وعادات الأبوين السيئة . اذ لا يخفى على أحد أثر الأبوين فى تنشئة الطفل ، وخاصة أثر الأم فى السنين الاولى من حياته .

وهنا ندرك أهمية الدور الذى يلعبه تعليم المرأة بحيث يمكننا القول الا مصيبة تعادل مصيبة الأبناء اذا ولدوا من أمهات جاهلات ..

لذلك فالتعليم الالزامى للبنات منذ الصغر ضرورة تفرضها سلامة المجتمع وامنه . وكيف نستطيع أن نصنع جيلا قويما من الرجال تنشئهم امهات جاهلات ..

والحقيقة أن جميع العوامل المادية التى تحيط بالطفل ضمن أسرته لا تعادل ـ رغم أثرها ـ التوجيه الخاطىء الذى يتلقاه الطفل فى حداثته ، ذلك لان حاجته لأبوين بصيرين بحسن التربية والتقويم يكفلان تنمية مواهبه وميوله الطبيعية ، الزم له وانفع من أبوين يكفلان له حاجاته المادية جميعا .

كما أن اتفاق الأبوين أو تضارب آرائهما فى منهاج تربية الطفل ومدى تشددهما أو تساهلهما فى الثواب والعقاب له اثر بالغ فى نفسه ايضا .

فالاستمرار فى معاملة الاولاد بالعنف والزجر والضرب والتوبيخ أمر تجدب له نفس الطفل وتجف ، وهذا ناشىء عن شعوره الفطرى بالضعف، واعتماده الغريزى على أبويه .. هذا عدا ما قد ينتج هذا الأسلوب من ردود الفعل عند الصغار فى المستقبل كالمقابلة بالمثل والتعود على القسوة فى معاملة الآخرين .

كما أن معاملة الطفل باللين والميوعة والدلال توازى هذا الاسلوب أثرا وخطرا ..

فالطفل المدلل الذى يترك له الحبل على الغارب يفعل ما يشاء ، وينال من مشتهياته ما يشاء ، وتنفذ له جميع رغباته دون رد واعتدال ينشأ على الأنانية والتواكل . ويجد الدنيا منحصرة فى ذاته ، ويعجز فى المستقبل عن الكفاح ومقارعة الصعاب ، ويضعف فى مقاومة غرائزه وميوله ، ولا يكون قادرا على الانسجام مع المجتمع الذى يعيش فيه ..

وقد لوحظ أن كثيرا من الاحداث الجانحين ، اما قد أنشئوا على الظلم والعنف، واما قد أنشئوا على اللين والدلال ..

وغالبا ما يدلل الطفل اذا كان وحيد أبويه ، او مصابا بعلة ، أو اذا ولد بعد بنات ، أو اذا جاء آخر العنقود .. !

اما عادات الأبوين السيئة : كالكذب والسرقة ، واخلاف الوعد والمشاحنات ، والالفاظ البذيئة ، وتعاطى الدخان والمخدرات ، وسوء معاملة الخدم الى غير ذلك من العادات ، فانها جميعا تنتقل فى الغالب الكثير الى الابناء على طريق التقليد والمحاكاة ، ولا ينبغى أن نطالب بفضيلة لا تكون فى انفسنا ..

وخلاصة القول انما جاء فى قول أحد الباحثين حين وجد أن : منشأ الشذوذ والجريمة هو على الغالب فى البيت الاول ، فالعقل يتغذى بالطعام الذى تقدمه اليه البيئة الاولى ، فاذا عجز عن هضمه اختزنه فى باطنه .

وبعد سنين ، أعنى فى الكبر ، يطفح العقل الباطن بما اختزن من آراء والام يكون قد ابتلعها فى الطفولة فيحاول أن يجترها فتوقعه اذا كظمها فى الجنون ، واذا افرج عنها فى الشذوذ والجريمة .

وما احسن قول من قال : « فى الحقيقة لا يوجد أطفال مشكلون انما المشكلون هم الآباء والكبار » . ■■

ممدوح الجابرى ـ حلب

طبيب الأسرة

احب قشر البيض



● انا احب البيض ، ولي غرام باكل قشر البيض ، فهل من ذلك ضرر ؟ .

ــ لا اجد في مراجع الطب مرجعا واحدا يتحدث عن أكل قشر البيض ، ومع هذا فاني لا اكاد اجد ضررا من اكله .

على شريطة أن تدقيه بأسنانك دقا حتى لا يجرح بلعومك . أما اذا نزل الى المعدة ، فلا شك أن عصارتها ، وهي حامضة ، سوف تذيب القشر ، قشر البيض ، فأكثره كربونات الكلسيوم .

وللناس فيما يحبون ، ويكرهون ، مذاهب .

تشنج في العضلات عند السباحة

● ادخل الماء للسباحة ، فلا البث ان يعتريني تشنج في عضل الرجل ، فما اصنع لذلك ؟ .

ــ لم تقل اي ماء ذلك الذي تسبح فيه ، أهو ماء البحر ام ماء النهر ، وهل هو بارد شديد البرودة او هو ناد للسباحة مدفأ .

كل هذا لازم ذكره ليستعان به في الجواب على هذا السؤال .

على كل حال هذا الذي تشكو منه يتصل بالدورة الدموية . واذن وجب عليك اول كل شيء أن لا تدخل الماء لتسبح فيه ما دمت معرضا لتشنج يأتيك في عضل الرجل .

صديق لي كان له اخت ، يعتريها مثل ما تذكر . وارادت ان تدخل الى البحر لتسبح . وكان لا بد ان يصحبها أخ لها ماهر في السباحة . وحدث أن توغل الاثنان في الماء . ثم صرخت الأخت تستنجد . لقد اعتراها تشنج في الرجل منعها أن تتحرك لتسبح . وبدأت تغطس في الماء ، لولا أن لحق بها اخوها ، وبكل جهد استطاع ان يحملها وهي في الماء الى الشاطىء .

تخطر لي تجربة ، ان تتناول قرصا من العقار الذي اسمه برسكول Priscol وذلك قبل دخولك الماء بعشرين دقيقة ، وانظر ما يكون ، على ان يصطحبك دائما صاحب في السباحة ماهر .

على كل حال سل طبيبك حتى في هذا .

والقول الفصل أنه ، ما دام يعتري رجلك أو رجليك التشنج ، فأولى بك أن لا تدخل الماء للسباحة قط ، في بحر أو نهر ، هذا أضمن للحياة .



هرمونات من أبوال نساء حبليات تهبط بوزن أجسام سمان

● **انا فتاة سمينة ، وفي حاجة الى فقدان كثير من وزني . وقد سمعت عن طريقة عجيبة جديدة لها نتائج سريعة ، وهي تتضمن اعطاء عدد من الحقن غايتها ، كما تقول صديقة لي، امتصاص كثير من سوائل الجسم . ويصحب الحقن نظام في الطعام شديد . فما هي هذه الطريقة ، وهل صحيح انها تؤدي الى نتائج مذهلة ؟ .**

ـ هذه الطريقة التي تصفين ليست بجديدة ، فهي طريقة ابتدعها طبيب طلياني من ١٢ سنة . مؤداها وضع الشخص السمين على طعام قليل ، لا يتجاوز ٥٠٠ سعر في اليوم . ثم هو يعطي حقنات من هرمونات تستخرج من ابوال نساء حبليات .

ولا شك في انها طريقة تهبط بوزن الجسم .

كما لا شك انه لا علاقة بين الهبوط في الوزن الذي يحدث وما يعطى من حقن من هرمونات تستخرج من ابوال نساء حبليات .

دل على هذه الحقيقة الأخيرة ان تجارب اجريت على طائفتين من الناس ، من اهل الوزن الثقيل . الطائفتان اعطيتا نظاما للطعام واحدا لا يزيد مقداره في اليوم عن ٥٠٠ سعر .

اما الطائفة الاولى فاعطيت مع الطعام حقنات من هرمونات ابوال الحبليات . اما الطائفة الثانية فاعطيت مع الطعام ، دون أن تدرى ، حقنات من ماء طاهر ليس فيه شيء .

وكانت النتيجة في الطائفتين واحدة : هبوط سريع في وزن الأبدان جميعا .

واى جسم لا يهبط وزنه على هذه القلة من الطعام .

انه علاج عنيف لا ينصح به الطبيب لعامة الناس ابدا .

بناء ، يريد أن يكون جلد يديه جامدا

● **انا بناء ، عملي بالطبع حمل الطوب بيدى ، ووضعه في مكانه من الحائط ، وجدت من ذلك احمرارا مع آلام في جلد يدى ، واريد جدا اشد صلابة يتفق مع الطوب . فكيف اصنع ، وهذه صناعتي ؟ .**

ـ لا بد انك حديث في البناء . فاليد التي تعودت العمل ، لا سيما في مس الطوب ، لا بد ان تخشوشن مع الزمن . ان الزمن كفيل بأن يجعل جلد يدك صفيقا . ومع هذا فوضع اليدين في محلول من برمنجنات البوتسيوم ، الذى هو بنسبة واحد من البرمنجنات الى ٤٠٠٠ من الماء ، وترك اليدين في هذا المحلول نحو عشر دقائق ، يساعد على صلابة جلد اليدين . فجربه ان شئت وانظر ما يكون ، والنتيجة تهديك .

لقاح شلل الأطفال

● **تناول ابني الجرعة الأولى من لقاح شلل الأطفال ، وبعد ساعات قليلة ، بدأ يستفرغ ويعود الى استفراغ ، نحو يومين . وتناول الجرعة الثانية فاستفرغ مرة واحدة . فكيف وقع هذا ، والمفروض ان هذا اللقاح ليس له اعراض ثانوية ابدا .**

ـ ان لقاح شلل الأطفال الذي يؤخذ بالفم لقاح فيه الفيروس حيّ ، ولكنه مُضعف خرج منه العامل الذي يجعله يصيب الطفل بالشلل .

ولكي يفعل اللقاح ما يراد منه لا بد أن يصل فيروسه الى الامعاء ويستعمر خلاياها الظاهرة ، وبعض ينفذ منها الى الدورة الدموية ليقوم الجسم بصنع المادة المضادة للفيروس ، تلك التي تقوم بعد ذلك بحماية الجسم اذا غزاه مكروب شلل الأطفال الذي ينتقل اليه بالعدوى مباشرة .

ومثل لقاح شلل الأطفال لقاح مرض الجدري ، يتلقح به الجلد ، بعد جرحه ، وبه الفيروس حي ، وقد ينفعل بذلك الجلد فيحمر ويتورم ، والغدد اللمفاوية القريبة قد تتأثر فيزيد حجمها .

وكلقاح الجدرى لقاح شلل الأطفال ، لم لا يجوز على هذا ما جاز على ذلك .

ان كثرة كبرى من اطفال العالم تعاطت لقاح الشلل بالفم ولم تشعر بشيء فيه ، ولكن مما لا شك فيه أن قلة من الأطفال احست باضطراب فى البطن بلغ احيانا حد الاسهال .

وحقيقة اخرى لا بد من ادراكها ، تلك هي اثر العامل النفساني .

لقد اجريت تجارب ، زعم فيها المجربون انهم اعطوا بعض الأصحاء هذا اللقاح ، وما اعطوهم منه شيئا ، فشكوا اعراضا غريبة زعموا انها كانت بسبب اللقاح الذى لم يتناولوه قط .

■■





استطلاع الكويت

شُرْطَةُ النَّجْدَة



٥٠ سيارة و ١٥٠ شرطيا .. انها قوة شرطة النجدة في الكويت . وهذا العدد يسمح لهذه القوة أن تعمل مدة ٢٤ ساعة متواصلة لحفظ الأمن والاجابة على الطلبات المستعجلة ..

■ الشرطة في خدمة الشعب ... شعار لم يكن له وجود في وطننا العربى الكبير الى سنوات قريبة .. فقد كان اسم « الشرطى » أو «عسكرى البوليس » يقترن دائما بالخوف .. الخوف منه، ومن كل ما يمت بصلة اليه ، وكانه ينتمى الى جنس آخر ليس منا !!

كانوا يخوفون به الأطفال اذا بكوا ، أو اذا رفضوا أن يطيعوا والديهم .. كنا نسمع الأم تقول لطفلها: «اذا لم تكف عن البكاء سأسلمك للشرطى!».

كان منظر هذا الجندى الذى يسهر على أرواحنا وممتلكاتنا يثير الرعب والفزع .. ثم مرت السنوات وتطورت النظرة اليه ، كما تطورت شخصيته هو نفسه ! ... لم يعد يعيش في عزلة عن الناس كما كان في الماضي ... لم يعد يقف صامتا جامدا كما كان يفعل من قبل ! واصبح يتحدث مع كل فرد من افراد الشعب .. يختلط بهم .. ويعيش معهم ... ويتفاعل مع مشاكلهم ويعمل على خدمتهم ...

لها في الكويت مفهوم آخر!

مقياس الحضارة

لقد عرف رجل الأمن على الارض منذ زمان بعيد .. نعم كان على مستوى بسيط وغير رسمي .. ومع تطور المجتمع الانساني تطور الشرطي ، حتى أصبح « الأمن العام » هو المقياس الحقيقي الذي تقاس به حضارات الشعوب ... فاهتمت حكومات العالم بجهاز امنها ، وعملت على تحسينه وتقويته ودعمه بكل الوسائل حتى تستطيع تنفيذ قوانينها وحفظ السلام في ربوعها ، وحتى يتهيأ لها الجو المناسب من أجل العمل لرخاء شعبها وتحسين أوضاعه الاجتماعية ..

تطور أساليب الاجرام هو السبب

وتبعا لهذا انقسمت اعمال الشرطة وتنوعت ... فمن شرطة المباحث ، الى قوة شرطة الطوارىء ، الى شرطة المرور ، الى شرطة خفر السواحل ، وشرطة الحدود ، وشرطة السجون ، وشرطة الآداب .. وأخيرا ظهرت « شرطة النجدة » ، او « بوليس النجدة » . ومن هذا الاسم الذى اختير لهذه الفرق الحديثة من رجال الشرطة يمكن ادراك طبيعة المهمة الخطيرة التى تقوم بها كل منها .

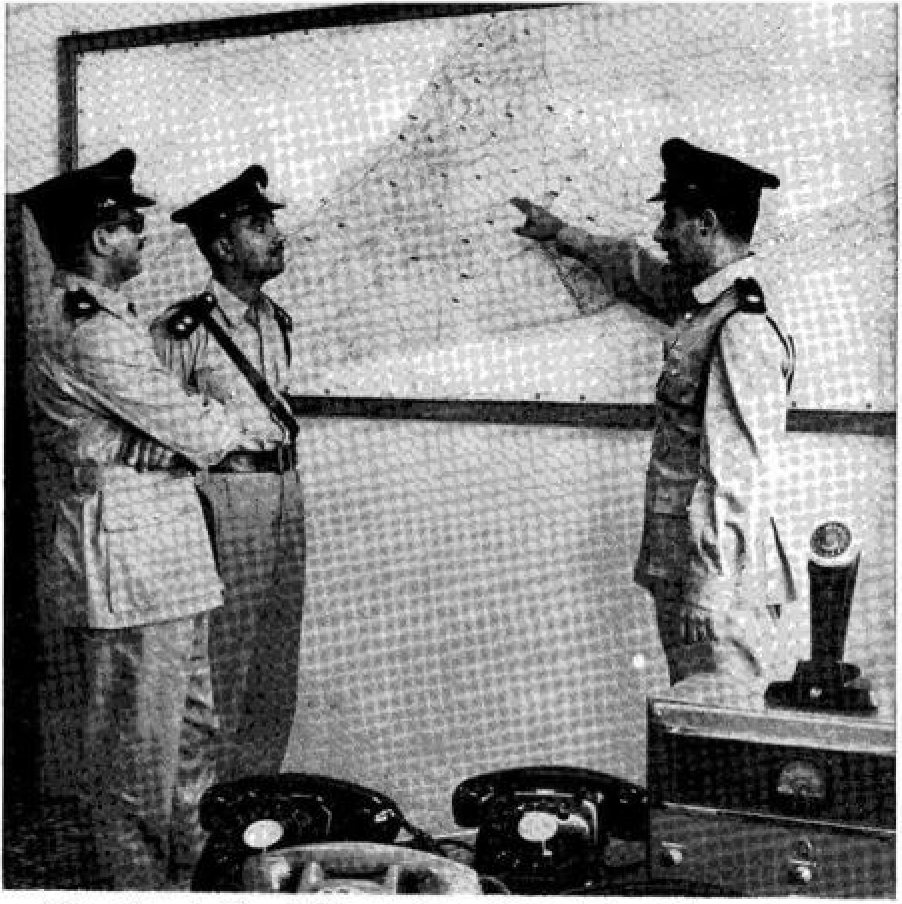
وتطلق الكويت اسم شرطة النجدة على جانب من الشرطة يقوم ، لا بواجبات النجدة التى يطلبها أفراد الشعب في الازمات فقط ، ولكن بأعمال أخرى تتصل بالخفارة وحفظ الأمن عامة ، وذلك بالوسائل السريعة التى هيأتها التكنية في المدنية الحاضرة على ما سنورد تفصيله بعد .

شرطي لكل ٥ آلاف نسمة

والشرطة في الكويت وجدت منذ عام ١٩٣٨ فقط ، أما قبل ذلك ، فكانت البلاد تعيش بدون شرطة حقيقية اللهم الا من قوة مدنية تعرف باسم « الفداوية » كانت تقوم ببعض مهام الشرطة .. ولكن عصر النفط بدأ عام ١٩٣٦ .. ومع رائحته التى بدأت تفوح ، بدأت أفواج المتسللين تتدفق على الكويت مما دفع بالمسئولين الى انشاء اول مركز للشرطة عام ١٩٣٨ ، وكان يضم ٢٠ شرطيا ، بينما كان عدد سكان الكويت في ذلك الوقت يقدر بنحو ١٠٠ الف نسمة ، أي انه كان هناك شرطي واحد لكل ٥ آلاف نسمة !



مكتب النظام : وفيه ملفات بها نسخة من جميع شئون شرطة النجدة ، والتقارير التى ترسل يوميا الى المحافظات وادارة المرور بالمخالفات المسجلة .



في غرفة بمبنى ادارة شرطة النجدة بكيفان وقف مديرها الرئيس الأول عيسى شعيب العالي مع زميله الرئيس الأول فؤاد الصالح مدير شرطة النجدة المساعد وأحد ضباط الغرفة يطالعون على الخريطة موقع احدى الحوادث في المدينة .

نسبة الشرطة الى عدد السكان

ونسبة الشرطة الى عدد السكان تختلف في جميع انحاء العالم ، وذلك تبعا للرخاء والتعليم والتقاليد والحالة الاجتماعية في البلاد .

وترتفع نسبة الشرطة في المدن الكبيرة التي يزيد تعدادها عن ٢٥٠ الف نسمة فتصل الى ٢ر٢ شرطي لكل الف نسمة ، بينما تهبط هذه النسبة الى ٤ر١ شرطي لكل الف نسمة في البلدان التي يقل عدد سكانها عن ١٠ آلاف نسمة .

سيارة نجدة بمائة شرطي

ولكن هذه النسبة اصبحت في الوقت الحاضر لا تعني شيئا بعد انتشار الشرطة في الكويت ، فسيارة واحدة من سيارات شرطة النجدة في الكويت تؤدي نفس الدور الذي كان يحتاج الى مائة شرطي عادي في الماضي القريب .. والسبب ان الشرطي اصبح يتنقل بأسرع السيارات المزودة باحدث اجهزة الاتصال اللاسلكي ، التي خصصت لها موجة خاصة لضمان سهولة اتصال سيارة الدورية بمقر الادارة العامة للشرطة دون مقاطعتها بموجات اي جهاز لاسلكي آخر .

النجدة بكل معانيها

ولكن ما هي واجبات شرطة النجدة في الكويت؟ سؤال يجيب عنه مدير شرطة النجدة، الرئيس

أول عيسي شعيب بقوله : « ان عمل شرطة النجدة في الكويت هو « النجدة » بكل ما تعنى هذه الكلمة من معان ... ان عملنا لم يعد مقتصرا على حماية المواطن والقيام بعمليات الانقاذ، وفض المشاجرات، والتحقيق في حوادث السطو .. بل لقد تطورت اعمال شرطة النجدة حتى أصبحت مهمة انسانية، فنحن نقوم بتلبية طلبات المواطن مهما كان نوعها ... فالنجدة تهتم بكل طلب صغير ، حتى لو لم يكن فيه خطورة على حيـــاة طالب النجدة .. بالاضافة الى التحقيق في حوادث التصادم بين السيارات التى هى من طبيعة وظيفـــة شرطة المرور .. »

ان عمر شرطة النجـــدة في الكويت لم يتجاوز عشر سنوات .. فقد انشأتها وزارة الداخلية عام ١٩٥٧ . ولكن هذه الأعوام القليلة تحمل رصيـــدا من الخبرة والتنظيم يقدر بعشرات السنين .

وتسير شرطة النجدة في الكويت على أحـــدث الأساليب والنظم المتبعة في أنحاء العالم ، وقـــد روعي في تنظيمها البساطة والتسهيل على المواطنين، حتى رقم الهاتف اختاروه بسيطا يمكن حفظـــه بسهولة ، انه : صفر .. صفر .. وزادوا في عدد خطوط الهاتف فجعلوها أربعة خطوط حتى لا تدير القرص وتجد الرقم مشغولا ، وحتى تتمكن الشرطة من تلقى أربعة بلاغات في آن واحد اذا استدعى الأمر ..

١١ ألف كيلو متر يوميا

ان شرطة النجدة تعمل ٢٤ ســـاعة يوميا ، وسياراتها ذات اللونين الأصفر والأسود ، المزودة بالأضواء الكاشفة والاشـــارة الحمراء ، تجوب شوارع المدينة وضواحيها وهى على استعداد دائم لتأدية مهمتها بالليل أو بالنهار . ان عددها ٥٠ سيارة يعمل عليهـــا ١٥٠ شرطيا مدربين أحسن تدريب .. ولكن هذه السيارات لا تنطلق مـــن مقرها الرئيسي بمنطقة كيفان في وقت واحد ، لأن مساحة الكويت وعدد سكانها لا يستدعيان خروج مثل هذا العدد الكبير من السيارات في وقت واحد، ولهذا تنطلق كل ١٥ سيارة مرة واحدة الى مختلف انحاء الكويت ، فتقوم بمراقبة المنطقة الممتدة من الحدود العراقية شـــمالا حتى منطقة الشعيبة جنوبا ..

وتعمل كل دورية مـــدة ثماني ساعات ، تعود بعدها الى مركزها لتنطلق ١٥ سيارة أخرى .. وهكذا ينقسم العمل الى ثلاث نوبات يوميـــا ،

اينما يقع حادث تجد سيارة شرطة النجـــدة هناك .. وهؤلاء بعضهم يسجلون احدى حوادث التصـــادم ويبلغون شرطة المرور بوقوعه لتحضر وتتولى تكملة التحقيق ..



تقل خلالها السيارات تجوب البلاد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا مسجلة اطول رحلات يصل مجموع ما تقطعه خلالها الى ١١ الف كيلو متر يوميا ...

وخلال تنقل سيارات « النجدة » تكون على اتصال مستمر مع مركز قيادتها ، تتلقى منه التعليمات ، وتبلغه عن كل شيء يصادفها .. وهذا يفسر لنا سر وجودها في مكان الحادث فور وقوعه، لأن القيادة عندما تتلقى اشارة بالحادث تبلغه في الحال عبر اللاسلكي الى جميع السيارات التى تجوب منطقة الحادث ..

وتتلقى قيادة شرطة النجدة ما يزيد عن ٣٠ بلاغا يوميا بحوادث ، وفي نفس الوقت تسجل سياراتها مثل هذا العدد من المخالفات في اليوم ..

ومن هذا يتضح لنا ان مهمة شرطة النجدة في الكويت تختلف كلية عن مهمة شرطة النجدة في البلاد العربية، فهى لا تقف في انتظار مكالمة هاتفية تنطلق على اثرها بسرعة الى مكان الحادث ، وانما دائما ساهرة في كل مكان : ترقب وتترقب ..

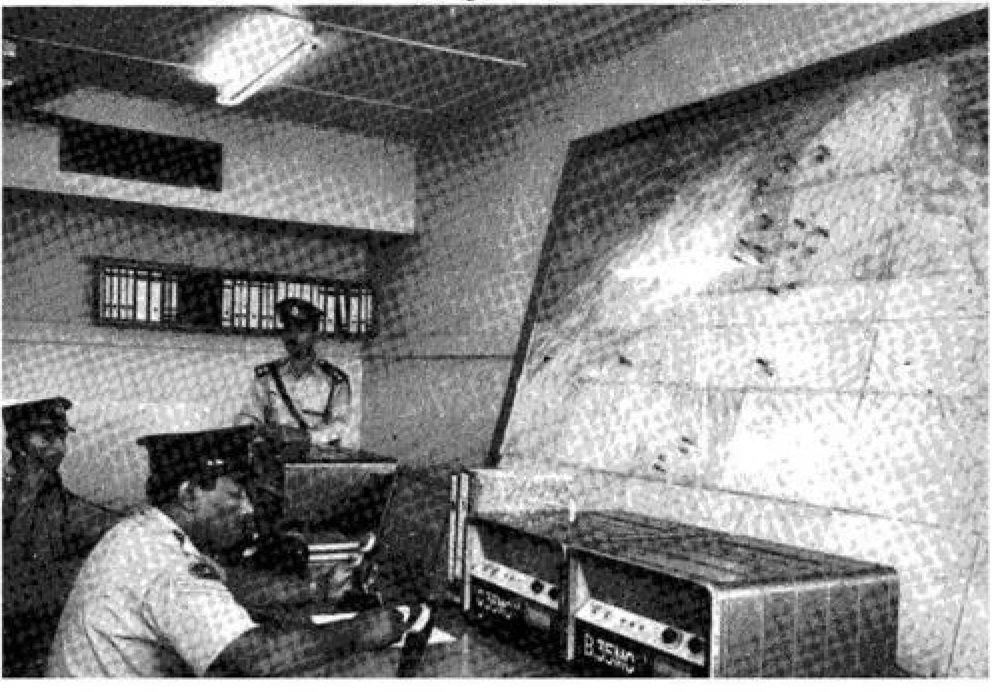
« نجدة .. »

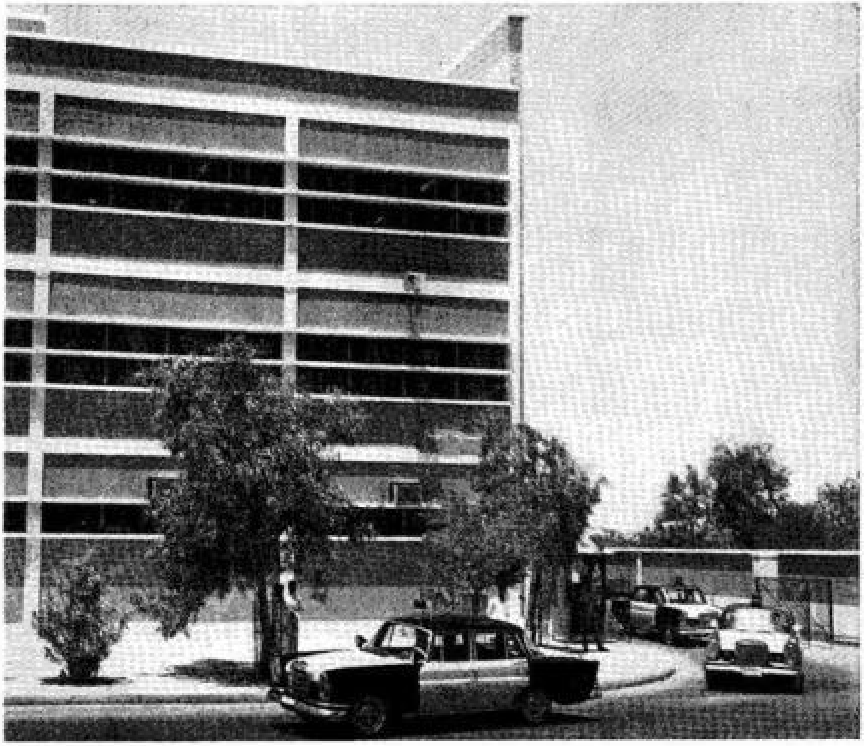
ويقول الرئيس الأول فؤاد الصالح ، مدير شرطة النجدة المساعد :

– « ان التنظيم الدقيق والعمل المستمر لمدة ٢٤ ساعة مع سرعة الحركة والتنقل ، جعل معظم الادارات والوزارات في الكويت تعتمد على خدمات شرطة النجدة ، التى تستجيب دائما لطلباتهم ، فأصبحت تساهم معهم في مكافحة الجرائم والمخالفات بمختلف صورها وأشكالها .. خذ مثلا مخالفات المرور وحوادث الاصطدام وسرقة السيارات ، لقد استطعنا أن نضبط ٤٨٨٣ مخالفة وجريمة سرقة ، من مجموع المخالفات وجرائم السرقة التى سجلت في محاضر ادارة المرور وعددها ٦٥٥٥ حالة ، أى أن شرطة النجدة ضبطت نحو ٧٥في المائة من جنح ومخالفات المرور، ومن هذا يتضح مدى الاعتماد الكبير على شرطة النجدة . »

ويتابع الرئيس الأول فؤاد الصالح كلامه بقوله:

غرفة اللاسلكي : من هذه الغرفة المزودة بثلاثةاجهزة للاسلكي يتم نقل أخبار الحوادث الى سيارات النجدة المنتشرة فيمختلف أنحاء الكويت، فتهرع أقرب سيارة منها الى مكان الحادث





طابور من سيارات « النجدة » يخرج من مبنى ادارة شرطة النجدة في منطقة كيفان،من الضواحى الحديثة لمدينة الكويت .

ـ ..واذا انتقلنا من المرور الى الصحة لوجدنا ان شرطة النجـدة قامت بأكثر مـن ٤٤٠ حالة اسعافات مرضية .. ومن الطريف ان احـدى السيدات الحوامل فشلت مع زوجها في العثور على سيارة أجرة بعد منتصف الليل ، فاتصل زوجها بالنجدة طالبا مساعدته في نقل زوجته الحامل الى المستشفى ، وانطلقت احدى سياراتنا فورا الى بيت الزوجين .. وفي اليوم التالى ابلغنا الزوج أن زوجته وضعت طفلة جميلة أطلقوا عليها اسم: نجدة .. تيمنا بشرطة النجدة التى نقلت الأم الى مستشفى الولادة في الوقت المناسب .. ومن هذا المثل البسيط تجد ان عملنا يشمل الناحيـة الانسانية الى جانب مكافحة الجريمة ..» .

قصص من واقع الحياة

والحديث عن المواقف الانسانية لشرطة النجدة اصبح من الأمور التى تروى في الكويت ، كم من مرة فشـل بعض أفراد الجمهور في العثور على سيارة أجرة تنقلهم بعد منتصف الليل الى المطار البعيد للحاق بالطائرة التى توشك على الاقلاع فلا يجد أمامه الا الاتصال بشرطة النجدة ...

وقصة العجوزين اللذين نفـد الكيروسين من بيتهم عنـد منتصف الليل وتهيبا الخروج مـن المنزل ، فاتصلا بشرطة النجدة التى أحضرت لهما صفيحة كيروسين حتى باب منزلهما ..

وكثيرا ما يضل الأجانب ، وخاصة القادمين من الظهران بالسعودية ، طريقهم .. فيهب جهاز شرطة النجدة لمساعدتهم ..

مكافحة الخمور

ومن بين المهـام التى استجدت على شرطة النجدة عملية مكافحة تهريب الخمور الى الكويت .. ان قانون منع تعاطى الخمور في الكويت شجع المهربين على ادخال بضاعتهم المحرمة الى البلاد



ورشة اصلاح الأجهزة اللاسلكية في مبنى ادارةشرطة النجدة .. وتجرى يوميا اختبارات على أجهزة اللاسلكي للتأكد من صلاحيتها قبل خروج سيارات النجدة .

لبيعها خلسة بأسعار فاحشة.. والطريق الرئيسي لدخول هذه البضاعة الممنوعة هو السيارات القادمة عبر طريق صفوان البرى ، أى من الحدود العراقية ... وقد حدث أخيرا ان جاء أحدهم بسيارته من البصرة، وعند مركز الحدود الكويتية رفض التوقف للتفتيش ، وانطلق بسيارته مسرعا الى داخل الكويت .. وفي الحال اتصلت شرطة الحدود بشرطة النجدة طالبة مساعدتها في القبض على السيارة الهاربة .. وما هى الا دقائق حتى كانت سيارة النجدة في أثر السيارة الهاربة . وقد تم القبض عليها . وبعد تفتيشها اتضح انها تحمل ٧٣ زجاجة ويسكى ، حاول صاحبها الدخول بها خلسة الى البلاد .. واقتيد المهرب مع بضاعته الممنوعة الى المخفر للتحقيق معه ..

ومما يذكر ان شرطة النجدة بمفردها استطاعت تسجيل ١٠٩ حالات تهريب وحيازة خمور . في العام الماضي .

سبعة آلاف جريمة ومخالفة

واذا أردنا أن نسجل جميع أوجه نشاط شرطة النجدة في الكويت لصعب علينا الأمر ، ولكن يكفى ان نعلم انها ضبطت أكثر من سبعة آلاف جريمة ومخالفة في العام الماضي،كان من بينها ٦٨٠ جريمة اخلاقية ، و ٢٧٤ حادث تسلل و ١١٤ سرقة و ٣٧٧ مشاجرة ، وطعن بالسكين و ٥٥ حالة قتل وتهديد بالقتل .

معاونة الجمهور ضرورية

وأكثر ما يضايق شرطة النجدة هو المكالمات والمعاكسات الهاتفية ، التى سرعان ما يكتشف صاحبها ويعاقب .. وكذلك تجمهر الناس حول سيارات الشرطة .. ان تأدية «النجدة» لرسالتها لا يمكن أن تتم على أكمل وجه الا بمعاونة الجمهور لها ومساندته لرجالها ، فعليه ان يبلغ في الحال عن الحوادث التى تصادفه ، وينفذ ما يطلب اليه من تعليمات ، ويقدم المعلومات التى تطلبها الشرطة كاملة .

ان شرطة النجدة في الكويت اصبحت جزءا لا يتجزأ من حياة البلد اليومية .. وقد ألف الناس مشاهدة سياراتها ذات اللونين الأصفر والأسود وهي تجوب الشوارع والطرقات ، واصبح الجمهور يشعر بالاطمئنان ، لان انتشار هذه السيارات يعني أن هناك عيونا ساهرة دائما على أرواحهم وممتلكاتهم .. ■■

السيدة نفيسة

عود على بدء

بقلم : سنية قراءة

■ فى العدد الصادر بتاريخ اغسطس ١٩٦٦ من مجلتنا المحبوبة العربى القراء .. شرفنى السيد احمد شهاب الدين قاضى كالكوت بالهند ..والسيد رضا زين الحسنى بكربلاء بالتعقيب على مقالى الذى نشر بعنوان نفيسة العلم .. خاصا بالسيدة الورعة التقية نفيسة.وارى لزاما على ـ ازاء هذا التشريف الادبى من اشقاء فى الدين واخوة اعزاء فى العقيدة ، وزملاء افاضل فى الغيرة على العلم والادب ـ ان اقوم بهذا التعقيب المتواضع على كل من سيادتهما .

وابدا اولا بمناقشة ما جاء فى الكلمات التى كتبها السيد قاضى كالكوت احمد شهاب الدين عن عدم صحة ما جاء بمقالى من الناحيتين النقلية والذوقية حيث يقول سيادته ما نصه ..

ان ظهور الدولة الطولونية كان فى سنة ٢٥٤ هجرية كما فى تاريخ الاسحاقى وفى عام ٢٥٠ هجرية على ما فى تاريخ القرمانى فى حين ان وفاة السيدة نفيسة كما تقول صاحبة المقال نفسها كان سنة ٢٠٨ هجرية ، ومن هذه التواريخ يكون القول باجتماع السيدة نفيسة واحمد بن طولون وشفاعتها للمصريين قولا غير معقول ولا مقبول .

والسيد القاضى احمد شهاب الدين محق فى اعتراضه لانه انما يحكم بمدى علمه ، والقاضى لا يحكم بعلمه أبدا .. ثم انه بعد هذا يحكم بما اورده الاسحاقى .. والاسحاقى عندى ليس عمدة من عمد التاريخ الاسلامى يؤخذ بما يقول دون مناقشة ، رغم تقديرى له كاحد الناقلين المجتهدين من مؤرخى وكتاب العرب ، وان عمدتى فى الرد على السيد القاضى انه حكم بعلمه رغم معرفته بخطأ التطبيق فى اصدار مثل هذه الاحكام المبنية على العلم الشخصى ..

فالسيد القاضى الأديب احمد شهاب الدين يحكم بعلمه ويفرض الخضوع لهذا الحكم ويكتفى بايراد اسباب احكامه بأن قيام الدولة الطولونية قد كان فى عام ٢٥٤ هجرية على حد قول الاسحاقى ، و ٢٥٠ على حد قول القرمانى .

وفات السيد القاضى الأديب أن هناك فرقا واضحا لا يداخله الشك بين وجود أحمد بن طولون فى مصر كحاكم او وال لها وبينه وبين أحمد بن طولون كمؤسس للدولة الطولونية .

ان الدولة الطولونية كما قد يعلم السيد القاضى الأديب قد اعلن قيامها فعلا بعد عام ٢٥٦ الهجرى بسنوات ، وعام ٢٥٦ هو عام افتتاح المسجد الطولونى الجامع للصلاة حيث قام خطيب المسجد الجامع ابو يعقوب البلخى بالدعاء على المنبر للخليفة المتضد العباسى امير المؤمنين وولده بالعز والبقاء ودوام السلطان ونسى حتى مجرد الدعاء للامير أحمد بن طولون .. مما اغضبه وجعله يأمر بعض غلمانه أن يلهب بالسوط جسد الخطيب لانه تجاهل وجوده .

والدعاء هنا يقطع بتبعية الوالى أحمد بن

طولون للدولة العباسية والتبعية ينتفي معها اعلان قيام دولة الطولونيين واستقلال أحمد بن طولون بالحكم ..

كان هذا في عام ٢٥٦ هجرية ـ عام افتتاح المسجد الجامع الأمر الذى يقطع بعدم تفرد ابن طولون بالحكم وهذا يجعلني اسال السيد القاضي الاديب أن يتكرم معي بالعودة الى ما قبل هذا التاريخ بعشرات السنين اى الى يوم جاء احمد ابن طولون الشاب ابن الاثنتين وثلاثين سنة الى مصر ..

لقد جاء ابن طولون الى مصر نائبا عن واليها الامير بايكباك .. « بقبق » زوج امه الذى تركه في هذه الولاية عشر سنوات طوال كان فيها نائبه وصاحب التصرف في الأمور .. ثم قتل الأمير بايكباك هذا وعين الخليفة العباسي اميرا آخر من مماليكه على ولاية مصر هو الامير برقوق .. وهذا ايضا ترك احمد في مصر يحكم باسمه ونائبا عنه اكثر من عشر سنوات أخرى دون ان يكون لأحمد صفة أكثر من صفة النيابة عن حاكم اصيل اذا زالت معه صفة نائبه ..

ثم خلع الأمير برقوق عن الولاية .. وولى الخليفة شقيقه المقتدر حكم مصر وهو شاب ماجن عابث مبذر استطاع احمد ان يغريه بالمال فاقره على النيابة عنه في مصر .. وقد تكون هذه الفترة الاخيرة هي فترة العمل لجمع السلطة الزمنية كلها في يد ابن طولون ليستطيع بعد ذلك أن يثب وثبته الكبرى وينفرد بالحكم ويعلن قيام ملك الطولونيين .

وتأتي بعد هذا المراحل الثلاثة من وجود ابن طولون في مصر مرحلة الوثب والجراة والتحدى يوم قام النزاع بينه وبين سيده الموفق العباسي وقد عجز احمد عن تلبية مطالبه ، ولم يمده بالمال الذى كان يريد فاقسم على طرده من مصر وتحدى كل منهما الآخر الى حد اجتراء احمد على تعبئة جيش لجب خرج به ليلقى جيوش الخليفة العباسي ، ووصل يومها الى الشام وادخله تحت حكمه وانتظر جيوش العباسيين طويلا فلم يظهر لها في الافق اثر !

هنا فقط نستطيع أن نقول انه مع هذه الاحداث اعلن رسميا قيام دولة الطولونيين اى بعد ما ينوف على الاربعين عاما على قدوم احمد الى مصر في اول الأمر .

واذا حددنا وهو الثابت تاريخيا افتتاح المسجد الطولونى الجامع بعام ٢٥٦ هجرية ومشينا مع الاحداث وقلنا ان الوثبة نحو الاستقلال كانت بعد ذلك بحوالى عشر سنوات أو أقل لاستطعنا ان نقول ان احمد بن طولون جاء الى مصر نائبا عن واليها بايكباك حوالى عام ٢٠٠ هجرية أو ٢٠٥ ، وهو عام سابق لوفاة السيدة نفيسة ، وأظن انه من السهل الهين ان تعترض طريقه وان تلقاه وان ترفع اليه ظلامة المصريين من حكمه وهو يومها نائب الحاكم الذى لا صفة رسمية له !!

اذا فالأسباب التي بنى عليها السيد القاضي الاديب احمد شهاب الدين حكمه ليست دليلا قويا على صحة ما جاء في هذا الحكم الذى بناه على علمه وما علمه اياه الاسحاقى والقرماني مما يوجب ضرورة نقض هذه الأسباب نقضا صريحا ، فعلم السيد القاضي لا يلزمني بالخضوع له ، لان الاسحاقي والقرماني ليسا من عمد التاريخ المعتمدين الى حد بعيد ، لان التاريخ الثابت يقرر صحة ما فسرته وتقلته بان لقاء السيدة نفيسة واحمد بن طولون تم فعلا وقبل قيام الدولة الطولونية بحوالى نصف قرن وأحمد يومها شاب أسكره السلطان وراح يعمل على ابعاد خصومه ومعارضيه وأولهم ابن المدبر وذلك بمساعدة كاتبه أحمد الواسطى .

تلك فترة لم يهتم ابن طولون فيها بجمع المصريين على حبه لانه كان يجمع السلطة ويجمع الجاه فقط ، ولا بد ان المصريين ضجوا من جوره وارادوا ايقافه عند حده فهرعوا الى السيدة نفيسة حفيدة الامام الحسن المجتبى بن على بن أبي طالب من زوجته الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وسلم لتشفع لهم .

لقد ظلم ابن طولون فعلا .. وكان قاسيا رهيبا والتاريخ نفسه يقرر ذلك الى حد انه لما فتح مسجده الجامع رسميا للصلاة لم يدخله عامة المصريين وقاطعوه وقالوا ان صاحبه احمد بناه من دم الشعب ومن سرقة ايرادات الدولة والاستيلاء على شتى مواردها .. فاستنبط أكذوبة

جريئة وادعى انه عثر على كنز بالصحراء بنى المسجد الجامع من الذهب الذى وجده فيه .

★ ★ ★

هذا هو ردى على الشق الأول من تعقيب السيد القاضى الأديب احمد شهاب الدين قاضى كالكوت بالهند .

اما الشطر الثانى وهو قوله :

« ان السيدة نفيسة لم تكن من أوباش الناس حتى يتوهم غبى غافل فضلا عن عاقل فطن انها تذهب الى احمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره ليمر بها .. »

وليسمح لى السيد القاضي العادل ان اقف طويلا وكلى أسف امام قوله المهذب :

« حتى يتوهم غبى غافل الخ » لاهمس فى اذنه انه خرج على تقاليد النقد الحر وجانبه وهو - الرجل الحصيف الفطن - ونزل بعبارته هذه الى مصاف فئة يعف قلمى عن وصفها او ذكرها حتى أصبح غير أهل للدخول فى ميدان الجدل الأدبى والعلمى الذى يجب أن يتسم بالاخاء والمودة والموضوعية البعيدة عن اللغو والمهاترة والسباب .

لست غبية ولا جاهلة يا سيدى القاضى المحايد النزيه العف اللسان .. بل مجتهدة تعمل ما وسعها علمها لنشر الثقافة والادب الاسلامى دون أن أجسر فاقول انى واحدة الميدان او عمدة التاريخ ..

لقد نقلت الخبر عن مصادره .. ومصادره محترمة جدا ومعترف بها ، ومصادر ناقل الخبر قبلى فى « اعلام النساء » هى كما أوردها :

« ابن خلكان - شذرات الذهب لابن العماد - مرآة الجنان لليافعى - الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام للنابلسى - مخطوط - لواقح الانوار للشعرانى - مخطوط - تحفة الأحباب للسخاوى - حسن المحاضرة للسيوطى - عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى - مخطوط - الكواكب السيارة لابن الزيات - خطط المقريزى وغير هذا وهذا كثير .

ثم ليسمح لى السيد القاضى الأديب احمد شهاب الدين ان اساله فى تواضع وخضوع شديدين .. هل أوباش الناس هم من يقفون فى طريق الحاكم ليقدموا ظلاماتهم له !!

وماذا كان يتصور سيادة القاضى ؟! هل يتصور ان ترسل نفيسة العلم الى ابن طولون فياتيها خاضعا وهو الحاكم الشاب المعتز بجاهه وسلطانه؟!

لحظة واناة يا سيدى القاضي وانى اضع امام عدالتك السمحاء قصة اخرى ارجو ألا تصدر فيها حكمك الا بعد مراجعة واستناد الى آراء .

« يوم جاءت الامصار الى مدينة رسول الله ايام حكم عثمان بن عفان وتجمعت فى صحن المسجد لتسمعه اصواتها ، واسرعت هذه الجموع الى حبيبة رسول الله الصديقة بنت الصديق ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها تسالها أن تقف فى صفها وتعمل على ان تصل اصوات الناس الى عثمان ..

ماذا فعلت عائشة ذات المكانة العالية وام المؤمنين جميعا وفيهم عثمان بن عفان .. ماذا فعلت .. هل طلبت عثمان لياتيها أو هل ذهبت لمقابلته فى ديوانه .. ؟!

لقد وقفت عائشة رضى الله عنها مع ابنائها .. واقامت لها خيمة وسط جموعهم واعترضت عثمان وناقشته وحكمت بخروجه على سنة رسول الله وقال بعض الرواة انها قالت للمسلمين الغاضبين المتجمعين يومها . اقتلوا نعثلا فقد كفر .. وذلك بعد ان اخرجت له نعال رسول الله من خيمتها وقالت له «خرجت على سنة صاحب هذا النعل» !!

يا سيدى القاضى العادل .. هل تجاسر كاتب او مؤرخ او احد رواة السيرة على القول بان ام المؤمنين عائشة لجات الى اسلوب السوقة او ان من أوردوا هذه الواقعة فى كتبهم وتواريخهم كانوا من الاغبياء الغافلين ..

يا سيدى القاضى الاديب رفقا .. رفقا فى حكمك فالقضاء درجات وهناك معارضة فى الحكم الغيابى ثم استئناف ثم نقض وابرام .. وانى اعتذر لك مقدما لانى لم اخضع للحكم المبنى على علمكم المجرد ، ولجات الى نقضه بسلاح المنطق التاريخى وهو اقوى بكثير من صاحبك وعمدتك ابن اسحاق ، والقرمانى ..

وبناء عليه .. يكون ما أوردته انا الكاتبة

المتواضعة الباحثة دائما عن الحقيقة في مقالي عن نفيسة العلم خاصا بلقائها مع أحمد بن طولون صحيحا غير قابل للطعن بأي وجه من الوجوه ..

وشكرا ومعذرة لك وتحية من كاتبة ليست غافلة ولم تكن غبية أبدا في يوم من الأيام ولها في المكتبة النسائية العالية عشرات الكتب عن أعلام ومشاهير المسلمات ابتداء من « نساء محمد » الى « شجرة الدر » وما زالت تبحث وتنقب وتجتهد لتلقي الأضواء على ماضينا الباهر المجيد ... ليكون مشعلا وضيئا .. ومنارة هادية .. وزادا على الطريق ..

★ ★ ★

واسارع بعد هذا .. وبعد ردي على السيد القاضي الأديب احمد شهاب الدين - لاناقش وبنفس الثقة الاديب العراقي الفاضل رضا زين الحسني رأيه الذي يقول فيه اني ذكرت ..

(ان السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وهي حفيدة الامام الحسن السبط ، وهي ابنة الامام الحسن الأنور ابن الامام زيد الابلج ، وان السيدة المذكورة كان قد خطبها ابن عمها اسحق بن الامام جعفر الصادق.وما جاءت به الاخت سنية غير صحيح).

والصحيح هو :

أولا : ان السيدة نفيسة هي ابنة زيد بن الحسن المجتبى بن الامام علي بن ابي طالب .. الخ ، وان الحسن الأنور هو اخوها وليس اباها.

واني اذ اشكر للاخ العراقي رقته ومنحي شرف اخوته الاسلامية احب ان أهمس في أذنه اني لم اخرج في شيء عما قال من ان السيدة نفيسة هي حفيدة الامام الحسن المجتبى بن علي بن ابي طالب، وان أباها كان الحسن الأنور ، وذلك كما أورده عشرات الرواة والمؤرخين وأرجو ان يتكرم بالعودة الى مراجعي التي ذكرتها في ردي على السيد القاضي الأديب أحمد شهاب الدين وهي تؤكد صحة ما ذهبت اليه ، وانني يشرفني اني نقلت عنها هذه الأسماء التي يعارضها السيد الأخ ..

واسرع بعد هذا حيث يقول الاخ العراقي ان زوج السيدة نفيسة هو الوليد بن عبد الملك بن مروان .. الخ .

وهنا اقف لاعجب وانا في غمرة الدهشة لاقول للسيد الاديب العراقي :

هل قرات يا سيدي الناقد الأديب صدر مقالي عن نفيسة حتى تنقد ما بعد البداية بكثير ..

هل كلفت نفسك وشرفتني بقراءة المقدمة التي اقول فيها :

« كان ميزان دولة بني امية قد بدأ يميل نحو الزوال او كان قد مال فعلا ، اذ اسرعت شمسهم الآفلة تجمع بقايا خيوط أشعتها الباهتة لتغرب من الوجود لا لتفسح الطريق لمقدم ليل وظلام بل لتتوارى امام ومضات اشراقة دولة بني العباس».

وهذا يعني ولا شك أن (نفيسة العلم) قد ولدت ودولة الأمويين تغرب من الوجود السياسي، اي ان نفيسة لم تحضر حتى نهاية هذه الدولة ، وبالتالي لا تكون لها اية علاقة بأحد من رجالتها وان الزواج والتفكير فيه لا يتم ولا يمكن أن يتم واحد العروسين لم يولد بعد !!

واذا عرف الأديب العراقي بعد هذا ان نفيسة قد ولدت في عهد مروان الحمار أو قبله بقليل ، فانه من الصعب ان تتصور انها تزوجت الوليد ابن عبد الملك صاحب أنضر عهد أموي !!

لا يا سيدي والف لا .. واظن أن الكثيرين قد ردوا عليك في هذا او .. لو حدث وكلفت نفسك قراءة مقالي قبل نقده وتجريح معلوماتي المتواضعة التي اوردتها فيه ما اوقعت نفسك في هذا الفخ ، وما وقفت في هذا الموقف الذي اشفق عليك منه ، ولا اجد امام هذا الا أن أهمس في اذنك بان عليك أن تراجع معلوماتك ومصادرك وان تسال وتتقصى قبل أن تتصدى للرد .. حتى لا تشغل القراء بما لايجدي ، في عصر تطالبنا فيه الحياة بان نكون جادين متثبتين ..

ثم اسمح لي بعد هذا أن استمر في مناقشتي الهينة لا على ضوء التاريخ وسنواته فهذا شيء ثبت لك ولا جدال انك تسرعت باقحام نفسك فيه ـ ولكني ساناقشك على ضوء العرف والتقاليد

واسمح لى ثانية ان اسالك « ايها الاخ المؤرخ المنصف .. هل تتصور وانت صاحب العقلية الادبية المستنيرة أن تتزوج حفيدة على بن أبى طالب والزهراء فاطمة البتول من اموى مروانى كانت سياسة دولته قائمة على لعن جدها الاكبر على بن ابى طالب من فوق المنابر ؟

هل تستطيع أن تتصور هذا أيها الاخ المنصف وانت « حسنى » واخالك من السادة الاشراف الحسنية .

هل ترضاه لجدتك حفيدة على بن ابى طالب وحفيدة رسول الله !!

فكر بعقلك .. واحرق المصدر الذى بين يديك ان كان قد ذكر هذا فعلا فنفيسة وشريفات البيت النبوى لم تهبط واحدة منهن الى حد مصاهرة اموى مروانى ابدا ..

ابدا يا اخى اديب العراق !! هذا فضلا عن ان نفيسة لم تلحق العصر الاموى وربما ولدت مع مغيب شمسه وبينها وبين الوليد بن عبد الملك عشرات السنين . .

ثم تعال بعد هذا الى قولك فى كلمتك لتضمنها بند :

ثالثا : ان اسحق بن الامام جعفر الصادق لم يكن ابن عم السيدة نفيسة بل هو أحد أحفاد عم أبيها .. الخ .

وهنا ليسمح لى أن اهمس فى اذنه معاتبة وهو الذى شرفنى باخوته واقول له : ان القول بالاخاء والعمومة والخؤولة بيننا معاشر العرب المسلمين قول تقليدى ماخوذ به ومتوارث .. فانت اخى .. وابن عمى وابن خالى انت وغيرك من أبناء هذا الشرق العربى .. وهذا أيسر وأبسط من أن اقول انك من أقرباء أقربائى وانك حفيد قوم كانوا ابناء عمومة او خؤولة جدى الاكبر فلان ..

ان الدوحة المحمدية تجمع نفيسة واسحق فى شجرة واحدة فهى بحكم الوضع والقرابة والصلة برسول الله ابنة عم اسحق .. ولست اجسر بعد هذا ان اقول انها أخته لأن الاخ محرم على أخته ولا يجسر على التقدم لخطوبتها .

ثم تعال يا اخى .. كيف تجرد والد نفيسة من لقب الامام وتجرد أخاها أيضا .. ومن قال بهذا .. بل من أعطى لقب الامامة لغيرهم من آل بيت رسول الله غيرى انا وانت وجميع المسلمين الذين يكنون الاحترام والتقدير لأهل البيت ويطلق عليهم السادة الاشراف تعظيما لصلتهم بسيدنا الرسول .

ثم .. ما وجه العدوان على التاريخ لو قلت ان والد نفيسة كان اماما فعلا وهو فعلا امام للناس بتدينه وتمسكه بأهداب الشريعة وسنة سيدنا رسول الله ..

ثم تعال هنا مرة أخرى .. انك تقول ان الامامة انحصرت بعد على فى ولديه الحسن والحسين .. ووالد نفيسة ابن الحسن المجتبى..افلا يكون من واجب التعظيم لأبيه أن نطلق عليه الامام ولو للتمييز ..

ومرة اخرى اقول لك ان الائمة ليسوا عشرة بل هم الائمة الاثنا عشر ويبدءون بالامام على المرتضى ابن أبى طالب ومن بعده الحسن المجتبى ثم الحسين الشهيد ثم على السجاد زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق يتلوه موسى الكاظم ثم على الرضى ومحمد التقى وعلى التقى ثم الحسن العسكرى الزكى وأخيرا محمد المهدى الذى اختفى والذى قيل انه سيظهر فى آخر الزمان معلنا قيام الساعة فيملأ الارض عدلا ونورا ..

اولئك هم الائمة الاثنا عشرية وهم اثنا عشر اماما لا عشرة ولن يضير التاريخ ابدا أن ينتحل ابناؤهم ولو على سبيل المباهاة لقب الامام،فالامام هو القدوة الصالحة فى الدنيا والدين واظن أن أهل بيت رسول الله المتقدمين كانوا قدوة حسنة للناس ..

وشكرا للقاضى الاديب الهندى وللأخ الأديب العراقى .. وشكرا لمجلتنا العربى القراء جامعة أدباء المسلمين حول راية البحث عن الحقيقة والمعرفة . ■■

سنية قراعة

أنت تسأل .. ونحن نجيب

حديث خرافة يا أم عمرو ..!

قبة من الذهب ذات أربعة أبواب ينحدر منها النيل والفرات وسيحان وجيحان !

● قرأت في كتاب اسمه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) قول الامام الليث بن سعد رضي الله عنه ان رجلا يسمى حامد بن أبى سالم وهومن ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام دخل « مصر » فلما رأى نيلها تعجب منه وحلف على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل حتى يصل الى منتهاه ويعرف من أين يخرج أوظل سائرا مدة ثلاثين سنة ، واذا به قد وصل الى جبل يسمى « جبل القمر » حيث رأى رجلا يصلى تحت شجرة فسلم عليه وسأله عن اسمه . فأجابه : « أنا أبو العباس الخضر .. ما سبب مجيئك » ؟ فأجاب حامد : « جئت في طلب معرفة النيل » .. فأرشده الخضر الى طريق انتهت به الى قبة من الذهب ولها أربعة أبواب ، ينحدر من كل باب نهر يجرى الى جهة من الأرض ، وهى ماتسمى بالأنهر الاربعة : سيحان ، جيحان ، الفرات ، النيل . فأراد أن يمضي الى ما وراء تلك القبة فأتاه ملك وقال له « قف مكانك يا حامد ! لقد انتهى لديك علم النيل وما وراء ذلك الا الجنة » ، فقال حامد « أريد أن أنظر الى الجنة » فقال له الملك « انك لن تستطيع دخولها اليوم » ، فجلس حامد على شاطىء النيل وشرب منه فاذا هو أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج .

وقيل ان ذلك الملك اتى حامدا بعنقود من عنب الجنة وهو على ثلاثة أنواع : الأول كالزبرجد ، والثانى كالياقوت ، والثالث كاللؤلؤ ، وقال له « هذا من خضر الجنة وليس من طيب عنبها » .. ثم ان حامدا رجع من هناك الى شاطىء البحر . ويقال انه لم يأكل من أكل الدنيا لانه أكل من ذلك العنب ومات بعد ذلك بمدة يسيرة

والمطلوب ان تفيدونا بالصحيح ان كان هذا خطأ أو صوابا ؟ وهل يوجد عليه دليل أو نص من الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم .

الجنوب العربى حضرموت — زين م.ك

ـ ثابت من كتب الجغرافيا ان نهر النيل يخرج من بحيرة فيكتوريا في منطقة خط الاستواء والبحيرات المجاورة لها في اواسط افريقيا .

وان نهر الفرات ينبع من ارمينيا ويخترق جبال طورس الى سوريا والعراق .

وان نهر سيحان ينبع بالقرب من قيصرية في جنوبى شرقى آسيا الصغرى ، بينما جيحان ينبع في بلاد البستان في سهول قيليقية ويصب في البحر الأبيض المتوسط .

ولم يقل أحد ان الجنة تقع ما بين خط الاستواء وآسيا الصغرى .. ولم يقل لنا السيد حامد ابن أبى سالم ، ولا الامام الليث الذى يروى عنه هذه القصة : أين تقع تلك القبة الذهبية ذات الأبواب الاربعة ، ينحدر من كل باب منها أحد هذه الأنهار الاربعة !

ثم من الذى قال انه ليس وراء النيل الا الجنة؟ وكلنا نعرف ان وراء النيل جبال كليمنجارو واقليم الكونغو وكينيا وتنجانيقا وغيرها من اقاليم افريقيا ؟!

وأخيرا من قال ان الجنة في الأرض ؟ واذا كانت كذلك فكيف "اهبط" آدم الى الأرض عندما عاقبه الله بطرده من الجنة هو وحواء ؟!!



يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير



التاريخ شيء .. والقصص شيء آخر :

سلسلة روايات جرجي زيدان ليست مرجعاً في تاريخ الاسلام !

● قرات قصة عذراء قريش . من سلسلةروايات تاريخ الاسلام لجرجي زيدان مؤسس « الهلال » فاذا هي تتحدث عن اكبر الفتن التيحدثت في صدر الاسلام في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ولكنى لاحظت أن بطلة القصةمجهولةالنسب فاسمها « اسماء » واسم أمها « مريم » وهي من سبايا مصر ، اما زوج امها الذى كانتتدعوه والدها فلم يكن والدها الحقيقى ، ويقول المؤلف ان أمها اسرّت الى القس مرقس صاحبكنيسة مارى يوحنا في دمشق آنذاك باسم والد الفتاة وبأنه أحد الصحابة المسلمين الكبار في يثرب ، ولما علمت عذراء قريش بأن سر نسبها عند القس مرقس ذهبت الى دمشق للاستطلاع عناسم والدها الحقيقى فقيللها بأنالقس ذهب الى بيت المقدس ، وفي بيت المقدس قيل لها : هو فيرحلة الى انطاكية وهناك أدركت جنازته وضاع سر نسبها معه .. » وقرات القصة الى آخرها فماوجدت ما يهدى الى اسم والدها الحقيقى ، فهل تتكرم العربى بالافصاحعن اسم والد الفتاة ان كانالتاريخ قد خلده او ذكره ؟

اريحا/ محمود فيصل نائب

ـ احب ان تعرف أولا ان « سلسلة روايات تاريخ الاسلام » ، وان كانت تتضمن او تقوم على بعض الحوادث التاريخية المعروفة ، الا انها لا تعتبر مرجعا تاريخيا يوثق به أو يعتمد عليه ، لان مؤلفها لم يكن في هذه القصص حريصا على تحرى الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقا ، ثم نثرها هنا وهناك ، فكان ينسج من خياله عشرات الصفحات حول حادث لا يتطلب سرده غير بضعة اسطر ، وقد يكون هو نفسه من نسج الخيال !

وقد تعقب بعض الكتاب العرب والمسلمين اكثر هذه الروايات وطعنوا فيما اورده فيها من اشياء اعتبرها بعضهم افتراء على التاريخ والاسلام .

ومهما يكن من الامر فان كثيرا من الأسماء التى وردت في هذه الروايات اسماء خيالية اقتضتها الصنعة القصصية ، أو هى اسماء اشخاص مجهولين من غير ذوى الشخصيات التاريخية التى كان لها وجود حقيقى في حوادث تلك الروايات .

وكانت « دار الهلال » قبل تاميمها قد أعادت طبع معظم هذه الروايات بعد أن عهدت الى بعض أساتذة التاريخ الاسلامى بالجامعات المصرية بأمر تهذيبها وتنقيتها مما كان يؤخذ عليها، كما اصدرت احدى دور النشر في بيروت اخيرا طبعة جديدة فاخرة ومنقحة لبعض هذه الروايات .

البحتري وصالح بن عبد القدوس ربما كان خطأ مطبعيا

● قرأت في كتاب « جواهر الأدب » للسيد احمد الهاشمي ان الشاعر صالح بن عبد القدوس توفي عام ٨٥٥ هـ (المرجع جـ ٢ ص ٤٢٧ ط ١٩)، بينما لاحظت وأنا اطالع « ديوان الحماسة » للبحترى ، انه أكثر الرواية عن صالح بن عبد القدوس ، في حين ان البحترى توفي عام ٢٨٤ هـ!

فمن هو صالح بن عبد القدوس اولا ؟ وهل هناك من يحمل هذا الاسم غير صاحبنا الذى روى عنه البحترى ؟ واذا لم يكن ، فكيف ينقل عنه البحترى الذى توفي حسب تلك الرواية قبل صالح بمئات السنين ؟

القصيم ـ السعودية
محمد عبد الله بن صالح

ـ صالح بن عبد القدوس الذى روى له البحترى في ديوان الحماسة ما روى ، شاعر بغدادي ، صلبه المهدى لزندقته ، اذ كان من القائلين بمذهب « الثنوية » الخير والشر الذى كان شائعا يومئذ في فارس ، وتنسب اليه القصيدة الزينبية التى مطلعها :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب
والدهر فيه تصرم وتقلب

وكذاك وصل الغانيات فانه
آل ببلقعة وبرق خلب

فدع الصبا فلقد عداك زمانه
وازهد فعمرك مر منه الأطيب

والمهدى الذى صلب صالح بن عبد القدوس هو ثالث خلفاء بنى العباس ، وأبو هرون الرشيد ، توفي عام ٧٨٥ م ، ولا بد ان يكون صَلْبُ صالح ابن عبد القدوس قبل ذلك التاريخ ، بينما توفي البحترى عام ٨٩٧م ، فلا غرابة في أن يروى عن ابن عبد القدوس في ديوانه الذى اسماه « ديوان الحماسة » على مثال ما صنع استاذه «ابو تمام».

واما ما هو خلاف ذلك فراجع أغلب الظن الى خطأ مطبعى في التواريخ .

عرائس البحر ، وحوريات الماء

● كثيرا ما نسمع عن « عرائس البحر » أو « حوريات الماء » ، تلك المخلوقات التى تجمع بين السمك والانسان ، اذ يقال أن نصفها الاعلى آدمي ، والنصف الاسفل نصف سمكة ، فهل لهذه المخلوقات وجود ؟ أم انها من مبتكرات الخيال ؟ واذا كانت موجودة ، فأين توجد ، وفي أى البحار ؟

عبد العزيز هرساني
كلية التربية/مكة

ـ ان كل ما يقال عن وجود عرائس البحر أو حوريات الماء ، على الصورة التى نسمعها ، أى

فرعون موسى وزوجته .. وأمه وعصاه !

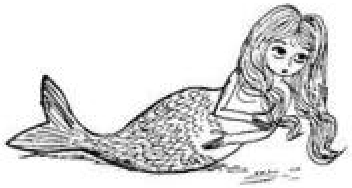
● وبعد فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين » . « آية ١١ من سورة التحريم»

فمن هي يا ترى امرأة فرعون هذه ، وأى فرعون من الفراعين يكون ، أهي آسيا كما ورد ذكرها في بعض الروايات ؟ وهل صحيح ما تقوله هذه الروايات من أن « منفتاح » أو « مرنبتاح » الأول، كان يعذب آسيا ، كما جاء في بعض كتب المفسرين من أنها كانت تعذب بوضعها تحت أشعة الشمس المحرقة والرحى الثقيلة جاثمة على صدرها .. ؟!

وأخيرا ما هو اسم أم سيدنا موسى ، واسم زوجته ؟

وهل صحيح ان عصا موسى كانت من شجر الجنة وقد حملها آدم معه يوم هبط منها ؟!

على محمد الشاذلى
مجلس الأمة : القاهرة



لَيسَتْ بَشَراً ، وَلاَجِنّاً !؟

ان النصف الاعلى نصف امراة ، والنصف الاسفل نصف سمكة ، هراء لا يصدقه العقل ولا يقوم عليه اى دليل . وكيف يعقل ان تعيش انسانة نصفها سمكة ؟ كيف تتنفس تحت الماء ؟ وماذا تاكل ؟ الى آخر تلك الاسئلة التى لا نجد لها جوابا معقولا .

كل ما يمكن أن نقوله ، هو أن في البحر حيوانات عجيبة يخيل لمن يراها ان نصفها آدمي ونصفها الآخر سمكي .. في حين انه لو امكن العثور على « انسانة » من هذا النوع لتبين انها ليست الا حيوانا بحريا ، قد تختلف هيئته وحجمه عن هيئة الاسماك ، ولكنه ليس انسانا على كل حال .

ولعل اقرب مثل الى الذاكرة ، ذلك الحيوان البحرى الذى صِيدَ اخيرا في البحرين ، وشُحِنَ الى المتحف البريطاني ، وهو يزن نحو مائتي كيلو ، فراحت بعض الصحف تقول عنه انه احدى حوريات البحر ، وان نصفه سمكة ، ونصفه الآخر امراة ، ثم تبين أخيرا انه احد الحيوانات البرمائية ذوات الثدى ، وليس « عروسة » ولا « حورية » كما كانوا يزعمون !

– يقول ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ» ان ام موسى اسمها « يوخابد » .. وفي بعض الروايات ان اسمها « بوخايد » او « توخايل » او « نوخايك » .

اما زوجته فاسمها « صفورا » بنت شعيب احد انبياء بنى اسرائيل ...

ويضيف ابن الأثير ان فرعون مصر في زمن موسي هو « قابوس بن مصعب بن معاوية ، صاحب يوسف الثانى » . وان امراته هى « آسيا بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول » .

« وان آسيا كانت من بنى اسرائيل ، وكانت على بقية من دين ابراهيم » .

« ولما نودي موسي ، أُعْلِمَ بأن قابوس فرعون مصر مات ، وخلفه اخوه الوليد بن مصعب ، وكان اعتى منه وافجر ، وأُمِر بأن يأتيه هو واخوه هرون بالرسالة » .

« وان الوليد تزوج آسيا بعد اخيه قابوس ».

ولكن ليس هناك سند تاريخي موثوق به يقول انه هو ، او اخوه الوليد ، كان يعذبها بوضعها تحت الشمس المحرقة ، والرحى الثقيلة جاثمة على صدرها كما في بعض كتب التفسير .

واما عصا موسي ففيها روايات كثيرة . وفي ذلك يقول بن الأثير :

انها كانت من آس الجنة ، حملها آدم معه ...

« وانها كانت وديعة عند شعيب، والد زوجته، استودعها اياه مَلَكٌ في صورة رجل » !

« وان شعيبا عزَّ عليه ان ياخذ موسي العصا وهي وديعة عنده ، واراد ان يستردها ، فرفض موسي ، فحكما اول رجل يلقاهما ، فجاءهما مَلَك في صورة آدمى ، فقضي بينهما بأن يضعها موسي في الأرض ، فمن حملها منهما فهى له ، فالقاها موسي ، ولكن شعيبا لم يُطِق حملها فاخذها موسي بيده ، فتركها له ..! »

« وانها كانت من عوسج ، ولها شعبتان ، وفي راسها محجن ! »

« وانها كانت تضيء لموسي في الليلة المظلمة . »

« وانه اذا ما أعوزه الماء ادلاها في البئر فينال الماء ويصير في راسها شبه الدَّلو . وانه اذا ما اشتهى فاكهة غرسها في الارض ، فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها !! »

« ومنها انه لما ذهب لفرعون ومعه هرون طلب منهما آية ، فالقى موسي العصا فاستحالت ثعبانا قد فتح فاه ، فوضع اللحى الاسفل في الارض ، والاعلى على القصْر،وتوجّه نحو فرعون لياخذه، فخافه فرعون ووثب فزعا ، فاحدث في ثيابه !»

هذا ما قاله ابن الأثير ...

وقال غيره في ذلك الشيء الكثير .

أزمة طارئة .. ستزول عما قريب ، وإنما

● أنا فتاة فى الواحدة والعشرين من عمرى ، نشأت بين عائلة متوسطة الحال ومحافظة على التقاليد الدينية محافظة تامة حتى أننى منذ صغرى أقيم الصلاة وأؤدى جميع الفرائض بكل امانة واخلاص .

وقد اضطرتنى الظروف القاهرة الى العمل فى مكتب أحد أقربائنا المحامين ، وبحكم عملى هذا طبعا أظهر فى مظهر لا يخلو من التبرج والزينة وبدون خمار (ايشارب) فلهذا تجدنى دائما قلقة ومتشككة بأن عبادتى ليست صافية ، وانى لا اطيع الله حق طاعته ، متعللة بأن العصر يتطلب منى الظهور هكذا ، وان الضرورات تبيح المحظورات . هذا من ناحية ، أما الناحية الثانية فما يقوله الكثيرون عنى من أنى فتاة غامضة مضطربة الأفكار والاحاسيس .

ولا أبالغ اذا قلت اننى أتوقع الشىء قبل حدوثه حتى أن بعض الكلمات تدور بخلدى أحيانا قبل التلفظ بها مع الناس ، كما أنى أحلم أحلاما كثيرة تتعلق بى شخصيا وأحيانا بعائلتى معظمها يتحقق ، وكثيرا ما ترمز الى أشياء تحصل معى فعلا .

سيدى : أرى نفسى فى حيرة وفى صراع بل فى محنة نفسية قاسية وأكاد أقول بأنى فتاة معقدة لا أدرى كنه نفسي ولا كنه شعورى . وقد استنجدت ببعض أهل العلم والذكر قبل أن ألجأ الى سيادتكم فمنهم من علل حالتى بما يسمونها « الحاسة السادسة » أو توقع الشىء قبل حدوثه ، أو فراسة المؤمن . ومنهم من قال انها أضغاث أحلام وأوهام تتجمع فى مخيلتى الصافية ، ونصحونى بالتخفيف من تمسكى بالديانة والعبادة ، والانطلاق والتحرر من هذه الافكار والهواجس التى تشغلنى وتجعلنى منطوية أكاد لا أتخذ من غير نفسى قرينة أو صديقة أو مرشدة !

وقالوا ان الوحي والالهام يتنزل فقط على الأنبياء والأصفياء كما أن رؤياهم هى التى تتحقق كرؤية سيدنا يوسف وسيدنا ابراهيم عليهما السلام انطباقا « وتأويلا » لمعنى هذه الآية الكريمة (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) .

أيهم سبق فى وضع التقويم الشمسى : المصريون .. الكلدانيون .. اليونان .. الرومان ؟ !

● من هم الذين كانوا أول من فكر فى وضع تقويم لضبط الأوقات ، ومعرفة فصول السنة ؟ وكيف تم وضع الشهور وتسميتها ؟ ومن هو الذى قسم السنة الى ١٢ شهرا ، والشهر لثلاثين يوما ، واليوم الى ٢٤ ساعة ؟

نسمع أحيانا أنهم الكلدانيون أو البابليون ، وأحيانا أنهم اليونان ، وأحيانا أنهم الرومان .. فأفيدونا ولكم الشكر .

دمشق ـ عبد الرحمن سليم

ـ فى كتاب Time الذى صدر عن مؤسسة How & Why ما يفيد أن البابليين كانوا أسبق من غيرهم الى وضع تقويم سنوى بواسطة كهانهم الذين كانوا يمارسون علم الفلك ورصد النجوم فى السماء ، وخاصة القمر .. لكن كتاب قصة التقويم الذى ألفه Keith Gordon Irwin باسم « The 365 Days » وأصدرته مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر يقول « ان بعض الكلدانيين الذين زاروا مصر القديمة لمشاهدة هرم خوفو الاكبر استطاعوا أن يتعلموا اللغة المصرية ، ثم حملوا معهم عند عودتهم الى أرض الكلدانيين التقويم المصرى المعروف باسم تقويم توت العظيم « Toth » والذى كان يعتبر السنة ٣٦٥ يوما وربع يوم » ..

وتقول بعض المراجع الفلكية ان تقويم توت كان

الأعمالُ بالنيَّات ..

وانا اتساءل هل هذا التفسير ثابت أم أن أى عبد من عباد الله المخلصين من بنى البشر تكون نواياه صافية ينبئه الله فى منامه بما سيحدث له او بالاحرى يرمز اليه ؟!

ثم انى سمعت من بعض اقاربى حديثا شريفا يقول : (ما من امراة تخلع خمارها فى غير بيت زوجها الا كشفت ما بينها وبين ربها) .

فهل لهذا الحديث من صحة ارجو أن تفيدونى !!

واخيرا جئت بكتابى هذا التمس من سيادتكم النصح الغالى والرأى السديد مع تمنياتى لمجلة العربى الحبيبة كل تقدم وازدهار وخلود .

بيروت ـ نجاة ...

ـ صحيح ان الوحى لا يتنزل الا على الانبياء . اما الالهام فليس مقصورا على احد دون احد .

كذلك الرؤى الصادقة ، لم يعد لها فى زمننا هذا علاقة بالنبوة .

اما مسالة الحديث الذى يروى فيه : « ما من امراة تخلع خمارها فى غير بيت زوجها الا كشفت ما بينها وبين ربها » فلا أدرى مبلغ صحته .. وعلى كل حال ففى الكتاب الكريم دستور المراة الفاضلة فى ثيابها كما فى غيرها ، بقوله تعالى : « يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » الى آخر الآيات المماثلة وهى كثيرة ..

بقى انك تتشككين فى عبادتك ، وتظنين انها ليست صافية .. وتلك مسالة كل ما يمكن أن نقوله لك عنها هو أن تحاولى جهدك أن تكون صلاتك صحيحة، صافية ، بتوفير كل ما تستطيعين من الخضوع والخشوع والتفرغ لما انت فيه من وقوف بين يدى الله .. وكما قال الرسول الكريم « انما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى » .

بقيت كلمة بسيطة : انا لا اقر الذين ينصحونك بالتخفيف من التمسك بالدين والعبادة ، ويحرضونك على الانطلاق والتحرر ، ولكنى انصحك بعدم الانطواء على نفسك ، ثم بالرياضة البريئة ، فان فيها متنفسا لما لعله قد سبب لك هذه العقد التى تتوهمين ..

تقى انك مخطئة اذ تظنين نفسك فى محنة نفسية قاسية .. او انك فتاة معقدة .. انما هى ازمة طارئة ، طالما مرت بها آلاف الفتيات المتدينات فى مثل سنك ، ثم اجتزنها بسلام ، ولسوف تفعلين ..

يعتبر اليوم ١٠ ساعات ، والساعة ١٠٠ دقيقة والدقيقة ١٠٠ ثانية .

وخطة التقويم المصرى « توت » نشأت وتمت فى مصر حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م ، اى منذ خمسة آلاف سنة . وقد رتب فيها وقت ابتداء العام الجديد ليكون فى يوم « الاعتدال الخريفى » ، وقسمت السنة الى ١٢ شهرا ، والشهر ٣٠ يوما ، مع اضافة خمسة ايام « نسى » او ستة فى السنوات الكبيسة فى نهاية العام ، لا تحتسب كجزء من اى شهر ، وكان يطلق عليها اسماء اوزوريس ، حورس ، سيت ، ايزيس ، نفتيس ، من آلهة قدماء المصريين .

اما التقويم الكلدانى ، فقد جاء بعد ذلك وقسم اليوم الى ٢٤ ساعة ، والساعة الى ٦٠ دقيقة ، والدقيقة الى ستين ثانية .

اما التقويم القمرى فيرجع الى حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد .. كما يرجع تقويم السبعة الايام الى موسى عليه السلام ، حوالى عام ١٥٠٠ ق.م .

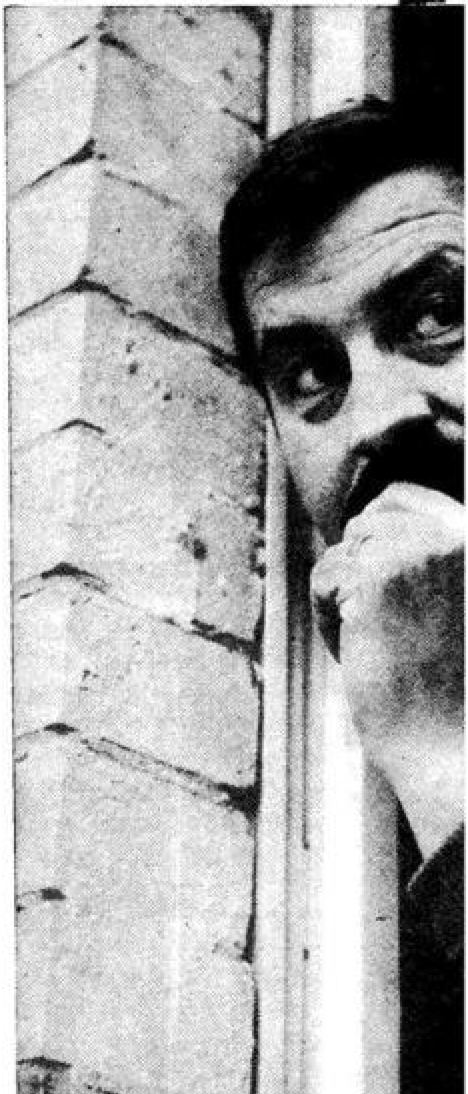
ولما جاء يوليوس قيصر قام باجراء تغيير على التقويم الرومانى واصدر تقويما جديدا جاء صورة معدلة لتقويم «توت» بعد معالجة مسالة الايام الخمسة ، وجعل شهر مارس بدء العام .

ثم جاء خلفه اوغسطوس فعدّل التقويم بأن جعل اسم الشهر السادس يومئذ « اغسطس » بدلا من Sextilil كما عدل سلفه اسم الشهر الخامس الى يوليو نسبة اليه ، بدلا من Quintilis

وفى عام ٣٢٥ بعد الميلاد صدر التعديل الجريجورى ، الذى لم ينفذ فى بريطانيا ومستعمراتها الامريكية الا فى عام ١٧٥٢ ، وجعل اول يناير هو رأس السنة .

وفى عام ١٩٣٠ وضعت صيغة لتقويم عالمى ، لكن هذه الصيغة عندما رفعت الى الامم المتحدة عام ١٩٥٦ لم توافق عليها اللجنة المشكلة لدراسته ، ولذا لم تعرض على الجمعية العامة .

جنتر جراس



بقلم : الدكتور محمود السمره

الجامعة الاردنية ـ عمان

■ ان جنتر جراس Gunter Grass هو اشهر كاتب فى المانيا اليوم ، وهو رأس الشباب الغاضب من كتابها ، فهو فى المانيا صنو جون اوزبورن فى بريطانيا .

وقد كان الأدب الالمانى منذ سنة ١٩٤٥ الى ١٩٥٩ ليس سوى تقليد لاعمال كبار الكتاب من امثال جيمس جويس Joyce ، وهمنفواى ، وبرخت Brecht . وجاءت سنة ١٩٥٩ فكانت نقطة تحول ، انتقل فيها هذا الأدب من التقليد الى الاصالة : ففى هذا العام ظهر كتابان غيرا من هذه الظاهرة الأدبية ، والكتابان هما : « الطبلة الصفيح » The Tin doum لجنتر جراس ، و «تأملات حول يعقوب» لجونسون ، وكان الكتاب الأول على رأس قائمة أكثر الكتب رواجا عند نشره ، ونال مؤلف الكتاب الثانى جائزة ادبية عليه قدمها له اتحاد الكتاب فى المانيا الغربية ، رغم انه من المانيا الشرقية .

وهذان الكاتبان هما اثنان من مجموعة من الكتاب من الشباب الغاضب فى المانيا تجمع بينهم غضبتهم على الشيوعية ، والراسمالية ، والنازية، وكل القيم التى يحترمها مجتمعهم ، وتوحد بينهم حماستهم لالمانيا جديدة موحدة . وهم ينادون بأن على المانيا الغربية أن تظهر نوعا من التساهل فى سبيل تحقيق الوحدة ، ويرون أنه لو كتب للحزب الديمقراطى الاشتراكى انيفوز فى الانتخابات لحقق الوحدة ، ولكن قوى الاحتلال لا تريد له ان يفوز لأنها تخشى المانيا الموحدة .

رأس الشباب الغاضب في ألمانيا



وهؤلاء الكتاب الالمان الغاضبون شباب متقاربون فى السن : جراس ٣٦ سنة ، وجونسون ٣٢ ، والشاعر الناقد هانز ماجنس انزنسبرجر Enzensberger ٣٣ سنة ، والكاتب القصصى مارتن ولز Walser ٣٥ سنة ، وفى مثل سنهم ايضا كلاوس رويهلر Roehler وسيجفريد لنز Lenz.

وبرلين الغربية والشرقية هى مركز هذا النشاط الأدبى لهذه الفئة من الشباب الغاضب . ويبدو من كتابات هؤلاء الشباب أن عندهم الكثير الذى يودون أن يقولوه ، ونجاح جراس المتصل يؤكد بطلان ما اشيع من أن هذه الحركة لمعت بسرعة ، ولا تلبث ان تموت .

* * *

وهؤلاء الكتاب الشباب من اكثر كتاب العالم اهتماما بشؤون بلادهم ، وهم فى نظر مواطنيهم ليسو ادباء وفنانين ومفكرين فقط ، بل قادة ومرشدين ، ومن واجبهم تبصير مواطنيهم بمواطن الداء .

وقد شرح أحد هؤلاء الكتاب الشباب ، وهو هاينز فون كريمر Gramer ، اسباب غضبتهم : فقال : « ان المانيا اليوم نسختان : احداهما مترفة تعتنى بكل ذرة فى جسم الانسان ، ولكنها تنسى أن لهذا الانسان عقلا . وثانيتهما أقل شغفا بالظهور ، وتهتم بعقل الانسان ، ولكنها تريد أولا أن تغسله ، لتحشوه بما تريد . وأنا فى كلتيهما لا أحب أن أعيش ، لأنه لا مجال فيهما للمعارضة ، وليس فيهما الكثير مما نود المحافظة عليه ، والدفاع عنه لأنهما قائمتان على الطاعة العمياء » .

« وفى احداهما ليست الديمقراطية سوى كذبة بلقاء ، والحرية تمثال لا حياة فيه » .

« وفى ثانيتهما ليست الاشتراكية سوى دعوى ، واسم لا مدلول له فى الواقع » .

« فى كلتيهما لا أحب أن اعيش لأن من يستعمل عقله يعتبر فوضويا ، وعديم الشعور بالمسؤولية ، وهكذا اصبحت كلمة « مفكر » منكرة بغيضة كما كانت فى الماضى ، وأصبح المفكرون أعداء يطاردون » .

هذه هى المانيا فى نظرهم ، وهى عندهم المانيا واحدة وأدبها متداخل متمازج ، ولهذا نجد كتاب كل من المانيا الشرقية والغربية يقرأون فى كل منهما دون أى احساس بأن هذا من الشرق أو من الغرب .

والقارىء لأدب هذه الفئة يحس انها تعيش معركة ميدانها برلين ، والمؤدى لزناد هذه المعركة احساس عميق بالمرارة من احتلال الحلفاء لبلادهم ،

وتقسيمهم لها . وأكثر ما يثيرهم أن ما عاناه الشعب الالماني في معسكرات الأمريكان بالمانيا يفوق ما كان يحدث في معسكرات الاعتقال النازية .

هذا هو الجو الأدبي في المانيا اليوم .

وجنتر جراس هو اقوى صوت يعبر عن رأى الشباب الغاضب من كابها .

★ ★ ★

ولد جنتر جراس سنة ١٩٢٠ ، وهو يبدو في صوره متين البنيان ، ذا شارب يذكرنا بشارب ستالين ، وعينين بيضاوين واسعتين ، ثاقبتي النظرة . وهو ابن بقال من دانزيغ . وبينه وبين ابطال قصصه متشابه : فقد بدا حياته قاطع حجارة للاضرحة ، فعاملا في منجم ، فقارع الطبل في فرقة موسيقية باحدى مقاهي دسلدورف ، فطباخا ، ثم صار مثالا ، وشاعرا ، وكاتبا قصصيا ومسرحيا .

وكانت نقطة التحول في حياته يوم ارسلت زوجته ـ وهي راقصة باليه ـ مجموعة من شعره لمسابقة عامة أعلن عنها ، دون علم منه ، ففازت بالجائزة الأولى . وكان ذلك سنة ١٩٥٥ . وفي السنة التالية ظهر ديوانه الأول مزينا برسوم من ريشته فاستقبلته الصحافة الأدبية أحسن استقبال. وكان هذا الفوز قد فتح عينيه على مواهب فيه لم يكن يتبينها تماما . وحفزه الى أن يتفرغ لكتابة قصة كانت تعمر خياله،فرحل بعائلته الى باريس، وهناك عرفوا الجوع ، والحرمان ، وعانوه لمدة ثلاث سنوات كاملة ، انكب خلالها على كتابة قصته « طبلة الصفيح » ، التي ما أن نشرت حتى اصبحت حديث الكتاب والنقاد والقراء ،وراجت رواجا كبيرا در على مؤلفها المال الوفير ، ووفر له الحياة الرخية .

ثم صدر له ديوانه الثاني ، فثبتت شهرته .

وصدرت له بعد هذا قصتان هما « القط والفأر » و « سنوات الشقاء » (١) وبهذا الانتاج كله اصبح جراس الكاتب القصصي الأول ، في المانيا كلها .

وهو اليوم يعيش في المانيا الغربية ، منكبا على الكتابة ، ويزود في الوقت نفسه المسرح والاذاعات بمسرحياته .

وجراس الانسان سليط اللسان سلاطة جارحة كحد الموسى ، فاحش القول ، ساخر من المعتقدات، شغوف بالحياة . وهو في كثير من اقواله مضلل كبير ، يقول غير ما يعني حقيقة ، من ذلك انه قال منذ اشهر في برلين : « ان استعمال الرمز في الكتابة شيء تافه ، وانا امقته . وانا في كتاباتي لا أعنى الا ظاهر ما اقول » .

ولكن الواقع ان من يقرأ قصصه يدرك انه في مواضع كثيرة منها لا يعنى ظاهر القول ، بل يرمز الى اشياء أخرى ، كما سنرى .

★ ★ ★

واول ما يلفت نظر القارىء لقصص جراس الثلاث ، انبثاق الافكار انبثاقا ثرا غنيا سخيا ، وانسياب الأسلوب بطريقة تلقائية ، دون ان يبدو لنا وكانه يبذل جهدا في ذلك .

وهو في قصصه يجمع بين المتناقضات : بين السذاجة والدهاء ، والمألوف والغريب الشاذ ، والعطف والقسوة . وكل هذا باسلوب حافل بالرمز والتورية .

وهو معنيٌ عناية كبيرة برسم أشكال شخصيات قصصه ، والافاضة في وصف الامور الدقيقة ،ولعل سبب هذا انه رسّام موهوب ، وان كانت هذه صفة عامة في الكتاب الالمان في القديم والحديث . ويقول جراس معللا هذه الظاهرة عنده بانه تعلم أن يفتح عينيه وعقله على ما يجري حوله من الكاتب الامريكي هيرمان ملفيل ، الذى استطاع ان يخلق في قصة « موبى ديك » (٢) عالما ممتعا حافلا بالحياة محوره حوت .

وهذه القصص عامرة بالاشارات التاريخية التي قد تثقل على القارىء ، وهو في هذا يشبه تى . اس . اليوت T. S. Eliot ، وجيمس جويس ، ووليم فوكنر.ولكن القارىء يجد تعويضا عن هذا في أسلوبه وبراعته في القصص ، حتى ليستطيع ان يستمتع بقراءتها مهملا كل هذه الاشارات والرموز .

---

1) Cat and Mouse ; Dog Years.
2) Herman Melville. Moby Dick.

وأولى هذه القصص الثلاث هي «طبلة الصفيح» وهي في بنائها قصة حياة أوسكار ، يرويها هو بنفسه في صيغة المفرد المتكلم في ٦٠٠ صفحة ، وإذا لم يكن القارىء من الجادين فقد يجدها مملة. وتبدأ القصة وأوسكار في مصح للامراض العقلية، وعمره ثلاثون سنة ، وقد اعترف بجريمة قتل لم يقترفها . وهنا يأخذ أوسكار في تذكر حياته السابقة منذ الطفولة الباكرة : فهو لم يحب والده الالماني البقال ابدا ، ويؤثر عليه عشيق امه وقريبها البولوني الذي يصر على انه والده الحقيقي .

وعندما كان أوسكار في سن الثالثة سمع والديه يخططان لمستقبله ، فصمم على أن يحبط خططهما ويؤذيهما في احاسيسهما ، بان يوقف نموه ، وهكذا يلقى بنفسه في مخزن للخمور ، فيتوقف نموه عند ثلاثة اقدام طولا ، وان استمر عقله في النمو . ويبقى على هذه الحال سنوات طويلة . ولتسليته وتلهيته ، تعطيه امه طبلة مصنوعة من الصفيح ليلعب بها . وبقرع هـــذه الطبلة كان قادرا على أن يفعل المعجب ، والمذهل ، والخارق للعادة . وبجانب هذا تصدر عن اوسكار أحيانا تصرفات شاذة : ففي الكنيسة يتحدى يسوع أن يحسن الضرب على الطبلة مثله . وتسير القصة واوسكار ينتقل من مغامرة الى اخرى .

وعندما هاجم النازيون بولونيا وقــع والداه قتيلين ، وعلى ضريح والده القى بطبلته فــاذا به يأخذ حالا في النمو من جديد ، فيزداد طوله قدما آخر ، ثم يتوقف ، وتنمو له حدبة . وبعد أن تنتهي الحرب العالمية الثانية يترك دانزيغ ، مسقط راسه ، ويستقر في منطقة الراين ، حيث ينتقل من محل الى آخر : فيعمل في نقل حجارة للاضرحة،وموديلافي مدرسة للفنون،وضارب طبلة في فرقة للجاز.واخيرا يحمل نفسه مسؤولية جريمة قتل لم يقترفها ، ولكن ينتهي به الأمر الى أن يصبح نزيلا في مستشفى للامراض العقلية .

واثناء قراءتنا للقصة لا نحس ان أوسكار الذي يقص علينا تاريخ حياته قزم قميء ، ويستولي علينا شعور غامض بان المتحدث هو جراس نفسه، ولا نكاد نحس بوجود أوسكار الا في تلك المواقف القليلة التي يتحدث فيها المؤلف بصيغة الغائب .

واوسكار في هذه القصة مزيج غريب : فهو فكه حينا ، ثقيل الظل حينا آخر . وهو أعجوبة من الاعاجيب . وعلينا أن نعترف أن المؤلف عندما جعل بطل قصته انسانا شاذا ، سهل على نفسه تطوير القصة فنيا ، لأنه أصبح من اليسير عليه أن ينسب اليه أي عمل من الاعمال .

وفي القصة مواقف مثيرة للاشمئزاز ، تصدم ذوى الأحاسيس المرهفة ، من ذلك وصفه لثعابين البحر وهي تجوس خلال راس حصان قد غرق ، ومنظر طير النورس على الشاطىء وهو يأكل قيء امرأة ، وظهور اصبع مقطوعة . ومثل هذه المناظر الباعثة على الغثيان كثير . ولعل المؤلف يريد بهذه المناظر أن يفتح عيوننا على حقيقة الحياة ، وما فيها من مناظر مؤذية للاحاسيس ، صادمة للذوق .

وإذا كان جراس ينكر الرمز في قصصه ـ كما اشرنا ـ فان قوله لا يمنعنا من أن نقرأها على اكثر من مستوى : يقرأها القارىء العادي على أنها قصة مسلية ، ونقرأها نحن على مستوى آخر ، كما هو الحال في « رحلات جليفر » لجوناثان سويفت ، التي يقرأها الاطفال للتسلية، ويرى فيها الكبار نقدا لاذعا للحياة في بريطانيا زمن المؤلف .

وإذا كان يعز علينا أن ندرك دلالة كل المواقف في هذه القصة ادراكا تاما ، فان من اليسير أن ندرك أن أوسكار عند المؤلف هو رمز لجيل بكامله من الشباب ، شوهتهم فترة معينة من تاريخ المانيا ، وشلت قدرتهم على الانتاج ، على الرغم مما يتمتعون به من كفاءات هائلة . واوســكار بجسمه الضئيل رمز للانسانية المعذبة التي تحاول أن تثور على أوضاعها الفاسدة ، ولكن ثورتها تجد قوى اعتى منها تخرسها ، فلا يبقى من ثورتها غير قرع طبلة لا يلبث أن يتبدد صداه .

★ ★ ★

والقصة الثانية هي « الفار والقط » ، وهي قصة غريبة غرابة القصة السابقة . انهــا قصة بطلها مالكا Mahlke يرويها صديقه بلنتز Pilentz.

وقد ادخل جراس في هذه القصة شيئا من التعاطف الانساني في شخصية الصديق . وبطلها، كبطل القصة السابقة ، فيه شذوذ اوسكار في قماءته ، فان شذوذ البطل هنا في تفاحة آدم الكبيرة التي تتضخم لدرجة غريبة عندما يغضب أو يثور .

وعاش بطل القصة وهو شديد الحساسية

بالنسبة لها ، حتى بلغ به الأمر انه كان فى الشتاء يلف حول عنقه شالا من صوف ليخفيها ، وكان دوما يتحسسه بيده ليتأكد من انه مثبت فى مكانه. فاذا حل الصيف فهى أكثر وقته فى السباحة والغوص .

ومن اجل التعويض عن هذا النقص الذى يثير سخرية زملائه فى المدرسة فى دانزيغ ، سعى للتفوق فى مجالات اخرى : فاصبح خير رياضى فى المدرسة ، واحسن سباح ، واطول غطاس نفسا تحت الماء ، والاول فى صفه فى الدروس .

وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية صمم على ان يبدى من البطولة ما يؤهله لنيل الصليب الحديدى ، ارفع وسام حربى فى المانيا. ولكنه رغم ما أبدى من ضروب البطولة ، ظل منبوذا . وهو اذا أثار اعجاب زملائه حينا ، فانه عجز عن ان يجعل نفسه مقبولا عندهم .

ويوما ذهب وصديقه للسباحة فى ميناء دانزيغ، فسبحا حتى وصلا كاسحة الغام بولونية نصف غارقة ، ووقفا عليها ، وغطس تحت الماء ، وانتظر صديقه عودته عبثا . لقد ضاع فى الأعماق ، وابتلعه اليم .

والآن : ما الرمز فى هذه القصة ؟

انها فى رأيى قصة تصور قسوة الجماعة الانسانية (القط) فى هذا العصر المادى . وغرق البطل يعنى ضياع الجيل الجديد وهلاكه فى هذا العصر المأساوى ، حيث القيمة فيه للمظهر لا للجوهر ، ولهذا فان البطل ـ رغم كل كفاءاته ـ بقى منبوذا. انه (الفار) فى المصيدة .

★ ★ ★

والقصة الثالثة هى « سنوات الشقاء » ، وهى عنده الفترة الممتدة من ١٩٣٠ ـ ١٩٥٠ ، فكل ما فيها فى نظر جراس اسود،حتى البطاطا والليمون والطحين والحليب والثلج ، لونها اسود !! والمحور فى هذه القصة هو خيال المآتة Scarecrow الذى يقيمه الزراع فى مزارعهم لاخافة الطيور حتى لا تقترب من المزروعات . وبطل القصة هو ادورد امسل Amsel الذى جعل من صنع هذه الاشكال حرفة له . وهو يبدأ بصنعها للتسلية ، ثم يأخذ فى صنعها من اجل المال عندما اخذت تدر عليه الكثير ، واخيرا اغراه الاقبال على شرائها بان يستحضر آلات لصنعها باعداد كثيرة .

وانه لمن العسير أن يخمن المرء هنا ، فخيال المآتة قد يرمز الى أى شىء ، ولعل الأقرب الى المقصود ان يكون رمزا لسيطرة راس المال الذى يستأثر لنفسه بكل شىء ويذود الناس (الطيور) عن ثمره .

والبطل الثانى فى هذه القصة هو ولتر ماترن Matern ، وهذا صديق كل الايديولوجيات ، فقد كان شيوعيا ، فنازيا ، فاسير حرب ، ثم شيوعيا مرة ثانية ، فكاثوليكيا متعصبا .. الخ انه رمز للبرجوازية الصغيرة التى نشأ منها جراس، والتى لا تملك من امرها شيئا .

وكعادة جراس فى قصصه ، لا بد من ان يكون فيها عنصر غريب شاذ : ففى هذه القصة يملك والد ولتر مطحنة للحبوب ، ولكن طحين هذه المطحنة ليس عاديا ، فهو طحين فيه دود موهوب ، يستطيع ان يتنبأ بمستقبل الساسة ، ورجال الصناعة ، واصحاب الصحف ، فى المانيا الاتحادية. وهؤلاء عند جراس هم : اديناور ، وايرهارد ، وكروب ، وباير . وفى القصة نجد جراس يجعل ايرهارد يبتلع دودة من هذه الديدان ، فيصبح عبقريا فى الاقتصاد لا يشق له غبار ، وتتكشف امام عينيه حجب المستقبل.وفى هذا من السخرية الكثير .

★ ★ ★

هذا هو جنتر جراس رأس الشباب الغاضب من كتاب المانيا .

وهو كما رأينا شخصية غريبة ،وعبقرية اغرب.

واحب اخيرا ان اقول ان بين قصص جراس ، وقصص ومسرحيات كتاب الشباب الغاضب فى بريطانيا ، وجه شبه ، ووجه اختلاف .

اما الشبه فان أبطال قصص جراس وزملائه تذكرنا بأبطال جون اوزبورن وزملائه ، حتى لتدور على السنتها أحيانا افكار واحدة .

واما وجه الاختلاف فباد فى الانتماء الطبقى : فانتماء الشباب الغاضب فى بريطانيا اساسه الثروة ، ولذلك فهم يفضلون فى مسرحياتهم العمال على لوردات بريطانيا.اما انتماء الشباب الغاضب فى المانيا فاساسه الثقافة والفكر ، ولهذا فان ولاءهم الأول والاخير هو لطبقتهم من الكتاب ، والمفكرين ، والمثقفين . ■■

محمود السمره

وظل اليونان على عادتهم ، يقيمون تلك المباريات والمهرجانات في شبه جزيرة البلبونيز Peloponnesus وعلى سهول Olympia بالذات حتى سنة ٣٩٤ بعد الميلاد . فقد أصدر الامبراطور الرومانى ثيودوسيوس الأول في ذلك العام مرسوما يقضي بحظر تلك الالعاب الأولمبية ومنعها ، فتوقفت بعد ان مضى عليها نحو من ١٢٠٠ عام .

اندثرت بعد ذلك الألعاب الأولمبية ، أو كادت ، طوال القرون الوسطى والعصور الحديثة ، الى ان تسنى للفرنسيين بعث فكرتها من جديد ، وامكنهم اقامة دورتها الأولى في العصر الحديث في أثينا عام ١٨٩٦ .

وتجدر الاشارة الى أن الوحدة الزمنية التى اتخذها قدامى اليونان اساسا لتقويمهم وتاريخهم لم تكن السنة ومشتقاتها بل كانت الأولمبياد Olympiad ، اى فترة الاربع السنوات التى انقضت بين مهرجان أولمبى وآخر . ويذكر في هذا الصدد أن الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر هو الذى اعتمد التقويم الشمسى لأول مرة ، وأن البابا غريغورى الثالث عشر (١٥٠٢ – ١٥٨٥) Gregory XIII هو الذى أدخل تقويمه الشمسى المعدل والمسمى باسمه سنة ١٥٨٢ .

ويعزى اهتمام الاغريق البالغ بالرياضة والتربية البدنية الى كثرة الحروب وانتشارها فيما بين دويلاتهم ، والى حاجة تلك الدويلات الى محاربين اقوياء أشداء يستطيعون الذود عن الوطن واحراز النصر على الاعداء . ولا سبيل الى اعداد مثل هؤلاء المحاربين طبعا بغير التمرينات الرياضية ، فضلا عن التدريبات العسكرية .

على أن القوة البدنية بالذات لم تكن الغاية الأولى أو الوحيدة التى سعى اليها اليونان بالرياضة . فقد اختلفوا عن الرومان في هذا الشأن ، فحرصوا على ما تؤدى اليه الرياضة من رشاقة ونشاط في الجسم ومرونة ، حرصهم على ما يترتب على ممارستها من قوة . ولعلهم حرصوا أكثر ما حرصوا على ما يكتسبه الجسم بالرياضة من جمال وكمال . ومن ثم كانت المقارنة في جمهورية افلاطون بين الفنون والآداب من جهة وبين الرياضة والتربية البدنية من جهة أخرى . ففى الأولى السبيل الى جمال الروح وفي الاخرى الوسيلة الى جمال الجسم .

العجلة المدورة

قصة قصيرة بقلم : وليام ساروبان

كانت لنا دار صغيرة فى شارع (سانتا كلارا) ، وكان يقطن فى تلك الدار قبلنا رجل يعمل في بيع الجوز والبندق وشوائهما ، فقد وجدنا فى مخزن الدار قطعا من معداته ، كما كنا نعثر من حين لآخر على قشور الجوز وقطع صغيرة من لبه تملأ الشقوق الأرضية . وكان هواء البيت طيبا ، الا ان عددا من الصراصير والعناكب كانت تتجمع حول بالوعة المطبخ . ولقد انسنا الى قط[1] وجدناه بالدار حين انتقلنا اليها ، وهو قط أسود كبير تبدو عليه الكبرياء ويتسم بالأرستقراطية والأنفة، ولا يكاد يعير ما يجرى حوله أدنى اهتمام . وكان يعيش أول الأمر فى (بدروم) الدار وسط الظلام، ولكنه ما لبث أن هجره الى الحجرات العلوية حين حل الشتاء .

اما أشجار الدار فكانت جُمّيزتين ، وشجرة جوز انجليزية يبدو انها بلغت العشرين عاما ، ثم شجرة زيتون صغيرة ، واخيرا ثلاث أشجار من اشجار « الليلك » بالقرب من طنف الباب الذى كانت تظلله هامة" كثيفة من الياسمين . وقد كست اعشاب (الجرانيوم) و (البرمودا) وغيرهما ارض الفناء . وبعد فترة نبتت فى الحديقة شجرتا خوخ ، كما غرسنا بهـا شجرة صُبّير وشجرة خوخ . اما شجرتا الخوخ فلم نفكر فى غرسهما ، ولكنهما نبتتا عن نوى القيناه فى الفناء الخلفى ، فلم نشأ ان نقتلعهما . ولقد تراكم خلال ثلاث سنوات ما يتساقط من أوراقهما حتى تجمعت عنهما فى الخريف كومة كبيرة أضرمنا فيها النار . وكانت الشجرتان تنموان خارج فنائنا مباشرة ، ولكنا كنا نَعتبِر المالكين لهما لأنه لم يكن لدينا سياج ، ولم يكن ثمة جيران ملاصقون لنا سوى تلك العائلة التى تقيم عبر الزقاق مباشرة . ولم يكن الأمر متعلقا بالثمار ، فقد كان فى مقدورنا ان نشترى الخوخ بأرخص من تكاليف زرعه . ولكن مسئولية الانسان عن نمو شيء جميل هو ما جعلنا نهتم بالشجرتين ، أو كان تعلقا بالأزهار الحمراء التى تظهر فى الربيع ، والتى كانت أختى (نومى) تقوم مرة فى السنة باقتطافها ووضعها فى آنية الزهر السوداء .

ولقد ألفنا رؤية الأزهار فى آنية الزهر السوداء، وبدأنا نحس على حين فجأة بروعة ذلك المنظر الذى أوحى لنا بأننا أحياء ، وأخذنا نطلق الضحك لهذا الخاطر وكنا نضحك فى الشتاء كثيرا الا حين يعترينا الحزن احيانا .

لقد كانت الحياة رائعة كل الروعة ، ولكننا فى الوقت نفسه كنا نحس أنها بالغة الحزن ، لأن من طبعنا الاحساس بالحيرة وتفاهة الحياة .

اصبح أخى (كريكور) مسئولا عن شجرة الصبير بعد ان عاد عصر ذات يوم الى البيت وفى يده قطعة صبير شائكة ، وابتدرنى قائلا :

— أتدرى أن هذه المنطقة كانت صحراء ذات يوم وأن الصبير كان ينمو فى كل مكان ؟

فقلت له : أتعنى أنه لم يكن أحد يعيش هنا ؟

قال : نعم سوى السحالى والحيات والضفادع البرية ، والصقور وما شابه ذلك على ما أعتقد . ولم يكن ثمة بشر .

واخذت أتصور ذلك الوادى وهو خال من الناس قفر لا منازل فيه ولا طرقات فخيل الى انه كان شيئا غريبا وشاذا .

قلت : أتقصد كل هذه المنطقة من (سليما)



الى (كلوفيس) ، وكل البقاع المؤدية الى (كيرمان) فيما وراء الجسر ؟

فأجاب (كريكور) : اننى أعنى الوادى كله ، كل الارض المستوية التى تمتد من تلال (كوست) حتى (سيرانيفادا) ، كل هذه البلاد التى تغطيها الأعناب الآن كانت ، قديما جدبا فاستجلبوا لها المياه بواسطة القنوات .

وغرس (كريكور) الصبيرة فى اليوم ذاته ،حتى اذا بلغتُ العاشرة من عمرى كانت الشجرة قد اكتست بالنوار الأحمر الخلاب وغدت مثقلة بثمار لم يكن أحد يدرى كيف تؤكل ، وارتفعت مدى قامة رجل .

ولقد نبتت شجرة الخروع بمحض المصادفة أيضا . اذ كانت هناك شجرة خروع عجوز قائمة فى فناء جيراننا الذين يقطنون عبر الزقاق . وذات صيف انتثرت بعض البذور من تلك الشجرة فى فنائنا ، فما اقبل الصيف التالى حتى كانت لنا شجرة خروع . ولكنها كانت شجرة عجيبة ، فقد نمت بسرعة فائقة على حين كان عودها يبدو فى رقة ليست من سمات الشجر . ولم يكن فى مقدور صبى صغير ان يتسلقها ، وتوشك أضعف ريح ان تدفع فروعها بعيدا . ولكن ورقها كان بديعا،وكانت تنشر حولها شذا منعشا وظلا وارفا. لقد هللنا فرحا حين اخذت فى النمو على الرغم

من أننا نتقزز من زيت الخروع ، ولكننا كنا نعتقد أن الشجرة ذاتها لم تجن ما تستحق معه القضاء عليها .

وكنا نقوم فى الصباح الباكر حين يشتد القيظ فى أيام الصيف لننعم بالنسمة العليلة . وكانت المدينة ترسل كل صيف جرّارا ضخما لاصلاح أرضية شارع (سانت كلارا) ، وكان هذا الجرار وهو يذرع الشارع جيئة وذهابا أمام دارنا يثيرنا بضجيجه العالى الرتيب . فنستيقظ فى الصباح على أصواته المنبعثة على البعد ، ثم تأخذ هذه الأصوات تعلو شيئا فشيئا باقترابه من دارنا . وكنا نعتقد أن هذه الحركة الذاهبة الآتية تشبه شيئا فى الحياة لم ندر ما هو على وجه التحديد . وكنا نهتف :

« ها هو قد عاد » .

ونتساءل أحيانا ـ رغم انه لم يكن ثمة أساس لاعتراضنا :

« وماذا لو كان الشارع غير مستو تماما ؟ ما من أحد ينتفع به سوى (كاسباريان) بائع البطيخ الذى يأتى فى الصيف عابرا هذا الشارع كل عصر بحصانه العجوز وعربته المترنحة وهو ينادى على البطيخ بالأرمنية » .

وذات عام أقبل خالى (فاهان) قادما من سان فرانسيسكو فى سيارة (ابيرسون) جديدة جدا وتوقف بها أمام دارنا . وسألنى عن رأيى فيها ثم قال : ليس فى أمريكا جميعها سوى احدى عشرة سيارة (ابيرسون) منها واحدة حمراء هى سيارته.

وشعرنا بالزهو ثم انطلقنا نضحك ، بينما كان خالى منهمكا فى تدخين سيجارة . وذهبت أمى مع شقيقها فى جولة بالسيارة حتى (رودنج بارك) ، وكانت تلك أول مرة تركب فيها سيارة ، فتولاها الزهو بأخيها . ولقد كنا جميعا نرى فيه الشخصية العظيمة ، لا من أجل سيارته فحسب، ولكن كذلك لما كان يبدو عليه من انفعال ونشاط، وللطريقة التى كان يضحك بها ويتكلم . فلما عادا من جولتهما اصطحب خالى شقيقتىّ (لوسى) و (نومى) فى رحلة الى المدينة . وجلس أخى (كريكور) أمام الباب وفى يده كتاب ينتظر فى اضطراب دوره فى الركوب . وقال كريكور ان السيارة تستطيع أن تقطع ٥٠ ميلا فى الساعة . وقال جارنا (روبن) ان لدى عمه سيارة (كاديلاك)، وهى نوع أغلى من (الابيرسون) وتستطيع قطع ستين ميلا فى الساعة .

قلت : ربما ، ولكن أهى حمراء ؟

فاعترف بأسف بأنها سوداء .

قلت : ليس فى أمريكا سوى سيارة (ابيرسون) حمراء واحدة ، هى تلك .

وعاد الخال بلوسى ونومى ، ثم دخل البيت ليتناول قدحا من القهوة التركية ، كانَ فى مقدورنا ان نسمعه وهو يقص على أمى كيف يشق طريقه بنجاح فى سان فرانسسكو . وانه اجتاز امتحان المحامين واصبح وكيلا قانونيا ، ولكن أغلب ثروته كسبها من بيع البطيخ بالجملة . وانه يأمل ان يفتح مكتبا بالقرب منا . وبدت أمى سعيدة اذ كنا نسمع ضحكاتهما معا واسئلتها التى تنهال بها عليه .

وانتاب الضيق كريكور لأن خاله لم يفاتحه فى أمر الركوب ، وكان من الكبرياء أو الأدب بحيث لم يطلب منه ذلك . أما أنا فقد غمرنى الاحساس بأن فى عائلتنا محاميا كبيرا يملك سيارة ابيرسون حمراء . ومن فرط سعادتى بهذا الاحساس لم استطع السيطرة على نفسى وأخذت أمتطى السور وأقفز الى الارض عدة مرات .

ولما خرج خالى من البيت كان كريكور واقفا على بعد خطوات من العربة مأخوذا بعظمتها ، وأدرك خالى على الفور الرغبة الكامنة بين جوانحه ، فقال:

ـ هيّا بنا أيها الصحاب ، فسأهيىء لكم جولة بالسيارة .

واندفع جارنا (روبن) و (كريكور) الى السيارة، وجلست أنا على حجر كريكور.وأدار خالى المحرك فانطلقت بنا العربة وهى تحدث دويا مفزعا وتخلف وراءها سحبا هائلة من الدخان . وانى لأذكر كيف وقفت أمى وشقيقتاى أمام الباب وهن يلوحن لنا . انها كانت جولة مثيرة ملأتنا جميعا بالزهو والكبرياء . ولما عدنا وجدنا أمى قد أعدت لنا بطيختين باردتين ، فجلسنا فى الردهة نأكل ونحن نتجاذب الحديث . كان الجو حارا والعرق ينضح

منا ، ومع ذلك فقد كانت تلك اللحظة من أصفى لحظات عمرنا . قال خالي : اننا لا ندرك النعمة التي نحظى بها بوجودنا في مثل هذه البلاد .

ان الفرص هنا لا حد لها وكل انسان حر ، وفي مقدوره ان يذهب الى اي مكان يريده .

كان يتحدث بالارمنية لانها اكثر سهولة بالنسبة له . فروى انه كان في الثالثة عشرة حين قدم الى امريكا ، اما الآن فقد بلغ الثانية والعشرين . ثم سأل كريكور عما اذا كان قد حدد لنفسه مستقبل حياته ، فأرتبج عليه واخذ يزدرد البطيخ في سرعة واضطراب . فقال خالي :

ــ آمل أن تكون قد عزمت على دراسة القانون .

فاجاب اخي : طبعا .

وقلت لنفسي : أن كريكور يود أن يصبح موسيقيا ، فقد اخبرني بذلك . ولكني لم أجهر بهذا القول بطبيعة الحال .

ورحل خالي فاهان بعد ذلك بيوم أو يومين في سيارته الابيرسون الحمراء ، واخذنا نستعيد كل ما حدث ابان زيارته مما لم نكن قد تنبهنا اليه من قبل .

وسارت الأمور في دارنا بعد ذلك على وتيرة ثابتة ولم نلحظ توالي الأيام والشهور . وذات عصر عاد كريكور الى البيت ومعه حقيبة سوداء صغيرة وضعها على المنضدة في حجرة الطعام ، فتجمعنا حوله لنرى ما فيها ، وكنا دائما لا ندري ما يفاجئنا به كريكور ، لذلك توقعنا منه اي شيء . وكان كريكور يستولي عليه الصمت والاضطراب. ثم اخرج مفتاحا صغيرا فتح الحقيبة، فراينا بداخلها بوقا . وتساءلت امي على الفور :

ــ ما هذا يا كريكور ؟

فقال لها انه يسمى بوقا .

وما زلت اذكر أن دارنا لم تخل قط من بيانو ، ولكن الشهور كانت تنقضي أحيانا دون أن يقترب احدنا منه ، ثم يحدث بعد ذلك أن نتنافس في العزف عليه . وكانت شقيقتي لوسي قد لقنت دروسا في العزف ، وفي مقدورها ان تعزف من النوتة قطعا موسيقية جادة من أعمال « شوبان » و « ليست » و « موزارت » ، اما نومي فكانت تعزف على الغيب ــ دون الرجوع الى النوتة ــ اغنيات شعبية مثل « دع المدافيء مشتعلة » و « كاليفورنيا » و « هناك طريق طويل طويل » ثم « ابتسامات داردنلا » ، وغيرها من الأغنيات المماثلة .

اما انا فلم أكن قادرا على العزف سواء بالنوتة او غيبا ، ولكني تمكنت من وضع بعض الألحان التي كنت أستوحيها من حالة نفسية كئيبة . وحينذاك أقوم بالدق على أصابع البيانو مستخدما تغييرات السرعة وتفخم الصوت حسب ما أستطيع . فكانت احدى شقيقتيّ تنحيني عن البيانو . وكانتا تقولان انني أعزف كمجنون . ولم اكن أدري ما لهذه المحاولات من اهمية ، ولكنني كنت أحس ضرورة تدفعني اليها .. كانت تهجس في نفسي هواجس مجهولة أومن بها ايمانا عميقا فاخشاها واتوقع شرا ، وحينما يتكشف لي دائما انه لم يحدث شيء مما أخشاه واتوقعه ، وارانا ناعمين بالحياة ، اضطرب ولا أدري ما افعل بنفسي . ثم ننقلب ضاحكين مرة أخرى .

وها قد دخلت دارنا آلة موسيقية تختلف عن البوق الذي أحضره كريكور فهو بعيد الشبه عنها، كان قصيرا ومعقدا ، كما احضر حاملا موسيقيا وكتابا في طريقة نفخ البوق .

قال: سأعزف في عيد الميلاد مقطوعة (باروكارول)

ونفخ في البوق فتورمت شفتاه والتهبتا . على انه استطاع أن يعبر به عن مقطوعة أمريكية (أمريكا) بدرجة لا بأس بها ، ولم يفلح في نقل معزوفة « بيتنا القديم في كنتكي » ، وكان يصر دائما على أن أقف حين يعزف « أمريكا » .

كان يقضي فترة طويلة في التمرين حتى أصبحنا نتقبل البوق كلازمة من لوزم البيت مثل القط ، أو الصراصير ، أو شجرة الجوز الانجليزية . ولكنه لم يستطع اجادة عزف « باروكارل » . لقد قضى كريكور مع هذه الآلة اياما تعسة منذ جاء بها ، ولم يلبث أن فتر حماسه وبدأ يساوره الشك فكان ينتابه الضجر من موسيقاه ، وبذل جهدا رائعا في عزف النوتات المطبوعة فحسب ، ثم اذا به يخرج عنها فجأة ويصدر ضجيجا عاليا

متنافرا يمكن ان يصل الى أسماع الذين يعملون فى مصنع البيرة بأقصى الجنوب ، والى حديقة المحكمة فى أقصى الشمال . ولقد قيل لنا ذلك بالفعل . ثم اذا بنا نراه بعد هنيهة وقد بلغ به التعب مداه يلقى بجسده المكدود وقد نمَّ وجهه عن بؤس شديد . وهو يغمغم « لست أدرى ماذا جرى لى . لقد أديت بدقة وانتظام كل ما جاء بالكتب » . ثم يلقى نظرة مريرة على البوق ويتساءل : « أتعتقد ان السبب فى ذلك هو قدم البوق ، ام اننى لا املك أدنى موهبة للعزف عليه ؟ » .

ولم أدر ما يجب علىَّ ان اقوله له ، ولكنى كنت اشعر بكل ما يعتلج فى قرارة نفسه .

وعلم اهل الحى ان لدى كريكور بوقا ، فاذا مر فى الشارع تهامس الناس قائلين : « ها هو الصبى الذى يحدث كل هذا الضجيج ، ان لديه بوقا يحاول أن يتعلم العزف عليه . لقد كنا نعتقد أنها أصوات القطط الضالة ، غير ان القطط لا تصدر هذه الأصوات فى وضح النهار » .

وتمضى قافلة التغير دون أن نشعر بها ، ففى صيف كل عام يعود الجرّار الضخم فيغمرنا بأصواته الرتيبة الكئيبة ، وكانت ثمار شجرة الجوز الانجليزية تتساقط على الأرض فنجمعها فى صناديق ، وفى ربيع كل عام تقوم شقيقتى « نومى » بقطف زهور الخوخ لتضعها فى آنية الزهر السوداء .

ذات يوم قال كريكور : « لقد قررت التخلى عن النفخ فى البوق ، فأنا لا أجيد ذلك » . كان يتحدث بتؤدةوشجاعة . ويعود قبل أن يمضى الاسبوع الى البيت ممتطيا دراجة ، وقد اتخذ مقعده فوق الكدَّر لانه لم يستطع الوصول بساقيه الصغيرتين الى « البدال » حين يجلس فوق مقعدها ، لقد كان حينذاك فى الثانية عشرة ، ولكنه كان صغيرا بالنسبة لسنه تلك . وما أن لمحته امى قادما من بعد وجسده يعلو ويهبط فوق الدراجة مشعث الشعر حتى هرعت مجتازة درجات السلم الأمامية صارخة :

ــ ما هذا الذى جئت به اليوم ؟ عد بهذه الملعونة ! اتريد أن تكسر ساقك وتعيش أعرج طول حياتك ؟

وقاد كريكور الدراجة الى الفناء الخلفى ثم اخذ يحاول الهبوط بمقعدها ، وبعد جهد كبير استطاع أن يهبط به الى أقصى حد ممكن ، ولكن الدراجة كانت كبيرة جدا بالنسبة له ، ولا مفر له من ركوبها فوق الكدَّر . وذات مساء حملت أمى الدراجة الى احدى الحجرات الداخلية وأغلقت عليها الباب . وقالت لكريكور :

ــ لقد كان أبوك رجلا سليما ، وكذلك أمك ، ولا شك فى أنى لن أدعك تصيب نفسك بالعرج . واذا كان لا بد لك من ركوب الدراجات فأحرى بك أن تجيء بواحدة تناسبك .

كان كريكور يتولى بعد انصرافه من المدرسة بيع صحيفة « الايفننج هيرالد » واستمر على هذا المنوال قرابة عامين وفتر فيهما مبلغا من المال . وكانت أمى تشجعه على ادخار ما يكسبه ، وان كانت لم تعارض قط فى أن ينفق بالقدر الذى يروق له . لقد عاد فى عيد ميلاده الثانى عشر ومعه كعكة كلفته سبعة دولارات ونصفا ، فلما سألناه عن الدافع الى هذا الاسراف ، وشراء كمية كبيرة كهذه على رغم من أننا لا نتعدى خمسة افراد ــ قال : « ان هذه الكعكة هى أول ما أرانيه الخباز ، ولم يسبق لى أن اشتريت كعكة ، فاعتقدت أنها الحجم المناسب ، فهل هى كبيرة جدا ؟ » .

قالت لوسى : اننا لا نستطيع أكلها خلال شهر .

ومضى الاسبوع التالى دون أن تخلو وجبة من حياتنا من الكعك !!.. ولا تزال هذه الحادثة مثار ضحكنا كلما خطرت ببال واحد منا .

وتوجه كريكور بالدراجة الكبيرة الى محل الدراجات فباعها واشترى دراجة أصغر منها وعاد بها ممتطيا المقعد فقالت له أمى : « هكذا تكون الأمور ، انك تعجبنى الآن » .

ولم يمض وقت طويل حتى كنت اركب الدراجة أكثر مما كان يركبها كريكور ، ثم بدأ النزاع يدب بيننا من اجلها . وهو شيء لم يكن جديدا علينا ، فان لنا فيه معارك ، ولكن هذه كانت أكبر معركة لاننا قد كبرنا . كان كريكور يطاردنى حول الدار ثم اذا بى استدير على حين غرة لأطارده بدورى . وكان كل منا يفعل ما يثير غضب الآخر ، ولكن

ليس الى حد الايذاء ـ حتى تتدخل بيننا والدتنا فتفض النزاع مهددة بحرماننا من الدراجة اذا لم نضع حدا لمنازعتنا ، وكنت انا وكريكور ندرك أن عراكنا راجع الى اسباب عدة كانت الدراجة واحدة منها .

كنا نتشاجر لأننا اخوان ولأن كلا منا يحب الآخر ، ولكن العدد المتباين من اللعب والأشياء الأخرى هو الذى يثير هذا العراك .

وفى معركة من معاركنا ذات يوم فى الفناء الخلفى هرع العجوز « اندرياس » الذى كان يعبر الأرض الفضاء المجاورة لبيتنا ، الى الباب الأمامى مناديا أمى :

ـ ارستنر ... ارستر ... ان ولديك يقتتلان.

ثم اتفقنا بعد ذلك على أن نتناوب فيركب اخى مرة واسير الى جانبه ، ثم اركب انا ويسير هو ، ولكن كنت انا فى أكثر الأحيان الراكب وكان هو المترجل شأننا فى ذلك شأن الكثير من الأشقاء فى المدينة . وكنا قد اعددنا ممرا عبر الأرض الفضاء التى كانت تفضى الى جسر يبلغ انحداره ثلاثة اقدام او اربعة ، وكنا نبدأ السير من حديقتنا الخلفية ثم نسرع قليلا قبل أن تهبط الدراجة بنا فى الجسر المنحدر .

وعصر يوم من أيام الآحاد فى شهر نوفمبر قررنا القيام برحلة الى أرض المعرض . ولم يكن المعرض قد اقيم بعد ، ولكننا اردنا ان نخوض الطريق الموحل بدراجتنا الى هناك وكنا قد قمنا برحلة كهذه ، وراق لنا الوقوف فى أرض المعرض المهجورة . وبدا المكان مختلفا جداً عنه وهو غاص بالناس . فقد كان الجو حولنا اكثر رقة وذاتية ، كما ان وجودنا منفردين فى المكان الهادى الضخم ووسط المنصات التى يخيم عليها الصمت والفراغ ، كان يغمر روحينا بالنشوة الكبرى . واخذ كل منا يقوم بدورة حول المكان فى حين يرقب الآخر بساعة كريكور الزمن الذىاستغرقته الدورة، ويرصد السرعة فى دفتر صغير كنا نحتفظ به دائما لمعرفة الرقم القياسى الذى يضربه كل منا .

ونمت شجرة الخروع عاليا ، ونشرت شجرتا الخوخ فروعهما حول المكان . واقترب عيد الفصح والميلاد . فاخذنا تشذب شجرة الياسمين لتزيد فى نموها ، وابتعنا احذية وملابس جديدة .

وكان سجل الصور العائلى يضم طائفة من صورنا لا يفطن الناظر اليها الى ما طرأ علينا من تغيير . فقد مرت بنا الأيام هادئة ، نجلس طوال ليالى الشتاء نعد واجباتنا المدرسية ، او نعزف على البيانو او نتحدث او نضحك عاليا بدون سبب .

ومضت الأيام والأحداث متتالية لتذهب فى طى النسيان حتى كان ذلك اليوم الذى اردنا أن نذهب فيه بالدراجة الى ارض المعرض .

جلس كريكور على مقعد الدراجة وجلست أمامه على الكدر ثم انطلقنا حيث نريد ، وبعد هنية قال كريكور : « استعد للقفشة الكبرى » .

واقتربنا من الجسر ثم شرعنا نهبط ، ولكن حدث شىء ما ونحن ننحدر من فوقه . لقد وقع هذا الشىء ببطء شديد الى الحد الذى بدا معه وهما ، وبينما فورش الدراجة يتحطم ، والعجلة تغطس بنا ، كان يخيل الينا اننا نخرج من حلم طويل ، وبدا لنا هذا الحدث التافه شيئا ضخما وخطيرا . كان اولى بالذى حدث أن يكون أمرا مسليا ، وكان يجدر بنا أن نغرق منه فى الضحك. ولكنه لم يكن قط مسليا ولم يثر فينا الضحك ، وعدنا الى الدار دون أن ينبس أحدنا بكلمة .

وكانت امى قد شهدت من النافذة كل ما حدث، فلما عدنا ، وكانت الحيرة والتوتر قد اخذا منا كل ماخذ ، قالت لنا « الم تدركا انكما قد كبرتما ؟ انكما اثقل من أن تحملكما دراجة واحدة الآن » .

ولم نعلق على الموضوع طوال ذلك اليوم . جلسنا نحاول القراءة او الاحساس بان شيئا لم يحدث سوى ان فورش الدراجة قد تحطم، ولكننا كنا نعرف ان كل شىء قد انقلب وتغير . خيل الي اننا قد نسينا حياتنا ، وان ذكرياتنا البعيدة التى ميزت اطوار نمونا قد قفزت الى اذهاننا بسبب هذا الحادث الصغير . تذكرت حين صنعت انا وكريكور زورقا صغيرا من الخشب البغدادى والخيش والقار ، وسرنا به ستة اميال حتى قناة (توموسون) تحت الشمس المحرقة ، ثم رايناه وهو يغوص فى الماء .

وتذكرت حينما اوشكت على الغرق فى نهر

(كنجز) ، فى حين سبح كريكور خلفى وهو يصرخ فى جنون . كما تذكرت فقد لوسى لوظيفتها فى مخازن (وولورث) وبكاءها مدة أسبوع ، واصابة (نومى) بالتهاب رئوى ، وكيف كنا نصلى من اجلها جميعا وتذكرت باحساس مريض ذلك اليوم الذى مات فيه الخال « فاهان » فى فرنسا، وكيف جلسنا جميعا حول مائدة العشاء ولم يستطع احد منا أن يأكل ، وكيف أوينا الى فراشنا دون ان نغمض أجفاننا لأننا كنا جميعا نبكى ونتحدث عنه .

وتذكرت كيف كنت أهرع الى مكتب «الهيرالد» ظهر كل يوم لابتاع ملحق الصحيفة عن الحرب وكيف كنت أذرع الشوارع جريا وأنا أصرخ . وتذكرت اليوم الذى انتهت فيه الحرب ، وكيف عدت الى البيت وقد بَحّ صوتى من الصراخ ، وامتلأت روحى كمدا لأن الحرب انتهت وخالى ميت هناك . وتذكرت كيف كنت أسير وحدى أتطلع الى الحياة النابضة وافكر فى خالى « فاهان » ، ثم انفجر باكيا .

وطوال ذلك المساء لم ينبس احد منا بكلمة واحدة ، وعزفت أختى لوسى على البيانو لحظات، اما اختى نومى فاخذت تترنم بمقطوعة «ابتسامات» حتى تذكرت أن أمى قد طلبت منها الا تترنم بتلك المقطوعة قط لأن خالنا كان يغنيها. وانتابتنا جميعا الكآبة والحيرة ، وتأهبنا لدخول الفراش حين قال كريكور : « ألم تكن الطريقة التى انكسرت بها العجلة مضحكة ؟ » .

فقالت أمى واختاى انه كان أفكه منظر رأينه فى حياتهن ثم استرسلن فى الضحك ، وكان ضحكهن هينا ومتقطعا أول الأمر ، ولكنهما كلما تذكرن طرافة المنظر تعالت ضحكاتهن . وبدأ كريكور معهن فى الضحك ، ثم بدت الأمور فى ناظرينا كما لو كان كل شىء على ما يرام ، وانه ما من شىء يقتضى منا الاحساس بالحزن ، ولم يكن فى مقدورى أن أقرر ما سأفعله ، فلم يدر بخلدى أن الحادث مضحك بأى حال. ولكن سرعان ما سرت الىَّ أيضا عدوى الضحك .

لقد حدثت كل هذه الأشياء ومع ذلك فما زلنا نعيش معا فى دارنا ، وما زالت لنا أشجارنا ، وسيجىء الصيف فتبعث المدينة بالجرّار الكبير مرة أخرى ونستمع الى ضجيجه ولسوف يمر (كاسباريان) العجوز أمام دارنا بعربته ينادى على بطيخه .

انى لم أكن أشعر بالسعادة على الاطلاق ، ولكنى أخذت أضحك حتى طَفَرت الدموع من عينى .

ثم حدث شىء غريب ـ بداخلى ، ولكنه بدا كما لو كان يحدث حول العالم أجمع ، فى المدن وعلى سطح الأرض ، وفى كل مكان يغمره الناس . لقد احسست أخيرا اننى جزء من هذه الحياة ، وادركت كيف تكون نهاية الأشياء . واكتسحت وجهَ البسيط موجةٌ من الكآبة الموحشة . ولأول مرة فى حياتى احسست بها شخصيا أتم احساس، وبدا لى كأنما وُلدت منذ لحظة ، أو اننى غدوت فى تلك اللحظة مدركا للدنيا ومن فيها من بشر ، وما فيها من حياة وجمال وألم وبهجة وقبح دميم. كان كل ذلك واضحا أمام ناظرى ، وأدركت لماذا كنت أجلس الى البيانو أداعب أصابعه ، ولماذا كنت اتشاجر مع أخى كريكور ، ولماذا كنا نضحك سويا . واذ كنت أضحك ، والدموع تنهمر من عينى ، فقد جلست الى سريرى واستسلمت الى نوبة من البكاء .

وانخرط كريكور فى البكاء دون أن ينبس بكلمة واعقبته اختاى . وقالت أمى : « لا جدوى من البكاء ، فمن ذا الذى لم يصب باخفاق أو خيبة أمل ، ومن ذا الذى لم تعترضه عقبات الحياة ؟ لقد اجتزنا كل ذلك بنجاح وسوف نتخطى ما يعترضنا » .

وبعد أن غفا الجميع ، نهضت من فراشى وتوجهت الى الباب الذى يفضى الى الردهة ، وفتحته قيد بوصة أو بوصتين ، فالفيت امى ممسكة بصورة أخيها التى فوق البيانو وقد وضعتها أمامها على المنضدة واخذت تنتحب فى صوت خفيف. ورأيتها وهى تهز رأسها ذات اليمين وذات الشمال مثلما يفعل الناس العجائز من أهل الريف . ■■

ترجمة : عبد الله حسين

اضحك

تضحك الدنيا معك
ابكِ تبكِ وحدك



ماذا بعد الاسلحة النووية

● سئل العالم الشهير البرت اينشتاين عن الاسلحة الفتاكة التي يتوقع ظهورها في الحرب العالمية الثالثة ، وقد قطعت الدول شوطا لا يستهان به في مجال الابحاث الذرية والنووية التي كان لنظرياته فضل في أطلاق العنان لها ، فأجاب : « **لست ادرى ما هي الاسلحة التي ستستعملها الدول في حربها الكونية الثالثة ، ولكنني اعرف بوضوح ويقين طبيعة الاسلحة التي ستلجأ اليها تلك الدول في حربها العالمية الرابعة** » ..

وماذا عساها ان تكون تلك الأسلحة ؟!

فرد اينشتين : « **الرماح الحجرية** » ..



يريد ان يتزوج

● وقف الطفل الصغير (٧ سنوات) يسأل امه : « كيف التقى ابي بك ، ومتى اتفقتما على الزواج ؟ » .

واجابت الأم : « كنت اسبح في البحر واوشكت على الغرق ، وفجأة رأيت سباحا ماهرا يسرع الي ويمد ذراعه القوية لتنتشلني ، فقررت ان اتزوج منقذي » .

الطفل : « سوف اطلب من ابي اذن ان يعلمني السباحة ! ! » .

التعليم مستحيل هذه الايام

● قدمت احدى المدرسات استقالتها من المدرسة التي تعمل فيها . وجاءت استقالتها مسببة على النحو التالي :

« **باعثي على تقديم هذه الاستقالة لا يمت بصلة الى وضعي الخاص في المدرسة ، أو الى المرتب الشهرى الذى اتقاضاه منها . فانا قانعة بهذا وذلك . الا أنني غير راضية عن الجو الفاسد الذى بات يسود مدرستي وسائر المدارس . فالمعلمون يخشون النظار . والنظار يخشون المفتشين . والمفتشون في خوف دائم من كبار المسؤولين . وهؤلاء يخشون بدورهم آباء الطلاب وممثلي هؤلاء الآباء في البرلمان ، ثم لا يخفى أن الآباء في هذه الايام يخافون ابناءهم الطلاب . وان هؤلاء الطلاب لا يخشون احدا ... فكيف نستطيع تعليمهم ونحن نخشى من يخشاهم ؟!!** » .





لا مبرر للشكوى

● ذهب رجل لصديق مجرّب يشكو متاعبه ويسأله النصيحة : قال : « لقد مضى على زواجي عشر سنوات ، وكنت زوجا سعيدا في البداية ، كانت زوجتي تستقبلني بالحضن عند باب البيت ، وتسرع الى حجرة النوم لتاتي لي « بالشبشب » ، بينما يملأ كلبي الصغير البيت بنباحه! ولكن لم تكد تمضي بضع سنوات حتى تغير الحال . لقد اصبح الكلب هو الذى يحمل لى « الشبشب » ، وأصبحت زوجتي تستقبلني بالشتائم وتقلد الكلب في نباحه ! » .

واستمع الصديق المجرّب للرجل في هدوء ثم قال « انى لا اجد مبررا لشكواك يا صديقي فانت ما زلت تنعم بنفس الخدمات ؟ » .

قارىء الكف أضمن

● **الزوجة :** لا أدرى ما اذا كان الافضل لي أن اراجع قارىء الكف أم قارىء الافكار ؟!

الزوج : عليك بقارىء الكف . اذ ان من البديهي أن لك كفًا !



من هو رب البيت ؟!

● **أحد أفراد الحامية العسكرية لآخر :** انها لفتاة ممتازة تلك التى ينوي جورج الزواجَ منها . فهي تتقنُ السباحة وقيادة السيارة وتجيدُ الرقص وركوب الخيل فضلاً عن قيادة الطائرة ...

فردُ الآخر : سينعم جورج بحياة زوجيّة سعيدة بلا ريب! فهو يتقن الطهي وأعمالاً منزلية أخرى ...!

بين الواقع والخيال

● الزوج : **هل فكرت فيما عساك فاعلة لو كان لك دخل كدخل "كفِلر ؟!**

● الزوجة : **كلا. ولكنني افكر دوما فيما كان بوسع "كفلر ان يفعله لو كان دخله مثل دخلنا !..**



ما فائدة الامثال ...

● صاحب الكلب لآخر وقد بدا عليه الخوف والجزع : **لا تخف من الكلب ولا يغرنّك عُواؤه . الا تذكر المثل القائل : لا يعضك من الكلاب من كثر عواؤه !**

فرد الصديق وهو ينتقل من مكان الى آخر تحاشيا للكلب : **أنا اذكر ذلك المثل جيدا ولكنى غير واثق من ان كلبك يذكره ...**

العربي

العدد ٩٧
شعبان ١٣٨٦
ديسمبر
(كانون الأول) ١٩٦٦

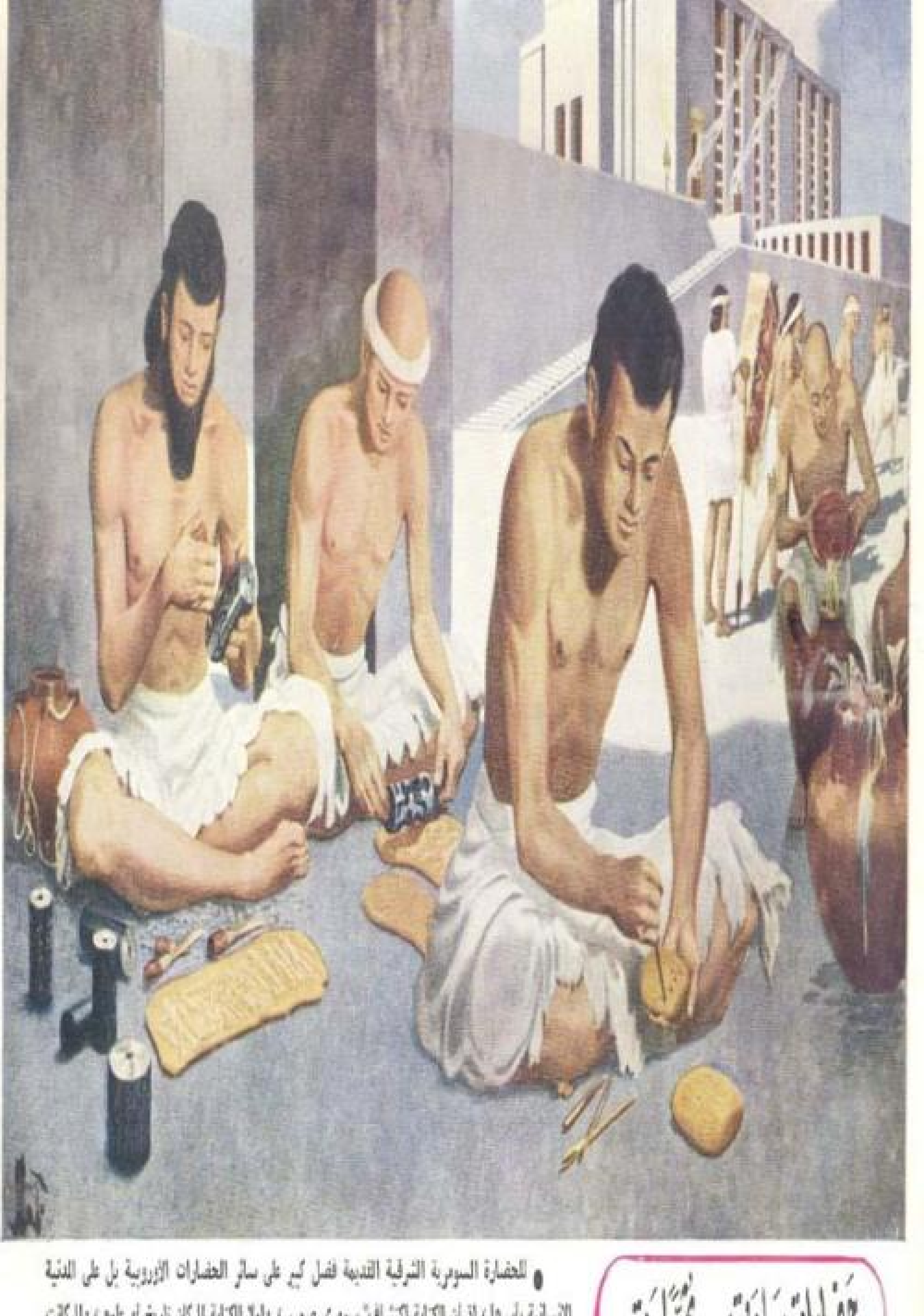


فتاة من المدينة المنسية كسلا .

جوائز
١٢٠
ارستوبا

الثمن

الكويت	١٠٠	فلوس	لبنان	١٠٠	قرش	السودان	١٠	قروش
الخليج العربي	٢	روبية	الأردن	١٠٠	فلس	ليبيا	١٥	[illegible]
السعودية	٢	ريال	سورية	١٠٠	قرش	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن	٢٫٥	شلن	ج٠ع٠م	١٠٠	قروش	الجزائر	٢٠٠	[illegible]
العراق	١٤٠	فلس				المغرب	٢	[illegible]



حضارات سادت .. ثم بادت

● للحضارة السومرية الشرقية القديمة فضل كبير على سائر الحضارات الأوروبية بل على المدنية الانسانية بأسرها ، إذ أن الكتابة "اكتشاف" سومرى صميم ، ولولا الكتابة لما كان تاريخ أو علوم ، ولما كانت حضارات أو فنون . فهى ، كما يقول مثل سومرى قديم : « سيدة الفنون جميعها بل سيدة كل بلاغة وخطابة ... » وما الأختام الاسطوانية التى تبدو فى هذه اللوحة إلا الأصل الذى انطلقت منه الكتابة المسمارية .

(أنظر صفحة ١٤٤)

العدد القادم

عدد ممتاز

عزيزى القارئ

هذا عدد أول ديسمبر ١٩٦٦ .

والعدد القادم ، عدد أول يناير عام ١٩٦٧ .

وقد جعلناه ، على ما عودناك ، عددا ممتازا .

ممتازا في عدد مواضيعه ، كمّاً وكيْفاً .

وممتازا في صوره ، كما وكيفا كذلك .

وممتازا في حجمه . فهو ٢٠٠ صفحة كاملة .

وبالعدد فهرس أبجدي هو مفتاح كل ما كتب فى العربى فى عام ١٩٦٦ .

ومعه هدية منفصلة ، صورة كبيرة ، ذات الوان اربعة ، رائعة ، تسجل ناحية من مجد الدولة العربية الاسلامية التى كانت ، وهي زينة كل حائط .

اطلبها من البائع . فهي بالمجان .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام

استطلاعات صحفية مصورة

أدب ولغة

ركن الذرة والفضاء

طب وعلوم

اسلاميات

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY = No. 97 December 1966 P.O.B. 748 = KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٩٤١١ ـ تلغرافيا « العربي »

الإعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

العربي

العدد القادم

عدد ممتاز

تربية وعلم نفس

تاريخ .. وتاريخ اشخاص

شعر .. وشعراء

ركن الاسرة

جرائم .. وقصص

كتب

متنوعات

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٢٫٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣٫٥ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ــ ص.ب ٤٢٢٨ ويكتب على الغلاف : مجلة العربي .



السيدة نفيسة وابن طولون .. مرة أخرى!

● قرات رد السيدة سنية قراعة على من قالوالها «ان السيدة نفيسة كان زمانها قبل زمان احمد ابن طولون ، فهى لا يمكن أنها التقت به كما ذكرت السيدة سنية » . وهو رد معقول مقبول . ولكن ينقصه أن السيدة المذكورة لم تأت لنا بالمرجع التاريخى الذى أخذت منه قصة هذا اللقاء .

دمشق ع . عمروش

ـ طلبنا الى السيدة المذكورة هذا المرجع فجاء منها ما يلى :

فى الجزء الثالث من كتاب « أعلام النساء » فى عالمى العرب والاسلام من تاليف عمر رضا كحالة، الصفحة رقم ١٥٦٧ جاء ما يأتى بالحرف الواحد: ضمن تاريخ وتلخيص بعنوان : « السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب » .

« لما ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل ، استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكونه اليها فقالت لهم : « متى يركب »؟ قالوا : « فى غد » . فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت : « يا أحمد بن طولون ! » فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه واخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها : ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم، وخولتم ففسقتم ، وردت اليكم الارزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم . اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون ، واظلموا فانا الى الله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . فعدل لوقته » .

ومصادر المؤلف التى اخذ منها هذه السطور هى :

« تاريخ ابن خلكان. شذرات الذهب لابن عماد. مرآة الجنان لليافعى . الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام للنابلسى (مخطوط) . لواقح الانوار للشعرانى (مخطوط) تحفة الاحباب للسخاوى . حسن المحاضرة للسيوطى . عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى (مخطوط) الكواكب السيارة لابن الزيات . خطط المقريزى . المستطرف للابشيهى » .

سنية قراعة

ابن طولون لم يلْق السيدة نفيسة لانه وُلِد بعد موتها

● كتبت السيدة سنية قراعة تقول ان احمد ابن طولون تلاقى مع السيدة نفيسة المتوفاة سنة ٢٠٨ هجرية . وكتب التاريخ التالية تنص على ان ولادة احمد بن طولون لا تسبق ٢١٤ هـ ، واذن يكون هذا اللقاء غير محتمل .

ابن خلكان : في ترجمة ابن طولون قال ان ولادته كانت سنة ٢٢٠ هـ

ابن خلدون : في كلامه عن الدولة الطولونية قال ان ولادته كانت سنة ٢٢٠ هـ .

ابن كثير : في كتابه البداية والنهاية قال ان ولادته كانت سنة ٢١٤ هـ

الذهبي : قال في كتاب العبر ان ابن طولون توفي في سنة ٢٧٠هـ وهو في عشر الستين ، أي فيما بين الخمسين والستين من عمره .

وكتبت السيدة سنية تقول ان مجيء احمد ابن طولون الى مصر كان سنة ٢٠٠ أو سنة ٢٠٥ هـ . وكتب التاريخ المذكورة سابقا تقول جميعها انه جاء الى مصر نائبا عن بكباك سنة ٢٥٤ هـ في خلافة المعتز . وبذلك قال ايضا الكندي في كتابه « ولاة مصر وقضاتها » ، وابن الاثير في كتابه « الكامل » .

واذا كان هذا اللقاء مذكورا في احد الكتب التي تورد الفضائل ، فلعله اختلط الموقف بين السيدة نفيسة وحاكم سابق لاحمد بن طولون ، او بين احمد بن طولون وسيدة اخرى من كريمات النساء غير السيدة نفيسة . فالتبعة في ذكر لقائهما ليست على السيدة سنية ، وانما على بعض المؤلفات القديمة التي تجمع القصص التاريخية دون تحقق من سنوات الوفيات والولادات .

بقي أمر آخر ، هو قصة ابي يعقوب البلخي ، فلتقرأ السيدة نهايتها في « الخطط التوفيقية » وغيرها ، فان ابا يعقوب استدرك سهوه ، فدعا لابن طولون ولم يلهب جسده بالسياط ، وانما عدل عن ذلك الى مكافاته بخمسمائة دينار .

وبهذه المناسبة احب ان اصحح خطأ مطبعيا ورد في مقالي عن « الليث بن سعد » بالعدد ٩٢ من « العربي » ، اذ ان عهد الدولة الاموية انتهى عام ١٣٢ هـ ، وليس عام ١٣٥ هـ كما نشر خطأ ، اذ دار رقم ٢ فصار ٥ وكان هذا الخطأ .

عبد الستار احمد فراج

عندما تختلف المراجع

● قالت السيدة سنية قراعة في مقالها عن السيدة نفيسة انها بنت الحسن بن زيد بن الحسن السبط .

وقال السيد رضى زين الحسني معلقا على ذلك ان السيدة نفيسة هي بنت زيد بن الحسن السبط لا حفيدته .

والواقع ان كلا الكاتبين لم يخطيء فيما قال اذا اعتبرنا ان كلا منهما استند الى مصدر غير الذي استند اليه الآخر . وذلك ان المصادر التاريخية القديمة نفسها اختلفت في هذه النقطة فقال صاحب (عمدة الطالب) انها بنت زيد ابن الحسن السبط ، ثم اشار الى ان هناك من يقول انها بنت الحسن بن زيد ، ولكن هذا القول في رأيه غير صواب لان ثقات النسابين لا يقرونه .

اما ابن حجر في تهذيب التهذيب فقد قال انها بنت الحسن بن زيد .

وكذلك القول عن زواجها باسحاق بن جعفر الصادق ، فان السيدة سنية قراعة لم تخترعه ، بل وُجد من قال به ، وقد اشار الى ذلك صاحب عمدة الطالب نفسه ، ولكنه رجح انها لم تكن زوجة له .

اما رأينا فيبدو ان الصواب هو ما أخذ به صاحب عمدة الطالب في كلا الامرين .

بيروت ــ حسن الامين

الحوافز في حياة الناس

بقلم رئيس التحرير

■ انت جالس فى حجرتك .

ثم اذا بك على حين بغتة تقوم لتغلق النافذة .

انك احسست تيار الهواء البارد يأتي منها فقمت تسدُّ مداخله . اما الحافز الى قيامك هذا ، فخشيتك من البرد . واما الغاية فطلب الدفء . حافز ، وغاية . طرفان لشيء واحد . الحافز يبدأ عملا ، والغاية ينتهي اليها العمل . وقد نتجاوز عن هذا التفريق فنقول ان قيامك لاغلاق النافذة كان حافزه طلب الدفء .

ولكنك تطلب الدفء ، ليَصِحَّ جسمك . اذن طلب الصحة كان لك حافزا . ولكنه حافز ابعد من طلب الدفء . غاية قريبة تطلبها (الدفء) وراءها غاية ابعد (الصحة) . كلاهما هدف .

قط

ثم قط قبع فى الحديقة فى الظل ، ثم اذا به على حين بغتة يتحول الى الشمس . انه مثلك احس البرد فتحول الى الدفء . حافز حرَّكه ، وغاية طلبها . ولكنه وقف عند هذه الغاية القريبة (الدفء) فلم يطلب غاية ابعد منها (الصحة) . فهمُهُ وقف عند

في القط تعمل الغريزة عندما يعجز الفهم



الحربان العالميتان أيقظتا من الحوافز مالم توقظه سلم قط ، وقفزتا بالانسان قفزات واسعة فى المجالات الانسانية جميعها

الروس أطلقوا الحوافز إطلاقاً ، وكفروا بالمساواة ، وفتحوا لكل عامل باب الثراء على مصراعيه واسعا

هذا . انها الفريزة تعمل ، عندما يعجز او يتخلف الفهم .

اذن فحتى فى العمل الفريزى ، فى غيبة الفهم والعقل ، حافز وغاية .

غرائز تسد العجز

والانسان ، ابو الحيوانات جميعا فهما وانضجها عقلا ، يبدأ حياته بأعمال كلها غريزى . يحس الطفل بالجوع فيطلب الثدى . الم الجوع حافز ، والثدى غاية . وهى غاية تقف عند هذا الحد ، فالطفل لا يفهم ان الغذاء من ضرورات الحياة . ولكن يفهم الطبع . غاب الفهم عن الطفل ، فقام الطبع عنه بالفهم . وهذا معنى من معانى الخلق خطير عميق . ما قام فى الحياة عجز ، الا قامت الطبيعة ، فى النمط السوى من الحياة ، بسد هذا العجز .

المهم فى كل هذا انه ما من حركة تصدر عن حى من الاحياء ، الا ولها حافز يسبقها ، وغاية تستهدفها . فان عجز الحى عن صنع حافز وغاية ، قام الطبع يطلق له فى جسده ، وفى نفسه ، حافزا ، تستجيب له غاية . ومن وراء الطبع ارادة « الطابع » . وهى ارادة تشمل هذا الوجود الحى كله .

كأس وصديق

وزعم لى صديق ان من الاعمال ما لا حافز له .

قلت : لمجنون هى ام لعاقل ؟ قال بل لعاقل . قلت يستويان ، عاقل او مجنون ، لا بد لكل عمل من حافز . حافز العاقل معقول ، وحافز المجنون موجود فى نفسه لا شك فى هذا ، ولكنه غير معقول .

وكان على المائدة كأس ، فامسك بها صاحبى ، وازاحها من موضعها على المائدة الى موضع آخر . ونظر الىّ وهو يقول : فهذا عمل لا حافز له . قلت بل له حافز واى حافز . قال ما هو . قلت انك تريد تخطئتى . وزدت فقلت : وتستطيع انت الآن مثلا ان تقوم فترقص فى هذه الحجرة ، وما بك رغبة فى الرقص ، ولكن بك انك تريد ان تصطنع اصطناعا مثلا لعمل لا حافز له ولا هدف .

أول الحياة ضباب ثم ينقشع

وأعود الى الطفل فأقول انه يبدأ حياته وهو غير واع بها او بنفسه . يرى لا كمن رأى ، ويسمع لا كمن سمع . ضباب يلفه من كل جهاته ، وهو يجرى الحياة وكأنما غيره يجريها . ثم يأخذ ينقشع الضباب على الايام وعلى الاشهر . يخف قليلا ، ثم يخف كثيرا ، ثم يأخذ الطفل يدرك انه هو شيء ، وأن ما حوله من اشياء غير هذا الشيء . ويدرك امه بأنها الطاعمة ، ويدرك اباه بأنه صاحب مقيم فى المجال الذى يجول فيه بصره .

ويرى الطفل اخا ، ويرى اختا . ويرى عما وعمة ، وخالا وخالة . دنياه اذن ليست بهذا الخلو . ويبدأ يدرك معنى الناس .

ويتقدم فى الادراك ، ولكن تظل حوافزه الاولى باقية ، تلك التى تتصل بوجوده الجثمانى . وهو فى هذا الوجود أصل ، وما حوله من الدنيا تبَع .

وفى فجر حياته هذا الأول يتعلم الطفل ان يقول أنا او ما فى معناها . ويتعلم ان يقول هو . ويكبر فيتعلم ان يقول نحن .

وعندئذ يبدأ الطفل يتفاعل مع بيئته الحية ، تلك التي نسميها نحن الكبار بالمجتمع .

فى المدرسة تتهدم دنيا الطفل الذى خال انه سيدها

وفى المدرسة يزيد الطفل بهذه البيئة الحية تعرفا .

انه الآن على اول عتبة من عتبات الصبا .

وهو يدخل الى المدرسة بحوافزه تلك الاولى ، وبرغائبه التي قد أتيح له من زمن أن يشارك فى صياغتها ، وازعا وهدفا .

ولكنه لا يلبث ان يرى انه فى أوسط صبية صغار ، جاءوا بهم كذلك الى المدرسة ، وبهم حوافز ، وبهم رغائب يجب ان تشبَع وتنال .



فى المدرسة يتعلم الصغار فى مجتمعهم الصغير ، ما يتأهلون به للعيش فى المجتمع الكبير .

ومن الرغائب المتفق ، فيشارك الصبى فيها سائر الصبية . وتهدم هذه المشاركة عنده ما زعم من أن الدنيا له وحده . ومن الرغائب ما لا يتفق ، واذن يحس الطفل أول احساس بأن من الرغائب ما يحول دون تحقيقه الاخرون ، واذن هو يسعى الى تأمين موقع قدميه من دنياه الجديدة هذه ، واذن تستيقظ فيه المقاومة ، تلك التى ورثها عن أبيه وورثها أبوه عن جدّه .

واختصارا يبدأ تعلم معنى المجتمع ، مع العيش بين الناس . كل يطلب ، وليس كل مطلب بمستجاب . واذن فهو الصراع . ولكنه الصراع الخفيف الذى يأتلف مع خفة ما عند الصبية من سلاح . وبعض يأخذ ويعطى . وبعض يفرض ارادته فرضا . وبعض يضعف ، ولا يريد ان يُخذَل ، واذن فهو يحتال .

كل صفات المجتمع الكبير توجد هنا ، ولكن بحجم صغير .

ومن المجتمع الصغير ، الى المجتمع الكبير

ويظل الصبى يخطو من مجتمع صغير ، الى مجتمع اكبر ، فالى ما هو اكبر . وفى كل مجتمع يظل يأخذ ويعطى ، ويتعلم معنى السير فى الزحام . ويَعُبّ من ثقافة قومه عبّاً . ويلبس من تقاليدهم كل ثوب . حتى اذا فرغ من تعليم ، وفرغ اهله الى حد كبير من رعايته ، اخذ

يطرق باب العمل يطلب استقلالا . وبهذا يدخل الى المجتمع الانساني الأكبر والأوسع .

انه في صباه الأول كان كمن ركب قاربا سار به تجديفا في خليج صغير . ثم هو بدّل قاربه الصغير بقارب أكبر يسير به في ماء اوسع . ثم بدّل قاربه بسفين خرج به الى البحر . ثم هذا هو يدخل معركة الحياة ، شابا ، مؤهلا لها، فكأنما هو يدخل المحيط الأعظم فيما وراء البحار ، فهو لا ينتظر ان يجد فيه غير الامواج عالية ، والأنواء عاتية .

وفي هذه العتبة من عتبات الحياة ، تكون قد نبتت في نفسه نباتات شتى ، من كل جنس ، وكل نوع . آمال يريد تحقيقها ، يتحقق وجوده بتحققها ، وما حياة الانسان الا تحقيق وجود قبل ان يلحقه العدم . وهي آمال حياة لا يحققها الا العمل . ومن اجل هذا صار العمل والحياة شيئا واحدا . وحياة بلا عمل حياة بلا أمل . ارض جدباء ، لا تسقط عليها بذرة فتنمو ، ولا ينزل اليها ماء .

حين يأتلف العمل والأمل وحين يختلفا

ولست بداخل متاهات علم الأنفس ، وعلم المجتمعات ، احصي فيها آمال الناس في حيواتهم فأعدّد واصنف ، وآتي على حوافزها ودوافعها ، انما يكفيني هنا ان اقول ان العمل الذي يوصل الى الآمال ، ويحقق وجود الانسان الحي بتحقيق هذه الآمال ، هذا العمل قد ينجح فيصل الى اهدافه ، وقد يخفق اخفاقا مريعا .

ذلك لأن وراء العمل نفسا انسانية لا تستطيع ان تظل طويلا بالأمل وحده مشبوبة . ان العمل نفسه له دوافع وحوافز، بعضها ينبع من نفس العامل ، وبعضها ينفثه وسط العمل على العامل بحيث يحمل شعلة النفس باقية على اشتعالها فلا تميل الى انطفاء . ان كل مشبوب يخبو ، فلا بد له من وقود .

وما وقود العمل الا حوافزه ، يصطنعها العامل من داخل نفسه ، واخرى يصطنعها له مجتمع العمل ، ومجتمع الناس ، اصطناعا .

الحوافز على مستوى الفرد ، وعلى مستوى الأمة

وانتقل على الفور الى العمل وحوافزه. لا الى العمل الذي ينال به الفرد آماله ، والى حوافزه .

ولا الى العمل الذي تنال به الأمة آمالها ، والى حوافزه .

ولكن الى العمل الذي يجمع بين نيل الفرد آماله ، ونيل امته آمالها . ذلك العمل الذي هو امل المجتمعات النامية الآن ، وموضع احاديثها ، والشاغل لكل همها والمستوعب كل جهودها .

ذلك العمل الجماعي الذي يقوم به العمال في مصانعهم ، ومزارعهم ، ومتاجرهم ، وفي مدارسهم والجامعات ، وفي كل مكان يعمل على اسعاد الأمة ، اسعادا سريعا ، يعوض عليها ما ضيعه التخلف ويكسبها العزة والمنعة في عصر لا تزال الثروة والقوة هما سبيل الأمم الى دفع مذلة واحتفاظ بكرامة .

بيئة العمل

واول ما يؤثر في العامل ، أيا كان ، واينما كان موطن عمله ، انما هي بيئة هذا العمل . وبالبيئة هنا أعنى المكان واعني الأدوات التي حول العامل والآلات ، واعنى ما حوله من رجال ، من فوقه منهم ، ومن تحته .

كل هذه مصادر يستمد منها العامل الحافز الموجب المشجع، والحافز السالب المخذل على السواء .

ومن الأمكنة ما تظلم فيه النفس ، ومن الأمكنة ما تنير فيه . ومن الأمكنة ما يفسح للصدور ان تتنفس ملئها ، ومن الأمكنة ما تضيق فيه الأنفاس . والرجال ، كالأمكنة ، لصدر

العامل منهم فسحة في تنفس، أو ضيق . العدل . النصفة . حسن التقدير . الكلمة الطيبة والنية الخيرة . الزمالة في العمل كبر العامل او صغر . كل هذه حوافز تدفع العامل الى عمل .

والعمل راتب مسئم ، **وتطول به الساعات فتمل النفس ، والملل مرض يعتري النفوس شديد الألم . ومع الملل يقل الانتاج ، انتاج اليد التي تعمل ، والراس الذي يفكر . لهذا صارت سنة هذا العصر ساعات العمل المحدودة ، اربعين في الاسبوع أو ما دونها . وتخللت العمل الموسيقى ، هادئة تعيد الى الاعصاب نشاطها . وان يكن الريف فيه للعامل الزراعي بهجته وخضرته ونضرته والوانه ، فقد ادخلوا الى العامل الصناعي البهجة والنضرة ، والالوان يصبغون بها الآلات والحيطان . ودخلت الى المصانع موائد الطعام . وانشئت في المصانع النوادي واقيمت الندوات . والحمامات للسبح ، والمكتبات للتروح والدرس .

كل هذه حوافز لها هدفان ، هدفها الأول تخفيف الحياة الجاهدة على الانسان ، وهدفها الثاني زيادة الانتاج . وحسبوا زيادة الانتاج بالارقام فكانت عشرة وعشرين في المائة وما فوق ذلك .

حتى المدرس ، حتى استاذ الجامعة ، حتى المهندس ، حتى الطبيب ، حتى القاضي ، يزيد انتاجهم بحسن البيئة ، بالذي تحتويه من أشياء وأحياء .

ومن ابين صفات البيئة الحافزة ، من شيئية او انسانية ، الحرية . حرية العامل في ان يقول ، وحرية العامل في ان يستمع . وحرية العامل في أن يفكر ، ومع الفكر ابتداع وابتناء . وحرية العامل في أن يصيب ، وحريته في أن يخطىء . ان النفس الانسانية يخنقها الكتم . انها تتنفس كما يتنفس الجسم . والجسم يختنق فيموت على الفور . والنفس تختنق فلا يأتيها الموت عاجلا ، وهذا شر اى شر .

قدرة لدى العامل ، بعضها مبذول ، وبقية منها مدخرة

والعامل ، ايا كان واينما كان ، يعمل على الراحة فينتج باذلا من قدرته . ومع هذا تبقى عنده بقية من قدرة مدخرة .

وان تكن الأمم المتخلفة في حاجة الى العمل للانتاج ، فهي بحكم الزمن الذى افلت ، في حاجة كذلك الى ما عند العمال من بقايا قدرة مدخرة .

فهذه القدرة المدخرة هي الهدف التي ترمي اليه الحوافز .

تهدف الحوافز الى أن يبذل العامل ، ذو البذلة الزرقاء ، او ذو القميص الأبيض على السواء ، كل ما عنده من طاقة . وهي بقية صالحة من عمل لا يرهق بذلها .

وهذه البقية يحتاج اخراجها من الظلام الى النور الى حوافز قوية .

وامثل بالعشق حافزا

وامثل بالعشق حافزا يخرج المكنون من قدرة العاشق . وليس في العشق ما يعيب ، الا عند منافق . وليس في العشق ما يعيب عند عاشق .

واضرب المثل بالعشق لانه في ظني اقوى الحوافز جميعا . فتجربة الناس في الحياة ، في انفسهم وفي الأغيار ، تجعلهم يؤمنون بقوة العشق حافزا . فكم

سجل جوته ، شاعر الالمان حافز شبابه الاول ، الحب ، في قصته الام فرتر





الحرب لها من الحوافز ، في تقديم البشر ، ما ليس للسلم، وليس هذا تحبيذا لها .

عشق فتح براعم الرجل المغلق . وكم عشق انشط البليد الى درجة ما كان يخالها حاسب . وكم متخلف سبق بالعشق وساد . حتى لقالوا ان وراء كل رجل ناجح امرأة .

جوته Goethe شاعر الالمان وكاتبهم ، كرّس عشقه الأول في قصته آلام فرتر Werthers Leiden . واسكندر دوماس Dumas الابن ، كرس عشقه الأول فى مأساته « غادة الكاميليا » La Dame Aux Camelias

وكلا القصتين قصة حياتهما .

ولكن ، ما الذى صنعه العشق بهؤلاء الرجال ؟ انه حافز أخرج الى العراء تلك البقية الخافية المنزوية فيهم من قدرة وكفاية . ولكنه ، بين الحوافز جميعا ، اخرجها كسحا وعصرا حتى لم يَبق فى الاسفنجة قطرة من ماء .

حوافز ، كالحب ، تنشأ فى أطواء النفس

وأول هذه الحوافز ما يعرف بالضمير .

والضمير شيء غامض ما سمى بالضمير الا لانضماره واختفائه فى أطواء النفس . وهو ذلك الشيء الذى يراجعه المرء فى كل عمل يعمله ، وعنده الخط المستقيم الواحد الذى اذا حاد عنه العامل عد ذلك انحرافا ونقض استقامة . ويتدخل الضمير ليصحح المنحرف من الأعمال ويقيم المعوج ، ومرجعه فى ذلك العدل والانصاف .

فالضمير ، من حيث الأعمال ، هو حافز للاعمال حتى تفى بأجورها . فان لم تف كان ما فاض من الأجر من العمل،عند الضمير الحى،سرقةواغتصابا، استرقها من صاحب العمل ، فردا كان صاحب العمل او شركة او مؤسسة او حكومة ، وما الحكومة الا الشعب فالأمة .

وقد تعمد الضمير العقيدة الدينية فتكون له سندا .

ومن الناس من يطلب فيما يعمل التمام ، ويطلب منه الاحسان بصرف النظر عن أجر ، نعمة نفس غالية نادرة .

ومن الناس من يعمل بحوافز باطنية اخرى لا تتصل بضمير ، ولا باحسان ، ولا حتى بالعمل ، وانما تتصل برعاية بيت ، والستر يرخيه على اهل وولد .

اما الضمير فقليل فى الناس . وكثيرا ما تنقلب النفس على ضميرها فتبرر له الخروج ، وتزين له الثورة ، لا سيما اذا امدتها ظروف العمل بما تكره ، فتتخذ من ذلك حجة النكوص ، حتى ليصبح الضمير على النكوص معينا ، ولنار الثورة حامل احطاب .

واما الحدب على الأهل فكثيرا ما يقف اثره عند القدرة على العمل الذى يؤمّن بقاء الرزق واتصاله واطراده ، فلا

يكون عونا على ابراز كل ما في مكنة العامل من قدرة .

الحرب تثير من الحوافز ما لا تثيره السلم

وليس ادل على ما عند الناس من مكنون قدرة على العمل ، مما يبذل الناس اذا قامت حرب من مجهودات لم تكن ابدا فى الحسبان والسلم قائمة . عمل الفرد يتضاعف مرتين وثلاث مرات ، والقدر من الانجاز الذى كان يستغرق ستة اشهر قد لا يستغرق غير شهر واحد او شهرين . والفكر الذى كان يتفتق عن فكرة واحدة متواضعة ، على مهل،يصبح يتفتق عن عشرات من الافكار ، تفتقا عاجلا ذا ثمر كثير .

والتحفظات التي كانت تساور العمال ، عمال يد او فكر او قلم ، كلها تختفى الى ان تضع الحرب اوزارها .

وموقظ هذه الحوافز جميعا هو الخوف . الخوف من هزيمة ، ومع الهزيمة نوائبها . والخوف على زوجة وولد واهل ، فهو عنهم يدفع . ثم الحرص على الأوطان .

والدارس الحروب وما جرت على أهل الدنيا من مغارم ، مضطر الى ان يذكر ما جرته الحرب على أهل الدنيا من مغانم ، بسبب استيقاظ كل هذه الحوافز .

الحرب العالمية الأولى ، وكذا الحرب العالمية الثانية ، كلتاهما حطت بالانسان، فى علم ، وفى ادب ، وفى مجتمع ، وفى المراة وفى التعليم ، وفى الانظمة جميعا ، ما لم تخطه فترة من سلم وان طالت . والحروب كانت سببا أكبر فى تحرير الفرد وتحرير الأمم المغلوبة على أمرها .

كل هذه منافع لا يدركها الا رجل فى المريخ يرى المنظر الانسانى ، جملة ، من هذا البعد البعيد. وكلها منافع اكسبتها الانسان قدرة فيه خبيئة فى ظلام النفس مكنونة ، كشفت عنها وارتها النور . حوافز ايقظتها الحرب ، ظلت وتظل نائمة ما دامت السلم قائمة .

وود الانسان لو أن حوافز كهذه ، استيقظت مرة ، أن تطول يقظتها فلا تهدف على السلم الى النوم .

ولكنه رجاء ليس الى تحقيقه من سبيل ، لأن هذا الفيض من القدرة المنبعثة يستنزف النفس استنزافا ، ويرهق العصب ، فهو يطاق لفترة من الزمن مقطوعة ، قد تطول سنة او سنتين او ثلاثا .

ولكن لا سبيل الى اطرادها واتصالها .

حوافز تدخل الى النفس من خارجها ، فترقد فى اطوائها ثم تدفع

ومن هذه الحوافز الرغبة فى الحمد . وشيوع ذلك بين الناس .

ومع الحمد الرغبة فى الشهرة ، وهتاف الناس .

ومع الحمد والشهرة تأتى رغبة العامل ، أيا كان ، فى التقدم بين اقرانه ، على الطريق السلطاني ، لكي ينظر امامه فيجد الناس قلة ، وينظر خلفه فيجد الناس كثرة،ويطيب نفسا ويطلب المزيد.

ومع الحمد ، ومع الشهرة ، ومع التقدم ، تأتى رغبة الانسان فى السيطرة

الممثل والموسيقار ، على المسرح ، ينتظران دائما نزول الستار



والقــوة ، وعندها هو يأمــر ولا يؤمر ، ويطيب بذلك نفسا ويطلب المزيد .

وهى كلها حوافز تتصل بحفظ كيانه وتأمين وجوده ، يعلمه اياها المجتمع فى ازدحامه وارتطامه وصراع العيش فيه .

وليس فى هذه الحوافــز ما يذم او يحمد ، الا اذا جــاز الذم والحمد على الحجر الذى يهبط نازلا الى الأرض او على بالون الادروجين اذا هو طفا وعلا الى السماء .

والأمثلة على هذه الحوافز كثيرة .

والعامل قد يجمع منها بين أكثر من حافز .

خذ مثلا استاذ الجامعة الذى يقضى النهار واطرافا من الليل باحثا متعبا .

وخذ السياسى الذى يجول ويصول بين جماهيره ، هاتفة له صارخة .

والممثل على خشبة المسرح ، والموسيقار يحاول كل الاحسان ما امكنه الاحسان ، فى انتظار ما يكون عند اسدال الستار .

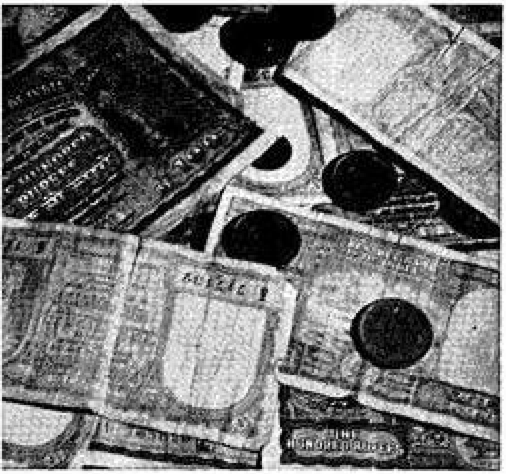
ومثل هؤلاء عامل المصنع ، وعامل المزرع ، وعامل المتجر ، والعامل ايا كان وفى أى مستوى ، به نفس هذه الحوافز تثير وتدفــع . انها دنيويات صغيرة ، ودنيويات كبيرة . حوافزها واحدة .

والمال ، حافز اى حافز

وبالمال اعنى اول ما اعنى ، الأجر . فليس شىء اقدر على الكشــف عما فى قدرة العامــل من بقايا خافية كالأجر يرجو زيادته . فاذا زاد العامل من قدرة يبذلها ، ولم يزد اجره تبعــا لذلــك ، انطفأت من حوافز العمل شعلة هى اكبر الطاقات فى دفع العجلات .

كذلك يبوخ تحرق العامل الى العمل اذا استوى أجر مجتهد واجر متخاذل متكاسل . او استوى اجر عامــل ذى مهارة وكفاية ، واجر من لا مهارة له ولا كفاية .

ان المساواة تكون فى اتاحة الفــرص امام العاملين لكســب مهارة او كفايــة



المال من اكبر الحوافز على العمل ، عند العامل بذراعه ، والعامل بفكره

كائنة ما كانت ، ولكنها تقتل الأمل اذا هى دخلت الى اجور عمل ، ومع قتــل الأمل قتل العمل .

وكالأجور المكافآت عند كل احســان .

روسيا وما عندها من أصداء حوافز

واضرب المثل بالروس لانهم بداوا ، او بدا كتابهــم ، بأن خلقوا من المجتمع صنما ، ودعوا الناس الى عبادته . وما كان يدفع الناس الى الخروج عما خلوا فيه السنين الطوال من فقر وذل وتعاسة الا قوة من عبادة . وكفر الروس ، أو زعماؤهم ، بعبادة اللــه ، فطلبوا مكانه صنما يعبد ، فكان المجتمــع . ونجحت تلك العبادة قوة دافعة ، ولكن الى حين . وكان نجاحها بسبب ان عبادة الاصنام بين الناس داء قديم .

وما المجتمع الا الناس . وما المجتمع الا افــراده . واكرم بالمجتمع مجتمعا للناس . واكرم بمن يبذل للمجتمع من نفسه وماله وجهده ، ثم لا ينسى أن مــا يبذله انما هو لنفســه ولأهله وذويــه ، ومجموعة من بنى آدم ضمها فى العيش الواحد ذلك المعنى المجرد الذى سميناه وطنا .

وغير ذلك من يفصــل معنى المجتمع

عن معنى الناس ، ويطالب بعبادته مع الكفر بأفراد هؤلاء الناس ، وينسى ان الناس أنفس جبلت على أشياء ، فى عالم الاحياء ، هي قوانين كالتى جبل عليها الحجر فى عالم الجوامد . وانهـا انفس جبلت على الخير فى البيئة التي لا تأذن باستغلال نفوذ او جاه او مال .

بدأ الروس فى ثورتهم بمعنى المساواة شاملة كاملة . وكان هذا مزاجا طبيعيا يأتلف وما كان عليه مجتمعهم القيصري من فروق ظالمة غاشمة .

ولست متابعا ما حدث لمعنى المساواة الشاملة عندهم على تعاقب الايام والسنين من هزات فككت اوصاله .

ولكنى اذكر ما حدث له من حيث اختلاف حوافز .

كان الهدف الأول المساواة بين العمال فى الأجور ، والمساواة فى الارزاق . ثم ما لبثوا ان اكتشفوا انهم عملوا على نقض طبع من طبائع البشر لا ينقض ، ذلك انه لا بد لكل عمل من حافز .

واكتشفوا ان الحوافز تختلف قوة ودنعا .

اما الأجور فناسقوا بينها وبين العمل من حيث القدر الذى به من مهارة ، والقدر الذى به من قسوة ، والقدر الذى به من خطر . حتى الناتج الذى تحتاجه الدولة خاصة زادوا فى أجر عماله .

والى جانب اختلاف الأجور انشاوا جوائز لكل احسان فى عمل . حتى العلماء جعلوا للمحسن منهم مكافآت صنوفا ، وبمقادير شتى . بيت له ولأهله خاصة . سيارة فخمة بقدر ما هناك من فخامة . منح بلغت أحيانا آلافا من الروبلات بمد يده اليها العالم ، العامل جهده ، فى غير استحياء ، مع انها الثراء ، لأنها صارت حلالا مشاعا بعد ان تبينوا أثر الحوافز فى الأعمال .

ومن اجل هذا ، وبسبب ما فى الانسان من اطماع لا يشبعها الا التراب ، فتحوا للثراء بابا ينطلق منه الى اى مدى شاء شريطة الا يكون الثراء وسيلة استغلال ، او سعيا الى استعباد رجل رجلا . والملكية الفردية اجازوها ، واجازوا ان يبتنى العامل على جميع المستويات منزله بالذى يكسب من مال . وهو يملكه بناء ، ولا يملك ارضه، فأرضه للدولة . وهو يستطيع بيعه ويستطيع حتى تأجيره،ولا يكون هذا منه استغلالا .

ولست اذكر هذا لاذم او امدح .

ولكنى اذكر هذا لأبين ان الروس ، حتى وقد بداوا باتخاذ المجتمع وحده ، دون الفرد ، صنما يعبد ، استيقظوا آخر الأمر الى ان المجتمع ليس معنى مجردا معلقا فى السماء ، تحنى له الرجال ظهورها من فوق سطح الارض ، ولكنه معنى انساني عظيم ، يرجى له الخير كل الخير . ولكن بحسبان انه جمع هائل من افراد من بنى الناس ، لهم اعناق تشرئب تطلب نعمة الحياة معقولة ، ولهم آمال هي كالحداء يفسل عن الانسان السأم ، وهو مخترق صحراء الحياة ، وهي جرداء طويلة ، فوق نياقه والاباعر .

■■ احمد زكي

بدأ الروس بمعنى المساواة الشاملة ، ثم ما لبثوا أن اكتشفوا ان ذلك يتناقض وطبائع البشر



قطعة من حجر

▪ انه لوح من حجر ، لو اننا وضعناه في كفة ميزان ، ووضعنا في الكفة الاخرى كتلا من الذهب الخالص ، آلافا من الاطنان ، لرجحت الكفة التى حملت هذا الحجر . ولو اننا انزلنا الذهب عن كفته ، وانزلنا الحجر ، لكنا بالحجر اكثر ترفقا ، واكثر كثيرا .

كان التاريخ المصرى القديم ، تاريخ الفراعنة ، وما حكموا ، ومن حكموا من قرون ، كالقصر الكبير الهائل ، لا يدرى احد ما فيه ، وكان للقصر باب عظيم ، يدق الناس عليه ما وسعهم الدق ، فلا ينفتح . ثم فى غفلة من الزمان ، مشى رجل فى الرمل ، فعثرت قدمه فيه بشىء . ونظر فاذا هذا الشىء مفتاح صغير . ويعالج بهذا المفتاح الصغير ، خرقا كان فى باب هذا القصر الهائل الكبير ، فاذا بالباب ينفتح ، واذا هو شىء من وراء الباب عظيم . الف حجرة والف دهليز . انه تاريخ امة . صور من صور الانسان عريقة ، حين كان الانسان فى اوائل الزمان يمارس العيش اول مراس ، وينظر الى السماء فيجد بها شمسا هى اصل الحياة ، فيحاول ان يفهم منها ما عز ان تفهمه اياه الارض . ويفهم القليل ويعجز عن الكثير ، ويتشبث بربة السماء ، رمز الوجود عنده . فاذا هى عبادة ، واذا بالشمس « رع » ، واذا هى رمز الاله الاكبر .

هذا المفتاح الصغير ، الذى فتح باب هذا التاريخ كله على مصراعيه ، انما هو ذلك الحجر الذى اسموه بحجر رشيد .

قصة الحجر

انهم وجدوه عند رشيد

كان نابليون غزا مصر ، فى عام ١٧٩٥ ، واحضر معه علماء من كل صنف . وكان من اهدافه واهدافهم دراسة حضارة فى وادى النيل عتيقة ، كانت ، ثم بادت .

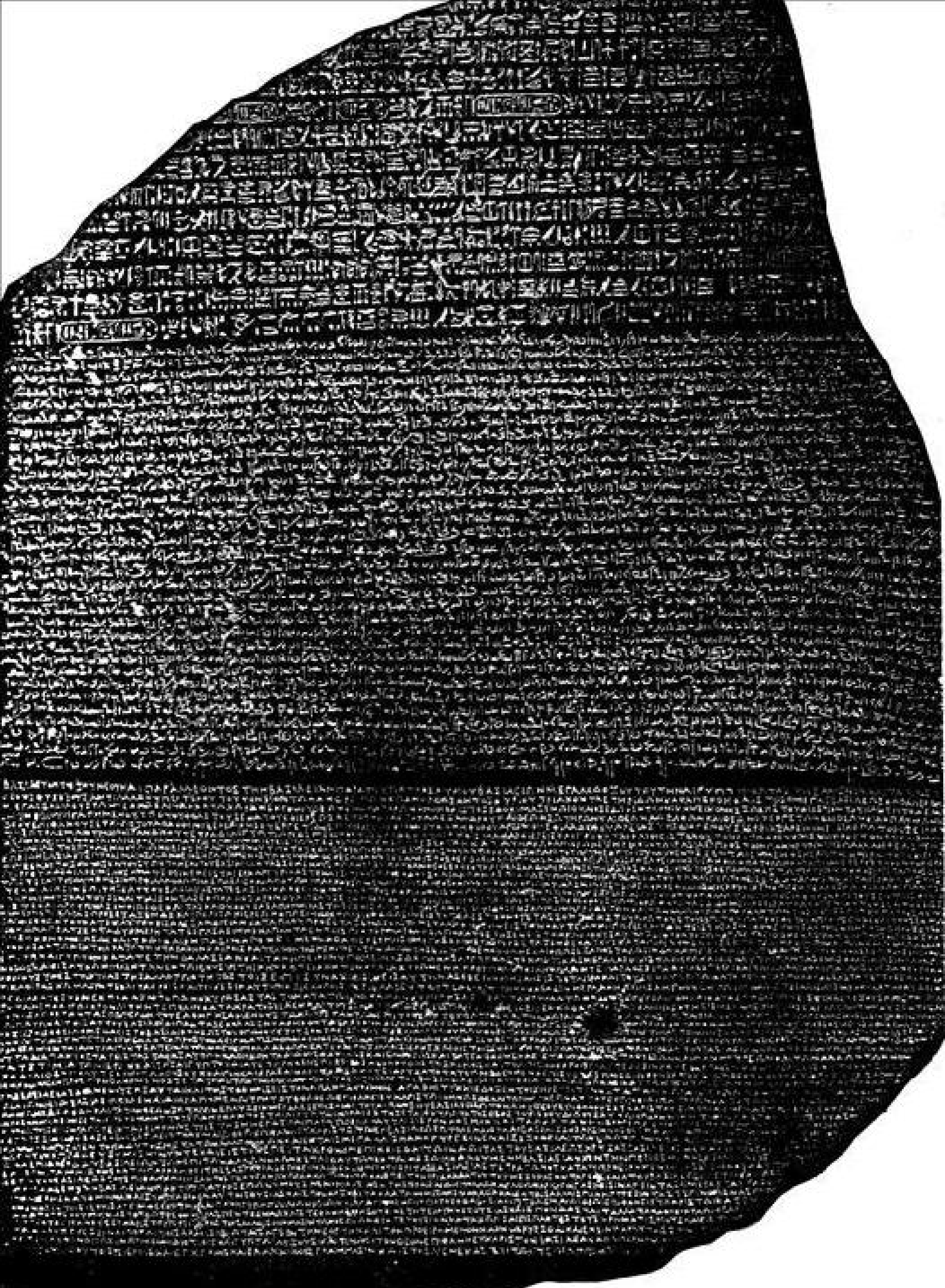
وحدث ان احد رجاله ، اذ كان يصلح اثرا عند مدينة رشيد ، كشف عن حجر به ثلاثة نقوش .

وقع هذا فى الشهر الثامن من عام ١٧٩٩ م .

على الحجر ٣ خطوط

اما الحجر فكان طوله ١١٤ سنتيمترا .

اما النقوش الثلاثة التى كانت عليه فكانت خطوطا ثلاثة لكتابات ثلاث : الخط الهيرغليفى ، تحته الخط الديموطى ،



حجر رشيد . حاول ان تراه واضحا بعدسة جيب مكبّرة

وكلاهما مصرى ، وتحته الخط اليونانى.

اما الخط الهيرغليفى Hieroglyphic فهو خط مصر الأقدم . واللفظ الاغريقى يتالف من مقطعين Hieros ، ومعناه المقدس ، Glyphein ومعناه الحفر . واذن فهو الحفر المقدس .

اما الخط الديموطى فقد جاء بعد الخط الهيراتى Hieratic ، الذى أعقب الهيرغليفى . والديموطى Demotic لفظ اغريقى كذلك ، يتالف من مقطع واحد هو Demos ، ومعناه الشعب . فهو اذن الخط الشعبى * .

اما الخط الثالث الذى فى اسفل الحجر ، فهو لليونانية القديمة .

الحجر يقع فى يد الانجليز

وترك نابليون والفرنسيون مصر سنة (١٨٠١م) ، ووقع الحجر بين أيدى الانجليز . وهو لا يزال الى اليوم راقدا فى المتحف البريطانى بلندن ، فى الجناح المصرى ، يراه كل زائر .

وارسل الانجليز صورا من نقوش الحجر الى علماء الأرض .

حل الطلسم

وكان حل هذا الطلسم من نصيب طبيب انجليزى اسمه توماس ينج (١٧٧٣ ــ ١٨٢٩ م) Thomas Young وعالم فرنسى اسمه شامبليون (١٧٩٠ ــ ١٨٣٢ م) Jean Francois Champollion .

اما « ينج » فقد كشف عن ان اسماء الملوك فى الخط الهيرغليفى كانت توضع فى حلقة مستطيلة تعرف اليوم بالخرطوش وهو لفظ فرنسى Cartouche . كذلك اتضح له ان وجه الطائر ، او وجه الحيوان فى هذا الخط ، يختلف معنى اذا هو اتجه الى يمين أو الى شمال . ونشر بحثه فى ملحق الموسوعة البريطانية لعام ١٨١٩ .

وبدا شمبليون من حيث انتهى ينج ، وكان له العمل الأكبر . وكشف فى الخط الهيرغليفى عن معان لرموز كثيرة . وهو اول من اثبت ان من هذه الرموز ما قام مقام حروف هجائية ، فى عصر لم تكن تعرف فيه الحروف. وهو كذلك ادرك ان النص الهيرغليفى انما هو ترجمة للنص اليونانى ، وليس اليونانى بترجمة للهيرغليفى .

وضع شمبليون الأساس ، وقفى على أثره الآخرون .

وما زلت اذكر جولة كانت لى بين هذه الآثار ، بصحبة الأثرى المصرى الدكتور زكى اسكندر ، فكان يقرا لى الهيرغليفية التى عليها كما يقرا العربية فى سهولة بالفة . ■■

---

* اقدم خطوط مصر القديمة هو الخط الهيرغليفى ، وهو يتالف من صور ورموز . وهذه تعبر ، اما عن شيء مصور بذاته او رمز لمعنى يتصل بصفة الشيء ، كما تقوم صورة النعامة لرمز الى معنى الحق . واما تعبر عن صوت لحرف بذاته ، كما تقوم صورة الصقر مقام الحرف ا ، او تعبر عن صوت مقطع بحاله . والخط الهيرغليفى يقرا من يمين الى يسار .

اما الخط الهيراتى ، وهو لفظ اغريقى معناه المقدس ، فقد كان صورة مختصرة للخط الهيرغليفى ، واستخدم فى الكتابة المقدسة وغير المقدسة ، حتى حل محله الخط الديموطى ، وهو كان بدوره مختصرا للهيراتى ، وقد استخدم فى مصر بعد القرن السادس او السابع قبل الميلاد ، وذلك للكتب والوثائق وغير ذلك .

الأرصاد الجوية في الكويت

ماذا تعرف عن النشرة الجوية التي تذاع بالراديو والتلفزيون مرتين يوميا ولا تستغرق اذاعتها سوى لحظات معدودة؟ هل فكرت يوما في معرفة شيء عن هذا الجهاز الذي ينقل اليك صورة لحالة الطقس المتوقعة ودرجات الحرارة المسجلة ؟

هذه النشرة الجوية التي تعنى كل دول العالم بتقديمها لمواطنيها في مواعيد محددة من صباح ومساء كل يوم وراءها قصة عمل كبير ومجهود ضخم يقوم به لفيف من الجنود المجهولين الذين يعملون في صمت امام اجهزتهم العلمية وخرائط الطقس العديدة طوال الاربع والعشرين ساعة بلا توقف .

عشرة مراصد

وفي مركز التنبؤات بمطار الكويت الدولي وفي بعض المراصد التابعة لمراقبة الارصاد الجوية المنتشرة في الاراضي الكويتية وعددها عشرة مراصد، امضت مجلة « العربي » عدة ايام لتسجل بالكلمة والصورة قصة هذا المجهود العلمي الكبير .. ان هذه المراصد كلها تعمل وحدة واحدة متجانسة لتغذي مركز التنبؤات الرئيسي بمطار الكويت الدولي ومراكز الارصاد الاخرى في العالم أجمع بالمعلومات الخاصة بالأحوال الجوية . فتسجل درجات الحرارة والرطوبة والضغط الجوي ، واتجاه الريح وسرعتها،وسقوط الامطار ، ومختلف انواع السحب،والرؤية الافقية والعمودية ،والحالة الجوية السائدة والماضية على السطح .

ويجرى هذا العمل الكبير في الوقت الحاضر من مقر مراقبة الارصاد الجوية التابعة للادارة العامة للطيران المدني بمطار الكويت الدولي ،والتي سوف تنتقل قريبا الى مبنى ضخم يضم مختلف اقسام مراقبة الارصاد الجوية بالمطار الدولي الجديد .

المقر الجديد

قال لنا السيد داود البعر المدير الفني للادارة العامة للطيران المدني : « ان العمل يجرى الآن على قدم وساق لاتمام المبنى قبل نهاية هذا العام، ويضم هذا المبنى الجديد الذي سيصبح مقرا دائما للارصاد ٢٣ غرفة زودت بجميع المعدات اللازمة لمراقبة الارصاد الجوية بالمطار ، وينتظر تسليم المبنى الجديد في خلال اسابيع قليلة . وسوف ينتقل اليه جميع الاخصائيين والفنيين الذين يعملون في مقر مراقبة الارصاد الجوية بالمطار الحالي .



المقر الدائم للارصاد الجوية في المطار الدولي الجديد بالكويت ، وهو يضم ٢٣ غرفة زودت بجميع المعدات الحديثة اللازمة ، وينتظر تسليم المبنى الجديد خلال أسابيع قليلة .

« وقد اتخذت الخطوات اللازمة لتدعيم هذا الجهاز الحيوي عن طريق تعيين عدد جديد من المتنبئين الجويين والراصدين وكذلك انشاء مدرسة لتدريب الشباب الكويتي للمساهمة في هذا العمل » .

تدريب الكويتيين

وقال الأستاذ رمزي سعد الدين مراقب الارصاد الجوية بالادارة العامة : « ان الادارة تهتم الآن اهتماما كبيرا بتدريب واعداد الشبان الكويتيين للعمل في مراقبة الارصاد وفقا للسياسة العامة للدولة ، ومن اجل تحقيق هذا الهدف انشئت مدرسة شئون الطيران للتدريب على العمليات الخاصة بالارصاد والملاحة الجوية واللاسلكي والصيانة . وقد بدات الدراسة في هذه المدرسة بتاريخ ١٥ اغسطس عام ١٩٦٦ ، وهي تضم الآن ١١ طالبا كويتيا يدرسون الرصد الجوي ،وينتظر أن يزداد عدد الطلبة بحيث تتمكن من تخريج دفعات جديدة بعد انتهاء مدة الدراسة الحالية وتخريج الفوج الأول في شهر فبراير من العام المقبل » .

أول مرصد في الكويت

وقال مراقب الارصاد الجوية : « لقد بدأ العمل في انشاء أول محطة للارصاد الجوية في الكويت في شهر اغسطس من عام ١٩٥٣ ، وكان هناك مرصد واحد يعمل فيه موظف واحد . وشيئا فشيئا بدأ عدد المراصد يتضاعف ويزداد عدد العاملين فيها حتى أصبح اليوم ٦٠ موظفا ، ولكن هذا العدد سوف يرتفع خلال الخطة الخمسية الى ١٥٠ موظفا يضمون مختلف الفئات من متنبىء وراصد وباحث علمي الى آخره .

« أما عدد محطات الرصد السطحي في الكويت، فقد أصبح اليوم عشر محطات ، اثنتان منهما سينبطية Syntopic أي « شاملة جامعة »، هدفها خرائط للمنطقة جغرافية ، تخطط عليها انتجة الرصد المأخوذة في مناطق عدة ، في الوقت الواحد تقريبا . وغايتها التنبؤ بما سيكون عليه الطقس Weather غدا ، واحدة منها في مطار الكويت الدولي والثانية في جزيرة فيلكة .»

« وهناك محطات سينبطية شاملة جامعة اخرى، من المقرر انشاؤها قريبا لاستكمال شبكة محطات الارصاد الجوية في الاراضي الكويتية ، وسوف تقام في مناطق وفره في الجنوب والدبدبة والشقايا في الغرب وأم العيش بالروضتين في الشمال » .

سير العمل

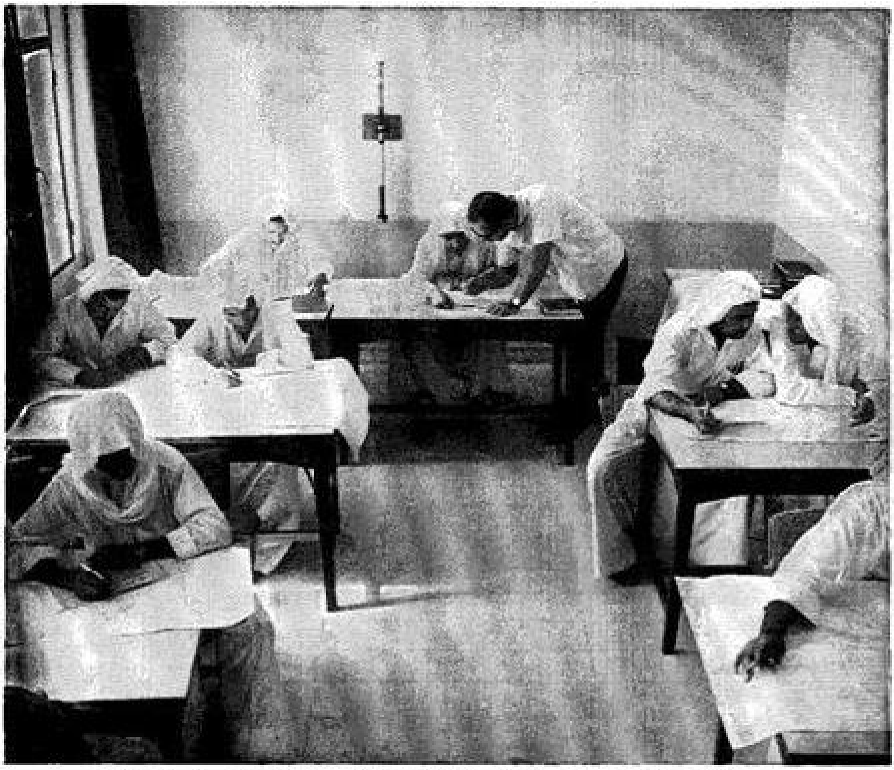
كيف تعمل هذه المراصد ؟ وما هي الأجهزة التي يحتوي عليها كل مرصد ؟

تحدث الينا الأستاذ طالب العلمي رئيس المحطات يصف لنا سير العمل بها ، والذي بها من أجهزة .

أحدث الأجهزة العلمية *

قال الأستاذ العلمي : « لقد تم استيراد أحدث

* العربي هذه الاجهزة بطول وصفها وشرح عملها ، وسوف تنتهز الفرصة كلما حانت لنصف منها ما نصف في باب « في سبيل موسوعة علمية »ان شاء الله .



الطلبة الكويتيون أثناء الدراسة في المدرسة التى انشئت في صيف عام ١٩٦٦
بمطار الكويت الدولي لتدريبهم على أعمال الارصاد الجوية في الكويت



الأجهزة العلمية لتزويد مختلف المراصد بحاجتها منها .

ومن أول هذه الحاجات كشك خشبي يحتوى على الأجهزة التالية :

١ ـ قياس حرارى (ترمومتر) للدرجة القصوى
Mix. Thermometer

٢ ـ قياس حرارى (ترمومتر) للدرجة الدنيا
Min. Thermometer

٣ ـ ترمومتران احدهما رطب والآخر جاف
Wet & Dry Thermometers

٤ ـ مسجل تلقائي للحرارة Thermograph

٥ ـ جهاز لقياس البخر Class « A » Pan

٦ ـ مسجل تلقائي للرطوبة Hygrograph

ويحتوى المرصد ، بصورة عامة ، على اجهزة اخرى الى جانب تلك المثبتة في الكشك الخشبي وهي :

١ ـ مسجل تلقائي للمطر
Rain Gauge Self Recorder

٢ ـ وعاء لتجميع مياه الامطار
Rain Gauge Container

٣ ـ ستة ترمومترات لقياس درجات حرارة الارض على مختلف الاعماق التالية (٥ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٦٠ ، ١٢٠ سم) Earth Thermometers

٤ ـ ترمومتر لقياس درجة الحرارة الصغرى فوق الحشائش على ارتفاع خمسة سنتيمترات
Grass Minimum Thermometer

٥ ـ مسجل لمقدار سطوع الشمس بالساعات
Sunshine Recorder

٦ ـ جهاز لقياس اتجاه وسرعة الغيوم
Nephoscope

٧ ـ جهاز لقياس الاشعاع الشمسي
Actinograph

كما يحوى المرصد في غرفة التنبؤات ما يلي :

١ ـ بارومتر زئبقي Mercury Barometer

٢ ـ بارومتر معدني Barograph



جهاز سطوع الشمس ، وهو عبارة عن كرة زجاجية يرقد في اسفلها شريط يتأثر بالضوء . فاذا مرت الشمس فوق الكرة الزجاجية رمت بشعاعها الزجاجي على الورقة فتأثرت بها . وتدور الشمس ويدور معها الشعاع ، وعلى مثل هذا النحو أو شبهه تسجل شدة السطوع الشمس .

٣ ـ جهاز لقياس سرعة الريح واتجاهها وتسجيلها
Combined Anemometer & Anhemograph

٤ ـ جهاز لقياس مدى الرؤية الافقية ليلا
Gold Visibility Meter

٥ ـ جهاز لقياس ارتفاع الغيوم
Cloud Search Light

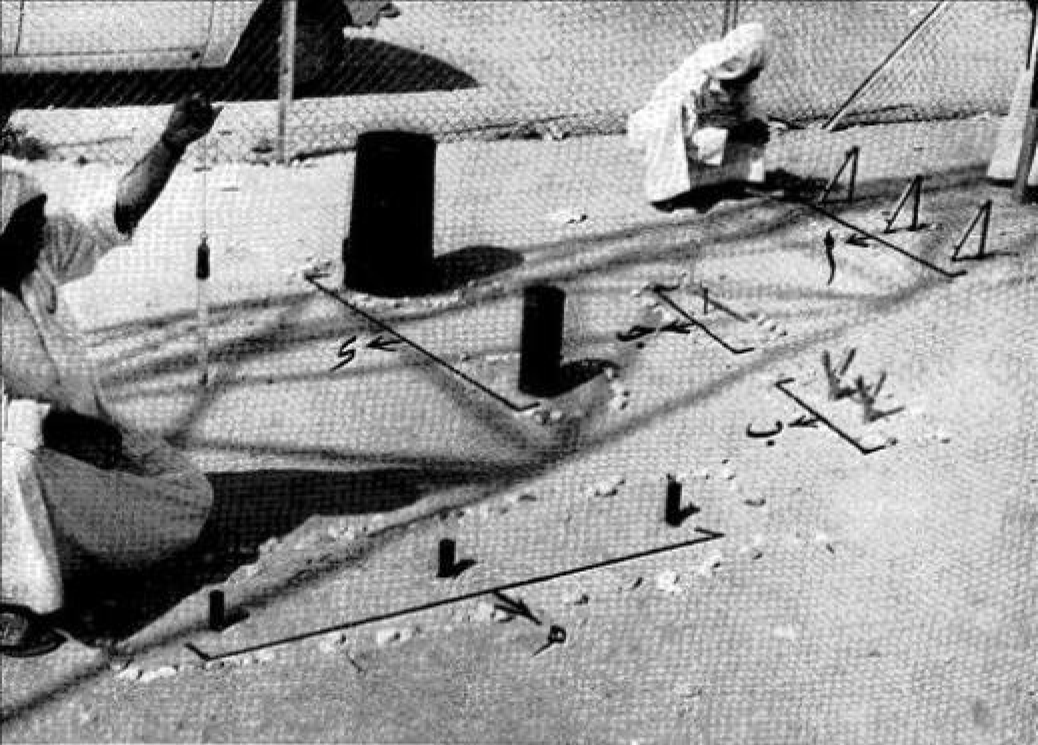
وهذان الجهازان الاخيران يوجدان في مكان خلوى لا تحيط به اية عوائق منظورة .

العاملون في المرصد

وكل هذه الأجهزة توجد في المرصد السطحي الرئيسي المتكامل ، وهي تختلف من حيث النوعية والكم بالنسبة لطبيعة المرصد ، وهل هو مرصد سطحي أم مرصد مناخي أم زراعي الى آخره .

وتعمل هذه المراصد حسب الحاجة المطلوبة منها ، وهي تعد قراءاتها كل ساعة أو كل ثلاث او ست ساعات ، وقد تضطرها الظروف في الحالات

الباروجراف أو المسجل التلقائي للضغط الجوى ، وترى فيه الصندوق الاسطواني الذي يحسب الضغط ، وهو صندوق من معدن (أو صناديق بعضها فوق بعض) ، وقد افرغ منه الهواء بعد افراغ . وهو يتأثر بالضغط ، فاذازاد الضغط انكمش الصندوق الى أسفل ، واذا قل الضغط انفتح الصندوق الى اعلى ، ومعنى هذا ان سقف الصندوق يتحرك مع الضغط ، وتنتقل حركته هذه عبر اذرع آخرها ذراع مؤشر يخط على الورقة التي تلف اسطوانة يديرها حول محورها جهاز أشبه بجهاز الساعة ، وعلى هذه الورقة تسجل الضغوط متصلة .



الطلبة يسجلون القراءات على الاجهزة الموجودةفي احد المراصد السطحية المتكاملة في الكويت ، والاجهزة التي تظهر في الصورة هي :

أ ـ ترمومترات لقياس حرارة التربة على عمق ٥ ، ١٠ ، ٢٠ سم .

ب ـ ترمومتر لقياس درجة الحرارة الصغرى. والاصل فيه أن يقيس هذه الدرجة على ارتفاع ٥ سم من حشيش الارض وذلك لأن الحشيش وفيه من الماء ما فيه لا يسخن بالشمس ، فلا تنعكس منه حرارة تزيد الترمومتر ارتفاعا فيكون أصح تسجيلا .

جـ ـ ترمومتر لقياس درجة حرارة اشعاع الشمس القصوى . وعاء (كبير) تنزل فيه مياه الامطار ووعاء صغير يصب فيه الماء ليقاس عمقه .

هـ ـ ترمومترات لقياس درجة حرارة التربة على عمق ٣٠ ، ٦٠ ، ١٢٠ سم .

الاضطرارية الى اخذ القراءات كل نصف ساعة وخاصة في المطارات . وتصدر نشرات التحذير تباعا في حالات التقلبات الجوية التي تشكل خطورة على الملاحة الجوية او البحرية الى ان يتحسن الجو .

وتبعا لذلك قد يزيد عدد العاملين في المرصد او ينقص طبقا لحاجة العمل ، ويتراوح عددهم في العادة ما بين اثنين وستة من الرصاد الجويين ، يعملون بالتناوب طوال الاربع والعشرين ساعة .
ويقوم هؤلاء الرصاد الجويون بتسجيل هذه القراءات على نماذج مطبوعة وتحويلها الى الشفرة الدولية المصطلح عليها ، وارسالها الى المركز الرئيسي في مطار الكويت الدولي لبثها الى جميع المراصد المنتشرة في مختلف انحاء العالم طبقا للنظام الدولي المتبع .

مرصد طبقات الجو العليا

فهذا ما يختص بالرصد السطحي للطقس .

وننتقل بعد هذا الى محطة رصد طبقات الجو العليا. ويصل الانسان الى هذه الطبقات بان يحمل اليها اجهزة عدة ، منها ما هو لرصد درجات الحرارة العليا ، ومنها ما هو لرصد الضغط هناك ومنها ما هو لرصد الرطوبة .

ويسمى هذا الجهاز بالرديو صند Radio

Sonde ، والصند Sonde لفظة اسكندنافية معناها المسبار ، الذى يسبر به الانسان غور الجرح ، او غور الماء فى قناة او نهر، او غير ذلك .

واذن فالرد"يو صند هو المسبار الجوى . وسمى بالرد"يوى لأن الرديو يستخدم فيه لارسال نتائج الرصد الى الارض .

ويحمل هذا الجهاز ، الذى هو اساسى فى رصد الطبقات العليا للجو ، بالون" مملوء" بالايدروجين. وهى بالونات ضخمة يزن الواحد منها ٨٠٠ الى ١٢٠٠ جرام .

وبالطبع يحمل هذا الجهاز ، الى جانب أجهزة الرصد جهاز ارسال لاسلكى ، ينقل الى الارض اشارات هى ملخص انتجة الرصد التى تجرى فيه فى الاعالى .

واذن وجب أن يكون عند الراصد على سطح الأرض جهاز لاسلكى يستقبل هذه الاشارات .

ويجرى العمل فى هذه المحطة طبقا للنظام الدولى المتبع الذى ينص على انشاء محطة من هذا النوع فى كل دولة للوفاء بمتطلبات المنظمة العالمية للارصاد الجوية من أجل تامين سلامة الملاحة الجوية فى الدرجة الأولى،وهذا النظام يقضى باطلاق بالونين يوميا ، فى اوقات متفق عليها بين الدول ، يحمل كل منهما جهاز رد"يو صند ، أى مسبارا رد"يويا ، الى طبقات الجو العليا حيث يمكن ان يصل الى ارتفاع ٩٠ الف قدم تقريبا ، لارسال المعلومات الخاصة بالضغط الجوى والحرارة والرطوبة وسرعة واتجاه الريح .

أجهزة الرصد فى المسبار الجوى

ذكرنا ثلاثة أرصاد أساسية يقوم بها المسبار فى أعالى الجو ، هى درجة الحرارة ، والضغط الجوى ، والرطوبة .

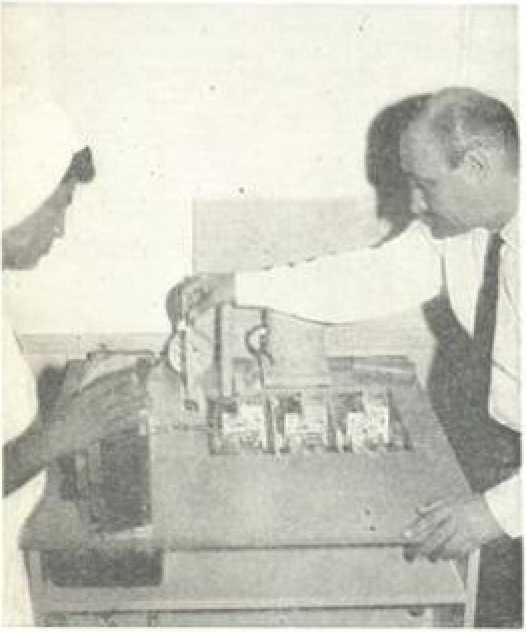
أما درجة الحرارة فيقوم بتسجيلها تلقائيا ترمومتر معدنى Thermograph ، لا ترمومتر زئبقى .

أما الضغط الجوى فيقوم بتسجيله باروجراف، وهو معدنى لا زئبقى .

أما الرطوبة فيقوم بها جهاز به شعرة تتأثر بالرطوبة ، فتطول أو تقصر،وتترجم مقادير الطول والقصر الى اشارات يمكن حملها بالرديو الى الراصد على سطح الأرض .



احد الطلبة الكويتيين يحمل الرادو صند او المسبار الجوى اللاسلكى ، بعد ان اربط بالبالون الذى سيطلقه الى اعالى الجو ، وترى تحت البالون المظلة الواقية التى ستهبط بالمسبار عندما ينفجر البالون عند بلوغه الطبقة العليا المرسوم بانه ينفجر عندها .



الرادبوصند او المسبار الجوى الرديوى اثناء فحصه قبل اطلاقه للتأكد من صلاحيته .

بقي جهاز الارسال اللاسلكي .

فهذا الجهاز يظل يعمل ما ظل البالون يصعد ، تغذيه الأجهزة الثلاثة السابقة الذكر ، وهو يرسل اتجة الرصد جميعها ، اشارات يستقبلها جهاز الاستقبال على الأرض كما ذكرنا . وهذه الاشارات يتناولها الراصدون فيترجمونها الى رموز من الاشارات اللاسلكية يرسلونها الى مراكز التجميع في المنطقة الجغرافية التابعة اليها للحطة . وهي شفرة دولية خاصة متفق عليها .

والبالون لا يصعد في الجو الى ما لا نهاية له . فهو مصنوع بحيث يتمدد بقلة الضغط في الأجواء العليا ، فينفجر عند ارتفاع معلوم ، وعندما ينفجر ياخذ المسبار الجوى في الهبوط الى الأرض ، ويهدىء من سرعة هبوطه فارتطامه بالأرض مظلة واقية تنفتح تلقائيا عند الهبوط .

والمسبار الجوى قد يهبط في أى بقعة من الارض، ليست بالطبع هى محطة الارسال . ولهذا كتب عليه هذه الجملة :

« نرجو اعادة الجهاز الى العنوان المبين على البطاقة وشكرا » .

وثمن هذا الجهاز عشرون جنيها استرلينيا .

قياس سرعة الريح واتجاهها

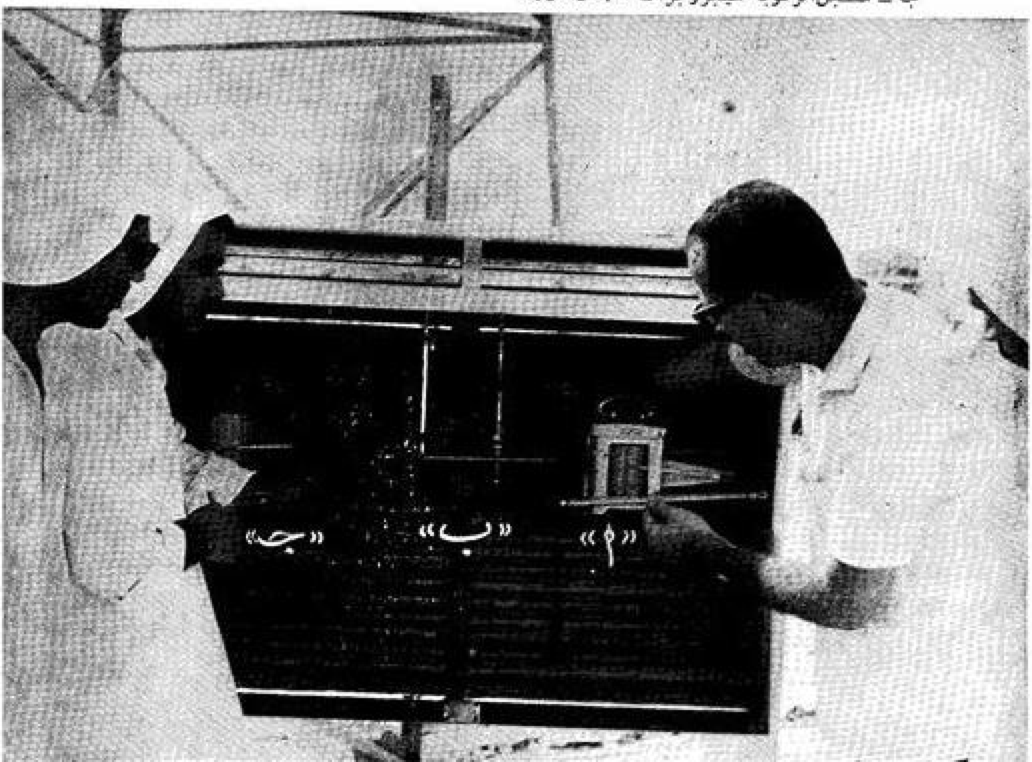
ويجرى أيضا في نفس محطة رصد طبقات الجو العليا ، اطلاق بالونين معباين بغاز الأدروجين يوميا ، وذلك لقياس سرعة واتجاه الرياح ، وتتم هذه العملية عن طريق متابعة البالون خلال ارتفاعه بواسطة جهاز الثيودوليت Theodolite ، وهو جهاز مركب فيه تلسكوب يمكن تحريكه افقيا وراسياه وبواسطته يستطيع الراصد متابعة البالون وقراءة

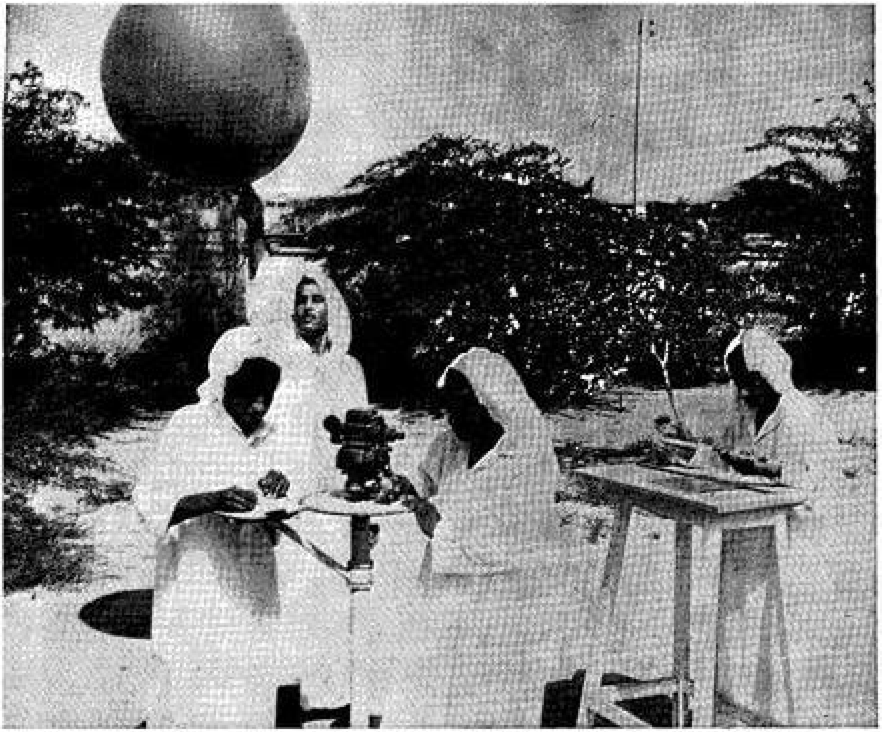
الكشك الخشبي في المرصد السطحي المتكامل، وتظهر فيه الأجهزة التالية :

ا ـ مسجل الحرارة ثرموجراف Thermograph وهو ترمومتر معدني يسجل الحرارة على الورق الدوار تلقائيا .

ب ـ ترمومتران زئبقيان قائمان أحدهما لتسجيل الحرارة القصوى في الظل والثاني لتسجيل الحرارة الدنيا ، ومعهما ترمومتران زئبقيان افقيان ، المستودع الزئبقي لأحدهما جاف والآخر تبلله قطعة من القماش . وباستخدام قراءتيهما يمكن حساب الرطوبة النسبية في الجو.

جـ ـ مسجل الرطوبة هيجروجراف Hygrograph





البالون الصاعد الى الجو لمعرفة اتجاه الريح وسرعتها ، وقد حمله الطالب لاطلاقه ، وأمام الطالبين الآخرين ترى جهاز ثيودوليت Theodolite وقد أعدوه ليوجه الراصد عدسته التلسكوبية الى أعلى رأسيا والى يمين أو شمال أفقيا ، ليتابع البالون في مسراه بالاعالي . ومن الزوايا التي يستديرها الثيودوليت يستدل على سرعة تحرك البالون الذي هو تحرك الريح واتجاهها .

ارتفاعه وزاوية اتجاهه واستخراج سرعة الرياح واتجاهها من هذه القراءات .

ويطلق هذان البالونان في الساعة التاسعة صباحا وفي التاسعة مساء . (أي من الساعة السادسة صباحا والسادسة مساء بالتوقيت العالمي) .

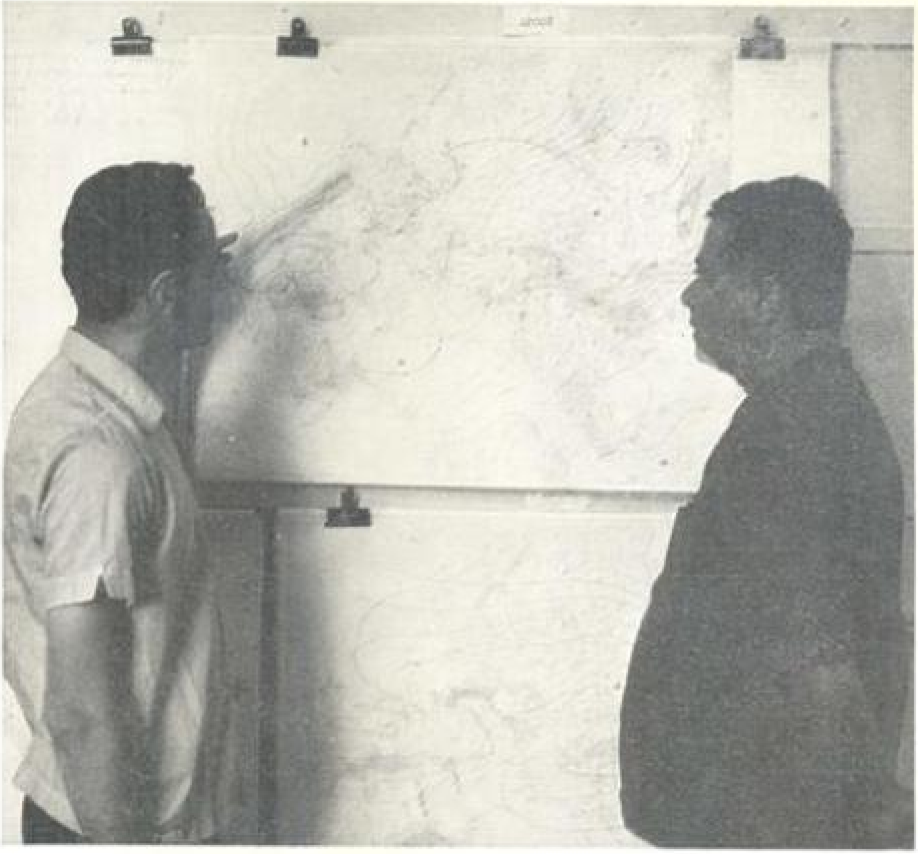
وعلى أثر ذلك يتم جمع المعلومات من محطة رصد طبقات الجو العليا وترسل الى مركز التنبؤات الجوية بمطار الكويت الدولي الذي يبثها ، كما قدمنا ، الى جميع أنحاء العالم .

ومما هو جدير بالذكر أن جميع عمليات الرصد السطحي لطبقات الجو العليا تتم في كل أنحاء الدنيا في وقت واحد طبقا للتوقيت العالمي المتفق عليه .

مركز التنبؤات

وننتقل الآن الى مركز التنبؤات بمطار الكويت الدولي ، وهو المكان الذي تصب فيه كل المعلومات التي جمعت من محطة رصد طبقات الجو العليا وباقي محطات الرصد المختلفة المنتشرة في الاراضي الكويتية . ويتلقى مركز التنبؤات في نفس الوقت النشرات من مختلف انحاء العالم عن حالة الجو ، بطريق اللاسلكي والأجهزة المبرقة الطابعة Radio Teletype ، ثم تنقل هذه المعلومات على خرائط الطقس السطحية والعليا . ويقوم مركز التنبؤات باعداد خارطة كل ثلاث ساعات يبين عليها حالة الطقس على السطح ، كما يقوم باعداد خرائط كل ١٢ ساعة يبين عليها حالة الجو في طبقات الجو العليا . وهذه الخرائط تشمل المنطقة التي تحيط بالكويت فتمتد من خط طول ٥ غربا الى ٥٥ شرقا ومن خط عرض صفر (خط الاستواء) جنوبا الى خط عرض ٤٥ شمالا .

وتعتبر التنبؤات المستخرجة من هذه الخرائط



المتنبىء الجوى بمطار الكويت الدولي يشرح لمراقب الارصاد الجوية ماسيكون عليه الجو متنبئا به من الخرائط ، وهذه الخرائط ست يوميا بمعدل خارطة كل ثلاث ساعات لحالة الطقس على السطح ، وست خرائط كل ١٢ ساعة لحالة الجو لطبقات الجو العليا . وتسمى بالخرائط السينوبطية اى الشاملة الجامعة ، لان فيها ملخصا للطقس في المناطق المجاورة ، والتنبؤ بالجو ضرورة لسلامة الطيران .

عاملا اساسيا لتأمين سلامة الطيران ، كما ينتفع من هذه التنبؤات الجوية في مختلف الاغراض وفي شتى ميادين الانتاج والعمل .

هذا هو عرض سريع لمراقبة الارصاد الجوية في الكويت ، حيث يعمل فريق من الجنود المجهولين ليقدموا للجمهور يوميا نشرة من اهم النشرات التى تذاع في الكويت ، ولا شك يذاع في مختلف الدول العربية أمثال لها ، فيقول المذيع : « تقدم نشرة الاحوال الجوية خلال الاثنتى عشرة ساعة القادمة . يبقى الجو غائما مع وجود فرصة لتساقط زخات متفرقة من المطر تكون مصحوبة احيانا بعواصف رعدية ، اما الرياح فما بين شمالية شرقية وجنوبية شرقية ، من معتدلة الى نشيطة وقد تعطى فرصة لتصاعد الغبار » .

ثم يذيع بعد ذلك درجات الحرارة في العواصم العربية والاوروبية ، وهو يذيعها ، مرتين في اليوم .. المرة الاولى في ساعة مبكرة من الصباح والثانية في المساء .. وعلى هذه النشرة وما تنقلها من معلومات عن حالة الطقس ، يعتمد كل فرد عامل في حياته اليومية . ■■

نتيجة مسابقة العدد ٩٥

الاجابات الصحيحة .. والفائزون بالجوائز

كان الاقبال على الاشتراك في هذه المسابقة أشد مما كنا نتصور، وتلك ظاهرة طيبة تدل على انتشار الوعي الثقافي والاقبال على كل ما يتصل بالثقافة من قريب أو من بعيد .

وقد كانت أوفى الاجابات حقا اجابة الأخ العربي محمد مجاهد الحفار ، من حلب ، اذ استغرقت اجابته حوالي العشرين صفحة ، وتضمنت اجابته عن كل سؤال نبذة عن الكتاب وأخرى عن مؤلفه ، مما جعل اللجنة تخرجه من القرعة وتمنحه الجائزة الاولى .

وكانت ثمة اجابات عدة من بلاد أجنبية ، ومن قراء أجانب ، لفت النظر منها اجابة السيد « مارتن هايندز » Martin Hinds بجامعة كمبريدج ، وقد تضمنت الاجابة الصحيحة لكل الأسئلة ، ولكن الحظ أخطاه عند الاقتراع على الجوائز .

والاجابات الصحيحة هي :

(١) العبرات : مصطفى لطفي المنفلوطي (٢) روايات تاريخ الاسلام : جرجي زيدان (٣) ضحى الاسلام : أحمد أمين (٤) سارة : عباس محمود العقاد (٥) يوميات نائب في الارياف : توفيق الحكيم (٦) ابراهيم الكاتب : ابراهيم عبد القادر المازني (٧) رسالة الغفران : أبو العلاء المعري (٨) الضاحك الباكي : فكري اباظة (٩) قنديل أم هاشم : يحيى حقي (١٠) البخلاء : الجاحظ (١١) المنجد : لويس معلوف (١٢) الاسلام وأصول الحكم : علي عبد الرازق (١٣) حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل (١٤) حول القومية العربية : ساطع الحصري (١٥) في الشعر الجاهلي : الدكتور طه حسين .

الفائزون بالجوائز

وقد أجريت القرعة على الجوائز العشر التالية للجائزة الاولى التي استثنيت من القرعة ، فكانت النتيجة كالآتي :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا : محمد مجاهد الحفار ـ ثانوية صقر قريش ـ جميلية ـ حلب ـ سورية

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا : الاخت العربية فوزية رجب ـ الجزائر العاصمة ـ الجزائر .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير : عبيد حميد مصر الطاير : ص.ب ٤٣٢ دبي ـ الخليج العربي .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها :

(١) عمر البحراوي : ٣٨ شارع مدغشقر ـ الرباط ـ المغرب .

(٢) المواطنة الاردنية ريم ابراهيم القطان : اكسفورد .

(٣) أحمد حسن المهر : حي المنيرة ص.ب ٢١٦٦ الظهران ـ المملكة السعودية .

(٤) مصطفى أحمد عطوان : مدرسة ملوى الثانوية ـ ج.ع.م.

(٥) نجوى محمود جبّال : شركة النيل للسياحة ـ بناية العازارية الاولى ـ بيروت ـ لبنان .

(٦) بابكر عابدين بابكر : مدرسة عطبرة الثانوية الحكومية ـ عطبرة ـ السودان .

(٧) فضي محسن راشد الرشيدي : كتيبة الحرس الاميري الاولى ـ قصر دسمان ـ الكويت .

(٨) نبيل علي القصاب : كلية الصيدلة ـ الموصل ـ العراق .

وسترسل الجوائز الى أصحابها .

مسابقة العربي

من وحي الأحداث العالمية

■ تتألف هذه المسابقة من ١٢ سؤالاتتصل من قريب أو من بعيد بالأحداث العالمية المعاصرة ، وضعنا لكل منها أكثرمن اجابة ؛ عليك ان تختار من بينهـــا الاجابة الصحيحة . الحد الادنى للدخول في عملية الاقتراع على الجوائز ٨ اجابات صحيحة .

■ ■ ■

١

● عقد في اواخر شهر اكتوبر الماضي مؤتمـــر ضم رؤساء الدول السبع التي تشترك قواتها في حرب فتنام ، بما فيها الولايات المتحدة الامريكية. وقد عقد هذا المؤتمر في مدينة « مانيلا » عاصمة: ماليزيا ـ تايلاند ـ كوريا الجنوبية ـ الفلبين ـ

٢

● عاد الجفاء من جديد بين الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ، حتى طردت موسكو ٥٠ طالبا صينيا كانوا يدرسون في جامعاتها، فراحوا يطوفون الشوارع وهم يرتدون شارات الحرس الاحمر . وقد ذكرت المصادر الروسية أن هذا الاجــراء كان ردا على ما قررته الصين الشعبية من طـرد الطلاب الأجانب من جامعاتها .

رئيس وزراء الصين الشعبية هو :

ماوتسي تونج . شو آن لاى . هو شي منه . ليو شاوشي .

٣

● أما رئيس وزراء اتحـــاد الجمهـــوريات السوفيانية الاشتراكية فهو : ليونيد بريزنيف . نيكولاى بودجورني . اليكسى كوسجين . بولجانين.

٤

● أعلن هستنجز باندا أن حكومته لن تقـاطع أيا من حكومات جنوب افريقيا او روديسيا أو البرتغال لأنه يعتبر ذلك انتحارا !

وباندا هذا هو رئيس جمهورية : النيجـر مالاوى . الكامرون . موزنبيق .

٥

أبدلت بعض الدول الافريقيةأسماءها في الشهور الأخيرة بأسماء جديدة ، منها اسم جمهوريـــة « كنشاسا » . وجمهورية كنشاسا هي : الكونغو برازيفيل ، باتشوا نالاند . الكونغو ليوبولدفيل. ساحل العاج .

٦

● خفت الغارات الجوية الامريكية على فتنام الشمالية في الشهر الماضي بسبب الأمطار . وزير الدفاع الامريكي الذى يدير حرب فتنام هو : دين راسك . روبرت مكنمارا . ريتشارد نكســون . وليم وستمورلاند .

٧

● تعرضت حكومة فتنام الجنوبية منذ خمسة اسابيع لأزمة سياسية خطيرة كادت تودى بهـا ، بعد استقالة سبعة من أعضاء الوزارة واصدارهم بيانا يندد بالرشوةوالفساد اللذين يسودان البلاد. رئيس وزراء فتنام الجنوبية الذى تعرض لهذه الأزمة هو : ترونج تانه . فام فاندونج . نيجودين. كاوكى .

٨

● تتردد في بعض الأوساط السياسية الغربية اشاعات عن احتمال عودة فرنسا الىحلف الاطلنطى من جديد ، اذا ما تحسنت العلاقات بين الرئيس الفرنسى ديجول ، وبين رؤساء دول الحلف المذكور.

الجمهورية الفرنسية التى يرأسها ديجول هي : الجمهورية الثانية،الجمهورية الثالثة .الجمهورية الرابعة . الجمهورية الخامسة .

١٢ سؤالاً .. وجوائز ١٠٠ دينار

٩

● جرت فى « دار السلام » منذ عهد قريب محادثات بين اثنين من كبار الزعماء الافريقيين ..

دار السلام هى عاصمة : زامبيا . تانزانيا . اتحاد ماليزيا . سيراليون .

١٠

● وفى نفس الوقت كانت المانيا الغربية تعانى ازمة وزارية مماثلة ، تهدد وزارة ايرهارد الائتلافية بالانهيار عقب استقالة اربعة وزراء يمثلون الديمقراطيين الاحرار بسبب العجز الخطير فى الميزانية الذى يبلغ نحو ٤٠٠٠ مليون مارك ، مما جعل ايرهارد يفكر فى فرض ضرائب جديدة .

ايرهارد هو رئيس حزب الاغلبية وهو :

الحزب الديمقراطى الاشتراكى . الحزب الديمقراطى المسيحى . الحزب الديمقراطى الحر . الحزب الديمقراطى المستقل .

١١

● سافر آدم مالك الى موسكو فى الشهر الماضى لاجراء محادثات مع المسؤولين حول تأجيل الديون المستحقة على بلاده للاتحاد السوفييتى وتقدر بمليار دولار .

وآدم مالك هو وزير خارجية : الصومال . اندونيسيا . باكستان . غينيا .

١٢

● عقد فى نيودلهى فى الشهر الماضى مؤتمر ضم ثلاثة من زعماء عدم الانحياز ، بينهم السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند ، ليعرض بعض المشاكل العالمية والعمل على تخفيف حدة التوتر السائدة بين الدول .

رئيس جمهورية الهند هو : كومارا سوامى كاماراج . دكتور رادا كريشنان . كريشنامنون . راتان كومار نهرو .

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :

مجلة العربى – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٩٧ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم السابع من شهر يناير (كانون الثانى) ١٩٦٧ .

٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط عرضة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ٩٧

القمر

صار الإنسان منه قاب قوسين

■ اقترب العام الذى يصبح فيه سطح القمر موطئا لقدم انسان .

ان الامريكان يخططون ليكون هذا الحدث العظيم في عام الف وتسعمائة وتسع وستين .

ولسنا ندرى ما يخطط الروس ، فهم يكتمون . انهم يصمتون ، حتى لتحسب أنهم على غير القمر ، وبلوغ القمر ، عاكفون . ثم تخرق السكون حركة فاذا هم ، في غزو السماء ، هم السابقون .

اطلقوا الصاروخ الذى دار حول الارض بما دار ، اولا .

وتبع الامريكان .

واداروا الاقمار كثرة حول الارض .

وتبع الامريكان .

واطلقوا رجالهم في اقمارهم ، رجلا فردا ، ثم رجلين معا .

وتبع الامريكان .

وخرج رجلهم من قمره ، يسبح في الفضاء ، اولا .

ويتبع الامريكان .

والقمر ، قمر الله ، ذلك القمر الذى رآه آدم أول من رأى ، فلم ير منه الا جانبا ، ولم ير منه اكثر من ذلك من تبع من قرون . هذا القمر ، أفلكَ الروس حوله قمرهم ، ورأى ما لم يكن رأى آدم ، وابناء آدم ، ورأينا ، نحن أهل الارض ، بعينه ، منذ سنوات قريبة ، ما عزّ على الانسان في كل الأزمان أن يراه .

وتبع الامريكان .

وانزل الروس مركبتهم على سطح القمر ، وهبطت عليه ، وليس بها رجل ، مهبطا سهلا مترفقا .

وتبع الامريكان .

فمنطق الحوادث وتسلسلها هذا يقضي بأن ينزل الروس ، برجالهم هذه المرة على سطح القمر ، اول نازلين .

ويتبع الامريكان .

ويعزز هذا المنطق ، ما قال بالامس القريب ، قائلهم ، قائل الامريكان ، من ان الروس يسبقون الامريكان اليوم في بحوث الفضاء بنحو عامين ، وانه لا بد لسابق ان يلحقه من ورائه لاحق .

كل غاية تنال
تصبح سببا لغاية أخرى

على انه ليس لسابق دائما فضل على لاحق : ان كلا بالغ ما طلب ، اما اليوم واما غدا . وان غاية تطلب ، وتنال ، تصبح على الفور سببا لغاية تليها ، تصبح هي الهدف الجديد ، له سابق وله لاحق . فاذا بلغ الهدفُ ، استجد من بعده هدف جديد . هكذا هي اهداف السماء ، في ضخامتها ، وجبروتها ، وهي هكذا اهداف الارض ، اهداف حياتنا ، على صغرها وضآلتها ، وكدت اقول على

حقارتهـا ، لولا شرف يضفيه الانسان على معنى الحياة .

الغاية الآن ، والهدف الآن ، فيمـا يتصـل بالسماء ، هو وقوف انسان بقدميه على سطح القمر .

وهي غاية ، وهو هدف ، ما اوشك ان ينال .

لقد حطت المركبـة الفضائية على سطح القمر ، فما أيسر ما جاز عند ذلك ان كان بها رجل ، فهبط فيها ، وخرج منها ، ومس بنعله تراب القمر . ومـا كان أيسر بعد ذلك ان يعود الى الأرض ، ذلك لأن الانطلاق من القمر الى الأرض ، أيسر كثيرا من الانطلاق من الأرض الى القمر . ان الأرض تمسك أهلها بقوة ، ولا يمسك القمر بقوة .

ان بلوغ انسان سـطح القمر غاية اوشكت أن تكون. وسوف نهتز لخبرها، ونثور . ثم تبوخ الثورة . ونسال عمـا وراء هذه الغاية الأولى من غايات .

.. وبعد استكشاف سطح القمر

الغاية التى تلى هى استكشاف سطح القمر .

واستكشاف سطح القمر اكثر صعوبة، واكثر كثيرا ، من استكشاف سـطح الأرض . ان استكشاف سطح الأرض ، ومنه أسطح البحار ، لم يتم الا في هـذه القرون الحديثة . وما زلنـا الى اليوم نقرأ في كتب التاريخ القديم ان النيـل ينبع من مكان « ليس وراءه الا الجنة » .

استكشاف سـطح الأرض صعبته المواصلات وقصور وسائلها .

وكذا استكشاف القمر ، سـيكون صعبا لقصور المواصلات على سطحه .

فهناك لا بحار ، ولا انهار . وما هناك الا الأرض الخشنة .

وجو القمر ، ذلك الذى لا وجود له ، جعل حيـاة الانسان فيه مستعصية .

رائد القمر لا بد أن يحمل معه ماءه ، وان يحمل تنفسه. وهو ان مشى لا يستطيع أن يمشي مشيته على الأرض . وهو ان ركب لا يستطيع ان يركب مركبة كالتى يركبها على سطح الأرض .

ظروف كلها جديدة ، غير ظروف اهل الأرض .

القوانين الطبيعية واحدة ، على نمر او ارض. وهى كقوانين العالم، والعوالم، أين كانت ، وعلى اى بعد كانت، واحدة.

ولكن اختلفت نتائجهـا بانقطاع تلك المنظومة التى تربط بين الأحياء والجوامد على سطح القمر .

ان سطح القمر يرفض الحياة .

والانسان يريد ان يفرض على القمر الحياة ، فيحمل اليه غصبا ما أعوزه من اسباب الحياة، لا طعاما وشرابا فحسب، وانمـا من كل سبب ، ما استطاع الى ذلك سبيلا .

جو القمر يكاد لا يكون له وجود

لقد اختلف العلماء في جو القمر : ما هو ، وكم هو . .

واستقروا على ان لجو القمر وجودا كالعدم .

انه يبلغ واحدا من عشر مليون مليون جزء من جو الأرض ، ضغطا منسوبا الى ضغط .

واول معنى لهـذا اختفاء غازات التنفس ، التى الفها الانسان ، وكانت اولى ضرورات الحيـاة . فالانسان ، والقمر غايته ، لا بد ان يحمل على ظهره هواءه ليتنفس .

والمعنى الثانى لهذا اختفاء الماء من على سطح القمر . انه لو وجد فما اسرع مـا كان يتبخر . واى ماء يبقى ومن فوقه فراغ .

القمر لا يمسك ما على سطحه بمقدار ما تمسك الأرض

او باللفظ العلمي جاذبية القمـر اضعف من جاذبية الأرض .

والاجسام ، والرجـال ، تزن على سطح القمـر ، لو استخدمنا ميزانا ذا

زنبرك ، نحو سدس ما تزن على سطح الأرض .

والمعروف ان الجاذبية صفة عامة ، تربط ما بين جرم وجرم . وتزداد بكبر الاجرام . وجرم الأرض اكبر من جرم القمر ، لهذا هي اشد حبساً ، أشد جاذبية ، لما عليها من أشياء . وما الرجال في حكم الطبيعة وقوانين الجذب، الا اشياء .

والأرض بلغت قوة حبسها ، قوة جاذبيتها ، أن استطاعت ان تمسك بجوها ، من اكسجين وآزوت . وعجز القمر عن ذلك ، فلو انّ كان له جو ، لاستطاع هربا .

الانسان اخف على سطح القمر منه على الأرض

وهذه الخفة ناتجة طبعا من قلة جاذبية القمر . ولها ، للهابط على سطح القمر ، منافع ومضار .

اما المنفعة فلأن المجهود الذى يبذله الرجل للسير فوق سطح القمر اقل من مثله الذى يبذله لمثل ذلك على سطح الأرض . وهو اذا نط انقذف ابعد واعلى مما ينقذف على سطح الأرض . وحملته الأشياءَ على سطح القمر اخف .

ولكن من مضار ذلك ، ان الانسان ، اذ يسير ، اينما يسير ، انما يعتمد في دفع نفسه الى الأمام على ما بين قدمه وبين السطح من خشونة ، لولاها ما استطاع ان يتقدم . ومن ذلك كانت صعوبة مشيه على الجليد . وهذه الخشونة ، ويسميها العلم احتكاكا ،

تصميم عربة لسطح القمر .

وترى عجلاتها مصنوعة من أطواق من المعدن مرنة ، اشبه بشرائط زنبرك الساعة ، اذا صادفتها على سطح القمر عقبة عرفت كيف تلين لها دون ان تفارق السطح الصخرى .



تتوقف على مقدار ما يثقل الانسان بجرمه على السطح . انها تزيد كلما زاد وزنه ، وبذلك يكون املك للسير واثبت فيه . واذن فسطح القمر سوف يتراءى للانسان اقل خشونة ، فاكثر ملاسة ، فأصعب سيرا على قدم .

والحرارة والبرودة على سطح القمر

والجو ، كما عرفنا مما ذكرناه ، وكررناه كثيرا في هذا الباب من «العربى» وغيره (انظر في العدد الفائت مقال : الكوكبان التوأمان) ، انما هو لحاف يلف الأرض ، فيحميها من حرارة الشمس البالغة ان تذهب بالحياة ، ويحتفظ منها بمقدار يكفى للحياة . وفي غيبة الجو فوق سطح القمر « يخلو الجو » للشمس فتفعل بالقمر ما تشاء.

والقمر يومه ، من حيث ليلٌ به ونهار ، يبلغ نحو ٤ اسابيع ، نصفها ليلٌ ونصف نهار .

وقد وجدوا ان سطح القمر تزيد درجة حرارته في النهار حتى تبلغ ١٢١° درجة مئوية ، وتهبط في الليل حتى تبلغ ١٥٧° درجة تحت الصفر .

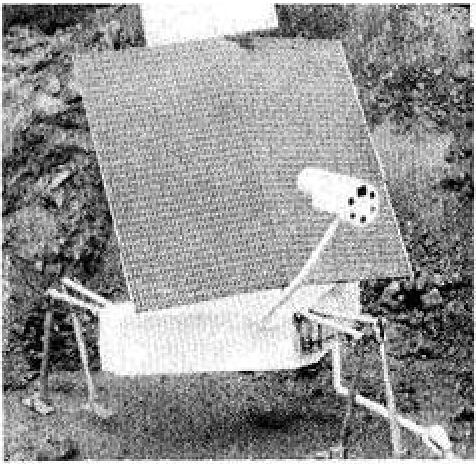
حر قاتل وبرد قاتل .

واذن وجب على الانسان ان يحمل معه وقاءً من حر ، ووقاء من برد .

وغير الحرارة الأشعة فوق البنفسجية، وما فوقها ، والاشعة الكونية ، وغيرها ، كل هذه كان الجو يبتلعها أو يبتلع منها فلا تضر الانسان . وفى غيبة الجو يصدق قول القائل « خلا لك الجو فبيضى واصفرى . » .

وافق القمر افقٌ غير بعيد

انك اذا وقفت فى الصحراء ، على سطح الأرض وهو منبسط ، ونظرت حولك لوجدت الأفق دائرة تدور . وتمد بنظرك نحو الأفق ، فترى الشيء القريب في هذه الصحراء اولا ، ثم البعيد ، ثم الأبعد . ولكن ما اسرع ما تختفي عنك



عربة اخرى لسطح القمر .

وهي عربة مشابهة ، ذات أرجل ترتفع وتنخفض كما يفعل الحيوان في المشي . وهي بذلك تتخطى الخشونة المتصف بها سطح القمر . والعربة تحمل لوحة تتالف من خلايا شمسية تحول ضوء الشمس الى كهرباء تفي بحاجة المركبة من الطاقة . والعربة تحمل كمرة تلفازية . وقد صنعت هذه العربة واستخدمت في أمريكا يركبها الكسيح من الناس فتصعد به حتى رصيف الشارع وتهبط به .

الأشياء بسبب انحناء سطح الارض . ذلك لأن الأرض كرة . انه الأفق يحجب عنك ما وراءه .

ولو فعلت ذلك وأنت واقف على سطح القمر لوجدت مثل ذلك ، افقا دائرة . ولكنها دائرة أصغر ، وذلك لأن القمر أصغر . كرة قطرها نحو ربع قطر كرة الأرض .

ويقدر علماء الفلك انك ، وانت على سطح القمر، لن ترى أبعد من ٣ كيلومترات . انه بعد الأفق عنك .

وهذا يعوق مسح سطح القمر .

وسوف تقول فأين اللاسلكي الذى يتواصل به المساحون اذا بعدوا عن مراكزهم ؟

والجواب أن اللاسلكي موجات تشع في خط مستقيم ، فهو لا يشمل عند انبعاثه على سطح القمر موضعا أبعد من ٣ كيلومترات من نقطة انبعاثه . انه لا ينحنى مع سطح القمر .

وتسأل : ولكن اللاسلكي على سطح الأرض يواصل بين موضعين اثنين بينهما آلاف الكيلومترات ؟

والجواب : هذا صحيح لأن الأرض جوا . ولأن موجات اللاسلكي تنعكس على بعض طبقات هواء الارض العالية (المتأينة) فترتد الى الأرض . ومنها ما يظل ينعكس على جزء من هذه الطبقة الهوائية ليحط على جزء آخر منها (فهي منحنية كالارض) ليعود فينعكس، وهلم جرا ؛ حتى يبلغ من سطح الارض مسافات هائلة . انه ينحنى ، بالانعكاس، مع سطح الأرض .

وليس الحال كذلك على سطح القمر . انه ليس به هواء يعكس .

واذن يصبح لا سبيل الى المواصلات اللاسلكية على سطح القمر ، الا ان يرسل الرجال على سطحه بموجاته الى الأرض، والارض تقوم باعادة بثها الى القمر ، وبينهما نحو من ٤٠٠٠٠٠ كيلومتر !

والتنقل على سطح القمر ، والمركبات على سطحه

ولا بد لمسح سطح القمر من التنقل عليه .

والتنقل عليه لا يكون بالأقدام وحدها، فالأقدام لا تحمل الانسان بعيدا ، ثم انها حركة يبذل الانسان طاقتها من جسمه ، من طعامه وشرابه ، وما يحمل من غاز يتنفس به ، وما اقل زاده من كل ذلك ، وما اثمنه .

اذن لا بد من العربات .

وهنا تظهر صعوبات شتى ، سببها الفراغ الذى على سطح القمر ، وكذا الجاذبية الواطئة ، هذا عدا تقلب حرارة بين درجة شديدة الارتفاع ، وأخرى شديدة منخفضة .

اما الفراغ والحرارة فيؤثران في المعادن واللدائن التى تصنع منها العربات والاجهزة جميعا . حتى الشحوم التى تزلق المجل لا تقوى في الفراغ على الصمود . انها تتبخر رويدا رويدا .

ويمس الحديد الحديد مسا وثيقا ، في الفراغ ، فيلتحما .

والسير لا يكون الا بعجل . والعجل لا بد ان يمس أرضا ، ويمسها دائما حتى يندفع ويدفع الى امام . وسطح القمر مخشوشن غير ممهد . وترتطم العجلة بمائق من صخر فيه ، وهي قليلة الوزن ، على القمر ، فيرفعها هذا الارتطام عن سطح القمر عاليا .

ومن اجل هذا ، وغير هذا ، عكفوا الى ابتداع عجل مرن ، غير جامد ، مؤلف من شرائط من المعدن مرنة ، كزنبرك الساعة ، تنبعج عند الارتطام فلا تطير عاليا .

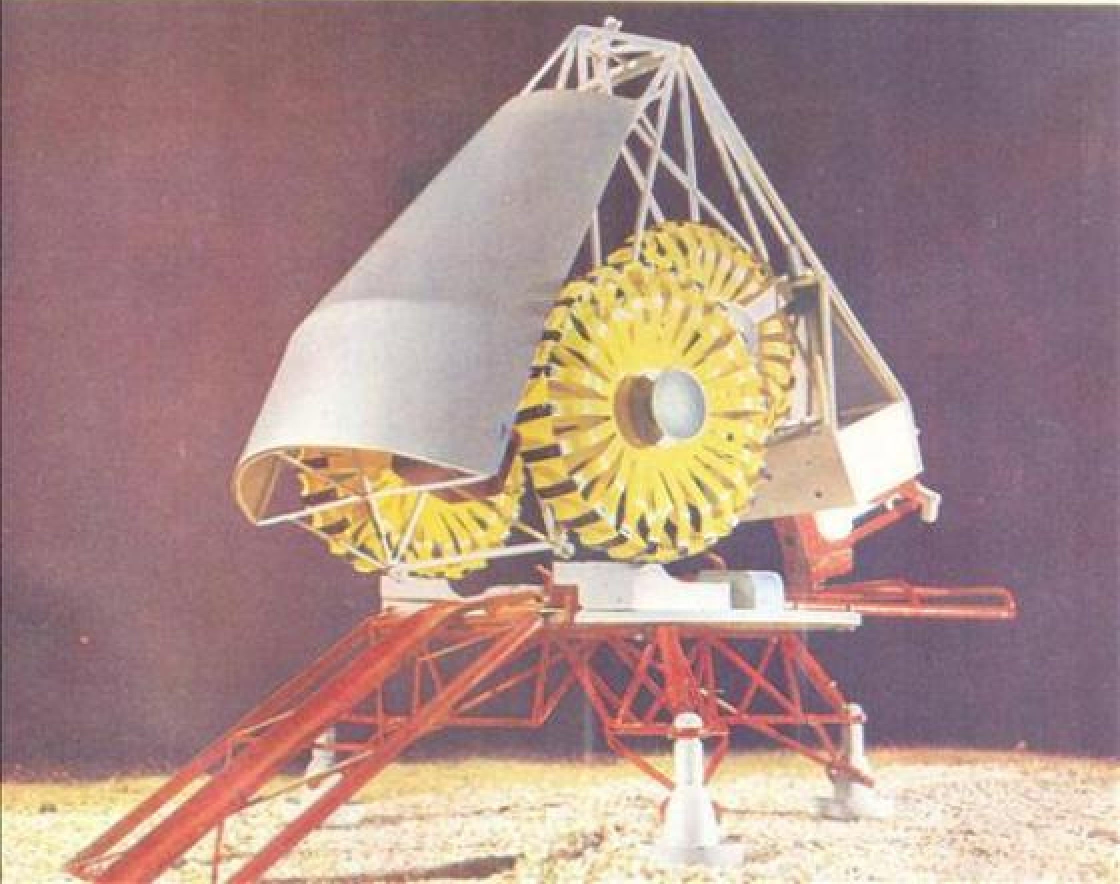
وعكفوا على ابتداع عربات لها عجلات لا يرتبط عجلها الذي بمقدمة العربة ، بذلك الذي في مؤخرها . وذلك بقسم جسم العربة قسمين ، يربطهما رباط لا يمنع ايهما ان يتحرك في اتجاه غير اتجاه صاحبه .

والقوة الدافعة للعربات ؟

لا ينفع البنزين ولا سائر المحروقات التي تدير المحركات . من اين الاكسجين اللازم للاحتراق ؟ واذن فلا دافع لهذه العربات غير الصواريخ الصغيرة . تنفث غازاتها الى الوراء ، فتدفع الى امام .

وصنوف اخرى من الحيل يحتالون بها على حركة قاسية ، في جو قاس ، لا يحتمله الانسان طويلا .

صمم الامريكان تصاميم مختلفة للعربة التي تنفق وظروف التنقل على سطح القمر . وهذا مثل مما ابتدعوا . والعربة ترسل الى القمر مطوية على هذه الصورة . والصورة التالية تصف ما يجرى لها عند هبوطها على سطح القمر





عندما تهبط العربة (الصورة الفائتة) على سطح القمر ، ترتج ، فيتزلق الرابط لها ، فتنفتح العربة، وتتمدد كما تراها هنا في هذه الصورة . ويلاحظ ان نصفها من امام متصل بنصفهـــا الخلفي بمفاصل تأذن بتطبيق العربة وكذلك اعطائهـــا حرية في الحركة . وهي تتحرك بنفاثات من هـــواء مضغوط .

ومختبرات يقيمونها فوق سطح القمر

ومختبرات كالقباب ، تسبق الرجال الى سطح القمر .

فيها الأجهزة العلمية كاملة ، كافيـــة للأغراض المرسومة ، ومنها تحليل التربة والصخر . وهي محكمة احكاما يأذن لرجلين ان يعيشا فيها اربعة اسابيع تزيد او تنقص . ويعيشا فيهـــا احرارا بثياب الأرض . ويتنفسا فيهـــا تنفسا حرا كتنفسهم على سطح الارض . ففي هذه القباب يكون الغذاء . ويكون الهواء، وكل ما يحتاج اليه العيش .. الضنك .

ثم يتبدل الرجال . الى الأرض يذهبون ويحل مكانهم رجال .. ومن ذا الذي لا يستطيع ان يقول ونساء .

بعض يؤمن ، وبعض يكفر

ومن الناس من آمن ويؤمن بالقمر ، وابحاث القمر ، وبلوغ الانسان القمر .

ومن الناس من يكفر بكل ذلك . يكفر بالنبوءة ان تكون . وتكذبه النبوءة ،عندما تكون . وهو يكفر كذلك بالغاية . ما الغاية ؟ ماذا يقبع وراءها ؟

والايمان عندي دائما خير من الكفر . لان الايمان ايجاب ، والكفر سلب .

والايمان ولود ، والكفر عقيم .

واستقرىء تطور الانسان على سطح هذا الكوكب ، فاراه متجها ، برغمه ، ورغم الحوادث ، ورغم الرياح المتعارضة والانواء ، في اتجاه واحد . هو دائما اتجاه صاعد . كأنما هي خطة مرسومة ، لو اراد عنها تحولا ما تحول ، وهو لا يدري من رسم ومن خطط . وظني انه ، في آخر المطاف ،سوف ينكشف له الراسم ،ابلج، يملأ السموات والارض نورا . وهذا هدف تتصاغر الى جانبه سائر الاهداف .

■■



خرطوم الفيل

أنف طال

■ وهو انف وشفة عليا ، في آن .

وما الذى اوجب ان يطول له ،هكذا ، انف وشفة ؟

اوجب ذلك بنيانه : جسم ضخم ثقيل ، تحمله ارجل اربع ، ضخمة ، مستقيمة ، كالأعمدة الثخينة يقوم عليهاالبيت . ورأس كبير . وعنق قصير .

كل هذا يمنع الفيل من ان ينثنى او ينحنى ليطول فينال ما على الأرض من عشب هو طعامه ، او يطول الى رؤوس الشجر ، حيث الورق الأخضر ، والفرع الرطب ، والثمر المستطاب .

ويزيد الفيل بعدا عن موضع طعامه من تحته ، ويزيد الفيل بعدا عن موضع طعامه من فوقه ، سنان خرجتا من فكه الأعلى ، لو نسبناهما الى المعروف من صنوف الاسنان لكانتا من القواطع . فهذه هى « سن » الفيل . والفيل ما نماها ليشبع الانسان بها نهمه الفنى ، حفرا ونحتا . انما هى سن طالت ليدفع بها الفيل عن نفسه .

ان الفيل به ضخامة تبعث على الهيبة وتحميه . انه اضخم حيوان يدب على الأرض . وان للفيل جلدا صفيقا ليس من السهل ان يقتحمه ناب وظفر .

ولكن هذين لم يكفياه دفاعا عن نفسه في برية . كان لا بد من السن . وهو يبقر بها بطون المعتدين حتى ليخرج بها احشاءهم .

ان هذه السن ، وقد طالت ، منعت الفم من ان ينال . واذن كان لا بد من فم يطول .

ولم يطل الفم ، ولكن طال الأنف ، بعد ان أعطى قوة اليد ، وحساسة الشفتين . فبطرف خرطومه يستطيع الفيل ان يقطع فرعا من شجرة ، او يلتقط حبة من فول .

وبخرطومه يرشف الماء . فاذا رشف منه الكفاية صبها في فمه ، وعلى هذا النحو يشرب . او هو يرشه على ظهره ليبترد .

والخرطوم لم يفقد بذلك حس الأنف . انه يمده ، يحس به رائحة تبشر بطعام ، او اضطرابا فى الهواء ينذر بخطر . وعند الخطر تشرئب آذناه العريضتان ، تتحسس الخطر ، فلعله عدو مغامر .

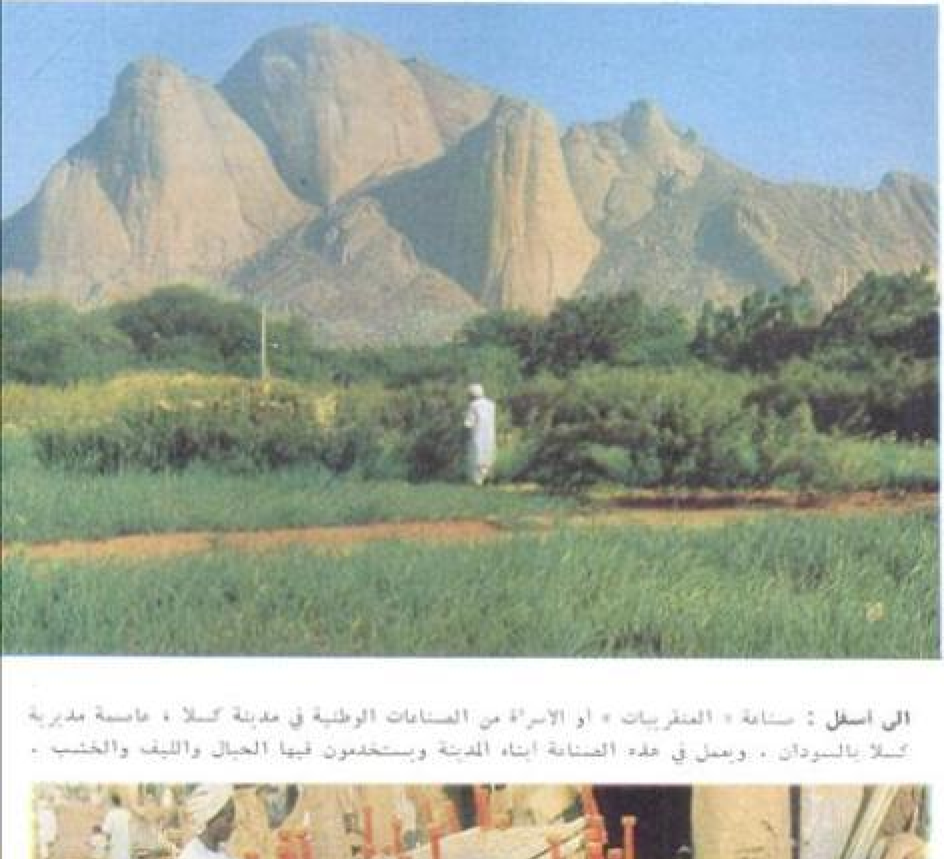
ووجب كل هذا لأن العينين ضعيفتان .

وهكذا هو كل مخلوق ، لا تجمع اجزاؤه جزافا واعتباطا . لا بد من اكتمال ، ومع الاكتمال الاتساق . ونقص هنا لا بد ان تعوضه زيادة هناك . فالحى وحدة متكاملة . والحى في خلقه ، لا بد ان يناغم البيئة التى يحيا فيها ، حتى لا تكون هناك نشاز . تناقض يذهب بالبيئة ، او يذهب بالذى عليها من احياء .

ان عالم الأحياء ، فيه تخطيط ضخم ، وترتيب وتنظيم . « وعمارة » تروع وفن جميل . وهو للافهام متعة ، عند ذوى الافهام . وما اقلهم . وحتى هذا هو من بعض تخطيط الكون لا محالة .

أ . ز

كسلا

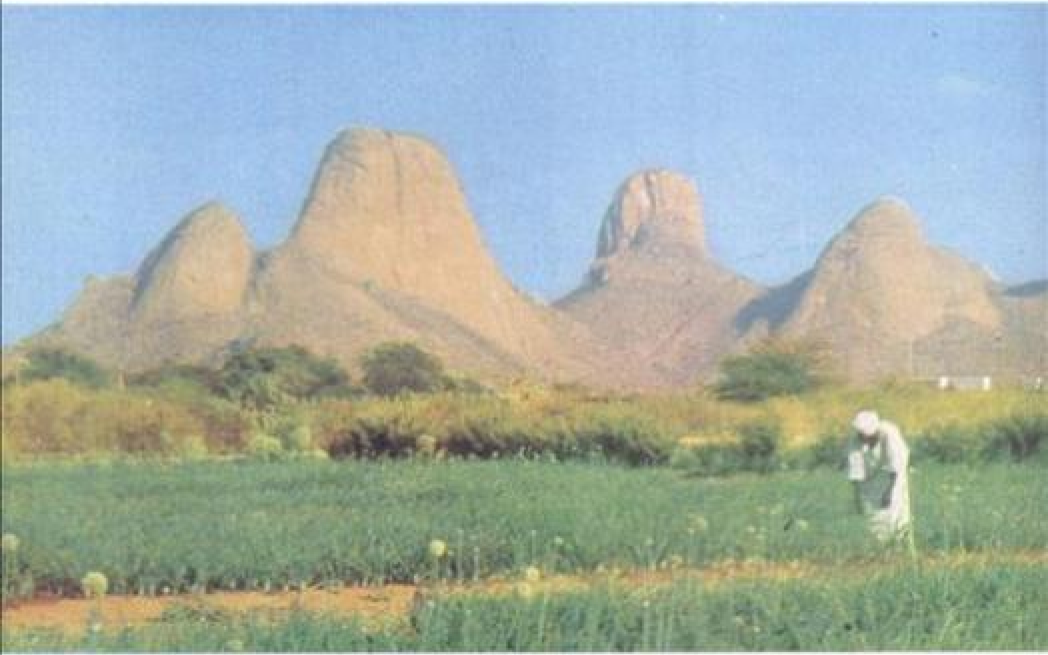


الى اسفل : صناعة « العنقريبات » أو الأسرة من الصناعات الوطنية في مدينة كسلا ، عاصمة مديرية كسلا بالسودان . ويعمل في هذه الصناعة أبناء المدينة ويستخدمون فيها الحبال والليف والخشب .



• صحراء تحولت إلى مزارع وحقول خضراء
• مدينة يحتضنها جبل يساورك أينما خطوت

قام بهذا الاستطلاع
منير نصيف
وصوره
اوسكار متري



الى اعلى : جبال « التاكا » تحتضن مدينة كسلا، وهي تقع على بعد ١٢ كيلومترا من حدود أثيوبيا.

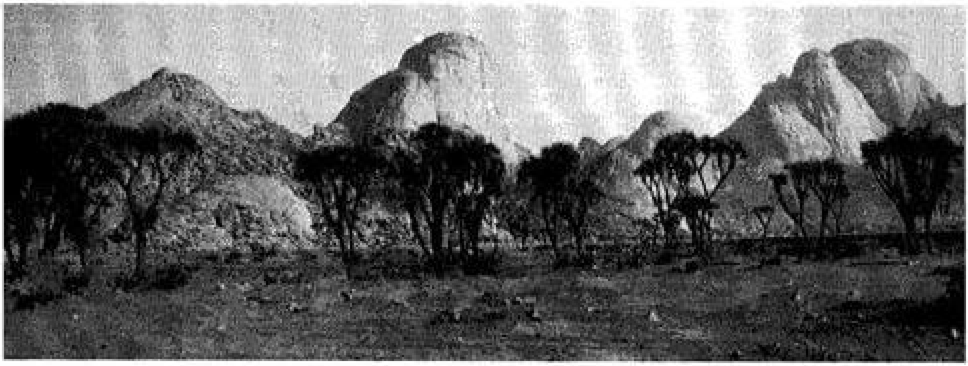
الى اسفل : تنمو في مدينة كسلا جميع الخضراوات وتعتمد الزراعة على مياه الآبار.



■ قالت مضيفة الطائرة : اربطوا الاحزمة ، اننا نستعد الآن للهبوط في مطار « كسلا » .

ونطلعنا الى ما وراء نافذة الطائرة ، فشاهدنا جبلا عملاقا شامخا يمتد من شمال الى جنوب ، ويكاد يمس عجلات الطائرة ، وهي تميل بجناحيها من فوقه وتتأهب للنزول !

وسمعنا صوت قائد الطائرة يقول في الميكروفون : « هذه هي سلسلة جبال التاكا ، او قل قمة افرست كسلا اذا شئت بحسبان أن احدا لم يستطع أن يتسلق الى قمتها حتى اليوم » .



تنمو أشجار الدوم بكثرة في أراضي كسلا ،وهم يصنعون من ثمرتها علف الماشية الذي ثبت أنه من أحسن انواع العلف الذي يضاعف كمية اللبن التي تدرها الابقار.

قال لنا مرافقنا أن المحاولة الوحيدة للوصول الى قمة هذا الجبل الذي يبلغ ارتفاعه ١٢٠٠ قدم عن سطح البحر ، تمت منذ عامين ، لا تسلقا ، ولكن بطريق الجو ، وكان ذلك عندما جاء فريق من السائحين استخدموا طائرة هليكوبتر حلقت فوق قمة الجبل وأدلت اليه بسلم من حبل هبط بعض رجالها عليه ومسوا القمة بأقدامهم مسا ثم عادوا وعادت بهم الطائرة .

لقد بقي منظر الجبل أمامنا طوال مدة اقامتنا في كسلا ، كالشبح الهائل لم يفارقنا . كان أشبه بالعملاق الذي يبسط ذراعيه الكبيرتين ليحتضن بهما المدينة .. البيوت ، الشوارع ، المزارع الخضراء ، قطعان الماشية . وكل شيء فيها .. كان الجبل دائما هناك وراء كل منظر تسجله عدسة مجلة « العربي » لتقدم لك صورة للحياة في هذه المدينة .

قريتان عند سفح الجبل

وركبنا السيارة التي أقلتنا من المطار الذي يبعد عن قلب مدينة كسلا بحوالي ثمانية كيلومترات تقريبا ، وطلبنا الى سائق السيارة أن يقصد بنا الى الجبل أولا قبل أن ندخل المدينة ، ووصلت بنا السيارة أخيرا الى السفح حيث قامت الحياة في هذه المنطقة منذ مئات السنين . فقد بدأت مدينة كسلا هنا بقريتين عند سفح هذا الجبل الذي يقع على بعد ١١ كيلومترا من حدود أثيوبيا ، وهما قرية بني عامر وقرية الختمية .

قال لنا الموظف السوداني المرافق : « هنا في الشمال ، الى القرب من جبل التاكا ، يعيش أفراد قبيلة بني عامر في قريتهم الصغيرة التي سميت باسمهم ، أما في المنطقة الجنوبية من الجبل الى غربه كذلك فتقع القرية الثانية ، قرية الختمية التي يسكنها أتباع السيد أحمد الميرغني زعيم هذه الطائفة . وفي هذه القرية الثانية يقع مسجد الطريقة الختمية على مقربة من قبر الميرغني الكبير ، وكذلك بيت نجله السيد الحسن أحمد الميرغني ، ويملك الابن الآن معظم الاراضي المحيطة بالجبل».

في بطن الجبل

وتسلقنا الصخور المتساقطة عند السفح حتى وصلنا الى هضبة مستوية في بطن الجبل تنمو فيها أشجار النخيل والدوم وحولها الاغنام ترعى وتشرب من مياه النبع والصبية من حولها يغتسلون . فالى هذا النبع ويسمونه نبع « توتيل » تتجه الاغنام لتشرب من مياهه العذبة ويقصده سكان القريتين لرعي أغنامهم حول مياهه الجارية المتدفقة وهناك يختلطون بالغرباء والزائرين .

ومن فوق هذه الهضبة التي وصلنا اليها نظرنا الى أسفل ، فاذا بنا نرى أكواخ قرية بني عامر القابعة في أسفل الجبل ، وبجوارها قطعان الابل والابقار التي تعتبر الثروة الرئيسية لسكان هذه المنطقة ، وبين آونة وأخرى تظهر احدى النساء

فى ثوبها الأبيض تحمل جردلا من الماء تسقى منه الماشية ، وقد اخفت وجهها وراء الحجاب .

أما رجال القرية ، فقد قال لنا مرافقنا ، انهم ذهبوا كعادتهم الى أسواق المدينة يشترون ويبيعون ، بينما تحول فريق آخر من الرجال الى المراعى الخضراء التى تحيط بالمدينة ليرعى أغنامه فيها .. والسوق والمراعى والمدينة نفسها لا تبعد عن الجبل باكثر من بضع مئات من الامتار ، وقد ظهرت كلها من بعيد ونحن وقوف فى مكاننا فوق الهضبة .

قصة المراعى

وتركنا الجبل الصخرى الكبير ... ووصلنا الى مدينة كسلا مخترقين المراعى الخضراء الواسعة التى تحيط بها من كل جانب .

ان قصة المراعى هى قصة الثورة التى حدثت فى حياة الارض بهذه المدينة . فقد كانت كسلا حتى عهد قريب منطقة تتخللها الغابات الكثيفة التى تنمو فيها أشجار الدوم والسنط . ثم أجريت الأبحاث على تربة هذه المنطقة فثبت انها من أجود الاراضى الصالحة للزراعة . وهكذا بدأت الثورة فى حياة كسلا .. وتحولت الصحراء الى بساط سندسى أخضر تكسوه الأشجار .. أشجار الفاكهة والخضراوات بمختلف أنواعها . حتى لقد أصبحت معظم المدن الرئيسية فى السودان تعتمد على كسلا فى امدادها بالخضراوات والفاكهة .

وتعتمد الزراعة فى « كسلا الخضراء » كما يسمونها الآن ، اعتمادا اساسيا على الآبار السطحية التى اكتشفت فيها وساعدت على تحقيق هذا الانقلاب . ويبلغ عدد الآبار الجوفية حوالى اربعمائة بئر بينما يوجد أيضا حوالى ٢٤ بئرا ارتوازية . وكان لمشروع نهر « القاش » فى نفس الوقت أثر كبير فى نجاح زراعة القطن . والقاش نهر صغير يصب فى اراضى كسلا وينبع من جبال أثيوبيا ، ويمد المدينة كلها بالماء وقت الفيضان .

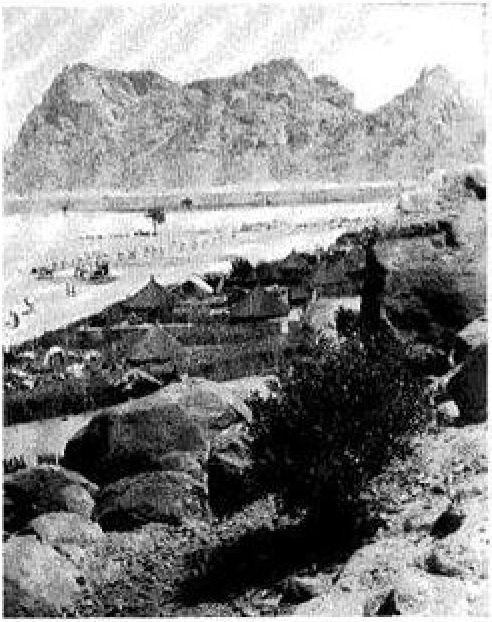
مشروع نهر القاش

أما مشروع « القاش » فيتلخص فى فتح قنوات تمتلىء بالماء وقت الفيضان ثم تغلق بعد امتلائها لرى الأراضى الواقعة على جانبيها والتى يزرع فيها القطن والخروع . وفى المنطقة الشاسعة التى تنتهى عندها مياه النهر وتنتشر لتروى الأرض القاحلة ، يقوم الأهالى بزراعة الذرة ، وهى أيضا من المحاصيل الرئيسية التى تشتهر بها مدينة كسلا ، وهم يصنعون منها الخبز وكذلك « المريسة » أو البوظة فى اللسان المصرى وهو مشروبهم الكحولى الوطنى .

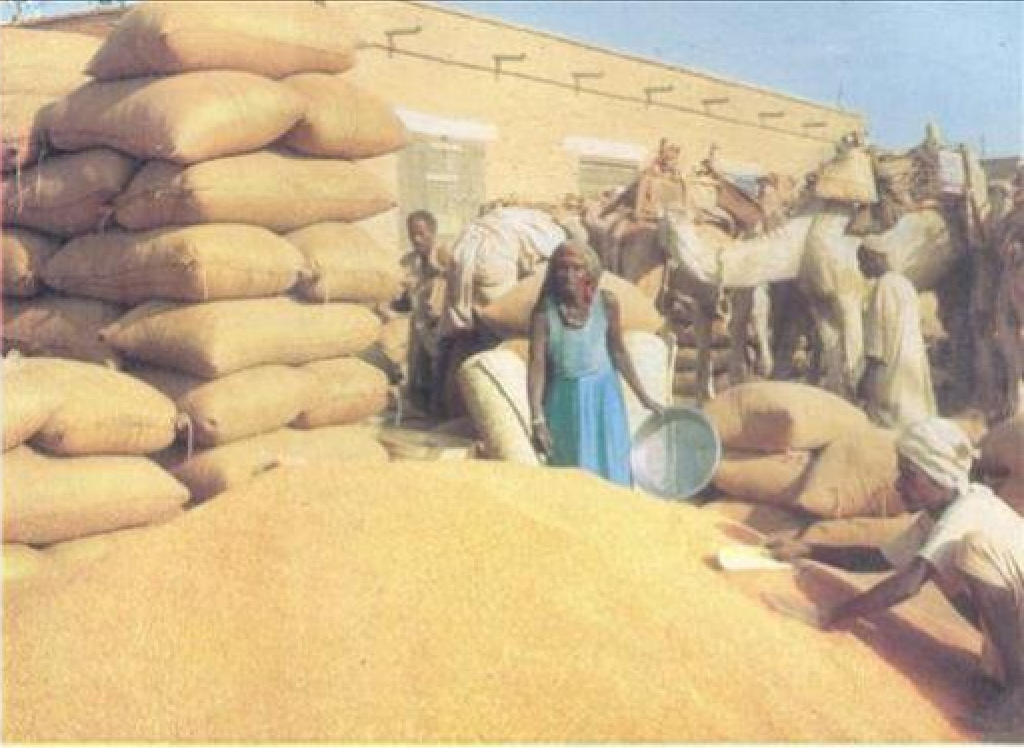
ونهر « القاش » يجف صيفا وشتاء ، فاذا امتلأ بمياه الأمطار فى موسم الخريف قسم المدينة الى قسمين منفصلين تماما ، نظرا لعدم وجود أية وسيلة لعبور النهر والانتقال من احدى ضفتيه الى الضفة الأخرى . فكان بعض الأهالى من السباحين يحملون الناس على أعناقهم ويسبحون بهم مقابل أجر معين ، بينما لجأ البعض الآخر الى استخدام « العنقريبات » أو الأسرة المصنوعة من الأخشاب والحبال فى عبور النهر .

مشكلة عبور النهر

وقد مضى نهر القاش يفرض وجوده فى خريف

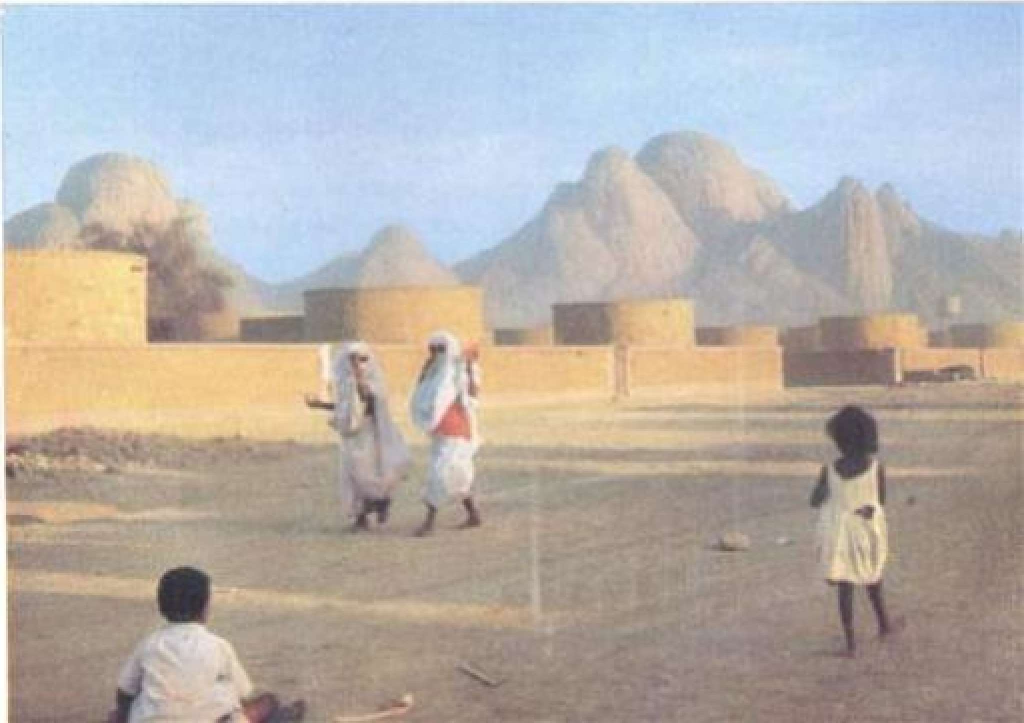


قرية بنى عامر ، وهى تقع عند سفح سلسلة جبال التاكا ، مباشرة ، ومعظم بيوت القرية من الاكواخ المبنية بالخوص والقش ، وأهلها من العرب الذين هاجروا من شبه الجزيرة العربية عند فجر الاسلام .



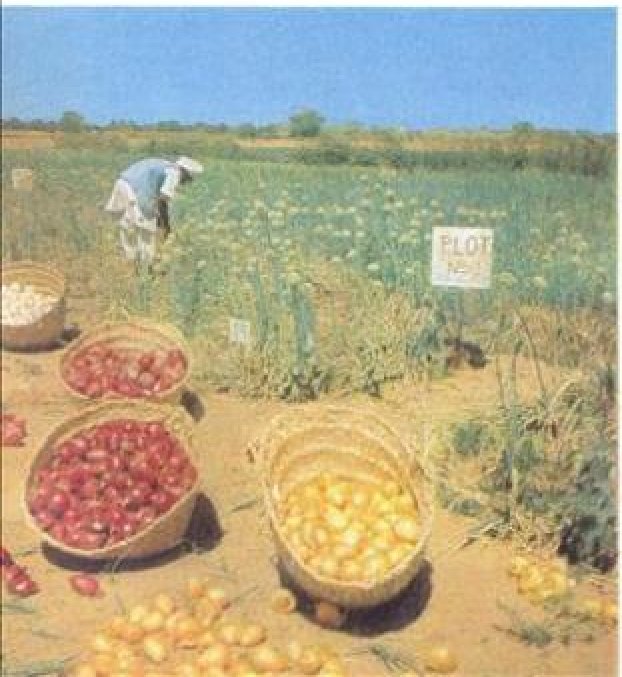
الى اعلى : سوق الغلال في كسلا ، حيث تصل الجمال لنقل القمح الى معظم انحاء المديرية التي تعتمد على كسلا في امدادها بالحاصلات الزراعية .

الى اسفل : احد الشوارع الفسيحة في كسلا وقد ظهرت في الصورة المنازل التي شيدتها مدرسة البوليس لطلبتها .





الموز من الزراعات الرئيسية في كسلا ، وقد ازداد اقبال الاهالي على زراعة الموز بعد انشاء شركة لتصدير هذه الفاكهة.



يزرع البصل في كسلا بكثرة وقد عنيت الحكومة بانشاء مصنع لتجفيف البصل وتصديره ، ويصدر البصل الى مختلف مدن السودان واثيوبيا واريتريا ،

كل عام ويثير مشكلة عبوره للانتقال من أحد قسمي المدينة الى قسمها الآخر حتى عام ١٩٥٤ ، عندما تم بناء جسر يربط بين ضفتي النهر ، ولكنه لا يتسع لمرور أكثر من سيارة واحدة في اتجاه واحد . وانتهت بذلك مشكلة عبور النهر عندما تفيض مياهه في الخريف ولم تعد المدينة تخشى اصابة حركة التنقل فيها بالشلل ، وهو ما كان يحدث كلما اقترب موسم الأمطار .

وتبلغ مساحة الأرض المزروعة في كسلا ٥ آلاف فدان الى جانب ثمانية آلاف فدان أخرى موزعة على المزارعين بمعدل ثمانية افدنة لكل مزارع . واهم الفواكه التى تزرع في كسلا هى المانجو والبرتقال واليوسفي واللارنج والليمون الحلو والجوافة . كما اشتهرت كسلا أيضا بزراعة الموز وتضاعفت مساحة الأراضي المزروعة به عقب تكوين شركة لتصدير هذه الفاكهة مما دفع المزارعين الى الاستغناء عن عدد كبير من أشجار الموالح والاستعاضة عنها بزراعة الموز ، حتى لقد بلغت مساحة الأرض المزروعة بالموز في مدينة كسلا ٢٤٦٢ فدانا تنتج في العام الواحد حوالى ٢٤ الفا و ٦٢٠ طنا من الموز .

البصل في كسلا

كما تشتهر كسلا أيضا بزراعة معظم أنواع الخضراوات وفى مقدمتها البصل الذى تصدر منه كميات كبيرة لمدن السودان واثيوبيا وارتريا . وقد تم انشاء مصنع لتجفيف البصل وتصديره للخارج وعنيت وزارة الزراعة في الوقت نفسه بانشاء مشتلين احدهما للفاكهة والآخر للخضراوات ، اما الأول فقد افتتح في عام ١٩٥١ ومهمته امداد اهالى المنطقة الذين يعتمدون على زراعة البساتين ، بالشتل بعد التأكد من نوعها وجودتها . واما الثانى الذى انشىء في عام ١٩٦٣ ، فقد كان الغرض منه هو تحسين انتاج البصل وامداد المصنع الذى افتتح في عام ١٩٦٦ بانواع البصل الجيد لتجفيفه وتصديره .

ظاهرة تستحق التسجيل

ونتوقف هنا قليلا قبل أن ننتقل الى حديث آخر لنسجل ظاهرة لفتت انظارنا ، الا وهى ارتفاع اسعار الفاكهة والخضراوات في كسلا بالرغم من وفرتها ، فقد وجدنا ان ثمن البرتقالة الكبيرة مثلا يصل أحيانا الى أربعة وخمسة قروش سودانية (نحو شلن انجليزى) وثمن كيلو الطماطم يزيد على ثمانية قروش ! وهى أسعار مرتفعة بلا شك اذا أخذنا في اعتبارنا أجر العامل الزراعى الذى لا يزيد في المتوسط على عشرين أو خمسة وعشرين قرشا في اليوم الواحد !

ويرجع ذلك مرة أخرى الى قلة الأيدى العاملة ، ولقد كانت هذه المشكلة نفسها هى السبب أيضا في ترك ثمار الفاكهة الناضجة تتساقط تحت الشجر حتى تذبل وتجف . وهى السبب مرة أخرى في عدم العناية بحقول الخضراوات وبساتين الفاكهة التى تنمو حول أشجارها عشرات من شجيرات النباتات الطفيلية التى تمتص المياه والأسمدة من الأرض ، دون أن تمتد يد الى اقتلاعها واعدامها ! .. انها ثروة ضائعة في حاجة الى رأسمال عربى لاستثمارها .



قافلة من الجمال تحمل الخضراوات والبقول من مزارع كسلا الى القرى والمدن المجاورة .



بيت أسرة من كسلا ، ومعظم البيوت يملكها ساكنوها لرخص ثمن الارض التى لا يزيد سعر المتر منها على ثلاثة قروش ، وكذلك رخص ثمن مواد البناء .

مدينة كسلا

ولنواصل الحديث الآن بوصف مدينة كسلا التى بلغناها أخيرا .. انها تبعد عن مجرى نهر النيل بحوالى ٢٥٠ كيلو مترا وعن الخرطوم العاصمة بحوالى ٤٢٠ كيلو مترا ، ويبلغ تعداد سكانها ٦٨ الف نسمة ، وهى عاصمة لمديرية كسلا التى لا يزيد تعداد سكانها كلها على مليون و ١٦٤ الف نسمة يعيشون فى ارض شاسعة تبلغ مساحتها عشرات الالوف من الكيلو مترات المربعة.

ويعمل معظم سكان المدينة فى الزراعة ورعى الجمال والابقار والاغنام التى تصدر منها كسلا اعدادا كبيرة الى الخارج ، وهناك نفر قليل يعمل بالتجارة ومعظمهم من الأجانب .

وكسلا مدينة هادئة تنام مبكرا ولكنها لا تصحو مبكرا ، رغم الحر الشديد الذى يبدأ فى شهر فبراير من كل عام ويستمر شهورا عديدة فقد لاحظنا أن الأعمال لا تبدأ فى المكاتب الحكومية قبل الثامنة والنصف صباحا،والمحال التجارية لا تفتح أبوابها قبل العاشرة صباحا والحياة فى المدينة رتيبة هادئة لخلوها من الحركة ولبطء البناء والتعمير فيها .

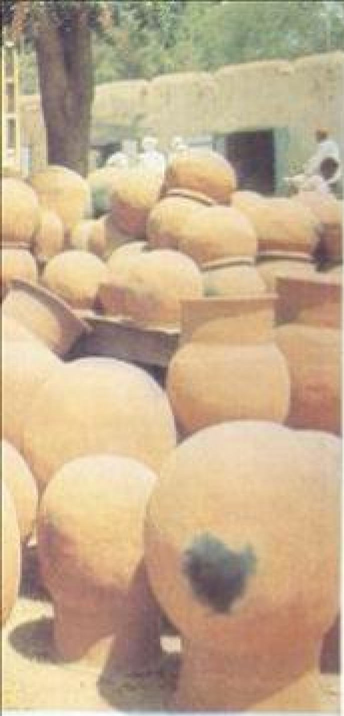
سكان المدينة

اما سكان كسلا الاصليون فهم « الحلنقة » الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية منذ مئات السنين ، وهم يعيشون جنبا الى جنب مع افراد قبيلتى الهدندوه وبنى عامر ، ويطلق على هؤلاء جميعا اسم قبائل « البجّه » التى تنتشر فى شرق السودان حتى مدينة حلايب الواقعة فى الشمال على حدود الجمهورية العربية المتحدة .

والهدندوة طراز غريب من الناس ، يطلقون شعورهم ويضعون فيها مشطا كبيرا من الخشب يشبه الحربة الى حد كبير . والشعر الطويل عندهم عنوان للرجولة والانوثة فى الوقت نفسه ، حتى ليجد المرء صعوبة فى التفريق بين الرجل والمراة ! وينتشر الهدندوة فى المدينة طوال ساعات النهار فتجدهم فى سوق الماشية حيث يزدحم التجار لشراء الجمال والابقار ، وتجدهم فى أسواق الحبوب والخضراوات واللحوم ، حتى اذا جاء الليل ، تركوا المدينة وذهبوا الى أكواخهم التى أقاموها فى ضواحى كسلا حيث ترعى ماشيتهم حولها .

خليط من كل الاجناس

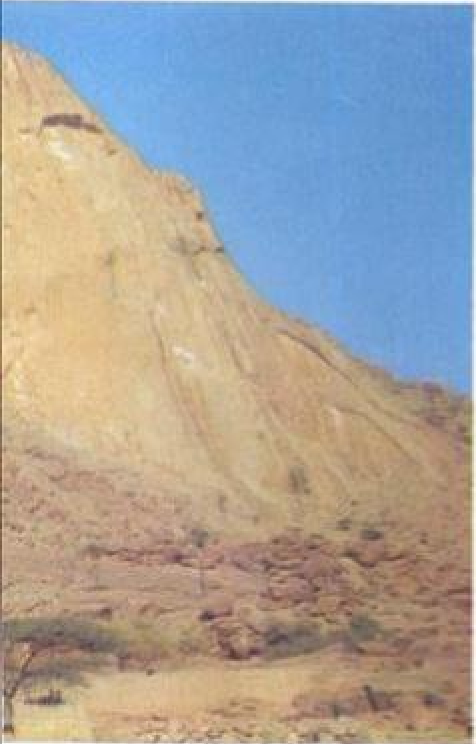
والى جانب هؤلاء يعيش فى كسلا خليط من جميع الأجناس .. ففى شوارع المدينة التقينا بالوجوه العربية الاصيلة وسمعنا لهجة كاللهجة المصرية التى يتحدث بها أهل صعيد مصر ،وقابلنا أبناء النوبة واليمن ونيجيريا .. وقد جاءوا



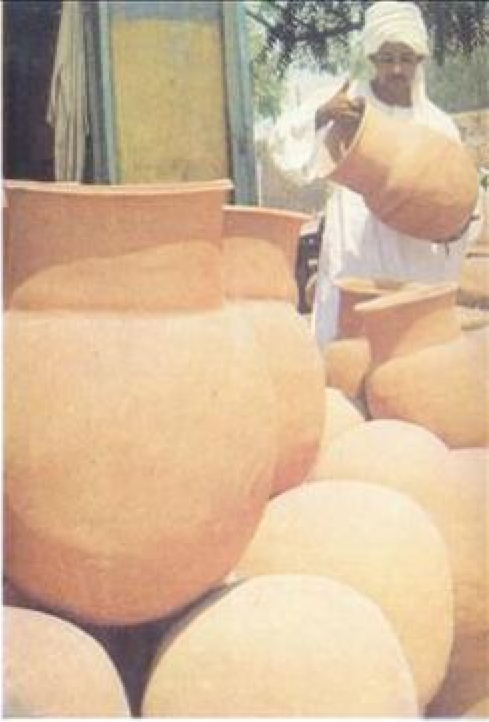
يقــوم اهالي كسلا بصــناعة
حيث يقبــل الاهالي على شرائها ،
وتبريدهــا ، فلا يخلو منــ



وجهان من كسلا .. احدهما لرجل من افراد قبيلة
الهدندوة ، وهم طراز غريب من الناس يطلقون
شعورهم ويضعون فيها مشطاً كبيراً يشبه الحربة .



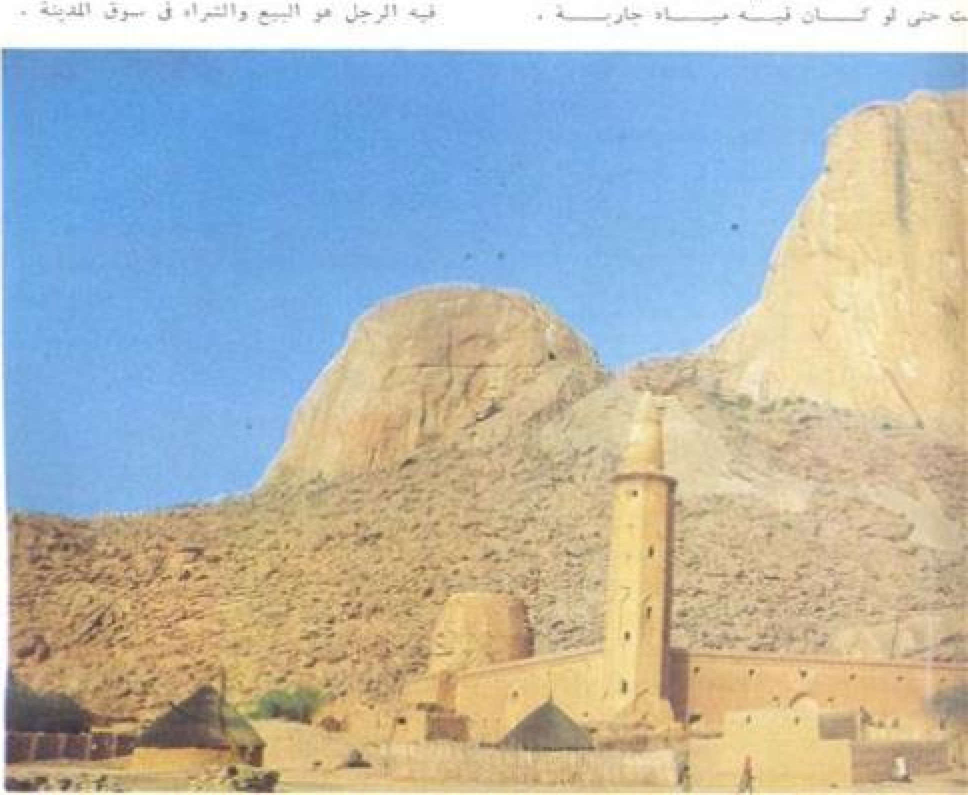
مسجد الطريقة الختمية الذي شيد على مقربة
من قبر الميرغني الكبير وقرية الختمية التي يسكنها
اتباعه عند سفح جبل « التاكا » . ويملك السيد
الحسن ابن الميرغني معظم الاراضي الزراعية
المحيطة بالقرية والجبل .



الأزيار والقلل الفخارية .. وهى تباع فى الأسواق
ـم يعتمدون عليها فى تخزين مياه الشرب
ت حتى لو كان فيه مياه جارية .



المرأة فى كسلا لا تزال تخفى وجهها وراء « الثوب »
او الحجاب ، والعمل الوحيد الذى تشارك
فيه الرجل هو البيع والشراء فى سوق المدينة .



جميعا الى كسلا ليشتغلوا بالزراعة . ويملك ثلاثة من الاخوة اليونانيين الورشة الوحيدة في المدينة لاصلاح جميع أنواع السيارات ، حتى الفندق الذى نزلنا به يملكه رجل يونانى جاء الى كسلا منذ ثلاثين عاما . وقد شيد أحد أبناء اليمن فندقا آخر منذ ثماني سنوات الى جانب بيت الضيافة المخصص لاقامة موظفى الحكومة الرسميين وكبار الزائرين .

تقصير يحتاج لعلاج

ان كسلا لتدعو أى مواطن سودانى أن يهبط عليها ليفتتح فندقا أو مصنعا أو أى مشروع عمراني يسد به احتياجات أهالى المدينة وما أكثرها . فقد لاحظنا انه ليس في كسلا مثلا سوى مطعم واحد يقدم للزائرين وجبات الطعام ، ولكن بشرط ان توصي صاحبه في ساعة مبكرة من الصباح بأن يعدها لك ، فاذا نسيت أن تفعل ذلك ، فقد تتعرض لقضاء اليوم كله بلا طعام ، فتضطر الى اللجوء لشراء الأطعمة المحفوظة في العلب التى تباع أيضا في متجر يملكه أحد اليونانيين !

حتى مصنع الثلج الوحيد في المدينة التى تتصبب عرقا في الصيف يملكه يونانى !

وتغرق كسلا في الظلام بعد غياب الشمس مباشرة نظرا لعدم دخول التيار الكهربائي الى احيائها ومنازلها .. فليس هناك ضوء كهربائى في شوارعها .. والاماكن المحدودة التى تضاء بالكهرباء وفي مقدمتها الفندقان وبيت الضيافة لا تجد فيها سوى بضعة مصابيح غير كافية للاضاءة وذلك نظرا لارتفاع سعر الكهرباء .

حياة في الظلام

قال لنا المسئولون :

« ان كسلا تعيش في الظلام بينما الكهرباء متوفرة على بعد بضعة كيلو مترات منها وذلك في محطة توليد الكهرباءفي خزان خشم القربة وقدرتها ١٣ ألف كيلو واط لا يستفاد منها باكثر من ٢٥٠ كيلو واط فقط لانارة مدينتى حلفا الجديدة وخشم القربة » .

اننا نرجو كما يرجو كل عربى مخلص أن يتكامل المشروع الكهربائى الواسع الذى سبق أن اعد ويشتمل على توصيل الكهرباء الى مدينتى كسلا والقضارف ، ولو بروؤس اموال عربية ، حتى يمكن احياء هذه العاصمة « المنسية » لمديرية من اكبر مديريات السودان ، كما نرجو أن يفكر المواطنون السودانيون جديا في استثمار اموالهم في كسلا حتى يمكن كسر احتكار الاجانب للصناعات الهامة في البلاد .

ان مدينة كسلا تضم عدة احياء سكنية ، فهناك الحى الهندى الذى يسكنه الهنود ، وحى الجالية النيجرية الذى يعيش فيه حوالى الفين من ابناء نيجريا الذين نزحوا من بلادهم وجاءوا الى كسلا ليشتغلوا بالزراعة ، والى جانب هذين الحيين توجد أحياء أخرى ، ولكنها ليست مخصصة لجالية معينة دون الأخرى ، وسكانها خليط من كل الجاليات مثل حى الميرغنية ، وهو غير قرية الختمية التى تقع عند سفح جبل التاكا ، وحى النزعة وحى الثورة .

كل بيت يملكه ساكنه

اما بيوت كسلا فمعظمها مبنى بالطين، باستثناء المبانى الحكومية وثكنات الجيش ومبنى مدرسة البوليس وقد شيدت هذه المدرسة منازل لطلبتها بأحدث مواد البناء . وكذلك مبانى الشركات والفنادق والمحال التجارية التى يمتلكها الاجانب في سوق المدينة . كلها مبنية بالاسمنت .

وقد زرنا منزل أسرة سودانية متوسطة تتالف من أب وأم وأربعة أطفال . والأب يعمل موظفا في وزارة الداخلية ومرتبه الشهرى ٣٢ جنيها ومؤهلاته الابتدائية .وتتالف البيت من غرفتى نوم وغرفة صالون وفناء صغير وكل جدرانه شيدت بالطين وألياف شجر الدوم مثل معظم بيوت الأهالى .

قال رب الأسرة انه يملك هذا البيت لأن الأرض رخيصة . يتراوح سعر المتر فيها بين ثلاثة مليمات وثلاثة قروش ، طبقا لموقعها ، ولذلك فان الأهالى يقبلون على شراء الأرض وبناء منازلهم الخاصة التى تتكلف في المتوسط مبلغا لا يزيد على مائة وعشرين جنيها .



في سوق القربة يصل التجار لشراء مختلف المحاصيل التي ينقلونها على ظهور الابل الى اسواق المدن القريبة التي تعتمد على كسلا في امدادها بالحاصلات الزراعية .

أهم صناعة في المدينة

والصناعات الوطنية في كسلا محدودة فهم يصنعون « العنقريبات » أو الأسرة التي تستخدم في صناعتها الاشجار والحبال اللوف ، كما يجمع الأهالي السعف من الأشجار ويصنعون منه الابراش والحصر ، كذلك يصنعون أيضا الاواني الفخارية كالازيار والقلل التي يحفظون فيها مياه الشرب .

ولعل أهم صناعة قامت في مدينة كسلا ، هي صناعة علف الماشية من ثمر الدوم ، ففي عام ١٩٦٢ اكتشف الخبراء أن الدوم الذي تنمو أشجاره بوفرة في غابات مديرية كسلا وبقية أنحاء السودان ، يعتبر من أجود أنواع العلف للماشية. وعلى اثر ذلك تقرر انشاء مصنع لانتاج هذا النوع من العلف الذي أصبح يصدر الآن بكميات كبيرة الى المانيا وايطاليا ومصر وفرنسا ، كما تقرر أن يبدأ قريبا تسويقه محليا في جميع أنحاء السودان بعد ان ثبت من التجارب التي اجريت على « علف الدوم » انه يحتوى على كمية كبيرة من المواد الغذائية كالبروتينات والدهنيات والسكريات التي يمكن أن تشكل غذاء كاملا للماشية يضاعف من كمية اللبن التي تدرها ويزيد من وزنها .

فقد ثبت أن هذا العلف يزيد اللبن عند الجاموس والابقار والاغنام بنسبة ٣٨٪ ، كما أجريت التجارب على العجول التي تأكل « علف الدوم » فثبت ان وزنها قد زاد حوالي ١٢ كيلو جراما خلال ١٥ يوما .

الاقبال على التعليم

وننتقل الآن الى التعليم . لقد كان معظم أفراد الأسرة في كسلا حتى عهد قريب يعملون في الرعي ثم في الزراعة . ثم بدأ الاهتمام بالتعليم الذي أصبح الآن بالمجان في مراحله الاولى ، فذهب الاولاد والبنات الى المدارس لتلقى العلم وأصبح في كسلا ١٣ مدرسة أولية للاولاد وتسع مدارس للبنات ، كما انشئت مدرسة صناعية وسطى ومدرستان ابتدائيتان للبنين ومثلهما للبنات ، وكذلك مدرستان ثانويتان احداهما للبنين والثانية للبنات .

وعندما زاد الاقبال على التعليم بدأت الحكومة تواجه نقصا في عدد المدرسين فانشأت معهدا للتربية في عام ١٩٦٣ لتخريج مدرسين للمدارس الأولية . ويقبل هذا المعهد الطلبة الذين أتموا المرحلة الوسطى أو « الاعدادية » من تعليمهم ، والدراسة فيه لمدة عامين ، غير انه تقرر مدها لاربع سنوات بعد تعديل نظام التعليم في السودان، ويضم المعهد ١٥٠ طالبا بينما تتألف هيئة التدريس من ١٨ مدرسا من خريجي الجامعات وكذلك من خريجي الأزهر .

هذه صورة سريعة للحياة في مدينة كسلا ، أو المدينة « المنسية » في قلب الصحراء التي تحولت الى مزارع وحقول خضراء تنمو في أرضها كل خيرات الله ، اننا نرجو الا ينساها ابناؤها بعد اليوم . ■■

منير نصيف

على مر العصور

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

استاذ النبات بجامعة عين شمس

■ نستطيع ان نقرر في غير تحفظ قليل او كثير ، ان الفكر العلمي ، كان دائما وراء تقدم الانسان ورفاهيته ،وذلك منذ عرف الانسان كيف يمارس التجربة ، يخطىء ثم يصيب ، فعرف الطريق الى المعرفة العلمية ، او العلم ، وهو ما اصطلح على انه يتضمن التجربة والمشاهدة والاختبار، وهو الذى يشمل العلوم الطبيعية الاساسية من كيميائية وطبيعية وجيولوجية ونبات وحيوان ورياضيات وفلك وتطبيقاتها في الطب والزراعة والهندسة والصيدلة والبيطرة وما اليها .

العصر القديم

ويؤرخ البعض للمعرفة العلمية ، منذ العصر الحجرى ، عندما صنع انسان ذلك العصر ، ادوات واسلحة ، ذات اشكال معينة ، وكان ذلك منذ نحو اربعمائة الف من السنين ، مما يدل على ان تفكيرا في شكلها قد سبق صناعتها ، وعلى ان صانعها قد فكر في الهدف الذى كان يطلب ، ولا شك انه حاول واخفق مرة ومرات ، فهى صور بدائية من التجريب والخطأ والصواب . وعندما عرف الانسان كيف يجرب ويخطىء ثم يصيب ، فانه عرف الطريق الى حل مشاكله . وبالتالى عرف الطريق الى العلم . ومنذ نحو ثلاثين الف عام عرف الانسان كيف يصور الحياة ، وعرف الزراعة ، منذ خمسة عشر الف عام ، فتحول من جامع غذاء يلتقطه من حب وشجر وفاكهة وثمر ، الى منتج غذاء يفيض عن حاجته ، ومع الزمن عرف الاوقات الملائمة للزراعة ، وتلك التى تلائم الحصاد ، وربط بين اوقات العمل والراحة وبين الليل والنهار ، وطلوع القمر وغروبه ، وربط بين اوقات الزراعة ، وبين فصول السنة ، وحركات الشمس والقمر ، ومع ازدياد العمران ظهرت معيشة الجماعات ، وصارت الحاجة لتحديد الاوقات ومعرفة الايام . وانتقل الانسان من عصر الحجر الى عصر المعدن ، وعرفت مصر الفرعونية اصول الزراعة ومسح الارض وحساب فيضان النيل . وبازدياد العمران وتشابك المصالح ازدهرت التجارة ، وظهرت الحاجة الى معرفة الاعداد ، وتقدمت المعرفة بالكتابة المصورة ورقت الحضارات على ضفاف الانهر في وادى النيل عند المصريين ، وفيما بين النهرين عند الاشوريين والبابليين والسومريين ، وما وراء النهر عند

الإنسان

العلم في العصر القديم
عصر الإغريق
العصر الإسلامي
عصر النهضة
العصر الحديث

الصينيين والهنود . وازدهرت هنا وهناك علوم الفلك والرياضيات والتعدين والحساب وهندسة البناء والطب والتحنيط .

وكذلك أهدى الفكر العلمي الى الانسانية في هذا العصر القديم كثيرا من مظاهر الحضارة والترف والرفاهية ، لم يكن للانسانية بها عهد في فجر تاريخها ، فسكن الانسان القصور وبنى المعابد والاهرام والهياكل . ومارس الطب ، وصنع الورق والزجاج والأصباغ ، ونسج الملابس ، وعرف الروائح وحضّر العقاقير ، وفضلا عن ذلك كله ، فقد عرف الكتابة فسجل معارفه على أوراق البردى ، وعلى جدران المعابد والهياكل بالخط الهيروغليفي عند المصريين القدماء ، وعلى قوالب الطوب بالخط المسمارى عند الاشوريين والبابليين .

العصر الاغريقي

ثم انتقلت هذه المعارف العلمية الى الأغريق ، وسطعت حضارة علمية في بلاد الاغريق منذ القرن السابع قبل الميلاد . وظهر من العلماء الاغريق من فلسف العلم ووضع النظريات والفروض . وسطع في سماء العلم ، أعلام من أمثال طاليس ، وانانكسمندر، وانانكسميوس، وابقراط وفيثاغورس وديموقريطس ، ثم سقراط وافلاطون وارسطو ، ممن لا تزال أسماؤهم ترن في آذان الدهر . وأهدى الفكر العلمى الى الانسانية في العصر الاغريقي ، ما لم يعرف انه أهدى اليها من قبل قط من فلسفات وعلوم ونظريات وفروض لا عهد للانسانية بها . وعرفت الانسانية نظريات كيميائية ونظرية العناصر ، ونظرية الاعداد ، وعرفت آراء ديموقريطس في الذرة ، وابقراط في الطب ، وفيثاغورس في الرياضيات،وافلاطون في الهندسة، وأرسطو في التشريح والنبات والحيوان والمعادن . وظفرت الانسانية بمعلمها الاول « أرسطو » الذى قدم الى المعرفة أعظم اضافة قدمها فرد . وساد العلم الاغريقي وتاهت أثينا على العالم باكاديمية افلاطون و"ليسيوم ارسطو . وسيطرت الحضارة العلمية الاغريقية على ما جاورها من بلاد ، كانت ذات حضارة سادت يوما ، ولكنها لم تقو على الصمود أمام تيار المعارف الاغريقية ، مما جعل الكثير من المؤرخين يؤرخ بالعصر الاغريقي بداية للمعرفة العلمية الحقيقية .

وان تبين ان العلم الاغريقي لا يمكن أن يظهر فجأة بهذا السمو ، وانه استفاد على التحقيق مما سبقه من علوم وحضارات ، وانه كانت هناك صلات واتصالات بين علماء الاغريق وبين علماء المصريين القدماء ، على ضفاف النيل ، وبين علماء

البابليين فيما بين النهرين . والذى لا شك فيه ، ان الفكر العلمى قد قفز في العصر الاغريقى قفزة هائلة ، واهدى الى الانسانية ترفا عقليا الى جانب الحضارة المادية . الا ان هذا العصر الذهبى للحضارة العلمية الاغريقية ، قد انتهى مع الأسف بموت الاسكندر وموت ارسطو من بعده بعام واحد سنة ٣٢٢ ق.م. ووقع اضطهاد على العلماء الاغريق نتيجة الخلاف بين خلفاء الاسكندر ، فاضطر العلماء الى الهجرة من بلاد الاغريق .

العصر الاسكندري

هاجر نفر كبير من علماء الاغريق وراء البطالمة الى الاسكندرية ، وقد اشتهر البطالمة بحب العلم ورعاية العلماء ، ولذلك لم يكن غريبا أن تنتقل الكثرة الغالبة من علماء أثينا الى الاسكندرية ، ليؤسسوا حضارة علمية ينتقل معها مركز الثقل العلمى من اثينا الى الاسكندرية ، حيث انشئت جامعة الاسكندرية القديمة في القرن الثالث قبل الميلاد ، انشأها بطليموس، واستدعى «ستراتون» رئيسا لها ، وظل على رأسها اثنتى عشرة سنة ، ثم استدعى مرة أخرى ليعود الى اثينا ويراس الليسيوم ثمانية عشر عاما . ولم تكن جامعة الاسكندرية معهدا علميا فحسب ، ولكنها كانت تضم مكتبة تحوى مئات الألوف من المجلدات ومتحفا يضم آلاف العينات والنماذج من نبات وحيوان ومعادن .

حملت الاسكندرية مشعل الحضارة العلمية ، وغدت منارة للعلم ، عدة قرون ، واهدى الفكر العلمي الى الانسانية حضارة لم تبلغها من قبل وذلك على أيدى نفر من العلماء الافذاذ من امثال بطليموس وارشميدس ، واقليدس ، وجالينوس، وديسقوريدوس ،واوريباسوس وبركليس ، وثاون وابنته هوباتيا ، وترك هؤلاء العلماء من المؤلفات العلمية الشيء الكثير ، ويكفى أن نذكّر لبطليموس كتابه المجسطى في الفلك ، وكتابه في الجغرافيا وآخر في البصريات ، وان نذكر لاقليدس كتابه « الأصول في الهندسة » ، ولجالينوس كتابه في الطب ، ولاوريباسوس كتابه الجامع في الطب ، ولديسقوريدوس كتابه في النبات ، ولثاون كتابه في الرياضيات ... الى غير ذلك من كتب ومؤلفات ليس الى حصرها من سبيل ، ويكفى انها ظلت مراجع يترجمها ويحررها وينقدها العلماء عدة قرون طوال العصر الوسيط .

وكانت جامعة الاسكندرية مركز هذا النشاط العلمى العظيم ، واضاف علماؤها الى المعارف العلمية اضافات بالغة الأهمية . ومن أسف أن احرقت مكتبة الاسكندرية مرة بعد أخرى ، أحرقها قيصر عند هروبه ، او أحرقها الغوغاء ليضطروه الى الهرب ، ولكن مارك أنطونيو أراد أن يعوض كليوباطرة عن هذه الخسارة الفادحة فاهداها مائتى الف مجلد من مكتبة برجامون بآسيا الصغرى . واصابها الحريق بعد ذلك مرات ، وكانت قد تدهورت آخر الامر ووقع الاضطهاد مرة أخرى على العلماء نتيجةخلاف وقعبين المسيحيين والوثنيين، واضطر العلماء الى الهجرة مرة أخرى ، وكانت هجرتهم هذه المرة نحو الشرق ، تلبثوا حينا في الرها ، ثم أمعنوا مشرفين نحو الضوء الذى سطع كالشهاب في المشرق العربى ، نحو بغداد حاضرة العباسيين .

ومضت الانسانية قدما وراء الفكر العلمى ، انه يمدها بالرفاهية والحضارة .

العصر الاسلامى

وليس من شك فى ان ظهور الدين الاسلامى كان دفعة قوية للفكر العلمى ، لكى يتفتح وينتشر ويزيد فى معارف الانسان ورفاهيته . أليست معجزته الخالدة كتاب ، هو القرآن الكريم أليست أول آياته « اقرأ » ؟ الا تدعو كثير من آياته الى التفكير فى ملكوت السموات والأرض ، والكون والكائنات ، كيف ومم خلقت ؟ ألا تفرق الآيات بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وبين الذين أوتوا العلم والذين لم يؤتوه ؟ الم يفضل الرسول مجلس العلم على مجلس الذكر ؟ الم يقسم الناس الى فئات ثلاث ، عالم ومتعلموالباقى همج ؟ الم يدع الى طلب العلم من المهد الى اللحد، والى طلب العلم ولو فى الصين ؟ الم يوازن بين مداد العلماء ودماء الشهداء ؟ الم يقل غدوة في سبيل العلم خير من مائة غزوة .. ؟ الى آخر ما لا يكاد يقع تحت حصر من آيات وأحاديث ، كلها حض عنيف على طلب العلم .

ولذلك ما أن استقرت الدولة الاسلامية ، وامتد سلطانها من مشارف الصين شرقا ، الى مشارف فرنسا غربا ، حتى اخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه ، فاخذوا يترجمون الذخائر العلمية وينقلون الى اللغة العربية علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود ، ترجموا عن الاغريقية ، والفارسية والقبطية والآرامية والهندية ، ونقلت الوف الكتب من المكتبات القديمة ، واقيمت دور الكتب والمكتبات ، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء ، واستبقوا فى الانفاق فى سخاء على العلم والعلماء . وقبل الرشيد الجزية كتبا ، كما دفع المأمون وزن ما ترجم ذهبا . وقبل انشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ومنازل العلماء ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات يحج اليها طلاب العلم من كل رجا من ارجاء الارض ، وجاء وقت كان كل طالب علم يجد معهدا يتعلم فيه ، ومعلما يقوم على تعليمه وراتبا يقوم باوده . وكان الجامع المنصور فى بغداد والجامع الأموى فى دمشق ، والجامع الأزهر فى القاهرة،وجامع القيروان بتونس وجامع القرويين فى فاس ، وجامع قرطبة بالأندلس، والجامع الكبير بصنعاء ، الى جانب بيت الحكمة فى بغداد ، ودار العلم فى الموصل . ومكتبة ابن سوار بالبصرة ، ومكتبة ابن الشاطر بالشام ، ودار الحكمة بالقاهرة ، كانت جميعا بمثابة معاهد للعلم فى أرقى صورها ، وكانت فى رعاية الخلفاء والحكام من امثال المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكى والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبى ممن يوضعون على القمة من حيث رعاية العلم والعلماء.

علماء يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر

وفى هذه البيئة العلمية الصالحة ، وفى هذا الجو العلمى العارم ، نشأ عدد من العلماء يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن . وكانت العربية لغة للعلم ، يكتب بها العلماء ليقرأها الناس فى أى صقع من أصقاع الوطن العربى الكبير ،وازدهرت حركة الترجمة أيما ازدهار ، ثم أقبل العلماء على التاليف والكتابة فى مختلف فروع المعرفة العلمية، نقلوا علوما ، وابتكروا أخرى ، واضافوا كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت الى غيرهم .

تكلموا فى التطور ، وان نسب الى دارون فى القرن التاسع عشر ، وقد كتب فيه ابن مسكويه واخوان الصفا وابن خلدون قبل دارون بقرون ، وتحدثوا فى الجاذبية والربط بين السرعة والثقل والمسافة وان نسب ذلك الى نيوتن دون سواه ، وقد ثبت أن الخازن وغيره كتبوا فى ذلك قبل نيوتن بمئات السنين .وتحدثوا فى أثر البيئة على الأحياء قبل لامارك ، كما نسب الى ابن خلدون وشرح ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل هارفى ببضعة قرون .

وكذلك الحال فى طبيعة الضوء وسرعته وانكساره الذى كتب فيه ابن الهيثم قبل أبطاله من علماء أوروبا . كذلك قاسوا محيط الارض وسجلوا مبادرة الاعتداليْن، وقدروا حجوم الكواكب وما بينها من مسافات ، قبل جاليليو وكبلر وكوبرنيق واضافوا الى المعارف الفلكية الشىء الكثير، اضافها البتانى والفرغانى والكندى والخوارزمى والصوفى وغيرهم.

وابتدع الخوارزمى استعمال الارقام فى الحساب بدلا من حساب الجمل الذى كان سائدا ، واختار سلسلتين من الأرقام : الاولى ما يعرف بالارقام الهندية ١و٢و٣و... والثانية ما يعرف بالارقام الغبارية أو العربية (1, 2, 3 ...) ، وتستعمل الاولى فى البلاد العربية والثانية فى بلاد المغرب العربى وفى أوروبا . وكذلك انشأ الخوارزمى من معلومات مشتتة فى الحساب والجبر ، انشأ منها علم الحساب وعلم الجبر وعلمهما للناس اجمعين .

وكذلك الف العلماء العرب فى النبات والحيوان والمعادن والفلك والرياضيات والكيمياء والصيدلة وحساب المثلثات والهندسة والطب والموسيقى وغيرها . ولا يمكن أن يجحد فضل ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى والكندى والغافقى والبغدادى والقزوينى وابن مسكويه والجاحظ والخازن وجابر ابن حيان وابن النفيس وابن البيطار وداود الانطاكى والادريسى وابن ماجد والدينورى والدميرى والصوفى وابن حمزة وابن تونس والرازى والجلدكى والقدسى والبتانى والفرغانى والخوارزمى وموسى ابن شاكر وغيرهم . وظلت مؤلفات هؤلاء العلماء المراجع المعتمدة فى جامعات أوروبا حتى القرن

السابع عشر . واعترف عدد كبير من مؤرخي العلم بفضلهم على العلم والانسانية حتى قال قائلهم : انه لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوروبية ان يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون . وحتى قال آخر ان كثيرا من الآراء والنظريات العلمية حسبناها من صنعنا واذا بالعرب سبقونا اليها .

وظلت الأمة الاسلامية والعربية حاملة لواء النهضة عدة قرون ، فى وقت كانت أوروبا ما تزال غارقة فى الظلام .

واهتدى الفكر العلمى فى العصر الاسلامى الى الانسانية كثيرا من مظاهر الترف والحضارة والرفاهية كما اهداها معلميها الثانى والثالث ، الفارابى وابن سينا ، ولو قدر لهذه النهضة العلمية العارمة أن تستمر فى عنفوانها وانتشارها ، لكانت هذه النهضة التى تتيه بها أوروبا فى العصر الحاضر ، كانت تكون من نصيب أمتنا العربية وكانت تتقدم على تاريخها الحالى عدة قرون . ولكن وقعت بغداد تحت سنابك الغزاة من المغول والتتار وسقطت الأندلس فى يد الفرنجة فى الغرب، وتداعت دويلات المشرق والمغرب العربى واحدة بعد الأخرى ، تحت وطأة الاستعمار التركى ثم الغربى .. وصحت أوروبا .

عصر النهضة الأوروبية

وفى الوقت الذى أخذت فيه شمس الحضارة العلمية العربية ، فى العصر الاسلامى ، تميل الى الغروب ، وبدأ مدها العالى فى الانحسار ، جعلت أوروبا تفيق من سباتها الطويل لتصحو فتتلقى اشراقة شمس الحضارة العربية ، ويغمرها فيض العلم العربى ، فقد شعر الاوروبيون بتخلفهم عن العرب ، وحاجتهم الى الاغتراف من هذا المعين الجديد ، والنهل من هذا النبع الصافى ،فترجموا الكتب العربية الى اللاتينية وبدأ ذلك فى القرن الثالث عشر ونشأت فى الوقت نفسه جامعات فى أوروبا،جامعة باريس أولا ، ثم أكسفورد وكمبردج، ثم جامعات ايطاليا وغيرها من بلاد أوروبا ، وظهر عدد من العلماء كان لهم أثرهم فى انهاض الفكر العلمى الأوروبى من أمثال روبرت جروست (١٢٥٠ م) والبرت ماجنوس (١٢٨٠ م) وكانوا من أساتذة الجامعات .

وبدأ عصر الأسفار والرحلات العلمية فى القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر ، ونظمت رحلات استكشافية على نطاق واسع مثل رحلة فاسكو دى جاما الى جزر الهند الشرقية ، وكان ربانه فيها ابن ماجد الملاح العربى ، ورحلة كريستوفر كولمبس الى جزر الهند الغربية وتجمعت المعلومات عن غرائب الكائنات والموجودات وبدأ الاهتمام بالحضارات القديمة والعلوم الاغريقية الى جانب الاهتمام بالحضارة العلمية العربية . وكان اختراع الطباعة فى منتصف القرن الخامس عشر نقطة تحول فى دفع عجلة النهضة الاوروبية ونشر المعارف العربية والاغريقية لتاخذ مكانها فى التعليم فى الجامعات الأوروبية .

وسطع فى سماء النهضة العلمية الأوروبية افذاذ من أمثال فرانس باكون،ورينيه ديكارت،واسحاق نيوتن ، وكبلر ، وكوبرنيق ، وجاليليو ، وبرونو، ولافوازيه ، وبوللر ، وباستير ، وكوخ ، ولينيس ثم دارون، ولامارك، وكوفييه،ودالتن وغيرهم ممن كان لهم الأثر البارع فى تقدم المعارف العلمية ، ولا ننسى ذلك المارد الجبار الذى قفز بالعلوم البيولوجية أوسع قفزة وهو المجهر بعدساته المختلفة ، وقوة تكبيره للكائنات الدقيقة، مما يسر دراستها .

وكذلك انتشرت الجامعات ، وتكونت الجمعيات العلمية ، ويسمونها الكليات غير المنظورة وانتشرت المجلات العلمية المتخصصة .

واتسعت آفاق المعارف العلمية وزادت فروع العلوم الطبيعية ، وغدا من المستحيل على العالم أن يكون موسوعيا كما كانت الحال قبلا ، ولكن حسبه أن يقف على رافد واحد من روافد المعرفة وينهل منه ويضيف اليه ما استطاع الى ذلك سبيلا.وابتكر العلم من الأجهزة والادوات ووسائل النشر والاعلام ما يسر له التقدم ، وجعله يعدو وثبا نحو مشارف العصر الحديث ، عصر الذرة والصاروخ .

والواقع انه ليس من السهل وضع حد فاصل بين عصر النهضة الاوروبية والعصر الحديث . ومن الناس من يرى أن العصر الحديث ما هو الا امتداد لعصر النهضة الاوروبية ولكن الواقع أيضا

ان الفكر العلمى يتقدم بالانسان فى سرعة فائقة ، لانه يعمل بمحصلة قوى العصور السابقة جميعا ، ولذا قفز الانسان من عصر البخار الى عصر الكهرباء، ثم الى عصر الذرة والصاروخ ، والالكترون والمذياع والتلفاز وسفن الفضاء فى خطى اشبه بالوثبات الجبارة .

فها نحن نتحدث فى ثقة واطمئنان عن تركيب الذرات ، وعن الفيروس والبكتريا بفضل المجهر الالكترونى الذى يكبر الاشياء مئات الالوف من المرات ، ثم تكبر مرة اخرى بطرق ابصارية ليبلغ تكبيرها ملايين المرات ، وغدونا نرسل الصواريخ المتعددة تنطلق نحو هذا الكوكب او ذاك القمر بسرعة تزيد على سبعة عشر الف كيلومتر فى الساعة وما زال العلم يطمع فى زيادة السرعة باستعمال الوقود النووى حتى لنعتقد أن الرحلة الى القمر لن تستغرق سوى بضع ساعات . وكان كشف الأجهزة المطيافية مما ساعد على معرفة ما بالاجرام السماوية من عناصر ، كذلك كان كشف البنسلين ومشتقاته وأضرابه نقلة هائلة فى علاج كثير من الامراض ، وعرفت المضادات الحيوية وكان لها اثرها فى تقدم علوم الطب ، ومن قبله كان كشف مركبات السلفا التى كان لها شان فى تقدم نواح كثيرة من العلوم الطبية .

حربان عالميتان

وفى القرن الحالى ، وقعت حربان عالميتان ، كان لهما اثر بالغ على الفكر العلمى ، واتجاه البحوث العلمية ، فقد نشطت الى جانب الصناعات الحربية صناعة المواد البديلة ، فعرفنا صناعة السكر الصناعى والمطاط الصناعى والبترول الصناعى والألياف الصناعية والمنظفات الصناعية. وفى الحرب العالمية الثانية كان المعسكران عاكفين على كشف اسرار القوى النوويه واطلق الحلفاء ذلك المارد الجبار من عقاله . ومنذئذ وان الصناعات الذرية لتتقدم بخطى ثابتة ، وغدونا نسمع عن المفاعلات الذرية ، التى تنتج العناصر المشعة التى تستعمل فى علاج كثير من الامراض كالذهب واليود والفسفور والاسترنشيوم ، كما نسمع عن مفاعلات للقوى ، تنتج طاقة تستعمل فى انتاج الكهرباء أو فى تقطير ماء البحر يسقى الزرع، فيساعد على حل مشكلة اطعام السكان الذين يتزايد عددهم كل يوم ، مما يهدد بخطر انفجار سكانى ، ولكن توفير الطاقة لاعذاب ماء البحر ليروى ملايين الأفدنة من الصحارى لتنتج ما يكفى من الغذاء سيحل جانبا كبيرا من المشكلة . كما ابتكر الفكر العلمى فى العصر الحديث الاصباغ الصناعية تحضر كيميائيا فيوفر الأرض التى كانت تزرع بنباتات الأصباغ لتزرع محاصيل غذائية . وكذلك ابتكر الانسان الالياف الصناعية ، فيوفر الأرض التى تزرع بنباتات الالياف ، والمطاط الصناعى فيوفر الأرض التى كانت تزرع بنباتات المطاط . وابتكر الفكر العلمى فى العصر الحديث كثيرا من الكيمياويات البترولية التى تزيد فى رفاهية الانسان .

والواقع انه حيثما اتجه الانسان ببصره ، يجد بصمة الفكر العلمى على كل أسباب التقدم والرفاهية التى ينعم بها الانسان فى العصر الحاضر ، ففى مجال الزراعة تقدم فى وسائلها ، واستنباط سلالاتها وعلاج آفاتها وفى مجال المواصلات ينتقل الانسان اليوم بطائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت فضلا عن المذياع والتلفاز مما يتيح الرؤية والاستماع على بعد الوف الأميال، وفى مجال الطب نسمع كل يوم عن جديد يخفف من الام الانسان ويطب لادوائه ، وكذلك فى مجالات الصناعة والحرب والسلم مما لا سبيل الى حصره .

وكذلك يقدم الفكر العلمى كل ما من شانه ان يوفر أسباب الرخاء والرفاهية للجنس البشرى فضلا عن توفير الاحتياجات الضرورية من مأكل ومشرب وملبس ، وانه فى الوقت نفسه ليحلق بالانسان فى الفضاء العريض ، يريد ان يغزوه ، ولعله ان ينجح فى الوصول الى القمر أو الكواكب. وانه ليبتكر كل يوم جديدا فى ميادين المعرفة العلمية حتى ليستحيل حتى على المتخصص متابعة التقدم الهائل فى كل مناحى الفكر العلمى .

وكذلك قفز الفكر العلمى بالانسان من عصر الحجر الى عصر المعدن ، ومن عصر الدابة الى عصر البخار ، ثم الى عصر الكهرباء ، فعصر الذرة والفضاء ، فى حقبة لا تزيد على واحد بالمائة من حياة الانسان على الارض ، ومن يدرى الى أى مدى يتقدم الانسان بالعلم فى المستقبل القريب ، علم ذلك عند الله . ■■

عبد الحليم منتصر



دَرْدَشَــــة

وكم من كلمات قليلة تحمل معانى غير قليلة

● قصـــة لطيفة تروى عن الكاتب الالمانى اريك م. ريمارك Erich M. Remarque مؤلف قصة ((**لا جديد فى الجبهة الغربيه**)) ، وهى قصــة شهيرة راجت كثيرا فى امريكا وفى اقطار اخرى عديدة .

لقد اتفق أن كان الكاتب المذكــور بصحبة فتاة امريكية اجادت التكلـم باللغة الالمانية . وفيما كانا يتحدثان عن مدى رواج قصته تلك فى الولايات المتحدة الأمريكية ، سألته الفتاة عن الأسباب التى تحول دون زيارته لأمريكا .

اجاب ريمارك : **السبب الأهم هــو جهلى باللغة الانجليزية . اذ لا اعـرف منها الا جملا وعبارات لا تجاوز عـدد أصابع اليد الواحدة ..**)) .

ترددت الفتاة : ((**وماذا عساها ان تكون تلك الجمل .. ؟**)) .

فقال ريمارك فى صوت منخفض وبلغة انجليزية مكسرة :

ــ تلك الجمل والعبارات هى ((**كيف حالك**)) ((**أحبك**)) ((**اصفحى عنى**)) ((**أرجو أن تنسينى**)) ..

نقاطعته الفتاة هنا وانطلقت تقول بحماس :

((**لا حاجة بك الى مزيد ! فهذه الجمل وحدها كافية لتجوالك فى بلادى ، من اقصاها الى اقصاها ، وكفيلة بشعورك بانك بين أهلك وذويك ..**)) .

أقوال وحكم مأثورة

● **الحيوانات مخلوقات صديقــة محببة .. فهى لا تسأل عن شيء ، ولا توجه انتقادا لاحد فى شيء !**

جورج اليوت George Eliot

● **يموت الجبان مرات عديدة قبل موته .. اما الشجاع المقدام فلا يكاد يذوق طعم الموت الا مرة واحدة !**

شاكسبير Shakespear

يدك اليمنى !

● قال احد الحكماء يوما : « ان المكان الوحيـد الـذى تستطيع ان تجـد فيـه يـدا تساعدك هو الجزء الأخير مـن ذراعك اليمنى ! »

وفرة ما فى اللغــات من كلمات ومصطلحات وقلة ما نستعمله من مفردات

● من الاحصاءات الطريفة ما يتصل باللغات . قال بعض الاحصائيين :

ــ على كثرة ما فى اللغات المختلفة من مفردات ، فان الحاجة لا تدعو الا الى استعمال النزر اليسير من تلك الكلمات ، يقل أو يزيد تبعا لتفاوت تلك الحاجـة التى تفى بها لدى هذه أو تلك من الفئات .

ولعل فئـة العاملـين فى الصحافة تستعمل من الكلمات والمفردات أكثر مما تستعمله غيرها . وفيما يلى طائفة من هذه الفئات وتقدير لعدد الكلمات التى نستعملها فى اللغة الانجليزية على وجـه التخصيص ، وقد قدرت مفرداتها اجمالا بنحو ٤٠٠ر٠٠٠ كلمة :

الصحفيون	٢٠ر٠٠٠ كلمة
المحـامون	١٢ر٠٠٠ كلمة

من غرائب الأقدار

● أوبرا كارمن Carmen فى غيرحاجة الى تعريف ، فهى تحتـل مكان الصدارة لا بالنسبة الى النتاج الموسيقى الرفيع الضخم الذى جاد به ملحنهـا الفرنسى المعروف جورج بيزيه George Bizet وانما بالنسبة الى سـائر النتاج الموسيقى العالمى فى كل زمان ومكان.

وتبلغ قصـة أوبرا كارمـن ذروتها حينما تكتشف بطلتها بالحدس أن أجلها المحتوم آت قريب ، فقد رأته جليـاواضحا بينا كانت تستفتى ورق اللعب (الكوتشينة) على نحو ما يفعل المنجمون.

واتفق ذات ليلة أن بيزيه كان مريضا طريح الفراش بينا كانت أوبرا كارمـن يجرى عرضها فى احـدى دور الاوبرا الشهيرة ، واتفق أيضا أن سجل التاريخ فى تلك الليلة مصادفة من أغرب المصادفات. فقد توفى بيزيه ولما تمض ساعتان على اكتشاف البطلة لدنوء منيتها على المسرح.

والجدير بالذكر أن جورج بيزيه هذا قد توفى عن عمر لا يتجاوز ٣٧ سنة ، وأنه مات وفى قلبه حسرة مريرة ظنا منه أن معزوفته تلك كانت فاشلة ، ولو قد تسنى له علم الغيب لحلت الفرحة فى قلبه محل الحسرة ولمات راضيا عن مصير نتاجه مطمئنا لنجاحه .

دعوة روسيا للسلام

● كثيرا ما يتشكك الغرب فى دعوة الاتحـاد السوفييتى الى السلام ونبذ الحروب . ولكن لو عاد المعقبون السياسيون قليلا الى الـوراء لوجدوا أن هناك سببا قويا يؤكد صدق هـذه الدعوة . فقد ثبت من الاحصائيات الرسمية التى أزيح عنها الستار ان خسائر روسيا فى الحرب العالمية الثانية ، فيما تقول صحيفة التيمس اللندنية ، بلغت اكثر من ٤٥ مليون نسمة مـن المدنيين والعسـكريين ، ما بين قتيل وجريـح ومشوه .. وهذه الحقيقة وحدها تلقى كثيرا من الضـوء عـلى تصريحـات واعمال الزعمـاء السوفييت منذ نهاية الحرب . وهى تفسر فى نفس الوقت ظاهرة اشتغال عدد كبير من نسـاء السوفييت بالاعمال التى كانت مقصورة على الرجال وحدهم مثل رصف الطرق والزراعة وغيرها .

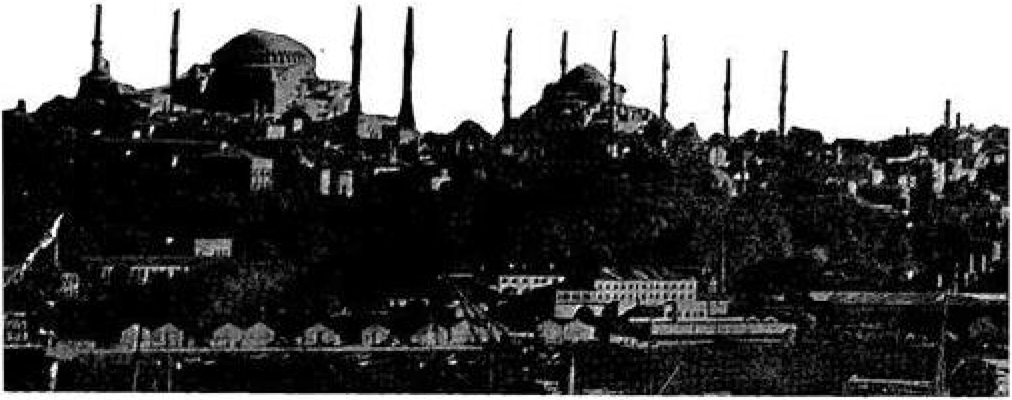
اما لماذا بقى هذا الرقم سرا لا يعرفه احـد ، فيرجع ذلك الى حرص الاتحاد السوفييتى على الا يدع العالم الخارجى يعرف شيئا عن خطورة الجرح الذى اصاب روسيا خلال تلك الحـرب الضروس !

وشعب هذا حاله من الطبيعى ان لا يريد الا السـلام .

رجال الدين	١٠,٠٠٠	كلمة
الاطبـــاء	٨,٠٠٠	كلمة
العمال الفنيون	٥,٠٠٠	كلمة
الفلاحـــون	١,٦٠٠	كلمة

على ان هذه التقديرات لا تـشـمل المصطلحات العلمية والتسميات الفنيـة التى لا يدرى الرجل غير المختص لهـا معنى، ولا يستعملها الا ذوو الاختصاص كعلماء الكيمياء مثلا والأطباء. فالمصطلحات والتسميات المألوفة فى ميـدان الطب والجراحة تشمل فيما تشـمل اسماء عضلات الجسم وعددها ٤٣٣ عضـلة واسماء العروق الممتدة فيها ويقـارب عددها الألف . هذا فضلا عن ٥٠٠ لون من الألوان الطبيعية التى تبدو بهـا مختلف أوعية جسم الانسان وأعضاؤه و٢٩٥ من السموم و ١٠٩ من الأدران والاورام و ٧٠٠ من التحاليل و ٢٠٠ من الأمراض وما يزيد على ١٣٠٠ من البكتير والجراثيم مما لا يخطر ببال ، ومـمـا تستوجب الاحاطة به دراسة الطـب والجراحة بلا استثناء .

القسطنطينية



منشأ هذه العاصمة التاريخية

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ كانت قسطنطينية منذ قيامها تجذب انظار العالم القديم ، ليس فقط لأنها حلت مكان رومة كعاصمة للامبراطورية الرومانية العظيمة ، ولكن لأنها غدت فى نحو قرن من الزمان تضارع رومة او تفوقها فى جمال خططها، وعظمة صروحها،واتساع رقعتها ،ووفرة ثرائها ، وترف مجتمعها ، وبينما كانت رومة « ملكة الأمم » تنحدر منذ القرن الخامس الميلادى،فى ظل القبائل البربرية ببطء الى غمر الوحشة والنسيان،وتفقد روتها القديمة تباعا ، اذا بمنافستها الجديدة قسطنطينية ، تزدهر سراعا فى ظل ثبت جديد من القياصرة الذين استأنفوا حياة الامبراطورية الرومانية فى المشرق ، واستطاعوا ان يردوا اليها ما فقدته فى الغرب من اسباب القوة والمنعة والبهاء .

ولقيام هذه الحاضرة العظيمة قصة ، تتخذ احيانا سمة التاريخ ، ويغمرها احيانا لون الاسطورة . وقد قامت عند انشائها فوق مواقع قاعدة أقدم منها ببضعة قرون هى بيزنطية ، التى يختلط اسمها ويطلق فى احيان كثيرة على قسطنطينية ذاتها ، وتغلب صفتها على مرحلة كبيرة من تاريخ الدولة الرومانية الشرقية ، ومن ثم فانه يجب قبل أن نأتى على قصة انشاء قسطنطينية ان نتحدث عن قصة انشاء بيزنطية .

قصة انشاء بيزنطية

ومنشو بيزنطية اكثر غموضا واشد امتزاجا بالاسطورة . وقد كانت بيزنطية على اى حال ثغرا من ثغور العالم القديم، يشغل موقعه نتوء المثلث الكبير ، الذى تشغله قسطنطينية اليوم ، والذى يقع فى بداية مضيق البسفور من الضفة الاوروبية ، وعلى باب القرن الذهبى ، ويشغل هذا النتوء بدوره التل الشرقى الأول من التلال السبعة التى تقوم عليها قسطنطينية .

ويرجع قيام هذا الثغر القديم على ارجح الاقوال الى سنة ٦٥٧ قبل الميلاد حيث نزلت فى موقعه جماعة من المستعمرين اليونانيين بزعامة بحار يدعى بيزاس Byzas واستقرت به ، وسميت المستعمرة الجديدة بيزنطية نسبة الى مؤسسها بيزاس ولم تلبث أن نمت وازدهرت. ولم تكن كبيرة الرقعة.

العظيمة

فان اسوارها لم تجاوز جنوبا وغربا موقع الهيدروم «وفورم تيودسيوس» . ولكنها كانت تمتاز بجمال الوضع وحصانته ، وميناؤها يتسع لرسو اكبر السفن . وكانت بموقعها الفذ فى مدخل البحر الأسود (بحر مانطس او بونطس) تشرف على تجارة هذا البحر القديم ، وكان خليجها الطويل الممتد شمالا يعرف « بالقرن الذهبى » لوفرة اسماكه وجودتها، ولانه كان مثوى السفن المحملة بمختلف السلع والذخائر النفيسة من مختلف الافاق(١) .

ولبثت بيزنطية مدى حين تتنازع سيادتها الجمهوريات اليونانية أثينة واسبارطة ولوسيديمونية ، وتتبادلها آنا بعد آخر ، ثم استولت عليها مقدونية أيام الاسكندر الاكبر فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . ولما توفى الاسكندر استطاعت بيزنطية ان تسترد استقلالها، ثم رات ان تعقد حلفا مع رومة ، ولكن رومة ما لبثت ان بسطت سلطانها عليها ، وجعلتها فى عداد مستعمراتها .

وفى سنة ١٩٦ ق.م ، استولى عليها الامبراطور سفيروس وقتل زعماءها ، وهدمها وقوض اسوارها ، لأنها كانت قد انضمت الى خصومه خلال الحرب الاهلية التى نشبت بينه وبين منافسه بسنيوس نيجر حاكم سوريا(٢) .

وفى عهد الامبراطور كلوديوس الثانى Clauduis II (٢٦٨ — ٢٧٠ م) استطاع اهل بيزنطية ان يدفعوا عنها غزو القوط . وفى خلال الحرب التى نشبت عقب حكم الامبراطور ديو كليشيان Dioclacian ، بين قسطنطين الكبير وخصومه لجأ ليكنيوس احد اولئك الخصوم الى بيزنطية، فحاصره قسطنطين حتى ارغم على التسليم ، وذلك فى سنة ٣٢٤ م وخلصت له بذلك امبراطورية الشرق والغرب معا .

وكان الامبراطور ديو كليشيان (٢٨٤ — ٣٠٥ م) قد فكر ازاء تكرر هجمات البربر، على اراضى الامبراطورية الشرقية ، ان ينقل عاصمة الامبراطورية من رومة الى نيكوميديا (نيقوبيدية) الواقعة فى ولاية بثنيا على شاطىء المرمرة الآسيوى ، واقام فيها بالفعل حينا . ولكن شاء القدر ان يكون خلفه قسطنطين هو منفذ هذا المشروع ، وان يكون تنفيذه على نحو آخر . وكان قسطنطين ، قد اقتنع مثل سلفه الاسبق بأن رومة : لم تعد تصلح قاعدة للامبراطورية ، وان بواعث الملك والسلامة تدعو الى اختيار قاعدة اخرى ، تكون اكفل بالسهر على

---

(١) سقوط الدولة الرومانية للمؤرخ جيبون Gibbon « الفصل السابع عشر » .

(٢) سقوط الدولة الرومانية لجيبون « الفصل الخامس » .

سلامة الامبراطورية ورعاية مصالحها ، وكان يرى أن تكون هذه القاعدة على مشارف آسيا وأوربا حتى يستطيع مدافعة القبائل البربرية التي تسكن حوض الدانوب ، ولكي يرقب من جهة اخرى حركات الفرس عن كثب . ويقال انه تردد حينا في الاختيار بين بيزنطية ، وبين خلقدونة ، وهي التي تحتل الموقع المقابل على الشاطيء الآسيوي . ولكن قسطنطين كان قد ادرك بنفسه خلال صراعه مع خصمه ليكلينوس ما كان عليه موقع بيزنطية من الجمال والمناعة الطبيعية ، والمزايا البحرية والتجارية ، وانتهى الى اختيار هذا الموقع الفريد ليقيم عليه حاضرة الامبراطورية الجديدة .

المؤرخ جيبون يصف كيف صنع قسطنطين لاختيار بيزنطية عاصمته

واليك كيف يصور لنا المؤرخ الفيلسوف جيبون باسلوبه الشعري كيف نفذ قسطنطين مشروعه العظيم : « ان فكرة اجتماع الجمال والسلامة والثراء في بقعة واحدة كانت كافية لتبرير اختيار قسطنطين ، بيد انه لما كان قد افترض في كل عصر مزيج معقول من الروعة والخرافة ، لكي يسبغ الجلال اللائق على نشأة المدن العظيمة ، فقد رأى الامبراطور أن ينسب قراره الى مشيئة الحكمة الالهية المعصومة الخالدة باكثر مما ينسب الى نصائح السياسة البشرية المتعثرة . وقد حرص في احد قوانينه على أن ينبيء الخلف بأنه قد وضع خطط قسطنطينية الخالدة اطاعة لأوامر الله . ومع انه لم يشأ ان يقص علينا كيف نزل الوحي الالهي ، فان صمته المتواضع قد زودته براعة الكتاب المتأخرين ، الذين يصفون الحلم الليلي الذي طرق خيال قسطنطين حينما ادركه النوم داخل اسوار بيزنطية . فقد رأى أن العبقرية الحامية للمدينة وقد بدت في شكل عجوز وقورة ، هدمتها السنون والاوصاب ، قد انقلبت فجأة الى عذراء مزدهرة ، اخذت يداه تزينها بكل ما هنالك من رموز العظمة الامبراطورية . ثم استيقظ الملك ، وفسر الحلم بنبوءة سعيدة ، وأطاع ارادة السماء دون تردد »(١) .

وهكذا احتفل بوضع خطط العاصمة الرومانية الجديدة (سنة ٣٢٨ م) وتقول لنا الرواية ان قسطنطين كان يتقدم بنفسه موكب المحتفلين سائرا على قدميه ، وفي يده رمح يرسم به حدود المدينة الجديدة ، ومواقع اسوارها ، ولما لاحظ مرافقوه في دهشة انه تجاوز في تخطيطه ابعد ما يمكن أن تقتضيه رقعة مدينة عظيمة ، اجاب انه سوف يسير حتى يرى « هو » ، ذلك المرشد الخفي الذي يسير امامه ، يقرر الوقوف .

قسطنطين يخطط لعاصمته القسطيطينية فوق بيزنطية القديمة

اختطت العاصمة الجديدة فوق موقع بيزنطية القديمة ، ولكن رقعتها كانت تفوق رقعة بيزنطية القديمة بكثير ، وكانت في بدايتها تبلغ نحو اربعة اميال طولا ، ويختلف عرضها بين ميل من شاطيء البسفور الى اربعة اميال من شاطيء المرمرة الى القرن الذهبي . وكانت تشغل خمسة تلال من التلال السبعة التي شغلتها قسطنطينية فيما بعد ، يبدأ اولها من المرتفع الذي ينتهي بموقع القصر الملكي وكنيسة القديسة ايرين وكنيسة ايا صوفيا ، وينتهي الخامس الى نحو منتصف المدينة الحالية .

وكانت اسوار مدينة قسطنطينية تبدأ على الارجح من نقطة بجوار القنطرة الداخلية على القرن الذهبي ، وتنتهي الى شاطيء المرمرة على مقربة من باب بسماتيا ، وتمر في الوسط بالقرب من الموقع الذي يشغله اليوم مسجد الفاتح . وأما الاسوار التي كانت تحيط ببيزنطية من جهة الشاطيء فقد أبقيت كما كانت واصلحت وحصنت .

---

(١) سقوط الدولة الرومانية لجيبون « الفصل السابع عشر » .

ولم يبق اليوم بقسطنطينية من آثار عصر قسطنطين ، صروح احتفظت بأصولها القديمة،سوى كنيسة القديسة ايرين الواقعة فى المدينة على مقربة من البحر ، وعمود الحية القائم فى ميدان الهيبدروم ، وهو العمود الذى احضره قسطنطين من معبد دلفى فيما أحضر من الآثار اليونانية القديمة ، وكان مثلث الراس وقد حطمت رؤوسه الثلاثة فيما بعد ، ولكنه بقى فى مكانه القديم .

القسطنطينية تفتح عاصمة للامبراطورية الرومانية

وبذل قسطنطين جهدا عظيما فى تشييد عاصمته الجديدة وتجميلها ، وحمل اليها كثيرا من آثار رومة واثينية وصقلية وانطاكية وغيرها . وفى اليوم الحادى عشر من مايو سنة ٣٣٠ افتتحت المدينة الجديدة بصفة رسمية عاصمة للامبراطورية الرومانية ، وسميت «رومة الجديدة» لكى يسبغ عليها الجلال السياسى المنشود وسميت فى نفس الوقت قسطنطينية تخليدا لاسم مؤسسها ، وكذلك استمر اسم بيزنطية القديم يطلق عليها وتوج الامبراطور قسطنطين فى ميدان الهيبدروم « وهو الذى غدا فيما بعد قلب المدينة ومركز حياتها ، الرسمية والاجتماعية،وما زال هذا الميدان الشهير قائما الى اليوم يذكرنا بما شهده من تعاقب الاحداث والدهور »(١) .

قسطنطين يعتنق النصرانية ويعلنها دينا للدولة الرومانية

وبدأ قسطنطين باقامة الاسوار العظيمة حول عاصمته الجديدة ، ولا سيما من جهة الغرب ، ثم اكملها بعده ولده الامبراطور قسطنطيوس . وقد اشتهر قسطنطين بأنه اول قيصر رومانى اعتنق النصرانية ، وقد اعتنقها فى سنة ٣١٢ م لانه فيما يروى شاهد خلال احدى الوقائع التى نشبت بينه وبين خصومه صليبا يرتسم فى السماء ، وشجع قسطنطين النصرانية ، وأسبغ حمايته على النصارى . ولما انتقل الى الشرق واسس حاضرته الجديدة أعلن النصرانية دينا رسميا للدولة فى سنة ٣٢٤ م .

وكان من آثار اهتمام قسطنطين بقضية النصرانية ، وما ثار حول معالمها من الجدل والخلاف ان دعا فى سنة ٣٢٥ م الى عقد مجمع دينى فى نيقية ، على مقربة من نيقوميدية وهى المصيف الامبراطورى فى الشرق ، وشهده عدد كبير من الاساقفة منهم اريوس اسقف الاسكندرية ، وصاحب المذهب الذى ينسب اليه او « الاريوسية » . وكان ملخص مذهب اريوس ، انه لا يوجد الاهان « الاب » و « الابن » وان « الابن » انما هو بشر مخلوق ، وان كان يمتاز عن باقى الخلق ، وان الابن ليس له خلود « الاب » . وكان بعض اقطاب الكنيسة يرون فى « الاريوسية » خروجا على الدين ، وهذا ما رآه بالفعل مؤتمر نيقية حيث قرر أن « الاب » و « الابن » يرجعان الى نفس الجوهر ، كما قرر كفر أريوس وحرمانه،وكان قسطنطين يعطف على اريوس وتعاليمه . ولكنه لم يستطع حمايته . ولما توفى أريوس فى سنة ٣٣٦ ، ضعف مذهبه وان كان قد حظى بتأييد بعض خلفاء قسطنطين ، ولم تأت أواخر القرن الرابع حتى انهارت « الاريوسية » وغمرها النسيان .

ومن اشهر ما يرتبط بسيرة الامبرطور قسطنطين وعصره ، ان امه « القديسة » هيلانى ، قد اكتشفت حسبما تزعم الرواية ، قبر السيد المسيح فى بيت المقدس،وانشأت فوقه الكنيسة الشهيرة التى عرفت فيما بعد بكنيسة القيامة او كنيسة القبر المقدس ، التى ما تزال قائمة الى يومنا . ■■

محمد عبد الله عنان

---

(١) يقع ميدان الهيبدروم بين جامع السلطان احمد وجامع (كنيسة) ايا صوفيا ويسمى بالتركية (آت ميدانى) اعنى ميدان الخيل .

يقتل القتيل ويمشي في جنازته

بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ نحن فى لندن فى عام ١٩٤٨ ...

وفى المنزل رقم ١٠ من ميدان ويلنجتون يقيم سائق لورى اسمه تيموتى جون ايفانز ، عمره ستة وعشرون عاما ، وله زوجة وطفلة عمرها اربعة عشر شهرا .

وهو رجل مسكين بكل ما فى هذا اللفظ من معان. فهو محدود الرزق لا يكاد يجد ما يكفى قوته وقوت اسرته . محدود الصحة فقد اصيب منذ طفولته بسل فى العظام جعله لا يكاد يترك المستشفى حتى يعود اليه . ولا يكاد يعمل اسبوعا حتى يقعده المرض عن العمل اسبوعا آخر .

وفوق هذا وذاك فالرجل محدود الذكاء لا يزيد عقله - وهو فى السادسة والعشرين - على عقل غلام فى العاشرة من عمره ، اذ هو يمضى وقت فراغه كله فى اصطياد الفئران .

ووسط هذه المصائب كلها احست الزوجة باعراض الحمل واظلمت الدنيا فى وجهها . واخذت تفكر فى المصير المظلم الذى ينتظرها . من اين لها بمصاريف الوضع وكيف تقابل الاعباء الجديدة لمولود جديد . فهداها تفكيرها الى الالتجاء الى جار لهم اسمه جون ريجينالد كريستى .

★ ★ ★

وكان كريستى هذا قد جاء الى هذا الميدان منذ عشرة اعوام اى فى عام ١٩٣٨ هو وزوجته ايثيل . وكان معروفا لدى اهل الحى جميعا . له وجه تشع منه الطيبة . خدوم لا يلجأ اليه أحد الا اخذ بيده . لا يبخل على جار له بالنصيحة المفيدة ان لم يستطع أن يمد له يد المعونة . محبوب من جميع السكان . وقد انضم فى اثناء الحرب العالمية الثانية الى الفرقة الاحتياطية ببوليس لندن . وابدى من الشجاعة اثناء الهجوم الجوى على لندن ما جعل اسمه يعلن مرتين فى صحيفة البوليس .

★ ★ ★

وفى غيبة زوجها لجأت مسز ايفانز الى جارها الطبيب تعرض عليه مشكلتها . فافهمها انه قادر على اجهاضها ، ووضع كمامة على وجهها، فماتت. ووضع جثتها فى غرفة كرار مهمل بالمنزل .

ولما عاد زوجها من عمله ابلغه كريستى أن زوجته حاولت اجهاض نفسها وماتت ، وهول له فى المسئولية التى تقع على عاتق الزوج لهذه الجريمة، فارتاع الزوج المحدود الذكاء الذى لا يزيد تفكيره عن تفكير طفل فى العاشرة وترك نفسه بين يدى جاره الطبيب لينقذه من تلك الورطة .

وقال له كريستى انه القى بالجثة فى بالوعة المجارى ، وان احدا لن يستطيع العثور عليها . وان على زوجها أن لا يذكر لاحد ما حدث ، وان يزعم ان زوجته سافرت فى رحلة . واستفسر المسكين عما يفعله بابنته فقال له « لا تحمل همها فانى اعرف اسرة طيبة تعنى بامرها . اما انت فخير ما تفعله هو ان تترك المدينة ولا تعود لهذا الحى » . ونفذ ايفانز النصيحة وذهب ليقيم لدى عم له فى احد اطراف لندن .

★ ★ ★

ولم تطل حيرة كريستى بالطفلة جيرالدين . فقد خنقها ووضع جثتها فى الكرار المهجور بجوار



وفي غيبة زوجها لجأت مسز ايفانز الى جارها الطبيب تعرض عليه مشكلتها . فافهمها انه قادر على اجهاضها ، ووضع كمامة على وجهها ، فماتت . ووضع جثتهـا في غرفة كرار مهمل بالمنزل .

جثة امها واطمأن الى انه قد تخلص من الام والابنة والأب اذ لم يكن يتصور ان الرجل المحدود العقل سيفكر في المطالبة برؤية ابنته . ولكن ايفانز ـ على غير ما توقع كريستي ـ جاء اليه يطلب منه ان يرى ابنته. فطمأنه كريستي وقال له انها تعيش سعيدة وسط الأسرة التي عهد بها اليها .

ومع ان ايفانز لم يشك لحظة في أقوال كريستي الذى حاول ان ينقذه من المسئولية ، فقد ذهب الى البوليس وابلغهم ان زوجته حاولت اجهاض نفسها وماتت ، ولكنه ـ رغبة منه في التستر على جاره الطبيب ، قال انه هو الذى القى بجثتها في بالوعة المجارى .

★ ★ ★

وبدأ البوليس تحقيقه بالبحث عن الجثـــة وذهبت كل جهوده عبثا . وسئل كريستي في التحقيق فانكر بالطبع انه له يدا في عملية الاجهاض. وقال في شهادته ان ايفانز وزوجته كانا على خلاف دائم . واستطاع بما تعلمه من عمله في البوليس

ـ ان يبذر بذور الشك في تصرفات ايفانز . وبوجههم الوجهة التي جعلتهم يعثرون على جثة زوجة ايفانز وابنته ، والحبل الذي خنقت به الطفلة ، ملفوفا حول عنقها ..

ولم يعد لدى البوليس ادنى شك في أن ايفانز قد قتل زوجته وابنته للتخلص من العبء . وضيق عليه الخناق ولم يستطع عقله المحدود الذكاء أن يقاوم فاعترف بكل ما طلب منه أن يعترف به ووقع على محضرين يؤيدان اعترافه .

★ ★ ★

ولم يكن كريستي مطمئنا ، وخشي أن يعدل ايفانز عن أقواله أمام المحلفين ، فبدأ يوطد صلته بالقاضي الذي سينظر القضية . وكان رجلا عجوزا مبتلى بالروماتزم ، فزعم له كريستي أنه هو أيضا يشكو من الروماتزم واخذ يصف للقاضي ما يعانيه من الام . فلما وقف يدلي بأقواله أمام القاضي تقبلها القاضي بما ظن أنها تستاهله من التصديق .

★ ★ ★

اما ايفانز المسكين فقد وقف في قفص الاتهام حائرا مأخوذا بهيبة القضاء لا يدرك ما يدور حوله، يتلعثم في اجاباته ، ويتناقض في أقواله ، ويقع في جميع المطبات التى اعدها له الاتهام ، وينصت في بلاهة وعدم ادراك الى صديقه الطيب كريستي يكيل له الاتهام .

وترافع ممثل الاتهام واستطاع بأبسط مجهود أن يثبت التهمة على ايفانز . ولفت محامي المتهم نظر القاضي الى أن الاعتراف المنسوب الى موكله لا يمكن أن يكون قد صدر منه ، لأن به تعبيرات لا تصدر الا عن رجال البوليس . ولكن تلخيص القاضي قضى على ذلك المجهود ، ووجه المحلفين الى أن يصدروا قرار الادانة . ووضع الرجل الطاقية السوداء على رأسه ونطق بحكم الاعدام . وفي ابريل سنة ١٩٥٠ نفذ الحكم في ايفانز دون أن يدري كيف حدث ذلك أو لماذا حدث ، ولعله انتقل الى العالم الآخر معتقدا أن كريستي جار طيب أراد أن يساعده .

★ ★ ★

وانقضت سنوات أربع على اعدام ايفانز .

ونسيه اهل الحي. واستمروا ينظرون الى كريستي على أنه الجار الطيب الذي يلجأون اليه في المهمات .

ولاحظ اهل الحي أن زوجة كريستي التي كانت كثيرة التغيب عن المنزل قد أصبحت تطيل البقاء فيه ، فاعتقدوا أنها قد امتثلت لحكم السن. وذات يوم لم يجدوها ولم يجرؤ احد من اهل الحي على سؤاله عنها ـ اعتقادا منهم انها قد تكون فرت مع عشيق لها ، واحتراما منهم لعواطف الجار الطيب المحبوب .

ثم عنّ لكريستي أن يؤجر من الباطن جزءا من منزله الى شخص يدعى براون .

وذات ليلة أراد المستاجر الجديد أن يثبت رفا على الحائط الفاصل لغرفة الغسيل ، فانفصل أحد الالواح ، وتبيّن أن وراءه مخبأ . ونظر المستر براون فاذا بالمخبأ أشلاء ، وأيد عليها الزرقة ، وشعور متناثرة .. وبالاختصار بقايا جثث .

وسارع براون ـ أمام هذا الاكتشاف المزعج ـ بابلاغ البوليس . وبدأ البوليس يحقق ويفتش . وانتهى الى أن مرتكب هذه الجرائم البشعة هو الرجل ذو الملامح البريئة والوجه السمح، كريستي.

وقبل أن نصف ما حدث نطوى الزمان القهقرى لثلث قرن ونتتبع السيد كريستي هذا منذ عام ١٩٢٠ .

ولد كريستي لأسرة محافظة، ورُبي تربية العهد الفكتوري القاسي وكان له ستة أخوة وكان ترتيبه بينهم قبل الأخير بواحد . ونشأ معقدا . وفر من منزل الأسرة وانساق وراء رفقاء السوء فاتهم بعدة جرائم سرقة والشروع في قتل احدى المومسات .

ولما جاء في عام ١٩٣٨ ليسكن في ميدان ريلنتجون لم يكن أهل الحي يعرفون شيئا عن ماضيه هذا ، ولا كانوا يعرفون عنه أمرين ، لو أنهم عرفوهما ، لما أولوه تلك الثقة التي أحاطوه بها .

الأمر الاول أنه كان مغرما بالتردد على المدافن يحاول أن يطيل النظر الى جثث حديثي الوفاة .

والامر الثاني ان حياته الزوجية خلت من العلاقة الجنسية الطبيعية لعجزه .

★ ★ ★

لقد اثبت التحقيق ان كريستي بدأ سلسلة جرائمه في عام ١٩٤٣ . فقد انتهز فرصة غياب زوجته ايثل فدعا الى منزله فتاة تدعى فريست. وقدم لهـا قدحا من الشاي ، م خنقها بواسطة غاز الاستصباح ، ثم خلع ملابسها وارتكب جريمته الاولى . وحفر حفرة في حديقة المنزل ودفن الجثة فيها وزرع فوقها بعض الخضراوات والبقول . وكان مزهوا بنجاح زراعته يدعو الجيران ليعجبوا بهـا .

★ ★ ★

وبعد بضعة اشهر شكت اليه عاملة اسمها ايدي من سعال مزمن فاوهمها انه اخترع آلة استنشاق تقضي على جميع انواع السعال ــ كانها حسام عنتر يداوى كل من يشكو الصداعا ــ فاستسلمت له السكينة وناولها كمامة وضعتها بنفسها على فمها وانفها ــ وأدار هو صنبور غاز الاستصباح المتصل بتلك الكمامة فغابت عن الوعى ــ بل عن الحياة ــ ثم دفنها بملابسها الى جوار ضحيته الاولى تحت زراعة الفاصوليا .

★ ★ ★

ثم كانت ضحيته الثالثة زوجة ايفانز التى ذكرناها . واتبعها بابنتها الطفلة جيرالدين . وبلغ من دهائه وحذقه ان وجه الاتهام الى الزوج حتى تدلى من حبل المشنقة .

★ ★ ★

واحس كريستى انه مريض نفسانيا واخذ يتردد على بعض الاطباء النفسانيين . ولكنه كان يخشي ان يفتضح امره ويتصور ان الاطباء قد يبلغون عنه لو عرفوا حقيقته فكان يتوقف فجاة عن متابعة العلاج بحجة انه قد شفى .

★ ★ ★

ولما بدأت زوجته تطيل المكث في المنزل ولا تكثر من الخروج كعادتها ، احس بأنها اصبحت عقبة في طريق تحقيق اغراضه الاجرامية فقرر ان يتخلص منها فلم يتردد وكان مصيرها مصير من سبقها .

ولكنه قبل ان يدفنها في الحديقة اخفاها تحت لوح في أرضية الغرفة وسحب فوقها طاولة الطعام وجلس يكتب على تلك الطاولة خطابا لاسرة زوجته جاء فيه :

« ان ايثل بالقرب مني مستلقية . تشكو من روماتزم في اناملها . لذلك أتولى نيابة عنهـا كتابة هذا الخطاب . فلا تقلقوا فاني ساهر على راحتها . »

★ ★ ★

وخلا الجو امام كريستي . لقد تخلص من ايفانز ومن زوجته ولم يعد يخشي ان يفاجا اثناء ارتكاب جرائمه . وخرج ذات يوم يطلب صيدا . فقابل في احدى الحانات مومسا اسمها كاثلين مالونى ودعاها الى منزله.وبينما هي جالسة جاء بالكمامة وقربها من انفها . وسالته بكل بساطة ــ دون اى خوف او حذر ــ « ما هذه يا مستر كريستي » .

فقال لها في حنان مداعبا ناديني «ريجي » وهو اسم الدلع لريجنالد .

ولكنها غابت عن الوعي قبل أن تناديه بهـذا الاسم أو ذاك . وذهبت الى العالم الآخر . واحتار اين يخفى الجثة فقد بدأ المنزل يزدحم بالجثث . ولجا الى غرفة الغسيل .

★ ★ ★

وقابلته في احدى الحانات آنسة اسمها نلسون. اهتمت بالمعلومات الطبية التى ادعاها لنفسه ذلك الرجل الاصلع الطبيب البشوش الوجه ، وأسرت اليه بانهـا حامل وتريد التخلص من حملها . فحدد لها موعـدا في منزله ، واحضر الكمامة لتخديرها على حد قوله،وقال لها تقى بى وأخذت هي تستنشق غاز الاستصباح في اطمئنان . وبعد ساعات قلائل انضمت جثتها ــ في غرفة الغسيل ــ لزميلتها السابقة .

★ ★ ★

وازداد كريستى جنونا واطمئنانا . واعتقد انه اصبح في مامن من اكتشاف امره . وبلغت ثقته بنفسه الى حد أن دعا الى منزله آنسة تدعى ماك لينان وصديق لهـا اسمه بيكر . وبينما تغيب بيكر لفترة قصيرة لاداء مهمة عاجلة ، لم يستطع كريستى أن يقاوم رغبته الجامحة فارتكب جريمته

واخفى جثتها في غرفة مجاورة . ولما عاد صديقها زعم له انها استبطأته وانصرفت ، وقدم له الشاى دون ان يظهر عليه اى ارتباك. ولما انصرف الصديق نقل الجثة الى غرفة الغسيل مع الجثث الاخرى.

★ ★ ★

وبدافع من هذه الثقة الجنونية في نفسه اجر شقته من الباطن لمستر براون فكان ان اكتشف امره وقدم للمحاكمة .

ومن الغريب ان كريستى اعترف بجميع الجرائم التى ارتكبها ووصف كيفية ارتكابها وصفا مفصلا .. الا جريمة قتل الطفلة جيرالدين فانه ظل لآخر لحظة ينكر ارتكابها باصرار عجيب ... باصرار جنونى .

★ ★ ★

وحين ظهرت جرائم كريستى واعترافه بهـا وبتفاصيلها اصبح واضحا ان ايفانز ذهب ضحية خطا قضائى واستولى الندم والخجل على الذين اتهموه منذ اربع سنوات وتحمسوا في اثبات التهمة عليه وعلى الذين حاكموه برعونة وادانوه واعدموه.

لذلك تقدموا الى وزير الداخليــة يطالبونه باستصدار عفو عن ايفانز ورد اعتباره اليه .

وقام وزير الداخلية باجراء تحقيق ـ ولم يكن الامر يتطلب تحقيقا فهو من الوضوح بحيث يكاد يكون بديهيا ـ ولكن الانجليز كعادتهم ـ ورغبة منهم في تجنب فضيحة قضائية ، امسكوا العصا من الوسط ـ وارتكنوا على اصرار كريستى على انكار واقعة قتل الطفلة جيرالدين ـ ليقولوا ان ايفانز مسئول مسئولية جزئية . ورفضوا طلب العفو .

ولكن الموضوع لم يقف عند هذا الحد . فحين عاد حزب العمال الى الحكم اتخذ رجاله من قضية ايفانز حجة للمطالبة بالغـاء عقوبة الاعدام . وتشكلت لجنة انضم اليها وزير الداخلية الذى رفض سنة ١٩٥٠ ايقاف تنفيذ العقوبة على ايفانز واقر علنا بعد ذلك بخطئه ... وندم ولات ساعة مندم ، اذ لا سبيل لاسترداد شعلة الحياة بعد اطفائها . ■■

حسن الجداوى

العدد القادم من :

العربي

هو العدد السنوي الممتاز

والدى يخشي الصعود على السلم

● والدى يخشى ان يصعد على سلم الحائط ، وعمله الفنى يقتضي احيانا ان يصعد على سلم ارتفاعه نحو ٨ امتار ، فما سبب ذلك وما علاجه ؟ والدى اصيب مرة بالانفلونزة، واحس بها وهو على السلم ، فكان أن حمله الرجال قبل أن يسقط .



ــ لم تقل ان كان والدك كان يخشى الطلوع على السلم قبل هذا الحادث الذى تذكره . واذن انا افرض انه لم يكن به خشية قبل ذلك .

واذن فسبب الخشية من السلم، تلك الواقعة، حادث الانفلونزة التى اصابته . لقد تكونت في نفسه عقدة ، هى عقدة الخوف .

وقد كان من الواجب ان يحاول الصعود على السلم بعد شفائه من الانفلونزة مباشرة . هذا كان فيه الشفاء العاجل من الخوف .

والى الآن ، لم تذهب الفرصة . عليه أن يحاول ذلك ويذهب بالخوف . يحاول ذلك بالتدرج . درجات من السلم تزيد على الايام .

هذا صنف من العلاج تعالج به أشباه لهذا الخوف كثيرة . ان وقع حادث جعلك تخشى ، فلا تستسلم للخوف . عاوده ، ينقشع الخوف .

وبالطبع دع والدك يستنصح الطبيب . فلا بد للطبيب من امتحانه ، حتى يتحقق من ان الذى به لا يتصل بخلل وقع في جهاز الاتزان في الأذن . وحتى ينفى عنه كذلك احتمال وجود اسباب مرضية اخرى تسبب في الناس امراض الدوخة Vertigo ، كان سببها ما كان .

الغريق ، وما فى رئته من ماء

● الغريق فى البحر ، هل يدخل الماء فى رئتيه ، وكيف يمكن تخليصهما منه قبل تطبيق التنفس الاصطناعي على الغريق ؟

ــ المعروف ان الغريق ، عندما يدخل الماء الى جوفه ، يدخل بعضه الى معدته، وبعضه الى رئتيه .

وبالطبع يتجه ميل الناس الى تخليصه من هذا الماء بقلب جسم الغريق ، بحيث تكون قدماه الى اعلى، ورأسه الى اسفل .

ولكن هذه الوسيلة لا تتخلص بها من الماء الا بالقدر القليل، وهذا يكون من ماء المعدة.

والمهم فى كل هذا هو معالجة التنفس الاصطناعي بأسرع ما يمكن ، ففي هذا وحده احتمال الخلاص . اما الماء الذى حبسته الرئتان فلا يكاد يتدخل فى التنفس .

هل أنا حامل ...؟

● انقطعت عني العادة لشهر ، واخشى ان أكون حاملا . انا لا اخشى الحمل ، ولكن هناك ظروف عائلية تحملني على هذا التاجيل ، لهذا اريد ان اطمئن في امر هذا الحمل الاول . فما هي علامات الحمل ، وهل عند الطبيب جواب حاسم ؟

ـ من اظهر علامات الحمل ان تنقطع عنك العادة الشهرية . ولكن انقطاع العادة لشهر واحد لا يكفي ليدل على الحمل ، لأن هناك اسبابا أخرى تسبب هذا الانقطاع . ولكن انقطاعها شهرين يجعل امر الحمل محتملا وجديرا بالاستقصاء ان كان ضروريا ، بسبب عائلي كما تقولين ، او بسبب طبي .

وللحمل ظواهر تحسّينها انت ، واخرى يحِسّها الطبيب .

ومن ذلك انك تحسين موعة النفس في الصباح الباكر عادة ، وميلا التبول مرات اكثر من العادة ، والما او حساسية زائدة في الثديين .

والطبيب ، بعد ٨ اسابيع من بدء الحمل ، يستطيع ان يجس الرحم ، وهو قائم في الحوض ، فيجده قد كبر ، واطرى جسّاً . وبعد ذلك يكبر الثديان ، ويصبح لون الحلمة معتما ، وتكبر البطن طبعا . والأم تبدأ تحس حركة وليدها في بطنها فيما بين الاسبوع السادس عشر والعشرين من الحمل .

اما اذا كان من الضروري أن تعرفي ، احامل أنت أم لست بحامل ، قبل مجيء العادة الشهرية الثانية ، فقد وجب عليك ان تتصلي عن طريق طبيبك بالمختبر الحيوي الطبي ليجري على بولك تجارب ، تستخدم فيها الحيوانات كالفار والارنب ، يستدل بها على وجود هرمون في هذا البول هو دليل الحمل .

الحمل
أيجوز والعادة قائمة ؟

● اريد ان اعرف هل في الامكان الحمل والعادة الشهرية قائمة ؟

ـ ان البيضة الملقحة ، لكي تنمو وتصير جنينا ، لا بد لها اول كل شيء من أن تجد لها موضع قدم في حائط الرحم ، في بطانته . واثناء العادة الشهرية يطرح الرحم ببطانته لتحل مكانها بطانة جديدة احسن حالا . فاذا فرضنا أن العادة تبدأ كل اربعة وعشرين يوما ، فالبطانة الجديدة التى تتكون لا تكون في حالة تأذن باستقبال البيضة الا بين اليوم التاسع واليوم الثامن عشر ، محسوبا كلاهما من اليوم الذى انتهت فيه العادة في المرة السابقة .

واذن فمن غير الممكن وقوع الحمل

احمر الشفاه
هل يسبب السرطان ؟

● زوجتي تستعمل احمر الشفاه ، تصبغ به شفتيها ، وانا اكره ذلك ، ولا استطيع ان امنعها ، ولكن قيل لي ان الصبغة الحمراء التى فيه صبغة صناعية ، واذن فهي غير طبيعية ، واذن ، فكثرة استخدامها قد تحدث السرطان .

فهل هذا صحيح ؟

ـ ان الصبغات التى تستخدم في صناعة احمر الشفاه ، وكل مادة تستخدم في صنعه ، من دهنية وشمعية وغير ذلك ، مادة اجازتها ادارة الاغذية والعقاقير بالولايات المتحدة . واخذ الصانعون بها ، وهى ادارة في العالم مشهورة ، لها بحوث ، وفيها دقة وحذر . وهى لا توشك أن تشك في ضرر شيء حتى توقف صناعته . وغير ذلك المصانع نفسها ، وهى شديدة الحذر .

اثناء العادة الشهرية في الاحوال السوية. الا اذا كانت المرأة لهـا دورة شهرية قصيرة ، واحد وعشرين يوما او دون ذلك .

ولكنّ قليل من النساء ، عند الاباضة، اى اكتمال البيضة وسقوطها ، في الوقت الذى يكون فيه التلقح في اوج احتماله ، وذلك في نحو اليوم الرابع عشر قبل بدء الدورة التالية ، ينزل منهن دم يعرف بدم الاباضة Ovulation وهو غير دم العادة الشهرية ، فيتراءى كأن لهؤلاء النساء في الشهر الواحد دورتين . والدم النازل في هذه الحالة افتح لونا من دم الدورة الشهرية . ومقداره قليل عادة ، قد لا يتجاوز قطرات ، ولكن احيانا يكون من الكثرة بحيث يشبه الدورة العادية .

ففي هذه الفترة التى تحدث للقليل من النساء يجوز الحمل .

وفوق هذا وذاك لم نسمع بعد بأن احمر الشفاه سبب في الشفاه سرطانا او شبه سرطان . هـذا في احمر الشفاه المتداول اليوم .

اما الغد ، وصبغات الغد ، فبالطبع علمها عند الله . وهى ليست موضع السؤال الحاضر .

آسف لانى خيّبت رجاءك ، فلم اجد لك في الطب ما تخيف به زوجتك . الحل الوحيد ان ترضي بما رضي به غالب الرجال ، والأمر لله .



اخ لي ، اصيب بانهيار عصبي

● لى اخ، وهو رجل اعمال، اصيب بما اسموه انهيارا عصبيا . وأمر له الطبيب بالتزام الفراش مدة اسبوعين على الأقل ، ثم يرى . فما هو هذا الانهيار العصبى ، وما اعراضه ؟ .

— ان الانهيار العصبي ، ولعلك تعني ما يسميه الأطباء Nervous exhaustion ليس فى واقع الأمر مرضا محدد المعالم . وهو يعزى غالبا الى غلوّ فى العمل يفوق طاقة العامل .

ثم تتدخل فى ذلك عوامل نفسية ، اهمها القلق، والخوف. ورغم امتلاء الاربع والعشرين ساعة التى هى ساعات اليوم بالعمل المرهق ، تظل النتائج ، على الاقل فى مرأى صاحبها ، غير وافية ، او غير جديرة بالتقدير . ومع هذا شعور باليأس . وينضم الى التعب الجثماني هذه المناقضات النفسية التي تنتهي بالسقوط والعجز عن المتابعة ، جثمانيا ونفسيا .

وفى هذه الحالة كثيرا ما يهرع المريض الى العقاقير ، او حتى الى الشراب ، يطلب فيها متنفسا . ثم لا يجد فيها الا زيادة السوء .

وعلاج هذه الحالات يكون بالكف عن العمل ، والبعد عن مكان ممارسته ، واجوائه جميعا ، والبقاء فى الفراش مددا تقصر او تطول ، ويمنع عن المريض حتى الاتصال بالتلفون ، وتمنع كل الرسائل ، وكل الصحف . وقد يعطى المريض عقاقير مسكنة ، واخرى تجعل المريض ينام نوما طويلا هادئا .

وقد يحتاج المريض فوق ذلك الى لقاء بطبيب نفساني يكشف عما قد يكون خفي فى النفس من بواعث سببت هذا الارهاق فى العمل .

هـ. ج. ولز

القصاص العالم الشهير فى الذكرى

• الرجل الذى تنبأ بالمستقبل
• مات وقد رأى قنبلة الفناء !

■ فى ٢١ سبتمبر الماضى ، احتفل العالم بمرور مائة عام على مولد الكاتب والمؤلف والصحفى والمؤرخ المشهور وأحد كبار علماء الاجتماع هيربرت جورج ولز Herbert George wells .

مات ولز منذ ٢١ عاما ، فى يوم ١٣ أغسطس من عام ١٩٤٦ .. ولكن قلما وجدت كاتبا واحدا من الكتاب والأدباء المعاصرين يتحدث عن هذا الكاتب الانجليزى الكبير كشخصية تمت الى الماضى ، فقد عاش ولز حاضرنا ومستقبلنا ووصف رحلته الى المستقبل البعيد فى أول كتاب له بعنوان « مكنة الزمان » The Time Mechine عام ١٨٩٥ .

وتحدث فى كتاب آخر اسمه « أول رجال على القمر » The Firstman in the Moon قبل ان تبدأ الصواريخ تحاول بلوغ القمر بنصف قرن من الزمان او يزيد . فهو اذن الرجل الذى تنبأ بالمستقبل وصدق نبوءة .

★ ★ ★

ولد ويلز فى مدينة بروملى Bromley بمقاطعة كنت فى انجلترا ، وكان أبوه جوزيف ولز Joseph Wells يملك متجرا صغيرا لبيع الأوانى والاطباق . فلما وجد الأب ان دخله من هذا المتجر لا يكفى نفقات معيشته هو وزوجته وابنه ، احترف لعبة الكريكيت ، وراح يستعين بدخله من الدروس التى يعطيها فى هذه الرياضة على مواجهة اعباء الحياة . ثم اضطر الأب فى النهاية الى البحث عن عمل لزوجته ، فعملت الزوجة خادمة !

نشأة فقيرة

ووسط هذه الأسرة الصغيرة المكافحة ، نشأ الصبى ولز نشأة فقيرة ، فعرف الجوع وذاق مرارة الحرمان .. وعندما بلغ الرابعة عشرة من عمره ، اسرع والده يبحث له عن عمل هو الآخر ليساهم بدوره فى نفقات تربيته وتعليمه ، الذى لم يكن قد تلقى منه سوى القدر الضئيل عن طريق الكتب التى كان يشتريها بالقروش التى يوفرها من مصروفه .

وعثر الأب أخيرا على عمل لابنه الصغير فى متجر لبيع الأقمشة بمدينة وندسور . ولكن لم تكد تمضى بضعة ايام ، حتى أسرع الصبى هاربا من المتجر بعد أن قبض أجره الاسبوعى ، وعاد الى



المئوية لمولده

بيته ليقول لابيه انه لا يحتمل الاستمرار فى هذا العمل الذى لا يروقه !

والتحق ولز بعد ذلك بعدة وظائف صغيرة اخرى ، فعمل مساعدا لاحد الكيمائيين فى معمله، ثم مساعدا لبائع اقمشة مرة اخرى ، واخيرا حاجبا فى مدرسة لتعليم قواعد اللغة الانجليزية .

مع الكتب لاول مرة

وفي هذه المدرسة .. ولاول مرة اتيحت الفرصة للصبى الصغير للالتقاء بالكتب وجها لوجه .. فراح يقرا وينهل من العلم فى اوقات فراغه حتى جاء موعد الامتحان . وكانت المفاجاة عندما شاهد التلاميذ الحاجب الصغير يقف بينهم ويتقدم هو الآخر للامتحان !

ونجح ولز بتفوق وحصل على منحة دراسية لدراسة علم الاحياء بكلية العلوم بساوث كنسنجتون بلندن .. وهناك تتلمذ على يد توماس هنرى هكسلى Thomas Henry Huxley استاذ العلوم الكبير وصاحب داروين وصاحب دعوته ، وكتب ولز فيما بعد يصف لقاءه بالعالم البريطانى الكبير يقول : « عرفت بعد لقائى بهكسلى ان انبغ الادباء هم العلماء » . فقد كان هكسلى اديبا فى فلسفته وفى علمه وفى نظرته الى الحياة . حتى فى شرحه للنظريات العلمية كان الطابع الادبى يغلب عليه ، وقدم للعالم المفكر ولدين احدهما علم من اعلام الادب هو الدوس هكسلى Aldous Huxley وآخر للعلم هو جوليان هكسلى Julian Huxley .

الزواج .. والمرض

وتخرج ولز فى جامعة لندن عام ١٨٨٨ ، واشتغل بالتدريس ، ولكن مرتبه الضئيل لم يكن يكفيه ، فبقيت الازمة المالية تلازمه ثم ما لبثت ان تضاعفت بسبب اعتلال صحته من ناحية وبسبب زواجه من ابنة عمه ايزابيل مارى ولز من ناحية اخرى ، فقد فشل زواجه هذا وانتهى بالطلاق بعد اربع سنوات .

وكان من الممكن ان يضرب ولز عن الزواج بعد فشل زواجه الاول ، ولكن اعتلال صحته وشعوره بالحاجة الى شخص يعنى به ويسهر على راحته دفعه الى ان يجرب حظه مرة اخرى فالتقى بفتاة تدعى آمى كاثرين روبينز Amy Cathrine Robbins وبعد صداقة قصيرة جلس يوما يعرض عليها الزواج ويقول لها : « لن تكونى لى زوجة فحسب ، بل ستكونين ممرضة ! » .

واحتفل ولز بزواجه الثانى ، وتعلمت آمى فن التمريض فى بيت الزوجية .. ولكن احدا لم يعرف حتى الآن طبيعة المرض الذى كان يشكو منه فى بداية حياته .

واختلف الرواة ، فقال البعض : « لقد كان يتحسس احيانا جنبه الايمن . ويحتمل ان يكون قد عانى التهابا بالزائدة الدودية لفترة من الوقت ثم شفى منه بلا جراحة » . ولكن الذين عرفوا ولز عن قرب يؤكدون انه كان مصابا بعسر الهضم .. فقد تحدث ولز عن هذا الداء فى كتاباته بشعور الرجل العارف الذى يعانى منه !

وكان ولز يعمل مدرسا للعلوم فى ذلك الوقت ،

وكان بين تلاميـــذه شاب صغير نحيـل يدعى Alfred Harmsworth وقد أصبح فيما بعـد Lord Northcliffe ملك الصحافة فى بريطانيا وصاحب اكبر دار للنشر تصدر عنها عدة صحف ومجلات اسبوعية . اما اول صحيفة أصـدرها الفريد فكانت فى المدرسة وهو بعد ما زال طالبا .

وقد قال عنه ولز عندما اشتغل هو بالصحافة فى عام ١٨٩٥ : « لقد علمنى الفريد الصغير الفن الصحفى » . وفى هذا العام وضع ولز أول كتاب له بعنوان « مكنة الزمان » The Time Machine الذى أشرنا اليـه ، وقد وصف فيه رحلـة الى المستقبل البعيد .. المستقبل الذى نحن نعيش فيه اليوم ، والذى سيعيش فيه اولادنا من بعدنا .

كاتب أصيل

وحقق كتابه الأول نجاحا هائلا فدفعه هـذا النجاح الى كتابة سلسلة من المؤلفات التى جعلت العالم كله يعترف به كاتبا أصيلا فريدا فى نوعه .. كاتب يتمتع بعبقرية فذة وقدرة عجيبة على التخيل والابتكار والاقناع . وفى مقدمة الكتب التى رفعته الى القمة « الرجل صانع المعجـزات » « The Man Who Could Work Out Miracles» والرجل الخفى « The Invisible Man » وقصص الفضاء والزمن « Tales of Space & Time » وغيرها كثير . وقد أثبت فيها مقدرته الفذة على الخلق والابتكار ، والاستفادة من العلوم فى أدبه الذى أصبح غذاء دسما للملايين من قراء كتبه .

وكان ويلز قد شفى تماما من مرضه ، ولعلـه المال الذى تدفق عليه من كتبه ومكنه اخيرا من علاج امعائه . وتخلت امى عن وظيفتها الاولى كممرضة لتعيش له زوجة وفية دون ان تتـرك اى اثر فى كتاباته . بعكس امه التى ترك عملها كخادمة ووصيفة ثم مدبرة لبيت مس فيزْرستونهو Miss Featherstonhaugh بصماته فى قصصه ومؤلفاته . فقد تأثر ولز بحياة أفراد الطبقـة الارستقراطية الذين تنتمى اليهم هذه الفتاة حيث كان يلقاها عندما يذهب الى أمه ويمضى أوقات فراغه بجانبها ، فجاء معظم أبطال قصصه ومؤلفاته من بينهم ، مثل الطيارين والعلمـاء ومديرى الشركات ونجوم المجتمع .

دفاع عن الفقراء

ولكنـه ما لبث بعد ذلك ان تحول فى كتاباته الى وصف طفولته المعذبة ، والى فقره وحرمانه فى أيام صباه ، فكتب عن الفقراء وحياتهم ، وأصبح المتحدث بلسان الذين يتعذبون كما تعذب هو والذين لا يستطيعون الافصاح عن آلامهم .

واهتم ولز بالانسان والمجتمع ، وأدى اهتمامه هذا الى التركيز على واقع الحياة ، فرسم بقلمه وأسلوبه الرائع الصورة الكئيبة للمجتمع المحروم، وعرض آلام الطبقة الفقيرة والكادحة فى كتـابه « الحب والسيد لويس هام » « Love and Mr. Lewis Ham » سنة ١٩٠٠ ، ثم قصته المشهورة « كبـ Kipps » سنة ١٩٠٥، وتاريخ السيد بولى « History of Mr. Polly » عام ١٩١٠ . وفى هذه المؤلفات الثلاثة حقق ولز أسمى درجات النجاح ، اذ كشف الكاتب الكبير عن عطفه على الفقراء والمعوزين .. تحدث عن آلامهم واحلامهم .. عن حساسيتهم المرهفـة وشعورهم الرقيق .. عن سذاجتهم وطيب قلبهم .. وعن كفاحهم المستمر من أجل حياة افضل .

الحركة الفابية

وكان ولز قبل ذلك ببضع سنوات قد انضم الى الجمعية الفابية Fabian Society التى تأسست فى عام ١٨٨٤ ، والتى كانت تؤمن بأن التغيير الاجتماعى يمكن أن يتحقق تدريجا عن طريق البرلمان . وكانت الحركة الفابية التى سميت كذلك نسبة الى الجنرال الرومانى كوينتاس فابياس ماكسيموس Quintus Fabius Maximus الذى دافع عن روما ضد غزو هانيبال .. حركة يتزعمها المثقفون فى بريطانيا لتحقيق العدالة الاجتماعية فى البلاد ، وفى مقدمتهم جورج برنارد شو George Bernrd Shaw الكاتب والفيلسوف البريطانى الساخر ، وجـراهام والاس Graham Wallace ، المؤلف الانجليزى و هـ . ج . ولز موضوع هذا المقال . وكانت الحركة تؤمن بان المشروعات الخاصة فى النظام الراسمالى تعتبر شيئا من مخلفات الماضى ، وان مصيرها الهزيمة والفشل طالما ان الاشتراكية البرلمانية الديموقراطية المتطورة هى الطـريق

الوحيد الذى لا مفر منه فى التصنيع الحديث . ولكن هذا لن يتحقق بوسائل العنف وانما بالطرق السلمية حتى يتسنى للشعب فى النهاية الاشراف على النظام الاقتصادى فى البلاد . وهكذا تتغير صورة المجتمع .

اشتراكية ولز

ولكن ولز ما لبث بعد ذلك أن انشق على الحركة الفابية وانتقد اساليبها ، ليقدم نظريته هو فى الاشتراكية فى كتابه « دنيوات جديدة بدلا من القديمة » « new Werlds for the Old » الذى صدر فى عام ١٩٠٨ وكتابه « الشىء الأول والأخير » « First and Last Things »

وفى هذه الفترة من حياته ككاتب ومؤلف ، استطاع ولز أن يعبر عن أهم نظرياته ومعتقداته التى شغلت كل وقته وتفكيره لسنوات طويلة مقبلة .. فقد نادى بقيام « دولة عالمية » ، أو « دولة مثالية » وهى نظرية طالما استنكرتها الحركة الفابية وتوقعت لها الفشل ! وقد كان هذا من بين الأسباب التى دفعت ولز الى الخروج على الفابية وتشديد حملته عليها . غير أنه ما لبث أن اعترف هو نفسه بخطئه وفشل حملته التى وصفها بأنها كانت « عاصفة فى فنجان » !

خطر الحـــرب

وقد جاءت كتب ولز « التوقع والانتظـار » « Anictications » والبشرية فى البوتقـــة « Mankind in the Making » ويتوبيا الحديثة « Modern Utopia » تعبيرا عن هذه النظرية التى آمن بها فى وقت من الأوقات ودعا اليها وتوقع حدوثها فى ثقة . فقد كان يقول : لابد من قيام جمعية من الأمم الحرة السعيدة ، لا جيل من الجياع وسط خرائب حضارات محترقة .. »

فقد كان يتوقع الاحتراق دائما للحضارات القائمة حوله نتيجة لظهور هتلر وللظلم الاجتماعى الذى ساد أوروبا فى ذلك الوقت .

وكان يرى خطر الحرب ويتنبأ بوقوعها ويحذر منها . وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ ، قال انها لن تكون آخر حرب ، فسوف يشهد العالم حروبا اخرى مدمرة .. وقد تنبأ ولز بنشوب الحرب العالمية قبل اندلاعها بسنوات طويلة ..

تفاؤل وتشاؤم

والواقع أن الحروب زعزعت ايمان ولز بالتقدم الذى لا مفر منه لخير الانسان ورفاهيته ، وفى الحرب الاولى كتب ولز كلمة يرفع بها روح الشعب البريطانى المعنوية ، على أسلوب تشرشل ، فى الحرب العالمية الثانية ، فقد قال : « اذا بدأنا نقاتل فسوف نستمر فى قتالنا طالما كان ذلك ضروريا ، حتى لو مات اطفالنا جوعا فى بيوتنا .. وسنستمر نحارب حتى لو استقرت كل سفننا فى قاع البحر » . ولكن التشاؤم ما لبث أن تخلى عنه بعض الشىء خلال السنوات التى سبقت قيام الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ وانتهت فى عام ١٩٤٥ ، فقد ظل ينظر الى الدنيا خلال منظار ابيض الى ما قبل نشوب الحرب بسنوات قليلة، فلما اندلعت عاوده تشاؤمه وقال : « اذا قدر لهذه الحرب أن تنتهى ، فان أى حرب قادمة ستقضى على البشرية والحضارة من جذورهما ».

الرعب المقدس

وكتب ولز عدة مؤلفات خلال السنوات التى عاشها قبل نشوب هذين الحربين ، كانت كلها تدور حول عرض مشكلات اجتماعية وثقافية فى أسلوب حماسى لا يخلو من الدعابة وروح المرح والقدرة على التصوير ، فاصدر « آن فيرونيكا Ann Veronica » ، وماكيافيللى الجديد New - Machiavelli وعلم الحياة « The Science of Life » الذى اشترك فى كتابته مع جوليان هكسلى ، « والاخوان » The Brothers و « الرعب المقدس « The Holy Terror وقد كتب ولز هذه القصة الأخيرة فى عام ١٩٣٩ ، أى بعد قيام الحرب العالمية الثانية بعام واحد .

شبح الفنـاء

هذا عرض سريع لحياة الاديب الفنان العالم هيربرت جورج ولز ، الذى عاش ليشهد اليوم الذى انشقت فيه الذرة واحترقت معها هيروشيما بالقنبلة الذرية ، وهو الذى طالما تطلع الى العلماء والعلوم لانقاذ البشرية وخلاصها .. مات ولز وسلاح الفناء يهدد المستقبل الذى تنبأ به فى كتبه ومؤلفاته .. مات تحت شبح هذا السلاح الرهيب الذى يخيم على العالم كله اليوم .. مات فى عام ١٩٤٦ . ■■



الحب الحزين



للشــاعر

خالد سعود الزيد

■ سأروى قصة الأحلام والأوهام والحسرة
حكاية حبي المحزون والعثرة
حكاية عمرى المنهار والخمرة
سأروى ... قصتى المــرة
سأرويهــا ....
بلا حرج واحكيهــا
ففيها بعض تعزيتى
ومنهــا كل تجربتى
خرجت بهــا من الدنيــا
فيا لهفى على عمرى الذى قد ضاع
ومات على هوى الأطمـــاع
يا حسرة !!

★★★

نشأنا نشأة الأطفال ، يا نجوى ، بريئين
وسرنا في طريق الحب والأزهار صِنْوين
برُوحَيْنا نجوب الكون لا ندرى ، غريرين
كأن لم يخلق الرحمن الا أنتِ في عينى
وليس سواى في دنياكِ ، في دنيا البريئين
ونطلق ضحكة عجلَى
تمر بثغرنا جذلى
لتربط قلب طفلين

★★★

سأروى قصة الأوهام ، يا نجوى ، سأرويهـــا
ففيها دمع أحلامي تدلّى من مآقيها
سأمليهـــا من الأعماق والأعمـــاق تمليهـــا
فلا تستنكرى فيهـــا
دموعى حين أجريهـــا
فإن دموعك الثـــرّة
هى العمـــلاقة البـــرّة
فقد أوحت لي الأشعارَ لمّـا كنت أمليهـــا
ولما ضاقت الآهـــات في أعماقك الحـــرة



بكيت ورحت ارويهـــا
فيا حسرة !!

★★★

الا لله ايـام من الماضي قضيناهـــا
وقد سرنا الى الآفــاق نستجلي خفاياها
ونضرب في ربوع الأرض نحكي بعض ذكرانا
باحلام كأنَّ الزهـــر من انفاس مَغناهـــا
ولولاهـــا لما فاح الأريـــج الفض ، لولاها
وما بتنـا نذيب الدرب في تكرار معناها
ونطلق ضحكة عجلى
تمر بثغرنـا جذلى
لتربط قلب طفلين

★★★

سأروى قصة الأحلام والأوهام والألــم
سرت ذكرى معانيهـــا بوجداني وعَبْر دمي
فلا تستنكري الآهـــات ، آهات بلا نغم
ونوحي مثلما قد نحت يا نجواى من نـــدم
وقولي حين ارويهـــا
وداعا ، ايهـــا المكلوم ، يا حسرة !

★★★

نشأنا كالصبا ، كالفجـــر يا نجوايَ ينبجس
نشأنا لم نقل هَجـراً ولم نرض الذي هجسوا
ولم نسفك دم الأخلاق لم نحلم بما غرسوا
وما ندرى بما تطوى يد الأقـــدار ما همسوا
فمات الفجر يا نجوايَ ، مات غـدى
وثار الحزن في الاحشـــاء ، في كبدى
فيا مأساة احلامي
لقد ضيَّعتُ ايامي
على وهم بلا امـــل
فيا حسرة !!

★★★



مع الاشراق نادت ، يا فتاى ، انا
اضعتُ الأمس اقلامي وانت هنـــا

الم ترهـــا ؟ الم ترنى ؟!
فان الأمس حيرنى
ولم أسالكَ مـــا غدَتـــا

★★★

نقلتْ وقال لي قلبي
وطاف بخـــدّها الوردى
بلى اني رايت غـــدى
رايتـــك فيه ، في كبـــدى
رايت الدرب يجمعنــــا

★★★

وجاءتني وفي فمهـــا
حديث مـــلءُ مَبسمهـــا
اندرى مـــا يقول أبي !!!؟
غـــداة رآك عـــن كثب
تميـــل اليّ تسمعني
تديـــر اللحظ ترقبنى
وعـــين الحب تلحظنـــا

★★★

لقـــد قال الأب الحانى
بقلب غـــير خوان
الا بوركتمـــا فتيـــا . . .
غـــرام ، لاح منتشيا
يذكـــرنى بأحـــلامى
بأمسي ، بالهوى الدامى
الا ســيرا ولا تَنيـــا

★★★

وسرنا في الطريق يـــدا
نجـــوب الحيّ والبلـــدا
اناجيهـــا فتلحظني
واعطيهـــا فتسألني
كأنا لن نعيش غـــدا

★★★

وشق الحبُ مجـــراه
الى الأعمـــاق منحاه
بقلبينـــا بنينـــاه
فأى غـــد بنـــا سَعِدا

★★★

ودارت ســـاعة الزمن
بعشر دونمـــا محَـــن
نجئنـــا نعلن البُشرى
لقـــد جزنـــا اذن عشرا



هتفتُ بهـــا الى أمي
وبحت لهـــا بما أرمي
فجاشت دمعـــة حيرَى
بمقلتهـــا لتنبئني . . .
بمـــا اصمى فؤادينـــا
وادمي جـــرح قلبينـــا
الى الأبـــد . .

★★★

فقلت لهـــا بكل اسى
بقلب ناح مبتئســـا
أبي قد كان يعرفنـــا
ويشـــهدنا ، يباركنـــا
ويعـــلم ما نـــوى غدنـــا
فما لك لـــم تقوليهـــا
جهـــارا يقطـــع التيهـــا
ويعلن رغبـــة الأزل !؟

★★★

فقالت لـــم يكن شَـــهِدا
رضاعكمـــا ومـــا عنَّـــدا
وكنـــا نحسب القربى
رباطـــا يجمـــع الدّربـــا
بلا اثـــم ولا خجـــل

★★★

فيا ماساة احلامي
لقـــد شيعتُ ايامي
وصرت الى غـــد دام
على وهم بلا امـــل
فيا حسرة . . . ؟!!

★★★

فيا نجوايَ هاتي كفـــك الحاني
خذي دمعي ، خذي آهات الحاني
فاني لســـت انساهـــا
اقاصيصـــا نسجناهـــا
فجاءت دمعة المِحَـــن
لتبقى في يـــدِ الزمـــن
تعبر عـــن اغانينـــا
تحـــدث عن مآســـينا
وان بهـــا اخوتنـــا
ستبقى رمـــز وحدتنـــا
وذاك بهـــا يعزّينـــا



■■

خالد سعود الزيد
الكويت

من أصحاب رسول الله

نعيم بن مسعود

رضي الله عنه

بقلم : الشيخ محمد عرفه

عضو جماعة كبار العلماء

■ نعيم بن مسعود رجل من اصحاب النبي (ص) اغنى عن المسلمين ما لا يغنيه جيش كجنح الليل يزحف بالسيوف القواطع ، والرماح القواضب وذلك فى وقعة الأحزاب وهى وقعة دبرها اليهود وجمعوا لها الأحزاب فذهبوا الى قريش واستعدوها على محمد والمسلمين وذهبوا الى غطفان كذلك واجتمع هؤلاء وهؤلاء وأولئك حول المدينة ، فأمر النبي بحفر خندق حول المدينة وقد داخل المسلمين الرعب والشك اذ اجتمع عليهم العرب واليهود وما لهم بهم قبل ، وقد وصف الله ما نزل بالمسلمين فى هذه الوقعة فى قوله « اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » .

وهنا جاء دور نعيم بن مسعود ونحن ننقل عن سيرة بن هشام ما قام به من عمل عظيم فى هذا الظلام الدامس والكرب الشديد . قال ابن هشام : ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول الله فقال يا رسول الله انى قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت ، فقال رسول الله انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة. فخرج نعيم ابن مسعود حتى اتى بنى قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال يا بنى قريظة فقد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان راوا نهزة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيدكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه . فقالوا له اشرت بالراى ، ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لأبى سفيان ابن حرب ومن معه من رجال قريش ، قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا وانه قد بلغنى امر قد رايت على حقا ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا عنى . قالوا نفعل قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا نيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا

فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم ، فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا . ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم اصلى وعشيرتى واحب الناس الى ولا اراكم تتهموننى قالوا صدقت ما انت عندنا بمتهم قال فاكتموا عنى قالوا نفعل فما امرك ؟ فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس كان من صنع الله لرسوله (ص) ان ارسل سفيان بن حرب ورؤوس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليه ان اليوم يوم السبت وهو لا نعمل فيه شيئا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه ، فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود حق فارسلوا الى بنى قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان تقاتلوا فان راوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلو بينكم وبين الرجل في بلدكم فارسلوا الى قريش وغطفان .انا والله لا نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم .

ثم قال ابو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكرام والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بنار فارتحلوا فانى مرتحل فرحل ورحلت قريش معه وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم ، وفك الحصار عن المدينة وردت قريش وغطفان، وخلوا بين بنى قريظة من اليهود وبين محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين ولا طاقة لهم بهم فحاصروهم وقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم واخذوا اموالهم وارضهم وديارهم وفى ذلك يقول القرآن الكريم .

«ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون ، وتأسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديرا » .

هذا نعيم بن مسعود الغطفانى وهذا بلاؤه فى وقعة الخندق الم يفك الحصار الذى كان كالخناق على المسلمين الم ينقذهم من موت محقق ؟ الم يغن عن المسلمين ما لا يغنيه جيش جرار مدجج بالسلاح ، صادق العزم والنية .

ان المثل يقول : رب رجل كألف .

وهذا هو نعيم بن مسعود ، رجل كألف غدر اليهود بالمسلمين ومكروا ، وكان نعيم بن مسعود أشد مكرا .

■■

محمد عرفه
القاهرة



رأى فى غزل أبى تمام

عن مجلة « الكتاب العربى » القاهرية :

● ان من يقرأ باب الغزل فى ديوان ابى تمام قل ان يشعر فى خلال أبياته بنغمة الحب الصادق ، أو بأثر الوجدان المعقد المقيم . وان اكثر هذا الباب مقطوعات من الشعر تتفاوت طولا ونصرا ، وقوة وضعفا ، يجرى فيها على التقاليد المتبعة ويردد فيها المعانى المطروقة ، فلا يحلق ولا يرتفع ، بل لعله فى بعضها يسف ويسخف . وهو اقدر على وصف عاطفة الصداقة واعرف بها لان الحب عاطفة ثائرة غلابة ، يحتملها طبعه الهادىء . ونفسه المطبوعة على التفكير والروية . فالحب صخب مثير للزوابع اما الصداقة فوائقة بنفسها راضية قانعة .

ويتفق هذا الوصف مع طبيعة ابى تمام الهادئة ، التى تهتم بالالوان العقلية والألوان اللفظية وتسعى الى استخراج المعانى الطريفة ، وتفترعها افتراعا . فهو لا ينظم الشعر ارتجالا دون روية او تفكير ، وهو لا يطلق الشعر كما يغرد البلبل ويصفر الريح ، انما يكد عقله فى نظمه ويعمل تفكيره فى قرضه .

الامثال العامية فى الكويت

عن مجلة « البيان » الكويتية :

● الأمثال العامية كالأمثال العربية الفصحى ، تماما ، تصور البيئة والناس تصويرا صادقا بما تحويه من حكمة وفلسفة فى شؤون الحياة والكون ، لذلك فهناك مئات بل آلاف من الأمثال العامية لها نظائر ومرادفات من الأمثال العربية الفصيحة ، وتشترك معها أحيانا فى اللفظ والمعنى .

والمثل الكويتى ، جاء وليد بيئتين متناقضتين ، وصورة لحياتين مختلفتين أشد الاختلاف ، الأولى تمثل حياة البدو وعرب الجاهلية ، والثانية تمثل حياة الحضر والأمة البحرية التى لا تعرف عن الصحراء الا بقدر ما يعرفه البدوى عن البحار وأغوار المحيطات . ثم ما لبثت هاتان البيئتان ان امتزجتا فى بيئة كويتية ذات طابع خاص ، فجاء المثل الكويتى معبرا عن هذا التزاوج ، ومظهرا من مظاهر الحياة الكويتية الصحيحة التى تجمع بين اخلاق عرب الجاهلية وبدو الصحراء الذين لا تختلف أخلاقهم عما كانت عليه ايام سلفهم فى الجاهلية ، كما تجمع بين حياة الحضر التى يشيع فيها شىء من الترف وآثار من نعومة الحضارة ومظاهرها . فالمثل الكويتى عصارة بيئتين التقتا وامتزجتا بمرور الزمن ، فكان مزيجا من حرارة الصحراء ورطوبة البحر .

تقاليد الديمقراطية

عن مجلة « الخواطر » اللبنانية :

● في السنوات الأخيرة أخذت بعض الأوساط الاوروبية والافريقية على حد سواء تردد ان النظام الديمقراطي لا يصلح للدول الافريقية .

فأما الأوروبيون ممن يقولون بهذا الراي فهم يستشهدون بموجة الثورات والانقلابات التي اطاحت بعدة دول افريقية، وادت في معظم الأحيان الى قيام الدكتاتورية على انقاض المؤسسات النيابية . فهذه حجتهم الوحيدة التي يستطيعون التذرع بها لاثبات نظريتهم . غير ان هذا القول ليس سوى تصميم يمكن الذين يتحسرون في اعماق نفوسهم على انتهاء عهد الاستعمار ، من تبرير معتقداتهم الشخصية ومن اقلمة تفسير في الوقت ذاته لبعض الأحداث التاريخية . وهو تفسير يغنيهم عن الحاجة الى دراسة حقيقة الوضع السياسي في دولة افريقية ما عندما تقوم فيها ثورة من الثورات .

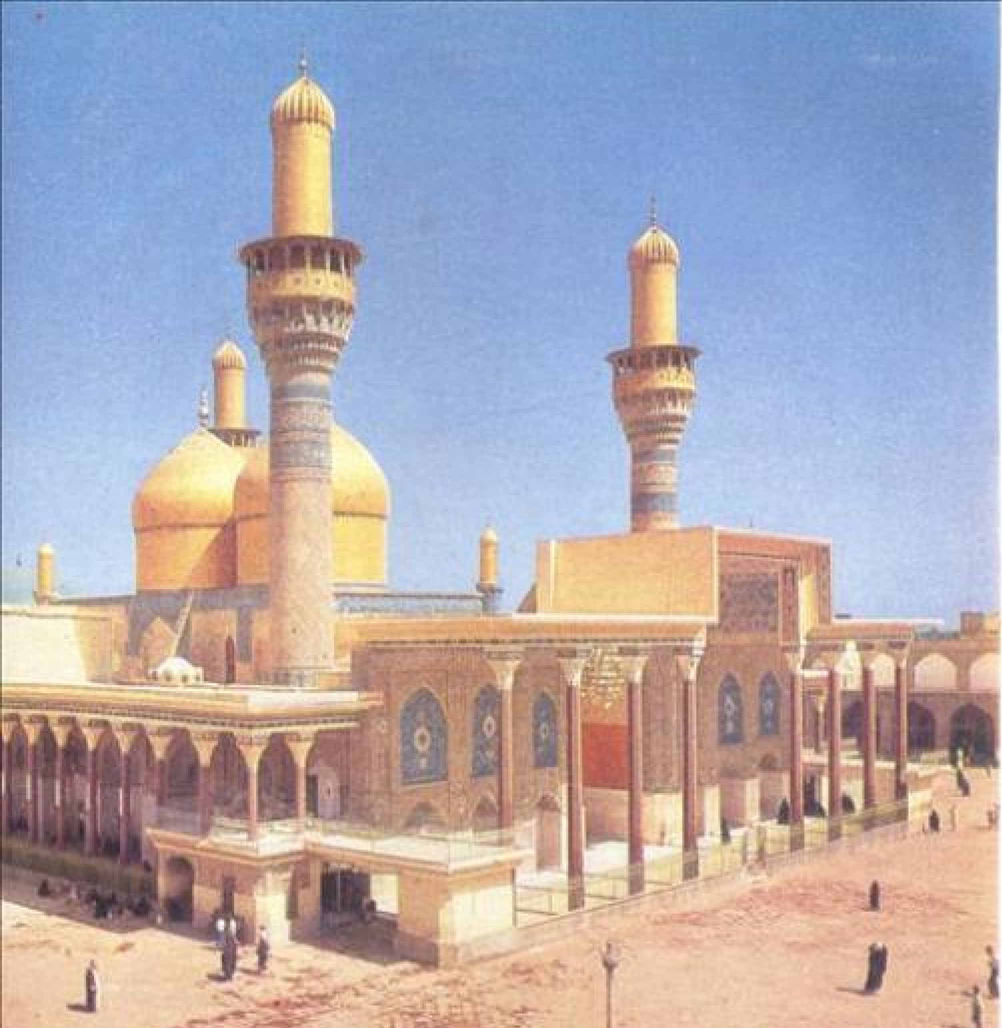
اما معظم الافريقيين من معارضي النظام الديمقراطي فيفكرون على هذا النحو لاعتقادهم ان الديمقراطية ليست سوى مذهب سياسي أوروبي صرف . وقد عزز اعتقادهم هذا موقف بعض رجال الادارة الأوروبيين الذين تعودوا خلط جوهر الديمقراطية بمظاهرها الخارجية . فتعذر عليهم أن يدركوا أن الديمقراطية ليست مرتبطة حتما بما تتميز به الأنظمة البرلمانية والحكومية من أساليب خاصة . اذ ليس هناك اي سبب يحول دون وضع أساليب جديدة للديمقراطية مختلفة عن تلك الأساليب اختلافا جذريا، في ضوء العهود التاريخية والمناطق الجغرافية على تعددها واختلافها . فمبادىء الديمقراطية التي تقوم على مفاهيم الحرية الفردية ، والمؤسسات النيابية، والانتخابات النزيهة السرية واستقلال القضاء ، وما الى ذلك، ليست ملكا لأوروبا ولا لأي قارة أخرى . بل انها تشكل صفة من اهم الصفات العامة التي تتميز بها الانسانية جمعاء .

الاستقلال السياسي والثقافة

عن مجلة « الاقلام » العراقية :

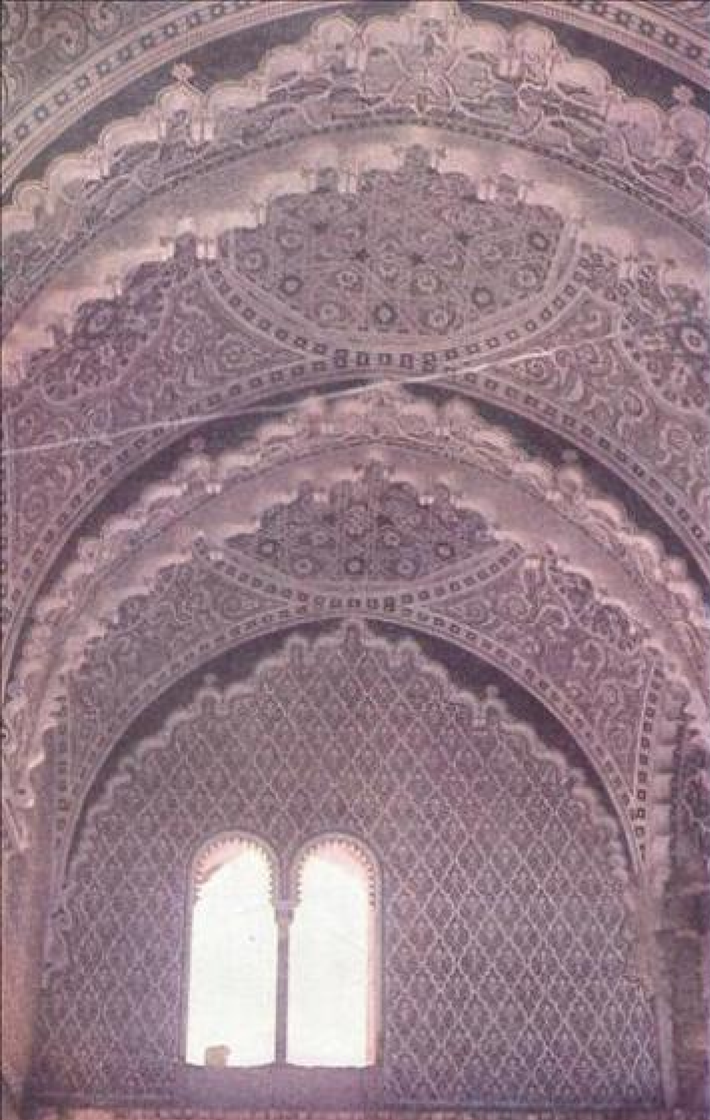
● واليوم ، وبعد دروس مريرة ، تنبهنا الى ان الاستقلال السياسي لا يكفي من دون استقلال اقتصادي ، وأن كليهما يحتاج الى دعم ثقافي ـ دعم ثقافي يقوم على الذات والتراث والاعتزاز بالقيم العربية . ومن هذه الزاوية بالذات اصبح لزاما على المثقف العربي الأصيل العمل على اظهار القيم العربية الانسانية العليا ، وتوجيهه لاخوانه المواطنين الآخرين توجيها يعمل على تكوين راي حقيقي ، سداه الثقافة العربية ولحمته التراث العربي .

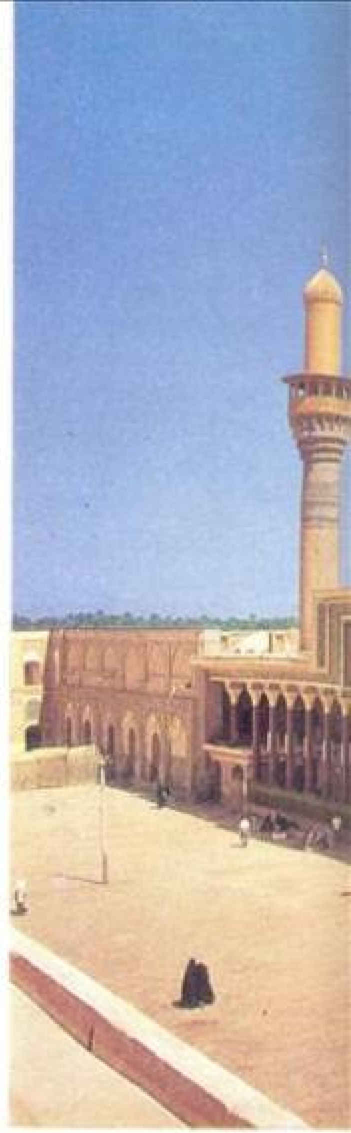
ذلك انّ لمّ شعث العرب لا يتوقف على شراء السلاح بقدر ما يتوقف على الوعي الثقافي القائم على الاستقلال الثقافي : اي الايمان بالقيم العربية ، والتضحية في سبيلها وكل هذا يدعونا الى الالتفات الى ناحية مهمة أخرى ،هي الثقافة وعلاقتها بالمسئولية .



صورة رائعة لمشهد الإمام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق في الكاظمية .

مساجد بغداد





سقف احد اروقة المصلى في مشهد الامام ابي حنيفة . وتظهر فيه النقوش البنائية الجميلة .

ومشاهدها

بقلم : الدكتور مصطفى جواد

كلية التربية جامعة بغداد

■ بغداد مدينة السلام والاسلام ، وعاصمة ابي جعفر المنصور والمهدي وهارون الرشيد، والمعتضد بالله والمسترشد بالله والمقتفي لأمر الله، والناصر لدين الله والمستنصر بالله ، من أعاظم الخلفاء العباسيين ، وذات المناظر التي صورت لملك الروم اعجابا بها ، لم يتبق من آثارها الواغلة في القدم شيء .

فمدينة المنصور المدوّرة ، وقصر باب الذهب وجامع المنصور والقبة الخضراء والسور وما أحاط به من الدور ، عفى عليها الدهر ودرّسها .

وقصر الخلد وقصر القرار وقصر المهدي وجامع المهدي بالرصافة جهلت مواضعها بعد أن كانت أثرا بعد عين .

ذلك لأن الحَضَرة - أعني المواد الانشائية - التي بنيت بها بغداد العباسية كانت من الآجرّ أي اللبن المطبوخ وهو الطوب عند المصريين ، والطابوق عند العراقيين العصريين وهو تصحيف « الطابق » على وزن هاجر وصاحب وهو الآجرّ الكبار كالطاباق ، على ما جاء في القاموس المحيط ولأن بغداد رطبة الأرض تتلف رطوبتها المواد البنائية المصنوعة كالآجرّ واللبِن ، بَلْهَ ما أصابها من نوازل الغرق مرارا وتكرارا بفيضان ماء دجلة ، الذي كان على توالي العصور يهدم الدور والقصور وغيرهما مما هو معروف ، فضلا عما عراها من التخريب والنقض والهدم السياسي المجرم الذي يصفه علي بن بسام العبرتي في هجوه الوزير ابن مقلة الكاتب بقوله :

بِجَنْبِك داران مهدومتا
ن ودارُك ثالثــةٌ تُهـدَم



أحد أبواب المشهد الكاظمي الداخلية المؤدية الى قبر دفينه الامام الكاظم موسى بن جعفر الصادق أحد الأئمة الاثنى عشر عند الامامية الجعفرية، ودون الباب أحد أروقة المشهد .



احد خدام الحضرة الكاظمية يرقى سلما لايقاد شمع الثريا اى التحفة ، وبان معه قسم من أعلى ملبن قبر الامام .

فليتَ السلامــــــةَ للمُنصفــ
ين تـــدومُ فكيف لمن يَظلم ؟!

وما اجمل ما ذكره ياقوت الحموى مملوك عسكر الحموى ، ثم البغدادى ، فى مادة « سياث » من معجمه للبلدان ، قال « سياث .. كانت بليدة الظاهر معرة النعمان وهى القديمة .. اجتاز بها القاضى عبد الباقى المعرى والناس ينقضون بنياتها ليعمروا به موضعا آخر فقال »: (١) .

مررتُ برســمٍ في سِياثَ فراعَني
بــه زَجَلُ الأحجــار تحت المعاول
تناولها عَبْلُ الــذراع كأنمــا
رمــى الدهر فيما بينهم حربَ وائل
أتتلفهــا ، شُلّت يمينك ، خَلّها
لمعتبرٍ أو زائــرٍ أو مُســائل
منازلُ قومٍ حدّثتْنا حديثهــم
ولم أرَ أحلى من حديث المنــازل

وما أروع ما رواه الطبرى فى تاريخه قــال : « قال موسى بن داود المهندس ، قال لى المأمون .. يا موسى اذا بنيت لى بناء فاجعله ما يُعْجَزُ عن هدمه ليبقى طلله ورسمه » .

وما اعجب ما ذكره أبو عبد الله محمــد بن عبدوس الجهشيارى فى كتاب الوزراء والكتاب فى هذا الباب ، فقد حكى ان متظلما من اهل اصبهان تظلم الى يحيى بن خالد البرمكى من عامله فيها ، قال له : انه ظلمنى واساء معاملتى واخذ ما لا

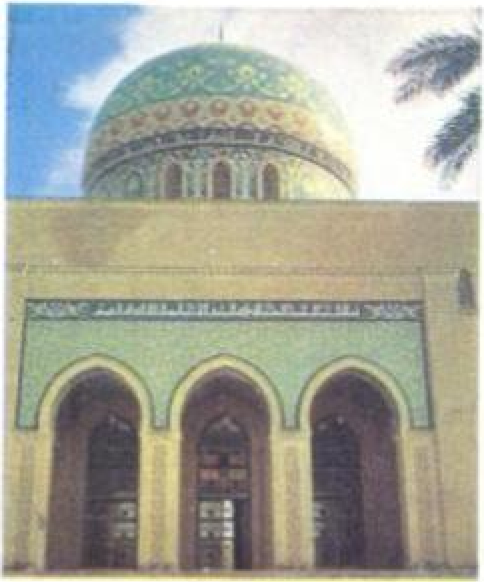


بعض الزوار الذين لا يخلو منهم ضريح الامام موسى الكاظم فى ليل أو نهار .. بعضهــم يطوف والاخرون يتلون القرآن وبعض الادعية

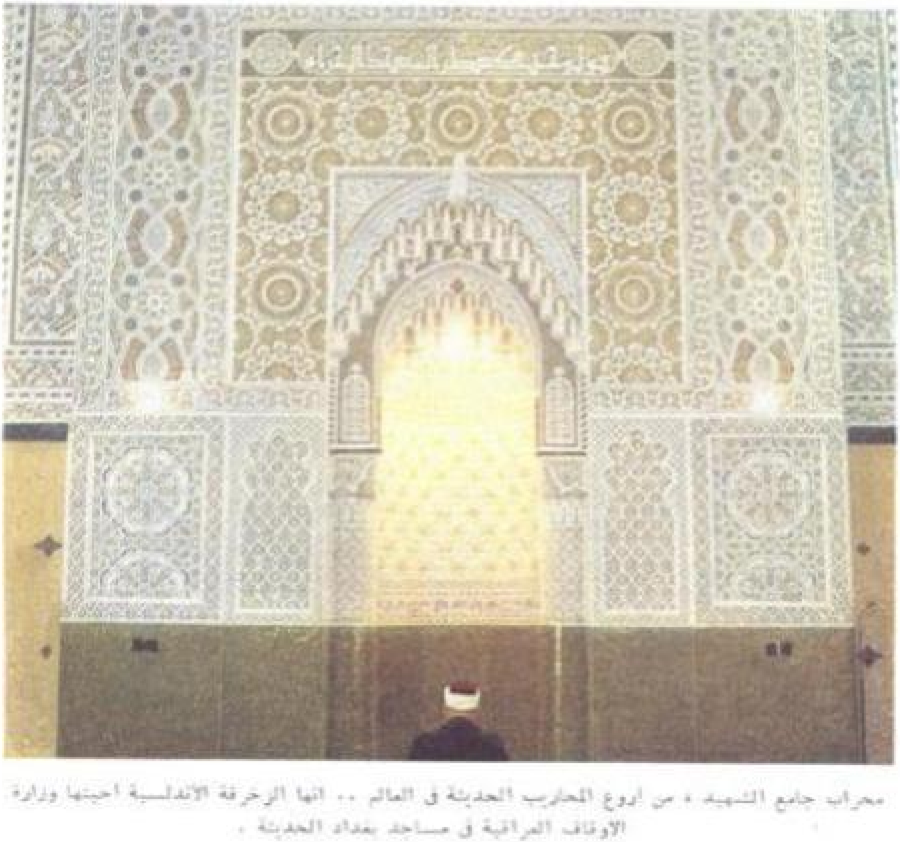
(١) ذكــر كمال الدين بن العديم الحلبى القاضى الأديب المؤرخ أن الأبيات لأبى الهيثـم عبد الواحد بن عبيد أخى أبى العلاء المعرى ، فى كتابه « الانصاف والتحرى » على ما نقل فى كتاب أخبار أبى العلاء « ص ٤٩٤ » .



صورة رائعة لداخل جامع الشهيد في ميدان الجندي المجهول ببغداد .. ان هذه الزخرفة الجميلة الرائعة ، التي بلغت حد الاعجاز قام بها صناع مهرة جاءوا من المغرب خصيصا لزخرفة هذا الجامع من الداخل والخارج .



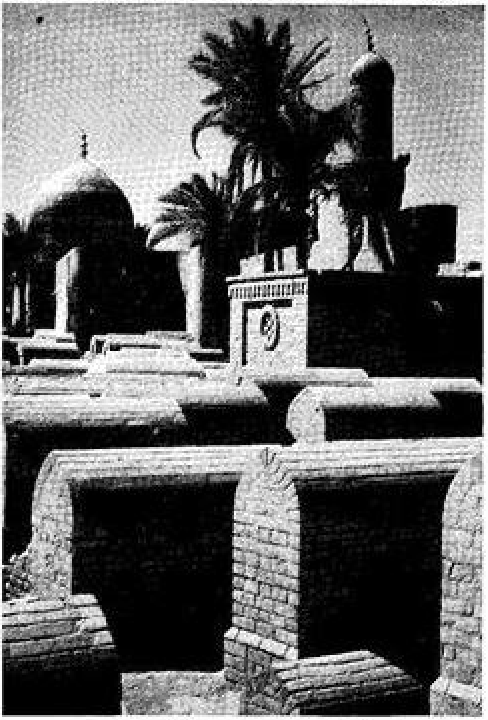
الى اليمين : مدخل جامع الشهيد ... وقد ازدانت قبته بالفسيفساء الملون الجميل، واقيمت ابوابه على الاسلوب الهندسي الاندلسي.. انه احدث جوامع بغداد الفخمة التي اقامتها وزارة الاوقاف والتي استطاعت ان تنقل قطعة من الاندلس الى قلب بغداد نفسها !



محراب جامع الشهيد ، من اروع المحاريب الحديثة في العالم .. انها الزخرفة الاندلسية احيتها وزارة الاوقاف العراقية في مساجد بغداد الحديثة .



جانب من تربة الشيخ
عبد القادر المعروف الكيلاني



تربة الشيخ معروف الكرخي
بالجانب الغربي من بغداد

يجب له منى وهدم شرفى . فقال يحيى : قد عرفت جميع ما تظلمت خلا قولك (هدم شرفى) ففسر لى ذلك . فقال له المتظلم : « أنا من أبناء رجل بنى القصر المهدوم ، وكان ينسب اليه ، وكان الرائى اذا راى القصر وجلالته ، وعلم أنى من ابناء البانى ، عرف بذلك قديم نعمتى وجلالة اولى » . فاستحسن ذلك منه وقال لابنيه الفضل وجعفر : لا شيء أبقى ذكرا من البناء ، فاتخذوا منه ما يبقى لكم ذكرا . فاتخذ جعفر قصرا .

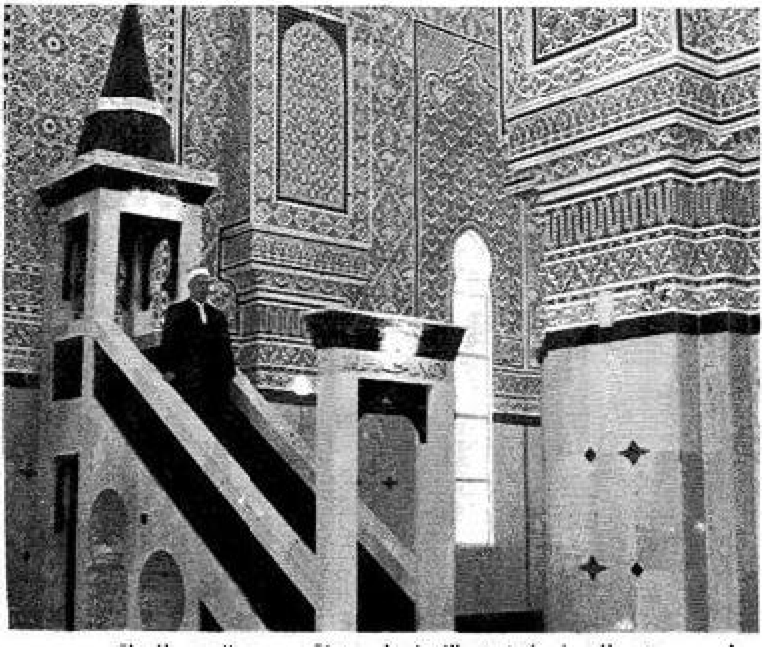
قال عمر بن فرج : انصرفت مع عمرو بن مَسْعَدة يوما من الشماسية والمأمون بها فى زلال لعمرو بن مسعدة ، فلما صرنا بازاء قصر البرمكى قال عمرو يا أبا حفص ، سرت أنا وجعفر يوما كسيرنا هذا ، فلما نظر الى البناء ــ يعنى قصره قال لى : يا أبا الفضل انى لأعلم انه ليس من بناء مثلى ولكن قلت ، ان بقى لى فهو قصر جعفر ــ يعنى نفسه ــ وان شره السلطان فى وقت من الاوقات فهو قصر جعفر ، وان مضت عليه الأيام فهو قصر جعفر ، ويبقى اسمه وذكره ، ولعله أن يمر به بعض من لنا عنده احسان فيترحم علينا .

ولم يكن اتخاذ العباسيين الآجُرَّ مادة للبناء بدعا فى الحضارة العمرانية ، فقد فعل ذلك قبلهم السومرين والآكديئون والبابليون والفرس على اختلاف سلالاتهم الملوكية ، ولا سيما الساسانيين، وقصرهم الأبيض وايوانهم بالمدائن بنيا بالآجر وكذلك شاذرواناتهم ، الا ما قرب من جبل فانهم كانوا يتخذون بناءهم فيه من الحجر ، والا ما كان قريبا من الأرض المصخرة أعنى التى كثر فيها الصخر . ولما كانت سامرا يابسة الأرض جافتها خالية من الرطوبة بقى فيها من آثارهم خرائب

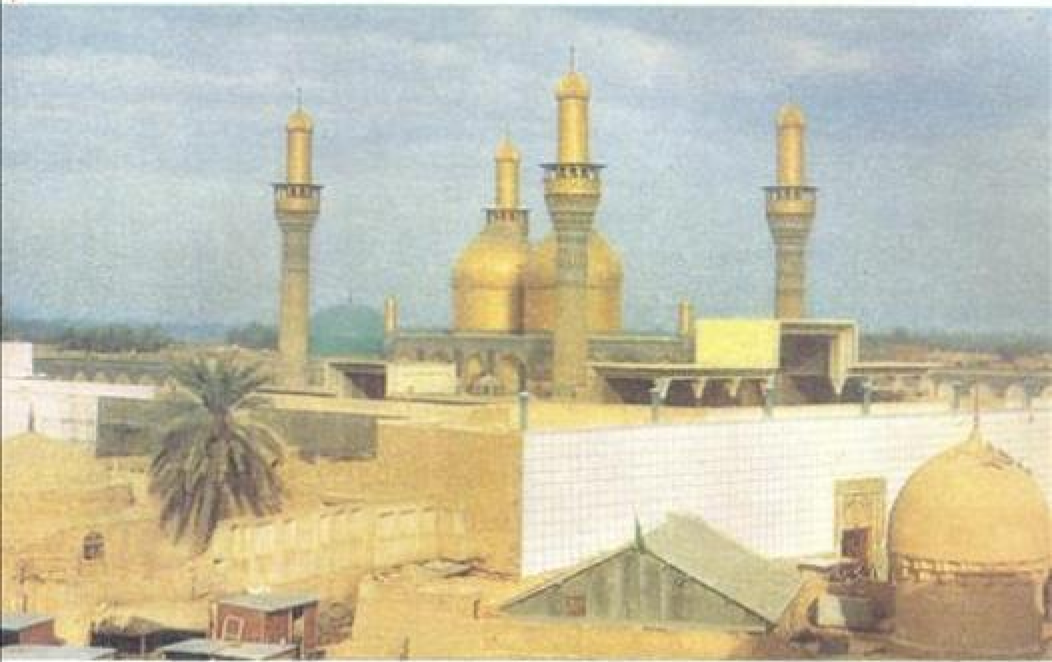
الجوسق الخاقاني المعروف بدار الخليفة ، والمسجد الجامع ذى المنارة العجيبة المعروفة بالملوية ، وجامع المتوكل المعروف بجامع أبى دلف ومنارته ، والمشوق قصر المعتمد على الله وغير ذلك .

ولم يبق ببغداد أثر لبنيان المنصور ، ولا لبنيان المهدى ، ولا لعمران المأمون وعمران من جاء بعدهم من الخلفاء ، حتى المسترشد بالله «٥١٢-٥٢٩ هـ» فقد يظن أن باب الظفرية أحد أبواب السور لبغداد الشرقية ، وهو المتخذ اليوم متحفة للأسلحة العتيقة المعروف عند العامة بالباب الوسطاني ورسميا بمتحف الأسلحة القديمة ، قد يظن أنه من أبنية هذا الخليفة الهمام ، غير أن ما ذكره ابن كثير الدمشقى فى تاريخه « البداية والنهاية » من أن الخليفة الناصر لدين الله العباسى « ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ » جدد سور بغداد تجديدا عاما قبل سنة ٦٠٠ هـ يوهن هذا الظن . وهذا التجديد العام لا يعنى تجديد بناء باب الحلبة الذى أمر به الناصر لدين الله سنة ٦١٨هـ ، وقد نسفه الاتراك العثمانيون بالبارود الذى كان مخزونا فيه ، وكان ذلك ليلة اليوم الحادى عشر من فبراير ، (شباط) ، سنة ١٩١٧ وهى ليلة تركهم بغداد واحتلال الانكليز لها عنـــوة وقسرا .

والمبانى العباسية الباقية حتى هذه الأيام هى دار المسناة الناصرية التى أنشأها الناصر لدين الله العباسى « ٥٧٥ - ٦٢٢ هـ » فى أوائل خلافته وجعلها شبه « دار علم » بدلالة ما نقله اليها من الكتب ، على ما ذكر القِفْطِى فى أخبار الحكماء ، وهى المعروفة رسميا بالقصر العباسى ، ومنارة مسجد الخفائر المعروف اليوم بجامع الخفافين وقد أمرت بانشائه السيدة زُمرّد خاتون بنت عبد الله التركية زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله ووالدة الخليفة الناصر لدين الله ، وقد توفيت سنة ٥٩٩ هـ ، وتربتها ذات القبة المخروطية التى هى من الطراز السلجوقى ، وتعرف اليوم عند العامة بقبر الست زبيدة ، مع ان زبيدة دفنت فى مقابر قريش كما جاء فى كامل ابن الأثير المؤرخ الشهير ، وأن زبيدة بنت السلطان



منبر المصلى فى مشهد الامام ابى حنيفة مع جانب من الرواق



من وسط المنازل والمباني ، ترتفع قبتان وأربع مآذن مكسوة بالذهب .. أنه مشهد الامام الكاظم .. وفي الليل تسلط الأضواء على المآذن والقبتين فتضفي عليهما جوا رائعا





وراء هذا الباب المقفل المصنوع من الفضة المزخرفة يقع قبر الامام الشهيد موسى الكاظم ، ابن الامام جعفر الصادق .



الى اليمين : جانب من ملبن قبر الامام موسى بن جعفر ، واكثره من الفضة المنقوشة أبرع النقش وأدقه صنعة ، وقد تمسك به للتبرك أحد زواره مع جماعة من النساء الزائرات ، **والى اليسار** ، بعض النساء يلثمن ملبن قبر الامام تبركاً .

بركيارق السلجوقى دفنت فى همذان ، كما ورد فى كتاب المنتظم لابن الجوزى ، وزبيدة بنت نظام الملك دفنت فى دار الخلافة العباسية ، بشرقى بغداد ، وزبيدة بنت الخليفة المقتفى لم يصرح احد بدفنها هناك لانها عباسية وقد جرت العادة فى عصور العباسيين الأخيرة منذ القرن الرابع بان يدفنوا فى مقبرتهم بمحلة الرصافة المجاورة لقبرة الامام ابى حنيفة النعمان ، رضى الله عنه .

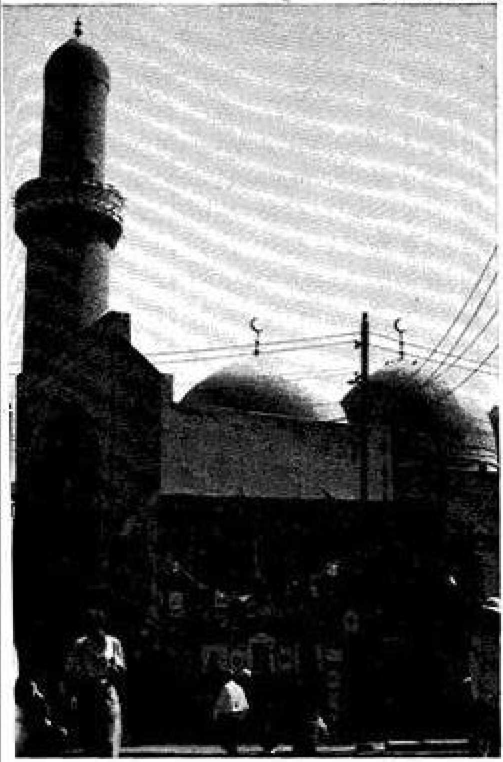
ومما بقىمن المبانى العتيقة المدرسة المستنصرية العظيمة ، وقد بنيت بين سنة ٦٢٥ هـ وسنة ٦٣٠ هـ ، وافتتحت سنة ٦٣١ هـ .

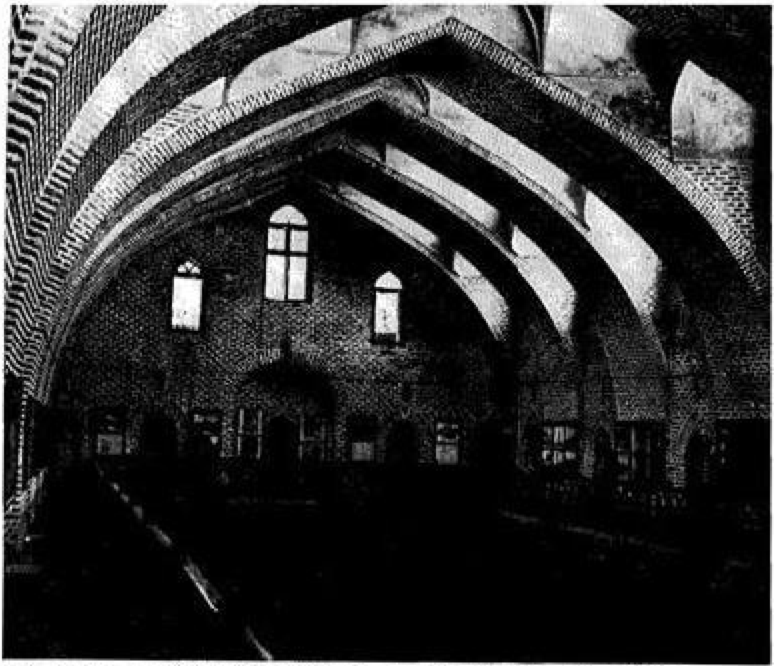
ومسجد قمرية الذى انشاه المستنصر بالله منشىء المستنصرية ، وذلك سنة ٦٢٦ هـ .

ومنارة مسجد الجنائز المجاور لتربة الشيخ العارف بالله الزاهد العابد ابي فيروز معروف الكرخي المتوفى فى آخر القرن الثانى للهجرة ، انشاها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٢ هـ وتاريخ انشائها مذكور فى آجر حوضها ، اى موقف المؤذن منها . وسنة انشائها هي سنة وفاة ولي عهد الخلافة العباسية « أبي الحسن علي بن الناصر لدين الله » الملك المعظم ، الذى يقول فى رثائه كمال الدين علي بن النبيه الشاعر المصرى صاحب « أفديه ان حفظ الهوى أو ضيعا » و « اماناً أيها القمر المطل » :

الناس للموت كخيل الطراد
فالسابقُ السابقُ منها الجواد
والله لايدعو إلى داره
إلاَّ مَن استصلحَ من ذى العباد
والموتُ نقَّادٌ على كفِّه
جواهرٌ يختارُ منها الجياد
والمرءُ كالظلِّ ولابدَّ أنْ
يزولَ ذاكَ الظلُّ بعْدَ امتداد
لا تصلحُ الأرواحُ إلاَّ إذا
سرَى إلى الأجساد هذا الفساد
أرْغمْتَ ياموتُ أنوفَ القَنَا
ودُسْتَ أعناقَ السيوفِ الحِداد
كيف تخرَّمْتَ عاليا وما
أنجدَه كلُّ طويلِ النجاد؟!

المدرسة المرجانية التي انشأها ، أمين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن ، والي بغداد في أيام الدولة المغولية المسلمة ، وقد شيدت في أواسط القرن الثامن الهجري وتعرف اليوم بجامع مرجان .





صورة داخلية لغرف اليتم المرجاني وهو خان التجار الذي انشأه والي بغداد امين الدين مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن في اواسط القرن الثامن الهجري ، في أيام دولة من المغول المسلمين . والتيم هو خان التجار بلغة خراسان الفارسية .

نجلَ أمير المؤمنين الـــــــذي
من خوفـــه يرعَدُ قلبُ الجماد
مُصيبتُه أذْكتْ قلوبَ الــورَى
كأنّما في كل قَلْبٍ زنـــــاد
نازلـــةٌ جلـــتْ فمنْ أجْلِها
سَنَّ بنُو العباسِ لبسَ السّوَاد(٤)

ومن الابنية العتيقة منارة جامع القصــر وهو القصر الذي انشاه المكتفي بالله العباسي في أواخر القرن الثالث للهجرة ، وقد عرف بقصر التاج ، وسُمِّيَ الجامع ايضا « جامع الخليفة » ، وعرف في اوائل حكم الأتراك العثمانيين بجامع الخلفاء ، ويعرف عند العامة بجامع سوق الغزل ، ومنارته التي اشرت اليها انشئت على عهد الملك ابغا ويقال ايضا « اباقا » بن هولاكو بن تولي بن جنكيزخان ، وولاية علاء الدين عطا ملك الجُوَيْنيّ الشافعي ، وله الفضل في ذلك . وكان بناؤها سنة ٦٧٨ هـ ، وقد رممتها مديرية الآثار القديمة العامة ، وشرعت مديرية الأوقاف العامة ، ثم وزارتها في انشاء مسجد حولها ، فان ارض الجامع العتيق كانت قد وزعت دورا صغيرة في ايام ولاية سليمان باشا المملوك « ١١٩٤ ــ ١٢١٧ هـ » الا قطعة منها ابتناها الباشا المذكور مسجدا ، ولعلها وزع منها قبل ولاية هذا الوالي .

ومنها المدرسة المرجانية ، أسسها وشيدها امين الدين مَرجان عبد الله بن عبد الرحمن احد مماليك المغول ، وكان مسلما ، كتب لها وقفية بالآجر في جدران مصلاها وعلى حيطان مرافقها الأخرى . وترقى من العبودية الى الامارة ، وصار

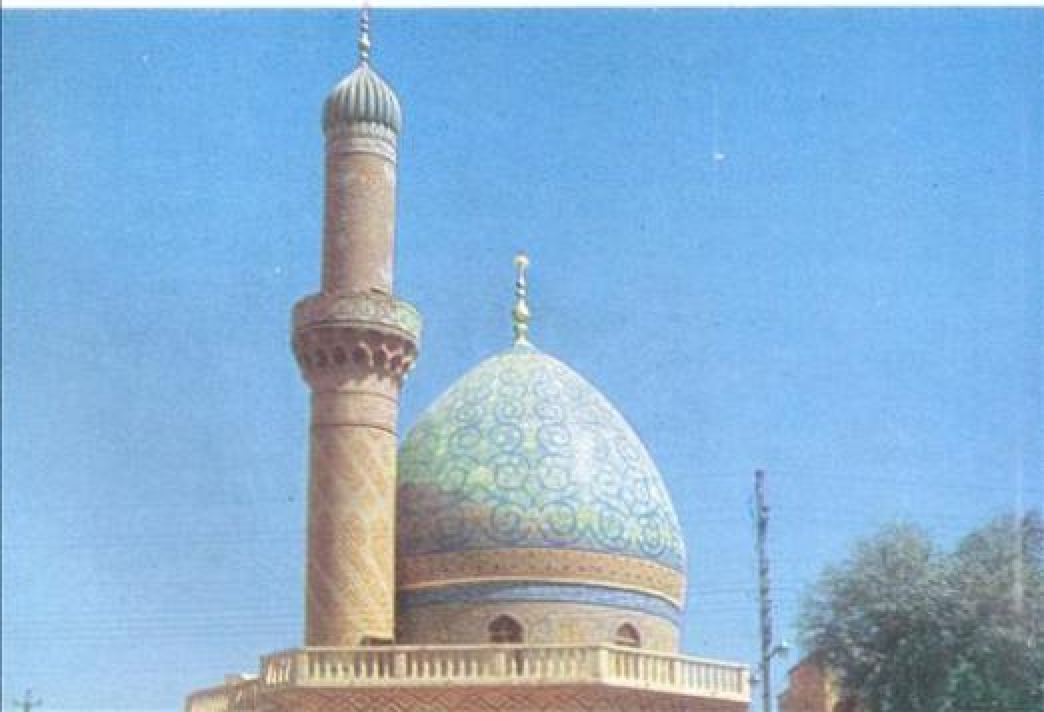
الى اليسار : واجهة تربة الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت مؤسس المذهب الحنفي .

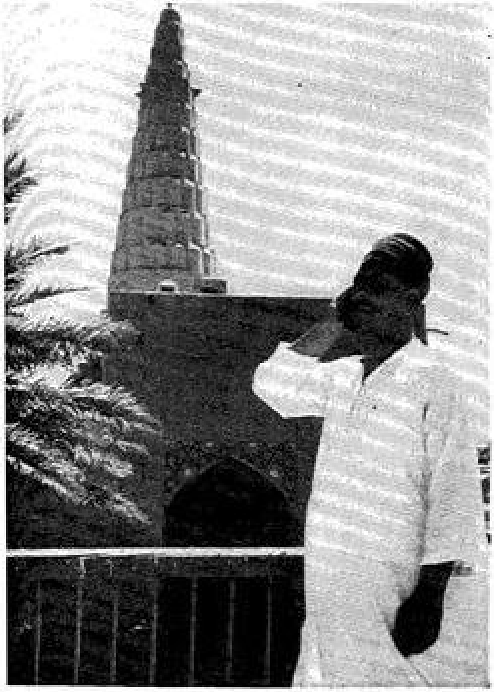
الى اليمين : منارة مسجد الخلفاء العباسيين المعروف قديما بجامع القصر وجامع الخليفة ،وحديثا بجامع سوق الغزل وقد شيدت هذه المنارة على عهد الملك ابغا بن هولاكو المغولي سنة ٦٧٨ وفي ولاية علاء الدين عطا ملك الجويني



الى اليسار : روائع من الفن ترتفع في سماء بغداد .. انها زخارف قباب المساجد ومآذنها .. انها رسوم هندسية ملونة بالازرق والاصفر والاخضر والذهبي لتعطي انسجاما جميلا مع النقوش .







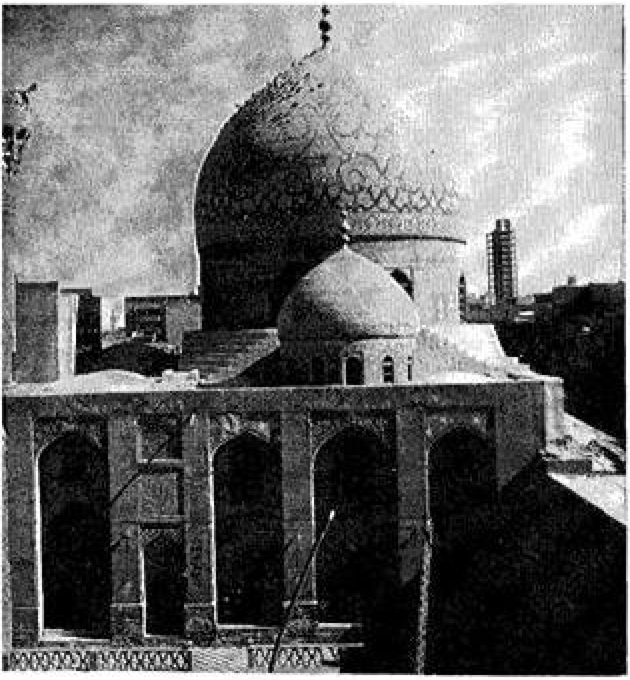
والي بغداد وما جاورها من البلاد على عهد النوبان اويس بن الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلايرية بالعراق ، والتاريخ المكتوب بالآجر فى أعلى بابها ذى المنارة يفيد أنها بنيت سنة « ٧٦٠ هـ » .

ومنها خان مرجان ، ويعرف بالاصطلاح الحضارى القديم باسم « تيم » مرجان ، والتيم هو خان التجار باللغة الفارسية الخراسانية ، انشاه مرجان للارتفاق بغلته فى ادارة شـئون المدرسة ، كما يقول العصريون ، والانفاق عليها وعلى دار الشفاء ـ أى المستشفى ـ التى انشأها على دجلة لمرضى الفقراء وجعل للسمك الذى يعيش بالقرب من مُسَنَّاتها والطير التى تسبح بدجلة على مقربة منها ، حصةً من الوقف، وذلك باطعامها يوميا وبذر الحَبّ لها .

ومنها تربة الشيخ العارف بالله ، شيخ الاسلام فى عصره ، شهاب الدين أبى حفص عمر بن محمد البكرى الشافعي السُهرَوَردى ، صاحب الطريقة السهروردية ومؤلف كتاب « عوارف المعارف » فى التصوف وغيره من الكتب الدينية ، وقبة التربة مخروطية الشكل ، وهي من الطراز السلجوقي الذى اشرنا اليه فى ذكرنا بعض سيرة السيدة زمرد خاتون ، والدة الناصر الدين الله آنفا . قال مؤلف كتاب الحوادث الذى نشرناه باسم « الحوادث الجامعة » وهما :

« وفيها ـ يعني سنة ٦٣٢ ـ توفى الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردى الصوفى الواعظ ، ولد بسهرورد ونشأ بها وقدم بغداد واستوطنها .. وتولى عدة ربط للصوفية ، منها رباط الزوزني ، ورباط المامونية ، وبنى له الخليفة الناصر لدين الله رباطا بالمرزبانية على نهر عيسى ، وبنى الى جنبه دارا واسعة وحماما وبستانا يسكنها باهله ،ونفذه الخليفة رسولا الى عدة جهات ، وكان الملوك الذين يرد عليهم يبالغون فى اكرامه وتعظيمه واحترامه ، اعتقادا فيه وتبركا . ودفن فى الوردية فى تربة عملت له هناك على جادة سور الظفرية . ومات عن « اثنتين وتسعين سنة .. » وقد جدد تربته غياث الدين محمد بن فضل الله الوزير سنة ٧٣٥ هـ ، والعادة فى تجديد الترب ان يحافظ على اشكالها الأصلية .

ودونك من مساجد بغداد ومساجدها مشهد الامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت (رضي) هكذا سمى تربته المؤرخون. وأول من بنى له تربة ومَلْبِنا، أى صندوقا ضريحيا شرف الملك أبو سعد مستوفي مملكة السلطان الب أرسلان السلجوقي ، وذلك سنة ٤٥٩ هـ . وذكر السيد محمود شكرى الالوسي العالم المشهور فى كتابه «تاريخ مساجد بغداد وآثارها» أنه فى سنة ١٢٨٨هـ تداعت ارجاؤه فامرت والدة السلطان عبد العزيز بتجديده وتوسيعه ، فهدم عند ذلك ما كان من الابنية من قبل الا القبة والمئذنة وبنى على أحسن وضع والطفه واتقنه ، وعقدت قبّة مصلاه على عمد من الرخام الابيض،وأُحدث فى جهتين من المصلى رواق واسع معقود على سوار من الرخام ، ووسع فناء المسجد ، وذكر مهذب الكتاب الاستاذ محمد بهجة الاثرى أن ذلك البناء قد تم سنة ١٢٩٣ هـ مع جلوس السلطان عبد الحميد الثاني.



تربة الشيخ أبي حفص عمر السهروردي أحد العلماء الصوفية الاعيان ، وهو مؤلف كتاب « عوارف المعارف » في التصوف وغيره.

جامع الحيدر خانة من اتقن جوامع بغداد صنعة واحكاما .

ومشهد الامام الشهيد موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق - ع - وهو من انشاء الشاه اسماعيل العلوى الصفوى وقد كتب في الجانب الايمن والايسر من رواق باب المزار وهو الباب الشمالي ما هذا نصه « امر بانشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم، ظل الله على بني آدم ، ناصر دين جده الأحمدى ، رافع أعلام الطريق المحمدى ، أبو المظفر شاه اسماعيل بن شاه خيدر بن جنيد ، الصفوى الموسوى ، خلد الله لاعلاء الدين المتين ألوية ملكه وسلطانه ، وأيد لهدم أهل الضلال قواعد حجته وبرهانه ، وحرر ذلك في سادس شهر ربيع الثاني سنة ٩٢٦ » .

أما جامع الحيدرخانة فهو من الجوامع التي بنيت في أيام الحكم العثماني للعراق ، وقد بانت في الصورة المنشورة بجوار هذا الكلام ، قبته الكبيرة الرائعة المزخرفة بالآجر الملون . وكذلك المنارة المقامة الى جانب الرواق ، والسوق التي فيها الجامع تسمى اليوم « سوق الحيدرخانة » وهذه السوق كانت تعرف قديما بسوق الثلاثاء قبل انشاء المنصور مدينته المعروفة بمدينة السلام، وبعده، ذكره السيد العلامة محمود شكرى الآلوسي باسمه العصري في كتابه تاريخ مساجد بغداد وآثارها - ص ٢٢ - وذكر انه من اتقن جوامع بغداد صنعة واحكاما ، وأن داود باشا والي ايالة بغداد « ١٢٢١ - ١١٤٧ هـ » اختطه وانشاه .. وكان الفراغ من عمارته سنة ١٢٤٢ هـ ، ونفهم من كلام العلامة الآلوسي انه كان ضيق المساحة فوسعها ، ولعله المسجد العباسي الذى انشاه الخليفة المستضيء بامر الله العباسي ، قال ابن الجوزى في حوادث سنة ٥٧٣ هـ : « وانشا أمير المؤمنين مسجدا كبيرا في السوق عند عقد الحديد وتقدم بعمارته فعمر عمارة فائقة وكسي .. وتقدم الي فصليت فيه بالناس التراويح ليلة وكان الزحام كثيرا فدخل على قلوب أهل المذهب (كذا) ما شاء الله من النعم ، لكونه أضيف الى الحنابلة ، وقد كان يرجف به لغيرهم » . ■■

مصطفى جواد
بغداد

أنباء الطب والعلم والاختراع

المطار في المستقبل القريب

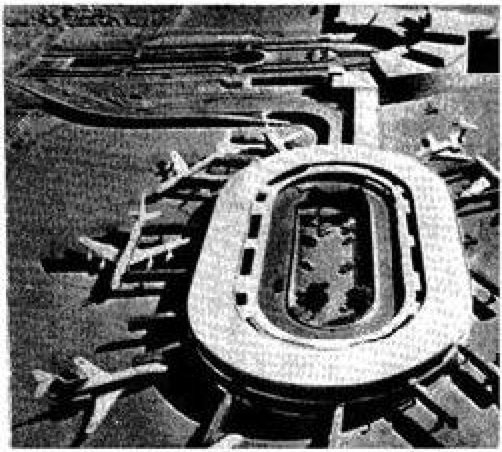
● ونقول القريب لأن المدينة الصناعية الكبرى ، مدينة بتسبرج Pittsburgh في الولايات المتحدة قد خططت له .

وترى مخططه في الصورة السفلى .

وترى ان السيارات القادمة من البلد الى المطار تنتهي في الحظيرة الكبرى ، غير المسقوفة ، التى هى في أوسط البناء اى في قلب المطار .

وينزل المسافرون من سياراتهم ، ويخطون خطوات قليلة ليبلغوا بعدها الطائرة التى يريدون .

والطائرات المسافرة تتوزع حول المطار ، عند مخارج أقدام المسافرين . والمسافرون ، من ساعة ترك السيارة ، الى الوصول الى الطائرة التي تقلهم ، يكونون دائما بعيدين عن تقلبات الجو جميعها ، من شمس تلفح ، أو مطر يصب ، او برد ينفح .



سيارة غريبة

● وغرابتها في أن لها عجلتين للقيادة ، وجبهتين . كما ترى في الصورة السفلى .

يركب سائقها في الطرف الذى يريد ، المتفق مع الاتجاه الذى يريده . فاذا اراد أن يعكس اتجاهه ، وجب عليه في العادة أن يدور في الطريق بالسيارة نصف دورة . وهذه الدورة بها خطر في الطرقات . وعليها في بعض الدول غرامات شديدة . ويسمونها دورة « دبوس الشعر » .

فعجلة القيادة الثانية توفر على السائق أن يدور بسيارته ، اذا اراد عكس اتجاهه . يصبح ما عليه الا ان ينتقل هو من عجلة القيادة الى اختها الأخرى !!



آبار البترول عندما تشتعل

آخر الطرق وأنجحها لاطفائها

● ليس شيء فى صناعة البترول أصعب من اطفاء حريق بئر اشتعلت . ان المقادير التى تخرج من فوهتها كبيرة ، وهى تخرج سريعة ، وتحت ضغط شديد .

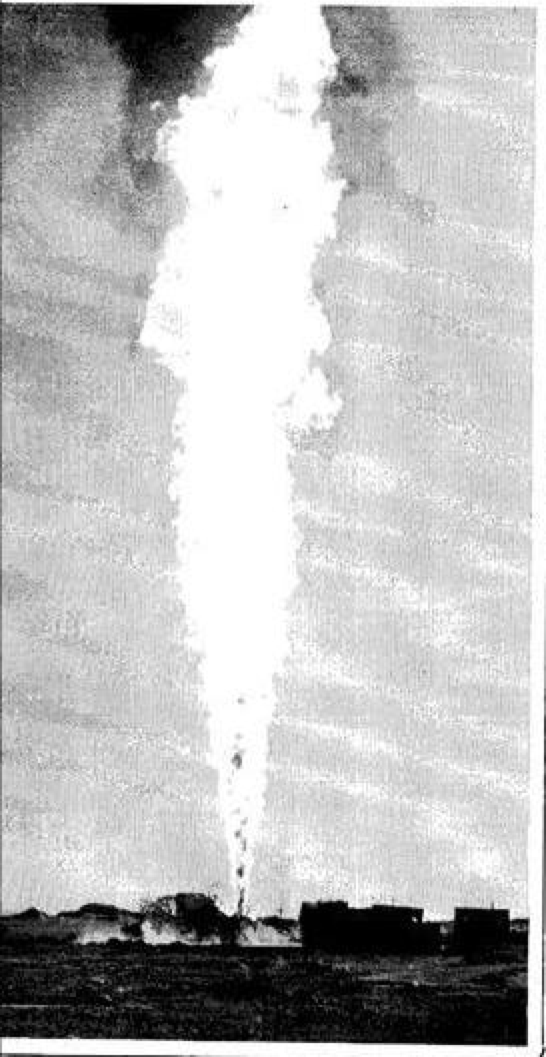
والى اليوم لم يعرف فن الاطفاء الا طريقة واحدة ناجحة فى اطفاء حرائق هذه الآبار . وهى عبارة عن نسف مقدار كبير من ناسف هدام عند فوهة البئر.وعندما ينتسف يخنق الشعلة الجبارة خنقا فتنطفىء . وهى عملية غاية فى الدقة ، غاية فى الخطورة ، حتى انه لا يوجد فى الدنيا اليوم غير رجل واحد يستطيع ان يجرى بهذا الاطفاء الى الغاية المرجوة . وقد استغرقت هذه العملية منه خمسة اشهر لاطفاء حريق Gassi - Tcuil بعد ان استهلك من البترول نحو الف مليون متر مكعب ، ذهبت هباء . وهذا الرجل هو بالطبع رد ادير Red Adair وهو الذى حضر الى الكويت منذ عام لاطفاء حريق بأحد آبارها البترولية .

اما خبر اليوم فهو ابتداع جديد ناجح جربوه فاطفا الحريق فى توان .

اما أصحاب هذا الابتداع فمختصون فرنسيون فى الاطفاء . وقد قاموا بعرض طريقتهم الناجحة وذلك باحداث حريق للغاز البترولى الطبيعى فى المنطقة التى تتبع شركة البترول المسماة Societe Nationale des Petroles d'Aquitaine

اقاموا شبه بئر يشبه حريقه ، اذا هم أحرقوه ، أعصى حريق بترولى وقع فى السنوات الأخيرة . وأشعلوه ، فاندلعت شعلته الى ما بين ١٠٠ و١٢٠ مترا فى الهواء ، وخرج الغاز اليها تحت ضغط هائل ، مقداره ٤٠٠ كيلو جرام على السنتيمتر المربع الواحد .

ثم جاءوا بمسحوق الاطفاء الجديد ، انه مزيج مؤلف من بلورات ثانى كربونات الصديوم Sodium Bicarbonate ، وهو يعرف بمسحوق Bi - Ex وهو من صنع مختبر سلفاى Solvay . وبحقن

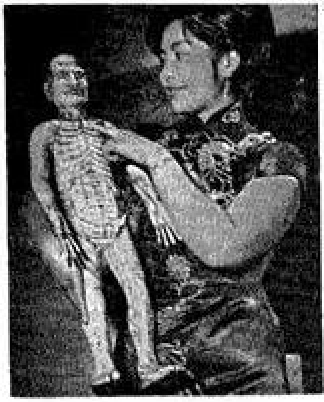


الشعلة الهائلة بهذا المسحوق انطفأت فى خمس توان .

اما عمل هذا الملح فى الشعلة فيقول عنه المختصون انه من العوامل المساعدة المعروفة فى الكيمياء ، الا انه عامل مساعد ، لا يساعد على اطراد التفاعلات المتسلسلة التى يخضع لها الغاز عند الاحتراق ، ولكن على تخذيلها .

والكيلو جرام من هذا الملح يكفى لخنق شعلة يغذيها متر مكعب من الغاز يخرج من البئر فى الثانية الواحدة . والملح رخيص . وهو اذ ينحل لا يعطى من المواد ما يضر بانسان .





دمية" تحفظ على النساء ماء الوجوه

● في الصورة تجد المحاضرة الجامعية الصينية ، الآنسة دولى آه نو ، وبيدها دمية لا يستغنى عنها الطب الكلاسيكى في الصين ابدا .

ذلك ان السيدة الصينية اذا ذهبت الى الطبيب تشكو له الما ، واستحت وخجلت من أن تعرى جسدها له ، احضر لها الطبيب الدمية لتضع اصبعها منها على المكان الذى تشعر عنده بالألم في جسمها . وبذلك يزول عن السيدة الحرج ، ويحفظ ماء وجهها .

وفي الصورة الأولى نجد الدمية وعليها كثير من النقاط ، تشير الى الطبيب ، الذى يعالج على أسلوب الطب القديم

التذويت ينتشر

● وبالتذويت نعنى أن نجعل الشيء يعمل بذاته ، دون محرك له . وهى مشتقة من الذات . ويقابلها بالانجليزية الكلمة التى انتشرت اخيرا وهى Automation ، وقد غلب استخدامها في المصانع ، حيث تدور الآلات من ذات نفسها ، وينتقل الشيء المصنوع من آلة الى آلة تشكله دون تدخل العامل في الآلات ، فهو فقط يراقب .

والتذويت الذى نشير اليه في هذا الخبر يتصل بمحطة ذاتية مذوتة من محطات البنزين ، في بلدة وتفورد Watford في الشمال من لندن .

اذا جئتها بسيارتك لم تجد عندها أحدا يملأ لك خزان سيارتك بالبنزين . فأنت الذى تصل بين بنزين المحطة وخزان السيارة . وانت الذى تحرك المؤشر الى عند الرقم الذى يدل على مقدار ما تريد من بنزين . واذا لم يكن معك الا جنيه ورق فما عليك الا أن تلقمه الجهاز ، اى هذه المضخة الذاتية ، ثم بعد كل هذا تضغط على زر فتجرى المضخة من ذات نفسها ، وتعطيك مقدار البنزين الذى تريد ، من النوع الذى تريد . وتعطيك باقى الجنيه ، بعد ان يكون الجهاز الالكترونى قد فحصه الكترونيا فوجد انه غير مزيف !

كل هذا في سبيل تذويت الحياة ، والاستغناء عن العامل الانسانى ما امكن ، واذن فارخاص الثمن ، واعطاء الناس العاملين في حياتهم فراغا من العمل اكثر ، فينصرفون فيه الى شئونهم والكسب لانفسهم من علم ومن ثقافة وفن ، ومتعة عيش .

بشك الجزء الذي يؤلم بابرة ليزيل المه، تشير اليه اين يضرب بابرته .

ويقال لهؤلاء الاطباء الابارون وصناعتهم الابارة Acupuncture

والفكرة التى تقبع وراء الابارة ، هى فكرة صينية عتيقة تقول بأن الجسم به مجار اثنا عشر ، لا ترى ، يجرى فيها « الينج » ، وهو عنصر الذكورة ، وكذا الين ،وهو عنصر الأنوثة . وهما يتعادلان والمرء صحيح . فاذا اعتل،فذلك لاختلال التوازن بأن يزيد أحد العنصرين على اخيه . واذن يؤبر الجسم في موضع خاص لكل الم .

وجعلوا للأبر ٣٦٥ نقطة ، معين موضعها على الدمية . ولكل منها معنى في المرض معلوم .

وقامت الابارة فى الصين قبل الميلاد بنحو ٢٥٠٠ سنة . وهى لا تزال تمارس هناك الى اليوم .

آمال في زراعة المناطق الكبيرة الجفاف

● انها طريقة ابتدعتها منظمة البحوث الاسترالية C.S.I.R.O. ، وهم يقولون عنها انها لو نجحت فسوف يكون لها فى العالم دوى هائل .

وهى تتصل بالزراعة فى الأقطار الجافة قليلة الماء .

وذلك انهم نجحوا فى رش النباتات بمساحيق من مواد عضوية تسد المسام التي بالورق ، تلك التى منها يتبخر الماء فيفقد النبات بذلك الكثير من مائه .

ولقد نجحت هذه الطريقة بان حفظت على النبات نصف مائه الضائع .

وجربوها فى زراعة الغلال فجاءت بمحاصيل مرضية جدا . وبناءعلى هذه التجارب قفزت آمالهم قفزا واسعا ، يتصل بما يمكن العالم أن يجنيه من مثل هذه الزراعة .

بقيت مسألة خطيرة .

تلك هى انهم بسد مسام النبات ، سدوا ايضا بذلك سبيل ثانى أكسيد الكربون الذى فى الجو، فمنعوه من الدخول الى الورق بمقدار . وثانى أكسيد الكربون يصنع النبات منه مادته بالتمثيل مع الماء .

وهذه التجارب تؤدى بالطبع الى تعويق نمو النبات .

ولكنهم حلوا هذا المعضل عن طريق السماد . ولكن كيف ؟ لا بد من الرجوع الى هؤلاء العلماء بهيئة البحوث الاسترالية لاستكمال علم ذلك .



البترول وتشجير الصحراء

● وجد الباحثون بالبحث والتجربة ان تذرير زيت البترول فوق الكثبان الرملية المتنقلة يثبتها . وكذلك هو يفعل في رمل الصحراء عامة . واتضح لهم أنه بهذه الطريقة سوف يمكن تشجير نحو الفين من الفدادين ، تقع في الصحراء في الشرق من مدينة طرابلس بليبيا . وذلك لان الشتائل الصغيرة التى تزرع في الأرض، تجد جذورها ، مع ثبات التربة الرملية ،الوقت الذى تستطيع فيه أن تنمو وتتشعب ، ويجد النبات الفرصة للنمو .

الذرة وتحلية ماء البحر

● كلف وزير الداخلية في الولايات المتحدة شركة بمدينة لوس انجلس ، ولاية كلفورنيا ، بأن تخطط لاقامة مصنع ذرى لتحلية ماء البحر يستطيع أن ينتج من الماء الحلو ١٩٠ الف متر مكعب في اليوم ، على ان يكون من المستطاع ربطه بمصنع مثله يقوم الى جانبه ، ثم بثالث وهلم جرا .

وفي نية ادارة المياه بالجنوب من الولاية ان تقيم ثلاث وحدات من هذه لتعطى في اليوم ٥٧٠ الف متر مكعب من الماء الحلو في اليوم .

وهم يقدرون ان ثمن المتر المكعب من هذا الماء الحلو سيكون حول ٤ سنتيمات او بالعملة الاسترلينية نحو ٣١/٢ بنس .

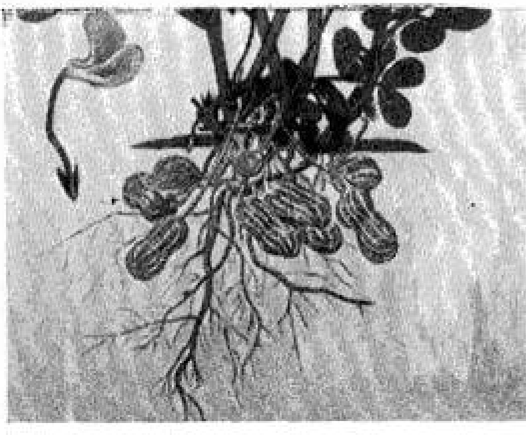
ثمن عال ، لا سيما اذا كان لري الأرض . ولكن يدفعه المحتاج ، الذى يجمع الى الصحراء الجرداء المال الوفير . وهكذا هى الولايات المتحدة .

الفول السودانى وذوو النزيف الدموى

● مزاج النزيف الدموى ، او الهيموفليا Hemophillia ، مزاج مرضى يصيب بعض الناس ، فلا يصيب جلد صاحبه جرح حتى يظل يدمى .

وهو مرض مشهور ، وهو وراثى .

وقد وجد طبيب بمدينة دوسلدورف Dusseldorf بالمانيا ، اسمه بروسلر Theodor Brussler ، علاجا ، هو خليط



من الأحماض الدهنية ذات التشبع الكيماوى العالى ، يعطاه المريض فتزول عنه هذه الحالة .

وهو بالتأكيد ليس علاجا للمرض ذاته ، وليس هو علاجا لنقص فى العامل المجبن للدم الموجود فى دم المريض ، ولكنه علاج لعرض هذا المرض ، اى خروج الدم ولا شيء غيره .

وهذا الدواء سوف تصنعه المانيا وتخرجه الى الأسواق .

وهو مستخلص من زيت الفول السودانى .

وقد قضى مبتدع هذا العلاج ثمانى سنوات فى ابتداعه . والذى وجهه اليه ملاحظة ذكرها عالم حيوى امريكى ، هو نفسه مريض بهذا الداء . ذكر هذا العالم الحيوى انه اصيب مرة بجرح فى ركبته ، دمى . ثم كف عن الدمى بعد اكله الفول السودانى .

مسلمات خالدات

صفية بنت حيي بن أخطب

بقلم : سنية قراءة

■ لم يجتمع قوم على باطل وضلال كما اجتمع اليهود .. لا فى عصر الرسالة المحمدية فقط ، بل فى شتى عصور التاريخ ، وامام كل دعوة تبشر العالم بخير ، وضد اى مصلح يريد برسالته ان يفيد العالمين !!

ولقد اطلع الله رسوله على دخائل هذه الفئة الباغية .. وكان القرآن لا يفتأ ينزل عليه فى كل مناسبة بما يكشف حقدهم وسوء نواياهم ، وما يضمرون من شر للمسلمين !!

فعاقبهم النبى على غدرهم ومحاولاتهم ايذاءه بأن طردهم من مدينته ..

ولم يكن طرد النبى ليهود « بنى قينقاع » و « وبنى النضير » الا بأمر من الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور !!

ولقد كانت فى يهود « بنى النضير » زعامات وزعماء ، وكانت فيهم فئة احزنها واوغر صدرها ما حدث من هدم الدور ، واحراق النخيل الذى أمر الرسول باحراقه ، والاستيلاء على ارضهم وما تبقى من أموالهم حتى لا يتحمس اليهود للقتال لشدة تعلقهم بأموالهم ، وحتى يعيشوا مشردين يطرقون الابواب فى تلمس الملجأ ، محاولين مرة أخرى أن يرسوا لانفسهم دعائم استقرار جديد ، مؤملين فى نجدة اخوانهم من « بنى قريظة » . وفى ذلك نزل قوله تعالى :

« ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليُخْزِىَ الفاسقين » !!

أبدا لم ينس « حيى بن أخطب » سيد بنى النضير ، ما حدث .. لقد كان ما نزل به وبقومه على يد محمد ، كارثة من الكوارث الفادحة ، ملأ نفسه بالحقد والضغينة ، وحرمه الهدوء والأمن والسكينة !!

لقد خسر وخسرت معه شيعته كل شىء !!

لقد أصبح محمد قوة جبارة ، كفل وجودها تغيير الكثير من النظم الاجتماعية وأساليب الحياة فى الجزيرة العربية ..

وان تركها تتعاظم على هذه الصورة فيه

ما يعني التمهيد للتغيير الشامل الذى يكرهــه ويخافه هو والرجعيون من اليهود !!

واذا كان بعضهم قد رضوا عن ضعف وذلــة بمصيرهم الضائع فى الجزيرة العربية ، فان «حيى ابن اخطب» لم يرضه هذا الطرد ، وعز عليه أن يستسلم للهزيمة كما استسلم قومه ..

ورأى عدو الله بعينيه الحاقدتين انه لا بد من ايجاد قوة تقف فى وجه تقدم المسلمين وانتصاراتهم.

واستعرض الحوادث ، فخيل اليه أن ما حققه محمد من انتصارات ، كان مرجعه الى السرعة الحاسمة والتدبير الجرىء ، وملاقاة كل عدو على انفراد .

وفكر اليهودى الحانق فيما لو امكن جمــع — أعداء محمد — صفا واحدا قــويا مُدعَما ، قوامه الحقد والكراهية وطلب الثار !! « يسير فى ثقة واعتداد الى محمد فى دياره ، فيحاربونه ويقضــون عليه القضــاء الذى يعنى عودة كل شيء فى الجزيرة العربية الى أصله ، ويعود يهــود بنى قينقاع وبنى النضير الى ديارهم التى طردوا منها !!

★ ★ ★

واتجه عدو الله بتصوراته الحاقدة الىقريش..

انها رأس الحربة التى يود أن تصيب الاسلام فى مقتله وتقضي عليه!!وان أشرافها سادة الحروب وفرسانها ، وان لهم عند محمد لثارا وأحقادا !! وان بينهم وبينه موعدا فى « بدر الاخرى » !!

لقد كان يعرف أنه لو دعا الناس الى الحــرب فلن يسمع أحد صوته — وهو اليهودى الذليل البغيض ، الذى أجمع كل من فى الجـزيرة علــى كراهيته هو وشيعته ! ولكن ... لو علا صوت قرشى بهذه الدعوة الى الثار فالنجاح مضمون !

وهكذا .. بدأت فكرة التحزب ضد المسلمين ، وتاليف « الاحزاب »من المعارضين وشتى القبائل النائمة ، للقضاء على الدعوة بالتنكيل والحرب، وايجاد القوة التى لا يستطيع محمد ومن معه أن يقفوا أمامها !!

ولما كان الاتصال بين الحاقدين الموتورين أمرا بسيطا — اذ تجمعهم دائما رابطة الفشل والخيبة وكراهية المتحزَّب ضده — فقد رأى « حيى بن اخطب » أن يذهب الى قريش ، ويعلن انضمامه اليها للجهاد ضد محمد ومن تبعه ، ويسألها أن تستنصر القبائل على حربه ، لتضمن القضــاء عليه وعلى دعوته !!

واحبت قريش — فى غمرة خيلائها وتصور النصر القادم على محمد — ان تنتصر لاربابها الخُرْساء ، وتستشهد باحــد الكتابيَّين أصحاب الديانات السماوية — على أن دينها خير من دين محمد .. خاصة وانهم فى حاجة الى تأييدهم وانضمامهم اليهم لحربه !!

فكان أن اقبل سادات قريش وزعماؤها على زعيم بنى النضير « حيى بن اخطب » ومن معه وقد جمعهم حفل كبير ضم عددا هائلا من المعادين لمحمد .. وسالوهم :

« يا معشر اليهود ، انكم اهل الكتاب الاول ، وأصحاب العلم ، مما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أديننا خير أم دينه ؟!

وسكت اليهودى .. لحظة وتكلم الحقد الدفين تكلم اللسان الكاذب ، الذى جادل موسى ، وانكر على عيسى دعوته ، ونافق محمدا — يقول :

— بل دينكم خير من دينه !! وانتم اولى بالحق منه !

وهللت قريش وكبرت للات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الحجارة الصماء ، ورفعوامكانة« حيى » وتركزت عليه الأبصار ، لانه عاب دين محمــد !! وفضل على الوحدانية الخالصة وشهادة أن لا اله الا الله — دين الكفر والالحاد والسجــود للحجر !!

★ ★ ★

وتسامع الحاقدون بأمر ذلك الحلف الــذى عرضه « حيى » وشيعته على قريش وكيف انها باركته ونادت به .. فاقبلت رسلهم الى مكــة وتجمعت جموعهم هناك لرسم الخطة التى دبرها عدو الله ..

ولم يترك اليهودى الخبيث الفرصة تفلت من يده ، فانتهزها قبل أن تنصرف عنه القلوب .. فعرض لامر محمد ، وراح يضرب على النغم الذى يجد صداه فى نفوس القرشيين ، ويشحذ مشاعر الضعف فيهم ، حتى هيأ نفوسهم لتقبل نصحه ، والاستجابة الى رأيــه .. فعرض عليهم فكـرة « التحالف الجماعى » بين قبائل العــرب ، ثـم بينهم وبينالكتابيين .. ليكونوا جميعا قوة متحدة متساندة ضد محمد !! .

ولقيت الفكرة ترحيبا حــارا مــن قريش .. وسرعان ما انعقد المجلس لابرام الاتفاق ، ولوضع بنود هذا الحلف والتصديق عليه منجميعالاطراف

وشكل المجلس من :

عدو اللـه الاكبر « سلام بن ابى الحقيق » و « حيى بن أخطب » و « كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق » عن بنى النضير و « ابو سفيان بن حرب » عن قريش و « سعد بن دخيلة » عن بنى الأشجع .. ثم انحاز اليهم بنو سعد ، واسد ..

وساروا برجالهم الذين بلغ عددهم عشرة آلاف رجل أو نحوها تحت امرة « ابى سفيان » قاصدين المدينة !!

★ ★ ★

ووصلت الأنباء الى محمد .. انباء هذه الاحزاب التى خرجت وقد جمعتها الضغينة والحقد والخوف من انتشار دينه ، كى تهاجمه فى المدينة الآمنة المؤمنة المطمئنة !!

ودعا رسول اللـه مجلس شورى المسلمين للاجتماع ، للنظر فى هذا الامر الخطير .. وليقرر معهم ما يجب عمله ازاء هذا الغزو الجديد !

واجتمع المجلس .. وتبادل القادة المسلمون الرأى .. ثم اخذوا جميعا برأى «سلمان الفارسى» الذى اشار بضرورة حفر خندق حول المدينة لحمايتها من الهجوم .. ثم خرج المسلمون بعدهذا بجيشهم للقاء العدو ..

وسارع المسلمون الى حفر الخندق حول المدينة، واشترك رسول الله فى الحفر، ليكون وجوده مدعاة لحفز الهمم واثارتها ..

★ ★ ★

واقبلت قريش باحزابها .. وهى ترجو ان تلقى محمدا « بأحد » فخاب املها ولم تجده عند احد .. فجاوزته الى المدينة حتى فاجاها الخندق .. فزادت دهشتها وعجبها .. اذ لم تكن تتوقع هذا النوع من الدفاع الذى تجهله ولم تسمع به ..

وعسكرت قريش والاحزاب بمجتمع السيول بعشرة آلاف محارب .. كما نزل « عيينة بن حصن » مع عسكره من غطفان واهل « نجد » الى جانب احد ..

وهكذا ملأ المشركون الصحراء فى عسكر كالجراد المنتشر ، كانت رؤيته كافية لايقاع الرعب فى القلوب !

وخرج محمد فى عسكر المسلمين ، وكانوا ثلاثة آلاف رجل .. خرجوا وكلهم ثقة وعزم ليقاتلوا عدوا يفوقهم عدة وعددا، وجعلوا ظهورهم « جبيل سلع » والخندق بينهم وبين الاعداء .

ورات قريش الا سبيل الى اجتياز الخندق فاكتفت بتراشق النبال أياما متوالية ..

ولعبت الدسيسة دورا خطيرا فى ذلك الحصار ، اذ فكر « حيى بن أخطب » فى ضربة جديدة يوجهها الى المسلمين ، وذلك باقناع « بنى قريظة » بنقض عهدهم مع محمد والمسلمين والانضمام الى الاحزاب، لينقطع عن المسلمين المدد والميرة من ناحية ، وتفتح الطريق لدخول يثرب من الناحية الأخرى !!

وتنفيذا لهذه الفكرة ، خرج الشيطان اليهودى الى « بنى قريظة » وراح يغرى سيدهم « كعب ابن اسد » لينقض عهده مع النبى ، ويكون فى صف الاحزاب ضده .. فرفض الرجل فى بادى الأمر ، ولكنه ضعف وتأثر أخيرا بوعد « حيى بن أخطب » وتحركت يهوديته .. فنكث العهد !!

وهلل اليهود وتحمسوا للقتال وقد وثقوا من النصر بانضمام بنى قريظة .. وما ان علم النبى بهذا الخبر ، حتى ارسل الى كعب حليفه القديم « سعد بن مُعاذ » سيد الانصار الذى طالما حمى بنى قريظة ..

وراح يسألهم صحة ما بلغ المسلمين ، فأكدوا له صحة الخبر .. وانهم خانوا العهد وانضموا لاحزاب المشركين ضد محمد !!

★ ★ ★

وبدات الحرب ..

مناورات وتراشق بالنبال مستمر .. أما التلاحم .. وخوض معركة حاسمة .. فذلك لم يقدم عليه احدهما بعد ..

ودب الفزع فى قلوب المسلمين عندما رأوا بنى قريظة تقطع المدد والميرة عنهم ، وتنضم الى الاحزاب الذين اخذوا يمدون العدة لقتالهم ، وقد القوا ثلاث كتائب وزعت فى ثلاث جهات لمحاربة المسلمين: فكانت كتيبة « ابن الاعور السلمى » من فوق الوادى .. وكانت كتيبة « عيينة بن حصن » من الجنب ، وكانت كتيبة « ابو سفيان » قرب الخندق !!

وفى هذه الواقعة نزل الوحى بقوله تعالى :

«اذ جاءُوكم مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وإذْ زاغَتِ الأبْصارُ وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ وتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونَا . هُنالِكَ ابْتُلِيَ المؤمِنُونَ وزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً .

وإذ يقولُ المُنافقونَ والَّذينَ في قلُوبِهم مرضٌ ما وعدنا اللهُ ورسُولُهُ إلاَّ غُروراً » !!

وزاد خوف الذين فى قلوبهم مرض من الانصار ، وطلبوا من النبي ان يسمح لهم بالعودة الى ديارهم. وفيهم نزل قوله تعالى :

« وإذْ قالتْ طائفةٌ منهُمْ : يا أهْلَ يثْربَ لا مُقامَ لكُمْ ، فارْجعُوا ، ويستأذنُ فريقٌ منْهُمُ النَّبيَّ ، يقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عوْرةٌ ، وما هيَ بعوْرةٍ ، إنْ يُريدُونَ إلاَّ فِراراً » !!

وطال الأمد بهذه الحرب .. وود بعض المسلمين لو انهم ولوا فرارا .. لولا ان نزل قوله تعالى :

« قُلْ لنْ ينْفعكُمُ الفرارُ إنْ فررْتُمْ منَ الموْتِ أو القتْلِ ! وإذاً لا تُمتَّعونَ إلاَّ قليلاً . قُلْ منْ ذا الذي يعْصمُكُمْ منَ اللهِ إنْ أرادَ بكُمْ سُوءاً ، أوْ أرادَ بكُمْ رحْمةً ، ولا يجدُونَ لهُمْ منْ دُونِ اللهِ وليًّا ولا نصيراً » !!

ودعا رسول الله ربه قائلا :

« اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب .. اللهم اهزمهم وزلزلهم » !!

فاتاه جبريل عليه السلام ، فبشره بان الله سيرسل عليهم ريحا وجنودا لن يروها !! فشكر الرسول ربه واخبر اصحابه !!

ولم تمض لحظات حتى هبت ريح عاصفة ، فاقتلعت أوتاد الخيام والقتها على المشركين ، وكفأت القدور ، وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء . فاسقط فى ايديهم ولم يجدوا امامهم وسيلة الا الهرب بليل ، ناجين بانفسهم تاركين وراءهم ما كانوا يحملون !!

وهزم الله الاحزاب وحده ، وارتحلوا هاربين يتحدثون عن معجزة السماء وقدرتها القاهرة .. وكفى الله المؤمنين القتال !!

ونزل فى ذلك قوله تعالى :

« يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا اذْكُرُوا نعْمةَ اللهِ عليْكُمْ ، إذْ جاءتْكُمْ جُنُودٌ ، فأرْسلْنا عليْهِمْ ريحاً وجُنُوداً لمْ تروْها ! وكانَ اللهُ بما تعْملُونَ بصيراً » !!

واوحى الى الرسول الكريم بالسير الى « بنى قريظة » قبل ان يضع المؤمنون السلاح ، فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلب من المسلمين الا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة !!

* * *

تلك حكمة الله وارادته فيجب على المسلمين أن يطيعوا الله الذى هزم الاحزاب وحده ويخرجوا ليؤدبوا بنى قريظة لتقر عينا سعد بن معاذ قبل موته تحقيقا لما طلبه من ربه !!

نعم .. يجب أن يعطى بنو قريظة درسا يكون عبرة للقبائل جميعها فلا تحاول احدها بعد ذلك ان تخرج على الهدنة وان تحترم قانون الامان المبرم بينها وبين سيد شبه الجزيرة محمد عليه الصلاة والسلام .

وفرض حصار رهيب حول بنى قريظة ، ظل طيلة شهر أو يزيد ، قاسى فيه القريظيون ما قاسوا فارسلوا الى النبى يطلبون أن يكون الحكم فيهم سعد بن معاذ ، فهم مواليه ، وكانت تلك رغبة الأوس ايضا !

وكانما أعماهم القدر فانساهم مقدم « سعد بن معاذ » اليهم أول نقضهم عهدهم وتحذيره اياهم!!

فلما اتاهم تكاثروا عليه باكين نادمين متوسلين ان يرحمهم وهم يقولون له :

ـ يا أبا عمرو !! أحسن الى مواليك الذين رد رسول الله الحكم فيهم اليك !!

وقال سعد بعد أن نظر الى يهود بنى قريظة والى النبى :

ـ انى أحكم بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية ، والنساء ، وتقسيم الأموال !! فلما سمع محمد هذا الحكم قال له :

ـ والذى نفسى بيده ، لقد رضى بحكمك هذا الله ورسوله والمؤمنون ، وبه أمرت !!

وجاءت ساعة الحساب مع عدو الله « حيي بن اخطب » فتقدم الى الموت ذليلا كسير القلب وقد رأى جهوده وأحلامه تنهار بين عينيه !! وأنه قد خسر الدين والدنيا معا !!

ووقف صامتا امام رسول الله الذى ساله :

ـ الم يخزك الله يا حيى ؟!

واجاب عدو الله فى استخذاء لئيم .

ـ كل نفس ذائقة الموت ، ولى أجل لا أعدوه .. والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكن الله يخذل من يخذله !!

والتفت الى جموع اليهود الذين ملأهم الخوف والرعب وكانوا ينتظرون مصائرهم ، وكلهم يلعنه لأنه سبب النكبة التى نزلت بهم ـ ثم قال :

ـ لا باس بأمر الله "كتاب"، وقدَر ،وملحمة، كتبها الله على بنى اسرائيل !!

ثم رجع عدو الله ، واطاح النصل بعنقه !!

ودفع بنو قريظة ثمن خيانتهم ..

* * *

صفية بنت حيي

لقد علا نجم محمد ، وزاد تألقا ونورا ـ فى حين خبت منارتهم واظلمت أجواؤهم . وشاءت ارادته جل وعلا ان تكون «خيبر» حصن اليهود الحصين، فيئا لعباد الله ، وغنيمة ينالونها جزاء لهم على جهادهم فى سبيل الحق ..

واخذ الرسول يوزع الغنائم على رجاله التوزيع العادل ..

وكانت ضمن السبايا «صفيةبنتحيىبناخطب» سيدة بنى قريظة والنضير . كانت فاضلة حليمة ذات جمال عظيم وشرف رفيع يتصل نسبها بهارون النبى عليه السلام ، تزوجها « كنانة بن الربيع ابن ابى الحقيق احدُ قادة المشركين فى غــزوة « الاحزاب » فقتل عنها يوم « خيبر » .

وقفت « صفية » امام النبى بين السبايا ، حزينة النفس تعسة حيرى تفكر فى مصيرها مــع محمد ورجاله !!

وعندما عرف المسلمون من تكون صفية ؟! وأى مركز تتبوأه بين قومها ، قال قائلهم :

ـ يا رسول الله .. ان صفيةلا تصلح الا لك !!

وسكت محمد لحظة جعل يفكر فيها ويقلب الأمر على وجوهه العديدة .. وشخصت الأبصار.

وعادت بالنبى الذاكرة الى غزوة «بنىقريظة» .. ان « صفية » ابنة عدو الله « حيى بن اخطب » الذى مكن الله منه رسوله فقضى بقتله ، والذى قال عندما وضع على النطع ليطيح السيف بعنقه:

« والله ما لمت نفسى فى عداوتك !! ولكن الله يخذل من يخذله .. لقد كتبالله على بنىاسرائيل هذا القدر وتلك القيود وهاتيك الملحمة !! » .

وان هذا القول الحاقد الجرىء ، لينبىء عن دخيلة نفسه الآثمة المعتمة ، وفيه ارهــاص بان قومه القادرين لن ينسوا حادث مقتله !

* * *

ورأى رسول الله ان فى متناول يده ان ينــال نصرا باهرا جديدا بعد النصر الحربى الذى كان له فى خيبر .. وبعد ان قـُتـِلَ حيى بن اخطب ابو صفية ، وكنانة بن الربيع زوجها ، واستطــاع ببصيرته النافذة ان يصل الى ما فى نفوس اليهود من قومها ، فايقن أنهم فى تلك الســاعة ـ وقد وقفت ابنة ملكهم وزوجزعيمهم امامه بين السبايا ـ قد نسوا القتل والهزائم والتشريد وتطلعوا الى شىء واحد .. وهو صفية ، واللهفة على معرفة مصيرها وما سيحدث لها !!

لقد سدد محمد الضربة واحكمها .. لا لتلجم الافواه فحسب ، بل لترد عنه الكيد ولتكــون له درعا يرد عنه أعداءه ويجبرهم على الدخــول فى دينه والاعتراف برسالته !!

ورفع رسول الله راسه وقال لأصحابه :

ـ أيها المسلمون .. قبلت ان تكون صفية لى !!

وكبر المسلمون .. وهتف اليهود !!

لقد نفض محمد الاهانة عنهم .. وجعل ابنــة ملكهم فى نصيبه هو !! فسد عليهم بذلك مسالك كل تفكير يحاولون عن طريقه أن يكون لهم عنده دم أو ثار ..

والتفت محمد بعد ذلك الى صفية ـ وكان معها كريما الى ابعد حدود الكرم ـ وقال لها :

ـ لم يزل ابوك من أشد اليهود عداوة لى حتى قتله الله .

فقالت :

ـ يا رسول الله ان الله يقول فى كتابه « ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى » ..

فقال لها رسول الله :

ـ اختارى،فان اخترت الاسلام امسكتك لنفسى، وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك .

فقالت :

ـ يا رسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت

بك قبل ان تدعوني حيث صرت الى رحلك ، ومالي في اليهودية أرب ، ومالي فيها والد ولا أخ ، وخيرتني بين الكفر والاسلام ، والله ورسوله أحب الى من العتق والرجوع الى قومي .

فامسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه.

وشهدت بأن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، فاعتقها النبي وتزوجها مقتفيا بذلك أثر الفاتحين الذين كانوا يتزوجون من بنات عظماء الممالك التي يفتحونها ارضاء لهم وتخفيفا لمصابهم وحفظا لكرامتهم .

وخرجت « صفية » من طائفة السبايا الى مراتب السادة ..

وبنى الرسول « بصفية » في تلك الليلة ... وسار بها حتى اذا كان على ستة اميال من «خيبر» اراد أن يعرّس بها ، فأبت صفية !!

فلما كان بالصهباء ، ومال الى دومة الجندل التابعة للمدينة .. طاوعته .

فقال :

ـ ما حملك على ابائك حين المنزل الأول ؟!

فقالت :

ـ يا رسول الله خشيت عليك قرب اليهود ..

فاعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصهباء في تلك الليلة ..

البدر في حجري

انصرفت جموع المسلمين الى خيامهم والسرور يملأ قلوبهم بما نالوه من نصر مزدوج ..

وخلا محمد صلى الله عليه وسلم بزوجته الجديدة ..

ولكن أحد رجاله وهو «أبو أيوب خالد الانصاري» أبى أن يعود مع من عادوا من الناس .. وظل طوال ليلته يطوف حول خيمة النبي التي أعرس فيها ، فقد خشي ـ رغم رضاء صفية بمحمد ودخولها في دينه ان تغلبها يهوديتها وحقدها لحداثة عهدها بالاسلام فتؤذي الرسول لتثأر لأبيها وزوجها وقومها الذين قتلوا وأوذوا بأيدي محمد وجنود المسلمين !!

فلما سمع الرسول خطواته قال : من هذا ؟!

فأجاب : أبو أيوب خالد بن زيد الانصاري يا رسول الله .

فقال الرسول : مالك ؟!

فأجاب : ما نمت هذه الليلة مخافة هذه الجارية عليك وهي حديثة عهد بعرس وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها . فلم آمنها عليك ..

فضحك رسول الله وقال له خيرا ..

* * *

ولما أصبح الصبح وتطلع محمد في وجه صفية وجد به أثر « كدم » أزرق قريب من عينيها ، فسألها :

ـ ما هذا ؟!

وابتسمت صفية وقد عادت بذاكرتها الى حادث تلك الاصابة فقالت :

ـ انه حادث قديم يا رسول الله .. أثر باق يذكرني بحلم رأيته ذات ليلة ..

« رأيت في المنام ان قمرا أقبل من يثرب ودخل في حجري » ولما استيقظت من نومي تولتني من أمر رؤياي دهشة ، ولم أجد الا أن أصارح بها زوجي « كنانة بن الربيع » الذي ما أن قصصت عليه الرؤيا حتى اربد وجهه وعبست ملامحه وضرب وجهي وهو يقول :

« كأنك تحبين أن تكوني تحت هذا الملك الذي يأتي من المدينة ؟! » .

ولقد صدقت الرؤيا يا رسول الله واني لأحمل منها هذا الأثر الذي رأيت !!

* * *

وتحرك الجيش الظافر مرة أخرى في طريقه الى المدينة وطنه وموئل عزه .. وكانت انباء النصر قد سبقته .. كما وصلت الأسماع أيضا نبأ زواج النبي من « صفية بنت حيي بن أخطب » فدبت الغيرة في قلوب امهات المؤمنين !!

وعندما وصل الجيش الى المدينة .. سارع جنود الله الى أهليهم .. وراح المؤمنون يحتفلون بالعودة المباركة ويستمتعون بفرحة اللقاء ..

ودخل النبي بيته ومعه عروسه الجديدة صفية، التي اثار مقدمها اللغط والفضول عند نساء المهاجرين والأنصار .. حتى لقد دفع الفضول بالكثيرات منهن أن يغادرن منازلهن الى بيت النبي ليرينها ..

وكذلك فعل أزواج النبي ، ليرحبن بمقدم الأخت .. أم المؤمنين الجديدة ... كاتمات ما بأنفسهن من غيرة !!

وكان أن ذهبن الى حيث كانت صفية محجبات مسدلات النقاب على وجوههن ..

واستطاعت عين محمد الفاحصة ـ وسط مظاهر الفرح ـ أن تعرف بين جموع النسوة من أزواجه زينب بنت جحش وحفصة بنت عمر ،

ثم الحمراء عائشة بنت أبى بكر !!

ووجدها النبى فرصة ليظهر لهن انه قد عرفهن وعرف ما جاء بهن بين جموع النساء، فذهب الى حيث كن .. ووجه قوله الى عائشة يسالها باسما:

ـ كيف رأيتها يا عائشة !!

فاجابت الصديقة بنت الصديق، دون ان تستطيع اخفاء معالم غيرتها :

ـ رأيت يهودية ..

فقال لها : لا تقولى هذا يا عائشة فانها قد اسلمت فحسن اسلامها .

* * *

ولقد كان لدخول « صفية » على امهات المؤمنين زوجا لمحمد .. اثر غير جميل فى نفوسهن .. لم يستطعن تحمله طويلا ، فظهر على تصرفهن حيالها، وان لم تكن الغريبة الأولى التى دخلت ذلك البيت الكريم ، ولكن ذلك كان احساسهن بالنسبة لها ، وهو امر لم يرض عنه محمد الزوج الذى عرف كيف يسوس امور بيته ويجعل منه نموذجا رفيعا من نماذج الاستقرار والراحة ..

ولقد صبرت صفية كثيرا على صواحبها امهات المؤمنين ، دون ان ترفع صوتها بشكوى او تسال زوجها ان ينصفها !!

ولكن محمدا ـ وهو المثل الاعلى للعدل ـ لم يدع امرا من هذه الأمور يمر على سمعه وبصره دون ان يوفيه حقه ..

ومن امثلة ذلك انه حدث يوما ان طرحت احدى نسائه طعاما لصفية، فغضب عليه الصلاة والسلام وامرها بالكفارة عما فعلته ! فسالته :

ـ وما تكون هذه الكفارة ؟!

فقال : طعام بطعام ووعاء بوعاء !!

كما حدث مرة أخرى ان مرض لصفية « جمل » فى احدى الرحلات ، وكان لزينب بنت جحش « فضلة » فى ابلها .. فسالها النبى ان تعطيها احدها فابت وقالت :

انا اعطى هذه اليهودية ؟!

فغضب النبى لذلك وهجر « زينب » .. ولم يرض عنها الا بعد ان نفذت امره واعطت صفية احد ابلها !!

ولعله قد عز على امهات المؤمنين ان يخص النبى صفية ببعض رعايته ، فاجتمعن على كيدها ذات يوم ،وراحت كل منهن تذكر فضائلها وفضائل اهلها وجهادهم فى سبيل الاسلام امامها .. وفى حضرتها،ثم وشيجة القربى التى تربطهن بالرسول .. وان صفية بالنسبة اليهن واليه .. لا تعدو كونها يهودية !!

وحزنت صفية لذلك .. فلم تجد ـ وقد فاض بها الشجن ـ الا ان تصارح محمدا بماكان من امر تعيير نسائه لها بانها « يهودية » وتفاخرهن بانفسهن ، فطيب محمد خاطرها وقال لها :

ـ اذا حدث هذا منهن مرة أخرى ؟ فقولى لهن: انك ابنة نبى ، وابنة أخى نبى ، وزوج نبى !!

وكان فى هذا ولا شك منتهى الارضاء ، اذ صورها محمد الحادب على بيته البار باهله فى صورة لم تحلم بمثلها من قبل .. وقد نسبها الى ابيها هارون وعمها موسى ، وزوجها محمد !!

وحدث أيضا ان اجتمع نساء النبى حوله فى مرضه الأخير وقالت صفية :

ـ اما والله يا رسول الله ، لوددت ان الذى بك بى !!

فتغامز نساء النبى فى سخرية ، فقال لهن :

ـ مضمضن !!

فقلن له :

ـ من اى شىء يا رسول الله ؟!

قال : من تغامزكن بصاحبتكن ، والله انها لصادقة !!

وصدق رسول الله فقد كانت صفية صادقة الايمان محبة اشد الحب لرسول الله وخاشعة اشد ما يكون الخشوع حين يتلى كلام الله ، فقد روى الرواة ان نفرا من المسلمين اجتمعوا فى حجرتها فذكروا الله تعالى والقرآن وسجدوا فنادتهم صفية : هذا هو السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء ؟

وجاءت عمر بن الخطاب جارية لصفية فقالت له : ان صفية تحب السبت وتصل اليهود .. فبعث اليها عمر فسالها عن ذلك فقالت : اما السبت فانى احبه منذ ابدلنى الله به الجمعة ، واما اليهود فان لى فيهم رحما فانا أصلها .

وعاشت ام المؤمنين صفية بعد رحيل الرسول الى الملأ الأعلى حتى قبضها الله الى جواره فى خلافة معاوية رضى الله عنها وأرضاها . ■■

سنية قراعة



الضَّحِك لَهُ عِنْدَ

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

الأستاذ المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ اذا أردنا أن نلم بالملابسات التى تحيط بظاهرة الضحك ، فسنجد أنفسنا بازاء نظريات عديدة فى تفسير الفكاهة وتعليل الضحك . وقد عنى بعض الباحثين مثل (بدنجتون R. Piddington) بتلخيص أهم الآراء المشهورة فى تعليل الضحك ، فاستطاع أن يجمع حوالي ٥٧ نظرية مختلفة فى تفسير هذه الظاهرة البشرية التى استرعت اهتمام المفكرين منذ عهد افلاطون حتى يومنا هذا (١) . والملاحظ بصفة عامة فى هذا الصدد أنه يندر أن نجد بين جمهور الباحثين الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة من يقنع بانتهاج منهج سلفه فى تفسير الضحك ، أو اعتناق نظرية السابقين له فى شرح طبيعة الفكاهة وما دام الباحثون قد اختلفوا فيما بينهم الى هذا الحد ، فانه قد يكون من خطل

(1) Cf. R. Piddington: «The Psychology of Laughter . A Study in Social Adaptation», London, Figure head, 1933, appendix.



العلماء تعليلات شتى

الرأى أن نأخذ بنظرية واحدة بعينها فى تفسير تلك الظاهرة المعقدة أو تصنيف أسبابها الكثيرة أو شرح طبيعتها العسيرة . ومع ذلك فان الباحث لا بد من أن يجد نفسه مدفوعا الى التماس شىء من التنظيم فى وسط ذلك الخضم الهائل من النظريات المتضاربة التى خلفها لنا الفلاسفة وعلماء النفس ممن عنوا بدراسة هذه الظاهرة . وهو لو أمعن النظر فى تلك الآراء الكثيرة التى لا تكاد تجمع على شىء ، لتحقق من أن تضاربها ليس من الخطورة بمكان ، كما قد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ، اذ أن ثمة عوامل مشتركة تتردد على ألسنة الباحثين حينا بعد حين ، وان كانت تظهر فى كل مرة بصورة خاصة ، فضلا عن أن الزاوية التى ينظر اليها منها قد تكون مختلفة .

عناصر يقترن بها الضحك عند الباحثين

ومهما يكن من شىء ، فان الضحك فى نظر كثير من الباحثين يقترن فى العادة بمجموعة من المؤثرات (أو المنبهات) الفسيولوجية ، كالدغدغة مثلا . كما انه يصاحب فى كثير من الاحيان ظاهرة السرور أو الانشراح Euphoria . ويكاد معظم الباحثين الذين درسوا ظاهرتي الفكاهة والضحك يجمعون على أنهما تنطويان على عنصر لهو أو لعب Playfulness ، باعتبار انهما ليستا وليدتي حاجة بيولوجية ملحة . كذلك يقرر عدد كبير من علماء النفس أن للضحك والفكاهة دلالة اجتماعية واضحة ، نظرا لأنهما متأثران بالوسط الاجتماعى المباشر والظروف الحضارية العامة .

اما فيما يتعلق بطبيعة الموقف الفكاهي فان الراى يتجه الى القول بانه ينطوى على عنصر « مناجاة » أو « عدم توقع » ، بينما يفسر الكثيرون الضحك نفسه على انه مرتبط ارتباطا وثيقا بظاهرة « الاسترخاء المفاجىء » التى فيها يحدث انتقال سريع من حالة الجد والتوتر الى حالة اللهو والانطلاق .

اما فيما يتعلق بالميول الانفعالية والغريزية التى يتصل بها الضحك ، فان معظم علماء النفس يميلون الى حصرها فى الخـوف ، والجنس ، والعدوان ، والاحساس بالانتصار او التفوق . فاذا ما انتقلنا الى المجال العقلي ، وجدنا أن الباحثين يقررون أن الضحك كثيرا ما يتولد عن المفارقات، والجمع بين المواقف المتباينة، والتأليف بين العناصر المتنافرة ، ووضع الشيء فى غير موضعه .. الخ .

تلك هى اهم الاعتبارات التى تلتقى عندها نظرات الباحثين المختلفة ، وان كان ثمة اختلاف بينهم حول أهمية كل عنصر من العناصر التى اتينا على ذكرها ، فضلا عن أنهم غير متفقين حول طبيعة العلاقات الموجودة بين شتى هذه العناصر التى تدخل فى تكوين ظاهرتى الفكاهة والضحك .



ملابسات ١٥ تحيط بظاهرة الضحك عند الاطفال

وقد حاول احد الباحثين (الا وهو فالنتين Valentine) فى كتابه المسمى باسم « سيكولوجية الطفولة المبكرة » سنة ١٩٤٢ « The Psychology of early childhood», London, Methuen, 1942 أن يحصر الملابسات المتنوعة التى تحيط بظاهرة الضحك لدى صغار الاطفال ، فاستطاع أن يجمع حوالى خمسة عشر موقفا راى أن لها نظائرها عند البالغين ايضا (على الاقل عرضا) ، وهذه المواقف هى على الترتيب :

١ ـ التعبير عن البهجة أو السرور أو الانشراح.

٢ ـ الاستجابة لضحك شخص آخر أو ابتسامه.

٣ ـ رؤية موضع مبهج ناصع اللون أو شيء مفرح باعث على الرضا .

٤ ـ الدغدغة أو اللمس الموضعي .

٥ ـ الصدمة الخفيفة أو المفاجأة .

٦ ـ التكرار (كما فى بعض العاب الاطفال) .

٧ ـ المفارقة أو التنافر (كأن يحدث شيء جديد كل الجدة فى اطار عادى مالوف) .

٨ ـ مجرد التعرف على شيء ، كأن يتعرف الطفل على اسمه أو صورته فى المرآة .

٩ ـ اداء نوع جديد من أنواع النشاط .

١٠ ـ المعاكسة أو الاغاظة .

١١ ـ الفشل البسيط او الهزيمة الخفيفة التى يمنى بها الآخرون .

١٢ ـ الضحك اثناء الاشتراك فى لعبة اجتماعية.

١٣ ـ الضحك المقصود به اضحاك شخص آخر، خصوصا بعد ارتكاب الطفل لأمر منكر .

١٤ ـ التنافر فى الالفاظ أو المفارقة فى الافكار ، كما فى التورية .

١٥ ـ الضحك لمجرد حدوث بعض المصادفات العارضة أو المناسبات غير المتوقعة .

« التكيف السامي » فى الضحك

ولكن بينما نجد أن هذا الباحث قد حاول أن يرجع الضحك الى أسباب عديدة ، دون أن يعمد الى رد تلك الاسباب الكثيرة المتنوعة الى سبب أصلي واحد ، نجد على العكس من ذلك أن ثمة باحثين آخرين قد حاولوا أن يردوا شتى مظاهر الضحك الى علة أصلية واحدة ، كما فعل مثلا A. Ludovici فى كتابه الموسوم باسم « سر الضحك » (« The Secret of Laughter », London, Constable, 1932) وفى هذا الكتاب ، نجد أن المؤلف يأخذ بنظرية الفيلسوف الانجليزى توماس هوبز فى تفسير الضحك ، فيصفه بانه « هزة فجائية تهبط علينا نتيجة لشعورنا بسمونا ورفعة شأننا، اما بالقياس الى الآخرين الذين هم فى حالة ضعف وضعة ، واما بالقياس الى انفسنا فى حالة سابقة من حالات نقصنا وضعفنا » . ويمضى هذا المؤلف فى تعليل

الضحك ، فيقول بأنه تعبير عن ضرب سام من ضروب التكيف ، ثم يسوق لنا بعد ذلك حوالي ٣٦ حالة يمكن ان يتولد فيها الضحك ، مبتدئا من حالة استنشاق غاز اوكسيد النتريك ، مارا بالدغدغة ، وحالة الانشراح المتولدة عن السكر ، والعدوان ، وحالات عدم الاحتشام Indecency الى ان يصل الى المحاكاة والتنكر والمفارقة والتورية ... وكل هذه الحالات ــ فى نظر الباحث الذى نتحدث عنه ــ لا تخرج عن كونها مظاهر لما اسماه بالتكيف السامى Superior adaptation.



ما فى الضحك من عناصر عقلية وعاطفية وارادية

وثمة طريقة أخرى التجا اليها بعض الباحثين فى دراسة الضحك ، فلم يهتموا بدراسة مثيرات الضحك أو ملابساته ، وانما قصروا جهودهم على استقصاء الطبيعة العامة للعمليات الذهنية التى تنطوى عليها ظاهرة الضحك . وهذا ما فعله مثلا ايزنك Eysenck فى كتابه « أبعاد الشخصية » (« Dimensions of personality », London, Kegan paul, 1947) حيث نجده يتخذ التقسيم الكلاسيكي للحالات الشعورية الى حالات ادراكية ، ووجدانية ، ونزوعية ، فيحاول أن يظهرنا على ما فى ظاهرتى الفكاهة والضحك من عناصر عقلية وعاطفية وارادية، مع مراعاة التداخل القائم بين هذه العمليات النفسية الثلاث . وقد استطاع ايزنك أن يبين لنا كيف أن فى وسعنا أن نصنف النظريات التقليدية فى تفسير الضحك ، بحسب تأكيد أصحابها لأحد هذه الجوانب على حساب الجانبين الآخرين ، فقال لنا بأن فى وسعنا أن ندخل لوك وكنت وشوبنهور وسبنسر ورنوفييه فى عداد المفكرين الذين حرصوا على تأكيد الجانب الادراكي فى الضحك، وديكارت وهارتلى وهوفدنج ومكدوجال ضمن الباحثين الذين اهتموا بالجانب الوجدانى على وجه الخصوص ، وأخيرا افلاطون وارسطو وهوبز وهيجل وبين وبرجسون ولودفتشى ضمن المفكرين الذين ضغطوا بشدة على الجانب النزوعى من هذه الظاهرة (١) .

الضحك وتعبيره عن حالات الابتهاج والسرور

حينما يحاول الباحث تعليل الضحك، فان أول ما يتبادر الى ذهنه أن الضحك فى أصله تعبير عن حالة الابتهاج أو الغبطة أو السرور . وهذا ما عبر عنه أحد الباحثين بقوله انه « كما ان الكلب المسرور يهز ذيله ، فكذلك الانسان المسرور يحرك فكه! » ولكننا نخطىء اذ نظن أن الابتسام والضحك تعبيران تلقائيان عن الارتياح أو الرضا أو الاغتباط، فقد نبه كثير من الباحثين الى ضرورة دراسة أمثال هذه الانفعالات فى داخل الاطار العام للمجتمع الواحد ، مع مراعاة نوع الحضارة التى تتطور فى محيطات تلك الانفعالات . وآية ذلك ان الابتسامة فى اليابان ــ مثلا ــ لا تخرج عن كونها مجرد تعبير وجهى قد اصطلح عليه اصطلاحا ، ولما كانت الابتسامة واجبا اجتماعيا عند اليابانيين ، فان الشخص الذى تلم به محنة أو كارثة ، لا بد أن يجد نفسه مضطرا الى أن يضع على وجهه ابتسامة مصطنعة تكون بمثابة« قناع السعادة » ، حتى لا يتهم بأنه يريد أن يزيح أحزانه على أكتاف الآخرين ! وقد لوحظ أيضا أن بعض القبائل البدائية فى جنوب أفريقية تستخدم الضحك وسيلة للتعبير عن شعورها بالدهشة والحيرة والتعجب ، بل والحزن العميق أحيانا . واذن فان الضحك قد لا يكون أمارة من أمارات السرور على الاطلاق .. الا يحدث أحيانا ، حتى فى مجتمعاتنا الحديثة نفسها ، أن يبكى الانسان من شدة الفرح ؟ وهل يمكننا أن نعتبر الضحك

(١) يلاحظ أن فرويد مثلا يؤكد هذه الجوانب الثلاثة معا ، فهو يقسم الفكاهة الى الانواع الثلاثة الآتية : الكوميديا ، والمزاح ، والتفكه . وهذه الانواع الثلاثة تقابل على التعاقب الادراك ، والوجدان ، والنزوع .

الهستيري ـ مثلا ـ تعبيرا عن شعور حقيقي بالبهجة او السرور ؟ (١) .

.. اما وقد وضعنا بين يدى القارىء فى هـذا التحذير ، فلنعمد الآن الى دراسة الضحك باعتباره مظهرا من مظاهر السرور او الانشراح او الارتياح. وهنا نجد ان الضحك قد ينبعث اما نتيجة لحالة « انشراح » عامة ، أو تحت تأثير مؤثر سار من نوع خاص ، أو نتيجة لموقف اجتماعى ملائم يبعث على الرضا . وليس من السهل فى كثير من الاحيان أن نميز بين الحالتين، لأن من شأن حالة «الانشراح» العامة أن تجعلنا نتقبل بسرور بعض المؤثرات أو المواقف التى قد لا نكترث بها فى العادة ، أو التى قد لا نجد فيها أية لذة فى ظروف أخرى . وقـد لاحظ داروين لدى القردة أنه ليس ثمة موضـع للتمييز بين حالات السرور وعواطف المشـاركة . وهذه الملاحظة قد تصدق أيضا على بنى الانسان، لاننا حينما نحب شخصا فاننا نجد لذة كبرى فى أن نوجد فى حضرته ، وبالتالى فان انفعال السرور عندنا يجىء مصاحبا لعاطفة الحب أو التعاطف أو المشاركة الوجدانية .

الضحك « فائض طاقة » عند سبنسر

ولكن الصعوبة هى فى أن نعرف السبب الذى الذى من أجله يعبر السرور عن نفسه بلغـة الابتسام والضحك . وقد حـاول الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر Spenser (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣ م) أن يعلل هذه الظاهرة ، فوضع لنا نظرية فى « فائض الطاقة » Surolus energy ذهب فيها الى أن للسرور طابعا ديناميكيا يجعل منه طاقة زائدة لا بد من أن تلتمس لها بعض المنافذ. ويضيف سبنسر الى ذلك أن هذا الوجدان يمر عبر أعضاء النطق فلا يلبث أن يستحيل الى حركة (فى حالات كثيرة التردد) ولكن ثمة طائفة أخرى من العضلات تجىء فى ترتيبها بعد عضلات النطق مباشرة ، لأنها تنشط أيضا بفعـل الانفعـالات والعواطف ، وتلك هى عضلات التنفس . ونظرا لما بين هاتين الطائفتين من العضلات من صـلة عميقة أو رابطة وثيقة ، فان الطاقة الفائضـة التى تتولد عن حالة السرور أو الانشراح لا بد من أن تجد لها منفذا خلال تلك الظاهرة الصوتية التنفسية Vocal-respiratory التى نسميها باسم « الضحك » (٢) .

الضحك عند داروين

وقـد اهتـم داروين Darwin أيضـا بدراسـة ذلك الميل العام الموجود لدى كل من الانسـان والكثير من الحيوانات ،نحـو اصـدار بعض الأصوات فى حـالة الانفعال ، ولكنه اعترف باننا نجهل حتى الآن لماذا تتخذ الأصوات التى يصدرها الانسان فى لحظات سروره ذلك الطابع الترديدى الخاص الذى يتميز به الضحك . ويعود داروين فيقول انه لما كانت حالة السرور هى النقيض تماما لحالة الحزن ، فان من الطبيعى أن تكون الأصوات التى يصدرها الانسان فى لحظات سروره مختلفة كل الاختلاف عن تلـك التى يصدرها فى لحظات حزنه . ونحن نعـرف كيف أن « الزفير » يكون فى حالة البكاء طـويلا



ممتدا ، بينما يكون « الشهيق » قصيرا متقطعا ، مما يجعلنا نتوقع أن يكون الزفير فى حالة الضحك قصيرا متقطعا ، والشهيق طويلا ممتدا ، وهو ما نلاحظه بالفعل فى حالة الأصوات المنبعثة عـن السرور . ولكن على الرغم من أن الملاحظة العادية تدلنا على أن أصوات الضحك «قصيرة ومتقطعة» الا أن الدراسة العلمية الدقيقة قد أظهرتنا على أن الشهيق ليس طويلا ممتدا كما نتصور ، بل ان عملية الشهيق والزفير فى الضحك أقصر منها

---

(١) Cf. Kimball Young: « Personality and Problems of Adjustment », London, Routledge & Kegan Paul, 2 ed., 1952, P. 66.

(٢) H. Spencer: « The Physiology of Laughter », in « Essays, scientific, political and speculative », Vol. 11, New York, D. Appleton, 1891, pp. 459 - 460

فى اية حالة صوتية اخرى فيما عدا الغناء والحديث المستمر (١) . اما اصوات « القهقهة » فانها لا تنبعث الا فى نهاية زفير حاد ، وفى هذه الحالة قد تزيد شدة هذا الزفير عن مثيلتها فى اى جهد ارادى مباشر ، كما لاحظ لويد E. L. Lloyd فى دراسته لميكانزم التنفس فى الضحك (٢) .

الضحك وآثاره الفسيولوجية

ومهما يكن من شىء ، فان البحوث الحديثة لم تلق الكثير من الأضواء على مشكلة الضحك من الناحيتين الفسيولوجية والبيولوجية ، ولو ان عددا غير قليل من الباحثين قد ذهب الى ان للضحك آثارا فسيولوجية لا تقل فى اهميتها عما له من قيمة سيكولوجية . ولعل من هذا القبيل مثلا ما يقوله مكدوجال حينما يقرر « ان الضحك يرفع من ضغط الدم فيرسل الى الراس والمخ سيلا دافقا من الدم ، كما يدلنا على ذلك احمرار وجه الشخص الطروب الذى يضحك من أعماق قلبه(٣) .ويذهب آخرون الى ان الضحك قد يكون مجرد «اختراع ابتكرته الطبيعة لتعويض ما يتسبب عن انتصاب قامة الانسان من نقص فى درجة الاحتكاك والتدليك العضويين » .

الضحك والدغدغة

وقد يكون من الغرابة بمكان أن تظل ظاهرة « الدغدغة » Ticklin ، على الرغم من أهميتها الشديدة فى الموضوع الذى نحن بصدده ، ظاهرة مهملة لم تلق من الاهتمام العلمى ما تستحقه . ولا شك أن الحساسية الشديدة التى تتمتع بها بعض مناطق خاصة من الجسم، فيكون فى استثارتها ما يولد الضحك ، ما يدلنا عن أن لظاهرة الدغدغة طابعا فسيولوجيا اكيدا ، ولكن المشاهد مع ذلك انه لا بد من أن يقوم بعملية الدغدغة شخص آخر حتى ينفجر المرء ضاحكا ، مما يشهد بوجود عنصر سيكولوجى فى صميم هذه الظاهرة . والراى السائد بين الباحثين أن الدغدغة تمثل ضربا من العدوان فى صورة دعابة ، أعنى انها صراع يتخذ شكل لهو أو لعب ، مما يدفع بالشخص الذى يقع تحت تاثيرها الى ان يستجيب بالضحك على سبيل الدفاع عن نفسه ضد هذا الموقف العدوانى المزاحى . واما حينما يتخذ الهجوم صورة جدية ، فان الضحك سرعان ما ينقطع ، لكى يحل محله تعبير الخوف أو الغضب .



هذا وقد ذهب بعض علماء النفس الى ان الضحك المتولد عن «الدغدغة» هو الصورة الأولية من صور الضحك ، بمعنى أن شتى الصور الأخرى قد نشأت عنها على سبيل التطور . ويربط البعض بين « مناطق الدغدغة » فى الجسم ومناطق « التهييج الجنسى » ، فيقول ان ثمة عنصرا جنسيا أكيدا فى ظاهرة الدغدغة ، كما يدلنا على ذلك انفجار الراهقات بالضحك نتيجة لضرب من العدوان الجنسى المباشر أو الرمزى . (وهذا ما لاحظه فلوجل Flugel من ان الفتيات اللائى يتعرضن لخطر الوقوع تحت عجلات سيارة،سرعان ما ينهضن ضاحكات ، فى حين يستجيب الرجال والنساء الطاعنات فى السن لهذا الموقف بالخوف الشديد أو الغضب البالغ .. الخ) . وعلى كل حال فان هذا الجانب من جوانب المشكلة ، ونعنى به الجانب الفسيولوجى للضحك ، لم يدرس بعد الدراسة الكافية ، كما أن العلاقة بين ظاهرة الدغدغة وظاهرة « التهيج الجنسى الموضعى » لم تلق بعد من الاهتمام ما هى أهل له .

وهناك انواع اخرى من الضحك لم تبحث ايضا بحثا كافيا، كالضحك المتولد عن استنشاق أوكسيد النتريك او غيره من المخدرات والعقاقير ، ولو اننا نعرف أن من شان هذه المخدرات ، مثلها فى ذلك كمثل المشروبات الكحولية، أن تحدث لدى الشخص حالة انشراح عامة Euphoria ، نتيجة لما



(١) C. Darwin ;« The expression of the emotions in man and animals», 1899, p. 205

(٢) E. L. Llyod: «The respirtaory mechanism in laughter»; J. Gen. Psych., 1938, p. 179

(٣) W. McDougal: «An Outline of Psychology», London, Methuen, 1923, p. 166

تؤدى اليه من تعطيل اليات الكف أو المنع Inhibition. (١) .

الضحك بين اللهو والجد

وليس العنصر الوجدانى الوحيد الذى يدخل فى ظاهرة الضحك هو عنصر الانشراح والارتياح وفائض الطاقة ، بل هناك عنصر وجدانى آخر قد لا يقل عنه «همية»الا وهو عنصر اللهو والتسلية واللاواقعية .. والواقع اننا لو نظرنا حتى الى ظاهرة « الدغدغة » نفسها ، لوجدنا أن فيها عنصر لهو او لعب ، مما يدفع بالبعض الى القول بأن فى كل المواقف الفكاهية على اختلاف انواعها « عنصر لهو » واضحا ينأى بالانسان عن حياة الجد والواقعية والنشاط الغائى . وقد استعرض بدنجتون Piddington كل الملابسات المولدة للضحك ، لدى صغار الاطفال ، فتبين له انها جميعا تنطوى على تنصر سار مشوق ، وانها لا تتطلب أية استجابة نوعية سريعة من جانب الجهاز العضوى .



والظاهر أن انعدام الجدية أو الحاجات البيولوجية الملحة فى حالة الضحك هى الخاصية العامة المميزة لشتى المواقف الفكاهية . وهذا ما لاحظه فرويد حينما قال ان المواقف الفكاهية مثلها فى ذلك كمثل حالة اللهو أو اللعب ، تقوم دائما على « مبدأ اللذة » Pleasure principle وتكاد تخلو من كل أثر من آثار الواقع الجدى العبوس .

ومما يؤثر عن فولتير قوله : « ان لم تبق لنا ضحكاتنا لشنق اناس انفسهم ، فويل للفلاسفة الذين لا يبسطون تجاعيدهم ، لان العبوس فى نظرى مرض عضال ! » . اما حينما يتغير الموقف فتتخذ الحالة التى نحن بازائها صبغة جدية ، فهنالك يمتنع الضحك (اذ تصبح المسألة كما نقول مما لا يحتمل الدعابة او الهزل) ومن ثم تتغير حالتنا النفسية ، وتتحول طاقتنا التى كانت مستوعبة بتمامها فى الضحك فتتجه نحو مسلك اكثر واقعية واظهر نفعية . والحق ان الصبغة اللاواقعية المميزة للفكاهة هى مما يتجلى بوضوح فى شتى انواع الدعابة والمزاح ، وابتداء من حالة الطرب والانشراح Hilariousness ، مارين بحالات المفارقات والتوريات والالاعيب اللفظية والدعابات السخيفة ، حتى نصل الى « الفكاهة » Humor الراقية التى تنطوى على انكار للواقع ، بالمعنى الدقيق الذى نسبه الى هذه الكلمة فرويد وغيره من علماء النفس .

الفكاهة لتخفيف أعباء الواقع عن كواهلنا

ولو اننا انعمنا النظر فى الموقف الفكاهى بصفة عامة ، لتبين لنا بوضوح أن الوظيفة الاساسية التى يقوم بها انما هى تخفيف أعباء الواقع عن كواهلنا ، وتخليصنا الى حين من بعض تبعات الحياة الجدية اليومية . وربما كانت اللذة الكبرى التى يجدها المرء فى الفكاهة والضحك راجعة فى الجانب الاكبر منها الى هذا الشعور بالتحلل من الواقع عن طريق الهزل والدعابة .

ونظرا لما فى المواقف الفكاهية من انكار للواقع او تجاهل له ، فقد رأى بعض علماء النفس انها تقوم بوظيفة تشبه الى حد ما وظيفة اللاشعور (على نحو ما يتبدى فى الاحلام مثلا او الاعراض العصابية) ، وهذا ما ذهب اليه فرويد نفسه فى دراسته للتفكه وما بينه من علاقة مع اللاشعور(٢).

وفضلا عن ذلك ، فانه لما كان اللهو واللاواقعية مما من أخص خصائص العقلية الصغيرة غير الناضجة (اعنى عقلية الطفل) ، فقد ذهب بعض الباحثين الى أن فى المواقف الفكاهية على اختلاف انواعها شيئا من النكوص او الارتداد نحو حالة الطفولة ، وكأن البالغين يريدون عن طريق الضحك أن يعودوا الى مرحلة سابقة من مراحل نموهم

---

(١) J. C. Flugel: «Humor & Laughter»; in «Handbook oh Soc. Psych.», Vol. 11, pp 713.

(٢) Cf .S. Freud: «Wit and its relation to the unconcious», New York, Mcffat Yard. 1916.

النفس ، الا وهى مرحلة الصبا التى تسقط فيها تبعات الحياة الجدية وترتفع عنها مشاغل المعيشة اليومية .

ولكن الفكاهة تختلف عن الاحلام والاعراض العصابية فى أنها لا تزال تحت ضبط الارادة ، لأن الذات الشاعرة فى حالة الضحك لا يمكن أن تفلت على أمرها أو أن تحول عن طريقها ، وانما كل ما هنالك أنها تسمح لنفسها بضرب من « الاسترخاء » Relaxation حتى تتخلص الى حين من الضغط الثقيل الواقع عليها من قبل الواقع او الوجود الخارجي . ومن هنا فان للفكاهة طابعا سويا صحيا ، باعتبارها وسيلة نافعة للتهرب وقتيا من بعض هموم الحياة العادية . وهذا ما لاحظه لوس F. M. Loos فى دراسته لعلاقة روح الفكاهة ببعض التغيرات فى الشخصية (سنة ١٩٥١) ، اذ تبين له عن طريق التجارب العديدة ان اولئك الذين يتمتعون بحس فكاهى يجىء ترتيبهم متأخرا فى سلم الأشخاص المرضين للامراض النفسية . ـ وعلى كل حال ، فان طابع اللهو أو اللاواقعية الذى تتميز به المواقف الفكاهية يكاد يكون هو الاطار الثابت الذى يكمن من وراء شتى الخصائص والمميزات الاخرى لكافة ضروب الفكاهة والنكتة على اختلاف أشكالها . وسواء أكان هذا الطابع طبيعيا تلقائيا ، أم افتعاليا تعويضيا هروبيا Escapist (كما نقول احيانا) فانه فى جميع الحالات لا بد من أن يكون ماثلا كخاصية أساسية للفكاهة .

(Cf. Flugel: «Humor & Laughter»; in «Handbook of Soc. Psych.», Vol. II, p. 714

★ ★ ★

اطلاق الطاقة يميز جميع أنواع الفكاهة



اذا كان بعض الباحثين قد حرص على تأكيد عنصر « اطلاق الطاقة » أو الافراج عنها عن طريق حالات الانشراح العام ، فان ثمة باحثين آخرين قد عنوا ببيان وظيفة الضحك باعتباره وسيلة لاطلاق تلك الطاقة التى كانت قد عبئت لمواجهة موقف جدى ، ثم لم يلبث الخطر أن زال على حين فجاة ، أو لم يلبث الموقف نفسه أن تبدل ، اما لأسباب خارجية واما لأننا أنفسنا قد تحققنا من أن المسألة لم تكن من الخطورة بما وقع فى ظننا . وليس من السهل عمليا أن نفرق بين حالات «الانطلاق» العامة ، وحالات « الانطلاق » النوعية الخاصة هذه ؛ لأن المرء قد يكون بازاء موقف تتم فيه عملية تحرير الطاقة نتيجة لظرف خاص مؤقت ، أو هو قد يكون بازاء فترة طويلة من العنت والاجهاد اعقبها على حين فجاة اطلاق للطاقة (كما يحدث مثلا حينما يندفع بعض التلاميذ الى الطريق متهللين فرحين لخروجهم من المدرسة) أو هو قد يجد فى الضحك شيئا من التحرر الوقتى من أسر بعض مظاهر الكبت أو الضغط الواقعة عليه بصفة شبه مستمرة (كما فى حالة النكات الموجهة ضد المواضعات الاجتماعية أو القيود المفروضة نتيجة لبعض الظروف الاقتصادية أو السياسية .. الخ) ، وأخيرا قد يكون تحرر الطاقة ناتجا عن حالة سرور عامة أو شعور غامر بالسعادة .

ونحن نلاحظ أن المفكرين الذين يحرصون على تأكيد عنصر « اطلاق الطاقة » نتيجة لحالة الانشراح العام General euphoria ، يسلمون فى العادة بأن ثمة حالات نوعية خاصة يتم فيها أيضا ضرب من التحرر الجزئى للطاقة عن طريق المواقف الفكاهية العارضة . وهذا ما قرره سبنسر مثلا حينما ذهب الى أن عنصر « المفارقة » قد يتدخل فجاة فى موقف ما من المواقف فيهبط به من مستوى رفيع الى مستوى آخر وضيع ، وعندئذ لا تلبث الطاقة المعبأة التى لم تعد لازمة لمواجهة الموقف الجديد أن تنطلق عن طريق الضحك . ومهما يكن من شىء ، فان عنصر اطلاق الطاقة (سواء أكان فجائيا أم لا) يكاد يميز جميع أنواع الفكاهة ، وهو لهذا لا يقل أهمية وعمومية عن صفة اللهو أو اللاواقعية التى سبق لنا أن أشرنا اليها .

انفعالات تنطلق عن طريق الموقف الفكاهى

ولكن الاعتراف بأهمية هذا العنصر لا يلبث أن

يقودنا الى اثارة مشكلة هامة وتلك هي معرفة الطبيعة الدفينة للانفعالات ومظاهر الاجهاد العقلي التي تنطلق وتجد لها منفذا خلال الفكاهة والضحك. وهنا نجد أن بعضا من الباحثين ـ كما سبق أن رأينا في موضع آخر ـ قد حاولوا حل هذه المشكلة بالرجوع الى نزوع أصلي واحد ، أو ميل رئيسي بعينه ، أو انفعال موحد قائم بذاته . ولكن ربما كان الأدنى الى الصواب أن نقول ان أي ميل انفعالي ـ كائنا ما كان ـ يمكن أن يندرج في الموقف الفكاهي فيولد لدينا الضحك ، كما لاحظ برت Burt في بحثه الموسوم باسم (سيكلوجية الضحك) (١).

وهكذا قد يكون في وسعنا أن نميز بين ضروب مختلفة من الضحك ، تبعا لنوع الانفعال الذي ينطلق (أو يتحرر) عن طريق الموقف الفكاهي . فانفعال الغضب والخصام يولد الفكاهات العدوانية والنوادر التهكمية والدعابات الساخرة ، وانفعال الخوف يعمل على ظهور الفكاهة المتجهمة التي لا تخلو من مسحة حزن أو عبوس ، والشعور بالنقص يثير بعض النوادر الخفيفة التي تتسم بطابع الخجل والحياء ، والميول الجنسية تولد القهقهة المقترنة بالتعبيرات المكشوفة الفاضحة ، والتقزز يؤدي الى ظهور المجون الرابلي (نسبة الى الكاتب الفرنسي رابليه Rabelais) والنكات البذيئة (التي تدور في معظمها حول موضوع الغائط



والبراز) واذن فان طابع الفكاهة يتوقف على نوع الميل الذي تحرره ، أو طبيعة الانفعال الذي تطلقه ، وبالتالي فان الفكاهة تختلف فيما بينها بحسب نوع الوظيفة النفسية والاجتماعية التي تؤديها في حياتنا كأفراد وجماعات . ومن هنا فقد يكون من الأهمية بمكان بالنسبة الى كل من يتصدى لدراسة الفكاهة والضحك أن يديم النظر في الشحنات الانفعالية المختلفة التي تطلقها الفكاهة في أشكالها المختلفة ، بدلا من أن يقتصر على تقرير أهمية عنصر واحد من عناصر الضحك ، أو جانب واحد من جوانب الفكاهة .

الاصل في الضحك شعورنا بالتفوق والامتياز

وربما كان أهم جانب من جوانب المظهر النزوعي للفكاهة والضحك هو الجانب الذي عبر عنه توماس هوبز T. Hobbes حينما قال بأن الأصل في الضحك هو شعورنا بالتفوق أو الامتياز Superiority وقد أكد هذه الحقيقة من جديد لودفتشي Ludovici فذهب الى أن في الضحك شيئا من الغدر او التشفي من الآخرين ، كما قرر ايضا ان الشعور بالتفوق الذي قد يجيء مع الضحك كثيرا ما يكون مجرد « محاولة تعويض » يراد بها تغطية خوفنا من التعرض لحالة الضعة أو النقص أو القصور Inferiority ، كما يحدث مثلا حينما نجد أنفسنا في موقف مهين يدعو الى السخرية فنضحك على سبيل الدفاع عن النفس . وفضلا عن ذلك ، فقد ربط لودفتشي وغيره من الباحثين بين التفوق والعدوان Aggression ، فقالوا باننا قد « نكشف عن أسناننا » لا لكي نعبر عن سرورنا أو ودنا ، بل لكي نظهر بطريقة رمزية (ترجع بلا شك الى آثار الوحشية القديمة) روح العداء والهجوم . وهذا ما حدا بالبعض الى القول بأن للابتسامة طابعا وجدانيا تناقضيا Ambivalent وأن الأصل في شتى أنواع الفكاهة هو الضحك المتولد عن الانتصار في معركة جسمية بدائية .

الضحك لكوارث الغير نوع من الشعور بالتفوق

ومهما يكن من شيء ، فان من المؤكد أن الانسان كثيرا ما يضحك لشعوره بالتفوق على خصمه أو الانتصار على غريمه ، خصوصا حينما تجيء هذا الغريم ظروف القدر فتنزل به الملمات أو تصيبه بالكوارث والمحن . وقد كان الانسان البدائي

(١) Cf. C. Burt: « The Psychology of Laughter »; in « Health. Educ. Jour. », 1945, III, No. 3

يضحك لما يصيب غيره من مصائب وعاهات ، ثم لم تلبث الحضارة البشرية أن عملت على صقل روح الانسان الفكاهية ، فأصبح من النادر أن يسخر الانسان المتحضر منعيوبالآخرين الجسمية أو عاهاتهم الخلقية أو مصائبهم المادية . ولكن الانسان المتحضر لا يزال يضحك لمصائب الناس الخفيفة ، وما يلم بهم من عثرات بسيطة ، وما قد يتردون فيه من مزالقسيكلوجية أو اجتماعية.



وفى الضحك عنصر من الثأر والانتقام

وقد يكون من الطريف أن نلاحظ أن الانسان حينما يضحك لما يلم بالآخرين من مصائب ونكبات تجلبها عليهم بعض القوى الطبيعية أو العوامل غير الشخصية ، فان ضحكه كثيرا ما يكون ناتجا عن شعوره بأن هذه المصائب هى جزاء حق لهم . وهنا يدخل عنصر « الثأر » أو « الانتقام » فيضاعف من حدة عاصفة الضحك لدى النظارة ، كأن تهب عاصفة شديدة فتطيح بقبعة رجل وقور مترفع ، أو ترفع ذيل ثوب أنيق ترتديه سيدة رشيقة متجملة ..

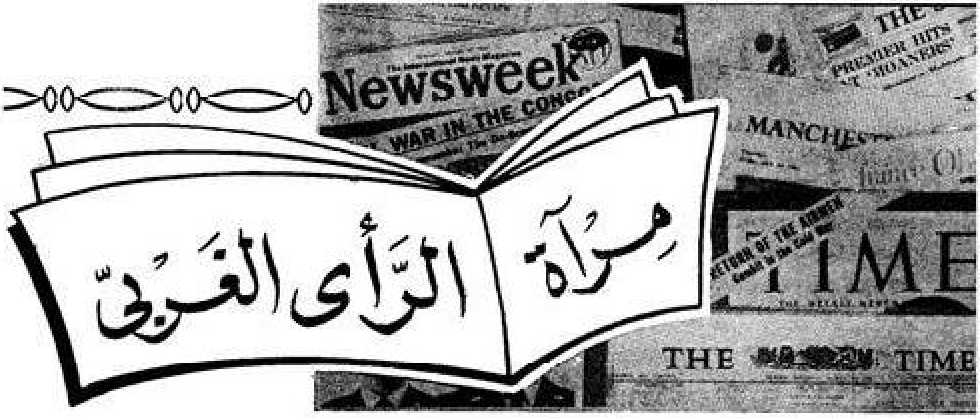
ولعل من هذا القبيل مثلا ما يرويه أحد الكتاب الانجليز من أن عاصفة هبت فى يوم ما من الايام بمدينة تقع على شاطىء البحر ، فأطاحت بقبعة رجل أسود كان راكبا فى الدور العلوى بسيارة عمومية ، وطارت القبعة فى الهواء الى أن استقرت بالقرب من رجل وزوجته كانا يسيران فى الطريق، ولكن أحدا منهما لم يتنازل بالتقاط القبعة ، لسبب بسيط هو أن صاحبها رجل ملون ! وبينما استطاع صاحب القبعة أن يستعيد قبعته بطريق الصدفة البحتة ، اذا بعاصفة أخرى شديدة تهب على حين فجأة، فتنتزع قبعة المرأة من فوق رأسها وتحملها الى البحر ! وينظر المرء الى هذا المشهد ، فلا يتمالك نفسه من الضحك ، لأن الطبيعة قد انتقمت للرجل الاسود المسكين ، فجعلت تلك المرأة المتكبرة تدفع ثمن صلفها وتعاليها ! ويعلق الكاتب الانجليزى على هذه القصة بقوله ان أولئك الذين لم يشهدوا من المنظر سوى الجزء الأخير منه،لم يستجيبوا له بالضحك ، نظرا لأن عنصر « القصاص » Retoliation المتضمن فى المشهد لم يتضح لهم ، بينما منعهم الأدب أو التعاطف من الاستجابة للموقف بالضحك .

والواقع أن الهة النقمة « نماسيس » Nemesis كثيرا ما تتكفل باضحاك الناس ، خصوصا حينما تعمل على السخرية من علية القوم ، فتطامن من حدة صلفهم وكبريائهم على مرأى من عامة الناس ! وهكذا قد ينكسر كعب حذاء جديد ، تلبسه سيدة متأنقة ، أو قد يتسخ سروال أبيض يرتديه رجل مترفع ، أو قد تتعطل سيارة فخمة يركبها جماعة من الارستقراطيين .. الخ . ولا شك أن ثمة حسا كامنا بالحسد او الغيرة أو العداء يكمن من وراء هذا النوع من الضحك ، بدليل أنه لو وقعت مثل هذه الاحداث لاناس بسطاء عاديين لما خطر ببالنا أننضحك،فى حين أننا ننفجر بالضحك حينما تقع مثل هذه الاحداث لأشخاص متكبرين ممن ينتسبون الى الطبقة الارستقراطية .

وثمة حالات اخرى قد يستولى فيها علينا الضحك ، اذ نجد أنفسنا فى جو من الجدية والرسمية ، فلا نكاد نقوى على كتمان الضحك ، كما قد يحدث مثلا فى بعض المناسبات الرسمية أو الاحتفالات الدينية أو الاجتماعات الجدية ، وكأن خطورة الموقف هى التى تولد ـ على سبيل التناقض ـ استجابة الضحك . وهذه الحقيقة تدلنا بوضوح على وجود قرابة خطرة بين«الجليل» Sublime و« الضحك » (أو الباعث على السخرية Ridiculous) ، ولو أن الشعور بالعدوان هنا قد لا يكفى لتفسير مثل هذه المواقف (١) .. ■■

زكريا ابراهيم

(1) Cf. J. C. Flugel: « Humor and Laughter »; ibid., Vol. II, pp. 715-716.



راى للجنرال ماتيوب . ريدجوى ، رئيس الاركان الامريكى والقائد الاعلى فى كوريا سابقا ، فى الصين اليوم

قوة الصين الشعبية

عن صحيفة فيلودكى جورنال الأمريكية :

● «اتحدى كل انسان يزعم أن تحطيم قوة الصين الشعبية الضاربة قد يخدم مصالحنا فى المدى البعيد. طبعا نستطيع القضاء على الصين الشيوعية عسكريا ولكن الذى نحدثه تبعا لذلك انما هو الفراغ الكبير بالمفهوم العسكرى والسياسى. وهذا يعنى اننا سنضطر لملء ذلك الفراغ بمئات الألوف من رجالنا وأننا سنلتقى بروسيا على طول السبعة آلاف ميل من الحدود بينها وبين الصين .

ولا يخفى أن روسيا ستملأ ذلك الفراغ اذا نحن أخفقنا فى تعبئته . ولن يكون فى هذا الاحتمال ولا فى ذاك أى مزيد من تعزيز لأمننا وسلامتنا . .

هذا وعلينا ان نذكر ان ما من مدنية فى التاريخ دامت وطال بقاؤها ، اذا كان الغزو والعدوان أساسا لها . »

الأمم المتحدة ومشاكل التمييز العنصرى فى افريقيا

عن مجلة « النيوزويك » الأمريكية :

● قد تكون المشاكل المتصلة بالنعرة والتفرقة العنصرية فى افريقيا أعوص المشاكل التى جابهتها الامم المتحـدة فى السنة الماضية ، بل اشد تلك المشاكل ازعاجا ووخزا للضمير .

يعزى ذلك الى الهوة السحيقة التى تفصل بين ما ينبغى تحقيقه وبين ما لا مفر من تنفيذه .

فالدول الاعضاء فى المنظمة الدولية متفقة على ما هو حق فى صدد تلك المشاكل . فهى تجمع على ضرورة وضع حد للانتداب الذى تمارسه حكومة جنوب افريقيا على بلاد جنوب غرب افريقيا ، وذلك وفق مقررات قديمة لعصبة الأمم المنحلة . وتجمع الأمم المتحدة كذلك على ضرورة الاطاحة بحكومة روديسيا العنصرية غير الشرعية ، وذلك فى اقرب فرصة ممكنة .

الا ان العمل على تحقيق هذا وذلك عمليا يستوجب كما لا يخفى مجابهة حكومة جنوب افريقيا مجابهة مباشرة .

غير ان بريطانيا حريصة على تفادى مثل هذه المجابهة مع جنوب افريقيا . ويعزى ذلك كما لا يخفى الى تجارتها الواسعة معها ، وقد ازدادت خطورة هذه التجارة بالنسبة الى بريطانيا بالنظر الى اهتزاز الأوضاع الاقتصادية فيها . فلو اقدمت الأمم المتحدة على محاربة حكومة جنوب افريقيا اقتصاديا ، لما كان فى وسع الجنيه الاسترلينى ان يصمد طويلا اذا لم يلق التأييد الكلى من الدولار الأمريكى . ولكن مثل هذا التأييد متعذر بل مستحيل ما دامت الحرب الفيتنامية قائمة ، كما صرح بذلك مؤخرا بعض الدبلوماسيين الامريكيين.

خذلان الزنوج فى مجلس الشيوخ

عن صحيفة النيويورك تايمز الامريكية :

● كان لامتناع مجلس الشيوخ الأمريكى عن احتضان مشروع القانون الخاص بتحسين احوال الزنوج والمسمى بمشروع الحقوق المدنية ، اكثر من معنى. فقد انطوى على خيبة امل مريرة للزنوج الأمريكيين ، وانطوى ايضا على نكسة شديدة بعيدة المدى للشعب الأمريكى بالذات بل لمجلس الشيوخ الأمريكى نفسه .

فالاساءات التى ما زال الزنوج يلقونها كافية وحدها لتبرير اقرار مشروع القانون المذكور من قبل مجلس الشيوخ.

افلا نذكر المعاملة الوحشية التى لقيها زنوج الجنوب على يد الارهابيين بل على يد الجماهير من البيض ورجال الشرطة الرسميين ..

وهل ننسى ان كثيرا من تلك الجرائم قد مرت بها محاكم الجنوب ـ قضاة ومحلفين ـ مر الكرام ...

وهل ننكر ان أثرياء الزنوج فى ولايات الشمال قد حيل بينهم وبين استئجار او شراء ما يختارون من البيوت والمبانى لا لسبب الا لان الله خلقهم ملونين !!

وقد يستغرب المرء امر مشروع القانون هذا . ان مجلس النواب قد اقره كما ان مجلس الشيوخ ابدى تأييده لذلك المشروع مرتين ، كانت اغلبية الأصوات فيهما اغلبية مطلقة !

الحقيقة هى ان الاقلية المناوئة لذلك المشروع فى مجلس الشيوخ قد تمكنت بأساليبها الخاصة من الحيلولة دون اقرار الاكثرية بل دون بحثه ومناقشته والتصويت عليه .

وهل من شك بعد هذا ان مجلس الشيوخ الأمريكى قد لطخ سمعته بيده وشل أعماله بنفس نظمه واساليبه، وهو الذى طالما اعتقد انه اعظم الهيئات الديمقراطية فى العالم كله !!

هل ما بين بكين وهانوى وئام أم خصام ؟

عن صحيفة الاوبزرفر البريطانية :

● سياسة الصين ازاء فتنام الشمالية سياسة تبعث على الحيرة فى الآونة الأخيرة، وذلك رغم كل ما صاحبها من كلمات التأييد وشعارات الدعم .

فزعماء الصين وقفوا موقف العداء ،لا من كافة المحاولات الرامية الى احلال السلم فحسب ، ولكن من كافة المحاولات الرامية الى توسيع نطاق الحرب ايضا . وهم يصرون على ضرورة امتناع الفتناميين عن الدخول فى مفاوضات للسلم ،ويخشون فى الوقت نفسه تفاقم النزاع والقتال . والحرب الفتنامية يجب أن تظل فى رأيهم حرب عصابات طويلة الأمد دون ان تتعرض او تخضع لانفجارات مفاجئة تسبق اوانها . الا ان للفتناميين آراء اخرى مخالفة ، على ما يبدو .

يتجلى ذلك فيما ذهبت اليه بكين قبل نحو شهر من ان اتفاقية جنيف قد « مزقت » و « دفنت » و « احرقت »،احرقها المستعمرون بحيث اصبح الفتناميون فى حل من شروطها وقيودها،وباتوا ملزمين بخوض غمار المعركة حتى يحرزوا النصر . على ان النشرة التى وزعت فى فتنام الشمالية وحملت هذه العبارات،تضمنت فى افتتاحيتها التصريح باستعداد فتنام للمفاوضة . وقد ذكرت هذه النشرة الشروط التى تتمسك بها للمفاوضة رجاء تسوية سلمية تقوم على أساس اتفاقية جنيف وتطالب باحترام هذه الاتفاقية .

شعراء المهجر

نطقوا بالشعر حنيناً
وتابعوا أحداثه النكراء
وصبوا على أعداء العروبة

بقلم : الدكتورة نادرة جميل السراج

■ شعر المهجر ، وخاصة شعر اولئك الذين اقاموا في امريكا الشمالية من المهاجرين ، يمثل مدرسة في الشعر الحديث لا غنى للدارس عنها .

وكما لكل مدرسة من مدارس الفن الابداعي ميزات وخصائص ، كانت لهذه المدرسة ميزات وخصائص طبعت بها . ولعل اهم تلك الميزات وأبرز تلك الظواهر ظاهرة الحديث عن الوطن الأم ، والمشاركة الوجدانية لأهله فيما يمر بهم من أحداث ، تلك الأحداث التي كانت تنقلها اليهم صحافتهم المحلية الناشئة وصحافة بلادهم البعيدة أو ما يصل اليوم منها .

وعلى صفحات صحفهم المحلية الصغيرة بدأت تظهر كتاباتهم وقصائدهم ومقالاتهم وقصصهم ، وبواسطتها بدأت أسماؤهم تلمع وأخبارهم تصل الى العالم العربي في الشرق .

وسرعان ما عرفت أسماء بارزة من مثل : جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة، وايليا أبو ماضي، ونسيب عريضة ، ورشيد أيوب ، وندره حداد ، ومسعود سماحة ، ومحبوب الشرتوني ، وغيرهم في امريكا الشمالية ، ثم الياس فرحات ورشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) ونعمة قازان ، وأبو الفضل الوليد ، وأبناء المعلوف الثلاثة فوزي وشفيق ورياض ، وجورج صيدح ، وغيرهم كثيرون في المهجر الجنوبي .

بعض أصحاب تلك الأسماء غاب واندثر ، وخلّف الذكر والأثر ، وبعضهم ما زال حيا يرزق، يسمع صوته بين الحين والحين شاديا بالعذب من الأشعار . وقليل منهم اسعفه الحظ بالعودة الى وطنه الأول للزيارة أو للاقامة ، ومعظمهم فقد الأمل أو كاد . على انهم ملتقون جميعا في قول أحدهم في أول هجرتهم :

أرضَ آبائنا عليك سلام
وسقى اللـه أنفسَ الآباء
ما هجرناك ـ اذ هجرناك ـ طوعا
لا تظنى العقوق في الأبناء

جبران خليل جبران



لِوَطنهم فآلمتهُم غضبهُم

وكذلك قول «الشاعر القروى» في أول هجرته :

أروم الــى رُبَى لُبنــان عوداً
ويُمسكنى عــن العَوْد افتقــار
ولو خُيرت لــم أهجر بــلادى
ولكــن ليس في العيش اختيــار

الحنين الى الوطن

هذه الأبيات وأمثالها تقودنا الى العنصر الأول من عناصر بحثنا هذا في « القومية والعروبة عند شعراء المهجر » ، وهو عنصر الحنين الى الوطــن الام ..

وفي اعتقادي أن الحنين متعلق أشــد التعلق بمعانى القومية والعمل من أجل الوطن مهمــا بعد الزمان والمكان ..

ان الانسان بطبيعته ميال الى ما ألفه ، فاذا غاب عنه افتقده، وقد عبر عن ذلك المتنبى بقوله:

خلقت الوفــا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبى موجع القلب باكيــا

وأبيات ابن الرومى التالية مشهورة أيضــا ، وطالما حَفِظَت ورددتها النشء في البلاد العربية :

ولى وطـــن آليت الا أبيعـــه
والا أرى غيرى لــه الدهر مالكــا
وحبّب أوطانَ الرجــال اليهــم
مآربُ قضّاهــا الشباب هنالكــا
اذا ذكروا أوطانهــم ذكّرتهــم
عهــود الصبا فيها فحنّوا لذلكــا

وبيت أمير الشعراء احمـــد شوقى محفوظ ومشهور أيضا :

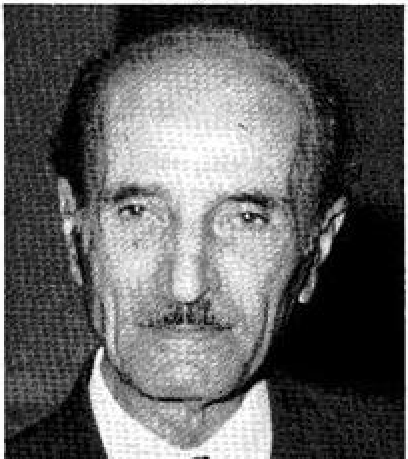
وطنى ، لو شُغلت بالخلد عنــه ،
نازعتنـــى اليــه في الخلــد نفسي

جبران خليل جبران

ولم ينس شعراء المهجــر أوطانهم ، بل ظلت نفوسهم تنزع اليها وأرواحهم تهيم في سمائهــا وتمرح على ضفاف جداولهــا وتهيئم في كل شبر عزيز من أرض الوطن .

فهذا جبران خليل جبران رائد أدباء المهجــر الشمالى وعميد « الرابطة القلمية » كان مقلا في نظم الشعر ، ولكنه كتب كثيرا من النثر والنثر الشعرى ، وانا لنجد تأثير طبيعة لبنان ــ وطنه ــ في كتاباته أوضح من أن يجهــل ، ففى « عرائس المروج » ، أحد كتبه ، صوّر من الحياة في لبنان كما شهدها وتأثر بها . وفي « دمعــة وابتسامة »

ميخائيل نعيمة



رشيد سليم الخورى



خواطر جادت بهـا قريحته متأثرة بتلك السماء السمحة والطبيعـة الهادئة التى كان جديدا في البعد عنهـا ، صادقا في الشوق اليها ، وفي « الأجنحة المتكسرة » مناظر مختلفة لتلك الطبيعة الموحية التى فجرت في قلبه الحب والحنان .

رشيد أيوب

وهناك «رشيد أيوب» الشاعر الرقيق الحزين، له ديوان يسمى « أغاني الدرويش » لا يـكاد القارىء يطالعه من أوله الى آخره حتى يخـرج بصورة جميلة بديعة التنسيق والتلوين ، للبنان موطن الشاعر ، وأول صورة تراها في الديوان هي للشاعر نفسه ، لا لبلاده ، ولكن في اى حال ، نراه جالسا بقرب نافذته ينظر الى الافق البعيد، يتأمل ويحلـم ، ويتذكر ما كان ويتحسر على ما انقضى حتى ليأخذه الحنين وتؤله الذكريات ، فما يكاد يلمع برق في الدجى حتى تتلوه مدامعه ، وهذا شأنه دائما حين تلم به الذكريات ، لا يجد مكانا انسب ولا أكثر تحملا للموقف من شباكه ، يعاتب من خلاله هذه الدنيا القاسية التى باعدت بينه وبين موطـن أحلامه وآماله . والشاعر اذا ذكر لبنـان فانه لا ينسى أن يذكر الثلج الذى يغطي قمم الجبال ، والمواقد التى تدفىء البيوت وتجمع شمل الأسرة في ليالي الشتاء الباردة . ويذكر أمه واخواته وأهله ، ثم يعود الى الثلج مخاطبا :

يا ثلـج قـد هيَّجت أشـجاني
ذكَّرتني أهـلي بلبنـانِ
بالله عنـي قـل لاخـواني
ما زال يرعـى حرمـة العهد

ايليا أبو ماضي

وهذا ، « ايليا أبو ماضي » الشاعر المهجرى المعروف يصور لنا تلك الصور التى فتنته واعجب بها في وطنه « لبنان » فيقول من قصيدة جعـل عنوانها « لبنان » :

اثنان أعيا الدهرَ أن يبليهمـا
لبنـانُ ، والأملُ الذى لذويـه
نشتاقه ، والصيف فوق هضابه
ونحبه ، والثلـج في واديـه
واذا تمدُّ له ذُكـاء حبالهـا
بقلائـد العقيـان تستغويه

واذا تنقّطه السماءُ عشيةً
بالأنجـم الزهـراء تسترضيه
واذا الصبـايا في الحقول كزهرها
يضحكن ضِحكا لا تكلّفَ فيـه

الى ان يقول وقد بلغ به الحماس :

وطني ستبقى الأرض عندى كلها
، حتى أعود اليه ، أرضَ التيـه

ونسيب عريضة ، السورى ، بين شعراء المهجر

ورغم أن لبنان وسوريا كانا يدخلان تحت اسم « البلاد السورية » الا أن طبيعة سوريا وحدها ـ منفصلة عن لبنان ـ لم تكن مهملة أيضـا في شعر المهجر ، فهذا الشاعر السورى الحمصي ، نسيب عريضة ، يسجل شعرا رقيقـا عذبا في الحنين الى بلدته « حمص » القائمة على ضفة نهر العاصي ، المتميزة بحجارتها السوداء التى تبدو للقادم اليها من بعيد . وهو يذكرها ويذكر كل ما عرفه من مرابعها وحدائقهـا ما بين « الميماس » و « الدوير » . وهو يبدأ قصيدته حين تتوارد على خاطره صور مختلفة لتلك الديار البعيدة ، وكأنها شريط سينمائى يعرض على شاشة افكاره، فيعبر عن ذلك بقوله :

صـورٌ تلوح لخاطـرِ المعْمودِ
ما بـين أرباض المنَى والبيـدِ
خفاقة فيهـا بنـود العيـد
بسَّامة فيهـا ثغور الغيـد
تجلو رؤًى ماضي الهوى المفقود
وقف الفـؤاد أسيرَ بارق نارهاَ
يهفو الى مـا لاح مـن أسـرارهـا
لمن الديـار ؟ تذوب من تذكارها
من بعد طولِ نوىً وفرطِ جمودِ
يا مُوثقاً مـن شـوقه بقيود

ويستمر قلبه في خفوقه ، وتعتريه رعدة لذلك الطيف الذى ألم به ، حتى اذا تبينه تمثلت له مدينة حمص التى جاءته تختال بين حدائقهـا وساحاتها . ولكنه في تلك النشوة الحالمة يـكاد يغيب عن وعيه وينسى نفسه ، فينتفض انتفاضة يسائل بعدها قلبه :

أعرفتها ؟ تلك الربوع العاليهْ
ما بين لبنـانٍ وبين الباديـهْ

الذكريات .. وقد برزن علانيه
نادين عنك بحسرة المطرود
يا حِمْصُ ، يا بلدي وأرض جدودي

وهذا هو الشاعر عينه في منظر آخر من مناظر حنينه وتشوقه الى أرض الوطن ، وسماء الوطن، وخيرات الوطن ، يمر بسوق من أسواق مدينة نيويورك المزدحمة فيشوقه منظر سلة فواكه معلقة في حانوت بقال ، مملوءة بالتين والعنب والرمان، فيتذكر بلاده الجميلة وخيراتها الكثيرة ، فيقف كالمذهول يكاد ينسى كل ما حوله من بهرج المدينة الأمريكية وازدحام الحياة فيها ، وتكالب سكانها على البيع والشراء ، وتسابقهم في الذهاب والاياب ، ولا يعود يرى مما حوله الا هذه السلة المعلقة والتى علق بها نظره فهو لا يحيد عنها .

ثم ينظم فيها قصيدة رقيقة بعنوان « سلة فواكه » .

وفي قصيدة عربية حرة أبية بعنوان « نشيد المهاجر » ينظم نسيب عريضة اجمل الأفكار واسمى المعاني مما ينادى به ابناء الأمة العربية الواحدة في وقتنا هذا ، يقول :

أنا المهاجر ذو نفسين ، واحدة
تسير سيرى ، وأخرى رهن أوطاني
أنا الذى ان تناسى الناس قومهم
هيهات أنسى،وما الكفران من شاني
ان جاهدوا كان قلبى في جهادهم
وان تنادوا ، يلبّي الصوت وجداني
لا حدّ عندى اذا جارت حدودهم
الشام شامي ومصر أخت لبنان
وفي فلسطين أقداسي ، وعاطفتي
في نجد ، والقِبْلة السمحاء ايماني
لى العروبة أمشي في مخارفها
من العراق الى ما بعد وهران
ازهو بثوب فخار من مناسجها
حتى تقرّب أيدى البين اكفاني

تأثر شعراء المهجر باحداث الشرق

وهكذا نرى ان الحنين الى الشرق والشوق الى الوطن العربى كان ظاهرة من أهم الظواهرالعاطفية القوية في شعر المهجر ، ولكنه على اى حال ، لم يكن الظاهرة الوحيدة المتعلقة بالوطن العربى في شتى اجزائه ، ففى تلك الفترة المعينة من تاريخ الشرقين الأوسط والأدنى ، مرت البلاد العربية باحداث شتى وتطورات عديدة تناقلتها الصحف العربية وغير العربية، ووصلت انباء تلك الحوادث الى مسامع المهاجرين في كلا المهجرين الشمالى والجنوبى ، ولم يكن من الممكن الا تثير في نفوسهم عواطف العطف والرثاء ان كانت محزنة ، وعواطف الفخر والابتهاج حين تكون مفرحة .

ومنذ اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ ، الى الثورة العربية سنة ١٩١٦ ، الى اعلان الملكية العربية في دمشق سنة ١٩١٨ ، الى واقعة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، والى الثورات الوطنية في العراق والشام ومصر ، الى الحرب العالمية الأخيرة ، وما اعقبها من الاعتراف باستقلال اكثر الاقطار العربية وما يتصل بذلك من مفاوضات ومشادات .. كان للادب المهجرى ، شعرا ونثرا ، يد" تذكر في المدافعة عن الحقوق واذكاء الحمية والغيرة في نفوس العرب لا في المهاجر فحسب ، بل في بلدان الشرق العربى نفسها .

نفثة مصدور ، وجام غضب

ومنذ البداية شعر المهاجرون بانهم أصبحوا أحرارا بعيدين عن قسوة الحياة في الشرق ، وعن ظلم الأتراك وما سببه من فساد وسوء في الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ونزاع الطائفية الذى فشا وانتشر في لبنان خاصة .. فلا عجب ان ظهرت روح الكراهية في اشعارهم تجاه الأتراك ، ولم يجدوا حرجا في ان يبعثوا من صدورهم تلك الآهات التى حبست فيها زمنا ، وتلك الزفرات التى آن لها ان تصعد تشكو ظلم الانسان لاخيه الانسان .. وليصبّوا اذن جام غضبهم على الأتراك جميعا افرادا وشعبا وحكومة . فهذا ايليا أبو ماضي أول شعراء الرابطة القلمية الثائرين على حكم الأتراك يخاطبهم في مبدأ الأمر باللين ، ويطالب بحق أمته في الحرية والاستقلال : من قصيدة عنوانها (بلادى) :

رجال الترك ما نبغى انتقاصا
لعمركم ، ولا نبغى انتقاما
ولكنا نطالبكم بحق
ونكره من يريد لنا اهتضاما
حملنا نير ظلمكم قرونا
فأبلاها وأبلانا ودام

وفي مرة أخرى يتعصب ايليا للعرب كأمة أصيلة كانت سيدة لغيرها من الأمم ضد الأتراك الذين خضعوا لهذه الأمة العربية ابان عظمتها وفتوحها:

متى كان جنكيز لقحطان سيدا
فيمسي بنو هذا لذاك مواليا

ويفخر رشيد أيوب بالعرب أجمعين وبماضيهم التليد ، وخاصة ان النبي محمدا (صلعم) قد بعث بينهم يأمر بالعدل وينهى عن المنكر ، فقادهم الى اسمى درجات المجد . ثم يفخر كذلك بالخلفاء الذين خلفوا النبي العربي واقاموا العدل بين الناس ، في مختلف الممالك والامصار :

فمن يا ترى أعلى الورى كمحمد
وارفعهم مجدا وأسمى مناقبا
ومن مثل من قادوا الخلافة بعده
وكانوا لصرح العدل منه جوانبا
السنا الألى سادوا العباد ودوخوا ال
بلاد وابدوا في الحروب عجائبا ؟

سورة يأس

وما هي الا فترة قصيرة حتى تشتعل نيران الحرب الكبرى الأولى ، ويصيب البلاد السورية منها نصيب ، والقائمة عليها في ذلك الوقت دولة الأتراك أيضا،فيشق الأمر على الشعراء المغتربين، ويؤلمهم أن يقاسي أهلوهم شرور الحرب وأهوالها، فيصبون جام غضبهم على الأتراك وكل من دعا الى ايقاد نار الحرب التي لا تبقي ولا تذر .

ومضت سنوات الحرب مخلفة الخراب والدمار للشرق ، والنصر والفخار للغرب ، فلم يصب منها العرب سوى الذلة والخسارة . وتؤلم هذه النهاية شاعرا محبا لبلاده كنسيب عريضة ،ويبلغ به اليأس أن يرى في هذه النهاية نهاية لقومه أجمعين ، لا ينتظر لهم بعدها قياما أو نهوضا ، فيكتب مقطوعة « النهاية » في سورة من الغضب والتشاؤم والتحسر ، ويأتي فيها بألفاظ قاسية مؤلمة :

كفنوه ، وادفنوه ، أسكنوه ،
هوة اللحد العميق
واذهبوا لا تندبوه
فهو شعب ميت ليس يضيق

ويزيد غضبه هذا السكوت الذي يقابل به قومه كل ما يحل بهم من مذلة وتعذيب وهوان ، حتى لكأنهم تعودوا تحمل الذل والانكسار ، ويستمر في ثورته على هذا الشعب المستكين :

هتك عرض ، نهب أرض ، شنق بعض ،
لم يحرك غضبه !
فلماذا نذرف الدمع جزافا ؟
ليس تحيا الحطبه !

ويؤلمه اكثر من هذا أن يرى المهاجرين حوله لا يهمهم من شأن وطنهم شيء ولا يحسون بما يقاسيه أهله من عذاب وآلام ، فيود لو يدعوهم الى النهوض لنجدة هؤلاء الأهل المحتاجين ، ولكنه يعلم انهم لن يتأثروا كثيرا بقوله لأنهم منصرفون الى تجارتهم وأعمالهم ، ولذلك نراه يتهكم عليهم في غضب وسخرية لاذعة فيقول :

فلنتاجر ، في المهاجر ، ولنفاخر ،
بمزايانا الحسان
ما علينا ان قضي الشعب جميعا
افلسنا في امان !

اخي .. من نحن ؟!

ومن أشهر ما قاله شعراء المهجر في موضوع الحرب قصيدة ميخائيل نعيمة المشهورة التي بعنوان « أخي » ، ففيها يقارن الشاعر بين ما عادت به الحرب على الغربين من نصر وسؤدد ومجد ، وما لقيه فيها الشرقيون والعرب من قهر ومذلة وانكسار ، فيصب جام غضبه على اخوانه العرب ويكلمهم في لهجة الأسف الحزين فيقول :

اخي ان ضج بعد الحر
ب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا
وعظم بطش ابطاله
فلا تهزج لمن سادوا
ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي
بقلب خاشع دامي
نبكي حظ موتانا

ويستمر في مقارنته بين حالة الغرب وأهله وحالة الشرق وابنائه الذين فتك بهم الجوع ، وقضي على قوتهم الجدب والخراب ، حتى يصل الى ذروة غضبه فيصرخ في خيبة وتحسر ، صرخة يشوبها شيء من الصغار الذاتي واحتقار النفس :

اخي ، من نحن ؟ لا وطن
ولا أهل ولا جار
اذا نمنا ، اذا قمنا
ردانا الخزى والعار
لقد خمت بنا الدنيا
كما خمت بموتانا

فهـات الـرفش واتبعنـي
لنحفـر خندقـا آخـر
نواري فيـه احيانـا

ولم يكن نعيمة وعريضة الوحيدين بين شعراء المهجر اللذين نفثا كلمات الغضب والتأنيب والحث والترغيب ، فها هي المجاعة تجتاح سوريا بعد الحرب العالمية الاولى ، وها هو السفاح جمال باشا التركي ينكل بزعماء سوريا ولبنان ، ويجوّع الشعب ، وحالما بلغت المهجر اخبار هذه الفظائع هب المهاجرون العرب الى عقد الاجتماعات ، وقام الادباء يستدرون الاكف لنجدة المنكوبين ، وكان في طليعتهم الشاعر ايليا ابو ماضي الذي قال لمواطنيه في نيويورك :

الليـالي غاديـات رائحـه
بالدواهي واراكم تضحكون
مـا اتعظتـم بالسنين البارحة
لا ولا انتـم غـدا متعظـون
بالهول الخطـب ، يا للفادحـة
امـة تفنى وانتـم تلعبـون !

الشاعر القروي يهدي ديوانه الى شهداء الوطنية

ومن المهجر الجنوبي نجد الشاعر القروي « رشيد سليم الخوري » يهدي ديوانه المسمى « الاعاصير » الى « شهداء الوطنية » فيقول :

يـا رفيقـا تحت الـرمال دفينـا
مبعدا ، عاطل الرموس ، نسيـا
لـك اهـدي هـذا الكتاب لانـي
لـم اجـد في البـلاد غيرك حيـا

ويبلغ به الحماس الوطني ان يقول في مقدمة ديوانه :

« اننا الى ما يبعث فينا الاثرة ويقوي العصبية احوج منا الى ما يزيدنا حبا للانسانية واصلاحا للبشرية » . ويمضي في ثورته العارمة وحقده وغضبه الى أن يقول : « فاني لا غرض لي من الحياة اشرف من دعوة شعبي الى بغض المستعمرين ، ولا مثل عندي اعلى من استنهاض امتي لمحاربة الغاصبين ، وانه لبغض اسمى من الحب ، وانها لحرب اقدس من السلم ، فما دمنا عبيدا ضعفاء ، فدعوتنا العالم الى السلام ليست من الفضيلة في شيء اكثر من فضيلة العفو بغير اقتدار ، حجة الذليل اللئيم ! فلنصافح بالسيوف ، فاذا تحررنا فلنصافح الاعداء » .

وفي رثاء الشهداء الذين علقهم جمال السفاح على المشانق يقول القروي ايضا ممجدا حبل المشنقة :

اكـرم بحبلٍ غدا للعـرب رابطـة
وعقدةٍ وحّـدت للعـرب معتقدا

ومنها يقول :

فلا سلامٌ بغيـر الحـق منتصـرا
ولا انتصارٌ بغيـر الشـعب متحدا

تنكر الغرب

ووضعت الحرب أوزارها ، واستنشق الناس في الشرق رائحة السلام ، وكان ما كان من تقسيم البلاد السورية بين الانتدابين ، الفرنسي والانجليزي ، وظـل المهاجرون يتابعون اخبار بلادهم ، ويرمقون حركات الاحرار فيها ، مطالبة بالاستقلال تارة وثائرة على الظلم تارة اخرى ، حتى اذا ما وقع الاشتباك بين الوطنيين السوريين والمحتلين من الفرنسيين ، واشتد اوار الثورة ، وخرَّ فيها كثير من القتلى والجرحى ، وبلغت فظائع الفرنسيين مبلغا كبيرا ، صاح نسيب عريضة من وراء البحار يشيّع « موكب الجثث » ويتوعد الغرب ويكيل له السباب :

لـك الويـلُ من موكب باهـر
يسيـر بابهـة الظافـر
على مهجـة الناظـر الحائـر
ايا غـرب ويحـا اهذا الهـدى
علينـا سلاحك قـد جردا
تمرّلنكَ ، جنكيزَ ، لا تبعدا ،
فعهدكمـا اليـوم قـد جدّدا
وجـاء بنو السين بالباتـر
فمـن فاتـك هاتـك باقـر
ومـن دائس حرمـة الطاهـر

ثم يحمس قومه ، ويثير في نفوسهم الاشمئزاز من هذا المستعمر الذي لا يفي بوعوده ولا يراعى حرمة الموت ، ويدعوهم للثار والانتقام :

أيـا ناكثيـن عهـود الذمـم
حـذار ، لمن تعرضون الـرمم ؟
لصـم الحجـارة أم للغنـم ؟
حذار الشماتة يـوم الالـم !
حـذار مـن الثائر الذاكر
فكـم شـامت قـادر جائـر
غـدا ذات يـوم بـلا ناصـر

الثورات العربية ومشكلة فلسطين وفي الثورة الحجازية، والأخرى السورية

ثم هناك الثورة الحجازية التي قامت بقيادة الشريف حسين في بلاد العرب ، ثم ثورة سنة ١٩٢٥ في سوريا للمطالبة بالاستقلال ، هذان الحادثان قيل فيهما شعر كثير في بلاد العرب على السنة شعراء مشهورين ، من امثال شوقي ، وحافظ ، والرصافي ، والجواهري ، وطوقان في الشرق ، ولم يتخلف شعراء المهجر عن ذكرهما ، فوردت أبيات وقصائد عنهما في دواوين شعراء معروفين ايضا من امثال : الشاعر القروي ، والياس فرحات ، والياس قنصل ، وابي الفضل الوليد ، ومسعود سماحة وغيرهم .

وفلسطين

وعندما قامت مشكلة فلسطين على اثر وعد « بلفور » بلغ استياء المهاجرين هناك مبلغا لا يقل عن استياء اخوانهم العرب في الشرق . وظلوا يتابعون حركات الثوار وتمردهم على حكومة الانتداب الجائرة ، واخذوا يبثون الدعاية في الغرب ضد هذا الوعد الظالم الذي كان من اهدافه تشتيت شمل العرب باقامة دولة يهودية في فلسطين . ولا يكاد شعراء المهجر يسمعون بمناسبة لخدمة فلسطين والدعاية لها حتى يكونوا اول من يلبي النداء ، ولا يعقد في امريكا مؤتمر لاجل نصرة هذه القضية العربية حتى يبادر احدهم الى رفع صوته في نغمات من الشعر القوي المؤثر ، فهذا ايليا ابو ماضي يفتتح قصيدة بعنوان « فلسطين » يخاطبها خطابا رقيقا يدل على تأثره وتألمه لما اصابها من سوء :

دِيارُ السلام وارضُ الهنا
يشق على الكلّ أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلا
وما كان رزء العلا هيّنا
سهرنا له فكأن السيو
ف تحزُّ بأكبادنا هاهنا

ويذكر اهلها وما لاقوا من تعذيب وما كابدوا من الام ، ومع ذلك فهم لم يسكتوا ولم يهدأوا ، بل لقد دافعوا عنها بكل ما امكنهم من الجهد والمال ، وبذلوا في سبيل وطنهم كل مرتخص وغال :

بنفسيَ أردُنُها السلسبيـ
ـل ومن جاوروا ذلك الاردنا
لقد دافعوا أمس دون الحمى
فكانت حروبهم حربنا
وجادوا بكل الذي عندهم
ونحن سنبذل ما عندنا

ويذكر اليهود ، وذلك الوعد المشئوم الذي تكرم به عليهم صديقهم « بلفور » ويقول ساخرا منه ومن وعده :

فقل لليهود وأشياعهم
لقد خدعتكم بروق المنى
الا ليت بلفور أعطاكم
بلادا له لا بلادا لنا
« فلندن » ارحب من قدسنا
وانتم احب الى « لندنا »

وتفجر غضب فرحات فخاطب اللاجئين بقوله :

أضحيةَ الكذب المقنّع والخيانةِ والرياء
أوتْ الذئاب الى مضاجعكم وانتم في العراء
افتلبثون مشردين ؟ مصيركم بيد القضاء
وعيونكم حيرى تفتش عن مفاتيح الرجاء

عروبة شعراء المهجر أصيلة

كل هذه الامثلة تدل على ان شعراء المهجر ، مهما بعدوا عن اوطانهم ، ومهما طال أوان غيبتهم ، فان روح الشرق والعروبة ترفرف دائما على رؤوسهم ، وروحانيته تجتذب قلوبهم ، واحداثه تهز مسامعهم وتستنهض هممهم ، بل انهم كثيرا ما نسمعهم يتيهون على الغرب بما ابدعه الشرق من روحانية طغت في سموها على مادية الغرب .

وهكذا كانت عروبة شعراء المهجر اصيلة ، قوية ، جياشة ، فياضة بمعاني القومية وعناصر حب الوطن والحنين اليه ، والشعور معه ومع ابنائه في افراحهم واتراحهم ، لا يفرقون في ذلك بين قطر وقطر ، ولا بين قريب او بعيد ، وفي هذه الروح العربية الشاملة . يقول فرحات :

انا وان تكن الشآم ديارنا
فقلوبنا للعرب بالاجمال
نهوى العراق ورافديه وما على
ارض الجزيرة من حصى ورمال
واذا ذكرت لنا الكنانة خلتنا
نروى بسائغ نيلها السلسال
بنا ، وما زلنا نشاطر اهلها
مرّ الاسى وحلاوة الامال

■■

القاهرة ــ نادرة السراج

مع العقاد

للدكتور شوقي ضيف

بقلم : الدكتور محمود السمره
الجامعة الاردنية ـ عمان

■ هذا كتاب صغير الحجم ، كثير الفائدة ، يؤدي للعقاد رحمه الله بعض ما له من ديون كثيرة في أعناق أبناء العروبة في كل مكان . وقد نختلف مع العقاد في بعض آرائه ، ولكنا لا نستطيع الا أن نقر انه كان ظاهرة فذة ، وكفاءة نادرة ، في حياتنا الادبية ، والفكرية .

ومؤلف هذا الكتاب هو الدكتور شوقي ضيف ، أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة .

وسنتناول هنا العقاد بالترتيب نفسه الذي تناوله به المؤلف ، فنتحدث عن سيرته ، ثم عن العقاد الكاتب ، فالعقاد الناقد ، واخيرا نقف عند العقاد الشاعر .

سيرة الرجل

في الثامن والعشرين من يونيه (حزيران) ١٨٨٩ ولد عباس محمود ابراهيم مصطفى العقاد من أسرة فقيرة في أسوان . وكان جده الاكبر يعمل في مصنع للحرير بدمياط ، فلقب بالعقاد . وقد ورث عباس عن امه الكردية امتداد قامته ، وملامح وجهه .

وعندما بلغ السابعة الحقه ابوه ، امين المحفوظات بالمدينة ، بالمدرسة الابتدائية ، فتخرج منها سنة ١٩٠٣ . وكان يحلم باحد أمرين : اما أن يلتحق بالمدرسة الحربية ، او بمدرسة الزراعة . ولكن والده رأى أن يكتفي بهذا القدر من التعليم ، ويتوظف . واخذ عباس يبحث عن عمل ، وطال به البحث ، فتبرع بالتعليم في المدرسة الاسلامية الخيرية ببلدته قتلا للفراغ ، وانتظارا ليوم الفرج . وكان العقاد منذ أن وعى ما يدور حوله معجبا باثنين هما : الشيخ محمد عبده ، وعبدالله النديم ، وكان ثالثهما هو مصطفى كامل .

واخيرا استطاعت الوساطات أن تعينه بالقسم المالي في مدينة قنا براتب قدره اربعة جنيهات ، ثم نقل الى الزقازيق فكان باستطاعته ان يتردد على القاهرة ليشهد تمثيل فرقة سلامة حجازي ، ويشتري ما يريد من كتب ، وكانت تباع في تلك الايام بأثمان زهيدة ، فكتاب العقد الفريد باجزائه الثلاثة كان يباع بخمسة عشر قرشا ، ولا تزيد ثمن الكتاب الانجليزي من الطبعات الرخيصة عن خمسة قروش .

ولم يكن مثل هذا العمل الروتيني البسيط ليرضي طموح العقاد ، ولهذا نراه يستقيل فجاة ،

ويأخذ في التنقل من عمل الى عمل : فالتحق بمدرسة الفنون والصنائع سنة ١٩٠٦ ، وتركها وتوظف في مصلحة البرق ، وبعد ستة أشهر اتجه الى الصحافة . وكانت مصر توزع الجهاد الوطني فيها ثلاثة احزاب :

الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل ، وهو حزب كثير الأتباع، يدعو الى سيادة العثمانيين على البلاد ، مستلهما دعوة جمال الدين الأفغاني الى الجامعة الاسلامية . او لعله دعا الى هذا لكي يواجه الانجليز الغاصبين باصحاب السيادة القانونية قبل احتلالهم ، متخذا من هذه الدعوة نوعا من المناورات الدولية . وكانت جريدة « اللواء » هي لسان هذا الحزب .

والحزب الثاني هو حزب الامة الذي كان يدعو للاستقلال ، وان مصر للمصريين ، ولسان حاله صحيفة « الجريدة » . وكان عدد من اعضاء هذا الحزب من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، ومنهم احمد لطفي السيد .

والحزب الثالث هو حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، او هو في حقيقته حزب القصر ، لان الخديو عباس كان يحتضنه . وكان يتزعمه الشيخ على يوسف محرر صحيفة « المؤيد » .

وواضح من سيرة العقاد ان الحزب الوحيد الذى كان من الممكن ان يستهويه هو حزب الامة ، ولكنه لم يلبث ان وجد ابواب « الجريدة » موصدة امامه ، لوجود عدد كبير من الاقطاعيين ذوى النزعة الارستقراطية في الحزب .

اذن اين يعمل ؟

واخيرا اتيحت له الفرصة ليشترك مع محمد فريد وجدى في اصدار صحيفة « الدستور » . ورغم ان هذه الصحيفة كانت تعتبر ، الى جانب « اللواء » لسانا ثانيا للحزب الوطني ، الا ان صاحبها كان يتمتع بحرية عقلية واسعة ، بحيث كان ينشر فيها احيانا ما يخالف رأى مصطفى كامل . واثناء عمل العقاد في هذه الصحيفة اتيح له ان يجرى مقابلة مع سعد زغلول، وزير التربية والتعليم حينئذ ، واعجب به اعجابا بالغا دفعه الى ان ينضم الى حزبه .

وتجهمت الايام لصحيفة « الدستور » فاذا بها لا تفي بمصروفاتها ، وتضطر الى الاحتجاب وهكذا وجد العقاد نفسه دون عمل ، حتى اضطر الى ان يبيع كتبه ، ويعطى بزازا درسا خصوصيا لقاء كسوة تقيه البرد . وكان يعيش على ما يرسله له اهله ، وما يكسبه من المقالات والفصول المترجمة لمجلة «البيان» التي كان يصدرها منذ سنة ١٩١١ عبد الرحمن البرقوقي . وقد لفتت مقالاته نظر محمد المويلحى صاحب حديث عيسى بن هشام ، وكان مديرا لقسم الادارة بديوان الاوقاف ، وعرف المويلحى من البرقوقى ان كاتبها بائس الحال، فأرسل اليه وعينه مساعدا لكاتب المجلس الاعلى بقلم السكرتيرية . وكان ديوان الاوقاف حينئذ يغص بكثير من الادباء امثال عبد العزيز البشرى، وعبد الحليم المصرى، واحمد الكاشف، ومحمود عماد .

وعن طريق مجلة « البيان » التقى العقاد بالمازنى وعبد الرحمن شكرى ، وكون الثلاثة مدرسة في الادب والنقد . سنعرض لها عند حديثنا عن العقاد الناقد .

وتوالت السنون، فاذا العقاد يتقلب في الاعمال والوظائف : ترك الاوقاف لانه هاله ان يتخذ الخديو كل وسيلة لاختلاس اموال الصدقات ، فهاجم هذا الوضع في الصحف بدون توقيع ، وحاول الانجليز ان يتخذوه اداة لمناوراتهم ، مع الخديو فابى ، وعمل في الحرب العالمية الاولى في رقابة الصحف ، ثم قدم استقالته ، وانتظم مع صديقه المازنى في مدرسة الاعدادية الاهلية يدرس لتلاميذها التاريخ والترجمة ، واعجب بمقالاته يعقوب صروف ، محرر المقتطف ، ففتح له ابواب مجلته ومكتبته ، وهيأ له الفرصة ليعمل وصديقه المازنى مدرسين بمدرسة وادى النيل الثانوية . ويئس من التدريس والصحافة، فانضم الى جماعة « اليد السوداء » اثناء المد الثورى ، وكتب لها كثيرا من منشوراتها النارية. وفي سنة ١٩٢٢ اشترك مع عبد القادر حمزة في تحرير صحيفة « الأفكار » التى كانت تقف مع الوفد ضد خصومه السياسيين . وكانت حياة العقاد في هذه الفترة صراعا بين الصحة والمرض ، والامل واليأس ، وكفاف العيش والعوز .

وأصدر عبد القادر حمزة صحيفة « البلاغ » في ٢٨ يناير (كانون الثانى) ١٩٢٣ ، واشرك معه في تحريرها العقاد ، فكان اقوى سلاح استعان به سعد زغلول ضد خصومه السياسيين . ومع هذا بقي مستقل الرأى ، يقف احيانا مواقف تناقض موقف حزبه ، ومن امثلة ذلك موقفه من قضية طه حسين حين نشر كتابه « في الشعر الجاهلى »

سنة ١٩٢٦ ، فقد ثار على المؤلف النواب الوفديون ، وناصرهم سعد ، فوقف العقاد يدافع عنه انتصارا للحرية الفكرية .

ولما أصبح اسماعيل صدقي رئيسا للوزارة ، ألغى الدستور ، وعطل « البلاغ » وقدم العقاد للمحاكمة ، فحكم عليه بالسجن تسعة أشهر ، وبمجرد ان أفرج عنه توجه الى ضريح سعدزغلول، والقى قصيدة جميلة . ولم يفت السجن في عزمه، فاستمر ينشر المقالات مهاجما اسماعيل صدقي ، وحكمه الارهابي .

وفي سنة ١٩٣٥ اختلف العقاد مع النحاس ، فكان هذا سببا لخروجه من الوفد ، ساخطا على النحاس ومكرم عبيد . واخذ يهاجمهما في « روز اليوسف » ،فاغلقتها الحكومة . وحاول أن يصدر صحيفة الا انها لم تعش غير ثلاثة أيام .

وضاقت الدنيا في عينيه ، وفي محنته هذه عطفت عليه سيدة نبيلة القلب كان يسكن بجوارها وعرضت عليه أن يرهن حليها . وقد حفظ لها العقاد هذا الجميل ، فتبنى بعد وفاتها طفلتها ، التي جعلت تدعوه بأبيها ، وبلغ من تعلق هذه الفتاة به انه ما ان أسلم الروح حتى انتحرت حزنا عليه ، ويأسا من الحياة .

وفي سنة ١٩٣٨ عين عضوا بالمجمع اللغوي ، وفي سنة ١٩٦٠ منح جائزة الدولة التقديرية للآداب. وقد داب في الثلاثين سنة الأخيرة من حياته على أن يعقد في بيته ندوة اسبوعية كل يوم جمعة ، الى أن وافاه الأجل المحتوم في ١٢ مارس (آذار) من سنة ١٩٦٤ .

العقاد الكاتب

عاش العقاد حياته جادا وقورا ،انساني النزعة، حاد المزاج ، معتدا بكرامته ، مؤمنا بالعقل . ونحن نجد كل هذه الصفات واضحة في آثاره الكثيرة التي تركها .

وتقوم آراء العقاد على ركنين أساسيين : الايمان بكرامة الانسان الشخصية ، والايمان بحرية الراى والفكر .

وهو في كتاباته الدينية يؤمن أن الانسان لا يستطيع ان يدرك بحواسه وعقله الحقائق الكونية، وهذا قاده الى الايمان بوحدة الكائنات ووحدة الخلق ، فالفراش والطير والحيوان والانسان حقيقة مطلقة واحدة،تتشابه في غرائزها وطبائعها. وكما آمن بوحدة الكائنات آمن بضرورة الشر في الوجود كضرورة الخير ، ولولاه لما عرفنا الخير .

والعقاد راسخ العقيدة الاسلامية ، مؤمن بوطنه وعروبته . وتستطيع أن نقول ان من خصائصه البارزة ثباته على آرائه الأدبية ، فهناك آراء آمن بها منذ أكثر من خمسين سنة ، وبقى مؤمنا بها الى آخر حياته .

وأبرز آراء العقاد كما تبدو لنا من خلال كتبه ومقالاته ، دفاعه عن الحرية ، حتى لقد جعل الجمال والحرية شيئا واحدا ، فالفكر الجميل هو الفكر الحر الذى لا تغله الجهالة ، ولا الخرافات ، ولا العجز . وزاد بانه يجب أن تنبع مطالبتنا بالحرية من ضميرنا لا من مجرد محاكاتنا لغيرنا من الغربيين ، فيقول : « اننا نطلب اليوم الحرية ، ونحب آن نكون أحرارا في طلبها ، والشغف بها ، ولا نكون كأولئك الذين يطلبونها تقليدا لمن سبقوا بالطلب ، ... فكل نزعة الى التحرير لا تأتي من داخل النفس ، ولا يشترك فيها الفكر والاحساس والجسد ، ان هى الا فورة تعلو ثم تهبط ، ولون من ألوان السكون يبدو في زى الحركة ، ولا بركة فيه » .

وآمن مبكرا بفكرة الاشتراكية التي كانت قد أخذت تشيع على ألسنة المصريين في أوائل هذا القرن . وصدورا عن هذا الايمان تصدى للرد على كتاب « سر تطور الأمم » لجستاف لوبون الذى ترجمه فتحي زغلول . ويبدو ان هذه الاشتراكية التي يؤمن بها هى من نوع الاشتراكية الفابية التي كان من أعمدتها برنارد شو ، ودفعت الى تأسيس حزب العمال البريطاني . وهو في حديثه عن الحرية والاشتراكية يرى انهما قد تحققا على أحسن صورة في القرآن الكريم .

وظل العقاد طيلة حياته قليل الثقة بالدور الذى يمكن ان تلعبه المرأة في تقدم المجتمع ، وهو في آرائه هذه متأثر الى حد كبير بما قرأه عند شوبنهور ، الذى كان لا يرى للمرأة من مهمة سوى حفظ النوع ، وهى عنده تسعى دوما الى شيء واحد هو غزو الرجل والسيطرة عليه ، وكل أخلاقها تقوم على الغدر والمكر ، ولذلك فان من الخطأ التسوية بينها وبين الرجل في الحقوق. ويسوق العقاد الأمثلة من التاريخ ، ومن أقوال الشعراء والفلاسفة ، ليثبت ان المرأة ضعيفة

العقل ، ثم يزيد فيستشهد بالقرآن الكريم . ومن كتبه التي تحدث فيها عن المرأة ، او خصها بها : الانسان الثاني او المرأة ، مطالعات في الكتب والحياة ، هذه الشجرة ، الفلسفة القرآنية ، المرأة في القرآن الكريم ....

ومن آرائه الثابتة التي لم تتبدل بمرور السنين آراؤه في العقيدة الدينية ، فالايمان عنده مسألة نفسية روحية ، لا مسألة عقلية فكرية ، « واذا لم تكن النفس من التمكن من ينبوع الوجود بحيث يسري اليها الايمان به من داخلها كما يسري عصير الحياة الى الشجرة اليانعة من مغرسها ، فسريان الايمان اليها من الخارج مستحيل ..... وكل شعور بعظمة الحياة ، فانما هو شعور بعظمة الله الحقيقية ، وهو الايمان الحق المقصود . » وللعقاد ثمانية كتب عن العقيدة الاسلامية تقوم على اصول فكرية واحدة استمدها العقاد من الشيخ محمد عبده وتعاليمه ، من ذلك ايمانه بان الاسلام دين عالمي صالح لجميع الشعوب . والى جانب هذه الكتب في العقيدة الاسلامية اهتم بدراسة طائفة من رجالات الاسلام في سلسلته المعروفة بالعبقريات . وهو في هذه السلسلة يسعى الى غايتين : انصاف من يكتب عنهم ، وتقديم نماذج يحتذيها الشباب . وهاتان الغايتان جعلتاه يعنى بتحليل شخصياتهم الانسانية ، وجوانب العبقرية فيهم ..

ولا نستطيع أن نترك العقاد الكاتب دون أن نشير الى قصته « سارة » وهي القصة الوحيدة التي كتبها ، وهي قصة حبه لفتاة أجنبية . وتبدأ القصة بلقاء المحبين بعد قطيعة دامت خمسة شهور ولكن الشكوك لم تفارقه ، واستقر في نفسه انها تخدعه وتخونه ، فكانت القطيعة الى الأبد . وليس في هذه القصة أحداث بل هي قصة نفسية تحليلية تعيش داخل نفسي بطليها ، غير مكترثة لما يقع في الخارج . ولم يكتب العقاد قصة غير هذه ، ولعل السبب في ذلك انه وجد الشعر أقوى في التعبير عن العواطف من القصة .

العقاد الناقد

كوّن العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري مدرسة في النقد تقف موقف الخصومة من مدرسة الاحياء والبعث التي أقامها البارودي ، وسار فيها شوقي وحافظ . وكان العقاد هو اللسان الناطق باسم هذه المدرسة الجديدة ، التي حدد مذهبها في مقدمته لديوان عبد الرحمن شكري الثاني الذي نشره سنة ١٩١٣ ، ومقدمته الثانية لديوان المازني . ومن هاتين المقدمتين نقف على مذهب هذه المدرسة في النقد : فالشعر عندهما ليس تزجية فراغ ، وانما هو عمل جاد ينفذ فيه الشاعر الى بواطن الأمور ، والنهضة الأدبية الصادقة لا بد من ان تحفز الامة الى نهضة قومية ، فمزية الشعر « لا تنحصر في الفكاهة العاجلة ، والترفيه عن الخواطر ، لا ، بل ولا في تهذيب الأخلاق ، وتلطيف الاحساسات ، ولكنه يعين الأمة أيضا في حياتها المادية والسياسية . وان لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع ، فانما هو ، كيف كانت موضوعاته وأبوابه ، مظهر من مظاهر الشعور النفساني ، ولن تذهب حركة في النفس بغير اثر ظاهر في العالم الخارجي » .

وفي رأي العقاد ان شعر شوقي وحافظ السياسي يقف عند القشرة الظاهرة من الحياة النفسية للأمة ، أما الشعر الحق فهو الذي يتخطى هذه القشرة الى سرائر الأمة وقسماتها . ويحمل حملة عنيفة على بعض الشعراء التقليديين الذين أخطأوا فهم التجديد ، وظنوا انه « ليس على أحدهم ان اراد أن يكون شاعرا عصريا الا أن يرجع الى شعر العرب بالتحدي والمعارضة ، فان كانت العرب تصف الابل والخيام والبقاع ، وصف هو البخار والمعاهد والأمصار . وان كانوا يشببون في أشعارهم بدعد ولبنى ورباب ، ذكر هو اسما من أسماء نساء اليوم ، ثم حور من تشبيهاتهم ، وغير من مجازاتهم بما يناسب هذا التحدي ، فيقال حينئذ ان الشاعر مبتدع عصري ، وليس بمقلد قديم . وهذا حسبان خطأ ، اذ ما أبعد هذا الشعر عن الابتداع ، والأخلق به أن يسمى الابتداع التقليدي ، لأنه ضرب من ضروب التقليد ، فان أصحابه لا يستطيعون أن ينظموا الا اذا وجدوا أمامهم من يعارضونه ، فلو انك رفعت النموذج من امام أعينهم ، لوقفت الأقلام في أيديهم ، فلا يخطون حرفا » . والعقاد في رأينا ، مصيب في كل ما قاله ، لأن الصدق في التعبير عن الاحاسيس هو أساس كل شعر .

ويتابع العقاد شرح اتجاه مدرسته فيقول : «حسب الأدب المصري الحديث من روح الاستقلال

في شعرائه انهم رفعوه مـــن مراغة الامتهان التى عفرت جبينه زمنا ، فلن تجد اليوم شاعرا حديثا يهنىء بالمولود وما نفض يديه من تراب الميت ، ولن تراه يطـرى من هـو اول ذامّيه في خلوته ، ويقذع في هجو من يكبره في سريرته ، ولا واقفا على المرافىء يودع الذاهب ، ويستقبل الآيب ، ولا متعرضا للعطاء يبيع من شعره كما يبيع التاجر من بضاعته . وما بالقليل من هذه الروح الشماء في الأدب ان تجهـز على أدب المواربة والتزلف بيننا » .

وهكذا نجد ان العقاد يريد من الشعر ان يكون جهاز الأمة العصبي ، يسجل كل ما يرهقهـا في عصـور الشـدة ، ويعمـل على بعثهـا من خمودها . ويريد منه أيضا ان يعنى بالروح ونجوى النفس ، واطـلاع الناس على خير ما في الطبيعة الانسانية ، ويقول : « انني لو علمت ان قصارى ما أسمو اليه بالأدب ان أروّح بأوراقي على وجه القارىء ، كما يروّح الخادم بالمروحة على وجه سيده المنصرف عنه بنعاسه وشجونه ، لما كتبت حرفا ، ولا فتحت كتابا ، ولاخترت ـ ان خيرت بين الاثنين ـ أن يروّح الناس على وجهي بدرهم ابذله ، على أن أروح على وجه الناس بما ابذل فيه كنانة نفسي ، وذخيرة عقلي ، وخلاصة ما انفقت من أنفاس حياتي » .

وبجانب هذا دعا العقاد الى تجديد قوافي الشعر ، بحيث لا يشترط فيها الا أن تجرى على قوانين العربية ، كما دعا الى تجديد لغته بحيث تنحى عنها أعشاب البديع الضارة ، والصيغ المتحجرة . وانطلاقا من هذا المفهوم للشعر اخذ يهاجم شوقى في كتاب « الديوان في الأدب والنقد » ، كما اختار المازني حافظ ابراهيم ليصوّب اليه نقده .

ولكن هذا كله لم يستطع ان ينال من شوقى ، وبقى الشاعر العلم في أدبنا الحديث .

العقاد الشاعر

أصدر العقاد حتى سنة ١٩٢١ ثلاثة دواوين ، هى : يقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، وضم اليها ديوانا رابعا هو « أشجان الليل » ، ثم نشرها سنة ١٩٢٨ في ديوان واحد باسم « ديوان العقاد » . وهو في مقدمته للديوان الاول يؤكد أن الشعر يعمّق الحياة ، وبهـذا يجعل الساعة من العمر ساعات . والموضوعان الاساسيان في شعر العقاد في هذه الفترة هما : الطبيعة والحب ، أو الكون والانسان . ومن طريف قصائد الديوان تصويره احساسه ازاء الربيـع والخريف في هذه الأبيات :

ضحك الطبيعة في الربيـع كأنـه
ضحك الغـريرة في عناق خليـع
فـاذا تبسـم في الخريف جبينهـا
أبصـرت نظرة ريبة وخشـوع
كالغـادة الحسناء يغرب حسنها
أنباء شيب في الشـباب سريع

وقصائده الغزلية تدفع شعر الحب الى التجرد من المادة الا قليلا ، وهذا يتفق مع دعوة مدرسته الى ان الشعر ينبغى أن يكون تعبيرا عن النفس لا عن الحس . ومن قوله في الغزل :

أوتيت مـن حسـن الشمائل نعمة
والحسـن في الدنيـا مـن الآفـات
والحسـن يعشقه الكريم وربمـا
أضرى لئيم النفس بالنزغـات
هـلاّ علمت ، وأنت زهـر مونق
ان الزهـور فرائس الحشـرات
لا يخدعـوك بلين من قـولهم
فاللـين بعض حبـائل الحيـات
كوّنت انسـا للضمير وبهجـة
وعلوت شـأو مطامـع الشهوات

★★★

وفي سنة ١٩٢٣ أصدر العقاد ديوانين هما : وحى الأربعين ، وهدية الكروان . وكعادته قدم للديوان الاول بمقدمة توضح اتجاه مدرسته ومعاييرها . وديوان « وحى الأربعين » مجموعة مقطوعات قصيرة ، وكأنها خواطر سجلها العقاد على عجل ، وخير قصائده تلك التى ألقاها أمام ضريح سعد زغلول يوم خروجه من السجن . ويضم ديوانه « هدية الكروان » طائفة من القصائد في هذا الطائر الشادى ليلا ، ويبدو العقاد هنـا مولعا بالطيور ، وهو يقول في مقدمته : « اذا لم يشعر الشاعر بتفريد الطير على اختلافه ، فبماذا عساه يشعر ؟! ان الطير المفرد هو الشعر كله » .

وفي سنة ١٩٢٧ أصدر العقاد ديوانه « عابر سبيل » ، ويبدو لنا من قصائده أن كل ما في

الحياة أصبح فى نظره صالحا ليكون مادة للشعر: كالبيت الذى يسكنه ، والطريق الذى يعبره والحوانيت ومعروضاتها ، والفنادق ، ونداء الباعة ، والقطار العابر ، ورحيل الشرطة ، وكوفاء الشباب .. الخ ..

★ ★ ★

وفى سنة ١٩٤٢ أصدر ديوانه « أعاصير مغرب » وكان قد نيف على الخمسين من عمره ، ومن الأمور التى تفاجئنا فى هذا الديوان كثرة قصائد الحب ، وقد فسر العقاد هذه الظاهرة فقال : ان شعر الحب ليس له حد زمنى ، وأكد أن الشيخوخة ربما أعانت على النظم فى الغزل أكثر من الشباب ، لأن التجارب تكون قد عمقت فهم الانسان للحياة، ومكنته من استكناه أسرار الحب. ويقول انه سمى ديوانه « أعاصير مغرب » لأنه نظمه والعالم تعصف به عواصف الحرب ، بينما تعصف بنفسه عواصف مختلفة من حب وغير حب. وهذا نموذج من غزله فى الخمسين ، وهى قصيدة « الصدار الذى نسجته »

هنا مكان صدارك   هنا هنا فى جوارك

★ ★ ★

هنا هنا عند قلبى   يكاد يلمس حبى
وفيه منك دليل   على المودة، حسبى

★ ★ ★

ألم أنل منك فكره   فى كل شكة ابره
وكل عقدة خيط   وكل جرة بكره

★ ★ ★

هنا مكان صدارك   هنا هنا فى جوارك
والقلب فيه أسير   مطوق بحصارك

★ ★ ★

هذا الصدار رقيب   على الفؤاد قريب
سليه : هل مرّ منه   الىّ طيف غريب ؟

★ ★ ★

نسجته بيديك   على هدى ناظريك
اذا احتوانى فانى   ما زلت فى اصبعيك

★ ★ ★

وفى سنة ١٩٥٠ نشر ديوانه « بعد الأعاصير » ، وهو فى مقدمته يرد على نقاده الذين عابوا على شعره شيوع صبغة التفكير فيه ، ويستشهد على موقفه بأغانى شكسبير ، وقصة « فاوست » لجيته ، ورباعيات الخيام ، وحكم المتنبى .

وفى أخريات حياته ، اختار العقاد باقة من دواوينه كلها،ونشرها باسم «ديوان من الدواوين».

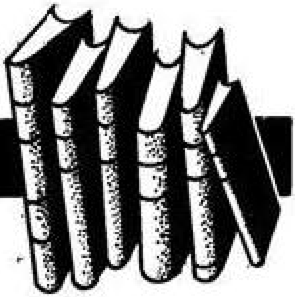
★ ★ ★

هذا هو العقاد الكاتب والناقد والشاعر .

ويحق لنا أخيرا أن نتساءل : ولماذا لم يلق العقاد من التقدير ما هو أهل له ؟

والجواب على هذا فى رأينا : انه الأسلوب . فأسلوبه دقيق ، مركز ، خشن ، والأسلوب هو الذى يصنع الكاتب ، والناقد ، والشاعر . ■■

محمود السمره / عمان



من الكتب التي وصلتنا

عقيدتنا

لعبد الغنى شكر الشمرى/مطبعة النعمان بالنجف الأشرف .

● عرض مبسط لعقيدة التوحيد توخى فيه كاتبه تبسيط العقيدة الالهية وتيسيرها ووضعها فى متناول أكبر عدد ممكن من القراء .

أدوات العلم

تأليف ازمنج ادلر/ ترجمة عبد الرحمن كامل فهمى ـ دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ج.ع.م .

● يحوى هذا الكتاب وصفا لبضع عشرات من آلاف الأدوات التى يستخدمها العلماء .. وقد اختيرت الآلات التى عنى المؤلف بوصفها ، لأهميتها، وقدم فى كل وصف شرحا للطريقة التى تؤدى بها الأداة عملها والغرض الذى تستخدم فيه .

صور من الجهاد

لزيد بن عبد العزيز بن فياض ـ مطابع القصيم بالرياض .

● يحوى هذا الكتاب حلقات اذيعت من اذاعة الرياض ، تهدف الى بيـــان ما قام به الرسول واصحابه وما بذله المجاهدون الأبطال في عصـور الاسـلام المختلفة من الاقدام العظيم والبسالة النادرة والبطولة .

السيتولوجيا والوراثة السيتولوجية علم الخلية

تأليف كارل ب . سواتسون ـ ترجمة الدكتور محمد عزيز فكرى ـ الشركة العربيـــة للطباعة والتوزيع والنشر ـ الثمن ١٦٠ قرشا .

● يشتمل الكتاب على وصف عام للخلية من حيث اشتمالها وتراكيبها من شتى الكائنات ، ومن حيث منشا وتركيب ما يحيط بها من جدار وما تحتويه مـــن سيتوبلازم ونواة وبلاستيدات الى آخره ، وعلى وصف تفصيلى للانقسام الخلوى والاندماج بين الأمشاج ، وما يمـــر به الانقسام الفتيلى (الميتوزوى) من أدوار .

ازهار الصحراء

لمصطفى حمـــدى أصلان رئيس محطة ابحاث الصحارى برأس الحكمة ، الجمهورية العربيـــة المتحدة .

● اراد المؤلف من هذا الكتاب أن يثبت أن في الصحراء ايضا يمكن أن تقوم حدائق غناء تزرع بالنباتات الصحراوية غير المألوفة في حدائق وادى النيل ، والتى يضم الكتاب مجموعة كبيرة مـــن صورها .

سر انحلال الأمة العربية ووهن المسلمين

للمرحوم محمد سعيد العرفي ـ مطبعة عبد الله الملاح بدمشق ـ الثمن خمس ليرات سورية .

● مؤلف هذا الكتاب من علماء المسلمين وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى بدمشق ، وقد ابرز في كتابه هذا الكيان العربى ، وعالج اوضاع الأمة العربية الاسلامية فشخص أمراضها ووصف لهـا الدواء كما صحح كثيرا من المغالطات التاريخية .

العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران

لشاكر صابر الضابط ـ دار البصرى ببغداد ـ الثمن ٥٠٠ فلس

● يحوى الكتاب موجـــزا لتاريخ الدولتين العثمانيـــة والصفوية ومبادىء سياستهمـــا ، والمنازعات التى كانت قائمـــة بينهمـــا وكذلك الاستفزازات والحروب ، ومحاولات ايــــران في اعتدائها على الحدود العراقية وتدخلها في أمور المناطق الكردية في شمال العراق .

التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى

تأليف فردريك هاريسون المستشار لهيئـــة اليونسكو ، وتشارلز مايرز الاقتصادى والخبير في العلاقات الصناعية ، وترجمة الدكتور ابراهيم حافظ . مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ الثمن ٨٢٫٥ قرشا مصريا .

● رشحته للترجمة وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية المتحدة باعتباره مرجعا يفيد منه طلبة كليات الاقتصاد والتجارة والتربية ودور المعلمين والمعلمات ، والكتاب يدور حول فكـــرة أساسية ، هى أن القوى البشرية ونموها ، أهم عامل من عوامل التنمية الاقتصادية .

الكتاب الابيض

اعداد وتقديم نجم الدين السهروردى ـ مطابع دار الزمان ـ بغداد .

● يحوى الكتـــاب التطورات التى سبقت الاعتـــداء البريطانى الغاشم على العراق سنة ١٩٤١ . وموقف ثورة مارس الوطنية التحررية من العدوان الاستعمارى .

الصهيونية

لعرفات حجازى / الثمن ١٠٠ فلس أردنى .

● يحوى الكتاب فصـــلا من قصة القضيـــة الفلسطينية وفيـــه عرض تاريخى دقيق لنشوء الفكرة الصهيونية والعوامل التى ساعدت على بروزها والوسائل التى اتبعت لانجاحها والاسرار التى حرص المتآمرون على اخفائها . ■■

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الحرب العالمية القادمة: هل تعتمد على المخدرات

● في شهر ابريل الماضي نشرت مجلة «لايف Life» الامريكية مقالا عن عقار جديد اسمه العلمي L.S.D وصفته بانه مخدر يؤثر على عقل متعاطيه اكثر مما يؤثر الكوكايين والهروين والحشيش ، وقالت ان هـــذا العقار قد انتشر بين الشباب الامريكي بصـــورة حملت الحكومة على ان تخف لمكافحته وفرض عقوبات مشددة على من يتجرون فيه ، خصوصا بعد ان اقدم بعض الذين كانوا يتعاطونه على الانتحار ..

وفي احد الاعداد الاخيرة من مجلة «باري ماتش» Paris Match الفرنسية مقال آخر تحت عنوان « مخدر جديد يهدد الانسانية » ، جاء فيه ان كبار العسكريين الغربيين يعتبرون « ل.س.د » اساسا لخطط حربية رهيبة ، بعد ان تبينوا ان حقيبة واحدة منه تكفي لاحتلال روسيا او امريكا ، وان الدوائر العسكرية في حلف الاطلنطي اجرت عليه مؤخرا بعض التجارب ، فخدرت احدى الكتائب بكمية ضئيلة منه قبل اشتراكها في احدى المناورات ، فبعد ٤٠ دقيقة من تعاطيه بدأ الجنود يرفضون تنفيذ الأوامر ، ويخرجون من الصفوف ، ويلقون ببنادقهم في الأرض ، ويتسلقون الاشجار وقد تملكهم الخوف والرعب والفزع !

وتقول «باري ماتش» ايضا ان الدوائر الروسية تعتقد ان هذا العقار سيوفر على الدول استخدام القنابل الذرية الى حد كبير ، اذ يكفي ان يعهد الى بعض الجواسيس او الفدائيين او المظليين بالقاء كمية منه في مصادر مياه الشرب او رشه على مزارع الخضر والفاكهة في اي بلد ، فيشل حركتها وتضعف مقاومتها لفترة من الزمن لا تقل عن عشر ساعات ، يتم خلالها احتلال ارضهـــا والاستيلاء عليها بايسر النفقات، وباقل عدد ممكن من الضحايا !!

فتُرى يا ترى يُصنع هذا العقار ؟ وما هي الآثار التي تترتب على تعاطيه ؟ وهل يأتي يوم ينتشر فيه كما انتشر غيره من المخدرات كالكوكايين والحشيش والافيون ؟

واخيرا من هو الذي تمخضت عبقريته عن هذا المخدر المدمر الذي تقول « باري ماتش » انه يهدد البشرية والانسانية ؟!

مصر الجديدة — بهاء صلاح الدين

ـ ليس عقار L.S.D. عقارا جديدا كما تقول مجلتـــا « لايف » الامريكية ، و « باري ماتش » الفرنسية ، وانما هو عقار قديم نوعا ، تبـــدا قصته في عام ١٩٤٣ ، وان ظل مجهولا للجمهور طوال هذه المدة ، فلم يكن يعرفه غير بعض الاطباء وعلماء النفس الذين كانوا يستعينون به في علاج مرضاهم ، حتى ليزعمون ان بعض المجانين قـــد عادوا الى حالتهم الطبيعية لبضع ساعات بعـــد تعاطيهم هذا العقار !

في تلك السنة كان في مختبرات شركة «ساندوز» السويسرية للادوية كيماليان شابان يقومان ببعض الابحاث على انواع من الشعير والفطر ، لاستخلاص مادة توقف اوجاع الراس وموجات الصـــداع والنزيف . ولما عاد احدهما الى بيته راح في نشوة لذيذة واخذت مجموعات من الاشعة مختلفة الالوان تتراءى لناظريه ، وتتغير الوانها باستمرار ، ثم ما لبث ان فقد احساسه بجسده وبما يجري حوله ... ولما افاق ذكـــر انه كان يحرك المادة التي

يشرف على هذا الباب
عبد الوارث كبير

وتستغني بها عن استخدام القنابل الذرية ؟ !

استخلصها من تلك الفطور ولا بد ان شيئا منها قد وصل الى يده ، ثم الى جوفه وهو لا يدرى ! فقرر ان يكرر التجربة ، وابتلع من تلك المادة ربع مليجرام ، فكانت الاعراض هذه المرة اشد واقوى ، اذ صحبها نوع من الهذيان والهلوسة والاحساس بالخوف !

وهكذا اكتشف عقار « ل.س.د » او ليزرجيك سنثيتيك ديالايلاميد « Lysergiquz - Synthetic Diethylamide » وبدات الابحاث تترى للتعرف على آثاره فوجد ان اهمها التخيلات اللذيذة ،



او المزعجة في بعض الاحيان ، ثم الهذيان، والهلوسة ، والرؤى العجيبة .. واثبتت بعض التجارب التى اجريت على الحيوان في بادىء الامر عن نتائج مذهلة .. فان القطط التى خدرت به هربت من الفيران خوفا وفزعا ! بينما صنعت الذهان العناكب وراحت تنسج بيوتا اكثر تعقيدا واجمل فنا !

اما زعيم متعاطى ال « ل.س.د » في امريكا فيدعى « تيمورى ليرى » ، وهو دكتور في علم النفس في جامعة هارفارد ، كان قد اكتشف انواعا من الفطريات المولدة للهذيان في المكسيك فراح ينشرها بين تلاميذه ثم انتهى اخيرا الى «ل.س.د» فحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثين عاما ثم افرج عنه !

واما سؤالك ان كان يأتى يوم ينتشر فيه كالحشيش والافيون والكوكايين ، فعلم ذلك عند الله ، الذى نسأله ان يقىّ الانسانية شره وبلواه ..

واما تقوله الصحيفتان الامريكية والفرنسية من ان هذا العقار يصلح اساسا لخطط عسكرية تمكن روسيا من احتلال امريكا ، او امريكا من احتلال روسيا ، في بضع ساعات ، فكلام يمكن ان يكون اثرا – غير مباشر – لهذا المخدر اللعين!! فالحرب العالمية القادمة لن تحتاج الى المخدرات والهلوسات،حتى يتراجع احد الجيشين امام الآخر كما تتراجع الفيران امام القطط ، او كما تتراجع القطط المخدرة بهذا العقار امام الفيران كما يزعمون ! لن تحتاج الى اكثر من الضغط على هذا الزر أو ذاك ، فيصبح ما هو عامر من المدن خرابا يبابا ، ويهلك اهلها عن آخرهم ، ومن ينجو منهم يتمنى لو انه كان من الهالكين !!

أَصْحَابُ الفِيل .. وَطَيْرٌ أَبَابِيل.

■ في كتاب « امتنا العربية » للكاتب الكبيرمحمد فريد أبو حديد ، وفي الفصل الثاني منه تحت عنوان « العصر الجاهلي » ، الذي يتحدث فيه عن غزو أبرهة ملك الحبشة لمكة ، كتب يقول: « ولكنه عوجِلَ قبل أن يتم عزيمته ، اذ تفشى مرض غامض في جنوده فقضي على اكثرهم ، واضطر أبرهة الى العدول عما أراده ، وانصرف راجعا الى صنعاء ، ولكنه مات في طريقه اليها ».

وفي سورة الفيل يقول سبحانه وتعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجّيل ، فجعلهم كعصف مأكول » . وهنا يوجد اختلاف واضح حول سبب هزيمة أبرهة وجنوده ، فيقول أبو حديد انه مرض غامض ، بينما يقول أصدق القائلين انه أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فما تفسير ذلك الاختلاف وما رأيكم انتم فيه ؟

بني سويف ـ ج.ع.م يحيى طه عبد الهادى

ـ اختلف المفسرون في تفسير الطير الابابيل والحجارة التي هي من سجيل ، وان كانوا قد اتفقوا على هزيمة أبرهة وجيشه . ولعل اقرب التفاسير الى العقل ما قاله الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في كتابه تفسير « جزء عم » من انه « عندما اقترب أبرهة من مكة فزع أهلها وانطلقوا الى شعب الجبال ينتظرون ما هو فاعل رغم ما أكده لهم رسله من انه لم يأت لحربهم وانما أتى لهدم البيت ، أي الكعبة . وفي اليوم التالي فشا في جند أبرهة داء الجدري والحصبة ، وكانت هذه أول مرة يظهر فيها الجدري ببلاد العرب كما قال عِكْرِمة ، وكما يقول يعقوب بن عتبة من أن « أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام » .. لقد فعل ذلك الوباء بأجسام الحبشيّ وجنده ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين ، وأصيب الحبشي ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وانملة انملة ، حتى انصدع صدره ، ومات في صنعاء » ..

ويضيف الاستاذ الامام الى ذلك قوله : « ان ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ، فيجوز لك أن تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا ما اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه ، وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يُعَدّ من أعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر ، وان هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها ، وهو فِرَقٌ وجماعات لا يُحصي عددها الا بارئها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ، ولا على ان يكون له الوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها ، فلله جند من كل شيء . « وما يَعْلَمُ جُنودَ رَبِّكَ الا هُوَ » .

وفي كل شيء له آية
تدل على انه الواحد

وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ،

وحجارة من سجيل

فهذا الطاغية الذى اراد أن يهدم البيت أرسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى أو الحصبة فاهلكته واهلكت قومه قبل أن يدخلوا مكة ، وهى نعمة من الله غمر بها أهل حرمه على وثنيتهم حفظا لبيته ، حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم ، وان كانت نقمة من الله حلت بأعدائه أصحاب الفيل الذين ارادوا الاعتداء على البيت بدون جرم اجترمه او ذنب اقترفه »

ويختم الاستاذ الامام كلامه بقوله : « هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة ، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتاويل ان صحت روايته . ومما تعظم به القدرة ان يؤخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الاربع جسما ، ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ، ولا يدرك بالبصر ، حيث ساقه القدر . لا ريب عند العاقل ان هذا أكبر واعجب وابهر » (انتهى كلام الاستاذ الامام) .

★ ★ ★

اما الاستاذ محمد فريد وجدى فيقول فى تفسيره :

« وقصة الفيل هى ان أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي ، اراد أن يصرف الناس عن حج البيت الى كنيسة بناها بصنعاء فجاء اعرابى فاحدث فى كنيسته ، فاقسم ليَهدِمَنّ الكعبة ، فلما وصل اليها هلك بأبابيل (جماعات) من الطيور ، ولا يبعد أن تكون تلك الطيور جراثيم الطاعون ، اذ لا مانع من تسميتها طيورا » .

الحلاق صانع شريف .. وفنان أيضا !

● لست أدرى لماذا يبخس المجتمع « الحلاق » فيصفه بعض الناس بالبرود ويعتبرونه رمزا له ومثلا ، بينما يرى آخرون ان الحلاقة مهنة حقيرة لا يحترفها الا حقير !

فأنا حلاق ، ولى صالون متواضع أمارس فيه مهنتى التى هى مهنة تجميل وتزيين ، قبل أن تكون مجرد مهنة تنظيف . ومع ذلك فانى ألقى من الناس مضايقات كثيرة أقلها انهم لا يعتبرون الحلاقة مهنة فنية أو عملا ذا قيمة ..

نريد أن نعرف رأيكم فى هذه المشكلة .

ممر سوق باب اللوق — القاهرة ـ محمود عبد الله ياسين

ـ يا سيد محمود : ماذا يهمك رأى « بعض » الناس ، بينما تعترف الاغلبية المطلقة بأن الحلاق صانع شريف ، وفنان لطيف ، وان مهنته الزم المهن للمجتمع .. وحسبنا أن نتصور مجتمعنا بغير حلاقين ! انه سيصبح لا شك مجتمعا قذرا كمجتمع القاطنين فى الغابات !

اما حكاية « البرود » التى يلصقها بعضهم بالحلاقين ، فلا يمكن ان يقول أحد انها مقصورة على أهل هذه المهنة ، دون غيرهم ، ففى كل مهنة ، وكل طائفة ، وكل مجتمع ، من هم اشد برودا من كثير من الحلاقين !

نريد أن يكون لنا ولد..

مهما كانت الوسيلة أو كان الثمن !

● تزوجنا منذ نحو ست سنوات ، ولا أكذبك اذا قلت اننا من أسعد الازواج ، لولا شيء واحد يعكر صفونا وينغص علينا سعادتنا ، هو اننا لم نرزق أطفالا قط طوال هذه السنين ..

واحب أن أكون صريحا معك ، فأقول لك انجميع الفحوص الطبية التى اجريناها ، سواء في بيروت أو القاهرة أو لندن تكاد تجمع ، بل اجمعت بالفعل ، على أن العلة علتى أنا ، لا علة زوجتي، لنقص الحيوانات المنوية عندى ، وان كان الاطباء قد اختلفوا فيما اذا كان هناك أمل لسد هذا النقص بالعلاج أم لا ...

ولست بمستطيع أن أصف لكم ما يصيبنى من حزن وألم ، كلما لمحت على زوجتي أثر شعورها بالحرمان مما تتمتع به كل انثى وتهفو اليه نفسها من عاطفة الامومة ، لكنها تكبت حزنها وتخفى دموعها وتتظاهر بأن هذه مسألة تافهة لا تشغلها .

وأنا أيضا أصبو أن يكون لى طفل ، طفل واحد ، مهما كلفنى ذلك من ثمن ! ولكن كيف ، وقد فشلت كل محاولاتى في ذلك حتى الآن ؟!

وكلما قرأت عن التلقيح الصناعي سألت نفسي: لماذا لا نلجأ اليه كما يفعل الآخرون ؟ لولا أننى قرأت ما كتبتموه في عدد سابق من أن التلقيح الصناعي عمل تمجه النفس ويأباه المستوى الانسانى ، ولا تقره الشرائع السماوية .

لذلك فكرت في أن ألجأ الى وسيلة أخرى ،هى أن نتبنى طفلا من أحد الملاجىء ، يملأ بعض ما تحس به زوجتي من فراغ ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .. ولكن صديقا لى من رجال القانون قال ان التبنى وان يكن مباحا من الناحية القانونية ، الا انه من الناحية الشرعية محظور !.

فهل ترانا نجد عندكم حلا لمشكلة تنغص على زوجين حياتهما السعيدة ، وتهدد سعادتهما ــ لا قدّر الله ــ بالانهيار ؟!

بيروت ــ ص.د.

ــ صحيح ان تلقيح الزوجة بغير ماء زوجها لتنجب له طفلا يحمل اسمه ويملأ عليه فراغه ليس زنا ، لان للزنا شروطا لا تتوفر في عملية التلقيح الصناعي . فلندع الناحية الدينية ونفرض ، جدلا ، ان الطفل « المصنوع » قد ملأ على الزوجة بعض الفراغ الذى تعانيه ، فهل تظنه يملأ على الزوج ما يحس به من فراغ ؟

ثم نفرض انه بعد أن كبر هذا الطفل ، شاء ربك ان تزول علة الزوج ، ورزق من زوجته طفلا او اكثر ، من صلبه هو ، فماذا ترى يكون شعوره بعد ذلك نحو الطفل « المصنوع » ؟!

واذا مات الزوج بعد ذلك وخلف تركة تورث، فبأى حق يرث هذا الابن الزائف أباه المزعوم ، ويحجب عن الأبناء الشرعيين جانبا من نصيبهم ليس له أى حق فيه ؟!!

اما التبنى فهو أن ينسب شخص ، رجلا كان او امراة ، الى نفسه طفلا ، ذكرا كان او انثى ، وهو ليس ولدا لأيهما ، نسبة الولد الصحيح ، بكامل أحكام البنوة ، فيرثهما ، ويحرم عليه ، ان كان ولدا ، أن يتزوج المراة بعد وفاة زوجها ، أو بالرجل ان كانت انثى ، الى آخر ما وضعه الشرع للأبناء والبنات من محللات ومحرمات ...

وقد كان هذا النوع من التبنى معروفا ومعمولا به عند العرب حتى فجر الاسلام . ولقد تبنى النبى صلوات الله وسلامه عليه زيد بن حارثه ،

فكان يدعى زيد بن محمد ، الى ان نزل قول الله تعالى : « وما جعل ادعياءكم أبناءكم ، ذلك قولكم بافواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل. ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آبائهم فاخوانكم في الدين ومواليكم » . عندها بدأ النبى ينفذ امر ربه ويطبقه على نفسه وعلى زيد كما هو معروف مشهور .

وحكمة تحريم هذا النوع من التبنى ظاهرة . ففيه حرمان الأب الحقيقى من ان يتصل به نسب ولده أو يتصل نسبه بولده ، وفيه ادخال عنصر غريب في نسب المتبنى ، يدخل على زوجته وبناته باسم البنوة والاخوة وهو اجنبى عنهن ، لا يباح له منهن ما يباح للابن او الاخ الحقيقى . وفيه كذلك ضياع حق الورثة الشرعيين في ما سيؤول الى هذا الابن ، فلا يرث اخوة الأب المتبنى أو اخوانه لوجود هذا الابن المزعوم ، الذى يمنع بنوته الكاذبة ارثهم الشرعى .

اما التبنى الذى لا يحرمه الاسلام ، بل يُعتبر بعض ما يحض عليه من الخير والمعروف ، فهو ان يضم الانسان ابن غيره ، يربيه وينفق عليه ، ويوصي له في حدود الشرع ، دون أن ينسبه الى نفسه ، أو يجعله ابنا له حقوق الابناء وعليه التزاماتهم من الواجبات والمحرمات ...

وبعد ، فانى أعرف كثيرين قضوا بعد زواجهم اكثر مما قضيتما دون ان يرزقوا اولادا ، ثم حدثت المعجزة فانجبوا ، ومنهم من انجب بعد الزواج باكثر من عشر سنوات .. ثم ان الطب الحديث لا يقطع الأمل في الانجاب الا في حالات خاصة ، هي التى ينقص فيها عدد الحيوانات المنوية المتحركة عند الرجل الى نسبة يعرفها الأطباء ، وفي حالات كثيرة توصل الطب الى رفع هذه النسبة ، فزال العقم ، وحصل الاخصاب..

ألأم بيت قالته العرب!

● قرأت فى بعض كتب الأدب البيتين الآتيين :

اذا نبلتَ فى أرض معاشا وان تأت
فلا تكثرن فيها نزاعا الى الوطن
فما هى الا بلدة مثل بلدة
وخيرهما ما كان عونا على الزمن

وقد نسبهما مؤلف الكتاب الى البحترى، ولكنى لما رجعت الى ديوانه لم أجدهما فيه .

فهل هما بالفعل من شعر البحترى ، أم انهما مدسوسان عليه ؟ وان كانا من شعره فلماذا لم يردا فى الديوان ؟

طرابلس ـ عبد الحميد صادق

ـ هناك من يقول ان البيتين المذكورين للبحترى وان لم يردا فى ديوانه . ولعل ما حمل المحققين على ترجيح هذا الرأى ان له ابياتا كثيرة فى هذا المعنى ، يحضرنا منها البيتان الآتيان :

كم مَشترق لى قد نقلتُ نواله
فجعلته لى عُدّة للمغرب
وأحبُّ آفاق البلاد الى الفتى
أرض ينال بها كريم المطلب

وفى رواية اخرى

واحبُّ أوطان البلاد الى الفتى
أرض ينال بها كريم المكسب

والنص الأول أبلغ ، بينما الثانى ضعيف ركيك لا يتفق ومكانة البحترى بين شعراء عصره .

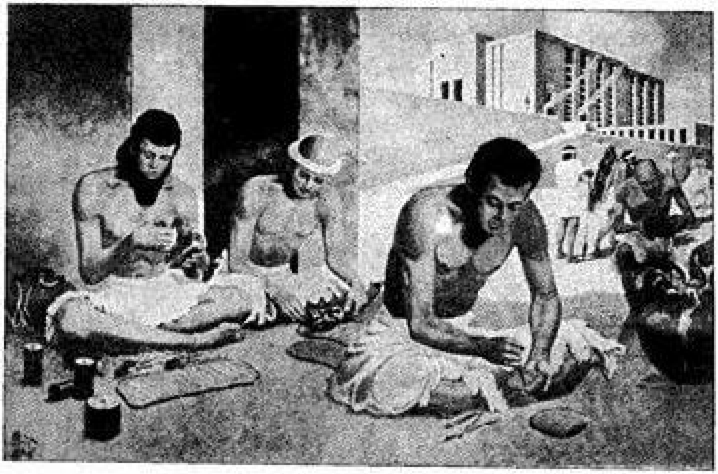
ومن المؤرخين من نسب الى البحترى قوله فى مثل هذا المعنى :

لا يصرفنك عن عزم تهم به
نزوعُ نفس الى أهل واوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها
ارضا بأرض واخوانا باخوان

بينما يقول غيرهم ان هذين البيتين ليسا للبحترى وانما هما للشاعر الكاتب « صُرَّدُرّ » أبو منصور على بن الحسن بن على بن الفضل البغدادى ، احد نجباء عصره ، وقد انتقل اليه هذا اللقب محرّفا ، عن أبيه الذى كان يقال له « صُرّبَعر » لشدة بخله !

وقال « أبو دلف » عن البيت الثانى انه الألأمُ بيت قالته العرب !

وقال « أبو هلال » : النزوع هنا ردىء،والجيد النزاع ، وانما جعل أبو دلف هذا البيت الألأم بيت قالته العرب لأنه يدل على قلة رعاية ، وشدة قساوة ،وحنين الرجل الى أوطانه منقبة من علامات الرشد ، لما فيه من الدلالة على كرم الطينة وتمام العقل ..



الكتابة عند أهل سومر

■ قد لا يشعر المرء ، لأول وهلة ، بما للكتابة من شأن وخطورة فى تاريخ الحضارة . اذ قد مضى على اكتشاف السومريين لها نحو خمسة آلاف سنة ، فباتت مألوفة ، وتوارت بالتالى خطورتها الكبيرة او كادت ، شأن كل مألوف . ومع ذلك فان اهمية الكتابة البالغة توشك أن تكون بديهية وفى غير حاجة الى دليل.

ولعل اكتشاف الكتابة هو الوثبة الكبرى التى قفزها الانسان على صعيد الحضارة . اى ان سائر الوثبات الحضارية الأخرى ، كاكتشاف النار واكتشاف المعادن وتشكيل الأدوات منها ، تكاد تتضاءل اهميتها ، وهى كبيرة ، اذا قيست بالكتابة وبما لها من أثر .

يتجلى ذلك فى حاجة تلك المكتشفات الأخرى الى الكتابة — ولو بصورة غير مباشرة — لكى تعود على الانسان بالفوائد التى عادت بها عليه . كان لا بد من علوم وفنون تكنية لجنى ثمار تلك المكتشفات. وكان لا بد من الكتابة لكى تقوم لهذه العلوم قائمة . والا كيف تكون علوم وفنون وكيف تكون مكتشفات علمية ومخترعات لو لم توجد الكتابة ، فتصل بين السلف من العلماء والخلف ، وبين القاصى منهم والدانى . .

فضلا عن ذلك فان الكتابة هى التى بعثت على ظهور المدارس ، او بالحرى ، ممارسة النشاط الرامى الى التربية والتعليم . فلولا الكتابة لتعذر على الفراعنة ممارسة هذا النشاط ، وقد كانوا رواده . ثم اى ظل من مقومات الطبيعة الانسانية

يمكننا تحقيقه في الافراد دون تربية او تعليم ؟!

يصدق ذلك ايضا على التاريخ والفلسفة ، بل على شؤون الحكم والسياسة والادارة العامة فضلا عن الصناعة والزراعة وغيرها من جوانب النشاط الانساني. فالكتابة منها كالعمود الفقري من جسم الانسان .

هذا الفن وهذا الاكتشاف يعزى الى اهل سومر ، كما يقول المؤرخون . ومن ثم كانت قيمة الصورة المنشورة على الصفحة الثانية من هذا العدد . فهي تضع امامنا عددا من الأختام الاسطوانية، وهي اختام سومرية صرفة، كانت المنطلق الأول للكتابة المسمارية .

على ان استعمال هذه الاختام لم يهدف في بادىء الأمر الى اكثر من ختم الاملاك الخاصة بصور وعلامات فارقة حفرت عليها ، فقامت مقام التوقيع ، وذلك بقصد تمييز تلك الاملاك بعضها عن بعض وبغية الحفاظ عليها والابقاء على ملكيتها لأصحابها .

ولكن الصور والرموز والعلامات التى نقشت على هذه الاختام ما لبثت ان تخطت ، في المرحلة الثانية ، ما وقفت عنده في المرحلة الأولى . فقد ازدادت عددا واصبحت تؤدى معاني ومفاهيم مختلفة ، فلا تقتصر على الدلالة على اسماء الرجال .

ولم يلبث السومريون أن شعروا بعدم حاجتهم الى الأختام لكتابة ما يشاءون من اسماء وافعال وكلمات . فبدلا من نقش تلك الأختام وحفرها لتطبع بعد ذلك على الواح من طين او اوان من خزف، عمدوا في مرحلة ثالثة ، الى تلك الألواح مباشرة يخطّون عليها رموزهم وصورهم .

اما في المرحلة الرابعة فقد تسنى لأهل سومر ضغط تلك الرموز والصور والعلامات وتصغيرها لتصبح حروفا او كالحروف ، يكتبون بها لغتهم من يمين الى يسار .

ومن اهل سومر انتقلت الكتابة الى خلفائهم اهل بابل ، ثم انتشرت عن طريق هؤلاء حتى شاعت وعمّت في سوريا وفلسطين ثم انتقلت من هذه البلاد الى الاغريق كما يجمع المؤرخون .

وثمة ملاحظتان لا مفر من سوقهما :

الأولى ان الكتابة ــ وان كانت اكتشافا سومريا صميما ــ لا يمكن أن تعزى الى السومريين وحدهم بكاملها . فالبابليون واقوام آخرون عديدون كان لهم فضل في تطوير الكتابة .

والفراعنة كانت لهم لغتهم . وكان لهم فضل كذلك في تطوير الحروف الهجائية حتى اصبحت اربعة وعشرين ، وفي اكتشاف الورق ــ ورق البردى ــ واستعماله لاغراض الكتابة .

ولعل الشبه كبير بين الكتابة وما اليها من المكتشفات الحضارية، وبين المكتشفات الجغرافية والعلمية . لا تتم الواحدة من هذه ومن تلك ، ولا تكتمل الا بتضافر الجهود ، فردية كانت ام جماعية ، ولا يغير من هذه الحقيقة ولا يبدّل وجود ادوار رائدة بالنسبة الى تلك المكتشفات .

اما الملاحظة الثانية فذات صلة بالأختام الاسطوانية وبالملكية التى بعثت على استحداثها، ومهدت السبيل بالتالى الى اكتشاف الكتابة . اذ ان حرص اهل سومر على املاكهم واموالهم الخاصة وحرص كهنتهم على تحديد تلك الأملاك ليتسنى لهم جباية المال من اصحابها ،كل بحسب قدرته ، هذا الحرص على الملكية هو الذى ادى الى ظهور تلك الأختام وافسح المجال بالتالى لاكتشاف الكتابة . ■■

اضحك

تضحك الدنيا معك .. ابكِ تبك وحدك

شروط الزواج

● سأل رجل متزوج صديقا له اعزب فى الخامسة والاربعين من عمره : « ترى هل ما زلت تبحث عن الفتاة التى تتوفر فيها كل شروطك العشرة من حيث الخلق والجمال والثقافة والمال والحسب والنسب ..؟ »

فرد الصديق الأعزب الذى كان قد عاد مؤخرا من افريقيا بعد ان قضى فيها نحوا من خمس عشرة سنة : « كنت اشترط تلك الشروط قديما ، قبل سفرى الى افريقيا وقبل بلوغى الثلاثين من عمرى . وما ان أشرفت على الاربعين حتى تنازلت عنها جميعا باستثناء شرطين فقط : شرط الخلق وشرط الثقافة . اما الآن فليس لى الا شرط واحد فحسب : هو ان اعثر على الفتاة التى قد ترضى بى زوجا .. ؟

بين الخيال والواقع

● يروى عن الرئيس الامريكى ابراهام لنكلن ، وقد كان واقعيا شديد الحرص على الاستناد الى الحقائق والارقام في التقارير التى صدرت عنه او قدمت اليه ، انه استدعى اعضاء لجنة من اللجان كانت قد رفعت اليه تقريرا حافلا بالافتراضات والاحتمالات ..

الرئيس لنكلن لأعضاء اللجنة : ما عدد ارجل الحمار لو اننا اعتبرنا ذيله رجلا ؟

فرد اعضاء اللجنة فورا : خمسة ارجل ..

الرئيس لنكلن : ذلك بالضبط هو الجواب الذى توقعته منكم .. وهو خطأ شنيع كما لا يخفى .. اذ ان ارجل الحمار تبقى اربعة ولا تصبح خمسة لمجرد (اعتبارنا الذيل رجلا) !!

سذاجة وخبرة

● **الزوج الحديث العهد بحياته الزوجية :** لا ريب ان الزواج نعمة . فمع انني عدت الى البيت مبكرا مساء البارحة، فقد فاجأتنى زوجتى بعشاء فاخر يفوق الوصف .. !

الزوج القديم العهد بزواجه: وهل اعجبك ثوبها الجديد بعد تناول العشاء !؟





حياتك الزوجية



لا تحطمها كما تحطم لوح الزجاج فإنه لا ينجبر

■ لو ادرك النـــاس التغييرات التى ستطرأ على حياتهم بعد الطلاق، لترددوا اكثر من مرة قبل الاقدام على اجراء هذه الجراحة الخطيرة .

ولسنا نتحدث الآن عن التغييرات المادية التى تطرأ على حيـــاة الزوجين المطلقين ، ولو انها هى ايضا مصـــدر اضطراب شديد لكل منهما ... وانمـا نتحـدث عن التغييرات العاطفيـة في حياتهما .. تلك التى تنتابهم فرادى ، وتنتابهم علائق كانت ثم بانت ، وتنتاب ما بينهم وبين الناس في المجتمـع الذى يعيشون فيه .

لوح الزجاج المكسور

ونقف هنا قليلا عند يمين الطلاق التى يلقيها الزوج ، أو الحكم الذى تصدره المحكمة بالطلاق بين زوجين ... فالكلمة في حد ذاتها ليست سوى اصطلاح رمزى له ما وراءه . ووراءه الشيء الكثير . وليس في هذا الكثير شيء أكثر ألما مما يقع داخل النفس البشرية ، تلك التى تتحول فجاة الى شيء محطم أشبه ما يكون بلوح الزجاج الذى تهشم فجاة ، لا سبيل الى جبره بعد تهشمه .

ليس من أب «يريد» الطلاق حقا وصدقا

يقول علماء النفس انه لا يوجد في هذا المجتمع المتغير المضطرب ، أب واحد « يريد » الطلاق ، وخاصـة اذا كان صاحب أسرة كبيرة وبيت كان سعيدا في يوم من الأيام ... ولكن الطلاق يحدث رغم ارادته . انه يتقدم على الطلاق لانه يؤمن في قرارة نفسه بان الاستمرار في الحياة مع زوجته وأم اطفاله أصبح أمرا مستحيلا !

وفي ثورة الغضب التى تسبق عادة اعلان الرغبة في الطلاق ، يقول الزوج : انني « أريد » الطلاق !

وكلمة « أريد » هنـــا لا تعبر تعبيرا صادقا عن حقيقة الشعور الذى يعتمل في صدره . فهو لا « يريد » وانما « يحتاج » الى الطلاق ، ظنا منه انه أسهل الحلول .. انه لم يفكر قط في حل آخر غير الطلاق !

طفل كبير

ويحدث أحيانا ان يتقدم الزوج على الطـــلاق ارضاء لشهوة الانتقام ، تماما كما لو كان الرجـل طفلا كبيرا ! ويأتي من بعد اشباع الشهوة ندم ..

والزواج ينتهي عادة على أثر حادث معين ، وقد تكون هناك حوادث أخرى سبقته تمهد له ، وقد ينتهي بهدوء لا تشوبه الضوضاء ، ولكن يصحبه البكاء الصامت والأنين غير المسموع .

فراق بلا دموع !

وهناك بعض الحالات الاخرى التي يتم فيهـــا الطلاق ، لان أحد الزوجين وقـــع في غرام ، وهو يريد ان يكون حرا مرة اخرى ليتزوج بمن يحب ! وفي مثل هذه الحالات تجف الدموع أمام كبرياء الزوجة أو الزوج ، ويفترق الاثنان غير آســفين على هذا الفراق .

ولكن أغلب حوادث الطلاق تقـــع لاستحالة استمرار الحياة بين الزوجين تحت سقف واحد ، وتكون النتيجة أن تصطدم سفينة الزواج بالصخور وتغرق !

تغرق السفينة وتبقى ذكرياتها حية

والسفينة بعـــد غرقها لا يطويهـــا النسيان بالسهولة التي تصورها الزوجان ، ويظل الاثنان يعيشان في ذكرياتها طالت رحلة الحياة أم قصرت؟ وانك لتسمع الرجل الذى طلق زوجته يتحـدث الى أصدقائه ويقول : « لقد تعودنا الذهاب الى هذا المسرح أو السينما في عطلة نهاية الأسبوع ». أو « كنا نقصد هذا السوق لرخص أسعاره »... وهكذا !

وحدة وفراغ

وتنقضي فترة طويلة قبل أن ينسى مثل هـــذا الزوج طريقه الى السوق أو المسرح الذى كان يذهب اليه مع مطلقته في عطلة نهاية الاسبوع ! وقد لا يدرك انه لم يعد يستطيع بعد أن يستخدم ضمير الجماعة في حديثه ، وانما ضمير المفرد ، فيقول « أنا » بدلا من « نحن » ، ويقول « ذهبت الى المسرح » بـــدلا من « تعودنـــا الذهاب الى السينما ! »

ثم تنقضي فترة أخرى أطول من سابقتها قبل ان يتمكن هذا الرجل الوحيد من التخلص من وحدته ... فهو يمشي في الشارع ويقطع المسافات الطويلة سيرا على الاقدام بدلا من ان يركب الأتوبيس أو الترام ، حتى يستطيع ان يملأ وقت الفراغ في حياته .

لقد أصبح الآن يرى الوانا كثيرة من الناس ، لم يكن يراها من قبـــل .. كالرجل الذى أصبح يراه يجلس وحيدا على مقعد صغير في احـــدى الحدائق العامة وقد امسك بكتاب مفتوح بين يديه دون ان يقرا فيه سطرا واحدا ، والرجل الذى يقف امام نافذات المحلات التجارية ويمضي الدقائق الطويلة وهو واقف في مكانه لا يتحرك ، أو يمشي في الشارع في خطوات بطيئـة متثاقلة ، وهو لا يدرى الى اين تقوده قدماه ... كل هؤلاء لم يكن يراهم عندما لم يكن وحـــده ... أما اليوم فهو يتتبعهـــم بنظراته ويرقبهم من بعيـــد دون أن يشعرهم بوجوده ، لانه أصبح واحدا منهم .. أصبح هو الآخر وحيـــدا لا أحد ينتظر عودته في البيت !

شقاء المرأة

وكما يحدث للرجل ، يحـدث للمـرأة بعـد الطلاق . بل ان المرأة كثيرا ما تعاني اضعاف مـا يعانيه الرجل ... حتى لو كانت تعيش مع اطفالها منه ! فهي في وحدتها شقية ، ومع اطفالها اكثر شقاء .. فكثيرا ما تجد في حركات طفلهـــا أو في مشيته او نظراته اليها ، ما يذكرها بالرجل الذى امضت معه أجمل سني حياتها .

مع الذكريات

وحتى اذا لم يكن هناك طفل،تجد المراة اشياء اخرى تذكرها برجلها الذى ذهب ولن يعود ... رائحة التبغ مثلا التى طالما كرهتها ، وكانت سببا في خلافاتهما .. كم تتمنى الآن لو عادت تملأ جو بيتها الموحش ! وسعاله في الصباح من كثرة التدخين .. انها تبحث عن صوته كما لو كان قطعة موسيقية جميلة .. حتى شخيره الذى كانت تهرب منه لتنام في غرفة اخرى ، ما أعذبه الآن من لحن يبعث الدفء والطمانينة الى قلبها !!

ولا تزيد الايام المراة الا تعلقا بالرجل الذى تصورت في يوم من الايام انها لم تعد تطيق الحياة معه . فكل شيء حولها يذكرها به . اذا وقفت امام مرآتها لتتزين استعدادا للخروج ، تذكرت زمام فستانها الذى لا تستطيع يدها ان تصل اليه ، وكيف كان يسرع لنجدتها .. وتذكرت فستانها الجميل الذى اهداه لها في عيد ميلادها، وكان يصر على ان ترتديه دائما في كل مرة تخرج فيها معه .

وتحاول المراة ان تنسى ، ولكن طيفه يلاحقها ليلا ونهارا .. انها تسمع صوت حذائه وهويصعد الدرج ... أو صوت نفير سيارته عندما يطلقه معلنا وصوله بعد يوم حافل بالعمل ، او صوت المفتاح وهو يدور في قفل الباب ... وتتطلع بلهفة الى باب البيت ، ولكنها لا تلبث ان تكتشف انها انما استسلمت لأوهامها وتخيلاتها !

خيبة أمل

ويتجه الرجل والمراة بعد الطلاق عادة الى الاصدقاء ، ولكنهما سرعان ما يكتشفان ان هؤلاء الاصدقاء لم يعد لهم وجود ! فالذى يحدث عادة انه عندما يتزوج رجل وامراة يتخلى كل واحد منهما عن كثير من طباعه وتصرفاته واصدقائه الذين كان يعتز بصداقتهم قبل الزواج . وعندما يتم الطلاق ، يتجه تفكير كل منهما الى هؤلاء الأصدقاء سواء الذين عرفوهما قبل الزواج أم بعده . لكنهما ما يلبثان ان يصابا بصدمة عندما يجدان ان اصدقاءهما ، وخاصة المتزوجين منهم ، يتهربون من مقابلتهما !

محكمة وهيئة تحكيم

فما الذى حدث ؟ لقد كانت مشاكلهما الزوجية قبل الطلاق تشغل كل وقتهما ، فلم تكن الزوجة تجد الوقت الذى تستطيع أن تقضيه في زيارة أسرة من أصدقائها . واذا حدث ونجحت في اقناع زوجها بمرافقتها في احدى هذه الزيارات ، تحول بيت الأسرة الصديقة الى محكمة ، وتحول الأصدقاء انفسهم الى أفراد في هيئة للتحكيم في المشكلة الجديدة التى جلست تروى تفاصيلها بحماس ، وقد تنتهى السهرة بمعركة مريرة بين الزوجين اللذين حاول كل واحد منهما خلالها ان يكسب عطف أصدقائه !

فلا عجب إذن أن يتهرب الأصدقاء من هذين الزوجين لا سيما بعد طلاق ، لأن مجرد ذكر كلمة رجل مطلق أو امراة مطلقة تبعث على النفور والاشمئزاز ، وخاصة بالنسبة للمراة التى يقسو عليها المجتمع وتلوك سيرتها الألسن اذا لم تحرص كل الحرص على مسلكها وتصرفاتها بعد الطلاق . فالشرخ الذى يصيب سمعة الرجل أصغر بكثير من الكسر الذى يصيب كبرياء المراة التى تفشل في الاحتفاظ بزوجها حتى لو كان رجلا عابثا مستهترا !

ان حوادث الطلاق تتزايد بصورة مخيفة بالرغم من هذا كله ، وبالرغم من ان علماء النفس يجمعون على انه في الامكان علاج ٨٠٪ من الأسباب التى تؤدى الى الطلاق !

فلا تدع حياتك تتحطم ، فلوح الزجاج صعب جبْره ! ■■

أستاذ الجامعة

● طلبوا الى استاذ جامعي أن يأتي بتعريف للاستاذ. قال: الاستاذ رجل عمله أن يهدي تلاميذه الى حل مشاكل للحياة ، هرب هو منها بأن صار استاذا .

وراء كل راهبة قصة !

أقصوصة بقلم : الدكتور صفاء خلوصي

الاستاذ بكلية التربية بجامعة بغداد

■ « وراء كل راهبة قصة ! » .

قالها بكل اطمئنان بعد أن حدجني بنظرة وافرغ فيها كل معاني التاكد والثقة .

ومضى يقول :

كنت قبل عشر سنوات في ايطاليا ، كنت اتجول في ربوعها بسيارتي الخاصة ، فانا اضجر بالسفر بالطائرة ، واكره الرحلات بالقطار ، لذلك لا تراني اصطاف الا وسيارتي رهن اشارتي ، لاطلق لنفسي عنان حرية التنقل كما اهوى واريد . ولقد قضيت اياما ممتعة في فلورنسا ، وجنوه ، ونابولي ، نقلتني الى ايام عصر النهضة وارتني الكثير من معالمها وروائع فنونها ، فالتماثيل والصور الزيتية مبذولة في كل مكان ، حتى لكانها قد صارت في ضرورة وجودها كالماء والهواء ، او جزءا من كيان القوم ، وحتى الوجوه الادمية هناك منحوتة نحتا كالتماثيل ، ولا تكاد تميزها عنها الا بما يتردد في صدرها من انفاس ..

لقد احببت هذه الربوع حتى انني لم اترك حجرا دون أن اقلبه لارى ما تحته ، وقد قادني ذلك أحيانا الى ما يسوء ، ولكنه كثيرا ما كان يقودني الى ما يسر ويبهج .

غير أن العجيب أن الذي يسر منها يُنسى توا ، ولا يبقى في الذهن الا ما يؤلم ويوجع .

حدث ذات مرة أنني ضللت الطريق في بعض جبال ايطاليا ، وكنت قد ذهبت اليها للاستطلاع والنزهة ، وحدث ان اصيبت سيارتي في هذا الطريق بعطب ، فتركتها الى جانب منه ، واستانفت السير عسى أن أجد من يعينني على اصلاحها لاخرج من ورطتي هذه . فما هي الا بضع خطوات الى شمال المنعطف حتى لمحت ديرا في مكان منعزل . فسرت اليه ودخلته فاستقبلتني اتفاقا فيه راهبة سمراء الملامح .. ايطالية وما هي بالايطالية . حلوة النبرات ، ذات لكنة اجنبية خفيفة .

حاولت أن اتفاهم معها بلغتها فاخفقت في ايضاح مرادي على الوجه الصحيح ، لان معرفتي باللغة الايطالية لم تكن لتتعدى التعابير السطحية والجمل القصيرة التي يحتاج اليها السياح . فارادت ان تنقذني مما وجدتني فيه من حرج فقالت : اتعرف لغة أخرى غير الايطالية ؟ فقلت من توي وقد وجدت مجال المزاح امامي مفتوحا : « نعم ، اللغة العربية ! » . ولشدّ ما دهشت عندما لم تقابل مزاحي الا بلهجة عربية حلوة النبرات تقول: «ولِمَ لمْ تنبئني ساعة دخلت لاكفيك مؤنة التخبط في لغة أعجمية ؟ »

صُعِقت ، ولكن سرعان ما عدت الى رشدي لاقول : « وأين تعلمت اللغة العربية ؟ » فقالت : « ان وراء ذلك قصة طويلة ما نحن بصددها الآن .. خبرني ، ما خطبك ؟ » . فحدثتها حديث السيارة المعطوبة الى جانب الطريق ، فغابت لحظات ثم عادت ومعها خادم ، استعان بشخص يعرفه ، اعاد السيارة الى حال يصلح معها استئناف السفر . وهممت بمغادرة المكان لولا أن حب الاستطلاع في نفسي استيقظ فجاة وصرخ بي أن عُدْ اليها واستطلع جلية الامر ، فقلت للخادم اريد ان أعود الى الدير لاشكر الراهبة على صنيعها ، فقال لي : « لا حاجة لذلك فسابلغها شكرك ! » قلت : « ولكن العرف المتبع في بلدي هو ان المرء يبلغ الشكر بنفسه » . فقال : « حسنا اذن تفضل ، ان كان لديك متسع من الوقت » !



عدت الى الراهبة .. فتظاهرت بالاستغراب لعودتي ، وان كنت موقنا أنها كانت تتوقع ذلك في قرارة نفسها ..

بادرتني قائلة : « ألم تصلح سيارتك ؟ ».

قلت : « بلى .. ولكني عدت لأشكرك على ما قدمته الى من معونة » .

قالت : « لا شيء يستوجب الشكر ... صحبتك السلامة في حلك وترحالك ! »

فأجبتها ، وقد لمحت* الفضول في عيني : « ولكني – لو سمحت – أحب أن أعلم أين تعلمت العربية وكيف جئت الى هنا ، ومن أي بلد أنت ؟ فمظهرك يدل على أنك من بلد غير هذا البلد » .

فقالت : « الا يكفي أن أقول لك انني تعلمتها بالدراسة في الدير ، ولدينا ، كما ترى متسع من الوقت للتوفر على ذلك ؟ » .

قلت : « هذا جواب لا يقنعني .. فان وراء كل راهبة قصة ! » .

فأجابت : « وماذا يهمك لو عرفت قصتي ؟ »

قلت : « سأقرن هذا الدير الرائع ، وهـذه البقعة الجميلة من الأرض ، بقصة من أمتع القصص » .

فردت وقد امتلأت عيناها بالدموع : « ولكنها من أفجع القصص ! لقد نكأت بي جرحا على غير عمد منك ..

وصمتت برهة كأنها تفكر ، أتقول أم لا تقول. ثم استأنفت تقول :

كنت في عنفوان الشباب وربيع العمر ، حين

جاء (ع ...) يخطبني ، بعد أن تمكن الحب من قلبينا ، وعقد الاخلاص الابدى أواصره بين روحينا .. وكان أبى من أعاظم رجال قومه ،ولكنه ذهب ضحية عدم استطاعته التوفيق بين ما كان يريده هو ، وما كان يريده خصومه . واذ راح ماسوفا عليه ، لم يبق هناك من يعارض زواجي غير أمي . وقد استطعت أن أقنعها بعد لأي ، بيد أن أعمامي وأبناء العشيرة التي أنتمي اليها عارضوا جميعا هذا الزواج بحجة أن من سأتزوجه وان كان يشغل مركزا مرموقا في المجتمع ، ليس بكفء لي ، لأن والده كان خادما عند بعض أقرباء أبي ، وأن زواجي منه اهانة للأسرة الكريمة التي أنتمي اليها .. وهكذا أحدق بي الظلم من كل جانب ، فقد وجدتني مرغمة على التضحية بنداء قلبي ارضاء لأناس لم يتزوجوا حسب مشيئتي ، ولكن ينبغي عليّ أن أتزوج حسب مشيئتهم ...

وانى لي أن أحصل على زوج يرتضيه قلبي ، وتقبل به أفراد الأسرة والعشيرة جميعا ، وهم كثر ؟ .. لقد أحجمت بعض الوقت ، ولكني لم أستطع التردد طويلا ، فقد سيطر عليّ ما كنت أحسبه يومذاك هو المنطق .. وهو أن لا أرضخ لقوانين القرون الوسطى ، يوم كانت المرأة أداة صماء بيد أناس يتصورون أنهم يعرفون مصالحها النفسية والعاطفية ويحاولون زجها في سجن الزواج مع انسان تكرهه ولا ترتضيه بعلا لاعتبارات اجتماعية أو مصالح عائلية . لذلك فقد صممت على الزواج ممن أحب ..

ثم انتهى كل شيء الى ما كنت أبغي ..

الا أن رسائل التهديد كانت ترد بانتظام الى خطيبي طوال هذه المدة ، منذرة اياه بالموت ان هو تجرأ على الزواج مني ، ولكن خطيبي كان رجلا شجاعا يؤثر حبه لي على كل شيء .. فقد كان حبه أقوى من الموت ، وكان القدر أراده أن يكون كذلك لتتم المأساة ..

ففي صبيحة يوم جاءنا أحد أعمامي زائرا ، فاستقبلناه بالترحاب وأكرمنا وفادته ، وقدمنا له كل ما لذ وطاب ، بيد أنه رفض أن يتناول شيئا، واذا به ينهض من مكانه فجأة مخاطبا زوجي : « لقد استعملنا معك كل الوسائل الممكنة لردعك عما أقدمت عليه فلم ترتدع ، وأنذرناك فلم يجد معك الانذار .. فدونك اذن .. تلق جزاء حماقتك وعنادك ! » . وأخرج من جيبه مسدسا وأطلق عليه عدة عيارات نارية أردته قتيلا في الحال .

كانت هناك في البلد ضجة .. وكانت محاكمات ، وأنقذ العم من حبل المشنقة لمكانته الاجتماعية ، ولأنه انما عمل ما عمل دفاعا عن الشرف العائلي .. ولم يطل أمد سجنه ، اذ سرعان ما أطلق سراحه وعاد الى أهله موفور الكرامة .

أما المأساة الحقيقية فقد كانت في بيتنا ، اذ ماتت أمي حزينة كئيبة ، وقضى أخي الاصغر بداء السرطان العضال بعد أن ابتسم له القدر وأوشك أن يسير سيرة أبيه الى حيث ينتظره المجد .. حينذاك أظلمت الدنيا في عيني وأصبح قلبي الذي كان يوما موطن أجمل أزاهير الحياة قبرا موحشا للأماني الميتة والأحلام الذاوية والرغبات الكسيرة المحطمة .. اذ ذاك شعرت أن آخر خيط من الأمل قد انقطع .. وكان أمامي أمران : فاما أن أنتحر أو أترهب فوجدت الترهب أحجى ، لأن الانتحار جبن وضعف ، وآثرت أن أبقى في الحياة ... بعيدة عنها ، أسمع بنعيمها وصخبها فلا تستهويني ، وأفكر في مباهجها وزخارفها فلا تغريني .. لقد فضلت أن أعيش منعزلة بعيدة ، تفصلني حياتي هذه عن موطني ، وعن أهلي الى الأبد ، احتجاجا صامتا على ما صنع بي القدر .. لو مت منتحرة لظنوا بي الظنون ، ولاتهموني بالجنون ، ولكنهم لن يفعلوا بي ذلك الآن ، لانني أملك كامل قواي العقلية . اني أعيش سعيدة مع ذكريات زوجي الراحل ، ليعلم أنه لم يمت من أجلي عبثا ، واني كنت صادقة مخلصة يوم قلت له : «انني ساحبه الى الابد ولن أرضى عنه بديلا » .. سأمكث هنا الى أن يواريني التراب فتلتقي روحي بروحه .. ويا لروعة اللقاء ! » .

★ ★ ★

وقفت أمام هذه الراهبة صامتا بضع دقائق بعد أن انتهت من حديثها الشجي ، وحاولت عبثا أن أعلم منها اسم البلد العربي الذي تنتمي اليه ، فقد كررت مشيرة الى الدير ، تقول : « هذا بلدي » ، وتشير الى الراهبات وتقول : « وهؤلاء أهلي وعشيرتي ! ولم يبق في ذاكرتي مكان لغير هؤلاء ! » .

فضغطت على يدها مودعا وشاكرا ، فابتسمت لي بأدب وقالت : « انك رجل واسع الخبرة ، فما أصدقك وما أعمق خبرتك حين تقول : « ان وراء كل راهبة قصة ! » . ■■

صفاء خلوصي

طرائف عربية

رباطة الجاش

● قال الربيع مولى الخليفة المنصور: ما رأيت رجلا اربط جاشا واثبت جنانا من رجل سُعِيَ به الى المنصور بان عنده ودائع وأموالا لبني امية. فأمرني باحضاره، فاحضرته اليه فقال له المنصور: قد رُفِع الينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني امية، فاخْرِجْ لنا منها واحضرها ولا تكتم منها شيئا! فقال: يا امير المؤمنين، أنت وارث بني امية؟ قال: لا.. قال: فوصيٌ لهم في أموالهم ورباعهم؟ قال: لا.. قال: فما مسئلتك عما في يدي من ذلك؟! واطرق المنصور وتفكر ساعة، ثم رفع رأسه وقال: ان بني امية ظلموا المسلمين، وانا وكيل المسلمين في حقوقهم، واريد أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فاجعله في أموالهم.. فقال: يا امير المؤمنين، فتحتاج الى اقامة بيّنة عادلة ان ما في يدي لبني امية مما خانوه وظلموه، فان بني امية قد كانت لهم اموال غير اموال المسلمين.. قال: فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال: يا ربيع.. ما ارى الشيخ الا قد صدق، وما يجب عليه شيء، وما يسعنا الا أن نعفو عما قيل عنه!.. ثم قال: هل لك من حاجة؟ قال: نعم، حاجتي يا امير المؤمنين أن تجمع بيني وبين من سعى بي اليك.. فوالله الذي لا اله الا هو ما في يدي لبني امية مال ولا وديعة، ولكنني لما مثلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه، قابلت بين هذا القول الذي ذكرته الآن وبين ذلك القول الذي ذكرته اولا، فرأيت ذلك اقرب الى الخلاص والنجاة.. فقال يا ربيع:: اجمع بينه وبين من سعى به، فجمعت بينهما، فلما رآه، قال: هذا غلامي، اختلس ثلاثة آلاف دينار من مالي، وأبقَ مني، وخاف من طلبي له فسعى بي عند امير المؤمنين. قال: فشدد المنصور على الغلام وخوفه، فاقر بانه غلامه، وانه اخذ المال الذي ذكره وسعى به كذبا عليه، وخوفا من ان يقع في يده.. فقال المنصور: سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه، فقال: قد عفوت عنه واعتقته ووهبته الثلاثة الآف التي اخذها وثلاثة آلاف اخرى. فقال المنصور: ما على ما فعلت من مزيد..! قال: بلى يا امير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني..

تفنن في البخل..

● حكي عن بعض البخلاء انه خلف يوما على صديقه، واحضر له خبزا وجبنا وقال: لا لا تستقلّ الجبن، فان الرطل منه بثلاثة دراهم..! فقال له ضيفه: انا أجعله بدرهم ونصف! قال: وكيف ذلك؟ قال: آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن..!

خُسْن

● تنبأ انسان، فطالبوه، بحضرة المأمون، بمعجزة، فقال: اطرح لكم حصاة في الماء فتذوب.. قالوا: رضينا! فأخرج حصاة وطرحها في الماء، فذابت!. فقالوا: هـذه حيلة.. ولكن نعطيك

من حكم العرب وأقوالهم المأثورة

* ما عز من اذل جيرانه ، ولا سعد من حرم اخوانه !
* خير النوال ما وصل قبل السؤال ، وأولى الناس بالنوال ازهدهم في السؤال .
* من غاظك بقبيح الشتم منه ، فغظه بحسن الحلم عنه .

مثل هذا لا يحاصَر ولا يقاتل ..!

● حكي ان بعض الملوك حاصر ملكاوأطال في حصاره، فلما اشتد بهالحصار، استدعى وزراءه فقال : ما ترون وقـدتأخرت بنا هذه الحال ؟! هل نسلم له ، ام نخرج عليه ليلا ، ويفعل الله بنا مايشاء ؟! فقال بعض وزرائه : قد بدا لى راى ارى انهم ينصرفون به عنا من غيرقتال .. ! فقال : ما هو ؟! قال : يجمع مولاي ما في خزانته منالذهب ويحضره، فلما احضره استدعى الصيّاغوامرهم ان يصوغوه جميعه سهاما زنة كل سهم قدرمعلوم ، ثم كتب الوزير على كل نصل من هذه السهام سطرين، ثم امر حاشيةالملك ان يرموها عـن قوس واحد على العسـكر المحتـاط بهم ، فتلألأ لمعاننصالها ، حتى ادهش العيون، فأمر الملك ان تجمع، فلما جمعتبين يديه امر ان يقراما عليها ، فاذا هو مكتوب :

ومن جـوده يرمي العفـاة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقهـا مجروحها في دوائـه ويشترى الاكفـان منهـا قتيلهـا

فلما سـمع ذلـك امر بالرحيل منساعته وقال : مثل هذا لا يحاصر ولا يقاتل ... !

بين التطيُّر والتفاؤل

● قيل ان المنصور بن ابى عامر الاندلسى كان اذا قصد غزاةً ، عقد لواءه بجامع قرطبة ، ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع .. فاتفق انه في بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وارباب الدولة ، فرفع حامل اللواء اللواءَ ، فصادف ثريا من ثريات الجامع ، فانكسرت على اللواء ، وتبدد الزيت ، فتطيَّر الحاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور ، فقال رجل : ابشر يا امير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة ، فقد بلغت اعلامك الثريا ، وسقاها الله من شجرة مباركة ، زيتونة . فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به ، وكانت الغزوة من ابرك الغزوات .

التَّخلُّص

حصاة من عندنا واجعلها تذوب ! فقال لستم أجلَّ من فرعون ، ولا انا اعظم من موسى . لم يقل فرعون لموسى لم ارض بما تفعله بعصاك حتى اعطيك عصى من عندى تجعلها ثعبانا ! فضحك المأمون واجازه .